ألف ليلة وليلة



المجلد الأول

ألف ليلة وليلة

ذات الحوادث العجيبة. والقصص المطربة الغريبة لياليها غرام في غرام وتفاصيل حب وعشق وهيام وحكايات ونوادر فكاهية. ولطائف وطرائف أدبية بالصور المدهشة البديعة من أبدع ما كان ومناظر أعجوبة من عجائب الزمان.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه صلاة وسلاماً دائمين متلازمين إلى يوم الدين (وبعد) فإن سير الأولين صارت عبرة للآخرين لكي يرى الإنسان العبر التي حصلت لغيره فيعتبر ويطالع حديث الأمم السالفة وما جرى لهم فينزجر فسبحان من جعل حديث الأولين عبرة لقوم آخرين "فمن" تلك العبر الحكايات التي تسمى ألف ليلة وليلة وما فيها من الغرائب والأمثال.

(حكايات الملك شهريار وأخيه الملك شاه زمان)

(حكى) والله أعلم أنه كان فيما مضى من قديم الزمان وسالف العصر والأوان ملك من ملوك ساسان بجزائر الهند والصين صاحب جند وأعوان وخدم وحشم له ولدان أحدهما كبير والآخر صغير وكانا فارسين بطلين وكان الكبير أفرس من الصغير وقد ملك البلاد وحكم بالعدل بين العباد وأحبه أهل بلاده ومملكته وكان اسمه الملك شهريار وكان أخوه الصغير اسمه الملك شاه زمان وكان ملك سمرقند العجم ولم يزل الأمر مستقيماً في بلادهما وكل واحد منهما في مملكته حاكم عادل في رعيته مدة عشرين سنه وهم في غاية البسط والانشراح ولم يزالا على هذه الحالة إلى أن اشتاق الكبير إلى أخيه الصغير فأمر وزيره أن يسافر إليه ويحضر به فاجابه بالسمع والطاعة وسافر حتى وصل بالسلامة ودخل على أخيه وبلغه السلام واعلمه أن أخاه مشتاق إليه وقصده أن يزوره فأجابه بالسمع والطاعة وتجهز للسفر وأخرج خيامه وجماله وبغاله وخدمه وأعوانه وأقام وزيره حاكماً في بلاده وخرج طالباً بلاد أخيه فلما كان في نصف الليل تذكر حاجة نسيها في قصره فرجع ودخل قصره فوجد زوجته راقدة في فراشه معانقة عبد أسود من العبيد فلما رأى هذا أسودت الدنيا في وجهه وقال في نفسه إذا كان هذا الأمر قد وقع وأنا ما فارقت المدينة فكيف حال هذه العاهرة إذا غبت عند أخي مدة ثم أنه سل سيفه وضرب الأثنين فقتلهما في الفراش ورجع من وقته وساعته وأمر بالرحيل وسار إلى أن وصل إلى مدينة أخيه ففرح أخيه بقدومه ثم خرج إليه ولاقاه وسلم عليه ففرح به غاية الفرح وزين له المدينة وجلس معه يتحدث بانشراح فتذكر الملك شاه زمان ما كان من أمر زوجته فحصل عنده غم زائد واصفر لونه وضعف جسمه فلما رآه أخوه على هذه الحالة ظن في نفسه أن ذلك بسبب مفارقته بلاده وملكه فترك سبيله ولم يسأل عن ذلك ثم أنه قال له في بعض الأيام يا أخي أني أنا في باطني جرح ولم يخبره بما رأى من زوجته فقال أني أريد أن تسافر معي إلى الصيد والقنص لعلك ينشرح صدرك فأبى ذلك فسافر أخوه وحده إلى الصيد وكان في قصر الملك شبابيك تطل على بستان أخيه فنظر وإذا بباب القصر قد فتح وخرج منه عشرون جارية وعشرون عبداً وامرأة أخيه تمشي بينهم وهي في غاية الحسن والجمال حتى وصلوا إلى فسقية وخلعوا ثيابهم وجلسوا مع بعضهم وإذا بامرأة الملك قالت يا مسعود فجاءها عبد أسود فعانقها وعانقته وواقعها وكذلك باقي العبيد فعلوا بالجواري ولم يزالوا في بوس وعناق ونحو ذلك حتى ولى النهار فلما رأى ذلك أخو الملك فقال والله أن بليتي أخف من هذه البلية وقد هان ما عنده من القهر والغم وقال هذا أعظم مما جرى لي ولم يزل في أكل وشرب وبعد هذا جاء أخوه من السفر فسلما على بعضهما ونظر

الملك شهريار إلى أخيه الملك شاه زمان وقد رد لونه واحمر وجهه وصار يأكل بشهية بعدما كان قليل الأكل فتعجب من ذلك وقال يا أخي كنت أراك مصفر اللون والوجه والآن قد رد إليك لونك فأخبرني بحالك فقال له أما تغير لوني فأذيره لك وأعف عني عن أخبارك برد لوني فقال له أخبرني أولاً بتغير لونك وضعفك حتى اسمعه فقال له يا أخي أنك لما أرسلت وزيرك إليَّ يطلبني للحضور بين يديك جهزت حالي وقد برزت من مدينتي ثم أني تذكرت الخرزة التي أعطيتها لك في قصري فرجعت فوجدت زوجتي معها عبد أسود وهو نائم في فراشي فقتلتهما وجئت إليك وأنا متفكر في هذا الأمر فهذا سبب تغير لوني وضعفي وأما رد لوني فاعف عني من أن أذكره لك فلما سمع أخوه كلامه قال له أقسمت عليك بالله أن تخبرني بسبب رد لونك فأعاد عليه جميع ما رآه فقال شهريار لأخيه شاه زمان مرادي أن أنظر بعيني فقال له أخوه شاه زمان اجعل أنك مسافر للصيد والقنص واختف عندي وأنت تشاهد ذلك وتحققه عياناً فنادى الملك من ساعته بالسفر فخرجت العساكر والخيام إلى ظاهر المدينة وخرج الملك ثم أنه جلس في الخيام وقال لغلمانه لا يدخل على أحد ثم أنه تنكر وخرج مختفياً إلى القصر الذي فيه أخوه وجلس في الشباك المطل على البستان ساعة من الزمان وإذا بالجواري وسيدتهم دخلوا مع العبد وفعلوا كما قال أخوه واستمروا كذلك إلى العصر فلما رأى الملك شهريار ذلك الأمر طار عقله من رأسه وقال لأخيه شاه زمان قم بنا نسافر إلى حال سبيلنا وليس لنا حاجة بالملك حتى ننظر هل جرى لأحد مثلنا أو لا فيكون موتنا خير من حياتنا فأجابه لذلك ثم أنهما خرجا من باب سري في القصر ولم يزالا مسافرين أياماً وليالي إلى أن وصلا إلى شجرة في وسط مرج عندها عين ماء بجانب البحر المالح فشربا من تلك العين وجلسا يستريحان فلما كان بعد ساعة مضت من النهار إذا هم بالبحر قد هاج وطلع منه عمود أسود صاعد إلى السماء وهو قاصد تلك المرجة قال فلما رأيا ذلك خافا وطلعا إلى أعلى الشجرة وكانت عالية وصارا ينظران ماذا يكون الخبر وإذا بجني طويل القامة عريض الهامة واسع الصدر على رأسه صندوق فطلع إلى البر وأتى الشجرة التي هما فوقها وجلس تحتها وفتح الصندوق وأخرج منه علبة ثم فتحها فخرجت منها صبية غراء بهية كأنها الشمس المضيئة كما قال الشاعر:

أشـ .رقت فـ .ي الـ .دجى فـ .لاح النهـ .ار — واسـ . . تنارت بنورهـ . . ا الأسـ . . حار
مـ . ن سـ .ناها الشـ .مس تشـ .رق لمـ . ا — تنبـ . . . دي وتنجلـ . . . ي الأقمـ . . . ار
تسـ . .جد الكائنـ . .ات بـ . .ين يـ . .ديها — حـ . .ين تبـ . .دو وتهتـ . .ك الأسـ . .تار
وإذا أومضـ . . ت بـ . . روق حماهـ . . ا — هطلـ . . .ت بالمـ . . .دامع الأمطـ . . ار

قال فلما نظر إليها الجني قال يا سيدة الحرائر التي قد اختطفتك ليلة عرسك أريد أن أنام قليلاً ثم وضع الجني رأسه على ركبتها ونام فرفعت رأسها إلى أعلى الشجرة فرأت الملكين وهما فوق تلك الشجرة فرفعت رأس الجني من فوق ركبتها ووضعتها على الأرض ووقفت تحت الشجرة وقالت لهما بالإشارة أنزلا ولا تخافا من هذا العفريت فقالا لها بالله عليك أن تسامحينا من هذا الأمر فقالت لهما بالله عليكما أن تنزلا وألا نبهت عليكما العفريت فمن خوفهما قال الملك شهريار لأخيه الملك شاه زمان يا أخي افعل ما أمرتك به فقال لا أفعل حتى تفعل أنت قبلي وأخذا يتغامزان على نكاحها فقالت لهما ما أراكما تتغامزان فإن لم تتقدما وتفعلا

وألا نبهت عليكما العفريت فمن خوفهما من الجني فعلا ما أمرتهما به فلما فرغا قالت لهما أقفا وأخرجت لهما من جيبها كيساً وأخرجت لهما منه عقداً فيه خمسمائة وسبعون خاتماً فقالت لهما أتدرون ما هذه فقالا لهـ ا لا ندري فقالت لهما أصحاب هذه الخواتم كلهم كانوا يفعلون بي على غفلة قرن هذا العفريت فأعطياني خاتميكما أنتما الاثنان الآخران فأعطياها من قلبهما خاتمين فقالت لهما أن هذا العفريت قد اختطفني ليلة عرسي ثم أنـ ه وضعني في علبه وجعل العلبة داخل الصندوق ورمى على الصندوق سبعة أقفال وجعلني فـ ي قـ اع البحـ ر العجاج المتلاطم بالأمواج ويعلم أن المرأة منا إذا أرادت أمراً لم يغلبها شيء كما قال بعضهم.

لا تـ . . . أمنن إلـ . . . ى النسـ . . . اء	ولا تثـ . . . . .ق بعهـ . . . . . .ودهن
فرضـ . . . . . . .اؤهن وسـ . . . . . .خطهن	معلـ . . . . ق بفـ . . . . روجهن
يبـ . . . . دين وداً كاذبـ . . . . اً	والغـ . . . . در حشـ . . . . و ثيـ . . . ابهن
بحـ . . . .ديث يوسـ . . . .ف فـ . . . .اعتبر	متحـ . . . . ذراً مـ . . . . ن كيـ . . . . دهن
أو مـ . . . . . .ا تـ . . . . .رى أبلـ . . . .يس	أخـ . . . رج آدمـ . . . ا مـ . . . ن أجلهـ . . . ن

فلما سمعا منها هذا الكلام تعجباً غاية العجب وقالا لبعضهما إذا كان هذا عفريتاً وجرى له أعظم ممـ ا جرى لنا فهذا شيء يسلينا ثم أنهما انصرفا من ساعتهما عنها ورجعا إلى مدينة الملك شهريار ودخلا قصره ثم أنه رمى عنق زوجته وكذلك اعناق الجواري والعبيد وصار الملك شهريار كل يوم يأخذ بنتاً بكرا يزيـ ل بكارتها ويقتلها من ليلتها ولم يزل على ذلك مدة ثلاث سنوات فضجت الناس وهربت ببناتها ولم يبق في تلك المدينة بنت تتحمل الوطء ثم أن الملك أمر الوزير أن يأتيه ببنت على جري عادته فخرج الوزير وفتش فلـ م يجد بنتاً فتوجه إلى منزله وهو غضبان مقهور خائف على نفسه من الملك وكان الوزير له بنتان ذاتا حسـ ن وجمال وبهاء وقد واعتدال الكبيرة اسمها شهرزاد والصغيرة اسمها دنيازاد وكانت الكبيرة قد قـ رأت الكتـ ب والتواريخ المتعلقة بالأمم السالفة والملوك الخالية والشعراء فقالت لأبيها مـ الي أراك متغيـ راً حامـ ل الهـ م والأحزان وقد قال بعضهم في المعنى شعراً.

قـ . . . لـ لمـ . . . ن يحمـ . . . لـ همـ . . . ا	أن همـ . . . . ا لا يـ . . . . دوم
مثـ . . . لـ مـ . . . ا يفنـ . . . ى السـ . . . رور	هكـ . . . . .ذا تفنـ . . . . .ى الهمـ . . . . .وم

فلما سمع الوزير من ابنته هذا الكلام حكى لها ما جرى له من الأول إلى الآخر مع الملك فقالت له بالله يا أبت زوجني هذا الملك فلما أن أعيش وأما أن أكون فداء لبنات المسلمين وسبباً لخلاصهن من بـ ين يديـ ه فقال لها بالله عليكي لا تخاطري بنفسك أبداً فقالت له لابد من ذلك فقال أخشى عليك أن يحصل لك ما حصل للحمار والثور مع صاحب الزرع فقالت له وما الذي جرى لها يا ابت

(حكاية الحمار والثور مع صاحب الزرع)

(قال) اعلمي يابنتي أنه كان لبعض التجار أموال ومواش وكان له زوجة وأولاد وكان الله تعالى أعطاه معرفة السن الحيوانات والطير وكان مسكن ذلك التاجر الأرياف وكان عنده في داره حمار وثور فأتى يوماً الثور إلى مكان الحمار فوجده مكنوساً مرشوشاً وفي معلفه شعير مغربل وتبن مغربل وهو راقد مستريح وفي بعض الأوقات ركبه صاحبه لحاجة تعرض له ويرجع على حاله فلما كان في بعض الأيام سمع التاجر الثور وهو يقول للحمار هنيئاً لك ذلك أنا تعبان وأنت مستريح تأكل الشعير بعريلا ويخدمونك وفي بعض الأوقات يركبك صاحبك ويرجع وأنا دائماً للحرث والطحن فقال له الحمار إذا خرجت إلى الغيط ووضعوا على رقبتك الناف فارقد ولا تقم ولو ضربوك فإن قمت فأرقد ثانياً فإذا رجعوا بك وضعوا لك الفول فلا تأكله كأنك ضعيف وامتنع من الأكل والشرب يوماً أو يومين أو ثلاثة فإنك تستريح من التعب والجهد وكان التاجر يسمع كلامهما فلما جاء السواق إلى الثور بعلفه أكل منه شيئاً يسيراً فأصبح السواق يأخذ الثور إلى الحرث فوجده ضعيفاً فقال له التاجر خذ الحمار وحرثه مكانه اليوم كله فلما رجع آخر النهار شكره الثور على تفضلاته حيث أراحه من التعب في ذلك اليوم فلم يرد عليه الحمار جواباً وندم أشد الندامة فلما كان ثاني يوم جاء المزارع وأخذ الحمار وحرثه إلى آخر النهار فلم يرجع الحمار إلا مسلوخ الرقبة شديد الضعف فتأمله الثور وشكره ومجده فقال له الحمار كنت مقيماً مستريحاً فما ضرني إلا فضولي ثم قال اعلم أني لك ناصح وقد سمعت صاحبنا يقول إن لم يقم الثور من موضعه فأعطوه للجزار ليذبحه ويعمل جلده قطعاً وأنا خائف عليك ونصحتك والسلام فلما سمع الثور كلام الحمار شكره وقال في غد أسرح معهم ثم أن الثور أكل علفه بتمامه حتى لحس المدود بلسانه كل ذلك وصاحبهما يسمع كلامهما فلما طلع النهار خرج التاجر وزوجته إلى دار البقر وجلسا فجاء السواق وأخذ الثور وخرج فلما رأى الثور صاحبه حرك ذنبه وظرط وبرطع فضحك التاجر حتى استلقى على قفاه فقالت له زوجته من أي شيء تضحك فقال لها شيء رأيته وسمعته ولا أقدر أن أبيح به فأموت فقالت له لابد أن تخبرني بذلك وما سبب ضحك ولو كنت تموت فقال لها ما أقدر أن أبوح به خوفاً من الموت فقالت له أنت لم تضحك إلا على ثم أنها لم تزل تلح عليه وتلح في الكلام إلى أن غلبت عليه فتحير وأحضر أولاده وأرسل أحضر القاضي والشهود وأراد أن يوصي ثم يبوح لها بالسر ويموت لأنه كان يحبها محبة عظيمة لأنها بنت عمه وأم أولاده وكان قد عمر من العمر مائة وعشرين سنة ثم أنه أرسل أحضر جميع أهلها وأهل حارته وقال لهم حكايته وأنه متى قال لأحد على سره مات فقال لها جميع الناس ممن حضر بالله عليك أتركي هذا الأمر لئلا يموت زوجك أبو أولادك فقالت لهم لا أرجع عنه حتى يقول لي ولو يموت فسكتوا عنها ثم أن التاجر قام من عندهم وتوجه إلى دار الدواب ليتوضأ ثم يرجع يقول لهم ويموت وكان عنده ديك تحته خمسون دجاجة وكان عنده كلب فسمع التاجر الكلب وهو ينادي الديك ويسبه ويقول له أنت فرحان وصاحبنا رايح يموت فقال الديك للكلب وكيف ذلك الأمر فأعاد الكلب عليه القصة فقال له الديك والله أن صاحبنا قليل العقل أنا لي خمسون زوجة أرضي هذه وأغضب هذه وهو ماله إلا زوجة واحدة ولا يعرف صلاح أمره معها فماله لا يأخذ لها بعضاً من عيدان التوت ثم يدخل إلى حجرتها ويضربها حتى تموت أو تتوب ولا تعود تسأله عن شيء قال فلما سمع التاجر كلام الديك وهو يخاطب الكلب رجع إلى

عقله وعزم على ضربها ثم قال الوزير لابنته شهرزاد ربما فعل بك مثل ما فعل التاجر بزوجته فقالت له ما فعل قال دخل عليها الحجرة بعدما قطع له عيدان التوت وخباها داخل الحجرة وقال لها تعالي داخل الحجـ ـرة حتى أقول لك ولا ينظرني أحد ثم أموت فدخلت معه ثم أنه قفل باب الحجرة عليهما ونزل عليهـ ـا بالضـ ـرب إلى أن أغمى عليها فقالت له تبت ثم أنها قبلت يديه ورجليه وتابت وخرجت هي وأياه وفرح الجماعة وأهلها وقعدوا في أسر الأحوال إلى الممات. فلما سمعت ابنة الوزير مقالة أبيها قالت له لابد من ذلك فجهزها وطلع إلى الملك شهريار وكانت قد أوصت أختها الصغيرة وقالت لها إذا توجهت إلى الملك أرسلت أطلبك فإذا جئت عندي ورأيت الملك قضى حاجته مني فقولي يا أختي حدثينا حديثاً غريباً نقطع به السهر وأنا أحدثك حـ ـديثاً يكون فيه الخلاص إن شاء الله ثم أن أباها الوزير طلع بها إلى الملك فلما رآه فرح وقال أتيت بحاجتي فقـ ـال نعم فلما أراد أن يدخل عليها بكت فقال لها مالك فقالت أيها الملك أن لي أختاً صغيرة أريد أن أودعها فأرسل الملك إليها فجاءت على أختها وعانقتها وجلست تحت السرير فقام الملك وأخذ بكارتها ثم جلسـ ـوا يتحـ ـدثون فقالت لها أختها الصغيرة بالله عليك يا أختي حدثينا حديثاً نقطع به سهر ليلتنا فقالت حباً وكرامة أن أذن لـ ـي هذا الملك المهذب فلما سمع ذلك الكلام وكان به قلق ففرح بسماع الحديث.

(حكاية التاجر مع العفريت)

(ففي الليلة الأولـ ـى) قالت بلغني أيها الملك السعيد أنه كان تاجر من التجار كثير المال والمعاملات في البلاد قد ركب يوماً وخرج يطالب في بعض البلاد فاشتد عليه الحر فجلس تحت شجرة وحط يده في خرجـ ـه وأكل كسرة كانت معه وتمرة فلما فرغ من أكل التمرة رمى النواة وإذا هو بعفريت طويل القامة وبيده سـ ـيف فدنا من ذلك التاجر وقال له قم حتى أقتلك مثل ما قتلت ولدي فقال له التاجر كيف قتلت ولدك قال لـ ـه لمـ ـا أكلت التمرة رميت نواتها جاءت النواة في صدر ولدي فقضى عليه ومات من ساعته فقال التاجر للعفريـ ـت اعلم أيها العفريت أني على دين ولي مال كثير وأولاد وزوجة وعندي رهون فدعني أذهب إلى بيتي وأعطي كل ذي حق حقه ثم أعود إليك ولك على عهد وميثاق أن أعود إليك فتفعل بي ما تريد والله على مـ ـا أقـ ـول وكيل فاستوثق منه الجني وأطلقه فرجع إلى بلده وقضى جميع متعلقاته وأوصل الحقوق إلـ ـى أهلهـ ـا وأعلـ ـم زوجته وأولاده بما جرى له فبكوا وكذلك جميع أهله ونساءه وأولاده وأوصى وقعد عندهم إلى تمام السنة ثـ ـم توجه وأخذ كفنه تحت أبطه ودع أهله وجيرانه وجميع أهله وخرج رغماً عـ ـن أنفـ ـه وأقـ ـيم عليـ ـه العيـ ـاط والصراخ فمشي إلى أن وصل إلى ذلك البستان وكان ذلك اليوم أول السنة الجديدة فبينما هو جالس يبكي على ما يحصل له وإذا بشيخ كبير قد أقبل عليه ومعه غزالة مسلسلة فسلم على هذا التاجر وحياه وقال له ما سبب جلوسك في هذا المكان وأنت منفرد وهو مأوى الجن فأخبره التاجر بما جرى له مع ذلك العفريـ ـت وبسـ ـبب قعوده في هذا المكان فتعجب الشيخ صاحب الغزالة وقال والله يا أخي مادينك إلا دين عظيم وحكايتك حكايـ ـة عجيبة ولوكتبت بالأبر على آماق البصر لكانت عبرة لمن اعتبر ثم أنه جلس بجانبه وقال والله يـ ـا أخـ ـي لا أبرح من عندك حتى أنظر ما يجري لك مع ذلك العفريت ثم أنه جلس عنده يتحدث معه فغشي علـ ـى ذلـ ـك التاجر وحصل له الخوف والفزع والغم الشديد والفكر المزيد وصاحب الغزالة بجانبه وإذا بشيخ ثان قد أقبـ ـل عليهما ومعه كلبتان سلاقيتان من الكلاب السود فسألهما بعد السلام عليهما عن سبب جلوسهما في هذا المكان

وهو مأوى الجان فأخبراه بالقصة من أولها إلى آخرها فلم يستقر به الجلوس حتى أقبل عليهم شيخ ثالث ومعه بغلة زرزورية فسلم عليهم وسألهم عن سبب جلوسهم في هذا المكان فأخبروه بالقصة من أولها إلى آخرها وبينما كذلك إذا بغبرة هاجت وزوبعة عظيمة قد أقبلت من وسط تلك البرية فانكشف الغبرة وإذا بذلك الجني وبيده سيف مسلول وعيونه ترمي بالشرر فأتاهم وجذب ذلك التاجر من بينهم وقال له قم اقتلك مثل ما قتلت ولدي وحشاشة كبدي فانتحب ذلك التاجر وبكى وأعلن الثلاثة شيوخ بالبكاء والعويل والنحيب فانتبه منهم الشيخ الأول وهو صاحب الغزالة وقبل يد ذلك العفريت وقال له يا أيها الجني وتاج ملوك الجان إذا حكيت لك حكايتي مع هذه الغزالة ورأيتها عجيبة أتهب لي ثلث دم هذا التاجر قال نعم يا أيها الشيخ إذا أنت حكيت لي الحكاية ورأيتها عجيبة وهبت لك ثلث دمه فقال ذلك الشيخ الأول اعلم يا أيها العفريت أن هذه الغزالة هي بنت عمي ومن لحمي ودمي وكنت تزوجت بها وهي صغيرة السن وأقمت معها نحو ثلاثين سنة فلم أرزق منها بولد فأخذت لي سرية فرزقت منها بولد ذكر كأنه البدر إذا بدا بعينين مليحتين وحاجبين مزججين وأعضاء كاملة فكبر شيئاً فشيئاً إلى أن صار ابن خمس عشرة سنة فطرأت لي سفرة إلى بعض المدائن فسافرت بمتجر عظيم وكانت بنت عمي هذه الغزالة تعلمت السحر والكهانة من صغرها فسحرت ذلك الولد عجلاً وسحرت الجارية أمه بقرة وسلمتها إلى الراعي ثم جئت أنا بعد مدة طويلة من السفر فسألت عن ولدي وعن أمه فقالت لي جاريتك ماتت وابنك هرب ولم أعلم أين راح فجلست مدة سنة وأنا حزين القلب باكي العين إلى أن جاء عيد الضحية فأرسلت إلى الراعي أن يخصني ببقرة سمينة فجاءني ببقرة سمينة وهي سريتي التي سحرتها تلك الغزالة فشمرت ثيابي وأخذت السكين بيدي وتهيأت لذبحها فصاحت وبكت بكاء شديداً فقمت عنها وأمرت ذلك الراعي فذبحها وسلخها فلم يجد فيها شحماً ولا لحماً غير جلد وعظم فندمت على ذبحها حيث لا ينفعني الندم وأعطيتها للراعي وقلت له ائتني بعجل سمين فأتاني بولدي المسحور عجلاً فلما رآني ذلك العجل قطع حبله وجاءني وتمرغ عليّ وولول وبكى فأخذتني الرأفة عليه وقلت للراعي ائتني ببقرة ودع هذا وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح فقالت لها أختها ما أطيب حديثك وألطفه وألذه وأعذبه فقالت لها وأين هذا مما أحدثكم به الليلة القابلة إن عشت وأبقاني الملك فقال الملك في نفسه والله ما أقتلها حتى اسمع بقية حديثها ثم أنهم باتوا تلك الليلة في الصباح متعانقين فخرج الملك إلى محل حكمه وطلع الوزير بالكفن تحت أبطه ثم حكم الملك وولى وعزل إلى آخر النهار ولم يخبر الوزير بشيء من ذلك فتعجب الوزير غاية العجب ثم أنفض الديوان ودخل الملك شهريار قصره.

(وفي ليلة ٢) قالت دنيا زاد لأختها شهرزاد يا أختي أتممي لنا حديثك الذي هو حديث التاجر والجني قالت حباً وكرامة أن أذن لي الملك في ذلك فقال لها الملك أحكي فقالت بلغني أيها الملك السعيد ذو الرأي الرشيد أنه لما رأى بكاء العجل حن قلبه غليه وقال المراعي أبق هذا العجل بين البهائم كل ذلك والجني يتعجب من حكاية ذلك الكلام العجيب ثم قال صاحب الغزالة يا سيدي ملوك الجان كل ذلك جرى وابنة عمي هذه الغزالة تنظر وترى وتقول اذبح هذا العجل فإنه سمين فلم يهن على أن أذبحه وأمرت الراعي أن يأخذه وتوجه به ففي ثاني يوم أنا جالس وإذا بالراعي أقبل علي وقال يا سيدي أني أقول شيئاً تسربه ولي البشارة فقلت نعم فقال أيها التاجر أن لي بنتاً كانت تعلمت السحر في صغرها من امرأة عجوز كانت عندنا فلما كنا

بالأمس وأعطيتني العجل دخلت به عليها فنظرت إليه بنتي وغطت وجهها وبكت ثم أنها ضحكت وقالت ي ا أبي قد خس قدري عندك حتى تدخل على الرجال الأجانب فقلت لها واين الرجال الأجاد ب ولم اذا بكي ت وضحكت فقالت لي أن هذا العجل الذي معك ابن سيدي التاجر ولكنه مسحور سحرته زوجة أبيه ه و وأم ه فهذا سبب ضحكي وأما سبب بكائي فمن أجل أمه حيث ذبحها أبوه فتعجبت من ذلك غاية العجب وما صدقت بطلوع الصباح حتى جئت إليك لاعلمك فلما سمعت أيها الجني كلام هذا الراعي خرجت معه وأنا سكران من غير مدام من كثرة الفرح والسرور الذي حصل لي إلى أن أتيت إلى داره فرحبت بي ابنة الراعي وقبلت يدي ثم أن العجل جاء إلى وتمرغ على فقلت لابنة الراعي أحقا ما تقولينه عن ذلك العجل فقالت نعم يا سيدي أن ه ابنك وحشاشة كبدك فقلت لها أيتها الصبية إن أنت خلصتيه فلك عندي ما تحت يد أبيك من المواشي والأموال فتبسمت وقالت يا سيدي ليس لي رغبة في المال إلا بشرطين الأول أن تزوجني به والثاني أن أسد حر م ن سحرته وأحبسها وإلا فلست آمن مكرها فلما سمعت أيها الجني كلام بنت الراعي قلت ولك فوق جمي ع م ا تحت يد أبيك من الأموال زيادة وأما بنت عمي فدمها لك مباح فلما سمعت كلامي أخذت طاسة وملأتها م اء ثم إنها عزمت عليها ورشت بها العجل وقالت له أن كان الله خلقك عجلاً فدم على هذه الصفة ولا تتغير وإن كنت مسحوراً فعد إلى خلقتك الأولى بإذن الله تعالى وإذا به انتفض ثم صار إنساناً فوقعت عليه وقلت له بالله عليك أحك لي جميع ما صنعت بك وبأمك بنت عمي فحكى لي جميع ما جرى لهما فقلت يا ولدي قد ق يض الله لك من خلصك وخلص حقك ثم أني أيها الجني زوجته ابنة الراعي ثم أنها سحرت ابنة عمي هذه الغزالة وجئت إلى هنا فرأيت هؤلاء الجماعة فسألتهم عن حالهم فأخبروني بما جرى لهذا التاجر فجلست لأنظر م ا يكون وهذا حديثي فقال الجني هذا حديث عجيب وقد وهبت لك ثلث دمه فعند ذلك تقدم الشيخ صاحب الكلبتين السلاقيتين وقال له اعلم يا سيدي ملوك الجان أن هاتين الكلبتين أخوتي وأنا ثالثهم ومات والدي وخل ف لن ا ثلاثة آلاف دينار ففتحت أنا دكاناً أبيع فيه وأشتري وسافر أخي بتجارته وغاب عنا مدة سنة مع القوافل ث م أتى وما معه شيء فقلت له يا أخي أما أشرت عليك بعدم السفر فبكى وقال يا أخي قدر الله عز وج ل عل ي بهذا ولم يبق لهذا الكلام فائدة ولست أملك شيئاً فأخذته وطلعت به إلى الدكان ثم ذهبت به إلى الحمام والبسته حلة من الملابس الفاخرة وأكلت أنا وإياه وقلت له يا أخي أني أحسب ربح دكاني من السنة إل ى السن نة ث م أقسمه دون رأس المال بيني وبينك ثم أني عملت حساب الدكان من ربح مالي فوجدته الفي دينار فحمدت الله عز وجل وفرحت غاية الفرح وقسمت الربح بيني وبينه شطرين وأقمنا مع بعضنا أياماً ثم أن أخوتي طلب وا السفر أيضاً وأرادوا أن أسافر معهم فلم أرض وقلت لهم أي شيء كسبتم في سفركم حتى أكسب أن ا ف الحوا علي ولم أطعهم بل أقمنا في دكاكيننا نبيع ونشتري سنة كاملة وهم يعرضون علي السفر وأنا لم أرض حت ى مضت ست سنوات كوامل ثم وافقتهم على السفر وقلت لهم يا أخوتي أننا نحسب ما عندنا من المال فحسب بناه فإذا هو ستة آلاف دينار فقلت ندفن نصفها تحت الأرض لينفعنا إذا أصابنا أمر ويأخذ كل واحد منا ألف دينار ونتسبب فيها قالوا نعم الرأي فأخذت المال وقسمته نصفين ودفنت ثلاثة آلاف دينار وأما الثلاثة آلاف دين ار الأخرى فأعطيت كل واحد منهم ألف دينار وجهزنا بضائع وأكترينا مركباً ونقلنا فيها حوائجنا وسافرنا م دة شهر كامل إلى أن دخلنا مدينة وبعنا بضائعنا فربحنا في الدينار عشرة دنانير ثم أردنا السفر فوج دنا عل ى

شاطيء البحر جارية عليها خلق مقطع فقبلت يدي وقالت يا سيدي هل عندك إحسـ ان ومعـ روف أجازيـ ك عليهما قلت نعم أن عندي الإحسان والمعروف ولو لم تجازيني فقالت يا سيدي تزوجني وخذني بلادك فإني قد وهبتك نفسي فافعل معي معروفاً لأني ممن يصنع معه المعروف والأحسان ويجازى عليهما ولا يغرنك حالي فلما سمعت كلامها حن قلبي إليها لأمر يريده الله عز وجل فأخذتها وكسوتها وفرشت لها في المركب فرشـ اً حسناً واقبلت عليها وأكرمتها ثم سافرنا وقد أحبها قلبي محبة عظيمة وصرت لا أفارقهـ ا لـ يلاً ولا نهـ اراً واشتغلت بها عن أخوتي فغاروا مني وحسدوني على مالي وكثرت بضاعتي وطمحت عيـ ونهم فـ ي المـ ال جميعه وتحدثوا بقتلي وأخذ مالي وقالوا نقتل أخانا ويصير المال جميعه لنا وزين لهـ م الشـ يطان أعمـ الهم فجاؤني وأنا نايم بجانب زوجتي ورموني في البحر فلما استيقظت زوجتي انتفضت فصارت عفرية وحملتني وأطلعتني على جزيرة وغابت عني قليلاً وعادت إلى عند الصباح وقالت لي أنا زوجتك التي حملتك ونجيتك من القتل بإذن الله تعالى واعلم أني جنية رأيتك فحبك قلبي وأنا مؤمنة بالله ورسوله ﷺ فجئتك بالحال الـ ذي رأيتني فيه فتزوجت بي وها أنا قد نجيتك من الغرق وقد غضبت على أخوتك ولابد أن أقتلهم فلمـ ا سـ معت حكايتها تعجبت وشكرتها على فعلها وقلت لها أما هلاك أخوتي فلا ينبغي ثم حكيت لها ما جرى لي معهم من أول الزمان إلى آخره فلما سمعت كلامي قالت أنا في هذه الليلة أطير إليهم وأغرق مراكبهم وأهلكهم فقلت لها بالله لا تفعلي فإن صاحب المثل يقول يا محسناً لمن أساء كفى المسيء فعله. وهم أخوتي على كل حال قالت لابد من قتلهم فاستعطفتها ثم أنها حملتني وطارت فوضعتني على سطح داري ففتحت إلا أبـ واب وأخرجـ ت الذي خبأته تحت الأرض وفتحت دكاني بعدما سلمت على الناس واشتريت بضائع فلما كان الليل دخلت داري فوجدت هاتين الكلبتين مربوطتين فيها فلما رأياني قاما لي وبكيا وتعلقا بي فلم أشعر إلا وزوجتي قالت هؤلاء إخوتك فقلت من فعل بهم هذا الفعل قالت أنا أرسلت إلى أختي ففعلت بهم ذلك وما يتخلصون إلا بعد عشـ ر سنوات فجئت وأنا سائر إليها تخلصهم بعد إقامتهم عشر سنوات في هذا الحال فرأيت هذا الفتى فأخبرني بما جرى له فأردت أن لا أبرح حتى أنظر ما يجري بينك وبينه وهذه قصتي (قال الجني) إنها حكاية عجيبة وقد وهبت لك ثلث دمه في جنايته فعند ذلك تقدم الشيخ الثالث صاحب البغلة وقال للجني أنا أحكي لـ ك حكايـ ة أعجب من حكاية الأثنين وتهب لي باقي دمه وجنايته فقال الجني نعم فقال الشيخ أيها السلطان ورئيس الجان أن هذه البغلة كانت زوجتي سافرت وغبت عنها سنة كاملة ثم قضيت سفري وجئت إليها في الليل فرأيت عبد أسود راقد معها في الفراش وهما في كلام وغنج وضحك وتقبيل وهراش فلما رأتني عجلت وقامت إلي بكوز فيه ماء فتكلمت عليه ورشتني وقالت أخرج من هذه الصورة إلى صورة كلب فصـ رت فـ ي الحـ ال كلبـ اً فطردتني من البيت فخرجت من الباب ولم أزل سائراً حتى وصلت إلى دكان جزار فتقدمت وصرت آكل من العظام فلما رآني صاحب الدكان أخذني ودخل بي بيته فلما رأتني بنت الجزار غطت وجهها مـ نـ ي فقالـ ت أتجيء لنا برجل وتدخل علينا به فقال أبوها أين الرجل قالت إن هذا الكلب سحرته امرأة وأنـ ا أقـ در علـ ى تخليصه فلما سمع أبوها كلامها قال بالله عليك يا بنتي خلصيه فأخذت كوزاً فيه ماء وتكلمت عليـ ه ورشـ ت عليّ منه قليلاً وقالت اخرج من هذه الصورة إلى صورتك الأولى فصرت إلى صورتي الأولى فقبلت يـ دها وقلت لها أريد أن تسحري زوجتي كما سحرتني فأعطتني قليلاً من الماء وقالت إذا رأيتها نائمة فـ رش هـ ذا

الماء عليها فإنها تصير كما أنت طالب فوجدتها نائمة فرششت عليها الماء وقلت أخرجي من ه ذه الصد ورة إلى صورة بغلة فصارت في الحال بغلة وهي هذه التي تنظرها بعينك أيها السلطان ورئيس ملوك الجان ث م التفت إليها وقال أصحيح هذا فهزت رأسها وقالت بالإشارة نعم هذا صحيح فلما فرغ من حديثه اهتز الجن ي من الطرب ووهب له باقي دمه. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح. فقالت لها أختها يا أختي ما أحلى حديثك وأطيبه وألذه وأعذبه فقالت وأين هذا مما أحدثكم به الليلة القابلة أن عشت وأبقاني الملك فقال الملك والله لا أقتلها حتى أسمع بقية حديثها لأنه عجيب ثم باتوا تلك الليلة متعانقين إلى الصباح فخرج المل ك إلى محل حكمه ودخل عليه الوزير والعسكر واحتبك الديوان فحكم الملك وولى وعزل ونهى وأمر إلى آخ ر النهار ثم انفض الديوان ودخل الملك شهريار إلى قصره.

(وفي ليلة ٣)

قالت لها أختها دنيا زاد يا أختي أتمي لنا حديثك فقالت حباً وكرامة بلغني أيها الملك السعيد أن الت اجر أقبل على الشيوخ وشكرهم وهنئوه بالسلامة ورجع كل واحد إلى بلده وما هذه باعجب من حكاية الصياد فقال لها الملك وما حكاية الصياد

(حكاية الصياد مع العفريت)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أنه كان رجل صياد وكان طاعناً في السن وله زوجة وثلاثة أولاد وه و فقير الحال وكان من عادته أنه يرمي شبكته كل يوم أربع مرات لاغير ثم أنه خرج يوماً من الأيام في وق ت الظهر إلى شاطيء البحر وحط مقطفه وطرح شبكته وصبر على أن استقرت في الماء ث م جم ع خيطانه ا فوجدها ثقيلة فجذبها فلم يقدر على ذلك فذهب بالطرف إلى البر ودق وتداً وربطها فيه ثم تعرى وغطس ف ي الماء حول الشبكة ومازال يعالج حتى أطلعها ولبس ثيابه وأتى إلى الشبكة فوجد فيها حماراً ميت اً فلم ا رأى ذلك حزن وقال لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ثم قال أن هذا الرزق عجيب وأنشد يقول:

يا خائض اً ف ي ظ لام الليـ ل والهلك ه   أقصر عن اك فل يس ال رزق بالحرك ة

ثم أن الصياد لما رأى الحمار الميت خلصه من الشبكة وعصرها فلما فرغ من عصرها نشرها وبع د ذل ك نزل البحر وقال بسم الله وطرحها فيه وصبر عليها حتى استقرت ثم جذبها فثقلت ورسخت أكثر م ن الأول فظن أنه سمك فربط الشبكة وتعري ونزل وغطس ثم عالج إلى أن خلصها وأطلعها على البر فوجدها فيه ا زيرا كبيراً وهو ملآن برمل وطين فلما رأى ذلك تأسف وأنشد قول الشاعر:

ي . . ا حرق . . ة ال . . دهر كف . . ى   إن ل . . . . م تكف . . . . ي فعف . . . ى

ف . . . .لا يحظ . . . .ى أعط . . . .ى   ولا يص . . . . نعه كف . . . . . . ى

خرج . . . ت أطل . . . ب رزق . . . ي   وج . . . دت رزق . . . ي ت . . . وفي

كم جاهل في ظهور وعالم متخفي

ثم أنه رمى الزير وعصر شبكته ونظفها واستغفر الله وعاد إلى البحر ثالث مرة ورمى الشبكة وصبر عليها حتى استقرت وجذبها فوجد فيها شقافة وقوارير فأنشد قول الشاعر:

ه .و أرزق لا حـ .ل لـ .ديك ولا ر.ب .ط ولا قلـ . م يجـ . دي عليـ . ك ولا خـ . ط

ثم أنه رفع رأسه إلى السماء وقال اللهم انك تعلم أني لم أرم شبكتي غير أربع مرات وقد رميت ثلاثـ ـاً ثم أنه سمى الله ورمى الشبكة في البحر وصبر إلى أن استقرت وجذبها فلم يطق جذبها وإذا بها اشتبكت فـ ـي الأرض فقال لا حول ولا قوة إلا بالله فتعرى وغطس عليها وصار يعالج فيها إلى أن طلعت على البر وفتحها فوجد فيها قمقماً من نحاس أصفر ملآن وفمه مختوم برصاص عليه طبع خاتم سيدنا سليمان فلما رآه الصياد فرح وقال هذا أبيعه في سوق النحاس فإنه يساوي عشرة دنانير ذهباً ثم أن حركة فوجده ثقيلاً معاك لابد أني أفتحه وأنظر ما فيه وأدخره في الخرج ثم أبيعه في سوق النحاس فإنه يساوي عشرة دنانير ذهباً ثم أن حركة فوجده ثقيلاً فقال لابد أني أفتحه وانظر ما فيه وادخره في الخرج ثم أبيعه في سوق النحاس ثم أنـ ـه أخـ ـرج سكيناً وعالج في الرصاص إلى أن فكة من القمقم وحطه على الأرض وهزه لينكت ما فيه فلم ينزل منه شيء ولكن خرج من ذلك القمقم دخان صعد إلى عنان السماء ومشى على وجه الأرض فتعجب غاية العجب وبعد ذلك تكامل الدخان واجتمع ثم انتفض فصار عفريتاً رأسه في السحاب ورجلاه في التراب برأس كالقبة وأيـ ـد كالمداري ورجلين كالصواري وفم كالمغارة وأسنان كالحجارة ومنا خير كالأبريق وعينين كالسراجين أشعث أغبر فلما رأى الصياد ذلك العفريت ارتعدت فرائضه وتشبكت أسنانه ونشف ريقه وعمي عن طريقه فلما رآه العفريت قال لا إله إلا الله سليمان نبي الله ثم قال العفريت يا نبي الله لا تقتلني فإني لاعدت أخالف لك قـ ـولاً وأعصي لك أمراً فقال له الصياد أيها المارد أتقول سليمان نبي الله وسليمان مات من مدة ألف وثمانمائة سنة ونحن في آخر الزمان فما قصتك وما حديثك وما سبب دخولك في هذا القمقم فلما سمع المارد كلام الصـ ـياد قال لا إله إلى الله أبشر يا صياد فقال الصياد بماذا تبشرني فقال بقتلك فى هذه الساعة أشـ ـر القـ ـتلات قـ ـال الصياد تستحق على هذه البشارة أن تقيم العفاريت زوال الستر عنك يا بعيد لأى شـ ـىء تقتلنـ ـى وأى شـ ـىء يوجب قتلى وقد خلصتك من القمقم ونجيتك من قرار البحر واطلعتك إلى البر فقال العفريت تمـ ـن علـ ـى أى موتة تموتها وأى قتلة تقتلها فقال الصياد ما ذنبي حتى يكون هذا جزائي منك قال العفريت اسمع حكايتي يـ ـا صياد قال الصياد قل وأوجز في الكلام فإن روحي وصلت إلى قدمي قال اعلم أني من الجن المـ ـارقين وقـ ـد عصيت سليمان بن داود وأنا صخر الجني فأرسل لي وزيره آصف ابن بزخيا فإني بي مكرهاً وقادني إليـ ـه وأنا ذليل على رغم أنفي وأوقفني بين يديه فلما رآني سليمان استعاذ مني وعرض علي الإيمـ ـان والـ ـدخول تحت طاعته فابيت فطلب هذا القمقم وحبسني فيه وختم علي بالرصاص وطبعه بالاسم الأعظم وأمـ ـر الجـ ـن فاحتملوني والقوني في وسط البحر فأقمت مائة عام وقلت في قلبي كل من خلصني أغنيته إلى الأبد فمـ ـرت المائة عام. ولم يخلصني أحد ودخلت على مائة أخرى فقلت كل من خلصني فتحت لـ ـه كنـ ـوز الأرض فلـ ـم يخلصني أحد فمرت على أربعمائة عام أخرى فقلت كل من خلصني أتقى له ثلاث حاجات فلم يخلصني أحـ ـد فغضبت غضباً شديد وقلت في نفسي كل من خلصني في هذه الساعة قتلته ومنيته كيف يموت وها أنـ ـت قـ ـد

خلصتني ومنيتك كيف تموت فلما سمع الصياد كلام العفريت قال يا لله العجب أنا ما جئت أخلصـ ك إلا فـ ي هذه الأيام ثم قال الصياد للعفريت أعف عن قتلي يعف الله عنك ولا تهلكني يسلط الله عليك من يهلكك فقـ ال لابد من قتلك فتمن على أي موتة تموتها فلما تحقق ذلك منه الصياد راجع العفريت وقال أعف عني أكرامـ اً لما أعتقتك فقال العفريت وأنا أقتلك إلا لأجل ما خلصتني فقال له الصياد يا شيخ العفاريت هل أصـ نع معـ ك مليح فتقابلني بالقبيح ولكن لم يكذب المثل حيث قال:

فعلنـ . .ـا جمـ . .ـيلاً قابلونـ . .ـا بضـ . .ـده وهـ .ـذا العمـ .ـري مـ .ـن فعـ .ـال الفـ .ـواجر

ومن يفعل المعـ روف مـ ـع غيـ ـر أهلـ ـه يجازي كمـ ـا جـ وزي مجيـ ـر أم عـ ـامر

فلما سمع العفريت كلامه قال لا تطمع فلابد من موتك فقال الصياد هذا جني وأنا إنسي وقد أعطـ اني الله عقلاً كاملاً وها أنا أدبر أمراً في هلاكه بحيلتي وعقلي وهو يدبر بمكره وخبثه ثم قـ ال للعفريـ ت هـ ل صممت على قتلي قال نعم فقال له بالاسم الأعظم المنقوش على خاتم سليمان أسألك عن شيء وتصدقني فيه قال نعم ثم أن العفريت لما سمع ذكر الاسم الأعظم اضطرب واهتز وقال له اسأل وأوجز فقال له كيف كنت في هذا القمقم والقمقم لا يسع يدك ولا رجلك فكيف يسعك كلك فقال له العفريت وهل أنت لا تصـ دق أننـ ي كنت فيه فقال الصياد لا أصدق أبداً حتى أنظر ك فيه يعيني وأدرك شهرزاد الصباح فسـ كتت عـ ن الكـ لام المباح.

(وفي ليلة ٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الصياد لما قال للعفريت لا أصدقك أبداً حتى أنظرك بعين في القمقـ م فانتفض العفريت وصار دخاناً صاعداً إلى الجو ثم اجتمع ودخل في القمقم قليلاً قليلاً حتى اسـ تكمل الـ دخان داخل القمقم وإذا بالصياد أسرع وأخذ السدادة الرصاص المختومة وسد بها فم القمقم ونادى العفريت وقال له تمن على أي موتة تموتها لأرميك في هذا البحر وأبني لي هنا بيتاً وكل من أتى هنا أمنعه أن يصطاد وأقول له هنا عفريت وكل من أطلعه يبين له أنواع الموت ويخيره بينها فلما سـ مع العفريـ ت كـ لام الصـ ياد أراد الخروج فلم يقدر ورأى نفسه محبوساً ورأى عليه طبع خاتم سليمان وعلم أن الصياد سجنه في سجن احقـ ر العفاريت وأقذرها وأصغرها ثم أن الصياد ذهب بالقمقم إلى جهة البحر فقال له العفريت لا لا فقـ ال الصـ ياد لابد فلطف المارد كلامه وخضع وقال ما تريد أن تصنع بي يا صياد قال القيك في البحر أن كنت أقمت فيـ ه ألفاً وثمانمائة عام فأنا أجعلك تمكث إلى أن تقوم الساعة أما قلت لك أبقى يبقيك الله ولا تقتلني يقتلك الله فأبيت قولي وما أردت إلا غدري فألقاك الله في يدي فغدرت بك فقال العفريت افتح لي حتى أحسن إليك فقـ ال لـ ـه الصياد تكذب يا ملعون أنا مثلي ومثلك مثل وزير الملك يونان والحكيم رويان فقال العفريت وما شأن وزيـ ر الملك يونان والحكيم رويان وما قصتهما.

(حكاية الملك يونان والحكيم رويان وهي من ضمن ما قبلها)

(قال) الصياد اعلم أيها العفريت أنه كان في قديم الزمان وسالف العصر والأوان فـ ي مدينـ ـة الفـ رس وأرض رومان ملك يقال له الملك يونان وكان ذا مال وجنود وبأس وأعوان من سائر الأجناس وكـ ان فـ ي

جسده برص قد عجزت فيه الأطباء والحكماء ولم ينفعه منه شرب أدوية ولا سفوف ولا دهان ولم يقدر أحـ د من الأطباء أن يداويه وكان قد دخل مدينة الملك يونان حكيم كبير طاعن في السن يقال له الحكـ يم رويـ ان وكان عارفاً بالكتب اليونانية والفارسية والرومية والعربية والسريانية وعلم الطب والنجوم وعالمـ اً بأصـ ول حكمتها وقواعد أمورها من منفعتها ومضرتها عالماً بخواص النباتات والحشائش والأعشاب المضرة والنافعة قد عرف علم الفلاسفة وحاز جميع العلوم الطبية وغيرها ثم أن الحكيم لما دخل المدينة وأقام بها أيام قلائـ ل سمع خبر الملك وما جرى له في بدنه من البرص الذي ابتلاه الله به وقد عجزت عن مداواته الأطباء وأهـ ل العلوم فلما بلغ ذلك الحكيم بات مشغولاً فلما أصبح الصباح لبس أفخر ثيابه ودخل على الملك يونـ ان وقبـ ل الأرض ودعا له بدوام العز والنعم وأحسن ما به تكلم وأعلمه بنفسه فقال أيها الملك بلغني ما اعتراك من هذا الذي في جسدك وأن كثيراً من الأطباء لم يعرفوا الحلة في زواله وها أنا أداويك أيها الملك ولا أسـ قيك دواء ولا أدهنك بدهن فلما سمع الملك أن كلامه تعجب وقال له كيف تفعل فو الله أن أبرئتني أغنيتك لولـ د الولـ د وانعم عليك وكل ما تتمناه فهو لك وتكون نديمي وحبيبي ثم أنه خلع عليه وأحسن إليه وقال له أتبرئني مـ ن هذا المرض بلا دواء ولا دهان قال نعم أبرئك بلا مشقة في جسدك فتعجب الملك غاية العجب ثم قال له أيها الحكيم الذي ذكرته لي يكون في أي الأوقات وفي أي الأيام فأسرع به يا ولدي قال له سمعاً وطاعة ثم نـ زل من عند الملك وأكترى له بيتاً وحط فيه كتبه وأدويته وعقاقيره ثم أستخرج الأدوية والعقـ اقير وجعـ ل منه ا صولجاناً وجوفه وعمل له قصبة وصنع له كرة بمعرفته فلما صنع الجميع وفرغ منها طلع إلى الملـ ك فـ ي اليوم الثاني ودخل عليه وقبل الأرض بين يديه وأمره أن يركب إلى الميدان وأن يلعب بـ الكرة والصـ ولجان وكان معه الأمراء والحجاب والوزراء وأرباب الدولة فما استقر به الجلوس في الميدان حتـ ى دخـ ل عليـ ه الحكيم رويان وناوله الصولجان وقال له خذ هذا الصولجان واقبض عليه مثل هذه القبضة وامش في الميدان واضرب به الكرة بقوتك حتى يعرق كفك وجسدك فينفذ الدواء من كفك فيسري في سائر جسدك فإذا عرقـ ت وأثر الدواء فيك فارجع إلى قصرك وأدخل الحمام واغتسل ونم فقد برئت والسلام فعند ذلك أخذ الملك يونان ذلك الصولجان من الحكيم ومسكه بيده وركب الجواد وركب الكرة بين يديه وساق خلفها حتى لحقها وضربها بقوة وهو قابض بكفه على قصبة الصولجان وما زال يضرب به الكرة حتى عرق كفه وسائر بدنه وسرى له الدواء من القبضة وعرف الحكيم رويان أن الدواء سرى في جسده فأمره بالرجوع إلى قصـ ره وأن يـ دخل الحمام من ساعته فرجع الملك يونان من وقته وأمر أن يخلوا له الحمام فأخلوه لـ ـه وتسـ ارعت الفراشـ ون وتسابقت المماليك وأعدوا للملك قماشه ودخل الحمام واغتسل غسيلاً جيداً ولبس ثيابه داخل الحمام ثم خـ رج منه وركب إلى قصره ونام فيه هذا ما كان من أمر الملك يونان وأما ما كان من أمر الحكيم رويان فإنه رجع إلى داره وبات فلما أصبح الصباح طلع إلى الملك واستأذن عليه فأذن له في الدخول فدخل وقبل الأرض بين يديه وأشار إلى الملك بهذه الأبيات:

زهـ ت الفصـ احة إذا دعيـ ت لهـ ا أبـ اً — وإذا دعت يوماً سواك لها أبي تمحوا مـ ن

يـ ـا صـ ـاحب الوجـ ـه الـ ـذي أنـ ـواره — الخطـ . . . ب الكريـ . . . ـه غياهبـ . . . ـا

مـ . ـازال وجهـ . ك مشـ . رقاً مـ . تهللاً — كـ ـلا تـ ـرى وجـ ـه الزمـ ـان مقطبـ ـاً

أوليتنـ .ـي مـ .ـن فضـ .ـلك المـ .ـنن التـ .ـي فعلـ ـت بنـ ـا فعـ ـل السـ ـحاب مـ ـع الربـ ـا
وصرفت جل المـ ـلا فـ ـي طلـ ـب العـ ـلا حتـ .ـى بلغـ .ـت مـ .ـن الزمـ .ـان مآربـ .ـا

فلما فرغ من شعره نهض الملك قائماً على قدميه وعنقه وأجلسه بجنبه وخلع عليه الخلع السـ ـنية ولمـ ـا خرج الملك من الحمام نظر إلى جسده فلم يجد فيه شيئاً من البرص وصار حسده نقياً مثل الفضـ ـة البيضـ ـاء ففرح بذلك غاية الفرح واتسع صدره وانشرح فلما أصبح الصباح دخل الديوان وجلس علـ ـى سـ ـرير ملكـ ـه ودخلت عليه الحجاب وأكابر الدولة ودخل عليه الحكيم رويان فلما رآه قام إليه مسرعاً وأجلسه بجانبـ ـه وإذا بموائد الطعام قد مدت فأكل صحبته وما زال عنده ينادمه طول نهاره فلما أقبل الليل أعطى الحكيم ألفي دينار غير الخلع والهدايا وأركبه جواده وانصرف إلى داره والملك يونان يتعجب من صنعه ويقول هذا دواني مـ ـن ظاهر جسدي ولم يدهني بدهان في الله ما هذه إلا حكمة بالغة فيجب على لهذا الرجل الأنعام والأكـ ـرام وأن اتخذه جليساً وأنيساً مدى الزمان وبات الملك يونان مسروراً فرحاً بصحة جسمه وخلاصه من مرضـ ـه فلمـ ـا اصبح الملك وجلس على كرسيه ووقفت أرباب دولته بين يديه وجلست الأمراء والوزراء على يمينه ويساره ثم طلب الحكيم رويان قد حل عليه وقبل الأرض بين يديه فقام له الملك وأجلسه بجانبه وأكـ ـل معـ ـه وحيـ ـاه وخلع عليه وأعطاه ولم يزل يتحدث معه إلى أن أقبل الليل فرسم له بخمس خلع وألف دينـ ـار ثـ ـم انصـ ـرف الحكيم إلى داره وهو شاكر للملك فلما أصبح الصباح خرج الملك إلى الديوان وقـ ـد أحـ ـدقت بـ ـه اللأمـ ـراء والوزراء والحجاب وكان له وزير من وزرائه بشع المنظر نجس الطالع لئيم بخيل حسود مجبول على الحسد والمقت فلما رأى ذلك الوزير أن الملك قرب الحكيم رويان وأعطاه هذه الأنعام حسده عليه وأضمر له الشـ ـر كما قيل في المعنى. ما خلا جسد من حسد وقيل في المعنى. الظلم كمين في النفس القـ ـوة تظهـ ـره والعجـ ـز يخفيه. ثم أن الوزير تقدم إلى الملك يونان وقبل الأرض بين يديه وقال له يا ملك العصر والأوان أنت الـ ـذي شمل الناس أحسانك ولك عندي نصيحة عظيمة فإن أخفيتها عنك أكون ولد زنا فإن أمرتني أن أبديها أبـ ـديتها لك فقال الملك وقد أزعجه كلام الوزير وما نصيحتك فقال أيها الملك الجليل قد قالت القدماء من لم ينظر في العواقب فما الدهر له بصاحب وقد رأيت الملك على غير صواب حيث أنعم على عدوه وعلى مـ ـن يطلـ ـب زوال ملكه وقد أحسن إليه وأكرمه غاية الإكرام وقربه غاية القرب وأنا أخشى على الملك من ذلك فـ ـانزعج الملك وتغير لونه وقال له من الذي تزعم أنه عدوي وأحسنت إليه فقال له يا أيها الملك أن كنت نائماً فاستيقظ فأنا أشير إلى الحكيم رويان فقال هل الملك أن هذا صديقي وهو أعز الناس عندي لأنه دواني بشيء قبضـ ـته بيدي وأبرأني من مرضى الذي عجزت فيه الأطباء وهو لا يوجد مثله في هذا الزمان في الدنيا غرباً وشرقاً فكيف أنت تقول عليه هذا المقال وأنا من هذا اليوم أرتب له الجوامك والجرايات وأعمل له في كل شهر ألف دينار ولو قاسمته في ملكي ولكان قليلاً عليه وما أظن أنك تقول ذلك إلا حسداً كما بلغني عن الملك السندباد. ثم قال الملك يونان ذكر والله أعلم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح فقالت لها أختها يا أختي ما أحلى حديثك وأطيبه وألذه وأعذبه فقالت لها وأين هذا مما أحدثكم به الليلة المقبلة إن عشت وأبقاني الملـ ـك فقال الملك في نفسه والله لا أقتلها حتى اسمع بقية حديثها لأنه حديث عجيب ثم أنهم باتوا تلك الليلة متعـ ـانقين

إلى الصباح ثم خرج الملك إلى محل حكمه واحتبك الديوان فحكم وولى عزل وأمر ونهي إلى آخر النهار ثم انفض الديوان فدخل الملك قصره وأقبل الليل وقضى حاجته من بنت الوزير شهرزاد.

(وفي ليلة ٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك يونان قال لوزيره أيها الوزير أنت داخلك الحسد من أجل هذا الحكيم فتريد أن أقتله وبعد ذلك أندم كما ندم الملك السندباد على قتل البازي فقال الوزير وكيف كان ذلك فقال الملك ذكر أنه كان ملك ملوك الفرس يحب الفرجة والتنزه والصيد والقنص وكان له بازي رباه ولا يفارقه ليلاً ولا نهاراً ويبيت طول الليل حامله على يده وإذا طلع إلى الصيد يأخذه معه وهو عامل له طاسة من الذهب معلقة في رقبته يسقيه منها فبينه الملك جالس وإذا بالوكيل على طير الصيد يقول يا ملك الزمان هذا أ أن الخروج إلى الصيد فاستبعد الملك للخروج وأخذ البازي على يده وصاروا إلى واد ونصبوا شبكة الصيد وإذا بغزالة وقعت في تلك الشبكة فقال الملك كل من فاتت الغزالة من جهته قتلته فضيقوا عليها حلقة الصيد وإذا بالغزالة أقبلت على الملك وشبت على رجليها وحطت يديها على صدرها كأنها تقبل الأرض للملك فطأطأ الملك للغزالة ففرت من فوق دماغه وراحت إلى البر فالتفت الملك إلى العسكر فرآهم يتغامزون عليه فقال يا وزيري ماذا يقول العساكر فقال يقولون إنك قلت كل من فاتت الغزالة من جهته يقتل فقال الملك وحياة رأسي لاتبعنها حتى أجيء بها ثم طلع الملك في آثر الغزالة ولم يزل وراءها وصار البازي يلطشها على عينيها إلى أن أعماها ودوخها فسحب الملك دبوساً وضربها فقلبها ونزل فذبحها وسلخا وعلقها في قربوس السرج وكانت ساعة حر وكان المكان قفراً لم يوجد فيه ماء فعطش الملك وعطش الحصان فالتفت الملك فرأى شجرة ينزل منها ماء مثل السمن وكان الملك لابساً في كفه جلداً فأخذ الطاسة من قبة البازي وملاها اً من ذلك الماء ووضع الماء قدامه وإذا بالبازي لطش الطاسة فقلبها فأخذ الملك الطاسة ثانياً وملآها وظن أن البازي عطشان فوضعها قدامه فلطشها ثانياً وقلبها فغضب الملك من البازي وأخذ الطاسة ثالثاً وقدمها للحصان فقلبها البازي بجناحه فقال الملك الله يخيبك يا أشأم الطيور أحرمتني من الشرب وأحرمت نفسك وأحرمت الحصان ثم ضرب البازي بالسيف فرمى أجنحته فصار البازي يقيم رأسه ويقول بالإشارة أنظر الذي فوق الشجرة فرفع الملك عينه فرأى فوق الشجرة حية والذي يسيل سمها فندم الملك على قص أجنحة البازي ثم قام وركب حصانه وسار ومعه الغزالة حتى وصل إلى مكانه الأول فألقى الغزالة إلى الطباخ وقال له خذها وأطبخها ثم جلس الملك على الكرسي والبازي على يده فشهق البازى ومات فصاح الملك حزناً واسفاً على قتل البازي حيث خلصه من الهلاك هذا ما كان من حديث الملك السندباد.

فلما سمع الوزير كلام الملك يونان قال له أيها الملك العظيم الشأن وما الذي فعلته من الضرورة ورأيت منه سوء أنما فعل معك هذا شفقة عليك وستعلم صحة ذلك فإن قبلت مني نجوت وإلا هلكت كما هلك وزير كان احتال على ابن ملك من الملوك وكان لذلك الملك ولد مولع بالصيد والقنص وكان له وزيراً فأمر الملك ذلك الوزير أن يكون مع ابنه أينما توجه فخرج يوماً من الأيام إلى الصيد والقنص وخرج معه وزير أبيه فسارا جميعاً فنظر إلى وحش كبير فقال الوزير لابن الملك دونك هذا الوحش فأطلبه فقصده ابن الملك حتى غاب عن العين وغاب عنه الوحش في البرية وتحير ابن الملك فلم يعرف أين يذهب وإذا بجارية على رأس

الطريق وهي تبكي فقال لها ابن الملك من أنت قالت بنت ملك من ملوك الهند وكنت فـ ـي البريـ ـة فـ أدركني النعاس فوقعت من فوق الدابة ولم أعلم بنفسي فصرت منقطعة حائرة.

فلما سمع ابن الملك كلامها رق لحالها وحملها على ظهر دابته وأردفها وسار حتى مر بجزيرة فقالـ ـت له الجارية ياسيدي أريد أن أزيل ضرورة فأنزلها إلى الجزيرة ثم تعوقت فاستبطأها فدخل خلفها وهي لا تعلم به فإذا هي غولة وهي تقول لأولادها يا أولادي قد أتيتكم اليوم بغلام سمين فقالوا لها أتينا به يا أمنا نأكله في بطوننا فلما سمع ابن الملك كلامهم أيقن بالهلاك وارتعدت فرائصه وخشي على نفسه ورجع فخرجت الغولـ ـة فرأته كالخائف الوجل وهو يرتعد فقالت له ما بالك خائفاً فقال لها إن لي عدواً وأنا خائف منه فقالت الغولـ ـة أنك تقول أنا ابن الملك قال لها نعم قالت له مالك لا تعطي عدوك شيئاً من المال فترضيه به فقال لها أنـ ـه لا يرضى بمال ولا يرضى إلا بالروح وأنا خائف منه وأنا رجل مظلوم فقالت له إن كنت مظلوماً كمـ ـا تـ ـزعم فاستعن بالله عليه بأنه يكفيك شره وشر جميع ما تخافه فرفع ابن الملك رأسه إلى السماء وقال يا من يجيـ ـب دعوة المضطر إذا دعاه ويكشف السوء انصرني على عدوي وأصرفه عني أنك على ما تشـ ـاء قـ ـدير فلمـ ـا سمعت الغولة دعاءه انصرفت عنه وانصرف ابن الملك إلى أبيه وحدثه بحديث الوزير وأنت أيها الملك متى آمنت لهذا الحكيم قتلك أقبح القتلات وإن كنت أحسنت إليه وقربته منك فإنه يدبر في هلاكك أما تـ ـرى أنـ ـه أبرأك من المرض من ظاهر الجسد بشيء أمسكته بيدك فلا تأمن أن يهلكك بشيء تمسكه أيضاً فقال الملـ ـك يونان صدقت فقد يكون كما ذكرت أيها الوزير الناصح فلعل هذا الحكيم أتي جاسوساً في طلب هلاكـ ـي وإذ كان أبرأني بشيء أمسكته بيدي فإنه يقدر أن يهلكني بشيء أشمه ثم أن الملك يونان قال لوزيره أيها الـ ـوزير كيف العمل فيه فقال له الوزير أرسل إليه في هذا الوقت وأطلبه فإن حضر فأضـ ـرب عنقـ ـه فتكفـ ـي شـ ـره وتستريح منه وأغدر به قبل أن يغدر بك فقال الملك يونان صدقت أيها الوزير ثم أن الملك أرسل إلى الحكيم فحضر وهو فرحان ولا يعلم ما قدره الرحمن كما قال بعضهم في المعنى:

يـ ـا خائفـ ـاً مـ ـن دهـ ـره كـ ـن آمنـ ـاً ... وكل الأمور إلـ ـى الـ ـذي بسـ ـط الثـ ـري"

أن المقـ . . ـدر كـ . . ـائن لا ينمحـ . . ـي ... ولـ ـك الأمـ ـان مـ ـن الـ ـذي مـ ـا قـ ـدرا"

وأنشد الحكيم مخاطباً قول الشاعر:

إذا لـ ـم أقـ ـم يومـ ـاً لحقـ ـك بالشـ ـكر ... فقل لي لن أعـ ـددت نظمـ ـي مـ ـع النثـ ـر"

لقـ ـد جـ ـددت لـ ـي قبـ ـل السـ ـؤال بـ ـأنعم ... أتتنـ ـى بـ ـلا مطـ ـل لـ ـديك ولا عـ ـذر

فمـ ـالي لا أعطـ ـي ثنـ ـاءك حقـ ـه ... وأثنـ ـي علـ ـى عليـ ـاك السـ ـر والجهـ ـر

سأشـ ـكر مـ ـا أوليتنـ ـي مـ ـن صـ ـنائع ... يخـ ـف لهـ ـا فمـ ـي وأن أثقلـ ـت ظهـ ـري

فلما حضر الحكيم رويان قال له الملك أتعلم لماذا أحضرتك فقال الحكيم لا يعلم الغيـ ـب إلا الله تعـ ـالى فقال له الملك أحضرتك لا قتلك وأعدمك روحك فتعجب الحكيم رويان من تلك المقالة غاية العجب وقال أيها الملك لماذا تقتلني وأي ذنب بدأ مني فقال له الملك قد قيل لي أنك جاسوس وقد أتيت لتقتلني وها أنا أقتلك قبل

أن تقتلني ثم أن الملك صاح على السياف وقال له اضرب رقبة هذا الغدار وأرحنا من شره فقال الحكيم أبقني يبقيك الله ولا تقتلني يقتلك الله ثم أنه كرر عليه القول مثل ما قلت لك أيها العفريت وأنت لا تدعني بل تريد قتلي فقال الملك يونان للحكيم رويان أني لا آمن إلا أن أقتلك فإنك برأتني بشيء أمسكته بيدي فلا آمن أن تقتلني بشيء أشمه أو غير ذلك فقال الحكيم أيها الملك أهذا جزائي منك تقابل المليح بالقبيح فقال الملك لابد من قتلك من غير مهلة فلما تحقق الحكيم أن الملك قاتله لا محالة بكى وتأسف على ما صنع من الجميل مع غير أهله كما قيل في المعنى:

ميمونة من سمات العقل عارية ... لكن أبوها من الألباب قد خلقا
لم يمش في يابس يوماً ولا وحل ... إلا ينور هداه يتقي الزلقا

وبعد ذلك تقدم السياف وغمى عينيه وشهر سيف وقال أئذن والحكيم يبكي ويقول للملك أبقني يبقيك الله ولا تقتلني يقتلك الله وأنشد قول الشاعر:

نصحت فلم أفلح وغشوا فأفلحوا ... فأوقعني نصحي بدار هوان
فإن عشت فلم أنصح وأن مت فانع لي ... ذوي النصح من بعدي بكل لسان

ثم أن الحكيم قال للملك أيكون هذا جزائي منك فتجازيني مجازاة التمساح قال الملك وما حكاية التمساح فقال الحكيم لا يمكنني أن أقولها وأنا في هذا الحال فبالله عليك أبقني يبقيك الله ثم أن الحكيم بكى بكاء شديداً فقام بعض خواص الملك وقال أيها الملك هب لنا دم هذا الحكيم لأننا ما رأيناه فعل معك ذنباً وما رأيناه إلا أبراك من مرضك الذي أعيا الأطباء والحكماء فقال لهم الملك لم تعرفوا سبب قتلي لهذا الحكيم وذلك لأني أن أبقيته فأنا هالك لا محالة ومن أبرأني من المرض الذي كان بي بشيء أمسكته بيدي فيمكنه أن يقتلني بشيء أشمه فأنا أخاف أن يقتلني ويأخذ على جعالة لأنه ربما كان جاسوساً وما جاء ألا ليقتلني فلابد من قتله وبعد ذكل آمن على نفسي فقال الحكيم أبقني يبقيك الله ولا تقتلني يقتلك الله فلما تحقق الحكيم أيها العفريت أن الملك قاتله لا محالة قال له أيها الملك أن كان ولابد من قتلي فامهلني حتى أنزل إلى داري فاخلص نفسي وأوصي أهلي وجيراني أن يدفنوني وأهب كتب الطب وعندي كتاب خاص الخاص أهبه لك هدية تدخره في خزانتك فقال الملك للحكيم وما هذا الكتاب قال فيه شيء لا يحصى وأقل ما فيه من الأسرار إذا قطعت رأسي وفتحته وعددت ثلاث ورقات ثم تقرأ ثلاث أسطر من الصحيفة التي على يسارك فإن الرأس تكلمك وتجاوبك عن جميع ما سألتها عنه فتعجب الملك غاية العجب واهتز من الطرب وقال له أيها الحكيم وهل إذا قطعت رأسك تكلمت فقال نعم أيها الملك وهذا أمر عجيب ثم أن الملك أرسله مع المحافظة عليه فنزل الحكيم إلى داره وقضى أشغاله في ذلك اليوم وفي اليوم الثاني طلع الحكيم إلى الديوان وطلعت الأمراء والوزراء والحجاب والنواب وأرباب الدولة جميعاً وصار الديوان كزهر البستان وإذا بالحكيم دخل الديوان ووقف قدام الملك ومعه كتاب عتيق ومصلحة فيها ذرور وجلس وقال أئتوني بطبق فأتوه بطبق وكتب فيه الذرور وفرشه وقال أيها الملك خذ هذا الكتاب ولا تعمل به حتى تقطع رأسي فإذا قطعتها فاجعلها في ذلك الطبق وأمر بكبستها

على ذلك الذرور فإذ فعلت ذلك فإن دمها ينقطع ثم افتح الكتاب ففتحه الملك فوجده ملصوقاً فحط أصبعه ف ي فمه وبله بريقه وفتح أول ورقة والثانية والثالثة والورق ما ينفتح إلا بجهد ففتح الملك ست ورقات ونظر فيها فلم يجد كتابة فقال الملك أيها الحكيم ما فيه شيء مكتوب فقال الحكيم قلب زيادة على ذلك فقلب فيه زيادة فلم يكن إلا قليلاً من الزمان حتى سرى فيه السم لوقته وساعته فإن الكتاب كان مسموماً فعند ذلك تزحزح الملك وصاح وقد قال سرى في السم فأنشد الحكيم رويان يقول:

تحكم .وا فاسـ .تطالوا فـ .ي حكـ .ومتهم" وعـ .ن قليـ .ل كـ .ان الحكـ .م لـ .م يكـ .ن
لو أنصفوا أقصـ فوا لكـ ن بغـ وا فبغـ ى علـ . يهم الـ . دهر بالآفـ . ات والمحـ . ن
وأصـ . بحوا ولسـ . ان الحـ . ال ينشـ . دهم هـ .ذا بـ .ذاك ولا عتـ .ب علـ .ى الـ .زمن

فلما فرغ رويان الحكيم من كلامه سقط الملك ميتاً من ورقته فاعلم أيها العفريت أن الملك يونـ ان لـ و أبقى الحكيم رويان لأبقاه الله ولكن أبى وطلب قتله فقتله الله وأنت أيها العفريت لو أبقيتني لأبقاك الله. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح فقالت لها أختها دنيا زاد ما أحلى حديثك فقالت وأيـ ن هـ ذا ممـ ا أحدثكم به الليلة القابلة أن عشت وأبقاني الملك وباتوا تلك الليلة في نعيم وسرور إلى الصباح ثم أطلع الملـ ك إلى الديوان ولما انفض الديوان دخل قصره وأجتمع بأهله.

(ففي ليلة ٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الصياد لما قال للعفريت لو أبقيتني كنت أبقيتك لكن ما أردت إلا قتلي فأنا أقتلك محبوساً في هذا القمقم وألقيك في هذا البحر ثم صرخ المارد وقال بالله عليك أيها الصياد لا تفعـ ل وأبقني كرماً ولا تؤاخذني بعملي فإذا كنت أنا مسيئاً كن أنت محسناً فوي الأمثال السائرة يا محسناً لمن أساء كفى المسيء فعله ولا تعمل كما عمل أمامة مع عاتكة قال الصياد وما شأنهما فقال العفريت ما هـ ذا وقـ ت حديث وأنا في السجن حتى تطلعني منه وأنا أحدثك بشأنهما فقال الصياد لابد من القائك في البحر ولا سـ بيل إلى أخراجك منه فأني كنت استعطفك وأتضرع إليك وأنت لا تريد إلا قتلي من غير ذنب استوجبته منـ ك ولا فعلت معك سوءاً قط ولم أفعل معك إلا خيراً لكوني أخرجتك من السجن فلما فعلت معي ذلك علمـ ت أنـ ك رديء الأصل واعلم أنني ما رميتك في هذا البحر إلا لأجل أن كل من أطلعك أخبره بخبرك وأحـ ذره منـ ك فيرميك فيه ثانية فتقيم في هذا هذا إلى آخر الزمان حتى ترى أنواع العذاب فقال العفريت أطلقني فهذا وقـ ت المرءوات وأنا أعاهدك أني لم أسوءك أبداً بل أنفعك بشيء يغنيك دائماً فأخذ الصياد عليه العهد أنه إذا أطلقه لا يؤذيه أبداً بل يعمل معه الجميل فلما استوثق منه بالإيمان والعهود وحلفه باسم الله الأعظم فتح له الصـ ياد فتصاعد الدخان حتى خرج وتكامل قصار عفريتاً شوه الخلقة ورفس القمقم فرماه في البحر فلما رأى الصياد أنه رمى القمقم في البحر أيقن بالهلاك وبال في ثيابه وقال هذه ليست علامة خير ثم أنه قوي قلبه وقال أيهـ ا العفريت قال الله تعالى وأوفوا العهد إن العهد كان مسئولاً وأنت قد عاهدتني وحلفت أنك لا تغدر بـ ي فـ إن غدرت بي يجزك الله فإنه غيور يمهل ولا يهمل وأنا قلت لك مثل ما قال الحكيم رويان للملك يونـ ان أبقنـ ي يبقك الله فضحك العفريت ومشى قدامه وقال أيها الصياد اتبعني فمشى الصياد وراءه وهو لم يصدق بالنجـ اة

إلى أن خرجا من ظاهر المدينة وطلعا على جبل ونزلا إلى برية متسعة وغذا في وسطها بركة مـ ـاء فوق ف العفريت عليها وأمر الصياد أن يطرح الشبكة ويصطاد فنظر الصياد إلى البركة وإذا بهـ ذا السـ مك ألوانـ ـاً الأبيض والأحمر والأزرق والأصفر فتعجب الصياد من ذلك ثم أنه طرح شبكته وجذبها فوجد فيهـ ـا أربـ ـع سمكات كل سمكة بلون فلما رآها الصياد فرح فقال له العفريت ادخل بها إلى السلطان وقـ دمها إليـ ـه فإنـ ـه يعطيك ما يغنيك وبالله أقبل عذري فأنني في هذا الوقت لم أعرف طريقاً وأنا في هـ ـذا البحـ ـر مـ ـدة ألـ ف وثمانمائة عام ما رأيت ظاهر الدنيا إلا في هذه الساعة ولا تصطد منها كل يوم إلا مرة واحدة واستودعتك الله ثم دق الأرض بقدميه فانشقت وابتلعته ومضى الصياد إلى المدينة وهو متعجب مما جرى له مع هذا العفريت ثم أخذ السمك ودخل به منزله وأتى بماجور ثم ملاه ماء وحط فيه السمك فاختبط السمك من داخل المـ ـاجور في الماء ثم حمل الماجور فوق رأسه وقصد به قصر الملك كما أمره العفريت فلما طلع الصياد إلـ ـى الملـ ـك وقدم له السمك تعجب الملك غاية العجب من ذلك السمك الذي قدمه إليه الصياد لأنه لم يرى في عمره مثلـ ـه صفة ولا شكلاً فقال القوا هذا السمك للجارية الطباخة وكانت هذه الجارية قد أهداها له ملك الروم منذ ثلاثـ ـة أيام وهو لم يجر بها في طبيخ فأمرها الوزير أن تقليه وقال لها يا جارية أن الملك يقول لك ما ادخرت دمعتي إلا لشدتي ففرجينا اليوم على طهيك وحسن طبيخك فإن السلطان جاء إليه واحد بهدية ثم رجع الوزير بعـ ـدما أوصاها فأمره الملك أن يعطي الصياد أربعمائة دينار فأعطاه الوزير أياها فأخذها في حجـ ـره وتوجـ ـه إلـ ـى منزله لزوجت وهو فرحان مسرور ثم اشترى لعياله ما يحتاجون إليه هذا ما كان من أمر الصياد (وأما) مـ ـا كان من أمر الجارية فإنها أخذت السمك ونظفته ورصته في الطاجن ثم أنها تركت السمك حتى استوى وجهه وقلبته على الوجه الثاني وإذا بحائط المطبخ قد انشقت وخرجت منها صبية رشيقة القد أسـ ـيلة الخـ ـد كاملـ ـة الوصف كحيلة الطرف بوجه مليح وقد رجيج لابسة كوفية من خز أزرق وفي أذنيها حلق وفـ ـي معاصـ ـمها أساور وفي أصابعها خواتيم بالفصوص المثمنة وفي يدها قضيب من الخيزران فغرزت القضيب في الطاجن وقالت يا سمك يا سمك هل أنت على العهد القديم مقيم فلما رأت الجارية هذا غشي عليها وقد أعادت الصبية القول ثانياً وثالثاً فرفع السمك رأسه في الطاجن وقال نعم نعم ثم قال جمعية هذا البيت:

إن عدت عدنا وإن وافيت وافينا   وإن هجرت فإنا قد تكافيـ ـنـ ـا

فعند ذلك قلبت الصبية الطاجن وخرجت من الموضع الذي دخلت منه والتحمت حائط المطبخ ثم أقامت الجارية فرأت الأربع سمكات محروقة مثل الفحم الأسود فقالت تلك الجارية من أول غزوته حصـ ـل كسـ ـر عصبته فبينما هي تعاتب نفسها وإذا بالوزير واقف على رأسها وقال لها هاتي السمك للسلطان فبكت الجارية وأعلمت الوزير بالحال و بالذي جري فتعجب الوزير من ذلك وقال ما هذا إلا أمر عجيب ثم أنه أرسل إلـ ـى الصياد فأتوا به إليه فقال له أيها الصياد لابد أن تجيب لنا بأربع سمكات مثل التي جئـ ـت بهـ ـا أولاً فخـ ـرج الصياد إلى البركة وطرح شبكته ثم جذبها وإذا بأربع سمكات فأخذها وجاء بها إلى الوزير فدخل بها الـ ـوزير إلى الجارية وقال لها قومي أقليها قدامي حتى أرى هذه القضية فقامت الجارية وأصلحت السمك ووضعته في الطاجن على النار فما استقر إلا قليلاً وإذا بالحائط قد انشقت والصبية قد ظهرت وهي لابسة ملسها وفي يدها القضيب فغرزته في الطاجن وقالت باسمك يا سمك هل أنت على العهد القديم مقيم فرفعت السمكات رؤسـ ـها

وأنشدت هذا البيت إن عدت عدنا وإن وافيت وافينا وإن هجرت فأنا قد تكافيند ا وأدرك شـ هرزاد الصـ باح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أنه لما تكلم السمك قلبت الصبية الطاجن بالقضيب وخرجت من الموضع الذي جاءت منه والتحم الحائط فعند ذلك قام الوزير وقال هذا أمر لا يمكن إخفاؤه عن الملك ثم أنه تقدم إلـ ى الملك وأخبره بما جرى قدامه فقال لابد أن أنظر بعيني فأرسل إلى الصياد وأمره أن يأتي بأربع سمكات مثل الأول وأمهله ثلاثة أيام فذهب الصياد إلى البركة وأتاه بالسمك في الحال فأمر الملك أن يعطوه أربعمائة دينار ثم ألتفت الملك إلى الوزير وقال له سو أنت السمك ههنا قدامى فقال للوزير سمعاً وطاعة فأحضـ ر الطـ اجن ورمى فيه السمك بعد أن نظفه ثم قلبه وإذا بالحائط قد انشقت وخرج منها عبداً أسود كأنه ثور من الثيران أو من قوم عاد وفي يده فرع من شجرة خضراء وقل بكلام فصيح مزعج بأسمك بأسمك هل أنت علـ ى العهـ د القديم مقيم فرفع السمك رأسه من الطاجن وقال نعم نعم وأنشد هذا البيت:

إن عدت عدنا وإن وافيت وافيـ نا وأن هجرت فأنا قد تكافيند ا

ثم أقبل العبد على الطاجن وقلبه بالفرع إلى أن صار فحماً أسود ثم ذهب العبد من حيث أتى فلما غاب العبد عن أعينهم قال الملك هذا أمر لا يمكن السكوت عنه ولابد أن هذا السمك له شأن غريب فأمر بإحضار الصياد فلما حضر قال له من أين هذا السمك فقال له من بركة بين أربع جبال وراء هذا الجبل الذي بظـ اهر مدينتك فالتفت الملك إلى الصياد وقال له مسيرة كم يوم قال له يا مولانا السلطان مسيرة نصف ساعة فتعجب السلطان وأمر بخروج العسكر من وقته مع الصياد فصار الصياد يلعن العفريت وساروا إلي أن طلعوا الجبل ونزلوا منه إلى برية متسعة لم يروها مدة أعمارهم والسلطان وجميع العسكر يتعجبون من تلك البرية التـ ي نظروها بين أربع جبال والسمك فيها على أربعة ألوان أبيض وأحمر وأصفر وأزرق فوقف الملـ ك متعجبـ اً وقال للعسكر ولمن حضر هل أحد منكم رأي هذه البركة في هذا المكان فقالوا كلهم لا فقـ ال الملـ ك والله لا أدخل مدينتي ولا أجلس على تخت ملكي حتى أعرف حقيقة هذه البركة وسمكها ثم أمر الناس بالنزول حـ ول هذه الجبال فنزلوا ثم دعا بالوزير وكان وزيراً خبيراً عاقلاً لبيباً عالماً بالأمور فلما حضر بين يديه قـ ال لـ ه أني أردت أن أعمل شيئاً فأخبرك به وذلك أنه خطر ببالي أن أنفرد بنفسي في هذه الليلة وأبحث عن خبر هذه البركة وسمكها فأجلس على باب خيمتي وقل للأمراء والوزراء والحجاب أن السلطان متشوش وأمرني أن لا أذن لأحد في الدخول عليه ولم تعلم أحداً بقصدي فلم يقدر الوزير على مخالفته ثم أن الملك غير حالته وتقلـ د سيفه وانسل من بينهم ومشى بقية ليله إلى الصباح فلم يزل سائراً حتى اشتد عليه الحر فاستراح ثم مشى بقية يومه وليلته الثانية إلى الصباح فلاح له سواد من بعد ففرح وقال لعلي أجد من يخبرني بقضية البركة وسمكها فلما قرب من السواد وجده قصراً مبنياً بالحجارة السود مصفحاً بالحديد وأحد شقي بابه مفتوح والآخر مغلـ ق ففرح الملك ووقف على الباب ودق دقاً لطيفاً فلم يسمع جواباً فدق ثانياً وثالثاً فلم يسمع جواباً فدق رابعاً دقـ اً مزعجاً فلم يجبه أحد فقال لاشك أنه خال فشجع نفسه ودخل من باب القصر إلى دهليزه ثم صرخ وقـ ال يـ ا

أهل القصر أني رجل غريب وعابر سبيل هل عندكم شيء من الزاد وأعاد القول ثانياً وثالثاً فلم يسمع جواباً فقوي قلبه وثبت نفسه ودخل من الدهليز إلى وسط القصر فلم يجد فيه أحداً غير أنه مفروش وفي وسطه فسقية عليها أربع سباع من الذهب الأحمر تلقي الماء من أفواهها كالدر والجواهر وفي دائرة طيور وعلى ذلك القصر شبكة تمنعها من الطلوع فتعجب من ذلك وتأسف حيث لم ير فيه أحد يستخبر منه عن تلك البركة والسمك والجبال والقصر ثم جلس بين الأبواب يتفكر وإذا هو بأنين من كبد حزين فسمعه يترنم بهذا الشعر:

لما خفيت ضني ووجدي قد ظهر — والنوم من عيني تبدل بالسهر
ناديت وجداً قد تزايد بي الفكر — يا وجد لا تبق علي ولا تذر

هاجمتني بين المشقة والخطر

فلما سمع السلطان ذلك الأنين نهض قائماً وقصد جهته فوجد ستراً مسبولاً على باب مجلس فرفعه فرأى خلف الستر شاباً جالساً على سرير مرتفع عن الأرض مقدار ذراع وهو شاب مليح بقد رجيح ولسان فصيح وجبين أزهر وخد أحمر وشامة على كرسي خده كترس من عنبر كما قال الشاعر:

ومهفهف من شعره وجبينه — مشت الورى في ظلمة وضياء
ما أبصرت عيناك أحسن منظر — فيما يرى من سائر الأشياء
كالشامة الخضراء فوق الوجنة — الحمر إذ تحت المقلة السوداء

ففرح به الملك وسلم عليه والصبي جالس وعليه قباء حرير بطراز من ذهب لكن عليه أثر الحزن فزاد السلام على الملك وقال له ياسيدي أعذرني في عدم القيام فقال الملك أيها الشاب أخبرني عن هذه البركة وعن سمكها الملون وعن هذا القصر وسبب وحدتك فيه وما سبب بكائك فلما سمع الشاب هذا الكلام نزلت دموعه على خده وبكي بكاء شديداً فتعجب الملك وقال ما يبكيك أيها الشاب فقال كيف لا أبكي وهذه حالتي ومد يده إلى أذياله فرفعها فإذا نصفه التحتاني إلى قدميه حجر ومن سرته إلى شعر رأسه بشر ثم قال الشاب اعلم أيها الملك أن لهذا السمك أمراً عجيباً لو كتب بالأبر على آماق البصر لكان عبرة لمن اعتبر وذلك يا سيدي أنه كان والدي ملك هذه المدينة وكان اسمه محمود صاحب الجزائر السود وصاحب هذه الجبال الأربعة أقام في الملك سبعين عاماً ثم توفى والدي وتسلطنت بعده وتزوجت بابنة عمي وكانت تحبني محبة عظيمة بحيث إذا غبت عنها لا تأكل ولا تشرب حتى تراني فمكثت في عصمتي خمس سنين إلى أن ذهبت يوماً من الأيام إلى الحمام فأمرت الطباخ أن يجهز لنا طعاماً لأجل العشاء ثم دخلت هذا القصر ونمت في الموضع الذى أنا فيه وأمرت جاريتين أن يروحا على وجهي فجلست واحدة عند رأسي والأخرى عند رجلي وقد قلقت لغيابها ولم يأخذني نوم غير أن عيني مغمضة ونفسي يقظانه فسمعت التي عند رأسي تقول للتي عند رجلي يا مسعودة أن سيدنا مسكين شبابه ويا خسارته مع سيدتنا الخبيثة الخاطئة فقالت الأخرى لعن الله النساء الزانيات ولكن مثل سيدنا وأخلاقه لا يصلح لهذه الزانية التي كل ليلة تبيت في غير فراشه فقالت التي عند رأسي أن سيدنا مغفل حيث لم يسأل عنها فقالت الأخرى ويلك وهل عند سيدنا علم بحالها أو هي تخليه باختياره بل تعمل له عملاً في قدح الشراب الذي يشربه كل ليلة قبل المنام فتضع فيه البنج فينام ولم يشعر بما يجري ولم يعلم أين

تذهب ولا بما تصنع لأنها بعد ما تسقيه الشراب تلبس ثيابها وتخرج من عنده فتصليب إلى الفجر وتأتي إليه وتبخره عند أنفه بشيء فيستيقظ من منامه فلما سمعت كلام الجواري صار الضيا في وجهي ظلاماً وما صدقت أن الليل أقبل وجاءت بنت عمي من الحمام فمددنا السماط وأكلنا وجلسنا ساعة زمانية تتنادم كالعادة ثم دعوت بالشراب الذي أشربه عند المنام فناولتني الكأس فتراوغت عنه وجعلت أني أشربه مثل عادتي ودلقته في عبي ورقدت في الوقت والساعة وإذا بها قالت نم بيتك لم تقم والله كرهتك وكرهت صورتك وملت نفسي من عشرتك ثم قامت ولبست أفخر ثيابها وتبخرت وتقلدت سيفاً وفتحت باب القصر وخرجت فقمت وتبعتها حتى خرجت من القصر وشقت في أسواق المدينة إلى أن انتهت إلى أبواب المدينة فتكلمت بكلام لا أفهمه فتساقطت الأقفال وانفتحت الأبواب وخرجت وأنا خلفها وهي لا تشعر حتى انتهت إلى ما بين الكيمان وأتت حصناً فيه قبة مبنية بطين لها باب فدخلته هي وصعدت أنا على سطح القبة وأشرفت عليها وإذا بها قد دخلت على عبدا أسود إحدى شفته غطاء وشفته الثانية وطاء وشفاهه تلقط الرمل من الحصى وهو مبتلى وراقد على قليل من قش القصب فقبلت الأرض بين يديه فرفع ذلك العبد رأسه إليها وقال لها ويلك ما سبب قعودك إلى هذه الساعة كان عندنا السودان وشربوا الشراب وصار كل واحد بعشيقته وأنا ما رضيت أن أشرب من شأنك فقالت يا سيدي وحبيب قلبي أما تعلم أني متزوجة بابن عمي وأنا أكره النظر في صورته وأبغض نفسي في صحبته ولولا أني أخشى على خاطرك لكنت جعلت المدينة خراباً يصيح فيها البوم والغراب وأنقل حجارتها إلى جبل قاف فقال العبد تكذبين يا عاهرة وأنا أحلف وحق فتوة السودان وألا تكون مروءتنا مروءة البيضان أن بقيت تقعدي إلى هذا الوقت من هذا اليوم لا أصاحبك ولا أضع جسدي على جسدك يا خائنة تغيبين علي من أجل شهوتك يا منتنة يا أخس البيضان قال الملك فلما سمعت كلامهما وأنا أنظر بعيني ما جرى بينهما صارت الدنيا في وجهي ظلاماً ولم أعرف روحي في أي موضع وصارت بنت عمي واقفة تبكي إليه وتتذلل بين يديه وتقول له يا حبيبي وثمرة فؤادي ما أحد غيرك بقي لي فإن طردتني يا ويلي يا حبيبي يا نور عيني ومازالت تبكي وتضرع له حتى رضي عليها ففرحت وقامت قلعت ثيابها ولباسها وقالت له يا سيدي هل عندك ما تأكله جاريتك فقال لها اكشفي اللقان فإن تحتها عظام فيران مطبوخة فكليها وقرمشيها وقومي لهذه القوارة تجد فيها بوضة فاشربيها فقامت وأكلت وشربت وغسلت يديها وجاءت فرقدت مع العبد على قش القصب وتعرت ودخلت معه تحت الهدمة والشراميط فلما نظرت إلى هذه الفعال التي فعلتها بنت عمي غبت عن الوجود فنزلت من فوق أعلى القبة ودخلت وأخذت السيف من بنت عمي وهممت أن أقتل الأثنين فضربت العبد أولاً على رقبته فظننت أنه قد قضى عليه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.فلما أصبح الصباح دخل الملك إلى محل الحكم واحتبك الديوان إلى آخر النهار ثم طلع الملك قصره فقالت لها أختها دنيا زاد تممي لنا حديثك قالت حباً وكرامة.

(وفي ليلة ٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشاب المسحور قال للملك لما ضرب العبد لاقطع رأسه قطعت الحلقوم والجلد واللحم فظننت أني قتلته فشخر شخيراً عالياً فتحركت بنت عمي وقامت بعد ذهابي فأخذت السيف وردته إلى موضعه وأتت المدينة ودخلت القصر ورقدت في فراشي إلى الصباح ورأيت بنت عمي في

ذلك اليوم قد قطعت شعرها ولبست ثياب الحزن وقالت يا ابن عمي لا تلمني فيما أفعله فإنه بلغني أن والدتي توفيت وأن والدي قتل في الجهاد وأن أخوي أحدهما مات ملسوعاً والآخر رديماً فيحق لي أن أبكي وأحـ زن فلما سمعت كلامها سكت عنها وقلت لها افعلي ما بدا لك فإني لا أخالفك فمكثت في حزن وبكاء وعديد سـ نة كاملة من الحول إلى الحول وبعد السنة قالت لي أريد أن أبني لي في قصرك مدفناً مثل القبـ ـة وأنفـ ـرد فيـ ـه بالأحزان وأسميه بيت الأحزان فقلت لها افعلي ما بدا لك فبنيت لها بيتاً للحزن في وسطه قبة ومـ ـدفناً مثـ ـل الضريح ثم نقلت العبد وأنزلته فيه وهو ضعيف جداً لا ينفعها بنافعة لكنه يشرب الشراب ومن اليـ ـوم الـ ـذي جرحته فيه ما تكلم إلا أنه حي لأن أجله لم يفرغ فصارت كل يوم تدخل عليه القبة بكرة وعشيا وتبكي عنـ ـده وتعدد عليه وتعقبه الشراب والمساليق ولم تزل على هذه الحالة صباحاً ومساء إلى ثاني سنة وأنا أطول بـ ـالي عليها إلى أن دخلت عليها يوماً من الأيام على غفلة فوجدتها تبكي وتلطم وجهها وتقول هذه الأبيات:

عدمت وجودي في الـ ـورى بعـ ـد بعـ ـدكم	فـ . .إن فـ . .ؤاد لا يحـ . .ب سـ . .واكم
خذوا كرماً جسـ ـمي إلـ ـى أيـ ـن ترتمـ ـوا	وايـ . ـن حللـ . ـتم فـ . ـادفنوني حـ . ـداكم
وأن تذكروا اسمي عنـ ـد قبـ ـري يجيـ ـبكم	أنـ .ـين عظـ .ـامي عنـ .ـد صـ .ـوت نـ .ـداكم

فلما فرغت من شعرها قلت لها وسيفي مسلول في يدي هذا كلام الخائنات اللاتي ينكرن المعشـ ـرة ولا يحفظن الصحبة وأردت أن أضربها فرفعت يدي في الهواء فقامت وقد علمت أني أنا الذي جرحت العبد ثـ ـم وقفت على قدميها وتكلمت بكلام لا أفهمه وقالت جعل الله بسحري نصفك حجراً ونصفك الآخر بشراً فصرت كما ترى وبقيت لا أقوم ولا أقعد ولا أنا ميت ولا أنا حي فلما صرت هكذا سحرت المدينة ومـ ـا فيهـ ـا مـ ـن الأسواق والغيطان وكانت مدينتنا أربعة أصناف مسلمين ونصارى ويهود ومجوس فسحرتهم سمكاً فـ ـالأبيض مسلمون والأحمر مجوس والأزرق نصارى والأصفر يهود وسحرت الجزائر الأربعة أربعة جبال وأحاطتهـ ـا بالبركة ثم أنها كل يوم تعذبني وتضربني بسوط من الجلد مائة ضربة حتى يسيل الدم ثم تلبسني من تحت هذه الثياب ثوباً من الشعر على نصفي الفوقاني ثم أن الشاب بكى وأنشد هذا الشعر:

صـ . ـبراً لحكمـ . ـك يـ . ـا إلـ . ـه القضـ . ـا	أنا صـ ـابر أن كـ ـان فيـ ـه لـ ـك الرضـ ـا
قـ ـد ضـ ـقت بـ ـالأمر الـ ـذي قـ ـدنا بنـ ـى	فوسـ . .يلتي آل النبـ . .ي المرتضـ . .ى

فعند ذلك التفت الملك إلى الشاب وقال له أيها الشاب زدتني هماً على همي ثم قال له وأين تلك المـ ـرأة قال في المدفن الذي فيه العبد راقد في القبة وهي تجيء له كل يوم مرة وعند مجيئها تجيء إلي وتجردني من ثيابي وتضربني بالسوط مائة ضربة وأنا أبكي وأصيح ولم يكن في حركه حتى أدفعها عن نفسي ثم بعـ ـد أن تعاقبني تذهب إلى العبد بالشراب والمسلوقة تكره النهار قال الملك والله يا فتى لافعلن معك معروفاً أذكر بـ ـه وجميلاً يؤرخونه سيراً من بعدي ثم جلس الملك يتحدث معه إلى أن أقبل الليل ثم قام الملك وصـ ـبر إلـ ـى أن جاء وقت السحر فتجرد من ثيابه وتقلد سيفه ونهض إلى المحل الذي فيه العبد فنظر إلى الشـ ـمع والقناديـ ـل ورأى البخور والأدهان ثم قصد العبد وضربه فقتله ثم حمله على ظهره ورماه في بئر كانت في القصر ثـ ـم نزل ولبس ثياب العبد وهو داخل القبة والسيف معه مسلول في طوله فبعد ساعة أتت العاهرة الساحرة وعنـ ـد دخولها جردت ابن عمها منثيابه وأخذت سوطاً وضربته فقال آه يكفيني ما أنا فيه فأرحميني فقالت هل كنـ ـت

أنت رحمتني وأبقيت لي معشوقي ثم البسته اللباس الشعر والقماش من فوقه ثم نزلت إلى العبد ومعها قدح الشراب وطاسة المسلوقة ودخلت عليه القبة وبكت وولولت وقالت يا سيدي كلمني يا سيدي حدثني وأنشدت تقول:

ف .بإلى مت .ى ه .ذا التجن .ب والجف .ا		أن الـ .ذي فعـ .ل الغـ .رام لقـ .د كفـ .ى

كـ .م قـ .د تطيـ .ل الهجـ .ر لـ .ي متعمـ .دا		إن كان قصد دك حاسـ دي فقـ د أشـ تفى

ثم أنها بكت وقالت يا سيدي كلمني وحدثني فخفض صوته وعوج لسانه وتكلم بكلام السودان وقال آه آه لا حول ولا قوة إلا بالله فلما سمعت كلامه صرخت من الفرح وغشي عليها ثم أنها استفاقت وقالت لعل سيدي صحيح فخفض الملك صوته بضعف وقال يا عاهرة أنت لا تستحق أن أكلمك قالت ما سبب ذلك قال سببه أنك طول النهار تعاقبين زوجك وهو يصرخ ويستغيث حتى آخر متيني النوم من العشاء إلى الصباح ولم يزل زوجك يتضرع ويدعوا عليك حتى أقلقني صوته ولولا هذا لكنت تعافيت فهذا الذي منعني عن جوابك فقالت عن أذنك أخلصه مما هو فيه فقال لها خلصيه وأريحينا فقالت سمعاً وطاعة ثم قامت وخرجت من القبة إلى القصر وأخذت طاسة ملأتها ماء ثم تكلمت عليها فصار الماء يغلي كما يغلي القدر ثم رشته منها وقالت بحق متلوته أن تخرج من هذه الصورة إلى صورتك الأولى فانتفض الشاب وقام على قدميه وفرح بخلاصه وقال أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ ثم قالت له اخرج ولا ترجع إلى هنا وإلا قتلتك وصرخت في وجهه فخرج من بين يديها وعادت إلى القبة ونزلت وقالت يا سيدي أخرج إلى حتى أنظرك فقال لها بكلام ضعيف أي شيء فعلتيه أرحتيني من الفزع ولم ترحيني من الأصل فقالت يا حبيبي وما هو الأصل قال أهل هذه المدينة والأربع جزائر كل ليلة إذا انتصف الليل يرفع السمك رأسه ويدعوا عليّ وعليك فهو سبب منع العافية عن جسمي فخلصيهم وتعالي خذي بيدي وأقيميني فقد توجهت إلى العافية فلما سمعت كلام الملك وهي تظنه العبد قالت له وهي فرحة ياسيدي على رأسي وعيني بسم الله ثم نهضت وقامت وهي مسرورة تجري وخرجت إلى البركة وأخذت من مائها قليلاً. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(ففي ليلة ٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الصبية الساحرة لما أخذت شيئاً من ماء البركة وتكلمت عليه بكلام لا يفهم تحرك السمك ورفع رأسه وصار آدميين في الحال وأنفك السحر عن أهل المدينة وصارت المدينة عامرة والأسواق منصوبة وصار كل واحد في صناعته وانقلبت الجبال جزائر كما كانت ثم أن الصبية الساحرة رجعت إلى الملك في الحال وهي تظن أنه العبد وقالت يا حبيبي ناولني يدك الكريمة أقبلها فقال الملك بكلام خفي تقربي مني فدنت منه وقد أخذ صارمه وطعنها به في صدرها حتى خرج من ظهرها ثم ضربها فشقها نصفين وخرج فوجد الشاب المسحور واقفاً في انتظاره فهنأه بالسلامة وقبل الشاب يده وشكره فقال له الملك أتقعد في مدينتك أم تجيء معي إلى مدينتي فقال الشاب يا ملك الزمان أتدري ما بينك وبين مدينتك فقال الملك يومان ونصف فعند ذلك قال له الشاب أيها الملك إن كنت نائماً فاستيقظ أن بينك وبين مدينتك سنة للمجد وما أتيت في يومين ونصف إلا لأن المدينة كانت مسحورة وأنا أيها الملك لا أفارقك لحظة

عين ففرح الملك بقوله ثم قال الحمد لله الذي من علي بك فأنت ولدي لأني طول عمري لم أرزق ولـ د أثـ م تعانقا وفرحا فرحاً شديداً ثم مشيا حتى وصلا إلى القصر وأخبر الملك الذي كان مسحوراً أرباب دولته أنـ ه مسافر إلى الحج الشريف فهيئوا له جميع ما يحتاج إليه ثم توجه هو والسلطان وقلب السلطان ملتهـ ب علـ ى مدينته حيث غاب عنها سنة ثم سافر ومعه خمسون مملوكاً ومعه الهدايا ولم يزالا مسافرين ليلاً ونهاراً سـ نة كاملة حتى أقبلا على مدينة السلطان فخرج الوزير والعساكر لمقابلته بعد ما قطعوا الرجاء منه وأقبلت أقـ بلا على مدينة السلطان فخرج الوزير والعساكر لمقابلته بعد ما قطعوا الرجاء منه وأقبلت العساكر وقبلت الأرض بين يديه وهنوه بالسلامة فدخل وجلس على الكرسي ثم أقبل على الوزير وأعلمه بكل ما جرى على الشـ اب فلما سمع الوزير ما جرى على الشاب هنأه بالسلامة ولما أستقر الحال أنعم السلطان على أناس كثير ثم قـ ال للوزير على بالصياد الذي أتى بالسمك فأرسل إلى ذلك الصياد كان سبباً لخلاص أهل المدينة فأحضره وخلع عليه وسأله عن حاله وهل له أولاد فأخبره أن له ابناً وبنين فتزوج الملك بإحدى بنتيه وتزوج الشاب بالأخرى وأخذ الملك الابن عنده وجعله خازندارا ثم أرسل الوزير إلى مدينة الشاب التي هي الجزائـ ر السـ ود وقلـ ده سلطنتها وأرسل معه الخمسين مملوكا الذين جاءوا معه وأرسل معه كثيراً من الخلع لسـ ائر الأمـ راء فقبـ ل الوزير يديه وخرج مسافراً واستقر السلطان والشاب وأما الصياد فإنه قد صار أغنى أهـ ل زمانـ ه وبناتـ ه زوجات الملوك إلى أن أتاهم الممات وما هذا بأعجب مما جرى للحمال.

(حكاية الحمال مع البنات)

فإنه كان إنسان من مدينة بغداد وكان أعزب وكان حمالا فبينما هو في السوق يوماً من الأيـ ام متكئـ اً على قفصه إذ وقفت عليه امرأة ملتفة بإزار موصلي من حرير مزركش بالذهب وحاشيتاه من قصب فرفعت قناعها فبان من تحته عيون سوداء بأهداب وأجفان وهي ناعمة الأطراف كاملة الأوصاف وبعد ذلـ ك قالـ ت بحلاوة لفظها هات قفصك واتبعني فيما صدقك الحمال بذلك وأخذ القفص وتبعها إلى أن وقفت على باب دار فطرقت الباب فنزل له رجل نصراني فاعطته ديناراً وأخذت منه مقداراً من الزيتون ووضعته فـ ي القفـ ص وقالت له أحمله واتبعني فقال الحمال هذا والله نهارك مبارك ثم حمل القفص وتبعها فوقفت على دكان فكهاني واشترت منه تفاحاً شامياً وسفرجلاً عثمانية وخوخاً عمانياً وياسميناً حلبياً وبنو فراده شقياً وخياراً نيلياً وليموناً مصرياً وتمرحناً وشقائق النعمان وبنفسجاً ووضعت الجميع في قفص الحمال وقالت له احمل فحمل وتبعهـ ا حتى وقف على جزار وقالت له اقطع عشرة أرطال لحمه فقطع لها ولفت اللحم في ورق موز ووضعته فـ ي القفص وقالت له احمل يا حمال فحمل وتبعها ثم وقفت على النقلي وأخذت من سائر النقـ ل وقالـ ت للحمـ ال احمل واتبعني فحمل القفص وتبعها إلى أن وقفت على دكان الحلواني واشترت طبقاً وملأته من جميـ ع مـ ا عنده من مشبك وقطائف وميمونة وأمشاط واصابع ولقيمات القاضي ووضعت جميع أنواع الحلاوة في الطبق ووضعته في القفص فقال الحمال لو أعلمتيني لجئت معي ببغل نحمل عليه هذه الأمور فتبسمت ثم وقفت على العطار واشترت منه عشرة مياه ماء ورد وماء زهر وخلافه وغير ذلك وأخذت قدراً مـ ن السـ كر وأخـ ذت مرش ماء ورد ممسك وحصى لبان ذكر وعوداً عنبراً ومسكاً وأخذت شمعاً اسكندرانياً وضعت الجميع فـ ي القفص وقالت احمل قفصك واتبعني فحمل القفص وتبعها به إلى أن أتت داراً مليحة وقدامها رحبـ ة فسـ يحة

وهي عالية البنيان مشيدة الأركان بابها بشقتين من الأبنوس مصفح بصفائح الذهب الأحمر فوقفت الصبية على الباب ودقت دقاً لطيفاً وإذا بالباب تفتح بشفتيه فنظر الحمال إلى من فتح لها الباب فوجدها صبية رشيقة القد قاعدة النهد ذات حسن وجمال وقد واعتدال وجبين كغرة الهلال وعيون كعيون الغزلان وحواجب كهلال رمضان وخدود مثل شقائق النعمان وفم كخاتم سليمان ووجه كالبدر في الإشراق ونهدين كرمانتين باتفاق وبطن مطوى تحت الثياب كطي السجل للكتاب فلما نظر الحمال إليها سلبت عقله وكاد القفص أن يقع من فوق رأسه ثم قال ما رأيت عمري أبرك من هذا النهار فقالت الصبية البوابة للدلالة والحمال مرحباً وهي من داخل الباب ومشوا حتى انتهوا إلى قاعة فسيحة مزركشة مليحة ذات تراكيب وشاذر وأثاثات ومصاطب وسدلات وخزائن عليها الستور مرخيات وفي وسط القاعة سرير من المرمر مرصع بالدر والجوهر منصوب عليه ناموسية من الأطلس الأحمر ومن داخله صبية بعيون بابلية وقامة ألفية ووجه يخجل الشمس المضية فكأنها بعض الكواكب الدرية أو عقيلة عربية كما قال فيها الشاعر:

من قاس قدك بالغصن الرطيب فقد أضحى القياس به زوراً وبهتاناً
الغصن أحسن ما نلقاه مكتسياً وأنت أحسن ما نلقاك عرياناً

فنهضت الصبية الثالثة من فوق السرير وخطرت قليلاً إلى أن صارت في وسط القاعة عند أختيها وقالت ما وقوفكم حطوا عن رأس هذا الحمال المسكين فجاءت الدلالة من قدامه والبوابة من خلفه وساعدتهما الثالثة وحططن عن الحمال وأفرغن ما في القفص وصفوا كل شيء في محله وأعطين الحمال دينارين وقلن له توجه يا حمال فنظر إلى البنات وما هن فيه من الحسن والطبائع الحسان فلم ير أحسن منهن ولكن ليس عندهن رجال ونظر ما عندهن من الشراب والفواكه والمشمومات وغير ذلك فتعجب غاية العجب ووقف عن الخروج فقالت له الصبية مالك لا تروح هل أنت استقللت الأجرة والتفتت إلى أختها وقالت لها أعطيه ديناراً آخر فقال الحمال والله يا سيداتي أن أجرتي نصفان وما استقللت الأجرة وإنما اشتغل قلبي وسري بكن وكيف حالكن وأنتن وحدكن وما عندكن رجال ولا أحد يؤانسكن وأنتن تعرفن أن المنارة لا تثبت إلا على أربعة وليس لكن رابع وما يكمل حظ النساء إلا بالرجال كما قال الشاعر:

انظر إلى أربع عندي قد اجتمعت جنك وعود وقانون ومزمار

أنتن ثلاثة فتفتقرن إلى رابع يكون رجلا لبيبا حاذقاً وللأسرار كاتما فقلن له نحن بنات ونخاف أن نودع السر عند من لا يحفظه وقد قرأنا في الأخبار شعراً:

صن عن سواك السر لا تودعنه من أودع السر فقد ضيعه

فلما سمع الحمال كلامهن قال وحياتكن أني رجل عاقل أمين قرأت الكتب وطالعت التواريخ أظهر الجميل وأخفي القبيح وأعمل بقول الشاعر:

لا يكتم السر إلا كل ذي ثقة والسر عند خيار الناس مكتوم
السر عندي في بيت له غلق ضاعت مفاتحه والباب مختوم

فلما سمعت البنات الشعر والنظام وما أبداه من الكلام قلن له أنت تعلم أننا غرمنا على هذا المقام جملة من المال فهل معك شيء تجازينا به فنحن لا ندعك تجلس عندنا حتى تغرم مبلغنا من المال لأن خاطرك أن تجلس عندنا وتصير نديمنا وتطلع على وجوهنا الصباح الملاح فقالت صاحبة الدار وإذا كانت بغير المال محبة فلا تساوي وزن حبة وقالت البوابة إن يكن معك شيء رح بلا شيء فقالت الدلالة يا أختي نكف عنه فوائد ما قصر اليوم معنا ولو كان غيره ما طول روحه علينا ومهما جاء عليه أغرمه عنه ففرح الحمال وقال والله ما استفتحت بالدراهم إلا منك فقلن له أجلس على الرأس والعين وقامت الدلالة وشددت وسطها وصففت القناني وروقت المدام وعملت الحضرة على جانب البحر وأحضرت ما يحتاجون إليه ثم قدمت المدام وجلست هي واختها وجلس الحمال بينهن وهو يظن أنه في المنام ولم يزل الحمال معهن في عناق وتقبيل وهذه تكلمه وهذه تجذبه وهذه بالمشموم تضربه وهو معهن حتى لعبت الخمرة بعقولهن فلما تحكم الشراب معهم قامت البوابة وتجردت من ثيابها وصارت عريانة ثم رمت نفسها في تلك البحيرة ولعبت في الماء وأخذت الماء في فمها وبخت الحمال ثم غسلت أعضاءها وما بين فخذيها ثم طلعت من الماء ورمت نفسها في حجر الحمال وقالت له يا حبيبي ما اسم هذا وأشارت إلى فرجها فقال الحمال رحمك فقالت يوه يوه أما تستحي ومسكته من رقبته وصارت تصكه فقال فرجك فقالت غيره فقال كسك فقالت غيره فقال زنبورك فلم تزل تصكه حتى ذاب قفاه ورقبته من الصك ثم قال لها وما اسمه فقالت له حبق الجسور فقال الحمال الحمد لله على السلامة يا حبق الجسور ثم أنهم أداروا الكأس والطاس فقامت الثانية وخلعت ثيابها ورمت نفسها في تلك البحيرة وعملت مثل الأولى وطلعت ورمت نفسها في حجر الحمال وأشارت إلى فرجها وقالت يا نور عيني ما اسم هذا قال فرجك فقالت أما يقبح عليك هذا الكلام وصكته كفا طن له سائر ما في القاعة فقال حبق الجسور فقالت له لا والضرب والصك على قفاه فقال لها وما اسمه فقالت له السمسم المقشور ثم قامت الثالثة وخلعت ثيابها ونزلت تلك البحيرة وفعلت مثل من قبلها ثم لبست ثيابها وألقت نفسها في حجر الحمال وقالت له أبصاماً اسم هذا وأشارت الى فرجها فصار يقول لها كذا وكذا إلى أن قال لها وهي تضربه وما اسمه فقالت له أبي منصور ثم بعد ساعة قام الحمال وراح ومازال فى البحيرة وذكره يسبح في الماء وغسل مثل ما غسلن ثم طلع ورمى نفسه في حجر سيدتهن ورمى ذراعيه في حجر البوابة ورمى رجليه في حجر الدلالة ثم أشار إلى أيره وقال يا سيدتي ما اسم هذا فضحك الكل على كلامه حتى انقلبن على ظهورهن وقلن زبك قال لا وأخذ من كل واحدة عضة قلن أيرك قال لا وأخذ من كل واحدة حضنا وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٠)

قالت لها أختها دنيا زاد يا أختي أتممي لنا حديثك قالت حباً وكرامة قد بلغني أيها الملك السعيد أنهن لم يزلن يقلن زبك أبرك وهو يقبل ويعانق وهن يتضاحكن إلى أن قلن له وما اسمه قال إسمه البغ ل الجسـ ور والذي يرعى حبق الجسور ويعلق بالسمسم المقشور ويبيت في خان أبي منصور فضحكن حتى استلقين على ظهورهن ثم عادوا إلى منادمتهم ولم يزالوا كذلك إلى أن أقبل الليل عليهم فقلن للحمال توجه وأرنـ ا عـ رض أكتافك فقال الحمال والله خروج الروح أهون من الخروج من عندكن دعونا نصل الليل بالنهـ ار وكـ ل منـ ا يروح إلى حال سبيله فقالت الدلالة بحياتي عندكن تدعنه ينام عندنا نضحك عليه فإنه خليع ظريف فقلـ ن لـ ه تبيت عندنا بشرط أن تدخل تحت الحكم ومهما رأيته لا تسأل عنه ولا عن سببه فقال نعم فقلن قم واقـ رأ مـ ا على الباب مكتوباً فقام إلى الباب فوجدها مكتوباً عليه بماء الذهب لا تتكلم فيما لا يعنيك تسمع مالا يرضـ يك فقال الحمال اشهدوا أني لا أتكلم فما لا يعنيني ثم قامت الدلالة جهزت لهم مأكولاً فأكلوا ثم أوقـ دوا الشـ مع والعود وقعدوا في أكل وشرب وإذا هم سمعوا دق الباب فلم يختل نظامهم فقامت واحدة منهن إلى الباب ثـ م عادت وقالت قد كمل صفاؤنا في هذه الليلة لأني وجدت بالباب ثلاثة أعاجم ذقونهم محلوقة وهم عور بالعين الشمال وهذا من أعجب الاتفاق وهم ناس غرباء قد حضروا من أرض الروم ولكل واحد منهم شكل وصورة مضحكة فإن دخلوا نضحك عليهم ولم تزل تتلطف بصاحبتيها حتى قالتا لها دعيهم يدخلون وأشرطي علـ يهم أن لا يتكلموا فيما لا يعنيهم فيسمعوا مالا يرضيهم ففرحت وراحت ثم عادت ومعها الثلاثـ ة العـ ور ذقـ ونهم محلوقة وشواز بهم مبرومة ممشوقة وهم صعاليك فسلموا وتأخروا فقامت لهم البنات واقعدوهم فنظر الثلاثـ ة رجال إلى الحمال فوجدوه سكران فلما عاينوه ظنوا أنه منهم وقالوا هو صعلوك مثلنا يؤانسـ نا فلمـ ا سـ مع الحمال هذا الكلام قام وقلب عينيه وقال لهم اقعدوا بلا فضول أما قرأتم ما على الباب فضحك البنـ ات وقلـ ن لبعضهن أننا نضحك على الصعاليك والحمال ثم وضعن الأكل للصعاليك فأكلوا ثم جلسوا يتنادمون والبوابـ ة تستقيم ولما دار الكاس بينهم قال الحمال للصعاليك ياإخواننا هل معكم حكاية أو نادرة تسلوننا بها فدبت فـ يهم الحرارة وطلبوا آلات اللهو فاحضرت لهم البوابة دفا موصليا وعودا عراقياً وجنكا أعجمياً فقـ ام الصـ عاليك واقفين وأخذ واحد منهم الدف وأخذوا حد العود وأخذوا حد الجنك وضربوا بها وغنت البنات وصـ ار لهـ م صوت عال فبينما هم كذلك وإذا بطارق يطرق الباب فقامت البوابة لتنظر من بالباب وكان السـ بب فـ ي دق الباب أن في تلك الليلة نزل الخليفة هارون الرشيد لينظر ويسمع ما يتحدد من الأخبار هو وجعفـ ر وزيـ ره ومسرور سياف نقمته وكان من عادته أن يتنكر في صفة التجار فلما نزل تلك الليلة ومشى في مدينة جـ اءت طريقهم على تلك الدار فسمعوا آلات الملاهي فقال الخليفة لجعفر أني أريد أن ندخل هـ ذه الـ دار ونشـ اهد صواحب هذه الأصوات فقال جعفر هؤلاء قوم قد دخل السكر فيهم ونخشى أن يصيبنا منهم شر فقال لابد من دخولنا وأريد أن نتحيل حتى ندخل عليهم فقال جعفر سمعاً وطاعة ثم تقدم جعفر وطـ رق البـ اب فخرجـ ت البوابة وفتحت الباب فقال لها يا سيدتي نحن تجار من طبرية ولنا في بغداد عشرة أيام ومعنا تجـ ارة ونحـ ن نازلون في خان التجار وعزم علينا تاجر في هذه الليلة فدخلنا عنده وقدم لنا طعاماً فأكلنا ثـ م تنادمنـ ا عنـ ده ساعة ثم أذن لنا بالأنصراف فخرجنا بالليل ونحن غرباء فتهنا عن الخان الذي نحن فيه فنرجوا من مكارمكم

أن تدخلونا هذه الليلة تبيت عندكم ولكم الثواب فنظرت البوابة إليهم فوجدتهم بهيئة التجـ ـار وعلـ ـيهم الوقـ ـار فدخلت لصاحبتيها وشاورتهما فقالتا لها أدخليهم فرجعت وفتحت لهم الباب فقالوا ندخل بإذنك قالـ ـت ادخلـ ـوا فدخل الخليفة وجعفر ومسرور فلما رأتهم البنات قمن لهم وخد منهم وقلنا مرحباً وأهلاً وسهلاً بأضيافنا ولنـ ـا عليكم شرط أن لا تكلموا فيما لا يعنيكم فتسمعوا مالا يرضيكم قالوا نعم وبعد ذلك جلسوا للشراب والمنادمـ ـة فنظر الخليفة إلى الثلاثة الصعاليك فوجدهم عور بالعين الشمال فتعجب منهم ونظر إلى البنات وما هم فيه من الحسن والجمال فتحير وتعجب واستمروا في المنادمة والحديث وأنين للخليفة بشراب فقال أنا حاج وانعـ ـزل عنهم فقامت البوابة وقدمت له سفرة مزركشة ووضعت عليها باطية من الصيني وسكبت فيها مـ ـاء الخـ ـلاف وأرخت فيه قطعة من الثلج ومزجته بسكر فشكرها الخليفة وقال في نفسه لابد أن أجازيها في غد على فعلهـ ـا من صنيع الخير ثم اشتغلوا بمنادمتهم فلما تحكم الشراب قامت صاحبة البيت وخدمتهم ثم أخذت بيد الدلالـ ـة وقالت يا أختي قومي بمقتضى ديننا فقالت لها نعم فعند ذلك قامت البوابة وأطلعت الصعاليك خلف الأبـ ـواب قدامهن وذلك بعد أن أخلت وسط القاعة ونادين الحمال وقلن له ما أقل مودتك ما أنت غريب بل أنت من أهل الدار فقام الحمال وشدوا وسطه وقال ما تردن قلن قف مكانك ثم قامت الدلالة وقالت للحمال ساعدني فـ ـرأي كلبتين من الكلاب السود في رقبتيها جنازير فأخذهما الحمال ودخل بهما إلى وسط القاعة فقامـ ـت صـ ـاحبة المنزل وشمرت عن معصمها وأخذت سوطاً وقالت للحمال قوم كلبة منهما فجرها في الجنزير وقدمها والكلبة تبكي وتحرك رأسها إلى الصبية فنزلت السوط من يدها ثم ضمت الكلبة إلى صدرها ومسحت دموعها وقبلت رأسها ثم قالت للحمال ردها وهات الثانية فجاء بها وفعلت بها مثل ما فعلت بالأولى فعند ذلك اشـ ـتغل قلـ ـب الخليفة وضاق صدره وغمز جعفراً أن يسألها فقال له بالإشارة اسكت ثم التفتت صاحبة البيت للبوابة وقالـ ـت لها قومي لقضاء ما عليك قالت نعم ثم أن صاحبة البيت صعدت على سرير من المرمـ ـر مصـ ـفح بالـ ـذهب والفضة وقالت للبوابة والدلالة ائتيا بما عندكما فأما البوابة فإنها صعدت على سرير بجانبها وأما الدلالة فإنها دخلت مخدعاً وأخرجت منه كيساً من الأطلس بأهداب خضر ووقفت قدام الصبية صاحبة المنـ ـزل ونفضـ ـت الكيس وأخرجت منه عوداً وأصلحت أوتاره وأنشدت هذه الأبيات:

ردوا علـ ـى جفنـ ـي النـ ـوم الـ ـذي سـ ـلبا وخبرونـ ـ ـي بعقلـ ـ ـي أيـ ـ ـة ذهبـ ـ ـا
علمـ ـت لمـ ـا رضـ ـيت الحـ ـب منزلـ ـة أن المنـ ـام علـ ـى جفنـ ـي قـ ـد عصـ ـا
قالوا عهـ ـدناك مـ ـن أهـ ـل الرشـ ـاد فمـ ـا أغواك قلت اطلبـ ـوا مـ ـن لحظـ ـه السـ ـببا
أني لـ ـه عـ ـن دمـ ـي المسـ ـفوك معتـ ـذر أقـ ـول حملتـ ـه فـ ـي سـ ـفكه تعبـ ـا
ألقـ ـي بمـ ـرآة فكـ ـري شـ ـمس صـ ـورته فعكسـ ـها شـ ـب فـ ـي أحشـ ـائي اللهبـ ـا
من صـ ـاغه الله مـ ـن مـ ـاء الحيـ ـاة وقـ ـد أجـ ـري بقيتـ ـه فـ ـي ثغـ ـره شـ ـنبا
ماذا ترى فـ ـي محـ ـب مـ ـا ذكـ ـرت لـ ـه الاشـ ـكى أو بكـ ـى أو حـ ـن أو أطربـ ـا
يـ ـرى خيالـ ـك فـ ـي المـ ـاء الـ ـزلال إذا رام الشراب فيـ ـروي وهـ ـو مـ ـا شـ ـربا

وأنشدت أيضاً:

سـ ـكرت مـ ـن لحظـ ـه لا مـ ـن مدامتـ ـه ومـ ـال بـ ـالنوم عـ ـن عينـ ـي تمايلـ ـه

فمـ .ا السـ .ـلاف سـ .ـلتني بـ .ـل سـ .والفه — ومـ .ا الشـ .مول شـ .ـلتني بـ .ـل شـ .مائله
لـ .وي بعزمـ .ـي أصـ .ـداع لـ .وين لـ .ـه — وغـ .ـال عقلـ .ـي بمـ .ـا نحـ .وى غلائلـ .ـه

فلما سمعت الصبية ذلك قالت طيبك الله ثم شقت ثيابها ووقعت على الأرض مغشياً عليها فلما انكشـ ف جسدها رأى الخليفة أثر ضرب المقارع والسياط فتعجب من ذلك غاية العجب فقامت البوابة ورشـ ت المـ اء على وجهها وأتت إليها بحلة وألبستها أياها فقال الخليفة لجعفر أما تنظر إلى هذه المرأة وما عليها مـ ن أثـ ر الضرب فأنا لا أقدر أن أسكت على هذا وما استريح إلا أن وقفت على حقيقة خبر هذه الصبية وحقيقة خبـ ر هاتين الكلبتين فقال جعفر يا مولانا قد شرطوا علينا شرطاً وهو أن لا تتكلم فيما لا يعنينا فنسمع مالا يرضينا ثم قامت الدلالة فأخذت العود وأسندته إلى نهدها وغمزته بأناملها وأنشدت تقول:

أن شـ . . .كونا الهـ . . .وى فمـ . . . .. . — . إذا نقول أو تلفنا شوقاً فمـ اذا السـ بيل
أو بعثنـ . .ا رسـ . .ـلاً نتـ . .رجم عنـ . .ا — مـ .ا يـ .ؤدي شـ .كوى المحـ .ب رسـ .ول
أو صـ . برنا فمـ . ا لنـ . ا مـ . ن بقـ . اء — بعـ . .د فقـ . .د الأحبـ . .ـاب إلا قليـ . .ل
لـ . . يس إلا تأسـ . . فا ثـ . . م حزنـ . . ا — ودموعـ . اً علـ . ى الخـ . دود تسـ . يل
أيهـ .ا الغـ .ـائبون عـ .ن لمـ .ـح عينـ .ين — وعـ . م فـ . ي الفـ . ؤاد منـ . ي حلـ . ول
هل حفظـ تم لـ دى الهـ وى عهـ د صـ ب — لـ .يس عنـ .ـه مـ .دى الزمـ .ـان يحـ .ول
أم نسـ . يتم علـ . ى التباعـ . ـد صـ . ـبا — شـ . ـفه فـ . يكم الضـ . ـنى والنحـ . ـول
وإذا الحشـ . . .ـر ضـ . . ـمنا أتمنـ . . ى — مـ . ن لـ . دنا وبنـ . ا حسـ . اباً يطـ . ول

فلما سمعت المرأة الثانية شعر الدلالة شقت ثيابها كما فعلت الأولى وصرخت ثم القـ ت نفسـ ها علـ ى الأرض مغشياً عليها فقامت الدلالة وألبستها حلة ثانية بعد أن رشت الماء على وجهها ثم قامت المرأة الثالثـ ة وجلست على سرير وقالت للدلالة غنى لي لا في ديني فما بقي غير هذا الصوت فأصـ لحت الدلالـ ة العـ ود وأنشد هذه الأبيات:

فـ ـإلى متـ ـى هـ ـذا الصـ ـدود وذا الجفـ ـا — فلقد جوى مـ ـن أدمعـ ـي مـ ـا قـ ـد كفـ ـى
كـ ـم قـ ـد أطلـ ـت الهجـ ـر لـ ـي متعمـ ـداً — إن كان قصـ ـدك حاسـ ـدي فقـ ـد اشـ ـتفى
لـ ـو أنصـ ـف الـ ـدهر الخـ ـؤون لعاشـ ـق — مـ . ا كـ . ان يـ . وم العـ . واذل منصـ . فاً
فلمـ .ن أبـ .وح بصـ .بوتي يـ .ا قـ .ـاتلي — يـ .ا خيبـ .ـة الشـ .ـاكي إذا فقـ .ـد الوفـ .ـا
ويزيـ .ـد وجـ .ـدي فـ .ـي هـ .ـواك تلهفـ .ـاً — فمتـ .ـى وعـ .ـدت ولا رايتـ .ـك مخلفـ .ـاً
يـ .ـا مسـ .ـلمون خـ .ـذوا بثـ .ـار متـ .ـيم — ألـ ـف الشـ ـهادة لديـ ـه طرفـ ـاً مـ ـا غفـ ـا
أيحـ .ـل فـ .ـي شـ .ـرع الغـ .ـرام تـ .ـذللي — ويكـ .ـون غيـ .ـري بالوصـ .ـال مشـ .ـرفا
ولقـ . .د كلفـ . .ـت بحـ . .ـبكم متلـ . .ـذذا — وغـ .ـدا عـ .ـذولي فـ .ـي الهـ .ـوى فتكلفـ .ـا

فلما سمعت المرأة الثالثة قصيدتها صرخت وشقت ثيابها وألقت نفسها على الأرض مغشياً عليها فلمـ ا انكشف جسدها ظهر فيه ضرب المقارع مثل من قبلها فقال الصعاليك ليتنا مادخلنا هذه الدار وكنا بتنا علـ ى

الكيمان فقد تكدر مبيتنا هنا بشيء يقطع الصلب فالتفت الخليفة إليهم وقال لهم لم ذلك قالوا قد اشـ تغل سـ رنا بهذا الأمر فقال الخليفة أما أنتم من هذا البيت قالوا لا ولا ظننا هذا الموضع إلا للرجل الـ ذي عنـ دكم فقـ ال الحمال والله ما رأيت هذا الموضع إلا هذه الليلة وليتني بت على الكيمان ولم أبت فيه فقال الجميع نحن سبعة رجال وهن ثلاث نسوة وليس لهن رابعة فنسألهن عن حالهن فإن لم يجبننا طوعا أجبننا كرهاً واتفق الجميـ ع على ذلك فقال جعفر ما هذا رأي سديد دعوهن فنحن ضيوف عندهن وقد شرطن علينا شرطاً فنوفي به ولـ م يبق من الليل إلا القليل وكل منا يمضي إلى حال سبيله ثم أنه غمز الخليفة وقال ما بقي غير ساعة وفي غـ د تحضرهن بين يديك فتسألهن عن قصتهن فأبى الخليفة وقال لم يبق لي صبر عن خبرهن وقد كثر بينهن القيل والقال ثم قالوا ومن يسألهن فقال بعضهم الحمال ثم قال لهم النساء يا جماعة في أي شـ يء تتكلمـ ون فقـ ام الحمال لصاحبة البيت وقال لها يا سيدتي سألتك بالله وأقسم عليك به أن تخبرينا عن حال الكلبتين وأي سـ بب تعاقبينهما ثم تعودين تبكين وتقبلينهما وأن تخبرينا عن سبب ضرب أختك بالمقارع وهذا سؤالنا والسلام فقالت صاحبة المكان للجماعة صحيح ما يقوله عنكم فقال الجميع نعم إلا جعفر فإنه سكت فلمـ ا سـ معت الصـ بية كلامهم قالت والله لقد آذيتمونا يا ضيوفنا الأذية البالغة وتقدم لنا أننا شرطنا عليكم أن من تكلم فيما لا يعنيـ ه سمع مالا يرضيه أما كفا أننا أدخلناكم منزلنا وأطعمناكم زادنا ولكن لا ذنب لكم وأنما الذنب لمن أوصلكم إلينا ثم شمرت عن معصمها وضربت الأرض ثلاث ضربات وقالت عجلوا وإذا بباب خزانة قد فتح وخرج منـ ه سبعة عبيد وبأيديهم سيوف مسلولة وقالت كتفوا هؤلاء الذين كثر كلامهم وأربطوا بعضـ هم بـ بعض ففعلـ وا وقالوا أيتها المخدرة ائذني لنا في ضرب رقابهم فقالت أمهلوهم ساعة حتى أسألهم عن حالهم قبـ ل ضـ رب رقابهم فقال الحمال بالله يا سيدتي لا تقتليني بذنب الغير فإن الجميع أخطأوا ودخلوا في الذنب إلا أنا والله لقد كانت ليلتنا طيبة لو سلمنا من هؤلاء الصعاليك الذين لو دخلوا مدينة عامرة لا خربوها ثم أنشد يقول:

مـ . ـا أحسـ . ـن الغفـ . ـران مـ . ـن قـ . ـادر لا سـ . ـيما عـ . ـن غيـ . ـر ذي ناصـ . ـر
بحرمـ . . ـة الـ . . ـود الـ . . ـذي بينـ . . ـا لا تقتلـ . . . . . ـي الأول بـ . . . . . ـالآخر

فلما فرغ الحمال من كلامه ضحكت الصبية وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الصبية لما ضحكت بعد غيظها أقبلت على الجماعة وقالت أخبرونـ ي بخبركم فما بقي من عمركم إلا ساعة ولولا أنتم أعزاء أو أكابر قومكم أو حكام لعجلت جزاءكم فقال الخليفـ ة ويلك يا جعفر عرفها بنا وألا تقتلنا فقال جعفر من بعض ما نستحق فقال له الخليفة لا ينبغي الهزل في وقـ ت الجد كل منهم له وقت ثم أن الصبية أقبلت على الصعاليك وقالت لهم هل أنتم أخوة فقالوا لها لا والله ما نحن إلا فقراء الحجام فقالت لو أحد منهم هل أنت ولدت أعور فقال لا والله وأنما جرى لي أمر غريب حين تلفـ ت عيني ولهذا الأمر حكاية لو كتبت بالأبر على أماق البصر لكانت عبرة لمن أعتبر فسألت الثاني والثالث فقالا لها مثل الأول ثم قالوا أن كل منا من بلد وأن حديثنا عجيب وأمرنا غريب فالتفتت الصبية لهم وقالـ ت كـ ل واحد منكم يحكي حكايته وما سبب مجيئه إلى مكاننا ثم يملس على رأسه ويروح إلى حال سبيله فـ أول مـ ن تقدم الحمال فقال يا سيدتي أنا رجل حمال حملتني هذه الدلالة وأتت بي إلى هنا وجرى لي معكم مـ ا جـ رى

وهذا حديثي والسلام فقالت له ملس على رأسك وروح فقال والله ما أروح حتى أسمع حديث رفقائي فتقدم الصعلوك الأول وقال لها يا سيدتي أن سبب حلق ذقني وتلف عيني أن والدي كان ملكاً وله أخ وكان أخوه ملكاً على مدينة أخرى واتفق أن أمي ولدتني في اليوم الذي ولد فيه أبن عمي ثم مضت سنون وأعوام وأيام حتى كبرنا وكنت أزور عمي في بعض السنين وأقعد عنده أشهر عديدة فزرته مرة فاكرمني ابن عمي غاية الأكرام وذبح لي الأغنام وروق لي المدام وجلسنا للشراب فلما تحكم الشراب فينا قال ابن عمي يا ابن عمي أن لي عندك حاجة مهمة وأريد أن لا تخالفني فيما أريد أن أفعله فقلت له حباً وكرامة فاستوثق مني بالإيمان العظام ونهض من وقته وساعته وغاب قليلاً ثم عاد وخلفه امرأة مزينة مطيبة وعليها من الحلل ما يساوي مبلغاً عظيماً فالتفت إلى والمرأة خلفه وقال خذ هذه المرأة واسبقني على الجبانة الفلانية ووصفها لي فعرفتها وقال ادخل بها التربة وانتظرني هناك فلم يمكني المخالفة ولم أقدر على رد سؤاله لأجل الذي حلفته فأخذت المرأة وسرت إلى أن دخلت التربة أنا وأياها فلما استقر بنا الجلوس جاء ابن عمي ومعه طاسة فيها ماء وكيس فيه جبس وقدوم ثم أنه أخذ القدوم وجاء إلى قبر في وسط التربة ففكه ونقض أحجاره إلى ناحية التربة ثم حفر بالقدوم في الأرض حتى كشف عن طابق قدر الباب الصغير فبان من تحت الطابق سلم معقود ثم التفت إلى المرأة بالإشارة وقال لها دونك وما تختارين فنزلت المرأة على ذلك السلم ثم التفت إلي وقال يا ابن عمي تمم المعروف إذا نزلت أنا في ذلك الموضع فرد الطابق ورد عليه التراب كما كان وهذا تمام المعروف وهذا الجبس الذي في الكيس وهذا الماء الذي في الطاسة أعجن منه الجبس وجبس القبر في دائر الأحجار كما كان أول حتى لا يعرفه أحد ولا يقول هذا فتح جديد وتطيينه عتيق لأن لي سنة كاملة وأنا أعمل فيه وما يعلم به إلا الله وهذه حاجتي عندك ثم قال لي لا أوحش الله منك يا ابن عمي ثم نزل على السلم فلما غاب عني قمت ورددت الطابق وفعلت ما أمرني به حتى صار القبر كما كان ثم رجعت إلى قصر عمي وكان عمي في الصيد والقنص فنمت تلك الليلة فلما أصبح الصباح تذكرت الليلة الماضية وما جرى فيها بيني وبين ابن عمي وندمت على ما فعلت معه حيث لا ينفع الندم. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الصعلوك قال للصبية ثم خرجت إلى المقابر وفتشت على التربة فلم أعرفها ولم أزل أفتش حتى أقبل الليل ولم أهتد إليها فرجعت إلى القصر لم آكل ولم أشرب وقد اشتغل خاطري بابن عمي من حيث لا أعلم له حالاً فاغتممت غماً شديداً وبت ليلتي مغموماً إلى الصباح فجئت ثانياً إلى الجبانة وأنا أتفكر فيما فعله ابن عمي وندمت على سماعي منه وقد فتشت في الترب جميعاً فلم أعرف تلك التربة ولازمت التفتيش سبعة أيام فلم أعرف له طريقاً فزاد بي الوسواس حتى كدت أن أجن فلم أجد فرجاً دون أن سافرت ورجعت إلى أبي فساعة وصولي إلى مدينة أبي نهض إلى جماعة من باب المدينة وكتفوني فتعجبت كل العجب لأني ابن سلطان المدينة وهم خدم أبي وغلماني ولحقني منهم خوف زائد فقلت في نفسي يا ترى ما جرى على والدي وصرت أسأل الذين كتفوني عن سبب ذلك فلم يردوا علي جواباً ثم بعد حين قال لي بعضهم وكان خادم عندي إن أباك قد غدر به الزمان وخانته العساكر وقتله الوزير ونحن نترقب وقوعك فأخذوني وأنا غائب عن الدنيا بسبب هذه الأخبار التي سمعتها من أبي فلما تمثلت بين يدي

الوزير الذي قتل أبي وكان بيني وبينه عداوة قديمة وسبب تلك العداوة أني كنت مولعاً بضرب البندق ف أتفق أني كنت واقفاً يوماً من الأيام على سطح قصر وإذا بطائر نزل على سطح قصر الوزير وكان واقفاً هن اك فأردت أن أضرب الطير وإذا بالبندقة أخطأت وأصابت عين الوزير فأتلفتها بالقضاء والقدر كما قال الشاعر:

دع الأق . .دار تفع . .ل م . .ا تش . .اء وط . ب نفس . .اً بم . .ا فع . .ل القض . .اء

ولا تف . . رح ولا تح . . زن بش . . يء ف . إن الش . يء لـ . يس لـ . ه بق . اء

وكما قال الآخر:

مش . . يتا خط . . .ا كتب . . ت عليذ . . .ا وم . .ن كتب . .ت علي . .ه خط . .ا مش . .اها

وم . . .ن كاذ . .ت منيتـ . . .ه ب . . .أرض فلـ . يس يم . وت ف . ي أرض س . واها

ثم قال ذلك الصعلوك فلما اتلفت عين الوزير لم يقدر أن يتكلم لأن والدي كان ملك المدينة فهذا سـ ـبب العداوة التي بيني وبينه فلما وقفت قدامه وأنا مكتف أمر بضرب عنقي فقلت اتقتلني بغير ذنب فقال أي ذنـ ـب أعظم من هذا وأشار إلى عينه المتلفة فقلت له فعلت ذلك خطأ فقال أن كنت فعلته خطأ فأنا أفعله بك عمداً ثم قال قدموه بين يدي فقدموني بين يديه فمد أصبعه في عين الشمال فأتلفها فصرت من ذلك الوقت أعور كمـ ـا تروني ثم كتفني ووضعني في صندوق وقال للسياف تسلم هذا واشهر حسامك وخذه واذهب به إلـ ـى خـ ـارج المدينة واقتله ودعه للوحوش تأكله فذهب بي السياف وسار حتى خرج من المدينة وأخرجني من الصـ ـندوق وأنا مكتوف اليدين مقيد الرجلين وأراد أن يغمى عيني ويقتلني فبكيت وأنشدت هذه الأبيات:

أجعلتكم . .وا درع . .اً حص . .يناً لتمنع . .وا س . .هام العـ . .دا عنـ . .ي فكـ . .تم نص . .الها

وكذ . .ت أرجـ . ى عذ . .د كـ . .ل ملم . .ة" تخـ . ص يميذ . ي أن تكـ . .ون شـ . مالها

دعـ . .وا قصـ . .ة العـ . .ذال عنـ . .ي بمعـ . .زل وخلـ . .وا العـ . .دا ترمـ . .ي إلـ . .ى نبالهـ . .ا

إذا لـ . .م تقـ . .وا نفسـ . .ي مكايـ . .دة العـ . .دا فكوذـ . .وا سـ . .كوتاً لا عليهـ . .ا ولا لهـ . .ا

وأنشدت أيضاً هذه الأبيات:

وأخـ . . .وان اتخـ . . .ذتهم دروعـ . . .اً فكانوهـ . . .ا ولكـ . . .ن للأعـ . . .ادي

وخلـ . . . . .تهم سـ . . . . .هاماً فكـ . . .انوا ولكـ . . .ن فـ . . .ي فـ . . .ؤادي

وقـ . .الوا قـ . .د صـ . .فت منـ . .ا قلـ . .وب لقـ . .د صـ . .دقوا ولكـ . .ن عـ . .ن ودادي

وقـ . .الوا قـ . .د سـ . .عينا كـ . .ل سـ . .عي لقـ . .د صـ . .دقوا ولكـ . .ن فـ . .ي فسـ . .ادي

فلما سمع السياف شعري وكان سياف أبي ولي عليه إحسان قال يا سيدي كيف أفعل وأنا عبد مأمور ثم قال لي فز بعمرك ولا تعد إلى هذه الأرض فتهلك وتهلكني معك كما قال الشاعر:

ونفسـ .ك فـ .ز بهـ .ا أن خفـ .ت ضـ .يما وخـ . ل الـ . دار تنعـ . ى مـ . ن بناهـ . ا

فأذ . .ك واجـ . .د أرضـ . .اً بـ . .أرض ونفسـ . ك لـ . م تجـ . د نفسـ . اً سـ . واها

عجبـ . ـت لمـ . ن يعـ . يش بـ . ـدار ذل وأرض الله واسـ . . . . عة فلاهـ . . . . ا

ومـ . .ن كاذ . .ت منيتـ . .ه بـ . .أرض فلـ . يس يمـ . وت فـ . ي أرض سـ . واها

ومـ .ا غلظ .ت رق .اب الأسـ .د حتـ .ى بأنفسـ . .ها تولـ . .ت مـ . .ا عناه . .ا

فلما قال لي ذلك قبلت يديه وما صدقت بالنجاة حتى فررت وهان على تلف عيني بنجاتي من القتل وسافرت حتى وصلت إلى مدينة عمي فدخلت عليه وأعلمته بما جرى لوالدي وبما جرى لي من تلف عيني فبكى بكاء شديداً وقال لقد زدتني هماً على همي وغماً على غمي فإن ابن عمك قد فقد منذ أيام ولم أعلم بما جرى له ولم يخبرني أحد بخبره وبكى حتى أغمى عليه فلما استفاق قال يا ولدى لقد حزنت على ابن عمك حزنا شديدا وأنت زدتنى بما حصل لأبيك غما على غمى ولكن يا ولدي بعينك ولا بروحك ثم أنه لم يمكني السكوت عن ابن عمي الذي هو ولده فأعلمته بالذي جرى له كله ففرح عمي بما قلته له فرحاً شديداً عند سماع خبر ابنه وقال أرني التربة فقلت والله يا عمي لم أعرف مكانها لأني رجعت بعد ذلك مرات لأفتش عليها فلم أعرف مكانها ثم ذهبت أنا وعمي إلى الجبانة ونظرت يميناً وشمالاً فعرفتها ففرحت أنا وعمي فرحاً شديداً ودخلت أنا وأياه التربة وأزحنا التراب ورفعنا لطابق ونزلت أنا وعمي مقدار خمسين درجة فلما وصلنا إلى آخر السلم وإذا بدخان طلع علينا فغشي أبصارنا فقال عمي الكلمة التي لا يخاف قائلها وهي لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ثم مشينا وإذا نحن بقاعة ممتلئة دقيقاً وحبوباً ومأكولات وغير ذلك ورأينا في وسط القاعة ستارة مسبولة على سرير فنظر عمي إلى السرير فوجد ابنه هو والمرأة التي قد نزلت معه صارا فحما أسود وهما متعانقان كأنهما القيا في جب نار فلما نظر عمي ذلك بصق في وجهه وقال تستحق يا خبيث فهذا عذاب الدنيا وبقي عذاب الآخرة وهو أشد وأبقى وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الصعلوك قال للصبية والجماعة والخليفة وجعفر يستمعون الكلام ثم أن عمي ضرب ولده بالنعال وهو راقد كالفحم الأسود فتعجبت من ضربه وحزنت على ابن عمي حيث صار هو والصبية فحماً أسود ثم قلت بالله يا عمي خفف الهم عن قلبك فقد اشتغل سري وخاطري بما قد جرى لولدك وكيف صار هو والصبية فحماً أسود أما يكفيك ما هو فيه حتى تضربه بالنعال فقال يا ابن أخي أن ولدي هذا كان من صغره مولعاً بحب أخته وكنت أنهاه عنها وأقول في نفسي أنهما صغيران فلما كبر أوقع بينهما القبح وسمعت بذلك ولم أصدق ولكن زجرته زجراً بليغاً وقلت له أحذر من هذه الفعال القبيحة التي لم يفعلها أحد قبلك ولا يفعلها أحد بعدك وألا نبقى بين الملوك بالعار والنقصان إلى الممات وتشيع أخبارنا مع الركبان وأياك أن تصدر منك هذه الفعال فإني أسخط عليك وأقتلك ثم حجبته عنها وحجبتها عنه وكانت الخبيثة تحبه محبة عظيمة وقد تمكن الشيطان منها فلما رآني حجبته فعل هذا المكان الذي تحت الأرض خفية ونقل فيه المأكول كما تراه واستغلني لما خرجت إلى الصيد وأتى إلى هذا المكان فغار عليه وعليها الحق سبحانه وتعالى وأحرقهما ولعذاب الآخرة أشد وأبقى ثم بكى وبكيت معه وقال لي أنت ولدي عوضاً عنه ثم أني تفكرت ساعة في الدنيا وحوادثها من قتل الوزير لوالدي وأخذ مكانه وتلف عيني وما جرى لابن عمي من الحوادث الغريبة فبكيت ثم أننا صعدنا ورددنا الطابق والتراب وعملنا القبر كما كان ثم رجعنا إلى منزلنا فلم يستقر بيننا الجلوس حتى سمعنا دق طبول وبوقات ورمحت الأبطال وامتلأت الدنيا بالعجاج والغبار من حوافر الخيل فحارت عقولنا ولم نعرف الخبر فسأل الملك عن الخبر فقيل أن وزير أخيك قتله وجمع العسكر

والجنود وجاء بعسكره ليهجموا على المدينة في غفلة وأهل المدينة لم يكن لهم طاقة بهم فسلموا إليه فقلت في نفسي متى وقعت أنا في يده قتلني وتراكمت الأحزان وتذكرت الحوادث التي حدثت لأبي وأمي ولم أعرف كيف العمل فإن ظهرت عرفني أهل المدينة وعسكر أبي فيسعون في قتلي وهلاكي فلم أجد شيئاً أنجو به إلا حلق ذقني فحلقتها وعيرت ثيابي وخرجت من المدينة وقصدت هذه المدينة والسلام لعل أحداً يوصلني إلى أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين حتى أحكي له قصتي وما جرى لي فوصلت إلى هذه المدينة في هذه الليلة فوقفت حائراً ولم أدر أين أمضي وإذا بهذا الصعلوك واقف فسلمت عليه وقلت له أنا غريب فقال وأنا غريب أيضاً فبينما نحن كذلك وإذا برفيقنا هذا الثالث جاءنا وسلم علينا وقال أنا غريب فقلنا له ونحن غريبان فمشينا وقد هجم علينا الظلام فساقنا القدر إليكم وهذا سبب حلق ذقني وتلف عيني فقالت لى الصبية ملس على رأسك ورح فقال لها لا أروح حتى أسمع خبر غيري فتعجبوا من حديثه فقال الخليفة لجعفر والله أنا ما رأيت مثل الذي جرى لهذا الصعلوك ثم تقدم الصعلوك الثاني وقبل الأرض وقال يا سيدتي أنا ما ولدت أعور وأنما لي حكاية عجيبة لو كتبت بالأبر على آماق البصر لكانت عبرة لمن اعتبر فأنا ملك بن ملك وقرأت القرآن على سبع روايات وقرأت الكتب على أربابها من مشايخ العلم وقرأت علم النجوم وكلام الشعراء واجتهدت في سائر العلوم حتى فقت أهل زماني فعظم حظي عند سائر الكتبه وشاع ذكري في سائر الأقاليم والبلدان وشاع خبري عند سائر الملوك فسمع بي ملك الهند فأرسل يطلبني من أبي وأرسل إليه هدايا وتحفاً تصلح للملوك فجهزني أبي في ست مراكب وسرنا في البحر مدة شهر كامل حتى وصلنا إلى البر وأخرجنا خيلاً كانت معنا في المركب وحملنا عشرة جمال هدايا ومشينا قليلاً وإذا بغبار قد علا وثار حتى سد الأقطار واستمر ساعة من النهار ثم انكشف فبان من تحته ستون فارساً وهم ليوث عوابس فتأملناهم وإذا هم عرب قطاع طريق فلما رأونا ونحن نفر قليل ومعنا عشرة أحمال هدايا لملك الهند رمحوا علينا وشرعوا الرماح بين أيديهم نحونا فأشرنا إليهم بالأصابع وقلنا لهم نحن رسل إلى ملك الهند المعظم فلا تؤذونا فقالوا نحن لسنا في أرضه ولا تحت حكمه ثم أنهم قتلوا بعض الغلمان وهرب الباقون وهربت أنا بعد أن جرحت جرحاً بليغاً واشتغلت عنا العرب بالمال والهدايا التي كانت معنا فصرت لا أدري أين أذهب وكنت عزيزاً فصرت ذليلاً وسرت إلى أن تأتيت رأس الجبل فدخلت مغارة حتى طلع النهار ثم سرت منها حتى وصلت إلى مدينة عامرة بالخير قد ولى عنها الشتاء ببرده وأقبل عليها الربيع بورده ففرحت بوصولي إليها وقد تعبت من المشي وعلاني الهم والأصفرار فتغيرت حالتي ولا أدري أين أسلك فملت إلى خياط في دكان وسلمت عليه فرد علي السلام ورحب بي وباسطني وسألني عن سبب غربتي فأخبرته بما جرى لي من أوله إلى آخره فأغتم لأجلي وقال يافتى لا تظهر ما عندك فإني أخاف عليك من ملك هذه المدينة لأنه أكبر أعداء أبيك وله عنده ثار ثم أحضر لي مأكولاً ومشروباً فأكلت وأكل معي وتحادثت معه في الليل وأخلى لي محلاً في جانب حانوته وأتاني بما احتاج إليه من فراش وغطاء فأقمت عنده ثلاثة أيام ثم قال لي أما تعرف صنعة تكتسب بها فقلت له أني فقيه طالب علم كاتب حاسب فقال أن صنعتك في بلادنا كاسدة وليس في مدينتنا من يعرف علماً ولا كتابة غير المال فقلت والله لا أدري شيئاً غير الذي ذكرته لك فقال شد وسطك وخذ فأسا وحبلاً واحتطب في البرية حطباً تتقوت به إلى أن يفرج الله عنك ولا تعرف أحداً بنفسك فيقتلوك ثم اشتري لي فأساً وحبلاً وأرسلني مع

بعض الحطابين وأوصاهم علي فخرجت معهم واحتطبت فأتيت بحمل على رأسي فبعته بنصف دينار فأكلت ببعضه وأبقيت بعضه ودست على هذا الحال مدة سنة ثم بعد السنة ذهبت يوماً على عادتي إلى البرية لاحتطب منها ودخلتها فوجدتها فيها خميلة أشجار فيها حطب كثير قد خلت الخميلة وأتيت شجرة وحفرت حولها وأزلت التراب عن جدارها فاصطكت الفاس في حلقة نحاس فنظفت التراب وإذا هي في طابق من خشب فكشفته فبان تحته سلم فنزلت إلى أسفل السلم فرأيت باباً فدخلته فرأيت قصراً محكم البنيان فوجدت فيه صبية كالدرة السنية تنفي عن القلب كل هم وغم وبلية فلما نظرت إليها سجدت لخالقها لما أبدع فيها من الحسن والجمال فنظرت إلي وقالت لي أنت أنسى أم جني فقلت لها أنسي فقالت ومن أوصلك إلى هذا المكان الذي لي فيه خمسة وعشرون سنة ما رأيت فيه أنسياً أبداً فلما سمعت كلامها وجدت له عذوبة وقلت لها يا سيدتي أوصلني الله إلى منزلك ولعله يزيل همي وغمى وحكيت لها ما جرى لي من الأول إلى الآخر فصعب عليها حالي وبكت وقالت أنا الأخرى أعلمك بقصتي فاعلم أني بنت ملك أقصي الهند صاحب جزيرة الأبنوس وكان قد زوجني بابن عمي فاختطفني ليلة زفافي عفريت اسمه جرجريس بن رحموس بن أبليس فطار بي إلى هذا المكان ونقل فيه كل ما أحتاج إليه من الحلي والحلل والقماش والطعام والمتاع والشراب في كل عشرة أيام يجيئني مرة فيبيت هنا ليلة وعاهدني إذا عرضت لي حاجة ليلاً أو نهاراً أن المس بيدي هذين السطرين المكتوبين على القبة فما أرفع يدي حتى أراه عندي ومنذ كان عندي له اليوم أربعة أيام وبقي له ستة أيام حتى يأتي فهل لك أن تقيم عندي خمسة أيام ثم تنصرف قبل مجيئه بيوم فقلت نعم ففرحت ثم نهضت على أقدامها وأخذت بيدي وأدخلتني من باب مقنطر وانتهت بي إلى حمام لطيف ظريف فلما رأيته خلعت ثيابي وخلعت ثيابها ودخلت فجلست على مرتبة وأجلستني معها وأتت بسكر ممسك وسقتني ثم قدمت لي مأكولاً فأكلنا وتحادثنا ثم قالت لي نم واسترح فإنك تعبان فنمت يا سيدتي وقد نسيت ما جرى لي وشكرتها فلما استيقظت وجدتها تكبس رجلي فدعوت لها وجلسنا نتحادث ساعة ثم قالت والله أني كنت ضيقة الصدر وأنا تحت الأرض وحدي ولم أجد من يحدثني خمسة وعشرين سنة فالحمد لله الذي أرسلك إلى ثم أنشدت:

لـ . .و علمنـ . .ا مجيـ . .ئكم لفرشـ . .نا مهجـ . ـة القلـ . ـب أو سـ . ـواد العيـ . ـون
وفرشـ . . .نا خـ . . .دودنا والتقيـ . . .ا ليكـ . ـون المسـ . ـير فـ . ـوق الجفـ . ـون

فلما سمعت شعرها شكرتها وقد تمكنت محبتها في قلبي وذهب عني همي وغمى ثم جلسنا في منادمة إلى الليل فبت معها ليلة ما رأيت مثلها في عمري وأصبحنا مسرورين فقلت لها هل أطلعك من تحت الأرض وأريحك من هذا الجني فضحكت وقالت اقنع وأسكت ففي كل عشرة أيام يوم للعفريت وتسعة لك فقلت وقد غلب على الغرام فأنا في هذه الساعة أكسر هذه القبة التي عليها النقش المكتوب لعل العفريت يجيء حتى أقتله فإني موعود بقتل العفاريت فلما سمعت كلامي أنشدت تقول:

يـ . . .ا طالبـ . . .اً للفـ . . .راق مهـ . . .لاً بحيلـ . . .ة قـ . . .د كفـ . . .ى اشـ . . .تياق
أصـ . . .بر فطبـ . . .ع الزمـ . . .ان غـ . . .در وآخـ . . .ر الصـ . . .حبة الفـ . . .راق

فلما سمعت شعرها لم التفت لكلامها بل رفست القبة رفسا قويا وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(ففي ليلة ١٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الصعلوك الثاني قال للصبية يا سيدتي لما رفست القبة رفساً قوياً قالت لي المرأة أن العفريت قد وصل إلينا أما حذرتك من هذا والله لقد آذيتني ولكن أنج بنفسك وأطلع من المك ان الذي جئت منه فمن شدة خوفي نسيت نعلي وفاسي فلما طلعت درجتين التفت لانظرهما فرأيت الأرض ق د اشنقت وطلع منها عفريت ذو منظر بشع وقال ما هذه الزعجة التي أرعشتني بها فما مصد يبتك فقال ت م ا أصابني شيء غير أن صدري ضاق فأردت أن أشرب شراباً يشرح صدري فنهضت لأقضي أشغالي فوقعت على القبة فقال لها العفريت تكذبين يا فاجرة ونظر في القصر يميناً وشمالاً فرأى النعل والفاس فقال لها م ا هذه الا متاع الإنس من جاء إليك فقالت ما نظرتهما إلا في هذه الساعة ولعلهما تعلقا معك فقال العفريت ه ذا كلام محال لا ينطلي على يا عاهرة ثم أنه أعراها وصلبها بين أربعة أوتاد وجعل يعاقبها ويقررها بما ك ان فلم يهن على أن أسمع بكاءها فطلعت من السلم مذعوراً من الخوف فلما وصلت إلى أعلى الموضـ ع رددت الطابق كما كان وسترته بالتراب وندمت على ما فعلت غاية الندم وتذكرت الصبية وحسنها وكيف يعاقبها هذا الملعون وهي لها معه خمسة وعشرون سنة وما عاقبها إلا بسببي وتذكرت أبي ومملكته وكيف صرت حطاباً فقلت هذا البيت:

إذا مـ .ا أتـ .اك الـ .دهر يومـ .اً بنكبـ .ة   فيوم تـ رى يسـ راً ويـ وم تـ رى عسـ راً

ثم مشيت إلى أن أتيت رفيقي الخياط فلقيته من أجلي على مقالي النار وهو لي في الانتظار فقال أنـ ي بيت البارحة وقلبي عندك وخفت عليك من وحش أو غيره فالحمد لله على سلامتك فشكرته على شفقته علـ ي ودخلت خلوتي وجعلت أتفكر فيما جرى لي والوم نفسي على رفسي هذه القبة وإذا بصديقي الخياط دخل علي وقال لي في الدكان شخص أعجمي يطلبك ومعه فأسك ونعلك قد جاء بهما إلى الخياطين وقـ ال لهـ م أنـ ي خرجت وقت آدان المؤذن لأجل صلاة الفجر فعثرت بهما ولم أعلم لمن هما فدلوني علـ ى صـ احبها فدلـ ه الخياطون عليك وها هو قاعد في دكاني فأخرج إليه وأشكره وخذ فأسك ونعلك فلما سمعت هذا الكلام أصفر لوني وتغير حالي فبينما أنا كذلك وإذا بأرض محلي قد انشقت وطلع منها الأعجمي وإذا هو العفريت وقد كان عاقب الصبية غاية العقاب فلم تقر له بشيء فأخذ الفاس والنعل وقال لها أن كنت جرجر يس من ذرية أبليس فأنا أجيء بصاحب هذا الفاس والنعل ثم جاء بهذه الحيلة إلى الخياطين ودخل علي ولم يمهلني بل اختطفـ ي وطار وعلا بي ونزل بي وغاص في الأرض وأنا لا أعلم بنفسي ثم طلع بي القصر الذي كنت فيـ ه فرأيـ ت الصبية عريانة والدم يسيل من جوانبها فقطرت عيناي بالدموع فأخذها العفريت وقال لها يـ ا عـ اهرة هـ ذا عشيقك فنظرت إلي وقالت له لا أعرفه ولا رأيته إلا في هذه الساعة فقال لها العفريت لهذه العقوبة ولم تقري فقالت ما رأيته عمري وما يحل من السيف وجاءتني ووقفت على رأسي فأشرت لها بحاجبي ودمعي يجـ ري على وجنتي فنهضت وغمزتني وقالت أنت الذي فعلت بنا هذا كله فأشرت لها أن هذا وقت العفو ولسان حالي يقول:

يتـ رجم طرفـ ي عـ ن لسـ اني لتعلمـ وا   ويبـ .دوا لككـ .م مـ .ا كـ .ان دري يكـ .تم

ولمـ . ا التقينـ . ا والـ . دموع سـ . واجم   خرسـ . ت وطرفـ . ي بـ . الهوى يـ . تكلم

تشـ . ير لنـ . ـا عمـ . ـا تقـ . ـول بطرفهـ . ـا   وأرمـ . ـي إليهـ . ـا بالبنـ . ـان فـ . ـتفهم

حواجبنـ . ـا تقضـ . ـي الحـ . ـوائج بيننـ . ـا   فـ . ـنحن سـ . ـكوت والهـ . ـوى يـ . ـتكلم

فلما فهمت الصبية أشارتي رمت السيف من يدها يا سيدتي فناولني العفريت السيف وقال لي أضـ ـرب عنقها وأنا أطلقك ولا أندم عليك فقلت نعم وأخذت السيف وتقدمت بنشاط ورفعت يدي فقالت لي بحاجبها أنـ ـا ما قصرت في حقك فهملت عيناي بالدموع ورميت السيف من يدي وقلت أيهـ ـا العفريـ ـت الشـ ـديد والبطـ ـل الصنديد إذا كانت امرأة ناقصة عقل ودين لم تستحل ضرب عنقي فكيف يحل لي أن أضرب عنقها ولم أرها عمري فلا أفعل ذلك أبداً ولو سقيت من الموت كأس الردى فقال العفريت أنتما بينكما مـ ـودة أخـ ـذ السـ ـيف وضرب يد الصبية فقطعها ثم ضرب الثانية فقطعها ثم قطع رجلها اليمنى ثم قطع رجلها اليسرى حتى قطـ ـع أرباعها بأربع ضربات وأنا أنظر بعيني فأيقنت بالموت ثم أشارت إلي بعينيها فرآها العفريت فقال لهـ ـا قـ ـد زنيت بعينك ثم ضربها فقطع رأسها والتفت إليّ وقال يا أنسي نحن في شرعنا إذا زنت الزوجة يحل لنا قتلها وهذه الصبية اختطفتها ليلة عرسها وهي بنت أثنتي عشرة سنة ولم تعرف أحداً غيري وكنت أجيئها في كـ ـل عشرة أيام ليلة واحدة في زي رجل أعجمي فلما تحققت أنها خانتني قتلتها وأما أنت فلم أتحقق أنك خنتني فيها ولكن لابد أني ما أخليك في عافية فتمن علي أي ضرر ففرحت يا سيدتي غاية الفرح وطمعت في العفريـ ـت وقلت له وما أتمناه عليك قال أتمن علي أي صورة أسحرك فيها أما صورة كلب وأما صورة حمـ ـار وأمـ ـا صورة قرد فقلت له وقد طمعت أنه يعفو عني والله أن عفوت عني يعفو الله عنك بعفوك عن رجل مسلم لـ ـم يؤذيك وتضرعت إليه غاية التضرع وبقيت بين يديه وقلت له أنا مظلوم فقال لي لا تطل علي الكلام أما القتل فلا تخف منه وأما العفو عنك فلا تطمع فيه وأما سحرك فلابد منه ثم شق الأرض وطار بي إلى الجو حتـ ـى نظرت إلى الدنيا تحتي كأنها قطعة ماء ثم حطني على جبل وأخذ قليلاً من التراب وهمهم عليه وتكلم ورشني وقال اخرج من هذه الصورة إلى صورة قرد فمن ذلك الوقت صرت قرد ابن مائة سنة فلما رأيت نفسي فـ ـي هذه الصورة القبيحة بكيت على روحي وصبرت على جور الزمان وعلمت أن الزمان ليس لأحد وانحـ ـدرت من أعلى الجبل إلى أسفله وسافرت مدة شهر ثم ذهبت إلى شاطيء البحر المالح فوقفت ساعة وإذا أنا بمركب في وسط البحر قد طاب ريحها وهي قاصدة البر فاختفيت خلف صخرة على جانب البحر وسـ ـرت إلـ ـى أن أتيت وسط المركب فقال واحد منهم اخرجوا هذا المشئوم من المركب وقال واحد منهم نقتله وقال آخر أقتلـ ـه بهذا السيف فامسكت طرف السيف وبكيت وسالت دموعي فحن علي الريس وقال لهم يا تجار أن هذا القـ ـرد استجار بي وقد أجرته وهو في جواري فلا أحد يعرض له ولا يشوش عليه ثم أن الريس صار يحسن إلـ ـي ومهما تكلم به أفهمه وأقضي حوائجه كلها وأخدمه في المركب وقد طاب لها الريح مدة خمسين يوماً فرسـ ـينا على مدينة عظيمة وفيها عالم كثير لا يحصى عددهم إلا الله تعالى فساعة وصولنا أوقفنـ ـا مركبنـ ـا فجاءتنـ ـا مماليك من طرف ملك المدينة فنزلوا المركب وهنوا التجار بالسلامة وقالوا أن ملكنا يهنيكم بالسـ ـلامة وقـ ـد أرسل إليكم هذا الدرج الورق وقال كل واحد يكتب فيه سطراً فقمت وأنا في صورة القرد وخطفت الدرج من أيديهم فخافوا أني أقطعه وأرميه في الماء فنهروني وأرادوا قتلي فأشرت لهم أني أكتب فقال لهم الريس دعوه

يكتب فإن لخبط الكتابة طردناه عنا وإن أحسنها أتخذته ولداً فإني ما رأيت قرداً أفهم منه ثم أخذ القلم واستمديت الحبر وكتبت سطراً بقلم الرقاع ورقمت هذا الشعر:

لقد كتب الدهر فضل الكرام — وفضلك الآن لا يحسب
فلا أيتم الله منك الورى — لأنك للفضل نعم الأب"

(وكتبت بقلم الثلث هذين البيتين)

وما من كاتب إلا سيفنى — ويبقى الدهر ما كتبت يداه
فلا تكتب بخطك غير شيء — يسرك في القيامة أن تراه

(وكتبت تحته بقلم المشق هذين البيتين)

إذا فتحت دواة العز والنعم — فاجعل مدادك من جود ومن كرم
واكتب بخير إذا ما كنت مقتدرا — بذاك شرفت فضلاً نسبة القلم

ثم ناولتهم ذلك الدرج الورق فطلعوا به إلى الملك فلما تأمل الملك مافي ذلك الدرج لم يعجبه خط أحد إلا خطي فقال لأصحابه توجهوا إلى صاحب هذا الخط وألبسوه هذه الحلة وأركبوه بغلة وهاتوه بالنوبة وأحضروه بين يدي فلما سمعوا كلام الملك تبسموا فغضب منهم ثم قال كيف آمركم بأمر فتضحكون علي فقالوا أيها الملك ما نضحك على كلامك بل الذي كتب هذا الخط قرد وليس هو آدمياً وهو مع ريس المركب فتعجب الملك من كلامهم واهتز من الطرب وقال أريد أن أشتري هذا القرد ثم بعث رسلاً إلى المركب ومعهم البغلة والحلة وقال لابد أن تلبسوه هذه الحلة وتركبوه البغلة وتأتوا به فساروا على المركب وأخذوني من الريس والبسوني الحلة فاندهش الخلائق وصاروا يتفرجون علي فلما طلعوا بي إلى الملك ورأيته قبلت الأرض بين يديه ثلاث مرات فأمرني بالجلوس فجلست على ركبتي فتعجب الحاضرون من أدبي وكان الملك أكثرهم تعجباً ثم أن الملك أمر الخلق بالإنصراف فانصرفوا ولم يبق إلا الملك والطواشي ومملوك صغير وأنا ثم أمر الملك بطعام فقدموا سفرة طعام فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين فأشار إلى الملك أن كل فقمت وقبلت الأرض بين يديه سبع مرات وجلست آكل معه وقد أرتفعت السفرة وذهبت فغسلت يدي وأخذت الدواة والقلم والقرطاس وكتبت هذين البيتين:

أناجر الضأن تريأق من العلل — وأصحن الحلو فيها منتهى أملي
يا لهف قلبي على مد السماط إذا — ماحت كنافته بالسمن والعسل

ثم قمت وجلست بعيداً أنتظر الملك إلى ما كتبته وقرأه فتعجب وقال هذا لا يكون عند قرد هذه الفصاحة وهذا الخط والله أن هذا من أعجب العجب ثم قدم الملك شطرنج فقال لي الملك أتلعب قلت برأسي نعم فتقدمت وصففت الشطرنج ولعبت معه مرتين فغلبته فحار عقل الملك وقال لو كان هذا أدمياً لفاق أهل زمانه ثم قال لخادمه اذهب إلى سيدتك وقل لها كلمي الملك حتى تجيء فتتفرج على هذا القرد العجيب فذهب الطواشي وعاد ومعه سيدته بنت الملك فلما نظرت إلي غطت وجهها وقالت يا أبي كيف طاب على خاطرك أن ترسل إلي فيراني الرجال الأجانب فقال يا بنتي ما عندي سوى المملوك الصغير والطواشي الذي رباك وهذا القرد

وأنا أبوك فممن تغطين وجهك فقالت أن هذا القرد ابن ملك واسم أبيه أيمار صاحب جزائر الأبنوس الداخله وهو مسحور سحره العفريت جرجريس الذي هو من ذرية أبليس وقد قتل زوجته بنت ملك أقذ اموس وه ذا الذي تزعم أنه قرد أنما هو رجل عالم عاقل فتعجب الملك من ابنته ونظر إلي وقال أحق ما تقول عنك فقلت برأسي نعم وبكيت فقال الملك لبنته من أين عرفت أنه مسحور فقالت يا أبت كان عندي وأنا صغيرة عجو ز ماكرة ساحرة علمتني صناعة السحر وقد حفظته وأتقنته وعرفت مائة وسبعين باباً من أبوابه أقل باب منه ا أنقل به حجارة مدينتك خلف جبل قاف وأجعلها لجة بحراً وأجعل أهلها سمكاً في وسطه فقال أبوها بحق اسم الله عليك أن تخلصي لنا هذا الشاب حتى أجعله وزيري وهل فيك هذه الفضيلة ولم أعلم فخلصه حتى أجعل ه وزيري لأنه شاب ظريف لبيب فقالت له حباً وكرامة ثم أخذت بيدها سكيناً وعملت أث ره وأدرك شـ هرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الصعلوك قال للصبية يا سيدتي ثم أن بنت الملك أخذت بيدها سـ كيناً مكتوباً عليها أسماء عبرانية وخطت بها دائرة في وسط وكتبت فيها أسماء وطلاسم وعزمت بكـ لام وقـ رأت كلاماً لا يفهم فبعد ساعة أظلمت علينا جهات القصر حتى ظننا أن الدنيا قد أنطلقت علينا وإذا بالعفريـ ت قـ د تدلى علينا في أقبح صفة بأيد كالمداري ورجلين كالصواري وعينين كمشعلين يوقدان ناراً ففزعنا منه فقالـ ت بنت الملك لا أهلاً بك ولا سهلاً فقال العفريت وهو في صورة أسد يا خائنة كيف خنت اليمين أما تحالفنا على أنه لا يتعرض أحد للآخر فقالت له يالعين ومن أين لك يمين فقال العفريت خذي ما جاءك ثم انقلب أسداً وفتح فاه وهجم على الصبية فأسرعت وأخذت شعرة من شعرها بيدها وهمهمت بشفتيها فصـ ارت الشـ عرة سـ يفاً ماضياً وضربت ذلك الأسد نصفين فصارت رأسه عقرباً وانقلبت الصبية حبه عظيمة وهممت علـ ى هـ ذا اللعين وهو في صفة عقرب فتقاتلا قتالاً شديداً ثم أنقلب العقرب عقابا فانقلبت الحية نسـ راً وصـ ارت وراء العقاب واستمر ساعة زمانية ثم انقلب العقاب قطاً أسود فانقلبت الصبية ذئباً فتشاحنا في القصر ساعة زمانية وتقاتلا قتالاً شديداً فرأي القط نفسه مغلوباً فانقلب وصار رمانة حمراء كبيرة ووقعت تلك الرمانة في بركـ ة فقصدها الذئب فارتفعت في الهواء ووقعت على بلاط القصر فانكسرت وانتثر الحب كل حبة وحدها وامتلأت أرض القصر حباً فانقلب ذلك الذئب ديكاً لأجل أن يلتقط ذلك الحب حتى لا يترك منه حبة فبـ الأمر المقـ در تدارت حبة في جانب الفسقية فصار الديك يصيح ويرفرف بأجنحته ويشير إلينا بمنقاره ونحن لا نفهم ما يقول ثم صرخ علينا صرخة تخيل لنا منها أن القصر قد انقلب علينا ودار في أرض القصر كلها حتى رأى الحبـ ة التي تدارت في جانب الفسقية فانقض عليها ليلتقطها وإذا بالحبة سقطت في الماء فانقلب الديك حوتـ اً كبيـ راً ونزل خلفها وغاب ساعة وإذا بنا قد سمعنا صراخاً عالياً فارتجفنا فبعد ذلك طلع العفريت وهو شـ علة نـ ار فألقى من فمه ناراً ومن عينيه ومنخريه ناراً ودخانا وانقلبت الصبية لجة نار فأردنا أن نغطس في ذلك المـ اء خوفاً على أنفسنا من الحريق والهلاك فما نشعر إلا والعفريت قد صرخ من تحت النيران وصار عندنا فـ ي الإيوان ونفخ في وجوهنا بالنار فلحقته الصبية ونفخت في وجهه بالنار أيضاً فأصابنا الشرر منها ومنه فأمـ ا شررها فلم يؤذينا وأما شرره فلحقني منه شرارة في عيني فأتلفتها وأنا في صورة القرد ولحق الملك شـ رارة

منه في وجهه فأحرقت نصفه التحتاني بذقنه وحنكه ووقعت أسنانه التحتانية ورفعـ ت شـ رارة فـ ي صـ در الطواشي فاحترق ومات من وقته وساعته فأيقنا بالهلاك وقطعنا رجائنا من الحياة فبينما نحن كذلك وإذا بقائل يقول الله أكبر الله أكبر قد فتح ربي ونصر وخذل من كفر بدين محمد سيد البشر وإذا بالقائل بنت الملك قـ د حضرت العفريت فنظرنا إليه فرأيناه قد صار كوم رماد ثم جاءت الصبية إلينا وقالت الحقوني بطاسـ ـة مـ ـاء فجاؤوا بها إليها فتكلمت عليها بكلام لا نفهمه ثم رشتني بالماء وقالت اخلص بحق الحـ ق وبحـ ق اسـ م الله الأعظم إلى صورتك الأولى فصرت بشراً كما كنت أولاً ولكن تلفت عيني فقالت الصبية النار النار يا والدي ثم أنها لم تزل تستغيث من النار وإذا بشرر أسود قد طلع إلى صدرها وطلع إلى وجهها فلمـ ـا وصـ ـل إلـ ـى وجهها بكت وقالت أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ثم نظرنا إليها فرأيناهـ ـا كـ ـوم رمـ ـاد بجانب كوم العفريت فحزنا عليها وتمنيت لو كنت مكانها ولا أرى ذلك الوجه المليح الذي عمـ ـل فـ ـي هـ ـذا المعروف يصير رماداً لكن حكم الله لا يرد فلما رأى الملك ابنته صارت كوم رماد نتف بقية لحيته ولطم على وجهه وشق ثيابه وفعلت كما فعل وبكينا عليها ثم جاء الحجاب وأرباب الدولة فوجدوا السلطان في حالة العدم وعنده كوم رماد فتعجبوا وداروا حول الملك ساعة فلما أفاق أخبرهم بما جرى لأبنته مع العفريت فعظمـ ـت مصيبتهم وصرخ النساء والجواري وعملوا العزاء سبعة أيام ثم أن الملك أمر أن يبنى على رماد ابنتـ ـه قبـ ـة عظيمة وأوقد فيها الشموع والقناديل وأما رماد العفريت فإنهم أذروه في الهواء إلـ ـى لعنـ ـة الله ثـ ـم مـ ـرض السلطان مرضاً أشرف منه على الموت واستمر مرضه شهراً وعادت إليه العافية فطلبني وقال لي يا فتى قد قينا زماننا في أهنأ عيش آمنين من نوائب الزمان حتى جئتنا فأقبلت علينا الأكدار فليتنا ما رأيناك ولا رأيـ ـا طلعتك القبيحة التي لسببها صرنا في حالة العدم فأولاً عدمت أبنتي التي كانت تساوي مائة رجل وثانياً جرى لي من الحريق ما جرى وعدم أضراسي ومات خادمي ولكن ما بيدك حيلة بل جري قضاء الله علينا وعليـ ـك والحمد لله حيث خلصتك ابنتي وأهلكت نفسها فأخرج يا ولدي من بلدي وكفى ما جرى بسببك وكل ذلك مقدر علينا وعليك فأخرج بسلام فخرجت يا سيدتي من عنده وما صدقت بالنجاة ولا أدري أين أتوجه وخطر على قلبي ما جرى لي وكيف خلوني في الطريق سالماً منهم ومشيت شهراً وتذكرت دخولي في المدينـ ـة غريبـ ـاً واجتماعي بالخياط واجتماعي بالصبية تحت الأرض وخلاصي من العفريت بعد أن كان عازماً علـ ـى قتلـ ـي وتذكرت ما حصل لي من المبدأ إلى المنتهى فحمدت الله وقلت بعيني ولا بروحي ودخلت الحمـ ـام قبـ ـل أن أخرج من المدينة وحلقت ذقني وجئت يا سيدتي وفي كل يوم أبكي وأتفكر المصائب التي عاقبتها تلف عينـ ـي وكلما أتذكر ما جرى لي أبكي وأنشد هذه الأبيات:

تحيرت والـ ـرحمن لاشـ ـك فـ ـي أمـ ـري — وحلت بي الأحزان مـ ـن حيـ ـث لا أدري

سأصـ ـبر حتـ ـى يعلـ ـم النـ ـاس أننـ ـي — صبرت على شـ ـيء أمـ ـر مـ ـن الصـ ـبر

وما أحسن الصـ ـبر الجميـ ـل مـ ـع التقـ ـى — وما قـ ـدر المـ ـولى علـ ـى خلقـ ـه يجـ ـري

سـ ـرائري سـ ـرى ترجمـ ـان سـ ـريرتي — إذا كان سـ ـر السـ ـر سـ ـرك فـ ـي سـ ـري

ولـ ـو أن مـ ـا بـ ـي بالجبـ ـال لهـ ـدمت — وبالنـ ـار أطفاهـ ـا وبـ ـالريح لـ ـم يسـ ـر

ومـ ـن قـ ـال أن الـ ـدهر فيـ ـه حـ ـلاوة — فلابـ ـد مـ ـن يـ ـوم أمـ ـر مـ ـن المـ ـر

ثم سافرت الأقطار ووردت الأمصار وقصدت دار السلام بغداد لعلي أتوصل إلى أمير المؤمنين وأخبره بما جرى لي فوصلت إلى بغداد هذه الليلة فوجدت أخي هذا الأول واقفاً متحيراً فقلت السلام عليك وتحدثت معه وإذا بأخينا الثالث قد أقبل علينا وقال السلام عليكم أنا رجل غريب فقلنا له ونحن غريبان وقد وصلنا هذه الليلة المباركة فمشينا نحن الثلاثة وما فينا أحد يعرف حكاية أحد فساقتنا المقادير إلى هذا الباب ودخلنا عليكم وهذا سبب حلق ذقني وتلف عيني فقالت له أن كانت حكايتك غريبة فامسح على رأسك وأخرج إلى حال سبيلك فقال لا أخرج حتى أسمع حديث رفيقي فتقدم الصعلوك الثالث وقال أيتها السيدة الجليلة ما قصتي مثل قصتهما بل قصتي أعجب وذلك أن هذين جاءهما القضاء والقدر وأما أنا فسبب حلق ذقني وتلف عيني أنني جلبت القضاء لنفسي والهم لقلبي وذلك أني كنت ملكاً ابن ملك ومات والدي وأخذت الملك من بعده وحكمت وعدلت وأحسنت للرعية وكان لي محبة في السفر في البحر وكانت مدينتي على البحر والبحر متسع وحولنا جزائر معدة للقتال فأردت أن أتفرج على الجزائر فنزلت في عشرة مراكب وأخذت معي مؤونة شهر وسافرت عشرين يوماً ففي ليلة من الليالي هبت علينا رياح مختلفة إلى أن لاح الفجر فهدأ الريح وسكن البحر حتى أشرقت الشمس ثم أننا أشرفنا على جزيرة وطلعنا إلى البر وطبخنا شيئاً نأكله فأكلت ثم أقمنا يومين وسافرنا عشرين يوماً فأختلفت علينا المياه وعلى الريس واستغرب الريس البحر فقلنا للناظور انظر البحر بتأمل فطلع على الصاري ثم نزل ذلك الناظور وقال للريس رأيت عن يميني سمكاً على وجه الماء ونظرت إلى وسط البحر فرأيت سواداً من بعيد يلوح تارة أسود وتارة أبيض فلما سمع الريس كلام الناظور ضرب الأرض بعمامته ونتف لحيته وقال للناس أبشروا بهلاكنا جميعاً ولا يسلم منا أحد وشرع يبكي وكذلك نحن الجميع نبكي على أنفسنا فقلت أيها الريس أخبرنا بما رأى الناظور فقال يا سيدي اعلم أننا تهنا يوم جاءت علينا الرياح المختلفة ولم يهدأ الريح إلا بكرة النهار ثم أقمنا يومين فتهنا في البحر ولم نزل تائهين أحد عشر يوماً من تلك الليلة وليس لنا ريح يرجعنا إلى ما نحن قاصدون آخر النهار وفي غد نصل إلى جبل من حجر أسود يسمى حجر المغناطيس وتجرنا المياه غصباً إلى جهته فتمزق المركب ويروح كل مسمار في المركب إلى الجبل ويلتصق به لأن الله وضع في حجر المغناطيس سراً وهو أن جميع الحديد يذهب إليه وفي ذلك الجبل حديد كثير لا يعلمه إلا الله تعالى حتى أنه تكسر من قديم الزمان مراكب كثيرة بسبب ذلك الجبل ويلي ذلك البحر قبة من النحاس الأصفر معمودة على عشر أعمدة وفوق القبة فارس على فرس من نحاس وفي يد ذلك الفارس رمح من نحاس ومعلق في صدر الفارس لوح من رصاص منقوش عليه أسماء وطلاسم فيها أيها الملك مادام هذا الفارس راكباً على هذا الفرس تنكسر المراكب التي تفوت من تحته ويهلك ركابها جميعاً ويلتصق جميع الحديد الذي في المركب بالجبل وما الخلاص إلا إذا وقع هذا الفارس من فوق تلك الفرس ثم أن الريس يا سيدتي بكى بكاء شديد فتحققنا أننا هالكون لا محالة وكل منا ودع صاحبه فلما جاء الصباح قربنا من ذلك الجبل وساقتنا المياه إليه غصباً فلما صارت المراكب تحته انفتحت وفرت المسامير منها وكل حديد فيها نحو حجر المغناطيس ونحن دائرون حوله في آخر النهار وتمزقت المراكب فمنا من غرق ومنا من سلم ولكن أكثرنا غرق والذين سلموا لم يعلموا ببعضهم لأن تلك الأمواج واختلاف الأرياح أدهشتهم وأما أنا يا سيدتي فنجاني الله تعالى لما أراده من مشقتي وعذابي وبلوتي فطلعت على لوح من الألواح فألقاه الريح

والأمواج إلى جبل فأصبت طريقاً متطرفاً إلى أعلاه على هيئة السلالم منقورة في الجبل فسـ ميت الله تعـ الى وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الصعلوك الثالث قال للصبية والجماعـ ـة مكتفـ ـون والعبيـ ـد واقفـ ـين بالسيوف على رؤوسهم ثم أني سميت الله ودعوته وابتهلت إليه وحاولت الطلوع على الجبل وصرت أتمسـ ـك بالنقر التي فيه حتى أسكن الله الريح في تلك الساعة وأعانني على الطلوع فطلعت سالماً على الجبل وفرحت بسلامتي غاية الفرح ولم يكن لي دأب إلا القبة فدخلتها وصليت فيها ركعتين شكراً لله على سلامتي ثم أنـ ـي نمت تحت القبة فسمعت قائلاً يقول يا ابن خصيب إذا انتهيت من منامك فاحفر تحت رجليك قد قوسـ ـاً مـ ـن نحاس وثلاث نشابات من رصاص منقوشاً عليها طلاسم فخذ القوس والنشابات وأرم الفارس الذي على القبة وأراح الناس من هذا البلاء العظيم فإذا رميت الفارس يقع في البحر ويقع القوس من يدك فخذ القوس وأدفنـ ـه في موضعه فإذا فعلت ذلك يطفو البحر ويعلو حتى يساوي الجبل ويطلع عليه زورق فيه شخص غير الـ ـذي رميته فيجيء إليه وفي يده مجداف فأركب معه ولا تسم الله تعالى فإنه يحملك ويسافر بك مدة عشرة أيام إلى أن يوصلك إلى بحر السلامة فإذا وصلت هناك تجد من يوصلك إلى بلدك وهذا إنما يتم لك إذا لم تسم الله ثـ ـم استيقظت من نومي وقمت بنشاط وقصدت الماء كما قال الهاتف وضربت الفارس فرميته فوقع فـ ـي البحـ ـر ووقع القوس من يدي فأخذت القوس ودفنته فهاج البحر وعلا حتى ساوى الجبل الذي أنا عليه فلم ألبث غيـ ـر ساعة حتى رأيت زورقاً في وسط البحر يقصدني فحمدت الله تعالى فلما وصل إلى الـ ـزورق وجـ ـدت فيـ ـه شخصاً من النحاس في صدره لوح من الرصاص منقوش بأسماء وطلاسم فنزلت في الزورق وانا سـ ـاكتا لا أتكلم فحملني الشخص أول يوم والثاني والثالث إلى تمام عشرة أيام حتى رأيت جزائر السلامة ففرحت فرحاً عظيماً ومن شدة فرحي ذكرت الله وسميت وهللت وكبرت فلما فعلت ذلك قذفني من الزورق في البحـ ـر ثـ ـم رجع في البحر وكنت أعرف العوم فعمت ذلك اليوم إلى الليل حتى كلت سواعدي وتعبت أكتافي وصرت في الهلكات ثم تشهدت وأيقنت بالموت وهاج البحر من كثرة الرياح فجاءت موجة كالقلعـ ـة العظيمـ ـة فحملتنـ ـي وقفتني قفة صرت بها فوق البر لما يريد الله فطلعت البر وعصرت ثيابي ونشفتها على الأرض وبـ ـت فلمـ ـا أصبحت لبست ثيابي وقمت أنظر أين أمشي فوجدت غوطة فجئتها ودرت حولها فوجدت الموضع الذي فيـ ـه جزيرة صغيرة والبحر محيط بها فقلت في نفسي كلما أخلص من بلية أقع في أعظم منها فبينما أنا متفكر في أمري وأتمنى الموت إذ نظرت مركباً فيها ناس فقمت وطلعت على شجرة وإذا بالمركب التصقت بالبر وطلع منها عشرة عبيد معهم مساحي فمشوا حتى وصلوا إلى وسط الجزيرة وحفروا في الأرض وكشفوا عن طابق فرفعوا الطابق وفتحوا بابه ثم إلى المركب ونقلوا منها خبزاً ودقيقاً وسمناً وعسلاً وأغناماً وجميع ما يحتـ ـاج إليه الساكن وصار العبيد مترددين بين المركب وباب الطابق وهم يحولون من المركب وينزلون في الطـ ـابق إلى أن نقلوا جميع ما في المركب ثم بعد ذلك طلع العبيد ومعهم ثياب أحسن ما يكون وفي وسطهم شيخ كبير هرم قد عمر زمناً طويلاً وأضعفه الدهر حتى صار فانياً ويد ذلك الشيخ في يد صبي قد أفـ ـرغ فـ ـي قالـ ـب الجمال وألبس حلة الكمال حتى أنه يضرب بحسنه الأمثال وهو كالقضيب الرطب يسحر كل قلـ ـب بجمالـ ـه

ويسلب كل لب بكماله فلم يزالوا يا سيدتي سائرين حتى أتوا إلى الطابق ونزلوا فيه وغابوا عن عيني فلما توجهوا قمت ونزلت من فوق الشجرة ومشيت إلى موضع للردم ونبشت التراب ونقلته وصبرت نفسي حتى أزلت جميع التراب فأنكشف الطابق فإذا هو خشب مقدار حجر الطاحون فرفعته فبان من تحته سلم معقود من حجر فتعجبت من ذلك ونزلت في السلم حتى انتهيت إلى آخره فوجدت شيئاً نظيفاً ووجدت بستاناً وثانياً وثالثاً إلى تمام تسعة وثلاثين وكل بستان أرى فيه مايكل عنه الواصفون من أشجار وأنهار وأثمار وذخائر ورأيت بابا فقلت في نفسي ما الذي في هذا المكان فلا بد أن أفتحه وأنظر ما فيه ثم فتحته فوجدت فيه فرساً مسرجاً ملجماً من بوطا ففككته وركبته فطار بي إلى أن حطني على سطح وأنزلني وضربني بذيله فأتلف عيني وفرمني فنزلت من فوق السطح فوجدت عشرة شبان عور فلما رأوني قالوا لا مرحباً بك فقلت لهم أتقبلوني أجلس عندكم فقالوا والله لا تجلس عندنا فخرجت من عندهم حزين القلب باكي العين وكتب الله لي السلامة حتى وصلت إلى بغداد فحلقت ذقني وصرت صعلوكاً فوجدت هذين الاثنين الأعورين فسلمت عليهما وقلت لهما أنا غريب فقالا ونحن غريبان فهذا سبب تلف عيني وحلق ذقني فقالت له أمسح على رأسك وروح فقال والله لا أروح حتى أسمع قصة هؤلاء ثم أن الصبية التفتت إلى الخليفة وجعفر ومسرور وقالت لهم أخبروني بخبركم فتقدم جعفر وحكى لها الحكاية التي قالها للبوابة عند دخولهم فلما سمعت كلامه قالت وهبت بعضكم لبعض فخرجوا إلى أن صاروا في الزقاق فقال الخليفة للصعاليك يا جماعة إلى أين تذهبون فقالوا ما ندري أين نذهب فقال لهم الخليفة سيروا وبيتوا عندنا وقال لجعفر خذهم وأحضرهم لي غداً حتى تنظر ما يكون فامتثل جعفر ما أمره به الخليفة ثم أن الخليفة طلع إلى قصره ولم يجئه نوم في تلك الليلة فلما أصبح جلس على كرسي المملكة ودخلت عليه أرباب الدولة فالتفت إلى جعفر بعد أن طلعت أرباب الدولة وقال ائتني بالثلاث صبايا والكلبتين والصعاليك فنهض جعفر وأحضرهم بين يديه فأدخل الصبايا تحت الأستار والتفت لهن جعفر وقال لهن قد عفونا عنكن لما أسلفتن من الأحسان إلينا ولم تعرفنا فها أنا أعرفكن وأنتن بين يدي الخامس من بني العباس هارون الرشيد فلا تخبرنه إلا حقاً فلما سمع الصبايا كلام جعفر عن لسان أمير المؤمنين تقدمت الكبيرة وقالت يا أمير المؤمنين أن لي حديثاً لو كتب بالأبر على آماق البصر لكان عبرة لمن اعتبر وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن كبيرة الصبايا لما تقدمت بين يدي أمير المؤمنين قالت أن لي حديثاً عجيباً وهو أن هاتين الصبيتين أختاي من أبي من غير أمي فمات والدنا وخلف خمسة آلاف دينار وكنت أنا أصغرهن سناً فتجهز أختاي وتزوجت كل واحدة برجل ومكثنا مدة ثم أن كل واحد من أزواجهما هيأ متجراً وأخذ من زوجته ألف دينار وسافروا مع بعضهم وتركوني فغابوا أربع سنين وضيع زوجاهما المال وخسرا وتركاهما في بلاد الناس فجاءني في هيئة الشحاتين فلما رأتهما ذهلت عنهما ولم أعرفهما ثم أني لما عرفتهما قلت لهما ما هذا الحال فقالتا يا أختنا أن الكلام لم يفد الآن وقد جرى القلم بما حكم الله فأرسلتهما إلى الحمام وألبست كل واحدة حلة وقلت لهما يا أختي أنتما الكبيرة وأنا الصغيرة وأنتم عوض عن أبي وأمي والأرث الذي نابني معكما قد جعل الله فيه البركة فكلا من زكاته وأحوالي جليلة وأنا وأنتما سواء وأحسنت أليهما غاية

الإحسان فمكثنا عندي مدة سنة كاملة وصار لهما مال من مالي فقالتا لي أن الزواج خير لنا وليس لنا صد بر عنه فقلت لهما يا أختي لم تريا في الزواج خيراً فإن الرجل الجيد قليل في هذا الزمان وقد جربتما الزواج فلم يقبلا كلامي وتزوجا بغير رضاي فزوجتهما من مالي وسترتهما ومضتا من زوجيهما فأقاما مدة يسيرة ولعب عليهما زوجهما وأخذ ما كان معهما وسافرا وتركاهما فجاءتا عندي وهمـ ا عريانتـ ان واعتـ ذرتا وقالتـ ا لا تؤاخذينا فأنت اصغر منا سناً وأكمل عقلاً وما بقينا نذكر الزواج أبداً فقلت مرحباً بكما يا أختي ما عندي أعز منكما وقبلتهما وزودتهما إكراماً ولم تزل على هذه الحالة سنة كامل فأردت أن أجهز لي مركباً إلى البصـ رة فجهزت مركباً كبيرة وحملت فيها البضائع والمتاجر وما أحتاج إليه في المركب وقلت يا أختي هل لكمـ ا أن تقعدوا في المنزل حتى أسافر وأرجع أو تسافرا معي فقالتا نسافر معك فأنا لا نطيق فراقك فأخذتهما وسافرنا وكنت قسمت مالي نصفين فأخذت النصف وخبأت النصف الثاني وقلت ربما يصيب المركب شيء ويكون في العمر مده فإذا رجعنا نجد شيئاً ينفعنا ولم نزل مسافرين أياماً وليالي فتاهت بنا المركب وغفل الـ ريس عـ ن الطريق ودخلت المركب بحراً غير البحر الذي نريده ولم نعلم بذلك مدة وطاب لنا الريح عشرة أيام فلاحـ ت لنا مدينة عن بعد فقلنا للريس ما اسم هذه المدينة التي أشرفنا عليها فقال والله لا أعلـ م ولا رأيتهـ ا قـ ط ولا سلكت عمري هذا البحر ولكن جاء الأمر بسلامة فما بقي إلا أن تدخلوا هذه المدينة وتخرجوا بضائعكم فـ إن حصل لكم بيع فبيعوا وغاب ساعة ثم جاءنا وقال قوموا إلى المدينة وتعجبوا من صنع الله في خلقه واستعيذوا من سخطه فطلعنا المدينة فوجدنا كل من فيها مسخوطا حجارة سوداء فاندهشنا من ذلك ومشينا في الأسـ واق فوجدنا البضائع باقية والذهب والفضة باقيين على حالهما ففرحنا وقلنا لعل هذا يكون له أمر عجيب وتفرقنـ ا في شوارع المدينة وكل واحد اشتغل عن رفيقة بما فيها من المال والقماش وأما أنا فطلعت إلى القلعة فوجدتها محكمة فدخلت قصر الملك فوجدت فيه جميع الأواني من الذهب والفضة ثم رأيت الملك جالساً وعنده حجابه ونوابه ووزرائه وعليه من الملابس شيء يتحير فيه الفكر فلما قربت من الملك وجدته جالساً علـ ى كرسـ ي مرصع بالدر والجواهر فيه كل درة تضيء كالنجمة وعليه حلة مزركشة بالذهب وواقفاً حوله خمسون مملوكاً بين أنواع الحرير وفي أيديهم السيوف مجردة فلما نظرت لذلك دهش عقلي ثم مشيت ودخلت قاعـ ة الحـ ريم فوجدت في حيطانها ستائر من الحرير ووجدت الملكة عليها حلة مزركشة باللؤلؤ الرطب وعلى رأسها تـ اج مكلل بأنواع الجواهر وفي عنقها قلائد وعقوداً وجميع ما عليها من الملبوس والمصاغ باق على حاله وهـ ي ممسوخة حجر أسود ووجدت باباً مفتوحاً فدخلته ووجدت فيه سلماً بسبع درج فصعدته فرأيت مكاناً مرخمـ اً مفروشاً بالبسط المذهبة ووجدت فيه سريراً من المرمر مرصعاً بالدر والجواهر ونظرت نوراً لامعاً في جهة فقصدتها فوجدت فيها جوهرة مضيئة قدر بيضة النعامة على كرسي صغير وهى تضيء كالشمعة ونورهـ ا ساطع ومفروش على ذلك السرير من أنواع الحرير ما يحير الناظر فلما نظرت إلى ذلك تعجبت ورأيت فـ ي ذلك المكان شموعاً موقداً فقلت في نفسي لابد أن أحداً وقد هذه الشموع ثم أني مشيت حتى دخلـ ت موضـ عاً غيره وصرت أفتش في الأماكن ونسيت نفسي مما أدهشني من التعجب من تلك الأحوال واستغرق فكري إلى أن دخل الليل فأردت الخروج فلم أعرف الباب وتهت عنه فعدت إلى الجهة التي فيها الشموع الموقدة وجلست على السرير وتغطيت بلحاف بعد أن قرأت شيئاً من القرآن وأردت النوم فلم أستطع ولحقنـ ي القلـ ق فلمـ ا

انتصف الليل سمعت تلاوة القرآن بصوت حسن رقيق فالتفت إلى مخدع فرأيت بابه مفتوحاً ف دخلت الب اب ونظرت المكان فإذا هو معبد وفيه قناديل معلقة موقدة وفيه سجادة مفروشة جالس عليها شاب حسن لمنظ ر فتعجبت كيف هو سالم دون أهل المدينة فدخلت وسلمت عليه فرفع بصره ورد على السلام فقلت لـ ه أس ألك بحق ما تتلوه من كتاب الله أن تجيبني عن سؤالي فتبسم وقال أخبريني عن سبب دخولك هذا المك ان وأن ا أخبرك بجواب ما تسألينه عنه فأخبرته بخبري فتعجب من ذلك ثم أنني سألته عن خبر هـ ذه المدين ـة فق ال أمهليني ثم طبق المصحف وأدخله في كيس من الأطلس وأجلسني بجنبه فنظرت إليه فإذا هو كالبـ در حسـ ن الأوصاف لين الأعطاف بهي المنظر رشيق القد أسيل الخدر هي الوجنات كأنه المقصود من هذه الأبيات:

رصد . . د الـ . . نجم ليلـ . . ه فبدالـ . . ه ق . د الملـ . يح يمـ . يس فـ . ي برديـ . ه
وأمـ . .ده زحـ . .ل سـ . .واد ذوائـ . .ب والمسـ .ك هـ .ادي الخـ .ال فـ .ي خديـ .ه
وغـ .دت مـ .ن المـ .ريخ حمـ .رة خـ .ده والقـ .وس يرمـ .ي النبـ .ل مـ .ن جفنيـ .ه
وعطـ . ارد أعطـ . اه فـ . رط ذكائـ . ـه وأبـ .ى السـ .ها نظـ .ر الوشـ .اة إليـ .ه
فغـ . دا المـ . نجم حـ . ائراً ممـ . ا رأى والبـ . در بـ . اس الأرض بـ . ين يديـ . ه

فنظرت له نظرة أعقبتني ألف حسرة وأوقدت بقلبي كل جمرة فقلت له يا مولاي أخبرني عما سـ ألتك فقال سمعاً وطاعة أعلمي أن هذه المدينة مدينة والدي وجميع أهله وقومه وهو الملـ ك الـ ذي رأيتيـ ه علـ ى الكرسي ممسوخاً حجراً وأما الملكة التي رأيتيها فهي أمي وقد كانوا مجوساً يعبدون النار دون الملك الجبـ ار وكانوا يقسمون بالنار والنور والظل والحرور والفلك الذي يدور وكان أبي ليس له ولد فرزق بي فـ ي آخـ ر عمره فرباني حتى نشئت وقد سبقت لي السعادة وكان عندنا عجوز طاعنة في السـ ن مسـ لمة تـ ؤمن بـ الله ورسوله في الباطن وتوافق أهلي في الظاهر وكان أبي يعتقد فيها لما يرى عليها من الأمانة والعفـ ة وكـ ان يكرمها ويزيد في أكرامها وكان يعتقد أنها على دينه فلما كبرت سلمني أبي إليها وقال خذيه وربيه وعلميـ ه أحوال ديننا وأحسني تربيته وقومي بخدمته فأخذتني العجوز وعلمتني دين الإسلام من الطهـ ارة وفـ رائض الوضوء والصلاة وحفظتني القرآن فلما أتممت ذلك قالت لي يا ولدي أكتم هذا الأمر عن أبيك ولا تعلمه بـ ه لئلا يقتلك فكتمته عنه ولم أزل على هذا الحال مدة أيام قلائل وقد ماتت العجوز وزاد أهل المدينة في كفرهم وعتوهم وضلالهم فبينما هم على ما هم فيه إذ سمعوا منادياً ينادي بأعلى صوته مثل الرعد القاصف سـ معه القريب والبعيد يقول يا أهل هذه المدينة ارجعوا عن عبادة النار وأعبدوا الملك الجبار فحصل عند أهل المدينة فزع واجتمعوا عند أبي وهو ملك المدينة وقالوا له ما هذا الصوت المزعج الذي سمعناه فأندهشنا مـ ن شـ دة هوله فقال لهم لا يهولنكم الصوت ولا يفزعنكم ولا يردكم عن دينكم فمالت قلوبهم إلى قول أبي ولـ م يزالـ وا مكبين على عبادة النار واستمروا على طغيانهم مدة سنة حتى جاء ميعاد ما سمعوا الصوت الأول فظهر لهم ثانياً فسمعوا ثلاث مرات على ثلاث سنين في كل سنة مرة فلم يزالوا عاكفين على ما هم عليه حتـ ى نـ زل عليهم المقت والسخط من السماء بعد طلوع الفجر فمسخوا حجارة سوداً وكذلك دوابهم وأنعامهم ولم يسلم من أهل هذه المدينة غيري ومن يوم جرت هذه الحادثة وأنا على هذه الحالة في صلاة وصيام وتلاوة قرآن وقـ د يئست من الوحدة وما عندي من يؤنسني فعند ذلك قلت له أيها الشاب هل لك أن تروح معي إلى مدينة بغداد

وتنظر إلى العلماء وإلى الفقهاء فتزداد علماً وفقهاء وأكون أنا جاريتك مع أني سيدة قومي وحاكمة على رجال وخدم وغلمان وعندي مركب مشحونة بالمتجر وقد رمتنا المقادير على هذه المدينة حتى كان ذلك سبباً في أطلاعنا على هذه الأمور وكان النصيب في اجتماعنا ولم أزل أرغبه في التوجه حتى أجابني إليه. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الصبية مازالت تحسن للشاب التوجه معها حتى غلب عليه النوم فنامت تلك الليلة تحت رجليه وهي لا تصدق بما هي فيه من الفرح ثم قالت فلما أصبح الصباح قمنا ودخلنا إلى الخزائن وأخذنا ما خف حمله وغلا ثمنه ونزلنا من القلعة إلى المدينة فقابلنا العبيد والريس وهم يفتشون علي فلما رأوني فرحوا بي وسألوني عن سبب غيابي فأخبرتهم بما رأيت وحكيت لهم قصة الشاب وسبب مسخ أهل هذه المدينة وما جرى لهم فتعجبوا من ذلك فلما رآني اختاي ومعي ذلك الشاب حسد تاني عليه وصارتا في غيظ وأضمرتا المكر لي ثم نزلنا المركب وأنا بغاية الفرح وأكثر فرحي بصحبة هذا الشاب وأقمنا ننتظر الريح حتى طاب لنا الريح فنشرنا القلوع وسافرنا فقعد أختاي عندنا وصارتا يتحدثان فقالتا لي يا أختنا ما تصنعين بهذا الشاب الحسن فقلت لهما قصدي أن أتخذ بعلاً ثم التفت إليه وأقبلت عليه وقلت يا سيدي أنا أقصد أن أقول لك شيئاً فلا تخالفني فيه فقال سمعاً وطاعة ثم التفت إلى أختاي وقلت لهما يكفيني هذا الشاب وجميع هذه الأموال لكما فقالتا نعم ما فعلت ولكنهما أضمرتا لي الشر ولم نزل سائرين مع اعتدال الريح حتى خرجنا من بحر الخوف ودخلنا بحر الأمان وسافرنا أياماً قلائل على أن قربنا من مدينة البصرة ولاحت لنا أبنيتها فأدركنا المساء فلما أخذنا النوم قامت أختاي وحملتاني أنا والغلام بفرشنا ورمتانا في البحر فأما الشاب فأنه كان لا يحسن العوم فغرق وكتبه الله من الشهداء وأما أنا فكتبت من السالمين فلما سقطت في البحر رزقني الله بقطعة خشب فركبتها وضربتني الأمواج إلى أن رمتني على ساحل جزيرة فلم أزل أمشي في الجزيرة باقي ليلتي فلما أصبح الصباح رأيت طريقاً فيه أثر مشي على قدر قدم ابن آدم وتلك الطريق متصلة من الجزيرة إلى البر وقد طلعت الشمس فنشفت ثيابي فيها وسرت في الطريق ولم أزل سائرة إلى أن قربت من البر الذي فيه المدينة وإذا أنا بحية تقصدني وخلفها ثعبان يريد هلاكها وقد تدلى لسانها من شدة التعب فأخذتني الشفقة عليها فعمدت إلى حجر والقيته على رأس الثعبان فمات من وقته فنشرت الحية جناحيها وطارت في الجو فتعجبت من ذلك وقد تعبت فنمت في موضعي ساعة فلما أفقت وجدت تحت رجلي جارية وهي تكبس رجلي فجلست واستحيت منها وقلت لها من أنت وما شأنك فقالت ما أسرع ما نسيتيني أنت التي فعلت معي الجميل وقتلت عدوي فإني الحية التي خلصتيني من الثعبان فإني جنية وهذا الثعبان جني وهو عدوي وما نجاني منه إلا أنت فلما نجيتيني منه طرت في الريح وذهبت إلى المركب التي رماك منها أختاك ونقلت جميع ما فيها إلى بيتك وأغرقتها وأما أختاك فإني سحرتهما كلبتين من الكلاب السود فإني عرفت جميع ما جرى لك معهما وأما الشاب فإنه غرق ثم حملتني أنا والكلبتين والقتنا فوق سطح داري فرأيت جميع ما كان في المركب من الأموال في وسط بيتي ولم يضع منه شيء ثم أن الحية قالت لي وحق النقش الذي على خاتم سليمان إذا لم تضربي كل واحدة منهما في كل يوم ثلثمائة سوط لآتين وأجعلنك مثلهما فقلت سمعاً

وطاعة فلم أزل يا أمير المؤمنين أضربهما ذلك الضرب وأشفق عليهما فتعجب الخليفة من ذلك ثم قال للصبية الثانية وأنت ما سبب الضرب الذي على جسدك فقالت يا أمير المؤمنين إني كان لي والد فمات وخلف مـ الا كثيراً فأقمت بعده مدة يسيرة وتزوجت برجل أسعد أهل زمانه فأقمت معه سنة كاملة ومـ ات فورثـ ت منـ ه ثمانين ألف دينار فبينما أنا جالسة في يوم من الأيام إذ دخلت على عجوز بوجه مسعوط وحاجـ ب ممغـ وط وعيونها مفجرة وأسنانها مكسرة ومخاطها سائل وعنقها مائل كما قال فيها الشاعر:

عجـ . ـوز الـ . ـنحس أبلـ . ـيس يراهـ . ـا | تعلمـ . ـه الخديعـ . ـة مـ . ـن سـ . ـكوت
تقـ . ـود مـ . ـن السياسـ . ـة ألـ . ـف بغـ . ـل | إذا انفـ . ـردوا بخـ . ـيط العنكبـ . ـوت"

فلما دخلت العجوز سلمت عليّ وقالت أن عندي بنتاً يتيمة والليلة عملت عرسها وأنا قصدي لك الأجر والثواب فأحضري عرسها فإنها مكسورة الخاطر ليس لها إلا الله تعالى ثم بكت وقبلت رجلي فأخذتني الرحمة والرأفة فقلت سمعاً وطاعة فقالت جهزي نفسك فإني وقت العشاء أجيء وآخذك ثم قبلت يدي وذهبت فقمـ ت وهيأت نفسي وجهزت حالي وإذا بالعجوز قد أقبلت وقالت يا سيدتي أن سيدات البلد قد حضـ رن وأخبـ رتهن بحضورك ففرحن وهن في انتظارك فقمت وتهيأت وأخذت جواري معي وسرت حتى أتينا إلى زقاق هب فيه النسيم وراق فرأينا بوابة مقنطرة بقبة من الرخام مشيدة البنيان وفي داخلها قصر قد قام من التـ راب وتعلـ ق بالسحاب فلما وصلنا إلى الباب طرقته العجوز ففتح لنا ودخلنا فوجدنا دهليزاً مفروشاً بالبسط معلقاً فيه قناديل موقدة وشموع مضيئة وفيه الجواهر والمعادن معلقة فمشينا في الدهليز على أن دخلنا القاعة فلم يوجـ د لهـ ا نظير مفروشة بالفراش الحرير معلقاً فيها القناديل الموقدة والشموع المضيئة وفي صدر القاعة سـ رير مـ ن المرمر مرصع بالدر والجوهر وعليه ناموسية من الأطلس وإذا بضبية خرجت من الناموسـ ية مثـ ل القمـ ر فقالت لي مرحباً وأهلاً وسهلاً يا أختي آنستيني وجبرت خاطري وأنشدت تقول:

لو تعلم الدار مـ ن قـ د زارهـ ا فرحـ ت | واستبشرت ثـ م باسـ ت موضـ ع القـ دم
وأعلنـ . ـت بلسـ . ـان الحـ . ـال قائلـ . ـة | أهـ ـلاً وسـ ـهلاً بأهـ ـل الجـ ـود والكـ ـرم

ثم جلست وقالت يا أختي أن لي أخاً وقد رآك في بعض الأفراح وهو شاب أحسن مني وقد أحبك قلبـ ه حباً شديداً وأعطى هذه العجوز دراهم حتى أتتك وعملت الحيلة لأجل اجتماعه بك ويريد أخي أن يتزوجـ ك بسنة الله ورسوله وما في الحلال من عيب فلما سمعت كلامها ورأيت نفسي قد أنحجزت فـ ي الـ دار فقلـ ت للصبية سمعاً وطاعة ففرحت وصفقت بيديها وفتحت باباً فخرج منه شاب مثل القمر كما قال الشاعر:

قـ . . ـد زاد حسـ . . ـناً تبـ . . ـارك الله | جـ . ـل الـ . ـذي صـ . ـاغه وسـ . ـواه
قـ . ـد حـ . ـاز كـ . ـل الجمـ . ـال منفـ . ـرداً | كـ . ـل الـ . ـورى فـ . ـي جمالـ . ـه تهـ . ـواه
قـ . ـد كتـ . ـب الحسـ . ـن فـ . ـوق وجنتـ . ـه | أشـ . . ـهد أن لا ملـ . . ـيح إلا هـ . . ـو

فلما نظرت إليه مال قلبي له ثم جاء وجلس وإذا بالقاضي قد دخل ومعه أربع شهود فسلموا وجلسوا ثم أنهم كتبوا كتابي على ذلك الشاب وانصرفوا فالتفت الشاب إلى وقال ليلتنا مباركة ثم قال يا سيدتي أني شارط عليك شرطاً فقلت يا سيدي وما الشرط فقام وأحضر لي مصحفاً وقال أحلفي لي أنك لا تختاري أحداً غيـ ري

ولا تميلي إليه فحلفت له على ذلك ففرح فرحاً شديداً وعانقني فأخذت محبته بمجامع قلبي وقدموا لنا السماط فأكلنا وشربنا حتى اكتفينا فدخل علينا الليل فأخذني ونام معي على الفراش وبتنافي عناق إلى الصباح ولم نزل على هذه الحالة مدة شهر ونحن في هناء وسرور وبعد الشهر استأذنته في أني أسير إلى السوق واشتري بعض قماش فأذن لي في الرواح فلبست ثيابي وأخذت العجوز معي ونزلت في السوق فجلست على دكان شاب تاجر تعرفه العجوز وقالت لي هذا ولد صغير مات أبوه وخلف له مالاً كثيراً ثم قالت له هات أعز ما عندك من القماش لهذه الصبية فقال لها سمعاً وطاعة فصارت العجوز تثني عليه فقلت ما لنا حاجة بثنائك عليه لأن ماأردنا إلا أن نأخذ حاجتنا منه ونعود إلى منزلنا فأخرج لنا ما طلبناه وأعطيناه الدراهم فأبى أن يأخذ شيئاً وقال هذه ضيافتكم اليوم عندي فقلت للعجوز أن لم يأخذ الدراهم أعطه قماشة فقال والله لا آخذ شيئاً والجميع هدية من عندي في قبلة واحدة فإنها عندي أحسن من ما في دكاني فقالت العجوز ما الذي يفيدك من القبلة ثم قالت يا بنتي قد سمعت ما قال هذا الشاب وما يصيبك شيء إذا أخذ منك قبلة وتأخذين ما تطلبينه فقلت لها أما تعرفين أني حالفة فقالت دعيه يقبلك وأنت ساكته ولا عليك شيء وتأخذين هذه الدراهم ولا زالت تحسن لي الأمر حتى أدخلت رأسي في الجراب ورضيت بذلك ثم أني غطيت عيني وداريت بطرف أزاري من الناس وحط فمه تحت إزاري على خدي فما قبلني حتى عضني عضة قوية حتى قطع اللحم من خدي فغشي على ثم أخذتني العجوز في حضنها فلما أفقت وجدت الدكان مقفولة والعجوز تظهر لي الحزن وتقول ما دفع الله كان أعظم ثم قالت لي قومي بنا إلى البيت وأعملي نفسك ضعيفة وأنا أجيء إليك بدواء تداوين به هذه العضة فتبرئين سريعاً فبعد ساعة قمت من مكاني وأنا في غاية الفكر واشتداد الخوف فمشيت حتى وصلت إلى البيت وأظهرت حالة المرض وإذا بزوجي داخل وقال ما الذي أصابك يا سيدتي في هذا الخروج فقلت له ها أنا طيبة فنظر إلي وقال لي ما هذا الجرح الذي بخدك وهو في المكان الناعم فقلت لما استأذنتك وخرجت في هذا النهار لأشتري القماش زاحمني جمل حامل حطباً فشرمط نقابي وجرح خدي كما ترى فإن الطريق ضيق في هذه المدينة فقال غداً أروح للحاكم وأشكو له فيشنق كل حطاب في المدينة فقلت بالله عليك لا تتحمل خطيئة أحد فإني ركبت حماراً نفر بي فوقعت على الأرض فصادفني عود فخدش خدي وجرحني فقال غداً اطلع لجعفر البرمكي وأحكي له الحكاية فيقتل كل حمار في هذه المدينة فقلت هل أنت تقتل الناس كلهم بسببي وهذا الذي جرى لي بقضاء الله وقدره فقال لابد من ذلك وشدد علي ونهض قائماً وصاح صيحة عظيمة فانفتح الباب وطلع منه سبعة عبيد سود فسحبوني من فرشي ورموني في وسط الدار ثم أمر عبداً منهم أن يمسكني من أكتافي ويجلس على رأسي وأمر الثاني أن يجلس على ركبتي ويمسك رجلي وجاء الثالث وفي يده سيف فقال يا سيدي أضربها بالسيف فأقسمها نصفين وكل واحد يأخذ قطعة يرميها في بحر الدجلة فيأكلها السمك وهذا جزاء من يخون الإيمان والمودة وأنشد هذا الشعر:

إذا كان لي فيمن أحب مشارك   منعت الهوى روحي ليتلفني وجدي
وقلت لها يا نفس موتي كريمة   فلا خير في حب يكون مع الضد

ثم قال للعبد أضربها يا سعد فجرد السيف وقال اذكري الشهادة وتذكري ما كان لـ ك مـ ن الحـ وائج وأوصي فإن هذا آخر حياتك فقلت له يا عبد الخير تمهل عليّ قليلاً حتى أتشهد وأوصي ثم رفعـ ت رأسـ ي ونظرت إلى حالي وكيف صرت في الذل بعد العز فجرت عبرتي وبكيت وأنشدت هذه الأبيات:

أقمـ .تم فـ .ؤادي فـ .ي الهـ .وى وقعـ .دتم وأسـ . هرتم حتـ . ى القـ . ريح وتمـ . تم

ومنـ . زلكم بـ . ين الفـ . ؤاد وبـ . اظري فـ ـلا القلـ ـب يسـ ـلوكم ولا الـ ـدمع يكـ ـتم

وعاهـ .دتموني أن تقيمـ .وا علـ .ى الوفـ .ا فلمـ . .ا تملكـ . .تم فـ . .ؤادي غـ . .درتم

ولـ .م ترحمـ .وا وجـ .دي بكـ .م وتلهفـ .ي أأنـ . تم صـ . روف الحادثـ . ات أمنـ . تم

سـ . ألتكم بـ . ـالله أن مـ . ـت فـ . ـأكتبوا علـ .ى لـ .وح قبـ .ري أن هـ .ذا متـ .يم

لعـ .ل شـ .جياً عارفـ .ا لوعـ .ة الهـ .وى يمـ .ر علـ .ى قبـ .ر المحـ .ب فيـ .رحم

فلما فرغت من شعري بكيت فلما سمع الشعر ونظر إلي بكائي ازداد غيظاً على غيظه وأنشـ ـد هـ ـذين البيتين:

تركـ ـت حبيـ ـب القلـ ـب لا عـ ـن ملالـ ـة ولكن جنـ ـي ذنبـ ـاً يـ ـؤدي إلـ ـى التـ ـرك

إذ أرى شـ . ريكاً فـ . ي المحبـ . ة بيننـ . ا وإيمـ ـان قلبـ ـي لا يميـ ـل إلـ ـى الشـ ـرك

فلما فرغ من شعره بكيت واستعطفته وإذا بالعجوز قد دخلت ورمت نفسها على أقدام الشـ ـاب وقبلتهـ ـا وقالت يا ولدي بحق تربيتي لك تعفو عن هذه الصبية فإنها ما فعلت ذنباً يوجب ذلك وأنـ ـت شـ ـاب صـ ـغير فأخاف عليك من دعائها ثم بكت العجوز ولم تزل تلح عليه حتى قال عفوت عنها ولكن لا بد لـ ـي أن أعمـ ـل فيها أثراً يظهر عليها بقية عمرها ثم أمر العبيد فجذبوني من ثيابي وأحضر قضيباً من سفر جل ونـ ـزل بـ ـه على جسدي بالضرب ولم يزل يضربني ذلك الشاب على ظهري وجنبي حتى غبت عن الـ ـدنيا مـ ـن شـ ـدة الضرب وقد يئست من حياتي ثم أمر العبيد أنه إذا دخل الليل يحملونني ويأخذون العجوز معهم ويرمونني في بيتي الذي كنت فيه سابقاً ففعلوا ما أمرهم به سيدهم ورموني في بيتي فتعاهدت نفسي وتداويت فلمـ ـا شـ ـفيت بقيت أضلاعي كأنها مضروبة بالمقارع كما ترى فاستمريت في مداواة نفسي أربعة أشهر حتى شـ ـفيت ثـ ـم جئت إلى الدار التي جرت لي فيها ذلك الأمر فوجدتها خربة ووجدت الزقاق مهدوما من أولـ ـه إلـ ـى آخـ ـره ووجدت في موضع الداركيما ولم أعلم سبب ذلك فجئت إلى أختي هذه التي من أبي فوجدت عنـ ـدها هـ ـاتين الكلبتين فسلمت عليها وأخبرتها بخبري وبجميع ما جرى لي فقالت من ذا الذي من نكبات الزمان سلم الحمـ ـد لله الذي جعل الأمر بسلامة ثم أخبرتني بخبرها وبجميع ما جرى لها من أختيها وقعدت أنا وهي لاتنكر خبر الزواج على السنتنا ثم صاحبتنا هذه الصبية الدلالة في كل يوم تخرج فتشتري لنا ما نحتاج إليه من المصالح على جري عادتها فوقع لنا ما وقع من مجيء الحمال والصعاليك ومن مجيئكم في صفة تجار فلما صرنا في هذا اليوم ولم نشعر إلا ونحن بين يديك وهذه حكايتنا فتعجب الخليفة من هذه الحكاية وجعلها تاريخاً منبتاً في خزانته وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الخليفة أمر أن تكتب هذه القصة في الدواوين ويجعلوها في خزانة الملك ثم أنه قال للصبية الأولى هل عندك خبر بالعفريتة التي سحرت أختيك قالت يا أمير المؤمنين أنها أعطتني شيئاً من شعرها وقالت أن أردت حضوري فأحرقي من هذا الشعر شيئاً فأحضر إليك عاجلاً ولو كنت خلف جبل قاف فقال الخليفة أحضر لي الشعر فأحضرته الصبية فأخذه الخليفة وأحرق منه شيئاً فلما فاحت رائحته اهتز القصر وسمعوا دوياً وصلصلة وإذا بالجنية حضرت وكانت مسلمة فقالت السلام عليك يا خليفة الله فقال وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته فقالت اعلم أن هذه الصبية ذرعت معي جميلاً ولا أقدر أن أكافئها عليه فهي أنقذتني من الموت وقتلت عدوي ورأيت ما فعله معها أختاها فما رأيت إلا أني أنتقم منهما فسحرتهما كلبتين بعد أن أردت قتلهما فخشيت أن يصعب عليها وأن أردت خلاصهما يا أمير المؤمنين أخلصهما كرامة لك ولها فأني من المسلمين فقال لها خلصيهما وبعد ذلك نشرع في أمر الصبية المضروبة ونفحص عن حالها فإذا ظهر لي صدقها أخذت ثأرها ممن ظلمها فقالت العفريتة يا أمير المؤمنين أنا أدلك على فعل بهذه الصبية هذا الفعل وظلمها وأخذ ما لها وهو أقرب الناس إليك ثم أن العفريتة أخذت طاسة من الماء وعزمت عليها ورشت وجه الكلبتين وقالت لهما عود إلى صورتكما الأولى البشرية فعادتا صبيتين سبحان خالقهما ثم قالت يا أمير المؤمنين أن الذي ضرب الصبية ولدك الأمين فإنه كان يسمع بحسنها وجمالها وحكت له العفريتة جميع ما جرى للصبية فتعجب وقال الحمد لله على خلاص هاتين الكلبتين على يدي ثم أن الخليفة أحضر ولده الأمين بين يديه وسأله عن قصة، الصبية الأولى فأخبره على وجه الحق فأحضر الخليفة القضاة والشهود والصعاليك الثلاثة وأحضر الصبية الأولى وأختيها اللتين كانتا مسحورتين في صورة كلبتين وزوج الثلاثة للثلاثة الصعاليك الذين أخبروه أنهم كانوا ملوكاً وعملهم حجاباً عنده وأعطاهم ما يحتاجون إليه وأنزلهم في قصر بغداد ورد الصبية المضروبة لولده الأمين وأعطاها مالاً كثيراً وأمر أن تبنى الدار أحسن ما كانت ثم أن الخليفة تزوج بالدلالة ورقد في تلك الليلة معها فلما أصبح أفرد لها بيتاً وجواري يخدمنها ورتب لها راتباً وشيد لها قصراً ثم قال لجعفر ليلة من الليالي أني أريد أن ننزل في هذه الليلة إلى المدينة ونسأل عن أحوال الحكام والمتولين وكل من شكا منه أحد عزلناه فقال جعفر سمعاً وطاعة فلما نزل الخليفة وجعفر ومسرور وساروا في المدينة ومشوا في الأسواق مروا بزقاق فرأوا شيخاً كبيراً على رأسه شبكة وقفة وفي يده عصا وهو ماش على مهله.

ثم أن الخليفة تقدم إليه وقال له يا شيخ ما حرفتك قال يا سيدي صياد وعندي عائلة وخرجت من بيتي من نصف النهار إلى هذا الوقت ولم يقسم الله لي شيئاً أقوت به عيالي وقد كرهت نفسي وتمنيت الموت فقال له الخليفة هل لك أن ترجع معنا إلى البحر ونقف على شاطيء الدجلة وترمي شبكتك على بختي وكل ما اطلع أشتريه منك بمائة دينار ففرح الرجل لما سمع هذا الكلام وقال على رأسي أرجع معكم ثم أن الصياد رجع إلى البحر ورمي شبكته وصبر عليها ثم أنه جذب الخيط وجر الشبكة إليه فطلع في الشبكة صندوق مقفول ثقيل الوزن فلما نظره الخليفة جه فوجده ثقيلاً فأعطى الصياد مائة دينار وانصرف وحمل الصندوق مسرور هو وجعفر وطلعا به مع الخليفة إلى القصر وأوقد الشموع والصندوق بين يدي الخليفة فتقدم جعفر ومسرور وكسروا الصندوق فوجدوا فيه قفة خوص مخيطة بصوف أحمر فقطعوا الخياطة فرأوا فيها قطعة

بساط فرفعوها فوجدوا تحتها أزاراً فرفعوا الأزار فوجدوا تحته صبية كأنها سبيكة مقتولة ومقطوعة فلما نظرها الخليفة جرت دموعه على خده والتفت إلى جعفر وقال يا كلب الوزراء أتقتل القتلى في زمني ويرمون في البحر ويصيرون متعلقين بذمتي والله لابد أن أقتص لهذه الصبية ممن قتلها وأقتله وقال لجعفر وحق اتصال نسبي بالخلفاء من بني العباس أن لم تأتني بالذى قتل هذه لانصفها منه لأصلبنك على باب قصري أنت وأربعين من بني عمك وأغتاظ الخليفة فقال جعفر أمهلني ثلاثة أيام قال أمهلتك ثم خرج جعفر من بين يديه ومشي في المدينة وهو حزين وقال في نفسه من أعرف من قتل هذه الصبية حتى أحضره للخليفة وأن أحضرت له غيره يصير معلقاً بذمتي ولا أدري ما أصنع ثم أن جعفر أجلس في بيته ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع أرسل إليه الخليفة يطلبه فلما تمثل بين يديه قال له أين قاتل الصبية قال جعفر يا أمير المؤمنين هل أنا أعلم الغيب حتى أعرف قاتلها فاغتاظ الخليفة وأمر بصلبه على باب قصره وأمر منادياً ينادي في شوارع بغداد من أراد الفرجة على صلب جعفر البرمكي وزير الخليفة وصلب أولاد عمه على باب قصر الخليفة فليخرج ليتفرج فخرجت الناس من جميع الحارات ليتفرجوا على صلب جعفر وصلب أولاد عمه ولم يعلموا سبب ذلك ثم أمر بنصب الخشب فنصبوه وأوقفوهم تحته لأجل الصلب وصاروا ينتظرون الأذن من الخليفة وصار الخلق يتباكون على جعفر وعلى أولاد عمه فبينما هم كذلك وإذا بشاب حسن نقي الأثواب يمشي بين الناس مسرعاً إلى أن وقف بين يدي الوزير وقال له سلامتك من هذه الواقفة يا سيد الأمراء وكهف الفقراء أنا الذي قتلت القتيلة التي وجدتموها في الصندوق فاقتلني فيها واقتص لها مني فلما سمع جعفر كلام الشاب وما أبداه من الخطاب فرح بخلاص نفسه وحزن على الشاب فبينما هم في الكلام وإذا بشيخ كبير يفسح الناس ويمشي بينهم بسرعة إلى أن وصل إلى جعفر والشاب فسلم عليهما ثم قال أيها الوزير لا تصدق كلام هذا الشاب فإنه ما قتل هذه الصبية إلا أنا فاقتص لها مني فقال الشاب أيها الوزير أن هذا شيخ كبير خرفان لا يدري ما يقول وأنا الذي قتلتها فاقتص لها مني فقال الشيخ يا ولدي أنت صغير تشتهي الدنيا وأنا كبير شبعت من الدنيا وأنا أفديك وأفدي الوزير وبني عمه وما قتل الصبية إلا أنا فبالله عليك أن تعجل بالاقتصاص مني فلما نظر إلى ذلك الأمر تعجب منه وأخذ الشاب والشيخ وطلع بهما عند الخليفة وقال يا أمير المؤمنين قد حضر قاتل الصبية فقال الخليفة أين هو فقال أن هذا الشاب يقول أنا القاتل وهذا الشيخ يكذبه ويقول لا بل أنا القاتل فنظر الخليفة إلى الشيخ والشاب وقال منكما قتل هذه الصبية فقال الشاب ما قتلها إلا أنا وقال الشيخ ما قتلها إلا أنا فقال الخليفة لجعفر خذ الأثنين واصلبهما فقال جعفر إذا كان القاتل واحداً فقتل الثاني ظلم فقال الشاب وحق من رفع السماء وبسط الأرض أني أنا الذي قتلت الصبية وهذه أمارة قتلها ووصف ما وجده الخليفة فتحقق عند الخليفة أن الشاب هو الذي قتل الصبية فتعجب الخليفة وقال ما سبب قتلك هذه الصبية بغير حق وما سبب أقرارك بالقتل من غير ضرب وقولك اقتصوا لها مني فقال الشاب أعلم يا أمير المؤمنين أن هذه الصبية زوجتي وبنت عمي وهذا الشيخ أبوها وهو عمي وتزوجت بها وهي بكر فرزقني الله منها ثلاثة أولاد ذكوراً وكانت تحبني وتخدمني ولم أر عليها شيئاً فلما كان أول هذا الشهر مرضت مرضاً شديداً فأحضرت لها الأطباء حتى حصلت لها العافية فأردت أن أدخلها الحمام فقالت أني أريد شيئاً قبل دخول الحمام لأني أشتهيه فقلت لها وما هو فقالت أني اشتهي تفاحة أشمها وأعض منها عضة فطلعت من ساعتي

إلى المدينة وفتشت على التفاح ولو كانت الواحدة بدينار فلم أجده فبت تلك الليلة وأنا متفكر فلما أصبح الصباح خرجت من بيتي ودرت على البساتين واحداً واحداً فلم أجده فيها فصادفني خولي كبير فسألته عن التفاح فقال يا ولدي هذا شيء قل أن يوجد لأنه معدوم ولا يوجد إلا في بستان أمير المؤمنين الذي في البصرة وهو عند الخولي يدخره للخليفة فجئت إلى زوجتي وقد حملتني محبتي أياها على أن هيأت نفسي وسافرت ١٥ يوماً ليلاً ونهاراً في الذهاب والأياب وجئت لها بثلاث تفاحات اشتريتها من خولي البصرة بثلاثة دنانير ثم أني دخلت وناولتها أياها فلم تفرح بها بل تركتها في جانبها وكان مرض الحمى قد اشتد بها ولم تزل في ضعفها إلى أن مضى لها عشرة أيام وبعد ذلك عوفيت فخرجت من البيت وذهبت إلى دكاني وجلست في بيعي وشرائي فبينما أنا جالس في وسط النهار وإذا بعبد أسود مر علي وفي يده تفاحة يلعب بها فقلت له من أين أخذت هذه التفاحة حتى آخذ مثلها فضحك وقال أخذتها من حبيبتي وأنا كنت غائباً وجئت فوجدتها ضعيفة وعندها ثلاث تفاحات فقالت أن زوجي الديوث سافر من شأنها إلى البصرة فأشتراها بثلاثة دنانير فأخذت منها هذه التفاحة فلما سمعت كلام العبد يا أمير المؤمنين أسودت الدنيا في وجهي وقفلت دكاني وجئت إلى البيت وأنا فاقد العقل من شدة الغيظ فلم أجد التفاحة الثالثة فقلت لها أين الثالثة فقالت لا أدري ولا أعرف أين ذهبت فتحققت قول العبد وقمت أخذت سكيناً وركبت على صدرها ونحرتها بالسكين وقطعت رأسها وأعضائها وحطيتها في القفة بسرعة وغطيتها بالأزرار وحطيت عليها شقة بساط وأنزلتها في الصندوق وقفلته وحملتها على بغلتي ورميتها في الدجلة بيدي فبالله عليك يا أمير المؤمنين أن تعجل بقتلي قصاصاً لها فأني خائف من مطالبتها يوم القيامة فأني لما رميتها في بحر الدجلة ولم يعلم بها أحد رجعت إلى البيت فوجدت ولدي الكبير يبكي ولم يكن له علم بما فعلت في أمه فقلت له ما يبكيك فقال أني أخذت تفاحة من التفاح الذي عند أمي ونزلت بها إلى الزقاق العب مع أخواني وإذا بعبد أسود طويل خطفها مني وقال لي من أين جاءتك هذه فقلت له هذه سافر أبي وجاء بها من البصرة من أجل أمي وهي ضعيفة وأشترى ثلاث تفاحات بثلاثة دنانير فأخذها مني وضربني وراح بها فخفت من أمي أن تضربني من شأن التفاحة فلما سمعت كلام الولد علمت أن العبد هو الذي افترى الكلام الكذب على بنت عمي وتحققت أنها قتلت ظلماً ثم أني بكيت بكاء شديداً وإذا بهذا الشيخ وهو عمي والدها قد أقبل فأخبرته بما كان فجلس بجانبي وبكى ولم نزل نبكي إلى نصف الليل وأقمنا العزاء خمسة أيام ولم نزل إلى هذا اليوم ونحن نتأسف على قتلها فبحرمة أجدادك أن تعجل بقتلي وتقتص لها مني فلما سمع الخليفة كلام الشاب تعجب وقال والله لا أقتل إلا العبد الخبيث وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الخليفة أقسم أنه لا يقتل إلا العبد لأن الشاب معذور ثم أن الخليفة التفت إلى جعفر وقال له أحضر لي هذا العبد الخبيث الذي كان سبباً في هذه القضية وأن لم تحضره فأنت تقتل عوضاً عنه فنزل يبكي ويقول من أين أحضره ولا كل مرة تسلم الجرة وليس لي في هذا الأمر حيلة والذي سلمني في الأول يسلمني في الثاني والله ما بقيت أخرج من بيتي ثلاثة أيام والحق سبحانه يفعل ما يشاء ثم أقام في بيته ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع أحضر القاضي وأوصى وودع أولاده وبكى وإذا برسول

الخليفة أتى إليه وقال له أن أمير المؤمنين في أشد ما يكون من الغضب وأرسلني إليك وحلف أنه لا يمر هذا النهار إلا وأنت مقتول أن لم يحضر له العبد فلما سمع جعفر هذا الكلام بكى وبكت أولاده فلما فرغ من التوديع تقدم إلى بنته الصغيرة ليودعها وكان يحبها أكثر من أولاده جميعاً فضمها إلى صدره وبكى على فراقها فوجد في جيبها شيء مكبباً فقال لها ما الذي في جيبك فقالت له يا أبت تفاحة جاء بها عبدنا ريحان ولها معي أربعة أيام وما أعطاها لي حتى أخذ مني دينارين فلما سمع جعفر بذكر العبد والتفاحة فرح وقال يا قريب الفرج ثم أنه أمر بإحضار العبد فحضر فقال له من أين هذه التفاحة فقال يا سيدي من مدة خمسة أيام كنت ماشياً فدخلت في بعض أزقة المدينة فنظرت صغاراً يلعبون ومع واحد منهم هذه التفاحة فخطفتها منه وضربته فبكى وقال هذه لامي وهي مريضة وأشتهت على أبي تفاحاً فسافر إلى البصرة وجاء لها بثلاث تفاحات بثلاث دنانير فأخذت هذه العب بها ثم بكى فلم التفت إليه وأخذتها وجئت بها إلى هنا فأخذتها ستيدتي الصغيرة بدنارين فلما سمع جعفر هذه القصة تعجب لكون الفتنة وقتل الصبية من عبده وأمر بسجن العبد وفرح بخلاص نفسه ثم أنشد هذين البيتين:

ومن كانت رزيته بعبد فما للنفس تجعله فداها
فإنك واجد خدماً كثيراً ونفسك لم تجد نفساً سواها

ثم أنه قبض على العبد وطلع به إلى الخليفة فأمر أن تؤرخ هذه الحكاية وتجعل سيراً بين الناس فقال له جعفر لا تعجب يا أمير المؤمنين من هذه القصة فما هي بأعجب من حديث الوزير نور الدين مع شمس الدين أخيه فقال الخليفة وأي حكاية أعجب من هذه الحكاية فقال جعفر يا أمير المؤمنين لا أحدثك إلا بشرط أن تعتق عبدي من القتل فقال قد وهبت لك دمه.

(حكاية الوزير نور الدين مع شمس الدين أخيه)

فقال جعفر أعلم يا أمير المؤمنين أنه كان في مصر سلطان صاحب عدل وإحسان له وزير عاقل خبير له علم بالأمور والتدبير وكان شيخاً كبيراً وله ولدان كأنهما قمران وكان اسم الكبير ر شـ مس الـ دين واسـ م الصغير نور الدين وكان الصغير أميز من الكبير في الحسن والجمال وليس في زمانه أحسن منه حتـ ى أنـ ه شاع ذكره في البلاد فكان بعض أهلها يسافر من بلاده إلى بلده لأجل رؤية جماله فأتفق أن والـ دهما مـ ات فحزن عليه السلطان وأقبل على الولدين وقربهما وخلع عليهما وقال لهما أنتما في مرتبة أبيكما ففرحا وقـ بلا الأرض بين يديه وعملا العزاء لأبيهما شهراً كاملاً ودخلا في الوزارة وكل منهما يتولاهـ ا جمعـ ة وإذا أراد السلطان السفر يسافر مع واحد منهما فأتفق في ليلة من الليالي أن السلطان كان عازماً على السفر في الصباح وكانت النوبة للكبير فبينما الأخوان يتحدثان في تلك الليلة إذ قال الكبير يا أخي قصدي أن أتزوج أنا وأنت في ليلة واحدة فقال الصغير افعل يا أخي ما تريد فإني موافقك على ما تقول واتفقا على ذلك ثم أن الكبير ر قـ ال لأخيه أن قدر الله وخطبنا بنتين ودخلنا في ليلة واحدة ووضعنا في يوم واحد وأراد الله وجاءت زوجتك بغلام وجاءت زوجتي ببنت تزوجهما لبعضهما لأنهما أولاد عم فقال نور الدين يا أخي ما تأخذ من ولدي في مهـ ر بنتك قال آخذ من ولدك في مهر بنتي ثلاثة آلاف دينار وثلاثة بساتين وثلاث ضياع فإن عقد الشـ ـاب عقـ دة بغير هذا لا يصح فلما سمع نور الدين هذا الكلام قال ما هذا المهر الذي شرطته على ولدي أما تعلـ م أننـ ا أخوات ونحن الاثنان وزيران في مقام واحد وكان الواجب عليك أن تقدم ابنتك لولدي هدية من غيـ ر مهـ ر فإنك تعلم أن الذكر أفضل من الأنثى وولدي ذكر ونذكر به خلاف ابنتك فقال وما لها قال لا نذكر بهـ ـا بـ ين الأمراء ولكن أنت تريد أن تفعل معي على رأي الذي قال أن أردت تطرده فاجعل الثمن غالياً وقيل أن بعض الناس قدم على بعض أصحابه فقصده في حاجة فغلى عليه الثمن فقال له شمس الدين أراك قد قصرت لأنـ ك تعمل ابنك أفضل من بنتي ولا شك أنك ناقص عقل وليس لك أخلاق حيث تنكر شركة الـ وزارة وأنـ ـا مـ ـا أدخلتك معي في الوزارة إلا شفقة عليك ولأجل أن تساعدني وتكون لي معيناً ولكن قل ما شئت وحيث صدر منك هذا القول والله لا أزوج بنتي لولدك ولو وزنت ثقلها ذهباً فلما سمع نور الدين كلام أخيه اغتـ ـاظ وقـ ـال وأنا لا أزوج أبني أبنتك فقال شمس الدين أنا لا أرضاه لها بعلاً ولولا أنني أريد السفر لكنت عملـ ت معـ ك العبر ولكن لما أرجع من السفر يعمل الله ما يريد فلما سمع نور الدين من أخيه ذلك الكلام امتلأ غيظاً وغاب عن الدنيا وكتم ما به وبات كل واحد في ناحية فلما أصبح الصباح برز السلطان للسفر وعدى إلى الجزيـ رة وقد الأهرام وصحبته الوزير شمس الدين وأما أخوه نور الدين فبات في تلك الليلة في أشد ما يكون من الغيظ فلما أصبح الصباح قام وصلى الصبح وعمد إلى خزانته وأخذ منها خرجا صغيراً وملأه ذهباً وتـ ذكر قـ ول أخيه واحتقاره أياه وافتخاره فأنشد هذه الأبيات:

سـ ـافر تجـ ـد عوضـ ـاً عمـ ـن تفارقـ ـه ... وأنصب فإن لذيذ العـ يش فـ ي النصـ ب
مـ ـا فـ ـي المقـ ـام لـ ـذي لـ ـب وذي أدب ... معـ ـزة فـ ـأترك الأوطـ ـان وأغتـ ـرب
أنـ ـي رأيـ ـت وقـ ـوف المـ ـاء يفسـ ـده ... فإن جرى طاب أو لـ م يجـ ر لـ م يطـ ب
والبـ ـدر لـ ـولا أفـ ـول منـ ـه مـ ـا نظـ ـرت ... إليـ ـه فـ ـي كـ ـل حـ ـين عـ ـين مرتقـ ـب

والأسد لولا ف راق الغ اب م ا قنصت / والسهم لولا ف راق الق وس ل م يص ب

والتبـ .ر ك .الترب ملق .ى ف .ي أماكن .ه / والعود في أرض ة ن وع م ن الحط ب

ف . إن تغ . رب ه . ذا ع . ز مطلب . ه / وأن أق . ام ف . لا يعل . وا إل . ى رت . ب

فلما فرغ من شعره أمر بعض غلمانه أن يشد له بغلة زرزورية غالية سريعة المشي فشدها ووضع عليها سرجا مذهباً بركابات هندية وعباءات من القطيفة الأصفهانية فسارت كأنها عروس مجلية وأمر أن يجعل عليها بساط حرير وسعادة وأن يوضع الخرج من تحت السجادة ثم قال للغلام والعبيد قصدي أن أتفرج خارج المدينة وأروح نواحي القليوبية وأبيت ثلاث ليال فلا يتبعني منكم أحد فإن عندي ضيق صدر ثم أسرع وركب البغلة وأخذ معه شيئاً قليلاً من الزاد وخرج من مصر واستقبل البر فما جاء عليه الظهر حتى دخل مدينة بلبيس فنزل عن بغلته واستراح وأراح البغلة وأكل شيئاً وأخذ من بلبيس ما يحتاج إليه وما يعلق به على بغلته ثم استقبل البر فما جاء عليه الظهر بعد يومين حتى دخل مدينة القدس فنزل عن بغلته واستراح وأراح بغلته وأخرج شيئاً أكله ثم حط الخرج تحت رأسه وفرش البساط ونام في مكان والغيظ غالب عليه ثم أنه بات في ذلك المكان فلما أصبح الصباح ركب وصار يسوق البغلة إلى أن وصل إلى مدينة حلب فنزل في بعض الخانات وأقام ثلاثة أيام حتى استراح وأراح البغلة وشم الهواء ثم عزم على السفر وركب بغلته وخرج مسافر أولاً يدري أين يذهب ولم يزل سائراً إلى أن وصل إلى مدينة البصرة ليلاً ولم يشعر بذلك حتى نزل في الخان وأنزل الخرج عن البغلة وفرش السجادة وأودع البغلة بعدتها عند البواب وأمره أن يسيرها فأخذها وسيرها فاتفق أن وزير البصرة جالس في شباك قصره فنظر إلى البغلة ونظر ما عليها من العدة المثمنة فظنها بغلة وزير من الوزراء أو ملك من الملوك فتأمل في ذلك وحار عقله وقال لبعض غلمانه ائتني بهذا البواب فذهب الغلام إلى البواب وأتي به إلى الوزير فتقدم البواب وقبل الأرض بين يديه وكان الوزير شيخاً كبيراً فقال للبواب من صاحب هذه البغلة وما صفاته فقال البواب يا سيدي أن صاحب هذه البغلة شاب صغير ظريف الشمائل من أولاد التجار عليه هيبة ووقار فلما سمع الوزير كلام البواب قام على قدميه وركب وسار إلى الخان ودخل على الشاب فلما رأى نور الدين الوزير قادماً عليه قام على قدميه ولاقاه واحتضنه ونزل الوزير من فوق جواده وسلم عليه فرحب به وأجلسه عنده وقال له يا ولدي من أين أقبلت وماذا تريد فقال نور الدين يا مولاي أني قدمت من مدينة مصر وكان أبي وزيراً فيها وقد انتقل إلى رحمة الله وأخبره بما جرى من المبتدأ إلى المنتهى ثم قال وقد عزمت على نفسي أن لا أعود أبداً حتى أنظر جميع المدن والبلدان فلما سمع الوزير كلامه قال له يا ولدي لا تطاوع النفس فترميك في الهلاك فإن البلدان خراب وأنا أخاف عليك من عواقب الزمان ثم أنه أمر بوضع الخرج عن البغلة والبساط والسجادة وأخذ نور الدين معه إلى بيته وأنزله في مكان ظريف وأكرمه وأحسن إليه وأحبه حباً شديداً وقال له يا ولدي أنا بقيت رجلاً كبيراً ولم يكن لي ولد ذكر وقد رزقني الله بنتاً تقاربك في الحسن ومنعت عنها خطاباً كثيرة وقد وقع حبك في قلبي فهل لك أن تأخذا بنتي جارية لخدمتك وتكون لها بعلا فإن كنت تقبل ذلك أطلع إلى سلطان البصرة وأقول له أنه ولد أخي وأوصلك إليه حتى أجعلك وزيراً مكاني وألزم أنا بيتي فإني صرت رجلاً كبيراً فلما سمع نور الدين كلام وزير البصرة أطرق برأسه ثم قال سمعاً وطاعة ففرح الوزير بذلك وأمر غلمانه أن يصنعوا له طعاماً

وأن يزينوا قاعة الجلوس الكبيرة المعدة لحضور أكابر الأمراء ثم جمع أصحابه ودعا أكابر الدولـ ـة وتجـ ـار البصرة فحضروا بين يديه وقال لهم أنه كان لي أخ وزير بالديار المصرية ورزقه الله ولدين وأنا كما تعلمون رزقني الله بنتاً وكان أخي أوصاني أن أزوج بنتي لأحد أولاده فأجبته إلى ذلك فلما استحقت الـ ـزواج أرسـ ـل إلى أحد أولاده وهو هذا الشاب الحاضر فلما جاءني أحببت أن أكتب كتابه على بنتي ويدخل بها عندي فقالوا نعم ما فعلت ثم شربوا السكر ورشوا ماء الورد وانصرفوا وأما الوزير فإنه أمر غلمانه أن يأخذوا نور الدين ويدخلوا به الحمام وأعطاه الوزير بدلة من خاص ملبوسه وأرسل إليه الفوط والكاسات ومجامر البخور ومـ ـا يحتاج إليه فلما خرج من الحمام لبس البدلة فصار كالبدر ليلة تمامه ثم ركب بغلته ولم يزل سائراً حتى وصل إلى قصر الوزير فنزل عن البغلة ودخل على الوزير فقبل يده ورحب به الوزير وأدرك شـ ـهرزاد الصـ ـباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير قام له ورحب به وقال له قم أدخل هذه الليلة على زوجتك وفي غد أطلع بك إلى السلطان وأرجو لك من الله كل خير فقام نور الدين ودخل على زوجته بنت الوزير هذا مـ ـا كان من أمر نور الدين (وأما) ما كان من أمر أخيه فإنه غاب مع السلطان مدة في السفر ثم رجع فلـ ـم يجـ ـد أخاه فسأل عنه الخدم فقالوا له من يوم سافرت مع السلطان ركب بغلته بعدة الموكب وقال أنه متوجـ ـه إلـ ـى جهة القليوبية فأغيب يوماً أو يومين فإن صدري ضاق ولا يتبعني منكم أحد ومن يوم خروجه إلى هذا اليـ ـوم لم نسمع له خبراً فتشوش خاطر شمس الدين على فراق أخيه وأغتم غماً شديداً لفقده وقال في نفسه ما سـ ـبب ذلك إلا أني أغلظت عليه في الحديث ليلة سفري مع السلطان فلعله تغير خاطره وخـ ـرج مسـ ـافراً فلابـ ـد أن أرسل خلفه ثم طلع وأعلم السلطان بذلك فكتب بطاقات وأرسل بها إلى نوابه في جميع البلاد ونور الدين قطع بلاداً بعيدة في مدة غياب أخيه مع السلطان فذهبت الرسل بالمكاتيب ثم عادوا ولم يقفوا له على خبر ويـ ـئس شمس الدين من أخيه وقال لقد أغظت أخي بكلامي من جهة زواج الأولاد فليت ذلك لم يكن وما حصل ذلـ ـك إلا من قلة عقلي وعدم تدبيري ثم بعد مدة يسيرة خطب بنت رجل من تجار مصر وكتب كتابه عليها ودخـ ـل بها وقد أتفق أن ليلة دخول شمس الدين على زوجته كانت ليلة دخول نور الدين على زوجتـ ـه بنـ ـت وزيـ ـر البصرة وذلك بإرادة الله تعالى حتى ينفذ حكمه في خلقه وكان الأمر كما قالاه فأتفق أن الزوجتين حملتا منهما وقد وضعت زوجة شمس الدين وزير مصر بنتاً لا يرى في مصر أحسن منها ووضعت زوجة نـ ـور الـ ـدين ولدا ذكرا لايري في زمانه أحسن منه كما قال الشاعر:

ومهفهـ ـ ـف يغـ ـ ـي الـ ـ ـديم بريـ ـ ـه   عـ ـ.ـن كأسـ ـ.ـه المـ ـ.ـلأى وعـ ـ.ـن أبريقـ ـ.ـه

فعـ ـ.ـل المـ ـ ـدام ولونهـ ـ ـا ومـ ـ ـذاقها   مـ ـ ـ.ـن مقلتيـ ـ ـ.ـه ووجنتـ ـ ـ.ـه وريقـ ـ ـ.ـه

فسموه حسناً وفي سابع ولادته صنعوا الولائم وعملوا أسمطه تصلح لأولاد الملوك ثم أن وزير البصرة أخذ معه نور الدين وطلع به إلى السلطان فلما صار قدامه قبل الأرض بين يديه وكان نـ ـور الـ ـدين فصـ ـيح اللسان ثابت الجنان صاحب حسن وإحسان فأنشد قول الشاعر:

هـ ـ ذا الـ ـ ذي عـ ـ ـم الأنـ ـ ـام بعدلـ ـ ـه   وسـ ـ ـ.ـطا فمهـ ـ ـ.ـد سـ ـ ـ.ـائر الآفـ ـ ـ.ـاق

أشـ . كر صـ . نائعه فلسـ . ن صـ . نائعاً لكـ . . . نهن قلائـ . . . د الأعنـ . . . اق
وأنـ . .تم أناملـ . .ـه فلسـ . .ن أنـ . .املا لكـ . . . . . .نهن مفـ . . . . . .اتح الأرزاق

فألزمهما السلطان وشكر نور الدين على ما قال وقال لوزيره من هذا الشاب فحكى له الوزير قصـ ته من أولها إلى آخرها وقال له هذا ابن أخي فقال وكيف يكون ابن أخيك ولم نسمع به فقال يا مولانا السـ لطان أنه كان لي أخ وزير بالديار المصرية وقد مات وخلف ولدين فالكبير جلس في مرتبة والده وزيراً وهذا ولده الصغير جاء عندي وحلفت أني لا أزوج ابنتي إلا له فلما جاء زوجته بها وهو شاب وأنا صرت شيخاً وقـ ل سمعي وعجز تدبيري والقصد من مولانا السلطان أن يجعله في مرتبتي فإنه ابن أخي وزوج ابنتي وهو أهل للوزارة لأنه صاحب رأي وتدبير فنظر السلطان إليه فأعجبه واستحسن رأي الوزير بما أشار عليه من تقديمه في رقبة الوزراء فأنعم عليه بها وأمر له بخلعة عظيمة وزاد له الجوامك والجرايات إلى أن اتسع عليه الحال وسار له مراكب تسافر من تحت يده بالمتاجر وغيرها وعمر أملاكاً كثيرة ودواليب وبساتين إلى أ، بلغ عمر ولده حسن أربع سنين فتوفى الوزير الكبير والد زوجة نور الدين فأخرجه خرجة عظيمة وأوراه في التـ راب ثم اشتغل بعد ذلك بتربية ولده فلما بلغ أشده أحضر له فقيهاً يقرئه في بيته وأوصاه بتعليمه وحسـ ن تربيتـ ـه فأقرأه وعلمه فوائد في العلم بعد أن حفظ القرآن في عدة سنوات ومازال حسن يزداد جمالاً وحسناً وأعتـ دالاً كما قال الشاعر:

قمـ ـر تكامـ .ل فـ ـي المحاسـ .ن وانتهـ ـى فالشـ .مس تشـ .رق مـ .ن شـ .قائق خـ .ده
ملـ . .ك الجمـ . .ال بأسـ . .ره فكأنمـ . .ا حسـ . ن البريـ . ـة كلهـ . ا مـ . ن عنـ . ده

وقد رباه الفقيه في قصر أبيه ومن حين نشأته لم يخرج من قصر الوزارة إلى أن أخذه والده الـ وزير نور الدين يوماً من الأيام وألبسه بدلة من أفخر ملبوسه وأركبه بغلة من خيار بغاله وطلع به إلـ ى السـ لطان ودخل به عليه فنظر الملك حسن بدر الدين بن الوزير نور الدين فأنبهر من حسنه وقال لأبيه يا وزير لابـ د أنك تحضره معك في كل يوم فقال سمعاً وطاعة ثم عاد الوزير بولده إلى منزله ومازال يطلع به إلى تحضره السلطان في كل يوم إلى أن بلغ الولد من العمر خمسة عشر عاماً ثم ضعف والده الوزير نور الدين فأحضره وقال له يا ولدي اعلم أن الدنيا دار فناء والآخرة دار بقاء وأريد أن أوصيك وصايا فافهم ما أقول لك وأصـ غ قلبك غليه وصار يوصيه بحسن عشرة الناس وحسن التدبير ثم أن نور الدين تذكر أخاه وأوطانه وبلاده وبكى على فرقة الأحباب وسحت دموعه وقال يا ولدي اسمع قولي فإن لي أخاً يسمى شمس الدين وهو عمك ولكنه وزير بمصر قد فارقته وخرجت على غير رضاه والقصد أنك تأخذ درجاً من الورق وتكتب ما أمليه عليـ ك فأحضر قرطاساً وصار يكتب فيه كل ما قاله أبوه فأملى عليه جميع ما جرى له من أوله إلى آخره وكتب له تاريخ زواجه ودخوله على بنت الوزير وتاريخ وصوله إلى البصرة واجتماعه بوزيرها وكتب وصية موثقـ ـة ثم قال لولده أحفظ هذه الوصية فإن ورقتها فيها أصلك وحسبك ونسبك فإن أصابك شيء من الأمور فاقصـ ده مصر واستبدل على عمك وسلم عليه واعلمه أني مت غريباً مشتاقاً إليه فأخذ حسن بدر الدين الرقعة وطواها ولف عليها خرقة مشمعة وخاطها بين البطانة والظهارة وصار يبكي على أبيه من أجل فراقه وهـ ـو صـ غير ومازال نور الدين يوصي ولده حسن بدر الدين حتى طلعت روحه فأقام الحزن في بيته وحزن عليه السلطان

وجميع الأمراء ودفنوه ولم يزالوا في حزن مدة شهرين وولده لم يركب ولم يطلع الديوان ولم يقابل السلطان وأقام مكانه بعض الحجاب وولى السلطان وزيراً جديداً مكانه وأمره أن يختم على أماكن نور الدين وعلى عماراته وعلى أملاكه قام الوزير الجديد وأخذ الحجاب وتوجهوا إلى بيت الوزير نور يختمون عليه ويقبضون على ولده حسن بدر الدين ويطلعون به إلى السلطان ليعمل فيه ما يقتضي رأيه وكان بين العسكر مملوك من مماليك الوزير نور الدين المتوفي فلم يهن عليه ولد سيده فذهب ذلك المملوك إلى حسن بدر الدين فوجده منكس الرأس حزين القلب على فراق والده فاعلمه بما جرى فقال له هل في الأمر مهلة حتى أدخل فأخذ معي شيئاً من الدنيا لأستعين به على الغربة فقال له المملوك أنج بنفسك فلما سمع كلام المملوك غطى رأسه بذيله وخرج ماشياً إلى أن صار خارج المدينة فسمع الناس يقولون أن السلطان أرسل الوزير الجديد إلى بيت وزيره المتوفي ليختم على ماله وأماكنه ويقبض على ولده حسن بدر الدين ويطلع به إليه فيقتله وصارت الناس تتأسف على حسنه وجماله فلما سمع كلام الناس خرج إلى غير مقصد ولم يعلم أين يذهب فلم يزل سائر إلى أن ساقته المقادير إلى تربة والده فدخل المقبرة ومشي بين القبور إلى أن جلس عند قبر أبيه وأزال ذيله من فوق رأسه فبينما هو جالس عند تربة أبيه إذ قدم عليه يهودي من البصرة وقال يا سيدي مالي أراك متغيراً فقال له أني كنت نائماً في هذه الساعة فرأيت أبي يعاتبني على عدم زيارتي قبره فقمت وأنا مرعوب وخفت أن يفوت النهار ولم أزره فيصعب على الأمر فقال له اليهودي يا سيدي أن أباك كان أرسل مراكب بحارة وقدم منها البعض ومرادي أن اشتري منك وثق كل مركب قدمت بألف دينار ثم أخرج اليهودي كيساً ممتلئاً من الذهب وعد منه ألف دينار ودفعه إلى حسن ابن الوزير ثم قال اليهودي اكتب لي ورقة واختمها فأخذ حسن ابن الوزير ورقة وكتب فيها كاتب هذه الورقة حسن بدر الدين ابن الوزير نور الدين قد باع لليهودي فلان جميع وثق كل مركب وردت من مراكب أبيه المسافرين بألف دينار وقبض الثمن على سبيل التعجيل فأخذ اليهودي الورقة وصار حسن يبكي ويتذكر ما كان فيه من العز والإقبال ثم دخل عليه الليل وأدركه النوم فنام عند قبر أبيه ولم يزل نائماً حتى طلع القمر فتدحرجت رأسه عن القبر ونام على ظهره وصار وجهه يلمع في القمر وكانت المقابر عامرة بالجن بالمؤمنين فخرجت جنية فنظرت وجه حسن وهو نائم فلما رأته تنجبت من حسنه وجماله وقالت سبحان الله ما هذا الشاب إلا كأنه من الحور العين ثم طارت إلى الجو تطوف على عادتها فرأت عفريتاً طائراً فسلمت عليه وسلم عليها فقالت له من أين أقبلت قال من مصر فقالت له هل لك أن تروح معي حتى تنظر إلى حسن هذا الشاب النائم في المقبرة فقال لها نعم فسارا حتى نزلا في المقبرة فقالت له هل رأيت في عمرك مثل هذا فنظر العفريت إليه وقال سبحان من لا شبيه له ولكن يا أختي أن أردت حدثتك بما رأيت فقالت له حدثني فقال لها أني رأيت مثل هذا الشاب في أقليم مصر وهي بنت الوزير وقد علم بها الملك فخطبها من أبيها الوزير شمس الدين فقال له يا مولانا السلطان أقبل عذري وارحم عبرتي فإنك تعرف أن أخي نور الدين خرج من عندنا ولا نعلم أين هو وكان شريكي في الوزارة وسبب خروجه أني جلست أتحدث معه في شأن الزواج فغضب مني وخرج مغضباً وحكى للملك جميع ما جرى بينهما ثم قال للملك فكان ذلك سبباً لغيظه وأنا حالف أن لا أزوج بنتي إلا لابن أخي من يوم ولدتها أمها وذلك نحو ثمان عشرة سنة ومن مدة قريبة سمعت أن أخي تزوج بنت وزير البصرة وجاء منها

بولد وأنا لا أزوج بنتي إلا له كرامة لأخي ثم أني أرخت وقت زواجي وحمل زوجتي وولادة هذه البنت وهي باسم ابن عمها والبنات كثير فلما سمع السلطان كلام الوزير غضب غضباً شديداً وقال له كيف يخطب مثلي من مثلك بنتاً فتمنعها منه وتحتاج بحجة باردة وحياة رأسي لا أزوجها إلا لأقل مني برغم أنفك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجني لما حكى للجنية حكاية بنت وزير مصر وأن الملك قد أقسم أن يزوجها رغم أنف أبيها بأقل منه وكان عند الملك سائس أحدب بحدبة من قدام وحدبة من وراء فأمر السلطان بإحضاره وكتب كتابه على بنت الوزير بالقهر وأمر أن يدخل عليها في هذه الليلة ويعمل له زفافاً وقد تركته وهو بين مماليك السلطان وهم حوله في أيديهم الشموع موقدة يضحكون عليه ويسخرون منه على باب الحمام وأما بنت الوزير فإنها جالسة تبكي بين المنقشات والمواشط وهي أشبه الناس بهذا الشاب وقد حجروا على أبيها ومنعوه أن يحضرها وما رأيت يا أختي أقبح من هذا الأحدب وأما الصبية فهي أحسن من هذا الشاب قالت له الجنية تكذب فإن هذا الشاب أحسن أهل زمانه فرد عليها العفريت وقال والله يا أختي أن الصبية أحسن من هذا ولكن لا يصلح لها إلا هو فإنهما مثل بعضهما ولعلهما أخوان أو أولاداً عم فيا خسارتها مع هذا الأحدب فقالت له يا أخي دعنا ندخل تحته ونحمله ونروح به إلى الصبية التي تقول عليها وننظر أيهما أحسن فقال العفريت سمعاً وطاعة هذا كلام صواب وليس هناك أحسن من هذا الرأي الذي اخترتيه فأنا أحمله ثم أنه حمله وطار به إلى الجو وصارت العفريتة في كل ركابه تحاذيه إلى أن نزل به في مدينة مصر وحطه على مصطبة ونبهه فاستيقظ من النوم فلم يجد نفسه على قبر أبيه في أرض البصرة والتفت يميناً وشمالاً فلم يجد نفسه إلا في مدينة غير مدينة البصرة فأراد أن يصيح فغمزه العفريت وأوقد له شمعة وقال له اعلم أني قد جئت بك وأنا أريد أن أعمل معك شيئاً لله فخذ هذه الشمعة وامش بها إلى ذلك الحمام واختلط بالناس ولا تزل ماشياً معهم حتى تصل إلى قاعة العروسة فاسبق وادخل القاعة ولا تخشى أحداً وإذا دخلت فقف على يمين العريس الأحدب وكل ما جاءك المواشط والمغنيات والمنقشات فحط يدك في جيبك تجده ممتلئاً ذهباً فاكبس وارم لهم ولا تتوهم أنك تدخل يدك ولم تجده ممتلئاً بالذهب فأعط كل من جاءك بالحفنة ولا تخشى من شيء وتوكل على الذي خلقك فما هذا بحولك وقوتك بل بحول الله وقوته فلما سمع حسن بدر الدين من العفريت هذا الكلام قال يا هل ترى أي شيء هذه القضية وما وجه الإحسان ثم مشى وأوقد الشمعة وتوجه إلى الحمام فوجد الأحدب راكب الفرس فدخل حسن بدر الدين بين الناس وهو على تلك الحالة مع الصورة الحسنة وكان عليه الطربوش والعمامة والفرجية المنسوجة بالذهب ومازال ماشياً في الزينة وكلما وقفت المغنيات الناس ينقطوهن يضع يده في جيبه فيلقاه ممتلئاً بالذهب فيكمش ويرمي في الطار للمغنيات والمواشط فيملأ الطار دنانير فاندهشت عقول المغنيات وتعجب الناس من حسنه وجماله ولم يزل على هذا الحال حتى وصلوا إلى بيت الوزير فردت الحجاب الناس ومنعوهم فقالت المغنيات والمواشط والله لا ندخل إلا أن دخل هذا الشاب معنا لانه غمرنا بإحسانه ولا نجلى العروسة إلا وهو حاضر فعند ذلك دخلوا به إلى قاعة الفرح وأجلسوه برغم أنف العريس الأحدب وأصطفت جميع نساء الأمراء والوزراء والحجاب صفين

وكل امرأة معها شمعة كبيرة موقدة مضيئة وكلهن ملثمات وصرن صفوفاً يميناً وشمالاً من تحت المنصة إلى صدر الإيوان الذي عند المجلس الذي تخرج منه العروسة فلما نظر النساء حسن بدر الدين وما هو فيه مـ ن الحسن والجمال ووجهه يضيء كأنه هلال مالت جميع النساء إليه فقالت المغنيات للنساء الحاضرات اعلمـ وا أن هذا المليح ما ينقطنا إلا بالذهب الأحمر فلا تقصرن في خدمته وأطعنه فيما يقول فازدحمن النسـ ـاء عليـ ـه بالشمع ونظرن إلى جماله فانبهرت عقولهن من حسنه وصارت كل واحدة منهن تود أن تكون في حضنه سنه أو شهراً أو ساعة ورفعن ما كان على وجوههن من النقاب وتحيرت منهن الألباب وقلن هنيئاً لمن كان هـ ذا الشاب له أو عليه ثم دعون على ذلك السائس الأحدب ومن كان سبباً في زواجه هذه المليحة وكلمـ ـا دعـ ـون لحسن بدر الدين دعون على ذلك الأحدب ثم أن المغنيات ضربنا بالدفوف وأقبلت المواشط وبنـ ـت الـ ـوزير بينهن وقد طيبنها وعطرنها وألبسنها وحسن شعرها وبحرها بالحلى والحلل من لباس الملوك الأكاسرة ومـ ن جملة ما عليها ثوب منقوش بالذهب الأحمر وفيه صور الوحوش والطيور وهو مسئول عليهـ ـا مـ ن فـ ـوق حوائجها وفي عنقها عقد بالذهب الأحمر وفيه صور الوحوش والطيور وهو مسئول عليها من فوق حوائجها وفي عنقها عقد يساوي الألوف قد حوى كل فص من الجوهر ما حاز مثله تبع ولا قيصر وصارت العروسة كأنها البدر إذا أقمر في ليلة أربعة عشر ولما أقبلت كانت كأنها حورية فسبحان من خلقها بهية وأحـ ـدق بهـ ـا النساء فصرن كالنجوم وهي بينهن كالقمر إذا انجلى عنه الغيم وكان حسن بدر الدين البصري جالساً والناس ينظرون إليه فحضرت العروسة وأقبلت وتمايلت فقام إليها السائس الأحدب ليقبلها فأعرضت عنـ ـه وانقلبـ ـت حتى صارت قدام حسن ابن عمها فضحك الناس فلما رأوها مالت إلى نحو حسن بدر الدين وحط يده في جيبه وكبش الذهب ورمى في طار المغنيات ففرحوا وقالوا كنا نشتهي أن تكون هذه العروسة لك فتبسم هـ ـذا كلـ ـه والسائس الأحدب وحده كأنه قرد وكلما أوقدوا له الشمعة طفئت فبهت وصار قاعداً في الظلام يمقت في نفسه وهؤلاء الناس محدقون به وتلك الشموع الموقدة بهجتها من أعجب العجائب يتحير من شعاعها أولوا الألباب وأما العروسة فإنها رفعت كفيها إلى السماء وقالت اللهم اجعل هذا بعلي وأرحني من هذا السـ ـائس الأحـ ـدب وصارت المواشط تجلى العروسة إلى آخر السبع خلع على حسن بدر الدين البصري والسائس الأحدب وحده فلما فرغوا من ذلك أذنوا الناس بالإنصراف فخرج جميع من كان في الفرح من النساء والأولاد ولم يبـ ـق إلا حسن بدر الدين والسائس الأحدب ثم أن المواشط أدخلن العروسة ليكشفن ما عليها من الحلي والحلل ويهيئنـ ـا للعريس فعند ذلك تقدم السائس الأحدب إلي حسن بدر الدين وقال ياسيدي آنستنا في هـ ـذه الليلـ ـة وعمرتنـ ـا بإحسانك فلم لا تقوم تروح بيتك بلا مطرود فقال بسم الله ثم قام وخرج من الباب فلقيه العفريت فقال له قـ ـف يا بدر الدين فإذا خرج الأحدب إلى بيت الراحة فأدخل أنت وأجلس في المخدع فإذا أقبلت العروسة فقل لهـ ـا أنا زوجك والملك ما عمل تلك الحيلة إلا لأنه يخاف عليك من العين وهذا الذي رأيته سائس من سياسـ ـنا ثـ ـم أقبل عليها وأكشف وجهها ولا تخش بأسا من أحد فبينما بدر الدين يتحدث مع العفريت وإذا بالسـ ـائس دخـ ـل بيت الراحة وقعد على الكرسي فطلع له العفريت من الحوض الذي فيه الماء في صورة فأر وقال زيق فقـ ـال الأحدب ما جاء بك هنا فكبر الفأر وصار كالقط ثم كبر حتى صار كلباً وقال عوه عوه فلما نظر السائس ذلك فزع وقال أخسأ يا مشؤوم فكبر الكلب وانتفخ حتى صار جحشاً ونهق وصرخ في وجهه هاق هاق فـ ـانزعج

السائس وقال الحقوني يا أهل البيت وإذا بالجحش قد كبر وصار قدر الجاموسة وسد عليه المكان وتكلم بكلام ابن آدم وقال ويلك يا أحدب يا أنتن السياس فلحق السائس البطن وقعد على الملاقي بأثوابه واشتبكت أسنانه ببعضها فقال له العفريت هل ضاقت عليك الأرض فلا تتزوج إلا بمعشوقتي فسكت السائس فقال هل رد الجواب وألا إسكنك التراب فقال له والله مالي ذنب إلا أنهم غصبوني وما عرفت أن لها عشاقاً من الجواميس ولكن أنا تائب إلى الله ثم إليك فقال له العفريت أقسم بالله أن خرجت في هذا الوقت من هذا الموضع أو تكلمت قبل أن تطلع الشمس لاقتلنك فإذا طلعت الشمس فأخرج إلى حال سبيلك ولا تعد إلى هذا البيت أبداً ثم أن العفريت قبض على السائس الأحدب وقلب رأسه في الملاقي وجعلها إلى أسفل وجعل رجليه إلى فوق وقال له استمر هنا وأنا أحرسك إلى طلوع الشمس هذا ما كان من قصة الأحدب (وأما) ما كان من قصة حسن بدر الدين البصري فإنه خلى الأجدب والعفريت يتخاصمان ودخل البيت وجلس في داخل المخدع وإذا بالعروسة أقبلت ومعها عجوز فوقفت العجوز في باب المخدع وقالت يا أبا شهاب قم وخذ عروستك وقد استودعتك الله ثم ولت العجوز ودخلت العروسة في صدر المخدع وكان اسمها ست الحسن وقلبها مكسور وقالت في قلبها والله لا أمكنه من نفسي ولو طلعت روحي فلما دخلت إلى صدر المخدع نظرت بدر الدين فقالت يا حبيبي وإلى هذا الوقت أنت قاعد لقد قلت في نفسي لعلك أنت والسائس الأحدب مشتركان في فقال حسن بدر الدين وأي شيء أوصل السائس إليك ومن أين له أن يكون شريكي فيك فقالت ومن زوجي أنت أم هو قال حسن بدر الدين يا سيدتي نحن ما عملنا هذا إلا سخرية به لنضحك عليه فلما نظرت المواشط والمغنيات وأهلك حسنك البديع خافوا علينا من العين فاكتراه أبوك بعشرة دنانير حتى يصرف عنا العين وقد راح فلما سمعت ست الحسن من بدر الدين ذلك الكلام فرحت وتبسمت وضحكت ضحكاً لطيفاً وقالت والله لقد اطفأت ناري فبالله خذني عندك وضمني إلى حضنك وكانت بلا لباس فكشفت ثوبها إلى نحرها فبان ما قدامها وورائها فلما نظر بدر الدين صفاء جسمها تحركت فيه الشهوة فقام وحل لباسه ثم حل الكيس الذهب الذي كان أخذه من اليهودي ووضع فيه ألف دينار ولفه في سرواله وحطه تحت ذيله الطراحة وقلع عمامته ووضعها على الكرسي وبقي بالقميص الرفيع وكان القميص مطرز بالذهب فعند ذلك قامت إليه ست الحسن وجذبته إليها وجذبها بدر الدين وعانقها وأخذ رجليها في وسطه ثم ركب المدفع وحرره على القلعة وأطلقه فهدم البرج فوجدها درة ما ثقبت ومطية لغيره ما ركبت فأزال بكارتها وتملي بشبابها ولم يزل بركب المدفع ويرد إلى غاية خمس عشرة فعلقت منه فلما فرغ حسن بدر الدين وضع يده تحت رأسها وكذلك الأخرى وضعت يدها تحت رأسه ثم أنهما تعانقها وناما متعانقين وشرحا بعناقهما مضمون هذه الأبيات:

زر من تحب ودع كلام الحاسد ... ليس الحمود على الهوى بمساعد
لم يخلق الرحمن أحسن منظراً ... من عاشقين على فراش واحد
متعانقين عليهما حلل الرضا ... متوسدين بمعصم وبساعد
وإذا تألفت القلوب على الهوى ... فالناس تضرب في حديد بارد
وإذا صفا لك من زمانك واحد ... فهو المراد وعش بذلك الواحد

هذا ما كان من أمر حسن بدر الدين رست الحسن بنت عمه (وأما) ما كان من أمر العفريت فإنه قـ ـال للعفريتة قومي وادخلي تحت الشاب ودعينا نوديه مكانه لئلا يدركنا الصبح فإن الوقت قريب فعند ذلك تقدمت العفريتة ودخلت تحت ذيله وهو نائم وأخذته وطارت به وهو على حاله بالقميص وهو بلا لبـ ـاس ومازالـ ـت العفريتة طائرة به والعفريت يحاذيها فأذن الله الملائكة أن ترمي العفريت بشهاب من نار فـ ـاحترق وسـ ـلمت العفريتة فأنزلت بدر الدين في موضع ما أحرق الشهاب العفريت ولم تتجاوزه به خوفاً عليه وكـ ـان بـ ـالأمر المقدر ذلك الموضع في دمشق الشام فوضعته العفريتة على باب من أبوابها وطارت فلما طلع النهار وفتحت أبواب المدينة خرج الناس فنظروا شابا مليحاً بالقميص والطاقية بلا عمامة ولا لباس وهو مما قاسـ ـى مـ ـن السهر غرقان في النوم فلما رآه الناس قالوا يا بخت من كان هذا عنده في هذه الليلة ويااليته صبر حتى لـ ـبس حوائجه وقال الآخر مساكين أولاد الناس لعل هذا يكون في هذه الساعة خرج من المسكرة لـ ـبعض شـ ـغله فقوي عليه السكر فتاه عن المكان الذي كان قصد حتى وصل إلى باب المدينة فوجده مغلقاً فنام ههنـ ـا وقـ ـد خاض الناس فيه بالكلام وإذا بالهوى هب على بدر الدين فرفع ذيله من فوق بطنه فبان من تحته بطن وسره محققة وسيقان وأفخاد مثل البلور فصار الناس يتعجبون فانتبه حسن بدر الدين فوجد روحه على باب مدينـ ـة وعليها ناس فتعجب وقال أين أنا يا جماعة الخير وما سبب اجتماعكم على وما حكايتي معكم فقـ ـالوا نحـ ـن رأيناك عند أذان الصبح ملقى على هذا الباب نائماً ولا نعلم من أمرك غير هذا فأين كنت نائماً هذه الليلة فقال حسن بدر الدين والله يا جماعة أني كنت نائماً هذه الليلة في مصر فقال واحد هل أنت تأكل حشيشـ ـاً وقـ ـال بعضهم أأنت مجنون كيف تكون بايتاً في مصر وتصبح نائماً في مدينة دمشق فقال لهم والله يا جماعة الخيـ ـر لم أكذب عليكم أبداً وأنا كنت البارحة بالليل في ديار مصر وقبل البارحة كنت بالبصرة فقال واحد هذا شـ ـيء عجيب وقال الآخر هذا شاب مجنون وصفقوا عليه بالكفوف وتحدث الناس مع بعضهم وقالوا يا خسارة شبابه والله ما في جنونه خلاف ثم أنهم قالوا له أرجع لعقلك فقال حسن بدر الدين كنت البارحة عريساً فـ ـي ديـ ـار مصر فقالوا لعلك حلمت ورأيت هذا الذي تقول في المنام فتحير حسن في نفسه وقال لهم والله ما هـ ـذا منـ ـام وأين السايس الأحدب الذي كان قاعداً عندنا والكيس الذهب الذي كان معي وأين ثيابي ولباسي ثم قام ودخـ ـل المدينة ومشى في شوارعها وأسواقها فازدحمت عليه الناس وزفوه فدخل دكان طباخ وكان ذلك الطباخ رجلاً مسرفاً فتاب الله عليه من الحرام وفتح له دكان طباخ وكان أهل دمشق كلهم يخافون منه بسبب شدة بأسه فلما نظر الناس إلى الشاب وقد دخل دكان الطباخ افترقوا وخافوا منه فلما نظر الطباخ إلى حسن بدر الدين وشاهد حسنه وجماله وقعت في قلبه محبته فقال من أين أنت يا فتى فاحكي لي حكايتك فإنك صرت عندي أعزم من روحي فحكى له ما جرى من المبتدأ إلى المنتهى فقال له الطباخ يا سيدي بدر الدين اعلم أن هذا أمر عجيب وحديث غريب ولكن يا ولدي أكتم ما معك حتى يفرج الله ما بك واقعد عندي في هذا المكان وأنا مالي ولـ ـد فاتخذك ولدي فقال له بدر الدين الأمر كما تريد يا عم فعند ذلك نزل الطباخ إلى السوق واشتري لبدر الـ ـدين أقمشة مفتخرة وألبسه أياها وتوجه به إلى القاضي وأشهد على نفسه أنه ولده وقد اشتهر حسن بدر الدين فـ ـي مدينة دمشق أنه ولد الطباخ وقعد عنده في الدكان يقبض الدراهم وقد استقر أمره عند الطباخ على هذه الحالة هذا ما كان من أمر حسن بدر الدين (وأما) ما كان من أمر ست الحسن بنت عمه فأنهـ ـا لمـ ـا طلـ ـع الفجـ ـر

وأنتبهت من النوم لم تجد حسناً بدر الدين قاعداً عندها فاعتقدت أنه دخل المرحاض فجلست تنتظره ساعة وإذا بأبيها قد دخل عليها وهو مهموم مما جرى له من السلطان وكيف غصبه وزوج ابنته غصباً لأحد غلمانه الذي هو السايس الأحدب وقال في نفسه أقتل هذه البنت أن كانت مكنت هذا الخبيث من نفسها فمشى إلى أن وصل إلى المخدع ووقف على بابه وقال يا ست الحسن فقالت له نعم يا سيدي ثم أنها خرجت وهي تتمايل من الفرح وقبلت الأرض بين يديه وازداد وجهها نوراً وجمالاً لعناقها لذلك الغزال فلما نظرها أبوها وهي بتلك الحالة قال لها يا خبيثة هل أنت فرحانة بهذا السايس فلما سمعت ست الحسن كلام والدها تبسمت وقالت بالله يكفي ما جرى منك والناس يضحكون عليّ ويعايروني بهذا السايس الذي ما يجيء في أصبعي قلامة ظفر إن زوجي والله ما بت طول عمري ليلة أحسن من ليلة البارحة التي بتها معه فلا تهزأ بي وتذكر لي ذلك الأحدب فلما سمع والدها كلامها امتزج بالغضب وازرقت عيناه وقال لها ويلك أي شيء هذا الكلام الذي تقولينه أن السايس الأحدب قد بات عندك فقالت بالله عليك لا تذكره لي قبحه الله وقبح أباه فلا تكثر المزاح بذكره فما كان السايس إلا مكترى بعشرة دنانير وأخذ أجرته وراح وجئت أنا ودخلت المخدع فنظرت زوجي قاعداً بعدما دخلتني عليه المغنيات ونقط بالذهب الأحمر حتى أغني الفقراء الحاضرين وقد بت في حضن زوجي الخفيف الروح صاحب العيون السود والحواجب المقرونة فلما سمع والدها هذا الكلام صار الضياء في وجهه ظلاماً وقال لها يا فاجرة ما هذا الذي تقولينه أين عقلك فقالت له يا أبت لقد فتت كبدي لأي شيء تتغافل فهذا زوجي الذي أخذ وجهي قد دخل بيت الراحة وأني قد علقت منه فقام والدها وهو متعجب ودخل بيت الخلاء فوجد السائس الأحدب ورأسه مغروزة في الملاقي ورجلاه مرتفعة إلى فوق فبهت فيه الوزير وقال أما هذا هو الأحدب فخاطبه فلم يرد عليه وظن الأحدب أنه العفريت وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن السائس الأحدب لما كلمه الوزير لم يرد عليه فصرخ عليه الوزير وقال له تكلم وألا أقطع رأسك بهذا السيف فعند ذلك قال الأحدب والله يا شيئاً العفاريت من حين جعلتني في هذا الموضع ما رفعت رأسي فبالله عليك أن ترفق بي فلما سمع الوزير كلام الأحدب قال له ما تقول فإني أبو العروسة وما أنا عفريت فقال ليس عمري في يدك ولا تقدر أن تأخذ روحي فرح إلى حال سبيلك قبل أن يأتيك الذي فعل بي هذه الفعال فأنتم لا تزوجوني إلا بمعشوقة الجواميس ومعشوقة العفاريت فلعن الله من زوجني بها ولعن من كان السبب في ذلك فقال له الوزير قم وأخرج من هذا المكان فقال له هل أنا مجنون حتى أروح معك بغير أذن العفريت فإنه قال لي إذا طلعت الشمس فأخرج وروح إلى حال سبيلك فهل طلعت الشمس أولاً فإني لا أقدر أن أطلع من موضعي إلا أن طلعت الشمس فعند ذلك قال له الوزير من أتى بك إلى هذا المكان فقال أني جئت البارحة إلى هنا لأقضي حاجتي وأزيل ضرورتي وغذا بفار طلع من وسط الماء وصاح وصار يكبر حتى بقي قدر الجاموسة وقال لي كلاماً دخل في أذني فخلني ورح لعن العروسة ومن زوجني بها فتقدم إليه الوزير وأخرجه من المرحاض فخرج وهو يجري وما صدق أن الشمس طلعت وطلع إلى السلطان وأخبره بما أتفق له مع العفريت وأما الوزير أبو العروسة فإنه دخل البيت وهو حائر العقل في

أمر بنته فقال يا بنتي أكشفي لي عن خبرك فقالت أن الظريف الذي كنت أتجلى عليه بات عنـدي البارحـة وأزال بكارتي وعلقت منه وأن كنت لم تصدقني فهذه عمامته بلفتها على الكرسي ولباسه تحت الفراش وفيه شيء ملفوف لم أعرف ما هو فلما سمع والدها ها هذا الكلام دخل المخدع فوجد عمامة حسن بدر الدين ابن أخيه ففي الحال أخذها في يده وقلبها وقال هذه عمامة وزراء إلا أنها موصلية ثم نظر إلى الحرز مخيط في طربوشه فأخذه وفتقه وأخذ اللباس فوجد الكيس الذي فيه ألف دينار ففتحه فوجد فيه ورقة فقرأها فوجد مبايعة اليهودي واسم حسن بدر الدين بن نور الدين النصري ووجد الألف دينار فلما قرأ شمس الدين الورقة صرخ صرخة وخر مغشياً عليه فلما أفاق وعلم مضمون القصة تعجب وقال لا إله إلا الله القادر على كل شيء وقال يا بنت هل تعرفين من الذي أخذ وجهك قالت لا قال أنه ابن أخي وهو ابن عمك وهذه الألف دينار مهرك فسبحان الله فليت شعري كيف اتفقت هذه القضية ثم فتح الحرز المخيط فوجد فيه ورقة مكتوباً عليها بخط أخيه نور الدين المصري أبي حسن بدر الدين فلما نظر خط أخيه انشد هذين البيتين:

أرى أثـ . . ـارهم فـ . . ـأذوب شـ . . ـوقاً واسـ . ـكب فـ . ـي مـ . ـواطنهم دمـ . ـوعي

وأسـ . ـأل مـ . ـن بفـ . ـرقتهم رمـ . ـاني يمـ . . ـن علـ . ـي يومـ . . ـاً بـ . . ـالرجوع

فلما فرغ من الشعر قرأ الحرز فوجد فيه تاريخ زواجه بنت وزير البصرة وتاريخ دخوله بها وتـاريخ عمره إلى حين وفاته وتاريخ ولادة ولده حسن بدر الدين فتعجب واهتز من الطرب وقابل ما جـرى لأخيه على ما جرى له فوجده سواء بسواء وزواجه وزواج الآخر موافقين تاريخاً ودخولهما بزوجتيهمـا متوافقـاً وولادة حسن بدر الدين ابن أخيه وولادة بنته ست الحسن متوافقين فأخذ الورقتين وطلع بهما إلـى السـلطان واعلمه بما جرى من أول الأمر إلى آخره فتعجب الملك وأمر أن يؤرخ هذا الأمر في الحال ثم أقام الـوزير ينتظر ابن أخيه فما وقع له على خبر فقال والله لأعملن عملاً ما سبقني إليه أحد وأدرك شـهرزاد الصـباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير أخذ دواة وقلما وكتب أمتعة البنت وأن الخشخانة في موضـع كذا والستارة الفلانية في موضع كذا وكتب جميع ما في البيت ثم طوى الكتاب وأمر بخزن جميـع الأمتعـة وأخذ العمامة والطربوش وأخذ معه الفرجية والكيس وحفظهما عنده وأما بنت الوزير فإنها لما كملت أشهرها ولدت ولداً مثل القمر يشبه والده من الحسن والكمال والبهاء والجمال فقطعوا سرته وكحلوا مقلته وسلموه إلى المرضعات وسموه عجيباً فصار يومه بشهر وشهره بسنة فلما مر عليه سبع سنين أعطاه جده لفقيه ووصـاه أن يربيه ويحسن تربيته فأقام في المكتب أربع سنوات فصار يقاتل أهل المكتب ويسبهم ويقول لهم من فـيكم مثلي أنا ابن وزير مصر فقامت الأولاد واجتمعوا يشكون إلى العريف مما قاسوه من عجيب فقال لهم العريف أنا أعلمكم شيئاً تقولون له لما يجيء فيتوب عن المجيء للمكتب وذلك أنه إذا جاء غدا فأقعدوا حوله وقولـوا لبعضكم والله ما يلعب معنا هذه اللعبة إلا من يقول لنا على اسم أمه واسم أبيه ومن لم يعرف اسم أمه واسـم أبيه فهو بن حرام فلا يلعب معنا فلما أصبح الصباح أتوا إلى المكتب وحضر عجيب فاحتاطـت بـه الأولاد وقالوا نحن نلعب لعبة ولكن ما يلعب معنا إلا من يقول لنا على اسم أمه واسم أبيه واتفقوا على ذلـك فقـال

واحد منهم اسمي ما جدى وأمي علوي وأبي عز الدين وقال الآخر مثل قوله والآخر كذلك إلى أن جاء الدور إلى عجيب فقال أنا اسمي عجيب وأمي ست الحسن وأبي شمس الدين الوزير بمصر فقالوا له والله أن الوزير ما هو أبوك فقال عجيب الوزير أبي حقيقة فعند ذلك ضحكت عليه الأولاد وصفقوا عليه وقالوا أنت ما تعرف لك أبا فقم من عندنا فلا يلعب معنا إلا من يعرف اسم أبيه وفي الحال تفرق الأولاد من حوله وتضاحكوا عليه فضاق صدره وانخنق بالبكاء فقال له العريف هل تعتقد أن أباك جدك الوزير أبو أمك ست الحسن أن أباك ما تعرفه أنت ولا نحن لأن السلطان زوجها للسائس الأحدب وجاءت الجن فناموا عندها فإن لم تعرف لـ ك أبـ ا يجعلوك بينهم ولداً زنا ألا ترى أن ابن البائع يعرف أباه فوزير مصر أنما هو جدك وأما أبوك فلا نعرفه نحن ولا أنت فارجع لعقلك فلما سمع ذلك الكلام قام من ساعته ودخل على والدته ست الحسن وصار يشـ كو لهـ ا وهو يبكي ومنعه البكاء من الكلام فلما سمعت أمه كلامه وبكاءه التهب قلبها عليه وقالت له يا ولدي ما الذي أبكاك فاحك لي قصتك فحكى لها ما سمعه من الأولاد ومن العريف وقال يا والدتي من هو أبي قالت له أبوك وزير مصر فقال لها ليس هو أبي فلا تكذبي علي فإن الوزير أبوك أنت لا أبي أنا فمن هو أبـ ي فـ إن لـ م تخبريني بالصحيح قتلت روحي بهذا الخنجر فلما سمعت والدته ذكر أبيه بكت لذكر ولـ د عمهـ ا وتـ ذكرت محاسن حسن بدر الدين البصري وما جرى لها معه وصرخت وكذلك ولدها وإذا بالوزير دخل فلما نظر إلى بكائهما احترق قلبه وقال ما يبكيكما فأخبرته بما أتفق لولدها مع صغار المكتب فبكي الآخر ثم تذكر أخاه وما أتفق له معه وما اتفق لأبنته ولم يعلم بما اتفق لولدها مع صغار المكتب فبكي الآخر ثم تذكر أخاه وما اتفق له معه وما اتفق لأبنته ولم يعلم بما في باطن الأمر ثم قام الوزير في الحال ومشي حتى طلع إلى الديوان ودخل على الملك وأخبره بالقصة وطلب منه الإذن بالسفر إلى الشرق ليقصد مدينة البصرة ويسأل عن ابـ ن أخيـ ه وطلب من السلطان أن يكتب له مراسيم لسائر البلاد إذا وجد ابن أخيه في أي موضع يأخذه ثم بكى بين يدي السلطان فرق له قلبه وكتب مراسيل لسائر الأقاليم والبلاد ففرح بذلك ودعا للسلطان وودعه ونزل في الحـ ـال وتجهز للسفر وأخذ ما يحتاج إليه وأخذ ابنته وولدها عجيباً وسافر أول يوم وثاني يوم وثالث يوم حتى وصل إلى مدينة دمشق فوجدها ذات أشجار وأنهار كما قال الشاعر:

مـ ـن بعـ ـد يـ ـوم فـ ـي دمشـ ـق وليلـة ـي حلـ . فـ الزمـ . ـان بمثلهـ . ـا لا يغلـ . ـط
بتـ . ـا وجـ . ـنح الليـ . ـل فـ . ـي غفلاتـ . ـه ومـ .ـن الصـ .ـباح عليـ .ـه فـ .ـرع أشـ .ـمط
والظـ .ـل فـ .ـي تلـ .ـك الغصـ .ـون كأنـ .ـه در يصـ . . ـافحه النسـ . . ـيم فيسـ . . قط
والطيـ . ـر يقـ . ـرأ والغـ . ـدير صـ . ـحفية والـ . ـريح تكتـ . ـب والغمـ . ـام يـ . ـنقط

فنزل الوزير من ميدان الحصباء ونصب خيامه وقال لغلمانه نأخذ الراحة هنا يومين فـ دخل الغلمـ ـان المدينة لقضاء حوائجهم هذا يبيع وهذا يشتري وهذا يدخل الحمام وهذا يدخل جامع بني أمية الذي ما في الدنيا مثله ودخل المدينة عجيب هو وخادمه يتفرجان والخادم يمشي خلف عجيب وفي يده سوط لو ضرب به جملاً لسقط ولم يثر فلما نظر أهل دمشق إلى عجيب وقده واعتداله وبهائه وكماله بديع الجمال رخيم الدلال ألطـ ـف من نسيم الشمال وأحلى للظمآن من الماء الزلال وألد من القافية لصاحب الاعتلال فلما رآه أهل دمشق تبعوه وصارت الخلق تجري وراء وتتبعه وتقعد في الطريق حتى يجيء عليهم وينظرونه إلـ ـى أن وقـ ـف عجيـ ـب

بالأمر المقدر على دكان أبيه حسن بدر لدين الذي وقف معه الخدام فنظر حسن بدر الدين إلى ولده فأعجبه حين وجده في غاية الحسن فحن إليه فؤاده وتعلق به قلبه وكان قد طبخ حب رمان محلى بلوز وسكر فأكلوا سواء فقال لهم حسن بدر الدين انستمونا كلوا هنيئاً مريئاً ثم أن عجيب قال لوالده أقعد كل معنا لعل الله يجمعنا بمن نريد فقال حسن بدر الدين يا ولدي هل بليت على صغر سنك بفرقة الأحباب فقال عجبت نعم يا عم حرق قلبي بفراق الأحباب والحبيب الذي فارقني هو والدي وقد خرجت أنا وجدي نطوف عليه البلاد فوا حسرتاه على جمع شملي به وبكى بكاء شديداً وبكى والده لبكائه وتذكر فرقة الأحباب وبعده عن والده ووالدته فحن له الخادم وأكلوا جميعاً إلى أن اكتفوا ثم بعد ذلك قاما وخرجا من دكان حسن بدر الدين فأحس أن روحه فارقت جسده وراحت معهم فما قدر أن يصبر عنهم لحظة واحدة فقفل الدكان وتبعهم وهو لا يعلم إنه ولده وأسرع في مشيه حتى لحقهم قبل أن يخرجها من الباب الكبير فألتفت الطواشي وقال له مالك يا طباخ فقال حسن بدر الدين لما نزلتم من عندي كأن روحي خرجت من جسمي ولي حاجة في المدينة خارج الباب فأردت أن أرافقكم حتى أقضي حاجتي وأرجع فغضب الطواشي وقال لعجيب أن هذه أكله مشؤومة وصارت علينا مكرمة وها هو تابعنا من موضع إلى موضع فالتفت عجيب فرأى الطباخ فاغتاظ وأحمر وجهه وقال للخادم دعه بمشي في طريق المسلمين فإذا خرجنا إلى خيامنا وخرج معنا وعرفنا أنه يتعبنا نطرده فأطرق رأسه ومشى والخادم وراءه فتبعهم حسن بدر الدين إلى ميدان الحصباء وقد قربوا من الخيام فالتفتوا ورأوه خلفهم فغضب عجيب وخاف من الطواشي أن يخبر جدد فامتزج بالغضب مخافة أن يقولوا أنه دخل دكان الطباخ وأن الطباخ منعه فالتفت حتى صارت عيناه في عين أبيه وقد بقي جسداً بلا روح ورأي عجيب عينه كأنها عين خائن وربما كان ولد زنا فازداد غضباً فأخذ حجراً وضرب به والده فوقع الحجر في جبينه فبطحه فوقع حسن بدر الدين مغشياً عليه وسال الدم على وجهه وسال عجيب هو والخادم إلى الخيام وأما حسن بدر الدين فأنه لما أفاق مسح دمه وقطع قطعة من عمامته وعصب بها رأسه ولام نفسه وقال أنا ظلمت الصبي حيث غلقت دكاني وتبعته حتى ظن أني خائن ثم رجع إلى الدكان واشتغل ببيع طعامه وصار مشتاقاً إلى والدته التي في البصرة ويبكي عليها وأنشد هذين البيتين:

لا تسـ . ـأل الـ . ـدهر إنصـ . ـافاً لتظلمـ . ـه فلسـ ـت فيـ ـه تـ ـرى يـ ـا صـ ـاح إنصـ ـافاً

خـ . ـذ مـ . ـا تيسـ . ـر وأزوالهـ . ـم ناحيـ . ـة لا يـ . ـد مـ . ـن كـ . ـدر فيـ . ـه وأن صـ . ـافي

ثم أن حسن بدر الدين استمر مشتغلا ببيع طعامه وأما الوزير عمه فأنه أقام في دمشق ثلاثة أيام ثم رحل متوجهاً إلى حمص فدخلها ثم رحل عنها وصار يفتش في طريقه أينما حل وجهه في سيره إلى أن وصل إلى ماردين والموصل وديار بكر ولم يزل سائر إلى مدينة البصرة فدخلها فلما استقر به المنزل دخل إلى سلطانها واجتمع به فاحترمه وأكرم منزله وسأله عن سبب مجيئه فأخبره بقصته وأن أخذ الوزير على نور الدين فترحم عليه السلطان وقال أيها الصاحب أنه كان وزيري وكنت أحبه كثيراً وقد مات من مدة خمسة عشر عاماً وخلف ولداً وقد فقدناه ولم نطلع له على خبر غير أن أمه عندنا لأنها بنت وزيري الكبير فلما سمع الوزير شمس الدين من الملك أن أم ابن أخيه طيبة فرح وقال يا ملك أني أريد أن اجتمع بها فأذن له في الحال ثم أنه صار يمشي إلى أن وصل إلى قاعة زوجة أخيه أم حسن بدر الدين البصري وكانت في

مدة غيبة ولدها قد لزمت البكاء والنحيب بالليل والنهار فلما طالت عليها المدة عملت لولدها قبراً من الرخـ ـام في وسط القاعة وصارت تبكي عليه ليلاً ونهاراً ولا تنام إلا عند ذلك القبر فلما وصل إلى مسكنها سمع حسها فوقف خلف الباب فسمعها تنشد في القبر هذين البيتين:

بـ ـا لله يـ ـا قبـ ـر هـ ـل زالـ ـت محاسـ ـنه وهـ ـل تغيـ ـر ذاك المنظـ ـر النضـ ـر

يـ ـا قبـ ـر لا أنـ ـت بسـ ـتان ولا فلـ ـك فكيـ ـف يجمـ ـع فيـ ـك الغصـ ـن والقمـ ـر

فبينما هي كذلك وإذا بالوزير شمس الدين قد دخل عليها وسلم عليها واعلمها أنه أخو زوجها ثم أخبرها بما جرى وكشف لها عن القصة وأن ابنها حسن بدر الدين بات عند ابنته ليلة كاملة ثم فقد عند الصباح وقال لها أن ابنتي حملت من ولدك وولدت ولداً وهو معي وأنه ولدك وولد ولدك من أبني فلما سمعت خبر ولـ ـدها وأنه حي ورأت أخا زوجها قامت إليه ووقعت على قدميه وقبلتهما وأنشدته هذين البيتين:

لله در مبشـ . . . . ـري بقـ . . . . ـدومهم فلقـ . ـد أتـ . ـى بأطايـ . ـب المسـ . ـموع

لـ . ـو كـ . ـان يقنـ . ـع بـ . ـالخليع وهبتـ . ـه قلبـ . ـاً تقطـ . ـع سـ . ـاعة التوديـ . ـع

ثم أن الوزير أرسل إلى عجيب ليحضره فلما حضر قامت له جدته وأعتنقته وبكت فقال لهـ ـا شـ ـمس الدين ما هذا وقت بكاء بل هذا وقت تجهيزك للسفر معنا إلى ديار مصر عسى الله أن يجمع شـ ـملنا وشـ ـملك بولدك أبن أخي فقالت سمعاً وطاعة ثم قامت من وقتها وجمعت جميع أمتعتها وذخائرها وجواريها وتجهـ ـزت في الحال ثم طلع الوزير شمس الدين إلى سلطان البصرة وودعه فبعث معه هدايا وتحفاً إلى سلطان مصـ ـر وسافر من وقته هو وزوجة أخيه ولم يزل سائراً حتى وصل إلى مدينة دمشق فنزل على القـ ـانون وضـ ـرب الخيام وقال لمن معه أننا نقيم بدمشق جمعة إلى أن نشتري للسلطان هدايا وتحفاً ثم قال عجيب للطواشي يـ ـا غلام أني اشتقت إلى الفرجة فقم بنا ننزل إلى سوق دمشق ونعتبر أحوالها وننظر ما جرى لذلك الطباخ الذي كنا أكلنا طعامه وشججنا رأسه مع أنه قد كان أحسن إلينا ونحن أسأناه فقال الطواشي سمعاً وطاعـ ـة ثـ ـم أن عجيباً خرج من الخيام هو والطواشي وحركته القرابة إلى التوجه لوالده ودخل مدينة دمشق ومازالا سـ ـائرين إلى أن وصلا إلى دكان الطباخ فوجداه واقفاً في الدكان وكان ذلك قبل العصر وقد وافق الأمر أنه طبخ حب رمان فلما قربا منه ونظره عجيب حن إليه قلبه ونظر إلى أثر الضربة بالحجر في جبينه فقال السلام عليك يا هذا اعلم أن خاطري عندك فلما نظر إليه حسن بدر الدين تعلقت أحشاؤه به وخفق فؤاده إليه وأطرق برأسـ ـه إلى الأرض وأراد أن يدير لسانه في فمه فما قدر على ذلك ثم رفع رأسه إلى ولده خاضعاً متذللاً وأنشد هذه الأبيات:

تمنيـ . ـت مـ . ـن أهـ . ـوى فلمـ . ـا رأيتـ . ـه ذهلـ . ـت فلـ . ـم أملـ . ـك لسـ . ـاناً ولا طرفـ . ـاً

وأطرقـ . ـت اجـ . ـلالاً لـ . ـه ومهابـ . ـة وحاولت إخفـ ـاء الـ ـذي بـ ـي فلـ ـم يخـ ـف

وكنـ . ـت معـ . ـداً للعتـ . ـاب صـ . ـحائفا فلمـ ـا اجتمعنـ ـا مـ ـا وجـ ـدت ولا حرفـ ـا

ثم قال لهما أجبرا قلبي وكلا من طعامي فو الله ما نظرت إليك أيها الغلام إلا حن قلبي إليك وما كنـ ـت تبعتك إلا وأنا بغير عقل فقال عجيب والله أنك محب لنا ونحن أكلنا عندك لقمة فلازمتنـ ـا عقبهـ ـا وأردت أن

تهتكنا ونحن لا نأكل لك أكلاً إلا بشرط أن نحلف أنك لا تخرج وراءنا ولا تتبعنا وألا نعود إليك من وقتنا هذا فنحن مقيمون في هذه المدينة جمعة حتى يأخذ جدي هدايا للملك فقال بدر الدين لكم على ذلك فدخل عجيب هو والخادم في الدكان فقدم لهما زبدية ممتلئة حب رمان فقال عجيب كل معنا لعل الله يفرج عنا ففرّح حسن بدر الدين وأكل معهم حتى امتلأت بطونهما وشبعا شبعاً على خلاف عادتهما ثم أنصرفا وأسرعا في مشيهما حتى وصلا إلى خيامهما ودخل عجيب على جدته أم والده حسن بدر الدين فقبلته وتذكرت حسن بدر الدين فتنهدت وبكت ثم أنها أنشدت هذين البيتين:

لو لم أرى بأن الشمل يجتمع ما كان لي في حياتي بعدكم طمع
أقسمت ما في فؤادي غير حبكم والله ربي على الأسرار مطلع

ثم قالت لعجيب يا ولدي أين كنت قال في مدينة دمشق فعند ذلك قامت وقدمت له زبدية طعام من حب الرمان وكان قليل الحلاوة وقالت للخادم أقعد مع سيدك فقال الخادم في نفسه والله ما لنا شهية في الأكل ثم جلس الخادم وأما عجيب فإنه لما جلس كان بطنه ممتلئاً بما أكل وشرب فأخذ لقمة وغمسها في حب الرمان وأكلها فوجده قليل الحلاوة لأنه شبعاناً فتضجر وقال أي شيء هذا الطعام الوحش فقالت جدته يا ولدي أتعيب طبيخي وأنا طبخته ولا أحد يحسن الطبيخ مثلي إلا والدك حسن بدر الدين فقال عجيب والله يا سيدتي أن طبيخك هذا غير منقل نحن في هذه الساعة رأينا في المدينة طباخاً طبخ حب رمان ولكن رائحته ينفتح لها القلب وأما طعامه فأنه يشتهي نفس المتخوم أن تأكل وأما طعامك بالنسبة إليه فأنه لا يساوي كثيراً ولا قليلاً فلما سمعت جدته كلامه اغتاظت غيظ شديداً ونظرت إلى الخادم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن جدة عجيب لما سمعت كلامه اغتاظت ونظرت إلى الخادم وقالت له ويلك هل أنت أفسدت ولدي لأنك دخلت به إلى دكاكين الطباخين فخاف الطواشي وأنكر وقال ما دخلنا الدكان ولكن جزنا جوازاً فقال عجيب والله لقد دخلنا وأكلنا وهو أحسن من طعامك فقامت جدته وأخبرت أخا زوجها وأغرته على الخادم فحضر الخادم قدام الوزير فقال له لم دخلت بولدي دكان الطباخ فخاف الخادم وقال ما دخلنا فقال عجيب بل دخلنا وأكلنا من حب الزمان حتى شبعنا وسقانا الطباخ شراباً بثلج وسكر فازداد غضب الوزير على الخادم وسأله فأنكر فقال له الوزير أن كان كلامك صحيحاً فاقعد وكل قدامنا فعند ذلك تقدم الخادم وأراد أن يأكل فلم يقدر ورمي اللقمة وقال يا سيدي أني شبعان من البارحة فعرف الوزير أنه أكل عند الطباخ فأمر الجواري أن يطرحنه فطرحنه ونزل عليه بالضرب الوجيع فاستغاث وقال يا سيدي أني شبعان من البارحة ثم منع عنه الضرب وقال له انطلق بالحق فقال اعلم أننا دخلنا دكان الطباخ وهو يطبخ حب الرمان فغرف لنا منه والله ما أكلت عمري مثله ولا رأيت أقبح من هذا الذي قدامنا فغضبت أم حسن بدر الدين وقالت لابد أن تذهب إلى هذا الطباخ وتجيء لنا بزبدية حب رمان من الذي عنده وتريه لسيدك حتى يقول أيهما أحسن وأطيب فقال الخادم نعم ففي الحال أعطته زبدية ونصف دينار فمضى الخادم حتى وصل إلى الدكان وقال للطباخ نحن تراهنا على طعامك في بيت سيدنا لأن هناك حب رمان طبخه أهل البيت فهات

لنا بهذا النصف دينار وأدر بالك في طهيه وأتقنه فقد أكلنا الضرب الموجع على طبيخك فضحك حسن بدر الدين وقال والله أن هذا الطعام لا يحسنه أحد إلا أنا ووالدتي وهي الآن في بلاد بعيدة ثم أنه عرف الزبدية وأخذها وختمها بالمسك وماء الورد فأخذها الخادم وأسرع بها حتى وصل إليهم فأخذتها والدة حسن وذاقتها ونظرت حسن طعمها فعرفت طباخها فصرخت ثم وقعت مغشياً عليها فبهت الوزير من ذلك ثم رشوا عليها ماء الورد وبعد ساعة أفاقت وقالت أن كان ولدي في الدنيا فما طبخ حب الرمان هذا إلا هو وهو ولدي حسن بدر الدين لاشك فيه ولا محالة لأن هذا طعامه وما أحد يطبخه غيره إلا أنا لأني علمته طبيخه فلما سمع الوزير كلامها فرح فرحاً شديداً وقال وا شوقاه إلى رؤية أبن أخي أترى تجمع الأيام شملنا وما نطلب الاجتماع به إلا من الله تعالى ثم أن الوزير قام من وقته وساعته وصاح على الرجال الذين معه وقال يمضي منكم عشرون رجلاً إلى دكان الطباخ ويهدمونها وكتفونه بعمامته ويجرونه غصباً إلى مكاني من غير أي ذاء يحصل له فقالوا له نعم ثم أن الوزير ركب من وقته وساعته إلى دار السعادة واجتمع بنائب دمشق وأطلعه على الكتب التي معه من السلطان فوضعها على رأسه بعد تقبيلها وقال من هو غريمك قال رجل طباخ ففي الحال أمر حجابه أن يذهبوا إلى دكانه فذهبوا فرأوها مهدومة وكل شيء فيها مكسور لأنه لما توجه إلى دار السعادة فعلت جماعته ما أمرهم به وصاروا منتظرين مجيء الوزير من دار السعادة وحسن بدر الدين يقول في نفسه يا ترى أي شيء رأوا في حب الرمان حتى صار لي هذا الأمر فلما حضر الوزير من عند نائب دمشق وقد أذن له في أخذ غريمه وسفره به فلما دخل الخيام طلب الطباخ فأحضروه مكتفا بعمامته فلما نظر حسن بدر الدين إلى عمه بكى بكاء شديداً وقال يا مولاي ما ذنبي عندكم فقال له أنت الذي طبخت حب الرمان قال نعم فهل وجدتم فيه شيئاً يوجب ضرب الرقبة فقال هذا أقل جزائك فقال له يا سيدي أما تقفني على ذنبي فقال له الوزير نعم في هذه الساعة ثم أن الوزير صرخ على الغلمان وقال هاتوا الجمال وأخذوا حسن بدر الدين معهم وأدخلوه في صندوق وقفلوا عليه وساروا ولم يزالوا سائرين إلى أن أقبل الليل فحطوا وأكلوا شيئاً من الطعام وأخرجوا حسن بدر الدين فأطعموه وأعادوه إلى الصندوق ولم يزالوا كذلك حتى وصلوا إلى مكان فاخرجوا حسن بدر الدين من الصندوق وقال له هل أنت الذي طبخت حب الرمان قال نعم ياسيدي فقال الوزير قيدوه فقيدوه وأعادوه إلى الصندوق وساروا إلى أن وصلوا إلى مصر وقد نزلوا في الزيدانية فأمر بإخراج حسن بدر الدين من الصندوق وأمر بإحضار نجار وقال أصنع لهذا لعبة خشب فقال حسن بدر الدين وما تصنع بها فقال أصلبك وأسمرك فيها ثم أدور بك المدينة كلها فقال على أي شيء تفعل بي ذلك فقال الوزير على عدم اتقان طبيخك حب الرمان كيف طبخته وهو ناقص فلفلاً فقال له وهل لكونه ناقص فلفلاً تصنع معي هذا كله أما كفاك حبسي وكل يوم تطعموني أكلة واحدة فقال له الوزير من أجل كونه ناقصاً فلفلاً ما جزاؤك إلا القتل فتعجب حسن بدر الدين وحزن على روحه وصار يتفكر في نفسه فقال له الوزير في أي شيء تتفكر فقال له في العقول السخيفة التي مثل عقلك فإنه لو كان عندك عقل ما كنت فعلت معي هذه الأفعال لأجل نقص الفلفل فقال له الوزير يجب علينا أن نؤدبك حتى لا تعود لمثله فقال حسن بدر الدين أن الذي فعلته معي أقل شيء فيه أدبي فقال لابد من صلبك وكل هذا والنجار يصلح الخشب وهو ينظر

إليه ولم يزالوا كذلك إلى أن أقبل الليل فأخذه عمه ووضعه في الصندوق وقال في غد يكون صلبك ثم صبر عليه حتى عرف أنه نام فقام وركب وأخذ الصندوق قدامه ودخل المدينة وسار إلى أن دخل بيته ثم قال لأبنته ست الحسن الحمد لله الذي جمع شملك بابن عمك قومي وأفرشي البيت مثل فرشه ليلة الجلاء فأمرت الجواري بذلك فقمن وأوقدن الشمع وقد أخرج الوزير الورقة التي كتب فيها أمتعة البيت ثم قرأها وأمر أن يضعوا كل شيء في مكانه حتى أن الرائي إذا رأى ذلك لايشك في أنها ليلة الجلاء بعينها ثم أن الوزير أمر أن تحط عمامة حسن بدر الدين في مكانها الذي حلها فيه بيده وكذلك السروال والكيس الذي تحت الطراحة ثم أن الوزير أمر ابنته تتحف نفسها كما كانت ليلة الجلاء وتدخل المخدع وقال لها إذ دخل عليك ابن عمك فقولي له قد أبطأت علي في دخولك بيت الخلاء ودعيه يبيت عندك وتحدثي معه إلى النهار وكتب هذا التاريخ ثم أن الوزير أخرج بدر الدين من الصندوق بعد أن فك القيد من رجليه وخلع ما عليه من الثياب وصار بقميص النوم وهو رفيع من غير سروال كل هذا وهو نائم لا يعرف بذلك ثم أنتبه بدر الدين من النوم فوجد نفسه في دهليز نير فقال في نفسه هل أنا في أضغاث أحلام أو في اليقظة ثم قام بدر الدين فمشي قليلاً إلى باب ثان ونظر وإذا هو في البيت الذي أنجلت فيه العروسة ورأى المخدع والسرير ورأى عمامته وحوائجه فلما نظر ذلك بهت وصار يقدم رجلاً ويؤخر أخرى وقال في نفسه هل هذا في المنام أو في اليقظة وصار يمسح جبينه ويقول وهو متعجب والله أن هذا مكان العروسة التي انجلت فيه علي فإني كنت في صندوق فبينما هو يخاطب نفسه وإذا بست الحسن رفعت طرف الناموسية وقالت له يا سيدي أما تدخل فإنك أبطأت علي في بيت الخلاء فلما سمع كلامها ونظر إلى وجهها وضحك وقال أن هذه أضغاث أحلام ثم دخل وتنهد وتفكر فيما جرى له وتحير في أمره وأشكلت عليه قضيته ولما رأى عمامته وسرواله والكيس الذي فيه الألف دينار قال الله اعلم أني في أضغلت أحلام وصار من فرط التعجب متحيراً وهنا أدرك شهرزاد الصباح.

(وفي ليلة ٢٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن بدر الدين تعجب وتحير فعند ذلك قالت له ست الحسن مالي أراك متعجباً متحيراً ما كنت هكذا في أول الليل فضحك وقال كم عام لي غائب عنك فقالت له سلامتك اسم الله حواليك أنت أنما خرجت إلى الكنيف لتقضي حاجة وترجع فاي شيء جري في عقلك فلما سمع بدر الدين ذلك ضحك وقال لها صدقت ولكنني لما خرجت من عندك غلبني النوم في بيت الراحة فحلمت أني كنت طباخاً في دمشق وأقمت بها عشرة سنين وكأنه جاءني صغير من أولاد الأكابر ومعه خادم وحصل من أمره كذا وكذا ثم أن حسن بدر الدين مسح بيده على جبينه فرأى أثر الضرب عليه فقال والله يا سيدتي كأنه حق لأنه ضربني على جبيني فشجه فكأنه في اليقظة ثم قال لعل هذا المنام حصل حين تعانقت أنا وأنت ونمنا فرأيت في المنام كأني سافرت إلى دمشق بلا طربوش ولا عمامة ولا سروال وعملت طباخاً ثم سكت ساعة وقال والله كأني رأيت أني طبخت حب رمان وفلفله قليل والله ما كأني ألا نمت في بيت الراحة فرأيت هذا كله في المنام فقالت له ست الحسن بالله وعليك أي شيء رأيته زيادة على ذلك فحكى لها جميع ما رآه ثم قال والله لولا أني أنتبهت لكانوا صلبوني على لعبة خشب فقالت له على أي شيء فقال على قلة الفلفل في حب الرمان ورأيت كأنهم أخرجوا دكاني وكسروا مواعيني وحطوني في صندوق وجاءوا بالنجار ليصنع لي لعبة

من خشب لأنهم أرادوا صلبي عليها فالحمد لله الذي جعل ذلك كله في المنام ولم يجعله في اليقظة فضـ حكت ست الحسن وضمته إلى صدرها وضمها إلى صدره ثم تذكر وقال والله ما كانه إلا في اليقظة فأنا ما عرفت أي شيء الخبر ولا حقيقة الحال ثم أنه نام وهو متحير في أمره فتارة يقول رأيته في المنام وتارة يقول رأيته في اليقظة ولم يزل كذلك إلى الصباح ثم دخل عليه عمه الوزير شمس الدين فسلم عليه فنظر له حسن بـ در الدين وقال بالله عليك أما أنت الذي أمرت بتكتيفي وتسمير دكاني من شأن حب الرمان لكونه قليل الفلفل فعند ذلك قال الوزير اعلم يا ولدي أنه ظهر الحق وبان ما كان مختفياً أنت ابن أخي وما فعلت ذلك حتى تحقق ـت أنك الذي دخلت على بنتي تلك الليلة وما تحققت ذلك حتى رأيتك عرفت البيت وعرفت عمامتـ ـك وسـ ـروالك وذهبك والورقتين التي كتبتها بخطك والتي كتبها والدك أخي فإني ما رأيتك قبل ذلك وما كنت أعرفك وأمـ ـا أمك فإني جئت بها معي من البصرة ثم رمى نفسه عليه وبكى فلما سمع حسن بدر الدين كلام عمـ ـه تعجـ ـب غاية العجب وعانق عمه وبكى من شدة الفرح ثم قال له الوزير يا ولدي أن سبب ذلك كله ما جـ ـرى بيـ ـي وبين والدك وحكى له جميع ما حرى بينه وبين أخيه وأخبره بسبب سفر والده إلى البصره ثـ ـم أن الـ ـوزير أرسل إلى عجيب فلما رآه والده قال هذا الذي ضربني بالحجر فقال الوزير هذا ولدك فعند ذلك رمي نفسـ ـه عليه وأنشد هذه الأبيات:

ولقـ ـد بكيـ ـت علـ ـى تفـ ـرق شـ ـملنا ... زمانـ ـاً وفـ ـاض الـ ـدمع مـ ـن أجفـ ـاني

ونـ ـذرت أن أجمـ ـع المهيمـ ـين شـ ـملنا ... مـ ـا عـ ـدت أذكـ ـر فرقـ ـة بلسـ ـاني

هجـ ـم السـ ـرور علـ ـى حتـ ـى أنـ ـه ... مـ ـن فـ ـرط مـ ـا قـ ـد سـ ـرني أبكـ ـاني

فلما فرغ من شعره التفتت إليه والدته وألقت روحها عليه وأنشدت هذين البيتين:

الـ ـدهر أقسـ ـم لا يـ ـزال مكـ ـدري ... حنثـ ـت يمينـ ـك يـ ـا زمـ ـان فكفـ ـر

السـ ـعد وافـ ـى والحبيـ ـب مسـ ـاعدي ... فـ ـانهض إلـ ـى داعـ ـي السـ ـرور وشـ ـمر

ثم أن والدته حكت له جميع ما وقع لها بعده وحكى لها جميع ما قاساه فشكروا الله على جمـ ـع شـ ـملهم ببعضهم ثم أن الوزير طلع إلى السلطان وأخبره بما جرى له فتعجب وأمر أن يؤرخ ذلك في السجلات ليكون حكاية على ممر الأوقات ثم أن الوزير أقام مع ابن أخيه وأبنته وأبنها وزوجة أخيه في الذ عيش إلى أن أتاهم هازم اللذات ومفرق الجماعات وهذا يا أمير المؤمنين ما جرى للوزير شمس الدين وأخيه نور الـ ـدين فقـ ـال الخليفة هارون الرشيد والله أن هذا الشيء وعجاب ووهب للشاب سرية من عنده ورتب له مـ ـا يعـ ـيش بـ ـه وصار ممن ينادمه ثم أن البنت قالت وما هذا بأعجب من حكاية الخيـ ـاط والأحـ ـدب واليهـ ـودي والمباشـ ـر والنصراني فيما وقع لهم قال الملك وما حكايتهم.

(حكاية الخياط والأحدب واليهودي والمباشر والنصراني فيما وقع بينهم)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أنه كان في قديم الزمان وسالف العصر والأوان في مدينة الصين رجـ ـل خياط مبسوط الرزق يحب اللهو والطرب وكان يخرج هو وزوجته في بعض الأحيان يتفرجان على مرائـ ـب المتنزهات فخرجا يوماً من أول النهار ورجعا آخره إلى منزلهما عند المساء فوجدا في طريقهما رجل أحدب

رؤيته تضحك الغضبان وتزيل الهم والأحزان فعند ذلك تقدم الخياط هو وزوجته يتفرجان عليه ثم أنهما عزما عليه أن يروح معها إلى بيتهما لينادمهما تلك الليلة فأجابهما إلى ذلك ومشى معهما إلى البيت فخرج الخيـ ـاط إلى السوق وكان الليل قد أقبل فاشترى سمكا مقلياً وخبزاً وليموناً وحلاوة يتحلون بها ثم رجع وحط السـ ـمك قدام الأحدب وجلسوا يأكلون فأخذت امرأة الخياط جزلة سمك كبيرة ولقمتها للأحدب وسدت فمه بكفها وقالت والله ما تأكلها إلا دفعة واحدة في نفس واحد ولا أمهلك حتى تمضغها فابتلعها وكان فيها شوكة قوية فتصلبت في حلقة لأجل انقضاء أجله فمات وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن امرأة الخياط لما لقمت للأحدب الجزلة السمك مات لانقضاء أجله في وقته فقال الخياط لاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم هذا المسكين ما كان موته إلا هكذا على أيدينا فقالـ ـت المرأة وما هذا التواني أما سمعت قول الشاعر:

مـ ـالي أعلـ ـل نفسـ ـي باجمـ ـال علـ ـى أمـ ـر يكـ ـون بـ ـه هـ ـم وأحـ ـزان
ماذا القعـ ـود علـ ـى نـ ـار ومـ ـا خمـ ـدت أن القعـ ـود فـ ـي النيـ ـران خسـ ـران

فقال لها زوجها وما أفعله قالت قم واحمله في حضنك وأنشر عليه فوطه حرير وأخرج أنا قدامك وأنت ورائي في هذه الليلة وقل هذا ولدي وهذه أمه ومرادنا أن نوديه إلى الطبيب ليداويه فلما سمع الخيـ ـاط هـ ـذا الكلام قام وحمل الأحدب في حضنه وزوجته تقول يا ولدي سلامتك أين محل وجعك وهذا الجدري كان لـ ـك في أي سكان فكل من رآهما يقول معهما طفل مصاب بالجدري ولم يزالا سائرين وهما يسألان عـ ـن منـ ـزل الطبيب حتى دلوهما على بيت طبيب يهودي فقرعا الباب فنزلت لهما جارية سوداء وفتحت الباب ونظـ ـرت وإذ بانسان حامل صغير وأمه معه فقالت الجارية ما خبركم فقالت امرأة الخياط معنا صغير مرادنا أن ينظره الطبيب فخذي الربع دينار وأعطيه لسيدك ودعيه ينزل ليرى ولدي فقد لحقه ضعف فطلعت الجارية ودخلـ ـت زوجة الخياط داخل العتبة وقالت لزوجها دع الأحدب هنا ونفوز بأنفسنا فأوقفه الخياط وأسنده إلـ ـى الحـ ـائط وخرج هو وزوجته وأما الجارية فإنها دخلت على اليهودي وقالت له في أسفل البيت ضعيف مع امرأة ورجل وقد أعطياني ربع دينار لك وتصف لهما ما يوافقه فلما رأى اليهودي الربع دينار فرح وقام عاجلاً ونزل في الظلام فأول ما نزل عثرت رجله في الأحدب وهو ميت فقال يا للعزيز يا للمولى والعشر كلمات يا لهـ ـارون ويوشع بن نون كأني عثرت في هذا المريض فوقع إلى أسفل فمات فكيف أخرج بقتيلي من بيتي فحمله وطلع به من حوش البيت إلى زوجته واعلمها بذلك فقالت له وما قعودك ههنا فإن قعدت هنا إلـ ـى طلـ ـوع النهـ ـار راحت أرواحنا فأنا وأنت نطلع به إلى السطح ونرميه في بيت جارنا المسلم فإنه رجل مباشر علـ ـى مطـ ـبخ السلطان وكثيراً ما تأتي القطط في بيته وتأكل مما فيه من الأطعمه والفيران وأن استمر فيه ليلة تنزل عليـ ـه الكلاب من السطوح وتأكله جميعه فطلع اليهودي وزوجته وهما حاملان الأحدب وأنزلاه بيديه ورجليه إلـ ـى الأرض وجعلاه ملامسا للحائط ثم نزلا وانصرفا ولم يستقر نزول الأحدب إلا والمباشر قد جاء إلى البيت في وقته وطلع البيت ومعه شمعة مضيئة فوجد ابن آدم واقفاً في الزاوية في جانب المطبخ فقال ذلك المباشر مـ ـا هذا وأشعل الذي يسرق حوائجنا ما هو إلا ابن آدم فيأخذ ما وجده من لحم أودهن ولو خبأتـ ـه مـ ـن القطـ ـط

والكلاب وأن قتلت قطة الحارة وكلابها جميعاً لا يفيد لأنه ينزل من السطوح ثم أخذ مطرقة عظيمة ووك زه بها فصار عنده ثم ضربه بها على صدره فوقع فوجده ميتاً فحزن وقال لا حول ولا قوة إلا بالله وخاف على نفسه وقال لعن الله الدهن واللحم وهذه الليلة كيف فرغت منية ذلك الرجل على يدي ثم نظر إليه فـ إذا هـ و أحدب فقال أما يكفي أنك أحدب حتى تكون حرامياً وتسرق اللحم والدهن يا ستار استرني بسترك الجميل ثـ م حمله على أكتافه ونزل به من بيته في آخر الليل ومازال سائرا به إلى أول السوق فأوقفه بجانب دكـ ان فـ ي رأس عطفة وتركه وانصرف وإذا بنصر أني وهو سمسار السلطان وكان سكران فخرج يريد الحمام فقال له سكره أن المسيح قريب فمازال يمشي ويتمايل حتى قرب من الأحدب وجعل يريق الماء قباله فلاحـ ت منـ ه التفاته فوجد واحداً واقفاً وكان النصراني قد خطفوا عمامته في أول الليل فلما رأى الأحدب واقفاً اعتقـ د أنـ ه يريد خطف عمامته فطبق كفه ولكم الأحدب على رقبته فوقع في الأرض وصاح النصراني علـ ى حـ ارس السوق ثم نزل على الأحدب من شدة سكره ضرباً وصار يخنقه خنقاً فجاء الحارس فوجد النصـ راني باركـ اً على المسلم وهو يضر به فقال الحارس قم عنه فقام فتقدم إليه الحارس فوجده ميتاً فقال كيف يقتل النصراني مسلماً ثم قبض على النصراني وكتفه وجاء به إلى البيت الوالي والنصراني يقول في نفسه يا مسيح يا عذراء كيف قتلت هذا وما أسرع ما مات في لكمة قد راحت السكرة وجاءت الفكرة ثم أن الأحدب والنصراني باتـ ا في بيت الوالي وأمر الوالي السياف أن ينادي عليه ونصب للنصراني خشبة وأوقفه تحتهـ ا وجـ اء السـ ياف ورمي في رقبة النصراني الحبل وأراد أن يعلقه وإذا بالمباشر قد شق الناس فرأى النصراني وهـ و واقـ ف تحت المشنقة ففسح الناس وقال للسياف لا تفعل أنا الذي قتلته فقال له الوالي لأي شيء قتلته قال أني دخلـ ت الليلة بيتي فرأيته نزل من السطح وسرق مصالحي فضربته بمطرقة على صدره فمات فحملته وجئت به إلى السوق وأوقفته في موضع كذا في عطفة كذا ثم قال المباشر ما كفاني أني قتلت مسلماً حتـ ى يقتـ ل بسـ ببي نصراني فلا تشنق غيري فلما سمع الوالي كلام المباشر أطلق سراح النصراني السمسار وقال للسياف اشنق هذا باعترافه فأخذ الحبل من رقبة النصراني ووضعه في رقبة المباشر وأوقفه تحت الخشبة وأراد أن يعلقـ ه وإذا باليهودي الطبيب قد شق الناس وصاح على السياف وقال لا تفعل فما قتله إلا أنا وذلك أنه جاءني فـ ي بيتي ليداوي فنزلت إليه فعثرت فيه برجلي فمات فلا تقتل المباشر وأقتلني فأمر الـ والي أن يقتـ ل اليهـ ودي الطبيب فأخذ السياف الحبل من رقبة المباشر ووضعه في رقبة اليهودي الطبيب وإذا بالخياط جـ اء وشـ ق الناس وقال للسياف لا تفعل فما قتله إلا أنا وذلك أني كنت بالنهار أتفرج وجئت عليه وجئت به إلـ ى بيتـ ي واشتريت سمكاً وقعدنا نأكل فأخذت زوجتي قطعة سمك ولقمة ودستهما في فمه فزور فمات لوقته فأخذته أنا وزوجتي وجئنا به لبيت اليهودي فنزلت الجارية وفتحت لنا الباب فقلت لها قولي لسـ يدك أن بالبـ اب امـ رأة ورجلا ومعهما ضعيف تعال انظره وصف له دواء وأعطيتها ربع دينار فطلعت لسيدنا وأسندت الأحدب إلى جهة السلم ومضيت أنا وزوجتي فنزل اليهودي فعثر فيه فظن أنه قتله ثم قال الخياط لليهودي أصـ حيح هـ ذا قال نعم والتفت الخياط للوالي وقال له أطلق اليهودي وأشنقني فلما سمع الوالي كلامه تعجب من أمر الأحدب وقال أن هذا أمر يؤرخ في الكتب ثم قال للسياف أطلق اليهودي وأشنق الخياط باعترافه فقدمه السياف وقـ ال هل نقدم هذا ونؤخر هذا ولا نشنق واحداً ثم وضع الحبل في رقبة الخياط فهذا ما كان من أمر هؤلاء (وأما)

ما كان من أمر الأحدب فقيل أنه كان مسخرة للسلطان وكان السلطان لا يقدر أن يفارقه فلما سكر الأحدب غاب عنه تلك الليلة وثاني يوم إلى نصف النهار فسأل عنه بعض الحاضرين فقالوا له يا مولانا طلع به الوالي وهو ميت وأمر بشنق قاتله فنزل الوالي ليشنق القاتل فحضر له ثان وثالث وكل واحد يقول ما قتله إلا أنا وكل واحد يذكر للوالي سبب قتله له فلما سمع الملك هذا الكلام صرخ على الحاجب وقال له انزل إلى الوالي وأئتني بهم جميعاً فنزل الحاجب فوجد السياف كاد أن يقتل الخياط فصرخ عليه الحاجب وقال لا تفعل واعلم الوالي أن القضية بلغت الملك ثم أخذه وأخذ الأحدب معه محمولاً والخياط واليهودي والنصراني والمباشر وطلع بالجميع إلى الملك فلما تمثل الوالي بين يديه قبل الأرض وحكى له جميع ما جرى مع الجميع فلما سمع الملك هذه الحكاية تعجب وأخذه الطرب وأمر أن يكتب ذلك بماء الذهب وقال للحاضرين هل سمعتم مثل قصة هذا الأحدب فعند ذلك تقدم النصراني وقال يا ملك الزمان أن أذنت لي حدثتك بشيء جرى لي وهو أعجب وأغرب وأطرب من قصة الأحدب فقال الملك حدثنا بما عندك فقال النصراني اعلم يا ملك الزمان أني لما دخلت تلك الديار أتيت بمتجر وأوقعني المقدور عندكم وكان مولدي بمصر وأنا من قبطها وتربيت بها وكان والدي سمساراً فلما بلغت مبلغ الرجال توفي والدي فعملت سمساراً مكانه فبينما أنا قاعد يوماً من الأيام وإذا بشاب أحسن ما يكون وعليه أفخر ملبوس وهو راكب حماراً فلما رآني سلم علي فقمت إليه تعظيماً له فأخرج منديلاً وفيه قدر من السمسم وقال كم يساوي الأردب من هذا فقلت له مائة درهم فقال لي خذ التراسين والكيالين وأعمد إلى خان الجوالي في باب النصر تجدني فيه وتركني ومضى وأعطاني السمسم بمنديله الذي فيه العينة فدرت على المشترين فبلغ ثمن كل أردب مائة وعشرين درهماً فأخذت معي أربعة تراسين ومضيت إليه فوجدته في انتظاري فلما رآني قام إلى المخزن وفتحه فكيلناه فجاء جميع ما فيه خمسين أردباً فقال الشاب لك في كل أردب عشرة دراهم سمسرة وأقبض الثمن واحفظه عندك وقدر الثمن خمسة آلاف لك منها خمسمائة ويبقى لي أربعة آلاف وخمسمائة فإذا فرغ بيع حواصلي جئت إليك وأخذتها فقلت له الأمر كما تريد ثم قبلت يديه ومضيت من عنده فحصل لي في ذلك اليوم ألف درهم وغاب عني شهرا ثم جاء وقال لي أين الدراهم فقلت ها هي حاضرة فقال احفظها حتى أجيء إليك فآخذها فقعدت أنتظره فغاب عني شهراً ثم جاء وقال لي أين الدراهم فقمت وسلمت عليه وقلت له هل لك أن تأكل عندنا شيئاً فأبى وقال لي احفظ الدراهم حتى أمضي وأجيء فآخذها منك ثم ولى فقمت وأحضرت له الدراهم وقعدت انتظره فغاب عني شهراً ثم جاء وقال لي بعد هذا اليوم آخذها منك ثم ولى فقمت وأحضرت له الدراهم وقعدت انتظره فغاب عني شهراً فقلت في نفسي أن هذا الشاب كامل السماحة ثم بعد الشهر جاء وعليه ثياب فاخرة فلما رأيته قبلت يديه ودعوت له وقلت له يا سيدي أما تقبض دراهمك فقال مهلاً علي حتى أفرغ من قضاء مصالحي وأخذها منك ثم ولى فقلت في نفسي والله إذا جاء لاضيفنه لكوني انتفعت بدراهمه وحصل لي منها مال كثير فلما كان آخر السنة جاء وعليه بدلة أفخر من الأولى فحلفت عليه أن ينزل عندي ويضيفني فقال بشرط أن ما تنفقه من مالي الذي عندك قلت نعم وأجلسته ونزلت فهيأت ما ينبغي من الأطعمة والأشربة وغير ذلك وأحضرته بين يديه وقلت له باسم الله فتقدم إلى المائدة ومد يده الشمال وأكل معي فتعجبت منه فلما فرغا غسل يده وناولته

ما يمسحها به وجلسنا للحديث فقلت يا سيدي فرج عني كربة لأي شيء أكلت بيدك الشمال لعل في يدك اليمين شيئاً يؤلمك فلما سمع كلامي أنشد هذين البيتين:

خليلي لا تسأل على ما بمهجتي ... من اللوعة الحرى فتظهر أسقام

وما عن رضا فارقت سلمى معوضاً ... بديلاً ولكن للضرورة أحكام

ثم أخرج يده من كمه وإذا هي مقطوعة زنداً بلا كف فتعجبت من ذلك فقال لي لا تعجب ولا تقل في خاطرك أني أكلت معك بيدي الشمال عجباً ولكن لقطع يدي اليمين سبب من العجب فقلت وما سبب ذلك فقال أعلم أني من بغداد ووالدي من أكابرها فلما بلغت مبلغ الرجال سمعت السياحين والمسافرين والتجار يتحدثون بالديار المصرية فبقي ذلك في خاطري حتى مات والدي فأخذت أموالاً كثيراً وهيأت متجراً من قماش بغدادي وموصلي ونحو ذلك من البضائع النفيسة وحزمت ذلك وسافرت من بغداد وكتب الله السلامة لي حتى دخلت مدينتكم هذه ثم بكى وأنشد هذه الأبيات:

قد يسلم الأكمه من حفرة ... يسقط فيها الباصر الناظر

ويسلم الجاهل من لفظة ... يهلك فيها العالم الماهر

ويعسر الرزق على المؤمن ... ويرزق الكافر الفاجر

ما حيلة الإنسان ما فعله ... هو الذي قدره القادر

فلما فرغ من شعره قال فدخلت مصر وأنزلت القماش في خان سرور وفككت أحمالي وأدخلتها وأعطيت الخادم دارهم ليشتري لنا بها شيئاً نأكله ونمت قليلاً فلما قمت ذهبت بين القصرين ثم رجعت وبت ليلتي فلما أصبحت فتحت رزمة من القماش وقلت في نفسي أقوم لأشق بعض الأسواق وأنظر الحال فأخذت بعض القماش وحملته لبعض غلماني وسرت حتى وصلت قيسرية جرجس فاستقبلني السماسرة وكانوا علموا بمجيئي فأخذوا مني القماش ونادوا عليه فلم يبلغ ثمنه رأس ماله فقال لي شيخ الدلالين يا سيدي أنا أعرف لك شيئاً تستفيد به وهو أن تعمل مثل ما يعمل التجار فتبيع متجرك إلى مدة معلومة بكاتب وشاهد وصيرفي وتأخذ ما تحصل من ذلك في كل يوم خميس واثنين فتكسب الدراهم كل درهم اثنين وزيادة على ذلك تتفرج على مصر ونيلها فقلت هذا رأى سديد فأخذت معي الدلالين وذهبت إلى الخان فأخذوا القماش إلى القيسرية فبعته إلى التجار وكتبت عليهم وثيقة إلى الصيرفي وأخذت عليه وثيقة بذلك ورجعت إلى الخان وأقمت أياماً كل يوم أفطر على قدح من الشراب وأحضر اللحم الضاني والحلويات حتى دخل الشهر الذي استحقت فيه الجباية فبقيت كل خميس وأثنين أقعد على دكاكين التجار ويمضي الصيرفي والكاتب فيجيآن بالدراهم من التجار ويأتياني بها إلى أن دخلت الحمام يوم من الأيام وخرجت إلى الخان ودخلت موضعي وافطرت على قدح من الشراب ثم نمت وانتبهت فأكلت دجاجة وتعطرت وذهبت إلى دكان تاجر يقال له بدر الدين البستاني فلما رآني رحب بي وتحدث معي ساعة في دكانه فبينما نحن كذلك وإذا بامرأة جاءت وقعدت بجانبي وعليها عصابة مائلة وتفوح منها روائح الطيب فسلبت عقلي بحسنها وجمالها ورفعت الأزار فنظرت إلى أحداق سود ثم سلمت على بدر الدين فرد عليها السلام ووقف وتحدث معها فلما سمعت كلامها تمكن حبها من قلبي فقالت لبدر الدين هل عندك تفصيله من القماش المنسوج من خالص الذهب فأخرج لها تفصيلة فقالت للتاجر هل

آخذها واذهب ثم أرسل إليك بثمنها فقال لها التاجر لا يمكن يا سيدتي لأن هذا صاحب القماش وله على قسط فقالت ويلك أن عادتي أن آخذ منك كل قطعة قماش بجملة دراهم وأربحك فيها فوق ما تريد ثم أرسل إليك ثمنها فقال نعم ولكني مضطر إلى الثمن في هذا اليوم فأخذت التفصيلة ورمته بها في صدره وقالت أن طائفتكم لا تعرف لأحد قدراً ثم قامت مولية فظننت أن روحي راحت معها فقمت ووقفت وقلت لها يا سيدتي تصدقي على بالألتفات وارجعي بخطواتك الكريمة فرجعت وتبسمت وقالت لأجلك رجعت وقعدت قصادي على الدكان فقلت لبدر الدين هذه التفصيلة كم ثمنها عليك قال ألف ومائة درهم فقلت له ولك مائة درهم فائدة فهات ورقة فاكتب لك فيها ثمنها فأخذت التفصيلة منه وكتبت له ورقة بخطي وأعطيتها التفصيلة وقلت لها خذي أنت وروحي وإن شئت هاتي ثمنها إلى في السوق وإن شئت هي ضيافتك مني فقالت جزاك الله خيراً ورزقك مالي وجعلك بعلي فتقبل الله الدعوة وقلت لها يا سيدتي اجعلي هذه التفصيلة لك ولك أيضاً مثلها ودعيني أنظر وجهك فكشفت القناع عن وجهها فلما نظرت وجهها نظرة أعقبتني ألف حسرة وتعلق قلبي بمحبتها فصرت لا أملك عقلي ثم رخت القناع وأخذت التفصيلة وقالت يا سيدي لا توحشني وقد ولت وقعدت في السوق إلى بعد العصر وأنا غائب العقل وقد تحكم الحب عندي فمن شدة ما حصل لي من الحب سألت التاجر عنها حين أردت القيام فقال لي أن هذه صاحبة مال وهي بنت أمير مات والدها وخلف لها مالاً كثيراً فودعته وانصرفت وجئت إلى الخان فقدم إلى العشاء فتذكرتها فلم آكل شيئاً ونمت فلم يأتني نوم فسهرت إلى الصباح ثم قمت فلبست بدلة غير التي كانت على وشربت قدحاً من الشراب وأفطرت على شيء قليل وجئت إلى دكان التاجر فسلمت عليه وجلست عنده فجاءت الصبية وعليها بدلة أفخر من الأولى ومعها جارية فجلست وسلمت على دون بدر الدين وقالت لي بلسان فصيح ما سمعت أعذب ولا أحلى منه أرسل معي من يقبض الف والمائة درهم ثمن التفصيلة فقلت لها ولأي شيء فقالت لا أعدمناك وناولتني الثمن وقعدت اتحدث معها فأومئت إليها بالإشارة ففهمت أني أريد وصالها فقامت على عجل منها واستوحشت مني وقلبي متعلق بها وخرجت أنا خارج السوق في أثرها وإذا بجارية أتتني وقالت يا سيدي كلم سيدتي فتعجبت وقلت ما يعرفني هنا أحد فقالت الجارية ما أسرع ما نسيتها سيدتي التي كانت اليوم على دكان التاجر فلان فمشيت معها إلى الصيارف فلما رأتني زوتني لجانبها وقالت يا حبيبي وقعت بخاطري وتمكن حبك من قلبي ومن ساعة رأيتك لم يطب لي نوم ولا أكل ولا شرب فقلت لها عندي أضعاف ذلك والحال يغني عن الشكوى فقالت يا حبيبي أجي عندك فقلت لها أنا رجل غريب ومالي مكان يأويني إلا خان فإن تصدقت على بان أكون عندك يكمل الحظ قالت نعم لكن الليلة ليلة الجمعة ما فيها شيء إلا أن كان في غد بعد الصلاة فصل واركب حمارك واسأل من الحبانية فإن وصلت فأسأل عن قاعة بركات النقيب المعروف بأبي شاملة فإني ساكنة هناك ولا تبطيء فإني في انتظارك ففرحت فرحاً زائداً ثم افترقنا وجئت للخان الذي أنا فيه وبت طول الليل سهران فما صدقت أن الفجر لاح حتى قمت وغيرت ملبوسي وتعطرت وتطيبت وأخذت معي خمسين ديناراً في منديل ومشيت من خان مسرور إلى باب زويلة فركبت حماراً وقلت لصاحبه امض بي إلى الحبانية فمضى في أقل من لحظة فما أسرع ما وقف على درب يقال له درب المنقرى فقلت له أدخل الدرب وأسأل عن قاعة النقيب فغاب قليلاً وقال أنزل فقلت أمش قدامي إلى القاعة فمشى حتى أوصلني إلى المنزل فقلت له في غد

تجبيني هنا وتوديني فقال الحمار بسم الله فناولته ربع دينار ذهباً فأخذه وانصرف فطرقت الباب فخ رج لـ ي بنتان صغيرتان وبكران منهدتان كأنهما قمران فقالتا ادخل أن سيدتنا في انتظارك لم تنم الليلة لولعهـ ا بـ ك فدخلت قاعة مغلقة بسبعة أبواب وفي دائرها شبابيك مطلة على بستان فيه من الفواكه جميع الألوان وبه أنهار دافقة وطيور ناطقة وهي مبيضة بياضاً سلطانياً يرى الإنسان وجهه فيها وسقفها مطلي بذهب وفـ ي دائرهـ ا طرزات مكتوبة بالأزورد قد حوت أوصاف حسنة واضاءت للناظرين وأرضها مفروشة بالرخـ ام المجـ زع وفي أرضها فسقية وفي أركان تلك الفسقية الدر والجوهر مفروشة بالبسط الحرير الملونة والمراتـ ب فلمـ ا دخلت جلست وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشاب التاجر قال للنصراني فلما دخلت وجلست لم أشعر إلا والصبية قد أقبلت وعليها تاج مكلل بالدر والجوهر وهي منقشة مخططة فلما رأتني تبسمت فـ ي وجهـ ي وحضـ نتني ووضعتني في صدرها وجعلت فمها على فمي وجعلت تمص لساني وأنا كذلك وقالت أصحيح أتيت عندي أم هذا منام فقلت لها أنا عبدك فقالت أهلا ومرحباً والله من يوم رأيتك ما لذلي نوم ولا طاب لي طعام فقلت وأنا كذلك ثم جلست نتحدث وأنا مطرق برأسي إلى الأرض حياء ولم أمكث إلا قليلاً حتى قدمت لي سـ فرة مـ ن أفخر الألوان من محمر ومرق ودجاج محشواً فأكلت معها حتى اكتفينا ثم قدموا إلى الطشط والأبريق فغسلت يدي ثم تطيبنا بماء الورد والمسك وجلسنا نتحدث فأنشدت هذين البيتين:

لـ . .و علمنـ . .ا قـ . .دومكم لفرشـ . .نا مهجـ .ة القلـ .ب مـ .ع سـ .واد العيـ .ون
ووضـ . . .عنا خـ . . .دودنا للقـ . . .اكم وجعلنـ . ا المسـ . ير فـ . وق الجفـ . ون

وهي تشكو إلى ما لاقت وأنا أشكو إليها ما لقيت وتمكن حبها عندي وهان على جميع المال ثم أخـ ذنا نلعب ونتهارش مع العناق والتقبيل إلى أن أقبل الليل فقدمت لنا الجواري الطعام والمدام فـ إذا هـ ي حضـ رة كاملة فشربنا إلى نصف الليل ثم اضطجعنا ونمنا فنمت معها إلى الصباح فما رأيت عمري مثل هذه الليلة فلما أصبح الصباح قمت ورميت لها تحت الفراش المنديل الذي فيه الدنانير وودعتها وخرجت فبكت وقالـ ت يـ ا سيدي متى أرى هذا الوجه المليح فقلت لها أكون عندك وقت العشاء فلما خرجت أصبت الحمار الذي جاء بي بالأمس على الباب ينتظرني فركبت معه حتى وصلت خان مسرور فنزلت وأعطيت الحمار نصـ ف دينـ ار وقلت له تعالى في وقت الغروب قال على الرأس فدخلت الخان وأفطرت ثم خرجت أطالب بثمن القماش ثـ م رجعت وقد عملت لها خروفاً مشوياً وأخذت حلاوة ثم دعوت الحمال ووصفت له المحل وأعطيتـ ه أجرتـ ه ورجعت في أشغالي إلى الغروب فجاءني الحمار فأخذت خمسين ديناراً وجعلتها في منديل ودخلت فوجـ دتهم مسحوا الرخام وحلوا النحاس وعمروا القناديل وأوقدوا الشموع وغرفوا الطعام وروقوا الشراب فلما رأتنـ ي رمت يديها على رقبتي وقالت أوحشتني ثم قدمت الموائد فأكلنا حتى اكتفينا ورفعت الجواري المائدة وقـ دمت المدام فلم نزل في شراب وتقبيل وحظ إلى نصف الليل فنمنا إلى الصباح ثم قمت وناولتها الخمسـ ين دينـ اراً على العادة وخرجت من عندها فوجدت الحمار فركبت إلى الخان فنمت ساعة ثم قمت جهزت العشا فعملـ ت جوزاً ولوزاً وتحتهم أرز مفلفل وعملت قلقاساً مقلياً ونحو ذلك وأخذت فاكهة ونقـ لاً ومشـ موماً وأرسـ لتها

وسرت إلى البيت وأخذت خمسين ديناراً في منديل وخرجت فركبت مع الحمار على العادة إلى القاعة فدخلت ثم أكلنا وشربنا ونمنا إلى الصباح ولما قمت رميت لها المنديل وركبت إلى الحان على العادة ولم أزل عل ى تلك الحالة مدة إلى أن بت وأصبحت لا أملك درهماً ولا ديناراً فقلت في نفسي هذا من فعل الشيطان وأنشدت هذه الأبيات:

فق . . ر الفت . . ى ي . . ذهب أن . . واره	مث ل اص فرار الش مس عن د المغي ب
أن غ . اب لا ي . ذكر ب . ين ال . ورى	وأن آت . . ي فمال . . ه م . . ن نص . . يب
يم . . ر ف . . ي الأس . . واق مس . . تخفياً	وف . ي الف . لا يبك . ي ب . دمع ص . بيب
والله م . . ا الإنس . . ان م . . ن أهل . . ه	إذا ابتل . . . ى ب . . . الفقر إلا غري . . . ب

ثم تمشيت إلى أن وصلت بين القصرين ولازلت أمشي حتى وصلت إلى باب زويلة فوجدت الخلق في ازدحام والباب مسند من كثرة الخلق فرأيت بالأمر المقدر جندياً فزاحمته بغير اختياري فجاءت ي دي عل ى جيبه فجسيته فوجدت فيه صرة من داخل الجيب الذي يدي عليه فعمدت إلى تلك الصرة فأخذتها م ن جيب ه فأحس الجندي بان جيبه خف فحط يده في جيبه فلم يجد شيئاً والتفت نحوى ورفع يده بالدبوس وضربني على رأسي فسقطت على الأرض فأحاط الناس بنا وأمسكوا لجام فرس الجندي وقالوا أمن أجل الزحم ة تض رب هذا الشاب هذه الضربة فصرخ عليهم الجندي وقال هذا حرامي سارق فعند ذلك أفقت ورأيت الناس يقول ون هذا الشاب مليح لم يأخذ شيئاً فبعضهم يصدق وبعضهم يكذب وكثر القيل والق ال وج ذبني الن اس وأرادوا خلاصي منه فبالأمر المقدر جاء الوالي هو وبعض الحكام في هذا الوقت ودخلوا من الباب فوج دوا الخل ق مجتمعين على وعلى الجندي فقال الوالي ما الخبر فقال الجندي والله يا أمير أن هذا حرامي وكان في جيب ي كيس أزرق فيه عشرون ديناراً فأخذه وأنا في الزحام فقال الوالي للجندي هل كان معك أحد فقال الجن دي لا فصرخ الوالي على المقدم وقال امسكه وفتشه فأمسكني وقد زال الستر عني فقال له الوالي أعره من جميع ما عليه فلما أعراني وجدوا الكيس في ثيابي فلما وجدوا الكيس أخذه الوالي وفتحه وعده فرأى فيه عشرين دينار كما قال الجندي فغضب الوالي وصاح على اتباعه وقال قدموه فقدموني بين يديه فقال لي يا صبي قل الح ق هل أنت سرقت هذا الكيس فأطرقت برأسي إلى الأرض وقلت في نفسي أن قلت ما سرقته فقد أخرج ه م ن ثيابي وأن قلت سرقته وقعت في الغناء ثم رفعت رأسي وقلت نعم أخذته فلما سمع مني الوالي ه ذا الك لام تعجب ودعا الشهود فحضروا وشهدوا على منطقي هذا كله في باب زويلة فأمر الوالي السياف بقط ع ي دي فقطع يدي اليمنى فرق قلب الجندي وشفع في عدم قتلي وتركني الوالي ومض ى وص ارت الن اس ح ولى وسقوني قدح شراب وأما الجندي فإنه أعطاني الكيس وقال أنت شاب مليح ولا ينبغي أن تكون لصاً فأخذت ه منه وأنشدت هذه الأبيات:

والله م . ا كن . ت لص . اً ي . ا أخ . ا ثق . ة	ول م أك ن س ارقاً ي ا أحس ن الن اس
ولكن رمتني صروف الدهر ع ن عج ل	ف . زاد هم . ي ووس . واس إفلاس . ي
وم . ا رمي . ت ولك . ن الإل . ه رم . ى	سهماً فطي ر ت اج المل ك ع ن رأس ي

فتركني الجندي وأنصرف بعد أن أعطاني الكيس وأنصرفت أنا ولفيت يدي في خرقة وأدخلتها عن ي وقد تغيرت حالتي وأصفر لوني مما جرى لي فتمشيت إلى القاعة وأنا على غير استواء ورميت روحي على الفراش فنظرتني الصبية متغير اللون فقالت لي ما وجعك ومالي أرى حالتك تغيرت فقلت لها رأسي توجعني وما أنا طيب فعند ذلك أغتاظت وتشوشت لأجلي وقالت لا تحرق قلبي يا سيدي أقعد وارفع رأسك وحد دثني بما حصل لك اليوم فقد بان لي في وجهك كلام فقلت دعيني من الكلام فبكت وقالت كأنك قد فرغ غرضك منا فإني أراك على خلاف العادة فبكت وصارت تحدثني وأنا لا أجيبها حتى أقبل الليل فقدمت لي الطعام فامتنعت وخشيت أن تراني آكل بيدي الشمال فقلت لا أشتهي أن آكل في هذه الساعة فقالت حدثني بما جرى لك ف ي هذا اليوم ولأي شيء أراك مهموماً مكسور الخاطر والقلب فقلت في هذه الساعة أحدثك على مهلي فقدمت لي الشراب وقالت دونك فإنه يزيل همك فلابد أن تشرب وتحدثني بخبرك فقلت لها أن كان ولابد فأسقيني بي دك فملأت القدح وشربته وملأته وناولتني أياه فتناولته منها بيدي الشمال وفرت الدمعة من جفني فأنش دت ه ذه الأبيات:

إذا أراد الله أم . . . . راً لأم . . . . ريء وك . ان ذا عق . ل وس . مع وبص . ر

أص . . م أذني . . ه وأعم . . ي قلب . . ه وس . ل من . ه عقل . ه س . ل الش . عر

حت . . ى إذا أنف . . ذ في . . ه حكم . . ه رد إلي . . . . ه عقل . . . . ه ليعتب . . . ر

فلما فرغت من شعري تناولت القدح بيدي الشمال وبكيت فلما رأتني أبكي صرخت صرخة قوية وقالت ما سبب بكائك قد أحرقت قلبي ومالك تناولت القدح بيدك الشمال فقلت لها أن بيدي حبة فقالت أخرجها حت ى أفقعها لك فقلت ما هو وقت فقعها لا تطيلي علي فما أخرجها في تلك الساعة ثم شربت القدح ولم تزل تسقيني حتى غلب السكر علي فنمت مكاني فأبصرت يدي بلا كف ففتشتني فرأت معي الكيس الذي فيه الذهب فدخل عليها الحزن مالا يدخل على أحد ولا زالت تتألم بسببي إلى الصباح فلما أفقت من النوم وجدتها هي أت ل ي مسلوقة وقدمتها فإذا هي أربعة من طيور الدجاج واسقتني قدح شراب فأكلت وشربت وحطيت الكيس وأردت الخروج فقالت أين تروح فقلت إلى مكان كذا لأزحزح بعض الهم عن قلبي فقالت لا تروح بل أجلس فجلست فقالت لي وهل بلغت محبتك أياي إلى أن صرفت جميع مالك عليّ وعدمت كفك فأشهدك عل ى والش اهد الله أني لا أفارقك وسترى صحة قولي ولعل الله استجاب دعوتي بزواجك وأرسلت خلف الشهود فحضروا فقالت لهم اكتبوا كتابي على هذا الشاب وأشهدوا أني قبضت المهر فكتبوا كتابي عليها ثم قالت اش هدوا أن جمي ع مالي الذي في هذا الصندوق وجميع ما عندي من المماليك والجواري لهذا الشاب فشهدوا عليها وقبل ت أن ا التمليك وأنصرفوا بعدما أخذوا الأجرة ثم أخذتني من يدي وأوقفتني على خزانة وفتحت صندوقاً كبيراً وقالت لي أنظر هذا الذي في الصندوق فنظرت فإذا هو ملآن مناديل فقالت هذا مالك الذي أخذته منك فكلما أعطيتني منديلاً فيه خمسون دينار ألفه وأرميه في هذا الصندوق فخذ مالك فقد رده الله عليك وأنت اليوم عزي ز فق د جرى عليك القضاء بسببي حتى عدمت يمينك وأنا لا أقدر على مكافأتك ولو بذلت روحي لكان ذلك قليلاً ولك الفضل ثم قالت لي تسلم مالك فتسلمته ثم نقلت مافي صندوقها إلى صندوقي وضمت مالها إلى م الي ال ذي كنت أعطيتها أياه وفرح قلبي وزال همي فقمت فقبلتها وسكرت معها فقالت لقد بذلت جميع مالك ويدك ف ي

محبتي فكيف أقدر على مكافأتك والله لو بذلت روحي في محبتك لكان ذلك قليل وما أقوم بواجب حقك علـ ى ثم أنها كتبت لي جميع ما تملك من ثياب بدنها وصيغتها وأملاكها بحجة وما نامت تلك الليلة إلا مهمومة من أجلي حين حكيت لها ما وقع لي وبت معها ثم أقمنا على ذلك أقل من شهر وقوى بهـ ا الضـ عف وزاد بهـ ا المرض وما مكثت غير خمسين يوماً ثم صارت من أهل الآخرة فجهزتها وواريتها في التراب وعملت لهـ ا ختمات وتصدقت عليها بجملة من المال ثم نزلت من التربة فرأيت لها مالا جزيلاً وأملاكاً وعقـ ارات ومـ ن جملة ذلك تلك المخازن السمسم التي بعت لك منها ذلك المخزن وما كان اشتغالي عنك هذه المـ دة إلا لأنـ ي بعت بقية الحواصل وإلى الآن لم أفرغ من قبض الثمن فأرجوا منك أنك لا تخالفني فيما أقوله لك لأني أكلت زادك فقد وهبتك ثمن السمسم الذي عندك فهذا سبب أكلي بيدي الشمال فقلت له لقد أحسنت إلي وتفضلت على فقال لي لابد أن تسافر معي إلى بلادي فإني اشتريت متجراً مصرياً واسكندرانياً فهل لك في مصاحبتي فقلت نعم وواعدته على رأس الشهر ثم بعت جميع ما أملك وأشتريت به متجراً وسافرت أنا وذلك الشاب على هذه البلاد التي هي بلادكم فباع الشاب متجراً واشترى متجراً عوضه من بلادكم ومضى إلى الـ ديار المصـ رية فكان نصيبي من قعودي هذه الليلة حتى حصل ما حصل من غربتي فهذا يا ملك الزمان ما هو أعجب مـ ن حديث الأحدب فقال الملك لابد من شنقكم كلكم: وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن ملك الصين لما قال لابد من شنقكم فعند ذلك تقدم المباشر إلـ ى ملـ ك الصين وقال أن أذنت لي حكيت لك حكاية اتفقت لي في تلك المدة قبل أن أجد هذا الأحدب وأن كانت أحـ ب من حديثه تهب لنا أرواحنا فقال الملك هات ما عندك فقال أعلم أني كنت تلك الليلة الماضـ ية عنـ د جماعـ ة عملوا ختمة وجمعوا الفقهاء فلما قرأ المقرءون وفرغوا مدوا السماط فمن جملة ما قـ دموا أزرباجـ ة فقـ دمنا لنأكل الزرباجة فتأخر واحد منا وأمتنع عن الأكل منها فحلفنا عليه فأقسم أنه لا يأكل منها فشددنا عليه فقال لا تشددوا عليّ فكفاني ما جرى لي من أكلها فأنشد هذا البيت:

إذا صـ . . .ديق أنكـ . . .رت جانبـ . . .ه لـ . م تعبـ . ي علـ . ى فراقـ . ه الحيـ . لـ

فلما فرغنا قلنا له بالله ما سبب امتناعك عن الأكل من هذه الزرباجة فقال لأني لا آكـ ل منهـ ا إلا أن غسلت يدي أربعين مرة بالأشنان وأربعين مرة بالسعد وأربعين مرة بالصابون فجملتها مائة وعشرون مـ رة فعند ذلك أمر صاحب الدعوة غلمانه فأتوا بالماء الذي طلبه فغسل يديه كما ذكر ثم تقدم وهو منكره وجلـ س ومد يده وهو مثل الخائف ووضع يده في الزرباجة وصار يأكل وهو متغصب ونحن نتعجـ ب منـ ه غايـ ة التعجب ويده ترتعد فنصب أبهام يده فإذا هو مقطوع وهو يأكل بأربعة أصابع فقلنا له بالله عليك مالإبهامـ ك هكذا هو خلقة الله أم أصابه حادث فقال يا أخواني ما هو هذا الإبهام وحده ولكن إبهام الأخرى وكذلك رجلاي الأثنين ولكن أنظروا ثم كشف إبهام يده الأخرى فوجدناها مثل اليمين وكذلك رجلاه بلا أبهامين فلما رأيـ ناه كذلك أزددنا عجباً وقلنا له ما بقي لنا صبر على حديثك والأخبار بسبب قطع إبهامي يديك وإبهامي رجليـ ك وسبب غسل يديك مائة وعشرين مرة فقال أعلموا أن والدي كان تاجر من التجار الكبار وكان أكبـ ر تجـ ار

مدينة بغداد في أيام الخليفة هارون الرشيد وكان مولعاً بشرب الخمر وسماع العود فلما مات لم يت رك شـ يئاً فجهرته وقد عملت له ختمات وحزنت عليه أياماً وليالي ثم فتحت دكانه فما وجدته خلف إلا يسيرا ووجـ دت عليه ديوناً كثيرة فضربت أصحاب الديون وطيبت خواطرهم وصرت أبيع وأشتري وأعطي من الجمعة إلـ ى الجمعة أصحاب الديون ولازلت على هذه الحالة مدة إلى أن وفيت الديون وزدت على رأس مالي فبينما أنـ ا جالس يوما من الأيام إذا رأيت صبية لم ترعيني أحسن منها عليها حلى وحلل فاخرة وهي راكبة بغلة وقدامها عبد وورائها عبد فأوقفت البغلة على رأس السوق ودخلت ودخل ورائها خادم وقال ياسـ يدتي أخرجـ ي ولا تعلمي أحداً فتطلقي فينا النار ثم حجبها الخادم فلما نظرت إلى دكاكين التجار لم تجد أفخر من دكـ اني فلمـ ا وصلت إلى جهتي والخادم خلفها وصلت إلى دكاني وسلمت على فما وجدت أحسن من حديثها ولا أعذب من كلامها ثم كشفت عن وجهها فنظر بها نظرة أعقبتني ألف حسرة وتعلق قلبي بمحبتها وجعلت أكرر النظر إلى وجهها وأنشد هذين البيتين :

قـ ـل للمليحـ ـة فـ ـي الخمـ ـار الفـ ـاختي ... المـ ـوت حقـ ـاً مـ ـن عـ ـذابك راحتـ ـي

جـ ـودي علـ ـى بـ ـزورة أحيـ ـا بهـ ـا ... هـ ـا قـ ـد مـ ـددت إلـ ـى نوالـ ـك راحتـ ـي

فلما سمعت أنشادهما أجابتني بهذه الأبيات:

عدمت فـ ـؤادي فـ ـي الهـ ـوى أن سـ ـلاكم ... فـ ـإن فـ ـؤادي لا يحـ ـب سـ ـواكم

وأن نظرت عيـ ـي إلـ ـى غيـ ـر حسـ ـنكم ... فلاسـ ـرها بعـ ـد العبـ ـاد لقـ ـاكم

حلفـ ـت يميـ ـاً لسـ ـت أسـ ـلو هـ ـواكم ... وقلبـ ـي حـ ـزين مغـ ـرم بهـ ـواكم

سقاني الهوى كأساً مـ ـن الحـ ـب صـ ـافياً ... فياليتـ ـه لمـ ـا سـ ـقاني سـ ـقاكم

خذوا رمقي حيـ ـث اسـ ـتقرت بكـ ـم نـ ـوي ... وأيـ ـن حللـ ـتم فـ ـأدفنوني حـ ـداكم

وأن تذكروا إسمي عنـ ـد قبـ ـري يجيـ ـبكم ... أنـ ـين عظـ ـامي عنـ ـد رفـ ـع نـ ـداكم

فلو قيـ ـل لـ ـي مـ ـاذا علـ ـى الله تشـ ـتهي ... لقلـ ـت رضـ ـا الـ ـرحمن ثـ ـم رضـ ـاكم

فلما فرغت من شعرها قالت يافتى أعندك تفاصيل ملاح فقلت يا سيدتي مملوكك فقير ولكن أصـ بري حتى تفتح التجار دكاكينهم وأجيء لك بما تريدينه ثم تحدثت أنا وإياها وأنا غارق في بحر محبتها تائـ ـه فـ ي عشقها حتى فتحت التجار دكاكينهم فقمت وأخذت لها جميع ما طلبته وكان ثمن ذلـ ك خمسـ ة آلاف درهـ م وناولت الخادم جميع ذلك فأخذه الخادم وذهبا إلى خارج السوق فقدموا لها البغلة فركبت ولم تذكر لي من أين هي واستحيت أن أذكر لها ذلك والتزمت الثمن للتجار وتكلفت خمسة آلاف درهم وجئت البيت وأنا سـ كران من محبتها فقدموا لى العشاء فأكلت لقمة وتذكرت حسنها وجمالها فأشغلني عن الأكل وأردت أن أنـ ام فلـ م يجيئني نوم ولم أزل على هذه الحالة أسبوعاً وطالبتني التجار بأموالهم فصبرتهم أسبوعاً آخر فبعد الأسـ بوع أقبلت وهي على البغلة ومعها خادم وعبدان فلما رأيتها زال عني الفكر ونسيت ما كنت فيه وأقبلت تحـ دثني بحديثها الحسن ثم قالت هات الميزان وزن مالك فأعطتني ثمن ما أخذته بزيادة ثم انبسطت معي في الكـ ـلام فكدت أن أموت فرحاً وسروراً ثم قالت لي هل لك أنت زوجة فقلت لا أني لا أعرف امرأة ثم بكيت فقالت لي مالك تبكي فقلت من شيء خطر ببالي ثم أتى أخذت بعض دنانير وأعطيتها للخادم وسألته أن يتوسـ ط فـ ي

الأمر فضحك وقال هي عاشقة لك أكثر منك وما لها بالقماش حاجة وأنما هي لأجل محبتها لك فخاطبها بما تريد فإنها لا تخالفك فيما تقول فرأتني وأنا أعطي الخادم الدنانير فرجعت وجلست ثم قلت لها تصدقي على مملوكك وأسمحي له فيما يقول ثم حدثتها بما في خاطري فأعجبها ذلك وأجابتني وقالت هذا الخادم يأتي برسالتي وأعمل أنت بما يقول لك الخادم ثم قامت ومضت وقمت وسلمت التجار أموالهم وحصل لهم الربح إلا أنا فأنها حين ذهبت حصل لي الندم من انقطاع خبرها عني ولم أنم طول الليل فما كان إلا أيام قلائل وجاءني خادمها فأكرمته وسألته عنها فقال أنها مريضة فقلت للخادم أشرح لي أمرها قال أن هذه الصبية ربتها السيدة زبيدة زوجة هارون الرشيد وهي من جواريها وقد اشتهت على سيدتها الخروج والدخول فأذنت لها في ذلك فصارت تدخل وتخرج حتى صارت قهرمانة ثم أنها حدثت بك سيدتها وسألتها أن تزوجها بك فقالت سيدتها لا أفعل حتى أنظر هذا الشاب فإن كان يشبهك زوجتك به ونحن نريد في هذه الساعة أن ندخل بك الدار فان دخلت ولم يشعر بك أحد وصلت تزويجك إياها وإن انكشف أمرك ضربت رقبتك فماذا تقول فقلت نعم أروح معك وأصبر على الأمر الذي حدثتني به فقال لي الخادم إذا كانت هذه الليلة فامض إلى المسجد الذي بنته السيدة زبيدة على الدجلة فصل فيه وبت هناك فقلت حباً وكرامة فلما جاء وقت العشاء مضيت إلى المسجد وصليت فيه وبت هناك فلما كان وقت السحر رأيت الخادمين قد أقبلا في زورق ومعهما صناديق فارغة فأدخلوها في المسجد وأنصرفوا وتأخر واحد منهما فتأملته وإذا هو الذي كان واسطة بيني وبينها فبعد ساعة صعدت إلينا الجارية صاحبتي فلما أقبلت قمت إليها وعانقتها فقبلتني وبكت وتحدثنا ساعة فأخذتني ووضعتني في صندوق وأغلقته علي ولم أشعر إلا وأنا في دار الخليفة وجاءوا إلي بشيء كثير من الأمتعة بحيث يساوي خمسين ألف درهم ثم رأيت عشرين جارية أخرى وهن نهد أبكار وبينهن الست زبيدة وهي لم تقدر على المشي مما عليها من الحلي والحلل فلما أقبلت تفرقت الجواري من حواليها فأتيت إليها وقبلت الأرض بين يديها فأشارت لي بالجلوس فجلست بين يديها ثم شرعت تسألني عن حالي وعن نسبي فأجبتها عن كل ما سألتني عنه ففرحت وقالت والله ما خابت تربيتنا في هذه الجارية ثم قالت لي أعلم أن هذه الجارية عندنا بمنزلة ولد الصلب وهي وديعة الله عندك فقبلت الأرض قدامها ورضيت بزواجي إياها ثم أمرتني أن أقيم عندهم عشرة أيام فأقمت عندهم هذه المدة وأنا لا أدري من هي الجارية إلا أن بعض الوصائف تأتيني بالغداء والعشاء لأجل الخدمة وبعد هذه المدة استأذنت السيدة زبيدة زوجها أمير المؤمنين في زواج جاريتها فأذن لها وأمر لها بعشرة آلاف دينار فأرسلت السيدة زبيدة إلى القاضي والشهود وكتبوا كتابي عليها وبعد ذلك عملوا الحلويات والأطعمة الفاخرة وفرقوا على سائر البيوت ومكثوا على هذا الحال عشرة أيام أخر وبعد العشرين يوماً ادخلوا الجارية الحمام لاجل الدخول بها ثم أنهم قدموا سفرة فيها طعام من جملته خافقية زرباجة محشوة بالسكر وعليها ماء ورد ممسك وفيها أصناف الدجاج المحمرة وغيره من سائر الألوان مما يدهش العقول فوالله حين حضرت المائدة ما أمهلت نفسي حتى نزلت على الزرباجة وأكلت منها بحسب الكفاية ومسحت يدي ونسيت أن أغسلها ومكثت جالساً إلى أن دخل الظلام وأوقدت الشموع وأقبلت المغنيات بالدفوف ولم يزالوا يجلون العروسة وينقطون بالذهب حتى طافت القصر كله وبعد ذلك أقبلوا على ونزعوا ما عليها من الملبوس فلما خلوت بها في الفراش وعانقتها وأنا لم أصدق بوصالها أشمت في يدي

رائحة الزرباجة فلما شمت الرائحة صرخت صرخة فنزل لها الجواري من كل جانب فارتجفت ولم أعلم ما الخبر فقالت الجواري مالك يا أختنا فقالت لهم أخرجوا على هذا المجنون فأنا أحسب أنه عاقل فقلت لها وما الذي ظهر لك من جنوني فقالت يا مجنون لأي شيء أكلت من الزرباجة ولم تغسل يدك فو الله لا أقبلك على عدم عقلك وسوء فعلك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية قالت للشباب لا أقبلك على عدم عقلك وسوء فعلك ثم تناولت من جانبها سوطاً ونزلت به على ظهري ثم على مقاعدي حتى غبت عن الوجود من كثرة الضرب ثم أنها قالت للجواري خذوه وأمضوا به إلى متولي المدينة ليقطع يده التي أكل بها الزرباجة ولم يغسلها فلما سمعت ذلك قلت لا حول ولا قوة إلا بالله أتقطع يدي من أجل أكل الزرباجة وعدم غسلي إياها فدخلن عليها الجواري وقلن لها يا أختنا لا تؤاخذيه بفعله هذه المرة فقالت والله لابد أن أقطع شيئاً من أطرافه ثم راحت وغابت عني عشرة أيام ولم أرها إلا بعد العشرة أيام ثم أقبلت على وقالت لي يا أسود الوجه أنا لا أصلح لك فكيف تأكل الزرباجة ولم تغسل يدك ثم صاحت على الجواري فكتفوني وأخذت موسا ماضياً وقطعت إبهامي يدي وأبهامي رجلي كما ترون يا جماعة فغشى على ثم ذرت على بالذرور فانقطع الدم وقلت في نفسي لا آكل الزرباجة ما بقيت حتى أغسل يدي أربعين مرة بالأشنان وأربعين مرة بالسعد وأربعين مرة بالصابون فأخذت علي ميثاقاً أني لا آكل الزرباجة حتى أغسل يدي كما ذكرت لكم فلما جئتم بهذه الزرباجة تغير لوني وقلت في نفسي هذا سبب قطع إبهامي يدي ورجلي فلما غصبتم على قلت لابد أن أوفي بما حلفت فقلت له والجماعة حاضرون ما حصل لك بعد ذلك قال فلما حلفت لها طاب قلبها ونمت أنا وإياها وأقمنا مدة على هذا الحال وبعد تلك المدة قالت أن أهل دار الخلافة لا يعلمون بما حصل بيني وبينك فيها وما دخلها أجنبي غيرك وما دخلت فيها إلا بعناية السيدة زبيدة ثم أعطتني خمسين ألف دينار وقالت خذ هذه الدنانير وأخرج وأشتر لنا بها داراً فسيحة فخرجت واشتريت داراً مليحة فسيحة ونقلت جميع ما عندها من النعم وما أدخرته من الأموال والقماش والتحف إلى هذه الدار التي اشتريتها فهذا سبب قطع إبهامي فأكلنا وأنصرفنا وبعد ذلك جرى لي مع الأحدب ما جرى وهذا جميع حديثي والسلام فقال الملك ما هذا بأعذب من حديث الأحدب بل حديث الأحدب أعذب من ذلك ولابد من صلبكم جميعاً وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك قال لابد من صلبكم جميعاً فتقدم اليهودي وقبل الأرض وقال ياملك الزمان أنا أحدثك بحديث أعجب من حديث الأحدب فقال له ملك الصين هات ما عندك فقال أعجب ما جرى لي في زمن شهابي أني كنت في دمشق الشام وتعلمت منه صنعة فعملت فيها فبينما أنا أعمل في صنعتي يوماً من الأيام إذا تأتي مملوك من بيت الصاحب بدمشق فخرجت له وتوجهت معه إلى منزل الصاحب فدخلت فرأيت في صدر الأيوان سريراً من المرمر بصفائح الذهب وعليه مريض راقد وهو شاب لم ير أحسن منه في زمانه فقعدت عند رأسه ودعوت له بالشفا فأشار إلى بعينه فقلت له يا سيدي ناولني يدك فأخرج لي يده اليسرى فتعجبت من ذلك وقلت في نفسي يا لله العجب أن هذا الشاب مليح ومن بيت كبير

وليس عنده أدب أن هذا هو للعجب ثم حسست مفاصلة وكتبت له ورقة ومكثت أتردد عليه مدة عشرة أيام وفي اليوم الحادي عشر قال الشاب هل لك أن تتفرج في الغرفة فقلت نعم فأمر العبيدان يطلعوا الفراش إلى فوق وأمرهم أن يشووا خروفاً وأن يأتوا إلينا بفاكهة ففعل العبيد ما أمرهم به وأتوا بالفاكهة فأكلنا وأكل هو بيده الشمال فقلت له حدثني بحديثك فقال لي يا حكيم الزمان اسمع حكاية ما جرى لي اعلم أنني من أولاد الموصل وكان لي والد قد توفي أبوه وخلف عشرة أولاد ذكور من جملتهم والدي وكان أكبرهم فكبروا كلهم وتزوجوا ورزق والدي بي وأما أخوته التسعة فلم يرزقوا بأولاد فكبرت أنا وصرت بين أعمامي وهم فرحون بي فرحاً شديداً فلما كبرت وبلغت مبلغ الرجال وكنت ذات يوم مع والدي في جامع الموصل وكان اليوم يوم جمعة فصلينا الجمعة وخرج الناس جميعاً وأما والدي وأعمامي فإنهم قعدوا يتحدثون في عجائب البلاد وغرائب المدن إلى أن ذكروا مصر فقال بعض أعمامي أن المسافرين يقولون ما على وجه الأرض أحسن من مصر ونيلها ثم أنهم أخذوا يصفون مصر ونيلها فلما فرغوا من كلامهم وسمعت أنا هذه الأوصاف التي في مصر صار خاطري مشغولاً بها ثم أنصرفوا وتوجه كل واحد منهم إلى منزله فبت تلك الليلة لم يأتني نوم من شغفي بها ولم يطب لي الأكل ولا شرب فلما كان بعد أيام قلائل تجهز أعمامي إلى مصر فبكيت على والدي لأجل الذهاب معهم حتى جهز لي متجراً ومضيت معهم وقال لهم لا تدعوه يدخل مصر بل أتركوه في دمشق ليبيع متجره فيها ثم سافرنا وودعت والدي وخرجنا من الموصل ومازلنا مسافرين حتى وصلنا إلى حلب فأقمنا بها أياماً ثم سافرنا إلى أن وصلنا دمشق فرأينا مدينة ذات أشجار وأنهار وأثمار وأطيار كأنها جنة فيها من كل فاكهة فنزلنا في بعض الخانات واستمر بها أعمامي حتى باعوا واشتروا وباعوا بضاعتي فربح الدرهم خمسة دراهم ففرحت بالربح ثم تركني أعمامي وتوجهوا إلى مصر وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشاب لما تركوه أعمامه وتوجهوا إلى مصر رقال مكثت بعدهم وسكنت في قاعة مليحة البنيان يعجز عن وصفها اللسان أجرتها كل شهر بدينارين فصرت أتلذذ بالمآكل والمشارب حتى صرفت المال الذي كان معي فبينما أنا قاعد على باب القاعة يوماً من الأيام وإذا بصبية أقبلت علي وهي لابسة أفخر الملابس ما رأت عيني أفخر منها فعزمت عليها فما قصرت بل صارت داخل الباب فلما دخلت ظفرت بها وفرحت بدخولها فرددت الباب علي وعليها وكشفت عن وجهها وقلعت أزارها فوجدتها بديعة الجمال فتمكن حبها من قلبي فقمت وجئت بسفرة من أطيب المأكول والفاكهة وما يحتاج إليه المقام وأكلنا ولعبنا وبعد اللعب شربنا حتى سكرنا ثم نمت معها مع أطيب ليلة إلى الصباح وبعد ذلك أعطيتها عشرة دنانير فحلفت أنها لا تأخذ الدنانير مني ثم قالت يا حبيبي انتظرني بعد ثلاثة أيام وقت المغرب أكون عندك وهيء لنا بهذه الدنانير مثل هذا وأعطتني هي عشرة دنانير وودعتني وانصرفت فأخذت عقلي معها فلما مضت الأيام الثلاثة أتت وعليها من المزركش والحلي والحلل أعظم مما كان عليها أولاً وكنت هيئت لها ما يليق بالمقام قبل أن تحضر ثم أكلنا وشربنا ونمنا مثل العادة إلى الصباح ثم أعطتني عشرة دنانير وواعدتني بعد ثلاثة أيام أنها تحضر عندي فهيأت لها ما يليق بالمقام وبعد ثلاثة أيام حضرت في قماش أعظم

من الأول والثاني ثم قالت لي يا سيدي هل أنا مليحة فقلت أي والله فقالت هل تأذن لي أن أجيء معي بصبية أحسن مني وأصغر سناً مني حتى تلعب معنا ونضحك وأياها فإنها سألتني أن تخ رج مع ي وتبيـ ت معنـ ا لنضحك وأياها ثم أعطتني عشرين ديناراً وقالت لي زد لنا المقام لأجل الصبية التي تأتي معي ثـ م ودعتنـ ي وانصرفت فلما كان اليوم الرابع جهزت لها ما يليق بالمقام على العادة فلما كان بعد المغرب وإذا بها قد أتت ومعها واحدة ملفوفة بازار فدخلتا وجلستا ففرحت وأوقدت الشموع واستقبلتني بالفرح والسرور فقامتا ونزعتا ما عليهما من القماش وكشفت الصبية الجديدة عن وجهها فرأيتها كالبدر في تمامه فلم أر أحسن منها فقمـ ت وقدمت لهما الأكل والشرب فأكلنا وشربنا وصرت أقبل الصبية الجديدة وأملأ لها القدح وأشرب معها فغارت الصبية الأولى في الباطن ثم قالت بالله إن هذه الصبية مليحة أما هي أظرف مني قلت أي والله قالت خاطري أن تنام معها قلت على رأسي وعيني ثم قامت وفرشت لنا فقمت ونمت مع الصبية الجديدة إلى وقت الصـ بح فلما أصبحت وجدت يدي ملوثة بدم ففتحت عيني فوجدت الشمس قد طلعت فنبهت الصبية فتدحرجت تحتهـ ا العقد الذي كان في عنق تلك الصبية فأخذته وتأملته وبكيت ساعة ثم أقمت يومين وفي اليوم الثالـ ث دخلـ ت الحمام وغيرت أثوابي وأنا ما معي شيء من الدراهم فجئت يوماً إلى السوق فوسوس لي الشيطان لأجل إنقاذ القدر فأخذت العقد الجوهر وتوجهت به إلى السوق وناولته للدلال فقام لي وأجلسني بجانبه وصبر حتى عمر السوق وقال لي أن هذا العقد نحاس مصنوع بصنعة الأفرنج وقد وصل ثمنه إلى ألف درهم فقلت له نعم كذ ا صنعناه لواحدة نضحك عليها به وورثتها زوجتي فأرنا بيعه فرح وأقبض الألـ ف درهـ م وأدرك شـ هرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشاب لما قال للدلال أقبض الألف درهم وسمع الدلال ذلك عرف أن قضيته مشكلة فتوجه بالعقد إلى كبير السوق وأعطاه إياه فأخذه وتوجه به إلى الوالي وقال له أن هـ ذا العقـ د سرق من عندي ووجدنا الحرامي لابساً لباس أولاد التجار فلم أشعر إلا والظلمة قد أحاطوا بـ ي وأخـ ذوني وذهبوا بي إلى الوالي فسألني الوالي عن ذلك العقد فقلت له ما قلته للدلال فضحك الوالي وقال ما هذا كـ لام الحق فلم أدر إلا وحواشيه جردوني من ثيابي وضربوني بالمقارع على جميع بدني فأحرقني الضرب فقلـ ت أنا سرقته وقلت في نفسي أن الأحسن أني أقول أنا سرقته ولا أقول أن صاحبته مقتولة عندي فيقتلوني فيهـ ا فلما قلت أني سرقته قطعوا يدي وقلوها في الزيت فغشي علي فسقوني الشراب حتى أفقت فأخذت يدي وجئت إلى القاعة فقال صاحب القاعة حيثما جرى لك هذا فأدخل القاعة وأنظر لك موضعاً آخر لأنك متهم بـ الحرام فقلت له يا سيدي أمين في يومين أو ثلاثة حتى أنظر لي موضعاً قال نعم ومضى وتركني فبقيت قاعداً أبكـ ي وأقول كيف أرجع إلى أهلي وأنا مقطوع اليد والذي قطع يدي لم يعلم أني بريء فلعل الله يحدث بعد ذلك أمراً وصرت أبكي بكاء شديداً فلما مضى صاحب القاعة عني لحقني غم شديد فتشوشت يومين وفي اليوم الثالـ ث ما أدري إلا وصاحب القاعة جاءني ومعه بعض الظلمة وكبير السوق وادعى على أني سرقت العقد فخرجت لهم وقلت ما الخبر فلم يمهلوني بل كتفوني ووضعوا في رقبتي جنزيراً وقالوا لي أن العقد الذي كـ ان معـ ك طلع لصاحب دمشق ووزيرها وحاكمها وقالوا أن هذا العقد قد ضاع من بيت الصاحب من مدة ثلاث سـ نين

ومعه ابنته فلما سمعت هذا الكلام منهم ارتعدت مفاصلي وقلت في نفسي هم يقتلونني ولا محالة والله لابد أنني أحكي للصاحب حكايتي فإن شاء قتلني وإن شاء عفى عني فلما وصلنا إلى الصاحب أوقفني بين يديه فلما رآني قال أهذا هو الذي سرق العقد ونزل به ليبيعه أنكم قطعتم يده ظلماً ثم أمر بسجن كبير السوق وقال له أعطي هذا دية يده وإلا أشنقك وآخذ جميع ما لك ثم صاح على اتباعه فأخذوه وجردوه وبقيت أنا والصاحب وحدنا بعد أن فكوا الغل من عنقي بأذنه وحلوا وثاقي ثم نظر إلي الصاحب وقال لي يا ولدي حدثني واصدقني كيف وصل إليك هذا العقد قلت يا مولاي أني أقول لك الحق ثم حدثته بجميع ما جرى لي مع الصبية الأولى وكيف جاءتني بالثانية وكيف ذبحتها من الغير وذكرت له الحديث بتمامه فلما سمع كلامي هز رأسه وحط منديله على وجهه وبكى ساعة ثم أقبل علي وقال لي اعلم يا ولدي أن الصبية بنتي وكنت أحجر عليها فلما بلغت أرسلتها إلى أبن عمها بمصر فمات فجاءتني وقد تعلمت العهر من أولاد مصر وجاءتك أربع مرات ثم جاءتك بأختها الصغيرة والأثنتان شقيقتان وكانتا محبتين لبعضهما فلما جرى للكبيرة ما جرى أخرجت سرها على أختها فطلبت مني الذهاب معها ثم رجعت وحدها فسألتها عنها فوجدتها تبكي عليها وقالت لا أعلم لها خبراً ثم قالت لأمها سراً جميع ما جرى من ذبحها أختها فأخبرتني أمها سراً ولم تزل تبكي وتقول والله لا أزال أبكي عليها حتى أموت وكلامك يا ولدي صحيح فإني أعلم بذلك قبل أن تخبرني به فانظر يا ولدي ما جرى وأنا أشتهي منك أن لا تخالفني فيما أقول لك وهو أني أريد أن أزوجك ابنتي الصغيرة فإنها ليست شقيقة لهما وهي بكر ولا آخذ منك مهراً وأجعل لكما راتباً من عندي وتبقى عندي بمنزلة ولدي فقلت له الأمر كما تريد يا سيدي ومن أين لي أن أصل إلى هذا فأرسل الصاحب في الحال من عنده بريد وأتاني بمالي الذي خلفه والدي وأنا اليوم في أرغد عيش فتعجبت منه وأقمت عنده ثلاثة أيام وأعطاني مالاً كثيراً وسافرت من عنده فوصلت إلى بلدكم هذه فطابت لي فيها المعيشة وجرى لي مع الأحدب ما جرى فقال ملك الصين ما هذا بأعجب من حديث الأحدب ولابد لي من شنقكم جميعاً وخصوصاً الخياط الذي هو رأس كل خطيئة قال يا خياط إن حدثتني بشيء أعجب من حديث الأحدب وهبت لكم أرواحكم.

(حكاية مزين بغداد)

فعند ذلك تقدم الخياط وقال اعلم يا ملك الزمان أن الذي جرى لي أعجب مما جرى للجميع لأني كنت قبل أن أجتمع بالأحدب أول النهار في وليمة بعض أصحاب أرباب الصنائع من خياطين وبزازين وبجارين وغير ذلك فلما طلعت الشمس حضر الطعام لنا كل وإذا بصاحب الدار قد دخل علينا ومعه شاب وهو أحسن ما يكون من الجمال غير أنه أعرج فدخل علينا وسلم فقمنا فلما أراد الجلوس رأى فينا إنساناً مزيناً فامتنع من الجلوس وأراد أن يخرج من عندنا فمنعناه نحن وصاحب المنزل وشددنا عليه وحلف عليه صاحب المنزل وقال له ما سبب دخولك وخروجك فقال بالله يا مولاي لا تتعرض لي بشيء فإن سبب خروجي هذا المزين الذي هو قاعد فلما سمع منه صاحب الدعوة هذا الكلام تعجب غاية العجب وقال كيف يكون هذا الشاب من بغداد وتشوش خاطره من هذا المزين ثم التفتنا إليه وقلنا له أحك لنا ما سبب غيظك من هذا المزين فقال الشاب يا جماعة أنه جرى لي مع هذا المزين أمر عجيب في بغداد بلدي وكان هو سبب عرجي وكسر رجلي وحلفت أني ما بقيت أقاعده في مكان ولا أسكن في بلد هو ساكن بها وقد سافرت من بغداد ورحلت منها

وسكنت في هذه المدينة وأنا الليلة لا أبيت إلا مسافراً فقلنا بالله عليك أن تحكي لنا حكايتك معه فأصفر لـ ون المزين حين سألنا الشاب ثم قال الشاب اعلموا يا جماعة الخير أن والدي من أكابر تجار بغداد ولم يرزقه الله تعالى بولد غيري فلما كبرت وبلغت مبلغ الرجال توفي والدي إلى رحمة الله تعالى وخلف لي مـ ـالا وخـ ـدماً وحشماً فصرت ألبس أحسن الملابس وآكل أحسن المآكل وكان الله سبحانه وتعالى بغضني في النساء إلى أن كنت ماشياً يوماً من الأيام في أزقة بغداد وإذا بجماعة تعرضوا لي في الطريق فهربت ودخلت زقاقاً لاينفـ ـذ وأرتكنت في آخره على مصطبة فلم أقعد غير ساعة وإذا بطاقة قبالة المكان الذي أنا فيه فتحت وطلت منه ـا صبية كالبدر في تمامه لم أر في عمري مثلها ولها زرع تسقيه وذلك الزرع تحت الطلة فالتفتت يميناً وشمالاً ثم قفلت الطاقة وغابت عن عيني فانطلقت في قلبي النار واشتغل خاطري بها وانقلب بغضي للنسـ ـاء محبـ ـة فمازلت جالساً في هذا المكان إلى المغرب وأنا غائب عن الدنيا من شدة الغرام وإذا بقاضي المديـ ـة راكـ ـب وقدامه عبيد ووراءه خدم فنزل ودخل البيت الذي طلب منه تلك الصبية فعرفت أنه أبوها ثم أني جئت منزلي وأنا مكروب ووقعت على الفراش مهموماً فدخلن على جواري وقعدن حولي ولم يعرفن ما بي وأنا لم أبدلهن أمراً ولم أرد لخطابهن جواباً وعظم مرضي فصارت الناس تعودني فدخلت على عجوز فلما رأتني لم يخـ ـف عليها حالي فقعدت عند رأسي ولا طفتني وقالت لي يا ولدي قل لي خبرك فحكيت لها حكـ ـايتي وهـ ـا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

(وفي ليلة ٣٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشاب لما حكى للعجوز حكايته قالت له يا ولدي أن هذه بنت قاضـ ـي بغداد وعليها الحجر والموضع الذي رأيتها فيه هو طبقتها وأبوها له أسفل وهي وحدها وأنا كثيراً ما أدخـ ـل عندهم ولا تعرف وصالها إلا مني فشد حيلك فتجلدت وقويت نفسي حين سمعت حديثها وفرح أهلي في ذلـ ـك اليوم وأصبحت متماسك الأعضاء مرتع تمام الصحة ثم مضت العجوز ورجعت ووجهها متغير فقالـ ـت يـ ـا ولدي لا تسأل عما جرى منها لما قلت لها ذلك فأنها قالت لي أن لم تسكتي يا عجوز النحس عن هذا الكـ ـلام لأفعلن بك ما تستحقينه ولابد أن أرجع إليها ثاني مرة فلما سمعت ذلك منها ازددت مرضاً على مرضي فلما كان بعد أيام أتت العجوز وقالت يا ولدي أريد منك البشارة فلما سمعت ذلك منها ردت روحي إلـ ـى جسـ ـمي وقلت لها لك عندي كل خير فقالت أني ذهبت بالأمس إلى تلك الصبية فلما نظرتني وأنا منكسرة الخاطر باكية العين قالت يا خالتي مالي أراك ضيقة الصدر فلما قالت لي ذلك بكيت وقلت لها يا بنتي وسيدتي أني أتيتـ ـك الأمس من عند فتى يهواك وهو مشرف على الموت من أجلك فقالت لي وقد رق قلبها ومن أين يكـ ـون هـ ـذا الفتى الذي تذكرينه قلت هو ولدي وثمرة فؤادي ورآك من الطاقة من أيام مضت وأنت تسقين ورعـ ـك ورأى وجهك فهام بك عشقاً وأنا أول مرة أعلمته بما جرى لي معك فزاد مرضه ولزم الوساد بها هو إلا ميـ ـت ولا محالة فقالت وقد أصفر لونها هل هذا كله من أجلي قلت أي والله فماذا تأمرين قالت أمضي إليه واقرئيه مني السلام وأخبريه أن عندي أضعاف ما عنده فإذا كان يوم الجمعة قبل الصلاة يجيء إلى الدار وأنا أقول افتحوا له الباب وأطلعه عندي واجتمع أنا وإياه ساعة ويرجع قبل مجيء أبي من الصلاة فلما سمعت كلام العجـ ـوز زال ما كنت أجده من الألم واستراح قلبي ودفعت إليها ما كان على من الثياب وانصرفت وقالت لـ ـي طيـ ـب

قلبك فقلت لها لم يبق في شيء من الألم وتباشر أهل بيتي وأصحابي بعافيتي ولم أزل كذلك إلى يوم الجمع ة وإذا بالعجوز دخلت على وسألتني عن حالي فأخبرتها أني بخير وعافية ثم لبست ثيابي وتعط رت ومكث ت أنتظر الناس يذهبون إلى الصلاة حتى أمضي إليها فقالت العجوز أن معك الوقت اتساعاً زائد فلو مضيت إلى الحمام وأزلت شعرك لاسيما من أثر المرض لكان في ذلك صلاحك فقلت لها أن هذا هو الرأي الصواب لكن أحلق رأسي أولاً ثم أدخل الحمام فأرسلت إلى المزين ليحلق لي رأسي وقلت للغلام أمض على السوق وأئتني بمزين يكون عاقلاً قليل الفضول لا يصدع رأسي بكثرة كلامه فمضى الغلام وأتى بهذا الشيخ فلما دخل سـ لم على فرددت عليه السلام فقال أذهب الله غمك وهمك والبؤس والأحزان عنك فقلت تقبل الله منك فقال أبشر يا سيدي فقد جاءتك العافية أتريد تقصير شعرك أو أخراج دم فإنه ورد عن أبن عباس أنه قال من قصر شـ عره يوم الجمعة صرف الله عنه سبعين داء وروي أيضاً أنه قال من احتجم يوم الجمعة فإنه يأمن ذهاب البصـ ر وكثرة المرض فقلت له دع عنك هذا الهذيان وقم في هذه الساعة أحلق لي رأسي فإني رجل ضعيف فقام ومد يده وأخرج منديلاً وفتحه وإذا فيه اضطرلاب وهي سبع صفائح فأخذه ومضى على وسط الدار ورفع رأسـ ه إلى شعاع الشمس ونظر ملياً وقال لي أعلم أنه مضى من يومنا هذا وهو يوم الجمعة وهو عاشر صفر سـ نة ثلاث وستين وسبعمائة من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام وطالعه بمقتضى مـ ا أوجبـ ه علم الحساب المريخ سبع دقائق وستة دقائق واتفق أنه يدل على أن حلق الشعر جيد جداً ودل عندي على أنك تريد الأقبال على شخص وهو مسعود لكن بعده كلام يقع وشيء لا أذكره لك فقلت له وقد أضجرتني وأزهقت روحي وفولت علي وإنا ما طلبتك إلا لتحلق رأسي فقم واحلق رأسي ولا تطل على الكلام فقال والله لو علمت حقيقة الأمر لطلبت مني زيادة البيان وأنا أشير عليك أنك تعمل اليوم بالذي أمرك به بمقتضى حساب الكواكب وكان سبيلك أن تحمد الله ولا تخالفني فأني ناصح لك وشفيق عليك وأود أن أكون في خـ دمتك سـ نة كامـ ة وتقوم بحقي ولا أريد منك أجرة على ذلك فلما سمعت ذلك ما قلت له أنك قاتلي في هـ ذا اليـ وم ولا محالـ ة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشاب قال له أنك قاتلي في هذا اليوم فقال سيدي أنا الذي تسميني الناس الصامت لقلة كلامي دون أخوتي لأن أخي الكبير اسمه البقبوق والثاني الهدار والثالث بقبق والرابع اسمه الكوز الأصواني والخامس أسمه العشار والسادس اسمه شقالق والسابع اسمه الصامت وهو أنا فلما زاد على هذا المزين بالكلام رأيت أن مرارتي اضطرت وقلت للغلام أعطه ربع دينار وخله ينصرف عني لوجه الله فلا حاجة لي في حلاقة رأسي فقال المزين حين سمع كلامي مع الغلام يا مولاي ما أظنك تعرف بمنزلتي فإن يدي تقع على رأس الملوك والأمراء والوزراء والحكماء والفضلاء وفي مثلي قال الشاعر:

جميع الصنائع مثل العقود وهذا المزين در السلوك

فيعلو على كل ذي حكمة وتحت يديه رؤوس الملوك

فقلت دع مالا يعنيك فقد ضيقت صدري وأشلت خاطري فقال أظنك مستعجلاً فقلت له نعم نعم فقال تمهل على نفسك فإن العجلة من الشيطان وهي تورث الندامة والحرمان وقد قال عليه الصلاة والسلام خير الأمور ما كان فيه تأن وأنا والله رابني أمرك فاشتهي أن تعرفني ما الذي أنت مستعجل من أجله ولعله خير فإني أخشى أن يكون شيئاً غير ذلك وقد بقي من الوقت ثلاث ساعات ثم غضب ورمي الموس من يديه وأخذ الاضطراب ومضى إلى الشمس ووقف حصة مديدة وعاد وقال قد بقي لوقت الصلاة ثلاث ساعات لا تزيد ولا تنقص فقلت له بالله عليك اسكت عني فقد فتت كبدي فأخذ الموس وسنه كما فعل أولاً وحلق بعض رأسي وقال أنا مهموم من عجلتك فلواطلعتني على سببها لكان خيراً لأنك تعلم أن والدك ما كان يفعل شيئاً إلا بمشورتي فلما علمت أن مالي منه خلاص قلت في نفسي قد جاء وقت الصلاة واريد أن أمضي قبل أن تخرج الناس من الصلاة فإن تأخرت ساعة لا أدري أين السبيل إلى الدخول إليها فقلت أوجز ودع عنك هذا الكلام والفضول فإني أريد أن أمضي إلى دعوة عند أصحابي فلما سمع ذكر الدعوة قال يومك يوم مبارك علي لقد كنت البارحة حلفت على جماعة من أصدقائي ونسيت أن أجهز لهم شيئاً يأكلونه وفي هذه الساعة تذكرت ذلك وا فضيحتاه منهم فقلت له لا تهتم بهذا الأمر بعد تعريفك أنني اليوم في دعوة فكل ما في داري من طعام وشراب لك إن أنجزت أمري وعجلت حلاقة رأسي فقال جزاك الله خيراً صف لي ما عندك لأضيافي حتى أعرفه فقلت عندي خمسة أوان من الطعام وعشر دجاجات محمرات وخروف مشوي فقال أحضرها لي حتى أنظرها فأحضرت له جميع ذلك فلما عاينه قال بقي الشراب فقلت له عندي قال أحضره فأحضرته له قال لله درك ما أكرم نفسك لكن بقي البخور الطيب فأحضرت له درجاً فيه نداً وعود وعنبر ومسك يساوي خمسين ديناراً وكان الوقت قد ضاق حتى صار مثل صدري فقلت له خذ هذا واحلق لي جميع رأسي بحياة محمد ﷺ فقال المزين والله ماآخذه حتى أرى جميع ما فيه فأمرت للغلام ففتح له الدرج فرمي المزين الاضطراب من يده وجلس على الأرض يقلب الطيب والبخور والعود الذي في الدرج حتى كادت روحي أن تفارق جسمي ثم تقدم وأخذ الموس وحلق من رأسه شيئاً يسيراً وقال والله يا ولدي ما أدري أشكرك ثم أشكر والدك لأن دعوتي اليوم كلها من بعض فضلك وأحسانك وليس عندي من يستحق ذلك وإنما عندي زيتون الحمامي وصليع الفسخاني وعوكل الفوال وعكرشه البقال وحميد الزبال وعكارش اللبان ولكل هؤلاء رقصة يرقصها

فضحك عن قلب مشحون بالغيظ وقلت له أقض شغلي وأسير أنا في أمان الله تعالى وتمضي أنت إلى أصحابك فإنهم منتظرون قدومك فقال ما طلبت إلا أن أعاشرك بهؤلاء الأقوام فأنهم من أولاد الناس الذين ما فيهم فضولي ولو رأيتهم مرة واحدة لتركت جميع أصحابك فقلت له نعم الله سرورك بهم ولابد أن أحضرهم عندي يوماً وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشاب لما قال للمزين لابد أن أحضر أصحابك عندي يوماً فقال له إذا أردت ذلك وقدمت دعوة أصحابك في هذا اليوم فاصبر حتى أمضي بهذا الإكرام الذي أكرمتني به وأدعه عند أصحابي يأكلون ويشربون ولا ينتظرون ثم أعود إليك وأمضي معك إلى أصدقائك فليس بيني وبين أصدقائي حشمة تمنعني عن تركهم والعود إليك عاجلاً وأمضي معك أينما توجهت فقلت لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم أمضي أنت إلى أصدقائك وانشرح معهم ودعني أمضي إلى أصدقائي وأكون معهم في هذا اليوم فإنهم ينتظرون قدومي فقال المزين لا أدعك تمضي وحدك فقلت له أن الموضع الذي أمضي إليه لا يقدر أحد أن يدخل فيه غيري فقال أظنك اليوم في ميعاد واحدة وإلا كنت تأخذني معك وأنا أحق من جميع الناس وأساعدك على ما تريد فإني أخاف أن تدخل على امرأة أجنبية فتروح روحك فإن هذه مدينة بغداد لا يقدر أحد أن يعمل فيها شيئاً من هذه الأشياء لاسيما في مثل هذا اليوم وهذا والي بغداد صارم عظيم فقلت ويلك يا شيخ الشر أي شيء هذا الكلام الذي تقابلني به فسكت سكوتاً طويلاً وأدركنا وقت الصلاة وجاء وقت الخطبة وقد فرغ من حلق رأسي فقلت له أمضي إلى أصحابك بهذا الطعام والشراب وأنا أنتظرك حتى تعود وتمضي معي ولم أزل أخادعه لعله يمضي فقال لي أنك تخادعني وتقضي وحدك وترمي نفسك في مصيبة لا خلاص لك منها فبالله لا تبرح حتى أعود إليك وأمضي معك حتى أعلم ما يتم من أمرك فقلت له نعم لا تبطيء علي فأخذ ما أعطيته من الطعام والشراب وغيره وخرج من عندي فسلمه إلى الحمال ليوصله إلى منزله وأخفى نفسه في بعض الأزقة ثم قمت من ساعتي وقد اعلنوا على المنارات بسلام الجمعة فلبست ثيابي وخرجت وحدي وأتيت إلى الزقاق ووقعت على البيت الذي رأيت فيه تلك الصبية وإذا بالمزين خلفي ولا أعلم به فوجدت الباب مفتوحاً فدخلت وإذا بصاحب الدار عاد إلى منزله من الصلاة ودخل القاعة وغلق الباب فقلت من أين علم هذا الشيطان بي فأتفق في هذه الساعة لأمر يريده الله من هتك ستري أن صاحب الدار أذنبت جارية عنده فضربها فصاحت فدخل عنده عبد ليخلصها فضربه فصاح الآخر فأعتقد المزين أنه يضربني فصاح ومزق أثوابه وحثا التراب على رأسه وصار يصرخ ويستغيث والناس حوله وهو يقول قتل سيدي في بيت القاضي ثم مضي إلى داري وهو يصيح والناس خلفه وأعلم أهل بيتي وغلماني فما دريت إلا وهم قد أقبلوا يصيحون وا سيداه كل هذا والمزين قدامهم وهو ممزق الثياب والناس معهم ولم يزالوا يصرخون وهو في أوائلهم يصرخ وهم يقولوا وا قتيلاه وقد أقبلوا نحو الدار التي أنا فيها فلما سمع القاضي ذلك عظم عليه الأمر وقام وفتح الباب فرأى جمعاً عظيماً فبهت وقال يا قوم ما القصة فقال له الغلمان أنك قتلت سيدنا فقال يا قوم وما الذي فعله سيدكم حتى أقتله وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن القاضي قال للغلمان ما الذي فعله سيدكم حتى أقتله ومالي لا أرى هذا المزين بين أيديكم فقال له المزين أنت ضربته في هذه الساعة بالمقارع وأنا أسمع صياحه فقال القاضي وما الذي فعله حتى أقتله ومن أدخله داري ومن أين جاء والي أين يقصد فقال له المزين لا تكن شيخاً نحساً فأنا أعلم الحكاية وسبب دخوله دارك وحقيقة الأمر كله وبنتك تعشقه وهو يعشقها فعلمت أنه قد دخل دارك وأمرت غلمانك فضربوه والله ما بيننا وبينك إلا الخليفة أو تخرج لنا سيدنا ليأخذه أهله ولا تحوجني إلى أن أدخل وأخرجه من عندكم وعجل أنت بإخراجه فالتجم القاضي عن الكلام وصار في غاية الخجل من الناس وقال للمزين أن كنت صادقاً فأدخل أنت وأخرجه فنهض المزين ودخل الدار فلما رأيت المزين أردت أن أهرب فلم أجد لي مهرباً غير أني رأيت في الطبقة التي أنا فيها صندوقاً كبيراً فدخلت فيه ورددت الغطاء عليه وقطعت النفس فدخل القاعة بسرعة ولم يلتفت إلى غير الجهة التي أنا فيها بل قصد الموضع الذي أنا فيه والتفت يميناً وشمالا فلم يجد إلا الصندوق الذي أنا فيه فحمله على رأسه فلما رأيته فعل ذلك غاب رشدي ثم مر مسرعاً فلما علمت أنه ما يتركني فتحت الصندوق وخرجت منه بسرعة ورميت نفسي على الأرض فانكسرت رجلي فلما توجهت إلى الباب وجدت خلقاً كثيراً لم أر في عمري مثل هذا الازدحام الذي حصل في ذلك اليوم فجعلت أنثر الذهب على النسا ليشتغلوا به فاشتغل الناس به وصرت أجري في أزقة بغداد وهذا المزين خلفي وأي مكان دخلت فيه يدخل خلفي وهو يقول أرادوا أن يفجعوني في تفسيرك حتى فعلت بنفسك هذه الأفعال فلولا منّ الله عليك بي ما كنت خلصت من هذه المصيبة التي وقعت فيها وربما كانوا يرمونك في مصيبة لا تخلص منها أبداً فأطلب من الله أن أعيش لك حتى أخلصك والله لقد أهلكني سوء تدبيرك وكنت تريد أن تروح وحدك ولكن لا نؤاخذك على جهلك لأنك قليل العقل عجول فقلت له أما كفاك ما جرى منك حتى تجري ورائي في الأسواق وصرت أتمنى الموت لأجل خلاصي منه فلا أجد موتاً ينقذني منه فمن شدة الغيظ فررت منه ودخلت دكاناً في وسط السوق واستجرت بصاحبها فمنعه عني وجلست في مخزن وقلت في نفسي ما بقيت أقدر أن أفر من هذا المزين بل يقيم عندي ليلاً ونهاراً ولم يبق في قدرة على النظر إلى وجهه فأرسلت في الوقت أحضرت الشهود وكتبت وصية لأهلي وجعلت أنساناً ناظراً عليهم وأمرته أن يبيع الدار والعقارات وأوصيته بالكبار والصغار وخرجت مسافراً من ذلك الوقت حتى أتخلص من ذلك القواد ثم جئت إلى بلادكم فسكنتها ولى فيها مدة فلما عزمت علي وجئت إليكم رأيت هذا القبيح القواد عندكم في صدر المكان فكيف يستريح قلبي ويطيب مقامي عندكم مع هذا وقد فعل معي هذا الفعال وانكسرت رجلي بسببه ثم أن الشاب امتنع من الجلوس فلما سمعنا حكايته مع المزين قلنا للمزين أحق ما قاله هذا الشاب عنك فقال والله أنا فعلت ذلك بمعرفتي ولولا أني فعلت لهلك وما سبب نجاته إلا أنا ومن فضل الله عليك بسببي أنه أصاب برجله ولم يصب بروحه ولو كنت كثير الكلام ما فعلت معه ذلك الجميل وها أنا أقول لكم حديثاً جرى لي حتى تصدقوا أني قليل الكلام وما عندي فضول من دون أخوتي وذلك أني كنت ببغداد في أيام خلافة أمير المؤمنين المنتصر بالله وكان يحب الفقراء والمساكين ويجالس العلماء والصالحين فاتفق له يوماً أنه غضب على عشرة أشخاص فأمر المتولي ببغداد أن يأتيه بهم في زورق فنظرتهم أنا فقلت ما اجتمع هؤلاء إلا لعزومة وأظنهم يقطعون يومهم في هذا الزورق في أكل وشرب ولا يكون نديمهم غيري فقمت ونزلت معهم

واختلطت بهم فقعدوا في الجانب الآخر فجاء لهم أعوان الوالي بالأغلال ووضعوها في رقابهم ووضعوا في رقبتي غلال من جملتهم فهذا يا جماعة ما هو من مروءتي وقلة كلامي لأني ما رضيت أن أتكلم فأخذونا جميعاً في الأغلال وقدمونا بين يدي المنتصر بالله أمير المؤمنين فأمر بضرب رقاب العشرة فضرب السياف رقاب العشرة وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن المزين قال لما السياف ضرب رقاب العشرة وبقيت أنا فالتفت الخليفة فرآني فقال للسياف ما بالك لا تضرب رقاب جميع العشرة فقال ضربت رقاب العشرة كلهم فقال له الخليفة ما أظنك ضربت رقاب غير تسعة وهذا الذي بين يدي هو العاشر فقال السياف وحق نعمتك أنهم عشرة قال عدوهم فعدوهم فإذا هم عشرة فنظر إلى الخليفة وقال ما حملك على سكوتك في هذا الوقت وكيف صرت مع أصحاب الدم فلما سمعت خطاب أمير المؤمنين قلت له اعلم يا أمير المؤمنين أني أنا الشيخ الصامت وعندي من الحكمة شيء كثير وأما رزانة عقلي وجودة فهمي وقلة كلامي فإنها لا نهاية لها وصنعتي الزيادة فلما كان أمس بكرة النهار نظرت هؤلاء العشرة قاصدين الزورق فاختلطت بهم ونزلت معهم وظننت أنهم في عزومة فما كان غير ساعة وإذا هم أصحاب جرائم فحضرت إليهم الأعوان ووضعوا في رقابهم الأغلال ووضعوا في رقبتي غلا من جملتهم فمن فرط مروءتي سكت ولم أتكلم فعدم كلامي في ذلك الوقت من فرط مروءتي فساروا بنا حتى أوقفونا بين يديك فأمرت بضرب رقاب العشرة وبقيت أنا بين يدي السياف ولم أعرفكم بنفسي أما هذه مروءة عظيمة قد أحوجتني إلى أن أشاركهم في القتل لكن طول دهري هكذا أفعل الجميل فلما سمع الخليفة كلامي وعلم أني كثير المروءة قليل الكلام ما عندي فضول كما يزعم هذا الشاب الذي خلصته من الأهوال قال الخليفة وأخوتك الستة مثلك فيهم الحكمة والعلم وقلة الكلام قلت لا عاشوا ولا بقوا أن كانوا مثلي ولكن ذممتني يا أمير المؤمنين ولا ينبغي لك أن تقرن أخوتي بي لأنهم من كثرة كلامهم وقلة مروءتهم كل واحد منهم بعاهة ففيهم واحداً أعرج وواحد أعور وواحد أفلج وواحد أعمى وواحد مقطوع الأذنين والأنف وواحد مقطوع الشفتين وواحد أحول العينين ولا تحسب يا أمير المؤمنين أني كثير الكلام ولابد أن أبين لك أني أعظم مروءة منهم ولكل واحد منهم حكاية اتفقت له حتى صار فيه عاهة وأن شئت أن أحكي لك فاعلم يا أمير المؤمنين أن الأول وهو الأعرج كان صنعته الخياطة ببغداد فكان يخيط في دكان استأجرها من رجل كثير المال وكان ذلك الرجل ساكناً على الدكان وكان في أسفل دار الرجل طاحون فبينما أخي الأعرج جالس في الدكان في بعض الأيام يخيط إذ رفع رأسه فرأى امرأة كالبدر الطالع في روشن الدار وهي تنظر الناس فلما رآها أخي تعلق قلبه بحبها وصار يومه ذلك ينظر إليها وترك اشتغاله بالخياطة إلى وقت المساء فلما كان وقت الصباح فتح دكانه وقعد يخيط وهو كلما غرز غرزة ينظر إلى الروشن فمكث على ذلك مدة لم يخيط شيئاً يساوي درهماً فاتفق أن صاحب الدار جاء إلى أخي يوماً من الأيام ومعه قماش وقال له فصل لي هذا وخيطه أقمصة فقال أخي سمعاً وطاعة ولم يزل يفصل حتى فصل عشرين قميصاً إلى وقت العشاء وهو لم يذق طعاماً ثم قال له كم أجرة ذلك فلم يتكلم أخي فأشارت إليه العينية بعينها لا تأخذ منه شيئاً وكان محتاجاً إلى فلس واستمر ثلاثة أيام لا يأكل ولا يشرب إلا القليل بسبب اجتهاده في تلك الخياطة

فلما فرغ من الخياطة التي لهم أتى إليهم بالأقمصة وكانت الصبية قد عرفت زوجها بأخي وأخي لا يعلم ذلك واتفقت هي وزوجها على استعمال أخي في الخياطة بلا أجرة بل يضحكون عليه فلما فرغ أخي من جميع أشغالهما عملاً عليه حيلة وزوجاه بجاريتهما وليلة أراد أن يدخل عليها قالاً له بت الليلة في الطاحون وإلى غد يكون خيراً فاعتقد أخي أن لهما قصداً صحيحاً فبات في الطاحون وحده وراح زوج الصبية غمز الطحان عليه ليدوره في الطاحون فدخل عليه الطحان في نصف الليل وجعل يقول أن هذا الثور بطال مع أن القمح كثير وأصحاب الطحين يطلبونه فأنا أعلقه في الطاحون حتى يخلص طحين القمح فعلقه في الطاحون إلى قريب الصبح فجاء صاحب الدار فرأى أخي معلقاً في الطاحون والطحان يضربه بالسوط فتركه ومضى وبعد ذلك جاءت الجارية التي عقد عليها وكان مجيئها في بكرة النهار فحلته من الطاحون وقال قد شق علي أو على سيدتي ما جرى لك وقد حملنا همك فلم يكن له لسان برد جواباً من شدة الضرب ثم أن أخي رجع إلى منزله وإذا بالشيخ الذي كتب الكتاب قد جاء وسلم عليه وقال له حياك الله زواجك مبارك أنت بت الليلة في النعيم والدلال والعناق من العشاء إلى الصباح فقال له أخي لا سلم الله الكاذب يا ألف قواد والله ما جئت إلا لأطحن في موضع الثور إلى الصباح فقال له حدثني بحديثك فحدثه أخي بما وقع له فقال له ما وافق نجمك نجمها ولكن إذا شئت أن أغير لك عقد العقد أغيره لك بأحسن منه لا حل أن يوافق نجمك لأبيها فقال له أنظر أن بقى لك حيلة أخرى وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الأعرج لما قال للشيخ أنظر أن بقي لك حيلة أخرى فتركه وأتى إلى دكانه ينتظر أحداً يأتي إليه بشغل يتقوت من أجرته وإذا هو بالجارية قد أتت إليه وكانت أتفقت مع سيدتها على تلك الحيلة فقالت له أن سيدتي مشتاقة إليك وقد طلعت السطح لترى وجهك من الروشن فلم يشعر أخي إلا وهي قد طلعت له من الروشن وصارت تبكي وتقول لأي شيء قطعت المعاملة بيننا وبينك فلم يرد عليها جواباً فحلفت له أن جميع ما وقع له في الطاحون لم يكن باختيارها فلما نظر أخي إلى حسنها وجمالها ذهب عنه ما حصل له وقبل عذرها وفرح برؤيتها ثم سلم عليها وتحدث معها وجلس في خياطته مدة وبعد ذلك ذهبت إليه الجارية وقالت له تسلم عليك سيدتي وتقول لك أن زوجها قد عزم على أن يبيت عند بعض أصدقائه في هذه الليلة فإذا مضى عندهم تكون أنت عندنا وتبيت مع سيدتي في الدعيش إلى الصباح وكان زوجها قد قال لها ما يكون العمل في مجيئه عندك حتى آخذه وأجره إلى الوالي فقالت دعني أحتال عليه بحيلة وافضحه فضيحة يشتهر بها في هذه المدينة وأخي لا يعلم شيئاً من كيد النساء فلما أقبل المساء جاءت الجارية إلى أخي وأخذته ورجعت به إلى سيدتها فقالت له والله يا سيدي أني مشتاقة إليك كثيراً فقال بالله عجل بقبلة قبل كل شيء فلم يتم كلامه إلا وقد حضر زوج الصبية من بيت جاره فقبض على أخي وقال له والله لا أفارقك إلا عند صاحب الشرطة فتضرع إليه أخي فلم يسمعه بل حمله إلى دار الوالي فضربه بالسياط وأركبه جملاً ودوره في شوارع المدينة والناس ينادون عليه هذا جزاء من يهجم على حريم الناس ووقع من فوق الجمل فانكسرت رجله فصار أعرج ثم نفاه الوالي من المدينة فخرج لا يدري أين يقصد فأغتظت أنا فلحقته وأتيت به والتزمت بأكله وشربه إلى الآن فضحك الخليفة من كلامي وقال أحسنت فقلت لا أقبل هذا التعظيم

منك دون أن تصغى إلي حتى أحكي لك ما وقع لبقية أخوتي ولا تحسب أني كثير الكلام فقال الخليفة حـ دثني بما وقع لجميع أخوتك وشنف مسامعي بهذه الرقائق وأسلك سبيل الأطناب في ذكر هذه اللطائف فقلت اعلم يا أمير المؤمنين أن أخي الثاني كان اسم بقيق وقد وقع له أنه كان ماشياً يوماً من الأيام متوجهاً إلى حاجة لـ ـه وإذا بعجوز قد أستقبلته وقالت له أيها الرجل قف قليلاً حتى أعرض عليك أمراً فإن أعجبك فأقضه لي فوقف أخي فقالت له أدلك على شيء وأرشدك إليه بشرط أن لا يكون كلامك كثيراً فقال لها أخي هات كلامك قالت له ما قولك في دار حسنة وماؤها يجري وفاكهة ومدام ووجه مليح تشاهده وخد أسيل تقبله وقد رشيق تعانقه ولم تزل كذلك من العشاء إلى الصباح فإن فعلت ما أشترط عليك رأيت الخير فلما سمع أخي كلامها قال لـه ـا يا سيدتي وكيف قصدتيني بهذا الأمر من دون الخلق أجمعين فأي شيء أعجبك مني فقالت لأخي أما قلت لك لا تكن كثير الكلام وأسكت وأمض معي ثم ولت العجوز وسار أخي تابعاً لها طمعاً فيما وصفته له حتى دخلا داراً فسيحة وصعدت به من أدنى إلى أعلى فرأى قصراً ظريفاً فنظر أخي فرأى فيه أربع بنـ ـات مـ ـا رأى الراءون أحسن منهن وهن يغنين بأصوات تطرب الحجر الأصم ثم أن بنتاً منهن شربت قدحاً فقال لها أخي بالصحة والعافية وقام ليخدمها فمنعته من الخدمة ثم سقته قدحاً فشرب وصفعته على رقبته فلمـ ـا رأى أخـ ـي ذلك خرج مغضباً ومكثراً للكلام فتبعته العجوز وجعلت تغمزه بعينها أرجع فرجع وجلس ولم ينطق فأعـ ـادت الصفعة على قفاه إلى أن أغمى عليه ثم قام أخي لقضاء حاجته فلحقته العجوز وقالت له أصبر قليلاً حتى تبلغ ما تريد فقال لها أخي إلى كم أصبر قليلاً فقالت له العجوز إذا سكرت بلغت مرادك فرجع أخي إلـ ـى مكانـ ـه وجلس فقامت البنات كلهن وأمرتهن العجوز أن يجردنه من ثيابه وأن يرششن على وجهه ماء ورد ففعلن ذلك فقالت الصبية البارعة الجمال منهن أعزك الله قد دخلت منزلي فإن صبرت على شرطي بلغت مرادك فقـ ـال لها أخي يا سيدتي أنا عبدك وفي قبضة يدك فقالت له اعلم أن الله قد شغفني بحب المطرب فمن أطاعني نال ما يريد ثم أمرت الجواري أن يغنين فغنين حتى طرب المجلس ثم قالت للجارية خذي سيدك وأقضي حاجتـ ـه وائتيني به في الحال فأخذت الجارية أخي ولا يدري ما تصنع به فلحقته العجوز وقالت له أصبر ما بقـ ـي إلا القليل فأقبل أخي على الصبية والعجوز تقول أصبر فقد بلغت ما تريد وأنما بقي شيء واحد وهـ ـو أن تحلـ ـق ذقنك فقال لها أخي وكيف أعمل في فضيحتي بين الناس فقالت له العجوز أنها ما أرادت أن تفعل بك ذلك إلا لأجل أن تصير أمرد بلا ذقن ولا يبقى في وجهك شيء يشكها فإنها صار في قلبها لك محبة عظيمة فأصـ ـبر فقد بلغت المنى فصبر أخي وطاوع الجارية وحلق ذقنه وجاءت به إلى الصبية وإذا هو محلـ ـوق الحـ ـاجبين والشاربين والذقن محمر الوجه ففزعت منه ثم ضحكت حتى استلقت على قفاها وقالت يا سيدي لقد ملكتنـ ـي بهذه الأخلاق الحسنة ثم حلفته بحياتها أن يقوم ويرقص فقام ورقص فلم تدع في البيت مخدة حتى ضربته بها وكذلك جميع الجواري صرن يضربنه بمثل نارنجة وليمونة واترجه إلى أن سقط مغشياً عليه من الضرب ولم يزل الصفع على قفاه والرجم في وجهه إلى أن قالت له العجوز الآن بلغت مرادك واعلم أنه ما بقي عليك من الضرب شيء وما بقي إلا شيء واحد وذلك أن ما عادتها إنها إذا سكرت لا تمكن أحداً من نفسها حتى تقلـ ـع ثيابها وسراويلها وتبقى عريانة من جميع ما عليها من ثيابها وأنت الآخر تقلع ثيابك وتجري ورائهـ ـا وهـ ـي تجري قدامك كأنها هاربة منك ولم تزل تابعها من مكان أنه مكان حتى يقوم إيرك فتمكنك من نفسها ثم قالت

له قم اقلع ثيابك فقام وهو غائب عن الوجود وقلع ثيابه جميعاً وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أخا المزين قلع ثيابه وصار عرياناً فقالت الجارية لأخي قم الآن واجري ورائي وأجري أنا قدامك وإذا أردت شيئاً فاتبعني فجرت قدامه وتبعها ثم جعلت تدخل في محل إلى محل وتخرج من محل إلى محل آخر وأخي وراءها وقد غلب الشنق وايره قائم كأنه مجنون ولم تزل تجري قدامه وهو يجري وراءها فبينما هو كذلك إذ رأى نفسه في وسط زقاق وذلك الزقاق في وسط الجلادين وهم ينادون على الجلود فرآه الناس على تلك الحالة وهو عريان قائم الأير محلوق الذقن والحواجب والشوارب محمر الوجه فصاحوا عليه وصاروا يضحكون ويقهقهون وصار بعضهم يصفعه بالجلود وهو عريان حتى غشي عليه وحملوه على حمار حتى أوصلوه إلى الوالي فقال ما هذا قالوا هذا وقع لنا من بيت الوزير وهو على هذه الحالة فضربه الوالي مائة سوط وخرجت أنا خلفه وجئت به وأدخلته المدينة سراً ثم رتبت له ما يقتات به فلولا مروءتي ما كنت أحتمل مثله وأما أخي الثالث فاسمه قفة ساقه القضاء والقدر إلى دار كبيرة فدق الباب طمعاً أن يكلمه صاحبها فيسأله شيئاً فقال صاحب الدار من بالباب فلم يكلمه أحد فسمعه أخي يقول بصوت عال من هذا فلم يكلمه أخي وسمع مشيه حتى وصل إلى الباب وفتحه فقال ما تريد قال له أخي شيئاً لله تعالى فقال له هل أنت ضرير قال له أخي نعم فقال له ناولني يدك فناوله يده فأدخله الدار ولم يزل يصعد به من سلم إلى سلم حتى وصل إلى أعلى السطوح وأخي يظن أنه يطعمه شيئاً أو يعطيه شيئاً فلما أنتهى إلى أعلى مكان قال لأخي ما تريد يا ضرير قال أريد شيئاً لله تعالى فقال له يفتح الله عليك فقال له أخي يا هذا أما كنت تقول لي ذلك وأنا في الأسفل فقال له يا أسفل السفلة لم تسألني شيئاً لله حين سمعت كلامي في أول مرة وأنت تدق الباب فقال أخي هذه الساعة ما تريد أن تصنع بي فقال له ما عندي شيء حتى أعطيك إياه قال أنزل بي إلى السلالم فقال لي الطريق بين يديك فقام أخي واستقبل السلالم ومازال نازلاً حتى بقي بيننا وبين الباب عشرون درجة فزلقت رجله فوقع ولم يزل واقعاً منحدراً من السلالم حتى انشجت رأسه فخرج وهو لا يدري أين يذهب فلحقه بعض رفقائه العميان فقال له أي شيء حصل لك في هذا اليوم فحدثهم بما وقع له قال لهم يا أخواني أريد أن آخذ شيئاً من الدراهم التي بقيت معنا وأنفق منه على نفسي وكان صاحب الدار مشى خلفه ليعرف حاله فسمع كلامه وأخي لا يدري بأن الرجل يسعى خلفه إلى أن دخل مكانه ودخل الرجل خلفه وهو لا يشعر به وقعد أخي ينتظر رفقاءه فلما دخلوا عليه قال لهم أغلقوا الباب وفتشوا البيت كيلا يكون أحد غريب تبعنا فلما سمع الرجل كلام أخي قام وتعلق بحبل كان في السقف فطافوا البيت جميعه فلم يجدوا أحد ثم رجعوا وجلسوا إلى جانب أخي وأخرجوا الدراهم التي معهم وعدوها فإذا هي عشرة آلاف درهم فتركوها في زاوية البيت وأخذ كل واحد مما زاد عنها ما يحتاج إليه ودفنوا العشرة آلاف درهم في التراب ثم قدموا بين أيديهم شيئاً من الأكل وقعدوا يأكلون فأحس أخي بصوت غريب في جهته فقال للأصحاب هل معنا غريب ثم مد يده فتعلقت بيد الرجل صاحب الدار فصاح على رفقائه وقال هذا غريب فوقعوا فيه ضرباً وهذا ما أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أخي لما صاح على رفقائه وقال هذا غريب وقعوا فيه ضرباً فلما طال عليهم ذلك صاحوا يا مسلمين دخل علينا لص يريد أن يأخذ مالنا فاجتمع عليهم خلق فتعامى الرجل الغريب صاحب الدار الذي أدّعوا عليه أنه لص وأغمض عينيه وأظهر أنه أعمى مثلهم بحيث لايشك فيه أحد وصاح يا مسلمين أنا بالله والسلطان أنا بالله والوالي أنا بالله والأمير فإن عندي نصيحة للأمير فلم يشعروا إلا وقد احتاطبهم جماعة الوالي فأخذوهم وأخي معهم وأحضروهم بين يديه فقال الوالي ما خبركم فقال ذلك الرجل اسمع كلامي أيها الوالي لايظهر لك حقيقة حالنا إلا بالعقوبة وأن شئت فأبدأ بعقوبتي قبل رفقائي فقال الوالي أطرحوا هذا الرجل وأضربوه بالسياط فطرحوه وضربوه فلما أوجعه الضرب فتح إحدى عينيه فلما أزداد عليه الضرب فتح عينه الأخرى فقال له الوالي ما هذه الفعال يا فاجر فقال أعطني الأمان وأنا أخبرك فأعطاه الأمان فقال نحن أربعة نعمل أرواحنا عمياناً ونمر على الناس وندخل البيوت وننظر النساء ونحتال في فسادهن واكتساب الأموال من طرقهن وقد حصلنا من ذلك مكسباً عظيماً وهو عشرة آلاف درهم فقلت لرفقائي أعطوني حقي ألفين وخمسمائة فقاموا وضربوني وأخذوا مالي وأنا مستجير بالله وبك وأنت أحق بحصتي من رفقائي وأن شئت أن تعرف صدق قولي فأضرب كل واحداً كثر مما فاته ضربتني يفتح عينيه فعند ذلك أمر الوالي بعقوبتهم وأول ما بدأ بأخي ومازالوا يضربونه حتى كاد أن يموت ثم قال لهم الوالي يا فسقه تجحدون نعمة الله وتدعون أنكم عميان فقال أخي الله الله الله ما فينا بصير فطرحوه إلى الضرب ثانياً ولم يزالوا يضربونه حتى غشي عليه فقال الوالي دعوه حتى يفيق وأعيدوا عليه الضرب ثالث مرة ثم أمر بضرب أصحابه كل واحد أكثر من ثلثمائة عصا والبصير يقول لهم افتحوا عيونكم وإلا جددوا عليكم الضرب ثم قال للوالي ابعث معي من يأتيك بالمال فإن هؤلاء ما يفتحون أعينهم ويخافون من فضيحتهم بين الناس فبعث الوالي معه من أتاه بالمال فأخذه وأعطى الرجل منه ألفين وخمسمائة درهم على قدر حصته رغماً عنهم ونفي أخي وباقي الثلاثة خارج المدينة فخرجت أنا يا أمير المؤمنين ولحقت أخي وسألته عن حاله فأخبرني بما ذكرته لك فأدخلته المدينة سراً ورتبت له ما يأكل وما يشرب طول عمره فضحك الخليفة من حكايتي وقال صلوه بجائزة ودعوه ينصرف فقلت له والله ما آخذ شيئاً حتى أبين لأمير المؤمنين ما جرى لبقية أخوتي وأوضح له أني قليل الكلام فقال الخليفة أصدع آذاننا بخرافة خبرك وزدنا من عجرك وبجرك فقلت وأما أخي الرابع يا أمير المؤمنين وهو الأعور فإنه كان جزاراً ببغداد يبيع اللحم ويأتي الخرفان وكانت الكبار وأصحاب الأموال يقصدونه ويشترون منه اللحم فاكتسب من ذلك مالاً عظيماً واقتنى الدواب ولدور ثم أقام على ذلك زمناً طويلاً فبينما هو في دكانه يوماً من الأيام أذ وقف عليه شيخ كبير اللحية فدفع له دراهم وقال أعطني بها لحماً فأخذ منه الدراهم وأعطاه اللحم وانصرف فتأمل أخي في فضة الشيخ فرأى في دراهمه بيضاً بياضها ساطع فعزلها وحدها في ناحية وأقام الشيخ يتردد عليه خمسة أشهر وأخي يطرح دراهمه في صندوق وحدها ثم أراد أن يخرجه ويشتري غنماً فلما فتح الصندوق رأى ما فيه ورقاً أبيض مقصوصاً فلطم وجهه وصاح فاجتمع الناس عليه فحدثهم بحديثه فتعجبوا منه ثم رجع أخي إلى الدكان على عادته فذبح كبشاً وعلقه داخل الدكان وقطع لحماً وعلقه خارج الدكان وصار يقول في نفسه لعل ذلك الشيخ يجيء فأقبض عليه فما كان إلا ساعة

وقد أقبل الشيخ ومعه الفضة فقام أخي وتعلق به وصار يصيح يا مسلمين الحقوني واسمعوا قصتي مع هذا الفاجر فلما سمع الشيخ كلامه قال له أي شيء أحب غليك أن تعرض عن فضيحتي أو أفضحك بين الناس فقال له يا أخي بأي شيء تفضحني قال بأنك تبيع لحم الناس في صورة لحم الغنم فقال له يا أخي كذبت يا ملعون فقال الشيخ ما ملعون إلا الذي عنده رجل معلق في الدكان فقال له أخي أن كان الأمر كما ذكرت فمالي ودمي حلال لك فقال الشيخ يا معاشر الناس أن هذا الجزار يذبح الآدميين ويبيع لحمهم في صورة لحم الغنم وأن أردتم أن تعلموا صدق قولي فأدخلوا دكانه فهجم الناس على دكان أخي فرأوا ذلك الكبش صار أنسياً معلقاً فلما رأوا ذلك تعلقوا بأخي وصاحوا عليه يا كافر يا فاجر وصار أعز الناس إليه يضربه ولطمه الشيخ على عينه فقلعها وحمل الناس ذلك المذبوح إلى صاحب الشرطة فقال له الشيخ ايها الأمير أن هذا الرجل يذبح الناس ويبيع لحمهم على أنه لحم غنم وقد أتيناك به فقم وأقض حق الله عز وجل فدافع أخي عن نفسه فلم يسمع منه صاحب الشرطة بل أمر بضربه خمسمائة عصا وأخذوا جميع ماله ولولا كثرة ماله لقتلوه ثم نفوا أخي من المدينة فخرج هائماً لا يدري أين يتوجه فدخل مدينة كبيرة واستحسن أن يعمل اسكافياً ففتح دكاناً وقعد يعمل شيئاً يتقوت منه فخرج ذات يوم في حاجة فسمع صهيل خيل فبحث على سبب ذلك فقيل له أن الملك خارج إلى الصيد والقنص فخرج أخي ليتفرج على الموكب وهو يتعجب من خسة رأيه حيث انتقل من صنعة الأساكفة فالتفت الملك فوقعت عينه على عين أخي فأطرق الملك رأسه وقال أعوذ بالله من شر هذا اليوم وثنى عنان فرسه وأنصرف راجعاً فرجع جميع العسكر وأمر الملك غلمانه أن يلحقوا أخي ويضربونه فلحقوه وضربوه ضرباً وجيعاً حتى كاد أن يموت ولم يدر أخي ما السبب فرجع إلى موضعه وهو في حالة العدم ثم مضى إلى إنسان من حاشية الملك وقص عليه ما وقع له فضحك حتى استلقى على قفاه وقال له يا أخي اعلم أن الملك لا يطيق أن ينظر إلي أعور لا سيما أن كان العور شمالاً فإنه لا يرجع عن قتله فلما سمع أخي ذلك الكلام عزم على الهروب من تلك المدينة وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الأعور لما سمع ذلك الكلام عزم على الهروب من تلك المدينة وأرتحل منها وتحول إلى مدينة أخرى لم يكن فيها ملك وأقام بها زمناً طويلاً ثم بعد ذلك تفكر في أمره وخرج يوماً ليتفرج فسمع صهيل خيل خلفه فقال جاء أمر الله وفر يطلب موضعاً ليستتر فيه فلم يجد ثم نظر فرأى بابا منصوباً فدفع ذلك الباب فدخل فرأى دهليزاً طويلاً فاستمر داخلاً فيه فلم يشعر إلا ورجلان قد تعلقا به وقالا الحمد لله الذي مكننا منك يا عدو الله هذه ثلاث ليال ما أرحتنا ولا تركتنا ننام ولا يستقر لنا مضجع بل أذقتنا طعم الموت فقال أخي يا قوم ما أمركم بالله فقالوا أنت تراقبنا وتريد أن تفضحنا وتفضح صاحب البيت أما يكفيك أنك أفقرته وأفقرت أصحابك ولكن أخرج لنا السكين التي تهددنا بها كل ليلة وفتشوه فوجدوا في وسطه السكين التي يقطع بها النعال فقال يا قوم أتقوا الله في أمري واعلموا أن حديثي عجيب فقالوا وما حديثك فحدثهم بحديثه طمعاً أن يطلقوه فلم يسمعوا منه مقاله ولم يلتفتوا إليه بل ضربوه ومزقوا أثوابه فلما تمزقت أثوابه وانكشف بدنه وجدوا أثر الضرب بالمقارع على جنبيه فقالوا له يا ملعون هذا أثر الضرب يشهد على جرمك ثم أحضروا أخي بين يدي الوالي فقال في نفسه قد وقعت فأتيت إليه وأخذته وأدخلته المدينة

سراً ورتبت له ما يأكل وما يشرب وأما أخي الخامس فإنه كان مقطوع الأذنين يا أمير المؤمنين وكان رجلاً فقيراً يسأل الناس ليلاً وينفق ما يحصله بالسؤال نهاراً وكان والدنا شيخاً كبيراً طاعناً في السن فخلف لنا سبعمائة درهم فأخذ كل واحد منا مائة درهم وأما أخي الخامس هذا فإنه لما أخذ حصته تحير ولم يدر ما يصنع بها فبينما هو كذلك إذ وقع في خاطره أنه يأخذ بها زجاجاً من كل نوع ليتجر فيه ويربح فأشترى بالمائة درهم زجاجاً وجعله في قفص كبير وقعد في موضع ليبيع ذلك الزجاج وبجانبه حائط فأسند ظهره إليها وقعد متفكراً في نفسه وقال أن رأس مالي في هذا الزجاج مائة درهم أنا أبيعه بمائتين درهم ثم أشتري بالمائتين درهم زجاجاً وأبيعه بأربعمائة درهم ولا أزال أبيع وأشتري إلى أن يبقى معي مال كثير فاشتري به من جميع المتاجر والعطريات حتى يربح ربحاً عظيماً وبعد ذلك اشتري داراً حسنة واشتري المماليك والخيل والسروج المذهبة وآكل وأشرب ولا أخلي مغنية في المدينة حتى أجيء بها إلى بيتي وأسمع مغانيها هذا كله وهو يحسب في نفسه وقفص الزجاج قدامه ثم قال وأبعث جميع الخاطبات في خطبة بنات الملوك والوزراء وأخطب بنت الوزير فقد بلغني أنها كاملة الحسن بديعة الجمال وأمهرها بألف دينار فإن رضي أبوها حصل المراد وأن لم يرض أخذتها قهراً على رغم أنفه فإن حصلت في داري اشتري عشرة خدام صغار ثم اشتري لي كسوة الملوك والسلاطين وأصوغ لي سرجاً من الذهب مرصعاً بالجوهر ثم أركب ومعي المماليك يمشون حولي وقدامي وخلفي حتى إذا رآني الوزير قام إجلالا لي وأقعد بي مكانه ويقعد هو دوني لأنه صهري ويكون معي خادمان بكيسين في كل كيس ألف دينار فأعطيه ألف دينار مهر بنته وأهدي إليه الألف الثاني إنما ما حتى ظهر له مروءتي وكرمي وصغر الدنيا في عيني ثم أنصرف إلى داري فإذا جاء أحد جهة امرأتي وهبت له دراهم وخلعت عليه خلعة وأن أرسل إلى الوزير هدية رددتها عليه ولو كانت نفيسة ولم أقبل منه حتى يعلموا أني عزيز النفس ولا أخلي نفسي إلا في أعلى مكانة ثم أقدم إليهم في إصلاح شأني وتعظيمي فإذا فعلوا ذلك أمرتهم بزفافها ثم أصلح داري إصلاحاً بينا فإذا جاء وقت الجلاء لبست أفخر ثيابي وقعدت على مرتبة من الديباج لا ألتفت يميناً ولا شمالاً لكبر عقلي ورزانة فهمي وتجيء أمرأتي وهي كالبدر في حليها وحللها وأنا لا أنظر غليها عجباً وتيهاً حتى يقول جميع من حضر يا سيدي امرأتك وجاريتك قائمة بين يديك فانعم عليها بالنظر فقد أضر بها القيام ثم يقبلون الأرض قدامى مرار فعند ذلك ارفع رأسي وانظر إليها نظرة واحدة ثم أطرق برأسي إلى الأرض فيمضون بها واقوم أنا وأغير ثيابي وألبس أحسن مما كان على فإذا جاءوا بالعروسة المرة الثانية لا أنظر إليها حتى يسألوني مرار فأنظر إليها ثم أطرق إلى الأرض ولم أزل كذلك حتى يتم جلاؤها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أخاً المزين الخامس قال أني آمر بعض الخدامين أن يرمي كيساً فيه خمسمائة دينار للمواشط فإذا أخذته أمرهن أن يدخلنني عليها فإذا أدخلتني عليها لا أنظر إليها ولا أكلمها أحتقاراً لها لأجل أن يقال أني عزيز النفس حتى تجيء أمها وتقبل رأسي ويدي ونقول لي يا سيدي أنظر جاريتك فإنها تشتهي قربك فأجبر خاطرها بكلمة فلم أرد عليها جواباً ولم تزل كذلك تستعطفني حتى تقوم وتقبل يدي ورجلي مراراً ثم تقول يا سيدي أن بنتي صبية مليحة ما رأت رجلاً فإذا رأت منك الانقباض

انكسر خاطرها فمل إليها وكلمها ثم أنها تقوم وتحضر لي قدحاً وفيه شراباً ثم أن ابنتها تأخذ القدح لتعطين ي فإذا جاءتني تركتها قائمة بين يدي وأنا متكيء على مخدة مزركشة بالذهب لانظر إليها من كبر نفسي وجلالة قدري حتى تظن في نفسها أني سلطان عظيم الشأن فتقول يا سيدي بحق الله عليك لا ت رد الق دح م ن ي د جاريتك فأني جاريتك فلا أكلمها فتلح علي وتقول لابد من شربه وتقدمه إلى فمي فانفض يدي ف ي وجهه ا وارفسها واعمل هكذا ثم رفس أخي برجله فجاءت في قفص الزجاج وكان في مك ان مرتف ع فن زل عل ى الأرض فتكسر وكل ما فيه ثم قال أخي هذا كله من كبر نفسي ولو كان أمره إلى أمير المؤمنين لضربته ألف سوط وشهرته في البلد ثم بعد ذلك صار أخي يلطم على وجهه ومزق ثيابه وجعل يبكي ويلطم على وجه ه والناس ينظرون إليه وهم رائحون إلى صلاة الجمعة فمنهم من يرمقه ومنهم من لم يفكر فيه وهو على تل ك الحالة وراح منه رأس المال والربح ولم يزل جالساً يبكي وإذا بامرأة مقبلة إلى صلاة الجمعة وه ي بديع ة الجمال تفوح منها رائحة المسك وتحتها بغلة بردعتها من الديباج مزركشة بالذهب ومعها عدد من الخدم فلما نظرت إلى الزجاج وحال أخي وبكائه أخذتها الشفقة عليه ورق قلبها له وسألت عن حاله فقيل لها أن ه ك ان معه طبق زجاج يتعيش منه فانكسر منه فأصابه ما تنظريه فنادت بعض الخدام وقالت له ادفع الذي معك إلى هذا المسكين فدفع له صرة فأخذها فلما فتحها وجد فيها خمسمائة دينار فكاد أن يموت مع شدة الفرح وأقب ل أخي والدعاء لها ثم عاد إلى منزله غنياً وقعد متفكراً وإذا بدق يدق الباب فقام وفتح وإذا بعج وز لا يعرفه ا فقالت له يا ولدي اعلم أن الصلاة قد قرب زوال وقتها وأنا بغير وضوء وأطلب منك أن تدخلني منزلك حتى توضأ فقال لها سمعاً وطاعة ثم دخل أخي وأذن لها بالدخول وهو طائر من الفرح بالدنانير فلما فرغت أقبلت إلى الموضع الذي هو جالس فيه وصلت هناك ركعتين ثم دعت لأخي دعاء حسناً فشكرها على ذلك وأعطاها دينارين فلما رأت ذلك قالت سبحان الله أني أعجب مما أحبك وأنت بسمة الصعاليك فخذ مال ك عن ي وإن كنت غير محتاج إليه فأردده إلى التي أعطتك أياه لما انكسر الزجاج منك فقال لها أخي يا أمي كيف الحيل ة في الوصول إليها قالت يا ولدي أنها تميل إليك لكنها زوجة رجل موسر فخذ جميع مالك معك فغذا اجتمع ت بها فلا تترك شيئاً من الملاطفة والكلام الحسن إلا وتفعله معها فإنك تنال من جمالها ومن مالها جميع ما تريد فأخذ أخي جميع ما تريد فأخذ أخي جميع الذهب وقام ومشى مع العجوز وهو لا يصدق بذلك فلم تزل تمشي وأخي يمشي وراءها حتى وصلا إلى باب كبير فدقته فخرجت جارية رومية فتحت الباب ف دخلت العج وز وأمرت أخي بالدخول فدخل دار كبيرة فلما دخلها رأى فيها مجلساً كبيراً مفروشاً وستائر مسدلة فجلس أخ ي ووضع الذهب بين يديه ووضع عمامته على ركبته فلم يشعر إلا وجارية أقبلت ما رأى مثلها الراؤون وه ي لابسة أفخر القماش فقام أخي على قدميه فلما رأته ضحكت في وجهه وفرحت به ثم ذهبت إلى الباب وأغلقته ثم أقبلت على أخي وأخذت يده ومضيا جميعاً إلى أن أتيا إلى حجرة منفردة فدخلاها وإذا هي مفروشة بأنواع الديباج فجلس أخي فجلست بجانبه ولاعبته ساعة زمانية ثم قامت وقالت له لا تبرح حتى أجيء إليك وغابت عنه ساعة فبينما هو كذلك إذ دخل عليه عبد أسود عظيم الخلقة ومعه سيف مجرد يأخذ لمعانه بالبصر وق ال لأخي يا ويلك من جاء بك إلى هذا المكان يا أخس الأنس يا ابن الزنا وتربية الخنا فلم يقدر أخي أن يرد عليه جوابا بل أنعقد لسانه في تلك الساعة فأخذه العبد وأعراه ولم يزل يضربه بالسيف صحفاً ضربات متعددة أكثر

من ثمانين ضربة إلى أن سقط من طوله على الأرض فرجع العبد عنه وأعتقد أنه مات وصاح صيحة عظيمة بحيث ارتجت الأرض من صوته ودوى له المكان وقال أين المليحة فأقبلت إليه جارية في يدها طبق مليح فيه ملح أبيض فصارت الجارية تأخذ من ذلك الملح وتحشر الجراحات التي في جلد أخي حتى تهورت وأخي لا يتحرك خيفة أن يعلموا أنه حي فيقتلوه ثم مضت الجارية وصاح العبد صيحة مثل الأولى فجاءت العجوز إلى أخي وجرته من رجله إلى سرداب طويل مظلم ورمته فيه على جماعة مقتولين فاستقر فـ ـي مكانـ ـه يـ ـومين كاملين وكان الله سبحانه وتعالى جعل الملح سبباً لحياته لأنه قطع سيلان عروق الدم فلما رأى أخي في نفسه القوة على الحركة قام من السرداب وفتح طاقة في الحائط وخرج من مكان القتلى وأعطاه الله عز وجل الستر فمشي في الظلام وأختفى في هذا الدهليز إلى الصبح فلما كان وقت الصبح خرجت العجوز في طلب صـ ـيد آخر فخرج أخي في أثرها وهي لا تعلم به حتى أتي منزله ولم يزل يعالج نفسه حتى بريء ولم يزل يتعهـ ـد العجوز وينظر إليها كل وقت وهي تأخذ الناس واحد بعد واحد وتوصلهم إلى تلك الدار وأخي لا ينطق بشيء ثم لما رجعت إليه صحته وكملت قوته عمد إلى خرقة وعمل منها كيساً وملأه زجاجاً وشده في وسطه وتنكر حتى لا يعرفه أحد ولبس ثياب العجم وأخذ سيفاً وجعله تحت ثيابه فلما رأى العجوز قال لها بكلام العجم يـ ـا عجوز هل عندك ميزان يسع تسعمائة دينار فقالت العجوز لي ولد صغير صيرفي عنـ ـده سـ ـائر المـ ـوازين فأمض معي إليه قبل أن يخرج من مكانه حتى يزن لك ذهبك فقال أخي أمشى قدامي فسارت وسـ ـار أخـ ـي خلفها حتى أتت الباب فدقته فخرجت الجارية وضحكت في وجهه وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عـ ـن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن المزين قال فخرجت الجارية وضحكت في وجه أخي فقالت العجـ ـوز أتيتكم بلحمة سمينة فأخذت الجارية بيد أخي وأدخلته الدار التي دخلها سابقاً وقعدت عنده ساعة وقامت وقالت لأخي لا تبرح حتى أرجع إليك وراحت فلم يستقر أخي إلا والعبد قد أقبل ومعه السيف المجرد فقال لأخي قم يا مشئوم فقام أخي وتقدم العبد أمامه وأخي وراءه ومد يده إلى السيف الذي تحت ثيابه وضرب العبد فرمـ ـي رأسه وسحبه من رجله إلى السرداب ونادى أين المليحة فجاءت الجارية وبيدها الطبق الذي فيه الملـ ـح فلمـ ـا رأت أخي والسيف بيده ولت هاربة فتبعها أخي وضربها فرمي رأسها ثم نادى أين العجوز فجاءت فقال لهـ ـا أتعرفيني يا عجوز النحس فقالت لا يا مولاي فقال لها أنا صاحب الدنانير الـ ـذي جئـ ـت وتوضـ ـأت عنـ ـدي وصليت ثم تحيلت عليّ وصليت ثم تحيلت عليّ حتى أوقعتيني هنا فقالت أتق الله في أمـ ـري فالتفـ ـت إليهـ ـا وضربها بالسيف فصيرها قطعتين ثم خرج في طلب الحارية فلما رأته طار عقلها وطلبت منه الأمان فأمنهـ ـا ثم قال لها ما الذي أوقعك عند هذا الأسود فقالت أني كنت جارية لبعض التجار وكانت هذه العجـ ـوز تتـ ـردد عليّ فقالت لي يوماً من الأيام أن عندنا فرحاً ما رأى أحد مثله فأحب أن تنظري إليه فقلت لها سمعاً وطاعـ ـة ثم قمت ولبست أحسن ثيابي وأخذت معي صرة فيها مائة دينار ومضيت معها حتى أدخلتني هذه الدار فلمـ ـا دخلت ما شعرت إلا وهذا الأسود أخذني ولم أزل عنده على هذا الحال ثلاث سنين بحيلة العجوز الكاهنة فقال لها أخي هل له في الدار شيء فقالت عنده شيء كثير فإن كنت تقدر على نقله فأنقله فقام أخي ومشي معهـ ـا

ففتحت له صناديق فيها أكياس فبقي أخي متحيراً فقالت له الجارية أمض الآن ودعني هنا وهات مـ ن ينق ل المال فخرج وأكترى عشرة رجال وجاء فلما وصل إلى الباب وجده مفتوحاً ولم ير الجاري ـة ولا الأكيـ ـاس وأنما رأى شيئاً يسيراً من المال والقماش فعلم أنها خدعته فعند ذلك أخذ المال الذي بقي وفتح الخزائن وأخـ ـذ جميع ما فيها من القماش ولم يترك في الدار شيئاً وبات تلك الليلة مسروراً فلما أصبح الصباح وجد بالبـ ـاب عشرين جندياً فلما خرج إليهم تعلقوا به وقالوا له أن الوالي يطلبك فأخذوه وراحوا إلى الوالي فلما رأى أخـ ـي قال له من أين لك هذا القماش فقال أخي أعطني الأمان فأعطاه منديل الأمان فحدثه بجميع ما وقع لـ ـه مـ ـع العجوز من الأول إلى الآخر ومن هروب الجارية ثم قال للوالي والذي أخذته خذ منه ما شئت ودع لـ ـي مـ ـا أتقوت به فطلب الوالي جميع المال والقماش وخاف أن يعلم به السلطان فأخذ البعض وأعطى أخي الـ بعض وقال له أخرج من هذه المدينة وإلا أشنقك فقال السمع والطاعة فخرج إلى بعض البلـ ـدان فخرجـ ـت عليـ ـه اللصوص فعروه وضربوه وقطعوا أذنيه فسمعت بخبره فخرجت إليه وأخذت إليه ثياباً وجئت به إلى المدينـ ـة مسروراً ورتبت له ما يأكله وما يشربه وأما أخي السادس يا أمير المؤمنين وهو مقطوع الشفتين فإنـ ـه كـ ـان فقيراً جداً لا يملك شيئاً من حطام الدنيا الفانية فخرج يوماً من الأيام يطلب شيئاً يسد به رمقه فبينما هو فـ ـي بعض الطرق إذ رأى حسنه ولها دهليز واسع مرتفع وعلى الباب خدم وأمر ونهي فسأل بعض الواقفين هناك فقال هي الإنسان من أولاد الملوك فتقدم أخي إلى البوابين وسألهم شيئاً فقالوا ادخل باب الدار تجد ما تحـ ـب من صاحبها فدخل الدهليز ومشى فيه ساعة حتى وصل إلى دار في غاية ما يكون من الملاحة والظرف وفي وسطها بستان ما رأى الراءون أحسن منه وأرضها مفروشة بالرخام وستورها مسبولة فصار أخي لا يعرف أين يقصد فمضى نحو صدر المكان فرأي إنساناً حسن الوجه واللحية فلما رأى أخي قام إليه ورحب به وسأله عن حاله فأخبره أنه محتاج فلما سمع كلام أخي أظهر غماً شديداً ومد يده إلى ثياب نفسه ومزقها وقال هـ ـل أكون أنا ببلد وأنت بها جائع لاصبر لي على ذلك ووعده بكل خير ثم قال لابد أن تمالحني فقال يا سيدي ليس لي صبر وأني شديد الجوع فصاح يا غلام هات الطشت والأبريق ثم قال له يا ضيفي تقدم وأغسل يدك ثـ ـم أومأ كأنه يغسل يده ثم صاح على أتباعه أن قدموا المائدة فجعلت أتباعه تغدو وترجع كأنها تهيء السفرة ثـ ـم أخذ أخي وجلس معه على تلك السفرة الموهومة وصار صاحب المنزل يوميء ويحرك شـ ـفتيه كأنـ ـه يأكـ ـل ويقول لأخي كل ولا تستح فأنك جائع وأنا أعلم ما أنت فيه من شدة الجوع فجعل أخي يومي كأنه يأكل وهـ ـو يقول لأخي كل وأنظر هذا الخبز وانظر بياضه وأخي لا يبدي شيئاً ثم أن أخي قال في نفسه أن هـ ـذا رجـ ـل يحب أن يهزأ بالناس فقال له يا سيدي عمري ما رأيت أحسن من بياض هذا الخبز ولا ألذ من طعمـ ـه فقـ ـال هذا خبزته جارية لي كنت أشتريتها بخمسمائة دينار ثم صاح صاحب الدار يا غلام قدم لنا الكبـ ـاب الـ ـذي لا يوجد مثله في طعام الملوك ثم قال لأخي كل يا ضيفي فإنك شديد الجوع ومحتاج إلى الأكل فصار أخي يدور حنكه ويمضغ كأنه يأكل وأقبل الرجل يستدعي لوناً بعد لون من الطعام ولا يحضر شيئاً ويأمر أخي بالأكل ثم صاح يا غلام قدم لنا الفراريج المحشوة بالفستق ثم قال كل ما لم تأكل مثله قط فقال يا سيدي أن هذا الأكل لا نظير له في اللذة وأقبل يوماً بيده إلى فم أخي حتى كأنه يلقمه بيده وكان يعدد هذه الألوان ويصفها لأخي بهذه الأوصاف وهو جائع فاشتد جوعه وصار بشهوة رغيف من شعير ثم قال له صاحب الدار هل رأيت أطيـ ـب

من أباريز هذه الأطعمة فقال له أخي لا يا سيدي فقال كثر الأكل ولا تستح فقال قد أكتفيت من الطعام فصاح الرجل على أتباعه أن قدموا الحلويات فحركوا أيديهم في الهواء كأنهم قدموا الحلويات ثم قال صاحب المنزل لأخي كل من هذا النوع فإنه جيد وكل من هذه القطائف بحياتي وخذ هذه القطيفة قبل أن ينزل منها الجلاب فقال له أخي لا عدمتك يا سيدي وأقبل أخي يسأله ممن كثرة المسك الذي في القطائف فقال له أن هذه عادتي في بيتي فدائماً يضعون لي في كل قطيفة مثقالاً من المسك ونصف مثقال من العنبر هذا كله وأخي يحرك رأسه وفمه يلعب بين شدقيه كأنه يتلذذ بأكل الحلويات ثم صاح صاحب الدار على أصحابه أن أحضروا النقل فحركوا أيديهم في الهواء كأنهم أحضروا النقل وقال لأخي كل من هذا اللوز ومن هذا الجوز ومن الزبيب ونحو ذلك وصار يعد دله أنواع النقل ويقول كل ولا تستح فقال أخي يا سيدي قد اكتفيت ولم يبق لي قدرة على أكل شيء فقال يا ضيفي أن أردت أن تأكل وتتفرج على غرائب المأكولات فالله الله لا تكن جائعاً ثم فكر أخي في نفسه وفي استهزاء ذلك الرجل به وقال والله لأعملن فيه عملاً يتوب بسببه إلى الله عن هذه الفعال ثم قال الرجل لاتباعه قدموا لنا الشراب فحركوا أيديهم في الهواء حتى كأنهم قدموا الشراب ثم أومأ صاحب المنزل كأنه ناول أخي قدحاً قال خذ هذا القدح فإنه يعجبك فقال يا سيدي هذا من أحسانك وأومأ أخي بيده كأنه يشربه فقال له هل أعجبك فقال له يا سيدي ما رأيت ألذ من هذا الشراب فقال له أشرب هنيئاً وصحة ثم أن صاحب البيت أومأ وشرب ثم ناول أخي قدحاً ثانياً فخيل أنه شربه وأظهر أنه سكران ثم أن أخي غافله ورفع يده حتى بان بياض أبطه وصفعه على رقبته صفعة رن لها المكان ثم ثني عليه بصفعة ثانية وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أخا المزين لما صفع صاحب الدار قال له الرجل ما هذا يا أسفل العالمين فقال يا سيدي أنا عبدك الذي أنعمت عليه وأدخلته منزلك وأطعمته الزاد وأسقيته الخمر العتيق فسكر وعربد عليك ومقامك أعلى من أن تؤاخذه بجهله فلما سمع صاحب المنزل كلام أخي ضحك ضحكاً عالياً ثم قال أن لي زماناً طويلاً أسخر بالناس وأهزأ بجميع أصحاب المزاح والمجون ما رأيت منهم من له طاقة على أن أفعل به هذه السخرية ولا من له فطنة يدخل بها في جميع أموري غيرك والآن عفوت عنك فكن نديمي على الحقيقة ولا تفارقني ثم أمر بإخراج عدة من أنواع الطعام المذكورة أولاً فأكل هو وأخي حتى اكتفيا ثم انتقلا إلى مجلس الشراب فإذا فيه جوار كأنهن الأقمار فغنين بجميع الألحان واشتغلن بجميع الملاهي ثم شربا حتى غلب عليهما السكر وأنس الرجل بأخي حتى كأنه أخوه وأحبه محبة عظيمة وخلع عليه خلعة سنية فلما أصبح الصباح عادا لما كانا عليه من الأكل والشرب ولم يزالا كذلك مدة عشرين سنة ثم أن الرجل مات وقبض السلطان على ماله واحتوى عليه فخرج أخي من البلد هارباً فلما وصل على نصف الطريق خرج عليه العرب فأسروه وصار الذي أسره يعذبه ويقول له أشتر روحك مني بالأموال وإلا أقتلك فجعل أخي يبكي ويقول أنا والله لا أملك شيئاً يا شيخ العرب ولا أعرف طريق شيء من المال وأنا أسيرك وصرت في يدك فافعل بي ما شئت فأخرج البدوي الجبار من حزامه سكيناً عريضة لو نزلت على رقبة جمل لقطعتها من الوريد إلى الوريد وأخذها في يده اليمنى وتقدم إلى أخي المسكين وقطع بها شفتيه وشدد عليه في المطالبة

وكان للبدوي زوجة حسنة وكان إذا خرج البدوي تتعرض لأخي وتراوده عن نفسه وهو يمتنع حياء من الله تعالى فاتفق أن راودت أخي يوماً من الأيام فقام ولا عبها وأجلسها في حجرة فبينما هما بذلك وإذا بزوجها داخل عليهما فلما نظر إلى أخي قال له ويلك يا خبيث أتريد الآن أن تفسد على زوجتي وأخرج سكيناً وقطع بها ذكره وحمله على جمل وطرحه فوق جبل وتركه وسار إلى حال سبيله فجاز عليه المسافرون فعرفوه فأطعموه وأسقوه وأعلموني بخبره فذهبت إليه وحملته ودخلت به المدينة ورتبت له ما يكفيه وها أنا جئت عندك يا أمير المؤمنين وخفت أن أرجع إلى بيتي قبل أخبارك فيكون ذلك غلطاً وورائي ستة أخوة وأنا أقوم بهم فلما سمع أمير المؤمنين قصتي وما أخبرته به عن أخوتي ضحك وقال صدقت يا صامت أنت قليل الكلام ما عندك فضول ولكن الآن أخرج من هذه المدينة وأسكن غيرها ثم نفاني من بغداد فلم أزل سائر في البلاد حتى طفت الأقاليم إلى أن سمعت بموته وخلافة غيره فرجعت إلى المدينة فوجدته مات ووقعت عند هذا الشاب وفعلت معه أحسن الفعال ولولا أنا لقتل وقد اتهمني بشيء ما هو في وجميع ما نقله عني من الفضول وكثرة الكلام وكثافة الطبع وعدم الذوق باطل يا جماعة ثم قال الخياط لملك الصين فلما سمعنا قصة المزين تحققنا فضوله وكثرة كلامه وأن الشاب مظلوم معه أخذنا المزين وقبضنا عليه وحبسناه وجلسنا حوله آمنين ثم أكلنا وشربنا وتمت الوليمة على أحسن حالة ولم نزل جالسين إلى أن أذن العصر فخرجت وجئت منزلي وعشيت زوجتي فقالت أنت طول النهار في حظك وأنا قاعدة في البيت حزينة فإن لم تخرج بي وتفرجني بقية النهار كان ذلك سبب فراقي منك فأخذتها وخرجت بها وتفرجنا إلى العشاء ثم رجعنا فلقينا هذا الأحدب والسكر طافح منه وهو ينشد هذين البيتين:

رق الزجـ . . اج وراق . . ت الخمـ . . ر فتشـ . . ابها وتشـ . . اكل الأمـ . . . ر

فكأنمـ . . . ا خمـ . . . ر ولا قـ . . . دح وكأنمـ . . . ا قـ . . . دح ولا خمـ . . . ر

فعزمت عليه فأجابني وخرجت لأشتري سمكاً مقلياً فاشتريت ورجعت ثم جلسنا نأكل فأخذت حتى لقمة وقطعة سمك وأدخلتهما فمه وسدته فمات فحملته وتحايلت حتى رميته في بيت هذا الطبيب وتحايل الطبيب حتى رماه في بيت المباشر وتحايل المباشر حتى رماه في طريق السمسار وهذه قصة ما لقيته البارحة أما هي أعجب من قصة الأحدب فلما سمع ملك الصين هذه القصة أمر بعض حجابه أن يمضوا مع الخياط ويحضروا المزين وقال لهم لابد من حضوره لأسمع كلامه ويكون ذلك سبباً في خلاصكم جميعاً وندفن هذا الأحدب ونواريه في التراب فإنه ميت من أمس ثم نعمل له ضريحاً لأنه كان سبباً في إطلاعنا على هذه الأخبار العجيبة فما كان إلا ساعة حتى جاءت الحجاب هم والخياط بعد أن مضوا إلى الحبس وأخرجوا منه المزين وساروا به إلى أن أوقفوه بين يدي هذا الملك فلما رآه تأمله فإذا هو شيخ كبير جاوز التسعين أسود الوجه أبيض اللحية والحواجب مقرطم الأذنين حلو الأنف في نفسه كبر فضحك الملك من رؤيته وقال يا صامت أريد أن تحكي لي شيئاً من حكاياتك فقال المزين يا ملك الزمان ما شأن هذا النصراني وهذا بطريق اليهودي وهذا المسلم وهذا الأحدب بينكم ميت وما سبب هذا الجمع فقال له ملك الصين وما سؤالك عن هؤلاء فقال سؤالي عنهم حتى يعلم المالك أني غير فضولي ولا أشتغل إلا بما يعنيني وأنني بريء مما أتهموني به من كثرة الكلام وأن لي نصيباً من اسمي حيث لقبوني بالصامت كما قال الشاعر:

وكلم . ا أبصد . رت عيذ . اك ذا لق . ب إلا ومعذ . اه أن فتش . ت ف . ي لقب . ي

فقال الملك أشرحوا للمزين حال هذا الأحدب وما جرى له في وقت العشاء وأشرحوا لـ ه مـ ا حك ى النصراني وما حكى اليهودي وما حكى المباشر وما حكى الخياط فحكوا له حكايات الجميع فحـ رك المـ زين رأسه وقال والله أن هذا الشيء عجيب أكشفوا لي عن هذا الأحدب فكشفوا له عنه فجلس عند رأسـ ه وأخـ ذ رأسه في حجره ونظر في وجهه وضحك ضحكاً عالياً حتى انقلب على قفاه من شدة الضحك وقال لكل موتة سبب من الأسباب وموتة هذا الأحدب من عجب العجاب يجب أن تؤرخ في السجلات ليعتبر بما مضي ومن هو آت فتعجب المالك من كلامه وقال يا صامت أحك لنا سبب كلامك هذا وهـ ا أدرك شـ هرزاد الصـ باح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك قال يا صامت أحكي لنا سبب كلامك هذا فقال يا ملـ ك وحـ ق نعمتك أن الأحدب فيه الروح ثم أن المزين أخرج من وسطه مكحلة فيها دهن ودهن رقبة الأحدب وغطاهـ ا حتى عرقت ثم أخرج كلبتين من حديد ونزل بهما في حلقه فالتقطتا القطعة السمك بعظمها فلما أخرجها رآها الناس بعيونهم ثم نهض الأحدب واقفاً على قدميه وعطس عطسة واستفاق في نفسه وملس بيديه على وجهـ ه وقال لا إله إلا الله محمد رسول الله فتعجب الحاضرون من الذي رآوه وعاينوه فضحك ملك الصـ ين حتـ ى غشي عليه وكذلك الحاضرون وقال السلطان والله أن هذه القصة عجيبة ما رأيت أغرب منها ثم أن السلطان قال يا مسلمين يا جماعة العسكر هل رأيتم في عمركم أحداً يموت ثم يحيا بعد ذلك ولـ ولا رزقـ ه الله بهـ ذا المزين لكان اليوم من أهل الآخرة فإنه كان سبباً لحياته فقالوا والله أن هذا من العجب العجاب ثـ م أن ملـ ك الصين أمر أن تسطر هذه القصة فسطروها ثم جعلوها في خزانة الملك ثم خلع على اليهـ ودي والنصـ راني والمباشر وخلع على كل واحد خلعة سنية وجعل الخياط خياطه ورتب له الرواتب وأصلح بينه وبين الأحدب وخلع على الأحدب خلعة سنية مليحة ورتب له الرواتب وجعله نديمه وأنعم على المزين وخلع عليـ ه خلعـ ة سنية ورتب له الرواتب وجعل له جامكية وجعله مزين المملكة ونديمه ولم يزالوا في ألذ عيش وأهناه إلى أن أتاهم هازم اللذات ومفرق الجماعات وليس هذا بأعجب من قصة الوزيرين التي فيها ذكر أنيس الجليس قـ ال الملك وما حكاية الوزيرين.

(حكاية الوزيرين التي فيها ذكر أنيس الجليس)

(قالت) بلغني أيها الملك السعيد أنه كان بالبصرة ملك من الملوك يحب الفقـ راء والصـ عاليك ويرفـ ق بالرعية ويهب من ماله لمن يؤمن بمحمد ﷺ وكان يقال لهذا الملك محمد بن سليمان الزيني وكان له وزيران أحدهما يقال له المعين بن ساوى والثاني يقال له الفضل ابن خاقان وكان الفضل بن خاقان أكرم أهل زمانـ ه حسن السيرة أجمعت القلوب على محبته وأتفقت العقلاء على مشورته وكل الناس يدعون له بطول مدته لأنه محضر خير مزيل الشر والضير وكان الوزير المعين بن ساوى يكره الناس ولا يحب الخير وكان محضـ ر سوء وكان الناس على قدر محبتهم لفضل الدين بن خاقان يبغضون المعين بن ساوى بقدرة القادر ثم أن الملك محمد ابن سليمان الزيني كان قاعداً يوماً من الأيام على كرسي مملكته وحوله أرباب دولته إذ نادى وزيـ ره

الفضل بن خاقان وقال له أني أريد جارية لايكون في زمانها أحسن منها بحيث تكون كاملة في الجمال فائقة في الاعتدال حميدة الخصال فقال أرباب الدولة وهذه لا توجد إلا بعشرة آلاف دينار فعند ذلك صاح السلطان على الخازندار وقال أحمل عشرة آلاف دينار إلى دار الفضل ابن خاقان فامتثل الخازندار أمر السلطان ونزل الوزير بعد ما أمره السلطان أن يعمد إلى السوق في كل يوم ويوصي السماسرة على ما ذكره وأنه لاتباع جارية ثمنها فوق الألف دينار حتى تعرض على الوزير فلم تبع السماسرة جارية حتى يعرضوها عليه فامتثل الوزير أمره واستمر على هذا الحال مدة من الزمان ولم تعجبه جارية فاتفق يوماً من الأيام أن بعض السماسرة أقبل على دار الوزير الفضل بن خاقان فوجده راكباً متوجهاً إلى قصر الملك فقبض على ركابه وأنشد هذين البيتين:

يا من أعاد رميم الملك منشوراً	أنت الوزير الذي لازال منصوراً لازال
أحييت ما مات بين الناس من كرم	سـ . . .عيك عنـ . . .د الله مشـ . . .كوراً

ثم قال يا سيدي أن الجارية التي صدر بطلبها المرسوم الكريم قد حضرت فقال له الوزير علي بها فغاب ساعة ثم حضر ومعه جارية رشيقة القد قاعدة النهد بطرف كحيل وخد أسيل وخصر نحيل وردف ثقيل وعليها أحسن ما يكون من الثياب ورضا به أحلى من الجلاب وقامتها تفضح غصون البان وكلامها أرق من النسيم إذا مر على زهر البستان كما قال فيها بعض واصفيها هذه الأبيات:

لهـ .ا بشـ .ر مثـ .ل الحريـ .ر ومنطـ .ق	رخـ .يم الحواشـ .ي لا هـ .راء ولا نـ .زر
وعينـ . ـان قـ . ـال الله كونـ . ـا فكانتـ . ـا	فعـ .ولان بالألبـ ـاب مـ .ا تفعـ .ل الخمـ .ر
فيـ .ا حبهـ ـا زدنـ .ي جـ .وي كـ .ل ليلـ .ة	ويـ .ا سـ .لوة الأيـ .ام موعـ .دك الحشـ .ر
ذوائبهـ . .ا ليـ . .ل ولكـ . .ن جبينهـ . .ا	إذا أسـ .فرت يـ .وم يلـ .وح بـ .ه الفجـ .ر

فلما رآها الوزير أعجبته غاية الإعجاب فالتفت إلى السمسار وقال له كم ثمن هذه الجارية فقال وقف لسعرها على عشرة آلاف دينار وحلف صاحبها أن العشرة آلاف دينار لم تجيء ثمن الفراريج التي أكلتها ولا ثمن الخلع التي خلعتها على معلميها فإنها تعلمت الخط والنحو واللغة والتفسير وأصول الفقه والدين والطب والتقويم والضرب بالآلات المطربة فقال الوزير على بسيدها فأحضره السمسار في الوقت والساعة فإذا هو رجل أعجمي عاش زمناً طويلاً حتى صيره الدهر عظماً في جلد وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العجمي صاحب الجارية لما حضر بين يدي الوزير الفضل بن خاقان قال له الوزير رضيت أن تأخذ في هذه الجارية عشرة آلاف دينار من السلطان محمد بن سليمان الزيني فقال العجمي حيث كانت للسلطان فالواجب على أن أقدمها إليه هدية بلا ثمن فعند ذلك أمر الوزير بإحضار الأموال فلما حضرت وزن الدنانير للعجمي ثم أقبل النخاس على الوزير وقال عن أذن مولانا الوزير أتكلم فقال الوزير هات ما عندك فقال عندي من الرأي أن لا تطلع بهذه الجارية إلى السلطان في هذا اليوم فإنها قادمة من السفر وأختلف عليها الهواء وأتعبها السفر ولكن خلها عندك في القصر عشرة أقام حتى تستريح

فيزداد جمالها ثم أدخلها الحمام وألبسها أحسن الثياب وأطلع بها لي السلطان فيكون لك في ذلك الحظ الأوف ر فتأمل الوزير كلام النخاس فوجده صواباً فإني بها إلى قصره وأخلي لها مقصورة ورتب لها ك ل ي وم م ا تحتاج إليه من طعام وشراب وغيره فمكنت مدة على تلك الرفاهية وكان للوزير الفضل بن خاق ان ولدكان ه البدر إذا أشرق بوجه أقمر وخد أحمر وعليه خال كنقطة عنبر وفيه عذار أخضر كما قال الشاعر في مثل ه هذه الأبيات:

ورد الخ . دود ودون . ه ش . وك القن . ا   فم . ن المح . دث نفس . ه أن يحتن . ي
لا تم . دد الأي . دي إلي . ه فطالم . ا   ش . نوا الح . روب لأن م . ددنا إلاعين . ا
ي . ا قلب . ه القاس . ي ورق . ة خص . ره   ه . لا نقل . ت إل . ى هن . ا م . ن هن . ا
ل . و ك . ان رق . ة خص . ره ف . ي قلب . ه   ما ج ار ق ط عل ى المح ب ولا جن ي
ي ا ع اذلي ف ي حب ه ك . ن ع اذري   م ن ل ي بجس م ق د تملك ه الض نى
م . ا ال . ذنب إلا للف . ؤاد ون . اظري   لولاه . ا م . ا كن . ت ف . ي ه . ذا العن . ى

وكان الصبي لم يعرف قضية هذه الجارية وكان والده أوصاها وقال لها يا بنتي اعلمي أني ما اشتريتك الأسرية للملك محمد بن سليمان الزيني وأن لي ولداً ما خلا بصبية في الحارة إلا فعل بها فاحفظي نفسك منه وأحذري أن تريه وجهك أو تسمعيه كلامك فقالت الجارية السمع والطاعة ثم تركها وانصرف واتفق ب الأمر المقدر أن الجارية دخلت يوماً من الأيام الحمام الذي في المنزل وقد حماها بعض الجواري ولبس ت الثي اب الفاخرة فتزايد حسنها وجمالها ودخلت على زوجة الوزير فقبلت يدها فقالت لها نعيماً يا أنيس الجليس كي ف حالك في هذا الحمام فقالت يا سيدتي ما كنت محتاجة إلا إلى حضورك فيه فعند ذل ك قال ت س يدة البي ت للجواري قمن بنا ندخل الحمام فامتثلن أمرها ومضين وسيدتهن بينهن وقد وكلت بباب المقصورة التي فيه ا أنيس الجليس جاريتين صغيرتين وقالت لها لا تمكنا أحداً من الدخول على الجارية فقالتا السمع والطاعة فيهما أنيس الجليس قاعدة في المقصورة وإذا بابن الوزير الذي اسمه على نور الدين قد دخل وسأل عن أمه وع ن العائلة فقالت له الجاريتان دخلوا الحمام وقد سمعت الجارية أنيس الجليس كلام على نور الدين ب ن ال وزير وهي من داخل المقصورة فقالت في نفسها يا ترى ما شأن هذا الصبي الذي قال لي الوزير عنه – أنه ما خلا بصبية في الحارة إلا واقعها والله أني اشتهي أن أنظره ثم أنها نهضت على قدميها وهي بأثر الحمام وتقدمت جهة باب المقصورة ونظرت إلى علي نور الدين فإذا هو صبي كالبدر في تمامه فأورثتها النظرة ألف حسرة ولاحت من الصبي التفاته إليها فنظرها نظرة أورثته ألف حسرة ووقع كل منهما في شرك هوى الآخر فتقدم الصبي إلى الجاريتين وصاح عليهما فهربتا من بين يديه ووقفتا من بعيد ينظرانه وينظر أن ما يفعل وإذا ب ه تقدم إلى باب المقصورة وفتحه ودخل على الجارية وقال لها أنت التي اشتراك لي أبي فقالت له نعم فعند ذلك تقدمت سيدة البيت إلى أنيس الجليس وقالت لها ما الخبر فقالت لها يا سيدتي أنا قاع دة وإذا بص بي جمي ل الصورة دخل علي وقال لي أنت التي اشتر الثاني لي فقلت نعم والله يا سيدتي أعتقدت أن كلامه صحيح فعند ذلك أتى إلي وعانقني فقالت لها هل فعل بك شيء غير ذلك قالت نعم وأخذ مني ثلاث قبلات فقالت ما تركك من غير افتضاض ثم بكت ولطمت وجهها هي والجواري خوفاً على علي نور الدين أن يذبحه أبوه فبينما هم

كذلك وإذا بالوزير دخل وسأل عن الخبر فقالت له زوجته أحلف أن ما قلته لك تسمعه قال نعم فأخبرته بما فعله ولده فحزن ومزق ثيابه ولطم على وجهه ونتف لحيته فقالت له زوجته لا تقتل نفسك أنا أعطيك من مالي عشرة آلاف دينار ثمنها فعند ذلك رفع رأسه إليها وقال لها ويلك أنا مالي حاجة بثمنها ولكن خوفي أن تروح روحي ومال فقالت له يا سيدي ما سبب ذلك قال لها أما تعلمين أن وراءنا هذا العدو الذي يقال له المعين بن ساوي ومتى سمع هذا الأمر تقدم إلى السلطان وقال له وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير قال لزوجته أما تعلمين أن وراءنا عدواً يقال له المعين بن ساوي ومتى سمع بهذا الأمر تقدم إلى السلطان وقال له أن وزيرك الذي تزعم أنه يحبك أخذ منك عشرة آلاف دينار واشترى بها جارية ما رأي أحد مثلها فلما أعجبته قال لأبنه خذها أنت حق بها من السلطان فأخذها وأزال بكارتها وها هي الجارية عنده فيقول الملك تكذب فيقول للملك عن أذنك أهجم عليه وآتيك بها فيأذن له في ذلك فيهجم على الدار ويأخذ الجارية ويحضرها بين يدي السلطان ثم يسألها فما تقدران تنكر فيقول له يا سيدي أنت تعلم أني ناصح لك ولكن مالي عندكم حظ فيمثل بي السلطان والناس كلهم يتفرجون علي وتروح روحي فقالت له زوجته لا تعلم أحداً وهذا الأمر حصل خفية وسلم أمرك إلى الله في هذه القضية فعند ذلك سكن قلب الوزير وطاب خاطره هذا ما كان من أمر الوزير (وأما) ما كان من أمر علي نور الدين فإنه خاف عاقبة الأمر فكان يقضي نهاره في البساتين ولا يأتي إلا في آخر الليل لأمه فينام عندها ويقوم قبل الصبح ولا يراه أحد ولم يزل كذلك شهراً وهو لم ير وجه أبيه فقالت أمه لأبيه يا سيدي هل تعدم الجارية وتعدم الولد فإن طال هذا الأمر على الولد هج قال لها وكيف العمل قالت له أسهر هذه الليلة فإذا جاء فأمسكه وأصطلح أنت وياه وأعطه الجارية فإنها تحبه وهو يحبها وأعطيك ثمنها فسهر الوزير طول الليل فلما أتى ولده أمسكه وأراد نحره فأدركته أمه وقالت له أي شيء تريد أن تفعل معه فقال لها أريد أن أذبحه فقال الولد لأبيه هل أهون عليك فتغرغرت عيناه بالدموع وقال له يا ولدي كيف هان عليك ذهاب مالي وروحي فقال الصبي اسمع يا والدي مقال الشاعر:

هبني جنيت فلم تزل أهل النهى يهبون للجاني سماحاً شاملاً

ماذا عسى يرجو عدوك وهو في درك الحضيض وأنت أعلى منزلاً

فعند ذلك قام الوزير من على صدر ولده وأشفق عليه وقام الصبي وقبل يد والده فقال يا ولدي لو علمت أنك تنصف أنيس الجليس كنت وهبتها لك فقال يا والدي كيف لا أنصفها قال أوصيك يا ولدي أنك لا تتزوج عليها ولا تضار رها ولا تتبعها قال له يا والدي أنا أحلف لك أن لا أتزوج عليها ولا أبيعها ثم حلف له أيماناً على ما ذكر ودخل على الجارية فأقام معها سنة ونسي الله تعالى الملك قصة الجارية. واما المعين بن ساوي فإنه بلغه الخبر ولكنه لم يقدر أن يتكلم لعظم منزلة الوزير عند السلطان فلما مضت السنة دخل الوزير فضل الدين بن خاقان الحمام وخرج وهو عرقان فأصابه الهواء فلزم الوساد وطال به السهاد وتسلسل

به الضعف فعند ذلك نادى ولده على نور الدين فلما حضر بين يديه قال له ياولدي أن الرزق مقسوم والأجل محتوم ولا بد لكل نسمة من شرب كأس المتوفي وأنشدها هذه الأبيات:

مـ .ن فاتـ .ه المـ .وت لـ .م يفتـ .ه غـ .دا   والكل منـ .ا علـ ى حـ وض الـ ردى وردا

سوى العظـ م بمـ ن قـ د كـ ان محتقـ راً   ولـ م يـ دع هذ .ة بـ .ين الـ .ورى أحـ .داً

لـ .م يبـ .ق مـ .ن ملـ .ك كـ .لا ولا ملـ .ك   ولا نبـ . .ي يعـ . .يش دائمـ . .اً أبـ . .داً

ثم قال يا ولدي مالي عندك وصية ألا تقوى الله والنظر في العواقب وأن تستوصـ ي بالجاريـ ة أنـ يس الجليس فقال له يا أبت ومن مثلك وقد كنت معروفاً بفعل الخير ودعاء الخطباء لك على المنابر فقال يا ولدي أرجو من الله تعالى القبول ثم نطق بالشهادتين وشهق شهقة فكتب من أهل السعادة فعند ذلك امـ تلأ القصـ ر بالصراخ ووصل الخبر إلى السلطان وسمعت أهل المدينة بوفاة الفضل بن خاقان فبكت عليه الصـ بيان فـ ي مكاتبها ونهض ولده على نور الدين وجهزه وحضرت الأمراء والوزراء وأرباب الدولة وأهل المدينة مشهده وكان ممن حضر الجنازة الوزير المعين بن ساوي وأنشد بعضهم عند خروج جنازته من الدار هذه الأبيات:

قـ .د قلـ .ت للرجـ .ل المـ .ولى غسـ .له   هـ .لا اطعـ .ت وكنـ .ت مـ .ن نصـ .حائه

جنبـ . .ه مـ . .اءكـ ثـ . .م غسـ . .له بمـ . .ا   أدرت عيـ . .ون المجـ . .د عنـ . .د بكائـ . .ه

وأزل مجـ . .اميع الحنـ . .وط ونحهـ . .ا   عنـ . .ه وحنطـ . .ه يطيـ . .ب ثنائـ . .ه

ومـ . .ر الملائكـ . .ة الكـ . .رام بحملـ . .ه   شـ .رفاً ألسـ . .ت تراهمـ . .وا بأزائـ . .ه

لاتـ . .وه أعنـ . .اق الرجـ . .ال بحملـ . .ه   يكفـ .ي الـ .ذي حملـ .وه مـ .ن نعمائـ .ه

ثم مكث على نور الدين شديد الحزن على والده مدة مديدة فبينما هو جالس يوماً من الأيام فـ ي بيـ ت والده إذ طرق الباب طارق فنهض على نور الدين وفتح الباب وإذا برجل من ندماء والده وأصحابه فقبل يـ د علي نور الدين وقال يا سيدي من خلف مثلك ما مات وهذا مصير سيد الأولين والآخرين ﷺ يا سيدي طـ ب نفساً ودع الحزن فعند ذلك نهض على نور الدين إلى قاعة الجلوس ونقل إليها ما يحتاج إليه واجتمـ ع عليـ ه أصحابه وأخذ جاريته واجتمع عليه عشرة من أولاد التجار ثم أنه أكل الطعام وشرب الشراب وجدد مقاماً بعد مقام وصار يعطي ويتكرم فعند ذلك دخل عليه وكيله وقال له يا سيدي علي نور الدين أمـ ا سـ معت قـ ول بعضهم من ينفق ولم يحسب أفتقر ولد أحسن من قال هذه الأبيات:

أصـ . .ون دراهمـ . .ي وأذب عنهـ . .ا   لعلمـ . .ي أنهـ . .ا سـ . .يفي وترسـ . .ي

أأبـ . .ذلها إلـ . .ى أعـ . .دا الأعـ . .ادي   وأبـ دل فـ ي الـ ورى سـ عدي بنحسـ ي

فيـ . .ا كلهـ . .ا ويشـ . .ربها هنيئـ . .اً   ولا يسـ . .خو إلـ . .ى أحـ . .د بفلـ . .س

وأحفـ .ظ درهمـ .ي عـ .ن كـ .ل شـ .خص   لئـ . يم الطبـ . ـع لا يصـ . فو لأنسـ . ـي

أحـ . ب إلـ . ى مـ . ن قـ . ول لنـ . ذل   أنـ . .اني درهمـ . .اً لغـ . .د بخمـ . .س

فيعـ . .رض وجهـ . .ه ويصـ . .دعني   فتبقـ .ى مثـ .ل نفـ .س الكلـ .ب نفسـ .ي

فيـ . .اذل الرجـ . .ال بغـ . .ر مـ . .ال   ولـ . ـو كانـ . ـت فضـ . ائلهم كشـ . مس

ثم قال يا سيدي النفقة الجزيلة والمواهب العظيمة تفنى المال فلما سمع على نور الدين من وكيله ه ذا الكلام نظر إليه وقال له جميع ما قلته لا أسمع منه كلمة فما أحسن قول الشاعر:

إذا ما ملك ت الم ال يوم اً ول م أج د فلا بس طت كف ى ولا نهض ت رجل ي

فه .اتوا بخ .يلا ن .ال مج .داً ببخل .ه وهاتوا أروذ ي ب اذلاً م ات م ن ب ذل

ثم قال اعلم أيها الوكيل أني أريد إذا فضل عندك ما يكفيني لغذائي أن لا تحملني هم عشائي فانصرف الوكيل من عنده إلى حال سبيله وأقبل على نور الدين على ما هو فيه من مكارم الأخلاق وكل من يقول ل ه من ندمائه أن هذا الشيء مليح يقول هو لك هبة أو يقول سيدي أن الدار الفلانية مليحة يقول هي لك هبة ولم يزل على نور الدين يعقد لندمائه وأصحابه في أول النهار مجلساً وفي آخره مجلساً ومكث على ه ذا الح ال سنة كاملة فبينما هو جالساً يوماً وإذا بالجارية تنشأ هذين البيتين:

أحس .نت ظن .ك بالأيام .ا ذا حس .نت ولم تخف س وء م ا ي أتي ب ه الق در

وس .المتك اللي .الي ف .اغتررت به .ا وعن .د ص .فو اللي .الي يح .دث الك .در

فلما فرغت من شعرها إذا بطارق يطرق الباب فقام على نور الدين فتبعه بعض جلسائه من غي ر أن يعلم به فلما فتح الباب رآه وكيله فقال له علي نور الدين ما الخبر فقال له يا سيدي الذي كنت أخ اف علي ك منه قد وقع لك قال وكيف ذلك قال اعلم أنه ما بقي لك تحت يدي شيء يساوي درهماً ولا أقل من درهم وهذه دفاتر المصروف الذي صرفته ودفاتر أصل مالك فلما سمع على نور الدين هذا الكلام أط رق برأس ه إل ى الأرض وقال لاحول ولا قوة إلا بالله فلما سمع الرجل الذي تبعه خفية وخرج ليسأل عليه وما قال ه الوكي ل رجع إلى أصحابه وقال لهم انظروا أي شيء تعملون فإن على نور الدين قد أفلس فلما رجع إليهم على ن ور الدين ظهر لهم الغم في وجهه فعند ذلك نهض واحد من الندماء على قدميه ونظر إلى علي نور الدين وقال له ياسيدي أني أريد أن تأذن لي بالإنصراف فقال علي نور الدين لماذا الإنصراف في هذا اليوم فقال أن زوجتي تلد في هذه الليلة ولا يمكنني أن أتخلف عنها وأريد أن أذهب إليها وانظرها فأذن له ونهض آخر وقال له ي ا سيدي نور الدين أريد اليوم أن أحضر عند أخي فإنه يطاهر ولده وكل واحد يستأذنه بحيلة ويذهب إلى ح ال سبيله حتى انصرفوا كلهم وبقي على نور الدين وحده فعند ذلك دعا جاريته وقال يا أنيس الجليس أما تنظرين ما حل بي وحكى لها ما قاله الوكيل فقالت يا سيدي من منذ ليال هممت أن أقول لك على هذا الحال فسمعتك تنشد هذين البيتن:

إذا ج .ادت ال .دنيا علي .ك فج .دبها عل .ى الن .اس ط .را قب .ل أن تتفل .ت

ف .لا الج .ود يفنيه .ا إذا ه .ي أقبل .ت ولا الش .ح يبقيه .ا إذا ه .ي ول .ت

فلما سمعتك تنشدهما سكت ولم أبد لك خطاباً فقال لها على نور الدين يأ أنيس الجليس أنت تعرفين أني ما صرفت مالي إلا على أصحابي وأظنهم لا يتركونني من غير مواساة فقالت أنيس الجليس والله ما ينفعونك بنافعة فقال على نور الدين فأنا في هذه الساعة وأروح إليهم وأطرق أبوابهم لعلي أنال منهم شيئاً فأجعله ف ي يدي رأس مال وأتجر فيه وأترك اللهو واللعب ثم أنه نهض من وقته وساعته ومازال سائراً حتى أقبل عل ى الرقاق الذي فيه أصحابه العشرة وكانوا كلهم ساكنين في ذلك الزقاق فتقدم إلى أول باب فطرقه فخرجت ل ه

جارية وقالت له من أنت فقال لها قولي لسيدك على نور الدين واقف على الباب ويقول لك مملوكك يقبل أياديك وينتظر فضلك فدخلت الجارية واعلمت سيدها فصاح عليها وقال لها ارجعي وقولي له ما هو هنا فرجعت الجارية إلى علي نور الدين وقالت له يا سيدي أن سيدي ما هو هنا فتوجه على نور الدين وقال في نفسه أن كان هذا ولد زنا وأنكر نفسه فغيره ما هو ولد زنا ثم تقدم إلى الباب الثاني وقال كما قال أولاً فأنكر الآخر نفسه فعند ذلك أنشد هذا البيت:

ذهب الذين إذا وقفت ببابهم منوا عليك بما تريدوا من الندى

فلما فرغ من شعره قال والله لابد أن امتحنهم كلهم عسى أن يكون فيهم واحد يقوم مقام الجميع فدار على العشرة فلم يجد أحداً منهم فتح الباب ولا أراه نفسه ولا أمر له برغيف فأنشد هذه الأبيات:

المرء في زمن الأقبال كالشجرة فالناس من حولها ما دامت الثمرة

حتى إذا سقطت كل الذي حملت تفرقوا وأرادوا غيرها شجرة

تباً لأبناء هذا الدهر كلهم فلم أجد واحداً يصفو من العشرة

ثم أنه رجع إلى جاريته وقد تزايد همه فقالت له يا سيدي أما قلت لك أنهم لا ينفعونك بنافعه وقال والله ما فيهم من أراني وجهه فقالت له يا سيدي بع من أثاث البيت شيئاً فشيئاً وأنفق فباع إلى أن باع جميع ما في البيت ولم يبق عنده شيء فعند ذلك نظر إلى أنيس الجليس وقال لها ما نفعل الآن فقالت له ياسيدي عندي من الرأي أن تقوم في هذه الساعة وتنزل بي إلى السوق فتبيعني وأنت تعلم أن والدك كان اشتراني بعشرة آلاف دينار فلعل الله يفتح عليك ببعض هذا الثمن وإذا قدر الله باجتماعنا نجتمع فقال لها يا أليس الجليس ما يهون على فراقك ساعة واحدة فقالت له ولا أنا كذلك لكن للضرورة أحكام كما قال الشاعر:

تلجيء الضرورات في الأمور إلى سلوك ما لا يليق بالأدب

ما حامل نفسه على سبب إلا لأمر يليق بالسبب

فعند ذلك أخذ أنيس الجليس ودموعه تسيل على خديه ثم أنشد هذين البيتين:

قفوا زودوني نظرة قبل فراقكم أعلل قلباً كاد بالبين يتلف

فإن كان تزويدي بذلك كلفة دعوني في وجدي ولا تتكلفوا

ثم مضى وسلمها إلى الدلال وقال له أعرف مقدار ما تنادي عليه فقال له الدلال يا سيدي على نور الدين الأصول محفوظة ثم قال له هي أنيس الجليس الذي كان اشتراها والدك منى بعشرة آلاف دينار قال نعم فعند ذلك طلع الدلال إلى التجار فوجدهم لم يجتمعوا كلهم فصبر حتى اجتمع سائر التجار وامتلأ السوق بسائر أجناس الجواري من تركية وورومية وشركسية وجرجية وحبشية فلما نظر الدلال إلى ازدحام السوق نهض قائماً وقال يا تجار يا أرباب الأموال ما كل مدور جوزة ولا كل مستطيلة موزة ولا كل حمراء لحمة ولا كل بيضاء شحمة ولا كل صهباء خمرة ولا كل سمراء تمرة يا تجار هذه الدرة اليتيمة التي لا تفي الأموال لها بقية بكم تفتحون باب الثمن فقال واحد بأربعة آلاف دينار وخمسمائة وإذا بالوزير المعين بن سلوى في السوق فنظر على نور الدين واقفاً في السوق فقال في نفسه ما باله واقفاً فإنه ما بقي عنده شيء

يشتري به جواري ثم نظر بعينه فسمع المنادي وهو واقف ينادي في السوق والتجار حوله فقال الوزير ف ي نفسه ما أظنه إلا أفلس ونزل بالجارية ليبيعها ثم قال في نفسه أن صح ذلك فما أبرده على قلب ي ث م دع ا المنادي فأقبل عليه وقبل الأرض بين يديه فقال أني أريد هذه الجارية التي تنادي عليها فلم يمكن ه المخالف ة فجاء بالجارية وقدمها بين يديه فلما نظر إليها وتأمل محاسنها من قامتها الرشيقة وألفاظها الرقيقة أعجبته فقال له إلى كم وصل ثمنها فقال أربعة آلاف وخمسمائة دينار فلما سمع ذلك التجار ما قدر واحد م نهم أن يزي د درهماً ولا دينار بل تأخروا جميعاً لما يعلمون من ظلم ذلك الوزير ثم نظر الوزير المعين بن س اوى إل ى الدلالة وقال ما سبب وقوفك رح والجارية علي بأربعة آلاف دينار ولك خمسمائة دينار فراح الدلال إلى علي نور الدين وقال له يا سيدي راحت الجارية عليك بلا ثمن فقال له وما سبب ذلك قال له نح ن فتحن ا ب اب سعرها بأربعة آلاف دينار وخمسمائة فجاء هذا الظالم المعين بن ساوى ودخل السوق فم ا نظ ر الجاري ة أعجبته وقال لي شاور على أربعة آلاف دينار ولك خمسمائة وما أظنه ألاعرف أن الجارية ل ك ف إن ك ان يعطيك ثمنها في هذه الساعة يكون ذلك من فضل الله لكن أنا أعرف من ظلمه أنه يكتب لك ورقة حوالة على بعض عملائه ثم يرسل إليهم ويقول لا تعطوه شيئاً فكلما ذهبت إليهم لتطالبهم يقولون في غ د نعطي ك ولا يزالون يعدونك ويخلفون يوماً بعد يوم وأنت عزيز النفس وبعد أن يضجوا من مطالبتك أياهم يقولون أعطن ا ورقة الحوالة فإذا أخذوا الورقة منك قطعوها وراح عليك ثمن الجارية فلما سمع على نور الدين من ال دلال هذا الكلام نظر إليه وقال له كيف يكون العمل فقال له أنا أشير عليك بمشورة فإن قبلتها مني كان لك الح ظ الأوفر قال تجيء في هذه الساعة عندي وأنا واقف في وسط السوق وتأخذ الجارية من يدي وتلكمها وتق ول لها ويلك قد فديت يميني التي حلفتها ونزلت بك السوق حيث حلفت عليك أنه لا بد من أخراجك إلى الس وق ومناداة الدلال عليك فإن فعلت ذلك ربما تدخل عليه الحيلة وعلى الناس ويعتقدون أنك ما نزلت بها إلا لأجل إبرار اليمين فقال هذا هو الرأي الصواب ثم أن الدلال فارقه وجاء إلى وسط السوق وأمس ك ي د الجاري ة وأشار إلى الوزير المعين بن ساوى وقال يا مولاي هذا مالكها قد أقبل ثم جاء علي نور الدين إل ى ال دلال عليك فأن فعلت ذلك ربما تدخل عليه الحيلة وعلى الناس ويعتقدون أنك ما نزلت بها إلا لأجل أبرار اليم ين فقال هذا هو الرأي الصواب ثم أن الدلال فارقه وجاء إلى وسط السوق وأمسك يد الجارية وأشار إلى الوزير المعين بن ساوى وقال يا مولاي هذا مالكها قد أقبل ثم جاء على نور الدين إلى الدلال ونزع الجارية من يده ولكمها وقال ويلك قد نزلت بك إلى السوق لأجل إبراز يميني روحي إلى البيت وبعد ذلك لا تخالفيني فلس ت محتاجاً إلى ثمنك حتى أبيعك وأنا لو بعت أثاث البيت وأمثاله مرات عديدة ما بلغ قدر ثمنك فلما نظر المعين بن ساوى إلى علي نور الدين قال له ويلك وهل بقي عندك شيء يباع أو يشترى ثم أن المعين بن ساوى أراد أن يبطش به فعند ذلك نظر التجار إلى علي نور الدين وكانوا كلهم يحبونه فقال لهم ها أنا بين أي ديكم وق د عرفتم ظلمه فقال الوزير والله لولا أنتم لقتلته ثم رمزوا كلهم لبعضهم بعين الإشارة وقالوا ما أحد منا ي دخل بينك وبينه فعند ذلك تقدم على نور الدين إلى الوزير بن ساوى وكان علي نور الدين شجاعاً فجذب ال وزير من فوق سرجه فرماه على الأرض وكان هناك معجنة طين فوقع الوزير في وسطها وجعل علي نور ال دين يلكمه فجاءت لكمة على أسنانه فاختضبت لحيته بدمه وكان مع الوزير عشرة مماليك فلما رأوا نور الدين فعل

يسيدهم هذه الأفعال وضعوا أيديهم على مقابض سيوفهم وأرادوا أن يهجموا على علي نور الـ دين ويقطعـ وه وإذا بالناس قالوا للمماليك هذا وزير وهذا ابن وزير وربما اصطلحاً مع بعضهما وتكونون مبغوضين عند كل منهما وربما جاءت فيه ضربة فتموتون جميعاً أقبح الموتات ومن الرأي أن لا تدخلوا بينهما فلما فرغ علـ ى نور الدين من ضرب الوزير أخذ جاريته ومضى إلى داره وأما الوزير ابن ساوى فإنه قام من ساعته وكـ ان قماش ثيابه أبيض فصار ملوناً بثلاثة ألوان الطين ولون الدم ولون الرماد فلما رأي نفسه على هذه الحالة أخذ برشاً وجعله في رقبته وأخذ في يده حزمتين من حلفه وسار إلى أن وقف تحت القصر الذي فيـ ـه السـ ـلطان وصاح يا ملك الزمان مظلوم فأحضروه بين يديه فتأمله فرآه وزيره المعين بن ساوي فقال له من فعـ ل بـ ك هذه الفعال فبكي وأنتحب وأنشد هذين البيتين:

أيظلمنـ . ـي الزمـ . ـان وأنـ . ـت فيـ . ـه وتـ . ـأكلني الكـ . ـلاب وأنـ . ـت ليـ . ـث
ويـ . ـروي مـ . ـن حياضـ . ـك كـ . ـل صـ . ـاد وأعطـ . ـش فـ . ـي حمـ . ـاك وأنـ . ـت غيـ . ـث

ثم قال يا سيدي أهكذا كل من يحبك ويخدمك تجري له هذه المشاق قال له ومن فعل بك هـ ـذه الفعـ ـال فقال الوزير اعلم أني خرجت اليوم إلى سوق الجواري لعلي أشتري جارية طباخة فرأيت في السوق جاريـ ـة ما رأيت طول عمري مثلها فقال الدلال أنها لعلي بن خاقان وكان مولانا السلطان أعطى أباه سـ ـابقاً عشـ ـرة آلاف دينار ليشتري له بها جارية مليحة فاشترى تلك الجارية فأعجبته فأعطاها لولده فلما مات أبـ ـوه سـ ـلك طريق الإسراف حتى باع جميع ما عنده من الأملاك والبساتين والأواني فلما أفلس ولم يبق عنده شيء نـ ـزل بالجارية إلى السوق على أن يبيعها ثم سلمها إلى الدلال فنادى عليها وتزايدت فيها التجار حتى بلـ ـغ ثمنهـ ـا أربعة آلاف دينار فقلت اشتري هذه لمولانا السلطان فإن أصل ثمنها كان من عنده فقلت يا ولدي خـ ـذ ثمنهـ ـا أربعة آلاف دينار فلما سمع كلامي نظر إلي وقال يا شيخ النحس أبيعها لليهود والنصارى ولا أبيعها لك فقلت أنا ما اشتريتها لنفسي وأنما اشتريتها لمولانا السلطان الذي هو ولى نعمتنا فلما سمع مني هذا الكلام اغتـ ـاظ وجذبني ورماني عن الجواد وأنا شيخ كبير وضربني ولم يزل يضربني حتى تركني كما تراـ ـي وأنـ ـا مـ ـا أوقعني في هذا كله إلا أني جئت لأشتري هذه الجارية لسعادتك ثم أن الوزير رمى نفسه على الأرض وجعل يبكي ويرتعد فلما نظر السلطان حالته وسمع مقالته قام عرق الغضب بين عينيه ثم التفت إلى من بحضـ ـرته من أرباب الدولة وإذا بأربعين من ضاربي سيف وقفوا بين يديه فقال لهم انزلوا في هذه الساعة إلى دار ابن خاقان وأنهبوها وأهدموها وأئتوني به وبالجارية مكتفين وأسحبوهما على وجوههما وائتوا بهما بين يدي فقالوا السمع والطاعة ثم أنهم نزلوا وقصدوا المسير إلي على نور الدين وكان عند السلطان حاجب يقال لـ ـه علـ ـم الدين سنجر وكان أولاً من مماليك الفضل بن خاقان والد علي نور الدين لهما سـ ـمع أمـ ـر السـ ـلطان ورأى الأعداء تهيئوا إلى قتل ابن سيده لم يهن عليه ذلك فركب جواده وسار إلى أن أتى بيت علي نور الدين فطرق الباب فخرج له علي نور الدين فلما رآه عرفه وأراد أن يسلم عليه فقال سيدي ما هذا وقـ ـت سـ ـلام وكـ ـلام واسمع ما قال الشاعر:

ونفسـ . ـك فـ . ـر بهـ . ـا أن خفـ . ـت ضـ . ـيما وخـ . ـل الـ . ـدار تنعـ . ـي مـ . ـن بناهـ . ـا
فإنـ . ـك واجـ . ـد أرضـ . ـاً بـ . ـأرض ونفسـ . ـك لـ . ـم تجـ . ـد نفسـ . ـاً سـ . ـواهاً

فقال علي نور الدين يا علم الدين ما الخبر فقال انهض وفز بنفسك أنت والجارية فإن المعين ابن ماوي نصب لكما شركاً ومتى وقعتما في يده قتلكما وقد أرسل إليكما السلطان أربعين ضارباً بالسيف والرأي عندي أن تهربا قبل أن يحل الضرر بكما ثم أن سنجر مد يده إلي على نور الدين بدنانير فعدها فوجـ دها أربعـ ين دينار وقال له يا سيدي خذ هذه ولو كان معي أكثر من ذلك لأعطيتك أياه لكن ما هذا وقت معاتبة فعند ذلـ ك دخل علي نور الدين على الجارية وأعلمها بذلك فتخبلت ثم خرج الأثنان في الوقت إلى ظاهر المدينة وأسبل الله عليهما ستره ومشيا إلى ساحل البحر فوجدا مركباً تجهزت للسفن والريس واقف في وسط المركب يقـ ول من بقي له حاجة من وداع أو زواده أو نسي حاجة فليأت بها فإننا متوجهون فقال كلهم لم يبق لنا حاجـ ة يـ ا ريس فعند ذلك قال الريس لجماعته هيا حلوا الطرف واقلعوا الأوتاد فقال نور الدين إلى أين ياريس فقال إلى دار السلام بغداد وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الريس لما قال لعلي نور الدين إلى دار السلام مدينة بغداد نزل علـ ي نور الدين ونزلت معه الجارية وعوموا ونشروا القلوع فسارت بهم المركب وطاب لهم الريح هذا ما جـ رى لهؤلاء (وأما) ما جرى للأربعين الذين أرسلهم السلطان فإنهم جاءوا إلى بيت علي نور الدين فكسروا الأبواب ودخلوا وطافوا جميع الأماكن فلم يقفوا لهما على أى خبر فهدموا الدار ورجعوا لو اعلمـ وا السـ لطان فقـ ال اطلبوهما في أي مكان كانا فيه فقالوا السمع والطاعة ثم نزل الوزير المعين بن ساوى إلى بيته بعد أن خلـ ع عليه السلطان خلعة وقال لا يأخذ بثأرك إلا أنا فدعا له بطول البقاء واطمأن قلبه ثم أن السلطان أمر أن ينادي في المدينة يا معاشر الناس كافة قد أمر السلطان أن من عثر بعلي نور الدين بن خاقان وجاء به إلى السلطان خلع عليه خلعة وأعطاه ألف دينار ومن أخفاه أو عرف مكانه ولم يخبر به فإنه يستحق ما يجري عليـ ه مـ ن النكال فصار جميع الناس في التفتيش على علي نور الدين فلم يعرفوا له أثرا هذا ما كان من هؤلاء (وأما) ما كان من أمر علي نور الدين وجاريته فأنهما وصلا بالسلامة إلى بغداد فقال الريس هذه بغداد وهـ ي مدينـ ة أمينة قد ولى عنها الشتاء ببرده وأقبل عليها فصل الربيع بورده وأزهرت أشجارها وجرت أنهارها فعند ذلك طلع علي نور الدين هو وجاريته من المركب وأعطى الريس خمسة دنانير ثم سارا قليلاً فرمتهمـ ا المقـ ادير بين البساتين فجاء إلى مكاناً فوجداه مكنوساً مرشوشاً بمصاطب مستطيلة وقوانيس معلقة ملآنة مـ اء وفوقـ ه مكعب من القصب بطول الزقاق وفي صدر الزقاق باب بستان إلا أنه مغلق فقال على نور الدين للجارية والله أن هذا محل مليح فقالت يا سيدي أقعد بنا ساعة على هذه المصاطب فطلعا وجلسا على المصاطب ثم غسـ لا وجوههما وأيديهما واستلذا بمرور النسيم فناما وجل من لا ينام وكان البستان يسمي بستان النزهـ ة وهنـ اك قصر يقال له قصر الفرجة وهو للخليفة هارون الرشيد وكان الخليفة إذا ضاق صدره يـ أتي إلـ ى البسـ تان ويدخل ذلك القصر فيقعد فيه وكان القصر له ثمانون شياكاً ومعلقاً فيه ثمانون قنديلاً وفي وسطه شمعدان كبير من الذهب فإذا دخله الخليفة أمر الجواري أن تفتح الشبابيك وأمر اسحق النديم والجواري أن يغنوا لينشـ رح صدره ويزول همه وكان للبستان خولي شيخ كبير يقال له الشيخ إبراهيم واتفق أنه خرج ليقضي حاجة مـ ن أشغاله فوجد المتفرجين معهم النساء وأهل الريبة فغضب غضباً شديداً فصبر الشيخ أبراهيم حتى جاء عنـ ده

الخليفة في بعض الأيام فاعلمه بذلك فقال الخليفة كل من وجدته على باب البستان أفعل به ما أردت فلما كان ذلك اليوم خرج الشيخ إبراهيم الخولي لقضاء حاجة عرضت له فوجد الأثنين نائمين على البستان مغطيين بازار واحد فقال أما عرفا أن الخليفة أعطاني إذنا أن كل من لقيته قتلته ولكن أنا أضرب هذين ضرباً خفيفاً حتى لا يتقرب أحد من باب البستان ثم قطع جريدة خضراء وخرج إليهما ووقع يده فبان بياض أبطه وأراد ضربهما فتفكر في نفسه وقال يا إبراهيم كيف تضربهما ولم تعرف حالهما وقد يكونان غريبين أو من أبناء السبيل ورمتهما المقادير هنا فأنا أكشف عن وجوههما وأنظر إليهما فرفع الأزار عن وجوههما وقال هذان حسنان لا ينبغي أن أضربهما ثم غطي وجوههما وتقدم إلى رجل علي نور الدين وجعل يكبسها ففتح عينه فوجده شيخاً كبيراً فاستحى علي نور الدين ولم رجليه واستوى قاعداً وأخذ يد الشيخ فقبلها فقال له يا ولدي من أين أنتم فقال له يا سيدي نحن غرباء وفرت الدمعة من عينه فقال الشيخ إبراهيم يا ولدي اعلم أن النبي ﷺ أوصى بإكرام الغريب ثم قال له يا ولدي أما تقوم وتدخل البستان وتتفرج فيه فينشرح صدرك فقال له نور الدين يا سيدي هذا البستان لمين قال يا ولدي هذا ورثته من أهلي وما كان قصد الشيخ إبراهيم بهذا الكلام إلا أن يطمئنا ويدخلا البستان فلما سمع نور الدين كلامه شكره وقام هو وجاريته والشيخ إبراهيم قدامهما فدخلوا البستان فإذا هو بستان بابه مقنطر عليه كروم وأعنابه مختلفة الألوان الأحمر كله يا قوت والأسود كأنه أبنوس فدخلوا تحت عريشة فوجدوا فيها الأثمار صنوان وغير صنوان والأطيار تغرد بالحان على الأغصان والهزار يترنم والقمري ملا بصوته المكان والشحرور كأنه في تغريده إنسان والأشجار قد أينعت أثمارها من كل مأكول ومن فاكهة زوجان والمشمش ما بين كافوري ولوزي ومشمش خراسان والبرقوق كأنه لون الحسان والقراسية تذهل عقل كل إنسان والتين ما بين أحمر وأبيض وأخضر من أحسن الألوان والزهر كأنه اللؤلؤ والمرجان والورد يفضح بحمرته خدود الحسان والبنفسج كأنه الكبريت دنا من النيران والآس والمنتور والخزامى مع شقائق النعمان وتكللت تلك الأوراق بمدامع الغمام وضحك تغر الأقحوان وصار النرجس ناظر إلى ورد بعيون السودان والأترج كأنه أكواب والليمون كبنادق من ذهب وفرشت الأرض بالزهر من سائر الألوان وأقبل الربيع فأشرق ببهجته المكان والنهر في خرير والطير في هدير والريح في صفير والزمان في اعتدال والنسيم في اعتلال ثم دخل بهما الشيخ إبراهيم القاعة المغلقة فابتهجوا بحسن تلك القاعة ومد فيها من اللطائف الغريبة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٩)

قالت بلغني أن الشيخ إبراهيم دخل القاعة ومعه علي نور الدين والجارية وجلسوا في بعض الشد بابيك فتذكر علي نور الدين المقاساة التي مضت له فقال والله أن هذا المكان في غاية الحسن لقد فكرني بما مضد ي وأطفأ من كربي جمر الغضى ثم أن الشيخ إبراهيم قدم لهما الأكل فأكلا كفايتهما ثم غسلا أيديهما وجلس نور الدين في شباك من تلك الشبابيك وصاح على جاريته فأتت إليه فصارا ينظران إلى الأشجار وقد حملت سائر الأثمار ثم التفت على نور الدين إلى الشيخ إبراهيم وقال له يا شيخ إبراهيم أما عندك شيء من الشد راب لأن الناس يشربون بعد أن يأكلون فجاءه الشيخ إبراهيم بماء حلو بارد فقال له علي نور الدين ما هـ ذا الشد راب الذي أريده فقال له أتريد الخمر فقال له نور الدين نعم فقال أعوذ بالله منها أن لي ثلاثة عشر عاماً ما فعلـ ت ذلك لأن النبي ﷺ لعن شاربه وعاصره وحامله هل يصيبك من لعنهم شيء قال لا قال خذ هـ ذين الـ دينارين وهذين الدرهمين وأركب هذا الحمار وقف بعيداً وأي إنسان وجدته يشتري فصح عليه وقل لـ ـه خـ ذ هـ ذين الدرهمين واشتر بهذين الدينارين خمراً وأحمله على الحمار وحينئذ لا تكون شارباً ولا حاملاً ولا عاصراً ولا يصيبك شيء مما أصاب الجميع فقال الشيخ إبراهيم وقد ضحك من كلامه والله ما رأيت أظـ رف منـ ك ولا أحلى من كلامك فقال له نور الدين نحن صرنا محسوبين عليك وما عليك إلا الموافقة فائت لنا بجميـ ع مـ ا نحتاج إليه فقال له الشيخ إبراهيم يا ولدي هذا كراري قدامك وهو الحاصل المعد لأمير المؤمنين فأدخله وخذ منه ما شئت فإن فيه فوق ما تريد فدخل علي نور الدين الحاصل فرأى فيه أواني من الذهب والفضة والبللور مرصعة بأصناف الجواهر فأخرج منها ما أراد وسكب الخمر في البواطي والقناني وصـ ـار هـ ـو وجاريتـ ـه يتعاطيان واندهشا من حسن ما رأيا ثم أن الشيخ إبراهيم جاء لهما بالمشموم وقعد بعيداً عنهمـ ـا فلـ ـم يـ زالا يشربان وهما في غاية الفرح حتى تحكم معهما الشراب وأحمرت خدودهما وتغازلت عيونهمـ ـا واسـ ترخت شعورهما فقال الشيخ إبراهيم مالي أقعد بعيداً عنهما كيف أقعد عندهما وأي وقت اجتمع في قصرنا مثل هذين الاثنين اللذين كأنهما قمران ثم أن الشيخ إبراهيم تقدم وقعد في طرف الأيوان فقال له علي نور الدين يا سيدي بحياتي أن تتقدم عندنا فتقدم الشيخ إبراهيم عندهما فملأ نور الدين قدحاً ونظر إلى الشيخ إبراهيم وقـ ـال لـ ـه اشرب حتى تعرف لذة طعمه فقال الشيخ أعوذ بالله أن لي ثلاث عشرة سنة ما فعلت شيئاً من ذلك فتغافل عنه نور الدين وشرب القدح ورمي نفسه في الأرض وأظهر أنه غلب عليه السكر فعند ذلك نظرت إليـ ـه أنـ يس الجليس وقالت له يا شيخ إبراهيم انظر هذا كيف عمل معي قال لها يا سيدتي ماله قالت دائماً يعمل معي هكذا فيشرب ساعة وينام وأبقى أنا وحدي لا أجد لي نديماً ينادمني على قدحي فإذا شربت فمن يعاطيني وإذا غنيت فمن يسمعني فقال لها الشيخ إبراهيم وقد حنت أعضاؤه ومالت نفسه إليها من كلامها لا ينبغي من النـ ـديم أن يكون هكذا ثم أن الجارية ملأت قدحاً ونظرت إلى الشيخ إبراهيم وقالت بحياتي أن تأخذه وتشربه ولا تـ ـردده فأقبله وأخبر خاطري فمد الشيخ إبراهيم يد وأخذ القدح شربه وملأت له ثانياً ومدت إليه ليدها به وقالت له يا سيدي بقي لك هذا فقال لها والله لا أقدر أن شربه فقد كفاني الذي شربته فقالت له والله لابد منه فأخذ القـ ـدح وشربه ثم أعطته الثالث فأخذه وأراد أن يشربه وإذا بنور الدين هم قاعداً. وأدرك شهرزاد الصـ ـباح فسـ ـكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن علي نور الدين هم قاعداً فقال له يا شيخ إبراهيم أي شيء هذا ما حلفت عليك من ساعة فأبيت وقلت أن لي ثلاثة عشر عاماً ما فعلته فقال الشيخ إبراهيم وقد استحى مالي ذنب فإنما هي شددت على فضحك نور الدين وقعدوا للمنادمة فالتفتت الجارية وقالت لسيدها سراً يا سيدي أشرب ولا تحلف على الشيخ إبراهيم حتى أفرجك عليه فجعلت الجارية تملأ وتسقى سيدها وسيدها يملأ ويسقها ولم يزالا كذلك مرة بعد مرة فنظر لهما الشيخ إبراهيم وقال لهما أي شيء هذا وما هذه المنادمة لا تسقياني وقد صرت نديمكما فضحكا من كلامه إلى أن أغمى عليهما ثم شربا وسقياه ومازالوا في المنادمة إلى ثلث الليل فعند ذلك قالت الجارية يا شيخ إبراهيم عن أذنك هل أقوم وأوقد شمعة من هذا الشمع المصفوف فقال لها قومي ولا توقدي إلا شمعة واحدة فنهضت على قدميها وابتدأت من أول الشمع إلى أن أوقده ثمانين شمعة ثم قعدت وبعد ذلك قال نور الدين يا شيخ إبراهيم وأنا أي شيء حظي عندك أما تخليني أوقد قنديلاً من هذه القناديل فقال له الشيخ إبراهيم قم وأوقد قنديلاً واحداً ولا تتثاقل أنت الآخر فقام وابتدأ من أولها إلى أن أوقد ثمانين قنديلاً فعند ذلك رقص المكان فقال لهما الشيخ إبراهيم وقد غلب عليه السكر أنتما أخرع مني ثم أنه نهض على قدميه وفتح الشبابيك جميعاً وجلس معهما يتنادمون ويتناشدون الأشعار وابتهج بهم المكان فقدر الله السميع العليم الذي جعل لكل شيء سبباً أن الخليفة كان في تلك الساعة جالساً في الشبابيك المطلة على ناحية الدجلة في ضوء القمر فنظر إلى تلك الجهة فرأى ضوء القناديل والشموع في البحر ساطعاً فلاحت من الخليفة التفاته إلى القصر الذي في البستان فرآه يلهج من تلك الشموع والقناديل فقال علي بجعفر البرمكي فما كان إلا لحظة وقد حضر جعفر بين يدي أمير المؤمنين فقال له يا كلب الوزراء أتخدمني ولم تعلمني بما يحصل في مدينة بغداد فقال له جعفر وما سبب هذا الكلام فقال لولا أن مدينة بغداد أخذت مني ما كان قصر الفرجة مبتهجاً بضوء القناديل والشموع وانفتحت شبابيكه ويلك من الذي يكون له قدرة على هذه الفعال إلا إذا كانت الخلافة أخذت مني فقال جعفر وقد ارتعدت فرائصه ومن أخبرك بأن قصر الفرجة أوقدت فيه القناديل والشموع وفتحت شبابيكه فقال له تقدم عندي وانظر فتقدم جعفر عند الخليفة ونظر ناحية البستان فوجد القصر كأنه شعلة نار نورها غلب على نور القمر فأراد جعفر أن يعتذر عن الشيخ إبراهيم الخولي ربما هذا الأمر بإذنه لما رأى فيه من المصلحة فقال يا أمير المؤمنين كان الشيخ إبراهيم في الجمعة التي مضت قال لي يا سيدي جعفر أني أريد أن أفرح أولادي في حياتك وحياة أمير المؤمنين فقلت له وما مرادك بهذا الكلام فقال لي مرادي أن أخذ لي أذناً من الخليفة بأني أظاهر أولادي في القصر فقلت له افعل ما شئت من فرح أولادك وإن شاء الله اجتمع بالخليفة وأعلمه بذلك فراح من عندي على هذا الحال ونسيت أن أعلمك فقال الخليفة يا جعفر كان لك عندي ذنب واحد فصار لك عندي ذنبان لأنك أخطأت من وجهين الوجه الأول أنك ما أعلمتني بذلك والوجه الثاني أنك بلغت الشيخ إبراهيم مقصوده فإنه ما جاء إليك وقال لك هذا الكلام إلا تعريضاً بطلب شيء من المال يستعين به على مقصوده فلم تعطه شيئاً ولم تعلمني حتى أعطيه فقال جعفر يا أمير المؤمنين نسيت فقال الخليفة وحق أبائي وأجدادي ما أتم بقية ليلتي إلا عنده فإنه رجل صالح يتردد إليه المشايخ ويحتفل بالفقراء ويواسي المساكين وأظن أن الجميع عنده في هذه الليلة فلابد من الذهاب إليه لعل واحد منهم يدعو لنا

دعوة يحصل لنا بها خيري الدنيا والآخرة وربما يحصل له نفع في هذا الأمر بحضوري ويفرح بـ ذلك هـ و واجباً به فقال جعفر يا أمير المؤمنين أن معظم الليل قد مضى وهم في هذه الساعة على وجـ ـه الانفضـ ـاض فقال الخليفة لابد من الرواح عنده فسكت جعفر وتحير في نفسه وصار لايدري فنهض الخليفة علـ ـى قدميـ ـه وقام جعفر بين يديه ومعهما مسرور الخادم ومشي الثلاثة متنكرين ونزلوا من القصر وجعلوا يشـ ـقون فـ ـي الأزقة وهم في زي التجار إلى أن وصلوا إلى البستان المذكور فتقدم الخليفة فرأى البستان مفتوحـ ـاً فتعجـ ـب وقال انظر الشيخ إبراهيم كيف خلى الباب مفتوحاً إلى هذا الوقت وما هي عادته ثم أنهم دخلوا إلى أن انتهوا إلى آخر البستان وقفوا تحت القصر فقال الخليفة يا جعفر أريد أن أتسلل عليهم قبل أن اطلع عنـ ـدهم حتـ ـى انظر ما عليه المشايخ من النفحات وواردات الكرمات فإن لهم شؤونا في الخلوات والجلوات لأننـ ـا الآن لـ ـم نسمع لهم صوتاً ولم نرا لهم أثراً ثم أن الخليفة نظر فرأى شجرة جوز عالية فقال يا جعفر أريد أن اطلع على هذه الشجرة فإن فروعها قريبة من الشبابيك وانظر إليهم ثم أن الخليفة طلع فوق الشجرة ولم يزل يتعلق مـ ـن فرع إلى فرع حتى وصل إلى الفرع الذي يقابل الشباك وقعد فوقه ونظر من شباك القصـ ـر فـ ـرأي صـ ـبية وصبياً كأنهما قمران سبحان من خلقهما ورأى الشيخ إبراهيم قاعداً وفي يده قدح وهو يقول يا سيدة المـ ـلاح الشرب بلا طرب غير فلاح ألم تسمعي قول الشاعر:

أدرهـ . . ـا بـ . . ـالكبير وبالصـ . . ـغير وخـ . ـذها مـ . ـن يـ . ـد القمـ . ـر المنيـ . ـر

ولا تشـ . ـرب بـ . ـلا طـ . ـرب فـ . ـأني رأيـ . ـت الخيـ . ـل تشـ . ـرب بالصـ . ـفير

فلما عاين الخليفة من الشيخ إبراهيم هذه الفعال قام عرق الغضب بين عينيه ونزل وقال يا جعفر أنا ما رأيت شيئاً من كرمات الصالحين مثل ما رأيت في هذه الليلة فاطلع أنت الآخر على هذه الشجرة وانظر لئلا تفوتك بركات الصالحين فلما سمع جعفر كلام أمير المؤمنين صار متحيراً في أمره وصعد إلى أعلى الشجرة وإذا به نظر فرأى على نور الدين والشيخ إبراهيم والجارية وكان الشيخ إبراهيم في يده القدح فلمـ ـا عـ ـاين جعفر تلك الحالة أيقن بالهلاك ثم نزل فوقف بين يدي أمير المؤمنين فقال الخليفة يا جعفر الحمـ ـد لله الـ ـذي جعلنا من المتبعين لظاهر الشريعة المطهرة وكفانا شر تلبيات الطريقة المزورة فلم يقدر جعفر أن يتكلم مـ ـن شدة الخجل ثم نظر الخليفة إلى جعفر وقال يا هل ترى من أوصل هؤلاء إلى هذا المكان ومن أدخلهم قصري ولكن مثل هذا الصبي وهذه الصبية ما رأت عيني حسناً وجمالاً وقداً وأعتدالاً مثلهما فقال جعفر وقد استرجى رضا الخليفة صدقت يا أمير المؤمنين فقال يا جعفر اطلع بنا على هذا الفرع الذي هو مقابلهم لنتفرج علـ ـيهم فطلع الأثنان على الشجرة ونظراهما فسمع الشيخ إبراهيم يقول يا سيدتي قد تركت الوقار بشرب العقـ ـار ولا يلذ ذلك إلا بنغمات الأوتار فقالت له أنيس الجليس يا شيخ إبراهيم والله لو كان عندنا شيء من آلات الطـ ـرب لكان سرورنا كاملاً فلما سمع الشيخ إبراهيم كلام الجارية نهض قائماً على قدميه فقال الخليفة لجعفر يا تـ ـرى ماذا يريد أن يعمل فقال جعفر لا أدري فغاب الشيخ إبراهيم وعاد ومعه عوداً فتأمله الخليفة فإذا هـ ـو عـ ـود أسحق النديم فقال الخليفة والله أن غنت الجارية ولم تحسن الغناء صلبتكم كلكم وأن غنت وأحسنت الغناء فإني أعفوا عنهم وأصلبك أنت فقال جعفر اللهم اجعلها لا تحسن الغناء فقال الخليفة لأي شـ ـيء فقـ ـال لأجـ ـل أن

تصلبنا كلنا فيؤانس بعضنا بعضاً فضحك الخليفة وإذا بالجارية أخذت العود وأصلحت أوتاره وضربت ضرباً يذيب الحديد ويفطن البليد وجعلت تنشد هذه الأبيات:

أضد .حى الثد .ائي بـ .ديلاً مـ .ن تـ .دانينا وتـ .اب عـ .ن طيـ .ب دنياذ .ا تجافيذ .ا
بذ .تم وبذ .ا فمـ .ا أبتلي .ت جوانحذ .ا شـ .وقاً إلـ . يكم ولا جفـ . ـت مآقيذ . ـا
غيظ العدا مـ ن تسـ اقينا الهـ وى فـ دعوا بـ . ـان نقـ . ص فقـ . ـال الـ . دهر آميذ . ـا
مـ ـا الخـ ـوف أن تقتلوذ ـا فـ ـي مذ ـازلكم وأنمـ . ـا خوفذ . ـا أن تـ . .ائموا فيذ . ـا

فقال الخليفة والله يا جعفر عمري ما سمعت صوتاً مطرباً مثل هذا فقال جعفر لعل الخليفة ذهـ ـب مـ ـا عنده من الغيظ قال نعم ذهب ثم نزل من الشجرة هو وجعفر ثم التفت إلى جعفر وقال أريد أن أطلع وأجلـ ـس عندهم واسمع الصبية تغني قدامي فقال يا أمير المؤمنين إذا طلعت عليهم ربما تكدروا وأما الشـ ـيخ إبـ ـراهيم فإنه يموت من الخوف فقال الخليفة يا جعفر لابد أن تعرفني حيلة أحتال بها على معرفة حقيقة هذا الأمر من غير أن يشعروا باطلاعنا عليهم ثم أن الخليفة هو وجعفر ذهبا إلى ناحية الدجلة وهما متفكران في هذا الأمر وإذا بصياد واقف يصطاد وكان الصياد تحت شبابيك القصر فرمي شبكته ليصطاد ما يقتات به وكان الخليفة سابقاً صاح على الشيخ إبراهيم وقال له ما هذا الصوت الذي سمعته تحت شبابيك القصر فقـ ـال لـ ـه الشـ ـيخ إبراهيم صوت الصيادين الذين يصطادون السمك فقال انزل وامنعهم من ذلك الموضع فامتنع الصيادون مـ ـن ذلك الموضع فلما كانت تلك الليلة جاء صياد يسمى كريماً ورأى باب البستان مفتوحاً فقال في نفسه هذا وقت غفله لعلى استغنم في هذا الوقت صيداً ثم أخذ شبكته وطرحها في البحر وصار ينشد هذه الأبيات:

يا راكب البحـ ـر فـ ـي الأهـ ـوال والهلكـ ـه أقصر عنـ ـاك فلـ ـيس الـ ـرزق بالحركـ ـة
أمـ ـا تـ ـرى البحـ ـر والصـ ـياد منتصـ ـب فـ .ـي ليلـ .ـة ونجـ .ـوم الليـ .ـل محتبكـ .ـة
قـ .ـد مـ .ـد أطنابـ .ـه والمـ .ـوج يلطمـ .ـه وعيذ ـه لـ ـم تـ ـزل فـ ـي كلـ ـل الشـ ـبكة
حتـ ـى إذا بـ ـات مسـ ـروراً بهـ ـا قرحـ ـاً والحوت قد حط في فـ ـخ الـ ـردى حنكـ ـه
وصـ ـاحب القصـ ـر أمسـ ـى فيـ ـه ليلتـ ـه مـ ـنعم البـ ـال فـ ـي خيـ ـر مـ ـن البركـ ـة
وصـ .ـار مسـ .ـتيقظاً مـ .ـن بعـ .ـد قدرتـ .ـه لكـ .ـن فـ .ـي ملكـ .ـه ظبيـ .ـا وقـ .ـد ملكـ .ـه
سـ .ـبحان ربـ .ـي يعطـ .ـي ذا ويمذ .ـع ذا بعـ ـض يصـ ـيد وبعـ ـض يأكـ ـل السـ ـمكة

فلما فرغ من شعره وإذا بالخليفة وحده واقف على رأسه فعرفه الخليفة فقال له يا كريم فالتفت إليه مـ ـا سمعه سماه بأسمه فلما رأى الخليفة ارتعدت فرائصه وقال والله يا أمير المؤمنين ما فعلته استهزاءً بالمرسوم ولكن الفقر والعيلة قد حملاني على ما ترى فقال الخليفة اصطاد على بختي فنقدها الصبية وقد فـ ـرح فرحـ ـاً شديداً وطرح الشبكة وصبر إلى أن أخذت حدها وثبتت في القرار ثم جذبها إليه فطلع فيها من أنواع السـ ـمك مالا يحصى ففرح بذلك الخليفة فقال يا كريم اقلع ثيابك فقلع ثيابه وكانت عليه جبة فيهـ ـا مائـ ـة رقعـ ـة مـ ـن الصوف الخشن وفيها من القمل الذي له أذناب ومن البراغيث ما يكاد أن يسير بها على وجه الأرض وقلـ ـع عمامته من فوق رأسه وكان له ثلاث سنين ما حلها وأنما كان إذا رأى خرقة لفها عليـ ـه فلمـ ـا قلـ ـع الجبـ ـة والعمامة خلع الخليفة من فوق جسمه ثوبين من الحرير الاسكندراني والبعلبكي وملوطة وفرجيـ ـة ثـ ـم قـ ـال

للصياد خذ هذه وألبسها ثم لبس الخليفة جبة الصياد وعمامته ووضع على وجهه لثاما ثم قال للصياد رح أنت إلى شغلك فقبل رجل الخليفة وشكره وأنشد هذين البيتين:

أوليتنـ ـي مـ ـالا لا أقـ ـوم بشـ ـكره وكفيتنـ ـي كـ ـل الأمـ ـور بأسـ ـرها

فـ ـلا شـ ـكرنك مـ ـا حييـ ـت وأن مـ ـت شـ ـكرتك منـ ـي عظمـ ـي فـ ـي قبرهـ ـا

فلما فرغ الصياد من شعره حتى جال القمل على جلد الخليفة فصار يقبض بيده اليمين والشـ ـمال مـ ـن على رقبته ويرمي ثم قال يا صياد ويلك ما هذا القمل الكثير في هذه الجبة فقال يا سيدي أنه في هذ السـ ـاعة يؤا الملك فإذا مضت عليك جمعة فإنك لا تحسن به ولا تفكر فيه فضحك الخليفة وقال له ويلك كيـ ـف أخلـ ـي هذه الجبة على جسدي فقال الخليفة أني أشتهي أن أقول لك كلاماً ولكن استحي من هيبة الخليفة فقال له قل ما عندك فقال له قد خطر ببالي يا أمير المؤمنين أنك أن أردت أن تتعلم الصيد لأجل أن تكون في يدك صـ ـنعة تنفعك فإن أردت ذلك يا أمير المؤمنين فإن هذه الجبة تناسبك فضحك الخليفة من كلام الصياد ثم ولى الصياد إلى حال سبيله وأخذ الخليفة مقطف السمك ووضع فوقه قليلاً من الحشيش وأتى به إلى جعفر ووقف بين يديه فأعتقد جعفر أنه كريم الصياد فخاف عليه وقال يا كريم ما جاء بك هنا أنج بنفسك فإن الخليفة هنا فـ ـي هـ ـذه الساعة فلما سمع الخليفة كلام جعفر ضحك حتى استلقى على قفاه فقال جعفر لعلك مولانا أمير المؤمنين فقال الخليفة نعم يا جعفر وأنت وزيري وجئت أنا وأياك هنا وما عرفتني فكيف يعرفني الشيخ إبراهيم وهو سكران فكن مكان حتى أرجع إليك فقال جعفر سمعاً وطاعة ثم أن الخليفة تقدم إلى باب القصر ودقـ ـه فقـ ـام الشـ ـيخ إبراهيم وقال من بالباب فقال له أنا يا شيخ إبراهيم قال له من أنت قال له أنا كريم الصياد وسمعت أن عندك أضيافاً فجئت إليك بشيء من السمك فإنه مليح وكان نور الدين هو والجارية يحبان السمك فلما سـ ـمعا ذكـ ـر السمك فرحا به فرحاً شديداً وقالا يا سيدي افتح له ودعه يدخل لنا عندك بالسمك الذي معـ ـه ففـ ـتح الشـ ـيخ إبراهيم الباب فدخل الخليفة وهو في صورة الصياد وابتدأ بالسلام فقال هل الشيخ إبراهيم أهلاً باللص السارق المقامر تعال أرنا السمك الذي معك فأراهم أياه فلما نظروه فإذا هو حي يتحرك فقالت الجارية والله يا سـ ـيدي أن هذا السمك مليح يا ليته مقلى فقال الشيخ إبراهيم والله صدقت ثم قال للخليفة يا صياد ليتـ ـك جئـ ـت بهـ ـذا السمك مقلياً قم فأقله لنا وهاته فقال الخليفة على الرأس أقليه وأجيء به فقال له عجل بقليه والأتيان بـ ـه فقـ ـام الخليفة يجري حتى وصل إلى جعفر وقال يا جعفر طلبوا السمك مقلياً فقال يا أمير المؤمنين هاته وأنا أقليـ ـه فقال الخليفة وتربة آبائي وأجدادي ما يقليه إلا أنا بيدي ثم أن الخليفة ذهب إلى خص الخولي وفتش فيه فوجد فيه كل شيء يحتاج إليه من آلة القلي حتى الملح والزعتر وغير ذلك فتقدم للكانون وعلق الطاجن وقلاه قليـ ـاً مليحاً فلما استوى جعله على ورق الموز وأخذ من البستان ليموناً وطلع بالسمك ووضعه بين أيـ ـديهم فتقـ ـدم الصبي والصبية والشيخ إبراهيم وأكلوا فلما فرغوا غسلوا أيديهم فقال نور الدين والله يا صياد أنك صـ ـنعت معنا معروفاً هذه الليلة ثم وضع يده في جيبه وأخرج له ثلاثة دنانير من الدنانير التي أعطاه أياها سنجر وقت خروجه للسفر وقال يا صياد أعذرني فو الله لو عرفتك قبل الذي حصل لي سابقاً لكنت نزعت مرارة الفقـ ـر من قلبك لكن خذ هذا بحسب الحال ثم رمى الدنانير للخليفة فأخذها وقبلها ووضعها في جيبه وما كان مـ ـراد الخليفة بذلك إلا السماع من الجارية وهي تغني فقال الخليفة أحسنت وتفضلت لكن مـ ـرادي مـ ـن تصـ ـدقاتك

العميمة أن هذه الجارية تغني لنا صوتاً حتى أسمعها فقال على نور الدين يأأنيس الجليس قالت نعم ق ال له ا وحياتي أن تغني لنا شيئاً من شأن خاطر هذا الصياد لأنه يريد أن يسمعك فلما سمعت كلام سـ يدها أخ ذت العود وغمزته بعد أن فركت أذنه وأنشدت هذين البيتين:

وغ . ادت لعب . ة ب . العود أنملهـ . ـا فع ادت النـ نفس عنـ د الجـ س تخـ تلس
قد أسـ معت بالأغـ اني مـ ن بـ ه صـ مم وقال أحسـ نت مغنـ ى مـ ن بـ ه خـ رس

ثم أنها ضربت ضرباً غريباً إلى أن أذهلت العقول فقال نور الدين يا صياد هـ ل أعجبتـ ك الجاريـ ة وتحريكها الأوتار فقال الخليفة أي والله فقال نور الدين هي هبة مني إليك هبة كريم لا يرجع في عطائه ثم أن نور الدين نهض قائماً على قدميه وأخذ ملوطة ورماها على الخليفة وهو في صورة الصياد وأمره أن يخرج ويروح بالجارية فنظر الجارية إليه وقالت يا سيدي هل أنت رائح بلا وداع أن كان ولابد فقف حتى أودعـ ك وأنشدت هذين البيتين:

لـ ئن غبتمـ وا عنـ ي فـ إن محلكـ م لفـ ي مهجتـ ي بـ ين الجـ وانح والحشـ ا
وأرجـ و مـ ن الـ رحمن جمعـ اً لشـ ملنا وذلـ ك فضـ ل الله يؤتيـ ه مـ ن يشـ أ

فلما فرغت من شعرها أجابها نور الدين وهو يقول:

ودعتنـ ي يـ وم الفـ راق وقالـ ت وهـ ي تبكـ ي مـ ن لوعـ ة وفـ راق
مـ ا الـ ذي أنـ ت صـ انع بعـ د بعـ دي قلـ ت قـ ولي هـ ذا لمـ ن هـ و بـ اقي

ثم أن الخليفة لما سمع ذلك صعب عليه التفريق بينهما والتفت إلى الصبي وقال له يا سيدي نور الـ دين اشرح لي أمرك فأخبره نور الدين بحاله من أوله إلى آخره فلما فهم الخليفة هذا الحال قال له أين تقصد فـ ي هذه الساعة قال له بلاد الله فسيحة فقال له الخليفة أنا أكتب لك ورقة توصلها إلى السلطان محمد ابن سـ ليمان الزيني فإذا قرأها لا يضرك بشيء وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الخليفة لما قال لعلي نور الدين أنا أكتب لـ ك ورقـ ة توصـ لها إلـ ى السلطان محمد بن سليمان الزيني فإذا قرأها لا يضرك بشيء فقال له علي نور الدين وهل في الـ دنيا صـ ياد يكاتب الملوك أن هذا شيء لا يكون أبداً فقال له الخليفة صدقت ولكن أنا أخبرك بالسبب اعلم أني أنا قـ رأت أنا وأياه في مكتب واحد عند فقيه وكنت أنا عريفه ثم أدركته السعادة وصار سلطاناً وجعلني الله صياداً ولكن لم أرسل إليه في حاجة إلا قضاها ولو أدخلت إليه في كل يوم من شأن ألف حاجة قضاها فلما سمع نور الدين كلامه قال له اكتب حتى أنظر فأخذ دواة وقلما وكتب بعد البسملة أما بعد فإن هذا الكتاب من هارون الرشـ يد بن المهدي إلى حضرة محمد بن سليمان الزيني المشمول بنعمتي الذي جعلته نائباً عني في بعـ ض مملكتـ ي أعرفك أن الموصل إليك هذا الكتاب نور الدين بن خاقان الوزير فساعة وصوله عندكم تنزع نفسك من الملك وتجلسه مكانك فإني قد وليته على ما كنت وليتك عليه سابقاً فلا تخالف أمري والسلام ثم أعطى علـ ي نـ ور الدين ابن خاقان الكتاب فأخذه نور الدين وقبله وحطة في عمامته ونزل في الوقـ ت مسـ افراً وطلـ ع قصـ ر السلطان ثم صرخ صرخة عظيمة فسمعه السلطان فطلبه فلما حضر بين يديه قبل الأرض قدامه ثم أخرجـ د

الورقة وأعطاه إياها فلما رأى عنوان الكتاب بخط أمير المؤمنين قام واقفاً على قدميه وقبلها ثـ ـلاث مـ ـرات وقال السمع والطاعة لله تعالى ولأمير المؤمنين ثم أحضر القضاة الأربعة والأمراء وأراد أن يخلع نفسه مـ ـن الملك وإذا بالوزير المعين بن ساوى قد حضر فأعطاه السلطان ورقة أمير المؤمنين فلما قرأها قطعهـ ـا عـ ـن آخرها وأخذها في فمه ومضغها ورماها فقال له السلطان وقد غضب ويلك ما الذي حملك على هذه الفعـ ـال قال له هذا ما اجتمع بالخليفة ولا بوزيره وأنما هو علق شيطان مكان وقع ورقة فيها خط الخليفـ ـة فزورهـ ـا وكتب فيها ما أراد فلأي شيء تعزل نفسك من السلطنة مع أن الخليفة لم يرسل إليك رسولاً بخط شريف ولو كان هذا الأمر صحيحاً لأرسل معه حاجباً أو وزيراً لكنه جاء وحده فقال له وكيف العمل قال له أرسل معـ ـي هذا الشاب وأنا آخذه وأتسلمه منك وأرسله صحبه حاجب إلى مدينة بغداد فإن كان كلامه صحيحاً يأتينا بخط شريف وتقليد وأن كان غير صحيح ترسلوه إلينا مع الحاجب وأنا آخذ حقي من غريمي فلما سمع السـ ـلطان كلام الوزير ودخل عقله صاح على الغلمان فطرحوه وضربوه إلى أن أغمى عليه ثم أمر أن يضـ ـعوا فـ ـي رجليه قيداً وصاح على السجان فلما حضر قبل الأرض بين يديه وكان هذا السجان يقال له قطيط فقال له يـ ـا قطيط أريد أن تأخذ هذا وترميه في مطمورة من المطامير التي عندك في السجن وتعاقبه بالليل والنهار فقـ ـال له السجان سمعاً وطاعة ثم أن السجان أدخل نور الدين في السجن وقفل عليه الباب ثم أمر بكـ ـنس مصـ ـطبة وراء الباب وفرشها بسجادة أو مخدة وأقعد نور الدين عليها وفك قيده وأحسن إليه وكان كل يوم يرسل إلـ ـى السجان ويأمره بضربه والسجان يظهر أنه يعاقبه وهو يلاطفه ولم يزل كذلك مدة أربعين يوماً فلما كان اليوم الحادي والأربعون جاءت هدية من عند الخليفة فلما رآها السلطان أعجبته فشاور الوزراء في أمرها فقال لعل هذه الهدية كانت للسلطان الجديد فقال الوزير المعين ابن ساوي لقد كان المناسب قتله وقـ ـت قدومـ ـه فقـ ـال السلطان والله لقد ذكرتني به أنزل هاته وأضرب عنقه فقال الوزير سمعاً وطاعة فقام وقال له أن قصـ ـدي أن أنادي في المدينة من أراد أن يتفرج على ضرب رقبة نور الدين علي بن خاقان فليأت إلى القصر فيأتي جميع الناس ليتفرجوا عليه لاشفي فؤادي وأكمد حسادي فقال له السلطان افعل ما تريد فنزل الوزير وهـ ـو فرحـ ـان مسرور وأقبل على الوالي وأمره أن ينادي بما ذكرنا فلما سمع الناس المنادي حزنوا وبكـ ـوا جمعـ ـا حتـ ـى الصغار في المكاتب والسوقة في دكاكينهم وتسابق الناس يأخذون لهم أماكن ليتفرجوا فيها وذهب بعض الناس إلى السجن حتى يأتي معه ونزل الوزير ومعه عشرة مماليك إلى السجن ثم أنهم نادوا علي نور الدين هذا أقل جزاء من يزور مكتوباً على الخليفة إلى السلطان ولازالوا يطوفون به في البصرة إلى أن أوقفوه تحت شباك القصر وجعلوه في منقع الدم وتقدم إليه السياف وقال له أنا عبد مأمور فإن كان لك حاجة فأخبرني بها حتـ ـى أقضيها لك فإنه ما بقي من عمرك إلا قدر ما يخرج السلطان وجهه من الشباك فعند ذلك نظر يميناً وشـ ـمالاً وأنشد هذه الأبيات:

فهـ ـل فـ ـيكم خـ ـل شـ ـفيق يعيننـ ـي ... سـ ـ ـ ـألتكم بـ ـ ـ ـالله ردجـ ـ ـ ـوابي

مضى الوقت من عمري وحانـ ـت منيتـ ـي ... فهـ ـل راحـ ـم لـ ـي كـ ـي ينـ ـال ثـ ـوابي

وينظـ ـر فـ ـي حـ ـالي ويكشـ ـف كربتـ ـي ... بشـ ـربة مـ ـاء كـ ـي يهـ ـون عـ ـذابي

فتباكت الناس عليه وقام السياف وأخذ شربة ماء يناوله أياها فنهض الوزير من مكانه وضرب قلة الماء بيده فكسرها وصاح على السياف وأمره بضرب عنقه فعند ذلك عصب عيني علي نور الدين فصاح النـ ـاس على الوزير وأقاموا عليه الصراخ وكثر بينهم القيل والقال فبينما هم كذلك وإذا بغبار قد علا وعجـ ـاج مـ ـلأ الجو والفلا فلما نظر إليه السلطان وهو قاعد في القصر قال انظر وأما الخبر فقال الوزير حتى نضرب عنق هذا قبل فقال له السلطان أصبر أنت حتى تنظر الخبر وكان ذلك الغبار غبار جعفر وزير الخليفة ومن معـ ـه وكان السبب في مجيئهم أن الخليفة مكث ثلاثين يوماً لم يتذكر قصة علي بن خاقان ولم يذكرها له أحد إلى أن جاء ليلة من الليالي إلى مقصورة أنيس الجليس فسمع بكاءها وهي تنشد بصوت رقيق قول الشاعر:

خيالـ . ـك فـ . ـي التباعـ . ـد والتـ . ـداني وذكـ . . .ـرك لا يفارقـ . . .ـه لسـ . . .ـاني

وتزايد بكاؤها وإذا قد فتح الباب ودخل المقصورة فرأى أنيس الجليس وهي تبكي فلما رأت الخليفـ ـة وقعت على قدميه وقبلتهما ثلاث مرات ثم أنشدت هذين البيتين:

أيـ . ـامن زكـ . ـا أصـ . ـلا وطـ . ـاب ولادة وأثمـ .ـر غصـ .ـناً يانعـ .ـاً وزكـ .ـا جنسـ .ـاً

أذكـ .ـرك الوعـ .ـد الـ .ـذي سـ .ـمت بـ .ـه محاسـ ـنك الحسـ ـنا وحاشـ ـاك أن تنسـ ـى

فقال الخليفة من أنت قالت أنا هدية علي بن خاقان إليك وأريد إنجاز الوعد الذي وعدتني به من أنـ ـك ترسلني إليه مع التشريف والآنم لي هنا ثلاثون يوماً لم أذق طعم النوم فعند ذلك طلب الخليفة جعفر البرمكي وقال من منذ ثلاثين يوماً لم أسمع بخبر علي بن خاقان وما أظن إلا أن السلطان قتله ولكن وحيـ ـاة رأسـ ـي وتربة آبائي وأجدادي أن كان جرى له أمر مكروه لا هلكن من كان سبباً فيه ولو كان أعـ ـز النـ ـاس عنـ ـدي وأريد أن تسافر أنت في هذه الساعة إلى البصرة وتأتي بأخبار الملك محمد بن سليمان الزيني مع علـ ـي بـ ـن خاقان فأمتثل أمره وسافر فلما أقبل جعفر نظر ذلك الهرج والمرج والازدحام فقال الوزير جعفـ ـر مـ ـا هـ ـذا الازدحام فذكروا له ما هم فيه من أمر علي نور الدين بن خاقان فلما سمع جعفر كلامهم أسرع بالطلوع إلـ ـى السلطان وسلم عليه وأعلمه بما جاء فيه وأنه إذا كان وقع لعلي نور الدين أمر مكروه فإن السلطان يهلك مـ ـن كان السبب في ذلك ثم أنه قبض على السلطان والوزير المعين بن ساوي وأمر بإطلاق علي نور الدين بـ ـن خاقان وأجلسه سلطانا في مكان السلطان محمد بن سليمان الزيني وقعد ثلاثة أيام في البصرة مدة الضـ ـيافة فلما كان صبح اليوم الرابع التفت علي بن خاقان إلى جعفر وقال أني اشتقت إلى رؤية أمير المؤمنين فقـ ـال جعفر للملك محمد بن سليمان تجهز للسفر فأننا نصلي الصبح ونتوجه إلى بغداد فقال السمع والطاعة ثم أنهم صلوا الصبح وركبوا جميعهم ومعهم الوزير المعين بن ساوى وصار يتندم على فعله وأما علي نور الدين بن خاقان فإنه ركب بجانب جعفر ومازالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى بغداد دار السلام وبعد ذلك دخلوا علـ ـى الخليفة فلما دخلوا عليه حكوا له قصة نور الدين فعند ذلك أقبل الخليفة علي علي بن خاقان وقال له خذ هـ ـذا السيف وأضرب به رقبة عدوك فأخذه وتقدم لي المعين بن ساوى فنظر إليه وقال أنا عملت بمقتضى طبيعتي فأعمل أنت بمقتضى طبيعتك فرمى السيف من يده ونظر إلى الخليفة وقال يا أمير المؤمنين أنه خدعني وأنشد قول الشاعر:

فخدعتـ . . ـه بخديعـ . . ـة لمـ . . ـا أتـ . . ـى والحـ . ـر يخدعـ . ـه الكـ . ـلام الطيـ . ـب

فقال الخليفة أتركه أنت ثم قال لمسرور يا مسرور قم أنت واضرب رقبته فقام مسرور ورمى رقبته فعند ذلك قال الخليفة لعلي بن خاقان تمن علي فقال له يا سيدي أنا مالي حاجة بملك البصرة وما أريد إلا مشاهدة وجه حضرتك فقال الخليفة حباً وكرامة ثم أن الخليفة دعا بالجارية فحضرت بين يديه فأنعم عليهما وأعطاهما قصراً من قصور بغداد ورتب لهما مرتبات وجعله من ندمائه ومازال مقيماً عنده إلى أن أدركه الممات وليس هذا بأعجب من حكاية التاجر وأولاده قال الملك وكيف ذلك.

(حكاية التاجر أيوب وابنه غانم وبنته فتنة)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أنه كان في قديم الزمان وسالف العصر والأوان تاجر من التجار له مال وله ولدكانه البدر ليلة تمامه فصيح اللسان يسمه غانم بن أيوب المتيم المسلوب وله أخت أسمها فتنة من فرط حسنها وجمالها فتوفي والدهما وخلف لهما مالاً جزيلاً وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن ذلك التاجر خلف لهما مالاً جزيلاً ومن جملة ذلك مائة حمل من الخز والديباج ونوافج المسك ومكتوب على الأحمال هذا بقصد بغداد وكان مراده أن يسافر إلى بغداد فلما توفاه الله تعالى ومضت مدة أخذ ولده هذه الأحمال وسافر بها إلى بغداد وكان ذلك في زمن هارون الرشيد وودع أمه وأقاربه وأهل بلدته قبل سيره وخرج متوكلاً على الله تعالى وكتب الله له السلامة حتى وصل إلى بغداد وكان مسافراً صحبة جماعة من التجار فاستأجر له داراً حسنة وفرشها بالبسط والوسائد وأرخى عليها الستور وأنزل فيها تلك الأحمار والبغال والجمال وجلس حتى استراح وسلم عليه تجار بغداد وأكابرها ثم أخذ بقجة فيها عشرة تفاصيل من القماش النفيس مكتوب عليها أثمانها ونزل بها إلى سوق التجار فلاقوه وسلموا عليه وأكرموه وتلقوه بالترحيب وأنزلوه على دكان شيخ السوق وباع التفاصيل فربح في كل دينار دينارين ففرح غانم وصار يبيع القماش والتفاصيل شيئاً فشيئاً ولم يزل كذلك سنة وفي أول السنة الثانية جاء إلى ذلك السوق فرأى بابه مقفولاً فسأل عن سبب ذلك فقيل له أنه توفي واحد من التجار وذهب التجار كلهم يمشون في جنازته فهل لك أن تكسب أجراً وتمشي معهم قال نعم ثم سأل عن محل الجنازة فدلوه عن المحل فتوضأ ثم مشي مع التجار إلى أن وصلوا المصلى وصلوا على الميت ثم مشي التجار جميعهم قدام الجنازة إلى المقبرة فتبعهم غانم إلى أن وصلوا بالجنازة إلى المقبرة خارج المدينة ومشوا بين المقابر حتى وصلوا إلى المدفن فوجدوا أهل الميت نصبوا على القبر خيمة وأحضروا الشموع والقناديل ثم دفنوا الميت وجلس القراء يقرءون على ذلك القبر فجلس التجار ومعهم غانم بن أيوب وهو غالب عليه الحياء فقال في نفسه أنا لم أقدر على أن أفارقهم حتى انصرف معهم ثم أنهم جلسوا يسمعون القرآن إلى وقت العشاء فقدموا لهم العشاء والحلوى فأكلوا حتى اكتفوا وغسلوا أيديهم ثم جلسوا مكانهم فاشتغل خاطر غانم ببضاعته وخاف من اللصوص وقال في نفسه أنا رجل غريب ومتهم بالمال فإن بت الليلة بعيداً عن منزلي سرق اللصوص ما فيه من المال والأحمال وخاف على متاعه فقام وخرج من بين الجماعة وأستأذنهم على أنه يقضي حاجة فسار يمشي ويتتبع آثار الطريق حتى جاء إلى باب المدينة وكان ذلك الوقت نصف الليل فوجد باب المدينة مغلقاً ولم ير أحداً غادياً ولا رائحاً ولم يسمع صوتاً سوى نبيح الكلاب وعوى الذئاب فقال لا حول ولا قوة إلا بالله كنت خائفاً

على مالي وجئت من أجله فوجدت الباب مغلقاً فصرت الآن خائفاً على روحي ثم رجع ينظر له محلاً ينام فيه إلى الصباح فوجد تربة محوطة بأربع حيطان وفيها نخلة ولها باب من الصوان مفتوح فدخلها وأراد أن ينام فلم يجئه نوم وأخذته رجفة ووحشة وهو بين القبور فقام واقفاً على قدميه وفتح باب المكان ونظر فرأى نوراً يلوح على بعد في ناحية باب المدينة فمشي قليلاً فرأى النور متبلاً في الطريق التي توصل إلى التربة التي هو فيها فخاف غانم على نفسه وأسرع برد الباب وتعلق حتى طلع فوق النخلة وتدارى في قلبها فصار النور يتقرب من التربة شيئاً فشيئاً حتى قرب من التربة فتأمل النور فرأى ثلاثة عبيد اثنان حاملان صندوقاً وواحداً في يده فاس وفانوس فلما قربوا من التربة قال أحد العبدين الحاملين الصندوق ويلك يا صواب فقال العبد الآخر منهما مالك يا كافور فقال إنا كنا هنا وقت العشاء وخلينا الباب مفتوحاً فقال نعم هذا الكلام صحيح فقال ها هو مغلق متربس فقال لهما الثالث وهو حامل الفاس والنور وكان اسمه بخيتاً ما أعقل عقلكما أما تعرفان أن أصحاب الغيطان يخرجون من بغداد ويترددون هنا فيمسي عليهم المساء فيدخلون هنا ويغلقون عليهم الباب خوفاً من السودان الذين هم مثلنا أن يأخذوهم ويشووهم ويأكلوهم فقالوا له صدقت وما فينا أقل عقلاً منك فقال لهم أنكم لم تصدقوني حتى ندخل التربة نجد فيها أحداً وأظن أنه إذا كان فيها أحداً ورأى النور هرب فوق النخلة فلما سمع غانم كلام العبد قال في نفسه ما أمكر هذا العبد فقبح الله السودان لما فيهم من الخبث واللؤم ثم قال لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وما الذي يخلصني من هذه الورطة ثم أن الأثنين الحاملين للصندوق قالا لمن معه الفاس تعلق على الحائط وافتح الباب لنا يا صواب لأننا تعبنا من الصندوق على رقابنا فإذا فتحت لنا الباب لك علينا واحد من الذين نمسكهم ونقليه لك قلياً جيداً بحيث لا يضيع من دهنه نقطة فقال صواب أنا خائف من شيء تذكرته من قلة عقل وهو أننا نرمي الصندوق وراء الباب لأنه ذخيرتنا فقالا له أن رميناه ينكسر فقال أنا خائف أن يكون في داخل التربة الحرامية الذين يقتلون الناس ويسرقون الأشياء لأنهم إذا أمسى عليهم الوقت يدخلون في هذه الأماكن ويقسمون ما يكون معهم فقال له الأثنان الحاملان للصندوق يا قليل العقل هل يقدرون أن يدخلوا هذا ثم حملا الصندوق وتعلقا على الحائط ونزلا وفتحا الباب والعبد الثالث الذي هو بخيت واقف لهما بالنور والمقطف الذي فيه بعض من الجنس ثم أنهم جلسوا وقفلوا الباب فقال واحدا منهم يا أخواني نحن تعبنا من المشي والشيل والحط وفتح الباب وقفله وهذا الوقت نسف الليل ولم يبق فينا قوة لفتح الباب ودفن الصندوق ولكننا نجلس هنا ثلاث ساعات لنستريح ثم نقوم ونقضي حاجتنا ولكن كل واحد منا يحكي لنا سبب تطويشه وجميع ما وقع له من المبتدأ إلى المنتهى لأجل فوات هذه الليلة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العبيد الثلاثة لما قالوا لبعضهم كل واحد يحكي جميع ما وقع له قال الأول وهو الذي كان حامل النور أنا أحكي لكم حكايتي فقالوا له تكلم قال لهم أعلموا يا أخواني أني لما كنت صغيراً جاء بي الجلاب من بلدي وعمري خمس سنين فباعني لواحد جاويش وكان له بنت عمرها ثلاث سنوات فتربيت معها وكانوا يضحكون علي وأنا ألاعب البنت وأرقص لها وأغني لها إلى أن صار عمري أثنتي عشرة سنة وهي بنت عشر سنين ولا يمنعونني عنها إلى أن دخلت عليها يوماً من الأيام وهي جالسة

في محل خلوة وكأنها خرجت من الحمام الذي في البيت لأنها كانت معطرة مبخرة ووجهها مثل القمر في ليلة أربعة عشر فلاعبتني ولاعبتها فنفر أحليلي حتى صار مثل المفتاح الكبير فدفعتني على الأرض فوقعت على ظهري وركبت على صدري وصارت تتمرغ علي فانكشف أحليلي فما رأته وهو نافر أخذته بيدها وصارت تحك به على أشفار فرجها من فوق لباسها فهاجت الحرارة عندي وحضنتها فشبكت يدها في عنقي وقرطت على بجهدها فما أشعر إلا وأحليلي فتق لباسها ودخل في فرجها وأزال بكارتها فلما عاينت ذلك هربت عند أصحابي فدخلت عليها أمها فلما رأت حالها غابت عن الدنيا ثم تداركت أمرها وأخفت حالها عن أبيها وكتمته وصبرت عليها مدة شهرين كل هذا وهم ينادونني ويلاطفونني حتى أخذوني من المكان الذي كنت فيه ولم يذكروا شيئاً من هذا الأمر لأبيها لأنهم كانوا يحبونني كثيراً ثم أن أمها خطبت لها شاباً مزين كان يزين أباها وأمهرتها من عندها وجهزتها له كل هذا وأبوها لا يعلم بحالها وصاروا يجتهدون في تحصيل جهازها ثم أنهم أمسكوني على غفلة وخصوني ولما زفوها للعريس جعلوني طواشياً لها أمشي قدامها أينما راحت سواء كان رواحها إلى الحمام أو إلى بيت أبيها وقد ستروا أمرها وليلة الدخلة ذبحوا على قميصها حمامة ومكثت عندها مدة طويلة وأنا أتملى بحسنها وجمالها على قدر ما أمكنني من تقبيل وعناق إلى أن ماتت هي وزوجها وأمها وأبوها ثم أخذت بيت المال وصرت في هذا المكان وقد ارتفقت بكم وهذا سبب قط أحليلي والسلام فقال العبد الثاني اعلموا يا أخواني أني كنت في ابتداء أمري ابن ثمان سنين ولكن كنت أكذب على الجلابة كل سنة كذبة حتى يقعوا في بعضهم فقلق مني الجلاب وأنزلني في يد الدلال وأمره أن ينادي من يشتري هذا العبد على عيبه فقيل له وما عيبه قال يكذب في كل سنة كذبة واحدة فتقدم رجل تاجر إلى الدلال وقال له كم أعطوا في هذا العبد من الثمن على عيبه قال أعطوا ستمائة درهم قال ولك عشرون فجمع بينه وبين الجلاب وقبض منه الدراهم وأوصلني الدلال إلى منزل ذلك التاجر وأخذ دلالته فكساني التاجر ما يناسبني ومكثت عنده باقي سنتي إلى أن هلت السنة الجديدة بالخير وكانت سنة مباركة مخصبة بالنبات فصار التجار يعملون العزومات وكل يوم على واحد منهم إلى أن جاءت العزومة على سيدي في بستان خارج البلد فراح هو والتجار وأخذ لهم ما يحتاجون إليه من أكل وغيره فجلسوا يأكلون ويشربون ويتنادمون إلى وقت الظهر فاحتاج سيدي إلى مصلحة من البيت فقال يا عبد اركب البغلة وروح إلى المنزل وهات من سيدتك الحاجة الفلانية وأرجع سريعاً فامتثلت أمره ورحت إلى المنزل فلما قربت من المنزل صرخت وأرخيت الدموع فاجتمع أهل الحارة كباراً وصغاراً وسمعت صوتي زوجة سيدي وبناته ففتحوا الباب وسألوني عن الخبر فقلت لهم أن سيدي كان جالساً تحت حائط قديمة هو وأصحابه فوقعت عليهم فلما رأيت ما جرى لهم ركبت البغلة وجئت مسرعاً لأخبركم فلما سمع أولاده وزوجته ذلك الكلام صرخوا وشقوا ثيابهم ولطموا على وجوههم فأتت إليهم الجيران وأما زوجته سيدي فإنها قلبت متاع البيت بعضه على بعض وخلعت رفوفه وكسرت طبقاته وشبابيكه وسخمت حيطانه بطين ونيلة وقالت ويلك يا كافور تعال ساعدني وأخرب هذه الدواليب وكسر هذه الأواني والصيني فجئت إليها وأخرجت معها رفوف البيت وأتلفت ما عليها ودواليبه وأتلفت ما فيها ودرت على السقوف وعلى كل محل حتى أخرجت الجميع وأنا أصيح واسيداة ثم خرجت سيدتي مكشوفة الوجه بغطاء رأسها لا غير وخرج معها البنات والأولاد وقالوا يا كافور امشي قدامنا وأرنا مكان سيدك الذي هو ميت فيه

تحت الحائط حتى نخرجه من تحت الردم ونحمله في تابوت ونجيء به إلى البيت فنخرجه خرجة مليحة فمشيت قدامهم وأنا أصيح واسيداه وهم خلفي مكشوفوا الوجوه والرؤوس يصيحون وامصيبتاه وانكبتاه فلم يبق أحد من الرجال ولا من النساء ولا من الصبيان ولا صبية ولا عجوزة إلا جاءت معنا وصاروا كلهم يلطمون وهم في شدة البكاء فمشيت بهم في المدينة فسأل الناس عن الخبر فأخبروهم بما سمعوا مني فقال الناس لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم أننا نمضي للوالي ونخبره فلما وصلوا إلى الوالي أخبروه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أنهم لما وصلوا إلى الوالي وأخبروه قام الوالي وركب وأخذ معه الفعلة بالمساحي والقفف ومشوا تابعين أثرى ومعهم كثير من الناس وأنا قدامهم أبكي وأصيح وأحثوا التراب على رأسي وألطم على وجهي فلما دخلت عليهم ورآني سيدي وأنا ألطم وأقول واسيدتاه من يحن علي بعد سيدتي يا ليتني كنت فداءها فلما رآني سيدي بهت وأصفر لونه وقال مالك يا كافور وما هذا الحال وما الخبر فقلت له أنك لما أرسلتني إلى البيت لأجني لك بالذي طلبته رحت إلى البيت ودخلته فرأيت الحائط التي في القاعة وقعت فأنهدمت القاعة كلها على سيدتي وأولادها فقال لي وهل سيدتك لم تسلم فقال لا ما سلم منهم أحد وأول من مات منهم سيدتي الكبيرة فقال وهل سلمت بنتي الصغيرة فقلت له لا فقال لي وما حال البغلة التي أركبها هل هي سالمة فقلت له لا يا سيدي فإن حيطان البيت وحيطان الأصطبل انطبقت على جميع ما في البيت حتى على الغنم والأوز والدجاج وصاروا كلهم كوم لحم وصاروا تحت الردم ولم يبق منهم ولم يبق من ذلك كله أثر وأما الغنم والأوز والدجاج فإن الجميع أكلها القطط والكلاب فلما سمع سيدي كلامي صار الضياء في وجهه ظلاماً ولم يقدر أن يتمالك نفسه ولا عقله ولم يقدر أن يقف على قدميه بل جاءه الكساح وانكسر ظهره ومزق أثوابه ونتف لحيته ولطم على وجهه ورمي عمامته من فوق رأسه ومازال يلطم على وجهه حتى سال منه الدم وصار يصيح آه وا أولاده آه وازوجتاه آه وامصيبتاه من جرى له مثل ما جرى لي فصاحت التجار رفقاؤه لصياحه وبكوا معه ورثوا لحاله وشقوا أثوابهم وخرج سيدي من ذلك البستان وهو يلطم من شدة ما جرى له وأكثر اللطم على وجهه وصار كأنه سكران فبينما الجماعة خارجون من باب البستان وإذا هم نظروا غيرة عظيمة وصياحات بأصوات مزعجة فنظروا إلى تلك الجهة فرأوا الجماعة المقبلين وهو الوالي وجماعته والخلق والعالم الذين يتفرجون وأهل التاجر وراءهم يصرخون ويصيحون وهم في بكاء وحزن زائد فأول من لاقى سيدي زوجته وأولادها فلما رآهم بهت وضحك وقال لهم ما حالكم أنتم وما حصل لكم في الدار وما جرى لكم فلما رأوه قالوا الحمد لله على سلامتك أنت ورموا أنفسهم عليه وتعلقت أولاده به وصاحوا وا أبتاه الحمد لله على سلامتك يا أبانا وقالت له زوجته الحمد لله الذي أرانا وجهك بسلامة وقد أندهشت وطار عقلها لما رأته وقالت له كيف كانت سلامتك أنت وأصحابك فقال لها وكيف كان حالكم في الدار فقالوا نحن طيبون بخير وعافية وما أصاب دارنا شيء من الشر غير أن عبدك كافوراً جاء إلينا مكشوف الرأس ممزق الأثواب وهو يصيح واسيداه فقلنا له ما الخبر يا كافور فقال أن سيدي جلس تحت حائط في البستان ليقضي حاجة فوقعت عليه فمات فقال لهم سيده والله أنه أتاني في هذه الساعة وهو يصيح

واسيدتاه وأ أولاد سيدتاه وقال أن سيدتي وأولادها ماتوا جميعاً ثم نظر إلى جانبه فرآني وعمامتي ساقطة في رأسي وأنا أصيح وأبكي بكاء شديداً وأحثوا التراب على رأسي فصرخ على فأقبلت عليه فقال لي ويلك يا عبد النحس يا ابن الزانية يا ملعون الجنس ما هذه الوقائع التي عملتها ولكن والله لأسـ لخن جلـ دك عـ ن لحمـ ك وأقطعن لحمك عن عظمك فقلت له والله ما تقدر أن تعمل معي شيئاً لأنك قد اشتريتني على عيبي بهذا الشرط والشهود يشهدون عليك حين اشتريتني على عيبي وأنت عالم به وهو أني أكذب في كل سنة كذبة واحدة وهذه نصف كذبة فإذا كملت السنة كذبت نصفها الآخر فتبقى كذبة كاملة فصاح على يا ألعن العبيد هل هـ ذا كلـ ه نصف كذبة وأنما هو داهية كبيرة اذهب عني فأنت حر فقلت والله أن أعتقتني أنت ما أعتقك أنا حتى تكمـ ل السنة وأكذب نصف الكذبة الباقي وبعد أن أتمها فأنزل بي السوق وبعني بما اشتريتني به علـ ى عيبـ ي ولا تعتقني فأنني مالي صنعة أقتات منها وهذه المسألة التي ذكرتها لك شرعية ذكرها الفقهاء في باب العتق فبينما نحن في الكلام وإذا بالخلايق والناس وأهل الحارة نساء ورجالاً قد جاءوا يعملـ ون العـ زاء وجـ اء الـ والي وجماعته فراح سيدي والتجار إلى الوالي وأعلموه بالقضية وأن هذه نصف كذبة فلما سمع الحاضرون ذلـ ك منه استعظموا تلك الكذبة وتعجبوا غاية العجب فلعنوني وشتموني فبقيت واقفاً أضحك وأقول كيـ ف يقتلنـ ي سيدي وقد اشتراني على هذا العيب فلما مضى سيدي إلى البيت وجده خراباً وأنـ ا الـ ذي أخربـ ت معظمـ ه وكسرت فيه شيئاً يساوي جملة من المال فقالت له زوجته أن كافور هو الذي كسر الأواني والصيني فـ ازداد غيظه وقال والله ما رأيت عمري ولد زنا مثل هذا العبد ولأنه يقول إنها نصف كذبة فكيف لو كانـ ت كذبـ ة كاملة فحينئذ كان أخرب مدينة أو مدينتين ثم ذهب من شدة غيظه إلى الوالي فضربني علقة شديدة حتى غبت من الدنيا وغشي على فأتاني بالمزين في حال غشيتي فخصاني وكواني فلما أفقت وجدت نفسي خصياً وقـ ال لي سيدي مثل ما أحرقت قلبي على أعز الشيء عندي أحرقت قلبك على أعز الشيء عندك ثم أخذني فباعني بأغلى ثمن لأني صرت طواشيا وما زلت القي الفتن في الأماكن التي أباع فيها وهنا أدرك شهرزاد الصـ باح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٥)

قالت بلغني أن العبد قال ومازلت ألقي الفتن في الأماكن التي أباع فيها وأنتقل من أمير إلى أمير ومـ ن كبير إلى كبير بالبيع والشراء حتى دخلت قصر أمير المؤمنين وقد انكسرت نفسي وضعفت قوتي وأعـ دمت خصيتي فلما سمع العبدان كلامه ضحكا عليه وقالا له أنك خبيث بن خبيث قد كذبت كذباً شنيعاً. ثم قالوا للعبد الثالث أحك لنا حكايتك قال لهم يا أولاد عمي كل ما حكى هذا بطال فأنا أحكي لكم سبب قطع خصيتي وقـ د كنت استحق أكثر من ذلك لأني كنت نكحت سيدتي وابن سيدتي والحكاية معي طويلة وما هذا وقت حكايتهـ ا لأن الصباح يا أولاد عمي قريب وربما يطلع علينا الصباح ومعنا هذا الصندوق فننفضح بين الناس وتـ روح أرواحنا فدونكم فتح الباب فإذا فتحناه ودخلنا محلنا قلت لكم على سبب قطع خصيتي ثم تعلق ونزل من الحائط وفتح الباب فدخلوا وحطوا الشمع وحفروا حفرة على قدر الصندوق بين أربعة قبور وصـ ار كـ افور يحفـ ر وصواب ينقل التراب بالقفف إلى أن حفر وأنصف قامة ثم حطوا الصندوق في الحفرة وردوا عليـ ه التـ راب وخرجوا من التربة وردوا الباب وغابوا عن عين غانم بن أيوب فلما خلا لغانم المكان وعلم أنه وحده اشتغل

سره بما في الصندوق وقال في نفسه يا ترى أي شيء في الصندوق ثم صبر حتى برق الفجر ولاح وبان ضياؤه فنزل من فوق النخلة وأزال التراب بيده حتى كشف الصندوق وخلصه ثم أخذ حجراً وضرب القفل فكسره وكشف الغطاء ونظر فرأى صبية نائمة مبنجة ونفسها طالع ونازل إلا أنها ذات حسن وجمال وعليها حلي ومصاغ من الذهب وقلائد من الجوهر تساوي ملك السلطان ما يفي بثمنها مال فلما رآها غانم بن أيوب عرف أنهم تغامزوا عليها فلما تحقق ذلك الأمر عالج فيها حتى أخرجها من الصندوق وأرقدها على قفاها فلما استنشقت الأرياح ودخل الهواء في مناخرها عطست ثم شرقت وسعلت فوقع من حلقها قرص بنج لو شمه الفيل لرقد من الليل إلى الليل ففتحت عينيها وأدارت طرفها وقالت بكلام فصيح ويلك يا ريح ما فيك ري للعطشان ولا أنس للريان أين زهر البستان فلم يجاوبها أحد فالتفتت وقالت صبيحة شجرة الدر نور الهدى نجمة الصبح أنت في شهر نزهة حلوة ظريفة تكلموا فلم يجبها أحد فجالت بطرفها وقالت ويلي عند إنزالي في القبور يا من يعلم ما في الصدور ويجازي يوم البعث والنشور من جاء بي من بين الستور والخدور ووضعني بين أربعة قبور هذا كله وغانم واقف على قدميه فقال لها يا سيدتي لا خدور ولا قصور ولا قبور ما هذا إلا عبدك غانم بن أيوب ساقه إليك الملك علام الغيوب حتى ينجيك من هذه الكروب ويحصل لك غاية المطلوب وسكت فلما تحققت الأمر قالت أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله والتفتت إلى غانم وقد وضعت يديها على صدرها وقالت له بكلام عذب أيها الشاب المبارك من جاء بي إلى هذا المكان فها أنا قد أفقت فقال يا سيدتي ثلاثة عبيد خصيون أتوا وهم حاملون هذا الصندوق ثم حكى لها جميع ما جرى وكيف أمسى عليه المساء حتى كان سبب سلامتها وإلا كانت ماتت بغصتها ثم سألها عن حكايتها وخبرها فقالت له أيها الشاب الحمد لله الذي رماني عند مثلك فقم الآن وحطني في الصندوق وأخرج إلى الطريق فإذا وجدت مكارياً أو بغالاً فأكثره لحمل هذا الصندوق وأوصلني إلى بيتك فإذا صرت في دارك يكون خيراً وأحكي لك حكايتي وأخبرك بقصتي ويحصل لك الخير من جهتي ففرح وخرج إلى البرية وقد شعشع النهار وطلعت الشمس بالأنوار وخرجت الناس ومشوا فأكترى رجلاً ببغل وأتى به إلى التربة فحمل الصندوق بعدما حط فيه الصبية ووقعت محبتها في قلبه وسار بها وهو فرحان لأنها جارية تساوي عشرة آلاف دينار وعليها حلي وحلل يساوي مالا جزية وما صدق أن يصل إلى داره وأنزل الصندوق وفتحه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن غانم بن أيوب وصل إلى داره بالصندوق وفتحه وأخرج الصبية منه ونظرت فرأت هذا المكان محلاً مليحاً مفروشاً بالبسط الملونة والألوان المفرحة وغير ذلك ورأت قماشاً محزوماً وأحمالاً وغير ذلك فعلمت أنه تاجر كبير صاحب أموال ثم أنها كشفت وجهها ونظرت إليه فإذا هو شاب مليح فلما رأته أحبته وقالت له هات لنا شيئاً نأكله فقال لها غانم على الرأس والعين ثم نزل السوق واشترى خروفاً مشوياً وصحن حلاوة وأخذ معه نقلاً وشمعاً وأخذ معه نبيذاً وما يحتاج إليه الأمر من آلة المشموم وأتى إلى البيت ودخل بالحوائج فلما رأته الجارية ضحكت وقبلته وأعتنقته وصارت تلاطفه فازدادت عنده المحبة واحتوت على قلبه ثم أكلا وشربا إلى أن أقبل الليل وقد أحب بعضهما بعضاً لأنهما كانا في سن

واحد وحسن واحد فلما أقبل الليل قام المتيم الليل وقد أحب بعضهما بعضاً لأنهما كانا في سن واحد وحسن واحد فلما أقبل الليل قام المتيم المسلوب غانم بن أيوب وأوقد الشموع والقناديل فأضاء المكان وأحضر آلة المدام ثم نصب الحضرة وجلس هو وأياها وكان يملأ ويسقيها وهي تملأ وتسقيه وهما يلعبان ويضحكان وينشدان الأشعار وزاد بهما الفرح وتعلقا بحب بعضهما فسبحان مؤلف القلوب ولم يزالا كذلك إلى قريب الصبح فغلب عليهما النوم فنام كل منهما في موضعه إلى أن أصبح الصباح فقام غانم من أيوب وخرج إلى السوق واشترى ما يحتاج إليه من خضرة ولحم وخمر وغيره وأتى به إلى الدار وجلس هو وأياها يأكلان فأكلا حتى اكتفيا وبعد ذلك أحضر الشراب وشربا ولعبا مع بعضهما حتى احمرت وجناتهما وأسودت أعينهما واشتاقت نفس غانم بن أيوب إلى تقبيل الجارية واليوم معها فقال لها يا سيدتي ائذني لي بقبلة من فيك لعلها تبرد نار قلبي فقالت يا غانم أصبر حتى أسكر وأغيب واسمح لك سراً بحيث لم أشعر أنك قبلتني ثم أنها قامت على قدميها وخلعت بعض ثيابها وقعدت في قميص رفيع وكوفيه فعند ذلك تحركت الشهوة عند غانم وقال يا سيدتي أما تسمحين لي بما طلبته منك فقالت والله لا يصح لك ذلك لأنه مكتوب على دكة لباسي قول صعب فانكسر خاطر غانم بن أيوب وزاد عنده الغرام لما عز المطلوب فأنشد هذه الأبيات:

سألت من أمرضني . . . في قبلة تشفي السقم
فقال لا لا أبداً . . . قلت له نعم نعم
فقال خذها بالرضا . . . من الحلال وابتسم
فقلت غصباً قال لا . . . إلا على رأس علم
فلا تسل عما جرى . . . واستغفر الله وتم
وظن من شئت بنا . . . فالحب يحلو بالتهم
ولا أبالي بعد ذا . . . أذ باح يوماً أو كتم

ثم زادت محبته وانطلقت النيران في مهجته هذا وهي تتمتع منه وتقول مالك وصول إلي ولم يزالا في عشقهما ومنادمتهما وغانم بن أيوب غريق في بحر الهيام وأما هي فإنها قد ازدادت قسوة وامتناعاً إلى أن دخل الليل بالظلام وأرخى عليها ذيل المنام فقام غانم وأشعل القناديل وأوقد الشموع وزاد بهجة المقام وأخذ رجليها وقبلهما فوجدهما مثل الزبد الطرى فمرغ وجهه عليهما وقال يا سيدتي ارحمي أسير هواك ومن قتلت عيناك كنت سليم القلب لولاك ثم بكى قليلاً قالت له والله يا سيدي ونور عيني أنا والله لك عاشقة وبك متعلقة ولكن أنا أعرف أنك لا تصل إلي فقال لها وما المانع فقالت له سأحكي لك في هذه الليلة قصتي حتى تقبل عذري ثم أنها ترامت عليه وطوقت على رقبته بيديها وصارت تقبله وتلاطفه ثم وعدته بالوصال ولم يزالا يلعبان ويضحكان حتى تمكن حب بعضهما من بعض ولم يزالا على ذلك الحال وهما في كل ليلة ينامان على فرش واحد وكلما طلب منها الوصال تتعزز عنه مدة شهر كامل وتمكن حب كل واحد منهما من قلب الآخر ولم يبق لهما صبر عن بعضهما إلى أن كانت ليلة من الليالي وهو راقد معها والأثنان سكراناً فمد يده على جسدها وملس ثم مر بيده على بطنها ونزل إلى سرتها فانتبهت وقعدت وتعهدت اللباس فوجدته مربوطاً فنامت ثانياً فملس عليها بيده ونزل بها إلى سراويلها وتكتها وجذبها فانتبهت وقعدت وقعد غانم بجانبها فقالت

له ما الذي تريد قال أريد أن أنام معك وأتصافى أنا وأنت فعند ذلك قالت له أنا الآن أوضح لك أمري حتى تعرف قدري وينكشف لك سري ويظهر لك عذري قال نعم فعند ذلك شقت ذيل قميصها ومدت يدها إلى تكة لباسها وقالت يا سيدي اقرأ الذي على هذا الطرف فأخذ طرف التكة في يده ونظره فوجده مرقوماً عليه بالذهب أنا لك وأنت لي يا ابن عم النبي فلما قرأه نثر يده وقال لها اكشفي لي عن خبرك قالت نعم اعلم أنني محظية أمير المؤمنين وأسمي قوت القلوب وأن أمير المؤمنين لما رباني في قصره وكبرت نظر إلي صفاتي وما أعطاني ربي من الحسن والجمال فأحبني محبة زائدة وأخذني وأسكنني في مقصورة وأمر لي بعشر جوار يخدمنني ثم أنه أعطاني ذلك المصاغ الذي تراه معي ثم أن الخليفة سافر يوماً من الأيام إلى بعض البلاد فجاءت السيدة زبيدة إلى بعض الجواري التي في خدمتي وقالت إذا نامت سيدتك قوت القلوب فحطي هذه القلعة البنج في أنفها أو في شرابها ولك على من المال ما يكفيك فقالت لها الجارية حباً وكرامة ثم أن الجارية أخذت البنج منها وهي فرحانة لأجل المال ولكونها كانت في الأصل جاريتها فجاءت إلي ووضعت البنج في جوفي فوقعت على الأرض وصارت رأسي عند رجلي ورأيت نفسي في دنيا أخرى ولما تمت حيلتها حطتني في ذلك الصندوق وأحضرت العبيد سراً وأنعمت عليهم وعلى البوابين وأرسلتني مع العبيد في الليلة التي كنت نائماً فيها فوق النخلة وفعلوا معي ما رأيت وكانت نجاتي على يديك وأنت أتيت بي إلى هذا المكان وأحسنت إلى غاية الإحسان وهذه قصتي وما أعرف الذي جرى للخليفة في غيبتي فاعرف قدري ولا تشهر أمري فلما سمع غانم بن أيوب كلام قوت القلوب وتحقق أنها محظية الخليفة تأخر إلى ورائه خيفة من هيبة الخليفة وجلس وحده في ناحية من المكان يعاتب نفسه ويتفكر في أمره وصار متحيراً في عشق التي ليس لها إليها وصول فبكى من شدة الغرام ولوعة الوجد والهيام وصار يشكو الزمان وماله من العدوان فسبحان من شغل قلوب الكرام بالمحبة ولم يعط الأندال منها وزن حبة وأنشد هذين البيتين:

قلب المحب على الأحباب متعوب وعقله مع بديع الحسن منهوب

وقائل قال لي ما الحب قلت له الحب عذب ولكن فيه تعذيب

فعند ذلك قامت إليه قوت القلوب واحتضنته وقبلته وتمكن حبه في قلبها وباحت له بسرها وما عندها من المحبة وطوقت على رقبته بيديها وقبلته وهو يتمنع عنها خوفاً من الخليفة ثم تحدثا ساعة من الزمان وهما غريقان في بحر محبة بعضهما إلى أن طلع النهار فقام غانم ولبس أثوابه وخرج إلى السوق على عادته وأخذ ما يحتاج إليه الأمر وجاء إلى البيت فوجد قوت القلوب تبكي فلما رأته سكتت عن البكاء وتبسمت وقالت له أوحشتني يا محبوب قلبي والله أن هذه الساعة التي غبتها عني كسنة فأني لا أقدر على فراقك وها أنا قد بينت لك حالي من شدة ولعي بك فقم الآن ودع ما كان واقض أربك مني قال أعوذ بالله أن هذا شيء لا يكون كيف يجلس الكلب في موضع السبع والذي لمولاي يحرم علي أن أقربه ثم جذب نفسه منها وجلس في ناحية وزادت هي محبة بامتناعه عنها ثم جلست إلى جانبه ونادمته ولاعبته فسكرا وهامت بالافتضاح به فغنت منشدة هذه الأبيات:

قلب المتيم كاد أن يتفتتا فإلى متى هذا الصدود إلى متى

يا معرضاً عني بغير جناية فعوائد الغزلان أن تتلفتا

صد . .د وهج . .ر زائ . .د وصد . .بابة   م .ا ك .ل ه .ذا الأم .ر يحمل .ه الفت .ى

فبكى غانم بن أيوب وبكت هي لبكائه ولم يزالا يشربان إلى الليل ثم قام غانم وفرش فرشين كل فرش في مكان وحده فقالت له قوت القلوب لمن هذا الفرش الثاني فقال لها هذا لي والآخر لك ومن الليلة لا ننام إلا على هذا النمط وكل شيء للسيد حرام على العبد فقالت يا سيدي دعنا من هذا وكل شيء يجري بقضاء وقدر فأبى فأنطلقت النار في قلبها وزاد غرامها فيه وقالت والله ما ننام إلا سواء فقال معاذ الله وغلب عليها وذ ام وحده إلى الصباح فزاد بها العشق والغرام واشتد بها الوجد والهيام وأقاما على ذلك ثلاثة أشهر طوال وه ي كلما تقرب منه يمتنع عنها ويقول كل ما هو مخصوص بالسيد حرام على العبد فلما طال بها المطال مع غانم بن أيوب المتيم المسلوب وزادت بها الشجون والكروب أنشدت هذه الأبيات:

ب . ديع الحس . ن ك . م ه . ذا التجن . ي	وم . ن أغ . راك ب . االأعراض عن . ي
حوي .ت م .ن الرش .اقة ك .ل معن .ى	وح .زت م . ن الملاح . ة ك . ل ف . ن
وأجري . .ت الغ . .رام لك . .ل قل . .ب	وكلل . .ت الس . .هاد بك . .ل جف . .ن
وأع . رف قلب . ك الأغص . ان تجن . ي	في . .ا غص . .ن الأراك أراك تجن . .ي
وعه . دي بالظب . ا ص . يد فم . الي	أراك تص . . يد أرب . . اب المج . . ن
وأعج . ب م . ا أح . دث عن . ك أن . ي	فتن . ت وأن . ت ل . م تعل . م ب . أني
ف . لا تس . مح بوص . لك ل . ي ف . أني	أغ . ار علي . ك من . ك فكي . ف من . ي
ولس . ت بقائ . ل م . ا دم . ت حي . ا	ب . ديع الحس . ن ك . م ه . ذا التجن . ي

وأقاموا على هذا الحال مدة والخوف يمنع غانماً عنها فهذا ما كان من أمر المتيم المسلوب غانم أي وب (وأما) ما كان من أمر زبيدة فإنها في غيبة الخليفة فعلت بقوت القلوب ذلك الأمر ثم صارت متحيرة تقول في نفسها ما أقول للخليفة إذا جاء وسأل عنها وما يكون جوابي له فدعت بعجوز كانت عندها وأطلعتها ا عل ى سرها وقالت لها كيف أفعل وقت القلوب قد فرط فيها الفرط فقالت لها العجوز لما فهمت الحال اعلم ي ي ا سيدتي أنه قرب مجيء الخليفة ولكن أرسلي إلى نجار وأمريه أن يعمل صورة ميت من خشب ويحفروا ل ه قبراً وتوقد حوله الشموع والقناديل وأمري كل منن في القصر أن يلبسوا الأسود وأمري جواريك والخدام إذا علموا أن الخليفة أتى من سفره أن يشيعوا الحزن في الدهليز فإذا دخل وسأل عن الخبر يقول ون إن ق وت القلوب ماتت ويعظم الله أجرك فيها ومن معزتها عند سيدتنا دفنتها في قصرها فإذا سمع ذلك يبكي ويعز عليه ثم يسهر القراء على قبرها لقراءة الختمان فإن قال في نفسه إن بنت عمي زبيدة من غيرتها سعت في ه لاك قوت القلوب أو غلب عليه الهيام فأمر بإخراجها من القبر فلا تفزعي من ذلك ولو حفروا على تلك الص ورة التي على هيئة ابن آدم وأخرجوها وهي مكفنة بالأكفان الفاخرة فإن أراد الخليفة إزالة الأكفان عنها لينظره ا فأمنعيه أنت من ذلك والأخرى يمنعه وتقول رؤية عورتها حرام فيصدق حينئذ أنها ماتت ويردها إلى مكانها ويشكرك على فعلك وتخلصين إن شاء الله تعالى من هذه الورطة فلما سمعت السيدة زبيدة كلامها ورأت أن ه صواب خلعت عليها خلعة وأمرتها أن تفعل ذلك بعد ما أعطتها جملة من المال فشرعت العجوز ف ي ذل ك الأمر حالاً وأمرت النجار أن يعمل لها صورة كما ذكرنا وبعد تمام الصورة جاءت بها إلى الس يدة زبي دة

فكفنتها وأوقدت الشموع والقناديل وفرشت البسط حول القبر ولبست الواد وأمرت الجواري أن يلبسن السـ واد واشتهر الأمر في القصر أن قوت القلوب ماتت ثم بعد مدة أقبل الخليفة من غيبته وطلع إلى قصره ولكن ماله شغل إلا قوت القلوب فرأى الغلمان والخدام والجواري كلهم لابسين السواد فارتجف فؤاده فلما دخل القصـ ر على السيدة زبيدة رآها لابسة الأسود فسأل عن ذلك فأخبروه بموت قوت القلوب فوقع مغشياً عليه فلما أفـ اق سأل عن قبرها فقالت له السيدة زبيدة اعلم يا أمير المؤمنين أنني من معزتها عندي دفنتها في قصري فـ دخل الخليفة بثياب السفر إلى القصر ليزور قوت القلوب فوجد البسط مفروشة والشموع والقناديل موقودة فلما رأى ذلك شكرها على فعلها ثم أنه صار حائراً في أمره ولم يزل ما بين مصدق ومكذب فلما غلب عليه الوسواس أمر بحفر القبر وأخرجها منه فلما رأى الكفن وأراد أن يزيله عنها ليراها خاف من الله تعالى فقالت العجـ وز ردوها إلى مكانها ثم إن الخليفة أمر في الحال بإحضار الفقهاء والمقرئين وقرأوا الختمات على قبرها وجلس بجانب القبر يبكي إلى أن غشي عليه ولم يزل قاعداً على قبرها شهراً كاملاً وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الخليفة لم يزل يتردد على قبرها مدة شهر فـ اتفق أن الخليفـ ـة دخـ ل الحريم بعد انفضاض الأمراء والوزراء من بين يديه إلى بيوتهم ونام ساعة فجلست عند رأسه جارية وعنـ د رجليه جارية وبعد أن غلب عليه النوم تنبه وفتح عينيه فسمع الجارية التي عند رأسه تقول للتي عند رجليـ ـه ويلك يا خيزران قالت لأي شيء يا قضيب قالت لها إن سيدنا ليس عنده علم بما جري حتى إنه يسهر علـ ى قبر لم يكن فيه إلا خشبة منجرة صنعة النجار فقالت لها الأخرى وقرت القلوب أي شيء أصابها فقالت اعلمي أن السيدة زبيدة أرسلت مع جارية بنجاً وبنجتها فلما تحكم البنج منها وضعتها في صـ ندوق وأرسـ لتها مـ ع صواب وكافور وأمرتهما أن يرمياها في التربة فقالت خيزران ويلك يا قضيب هل السيدة قوت القلـ وب لـ م تمت فقالت سلامة شبابها من الموت ولكن أنا سمعت السيدة زبيدة تقول إن قوت القلوب عند شاب تاجر اسمه غانم الدمشقي وأن لها عنده إلى هذا اليوم أربعة أشهر وسيدنا هذا يبكي ويسهر الليالي على قبر لم يكن فيـ ـه الميت وصارتا تتحدثان بهذا الحديث والخليفة يسمع كلامهما فلما فرغ الجاريتان من الحديث وعرف القضـ ية وأن هذا القبر زور وأن قوت القلوب عند غانم بن أيوب مدة أربعة أشهر غضب غضباً شديداً وقام وأحضر أمراء دولته فعند ذلك أقبل الوزير جعفر البرمكي وقبل الأرض بين يديه فقال له الخليفة بغيظ أنزل يا جعفر بجماعة وأسأل عن بيت غانم بن أيوب وأهجموا على داره وأئتوني بجاريتي قوت القلوب ولابد لي أن أعذبه فأجابه جعفر بالسمع والطاعة فعند ذلك نزل جعفر هو ،اتباعه والوالي صحبته ولم يزالوا سـ ائرين إلـ ى أن وصلوا إلى دار غانم وكان غانم خرج في ذلك الوقت وجاء بقدر لحم وأراد أن يمد يده ليأكل منها هو وقوت القلوب فلاحت منه التفاته فوجد البلاط أحاط بالدار والوزير والوالي والظلمة والمماليك بسـ يوف مجـ ردة وداروا به كما يدور بالعين السواد فعند ذلك عرفت أن خبرها وصل إلى الخليفة سـ يدها فأيقنـ ت بـ الهلاك فالهلاك وأصفر لونها وتغيرت محاسنها ثم أنها نظرت إلى غانم وقالت له يا حبيبي فز بنفسك فقال لها كيـ ف أعمل وإلى أين أذهب ومالي ورزقي في هذا الدار فقالت له لا تمكث لئلا تهلك ويذهب مالك فقـ ال لهـ ا يـ ا

حبيبتي ونور عيني كيف أصنع في الخروج وقد أحاطوا بالدار فقالت له لا تخف ثم إنها نزعت ما عليه من الثياب وألبسته خلقاناً بالية وأخذت القدر التي كان فيها اللحم ووضعتها فوق رأسه وحطت فيها بعض خبز وزبدية طعام وقالت له أخرج بهذه الحيلة ولا عليك مني فأنا أعرف أي شيء في يد من الخليفة فلما سمع غانم كلام قوت القلوب وما أشارت عليه به خرج من بينهم وهو حامل القدر وستر عليه الستار ونجا من المكايد والأضرار ببركة نيته فلما وصل الوزير جعفر إلى ناحية الدار ترجل عن حصانه ودخل البيت ونظر إلى قوت القلوب وقد تزينت وتبهرجت وملأت صندوقاً من ذهب ومصاغ وجواهر وتحف مما خف حمله وغلا ثمنه فلما دخل عليها جعفر قامت على قدميها وقبلت الأرض بين يديه وقالت له يا سيدي جرى القلم بما حكم الله فلما رأى ذلك جعفر قال لها والله يا سيدتي أنه ما أوصاني إلا بقبض غانم بن أيوب فقالت اعلم أنه حزم تجارته وذهب إلى دمشق ولا علم لي بغير ذلك وأريد أن تحفظ لي الصندوق وتحمله إلى قصر أمير المؤمنين فقال جعفر السمع والطاعة ثم أخذ الصندوق وأمر بحمله وقوت القلوب معهم إلى دار الخلافة وهي مكرمة معززة وكان هذا بعد أن نهبوا دار غانم ثم توجهوا إلى الخليفة فحكى له جعفر جميع ما جرى فأمر الخليفة لقوت القلوب بمكان مظلم وأسكنها فيه وألزم بها عجوز لقضاء حاجتها لأنه ظن أن غانماً فحش بها ثم كتب مكتوباً للأمير محمد بن سليمان الزيني وكان نائباً في دمشق ومضمونه ساعة وصول المكتوب إلى يديك تقبض على غانم بن أيوب وترسله إلي فلما وصل المرسوم غليه قبله ووضعه على رأسه ونادى في الأسواق من أراد أن ينهب فعليه بدار غانم بن أيوب فجاءوا إلى الدار فوجدوا أم غانم وأخته قد صنعتا لهما قبراً وقعدتا عنده تبكيان فقبضوا عليهما ونهبوا الدار ولم يعلما ما الخبر فلما أحضرهما عند السلطان سألهما عن غانم بن أيوب فقالتا له من مدة سنة ما وقفنا له على خبر فردوهما إلى مكانهما هذا ما كان من أمرهما (وأما) ما كان من أمر غانم بن أيوب المتيم المسلوب فإنه لما سلبت نعمته تحير في أمره وصار يبكي على نفسه حتى انفطر قلبه وسار ولم يزل سائراً إلى آخر النهار وقد ازداد به الجوع وأضر به المشي حتى وصل إلى بلد فدخل المسجد وجلس على برش واسند ظهره إلى حائط المسجد وارتمى وهو في غاية الجوع والتعب ولم يزل مقيماً هناك إلى الصباح وقد خفق قلبه من الجوع وركب جلده القمل وصارت رائحته منتنة وتغيرت أحواله فأتى أهل تلك البلدة يصلون الصبح فوجدوه مطروحاً ضعيفاً من الجوع وعليه آثار النعمة لائحة فلما أقبلوا عليه وجدوه بردان جائعاً فألبسوه ثوباً عتيقاً قد بليت أكمامه وقالوا له من أين أنت يا غريب وما سبب ضعفك ففتح عينه ونظر إليهم وبكى ولم يرد عليهم جواباً ثم أن بعضهم عرف شدة جوعه فذهب وجاء له بكرجة عسل ورغيفين فأكل وقعدوا عنده حتى طلعت الشمس ثم انصرفوا لإشغالهم ولم يزل على هذه الحالة شهراً وهو عندهم وقد تزايد عليه الضعف والمرض فتعطفوا عليه وتشاوروا مع بعضهم في أمره ثم أتفقوا على أن يوصلوه إلى المارستان الذي ببغداد فبينما هم كذلك وإذا بأمرأتين سائلتين قد دخلتا عليه وهما أمه وأخته فلما رآهما أعطاهما الخبز الذي عند رأسه ونامتا عنده تلك الليلة ولم يعرفهما فلما كان ثاني يوم أتاه أهل القرية وأحضروا جملاً وقالوا لصاحبه أجمل لهذا الضعيف فوق الجمل فإذا وصلت على بغداد فأنزله على باب المارستال لعله يتعافى فيحصل لك الأجر فقال لهم السمع والطاعة ثم أنهم أخرجوا غانم بن أيوب من المسجد وحملوه بالبرش الذي هو نائم عليه فوق الجمل وجاءت أمه وأخته يتفرجان عليه من جملة الناس

ولم يعلما به ثم نظرتا إليه وتأملتاه وقالتا أنه يشبه غانماً ابننا فيا ترى هل هو هذا الضعيف أولاً وأما غانم فإنه لم يفق إلا وهو محمول فوق الجمل فصار يبكي وينوح وأهل القرية ينظرون وأمه وأخته يبكيان عليه ولم يعرفانه ثم سافرت أمه وأخته إلى أن وصلتا إلى بغداد وأما الجمال فإنه لم يزل سائراً به حتى أنزله على باب المارستان وأخذ جملة ورجع فمكث غانم راقداً هناك إلى الصباح فلما درجت الناس في الطريق نظروا إليه وقد صار رق الخلال ولم يزل الناس يتفرجون عليه حتى جاء شيخ السوق ومنع الناس عنه وقال أنا أكتسب الجنة بهذا المسكين لأنهم متى أدخلوه المارستان قتلوه في يوم واحد ثم أمر صبيانه بحمله فحملوه إلى بيته وفرش له فرشاً جديداً ووضع له مخدة جديدة وقال لزوجته أخدميه بنصح فقالت على الرأس ثم شمرت وسخنت له ماء وغسلت يديه ورجليه وبدنه وألبسته ثوباً من لبس جواريها وسقته قدح شراب ورشت عليه ماء ورد فأفاق وتذكر محبوبته قوت القلوب فزادت به الكروب هذا ما كان من أمره وأما ما كان من أمر قوت القلوب فإنه لما غضب عليها الخليفة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن قوت القلوب لما غضب عليها الخليفة وأسكنها في مكان مظلم استمرت فيه على هذا الحال ثمانين يوماً فاتفق أن الخليفة مر يوماً من الأيام على ذلك المكان فسمع قوت القلوب تنشد الأشعار فلما فرغت من أنشادها قالت يا حبيبي يا غانم ما أحسنك وما أعف نفسك قد أحسنت لمن أساءك وحفظت حرمة من انتهك حرمتك وسترت حريمه وهو سباك وسبى أهلك ولابد أن تقف أنت وأمير المؤمنين بين يدي حاكم عادل وتنتصف عليه في يوم يكون القاضي هو الله والشهود هم الملائكة فلما سمع الخليفة كلامها وفهم شكواها علم أنها مظلومة فدخل قصره وأرسل الخادم لها فلما حضرت بين يديه أطرقت وهي باكية العين حزينة القلب فقال يا قوت القلوب أراك تتظلمين مني وتنسبيني إلى الظلم وتزعمين أني أسأت على من أحسن إلي فمن هو الذي حفظ حرمتي وانتهكت حرمته وستر حريمي وسبيت حريمه فقالت له غانم بن أيوب فإنه لم يقربني بفاحشة وحق نعمتك يا أمير المؤمنين فقال الخليفة لاحول ولا قوة إلا بالله يا قوت القلوب تمني على فأنا أبلغك مرادك قالت تمنيت عليك محبوبي غانم بن أيوب فلما سمع كلامها قال أحضره أن شاء الله مكرماً فقالت يا أمير المؤمنين أن أحضرته أتهبني له فقال أن أحضرته وهبتك هبة كريم لا يرجع في عطائه فقالت يا أمير المؤمنين أئذن لي أن أدور عليه لعل الله يجمعني به فقال لها افعلي مجدا لك ففرحت وخرجت ومعها ألف دينار فزارت المشايخ وتصدقت عنه وطلعت ثاني يوم إلى التجار وأعطت عريف السوق دراهم وقالت له تصدق بها على الغرباء ثم طلعت ثاني جمعة ومعها ألف دينار ودخلت سوق الصاغة وسوق الجواهرجية وطلبت عريف السوق فحضر فدفعت له ألف دينار وقالت له تصدق بها على الغرباء فظهر إليها العريف وهو شيخ السوق وقال لها هل لك أن تذهبي إلى داري وتنظري إلى هذا الشاب الغريب ما أظرفه وما أكمله وكان هو غانم بن أيوب المتيم المسلوب ولكن العريف ليس له به معرفة وكان يظن أنه رجل مسكين مديون سلبت نعمته أو عاشق فارق أحبته فلما سمعت كلامه خفق قلبها وتعلقت به أحشاؤها فقالت له أرسل معي من يوصلني إلى دارك فأرسل معها صبياً صغيراً فأوصلها إلى الدار التي فيها الغريب فشكرته على ذلك فلما دخلت تلك الدار وسلمت على زوجة العريف فقامت زوجة

العريف وقبلت الأرض بين يديها لأنها عرفتها فقالت لها قوت القلوب أين الضعيف الذي عندكم قبكت وقالت ها هو يا سيدتي إلا أنه ابن ناس وعليه أثر النعمة فالتفتت إلى الفرش الذي هو راقد عليه وتأملته فرأته كأنه هو بذاته ولكنه قد تغير حاله وزاد نحوله ورق إلى أن صار كالخلال وانبهم عليها أمره فلم تتحقق أنه هو ولكن أخذها الشفقة عليه فصارت تبكي وتقول أن الغرباء مساكين وأن كانوا أمراء في بلادهم ورتبت له الشراب والأدوية ثم جلست عند رأسه ساعة وركبت وطلعت إلى قصرها وصارت تطلع في كل سوق لأجل التفتيش على غانم ثم أن العريف أتى بأمه وأخته فتنة ودخل بهما على قوت القلوب وقال يا سيدة المحسنات قد دخل مدينتنا في هذا اليوم امرأة وبنت وهما من وجوه الناس وعليهما أثر النعمة لائح لكنهما لابستان ثياباً من الشعر وكل واحدة معلقة في رقبتها مخلاة وعيونهما باكية وقلوبهما حزينة وها أنا أتيت بهما إليك لتأويهما وتصونيهما عن ذلك السؤال لأنهما ليستا أهلاً لسؤال اللئام وأن شاء الله ندخل بسببهما الجنة فقالت والله يا سيدي لقد شوقتني إليهما وأين هم فأمرهما بالدخول فعند ذلك دخلت فتنة وأمها على قوت القلوب فلما نظرتهما قوت القلوب وهما ذاتا جمال بكت عليهما وقالت والله أنهما أولاد نعمة ويلوح عليهما أثر الغنى فقال العريف يا سيدتي أننا نحب الفقراء والمساكين لأجل الثواب وهؤلاء ربما جار عليهم اللمة وسلبوا نعمتهم وأخربوا ديارهم ثم أن المرأتين بكيتا بكاء شديداً وتفكرتا غانم بن أيوب المتيم المسلوب فزاد نحبهما فلما بكيتا بكت قوت القلوب لبكائهما ثم أن أمه قالت نسأل الله أن يجمعنا بمن نريده وهو ولدي غانم بن أيوب فلما سمعت قوت القلوب هذا الكلام علمت أن هذه المرأة أم معشوقها وأن الأخرى أخته فبكت هي حتى غشي عليها فلما أفاقت أقبلت عليهما وقالت لهما لا بأس عليكما فهذا اليوم أول سعادتكما وآخر شقاوتكما فلا تحزنا وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن قوت القلوب قالت لهما لا تحزنا ثم مرت العريف أن يأخذهما إلى بيته ويخلي زوجته تدخلهما الحمام وتلبسهما ثياباً حسنة وتتوصى بهما وتكرمهما غاية الإكرام وأعطته جملة من المال وفي ثاني يوم ركبت قوت القلوب وذهبت إلى بيت العريف ودخلت عند زوجته فقامت إليها وقبلت يديها وشكرت إحسانها ورأت أم غانم وأخته وقد أدخلتهما زوجة العريف الحمام ونزعت ما عليهما من الثياب فظهرت عليهما آثار النعمة فجلست تحادثهما ساعة ثم سألت زوجة العريف عن المريض الذي عندها فقالت هو بحالة فقالت قوموا بنا نطل عليه ونعود فقامت هي وزوجة العريف وأم غانم وأخته ودخلن عليه وجلسن عنده فلما سمعهن غانم بن أيوب المتيم المسلوب يذكرون قوت القلوب وكان قد انتحل جسمه ورق عظمه ردت له روحه ورفع رأسه من فوق المخدة ونادى ياقوت القلوب فنظرت إليهم وتحققته فعرفته وصاحت بنولها نعم حبيبي فقال لها قربي مني فقالت له لعلك غانم بن أيوب المتيم المسلوب فقال لها نعم أنا هو فعند ذلك وقعت مغشياً عليها فلما سمعت أخته وأمه كلامهما صاحتا بقولهما وافرحتاه وقعتا مغشياً عليهما وبعد ذلك استفاقتا فقالت له قوت القلوب الحمد لله الذي جمع شملك بك وبامك وأختك يا أمير المؤمنين فصدق كلامي ورضي عنك وهو اليوم يتمنى أن يراك ثم قالت لغانم أن الخليفة وهبني لك ففرح بذلك غاية الفرح فقالت لهم قوت القلوب لا يبرحوا حتى أحضر ثم أنها قامت من وقتها وساعتها وانطلقت لي قصرها وحملت

الصندوق الذي أخذته من داره وأخرجت منه دنانير وأعطت العريف أياها وقالت له خذ هذه الدنانير واشـ تر لكل شخص منهم أربع بدلات كوامل من أحسن القماش وعشرين منديلاً وغير ذلك مما يحتاجون إليه ثم أنها دخلت بهما وبغانم الحمام وأمرت بغسلهم وعملت لهم المساليق وماء الخولنجان وماء التفاح بعد أن خرجـ وا من الحمام ولبسوا الثياب وأقامت عندهم ثلاثة أيام وهي تطعمهم لحم الدجاج والمسـ اليق وتسـ قيهم السـ كر المكرر وبعد ثلاثة أيام ردت لهم أرواحهم وأدخلتهم الحمام ثانياً وخرجوا وغيرت عليهم الثياب وخلتهم فـ ي بيت العريف وذهبت إلى الخليفة وقبلت الأرض بين يديه وأعلمته بالقصة وأنه قد حضر سيدها غانم بن أيوب المتيم المسلوب وأن أمه وأخته قد حضرتا فلما سمع الخليفة كلام قوت القلوب قال للخدام علي بغـ انم فنـ زل جعفر إليه وكانت قوت القلوب قد سبقته ودخلت على غانم وقالت له أن الخليفة قد أرسل إليك ليحضرك بـ ين يديه فعليك بفصاحة اللسان وثبات الجنان وعذوبة الكلام وألبسته حلة فاخرة وأعطته دنانير بكثرة وقالت لـ ه أكثر البذل إلى حاشية الخليفة وأنت داخل عليه وإذا بجعفر أقبل عليه وهو على بغلته فقام غانم وقابله وحيـ اه وقبل الأرض بين يديه وقد ظهر كوكب سعده وارتفع طالع مجده فأخذه جعفر ولم يزالا سائرين حتى دخـ لا على أمير المؤمنين فلما حضرا بين يديه نظر إلى الوزراء والأمراء والحجاب والنـ واب وأربـ اب الدولـ ة وأصحاب الصولة وأن غانم فصيح اللسان ثابت الجنان رقيق العبارة أنيق الإشارة فاطرق برأسه إلى الأرض ثم نظر إلى الخليفة وأنشد هذه الأبيات:

أفـ ـديك مـ ـن ملـ ـك عظـ ـيم الشـ ـأن	متتـ ـ ـابع الحسـ ـ ـنات والأحسـ ـ ـان
متوقـ ـد العزمـ ـات فيـ ـاض النـ ـدى	حـ ـدث عـ ـن الطوفـ ـان والنيـ ـران
لا يلجـ ـون بغيـ ـره مـ ـن قيصـ ـر	فـ ـي ذا المقـ ـام وصـ ـاحب الأيـ ـوان
تضـ ـع الملـ ـوك علـ ـى ثـ ـرى أعتابـ ـه	عنـ ـد السـ ـلام جـ ـواهر التيجـ ـان
حتـ ـى إذا شخصـ ـت لـ ـه أبصـ ـارهم	خـ ـروا لهيبتـ ـه علـ ـى الأذقـ ـان
ويفيـ ـدهم ذاك المقـ ـام مـ ـع الرضـ ـا	رتـ ـب العـ ـلا وجلالـ ـة السـ ـلطان
ضـ ـاقت بعسـ ـكرك الفيـ ـافي والفـ ـلا	فأضـ ـرب خيامـ ـك فـ ـي ذرى كيـ ـوان
وأقـ ـرى الكواكـ ـب بالمواكـ ـب محسـ ـنا	لشـ ـريف ذاك العـ ـالم الروحـ ـاني
وملكـ ـت شـ ـامخة الصياصـ ـي عنـ ـوة	مـ ـن حسـ ـن تـ ـدنير وثبـ ـت جنـ ـان
ونشـ ـرت عـ ـدلك فـ ـي البسـ ـيطة كلهـ ـا	حتـ ـى اسـ ـتوى القاصـ ـي بهـ ـا والـ ـداني

فلما فرغ من شعره طرب الخليفة من محاسن رونقه وأعجبه فصاحة لسانه وعذوبـ ة منطقـ ه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن غانم بن أيوب لما أعجب الخليفة فصاحته ونظمه وعذوبة منطقه قـ ال له أدن مني فدنا منه ثم قال له اشرح لي قصتك وأطلعني على حقيقة خبرك فقعد وحدث الخليفة بما جرى له من المبتدأ إلى المنتهى فلما علم الخليفة أنه صادق خلع عليه وقربه إليه وقال ابريء ذمتي فأبر أذمته وقال له يا أمير المؤمنين أن العبد وما ملكت يداه لسيده ففرح الخليفة بذلك ثم أمر أن يفرد له قصر ورتب لـ ه مـ ن

الجوامك والجرايات شيئاً كثيراً فنقل أمه وأخته إليه وسمع الخليفة بأن أخته فتنة في الحسن فتنة فخطبها منه فقال له غانم أنها جاريتك وأنا مملوكك فشكره وأعطاه مائة ألف دينار وأتى بالقاضي والشهود وكتبوا الكتاب ودخل هو وغانم في نهار واحد فدخل الخليفة على فتنة وغانم بن أيوب على قوت القلوب فلما أصبح الصباح أمر الخليفة أن يؤرخ جميع ما جرى لغانم من أوله إلى آخره وأن يدون في السجلات لأجل أن يطلع عليه من يأتي بعده فيتعجب من تصرفات الأقدار ويفوض الأمر إلى خالق الليل والنهار وليس هذا بأعجب من حكاية عمر النعمان وولده شركان وولده ضوء المكان وما جرى لهم من العجائب والغرائب قال الملك وما حكايتهم.

(حكاية الملك عمر النعمان وولديه شركان وضوء المكان)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أنه كان بمدينة دمشق قبل خلافة عبد الملك بن مروان ملك يقال له عمر النعمان وكان من الجبابرة الكبار قد قهر الملوك الأكاسرة والقياصرة وكان لا يصطلي له بنار ولا يجاريه أحد في مضمار وإذا غضب يخرج من منخريه لهيب النار وكان قد ملك جميع الأقطار ونفذ حكمه في سائر القرى والأمصار وأطلع له جميع العباد ووصلت عساكره إلى أقصى البلاد ودخل في حكمه المشرق والمغرب وما بينهما من الهند والسند والصين واليمن والحجاز والحبشة والسودان والشام والروم وديار بكر وجزائر البحار وما في الأرض من مشاهير الأنهار كسيحون وجيحون والنيل والفرات وأرسل رسله إلى أقصى العمار ليأتوه بحقيقة الأخبار فرجعوا وأخبروه بأن سائر الناس أذعنت لطاعته وجميع الجبابرة خضعت لهيبته وقد عمهم بالفضل والامتنان وأشاع بينهم العدل والأمان لأنه كان عظيم الشأن وحملت إليه الهدايا من كل فكان وجبي إليه خراج الأرض في طولها والعرض وكان له ولد وقد سماه شركان لأنه نشأ آفة من آفات الزمان وقهر الشجعان وأباد الأقران فأحبه والده حباً شديداً ما عليه من مزيد وأوصى له بالملك من بعده ثم أن شركان هذا حين بلغ مبلغ الرجال وصار له من العمر عشرون سنة أطاع له جميع العباد لما به من شدة البأس والعناد وكان والده عمر النعمان له أربع نساء بالكتاب والسنة لكنه لم يرزق منهن بغير شركان وهو من أحداهن والباقيات عواقر لم يرزق من واحدة منهن بولد ومع ذلك كان له ثلثمائة وستون سرية على عدد أيام السنة القبطية وتلك السراري من سائر الأجناس وكان قد بنى لكل واحدة منهن القصورة وكانت المقاصير من داخل القصر فإنه بنى أثنى عشر قصراً على عدد شهور السنة وجعل في كل قصر ثلاثين مقصورة فكانت جملة المقاصير ثلثمائة وستون مقصورة وأسكن تلك الجواري في هذه المقاصير وفرض لكل سرية منهن ليلة يبيتها عندها وما يأتيها إلا بعد سنة كاملة فأقام على ذلك مدة من الزمان ثم أن ولده شركان اشتهر في سائر الآفاق ففرح به والده وأزداد قوة فطغى وتجبر وفتح الحصون والبلاد وأتفق بالأمر المقدر أن جارية من جواري النعمان قد حملت واشتهر حملها وعلم الملك بذلك ففرح فرحاً شديداً وقال لعل ذريتي ونسلي تكون كلها ذكوراً فارخ يوم حملها وصار يحسن إليها فعلم شركان بذلك فأغتم وعظم الأمر وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن شركان لما علم أن جارية أبيه قد حملت أغتم وعظم عليه ذلك وقال قد جاءني من ينازعني في المملكة فأضمر في نفسه أن هذه الجارية أن ولدت ولداً ذكراً قتله وكتم ذلك في نفسه

هذا ما كان من أمر شركان (وأما) ما كان من أمر الجارية فإنها كانت رومية وكان قد بعثها إليه هدية ملك الروم صاحب قيسارية وأرسل معها تحفاً كثيرة وكان اسمها صفية وكانت أحسن الجواري وأجملهن وجهاً وأونهن عرضاً وكانت ذات عقل وافر وجمال باهر وكانت تخدم الملك ليلة مبيتة عندها وتقول له أيها الملك كنت أشتهي من إله السماء أن يرزقك مني ولداً ذكراً حتى أحسن تربيته لك وأبالغ في أدبه وصيانته فيفرح الملك ويعجبه ذلك الكلام فما زالت كذلك حتى كملت أشهرها فجلست على كرسي الطلق وكانت على صلاح تحسن العبادة فتصلي وتدعو الله أن يرزقها بولد صالح ويسهل عليها ولادته فتقبل الله منها دعاءها وكان الملك قد وكل بها خادماً يخبره بما تضعه هل هو ذكر أو أنثى وكذلك ولده شركان أرسل من يعرفه بذلك فلما وضعت صفية ذلك المولود تأملته القوابل فوجدنه بنتاً بوجه أبهى من القمر فأعلمن الحاضرين بذلك فرجع رسول الملك وأخبره بذلك وكذلك رسول شركان أخبره بذلك ففرح فرحاً شديداً فلما أنصرف الخدام قالت صفية للقوابل أمهلوا علي ساعة فأني أحس بأن أحشائي فيها شيء آخر ثم تأوهت وجاءها الطلق ثانياً وسهل الله عليها فوضعت مولوداً ثانياً فنظرت إليه القوابل فوجدته ولداً ذكراً يشبه البدر بجبين أزهر وخد أحمر مورد ففرحت به الجارية والخدام والحشم وكل من حضر ورمت صفية الخلاص وقد أطلقوا الزغاريد في القصر فسمع بقية الجواري بذلك فحسدنها وبلغ عمر النعمان الخبر ففرح واستبشر وقام ودخل عليها وقبل رأسها ونظر إلى المولود ثم أنحنى عليه وقبله وضربت الجواري بالدفوف ولعبت بالآلات وأمر الملك أن يسموا المولود ضوء المكان وأخته نزهة الزمان فامتثلوا أمره وأجابوا بالسمع والطاعة ورتب لهم الملك من يخدمهم من المراضع والخدم والحشم والدايات ورتب لهم الرواتب من السكر والأشربة والأدهان وغير ذلك مما يكل عن وصفه اللسان وسمعت أهل دمشق بما رزق الله الملك من الأولاد فزينت المدينة وأظهر والفرح والسرور وأقبلت الأمراء والوزراء وأرباب الدولة وهنوا الملك عمر النعمان بولده ضوء المكان وبنته نزهة الزمان فشكرهم الملك على ذلك وخلع عليهم وزاد في أكرامهم من الأنعام وأحسن إلى الحاضرين من الخاص والعام ومازال على تلك الحالة إلى أن مضى أربعة أعوام وهو بعد كل قليل من الأيام يسأل عن صفية وأولادها وبعد الأربعة أعوام أمر أن ينقل إليها من المصاغ والحلي والحلل والأموال شيء كثير وأوصاهم بتربيتها وحسن أدبهما كل هذا وابن الملك شركان لا يعلم أن والده عمر النعمان رزق ولداً ذكراً ولم يعلم أنه رزق سوى نزهة الزمان وأخفوا عليه حبر ضوء المكان إلى أن مضت أيام وأعوام وهو مشغول بمقارعة الشجعان ومبارزة الفرسان فبينما عمر النعمان بجالس يوماً من الأيام إذ دخل عليه الحجاب وقبلوا الأرض بين يديه وقالوا أيها الملك قد وصلت إلينا رسل من ملك الروم صاحب القسطنطينية العظمى وأنهم يريدون الدخول عليك والتمثل بين يديك فإن أذن لهم الملك بذلك ندخلهم وإلا فلا مرد لأمره فعند ذلك أمر لهم بالدخول فلما دخلوا عليه مال إليهم وأقبل عليهم وسألهم عن حالهم وما سبب أقبالهم فقبلوا الأرض بين يديه وقالوا أيها الملك الجليل صاحب الباع الطويل أعلم أن الذي أرسلنا إليك الملك أفريدون صاحب البلاد اليونانية والعساكر النصرانية المقيم بمملكة القسطنطينية يعلمك أبه اليوم في حرب شديد مع جبار عنيد وهو صاحب قيسارية والسبب في ذلك أن بعض ملوك العرب اتفق أنه وجد في بعض الفتوحات كنزاً من قديم الزمان من عهد الاسكندر فنقل منه أموالاً لا تعد ولا تحصى ومن جملة ما وجد فيه ثلاث خرزات مدورات على قدر

بيض النعام وتلك الخرزان من أعلى الجواهر الأبيض الخالص الذي لا يوجد له نظير وكل خ رزة منق وش عليها بالقلم اليوناني أمور من الأسرار ولهن منافع وخواص كثيرةومن خواصهن أن كل مولود علقت علي ه خرزة منهن لم يصبه ألم ما دامت الخرزة معلقة عليه ولا يحلم ولا يسخن فلما وضع يديه عليها ووق ع به ا وعرف ما فيها من الأسرار إلى الملك أفريدون هدية من التحف والمال ومن جملتها الثلاث خرزات وجه ز مركبين واحدة فيها مال والأخرى فيها رجال تحفظ تلك الهدايا ممن يتعرض لها في البحر وكان يعرف م ن نفسه أنه لا أحد يقدر أن يتعدى عليه لكونه ملك العرب لا سيما وطريق المراكب التي فيها الهدا يا في البحر الذي في مراكبه مملكة القسطنطينية وهي متوجهة إليه وليس في سواحل ذلك البحر إلاوصاياه فلم ا جه ز المركبين سافرا إلى أن قربا من بلادنا فخرج عليهما بعض قطاع الطريق من تلك الأرض وفيهم عساكر من عند صاحب قيسارية فأخذوا جميع ما في المركبين من التحف والأموال والذخائر والثلاث خ رزات وقتل وا الرجال فبلغ ذلك ملكنا فأرسل إليهم عسكراً فهزموه فأرسل إليهم عسكراً أقوى من الأول فهزموه أيضاً فعن د ذلك أغتاظ الملك وأقسم أنه لا يخرج إليهم إلا بنفسه في جميع عسكره وأنه لا يرجع ع نهم حت ى يخ رب قيسارية ويترك أرضها وجميع البلاد التي يحكم عليها ملكها خراباً والمراد من صاحب القوة والسلطان الملك عمر النعمان أن يمدنا بعسكر من عنده حتى يصير له الفخر وقد أرسل إليك ملكنا معنا شيئاً من أنواع الهدايا ويرجو من أنعامك قبولها والتفضل عليه بالأنجاز ثم أن الرسل قبلوا الأرض بين يدي الملك عمر النعم ان. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن رسل ملك القسطنطينية قبلوا الأرض بين يدي الملك عمر النعمان بعد أن حكوا له ثم أعلموه بالهدية وكانت الهدية خمسين جارية من خواص بلاد الروم وخمسين مملوك اً عل يهم أقبية من الديباج بمناطق من الذهب والفضة وكل مملوك في أذنه حلقة من الذهب فيها لؤلؤة تس اوي أل ف مثقال من الذهب والجواري كذلك وعليهم من القماش ما يساوي مالا جزيلاً فلما رآهم الملك قبلهم وفرح بهم وأمر باكرام الرسل وأقبل على وزرائه يشاورهم فيما يفعل فنهض من بينهم وزير وكان شيخاً كبيراً يقال ل ه دندان فقبل الأرض بين يدي الملك عمر النعمان وقال أيها الملك ما في الأمر أحسن من أنك تجهز عس كراً جـ . . . . رارا

وتجعل قائدهم ولدى شركان ونحن بين يديه غلمان وهذا الرأى أحسن لوجهين الأول أن ملك الروم قد استجار بك وأرسل إليك هدية فقبلتها والوجه الثاني أن العدو لا يجسر على بلادنا فإذا منع عسكرك عن ملك ال روم وهزم عدوه ينسب هذا الأمر إليك ويشيع ذلك في سائر الأقطار والبلاد ولا سيما إذا وصل الخبر إلى جزائر البحر وسمع بذلك أهل المغرب فأنهم يحملون إليك الهدايا والتحف والأموال فلما سمع الملك هذا الكلام م ن وزيره دندان أعجبه واستصوبه وخلع عليه وقال له مثلك من تستشيره الملوك وينبغي أن تكون أنت في مقدم العسكر وولدي شركان في ساقة العسكر ثم أن الملك أمر بإحضار ولده فلما حضر قص عليه القصة وأخبره بما قاله الرسل وبما قاله الوزير دندان وأوصاه بأخذ الأهبة والتجهيز للسفر وأنه لا يخالف الوزير دندان فيما يشور به عليه وأمره أني ينتخب من عسكره عشرة آلاف فارس كاملين العدة صابرين على الش دة فامتث ل

شركان ما قاله والده عمر النعمان وقام في الوقت واختار من عسكره عشرة آلاف فارس ثم دخ ل قصد ره وأخرج مالا جزيلاً وأنفق عليهم المال وقال لهم قد أمهلتكم ثلاثة أيام فقبلوا الأرض بين يديه مطيعين لأم ره ثم خرجوا من عنده وأخذوا في الأهبة وإصلاح الشأن ثم أن شركان دخل خزائن السلاح وأخذ غير ذلك وبعد ذلك أقاموا ثلاثة أيام ثم خرجت العساكر إلى ظاهر المدينة وخرج عمر النعمان لوداع ولده شر ركان فقب ل الأرض بين يديه وأهدى له سبع خزائن من المال وأقبل على الوزير دندان وأوصاه بعسكر ولده شركان فقبل الأرض بين يديه وأجابه بالسمع والطاعة وأقبل الملك على ولده شركان وأوصاه بمشاورة الوزير دندان ف ي سائر الأمور فقبل ذلك ورجع والده إلى أن دخل المدينة ثم أن شركان أمر كبار العسكر بعرضهم عليه وكانت عدتهم عشرة آلاف فارس غير ما يتبعهم ثم أن القوم حملوا ودقت الطبول وصاح النفير وانتش رت الأع لام تخفق على رؤوسهم ولم يزالوا سائرين والرسل تقدمهم إلى أن ولى النهار وأقبل اللليل فنزل وا وأس تراحوا وباتوا تلك الليلة فلما أصبح الصباح ركبوا وساروا ولم يزالوا سائرين والرسل يدلونهم على الطري ق م دة عشرين يوما ثم أشرفوا في اليوم الحادي والعشرين على واد واسع الجهات كثير الأش جار والنب ات وك ان وصولهم إلى ذاك الوادي ليلاً فأمرهم شركان بالنزول والإقامة فيه ثلاثة أيام فنزل العساكر وضربوا الخي ام وافترق العسكر يميناً وشمالاً ونزل الوزير دندان وصحبته رسل أفريدون صاحب القسطنطينية في وسط ذلك الوادي وأما الملك شركان فإنه كان في وقت وصول العسكر وقف بعدهم ساعة حتى نزلوا جميعهم وتفرق وا في جوانب الوادي ثم أنه أرخى عنان جواده وأراد أن يكشف ذلك الوادي ويتولى الحرس بنفسه لأجل وصية والده أياه فإنهم في أول بلاد الروم وأرض العدو فسار وحده بعد أن أمر مماليكه وخواص ه ب النزول عن د الوزير دندان ثم أنه لم يزل سائراً على ظهر جواده في جوانب الوادي إلى أن مضى من الليل ربعه فتع ب وغلب عليه النوم فصار لا يقدر أن يركض الجواد وكان له عادة أنه ينام على ظهر جواده فلما هج م علي ه النوم نام ولم يزل الجواد سائراً به إلى نصف الليل فدخل به في بعض الغابات وكانت تل ك الغاب ة كثي رة الأشجار فلم ينتبه شركان حتى دق الجواد بحافره في الأرض فاستيقظ فوجد نفسه بين الأشجار وقد طلع عليه القمر وأضاء في الخافقين فاندهش شركان لما رأى نفسه في ذلك المكان وقال كلمة لا يخجل قائلها وه ي لا حول ولا قوة إلا بالله فبينما هو كذلك خائف من الوحوش متحيرا لا يدري أين يتوجه فلما رأى القمر أشرف على مرج كأنه من مروج الجنة سمع كلاماً مليحاً وصوتاً عالياً وضحكاً يسبى عقول الرجال فن زل المل ك شركان عن جواده في الأسحار ومشى حتى أشرف على نهر فرأى فيه الماء يجري وسمع كلام أمرأة ت تكلم بالعربية وهي تقول وحق المسيح أن هذا منكن غير مليح ولكن كل من تكلم ت بكلم ة ص رعتها وكتفته ا بزيارها كل هذا وشركان يمشي إلى جهة الصور حتى انتهى إلى طرف المكان ثم نظر ف إذا بنه ر مس ح وطيور تمرح وغزلان تسنح ووحوش ترتع والطيور بلغاتها المعاني الحظ تنشرح وذلك المك ان م زركش بأنواع النبات كما قيل في أوصاف مثله هذا أن البيتان:

م ا تحس ن الأرض إلا عن د زهرته ا والم اء م ن فوقه ا يج ري بإرس ال
ص نع الإل ه العظ يم الش ان مقت دراً مغطى العطاي ا ومغط ي ك ل مفض ال

فنظر شركان إلى ذلك المكان فرأي فيه ديراً ومن داخل الدير قلعة شاهقة في أهواء في ضوء القمـ ـر وفي وسطها نهر يجري الماء منه إلى تلك الرياض وهناك امرأة بين يديها عشرة جـ ـوار كـ ـأنهن الأقمـ ـار وعليهن من أنواع الحلي والحلل ما يدهش الأبصار وكلهن أبكار بديعات كما قيل فيهن هذه الأبيات:

يشـ . . رق المـ . . رج بمـ . . ا فيـ . . ـه　　　　مـ . . . . ن البـ . . . يض العـ . . . . والي
زاد حسـ . . . . . . .ناً وجمـ . . . . .الاً　　　　مـ . . . . . ن بـ . . . ديعات الخـ . . . لال
كـ . . . . . .ل هيفـ . . . . . .اء قوامـ . . . . .اً　　　　ذات غـ . . . . .نج ودلال
راخيـ . . ـات الشـ . . ـعور كعناقيـ . . ـد　　　　الـ . . . .داوالي فاتنـ . . . .ات بعيـ . . . .ون
راميـ . . . .ات بالنبـ . . .ال مائسـ . . . .ات　　　　قـ . . .اتلات لصـ . . . .ناديد الرجـ . . . .ال

فنظر شركان إلى هؤلاء العشر جوار فوجد بينهن جارية كأنها البدر عند تمامه بحاجب مرجرج وجبين أبلج وطرف أهدب وصدغ معقرب كاملة في الذات والصفات كما قال الشاعر في مثلها هذه الأبيات:

تزهـ . ـو علـ . ـى بالحـ . ـاظ بـ . .ديعات　　　　وقـ . . ـدها مخجـ . . ـل للسـ . . ـمهريات
تبـ . .دو إليـ . . .ـا وخـ . .داها مـ . .وردة　　　　فيهـ ـا مـ ـن الظـ ـرف أنـ ـواع الملاحـ ـات
كـ .أن طرتهـ . ـا فـ . ـي نـ . ـور طلعتهـ . ـا　　　　ليـ .ـل يلـ .ـوح علـ .ـى صـ .ـبح المسـ .ـرات

فسمعها شركان وهي تقول للجواري تقدموا حتى أصارعكم قبل أن يغيب القمر ويأتي الصباح فصارت كل واحدة منهن تتقدم إليها فتصرعها في الحال وتكتفها بزنارها فلم تـ ـزل تصـ ـارعهن وتصـ ـرعهن حتـ ـى صرعت الجميع ثم التفتت إليها جارية عجوز كانت بين يديها وقالت لها وهي كالمغضبة عليهـ ـا يـ ـا فـ ـاجرة أتفرحين بصرعك للجواري فها أنا عجوز وقد صرعتهن أربعين مرة فكيف تعجبين بنفسك ولكن أن كان لك قوة على مصارعتي فصارعيني فإن أردت ذلك وقمت لمصارعتي أقوم لك وأجعـ ـل رأسـ ـك بـ ـين رجليـ ـك فتبسمت الجارية ظاهراً وقد امتلأت غيظاً منها باطناً وقامت إليها وقالت لها يا سيدتي ذات الـ ـدواهي بحـ ـق المسيح أتصارعينني حقيقة أو تمزحين معي قالت لها بل أصارعك حقيقة وأدرك شهرزاد الصـ ـباح فسـ ـكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية لما قالت لها أصارعك حقيقة قالت لها قومي للصراع أن كان لك قوة فلما سمعت العجوز منها اغتاظت غيظاً شديداً وقام شعر بدنها كأنه شعر فنفذ وقامت لهـ ـا الجاريـ ـة فقالت لها العجوز وحق المسيح لم أصارعك إلا وأنا عريانة يا فاجرة ثم أن العجوز أخذت منديل حرير بعـ ـد أن فكت لباسها وأدخلت يديها تحت ثيابها ونزعتها من فوق جسدها ولمت المنديل وشدته في وسطها فصارت كأنها عفريتة معطاء أو حية رقطاء ثم انحنت على الجارية وقالت لها أفعلي كفعلي كل هذا وشـ ـركان ينظـ ـر إليهما ثم أن شركان صار يتأمل في تشويه صورة العجوز ويضحك ثم أن العجوز لما فعلـ ـت ذلـ ـك قامـ ـت الجارية على مهل وأخذت فوطة يمانية وثنتها مرتين وشمرت سراويلها فبان لها ساقان من المرمر وفوقهمـ ـا كثيب من البللور ناعم مربرب وبطن يفوح المسك من أعكانه كأنه مصفح بشقائق النعمان وصدر فيه نهـ ـدان كفحلى رمان ثم أنحنت عليها العجوز تماسكا ببعضهما فرفع شركان رأسه إلى السماء ودعا الله أن الجاريـ ـة

تغلب العجوز فدخلت الجارية تحت العجوز ووضعت يدها الشمال في شفتها ويدها اليمين في رقبتها مع حلقها ورفعتها على يديها فانفلتت العجوز من يديها وأرادت الخلاص فوقعت على ظهرها فارتفعت رجلاه ا إل ى فوق فبانت شعرتها في القمر ثم ضربت ضربتين عفرتت أحداهما في الأرض ودخنت الأخرى ف ي الس ماء فضحك شركان منهما حتى وقع على الأرض ثم قام وسل حسامه والتفت يميناً وشمالاً فلم ي ر أح داً غي ر العجوز مرمية على ظهرها فقال في نفسه ما كذب من سماك ذات الدواهي ثم تقرب منهما ليسمع ما يج ري بينهما فأقبلت الجارية ورمت على العجوز ملاءة من حرير رفيعة وألبستها ثيابها واعتذرت إليها وقالت لها يا سيدتي ذات الدواهي ما أردت إلا صرعك لأجل جميع ما حصل لك ولكن أنت أنفلت من بين يدي فالحمد لله على السلامة فلم ترد عليها جواباً فقامت تمشي من خجلها ولم تزل ماشية إلى أن غابت عن البصر وصارت الجواري مكتفات مرميات والجارية واقفة وحدها فقال شركان في نفسه لكل رزق سبب ما غلب على الن وم وسار بي الجواد إلى هذا المكان إلا لبختي فلعل هذه الجارية وما معها يكون غنيمة لي ثم ركب جواده ولكزه ففر به كالسهم إذا فر من القوس وبيده حسامه مجرد من غلافه ثم صاح الله أكبر فلما رأته الجارية نهض ت قائمة وقالت اذهب إلى أصحابك قبل الصباح لئلا يأتيك البطارقة فيأخذوك على أسنة الرماح وأنت ما فيك قوة لدفع النسوان فكيف تدافع الرجال الفرسان فتحير شركان في نفسه وقال لها وقد ولت عنه معرض ة لقص د الدير يا سيدتي أتذهبين وتتركين المتيم الغريب المسكين الكسيرالقلب فالتفتت إليه وهي تضحك ثم قالت له ما حاجتك فإني أجيب دعوتك فقال كيف أطأ أرضك وأتحلى بحلاوة لطفك وأرجع بلا أكل م ن طعام ك وق د صرت من بعض خدامك فقالت لا يأبى الكرامة إلا لئيم تفضل باسم الله على الرأس والعين وأركب ج وادك وسر على جانب النهر مقابلي فأنت في ضيافتي ففرح شركان وبادر إلى جواده وركب ومازال ماشياً مقابلها وهي سائرة قبالته إلى أن وصل إلى جسر معمول بأخشاب من الجوز وفيه بكر بسلاسل من البولاد وعليه ا أقفال في كلاليب فنظر شركان إلى ذلك الجسر وإذا بالجواري اللاتي كن معها في المصارعة قائمات ينظرن إليها فلما أقبلت عليهن كلمت جارية منهن بلسان الرومية وقالت لها قومي إليه وأمسكي عنان جواده ثم سيري به إلى الدير فسار شركان وهي قدامه إلى أن عدي الجسر وقد اندهش عقله مما رأى وقال في نفسه يا لي ت الوزير دندان كان معي في هذا المكان وتنظر عيناه إلى تلك الجواري الحسان ثم التفت إلى تلك الجارية وقال لها يا بديعة الجمال قد صار لي عليك الآن حرمتان حرمة الصحبة وحرمة سيري إلى منزلك وقبول ضيافتك وقد صرت تحت حكمك وفي عهدك فلو أنك تنعمين على بالمسير إلى بلاد الإسلام وتتفرجين على كل أس د ضرغام وتعرفين من أنا فلما سمعت كلامه اغتاظت منه وقالت له وحق المسيح لقد كنت عندي ذا عقل ورأى ولكني أطلعت الآن على ما في قلبك من الفساد وكيف يجوز لك أن تتكلم بكلمة تنسب بها إلى الخداع كي ف أصنع هذا وأنا أعلم متى حصلت عند ملككم عمر النعمان لا أخلص منه لأنه ما في قصوره مثلي ولو ك ان صاحب بغداد وخراسان وبنى له أثنى عشر قصراً في كل قصر ثلثمائةوست وستون جارية على ع دد أي ام السنة والقصور عدد أشهر السنة وحصلت عنده ما تركني لأن اعتقادكم أنه يحل لكم التمتع بمثلي كم ا ف ي كتبكم حيث قيل فيها أوما ملكت أيمانكم فكيف تكلمني بهذا الكلام وأما قولك وتتفرجين على شجعان المسلمين فوحق المسيح أنك قلت قولاً غير صحيح فأني رأيت عسكركم لما استقبلتم أرضنا وبلادنا في هذين الي ومين

فلما أقبلتم لم أر تربيتكم تربية ملوك وأنما رأيتكم طوائف مجتمعة وأما قولك تعرفين من أنا فأنا لا أصنع معك جميلاً لأجل أجلالك وأنما أفعل ذلك لأجل الفخر ومثلك ما يقول لمثل ذلك ولو كنت شركان بن الملك عمر النعمان الذي ظهر في هذا المكان فقال شركان في نفسه لعلها عرفت قدوم العساكر وعرفت عدتهم وأنهم عشرة آلاف فارس وعرفت أن والدي أرسلهم معي لنصرة ملك القسطنطينية ثم قال شركان يا سيدتي أقسمت عليك بمن تعتقدين من دينك أن تحدثيني بسبب ذلك حتى يظهر لي الصدق من الكذب ومن يكون عليه وبالي ذلك فقالت له وحق ديني لولا أن خفت أن يشيع خبري أني من بنات الروم لكنت خاطرت بنفسي وبارزت العشرة آلاف فارس وقتلت مقدمهم الوزير دندان وظفرت بفارسهم شركان وما كان على من ذلك عار ولكني قرأت الكتب وتعلمت الأدب من كلام العرب ولست أصف لك نفسي بالشجاعة مع أنك رأيت مني العلامة والصناعة والقوة في الصراع والبراعة ولو حضر شركان مكانك في هذه الليلة وقيل له نط هذا النهر لاذعن وأعترف بالعجز وأني أسأل المسيح أن يرميه بين يدي في هذا الدير حتى أخرج له في صفة الرجال أو أسره وأجعله في الأغلال وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الصبية النصرانية لما قالت هذا الكلام لشركان وهو يسمعه أخذته النخوة والحمية وغيره الأبطال وأراد أن يظهر لها نفسه ويبطش بها ولكن رده عنها فرط جمالها وبديع حسنها فأنشد هذا البيت:

وإذا المليح أتى بذنب واحد ... جاءت محاسنه بألف شفيع

ثم صعدت وهو في أثرها فنظر شركان إلى ظهر الجارية فرأى أردافها تتلاطم كالأمواج في البحر الرجراج فأنشد هذه الأبيات:

في وجهها شافع يمحو إساءتها ... من القلوب وجيه حيثما شفعا
إذا تأملته ناديت من عجب ... البدر في ليلة الإكمال قد طلعا
لو أن عفريت بلقيس يصارعها ... مع فرط قوته في ساعة صرعا

ولم يزالا سائرين حتى وصلا إلى باب مقنطر وكانت قنطرته من رخام ففتحت الجارية الباب ودخلت ومعها شركان وسار إلى دهليز طويل مقبى على عشر قناطر معقودة وعلى كل قنطرة قنديل من البلور يشتعل كاشتعال الشمس فلقيها الجواري في آخر الدهليز بالشموع المطيبة وعلى رؤسهن العصائب المزركشة بالفصوص من أصناف الجواهر وسارت وهن أمامها وشركان ورائها إلى أن وصلها إلى الدبر فوجد بدائر ذلك الدير أسرة مقابلة لبعضها وعليها ستور مكللة بالذهب وأرض الدير مفروشة بأنواع الرخام المجزع وفي وسطه بركة ماء عليها أربع وعشرون قارورة من الذهب والماء يخرج منها كاللجين ورأي في الصدر سريراً مفروشاً بالحرير الملوكي فقالت له الجارية أصعد يا مولاي على هذا السرير فصعد شركان فوق السرير وذهبت الجارية وغابت عنه فسأل عنها بعض الخدام فقالوا له أنها ذهبت إلى مرقدها ونحن نخدمك كما أمرت ثم أنها قدمت إليه من غرائب الألوان فأكل حتى اكتفى ثم بعد ذلك قدمت إليه طشتاً وأبريقاً من الذهب فغسل يديه وخاطره مشغول بعسكره لكونه لا يعلم ما جرى لهم بعد ويتذكر أيضاً كيف نسي وصية

أبيه فصار متحيراً في أمره نادماً على ما فعل إلى أن طلع الفجر وبان النهار وهو يتحسر عل ى م ا فع ل وصار مستغرقاً في الفكر وأنشد هذه الأبيات:

لـ . . م أعـ . . دم الحـ . . زم ولكننـ . . ي دهيـ . ـت فـ . ـي الأمـ . ـر فمـ . ـا حيلتـ . ـي
لـ و كـ ـان مـ ـن يكشـ ـف عنـ ـي الهـ ـوى برئـ . ـت مـ . ـن حـ . ـولي ومـ . ـن قـ . ـوتي
وأن قلبـ . ـي فـ . ـي ضـ . ـلال الهـ . ـوى صـ . ـب وأرجـ . ـو الله فـ . ـي شـ . ـدتي

فلما فرغ من شعره رأى بهجة عظيمة قد أقبلت فنظر فإذا هو بأكثر من عشرين جارية كالأقمار حول تلك الجارية وهي بينهن كالبدر بين الكواكب وعليها ديباج ملوكي وفي وسطها زنا مرصع بأنواع الجـ واهر وقد ضم خصرهما وأبرز ردفها فصارا كأنهما كثيب بللور تحت قضيب من فضة ونهداها كفحلى رمان فلما نظر شركان ذلك كاد عقله أن يطير من الفرح ونسى عسكره ووزيره وتأمل رأسها فرأي عليها شـ بكة مـ ـن اللؤلؤ مفصلة بأنواع الجواهر والجواري عن يمينها ويسارها يرفعن أذيالها وهي تتمايل عجباً فعند ذلك وثب شركان قائماً على قدميه من هيبة حسنها وجمالها فصاح واحيرتاه من هذا الزنار وأنشد هذه الأبيات:

ثقيلـ . . . . . ـة الأرداف مائلـ . . . . . ـة خرعوبـ . . . ـة ناعمـ . . . ـة النهـ . . . ـد
تكتمـ . ـت مـ . ـا عنـ . ـدها مـ . ـن جـ . ـوي ولسـ . . ـت أكـ . . ـتم الـ . . ـذي عنـ . . ـدي
خـ . . ـداعها يمشـ . . ـين مـ . . ـن خلفهـ . . ـا كالقيـ . ـل فـ . ـي حـ . ـل وفـ . ـي عقـ . ـد

ثم أن الجارية جعلت تنظر إليه زماناً طويلاً وتكرر فيه النظر إلى أن تحققته وعرفته فقالت له بعـ ـد أن أقبلت عليه قد أشرق بك المكان يا شركان كيف كانت ليلتك يا همام بعد ما مضينا وتركناك ثم قالـ ـت لـ ـه أن الكذب عند الملوك منقصة وعار ولا سيما عند أكابر الملوك وأنت شركان ابن عمر النعمان فلا تنكر نفسـ ـك وحسبك ولا تكتم أمرك عني ولا تسمعني بعد ذلك غير الصدق لأن الكذب يورث البغض والعداوة فقـ ـد نفـ ـذ فيك سهم القضا فعليك بالتسليم والرضا فلما سمع كلامها لم يمكنه الإنكار فأخبرها بالصدق وقـ ـال لهـ ـا أنـ ـا شركان بن عمر النعمان الذي عذبني الزمان وأوقعني في هذا المكان فمهما شـ ـئت فافعليـ ـه الآن فاطرقـ ـت برأسها إلى الأرض زماناً طويلاً ثم التفتت إليه وقالت له طب نفساً وقرعينا فإنك ضيفي وصار بيننا وبينـ ـك خبز وملح وحديث ومؤانسة فأنت في ذمتي وفي عهدي فكن آمناً وحق المسـ ـيح لـ ـو أراد أهـ ـل الأرض أن يؤذوك لما وصلوا إليك إلا أن خرجت روحي من أجلك ولو كان خاطري في قتلك لقتلتك في هذا الوقت ثـ ـم تقدمت إلى المائدة وأكلت من كل لون لقمة فعند ذلك أكل شركان ففرحت الجارية وأكلت معه إلى أن أكتفيـ ـا وبعد أن غسلا أيديهما قامت وأمرت جارية أن تأتي بالرياحين وآلات الشراب من أواني الـ ـذهب والفضـ ـة والبلور وأن يكون الشراب من سائر الألوان المختلفة والأنواع النفسية فأتتها بجميع ما طلبته ثم أن الجاريـ ـة ملأت أولاً القدح وشربته قبله كما فعلت في الطعام ثم ملأت ثانياً وأعطته أياه فشرب فقالت له يا مسلم انظر كيف أنت في ألذ عيش ومسرة ولم تزل تشرب معه إلى أن غاب عن رشده وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية مازالت تشرب وتسقى شركات إلى أن غاب عن رشده مـ ن الشراب ومن سكر محبتها ثم أنها قالت الجارية يامرجانة هات لنا شيئاً من آلات الطرب فقالت سمعاً وطاعة ثم غابت لحظة وأتت بعود جلقى وجنك عجمي وناي تترى وقانون مصري فأخذت الجارية العود وأصـ لحته وشدت أوتاره وغنت عليه بصوت رخيم أرق من النسيم وأعذب من ماء التسـ نيم وأنشـ دت مطربـ ـة بهـ ذه الأبيات:

عفا الله عـ ن عينيـ ك كـ م سـ فكت دمـ ـا وكـ .م فوق .ت مذ .ك اللـ .واحظ أسـ .هما

أجـ . ل حبيبـ . اً حـ . ائراً فـ . ي حبيبـ . ـه حـ . رام عليـ . ـه أن يـ . رق ويرحمـ . ـا

هنيئـ . .اً لطـ . .رف فيـ . .ك مسـ . .هدا وطـ .وبي لقلـ .ب ظـ .ل فيـ .ك متيمـ .اً

تحكمـ .ت فـ .ي قتلـ .ي فإنـ .ك مـ .الكي بروحـ . ي أفـ . دي الحـ . اكم المتحكمـ . ـا

ثم قامت واحدة من الجواري ومعها آلتها وأنشدت تقول عليها أبيات بلسان الرومية فطرب شركان ثـ م غنت الجارية سيدتهن أيضاً وقالت يا مسلم أما فهمت ما أقول قال لا ولكن ما طربت إلا على حسن أنا ملـ ك فضحكت وقالت له أن غنيت لك بالعربية ماذا تصنع فقال ما كنت أتمالك عقلي فأخذت آلة الطرب وغيـ رت الضرب وأنشدت هذه الأبيات:

طعـ .م التفريـ .ق مـ .ر فهـ .ل لـ . ذلك صـ . .بر تعرضـ . .ت لـ . .ي بـ . .ثلاث

سـ .د وبـ .ين وهجـ .ر أهـ .وى ظريفـ .اً سـ . باني بالحسـ . ـن والهجـ . ـر مـ . ـر

فلما فرغت من شعرها نظرت إلى شركان فوجدته قد غاب عن وجوده ولم يزل مطروحاً بينهن ممدوداً ساعة ثم أفاق وتذكر الغناء فمال طرباً ثم أن الجارية هي وشركان على الشراب ولم يزالا في لعب ولهو إلى أن ولى النهار بالرواح ونشر الليل الجناح فقامت إلى مرقدها فسأل شركان عنها فقالوا له أنها مضـ ت إلـ ى مرقدها فقال في رعاية الله وحفظه فلما أصبح أقبلت عليه الجارية وقالت له أن سيدتي تدعوك إليها فقام معها وسار خلفها فلما قرب من مكانها زفته الجواري بالدفوف والمغاني إلى أن وصل إلى باب كبير مـ ن العـ اج مرصع بالدر والجوهر فلما دخلوا منه وجد داراً كبيرة أيضاً وفي صدرها إيوان كبير مفروش بأنواع الحرير وبدائر ذلك الأيوان شبابيك مفتحة مطلة على أشجار وأنهار وفي البيت صور مجسمة يـ دخل فيهـ ا الهـ واء فتتحرك في جوفها آلات فيتخيل للناظر أنها تتكلم والجارية جالسة تنظر إليهم فلما نظرته الجاريـ ـة نهضـ ت قائمة إليه وأخذت يده وأجلسته بجانبها وسألته عن مبيته فدعا لها ثم جلسا يتحدثان فقالت له أتعرف شيئاً ممـ ـا يتعلق بالعاشقين والمتيمين فقال نعم أعرف شيئاً من الأشعار فقالت اسمعني فأنشد هذه الأبيات:

لا لا أبـ . ـوح بحـ . ـب عـ . ـزة أنهـ . ـا أخـ . ـذت علـ . ـى مواثقـ . ـاً وعهـ . ـودا

رهبـ . ـان مـ . دين والـ . ذين عهـ . دتهم يبكـ .ون مـ .ن جـ .ذر العـ .ذاب قعـ .وداً

لـ .و يسـ .معون كمـ .ا سـ .معت حـ .ديثها خـ . ـروا لعـ . ـزة ركعـ . ـاً وسـ . ـجودا

فلما سمعته قالت لقد كان كثير باهر في الفصاحة بارع البلاغة لأنه بالغ في وصفة العزة حيـ ث قـ ال وأنشدت هذين البيتين:

لو أن عـ زة حاكمـ ت شـ مس الضـ حى في الحسـ ن عنـ د موفـ ق لقضـ ي لهـ ا

وسـ ـعت إلـ ـى بغيـ ـب عـ ـزة نسـ ـوة جعـ ـل الإلـ ـه خـ ـدودهن نهالهـ ـا

ثم قالت وقيل أن عزة كانت في نهاية الحسن والجمال ثم قالت له يا ابن الملك أن كنت تعرف شيئاً من كلام قبل فأنشد يا منه ثم قال أني أعرف به من كل واحد ثم أنشد من شعر جميل هذا البيت:

تريـ ـدين قتلـ ـي لا تريـ ـدين غيـ ـره ولسـ ـت أرى قصـ ـد أسـ ـواك أريـ ـد

فلما سمعت ذلك قالت له أحسنت يا ابن الملك ما الذي أرادته عزة بجميل حتى قال هـ ذا الشـ طر أي تريدين قتلي لا تردين غيره. فقال لها شركان يا سيدتي لقد أرادت به ما تريدين مني ولا يرضيك فضـ حكت لما قال لها شركان هذا الكلام ولم يزالا يشربان إلى أن ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكـ ار فقامـ ت الجاريـ ـة وذهبت مرقدها ونامت ونام شركان في مرقده إلى أن أصبح الصبح فلما أفاق أقبلت عليه الجواري بالـ دفوف وآلات الطرب على العادة وقبلن الأرض بين يديه وقلن له تفضل فإن سيدتنا تدعوك إلى الحضور عندها فقام شركان ومشي والجواري حوله يضربن بالدفوف والآلات إلى أن خرج من تلك الدار ودخـ ل داراً غيرهـ ـا أعظم من الأولى وفيها من التماثيل وصور الطيور والوحوش مالا يوصف فتعجب شركان مما رأى من صنع ذلك المكان فأنشد هذه الأبيات:

أجنـ ـي رقيبـ ـي مـ ـن ثمـ ـار قلائـ ـد در النحـ ـور منضـ ـداً بالعسـ ـجد
وعيـ ـون مـ ـاء مـ ـن سـ ـبائك قصـ ـة وخـ ـدود ورد فـ ـي وجـ ـوه زبرجـ ـد
فكأنمـ ـا لـ ـون البنفسـ ـج قـ ـد حكـ ـى زرق العيـ ـون وكحلـ ـت بالأثمـ ـد

فلما رأت الجارية شركان قامت له وأخذت يده وأجلسته إلى جانبها وقالت له أنت ابـ ن الملـ ك عمـ ر النعمان فهل تحسن لعب الشطرنج فقال نعم ولكن لا تكوني كما قال الشاعر:

أقـ ـول والوجـ ـد يطـ ـويني وينشـ ـرني ونهلـ ـة مـ ـن رضـ ـاب الحـ ـب ترويـ ـني
حضرت شطرنج مـ ـن أهـ ـوى فلاعبـ ـي بالبيض والسود ولكـ ـن لـ ـيس يرضـ ـيني
كأنمـ ـا الشـ ـاة عنـ ـد الـ ـرخ موضـ ـعه وقـ ـد تفقـ ـد دسـ ـتا بـ ـالفرازين
فـ ـإن نظـ ـرت إلـ ـى معنـ ـى لواحظهـ ـا فـ ـإن ألحاظهـ ـا يـ ـا قـ ـوم ترديـ ـني

ثم قدم له الشطرنج ولعبت معه فصار شركان كلما أراد أن ينظر إلى نقلها نظر إلى وجههـ ـا فيضـ ـع الفرس موضع الفيل ويضع الفيل موضع الفرس فضحكت وقالت إن كان لعبك هكذا فأنت لا تعرف شيئاً فقال هذا أول دست لا تحسبيه فلما غلبته رجع وصف القطع ولعب معها فغلبته ثانياً وثالثاً ورابعـ ـاً وخامسـ ـاً ثـ ـم التفتت إليه وقالت له أنت في كل شيء مغلوب فقال يا سيدتي مع مثلك يحسن أن أكون مغلوبـ ـاً ثـ ـم أمـ ـرت بإحضار الطعام فأكلا وغسلا أيديهما وأمرت بإحضار الشراب فشربا وبعد ذلك أخذت القـ ـانون وكـ ـان لهـ ـا بضرب القانون معرفة جيدة فأنشدت هذه الأبيات:

الـ ـدهر مـ ـا بـ ـين مطـ ـوي ومبسـ ـوط ومثلـ ـه مثـ ـل مجـ ـرور ومخـ ـروط
فاشرب علـ ـى حسـ ـنه أن كنـ ـت مقتـ ـدرا أن لا تفـ ـارقني فـ ـي وجـ ـه التفـ ـريط

ثم أنهما لم يزالا على ذلك إلى أن دخل الليل فكان ذلك اليوم أحسن من اليوم الذي قبله فلما أقبل الليل مضت الجارية إلى مرقدها وأنصرف شركان إلى موضعه فنام إلى الصباح ثم أقبلت عليه الجواري بالدفوف وآلات الطرف وأخذوه على العادة إلى أن وصلوا إلى الجارية فلما رأته نهضت قائمة وأمسكته من يده وأجلسته بجانبها وسألته عن مبيته فدعا لها بطول البقاء ثم أخذت العود وأنشدت هذين البيتين:

لأتركنن إلى الفراق فإنه مر المذاق

الشمس عند غروبها تصفر من ألم الفراق

فبينما هما على هذه الحالة وإذا هما بضجة فالتفتا فرأيا رجالاً وشباناً مقبلين وغالبهم بطارقة وبأيديهم السيوف مسلولة تلمع وهم يقولون بلسان الرومية وقعت عندنا يا شركان فأيقن بالهلاك فلما سمع شركان هذا الكلام قال في نفسه لعل هذه الجارية الجميلة خدعتني وأمهلتني إلى أن جاءت رجالها وهم البطارقة الذين خوفتني بهم ولكن أنا الذي جنيت على نفسي وألقيتها في الهلاك ثم التفت إلى الجارية ليعاتبها فوجد وجهها قد تغير بالأصفرار ثم وثبت على قدميها وهي تقول لهم من أنتم فقال لها البطريق المقدم عليهم أيتها الملكة الكريمة والدرة اليتيمة أما تعرفين الذي عندك من هو قالت له لا أعرفه فمن هو فقال لها هذا مخرب البلدان وسيد الفرسان هذا شركان بن الملك عمر النعمان هذا الذي فتح القلاع وملك كل حصن مناع وقد وصل خبره إلى الملك حردوب والدك من العجوز ذات الدواهي وتحقق ذلك والدك ملكنا نقلاً عن العجوز وها أنت قد نصرت عسكر الروم بأخذ هذا الأسود المشئوم فلما سمعت كلام البطريق نظرت إليه وقالت له ما إسمك قال لها إسمي ماسورة بن عبدك موسورة بن كاشردة بطريق البطارقة قالت له كيف دخلت على بغير أذني فقال لها يا مولاتي أني لما وصلت إلى الباب ما منعني حاجب ولا بواب بل قام جميع البوابين ومشوا بين أيدينا كما جرت به العادة أنه إذا جاء أحد غيرنا يتركونه واقفاً على الباب حتى يستأذنوا عليه بالدخول وليس هذا وقت أطالة الكلام والملك منتظر رجوعنا إليه بهذا الملك الذي هو شرارة جمرة عسكر الإسلام لأجل أن يقتله ويرحل عسكره إلى المواضع الذي جاءوا منه من غير أن يحصل لنا تعب في قتالهم فلما سمعت الجارية هذا الكلام قالت له أن هذا الكلام غير حسن ولكن قد كذبت العجوز ذات الدواهي فإنها قد تكلمت بكلام باطل لا تعلم حقيقته وحق المسيح أن الذي عندي ما هو شركان ولا أسرته ولكن رجل آتي إلينا وقدم علينا فطلب الضيافة فأضفناه فإن تحققنا أنه شركان بعينه وثبت عندنا إنه هو من غير شك فلا يليق بمروءتي أني أمكنكم منه لأنه دخل تحت عهدي وذمتي فلا تخونوني في ضيق ولا تفضحوني بين الأنام بل ارجع أنت إلى الملك أبي وقبل الأرض بين يديه وأخبره بأن الأمر بخلاف ما قالته العجوز ذات الدواهي فقال البطريق ماسورة يا أبريزة أنا ما أقدر أن أعود إلى الملك إلا بغريمه فلما سمعت هذا الكلام قالت لاكان هذا الأمر فإنه عنوان للسفه لأن هذا رجل واحد وأنتم مائة بطريق فإذا أردتم مصادمته فأبرزوا له واحداً بعد واحد ليظهر عند الملك من هو البطل منكم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملكة أبريزة لما قالت للبطريق ذلك قال وحق المسيح لقد قلت الحق ولكن ما يخرج له أولاً غيري فقالت الجارية أصبر حتى أذهب إليه وأعرفه بحقيقة الأمر وأنظر ما عنده من

الجواب فإن أجاب الأمر كذلك وأن أبي فلا سبيل لكم إليه وأكون أنا ومن في الدير وجواري فداءه ثم أقبلت على شركان وأخبرته بما كان فتبسم وعلم أنها لم تخبر أحداً بأمره وأنما شاع خبره حتى وصل إلى الملك بغير إرادتها فرجع باللوم على نفسه وقال كيف رميت روحي في بلاد الروم ثم أنه لما سمع كلام الجارية قال لها أن ابرزوهم لي واحد بعد واحد حجاف بهم فهلا يبرزون لي عشرة بعد عشرة وبعد ذلك وثب على قدميه وسار إلى أن أقبل عليهم وكان معه سيفه وآلة حربة فلما رآه البطريق وثب إليه وحمل عليه فقابله شركان كأنه الأسد وضربه بالسيف على عاتقه فخرج السيف يلمع من أمعائه فلما نظرت الجارية ذلك عظم قدر شركان عندها وعرفت أنها لم تصرعه حين صرعته بقوتها بل بحسنها وجمالها ثم أن الجارية أقبلت على البطارقة وقالت لهم خذوا بثار صاحبكم فخرج له أخو المقتول وكان جباراً عنيداً فحمل على شركان فلم يمهله شركان دون أن ضربه بالسيف على عاتقه فخرج السيف يلمع من أمعائه فعند ذلك نادت الجارية وقالت يا عباد المسيح خذوا بثار صاحبكم فلم يزالوا يبرزوا إليه واحداً بعد واحد وشركان يلعب فيهم بسيفه حتى قتل منهم خمسين بطريقاً والجارية تنظر إليهم وقد قذف الله الرعب في قلوب من بقي منهم وقد تأخروا عن البراز ولم يجسروا على البراز إليه بل حملوا عليه حملة واحدة بأجمعهم وحمل عليهم بقلب أقوى من الحجر إلى أن طحنهم طحن الدروس وسلب منهم العقول والنفوس فصاحت الجارية على جواريها وقالت لهن من بقي في الدير فقلن لها لم يبق أحد إلا البوابين ثم أن الملكة لاقته وأخذته بالأحضان وطلع شركان معها إلى القصر بعد فراغه من الحرب وكان قد بقي منهم قليل كامن له في زوايا الدير فلما نظرت الجارية إلى ذلك القليل قامت من عند شركان ثم رجعت إليه وعليها زردية ضيقة العيون ذلك معبرة في بلاد الروم ثم أنها تأملت البطارقة فوجدتهم قد قتل منهم ثمانون وانهزم منهم عشرون فلما نظرت إلى ما صنع بالقوم قالت له بمثلك تفتخر الفرسان فلله درك يا شركان ثم أنه قام بعد ذلك يمسح سيفه من دم القتلى وينشد هذه الأبيات:

وكم من فرقة في الحرب جاءت — تركت كماتهم طعم السباع
سلوا عني أن شئتم نوالي — جميع الخلق في يوم القراع
تركت ليوثهم في الحرب صرعى — على الرمضاء في تلك البقاع

فلما فرغ من شعره أقبلت عليه الجارية متبسمة وقبلت يده وقلعت الدرع الذي كان عليها فقال لها يا سيدتي لأي شيء لبست الدرع الزرد وشهرت حسامك قالت حرصاً عليك من هؤلاء اللئام ثم أن الجارية دعت البوابين وقالت لهم كيف تركتم أصحاب الملك يدخلون منزلي بغير أذني فقالوا لها أيتها الملكة ما جرى العادة أننا نحتاج إلى استئذان منك على رسل الملك خصوصاً البطريق الكبير فقالت لهم أظنكم ما أردتم إلا هتكي وقتل ضيفي ثم أمرت شركان أن يضرب رقابهم فضرب رقابهم وقالت لباقي خدامها أنهم يستحقون أكثر من ذلك ثم التفتت لشركان وقالت له الآن ظهر لك ما كان خافياً فها أنا أعلمك بقصتي أعلم أني بنت ملك الروم حردوب وأسمي أبريزة والعجوز التي تسمى ذات الدواهي جدتي أم أبي وهي التي أعلمت أبي بك ولابد أنها تدبر حيلة في هلاكي خصوصاً وقد قتلت بطارقة أبي وشاع أبي قد تحزبت مع المسلمين فالرأي السديد أنني أترك الإقامة هنا مادامت ذات الدواهي خلفي ولكن أريد منك أن تفعل معي مثل ما فعلت معك من الجميل فإن العداوة قد وقعت بيني وبين أبي فلا تترك من كلامي شيئاً فإن هذا كله ما وقع إلا من أجلك

فلما سمع شركان هذا الكلام طار عقله من الفرح واتسع صدره وانشرح وقال والله لا يصل إليك أحداً مادامت روحي في جسدي ولكن هل لك صبر على فراق والدك وأهلك قالت نعم فحلفها شركان وتعاهدا على ذلك فقالت الآن طاب قلبي ولكن بقي عليك شرط آخر فقال وما هو فقالت له أنك ترجع بعسكرك إلى بلادك فقال لها يا سيدتي أن أبي عمر النعمان أرسلني إلى قتال والدك بسبب المال الذي أخذه ومن جملته الثلاث خرزات الكثيرة البركات فقالت له طب نفساً وقر عيناً فها أنا أحدثك بحديثها وأخبرك بسبب معاداتنا الملك القسطنطينية وذلك أن لنا عيداً يقال له عيد الدير كل سنة تجتمع فيه الملوك من جميع الأقطار وبنات الأكابر والتجار ويقعدون فيه سبعة أيام وأنا من جملتهم فلما وقعت بيننا العداوة منعني أبي من حضور ذلك العيد مدة سبعة سنين فاتفق في سنة من السنين أن بنات الأكابر من سائر الجهات قد جاءت من أماكنها إلى الدير في ذلك العيد على العادة من جملة من جاء إليه بنت ملك القسطنطينية وكان يقال لها صفية فأقاموا في الدير ستة أيام وفي اليوم السابع انصرفت الناس فقالت صفية أنا ما أرجع إلى القسطنطينية إلا في البحر فجهزوا لها مركباً فنزلت فيها هي وخواصها فلما حلوا القلوع وساروا فبينما سائرون وإذا بريح قد خرج عليهم فأخرج المركب عن طريقها وكان هناك بالقضاء والقدر مركب نصارى من جزيرة الكافور وفيها خمس مائة أفرنجي ومعهم العدة والسلاح وكان لهم مدة في البحر فلما لاح لهم قلع المركب التي فيها صفية ومن معها من البنات انقضوا عليها مسرعين فما كان غير ساعة حتى وصلوا إلى تلك المركب ووضعوا فيها الكلاليب وجروها وحلوا قلوعهم وقصدوا جزيرتهم فما بعدوا غير قليل حتى انعكس عليهم الريح فجذبهم إلى شعب بعد أن مزق قلوع مركبهم وقربهم منا فخرجنا فرأينا غنيمة قد إنساقت إلينا فأخذناهم وقتلناهم واغتنمنا ما معهم من الأموال والتحف وكان في مركبهم أربعون جارية ومن جملتهم صفية بنت الملك فأخذنا الجواري وقدمناها إلى أبي ونحن لا نعرف أن من جملتهن أبنة الملك أفريدون ملك القسطنطينية فاختار أبي منهن عشر جواري وفيهن ابنة الملك وفرق الباقي على حاشيته ثم عزل خمسة فيهن ابنة الملك من العشر جواري وأرسل تلك الخمسة هدية إلى والدك عمر النعمان مع شيء من الجوخ ومن قماش الصوف ومن القماش الحرير الرومي فقبل الهدية أبوك واختار من الخمس الجواري صفية بنت الملك أفريدون فلما كان أول هذا العام أرسل أبوها إلى والدي مكتوباً فيه كلام لا ينبغي ذكره وصاح يهدده في ذلك المكتوب ويوبخه ويقول له أنكم أخذتم مركبنا من منذ سنتين وكانت في يد جماعة لصوص من الأفرنج ومن جملة ما فيها بنتي صفية ومعها من الجواري نحو ستين جارية ولم ترسلوا على أحداً يخبرني بذلك وأنا لا أقدر أن أظهر خبرها خوفاً أن يكون في حقي عاراً عند الملوك من أجل هتك ابنتي فكتمت أمري إلى هذا العام والذي بين لي ذلك أني كاتبت هؤلاء اللصوص وسألتهم عن خبر ابنتي وأكدت عليهم أن يفتشوا عليها ويخبروني عند أي ملك هي من ملوك الجزائر فقالوا والله ما خرجنا بها من بلادك ثم قال في المكتوب الذي كتبه لوالدي أن لم يكن مرادكم معاداتي ولا فضيحتي ولا هتك ابنتي فساعة وصول كتابي إليكم ترسلوا إلى ابنتي من عندكم وأن أهملتم كتابي وعصيتم أمري فلابد أن أكافئكم على قبيح أفعالكم وسوء أعمالكم فلما وصلت هذه المكاتبة إلى أبي وقرأها وفهم ما فيها شق عليه ذلك وندم حيث لا يعرف أن صفية بنت الملك في تلك الجواري ليردها إلى والدها فصار متحيراً في أمره ولم يمكنه بعد هذه المدة المستطيلة أن يرسل إلى الملك عمر النعمان ويطلبها منه

ولاسيما وقد سمعنا من مدة يسيرة أنه رزق من جاريته التي يقال لها صفية بنت الملك أفريدون أولادا فلما تحققنا ذلك علمنا أن هذه الورطة هي المصيبة العظمى ولم يكن لأبي حيلة غير أنه كتب جواباً للملك أفريدون يتعذر إليه فيه ويحلف له بالأقسام أنه لا يعلم أن أبنته من جملة الجواري التي كانت في تلك المركب ثم أظهر له على أنه أرسلها إلى الملك عمر النعمان وأنه رزق منها أولاداً فلما وصلت رسالة أبي إلى أفريدون ملك القسطنطينية قام وقعد وأرغى وأزبد وقال كيف تكون أبنتي مسببة بصفة الجواري وتتداولها أيدى الملوك ويطؤنها بلا عقد ثم قال وحق المسيح والدين الصحيح أنه لا يمكنني أن أتعاقد مع هذا الأمر دون أن أخذ الثأر وأكشف العار فلابد أن أفعل فعلاً يتحدث به الناس من بعدي ومازال صابر إلى أن عمل الحيلة ونصب مكايدة عظيمة وأرسل رسلاً إلى والدك عمر النعمان وذكر له ما سمعت من الأقوال حتى جهزك والدك بالعساكر التي معك من أجلها وسيرك إليه حتى يقبض عليك أنت ومن معك من عساكرك وأما الثلاث خرزات التي أخبر والدك بها في مكتوبه فليس لذلك صحة وأنما كانت مع صفية ابنته وأخذها أبي منها حين استولى عليها هي والجواري التي معها ثم وهبها لي وهي الآن عندي فاذهب أنت إلى عسكرك وردهم قبل أن يتوغلوا في بلاد الأفرنج والروم فأنكم إذا توغلتم في بلادهم يضيقون عليهم الطرق ولا يكن لكم خلاص من أيديهم إلى يوم الجزاء والقصاص وأنا أعرف أن الجيوش مقيمون في مكانهم لأنك أمرتهم بالإقامة ثلاثة أيام مع أنهم فقدوك في هذه المدة ولم يعلموا ماذا يفعلون فلما سمع شركان هذا الكلام صار مشغول الفكر بالأوهام ثم أنه قبل يد الملكة أبريزة وقال الحمد لله الذي من على بك وجعلك سبباً لسلامتي وسلامة من معي ولكن يعز على فراقك ولا أعلم ما يجري عليك بعدي فقالت له أذهب أنت الآن إلى عسكرك وردهم وأن فأنت الرسل عندهم فأقبض عليهم حتى يظهر لكم الخبر وأنتم بالقرب من بلادكم وبعد ثلاثة أيام أنا ألحقكم وما تدخلون بعداد إلا وأنا معكم فندخل كلنا سواء فلما أراد الإنصراف قالت له لا تنس العهد الذي بيني وبينك ثم أنها نهضت قائمة معه لأجل التوديع والعناق وأطفاء نار الأشواق وبكت بكاء يذيب الأحجار وأرسلت الدموع كالأمطار فلما رأى منها ذلك البكاء والدموع اشتد به الوجد والولوع ونرع في الوداع دمع العين وأنشد هذين البيتين:

ودعتها ويدي اليمين لادمعي ويدي اليسار لضمة وعناق

قالت أما تخشى الفضيحة قلت لا يوم الوداع فضيحة العشاق

ثم فارقها شركان ونزلا من الدير وقدموا له جواده فركب وخرج متوجهاً إلى الجسر فلما وصل إليه مر من فوقه ودخل بين تلك الأشجار فلما تخلص من الأشجار ومشى في ذلك المرج وإذا هو بثلاثة فوارس فأخذ لنفسه الحذر منهم وشهر سيفه وانحدر فلما قربوا منه ونظر بعضهم بعضاً عرفوه وعرفهم ووجد أحدهم الوزير دندان ومعه أميران وعندما عرفوه ترجلوا له وسلموا عليه وسأله الوزير دندان عن سبب غيابه فأخبره بجميع ما جرى له من الملكة أبريزة من أوله إلى آخره وسأله الوزير دندان عن سبب غيابه فأخبره بجميع ما جرى له من الملكة أبريزة من أوله إلى آخره فحمد الله تعالى على ذلك ثم قال شركان أرحلوا بنا من هذه البلاد لأن الرسل الذين جاءوا معنا رحلوا من عندنا ليعلموا ملكهم بقدومنا فربما أسرعوا إلينا وقبضوا علينا ثم نادى شركان في عسكره من عندنا ليعلموا ملكهم بقدومنا فربما أسرعوا إلينا وقبضوا علينا

ثم نادى شركان في عسكره بالرحيل فرحلوا كلهم ولم يزالوا سائرين مجدين في السير حتى وصلوا إلى سطح الوادي وكانت الرسل قد توجهوا إلى ملكهم وأخبروه بقدوم شركان فجهز إليه عسكر ليقبضوا عليه وعلى من معه هذا ما كان من أمر الرسل وملكهم (وأما) ما كان من أمر شركان فإنه سـ افر بعسـ كره مـ دة خمسـ ة وعشرين يوماً حتى أشرفوا على أوائل بلادهم فلما وصلوا هناك أمنوا على أنفسهم ونزلوا لأخذ الراحة فخرج إليهم أهل تلك البلاد بالضيافات وعليق إلبهائم ثم أقاموا يومين ورحلوا طالبين ديارهم وتأخر شركان بعـ دهم مائة فارس وجعل الوزير دندان أميراً على من معه من الجيش فسار الوزير دندان بمن معه مسيرة يوم ثـ م بعد ذلك ركب شركان هو والمائة فارس الذين معه وساروا مقدار فرسخين حتى وصلوا إلى محل مضيق بين جبلين وإذا أمامهم غبرة وعجاج فمنعوا خيولهم من السير مقدار ساعة حتى انكشف الغبار وبان مـ ن تحتـ ه مائة فارس ليوث عوابس وفي الحديد والزرد غواطس فلما أن قربوا من شركان ومن معه صـ احوا علـ يهم وقالوا وحق يوحنا ومريم أننا قد بلغنا ما أملناه ونحن خلفكم مجدون السير ليلاً ونهاراً حتى سبقناكم إلى هـ ذا المكان فأنزلوا عن خيولكم وأعطونا أسلحتكم وسلموا لنا انفسكم حتى نجود عليكم باروا حكم فلما سمع شركان ذلك الكلام لاجت عيناه واحمرت وجنتاه وقال لهم يا كلاب النصارى كيف تجاسرتم علينـ ا وجئـ تم بلادنـ ا ومشيتم في أرضنا وما كفاكم ذلك حتى تخاطبونا بهذا الخطاب أظننتم أنكم تخلصون من أيدينا وتعودون إلـ ى بلادكم ثم صاح على المائة فارس الذين معه وقال لهم دونكم وهؤلاء الكلاب فإنهم في عددكم ثم سـ ل سـ يفه وحمل عليهم وحملت معه المائة فارس فأستقبلتهم الأفرنج بقلوب أقوى من الصـ خر وأصـ طدمت الرجـ ال بالرجال ووقعت الأبطال بالأبطال والتحم القتال واشتد النزال وعظمت الأهوال وقد بطل القيل والقـ ال ولـ م يزالوا في الحرب ولكفاح والضرب بالصفاح إلى أن ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار فانفصلوا عن بعضـ هم واجتمع شركان بأصحابه فلم يجد أحداً مهم مجروحاً غير أربعة أنفس حصل لهم جراحات سليمة فقـ ال لهـ م شركان أنا عمري أخوض بحر الحرب العجاج المتلاطم من السيوف بالأمواج وأقاتل الرجال فو الله ما لقيت أصبر على الجلاد وملاقاة الرجال مثل هؤلاء الأبطال فقالوا له اعلم أيها الملك أن فيهم فارساً أفرنجياً وهـ و المقدم عليهم له شجاعة وطعنات نافذات غيران كل من وقع منا بين يديه يتغافل عنه ولا يقتله فو الله لو أراد قتلنا لقتلنا بأجمعنا فتحير شركان لما سمع ذلك المقال وقال في غد نصطف ونبارزهم فها نحن مائة وهم مائة ونطلب النصر عليهم من رب السماء وباتوا تلك الليلة على ذلك الاتفاق وأما الأفرنج فـ إنهم اجتمعـ وا عنـ د مقدمهم وقالوا له أننا ما بلغنا اليوم في هؤلاء إرباً فقال لهم في غد نصطف ونبارزهم واحداً بعد واحد فبـ اتوا على ذلك الاتفاق أيضاً فلما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وطلعت الشمس على رءوس الروابي والبطاح وسلمت على محمد زين الملاح ركب الملك شركان وركب معه المائة فارس وأتوا إلى الميدان كلهم فوجـ دوا الأفرنج قد اصطفوا للقتال فقال شركان لأصحابه أن أعداءنا قد اصطفوا فدونكم والمبادرة إليهم فنادى منـ اد من الأفرنج لا يكون قتالنا في هذا اليوم إلا مناوبة بأن يبرز بطل منكم إلى بطل منا فعند ذلك برز فارس من أصحاب شركان وسار بين الصفين وقال هل من مبارز هل من مناجز لا يبرز لي اليوم كسلان ولا عـ اجز فلم يتم كلامه حتى برز إليه فارس من الأفرنج غريق في سلاحه وقماشه من ذهب وهو راكب علـ ى جـ واد أشهب وذلك الأفرنجي لا ثبات بعارضيه فسار جواده حتى وقف في وسـ ط الميـ دان وصـ ادمه بالضـ رب

والطعان فلم يكن غير ساعة حتى طعنه الأفرنجي بالرمح فنكسه عن جواده وأخذه أسيراً وقاده حقيراً ففرح به قومه ومنعوه أن يخرج إلى الميدان وأخرجوا غيره وقد خرج إليه من المسلمين آخر وهو أخو الأسير ووقف معه في الميدان وحمل الأثنان على بعضهما ساعة يسيرة ثم كر الأفرنجي على المسلم وغالطه وطعنه بعقب الرمح فنكسه عن جواده وأخذه أسيراً وما زال يخرج إليهم من المسلمين واحداً بعد واحد والأفرنج يأسرونهم إلى أن ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار وقد أسروا من المسلمين عشرون فارساً فلما عاين شـ ركان ذلـ ك عظم عليه الأمر فجمع أصحابه وقال لهم ما هذا الأمر الذي حل بنا أنا أخرج في غد إلى الميـ دان وأطلـ ب براز الأفرنجي المقدم عليهم وأنظر ما الذي حمله على أن يدخل بلادنا وأحذره من قتالنا فإن أبى قاتلنـ اه وأن صالحنا صالحناه وباتوا على هذا الحال إلى أن أصبح الصباح وأضاء بنـ وره ولاح ثـ م ركـ ب الطائفتـ ان واصطف الفريقان فلما خرج شركان إلى الميدان رأى الأفرنج قد ترجل منهم أكثر من نصفهم قـ دام فـ ارس منهم ومشوا قدامه إلى أن صاروا في وسط الميدان فتأمل شركان ذلك الفارس فرآه الفارس المقدم عليهم وهو لابس قباء من أطلس أزرق وجهه فيه كالبدر إذا أشرق ومن فوقه زردية ضيقة العيون وبيده سـ يف مهنـ د وهو راكب على جواد أدهم في وجهه غرة كالدرهم وذلك الأفرنجي لإنبات بعارضيه ثم أنه لكز جواده حتى صار في وسط الميدان وأشار إلى المسلمين وهو يقول بلسان عربي فصيح يا شركان يا ابن عمـ ر النعمـ ان الذي ملك الحصون والبلدان دونك والحرب والطعان وأبرز إلى من قد ناصفك في الميدان فأنت سيد قومـ ك وأنا سيد قومي فمن غلب منا صاحبه أخذه هو وقومه تحت طاعته فما أستتم كلامه حتى برز له شركان وقلبه من الغيظ ملآن وساق جواده حتى دنا من الأفرنجي في الميدان فكر عليه الأفرنجي كالأسد الغضبان وصدمه صدمة الفرسان وأخذا في الطعن والضرب وصارا إلى حومة الميدان كأنهما جبلان يصـ طدمان أو بحـ ران يلتطمان ولم يزالا في قتال وحرب ونزال من أول النهار إلى أن أقبل الليل بالاعتكار ثم أنفصل كل منهما من صاحبه وعاد إلى قومه فلما اجتمع شركان بأصحابه قال لهم ما رأيت مثل هذا الفارس قط إلا إني رأيت منه خصلة لم أرها من أحد غيره وهو أنه إذا لاح له في خصمه مضرب قاتل يقلب الرمح ويضرب بعقبه ولكـ ن ما أدري ماذا يكون مني ومنه ومرادي أن يكون في عسكرنا مثله ومثل أصحابه وبات شركان فلما أصـ بح الصباح خرج له الأفرنجي ونزل في وسط الميدان وأقبل عليه شركان ثم أخذا في القتال وأوسعا في الحـ رب والمجال وامتدت إليهما الاعناق ولم يزالا في حرب وكفاح وطعن بالرماح إلى أن ولى النهار وأقبـ ل الليـ ل بالاعتكار ثم افترقا ورجعا إلى قومهم وصار كل منهما يحكي لأصحابه مالاقاه من صاحبه ثم أن الأفرنجـ ي قال لأصحابه في غد يكون الانفصال وباتوا تلك الليلة إلى الصباح ثم ركب الأثنان وحملا على بعضهما ولم يزالا في الحرب إلى نصف النهار وبعد ذلك عمل الأفرنجي حيلة ولكن جواده ثم جذبه اللجام فعثر به فرماه فانكب عليه شركان وأراد أن يضربه بالسيف خوفاً أن يطول به المطال فصاح به بالأفرنجي وقال يا شركان ما هكذا تكون الفرسان أنما هو فعل المغلوب بالنسوان فلما سمع شركان من ذلك الفارس هذا الكـ لام رفـ ع طرفه إليه وأمعن النظر فيه فوجده الملكة أبريزة التي وقع له معها ما وقع في الدير فلما عرفها رمى السيف من يده وقبل الأرض بين يديها وقال لها ما حملك على هذه الفعال فقالت له أردت أن أختبرك فـ ي الميـ دان وأنظر ثباتك في الحرب والطعان وهؤلاء الذين معي كلهم جواري وكلهن بنات أبكار وقد قهرن فرسانك في

حومة الميدان ولولا أن جوادي قد عثر بي لكنت ترى قوتي وجلادي فتبسم شركان من قولها وقال الحمد لله على السلامة وعلى اجتماعي بك يا ملكة الزمان ثم أن الملكة أبريزة صاحت على جواريها وأمرتهن بالرحيل بعد أن يطلقن العشرين أسير الذين كن أسرتهن من قوم شركان فامتثلت الجواري أمرها ثم قبلن الأرض بين يديها فقال لهن مثلكن من يكون عند الملوك مدخراً للشدائد ثم أنه أشار إلى أصحابه أن يسلموا عليها فترجلوا جميعاً وقبلوا الأرض بين يدي الملكة أبريزة ثم ركب المائتا فارس وساروا في الليل والنهار مدة ستة أيام وبعد ذلك أقبلوا على الديار فأمر شركان الملكة أبريزة وجواريها أن ينزعن ما عليهن من لباس الأفرنج وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن شركان أمر الملكة أبريزة وجواريها أن ينزعن ما عليهن من الثياب وأن يلبسن لباس بنات الروم ففعلن ذلك ثم إنه أرسل جماعة من أصحابه إلى بغداد ليعلم والده عمر النعمان بقدومه ويخبره أن الملكة أبريزة بنت ملك الروم جاءت صحبته لأجل أن يرسل موكباً لملاقاتهم ثم أنهم نزلوا من وقتهم وساعتهم في المكان الذي وصلوا إليه وباتوا فيه إلى الصباح فلما أصبح الصباح ركب شركان هو ومن معه وركبت أيضاً الملكة أبريزة هي ومن معها وأستقبلوا المدينة وإذا بالوزير دندان قد أقبل في ألف فارس من أجل ملاقاة الملكة أبريزة هي وشركان وكان خروجه بإشارة الملك عمر النعمان كما أرسل إليه ولده شركان فلما قربوا منهما توجهوا إليهما وقبلوا الأرض بين أيديهما ثم ركبا وركبوا معهما وصاروا في خدمتهما حتى وصلا إلى المدينة وطلعا قصر الملك ودخل شركان على والده فقام إليه وأعتنقه وسأله عن الخبر فأخبره بما قالته الملكة أبريزة وما أتفق له معها وكيف فارقت مملكتها وفارقت أباها وقال له أنها اختارت الرحيل معنا والقعود عندنا وأن ملك القسطنطينية أراد أن يعمل لنا حيلة من أجل صفية بنته لأن ملك الروم قد أخبره بحكايتها وبسبب أهدائها إليك وأن ملك الروم ما كان يعرف أنها ابنة الملك أفريدون ملك القسطنطينية ولو كان يعرف ذلك ما كان أهداها إليك بل كان يردها إلى والدها ثم قال شركان لوالده وما يخلصنا من هذه الحيل والمكايد إلا أبريزة بنت ملك القسطنطينية وما رأينا أشجع منها ثم أنه شرع يحكي لأبيه ما وقع له معها من أوله إلى آخره من أمر المصارعة والمبارزة فلما سمع الملك عمر النعمان من ولده شركان ذلك الكلام عظمت أبريزة عنده وصار يتمنى أنه يراها ثم أنه طلبها لأجل أن يسألها فعند ذلك ذهب شركان إليها وقال لها أن الملك يدعوك فأجابت بالسمع والطاعة فأخذها شركان وأتى بها إلى والده وكان والده قاعداً على كرسيه وأخرج من كان عنده ولم يبق عنده غير الخدم فلما دخلت الملكة أبريزة على الملك عمر النعمان قبلت الأرض بين يديه وتكلمت بأحسن الكلام فتعجب الملك من فصاحتها وشكرها على ما فعلت مع ولده شركان وأمرها بالجلوس فجلست وكشفت عن وجهها فلما رآها الملك خبل بينه وبين عقله ثم أنه قربها إليه وأدناها منه وأفرد لها قصراً مختصاً بها وبجواريها ورتب لها ولجواريها الرواتب ثم أخذ يسألها عن تلك الخرزات الثلاث التي تقدم ذكرها سابقاً فقالت له أن تلك الخرزات معي يا ملك الزمان ثم أنها قامت ومضت إلى محلها وفتحت صندوقاً وأخرجت منه علبة وأخرجت منه علبة وأخرجت من العلبة حقاً من الذهب وفتحته وأخرجت منه تلك الخرزات الثلاث ثم قبلتها وناولتها للملك وانصرفت فأخذت قلبه معها وبعد

انصرافها أرسل إلى ولده شركان فحضر فأعطاه خرزة من الثلاث خرزات فسأله عن الأثنين الأخريين فقال يا ولدي قد أعطيت منهما واحدة لأخيك ضوء المكان والثانية لأختك نزهة الزمان فلما سمع شركان أن له أخاً يسمى ضوء المكان وما كان يعرف إلا أخته نزهة الزمان التفت إلى والده الملك النعمان وقال له يـ ا والـ دي ألك ولد غيري قال نعم وعمره الآن ست سنين ثم أعلمه أن اسمه ضوء المكان وأخته نزهة الزمان وأنهم ا ولدا في بطن واحد فصعب عليه ذلك ولكنه كتم سره وقال لوالده على بركة الله تعالى ثم رمى الخرزة من يده ونفض ثوبه فقال له الملك مالي أراك قد تغيرت أحوالك لما سمعت هذا الخبر مع أنك صاحب المملكـ ة مـ ن بعدي وقد عاهدت أمراء الدولة على ذلك وهذه خرزة لك من الثلاث خرزات فأطرق شـ ركان برأسـ ه إلـ ى الأرض واستحى أن يكافح والده ثم قام وهو لا يعلم كيف يصبغا من شدة الغيظ ومازال ماشياً حتـ ى دخـ ل قصر الملكة أبريزة فلما أقبل عليها نهضت إليه قائمة وشكرته على فعاله ودعت له ولوالده وجلست وأجلسته في جانبها فلما استقر به الجلوس رأت في وجهه الغيظ فسألته عن حاله وما سبب غيظه فأخبرهـ ا أن والـ ده الملك عمر النعمان رزق من صفية ولدين ذكراً وأنثى وسمى الولد ضوء المكان والأنثى نزهة الرمان وقـ ال لها أنه أعطاهما خرزتين وأعطاني واحدة فتركتها وأنا إلى الآن لم أعلم بذلك إلا في هذا الوقت فخنقني الغيظ وقد أخبرتك بسبب غيظي ولم أجبت عنك شيئاً وأخشى عليك أن يتزوجك فأني رأيت منه علامة الطمع فـ ي أنه يتزوج بك فما تقولين أنت في ذلك فقالت أعلم يا شركان أن أباك ما له حكم على ولا يقـ در أن يأخـ ذني بغير رضاي وأن كان يأخذني غصباً قتلت روحي وأما الثلاث خرزات فما كان على بالي أنه ينعم على أحـ د من أولاده بشيء منها وما ظننت إلا أنه يجعلها في خزائنه مع ذخائره ولكن اشتهي من إحسانك أن تهب لـ ي الخرزة التي أعطاها لك والدك أن قبلتها منه فقال سمعاً وطاعة ثم قالت له لا تخف وتحـ دثت معـ ه سـ اعة وقالت له أني أخاف أن يسمع أبي أني عندكم فيسعى في طلبي ويتفق هو والملك أفريدون مـ ن أجـ ل ابنتـ ه صفية فيأتيان إليكم بعساكر وتكون ضجة عظيمة فلما سمع شركان ذلك قال لها يا مولاتي إذا كنت راضـ ية بالإقامة عندنا لا تفكري فيهم فلو اجتمع علينا كل من في البر والبحر لغلبناهم فقالت ما يكون إلا الخير وهـ ا أنتم أن أحسنتم إلى قعدت عندكم وأن أسأتموني رحلت من عندكم ثم أنها أمرت الجواري بإحضار شيء مـ ن الأكل فقدمن المائدة فأكل شركان شيئاً يسيراً ومضى إلى داره مهموماً مغموماً هذا ما كان من أمر شـ ركان (وأما) ما كان من أمر أبيه عمر النعمان فإنه بعد انصراف ولده شركان من عنده قام ودخل علـ ى جاريتـ ه صفية ومعه تلك الخرزات فلما رأته نهضت قائمة على قدميها إلى أن جلس فأقبل عليه ولداه ضـ وء المكـ ان ونزهة الزمان فلما رآهما قبلهما وعلق على كل واحد منهما خرزة فرحا بالخرزتين وقبلا يديه وأقبلا علـ ى أمهما ففرحت بهما ودعت للملك بطول الدوام فقال لها الملك يا صفية حيث أنك ابنة المـ ك أفريـ دون مـ ك القسطنطينية لأي شيء لم تعلميني لأجل أن أزيد في أكرامك ورفع منزلتك فلما سمعت صفية ذلك قالت أيهـ ا الملك وماذا أريد أكثر من هذا زيادة على هذه المنزلة التي أنا فيها فها أنا مغمورة بأنعامـ ك وخيـ رك وقـ د رزقني الله منك بولدين ذكراً وأنثى فأعجب الملك عمر النعمان كلامها واستظرف عذوبة الفاظها ودقة فهمها وظرف أدابها ومعرفتها ثم أنه مضى من عندها وأفرد لها ولأولادها قصراً عجيباً ورتب لهم الخدم والحشـ يم والفقهاء والحكماء والفلكية والأطباء والجرائحية وأوصاهم بهم وزاد في رواتبهم وأحسن إليهم غاية الإحسان

ثم رجع على قصر المملكة والمحاكمة بين الناس هذا ما كان من أمره مع صفية وأولادها (وأما) ما كان من أمره مع الملكة أبريزة فإنه اشتغل بحبها وصار ليلاً ونهاراً مشغوفاً بها وفي كل ليلة يدخل إليها ويتحدث عندها ويلوح لها بالكلام فلم ترد له جواباً بل تقول يا ملك الزمان أنا في هذا الوقت مالي غرض في الرجال فلما رأى ثمنها منه اشتد به الغرام وزاد عليه الوجد والهيام فلما أعياه ذلك أحضر وزيره دندان وأطلعه على ما في قلبه من محبة الملكة أبريزة أبنة الملك حردوب وأخبره أنها لا تدخل في طاعته وقد قتله حبها ولم ينل منها شيئاً فلما سمع الوزير دندان ذلك قال للملك إذا جن الليل فخذ معك قطعة بنج مقدار مثقال وأدخل عليها وأشرب معها شيئاً من الخمر فإذا كان وقت الفراغ من الشرب والمنادمة فأعطها القدح الأخير واجعل فيه ذلك البنج وأسقها إياه فإنها ما تصل إلى مرقدها إلا وقد تحكم عليها البنج فتبلغ غرضك منها وهذا ما عندي من الرأي فقال له الملك نعم ما أشرت به علي ثم أنه عمد إلى خزائنه وأخرج منها قطعة بنج مكرر لو شمه الفيل لرقد من السنة إلى السنة ثم أنه وضعها في جيبه وصبر إلى أن مضى قليل من الليل ودخل على الملكة أبريزة في قصرها فلما رأته نهضت إليه قائمة فأذن لها بالجلوس فجلست وجلس عندها وصار يتحدث معها في أمر الشراب فقدمت سفره الشراب وصفت له الأواني وأوقدت الشموع وأمرت بإحضار النقل والفاكهة وكل ما يحتاجان إليه وصار يشرب معها وينادمها إلى أن دب السكر في رأس الملكة أبريزة فلما علم الملك عمر النعمان ذلك أخرج القطعة البنج من يده وجعلها بين أصابعه وملأ كأساً بيده وشربه وملأ ثانياً وأسقط القطعة البنج من جيبه فيه وهي لا تشعر بذلك ثم قال لها خذي أشربي هذا فأخذته الملكة أبريزة وشربته فما كان إلا دون ساعة حتى تحكم البنج عليها وسلب أدراكها فقام إليها فوجدها ملقاة على ظهرها وقد كانت قلعت السراويل من رجليها ورفع الهواء ذيل قميصها عنها فلما دخل عليها الملك ورآها على تلك الحالة ووجد عند رأسها شمعة وعند رجليها شمعة تضيء على ما بين فخذيها خيل بينه وبين عقله ووسوس له الشيطان فما تمالك نفسه حتى قلع سراويله ووقع عليها وأزال بكارتها وقام من فوقها ودخل إلى جارية من جواريها يقال لها مرجانة وقال لها أدخلي على سيدتك وكلميها فدخلت الجارية على سيدتها فوجدت دمها يجري على سيقانها وهي ملقاة على ظهرها فمدت يدها إلى منديل من مناديلها واصلحت به شأن سيدتها ومسحت عنها ذلك الدم فلما اصبح الصباح تقدمت الجارية مرجانة وغسلت وجه سيدتها ويديها ورجليها ثم جاءت بماء الورد وغسلت وجهها وفمها فعند ذلك عطست الملكة أبريزة وتقايت ذلك البنج فنزلت القطعة البنج من باطنها كالقرص ثم أنها غسلت فمها ويديها وقالت لمرجانة أعلميني بما كان من أمري فأخبرتها أنها رأتها ملقاة على ظهرها ودمها سائل على فخذيها فعرفت أن الملك عمر النعمان قد وقع بها وواصلها وتمت حيلته عليها فاغتمت لذلك غماً شديداً وحجبت نفسها وقالت لجواريها امنعوا كل من أراد أن يدخل علي وقولوا له أنها ضعيفة حتى انظر ماذا يفعل الله بي فعند ذلك وصل الخبر إلى الملك عمر النعمان بأن الملكة أبريزة ضعيفة فصار يرسل إليها الأشربة والسكر والمعاجين وأقامت على ذلك شهوراً وهي محجوبة ثم أن الملك قد بردت ناره وانطفأ شوقه إليها وصبر عنها وكانت قد علقت منه فلما مرت عليها أشهر وظهر الحمل وكبرت بطنها ضاقت بها الدنيا فقالت لجاريتها مرجانة اعلمي أن القوم ما ظلموني وأنما أنا الجانية على نفسي حيث تركت أبي وأمي ومملكتي وأنا قد كرهت الحياة وضعفت همتي ولم يبق عندي من الهمة ولا من القوة شيء وكنت

إذا ركبت جوادي أقدر عليه وأنا الآن لا أقدر على الركوب ومتى ولدت عندهم صرت معيرة عند الجـ واري وكل من في القصر يعلم أنه أزال بكارتي سفاحاً وإذا رجعت لأبي بأي وجه القاه وبأي وجه أرجع إليه ومـ ـا أحسن قول الشاعر:

بـ . ـم التعلـ . ـل لا أهلـ . ـي ولا وطـ . ـن ولا نـ . . ـديم ولا كـ . . ـأس ولا سـ . . ـكن

فقالت لها مرجانة الأمر أمرك وأنا في طوعك فقالت وأنا اليوم أريد أخرج سراً بحيث لا يعلم بي أحـ ـد غيرك وأسافر إلى أبي وأمي فإن اللحم إذا أنتن ماله إلا أهله والله يفعل بي ما يريد فقالت لها نعم ما تفعلـ ـين أيتها الملكة ثم أنها جهزت أحوالها وكتمت سرها وصبرت أياماً حتى خرج الملك للصيد والقنص وخرج ولده شركان إلى القلاع ليقيم بها مدة من الزمان فأقبلت أبريزة على جاريتها مرجانة وقالت لها أريد أن أسافر في هذه الليلة ولكن كيف أصنع في أبريزة على جاريتها مرجانة وقالت لها أريد أن أسافر في هذه الليلـ ـة ولكـ ـن كيف أصنع في المقادير وقد قرب أوان الطلق والولادة وأن قعدت خمسة أيام أو أربعة وضعت هنا ولم أقدر أن أروح بلادي وهذا ما كان مكتوباً على جبيني ومقدراً علي في الغيب ثم تفكرت ساعة وبعد ذلـ ـك قالـ ـت لمرجانة انظري لنا رجلاً يسافر معنا ويخدمنا في الطريق فإنه ليس لي قوة على حمل السلاح فقالت مرجانة والله يا سيدتي ما أعرف غير عبداً اسودا اسمه الغضبان وهو من عبيد الملك عمر النعمان وهو شجاع ملازم لباب قصرنا فإن الملك أمره أن يخدمنا وقد غمرناه بإحساننا فيها أنا أخرج إليه وأكلمه في شأن هـ ـذا الأمـ ـر وأعده بشيء من المال وأقول له إذا أردت المقام عندنا أزوجك بمن شئت وكان قد ذكر لي قبل اليوم أنه كان يقطع الطريق فإن هو وافقنا بلغنا مرادنا ووصلنا إلى بلادنا فقالت لها هاتيه عندي حتى أحدثه فخرجـ ـت لـ ـه مرجانه وقالت له يا غضبان قد اسعدك الله أن قبلت من سيدتك ما تقوله لك من الكلام ثم أخذت بيده وأقبلـ ـت به على سيدتها فلما رآها قبل الأرض بق يديها فحين رأته نفر قلبها منه لكنها قالت في نفسها أن الضـ ـرورة لها أحكام وأقبلت عليه تحدثه وقلبها نافر منه وقالت له يا غضبان هل فيك مساعدة لنا على غدرات الزمـ ـان وإذا أظهرتك على أمري تكون كاتماً له فلما نظر العبد إليها ورأى حسنها ملكت قلبه وعشقها لوقته وقال لها يا سيدتي أن امرتيني بشيء لا أخرج عنه فقالت له أريد منك في هذه الساعة أن تأخذني وتأخذ جاريتي هـ ـذه وتشد لنا راحلتين وفرسين من خيل الملك وتضع على كل فرس خرجا من المال وشيئاً من الزاد وترحل معنا إلى بلادنا وأن أقمت عندنا زوجناك من تختارها من جواري وأن طلبت الرجوع إلى بلادك أعطيناك ما تحب ثم ترجع إلى بلادك بعد أن تأخذ ما يكفيك من المال فلما سمع الغضبان ذلك الكلام فرح فرحاً شديداً وقال يا سيدتي أني أخدمكما بعيوني وأمضي معكما واشد لكما الخيل ثم مضى وهو فرحان وقال في نفسه قد بلغت ما أريد منهما وأن لم يطاوعاني قتلتهما وأخذت ما معهما من المال واضمر ذلك في سره ثم مضى وعاد ومعـ ـه راحلتان وثلاث من الخيل وهو راكب أحداهن وأقبل على الملكة أبريزة وقدم إليهـ ـا فرسـ ـاً فركبتهـ ـا وهـ ـي متوجعة من الطلق ولا تملك نفسها من كثرة الوجع وركبت مرجانة فرساً ثم سافر بهما لـ ـيلاً ونهـ ـاراً حتـ ـى وصلوا بين الجبال وبقي بينها وبين بلادها يوم واحد فجاءها الطلق فما قدرت أن تمسك نفسها على الفـ ـرس فقالت للغضبان أنزلني فقد لحقني الطلق وقالت لمرجانة أنزلي وأقعدي تحتي وولديني فعند ذلك نزلت مرجانة من فوق فرسها ونزل الغضبان من فوق فرسه وشد لجام الفرسين ونزلت الملكة أبريزة من فوق فرسها وهي

غائبة عن الدنيا من شدة الطلق وحين رآها الغضبان نزلت على الأرض وقف الشيطان فـ ي وجهـ ـه فشـ ـهر حسامه في وجهها وقال يا سيديتي أرحميني بوصلك فلما سمعت مقالته التفتت إليه وقالت له ما بقي إلا العبيد السود بعد ما كنت لا أرضى بالملوك الصناديد وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملكة أبريزة لما قالت للعبد العبد هو الغضبان ما بقي إلا العبيد السود ثم صارت تبكته وأظهرت له الغيظ وقالت له ويلك ما هذا الكلام الذي تقوله لي فلا تتكلم بشيء من هذا فـ ي حضرتي واعلم أنني لا أرضى بشيء بما قلته ولو سقيت كأس الردى ولكن أصبر حتى أصلح الجنين وأصلح شأني وأرمي الخلاص ثم بعد ذلك أن قدرت على فافعل بي ما تريد وأن لم تترك فاحش الكلام في هذا الوقت فإني أقتل نفسي بيدي وأرتاح من هذا كله ثم أنشدت هذه الأبيات:

أيـ ـا غضـ ـبان دعنـ ـي قـ ـد كفـ ـاني ... مكايـ ـ ـدة الحـ ـ ـوادث والزمـ ـ ـان

عـ ـن الفحشـ ـاء ربـ ـي قـ ـد نهـ ـاني ... وقـ ـال النـ ـار مثـ ـوى مـ ـن عصـ ـاني

وأنـ ـ ـي لا أميـ ـ ـل بفعـ ـ ـل سـ ـ ـوء ... بعـ ـين الـ ـنقص دعنـ ـي لا ترانـ ـي

ولـ ـ ـم تتـ ـ ـرك الفحشـ ـ ـاء عنـ ـ ـي ... وترعـ ـى حرمتـ ـي فـ ـيمن رعـ ـاني

لاصـ ـرخ طـ ـاقتي لرجـ ـال قـ ـومي ... وأجلـ ـب كـ ـل قاصـ ـيها ودانـ ـي

ولـ ـو قطعـ ـت بالسـ ـيف اليمـ ـاني ... لمـ ـا خليـ ـت فحاشـ ـا يرانـ ـي

مـ ـن الأحـ ـراء والكبـ ـراء طـ ـرا ... فكيـ ـف العبـ ـد مـ ـن نسـ ـل الزوانـ ـي

فلما سمع الغضبان ذلك الشعر غضب غضباً شديداً واحمرت مقلته وأغبرت سحنته وأنتفخت منـ ـاخره وامتدت مشافره وزادت به النفرات وأنشد هذه الأبيات:

أيـ ـ ـا أبريـ ـ ـزة لا تتركينـ ـ ـي ... قتيـ ـل هـ ـواك يـ ـا للحـ ـظ اليمـ ـاني

فقلبـ ـي قـ ـد تقطـ ـع مـ ـن جفـ ـاكي ... وجسـ ـمي ناحـ ـل والصـ ـبر فـ ـإني

ولفظـ ـك قـ ـد سـ ـبى الألبـ ـاب سـ ـحراً ... فعقلـ ـي نـ ـازح والشـ ـوق دانـ ـي

ولـ ـو أجلبـ ـت مـ ـلء الأرض جيشـ ـاً ... لا بلـ ـغ مـ ـا ربـ ـى فـ ـي ذا الزمـ ـان

فلما سمعت أبريزة كلامه بكت بكاء شديداً وقالت ويلك يا غضبان وهل بلغ من قدرك أن تخاطبني بهذا الخطاب يا ولد الزنا وتربية الخنا أتحسب أن الناس كلهم سواء فلما سمع ذلك العبد النحس هذا الكلام غضب منها غضباً شديداً وتقدم إليها وضربها بالسيف فقتلها وساق جوادهما قدامه بعد أن أخذ المال وفر بنفسه هارباً في الجبال هذا ما كان من أمر الغضبان (وأما) ما كان من أمر الملكة أبريزة فإنها صـ ـارت طريحـ ـة علـ ـى الأرض وكان الولد الذي ولدته ذكراً فحملته مرجانة في حجرها وصرخت صرخة عظيمة وشـ ـقت أثوابهـ ـا وصارت تحنو التراب على رأسها وتلطم على خدها حتى طلعا الدم من وجهها وقالت واخيبتاه كيـ ـف قتـ ـل سيدتي عبد أسود لا قيمة له بعد فروسيتها فبينما هي تبكي وإذا هي بغبار قد ثار حتى سـ ـد الأقطـ ـار ولـهـ ـا انكشف ذلك الغبار بأن من تحته عسكر جرار وكانت العساكر عساكر ملك الروم والد الملكة أبريزة وسـ ـبب ذلك أنه لما سمع أن ابنته هربت هي وجواريها إلى بغداد وأنها عند الملك عمر النعمان خرج بمن معه بتشمم

الأخبار من بعض المسافرين أن كانوا رأوها عند الملك عمر النعمان فخرج بمن معه ليسأل المسافرين من أين أتوا لعله يعلم بخبر ابنته وكان على بعد هؤلاء الثلاثة أبنته والعبد الغضبان وجاريتها مرجانه فقصدهم ليسألهم فلما قصدهم خاف العبد على نفسه سبب قتلها فنجا بنفسه فلما أقبلوا عليها رآها أبوها مرمية على الأرض وجاريتها تبكي عليها فرمي نفسه من فوق جواده ووقع في الأرض مغشياً عليه فترجل كل من كان معه من الفرسان والأمراء والوزراء وضربوا الخيام في الحبال ونصبوا قبة للملك حردوب ووقف أرباب الدولة خارج تلك القبة فلما رأت مرجانة سيدها عرفته وزادت في البكاء والنحيب فلما أفاق الملك من غشيته سألها عن الخبر فأخبرته بالقصة وقالت له أن الذي قتل أبنتك عبد أسود من عبيد الملك النعمان وأخبرته بما فعله الملك عمر النعمان بابنته فلما سمع الملك حردوب ذلك الكلام أسودت الدنيا في وجهه وبكي بكاء شديداً ثم أمر بإحضار محفة وحمل بنته فيها ومضى إلى قيسارية وأدخلوها القصر ثم أن الملك حردوب دخل على أمه ذات الدواهي وقال لها أهكذا يفعلون المسلمون ببنتي فإن الملك عمر النعمان أزال بكارتها قهراً وبعد ذلك قتلها عبداً أسود من عبيده فوحق المسيح لابد من أخذ تار بنتي وكشف العار عن عرضي وإلا قتلت نفسي بيدي ثم بكى بكاء شديداً فقالت له أمه ذات الدواهي ما قتل ابنتك إلا مرجانة لأنها كانت تكرهها في الباطن ثم قالت لولدها لا تحزن من أخذ ثارها فوحق المسيح لا أرجع عن الملك عمر النعمان حتى أقتله وأقتل أولاده ولا عملن معه عملاً تعجز عنه الدهاة والأبطال ويتحدث عنه المتحدثون في جميع الأقطار ولكن ينبغي لك أن تتمثل أمري في كل ما أقوله وأنت تبلغ ما تريد فقال وحق المسيح لا أخالفك أبداً فيما تقولينه قالت له أئتني بجوار نهد أبكار وائتني بحكماء الزمان وأجزل لهم العطايا وأمرهم أن يعلموا الجواري الحكمة والأدب وخطاب الملوك ومنادمتهم والأشعار وأن يتعلموا بالحكمة والمواعظ ويكون الحكماء مسلمين لأجل أن يعلموهن أخبار العرب وتواريخ الخلفاء وأخبار من سلف من ملوك الأسلام ولو أقمنا على ذلك عشرة أعوام وطول روحك وأصبر فإن بعض الأعراب يقول أن أخذ الثار بعد أربعين عاماً مدته قليلة ونحن إذا علمنا تلك الجواري بلغنا من عدونا ما نختار لأنه ممتحن بحب الجواري وعنده ثلثمائة وست وستون جارية وأزددن مائة جارية من خواص جواريك التي كن مع المرحومة فإذا تعلم الجواري ما أخبرتك من العلوم فإني آخذهم بعد ذلك ،أسافر بهم فلما سمع الملك حردوب كلام أمه ذات الدواهي فرح فرحاً شديداً وقبل رأسها ثم أرسل من وقته وساعته المسافرين والقصاد إلى أطراف البلاد ليأتوا إليه بالحكماء من المسلمين فامتثلوا أمره وسافروا أني بلاد بعيدة وأتوا بما طلبه من الحكماء والعلماء فلما حضروا بين يديه أكرمهم غاية الأكرام وخلع عليهم الخلع ورتب لهم الرواتب والجرايات ووعدهم بالمال الجزيل إذا فعلوا ما أمرهم به ثم أحضر لهم الجواري وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العلماء والحكماء لما حضروا عند الملك حردوب أكرمهم إكراماً زائداً وأحضروا الجواري بين أيديهم وأوصاهم أن يعلموهن الحكمة والأدب فامتثلوا أمره هذا ما كان من أمر الملك حردوب وأما ما كان من أمر الملك عمر النعمان فإنه لما عاد من الصيد والقنص وطلع القصر طلب الملكة أبريزة فلم يجدها ولم يخبره أحد عنها فعظم عليه ذلك وقال كيف تخرج هذه الجارية من القصر ولم يعلم بها

أحد فإن كانت مملكتي على هذا الأمر فإنها ضائعة المصلحة ولا ضابط لها فما بقيت أخرج إلى الصيد والقنص حتى أرسل إلى الأبواب من يتوكل بها واشتد حزنه وضاق صدره لفراق الملكة أبريزة فبينما هو كذلك وإذا بولده شركان قد أتى من سفره فاعلمه والده بذلك وأخبره أنها هربت وهو في الصيد والقنص فاغتم شركان لذلك غماً شديداً ثم أن الملك صار يتفقد أولاده كل يوم ويكرمهم وكان قد أحضر العلماء والحكماء ليعلموهم العلم ورتب لهم الرواتب فلما رأى شركان ذلك الأمر غضب غضباً شديداً وحسد أخوته على ذلك إلى أن ظهر أثر الغيظ في وجهه ولم يزل متمرضاً حتى هذا الأمر فقال له والده يوماً من الأيام مالي أراك تزداد ضعفاً في جسمك واصفرار في لونك فقال له شركان يا والدي كلما رأيتك تقرب أخواتي وتحسن إليهم يحصل عندي حسد وأخاف أن يزيد بي الحسد فأقتلهم وتقتلني أنت بسببهم إذا أنا قتلتهم فمرض جسمي وتغير لوني بسبب ذلك ولكن أنا اشتهي من إحسانك أن تعطيني قلعة من القلاع حتى أقيم بها بقية عمري فإن صاحب المثل يقول بعدي عن حبيبي أجمل لي وأحسن عين لا تنظر وقلب لا يحزن ثم أطرق برأسه إلى الأرض فلما سمع الملك عمر النعمان كلامه عرف سبب ما هو فيه من التغير فأخذ بخاطره وقال له يا ولدي أني أجيبك إلى ما تريد وليس في ملكي أكبر من قلعة دمشق فقد ملكتها من هذا الوقت ثم أحضر الموقعين في الوقت والساعة وأمرهم بكتابة تقليد ولده شركان ولاية دمشق الشام فكتبوا له ذلك وجهزوه وأخذ الوزير دندان معه وأوصاه بالمملكة والسياسة وقلده أموره ثم ودعه والده وودعته الأمراء وأكابر الدولة وصار بالعسكر حتى وصل إلى دمشق فلما وصل إليها دق له أهلها الكاسات وصاحوا بالبوقات وزينوا المدينة وقابلوه بموكب عظيم سار فيه أهل الميمنة ميمنة وأهل الميسرة ميسرة هذا ما كان من أمر شركان (وأما) ما كان من أمر والده عمر النعمان فإنه بعد سفر ولده شركان أقبل عليه الحكماء وقالوا له يا مولانا أن أولادك تعلموا الحكمة والأدب فعند ذلك فرح الملك عمر النعمان فرحاً شديداً وأنعم على جميع الحكماء حيث رأى ضوء المكان كبر وترعرع وركب الخيل وصار له من العمر أربع عشر سنة وطلع مشتغلاً بالدين والعبادة محباً للفقراء وأهل العلم والقرآن وصار أهل بغداد يحبونه نساء ورجالاً إلى أن طاف بغداد محمد العراق من أهل الحج وزيارة قبل النبي ﷺ فلما رأى ضوء المكان موكب المحمل اشتاق إلى الحج فدخل على والده وقال له أني أتيت إليك لاستأذنك في أن أحج فمنعه من ذلك وقال له أصبر إلى العام القابل وأنا أتوجه إلى الحج وآخذك معي فلما رأى الأمر يطول عليه دخل على أخته نزهة الزمان فوجدها قائمة تصلي فلما قضت الصلاة قال لها أني قد قتلني الشوق إلى حج بيت الله الحرام وزيارة قبر النبي عليه الصلاة والسلام واستأذنت والدي فمنعني من ذلك فالمقصودان آخذ شيئاً من المال وأخرج إلى الحج سراً ولا أعلم أبي بذلك فقالت له أخته بالله عليك أن تأخذني معك ولا تحرمني من زيارة النبي ﷺ فقال لها إذا جن الظلام فأخرجي من هذا المكان ولا تعلمي أحداً بذلك فلما كان نصف الليل قامت نزهة الزمان وأخذت شيئاً من المال ولبست لباس الرجال وكانت قد بلغت من العمر مثل عمر ضوء المكان ومشت متوجهة إلى باب القصر فوجدت أخاها ضوء المكان قد جهز الجمال فركب وأركبها وسارا ليلاً واختلطا بالحجيج ومشيا إلى أن صارا في وسط الحجاج العراقيين ومازالا سائرين وكتب الله لهما السلامة حتى دخلا مكة المشرفة ووقفا بعرفات وقضيا مناسك الحج ثم توجها إلى زيارة النبي ﷺ فزاراه وبعد ذلك أراد الرجوع مع الحجاج إلى بلادهما فقال

ضوء المكان لأخته يا أختي أريد أن أزور بيت المقدس والخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام فقالت له وأنا كذلك واتفقا على ذلك ثم خرجا وأكترى له ولها مع المقادسة وجهزا حالهما وتوجها مع الركب فحصل لأخته في تلك الليلة حمي باردة فتشوشت ثم شفيت وتشوش الآخر فصارت تلاطفه في ضعفه ولم يزالا سائرين إلى أن دخلا بيت المقدس واشتد المرض على ضوء المكان ثم انهما نزلا في خان هناك وأكتريا لهما فيه حجرة وأستقرا فيها ولم يزل المرض يتزايد على ضوء المكان حتى أنحله وغاب عن الدنيا فاغتمت لذلك اخته نزهة الزمان وقالت لا حول ولا قوة إلا بالله هذا حكم الله ثم أنها قعدت هي وأخوها في ذلك المكان وقد زاد به الضعف وهي تخدمه وتنفق عليه وعلى نفسها حتى فرغ ما معها من المال وأفتقرت ولم يبق معها دينار ولا درهم فأرسلت صبي الخان إلى السوق بشيء من قماشها فباعه وأنفقته على أخيها ثم باعت شيئاً آخر ولم تزل تبيع من متاعها شيئاً فشيئاً حتى لم يبق لها غير حصتين مقطعة فبكت وقالت لله الأمر من قبل ومن بعد ثم قال لها أخوها يا أختي أني قد أحسست بالعافية وفي خاطري شيء من اللحم المشوي فقالت له أخته والله يا أخي أني مالي وجه للسؤال ولكن غداً أدخل بيت أحد الأكابر وأخدم وأعمل بشيء نقتات به أنا وأنت ثم تفكرت ساعة وقالت أني لا يهون على فراقك وأنت في هذه الحالة ولكن لابد من طلب المعاش قهراً عني فقال لها أخوها بعد العز تصبحين ذليلة فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ثم بكى وبكت وقالت له يا أخي نحن غرباء وقد أقمنا هنا سنة كاملة ما دق علينا الباب أحد فهل نموت من الجوع فليس عندي من الرأي إلا أني أخرج وأخدم وآتيك بشيء نقتات به إلى أن تبرأ من مرضك ثم نسافر إلى بلادنا ومكثت تبكي ساعة ثم بعد ذلك قامت نزهة الزمان وغطت رأسها بقطعة عباءة من ثياب الجمالين كان صاحبها نسيها عندهما وقبلت رأس أخيها وغطته وخرجت من عنده وهي تبكي ولم تعلم أين تمضي ومازال أخوها ينتظرها إلى أن قرب وقت العشاء ولم تأت فمكث بعد ذلك وهو ينتظرها إلى أن طلع النهار فلم تعد إليه ولم يزل على هذه الحالة يومين فعظم ذلك عنده وارتجف قلبه عليها واشتد به الجوع فخرج من الحجرة وصاح على صبي الخان وقال له أريد أن تحملني إلى السوق فحمله والقاه في السوق فاجتمع عليه أهل القدس وبكوا عليه لما رأوه على تلك الحالة وأشار إليهم بطلب شيء يأكله فجاءوا له من التجار الذين في السوق ببعض دراهم واشتروا له شيئاً وأطعموه أياه ثم حملوه ووضعوه على دكان وفرشوا له قطعة برش ووضعوا عند رأسه أبريقاً فلما أقبل الليل انصرف عنه كل الناس وهم حاملون همه فلما كان نصف الليل تذكر أخته فازداد به الضعف وامتنع من الأكل والشرب وغاب عن الوجود فقام أهل السوق وأخذوا له من التجار ثلاثين درهماً وأكتروا له جملاً وقالوا للجمال أحمل هذا وأوصله إلى دمشق وأدخله المارستان لعله أن يبرأ فقال لهم على الرأس ثم قال في نفسه كيف أمضي بهذا المريض وهو مشرف على الموت ثم خرج به إلى مكان واختفى به إلى الليل ثم القاه على مزبلة مستوقد حمام ثم مضى إلى حال سبيله فلما أصبح الصباح طلع وقاد الحمام إلى شغله فوجده ملقى على ظهره فقال في نفسه لأي شيء ما يرمون هذا الميت إلا هنا ورفسه برجله فتحرك فقال له الوقاد الواحد منكم يأكل قطعة حشيش ويرمي نفسه في أي موضع كان ثم نظر إلى وجهه فرآه لا بناف بعارضيه وهو ذو بهاء وجمال فأخذته الرأفة عليه وعرف أنه مريض وغريب فقال لا حول ولا قوة إلا بالله أني دخلت في خطيئة هذا الصبي وقد أوصاني النبي ﷺ بإكرام الغريب لا سيما إذا كان الغريب مريضاً ثم حمله وأتي به

إلى منزله ودخل به على زوجته وأمرها أن تخدمه وتفرش له بساطاً ففرشت له وجعلت تحت رأسه وسـ ـادة وسخنت له ماء وغسلت له يديه ورجليه ووجهه وخرج الوقاد إلى السوق وأتى له بشيء مـ ـن مـ ـاء الـ ـورد والسكر ورش على وجهه وسقاه السكر وأخرج له قميصاً نظيفاً والبسه أياه فشم نسيم الصحة وتوجهت إليـ ـه العافية وأتكأ على المخدة ففرح الوقاد بذلك وقال الحمد لله على عافية هذا الصبي اللهم إني أسـ ـألك بسـ ـرك المكنون أن تجعل سلامة هذا الشاب على يدي وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد ومازال الوقاد يتعهده ثلاثة أيام وهو يسقيه السكر وماء الخـ ـلاف ومـ ـاء الورد ويتعطف عليه ويتلطف به حتى عادت الصحة في جسمه وفتح عينه فاتفق أن الوقاد دخل عليـ ـه فـ ـرآه جالساً وعليه آثار العافية فقال له ما حالك يا ولدي في هذا الوقت فقال ضوء المكان بخير وعافية فحمد الوقاد ربه وشكره ثم نهض إلى السوق واشترى له عشر دجاجات وأتى إلى زوجته وقال لها أ ا ذبحي له في كل يوم اثنتين واحدة في أول النهار وواحدة في آخر النهار فقامت وذبحت له دجاجة وسلقتها وأتت بها إليه وأطعمته أياها وسقته مرقتها فلما فرغ من الأكل قدمت له ماء مسخناً فغسل يديه واتكأ على الوسادة وغطته بملاءة فنام إلى العصر ثم قامت وسلقت دجاجة أخرى وأتته بها وفسختها وقالت له كل يا ولدي فبينما هو يأكـ ـل وغـ ـذا بزوجها قد دخل فوجدها تطعمه فجلس عند رأسه وقال له ما حالك يا ولدي في هذا الوقت فقال الحمد لله على العافية جزاك الله عني خير ففرح الوقاد بذلك ثم أنه خرج وأتى بشراب البنفسج وماء الورد وسقاه وكان ذلك الوقاد يعمل في الحمام كل يوم بخمسة دراهم فيشتري كل يوم بدرهم سـ ـكراً ومـ ـاء ورد وشـ ـراب بنفسـ ـج ويشتري له بدرهم فراريج ومازال يلاطفه إلى أن مضى عليه شهر من الزمان حتى زالت عنه آثار المرض وتوجهت إليه العافية ففرح الوقاد هو وزوجته بعافية ضوء المكان وقال يا ولدي هل لك أن تدخل معي الحمام قال نعم فمضى إلى السوق وأتى له بمكاري وأركبه حماراً وجعل يسنده إلى أن وصل إلى الحمام ثـ ـم دخـ ـل معه الحمام وأجلسه في داخله ومضى إلى السوق واشترى له سدراً ودقاقاً وقال لضوء المكان يا سيدي بسـ ـم الله أغسل لك جسدك وأخذ الوقاد يحك لضوء المكان رجليه وسرع يغسل له جسده بالسدر والدقاق وإذا ببلان قد أرسله معلم الحمام إلى ضوء المكان فوجد الوقاد يحك رجليه فتقدم إليه البلان وقال له هذا نقص في حـ ـق المعلم فقال الوقاد والله أن المعلم غمرنا بإحسانه فشرع البلان يحلق رأس ضوء المكان ثم اغتسل هو والوقاد وبعد ذلك رجع به الوقاد إلى منزله وألبسه قميصاً رفيعاً وثوباً من ثيابه وعمامة لطيفة وأعطاه جزاماً وكانت زوجة الوقاد قد ذبحت دجاجتين وطبختهما فلما طلع ضوء المكان وجلس على الفراش قام الوقـ ـاد وأذاب لـ ـه السكر في ماء الورد وسقاه ثم قدم له السفرة وصار الوقاد يفسخ له من ذلك الدجاج ويطعمـ ـه ويسـ ـقيه مـ ـن المسلوقة إلى أن اكتفى وعسل يديه وحمد الله تعالى على العافية ثم قال للوقاد أنت الذي مـ ـن الله علـ ـيّ بـ ـك وجعل سلامتي على يديك فقال الوقاد دع عنك هذا الكلام وقل لنا ما سبب مجيئك إلى هذه المدينة ومن أيـ ـن أنت فإني أرى على وجهك أثار النعمة فقال له ضوء المكان قل لي أنت كيف وقعت بي حتى أخبرك بحديثي فقال الوقاد أما أنا فإني وجدتك مرمياً على القمامة في المستوقد حين لاح الفجر لما توجهت إلى اشغالي ولـ ـم أعرف من رماك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوقاد قال لم أعرف من رماك فأخذتك عندي وهذه حكايتي فقال ضوء المكان سبحان من يحيي العظام وهي رميم أنك يا أخي ما فعلت الجميل إلا مع أهله وسوف تجني ثمرة ذلـ ـك ثم قال للوقاد وأنا الآن في أي البلاد فقال له الوقاد أنت في مدينة القدس فعند ذلك تذكر ضوء المكان عربتـ ـه وفراق أخته وبكى حيث باح بسره إلى الوقاد وحكى له حكايته ثم أنشد هذه الأبيات:

لقد حملوني فـ ـي الهـ ـوى عيـ ـر طـ ـاقتي ... ومـ ـن أجلهـ ـم قامـ ـت علـ ـى قيـ ـامتي

ألا فـ ـارفقوا يـ ـا هـ ـاجرين بمهجتـ ـي ... فقد رق لـ ـي مـ ـن بعـ ـدكم كـ ـل شـ ـامت

ولا تمنعـ ـوا أن تسـ ـمحوا لـ ـي بنظـ ـرة ... تخفـ ـف أحـ ـوالي وفـ ـرط صـ ـبابتي

سألت فؤادي الصـ ـبر عـ ـنكم فقـ ـال لـ ـي ... إليك فـ ـإن الصـ ـبر مـ ـن عيـ ـر عـ ـادتي

ثم زاد بكائه فقال له الوقاد لاتبك واحمد الله على السلامة والعافية فقال ضوء المكان كـ ـم بينـ ـا وبـ ـين دمشق فقال ستة أيام فقال ضوء المكان هل لك أن ترسلني إليها فقال له الوقاد يا سيدي كيف أدعـ ـك تـ ـروح وحدك وأنت شاب صغير فإن شئت السفر إلى دمشق فأنا الذي أروح معك وأن أطاعتني زوجتي وسـ ـافرت معي أقمت هناك فإنه لا يهون على فراقك ثم قال الوقاد لزوجته هل لك أن تسافري معي إلى دمشق الشام أو تكوني مقيمة هنا حتى أوصل سيدي هذا إلى دمشق الشام وأعود إليك فإنه يطلب السفر إليهـ ـا فـ ـإني والله لا يهون على فراقه وأخاف عليه من قطاع الطريق فقالت له زوجته أسافر معكما فقال الوقاد الحمـ ـد لله علـ ـى الموافقة ثم أن الوقاد قام وباع أمتعته وأمتعة زوجته. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوقاد اتفق هو وزوجته على السفر مع ضوء المكان وعلـ ـى أنهمـ ـا يمضيان معه إلى دمشق ثم أن الوقاد باع أمتعته وأمتعة زوجته ثم أكترى حماراً وأركب ضوء المكـ ـان أيـ ـاه وسافروا ولم يزالوا مسافرين ستة أيام إلى أن دخلوا دمشق فنزلوا هناك في آخر النهار وذهب الوقاد واشترى شيئاً من الأكل والشرب على العادة ومازالوا على ذلك الحال خمسة أيام وبعد ذلك مرضت زوجة الوقاد أياماً قلائل وانتقلت إلى رحمة الله تعالى فعظم ذلك على ضوء المكان لأنه كان قد اعتاد عليهـ ـا وكانـ ـت تخدمـ ـه وحزن عليها الوقاد حزناً شديداً فالتفت ضوء المكان إلى الوقاد فوجده حزيناً فقال له لا تحـ ـزن فأننـ ـا كلنـ ـا داخلون في هذا الباب فالتفت الوقاد إلى ضوء المكان وقال له جزاك الله خيراً يا ولدي فالله تعـ ـالى يعـ ـوض علينا بفضله ويزيل عنا الحزن فهل لك يا ولدي أن تخرج بنا ونتفرج في دمشق لينشرح خاطرك فقـ ـال لـ ـه ضوء المكان الرأي رأيك فقام الوقاد ووضع يده في يد ضوء المكان وسار إلى أن أتيا تحت اصـ ـطبل وإلـ ـى دمشق فوجد أجمالاً محملة صناديق وفرشا وقماشاً من الديباج وغيره وجنائـ ـب مسـ ـرجة ونجـ ـاتي وعبيـ ـداً ومماليك والناس في هرج ومرج فقال ضوء المكان يا ترى لمن تكون هؤلاء المماليك والجمـ ـال والأقمشـ ـة وسأل بعض الخدم عن ذلك فقال له المسئول هذه هدية من أمير دمشق يريد إرسالها إلى الملك عمر النعمـ ـان مع خراج الشام فلما سمع ضوء المكان هذا الكلام تغرغرت عيناه بالدموع وأنشد يقول:

أن شـ ـكونا البعـ ـاد مـ ـاذا نقـ ـول ... أو تلفنـ ـا شـ ـوقاً فكيـ ـف السـ ـبيل

أو رأيد . .ا رسـ . .لاً تتـ . .رجم عنـ . .ا	مـ .ا بـ .ودي شـ .كوى لمحـ .ب رسـ .ول
أو صـ .برنا فمـ .ا مـ .ن الصـ .بر عنـ .دي	بعـ . .د فقـ . .د الأحبـ . .اب إلا قليـ . .ل

وقال أيضاً:

وحلـ .وا غـ .ائبين عـ .ن جفـ .ن عينـ .ي	وهـ . م فـ . ي الفـ . ؤاد منـ . ي حلـ . ول
غـ . .اب عنـ . .ي جمـ . .الهم فحيـ . .اني	لـ . يس تحلـ . وا والاشـ . تياقي يحـ . ول
أن قضـ . .ى الله باجتمـ . .اعي علـ . .يكم	أذكـ .ر الوجـ .د فـ .ي حـ .ديث يطـ .ول

فلما فرغ من شعره بكى فقال له الوقاد يا ولدي نحن ما صدقنا أنك جاءتك العافية فطب نفساً ولا تبـ ـك فإني أخاف عليك من النكسة ومازال يلاطفه ويمازحه وضوء المكان يتنهد ويتحسر على غربته وعلى فراقه لأخته ومملكته ويرسل العبرات ثم أنشد هذه الأبيات:

تـ . زود مـ . ن الـ . دنيا فإنـ . ك راحـ . ل	وأيقـ .ن بـ .أن المـ .وت لاشـ .ك نـ .ازل
نعيمـ .ك فـ .ي الـ .دنيا غـ .رور وحسـ .رة	وعيشـ .ك فـ .ي الـ .دنيا محـ .ال وباطـ .ل
إلا أنمـ . ـا الـ . دنيا كمنـ . زل راكـ . ـب	أناخ عيشـ ـاً وهـ ـو فـ ـي الصـ ـبح راحـ ـل

ثم أن ضوء المكان جعل يبكي وينتحب على غربته وكذلك الوقاد صار يبكي على فراق زوجته ولكنه مازال يتلطف بضوء المكان إلى أن أصبح الصباح فلما طلعت الشمس قال له الوقاد كأنك تذكرت بلادك فقال له ضوء المكان نعم لا أستطيع أن أقيم هنا واستودعك الله فإني مسافر مع هؤلاء القوم وأمشي معهم قلـ ـيلاً قليلاً حتى أصل إلى بلادي فقال له الوقاد وأنا معك فأني لا أقدر أن أفارقك فإني عملت معك حسنة وأريد أن أتممها بخدمتي لك فقال له ضوء المكان جزاك الله عني خيراً وفرح ضوء المكان بسفر الوقاد معـ ـه ثـ ـم أن الوقاد خرج من ساعته واشترى حماراً وهيأ زاداً وقال لضوء المكان أركب هذا الحمار في السفر فإذا تعبـ ـت من الركوب فأنزل وأمش فقال له ضوء المكان بارك الله فيك وأعانني على مكافأتك فإنك فعلت معـ ـي مـ ـن الخير مالا يفعله أحد مع أخيه ثم صبرا إلى أن جن الظلام فحملا زادهما وامتعتهما على ذلك الحمار وسافرا هذا ما كان من أمر ضوء المكان والوقاد (وأما) ما كان من أمر أخته نزهة الزمان فإنها لما فارقـ ـت أخاهـ ـا ضوء المكان خرجت من الخان الذي كانا فيه في القدس بعد أن التفت بالعباءة لأجل أن تخدم أحداً وتشـ ـتري لأخيها ما اشتهاه من اللحم المشوي وصارت تبكي في الطريق وهي لا تعرف أين تتوجه وصـ ـار خاطرهـ ـا مشغولاً بأخيها وقلبها مفتكر في الأهل والأوطان فصارت تتضرع إلى الله تعالى في دفع هذه البليات وأنشدت هذه الأبيات:

جـ .ن الظـ .لام وهـ .اج الوجـ .د بالسـ .قم	والشوق حـ ـركـ مـ ـا عنـ ـدي مـ ـن الألـ ـم
ولوعة البين فـ ـي الأحشـ ـاء قـ ـد سـ ـكنت	والوجـ .د صـ .يرني فـ .ي حالـ .ة العـ .دم
والحـ .زن أقلقنـ .ي والشـ .وق أحرقنـ .ي	والـ . دمع بـ . ـاح بحـ . ـب أي مكتـ . ـتم
وليس لي حيلـ ـة فـ ـي الوصـ ـل أعرفهـ ـا	حتى تزحـ ـزح مـ ـا عنـ ـدي مـ ـن الغمـ ـم
فنـ . .ار قلبـ . .ي بالأشـ . .واق موقـ . .دة	ومـ ـن لظاهـ ـا يظـ ـل الصـ ـب فـ ـي نقـ ـم
يا من يلوم على مـ ـا حـ ـل بـ ـي وجـ ـرى	أنـ ـي صـ ـبرت علـ ـى مـ ـا خـ ـط بـ ـالقلم

أقسـ .مت بالحـ .ـب مـ .ـالي سـ .ـلوة أبـ .ـداً يمـ .ـين أهـ .ـل الهـ .ـوى مبـ .ـرورة القسـ .ـم
يا ليـ ـل بلـ ـغ رواة الحـ ـب عـ ـن خبـ ـري وأشـ .ـهد بعلمـ .ـك أنـ .ـي فيـ .ـك لـ .ـم أنـ .ـم

ثم أن نزهة الزمان أخت ضوء المكان صارت تمشي وتلتفت يميناً ويساراً وإذا بشيخ مسافر من البـ ـدو ومعه خمسة أنفار من العرب قد التفت إلى نزهة الزمان فرآها جميلة وعلى رأسها عباءة مقطعة فتعجب من حسنها وقال في نفسه أن هذه جميلة ولكنها ذات قشف فإن كانت من أهل هذه المدينة أو كانت غريبة فلابد لي منها ثم أنه تبعها قليلاً قليلاً حتى تعرض لها في الطريق في مكان ضيق وناداها ليسألها عن حالها وقال لهـ ـا يابنية هل أنت حرة أم مملوكة فلما سمعت كلامه نظرت إليه وقالت له بحياتك لا تجدد علي الأحزان فقال لها أني رزقت ست بنات مات لي منهن خمسة وبقيت واحدة وهي أصغرهن وأتيت إليك لا سألك هل أنت مـ ـن أهل هذه المدينة أو غريبة لأجل أن آخذك وأجعلك عندها لتؤانسيها فتشتغل بك عن الحزن على أخواتها فـ ـإن لم يكن لك أحد جعلتك مثل واحدة منهن وتصيرين مثل أولادي فلما سمعت نزهة الزمان كلامه قالـ ـت فـ ـي سرها عسى أن آمن على نفسي عند هذا الشيخ ثم أطرقت برأسها من الحياء وقالت يا عم أنا بنت غريبة ولي أخ ضعيف فأنا أمضي معك إلى بيتك شرط أن أكون عندها بالنهار وبالليل أمضي إلى أخي فإن قبلـ ـت هـ ـذا الشرط مضيت معك لأني غريبة وكنت عزيزة فأصبحت ذليلة حقيرة وجئت أنا وأخي مـ ـن بـ ـلاد الحجـ ـاز وأخاف أن أخي لا يعرف لي مكاناً فلما سمع البدوي كلامها قال في نفسه والله أني فزت بمطلوبي ثم قال لها ما أريد إلا لتؤانسي بنتي نهاراً وتمضي إلى أخيك ليلاً وأن شئت فأنقليه إلى مكاننا ولم يزل البـ ـدوي يطيـ ـب قلبها ويلين لها الكلام إلى أن وافقته على الخدمة ومشى قدامها وتبعته ولم يزل سائر إلى جماعته وكـ ـان قـ ـد هيأوا الجمال ووضعوا عليها الأحمال ووضعوا فوقها الماء والزاد وكان البدوي فأطع الطريق وخائن الرفيق وصاحب مكر وحيل ولم يكن عنده بنت ولا ولد وأنما قال ذلك الكلام حيلة على هذه البنت المسـ ـكينة لامـ ـر قدره الله ثم أن البدوي صار يحدثها في الطريق إلى أن خرج من مدينة القدس واجتمع برفقته فوجـ ـدهم قـ ـد رحلوا الجمال فركب البدوي جملاً وأردفها خلفه وساروا معظم الليل فعرفت نزهة الزمان أن كـ ـلام البـ ـدوي كان حيلة عليها وأنه مكر بها فصارت تبكي وتصرخ وهم في الطريق قاصدين الجبال خوفاً أن يراهم أحـ ـد فلما صاروا قريب الفجر نزلوا عن الجمال وتقدم البدوي إلى نزهة الزمان وقال لها يا مدينة ما هـ ـذا البكـ ـاء والله إن لم تتركي البكاء ضربتك إلى أن تهلكي يا قطعة حضرية فلما سمعت نزهة الزمان كلامـ ـه كرهـ ـت الحياة وتمنت الموت فالتفتت إليه وقالت له يا شيخ السوء يا شيبة جهنم كيف استأمنك وأنت تخونني وتمكـ ـر بي فلما سمع البدوي كلامها قال لها ياقطعة حضرية لك لسان تجاوبينني به وقام إليها ومعه سوط فضـ ـربها وقال أن لم تسكتي قتلتك فسكتت ساعة ثم تفكرت أخاها وما هو فيه من الأمراض فبكت سراً وفي ثاني يـ ـوم التفتت إلى البدوي وقالت له كيف تعمل على هذه الحيلة حتى أتيت بي إلى هذه الجبال القفرة وما قصدك مني فلما سمع كلامها قسا قلبه وقال لها يا قطعة حضرية ألك لسان تجاوبينني به وأخذ السوط ونـ ـزل بـ ـه علـ ـى ظهرها إلى أن غشي عليها فأنكبت على رجليه وقبلتهما فكف عنها الضرب وصار يشتمها ويقول لها وحـ ـق طرطوري أن سمعتك تبكين قطعت لسانك ودسته في فرجك يا قطعة حضرية فعند ذلك سكتت ولم ترد جواباً وآلمها الضرب فقعدت على قرافيصها وجعلت رأسها في طوقها وصارت تتفكر في حالها وفي حـ ـال أخيهـ ـا

وفي ذلها بعد العز وفي مرض أخيها ووجدته وأغترابهما وأرسلت دموعها على الوجن ات وأنش دت ه ذه الأبيات:

مـ .ن ع .ادة الـ .دهر أدبـ .ار وأقبـ .ال فمـ .ا يـ .دوم لـ .ـه بـ .ين الـ .ورى حـ .ال

كـ .ل شـ .يء مـ .ن الـ .دنيا لـ .ـه أجـ .ل وتنقضـ . ي لجميـ . ع النـ . اس آجـ . ال

كم أحمل الضـ يم والأهـ وال يـ ا أسـ في مـ .ن عيشـ .ة كلهـ .ا ضـ .يم وأهـ .وال

لا أسـ . عد الله أيامـ . اً عـ . ززت بهـ . ا دهـ .راً وفـ .ي طـ .ي ذاك العـ .ز أذلال

قد خاب قصدي وآمـ الي بهـ ا انصـ رمت وقـ . د تقطـ . ع بالتغريـ . ب أوصـ . ال

يـ ا مـ ن يمـ ر علـ ى دار فيهـ ا سـ كني بلغـ . ـه عنـ . ي أن الـ . دمع هطـ . ال

فلما سمع البدوي شعرها عطف عليها ورثى لها ورحمها وقام إليها ومسح دموعها وأعطاها قرصاً من شعير وقال لها لما لا أحب من يجاوبني في وقت الغيظ وأنت بعد ذلك لا تجاوبينني بشيء من ه ذا الك لام الفاحش وأنا أبيعك لرجل جيد مثلي يفعل معك الخير مثل ما فعلت معك قالت نعم ما تفعل ثم أنها لمـ ا طـ ال عليها الليل وأحرقها الجوع أكلت من ذلك القرص الشعير شيئاً يسيراً فلما انتصف الليل أمر البدوي جماعتـ ـه أن يسافروا. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن البدوي لما أعطى نزهة الزمان القرص الشعير ووعـ دها أن يبيعهـ ا لرجل جيد مثله قالت له نعم ما تفعل فلما انتصف الليل وأحرقها الجوع أكلت من القرص الشعير شيئاً يسـ يراً ثم أن البدوي أمر جماعته أن يسافروا فحملوا الجمال وركب البدوي جملاً وأردف نزهة الزمان خلفه وساروا ومازالوا سائرين مدة ثلاثة أيام ثم دخلوا مدينة دمشق ونزلوا في خان السلطان بجانب باب الملك وقد تغيـ ر لون نزهة الزمان من الحزن وتعب السفر فصارت تبكي من أجل ذلك فأقبل عليها البـ دوي وقـ ال لهـ ا يـ ا حضرية وحق طرطوري أن لم تتركي هذا البكاء لا أبيعك إلا ليهودي ثم أنه قام وأخذ بيدها وأدخلها في مكان وتمشي إلى السوق ومر على التجار الذين يتجرون في الجواري وصار يكلمهم ثم قال لهم عندي جارية أتيت بها معي وأخوها ضعيف فأرسلته إلى أهلي في مدينة القدس لأجل أن يداووه حتى يبرأ وقصـ دي أن أبيعهـ ا ومن يوم ضعف أخوها وهي تبكي وصعب عليها فراقه وأريد أن الذي يشتريها مني يلين لها الكلام ويقـ ول لها أن أخاك عندي في القدس ضعيف وأنا أرخص له ثمنها فنهض له رجل من التجار وقال له كـ م عمرهـ ا فقال لها بكر بالغة ذات عقل وأدب وفطنة وحسن وجمال ومن حين أرسلت أخاها إلى القدس اشـ تغل قلبهـ ا وتغيرت محاسنها وانهزل سمنها فلما سمع التاجر ذلك تمشى مع البدوي وقال له اعلم يا شيخ العـ رب أنـ ي أروح معك وأشتري منك الجارية التي تمدحها وتشكر عقلها وأدبها وحسنها وجمالها وأعطيك ثمنها واشـ رط عليك شروطاً أن قبلتها نقدت لك ثمنها وأن لم تقبلها رددت عليك فقال له البدوي إن شئت فـ أطلع بهـ ا إلـ ى السلطان واشرط على ما شئت من الشروط فإنك إذا أوصلتها إلى الملك شركان بن الملـ ك عمـ ر النعمـ ان صاحب بغداد وخراسان ربما تليق بعقله فيعطيك ثمنها ويكثر لك الربح فيها فقال له التاجر وأنـ ا لـ ي عنـ د السلطان حاجة وهو أن يكتب إلى والده عمر النعمان بالوصية على فإن قبل الجارية مني وزنت لـ ك ثمنهـ ا

فقال له البدوي قبلت منك هذا الشرط ثم مشي الاثنان إلى أن أقبلا على المكان الذي فيه نزهة الزمان ووقف البدوي على باب الحجرة وناداها يا ناحية وكان سماها بهذا الأسم فلما سمعته بكت ولم تجبه فألتفت البد دوي إلى التاجر وقال ها هي قاعدة دونك فأقبل عليها وأنظرها ولا طفها مثل ما أوصيتك فتقدم التاجر إليها فرآها بديعة في الحسن والجمال لا سيما وكانت تعرف بلسان العرب فقال التاجر أن كانت كما وصفت لي فإني أبلغ بها عند السلطان ما أريد ثم أن التاجر قال لها السلام عليك يا بنية كيف حالك فالتفتت إليه وقالت كان ذل ك في الكتاب مسطوراً ونظرت إليه فإذا هو رجل ذو وقار ووجه حسن فقالت في نفسها أظ ن أن ه ذا ج اء يشتريني ثم قالت أن امتنعت عنه صرت عند هذا الظالم فيهلكني من الضرب فعلى كل حال هذا رجل وجهه حسن وهو أرجى للخير من هذا البدوي الجلف ولعله ما جاء إلا ليسمع منطقي فأنا أجاوبه جواباً حس ناً ك ل ذلك وعينها في الأرض ثم رفعت بصرها إليه وقالت بكلام عذب وعليك السلام ورحمة الله وبركاته يا سيدي بهذا أمر النبي ﷺ وأما سؤالك عن حالي فإن شئت أن تعرفه فلا تتمنه إلا لأعدائك ثم سكتت فلما سمع التاجر كلامها طار عقله فرحا بها والتفت إلى البدوي وقال له كم ثمنها فإنها جليلة فاغتاظ البدوي وقال له أفس دت على الجارية بهذا الكلام لأي شيء تقول أنها جليلة مع أنها من رعاع الناس فأنا لا أبيعها ل ك فلم ا س مع التاجر كلامه عرف أنه قليل العقل فقال له طب نفساً وقر عيناً فأنا اشتريها على هذا العيب الذي ذكرته فقال البدوي وحكم تدفع لي فيها فقال له التاجر ما يسمى الولد إلا أبوه فاطلب فيها مقصودك فقال له البد دوي م ا يتكلم إلا أنت فقال التاجر في نفسه أن هذا البدوي جلف يابس الرأس وأنا لا أعرف لها قيمة إلا أنها ملك ت قلبي بفصاحتها وحسن منظرها وأن كانت تكتب وتقرأ فهذا من تمام النعمة عليها وعلى من يشتريها لكن هذا البدوي لا يعرف لها قيمة ثم التفت إلى البدوي وقال له يا شيخ العرب ادفع لك فيها مائتي دينار سالمة لي دك غير الضمان وقانون السلطان فلما سمع ذلك البدوي اغتاظ غيظاً شديداً وصرخ في ذلك التاجر وقال له ق م إلى حال سبيلك لو أعطيتني مائة دينار في هذه القطعة العباءة التي عليها ما بعتها لك فأنا لا أبيعها بل أخليها عندي ترعى الجمال وتطحن الطحين ثم صاح عليها وقال تعالى يا منتنه أنا لا أبيعك ثم التفت إل ى الت اجر وقال له كنت أحسبك أهل معرفة وحق طرطوري إن لم تذهب عني لاسمعتك مالا يرضيك فقال التاجر ف ي نفسه أن هذا البدوي مجنون ولا يعرف قيمتها ولا أقول له شيئاً في ثمنها في هذا الوقت فأنه لو كان صـ احب عقل ما قال وحق طرطوري والله أنها تساوي خزنة من الجواهر وأنا ما معي ثمنها ولكن أن طلب مني م ا يريد أعطيته أياه ولو أخذ جميع مالي ثم التفت إلى البدوي وقال له يا شيخ العرب طول بالك وقل لي ما له ا من القماش عندك فقال البدوي وما تعمل قطاعة الجواري هذه القماش والله أن هذه العباءة التي هي ملفوف ة فيها كثيرة عليها فقال له التاجر عن أذنك أكشف عن وجهها وأقلبها كما يقلب الناس الجواري لأجل الاشتراء فقال له البدوي دونك وما تريد الله يحفظ شبابك فقلبها ظاهراً وباطناً فأن شئت فعرها الثياب ثم انظرها وهي عريانة فقال التاجر معاذ الله أنا ما أنظر إلا وجهها ثم أن التاجر تقدم إليها وهو خجلان من حسنها وجماله ا.
وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن التاجر تقدم إلى نزهة الزمان وهو خجلان من حسنها وجلـ س إلـ ى جانبها وقال لها يا سيدتي ما نسمك فقالت له تسألني عن اسمي في هذا الزمان أو عن اسمي القديم فقال لـه ا هل لك اسم جديد واسم قديم قالت نعم اسمي القديم نزهة الزمان واسمي الجديد غصة الزمان فلما سمع التاجر منها هذا الكلام تغرغرت عيناه بالدموع وقال لها هل لك أخ ضعيف فقالت أي والله يا سـ يدي ولكـ ن فـ رق الزمان بيني وبينه وهو مريض في بيت المقدس فتحير عقل التاجر من عذوبة منطقها وقال في نفسـ ه لقـ د صدق البدوي في مقالته ثم أن نزهة الزمان تذكرت أخاها ومرضه وغربته وفراقها عنه وهـ و ضـ عيف ولا تعلم ما وقع له وتذكرت ما جرى لها من هذا الأمر مع البدوي ومن بعدها عن أمها وأبيها ومملكتها فجـ زت دموعها على خدها وأرسلت العبرات وأنشدت هذه الأبيات:

حينمـ . . ا قـ . . د وفـ . . اك إلهـ . . ي | أيهـ . .ا الراحـ . .ل المقـ . .يم بقلبـ . .ي
ولـ . ـك الله حيـ . ـث أمسـ . ـيت جـ . ـار | حـ ـافظ مـ ـن صـ .روف دهـ ـر وخطـ ـب
غبـ . ـت فاستوحشـ . ـت لقربـ . ـك عينـ . ـي | واسـ . . تهلت مـ . . دامعي أي سـ . . كب
ليـ . ـت شـ . ـعري بـ . ـاي ربـ . ـع وأرض | أنـ . ـت مسـ . ـتوطن بـ . ـدار وشـ . ـعب
أن يكـ . .ن شـ . .ارباً لمـ . .اء حيـ . .اة | حضـ . ـر الـ . ورد فالمـ . دامع شـ . ربى
أو شـ . ـهدت الرقـ . ـاد يومـ . ـاً فجمـ . ـر | مـ .ن سـ .هاد بـ .ين الفـ .راش وجنبـ .ي
كـ . .ل شـ . .يء إلا فراقـ . .ك سـ . .هل | عنـ .د قلبـ .ي وغيـ .ره غيـ .ر صـ .عب

فلما سمع التاجر ما قالته من الشعر بكى ومد يده ليمسح دموعها عن خدها فغطت وجهها وقالـ ت لـ ه حاشاك يا سيدي ثم أن البدوي قعد ينظر إليه وهي تغطي وجهها من التاجر حيث أراد أن يمسح دمعها عـ ن خدها فاعتقد أنها تمنعه من التقليب فقام إليها يجري وكان معه مقود جمل فرفعه في يده وضربها بـ ه علـ ى أكتافها فجاءت الضربة بقوة فأنكبت بوجهها على الأرض فجاءت حصاة من الأرض في حاجبها فشقته فسأل دمها على وجهها فصرخت صرخة عظيمة وغشي عليها وبكت وبكي التاجر معها فقـ ال التـ اجر لابـ د أن أشتري هذه الجارية ولو بثقلها ذهبا وأريحها من هذا الظالم وصار التاجر يشتم البدوي وهي في غشيتها فلما أفاقت مسحت الدموع والدم عن وجهها وعصبت رأسها ورفعت طرفها إلى السماء وطلبت من مولاها بقلـ ب حزين وأنشدت هذين البيتين:

وارحمـ . . . . ـة لعزيـ . . . . زة | بالضـ . .م قـ . .د صـ . .ارت ذليلـ . .ـة
تبكـ . . . .ي بـ . . . . .دمع هاطـ . . . .ل | وتقـ . ول مـ . ـا فـ . ـي الوعـ . د حيلـ . ـة

فلما فرغت من شعرها التفتت إلى التاجر وقالت له بصوت خفى بالله لا تدعني عند هذا الظالم الذي لا يعرف الله تعالى فإن بت هذه الليلة عنده قتلت نفسي بيدي فخلصني منه يخلصك الله مما تخاف فـ ي الـ دنيا والآخرة فقام التاجر وقال للبدوي يا شيخ العرب هذه ليست غرضك بعنى أياها بما تريد فقال البدوي خـ ذها وأدفع ثمنها وروح بها إلى النجع وأتركها تلم البعر وترعى الجمال فقال التاجر أعطيك خمسين ألف دينـ ار فقال البدوي يفتح الله فقال التاجر سبعين ألف دينار فقال البدوي يفتح الله هذا ما هو رأس ما لها لأنها أكلـ ت عندي أقراصاً من الشعير بتسعين ألف دينار فقال التاجر أنت وأهلك وقبيلتك في طول عمركم ما أكلتم بـ ألف

دينار شعيراً ولكن أقول لك كلمة واحدة فإن لم ترض بها غمزت عليك والى دمشق فيأخذها منك قهراً فقال البدوي تكلم فقال يا ألف دينار فقال البدوي بعتك أياها بهذا الثمن وأقدر أنني أشتريت بها ملحاً فلما سمعه التاجر ضحك ومضى إلى منزله وأتى له بالمال وأقبضه أياه فأخذه البدوي وقال في نفسه لابد أن أذهب إلى القدس لعلي أجد أخاها فأجيء به وابيعه ثم ركب وسافر إلى بيت المقدس فذهب إلى الخان وسأل عن أخيها فلم يجده هذا ما كان من أمره (وأما) ما كان من أمر التاجر ونزهة الزمان فأنه لما أخذها ألقى عليها شيئاً من ثيابه ومضى بها إلى منزله وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن التاجر لما تسلم الجارية من البدوي وضع عليها شيئاً من ثيابه ومضى بها إلى منزله وألبسها أفخر الملبوس ثم أخذها ونزل بها إلى السوق وأخذ لها مصاغاً ووضعه في بقجة من الأطلس ووضعها بين يديها وقال لها هذا كله من أجلك ولا أريد منك إلا إذا طلعت بك إلى السلطان وإلى دمشق أن تعلميه بالثمن الذي اشتريتك به وأن كان قليلاً في ظفرك وإذا اشتراك مني فاذكري له ما فعلت معك وأطلبي لهي منه مررقوماً سلطانياً بالوصية على لأذهب به إلى والده صاحب بغداد الملك عمر النعمان لأجل أن يمنع من يأخذ مني مسكاً على القماش أو غيره من جميع ما أتجر فيه فلما سمعت كلامه بكت وانتحبت فقال لها التاجر يا سيدتي أني أراك كلما ذكرت لك بغداد تدمع عيناك ألك فيها أحد تحبينه فإن كان تاجراً أو غيره فأخبريني فإني أعرف جميع ما فيها من التجار وغيرهم وأن أردت رسالة أنا أوصلها إليه فقالت والله مالي معرفة بتاجر ولا غيره وأنا مالي معرفة بالملك عمر النعمان صاحب بغداد فلما سمع التاجر كلامها ضحك وفرح فرحاً شديداً وقال في نفسه والله أني وصلت إلى ما أريد ثم قال لها أنت عرضت عليه سابقاً فقالت لا لكن تربيت أنا وبنته فكنت عزيزة عنده ولى عنده حرمة كبيرة فإن كان غرضك أن الملك عمر النعمان يبلغك ما تريد فأئتني بدواة وقرطاس فأني أكتب لك كتاباً فإذا دخلت مدينة بغداد فسلم الكتاب من يدك إلى يد الملك عمر النعمان وقل له إن جاريتك نزهة الزمان قد طرقتها صروفه الليالي والأيام حتى بيعت من مكان إلى مكان وهي تقرئك السلام وإذا سألك عني فأخبره إني عنده غائب دمشق فتعجب التاجر من فصاحتها وازدادت عنده محبتها وقال ما أظن إلا أن الرجال لعبوا بعقلك وباعوك بالمال فهل تحفظين القرآن قالت نعم وأعرف الحكمة والطب ومقدمة المعرفة وشرح فصول بقراط لجالينوس الحكيم وشرحته أيضاً وقرأت التذكرة وشرحت البرهان وطالعت مفردات بن البيطار وتكلمت على القانون لابن سينا وجللت الرموز ووضعت الأشكال وتحدثت في الهندسة وأتقنت حكمة الأبدان وقرأت كتب الشافعية وقرأت الحديث والنحو وناظرت العلماء وتكلمت في سائر العلوم والفت في علم المنطق والبيان والحساب والجدل وأعرف الروحاني والميقات وفهمت هذه العلوم كلها ثم قالت أئتني بدواة وقرطاس حتى أكتب كتاباً يسليك في الأسفار ويغنيك عن مجلدات الأسفار فلما سمع التاجر منها هذا الكلام صاح بخ بخ فيا سعد من تكونين في قصره ثم أتاها بدواة وقرطاس وقلم من نحاس فلما أحضر التاجر ذلك بين يديها وقبل الأرض تعظيماً فأخذت نزهة الزمان الدرج وتناولت القلم وكتبت في الدرج هذه الأبيات:

ما بال نومي من عيني قد نفرا ... أأنت علمت طرفي بعدك السهرا

وما لـ ذكرك يـ ذكى النـ ار فـ ي كبـ دي	أهكـ .ذا كـ .ل صـ .ب للهـ .وى ذكـ .را
سـ . قا الأيـ . ام مـ . ا كـ . ان أطيبهـ . ا	مضت ولـ م أقـ ض مـ ن لـ ذاتها وطـ را
أسـ .تعطف الـ .ريح أن الـ .ريح حاملـ .ة	إلـ . ى المتـ .يم مـ . ن أكتـ .افكم خبـ .را
يشـ .كو غليـ .ك محـ .ب قـ .ل ناصـ .ره	وللفـ .راق خطـ .وب تصـ .دع الحجـ .را

ثم أنها لما فرغت من كتابة هذا الشعر كتبت بعده هذا الكلام وهي تقول ممن اسـ تولى عليهـ ا الفكـ ر وأنحلها السهر فظلمتها لا تجد لها من أنوار ولا تعلم الليل من النهار وتتقلب على مراقد البين وتكتحل بموارد الأرق ولم تزل للنجوم رقيبة وللظلام نقيبة قد أذابه الفكر والنحول وشرح حالها يطول لا مساعد لهـ ا غيـ ر العبرات وأنشدت هذه الأبيات:

مـ . ا غـ .ردت سـ .حرا ورقـ .اء فـ .تن	إلا تحـ . رك عنـ . دي قاتـ . ل الشـ . جن
ولا تـ . .أثر مشـ . .تاق بـ . .ه طـ . .رب	إلـ .ى الأحبـ .ة إلا ازددت فـ .ي حزنـ .ي
أشكو الغرام إلـ ى مـ ن لـ يس يرحمنـ ي	كم فـ رق الوجـ د بـ ين الـ روح والبـ دن

ثم أفاضت دموع العين وكتبت أيضاً هذين البيتين:

أبلى الهـ وى أسـ فا يـ وم النـ وى بـ دني	وفـ رق الهجـ ر بـ ين الجفـ ن والوسـ ن
كفـ .ى بجسـ .مي نحـ .ولا أننـ .ي دنـ .ف	لـ .ولا مخـ .اطبني إيـ .اك لـ .م ترنـ .ي

وبعد ذلك كتبت في أسفل الدرج هذا من عند البعيدة عن الأهل والأوطان الحزينة القلب والجنان نزهة الزمان ثم طوت الدرج وناولته للتاجر فأخذه وقبله وعرف ما فيه ففرح وقال سبحان مـ ن صـ ورك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن نزهة الزمان كتبت الكتاب وناولته للتاجر فأخذه وقرأه وعلم مـ ا فيـ ه فقال سبحان من صورك وزاد في أكرامها وصار يلاطفها نهاره كله فلما أقبل الليل خرج إلى السوق وأتـ ى بشيء فأطعمها أياه ثم أدخلها الحمام وأتى لها ببلانة وقال لها إذا فرغت من غسل رأسها فالبسيها ثيابها ثـ م أرسلي أعلميني بذلك فقالت سمعاً وطاعة ثم أحضر لها طعاماً وفاكهة وشمعاً وجعل ذلك على مصطبة الحمام فلما فرغت البلانة من تنظيفها ألبستها ثيابها ولما خرجت من الحمام وجلست على مصطبة الحمام فلما فرغت البلانة من تنظيفها ألبستها ثيابها ولما خرجت من الحمام وجلست على مصطبة الحمام وجدت المائدة حاضرة فأكلت هي والبلانة من الطعام والفاكهة وتركت الباقي لحارسة الحمام ثم باتت إلى الصـ باح وبـ ات التـ اجر منعزلاً عنها في مكان آخر فلما استيقظ من نومه أيقظ نزهة الزمان وأحضر لها قميصاً رفيعاً وكوفية بـ ألف دينار وبدلة تركية مزركشة بالذهب وخفا مزركشاً بالذهب الأحمر مرصعاً بالدر والجوهر وجعل في أذنيهـ ا حلقاً من اللؤلؤ بألف دينار ووضع في رقبتها طوقاً من الذهب وقلادة من العنبر تضرب تحت نهديها وفـ وق صرتها وتلك القلادة فيها عشر أكر وتسعة أهلة كل هلال في وسطه فص من الياقوت وكل أكرة فيها فـ ص البلخش وثمن تلك القلادة ثلاثة آلاف دينار فصارت الكسوة التي كساها أياها بجملة بليغة من المال ثم أمرهـ ا

التاجر أن تتزين بأحسن الزينة ومشت ومشى التاجر قدامها فلما عاينها الناس بهتوا في حسنها وقالوا تبـ ـارك الله أحسن الخالقين هنيئاً لمن كانت هذه عنده ومازال التاجر يمشي وهي تمشي خلفه حتى دخل على المـ ـلك شركان فلما دخل على الملك قبل الأرض بين يديه وقال أيها الملك السعيد أتيت لك بهديـ ـة غريبةالأوصـ ـاف عديمة النظير في هذا الزمان قد جمعت بين الحسن والإحسان فقال له الملك قصدي أن أراها عيانـ ـاً فخـ ـرج التاجر وأتى بها حتى أوقفها قدامه فلما رآها الملك شركان حن الدم إلى الدم وكانت قد فارقته وهي صـ ـغيرة ولم ينظرها لأنه بعد مضي مدة من ولادتها سمع أن له أختاً تسمى نزهة الزمان وأخاً يسمى ضـ ـوء المكـ ـان فاغتاظ من أبيه غيظاً شديداً غيره على المملكة كما تقدم ولما قدمها إليه التاجر قال له يا ملك الزمان أنها مع كونها بديعة الحسن والجمال بحيث لا نظير لها في عصرها تعرف جميع العلوم الدينية والدنيوية والسياسـ ـية والرياضية فقال له الملك خذ ثمنها مثل ما اشتريتها ودعها وتوجه إلى حال سبيلك فقال لـ ـه التـ ـاجر سـ ـمعاً وطاعة ولكن أكتب لي مرقوماً لأني لا أدفع عشراً أبداً على تجارتي فقال الملك أني أفعل لـ ـك ذلـ ـك ولكـ ـن أخبرني كم وزنت ثمنها فقال وزنت ثمنها ألف دينار وكسوتها بمائة ألف دينار فلما سمع ذلك قال أنا أعطيك في ثمنها أكثر من ذلك ثم دعا بخازنداره وقال له أعط هذا التاجر ثلثمائة ألف دينار وعشرين ألف دينار ثـ ـم أن شركان أحضر القضاة الأربعة وقال لهم أشهدكم أني أعتقت جاريتي هذه وأريد أن أتزوجها فكتب القضاة حجة باعتاقها ثم أكتبوا كتابي عليها ونثر المسك على رءوس الحاضرين ذهباً كثيراً وصار الغلمان والخـ ـدم يلتقطون ما نثره عليهم الملك من الذهب ثم أن الملك أمر بكتابة منشور إلى التاجر على طبق مراده من أنه لا يدفع على تجارته عشراً ولا يتعرض له أحد بسوء في سائر مملكته وبعد ذلك أمر له بخلعـ ـة سـ ـنية وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك صرف جميع من عنده غير القضاة والتاجر وقال للقضاة أريـ ـد أن تسمعوا من ألفاظ هذه الجارية ما يدل على علمها وأدبها من كل ما ادعاه التاجر لنتحقق صـ ـدق كلامـ ـه فقالوا لا بأس من ذلك فأمر بارخاء ستارة بينه هو ومن معه وبين الجارية ومن معها وصار جميـ ـع النـ ـاس اللاتي مع الجارية خلف الستارة يقبلن يديها ورجليها لما علموا أنها صارت زوجة الملك ثم دون حولها وقمن يخدمنها وخففن ما عليها من الثياب وصرن ينظرن حسنها وجمالها وسمعت نساء الأمراء والوزراء أن الملك شركان اشترى جارية لا مثيل لها في أحمال العلم والأدب وأنها حوت جميع العلوم وقد وزن ثمنهـ ـا ثلثمائـ ـة ألف دينار وعشرين ألف دينار وأعتقها وكتب كتابه عليها وأحضر القضاة الأربعة لأجل امتحانها حتى ينظر كيف تجاوبهم عن أسئلتهم فطلب النساء الأذن من أزواجهن ومضين إلى القصر الذي فيه نزهة الزمان فلمـ ـا دخلن عليها وجدن الخدم وقوفاً بين يديها وحين رأت نساء الأمراء والوزراء داخلـ ـة عليهـ ـا قامـ ـت الـ ـيهن وقابلتهن وقامت الجواري خلفها وتلقت النساء بالترحيب وصارت تتبسم فـ ـي وجـ ـوههن فأخـ ـذت قلـ ـوبهن وأنزلتهن في مراتبهن كأنها تربت معهن فتعجبن من حسنها وجمالها وعقلها وأدبها وقلن لبعضهن مـ ـا هـ ـذه جارية بل هي ملكة بنت ملك وصرن يعظمن قدرها وقلن لها يا سيدتنا أضاءت بك بلـ ـدتنا وشـ ـرفت بلادنـ ـا ومملكتنا فالمملكة مملكتك والقصر قصرك وكلنا جواريك فبالله لا تخلينا من أحسانك والنظـ ـر إلـ ـى حسـ ـنك

فشكرتهن على ذلك هذا كله والستارة مرخاة بين نزهة الزمان ومن عندها من النساء وبين الملك شركان هو والقضاة الأربعة والتاجر ثم بعد ذلك ناداها الملك شركان وقال لها أيتها الجارية العزيزة في زمانها أن هـ ذا التاجر قد وصفك بالعلم والأدب وأدعى أنك تعرفين في جميع العلوم حتى علم النحو فاسمعينا من كـ ل بـ ـاب طرفاً يسيراً فلما سمعت كلامه قالت سمعاً وطاعة أيها الملك الباب الأول في السياسات الملكية ومـ ـا ينبغـ ـي لولاة الأمور الشرعية وما يلزمهم من قبل الأخلاق المرضية اعلم أيها الملك أن مقاصد الخلق منتهيـ ـة إلـ ـى الدين والدنيا لأنه لا يتوصل أحد إلى الدين إلا بالدنيا فإن الدنيا نعم الطريق إلى الآخرة وليس ينتظم أمر الدنيا باعمال أهلها وأعمال الناس تنقسم إلى أربعة أقسام الأمارة والتجارة والزراعة والصناعة فالأمارة ينبغي لهـ ـا السياسة التامة والفراسة الصادقة لأن الأمارة مدار عمارة الدنيا التي هي طريق إلى الآخـ ـرة لأن الله تعـ ـالى جعل الدنيا للعباد كزاد المسافر إلى تحصيل المراد فينبغي لكل إنسان أن يتناول منها بقدر ما يوصله إلـ ـى الله ولا يتبع في ذلك نفسه وهواه ولو تتناولها الناس بالعدل لانقطعت الخصومات ولكـ ـنهم يتناولونهـ ـا بـ ـالجور ومتابعة الهوى فتسبب عن أنهما كهم عليها الخصومات فاحتاجوا إلى سلطان لأجل أن ينصف بينهم ويضـ ـبط أمورهم ولولا ردع الملك الناس عن بعضهم لغلب قويهم على ضعيفهم وقد قال أزد شيران الـ ـدين والملـ ـك توأمان فالدين كنز والملك حارس وقد دلت الشرائع والعقول على أنه يجب على الناس أن يتخذوا سلطاناً يدفع الظالم عن المظلوم وينصف الضعيف من القوى ويكف بأس العاتي والباغي واعلم أيها الملك أنه على قـ ـدر حسن أخلاق السلطان يكون الزمان فإنه قد قال رسول الله ﷺ شيئآن في الناس أن صلحا صـ ـلح النـ ـاس وأن فسدا فسد الناس العلماء والأمراء وقد قال بعض الحكماء الملوك الثلاثة ملك وديـ ـن وملـ ـك محافظـ ـة علـ ـى الحرمات وملك هوي فأما ملك الدين فإنه يلزم رعيته باتباع دينهم وينبغي أن يكون أدينهم لأنـ ـه هـ ـو الـ ـذي يقتدي به في أمور الدين ويلزم الناس طاعته فيما أمر به موافقاً للأحكام الشرعية ولكنه ينزل السخط منزلـ ـة الراضي بسبب التسليم إلى الأقدار وأما ملك المحافظة على الحرمات فإنه يقوم بأمور الدين والـ ـدنيا ويلـ ـزم الناس باتباع الشرع والمحافظة على المروءة ويكون جامعاً بين العلم والسيف فمن زاغ عما سطر القلم زلت به القدم فيقوم أعوجاجه بحد الحسام وينشر العدل في جميع الأنام وأما ملك الهوى فلا دين له إلا اتباع هـ ـواه ولم يخش سطوة مولاه الذي ولاه فمآل ملكه إلى الدمار ونهاية عتوه إلى دار البوار وقالت الحكمـ ـاء الملـ ـك يحتاج إلى كثير من الناس وهم محتاجون إلى واحد ولأجل ذلك وجب أن يكون عار فباختلافهم ليرد اختلافهم إلى أوقاتهم ويعمهم بعدله ويغترهم بفضله واعلم أيها الملك أن أزد شير وهو الثالث من ملوك الفرس قد ملك الأقاليم جميعاً وقسمها على أربعة أقسام وجعل له من أجل ذلك أربع خواتم لكل قسم خاتم الأول خاتم البحـ ـر والشرطة والمحامات وكتب عليه بالنيابات الثاني خاتم الخراج وجباية الأموال وكتب عليه العمارة الثالث خاتم القوت وكتب عليه الرخاء الرابع خاتم المظالم وكتب عليه العدل واستمرت هذه الرسوم في الفـ ـرس إلـ ـى أن ظهر الإسلام وكتب كسرى لأبنه وهو في جيشه لا توسعن على جيشك فيسـ ـتغنوا عنـ ـك وأدرك شـ ـهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أنها قالت أن كسرى كتب لأبنه وهو في جيشه لأ توسعن عل ى جيش ك فيستغنوا عنك ولا تضيق عليهم فيضجروا منك وأعطهم عطاء مقتصد وأمنحهم منحاً جميلاً ووسع عليهم في الرخاء ولا تضيق عليهم في الشدة وروي أن أعرابياً جاء إلى المنصور وقال له أرجع كلبك يتبعك فغض ب المنصور من الأعرابي لما سمع منه هذا الكلام فقال له أبو العباس الطوسي أخشى أن يلوح له غيرك برغيف فيتبعه ويتركك فسكن غيظ المنصور وعلم أنها كلمة لا تخطيء وأمر للأعرابي بعطية واعلم أيها الملك أن ه كتب عبد الملك بن مروان لأخيه عبد العزيز بن مروان حين وجهه إلى مصر تفقد كتابك وحجابك فإن الثابت يخبرك عنه كتابك والترسيم تعرفك به نجابك والخارج من عندك يعرفك بجيشك وكان عمر بن الخطاب إذا استخدم خادماً شرط عليه أربعة شروط أن لا يركب البرازبن وإن لا يلبس الثياب النفيسة وأن لا يأكل م ن القيء وأن لا يؤخر الصلاة عن وقتها وقيل لا مال أجود من العقل ولا عق ل كالتد دبير والح زم ولا ح زم كالتقوى ولا قربة كحسن الخلق ولا ميزان كالأدب ولا فائدة كالتوفيق ولا تجارة كالعمل الص الح ولا رب ح كثواب الله ولا ورع كالوقوف عند حدود السنة ولا علم كالتفكر ولا عبادة كالفرائض ولا إيمان كالحي اء ولا حسب كالتواضع ولا شرف كالعلم فاحفظ الرأس وما حوى والبطن وما وعى واذكر الموت والبلا وقال علي رضي الله عنه اتقوا أشرار الناس وكونوا منهن على حذر ولا تشاوروهن في أمر ولا تضيقوا عل يهن ف ي معروف حتى لا يطمعن في المكر وقال من ترك الاقتصاد حار عقله وقال عمر رضي الله عنه النساء ثلاث ة أمرأة مسلمة نقية ودود تعين بعلها على الدهر ولا تعين الدهر على بعلها وأخرى تراد للولد لا تزيد على ذلك وأخرى يجعلها الله غلا في عنق من يشاء والرجال أيضاً ثلاثة رجل عاقل إذا أقبل على رأيه وآخر أعقل منه وهو من إذا نزل به أمر لا يعرف عاقبته فيأتي ذوي الرأي فينزل عن أرائهم وآخر حائر لا يعلم رش داً لا يطيع مرشداً والعدل لابد منه في كل الأشياء حتى أن الجواري يحتجن إلى العدل وضربوا لذلك مثلاً قط اع الطريق المقيمين على ظلم الناس فإنهم لو لم يتناصفوا فيما بينهم ويستعملوا الواجب فيم ا يقس مونه لأخت ل نظامهم وبالجملة فسيد مكارم الأخلاق الكرام وحسن الخلق وما أحسن قول الشاعر:

بب ذل وحل م س اد ف ي قوم ه الفت ى وكون . . ك أي . . اه علي . . ك يس . . ير

وقال آخر:

فف ي الحل م اتق ان وف ي العف و هيب ة وفي الصدق منج اة لم ن ك ان ص ادقاً
وم . ن يل . تمس حس . ن الثن . اء بمال . ه يكن بالن دى ف ي حلب ة المج د س ابقاً

ثم أن نزهة الزمان تكلمت في سياسة الملوك حتى قال الحاضرون ما رأينا أحداً تكلم في باب السياس ة مثل هذه الجارية فلعلها تسمعنا شيئاً من غير هذا الباب فسمعت نزهة الزمان ما قالوه وفهمته فقالت وأما باب الأدب فإنه واسع المجال لأنه مجمع الكمال فقد أتفق أن بني تميم وفدوا على معاوية ومعهم الأحنف بن ق يس فدخل حاجب معاوية عليه ليسأذنه لهم في الدخول فقال يا أمير المؤمنين أن أهل العراق يريدون الدخول عليك ليتحدثوا معك فاسمع حديثهم فقال معاوية انظر من بالباب فقال بنو تميم قال ليدخلوا فدخلوا ومعهم الأحن ف بن قيس فقال له معاوية أقرب مني يا أبا بحر بحيث أسمع كلامك ثم قال يا أبا بحر كيف رأيك لي ق ال ي ا

أمير المؤمنين فرق الشعر وقص الشارب وقلم الأظافر ونتف الأبط وحلق العانة وأدم السواك فإن فيه أثنـ ين وسبعين فضيلة وغسل الجمعة كفارة لما بين الجمعتين وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أنها قالت أن الأحنف بن قيس قال لمعاوية لما سأله وأدم السواك فإن فيه اثنين وسبعين فضيلة وغسل الجمعة كفارة لما بين الجمعتين قال له معاوية كيف رأيك لنفسك قـ ال أوطـ يء قدمي على الأرض وأنقلهم على تمهل وأراعيها بعيني قال كيف رأيك إذا دخلت على نفر مـ ن قومـ ك دون الأمراء قال أطرق حياء وأبدأ بالسلام وادع مالا يعنيني وأقل الكلام قال كيف رأيك إذا دخلت على نظرائـ ك قال استمع لهم إذا قالوا ولا أجول عليهم إذا جالوا قال كيف رأيك إذا دخلت على امرائك قال اسلم من غيـ ر إشارة وانتظر الإجابة فإن قربوني قربت وأن بعدوني بعدت قال كيف رأيك مع زوجتك قال أعفني من هذا يا أمير المؤمنين قال أقسمت عليك أن تخبرني قال أحسن الخلق وأظهر العشرة وأوسع النفقة فإن المرأة خلقـ ت من ضلع أعوج قال فما رأيك إذا أردت أن تجامعها قال أكلمها حتى تطيب نفسها وألثمها حتى تطـ رب فـ إن كان الذي تعلم طرحتها على ظهرها وأن استقرت النطفة في قرارها قلت اللهم جعلها مباركة ولا تجعلها شقية وصورها أحسن تصوير ثم أقوم عنها إلى الوضوء فأقبض الماء على يدي ثم أصبه على جسدي ثم أحمد الله علي ما أعطاني من النعم فقال معاوية أحسنت في الجواب فقل حاجتك فقال حاجتي أن تتق الله فـ ي الرعيـ ة وتعدل بينهم بالسوية ثم نهض قائماً من مجلس معاوية فلما ولى قال معاوية لو لم يكن بالعراق إلا هذا لكفـ ى ثم أن نزهه الزمان قالت وهذه النبذة من جملة باب الأدب واعلم أيها الملك أنه كان معيقب عاملاً على بيـ ت المال في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن نزهة الزمان قالت والعم أيها الملك أنه كان معيقب عاملاً على بيـ ت المال في خلافة عمر بن الخطاب فأتفق أنه رأى ابن عمر يوماً فأعطاه درهماً من بيت المال قال معيقب وبعد أن أعطيته الدرهم انصرفت إلى بيتي فبينما أنا جالس وإذا برسول عمر جاءني فذهبت معه وتوجهت إليه فإذا الدرهم في يده وقال لي ويحك يا معيقب أني قد وجدت في نفسك شيئاً قلت وما ذلك يا أمير المؤمنين قال أنك تخاصم أمة محمد ﷺ في هذا الدرهم يوم القيامة وكتب عمر إلى أبي موسى الأشـ عري كتابـ اً مضـ مونة إذا جاءك كتابي هذا فاعط الناس الذي لهم واحمل ما بقي ففعل فلما ولى عثمان الخلافة كتب إلى موسـ ى ذلـ ك ففعل وجاء زياد معه فلما وضع الخراج بين يدي عثمان جاء ولده فأخذ منه درهما فبكى زياد فقال عثمان ما يبكيك قال أتيت عمر بن الخطاب بمثل ذلك فأخذ ابنه درهماً فأمر بنزعه من يده وابنك أخـ ذ فلـ م أر أحـ داً ينزعه منه أو يقول له شيئاً فقال عثمان وأين نلقى مثل عمر وزوى زيد بن أسلم عن أبيه أنه قال خرجت مع عمر ذات ليلة حتى أشرفنا على نار تضرم فقال يا أسلم أني أحسب هؤلاء ركبا أضربهم البرد فـ انطلق بنـ ا إليهم فخرجنا حتى أتينا إليهم فإذا امرأة توقد نار تحت قدر ومعها صبيان يتضاغون فقال عمر السلام علـ يكم أصحاب الضوء وكره أن يقول أصحاب النار ما بالكم قالت أضربنا البرد والليل قال فما بال هؤلاء يضاغون قالت من الجوع قال فما هذه القدر قالت ماء أسكتهم به وأن عمر بن الخطاب ليسأله الله يوم القيامة قال ومـ ا

يدري عمر بحالهم قالت كيف يتولى أمور الناس ويغفل عنهم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت ع ن الك لام المباح.

(وفي ليلة ٨١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد قال اسلم فأقبل عمر على وقال انطلق بنا فخرجنا تهرول حتى أتيذ ا دار الصرف فأخرج عدلاً فيه دقيق وأناء فيه شحم ثم قال حملني هذا فقلت أنا أحمله عنك يا أمير المؤمنين فق ال أتحمل عن وزري يوم القيامة فحملته أياه وخرجنا نهرول حتى القينا ذلك العدل عندها ثم أخرج من ال دقيق شيئاً وجعل يقول للمرأة رددي إلى وكان ينفخ تحت القدر وكان ذا لحية عظيمة فرأيت الدخان يخ رج م ن خلال لحيته حتى طبخ وأخذ مقدار من الشحم فرماه فيه ثم قال أطعميهم وأنا أبرد لهم ولم يزالوا كذلك حت ى أكلوا وشبعوا وترك الباقي عندها ثم أقبل علي وقال أسلم أني رأيت الجوع أبكاهم فأحبب ت أن لا أنص رف حتى يتبين لي سبب الضوء الذي رأيته وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن نزهة الزمان قالت قيل أن عمر مر براع مملوك فابتاعه شاة فقال لـ ه أنها ليست لي فقال أنت القصد فاشتراه ثم أعتقه وقال اللهم كما رزقتني العتق الأصغر أرزقني العتق الأكب ر وقيل أن عمر بن الخطاب يطعم الحليب للخدم ويأكل اللبن ويكسوهم الغليظ ويلبس الخشن ويعط ي الن اس حقوقهم ويزيد في عطائهم وأعطى رجلاً أربعة آلاف درهم وزاده الفا فقيل أما تزيد ابنك كما زدت هذا ق ال أتيت والده يوم أحد وقال الحسن أتى عمر بمال كثير فأتته حفصة وقالت له يا أمير المؤمنين حق قرابتك فقال يا حفصة أنما أوصى الله بحق قرابتي من مالي وأما مال المسلمين فلا يا حفصة قد أرضيت قومك وأغضبت أباك فقامت تجر ذيلها وقال بن عمر تضرعت إلى ربي سنة من السنين أن يريني أبي حت ى رأيت ه يمس ح العرق عن جنبيه فقلت له ما حالك يا والدي فقال لولا رحمة ربي لهلك أبوك قالت نزهة الزمان أسمع أيه ا الملك السعيد الفصل الثاني من الباب الثاني وهو باب الأدب والفضائل وما ذكر في ه م ن أخب ار الت ابعين والصالحين قال الحسن البصري لا تخرج نفس آدم عن الدنيا إلا وهو يتأسف على ثلاثة أشياء عدم تمتعه بما سمع وعدم إدراكه لما أمل وعدم استعداده بكثرة الزاد لما هو قادم عليه وقيل لسفيان هل يكون الرجل زاه د أوله مال قال نعم إذا كان متى ابتلى صبر ومتى أعطي شكر وقيل لما حضرت عبد الله ب ن ش داد الوف اة أحضر ولده محمد فأوصاه وقال له يا بني أني لا أرى داعي الموت قد دعاني فأتق ربك في السر والعلاني ة وأشكر الله على ما أنعم وأصدق في الحديث فالشكر يؤذن بازدياد النعم والتقوى خير زاد في الميعاد . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن عبد الله بن شداد صار يوصي ولده بأن التقوى خير زاد في الميع اد كما قال بعضهم

ولس . ت أرى الس . عادة جم . ع م . ال ‏ ‏ ‏ ‏ ولك . . ن التق . . ى ه . . و الس . . عيد

وتق . .وى الله خي . .ر ال . .زاد حق . .اً ‏ ‏ ‏ ‏ وعن . . د الله تلق . . ى م . . ا تري . . د

ثم قالت نزهة الزمان ليسمع الملك هذه النكت من الفصل الثاني من الباب الأول قيل لها وما هي قالت لما ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة جاء لأهل بيته فأخذ ما بأيديهم ووضعه في بيت المال ففزعت بنو أمية إلى عمته فاطمة بنت مروان فأرسلت إليه قائلة أنه لابد من لقائك ثم أتته ليلاً فأنزلها عن دابتها فلما أخذ ذت مجلسها قال لها يا عمة أنت أولى بالكلام لأن الحاجة لك فأخبريني عن مرادك فقالت يا أمير المؤمنين أنت ت أولى بالكلام ورأيك يستكشف ما يخفى عن الأفهام فقال عمر بن عبد العزيز أن الله تعالى بعث محمداً ﷺ رحمة للعالمين وعذاباً لقوم آخرين ثم أختار له ما عنده فقبضه إليه . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن نزهة الزمان قالت فقال عمر بن عبد العزيز أن الله قد بعث محمداً ﷺ رحمة للعالمين وعذاباً لقوم آخرين ثم أختار له ما عنده فقبضه إليه وترك للناس نهراً يروى عطاشهم ثم قال أبو بكر خليفة بعده فأجرى النهر مجراه وعمل ما يرضى الله ثم قام عمر بعد أبي بكر فعمل خير أعمال الأبرار واجتهد اجتهاداً ما يقدر أحد على مثله فلما قام عثمان اشتق من النهر نهراً ثم ولى معاوية فاشتق منه يزيد وبنو مروان كعبد الملك والوليد وسليمان حتى آل الأمر إلي فأحببت أن أرد النهر إلى ما كان عليه فقالت قد أردت كلامك ومذكراتك فقط فإن كانت هذه مقالتك فلست بذاكرة لك شيئاً ورجعت إلى بني أمية فقالت لهم ذوقوا عاقبة أمركم بتزويجكم إلى عمر بن الخطاب وقيل لما حضرت عمر بن عبد العزيز الوفاة جمع أولاده حوله فقال له مسلمة بن عبد الملك يا أمير المؤمنين كيف تترك أولادك فقراء وأنت راعيهم فما يمنحك أحد في حياتك من أن تعطيهم من بيت المال ما يغنيهم وهذا أولى من أن ترجعه إلى الوالي بعدك فنظر إلى مسلمة نظر مغضب متعجب ثم قال يا مسلمة منعتهم أيام حياتي فكيف أشقى بهم في مماتي أن أولادي ما بين رجلين أما مطيع لله تعالى فالله يصلح شأنه وأما عاص فما كنت لاعينه على معصيته يا مسلمة أني حضرت وأياك حين دفن بعض بني مروان فحملتني عيني فرأيته في المنام أفضى إلى أمر من أمور الله عز وجل فهالني وراعني فعاهدت الله أن لا أعمل عمله أن وليت وقد اجتهدت في ذلك مدة حياتي وأرجو أن أفضى إلى عفو ربي قال مسلمة بقى رجل حضرت دفنه فلما فرغت من دفنه حملتني عيني فرأيته فيما يرى النائم في روضة فيها أنهار جارية وعليه ثياب بيض فأقبل علي وقال يا مسلمة لمثل هذا فليعمل العاملون ونحو هذا كثير وقال بعض الثقات كنت أحلب الغنم في خلافة عمر بن عبد العزيز فمررت براع فرأيت مع غنمه ذئباً أو ذئاباً فظننت أنها كلابها ولم أكن رأيت الذئاب قبل ذلك فقلت ما تصنع بهذه الكلاب فقال أنها ليست كلاباً بل هي ذئاب فقلت هل ذئاب في غنم لم تضرها فقال اصلح الرأس صلح الجسد وخطب عمر بن عبد العزيز على منبر من طين فحمد الله وأثنى عليه ثم تكلم بثلاث كلمات فقال أيها الناس أصلحوا أسراركم لتصلح علانيتكم لأخوانكم وتكفوا أمر دنياكم واعلموا أن الرجل ليس بينه وبين آدم رجل حي في الموتى مات عبد الملك ومن قبله ويموت عمر ومن بعده فقال له مسلمة يا أمير المؤمنين لو علمنا لك متكئاً لتعقد عليه قليلاً فقال أخاف أن يكون في عنقي منه أثم يوم القيامة ثم شهق شهقة فخر مغشياً فقالت فاطمة يا مريم يا مزاحم يا فلان أنظروا هذا الرجل فجاءت فاطمة تصب عليه الماء وتبكي حتى أفاق من غشيته فرآها تبكي

فقال ما يبكيك يا فاطمة قالت يا أمير المؤمنين رأيت مصرعك بين أيدينا فتذكرت مصرعك بين يدي الله عز وجل للموت وتخليك عن الدنيا وفراقك لنا فذاك الذي أبكانا فقال حسبك يا فاطمة فلقد أبلغت ثـ م أراد القيـ ام فنهض فسقط فضمته فاطمة إليها وقالت بأبي أنت وأمي يا أمير المؤمنين ما نستطيع أن نكلمك كلنـ ا ثـ م أن نزهة الزمان قالت لأخيها شركان وللقضاة الأربعة تتمة الفصل الثاني مـ ن البـ اب الأول. وأدرك شـ هرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن نزهة الزمان قالت لأخيها شركان وهي لم تعرفـ ه بحضـ ر القضـ اة الأربعة والتاجر تتمة الفصل الثاني من الباب الأول اتفق أنه كتب عمر بن عبد العزيز إلى أهل الموسم أمـ ا بعد فإني أشهد الله في الشهر الحرام والبلد الحرام ويوم الحج الأكبر أني ابرأ في ظلمكم وعدوان من اعتـ دى عليكم أن أكون أمرت بذلك أو تعمدته أو يكون أمر من أموره بلغني أو أحاط به علمي وأرجو أن يكون لذلك موضع من الغفران إلا أنه لا أذن مني بظلم أحد فأني مسئول عن كل مظلوم إلا وأي عامل من عمـ الي زاغ عن الحق وعمل بلا كتاب ولا سنة فلا له طاعة عليكم حتى يرجع إلى الحق وقال رضي الله تعالى عنه مـ ا أحب أن يخفف عني الموت لأنه آخره يؤجر عليه المؤمن وقال بعض الثقات قدمت على أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز وهو خليفة فرأيت بين يديه أثنى عشر درهماً فأمر بوضعها في بيت المال قلـ ت يـ ا أمير ر المؤمنين أنك أفقرت أولادك وجعلتهم عيالاً ل شيء لهم فلو أوصيت غليهم بشيء وإلى من هو فقير من أهل بيتك فقال أدن مني فدنوت منه فقال أما قولك أفقرت أولادك فأوص إليهم أو إلى من هو فقير من أهل بيتـ ك فغير سديد لأن الله خليفتي على أولادي وعلى من هو فقير من أهل بيتي وهو وكيل عليهم وهم ما بين رجلين إما رجل يتقي الله فسيجعل الله له مخرجاً وأما رجل معتكف على المعاصي فإني لم أكن لأقويه على معصية الله ثم بعث إليهم وأحضرهم بين يديه وكانوا اثنى عشر ذكراً فلما نظر إليهم ذرفت عيناه بالدموع ثم قـ ال أن أباكم ما بين أمرين أما أن تستغنوا فيدخل أبوكم النار وأما أن تفتقروا فيدخل أبوكم الجنة ودخول أبيكم الجنـ ة أحب إليه من أن تستغنوا قدموا قد وكلت أمركم على الله وقال خالد بن صفوان صحبني يوسف بن عمر إلى هشام بن عبد الملك فلما قدمت عليه وقد خرج بقرابته وخدمه فنزل في أرض وضرب له خياماً فلما أخـ ذت الناس مجالسهم خرجت من ناحية البساط فنظرت إليه فلما صارت عيني في عينه قلت له تمم الله نعمته عليك يا أمير المؤمنين وجعل ما قلدك من هذه الأمور رشداً ولا خالط سرورك أذى يا أمير المؤمنين أني أجد لـ ك نصيحة أبلغ من حديث من سلف قبلك من الملوك فاستوى جالساً وكان متكئاً وقال هات ما عنـ دك يـ ا ابـ ن صفوان فقلت يا أمير المؤمنين أن ملكاً من الملوك خرج قبلك في عام قبل عامك هذا إلى هذه الأرض فقـ ال لجلسائه هل رأيتم مثل ما أنا فيه وهل أعطى أحد مثل ما أعطيته وكان عنده رجل من بقايـ ا حملـ ة الحجـ ة والمعينين على الحق السالكين في منهاجه فقال أيها الملك أنك سألت عن أمر عظيم أتأذن لي في الجواب عنه قال نعم قال رأيت الذي أنت فيه لم يزل زائلاً فقال هو شيء زائل قال فما لي أراك قد أعجبت بشيء تكـ ون فيه قليلاً وتسئل عنه طويلاً وتكون عند حسابه مرتهناً قال فأين المهرب وأين المطلب قال أن تقيم في ملكـ ك فتعمل بطاعة الله تعالى أو تلبس أطمارك وتعبد ربك حتى يأتيك أجلك فإذا كان السحر فإني قادم عليك قـ ال

خالد بن صفوان ثم أن الرجل قرع عليه بابه عند السحر فرآه قد وضع تاجه وتهيأ للسياحة من عظم موعظته فبكى هشام بن عبد الملك بكاء كثيراً حتى بل لحيته وأمر بنزع ما عليه ولزم قصره فأتت الموالي والخدم إلى خالد بن صفوان وقالوا أهكذا فعلت بأمير المؤمنين أفسدت لذته ونغصت حياته ثم أن نزهة الزمان قالت لشركان وكم في هذا الباب من النصائح وأني لأعجز عن الاتيان بجميع ما في هذا الباب في مجلس واحد. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن نزهة الزمان قالت لشركان وكم في هذا الباب من النصائح وأني لأعجز عن الأتيان لك بجميع ما في هذا الباب في مجلس واحد ولكن على طول الأيام يا ملك الزمان يكون خيراً فقالت القضاة أيها الملك أن هذه الجارية أعجوبة الزمان ويتيمة العصر والأوان فأننا ما رأيناه ولا سمعنا بمثلها في زمن من الأزمان ثم أنهم دعوا للملك وانصرفوا فعند ذلك التفت شركان إلى خدمة وقال لهم أشرعوا في عمل العرس وهيئوا الطعام من جميع الألوان فامتثلوا أمره في الحال وهيئوا جميع الأطعمة وأمر نساء الأمراء والوزراء وأرباب الدولة لم يتصرفوا حتى يحضروا جلاء العروس فما جاء وقت العصر حتى مدوا السفرة مما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين وأكل جميع الناس حتى أكتفوا وأمر الملك أن تحضر كل مغنية في دمشق فحضرن وكذلك جواري الملك اللائي يعرفن الغناء وطلع جميعهن إلى القصر فلما أتى المساء وأظلم الظلام وأوقد الشموع من باب القلعة إلى باب القصر يميناً وشمالاً ومشى الأمراء والوزراء والكبراء بين يدي الملك شركان وأخذت المواشط الصبية ليزينها ويلبسنها فرأينها لا تحتاج إلى زينة وكان الملك شركان قد دخل الحمام فلما خرج جلس على المنصة وجليت عليه العروس ثم خففوا عنها ثيابها وأوصوها بما توصي به البنات ليلة الزفاف ودخل عليها شركان وأخذ وجهها وعلقت منه في تلك الليلة وأعلمته بذلك ففرح فرحاً شديداً وأمر الحكماء أن يكتبوا تاريخ الحمل فلما أصبح جلس على الكرسي وطلع له أرباب دولته وهنؤه وأحضر كاتب سره وأمره أن يكتب كتاباً لوالده عمر النعمان بأنه اشترى جارية ذات علم وأدب فحوت فنون الحكمة وأنه لابد من إرسالها إلى بغداد لتزور أخاه ضوء المكان وأخته نزهة الزمان وأنه أعتقها وكتب كتابه عليها ودخل بها وحملت منه ثم ختم الكتاب وأرسله إلى أبيه صحبة بريد فغاب ذلك البريد شهراً كاملاً ثم رجع إليه بالجواب وناوله فأخذه وقرأه فإذا فيه البسملة هذا من عند الحائر الولهان الذي فقد الولدان وهجر الأوطان الملك عمر النعمان إلى ولده شركان اعلم أنه بعد مسيرك من عندي ضاق علي المكان حتى لا أستطيع صبراً ولا أقدر أن أكتم سراً وسبب ذلك أنني ذهبت إلى الصيد والقنص وكان ضوءاً لكان قد طلب مني الذهاب إلى الحجاز فخفت عليه من نوائب الزمان ومنعته من السفر إلى العام الثاني أو الثالث فلما ذهبت إلى الصيد والقنص غبت شهر وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك عمر النعمان قال في مكتوبه فلما ذهبت إلى الصيد والقنص غبت شهراً فلما أتيت وجدت أخاك واختك أخذا شيئاً من المال وسافرا مع الحجاج خفية فلما علمت بذلك

ضاق بي الفضاء وقد انتظرت مجيء الحجاج لعلهما يجيآن فلما جاء الحجاج سألت عنهما فلم يخبرني أحد بخبرهما فلبست لأجلهما ثياب الحزن وأنا مرهون الفؤاد عديم الرقاد غريق دمع العين ثم أنشد هذين البيتين:

خيالهم . ـا عنـ . ـدي لـ . ـيس بغائـ . ـب جعلـ .ـت لـ .ـه القلـ .ـب أشـ .ـرف موضـ .ـع

ولولا رجـ ـاء لعـ ـود مـ ـا عشـ ـت سـ ـاعة ولـ .ـولا خيـ .ـال الطيـ .ـف لـ .ـم أتهجـ .ـع

ثم كتب من جملة المكتوب وبعد السلام عليك وعلى من عندك أعرفك أنك لا تتهاون في كشف الأخبار فإن هذا علينا عار فلما قرأ الكتاب حزن على حزن أبيه وفرح لفلقد أخته وأخيه وأخذ الكتاب ودخل به علـ ـى زوجته نزهة الزمان ولم يعلم أنها أخته وهي لا تعلم أنه أخوها مع أنه يتردد عليها ليلاً ونهاراً إلى أن كملت شهرها وجلست على كرسي الطلق فسهل الله عليها الولادة فولدت بنتاً فأرسلت تطلب شركان فلما رأته قالت له هذه بنتك فسمها ما تريد فإن عادة الناس أن يسموا أولادهم في سابع يوم ولادتهم ثم أنحنى شركان علـ ـى ابنته وقبلها فوجد في عنقها خرزة معلقة من الثلاث خرزات التي جاءت بها الملكة أبريزة من بلاد الروم فلما عين الخرزة معلقة في عنق ابنته غاب عقله واشتد به الغيظ وحملق عينيه في الخرزة حتـ ـى عرفهـ ـا حـ ـق المعرفة ثم نظر إلى نزهة الزمان وقال لها من أين جاءتك هذه الخرزة يا جارية فلما سمعت من شركان ذلك الكلام قالت له أنا سيدتك وسيدة كل من في قصرك أما تستحي وأنت تقول يا جارية ،أنا ملكة بنت ملك والآن زال الكتمان واشتهر الأمر وبان أنا نزهة الزمان بنت الملك عمر النعمان فلما سمع منها هذا الكـ ـلام لحقـ ـه الأرتعاش وأطرق برأسه إلى الأرض. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن شركان لما سمع هذا الكلام أرتجف قلبه وأصفر لونه ولحقه الأرتعاش وأطرق برأسه إلى الأرض وعرف أنها أخته من أبيه فغاب عن الدنيا فلما أفاق صار يتعجب ولكنه لم يعرفها بنفسه وقال لها يا سيدتي هل أنت بنت الملك عمر النعمان قالت نعم فقال لها وما سبب فراقك لأبيك وبيعـ ـك فحكت له جميع ما وقع لها من الأول إلى الآخر وأخبرته أنها تركت أخاها مريضاً في بيت المقدس وأخبرته باختطاف البدوي لها وبيعه أياها للتاجر فلما سمع شركان ذلك الكلام تحقق أنها أخته من أبيه وقال في نفسـ ـه كيف أتزوج بأختي لكن أنما أزوجها لواحد من حجابي وإذا ظهر أمر أدعى أنني طلقتها قبل الدخول وزوجتها بالحاجب الكبير ثم رفع رأسه وتأسف وقال يا نزهة الزمان أنت أختي حقيقة وأستغفر الله من هذا الذنب الذي وقعنا فيه فأنني أنا شركان ابن الملك عمر النعمان فنظرت إليه وتأملته فعرفته فلما عرفته غابت عن صوابها وبكت ولطمت وجهها وقالت قد وقعنا في ذنب عظيم ماذا يكون العمل وما قول لأبي وأمي إذا قالا لي مـ ـن أين جاءتك هذه البنت فقال شركان الرأي عندي أن أزوجك بالحاجب وأدعك تربي بنتي في بيته بحيث لا يعلم أحد بأنك أختي وهذا الذي قدره الله علينا لأمر إراده فلم يسترنا إلا زواجك بهذا الحاجب قبل أن يدري أحد ثم صار يأخذ بخاطرها ويقبل رأسها فقالت له وما تسمى البنت قال اسميها قضى فكان ثم زوجها للحاجب الكبير ونقلها إلى بيته هي وبنتها فربوها على أكتاف الجواري وواظبوا عليها بالأشربة وأنواع السفوف هـ ـذا كلـ ـه وأخوها ضوء المكان مع الوقاد بدمشق فاتفق أنه أقبل بريد يوماً من الأيام من عند الملك عمر النعمان إلـ ـى الملك شركان ومعه كتاب فأخذه وقرأه فرأى فيه بعد البسملة اعلم أيها الملك العزيز أني حزين حزناً شـ ـديداً

على فراق الأولاد وعدمت الرقاد ولازمني السهاد وقد أرسلت هذا الكتاب إليك فحال حصوله بين يديك ترسل إلينا الخراج وترسل صحبته الجارية التي اشتريتها وتزوجت بها فأني أحببت أن أراها وأسمع كلامها لأنه جاءنا من بلاد الروم عجوز من الصالحات وصحبتها خمس جوار نهدأ بكار وقد حازوا من العلم والأدب وفنون الحكمة ما يجب على الإنسان معرفته ويعجز عن وصف هذه العجوز ومن معها اللسان فأنهن حزن أنواع العلم والفضيلة والحكمة فلما رأيتهن أحببتهن وقد اشتهيت أن يكن في قصري وفي ملك يدي لأنه لا يوجد لهن نظير عند سائر الملوك فسألت المرأة العجوز عن ثمنهن فقالت لا أبيعهن إلا بخراج دمشق وأنا والله أرى خراج دمشق قليلاً في ثمنهن فإن الواحدة منهن تساوي أكثر من هذا المبلغ فأجبتها إلى ذلك ودخلت بهن قصري وبقين في حوزتي فعجل لنابا لخراج لأجل أن تسافر المرأة بلادها وارسل لنا الجارية لأجل أن تناظرهن وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك عمر النعمان قال في مكتوبه وأرسل لنا الجارية لأجل أن تناظرهن بين العلماء فإذا غلبتهن أرسلتها إليك وصحبتها خراج بغداد فلما علم ذلك شركان أقبل على صهره وقال له هات الجارية التي زوجتك إياها فلما حضرت أوقفها على الكتاب وقال لها يا أختي ما عندك من الرأي في رد الجواب قالت له الرأي رأيك ثم قالت له وقد أشتاقت إلى أهلها ووطنها أرسلني صحبة زوجي الحاجب لأجل أن أحكي لأبي حكايتي وأخبره بما وقع لي مع البدوي الذي باعني للتاجر وأخبره بأن التاجر باعني لك وزوجتني للحاجب بعد عتقي فقال لها شركان وهو كذلك ثم أخذ ابنته قضى نفكان وسلمها للمراضع والخدم وشرع في تجهيز الخراج وأمر الحاجب أن يأخذ الخراج والجارية صحبته ويتوجه إلى بغداد فأجابه الحاجب بالسمع والطاعة فأمر بمحفة يجلس فيها وللجارية بمحفة أيضاً ثم كتب كتاباً وسلمه للحاجب وودع نزهة الزمان وكان قد أخذ منها الخرزة وجعلها في عنق ابنته في سلسلة من خاص الذهب ثم سافر الحاجب في تلك الليلة فاتفق أنه خرج ضوء المكان هو والوقاد في تلك الليلة يتفرجان فرأيا جمالاً وبغالاً ومشاعل وفوانيس مضيئة فسأل ضوء المكان عن هذه الأحمال وعن صاحبها فقيل له هذا خراج دمشق مسافر إلى الملك عمر النعمان صاحب مدينة بغداد فقال ومن رئيس هذه المحامل قيل هو الحاجب الكبير الذي تزوج الجارية التي تعلمت العلم والحكمة فعند ذلك بكى بكاء شديداً وتذكر أمه وأباه وأخته ووطنه وقال للوقاد ما بقي لي قعود هنا بل أسافر مع هذه القافلة وأمشي قليلاً قليلاً حتى أصل إلى بلادي فقال له الوقاد أياماً آمنت عليك في القدس إلى دمشق فكيف آمن عليك إلى بغداد وأنا أكون معك حتى تصل إلى مقصدك فقال ضوء المكان حباً وكرامة فشرع الوقاد في تجهيز حاله ثم شدّ الحمار وجعل خرجه عليه ووضع فيه شيئاً من الزاد وشد وسطه ومازال على أهبة حتى جازت عليه الأحمال والحاجب راكب على هجين والمشاة حوله وركب ضوء المكان حمار الوقاد وقال للوقاد أركب معي فقال لا أركب ولكن أكون في خدمتك فقال ضوء المكان لابد أن تركب ساعة فقال إذا تعبت أركب ساعة ثم أن ضوء المكان قال للوقاد يا ألأخي سوف تنظر ما أفعل بك إذا وصلت إلى أهلي ومازالوا مسافرين إلى أن طلعت الشمس فلما اشتد عليهم

الحر أمرهم الحاجب بالنزول فنزلوا واستراحوا وسقوا جمالهم ثم أمرهم بالمسير وبعد خمسة أيام وصلوا إلى مدينة حماة ونزلوا بها وأقاموا بها ثلاثة أيام وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أنهم أقاموا في مدينة حماة ثلاثة أيام ثم سافروا ومازالوا مسافرين حت ى وصلوا مدينة أخرى فأقاموا بها ثلاثة أيام ثم سافروا حتى وصلوا إلى ديار بكر وهب عليهم نسيم بغداد فتذكر ضوء المكان أخته نزهة الزمان وأباه وأمه ووطنه وكيف يرجع إلى أبيه بغير أخت ه فبك ى وأن واش تكى واشتدت به الحسرات فانشد هذه الأبيات:

خليل .ي ك .م ه .ذا الت .أني وأصـ .بر ... ول .م ي .أتني مـ .نكم رسـ .ول يخبـ .ر

إلا أن أيـ . . ام الوصـ . . ال قصـ . . يرة ... فياليـ . .ت أيـ . .ام التف . .رق تقصـ . .ر

خـ .ذوا بيـ .دي ثـ .م ارخمـ .وا لصـ .بابتي ... تلاشي بهـ ا جسـ مي وأن كذ ت أصـ بر

فـ .إن تطلبـ .وا منـ .ي سـ .لوا أقـ .ل لكـ .م ... فـ .والله مـ .ا أسـ .لوا لـ .ي حـ .ين أحشـ .ر

فقال له الوقاد أترك هذا البكاء والأنين فأننا قريب من خيمة الحاجب فقال ضوء المكان لابد من أنشادي شيئاً من الشعر لعل نار قلبي تنطفي فقال له الوقاد بالله عليك أن تترك الحزن حتى تصل إلى بلادك وافع ل بعد ذلك ما شئت وأنا معك حينما كنت فقال ضوء المكان والله لا أفتر عن ذلك ثم التفت بوجهه إل ى ناحي ة بغداد وكان القمر مضيئاً وكانت نزهة الزمان لم تنم تلك الليلة لأنها تذكرت أخاه ا ضـ وء المكـ ان فقلق ت وصارت تبكي فبينما هي تبكي إذ سمعت أخاها ضوء المكان يبكي وينشد هذه الأبيات:

لمـ . . . .ع البـ . . . .رق اليمـ . . . .اني ... فشـ . . . .جاني مـ . . . .ا شـ . . . .جاني

مـ . . .ن حبيـ . . .ب كـ . . .ان عنـ . . .دي ... سـ . . . .اقياً كـ . . . .أس التهـ . . . .اني

ومـ . . .يض البـ . . .رق هـ . . .ل تـ . . .ر ... جـ . . . . .ع أيـ . . . . .ام التـ . . . . .داني

يـ . . . .ا عـ . . . .ذولي لا تلمنـ . . . .ي ... أن ربـ . . . . .ي قـ . . . . .د بلاذ . . . . .ي

بحبيـ . . . .ب غـ . . . .اب عنـ . . . .ي ... وزمـ . . . . .ان قـ . . . . .د دهـ . . . . .اني

قـ . . .د نـ . . .أت نزهـ . . .ة قلبـ . . .ي ... عنـ . . . .دما ولـ . . . .ى زمـ . . . .اني

وحـ . .وى لـ . .ي الهـ . .م صـ . .رفا ... وبكـ . . . .أس قـ . . . . .د سـ . . . . .قاني

وأراذ . . . .ي يـ . . . .ا خليلـ . . . .ي ... مـ . . .ت مـ . . .ن قبـ . . .ل التـ . . .داني

يـ . . . .ا زمانـ . . . .اً للتصـ . . . .ابي ... عـ . . . .د قريبـ . . . .اً بالأمـ . . . .اني

"فـ . . .ي سـ . . .رور مـ . . .ع أمـ . . .ان ... مـ . . .ن زمـ . . .ان قـ . . .د رمـ . . .اني

مـ . . . .ن لمسـ . . . .كين غريـ . . . .ب ... بـ . . . .ات مرعـ . . . .وب الجنـ . . . .ان

صـ . .ار فـ . .ي الحـ . .زن فريـ . .داً ... بعـ . . . .د نزهـ . . . .ات الزمـ . . . .ان

حكمـ . . . .ت فيذ . . . .ا بـ . . . .رغم ... كـ . . . . . .ف أولاد الزواذ . . . . . .ي

فلما فرغ من شعره صاح وخر مغشياً عليه هذا ما كان من أمره (وأما) ما كان من أمر نزهة الزمـ ان فإنها كانت ساهرة في تلك الليلة لأنها تذكرت أخاها في ذلك المكان فلما سمعت ذلك الصوت بالليـ ل أرتـ اح

فؤادها وقامت وتنحنحت ودعت الخادم فقام لها ما حاجتك فقالت له قم وائتني بالذي ينشد الأشعار وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن نزهة الزمان لما سمعت من أخيها الشعر دعت الخادم الكبير وقالت له أذهب وائتني بمن ينشد هذه الأشعار فقال لها أني لم أسمعه ولم أعرف والناس كلهم نائمون فقالت له كل من رأيته مستيقظاً فهو الذي ينشد الأشعار ففتش فلم ير مستيقظاً سوى الرجل الوقاد وأما ضوء المكان فإنه كان في غشيته أفلما رأى الوقاد الخادم واقفاً على رأسه خاف منه فقال له الخادم هل أنت الذي كنت تنشد الشعر وقد سمعتك سيدتنا فأعتقد الوقاد أن السيدة أغتاظت من الإنشاد فخاف وقال والله ما هو أنا فقال له الخادم ومن الذي كان ينشد الشعر فدلني عليه فأنك تعرفه لأنك يقظان فخاف الوقاد على ضوء المكان وقال في نفسه ربما يضره الخادم بشيء فقال له لم أعرفه فقال له الخادم والله أنك تكذب فإنه ما هنا قاعد إلا أنت فأنت تعرفه فقال له الوقاد أنا أقول لك الحق أن الذي كان ينشد الأشعار رجل عابر طريق وهو الذي أزعجني وأقلقني فالله يجازيه فقال له الخادم فإذا كنت تعرفه فدلني عليه وأنا أمسكه وآخذه إلى باب المحفة التي فيها سيدتنا وأمسكه أنت بيدك فقال له أذهب أنت حتى آتيك به فتركه الخادم وانصرف ودخل وأعلم سيدته بذلك وقال ما أحد يعرفه لأنه عابر سبيل فسكتت ثم أن ضوء المكان لما أفاق من غشيته رأى القمر وصل إلى وسط السماء وهب عليه نسيم الأسحار فهيج في قلبه البلابل والأشجار فحسن صوته واراد أن ينشد فقال له الوقاد ماذا تريد أن تصنع فقال أريد أن أنشد شيئاً من الشعر لأطفيء به لهيب قلبي قال له أما علمت بما جرى لي وما سلمت من القتل إلا بأخذ خاطر الخادم فقال له ضوء المكان وماذا جرى فأخبرني بما وقع فقال يا سيدي قد أتاني الخادم وأنت مغشي عليك ومعه عصا طويلة من اللوز وجعل يتطلع في وجوه الناس وهم نائمون ويسأل على من كان ينشد الأشعار فلم يجد من هو مستيقظ غيري فسألني فقلت له أنه عابر سبيل فانصرف وسلمني الله منه وإلا كان قتلني فقال له إذا سمعته ثانياً فائت به عندنا فلما سمع ضوء المكان ذلك بكى وقال من يمنعني من الإنشاد فأنا أنشد ويجري على ما يجري فإني قريب من بلادي ولا أبالي بأحد فقال له الوقاد أنت ما مرادك إلا هلاك نفسك فقال له ضوء المكان لابد من إنشاد فقال له الوقاد قد وقع الفراق بيني وبينك من هنا وكان مرادي أن لا أفارقك حتى تدخل مدينتك وتجتمع بأبيك وأمك وقد مضى لك عندي سنة ونصف وما حصل لك مني ما يضرك فما سبب إنشادك الشعر ونحن في غاية التعب من المشي والسهر والناس قد هجعوا يستريحون من التعب ومحتاجون إلى النوم فقال ضوء المكان لا أرجع عما أنا فيه ثم هزته الأشجان فباح بالكتمان وجعل ينشد هذه الأبيات:

قف بالديار وحي الأربع الدرسا ونادها فعساها أن تجيب عسى

فإن أجنك ليل من توحشها أوقد من الشوق في ظلماتها قبسا

أن صل صل عذاريه فلا عجب أن يجن لسعا وأن أجتني لعسا

يا جنة فارقتها النفس مكرهة لولا التأسي بدار الخلد مت أسى

وأنشد أيضاً هذين البيتين:

كنـا وكانـت لنـا الأيـام خادمـة والشـمل مجتمـع فـي أبهـج الـوطن
مـن لـي بـدار أحبـابي وكـان بهـا ضـوء المكـان وفيهـا نزهـة الـزمن

فلما فرغ من شعره صاح ثلاث صيحات ثم وقع مغشياً عليه فقام الوقاد وغطاه فلما سمعت نزهة الزمان ما أنشده من الأشعار المتضمنة لذكر أسمها واسم أخيها ومعاهدهما بكت وصاحت على الخادم وقالت ويلك أن الذي أنشد أولاً أنشد ثانياً وسمعته قريباً مني والله أن لم تأتيني به لانبهن عليك الحاجب فيضربك ويطردك ولكن خذ هذه الألف دينار وأعطيه أياها وائتني به برفق فإن أبي فادفع له هذا الكيس الذي فيه ألف دينار فإن أبي فأتركه وأعرف مكانه وصنعته ومن أي البلاد هو وأرجع إلي بسرعة ولا تغب وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن نزهة الزمان أرسلت الخادم يفتش عليه وقالت له إذا وجدته فلاطفه وأئتني به برفق ولا تغب فخرج الخادم يتأمل في الناس ويدوس بينهم وهم نائمون فلم يجد أحداً مستيقظاً فجاء إلى الوقاد فوجده قاعداً مكشوف الرأس فدنا منه وقبض على يده وقال له أنت الذي كنت تنشد الشعر فخاف على نفسه وقال لا والله يا مقدم القوم ما هو أنا فقال الخادم لا أتركك حتى تدلني على من كان ينشد الشعر لأني لا أقدر على الرجوع إلى سيدتي من غيره فلما سمع الوقاد كلام الخادم خاف على ضوء المكان وبكى بكاء شديداً وقال للخادم والله ما هو أنا وأنما سمعت أنساناً عابر سبيل ينشد فلا تدخل في خطيئتي فأني غريب وجئت من بلاد القدس فقال الخادم للوقاد قم أنت معي إلى سيدتي وأخبرها بفمك فأني ما رأيت أحداً مستيقظاً غيرك فقال الوقاد أما جئت ورأيتني في الموضع الذي أنا قاعد فيه وعرفت مكاني وما أحد يقدر أن ينفك عن موضعه إلا أمسكته الحرس فأمض أنت إلى مكانك فأن بقيت تسمع أحداً في هذه الساعة ينشد شيئاً من الشعر سواء كان بعيداً أو قريباً لا تعرفه إلا مني ثم باس رأس الخادم وأخذ بخاطره فتركه الخادم ودار دورة وخاف أن يرجع إلى سيدته بلا فائدة فأستتر في مكان قريب من الوقاد فقام الوقاد إلى ضوء المكان ونبهه وقال له قم أقعد حتى أحكي لك ما جرى وحكى له ما وقع فقال له دعني فأني لا أبالي بأحد فإن بلادي قريبة فقال الوقاد لضوء المكان لأي شيء وأنت مطاوع نفسك وهواك ولا تخاف من أحد وأنا خائف على ورحي وروحك بالله عليك أنك لا تتكلم بشيء من الشعر حتى تدخل بلدك وأنا ماكنت أظنك على هذه الحالة أما علمت أن زوجة الحاجب تريد زجرك لأنك أقلقتها وكأنها ضعيفة أو تعبانه من السفر وكم مرة وهي ترسل الخادم يفتش عليك فلم يلتفت ضوء المكان إلى كلام الوقاد بل صاح ثالثاً وأنشد هذه الأبيات:

تركـــت كـــل لائـــم ملامـــه أقلقنـــي
يعـــذلني ومـــا درى بأنـــه حرضـــني
قـال الوشـاة قـد سـلا قلـت لحـب الـوطن
قـالوا فمـا أحسـنه قلـت فمـا أعشـقني
قـالوا فمـا أعـزه قلـت فمـا أذلنـي
هيهـات أن أتركـه لـو ذقـت كـأس الشـجن

ومـ . . . . .ـا أطعـ . . . . .ـت لائمـ . . . .ـاً   لـ . . . ي فـ . . . ي الهـ . . . وى يعـ . . ذلني

وكان الخادم يسمعه وهو مستخف فما فرغ من شعره إلا والخادم على رأسه فلما رآه الوقاد قام ووقف بعيداً ينظر ما يقع بينهما فقال الخادم السلام عليكم يا سيدي فقال ضوء المكان علـ يكم السـ ـلام ورحمـ ـة الله وبركاته فقال الخادم يا سيدي وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الخادم قال لضوء المكان يا سيدي أني أتيت إليك في هذه الليلة ثـ ـلاث مرات لأن سيدتي تطلبك عندها قال ومن أين هذه الكلبة حتى تطلبني مقتها الله ومقت زوجها معها ونزل في الخادم شتما فما قدر الخادم أن يرد عليه جواباً لأن سيدته أوصته أنه لا يأتي به إلا بمراده هو فإن لـ ـم يـ ـأت معه يعطيه الألف دينار فجعل الخادم يلين له الكلام ويقول له يا ولد أنا ما أخطأت معـ ـك ولا جرنـ ـا عليـ ـك فالقصد أن تصل بخطواتك الكريمة إلى سيدتنا وترجع في خير ولا سمة ولك عندنا بشارة فلما سـ ـمع ذلـ ـك الكلام قام ومشى بين الناس والوقاد ماشي خلفه وناظر إليه ويقول في نفسه يا خسارة شبابه في غد يشـ ـنقونه ومازال الوقاد ماشياً حتى قرب من مكانهم وقال ما أخسه أن كان يقول على هو الذي قال لي أنشد الأشـ ـعار هذا ما كان من أمر الوقاد (وأما) ما كان من أمر ضوء المكان فإنه ما زال ماشياً مع الخادم حتى وصل إلى المكان ودخل الخادم على نزهة الزمان وقال لها قد جئت بما تطلبينه وهو شاب حسن الصورة وعليـ ـه أثـ ـر النعمة فلما سمعت ذلك خفق قلبها وقالت له أؤمره أن ينشد شيئاً من الشعر حتى أسمعه من قرب وبعد ذلـ ـك فاسأله عن اسمه ومن أي البلاد هو فخرج الخادم إليه شيئاً من الشعر حتى أسمعه من قرب وبعد ذلك فأسأله عن اسمه ومن أي البلاد هو فخرج الخادم إليه وقال له انشد شيئاً من الشعر حتى تسمعه سيدتي فإنها حاضرة بالقرب منك وأخبرني عن اسمك وبلدك وحالك فقال حباً وكرامة ولكن حيث سألتني عن اسمي فإنـ ـه محيـ ـي ورسمي فني وجسمي بلى ولي حكاية تكتب بالأبر على آماق البصر وها أنا في منزلة السكران الذي أكثـ ـر من الشراب وحلت به الأوصاب فتاه عن نفسه وأحتار في أمره وغرق في بحر الأفكار فلما سـ ـمعت نزهـ ـة الزمان هذا الكلام بكت وزادت في البكاء والأنين وقالت للخادم قل له هل فارقت أحداً ممن تحب مثـ ـل أمـ ـك وأبيك فسأله الخادم كما أمرته نزهة الزمان فقال ضوء المكان نعم فارقت الجميع وأعزهم عندي أختي التـ ـي فرق الدهر بيني وبينها فلما سمعت نزهة الزمان منه هذا الكلام قالت الله يجمع شـ ـمله بمـ ـن يحـ ـب وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن نزهة الزمان لما سمعت كلامه قالت الله يجمع شمله بمن يحـ ـب ثـ ـم قالت للخادم قل له اسمعنا شيئاً من الأشعار المتضمنة لشكوى الفراق فقال له الخادم كما أمرته سيدتي فصعد الزفرات وأنشد هذه الأبيات:

ليـ . . . ـت شـ . . . ـعري لـ . . . ودروا   أي قلـ . . . . ـب ملكـ . . . . ـوا

وفـ . . . . . . ؤادي لـ . . . . . . و درى   أي شـ . . . . ـعب سـ . . . . لكوا

أتـ . . . . ـراهم سـ . . . . ـلموا   أم تـ . . . . راهم هلكـ . . . . وا

حـ . . . . ـار أربـ . . . . ـاب الهـ . . . ـوى ف . . . . ي الهـ . . . . وى وارتبك . . . . وا

وأنشد أيضاً هذه الأبيات:

أضـ .حى التشـ .ـائي بـ .ـديلاً مـ .ـن تـ .ـدانينا وتـ .ـاب عـ .ـن طيـ .ـب دنياذ .ـا تجافيذ .ـا
بذ .ـتم وبذ .ـا فمـ .ـا أبتلـ .ـت جوانحذ .ـا شـ . ـوقاً إلـ . ـيكم ولا جفـ . ـت مآقيذ . ـا
غيظ العدى من تعافيذ ـا الهـ وى فـ دعوا بـ . ـان نغـ .ـص فقـ .ـال الـ .ـدهر آميذ .ـا
أن الزمـ .ـان الـ .ـذي مـ .ـازال يضـ .ـحكنا أنسـ . ـا بقـ . ـربكم قـ . ـد عـ . ـاد يبكيذ . ـا
يـ . ـا جذ . ـة الخلـ . ـد بـ . ـدلنا بسلسـ . ـلها والكـ . ـوز العـ . ـذب زقومـ . ـا وغسـ . ـلينا

ثم سكب العبرات وأنشد هذه الأبيات:

لله ذ . . . . . ـذران أزر مك . . . . . ـاني وفيـ . . ـه أخذ . . ـي نزهـ . . ـة الزمـ . . ـان
لاقضـ . . . ـين بالصـ . . . ـفا زمـ . . . ـاني مـ . ـا بـ . ـين غيـ . ـدي خـ . ـرد حسـ . ـان
وصـ . ـوت عـ . ـود مطـ . ـرب الألحـ . ـان مـ .ـع ارتضـ .ـاع كـ .ـأس بذ .ـت الحـ .ـان
ورشـ . ـف اللمـ . ـى فـ . ـاتر الأجفـ . ـان بشـ . ـط نهـ . ـر سـ . ـال فـ . ـي بسـ . ـتان

فلما فرغ من شعره وسمعته نزهة الزمان كشفت زيل الستارة عن المحفة ونظـ ـرت إليـ ـه فلمـ ـا وقـ ـع بصرها على وجهه عرفته غاية المعرفة فصاحت قائلة يا أخي يا ضوء المكان فرفع بصـ ـره إليهـ ـا فعرفهـ ـا وصاح قائلاً يا أختي يا نزهة الزمان فألقت نفسها عليه فتلقاها في حصنه ووقع الأثنان مغشياً عليهمـ ـا فلمـ ـا رآهما الخادم على تلك الحالة تعجب في أمرهما والقى عليهما شيئاً سترهما به وصبر عليهما حتى أفاقا فلمـ ـا أفاقا من غشيتهما وفرحت نزهة الزمان غاية الفرح وزال عنها الهم والترح وتوالت عليها المسرات وأنشدت هذه الأبيات:

الـ . ـدهر أقسـ . ـم لا يـ . ـزال مكـ . ـدري حنثـ . ـت يميذ . ـك يـ . ـا زمـ . ـان فكفـ . ـر
السـ . ـعد وافـ . ـى والحبيـ . ـب مسـ . ـاعدي فـ ـانهض إلـ ـى داعـ ـي السـ ـرور وشـ ـمر
مـ . ـا كذ . ـت أعتقـ . ـد السـ . ـوالف جذ . ـة حذ .ـى ظفـ .ـرت مـ .ـن اللمـ .ـى بـ .ـالكوثر

فلما سمع ذلك ضوء المكان ضم أخته إلى صدره وفاضت لفرط سروره من أجفانه العبرات وأنشد هذه الأبيات:

ولقـ .ـد ذ .ـدمت علـ .ـى تفـ .ـرق شـ .ـملنا ذ .ـدماً أفـ .ـاض الـ .ـدمع مـ .ـن أجفـ .ـاني
وذ . ـذرت أن عـ . ـاد الزمـ . ـان يلمذ . ـا لا عـ . ـدت أذكـ . ـر فرقـ . ـة بلسـ . ـاني
هجـ .ـم السـ .ـرور علـ .ـى حذ .ـى أذ .ـه مـ .ـن فـ .ـرط مـ .ـا قـ .ـد سـ .ـرني أبكـ .ـاني
يـ ـا عـ ـين صـ ـار الـ ـدمع عذ ـدك عـ ـادة تبكـ .ـين مـ .ـن فـ .ـرح ومـ .ـن أحـ .ـزان

وجلسا على باب المحفة ساعة ثم قالت قم أدخل المحفة واحك لي ما وقع لك وأنا أحكي لك ما وقع لي فقال ضوء المكان أحكي لي أنت أولاً فحكت له جميع ما وقع لها منذ فارقته من الخان وما وقـ ـع لهـ ـا مـ ـن البدوى والتاجر وكيف اشتراها منه وكيف أخذها التاجر إلى أخيها شركان وباعها له وأن شركان أعتقها مـ ـن

حين اشتراها وكتب كتابه عليها ودخل بها وأن الملك أباها سمع بخبرها فأرسل إلى شركان يطلبها منه ثم قالت له الحمد لله الذي من علي بك ومثل ما خرجنا من عند والدنا سواء نرجع إليه سواء ثم قالت له أن أخي شركان زوجني بهذا الحاجب لأجل أن يوصلني إلى والدي وهذا ما وقع لي من الأول إلى الآخر فأحك لي أنت ما وقع لك بعد ذهابي من عندك فحكى لها جميع ما وقع له من الأول إلى الآخر وكيف من الله عليه بالوقاد وكيف سافر معه وأنفق عليه ماله وأنه كان يخدمه في الليل والنهار فشكرته على ذلك ثم قال لها يا أختي أن هذا الوقاد فعل معي من الأحسان فعلاً لا يفعله أحد في أحد من أحبابه ولا الوالد مع ولده حتى كان يجوع ويطعمني ويمشي ويركبني وكانت حياتي على يديه فقالت نزهة الزمان أن شاء الله تعالى نكافئه بما نقدر عليه ثم أن نزهة الزمان صاحت على الخادم فحضر وقبل يد ضوء المكان فقالت له نزهة الزمان خذ بشارتك يا وجه الخير لأنه جمع شملي بأخي على يديك فالكيس الذي معك وما فيه لك فأذهب وائتني بسيدك عاجلاً ففرح الخادم وتوجه إلى الحاجب ودخل عليه ودعاه إلى سيدته فأتى به ودخل على زوجته نزهة الزمان فوجد عندها أخاها فسأل عنه فحكت له ما وقع لهما من أوله إلى آخره ثم قالت أعلم أيها الحاجب أنك ما أخذت جارية وأنما أخذت بنت الملك عمر النعمان فأنا نزهة الزمان وهذا أخي ضوء المكان فلما سمع الحاجب القصة منها تحقق ما قالته وبان له الحق الصريح وتيقن أنه صار صهر الملك عمر النعمان فقال في نفسه مصيري أن آخذ نيابة على قطر من الأقطار ثم أقبل على ضوء المكان وهنأه بسلامته وجمع شمله بأخته ثم أمر خدمه في الحان أن يهيئوا الضوء المكان خيمة ركوبه من أحسن الخيول فقالت له زوجته أنا قد قربنا من بلادنا فأنا أختلى بأخي ونستريح مع بعضنا ونشبع من بعضنا قبل أن نصل إلى بلادنا فإن لنا زمناً طويلاً ونحن متفرقون فقال الحاجب الأمر كما تريد أن ثم أرسل إليهما الشموع وأنواع الحلاوة وخرج من عندهما وأرسل إلى ضوء المكان ثلاث بدلات من أفخر الثياب وتمشي إلى أن جاء إلى المحفة وعرف مقدار نفسه فقالت له نزهة الزمان أرسل على الخادم وأمره أن يأتي بالوقاد ويهيء له حصاناً يركبه ويرتب له سفرة طعام في الغداة والعشى ويأمره أن لا يفارقنا فعند ذلك أرسل الحاجب إلى الخادم وأمره أن يفعل ذلك فقال سمعاً وطاعة ثم أن الخادم أخذ غلمانه وذهب يفتش على الوقاد إلى أن وجده في آخر الركب وهو يشد حماره ويريد أن يهرب ودموعه تجري على خده من الخوف على نفسه ومن حزنه على فراق ضوء المكان وصار يقول نصحته في سبيل الله فلم يسمع مني يا ترى كيف حاله فلم يتم كلامه إلا والخادم واقف على رأسه ودارت حول الغلمان فالتفت الوقاد فرأى الخادم واقفاً فوق رأسه ورأى الغلمان حوله فاصفر لونه وخاف. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوقاد لما أراد أن يشد حماره ويهرب وصار يكلم نفسه ويقول يا ترى كيف حاله فما تم كلامه ألا والخادم واقف على رأسه والغلمان حوله فالتفت الوقاد فرأى الخادم واقفاً على رأسه فارتعدت فرائصه وخاف وقال وقد رفع صوته بالكلام أنه ما عرف مقدار ما عملته معه من المعروف فأظن أنه غمز الخادم وهؤلاء الغلمان على وأنه أشركني معه في الذنب وإذا بالخادم صاح عليه وقال له من الذي كان ينشد الأشعار يا كذاب كيف تقول لي أنا مما أنشد الأشعار ولا أعرف من أنشدها وهو رفيقك فأنا

لا أفارقك من هنا إلى بغداد والذي يجري على رفيقك يجري عليك فلما سمع الوقاد كلامه قال في نفسه مـ ـا خفت منه وقعت فيه ثم أنشد هذا البيت:

كـ . .ان الـ . .ذي خفـ . .ت أن يكونـ . .ـا أنـ . . . ـا إلـ . . . ى الله راجعونـ . . . ـا

ثم أن الخادم صاح على الغلمان وقال لهم أنزلوه على الحمار فأنزلوا الوقاد عـ ـن حمـ ـاره وأتـ ـوا لـ ـه بحصان فركبه ومشى صحبه الركب والغلمان حوله محدقون به وقال لهم الخادم أن عدم منه شـ ـعرة كانـ ـت بواحد منكم ولكن أكرموه ولا تهينوه فلما رأى الوقاد الغلمان حوله يئس من الحياة والتفت إلى الخادم وقال له يا مقدم أنا مالي أخوة ولا أقارب وهذا الشاب لا يقرب لي ولا أنا أقرب له وأنما أنا رجل وقـ ـاد فـ ـي حمـ ـام ووجدته ملقى على المزبلة مريضاً وصار الوقاد يبكي ويحسب في نفسه ألف حساب والخادم ماش بجانبه ولم يعرفه بشيء بل يقول له قد أقلقت سيدتنا بانشادك الشعر أنت وهذا الصبي ولا تخف على نفسك وصار الخادم يضحك عليه سراً وإذا نزلوا أتاهم الطعام فيأكل هو والوقاد في آنية واحدة فإذا أكلوا أمر الخادم الغلمـ ـان أن يأتوا بقلة سكر فيشرب منها ويعطيها للوقاد فيشرب لكنه لا تنشف له دمعة من الخوف على نفسـ ـه والحـ ـزن على فراق ضوء المكان وعلى ما وقع لهما في غربتهما وهما سائران والحاجب تارة يكون على باب المحفة لأجل خدمة ضوء المكان ابن الملك عمر النعمان ونزهة الزمان وتارة يلاحظ الوقاد وصارت نزهة الزمـ ـان وأخوها ضوء المكان في حديث وشكوى ولم يزالا على تلك الحالة وهم سائرون حتى قربوا من البلاد ولـ ـم يبق بينهم وبين البلاد إلا ثلاثة أيام فنزلوا وقت المساء واستراحوا ولم يزالوا نـ ـازلين إلـ ـى أن لاح الفجـ ـر فاستيقظوا وأرادوا أن يحملوا وإذا بغبار عظيم قد لاح لهم وأظلم الجو منه حتى صار كالليل الداجي فصـ ـاح الحاجب قائلاً امهلوا ولا تحملوا وركب هو ومماليكه واروا نحو ذلك الغبار فلما قربوا منه بـ ـان مـ ـن تحتـ ـه عسكر جرار كالبحر الزخار وفيه رايات وأعلام وطبول فرسان وأبطال فتعجب الحاجب من أمرهم فلما رآهم العسكر افترقت منه فرقة قدر خمسمائة فارس وأتوا إلى الحاجب هو ومن معه وأحاطوا بهم وأحاطـ ـت كـ ـل خمسة من العسكر بمملوك من مماليك الحاجب فقال لهم الحاجب أي شيء الخبر ومن أين هذه العساكر حتى تفعل معنا هذه الأفعال فقالوا له من أنت ومن أين أتيت وإلى أين تتوجه فقال لهم أنا حاجب أمير دمشق الملك شركان ابن الملك عمر النعمان صاحب بغداد وأرض خراسان أتيت من عنده بالخراج والهدية متوجهاً إلـ ـى والده ببغداد فلما سمعوا كلامه أرخوا مناديلهم على وجوههم وبكوا وقالوا له أن عمر النعمان قد مـ ـات ومـ ـا مات إلا مسموماً فتوجه وما عليك بأس حتى تجتمع بوزيره الأكبر الوزير دندان فلما سمع الحاجب ذلك الكلام بكى بكاء شديداً وقال واخيبتاه في هذه السفرة وصار يبكي هو ومن معه إلى أن اختلطوا بالعسكر فاسـ ـتأذنوا له الوزير دندان فأذن له وأمر الوزير بضرب خيامه وجلس على سرير في وسط الخيمـ ـة وأمـ ـر الحاجـ ـب بالجلوس فلما جلس سأله عن خبره فأعلمه أنه حاجب أمير دمشق وقد جاء بالهدايا وخراج دمشق فلما سـ ـمع الوزير دندان ذلك بكى عند ذكر الملك عمر النعمان ثم قال له الوزير دندان أن الملك عمر النعمان قد مـ ـات مسموماً وبسبب موته اختلف الناس فيمن يولونه بعده حتى أوقعوا القتل في بعضهم ولكن منعهم عن بعضـ ـهم الأكابر والإشراف والقضاة الأربعة وأتفق جميع الناس على أن ما أشار به القضاة الأربعة لا يخالفهم فيه أحد فوقع الأتفاق على أن نسير إلى دمشق ونقصد ولده الملك شركان ونأتي به ونسلطنه على مملكة أبيه وفـ ـيهم

جماعة من ولده الثاني وقالوا أنه يسمى ضوء المكان وله أخت تسمى نزهة الزمان وكانا قد توجها إلى أرض الحجاز ومضى لهما خمس سنين ولم يقع لهما أحد على خبر فلما سمع الحاجب ذلك علم أن القضـ ية التـ ي وقعت لزوجته صحيحة فاغتم لموت الملك غماً عظيماً ولكنه فرح فرحاً شديداً وخصوصـ اً بمجـ يء ضـ وء المكان لأنه يصير سلطاناً ببغداد في مكان أبيه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن حاجب شركان لما سمع من الوزير دندان ما ذكره من خبـ ر الملـ ك عمر النعمان تأسف إلى الوزير دندان وقال أن قصتكم من أعجب العجائب أعلم أيها الوزير الكبير أنكم حيث صادفتموني الآن أراحكم الله من التعب وقد جاء الأمر كما تشتهون على أهون سبب لأن الله رد إليكم ضـ وء المكان هو وأخته نزهة الزمان وانصلح الأمر وهان فلما سمع الوزير هذا الكلام فرح فرحاً شديداً ثم قال لـ ه أيها الحاجب أخبرني بقصتهما وبما جرى لهما وبسبب غيابهما فحدثه بحديث نزهة الزمان وأنها صـ ارت زوجته وأخبره بحديث ضوء المكان وبسبب غيابهما وأخبره بحديث ضوء المكان من أوله إلى آخـ ره فلمـ ا فرغ الحاجب من حديثه أرسل الوزير دندان إلى الأمراء والوزراء وأكابر الدولة واطلعهـ م علـ ى القصـ ة ففرحوا بذلك فرحاً شديداً وتعجبوا من هذا الإتفاق ثم اجتمعوا كلهم وجاءوا عند الحاجب ووقفوا فـ ي خدمتـ ه وقبلوا الأرض بين يديه وأقبل الوزير من ذلك الوقت على الحاجب ووقف بين يديه ثم أن الحاجب عمل فـ ي ذلك اليوم ديواناً عظيماً وجلس هو والوزير دندان على التخت وبين أيديهما جميع الأمراء والكبراء وأربـ اب المناصب على حسب مراتبهم ثم بلوا السكر في ماء الورد وشربوا ثم قعد الأمراء للمشورة وأعطـ وا بقيـ ة الجيش إذناً في أن يركبوا مع بعضهم ويتقدموا قليلاً قليلاً حتى يتموا المشورة ويلحقوهم فقبلوا الأرض بـ ين يدي الحاجب وركبوا وقدامهم رايات الحرب فلما فرغ الكبراء من مشورتهم ركبوا ولحقوا العساكر ثم أرسل الحاجب إلى الوزير دندان وقال له الرأي عندي أن أتقدم وأسبقكم لأجل أن أهيء للسـ لطان مكـ اناً يناسـ به وأعلمه بقدومكم وأنكم اخترتموه على أخيه شركان سلطاناً عليكم فقال الوزير نعم الرأي الذي رأيته ثم نهض ونهض الوزير دندان تعظيماً له وقدم له التقارير وأقسم عليه أن يقبلها وكـ ذلك الأمـ راء الكبـ ار وأربـ اب المناصب قدموا له التقاديم ودعوا له وقالوا له لعلك تحدث السلطان ضوء المكان في أمرنا ليبقينا مسـ تمرين في مناصبنا فأجابهم لما سألوه ثم أمر غلمانه بالسير فأرسل الوزير دندان الخيام مع الحاجب وأمر الفراشـ ين أن ينصبوها خارج المدينة بمسافة يوم فامتثلوا امره وركب الحاجب وهو في غاية الفرح وقال في نفسه مـ ا أبرك هذه السفرة وعظمت زوجته في عينه وكذلك ضوء المكان ثم جد في السفر إلى أن وصل إلى مكان بينه وبين المدينة مسافة يوم ثم أمر بالنزول فيه لأجل الراحة وتهيئة مكان لجلوس السلطان ضوء المكـ ان ابـ ن الملك عمر النعمان ثم نزل من بعيد هو ومماليكه وأمر الخدام أن يستأذنوا السيدة نزهة الزمان في أن يـ دخل عليها فاستأذنوها في شأن ذلك فأذنت له فدخل عليها واجتمع بها وبأخيها وأخبرهما بموت أبيهما وأن ضـ وء المكان جعله الرؤساء ملكاً عليهم عوضاً عن أبيه عمر النعمان وهنأهما بالملك فبكيا على فقد أبيهمـ ا وسـ ألا

عن سبب قتله فقال لهما الخبر مع الوزير دندان وفي غد يكون هو والجيش كله في هذا المكان وما بقي في الأمر أيها الملك إلا أن تفعل ما أشاروا به لأنهم كلهم اختاروك سلطاناً وإن لم تفعل سلطنوا غيرك وأنت لا تأمن على نفسك من الذي يتسلطن غيرك فربما يقتلك أو يقع الفشل بينكما ويخرج الملك من أيديكما فأطرق برأسه ساعة من الزمان ثم قال قبلت هذا الأمر لأنه لا يمكن التخلي عنه وتحقق أن الحاجب تكلم بما فيه الرشاد ثم قال للحاجب يا عم وكيف أعمل مع أخي شركان فقال يا ولدي أخوك يكون سلطان دمشق وأنت سلطان بغداد فشد عزمك وجهز أمرك فقبل منه ضوء المكان ذلك ثم أن الحاجب قدم إليه البدلة التي كانت مع الوزير دندان من ملابس الملوك وناوله النمشة وخرج من عنده وأمر الفراشين أن يختاروا موضعاً عالياً وينصبوا فيه خيمة واسعة عظيمة للسلطان ليجلس فيها إذا قدم عليه الأمراء ثم أمر الطباخين أن يطبخوا طعاماً فأخروا يحضروه وأمر السقايين أن ينصبوا حياض الماء وبعد ساعة طار الغبار حتى سد الأقطار ثم انكشف ذلك الغبار وبان من تحته عسكر جرار مثل البحر الزخار وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الحاجب لما أمر الفراشين أن ينصبوا خيمة واسعة لاجتماع الناس عند الملك نصبوا خيمة عظيمة على عادة الملوك فلما فرغوا من أشغالهم وغذا بغبار قد طار ثم محق الهواء ذلك الغبار وبان من تحته عسكر جرار وتبين أن ذلك العسكر عسكر بغداد وخراسان ومقدمة الوزير دندان وكلهم فرحوا بسلطنة ضوء المكان وقابلهم لابساً خلعة الملك متقلداً بسيف الموكب فقدم له الحاجب الفرس فركب وسار هو ومماليكه وجميع من في الخيام مشي في خدمته حتى دخل القبة الكبيرة وجلس ووضع النمشة على فخذيه ووقف الحاجب في خدمته بين يديه ووقفت مماليكه في دهليز الخيمة وشهروا في أيديهم السيوف ثم أقبلت العساكر والجيوش وطلبوا الأذن فدخل الحاجب واستأذن لهم السلطان ضوء المكان فأمر أن يدخلوا عليه عشرة عشرة فاعلمهم الحاجب بذلك فأجابوه بالسمع والطاعة ووقف الجميع على باب الدهليز فدخلت عشرة منهم فشق بهم الحاجب في الدهليز ودخل بهم على السلطان ضوء المكان فلمارأوه هابوه فتلقاهم أحسن ملتقى ووعدهم بكل خير فهنؤوه بالسلامة ودعوا له وحلفوا له الإيمان الصادقة أنهم لا يخالفوا له أمراً ثم قبلوا الأرض بين يديه وانصرفوا ودخلت عشرة أخرى ففعل بهم مثل ما فعل بغيرهم ولم يزالوا يدخلون عشرة بعد عشرة حتى لم يبق غير الوزير دندان فدخل عليه وقبل الأرض بين يديه فقام إليه ضوء المكان وأقبل عليه وقال له مرحباً بالوزير والوالد الكبيران فعلك فعل المشير العزيز والتدبير بيد اللطيف الخبير ثم أن الحاجب خرج في تلك الساعة وأمر بمد السماط وأمر بإحضار العسكر جميعاً فحضروا وأكلوا وشربوا ثم أن الملك ضوء المكان قال للوزير دندان أؤمر العسكر بالإقامة عشرة أيام حتى اختلى بك وتخبرني بسبب قتل أبي فأمتثل الوزير قول السلطان وقال لابد من ذلك ثم خرج إلى وسط الخيام وأمر العسكر بالإقامة عشرة أيام فامتثلوا أمره ثم أن الوزير أعطاهم أذناً أنهم يتفجون ولا يدخل أحد من أرباب الخدمة عند الملك مدة ثلاثة أيام فتضرع جميع الناس ودعوا لضوء المكان بدوام العز ثم أقبل عليه الوزير وأعلمه بالذي كان فصبر إلى الليل ودخل على أخته نزهة الزمان وقال لهما أعلمت بسبب قتل أبي ولم نعلم بسببه كيف كان فقالت له اعلم

سبب قتله ثم أنها ضربت لها ستارة من حرير وجلس ضوء المكان خارج الستارة وأمر بإحضـ ـار الـ ـوزير دندان فحضر بين يديه فقال له أريد أن تخبرني تفصيلاً بسبب قتل أبي الملك عمر النعمان فقال الوزير دندان اعلم أيها الملك أن الملك عمر النعمان لما أتى من الصيد والقنص وجاء إلى المدينة سأل عنكما فلم يجـ ـدكما فعلم أنكما قد قصدتما الحج فاغتم لذلك وازداد به الغيظ وضاق صدره وأقام نصف سنة وهو يستخبر عنكمـ ـا كل شارد ووارد فلم يخبره أحد عنكما فبينما نحن بين يديه يوماً من الأيام بعد ما مضى لكما سنة كاملة مـ ـن تاريخ فقدكما وإذا بعجوز عليها آثار العبادة قد وردت علينا ومعها خمس جوار نهد أبكـ ـار كـ ـأنهن الأقمـ ـار وحوين من الحسن والجمال ما يعجز عن وصفه اللسان ومع كمال حسنهن يقرأن القرآن ويعـ ـرفن الحكمـ ـة وأخبار المتقدمين فأستأذنت تلك العجوز في الدخول على الملك فأذن لها فدخلت عليه وقبلت الأرض بين يديه وكنت أنا جالساً بجانب الملك فلما دخلت عليه قربها إليه لما رأى عليها آثار الزهد والعبادة فلمـ ـا اسـ ـتقرت العجوز عنده أقبلت عليه وقالت له اعلم أيها الملك أن معي خمسة جوار ما ملك أحد من الملوك مثلهن لأنهن ذوات عقل وجمال وحسن وكمال يقرأن القرآن بالروايات ويعرفن العلوم وأخبار الأمم السالفة وهن بين يديك وواقفات في خدمتك يا ملك الزمان وعند الامتحان يكرم المرء أو يهان فنظر المرحوم والدك إلى الجـ ـواري فسرته رؤيتهن وقال لهن كل واحدة منكن تسمعني شيئاً مما تعرفه من أخبار الناس الماضيين والأمم السابقين وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير دندان قال للملك ضوء المكان فتقدمت واحدة مـ ـنهن وقبلـ ـت الأرض بين يديه وقالت اعلم أيها الملك أنه ينبغي لذي الأدب أن يجتنب الفضول ويتحلى بالفضائل وأن يؤدي الفرائض ويجتنب الكبائر ويلازم ذلك ملازمة من لو أفرد عنه لهلك وأساس الأدب مكارم الأخلاق واعلم أن معظم أسباب المعيشة طلب الحياة والقصد من الحياة عبادة الله فينبغي أن تحسن خلقك مع الناس وأن لا تعدل عن تلك السنة فإن أعظم الناس خطر أحوجهم إلى التدبير والملوك أحوج إليه من السـ ـوق لأن السـ ـوقة قـ ـد تفيض في الأمور من غير نظر في العاقبة وأن تبذل في سبيل الله نفسك ومالـ ـك واعلـ ـم أن العـ ـدو خصـ ـم تخصيمه بالحجة وتحرز منه وأما الصديق فليس بينك وبينه قاض يحكم غير حسن الخلـ ـق فـ ـاختر صـ ـديقك لنفسك بعد اختياره فإن كان من الأخوان الآخرة فليكن محافظاً على اتباع الظاهر من الشرع عارفـ ـاً بباطنـ ـه على حسن الأمكان وإن كان من أخوان الدنيا فليكن حراً صادقاً ليس بجاهل ولا شرير فإن الجاهل أهـ ـل لأن يهرب منه أبواه والكاذب لا يكون صديقاً لأن الصديق مأخوذ من الصدق الذي يكون ناشئاً عن صميم القلـ ـب فكيف به إذا أظهر الكذب على اللسان واعلم أن اتباع الشرع ينفع صاحبه فأحبب أخاك إذا كان بهذه الصـ ـفة ولا تقطعه وأن ظهر لك منه ما تكره فإنه ليس كالمرأة يمكن طلاقها ومراجعتها بل قلبه كالزجاج إذا تصـ ـدع لا ينجبر ولله در القائل:

احرص على صـ ـون القلـ ـب مـ ـن الأذى ... فرجوعهـ ـا بعـ ـد التنـ ـافر يعسـ ـر

أن القلـ ـوب إذا تنـ ـافر ودهـ ـا ... مثـ ـل الزجاجـ ـة كسـ ـرها لا يجبـ ـر

وقالت الجارية في آخر كلامها وهي تشير إلينا أن أصحاب العقول قالوا خير الأخ وان أشد دهم في النصيحة وخير الأعمال أجملها عاقبة وخير الثناء ما كان على أفواه الرجال وقد قيل لا ينبغي للعبد أن يغفل عن شكر الله خصوصاً على نعمتين العافية والعقل وقيل من كرمت عليه نفسه هانت عليه شهرته ومن عظم صغائر المصائب ابتلاه الله بكبارها ومن أطاع الهوى ضيع الحقوق ومن أطاع الواشي ضيع الصديق ومن ظن بك خيراً فصدق ظنه بك ومن بالغ في الخصومة أثم ومن لم يحذر الحيف لم يأمن السيف وها أنا أذكر لك شيئاً من آداب القضاة اعلم أيها الملك أنه لا ينفع حكم بحق إلا بعد التثبيت وينبغي للقاضي أن يجعل الناس في منزلة واحدة حتى لا يطمع شريف في الجور ولا ييأس ضعيف من العدل وينبغي أيضاً أن يجعل البينة على من ادعى واليمين على من أنكر والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحاً أحل حراماً أو حرم حلالاً وما شككت فيه اليوم فراجع فيه عقلك وتبين به رشدك لترجع فيه ألى الحق فالحق فرع والرجوع إلى الحق خير من التمادي على الباطن ثم أعرف الأمثال وافقه المقاس وسو بين الأخصام في الوقوف وليكن نظرك على الحق موقوفاً وفوض أمرك إلى الله عز وجل واجعل البينة على من ادعى فإن حضرت بينته أخذت بحقه وإلا فخلف المدعي عليه وهذا حكم الله واقبل شهادة عدو المسلمين بعضهم على بعض فإن الله تعالى أمر الحكام أن تحكم بالظاهر وهو يتولى السرائر ويجب على القاضي أن يجتنب الألم والجوع وأن يقصد بقضائه بين الناس وجه لله تعالى فإن من خلصت نيته وأصلح ما بينه وبين نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس وقال الزهري ثلاث إذا كن في قاض كان منعزلاً إذا أكرم اللئام وأحب المحامد وكره العزل وقد عزل عمر بن عبد العزيز قاضياً فقال له لم عزلتني فقال عمر قد بلغني عنك أن مقالك أكبر من مقامك وحكى أن الاسكندر قال لقاضيه أني وليتك منزلة واستودعتك فيها روحي وعرضي ومروءتي فاحفظ هذه المنزلة لنفسك وعقلك وقال لطباخه أنك مسلط في جسمي فارفق بنفسك فيه وقال لكاتبه أنك متصرف في عقلي فاحفظني فيما تكتبه عني ثم تأخرت الجارية الأولى وتقدمت الثانية وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير دندان قال لضوء المكان ثم تأخرت الجارية الأولى وتقدمت الثانية وقبلت الأرض بين يدي الملك والدك سبع مرات ثم قالت قال لقمان لأبنه ثلاثة لا تعرف إلا في ثلاثة مواطن لا يعرف الحليم إلا عند الغضب ولا الشجاع إلا عند الحرب ولا أخوك إلا عند حاجتك إليه وقيل أن الظالم نادم وأن مدحه الناس والمظلوم سليم وأن ذمه الناس وقال الله تعالى ولا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم وقال عليه الصلاة والسلام أنما الأعمال بالنيات وأنما لكل أمريء ما نوى واعلم أيها الملك أن أعجب ما في الإنسان قلبه لأن به زمام أمره فإن هاج به الطمع أهلكه الحرص وإن ملكه الأسى قتله الأسف وإن عظم عنده الغضب اشتد به العطب وأن سعد بالرضا آمن من السخط وأن ناله الخوف شغله الحزن وأن أصابته مصيبة ضمنه الجزع وأن استفاد مالا ربما اشتغل به عن ذكر ربه وأن أغصته فاقة أشغله الهم وأن أجهده الجزع أقعده الضعف فعلى كل حالة لإصلاح له إلا بذكر الله واشتغاله بما فيه تحصيل معاشه وصلاح معاده وقيل لبعض العلماء من أشر الناس

حالاً قال من غلبت شهوته مروءته وبعدت في المعالي همته فاتسعت معرفته وضاقت معذرته وما أحسن ما قاله قيس:

وأنـي لأغنـى النـاس عـن متكلـف	يرى الناس ضلالاً وما هو مهتدي
ومـا المـال والأخـلاق إلا معـارة	فكل بما يخفيه في الصدر مرتدى
إذا ما أتيت الأمر من غير بابه	ضللت وأن تدخل من الباب تهتدي

ثم أن الجارية قالت وأما أخبار الزهد فقد قال هشام بن بشر قلت لعمر بن عبيد ما حقيقة الزهد فقال لي قد بينه رسول الله ﷺ في قوله الزاهد من لم ينس القبر والبلا وآثر ما يبقى على ما يفنى ولم يعد غداً من أيامه وغد نفسه في الموتى وقيل أن أبا ذر كان يقول الفقر أحب إلي من الغنى والسقم أحب إليّ من الصحة فقال بعض السامعين رحم الله أبا ذر أما أنا فأقول من اتكل على حسن الاختيار من الله تعالى رضي بالحالة التي اختارها الله له وقال بعض الثقات صل بنا ابن أبي أو في صلاة الصبح فقرأ يا أيها المدثر حتى بلغ قوله تعالى فإذا نقر في الناقور فخر ميتاً ويروي أن ثابتاً البناني بكى حتى كادت أن تذهب عيناه فجاءوا برجل يعالجه قال أعالجه بشرط أن يطاوعني قال ثابت في أي شيء قال الطبيب في أن لا تبكي قال ثابت فما فضل عيني أن لم تبكيا وقال رجل لمحمد بن عبد الله أوصني وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٠٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير دندان قال لضوء المكان وقالت الجارية الثانية لوالدك المرحوم عمر النعمان وقال رجل لمحمد بن عبد الله أوصني فقال أوصيك أن تكون في الدنيا مالكاً زاهداً وفي الآخرة مملوكاً طامعاً قال وكيف ذلك قال الزاهد في الدنيا يملك الدنيا والآخرة وقال غوث بن عبد الله كان أخوان في بني إسرائيل قال أحدهما للآخر ما أخوف عمل عملته قال له أني مررت ببيت فراخ فأخذت منهم واحدة ورميتها في ذلك البيت ولكن بيت الفراخ التي أخذها منه فهذا أخوف عمل عملته فما أخوف ما عملته أنت قال أما أنا فأخوف عمل أعمله أني إذا قمت إلى الصلاة أخاف أن أكون لا أعمل ذلك إلا للجزاء وكان أبوهما يسمع كلامهما فقال اللهم أن كانا صادقين فأقبضهما إليك فقال بعض العقلاء فإن هذين من أفضل الأولاد وقال سعيد بن جبير صحبت فضالة بن عبيد فقلت له أوصني فقال احفظ عني هاتين الخصلتين أن لا تشرك بالله شيئاً وأن لا تؤذي من خلق الله أحداً وأنشد هذين البيتين:

كـن كيـف شـئت فـإن الله ذو كـرم	وأنف الهموم فما في الأمر من بأس
إلا أثنتـين فمـا تقربهمـا أبـدا	الشـرك بـالله والإضـرار بالنـاس

وما أحسن قول الشاعر:

إذا أنت لم يصحبك زاد من التقى	ولاقيت بعد الموت من قد تزودا
نـدمت علـى أن لا تكـون كمثلـه	وأنك لم ترصد كما كان أرصدا

ثم قدمت الجارية الثالثة بعد أن تأخرت الثانية وقالت أن باب الزهد واسع جداً ولكن كر بعض ما يحضرني فيه عن السلف الصالح قال بعض العارفين أنا أستبشر بالموت ولا أتيقن فيه راحة فيراني علمت

أن الموت يحول بين المرء وبين الأعمال فأرجو مضاعفة العمل الصالح وانقطاع العمل السيء وكان عطاء السلمي إذا فرغ من وصيته انتفض وارتعد وبكى بكاء شديداً فقيل له لم ذلك فقال أني أريد أن أقبل على أمر عظيم وهو الانتصاب بين يدي الله تعالى للعمل بمقتضى الوصية ولذلك كان زين العابدين بن الحسين يرتعد إذا قام للصلاة فسئل عن ذلك فقال أتدرون لمن أقوم ولمن أخاطب وقيل كان بجانب سفيان الثوري رجل ضرير فإذا كان شهر رمضان يخرج ويصلي بالناس فيسكت ويبطيء وقال سفيان إذا كان يوم القيامة أتى بأهل القرآن فيميزون بعلامة مزيد الكرامة عمن سواهم وقال سفيان لو أن النفس استقرت في القلب كما ينبغي لطار فرحاً وشوقاً إلى الجنة وحزناً وخوفاً من النار وعن سفيان الثوري أنه قال النظر إلى وجه الظالم خطيئة ثم تأخرت الجارية الثالثة وتقدمت الجارية الرابعة وقالت وها أنا أتكلم ببعض ما يحضرني من أخبار الصالحين روى أن بشر الحافي قال سمعت خالداً يقول أياكم وسرائر الشرك فقلت له وما سرائر الشرك قال أن يصلي أحدكم فيطيل ركوعه وسجوده حتى يلحقه الحدث وقال بعض العارفين فعل الحسنات يكفر السيئات وقال بعض العارفين المس من بشر الحافي شيئاً من سرائر الحقائق فقال يا بني هذا العلم لا ينبغي أن نعلمه كل أحد فمن كل مائة خمسة مثل زكاة الدرهم قال إبراهيم بن أدهم فاستحليت كلامه واستحسنته فبينما أنا أصلي وإذا ببشر يصلي فقمت وراءه أركع إلى أن يؤذن المؤذن فقام رجل رث الحالة وقال يا قوم أحذروا الصدق الضار ولا بأس بالكذب النافع وليس مع الاضطرار اختيار ولا ينفع الكلام عند العدم كما لا يضر السكوت عند وجود الوجود وقال إبراهيم رأيت بشر سقط منه دانق فقمت إليه وأعطيته درهماً فقال لا آخذه فقلت أنه من خالص الحلال فقال لي أنا لست استبدل نعم الدنيا بنعم الآخرة ويروي أن أخت بشر الحافي قصدت أحمد بن حنبل وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٠١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير دندان قال لضوء المكان أن الجارية قالت لوالدك أن أخت بشر الحافي قصدت أحمد بن حنبل فقالت له يا إمام الدين أنا أقوم فاغزل بالليل ونشتغل بمعاشنا في النهار وربما تمر بنا مشاعل ولاة بغداد ونحن على السطح نغزل في ضوئها فهل يحرم علينا ذلك قال لها من أنت قالت أخت بشر الحافي فقال يا أهل بشر لا أزال استنشق الورع من قلوبكم وقال بعض العارفين إذا أراد الله بعبد خيراً فتح عليه باب العمل وكان ملك بن دينار إذا مر في السوق ورأى ما يشتهيه يقول يا نفس أصبري فلا أوافقك على ما تريدين وقال رضي الله تعالى عنه سلامة النفس في مخالفتها وبلاؤها في متابعتها وقال منصور بن عمار حججت حجة فقصدت مكة من طريق الكوفة وكانت ليلة مظلمة وإذا بصارخ يصرخ في جوف الليل ويقول الهي وعزتك وجلالك ما أردت بمعصيتك مخالفتك وما أنا جاهل بك ولكن خطيئة قضيتها على في قديم أزلك فأغفر لي ما فرط مني فإني قد عصيتك بجهلي فلما فرغ من دعائه تلا هذه الآية يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة وسمعت سقطة لم أعرف لها حقيقة فمضيت فلما كان الغد مشينا إلى مدرجنا وإذا بجنازة خرجت ووراءها عجوز ذهبت قوتها فسألتها عن الميت فقالت هذه جنازة رجل كان مر بنا البارحة وولدي قائم يصلي فتلا آية من كتاب الله تعالى فانفطرت مرارة ذلك الرجل فوقع ميتاً ثم تأخرت الجارية الرابعة وتقدمت الجارية الخامسة وقالت وها أنا أذكر بعض ما يحضرني من

أخبار السلف الصالح كان مسلمة بن دينار يقول عند تصحيح الضمائر تغفر الصغائر والكبائر وإذا عزم العبد على ترك الآثام أتاه الفتوح وقال كل نعمة لا تقرب إلى الله فهي بلية وقليل الدنيا يشغل عن كثير الآخرة وكثيرها ينسيك قليلها وسئل أبو حازم من أيسر الناس فقال رجل أذهب عمره في طاعة الله قال فمن أحمق الناس قال رجل باع آخرته بدنيا غيره وروى أن موسى عليه السلام لما ورد ماء مدين قال رب أني لما أنزلت لي من خير فقير فسأل موسى ربه ولم يسأل الناس وجاءت الجاريتان فسقي لهما ولم تصدر الرعاء فلما رجعتا اخبرتا أباهما شعيباً فقال لهما لعله جائع ثم قال لأحداهما ارجعي إليه وادعيه فلما أتته غطت وجهها وقالت أن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فكره موسى ذلك وأراد أن لا يتبعها وكانت امرأة ذات عجز فكانت الريح تضرب ثوبها فيظهر لموسى عجزها فيغض بصره ثم قال لها كوني خلفي فمشت خلفه حتى دخل على شعيب والعشاء مهيأ وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٠٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير دندان قال لضوء المكان وقالت الجارية الخامسة لوالدك فدخل موسى على شعيب عليهما السلام والعشاء مهيأ فقال شعيب لموسى يا موسى أني أريد أن أعطيك أجر ما سقيت لهما فقال موسى أنا من أهل بيت لا نبيع شيئاً من عمل الآخرة بما على الأرض من ذهب وفضة فقال شعي يا شاب ولكن أنت ضيفي وأكرام الضيف عادتي وعادة آبائي بإطعام الطعام فجلس موسى فأكل ثم أن شعيباً استأجر موسى ثماني حجج أي سنتين وجعل أجرته على ذلك تزويجه إحدى ابنتيه وكان عمل موسى لشعيب صداقاً لها كما قال تعالى حكاية عنه أني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثماني حجج فإن أتممت عشراً فمن عندك وما أريد أن أشق عليك وقال رجل لبعض أصحابه وكان له مدة لم يره أنك أوحشتني لأنني ما رأيتك منذ زمان قال اشتغلت عنك بابن شهاب اتعرفه قال نعم هو جاري من منذ ثلاثين سنة إلا أنني لم أكلمه قال له أنك نسيت الله فنسيت جارك ولو أحببت الله لاحببت جارك أما علمت أن للجار علي حقاً كحق القرابة وقال حذيفة دخلنا مكة مع إبراهيم بن أدهم وكان شقيق البلخي قد حج في تلك السنة فاجتمعنا في الطواف فقال إبراهيم لشقيق ما شأنكم في بلادكم فقال شقيق أننا إذا رزقنا أكلنا وإذا جعنا صبرنا فقال كذا تفعل كلاب بلخ ولكننا إذا رزقنا آثرنا وإذا جعنا شكرنا فجلس شقيق بين يدي إبراهيم قال له أنت أستاذي وقال محمد بن عمران سأل رجل حاتماً الأصم فقال له ما أمرك في التوكل على الله تعالى قال على خصلتين علمت أن رزقي لا يأكله غيري فاطمأنت نفسي به وعلمت أني لم أخلق من غير علم الله فاستحييت منه ثم تأخرت الجارية الخامسة وتقدمت العجوز وقبلت الأرض بين يدي والدك تسع مرات وقالت قد سمعت أيها الملك ما تكلم به الجميع في باب الزهد وأنا تابعة لهن فأنكر بعض ما بلغني عن أكابر المتقدمين قيل كان الإمام الشافعي رضي الله عنه يقسم الليل ثلاثة أقسام الثلث الأول للعلم والثاني للنوم والثالث للتهجد وكان الإمام أبو حنيفة يحيي نصف الليل فأشار إليه إنسان وهو يمشي وقال الآخر أن هذا يحيي الليل كله فلما سمع ذلك قال أني استحي من الله أن أوصف بما ليس في فصار بعد ذلك يحيي الليل كله وقال الربيع كان الشافعي يختم القرآن في شهر رمضان سبعين مرة كل ذلك في الصلاة وقال الشافعي رضي الله عنه ما شبعت من خبز الشعير عشر سنين لأن الشبع يقسى القلب ويزيل الفطنة ويجلب النوم ويضعف

صاحبه عن القيام وروي عن عبد الله ومحمد السكري أنه قال كنت أنا وعمرة نتحدث فقال لي ما رأيت أروع ولا أفصح من محمد بن أدريس الشافعي وأتفق أنني خرجت أنا والحرث بن لبيب الصفار وكان الحرث تلميذ المزني وكان صوته حسناً فقرأ قوله تعالى هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون فرأيت الإمام الشافعي تغير لونه واقشعر جلده واضطرب اضطراباً شديداً وخر مغشياً عليه فلما أفاق قال أع وذ ب الله م ن مق ام الكذابين وأعراض الغافلين اللهم لك خشعت قلوب العارفين اللهم هب لي غفران ذنوبي من جودك وجملن ي يسترك واعف عني تقصيري مكرم وجهك ثم قمت وانصرفت وقال بعض الثقات لما دخل ت بغ داد ك ان الشافعي بها فجلست على الشاطيء لأتوضأ للصلاة أذ مر بي إنسان فقال لي يا غلام أحسن وضوءك يحس ن الله إليك في الدنيا والآخرة فالتفت وإذا برجل يتبعه جماعة فأسرعت في وضوئي وجعلت أقفوا أثره فالتف ت إلي وقال هل لك من حاجة فقلت نعم تعلمني مما علمك الله تعالى فقال اعلم أن من صدق الله نجا ومن أشفق على دينه سلم من الردى ومن زهد في الدنيا قرت عيناه غدا أفلا أزيدك قلت بلى قال كن في ال دنيا زاه داً وفي الآخرة راغباً وأصدق في جميع أمورك تنج مع الناجين ثم مضى فسألت عنه فقي ل ل ي ه ذا الإم ام الشافعي وكان الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه يقول وددت أن الناس ينتفعون بهذا العلم على أن لا ينسب إلى منه شيء. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٠٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير دندان قال لضوء المكان قالت العجوز لوال دك ك ان الإم ام الشافعي يقول وددت أن الناس ينتفعون بهذا العلم على أن لا ينسب إلى منه شيء وقال ما ناظرت أح داً إلا أحببت أن يوفقه الله تعالى للحق ويعينه على إظهاره وما ناظرت أحداً قط إلا لأجل إظهار الحق وما أبالي أن يبين الله الحق على لساني أو على لسانه وقال رضي الله تعالى عنه إذا خفت على علمك العجب فاذكر رضا من تطلب وفي أي نعيم ترغب ومن أي عقاب ترهب وقيل لأبي حنيفة إن أمير المؤمنين أبا جعفر المنصور قد جعلك قاضياً ورسم لك بعشرة آلاف درهم فما رضي فلما كان اليوم الذي توقع أن يؤتي إليه في ه بالم ال صلى الصبح ثم تغشى بثوبه فلم يتكلم ثم جاء رسول أمير المؤمنين بالمال فلما دخل عليه وخاطبه لم يكلم ه فقال له رسول الخليفة أن هذا المال حلال فقال اعلم أنه حلال لي ولكني أكره أن يقع في قلبي مودة الجبابرة فقال له لو دخلت إليهم وتحفظت من ودهم قال هل آمن أن ألج البحر ولا تبتل ثيابي وم ن ك لام الش افعي رضي الله تعالى عنه:

إلا ي ـ ا نف ـ س أن ترض ـ ى بق ـ ولي   فأن ـ ـ ت عزي ـ ـ زة أب ـ ـ داً عني ـ ـ ه
دع ـ ي عن ـ ك المط ـ امع والأم ـ اني   فك ـ ـ م أمني ـ ـ ة جلب ـ ـ ت غني ـ ـ ه

ومن كلام سفيان الثوري فيما أوصى به علي بن الحسن السلمي عليك بالصدق وأياك والكذب والخيانة والرياء والعجب فإن العمل الصالح يحيطه الله بخصلة من هذه الخصال ولا تأخذ دينك إلا عمن ه و مش فق على دينه وليكن جليسك من يزهدك في الدنيا وأكثر ذكر الموت وأكثر الاستغفار واسأل الله السلامة فيما بقي من عمرك وانصح كل مؤمن إذا سألك عن أمر دينه وأياك أن تخون مؤمناً فإن من خان مؤمناً فقد خ ان الله ورسوله وأياك والجدال والخصام ودع ما يريبك إلى مالا يريبك تكن سليماً وأمر ب المعروف وأنه ي ع ن

المنكر تكن حبيب الله وأحسن سريرتك يحسن الله علانيتك وأقبل المعذرة ممن اعتذر إليك ولا تبغض أحداً من المسلمين وصل من قطعك وأعفي عمن ظلمك تكن رفيق الأنبياء وليكن أمرك مفوضاً إلى الله في السر والعلانية وأخش الله من خشية من قد علم أنه ميت ومبعوث وسائر إلى الحشر والوقوف بين يدي الجبار وأذكر مصيرك إلى إحدى الدارين أما إلى جنة عالية وأما إلى نار حامية ثم أن العجوز جلست إلى جانب الجواري فلما سمع والدك المرحوم كلامهن علم أنهن أفضل أهل زمانهن ورأى حسنهن وجمالهن وزيادة أدبهن فآواهن إليه وأقبل على العجوز فأكرمها وأخلى لها هي وجواريها القصر الذي كانت فيه الملكة أبريزة بنت ملك الروم ونقل اليهن ما يحتجن إليه من الخيرات فأقامت عنده عشرة أيام وكلما دخل عليها يجدها معتكفة على صلاتها وقيامها في ليلها وصيامها في نهار فوقع في قلبه محبتها وقال لي يا وزير أن هذه العجوز من الصالحات وقد عظمت في قلبي مهابتها فلما سمع والدك كلامها تعجب وقال أيتها السيدة وما ثمنهن قالت ما أبيعهن لك إلا بصيام شهر كامل تصوم نهاره ونقوم ليله لوجه الله تعالى فإن فعلت ذلك فهن ملك لك في قصرك تصنع بهن ما شئت فتعجب الملك من كمال صلاحها وزهدها وورعها وعظمت في عينه وقال نفعنا الله بهذه المرأة الصالحة ثم أتفق معها على أن يصوم الشهر كما اشترطته عليه فقالت له وأنا أعينك بدعوات أدعو بهن لك فائتني بكوز ماء فأخذته وقرأت عليه وهممت وقعدت ساعة تتكلم بكلام لا نفهمه ولا نعرف منه شيئاً ثم غطته بخرقة وختمته وناولته لوالدك وقالت له إذا صمت العشرة الأولى فأفطر في الليلة الحادية عشرة على ما في هذا الكوز فإنه ينزع حب الدنيا من قلبك ويملؤه نوراً وأيماناً وفي غد إخرج إلى أخواني وهم رجال الغيب فأني أشتقت إليهم ثم أجيء إليك إذا مضت العشرة الأولى فأخذ والدك الكوز ثم نهض وأفرد له خلوة في القصر ووضع الكوز فيها وأخذ مفتاح الخلوة في جيبه فلما كان النهار صام السلطان وخرجت العجوز إلى حال سبيلها. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٠٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير دندان قال لضوء المكان فلما كان النهار صام السلطان وخرجت العجوز إلى حال سبيلها وأتم الملك صوم العشرة أيام وفي اليوم الحادي عشر فتح الكوز وشربه فوجد له في فؤاده فعلاً جميلاً وفي العشرة أيام الثانية من الشهر جاءت العجوز ومعها حلاوة في ورق أخضر يشبه ورق الشجر فدخلت على والدك وسلمت عليه فلما رآها قام لها وقال لها مرحبا بالسيدة الصالحة فقالت له أيها الملك أن رجال الغيب يسلمون عليك لأني أخبرتهم عنك ففرحوا بك وأرسلوا معي هذه الحلاوة وهي من حلاوة الآخرة فأفطر عليها في آخر النهار ففرح والدك فرحاً زائداً وقال الحمد لله الذي جعل لي إخواناً من رجال الغيب ثم شكر العجوز وقبل يديها وأكرمها وأكرم الجواري غاية الأكرام ثم مضت مدة عشرين يوماً وأبوك صائم وعند رأس العشرين يوماً أقبلت عليه العجوز وقالت له أيها الملك أعلم أني أخبرت رجال الغيب بما بيني وبينك من المحبة وأعلمتهم بأني تركت الجواري عندك ففرحوا حيث كانت الجواري عند ملك مثلك لأنهم كانوا إذا رأوهن يبالغون لهن في الدعاء المستجاب فأريد أن اذهب بهن إلى رجال الغيب لتحصيل نفحاتهم لهن وربما أنهن لا يرجعن إليك إلا ومعهن كنز من كنوز الأرض حتى أنك بعد تمام صومك تشتغل بكسوتهن وتستعين بالمال الذي يأتينك به على إعراضك فلما سمع والدك كلامها شكرها على

ذلك وقال لها لولا إني أخشى مخالفتي لك ما رضيت بالكنز ولا غيره ولكن متى تخرجين بهن فقلت له في الليلة السابعة والعشرين فأرجع بهن إليك في رأس الشهر وتكون أنت قد أوفيت الصوم وحصل استبرأوهن وصرن لك وتحت أمرك والله أن كل جارية منهن ثمنها أعظم من ملكك مرات فقال لها وأنا أعرف ذلك أيتها السيدة الصالحة فقالت له بعد ذلك ولابد أن ترسل معهن من يعز عليك من قصرك حتى يجد الأنس ويلتمس البركة من رجال الغيب فقال لها عندي جارية رومية اسمها صفية ورزقت منها بولدين أنثى وذكر ولكنهما فقدا من منذ سنتين فخذيها معهن لأجل أن تحصل لها البركة. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٠٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير دندان قال لضوء المكان لعل رجال الغيب يدعون الله لها بأن يرد عليها ولديها ويجمع شملنا بهما فقالت العجوز نعم ما قلت وكان ذلك أعظم غرضها ثم أن والدك أخذ في تمام صيامه فقالت له يا ولدي أني متوجهة إلى رجال الغيب فأحضر لي صفية فدعا بها فحضرت في ساعتها فسلمها إلى العجوز فخلطتها بالجواري ثم دخلت العجوز مخدعها وخرجت للسلطان بكأس مختوم وناولته له وقالت إذا كان يوم الثلاثين فأدخل الحمام ثم أخرج منه وأدخل خلوة من الخلاوي التي في قصرك وأشرب هذا الكاس ونم فقد نلت ما تطلب والسلام مني عليك فعند ذلك فرح الملك وشكرها وقبل يدها فقالت له استودعتك الله فقال لها ومتى أراك أيتها السيدة الصالحة فأني أود أن لا أفارقك فدعت له وتوجهت ومعها الجواري والملكة صفية وقعد الملك بعدها ثلاثة أيام ثم هل الشهر فقال الملك ودخل الحمام وخرج من الحمام إلى الخلوة التي في القصر وأمر أن لا يدخل عليه أحد ورد الباب عليه ثم شرب الكاس ونام ونحن عدول في انتظاره إلى آخر النهار فلم يخرج من الخلوة فقلنا لعله تعبان من الحمام ومن سهر الليل وصيام النهار فبسبب ذلك نام فانتظرنا مثاني يوم فلم يخرج فوقفنا بباب الخلوة وأعلنا برفع الصوت لعله ينتبه ويسأل عن الخبر فلم يحصل منه فخلعنا الباب ودخلنا عليه فوجدناه قد تمزق لحمه وتفتت عظمه فلما رأيناه على هذه الحالة عظم علينا ذلك وأخذنا الكاس فوجدنا في غطائه قطعة ورق مكتوباً فيها من أساء لا يستوحش منه وهذا جزاء من يتحيل على بنات الملوك ويفسدهن والذي تعلم به كل من وقف على هذه الورقة أن شركان لما جاء بلادنا أفسد علينا الملكة أبريزة وما كفاه ذلك حتى أخذها من عندنا وجاء بها إليكم ثم أرسلها مع عبد أسود فقتلها ووجدناها مقتولة في الخلاء مطروحة على الأرض فهذا ما هو فعل الملوك وما جزاء من يفعل هذا الفعل إلا ما حل به وأنتم لا تتهموا أحد بقتله ما قتله إلا العاهرة الشاطرة التي اسمها ذات الدواهي وها أنا أخذت زوجة الملك صفية ومضيت بها إلى والدها أفريدون ملك القسطنطينية ولابد نغزوكم ونقتلكم ونأخذ منكم الديار فتهلكون عن آخركم ولا يبقى منكم ديار ولا من ينفخ النار إلا من يعبد الصليب والزنار فلما قرأنا هذه الورقة علمنا أن العجوز خدعتنا وتمت حيلتها علينا فعند ذلك صرخنا ولطمنا على وجوهنا وبكينا فلم يفدنا البكاء شيئاً واختلفت العساكر فيمن يجعلونه سلطاناً عليهم فمنهم من يريدك ومنهم من يريد أخاك شركان ولم تزل في هذا الاختلاف مدة شهر ثم جمعنا بعضنا وأردنا أن نمضي إلى أخيك شركان فسافرنا إلى أن وجدناك وهذا سبب موت الملك عمر النعمان فلما فرغ الوزير من كلامه بكى ضوء المكان هو وأخته نزهة الزمان

وبكى الحاجب أيضاً ثم قال الحاجب لضوء المكان أيها الملك أن البكاء لا يفيدك شيئاً ولا يفيدك إلا أنك تشـ د قلبك وتقوى عزمك وتؤيد مملكتك ومن خلف مثلك فعند ذلك سكت عن بكائه وأمر بنصب السـ رير خـ ارج الدهليز ثم أمر أن يعرضوا عليه العساكر ووقف الحاجب بجانبه والسلحدراية من ورائه ووقف الوزير دندان قدامه ووقف كل واحد من الأمراء وأرباب الدولة في مرتبته ثم أن الملك ضوء المكان قال للـ وزير دنـ دان
قدامه ووقف كل واحد من الأمراء وأرباب الدولة في مرتبته ثم أن الملك ضوء المكان قال للـ وزير دنـ دان
أخبرني بخزائن أبي فقال سمعاً وطاعة وأخبره بخزائن الأموال وبما فيها من الذخائر والجـ واهر وعـ رض عليه ما في خزانته من الأموال فأنفق على العساكر وخلع على الوزير دندان خلعة سنية وقال له أنـ ت فـ ي مكانك فقبل الأرض بين يديه ودعا له بالبقاء ثم خلع على الأمراء ثم أنه قال للحاجب أعرض علي الذي معك من خراج دمشق فعرض عليه صناديق المال والتحف والجواهر فأخذها وفرقها على العساكر وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٠٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن ضوء المكان أمر الحاجب أن يعرض عليه ما أتى بـ ـه مـ ن خـ راج دمشق فعرض عليه صناديق المال والتحف والجواهر فأخذها وفرقها على العساكر ولم يبق منها شـ يئاً أبـ داً فقبل الأمراء الأرض بين يديه ودعوا له بطول البقاء وقالوا ما رأينا ملكاً يعطي مثل هذه العطايا ثـ م أنهـ م مضوا إلى خيامهم فلما أصبحوا أمرهم بالسفر فسافروا ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع أشرفوا على بغداد فدخلوا المدينة فوجدوها قد تزينت وطلع السلطان ضوء المكان قصر أبيه وجلس على السرير ووقف أمراء العسـ كر والوزير دندان وحاجب دمشق بين يديه فعند ذلك أمر كاتب السران يكتب كتاباً إلى أخيه شركان ويذكر فيـ ـه ما جرى من الأول إلى الآخر ويذكر في آخره وساعة وقوفك على هذا المكتوب تجهـ ز أمـ رك وتحضـ ر بعسكرك حتى نتوجه إلى غزو الكفار ونأخذ منهم الثأر ونكشف العار ثم طوى الكتاب وختمه وقال للـ وزير دندان ما يتوجه بهذا الكتاب إلا أنت ولكن ينبغي أن تتلطف به في الكلام وتقول له أن أردت ملك أبيك فهـ و لك وأخوك يكون نائباً عنك في دمشق كما أخبرنا بذلك فنزل الوزير دندان من عنده وتجهز للسـ فر ثـ م أن ضوء المكان أمران يجعلوا للوقاد مكاناً فاخراً ويفرشوه بأحسن الفرش وذلك الوقاد له حديث طويـ ل ثـ م أن ضوء المكان خرج يوماً إلى الصيد والقنص وعاد إلى بغداد فقدم له بعض الأمراء من الخيول الجياد ومـ ن الجواري الحسان ما يعجز عن وصفه اللسان فأعجبته جارية منهن فاستخلى بها ودخل عليها في تلك الليلـ ـة فعلقت منه من ساعتها وبعد مدة رجع الوزير دندان من سفره وأخبره بخبر أخيه شركان وأنه قادم عليه وقال له ينبغي أن تخرج وتلاقيه فقال له ضوء المكان سمعاً وطاعة فخرج إليه من خواص دولته من بغداد مسيرة يوم ثم نصب خيامه هناك لانتظار أخيه وعند الصباح أقبل الملك شركان في عساكر الشام ما بـ ين فـ ارس مقدام وأسد درغام وبطل مصدام فلما أشرقت الكتائب وقدمت النجائب وأقبلـ ت العصـ ائب وخفقـ ت أعـ لام المراكب توجه ضوء المكان هو من معه لملاقاتهم فلما عاين ضوء المكان أراد أن يترجل إليه فأقسـ م عليـ ـه شركان أن لا يفعل ذلك وترجل شركان ومشى خطوات فلما صار بين يدي ضوء المكان رمى ضوء المكان نفسه عليه فاحتضنه شركان إلى صدره وبكيا بكاء شديداً وعزي بعضهما بعضاً ثم ركب الأثنان وسارا وسار

العسكر معهما إلى أن أشرفوا على بغداد ونزلوا ثم طلع ضوء المكان هو وأخوه شركان على قصر الملك وباتا تلك الليلة وعند الصباح خرج ضوء المكان وأمر أن يجمعوا العساكر من كل جانب وينادون بالغزو والجهاد ثم أقاموا ينتظرون مجيء الجيوش من سائر البلدان وكل من حضر يكرمونه ويعدونه بالجميل إلى أن مضى على ذلك الحال مدة شهر كامل والقوم يأتون أفوجا متتابعة ثم قال شركان لأخيه يا أخي أعلمني بقضيتك فاعلمه بجميع ما وقع له من الأول إلا الآخر وبما صنعه معه الوقاد من المعروف فقال له شركان أما كافأته على معروفه فقال له يا أخي ما كافأته إلى الآن ولكن أكافئه إن شاء الله تعالى لما أرجع من الغزوة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٠٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن شركان قال لأخيه ضوء المكان لما كافأت الوقاد على معروفة فقال له يا أخي ما كافأته إلى الآن ولكن أن شاء الله تعالى لما أرجع من الغزوة وأتفرغ له فعند ذلك عرف شركان أن أخته الملكة نزهة الزمان صادقة في جميع ما أخبرته به ثم كتم أمره وأمرها وأرسل إليها السلام مع الحاجب زوجها فبعثت له أيضاً معه السلام ودعت له وسألت عن أبنتها قضى فأخبرها أنها بعافية وأنها في غاية ما يكون من الصحة والسلامة فحمدت الله تعالى وشكرته ورجع شركان إلى أخيه يشاور في أمر الرحيل فقال له يا أخي لما تتكامل العساكر وتأتي العربان من كل مكان ثم أمر بتجهيز الميرة وأحضار الذخيرة ودخل ضوء المكان إلى زوجته وكان مضى لها خمسة أشهر وجعل أرباب الأقلام وأهل الحساب تحت طاعتها ورتب لها الجرايات والجوامك وسافر في ثالث شهر من حين نزول عسكر الشام بعد أن قدمت العربان وجميع العساكر من كل مكان وسارت الجيوش والعساكر وتتابعت الجحافل وكان اسم رئيس عسكر الديلم رستم واسم رئيس عسكر الترك بهرمان وسار ضوء المكان في وسط الجيوش وعن يمينه أخوه شركان وعن يساره الحاجب صهره ولم يزالوا سائرين مدة شهر وكل جمعة ينزلون في مكان يستريحون فيه ثلاثة أيام لأن الخلق كثيرة ولم يزالوا سائرين على هذه الحالة حتى وصلوا إلى بلاد الروم فنفرت أهل القرى والضياع والصعاليك وفروا إلى القسطنطينية فلما سمع أفريدون ملكهم بخبرهم قام وتوجه إلى ذات الدواهي فإنها هي التي دبرت الحيل وسافرت إلى بغداد حتى قتلت الملك عمر النعمان ثم أخذت جواريها والملكة صفية ورجعت بالجميع إلى بلادها فلما رجعت إلى ولدها ملك الروم وأمنت على نفسها قالت لأبنها قر عيناً فقد أخذت لك بثار ابنتك أبريزة وقتلت الملك عمر النعمان وجئت بصفية فقم الآن وارحل إلى ملك القسطنطينية وأظن أن المسلمين لا يثبتو صلى قتالنا فقال أمهلي إلى أن يقربوا من بلادنا حتى نجهز أحوالنا ثم أخذوا في جمع رجالهم وتجهيز أحوالهم فلما جاءهم الخبر كانوا قد جهزوا حالهم و جمعوا الجيوش وسارت في أوائلهم ذات الدواهي فلما وصلوا إلى القسطنطينية سمع الملك الأكبر ملكها أفريدون بقدوم حردوب ملك الروم فخرج لما أقابله فلما اجتمع أفريدون بملك الروم سأله عن حاله وعن سبب قدومه فأخبره بما عملته أمه ذات الدواهي من الحيل وأنها قتلت ملك المسلمين وأخذت من عنده الملكة صفية وقالوا أن المسلمين جمعوا عساكرهم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٠٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أفريدون قال لملك الروم أن المسلمين جمعوا عساكرهم وجاءوا ونريد أن نكون جميعاً يداً واحدة ونلقاهم ففرح الملك فريدون بقدوم ابنته وقتل عمر النعمان وارسل إلى سائر الأقاليم يطلب منهم النجدة ويذكر لهم سبب قتل الملك عمر النعمان فهرعت إليه جيوش النصارى فما مر ثلاثة شهور حتى تكاملت جيوش الروم ثم أقبلت الأفرنج من سائر أطرافها كالفرنسيس والنيمسا ودوبره وجورنه وبندق وجنوير وسائر عساكر بني الأصفر فلما تكاملت العساكر وضاقت بهم الأرض من كثرتهم أمرهم الملك الأكبر أفريدون أن يرحلوا من القسطنطينية فرحلوا واستمر تتابع عساكرهم في الرحيل عشرة أيام وساروا حتى نزلوا بواد واسع الأطراف وكان ذلك الوادي قريباً من البحر المالح فأقاموا ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع أرادوا أن يرحلوا فاتتهم الأخبار بقدوم عساكر الإسلام وحماة ملة خير الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام فقاموا فيه ثلاثة أيام أخرى وفي اليوم الرابع رأوا غبار طار حتى سد الأقطار فلم تمض ساعة من النهار حتى انجلى ذلك الغبار وتمزق إلى الجو وطارت ومحت ظلمته كواكب الأسنة والرماح وبريق بيض الصفاح وبان من تحته رايات إسلامية وأعلام محمدية وأقبلت الفرسان كاندفاع البحار في دروع تحسبها سحباً مزورة على أقمار فعند ذلك تقابل الجيشان والتطم البحران ووقعت العين في العين فأول من برز للقتال الوزير دندان هو وعساكر الشام وكانوا ثلاثين ألف عنان وكان مع الوزير مقدم الترك ومقدم الديلم رستم وبهرام في عشرين ألف فارس وطلع من ورائهم رجال من صوب البحر المالح وهم لابسون زرود الحديد وقد صاروا فيهاكالبدور السافرة في الليالي العاكرة وصارت عساكر النصارى ينادون عيسى ومريم والصليب المسخم ثم انطبقوا على الوزير دندان ومن معه من عساكر الشام وكان هذا كله تدبير العجوز ذات الدواهي لأن الملك أقبل عليها قبل خروجه وقال لها كيف العمل والتدبير وأنت السبب في هذا الأمر العسير فقالت اعلم أيها الملك الكبير والكاهن الخطير أني أشير عليك بأمر يعجز عن تدبيره أبليس ولو استعان عليه بحزبه المتاعيس وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٠٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن هذا كله كان تدبير العجوز لأن الملك كان أقبل عليها قبل خروجها وقال لها كيف العمل والتدبير وأنت السبب في هذا الأمر العسير فقالت اعلم أيها الملك الكبير والكاهن الخطير أني أشير عليك بأمر يعجز عن تدبيره أبليس وهو أن ترسل خمسين ألفاً من الرجال ينزلون في المراكب ويتوجهون في البحر إلى أن يصلوا إلى جبل الدخان فيقيمون هناك ولا يرحلون من ذلك المكان حتى تأتيكم أعلام الإسلام فدونكم وإياهم ثم تخرج إليهم العساكر من البحر ويكونون خلفهم ونحن نقابلهم من البر فلا ينجوا منهم أحد وقد زال عنا العناء ودام لنا الهناء فاستصوب الملك أفر يدون كلام العجوز وقال نعم الرأي رأيك يا سيدة العجائز الماكرة ومرجع الكهان في الفتن الثائرة وحين هجم عليهم عسكر الإسلام في ذلك الوادي لم يشعروا إلا والنار تلتهب في الخيام والسيوف تعمل في الأجسام ثم أقبلت جيوش بغداد وخراسان وهم في مائة وعشرين ألف فارس وفي أوائلهم ضوء المكان فلما رأهم عسكر الكفار الذين كانوا في البحر طلعوا إليهم من البحر وتبعوا أثرهم فلما رآهم ضوء المكان قال ارجعوا إلى الكفار يا حرب النبي المختار وقاتلوا أهل الكفر والعدوان في طاعة الرحيم الرحمن وأقبل شركان بطائفة أخرى من عساكر المسلمين نحو

مائة ألف وعشرين ألفاً وكانت عساكر الكفار نحو ألف ألف وستمائة ألف فلما اختلط المسلمون بعضهم ببعض قويت قلوبهم ونادوا قائلين أن الله وعدنا بالنصر وأوعد الكفار بالخذلان ثم تصادموا بالسيف والسنان واخترق شركان الصفوف وهاج في الألوف وقاتل قتالاً تشيب منه الأطفال ولم يزل يجول في الكفار ويعمل فيهم بالصارم البتار وينادي الله أكبر حتى رد القوم إلى ساحل البحر وكلت منهم الأجسام ونصر دين الإسلام والناس يقاتلون وهم سكارى بغير مدام وقد قتل من القوم في ذلك الوقت خمسة وأربعون ألفا وقتل من المسلمون ثلاثة آلاف وخمسمائة ثم أن أسد الدين الملك شركان لم ينم في تلك الليلة لا هو ولا أخوه ضوء المكان بل كانا يباشران الناس ويتفقدان الجرحى ويهنئانهم بالنصر والسلامة والثواب في القيامة هذا ما كان من أمر المسلمين وأما ما كان من أمر الملك أفريدون ملك القسطنطينية وملك الروم وأمه العجوز ذات الدواهي فإنهم جمعوا أمراء العسكر وقالوا لبعضهم أنا كنا بلغنا المراد وشفينا الفؤاد ولكن أعجابنا بكثرتنا هو الذي خذلنا فقالت لهم العجوز ذات الدواهي أنه لا ينفعكم إلا أنكم تتقربون المسيح وتتمسكون بالاعتقاد الصحيح فوحق المسيح ما قوى عسكر المسلمين إلا هذا الشيطان الملك شركان فقال الملك أفريدون أني قد عولت في غد على أن أصف لهم الصفوف وأخرج لهم الفارس المعروف لوقا بن شملوط فإنه إذا برز إلى الملك شركان قتله وقتل غيره من الأبطال حتى لم يبق منهم أحداً وقد عولت في هذه الليلة على تقديسكم بالبخور الاكبر فلما سمعوا كلامه قبلوا الأرض وكان البخور الذي أراده خره البطريق الكبير ذي الأنكار والبكير فإنهم كانوا يتنافسون فيه ويستحسنون مساوية حتى كانت أكابر بطارقة الروم يبعثونه إلى سائر أقاليم بلادهم في خرق من الحرير ويمزجونه بالمسك والعنبر فإذا وصل خراؤه إلى المبدأ اخذوا منه كل درهم بألف دينار حتى كان الملوك يرسلون في طلبه من أجل بخور العرائس وكانت البطارقة يخلطونه ببخورائهم فإن خره البطريق الكبير لا يكفي عشرة أقاليم وكان خواص ملوكهم يجعلون قليلاً منه في كحل العيون ويداوون به المريض والمبطون فلما أصبح الصباح وأشرق بنوره ولاح وتبادرت الفرسان إلى حمل الرماح وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٠٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أنه لما أصبح الصباح عاد الملك أفريدون بخواص بطارقته وأرباب دولته وخلع عليهم ونقش الصليب في وجوههم وبخرهم بالبخور المتقدم ذكره الذي هو خره البطريق الأكبر والكاهن الأمكر فلما بخرهم دعا بحضور لوقا بن شملوط الذي يسمونه سيف المسيح وبخره بالرجيع وحنكه به بعد التبخير ونشقه ولطخ به عوارضه ومسح بالفضلة شوار به وكان ذلك الملعون لوقا ما في بلاد الروم أعظم منه ولا أرمي بالنبال ولا أضرب بالسيف ولا أطعن بالرمح والنزال وكان بشع المنظر كان وجهه وجه حمار وصورته صورة قرد وطلعته طلعة الرقيب وقربه أصعب من فراق الحبيب له من الليل ظلمته ومن الابخر نكهته ومن القوس قامته ومن الكفر سميته وبعد ذلك أقبل على الملك أفريدون وقبل قدميه ثم وقف بين يديه فقال الملك أفريدون إني أريد أن تبرز إلى شركان ملك دمشق إبن عمر النعمان وقد إنجلي عنا هذا الشر والهوان فقال سمعاً وطاعة ثم إن الملك نقش في وجهه الصليب وزعم أن النصر يحصل له عن قريب ثم أنصرفه لوقا من عند الملك أفريدون وركب الملعون لوقا جواداً أشقر وعليه ثوب أحمر وزردية من الذهب

المرصع بالجواهر وحمل رمحا له ثلاث حراب كأنه أبليس الليل يوم الأحزاب وتوجه هو وحزبه الكفار كأنهم يساقون إلى النار وبينهم مناد ينادي بالعربي ويقول يا أمة محمد ﷺ لا يخرج منكم إلا فأرسكم سيف الإسلام شركان صاحب دمشق الشام فما أسقم كلامه إلا وضجة في الفلا سمع صوتها جميع الملا وركضات فرقت الصفين وأذكرت يوم حنين ففزع اللئام منها ولفتوا الأعناق نحوها وإذا هو الملك شركان ابن الملك عمر النعمان وكان أخوه ضوء المكان لما رأى ذلك الملعون في الميدان وسمع المنادي التفت لأخيه شركان وقال له أنهم يريدونك فقال أن كان الأمر كذلك فهو أحب إلى فلما تحققوا الأمر وسمعوا هذا المنادي وهو يقول في الميدان لا يبرز الا شركان علموا أن هذا الملعون فارس بلاد الروم وكان قد حلف أن يخلي الأرض من المسلمين وإلا فهو من أخسر الخاسرين لأنه هو الذي حرق الأكباد وفزعت من سره الأجناد من الترك والديلم والأكراد الخاسرين لأنه هو الذي حرق الأكباد وفزعت من سره الأجناد من الترك والديلم والأكراد فعند ذلك برز إليه شركان كأنه أسد غضبان وكان راكباً على ظهر جواد يشبه شارد الغزلان فساقه نحو لوقا حتى صار عنده وهز الرمح في يده كأنه أفعى من الحيات وأنشد هذه الأبيات:

لـ .ـي أشـ .ـقر سـ .ـمح العنـ .ـان مغـ .ـاير   يعطيـ .ـك مـ .ـا يرضـ .ـيك مـ .ـن مجهـ .ـوده
ومثقـ . .ـف لـ . .ـدى السـ . .ـنان كأنمـ . .ـا   أم المنايـ . .ـا ركبـ . .ـت فـ . .ـي عـ . .ـوده
ومهنـ . . ـد عضـ . . ـب إذا جردتـ . . ـه   خلـ .ـت البـ .ـروق تمـ .ـوج فـ .ـي تجريـ .ـده

فلم يفهم لوقا معنى هذا الكلام ولا حماسة هذا النظام بل لطم وجهه بيده تعظيماً للصليب المنقوش عليه ثم قبلها وأشرع الرمح نحو شركان وكر عليه ثم طوح الحربة بإحدى يديه حتى خفيت عن أعين الناظرين وتلقاها باليد الأخرى كفعل الساحرين ثم رمي بها شركان فخرجت من يديه كأنها شهاب ثاقب فضجت الناس وخافوا على شركان فلما قربت الحربة منه اختطفها من الهواء فتحيرت عقول الورى ثم أن شركان هزها بيده التي أخذها بها من النصراني حتى كاد ان يقصفها ورماها في الجو حتى خفيت عن النظر وتلقاها بيده الثانية في أقرب من لمح البصر وصاح صيحة من صميم قلبه وقال وحق من خلق السبع الطباق لأجعلن هذا اللعين شهرة في الآفاق ثم رماه بالحربة فأراد لوقا أن يفعل بالحربة كما فعل شركان ومد يده إلى الحربة ليختطفها من الهواء فعاجله شركان بحربة ثانية فضربه بها فوقعت في وسط الصليب الذي في وجهه وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار فلما رأى الكفار لوقا بن شملوط وقع مقتولاً لطموا على وجوههم ونادوا بالويل والثبور واستغاثوا ببطارقة الديور. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١١٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الكفار لما رأوا لوقا بن شملوط وقع مقتولاً لطموا على وجوههم واستغاثوا ببطارقة الديور وقالوا أين الصلبان وتزهد الرهبان ثم اجتمعوا جميعاً عليه وأعملوا الصوارم والرماح وهجموا للحرب والكفاح والتقت العساكر بالعساكر وصارت الصدور تحت وقع الحوافر وتحكمت الرماح والصوارم وضعفت السواعد والمعاصم وكأن الخيل خلقت بلا قوائم ولازال مناد الحرب ينادي إلى أن كلت الأيادي وذهب النهار وأقبل الليل بالاعتكار وافترق الجيشان وبها وكل شجاع كالسكران من شدة الضرب والطعان وقد امتلأت الأرض بالقتلى وعظمت الجراحات وصار لا يعرف الجريح ممن مات ثم أن

شركان اجتمع بأخيه ضوء المكان والحاجب والوزير دندان فقال شركان لأخيه ضوء المكان والحاجب أن الله قد فتح باباً لهلاك الكافرين والحمد لله رب العالمين فقال ضوء المكان لأخيه لم نزل نحمد الله لكشف الحـ ـرب عن العرب والعجم وسوف تتحدث الناس جيلاً بعد جيل بما صنعت باللعين لوقا محـ ـرف الأنجيـ ـل وأخـ ـذك الحرية من الهواء وضربك لعدو الله بين الورى ويبقى حديثك إلى آخر الزمان ثم قال شركان أيها الحاجـ ـب الكبير والمقدام الخطير فأجابه التلبية فقال له خذ معك الوزير دندان وعشرين ألف فارس وسر بهم إلى ناحية البحر مقدار سبعة فراسخ وأسرعوا في السير حتى تكونوا قريباً من الساحل بحيث يبقى بينكم وبين القوم قدر فرسخين واختفوا في وهدات الأرض حتى تسمعوا ضجة الكفار إذا طلعوا من المراكب وتسمعوا الصياح من كل جانب وقد عملت بيننا وبينهم القواضب فإذا رأيتم عسكرنا تقهقروا إلى الوراء كأنهم منهزمون وجـ ـاءت الكفار زاحفة خلفهم من جميع الجهات حتى من جانب الساحل فكونوا لهم بالمرصاد وإذا رأيت أنت علماً عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ فأرفع العلم الأخضر وصح قائلاً الله أكبر وأحمل عليهم من ورائهم واجتهد في أن لا يحول الكفار بين المنهزمين وبين البحر فقال السمع والطاعة واتفقوا على ذلك الأمر في تلك الساعة ثم تجهزوا وساروا وقد أخذ الحاجب معه الوزير دندان وعشرين ألفا كما أمر الملك شـ ـركان فلمـ ـا أصـ ـبح الصباح ركب القوم وهم مجردون الصفاح ومعتقلون بالرماح وحاملون السلاح وانتشرت الخلائق في الربـ ـا والبطاح وصاحت القسوس وكشفت الرؤوس ورفعت الصلبان على قلوع المراكب وقصدوا الساحل من كـ ـل جانب وأنزلوا الخيل في البر وعزموا على الكر والفر ولمعت السيوف وتوجهت الجمـ ـوع وبرقـ ـت شـ ـهب الرماح على الدروع ودارت طاحون المنايا على الرجال والفرسان وطارت الرؤوس عن الأبدان وخرسـ ـت الألسان وتغشت الأعين وانفطرت المرائر وعملت البواتر وطارت الجماجم وقطعت المعاصم وخاضت الخيل في الدما وتقابضوا باللحي وصاحت عساكر الإسلام بالصلاة والسلام على سيدنا محمد خير الأنـ ـام والبثـ ـاء على الرحمن بما أولى من الإحسان وصاحت عساكر الكفر بالثناء على الصليب والزنار والعصير والعصار والقسوس والرهبان والشعانين والمطران وتأخر ضوء المكان هو شركان إلى ورائهما وتقهقـ ـرت الجيـ ـوش وأظهروا الأنهزام للأعداء وزحفت عليهم عساكر الكفر لولهم الهزيمة وتهيئوا للطعن والضرب فاستهل أهـ ـل الإسلام قراءة أول سورة البقرة وصارت القتلى تحت أرجل الخيل مندثرة وصار منادي الروم يقول يا عبـ ـدة المسيح وذوي الدين الصحيح يا خدام الجاثلين قد لاح لكم التوفيق أن عساكر الإسلام قد جنحوا إلى الفرار فلا تولوا عنهم الأدبار فمكثوا السيوف من أقفائهم ولا ترجعوا من ورائهم وإلا برئتم من المسيح بن مريم الـ ـذي في المهد تكلم وظن أفر يدون ملك القسطنطينية أن عساكر الكفار منصورة ولم يعلـ ـم أن ذلـ ـك مـ ـن تـ ـدبير المسلمين صورة فأرسل إلى ملك الروم يبشره بالظفر ويقول له ما نفعنا إلا غائط البطريق الأكبر لما فاحـ ـت رائحته من اللحى والشوارب بين عباد الصليب حاضر وغائب وأقسم بالمعجزات النصرانية المريمية والمياه المعمودية أني لا أترك على الأرض مجاهداً بالكلية وأني مصر على سوء هذه النية وتوجه الرسـ ـول بهـ ـذا الخطاب ثم صاح على بعضهم قائلين خذوا بثار لوقا وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١١١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الكفار صاحوا على بعضهم قائلين خذوا بثار لوقا وصار ملك الـ روم ينادي بالأخذ بثار إبريزة فعند ذلك صاح الملك ضوء المكان وقال يا عباد الملك الديان اضربوا أهـ ل الكفـ ر والطغيان ببيض الصفاح وسمر الرماح فرجع المسلمون على الكفار وأعملوا فيهم الصارم البتار وصار ينادي منادي المسلمين ويقول عليكم بأعداء الدين يا محب النبي المختار هذا وقت إرضاء الكريم الغفار يـ ا راجـ ي النجاة في اليوم المخيف أن الجنة تحت ظلال السيوف وإذا بشركان قد حمل هو ومعه على الكفـ ار وقطعـ وا عليهم طريق الفرار وجال بين الصفوف وطاف وإذا بفارس مليح الأنعطاف قد فتح بين عسكر الكفر ميـ داناً وجال في الكفرة حرباً وطعاماً وملأ الأرض رؤوساً وأبدانا وقد خافت الكفار من حربه ومالت أعناقهم لطعنه وضربه قد تقلد بسيفين لحظ وحسام واعتقل برمحين قناة وقوام بوفرة تغني عن وافر عدد العساكر كما قـ ال فيه الشاعر:

لا تحسـ . . ن الـ . . ـوفرة إلا وهـ . . . ي منشـ . ورة الفـ . رعين يـ . وم النـ . زال

علـ . . ى فتـ . . ى معتق . . ـل صـ . . ـعده يعلهـ . ـا مـ . ـن كـ . ـل وافـ . ـي السـ . بال

فلما رآه شركان قال أعيدك بالقرآن وآيات الرحمن من أنت أيها الفارس من الفرسان فلقـ د أرضـ يت بفعلك الملك الديان الذي لا يشغله شأن عن شأن حيث هزمت أهل الكفر والطغيان فناداه الفارس قـ ائلاً أنـ ت الذي بالأمس عاهدتني فما أسرع ما نسيتني ثم كشف اللثام عن وجهه حتى ظهر ما خفي من حسنه فإذا هـ و ضوء المكان ففرح به شركان إلا أنه خاف عليه من ازدحام الأقران وانطباق الشجعان وذلك لأمرين أحدهما صغر سنه وصيانته عن العين والثاني أن بقاءه للمملكة أعظم الجناحين فقال له يا ملك أنـ ك لقـ د خـ اطرت بنفسك فألصق جوادك بجوادي فأني لا آمن عليك من الأعادي والمصلحة في أن لا تخرج من تلك العصائب لأجل أن ترمي الأعداء بسهمك الصائب فقال ضوء المكان أني أردت أن أساويك في النزال ولا أبخل بنفسي بين يديك في القتال ثم انطبقت عساكر الإسلام على الكفار وأحاطوا بهم من جميع الأقطار وجاهـ دوهم حـ ق الجهاد وكسروا شوكة الكفر والعناد والفساد فتأسف الملك أفر يدون لما رأى ما حل بالروم من الأمر المذموم وقد ولوا الأدبار وركنوا إلى الفرار يقصدون المراكب وإذ بالعساكر قد خرجت عليهم من ساحل البحر وفـ ي أوائلهم الوزير دندان مجندل الشجعان وضرب فيهم بالسيف والسنان وكذا الأمير بهرام صاحب دوائر الشـ ام وهو في عشرين ألف ضرغام وأحاطت بهم عساكر الإسلام من خلف ومن أمام ومالت فرقة من المسـ لمين على من كان في المراكب وأوقعوا فيهم المعاطب فرموا أنفسهم في البحر وقتلوا منهم جمعاً عظيماً يزيد على مائة ألف خنزير ولم ينج من أبطالهم صغير ولا كبير وأخذوا مراكبهم بما فيها من الأموال والذخائر والأثقال إلا عشرين مركباً وغم المسلمون في ذلك اليوم غنيمة ما غنم أحد مثلها في سالف الزمـ ان ولا سـ معت أذن بمثل هذا الحرب والطعان ومن جملة ما غنموه خمسون ألفاً من الخيل غير الذخائر والأسلاب مما لا يحيط به حصر ولا حساب وفرحوا فرحاً ما عليه من مزيد بما من الله عليهم من النصر والتأييد هذا ما كان من أمرهم (وأما) ما كان من أمر المنهزمين فإنهم وصلوا إلى القسطنطينية وكان الخبر قد وصل إلى أهلهـ ا أولاً بـ أن الملك أفر يدون هو الظافر بالمسلمين فقالت العجوز ذات الدواهي أنا أعلم أن ولدي ملك الروم لا يكون مـ ن المنهزمين ولا يخاف من الجيوش الإسلامية ويرد أهل الأرض إلى ملة النصرانية ثم أن العجوز كانت أمرت

الملك الأكبر أفريدون أن يزين البلد فأظهروا السرور وشربوا الخمور وما علموا بالمقدور فبينما هم في وسط الأفراح إذ نعق عليهم غراب الحزن والأتراح وأقبلت عليهم العشرون مركباً الهاربة وفيها ملك الروم فقابلهم أفريدون ملك القسطنطينية على الساحل وأخبروه بما جرى لهم من المسلمين فزاد بكا ؤهم وع لا نحي بهم وأنقلبت بشارات الخير بالغم والضير وأخبروه أن لوقا بن شملوط حلت به النوائب وتمكن منه سه هم المنية الصائب فقامت على الملك أفر يدون القيامة وعلم أن أعوجاجهم ليس له استقامة وقامت بينهم المآتم وانحل ت منهم العزائم وندبت النوادب وعلا النحيب والبكاء من كل جانب ولما دخل ملك الروم أف ر ي دون وأخب ره بحقيقة الحال وأن هزيمة المسلمين كانت على وجه الخداع والمحال قال له لا تنتظر أن يصل من العسكر إلا من وصل إليك فلما سمع الملك أفر يدون ذلك الكلام وقع مغشياً عليه وصار أنفه تحت قدميه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١١٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك أفر يدون لما آفاق من غشيته نفض الخوف جراب معدته فشكا إلى العجوز ذات الدواهي وكانت تلك اللعينة كاهنة من الكهان ومتقنة للسحر والبهتان عامرة مك ارة ف اجرة غدارة ولها فم أبخر وجفن أحمر وخد أصفر بوجه أغبش وطرف أعمش وجسم أجرب وشعر أشهب وظه ر أحدب ولون حائل ومخاط سائل لكنها قرأت كتب الإسلام وسافرت إلى بيت الله الحرام كل ذلك لتطلع عل ى الأدبار وتعرف آيات القرآن ومكثت في بيت المقدس سنتين لتحوز مكر النقلين فهي آفة من الأفات وبلية من البليات فاسدة الأعتقاد ليست لدين تنقاد وكانت أكثر أقامتها عند ولدها حر دوب ملك الروم لأجل الج واري الأبكار لأنها كانت تحب السحاق وأن تأخر عنها تكون في أنمحاق وكل جاري ة أعجبتها ا تعلمه ا الحكم ة وتسحق عليها الزعفران فيغشى عليها من فرط اللذة مدة من الزمان فمن طاوعتها أحسنت إليها ورعيت ولدها فيها ومن لا تطاوعها تتحايل على هلاكها وبسبب ذلك علمت مرجانة وريحانة وأترجة جواري أبريزة وكانت الملكة أبريزة تكره العجوز وتكره أن ترقد معها لأن صنانها يخرج من تحت أبطيها ورائحة فسائها أنتن من الجيفة وجسدها أخشن من الليفة وكانت ترغب من يساحقها بالجواهر والتعليم وكانت ابريزه تبرأ منه ا إل ى الحكيم العليم ولله در القائل.

ي . ا م . ن تس . فل للغن . ى مذل . ة وعل . ى الفقي . ر لق . د ع . لا تباه . ا

وي . زين ش . نعته بجم . ع دراه . م عط . ر القبيح . ة لا يبق . ى بفس . اها

ولنرجع إلى حديث مكرها ودواهي أمرها ثم أنها سارت وسار معها عظماء النص ارى وعس اكرهم وتوجهوا إلى عسكر الإسلام وبعدها دخل الملك أفر يدون على ملك الروم وقال له أيها الملك لنا حاجة ب أمر الطريق الكبير ولا بدعائه بل نعمل برأي أمي ذات الدواهي وننظر ما تعمل بخداعها غير المتناهي مع عسكر المسلمين فإنهم بقوتهم واصلون إلينا وعن قريب يكونون لدينا ويحيطون بنا فلما سمع الملك أفر ي دون ذل ك الكلام عظم في قلبه فكتب من وقته وساعته إلى سائر أقاليم النصارى يقول لهم ينبغي أن لا يتخلف أحد م ن أهل الملة النصرانية والعصابة الصليبية خصوصاً أهل الحصون والقلاع بل يأتون إلينا جميعاً رجالاً وركباناً ونساء وصبياناً فإن عسكر المسلمين قد وطئوا أرضنا فالعجل العجل قبل حلول الوجل هذا ما كان من أم ر

هؤلاء (وأما) ما كان من أمر العجوز ذات الدواهي فإنها طلعت خارج البلد مع أصحابها والبستهم زي تجار المسلمين وكانت قد أخذت معها مائة بغل محملة من القماش الأنطاكي ما بين أطلس معدني وديباج ملكي وغير ذلك وأخذت من الملك أفر يدون كتاباً مضمونه أن هؤلاء التجار من أرض الشام وكانوا في ديارنا فلا ينبغي أن يتعرض لهم أحد يسوء عشراً أو غيره حتى يصلوا إلى بلادهم و محل أمنهم لأن التجار بهم عمار البلاد وليسوا من أهل الحرب والفساد ثم أن الملعونة ذات الدواهي قالت لمن معها أني أريد أن أدبر حيلة على هلاك المسلمين فقالوا لها أيتها الملكة أؤمرينا بما شئت فنحن تحت طاعتك فلا أحبط المسيح عملك فلبست ثياباً من الصوف الأبيض الناعم وحكت جبينها حتى صار له وسم ودهنته بدهان دبرته حتى صار له ضوء عظيم وكانت الملعونة نحيلة الجسم غابرة العينين فقيدت رجليها من فوق قدميها وسارت حتى وصلت إلى عسكر المسلمين ثم حلت القيد من رجليها وقد أثر القيد في ساقيها ثم دهنتهما بدم الأخوين وأمرت من معها أن يضربوها ضرباً عنيفاً وأن يضعوها في صندوق فقالوا لها كيف نضربك وأنت سيدتنا ذات الدواهي أم الملك الباهي فقالت لا لوم ولا تعنيف على من يأتي الكثيف ولا جل الضرورات تباح المحظورات وبعد أن تضعوني في الصندوق خذوه في جملة الأموال وأحملوه على البغال ومروا بذلك بين عسكر الإسلام ولا تخشوا شيئاً من الملام وأن تعرض لكم أحد من المسلمين فسلموا له البغال وما عليها من الأموال وأنصرفوا إلى ملكهم ضوء المكان واستغيثوا به وقولوا له نحن كنا في بلاد الكفرة ولم يأخذوا منا شيئاً بل كتبوا لنا توقيعاً أنه لا يتعرض لنا أحد فكيف تأخذون أنتم أموالنا وهذا كتاب ملك الروم الذي مضمونه أن لا يتعرض لنا أحد بمكروه فإذا قال وما الذي ربحتموه من بلاد الروم في تجارتكم فقولوا له ربحنا خلاص رجل زاهد وقد كان في سرداب تحت الأرض له فيه نحو خمسة عشر عاماً وهو يستغيث فلا يغاث بل يعذبه الكفار ليلاً ونهاراً ولم يكن عندنا علم بذلك مع أننا أقمنا في القسطنطينية مدة من الزمان وبعنا بضائعنا وأشترينا خلافها وجهزنا حالنا وعزمنا على الرحيل إلى بلادنا وبتنا تلك الليلة نتحدث في أمر السفر فلما أصبحنا رأينا صورة مصورة في الحائط فلما قربنا منها تأملناها فإذا هي تحركت وقالت يا مسلمين هل فيكم من يعامل رب العالمين فقلنا وكيف ذلك فقالت تلك الصورة أن الله أنطقني لكم ليقوي يقينكم ويلهمكم دينكم وتخرجوا من بلاد الكافرين وتقصدوا عسكر المسلمين فإن فيهم سيف الرحمن وبطل الزمان الملك شركان وهو الذي يفتح القسطنطينية ويهلك أهل الملة النصرانية فإذا قطعتم سفر ثلاثة أيام تجدو ديراً يعرف بدير مطر وحنا وفيه صومعة فأقصدوا بصدق نيتكم وتحيلوا على الوصول إليها بقوة عزيمتكم لأن فيها رجلاً عابداً من بيت المقدس أسمه عبد الله وهو من أدين الناس وله كرامات تزيح الشك والألباس قد خدعته بعض الرهبان وسجنه في سرداب له فيه مدة مديدة من الزمان وفي إنقاذه وضارب العباد لأن فكاكه من أفضل الجهاد ثم أن العجوز لما اتفقت مع من معها على هذا الكلام من تلك الصورة علمنا أن ذلك العابد. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١١٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العجوز لما اتفقت مع من معها على الكلام قالت فإذا ألقى إليكم الملك شركان سمعه فقولوا له فلما سمعنا هذا الكلام من تلك الصورة علمنا أن ذلك العابد من أكابر الصالحين وعباد

الله المخلصين فسافرنا مدة ثلاثة أيام ثم رأيتا ذلك الدير فعرجنا عليه وملنا إليه وأقمنا هناك يوماً فـ ي البيـ ع والشراء على عادة التجار فلما ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار قصدنا تلك الصومعة التي فيها السـ عر داب فسمعناه بعد تلاوة الآيات ينشد هذه الأبيات:

كيـ . ـدا كايـ . ـده وصـ . ـدري ضـ . ـيق	وجـ . ـرى يقلبـ . ـي بحـ . ـرهم مغـ . ـرق
إن لـ . ـم يكـ . ـن فـ . ـرج فمـ . ـوت عاجـ . ـل	أن الحمـ . ـام مـ . ـن الزرايـ . ـا أرفـ . ـق
يـ . ـا بـ . ـرق أن جئـ . ـت الـ . ـديار وأهلهـ . ـا	وعـ . ـلا عليـ . ـك مـ . ـن البشـ . ـائر رونـ . ـق
كيـ . ـف السـ . ـبيل إلـ . ـى اللقـ . ـاء وبيننـ . ـا	تلـ . ـك الحـ . ـروب وبـ . ـاب رهـ . ـن مغلـ . ـق
بلـ . ـغ أحبتـ . ـا السـ . ـلام وقـ . ـل لهـ . ـم	أنـ . ـي بـ . ـدير الـ . ـروم قـ . ـاص موثـ . ـق

ثم قالت إذا وصلتم بي إلى عسكر المسلمين وصرت عندهم أعرف أدير حيلة في خديعتهم وقتلهم عـ ن آخرهم فلما سمع النصارى كلام العجوز قبلوا يديها ووضعوها في الصندوق بعد أن ضربوها أشد الضربات الموجعات تعظيماً لها لأنهم يرون طاعتها من الواجبات ثم قصدوا بها عسكر المسلمين كما ذكرنا هذا أما كان من أمر اللعينة ذات الدواهي ومن معها (وأما) ما كان من أمر عسكر المسلمين فإنهم لما نصرهم الله علـ ى أعدائهم وغنموا ما كان في المراكب من الأموال والذخائر قعدوا يتحدثون مع بعضهم فقال ضـ وء المكـ ان لأخيه أن الله عز وجل قد نصرنا بسبب عدلنا وأنقيادنا لبعضنا فكن ياشركان متمثلاً أمري في طاعة الله فقال شركان حباً وكرامة ومد يده إلى أخيه وقال أن بناءك ولد أعطيته أبنتي قضى فكان ففرح بذلك وصار يهنـ ي بعضهم بعضاً بالنصر على الأعداء وهنأ الوزير دندان شركان وأخاه وقال لهما أعلما أيها الملكان أن الله عز وجل نصرنا حيث وهبنا أنفسنا وهجرنا الأهل والأوطان والرأي عندي أن ترحل ورائهم ويحاصرهم ونقاتلهم لعل الله أن يبلغنا مرادنا ونستأصل أعدائنا وأن شئتم فأنزلوا في هذه المراكب وسيروا في البحر ونحن نسـ ير في البر ونصبر على القتال والطعن والنزل ثم أن الوزير دندان مازال يحرضهم على القتال وأشد قول مـ ن قال:

أطيـ . ـب الطيبـ . ـات قتـ . ـل الأعـ . ـادي	واحتمـ . ـالي علـ . ـى ظهـ . ـور الجيـ . ـاد
ورسـ . ـول يـ . ـأتي بوعـ . ـد حبيـ . ـب	وحبيـ . ـب يـ . ـأتي بـ . ـلا ميعـ . ـاد

وقال آخر:

وأن عمـ . ـرت جعلـ . ـت الحـ . ـرب والـ . ـدة	والمشـ . ـرفي أخـ . ـا والسـ . ـمهري أبـ . ـا
بكـ . ـل أشـ . ـعث يلقـ . ـى المـ . ـوت مبتسـ . ـماً	حتـ . ـى كـ . ـان لـ . ـه فـ . ـي قتلـ . ـه إربـ . ـا

لما فرغ الوزير دندان من شعره قال سبحان من أيدنا بنصره العزيز وأظفرنا بغنيمة الفضة والأبريز ثم أمر ضوء المكان العسكر بالرحيل فسافروا طالبين القسطنطينية وجدوا في سيرهم حتى أشرفوا علـ ى مـ رج فسيح وفيه كل شيء مليح ما بين وحوش تمرح وغزلان تسنح وكانوا قد قطعوا مفاوز كثيرة وانقطع عـ نهم الماء ستة أيام فلما أشرفوا على ذلك المرج نظروا تلك العيون التابعة والأثمار اليانعة وتلك الأرض كأنها جنة أخذت زخرفها وأزينت وسكرت أغصانها من رحيق الظل فتمايلت وجمعت بين عذوبة التنسيم فتدهش العقل والناظر كما قال الشاعر:

انظ ـر إلـ ـى الـ ـروض النضـ ـير كأنمـ ـا   نشـ . ـرت عليـ . ـه مـ . ـلاءة خضـ . ـراء
أن مـ ـا سـ ـنحت بلحـ ـظ عينـ ـك لا تـ ـري   إلا غـ . .ـديراً جـ . .ـال فيـ . .ـه المـ . .ـاء
وتـ .ـرى بنفسـ .ـك عـ .ـزة فـ .ـي دوحـ .ـة   أذ فـ ـوق رأسـ ـك حيـ ـث سـ ـرت لـ ـواء

وما أحسن قول الآخر:

النهـ . .ـر خـ . .ـد بالشـ . .ـعاع مـ . .ـورد   قـ . ـد دب فيـ . ـه عـ . ـذار ظـ . ـل البـ . ـان
والمـ ـاء فـ ـي سـ ـوق الغصـ ـون خلاخـ ـل   مـ . ـن فضـ . ـة والزهـ . ـر كالتيجـ . ـان

فلما نظر ضوء المكان إلى ذلك المرج الذي التفت أشجاره وزهت أزهاره وترنمت أطياره نادى آخـ ـاه شركان وقال له يا أخي أن دمشق ما فيها مثل هذا المكان فلا ترحل منه إلا بعد ثلاثة أيام حتى نأخذ راحـ ـة لأجل أن تنشط عساكر الإسلام ونقوي نفوسهم على لقاء الكفرة اللئام فأقاموا فيه فبينما هم كـ ـذلك إذ سـ ـمعوا أصواتاً من بعيد فسأل عنهم ضوء المكان فقيل أنها قافلة تجار من بلاد الشام كانوا نازلين في هـ ـذا المكـ ـان للراحة ولعل العساكر صادفوهم وربما أخذوا شيئاً من بضائعهم التي معهم حيث كانوا في بلاد الكفار وبعـ ـد ساعة جاء التجار وهم صارخون يستغيثون يا لئك فلما رأى ضوء المكان ذلك أمر بإحضارهم فحضروا بين يديه وقالوا أيها الملك أنا كنا في بلاد الكفار ولم ينهبوا منها شيئاً فكيف تنهب أموالنا أخواننا المسلمون ونحن في بلادهم فإننا لما رأينا عساكركم أقبلنا عليهم فأخذوا ما كان معنا وقد أخبرناك بما حصل لنا ثم أخر جواله كتاب ملك القسطنطينية فأخذ شركاه وقرأه ثم قال لهم سوف نرد عليكم ما أخذ منكم ولكن كان الواجب أن لا تحملوا تجارة إلى بلاد الكفار فقالوا يا مولانا أن الله سيرنا إلى بلادهم لنظفر بما لم يظفر به أحد من الغـ ـزاة ولا أنتم في غزوتكم فقال له شركان وما الذي ظفرتم به فقالوا ما نذكر لك ذلك إلا في خلوة لأن هذا الأمر إذا شاع بين الناس ربما اطلع عليه أحد فيكون ذلك سبباً لهلاكنا وهلاك كل من توجه علـ ـى بـ ـلاد الـ ـروم مـ ـن المسلمين وكانوا قد خبئوا الصندوق الذي فيه اللعينة ذات الدواهي فأخذهم ضوء المكان وأخوه واختليـ ـا بهـ ـم فشرحوا لهما حديث الزاهد وصاروا يبكون حتى أبكوهما وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١١٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن النصارى الذين في هيئة التجار لما اختلى بهم ضوء المكـ ـان وأخـ ـوه شركان شرحوا لهما حديث الزاهد وبكوا حتى أبكوهما وأخبروهما كما أعلمتهم الكاهنة ذات الـ ـدواهي فـ ـرق قلب شركان للزاهد وأخذته الرأفة عليه وقامت به الحمية لله تعالى وقال لهم هل خلصتم هذا الزاهد أم هو في الدير إلى الآن فقالوا بل خلصناه وقتلنا صاحب الدير من خوفنا على أنفسنا ثم أسرعنا في الهرب خوفاً مـ ـن العطب وقد أخبرنا بعض الثقات أن في هذا الدير قناطير من الذهب والفضة والجواهر ثم بعـ ـد ذلـ ـك أتـ ـوا بالصندوق وأخرجوا منه تلك الملعونة كأنها قرن خيار شنبر من شدة السواد والنحول وهـ ـي مكبلـ ـة بتلـ ـك السلاسل والقيود فلما نظرها ضوء المكان هو والحاضرون فظنوا أنه رجل من خيار العبـ ـاد ومـ ـن أفضـ ـل الزهاد خصوصاً وجبينها يضيء من الدهان الذي دهنت به وجهها فبكى ضوء المكان وأخوه بكاء شديداً ثـ ـم قاموا إليها وقبلا يديها ورجليها وصار ينتحبان فأشارت إليهما وقالت كفا عن هذا البكاء وأسمعا كلامي فتركا البكاء امتثالاً لأمرها فقالت أعلما أني قد رضيت بما صنعه بي مولاي لأني أرى أن البلاء الـ ـذي نـ ـزل بـ ـه

امتحان منه عز وجل ومن لم يصبر على البلاء والمحن فليس له وصول إلى جنات النعيم وكنت أتمنى أن ي أعوذ إلى بلادي لا جزعاً من البلاء الذي حل بي بل لأجل أن أموت تحت حوافر خيل المجاهدين الذين ه م بعد القتل أحياء غير أموات ثم أنشدت هذه الأبيات:

الحصـ ن طـ ور وذ ار الحـ رب موقـ دة   وأنـ ـت موسـ ـى وهـ ـذا الوقـ ـت ميقـ ـات
الق العصـ ا تتلق فـ كـ لـ مـ ا صـ نعوا   ولا تخـ ـف مـ ـا حبـ ـال القـ ـوم حيـ ـات
فأقرأ سطور العدا يـ وم الـ وغي سـ ورا   فـ ـإن سـ ـيفك فـ ـي الأعنـ ـاق أيـ ـات

فلما فرغت العجوز من شعرها تناثرت من عينيها المدامع وجبينها بالدهان كالضوء اللامع فقام إليه ا شركان وقبل يدها وأحضر لها الطعام فامتنعت وقالت أن لم أفطر من مدة خمسة عشر عاماً فكيف أفطر فـ ي هذه الساعة وقد جاد على المولى بالخلاص من أسر الكفار ودفع عني ما هو أشق من عذاب النار فأنا أصبر إلى الغروب فلما جاء وقت العشاء أقبل شركان هو وضوء المكان وقدما إليها الأكل وقالا لها كل أيها الزاهد فقالت ما هذا وقت الأكل وأنما هذا وقت عبادة الملك الديان ثم انتصبت في المحراب تصلي إلـ ى أن ذهـ ب الليل ولم تزل على هذه الحالة ثلاثة أيام بلياليها وهي لا تقعد إلا وقت التحية فلما رآها ضوء المكان على تلك الحالة ملك قلبه حسن الآعتقاد فيها وقال لشركان أضرب خيمة من الأديم لذلك العابد ووكل فراشـ ـاً بخدمتـ ـه وفي اليوم الرابع دعت بالطعام فقدموا لها من الألوان ما تشتهي إلا نفس وتلذ الأعين فلم تأكل من ذلك كله إلا رغيفاً واحداً بملح ثم نوت الصوم ولما جاء الليل قامت إلى الصلاة فقال شركان لضوء المكان أما هذا الرجل فقد زهد الدنيا غاية الزهد ولولا هذا الجهاد لكنت لازمته وأعبد الله بخدمته حتى ألقاه وقد اشتهيت أن أدخـ ـل معه الخيمة وأتحدث معه ساعة فقال له ضوء المكان وأنا كذلك ولكن نحن فـ ـي غـ ـد ذاهبـ ـون إلـ ـى غـ ـزو القسطنطينية ولم نجد لنا ساعة مثل هذه الساعة فقال الوزير دندان وأنا الآخر اشتهي أن أرى هذا الزاهد لعله يدعو لي بقضاء نحبي في الجهاد ولقاء ربي فإني زهدت الدنيا فلما جن عليهم الليل دخلوا على تلك الكاهنـ ـة ذات الدواهي في خيمتها فرأوها قائمة تصلي فدنوا منها وصاروا يبكون رحمة لها وهي لا تلتفت إليهم إلى أن انتصف الليل فسلمت من صلاتها ثم أقبلت عليهم وحيتهم وقالت لهم لماذا جئتم فقالوا لها أيهـ ـا العابـ ـدة أمـ ـا سمعت بكاءنا حولك فقالت أن الذي يقف بين يدي الله لا يكون له وجود في الكون حتى يسمع صوت أحداً أو يراه ثم قالوا أننا نشتهي أن تحدثنا بسبب أسرك وتدعو لنا في هذه الليلة فإنها خير لنا من ملك القسـ ـطنطينية فلما سمعت كلامهم قالت والله لولا أنكم أمراء المسلمين ما أحدثكم بشيء من ذلك أبداً فإني لا أشكو إلا إلـ ـى الله وهما أنا أخبركم بسبب أسري اعلموا أنني كنت في القدس مع بعض الأبدال وأرباب الأحوال وكنـ ـت لا أتكبر عليهم لأن الله سبحانه وتعالى أنعم علي بالتواضع والزهد فاتفق أنني توجهت إلى البحر ليلة ومشـ ـيت على الماء فداخلني العجب من حيث لا أدري وقلت في نفسي من مثلي يمشي على الماء فقسا قلبي من ذلـ ـك الوقت وابتلاني الله تعالى بحب السفر فسافرت إلى بلاد الروم وجلت في أقطارها سنة كاملة حتى لـ ـم أتـ ـرك موضعاً إلا عبدت الله فيه فلما وصلت إلى هذا المكان صعدت إلى هذا الجبل وفيه ديـ ـر راهـ ـب يقـ ـال لـ ـه مطروحنا فلما رآني خرج إلي وقبل يدي ورجلي وقال إني رأيتك منذ دخلت بلاد الروم وقد شوقتني إلى بلاد الإسلام ثم أخذ بيدي وأدخلني في ذلك الدير ثم دخل بي إلى بيت مظلم فلما دخلت فيه غافلني وأغلـ ـق علـ ـي

الباب وتركني فيه أربعين يوماً من غير طعام ولا شراب وكان قصده بذلك قتلي صبراً فاتفق في بعض الأيام أنه دخل ذلك الدير بطريق يقال له دقيانوس ومعه عشرة من الغلمان ومعه ابنة يقال لها تماثيل ولكنها في الحسن ليس لها مثيل وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١١٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العجوز ذات الدواهي قالت أن البطريق دخل علي ومعه عشرة من الغلمان ومعه ابنة في غاية الجمال ليس لها مثيل فلما دخلوا الدير أخبرهم الراهب مطروحنا بخبري فقال البطريق أخرجوه لأنه لم يبق من لحمه ما يأكله الطير ففتحوا باب ذلك البيت المظلم فوجدوني منتصباً في المحراب أصلي وأقرأ وأسبح وأتضرع إلى الله تعالى فلما رأوني على تلك الحالة قال مطروحنا أن هذا ساحر من السحرة فلما سمعوا كلامه قاموا جميعاً ودخلوا علي وأقبل عليّ دقيانوس هو وجماعته وضربوني ضرباً عنيفاً فعند ذلك تمنيت الموت ولمت نفسي وقلت هذا جزاء من يتكبر ويعجب بما أنعم عليه ربه مما ليس في طاقته وأنت يا نفسي قد داخلك العجب والكبر أما علمت أن الكبر يغضب الرب ويقسي القلب ويدخل الإنسان في النار ثم بعد ذلك قيدوني وردوني إلى مكاني وكان سرداباً في ذلك البيت تحت الأرض وكل ثلاثة أيام يرمون إلى قرصة من الشعير وشربة من ماء وكل شهر أو شهرين يأتي البطريق ويدخل ذلك الدير وقد كبرت أبنته تماثيل لأنها كانت بنت تسع سنين حين رأيتها ومضى لي في الأسر خمس عشرة سنة فجملة عمرها أربعة وعشرون عاماً وليس في بلادنا ولا في بلاد الروم أحسن منها وكان أبوها يخاف عليها من الملك أن يأخذها منه لأنها وهبت نفسها للمسيح غير أنها تركب مع أبيها في زي الرجال الفرسان وليس لها مثيل في الحسن ولم يعلم من رآها أنها جارية وقد خزن أبوها أمواله في هذا الدير لان كل من كان عنده شيء من نفائس الدخائر يضعه في ذلك الدير وقد رأيت فيه من أنواع الذهب والفضة والجواهر وسائر الألوان والتحف مالا يحصى عدده إلا الله فأنتم أولى به من هؤلاء الكفرة فخذوا ما في هذا الدير وأنفقوه على المسلمين وخصوصاً المجاهدين ولما وصل هؤلاء التجار إلى القسطنطينية وباعوا بضاعتهم كلمتهم تلك الصورة التي في الحائط كرامة أكرمني الله بها فجاءوا إلى ذلك الدير وقتلوا البطريق مطروحنا بعد أن عاقبوه أشد العقاب وجروه من لحيته فدلهم على موضعي فأخذوني ولم يكن لهم سبيل إلا الهرب خوفاً من العطب وفي ليلة غد تأتي تماثيل إلى ذلك الدير على عادتها ويلحقها أبوها مع غلمانه لأنه يخاف عليها فإن شئتم أن تشاهدوا هذا الأمر فخذوني بين أيديكم وأنا أسلم إليكم الأموال وخزانة البطريق دقيانوس التي في ذلك الجبل وقد رأيتهم يخرجون أواني الذهب والفضة يشربون فيها ورأيت عندهم جارية تغني لهم بالعربي فواحسرتاه لو كان الصوت الحسن في قراءة القرآن وأن شئتم فأدخلوا ذلك الدير وأكمنوا فيه إلى أن يصل دقيانوس وتماثيل معه فخذوها فإنها لا تصلح إلا لملك الزمان شركان وللملك ضوء المكان ففرحوا بذلك حين سمعوا كلامها إلا الوزير دندان فإنه ما دخل كلامها في عقله وأنما كان يتحدث معها لأجل خاطر الملك وصار باهتاً في كلامها ويلوح على وجهه علامة الأنكار عليها فقالت العجوز ذات الدواهي إني أخاف أن يقبل البطريق وينظر هذه العساكر في المرج فما يجسر أن يدخل الدير فأمر السلطان العسكر أن يرحلوا إلى صوب القسطنطينية وقال ضوء المكان إن قصدي أن نأخذ معنا مائة فارس وبغالاً كثيرة ونتوجه إلى ذلك

الجبل ونحملهم المال الذي في الدير ثم أرسل من وقته وساعته إلى الحاجب الكبير فأحضره بين يديه وأحضر المقدمين والأتراك والديلم وقال إذا كان وقت الصباح فأرحلوا إلى القسطنطينية وأنت أيها الحاجب تكون عوضاً عني في الرأي والتدبير وأنت يا رستم تكون نائباً عن أخي في القتال ولا تعلموا أحداً أننا لسنا معكم وبعد ثلاثة أيام نلحقكم ثم أنتخب مائة فارس من الأبطال وأنحاز هو وأخوه شركان والوزير دندان والمائة فارس وأخذوا معهم البغال والصناديق لأجل حمل المال. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١١٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أنه لما أصبح الصباح نادى الحاجب بين العسكر بالرحيل فرحلوا وهم يظنون أن شركان وضوء المكان والوزير دندان معهم ولم يعلموا أنهم ذهبوا إلى الدير هذا ما كان من أمرهم (وأما) ما كان من أمر شركان وأخيه ضوء المكان والوزير دندان فإنهم أقاموا إلى آخر النهار وكانت الكفار أصحاب ذات الدواهي رحلوا خفية بعد أن دخلوا عليها وقبلوا يديها ورجليها واستأذنوها في الرحيل فأذنت لهم وأمرتهم بما شاءت من المكر فلما جن الظلام قالت العجوز لضوء المكان هو وأصحابه قوموا معي إلى الجبل وخذوا معكم قليلاً من العسكر فأطاعوها وتركوها في سفح الجبل مع خمسة فوارس بين يدي ذات الدواهي وصارت عندها قوة من شدة فرحها وصار ضوء المكان يقول سبحان من قوى هذا الزاهد الذي ما رأينا مثله وكانت الكاهنة قد أرسلت كتاباً على أجنحة الطير إلى ملك القسطنطينية تخبره بما جرى وقالت في آخر الكتاب أريد أن تنفذ لي عشرة آلاف فارس من شجعان الروم يكون سيرهم في سفح الجبل خفية لأجل أن لا يراهم عسكر الإسلام ويأتون إلى الدير ويكمنون فيه حتى أحضر إليهم ومعي ملك المسلمين وأخوه فأني خدعتهما وجئت بهما ومعهما الوزير ومائة فارس لاغير وسوف أسلم إليهم الصلبان التي في الدير وقد عزمت على قتل الراهب مطروحنا لأن الحيلة لا تتم إلا بقتله فإن تمت الحيلة فلا يصل من المسلمين إلى بلادهم لا ديار ولا من ينفخ النار ويكون مطروحنا فداء لأهل الملة النصرانية والعصابة الصليبية والشكر للمسيح أولاً وآخراً فلما وصل الكتاب إلى القسطنطينية جاء براج الحمام إلى الملك أفريدون بالورقة فلما قرأها أنفذ من الجيش وقته وجهز كل واحد بفرس وهجين وبغل وزاد وأمرهم أن يصلوا إلى ذلك الدير هذا ما كان من أمر هؤلاء (وأما) ما كان من أمر الملك ضوء المكان وأخيه شركان والوزير دندان والعسكر فإنهم لما وصلوا إلى الدير دخلوه فرأوا الراهب مطروحنا قد أقبل لينظر حالهم فقال الزاهد اقتلوا هذا اللعين فضربوه بالسيوف وأسقوه كأس الحتوف ثم مضت بهم الملعونة إلى موضع النذور فأخرجوا منه التحف والذخائر أكثر مما وصفته لهم وبعد أن جمعوا ذلك وضعوه في الصناديق وحملوه على البغال وأما تماثيل فإنها لم تحضر هي ولا أبوها خوفاً من المسلمين فأقام ضوء المكان في انتظارها ذلك النهار وثاني يوم وثالث يوم فقال شركان والله أن قلبي مشغول بعسكر الإسلام ولا أدري ما حالهم فقال أخوه أنا قد أخذنا هذا المال العظيم وما أظن أن تماثيل ولا غيرها يأتي إلى هذا الدير بعد أن جري لعسكر الروم ما جرى فينبغي أننا نقنع بما يسره الله لنا ونتوجه لعل الله يعيننا على فتح القسطنطينية ثم نزلوا من الجبل فما أمكن ذات الدواهي أن تتعرض لهم خوفاً من التفطن لخداعها ثم أنهم ساروا إلى أن وصلوا إلى باب الشعب وإذا بالعجوز قد أكمنت لهم عشرة آلاف فارس فلما رأوهم اشتاطوا بهم من كل جانب وأسرعوا نحو الرماح وجردوا عليهم

بيض الصفاح ونادى الكفار بكلمة كفرهم وفرقعوا سهام شرهم فنظر ضوء المكان وأخوه شـ ركان والـ وزير دندان إلى هذا الجيش فرأوه جيشاً عظيماً وقالوا من أعلم هذه العساكر بنا فقال شركان يا أخي ما هذا وقـ ت كلام بل هذا وقت الضرب بالسيف والرمي بالسهام فشدوا عزمكم وقووا نفوسكم فإن هذا الشعب مثل الدرب له بابان وحق سيد العرب والعجم لولا أن هذا المكان ضيق لكنت أفنيتهم ولو كانوا مائة ألف فـ ارس فقـ ال ضوء المكان لو علمنا ذلك لأخذنا معنا خمسة آلاف فارس فقال الوزير دندان لو كان معنا عشرة آلاف فارس في هذا المكان الضيق لا تفيدنا شيئاً ولكن الله يعيننا عليهم وأنا أعرف هذا الشعب وضيقه وأعرف أن فيهـ ا مفاوز كثيرة لأني قد غزوت فيه مع الملك عمر النعمان حين حاصرنا القسطنطينية وكنا نقيم فيه وفيـ ه مـ اء أبرد من الثلج فانهضوا بنا لنخرج من هذا الشعب قبل أن يكثر علينا عساكر الكفار ويسبقونا إلى رأس الجبل فيرموا علينا الحجارة ولا نملك فيهم أرباً فأخذوا في الأسراع بالخروج من ذلك الشعب فنظر إلـ يهم الزاهـ د وقال لهم ما هذا الخوف وأنتم قد بعتم انفسكم لله تعالى في سبيله والله أني مكثت مسجوناً تحت الأرض خمسة عشر عاماً ولم أعترض على الله فيما فعل بي فقاتلوا في سبيل الله فمن قتل منكم فالجنة مأواه ومن قتل فـ إلى الشرف مسعاه فلما سمعوا من الزاهد هذا الكلام زال عنهم الهم والغم وثبتوا حتى هجمت عليهم الكفار من كل مكان ولعبت في أعناقهم السيوف ودارت بينهم كأس الحتوف وقاتل المسلمون في طاعة الله أشد قتال واعملوا في أعدائهم إلا سنة والنصال وصار ضوء المكان يضرب الرجال ويجندل الأبطال ويرمي رءوسهم خمسـ ة خمسة وعشرة عشرة حتى أفنى منهم عدداً لا يحصى ورجالاً لا يستقصي فبينما هو كذلك إذ نظر الملعونـ ة وهي تشير بالسيف إليهم وتقويهم جانب وكل من خاف يهرب إليها وصارت تومىء غلـ يهم بقتـ ل شـ ركان فيملون إلى قتله فرقة بعد فرقة وكل فرقة حملت عليه يحمل عليها ويهزمها وتأتي بعدها فرقة أخرى حاملـ ة عليه فيردها بالسيف على أعقابها فظن أن نصره عليهم ببركة العابد وقال في نفسه أن هذا العابد قد نظر الله إليه بعين عنايته وقوي عزمي على الكفار بخالص نيته فأراهم يخافونني ولا يستطيعون الأقدام على بل كلمـ ا حملوا علي يولون الأدبار ويركنون إلى الفرار ثم قاتلوا بقية يومهم إلى آخر النهار ولما أقبل الليل نزلوا فـ ي مغارة من ذلك الشعب من كثرة ما حصل لهم من الوبال ورمى الحجارة وقتل منهم في ذلك اليـ وم خمسـ ة وأربعون رجلاً ولما اجتمعوا مع بعضهم فتشوا على ذلك الزاهد فلم يروا له أثر فعظم عليهم ذلك وقالوا لعله استشهد فقال شركان أنا رأيته يقوي الفرسان بالإشارة الربانيه ويعيذهم بالآيات الرحمانية فبينما هم في الكلام وإذا يا لملعونة ذات الدواهي قد أقبلت وفي يدها رأس البطريق الكبير الرئيس على العشرين الفاً وكمان جباراً عنيداً وشيطاناً مريداً وقد قتله رجل من الأتراك بسهم فعجل الله بروحه إلى النار فلما رأى الكفار ما فعل ذلك المسلم بصاحبهم مالوا بكليتهم عليه وأوصلوا الأذية إليه وقطعوه بالسيوف فعجل الله به إلـ ى الجنـ ة ثـ م أن المعونة قطعت رأس ذلك البطريق وأتت بها والقتها بين يدي شركان والملك ضوء المكان والوزير دندان فلما رآها شركان وثب قائماً على قدميه وقال الحمد لله على رؤيتك أيها العابد المجاهد الزاهد فقالت ولدي أني قد طلبت الشهادة في هذا اليوم فصرت أرمي روحي بين عسكر الكفار وهم يهابونني فلما أنفصلتم أخذتني الغيرة عليكم وهجمت على البطريق الكبير رئيسهم وكأنه بعد بألف فارس فضربته حتى أطحت رأسه عن بدنه ولـ م يقدر أحد من الكفار أن يدنو مني وأتيت برأسه إليكم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١١٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن اللعينة ذات الدواهي قالت أتيت برأسه إليكم لتقوي نفوسكم على الجهاد وترضوا بسيوفكم رب العبد وأريد أن أشغلكم في الجهاد واذهب إلى عسكركم ولو كانوا على باب القسطنطينية وآتيكم من عندهم بعشرين ألف فارس يهلكون هؤلاء الكفرة فقال شركان وكيف تمضي عليهم أيها الزاهد والوادي مسدود بالكفار من كل جانب فقالت الملعونة الله يسترني عن أعينهم فلا يروني ومن رآني لا يجسر أن يقبل على فأني في ذلك الوقت أكون فانياً في الله وهو يقاتل عني أعداءه فقال شركان صدقت أيها الزاهد لأني شاهدت ذلك وإذا كنت تقدر أن تمضي أول الليل يكون أجود لنا فقال أنا أمضي في هذه الساعة وأن كنت تريد أن تجيء معي ولا يراك أحد فقم وأن كنت أخوك يذهب معنا أخذناه دون غيره فإن ظل الولي لا يستر غير أثنين فقال شركان أما أنا فلا أترك أصحابي ولكن إذا كان أخي يرضى بذلك فلا بأس حيث ذهب معك وخلص من هذا الضيق فإنه هو حصن المسلمين وسيف رب العالمين وأن شاء فليأخذ معه الوزير دندان أو من يختار ثم يرسل إلينا عشرة آلاف فارس أعانة على هؤلاء اللئام واتفقوا على هذا الحال ثم أن العجوز قالت أمهلوني حتى اذهب قبلكم وانظر حال الكفرة هل هم نيام أو يقظانون فقالوا ما نخرج إلا معك ونسلم أمرنا لله فقالت إذا طاوعتكم لا تلوموني ولوموا أنفسكم فالرأي عندي أن تمهلوني حتى اكشف خبرهم فقال شركان أمض إليهم ولا تبطيء علينا لاننا ننتظرك فعند ذلك خرجت ذات الدواهي وكان شركان حدث أخاه بعد خروجهما وقال لولا أن هذا الزاهد صاحب كرامات ما قتيل هذا البطريق الجبار وفي هذا القدر كفاية في كرامة هذا الزاهد وقد انكسرت شوكة الكفار بقتل هذا البطريق لأنه كان جباراً عنيداً وشيطاناً مريداً فبينما هم يتحدثون في كرامات الزاهد وإذا باللعينة ذات الدواهي قد دخلت عليهم ووعدتهم بالنصر على الكفرة فشكروا الزاهد على ذلك ولم يعلموا أن هذا حيلة وخداع ثم قالت اللعينة أين ملك الزمان ضوء المكان فأجابها بالتلبية فقالت له خذ معك وزيرك وسر خلفي حتى نذهب إلى القسطنطينية وكانت ذات الدواهي قد اعلمت الكفار بالحيلة التي عملتها ففرحوا بذلك غاية الفرح وقالوا ما يجبر خاطرنا إلا قتل ملكهم في نظير قتل البطريق لأنه لم يكن عندنا أفرس منه وقالوا لعجوز النحس ذات الدواهي حين أخبرتهم بأنها تذهب إليهم بملك المسلمين إذا أتيت به نأخذه إلى الملك أفريدون ثم أن العجوز ذات الدواهي توجهت وتوجه معها ضوء المكان والوزير دندان وهي سابقة عليهما تقول لهما سيروا على بركة الله تعالى فأجاباها إلى قولها ونفذ فيهما سهم القضاء والقدر ولم تزل سائرة بهما حتى توسطت بهما بين عسكر الروم وصلوا إلى الشعب المذكور الضيق وعساكر الكفار ينظرون إليهم ولا يتعرضوا لهم بسوء لأن الملعونة أوصتهم بذلك فلما نظر ضوء المكان والوزير دندان إلى عساكر الكفار وعرفوا أن الكفار عاينوهم ولم يتعرضوا لهم قال الوزير دندان إلى والله أن هذه كرامة من الزاهد ولاشك أنه من الخواص فقال ضوء المكان والله ما أظن الكفار إلا عمياناً لأننا نراهم وهم لا يرونا فبينما هما في الثناء على الزاهد وتعداد كراماته وزهده عبادته وإذا بالكفار قد هجموا عليهما واحتاطوا بهما وقبضوا عليهما وقالوا هل معكما أحد غيركما فنقبض عليه فقال الوزير دندان أما ترون هذا الرجل الآخر الذي بين أيدينا فقال لهم الكفار وحق المسيح والرهبان والجاثليق

والمطران أننا لم نر أحداً غيركما فقال ضوء المكان والله أن الذي حل بنا عقوبة لنا من الله تعالى وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١١٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الكفار وضعوا القيود في أرجلهما وكلوا بهما من يحرسهما في المبيت فصارا يتأسفان ويقولان لبعضهماأن الاعتراض على الصالحين يؤدي إلى أكثر من ذلك وجزاؤنا ما حل بنا من الضيق الذي نحن فيه هذا ما كان من أمر ضوء المكان والوزير دندان (وأما) ما كان من أمر الملك شركان فإنه بات تلك الليلة فلما أصبح الصباح قام وصلى صلاة الصبح ثم نهض هو ومن معه من العساكر وتأهبوا إلى قتال الكفار وقوي قلوبهم شركان ووعدهم بكل خير ثم ساروا إلى أن وصلوا إلى الكفار فلما رآهم الكفار من بعيد قالوا لهم يا مسلمين أنا أسرنا سلطانكم ووزيره الذي به انتظام أمركم وأن لم ترجعوا عن قتالنا قتلناكم عن آخركم وإذا سلمتم لنا أنفسكم فأننا نروح بكم إلى ملكنا فيصالحكم على أن تخرجوا من بلادنا وتذهبوا إلى بلادكم ولا تضرونا بشيء ولا نضركم بشيء فإن طاب خاطركم كان الحظ لكم وأن أبيتم فما يكون إلا قتلكم وقد عرفناكم وهذا آخر كلامنا فلما سمع شركان كلامهم وتحقق أسر أخيه والوزير دندان عظم عليه وبكى وضعفت قوته وأيقن بالهلاك وقال في نفسه يا ترى ما سبب أسرهما هل حصل منهما أساءة أدب في حق الزاهد أو اعتراض عليه وما شأنهما ثم نهضوا إلى قتال الكفار فقتلوا منهم خلقاً كثيراً وتبين في ذلك اليوم الشجاع من الجبان واختضب السيف والسنان وتهافتت عليهم الكفار تهافت الذباب على الشراب من كل مكان وما زال شركان ومن معه يقاتلون قتال من لا يخاف الموت ولا يعتريه في طلب الفرصة فوت حتى سال الوادي بالدماء وامتلأت الأرض بالقتلى فلما أقبل الليل تفرقت الجيوش وكل من الفريقين ذهب إلى مكانه وعاد المسلمون إلى تلك المغارة ولم يبق منهم إلا القليل ولم يكن منهم إلا على الله والسيف تعويل وقد قتل منهم في هذا النهار خمسة وثلاثون فارساً من الأمراء والأعيان وأن من قتل بسيفهم من الكفار آلاف من الرجال والركبان فلما عاين شركان ذلك ضاق عليه الأمر وقال لأصحابه كيف العمل فقال له أصحابه لا يكون إلا ما يريده الله تعالى فلما كان ثاني يوم قال شركان لبقية العسكران خرجتم للقتال ما بقي منكم أحد لأنه لم يبق عندنا إلا قليل من الماء والزاد والرأي الذي عندي فيه الرشاد ان تجردوا سيوفكم وتخرجوا وتقفوا على باب تلك المغارة لأجل أن تدفعوا عن أنفسكم كل من يدخل عليكم فلعل الزاهد أن يكون وصل إلى عسكر المسلمين ويأتينا بعشرة آلاف فارس فيعينون على قتال الكفرة ولعل الكفار لم ينظروه هو ومن معه فقال له أصحابه أن هذا الرأي هو الصواب وما في سداده أرتياب ثم أن العسكر خرجوا وملكوا باب المغارة ووقفوا في طرفيه وكل من أراد أن يدخل عليهم من الكفار يقتلوه وصاروا يدفعون الكفار عن الباب وصبروا على قتال الكفار إلى أن ذهب النهار وأقبل الليل بالاعتكار. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١١٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أنه عندما أقبل الليل لم يبق عند الملك شركان إلا خمسة وعشرون رجلاً لا غير فقال الكفار لبعضهم متى تنقضي هذه الأيام فأننا قد تعبنا من قتال المسلمين فقال بعضهم لبعض قوموا

نهجم عليهم فإنه لم يبق منهم إلا خمسة وعشرون رجلاً فإن لم نقدر عليهم نضرم عليهم النار فـ إن إنقـ ادوا وسلموا أنفسهم إلينا أخذناهم أسارى وأن أبوا تركناهم حطباً للنار حتى يسيروا عبرة لأولي الأبصار فلا رحم المسيح أباهم ولا جعل مستقر النصارى مثواهم ثم أنهم حطوا الحطب إلى باب المغارة وأضرموا فيه النـ ار فأيقن شركان ومن معه بالبوار فبينما هم كذلك وإذا بالبطريق الرئيس عليهم التفت إلى المشير بقتلهم وقال له لا يكون قتلهم إلا عند الملك أفريدون لأجل أن يشفى غليله فينبغي أننا نبقيهم عندنا أسارى وفي غد نسافر بهم إلى القسطنطينية ونسلمهم إلى الملك أفريدون فيفعل بهم ما يريد فقالوا هذا هو الرأي الصـ واب ثـ م أمـ روا بتكتيفهم وجعلوا عليهم حرساً فلما جن الظلام اشتغل الكفار باللهو والطعام ودعوا بالشراب فشربوا حتى انقلب كل منهم على قفاه وكان شركان وضوء المكان مقيدين وكذلك من معهم من الأبطال فعند ذلك نظر شـ ركان إلى أخيه وقال له يا أخي كيف الخلاص فقال ضوء المكان والله لا أدري وقد صرنا كالطير فـ ي الأقفـ اص فاغتاظ شركان وتنهد من شدة غيظه فانقطع الكتاف فلما خلص من الوثاق قام إلى رئـ يس الحـ راس وأخـ ذ مفاتيح القيود من جيبه وفك ضوء المكان وفك الوزير دندان وفك بقية العسكر ثم التفت إلـ ى أخيـ ه ضـ وء المكان والوزير دندان وقال أني أريد أن أقتل من الحراس ثلاثة ونأخذ ثيابهم ونلبسها نحن الثلاثة حتى نصير في زي الروم ونصير بينهم حتى لا يعرفوا أحداً منا ثم نتوجه إلى عسكرنا فقال ضوء المكان أن هذا الـ رأي غير صواب لاننا إذا قتلناهم نخاف أن يسمع أحد شخيرهم فتنتبه إلينا الكفار فيقتلوننا والرأي السديد أن نسير إلى خارج الشعب فأجابوه إلى ذلك فلما صاروا بعيداً عن الشعب بقليل رأوا خيلاً مربوطة وأصحابها نائمون فقال شركان لأخيه ينبغي أن يأخذ كل واحد منا جواداً من هذه الخيول وكانوا خمسة وعشرين رجلاً فأخـ ذوا خمسة وعشرين جواداً وقد ألقى الله النوم على الكفار لحكمة يعلمها الله ثم أن شركان جعل يختلس من الكفار السلاح من السيوف والرماح حتى اكتفوا ثم ركبوا الخيل التي أخذوها وساروا وكان في ظن الكفـ ار أنـ ه لا يقدر أحد على فسكاك ضوء المكان وأخيه ومن معهما من العساكر وأنهم لا يقدرون علـ ى الهـ روب فلمـ ا خلصوا جميعاً من الأسر وصاروا في إمن من الكفار التفت إليهم شركان وقال لهم لا تخافوا حيث سـ ترنا الله ولكن عندي رأي ولعله صواب فقالوا وما هو قال أريد أن تطلعوا فوق الجبل وتكبروا كلكم تكبيـ رة واحـ دة وتقولوا لقد جاءتكم العساكر الإسلامية ونصيح كلنا صيحة واحدة ونقول الله أكبر فيفترق الجمع من ذلـ ك ولا يجدون لهم في هذا الوقت حيلة فإنهم سكارى ويظنون أن عسكر المسلمين أحاطوهم من كل جانب واختلطوا بهم فيقعون ضرباً بالسيف في بعضهم من دهشة السكر والنوم فنقطعهم بسيوفهم ويدور السـ يف فـ يهم إلـ ى الصباح فقال ضوء المكان أن هذا الرأي غير صواب أن نسير إلى عسكرنا ولا ننطق بكلمة لأننا أن كبرنـ ا تنبهوا لنا ولحقوانا فلم يسلم منا أحد فقال شركان والله لو انتبهوا لنا ما علينا بأس واشتهى أن توافقوني علـ ى هذا الرأي وهو لا يكون إلا خيراً فأجابوه إلى ذلك وطلعوا إلى فوق الجبل وصاحوا بالتكبير فكبـ رت معهـ م الجبال والأشجار والأحجار من خشية الله تعالى فسمع الكبار ذلك التكبير فصاح الكفار صيحة مزعجة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٢٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أنه عندما صاح الكفار على بعضهم ولبسوا السلاح وقالوا قد هجمت علينا الأعداء وحق المسيح ثم قتلوا من بعضهم مالا يعلم عدده إلا الله تعالى فلما كان الصباح فتشوا على الأسارى فلم يجدوا لهم أثراً فقال رؤساؤهم أن الذي فعل بكم هذه الفعال هم الأسارى الذين كانوا عندنا فدونكم والسعي خلفهم حتى تلحقوهم فتسقوهم كأس الوبال ولا يحصل لكم خوف ولا أنذهال ثم أنهم ركبوا خيولهم وسعوا خلفهم فما كان إلا لحظة حتى لحقوهم وأحاطوا بهم فلما رأى ضوء المكان ذلك أزداد به الفزع وقال لأخيه أن الذي خفت من حصوله قد حصل وما بق لنا حيلة إلا الجهاد فلزم شركان السكوت عن المقال ثم انحدر ضوء المكان من أعلى الجبل وكبرت معه الرجال وعولوا على الجهاد وبيع أنفسهم في طاعة رب العباد فبينما هم كذلك وإذا بأصوات يصيحون التهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير فالتفتوا إلى جهة الصوت فرأوا جيوش المسلمين وعساكر الموحدين مقبلين فلما رأوهم قويت قلوبهم وحمل شركان على الكافرين وهلل وكبر هو ومن معه من الموحدين فارتجت الأرض كالزلازل وتفرقت عساكر الكفار في عرض الجبال فتبعتهم المسلمين بالضرب والطعان وأطاحوا منهم الرؤوس عن الأبدان ولم يزل ضوء المكان هو ومن معه من المسلمين يضربون في أعناق الكافرين إلى أن ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار ثم انحاز المسلمون إلى بعضهم وباتوا مستبشرين طول ليلهم فلما أصبح الصباح وأشرق بنوره ولاح رأوا بهرام مقدم الديلم ورستم مقدم الأتراك ومعهما عشر بن ألف فارس مقبلين عليهم كالليوث العوانس فلما رأوا ضوء المكان ترجل الفرسان وسلموا عليه وقبلوا الأرض بين يديه فقال لهم ضوء المكان أبشروا بنصر المسلمين وهلاك الكافرين ثم هنوا بعضهم بالسلامة وعظيم الأجر في القيامة وكان السبب في مجيئهم إلى هذا المكان أن الأمير بهرام والأمير رستم والحاجب الكبير لما ساروا بجيوش المسلمين والرايات على رؤوسهم منشورة حتى وصلوا إلى القسطنطينية رأوا الكفار قد طلعوا على الأسوار وملكوا الأبراج والقلاع واستعدوا في كل حصن مناع حين علموا بقدوم العساكر الإسلامية والأعلام المحمدية وقد سمعوا قعقعة السلاح وضجة الصياح ونظروا فرأوا المسلمين وسمعوا حوافر خيولهم من تحت الغبار فإذا هم كالجراد المنتشر والسحاب المنهمر وسمعوا أصوات المسلمين بتلاوة القرآن وتسبيح الرحمن وكان السبب في أعلام الكفار بذلك ما دبرته العجوز ذات الدواهي من زورها وعهرها وبهتانها ومكرها حتى قربت العساكر كالبحر الزاخر من كثرة الرجال والفرسان والنساء والصبيان فقال أمير للترك لأمير الديلم يا أمير أننا بقينا على خطر من الأعداء الذين فوق الأسوار فانظر إلى تلك الأبراج وإلى هذا العالم الذي كالبحر العجاج المتلاطم بالأمواج أن هؤلاء الكفار قدرنا مائة مرة ولا نأمن من جاسوس شر فيخبرهم أننا على خطر من الأعداء الذين لا يحصني عددهم ولا ينقطع مددهم خصوصاً مع غيبة الملك ضوء المكان وأخيه والوزير الأجل دندان فعند ذلك يطمعون فينا لغيبتهم عنا فيمحقوننا بالسيف عن آخرنا ولا ينجو منا ناج ومن الرأي أن نأخذ عشرة آلاف فارس م المواصلة والأتراك ونذهب بهم إلى الدير مطروحنا ومرج ملوخنا في طلب أخواننا وأصحابنا فإن أطعتموني كنتم سبباً في الفرج عنهم أن كان الكفار قد ضيقوا عليهم وإن لم تطيعوني فلا لوم على وإذا توجهتم ينبغي أن ترجعوا إلينا مسرعين فإن من الجزم سوء الظن فعندها قبل الأمير المذكور كلامه وأنتخب عشرين ألف فارس وساروا يقطعون الطرقات طالبين المرج المذكور والدير المشهور هذا ما كان سبب مجيئهم (وأما) ما كان من أمر العجوز ذات الدواهي

فإنها لما أوقعت السلطان ضوء المكان وأخاه شركان والوزير دندان في أيدي الكفار أخذت تلك العاهرة جواداً وركبته وقالت للكفار أني أريد أن الحق عسكر المسلمين وأتحيل على هلاكهم لأنهم في القسطنطينية فأعلمهم أن أصحابهم هلكوا فإذا سمعوا ذلك مني تشتت شملهم وانصرم حبلهم وتفرق جمعهم ثم أدخل أنا إلى الملـ ك أفريدون ملك القسطنطينية وولدي الملك حردوب ملك الروم وأخبرهما بهذا الخبر فيخرجان بعساكرهما إلـ ى المسلمين ويهلكونهم ولا يتركون أحداً منهم ثم سارت تقطع الأرض على ذلك الجواد طول الليل فلما أصـ بح الصباح لاح لها عسكر بهرام ورستم فدخلت بعض الغابات وأخفت جوادها هناك ثم خرجت وتمشـ ت قلـ يلاً وهيتقول في نفسها لعل عساكر المسلمين قد رجعوا منهزمين من حرب القسطنطينية فلما قربت منهم نظـ رت إليهم وتحققت أعلامهم فرأتها غير منكسة فعلمت أنهم أتوا غير منهزمين ولا خائفين على ملكهم وأصـ حابهم فلما عاينت ذلك أسرعت نحوهم بالجري الشديد مثل الشيطان المريد إلى أن وصلت إليهم وقالت لهم العجـ ل العجل يا جند الرحمن إلى جهاد حزب الشيطان فلما رآها بهرام أقبل عليها وترجل وقبل الأرض بين يـ ديها وقال لها يا ولي الله ما وراءك فقالت لا تسأل عن سوء الحال وشديد الأهوال فإن أصحابنا لما أخذوا المـ ال من دير مطر وحنا أرادوا أن يتوجهوا إلى القسطنطينية فعند ذلك خرج عليهم عسكر جـ رار ذو بـ أس مـ ن الكفار ثم أن الملعونة أعادت عليهم أرجافاً ووجلاً وقالت أن أكثرهم هلك ولم يبق إلا خمسة وعشرون رجـ لاً فقال بهرام أيها الزاهد متى فارقتهم فقال في ليلتي هذه فقال بهرام سبحان الذي طـ وى لـ ك الأرض البعيـ دة وأنت ماشي على قدميك متكئاً على جريدة لكنك من الأولياء الطيارة المهمين وحي الإشارة ثم ركـ ب علـ ى ظهر جواده وهو مدهوش وحيران بما سمعه من ذات الأفك والبهتان وقال لا حول ولا قوة إلا بـ الله العلـ ي العظيم لقد ضاع تعبنا وضاقت صدورنا وأسر سلطاننا ومن معه ثم جعلوا يقطعون الأرض طولاً وعرضـ اً ليلاً ونهاراً فلما كان وقت السحر أقبلوا على رأس الشعب فرأوا ضوء المكان وأخاه شركان يناديان بالتهليـ ل والتكبير والصلاة والسلام على البشير النذير فحمل هو وأصحابه وأحاطوا بالكفار أحاطـ ة السـ يل بالقفـ ار وصاحوا عليهم صياحاً ضجت منه الأبطال وتصدعت منه الجبال فلما أصبح الصباح وأشـ رق بنـ وره ولاح فاح لهم من ضوء المكان طيبة ونشره وتعارفوا ببعضهم كما تقدم ذكره فقبلوا الأرض بين يدي ضوء المكان وأخيه شركان وأخبروهم بما جرى لهم في المغارة فتعجبوا من ذلك ثم قلوا لبعضـ هم أسـ رعوا بنـ ا إلـ ى القسطنطينية لأننا تركنا أصحابنا هناك وقلوبنا عندهم فعند ذلك أسرعوا في المسير وتوكلوا علـ ى اللطيـ ف الخبير وكان ضوء المكان يقوي المسلمين على الثبات وينشد هذه الأبيات:

لك الحمـ د مسـ توجب الحمـ د والشـ كر فمازلت لي بـ العون يـ ارب فـ ي أمـ ري

ربيت غريبـ اً فـ ي الـ بلاد وكنـ ت لـ ي كفـ .يلاً وقـ .د قـ .درت يارب .ا نصـ .ري

وأعطيتنـ . ي مـ . الاً وملكـ . ا ونعمـ . ـة وقلـ .دتني سـ .يف الشـ .جاعة والنصـ .ر

وخـ . ولتني ظـ . ل المليـ . ك معمـ . ـرا وقد وجدت لي من فيض جـ ودك بـ الغمر

وسـ .لمتني مـ .ن كـ .ل خطـ .ب حذرتـ .ه بمشورة الصـ در الـ وزير فتـ ى الـ دهر

بفضلك قد صـ لنا علـ ى الـ روم صـ ولة وقـ .د رجعـ .وا بالضـ .رب فـ .ي خـ .ور

وأظهـ .رت أنـ .ي قـ .د هزمـ .ت هزيمـ .ة وعدت علـ يهم عـ ودة الضـ يغم الغمـ ر

د .ركتهم ف .ي الق .اع صد .رعى ك .أنهم نشاوي بك .أس الم .وت لا قه .وة الخم .ر

وصد . ارت بأي . دينا المراك . ب كله . ا وصار لنا الس .لطان ف .ي الب .ر والبح .ر

وج . اء إلين .ا الزاه .د العاب .د ال .ذي كرامته ش .اعت ل .ذي الب .دو والحض .ر

أتين .ا لأخ .ذ الن .ار م .ن ك .ل ك .افر وقد شاع عند الناس ما كان م .ن أم .ري

وق .د قتل .وا من .ا رج .الاً فأص .بحوا لهم غرف في الخل .د تعل .و عل .ى نه .ر

فلما فرغ ضوء المكان من شعره هنأه أخوه شركان بالسلامة وشكره على أفعاله ثم أنهم توجهوا مجدين المسير. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٢١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن شركان هنأ أخاه ضوء المكان بالسلامة وشكره على أفعاله ث .م أنه .م توجهوا مجدين المسير طالبين عساكرهم هذا ما كان من أمرهم وأما ما كان من أمر العجوز ذات ال .دواهي فإنها لما لاقت عسكر بهرام ورستم عادت إلى الغابة وأخذت جوادها وركبته وأسرعت ف .ي س .يرها حت .ى أشرفت على عسكر المسلمين والمحاصرين للقسطنطينية ثم أنها نزلت وأخذت جوادها وأتت به إلى السرادق الذي فيه الحاجب فلما رآها نهض لها قائماً وأشار إليها بالإيماء وقال مرحباً بالعابد الزاهد ثم سألها عما جرى فأخبرته بخبرها المرجف وبهتانها المتلف وقالت له أني أخاف على الأمير رستم والأمير بهرام لأني ق .د لا قيتهما مع عسكرهما في الطريق وأرسلتهما إلى الملك ومن معه وكان في عشرين ألف فارس والكفار أكث .ر منهم وأني أردت في هذه الساعة أن ترسل جملة عن عسكرك حتى يلحقوهم بسرعة لئلا يهلكوا عن آخ .رهم وقالت لهم العجل العجل فلما سمع الحاجب والمسلمون منها ذلك الكلام انحلت عزائمهم وبكوا وقالت لهم ذات الدواهي استعينوا بالله واصبروا على هذه الرزية فلكم أسوة بمن سلف من الأمة المحمدية فالجنة ذات القصور أعدها لمن يموت شهيداً ولابد من الموت لكل أحد ولكنه في الجهاد أحمد فلما سمع الحاجب كلام اللعينة ذات الدواهي دعا بأخي الأمير بهرام وكان فارساً يقال له تركاش وانتخب له عشرة آلاف فارس أبطال ع .وايس وأمره بالسير فسار في ذلك اليوم وطول الليل حتى قرب من المسلمين فلما أصبح الصباح رأىي شركان ذلك الغبار فخاف على المسلمين وقال أن هذه عساكر مقبلة علينا فأما أن يكونوا من عسكر المسلمين فه .ذا ه .و النصر المبين وأما أن يكونوا من عسكر الكفار فلا أعتراض على الأقدار ثم أنه أتى إلى أخيه ضوء المك .ان وقال له لا تخف أبداً فإني أفديك بروحي من الرد فإن كان هؤلاء من عسكر الإسلام فهذا مزيد الأنع .ام وأن كان هؤلاء أعداءنا فلابد من قتالهم لكن أشتهي أن أقابل العابد قبل موتي لأسأله أن يدعوا لي أن لا أموت إلا شهيداً فبينما هم كذلك وإذا بالرايات قد لاحت مكتوباً عليها لا إله إلا الله محمد رسول الله فصاح شركان كيف حال المسلمين قالوا بعافية وسلامة وما أتينا إلا خوفاً عليكم ثم ترجل رئيس العسكر عن جواده وقبل الأرض بين يديه وقال يا مولانا كيف السلطان والوزير دندان ورستم وأخي بهرام أما هم الجميع سالمون فقال بخي .ر ثم قال له ومن الذي أخبركم بخبرنا قال الزاهد وقد ذكر أنه لقي أخي بهرام ورستم وأرسلهما إليكم وقال لن .ا أن الكفار قد أحاطوا بهم وهم كثيرون وما أرى الأمر إلا بخلاف ذلك وأنتم منصورون فق .ال له .م وكي .ف وصول الزاهد إليكم فقالوا له كان سائر على قدميه وقطع في يوم وليلة مسيرة عشرة أيام للفارس المجد فقال

شركان لا شك أنه ولى الله وأين هو قالوا له تركناه عند عسكرنا أهل الإيمان يحرضهم على قتال أهل الكفر والطغيان ففرح شركان بذلك وحمد الله على سلامتهم وسلامة الزاهد وترحموا على من قتل منهم وقالوا كان ذلك في الكتاب مسطوراً ثم ساروا مجدين في سيرهم فبينما هم كذلك وإذا بغبار قد سار حتى سد الأقطار وأظلم منه النهار فنظر إليه شركان وقال أني أخاف أن يكون الكفار قد كسروا عسكر الإسلام لأن هذا الغبار سد المشرقين وملأ الخافقين ثم لاح من تحت ذلك عمود من الظلام أشد سواداً من حالك الأيام وما زالت تقرب منهم تلك الدعامة وهي أشد من هول يوم القيامة فتسارعت إليها الخيل والرجال لينظروا ما سبب سوء هذا الحال فرأوا الزاهد المشار إليه فازدحموا على تقبيل يديه وهو ينادي يا أمة خير الأنام ومصباح الظلام أن الكفار غدروا بالمسلمين فأدركوا عساكر الموحدين وانقذوهم من أيدي الكفرة اللئام فإنهم هجموا عليهم في الخيام ونزل بهم العذاب المهين وكانوا في مكانهم آمنين فلما سمع شركان ذلك الكلام طار قلبه من شدة الخفقان وترجل عن جواده وهو حيران ثم قبل يد الزاهد ورجليه وكذلك أخوه ضوء المكان وبقية العسكر من الرجال والركبان إلا الوزير دندان فإنه لم يترجل عن جواده وقال والله أن قلبي نافر من هذا الزاهد لأني ما عرفت للمتنطعين في الدين غير المفاسد فاتركوه وأدركوا أصحابكم المسلمين فإن هذا من المطرودين عن باب رحمة رب العالمين فكم غزوت مع الملك عما النعمان ودست أراضي هذا المكان فقال له شركان دع هذا الظن الفاسد أما نظرت إلى هذا العابد وهو يحرض المؤمنين على القتال ولا يبالي بالسيوف والنبال فلا تغتبه لأن الغيبة مذمومة ولحوم الصالحين مسمومة وأنظر إلى تحريضه لنا على قتال أعدائنا ولولا أن الله تعالى يحبه ما طوى له البعيد بعد أن أوقعه سابقاً في العذاب الشديد ثم إن شركان أمر أن يقدموا بغلة نوبية إلى الزاهد ليركبها وقال له إركب أيها الزاهد الناسك العابد فلم يقبل ذلك وإمتنع عن الركوب وأظهر الزهد لينال المطلوب وما دروا إن هذا الزاهد الطاهر هو الذي قال في مثله الشاعر:

صلى وصام لأمر كان يطلبه ... لما قضى الأمر لا صلى ولا صاما

ثم أن ذلك الزاهد ما زال ماشياً بين الخيل والرجال كأنه الثعلب المحتال للاغتيال وسار رافعاً صوته بتلاوة القرآن وتسبيح الرحمن ومازالوا سائرين حتى أشرفوا على عسكر الإسلام فوجدهم شركان في حالة الإنكسار والحاجب قد أشرف على الهزيمة والفرار والسيف يعمل بين الأبرار والفجار وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٢٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن السبب في خزل المسلمين أن اللعينة ذات الدواهي عدوة الدين لما رأت بهرام ورستم قد سارا بعسكرهما نحو شركان وأخيه ضوء المكان سارت هي نحو عسكر المسلمين وأنفذت لأمير تركاش كما تقدم ذكره وقصدها بذلك أن تفرق بين عسكر المسلمين لأجل أن يضعفوا ثم تركتهم وقصدت القسطنطينية ونادت بطارقة الروم بأعلى صوتها وقالت أدلوا حبلاً لاربط فيه هذا الكتاب وأوصلوه إلى ملككم أفريدون ليقرأه هو وولدي ملك الروم ويعملان بما فيه من أوامره ونواهيه فأدلوا لها حبلاً فربطت فيه الكتاب وكان مضمونه من عند الداهية العظمى والطامة الكبرى ذات الدواهي إلى الملك أفريدون أما بعد فإني دبرت لكم حيلة على هلاك المسلمين فكونوا مطمئنين وقد أسرتهم وأسرت سلطانهم

ووزيرهم ثم توجهت إلى عسكرهم وأخبرتهم بذلك فانكسرت شوكتهم وضعفت قوتهم وقد خدعت العسكر المحاصرين للقسطنطينية حتى أرسلت منهم أثنى عشر ألف فارس مع الأمير تركاش خلاف المأسورين وما بقي منهم إلا القليل فالمراد منكم أنكم تخرجون إليهم بجميع عسكركم في بقية هذا النهار وتهجمون عليهم في خيامهم ولكنكم لا تخرجون الأسواء واقتلوهم عن آخرهم فإن المسيح قد نظر إليكم والعذراء تعطفت عليكم وأرجو من المسيح أن لا ينسى فعلى الذي قد فعلته فلما وصل كتابها إلى الملك أفر يدون فرح فرحاً شديدا وأرسل في الحال إلى ملك الروم أبن ذات الدواهي وأحضره وقرأ الكتاب عليه ففرح وقال أنظر مكر أمي فإنه يغني عن السيوف وطلعتها تنوب عن هول اليوم المخوف فقال الملك أفر يدون لا أعدم المسيح طلعة أمك ولا أخلاك من مكرك ولؤمك ثم أنه أمر البطارقة أن ينادوا بالرحيل إلى خارج المدينة وشارع الخبر في القسطنطينية وخرجت عساكر النصرانية والعصابة الصليبية وجردوا السيوف الحداد وأعلنوا بكلمة الكفر والإلحاد وكفروا برب العباد فلما نظر الحاجب إلى ذلك قال أن الروم قد وصلوا إلينا وقد علموا أن سلطاننا غائب فربما هجموا علينا وأكثر عساكرنا قد توجه إلى الملك ضوء المكان واغتاظ الحاجب ونادى يا عسكر المسلمين وحماة الدين المتين أن هربتم هلكتم وأن صبرتم نصرتم فاعلموا أن الشجاعة صبر ساعة وما ضاق أمر إلا أوجد الله اتساعه بارك الله فيكم ونظر إليكم بعين الرحمة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٢٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الحاجب قال لجيش المسلمين بارك الله عليكم ونظر إليكم بعين الرحمة فعند ذلك كبر المسلمون وصاحب الموحدون ودارت رحى الحرب بالطعن والضرب وعملت الصوارم والرماح وملأ الدم الأودية والبطاح وقسست القسوس والرهبان وشدوا الزنانير ورفعوا الصلبان وأعلن المسلمون بالتكبير للملك الديان وصاحوا بتلاوة القرآن واصطدم حزب الرحمن بحزب الشيطان وطارت الرءوس عن الأبدان وطافت الملائكة الأخيار على أمة النبي المختار ولم يزل السيف يعمل إلى أن ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار وقد أحاطت الكفار بالمسلمين وحسبوا أن ينجوا من العذاب المبين وطمع المشركون في أهل الإيمان إلى أن الكفار بالمسلمين وحسبوا أن ينجوا من العذاب المبين وطمع المشركون في أهل الإيمان إلى أن طلع الفجر وبان فركب الحاجب هو وعسكره ورجا أن الله ينصره واختلطت الأمم بالأمم وقامت الحرب على ساق وقدم وطارت القمم وثبت الشجاع وتقدم وولى الجبان وانهزم وقضى قاضي الموت وحكم حتى تطاوحت الأبطال عن السروج وامتلأت بالأمواج المروج وتأخرت المسلمون عن أماكنها وملكت الروم بعض خيامها ومساكنها وعزم المسلمون على الانكسار والهزيمة والفرار فبينما هم كذلك وإذا بقدوم شركان بعساكر المسلمين ورايات الموحدين فلما أقبل عليهم شركان حمل على الكفار وتبعه ضوء المكان وحمل بعدهما الوزير دندان وكذلك أمير الديلم بهرام ورستم وأخوه تركاش فإنهم لما رأوا ذلك طارت عقولهم وغاب معقولهم وثار الغبار حتى ملأ الأقطار واجتمعت المسلمون الأخيار بأصحابهم الأبرار واجتمع شركان بالحاجب فشكره على صبره وهنأه بتأييده ونصره وفرحت المسلمون وقويت قلوبهم وحملوا على أعدائهم وأخلصوا الله في جهادهم فلما نظر الكفار إلى الرايات المحمدية وعليها كلمة الإخلاص الإسلامية صاحوا

بالويل والثبور واستغاثوا ببطارقة الدير ونادوا يوحنا ومريم والصليب المسخم وانقبضت أيديهم عن القتال وقد أقبل الملك أفريدون على ملك الروم وصار أحدهما إلى الميمنة والآخر في الميسرة وعندهم فارس مشهور يسمى لاويا فوقف وسطاً واصطفوا للنزال وأن كانوا في فزع وزلزال ثم صفت المسلمون عساكرهم فعند ذلك أقبل شركان على أخيه ضوء المكان وقال له يا ملك الزمان لا شك أنهم يردون البراز وهذا غاية مرادنا ولكن أحب أن أقدم من العسكر من له عزم ثابت فإن التدبير نصف المعيشة فقال السلطان ماذا تريد يا صاحب الرأي السديد فقال شركان أريد أن أكون في قلب عسكر الكفار وأن يكون الوزير دندان في الميسرة وأنت في الميمنة وإلا مسهرام في الجناح الأيمن والأمير رستم في الجناح الأيسر وأنت أيها الملك العظيم تكون تحت الإعلاء والرايات لأنك عمادنا وعليك بعد الله اعتمادنا ونحن كلنا نفديك من كل أمر يؤذيك فشكره ضوء المكان على ذلك وارتفع الصياح وجردت الصفاح فبينما هم كذلك وإذا بفارس قد ظهر من عسكر الروم فلما قرب رأوه راكباً على بغلة قطوف تفر بصاحبها من وقع السيوف وبردعتها من أبيض الحرير وعليها سجادة من شغل كشمير وعلى ظهرها شيخ مليح الشيبة ظاهر الهيبة عليه مدرعة من الصوف الأبيض ولم يزل يسرع بها وينهض حتى قرب من عسكر المسلمين وقال أني رسول إليكم أجمعين وما على الرسول إلا البلاغ فأعطوني الأمان والأقالة حتى أبلغكم الرسالة فقال له شركان لك الأمان فلا تخش حرب سيف ولا طن سنان فعند ذلك ترجل الشيخ وقلع الصليب من عنقه بين يدي السلطان وخضع له خضوع راجي الإحسان فقال له المسلمون ما معك من الأخبار فقال أني رسول من عند الملك أفريدون فأني نصحته ليمتنع عن تلف هذه الصور الإنسانية والهياكل الرحمانية وبينت له أن الصواب حقن الدماء والاقتصار على فارسين في الهيجاء فأجابني إلى ذلك وهو يقول لكم أني فديت عسكري بروحي فليفعل ملك المسلمين مثلي ويفدي عسكره بروحه فإن قتلني فلا يبقى لعسكر الكفار ثبات وأن قتلته فلا يبقى لعسكر المسلمين ثبات وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٢٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن رسول الملك أفر يدون لما قال للمسلمين أن قتل ملك المسلمين فلا يبقى لعسكره ثبات فلما سمع شركان هذا الكلام قال يا راهب أنا أجبناه إلى ذلك فإن هذا هو الإنصاف فلا يكون منه خلاف وها أنا أبرز إليه وأحمل عليه فإني فارس المسلمين وهو فارس الكافرين فإن قتلني فاز بالظفر ولا يبقى لعسكر المسلمين غير المفر فارجع إليه أيها الراهب وقل له أن البراز يكون في غد لا نبأ أتينا من سفرنا على تعب في هذا اليوم وبعد الراحة لا عتب ولا لوم فرجع الراهب وهو مسرور حتى وصل إلى الملك أفر يدون وملك الروم وأخبرهما بذلك ففرح الملك أفريدون غاية الفرح وزال عنه الهم والترح وقال في نفسه لا شك أن شركان هذا هو أضر بهم بالسيف وأطعنهم بالسنان فإذا قتلته انكسرت همتهم وضعفت قوتهم وقد كانت ذات الدواهي كاتبت الملك أفريدون بذلك وقالت له أن شركان هو فارس الشجعان وشجاع الفرسان وحذرت افريدون من شركان وكان أفريدون فارساً عظيماً لأنه كان يقاتل بأنواع القتال ويرمي بالحجارة والنبال ويضرب بالعمود الحديد ولا يخشى من البأس الشديد فلما سمع قول الراهب من أن شركان أجاب إلى البراز كاد أن يطير من شدة الفرح لأنه واثق بنفسه ويعلم أنه لا طاقة لأحد به ثم بات

الكفار تلك الليلة في فرح وسرور وشرب خمور فلما كان الصباح أقبلت الفوارس بسمر الرماح وبيض الصفاح وإذا هم بفارس قد برز في الميدان وهو راكب على جواد من الخيل الجياد معد للحرب والجلاد وله قوائم شداد وعلى ذلك الفارس درع من الحديد معد للبأس الشديد وفي صدره مرآة من الجوهر وفي يده صارم أبتر وقنطارية خلنجية من غريب عمل الأفرنج ثم أن الفارس كشف عن وجهه وقال من عرفني فقد أكتفاني ومن لم يعرفني فسوف يراني أنا أفريدون المغمور ببركة شواهي ذات الدواهي فما تم كلامه حتى خرج في وجهه فارس المسلمين شركان وهو راكب على جواد أشقر يساوي الفاً من الذهب الأحمر وعليه عدة مزركشة بالدر والجواهر وهو منقلد بسيف هندي مجوهر يقد الرقاب ويهون الأمور الصعاب ثم ساق جواده بين الصفين والفرسان تنظره بالعين ثم نادى أفريدون وقال له ويلك يا ملعون اتظنني كمن لاقيت من الفرسان ولا يثبت معك في حومة الميدان ثم حمل كل منهما على صاحبه فصارا كأنهما جبلان يصطدمان أو بحران يلتطمان ثم تقاربا وتباعدا والتصقا وافترقا ولم يزالا في كر وفر وهزل وجد وضرب وضعن والجيشان ينظران إليهما وبعضهم يقول أن شركان غالب والبعض يقول أن افريدون غالب ولم يزل الفارسان على هذا الحال حتى بطل القيل والقال وعلا الغبار وولى النهار ومالت الشمس إلى الإصفرار وصاح الملك أفريدون على شركان وقال وحق المسيح والاعتقاد الصحيح ما أنت إلا فارس كرار وبطل مغوار غير أنك غدار وطبعك ما هو إلا طبع الأخيار لأني أرى فعلك غير حميدة وقتالك قتال الصناديد وقومك ينسبونك إلى العبيد وها هم أخرجوا لك غير جوادك وتعود إلى القتال وأني وحق ديني قد أعياني قتالك وأتعبني ضربك وطعانك فإن كنت تريد قتالي في هذه الليلة فلا تغير شيئاً من عدتك ولا جوادك حتى يظهر للفرسان كرمك وقتالك فلما سمع شركان هذا الكلام اغتاظ من قول أصحابه في حقه حيث ينسبونه إلى العبيد فالتفت إليهم شركان وأراد أن يسير غليهم ويأمرهم أن لا يغير واله جواداً ولا عدة وإذا بافريدون هز حربته وأرسلها إلى شركان فالتفت وراءه فلم يجد أحداً فعلم أنها حيلة من الملعون فرد وجهه بسرعة وإذا بالحربة قد أدركته فمال عنها حتى ساوى برأسه قربوس سرجه فجرت الحربة على صدره وكان شركان عالي الصدر فكشطت الحربة جلدة صدره فصاح صيحة واحدة وغاب عن الدنيا ففرح الملعون أفريدون بذلك وعرف أنه قد قتل فصاح على الكفار ونادى بالفرح فهاجت أهل الطغيان وبكت أهل الإيمان فلما رأى ضوء المكان أخاه مائلاً على الجواد حتى كاد أن يقع أرسل نحوه الفرسان فتسابقت إليه الأبطال وأتوا به إليه وحملت الكفار على المسلمين والتفي الجيشان واختلط الصفان وعمل اليماني وكان أسبق الناس على شركان الوزير دندان وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٢٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك ضوء المكان لما رأى اللعين قد ضرب أخاه شـ ركان بالحربـ ـة ظن أنه مات فأرسل إليه الفرسان وكان أسبق الناس إليه الوزير دندان وأمير الترك بهرام وأمير الديلم فلحقوه وقد مال عن جواده فأسندوه ورجعوا به إلى أخيه ضوء المكان ثم أوصوا به الغلمان وعادوا إلـ ـى الحـ ـرب والطعان واشتد النزال وتقصفت النصال وبطل القيل والقال فلا يرى الأدم سائل وعنق مائل ولم يزل السيف يعمل في الأعناق وأشتد الشقاق إلى أن ذهب أكثر الليل وكلت الطائفتان عن القتال فنادوا بالانفصال ورجعت كل طائفة إلى خيامها وتوجه جميع الكفار إلى ملكهم أفريدون وقبلوا الأرض بـ ـين يديـ ـه وهنـ ـأه القسـ ـوس والرهبان بظفره بشركان ثم أن الملك أفريدون دخل القسطنطينية وجلس على كرسي مملكته وأقبل عليه ملك الروم وقال له قوي المسيح ساعدك واستجاب من الأم الصالحة ذات الدواهي ما تدعو بـ ـه لـ ـك واعلـ ـم أن المسلمين ما بقي لهم إقامة بعد شركان فقال أفريدون في غد يكون الانفصال إذا خرجت إلى النزال وطلبـ ـت ضوء المكان وقتلته فإن عسكرهم يولون الأدبار ويركنون إلى الفرار هذا ما كان من أمر الكفار وأما ما كان من أمر عساكر الإسلام فإن ضوء المكان لما رجع إلى الخيام لم يكن له شغل الإباحية فلما دخل عليه وجـ ـده في أسوأ الأحوال واشد الأهوال فدعا بالوزير دندان ورستم وبهرام للمشورة فلما دخلوا عليه اقتضى رأيهـ ـم إحضار الحكماء لعلاج شركان ثم بكوا وقالوا لم يسمح بمثله الزمان وسهروا عنده تلك الليلة وفي آخر الليـ ـل أقبل عليهم الزاهد وهو يبكي فلما رآه ضوء المكان قام إليه فملس بيده على أخيه وتلى شيئاً من القرآن وعوذه بآيات الرحمن ومازال سهراناً عنده إلى الصباح فعند ذلك استفاق شركان وفتح عينيه وأدار لسانه فـ ـي فمـ ـه وتكلم ففرح السلطان ضوء المكان وقال قد حصلت له بركة الزاهد فقال شركان الحمد لله على العافية فـ إنني بخير في هذه الساعة وقد عمل على هذا الملعون حيلة ولولا أني زغت أسرع من البرق لكانت الحربة نفذت من صدري فالحمد لله الذي نجاني وكيف حال المسلمين فقال ضوء المكان هم في بكاء من أجلك فقـ ـال أنـ ـي بخير وعافية وأين الزاهد وهو عند رأسه قاعد فقال له عند رأسك فالتفت إليه وقبل يديه فقال الزاهد يا ولدي عليك بجميل الصبر يعظم الله لك الأجر فإن الأجر على قدر المشقة فقال شركان أدع له فدعا له فلما أصـ ـبح الصباح وبان الفجر ولاح برزت المسلمون إلى ميدان الحرب وتهيأ الكفار للطعن والضرب وتقدمت عسـ ـاكر المسلمين فطلبوا الحرب والكفاح وجردوا السلاح وأراد الملك ضوء المكان وأفريدون أن يحملا على بعضهما وإذا بضوء المكان خرج إلى الميدان وخرج معه الوزير دندان والحاجب وبهرام وقالوا الضوء المكان نحـ ـن فداك فقال لهم وحق البيت الحرام وزمزم والمقام لا أقعد عن الخروج إلى هؤلاء العلوج فلما صار في الميدان لعب بالصيف والسنان حتى أذهل الفرسان وتعجب الفريقان وحمل في الميمنة فقتل منهـ ـا بطـ ـريقين وفـ ـي الميسرة فقتل منها بطريقين ونادى في وسط الميدان أين أفريدون حتى أذيقه عذاب الهوان فأراد الملعـ ـون أن يولي وهو مغبون فأقسم عليه ضوء المكان أن لا يبرح من الميدان وقال له يا ملك بالأمس كان قتـ ـال أخـ ـي واليوم قتالي وأنا بشجاعتك لا أبالي ثم خرج وبيده صارم وتحته حصان كأنه عنتر في حومة الميدان وذلـ ـك الحصان أدهم مغاير كما قال فيه الشاعر:

قـ ـد سـ ـابق الطـ ـرف بطـ ـرف سـ ـابق كأنـ . . . ـه يريـ . . . ـد أدراك القـ . . . ـدر

دهمتـ . .ـه تبـ . .ـدي سـ . .ـواداً حالكـ . .ـاً كأنهـ . .ـا ليـ . .ـل إذا الليـ . .ـل عكـ . .ـر
صـ . .ـهيله يـ . .ـزعج مـ . .ـن يسـ . .ـمعه كأنـ . .ـه الرعـ . .ـد إذا الرعـ . .ـد زجـ . .ـر
لـ ـو سـ ـابق الـ ـريح جـ ـرى مـ ـن قبلها ـا والبـ . .ـرق لا يسـ . .ـبقه إذا ظهـ . .ـر

ثم حمل كل منهما على صاحبه واحترس من مضاربه وأظهر ما في بطنه من عجائبه وأخذاً في الكـ ـر والفر حتى ضاقت الصدور وقل الصبر للمقدور وصاح ضوء المكان وهجم على ملك القسطنطينية أفريـ دون وضربه ضربة أطاح به رأسه وقطع أنفاسه فلما نظرت الكفار إلى ذلك حملوا جميعاً عليه وتوجهوا بكليـ تهم إليه فقابلهم في حومة المبدأ واستمر الضرب والطعان حتى سال الدم بالجريان وضـ ـج المسـ لمون بـ ـالتكبير والتهليل والصلاة على البشير النذير وقاتلوا قتالاً شديداً وأنزل الله النصر علـ ـى المـ ؤمنين والخـ زي علـ ـى الكافرين وصاح الوزير دندان خذوا بثار الملك عمر النعمان وثار ولده شركان وكشف برأسه وصاح بـ ـالأتراك وكان بجانبه أكثر من عشرين ألف فارس فحملوا معه حملة واحدة فلم يجد الكفار لأنفسهم غير الفـ ـرار وتولى الأدبار وعمل فيهم الصارم البتار فقتل منهم نحو خمسين ألف فارس وأسروا ما يزيد على ذلك وقتـ ـل عند دخول الباب خلق كثير من شدة الزحام ثم أغلقوا الباب وطلعوا فوق الأسوار وخـ ـافوا خـ ـوف العـ ـذاب وعادت طوائف المسلمين مؤيدين منصورين وأتوا خيامهم ودخل ضوء المكان على أخيه فوجده فـ ـي أسـ ـر الأحوال فسجد وشكر الكريم المتعال ثم أقبل عليه وهنأه بالسلامة فقال له شركان إننا كلنا في بركه هذا الزاهد الأواب وما انتصرنا إلا بدعائه المستجاب فإنه لم يزل اليوم قاعداً يدعو للمسلمين بالنصـ ـر وأدرك شـ ـهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٢٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك ضوء المكان لما دخل على أخيه شركان وجده جالساً والعابـ ـد عنده ففرح وأقبل عليه وهنأه بالسلامة فقال أن شركان قال أننا كلنا في بركة هذه الزاهد ومـ ـا انتصـ ـرتم إلا بدعائه لكم فإنه ما برح اليوم يدعو للمسلمين وكنت وجدت في نفسي قوة حين سمعت تكبيركم فعلمـ ـت أنكـ ـم منصورون على أعدائكم فاحك لي يا أخي ما وقع لك فحكى له جميع ما وقع له مع الملعون أفريدون وأخبره أنه قتله وراح إلى لعنة الله فأثنى عليه وشكر مبعاه فلما سمعت ذات الدواهي وهي صفة الزاهد بقتل ولـ ـدها أفريدون أنقلب لونها بالإصفرار وتغرغرت عيناها بالدموع الغزار ولكنها أخفت ذلك وأظهرت للمسلمين أنها فرحت وأنها تبكي من شدة الفرح ثم أنها قالت في نفسها وحق المسيح ما بقي في حياتي فائدة أن لم أحـ ـرق قلبه على أخيه شركان كما أحرق قلبي على عماد الملة النصرانية والعبادة الصليبية الملك أفريـ دون ولكنهـ ـا كفت ما بها ثم أن الوزير دندان والملك شركان والحاجب استمروا جالسين عند شركان حتى عملوا له اللـ ـزق والأدهان وأعطوه الدواء فتوجهت إليه العافية وفرحوا بذلك فرحاً شديداً وأعلموا به العساكر فتباشر المسلمون وقالوا في غد يركب معنا ويباشر الحصار ثم أن شركان قال لهم أنكم قاتلتم اليوم وتعبتم من القتال فينبغي أن تتوجهوا إلى أماكنكم وتناموا ولا تسهروا فأجابوه إلى ذلك وتوجه كل منهم إلى سرادقه وما بقى عند شركان سوى قليل من الغلمان والعجوز ذات الدواهي فتحدث معها قليلاً من الليل ثم اضطجع لينام وكـ ـذلك الغلمـ ـان فلما غلب عليهم النوم صاروا مثل الأموات هذا ما كان من أمر شركان وغلمانه (وأما) ما كـ ـان مـ ـن أمـ ـر

العجوز ذات الدواهي فإنها بعد نومهم صارت يقظانة وحدها في الخيمة ونظرت إلى شركان فوجدته مستغرقاً في النوم فوثبت على قدميها كأنها دبة معطاء أو آفة غطاء وأخرجت من وسطها خنجراً مسموماً لو وضع على صخرة لأذابها ثم جردته من غمده وأتت عند رأس شركان وجردته على رقبته فذبحته وأزالت رأسه عن جسده ثم وثبت على قدميها وأتت إلى الغلمان النيام وقطعت رؤوسهم لئلا ينتبهوا ثم خرجت من الخيمة وأتت إلى خيام السلطان فوجدت الحراس غير نائمين فمالت إلى خيمة الوزير دندان فوجدته يقرأ القرآن فوقعت عينه عليها فقال مرحباً بالزاهد العابد فلما سمعت ذلك من الوزير ارتجف قلبها وقالت له أن سبب مجيئي إلى هنا في هذا الوقت أني سمعت صوت ولى من أولياء الله وأنا ذاهب إليه ثم ولت فقال الوزير دندان في نفسه والله لاتبع هذا الزاهد في هذه الليلة فقام ومشى خلفها فلما أحست الملعونة بمشيه عرفت أنه وراءها فخشيت أن تفتضح وقالت في نفسها إن لم أخدعه بحيلة فإني أفتضح فأقبلت إليه وقالت أيها الوزير أني سائر خلف هذا الولي لاعرفه وبعد أن أعرفه استأذنه في مجيئك إليه وأقبل عليك وأخبرك لأني أخاف أن تذهب معي بغير استئذان الولي فيحصل له نفرة مني إذا رآك معي فلما سمع الوزير كلامها استحى أن يرد عليها جواباً فتركها ورجع إلى خيمته وأراد أن ينام فما طاب له منام وكادت الدنيا أن تنطبق عليه فقام وخرج من خيمته وقال في نفسه أنا أمضي إلى شركان وأتحدث معه إلى الصباح فسار إلى أن دخل خيمة شركان فوجد الدم سائلاً منه كالقناة ونظر الغلمان مذبوحين فصاح صيحة أزعجت كل من كان ناعساً فتسارعت الخلق إليه فرأوا الدم سائلاً فضجوا بالبكاء والنحيب فعند ذلك استيقظ السلطان ضوء المكان وسأل عن الخبر فقيل له أن شركان أخاك والغلمان مقتولون فقام مسرعاً إلى أن دخل الخيمة فوجد الوزير دندان يصيح ووجد جثة أخيه بلا رأس فغاب عن الدنيا وصاحت كل العساكر وبكوا وداروا حول ضوء المكان ساعة حتى استفاق ثم نظر إلى شركان وبكى بكاء شديداً وفعل مثله الوزير ورستم وبهرام وأما الحاجب فإنه صاح وأكثر من النواح ثم طلب الارتحال لما به من الأوحال فقال الملك أما علمتم بالذي فعل بأخي هذه الفعال ومالي لا أرى الزاهد الذي عن متاع الدنيا متباعد فقال الوزير ومن جلب هذه الأحزان إلا هذا الزاهد الشيطان فو الله أن قلبي نفر منه في الأول والآخر لأنني أعرف أن كل متنطع في الدين خبيث ماكر ثم أن الناس ضجوا بالبكاء والنحيب وتضرعوا إلى القريب المجيب أن يوقع في أيديهم ذلك الزاهد الذي هو لآيات الله جاحد ثم جهزوا شركان ودفنوه في الجبل المذكور وحزنوا على فضله المشهور وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٢٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملعونة لما فرغت من الداهية التي عملتها والمخازى التي لنفسها أبدتها أخذت دواة وقرطاساً وكتبت فيه من عند شواهي ذات الدواهي إلى حضرة المسلمين اعلموا أني دخلت بلادكم وغششت بلؤمي كرامكم وقتلت سابقاً منكم عمر النعمان في وسط قصره وقتلت أيضاً في واقعة الشعب والمغارة رجالاً كثيرة وآخر من قتلته بمكري ودهائي وغدري شركان وغلمانه ولو ساعدني الزمان وطاوعني الشيطان كنت قتلت السلطان والوزير دندان وأنا الذي أتيت إليكم في زي الزاهد وانطلت عليكم مني الحيل والمكايد فإن شئتم سلامتكم بعد ذلك فأرحلوا وأن شئتم هلاك أنفسكم فعن الإقامة لا تعدلوا فلو

أقمتم سنين وأعواماً لا تبلغون منا مراماً وبعد أن كتبت الكتاب أقامت في حزنها على الملك أفريدون ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع دعت بطريقاً وأمرته أن يأخذ الورقة ويضعها في سهم ويرميها إلى المسلمين ثم دخلت الكنيسة صارت تندب وتبكي على فقد أفريدون وقالت لمن تسلطن بعده لابد أن أقتل ضوء المكان وجميع أمراء الإسلام هذا ما كان من أمرها (وأما) ما كان من أمر المسلمين فإنهم أقاموا ثلاثة أيام في هم واغتمام وفي اليوم الرابع نظروا إلى ناحية السور وإذا ببطريق معه سهم نشاب وفي طرفه كتاب فصبروا عليه حتى رماه إليهم فأمر السلطان الوزير دندان أن يقرأه فلما قرأه وسمع ما فيه وعرف معناه هملت بالدموع عيناه وصاح وتضجر من مكرها وقال الوزير والله لقد كان قلبي نافراً منها فقال السلطان وهذه العاهرة كيف عملت علينا الحيلة مرتين ولكن والله لا أحول من هنا حتى املأ فرجها بمسبح الرصاص وأصحنها سجن الطير في الأقفاص وبعد ذلك أصلبها من شعرها على باقي القسطنطينية ثم تذكر أخاه فبكى بكاء شديداً ثم أن الكفار لما توجهت لهم ذات الدواهي وأخبرتهم بما حصل فرحوا بقتل شركان وسلامة ذات الدواهي ثم أن المسلمين رجعوا على باب القسطنطينية ووعدهم السلطان أنه أن فتح المدينة فرق أموالها عليهم بالسوية هذا والسلطان لم تخف دموعه حزناً على أخيه واعترى جسمه الهزال حتى صار كالخلال فدخل عليه الوزير دندان وقال له طب نفساً وقر عيناً فإن أخاك ما مات إلا بأجله وليس في هذا الحزن فائدة وما أحسن قول الشاعر:

ما لا يكون فلا يكون بحيلة ... أبداً وما هو كائن سيكون

سيكون ما هو كائن في وقته ... وأخو الجهالة دائماً مغبون

فدع البكاء والنوح وقو قلبك لحمل السلاح فقال يا وزير إن قلبي مهموم من أجل موت أبي وأخي ومن أجل غيابنا عن بلادنا فإن خاطري مشغول برعيتي فبكى الوزير هو والحاضرون وما زالوا مقيمين على حصار القسطنطينية مدة من الزمان فبينما هم كذلك وإذا بالأخبار وردت عليهم من بغداد صحبة أمير من أمرائه مضمونها أن زوجة الملك ضوء المكان رزقت ولداً وسمته نزهة الزمان أخت الملك كان ما كان ولكن هذا الغلام سيكون له شأن بسبب ما رأوه من العجائب والغرائب وقد أمرت العلماء والخطباء أن يدعوا لكم على المنابر ودبر كل صلاة وأننا طيبون بخير والأمطار كثيرة وأن صاحبك الوقاد في غاية النعمة الجزيلة وعنده الخدم والغلمان ولكنه إلى الآن لم يعلم بما جرى لك والسلام فقال له ضوء المكان اشتد ظهري حيث رزقت ولداً اسمه كتان ما كان وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٢٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك قال للوزير دندان أني أريد أن أترك هذا الحزن وأعمل لأخي ختمات وأموراً من الخيرات فقال الوزير نعم ما أردت ثم أمر بنصب الخيام على قبر أخيه فنصبوها وجمعوا من العسكر من يقرأ القرآن فصار بعضهم يقرأ وبعضهم يذكر الله إلى الصباح ثم أنهم انصرفوا إلى الخيام وأقبل السلطان على الوزير دندان وأخذا يتشاوران في أمر القتال واستمرا على ذلك أياماً وليالي وضوء المكان يتضجر من الهم والأحزان ثم قال أني اشتهي سماع أخبار الناس وأحاديث الملوك وحكايات المتيمين لعل الله يفرج ما بقلبي من الهم الشديد ويذهب عني البكاء والعديد فقال الوزير أن كان ما يفرج همك الأسماع قصص الملوك من نوادر الأخبار وحكايات المتقدمين من المتيمين وغيرهم فإن هذا أمر سهل لأنني لم يكن

لي شغل في حياة المرحوم والدك إلا بالحكايات والأشعار وفي هذه الليلة أحدثك بخبر العاشق والمعشوق لأجل أن ينشرح صدرك فلما سمع ضوء المكان كلام الوزير دندان تعلق قلبه بما وعده به ولم يبق له اشتغال إلا انتظار مجيء الليل لأجل أن يسمع ما يحكيه الوزير دندان من أخبار المتقدمين من الملوك والمتيمين فما صدق أن الليل أقبل حتى أمر بإيقاد الشموع والقناديل وإحضار ما يحتاجون إليه من الأكل والشرب وآلات البخور فأحضروا له جميع ذلك ثم أرسل إلى الوزير دندان فحضر وأرسل إلى بهرام رستم وتركاش والحاجب الكبير فحضروا فلما حضروا جميعهم بين يديه التفت إلى الوزير دندان وقال له اعلم أيها الوزير أن الليل قد أقبل وأسدل جلابيبه علينا وأسبل ونريد أن تحكي لنا ما وعدتنا من الحكايات فقال الوزير حباً وكرامة. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٢٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك ضوء المكان لما حضر الوزير والحاجب ورستم وبهرام التفت إلى الوزير دندان وقال إعلم أيها الوزير أن الليل قد أقبل وسدل جلابيبه علينا وأسبل ونريد أن تحكي لنا ما وعدتنا به من الحكايات فقال الوزير حبا وكرامة.

(حكاية العاشق والمعشوق)

إعلم أيها الملك السعيد إنه كان في سالف الزمان مدينة وراء جبال أصبهان يقال لها المدينة الخضراء وكان بها ملك يقال له الملك سليمان وكان صاحب جود وإحسان وعدل وأمان وفل وإمتنان وسارت إليه الركبان من كل مكان وشاع ذكره في سائر الأقطار والبلدان وأقام في المملكة مدة مديدة من الزمان وهو في عز وأمان إلا أنه كان خالياً من الأولاد والزوجات وكان له وزير يقاربه في الصفات من الجود والهبات فاتفق أنه أرسل إلى وزيره يوماً من الأيام وأحضره بين يديه وقال له يا وزير أنه ضاق صدري وعيل صبري وضعف مني الجلد لكوني بلا زوجة ولا ولد وما هذا سبيل الملوك الحكام على كل أمير وصعلوك فإنهم يفرحون بخلفة الأولاد وتتضاعف لهم بهم العدد والأعداد وقد قال النبي ﷺ تناكحوا تناسلوا فإني مباه بكم الأمم يوم القيامة فما عندك من الرأي يا وزير فأشر علي بما فيه النصح من التدبير فلما سمع الوزير ذلك الكلام فاضت الدموع من عينيه بالأنسجام وقال هيهات يا ملك الزمان أن أتكلم فيما هو من خصائص الرحمن أتريد أن أدخل النار بسخط الملك الجبار فقال له الملك اعلم أيها الوزير أن الملك إذا اشترى جارية لا يعلم حسبها ولا يعرف نسبها فهو لا يدري خساسة أصلها حتى يجتنبها ولا شرف عنصرها حتى يتسرى بها أفضى إليها ربما حملت منه فيجيء الولد منافقاً ظالماً سفاكاً للدماء ويكون مثلها مثل الأرض السخبة إذا زرع فيها زرع فإنه يخبث نباته ولا يحسن ثباته وقد يكون ذلك الولد متعرضاً لسخط مولاه ولا يفعل ما أمره به ولا يجتنب ما عنه نهاه فأنا لا أسبب في هذا بشراء جارية أبداً وأنما مرادي أن تخطب لي بنتاً من بنات الملوك يكون نسبها معروفاً وجمالها موصوفاً فإن دلتني على ذات النسب والدين من بنات ملوك المسلمين فإني أخبطها وأتزوج بها على رؤوس الأشهاد ليحصل لي بذلك رضا رب العباد فقال له الوزير أن الله قضى حاجتك وبلغك أمنيتك فقال له وكيف ذلك فقال له اعلم أيها الملك أنه بلغني أن الملك زهر شاه صاحب الأرض البيضاء له بنت بارعة في الجمال يعجز عن وصفها القيل والقال ولم يوجد لها في هذا الزمان مثيل

لأنها في غاية الكمال قويمة الاعتدال ذات طرف كحيل وشعر طويل وخصر بحيل وردف ثقيـ ل إن أقبلـ ت فتنت وأن أدبرت قتلت تأخذ القلب والناظر كما قال فيها الشاعر:

هيف ـاء تخجـ ـل غصـ ـن البـ ـان قامتهـ ـا ... لـ ـم يحـ ـك طلعتهـ ـا شـ ـمس ولا قمـ ـر
كأنمـ ـا ريقهـ ـا شـ ـهد وقـ ـد مزجـ ـت ... بـ ـ ـه المدام ـ ـة لكـ ـ ـن ثغرهـ ـ ـا درر
ممشوقة القـ ـد مـ ـن حـ ـور الجنـ ـان لهـ ـا ... وجـ ـ ـه جميـ ـل وي ألحاظهـ ـ ـا حـ ـ ـور
وكم لهـ ـا مـ ـن قتيـ ـل مـ ـات مـ ـن كمـ ـد ... وفي طريـ ـق هواهـ ـا الخـ ـوف والخطـ ـر
إن عشت فهي المنى مـ ـا شـ ـئت أذكرهـ ـا ... أو مت مـ ـن دونهـ ـا لـ ـم يجـ ـدني العمـ ـر

فلما فرغ الوزير من وصف تلك الجارية قال للملك سليمان شاه الرأي عندي أيها الملك أن يرسل إلـ ـى أبيها رسولاً فطناً خبيراً بالأمور مجرباً لتصاريف الدهور ليتلطف في خطتها لك من أبيها ظنها لا نظير لهـ ـا في قاصي الأرض ودانيها ونحظي منها بالوجه الجميل ويرضى فيك الرب الجليل فقد ورد عن النبي ﷺ أنـ ـه قال لا رهبانية في الإسلام فعند ذلك توجه إلى الملك كمال الفرح وأتسع صدره وانشرح وزال عنه الهم والغم ثم أقبل على الوزير وقال اعلم أيها الوزير انه لا يتوجه لهذا الأمر إلا أنت لكمال عقلك وأدبك فقم إلى منزلك وأقض أشغالك وتجهز في غد واخطب لي هذه البنت التي أشغلت بها خاطري ولا تعد لي إلا بها فقال سـ ـمعاً وطاعة ثم إن الوزير توجه إلى منزله واستدعي الهدايا التي تصلح للملوك من ثمين الجواهر ونفيس الـ ـذخائر وغير ذكل مما هو خفيف في الحمل ونقيل في الثمن ومن الخيل العربية والدروع الداودية وصناديق المـ ـال التي يعجز عن وصفها المقال ثم حملوها على البغال والجمال وتوجه الوزير ومعه مائة مملوك ومائة جارية وانتشرت على رأسه الرايات والأعلام وأوصاه الملك أن يأتي إليه في مدة قليلة من الأيام وبعد توجهه صار الملك سليمان شاه على مقالي البار مشغولاً بحبها في الليل والنهار وسار الوزير لـ ـيلاً ونهـ ـاراً يطـ ـوي براري وأقفار حتى بقي بينه وبين المدينة التي هو متوجه إليها يوم واحد ثم نزل على شاطيء نهر وأحضر بعـ ـض خواصه وأمره أن يتوجه إلى الملك زهرشاه بسرعة ويخبره بقدومه عليه فقال سمعاً وطاعة ثم توجه بسرعة إلى تلك المدينة فلما قدم عليها وافق قدومه أن الملك زهر شاه كان جالساً في بعض المنتزهـ ـات قـ ـدام بـ ـاب المدينة فرآه وهو داخل وعرف أنه غريب فأمر بإحضاره بين يديه فلما حضر الرسول أخبره بقـ ـدوم وزيـ ـر الملك الأعظم سليمان شاه صاحب الأرض الخضراء وجبال أصفهان ففرح الملك زهر شاه ورحب بالرسول وأخذه وتوجه إلى قصره وقال أين فارقت الوزير فقال فارقته على شاطيء النهر الفلاني وفـ ـي غـ ـد يكـ ـون واصلاً إليك وقادماً عليك أدام الله نعمته عليك ورحم والديك فأمر زهر شاه بعض وزرائه أن يأخـ ـذ معظـ ـم خواصه وحجابه ونوابه وأرباب دولته ويخرج بهم إلى مقابلته تعظيماً للملك سليمان شاه لأن حكمه نافذ فـ ـي الأرض هذا ما كان من أمر الملك زهر شاه (وأما) ما كان من أمر الوزير فإنه استقر في مكانه إلى نصـ ـف الليل ثم رحل متوجهاً إلى المدينة فلما لاح الصباح وأشرقت الشمس على الروابي والبطـ ـاح لـ ـم يشـ ـعر إلا ووزير الملك زهر شاه وحجابه وأرباب دولته وخواص مملكته قدموا عليه واجتمعوا به على فراسـ ـخ مـ ـن المدينة فأيقن الوزير بقضاء حاجته وسلم على الذين قابلوه ولم يزالوا سائرين قدامه حتى وصلوا إلى قصـ ـر الملك ودخلوا بين يديه في باب القصر إلى سابع دهليز وهو المكان الذي لا يدخله الراكب لأنه قريـ ـب مـ ـن

الملك فترجل الوزير وسعي على قدميه حتى وصل إلى إيوان عال وفي صدر ذلك الأيوان سرير من المرمر مرصع بالدر والجوهر وله أربعة قوائم من أنياب الفيل وعلى ذلك السرير مرتبة مـ ن الأطلـ س الأخضـ ر مطرزة بالذهب الأحمر ومن فوقها سرادق بالدر والجوهر والملك زهر شاه جالس على ذلك السرير وأرباب دولته وأقفون في خدمته فلما دخل الوزير عليه وصار بين يديه ثبت جنانه وأطلق لسـ انه وأبـ دى فصـ احة الوزراء وتكلم بكلام البلغاء وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٣٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن وزير الملك سليمان شاه لما دخل على الملك زهر شاه قربـ ه الملـ ك زهر شاه وأكرمه غاية الأكرام وأجلسه بجانبه وتبسم في وجهه وشرفه بلطيف الكلام ولم يزالا على ذلك إلى وقت الصباح ثم قدموا السماط في ذلك الأيوان فأكلوا جميعاً حتى اكتفوا ثم رفع السماط وخرج كل من فـ ي المجلس ولم يبق إلا الخواص فلما رأى الوزير خلو المكان نهض قائماً على قدميه وأثنى على الملـ ك وقبـ ل الأرض بين يديه ثم قال أيها الملك الكبير والسيد الخطير إني سعيت إليك وقدمت عليك في أمـ ر لـ ك فيـ ه الصلاح والخير والفلاح وهو أني قد أتيتك رسولاً خاطباً وفي بنتك الحسيبة النسيبة راغباً مـ ن عنـ د الملـ ك سليمان شاه صاحب العدل والأمان والفضل والإحسان ملك الأرض الخضراء وجبال أصفهان وقد أرسل إليك الهدايا الكثيرة والتحف الغزيرة وهو في مصاهرتك راغب فهل أنت له كذلك طالب ثم أنـ ه سـ كت ينتظـ ر الجواب فلما سمع الملك زهر شاه ذلك الكلام نهض قائماً علـ ى الإقـ دام ولـ ثم الأرض باحتشـ ام فتعجـ ب الحاضرون من خضوع الملك للرسول واندهشت منهم العقول ثم أن الملك أثنى على ذي الجـ لال والإكـ رام وقال وهو في حالة القيام أيها الوزير المعظم والسيد المكرم أسمع ما أقول أننا للملك سليمان شاه مـ ن جملـ ة رعاياه ونتشرف بنسبه ونتنافس فيه وأبنتي جارية من جملة جواريه وهذا أجل مرادي ليكون ذخري واعتمادي ثم أنه أحضر القضاء والشهود وشهدوا أن الملك سليمان شاه وكل وزيره في الزواج وتولى الملك زهر شـ اه عقد ابنته بابتهاج ثم أن القضاء أحكموا عقد النكاح ودعوا لهما بالفوز والنجاح فعند ذلك قام الوزير وأحضـ ر ما جاء به من الهدايا ونفائس التحف والعطايا وقدم الجميع للملك زهر شاه ثم أن الملك أخذ في تجهيز ابنتـ ه وأكرام الوزير وعم بولائمه العظيم والحقير واستمر في إقامة الفرح مدة شهرين ولم يترك فيه شيئاً مما يسر القلب والعين ولما تم ما تحتاج غليه العروس أمر الملك بإخراج الخيام فضربت بظاهر المدينة وعبوا القماش في الصناديق وهيئوا الجواري الروميات والوصائف التركيات وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٣١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد ثم أنهم أحضروا الوصائف التركيات وأصحب العروسة بنفيس الـ ذخائر وثمين الجواهر ثم صنع محفة من الذهب الأحمر مرصعة بالدر والجوهر وأفرد لها عشـ ر بغـ ال للمسـ ير وصارت تلك المحفة كأنها مقصورة من المقاصير وصاحبتها كأنها حوراء من الحور الحسان وخدرها كقصر من قصور الجنان ثم حزموا الذخائر والأموال وحملوها على البغال والجمال وتوجه الملك زهر شـ اه معهـ م

قدر ثلاثة فراسخ ثم ودع ابنته وودع الوزير ومن معه ورجع إلى الأوطان في فرح وأمان وتوجه الوزير بأبنة الملك وسار ولم يزل يطوى المراحل والقفار. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٣٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير توجه بأبنة الملك وسار ولم يزل يطوى لمراحل والقفار ويجد السير في الليل والنهار حتى بقي بينه وبين بلاده ثلاثة أيام ثم أرسل إلى الملك سليمان شاه من يخبره بقدوم العروسة فأسرع الرسول بالسير حتى وصل إلى الملك وأخبره بقدوم العروسة ففرح الملك سليمان شاه وخلع على الرسول وأمر عساكره أن يخرجوا في موكب عظيم إلى ملاقاة العروسة ومن معها بالتكريم وأن يكونوا في أحسن البهجات وأن ينشروا على رؤوسهم الرايات فامتثلوا أمره ونادى المنادي أنه لا تبقى بنت مخدرة ولا حرة موقرة ولا عجوز مكسرة إلا وتخرج إلى لقاء العروسة فخرجوا جميعاً إلى لقاءها وسعت كبراؤهم في خدمتها وأتفقوا على أن يتوجهوا بها في الليل إلى قصر الملك وأتفق أرباب الدولة على أن يزينوا الطريق وأن يقفوا حتى تمر بهم العروسة والخدم قدامها والجواري بين يديها وعليها الخلعة التي أعطاها لها أبوها فلما أقبلت أحاط بها العسكر ذات اليمين وذات الشمال ولم تزل المحفة سائرة بها إلى أن قربت من القصر ولم يبق أحد إلا وقد خرج ليتفرج عليها وصارت الطبول ضاربة والرماح لاعبة والبوقات صائحة وروائح الطيب فاتحة والرايات خافقة والخيل متسابقة حتى وصلوا إلى باب القصر وتقدمت الغلمان بالمحفة إلى باب السر فأضاء المكان ببهجتها وأشرقت جهاته بحلي زينتها فلما أقبل الليل فتح الخدم أبواب السرادق ووقفوا وهم محيطون بالباب ثم جاءت العروسة وهي بين الجواري كالقمر بين النجوم أو الدرة الفريدة بين اللؤلؤ المنظوم ثم دخلت المقصورة وقد نصبوا لها سرير من المرمر مرصع بالدر والجوهر فجلست عليه ودخل عليها الملك وأوقع الله محبتها في قلبه فأزال بكارتها وزال ما كان عنده من القلق والسهر وأقام عندها نحو شهر فعلقت منه في أول ليلة وبعد تمام الشهر خرج وجلس على سرير مملكته وعدل في رعيته إلى أن وفت أشهرها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٣٣)

قالت بلغني أن الملك عندما جلس على سرير مملكته إلى أن وفت أشهرها وفي آخر ليلة الشهر التاسع جاءها المخاض عند السحر فجلست على كرسي الطلق وهون الله عليها الولادة فوضعت غلاماً ذكراً تلوح عليه علامات السعادة فلما سمع الملك بالولد فرح فرحاً جليلاً وأعطى المبشر مالاً جزيلاً ومن فرحته توجه إلى الغلام وقبله بين عينيه وتعجب من جماله الباهر وتحقق فيه قول الشاعر:

الله خ . .ول منـ . .ه آجـ . .ام العـ . .لا | أسـ . .داً وأفـ . .اق الرياسـ . .ة كوكبـ . .اً
هشـ . ت لمطلعـ . ه الأسـ . نة والأسـ . ره | والمحافـ . . ل والجحافـ . . ل والظبـ . . ى
لا تركبـ . وه علـ . ى النهـ . ود فإنـ . ـه | ليـ .رى ظهـ .ور الخيـ .ل أوطـ .أ مركبـ .ا
ولتفطمـ . وه عـ . ن الرضـ . اع فإنـ . ـه | ليـ . رى دم الأعـ . داء أحلـ . ى مشـ . ربا

ثم أن الدايات أخذن ذلك المولود وقطعن سرته وكحلى مثلته ثم سموه تاج الملوك خازان وأرتضع ثدي الدلال وتربى في حجر الأقبال ولازالت الأيام تجري والأعوام تمضي حتى صار له من العمر سبع سنين

فمنذ ذلك أحضر الملك سليمان شاه العلماء والحكماء وأمرهم أن يعلموا ولده الخط والحكمة والأدب فمكث وا على ذلك مدة سنين حتى تعلم ما يحتاج إليه الأمر فلما عرف جميع ما طلبه منه الملك أحضر ره م ن عن د الفقهاء والمعلمين وأحضر له أستاذاً يعلمه الفروسية فلم يزل يعلمه حتى صار له من العمر أربعة عشر س نة وكان إذا خرج لبعض أشغاله يفتتن به كل من رآه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٣٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن تاج الملوك خاران بن الملك سليمان شاه لما مهر في الفروسية وف اق أهل زمانه صار من فرط جماله إذا خرج إلى بعض أشغاله يفتتن به كل من رآه حتى نظموا في ه الأش عار وتهتكت في محبته الأحرار لما حوى من الجمال الباهر كما قال فيه الشاعر:

عانقت .ه فس .كرت م .ن طي .ب الش .ذا ... غصـ .ناً طيب .اً بالنس .يم ق .د اغت .ذى

س .كران م .ا ش .رب الم .دام وإنم .ا ... أمس .ى بخم .ر رض .ا ب .ه متنب .ذا

أض .حى الجم .ال بأس .ره ف .ي أس .ره ... فلاج .ل ذل .ك عل .ى القل .وب اس .تحوذا

والله م . ا خط . ر الس . لو بخ . اطري ... مادم . ت ف . ي قي . د الحي . اة ولا إذا

أن عشت عشت عل ى ه واه وأن م ت ... وج . دا ب . ه وص . بابة ي . ا حب . ذا

فلما بلغ من العمر ثمانية عشر عاماً وبلغ مبلغ الرجال زاد به الجمال ثم صار لتاج المل وك خ اران أصحاب وأحباب وكل من تقرب إليه يرجوا إنه يصير سلطاناً بعد موت أبيه وأن يكون عنده أميراً ث م أن ه تعلق بالصيد والقنص وصار لم يفتر عنه ساعة واحدة وكان والده الملك سليمان شاه ينهاه عن ذل ك مخاف ة عليه من آفات البر والوحوش فلم يقبل منه ذلك أتفق أنه قال لخدامه خذوا معكم عليق عشرة أيام فامتثلوا م ا أمرهم به فلما خرج بإتباعه للصيد والقنص وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٣٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن تاج الملوك لما أمر خدامه بالخروج وساروا في الب ر ول م يزال وا سائرين أربعة أيام حتى أشرفوا على أرض خضراء قرأوا فيها وحوشاً راتعة وأشجاراً يانعة وعيون اً نابع ة فقال تاج الملوك لاتباعه انصبوا الحبائل هنا وأوسعوا دائرة حلقتها ويكون اجتماعنا عن د رأس الحلق ة ف ي المكان الفلاني فامتثلوا أمره ونصبوا الحبائل وأوسعوا دائرة حلقتها فاجتمع فيها شيء كثي ر م ن أص ناف الوحوش والغزلان إلى أن ضجت منهم الوحوش وتنافرت في وجوه الخيل فأغرى عليها الك لاب والفه ود والصقور ثم ضربوا الوحوش بالنشاب فأصابوا مقاتل الوحوش وما وصلوا إلى آخر الحلقة إلا وقد أخذوا من الوحوش شيئاً كثيراً وهرب الباقي وبعد ذلك نزل تاج الملوك على الماء وأحضر الصيد وقسمه وأفرد لأبي ه سليمان شاه خاص الوحوش وأرسله إليه وفرق البعض على أرباب دولته وبات تلك الليلة في ذلك المكان فلما أصبح الصباح أقبلت عليهم قافلة كبيرة مشتملة على عبيد وغلمان وتجار فنزلت تل ك القافل ة عل ى الم اء والخضرة فلما رآهم تاج الملوك قال لبعض أصحابه ائتني بخبر هؤلاء وأسألهم لأي شيء نزل وا ف ي ه ذا المكان فلما توجه إليهم الرسول قال لهم أخبرونا من أنتم وأسرعوا في رد الجواب فقالوا له نحن تجار ونزلنا هنا لأجل الراحة لأن المنزل يعيد علينا وقد نزلنا في هذا المكان لأننا مطمئنون بالملك سليمان ش اه ول ده

ونعلم أن كل من نزل عنده صار في أمان واطمئنان ومعنا قماش نفيس جئنا به من أجل ولده تاج الملوك فرجع الرسول إلى ابن الملك وأعلمه بحقيقة الحال وأخبره بما سمعه من التجار فقال ابن الملك إذا كان معهم شيء جاءوا به من أجلي فما أدخل المدينة ولا أرحل من هذا المكان حتى استعرضه ثم ركب جواده وسار وسارت مماليكه خلفه إلى أن أشرف على القافلة فقام له التجار ودعوا له بالنصر والأقبال ودوام العز والأفضال وقد ضربت له خيمة من الأطلس الأحمر مزركشة من الدر والجوهر وفرشوا له مقعداً سلطانياً فوق بساط من الحرير وصدره مزركش بالزمرد فجلس تاج الملوك ووقفت المماليك في خدمته وأرسل إلى التجار وأمرهم أن يحضروا بجميع ما معهم فأقبلت عليه التجار ببضائعهم فاستعرض جميع بضائعهم وأخذ منها ما يصلح له ووفى لهم بالثمن ثم ركب وأراد أن يسير فلاحت منه التفاته إلى القافلة فرأى شاباً جميل الشباب نظيف الثياب ظريف المعاني بجبين أزهر ووجه أقمر إلا أن ذلك الشاب قد تغيرت محاسنه وعلاه الأصفرار من فرقة الأحباب. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٣٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن تاج الملوك لاحت منه التفاته إلى القافلة فرأى شاباً جميل الشباب نظيف الثياب ظريف المعاني إلا أن ذلك الشاب قد تغيرت محاسنه وعلاه الأصفرار من فرقة الأحباب وزاد به الانتحاب وسالت من جفنيه العبرات وهو ينشد هذه الأبيات:

طال الفراق ودام الهم والوجل ... والدمع في مقلتي يا صاح منهمل

والقلب ودعته يوم الفراق وقد ... بقيت فرداً فلا قلب ولا أمل

يا صاحبي قف معي حتى أودع من ... من نطقها تشتفى الأمراض والعلل

ثم إن الشاب بعد ما فرغ من الشعر بكى ساعة وغشي عليه فلما رآه تاج الملوك على هذه الحالة تحير في أمره وتمشى إليه فلما أفاق من غشيته نظر ابن الملك واقفاً على رأسه فنهض قائماً على قدميه وقبل الأرض بين يديه فقال له تاج الملوك لأي شيء لم تعرض بضاعتك علينا فقال يا مولاي أن بضاعتي ليس فيها شيء يصلح لسعادتك فقال لابد أن تعرض على ما معك وتخبرني بحالك فإني أراك باكي العين حزين القلب فإن كنت مظلوماً أزلنا ظلامتك وأن كنت مديوناً قضينا دينك فإن قلبي قد أحترق من أجلك حين رأيتك ثم إن تاج الملوك أمر بنصب كرسي فنصبوا له كرسياً من العاج والأبنوس مشبكاً بالذهب والحرير وبسطوا له بساطاً من الحرير فجلس تاج الملوك على الكرسي وأمر الشاب أن يجلس على البساط وقال له أعرض على بضاعتك فقال له الشاب يا مولاي لا تذكر لي ذلك فإن بضاعتي ليست بمناسبة لك فقال له تاج الملوك لابد من ذلك ثم أمر بعض غلمانه بإحضارها فأحضروها قهراً عنه فلما رآها الشاب جرت دموعه وبكى وأن واشتكى وصعد الزفرات وأنشد هذه الأبيات:

بما بجفنيك من غنج ومن كحل ... وما بقدك من لين ومن ميل

النسيم ورؤيته ألطف من شفاء السقيم فمسكته بيدي ورفعت رأسي إلى فوق لأنظر من أين سقط هذا المنديل فوقعت عيني في عين صاحبة هذا الغزال وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٣٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشاب قال لتاج الملوك فرفعت رأسي إلى فوق لأنظر من أين سـ قط هذا المنديل فوقعت عيني في عين صاحبة هذا الغزال وإذا بها مطلة من طاقة من شباك من نحاس لم ترعيني أجمل منها وبالجملة يعجز عن وصفها لساني فلما رأتني نظرت إليها وضعت أصبعها في فمها ثـ م أخـ ذت أصبعها الوسطاني وألصقته بأصبعها الشاهد ووضعتهما على صدرها بين نهديها ثم أدخلت رأسها من الطاقة وسدت باب الطاقة وانصرفت فانطلقت في قلبي النار وزاد بي الأستعار وأعقبتـ ي النظـ رة ألـ ف حسـ رة وتحيرت لأني لم أسمع ما قالت ولم أفهم ما به أشارت فنظرت إلى الطاقة ثانياً فوجدتها مطبوقة فصبرت إلى مغيب الشمس فلم أسمع حساً ولم أر شخصاً فلما يئست من رؤيتها قمت من مكاني وأخذت المنديل معي ثـ م فتحته ففاحت منه رائحة المسك حصل لي من تلك الرائحة طرب عظيم حتى صرت كأنني فـ ي الجنـ ـة ثـ م نشرته بين يدي فسقطت منه ورقة لطيفة ففتحت الورقة فرأيتها مضخمة بالروائح الزكيات ومكتوب فيها هذه الأبيات:

بعثـ ـت لـ ـه أشـ كوه مـ ـن ألـ ـم الجـ ـوى ... بخـ . ـط رقيـ . ـق والخط . ـوط فنـ . ـون

فقـ . ـال خليلـ . ـي مـ . ـا لخطـ . ـك هكـ . ـذا ... رقيق . . ـاً دقيق . . ـاً لا يكـ . . ـاد يبـ . . ـين

فقلـ . ـت لأنـ . ـي فـ . ـي نحـ . ـول ودقـ . ـة ... كـ . ـذا خطـ . ـوط العاشـ . ـقين تكـ . ـون

ثم بعد أن قرأت الأبيات أطلقت في بهجة المنديل نظر العين فرأيت في إحدى حاشيته تسـ طير هـ ذين البيتين:

كتـ . ـب العـ . ـذار ويالـ . ـه مـ . ـن كاتـ . ـب ... سـ . ـطرين فـ . ـي خديـ . ـه بالريحـ . ـان

وأحيـ . ـرة القمـ . ـرين منـ . ـه إذا بـ . ـدا ... وإذا أنثنـ . . ـى وأخجلـ . . ـه الأغصـ . . ـان

لا سطر في الحاشية الأخرى هذان البيتان:

كتـ . ـب العـ . ـذار بعنبـ . ـر فـ . ـي لؤلـ . ـؤ ... سـ . ـطرين مـ . ـن سـ . ـبج علـ . ـى تفـ . ـاح

القتل فـ ـي الحـ ـدق المـ ـراض إذا رنـ ـت ... والسـ ـكر فـ ـي الوجنـ ـات لا فـ ـي الـ ـراح

فلما رأيت ما على المنديل من الأشعار انطلق في فؤادي لهيب النار وزادت بـ ـي الأشـ ـواق والأفكـ ـار وأخذت المنديل والورقة وأتيت بهما إلى البيت إلا بعد مدة من الليل فرأيت بنت عمي جالسة تبكي فلما رأتني مسحت دموعها وأقبلت علي وقلعتني الثياب وسألتني عن سبب غيابي وأخبرتني أن جميع الناس من أمـ ـراء وكبراء وتجار وغيرهم قد اجتمعوا في بيتنا وحضر القاضي والشهود وأكلوا الطعام واستمروا مدة جالسـ ـين ينتظرون حضورك من أجل كتب الكتاب كلما يئسوا من حضورك تفرقوا وذهبوا إلى حال سبيلهم وقالت لـ ـي أن أباك اغتاظ بسبب ذلك غيظاً شديداً وحلف أنه لا يكتب كتابنا إلا في السنة القابلة لأنه غرم في هذا الفـ ـرح مالاً كثيراً ثم قالت لي ما الذي جرى لك في هذا اليوم حتى تأخرت إلى هذا الوقت وحصل ما حصل بسبب غيابك فقلت لها جرى لي كذا وكذا وذكرت لها المنديل وأخبرتها بالخبر من أوله إلى آخره فأخـ ـذت الورقـ ـة والمنديل وقرأت ما فيهما وجرت دموعها على خدودها وأنشدت هذه الأبيات:

مـ . ـن قـ . ـال أول الهـ . ـوى اختيـ . ـار ... فقـ . ـل كـ . . ـذبت كلـ . . ـه اضـ . . ـطرار

ولـ . ـيس بعـ . ـد الأضـ . ـطرار عـ . ـار ... دلـ . . ـت علـ . . ـى صـ . . ـحته أخبـ . . ـار

ما زيفت على صحيح النقد

فـ . إن تشـ . أ فقـ . لـ ع . ذاب يعـ . ذب   أو ضـ .ربان فـ .ي الحشـ .ى أو ضـ .رب

نعمـ . . . . . .ة أو نقمـ . . . . . .ة أو أرب   تـ . .أتنس الـ . .نفس بـ . .ه أو تعطـ . .ب

قد حرت بين عكسه والطرد

ومـ . . . . ع ذا أيامـ . . . ه مواسـ . . . م   وثغر هـ . .ا عـ . .ى الـ . .دوام باسـ . .م

ونفحـ . . . ات طيبه . . . ا نواسـ . . . م   وهـ . و لكـ . لـ مـ . ا يشـ . ين حاسـ . م

ما حل قط قلب بدل وغد

ثم أنها قالت لك وما أشارت به إليك فقلت لها ما نطقت بشيء غير أنها وضعت أصبعها في فمها ثـ م قرنتها بالأصبع الوسطى وجعلت الأصبعين على صدرها وأشارت إلى الأرض ثم أدخلت رأسـ ها وأغلقـ ت الطاقة ولم أرها بعد ذلك فأخذت قلبي معها فقعدت إلى غياب الشمس أنها تطل من الطاقة ثانياً فلم تفعل فلمـ ا يئست منها قمت من ذلك المكون وهذه قصتي واشتهي منك أن تعينني على ما بليت فرفعت رأسها إلي وقالت يا ابن عمي لو طلبت عيني لأخرجتها لك من جفون ولابد أن أساعدك على حاجتك وأساعدها على حاجتهـ ا فإنها مغرمة بك كما إنك مغرم بها فقلت لها وما تفسير ما أشارت به قالت أما موضع أصبعها في فمها فإنـ ه إشارة إلى أنك عندها بمنزلة روحها من جسدها وأنما تعض على وصالك بالنواجذ وأما المنديل فإنه إشـ ارة إلى سلام المحبين على المحبوبين وأما الورقة فإنها إشارة إلى أن روحها متعلقة بك وأما موضـ ع أصـ بعيها على صدرها بين نهديها فتفسيره أنها تقول لك بعد يومين تعال هنا ليزول عني بطلعتك العنا اعلم يا ابن عمي إنها لك عاشقة وبك واثقة وهذا ما عندي من التفسير لأشارتها ولو كنت أدخل وأخرج لجمعت بينك وبينها في أسرع وقت وأستركما بذيلي قال الغلام فلما سمعت ذلك منها شكرتها على قولها وقلت في نفسي أنـ ا أصـ بر يومين ثم قعدت في البيت يومين لا أدخل ولا أخرج ولا آكل ولا أشرب ووضعت رأسي في حجر ابنة عمي وهي تسليني وتقول قوى عزمك وهمتك وطيب قلبك وخاطرك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكـ لام المباح.

(وفي ليلة ١٣٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشاب قال لتاج الملوك فلما انقضى اليومان قالت لي ابنة عمي طـ ب نفساً وقر عيناً وألبس ثيابك وتوجه إليها على الميعاد ثم أنها قامت وغيرت أثوابي وبخرتني ثم شددت حيلـ ي وقويت قلبي وخرجت وتمشيت إلى أن دخلت الزقاق وجلست على المصطبة ساعة وإذا بالطاقة قد انفتحـ ت فنظرت بعيني إليها فلما رأيتها وقعت مغشياً على ثم أفقت فشددت عزمي وقويت قلبي ونظرت إليهـ ا ثانيـ اً فغبت عن الوجود ثم استفقت فرأيت معها مرآة ومنديلاً أحمر وحين رأتني شمرت عن ساعد يهـ ا وفتحـ ت أصابعها الخمس ودقت بها على صدرها بالكف والخمس أصابع ثم رفعت يديها وأبرزت الماء مـ ن الطاقـ ة وأخذت المنديل الأحمر ودخلت وعادت وأدلته من الطاقة إلى صوب الزقاق ثلاث مرات وهي تدليه وترفعـ ه ثم عصرته ولفته بيدها وطأطأت رأسها ثم جذبتها من الطاقة وأغلقت الطاقة وأنصرفت ولم تكلمنـ ي كلمـ ة

واحدة بل تركتني حيران لا أعلم ما أشارت به واستمريت جالساً إلى وقت العشاء ثم جئت إلى البيت ق رب نصف الليل فوجدت ابنة عمي واضعة يدها على خدها وأجفانها تسكب العبرات وهي تنشد هذه الأبيات:

م . ـالي وللاحـ . ـي عليـ . ـك يعنـ . ـف	كيـ ـف الـسـ ـلو وأنـ ـت غصـ ـن أهيـ ـف
يـ ـا طلعـ ـة سـ ـلبت فـ ـؤادي وأنثـ ـت	مـ ـا للهـ ـوى العـ ـذري عنه ـا مصـ ـرف
تركيـ . ـة الألحـ . ـاظ تفعـ . ـل بالحشـ . ـا	مـ ـا لـ ـيس يفعلـ ـه الصـ ـقيل المرهـ ـف
حملتنـ ـي نقـ ـل الغـ ـرام ولـ ـيس لـ ـي	جلـ ـد علـ ـى حمـ ـل القمـ ـيص وأضـ ـعف
ولقـ ـد بكيـ ـت دمـ ـاً لقـ ـول عـ ـوازلي	من جفن مـ ـن تهـ ـوى بروعـ ـك مرهـ ـف
يـ ـا ليـ ـت قلبـ ـي مثـ ـل قلبـ ـك أنمـ ـا	جسـ ـمي كخصـ ـرك بالنحافـ ـة متلـ ـف
لـ ـك يـ ـا أميـ ـري فـ ـي الملاحـ ـة نـ ـاظر	صـ ـعب علـ ـى وحاجـ ـب لا ينصـ ـف
كـ ـذب الـ ـذي قـ ـال الملاحـ ـة كلهـ ـا	في يوسـ ـف كـ ـم فـ ـي جمالـ ـك يوسـ ـف
أتكلـ . ـف الأعـ . ـراض عنـ . ـك مخافـ . ـة	مـ . ـن أعـ . ـين الرقبـ . ـاء كـ . ـم أتكلـ . ـف

فلما سمعت شعرها زاد ما بي من الهموم وتكاثرت على الغموم ووقعت في زوايا البيت فنهضت إلـ ـى وحملتني وقلعتني أثوابي ومسحت وجهي بكمها ثم سألتني عما جرى لي فحكيت لها جميع ما حصـ ـل منه ـا فقالت يا ابن عمي أما أشارتها بالكف والخمسة أصابع فإن تفسيره تعال بعد خمسة أيام وأما اشارتها بـ ـالمرآة وأبراز رأسها من الطاقة فإن تفسيره أقعد على دكان الصباغ حتى يأتيك رسولي فلما سمعت كلامها اشـ ـتعلت النار في قلبي وقلت بالله يا بنت عمي أنك تصدقيني في هذا التفسير لأني رأيت في الزقاق صباغاً يهودياً ثـ ـم بكيت فقالت ابنة عمي قوي عزمك وثبت قلبك فإن غيرك يشتغل بالعشق مدة سنين ويتجلد على حـ ـر الغـ ـرام وأنت لك جمعة فكيف يحصل لك هذا الجزع ثم أخذت تسليني بالكلام وأتت لي بالطعام فأخذت لقمـ ـة وأردت أن آكلها فما قدرت فامتنعت من الشراب والطعام وهجرت لذيذ المنام وأصفر لوني وتغيرت محاسني لأني ما عشقت قبل ذلك ولا ذقت حرارة العشق إلا في هذه المرة فضعفت وضعفت بنت عمي من أجلـ ـي وصـ ـارت تذكر لي أحوال العشاق والمحبين على سبيل التسلي في كل ليلة إلى أن أنام وكنت أستيقظ فأجدها سهرانة من أجلي ودمعها يجري على خدها ولم أزل كذلك إلى أن مضت الخمسة أيام فقامت أبنة عمي وسخنت لي مـ ـاء وحمتني وألبستني ثيابي وقالت لي توجه إليها قضى الله حاجتك وبلغك مقصودك من محبوبتك فمضيت ولـ ـم أزل ماشياً إلى أن أتيت إلى رأس الزقاق وكان ذلك في يوم السبت فرأيت دكان الصباغ مقفلة فجلست عليه ـا حتى أذن العصر وأصفرت الشمس وأذن المغرب ودخل الليل وأنا لا أدري لها أثراً ولم أسمع حساً ولا خبراً فخشيت على نفسي وأنا جالس وحدي فقمت وتمشيت وأنا كالسكران إلى أن دخلت البيت فلما دخلـ ـت رأيـ ـت ابنة عمي عزيزة وإحدى يديها قابضة على وتد مدقوق في الحائط ويدها الأخرى على صدرها وهي تصـ ـعد الزفرات وتنشد هذه الأبيات:

ومـ ـا وجـ ـد أعرابيـ ـة بـ ـأن أهلهـ ـا	فحنـ ـت إلـ ـى بـ ـان الحجـ ـاز ورنـ ـده
إذا آنسـ . ـت ركبـ . ـاً تكفـ . ـل شـ . ـوقها	بنـ . ـار قـ . ـراه والـ ـدموع بـ . ـوارده
يـ ـا عظـ ـم عـ ـن وجـ ـدي بحبـ ـي وأنمـ ـا	يـ . ـرى أننـ . ـي أذنبـ ـت ذنبـ . ـاً بـ . ـوده

فلما فرغت من شعرها التفتت إلى فرأتني أبكي فمسحت دموعها ودموعي بكمها وتبسمت في وجهي وقالت لي يا ابن عمي هناك الله بما أعطاك فلأي شيء لم تبت الليلة عند محبوبتك ولم تقض منها أرفك فلما سمعت كلامها رفستها برجلي في صدرها فأنقلبت على الأيوان فجاءت جبهتها على طرف الأيوان وكان هناك وتد فجاء في جبهتها فعاملتها فرأيت جبهتها قد انفتح وسال دمها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٤٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشاب قال لتاج الملوك فلما رفست ابنة عمي في صدرها انقلبت على طرف الأيوان فجاء الوتد في جبينها فانفتح جبينها وسال دمها فسكتت ولم تنطق بحرف واحد ثم أنها قامت في الحال وأحرقت حرافاً وحشت به ذلك الجرح وتعصبت بعصابة ومسحت الدم الذي سال على البساط وكأن ذلك شيء ما كان ثم أنها أنثنى وتبسمت في وجهي وقالت لي بلين الكلام والله يا ابن عمي ما قلت هذا الكلام استهزاء بك ولا بها وقد كنت مشغولة بوجع رأسي ومسح الدم وفي هذه الساعة قد خفت رأسي وخفت جبهتي فأخبرني بما كان من أمرك في هذا اليوم فحكيت لها جميع ما وقع لي منها في ذلك اليوم وبعد كلامي بكيت فقالت يا ابن عمي أبشر بنجاح قصدك وبلوغ أملك أن هذه علامة القبول هو ذلك أنها غابت عنك لأنها تريد أن تختبرك وتعرف هل أنت صابر أو لا وهل أنت صادق في محبتها أو لا وفي غد توجه إليها في مكانك الأول وانظر ماذا تشير به إليك فقد قربت أفراحك وزالت أتراحك وصارت تسليني على ما بي وأنا لم أزل متزايد الهموم والغموم ثم قدمت لي الطعام فرفسته فإنكبت كل زبدية في ناحية وقلت كل من كان عاشقاً فهو مجنون لا يميل إلى طعام ولا يلتذ بمنام فقالت له ابنة عمي عزيزة والله يا ابن عمي أن هذه علامة المحبة وسالت دموعها ولمت شقافة الزبادي ومسحت الطعام وجلست تسايرني وأنا أدعو الله أن يصبح الصباح فلما أصبح الصباح واضاء بنوره ولاح توجهت إليها ودخلت ذلك الزقاق بسرعة وجلست على تلك المصطبة وإذا بالطاقة قد انفتحت وأبرزت رأسها منها وهي تضحك ثم غابت ورجعت وهي معها مرآة وكيس وقصرية ممتلئة زرعاً أخضر وفي يدها قنديل فأول ما فعلت أخذت المرآة في يدها وأدخلتها في الكيس ثم وصلته ورمته في البيت ثم أرخت شعرها على وجهها ثم وضعت القنديل على رأس الزرع لحظة ثم أخذت جميع ذلك وانصرفت به وأغلقت الطاقة فانفطر قلبي من هذا الحال ومن أشاراتها الخلفية ورموزها المخفية وهي لم تكلمني بكلمة قط فاشتد ذلك غرامي وزاد وجدي وهيامي ثم أني رجعت على عقبي وأنا باكي العين حزين القلب حتى دخلت البيت فرأيت بنت عمي قاعدة ووجهها إلى الحائط وقد احترق قلبها من الهم والغم والغيرة ولكن محبتها منعتها أن تخبرني بشيء مما عندها من الغرام لما رأت ما أنا فيه من كثرة الوجد والهيام ثم نظرت إليها فرأيت على رأسها عصابتين أحداهما من الوقعة على جبهتها والأخرى على عينيها بسبب وجع أصابها من شدة بكائها وهي في أسوأ الحالات تبكي وتنشد هذه الأبيات:

أينما كنت لم تزل بأمان ... أيها الراحل المقيم بقلبي
ولك الله حيث أمسيت جار ... منقذ من صروف دهر وخطب
غبت فاستوحشت لبعدك عيني ... واستهلت مدامعي أي سكب

ليـ ـت شـ ـعري بـ ـاي أرض ومغنـ ـى أنـ ـت مسـ ـتوطن بـ ـدار وشـ ـعب

أن يكـ ـن شـ ـربك القـ ـراح زلالا فـ ـدموعي مـ ـن المحـ ـاجر شـ ـربى

كـ ـل شـ ـيء سـ ـوى فراقـ ـك عـ ـذب كالتجـ ـافي بـ ـين الرقـ ـاد وجنبـ ـي

فلما فرغت من شعرها نظرت إلي فرأتني وهي تبكي فمسحت دموعها ونهضت إلي ولم تقدر أن تتكلم مما هي فيه من الوجد ولم تزل ساكتة برهة من الزمان ثم بعد ذلك قالت يا ابن عمي أخبرني بما حصل لـ ك منها في هذه المرة فأخبرتها بجميع ما حصل لي فقالت لي أصبر فقد آن أوان وصالك وظفرت ببلوغ آمالـ ك أما أشارتها لك بالمرآة وكونها أدخلتها في الكيس فإنها تقول لك أصبر إلي أن تغطس الشمس وأما أرخاؤهـ ا شعرها على وجهها فإنها تقول لك إذا أقبل الليل وأنسدل سواد الظلام على نور النهار فتعال وأما أشارتها لك بالقصرية التي فيها زرع فإنها تقول لك إذا جئت فأدخل البستان الذي وراء الزقاق وأما أشارتها لك بالقنـ ديل فإنها تقول لك إذا جئت فأدخل البستان الذي وراء الزقاق وأما أشارتها لك بالقنديل فإنها تقول لك إذا دخلـ ت البستان فأمش فيه وأي موضع وجدت القنديل مضيئاً فتوجه إليه وأجلس تحت وانتظرني فإن هواك قاتلي فلما سمعت كلام ابنة عمي صحت من فرط الغرام وقلت كم تعديني وأتوجه إليها ولا أحصل مقصودي ولا أجـ د لتفسيرك معنى صحيحاً فعند ذلك ضحكت بنت عمي وقالت لي بقى عليك من الصبر أن تصبر بقية هذا اليوم إلى أن يولى النهار ويقبل الليل بالاعتكار فتحظي بالوصال وبلاغ الآمال وهذا الكلام صدق بغير يمـ ين ثـ م أنشدت هذين البيتين:

درج الأيـ ـ ـ ـام تنـ ـ ـ ـدرج وبيـ ـ ـوت الهـ ـ ـم لا تلـ ـ ـج

رب أمـ ـ ـ ـر عـ ـ ـ ـز مطلبـ ـ ـه قربتـ ـ ـه سـ ـ ـاعة الفـ ـ ـرج

ثم أنها أقبلت علي وصارت تسليني بلين الكلام ولم تجسر أن تأتيني بشيء من الطعـ ام مخافـ ة مـ ن غضبي عليها ورجاء ميلي إليها ولم يكن لها قصد إلا أنها أتت إلى وقلعتني ثم قالت يا ابن عمي أقعد معـ ي حتى أحدثك بما يسليك إلى آخر النهار وأن شاء الله تعالى ما يأتي الليل إلا وأنت عند محبوبتك فلم التفت إليها وصرت أنتظر مجيء الليل وأقول يارب عجل بمجيء الليل فلما أتى الليل بكت ابنـ ة عمـ ي بكـ اء شـ ديداً وأعطتني حبة مسك خالص وقالت لي يا ابن عمي اجعل هذه الحبة في فمك فإذا اجتمعت بمحبوبتك وقضيت منها حاجتك وسمحت لك بما تمنيت فأنشدها هذا البيتين:

ألا أيهـ ـا العشـ ـاق بـ ـالله خبـ ـروا إذا اشـ ـتد عشـ ـق بـ ـالفتى كيـ ـف يصـ ـنع

ثم إنها قبلتني وخلفتني أني لا أنشدها ذلك البيت الشعر إلا بعد خروجي من عندها فقلـ ت لهـ ا سـ معاً وطاعة ثم خرجت وقت العشاء ومشيت ولم أزل ماشياً حتى وصلت إلى البستان فوجدت بابه مفتوحاً فدخلتـ ه فرأيت نوراً على بعد فقصدته فلما وصلت إليه وجدت مقعداً عظيماً معقوداً عليه قبة من العـ اج والأبنـ وس والقنديل معلق في وسط تلك القبة وذلك المقعد مفروش بالبسط الحرير المزركشة بالذهب والفضـ ة وهنـ اك شمعة كبيرة موقودة في شمعدان من الذهب تحت القناديل وفي وسط المقعد فسقية فيهـ ا أنـ واع التصـ اوير وبجانب تلك الفسقية سفرة مغطاة بفوطة من الحرير وإلى جانبها باطية كبيرة من الصيني مملوءة حمراً وفيها

قدح من بلور مزركش بالذهب وإلى جانب الجميع طبق كبير من فضة مغطي فكشفته فرأيت فيه من سائر الفواكه ما بين تين ورمان وعنب ونارنج وأترنج وكباد وبينها أنواع الرياحين من ورد وياسمين وأس ونسرين ونرجس ومن سائر المشمومات فهمت بذلك المكان وفرحت غاية الفرح وزال عني الهم والترح لكني ما وجدت في هذا الدار أحداً من خلق الله تعالى وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٤١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشاب قال لتاج الملوك ولم أر عبداً ولا جارية ولا من يعاني هذه الأمور فجلست في ذلك المقعد أنتظر مجيء محبوبة قلبي إلى أن مضى أول ساعة من الليل وثاني ساعة وثالث ساعة فلم تأت واشتد بي ألم الجوع لأن لي مدة من الزمان ما أكلت طعاماً لشدت وحدي فلما رأيت تلك المكان وظهر لي صدق بنت عمي في فهم إشارة معشوقتي استرحت ووجدت ألم الجوع وقد شوقتني روائح الطعام الذي في السفرة لما وصلت إلى ذلك المكان واطمأنت نفسي بالوصال فاشتهت نفسي الأكل فتقدمت إلى السفرة وكشفت الغطاء فوجدت في وسطها طبقاً من الصيني وفيه أربع دجاجات محمرة ومتبلة بالبهارات وحول ذلك الطبق أربع زبادي واحدة حاوي والأخرى حب الزمان والثالثة بقلاوة والرابعة قطائف وتلك الزبادي ما بين حلو وحامض فأكلت من القطائف وأكلت قطعة لحم وعمدت إلى البقلاوة وأكلت منها ما تيسر ثم قصدت الحلوى وأكلت معلقة أو أثنين أو ثلاثاً أو أربعاً وأكلت بعض دجاجة وأكلت لقمة فعند ذلك امتلأت بطني وأرتخت مفاصلي وقد كسلت عن السهر فوضعت رأسي على وسادة بعد أن غسلت يدي فغلبني النوم ولم أعلم بما جرى لي بعد ذلك فما استيقظت حتى أحرقني حر الشمس لأن لي أياماً صادقت مناماً فلما استيقظت وحدت على بطني ملحاً وفحماً فانتصبت قائماً ونفضت ثيابي وقد التفت يميناً وشمالاً فلم أجد أحداً ووجدت أني كنت نائماً على الرخام من غير فرش فتحيرت في عقلي وحزنت حزناً عظيماً وحرت دموعي على خدي وتأسفت على نفسي فقمت وقصدت البيت فلما وصلت إليه وجدت ابنة عمي تدق بيدها على صدرها وتبكي بدمع يباري السحب الماطرات وتنشد هذه الأبيات:

هب ريح من الحمى ونسيم	فأذار الهوى بنشر هبوبه
يا نسيم الصبا هلم إلينا	كل صب بحظه ونصيبه
لو قدرنا من الغرام اعتنقنا	كاعتناق المحب صدر حبيبه
حرم الله بعد وجه ابن عمي	كل عيش من الزمان وطيبه
ليت شعري هل قلبه مثل قلبي	ذائب من حر الهوى ولهيبه

فلما رأتني قامت مسرعة ومسحت دموعها وأقبلت على بلين كلامها وقالت يا إبن عمي أنت في عشقك قد لطف الله بك حيث أحبك من تحب وأنا في بكائي وحزني على فراقك من يلومني ولكن لا آخذك الله من جهتي ثم إنها تبسمت في وجهي تبسم الغيظ ولاطفتني وقلدتني أثوابي ونشرتها وشمتها وقالت والله ما هذه روائح من حظي بمحبوبه فأخبرني بما جرى لك يا إبن عمي فأخبرتها بجميع ما جرى لي فتبسمت تبسم الغيظ ثانياً وقالت إن قلبي ملآن موجع فلا عاش من يوجع قلبك وهذه المرأة تتعزز عليك تعززاً قوياً والله يا إبن عمي إني خائفة عليك منها واعلم يا إبن عمي أن تفسير الملح هو أنك مستغرق في النوم فكأنك دلع الطعم

بحيث تعارفك النفوس فينبغي لك أن تتملح حتى لا تمجك الطباع لأنك تدعي أنك من العشاق الكرام والنـ وم على العشاق حرام فدعواك المحبة كاذبة وكذلك هي محبتها لك كاذبة لأنها لما رأتك نائماً لم تنبهك ولو كانت محبتها لك صادقة لنبهتك وأما الفحم فأن تفسير إشارته سود الله وجهك حيث ادعيت المحبة كذباً وإنما أنـ ـت صغير لم يكن لك همة إلا الأكل والشرب والنوم فهذا تفسير إشارتها فالله تعالى يخلصك منها فلمـ ـا سـ ـمعت كلامها ضربت بيدي على صدري وقلت والله إن هذا هو الصحيح لأني نمت والعشاق لا ينامون فأنا الظـ ـالم لنفسي وما كان أضر على من الأكل والنوم فكيف يكون الأمر ثم إني زدت في البكاء وقلت لأبنة عمي دليني على شيء أفعله وأرحميني يرحمك الله وإلا مت وكانت بنت عمي تحبني محبـ ـة شـ ـديدة وأدرك شـ ـهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٤٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشاب قال لتاج الملوك فقالت لي على رأسي وعيني ولكن يـ ـا إبـ ـن عمي قد قلت لك مرارا لو كنت أدخل وأخرج لكنت أجمع بينك وبينها في أقرب زمن وأغطيكما بـ ـذيلي ولا أفعل معك هذا إلا لقصد رضاك وإن شاء الله تعالى أبذل غاية الجهد في الجمع بينكما ولكن اسمع قولي وأبلغ أمري وأذهب إلى نفس ذلك المكان وأقعد هناك فإذا كان وقت العشاء فأجلس في الموضع الـ ـذي كنـ ـت فيـ ـه وأحذر أن تأكل شيئاً لأن الأكل يجلب النوم وإياك أن تنام فإنها لا تأتي لك حتى يمضي من الليل ربعه كفـ ـاك الله شرها فلما سمعت كلامها فرحت وصرت أدعو الله أن يأتي الليل فلما أردت الأنصراف قالت لـ ـي إبنـ ـة عمي إذا اجتمعت بها فاذكر لها البيت المتقدم وقت إنصرافك فقلت لها على الرأس والعـ ـين فلمـ ـا خرجـ ـت وذهبت إلى البستان وجدت المكان مهيأ على الحالة التي رأيتها أولاً وفيه ما يحتاج إليه من الطعام والشـ ـراب والنقل والمشموم وغير ذلك فطلعت المقعد وشممت رائحة الطعام فاشتاقت نفسي إليه فمنعتها مراراً فلم أقـ ـدر على منعها فقمت وأتيت إلى السفرة وكشفت غطاءها فوجدت صحن دجاج وحوله أربع زبادي مـ ـن الطعـ ـام فيها أربعة ألوان فأكلت من كل لون لقمة وأكلت ما تيسر من الحلوى وأكلت قطعة لحم وشربت من الـ ـزردة وأعجبتني فأكثرت الشرب منها بالملعقة حتى شبعت وامتلأت بطني وبعد ذلك انطبقت أجفاني فأخذت وسـ ـادة ووضعتها تحت رأسي وقلت لعلي أتكيء عليها ولا أنام فأغمضت عيني ونمت وما أنتبهـ ـت حتـ ـى طلعـ ـت الشمس فوجدت على بطني كعب عظم وفردة طاب ونواة بلح وزرة خروب وليس في المكان شيء من فرش ولا غيره وكأنه لم يكن فيه شيء بالأمس فقمت ونفضت الجميع عني وخرجت وأنا مغتاظ إلى أن وصلت إلى البيت فوجدت ابنة عمي تصعد الزفرات وتنشد هذه الأبيات:

جسـ . ـدنا حـ . ـل وقلـ . ـب جـ . ـريح ودمـ . ـوع علـ . ـى الخـ . ـدود تسـ . ـيح
وحبيـ . ـب صـ . ـعب التجنـ . ـي ولكـ . ـن كـ . ـل مـ . ـا يفعـ . ـل المليـ . ـح مليـ . ـح
يـ ـا إبـ ـن عمـ ـي مـ ـلأت بالوجـ ـد قلبـ ـي إن طرفـ . ـي مـ . ـن الـ . ـدموع قـ . ـريح

فنهرت إبنة عمي وشتمتها فبكت ثم مسحت دموعها وأقبلت على وقبلتني وأخذت تضمني إلى صـ ـدرها وأنا أتباعد عنها وأعاتب نفسي فقالت لي يا إبن عمي كأنك نمت في هذه الليلة فقلت لها نعـ ـم ولكنـ ـي لمـ ـا انتبهت وجدت كعب عظم على بطني وفردة طاب ونواة بلح وزرة خروب وما أذرى لأي شيء فعلت هكـ ـذا

ثم بكيت وأقبلت عليها وقلت لها فسري لي إشارة فعلها هذا وقولي لي ماذا أفعل وساعديني على الذي أنا فيه فقالت لي على الرأس والعين أما فردة الباب التي وضعتها على بطنك فإنها تشير لك إلى أنك حضرت وقلبك غائب وكأنها تقول لك ليس العشق هكذا فلا تعد نفسك من العاشقين وأما نواة البلح فإنها تشير لك بها إلى أنك لو كنت عاشقاً لكان قلبك محترقاً بالغرام ولم تذق لذيذ المنام فإن لذة الحب كتمرة ألهبت في الفؤاد جمرة وأما بزرة الخروب فإنها تشير لك به إلى أن قلب المحب مسلوب وتقول لك أصبر على فراقها صبر أيوب فلم ا سمعت هذا التفسير أنطلقت في فؤادي النيران وزادت بقلبي الأحزان فصحت وقلت قدر الله على النوم لقل ة بختي ثم قلت لها يا إبنة عمي بحياتي عندك أن تدبري لي حيلة أتوصل بها إليها فبكت وقالت يا عزيز يا أبن عمي إن قلبي ملآن الفكر ولا أقدر أن أتكلم ولكن رح الليلة إلى ذلك المكان وأحذر أن تنام فإنك تبلغ الم رام هذا هو الرأي والسلام فقلت لها أن شاء الله لا أنام وأنما أفعل ما تأمريني به فقامت بنت عمي وأتت الطع ام وقالت لي كل الآن ما يكفيك حتى لا يبقى في خاطرك شيء فأكلت كفايتي لما أتى الليل قامت بن ت عم ى وأنتي ببدلة عظيمة وألبستني أياها وحلفتني أن أذكر لها البيت المذكور وحذرتني من النوم ثم خرجت من عند بنت عمي وتوجهت إلى البستان وطلعت ذلك المقعد ونظرت إلى البستان وجعلت أفتح عيني بأصابعي وأه ز رأسي حين جن الليل وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٤٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشاب قال لتاج الملوك وطلعت من ذلك المقعد ونظرت إلى البس تان وجعلت أفتح عيني بأصابعي وأهز رأسي حين جن الليل فلما طلعت جعت من السهر وهب ت عل ى روائ ح الطعام فازداد جوعي وتوجهت إلى السفرة وكشفت غطاءها وأكلت من كل لون لقمة وأكلت قطعة لحم وأتيت إلى باطية الخمر وقلت في نفسي أشرب قدحاً فشربته ثم شربت الثاني والثالث إلى غاية عشرة وقد ضـ ربني الهواء فوقعت على الأرض كالقتيل ومازلت كذلك حتى طلع النهار فانتبهت فرأيت نفس ي خ ارج البس تان وعلى بطني شفرة ماضية ودرهم حديد فارتجفت وأخذتهما وأتيت بهما إلى البيت فوجدت أبنة عمي تقول أني في هذا البيت مسكينة حزينة ليس لي معين إلا البكاء فلما دخلت وقعت من طولي ورميت السكين وال درهم من يدي وغشي على فلما أفقت من غشيتي عرفتها بما حصل لي وقلت لها أني لم أنل أربي فأش تد حزنه ا على لما رأت بكائي ووجدي وقالت لي أني عجزت وأنا أنصحك عن النوم فلم تس مع نص حي فكلام ي لا يفيدك شيئاً فقلت لها أسألك بالله أن تفسري لي إشارة السكين والدرهم الحديد فقالت أن الدرهم الحدي د فإنه ا تشير بها إلى عينها اليمين وأنها تقسم بها وتقول وحق رب العالمين وعيني اليمين أن رجعت ثاني مرة ونمت لأذبحنك بهذه السكين وأنا خائفة عليك يا ابن عمي من مكرها وقلبي ملآن بالحزن عليك فما أق در أن أتكل م فإن كنت تعرف من أنك أن رجعت إليها لا تنام فأرجع إليها وأحذر النوم فإنك تفوز بحاجتك وأن عرفت أنك أن رجعت إليها تنام على عادتك ثم رجعت إليها ونمت ذبحتك فقلت لها وكيف يكون العمل ي ا بن ت عم ي أسألك بالله أن تساعديني على هذه البليه فقالت على عيني ورأسي ولكن أن سمعت كلامي وأطع ت أم ري قضيت حاجتك فقلت لها أني أسمع كلامك وأطيع أمرك فقالت إذا كان وقت الرواح أقول لك ثم ضمتني إل ى صدرها ووضعتني على الفراش ولا زالت تكبسني حتى غلبني النعاس واستغرقت في النوم فأخذت مروح ة

وجلست عند رأسي تروح على وجهي إلى آخر النهار ثم نبهتني فلما انتبهت وجدتها عند رأسي وفي يدها المروحة وهي تبكي ودموعها قد بلت ثيابها فلما رأتني استيقظت مسحت دموعها وجاءت بشيء من الأكل فامتنعت منه فقالت لي أما قلت لك أسمع مني وكل فأكلت ولم أخالفها وصارت تضع الأكل في فمي وأنا أمضغ حتى امتلأت ثم أسقتني نقيع عناب السكر ثم غسلت يدي ونشفتها بمحرمة ورشت على ماء الورد وجلست معهاوأنا في عافية فلما أظلم الليل وألبستني ثيابي وقالت يا أبن عمي أسهر جميع الليل ولا تنم فإنها ما تأتيك في هذه الليل إلا في آخر الليل وإن شاء الله تجتمع بها في هذه الليلة ولكن لا تنس وصيتي ثم بكت فأوجعني قلبي عليها من كثرة بكائها وقلت لها ما الوصية التي وعدتيني بها فقالت لي إذا انصرفت من عندها فانشدها البيت المتقدم ذكره ثم خرجت من عندها وأنا فرحان ومضيت إلى البستان وطلعت المقعد وأنا شبعان فجلست وسهرت إلى ربع الليل ثم طال الليل على حتى كأنه سنة فمكثت ساهراً حتى مضى ثلاثة أرباع الليل وصاحت الديوك فاشتد عندي الجوع من السهر فقمت إلى السفرة وأكلت حتى اكتفيت فثقلت رأسي وأردت أن أنام وإذا بضجة على بعد فنهضت وغسلت يدي وفمي ونبهت نفسي فما كان إلا قليل وإذا بها أتت ومعها عشراً جوار وهي بينهن كأنها البدر بين الكواكب وعليها حلة من الأطلس الأخضر مزركشة بالذهب الأحمر وهي كما قال الشاعر:

نتيه على العشاق في حلل خضر	مفككة الأزرار محلولة الشعر
فقلت لها ما الاسم قالت أنا التي	كويت قلوب العاشقين على الجمر
شكوت لها ما أقاسي من الهوى	فقالت إلى صخر شكوت ولم تدر
فقلت لها أن كان قلبك صخرة	فقد أنبع الله الزلال من الصخر

فلما رأتني ضحكت وقالت كيف أنتبهت ولم يغلب عليك النوم وحيث سهرت الليل علمت أنك عاشق لأن من شيم العشاق سهر الليل في مكابدة الأشواق ثم أقبلت على الجواري وغمرتهن فأنصرفن عنها وأقبلت على وضمتني إلى صدرها وقبلتني وقبلتها ومصت شفتي التحتانية ومصصت شفتها الفوقانية ثم مددت يدي إلى خصرها وغمزته وما نزلنا في الأرض إلا سواء وحلت سراويلها فنزلت في خلال رجليها وأخذنا في الهراش والتعنيق والغنج والكلام الرقيق والعض وحمل السيقان والطواف بالبيت والأركان إلى أن ارتخت مفاصلها وغشي عليها ودخلت في الغيبوبة وكانت تلك الليلة مسرة القلب وقرة الناظر كما قال فيها الشاعر:

أهني ليالي الدهر عندي ليلة	لم أخل فيها الكاس من أعمال
فرقت فيها بين جفني والكرى	وجمعت بين القرط والخلخال

فلما أصبح الصباح أردت الإنصراف وإذا بها أمسكتني وقالت لي قف حتى أخبرك بشيء وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٤٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشاب قال لتاج الملوك قالت قف حتى أخبرك بشيء وأوصيك وصية فوقفت فحلت منديلاً وأخرجت هذه الخرقة ونشرتها قدامي فوجدت فيها صورة غزال على هذا المثال فتعجبت منها غاية العجب فأخذته وتواعدت أنا وأياها أن أسعى إليها كل ليلة في ذلك البستان ثم انصرفت من عندها

وأنا فرحان ومن فرحي أنسيت الشعر الذي أوصتني به بنت عمي وحين أعطيتني الخرفة التي فيها صد ورة الغزال قالت لي هذا عمل أختي فقلت لها وما اسم أختك قالت اسمها نور الهدى فاحتفظ به ذه الخرق ة ث م ودعتها وانصرفت وأنا فرحان ومشيت إلى أن دخلت على ابنة عمي فوجدتها راق دة فلم ا رأتن ي قام ت ودموعها تتساقط ثم أقبلت علي وقبلت صدري وقالت هل فعلت ما أوصيتك به من إنشاد بيت الشعر فقلت لها أني نسيته وما شغلني عنه إلا صورة هذاالغزال ورميت الخرقة قدامها فقامت وقعدت ول م تط ق الصد بر وأفاضت دمع العين وأنشدت هذين البيتين:

ي . . ا طالب . . ا للف . . راق مه . . لاً ف . . . .لا يغرن . . . .ك العن . . . .اق

مه . .لاً فطب . .ع الزم . .ان غ . .در وآخ . . . ر الص . . .حبة الف . . . راق

فلما فرغت من شعرها قالت يا ابن عمي هب لي هذه الخرقة فوهبتها لها فأخذتها ونشرتها ورأت م ا فيها فلما جاء وقت ذهابي قالت ابنة عمي أذهب مصحوباً بالسلامة ولكن إذا انصرفت من عندها فأنشدها بيت الشعر الذي أخبرتك به أولاً ونسبته فقلت لها أعيديه لي فأعادته ثم مضيت إلى البستان ودخلت المقعد فوجدت الصبية في انتظاري فلما رأتني قامت وقبلتني وأجلستني في حجرها ثم أكلنا وشربنا وقضينا أغراض نا كم ا تقدم ولا حاجة إلى الإعادة فلما صبح الصباح أنشدتها بيت الشعر وهو:

ألا أيه . ا العش . اق ب . الله خب . روا إذا اش تد عش ق ب الفتى كي ف يص نع

فلما سمعت هملت عيناها بالدموع وأنشدت:

ي . داري ه . واه ث . م يك . تم س . ره ويص بر ف ي ك ل الأم ور ويخض ع

فحظفته وفرحت بقضاء حاجة ابنة عمي ثم خرجت وأتيت إلى ابنة عمي فوجدتها راقدة وأم ي عن د رأسها تبكي على حالها فلما دخلت عليها قالت لي أمي تبا لك من ابن عم كيف تترك بنت عمك عل ى غي ر استواء ولا تسأل عن مرضها فلما رأتني ابنة عمي رفعت رأسها وقعدت وقالت لي يا عزيز ه ل أنش دتها البيت الذي أخبرتك به قلت لها نعم فلما سمعته بكت وأنشدتني بيتاً آخر وحفظته فقالت بنت عمي أسمعني إياه فلما أسمعتها إياه بكت بكاء شديداً وأنشدت هذا البيت:

لقد ح اول الص بر الجمي ل ول م يج د ل ه غي ر قل ب ف ي الص بابة يج زع

ثم قالت ابنة عمي إذا ذهبت إليها على عادتك فأنشدها هذا البيت الذي سمعته فقلت لها سمعاً وطاعة ثم ذهبت إليها في البستان على العادة وكان بيننا ما كان مما يقصر عن وصفه اللسان فلم ا أردت الإنص راف أنشدتها ذلك البيت إلى آخره فلما سمعته سألت مدامعها في المحاجر وأنشدت قول الشاعر:

ف إن ل م يج د ص براً لكتم ان س ره فليس ل ه عن دي س وى الم وت أنف ع

فحفظته وتوجهت إلى البيت فلما دخلت على ابنة عمي وجدتها ملقاة مغشياً عليها وأمي جالس ة عن د رأسها فلما سمعت كلامي فتحت عينيها وقالت يا عزيز هل أنشدتها بيت الشعر قلت لها نعم ولما سمعته بكت وأنشدتني هذا البيت فإن لم يجد إلى آخره فلما سمعته بنت عمي غشي عليها ثانياً فلما أفاقت أنشدت هذا البيت وهو:

سـ . معنا أطعنـ . ا ثـ . م متنـ . ا فبلغـ . وا سلامي على مـ ن كـ ان للوصـ ل يمنـ ع

ثم لما أقبل الليل مضيت إلى البستان على جري عادتي فوجدت الصبية في انتظاري فجلسـ نا وأكلنـ ا وشربنا وعملنا حظنا ثم نمنا على الصباح فلما أردت الإنصراف أنشدتها ما قالته ابنة عمي فلما سمعت ذلـ ك صرخت صرخة عظيمة وتضجرت وقالت والله أن قائلة هذا الشعر قد ماتت ثم بكت وقالت ويلك ما تقـ رب لك قائلة هذا الشعر قلت لها أنها ابنة عمي قالت كذبت والله لو كانت ابنة عمك لكان عندك لها من المحبة مثل ما عندها لك فأنت الذي قتلتها قتلك الله كما قتلتها والله لو أخبرتني أن لك ابنة عم ما قربتك مني فقلت لها ابنة عمي كانت تفسر لي الإشارات التي كنت تشيرين بي إلى وهي التي علمتني ما أفعل معك وما وصلت إليـ ك إلا بحسن تدبيرها فقالت وهل عرفت بنا

قلت نعم قالت حسرك الله على شبابك كما حسرتها على شبابها ثم قالتلي رح أنظرها فذهبت وخاطري متشوش ومازلت ماشياً حتى وصلت إلى زقاقنا فسمعت عياطاً فسألت عنه فقيل أن عزيزة وجـ دناها خلـ ف الباب ميتة ثم دخلت الدار فلما رأتني أمي قالت أن خطيئتها في عنقك فـ لا سـ امحك الله مـ ن دمهـ ا وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٤٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشاب قال لتاج الملوك ثم دخلت الدار فلما رأتني أمي قالت تباً لك من ابن عم ثم أن أبي جاء وجهزناها وشيعنا جنازتها ودفناها وعملنا على قبرها الختمات ومكثنا على القبر ثلاثة أيام ثم رجعت إلى البيت وأنا حزين عليها فأقبلت على أمي وقالت لي أن قصدي أن أعرف ما كنـ ت تفعلـ ه معها حتى فقعت مرارتها وأني يا ولدي كنت أسألها في كل الأوقات عن سبب مرضها فلم تخبرني بـ ه ولـ م تطلعني عليه فبالله عليك أن تخبرني بالذي كنت تصنعه معها حتى ماتت فقلت ما عملت شيئاً فقالت الله يقتص لها منك فإنها ما ذكرت لي شيئاً بل كتمت أمرها حتى ماتت وهي راضية ولما ماتت كنت عنـ دها ففتحـ ت عينيها وقالت لي يا امرأة عمي جعل الله ولدك في حل من دمي ولا آخذه بما فعل معي وأنما نقلني الله مـ ن الدنيا الفانية إلى الآخرة الباقية فقلت لها يا بنتي سلامتك وسلامة شبابك وصرت أسألها عن سبب مرضها فما تكلمت ثم تبسمت وقالت يا امرأة عمي إذا أراد ابنك أن يذهب إلى الموضع الذي عادته الذهاب إليه فقولي له يقول هاتين الكلمتين عند انصرافه منه الوفاء مليح والغدر قبيح وهذه شفقة مني عليه لا كون شفيقة عليه فـ ي حياتي وبعد مماتي ثم أعطتني لك حاجة وحلفتني أني لا أعطيها لك حتى أراك تبكي عليها وتنوح والحاجـ ة عندي فإذا رأيتك على الصفة التي ذكرتها أعطيتك أياها فقلت لها أريني أياها فما رضيت ثم أنـ ي اشـ تغلت بلذاتي ولم أتذكر في موت ابنة عمي لأني كنت طائش العقل وكنت أود في نفسي أن أكون طول ليلي ونهاري عند محبوبتي وما صدقت أن الليل أقبل حتى مضيت إلى البستان فوجدت الصبية جالسة على مقالي النار من كثرة الأنتظار فما صدقت أنها رأتني فبادرت إلى وتعلقت برقبتي وسألتني عن بنت عمي فقلت لها أنها ماتت وعملنا لها الذكر والختمات ومضى لها أربع ليالي وهذه الخامسة فلما سمعت ذلك صاحت وبكت وقالت أمـ ا قلت لك أنك قتلتها ولو أعلمتني بها قبل موتها لكنت كافلتها على ما فعلت معي من المعروف فإنها خـ دمتني

وأوصلتك إلى ولولاها ما اجتمعت بك وأنا خائفة عليك أن تقع في مصيبة بسبب رزيتها فقلت لها أنه ا ق د جعلتني في حل قبل موتها ثم ذكرت لها ما أخبرتني به أمي فقالت بالله عليك إذا ذهبت إل ى أم ك ف اعرف الحاجة التي عندها فقلت لها أن أمي قالت لي أن ابنة عمك قبل أن تموت أوصتني وقالت لي إذا أراد ابنك أن يذهب إلى الموضع الذي عادته الذهاب إليه فقولي له هاتين الكلمتين الوفاء مليح والغدر قبيح فلم ا سـ معت الصبية ذلك آلت رحمة الله عليها فإنها خلصتك مني وقد كنت أضمرت على ضـ رركـ فأنـ ا لا أضـ ركـ ولا أشوش عليك فتعجبت من ذلك وقلت لها وما كنت تريدين قبل ذلك أن تفعليه معي وقد صار بيني وبينك مودة فقالت أنت مولع بي ولكنك صغير السن وقلبك خال من الخداع فأنت لا تعرف مكرنا ولا خداعنا ولو كانـ ت في قيد الحياة لكانت معينة لك فإنها سبب سلامتك حتى أنجتك من الهلكة والآن أوصيك أن لا تتكلم مع واحدة ولا تخاطب واحدة من أمثالنا لا صغيرة ولا كبيرة فإياك بنا إياك ذلك لأنك غير عارف بخـ داع النسـ اء ولا مكرهن والتي تفسر لك الإشارات قد ماتت وأني أخاف عليك أن تقع في رزية فلا تجد من يخلصك منها بعد موت بنت عمك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٤٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشاب قال لتاج الملوك ثم أن الغبية قالت فواحسرتاه على بنت عمـ ك وليتني علمت بها قبل موتها حتى أكافئها على ما فعلت معي من المعروف رحمة الله تعالى عليها فإنها كتمت سرها ولم تبح بما عندها ولولاها ما كنت تصل إلى أبدا وإني أشتهي عليك أمراً فقلت ما هو قالت أن توصلني إلى قبرها حتى أزورها في القبر الذي هي فيه وأكتب عليه أبياتاً فقلت لها في غد أن شاء الله تعالى ثم إنـ ي نمت معها تلك الليلة وهي بعد كل ساعة تقول لي ليتك أخبأتني بأبنة عمك قبل موتها فقلت لها ما معنى هذين الكلمتين اللتين قالتهما وهما الوفاء مليح والغدر قبح ثم تجيبني فلما أصبح الصباح قامت وأخذت كيسـ اً فيـ ه دنانير وقالت لي قم وأرني قبرها حتى أزوره وأكتب عليه أبياتاً وأعمل عليها قبة وأترحم عليها وأصرف هذه الدنانير صدقة على روحها فقلت لها سمعاً وطاعة ثم مشيت قدامها ومشت خلفي وصـ ارت تتصـ دق وهـ ي ماشية في الطريق وكلما تصدقت صدقة تقول هذه الصدقة على روح عزيزة التي كتمت سرها حتى شـ ربت كأس مناياها ولم تسمح بسر هواها ولم تزل تتصدق من الكيس وتقول على روح عزيزة حتى وصلنا القبـ ر وتقدما في الكيس فلما عاينت القبر رمت روحها عليه وبكت بكاء شديداً ثم أنها أخرجت بيكاراً مـ ن الفـ ولاذ ومطرقة لطيفة وخطت بالبيكار على الحجر الذي على رأس القبر خطا لطيفاً ورسمت هذه الأبيات:

مـ ررت بقبـ ر فـ ارس وسـ ط روضـ ة	عليـ .ه مـ .ن النعمـ .ان سـ .بع شـ .قائق
فقلـ ت لمـ ن ذا القبـ ر جـ اوبني الثـ رى	تـ .أدب فهـ .ذا القبـ .ر بـ .رزخ عاشـ .ق
فقلـ .ت رعـ .اك الله يـ .ا ميـ .ت الهـ .وى	وأسـ .كنك الفـ .ردوس أعلـ .ى الشـ .واهق
مسـ اكين أهـ ل العشـ ق حتـ ى قبـ ورهم	عليهـ .ا تـ .راب الـ .ذل بـ .ين الخلائـ .ق
فإن اسـ تطع زرعـ ا زرعتـ ك روضـ ة	وأسـ . قيتها مـ . ن دمعـ . ي المتـ . دافق

ثم بكت بكاء شديداً وقامت وقمت معها وتوجهنا إلى البستان فقالت لي سألتك بالله أن لا تنقطع عني أبداً فقلت سمعاً وطاعة ثم أني صرت أتردد عليها وكلما بت عندها تحسن إلي وتكرمني وتسألني عـ ن الكلمتـ ين

اللتين قالتهما ابنة عمي عزيزة لأمي فأعيدهما لها ومازالت على هذا الحال من أكل وشرب وضـ ـم وعنـ ـاق وتغيير ثياب من الملابس الرقاق حتى غلظت وسمنت ولم يكن بي هم ولا غم ولا حزن ونسيت ابنـ ـة عمـ ـي ومكثت مستغرقاً في تلك اللذات سنة كاملة وعند رأس السنة دخلت الحمام وأصلحت شأني ولبست بدلة فاخرة ولما خرجت من الحمام شربت قدحاً من الشراب وشممت روائح قماشي المصمغ بأنواع الطيب وأنـ ـا خـ ـالي القلب من غدرات الزمان وطوارق الحدثان فلما جاء وقت العشاء اشتاقت نفسي إلى الذهاب إليها وأنا سكران لا أدري أين أتوجه فذهبت إليها فمال بي السكر إلى زقاق يقال له زقاق النقيب فبينما أنا ماش في ذلك الزقاق وإذا بعجوز ماشية وفي إحدى يديها شمعة مضيئة وفي يدها الأخرى كتاب ملفوف وأدرك شهرزاد الصـ ـباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٤٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشاب الذي اسمه عزيز قال لتاج الملوك فلما دخلت الزقاق الذي يقال له زقاق النقيب فمشيت فيه فبينما أنا ماش في ذلك الزقاق وإذا بعجوز ماشية وفي إحدى يديها شمعة مضـ ـيئة وفي يدها الأخرى كتاب ملفوف فتقدمت إليها وهي باكية العين وتنشد هذين البيتين:

لله در مباشـ . . . . ري لقـ . . . . دومكم فقـ . .د أنـ . .ـي بلطـ . .ائف المسـ . .موع

لـ . .و كـ . .ان يقنـ .ـع بـ . .الخليع وهبتـ . .ه قلبـ . .اً تمـ . .زق سـ . .اعة التوديـ . .ع

فلما رأتني قالت لي يا ولدي هل تعرف أن تقرأ فقلت لها نعم يا خالتي العجوز فقالت لـ ـي خـ ـذ هـ ـذا الكتاب واقرأه وناولتني الكتاب فأخذته منها وفتحته وقرأت عليها مضمونه أنه كتاب من عند الغياب بالسـ ـلام على الإحناف فلما سمعته فرحت واستبشرت ودعت لي وقالت لي فرج الله همك كما فرجت همي ثم أخـ ـذت الكتاب ومشت خطوتين وغلبني حصر البول فقعدت في مكان لاريق الماء ثم أني قمت وتجمـ ـرت وأرخيـ ـت أثوابي وأردت أن أمشي وإذا بالعجوز قد أقبلت على وقبلت يدي وقالت يا مولاي الله تعالى يهنيك بشبابك ولا يفضحك أترجاك أن تمشي معي خطوات إلى ذلك الباب فإني أخبرتهم بما أسمعتني أياه من قراءة الكتاب فلم يصدقون فأمش معي خطوتين واقرأ لهم الكتاب من خلف الباب وأقبل دعائي لك فقلت لها ومـ ـا قصـ ـة هـ ـذا الكتاب فقالت لي يا ولدي هذا الكتاب جاء من عند ولدي وهو غائب عني مدة عشرة سنين فإنه سافر بمتجـ ـر ومكث في الغربة تلك المدة فقطعنا الرجاء منه وظننا أنه مات ثم وصل إلينا من هذا الكتاب وله أخت تبكـ ـي عليه في مدة غيابه آناء الليل وأطراف النهار فقلت لها أنه طيب بخير فلم تصدقني وقالت لي لابد تأتيني بمن يقرأ هذا الكتاب فيخبرني حتى يطمئن قلبي ويطيب خاطري وأنت تعلم يا ولدي أن المحب مولع بسوء الظـ ـن فأنعم علي بقراءة هذا الكتاب وأنت واقف خلف الستارة وأخته تسمو من داخل الباب لأجل أن يحصـ ـل لـ ـك ثواب من قصتي لسلم حاجة نفس عنه كربة فقد قال رسول الله ﷺ من نفس عن مكروب كربـ ـة مـ ـن كـ ـرب الدنيا نفس الله عنه أثنتين وسبعين كربة من كرب يوم القيامة وأنا قصدتك فلا تخيبني فقلت لها سمعاً وطاعة وتقدمت فمشت قدامي ومشيت خلفها قليلاً حتى وصلت إلى باب دار عظيمة وذلك الباب مصـ ـفح بالنحـ ـاس الأحمر فوقفت خلف الباب وصاحت العجوز بالعجمية فما أشعر إلا وصبية قد أقبلت بخفة ونشاط فلما رأتني قالت بلسان فصيح عذب ما سمعت أحلى منه يا أمي أهذا الذي جاء يقرأ الكتاب فقالت لها نعم فمدت يدها إلى

بالكتاب وكان بينها وبين الباب نحو نصف قصبة فمددت يدى لاتناول الكتاب وأدخلت رأسي وأكتافي من الباب لأقرب فما أدري إلا والعجوز قد وضعت رأسها في ظهري ويدي ماسكة الباب فالتفت فرأيت نفسي في وسط الدار من داخل الدهليز ودخلت العجوز أسرع من البرق الخاطف ولم يكن لها شغل إلا قفل الباب وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٤٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشاب قال لتاج الملوك ثم أن الصبية لما رأتني من داخل الباب بالدهليز أقبلت علي وضمتني إلى صدرها ثم قالت لي يا عزيز أي الحالتين أحب إليك الموت أم الحياة فقلت لها الحياة فقالت إذا كانت الحياة أحب إليك فتزوج بي فقلت أنا أكره أن أتزوج بمثلك فقالت لي أن تزوجت بي تسلم من بنت الدليلة المحتالة فقلت لها ومن الدليلة المحتالة فضحكت وقالت كيف لا تعرفها وأنت لك في صحبتها اليوم سنة وأربعة شهور أهلكها الله تعالى والله ما يوجد أمكر منها وكم قتلت شخصاً قبلك وكم عملت عملة وكيف سلمت منها ولم تقتلك أو تشوش عليك ولك في صحبتها هذه المدة فلما سمعت كلامها تعجبت غاية العجب فقلت لها يا سيدتي ومن عرفك بها فقالت أنا أعرفها مثل ما يعرف الزمان مصائبه لكن قصدي أن تحكي لي جميع ما وقع لك منها حتى أعرف ما سبب سلامتك منها فحكيت لها جميع ما جرى لي معها ومع ابنة عمي عزيزة فترحمت عليها ودمعت عيناها ودقت يداً على يد لما سمعت بموت ابنة عمي عزيزة وقالت عوضك الله فيها خيراً ياعزيز فإنها هي سبب سلامتك من بنت الدليلة المحتالة ولولا هي لكنت هلكت وأنا خائفة عليك من مكرها وشرها ولكن ما أقدر أن أتكلم فقلت لها والله أن ذلك كله قد حصل فهزت رأسها وقالت لا يوجد اليوم مثل عزيزة فقلت وعند موتها أوصتني أن أقول هاتين الكلمتين لا غير وهما الوفاء مليح والغدر قبيح فلما سمعت ذلك مني قالت يا عزيز والله أن هاتين الكلمتين هما اللتان خلصتاك منها وبسببهما ما قتلتك فقد خلصتك بنت عمك حية وميتة والله أني كنت أتمنى الاجتماع بك ولو يوماً واحد فلم أقدر على ذلك إلا في هذا الوقت حتى تحيلت عليك بهذه الحيلة وقد تمت وأنت الآن صغير لا تعرف مكر النساء ولا دواهي العجائز فقلت لا والله فقالت لي طب نفساً وقر عيناً فإن الميت مرحوم والحي ملطوف وأنت شاب مليح وأنا ما أريدك إلا بسنة الله ورسوله ﷺ ومهما أردت من مال وقماش يحضر لك سريعاً ولا أكلفك بشيء أبداً وأيضاً عندي دائماً الخبز مخبوزاً والماء في الكوز وما أريد منك إلا أن تعمل معي كما يعمل الديك فقلت لها وما الذي يعمله الديك فضحكت وصفقت بيدها ووقعت على قفاها من شدة الضحك ثم أنها قعدت وقالت لي أما تعرف صنعة الديك فقلت لها والله ما أعرف صنعة الديك قالت صنعة الديك أن تأكل وتشرب وتنكح فخجلت أنا من كلامها ثم إني قلت هذه صنعة الديك قالت نعم وما أريدك الآن إلا أن تشد وسطك وتقوي عزمك وتنكح ثم إنها صفقت بيدها وقالت يا أمي أحضري من عندك وإذا بالعجوز قد أقبلت بأربعة شهود عدول ثم أنها أوقدت أربع شمعات فلما دخل الشهود سلموا علي وجلسوا فقامت الصبية وأرخت عليها أزاراً ووكلت بعضهم في ولاية عقدها وقد كتبوا الكتاب وأشهدت على نفسها أنها قبضت جميع المهر مقدماً ومؤخراً وأن في ذمتها إلى عشرة آلاف درهم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٤٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشاب قال لتاج الملوك ثم أنها أعطت الشهود أجرتهم وانصرفوا من حيث أتوا فعند ذلك قامت الصبية وقلعت أثوابها وأتت في قميص رفيع مطرز بطراز من الذهب وقلعت لباسها وأخذت بيدي وطلعت بي فوق السرير وقالت لي ما في الحلال من عيب ووقعت على السرير وانسطحت على ظهرها ورمتني على بطنها ثم شهقت شهقة واتبعت الشهقة بغنجة ثم كشفت الثوب حتى جعلته فوق نهودها فلما رأيتها على تلك الحالة لم أتمالك نفسي دون أن أولجه فيها بعد أن مصصت شفتها وهي تتأوه وتظهر الخشوع والخضوع والبكاء والدموع وذكرتني في هذا الحال قول من قال:

ولما كشفت الثوب عن سطح فرجها وجدت به ضيقاً كخلقي وأرزاقي

فأولجت فيه ما نصفه فتنهدت فقلت لماذا فقالت على الباقي

ثم قالت يا حبيبي أعمل خلاصك فأنا جاريتك خذه هاته كله بحياتي عندك هاته حتى أدخله بيدي وأربح به فؤادي ولم تزل تسمعني الفتح والهشيق في خلال البوس والعنيق حتى صار صياحنا في الطريق وحظينا بالسعادة والتوفيق ثم حنا إلى الصباح وأردت أن أخرج وإذا هي أقبلت على ضاحكة وقالت هي تحسب أن دخول الحمام مثل خروجه وما أظن إلا أنك تحسبني مثل بنت الدليلة المحتالة أياك وهذا الظن فما أنت إلا زوجي بالكتاب والسنة وأن كنت سكران فأفق لعقلك أن هذه الدار التي أنت فيها ما تفتح إلا في كل سنة يوم قم إلى الباب الكبير وأنظره فقمت إلى الباب الكبير فوجدته مغلقاً مسمراً فعدت وأعلمتها بأنه مغلق مسمر فقالت لي يا عزيز أن عندنا من الدقيق والحبوب والفواكه والرمان والسكر واللحم والغنم والدجاج وغير ذلك ما يكفينا أعواماً عديدة ولا يفتح بابنا من هذه الليلة إلا بعد سنة فقلت لا حول ولا قوة إلا بالله فقالت وأي شيء يضرك وأنت تعرف صنعة الديك التي أخبرتك بها ثم ضحكت فضحكت أنا وطاوعتها فيما قالت ومكثت عندها وأنا أعمل صنعة الديك أكل وأشرب وأنكح حتى مر علينا عام أثنى عشر شهراً فلما كملت السنة حملت مني ورزقت منها ولداً وعند رأس السنة سمعت فتح الباب وإذا بالرجال دخلوا بكعك ودقيق وسكر فأردت أن أخرج فقالت أصبر إلى وقت العشاء ومثل ما دخلت فأخرج فصبرت إلى وقت العشاء وأردت أن أخرج وأنا خائف مرجوف وإذا هي قالت والله ما أدعك تخرج حتى أحلفك أنك تعود في هذه الليلة قبل أن يغلق الباب فأجبتها إلى ذلك وحلفتني بالإيمان الوثيقة على السيف والمصحف والطلاق أني أعود إليها ثم خرجت من عندها ومضيت إلى البستان فوجدته مفتوحاً كعادته فاغتظت وقلت في نفسي أني غائب عن هذا المكان سنة كاملة وجئت على غفلة فوجدته مفتوحاً يا ترى هل الصبية باقية علي حالها أولاً فلابد أن أدخل وأنظر قبل أن أروح إلى أمي وأنا في وقت العشاء ثم دخلت البستان وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٥٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن عزيز قال لتاج الملوك ثم دخلت البستان ومشيت حتى أتيت إلى المقعد فوجدت بنت الدليلة المحتالة جالسة ورأسها على ركبتها ويدها على خدها وقد تغير لونها وغارت عيناها فلما رأتني قالت الحمد لله على السلامة وهمت أن تقوم فوقعت من فرحتها فاستحييت منها وطأطأت رأسي ثم تقدمت إليها وقبلتها وقلت لها كيف عرفت أني أجيء إليك في هذه الساعة قالت لا علم لي بذلك والله أن لي

سنة لم أذق فيها نوماً بل أسهر كل ليلة في انتظارك وأنا على هذه الحالة من يوم خرجت من عندي وأعطيتك البدلة القماش الجديدة ووعدتني أنك تجيء إلي وقد أنتظرتك فما أتيت لا أول ليلة ولا ثاني ليلة ولا ثالث ليلة فاستمريت منتظرة لمجيئك والعاشق هكذا يكون وأريد أن تحكي لي ما سببت غيابك عني هذه السنة فحكيت لها فلما علمت أني تزوجت أصفر لونها ثم قلت لها أني أتيتك هذه الليلة وأروح قبل الصباح فقالت أما كفاها أنها تزوجت بك وعملت عليك حيلة وحبستك عندها سنة كاملة حتى حلفتك بالطلاق أن تعود إليها قبل الصباح ولم تسمح لك بأن تتفسح عند أمك ولا عندي ولم يهن عليها أن تبيت عند أحدنا ليلة واحدة فكيف حال من غبت عنها سنة كاملة وقد عرفتك قبلها ولكن رحم الله عزيزة فإنها جرى لها ما لم يجر لأحد وصبرت على شيء لم يصبر عليه مثلها وماتت مقهورة منك وهي التي حمتك مني وكنت أظنك تجيء فأطلقت سبيلك مع أني كنت أقدر على حبسك وعلى هلاكك ثم بكت واغتاظت ونظرت إلي بعين الغضب فلما رأيتها على تلك الحالة ارتعدت فرائضي وخفت منها وصرت مثل الفولة على النار ثم قالت لي ما بقي فيك فائدة بعدما تزوجت وصار لك ولد فأنت لا تصلح لعشرتي لأنه لا ينفعني إلا الأعزب وأما الرجل المتزوج فإنه لا ينفعني وقد بعتني بتلك العاهرة والله لأحسرنها عليك وتصير لا لي ولا لها ثم صاحت فما أدري إلا وعشرة جوار أتين ورميتني على الأرض فلما وقعت تحت أيديهن قامت هي وأخذت سكيناً وقالت لأذبحنك ذبح التيوس ويكون هذا أقل جزائك على ما فعلت مع أبنة عمك فلما نظرت إلى روحي وأنا تحت جواريها وتعفر خدي بالتراب ورأيت السكين في يدها تحققت الموت وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٥١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير دندان قال لضوء المكان ثم أن الشاب عزيز قال لتاج الملوك ثم استغثت بها فلم تزدد إلا قسوة وأمرتهن أن يكتفنني فكتفنني ورمينني على ظهري وجلسن على بطني وأمسكن رأسي وقامت جاريتان فأمسكتا اصابع رجلي وجاريتان جلستا على أقصاب رجلي وبعد ذلك قامت هي ومعها جاريتان فأمرتهما أن يضرباني فضربتاني حتى أغمى علي وخفي صوتي فلما استفقت قلت في نفسي أن موتي مذبوحاً أهون علي من هذا الضرب وتذكرت كلمة أبنة عمي حيث قالت كفاك الله شرها فصرخت وبكيت حتى انقطع صوتي ثم سنت السكين وقالت للجواري اكشفن عنه فألهمني الله أن أقول الكلمتين اللتين أوصتني بهما ابنة عمي وهما الوفاء مليح والغدر قبيح فلما سمعت ذلك صاحت وقالت يرحمك الله يا عزيزة سلامة شبابك نفعت ابن عمك في حياتك وبعد موتك ثم قالت لي والله أنك خلصت من يدي بواسطة هاتين الكلمتين لكن لابد أن أعمل فيك أثر لأجل نكاية تلك العاهرة التي حجبتك عني ثم صاحت علي وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٥٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن عزيز قال وصاحت على الجواري وقالت لهن اركبن عليه وأمرتهن أن يربطن رجلي بالحبال ففعلن ذلك ثم قامت من عندي وركبت طاجناً من نحاس على النار وصبت فيه سيرجاً وقلت فيه جبناً وأنا غائب عن الدنيا ثم جاءت عندي وحلت لباسي وربطت محاشمي بحبل وناولته الجاريتين وقالت لهما جروا الحبل فجرتاه فصرت من شدة الألم في دنيا غير هذه الدنيا ثم رفعت يدها

وقطعت ذكري بموس وبقيت مثل المرأة ثم كوت موضع القطع وكبسته بذور وأنا مغمي علي فلما أفقت كان الدم قد انقطع فاسقتني قدحاً من الشراب ثم قالت لي رح الآن لمن تزوجت بها وبخلت علي بليلة واحدة ررحم الله ابنة عمك التي هي سبب نجاتك ولولا أنك أسمعتني كلمتيها لكنت ذبحتك فاذهب في هـ ذه السـ ـاعة لمـ ـن تشتهي وأنا ما كان لي عندك سوى ما قطعته والآن ما بقي لي فيك رغبة ولا حاجة لي بك فقم وملس علـ ـى رأسك وترحم على ابنة عمك ثم رفستني برجلها فقمت وما قدرت أن أمشي فتمشيت قليلاً قليلاً حتى وصـ ـلت إلى الباب فوجدته مفتوحاً فرميت نفسي فيه وأنا غائب عن الوجود وإذا بزوجتي خرجت وحملتني وأدخلتـ ـي القاعة فوجدتني مثل المرأة فنمت واستغرقت في النوم فلما صحوت وجدت نفسي مرمياً على بـ ـاب البسـ ـتان وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٥٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير دندان قال للملك ضوء المكان ثم أن الشاب عزيز فقال لتـ ـاج الملوك فلما صحوت وجدت نسفي مرمياً على باب البستان فقمت وأنا أتضجر وتمشيت حتى أتيت إلى منزلي فدخلت فيه فوجدت أمي تبكي علي وتقول يا هل ترى يا ولدي أنت في أي أرض فدنوت منها ورميت نفسـ ـي عليها فلما نظرت إلي ورأتني وجدتني على غير استواء وصار على وجهي الأصفرار والسواد ثـ ـم تـ ذكرت ابنة عمي وما فعلت معي من المعروف وتحققت أنها كانت تحبني فبكيت عليها وبكت أمي ثم قالت إلـ ـي يـ ـا ولدي أن والدك قد مات فازددت غيظاً وبكيت حتى أغمي علي فلما أفقت نظرت إلي موضع ابنة عمي التـ ـي كانت تقعد فيه فبكيت ثانياً حتى أغمى علي من شدة البكاء ومازلت في بكاء ونحيب إلى نصف الليل فقالـ ـت لي أمي أن لوالدك عشرة أيام وهو ميت فقلت لها أنا لا أفكر في أحد أبداً غير ابنة عمي لأني اسـ ـتحق مـ ـا حصل لي حيث أهملتها وهي تحبني فقالت وما حصل لك فحكيت لها ما حصل لي فبكت سـ ـاعة ثـ ـم قامـ ـت وأحضرت لي شيئاً من المأكول فأكلت قليلاً وشربت وأعدت لها قصتي وأخبرتها بجميع ما وقع لـ ـي فقالـ ـت الحمد لله حيث جرى لك هذا وما ذبحتك ثم أنها عالجتني وداوتني حتى برئت وتكاملت عافيتي فقالت لي يـ ـا ولدي الآن أخرج لك الوديعة التي أودعتها ابنة عمك عندي فإنها لك وقد حلفتني أن لا أخرجها لك حتى أراك تتذكرها وتحزن عليها وتقطع علائقك من غيرها والآن رجوت فيك هذه الخصال ثم قامت وفتحت صـ ـندوقاً وأخرجت منه هذه الخرقة التي فيها صورة هذا الغزال وهي التي وهبتها لها أولاً فلما أخذتها وجدت مكتوبـ ـاً فيها هذه الأبيات:

أقمـ ـتم عيـ ـوني فـ ـي الهـ ـوى وقعـ ـدتم وأسـ ـهرتموا جفنـ ـي القـ ـريح ونمـ ـتم

وقـ ـد حلتمـ ـو بـ ـين الفـ ـؤاد ونـ ـاظري فـ ـلا القلـ ـب يسـ ـلوكم ولـ ـو ذاب مـ ـنكم

وعاهـ ـدتموني أنكـ ـم كـ ـاتموا الهـ ـوى فـ ـاغراكم الواشـ ـي وقـ ـال وقلـ ـتم

فبـ ـالله أخـ ـواني إذا مـ ـت فـ ـأكتبوا علـ ـى لـ ـوح قبـ ـري أن هـ ـذا متـ ـيم

فلما قرأت هذه الأبيات بكيت بكاء شديداً ولطمت على وجهي وفتحت الرقعة فوقعت منها ورقة أخـ ـرى ففتحتها فإذا مكتوب فيها اعلم يا ابن عمي أني جعلتك في حل من دمي وأرجو الله أن يوفق بينك وبـ ـين مـ ـن تحب لكن إذا أصابك شيء من الدليلة المحتالة فلا ترجع إليها ولا لغيرها وبعد ذلك فأصبر على بليتك ولـ ـو ولا

أجلك المحتم لهلكت من الزمان الماضي ولكن الحمد لله الذي جعل يومي قبل يومك وسلامي عليك واحفظ على هذه الخرقة التي فيها صورة الغزال ولا تفرط فيها فإن تلك الصورة كانت تؤانسني إذا غبت عني. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٥٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير دندان قال لضوء المكان ثم أن الشاب عزيزة للتاج الملوك أن ابنة عمي قالت لي أن قدرت على من صورت هذه الصورة ينبغي أنك تتباعد عنها ولا تخلها تقرب منك ولا تتزوج بها وأن لم تقدر عليها ولا تجد لك إليها سبيلاً فلا تقرب واحدة من النساء بعدها وأعلم أن التي صورت هذه الصورة تصور في كل سنة صورة مثلها وترسلها إلى أقصى البلاد لأجل أن يشيع خبرها وحسن صنعتها التي يعجز عنها أهل الأرض وأما محبوبتك الدليلة المحتالة فإنها لما وصلت إليها هذه الخرقة التي فيها صورة الغزال صارت تريها للناس وتقول لهم أن لي أختاً تصنع هذا مع أنها كاذبة في قولها هتك الله سترها وما أوصيتك بهذه الوصية لأنني أعلم أن الدنيا قد تضيق عليك بعد موتي وربما تتغرب بسبب ذلك وتطوف في البلاد وتسمت بصاحبة هذه الصورة فتتشوق نفسك إلى معرفتها واعلم أن الصبية التي صورت هذه الصورة بنت ملك جزائر الكافور فلما قرأت تلك الورقة وفهمت ما فيها بكيت وبكت أمي لبكائي ومازلت أنظر إليها وأبكي إلى أن أقبل الليل ولم أزل على تلك الحالة مدة سنة وبعد السنة تجهز تجار من مدينتي إلى السفر وهم هؤلاء الذين أنا معهم في القافلة فأشارت على أمي أن أتجهز وأسافر معهم وقالت لي لعل السفر يذهب ما بك من هذا الحزن وتغيب سنة أو سنتين أو ثلاثاً حتى تعود القافلة فلعل صدرك ينشرح ومازالت تلاطفني بالكلام حتى جهزت متجراً وسافرت معهم وأنا لم تنشف لي دمعة مدة سفري وفي كل منزلة تنزل بها أنشر هذه الخرقة قدامي وأنظر إلى هذه الصورة فأتذكر أبنة عمي وأبكي عليها كما تراني فإنها كانت تحبني محبة زائدة وقد ماتت مقهورة مني وما فعلت معها إلا الضرر مع أنها لم تفعل معي إلا الخير ومتى رجعت التجار من سفرهم أرجع معهم وتكمل مدة غيابي سنة وأنا في حزن زائد وما زاد همي وحزني إلا لأنني جزت على جزائر الكافور وقلعة البللور وهي سبع جزائر والحاكم عليهم ملك يقال له شهرمان وله بنت يقال لها دنيا فقيل لي أنها هي التي تصور صورة الغزلان وهذه الصورة التي معك من جملة تصويرها فلما علمت ذلك زادت بي الأشواق وغرقت في بحر الفكر والاحتراق فبكيت على روحي لأني بقيت مثل المرأة ولم تبق لي آلة مثل الرجال ولا حيلة لي ومن يوم فراقي لجزائر الكافور وأنا باكي العين حزين القلب ولي مدة على هذا الحال وما أدري هل يمكنني أن أرجع إلى بلدي وأموت عند والدتي أنلاً وقد شبعت من الدنيا ثم بكى وأن وأشتكى ونظر إلى صورة الغزال وجرى دمعه على خده وسال وأنشد هذين البيتين:

وقائلة قالت لي لابد من فرج ... فقلت للغيظ كم لابد من فرج

فقال لي بعد حين قلت يا عجبي ... من يضمن العمر لي يا بارد الحجج

وهذه حكايتي أيها الملك فلما سمع تاج الملوك قصة الشاب تعجب غاية العجب وانطلقت في فؤاده النيران حين سمع بجمال السيدة دنيا وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٥٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير دندان قال لضوء المكان ثم أن تاج الملوك قال للشاب والله لقد جرى لك شيء ما جرى لأحد منا ولكن هذا تقدير ربك وقصدي أن أسألك عن شيء فقال عزيز وما هو فقال تصف لي كيف رأيت تلك الصبية التي صورت صورة الغزال فقال يا مولاي أني توصلت إليها بحيلة وهو أني لما دخلت مع القافلة إلى بلادها كنت أخرج وأدور في البساتين وهي كثيرة الأشجار وحارس البساتين شيخ طاعن في السن فقلت له ياشيخ لمن هذا البستان فقال لي لأبنة الملك السيدة دنيا ونحن تحت قصرها فإذا أردت أن نتفرج فافتح باب السر وتفرج في البستان فتشم رائحة الأزهار فقلت له أنعم على بان أقعد في هذا البستان حتى تمر لعلي أن أحظى منها بنظرة فقال الشيخ لا بأس بذلك فلما قال ذلك أعطيته بعض الدراهم وقلت له اشتر لنا شيئانا كله ففرح بأخذ الدراهم وفتح الباب وأدخلني معه وسرنا ومازلنا سائرين إلى أن وصلنا إلى مكان لطيف وأحصر لي شيئاً من الفواكه اللطيفة وقال لي أجلس هنا حتى أذهب وأعود إليك وتركني ومضى فغاب ساعة ثم رجع ومعه خروف مشوي فأكلنا حتى أكتفينا وقلبي مشتاق إلى رؤية الصبية فبينما نحن جالسون وإذا بالباب قد انفتح فقال لي قم اختف فقمت وأختفيت وإذا بطواشي أسود أخرج رأسه من الباب وقال يا شيخ هل عندك أحد فقال لا فقال له إغلق الباب فأغلق الشيخ باب البستان وأذا بالسيدة دنيا طلعت من الباب فلما رأيتها ظننت أن القمر نزل في الأرض فأندهش عقلي وصرت مشتاقاً إليها كاشتياق الظمآن إلى الماء وبعد ساعة أغلقت الباب ومضت فعند ذلك خرجت أنا من البستان وقصدت منزلي وعرفت أني لا أصل إليها ولا أنا من رجالها خصوصاً وقد صرت مثل المرأة فقلت في نفسي أن هذه ابنة ملك وأنا رجل تاجر فمن أين لي أن أصل إليها فلما تجهز أصحابي للرحيل تجهزت أنا وسافرت معهم وهم قاصدون هذه المدينة فلما وصلنا إلى هذا الطريق اجتمعنا بك وهذه حكايتي وما جرى لي والسلام فلما سمع تاج الملوك ذلك الكلام اشتغل قلبه بحب السيدة دنيا ثم ركب جواده وأخذ معه عزيز وتوجه به إلى مدينة أبيه وافرد له داراً ووضع له فيها كل ما يحتاج إليه ثم تركه ومضى إلى قصره ودموعه جارية على خدوده لأن السماع يحل محل النظر والاجتماع ومازال تاج الملوك على تلك الحالة حتى دخل عليه أبوه فوجده متغير اللون فعلم أنه مهموم ومغموم فقال له يا ولدي أخبرني عن حالك وما جرى لك حتى تغير لونك فأخبره بجميع ما جرى له من قصة دنيا من أولها إلى آخرها وكيف عشقها على السماع ولم ينظرها بالعين فقال يا ولدي أن أباها ملك وبلاده بعيدة عنى فدع عنك هذا وأدخل قصر أمك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٥٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن والد تاج الملوك قال له يا ولدي أن أباها ملك وبلاده بعيدة عنا فدع عنك هذا وأدخل قصر أمك فإن فيه خمسمائة جارية كالأقمار فمن أعجبتك منهن فخذها وإن لم تعجبك جارية منهن نخطب بنتاً من بنات الملوك تكون أحسن من السيدة دنيا فقال له يا والدي لا أريد غيرها وهي التي صورت صورة الغزال التي رأيتها فلابد منها وألا أهيج في البراري وأقتل روحي بسببها فقال له أبوه يا ولدي أمهل علي حتى أرسل إلى أبيها وأخطبها منه وأبلغك المرام مثل ما فعلت لنفسي مع أمك وأن لم يرض زلزلت عليه مملكته وحردت عليه جيشاً يكون آخره عندي وأوله عنده ثم دعا الشاب عزيز وقال يا ولدي هل أنت تعرف الطريق قال نعم قال له اشتهي منك أن تسافر مع وزيري فقال له عزيز سمعاً وطاعة ثم جهز

عزيز مع وزيره وأعطاهم الهدايا فسافروا أياماً وليالي إلى أن أشرفوا على جرائر الك افور فأق اموا عل ى شاطيء نهر وأنفذ الوزير رسولاً من عنده إلى الملك ليخبره بقدومهم وبعد ذهاب الرسول بنصف ي وم ل م يشعروا إلا وحجاب الملك وامراؤه قد أقبلوا عليهم ولا قوهم من مسيرة فرسخ فتلقوهم وساروا في خ دمتهم إلى أن دخلوا بهم على الملك فقدموا له الهدايا وأقاموا عنده أربعة أيام وفي اليوم الخامس قام الوزير ودخ ل على الملك ووقف بين يديه وحدثه بحديثه وأخبره بسبب مجيئه فصار الملك متحيراً في ردالجواب لأن ابنت ه لا تحب الزواج وأطرق برأسه إلى الأرض ساعة ثم رفع رأسه إلى بعض الخدام وقال له اذهب إلى س يدتك دنيا وأخبرها بما سمعت وبما جاء به هذا الوزير فقام الخادم وغاب ساعة ثم أتى إلى الملك وقال له يا مل ك الزمان أني لما دخلت على السيدة دنيا أخبرتها بما سمعت فغضبت غضباً شديداً ونهض ت عل ى بمس وقة وأرادت كسر رأسي ففررت منها هارباً وقالت لي أن كان أبي يغصبني على الزواج فالذي أتزوج به أقتل ه فقال أبوها للوزير وعزيز سلما على الملك وأخبراه بذلك وأن أبنتي لا تحب الزواج وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٥٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد عند ذلك رجع الوزير ومن معه من غير قائده ومازالوا مسافرين إلى أن دخلوا على الملك وأخبروه فعند ذلك أمر النقباء أن ينبهوا العسكر إلى السفر من أجل الحرب والجهاد فقال له الوزير لا تفعل ذلك فإن الملك لا ذنب له وأنما الامتناع من أبنته فإنها حين علمت بذلك أرس لت تق ول أن غصبني أبي على الزواج أقتل من أتزوج به وأقتل نفسي بعده فلما سمع الملك كلام الوزير خاف على ول ده تاج الملوك وقال أن حاربت أباها وظفرت بأبنته قتلت نفسها ثم أن الملك أعلم أبنه تاج الملوك بحقيقة الأم ر فلما علم بذلك قال لأبيه يا والدي أنا لا أطيق الصبر عنها فأنا أروح إليها وتسبب في اتصالي بها ولو أم وت ولا افعل غير هذا فقال له أبوه وكيف تروح فقال أروح في صفة تاجر فقال الملك أن كان ولابد فخ ذ مع ك الوزير وعزيزا ثم أنه أخرج شيئاً من خزائنه وهيأ له متجراً بمائة ألف دينار وأتفقا معه على ذلك فلما ج اء الليل ذهب تاج الملوك وعزيز إلى منزل الوزير وباتا هناك تلك الليلة وصار تاج الملوك مسلوب الفؤاد ول م يطب له أكل ولا رقاد بل هجمت عليه الأفكار وغرق منها في بحار وهزه الشوق إلى محبوبته فأفاض دم ع العين وأنشد هذين البيتين:

ت رى ه ل لنا ا بع د البع اد وص ول فأش . كوا إل . يكم ص . بوتي وأق . ول
ت . ذكرتكم والليـ . ل ن . اء ص . احبه وأس . . هرتموني والأن . . ام غف . . ول

فلما فرغ من شعره بكى بكاء شديداً وبكا معه معه عزيز وتذكر ابنة عمه ومازالا يبكيان إلى أن أصبح الصباح ثم قام تاج الملوك ودخل على والدته وهو لابس أهبة السفر فسألته عن حاله فأخبرها بحقيقة الأم ر فأعطته خمسين ألف دينار ثم ودعته وخرج من عندها ودعت له بالسلامة والاجتماع بالأحباب ثم دخل عل ى والده واستأذنه أن يرحل فأذن له وأعطاه خمسين ألف دينار وأمر أن تضرب له خيمة عظيمة وأقاموا فيه ا يومين ثم سافروا واستأنس تاج الملوك بعزيز وقال له يا أخي أنا ما بقيت أطيق أن أفارقك فقال عزيز وأن ا الآخر كذلك وأحب أن أموت تحت رجليك ولكن يا أخي قلبي اشتغل بوالدتي فقال له تاج الملوك لم ا نبل غ

المرام لا يكون إلا خيراً وكان الوزير قد وصى تاج الملوك بالاصطبار وصار عزيز ينشد له الأشعار ويحدثه بالتواريخ والأخبار ولم يزالوا سائرين بالليل والنهار مدة شهرين فطالت الطريق على تاج الملوك وأشتد عليه الغرام وزاد به الوجد والهيام فلما قربوا من المدينة فرح تاج الملوك غاية الفرح وزال عنه الهم والترح ثم دخلوها ومازالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى سوق البر فلما رأت التجار تاج الملوك وشاهدوا حسنه وجماله تحيرت عقولهم وصاروا يقولون هل رضوان فتح أبواب الجنان وسها عنها فخرج هذا الشاب البديع الحسن وبعضهم يقول لعل هذا من الملائكة فلما دخلوا عند التجار سألوا عن دكان شيخ السوق فدلوهم عليه فتوجهوا إليه فلما قربوا قام إليهم هو ومن معه من التجار وعظموهم خصوصاً الوزير الأجل فأنهم رأوه رجلاً كبيراً مهاباً ومعه تاج الملوك وعزيز فقال التجار لبعضهم لاشك أن هذا الشيخ والد هذين الغلامين فقال الوزير من شيخ فيكم فقالوا ها هو فنظر إليه الوزير وتأمله فرآه رجلاً كبيراً صاحب هيبة ووقار وخدم وغلمان ثم أن شيخ السوق حياهم تحية الأحباب وبالغ في إكرامهم وأجلسهم جنبه وقال لهم هل لكم حاجة نفوز بقضائها فقال الوزير نعم أني رجل كبير طاعن في السن ومعي هذان الغلمان وسافرت بهما سائر الأقاليم والبلاد وما دخلت بلدة إلا أقمت بها سنة كاملة حتى يتفرجا عليها ويعرفا أهلها وأني قد أتيت بلدكم هذه واخترت المقام فيها واشتهي منك دكاناً تكون من أحسن المواضع حتى أجلسهما فيها ليتاجرا ويتفرجا على هذه المدينة ويتخلقا بأخلاق أهلها ويتعلما البيع والشراء والأخذ والعطاء فقال شيخ السوق لا بأس بذلك ثم نظر إلى الولدين وفرح بهما وأحبهما حباً زائداً وكان شيخ السوق مغرماً بفاتك اللحظات ويغلب حب البنين على البنات ويميل إلى الحموضة فقال في نفسه سبحان خالقهما ومصورهما من ماء مهين ثم قام واقفاً في خدمتهما كالغلام بين أيديهما وبعد ذلك سعي وهيأ لهما الدكان وكانت في وسط السوق ولم يكن أكبر منها ولا أوجه منها عندهم لأنها كانت متسعة مزخرفة فيها رفوف من عاج وأبنوس ثم سلم المفاتيح للوزير وهو في صفة تاجر وقال جعلها الله مباركة على ولديك فلما أخذ الوزير مفاتيح الدكان توجه غليها والغلمان ووضعوا فيها امتعتهم وأمروا غلمانهم أن ينقلوا إليها جميع ما عندهم من البضائع والقماش. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٥٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير لما أمر غلمانه أن ينقلوا البضائع والقماش وكان ذلك يساوي خزائن مال فنقلوا جميع ذلك إلى الدكان وباتوا تلك الليلة فلما أصبح الصباح أخذهما الوزير ودخل بهما الحمام فلما دخلوا الحمام تنظفوا وأخذوا غاية حظهم وكان كل من الغلامين ذا جمال باهر فصاه في الحمام على حد قول الشاعر:

بشرى لقيمه إذ لامست يده جسماً تولد بين الماء والنور
مازال يظهر لطفاً من صناعته حتى جنى المسك من تمثال كافور

ثم خرجا من الحمام وكان شيخ السوق لما سمع بدخولهما الحمام قعد في انتظارهما وإذا بهما قد أقبلا وهما كالغزالين وقد أحمرت خدودهما وأسودت عيونهما ولمعت أبدانهما حتى كأنهما غصنان مثمران أو قمران زاهيان فقال لهما يا أولادي حمامكم نعيم دائم فقال تاج الملوك بأعذب كلام ليتك كنت معنا ثم أن

الأثنين قبلا يديه ومشيا قدامه حتى وصلا إلى الدكان تعظيماً له لأنه كبير السوق وقد أحسن أليهما بأعطائهما الدكان فلما رأى أردافهما في ارتجاج زاد به الوجد وهاج وشخر ونخر ولم يبق له مصـ طبر فأحـ دق بهمـ ـا العينين وأنشد هذين البيتين:

يطـ ـالع القلـ ـب بـ ـاب الاختصـ ـاص بـ ـه	ولـ ـيس يقـ ـرأ فيـ ـه مبحـ ـث الشـ ـركة
لا غرو فـ ـي كونـ ـه يـ ـرتج مـ ـن ثـ ـقل	فكـ ـم لـ ـذا الفلـ ـك الـ ـدوار مـ ـن حركـ ـة

فلما سمعا هذا الشعر أقسما عليه أن يدخل معهما الحمام ثانياً وكان قد تركا الوزير داخل الحمام فلمـ ـا دخل شيخ السوق إلى الحمام ثاني مرة سمع الوزير بدخوله فخرج إليه من الخلوة واجتمع به في وسط الحمام وعزم عليه فامتنع فأمسك بأحدى يديه تاج الملوك وبيده الأخرى عزيز ودخلا به خلوة أخرى فانقاد لهما ذلك الشيخ الخبيث فحلف تاج الملوك أن لا يحميه غيره وحلف عزيز أن لا يصب عليه الماء غيـ ـره فقـ ـال لـ ـه الوزير أنهما أولادك فقال شيخ السوق أبقاهما الله لك لقد حلت في مدينتنا البركة والسعود بقـ ـدومكم وقـ ـدوم أتباعكم ثم أنشد هذين البيتين:

أقبلـ ـت فأخضـ ـرت لـ ـدينا الربـ ـا	وقـ ـد زهـ ـت بـ ـالزهر للمجتلـ ـي
ونـ ـادت الأرض ومـ ـن فوقهـ ـا	أهـ ـلاً وسـ ـهلا بـ ـك مـ ـن مقبلـ ـي

فشكروه على ذلك ومازال تاج الملوك يحميه وعزيز يصب عليه الماء وهو يظن أن روحه في الجنـ ـة حتى أتما خدمته فدعا لهما وجلس جنب الوزير على أنه يتحدث معه ولكن معظم قصده النظـ ـر إلـ ـى تـ ـاجر الملوك وعزيز ثم بعد ذلك جاءت لهم الغلمان بالمناشف فتنشفوا ولبسوا حوائجهم ثم خرجوا من الحمام فأقبل الوزير على شيخ السوق وقال له يا سيدي أن الحمام نعيم الدنيا فقال شيخ السـ ـوق جعلـ ـه الله لـ ـك ولأولادك عافية وكفاهما الله شر العين فهل تحفظون شيئاً مما قالته البلغاء في الحمام فقال تاج الملوك أنا أنشد لك بيتين وهما:

أن عـ ـيش الحمـ ـام أطيـ ـب عـ ـيش	غيـ ـر أن المقـ ـام فيـ ـه قليـ ـل
جنـ ـة تكـ ـره الإقامـ ـة فيهـ ـا	وجحـ ـيم يطيـ ـب فيهـ ـا الـ ـدخول

فلما فرغ تاج الملوك من شعره قال عزيز وأنا أحفظ في الحمام شيئاً فقال شيخ السوق اسـ ـمعني أيـ ـاه فأنشد هذين البيتين:

وبيت لـ ـه مـ ـن جامـ ـد الصـ ـخر أزهـ ـار	أنيـ ـق إذا أضـ ـرمت حولـ ـه النـ ـار
تـ ـراه جحيمـ ـاً وهـ ـو فـ ـي الحـ ـق جنـ ـة	وأكثـ ـر مـ ـا فيهـ ـا شـ ـموس وأقمـ ـار

فلما فرغ عزيز من شعره تعجب شيخ السوق من شعرهما وفصاحتهما وقال لهمـ ـا والله لقلـ ـد حزتمـ ـا الفصاحة والملاحة فاسمعا أنتما مني ثم أطرب بالنغمات وأنشد هذه الأبيات:

يـ ـا حسـ ـن نـ ـار والنعـ ـيم عـ ـذابها	تحيـ ـا بهـ ـا الأرواح والأبـ ـدان
فاعجـ ـب لبيـ ـت لا يـ ـزال نعيمـ ـه	غضـ ـا وتوقـ ـد تحتـ ـه النيـ ـران
عـ ـيش السـ ـرور لمـ ـن ألـ ـم بـ ـه وقـ ـد	سـ ـفحت عليـ ـه دموعهـ ـا الغـ ـدران

فلما سمعوا ذلك تعجبوا من هذه الأبيات ثم أن شيخ السوق عزم عليهم فامتنعوا ومضوا إلى منازلهم ليستريحوا من تعب الحمام ثم أكلوا وشربوا وباتوا تلك الليلة في منزلهم في أتم ما يكون من الحظ والسرور فلما أصبح الصباح قاموا من نومهم وتوضئوا وصلوا فرضهم وأصبحوا ولما طلع النهار وفتحت الدكاكين والأسواق خرجوا من المنزل وتوجهوا إلى السوق وفتحوا الدكان وكان الغلمان قد هيئوها أحسن هيئة وفرشوها بالبسط الحرير ووضعوا فيها مرتبتين كل واحدة منهما تساوي مائة دينار وجعلوا فوق كل مرتبة نطفاً ملوكياً دائرة من الذهب فجلس تاج الملوك على مرتبة وجلس عزيز على الأخرى وجلس الوزير في وسط الدكان ووقف الغلمان بين أيديهم وتسامعت بهم الناس فازدحموا عليهم وباعوا بعض أقمشتهم وشاع ذكر تاج الملوك في المدينة واشتهر فيها خبر حسنه وجماله ثم أقاموا على ذلك أياماً وفي كل يوم تهرع الناس إليهم فأقبل الوزير على تاج الملوك وأوصاه بكتمان أمره وأوصى عليه عزيز ومضى إلى الدار ليدبر أمراً يعود نفعه عليهم وصار تاج الملوك وعزيز يتحدثان وصار تاج الملوك يقول عسى أن يجيء أحد من عند السيدة دنيا ومازال تاج الملوك على ذلك أياماً وليالي وهو لا ينام وقد تمكن منه الغرام وزاد به النحول والأسقام حتى حرم لذيذ المنام وامتنع من الشراب والطعام وكان كالبدر في تمامه فبينما تاج الملوك جالس وإذا بعجوز أقبلت عليه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٥٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد بينما تاج الملوك جالس وإذا بعجوز أقبلت عليه وتقدمت إليه وخلفها جاريتان ومازالت ماشية حتى وقفت على دكان تاج الملوك فرأت قده واعتداله وحسنه وجماله فتعجبت من ملاحته ورشحت في سراويلها ثم قالت سبحان من خلقك من ماء مهين سبحان من جعلك فتنة للعالمين ولم تزل تتأمل فيه وتقول ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم ثم دنت منه وسلمت عليه فرد عليها السلام وقام لها واقفاً على الأقدام وتبسم في وجهها هذا كله بإشارة عزيز ثم أجلسها إلى جانبه وصار يروح عليها إلى أن استراحت ثم أن العجوز قالت لتاج الملوك يا ولدي يا كامل الأوصاف والمعاني هل أنت من هذه الديار فقال تاج الملوك بكلام فصيح عذب مليح والله يا سيدتي عمري ما دخلت هذه الديار إلا هذه المرة ولا أقمت فيها إلا على سبيل الفرجة فقالت لك الأكرام من قادم على الرحب والسعة ما الذي جئت به معك من القماش فأرني شيئاً مليحاً فإن المليح لا يحمل إلا المليح فلما سمع تاج الملوك كلامها خفق فؤاده ولم يفهم معنى كلامها فغمزه عزيز بالإشارة فقال لها تاج الملوك عندي كل ما تشتهين من الشيء الذي لا يصلح إلا للملوك وبنات الملوك فلمن تريدين حتى أقلب عليك ما يصلح لأربابه وأراد بذلك الكلام أن يفهم معنى كلامها فقالت له أريد قماشاً يصلح للسيدة دنيا بنت الملك شهرمان فلما سمع تاج الملوك ذكر محبوبته فرح فرحاً شديد وقال لعزيز أئتني بأفخر ما عندك من البضاعة فأتاه عزيز ببقجة وحلها بين يديه فقال لها تاج الملوك اختاري ما يصلح لها فإن هذا الشيء لا يوجد عند غيري فأختارت العجوز شيئاً يساوي ألف دينار وقالت بكم هذا وصارت تحدثه وتحك بين أفخاذها بكلوة يدها فقال لها وهل أساوم مثلك في هذا الشيء الحقير الحمد لله الذي عرفني بك فقالت له العجوز أعوذ وجهك المليح برب الفلق أن وجهك مليح وفعلك مليح هنيئاً لمن تنام في حضنك وتضم قوامك الرجيح وتحظى بوجهك الصبيح وخصوصاً إذا كانت صاحبة حسن مثلك فضحك تاج

الملوك حتى استلقى على قفاه ثم قال يا قاضي الحاجات على أيدي العجائز الفاجرات فقالت يا ولدي ما الاسم قال اسمي تاج الملوك فقالت أن هذا الاسم من أسماء الملوك ولكنك في زي التجار فقال لها عزيز من محبته عند أهله ومعزته عليهم سموه بهذا الاسم فقالت العجوز صدقت كفاكم الله شر الحساد ولو فتت بمحاسـ نكم إلا كباد ثم أخذت القماش ومضت وهي باهتة في حسنه وجماله وقده واعتداله ولم تزل ماشية حتى دخلت علـ ى السيدة دنيا وقالت لها يا سيدتي جئت لك بقماش مليح فقالت لها أريني أياه فقالت يا سيدتي هـ ا هـ و فقلبيـ ه وأنظريه فلما رأته السيدة دنيا قالت لها يا دادتي أن هذا قماش مليح ما رأيته في مدينتنا فقالـ ت العجـ وز يـ ا سيدتي أن بائعه أحسن منه كأن رضوان فتح أبواب الجنان وسها فخرج منها التاجر الذي يبيع هـ ذا القمـ اش وأنا أشتهي في هذه الليلة أن يكون عندك وينام بين نهودك فإنه فتنة لمن يراه وقد جاء مدينتنا بهذه الأقمشـ ة لأجل الفرجة فضحكت السيدة دنيا من كلام العجوز. وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٥٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن السيدة دنيا حين ضحكت من كلام العجوز وقالت أخزاك الله يا عجوز النحس أنك خرفت ولم يبق لك عقل ثم قالت هات القماش حتى أبصره جيداً فناولتها أياه فنظرته ثانياً فرأتـ ه شيئاً قليلاً وثمنه كثيراً وتعجبت من حسن ذلك القماش لأنها ما رأت في عمرها مثله فقالت لها العجـ وز يـ ا سيدتي لو رأيت صاحبه لعرفت أنه أحسن ما يكون على وجه الأرض فقالت لها السيدة دنيا هـ لـ سـ ألتيه أن كان له حاجة يعلمنا بها فنقضيها له فقالت العجوز وقد هزت رأسها حفظ الله فراستك والله أن له حاجة وهـ لـ أحد يخلوا من حاجة فقالت لها السيدة دنيا أذهبي غليه وسلمي عليه وقولي له شرفت بقدومك مدينتنا ومهـ ا كان لك من الحوائج قضيناه لك على الرأس والعين فرجعت العجوز إلى تاج الملوك في الوقت فلما رآها طار قلبه من الفرح ونهض لها قائماً على قدميه وأخذ يدها وأجلسها إلى جانبه فلما جلست واستراحت أخبرته بمـ ا قالته السيدة دنيا فلما سمع ذلك فرح غاية الفرح واتسع صدره وأنشرح وقال في نفسه قد قضيت حاجتي ثـ م قال للعجوز لعلك توصلين إليها كتاباً من عندي وتأتيني بالجواب فقالت سمعاً وطاعة فلما سمع ذلك منها قال لعزيز أئتني بدواة وقرطاس وقلم من نحاس فلما أتاه بتلك الأدوات كتب هذه الأبيات:

كتبـ ـت إليـ ـك يـ ـا سـ ـؤالي كتابـ ـاً ... بمـ ـا ألقـ ـاه مـ ـن ألـ ـم الفـ ـراق

فـ ـأول مـ ـا أسـ ـطر نـ ـار قلبـ ـي ... وثانيـ ـ ـه غرامـ ـ ـي واشـ ـ ـتياقي

وثالثـ ـه مضـ ـى عمـ ـري وصـ ـبري ... ورابعـ ـه جميـ ـع الوجـ ـد بـ ـاقي

وخامسـ ـه متـ ـى عينـ ـي تـ ـراكم ... وسادسـ ـه متـ ـى يـ ـوم الـ ـتلاق

ثم كتب في إمضائه أن هذا الكتاب من أسير الأشواق المسجون في سجن الاشتياق الذي ليس له إطلاق إلا بالوصال ولو بطيف الخيال لأنه يقاسي أليم العذاب من فراق الأحباب ثم أفاض جمع العين وكتب هـ ذين البيتين:

كتبـ ـت إليـ ـك والعبـ ـرات تجـ ـري ... ودمـ ـع العـ ـين لـ ـيس لـ ـه انقطـ ـاع

ولسـ ـت بيـ ـائس مـ ـن فضـ ـل ربـ ـي ... عسـ ـى يـ ـوم يكـ ـون بـ ـه اجتمـ ـاع

ثم طوى الكتاب وختمه وأعطاه للعجوز وقال أوصليه إلى السيدة دنيا فقالت سمعاً وطاعة ثم أعطاه ا ألف دينار وقال أقبلي مني هذه هدية فأخذتها وانصرفت داعية له ولم تزل ماشية حتى دخلت على السيدة دنيا فلما رأتها قالت لها يا دادتي أي شيء طالب من الحوائج حتى نقضيها له فقالت لها يا سيدتي قد أرسل مع ي كتاباً ولا أعلم بما فيه ثم ناولتها الكتاب فأخذته وقرأته وفهمت معناه ثم قالت من أين إلى أين حتى يراس لني هذا التاجر ويكاتبني ثم لطمت وجهها وقالت لولا خوفي من الله تعالى لصلبته على دكانه فقالت العجوز وأي شيء في هذا الكتاب حتى أزعج قلبك هل فيه شكاية مظلمة أو فيه ثمن القماش فقالت لها ويلك ما في ه ذل ك وما فيه إلا عشق ومحبة وهذا كله منك وإلا فمن أين يتوصل هذا الشيطان إلى هذا الكلام فقالت لها العجوز يا سيدتي أنت قاعدة في قصرك العالي وما يصل إليك أحد ولا الطير الطائر سلامتك من اللوم والعذ اب وم ا عليك من نباح الكلاب فلا تؤاخذيني حيث أتيتك بهذا الكتاب ولا أعلم ما فيه ولكن الرأي أن تردي إليه جواباً وتهدديه فيه بالقتل وتنهيه عن هذا الهذيان فإنه ينتهي ولا يعود فقالت السيدة دنيا أخاف أن أكاتبه فيطمع فقالت العجوز إذا سمع التهديد والوعيد رجع عما هو فيه فقالت علي بدواة وقرطاس وقلم من نحاس فلما أحضروا لها تلك الأدوات كتبت هذه الأبيات:

يا مدعي الحـ ب والبلـ وى مـ ع السـ هر	ومـ ا يلاقيه مـ ن وجـ د ومـ ن فكـ ر
أتطلب الوصل يـ ا مغـ رور مـ ن قمـ ر	وهل ينال المنـ ى شـ خص مـ ن القمـ ر
أنـ ـي بصـ ـحتك عمـ ـا أنـ ـت طالبـ ـه	فأقصـ ر فأنـ ك فـ ي هـ ذا علـ ى خطـ ر
وأن رجعـ ـت إلـ ـى هـ ـذا الكـ ـلام فقـ ـد	أتـ ـاك منـ ـي عـ ـذاب زائـ ـد الضـ ـرر
وحق مـ ن خلـ ق الإنسـ ان مـ ن علـ ق	ومـ ـن أنـ ـار ضـ ـياء الشـ ـمس والقمـ ـر
لـ ـئن عـ ـدت لمـ ـا أنـ ـت ذاكـ ـره	لأصـ ـلبنك فـ ـي جـ ـذع مـ ـن الشـ ـجر

ثم طوت الكتاب وأعطته للعجوز وقالت لما أعطيه له وقولي له كف عن هذا الكلام فقالت لهـ ا سـ معاً وطاعة ثم أخذت الكتاب وهي فرحانة ومضت إلى منزلها وباتت في بيتها فلما أصبح الصباح توجهـ ت إلـ ى دكان تاج الملوك فوجدته في انتظارها فلما رآها كاد أن يطير من الفرح فلما قربت منه نهض إليهـ ا قائمـ اً وأقعدها بجانبه فأخرجت له الورقة وناولته أياها وقالت له أقرأ ما فيها ثم قالت له أن السيدة دنيا لمـ ا قـ رأت كتابك اغتاظت ولكنني لاطفتها ومازحتها حتى أضحكتها ورقت لك وردت لك الجواب فشكرها تاج المـ وك على ذلك وأمر عزيز أن يعطيها ألف دينار ثم أنه قرأ الكتاب وفهمه وبكى بكاء شديداً فرق له قلب العجـ وز وعظم عليها بكاؤه وشكواه ثم قالت له يا ولدي وأي شيء في هذه الورقة حتى أبكاك فقال لها أنهـ ا تهـ ددني بالقتل والصلب وتنهاني عن مراسلتها وإن لم أراسلها يكون موتي خيراً من حياتي فخـ ذي جـ واب كتابهـ ا ودعيها تفعل ما تريد فقالت له العجوز وحياة شبابك لابد أني أخاطر معك بروحي وأبلغك مرادك وأوصـ لك إلى ما في خاطرك فقال لها تاج الملوك كل ما تفعليه أجازيك عليه ويكون في ميزانك فأنك خبيرة بالسياسـ ة وعارفة بأبواب الدناسة وكل عسير عليك يسير والله على كل شيء قدير ثم أخذ ورقـ ة وكتـ ب فيهـ ا هـ ذه الأبيات:

أمسـ ـت تهـ ـددني بالقتـ ـل وأحزنـ ـي	والقتـ ـل لـ ـي راحـ ـة والمـ ـوت مقـ ـدور

والم وت أغذ ى لصد ب أن تط ول ب ه حياة . ه وه . و ممذ . وع ومقه . ور
ب . الله زوروا محب . اً ق . ل ناصد . ره ف . أنني عب . دكم والعب . د مأسد . ور
ي ـا سـ ـادتي فـ ـأرحموني فـ ـي محبـ ـتكم فك .ل مـ .ن يعشـ .ق الأحـ .رار معـ .ذور

ثم أنه تنفس الصعداء وبكى حتى بكت العجوز وبعد ذلك أخذت الورقة منه وقالت له طب نفسـ ـاً وقـ ـر عيناً فلا بد أن أبلغك مقصودك. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٦٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العجوز قامت وتركت تاج الملوك على الغار وتوجهت إلى السيدة دنيا فرأتها متغيرة اللون من غيظها بمكتوب تاج الملوك فناولتها الكتاب فازدادت غيظاً وقالت للعجوز أما قلت لك أنه يطمع فينا فقالت لها وأي شيء هذا الكتاب حتى يطمع فيك فقالت لها السيدة دنيا اذهبي إليه وقولي لـ ـه أن راسلتها بعد ذلك ضربت عنقك فقالت لها العجوز أكتبي له هذا الكلام في مكتوب وأنا آخذ المكتـ ـوب معـ ـي لأجل أن يزداد خوفه أخذت ورقة وكتبت فيها هذا الأبيات:

أيـ .ـا غـ .افلاً عـ .ن حادثـ .ـاً الطـ .وارق ولـ .يس إلـ .ى نيـ .ل الوصـ .ال بسـ .ابق
أتـ ـزعم يـ ـا مغـ ـرور أن تـ ـدرك السـ ـها ومـ ـا أنـ ـت للبـ ـدر المنيـ ـر بـ ـلاحـ ـق
فكيـ . ـف ترجيـ . ـا وتأمـ . ـل وصـ . ـلنا لتحظـ . ـي بضـ . ـم للقـ . ـدود الرواشـ . ـق
فدع عنك هـ ـذا القصـ ـد خيفـ ـة سـ ـطوتي بيـ .ـوم عبـ .ـوس فيـ .ـه شـ .ـيب المفـ .ـارق

ثم طوت الكتاب وناولته للعجوز فأخذته وانطلقت به إلى تاج الملوك فلما رآها قام على قدميه وقـ ـال لا أعدمني الله بركة قدومك فقالت له العجوز خذ جواب مكتوبك فأخذ الورقة وقرأها وبكى بكاء شديداً وقال أني اشتهي من يقتلني الآن فإن القتل أهون على من هذا الأمر الذي أنا فيه ثم أخذ دواة وقلما وقرطـ ـاس وكتـ ـب مكتوباً ورقم هذين البيتين:

فيـ ـا منيتـ ـي لا تبتغـ ـي الهجـ ـر والجفـ ـا فـ .أني محـ .ب فـ .ي المحبـ .ة غـ .ارق
ولا تحسـ ـبيني فـ ـي الحيـ ـاة مـ ـع الجفـ ـا فروحـ .ي مـ .ن بعـ .د الأحبـ .ة طـ .الق

ثم طوى الكتاب وأعطاه للعجوز وقال لها قد أتعبتك بدون فائدة وأمر عزيز أن يدفع لها ألـ ـف دينـ ـار وقال لها يا أمي أن هذه الورقة لابد أن يعقبها كمال الاتصال أو كمال الانفصال فقالت له يا ولـ ـدي والله مـ ـا اشتهى لك إلا الخير ومرادي أن تكون عندك فأنك أنت القمر صاحب الأنوار الساطعة وهي الشمس الطالعـ ـة وأن لم أجمع بينكما فليس في حياتي فائدة وأنا قد قطعت عمري في المكر والخداع حتى بلغت التسعين مـ ـن الأعوام فكيف أعجز عن الجمع بين اثنين في الحرام ثم ودعته وطيبت قلبه وانصرفت ولم تزل تمشي حتـ ـى دخلت على السيدة دنيا وقد أخفت الورقة في شعرها فلما جلست عندها حكت رأسها وقالت يا سيدتي عساك أن تفلي شوشتي فإن لي زماناً ما دخلت الحمام فكشفت السيدة دنيا عن مرفقيها وحلت شعر العجوزوصـ ـارت تفلي شوشتها فسقطت الورقة من رأسها فرأتها السيدة دنيا فقالت ما هذه الورقة فقالت كأني قعدت على دكان التاجر فتعلقت معي هذه الورقة هاتيها حتى أوديها له ففتحتها السيدة دنيا وقرأتها وفهمت ما فيهـ ـا فاغتاظـ ـت

غيظاً شديداً وقالت كل الذي جرى لي من تحت رأس هذه العجوز النحس فصاحت على الجواري والخدم وقالت امسكوا هذه العجوز الماكرة وأضربوها بنعالكم فنزلوا عليها ضرباً بالنعال حتى غشي عليها فلما أفاقت قالت لها والله يا عجوز السوء لولا خوفي من الله تعالى لقتلتك ثم قالت لهم أعيدوا الضرب فضربوها حتى غشي عليها ثم أمرتهم أن يجروها ويرموها خارج الباب فسحبوها على وجهها ورموها قدام الباب فلما أفاقت قامت تمشي وتقعد حتى وصلت إلى منزلها وصبرت إلى الصبح ثم قامت وتمشت حتى أتت على تاج الملوك وأخبرته بجميع ما جرى لها فصعب عليه ذلك وقال لها يعز علي يا أمي ما جرى لك ولكن كل شيء بقضاء وقدر فقالت له طب نفساً وقر عيناً فأني لا أزال أسعى حتى أجمع بينك وبينها وأوصلك إلى هذه العاهرة التي أحرقتني بالضرب فقال لها تاج الملوك أخبريني ما سبب بغضها للرجال فقالت أنها رأت مناماً أوجب ذلك فقال لها وما ذلك المنام فقالت أنها كانت نائمة ذات ليلة فرأت صياداً نصب شركاً في الأرض وبذر حوله قمحاً ثم جلس قريباً منه فلم يبق شيء من الطيور إلا وقد أتى إلى ذلك الشرك ورأت في الطيور حمامتين ذكراً وأنثى فبينما هي تنظر إلى الشرك وإذا برجل الذكر تعلقت في الشرك وصار يختبط فنفرت عنه جميع الطيور ومرت فرجعت إليه امرأته وحامت عليه ثم تقدمت إلى الشرك والصياد غافل فصارت تنقر العين التي فيها رجل الذكر وصارت تجذبه بمنقارها حتى خلصت رجله من الشركة وطارت الطيور هي وأياه فجاء بعد ذلك الصياد وأصلح الشرك وقعد بعيداً عنه فلم يمض غير ساعة حتى نزلت الطيور وعلق الشرك في الأنثى فنفرت عنها جميع الطيور ومن جملتها الطير الذكر ولم يعد لأنثاه فجاء الصياد وأخذ الطير الأنثى وذبحها فأنتبهت مرعوبة من منامها وقالت كل ذكر مثل هذا ما فيه خير والرجال جميعهم ما عندهم خير للنساء فلما فرغت من حديثها لتاج الملوك قال لها يا أمي أريد أن أنظر إليها نظرة واحدة ولو كان في ذلك مماتي فتحيلي لي بحيلة حتى أنظر غليها فقالت اعلم أن لها بستاناً تحت قصرها وهو برسم فرجتها وأنها تخرج إليه في كل شهر مرة من باب السر وتقعد فيه عشرة أيام وقد جاء أوان خروجها إلى الفرجة فإذا أرادت الخروج أجيء إليك وأعلمك حتى تخرج وتصادفها وأحرص على أنك لا تفارق البستان فلعلها إذا رأت حسنك وجمالك يتعلق قلبها بمحبتك فإن المحبة أعظم أسباب الاجتماع فقال سمعاً وطاعة ثم قام من الدكان هو وعزيز وأخذا معهما العجوز ومضيا إلى منزلهما وعرفاه لها ثم أن تاج الملوك قال لعزيز يا أخي ليس لي حاجة بالدكان وقد قضيت حاجتي منها ووهبتها لك بجميع ما فيها لأنك تغربت معي وفارقت بلادك فقبل عزيز منه ذلك ثم جلسا يتحدثان وصار تاج الملوك يسأله عن غريب أحواله وما جرى له وصار هو يخبره بما حصل له وبعد ذلك أقبلا على الوزير وأعلماه بما عزم عليه تاج الملوك وقالا له كيف العمل فقال قوموا بنا إلى البستان فليس كل واحد منهم أفخر ما عنده وخرجوا وخلفهم ثلاثة مماليك وتوجهوا إلى البستان فرأوه كثير الأشجار غزير الأنهار ورأوا الخولي جالساً على الباب فسلموا عليه فرد عليهم السلام فناوله الوزير مائة دينار وقال اشتهي أن تأخذ هذه النفقة وتشتري لنا شيئاً نأكله فأننا غرباء ومعي هؤلاء الأولاد أردت أن أفرجهم فأخذ البستاني الدنانير وقال لهم ادخلوا وتفرجوا وجميعه ملككم وأجلسوا حتى أحضر لكم بما تأكلون ثم توجه إلى السوق ودخل الوزير وتاج الملوك وعزيز داخل البستان بعد أن ذهب البستاني إلى السوق ثم بعد ساعة أتى ومعه خروف مشوي ووضعه بين أيديهم فأكلوا وغسلوا أيديهم وجلسوا يتحدثون فقال الوزير

أخبرني عن هذا البستان هل هو لك أم أنت مستأجره فقال الشيخ ما هو لي وأنما لبنت الملك السيدة د=نيا فقال الوزير كم لك في كل شهر من الأجرة فقال دينار واحد لا غير فتأمل الوزير في البستان فرأى هناك قصـ راً عالياً إلا أنه عتيق فقال الوزير أريد أن أعمل خيرا تذكرني به فقال وما تريد أن تفعل من الخير فقال خذ هذه الثلثمائة دينار فلما سمع الخولي بذكر الذهب قال يا سيدي مهما شئت فافعل ثم أخذ الدنانير فقال له أن شـ ـاء الله تعالى نفعل في هذا المحل خيراً ثم خرجوا من عنده وتوجهوا إلى منزلهم وباتوا تلك الليلة فلما كان الغـ ـد أحضر الوزير مبيضاً ونقاشاً وصانعاً جيداً وأحضر لهم جميع ما يحتاجون إليه من الآلات ودخل بهم البستان وأمرهم ببياض ذلك القصر وزخرفته بأنواع النقش ثم أمر بإحضار الذهب واللازورد وقال للنقاش اعمل في صدر هذا الأيوان آدمي صياد كأنه نصب شركه وقد وقعت فيه حمامة واشتبكت بمنقارها في الشـ ـر لا فلمـ ـا نقش النقاش جانباً وفرغ من نقشه قال له الوزير افعل في الجانب الآخر مثل الأول وصور صورة الحمامـ ـة في الشرك وأن الصياد أخذها ووضع السكين على رقبتها واعمل في الجانب الآخر صورة جارح كبيـ ـر قـ ـد قنص ذكر الحمام وانشب فيه مخالبه ففعل ذلك فلما فرغ من هذه الأشياء التي ذكرها الوزير ودعوا البستاني ثم توجهوا إلى منزلهم وجلسوا يتحدثون هذا ما كان من أمر هؤلاء (وأما) ما كان من أمـ ـر العجـ ـوز فإنهـ ـا انقطعت في بيتها واشتاقت بنت الملك إلى الفرجة في البستان وهي لا تخرج إلا بـ ـالعجوز فأرسـ ـلت إليهـ ـا وصالحتها وطيبت خاطرها وقالت أني أريد أن أخرج إلى البستان لاتفرج على أشجاره وأثمـ ـاره وينشـ ـرح صدري بأزهاره فقالت لها العجوز سمعا وطاعة ولكن أريد أن أذهب إلى بيتي والبس أثوابي وأحضر عندك فقالت أذهبي إلى بيتك ولا تتأخري عني فخرجت العجوز من عندها وتوجهت إلى تاج الملوك وقالت له تجهز وألبس أفخر ثيابك وأذهب إلى البستان وأدخل على البستاني وسلم عليه ثم أختف في البسـ ـتان فقـ ـال سـ ـمعاً وطاعة وجعلت بينها وبينه إشارة ثم توجهت إلى السيدة دنيا وبعد ذهابها قام الوزير وعزيـ ـز والبسـ ـا تـ ـاج الملوك بدلة من أفخر ملابس الملوك تساوي خمسة آلاف دينار وشدا في وسطه خياطة من الذهب مرصـ ـعة بالجوهر والمعادن ثم توجه إلى البستان فلما وصل إلى باب البستان وجد الخـ ـولي جالسـ ـاً هنـ ـاك فلمـ ـا رآه البستاني نهض له على الأقدام وقابله بالتعظيم والإكرام وفتح له الباب وقال له أدخل وتفرج في البستان ولـ ـم يعلم البستاني أن بنت الملك تدخل البستان في هذا اليوم فلما دخل تاج الملوك لم يلبث إلا مقدار ساعة وسـ ـمع ضجة فلم يشعر إلا والخدم والجواري خرجوا من باب السر فلما رآهم الخولي ذهب إلى تاج الملوك وأعلمـ ـه بمجيئها وقال له يا مولاي كيف يكون العمل وقد أتت ابنة الملك السيدة دنيا فقال لا بأس عليك فأني أختفي في بعض. واضع البستان فأوصاه البستاني بغاية الاختفاء ثم تركه وراح فلما دخلت بنت الملك هـ ـي وجواريهـ ـا والعجوز في البستان قالت العجوز في نفسها متى كان الخدم معنا فإننا لا ننال مقصودنا ثم قالت لأبنة الملـ ـك يا سيدتي أني أقول لك على شيء فيه راحة لقلبك فقالت السيدة دنيا قولي ما عندك فقالت العجوز يا سيدتي أن هؤلاء الخدم لا حاجة لك بهم في هذا الوقت ولا ينشرح صدرك ما داموا معنا فأصر فيهم عنا فقالت السـ ـيدة دنيا صدقت ثم صرفتهم وبعد قليل تمشت فصار تاج الملوك ينظر إليها وإلى حسنها وجمالها وهي لا تشـ ـعر بذلك وكلما نظر إليها يغشى عليه مما يرى من بارع حسنها وصارت العجـ ـوز تسـ ـارقها الحـ ـديث إلـ ـى أن أوصلتها إلى القصر الذي أمر الوزير بنقشه ثم دخلت ذلك القصر وتفرجك على نقشـ ـه وأبصـ ـرت الطيـ ـور

والصياد والحمام فقالت سبحان الله أن هذه صفة ما رأيته في المنام وصارت تنظر عل ى صد ور الطيور والصياد والشرك وتتعجب ثم قالت بإرادتي أني كنت ألوم الرجال وأبغضهم ولكن انظري الصياد كيف ذبح الطير الأنثى وتخلص الذكر وأراد أن يجيء إلى الأنثى ويخلصها فقابله الجارح وافترسه وصارت العجوز تتجاهل عليها وتشاغلها بالحديث إلى أن قربا من المكان المختفي فيه تاج الملوك فأشارت إليه العجوز أن يتمشى تحت شبابيك القصر فبينما السيدة دنيا كذلك إذ لاحت منها التفاتة فرأته وتأملت جماله وقده واعتداله ثم قالت يادادتي من أين هذا الشاب المليح فقالت لا اعلم به غير أني أظن أنه ولد ملك عظيم فإنه بلغ من الحسن النهاية ومن الجمال الغاية فهامت به السيدة دنيا وانحلت عرى عزائمها وأنبهر عقلها من حسنه وجماله وقده واعتداله وتحركت عليها الشهوة فقالت للعجوز يادادتي أن هذا الشاب مليح فقالت لها العجوز صدقت يا سيدتي ثم أن العجوز أشارت إلى أبن الملك أن يذهب إلى بيته وقد التهبت به نار الغرام وزاد به الوجد والهيام فسار وودع الخولي وانصرف إلى منزله ولم يخالف العجوز وأخبر الوزير وعزيز بأن العجوز أشارت إليه بالإنصراف فصارا يصبرانه ويقولان له لولا أن العجوز تعلم أن في رجوعك مصلحة ما أشارت عليك به هذا ما كان من أمر تاج الملوك والوزير وعزيز (وأما) ما كان من أمر ابنة الملك السيدة دنيا فأنها غلب عليها الغرام وزاد بها الوجد والهيام وقالت للعجوز أنا سأعرف اجتماعي بهذا الشاب إلا منك فقالت لها العجوز أعوذ بالله من الشيطان الرجيم أنت لا تريدين الرجال وكيف حلت بك من عشقه الأوجال ولكن والله ما يصلح لشبابك إلا هو فقالت السيدة دنيم يا دادتي اسعفيني باجتماعي عليه ولك عندي ألف دينار وخلعة بألف دينار وأن لم تسعفيني بوصاله فأني ميتة لا محالة فقالت العجوز أمض أنت إلى قصرك وأنا أتسبب في اجتماعكما وأبذل روحي في مرضاتكما ثم أن السيدة دنيا توجهت إلى قصرها وتوجهت العجوز إلى تاج الملوك فلما رآها نهض لها على الأقدام وقابلها بإعزاز وأكرام وأجلسها إلى جانبه فقالت له أن الحيلة قد تمت وحكت له ماجرى لها مع السيدة دنيا فقال لها متى يكون الاجتماع قالت في غد فأعطاها ألف دينار وحلة بألف دينار فأخذتهما وانصرفت ومازالت سائرة حتى دخلت على السيدة دنيا فقالت لها يا دادتي ما عندك من خبر الحبيب شيء فقالت لها قد عرفت مكانه وفي غد أكون به عندك ففرحت السيدة دنيا بذلك وأعطتها ألف دينار وحلة بألف دينار فأخذتهما وانصرفت إلى منزلها وباتت فيه إلى الصباح ثم خرجت وتوجهت إلى تاج الملوك وألبسته لبين النساء وقالت له أمش خلفي وتمايل في خطواتك ولا تستعجل في مشيك ولا تلتفت إلى من يكلمك وبعد أن أوصت تاج الملوك بهذه الوصية خرجت وخرج خلفها وهو في زي النساء وان صارت تعلمه في الطريق حتى لا يفزع ولم تزل ماشية وهو خلفها حتى وصلا إلى باب القصر فدخلت وهو ورائها وصارت تخرق الأبواب والدهاليز إلى أن جاوزت به سبعة أبواب ولما وصلت إلى الباب السابع قالت لتاج الملوك قوي قلبك وإذا زعقت عليك وقلت لك يا جارية أعبري فلا تتوان في مشيك وهرول فإذا دخلت الدهليز فانظر إلى شمالك ترى أيواناً فيه أبواب فعد خمسة أبواب وأدخل الباب السادس فإن مرادك فيه فقال تاج الملوك وأين تروحين أنت فقالت له ما أروح موضعاً غير أني ربما أتأخر عنك وأتحدث مع الخادم الكبير ثم مشت وهو خلفها حتى وصلت إلى الباب الذي فيه الخادم الكبير فرأى معها تاج الملوك في صورة جارية فقال لها ما شأن هذه الجارية التي معك فقالت له هذه جارية قد سمعت السيدة دنيا بأنها تعرف الأشغال وتريد

أن تشتريها فقال لها الخادم أنا لا أعرف جارية ولا غيرها ولا يدخل أحد حتى أفتشه كما أمرني الملك. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٦١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العجوز قالت للبواب وقد أظهرت الغضب أنا أعرف أنك عاقل ومؤدب فإن كان حالك قد تغير فإني أعلمها بذلك وأخبرها أنك تعرضت لجاريتها ثم زعقت على تاج الملوك وقالت له أعبري يا جارية فعند ذلك عبر إلى داخل الدهليز كما أمرته وسكت الخادم ولم يتكلم ثم إن تاج الملوك عد خمسة أبواب ودخل الباب السادس فوجد السيدة دنيا واقفة في انتظاره فلما رأته عرفته فضمته إلى صدرها وضمها إلى صدره ثم دخلت العجوز عليهما وتحيلت على صرف الجواري ثم قالت السيدة دنيا للعجوز كوني أنت بوابة ثم أختلت هي وتاج الملوك ولم يزالا في ضم وعناق والتفت ساق على ساق إلى وقت السحر ولما أصبح الصباح غلقت عليهما الباب ودخلت مقصورة أخرى وجلست على جري عادتها وأتت إليها الجواري فقضت حوائجهن وصارت تحدثهن ثم قالت للجواري أخرجن الآن من عندي فأني أريد أن أنشرح وحدي فخرج الجواري من عندها ثم إنها أتت إليهما ومعها شيء من الأكل فأكلوا وأخذوا في الهراش إلى وقت السحر فأغلقت عليهما مثل اليوم الأول ولم يزالا على ذلك مدة شهر كامل هذا ما كان من أمر تاج الملوك والسيدة دنيا (وأما) ما كان من أمر الوزير وعزيز فأنهما لما توجه تاج الملوك إلى قصر بنت الملك ومكث تلك المدة علما أنه لا يخرج منه أبداً وأنه هالك لا محالة فقال عزيز يا والدي ماذا نصنع فقال الوزير يا ولدي إن هذا الأمر مشكل وأن لم نرجع إلى أبيه ونعلمه فإنه يلومنا على ذلك ثم تجهزا في الوقت والساعة وتوجها إلى الأرض الخضراء والعمودين وتخت الملك سليمان شاه وسارا يقطعان الأودية في الليل والنهار إلى أن دخلا على الملك سليمان شاه وأخبراه بما جرى لولده وأنه من حين دخل قصر بنت الملك لم يعلموا له خبر فعند ذلك قامت عليه القيامة واشتدت به الندامة وأمر أن ينادي في مملكته بالجهاد ثم أبرز العساكر إلى خارج مدينته ونصب لهم الخيام وجلس في سرادقه حتى اجتمعت الجيوش من سائر الأقطار وكانت رعيته تحبه لكثرة عدله وإحسانه ثم سار في عسكر سد الأفق متوجها في طلب ولده تاج الملوك هذا ما كان من أمر هؤلاء (وأما) ما كان من أمر تاج الملوك والسيدة دنيا فأنهما أقاما على حالهما نصف سنة وهما كل يوم يزدادان محبة في بعضهما وزاد على تاج الملوك العشق والهيام والوجد والغرام حتى افصح لها عن الضمير وقال لها أعلمي يا حبيبة القلب والفؤاد أني كلما أقمت عندك ازددت هياماً ووجداً وغراماً لأني ما بلغت المرام بالكلية فقالت له وما تريد يا نور عيني وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٦٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن دنيا قالت لتاج الملوك وما تريد يا نور عيني وثمرة فؤادي أن شئت غير الضم والعناق والتفاف الساق على الساق فافعل الذي يرضيك وليس لله فينا شريك فقال ليس مرادي هكذا وأنما مرادي أن أخبرك بحقيقتي فاعلمي أني لست بتاجر بل أنا ملك ابن ملك واسم أبي الملك الأعظم سليمان شاه الذي أنفد الوزير رسولا إلى أبيك ليخطبك لي فلما بلغك الخبر ما رضيت ثم أنه قص عليها قصته من

الأول إلى الآخر وليس في الإعادة إفادة وأريد الآن أن أتوجه إلى أبي ليرسل رسولاً إلى أبيك ويخطبك منه ويستريح فلما سمعت ذلك الكلام فرحت فرحاً شديداً لأنه وافق غرضها ثم باتا على هذا الاتفاق وأتفق في بالأمر المقدور أن النوم غلب عليهما في تلك الليلة من دون الليالي واستمرا إلى أن طلعت الشمس وفي ذلك الوقت كان الملك شهرمان جالساً في دست مملكته وبين يديه أمراء دولته إذ دخل عليه عريف الضباع وبيده حق كبير فتقدم وفتحه بين يدي الملك وأخرج منه علبة لطيفة تساوي مائة ألف دينار لما فيها من الجواهر واليواقيت والزمرد مما لا يقدر عليه أحد من ملوك الأقطار فلما رآها الملك تعجب من حسنها والتفت إلى الخادم الكبير الذي جري له مع العجوز ما جرى وقال له يا كافور خذ هذه العلبة وأمض بها إلى السيدة دنيا فأخذها الخادم ومضى حتى وصل إلى مقصورة بنت الملك فوجد بابها مغلقاً والعجوز نائمة على عتبته فقال الخادم إلى هذه الساعة وأنتم نائمون فلما سمعت العجوز كلام الخادم انتبهت من منامها وخافت منه وقالت له أصبر حتى آتيك بالمفتاح ثم خرجت على وجهها هاربة هذا ما كان من أمرها (وأما) ما كان من أمر الخادم فإنها عرف أنها مرتابة فخلع الثياب ودخل المقصورة فوجد السيدة دنيا معانقة لتاج الملوك وهما نائمان فلما رأى ذلك تحير في أمره وهم أن يعود إلى الملك فانتبهت السيدة دنيا فوجدته فتغيرت وأصفر لونها وقالت له يا كافور استر ما ستر الله فقال أنا ما أقدر أن أخفي شيئاً عن الملك ثم قفل الباب عليهما وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٦٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الخادم لما قفل الباب عليهما رجع إلى الملك فقال له هل أعطيت العلبة لسيدتك فقال الخادم خذ العلبة ها هي وأنا لا أقدر أن أخفي عنك شيئاً اعلم أني رأيت عند السيدة دنيا شاباً جميلاً نائماً معها في فراش واحد وهما متعانقان فأمر الملك بإحضارهما فلما حضرا بين يديه قال لهما ما هذه الفعال واشتد به الغيظ فأخذ نمشه وهم أن يضرب تاج الملوك فرمت السيدة دنيا وجهها عليه وقالت لأبيها اقتلني قبله فنهرها الملك وأمرهم أن يمضوا بها إلى حجرتها ثم التفت إلى تاج الملوك وقال له ويلك ومن أين أنت ومن أبوك وما جسرك على ابنتي فقال تاج الملوك اعلم أيها الملك أن قتلتني هلكت وندمت أنت ومن في مملكتك فقال له الملك ولم ذلك فقال اعلم أنني ابن الملك سليمان شاه وما تدري إلا وقد أقبل عليك بخيله ورجاله فلما سمع الملك شهرمان ذلك الكلام أراد أن يؤخر قتله ويضعه في السجن حتى ينظر صحة قوله فقال له وزيره يا ملك الزمان الرأي عندي أن تعجل قتل هذا العلق فإنه تجاسر على بنات الملوك فقال للسياف أضرب عنقه فإنه خائن فأخذه السياف وشد وثاقه ورفع يده وشاور الأمراء أولاً وثانياً وقصد بذلك أن يكون في الأمر توان فزعق عليه الملك وقال متى تشاور أن شاورت مرة أخرى ضربت عنقك فرفع السياف يده حتى بان شعر أبطه وأراد أن يضرب عنقه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٦٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن السياف رفع يده وأراد أن يضرب عنقه وإذا بزعقات عالية والناس أغلقوا الدكاكين فقال للسياف لا تعجل ثم أرسل من يكشف له الخبر فمضى الرسول ثم عاد غليه وقال له رأيت عسكراً كالبحر العجاج المتلاطم بالأمواج وحيلهم في ركض وقد ارتجت لهم الأرض وما أدري خبرهم

فاندهش الملك وخاف على ملكه أن ينزع منه ثم التفت إلى وزيره وقال له أما خرج أحد من عسكرنا إلى هذا العسكر فما تم كلامه إلا وحجابه قد دخلوا عليه ومعهم رسل الملك القادم ومن جملتهم الوزير فابتدأه بالسلام فنهض لهم قائماً وقربهم وسألهم عن شأن قدومهم فنهض الوزير من بينهم وتقدم إليه وقال له اعلم أن الذي نزل بأرضك ملك ليس كالملوك المتقدمين ولا مثل السلاطين السالفين فقال له الملك ومن هو قال الوزير هو صاحب العدل والأمان الذي سارت بعلو همته الركبان السلطان سليمان شاه صاحب الأرض الخضراء والعمودين وجبال أصفهان وهو يحب العدل والأنصاف ويكره الجور والاعتساف ويقول لك أن ابنه عندك وفي مدينتك وهو حشاشة قلبه وثمره فؤاده فإن وجده سالماً فهو المقصود وأنت المشكور المحمود وإن كان فقد من بلادك أو أصابه شيء فأنشر بالدمار وخراب الديار لأنه يصير بلدك قفرا ينعق فيها البوم والغراب وها أنا قد بلغتك الرسالة والسلام فلما سمع الملك شهرمان ذلك الكلام من الرسول أنزعج فؤاده وخاف على مملكته وزعق على أرباب دولته ووزرائه وحجابه ونوابه فلما حضروا قال لهم ويلكم أنزلوا وفتشوا على ذلك الغلام وكان تحت يد السياف وقد تغير من كثرة ما حصل له من الفزع ثم أن الرسول لاحت منه التفاتة فوجد ابن ملكه على نطع الدم فعرفه وقام ورمي روحه عليه وكذلك بقية الرسل ثم تقدموا وحلوا وثاقه وقبلوا يديه ورجليه ففتح تاج الملوك عينه فعرف وزير والده وعرف صاحبه عزيز فوقع مغشياً عليه من شدة فرحته بهما ثم أن الملك شهرمان صار متحيراً في أمره وخاف خوفاً شديداً لما تحقق مجيء هذا العسكر بسبب هذا الغلام فقام وتمشى إلى تاج الملوك وقبل رأسه ودمعت عيناه وقال له يا ولدي لا تؤاخذني ولا تؤاخذ المسيء بفعله فارحم شيبتي ولا تخرب مملكتي فدنا منه تاج الملوك وقبل يده وقال له لا بأس عليك وأنت عندي بمنزلة والدي ولكن الحذر أن يصيب محبوبتي السيدة دنيا شيء فقال لا تخف عليها فما يحصل لها إلا السرور وصار الملك يعتذر إليه ويطيب خاطر وزير الملك سليمان شاه ووعده بالمال الجزيل على أن يخفي من الملك ما رآه ثم بعد ذلك أمر كبراء دولته أن يأخذوا تاج الملوك ويهذبوا به إلى الحمام ويلبسوه بدلة من خيار ملابس الملوك ويأتوا به بسرعة ففعلوا ذلك وأدخلوه الحمام وألبسوه البدلة التي أفردها له الملك شهرمان ثم أتوا به إلى المجلس فلما دخل على الملك شهرمان وقف له هو وجميع أرباب دولته وقام الجميع في خدمته ثم أن تاج الملوك جلس يحدث وزير والده وعزيز بما وقع له فقال له الوزير وعزيز ونحن في تلك المدة مضينا إلى والدك فأخبرناه بأنك دخلت سراية بنت الملك ولم تخرج والتبس علينا أمرك فحين سمع بذلك جهز العساكر ثم قدمنا هذه الديار وكان في قدومنا الفرح والسرور فقال لهما لازال الخير يجري على أيديكما أولاً وآخراً وكان الملك في ذلك الوقت قد دخل على ابنته السيدة دنيا فوجدها تبكي على تاج الملوك وأخذت سيفاً وركزت قبضته إلى الأرض وجعلت ذبابته على رأس قلبها بين نهديها وانحنت على السيف وصارت تقول لا بد أن أقتل نفسي ولا أعيش بعد حبيبي فلما دخل عليها أبوها وراها على هذه الحالة صاح عليها وقال لها يا سيدة بنات الملوك لا تفعلي وارحمي أباك وأهل بلدك ثم تقدم إليها وقال لها أحاشيك أن يصيب والدك بسببك سوء ثم أعلمها بالقصة وأن محبوبها أبن الملك سليمان شاه يريد زواجها وقال لها أن أمر الخطبة والزواج مفوض إلى رأيك فتبسمت وقالت له أما قلت لك أنه ابن سلطان فأنا أخليه يصلبك على خشبة لا تساوي درهمين فقال لها بالله عليك أن ترحمي أباك فقالت له رح إليه وائتني به فقال لها على الرأس والعين ثم رجع

من عندها سريعاً ودخل على تاج الملوك وساوره بهذا الكلام ثم قام معه وتوجها إليها فلما رأت تاج المل وك عانقته قدام أبيها وتعلقت به وقالت له أوحشتني ثم التفتت إلى أبيها وقالت هل أحد يفرط في مثل هذا الشـ ـاب المليح وهو ملك ابن ملك فعند ذلك خرج الملك شهرمان ورد الباب عليهما ومضي إلى وزير أبي تاج الملوك ورسله وأمرهم أن يعلموا السلطان سليمان شاه بأن ولده بخير وعافية وهو في ألذ ع يش ثـ م أن السـ لطان شهرمان أمر بإخراج الضيافات والعلوفات إلى عساكر السلطان سليمان شاه والد تاج الملوك فلمـ ـا خرجـ ـوا جميع ما أمر به أخرج مائة جواد من الخيل ومائة هجين ومائة مملوك ومائة سرية ومائة عبد ومائة جاريـ ـة وأرسل الجميع أليه هدية ثم بعد ذلك توجه إليه هو وأرباب دولته وخواصه حتى صاروا في ظـ ـاهر المدينـ ـة فلما علم بذلك السلطان سليمان شاه تمشى خطوات إلى لقائه وكان الوزير وعزيز أعلماه بالخبر ففرح وقـ ـال الحمد لله الذي بلغ ولدي مناه ثم أن الملك سليمان شاه أخذ الملك شهرمان بالحضن وأجلسـ ـه بجانبـ ـه علـ ـى السرير وصار يتحدث هو إياه ثم قدموا لهم الطعام فأكلوا حتى اكتفوا ثم قدموا لهم الحلويات ولـ ـم يمـ ـض إلا قليل حتى جاء تاج الملوك وقدم عليه بلباسه وزينته فلما رآه والده قام له وقبله وقام له جميـ ـع مـ ـن حضـ ـر وجلس بين أيديهم ساعة يتحدثون فقال الملك سليمان شاه أني أريد أن أكتب كتاب ولدي علـ ـى ابنتـ ـك علـ ـى رؤوس الأشهاد فقال له سمعاً وطاعة ثم أرسل الملك شهر مان إلى القاضي والشهود فحضروا وكتبوا الكتاب وفرح العساكر بذلك وشرع الملك شهرمان في تجهيز ابنته ثم قال تاج الملوك لوالده أن عزيزاً رجـ ـل مـ ـن الكرام وقد خدمني خدمة عظيمة وتعب وسافر معي وأوصلني إلى بغيتي ولم يزل يصبرني حتـ ـى قضـ ـيت حاجتي ومضى معنا سنتان وهو مشتت من بلاده فالمقصود أننا نهيء له تجارة لأن بلاده قريبة فقال له والده نعم ما رأيت ثم هيئوا له مائة حمل من أغلى القماش وأقبل عليه تاج الملوك وودعه وقال له يا أخي أقبل هذه على سبيل الهدية فقبلها من أغلى القماش وأقبل عليه تاج الملوك وودعه وقال له يا أخي أقبل هذه على سبيل الهدية فقبلها منه وقبل الأرض قدامه وقدام والده الملك سليمان شاه ثم ركب تاج الملوك وسافر مع عزيز قدر ثلاثة أميال وبعدها أقسم عليه عزيز أن يرجع وقال لولا والدتي ما صبرت على فراقك فبالله عليك لا تقطـ ـع أخبارك عني ثم ودعه ومضى إلى مدينته فوجد والدته بنت له في وسط الدار قبراً وصارت تزوره ولما دخل الدار وجدها قد حلت شعرها ونشرته على القبر وهي تفيض دمع العين وتنشد هذين البيتين:

بـ ـالله يـ ـا قبـ ـر هـ ـل زالـ ـت محاسـ ـنه	أوقـ ـد تغيـ ـر ذات المنظـ ـر النضـ ـر
يـ ـا قبـ ـر مـ ـا أنـ ـت بسـ ـتان ولا فلـ ـك	فكيـ ـف يجمـ ـع فيـ ـك البـ ـدر والزهـ ـر

ثم صعدت الزفرات وأنشدت هذه الأبيات:

مـ ـالي مـ ـررت علـ ـى القبـ ـور مسـ ـلماً	قبـ ـر الحبيـ ـب فلـ ـم يـ ـرد جـ ـوابي
قـ ـال الحبيـ ـب وكيـ ـف رد جـ ـوابكم	وأنـ ـا رهـ ـين جنـ ـادل وتـ ـراب
أكـ ـل التـ ـراب محاسـ ـني فنسـ ـيتكم	وحجبـ ـت عـ ـن أهلـ ـي وعـ ـن أحبـ ـابي

فما أتممت شعرها إلا وعزيز داخل عليها فلما رأته قامت إليه واحتضنته وسألته عن سبب غيابه فحدثها بما وقع له من أوله إلى آخره وأن تاج الملوك أعطاه من المال والأقمشة مائة حمل ففرحت بذلك وأقام عزيز عند والدته متحيراً فيما وقع له من الدليلة المحتالة التي خصته هذا ما كان من أمر عزيز (وأما) ما كان من أمر تاج الملوك فإنه دخل بمحبوبته السيدة دنيا وأزال بكارتها ثم أن الملك شهرمان شرع في تجهيز ابنته للسفر مع زوجها وأبيه فأحضر لهم الزاد والهدايا والتحف ثم حملوا وساروا وسار معهم الملك شهرمان ثلاثة أيام لأجل الوداع فأقسم عليه الملك سليمان شاه بالرجوع فرجع ومازال تاج الملوك ووالده وزوجته سائرين في الليل والنهار حتى أشرفوا على بلادهم وزينت لهم المدينة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٦٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك سليمان شاه لما وصل إلى بلده جلس على سرير مملكته وابنه تاج الملوك في جانبه ثم أعطي ووهب وأطلق من كان من الحبوس ثم عمل لولده عرساً ثانياً واستمرت به المغاني والملاهي شهراً كاملاً وازدحمت المواشط على السيدة دنيا وهي لا تمل من الجلاء ولا يملون من النظر إليها ثم دخل تاج الملوك على زوجته بعد أن اجتمع على أبيه وأمه وما زالوا في الذ عيش وأهناه فعند ذلك قال ضوء المكان للوزير دندان مثلك من ينادم الملوك ويسلم في تدبيرهم أحسن السلوك هذا كله وهم محاصرون للقسطنطينية حتى مضى عليهم أربع سنين ثم اشتاقوا إلى أوطانهم وضجرت العساكر من الحصار وأدامه الحرب في الليل والنهار فأمر الملك ضوء المكان بإحضار بهرام ورستم وتركاش فلما حضروا قال لهم علموا أننا أقمنا هذه السنين وما بلغنه مراماً فأزددنا عما وهما وقد أتينا لنخلص ثأر الملك النعمان فقتل أخي شركان فصارت الحسرة حسرتين والمصيبة مصيبتين هذا كله من العجوز ذات الدواهي فإنها قتلت السلطان في مملكته وأخذت زوجته الملكة صفية وما كفاها ذلك حتى عملت الحيلة علينا وذبحت أخي وقد حلفت الإيمان العظيمة أنه لابد من أخذ الثأر فما تقولون أنتم فافهموا هذا الخطاب وردوا على الجواب فأطرقوا رؤوسهم وأحالوا الأمر على الوزير دندان فعند ذلك تقدم الوزير دندان إلى الملك ضوء المكان وقال له اعلم يا ملك الزمان أنه ما بقي في إقامتنا فائدة والرأي أننا نرحل إلى الأوطان ونقيم هناك برهة من الزمان ثم نعود ونغزوا عبدة الأصنام فقال الملك نعم هذا الرأي لأن الناس اشتاقوا لي رؤية عيالهم وأنا أيضاً أقلقني الشوق إلى ولدي كان ما كان والي أبنة أخي قضى فكان لأنها في دمشق ولا أعلم ما كان من أمرهما فلما سمعت العساكر ذلك فرحوا ودعوا للوزير دندان ثم أن الملك ضوء المكان أمر المنادي أن ينادي بالرحيل بعد ثلاثة أيام فابتدعوا في تجهيز أحوالهم وفي اليوم الرابع دقت الكاسات ونشرت الرايات وتقدم الوزير دندان في مقدم العسكر وسار الملك في وسط العساكر وبجانبه الحاجب الكبير وسارت الجيوش ومازالوا محدين السير بالليل والنهار حتى وصلوا إلى مدينة بغداد ففرحت بقدومهم الناس وزال عنهم الهم والباس ثم ذهب كل أمير إلى داره وطلع الملك إلى قصره ودخل على ولده كان ما كان وقد بلغ من العمر سبع سنين وصار ينزل ويركب ولما استراح الملك من السفر دخل الحمام هو وولده كان ما كان ثم رجع وجلس على كرسي مملكته ووقف الوزير دندان بين يديه وطلعت الأمراء وخواص الدولة ووقفوا في خدمته

فعند ذلك أمر الملك ضوء المكان بإحضار صاحبه الوقاد الذي أحسن إليه في غربته فحضر بين يديه فلما رآه الملك ضوء المكان قادماً عليه نهض له قائماً وأجلسه إلى جانبه وكان الملك ضوء المكان قد أخبر الوزير بما فعل معه صاحبه الوقاد من المعروف فعظم في عينه وفي أعين الأمراء وكان الوقاد قد غلظ وسمن من الأكل والراحة وصار عنقه كعنق الفيل وبطنه كبطن الدرفيل وصار طائش العقل لأنه كان لا يخرج من المكان الذي هو فيه فلم يعرف الملك بسيماه فأقبل عليه الملك وبش في وجهه وحياه أعظم التحيات وقال له ما أسرع ما نسيتني فأمعن فيه النظر فلما تحققه وعرفه قام له على الأقدام وقال له يا حبيبي من عملك سلطاناً فضحك عليه فأقبل عليه الوزير بالكلام وشرح له بالقصة وقال له أنه كان أخاك وصاحبك والآن صار ملك الأرض ولابد أن يصل إليك منه خير كثير وها أنا أوصيك إذا قال لك تمن على فلا تتمن الأشياء عظيماً لأنك عنده عزيز فقال الوقاد أخاف أن أتمنى عليه شيئاً فلا يسمح لي به أولاً يقدر عليه فقال له الوزير كل ما تمنيته يعطيك إياه فقال له والله لابد أن أتمنى عليه الشيء الذي هو في خاطري وكل يوم أرجو منه أن يسمح لي به فقال له الوزير طيب قلبك والله لو طلبت ولاية دمشق موضع أخيه لولاك عليها فعند ذلك قام الوقاد على قدميه فأشار له ضوء المكان أن أجلس فأبى وقال معاذ الله قد انقضت أيام قعودي في الوقاد على قدميه فأشار له ضوء المكان أن أجلس فأبي وقال معاذ الله قد انقضت أيام قعودي في حضرتك فقال له السلطان لا بل هي باقية إلى الآن فإنك كنت سبباً لحياتي والله لو طلبت مني منهما أردت لأعطيتك أياه فتمن على الله فقال له يا سيدي أني أخاف أن أتمنى شيئاً فلا تسمح لي به أو لا تقدر عليه فضحك السلطان وقال له لو تمنيت نصف مملكتي لشاركتك فيها فتمن ما تريد قال الوقاد أخاف أن أتمنى شيئاً لا تقدر عليه فغضب السلطان وقال له تمن ما أردت فقال له تمنيت عليك أن تكتب لي مرسوماً بعرافة جميع الوقادين الذين في مدينة القدس فضحك السلطان وجميع من حضر وقال له تمن غير هذا فقال الوقاد أنا ما قلت لك أني أخاف أن أتمنى شيئاً لا تسمح لي به وما تقدر عليه فغمزه الوزير ثانياً وثالثاً وفي كل مرة يقول أتمنى عليك أن تجعلني رئيس الزبالين في مدينة القدس أو في مدينة دمشق فانقلب الحاضرون على ظهورهم من الضحك عليه وضربه الوزير فالتفت الوقاد إلى الوزير وقال له ما تكون حتى تضربني ومالي ذنب فإنك أنت الذي قلت لي تمن شيئاً عظيماً ثم قال دعوني أسير إلى بلادي فعرف السلطان أنه يلعب فصبر قليلاً ثم أقبل عليه وقال له يا أخي تمن على أمراً عظيماً لائقاً بمقامي فقال له أتمنى سلطنة دمشق موضع أخيك فكتب له التوقيع بذلك وقال للوزير دندان ما يروح معه غيرك وإذا أردت العودة فأحضر معك بنت أخي قضى فكان فقال الوزير سمعاً وطاعة ثم أخذ الوقاد ونزل به وتجهز للسفر وأمر السلطان ضوء المكان أن يخرجوا للوقاد تختاً جديداً وطقم سلطنة وقال للأمراء من كان يحبني فليقدم إليه هدية عظيمة ثم سماه السلطان الزبلكان ولقبه بالمجاهد وبعد شهر كملت حوانجه وطلع الزبلكان وفي خدمته الوزير دندان ثم دخل على ضوء المكان ليودعه فقام له وعانقه وأوصاه بالعدل بين الرعية وأمره أن يأخذ الأهبة للجهاد بعد سنتين ثم ودعه وانصرف وسار الملك المجاهد المسمى بالزبلكان بعد أن أوصاه الملك ضوء المكان بالرعية خيراً وقدمته له الأمراء المماليك فبلغوا خمسة آلاف مملوك وركبوا خلفه وركب الحاجب الكبير وأمير الديلم بهرام وأمير الترك رستم وأمير العرب تركاش وساروا في توديعه ومازالوا سائرين معه ثلاثة أيام ثم عادوا إلى بغداد وسار السلطان الزبلكان هو والوزير

دندان ومازالوا سائرين حتى وصلوا إلى دمشق وكانت الأخبار قد وصلت إليهم على أجنحة الطيور بأن الملك ضوء المكان سلطان على دمشق ملكاً يقال له الزبلكان ولقبه بالمجاهد فلما وصل إليهم الخبر زينوا له المدينة وخرج إلى ملاقاته كل من في دمشق ثم دخل دمشق وطلع القلعة وجلس على سرير المملكة ووقف الـ وزير دندان في خدمته يعرفه منازل الأمراء ومراتبهم وهم يدخلون عليه ويقبلون يديه ويدعون له فأقبل عليهم الملك الزبلكان وخلع وأعطى ووهب ثم فتح خزائن الأموال وأنفقها على جميع العساكر كبيراً وصغيراً وحكم وعدل وشرع الزبلكان في تجهيز بنت السلطان شركان السيدة قضى فكان وجعل لها محفة مـ ن الأبريسـ م وجهـ ز الوزير وقدم له شيئاً من المال فأتى الوزير دندان وقال له أنت قريب عهد بالملك وربما تحتاج إلى الأموال أو نرسل إليك نطلب منك مالاً للجهاد أو غير ذلك ولما نهيأ الوزير دندان للسفر ركب السلطان المجاهـ د إلـ ى وداعه وأحضر قضى فكان وأركبها في المحفة وأرسل معها عشر جوار برسم الخدمة وبعد أن سافر الوزير دندان رجع الملك المجاهد إلى مملكته ليدبرها وأهتم بآلة السلاح وصار ينتظر الوقت الذي يرسل إليـ ـه فيـ ـه الملك ضوء المكان هذا ما كان من أمر السلطان الزبلكان (وأما) ما كان من أمر الوزير دندان فإنه لم يـ زل يقطع المراحل بقضي فكان حتى وصل إلى الرحبة بعد شهر ثم صار حتى أشرف على بغداد وأرسـ ل يعلـ م ضوء المكان بقدومه فركب وخرج إلى لقائه فأراد الوزير دندان أن يترجل فأقسم عليه الملك ضوء المكان أن لا يفعل فسار راكباً حتى جاء إلى جانبه وسأله عن المجاهد فأعلمه أنه بخير وأعلمه بقدوم قضي فكان بنـ ت أخيه شركان ففرح وقال له دونك والراحة من تعب السفر ثلاثة أيام ثم بعد ذلك تعال عندي فقال حباً ثم دخل بيته وطلع الملك إلى قصره ودخل على ابنة أخيه قضى فكان وهي ابنة ثمان سنين فلما رآها فرح بها وحزن على أبيها وأعطاها حلياً ومصاغاً عظيماً وأمر أ، يجعلوها مع ابن عمها كان ما كان في مكان واحد وكانـ ت أحسن أهل زمانها وأشجعهم لأنها كانت صاحبة تدبير وعقل ومعرفة بعواقب الأمور وأما كان ما كان فإنـ ـه كان مولعاً بمكارم الأخلاق ولكنه لا يفكر في عاقبة شيء ثم بلغ عمر كل واحد من الأثنـ ين عشـ ر سـ نين وصارت قضى فكان تركب الخيل وتطلع مع ابن عمها في البر ويتعلمان الضرب بالسيف والطعن بـ ـالرمح حتى بلغ عمر كل منهما اثنتي عشرة سنة ثم أن الملك انتهت اشغاله للجهاد وأكمل الأهبة والاستعداد فأحضر الوزير دندان وقال له اعلم أني عزمت على شيء وأريد أطلاعك عليه فأسرع في رد الجواب فقال الـ وزير دندان ما هو يا ملك الزمان قال عزمت على أ، أسلطن ولدى كان من كان وأفرح به في حياتي وأقاتل قدامـ ـه إلى أن يدركني الممات فما عندك من الرأي فقبل الوزير دندان الأرض بين يدي الملك ضوء المكان وقال له اعلم أيها الملك السعيد صاحب الرأي السديد أن ما خطر ببالك مليح غير أنه لا ينـاسـ ـب فـ ـي هـ ـذه الوقـ ـت لخصلتين الأولى أن ولدك كان ما كان صغير السن والثانية ما جرت به العادة من أن من سلطن ولـ ـده فـ ـي حياته لا يعيش إلا قليلاً وهذا ما عندي من الجواب فقال اعلم أيها الوزير أننا نوصي عليه الحاجب الكبير فإنه صار منا وعلينا وقد تزوج أختي فهو في منزلة أخي فقال الوزير افعل ما بدا لك فنحن ممتثلون أمرك فأرسل الملك إلى الحاجب الكبير فأحضره وكذلك أكابر مملكته وقال لهم أن هذا ولدي كان ما كان قد علمـ ـتم أنـ ـه فارس الزمان وليس له نظير في الحرب والطعان وقد جعلته سلطاناً عليكم والحاجب الكبير وصى عليه فقال الحاجب يا ملك الزمان أنما أنا غريس نعمتك فقال ضوء المكان أيها الحاجب أن ولدي كان ما كان وأبنة أخي

قضي فكان ولد أعم وقد زوجتها به وأشهد الحاضرين على ذلك ثم نقل لولده من المال ما يعجز عن وصـ فه اللسان وبعد ذلك دخل على أخته نزهة الزمان وأعلمها بذلك ففرحت وقالت أن الأثنين ولـ د أي والله تعـ الى يبقيك لهما مدى الزمان فقال يا أختي أني قضيت من الدنيا غرضي وأمنت علـ ى ولـ دي ولكـ ن ينبغـ ي أن تلاحظيه بعينك وتلاحظي أمه ثم صار يوصي الحاجب ونزهة الزمان على ولده وعلى زوجته ليالي وأيامـ اً وقد أيقن بكأس الحمام ولزم الوساد وصار الحاجب يتعاطى أحكام العباد وبعد سنة أحضر ولده كان ما كـ ان والوزير دندان وقال يا ولدي أن هذا الوزير والدك من بعدي واعلم أني راحل من الدار الفانية إلـ ى الـ دار الباقية وقد قضيت غرضي من الدنيا ولكن بقي في قلبي حسرة يزيلها الله على يديك فقال ولـ ده ومـ ا تلـ ك الحسرة يا والدي فقال يا ولدي أن أموت ولم تأخذ بثار جدك الملك عمر النعمان وعمك الملك شـ ركان مـ ن عجوز يقال لها ذات الدواهي فإن أعطاك الله النصر لا تغفل عن أخذ الثار وكشف العار وأيـ اك مـ ن مكـ ر العجوز وأقبل ما يقوله لك الوزير دندان لأنه عماد ملكنا من قديم الزمان فقال له ولده سمعاً وطاعة ثم هملت عيناه بالدموع وبعد ذلك أزداد المرض بضوء المكان وصار أمر المملكة للحاجب فصار يحكم ويأمر وينهـ ي واستمر على ذلك سنة كاملة وضوء المكان مشغول بمرضه ومازالت به الأمراض مدة أربع سنين والحاجب الكبير قائم بأمر الملك وارتضى به أهل المملكة ودعت له جميع البلاد هذا ما كان من أمـ ر ضـ وء المكـ ان والحاجب (وأما) ما كان من أمر كان ما كان فإنه لم يكن له شغل إلا ركوب الخيل واللعب بالرمح والضرب بالنشاب وكذلك ابنة عمه قضي فكان وكانت تخرج هي وأياه من أول النهار إلى الليل فتدخل إلى امها ويدخل هو إلى أمه فيجدها جالسة عند رأس أبيه تبكي فيخدمه بالليل وإذا أصبح الصباح يخرج هو وبنت عمه علـ ى عادتهما وطالت بضوء المكان التوجعات فبكي وأنشد هذه الأبيات:

تفاذ . ـت قـ . ـوتي ومضـ . ـى زمـ . ـاني ... وهـ .ـا أنـ .ـا قـ .ـد بقيـ .ـت كمـ .ـا تراني
فيـ . ـوم العـ . ـز كنـ . ـت أعـ . ـز قـ . ـومي ... وأسـ . .ـبقي إلـ . .ـى نيـ . .ـل الأمـ . .ـاني
وقـ . ـد فارقـ . ـت ملكـ . ـي بعـ . ـد عـ . ـزي ... إلـ . . . ـى دل تخـ . . . ـل بـ . . . .الهوان
تـ . ـرى قبـ . ـل الممـ . ـات أرى غلامـ . ـي ... يكـ .ـون علـ .ـى الـ .ـورى ملكـ .ـاً مكـ .ـاني
ويفتـ . . ـك بالغـ . . ـداة لأخـ . . ـذ ثـ . . ـار ... بضـ .ـرب السـ .ـيف أو طعـ .ـن السـ .ـنان
أنـ . ـا المغبـ . ـون فـ . ـي هـ . ـزل وجـ . ـد ... إذا مـ . . . ولاي لا يشـ . . . فى جنـ . . . ـاني

فلما فرغ من شعره وضع رأسه على الوسادة ونام فرأي في منامه قائلاً يقول له أبشر فإن ولدك يملك البلاد وتطيعه العباد فانتبه من منامه مسروراً ثم بعد أيام قلائل طرقه الممات فأصاب أهل بغداد لذلك مصاب عظيم وبكي عليه الوضيع والعظيم ومضي عليه الزمان كأنه ما كان وتغير حال كان ما كان وعزلـ ـه أهـ ـل بغداد وجعلوه هو وعياله في بيت على حدتهم فلما رأت أم كان ما كان ذلك سارت في أذل الأحوال ثم قالـ ـت لابد لي من قصد الحاجب الذي صار سلطاناً فوجدته جالساً على فراشه فدخلت عند زوجته نزهـ ـة الزمـ ـان وقالت أن الميت ماله صاحب فلا أحوجكم الله مدى الدهور والأعوام ولا زلتم تحكمون بالعدل بين الخـ ـاص والعام قد سمعت أدناك ورأت عيناك ما كنا فيه من الملك والعز والجاه والمال وحسن المعيشة والحال والآن

انقلب علينا الزمان وقصدنا الدهر بالعدوان وأتيت إليك قاصدة احسانك بعد إسدائي للإحسان لأن الرجـ ـل إذا مات ذلت بعده النساء والبنات ثم أنشدت هذه الأبيات:

كفـ ـاك بـ ـأن المـ ـوت بـ ـادي العجائـ ـب ومـ ـا غائـ ـب الأعمـ ـار عنـ ـا بغائـ ـب
ومـ . ـا هـ . ـذه الأيـ . ـام إلا مراحـ . ـل مواردهـ . ـا ممزوجـ . ـة بالمصـ . ـائف
وحاضـ ـر قلبـ ـي مثـ ـل فقـ ـد أكـ ـارم أحاطـ ـت بهـ ـم مسـ ـتعظمات النوائـ ـب

فلما سمعت نزهة الزمان هذا الكلام تذكرت أخاها ضوء المكان وأبنه كان ما كان فقربتها وأقبلت عليها وقالت أنا والآن غنية وأنت فقيرة فو الله ما تركنا أفتقارك إلا خوفاً من انكسار قلبك لئلا يخطر ببالك أن مـ ـا نهديه إليك صدقة مع أن جميع ما نحن فيه من الخير منك ومن زوجك فبيتنا بيتك ولك ما لنا وعليك ما علينا ثم خلعت عليها ثياباً فاخرة وأفردت لها مكاناً في القصر ملاصقاً لمقصورتها وأقامت عندهم في عيشة طيبـ ـة هي وولدها كان ما كان وخلعت عليه ثياب الملوك وافردت لهما جواري برسم خدمتهما ثم أن نزهة الزمـ ـان بعد مدة قليلة ذكرت لزوجها حديث زوجة أخيها ضوء المكان فدمعت عيناه وقال أن شئت أن تنظري الـ ـدنيا بعدك فانظريها بعد غيرك فأكرمي مثواها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٦٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد هذا ما كان من أمر نزهة الزمان وزوجها وأم ضوء المكان (وأمـ ـا) مـ ـا كان من أمر كان ما كان وأبنة عمه قضى فكان فإنهما كبرا وترعرعا حتى صار كأنهما غصنان مثمـ ـران أو قمران أزهران وبلغا من العمر خمسة عشر عاماً وكانت قضى فكان من أحسن البنات المخدرات بوجه جميل وخصر نحيل وردف ثقيل وريق كالسلسبيل وقد رشيق وثغر ألذ من الرحيق كما قال فيها بعـ ـض واصـ ـفيها هذين البيتين:

كان سـ ـلاف الخمـ ـر مـ ـن ريقهـ ـا بـ ـدت وعنقودهـ ـا مـ ـن ثغرهـ ـا الـ ـدر يقطـ ـف
وأعنابهـ . ـا مالـ . ـت إذا مـ . ـا ثنيتهـ . ـا فسـ . ـبحان خـ . ـلاف لهـ . ـا لا يكيـ . ـف

وقد جمع الله كل المحاسن فيها فقدها يخجل الأغصان والورد يطلب من خدها الأمان وأما الريق فإنـ ـه يهز بالرحيق تسر القلب والناظر كما قال فيها الشاعر:

مليحـ ـة الوصـ ـف قـ ـد تمـ ـت محاسـ ـنها" أجفانهـ ـا تفضـ ـح التكحيـ ـل بالكحـ ـل
كـ ـان الحاظهـ ـا فـ ـي قلـ ـب عاشـ ـقها سـ ـيف بكـ ـف أميـ ـر المـ ـؤمنين علـ ـى

وأما كان ما كان فإنه كان بديع الجمال فائق الكمال عز في الحسن عن مثال الشجاعة تلوح بين عينيـ ـه تشهد له لا عليه وقيل كل القلوب إليه وحين أخضر منه العذار كثرت فيه الأشعار كقول بعضهم:

مـ ـا بـ ـان عـ ـذري فيـ ـه حتـ ـى عـ ـذرا ومشـ ـى الـ ـدجى فـ ـي خـ ـده متحيـ ـرا
رشـ . ـأ إذا رنـ . ـت العيـ . ـون لحسـ . ـنه سـ . ـلت لواحظـ . ـه عليهـ . ـا خنجـ . ـرا

وقول الآخر:

نسـ . ـجت نفـ . ـوس العاشـ . ـقين بخـ . ـده ثمـ ـلا ونـ ـم بهـ ـا النجيـ ـع الأحمـ ـر

فأعجب لهم شد هدوا ومسد كنهم لظ ى ولباسد .هم فيه .ا الحرير .ر الأخضد .ر

وأنفق في بعض الأعياد أن قضى فكان خرجت تعيد على بعض أقاربها من الدولة والجواري حواليه ا والحسن قد عمها وورد الخد يحسد خالها والأقحوان يتبسم عن بارق ثغرها فجعل كان ما كان يدور حوله ا ويطلق النظر إليها وهي كالقمر الزاهر فقوي جنانه وأطلق بالشعر لسانه وأنشد هذين البيتين:

متد ى يشد تفي قلد ب الد دنو مد ن البعد د ويضحك ثغر الوصل مد ن زائد د الصد د

فياليد .ت شد .عري هد .ل أبيد .تن ليلد .ة بوصل حبيب عند ده بعد ض مد ا عند دي

فلما سمعت قضى فكان هذا الشعر أظهرت له الملامة والعتاب وتوعدته بأليم العقاب فأغتاظ كد ان مد ا كان وعاد إلى بغداد وهو غضبان ثم طلعت قضى فكان إلى قصرها وشكت ابن عمها إلى أمها فقالت لها يد ا بنتي لعله ما أرادك بسوء وهل هو الا يتيم ومع هذا لم يذكر شيئاً يعيبك فأياك أن تعلمي بذلك أحداً فربما بلغ الخبر إلى السلطان فيقصر عمره ويخمد ذكره ويجعل أثره كأمس الدابر والميت الغابر وشاع في بغداد حد ب كان ما كان لقضي فكان وتحدثت به النسوان ثم أن كان ما كان ضاق صدره وقل صبره واشتغل بالد ه ولد م يخف على الناس حاله واشتهى أن يبوح بما في قلبه من لوعة البين فخاف من غضبها وأنشد هذين البيتين:

إذا خفد .ت يومد .اً عتد .اب التد .ي تغيد . . .ر أخلاقهد . . .ا الصد . . .افية

صد .برت عليهد .ا كصد .بر الفتد .ى علد .ى الكد .ي فد .ي طلد .ب العافيد .ة

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٦٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الحاجب الكبير لما صار سلطان ثم إنه بلغه حب كان ما كان لقضد ي فكان فندم على جعلهما معاً في محل واحد ثم دخل على زوجته نزهة الزمان وقال إن الجمد ع بد ين الخلفد ة والنار لمن أعظم الأخطار وليست الرجال على النساء بمؤتمنين مادامت العيون في عج والمعاطف في لد ين وأن ابن أخيك كان ما كان قد بلغ مبلغ الرجال فيجب منعه عن الدخول على ربات الحجال ومنع بنتك عد ن الرجال أوجب لأن مثلها ينبغي أن يحجب فقالت صدقت أيها الملك العاقل والهمام الكامل فلما أصبح الصد باح جاء كان ما كان ودخل على عمته نزهة الزمان على الملك العاقل والهمام الكامل فلما أصبح الصد باح جد اء كان ما كان ودخل على عمته نزهة الزمان على جري عادته وسلم عليها فردت عليه السلام وقالت له عندي لك كلام ما كنت أحب أن أقوله لك ولكن أخبرك به رغماً عني فقال لها وما ذاك الكلام قالت إن الملك سد مع بحبك لقضي فكان فأمر بحجبها عنك وإذا كان لك حاجة فأنا أرسلها إليك من خلف الباب ولا تنظد ر قضد ي فكان فلما سمع كلامها رجع ولم ينطق بحرف واحد وأعلم والدته بما قالته عمته فقالت له إنما نشأ هد ذا مد ن كثرة كلامك وقد علمت أن حديث حبك لقضي فكان شاع وانتشر في كل مكان وكيف تأكل زادهم وبعد ذلد ك وتعشق بنتهم فقال إني اريد الزواج بها لأنها بنت عمي وأنا أحق بها فقالت له أمه أسكت لئلا يصل الخبر إلى الملك سلسان فيكون ذلك سبباً لغرقك في بحر الأحزان وهم يبعثوا لنا في هذه الليلة عشاء ولو كنا في بلد غير هذه لمتنا من ألم الجوع أو ذل السؤال فلما سمع كان ما كان كلام أمه زادت بقلبه الحسد رات وأنشد د هد ذه الأبيات:

أقلـ ـى مـ ـن اللـ ـوم الـ ـذي لا يفـ ـارق فقلبـ ـي إلـ ـى مـ ـن تيتمنـ ـي مفـ ـارق
ولا تطلبـ ـ ـي عنـ ـ ـد الصـ ـ ـبر ذرة فصـ ـبري وبيـ ـت الله منـ ـي طـ ـالق
إذا سـ ـامني اللـ ـوام نهيـ ـا عصـ ـيتهم وها أنـ ـا فـ ـي دعـ ـوي المحبـ ـة صـ ـادق
وقـ ـد منعـ ـوني عنـ ـوة أن أزورهـ ـا وأنـ ـي والـ ـرحمن مـ ـا أنـ ـا فاسـ ـق
وأن عظـ ـامي حـ ـين تسـ ـمع ذكرهـ ـا تشـ ـابه طيـ ـراً خلفهـ ـن بواشـ ـق
ألا قل لمـ ـن قـ ـد لام فـ ـي الحـ ـب إننـ ـي وحـ ـق إلهـ ـي لبنـ ـت عمـ ـي لعاشـ ـق

ولما فرغ من شعره قال لأمه ما بقي لي عند عمتي ولا عند هؤلاء القوم مقام بل أخرج مـ ـن القصـ ـر وأسكن في أطراف المدينة بجوار قوم صعاليك ثم خرج وفعل كما قال وصارت أمه تتردد إلى بيـ ـت الملـ ـك سلسان وتأخذ منه ما تقتات به هي وأياه ثم أن قضي فكان أختلت بأم كان ما كان وقالت لها يا امـ ـرأة عمـ ـي كيف حال ولدك فقالت أنه باكي العين حزين القلب ليس له من أسر الغرام فكاك ومقتنص مـ ـن هـ ـواك فـ ـي أشراك فبكت قضى فكان وقالت والله ما هجرته بغضاً له ولكن خوفاً عليه من الأعداء وعندي مـ ـن الشـ ـوق أضعاف ما عنده ولولا عثرات لسانه وخفقان جنانه ما قطع أبي عنه إحسانه وأولاه منعه وحرمانه ولكن أيام الورى دول والصبر في كل الأمور أجمل ولعل من حكم بالفراق أن يمن علينا بالتلاق ثم أفاضت دمع العين وأنشدت هذين البيتين:

فعنـ ـدي يـ ـا ابـ ـن عمـ ـي مـ ـن غرامـ ـي كأمثـ ـال الـ ـذي قـ ـد حـ ـل عنـ ـدي
ولكـ ـن كتمـ ـت عـ ـن النـ ـاس وجـ ـدي فهـ ـلا كنـ ـت أنـ ـت كتمـ ـت وجـ ـدك

فشكرتها أم كان ما كان وخرجت من عندها وأعلمت ولدها كان ما كان بذلك فزاد شوقه إليها وقال ما أبدلها من الحور بالفين وأنشد هذين البيتين:

فـ ـو الله لا أصـ ـغي إلـ ـى قـ ـول لائـ ـم ولا بحـ ـت بالسـ ـر الـ ـذي كنـ ـت كأنمـ ـا
وقد غـ ـاب عنـ ـي مـ ـن أرجـ ـى وصـ ـاله وقد سـ ـهرت عينـ ـي وقـ ـد بـ ـات نائمـ ـاً

ثم مضت الأيام والليالي وهو يتقلب على جمر المقالي حتى مضى له من العمر سبعة عشر كمل بحسنه ففي بعض الليالي أخذه السهر وقال في نفسه مالي أرى جسمي يذوب وإلى متى لا أقدر على قيل المطلـ ـوب ومالي عيب سوى عدم الجاه والمال ولكن عند الله بلوغ الآمال فينبغي أن أشرد نفسي عن بلادها حتى تموت أو تحظى بمرادها ثم أضمر هذه العزمات وأنشد هذه الأبيات:

دع مهجتـ ـي تـ ـزداد فـ ـي خفقانهـ ـا ليس التـ ـذلل فـ ـي الـ ـورى مـ ـن شـ ـأنها
وأعـ ـذر فـ ـإن حشاشـ ـتي كصـ ـحيفة لا شـ ـك أن الـ ـدمع مـ ـن عنوانهـ ـا
هـ ـا بنـ ـت عمـ ـي قـ ـد بـ ـدت حوريـ ـة نزلـ ـت إلينـ ـا عـ ـن رضـ ـا رضـ ـوانها
مـ ـن رام الحـ ـاظ العيـ ـون معارضـ ـاً فتكاتهـ ـا لـ ـم يـ ـنج مـ ـن عـ ـدوانها
سأسـ ـير فـ ـي الأرض الوسـ ـيعة منقـ ـذاً نفسـ ـي وأمنحهـ ـا سـ ـوى حرمانهـ ـا
وأعـ ـود مسـ ـرور الفـ ـؤاد بمطلبـ ـي وأقاتـ ـل الأبطـ ـال فـ ـي ميـ ـدانها
ولسـ ـوف أشـ ـتاق الغنـ ـائم عائـ ـداً وأصـ ـول مقتـ ـدرا علـ ـى أقرانهـ ـا

ثم أن كان ما كان خرج من القصر حافياً في قميص قصير الأكمام وعلى رأسه لبدة لها سبعة أعـ وام وصحبته رغيف له ثلاثة أيام ثم سار في أجناس الظلام حتى وصل إلى باب بغداد فوقف هناك ولما فتحـ وا باب المدينة كان أول هو خارج منه ثم صار بقطع الأودية والقفار في ذلك النهار ولما أتى الليل طلبته أمه فلم نجده فضافت عليها الدنيا باتساعها ولم تلتذ بشيء من متاعها ومكثت تنتظر أول يوم وثاني يوم وثالث يـ وم إلى أن مضى عشرة أيام فلم نزله خبراً فضاق صدرها وبكت ونادت قائلة يا مؤنسي قد هيجت أحزاني حيث فارقني وتركت أوطاني يا ولدي من أي الجهات أناديك ويا هل ترى أي بلد يؤويك ثـ م صـ عدت الزفـ رات وأنشدت هذه الأبيات:

علمنـ . ا بـ . ان بعـ . د غيبـ . تكم لبلـ . ى   ومـ . دت قسـ . ى للفـ . راق لنـ . ا نـ . بلاً
وقـ . د خلفـ . وني بعـ . د شـ . د رحـ . الهم   أعالج كرب المـ وت إذ قطعـ وا الـ رملا
لقـ ـد هتـ ـف بـ ـي جنـ ـين ليـ ـل حمامـ ـة   مطوقـ . ة ناحـ . ت فقلـ . ت لهـ . ا مهـ . لاً
لعمـ . رك لـ . و كانـ . ت كمثلـ . ي حزينـ . ة   لما لبسـ ـت طوقـ ـاً ولا خضـ بت رجـ ـلاً
وفـ . ـارقني الفـ . ـي فألقيـ . ـت بعـ . ـده   دواعـ . ي الهـ . م لا تفـ . ارقني أصـ . ـلاً

ثم إنها امتنعت من الطعام والشراب وزادت في البكاء والانتحاب وصار بكاؤها على رؤوس الأشـ ـهاد واشتهر حزنها بين العباد والبلاد وصار الناس يقولون ابن عينك يا ضوء المكان وترى ما جرى على كان ما كان حتى بعد عن وطنه وخرج من المكان وكان أبوه يشبع الجعان ويأمر بالعدل والإحسان ووصل خبر كان ما كان على الملك سلسان وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٦٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك سلسان وصل إليه خبر كان ما كان من الأمراء الكبار وقالوا إنه ولد ملكنا ومن ذرية الملك عمر النعمان وقد بلغنا أنه تغرب عن الأوطان فلما سمع الملك سلسان هذا الكـ ـلام اغتاظ غيظاً شديداً وتذكر إحسان أبيه إليه وأنه أوصاه عليه فحزن على كان ما كان وقال لابد مـ ـن التفتـ ـيش عليه في سائر البلاد ثم بعث في طلبه الأمير تركاش في مائة فارس فغاب عشرة أيام ثم رجع وقال لـ ـه مـ ـا أطلعت له على خبر ولا وقفت له على أثر فحزن عليه الملك سلسان حزناً شديداً وأما أمه فأنهـ ـا صـ ـارت لا يقر لها قرار ولا يطاوعها اصطبار وقد مضي له عشرون يوماً هذا ما كان من أمر هؤلاء (وأما) ما كان من أمر كان ما كان فإنه لما خرج من بغداد صار متحيراً في أمره ولم يدر إلى أين يتوجه ثم أنه سافر في البـ ـر ثلاثة أيام وحده ولم يرى راجلاً ولا فارساً فطار وقاده وزاد سهاده وتفكر أهله وبلاده وصار يتقوت من نبات الأرض ويشرب من أنهارها ويقيل وقت الحر تحت أشجارها ثم خرج من تلك الطريق إلى طريـ ـق آخـ ـرى وسار فيها ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع أشرف على أرض معشبة الفلوات مليحة النبـ ـات وهـ ـذه الأرض قـ ـد شربت من كؤوس الغمام على أصوات القمري والحمام فأحضرت رباها وطاب فلاها فيتذكر كان ما كان بلاد أبيه فأنشد من فرط ما هو فيه:

خرجـ . ـت وفـ . ـي أملـ . ـي عـ . ـودة   ولكنـ . . ـي لسـ . . ـت أدري متـ . . ـى
وشـ . . ردني أنـ . . ـي لـ . . م أجـ . . د   سـ . بيلاً إلـ . ى دفـ . ع مـ . ا قـ . د أتـ . ى

فلما فرغ من شعره أكل من ذلك النبات وتوضأ وصلى ما كان عليه من الفريضة وجلس يستريح ومكث طول ذلك اليوم في ذلك المكان فلما جاء الليل نام واستمر نائماً إلى نصف الليل ثم أنتبه فسمع صوت إنسان ينشد هذه الأبيات:

ما العيش إلا أن ترى لك بارق	من ثغر من تهوى ووجه رائق
والموت أسهل من صدود حبيبة	لم يغشني منها خيال طارق
يا فرحة الندماء حيث تجمعوا	وأقام معشوق هناك وعاشق
لاسيما وقت الربيع وزهره	طاب الزمان بما إليه تسابق
يا شارب الصهباء دونك ما ترى	أرض مزخرفة وماء دافق

فلما سمع كان ما كان هذه الأبيات هاجت به الأشجان وجرت دموعه على خده كالغدران وأنطلقت في قلبه النيران فقام ينظر قائل هذا الكلام فلم ير أحد في جنح الظلام فأخذه القلق ونزل في مكانه إلى أسفل الوادي ومشى على شاطيء النهر فسمع صاحب الصوت يعد الزفرات وينشد هذه الأبيات:

أن كنت تضمر ما في الجب أشفاقاً	فأطلق الدمع يوم البين اطلاقاً
بيني وبين أحبائي عهود هوى	لذا إليهم أظل الدهر مشتاقاً
يرتاح قلبي إليهم ويطربني	نسيم تيم إذا ما هب أشواقاً
يا سعد هل ربة الخلخال تذكرني	بعد البعاد لنا عهداً وميثاقاً
وهل تعود ليالي الوصل تجمعنا	يوماً ويشرح كل بعض ما لاقى
قالت فتنت بنا وجدا فقلت لها	كم قد فتنت رعاك الله عشاقاً
لا متع الله في طرفي في محاسنها	أن كان من بعدها طيب الكرى ذاقها
بالسعة في فؤادي ما رأيت لها	سوى الوصل ورشف الثغر ترياقاً

فلما سمع كان ما كان هذه الأشعار من صاحب ذلك الصوت ثاني مرة ولم ير شخصه عرف أن القائل مثله عاشق منع من الوصول إلى من يحبه فقال في نفسه لعلي اجتمع بهذا فيشكو كل واحد لصاحبه واجعله أنيسي في غربتي ثم تنحنح ونادى قائلاً أيها السائر في الليل العاكر تقرب مني وقص قصتك علي لعلك تجدني معيناً لك على ليتك فلما سمع صاحب الصوت هذا الكلام أجابه قائلاً أيها المنادي السامع لا نشادي من تكون من الفرسان وهل أنت من الأنس أو من الجان فعجل على بكلامك قبل دنو حمامك وأمش فقال كان ما كان لاتفعل يا أخا العرب لأن أهلي لا يشترونني بفضة ولا ذهب وأنا رجل فقير ولا معي قليل ولا كثير فدع عنك هذه الأخلاق واتخذني من الرفاق وأخرج بنا من أرض العراق فلما سمع صباح ذلك غضب وزاد به الالتهاب وقال له ويلك تردني في الجواب يا أخس الكلاب أدر كتافك وإلا أنزلت عليك العذاب فتبسم كان ما كان وقال كيف أدير الكتاف أما عندك أنصاف أما تخشى معايرة العربان حيث تأسر لا ما بالذل والهوان وما اختبرته في حومة الميدان وعلمت أهو فارس أو جبان فضحك صباح وقال يا لله العجب أنك في سن الغلام ولكنك كبير الكلام لأن هذا القول لا يصدر إلا عن البطل المصدام فقال كان ما كان الأنصاف أنك إذا شئت أخذى أسيراً خادماً لك أن ترمي سلاحك وتخفف لباسك وتصارعني وكل من صرع صاحبه بلغ منه مرامه

وجعله غلامه فضحك صباح وقال ما أظن كثرة كلامك إلا لدنو حمامك ثم رمي سلاحه وشمر أذياله ودنا من كان ما كان وتجاذبا فوجده البدوي يرجح عليه كما يرجح القنطار على الدينار ونظر إلى ثياب رجليه في الأرض فوجدهما كالمأذنتين المؤسستين أو الجبلين الراسخين فعرف من نفسه قصر باعه وندم على الدنو من صراعه وقال في نفسه ليتني قاتلته بسلاحي ثم أن كان ما كان قبضه وتمكن منه وهزه فأحس أن أمعاءه تقطعت في بطنه فصاح أمسك يدك يا غلام فلم يلتفت إلى ما أبداه من الكلام بل حمله من الأرض وقصد به النهر فناداه صباح قائلاً أيها البطل ما تريد أن تفعل بي قال أريد أن أرميك في هذا النهر فإنه يوصلك إلى الدجلة والدجلة توصلك إلى نهر عيسى ونهر عيسى يوصلك إلى الفرات والفرات يلقيك إلى بلادك فيراك قومك فيعرفونك ويعرفون مروءتك وصدق محبتك فصاح صباح ونادى يا فارس البطاح لا تفعل فعل القباح أطلقني بحياة بنت عمك سيدة الملاح فحطه كان ما كان في الأرض فلما رأي نفسه خالصاً ذهب إلى ترسه وسيفه وأخذهما وصار يشاور نفسه على الهجوم عليه فعرف كان ما كان ما يشاور نفسه عليه فقال له قد عرفت ما في قلبك حيث أخذت سيفك وترسك فإنه قد خطر ببالي أنه ليس لك يد في الصراع تطول ولو كنت على فرس تجول لكنت بسيفك على تصول وها أنا أبلغك ما تختار حتى لا يبقى في قلبك إنكار فأعطني الترس وأهجم علي بسيفك فأما أن تقتلني وأما أن أقتلك فرمي الترس وجرد سيفه وهجم به على كان ما كان فتناول الترس بيمينه وصار يلاقي به عن نفسه وصار صباح يضربه ويقول ما بقي إلا هذه الضربة الفاصلة فيتلقاها كان ما كان وتروح ضائعة ولم يكن مع كان ما كان شيء يضرب به ولم يزل صباح يضرب بالسيف حتى كلت يده وعرف كان ما كان ضعف قوته وانحلال عزيمته فهجم عليه وهزه وألقاه في الأرض وكتفه بحبائل سيفه وجره من رجليه إلى جهة النهر فقال صباح ما تريد أن تصنع بي يا فارس الزمان وبطل الميدان قال لم أقل لك أنني أرسلك إلى قومك في النهر حتى لا يشتغل خاطرهم عليك وتتعوق عن عرس بنت عمك فتضجر صباح وبكى وصاح وقال لا تفعل يا فارس الزمان واجعلني لك من بعض الغلمان ثم أفاض دمع العين وأنشد هذين البيتين:

تغربت عن أهلي فيا طول غربتي ... وياليت شعري هل أموت غريباً

أموت وأهلي ليس تعرف مقتلي ... وأودي غريباً لا أزور حبيباً

فرحمه كان ما كان وأطلقه بعد أن أخذ عليه العهود والمواثيق أنه يصحبه في الطريق ويكون له نعم الرفيق ثم أن صباحاً أراد أن يقبل يد كان ما كان فمنعه من تقبيلها ثم قام البدوي إلى جرابه وفتحه وأخذ منه ثلاث قرصات شعير وحطها قدام كان ما كان وجلس معه على شاطيء النهر وأكلا مع بعضهما ثم توضأ وصليا وجلسا يتحدثان فيما القياه من صروف هذا الزمان فقال كان ما كان للبدوي أين نقصد فقال صباح أقصد بغداد بلدك وأقيم بها حتى يرزقني الله بالصداق فقال له دونك والطريق ثم ودعه البدوي وتوجه في طريق بغداد وماقام كان ما كان وقال في نفسه يا نفسي أي وجه للرجوع مع الفقر والفاقة فو الله لا أرجع خائباً ولابد لي من الفرج أن شاء الله تعالى ثم تقدم إلى النهر وتوضأ وصلى فلما سجد ووضع جبهته على التراب ونادى ربه قائلاً اللهم منزل القطر ورازق الدود في الصخر اسألك أن ترزقني بقدرتك ولطيف رحمتك ثم سلم من صلاته وضاق به كل مسلك فبينما هو جالس يلتفت يميناً وشمالاً وإذا يفارس أقبل على

جواد وقد أقتعد ظهره وأرخى عنانه فاستوى كان ما كان جالساً وبعد ساعة وصل إليه الفارس وهو في آخر نفس لأنه كان به جرح بالغ فلما وصل إليه جرى دمعه على خده مثل أفواه القرب وقال لكان ما كان يا وجه العرب أتخذ في ما عشت لك صديقاً فإنك لا تجد مثلي وأسقني قليلاً من الماء وأن كان شرب الماء لا يصلح للخروج سيماوقت خروج الروح وأن عشت أعطيتك ما يدفع فقرك وأن مت فأنت المسعود بحسن نيتك وكان تحت الفارس حصان يتحير في حسنه الإنسان ويكل عن وصفه اللسان وله قوائم مثل أعمدة الرخام معد ليوم الحرب والزحام فلما نظر كان ما كان إلى ذلك الحصان أخذه الهيام وقال في نفسه أن هذا الحصان لا يكـ ون في هذا الزمان ثم أنه أنزل الفارس ورفق به وجرعه يسيراً من الماء ثم صبر عليه حتى أخذ الراحة وأقبـ ل عليه وقال له من الذي فعل بك هذه الفعال فقال الفارس أنا أخبرك بحقيقة الحال أني رجل سلال غيار طـ ول دهري أسل الخيل وأختلسها في الليل والنهار وأسمى غسان آفة كل فرس وحصان وقد سمعت بهذا الحصـ ان في بلاد الروم عند الملك أفريدون وقد سماه بالقانون ولقبه بالمجنون وقد سافرت إلى القسطنطينية من أجلـ ه وصرت أراقبه فبينما أنا كذلك إذ خرجت عجوز معظمة عند الروم وأمرها عندهم في الخداع متناهي تتمـ ي شواهي ذات الدواهي ومعها هذا الجواد وصحبتها عشرة عبيد لا غير يرسم خدمة ه١١ الحصان وهي تقصـ د بغداد تريد الدخول على الملك سلمان لتطلب منه الصلح والأمان فخرجت في أثرهم طمعـ اً فـ ي الحصـ ان ومازلت أتابعهم ولا أتمكن من الوصول إليه لأن العبيد شداداً الحرس عليه إلى أن أتوا تلك البلاد وخفـ ت أن يدخلوا مدينة بغداد فبينما أنا أشاور نفسي في سرقة الحصان أنطلع عليهم غيار حتى سد الأقطار ثم انكشـ ف الغبار عن خمسين فارس مجتمعين لقطع الطريق على التجار ورئيسهم يقال له كهرداش ولكنه فـ ي الحـ رب كأسد يجعل الأبطال كالفراش. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٦٩)

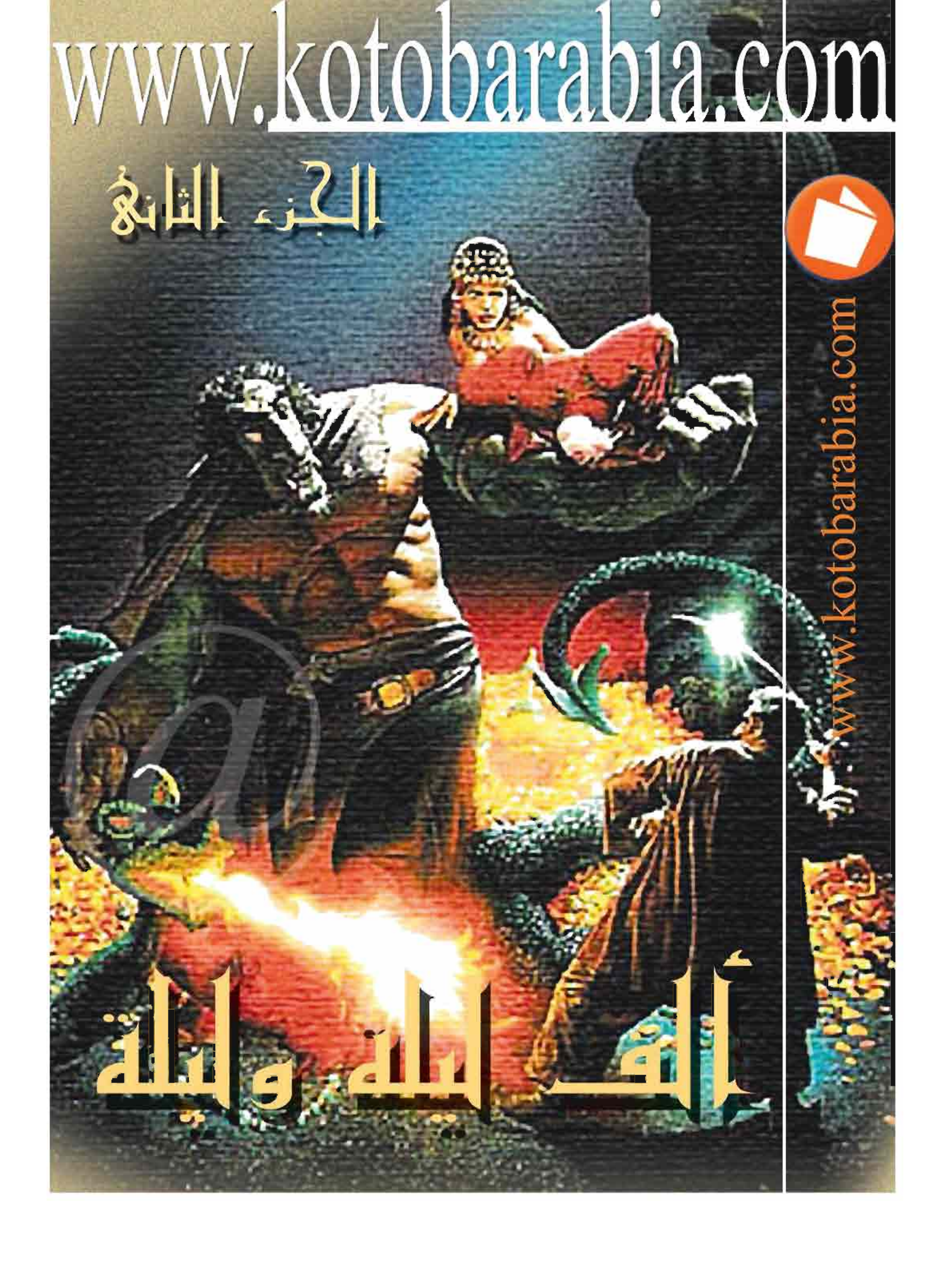
قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الفارس المجروح قال لكان ما كان فخرج على العجوز ومـ ن معهـ ا كهرداش ثم أحاط بهم وهاش وناش فلم تمض ساعة حتى ربط العشرة العبيد والعجوز وتسلم الحصان وسـ ار بهم وهو فرحان فقلت في نفسي قد ضاع تعبي وما بلغت أربي ثم صبرت حتى أنظر ما يؤول الأمر إليه فلما رأت العجوز روحها في الأسر بكت وقالت لكهرداش أيها الفارس الهمام والبطـ ل الضـ رغام مـ اذا تصـ نع بالعجوز والعبيد وقد بلغت من الحصان ما تريد وخادعته بلين الكلام وحلفت أنها تسوق له الخيـ ل والأنعـ ام فأطلقها هي والعبيد ثم سار هو والعبيد وأصحابه وتبعهم حتى وصلت إلى هذه الديار وأنا ألاحظه فلما وجدت إليه سبيلاً سرقته وركبته وأخرجت من مخلاتي سوطاً فضربته فلما أحسوا بي لحقوني وأحاطوا بي من كـ ل مكان ورموني بالسهام والسنان وأنا ثابت عليه وهو يقاتل عني بيديه ورجليه إلىأن خرج بي من بينهم مثـ ل النجم الطارق والسهم الراشق ولكن لما أشتد الكفاح أصابني بعض الجراح وقد مضى لي على ظهره ثلاثـ ة أيام لم أستطعم بطعام وقد ضعفت مني القوى وهانت على الدنيا وأنت أحسنت إلـ ي وأشـ فقت علـ ى وأراك عاري الجسد ظاهر عليك الكمد ويلوح عليك أثر النعمة فما يقال لك فقال أنا يقال لي كان ما كان ابن الملـ ك ضوء المكان بن الملك عمر النعمان قد مات والدي وربيت يتيماً وتولى رجل لئيم وصار ملكاً على الحقيـ ر والعظيم ثم حدثه بحديثه من أوله إلى آخره فقال الرجل السلال وقدرق له إنك ذو حسب عظيم وشرف جسيم

وليس لك شان وتصير أفرس هذا الزمان فإن قدرت أن تحملني وتركب ورائي وتوديني إلى بلادي يكن لـ ك الشرف في الدنيا والأجر في يوم التناد فإنه لم يبق لي قوة أمسك بها نفسي وأن مت في الطريق فزت به ذا الحصان وأنت أولى به من كل إنسان فقال له كان ما كان والله لو قدرت أن أحملك على أكتافي لفعلت ولـ و كان عمري بيدي لأعطيتك نصفه من غير هذا الجواد لأني من أهل المعروف وأغاثة الملهوف وفعل الخير ر لوجه الله تعالى يسد سبعين بابا من البلاء وعزم على أن يحمله على الحصان ويسير متوكلاً عل ى اللطيـ ف الخبير فقال له أصبر على قليلاً ثم غمض عينيه وفتح يديه وقال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن سيدنا محمد رسول الله ﷺ وتهيأ للممات وأنشد هذه الأبيات:

ظلمـ . ـت العبـ . ـاد وطفـ . ـت الـ . ـبلاد   وأمضـ .يت عمـ .ري بشـ .رب الخمـ .ور
وخضـ . ـت السـ . يول لسـ . ـل الخيـ . ول   وهـ . .دم الطلـ . .ول بفعـ . .ل النكـ . .ود
وأمـ . ري عظـ . يم وجرمـ . ي جسـ . يم   وفـ . .اتول منـ . .ي تمـ . .ام الأمـ . .ور
وأملـ . . ـت أنـ . . ـي أنـ . . ال المنـ . . ى   بـ . ذاك الحصـ . ان فاعيـ . ا مسـ . يري
وطـ . .ول الحيـ . .اة أسـ . .ل الخيـ . .ول   فكانـ . .ت وفـ . .اتي عنـ . .د الغـ . .دير
وآخـ . . ر أمـ . . ري أنـ . . ي تعبـ . . ت   لـ . ـرزق الغريـ . ـب اليتـ . ـيم الفقيـ . ـر

فلما فرغ من شعره غمض عينيه وفتح فاه وشهق شهقة ففارق الدنيا فحفر له كان ما كان حفرة وواراه في التراب ثم مسح وجه الحصان ورآه لا يوجد في حوزة الملك سلسان ثم أتته الأخبار من التجار بجميع ما جرى في غيبته بين الملك سلسان والوزير دندان وأن الوزير دندان خرج من طاعة الملك سلسان هو ونصف العسكر وحلفوا أنهم ما لهم سلطان إلا كان ما كان واستوثق منهم بالإيمان ودخل بهم إلى جزائر الهند والبربر وبلاد السودان واجتمع معهم عساكر مثل البحر الزاخر لا يعرف لهم أول من آخر وعزم عل ى أن يرجـ ع بجميع الجيوش على البلاد ويقتل من يخالفه من العباد وأقسم على أنه لا يرد سيف الحرب إلى غمـ ده حتـ ى يملك كان ما كان فلما بلغته هذه الأخبار غرقت في بحر الأفكار ثم أن الملك سلسان علم أن الدولة انحرفـ ت عليه الكبار والصغار فغرق في بحر الهموم والأكدار وفتح الخزائن وفرق على أرباب الدولة الأموال والنعم وتمنى أن يقدم عليه كان ما كان ويجذب قلبه إليه بالملاطفة والإحسان ويجعله أمير على العساكر الـ ذين لـ م يزالوا تحت طاعته لتقوي به شرارة جمرته ثم أن كان ما كان لما بلغه ذلك الخبر من التجار رجع مسـ رعاً إلى بغداد على ظهر ذلك الجواد فبينما الملك سلسان في ربكته حيران إذ سمع بقدوم كان ما كان فأخرج جميع العساكر ووجهاء بغداد لملاقاته فخرج كل من في بغداد ولا قوة ومشوا قدامه إلى القصر ودخلت الطواشـ ية بالأخبار إلى أمه فجاءت إليه وقبلته بين عينيه فقال يا أماه دعيني أمضي إلى عمي السلطان سلسـ ان الـ ذي غمرني بالنعمة والإحسان ثم أن أرباب الدولة تحير وافى وصف ذلك الحصان وفي وصـ ف صـ احبه سـ يد الفرسان وقالوا للملك سلسان أيها الملك أننا ما رأينا مثل هذا الإنسان ثم ذهب الملك سلسان وسلم عليه فلمـ ا رآه كان ما كان مقبلاً عليه قام إليه وقبل يديه ورجليه وقدم إليهم الحصان هدية فرحب به وقال أهلاً وسـ هلاً بولدي كان ما كان والله لقد ضالت بي الأرض لأجل غيبتك والحمد لله على سلامتك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

تم المجلد الأول من قصة ألف ليلة وليلة . ويليه المجلد الثاني وأوله لية ١٧٠


www.kotobarabia.com
الجزء الثاني
ألف ليلة وليلة
www.kotobarabia.com

ألف ليلة وليلة

المجلد الثاني

ألف ليلة وليلة

ذات الحوادث العجيبة. والقصص المطربة الغريبة لياليها غرام في غرام وتفاصيل حب وعشق وهيام وحكايات ونوادر فكاهية. ولطائف وطرائف أدبية بالصور المدهشة البديعة من أبدع ما كان ومناظر أعجوبة من عجائب الزمان.

فهرست المجلد الثاني من قصة ألف ليلة وليلة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

(وفي ليلة ١٧٠) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك سلسان قال أهلاً وسهلاً بولدي كان ما كان والله لقد ضاقت بي الأرض لأجل غيبتك والحمد لله على سلامتك ثم نظر السلطان إلى هذا الحصان المسمى بالق انون فعرف أنه الحصان الذي رآه سنة كذا وكذا في حصار عبدة الصلبان مع أبيه ضوء المكان حين قت ل عم ه شركان وقال له لو قدر عليه أبوك لاشتراه بألف جواد ولكن الآن عاد العز إلى أهله وقد قبلناه وهنالك وهبناه وأنت أحق به من كل إنسان لأنك سيد الفرسان ثم أمر أن يحضر لكان ما كان خلعة سنية وجملة من الخي ل وأفرد له في القصر أكبر الدور وأقبل عليه العز والسرور وأعطاه مالا جزيلاً وأكرمه غاية الإكرام لأنه كان يخشى عاقبة أمر الوزير دندان ففرح بذلك كان ما كان وذهب عنه الذل والهوان ودخل بيته وأقبل على أم ه وقال يا أمي ما حال ابنة عمي فقالت والله يا ولدي أنه كان عندي من غيبتك ما شغلني عن محبوبتك فقال ي ا أمي إذهبي إليها وأقبلي عليها لعلها تجود علي بنظرة فقالت له أن المطامع تذل أعناق الرجال فدع عنك ه ذا المقال لئلا يقضي بك إلى الوبال فأنا أذهب إليها ولا أدخل بهذا الكلام عليها فلما سمع من أمه ذلك أخبرها بما قاله السلال من أن العجوز ذات الدواهي طرقت البلاد وعزمت على أن تدخل بغداد وقال هي الت ي قتل ت عمي وجدي ولابد أن أكشف العار وآخذ الثأر ثم ترك أمه وأقبل على عجوز عاهرة محتالة م اكرة اس مها سعدانة وشكا إليها حاله وما يجده من حب قضى فكان وسألها أن تتوجه العجوز إليها وتستعطفها عليه فقالت له العجوز سمعاً وطاعة ثم فارقته ومضت إلى قصر قضى فكان وسألها أن تتوجه العجوز إليها وتس تعطفها عليه فقالت له العجوز سمعاً وطاعة ثم فارقته ومضت إلى قصر قضى فكان واستعطفت قلبها عليه ثم رجعت إليه وأعلمته بأن قضي فكان تسلم عليه ووعدتها أنها في نصف الليل تجيء إليه. وأدرك ش هرزاد الص باح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٧١) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العجوز قالت لكان ما كان بأنها ستجيء إليك ف ي نص ف الليل ففرح لوعد ابنة عمي قضي فكان فلما جاء نصف الليل اتته بملاءة سوداء من الحرير ودخل ت علي ه ونبهته من نومه وقالت له كيف تدعي أنك تحبني وأنت خلي البال نائم على أحسن حال فانتبه وقال والله ي ا منية القلب أني ما نمت إلاطمعا في أن يزورني منك طيف الخيال فعند ذلك عاتبته بعتاب لطي ف الكلم ات وأنشدت هذه الأبيات:

لـ ـو كنـ ـت تصـ ـدق فـ ـي المحبـ ـة ... مـ . . ا جنحـ . . ت إلـ . . ى المنـ . . ام

يـ . ـا مـ . ـدعي طـ . ـرق المحبـ . ـة ... فـ . . . ـي المـ . . . ـودة والغـ . . . ـرام

والله يـ . . ا ابـ . . ن العـ . . م مـ . . ا ... رقـ . . . ـدت عيـ . . ـون المسـ . . ـتهام

فاستحيا منها كان ما كان وتعانقا وتشاكيا ألم الفراق وعظيم الوجد والاشتياق ولم يزالا كذلك إلى أن بدت غرة الصباح وطلع الفجر ولاح فبكى كان ما كان بكاء شديداً وصعد الزفرات وأنشد هذه الأبيات:

فيا زائـ ـري مـ ـن بعـ ـد فـ ـرط صـ ـدوده ... وفي النغر منه الـ ـدر فـ ـي نظـ ـم عقـ ـده

فقبلت . .ه ألف . .ا وعانق . .ت ق . .ده وب .ت وخ .دي لاص .ق تح .ت خ .ده
إل .ى أن ب .دا ن .ور الص .باح فراعن .ا كح .د حس .ام لاح م .ن ج .وف غم .ده

فلما فرغ من شعره ودعته قضي فكان ورجعت إلى خدرها وأظهرت بعض الجـ واري عل ـى سـ رها فذهبت جارية منهن إلى الملك سلسان وأعلمته بالخبر فتوجه إلى قضي فكان وجرد عليها الحسـ ام وأراد أن يضرب عنقها فدخلت عليه أمها نزهة الزمان وقالت له بالله لا تفعل بها ضرراً فإنك إن فعلت بهـ ا ضـ رراً يشيع الخبر بين الناس وتبقى معيرة عند ملوك الزمان وإن كان ما كان صاحب عرض ومـ روءة ولا يفعـ ل أمراً يعاب عليه فاصبر ولا تعجل فإن أهل القصر وجميع أهل بغداد قد شاع عندهم أن الوزير دنـ دان قـ اد العساكر من جميع البلدان وجاء بهم ليملكوا كان ما كان فقال لها لابد أن أرميه في بلية بحيث لا أرض تقلـ ه ولا سماء تظله وأني ما طيبت خاطره ولا أنعمت عليه إلا لأجل أهل مملكتي لئلا يميلوا إليه وسوف ترين ما يكون ثم تركها وخرج يدبر أمر مملكته هذا ما كان من أمر الملك سلسان (وأما) ما كان من أمر كان ما كان فإنه أقبل على أمه في ثاني يوم وقال لها يا أمي أني عزمت على شن الغارات وقطع الطرقات وسوق الخيل والنعم والعبيد والمماليك وإذا كثر مالي وحسن حالي خطبت قضي فكان من عمي سلسان فقالت يا ولـ دي أن أموال الناس غير سائبة لأن دونها ضرب الصفاح وطعن الرماح ورجالاً تقتنص الأسود وتصيد الفهود فقـ ال لها كان ما كان هيهات أن أرجع عن عزيمتي إلا إذا بلغت منيتي ثم أرسل العجوز إلى قضي فكان ليعلمهـ ا أنه يريد السير حتى يحصل لها مهراً يصلح لها وقال للعجوز لابد أن تأتيني منها بجواب فقـ ال لـ ه سـ معاً وطاعة ثم ذهبت إليها ورجعت لها بالجواب وقالت له أنها في نصف الليل تكون عندك فأقـ ام سـ هران إلـ ى نصف الليل من قلقه فلم يشعر إلا وهي داخلة عليه وتقول له روحي فداك من السهر فنهض لها قائماً وقال يا منية القلب روحي فداك من جميع الأسواء ثم اعلمها بما عزم عليه فبكت فقال لها لا تبكي يا بنت العـ م فأنـ ا أسأل الذي حكم علينا بالفراق أن يمن علينا بالتلاق والوفاق ثم أن كان ما كان أخذ في السفر ودخل على أمه وودعها ونزل من القصر وتقلد بسيفه وتعمم وتلثم وركب جواده القانوني ومشى في شوارع المدينـ ة وهـ و كالبدر حتى وصل إلى باب بغداد وإذا برفيقه صباح ابن رباح خارج من المدينة فلما رآه جرى فـ ي ركابـ ه وحياه فرد عليه السلام فقال صباح يا أخي كيف صار لك هذا الجواد وهذا المال وأنا الآن لا أملك غير سيفي فقال له كان ما كان ما يرجع الصياد بصيد إلا على قدر نيته وبعد فراقك بساعة حصلت لي السعادة وهل لك أن تأتي معي وتخلص النية في صحبتي ونسافر في تلك البرية فقال ورب الكعبة ما بقيت أدعوك إلا مـ ولاي ثم جرى قدام الجواد وسيفه على عاتقه وجرابه بين كتفيه ولم يزالا سائرين في البر أربعة أيام وهما يـ أكلان من صيد الغزلان ويشربان من ماء العيون وفي اليوم الخامس أشرفا على تل عال تحته مراتع فيها أبل وغنم وبقر وخيل قد ملأت الروابي والبطاح وأولادها الصغار تلعب حول المراح فلما رأى ذلك كان ما كان زادت به الأفراح وامتلأ صدره بالأنشراح وعول على القتال وأخذ النياق والجمال فقال لصباح انزل بنا على هـ ذا المال الذي عن أهله وحيد ونقاتل دونه القريب والبعيد حتى يكون لنا في أخذه نصيب فقال صباح يا مـ ولاي أن أصحابه خلق كثير وجم غفير وفيهم أبطال من فرسان ورجال وأن رمينا أرواحنا في هذا الخطيب الجسيم

فأننا نكون من هوله على خطر عظيم فضحك كان ما كان وعلم أنه جبان فتركه وانحدر من الرابية عازماً على شن الغارات وترنم بإنشاد هذه الأبيات:

وآل نعم . . ان هـ . . م ذوو الهم . . م	والسـ . ادة الضـ . اربون فـ . ـي القمـ . م
قـ . وم إذا مـ . ا الهيـ . اج قـ . ام لهـ . م	قـ . . اموا بأسـ . . واقه علـ . . ـى قـ . . دم
تذ . . ام عـ . . ين الفقيـ . . ر بيـ . . نهم	ولا يـ . ـرى قـ . ـبح صـ . ـور الـعـ . ـدم
وأنـ . . . ـي أرتجـ . . . ـي معاونـ . . . ـة	مـ . ـن مالـ . ـك الملـ . ـك بـ . ـارئ النسـ . ـم

ثم حمل على ذلك المال مثل الجمل الهائج وساق جميع الإبل والبقر والغنم والخيل قدامه فتبادرت إليـه العبيد بالسيوف الثقال والرماح الطوال وفي أولهم فارس تركي إلا أنه شديد الحرب والكفاح عارف بأعمـال سمر القنا وبيض الصفاح فحمل على كان ما كان وقال له ويلك لو علمت لمن هذا المال ما فعلت هذه الفعال أعلم أن هذه الأموال للعصابة الرومية والفرقة الجركسية الذين ما فيهم إلا كل بطل عابس وهم مائة فارس قد خرجوا عن طاعة كل سلطان وقد سرق منهم حصان وحلفوا بأن لا يرجعوا من هنا إلا به فلما سمع كان مـا كان هذا الكلام صاح قائلاً هذا هو الحصان الذي تعنون وأنتم له طالبون وفي قتالي بسببه راغبون فبارزوني كلكم اجمعون وشأنكم وما تريدون ثم صرخ بين أذني القانون فخرج عليهم مثل الغول وعطف على الفـارس وطعنه فأخرج كلام ومال على ثان وثالث ورابع فأعدمهم الحياة فعند ذلك هابته العبيد فقـال لهـم يـا بنـي الزواني سوقوا المال والخيول وإلا خضبت من دمائكم سناني فساقوا المال وأخذوا في الانطلاق وأنحدر إليـه صباح وأعلن بالصياح وزادت به الأفراح وإذا بغبار قد علا وطار حتى سد الأقطار وبان من تحتـه مائـة فارس مثل الليوث العوابس فلما رآهم صباح فر إلى الرابية وترك البطاح وصار يتفرج على الكفاح وقال ما أنا فارس إلا في اللعب والمزاح ثم أن المائة فارس داروا حول كان ما كان وأحاطوا به من كل مكان فتقـدم إليه فارس منهم وقال أين تذهب بهذا المال فقال له كان ما كان دونك والقتال واعلم أن من دونه أسـداً أروع وبطل صميدع وسيفاً أينما مال قطع فلما سمع الفارس ذلك الكلام التفت إليه فرآه فارساً كالأسد الضرغام إلا أن وجهه كبدر التمام وكان ذلك الفارس رئيس المائة فارس وأسمه كهرداش فلما رأى كان ما كان مع كمـال فروسيته بديع المحاسن يشبه حسنه حسن معروقة له يقال لها فاتن وكانت من أحسن النساء وجهاً قد أعطاهـا الله من الحسن والجمال وكرم الخصال ما يعجز عن وصفه اللسان ويشغل قلب كل إنسان وكانت فرسان القوم تخشى سطوتها وأبطال ذلك القطر تخاف هيبتها وحلفت أنها لا تتزوج إلا من يقهرها وكان كهـرداش مـن جملة خطابها فقالت لابيها ما يقربني إلا من يقهرني في الميدان وموقف الحرب والطعان فلما بلغ كهـرداش هذا القول أختشي أن يقاتل جارية وخاف من العار فقال بعض خواصه أنت كامـل الخصـال فـي الحسـن والجمال فلو قاتلتها وكانت أقوى منك فإنك تغلبها لأنها إذا رأت حسنك وجمالك تنهزم قبالك حتى تملكها لأن النساء لهن غرض في الرجال ولا يخفى عنك هذا الحال فأبي كهرداش وامتنع من قتالها واستمر على امتناعه من القتال إلى أن جرت له مع كان ما كان هذه الأفعال فظن أنها محبوبته فاتن وقد عشقته لما سمعت بحسنه وشجاعته فتقدم إلى كان ما كان وقال ويلك يا فاتن قد أتيت لتريني شجاعتك فأنزلي عن جوادك حتى أتحدث

معك فإني قد سقت هذه الأموال وقطعت الطريق على الفرسان والأبطال وكل هذا لحسنك وجمالك الذي ماله مثل وتزوجيني حتى تخدمك بنات الملوك وتصيري ملكة هذه الأقطار فلما سمع كان ما كان هذا الكلام صارت نار غيظه في اضطرام وقال ويلك يا كلب الإعجام دع فاتنا وما بها ترتاب وتقدم إلى الطعن والضراب فعن قليل تبقى على التراب ثم صال وجال وطلب الحرب والنزال فلما نظر كهرداش إليه علم أنه فارس همام وبطل مصدام وتبين خطأ ظنه حيث لاح له عذار أخضر فوق خده كآس نبت خلال ورد أحمر وقال للذين معه ويلكم ليحمل واحد منكم عليه ويظهر له السيف البتار والرمح الخطار واعلموا أن قتال الجماعة للواحد عار ولو كان في سنان رمحه بشعلة نار فعند ذلك حمل عليه فارس تحته جواد أدهم بتحجيل وغرة كالدرهم يحير العقل والناظر كما قال فيه الشاعر:

قد جاءك المهر الذي نزل الوغى ... جذلان يخلط أرضه بسمائه
وكأنما لطم الصباح جبينه ... واقتص منه فخاض في أحشائه

ثم إن ذلك الفارس حمل عليه كان ما كان وتجاولا في الحرب برهة من الزمان وتضاربا ضرباً تحير الأفكار ويغشى الأبصار فسبقه كان ما كان بضربة بطل شجاع قطعت منه العمامة والمغفر فمال عن الجواد كأنه البعير إذا انحدر وحمل عليه الثاني والثالث والرابع والخامس ففعل بهم كالأول ثم حمل عليه الباقون وقد اشتد بهم القلق وزادت الحرق فما كان إلا ساعة حتى التقطهم بسنان رمحه فنظر كهرداش إلى هذا الحال فخاف من الارتحال وعرف من نفسه أن عنده ثبات الجنان وأعتقد أنه أوحد الأبطال والفرسان فقال لكان ما كان قد وهبت لك دمك ودم أصحابي فخذ من المال ما شئت واذهب إلى حال سبيلك فقد رحمتك لحسن هبابك والحياة أولى بك فقال له كان ما كان لا عدمت مروءة الكرام ولكن أترك عنك هذا الكلام وفز بنفسك ولا تخش الملام ولا تطمع نفسك في رد الغنيمة واسلك لنجاة نفسك طريقة مستقيمة فعند ذلك اشتد بكهرداش الغضب وحصل عنده ما يوجب العطب فقال لكان ما كان ويلك لو عرفت من أنا ما نطقت بهذا الكلام في حومة الزحام فأسأل عني فأنا الأسد البطاش المعروف بكهرداش الذي نهب الملوك الكبار وقطع الطريق على جميع السفار وأخذ أموال التجار وهذا الحصان الذي تحتك طلبتي وأريد أن تعرفني كيف وصلت إليه حتى استوليت عليه فقال اعلم أن هذا الجواد كان سائر إلى عمي الملك سلسان تحت عجوز كبيرة ولنا عند هاتار من جهة جدي الملك عمر النعمان وعمي الملك شركان فقال كهرداش ويلك ومن أبوك لا أم لك فقال اعلم أني كان ما كان بن الملك ضوء المكان بن عمر النعمان فلما سمع كهرداش هذا الخطاب قال لا يستنكر عليك الكمال والجمع بين الفروسية والجمال ثم قال له توجه بأمان فإن أباك كان صاحب فضل وإحسان فقال له كان ما كان أنا والله ما أوقرك يا مهان فاغتاظ البدوي ثم حمل كل منهما على صاحبه فشدت لهما الخيل آذانها ورفعت أذنابها ولم يزالا يصطدمان حتى ظن كل منهما أن السماء قد انشقت ثم بعد ذلك تقاتلا ككباش النطاح واختلفت بينهما طعنات الرماح فحاوله كهرداش بطعنة فزاغ عنها كان ما كان ثم كر عليه وطعنه في صدر فاطلع السنان يلمع من ظهره وجمع الخيل والأسلاب وصاح في العبيد دونكم والسوق الشديد فنزل عند ذلك صباح وجاء إلى كان ما كان وقال له أحسنت يا فارس الزمان أني دعوت لك وقد استجاب ربي دعائي ثم أن صباح قطع رأس كهرداش فضحك كان ما كان وقال له ويلك يا صباح أني كنت أظن أنك فارس

الحرب والكفاح فقال لا تنس عبدك من هذه الغنيمة لعلي أصل بسببها إلى زواج بنت عمي نجمة فقال لـ ـه لا بد لك فيها من نصيب ولكن كن محافظاً على الغنيمة والعبيد ثم أن كان ما كان سار متوجهاً إلى الديار ولـ ـم يزل سائراً بالليل والنهار حتى أشرف على مدينة بغداد وعلمت به جميع الأجناد ورأوا ما معه مـ ـن الغنيمـ ـة والأموال ورأس كهرداش على رمح صباح وعرف التجار رأس كهرداش ففرحوا وقالوا لقد أراح الله الخلـ ـق منه لأنه كان قاطع الطريق وتعجبوا من قتله ودعوا القاتله وأتت أهل بغداد إلى كان ما كان بما جـ ـري مـ ـن الأخبار فهابته جميع الرجال وخافته الفرسان والأبطال وساق ما معه إلى أن أوصله تحـ ـت القصـ ـر وركـ ـز الرمح الذي عليه رأس كهرداش إلى باب القصر ووهب للناس وأعطاهم الخيل والجمال فأحبه أهـ ـل بغـ ـداد ومالت إليه القلوب ثم أقبل على صباح وأنزله في بعض الأماكن الفساح ثم دخل على أمه وأخبرها بما جرى له في سفره وقد وصل إلى الملك خبره فقام من مجلسه واختلى بخواصه وقال لهم اعلموا أني أريد أن أبـ ـوح لكم بسري وأبدي لكم مكنون أمري اعلموا أن كان ما كان هو الذي يكون سبباً لانقلاعنا من هـ ـذه الأوطـ ـان لأنه قتل كهرداش مع أن له قبائل من الأكراد والأتراك وأمرنا معه آيل إلى الهلاك وأكثر خوفنا من أقاربـ ـه وقد علمتم بما فعل الوزير دندان فإنه جحد معروفي بعد الإحسان وخانني في الإيمان وبلغني أنه جمع عساكر البلدان وقصد أن يسلطن كان ما كان لأن السلطنة كانت لأبيه وجده ولاشك أنه قاتلي لا محالـ ـة فلمـ ـا سـ ـمع خواص مملكته منه هذا الكلام قالوا له أيها الملك أنه أقل من ذلك ولولا أننا علمنا بأنه تربيتك لم يقبل عليـ ـه منا أحد واعلم أننا بين يديك أن شئت قتله قتلناه وأن شئت أبعدناه أبعدناه فلما سمع كلامهم قال إن قتلـ ـه هـ ـو الصواب ولكن لابد من أخذ الميثاق فتحالفوا على أنهم لابد أن يقتلوا كان ما كان فإذا أتى الوزير دندان وسمع بقتله تضعف قوته عما هو عازم عليه فلما أعطوه العهد والميثاق على ذلك أكرمهم غاية الإكرام ثم دخل بيته وقد تفرق عنه الرؤساء وأمتنعت العساكر من الركوب والنزول حتى يبصروا ما يكون لأنهـ ـم رؤوا غالـ ـب العسكر مع الوزير دندان ثم أن الخبر وصل إلى قضي فكان فحصل عندها غم زائد وأرسلت إلـ ـى العجـ ـوز التي عادتها أن تأتيها من عند أبن عمها بالأخبار فلما حضرت عندها أمرتها أن تذهب إليه وتخبـ ـره بـ ـالخبر فلما وصلت إليه العجوز سلمت عليه ففرح بها وأخبرته بالخبر فلما سمع ذلك قال بلغي بنت عمـ ـي سـ ـلامي وقولي لها أن الأرض لله عز وجل يورثها من يشاء من عباده وما أحسن قول القائل:

الملـ ـك لله ومـ ـن يظفـ ـر بنيـ ـل منـ ـي يـ ـردده قهـ ـر ويضـ ـمن عنـ ـده الـ ـدركا
لو كـ ـان لـ ـي أو لغيـ ـري قـ ـدر أنملـ ـة مـ ـن التـ ـراب لكـ ـان الأمـ ـر مشـ ـتركا

فرجعت العجوز إلى بنت عمه وأخبرتها بما قاله وأعلمتها بأن كان ما كان أقام في المدينة ثم أن الملك سلسان صار ينظر خروجه من بغداد ليرسل وراءه من يقتله فاتفق أنه خرج إلى الصـ ـيد والقـ ـنص وخـ ـرج صباح معه لأنه كان لا يفارقه ليلاً ولا نهاراً فاصطاد عشر غزالات وفيهن غزالة كحلاء العيـ ـون صـ ـارت تتلفت يميناً وشمالاً فأطلقها فقال له صباح لأي شيء أطلقت هذه الغزالة فضحك كان ما كان وأطلـ ـق البـ ـاقي وقال أن من المروءة أطلاق الغزالات التي لها أولاد وما تتلفت تلك الغزالة إلا لأن لها أولاد فأطلقتها وأطلقت الباقي في كرامتها فقال له صباح أطلقني حتى أروح إلى أهلي فضحك وضربه يعقب الرمح على قلبه فوقـ ـع على الأرض يلتوي كالثعبان فبينما هما كذلك وإذا بعبرة سائرة وخيل تركض وبـ ـان مـ ـن تحتهـ ـا فرسـ ـان وشجعان وسبب ذلك أن الملك سلسان أخبره جماعة أن كان ما كان خرج إلى الصيد والقنص فأرسل أمير من الديلم يقال له جامع ومعه عشرين فارساً ودفع لهم المال ثم أمرهم أن يقتلوا كان ما كان فلما قربوا منه حملوا عليه وحمل عليهم فقتلهم عن آخرهم وإذا بالملك سلسان ركب وسار ولحق بالعسكر فوجدهم مقتولين فتعجب ورجع وإذا بأهاليهم قبضوا عليه وشدوا وثاقه ثم أن كان ما كان توجه بعد ذلك من المكان وتوجه معه صباح البدوي فبينما هو سائر إذ رأى في طريقه شاباً على باب داره فألقى كان ما كان عليه السلام فرد الشاب عليه السلام ثم دخل الدار وخرج ومعه قصعتان إحداهما فيها لبن والثانية ثريد والسمن في جوانبها يموج ووضـ ـع القصعتين قدام كان ما كان وقال له تفضل علينا بالأكل من زادنا فامتنع كان ما كان من الأكل فقال له الشاب مالك أيها الإنسان لا تأكل فقال له كان ما كان أني على نذر فقال له الشاب وما سبب نذرك فقال له كان مـ ـا كان اعلم أن الملك سلسان غصب ملكي ظلماً وعدواناً ثم أن ذلك الملك كان لأبي وجدي من قبلي فاسـ ـتولى عليه قهراً بعد موت أبي ولم يعتبرني لصغر سني فنذرت أنني لا آكل لأحد زاد حتى أشـ ـفي فـ ـؤادي مـ ـن غريمي فقال له الشاب أبشر فقد وفي الله نذرك واعلم أنه مسجون في مكان وأظنه يموت قريباً فقال هل كان ما كان في أي بيت هو معتقل فقال له في تلك القبة العالية فنظر كان ما كان إلى قبة عالية ورأى الناس فـ ـي تلك القبة يدخلون وعلى سلسان يلطمون وهو يتجرع غصص المنون فقام كان ما كان ومشى حتى وصل إلـ ـى تلك القبة وعاين ما فيها ثم عاد إلى موضعه وقعد على الأكل وأكل ما تيسر ووضع ما بقى من اللحـ ـم فـ ـي مزودة ثم جلس مكانه ولم يزل جالساً إلى أن أظلم الليل ونام الشاب الذي ضيفه ثم ذهب كان ما كان إلى القبة التي فيها سلسان وكان حولها كلاب يحرسونها فوثب عليه كلب من الكلاب فرمى له قطعة لحم من الذي في مزوده وما زال يرمي للكلاب لحماً حتى وصل إلى القبة وتوصل إلى أن صار عند الملك سلسان ووضع يده على رأسه فقال له بصوت عال من أنت فقال أنا كان ما كان الذي سعيت في قتله فأوقعـ ـك الله فـ ـي سـ ـوء تدبيرك أما يكفيك أخذ ملكي وملك أبي وجدي حتى تسعى في قتلي فخلف سلسان الإيمان الباطلة أنه لم يسـ ـع في قتله وأن هذا الكلام غير صحيح فصفح عنه كان ما كان وقال له أتبعني فقال لا أقدر أن أخطـ ـو خطـ ـوة واحدة لضعف قوتي فقال كان ما كان إذا كان الأمر كذلك نأخذ لنا فرسين ونركب أنا وأنت ونطلب البر ثـ ـم

فعل كما قال وركب هو وسلسان وسار إلى الصباح ثم وصلوا الصباح وساروا ولم يزالوا كذلك حتى وصلوا إلى بستان فجعلوا يتحدثون فيه ثم قام كان ما كان إلى سلسان وقال له هل بقي في قلبك مني أمر تكرهه قال سلسان لا والله ثم اتفقوا على أنهم يرجعون إلى بغداد فقال صباح البدوي أنا أسبقكما لأبشر الناس فسبق يبشر النساء والرجال فخرجت إليه الناس بالدفوف والمزامير وبرزت قضى فكان وهي مثل البدر بهي الأنوار في دياجي الاعتكار فقابلها كان ما كان وحنت الأرواح للأرواح واشتاقت الأشباح للأشباح ولم يبق لأهل العصر حديث إلا في كان ما كان وشهد له الفرسان أنه أشجع أهل الزمان وقالوا لا يصلح أن يكون سلطاناً علينا إلا كان ما كان ويعود إلى ملك جده كما كان وأما سلسان فإنه دخل على نزهة الزمان فقالت له أني أرى الناس ليس لهم حديث إلا في كان ما كان ويصفونه بأوصاف يعجز عنها اللسان فقال لها ليس الخبر كالعيان فأني رأيته ولم أر فيه صفة من صفات الكمال وما كل ما يسمع يقال ولكن الناس يقلد بعضهم بعضاً في مدحه ومحبته وأجرى الله على ألسنة الناس مدحه حتى مالت إليه قلوب أهل بغداد والوزير دندان الغادر الخوان قد جمع له عساكر من سائر البلدان ومن الذي يكون صاحب الأقطار ويرضى أن يكون تحت يد حاكم يتيم ماله مقدار فقالت له نزهة الزمان وعلى ماذا عولت فقال عولت على قتله ويرجع الوزير ديدان خائباً في قصده ويدخل تحت أمري وطاعتي ولا يبقى له إلا خدمتي فقالت له نزهة الزمان الغدر قبيح بالأجانب فكيف بالأقارب والصواب أن تزوجه ابنتك قضى فكان وتسمع ما قيل فيما مضى من الزمان.

إذا رفع الزمان عليك شخصاً ... وكنت أحق منه ولو تصاعد
أتله حقه تبلغ رتبة ... يقول إن دنوت وإن تباعد
ولا تقل الذي تدريه فيه ... تكن ممن عن الحسنى تقاعد
فكم في الخدر أبهى من عروس ... ولكن للعروس الدهر ساعد

فلما سمع سلسان هذا الكلام وفهم الشعر والنظام قام مغضباً من عندها وقال لولا أني أعرف أنك تمزحين لعلوت رأسك بالسيف وأخمدت أنفاسك فقالت حيث غضبت مني فأنا أمزح معك ثم وثبت إليه وقبلت رأسه ويديه وقالت له الصواب ما تراه وسوف أتدبر أنا وأنت في حيلة تقتله بها فلما سمع منها هذا الكلام فرح وقال لها عجلي بالحيلة وفرجي كربتي فلقد ضاق على باب الحيل فقالت له سوف أتحيل لك على اتلاف مهجته فقال لها بأي شيء فقالت له بجاريتنا التي اسمها بانون فإنها في المكر ذات فنون وكانت هذه الجارية من أنحس العجائز وعدم الخبث في مذهبها غير جائز وكانت قد ربت كان ما كان وقضى فكان غير أن كان ما كان يميل إليها كثيراً ومن فرط ميله إليها كان ينام تحت رجليها فلما سمع الملك سلسان من زوجته هذا الكلام قال أن هذا الرأي هو الصواب ثم أحضر الجارية باكون وحدثها بما جرى وأمرها أن تسعى في قتله ووعدها بكل جميل فقالت له أمرك مطاع ولكن أريد يا مولاي أن تعطيني خنجراً قد سقي بماء الهلاك لا عجل لك بإتلافه فقال لها سلسان مرحباً بك ثم أحضر لها خنجراً يكاد أن يسبق القضاء وكانت هذه الجارية قد سمعت الحكايات والأشعار وتحفظ النوادر والأخبار فأخذت الخنجر وخرجت من الديار مفكرة فيما يكون به الدمار وأتت إلى كان ما كان وهو قاعد ينتظر وعد السيدة قضي فكان وكان في تلك الليلة قد تذكر بنت عمه قضي فكان فالتهبت من حبها في قلبه النيران فبينما هو كذلك وإذا بالجارية با كون داخلة عليه وهي تقول آن

أوان الوصال ومضت أيام الانفصال فلما سمع ذلك قال لها كيف حال قضي فكان فقالت له باكون اعلم أنها مشتغلة بحبك فعند ذلك قام كان ما كان إليها وخلع أثوابه عليها ووعدها بكل جميل فقالت له اعلم أنني أنام عندك الليلة وأحدثك بما سمعت من الكلام وأسليك بحديث كل متيم أمرضه الغرام فقال لها كان ما كان حدثيني بحديث يفرح به قلبي ويزول به كربي فقالت له باكون حباً وكرامة ثم جلست إلى جانبه وذلك الخنجر من داخل أثوابها فقالت له اعلم أن أعذب ما سمعت أذني أن رجلاً كان يعشق الملاح وصرف عليهن ماله حتى افتقر وصار لا يملك شيئاً فضاقت عليه الدنيا فصار يمشي في الأسواق ويفتش على شيء يقتات به بينما هو ماش وإذا بقطعة مسمار شكته في أصبعه فسال دمه فقعد ومسح الدم وعصب أصبعه ثم قام وهو يصرخ حتى جاز على الحمام ودخلها ثم قلع ثيابه فلما صار داخل الحمام وجدها نظيفة فجلس على الفسقية وما زال ينزح الماء على رأسه إلى أن تعب وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٧٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد ثم خرج إلى الحوض البارد فلم يجد أحداً فاختلى بنفسه وأطلع قطعة حشيش وبلعها فساحت في مخه فانقلب على الرخام وخيل له الحشيش أن مهتاراً كبيراً يكبسه وعبدين واقفان على رأسه واحد معه الطاسة والآخر معه آلة الحمام وما يحتاج إليه البلان فلما رأى ذلك قال في نفسه كأن هؤلاء غلطوا في أومن طائفتنا الحشاشين ثم أنه مد رجليه فتخيل له أن البلان قال له يا سيدي قد أزف الوقت على طلوعك واليوم نوبتك فضحك وقال في نفسه ما شاء الله يا حشيش ثم قعد وهو ساكت فقام البلان وأخذ بيده وأدار على وسطه مئزراً من الحرير الأسود ومشى وراءه العبدان بالطاسات والحوائج ولم يزالا به حتى ادخلاه الخلوة وأطلقا فيها البخور فوجدها ملآنة من سائر الفواكه والمشموم وشقاله بطيخة وأجلساه على كرسي من الأبنوس ووقف البلان يغسله والعبدان يصبان الماء ثم دلكوه دلكاً جيداً وقالوا له يا مولانا الصاحب نعيم دائم ثم خرجوا وردوا عليه الباب فلما خيل له ذلك قام ورفع المئزر من وسطه وصار يضحك إلى أن غشي عليه واستمر ساعة يضحك ثم قال في نفسه ما بالهم يخاطبونني خطاب الوزير ويقولون يا مولانا الصاحب فلعل الأمر التبس عليهم في هذه الساعة وبعد ذلك يعرفونني ويقولون هذا زليط ويشبعون صكا في رقبتي ثم أنه استحمى وفتح الباب فتخيل له أن مملوكاً صغيراً وطواشياً قد دخلا عليه المملوك معه بقجة ففتحها وأخرج منها ثلاث فوط من الحرير فرمى الأولى على رأسه والأخرى على أكتافه وحزمه بالثالثة وقدم له الطواشي قبقاباً فلبسه وأقبلت عليه مماليكه وطواشيه وصاروا يسندونه وكل ذلك حصل وهو يضحك إلى أن خرج وطلع الليوان فوجد فرشاً عظيماً لا يصلح إلا للملوك وتبادرت إليه الغلمان واجلسوه على المرتبة وصاروا يكسبونه حتى غلب عليه النوم فلما نام رأى في حضنه صبية فباسها ووضعها بين فخذيه وجلس منها مجلس الرجل من المرأة وقبض ذكره بيده وسحبها وعصرها تحته عنده وإذا بواحد يقول انتبه يا زليط قد جاء الظهر وأنت نائم ففتح عينه فوجد نفسه على الحوض البارد وحوله جماعة يضحكون عليه وايره قائم والفوطه انحلت من وسطه وتبين له كل هذا أضغاث أحلام أو تخيلات حشيش فاغتم ونظر إلى الذي نبهه وقال كنت أصبر حتى أحطه فقال له الناس أما تستحي يا حشاش وأنت نائم وذكرك قائم وصكوه حتى أحمر قفاه وهو جيعان وقد ذاق طعم السعادة وهو في المنام فلما سمع كان ما كان من الجارية

هذا الكلام ضحك حتى استلقى على قفاه وقال لباكون يادادتي أن هذا حديث عجيب فأني ما سمعت مثل هـ ذه الحكاية فهل عندك غيرها فقالت له نعم ثم أن الجارية باكون لم تزل تحدث كان ما كان بمخ ارف حكاي ات ونوادر مضحكات حتى غلب عليه النوم ولم تزل تلك الجارية جالسة عند رأسه حتى مضى غالب الليل فقالت في نفسها هذا وقت انتهاز الفرصة ثم نهضت وسلت الخنجر ووثبت على كان ما كان وأرادت ذبحه وإذ بـ أم كان ما كان دخلت عليهما فلما رأتها باكون قامت لها واستقبلتها ثم لحقها الخوف فاصـ بحت تنـ تفض كأنه ا أخذتها الحمى فلما رأتها أم كان ما كان تعجبت ونبهت ولدها من النوم فلما استيقظ وجد أمه جالسة فوق رأسه وكان السبب في حياته مجيئها وسبب مجيء أمه إليه أن قضى فكان سمعت الحديث والاتفاق على قتله فقالت لأمه يا زوجة العم الحقي ولدك قبل أن تقتله العاهرة باكون وأخبرتها بما جرى من أوله إلى آخره فخرج ت وهي لا تعقل شيئاً حتى دخلت في الساعة التي نام فيها وهمت باكون عليه تريد ذبحه فلما استيقظ قال لأم ه لقد جئت يا أمي في وقت طيب ودادتي باكون حاضرة عندي في تلك الليلة ثم التفت إلى بـ اكون وقـ ال لـه ا بحياتي عليك هل تعرفين حكاية أحسن من هذه الحكاية التي حدثتيني بها فقالت له الجارية وأين ما حدثتك به سابقاً مما أحدثك به الآن فإنه أعذب وأغرب ولكن أحكيه لك في غير هذا الوقت ثم قامت بـ اكون وهـ ي لا تصدق بالنجاة فقال لها مع السلامة ولمحت بمكرها أن أمه عندها خبر بما حصل فذهبت إلى حالها فعند ذلك قالت له والدته يا ولدي هذه ليلة مباركة حيث نجاك الله من الملعونة فقال لها وكيف ذلك فأخبرته بالأمر مـ ن أوله إلى آخره فقال لها يا والدتي الحي ما له قاتل وأن قتل لا يموت ولكن الأحوط لنا أننا نرحل عن هـ ؤلاء الأعداء والله يفعل ما يريد فلما أصبح الصباح خرج كان ما كان من المدينة واجتمع بـ الوزير دنـ دان وبعـ د خروجه حصلت أمور بين الملك سلسان ونزهة الزمان أوجبت خروج نزهة الزمـ ان أيضـ اً مـ ن المدينـ ة فاجتمعت بهم واجتمع عليهم جميع أرباب دولة الملك سلسان الذين يميلون إليهم فجلسوا يدبرون الحيلة فاجتمع رأيهم على غزو ملك الروم وأخذ الثار فلما توجهوا إلى غزو الروم وقعوا في أسر الملك رومزان بعد أمور يطول شرحها كما يظهر من السياق فلما اصبح الصباح أمر الملك رومزان أن يحضر كان ما كان والـ وزير دندان وجماعتهما فحضروا بين يديه وأجلسهم بجانبه وأمر بإحضار الموائـ د فأحضـ رت فـ أكلوا وشـ ربوا وأطمأنوا بعد أن أيقنوا بالموت لما أمر بإحضارهم وقالوا لبعضهم أنه ما أرسل إلينا إلا لأنه يريد قتلنا وبعـ د أن اطمأنوا قال لهم أني رأيت مناماً وقصصته على الرهبان فقالوا ما يفسره لك إلا الـ وزير دنـ دان فقـ ال الوزير دندان خير ما رأيت يا ملك الزمان فقال له أيها الوزير رأيت أني في حفرة على ضفة بئر أسود وكان أقواماً يعذبونني فأردت القيام فلما نهضت وقفت على أقدامي وما قدرت على الخروج من تلـ ك الحفـ رة ثـ م ألتفت فرأيت فيها منطقة من ذهب فمددت يدي لآخذها فلما رفعتها من الأرض رأيتهـ ا منطقتـ ين فشـ ددت وسطي بهما فإذا هما قد صارتا منطقة واحدة وهذا أيها الوزير منامي والذي رأيته في لذيذ أحلامي فقال لـ ه الوزير دندان اعلم يا مولانا السلطان أن رؤياك تدل على أن لك أخاً أو ابن أخاً أو ابن عم أو أحد يكون مـ ن أهلك من دمك ولحمك وعلى كل حال هو من دندان ومن معهم من الأسارى وقال في نفسه إذا رميت رقـ اب هؤلاء انقطعت قلوب عسكرهم بهلاك أصحابهم ورجعت إلى بلادي عن قريب لئلا يخرج الملك من يدي ولما صمم على ذلك استدعى بالسياف وأمره أن يضرب رقبة كان ما كان من وقته وساعته وإذا بداية الملك قـ د

أقبلت في تلك الساعة فقالت له أيها الملك السعيد على ماذا عولت فقال لها عولت على قتل هؤلاء الأسارى الذين في قبضتي وبعد ذلك أرمي رؤوسهم إلى أصحابهم ثم أحمل أنا وأصحابي عليهم حملة واحدة فنقتل الذي تقتله ونهزم الباقي وتكون هذه وقعة الانفصال وأرجع إلى بلادي عن قريب قبل أن يحدث بعد الأمور أمور في مملكتي فعندما سمعت منه دايته هذا الكلام أقبلت عليه وقالت له بلسان الأفرنج كيف يطيب عليك أن تقتل ابن أخيك وأختك وأبنة أختك فلما سمع الملك من دايته هذا الكلام إتاظ غيظاً شديداً وقال لها يا ملعونة ألم تعلمي أن أمي قد قتلت وأن أبي قد مات مسموماً وأعطيتيني خرزة وقلت لي أن هذه الخرزة كانت لأبيك فلم لا تصدقيني في الحديث فقالت له كل ما أخبرتك به صدق ولكن شأني وشأنك عجيب وأمري وأمرك غريب فأنني أنا اسمي مرجانة وأسم أمك أبريزة وكانت ذات حسن وجمال وشجاعتها تضرب بها الأمثال وأشتهرت بالشجاعة بين الأبطال وأما أبوك فإنه الملك عمر النعمان صاحب بغداد وخراسان من غير شك ولا ريب ولا رجم بالغيب وكان قد أرسل ولده شركان إلى بعض غزواته صحبة هذا الوزير دندان وكان منهم الذي قد كان وكان أخوك الملك شركان تقدم على الجيوش وأنفرد وحده عن عسكره فوقع عند أمك الملكة أبريزة في قصرها ونزلنا وأياها في خلوة للصراع فصادفنا ونحن على تلك الحالة فتصارع مع أمك فغلبته لباهر حسنها وشجاعتها ثم استضافته أمك مدة خمسة أيام في قصرها فبلغ أباها ذلك الخبر من العجوز شواهي الملقبة بذات الدواهي وكانت أمك قد أسلمت على يد شركان أخيك فأخذها وتوجه بها إلى مدينة بغداد سراً وكنت أنا وريحانه وعشرون جارية معها وكنا قد أسلمنا كلنا على يد الملك شركان فلما دخلنا على أبيك الملك عمر النعمان ورأى أمك الملكة أبريزة وقع في قلبه محبتها فدخل عليها ليلة واختلى بها فحملت بك وكان مع أمك ثلاث خرزات فأعطتها لأبيك فأعطى خرزة لأبنته نزهة الزمان وأعطى الثانية لأخيك ضوء المكان وأعطى الثالثة لأخيك الملك شركان فأخذتها منه الملكة إبريزة وحفظتها لك فلما قربت ولادتها اشتاقت أمك إلى أهلها وأطلعتني على سرها فأجتمعت بعبد أسود يقال له الغضبان وأخبرته بالخبر سراً ورغبتها في أن يسافر معنا فأخذنا العبد وطلع بنا من المدينة وهرب بنا وكانت أمك قربت ولادتها فلما دخلنا على أوائل بلادنا في مكان منقطع أخذ أمك الطلق بولادتك فحدث العبد نفسه بالخنا فأتي أمك فلما قرب منها راودها على الفاحشة فصرخت عليه صرخة عظيمة وانزعجت منه فمن عظم انزعاجها وضعتك حالاً وكان في تلك الساعة قد طلع علينا في البر من ناحية بلادنا غبار قد علا وطار حتى سد الأقطار فخشي العبد على نفسه من الهلاك فضرب الملكة أبريزة بسيفه فقتلها من شدة غيظه وركب جواده وتوجه إلى حال سبيله وبعدما راح العبد انكشف الغبار عن جدك الملك حردوب ملك الروم فرأى أمك ابنته وهي في ذلك المكان قتيلة وعلى الأرض جديلة فصعب ذلك عليه وكبر لديه وسألني عن سبب قتلها وعن سبب خروجها خفية من بلاد أبيها فحكيت له جميع ذلك من الأول إلى الآخر وهذا هو سبب العداوة بين أهل بلاد الروم وبين أهل بغداد فعند ذلك احتملنا أمك وهي قتيلة ودفناها في قصرها وقد احتملتك أنا وربيتك وعلقت لك الخرزة التي كانت مع أمك الملكة أبريزة ولما كبرت وبلغت مبلغ الرجال لم يمكنني أن أخبرك بحقيقة الأمر لأنني لو أخبرتك بذلك لثارت بينكم الحروب وقد أمرني جدك بالكتمان ولا قدرة لي على مخالفة أمر جدك الملك حردوب ملك الروم فهذا سبب كتمان الخبر عنك وعدم إعلامك بأن أباك الملك عمر النعمان فلما استقللت بالمملكة أخبرتك وما

أمكنني أن أعلمك إلا في هذا الوقت يا ملك الزمان وقد كشفت السر والبرهان وهذا ما عندي من الخبر وأنت برأيك أخبر وكان الأسارى قد سمعوا من الجارية مرجانة داية الملك هذا الكلام جميعه فصاحت نزهة الزمان من وقتها وساعتها صيحة عظيمة وقالت هذا الملك رومزان أخي من أبي عمر النعمان وأمه الملكة أبريزة بنت الملك حردوب ملك الروم وأنا أعرف هذه الجارية مرجانة حق المعرفة فلما سمع الملك رومزان هذا الكلام أخذته الحدة وصار متحيراً في أمره وأخضر من وقته وساعته نزهة الزمان بين يديه فلما رآها حن الدم للدم وستخبرها عن قصته فحكت له فوافق كلامها كلام دايته مرجانة فصح عند الملك أنه من أهل العراق من غير شك ولا ارتياب وأن أباه الملك عمر النعمان فقام من تلك الساعة وحل كتاف أخته نزهة الزمان فتقدمت إليه وقبلت يديه ودمعت عيناها فبكى الملك لبكائها وأخذه حنو الأخوة ومال قلبه إلى ابن أخيه السلطان كان ما كان وقام ناهضاً على قدميه وأخذ السيف من يد السياف فأيقن الأسارى بالهلاك لما رأوا منه ذلك فأمر بإحضارهم بين يديه وفك وثاقهم وقال لدايته مرجانة أشرحي حديثك الذي شرحتيه إلى هؤلاء الجماعة فقالت دايته مرجانة اعلم أيها الملك أن هذا الشيخ هو الوزير دندان وهو لي أكبر شاهد لأنه يعرف حقيقة الأمر ثم إنها أقبلت عليهم من وقتها وساعتها وعلى من حضرهم من ملوك الروم وملوك الأفرنج وحدثتهم بذلك الحديث والملكة نزهة الزمان والوزير دندان ومن معها من الأسارى يصدقونها على ذلك وفي آخر الحديث لاحت من الجارية مرجانة التفاتة فرأت الخرزة الثالثة بعينها رفيقة الخرزتين اللتين كانتا مع الملكة أبريزة في رقبة السلطان كان ما كان فعرفتها فصاحت صيحة عظيمة دوى لها الفضاء وقالت للملك يا ولدي اعلم أنه قد زاد في ذلك صدق يقيني لأن هذه الخرزة التي في رقبة هذا الأسير نظير الخرزة التي وضعتها في عنقك وهي رفيقتها وهذا الأسير هو ابن أخيك وهو كان ما كان ثم أن الجارية مرجانة التفت إلى كان ما كان وقالت له أرني هذه الخرزة يا ملك الزمان فنزعها من عنقه وناولها لتلك الجارية داية الملك رومزان فأخذتها منه ثم سألت نزهة الزمان عن الخرزة الثالثة فأعطتها لها فلما صارت الخرزتان في يد الجارية ناولتهما للملك رومزان فظهر له الحق والبرهان وتحقق أنه عم السلطان كان ما كان وأن أباه الملك عمر النعمان فقام من وقته وساعته إلى الوزير دندان وعانقه ثم عانق الملك كان ما كان وعلا الصياح بكثرة الأفراح وفي تلك الساعة انتشرت البشائر ودقت الكاسات والطبول وزمرت الزمور وزادت الأفراح وسمع عساكر العراق والشام ضجيج الروم بالأفراح فركبوا عن آخرهم وركب الملك الزبلكان وقال في نفسه يا ترى ما سبب هذا الصياح والسرور الذي في عسكر الأفرنج والروم وأما عساكر العراق فإنهم قد أقبلوا وعلى القتال عولوا وصاروا في الميدان ومقام الحرب والطعان فالتفت الملك رومزان فرأى العساكر مقبلين للحزب متهيئين فسأل عن سبب ذلك فأخبروه بالخبر فأمر قضي فكان ابنة أخيه شركان أن تسير من وقتها وساعتها إلى عسكر الشام والعراق وتعلمهم بحصول الاتفاق وأن الملك رومزان ظهر أنه عم السلطان كان ما كان فسارت قضي فكان بنفسها ونفت عنها الشرور والأحزان حتى وصلت إلى الملك الزبلكان وسلمت عليه وأعلمته بما جرى من الاتفاق وأن الملك رومزان ظهر أنه عمها وعم كان ما كان وحين أقبلت عليه وجدته باكي العين خائفاً على الأمراء والأعيان فشرحت له القصة من أولها إلى آخرها فزادت أفراحهم وزالت أتراحهم وركب الملك الزبلكان هو وجميع الأكابر والأعيان وسارت قدامهم الملكة قضي فكان حتى أوصلتهم

إلى سرادق الملك رومزان فلما دخلوا عليه وجدوه جالساً مع ابن أخيه السلطان كان ما كان وقد استشاره هو والوزير دندان في أمر الملك الزبلكان فاتفقوا على أنهم يسلمون إليه مدينة دمشق الشام ويتركونه ملكاً عليها كما كان مثل العادة وهم يدخلون إلى العراق فجعلوا الملك الزبلكان عاملاً على دمشق الشام ثم أمروه بالتوجه إليها فتوجه بعساكره إليها ومشوا معه ساعة لأجل الوداع وبعد ذلك رجعوا إلى مكانهم ثم نادوا في العسكر بالرحيل إلى بلاد العراق واجتمع العسكران مع بعضهم ثم أن الملوك قالوا لبعضهم ما بقيت قلوبنا تستريح ولا يشفى غيظنا إلا بأخذ الثأر وكشف العار بالانتقام من العجوز شواهي الملقبة بذات الدواهي فعند ذلك سار الملك رومزان مع خواصه وأرباب دولته وفرح السلطان كان ما كان بعمه الملك رومزان ودعا للجارية مرجانة حيث عرفتهم ببعضهم ثم ساروا ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا إلى أرضهم فسمع الحاجب الكبير سلسان فطلع وقبل يد الملك رروموزان فخلع عليه ثم أن الملك رومز أن يا عم ما يصلح هذا الملك الإلك فقال له معاذ الله أن أعارضك في ملكك فعند ذلك أشار إليهما الوزير دندان أن يكون الأثنان في الملك سواء وكل واحداً يحكم يوماً فارتضيا بذلك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٧٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أنهما أتفقا على أن كل واحد يحكم يوماً ثم أولموا الولائم وذبحوا الذبائح وزادت بهم الأفراح وأقاموا على ذلك مدة من الزمان كل ذلك والسلطان كان ما كان يقطع ليلة مع بنت عمه قضي فكان وبعد تلك المدة بينما هم قاعدون فرحون بهذا الأمر وانصلاح الشأن إذ ظهر لهم غبار قد علا وطارحتي سد الأقطار وقد أتى إليهم من التجار صارخ يستغيث وهو يصيح ويقول يا ملوك الزمان كيف أسلم في بلاد الكفر وأنهب في بلادكم وهي بلاد العدل والأمان فأقبل عليه الملك رومزان وسأله عن حاله فقال له أنا تاجر من التجار ولي غائب عن الأوطان مدة مديدة من الزمان واستغرقت في البلاد نحو عشرين سنة من الأعوام وأن معي كتاباً من مدينة دمشق كان قد كتبه إلى المرحوم الملك شركان وسبب ذلك أنني قد أهديت إليه جارية فلما قربت من تلك البلاد وكان معي مائة حمل من تحف الهند وأتيت بها إلى بغداد التي هي حرمكم ومحل أمنكم وعدلكم خرجت علينا عربان ومعهم أكراد مجتمعة من جميع البلاد فقتلوا رجالي ونهبوا أموالي وهذا شرح حالي ثم أن التاجر بكى بين يدي الملك رومزان وحوقل واشتكى فرحمه الملك ورق إليه وكذلك رحمه ابن أخيه الملك كان ماكان وحلفوا أنهم يخرجون إليه فخرجوا إليه في مائة فارس كل فارس منهم بين الرجال بألوف وذلك التاجر سار أمامهم يدلهم على الطريق ولم يزالوا سائرين ذلك النهار وطول الليل إلى السحر حتى أشرفوا على واد غزير الأنهار كثير الأشجار فوجد القوم قد تفرقوا في ذلك الوادي وقسموا بينهم أحمال ذلك التاجر وبقى البعض فأطبق عليه المائة فارس وأحاطوا بهم من كل مكان وصاح عليهم الملك رومزان هو وابن أخيه كان ما كان فما كان غير ساعة حتى أسروا الجميع وكانوا ثلثمائة فارس مجتمعين من أوباش العربان فلما أسروهم أخذوا ما معهم من مال التاجر وشدوا وثاقهم وطلعوا بهم إلى مدينة بغداد فعند ذلك جلس الملك رومزان هو وابن أخيه الملك كان ما كان على تخت واحد مع بعضهما ثم عرضوا الجميع بين أيديهما وسألاهم عن حالهم وعن كبارهم فقالوا ما لنا كبار غير ثلاثة أشخاص وهم الذين جمعونا من سائر النواحي والأقطار فقالا لهم ميزوهم لنا بأعيانهم فميزوهم لهما فأمر بالقبض عليهم وإطلاق

بقية أصحابهم بعد أخذ جميع ما معهم من الأموال وتسليمه للتاجر فتفقد التاجر قماشه وما له فوجده قد هلـ ك ربعه فوعدوه أنهم يعوضون له جميع ما ضاع منه فعند ذلك أخرج التاجر كتابين أحـ دهما بخـ ط شـ ركان والآخر بخط نزهة الزمان وقد كان التاجر اشترى نزهة الزمان من البدوي وهي بكر وقدمها لأخيها شـ ركان وجرى بينهما وبين أخيها ما جرى ثم أن الملك كان ما كان وقف على الكتابين وعرف خط عمـ ـه شـ ركان وسمع حكاية عمته نزهة الزمان فدخل بذلك الكتاب الثاني الذي كانت كتبته للتاجر الذي ضـ ـاع منـ ـه المـ ـال وأخبرها كان ما كان بقصة التاجر من أولها إلى آخرها فعرفته نزهة الزمان وعرفت خطها وأخرجت للتاجرا الضيافات وأوصت عليه أخاها الملك رومزان وابن أخيها الملك كان ما كان فأمر له بأموال وعبيد وغلمـ ـان من أجل خدمته وأرسلت إليه نزهة الزمان مائة ألف درهم من المال وخمسين حملاً من البضائع وقد اتحفتـ ـه بهدايا وأرسلت إليه تطلبه فلما أحضر طلعت وسلمت عليه وأعلمته أنها بنت الملك عمر النعمان وأن أخاهـ ـا الملك رومزان وأبن أخيها الملك كان ما كان ففرح التاجر بذلك فرحاً شديداً وهنأهـ ـا بسـ ـلامتها واجتماعهـ ـا بأخيها وابن أخيها وقبل يديها وشكرها على فعلها وقال لها والله ما ضاع الجميل معك ثم دخلت إلى خـ ـدرها وأقام التاجر عندهم ثلاثة أيام ثم ودعهم ورحل إلى الشام وبعد ذلك أحضر الملوك الثلاثة أشخاص اللصوص الذين كانوا رؤساء قطاع الطريق وسألوهم عن حالهم فتقدم واحد منهم وقال اعلموا أني رجل بدوي أقف في الطريق لا خطف الصغار والبنات الأبكار وأبيعهم للتجار ودمت على ذلك مدة من الزمان إلى هـ ـذه الأيـ ـام وأغراني الشيطان فاتفقت مع هذين الشقيقين على جمع الأوباش من الأغراب والبلدان لأجل نهـ ـب الأمـ ـوال وقطع الطريق على التجار فقالوا له احك لنا على أعجب ما رأيت في خطفك في الصغار والبنات فقال لهـ ـم أعجب ما جرى لي يا ملوك الزمان أنني من مدة اثنتين وعشرين سنة خطفت بنتاً من بنات بيت المقدس ذات يوم من الأيام وكانت تلك البنت ذات حسن وجمال غير أنها كانت خدامة وعليها أثواب خلقة وعلـ ـى رأسـ ـها قطعة عباءة فرأيتها قد خرجت من الخان فخطفتها بحيلة في تلك الساعة وحملتها على جمل وسقت بها وكان في أملي أنني أذهب بها إلى أهلي في البرية وأجعلها عندي ترعى الجمال وتجمع البعر من الوادي فبكت بكاء شديداً فدنوت منها وضربتها ضرباً وجيعاً وأخذتها إلى مدينة دمشق فرآها معي تاجر فتحير عقله لما رآهـ ـا وأعجبته فصاحتها وأراد اشتراءها مني ولم يزل يزيدني في ثمنها حتى بعتها له بمائة ألـ ـف درهـ ـم فعنـ ـدما أعطيتها له رأيت منها فصاحة عظيمة وبلغني أن التاجر كساها كسوة مليحة وقدمها إلى الملك صاحب دمشق فأعطاه قدر المبلغ الذي دفعه إلى مرتين وهذا يا ملوك الزمان أعجب ما جرى ولعمري أن ذلك الثمن قليـ ـل في تلك البنت فلما سمع الملوك هذه الحكاية تعجبوا ولما سمعت نزهة الزمان من البدوي مـ ـا حكـ ـاه صـ ـار الضياء في وجهها ظلاماً وصاحت وقالت لأخيها رومزان إن هذا البدوي الذي كان خطفني من بيت المقـ ـدس بعينه من غير شك ثم أن نزهة الزمان حكت لهم جميع ما جرى لها معه في غربتها من الشـ ـدائد والضـ ـرب والجوع والذل والهوان ثم قالت لهم الآن حل لي قتله ثم جذبت السيف وقامت إلى البدوي لقتله وإذا هو صـاح وقال يا ملوك الزمان لا تدعوها تقتلني حتى أحكي لكم ما جرى لي من العجائب فقال لها ابن أخيها كان مـ ـا كان يا عمتي دعيه يحكي لنا حكاية وبعد ذلك افعلي ما تريدين فرجعت عنه فقال له الملوك الآن أحـ ـك لنـ ـا حكاية فقال يا ملوك الزمان أن حكيت لكم حكاية عجيبة تعفوا عني قالوا نعم فابتدأ البدوي يحدثهم بأعجب ما

وقع له وقال اعلموا أني من مده يسيرة أرقت ليلة أرقاً شديداً وما صدقت أن الصباح صد بح فلم ا أصد بح الصباح قمت من وقتي وساعتي وتقلدت بسيفي وركبت جوادي واعتقلت رمحـ ي وخرج ت أري د الصد يد والقنص فواجهني جماعة في الطريق فسألوني عن قصدي فأخبرتهم به فقالوا ونحن رفقاؤك فنزلنا كلنا مـ ع بعضنا فبينما نحن سائرون وإذا بنعامة ظهرت لنا فقصدناها ففرت من بين أيدينا وهي فاتحة أجنحتها ولم تزل شاردة ونحن خلفها إلى الظهر حتى رمتنا في برية لا نبات فيها ولا ماء ولا يسمع فيها غير صفير الحي ات وزعيق الجان وصريخ الغيلان فلما وصلنا إلى ذلك المكان غابت عنا فلم ندر أف ي سـ ماء ط ارت أم ف ي الأرض غارت فرددنا رؤوس الخيل وأردنا الرواح ثم رأيت أن الرجوع في هذا الوقت الشديد الحر لا خي ر فيه ولا إصلاح وقد اشتد علينا الحر وعطشنا عطشاً شديداً ووقفت خيولنا فأيقنا بالموت فبينما نحن ك ذلك إذ نظرنا من بعيد مرجاً أفيج فيه غزلان تمرح وهناك خيمة مضروبة وفي جانب الخيمة حصان مربوط وسنان يلمع على رمح مركوز فانتعشت نفوسنا من بعد اليأس ورددنا رؤوس خيلنا نحو تلك الخيمـ ة نطل ب ذل ك المرج والماء وتوجه إليه جميع أصحابي وأنا في أولهم ولم نزل سائرين حتى وصلنا إلى ذلك المرج فوقفن ا على عين وشربنا وسقينا خيلنا فأخذتني حمية الجاهلية وقصدت باب ذلك الخباء فرأيت فيـ ه شـ اباً لا نب ات بعارضيه وهو كأنه هلال وعن يمينه جارية هيفاء كأنها قضيب بان فلما نظرت إليها وقعت محبتها في قلب ي فسلمت على ذلك الشاب فرد علي السلام فقلت يا أخا العرب أخبرني من أنت وما تكون لك تلك الجارية التي عندك فأطرق الشاب رأسه إلى الأرض ساعة ثم رفع رأسه وقال أخبرني من أنت وما الخيل التي معك فقلت أنا حماد بن الفزاري الفارس الموصوف الذي أعد بين العرب بخمسمائة فارس ونحن خرجنا من محلنا نريد الصيد والقنص فأدركنا العطش فقصدت أنا باب تلك الخيمة لعلي أجد عندكم شربة ماء فلما سمع مني ذل ك الكلام التفت إلى جارية مليحة وقال أئتي إلى هذا الرجل بالماء وما حصل من الطعام فقامت الجارية تسـ حب أذيالها والحجال الذهب تشخشخ في رجليها وهي تتعثر في شعرها وغابت قليلاً ثم أقبلت وفي يدها اليمنى أناء من فضة مملوء ماء بارداً وفي يدها اليسرى قدح ملآن تمراً ولبنا وما حضر من لحم الوحوش فما استطعت أن آخذ من الجارية طعاماً ولا شراباً من شدة محبتي لها فتمثلت بهذين البيتين وقلت :

كـ . .أن الخضـ . .اب علـ . .ى كفهـ . .ا	غـ . .راب علـ . .ى ثلجـ . .ة واقـ . .ف
تـ رى الشـ مس والبـ در مـ ن وجههـ ا	قـ . . .ريبين خـ . . .اف وذا خـ . . .ائف

ثم قلت للشاب بعد أن أكلت وشربت يا وجه العرب اعلم أني أوقفك على حقيقـ ة خبـ ري وأري د أن تخبرني بحالك وتوقفني على حقيقة خبرك فقال الشاب أما هذه الجارية فهي أختي فقلت أريد أن تزوجني بها طوعاً وإلا اقتلك وآخذها غصباً فعند ذلك أطرق الشاب رأسه إلى الأرض ساعة ثم رفع بصره إلي وقال لي لقد صدقت في دعواك أنك فارس معروف وبطل موصوف وأنك أسد البيداء ولكن أن هجمتم علـ ي غـ دراً وقتلتموني قهراً وأخذتم أختي فإن هذا يكون عاراً عليكم وأن كنتم على ما ذكرتم من أنكم فرسان تعدون من الأبطال ولا تبالون بالحرب والنزال فأمهلوني قليلاً حتى ألبس آلة حربي وأتقلـ د بسـ يفي وأعتقـ ل برمحـ ي وأركب فرسي وأصبر أنا وأياكم في ميدان الحرب فإن ظفرت بكم أقتلكم عـ ن آخـ ركم وأن ظفـ رتم بـ ي وقتلتموني فهذه الجارية أختي لكم فلما سمعت منه هذا الكلام قلت له أن هذا هو الأنصاف وما عندنا خلاف ثم

رددت رأس جوادي إلى خلفي وقد زاد بي الجنون في محبة تلك الجارية ورجعت إلى أصحابي ووصفت لهم حسنها وجمالها وحسن الشاب الذي عندها وشجاعته وقوة جنانه وكيف يذكر أنه يصادم ألف فارس ثم أعلمت أصحابي بجميع ما في الخباء من الأموال والتحف وقلت لهم اعلموا أن هذا الشاب ما هو منقطع فـ ـي تلـ ـك الأرض إلا لكونه ذا شجاعة عظيمة وأنا أوصيكم أن كل من قتل هذا الغلام يأخذ أخته فقالوا رضينا بذلك ثم أن اصحابي لبسوا آلة حربهم وركبوا خيولهم وقصدوا الغلام فوجدوه قد لبس آلة حربه وركب جواده ووثبت إليه أخته وتعلقت بركابه وبلت برقعها بدموعها وهي تنادي بالويل والثبور من خوفها على أخيها وتنشد هـ ـذه الأبيات:

إلـ ـى الله أشـ ـكو محنـ ـة وكآبـ ـة ... لعلـ ـه إلـ ـه العـ ـرش يـ ـرهقهم رعبـ ـاً
يريـ ـدون قـ ـتلاً يـ ـا أخـ ـي تعمـ ـدا ... ولا شـ ـيء مـ ـن قبـ ـل القتـ ـال ولا ذنبـ ـاً
وقـ ـد عـ ـرف الأبطـ ـال أنـ ـك فـ ـارس ... وأشـ ـجع مـ ـن حـ ـل المشـ ـارق والغربـ ـا
تحامي من الأخـ ـت التـ ـي قـ ـل عزمهـ ـا ... فأنت أخوهـ ـا وهـ ـي تـ ـدعو لـ ـك الربـ ـا
فـ ـلا تتـ ـرك الأعـ ـداء تملـ ـك مهجتـ ـي ... وتأخـ ـذني قهـ ـراً وتأسـ ـرني غصـ ـباً
ولسـ ـت حـ ـق الله أبقـ ـى ببلـ ـدة ... إذا لـ ـم تكـ ـن فيهـ ـا وإن ملئـ ـت خصـ ـباً
وأقتـ ـل نفسـ ـي فـ ـي هـ ـواك محبـ ـة ... وأسـ ـكن لحـ ـداً فيـ ـه أفتـ ـرش التربـ ـا

فلما سمع أخوها شعرها بكى بكاء شديداً ورد رأس جواده إلى أخته وأجلبها على شعرها بقوله:

قفي وانظـ ـري منـ ـي وقـ ـوع عجائـ ـب ... إذا مـ ـا التقينـ ـا حـ ـين أنخـ ـنهم ضـ ـرباً
وأن بـ ـرز الليـ ـث المقـ ـدم فـ ـيهم ... وأشـ ـجعهم قلبـ ـاً وأثبـ ـتهم لبـ ـا
سأسـ ـقيه منـ ـي ضـ ـربة ثعلبيـ ـة ... وأتـ ـرك الـ ـرمح يسـ ـتغرق الكعبـ ـا
وإن لـ ـم أقاتـ ـل عنـ ـك أختـ ـي فليتنـ ـي ... قتيـ ـل وليـ ـت الطيـ ـر تنهبنـ ـي نهبـ ـا
قاتـ ـل عنـ ـك مـ ـا اسـ ـتطعت تكرمـ ـا ... وهـ ـذا حـ ـديث يعـ ـدنا يمـ ـلأ الكتبـ ـا

فلما فرغ من شعره قال يا أختي أسمعي ما أقول لك وما أوصيك به فقالت له سمعاً وطاعة فقال لها إن هلكت فلا تمكني أحداً من نفسك فعند ذلك لطمت على وجهها وقالت معاذ الله يا أخي أن أراك صريعاً وأمكن الأعداء مني فعند ذلك مد الغلام يده إليها وكشف برقعها عن وجهها فلاحت لنا صورتها كالشمس من تحـ ـت الغمام فقبلها بين عينيها وودعها وبعد ذلك التفت وقال لنا يا فرسان هل أنتم ضـ ـيفان أو تريـ ـدون الضـ ـرب والطعان فإن كنتم ضيفانا فأبشروا بالقرى وإن كنتم تريدون القمر الزاهر فليبرز لي منكم فارس بعد فـ ـارس في هذا الميدان ومقام الحرب والطعان فعند ذلك برز إليه شجاع فقال له الشاب ما أسمك وما اسم أبيك فـ ـإني حالف أني ما أقتل من أسمه موافق لا سمي واسم أبيه موافق لا سم أبي فإن كنت بهذا الوصف فقـ ـد سـ ـلمت إليك الجارية فقال له الفارس اسمي بلال فأجابه الشاب بقوله:

كـ ـذبت فـ ـي قولـ ـك مـ ـن بـ ـلال ... وجئـ ـت بـ ـالزور وبالمحـ ـال
إن كنـ ـت شـ ـهماً فاسـ ـتمع مقـ ـالي ... مجنـ ـدل الأبطـ ـال فـ ـي المجـ ـال
وصـ ـارمي مـ ـاض كمـ ـا الهـ ـلال ... فأصـ ـبر لطعـ ـن مرجـ ـف الجبـ ـال

ثم حملا على بعضهما فطعنه الشاب في صدره فخرج السنان يلمع من ظهره ثم برز إليه واحد فق ال الشاب:

ي .ا أيه .ا الكل .ب وخ .يم الـ .رجس	ف .أين ع . ال س . عره م . ن بخ . س
وإنم . ا الليـ . ث الك . ريم الج . نس	م .ن ل .م يب ال ف .ي الـ .وغى ب .نفس

ثم لم يمهله الشاب دون أن يتركه غريقاً في دمه ثم نادى الشاب هل من مبارز فبرز إليه واحد فانطلق على الشاب وجعل يقول:

إلي .ك أقبلـ .ت وفـ .ي قلبـ .ي لهـ .ب	منـ .ه أنـ .ادي عنـ .د صـ .حبي بـ .الحرب
لمـ .ا قتلـ .ت اليـ .وم سـ .ادات العـ .رب	فـ .اليوم لا تلقـ .ى فكاك .اً مـ .ن طلـ .ب

فلما سمع الشاب كلامه أجابه بقوله:

كـ .ذبت بـ .ئس أنـ .ت مـ .ن الشـ .يطان	قـ . .د جئـ . .ت بـ . .الزور والبهتـ . .ان
اليـ . .وم تلقـ . .ى فاتـ . .ك السـ . .نان	فـ .ي موقـ .ف الحـ .رب وفـ .ي الطعـ .ان

ثم طعنه في صدره فطلع السنان من ظهره ثم قال هل من مبارز فخرج إليه الرابع وسأله الشاب ع ن اسمه فقال له الفارس أسمي هلال فأنشد يقول:

أخطـ . أت إذا أردت خـ . وض بحـ . ري	وجئـ . .ت بـ . .الزور وكـ . .ل الأمـ . .ر
أنـ .ا الـ .ذي تسـ .مع منـ .ي شـ .عري	اخـ . تلس الـ . نفس ولسـ . ت تـ . دري

ثم حملا على بعضهما واختلف بينهما ضربتان فكانت ضربة الشاب هي السابقة إلـ ى الفـ ارس فقتلـ ه وصار كل من نزل إليه يقتله فلما نظرت أصحابي قد قتلوا قلت في نفسي أن نزلت إليه في الحرب لم أطلقـ ه وأن هربت أبقى معيرة بين العرب فلم يمهلني الشاب دون أن أنقض علي وجذبني بيده فأطاحني من سـ رجي فوقعت مغشياً علي ورفع سيفه وأراد أن يضرب عنقي فتعلقت بأذياله فحملني بكفه فصرت معه كالعصـ فور فلما رأت ذلك الجارية فرحت بفعل أخيها وأقبلت عليه وقبلته بين عينيه ثم أنه سلمني إلى أختـ ه وقـ ال لهـ ا دونك وأياه وأحسني مثواه لأنه دخل في زمامنا فقبضت الجارية على أطواق درعي وصارت تقـ ودني كمـ ا تقود الكلب وفكت عن أخيها لامة الحرب والبسته بدلة ونصبت له كرسياً من العاج فجلس عليه وقالـ ت لـ ه بيض الله عرضك وجعلك عدة للنائبات فأجابها بهذه الأبيات:

تقـ ول وقـ د رأت فـ ي الحـ رب أختـ ي	لوامـ . .ع غرتـ . .ي مثـ . .ل الشـ . .عاع
إلا لله درك مـ . . . . . ن شـ . . . . جاع	تـ . . ذل لحربـ . . ه أسـ . . د البقـ . . اع
فقلـ .ت لهـ .ا سـ .لي الأبطـ .ال عنـ .ي	إذا مـ . .ا فـ . .ر أربـ . .اب القـ . .راع
أنـ ا المعـ روف فـ ي سـ عدي وجـ دي	وعزمـ . ي قـ . د عـ . لا أي ارتفـ . اع
أيـ . ا حمـ . اد قـ . د نازلـ . ت ليثـ . ا	يريـ . ك المـ . وت يسـ . عى كالأفـ . اعي

فلما سمعت شعره حرت في أمري ونظرت إلى حالتي وما صرت إليه من الأسـ ـر وتصـ ـاغرت إلـ ـى نفسي ثم نظرت إلى الجارية أخت الشاب وإلى حسنها فقلت في نفسي هذه الفتنة وصرت أتعجب من جمالهـ ـا وأجريت العبرات وأنشدت هذه الأبيات:

خليلـ ـي كـ ـف عـ ـن لـ ـومي وعـ ـذلي	**فـ . . . إني للملام . . . ـة غير . . . ر واع**
كلف . . . ت بغـ . . . ادة لـ . . . م تبـ . . . دالا	**أن دعتنـ ـي فـ ـي محبتها . ـا الـ ـدواعي**
أخوهـ ـا فـ ـي الهـ ـوى أمسـ ـى رقيبـ ـي	**وصـ . ـاحب همـ . ـة وطويـ . ـل بـ . ـاع**

ثم أن الجارية أحضرت لأخيها الطعام فدعاني إلى الأكل معه ففرحت وأمنت على نفسي من القتل ولما فرغ أخوها من الأكل أحضرت له آنية المدام ثم إن الشاب أقبل على المدام وشرب حتى شعشع المـ ـدام فـ ـي رأسه وأحمر وجهه فالتفت إلي وقال ويلك يا حماد أنا عابد بن تميم بن ثعلبة أن الله وهب لك نفسـ ـك وأبقـ ـى عليك عرسك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٧٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن البدوي حماد قال ثم أن عابد بن تميم بن ثعلبة قال لي أن الله وهب لك نفسك وأبقى عليك عرسك وحياني بقدح شربته وحياني بثان وثالث ورابع فشربت الجميع ونادمني وحلفـ ـي أني لا أخونه فحلفت له الفاً وخمسمائة يمين أني لا أخونه قط بل أكون له معيناً فعند ذلك أمر أخته أن تأتيني بعشر خلع من الحرير وهذه بدلة منها على جسدي وأمرها أن تأتيني بناقة من أحسن النيـ ـاق فـ ـأتتني بناقـ ـة محملة من التحف والزاد وأمرها أن تحضر لي الحصان الأشقر فأحضرته لي ثم وهب لي جميع ذلك وقمـ ـت عندهم ثلاثة أيام في أكل وشرب والذي قد أعطاه لي موجود عندي إلى الآن وبعد ثلاثة أيام قال لي يا أخي يا حماد أريد أن أنام قليلاً لأريح نفسي وقد أستأمنت على نفسي وأن رأيت خيلاً ثائرة فلا تفزع منها واعلم أنهم من ثعلبة يطلبون حربي ثم توسد سيفه تحت رأسه ونام فلما استغرق في النوم وسوس إلى إبليس بقتله فقمـ ـت بسرعة وجذبت سيفه من تحت رأسه وضربته ضربة أطاحت رأسه عن جثته فعلمت بي أخته فوثبـ ـت مـ ـن جانب الخباء ورمت نفسها على أخيها وشقت ما عليها من الثياب وأنشدت هذه الأبيات:

إلـ ـى الأهـ ـل بلـ ـغ أن ذا أشـ ـأم الخبـ ـر	**وما لا مريء مما الحكـ ـيم قضـ ـى مفـ ـر**
وأنـ ـت صـ ـريع يـ ـا أخـ ـي متجنـ ـدل	**ووجهـ ـك يحكـ ـي حسـ ـنة دورة القمـ ـر**
لقـ ـد كـ ـان يـ ـوم الشـ ـؤم يـ ـوم لقيتـ ـه	**ورمحـ ـك مـ ـن بعـ ـد أطـ ـراد قـ ـد أنكـ ـر**
وبعـ . ـدك لا يرتـ . ـاح للخيـ . ـل راكـ . ـب	**ولا تلـ ـد الأنثـ ـى نظيـ ـرك مـ ـن ذكـ ـر**
وأصـ ـبح حمـ ـاد لـ ـك اليـ ـوم قـ ـاتلاً	**وقـ ـد خـ ـان إيمانـ ـاً وبالعهـ ـد قـ ـد غـ ـدر**
يريـ . ـد بهـ . ـذا أن ينـ . ـال مـ . ـراده	**لقد كذب الشـ ـيطان فـ ـي كـ ـل مـ ـا أمـ ـر**

فلما فرغت من شعرها قالت لي يا معلون الجدين لماذا قتلت أخي وخنته وكان مراده أن يـ ـردك إلـ ـى بلادك بالناد والهدايا وكان مراده أيضاً أن يزوجني لك في أول الشهر ثم جذبت سيفاً كان عندها وجعلت قائمة في الأرض وطرفه في صدرها وانحنت عليه حتى طلع من ظهرها فخرت على الأرض ميتة فحزنت عليهـ ـا وندمت حيث لا ينفعني الندم وبكيت ثم قمت مسرعاً إلى الخباء وأخذت ما خف حمله وغلا ثمنه وسرت إلـ ـى

حال سبيلي ومن خوفي وعجلتي لم التفت إلى أحد من أصحابي ولا دفنت الصبية ولا الشاب وهذه الحكاية أعجب من حكايتي الأولى مع البنت الخادمة التي خطفتها من بيت المقدس فلما سمعت نزهة الزمان من البدوي هذا الكلام تبدل النور في عينها بالظلام وقامت وجردت السيف وضربت به البدوي حماد على عاتقه فأطلعته من علائقه فقال لها الحاضرون لأي شيء استعجلت على قتله فقالت الحمد لله الذي فسح في أجلي حتى أخذت ثأري بيدي ثم أنها أمرت العبيد أن يجروه من رجليه ويرموه للكلاب وبعد ذلك أقبلوا على الأثنين الباقين من الثلاثة وكان أحدهما عبداً أسود فقالوا له ما أسمك أنت فاصدقنا في حديثك قال أنا اسمي الغضبان وأخبرهم بما وقع له مع الملكة أبريزة بنت الملك حردوب ملك الروم وكيف قتلها وهرب فلم يتم العبد كلامه حتى رمي الملك رومزان رقبته بالحسام وقال الحمد لله الذي أحياني وأخذت ثار أمي بيدي وأخبره أن دايته مرجانه حكت له على هذا العبد الذي اسمه الغضبان وبعد ذلك أقبلوا على الثالث وكان هو الجمال الذي أكتراه أهل بيت المقدس إلى حمل ضوء المكان وتوصيله إلى المارستان الذي في دمشق الشام فذهب به وألقاه في المستوقد وذهب إلى حال سبيله ثم قالوا له أخبرنا أنت بخربك وأصدق في حديثك فحكى لهم جميع ما وقع له مع السلطان ضوء المكان وكيف حمله من بيت المقدس بالدراهم وهو ضعيف على أنه يوصله إلى الشام ويرميه في المارستان وكيف جاء له أهل بيت المقدس بالدراهم فأخذها وهرب بعد أن رماه في مستوقد الحمام فلما أتم كلامه أخذ السلطان كان ما كان السيف وضربه فرمي عنقه وقال الحمد لله الذي أحياني حتى جازيت هذا الخائن بما فعل مع أبي فأنني قد سمعت هذه الحكاية بعينها من والدي السلطان ضوء المكان فقال الملوك لبعضهم ما بقي علينا إلا العجوز شواهي الملقبة بذات الدواهي فإنها سبب هذه البلايا حيث أوقعتنا في الرزايا ومن لنا بها حتى تأخذ منها الثار ونكشف العار فقال لهم الملك رومزان عم كان ما كان لابد من حضورها ثم أن الملك رومزان كتب كتاباً من وقته وساعته وأرسله إلى جدته العجوز شواهي الملقبة بذات الدواهي وذكر له فيه أنه غلب على مملكة دمشق والموصل والعراق وكسر عسكر المسلمين وأسر ملوكهم وقال أريد أن تحضري عندي من كل بد أنت والملكة صفية بنت الملك أفريدون ملك القسطنطينية ومن شئتم من أكابر النصارى من غير عسكر فإن البلاد أمان لأنها صارت تحت أيدينا فلما وصل الكتاب إليها وقرأته وعرفت خط الملك رومزان فرحت فرحاً شديداً وتجهزت من وقتها وساعتها للسفر هي والملكة صفية أم نزهة الزمان ومن صحبتهم ولم يزالوا مسافرين حتى وصلوا إلى بغداد فتقدم الرسول وأخبرهم بحضورها فقال رومزان أن المصلحة تقتضي أن نلبس اللبس الأفرنجي ونقابل العجوز حتى نأمن من خداعها وحيلتها فقالوا سمعاً وطاعة ثم أنهم لبسوا لباس الأفرنج فلما رأت ذلك قضى فكان قالت وحق الرب المعبود لولا أني أعرفكم لقلت أنكم أفرنج ثم أن الملك رومزان تقدم أمامهم وخرجوا يقابلون العجوز في ألف فارس فلما وقعت العين على العين ترجل رومزوان عن جواده وسعي إليها فلما رأته وعرفته ترجلت إليه وعانقته ففرط بيده على أضلاعها حتى كاد أن يقصفها فقالت ما هذا فلم تتم كلامها حتى نزل إليهما كان ما كان والوزير دندان وزعقت الفرسان على من معها من الجوار والغلمان وأخذوهم جميعهم ورجعوا إلى بغداد وأمرهم رومزان أن يزينوا بغداد فزينوها ثلاثة أيام ثم أخرجوا شواهي الملقبة بذات الدواهي وعلى رأسها طرطوراً أحمر مكلل بروث الحمير وقدامها مناد ينادي هذا جزاء من يتجارى على الملوك وعلى أولاد الملوك ثم صلبوها

على باب بغداد ولما رأى أصحابها ما جرى لها أسلموا كلهم جميعاً ثم أن كان ما كان وعمه رومزان ونزهة الزمان والوزير دندان تعجبوا لهذه السير العجيبة وأمروا الكتاب أن يؤرخوها في الكتب حتى تقرأ من بعدهم واقاموا بقية الزمان في ألذ عيش وأهناه إلى أن أتاهم هازم اللذات ومفرق الجماعات وهذا آخر ما انتهى إلينا من تصاريف الزمان بالملك عمر النعمان وولده شركان وولده ضوء المكان وولد ولده كان ما كان ونزهة الزمان وقضي فكان ثم أن الملك قال لشهرزاد أشتهي أن تحكي لي شيئاً من حكاية الطيور فقالت حباً وكرامة فقالت لها أختها لم أر الملك في طول هذه المدة أنشرح صدره غير في هذه الليلة وأرجو أن تكون عاقبتك معه محمودة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

حكاية تتعلق بالطيور

(وفي ليلة ١٧٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أنه كان في قديم الزمان وسالف العصر والأوان طاووس يأوي إلى جانب البحر مع زوجته وكان ذلك الموضع كثير السباع وفيه من الوحوش غير أنه كثير الأشجار والأنهار وذلك الطاووس هو وزوجته يأويان إلى شجرة من تلك الأشجار ليلاً من خوفهما من الوحوش ويغدوان في طلب الرزق نهاراً ولم يزالا كذلك حتى كثر خوفهما فسارا يبغيان موضعاً غير موضعهما يأويان إليه فبينما هما يفتشان على موضع إذ ظهرت لهم جزيرة كثيرة الأشجار والأنهار فنزلا في تلك الجزيرة وأكلا من أثمارها وشربا من أنهارها فبينما هما كذلك وإذا ببطة أقبلت عليهما وهي في شدة الفزع ولم تزل تسعى حتى أتت إلى الشجرة التي عليها الطاووس هو وزوجته فاطمأنت فلم يشك الطاووس في أن تلك البطة لها حكاية عجيبة فسألها عن حالها وعن سبب خوفها فقالت أنني مريضة من الحزن وخوفي من ابن آدم فالحذر ثم الحذر من بني آدم فقال لها الطاووس لا تخافي حيث وصلت إلينا فقالت البطة الحمد لله الذي فرج عني همي وغمي بقربكما وقد أتيت راغبة في مودتكما فلما فرغت من كلامها نزلت إليها زوجة الطاووس وقالت لها أهلاً وسهلاً ومرحباً لا بأس عليك ومن أين يصل إلينا ابن آدم ونحن في تلك الجزيرة التي في وسط البحر فمن البر لا يقدر أن يصل إلينا ومن البحر لا يمكن أن يطلع علينا فابشري وحدثينا بالذي نزل بك واعتراك من بني آدم فقالت البطة اعلمي أيتها الطاووسة أني في هذه الجزيرة طول عمري آمنة لا أرى مكروهاً فنمت ليلة من الليالي فرأيت في منامي صورة ابن آدم وهو يخاطبني وأخاطبه وسمعت قائلاً يقول أيتها البطة أحذري من ابن آدم ولا تغتري بكلامه ولا بما يدخله عليك فإنه كثير الحيل والخداع فالحذر كل الحذر من مكره فإنه مخادع ماكر كما قال فيه الشاعر.

يعطيك من طرف اللسان حلاوة ويروغ منك كما يروغ الثعلب

واعلمي أن ابن آدم يحتال على الحيتان فيخرجها من البحار ويرمي الطير ببندقة من طين ويوقع الفيل بمكره وابن آدم لا يسلم أحد من شره ولا ينجو منه طير ولا وحش وقد بلغتك ما سمعته عن ابن آدم فاستيقظت من منامي خائفة مرعوبة وأنا إلى الآن ما انشرح صدري خوفاً على نفسي من ابن آدم لئلا يدهمني بحيلته ويصيدني بحبائله ولم يأت على آخر النهار إلا وقد ضعفت قوتي وبطلت همتي ثم أني اشتقت

إلى الأكل والشرب فخرجت أتمشى وخاطري مكدر وقلبي مقبوض فلما وصلت إلى ذلك الجبل وجدت على باب مغارة شبلاً أصفر اللون فلما رآني ذلك الشبل فرح بي فرحاً شديداً وأعجبه لوني وكوني لطيفة الذات فصاح علي وقال لي أقربي مني فلما قربت منه قال لي ما أسمك وما جنسك فقلت له أسمي بطة وأنا من جنس الطيور ثم قلت له ما سبب قعودك إلى هذا الوقت في هذا المكان فقال الشبل سبب ذلك أن والدي الأسد له أيام وهو يحذرني من ابن آدم فاتفق أنني رأيت في هذه الليلة في منامي صورة ابن آدم ثم أن الشبل حكى لي نظير ما حكيته لك فلما سمعت كلامه قلت له يا أسد أني قد لجأت إليك في أن تقتل ابن آدم وتجزم رأيك في قتله فأني أخاف على نفسي منه خوفاً شديداً وازددت خوفاً على خوفي من خوفك من بنى آدم مع أنك سلطان الوحوش وما زلت يا أختي أحذر الشبل من ابن آدم وأوصيته بقتله حتى قام من وقته وساعته من المكان الذي كان فيه وتمشي وتمشيت وراءه ففرقع بذنبه على ظهره ولم يزل يمشي وأنا أمشي وراءه إلى مرق الطريق فوجدنا غبرة طارت وبعد ذلك انكشفت الغبرة فبان من تحتها حمار شارد عريان وهو تارة يقمص ويجري وتارة يتمرغ فلما رآه الأسد صاح عليه فأتى إليه خاضعاً فقال له أيها الحيوان الخريف العقل ما جنسك وما سبب قدومك إلى هذا المكان فقال يا ابن السلطان إن جنسي حمار وسبب قدومي إلى هذا المكان هروبي من ابن آدم فقال له الشبل وهل أنت خائف من ابن آدم أن يقتلك فقال الحمار لا يا ابن السلطان وأنما خوفي أن يعمل حيلة علي ويركبني لأن عنده شيئاً يسميه البردعة فيجعلها على ظهري وشيئاً يسميه الحزام فيشده على بطني وشيئاً يسميه الطفر فيجعله تحت ذنبي وشيئاً يسمى اللجام فيجعله في فمي ويعمل منخاساً ينخسني به ويكلفني مالا أطيق من الجري وإذا عثرت لعنني وإذا نهقت شتمني وبعد ذلك إذا كبرت ولم أقدر على الجري يجعل لي رجلاً من الخشب ويسلمني إلى السقائين فيحملون الماء على ظهري من البحر في القرب ونحوها كالجرار ولا أزال في ذل وهوان وتعب حتى أموت فيرمونني فوق التلال للكلاب فأي شيء أكبر من هذا الهم وأي مصيبة أكبر من هذه المصائب فلما سمعت أيتها الطاووسة كلام الحمار أقشعر جسدي من ابن آدم وقلت للشبل يا سيدي أن الحمار معذور وقد زادني كلامه رعباً على رعبي فقال الشبل للحمار إلى أين أنت سائر فقال له الحمار أني نظرت ابن آدم قبل أشراق الشمس من بعيد ففررت هرباً منه وها أنا أريد أنطلق ولم أزل أجري من شدة خوفي منه فعسى أن أجد لي موضعاً يأويني من ابن آدم الغدار فبينما ذلك الحمار يتحدث مع الشبل ذلك الكلام وهو يريد أن يودعنا ويروح إذ ظهرت لنا غبرة فنهق الحمار ونظر بعينه إلى ناحية الغبرة وضرط ضراطاً عالية وبعد ساعة انكشفت الغبرة عن فرس أدهم بغرة كالدرهم وذلك الفرس ظريف الغرة مليح التحجيم حسن القوائم والصهيل ولم يزل يجري حتى وقف بين يدي الشبل ابن الأسد فلما رآه الشبل استعظمه وقال له ما جنسك أيها الوحش الجليل وما سبب شرودك في هذا البر العريض الطويل فقال يا سيد الوحوش أنا فرس من جنس الخيل وسبب شرودي هروبي من ابن آدم فتعجب الشبل من كلام الفرس وقال لا تقل هذا الكلام فإنه عيب عليك وأنت طويل غليظ وكيف تخاف من ابن آدم مع عظم جثتك وسرع جريك وأنا مع صغر جسمي قد عزمت على أن التقي مع ابن آدم فابطش به وآكل لحمه وأسكن روع هذه البطة المسكينة وأقرها في وطنها وها أنت لما أتيت في هذه الساعة قطعت قلبي بكلامك وأرجعتني عما أردت أن أفعله فإذا كنت أنت مع عظمك قد قهرك ابن آدم ولم يخف من طولك

وعرضك مع أنك لو رفسته برجلك لقتلته ولم يقدر عليك بل تسقيه كاس الردى فضحك الفرس لما سمع كلام الشبل وقال هيهات هيهات أن أغلبه يا ابن الملك فلا يغرك طولي ولا عرضي ولا ضخامتي مع ابن آدم لأنه من شدة حيله ومكره يصنع لي شيئاً يقال له الشكال ويضع في أربعة قوائمي شكالين من حبال الليف الملفوفة باللبادو يصلبني من رأسي في وتد عال وأبقى واقفاً وأنا مصلوب لا أقـ در أن أقعـ د ولا أنـ ام وإذا أراد أن يركبني يعمل لي شيئاً في رجلي من الحديد أسمه الركاب ويضع على ظهري شيئاً يسـ ميه السـ رج ويشـ ده بحزامين من تحت أبطي ويضع في فمي شيئاً من الحديد يسميه اللجام ويضع فيه شيئاً من الجلد يسميه السرع فإذا ركب فوق ظهري على السرج يمسك السرع بيده ويقودني ويهمزني بالركاب في خواصري حتى يدميها ولا تسأل يا ابن السلطان عما أقاسيه من ابن آدم فإذا كبرت وانتحل ظهري ولم أقدر على سـ رعة الجـ ري يبيعني للطحان ليدورني في الطاحون فلا أزال دائراً فيها ليلاً ونهاراً إلى أن أهزم فيبيعني للجزار فيـ ذبحني ويسلخ جلدي وينتف ذنبي ويبيعها للغرابلي والمناخلي ويسلي شحمي فلما سمع الشبل كلام الفرس إزداد غيظاً وغماً وقال له متى فارقت ابن آدم قال فارقته نصف النهار وهو في أثرى فبينما الشبل يتحدث مع الفرس في هذا الكلام وإذا بغبرة ثارت وبعد ذلك انكشفت الغبرة وبان من تحتها جمل هائج وهو يبعبع ويخبط برجليـ ه في الأرض ولم يزل يفعل كذلك حتى وصل إلينا فلما رآه الشبل كبيراً غليظاً ظن أنه ابن آدم فأراد الوثـ وب عليه فقلت له يا ابن السلطان هذا ما هو ابن آدم وأنما هو جمل وكأنه هارب من ابن آدم فبينما أنا يا أختي مع الشبل في هذا الكلام وإذا بالجمل تقدم بين أيادي الشبل وسلم عليه فرد عليه السلام وقال له ما سبب مجيئـ ك إلى هذا المكان قال جئت هارباً من ابن آدم فقال له الشبل وأنت مع عظم خلقتك وطولـ ك وعرضـ ك كيـ ف تخاف من ابن آدم ولو رفسته برجلك رفسة لقتلته فقال له الجمل يا ابن السلطان اعلم أن ابن آدم له دواهي لا تطاق وما يغلبه إلا الموت لأنه يضع في أنفي خيطاً ويسميه خزاماً ويجعل في رأسي مقود أو يسـ لمني إلـ ى أصغر أولاده فيجرني الولد الصغير بالخيط مع كبري وعظمي ويحملونني أثقل الأحمـ ال ويسـ افرون بـ ي الأسفار الطوال ويستعملونني في الأشغال الشاقة أناء الليل وأطراف النهار وإذا كبرت وشخت أو انكسرت فلم يحفظ صحبتي بل يبيعني للجزار فيذبحني ويبيع جلدي للدباغين ولحمي للطباخين ولا تسأل عما أقاسي مـ ن ابن آدم فقال له الشبل أي وقت فارقت ابن آدم فقال فارقته وقت الغروب وأظنه يأتي عنـ د انصـ رافي فلـ م يجدني فيسعى في طلبي فدعني يا ابن السلطان حتى أهيج في البراري والقفار فقال الشبل تمهل قليلاً يا جمل حتى تنظر كيف افترسه وأطعمك من لحمه وأهشم عظمه وأشرب من دمه فقال له الجميل ياابن السلطان أنـ ا خائف عليك منه فإنه مخادع ماكر ثم أنشد أنشد قول الشاعر:

إذا حـ ـل الثقيـ ـل بـ ـأرض قـ ـوم فمـ ـا للسـ ـاكنين سـ ـوى الرحيـ ـل

فبينما الجمل يتحدث مع الشبل في هذا الكلام وإذا بغبرة طلعت وبعد ساعة انكشفت عن شـ يخ قصـ ير رقيق البشرة على كتفه مقطف فيه عدة نجار وعلى رأسه شعبة وثمانية الواح وبيده أطفـ ال صـ غار وهـ و يهرول في مشيه ومازال يمشي حتى قرب من الشبل فلما رأيته يا أختي وقعت من شدة الخوف وأما الشـ بل فإنه قام وتمشي إليه ولا قاه فلما وصل إليه ضحك النجار في وجهه وقال بلسان فصيح أيها الملـ ك الجليـ ل صاحب الباع الطويل أسعد الله مساءك ومسعاك وزاد في شجاعتك وقواك أجرني مما دهاني وبشره رمـ اني

لأني ما وجدت لي نصيراً غيرك ثم أن النجار وقف بين يدي الأسد وبكى وأن واشتكى فلما سمع الشبل بكاءه وشكواه قال له أجرتك مما تخشاه فمن الذي قد ظلمك وما تكون أيها الوحش الذي ما رأيت عمري مثلـ ك ولا أحسن صورة وأفصح لساناً منك فما شأنك فقال له النجار يا سيدي الوحوش أما أنا فنجار وأما الذي ظلمنـ ي فإنه ابن آدم وفي صباح هذه الليلة يكون عندك في هذا المكان فلما سمع الشبل من النجار هذا الكـ ـلام تبـ دل الضياء في وجهه بالظلام وشخر ونخر ورمت عيناه بالشرر وصاح وقال والله لأسهرن في هذه الليلـ ـة إلـ ى الصباح ولا أرجع إلى والدي حتى أبلغ مقصدي ثم أن الشبل التفت إلى النجار وقال له أرى خطواتك قصيرة ولا أقدر أن أكسر بخاطرك لأني ذو مروءة أظن أنك لا تقدر أن تماشي الوحوش فأخبرني إلى أيـ ن تـ ذهب فقال له النجار اعلم أنني رائح إلى وزير والدك الفهد لأنه لما بلغه أن ابن آدم داس هذه الأرض خاف علـ ى نفسه خوفاً عظيماً وأرسل إلى رسولاً من الوحوش لا صنع له بيتاً يسكن فيه ويأوي إليه ويمنع عنـ ـه عـ دوه حتى لا يصل إليه أحد من بني آدم فلما جاءني الرسول أخذت هذه الألواح وتوجهت إليه فلما سمع الشبل كلام النجار أخذه الحسد للفهد فقال له بحياتي لابد أن تصنع لي هذه الألواح بيتاً قبل أن تصـ ـنع للفهـ ـد بيتـ ـه وإذا فرغت من شغلي فامض إلى الفهد وأصنع له ما يريد فلما سمع النجار من الشبل هذا الكلام قال له يـ ـا سـ ـيد الوحوش ما أقدر أن أصنع لك شيئاً إلا إذا صنعت للفهد ما يريد ثم أجيء إلى خدمتك وأصنع لك بيتاً يحصنك من عدوك فقال له الشبل والله ما أخليك تروح من هذا المكان حتى تصنع لي هذه الألواح بيتاً ثم أن الشبل هم على النجار ووثب عليه وأراد أن يمزح معه فلطشه بيده فرمى المقطف من على كتفه ووقع النجـ ـار مغشـ ـياً عليه فضحك الشبل عليه وقال له ويلك يا نجار أنك ضعيف ومالك قوة فأنت معذور إذا خفت من ابن آدم فلما وقع النجار على ظهره اغتاظ غيظاً شديداً ولكنه كتم ذلك عن الشبل من خوفه منه ثم قعد النجار وضحك في وجه الشبل وقال له ها أنا أصنع لك البيت ثم أن النجار تناول الألواح التي كانت معه وسمر البيـ ـت وجعلـ ـه مثل القالب قياس الشلل وخلى بابه مفتوحاً لأنه جعله على صورة صندوق وفتح له طاقة كبيرة وجعـ ـل لهـ ـا غطاء وثقب فيها ثقباً كثيرة وأخرج منها مسامير مطرفة وقال للشبل أدخل في هذا البيت من هذه الطاقـ ـة لا قبيه عليك ففرح الشبل بذلك وأتى تلك الطاقة فرآها ضيقة فقال له النجار أدخل وأبرك على يـ ـديك ورجليـ ـك ففعل الشبل ذلك ودخل الصندوق وبقي ذنبه خارجاً ثم أراد الشبل أن يتأخر إلى ورائه ويخرج فقال له النجار أمهل حتى أنظر هل يسع ذنبك معك أم لا فامتثل الشبل أمره ثم أن النجار لف ذنـ ـب الشـ ـبل وحشـ ـاه فـ ـي الصندوق ورد اللوح على الطاقة سريعاً وسمره فصاح الشبل قائلاً يانجار ما هذا البيت الضيق الذي صـ ـنعته لي دعني أخرج منه فقال له النجار هيهات لا ينفع الندم على ما فات إنك لا تخرج من هذا المكان ثم ضـ ـحك النجار وقال للشبل إنك وقعت في القفص وكنت أخبث الوحوش فقال له يا أخي ما هذا الخطاب الذي تخاطبني به فقال له النجار اعلم يا كلب البر إنك وقعت فيما كنت تخاف منه وقد رماك القدر ولم ينفعك الحـ ـذر فلمـ ـا سمع الشبل كلامه يا أختي علم أنه ابن آدم الذي حذره منه أبوه في اليقظة والهاتف في المنام وتحققت أنه هو بلا شك ولا ريب فخفت منه على نفسي خوفاً عظيماً وبعدت عنه قليلاً وصرت أنتظر مـ ـاذا يفعـ ـل بالشـ ـبل فرأيت يا أختي ابن آدم حفر حفرة في هذا المكان بالقرب من الصندوق الذي فيه الشبل ورماه في تلك الحفرة

والقى عليه الحطب وأحرقه بالبار فكبر يا أختي خوفي ولي يومان هاربة من ابن آدم وخائفة منه فلما سمعت الطاووسة من البطة هذا الكلام وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٧٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الطاووسة لما سمعت من البطة هذا الكلام تعجبت منه غاية العجـ ـب وقالت يا أختي إنك أمنت من بني آدم لأننا في جزيرة من جزائر البحر وليس لابن آدم فيها مسلك فاختـ ـاري المقام عندنا إلى أن يسهل الله أمرك وأمرنا قالت أخاف أن يطرقني طارق والقضاء لا ينفعك عنه آبق فقالـ ـت أقعدي عندنا وأنت مثلنا ولا زالت بها حتى قعدت وقالت يا أختي أنت تعلمين قلة صبري ولولا أني رأيتك هنا ما كنت قعدت فقالت الطاووسة أن كان على جبيننا شيء تستوفاه وإن كان أجلنا دنا فمن يخلصنا ولن تمـ ـوت نفس حتى تستوفي رزقها وأجلها فبينما هما في هذا الكلام إذ طلعت عليهما غبرة فعند ذلك صـ ـاحت البطـ ـة ونزلت البحر وقالت الحذر الحذر وإن كان أجلنا دنا فمن يخلصنا ولن تموت نفس حتى تستوفي رزقها وأجلها فبينما هما في هذا الكلام إذ طلعت عليهما غبرة فعند ذلك صاحت البطة ونزلت البحر وقالت الحـ ـذر الحـ ـذر وإن لم يكن مفر من القدر وكانت الغبرة عظيمة فلما انكشفت الغبرة ظهر من تحتها ظبي فاطمأنـ ـت البطـ ـة والطاووسة ثم قالت البطة يا أختي إن الذي تفزعين منه ظبي وها هو قد أقبل نحونا فليس علينا منه باس لأن الظبي إنما يأكل الحشائش من نبات الأرض وكما أنت من جنس الطير هو الآخـ ـر مـ ـن جـ ـنس الوحـ ـوش فاطمئني ولا تهتمي فإن الهم ينحل البدن فلم تتم الطاووسة كلامها حتى وصل الظبي إليهـ ـا يسـ ـتظل تحـ ـت الشجرة فلما رأى الطاووسة والبطة سلم عليهما وقال لهما أني دخلت هذه الجزيرة اليوم فلم أر أكثـ ـر منهـ ـا خصباً ولا أحسن منها مسكناً ثم دعاهما لمرافقته ومضافاته فلما رأت البطة والطاووسة تودده إليهما أقبلتـ ـا عليه ورغبتا في عشرته وتحالفوا على ذلك وصار مبيتهم واحد ومأكلهم سواء ولم يزالوا آمنين آكلين شاربين حتى مرت بهم سفينة كانت تائهة في البحر فأرست قريباً منهم فطلع الناس وتفرقوا في الجزيرة فرأوا الظبي والطاووسة والبطة مجتمعين فأقبلوا عليهم فشرد الظبي في البرية وطارت الطاووسة في الجو فبقيت البطـ ـة مخبلة ولم يزالوا بها حتى صادوها وصاحت قائلة لم ينفعني الحذر من القضاء والقدر وانصرفوا بهـ ـا إلـ ـى سفينتهم فلما رأت الطاووسة ما جري للبطة ارتحلت من الجزيرة وقالت لا أرى الآفاق إلا مراصد لكل أحـ ـد ولولا هذه السفينة ما حصل بيني وبين هذه البطة افتراق ولقد كانت من خيار الأصدقاء ثم طارت الطاووسـ ـة واجتمعت بالظبي فسلم عليها وهنأها بالسلامة وسألها عن البطة فقالت له قد أخذها العدو وكرهت المقام فـ ـي تلك الجزيرة بعدها ثم بكت على فراق البطة وأنشدت تقول:

إن يـ ـوم الفـ ـراق قطـ ـع قلبـ ـي ... قطـ ـع الله قلـ ـب يـ ـوم الفـ ـراق

وأنشدت أيضاً :

تمنيـ ـت الوصـ ـال يعـ ـود يومـ ـاً ... لأخبـ ـره بمـ ـا صـ ـنع الفـ ـراق

فاغتم الظبي غماً شديداً ثم رد عزم الطاووسة عن الرحيل فأقام معها في تلك الجزيرة آمنـ ـين آكلـ ـين شاربين غير أنهما لم يزالا حزينين على فراق البطة فقال الظبي للطاووسة يا أختي قد علمت أن الناس الذين

طلعوا لنا من المركب كانوا سبباً لفراقنا ولهلاك البطة فأحذريهم واحترسي منهم ومن مكر ابن آدم وخداعه قالت قد علمت يقيناً أن ما قتلها غير تركها التسبيح ولقد قلت لها أني أخاف عليك من تركك التسبيح لأن كل ما خلقه الله يسبحه فإن غفل عن التسبيح عوقب بهلاكه فلما سمع الظبي كلام الطاووسة قال أحسن الله صورتك وأقبل على التسبيح لا يفتر عنه ساعة وقد قيل أن الظبي يقول في تسبيحه سبحان الملك الديان ذي الجبروت والسلطان وورد أن بعض العباد كان يتعبد في الجبال وكان يأوي إلى ذلك الجبل زوج من الحمام وكان ذلك العابد قسم قوته نصفين وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٧٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العابد قسم قوته نصفين وجعل نصفه لنفسه ونصفه لذلك الزوج الحمام ودعا العابد لهما بكثرة النسل فكثر نسلهما ولم يكن الحمام يأوي إلى غير الجبل الذي فيه العابد وكان السبب في اجتماع الحمام بالعابد كثرة تسبيح الحمام وقيل أن الحمام يقول في تسبيحه سبحان خالق الخلق وقاسم الرزق وباني السموات وباسط الأرضين ولم يزل ذلك الزوج الحمام في أرغد عيش هو ونسله حتى مات ذلك العابد فتشتت شمل الحمام وتفرق في المدن والقرى والجبال وقيل أنه كان في بعض الجبال رجل من الرعاة صاحب دين وعقل وعفة وكان له غنم يرعاها وينتفع بالبانها وأصوافها وكان ذلك الجبل الذي يأوي إليه الراعي كثير الأشجار والمرعى والسباع ولم يكن لتلك الوحوش قدرة على الراعي ولا على غنمه ولم يزل مقيماً في الجبل مطمئناً لايهمه شيء من أمر الدنيا لسعادته وأقباله على عبادته فاتفق له أنه مرض مرضاً شديداً فدخل كهفاً في الحبل وصارت الغنم تخرج بالنهار إلى مرعاها وتأوى بالليل إلى الكهف فأراد الله أن يمتحن ذلك الراعي ويختبره في طاعته وصبره فبعث إليه ملكاً فدخل عليه في صورة امرأة حسناء وجلس بين يديه فلما رأى الراعي تلك المرأة جالسة عنده أقشعر بدنه منها فقال لها أيتها المرأة ما الذي دعاك إلى المجيء هنا وليس لك حاجة معي ولا بيني وبينك ما يوجب دخولك عندي فقالت له أيها الإنسان أما ترى حسني وجمالي وطيب رائحتي أما تعلم حاجة الرجال إلى النساء فما الذي يمنعك مني فقال الراعي إن الذي تقولينه كرهته وجميع ما تبدينه زهدته لأنك خداعة غدارة لا عهد لك ولا وفاء فكم من قبيح تحت حسنك أخفيتيه وكم من صالح فتنتيه وكانت عاقبته إلى الندامة والحزن فارجعي عني أيتها المصلحة نفسها لفساد غيرها ثم ألقى عباءته على وجهه حتى لا يرى وجهها واشتغل بذكر ربه فلما رأى الملك حسن طاعته خرج وعرج إلى السماء وكان بالقرب من الراعي قرية فيها رجل من الصالحين لم يعلم بمكانه فرأى في منامه كأن قائلاً يقول له بالقرب منك في مكان كذا وكذا رجل صالح فاذهب إليه وكن تحت طاعة أمره فلما أصبح الصباح توجه نحوه سائراً فلما اشتد عليه الحر انتهى إلى شجرة عندها عين جارية فجلس في ظل الشجرة ليستريح فبينما هو جالس وإذا بوحوش وطيور أتوا إلى تلك العين ليشربوا منها فلما رأوا العابد جالساً نفروا ورجعوا شاردين فقال العابد في نفسه أنا ما استرحت هنا إلا لتعب هذه الوحوش والطيور ثم قام وقال معاتباً لنفسه لقد أضر بهذه الحيوانات في هذا اليوم جلوسي في هذا المكان فما عذري عند خالقي وخالق هذه الطيور والوحوش فإني كنت سبباً لشرودهم عن مائهم ومرعاهم فواخجلتي من ربي يوم يقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء ثم أفاض من جفنه العبرات وأنشد هذه الأبيات:

أم . . ـا والله لـ . . ـو عل . . ـم الأنـ . ـام | لمـ . ـا خلق . ـوا لمـ . ـا غفلـ . ـوا ونـ . ـاموا
فمـ . ـوت ثـ . ـم بعـ . ـث ثـ . ـم حشـ . ـر | وتـ . . . ـوبيخ وأهـ . . . ـوال عظـ . . . ـام
ونحـ . . ـن إذا تهينـ . . ـا أوامرنـ . . ـا | كأهـ . ـل الكهـ . ـف أكثرنـ . ـا نيامـ . ـاً

ثم بكى على جلوسه تحت الشجرة عند العين ومنعه الطيور والوحوش من شـ ربهاوولى هائمـ اً علـ ى وجهه حتى أتى إلى الراعي فدخل عنده وسلم عليه فرد عليه السلام وعانقه وبكى ثم قال له الراعي ما الـ ذي أقدمك إلى هذا المكان الذي لم يدخله أحد من الناس علي فقال العابد أني رأيت في منامي مـ ن يصـ ف لـ ي مكانك ويأمرني بالمسير إليك والسلام عليك وقد أتيتك ممتثلاً لما أمرت به فقبلـ ه الراعـ ي وطابـ ت نفسـ ه بصحبته وجلس معه في الجبل يعبدان الله تعالى في ذلك الغار وحسنت عبادتهما ولم يزالا في ذلـ ك المكـ ان يعبدان ربهما ويتقوتان من لجوم الغنم وألبانها متجردين عن المال والبنين إلى أن أتاهما اليقين وهـ ذا آخـ ر حديثهما قال الملك لقد زهدتيني يا شهرزاد في ملكي وندمتيني على ما فرط مني في قتل النساء والبنات فهل عندك شيء من حديث الطيور قالت نعم زعموا أيها الملك أن طيراً طار وعلا إلى الجو ثـ م أنقـ ض علـ ى صخرة في وسط الماء وكان الماء جارياً فبينما الطائر واقف على الصخرة وإذا برمة إنسان جرها الماء حتى أسدها إلى الصخرة ووقفت تلك الجيفة في جانب الصخرة وارتفعت لانتفاخها فدنا طير الماء وتأملها فرآهـ ا رمة ابن آدم وظهر له فيها ضرب السيف وطعن الرماح فقال في نفسه أن هذا المقتول كان شريراً فـ اجتمع عليه جماعة وقتلوه واستراحوا منه ومن شره ولم يزل طير الماء يكثر التعجب من تلك الرمـ ة حتـ ى رأى نسوراً وعقباناً أحاطوا بتلك الجيفة من جميع جوانبها فلما رأى ذلك طير الماء جزع جزعاً شـ ديداً وقـ ال لا صبر لي على الإقامة في هذا المكان ثم طار منه يفتش على موضع يأويه إلى حين نفاذ تلك الجيفـ ة وزوال سباع الطير عنها ولم يزل طائراً حتى وجد نهراً في وسطه شجرة فنزل عليها كئيباً حزيناً على بعـ ده عـ ن وطنه وقال في نفسه لم تزل الأحزان تتبعني وكنت قد استرحت لما رأيت تلك الجيفة وفرحت بها فرحاً شديداً وقلت هذا رزق ساقه الله إلي فصار فرحي غماً وسروري حزناً وهما وافترستها سباع الطير مني وحال بينها وبيني فكيف أرجو أن أكون سالماً في هذه الدنيا واطمئن إليها وقد قيل في المثل الدنيا دار من لا دار له يغتر بها من لا عقل له ويطمئن إليها بماله وولده وقومه وعشيرته ولم يزل المغتر بها راكناً إليهـ ا يختـ ال فـ وق الأرض حتى يصير تحتها ويحثوا عليه التراب أعز الناس عليه وأقربهم إليه وما للفتى خير من الصبر علـ ى مكارهها وقد فارقت مكاني ووطني وكنت كارهاً لفرقة أخواني وأصحابي فبينما هو في فكرته وإذا بذكر من السلاحف أقبل منحدراً في الماء ودنا من طير الماء وسلم عليه وقال يا سيدي ما الذي أبعدك عن موضـ عك قال حلول الأعداء فيه ولا صبر للعاقل على مجاورة عدوه وما أحسن قول بعض الشعراء.

إذا حـ . ـل النقيـ . ـل بـ . ـارض قـ . ـوم | فمـ . ـا للسـ . ـاكنين سـ . ـوى الرحيـ . ـل

فقال له السلحف إذا كان الأمر كما وصفته والحال مثل ما ذكرته فأنا لا أزال بين يـ ديك ولا أفارقـ ك لاقضي حاجتك وأوفي بخدمتك فإنه يقال لا وحشة أشد من وحشة الغريب المنقطع عن أهله ووطنه وقد قيـ ل أن فرقة الصالحين لا يعد لها شيء من المصائب ومما يسمى العاقل نفسه الإستئناس في الغربة والصبر على

الرزية والسكربه وأرجو أن تحمد صحبتي لك وأكون لك خادماً ومعيناً فلما سمع طير الماء مقالـ ـة السـ ـلحف قال له لقد صدقت في قولك ولعمري أني وجدت للفراق الماً وهماً مدة بعدي عن مكاني وفراقـ ـي لأخـ ـواني وخلاني لأن فيه الفراق عبرة لمن أعتبر وفكرة لمن تفكر وإذا لم يجد الفتى من يسليه من الأصحاب ينقطـ ـع عنه الخير أبداً ويثبت له الشر سرمداً وليس للعاقل إلا التسلي بالأخوان عن الهمـ ـوم فـ ـي جميـ ـع الأحـ ـوال وملازمة الصبر والتجلد فإنهما خصلتان محمودتان يعينان على نوائب الدهر ويدفعان الفزع والجزع في كـ ـل أمر فقال له السحلف أياك والجزع فإنه يفسد عليك عيشك ويذهب مروءتك ومازالا يتحدثان مع بعضهما إلى أن قال طير الماء للسحلف أنا لم أزل أخشى نوائب الزمان وطوارق الحدثان فلما سمع السحلف مقالة طيـ ـر الماء أقبل عليه وقبله بين عينيه وقال له لم تزل جماعة الطير تعرف في مشورتك الخير فكيف تحمـ ـل الهـ ـم والضير ولم يزل يسكن روع طير الماء حتى اطمأن ثم أن طير الماء طار إلى مكان الجيفة فلما وصل إليـ ـه لم يرمن سباع الطير شيئاً ولا من تلك الجيفة الإ عظاماً فرجع يخبر السحلف بزوال العدو من مكانـ ـه فلمـ ـا وصل إلى السلحف أخبره بما رأى وقال له أني أحب الرجوع إلى مكاني وأتملى بخلاني لأنه لا صبر للعاقل عن وطنه فذهب معه إلى ذلك المكان فلم يجد شيئاً مما يخافان منه فصار طير الماء قرير العين وأنشد هذين البيتين:

ولـ ـرب نازلـ ـة يضـ ـيق لهـ ـا الفتـ ـى	ذرعـ ـاً وعنـ ـد الله منهـ ـا المخـ ـرج
ضـ ـاقت فلمـ ـا اسـ ـتحكمت حلقاتهـ ـا	فرجـ ـت وكنـ ـت أظنهـ ـا لا تفـ ـرج

ثم كنا تلك الجزيرة فبينما طير الماء في أمن وسرور وفرح وحبور إذ ساق القضاء إليه بـ ـازا جائعـ ـاً فضربه بمخلبه ضربة فقتله ولم يغن عنه الحذر عند فراغ الأجل وسبب قتله غفلته عن التسبيح قيل أنه كـ ـان يقول في تسبيحه سبحان ربنا فيما قدر ودبر سبحان ربنا فيما أغنى وأفقر هذا ما كان من حديث الطير فقـ ـال الملك يا شهرزاد لقد زدتيني بحكايتك مواعظ واعتبار فهل عندك شيء من حكايات الوحوش.

حكاية الثعلب مع الذئب وابن آدم

فقالت اعلم أيها الملك أن ثعلباً وذئباً ألفا وكراً فكان يأويان أليهما مع بعضهما فلبنا على ذلك مدة مـ ـن الزمان وكان الذئب للثعلب قاهراً فاتفق أن الثعلب أشار على الذئب بالرفق وترك الفساد وقال لـ ـه أن دمـ ـت على عتوك ربما سلط الله عليك ابن آدم فإنه ذو حيل ومكر وخداع يصيد الطير من الجو والحوت من البحر ويقطع الجبال وينقلها وكل ذلك من حيله فعليك بالأنصاف وترك الشر والاعتساف فإنه أهنأ لطعامك فلم يقبل الذئب قوله وأغلظ له الرد وقال له لا علاقة لك بالكلام في عظيم الأمور وجسيمها ثم لطم الثعلب لطمة فخـ ـر منها مغشياً عليه فلما أفاق تبسم في وجه الذئب واعتذر إليه من الكلام الشين وأنشد هذين البيتين:

إذا كنـ ـت قـ ـد أذنبـ ـت ذنبـ ـاً سـ ـالفاً	فـ ـي حـ ـبكم وأتيـ ـت شـ ـيئاً منكـ ـراً
أنـ ـا تائـ ـب عمـ ـا جنيـ ـت وعفـ ـوكم	يسـ ـع المسـ ـيء إذا أتـ ـى مسـ ـتغفراً

فقبل الذئب اعتذاره وكف عنه أشراره وقال له لا تتكلم فيما لا يعنيك تسـ ـمع مـ ـالا يرضـ ـيك وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٧٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الذئب قال للثعلب لا تتكلم فيما لا يعنيك تسمع مالا يرضيك فقال له الثعلب سمعاً وطاعة فأنا بمعزل عما لا يرضيك فقد قال الحكيم لا تخبر عمالا تسئل عنه أولاً تجب إلا من الا تدعي إليه وذر الذي لا يعنيك إلى مالا يعنيك ولا تبذل النصيحة للأشرار فإنهم يجزونك عليها شراً فلما سمع الذئب كلام الثعلب تبسم في وجهه ولكنه أضمر له مكراً وقال لابد أن أسعى في هلاك هذا الثعلب وأما الثعلب فإنه صبر على أذى الذئب وقال في نفسه إن البطر والافتراء يجلبان الهلاك ويوقعان في الأرتباك فقد قيل من بطر خسر ومن جهل ندم ومن خاف سلم والإنصاف من شيم الأشراف والآداب أشرف الاكتساب ومن الرأي مداراة هذا الباغي ولابد له مصرع ثم أن الثعلب قال للذئب ألأن الرب يعفو ويتوب على عبده إن اقترف الذنوب وأنا عبد ضعيف وقد ارتكبت في نصحك التعسيف ولوعلمت بما حصل لي من لطمتك لعلمت أن الفيل لا يقوم به ولا يقدر عليه ولكني لا أشتكي من ألم هذه اللطمة بسبب ما حصل لي بها من السرور فإنها وإن كانت قد بلغت مني مبلغاً عظيماً فإن عاقبتها سروراً وقد قال الحكيم ضرب المؤدب أوله صعب شديد وآخره أحلى من العسل المصفى فقال الذئب غفرت ذنبك وأقلت عثرتك فكن من قوتي على حذر واعترف لي بالعبودية فقد علمت قهري لمن عاداني فسجد له الثعلب وقال له أطال الله عمرك ولازلت قاهر المن عاداك ولم يزل الثعلب خائفاً من الذئب مصانعاً له ثم أن الثعلب ذهب إلى كرم يوماً فرأي في حائطه ثلمة فأنكرها وقال في نفسه إن هذه الثلمة لابد لها من سبب وقد قيل من رأي خرقاً في الأرض فلم يجتنبه ويتوق عن الإقدام عليه كان بنفسه مغرراً وللهلاك متعرضاً وقد اشتهر أن بعض الناس يعمل صورة الثعلب في الكرم ويقدم إليه العنب في الأطباق لأجل أن يرى ذلك ثعلب آخر فيقدم إليه فيقع في الهلاك وأني أرى هذه الثلمة مكيدة وقد قيل أن الحذر نصف الشطارة ومن الحذر أن أبحث على هذه الثلمة وأنظر لعلي أجد عندها أمراً يؤدي إلى التلف ولا يحملني الطمع على أن ألقي نفسي في الهلكة ثم دنا منها وطاف بها وهو محاذر فرآها فإذا هي حفرة عظيمة قد حفرها صاحب الكرم ليصيد فيها الوحش الذي يفسد الكرم ورأى عليها غطاء رقيقاً فتأخر عنها وقال الحمد لله حيث حذرتها وأرجو أن يقع فيها عدوى الذئب الذي نغص عيشي فأستقل بالكرم وحدي وأعيش فيه آمناً ثم هز رأسه وضحك ضحكاً عالياً وأطرب بالنغمات وأنشد هذه الأبيات:

ليتني أبصرت هذا الوقت	في ذي البئر ذئبا
طالما قد ساء قلبي	وسقاني المر غصبا ليتني
من بعد ذا أبقى	ويقضي الذئب نحبا
ثم يخلو الكرم منه	وأرى لي فيه نهبا

فلما فرغ من شعره انطلق مسرعاً حتى وصل إلى الذئب وقال أن الله سهل لك الأمور إلى الكرم بلا تعب وهذا من سعادتك فهنيئاً لك بما فتح الله عليك وسهل لك من تلك الغنيمة والرزق الواسع بلا مشقة فقال الذئب للثعلب وما الدليل على ما وصفت قال أني أنتهيت إلى الكرم فوجدت صاحبه قد مات ودخلت البستان فرأيت الأثمار زاهية على الأشجار فلم يشك الذئب في قول الثعلب وأدركه الشر فقام حتى انتهى إلى الثلمة وقد غره الطمع ووقف الثعلب متهافتاً كالميت وتمثل بهذا البيت:

انطم ـع م ـن ليلـ ـى بوصـ ـلي وإنم ـا تضـ . ـر باعـ . ـاق الرجـ . ـال المطـ . ـامع

فلما انتهى الذئب إلى الثلمة قال له الثعلب أدخل إلى الكرم فقد كفيت مؤنة هدم حائط البستان وعلى الله تمام الأحسان فأقبل الذئب ماشياً يريد الدخول إلى الكرم فلما توسط غطاء الثلمة وقع فيها فاضطرب الثعلـ ـب اضطراباً شديداً من السرور والفرح وزوال الهم والترح ثم أنه تطلع في الحفرة فرأى الذئب يبكي ندماً وحزناً على نفسه فبكى الثعلب معه فرفع الذئب رأسه إلى الثعلب وقال له لمن رحمتك لى بكيت يا أبا الحصين قـ ـال لا والذي قذفك في هذه الحفرة أنما بكيت لطول عمرك الماضي وأسفاً على كونك لم تقع في هذه الثلمة قبـ ـل اليوم ولو وقعت قبل اجتماعي بك لكنت أرحت واسترحت ولكن أبقيت إلى أجلك المحتوم ووقتك المعلوم فقال له أيها الثعلب رح أيها المسيء في فعله لوالدتي وأخبرها بما حصل لي لعلها تحتال على خلاصي فقـ ـال لـ ـه الثعلب لقد أوقعك في الهلاك شدة طمعك وكثرة حرصك حيث سقطت في حفرة لست منها بسالم ألم تعلم أيها الذئب الجاهل أن صاحب المثل يقول من لم يفكر في العواقب لم يأمن المعاطب فقال الذئب للثعلـ ـب يـ ـا أبـ ـا الحصين أنما كنت تظهر محبتي وترغب في مودتي وتخاف من شدة قوتي فلا تحقد علي بما فعلت معك فمن قدر وعفا كان أجره على الله وقد قال الشاعر :

أزرع جميلاً ولـ ـو فـ ـي غيـ ـر موضـ ـعه مـ ـا خـ ـاب قـ ـط جمـ ـيلاً أينمـ ـا زرع
إن الجميـ ـل وإن طـ ـال الزمـ ـان بـ ـه فلـ . ـيس يحصـ . ـده إلا الـ . ـذي زرع

فقال له الثعلب يا أجهل السباع وأحمق الوحوش في البقاع هل نسيت تجبرك وعتوك وتكبرك وأنت لم ترع حق المعاشرة ولم تنتصح بقول الشاعر:

لا تظلمـ . ـن إذا مـ . ـا كنـ . ـت مقتـ . ـدراً إن الظلـ ـوم علـ ـى حـ ـد مـ ـن الـ ـنقم
تنـ . ـام عينـ . ـاك والمظلـ . ـوم منتبـ . ـه يـ ـدعو عليـ ـك وعـ ـين الله لـ ـم تـ ـنم

فقال له الذئب يا أبا الحصين لا تؤاخذني بسابق الذنوب فالعفو من الكرام مطلوب وصنع المعروف من حسن الذخائر وما أحسن قول الشاعر:

بـ ـادر بخيـ ـر إذا مـ ـا كنـ ـت مقتـ ـدر فلـ ـيس فـ ـي كـ ـل حـ ـين أنـ ـت مقتـ ـدر

وما زال الذئب يتذلل للثعلب ويقول له لعلك تقدر على شيء تخلصني به من الهلاك فقال له الثعلب أيها الفظ الغليظ أني أشبهك في حسن علانيتك وقبح نيتك بالباز مع الحجل قال الذئب وما حديث الباز والحجل قال الثعلب دخلت يوماً كرماً لآكل من عنبه فبينما أنا فيه إذ رأيت بازاً انقض على حجل فلما اقتنصه انفلت منـ ـه الحجل ودخل وكره واختفى فيه فتبعه الباز وناداه أيها الجاهل أني رأيتك في البرية جائعاً فرحمتك والتقطـ ـت لك حباً وأمسكتك لتأكل فهزيت مني ولم أعرف لهروبك وجهاً إلا الحرمان فأظهر وخذ ما أتيتك من الحـ ـب فكله هنيئاً مريئا فلما سمع الحجل قول الباز صدقه وخرج إليه فانشب مخالبه فيه ومكنها منه فقال له الحجـ ـل أهذا الذي ذكرت أنك أتيتني به من البرية وقلت لي كله هنيئاً مريئاً فكذبت على جعل ما تأكله من لحمي فـ ـي جوفك سما قاتلاً فلما أكله وقع ريشه وسقطت قوته ومات لوقته ثم قال له الثعلب أعلم أيها الذئب أن من حفر لاخيه قليبا وقع فيه قريباً وأنت غدرت بي أولاً فقال الذئب للثعلب دعني من هذا المقال وضرب الأمثـ ـال ولا

تذكر لي ما سلف مني من قبيح الفعال يكفيني ما أنا فيه من سوء الحال حيث وقعت في ورطة يرثي لي منها العد وفضلاً عن الصديق وانظر لي حيلة اتخلص بها وكن فيها غياثي وإن كان عليك ذلك مشقة فقد يتحم ل الصديق لصديقه أشد النصب ويقاسي فيما فيه نحباته العطب وقد قيل أن الصديق الش فيق خير ر م ن الأخ الشقيق وأن تسببت في نجاتي لاجمعن لك من الآلة ما يكون لك عدة ثم لأعلمنك من الحيل الغريبة ما تفتح به الكروم الخصيبة وتجني الأشجار المثمرة فطب نفساً وقر عيناً فقال له الثعلب وهو يضحك ما أحسن ما قالته العلماء في كثير من الجهل مثلك قال الذئب وما قالت العلماء قال الثعلب ذكر العلماء أن غليظ الجث ة غل يظ الطبع يكون بعيداً من العقل قريباً من الجهل لأن قولك أيها الماكر الأحمق قد يحتمل الص ديق المش قة ف ي تخليص صديقه صحيح كما ذكرت ولكن عرفتني بجهلك وقلة عقلك كيف أصادقك مع خيانتك أحسبتني ل ك صديقاً وأنا لك عدو شامت وهذا الكلام أشد من رشق السهام أن كنت تعقل وأما قولك أنك تعطيني من الآلات ما يكون عدة لي وتعلمني من الحيل ما أصل به إلى الكروم المخصبة وأجتني به الأشجار المثمرة فمالك أيها المخادع الغادر لا تعرف لك حيلة تتخلص بها من الهلاك فما أبعدك من المنفعة لنفسك وما أبعدني من القبول لنصيحتك فإن كان عندك حيل فتحيل لنفسك في الخلاص من هذا الأمر الذي أسأل الله أن يبعد خلاصك من ه فانظر أيها الجاهل أن كان عندك حيلة فخلص نفسك بها من القتل قبل أن تبذل التعليم لغي رك ولكن ك مث ل إنسان حصل له مرض فأتاه رجل مريض بمثل مرضه ليداويه فقال له هل لك أن أداويك من مرضك فقال له الرجل هلا بدأت بنفسك في المداواة فتركه وأنصرف وأنت أيها الذئب كذلك فالزم مكانك وأصبر عل ى م ا أصابك فلما سمع الذئب كلام الثعلب علم أنه لا خير له عنده فبكي على نفسه وقال كنت في غفلة من أم ري فإن خلصني الله من هذا الكرب لأتوبن من تجبري على من هو أضعف مني ولألبس الص وف ولأص عدن الجبل ذاكراً لله تعالى خائفاً من عقابه وأعتزل سائر الوحوش ولأطعمن المجاهدين والفقراء ثم بكى وانتح ب فرق له قلب الثعلب وكان لما سمع تضرعه والكلام الذي يدل على توبته من العتو والتكبر أخذته الشفقة عليه فوثب من فرحته ووقف على شفيز الحفيرة ثم جلس على رجليه وأدلى ذنبه في الحفيرة فعند ذلك قام ال ذئب ومد يده إلى ذنب الثعلب وجذبه إليه فصار في الحفيرة معه ثم قال له الذئب أيها الثعلب القليل الرحمة كي ف تشمت بي وقد كنت صاحبي وتحت قهري ووقعت معي في الحفيرة وتعجلت لك العقوبة وقد قالت الحكماء لو عاير أحدكم أخاه برضاع كلبة لارتضعها وما أحسن قول الشاعر:

إذا م ـا الـ ـدهر ج ـار عل ـى أنـ ـاس	ك . . ـلا كلـ . . ـه أنـ . . ـاخ بآخرينـ . . ـا
فقـ . ـل للشـ . ـامتين بنـ . ـا أفيقـ . ـوا	سـ . ـيلقى الشـ . ـامتون كمـ . ـا لقينـ . ـا

ثم قال الذئب للثعلب فلابد أن أعجل قتلك قبل أن ترى قتلى فقال الثعلب في نفسه أني وقعت مع ه ذا الجبار وهذا الحال يحتاج إلى المكر والخدائع وقد قيل أن المرأة تصوغ حليها ليوم الزينة وف ي المث ل م ا أدخرتك يا دمعتي إلا لشدتي وأن لم أتحيل في أمر هذا الوحش الظالم هلكت لا محالة ما أحسن قول الشاعر:

ع . . ـش بالخـ . ـداع فأنـ . ـت فـ . . ـي	زمـ . . ـن بنـ . . ـوه كاسـ . . ـد بيشـ . . ـة
وأدر قنـ . . . ـاة المكـ . . . ـر حتـ . . . ـى	تسـ . . . ـتدير رحـ . . . ـي المعيشـ . . . ـة
واجـ . . ـن الثمـ . . ـار فـ . . ـإن تفتـ . . ـك	فـ . . . ـرض نفسـ . . . ـك بالحشيشـ . . . ـة

ثم أن الثعلب قال للذئب لا تعجل علي بالقتل فتندم أيها الوحش الصنديد صاحب القوة والبـأس الشـديد وأن تمهلت وأمعنت النظر فيما أحكيه لك عرفت قصدي الذي قصدته وأن عجلت بقتلي فلا فائـدة لـك فيـه ونموت جميعاً ههنا فقال له الذئب أيها الخادع الماكر وما الذي ترجوه من سلامتي وسلامتك حتـى تسـألني التمهل عليك فأخبرني بقصدك الذي قصدته فقال له الثعلب أما قصدي الذي قصدته فما ينبغي أن تحسن عليه مجازاتي لأني سمعت ما وعدت من نفسك وأعترافك بما سلف منك وتلهفك علي ما فاتك من التوبـة وفعـل الخير وسمعت ما نذرته على نفسك من كف الأذى عن الأصحاب وغيرهم وتركك أكل العنب وسائر الفواكه ولزمك الخشوع وتقليم أظفارك وتكسير أنيابك وأن تلبس الصوف وتقرب القربان لله تعالى أن نجاك مما أنت فيه فأخذتني الشفقة عليك مع أنني كنت على هلاكك حريصاً فلما سمعت منك توبتك وما نذرت على نفسك أن نجاك الله لزمني خلاصك مما أنت فيه فأدليت إليك ذنبي لكيما تتعلق به وتنجو فلم تترك الحالة التـي أنـت عليها من العنف والشدة ولم تلتمس النجاة والسلامة لنفسك بالرفق بل جذبتني جذبة ظننت منها أن روحي قـد خرجت فصرت أنا وأنت في منزلة الهلاك والموت وما ينجيني أنا وأنت إلا شيء أن قبلته مني خلصت أنـا وأنت وبعد ذلك يجب عليك أن تفي بما نذرته وأكون رفيقك فقال له الذئب وما الذي أقبله منك قال له الثعلب تنهض قائماً ثم أعلو أنا فوق رأسك حتى أكون قريباً من ظاهر الأرض فإني حين أصير فوقها أخرج وآتيـك بما تتعلق به وتخلص أنت بعد ذلك فقال له الذئب لست بقولك واثقاً لأن الحكماء قالوا من استعمل الثقة فـي موضع الحقد كان مخطئاً وقيل من وثق بغير ثقة كان مغروراً ومن جرب المجرب حلت به الندامة ومن لـم يفرق بين الحالات فيعطي كل حالة حظها بل أحمل الأشياء كلها على حالة واحدة قل حظه وكثرت مصـائبه وما أحسن قول الشاعر:

لا يكـ ـ ـن ظنـ ـ ـك لا سـ ـ ـيئاً أن	سـ ـوء الظـ ـن مـ ـن أقـ ـوى الفطـ ـن
مـ ـا رمـ ـى الإنسـ ـان فـ ـي مهلكـ ـة	مثـ ـل فعـ ـل الخيـ ـر والظـ ـن الحسـ ـن

فقال له الثعلب أن سوء الظن ليس محموداً في كل حال وحسن الظن من شيم الكمال وعاقبته السيئة من الأهوال وينبغي لك أيها الذئب أن تتحيل على النجاة مما أنت فيه ونسلم جميعاً خير من موتنا فأرجع عن سوء الظن والحقد لأنك أن أحسنت الظن بي لا أخلو من أحد أمرين أما أن آتيك بما تتعلق به وتنجوا مما أنت فيه وأما أن أغدر بك فأخلص وأدعك وهذا مما لا يمكن فإني لا آمن أن ابتلي بشيء مما ابتليت به فيكون ذلـك عقوبة الغدر وقد قيل في الأمثال الوفاء مليح والغدر قبيح فينبغي أن تثق بي فأني لم أكن جـاهلاً بحـوادث الدهر فلا تؤخر حيلة خلاصنا فالأمر أضيق من أن نطيل فيه الكلام فقال الذئب أني مع قلة ثقتي بوفائك قـد عرفت ما في خاطرك من أنك أردت خلاصي لما عرفت توبتي فقلت في نفسي أن كان حقاً فيما زعم فإنـه يستدرك ما أفسدوا كان مبطلاً فجزاؤه على ربه وها أنا أقبل منك ما أشرت به على فإن غـدرت بـي كـان الغدر سبباً لهلاكك ثم أن الذئب انتصب قائماً في الحفرة وأخذ الثعلب على أكتافه حتى سـاوى بـه ظـاهر الأرض فوثب الثعلب عن أكتاف الذئب حتى صار على وجه الأرض ووقع مغشياً عليه فقال له الـذئب يـا خليلي لا تغفل عن أمري ولا تؤخر خلاصي فضحك الثعلب وقهقه وقال أيها المغرور لم يوقعني في يدك إلا المزح معك والسخرية بك وذلك أني لما سمعت توبتك أستخفني الفرح فطربت ورقصت فتـدلى ذنبـي فـي

الحفرة فجذبتني فوقعت عندك ثم أنقذني الله تعالى من يدك فمالي لا أكون عوناً على هلاكك وأنت من حزب الشيطان واعلم أنني رأيت البارحة في منامي أني أرقص في غرس فقصصت الرؤيا على معبرفقال لي أنك تقع في ورطة وتنجو منها فعلمت وقوعي في يدك ونجاتي هو تأويل رؤياي وأنت تعلم أيها المغرور الجاهل أني عدوك فكيف تطمع بقلة عقلك وجهلك في إنقاذي أياك مع ما سمعت من غلظ كلامك وكيف أسعى في نجاتك وقد قالت العلماء أن في موت الفاجر راحة للناس وتطهير للأرض ولولا مخافة أن احتمل من الألم في الوفاء لك ما هو أعظم من ألم الغدر لتدبرت في خلاصك فلما سمع الذئب كلام الثعلب عض على كتفه ندماً. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٧٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الذئب لما سمع كلام الثعلب عض على كتفه ندماً ثم لين له الكلام ولم يجد بداً من ذلك وقال له بلسان خافت أنكم معاشر الثعالب من أحلى القوم لساناً وألطفها مزاحاً وهذا منك مزاح ولكن ما كل وقت يحسن اللعب والمزاح فقال الثعلب أيها الجاهل أن للمزاح حد لا يجاوزه صاحبه فلا تحسب أن الله يمكنك مني بعد أن أنقذني من يديك فقال له الذئب أنك لجدير أن ترغب في خلاصي لما بيننا من سابق المؤاخاة والصحبة وأن خلصتني لابد أن أحسن مكافأتك فقال الثعلب قد قال الحكماء لا تؤاخ الجاهل الفاجر فإنه يشينك ولا يزينك ولا تؤاخ الكذاب فإنه إن بدا منك خير أخفاه وإن بدا منك شر افشاه وقال الحكماء لكل شيء حيلة إلا الموت وقد يصلح كل شيء إلا فساد الجوهر وقد يدفع كل شيء إلا القدر وأما من جهة المكافأة التي زعمت أني استحقها منك فإني شبهتك بالحية الهاربة من الحاوي إذ رآها رجل وهي مرعوبة فقال لها ما شأنك أيتها الحية قالت هربت من الحاوي فإنه يطلبني ولئن انجيتني منه وأخفيتني عندك لأحسنن مكافأتك وأصنع معك كل جميل فأخذها أغتناماً للأجر وطمعاً في المكافأة وأدخلها في جيبه فلما فات الحاوي ومضى إلى حال سبيله وزال عنها ما كانت تخافه قال لها الرجل أين المكافأة فقد أنجيتك مما تخافين وتحذرين فقالت له الحية أخبرني في أي عضو أنهشك وقد علمت أننا لا نتجاوز هذه المكافأة ثم نهشته نهشة مات منها وأنت أيها الأحمق شبهتك بتلك الحية مع ذلك الرجل أما سمعت قول الشاعر:

لا تـأمنن فتـى أسـكنت مهجتـه	غيظـاً وتحسـب أن الغـيظ قـدر إلا
إن الأفـاعي وإن لانـت ملامسـها	تبـدي انعطافـاً وتخفـى السـم قتـالاً

فقال له الذئب أيها الفصيح صاحب الوجه المليح لا تجهل حالي وخوف الناس مني وقد علمت أني أهجم على الحصون وأقلع الكروم فأفعل ما أمرتك به وقم بي قيام العبد بسيده فقال له الثعلب أيها الأحمق الجاهل المحال بالباطل أني تعجبت من حماقتك وصلابة وجهك فيما تأمرني به من خدمتك والقيام بين يديك حتى كأنني بعدك ولكن سوف ترى ما يحل بك من شرخ رأسك بالحجارة وكسر أنيابك الغدارة ثم وقف الثعلب على تل يشرف على الكرم ولم يزل يصيح لأهل الكرم حتى بصروا به وأقبلوا عليه مسرعين فثبت لهم الثعلب حتى قربوا منه ومن الحفرة التي فيها الذئب ثم ولى الثعلب هارباً فنظر أصحاب الكرم في الحفرة فلما رأوا فيها الذئب ونقعوا عليه بالحجارة الثقال ولم يزالوا يضربونه بالحجارة والخشب ويطعنونه بأسنة

الرماح حتى قتلوه وانصرفوا فرجع الثعلب إلى تلك الحفرة وقف على مقتل الذئب فرآه ميتا فحرك رأسه من شدة الفرحات وأنشد هذه الأبيات:

أودي الزمان بنفس الـ ذئب فاختطف ـت	بعداً وسحقاً لهـ ـا مـ ـن مهجـ ـة تلفـ ـت
فكم سـ ـعيت أبـ ـا سـ ـرحان فـ ـي تلفـ ـي	فـ ـاليوم حلـ ـت بـ ـك الآفـ ـات والتهبـ ـت
وقعـ ـد فـ ـي حفـ ـرة ماجلهـ ـا أحـ ـد	إلا وفيهـ ـا ريـ ـاح المـ ـوت قـ ـد عصـ ـفت

ثم أن الثعلب أقام بالكرم وحده مطمئناً لا يخاف ضرراً وهذا ما كان من حديث الثعلب (ومما يحكـ ـي) أن فأرة وبنت عرس كانتا ينزلان منزلاً لبعض الناس وكان ذلك الرجل فقيراً وقـ ـد مـ ـرض بعـ ـد أصـ ـدقائه فوصف له الطبيب السمسم المقشور فأعطى قدراً من السمسم لذلك الرجل الفقير ليقشره له فأعطاه ذلك الرجل لزوجته وأمرها بإصلاحه فقشرته تلك المرأة له وأصلحته فلما عاينت بنت عرس السمسم أتت إليه ولم تـ ـزل تنقل من ذلك السمسم إلى جحرها طول يومها حتى نقلت أكثره وجاءت المرأة فرأت نقصان السمسم واضـ ـحاً فجلست ترصد من يأتي إليه حتى تعلم سبب نقصانه فنزلت بنت عرس لتنقل منه على عادتها فرأت المـ ـرأة جالسة فعلمت أنها ترصدها فقالت في نفسها أن لهذا الفعل عواقب ذميمة وأني أخشى من تلك المرأة أن تكون لي بالمرصاد ومن لم ينظر في العواقب ما الدهر له بصاحب ولا بدل لي أن أعمل عملاً حسناً أظهـ ـر بـ ـه براءتي من جميع ما عملته من القبيح فجعلت تنقل من ذلك السمسم الذي في جحرها فرأتها المرأة وهي تفعل ذلك فقالت في نفسها ما هذا سبب نقصه لأنها تأتي به من جحر الذي اختلسه وتضعه على بعضه وقد أحسنت إلينا في رد السمسم وما جزاء من أحسن إلا أن يحسن إليه وليست هذه آفة في السمسم ولكن لا أزال أرصده حتى يقع واعلم من هو ففهمت بنت عرس ما خطر ببال تلك المرأة فانطلقت إلى الفأرة فقالت لها يا أختي أنه لا خير فيمن لا يرعي المجاورة ولا يثبت على المودة فقالت الفأرة نعم يا خليلتي وانعم بك وبجـ ـوارك فمـ ـا سبب هذا الكلام فقالت بنت عرس إن رب البيت أتي بسمسم فأكل منه هو وعياله وشـ ـبعوا وأسـ ـتغنوا عنـ ـه وتركوه وقد أخذ منه كل ذي روح فلو أخذت أنت الأخرى كنت أحق به ممن يأخذ منه فأعجب الفـ ـأرة ذلـ ـك ورقصت ولعبت ذنبها وغرها الطمع في السمسم فقامت من وقتها وخرجت من بيتها فرأت السمسم مقشـ ـور يلمع من البياض والمرأة جالسة ترصده فلم تفكر المرأة في عاقبة الأمر وكانت المرأة قد استعدت بهراوة فلم تتمالك الفأرة نفسها حتى دخلت في السمسم وعانت فيه وصارت تأكل منه فضربتها المـ ـرأة بتلـ ـك الهـ ـراوة فشجت رأسها وكان الطمع سبب هلاكها وغفلتها عن عواقب الأمور فقال الملك يـ ـا شـ ـهرزاد والله أن هـ ـذه حكاية مليحة فهل عندك حديث في حسن الصداقة والمحافظة عليها عند الشدة والتخلص من الهلكة قالت نعـ ـم بلغني أن غراباً وسنوراً كانا متآخين فبينما هما تحت الشجرة على تلك الحالة إذ رأيا نمراً مقبلاً علـ ـى تلـ ـك الشجرة التي كانا تحتها ولم يعلما به حتى سار قريباً من الشجرة فطار الغراب إلى أعلى الشجرة وبقا السنور متحيراً فقال للغراب يا خليلي هل عندك حيلة في خلاصي كما هو الرجاء فيك فقال له الغراب أنمـ ـا تلـ ـتمس الأخوان عند الحاجة إليهم في الحيلة عند نزول المكروه بهم وما أحسن قول الشاعر:

أن صـ ـديق الحـ ـق مـ ـن كـ ـان معـ ـك	ومـ ـن يضـ ـر نفسـ ـه لا ينفعـ ـك
ومـ ـن إذا ريـ ـب الزمـ ـان صـ ـدعك	شـ ـتت فيـ ـك شـ ـمله ليجمعـ ـك

وكان قريباً من الشجرة رعاة معهم كلاب فذهب الغراب حتى ضرب بجناحه وجهه الأرض ونعق وصاح ثم تقدم إليهم وضرب بجناحه وجه بعض الكلاب وارتفع قليلاً فتبعته الكلاب وسارت في أثره ورفع لراعي رأسه فرأى طائر يطير قريباً من الأرض ويقع في قيعه وسار الغراب لا يطير إلا بقدر التخلص من الكلاب ويطمعها في أن تفترسه ثم أرتفع قليلاً وتبعه الكلاب حتى انتهى إلى الشجرة التي تحتها النمر فلما رأت الكلاب النمر وثبت عليه فولى هارباً وكان يظن أنه يأكل السنور فنجا منه ذلك السنور بحيلة الغراب صاحبه وقد أخبرتك بهذا أيها الملك لتعلم أن مودة أخوان الصفا تنجي من الهلكات (ويحكى) أن ثعلباً سكن في بيت في الجبل وكان كلما ولد ولداً وأشتد ولده أكله من الجوع وأن لم يأكل ولده يضربه الجوع وكان يأوي إلى ذروة ذلك الجبل غراب فقال الثعلب في نفسه أريد أن أعقد بيني وبين هذا الغراب مودة وأجعله لي مؤنساً على الوحدة معاوناً على طلب الرزق لأنه يقدر من ذلك على مالا أقدر عليه فدنا الثعلب من الغراب حتى سار قريباً منه بحيث يسمع كلامه فسلم عليه ثم قال له يا جاري إن للجار المسلم على الجار المسلم حقين حق الجيرة وحق الإسلام واعلم بأنك جاري ولك علي حق يجب قضاؤه وخصوصاً مع طول المجاورة على أن في صدري وديعة من محبتك دعتني إلى ملاطفتك وبعثتني على التماس أخوتك فما عندك من الجواب فقال الغراب للثعلب أعلم أن خير القول أصدقه وربما تتحدث بلسانك بما ليس في قلبك وأخشى أن تكون أخوتك باللسان ظاهراً وعداوتك في القلب لأنك آكل وأنا مأكول فوجب لنا التباين في المحبة ولا يمكن مواصلتنا فما الذي دعاك إلى طلب مالا تدرك واردة مالا يكون وأنت من جنس الوحوش وأنا من جنس الطير وهذه الأخوة لا تصح فقال له الثعلب أن من علم موضع الإخلاء فأحسن الأختيار فيما يختاره منهم ربما يصل إلى منافع الأخوان وقد أحببت قربك وأخترت الأنس بك ليكون بعضنا عوناً لبعض على أغراضنا وتعقب مودتنا نجاحاً وعندي حكايات في حسن الصداقة فإن أردت أن أحكيها حكيتها لك فقال الغراب أذنت لك في أن تبثها فحدثتني بها حتى أعرف المراد منها فقال له الثعلب اسمع يا خليلي يحكي عن برغوث وفأرة ما يستدل به على ما ذكرته لك فقال الغراب وكيف كان ذلك فقال الثعلب زعموا أن فارة كانت في بيت رجل من التجار كثير المال فأوى البرغوث ليلة إلى فراش ذلك التاجر فرأى بدناً ناعماً وكان البرغوث عطشاناً فشرب من دمه ووجد التاجر من البرغوث ألماً فاستيقظ من النوم واستوى قاعداً ونادى بعض أتباعه فأسرعوا إليه وشمروا عن أيديهم يطوفون على البرغوث فلما أحس البرغوث بالطلب ولى هارباً فصادف جحر الفأرة فدخله فلما رأته الفأرة قالت له ما الذي أدخلك علي ولست من جوهري ولا من جنسي ولست بآمن من الغلظة عليك ولا مضارتك فقال لها البرغوث أني هربت في منزلك وفزت بنفسي من القتل وأتيتك مستجيراً بك ولاطمع لي في بيتك ولا يلحقك مني شر يدعوك إلى الخروج من منزلك وأني أرجو أن أكافئك على إحسانك إلا بكل جميل وسوف تحمدين عاقبة ما أقول لك فلما سمعت الفأرة كلام البرغوث وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٨٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الفأرة لما سمعت كلام البرغوث قالت إذا كان الكلام علي ما أخبرت فاطمئن هنا وما عليك بأس ولا تجد إلا ما يسرك ولا يصيبك إلا ما يصيبني وقد بذلت لك مودتي ولا تندم

على ما فاتك من دم التاجر ولا تأسف على قوتك منه وأرض بما تيسر لك من العيش فإن ذلك أسلم لك وقد سمعت أيها البرغوث بعض الوعاظ ينشد هذه الأبيات:

سـ . . لكت القناع . . ـة والانفـ . . ـراد	وقضـ . ـيت دهـ . ـري بمـ . ـاذا أتفـ . ـق
بكسـ . ـرة خبـ . ـز وشـ . ـربة مـ . ـاء	وملـ . ـح جـ . ـريش وثـ . ـوب خلـ . ـق
فـ . ـإن يسـ . ـر الله لـ . ـي عيشـ . ـتي	وإلا قنعـ . . . ـت بمـ . . ـا قـ . . ـد رزق

فلما سمع البرغوث كلام الفأرة قال يا أختي قد سمعت وصيتك وأنقذت إلى طاعتك ولا قوة لي على مخالفتك إلى أن ينقضي العمر بتلك النية الحسنة فقالت له الفأرة كفى بصدق المودة في صلاح النية ثم انعقد الود بينهما وكان البرغوث بعد ذلك يأوي إلى فراش التاجر ولا يتجاوز بلغته ويأوي بالنهار مع الفأرة في مسكنها فاتفق أن التاجر جاء ليلة إلى منزله بدنانير كثيرة فجعل يقلبها فلما سمعت الفأرة صوت الدنانير أطلعت رأسها من جحرها وجعلت تنظر إليها حتى وضعها التاجر تحت وسادة ونام فقالت الفأرة للبرغوث أما ترى الفرصة والحظ العظيم فهل عندك حيلة توصلنا إلى بلوغ الغرض من تلك الدنانير فقال لها البرغوث قد التزمت لك باخراجه من البيت ثم انطلق البرغوث إلى فراش التاجر ولدغه لدغة قوية لم يكن جرى للتاجر مثلها ثم تنحى البرغوث إلى موضع يأمن فيه على نفسه من التاجر فانتبه التاجر يفتش على البرغوث فلم يجد شيئاً فرقد على جنبه الآخر فلدغه البرغوث لدغة أشد من الأولى فقلق التاجر وفارق مضجعه وخرج إلى مصطبة على باب داره فنام هناك ولم ينتبه إلى الصباح ثم أن الفأرة أقبلت على نقل الدنانير حتى لم تترك منها شيئاً فلما أصبح الصباح صار التاجر يتهم الناس ويظن الظنون ثم قال الثعلب للغراب واعلم أني لم أقل لك هذا الكلام أنها الغراب البصير العاقل الخبير إلا ليصل إليك جزاء إحسانك إلى كما وصل للفأرة جزاء إحسانها إلى البرغوث فانظر كيف جازاها أحسن المجازاة وكافأها أحسن المكافأة فقال الغراب إن شاء الحسن يحسن أولاً يحسن وليس الإحسان واجباً لمن التمس صلة بقطيعة وأن أحسنت إليك مع كونك عدوى أكون قد أتسبب في قطيعة نفسي وأنت أيها الثعلب ذو مكر وخداع ومن شيمتك المكر والخديعة لا تؤمن على عهد ومن لا يؤمن على عهد لا أمان له وقد بلغني عن قريب أنك غدرت بصاحبك الذئب ومكرت به حتى أهلكته بغدرك وحيلتك وفعلت به هذه الأمور مع أنه من جنسك وقد صحبته مدة مديدة فما أبقيت عليه فكيف أثق منك بنصيحة وإذا كان هذا فعلك مع صاحبك الذي من جنسك فكيف يكون فعلك مع عدوك الذي من غير جنسك وما مثالك معي إلا مثال الصقر مع ضواري الطير فقال الثعلب وما حكاية الصقر مع ضواري الطير فقال الغراب زعموا أن صقراً كان جباراً عنيداً وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٨١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الغراب قال زعموا أن صقراً كان جباراً عنيداً أيام شبيبته وكانت سباع البر وسباع الطير تفزع منه ولا يسلم من شره أحد وله حكايات كثيرة في ظلمه وتجبره وكان دأب هذا الصقر الأذى لسائر الطيور فلما مرت عليه السنون ضعف وجاع واشتد جهده بعد فقد قوته فاجمع رأيه على أن يأتي مجمع الطير فيأكل ما يفضل منها فعند ذلك صار قوته بالحيلة بعد القوة والشدة وأنت كذلك أيها الثعلب أن عدمت قوتك ما عدمت خداعك ولست أشك في أن ما تطلبه من صحبتي حيلة على قوتك فلا كنت ممن يضع يده في يدك لأن الله أعطاني قوة في جناحي وحذرا في نفسي وبصرا في عيني واعلم أن من تشبه بأقوى منه تعب وربما هلك هذا ما عندي من الكلام واذهب عني بسلام فلما يئس الثعلب من مصادقة

الغراب رجع من حزنه يئن وقرع للندامة سناً على سن فلما سمع الغراب بكاءه وأنينه ورأى كآبته وحزنه قال أيها الثعلب مـ ا نابك حتى قرعت نابك قال له الثعلب أنما قرعت سني لأني رأيتك أخدع مني ثم أنه ولى هارباً ورجع إلى جحره طالباً وهذا ما كان من حديثهما أيها الملك فقال الملك يا شهرزاد ما أحسن هذه الحكايات هل عندك شيء مثلها من الخرافات (قالت) ويحكـ ي أن قنفذ اتخذ مسكناً بجانب نخلة وكان الورشان هو وزوجته قد اتخذا عشاً في النخلة وعاشا فوقها عيشاً رغداً فقال القنفـ ذ فـ ي نفسه أن الورشان يأكل من ثمر النخلة وأنا لا أجد إلى ذلك سبيلاً ولكن لابد من استعمال الحيلة ثم حفر في أسفل النخلة بيتـ و أتخذه مسكناً له ولزوجته وإلى جانبه مسجداً وانفرد فيه وأظهر النسك والعبادة وترك الدنيا وكان الورشان متعبداً مصلياً فرق له من شدة زهده وقال كم سنة وأنت هكذا قال مدة ثلاثين سنة قال ما طعامك قال ما يسقط من النخلة قال ما لباسك قال شوك انتفع بخشونته فقال وكيف اخترت مكانك هذا على غيره قال اخترته على غير طريق لأجل أن أرشد الضال واعلم الجاهل فقال لـ ه الورشان كنت أظن على أنك على غير هذه الحالة ولكنني الآن رغبت فيما عندك فقال القنفذ أني أخشى أن يكون قولـ ك ضـ د فعلك فتكون كالزارع الذي لما جاء وقت الزرع قصر في بذره وقال أني أخشى أن يكون أوان الزرع قد فات فأكون قد أضعت المال بسرعة البذر فلما جاء وقت الحصاد ورأى الناس وهم يحصدون ندم على ما فاته من تقصيره ومن تخلفه ومـ ات أسـ فاً وحزناً فقال الورشان للقنفذ وماذا أصنع حتى أتخلص من علائق الدنيا وأنقطع إلى عبادة ربي قال له القنفذ خذ فـ ي الاسـ تعداد للميعاد والقناعة بالكفاية من الزاد فقال الورشان كيف لي بذلك وأنا طائر لا أستطيع أن أتجاوز النخلة الي فيهـ ا قـ وتي ولـ و أستطعت ذلك ما عرفت موضعاً استقر فيه فقال القنفذ يمكنك أن تنثر من ثمر النخلة ما يكفيك مؤونة عام أنت وزوجتك وتسكن في وكر تحت النخلة لالتماس حسن أرشادك ثم مل إلى ما نثرته من النمر فانقله جميعه وأدخره قوتاً للعدم وإذا فرغت الثمـ ار وطال عليك المطال مر إلى كفاف من العيش فقال الورشان جزاك الله خيراً حيث ذكرتني بالميعاد وهديتني إلى الرشاد ثم تعب الورشان هو وزوجته في طرح الثمر حتى لم يبق في النخلة شيء فوجد القنفذ ما يأكل وفرح به وملأ مسكنه من الثمر وأدخره لقوته وقال في نفسه أن الورشان هو وزوجته إذا احتاجا إلى مؤنتهما طلباها مني وطمعا فيما عندي وركنا إلى تزهدي وورعي فلما رأى الورشان منه الخديعة لائحة قال له أين الليلة من البارحة أما تعلم أن للمظلومين ناصراً فإياك والمكر والخديعة لـ ئلا يصيبك ما أصاب الخداعين الذين مكروا بالتاجر فقال القنفذ وكيف ذلك قال بلغني أن تاجراً من مدينة يقال لها سنده كان ذا مال واسع فشد جمالاً وجهز متاعاً وخرج به إلى بعض المدن ليبيعه فيها فتبعه رجلان من المكرة وحملا شيئاً مـ ن مـ ال ومتـ اع وأظهرا للتاجر أنهما من التجار وسارا معه فلما نزلا أول منزل اتفقا على المكر به وأخذ ما معه ثم أن كل واحد منهما أضـ مر المكر لصاحبه وقال في نفسه لومكرت بصاحبي بعد مكرنا بالتاجر لصفا لي الوقت وأخذت جميـ ع المـ ال ثـ م أضـ مرا لبعضهما نية فاسدة وأخذ كل منهما طعاماً وجعل فيه سما وقربه لصاحبه فقتلا بعضهما وكانا يجلسـ ان مـ ع التاجر ويحدثانه فلما أبطأوا عليه فتش عليهما ليعرف خبرهما فوجدهما ميتين فعلم أنهما كانا محتـ الين وأراد المكر به فعاد عليهما مكرهما وسلم التاجر والمال معهما فقال الملك نبهتيني يا شهرزاد على شيء كنت غافلاً عنه أفلا تزيديني من هذه الأمور (قالت) بلغني أيها الملك السعيد أن رجلاً كان عنده قرد وكان ذلك الرجـ ل سارقاً لا يدخل سوقاً من أسواق المدينة التي هو فيها إلا ويرجع بكسب عظيم فاتفق أن رجلاً حمـ ل أثوابـ اً مقطعة ليبيعها فذهب إلى السوق وصار ينادي عليها فلا يسومها أحد وكان لا يعرضها على أحد إلا امتنع من شرائها فاتفق أن السارق الذي معه القرد رأي الشخص الذي معه الثياب المقطعة وكان قد وضعها في بقجـ ة وجلس يستريح من التعب فلعب القرد قدامه حتى أشغله بالفرجة عليه واختلس منه تلك البقجة ثم أخذ القـ رد وذهب إلى مكان خال وفتح البقجة فرأى تلك الثياب المقطعة فوضعها في بقجة نفيسة وذهب إلى سوق آخـ ر وعرض البقجة للبيع بما فيها واشترط أن لا تفتح ورغب الناس فيها لقلة الثمن فرآها رجل وأعجبه نفاسـ تها فاشتراها بهذا الشرط وذهب بها إلى زوجته فلما رأت ذلك أمرأته قالت ما هذا قال متاع نفيس اشتريته بدون

القيمة لا بيعه وآخذ فائدته فقالت أيها المغبون ليباع هذا المتاع بأقل من قيمته إلا إذا كان مسروقاً أما تعلم أن من اشترى شيئاً ولم يعاينه كان مخطئاً وكان مثله مثل الحائك فقال لها وكيف كان ذلك فقالت بلغني أن حائكاً كان في بعض القرى وكان يعمل فلا ينال القوت إلا بجهد فاتفق أن رجلاً من الأغنياء كان ساكناً قريباً منه قد أولم وليمة ودعا الناس إليها فحضر الحائك فرأى الناس الذين عليهم الثياب الناعمة يقدم لهم الأطعمة الفاخرة وصاحب المنزل يعظمهم لما يرى من حسن زيهم فقال في نفسه لو بدلت تلك الصنعة بصنعة أخف مؤنة منها وأكثر أجرة لجمعت مالا كثيراً واشتريت ثياباً فاخرة وارتفع شأني وعظمت في أعين الناس ثـ م نظـ ر إلـ ى بعض ملاعب الحاضرين في الوليمة وقد صعد سوراً شاهقاً ثم رمى بنفسه إلى الأرض ونهض قائماً فقال في نفسه لابد أن أعمل مثل عمل هذا ولا أعجز عنه ثم صعد إلى السور ورمى نفسه فلما وصـ ل إلـ ى الأرض اندقت رقبته فمات وإنما أخبرتك بذلك لئلا يتمكن منك الشره فترغب فيما ليس من شأنك فقال لها زوجها مـ ا كل عالم يسلم بعلمه ولا كل جاهل يعطب بجهله وقد رأيت الحاوي الخبير بالأفاعي العالم بها وربما نهشـ ته الحية فقتلته وقد يظهر بها الذي لا معرفة له بها ولا علم عنده بأحوالها ثم خالف زوجته واشتري المتاع وأخذ في تلك العادة فصار يشتري من السارقين بدون القيمة إلى أن وقع في تهمة فهلك فيهـ ا وكـ ان فـ ي زمنـ ه عصفور يأتي كل يوم إلى ملك من ملوك الطيور ولم يزل غادياً ورائحاً عنده بحيث كان أول داخـ ل عليـ ه وآخر خارج من عنده فاتفق أن جماعة من الطير اجتمعوا في جبل عال من الجبال فقال بعضهم لبعض أنا قد كثرنا وكثر الاختلاف بيننا ولابد لنا من ملك ينظر في أمورنا فتجتمع كلمتنا ويزول الاختلاف عنا فمر بهـ م ذلك العصفور فأشار عليهم بتمليك الطاووس وهو الملك الذي يتردد إليه فاختاروا الطاووس وجعلوه علـ يهم ملكاً فأحسن إليهم وجعل ذلك العصفور كاتبه ووزيره فكان تارة يترك الملازمة وينظر في الأمـ ور ثـ م أن العصفور غاب يوماً عن الطاووس فقلق قلقاً عظيماً فبينما هو كذلك إذ دخل عليه العصفور فقال له ما الـ ذي أخرك وأنت أقرب أتباعي إلي فقال العصفور رأيت أمراً واشتبه علي فتخوفت منه فقال له الطاووس ما الذي رأيت قال العصفور رأيت رجلاً معه شبكة قد نصبها عند وكري وثبت أوتادها وبذر في وسطها حباً وقعـ د بعيداً عنها فجلست أنظر ما يفعل فبينما أنا كذلك وإذا بكركي هو وزوجته قد ساقهما القضاء والقـ در حتـ ى سقطا في وسط الشبكة فصارا يصرخان فقام الصياد وأخذهما فأزعجني ذلك وهذا سبب غيابي عنك يا ملـ ك الزمان وما بقيت أسكن هذا الوكر حذراً من الشبكة فقال له الطاووس لأترحل من مكانك لأنه لا ينفع الحـ ذر من القدر فامتثل أمره وقال سأصبر ولا أرحل طاعة للملك ولم يزل العصفور محاذراً على نفسه وأخذ الطعام إلى الطاووس فأكل حتى اكتفى وتناول على الطعام ماء ثم ذهب العصفور فبينما هو في بعض الأيام شاخصاً وإذا بعصفورين يقتتلان في الأرض فقال في نفسه كيف أكون وزير الملك وأرى العصافير تقتل في جواري والله لأصلحن بينهما ثم ذهب إليهما ليصلح بينهما فقلب الصياد الشبكة على الجميع فوقع ذلك العصفور فـ ي وسطها فقام إليه الصياد وأخذه ودفعه إلى صاحبه وقال استوثق به فإنه سمين لم أر أحسن منه فقال العصـ فور في نفسه قد وقعت فيما كنت أخاف وما كان آمنا إلا الطاووس ولم ينفعني الحذر من القدر فـ لا مفـ ر مـ ن القضاء للمحاذر وما أحسن قول الشاعر:

مـ ـالا يكـ ـون فـ ـلا يكـ ـون بحيلـ ـة ... بـ ـ داً ومـ ـ ـا هـ ـو كـ ـ ائن سـ ـ يكون
سـ يكون مـ ـا هـ ـو كـ ـائن فـ ـي وقتـ ـه ... وأخـ ـو الجهالـ ـة دائمـ ـ ـاً مغبـ ـ ـون

فقال الملك يا شهرزاد زيديني من هذا الحديث فقالت الليلة القابلة أن أبقاني الملـ ـك أعـ ـزه الله وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

حكاية علي بن بكار مع شمس النهار

(وفي ليلة ١٨٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أنه كان في قديم الزمان في خلافة هارون الرشيد رجل تـ ـاجر لـ ـه ولـ ـد يسمى أبا الحسن علي بن طاهر وكان كثير المال والنوال حسن الصورة محبوباً عند كل من يراه وكان يدخل دار الخلافة من غير أذن ويحبه جميع سراري الخليفة وجواريه وكان ينادمه وينشد عنده الأشـ ـعار ويحدثـ ـه بنوادر الأخبار إلا أنه كان يبيع ويشتري في سوق التجار وكان يجلس على دكان شاب من أولاد ملوك العجم يقال له علي بن بكار وكان ذلك الشاب مليح القامة ظريف الشكل كامل الصـ ـورة مـ ـورد الخـ ـدين مقـ ـرون الحاجبين عذب الكلام ضاحك السن يحب البسط والانشراح فاتفق أنهما كانا جالسين يتحدثان ويضـ ـحكان وإذا بعشر جوار كأنهن الأقمار وكل منهن ذات حسن وجمال وقد واعتدال وبينهن صبية راكبة على بغلة بسـ ـرج مزركش له ركاب من الذهب وعليها إزار رفيع وفي وسطها زنار من الحرير مطرز بالذهب كما قال فيهـ ـا الشاعر:

لهـ ـا بشـ ـر مثـ ـل الحريـ ـر ومنطـ ـق ... رخـ ـيم الحواشـ ـي لا هـ ـراء ولا نـ ـزر
وعينـ ـ ـاك قـ ـ ـل الله كونـ ـ ـا فكانتـ ـ ـا ... فعـ ـولان بالألبـ ـاب مـ ـا تفعـ ـل الخمـ ـر
فيـ ـا حبهـ ـا زدنـ ـي جـ ـوى كـ ـل ليلـ ـة ... ويـ ـا سـ ـلوة الأحبـ ـاب موعـ ـدك الحشـ ـر

فلما وصلوا إلى دكان أبي الحسن نزلت عن البغلة وجلست على دكانه فسلمت عليه وسلم عليهـ ـا فلمـ ـا رآها علي بن بكار سلبت عقله وأراد القيام فقالت له اجلس مكانك كيف تذهب إذا حضرنا هذا ما هو أنصاف فقال والله يا سيدتي إني هارب مما رأيت وما أحسن قول الشاعر:

هـ ـي الشـ ـمس مسـ ـكنها فـ ـي السـ ـماء ... فعـ ـ ـز الفـ ـ ـؤاد عـ ـ ـزاء جمـ ـ ـيلاً
فلـ ـن تسـ ـتطيع إليهـ ـا الصـ ـعودا ... ولـ ـن تسـ ـتطيع إليـ ـك النـ ـزولا

فلما سمعت ذلك الكلام تبسمت وقالت لأبي الحسن ما اسم هذا الفتى ومن أين هو فقال لها هذا غريـ ـب اسمه علي بن بكار بن ملك العجم والغريب يجب أكرامه فقالت له إذا جاءتك جاريتي فائت به عندي فقال أبو الحسن على الرأس ثم قامت وتوجهت إلى حال سبيلها هذا ما كان من أمرها (وأما) ما كان من أمر علي بن بكار فإنه صار لا يعرف ما يقول وبعد ساعة جاءت الجارية إلى أبي الحسن وقالت أن سيدتي تطلبـ ـك أنـ ـت ورفيقك فنهض أبو الحسن وأخذ معه علي بن بكار وتوجها إلى دار هارون الرشيد فأدخلتهما في مقصـ ـورة وأجلستهما وإذا بالموائد وضعت قدامهما فأكلا وغسلا أيديهما ثم أحضرت لهما الشراب فشربا ثـ ـم أمرتهمـ ـا بالقيام فقاما معها وأدخلتهما مقصورة أخرى مركبة على أربعة أعمدة وهي مفروشة بأنواع الفـ ـرش مزيـ ـنة

بأحسن الزينة كأنها من قصور الجنان فاندهشا مما عاينا من التحف فبينما هما يتفرجان على هـ ذه الغرائـ ب وإذا بعشر جوار أقبلن وبينهن جارية اسمها شمس النهار كأنها القمر بين النجوم وهـ ي متوشـ حة بفاضـ ل شعرها وعليها لباس أزرق وأزرار من الحرير بطراز من الذهب وفي وسطها حياصـ ة مرصـ عة بـ أنواع الجواهر ولم تزل تتبختر حتى جلست على السرير فلما رآها على بن بكار أنشد هذه الأشعار.

أن هـ . ذي هـ . ـي ابتـ . داء سـ . قامي	وتمـ . ـادى وجـ . ـدي وطـ . ـول غرامـ . ـي
عنـ . ـدها قـ . ـد رأيـ . ـت نفسـ . ـي ذابـ . ـت	مـ . ـن ولـ . ـوعي بهـ . ـا وبـ . ـري عظـ . ـامي

فلما فرغ من شعره قال لأبي الحسن لو عملت معي خيراً كنت أخبرتني بهذه الأمور قبل الدخول هنـ ـا لأجل أن أوطن نفسي وأصبرها على ما أصابها ثم بكى وأن واشتكى فقال له أبو الحسن يا أخي أنا ما أردت لك إلا الخير ولكن خشيت أن أعلمك بذلك فليحقك من الوجد ما يصدك عن لقائها ويحيل بينك وبين وصـ ـالها فطب نفساً وقر عيناً فهي بسعدك مقبلة وللقائك متوصلة فقال علي بن بكار ما اسم هذه الصبية فقال لـ ـه أبـ ـو الحسن تسمى شمس النهار وهي من محاظي أمير المؤمنين هارون الرشيد وهذا المكان قصر الخلافة ثـ ـم أن شمس النهار جلست وتأملت محاسن علي بن بكار وتأمل هو حسنهاواشتغلا بحـ ـب بعضـ ـهما وقـ ـد أمـ ـرت الجواري أن تجلس كل واحدة منهن في مكانها على سرير فجلست كل واحدة قبال طاقة وأمـ ـرتهن بالغنـ ـاء فتسلمت واحدة منهن العود وأنشدت تقول:

أعـ . . . ـد الرسـ . . . ـالة ثانيـ . . . ـة	وخـ . . . ـذ الجـ . . . ـواب علانيـ . . . ـه
وإليـ . . ـك يـ . . ـا ملـ . . ـك المـ . . ـلاح	وقفـ . . . ـت أشـ . . . ـكوا حاليـ . . . ـه
مـ . . ـولاي يـ . . ـا قلبـ . . ـي العزيـ . . ـز	ويـ . . . ـا حيـ . . . ـاتي الغاليـ . . . ـة
أنعـ . . . ـم علـ . . . ـي بقبلـ . . . ـة	هبـ . . . . . . ـة وإلا عاريـ . . . . . . ـه
وأردهـ . . . ـا لـ . . . ـك لاعـ . . . ـدمت	بعينهـ . . . ـا وكمـ . . . ـا هيـ . . . ـه
وإذا أردت بزيـ . . . . ـادة	خـ . . . ـذها ونفسـ . . . ـي راضـ . . . ـيه
يـ . . ـا ملبسـ . . ـي ثـ . . ـوب الضـ . . ـنى	يهنيـ . . . ـك ثـ . . . ـوب العافيـ . . . ـه

فطرب على بن بكار وقال خذ زيديني من مثل هذا الشعر فحركت الأوتار وأنشدت هذه الأشعار:

مـ . ـن كثـ . ـرة البعـ . ـد يـ . ـا حبيبـ . ـي	علمـ . ـت طـ . ـول البكـ . ـا جفـ . ـوني
يـ . . ـا حـ . . ـظ عينـ . . ـي ومناهـ . . ـا	ومنتهـ . . . ـى غـ . . . ـايتي وديـ . . . ـي
أرثـ لمـ . . ـن طرفـ . . ـة غريـ . . ـق	فـ . ـي عبـ . ـرة الوالـ . ـه الحـ . ـزين

فلما فرغت من شعرها قالت شمس النهار لجارية غيرها أنشدي فأطربـ ـت بالنغمـ ـات وأنشـ ـدت هـ ـذه الأبيات:

سـ ـكرت مـ ـن لحظـ ـه لا مـ ـن مدامتـ ـه	ومـ ـال بـ ـالنوم عـ ـن عينـ ـي تمايلـ ـه
فمـ ـا السـ ـلاف سـ ـلتني بـ ـل سـ ـوالفه	ومـ ـا الشـ ـمول شـ ـلتني بـ ـل شـ ـمائله
لـ ـوى بعزمـ ـي أصـ ـداغاً لـ ـوين لـ ـه	وغـ ـالى عقلـ ـي بمـ ـا تهـ ـوي غلائلـ ـه

فلما سمعت شمس النهار أنشاد الجارية تنهدت وأعجبها الشعر ثم أمرت جارية أخرى أن تغني فأنشدت هذه الأبيات:

وجـ ـه لمصـ ـباح السـ ـماء مبـ ـاهي	يبـ ـدو الشـ ـباب عليـ ـه رشـ ـح ميـ ـاه
رقـ ـم العـ ـذار غلائليـ ـه بـ ـأحرف	معنـ ـى الهـ ـوى فـ ـي طيبهـ ـا متنـ ـاهي
نـ ـادى عليـ ـه الحسـ ـن حـ ـين لقيتـ ـه	هـ ـذا المنمـ ـنم فـ ـي طـ ـراز الله

فلما فرغت من شعرها قال علي بن بكار لجارية قريبة منه أنشدي أنت أيها الجاريـ ـة فأخـ ذت العـ ود وأنشدت هذه الأبيات:

زمـ ـن الوصـ ـال يضـ ـيق عـ ـن	هـ ... ـذا التمـ ... ـادي والـ ... ـدلال
كـ ... ـم مـ ... ـن صـ ... ـدود مثلـ ... ـف	مـ ... ـا هكـ ... ـذا أهـ ... ـل الجمـ ... ـال
فاسـ ... ـتغنموا وقـ ... ـت السـ ... ـعود	بطيـ ... ـب سـ ... ـاعات الوصـ ... ـال

فلما فرغت من شعرها تنهد علي بن بكار وأرسل دموعه الغزار فلما رأته شمس النهار قد بكـ ـى وأن وأشتكى أحرقها الوجد والغرام واتلفها الوله والهيام فقامت من فوق السرير وجاءت إلى باب القبة فقام علـ ـي بن بكار وتلقاها وتعانقا وقعا مغشياً عليهما في باب القبة فقام الجواري إليهما وحملنهما وأدخلنهمـ ـا القبـ ـة ورششن عليهما ماء الورد فلما أفاقا لم يجد أبا الحسن وكان قد اختفى في جانب سرير فقالت الصبية أين أبو الحسن فظهر لها من جانب السرير فسلمت عليه وقالت اسأل الله أن يقدرني علـ ـى مكافأتـ ـك يـ ـا صـ ـاحب المعروف ثم أقبلت على علي بن بكار وقالت له يا سيدي ما بلغ بك الهوى إلى غاية إلا وعندي أمثالها وليس لنا إلا الصبر على ما أصابنا فقال علي بن بكار والله يا سيدتي ليس جمع شملي بك يطيب ولا ينطفي إليك ما عندي من اللهيب ولا يذهب ما تمكن من حبك في قلبي إلا بذهاب روحي ثم بكى فنزلت دموعه علـ ـى خـ ـده كأنها المطر فلما رأته شمس النهار يبكي بكت لبكائه فقال أبو الحسن والله أني عجبت من أمركما واحتـ ـرت في شأنكما فإن حالكما عجيب وأمركما غريب في هذا البكاء وأنتما مجتمعـ ـان فكيـ ـف يكـ ـون الحـ ـال بعـ ـد انفصالكما ثم قال هذا ليس وقت حزن وبكاء بل هذا وقت سرور وانشراح فأشارت شمس النهار إلى جاريـ ـة فقامت وعادت ومعها وصائف حاملات مائدة صحافها من الفضة وفيها أنواع الطعام ثم وضعت المائدة قدامها وصارت شمس النهار تأكل وتلقم على ابن بكار حتى اكتفوا ثم رفعت المائدة وغسلوا أيديهم وجاءتهم المباخر بأنواع العود وجاءت القماقم بماء الورد فتبخروا وتطيبوا وقدمت لهم أطباق من الذهب المنقوش فيهـ ـا مـ ـن أنواع الشراب والفواكه والنقل ما تشتهي إلا نفس وتلذ الأعين ثم جاءت لهم بطشت من العقيـ ـق مـ ـلآن مـ ـن المدام فاختارت شمس النهار عشر وصائف أوقفتهن عندها وعشر جوار مـ ـن المغنيـ ـات وصـ ـرفت بـ ـاقي الجواري إلى أماكنهن وأمرت بعض الحاضرين من الجواري أن يضربن بالعود ففعلن ما أمرت به وأنشدت واحدة منهن:

بنفسـ ـي مـ ـن رد التحيـ ـة ضـ ـاحكاً	فجدد بعد اليأس فـ ـي الوصـ ـل مطمعـ ـي
لقـ ـد أبـ ـرزت سـ ـر الغـ ـرام سـ ـرائري	وأظهـ ـرت للعـ ـذال مـ ـا بـ ـين أضـ ـلعي
وحالـ ـت دمـ ـوع العـ ـين بينـ ـي وبينـ ـه	كـ ـأن دمـ ـوع العـ ـين تعشـ ـقه معـ ـي

فلما فرغت من شعرها قامت شمس النهار وملأت الكأس وشربته ثم ملأته وأعطته لعلي بـ ن بكـ ـار. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٨٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن شمس النهار ملأت الكأس وأعطته لعلي بن بكار ثم أمرت جاريـ ـة أن تغني فأنشدت هذين البيتين:

تشـ ـابه دمعـ ـي إذ جـ ـرى ومـ ـدامتي   فمـ ـن مثـ ـل الكـ ـأس عينـ ـي تسـ ـكب
فـ ـو الله لا أدري أبـ ـالخمر أسـ ـبلت   جفـ ـوني أم مـ ـن أدمعـ ـي كنـ ـت أشـ ـرب

فلما فرغت من شعرها شرب علي بن بكار كأسه ورده إلى شمس النهار فملأته وناولته لأبي الحسـ ـن فسر به ثم أخذت العود وقالت لا يغني على قدحي غيري ثم شدت الأوتار وأنشدت هذه الأشعار:

غرائب الـ ـدمع فـ ـي خديـ ـه تضـ ـطرب   وجدا ونـ ـار الهـ ـوى فـ ـي صـ ـدره تتقـ ـد
يبكي من القرب خوفـ ـاً مـ ـن تباعـ ـدهم   فالـ ـدمع أن قربـ ـوا جـ ـار وإن بعـ ـدو

فلما سمع علي بن بكار وأبو الحسن والحاضرون شعر شمس النهار كادوا أن يطيـ ـروا مـ ـن الطـ ـرب ولعبوا وضحكوا فبينما هم على هذا الحال وإذا بجارية أقبلت وهي ترتعد من الخوف وقالت يا سـ ـيدتي قـ ـد وصل أمير المؤمنين وها هو بالباب ومعه عفيف ومسرور غيرهما فلما سمعوا كلام الجارية كادوا أن يهلكوا من الخوف فضحكت شمس النهار وقالت لا تخافوا ثم قالت للجارية ردي عليهم الجواب بقدر ما نتحول مـ ـن هذا المكان ثم أنها أمرت بغلق باب القبة وارخاء الستور على أبوابها وهم فيها وأغلقت باب القاعة ثم خرجت إلى البستان وجلست على سريرها وأمرت جارية أن تكبس رجليها وأمرت بقية الجواري أن يمضـ ـين إلـ ـى أماكنهن وأمرت الجارية أن تدع الباب مفتوحاً ليدخل الخليفة فدخل مسرور ومن معه وكانوا عشرين وبأيديهم السيوف فسلموا على شمس النهار فقالت لهم لأي شيء جئتم فقالوا أن أمير المؤمنين يسلم عليك وقد استوحش لرؤيتك ويخبرك أنه كان عنده اليوم سرور وحظ زائد وأحب أن يكون ختام السرور بوجودك في هذه الساعة فهل تأتين عنده أو يأتين عندك فقامت وقبلت الأرض وقالت سمعاً وطاعة لأمير المؤمنين ثم أمرت بإحضار القهرمانات والجواري فحضرن وأظهرت لهن أنها مقبلة على ما أمر به الخليفة وكان المكان كاملاً في جميع أموره ثم قالت للخدم أمضوا إلى أمير المؤمنين وأخبروه أنني في انتظاره بعد قليل إلى أن أهيىء لـ ـه مكانـ ـاً بالفرش والأمتعة فمضى الخدم مسرعين إلى أمير المؤمنين ثم أن شمس النهار قلعت ودخلت إلى معشـ ـوقها علي بن بكار وضمته إلى صدرها وودعته فبكى بكاء شديداً وقال يا سيدتي هذا الوداع فمتعيني به لعله يكون على تلف نفسي وهلاك روحي في هواك ولكن أسأل الله أن يرزقني الصبر على ما بلاني به مـ ـن محبتـ ـي فقالت له شمس النهار والله ما يصير في التلف إلا أنا فإنك قد تخرج إلى السوق وتجتمع بمن يسليك فتكونـ ـا مصوناً وغرامك مكنوناً وأما أنا فسوف أقع في البلاء خصوصاً وقد وعدت الخليفه بميعاد فربما يلحقني مـ ـن ذلك عظيم الخطر بسبب شوقي إليك وحبي لك وتعشقي فيك وتأسفي على مفارقتك فبأي لسان أغنـ ـى وبـ ـأي قلب أحضر عند الخليفة وبأي كلام أنادم أمير المؤمنين وبأي نظر أنظر إلى مكان ما أنت فيه وكيف أكـ ـون

في حضرة لم تكن بها وبأي ذوق أشرب مداماً ما أنت حاضره فقال لها أبو الحسن لا تتحيري وأصبري ولا تغفلي عن منادمة أمير المؤمنين هذه الليلة ولا تريه تهاوناً فبينما هما في الكلام وإذا بجارية قدمت وقالت يا سيدتي جاء غلمان أمير المؤمنين فنهضت قائمة وقالت للجارية خذي أبا الحسن ورفيقه وأصعدي بهما أعلى الروشن المطل على البستان ودعيهما هناك إلى الظلام ثم تحيلي في خروجهما فأخذتهما الجارية وأطلعتهما في الروشن وأغلقت الباب عليهما وضمت إلى حال سبيلها وصار ينظر أن إلى البستان وإذا بالخليفة قدم وقدامه نحو المائة خادم بأيديهم السيوف وحواليه عشرون جارية كأنهن الأقمار عليهن أفخر ما يكون من الملبوس وعلى رأس كل واحدة تاج مكلل بالجواهر واليواقيت وفي يد كل واحدة شمعة موقودة والخليفة يمشي بينهن وهن محيطات به من كل ناحية ومسرور وعفيف ووصيف قدامه وهو يتمايل بينهم فقامت شمس النهار وجميع من عندها من الجواري ولاقينه من باب البستان وقبلن الأرض بين يديه ولم يزلن سائرات أمامه إلى أن جلس على السرير والذين في البستان من الجواري والخدم وقفوا حوله والشموع موقودة والآلات تضرب إلى أن أمرهم بالأنصراف والجلوس على الأسرة فجلست شمس النهار على سرير بجانب سرير الخليفة وصارت تحدثه كل ذلك وأبو الحسن وعلي بن بكار ينظران ويسمعان والخليفة لم يرهما ثم أن الخليفة صار يلعب مع شمس النهار وأمر بفتح القبة ففتحت وشرعوا طيقانها وأوقدوا الشموع حتى صار المكان وقت الظلام كالنهار ثم أن الخدم صاروا ينقلون آلات المشروب فقال أبو الحسن أن هذه الآلات والمشروب والتحف ما رأيت مثلها وهذا شيء من أصناف الجواهر ما سمعت بمثله وقد خيل لي أنني في المنام وقد اندهش عقلي وخفق قلبي وأما علي بن بكار فإنه لما فارقته شمس النهار لم يزل مطروحاً على الأرض من شدة العشق فلما أفاق صار ينظر إلى هذه الفعال التي لا يوجد مثلها فقال لأبي الحسن يا أخي الخشي أن ينظرناالخليفة أو يعلم حالنا وأكثر خوفي عليك وأما أنا فأني أعلم أن نفسي من الهالكين وما سبب موتي إلا العشق والغرام وفرط الوجد والهيام ونرجوا من الله الخلاص مما به بلينا ولم يزل علي بن بكار وأبو الحسن ينظران من الروشن إلى الخليفة وما هو فيه حتى تكاملت الحضرة بين يدي الخليفة ثم أن الخليفة التفت إلى جارية من الجواري وقال هات ما عندك يا غرام من السماع المطرب فاطربت بالنغمان وأنشدت هذه الأبيات:

ومـ ـا وجـ ـد أعرابيـ ـة بـ ـأن أهلهـ ـا	فحنـ ـت إلـ ـيّ بـ ـأن الحجـ ـاز ورنـ ـده
إذا آنسـ ـت ركبـ ـاً تكفـ ـل شـ ـوقها	بنـ ـار قـ ـراه والـ ـدموع بـ ـورده
بـ ـأعظم مـ ـن وجـ ـدي بحبـ ـي وأنمـ ـا	يـ ـرى أنـ ـي أذنبـ ـت ذنبـ ـاً بـ ـوده

فلما سمعت شمس النهار هذا الشعر وقعت مغشياً عليها من فوق الكرسي الذي كانت عليه وغابت عن الوجود فقام الجواري واحتملنها فلما نظر علي بن بكار من الروشن وقع مغشياً عليه فقال أبو الحسن أن القضاء قسم الغرام بينكما بالسوية فبينما هما يتحدثان وإذا بالجارية التي أطلعتهما الروشن جاءتهما وقالت يا أبا الحسن أنهض أنت ورفيقك وأنزلا فقد ضاقت علينا الدنيا وأنا خائفة أن يظهر أمرنا فقوما في هذه الساعة وإلا متنا فقال أبو الحسن فكيف ينهض معي هذا الغلام ولا قدرة له علي النهوض فسارت الجارية ترش ماء الورد على وجهه حتى أفاق فحمله أبو الحسن هو والجارية ونزلا به من الروشن ومشيا قليلاً ثم فتحت

الجارية باباً صغيراً من حديد وأخرجت بالحسن هو وعلي بن بكار على مصطبة ثم صفقت الجاريـة بيـدها فجاء زورق فيه أنسان يقذف فاطلعتهما الجارية في الزورق وقالت للذي في الزورق أطلعهما في ذلك البـر فلما نزلا في الزورق وفارق البستان نظر علي بن بكار إلى القبة والبستان وودعهما بهذين البيتين:

مـددت إلـى التوديـع كفـاً ضـعيفة وأخرى على الرمضاء تحت فؤادي

فـلا كـان هـذا آخـر العهـد بيننـا ولا كـان هـذا الـزاد آخـر زادي

ثم أن الجارية قالت للملاح أسرع بهما فصار يقذف لأجل السرعة والجارية معهـم وأدرك شـهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٨٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملاح صار يقذف والجارية معهم إلى أن قطعوا ذلك الجانب وعـدوا إلى البر الثاني ثم انصرفت الجارية وودعتهما وطلعا في البر وقالت لهما كان قصدي أن لا أفارقكما لكنني لا أقدر أن أسير إلى مكان غير هذا الموضع ثم أن الجارية عادت وصار علي بن بكار مطروحاً بين يدي أبـي الحسن لا يستطيع النهوض فقال له أبوالحسن إن هذا المكان غير أمين ونخشى على أنفسنا من التلف في هذا المكان بسبب اللصوص وأولاد الحرام فقام علي بن بكار يتمشى قليلاً وهو لا يستطيع المشـي وكـان أبـو الحسن له في ذلك الجانب أصدقاء فقصد من يثق به ويركن إليه منهم فدق بابه فخرج إليه مسرعاً فلما رآهما رحب بهما ودخل بهما إلى منزله وأجلسهما وتحدث معهما وسألهما أين كانا فقال له أبو الحسن قد خرجنا في هذا الوقت وقد أحوجنا إلى هذا الأمر إنسان عاملته في دراهم وبلغني أنه يريد السفر بمالي فخرجت في هـذه الليلة وقصدته واستأنست برفيقي هذا على بن بكار وجئنا لعلنا ننظره فتوارى منا ولم نره وعدنا بـلا شـيء وشق علينا العودة في هذا الليل ولما نزلنا محلاً غير محلك فجئنا إليك على عوائدك الجميلـة فرحـب بهمـا واجتهد في إكرامهما وأقاما عنده بقية ليلتهما فلما أصبح الصباح خرجا من عنده ومازالا يمشيان حتى وصلا إلى المدينة ودخلا وجازا على بيت أبي الحسن فحلف على صاحبه علي بن بكار وأدخله بيته فاضطجعا على الفراش قليلاً ثم أفاقا فأمر أبو الحسن غلمانه أن يفرشوا البيت فرشاً فاخراً ففعلوا ثم أن أبا الحسن قـال فـي نفسه لابد أن أؤانس هذا الغلام وأسليه عما هو فيه فأني أدري بأمره ثم أن علي بن بكار لما أفـاق اسـتدعى بماء فحضروا له الماء فقام وتوضأ وصلى ما فاته من الفروض في يومه وليلته وصار يسلي نفسـه بـالكلام فلما رأى منه ذلك أبو الحسن تقدم إليه وقال يا سيدي على الأليق بما أنت فيه أن تقيم عندي هذه الليلة لينشرح صدرك وينفرج ما بك من كرب الشوق وتتلاهى معنا فقال علي بن بكار أفعل يا أخي ما بدا لك فإني علـى كل حال غير ناج مما أصابني فاصنع ما أنت صانع فقام أبو الحسن واستدعي غلمانـه وأحضـر أصـحابه وأرسل إلى أرباب المغاني والآلات فحضروا واقاموا على أكل وشرب وانشراح باقي اليوم إلى المسـاء ثـم أوقدوا الشموع ودارت بينهم كؤوس المنادمة وطاب لهم الوقت فأخذت المغنية العود وجعلت تقول:

رميـت مـن الزمـان بسـهم لحـظ فأضـنـاني وفارقـت الحبائـب

وعانـدني الزمـان وقـل صـبري وأنـي قبـل هـذا كنـت حاسـب

فلما سمع علي بن بكار كلام المغنية خر مغشياً عليه ولم يزل في غشيته إلى أن طلع الفجر ويئس منه أبو الحسن ولما طلع النهار أفاق وطلب الذهاب إلى بيته فلم يمنعه أبو الحسن خوفاً من عاقه أمره فأتاه غلمانه ببغلة وأركبوه وصار معه أبو الحسن إلى أن أدخله منزله فلما اطمأن في بيته حمد الله أبـ و الحسـ ن علـ ى خلاصه من هذه الورطة وصار يسليه وهو لا يتمالك نفسه من شدة الغرام ثم أن أبا الحسـ ن ودعـ ه. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٨٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أبا الحسن ودعه فقال له علي بن بكار يا أخي لا تقطع عني الأخبـ ار فقال سمعاً وطاعة ثم أن أبا الحسن قام من عنده وأتى إلى دكانه وفتحها فما جلس غير قليل حتى أقبلت إليـ ه الجارية وسلمت فرد عليها السلام ونظر غليها فوجدها خافقة القلب يظهر عليها أثر الكآبة فقـ ال لهـ ا أهـ لاً وسهلاً كيف حال شمس النهار فقالت سوف أخبرك بحالها كيف حال علي بن بكار فأخبرها أبو الحسن بجميع ما كان من أمره فتأسفت وتأوهت وتعجبت من ذلك الأمر ثم قالت أن حال سيدتي أعجب من ذلك فإنكم لمـ ا توجهتم رجعت وقلبي يخفق عليكم وما صدقت بنجاتكم فلما رجعت وجدت سيدتي مطروحة في القبةلا تـ تكلم ولا ترد على أحد وأمير المؤمنين جالس عند رأسها لايجد من يخبره بخبرها ولم يعلم ما بها ولم تـ زل فـ ي غشيتها إلى نصف الليل ثم أفاقت فقال لها أمير المؤمنين ما الذي أصابك يا شمس النهار وما الذي أعتـ راك في هذه الليلة فلما سمعت شمس النهار كلام الخليفة قبلت أقدامه وقالت له يا أمير المؤمنين جعلني الله فـ داءك أنه خامرني خلط فأضرم النار في جسدي فوقعت مغشياً على من شدة ما بي ولا أعلم كيف كان حالي فقـ ال لها الخليفة ما الذي استعملتيه في نهارك قالت أفطرت على شيء لم آكله قط ثم أظهـ رت القـ وة وأسـ تدعت بشيء من الشراب فشربته وسألت أمير المؤمنين أن يعود إلى انشراحه فعاد إلى الجلوس في القبة فلما جئـ ت إليها سألتني عن حالكما فأخبرتها بما فعلت معكما وأخبرتها بما أنشده علي بن بكار فسـ كتت ثـ م أن أميـ ر المؤمنين جلس وأمر الجارية بالغناء فأنشدت هذين البيتين:

ولم يصف لي شيء من العـ يش بعـ دكم	فيا ليـ ت شـ عري كيـ ف حـ الكم بعـ دي
يحـ ق لـ دمعي أن يكـ ون مـ ن الـ دما	إذا كنـ تم تبكـ ون دمعـ اً علـ ى بعـ دي

فلما سمعت هذا الشعر وقعت مغشياً عليها وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٨٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية قالت لأبي الحسن أن سيدتي لما سمعت هذا الشـ عر وقعـ ت مغشياً عليها فأمسكت يدها ورششت ماء الورد على وجهها فأفاقت فقلت لها يا سيدتي لا تهتكي نفسك ومـ ن يحويه قصرك بحياة محبوبك أن تصبري فقالت هل في الأمر أكثر من الموت فأنا أطلبـ ه لأن فيـ ه راحتـ ي فبينما نحن في هذا القول إذ غنت جارية بقول الشاعر:

وقـ ـالوا لعـ ـل الصـ ـبر يعقـ ـب راحـ ـة	فقلـ ـت وأيـ ـن الصـ ـبر بعـ ـد فراقـ ـه
وقـ ـد أكيـ ـد الميثـ ـاق بينـ ـي وبينـ ـه	نقطـ ـع حبـ ـال الصـ ـبر عنـ ـد عناقـ ـه

فلما فرغت من الشعر وقعت مغشياً عليها فنظرها الخليفة فأتى مسرعاً إليها وأمر برفع الشد راب وأن تعود كل جارية إلى مقصورتها وأقام عندها باقي ليلته إلى أن أصبح الصباح فاسد تدعى الأطبد اء وأمد رهم بمعالجتها ولم يعلم بما هي فيه من العشق والغرام وأقمت عندها حتى ظننت أنها قد أنصلح حالها وهذا الد ذي عاقني عن المجيء إليكما وقد خلفت عندها جماعة من خواصها لما أمرتني بالمسير أليكما لآخذ خبر علي بن بكار وأعود إليها فلما سمع أبو الحسن كلامها تعجب وقال لها والله أخبرتك بجميع ما كان من أمره فعد ودي إلى سيدتك وسلمي عليها وحثيها على الصبر وقولي لها أكتمي السر وأخبريها أني عرفت أمرها وهد و أمد ر صعب يحتاج إلى التدبير فشكرته الجارية ثم ودعته وأنصرفت إلى سيدتها هذا ما كان من أمرها (وأما) مد ا كان من أمر أبي الحسن فإنه لم يزل في دكانه إلى آخر النهار فلما مضى النهار قام وقفل دكانه وأتى إلى دار علي بن بكار فدق الباب فخرج له بعض غلمانه وأدخله فلما دخل عليه تبسم واستبشر بقدومه وقال له يا أبد ا الحسن أوحشتني لتخلفك عني في هذا اليوم وروحي متعلقة بك باقي عمري فقال له أبو الحسن دع هذا الكلام فلو أمكن فداءك كنت أفديك بروحي وفي هذا اليوم جاءت جارية شمس النهار وأخبرتني أنه ما عاقها ا عد ن المجيء إلا جلوس الخليفة عند سيدتها وأخبرتني بما كان من أمر سيدتها وحكى له جميع مد ا سد معه مد ن الجارية فتأسف على بن بكار غاية الأسف وبكى ثم التفت إلى أبي الحسن وقال له بالله أن تساعدني علي مد ا بليت به وأخبرني ماذا تكون الحيلة وأني أسألك من فضلك المبيت عندي في هذه الليلة لاستأنس بك فامتثد ل أبو الحسن أمره وأجابه إلى المبيت عنده وباتا يتحدثان في تلك الليلة ثم أن علي بن بكار بكى وأرسل العبرات وأنشد هذه الأبيات:

حفرت بسد يف اللحد ظ ذمد ـة مغفد ري — وفـ ـرت بـ ـرمح القـ ـد درع تصـ ـبري
فزعت فضرسد ـت العقيد ق بلؤلـ ؤ — كـ ـافور فجـ ـر شـ ـق ليـ ـل العنبـ ـري
وتنهد ـدت جزعـ ـاً فـ ـأثر كفهد ـا — سد ـكنت فرائـ ـده غـ ـدير السـ ـكر
أقـ ـلام مرجـ ـان كتبـ ـين بعنبـ ـر — فد ي صد درها فنظد رت مد ا لد م أنظد ر
يا حامل السيف الصقيل إذا رنـ ـت — بصد ـحيفة البلـ ـور خمسد ـة أسـ ـطر
وتوق يد ارب القنـ ـاة الطعد ن أن — أيـ ـاك ضـ ـربه جفنهـ ـا المتكسـ ـر
حملـ ـت عليـ ـك مـ ـن القـ ـوام باسـ ـمر

فلما فرغ علي بن بكار من شعره صرخ صرخة عظيمة ووقع مغشياً عليه فظن أبو الحسن أن روحد ـه خرجت من جسده ولم يزل في غشيته حتى طلع النهار فأفاق وتحدث مع أبي الحسن ولم يزل أبد و الحسد ن جالساً عند علي بن بكار إلى ضحوة النهار ثم أنصرف من عنده وجاء إلى دكانه وفتحها وإذا بالجارية جاءته ووقفت عنده فلما نظر إليها أومأت إليه بالسلام فرد عليها السلام وبلغته سلام سيدتها وقالت له كيد ف حد ال علي بن بكار فقال لها يا جارية لا تسألي عن حاله وما هو فيه من شدة الغرام فإنه لا ينام الليل ولا يسد تريح بالنهار وقد انجله السهر وغلب عليه الضجر وصار في حال لا يسر حبيباً فقالت له أن سيدتي تسد لم عليد ك وعليه وقد كتبت له ورقة وهي في حال أعظم من حاله وقد سلمتني الورقة وقالد ت لا تد أتيني إلا بجوابهد ا وافعلي ما أمرتك به وها هي الورقة معي فهل لك أن تسير معي إلى علي بن بكار وتأخذ منه الجواب فقد ال

لها أبو الحسن سمعاً وطاعة ثم قفل الدكان وأخذ معه الجارية وذهب بها إلى مكان غير الذي جاء منه ولم يزالا سائرين حتى وصلا إلى دار علي بن بكار ثم أوقف الجارية على الباب ودخل وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٨٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أبا الحسن ذهب بالجارية ودخل البيت فلما رآه علي بن بكار فرح به فقال له أبو الحسن سبب مجيء أن فلاناً أرسل غليك جاريته برقعة تتضمن سلامة عليك وذكر فيها أن سبب تأخره عنك عذر حصل له والجارية واقفة بالباب فهل تأذن لها بالدخول فقال على أدخلوها وأشار له أبو الحسن أنها جارية شمس النهار ففهم الإشارة فلما رآها تحرك وفرح وقال لها بالإشارة كيف حال السيدة شفاها الله وعفاها فقالت بخير ثم أخرجت الورقة ودفعتها له فأخذها وقبلها وقرأها وناولها لأبي الحسن فوجد مكتوباً فيها هذه الأبيات:

ينبيك هـ ـذا الرسـ ـول عـ ـن خبـ ـري — فاسـ ـتعن فـ ـي ذكـ ـره عـ ـن النظـ ـر
خلف . .ت صـ . .با بحـ . .بكم دنف . .ا — وطرف . . .ه لا يـ . . .زال بالسـ . . .هر
أكابـ ـد الصـ ـبر فـ ـي الـ ـبلاء فمـ ـا — ينـ . .دفع خلـ . .ق مواق . .ع القـ . .در
فقـ ـر عينـ ـا فلسـ ـت تبعـ ـدي عـ ـن — قلبـ ـي ولا يـ ـوم غبـ ـت عـ ـن بصـ ـري
وانظـ ـر إلـ ـى جسـ ـمك النحيـ ـل ومـ ـا — ق . . .د حلـ . . .ه واسـ . . .تدل بـ . . .الأثر

وبعد فقد كتبت لك كتاباً بغير بنان وأطلقت لك بغير لسان وجملت شرح حالي أن لي يميناً لا يفارقها السهر وقلباً لا تبرح عنه الفكر فكأنني قط ما عرفت صحة ولا فرحة ولا رأيت منظراً باهياً ولا قطعت عيشاً هنياً وكأنني خلقت من الصبابة ومن ألم الوجد والكآبة فعلى السقام مترادف والغـ ـرام متضـ ـاعف والشـ ـوق متكاسر وسرت كم قال الشاعر:

القلـ ـب منقـ ـبض والفكـ ـر منبسـ ـط — والعـ ـين سـ ـاهرة والجسـ ـم متعـ ـوب
والصـ ـبر منفصـ ـل والهجـ ـر متصـ ـل — والعقـ ـل مختبـ ـل والقلـ ـب مسـ ـلوب

واعلم أن الشكوى لا تطفيء نار البلوي لكنها تتعلل من أعله الاشتياق واتلفه الفراق وأني أتسلى بذكر لفظ الوصال وما أحسن قول من قال:

إذا لم يكن في الحـ ـب سـ ـخط ولا رضـ ـا — فـ ـأين حـ ـلاوت الرسـ ـائل والكتـ ـب

قال أبو الحسن فلما قرأناها هيجت ألفاظها بلا بلى وأصابت معانيها مقاتلي ثم دفعتها إلى الجارية فلما أخذتها قال لها علي بن بكار أبلغي سيدتك سلامي وعرفيها بوجدي وغرامي وامتزاج المحبة بلحمي وعظامي وأخبريها أنني محتاج إلى من ينقذني من بحر الهلاك وينجيني من هذا الارتباك ثم بكى فبكت الجارية لبكائه وودعته وخرجت من عنده وخرج أبو الحسن معها ثم ودعها ومضى إلى دكانه وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٨٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أبا الحسن ودع الجارية ورجع إلى دكانه فلما جلس فيه وجد قلبه انقبض وضاق صدره وتحير في أمره ولم يزل في فكر بقية يومه وليلته وفي اليوم الثاني ذهب إلى علي بن بكار وجلس عنده حتى ذهبت الناس وسأله عن حاله فأخذ في شكوى الكرام وما به من الوجد والهيام وأنشد قول الشاعر:

شـ ـكا ألـ ـم الغـ ـرام النـ ـاس قبلـ ـي	وروع بـ . . ـالنوى حـ . . . ـي وميـ . . ـت
وأمـ ـا مثـ ـل مـ ـا ضـ ـمت ضـ ـلوعي	فـ . . ـإني لا سـ . . ـمعت ولا رأيـ . . ـت

فقال أبو الحسن أنا ما رأيت ولا سمعت بمثلك في محبتك كيف يكون هذا الوجد وضعف الحركة وقد تعلقت بحبيب موافق فكيف إذا تعلقت بحبيب مخالف مخادع فكان أمرك ينكشف قال أبو الحسن فركن علي بن بكار إلى كلامي وشكرني على ذلك وكان لي صاحب يطلع على أمري وأمر علي بن بكار ويعلم أننا متوافقان ولم يعلم أحد ما بيننا غيره وكان يأتيني فيسألني عن حال علي بن بكار وبعد قليل يسألني عن الجارية فقلت له قد دعته إليها وكان بينه وبينها مالا مزيد عليه وهذا آخر ما انتهى من أمرهما ولكن دبرت لنفسي أمر أريد عرضه عليك فقال له صاحبه ما هو قال أبو الحسن اعلم أن رجل معروف بكثرة المعاملات بين الرجال والنساء وأخشى أن ينكشف أمرهما فيكون سبباً لهلاكي وأخذ مالي وهتك عيالي وقد اقتضى رأي أن أجمع مالي وأجهز حالي وأتوجه إلى مدينة البصرة وأقيم بها حتى أنظر ما يكون من أحوالهما بحيث لا يشعر بي أحد فإن المحبة قد تمكنت منهما ودارت المراسلة بينهما والحال أن الرسول بينهما جارية وهي كاتمة لأسرارهما وأخشى أن يغلب عليها الضجر فتبوح بسرهما لأحد فيشيع خبرهما ويؤدي ذلك إلى هلاكي ويكون سبباً لتلفي وليس لي عذر عند الناس فقال له صاحبه قد أخبرتني بخبر خطير يخاف من مثله العاقل الخبير كفاك الله شر ما تخافه وتخشاه ونجاك مما تخاف عقباه وهذا الرأي هو الصواب فانصرف أبو الحسن إلى منزله وصار يقضي مصالحه ويتجهز للسفر إلى مدينة البصرة فما مضى ثلاثة أيام حتى قضي مصالحه وسافر إلى البصرة فجاء صاحبه بعد ثلاثة أيام ليزوره فلم يجده فسأل عنه جيرانه فقالوا له أنه توجه من مدة ثلاثة أيام إلى البصرة لأن له معاملة عند تجارها فذهب ليطالب أرباب الديون وعن قريب يأتي فاحتار الرجل في أمره وصار لا يدري أين يذهب وقال يا ليتي لم أفارق أبا الحسن ثم دبر حيلة يتوصل بها إلى علي بن بكار فقصد داره وقال لبعض غلمانه استأذن لي سيدك لأدخل اسلم عليه فدخل الغلام وأخبر سيده به ثم عاد إليه واذن له الدخول فدخل عليه فوجده ملقى على الوسادة فسلم عليه فرد عليه السلام ورحب به ثم أن الرجل اعتذر إليه في تخلفه عنه تلك المدة ثم قال له يا سيدي أن بيني وبين أبي الحسن صداقه وأني كنت أودعه أسراري ولا انقطع عنه ساعة فغبت في بعض المصالح مع جماعة من أصحابي مدة ثلاثة أيام ثم جئت إليه فوجدت دكانه مقفلة فسألت عنه الجيران فقالوا أنه توجه إلى البصرة ولم أعلم له صديقاً أوفى منك فبالله أن تخبرني بخبره فلما سمع علي بن بكار كلامه تغير لونه واضطرب وقال لم أسمع قبل هذا اليوم خبر سفره وأن كان الأمر كما ذكرت فقد حصل لي التعب ثم أفاض دمع العين وأنشد هذين البيتين:

قـ ـد كنـ ـت مـ ـا فـ ـات مـ ـن فـ ـرح	وأهـ ـل ودي جميعـ ـاً غيـ ـر أشـ ـتات

واليـ ـوم فـ ـرق مـ ـا بيـ ـي وبيـ ـنهم   دهـ ـري فـ ـأبكى علـ ـى أهـ ـل المـ ـودات

ثم أن علي بن بكار أطرق رأسه إلى الأرض يتفكر وبعد ساعة رفع رأسه إلى خادم له وقال له امض إلى دار أبي الحسن واسأل عنه هل هو مقيم أو مسافر فإن قالوا سافر فاسأل إلى أي ناحية توجـ ـه فمضـ ـي الغلام وغاب ساعة ثم أقبل إلى سيده وقال إني لما سألت عن أبي الحسن أخبرني أتباعه أنه سافر إلى البصرة ولكن وجدت جارية واقفة على الباب فلما رأتني عرفتني ولم أعرفها وقالت لي هل أنت غلام علي بن بكـ ـار فقلت لها نعم فقالت أني معي رسالة إليه من عند أعز الناس عليه فجاءت معي وهي واقفة على الباب فقـ ـال علي بن بكار أدخلها فطلع الغلام إليها وأدخلها فنظر الرجل الذي عند علي بن بكار إلى الجاريـ ـة فوجـ ـدها ظريفة ثم أن الجارية تقدمت إلى علي بن بكار وسلمت عليه. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٨٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية لما دخلت على علي بن بكار تقـ ـدمت إليـ ـه وسـ ـلمت عليـ ـه وتحدثت معه سراً وصار يقسم في أثناء الكلام ويحلف أنه لم يتكلم بذلك ثم ودعته وانصرفت وكان الرجـ ـل صاحب أبي الحسن جواهرجياً فلما انصرفت الجارية وجد للكلام محلاً فقال لعلي بن بكار لاشك ولا ريب أن لدار الخلافة عليك مطابة أو بينك وبينها معاملة فقال ومن أعلمك بذلك فقال معرفتي بهذه الجارية لأنها جارية شمس النهار وكانت جاءتني من مدة برقعة مكتوب فيها أنها تشتهي عقد جوهر فأرسلت إليها عقداً ثميناً فلمـ ـا سمع علي بن بكار كلامه اضطرب حتى غشي عليه ثم التف راجع نفسه وقال يا أخي سألتك بالله مـ ـن أيـ ـن تعرفها فقال له الجواهرجي دع الألحاح في السؤال فقال له علي بن بكار لا أرجـ ـع عنـ ـك إلا إذا أخبرتنـ ـي بالصحيح فقال له الجواهرجي أنا اخبرك بحيث لا يدخلك مني وهم ولا يعتريك من كلامي انقباض ولا أخفى عنك سراً وأبين لك حقيقة الأمر ولكن بشرط أن تخبرني بحقيقة حالك وسبب مرضك فأخبره بخبره ثم قـ ـال والله يا أخي ما حملني على كتمان أمري من غيرك إلا مخافة إن النـ ـاس تكشـ ـف أسـ ـتار بعضـ ـها فقـ ـال الجواهرجي لعلي بن بكار وأنا ما أردت اجتماعي بك إلا لشدة محبتي لك وغيرتي عليك وشفقتي على قلبـ ـك من ألم الفراق عسى أن أكون لك مؤنساً نيابة عن صديقي أبو الحسن مدة غيبته فطب نفساً وقر عيناً فشـ ـكره علي بن بكار على ذلك وأنشد هذين البيتين:

ولـ ـو قلـ ـت أنـ ـي صـ ـابر بعـ ـد بعـ ـده   لكـ . ـذبني دمـ . ـوع وفـ . ـرط تحيـ . ـي
وكيـ . ـف أداري مـ . ـدمعاً جرياـ . ـه   على صحن خـ ـدي مـ ـن فـ ـراق حبيبـ ـي

ثم أن علي بن بكار سكت ساعة من الزمان وبعد ذلك قال للجواهرجي أتدري ما أمرتني به الجاريـ ـة فقال لا والله يا سيدي فقال أنها زعمت أني أشرت علي أبي الحسن بالمسير إلى مدينة البصرة وأنني دبـ ـرت بذلك حيلة لأجل عدم المراسلة والمواصلة فحلفت لها أن ذلك لم يكن فلم تصدقني ومضت إلى سيدتها وهـ ـي على ما هي عليه من سوء الظن لأنها كانت تصغي إلى أبي الحسن فقال الجواهرجي يا أخي إني فهمت مـ ـن حال هذه الجارية هذا الأمر ولكن إن شاء الله تعالى أكون عوناً لك على مرادك فقال له علي بن بكار وكيف تعمل معها وهي تنفر كوحش الفلاة فقال له لابد أن أبذل جهدي في مساعدتك واحتيالي في التوصل إليها من

غير كشف ستر ولا مضرة ثم استأذن في الانصراف فقال له علي بن بكار يا أخي عليك بكتمان السر ثم نظر إليه وبكى فودعه وانصرف. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٩٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجواهرجي ودعه وانصرف وهو لا يدري كيف يعمل في إسعاف علي بن بكار ومازال ماشياً وهو متفكر في أمره إذ رأى ورقة مطروحة في الطريق فأخذها ونظر عنوانها وقرأها فإذا هي من المحب الأصغر إلى الحبيب الأكبر ففتح الورقة فرأى مكتوباً فيها هذان البيتان.

جاء الرسول بوصل منك يطمعني	**وكان أكثر ظني أنه وهما**
فما فرحت ولكن زادني حزناً	**علمي بأن رسولي لم يكن فهما**

وبعد فاعلم يا سيدي أنني لم أدر ما سبب قطع المراسلة بيني وبينك فإن يكن صدر منك الجفاء فأنا أقابله بالوفاء وأن يكن ذهب منك الوداد فأنا أحفظ الود على البعاد فأنا معك كما قال الشاعر:

به احتمل وأستطل أصبر وعز أهن	**وول اقبل وقل اسمع ومر أطع**

فلما قرأها إذا بالجارية أقبلت تتلفت يميناً وشمالاً فرأت الورقة في يده فقالت يا سيدي أن هذه الورقة وقعت مني فلم يرد عليها جواباً ومشى ومشت الجارية خلفه إلى أن أقبل على داود ودخل والجارية خلفه فقالت له يا سيدي رد لي هذه الورقة فإنها سقطت مني فالتفت إليها وقال يا جارية لا تخافي ولا تحزني ولكن أخبريني بالخبر على وجه الصدق فإني كتوم للإسرار وأحلفك يميناً أنك لا تخفي عني شيئاً من أمر سيدتك فعسى الله أن يعينني على قضاء أعراضك ويسهل الأمور والصعاب على يدي فلما سمعت الجارية كلامه قالت يا سيدي ما ضاع سر أنت حافظه ولا خاب أمر أنت تسعى في قضائه اعلم أن قلبي مال إليك فأنا أخبرك بحقيقة الأمر لتعطيني الورقة ثم أخبرته بالخبر كله وقالت والله لعلى ما أقول شهيد فقال لها صدقت فإن عندي علم بأصل الخبر ثم حدثها بحديث علي بن بكار وكيف أخذ ضميره وأخبرها بالخبر من أوله إلى آخره فلما سمعت ذلك فرحت واتفقا على أنها تأخذ الورقة وتعطيها لعلي بن بكار وجميع ما يحصل ترجع إليه وتخبره به فأعطاها الورقة فأخذتها وختمتها كما كانت وقالت أن سيدتي شمس النهار أعطتها إلى مختومة فإذا قرأها ورد لي جوابها أتيتك به ثم أن الجارية ودعته وتوجهت إلى علي بن بكار فوجدته في الانتظار فأعطته الورقة وقرأها ثم كتب لها ورقة رد الجواب وأعطاها لها فأخذتها ورجعت بها إلى الجواهرجي حسب الاتفاق ففض ختمها وقرأها فرأى مكتوباً فيها:

أن الرسول الذي كانت رسائلنا	**مكتومة عنده ضاقت وقد غضبا**
فاستخلصوا لي رسولاً منكم ثقة	**يستحسن الصدق لا يستحسن الكذبا**

وبعد فإني لم يصدر مني جفاء ولا تركت وفاء ولا نقضت عهداً ولا قطعت ودا ولا فارقت أسفاً ولا لقيت بعد الفراق إلا تلفاً ولا علمت أصلاً بما ذكرتم ولا أحب غير ما أحببتم وحق عالم السر والنجوى ما قصدي غير الاجتماع بمن أهوى وشأني كتمان الغرام وأن أمرضني السقام وهذا شرح حالي والسلام فلما قرأ الجواهرجي هذه الورقة وعرف ما فيها بكى بكاء شديدا ثم أن الجارية قالت له لا تخرج من هذا المكان حتى

أعود إليك لأنه قد أتهمني بأمر من الأمور وهو معذور وأنا أريد أن أجمع بينك وبين سيدتي شمس النهار بأي حيلة فإني تركتها مطروحة وهي تنتظر مني رد الجواب ثم أن الجارية مضت إلى سيدتها ولم تغ ب قل يلاً وعادت إلى الجواهرجي وقالت له أحذر أن يكون عندك جارية أو غلام فقال ما عندي غير جاري ة س وداء كبيرة السن تخدمني فقامت الجارية وأغلقت الأبواب بين جارية الجواهرجي وبينه وصرفت غلمانه إلى خارج الدار ثم خرجت الجارية وعادت ومعها جارية خلفها ودخلت دار الجواهرجي فعبقت الدار من الطي ب فلم ا رآها الجواهرجي نهض قائماً ووضع لها مخدة وجلس بين يديها فمكثت ساعة لا تتكلم حت ى اس تراحت ث م كشفت وجهها فخيل للجواهرجي أن الشمس أشرقت في منزله ثم قالت لجاريتها أهذا الرجل الذي قل ت لـ ي عليه فقالت الجارية نعم فالتفتت إلى الجواهرجي وقالت له كيف حالك قال بخير ودعا لها فقالت أنك حملتن ا المسير إليك وأن نطلعك على ما يكون من سرنا ثم سألته عن أهله وعياله فأخبرها بجميع أحواله وقال لها أن لي داراً غير هذه الدار جعلتها للاجتماع بالأصحاب والأخوان ليس لي فيها إلا ما ذكرته لجاريتك ثم س ألته عن كيفية اطلاعه على أصل القصة فأخبرها بما سألته عنه من أول الأمر إلى آخره فتأوهت على فراق أبي الحسن وقالت يا فلان اعلم أن أرواح الناس متلائمة في الشهوات والناس بالناس ولا يتم عمل إلا بق ول ولا يتم غرض إلا بمعين ولا تحصل راحة إلا بعد تعب. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٩١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن شمس النهار قالت للجواهرجي لا تحصل راح ة إلا بع د تع ب ولا يظهر نجاح إلا من ذوي مروءة وقد أطلعتك الآن على أمرنا وصار بيدك هتكنا ولا زيادة لما أنت عليه م ن المروءة فأنت قد علمت أن جاريتي هذه كاتمة لسري وبسبب ذلك لها رتبة عظيمة عندي وق د اختصص تها بمهمات أموري فلا يكن عندك أعز منها وأطلعها على أمرك وطب نفساً فأنت آمن مما تخافه من جهتنا ومما يسد عليك موضع إلا وتفتحه لك وهي تأتيك من عندي بأخبار علي بن بكار وتكون أنت الواسطة في التبلي غ بيني وبينه ثم أن شمس النهار قامت وهي لا تستطيع القيام ومشت فتمشي بين يديها الجواهرجي حتى وصلت إلى باب الدار ثم رجع وقعد في موضعه بعد أن نظر من حسنها ما بهره وسمع من كلامها ما حي ر عقل ه وشاهد من ظرفها وأدبها ما أدهشه ثم استمر يتفكر في شمائلها حتى سكنت نفسه وطلب الطع ام فأك ل م ا يمسك رمقه ثم غير ثيابه وخرج من دياره وتوجه إلى علي بن بكار فلاقاه غلمانه ومشوا بين يدي ه إل ى أن وصلوا إلى سيدهم فوجدوه ملقى على فراشه فلما رأى الجواهرجي قال له ابطأت على فزدتني هما على همي ثم صرف غلمانه وأمر بغلق أبوابه وقال له والله ما غمضت عيني من يوم ما فارقتني فإن الجارية ج اءتني بالأمس ومعها رقعة مختومة من عند سيدتها شمس النهار وحكى له ابن بكار على جميع ما وقع له معها ث م قال لقد تحيرت في أمري وقل صبري وكان لي أبو الحسن أنيساً لأنه يعرف الجارية فلما سمع الج واهرجي كلام ابن بكار ضحك فقال له كيف تضحك من كلامي وقد استبشرت بك وأخذتك عدة للنائبات ثم بكى وأنشد هذه الأبيات:

رضاحك م ن بك ائي ح ين أبص رني	لو ك ان قاس ى ال ذي قاس يت أبك اه
لـ ـم ي ـرث للمبتلـ ـى مم ـا يكابـ ـده	الأش ـ ج منل ـ ـه ق ـ ـد ط ـ ـال بل ـ ـواه

وجدي حنيذ ي أنيذ ي فكرت ي ولهـ ي   إلى حبيب زوايا القلب مأواه وقتاً ولكنه قد
حـ . ل الف . ؤاد مقيم . اً لا يفارقـ . ـه   ع . . . . ز لقيـ . . . . اه
مـ .الي سـ ـواه خليـ ـل ارتضـ ـى بـ .دلاً   ومـ .ا اصـ .طفيت حبيبـ .اً قـ .ط إلا هـ .ـو

فلما سمع الجواهرجي منه هذا الكلام وفهم الشعر والنظام بكى لبكائه وأخبره بما جرى مع الجارية من حين فارقه فصار ابن بكار يصغى إلى كلامه وكلما سمع منه كلمة يتغير لون وجهه من صفرة إلى احمـ رار ويقوي جسمه مرة ويضعف أخرى فلما انتهى إلى آخر الكلام بكى ابن بكار وقال له يا أخي أنا على كل حال هالك فليت أجلي قريب واسألك من فضلك أن تكون ملاطفي في جميع أموري إلى أن يقضي الله ما يريـ د و أنا لا أخالف لك قولاً فقال الجواهرجي لا يطفيء عنك هذه النار إلا الاجتماع بمن شغفت بها ولكن في غيـ ر هذا المكان الخطير وأنما يكون ذلك عندي في بيت جنب بيتي الذي جاءتني فيه الجارية هي وسـ يدتها وهـ و الموضع الذي اختارته لنفسها والمقصود اجتماعكما ببعضكما وفيه نشكو أن لبعضكما ما قاسيتما فقال علي بن بكار أفعل ما تريد والذي تراه هو الصواب قال الجواهرجي فأقمت عنده تلك الليلة أسامره إلـ ى أن أصـ بح الصباح ثم صليت الصبح وخرجت من عنده وذهبت إلى منزله فما أستقريت إلا قليلاً حتى جـ اءت الجاريـ ـة وسلمت علي فرددت عليها السلام وحدثتها بما كان بيني وبين علي بن بكار فقالت الجارية علـ م أن الخليفـ ـة توجه من عندنا وأن مجلسنا لا أحد فيه وهوأستر لنا وأحسن فقلت لها كلامك صحيح ولكنه ليس كمنزلي هذا فإنه استرلنا وأليق بنا فقالت الجارية أن الرأي ما تراه أنت وأنا ذاهبة إلى سـ يدتي لأخبرهـ ا بمـ ا ذكـ رت وأعرض عليها ما قلت ثم أن الجارية توجهت إلى سيدتها وعرضت عليها الكلام وعادت إلى منزلي وقالـ ت لي أن سيدتي رضيت بما قلته أن الجارية أخرجت من جيبها كيساً فيه دنانير وقالت أن سيدتي تسـ لم عليـ ك وتقول لك خذ هذا واقض لنا به ما تحتاج إليه فأقسمت أني لا أصرف شيئاً منه فأخذته الجارية وعادت إلـ ى سيدتها وقالت لها أنه ما قبل الدراهم بل دفعها إلى وبعد رواح الجارية ذهبت إلى داري الثانية وحولت إليهـ ا من الآلات والفرش ما يحتاج إليه الحال ونقلت إليها أواني الفضة والصيني وهيأت جميع ما نحتاج إليه مـ ن المأكل والمشرب فلما حضرت الجارية ونظرت مافعلته أعجبها وأمرتني بإحضار علي بن بكار فقلـ ت مـ ا يحضر به إلا أنت فذهبت إليه وأحضرته على أتم حال وقد راقت محاسنه فلما جاء قابلته ورحبت به وأجلسته على مرتبة تصلح له ووضعت بين يديه شيئاً من المشموم في بعض الأواني الصيني والبللور وصرت أتحدث معه نحو ساعة من الزمان ثم أن الجارية مضت وغابت إلى بعد صلاة المغرب ثم عادت ومعها شمس النهار ووصيفتان لا غير فلما رأت علي بن بكار ورآها سقطا على الأرض مغشياً عليهما واستمرا سـ اعة زمانيـ ـة فلما أفاقا أقبلا على بعضهما ثم جلسا يتحدثان بكلام رقيق وبعد ذلك استعملا شيئاً من الطيب ثم أنهما صـ ـارا يشكران صنعي معهما فقلت لهما هل لكما في شيء من الطعام فقالا نعم فأحضرت شيئاً من الطعـ ـام فـ أكلا حتى اكتفيا ثم غسلا أيديهما ثم نقلتهما إلى مجلس آخر وأحضرت لهما الشراب فشربا وسكرا ومـ ـالا علـ ى بعضهما ثم أن شمس النهار قالت لي يا سيدي كمل جميلك وأحضر لنا عوداً أو شيئاً من آلات الملاهي حتى أننا نكمل حظنا في هذه الساعة فقلت على رأسي وعيني ثم أني قمت وأحضرت عوداً فأخذته وأصـ لحته ثـ م أنها وضعته في حجرها وضربت عليه ضرباً جميلاً ثم أنشدت هذين البيتين:

أرق ـت حت ـى ك ـأنني أعش ـق الارق ـا	وذبت حت ـى ت ـراءى الس ـقم ل ـي خلق ـا
وف ـاض دمع ـي عل ـى خ ـدي فأحرق ـه	يا ليت ش ـعري ه ـل بع ـد الف ـراق لق ـا

ثم أنها أخذت في غناء الأشعار حتى حيرت الأفكار بأصوات مختلفات وإشارات رائقات وكاد المجلس أن يطيره من شدة الطرب لما أتت فيه من مغانيها بالعجب ثم قال الجواهرجي ولما استقر بنا الجلوس ودارت بيننا الكؤوس أطربت الجارية بالنغمات وأنشدت هذه الأبيات:

وع ـد الحبيب ـب بوص ـله ووف ـى ل ـي	ف . . ـي ليل . . ـة س ـ . . ـاعدها بلي . . ـالي
ي ـا ليل ـة س ـمح الزم ـان لن ـا به ـا	ف . ـي غفل . ـة الواش . ـين والع . ـذال
ب . ـات الحبي . ـب يض . ـمني بيمين . ـه	فض . ـممته م . ـن فرح . ـي بش . ـمالي
عانقت . ـه ورش . ـفت خم . ـرة ريق . ـه	وحظي . . ـت بالمعس . . ـول والعس . . ـال

ثم أن الجواهرجي تركهما في تلك الدار وانصرف إلى دار سكناه وبات فيها إلى الصباح ولما أصـ ـبح الصبح صل فرضه وشرب القهوة وجلس يفكر في المسير إليهما في داره الثانية فبينما هو جـ ـالس أذ دخـ ـل عليه جاره وهو مرعوب وقال يا أخي ما هان على الذي جرى لك الليلة في دارك الثانية فقلت له يـ ـا أخـ ـي وأي شيء جرى فأخبرني بما حصل في داري فقال له أن اللصوص الذين جاءوا جيراننا بالأمس وقتلوا فلاناً وأخذوا ماله قد رأوك بالأمس وأنت تنقل حوائجك إلى دارك الثانية فجاءوا إليها ليلاً وأخذوا ما عندك وقتلـ ـوا ضيوفك قال الجواهرجي فقمت أنا وجاري وتوجهنا إلى تلك الدار فوجدناها خالية ولم يبق فيها شيء فتحيرت في أمري وقلت أما الأمتعة فلا أبالي بضياعها وأن كنت استعرت بعض أمتعة من أصحابي وضـ ـاعت فـ ـلا بأس بذلك لأنهم عرفوا عذري بذهاب مالي ونهب داري وأما علي بن بكار ومحظية أمير المؤمنين فأخشـ ـى أن يشتهر الأمر بينهما فيكون ذلك سبب رواح روحي ثم أن الجواهرجي التفت إلى جاره وقال له أنت أخـ ـي وجاري وتستر عورتي فما الذي تشير به على من الأمور فقال الرجل للجواهرجي الذي أشير به عليـ ـك أن تتربص فإن الذين دخلوا دارك وأخذوا متاعك قد قتلوا أحسن جماعة من دار الخليفة وقتلوا جماعة مـ ـن دار صاحب الشرطة وأعوان الدولة يدورون عليهم في جميع الطرق فلعلهم يجدونهم فيحصل مرادك بغير سـ ـعي منك فلما سمع الجواهرجي هذا الكلام رجع إلى داره التي هو ساكن بها. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكـ ـلام المباح.

(وفي ليلة ١٩٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجواهرجي لما سمع هذا الكلام رجع إلى داره التي هو سـ ـاكن بهـ ـا وقال في نفسه أن الذي حصل لي هو الذي خاف منه أبو الحسن وذهب إلى البصرة وقد وقعت فيـ ـه ثـ ـم أن نهب داره اشتهر عند الناس فأقبلوا إليه من كل جانب ومكان فمنهم من هو شامت ومنهم من هو حامل همـ ـه فصار يشكو لهم ولم يأكل طعاماً ولم يشرب شراباً فبينما هو جالس متندم وإذا بغلام من غلمانه دخـ ـل عليـ ـه وقال له أن شخصاً بالباب يدعوك لم أعرفه فخرج إليه الجواهرجي وسلم عليه فوجده إنساناً لم يعرفه فقال له الرجل أن لي حديثاً بيني وبينك فأدخله الدار وقال له ما عندك من الحديث فقال الرجل أمض معي إلى دارك الثانية فقال الجواهرجي وهل تعرف داري الثانية فقال أن جميع خبرك عندي وعندي أيضاً يفرج الله به همك

فقلت في نفسي أنا أمضي معه حيث أراد ثم توجهت إلى أن أتينا الدار فلما رآها الرجل قال أنها بغير بـ وب ولا يمكن القعود فيها فامض معي إلى غيرها فلم يزل الرجل يدور بي من مكان إلى مكان وأنا معـ ـه حتـ ى دخل علينا الليل ولم اسأله عن أمر من الأمور ثم أنه لم يزل يمشي وأنا أمشي معه حتى خرجنا إلى الفضـ ـاء وهو يقول اتبعني وصار يهرول في مشيه وأنا أهرول وراءه حتى وصلنا إلى البحر فطلع بنـ ـا فـ ـي زورق وقذف بنا الملاح حتى عدانا إلى البر الثاني فنزل من ذلك الزورق ونزلت خلفه ثم أنه أخذ بيدي ونزل بي في درب لم أدخله طول عمري ولم أعلم هو في أي ناحية ثم أن الرجل وقف على باب دار وفتحها دخل وأدخلني معه وأغلق بابها بقليل من حديد ثم مشى بي في دهليزها حتى دخلنا على عشرة رجال كأنهم رجل واحد وهم أخوة فلما دخلنا عليهم سلم عليهم ذلك الرجل فردوا عليه السلام ثم أمروني بالجلوس فجلست وكنت ضـ ـعفت من شدة التعب فجاؤني بماء ورد ورشوه على وجهي وسقوني شراباً وقدموا لي طعاماً فقلت لـ ـو كـ ـان فـ ـي الطعام شيئاً مضراً ما أكلوا معي فلما غسلنا أيدينا عاد كل منا إلى مكانه وقالوا هل تعرفنا فقلت لا ولا عمري عرفت موضعكم بل ولا أعرف من جاء بي إليكم فقالوا أطلعنا على خبرك ولا تكذب في شيء فقلـ ـت لهـ ـم أعلموا أن حالي عجيب وأمري غريب فهل عندكم شيء من خبري قالوا نعم نحن الذين أخذنا أمتعتـ ـك فـ ـي الليلة الماضية وأخذنا صديقك والتي كانت تغني فقلت لهم أسبل الله عليكم ستره اين صديقي هو والتي كانـ ـت تغني فأشاروا إليّ بأيديهم إلى ناحية وقالوا ههنا ولكن يا أخي ما ظهر على سرهما أحد منا ومن حين أتيتـ ـا بهما لم نجتمع عليهما ولم نسألهما عن حالهما لما رأينا عليهما من الهيبة والوقار وهذا هو الذي منعنـ ـا عـ ـن قتلهما فأخبرنا عن حقيقة أمرهما وأنت في أمان على نفسك وعليهما قال الجواهرجي فلما سمعت هذا الكلام. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٩٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجواهرجي قال لما سمعت هذا الكلام كدت أن أهلـ ـك مـ ـن الخـ ـوف والفزع وقلت لهم أعلموا أن المرأة إذا ضاعت لا توجد إلا عندكم وإذا كان عندي سراً خاف أفشاءه فلا يخفيه إلا صدوركم وصرت أبالغ في هذا المعنى ثم أن وجدت المبادرة لهم بالحديث أنفع من كتمانه فحدثتهم بجميع ما وقع لي حتى انتهيت إلى آخر الحديث فلما سمعوا حكايتي قالوا وهل هذا الفتى علي بن بكار وهذه شـ ـمس النهار فقلت لهم نعم فذهبوا إليهما واعتذروا لهما ثم قالوا لي أن الذي أخذناه من دارك ذهب بعضه وهذا مـ ـا بقى منه ثم ردوا إلى أكثر الأمتعة والتزموا أنهم يعيدوها إلى محلها في داري ويردون إلى البـ ـاقي ولكـ ـنهم انقسموا نصفين فصار قسم منهم معي ثم خرجنا من تلك الدار هذا ما كان من أمري (وأما) ما كان من أمـ ـر علي بن بكار وشمس النهار فأنهما قد أشرفا على الهلاك من الخوف ثم تقدمت إلى علي بن بكـ ـار وشـ ـمس النهار وسلمت عليهما وقلت لهما يا ترى ما جرى للجارية والوصيفتين وأين ذهبن فقالا لا علم لنا بهن ولـ ـم نزل سائرين إلى أن أنتهينا إلى المكان الذي فيه الزورق فاطلعونا فيه وإذا هو الزورق الذي عدينا بـ ـالأمس فقذف بنا الملاح حتى أوصلنا إلى البر الثاني فانزلونا فما استقر بنا الجلوس على جانب البر حتـ ـى جـ ـاءت خيالة وأحاطوا بنا من كل جانب فوثب الذين معنا عاجلاً كالعقبان فرجع لهم الزورق فنزلوا فيه وسار بهم في البحر وبقيت أنا وعلي بن بكار وشمس النهار على شاطيء البحر لا نستطيع حركة ولا سـ ـكوناً فقـ ـال لنـ ـا

الخيالة من أين أنتم بتحيرنا في الجواب قال الجواهرجي فقلت لهم أن الذين رأيتموهم لا نعرفهم وأنما رأيناهم ههنا وأما نحن فمغنون فأرادوا أخذنا لنغني لهم فما تخلصنا منهم إلا بالحيلة ولين الكلام فأفرجوا عنا في هذه الساعة وقد كان منهم ما رأيتم من أمرهم فنظر الخيالة إلى شمس النهار وإلى علي بن بكار ثم قالوا لي لست صادقاً فأخبرنا من أنتم ومن أين أتيتم وما موضعكم وفي أي الحارات أنتم ساكنون قال الجواهرجي فلم أدر ما أقول فوثبت شمس النهار وتقدمت إلى مقدم الخيالة وتحدثت معه سراً فنزل من فوق جواده وأركبها عليه وأخذ بزمامها وصار يقودها وكذلك فعل بعلي بن بكار وفعل بي أيضاً ثم أن مقدم الخيالة لم يزل سائراً بنا إلى موضع على جانب البحر وصاح بالرطانة فأقبل لي جماعة من البرية فأطلعنا المقدم في زورق وأطلع أصحابه في زورق آخر وقذفوا بنا إلى أن انتهينا إلى دار الخلافة ونحن نكابد الموت من شدة الخوف فدخلت شمس النهار وأما نحن فرجعنا ولم نزل سائرين إلى أن انتهينا إلى المحل الذي نتوصل منه إلى موضعنا فنزلنا على البر ومشينا ومعنا جماعة من خيالة يؤانسوننا إلى أن دخلنا الدار وحين دخلناها ودعنا من كان معنا من الخيالة ومضوا إلى حال سبيلهم وأما نحن فقد دخلنا مكاننا ونحن لا نقدر أن نتحرك من مكاننا ولا ندري الصباح من المساء ولم نزل على هذه الحالة إلى أن أصبح الصباح فلما جاء آخر النهار سقط علي بن بكار مغشياً عليه وبكى عليه النساء والرجال وهو مطروح لم يتحرك فجاءني بعض أهله وقالوا حدثنا بما جرى لولدنا وأخبرنا بسبب الحال الذي هو فيه فقلت لهم يا قوم اسمعوا كلامي وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٩٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجواهرجي قال لا تفعلوا بي مكروهاً وأصبروا وهو يفيق ويخبركم بقصته بنفسه ثم شددت عليهم وخوفتهم من الفضيحة بيني وبينهم فبينما نحن كذلك وإذا بعلي بن بكار تحرك في فراشه ففرح أهله وانصرف الناس عنه ومنعني أهله من الخروج من عنده ثم رشوا ماء الورد على وجهه فلما أفاق وشم الهواء صاروا يسألونه عن حاله فصار يخبرهم ولسانه لا يرد جواباً بسرعة ثم أشار إليهم أن يطلقوني لأذهب إلى منزلي فأطلقوني فخرجت فلما أردت المسير رأيت أمرأة واقفة فتأملتها وإذا هي جارية شمس النهار فلما عرفتها سرت وهرولت في سيري فتبعتني فداخلني منها الفزع وسرت كلما انظرها يأخذني الرعب منها وهي تقول لي قف حتى أحدثك بشيء وأنا لم ألتفت إليها ولم أزل سائر إلى مسجد في موضع خال من الناس فقالت لي أدخل هذا المسجد لأقول لك كلمة ولا تخف من شيء وحلفتني فدخلت المسجد ودخلت خلفي فصليت ركعتين ثم تقدمت إليها وأنا أتأوه وقلت لها ما نالك فسألتني عن حالي فحدثتها بما وقع لي وأخبرتها بما جرى لعلي بن بكار وقلت لها ما خبرك فقالت اعلم أني لما رأيت الرجال كسروا باب دارك ودخلوا خفت منهم وخشيت أن يكونوا من عند الخليفة فيأخذوني أنا وسيدتي فنهلك من وقتنا فهربت من السطوح أنا والوصيفتان ورمينا أنفسنا من مكان عالي ودخلنا على قوم فهربنا عندهم حتى وصلنا إلى قصر الخلافة ونحن على أقبح صفة ثم أخفينا أمرنا وصرنا نتقلب على الجمر إلى أن جن الليل ففتحت باب البحر واستدعيت الملاح الذي أخرجنا تلك الليلة وقلت له أن سيدتي لم نعلم لها خبراً فاحملني في الزورق حتى أفتش عليها في البحر لعلي أقع على خبرها فحملني في الزورق وسار بي ولم أزل سائرة في البحر حتى

انتصف الليل فرأيت زورقا أقبل إلى جهة الباب وفيه رجل يقذف ومعه رجل آخر وامرأة مطروحة بينهما ومازال يقذف حتى وصل إلى البر فلما نزلت المرأة تأملتها فإذا هي شمس النهار فنزلت إليها وقد اندهشت من الفرحة لما رأيتها بعدما قطعت الرجاء منها وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٩٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية قالت للجواهرجي فنزلت إليها وقد اندهشت من الفرح فلما تقدمت بين يديها أمرتني أن أدفع إلى الرجل الذي جاء بها ألف دينار ثم حملتها أنا والوصيفتان إلى أن ألقيناها على فراشها فأقامت تلك الليلة على حالة مكدرة فلما أصبح الصباح منعت الجواري والخدم من الدخول عليها والوصول إليها ذلك اليوم وفي ثاني يوم أفاقت مما كان بها فوجدتها كأنها قد خرجت من مقبرة فرششت على وجهها ماء الورد وغيرت ثيابها وغسلت يديها ورجليها ولم أزل ألاطفها حتى أطعمتها شيئاً من الطعام وأسقيتها شيئاً من الأشربة وهي ليس لها قابلية في شيء من ذلك فلما شمت الهواء وتوجهت إليها العافية قلت لها يا سيدتي أرفقي بنفسك فقد حصل لك من المشقة ما فيه الكفاية فإنك قد أشرفت على الهلاك فقالت والله يا جارية لالخير أن الموت عندي أهون مما جرى لي فإني كنت مقتولة لا محالة لأن اللصوص لما خرجوا بنا من دار الجواهرجي سألوني وقالوا من أنت وما شأنك فقلت أنا جارية من المغنيات فصدقوني ثم سألوا علي ابن بكار عن نفسه وقالوا من أنت وما شأنك فقال أنا من عوام الناس فأخذونا وسرنا معهم إلى أن انتبهوا بنا إلى موضعهم ونحن نسرع في السير معهم من شدة الخوف فلما استقروا بنا في أماكنهم تأملوني ونظروا ما على من الملبوس والعقود والجواهر فأنكروا أمري وقالوا أن هذه العقود لا تكون لواحدة من المغنيات ثم قالوا أصدقينا وقولي لنا الحق وما قضيتك فلم أرد عليهم جواباً بشيء وقلت في نفسي الآن يقتلونني لأجل ما على من الحلي والحلل فلم أنطق بكلمة ثم التفتوا إلى علي بن بكار وقالوا له من أين أنت فإن رؤيتك غير رؤية العوام فسكت وصرنا نكتم أمرنا ونبكي فحنن الله علينا قلوب اللصوص فقالوا لنا من صاحب الدار التي كنتما فيها فقلنا لهم صاحبها فلأن الجواهرجي فقال واحد منهم أنا أعرفه حق المعرفة وأعرف أنه ساكن في داره الثانية وعلى أن آتيكم به في هذه الساعة واتفقوا على أن يجعلوني في موضع وحدي وعلي بن بكار في موضع وحده وقالوا لنا استريحا ولا تخافا أن ينكشف خبركما وأنتما في أمان منا ثم أن صاحبهما مضى إلى الجواهرجي وأتى به وكشف أمرنا لهم واجتمعنا عليه ثم أن رجلاً منهم أحضر لنا زورقاً وأطلعونا فيه وعدوا بنا إلى الجانب الثاني ورمونا إلى البر وذهبوا فأتت خيالة من أصحاب العسس وقالوا من تكونون فتكلمت مع مقدم العسس وقلت له أنا شمس النهار محظية الخليفة وقد سكرت وخرجت لبعض معارفي من نساء الوزراء فجاءني اللصوص وأخذوني وأوصلوني إلى هذا المكان فلما رأوكم فروا هاربين وأنا قادرة على مكافأتك فلما سمع كلامي مقدم الخيالة عرفني ونزل عن مركوبه وأركبني وفعل كذلك مع علي بن بكار والجواهرجي وفي كبدي الآن من أجلهما لهيب النار لا سيما الجواهرجي رفيق ابن بكار فأمض إليه وسلمي عليه واستخبريه عن علي بن بكار فلمتها على ما وقع منها وحذرتها وقلت لها يا سيدتي خافي على نفسك فصاحت علي وغضبت من كلامي ثم قمت من عندها وجئت فلم أجدك وخشيت من الرواح إلى ابن بكار فصرت واقفة أترقبك حتى أسألك عنه واعلم ما هو فيه فاسألك من فضلك أن تأخذ مني شيئاً من

المال فإنك ربما استعرت أمتعة من أصحابك وضاعت عليك فتحتاج أن تعوض على الناس ما ذهب لهم مـ ن الأمتعة قال الجواهرجي فقلت سمعاً وطاعة ثم مشيت معها إلى أن أتينا إلى قرب محلي فقالت لي قـ ف هذ ا حتى أعود إليك وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٩٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية مضت ثم عادت وهي حاملة المال فأعطته للجواهرجي وقالت له يا سيدي أنجتمع بك في أي محل قال الجواهرجي فقلت لها أتوجه إلى داري في هـ ذه السـ اعة وأتحمـ ل الصعوبة لأجل خاطرك وأتدبر فيما يوصلك إليه فإنه يتعذر الوصول إليه في هذا الوقت ثم ودعتني ومضـ ت فحملت المال وأتيت به إلى منزلي وعددت المال فوجدته خمسة آلاف دينار فأعطيت أهلي منه شيئاً ومن كان له عندي شيء أعطيته عوضاً منه ثم أني أخذت غلماني وذهبت إلى الدار التي ضاعت منها الأمتعة وجئـ ت بالنجارين والبنائين فأعادوها إلى ما كانت عليه وجعلت جاريتي فيها ونسيت ما جرى لي ثم تمشيت إلى دار بن بكار فلما وصلت إليها أقبل غلمانه علي وقال لي واحد منهم أن غلمان سيدي في طلبك ليلاً ونهاراً وقـ د وعدهم أن كل من أتاه بك بعتقه فهم يفتشون عليك ولم يعرفوا لك موضعاً وقد رجعت إلى سيدي عافيته وهو تارة يفيق وتارة يستغرق فلما يفيق يذكرك ويقول لابد أن نحضروه لحظة لي ويعود إلى حـ ال سـ بيله قـ ال الجواهرجي فمضيت مع الغلام إلى سيده فوجدته لا يستطيع الكلام فلما رأيته جلست عند رأسه ففتح عينيـ ه فلما رآني قال اعلم أن لكل شيء نهاية ونهاية الهوى الموت أو الوصال وأنا إلى الموت أقرب فيا ليتني مـ ت من قبل الذي جري ولولا أن الله لطف بنا لا فتضحنا ولا أدري ما الذي يوصلني إلى الخلاص مما أنـ ا فيـ ه ولولا خوفي من الله تعالى لعجلت على نفسي بالهلاك واعلم يا أخي أنني كالطير في القفص وأن نفسي هالكة من الغصص ولكن لها وقت معلوم وأجل محتوم ثم أفض دمع العين وأنشد هذين البيتين:

شـ . كا ألـ . ـم الفـ . ـراق النـ . ـاس قبلـ . ـي وروع بـ . . ـالنوى حـ . . ـي وميـ . . ـت
وأمـ . ـا مثـ . ـل ماضـ . ـمت ضـ . ـلوعي فـ . ـإني مـ . ـا سـ . ـمعت ولا رأيـ . ـت

فلما فرغ من شعره قال له الجواهرجي يا سيدي اعلم أني عزمت على الذهاب إلى داري فلعل الجارية ترجع إلى بخبر فقال علي بن بكار لا بأس بذلك ولكن أسرع بالعودة عندنا لأجل أن تخبرني قال الجواهرجي فودعته وأنصرفت إلى داري فلم يستقر بي الجلوس حتى رأيت الجارية أقبلت وهي في بكاء ونحيب فقلت لها ما سبب ذلك فقالت يا سيدي اعلم أنه حل بنا ما حل من أمر نخافه فأني لما مضيت من عندك بالأمس وجدت سيدتي مغتاظة على وصيفة من الوصيفتين اللتين كانتا معنا تلك الليلة وأمرت بضربها فخافت مـ ن سـ يدتها وهربت فلاقاها بعض الموكلين بالباب وأراد ردها إلى سيدتها فلوحت له بالكلام فلاطفها واستنطقها عن حالها فأخبرته بما كنا فيه فبلغ الخبر إلى الخليفة فأمر بنقل سيدتي شمس النهار وجميع ما لهـ ا إلـ ى دار الخلافـ ة ووكل بها عشرين خادماً ولم اجتمع بها إلى الآن ولم أعلمها بالسبب وتوهمت أنه بسبب ذلك فخشـ يت علـ ى نفسي واحترت يا سيدي ولم أدر كيف احتال في أمري وأمرها ولم يكن عندها أحفظ لكتمان السر مني وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٩٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية قالت للجواهرجي توجه يا سيدي إلى علي بن بكار سريعاً وأخبره بذلك لأجل أن يكون على أهبة فإذا انكشف الأمر نتدبر في شيء نفعله لنجاة أنفسنا قال الجواهرجي فأخذني من ذلك هم عظيم وسار الكون في وجهي ظلاماً من كلام الجارية وهمت الجارية بالانصراف فقلت لها وما الرأي فقالت لي الرأي أن تبادر إلى علي بن بكار إن كان صديقك وتريد له النجاة وأنت عليك تبليغ هذا الخبر له بسرعة وأنا على أن أتقيد باستنشاق الأخبار ثم ودعتني وخرجت فلما خرجت الجارية قمت وخرجت في أثرها وتوجهت إلى علي بن بكار فوجدته يحدث نفسه بالوصال ويعللها بالمحال فلما رآني رجعت إليه عاجلاً قال لي أني أراك رجعت إلي في الحال فقلت له أقصر من التعلق بالطال ودع ما أنت فيه من الاشتغال فقد حدث حادث يقضي إلى تلف نفسك وما لك فلما سمع هذا الكلام تغير حاله وانزعج وقال للجواهرجي يا أخي أخبرني بما وقع فقال له الجواهرجي يا سيدي اعلم أنه قد جرى ما هو كذا وكذا وأنك أن أقمت في دارك هذه إلى آخر النهار فأنت تالف لا محالة فبهت علي بن بكار وكادت روحه أن تفارق جسده ثم استرجع بعد ذلك وقال له ماذا نفعل يا أخي وما عندي من الرأي قال الجواهرجي فقلت له الرأي أن تأخذ معك من مالك ما تقدر عليه ومن غلمانك ما تثق به وأن تمضي بنا إلى ديار غير هذه قبل أن ينقضي هذا النهار فقال سمعاً وطاعة ثم وثب وهو متحير في أمره فتارة يمشي وتارة يقع وأخذ ما قدر عليه واعتذر إلى أهله وأوصاهم بمقصوده وأخذ معه ثلاثة جمال محملة وركب دابة وقد فعلت أنا كما فعل ثم خرجنا خفية وسرنا ولم نزل سائرين باقي يومنا وليلتنا فلما كان آخر النهار حططنا حمولنا وعقلنا وجمالنا ونمنا فدخل علينا التعب وغفلنا عن أنفسنا وإذا باللصوص أحاطوا بنا وأخذوا جميع ما كان معنا وقتلوا الغلمان ثم تركونا مكاننا ونحن في أقبح حال بعد أن أخذوا المال وساروا فلما قمنا مشينا إلى أن أصبح الصباح فوصلنا إلى بلد فدخلناها وقصدنا مسجده ونحن عرايا وجلسنا في جنب المسجد باقي يومنا فلما جاء الليل بتنا في المسجد تلك الليلة ونحن من غير أكل ولا شرب فلما أصبح الصباح صلينا الصبح وجلسنا وإذا برجل داخل فسلم علينا وصل ركعتين ثم التفت إلينا وقال يا جماعة هل أنتم غرباء قلنا نعم وقطع اللصوص علينا الطريق وعرونا ودخلنا هذه البلدة ولا نعرف فيها أحداً نأوي عنده فقال لنا الرجل هل لكم أن تقوموا معي إلى داري قال الجواهرجي فقلت لعلي بن بكار قم بنا معه فننجوا من أمرين الأول أننا نخشى أن يدخل علينا أحد يعرفنا في هذا المسجد فنفتضح والثاني أننا ناس غرباء وليس لنا مكان نأوي إليه فقال علي بن بكار افعل ما تريد ثم أن الرجل قال لنا ثاني مرة يا فقراء أطيعوني وسيروا معي إلى مكاني قال الجواهرجي فقلت له سمعاً وطاعة ثم أن الرجل خلع لنا شيئاً من ثيابه وألبسنا ولاطفنا فقمنا معه إلى داره فطرق الباب فخرج إلينا خادم صغير وفتح الباب فدخل الرجل صاحب المنزل ودخلنا خلفه ثم أن الرجل أمر بإحضار بقجة فيها أثواب وشاشات فألبسنا حلتين وأعطانا شاشين فتعممنا وجلسنا وإذا بجارية أقبلت إلينا بمائدة ووضعتها بين أيدينا فأكلنا شيئاً يصيراً ورفعت المائدة ثم أقمنا عنده إلى أن دخل الليل فتاوه علي بن بكار وقال للجواهرجي يا أخي أعلم أنني هالك لا محالة وأريد أن أوصيك وصية وهو أنك إذا رأيتني مت تذهب إلى والدتي وتخبرها أن تأتي إلى هذا المكان لأجل أن تأخذ عزائي وتحضر غسلي وأوصيها أن تكون صابرة على فراقي ثم وقع مغشياً عليه فلما

أفاق سمع جارية تغنى من بعيد وتنشد الأشعار فصار يصغي إليها ويسمع صوتها وهو تـ ـارة يفكـ ـر وتـ ـارة يضحك وتارة يبكي شجنا وحزناً مما أصابه فسمع الجارية تطرب بالنغمات وتنشد هذه الأبيات:

عجـ . ـل البـ . ـين بيننـ . ـا بـ . ـالفراق	بعـ . ـد ألـ . ـف وجيـ . ـرة واتفـ . ـاق
فرقـ . ـت بيننـ . ـا صـ . ـروف الليـ . ـالي	ليـ ـت شـ ـعري متـ ـى يكـ ـون التلاقـ ـي
مـ ـا أمـ ـر الفـ ـراق بعـ ـد اجتمـ ـاع	ليتـ . ـه مـ . ـا أضـ . ـر بالعشـ . ـاق
غصـ ـة المـ ـوت سـ ـاعة ثـ ـم تنقضـ ـي	وفـ ـراق الحبيـ ـب فـ ـي القلـ ـب بـ ـاقي
لـ ـو وجـ ـدنا إلـ ـى الفـ ـراق سـ ـبيلاً	لأذقنـ . ـا الفـ . ـراق طعـ . ـم الفـ . ـراق

فلما سمع ابن بكار انشاد الجارية شهق شهقة ففارقت روحه جسده قال الجواهرجي فلما رأيتـ ـه مـ ـات أوصيت عليه صاحب الدار وقلت له اعلم أنني متوجه إلى بغداد لأخبر والدته وأقاربه حتى يأتوا ليجهزوه ثم أني توجهت إلى بغداد ودخلت داري وغيرت ثيابي وبعد ذلك ذهبت إلى دار علي بن بكار فلما رآني غلمانه أتوا إلي وسألوني عنه وسألتهم أن يستأذنوا لي والدته في الدخول عليها فأذنت لي بالدخول فدخلت وسـ ـلمت عليها وقلت أن الله إذا قضى أمراً لا مفر من قضائه وما كان لنفس أن تموت إلا بـ ـأذن الله كتابـ ـاً مـ ـؤجلاً فتوهمت أم علي بن بكار من هذا الكلام أن ابنها قد مات فبكت بكاء شديداً ثم قالت بالله عليك أن تخبرني هل توفي ولدي فلم أقدرأن أرد عليها جواباً من كثرة الجزع فلما رأتني على تلك الحالة أنخنقت بالبكاء ثم وقعـ ـت على الأرض مغشياً عليها فلما أفاقت من غشيتها قالت ما كان من أمر ولدي فقلت لها عظم الله أجرك فيه ثم أني حدثتها بما كان من أمره من المبتدأ إلى المنتهى قالت أوصاك بشيء فقلت لها نعم وأخبرتها بما أوصاني به وقلت لها أسرعي في تجهيزه فلما سمعت أم علي بكار كلامي سقطت مغشياً عليها فلما أفاقت عزمت على ما أوصيتها به ثم أنى رجعت إلى داري وسرت في الطريق أتفكر في حسن شبابه فبينما أنا كذلك وإذا بامرأة قد قبضت على يدي وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٩٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجواهرجي قال وإذا بامرأة قد قبضت على يـ ـدي فتأملتهـ ـا فرأيتهـ ـا الجارية التي كانت تمشي من عند شمس النهار وقد علاها الإنكسار فلما تعارفنا بكينا جميعاً وسرنا حتى أتينا إلى تلك الدار فقلت لها هل علمت بخبر علي بن بكار فقالت لا والله فأخبرتها بخبره وما كان من أمره ثم أني قلت لها فكيف حال سيدتك فقالت لم يقبل فيها أمير المؤمنين قول أحد لشدة محبته لها وقد حمل جميع أمورها على المحامل الحسنة وقال لها يا شمس النهار أنت عندي عزيزة وأنا أتحملك على رغم أعدائك ثم أمر لهـ ـا بفرش مقصورة مذهبة وحجرة مليحة وصارت عنده من ذلك في قبول عظيم فاتفق أنه جلس يوماً من الأيـ ـام على جري عادته للشراب وحضرت المحاظي بين يديه فأجلسهن في مراتبهن وأجلسها بجانبه وقـ ـد عـ ـدمت صبرها وزاد أمرها فعند ذلك أمر جارية من الجواري أن تغني فأخذت العود وضربت به وجعلت تقول:

وداع دعـ . ـاني للهـ . ـوى فأجبتـ . ـه	ودمعي بخط الوجـ ـد خطـ ـا علـ ـى خـ ـدي
كـ ـان دمـ ـوع العـ ـين تخبـ ـر حالنـ ـا	فتبدي الذي أخفى وتخفـ ـي الـ ـذي أبـ ـدى
فكيـ ـف أروم السـ ـر أو أكـ ـتم الهـ ـوى	وفرط غرامي فيـ ـك يظهـ ـر مـ ـا عنـ ـدي
وقد طـ ـاب مـ ـوتي عنـ ـد فقـ ـد أحبتـ ـي	فياليت شعري مـ ـا يطيـ ـب لهـ ـم بعـ ـدي

فلما سمعت شمس النهار أنشاد تلك الجارية لم تستطع الجلوس ثم سقطت مغشياً عليها فرمي الخليفة القدح وجذبها عنده وصاح وضجت الجواري وقلبها أمير المؤمنين فوجدها ميتة فحزن أمير المؤمنين لموتها وأمر أن يكسر جميع ما كان في الحضرة من الآلات والقوانين وحملها في حجرة بعد موتها ومكث عندها باقي ليلته فلما طلع النهار جهزها وأمر بغسلها ودفنها وحزن عليها حزناً كثيراً ولم يسأل عن حالها ولا عن الأمر الذي كانت فيه ثم قالت الجارية للجواهرجي سألتك بالله أن تعلمني بوقت خروج جنازة علي بن بكار وأن تحضرني دفنه فقال لها أما أنا ففي أي محل شئت تجديني وأما أنت فمن يستطيع الوصول إليك في المحل الذي أنت فيه فقالت له أن أمير المؤمنين لما ماتت شمس النهار أعتق جواريها من يوم موتها وأنا من جملتهن ونحن مقيمات على تربتها في المحل الفلاني فقمت معها وأتيت إلى المقبرة وزرت شمس النهار ثم مضيت إلى حالي ولم أزل أنتظر جنازة على بن بكار إلى أن جاءت فخرجت له أهل بغداد وخرجت معهم فوجدت الجارية بين النساء وهي أشدهن حزناً ولم أرجنازة ببغداد أعظم من هذه الجنازة ومازلنا في ازدحام عظيم إلى أن أتينا إلى قبره ودفناه وصرت لا أنقطع عن زيارته ولا عن زيارة شمس النهار هذا ما كان من حديثهما وليس باعجب من حديث الملك شهرمان وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

حكاية الملك قمر الزمان ابن الملك شهرمان

(وفي ليلة ١٩٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أنه كان في قديم الزمان ملك يسمى شهرمان صاحب عسكر وخدم وأعوان إلا أنه كبر سنه ورق عظمه ولم يرزق بولد فتفكر في نفسه وحزن وقلق وشكا ذلك لبعض وزرائه وقال أني أخاف إذا مت أن يضيع الملك لأنه ليس لي ولد يتولاه بعدي فقال له ذلك الوزير لعل الله يحدث بعد أمراً فتوكل على الله أيها الملك وتوضأ وصل ركعتين ثم جامع زوجتك لعل تبلغ مطلوبك فجامع زوجته فحملت في تلك الساعة ولما كملت أشهرها وضعت ولدا ذكرا كأنه البدر السافر في الليل العاكر فسماه قمر الزمان وفرح غاية الفرح وزينوا المدينة سبعة أيام ودقت الطبول وأقبلت البشائر وحملته المراضع والدايات وتربى في العز والدلال حتى صار له من العمر خمس عشر سنة وكان فائقاً في الحسن والجمال والقد والاعتدال وكان أبوه يحبه ولا يقدر أن يفارقه ليلاً ولا نهاراً فشكا الملك شهرمان لأحد وزرائه فرط محبته لولده وقال أيها الوزير إني خائف على ولدي قمر الزمان من طوارق الدهر والحدثان وأريد أن أزوجه في حياتي فقال له الوزير اعلم أيها الملك أن الزواج من مكارم الأخلاق ولا بأس أن تزوج ولدك في حياتك فعند ذلك قال الملك شهرمان على بولدي قمر الزمان فحضر وأطرق رأسه إلى الأرض حياء من أبيه فقال له أبوه يا قمر الزمان اعلم أني أريد أن أزوجك وأفرح بك في حياتي فقال له اعلم يا أبي أنني ليس لي في الزواج أرب وليست نفسي تميل إلى النساء لأني وجدت في مكرهن كتباً بالروايات وبكيدهن وردت الآيات وقال الشاعر:

فإن تسألوني بالنساء فإنني خبير بأحوال النساء طبيب
إذا شاب رأس المرء وقل ماله فليس له في ودهن نصيب

ولما فرغ من شعره قال يا أبي أن الزواج شيء لا أفعله أبداً فلما سمع السلطان شهرمان من ولده هـ ذا الكلام أغتم غماً شديداً على عدم مطاوعة ولده قمر الزمان له. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٠٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك شهرمان لما سمع من ولده هذا الكلام صار الضياء في وجهـ ه ظلاماً وأغتم على عدم مطاوعة ولده قمر الزمان له ومن محبته له لم يكرر عليه الكلام في ذلك ولم يغضـ به بل أقبل عليه وأكرمه ولاطفه بكل ما يجلب المحبة إلى القلب كل ذلك وقمر الزمان يزداد كـ ل يـ وم حسـ ناً وجمالاً وظرفاً ودلالاً فصبر الملك شهرمان على ولده سنة كاملة حتى صار كامل الفصاحة والملاحة وتهتكت في حسنه الوري وسار فتنة للعشاق وروضة للمشتاق عذب الكلام يخجل في وجهه بدر التمام صـ احب قـ د واعتدال وظرف ودلال كأنه غصن بأن أو قضيب خيزران ينوب خده عن شقائق النعمان وقده عـ ن غصـ ن البان ظريف الشمائل كما قال فيه القائل:

بـ . . . .دا فقـ . . . .الوا تبـ . . . .ارك ... الله جـ . ـل الـ . ـذي صـ . ـاغه وسـ . ـواه
مليـ . .ـك كـ . .ـل المـ . .ـلاح قاطبـ . .ـة ... فكلهـ . . . ـم أصـ . . . ـبحوا رعايـ . . . ـاه
فـ . . ـي ريقـ . . ـه شـ . . ـهدة مذوبـ . . ـة ... وأنعقـ . . ـد الـ . . ـدار فـ . . ـي ثنايـ . . ـاه
مكمـ . . .ـلاً بالجمـ . . .ـال منفـ . . .ـرداً ... كـ .ـل الـ . ـورى فـ . ـي جمالـ . ـه تـ . ـاهوا
قـ .ـد كتـ .ـب الحسـ .ـن فـ .ـوق وجنتـ .ـه ... أشـ . . .ـهد أن لا ملـ . . .ـيح إلا هـ . . .ـو

فلما تكاملت سنة أخرى لقمر الزمان ابن الملك شهرمان دعاه والده إليه وقال له يا ولدي أما تسمع مني فوقع قمر الزمان على الأرض بين يدي أبيه هيبة واستحى منه وقال له يا أبي كيف لا أسمع منك وقد أمرني الله بطاعتك وعدم مخالفتك فقال له الملك شهرمان اعلم يا ولدي أني أريد أن أزوجك وأفرح بك في حيـ اتي وأسلطنك في مملكتي قبل مماتي فلما سمع قمر الزمان من أبيه هذا الكلام أطرق رأسه ساعة وبعد ذلك رفـ ع رأسه وقال يا أبي هذا شيء لا أفعله أبداً ولو سقيت كأس الردي وأنا أعلم أن الله فرض على طاعتك فبحـ ق الله عليك لا تكلفني أمر الزواج ولا تظن أني أتزوج طول عمري لأنني قرأت في كتب المتقدمين والمتأخرين وعرفت ما جرى لهم من المصائب والآفات بسبب فتن النساء ومكرهن غير المتناهي وما يحدث عنهن مـ ن الدواهي وما أحسن قول الشاعر:

إن النسـ . .ـاء وأن أدعـ . .ـين العفـ . .ـة ... رمـ . .ـم تقلبهـ . .ـا النسـ . .ـور الحـ . .ـوم
فـ ـي الليـ ـل عنـ ـدك سـ ـرها وحـ ـديثها ... وغـ . ـدا لغيـ . ـرك سـ . ـاقها والمعصـ . ـم
كالخـ .ـان تسـ .ـكنه وتصـ .ـبح راحـ .ـلاً ... فيحـ .ـل بعـ .ـداك فيـ .ـه مـ .ـن لا تعلـ .ـم

فلما سمع الملك شهرمان من ولده قمر الزمان هذا الكلام وفهم الشعر والنظام لم يرد عليه جواباً مـ ن فرط محبته له وزاده من أنعامه وأكرامه وأنقبض ذلك المجلس من تلك الساعة وبعد انفضاض ذلك المجلـ س طلب الملك شهرمان وزيره واختلى به وقال له أيها الوزير وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٠١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك شهرمان قال له أيها الوزير قل لي ما الذي أفعله فـ ـي قضـ ـية ولدي قمر الزمان فأني استشرتك في زواجه قبل أن أسلطنه فأشرت علي بذلك وأشرت علي أيضاً أن أذكر له أمر الزواج فذكرته له فخالفني فأشر على الآن بما تراه حسناً فقال الوزير الذي أشير به عليك الآن أيها الملك أن تصبر عليه سنة أخرى فإذا أردت أن تكلمه بعدها في أمر الزواج فلا تكلمه سراً ولكن حدثـ ـه فـ ـي يـ ـوم حكومة ويكون جميع الأمراء والوزراء حاضرين وجميع العساكر واقفين فإذا اجتمع هؤلاء فأرسل إلى ولدك قمر الزمان في تلك الساعة وأحضره فإذا حضر فخاطبه في أمر الزواج بحضرة جميع الأمـ ـراء والـ ـوزراء والحجاب والنواب وأرباب الدولة والعساكر وأصحاب الصولة فإنه يستحي مـ ـنهم ومـ ـا يقـ ـدر أن يخالفـ ـك بحضرتهم فلما سمع الملك شهرمان من وزيره هذا الكلام فرح فرحاً شديداً أو استصوب رأي الوزير في ذلك وخلع عليه خلعة سنية فصبر الملك شهرمان على ولده قمر الزمان سنة ولكما مضي عليه يوماً مـ ـن الأيـ ـام يزداد سحناً وجمالاً وبهجة وكمالاً حتى بلغ من العمر قريباً عشرين عاماً والبسه الله حلل الجمال وتوجه بتاج الكمال وأشرقت خدوده بالأحمرار وبياض غرته حكى القمر الزاهر وسواد شعره كأنه الليل العاكر وخصـ ـره أرق من خيط هميان وردقه أثقل من الكثيان تهيج البلابل على أعطافه ويشتكي خصـ ـر مـ ـن ثقـ ـل أردافـ ـه ومحاسنه حيرت الورى كما قال فيه بعض الشعراء.

قسـ ـماً بوجنتـ ـه وباسـ ـم ثغـ ـره	**وبأسـ ـهم قـ ـدر أشـ ـها مـ ـن سـ ـحره**
وبلـ ـين عطفيـ ـة ومرهـ ـف لحظـ ـه	**وبيـ ـاض غرقـ ـه وأسـ ـود شـ ـعره**
وبحاجـ ـب حجـ ـب الكـ ـرى عـ ـن	**صـ ـبه وسـ ـطا عليـ ـه بنيـ ـه وبـ ـأمره**
وعقـ ـارب قـ ـد أرسـ ـلت مـ ـن صـ ـدغه	**وسـ ـمعت لقتـ ـل العاشـ ـقين بهجـ ـره**
وبـ ـورد خديـ ـه وآس عـ ـذاره	**وعقيـ ـق مبسـ ـمه ولؤلـ ـؤ ثغـ ـره**
وبطيـ ـب نكهتـ ـه وسـ ـال جـ ـري	**فـ ـي فيـ ـه يـ ـزري بـ ـالرحيق وعصـ ـره**
وبردفـ ـه المـ ـرنج فـ ـي حركاتـ ـه	**وسـ ـكونه وبرقـ ـة فـ ـي خصـ ـره**
وبجـ ـود راحتـ ـه وصـ ـدق لسـ ـانه	**وبطيـ ـب عنصـ ـره وعـ ـالي قـ ـدره**
مـ ـا المسـ ـك إلا مـ ـن فضـ ـالة خالـ ـه	**والطيـ ـب يـ ـروي ريحـ ـه عـ ـن نشـ ـره**
وكـ ـذلك الشـ ـمس المنيـ ـرة دونـ ـه	**ورأى الهـ ـلال قلامـ ـة مـ ـن ظفـ ـره**

ثم أن الملك شهرمان سمع كلام الوزير وصبر سنة أخرى حتى حصل يوم موسـ ـم وأدرك شـ ـهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٠٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك شهرمان دعى الأمراء والوزراء والحجـ ـاب وأربـ ـاب الدولـ ـة والعساكر وأصحاب الصولة ثم أن الملك أرسل خلف ولده قمر الزمان فلما حضر قبل الأرض بين يديه ثلاث مرات ووقف مكتفاً يديه وراء ظهره قدام أبيه فقال له أبوه يا ولدي أني ما أحضرتك هذه المـ ـرة قـ ـدام هـ ـذا المجلس وجميع العساكر حاضرون بين أيدينا إلا لأجل أن أمرتك بأمر فلا تخالفني فيه وذلك أن تتزوج لأني اشتهى أن أزوجك بنت ملك من الملوك وأفرح بك قبل موتي فلما سمع قمر الزمان من أبيه هذا الكلام أطرق

برأسه إلى الأرض ساعة ثم رفع رأسه إلى أبيه ولحقه في تلك الساعة جنون الصبا وجهل الشبيبة فقال له أما أنا فلا أتزوج أبداً ولو سقيت كأس الردي وأما أنت فرجل كبير السن صغير العقل أنك سألتني قبل هذا اليوم مرتين غير هذه المرة في شأن الزواج وأنا لا أجيبك إلى ذلك ثم أن قمر الزمان فك كتاف يديه وشمر عن ذراعيه قدام أبيه وهو في غيظه فخجل أبوه وأستحي حيث حصل ذلك قدام أرباب دولته والعساكر الحاضرين في الموسم ثم أن الملك شهرمان لحقته شهامة الملك فصرخ على ولده فأرعبه وصرخ على المماليك وأمرهم بإمساكه فأمسكوه وأمرهم أن يكتفوه فكتفوه وقدموه بين يدي الملك وهو مطرق رأسه من الخوف والوجل وتكلل وجهه وجبينه بالعرق واشتد به الحياء والخجل فعند ذلك شتمه أبوه وسبه وقال له ويلك يا ولد الزنا وتربية الخنا كيف يكون هذا جوابك لي بين عساكري وجيوشي ولكن أنت إلى الآن ما أدبك أحد وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٠٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك شهرمان قال لولده قمر الزمان أما تعلم أن هذا الأمر الذي صدر منك لو صدر من عامي من العوام لكان ذلك قبيحاً منه ثم أن الملك أمر المماليك أن يحلو أكتافه ويحبسوه في برج من أبراج القلعة فعند ذلك دخل الفراشون القاعة التي فيها البرج فكنسوها ومسحوا بلاطها ونصبوا فيها سرير القمر الزمان وفرشوا له على السرير طراحة ونطعاً وضعوا له مخدة وفانوساً كبيراً وشمعة لأن ذلك المكان كان مظلم في النهار ثم أن المماليك أدخلوا قمر الزمان في تلك القاعة وجعلوا على باب القاعة خادماً فعند ذلك طلع قمر الزمان فوق ذلك السرير وهو منكسر الخاطر حزين الفؤاد وقد عاتب نفسه وندم على ما جرى منه في حق أبيه حيث لا ينفعه الندم وقال خيب الله الزواج والبنات والنساء الخائنات فياليتني سمعت من والدي وتزوجت فلو فعلت ذلك كان أحسن لي من هذا السجن هذا ما كان من أمر قمر الزمان (وأما) ما كان من أمر أبيه فإنه أقام على كرسي مملكته بقية اليوم إلى وقت الغروب ثم خلا بالوزير وقال له أعلم أيها الوزير أنك كنت السبب في الذي جرى بيني وبين ولدي كله حيث أشرت علي بما أشرت فما الذي تشير به على الآن فقال له الوزير أيها الملك دع ولدك في السجن مدة خمسة عشر يوماً ثم أحضره بين يديك وأمره بالزواج فإنه لا يخالفك أبداً وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٠٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك شهرمان قبل رأي الوزير في ذلك اليوم ونام تلك الليلة وهو مشتغل القلب على ولده لأنه كان يحبه محبة عظيمة حيث لم يكن له ولد سواه وكان الملك شهرمان كل ليلة لا يأتيه نوم حتى يجعل ذراعه تحت رقبة قمر الزمان وينام فبات الملك الليلة وهو متشوش الخاطر من أجله وصار يتقلب من جنب إلى جنب كأنه نائم على جمر اللظى ولحقه الوسواس ولم يأخذه نوم في تلك الليلة بطولها وذرفت عيناه بالدموع وأنشد قول الشاعر:

لقد طال ليلي والوشاة هجوع وناهيك قلباً بالفراق مروع
أقول وليلي زاد بالهم طوله أمالك يا ضوء الصباح رجوع

(قول الآخر)

لم ـا رأيـ ـت الـ ـنجم سـ ـاه طرفـ ـه		والقلـ ـب قـ ـد ألقـ ـى عليـ ـه سـ ـباتاً
وبنـ ـات نعـ ـش فـ ـي الحـ ـداد سـ ـوافرا		أيقنـ ـت أن صـ ـباحه قـ ـد ماتـ ـا

هذا ما كان من أمر الملك شهرمان (وأما) ما كان من أمر قمر الزمان فإنه لما قدم عليه الليل قدم لـ ـه الخادم الفانوس وأوقد له شمعة وجعلها في شمعدان وقدم له شيئاً من الماء كل فأكل قليلاً وصار يعاتب نفسـ ـه حيث أساء الأدب في حق أبيه الملك شهرمان وقال في نفسه ألم تعلم أن ابن آدم ر هـ ين لسـ ـانه وإن لسـ ـان الآدمي هو الذي يوقعه في المهالك ولم يزل يعاتب نفسه ويلومها حتى غلبت عليه الـ ـدموع واحتـ ـرق قلبـ ـه المصدوع وندم علي ما خرج من لسانه في حق الملك غاية الندم وأنشد هذين البيتين:

يموت الفتى مـ ـن عثـ ـرة مـ ـن لسـ ـانه		وليس يموت المرء مـ ـن عثـ ـرة الرجـ ـل
فعثرتـ ـه مـ ـن فيـ ـه تقضـ ـي بحتفـ ـه		وعثرتـ ـه بالرجـ ـل تبـ ـرأ علـ ـى مهـ ـل

ثم أن قمر الزمان لما فرغ من الأكل طلب أن يغسل يديه فغسل يديه مـ ـن الطعـ ـام وتوضـ ـأ وصـ ـلى المغرب والعشاء وجلس وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٠٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن قمر الزمان ابن الملك شهرمان جلس على السرير يقرأ القرآن فقـ ـرأ البقرة وآل عمران ويس والرحمن وتبارك والملك والمعوذتين وختم الدعاء واستعاذ بالله ونام علـ ـى السـ ـرير فوق طراحة من الأطلس المعدن لها وجهان وهي محشوة بريش النعام وحين أراد النوم تجرد من ثيابه وخلع لباسه ونام في قميص شمع رفيع وكان على رأسه مقنع مروزي أزرق فصار قمر الزمان في تلك الليلة كأنه البدر في ليلة أربع عشر ثم تغطى بملاءة من حرير ونام والفانوس موقد تحت رجليه والشمعة موقدة تحـ ـت رأسه ولم يزل نائماً إلى ثلث الليل ولم يعلم ما خبيء له في الغيب وما قدر عليه عـ ـلام الغيـ ـوب واتفـ ـق أن القاعة والبرج كانا عتيقين مهجورين مدة سنين كثيرة وكان في تلك القاعة بئر روماني معمور بجنية سـ ـاكنة فيه وهي من ذرية إبليس اللعين واسم تلك الجنية ميمونة ابنة الدمرياط أحد ملوك الجان المشـ ـهورين وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٠٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن اسم تلك الجنيه ميمونة ابنة الدمرياط أحد ملوك الجان المشهورين فلما ساتمر قمر الزمان نائماً إلى ثلث الليل الأول طلعت تلك العفريتة من البئر الروماني وقصدت السماء لاستراق السمع فلما صارت في أعلى البئر رأت نوراً مضيئاً في البرج على خلاف العادة وكانت العفريتة مقيمة فـ ـي ذلك المكان مدة مديدة من السنين فقالت في نفسها أنا ما عهدت هنا شيئاً من ذلك وتعجبت من هذا الأمر غاية العجب وخطر ببالها أنه لا بد لذلك من سبب ثم قصدت ناحية ذلك النور فوجدته خارجاً من القاعة فـ ـدخلتها ووجدت الخادم نائماً على بابها ولما دخلت القاعة وجدت سريراً منصوباً وعليه هيئة إنسـ ـان نـ ـائم وشـ ـمعة مضيئة عند رأسه وفانوس مضيء عند رجليه فتعجبت العفريتة ميمونة من ذلك النور وتقدمت إليه قليلاً قليلاً وأرخت أجنحتها ووقفت على السرير وكشفت الملاءة عن وجهه ونظرت إليه واستمرت باهتة فـ ـي حسـ ـنه

وجماله ساعة زمانية وقد وجدت ضوء وجهه غالباً على نور الشمعة وصار وجهه يتلألأ نوراً وقد غازلـ ت عيناه واسودت مقلتاه وأحمر خداه وفتر جفناه وتقوس حاجباه وفاح مسكه العاطر كما قال فيه الشاعر:

قبلتـ ـه فاسـ ـودت المقـ ـل التـ ـي ... هـ ـي فتنتـ ـي وأحمـ ـرت الوجنـ ـات

يـ ـا قلـ ـب أن زعـ ـم العـ ـواذل أنـ ـه ... فـ ـي الحسـ ـن يوجـ ـد مثلـ ـه قـ ـل هـ ـاتوا

فلما رأته العفريته ميمونة بنت الدمرياط سبحت الله وقالت تبارك الله أحسـ ـن الخـ ـالقين وكانـ ـت تلـ ـك العفريتة من الجن المؤمنين فاستمرت ساعة وهي تنظر إلى وجه قمر الزمان وتوحد الله وتغبطه على حسـ ـنه وجماله وقالت في نفسها والله أني لا أضره ولا أترك أحداً يؤذيه ومن كل سوء أفديه فإن هذا الوجه المليح لا يستحق إلا النظر إليه والتسبيح ولكن كيف هان على أهله حتى نسوه في هذا المكان الخرب فلو طلع له أحـ ـد من مردتنا في هذه الساعة لأعطيه ثم أن تلك العفريتة مالت عليه وقبلته بين عينيه وبعد ذلك أرخت المـ ـلاءة على وجهه وغطته بها وفتحت أجنحتها وطارت ناحية السماء وطلعت من دور تلك القاعة وصعدت ولم تزل صاعدة في الجو إلى أن قربت من سماء الدنيا وإذا بها سمعت خفق أجنحة طائرة في الهواء فقصدت ناحيـ ـة تلك الأجنحة فلما قربت من صاحبها وجدته عفريتاً يقال له دهنش فانقض عليه انقضاض الباشق فلما أحـ ـس بها دهنش وعرف أنها ميمونة بنت ملك الجن خاف منها وارتعدت فرائصه واستجار بها وقال لها أقسم عليك بالاسم الأعظم والطلسم الأكرم المنقوش على خاتم سليمان أن ترفقي بي ولا تؤذيني فلما سمعت ميمونة مـ ـن دهنش هذا الكلام حن قلبها عليه وقالت له أنك أقسمت علي بقسم عظيم ولكن لا أعتقك حتى تخبرني من أين مجيئك في هذه الساعة فقال لها أيتها السيدة أعلمي أن مجيئي من آخر بلاد الصين ومـ ـن داخـ ـل الجزائـ ـر وأخبرك بأعجوبة رأيتها في هذه الليلة فإن وجدتي كلامك وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٠٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجني قال للجنية فإن وجدتي كلامي صحيحاً فأتركيني أروح إلى حال سبيلي وأكتبي لي بخطك في هذه الساعة أني عتيقك حتى لا يعارضني أحد من أرهاط الجن الطيارة العلويـ ـة والسفلية والغواصة قالت له ميمونة فما الذي رأيته في هذه الليلة يا دهنش فأخبرني ولا تكذب علـ ـى وتريـ ـد بكذبك أن تنفلت من يدي وأنا أقسم بحق النقش المكتوب على فص خاتم سليمان بن داود عليهما السلام أن لم يكن كلامك صحيحاً نتفت ريشك بيدي ومزقت جلدك وكسرت عظمك فقال لها العفريت دهنش بن شـ ـمهورش الطياران لم يكن كلامي صحيحاً فافعلي بي ما شئت يا سيدتي وأدرك شهرزاد الصـ ـباح فسـ ـكتت عـ ـن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٠٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن دهنشاً قال خرجت في هذه الليلة من الجزائر الداخلة في بلاد الصـ ـين وهي بلاد الغيور صاحب الجزائر والبحور والسبعة قصور فرأيت لذلك الملك بنتاً لم يخلق الله فـ ـي زمانـ ـه ا أحسن منها ولا أعرف كيف أصفها لك ويعجز لساني عن وصفها كما ينبغي ولكن اذكر لك شيئاً من صفاتها على سبيل التقريب أما شعرها فكليالي الهجر وأما وجهها فكأيام الوصال وقد أحسن في وصفها من قال:

نشـ ـرت ثـ ـلاث ذوائـ ـب مـ ـن شـ ـعرها   فـ ـي ليلـ ـة فـ ـأرت ليـ ـالي أربعـ ـاً
واسـ ـتقبلت قمـ ـر السـ ـماء بوجههـ ـا   فـ ـأرتني القمـ ـرين فـ ـي وقـ ـت معـ ـاً

ولها أنف كحد السيف المصقول ولها وجنتان كرحيق الأرجوان ولها خد كشـ ـقائق النعمـ ـان وشـ ـفتاها كالمرجان والعقيق وريقها أشهى من الرحيق يطفيء مذاقه عذاب الحريق ولسانها يحركه عقل وافر وجـ ـواب حاضر ولها صدر فتنة لمن يراه فسبحان من خلقه وسواه ومتصل بذلك الصدر عضد أمدن ملجان كما قـ ـال فيهما الشاعر الولهان.

وزنـ ـدان لـ ـولا أمسـ ـكا بأسـ ـاور   لسـ ـالا مـ ـن الأكمـ ـام سـ ـيل الجـ ـداول

ولها نهدان كأنهما من العاج يستمد من أشراقهما القمران ولها بطن مطوية كطي القبـ ـاطي المصـ ـرية وينتهي ذلك إلى خصر مختصر من وهم الخيال فوق ردف ككثيب من رمال يقعدها إذا قامـ ـت ويوقظهـ ـا إذا نامت كما قال فيه بعض واصفيه:

لهـ ـا كفـ ـل تعلـ ـق فـ ـي ضـ ـعيف   وذاك الـ ـردف لـ ـي ولهـ ـا ظلـ ـوم
فيـ ـ ـ ـوقفني إذا فكـ ـ ـ ـرت فيـ ـ ـ ـه   ويقعـ ـ ـ ـدها إذا همـ ـ ـ ـت تقـ ـ ـ ـوم

يحمي ذلك الكفل فخذان كأنهما من الدر عمودان وعلى حمله ما أقدرهما إلا بركة الشيخ الذي بينهمـ ـا وأما غير ذلك من الأوصاف بمالا يحصيه ناعت ولا وصاف ويحمل ذلك كله قدمان لطيفتان صنعه المهيمن الديان فعجبت منهما كيف كان يحملان ما فوقهما وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٠٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العفريت دهنش ابن شمهورش قال للعفريتة ميمونة وأما ما وراه ذلك فإني تركته لأنه تقصر عنه العبارة ولا تفي به الإشارة وأبو تلك الصبية ملك جبار فارس كرار يخوض بحار الأقطار في الليل والنهار لا يهاب الموت ولا يخاف القوت لأنه جائر ظلوم وقاهر غشوم وهو صاحب جيوش وعساكر وأقاليم وجزائر ومدن ودور وأسمه الملك الغيور صاحب الجزائر والبحور والسبعة قصور وكـ ـان يحب ابنته هذه التي وصفتها لك حباً شديداً ومن محبته لها جلب أموال سائر الملوك وبني لها بـ ـذلك سـ ـبعة قصور كل قصر من جنس مخصوص القصر الأول من البللور والقصر الثاني من الرخام والقصر الثالث من الحديد الصيني والقصر الرابع من الجزع والفصوص والقصر الخامس من الفضة والقصـ ـر السـ ـادس مـ ـن الذهب والقصر السابع من الجوهر وملأ السبعة قصور من أنواع الفرش الفاخرة وأوانـ ـي الـ ـذهب والفضـ ـة وجميع الآلات من كل ما تحتاج إليه الملوك وأمر ابنته أن تسكن في كل قصر مدة السنة ثم تنتقل منـ ـه إلـ ـى قصر غيره وأسمها الملكة بدور فلما اشتهرحسنها وشاع في البلاد ذكرها أرسل سائر الملـ ـوك إلـ ـى أبيهـ ـا يخطبونها منه فراودها في أمر الزواج فكرهت ذلك وقالت لأبيها يا والدي ليس لي غرض في الـ ـزواج أبـ ـداً فإني سيدة وملكة أحكم على الناس ولا أريد رجلاً يحكم علي وكلما امتنعت من الزواج زادت رغبة الخطاب فيها ثم أن جميع ملوك جزائر الصين الجوانية أرسلوا إلى أبيها الهدايا والتحف وكاتبوه في أمر زواجها فكرر عليها أبوها المشاورة في أمر الزواج مراراً عديدة فخالفته وغضبت منه وقالت له يا أبـ ـي أن ذكـ ـرت لـ ـي

الزواج مرة أخرى أخذت السيف ووضعت قائمة في الأرض وذبابه في بطني واتكأت عليه حتى يطلع مـ ن ظهري وقتلت نفسي فلما سمع أبوها منها هذا الكلام صار الضياء في وجهه ظلام واحترق قلبه عليها غايـ ـة الاحتراق وخشي أن تقتل نفسها وتحير في أمرها وفي أمر الملوك الذين خطبوها منه فقال لها أن كان ولابـ ـد من عدم زواجك فامتنعي من الدخول والخروج ثم إن أباها أدخلها البيت وحجبها فيه واستحفظ عليها عشـ ـر عجائز قهرمانات ومنعها من أ، تذهب إلى السبع قصور وأظهر أنه غضبان عليها وأرسل يكاتـ ـب الملـ ـوك جميعهم وأعلمهم أنها أصيبت بجنون في عقلها ولها الآن سنة وهي محجوبة ثم قال العفريت دهنش للعفريتـ ـة وأنا يا سيدتي أتوجه إليها في كل ليلة فأنظرها وأتملى بوجهها وأقبلها وهي نائمة بين عيبها ومن محبتي لهـ ـا لا أضرها ولا أركبها لأن جمالها بارع وكل من رآها يغار عليها من نفسه وأقسمت عليـ ـك يـ ـا سـ ـيدتي أن ترجعي معي وتنظري حسنها وجمالها وقدها واعتدالها وبعد هذا إن شئت أن تعاقبيني أو تأسريني فافعلي فإن الأمر أمرك والنهي نهيك ثم أن العفريت دهنشا أطرق رأسه إلى الأرض وخفض أجنحته إلى الأرض فقالت له العفريتة ميمونة بعد أن ضحكت من كلامه وبصقت في وجهه أي شيء هذه البنت التي تقول عنها فما هي إلا قواره بول فكيف لو رأيت معشوقي والله أن حسبت أن معك أمر عجيباً أو خبراً غريباً يـ ـا ملعـ ـون أنـ ـي رأيت إنساناً في هذه الليلة لو رأيته ولو في المنام لا نفلجت عليه وسالت ريالتك فقال لها دهنش وما حكايـ ـة هذا الغلام فقالت له اعلم يا دهنش أن هذا الغلام قد جرى له مثل ما جرى لمعشوقتك التي ذكرتها وأمره أبوه بالزواج مراراً عديدة فأبى فلما خالف أباه غضب عليه وسجنه في البرج الذي أنا ساكنة فيه فطلعت في هـ ـذه الليلة فرأيته فقال لها دهنش يا سيدتي أريني هذا الغلام لانظر هل هو أحسن من معشوقتي الملكة بـ ـدور أم لا لأني ما أظن أن يوجد في هذا الزمان مثل معشوقتي فقالت له العفريتة تكذب يا معلون يـ ـا أنحـ ـس المـ ـردة وأحقر الشياطين فأنا أتحقق أنه لا يوجد لمعشوقي مثيل في هذه الديار. وأدرك شهرزاد فسكتت عـ ـن الكـ ـلام المباح.

(وفي ليلة ٢١٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العفريتة ميمونة قالت للعفريت دهنش أنا أتحقق أنه لا يوجد لمشـ ـوقي مثيل في هذه الديار فهل أنت مجنون حتى تقيس معشوقتك بمعشوقي قال لها بالله عليك يا سيدتي أن تـ ـذهبي معي وتنظري معشوقتي وأرجع معك وانظر معشوقك فقالت له ميمونة لابد من ذلك يا ملعون لأنك شـ ـيطان مكار ولكن لا أجيء معك ولا تجيء معي إلا برهن فإن طلعت معشوقتك التي أنت تحبها وتتغالى فيها أحسن من معشوقي الذي أنا أحبه وأتغالى فيه فإن ذلك الرهن يكون لك وأن طلع معشوقي أحسن فإن ذلـ ـك الـ ـرهن يكون لي عليك فقال لها العفريت دهنش يا سيدتي قبلت منك هذا الشرط ورضيت به تعالي معي إلى الجزائر فقالت له ميمونة أن موضع معشوقي أقرب من موضع معشوقتك وها هو تحتنا فأنزل معي لتنظر معشـ ـوقي ونروح بعد ذلك إلى معشوقتك فقال لها دهنش سمعاً وطاعة ثم أنحدرا إلى أسفل ونزلا في دور القاعة التـ ـي في البرج وأوقفت ميمونة دهنشاً بجنب السرير ومدت يدها ورفعت الملاءة عن وجه قمر الزمان بن الملـ ـك شهرمان فسطع وجهه وأشرق ولمع وزها فنظرته ميمونة والتفتت من وقتها إلى دهنش وقالت له انظـ ـر يـ ـا ملعون ولا تكن أقبح مجنون فنحن بنات وبه مفتونات فعند ذلك التفت إليه دهنش واستمر يتأمل فيه ساعة ثـ ـم

حرك رأسه وقال لميمونة والله يا سيدتي أنك معذورة ولكن بقي شيء آخر وهو أن حال الأنثى غير حال الذكر وحق الله أن معشوقك هذا أشبه الناس بمعشوقتي في الحسن والجمال والبهجة والكمال وهما الأثنان كأنهما قد أفرغا في قالب الحسن سواء فلما سمعت ميمونة من دهنش هذا الكلام صار الضياء في وجهها ظلاماً ولطمته بجناحها على رأسه لطمة قرية كادت أن تقضي عليه من شدتها وقالت له قسماً بنور وجهه وجلاله أن تروح يا ملعون في هذه الساعة وتحمل معشوقتك التي تحبها وتجيء بها سريعاً إلى هذا المكان حتى نجمع بين الأثنين وننظرهما وهما نائمان بالقرب من بعضهما فيظهر لنا أيهما أحسن وأن لم تفعل ما أمرتك به في هذه الساعة يا ملعون أحرقتك بناري ورميتك بشرار أسراري ومزقتك قطعاً في البراري وجعلتك عبرة للمقيم والساري فقال لها دهنش يا سيدتي لك على ذلك وأنا أعرف أن محبوبتي أحسن وأحلى ثم أن العفريت دهنش طار من وقته وساعته وطارت ميمونة معه من أجل المحافظة عليه فغابا ساعة زمانية ثم أقبل الأثنان بعد ذلك وهما حاملان تلك الصبية وعليها قميص بندقي رفيع بطرازين من الذهب وهو مزركش ببدائع التطريزات ومكتوب على رأسه كمية هذه الأبيات:

ثلاث . ـة منعته . ـا م . ـن زيارتنـ . ـا	خوف الرقيب وخـ ـوف الحاسـ ـد الحنـ ـق
ضوء الجبين ووسـ ـاوس الحلـ ـي ومـ ـا	حـ ـوت معاطفه ـا مـ ـن عنبـ ـر عبـ ـق
هـ ـب الجبـ ـين بفضـ ـل الكـ ـم تسـ ـتره	والحلـ ـي تنزع ـه مـ ـا حيلـ ـة العـ ـرق

ثم أنهما نزلا بتلك الصبية ومدداها بجانب الغلام وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢١١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العفريت والعفريتة كشفا عن وجود الأثنين فكانا أشبه الناس ببعضهما فكأنهما توأمان أخوان منفردان وهما فتنة للمتقين كما قال فيهما الشاعر المبين:

يـ ـا قلـ ـب لا تعشـ ـق مليحـ ـاً واحـ ـداً	تحتـ . ـار فيـ . ـه تـ . . دللاً وتـ . . ذللاً
واهـ . ـو المـ . ـلاح جمـ . يعهم تلقـ . ـاهم	أن صـ . ـد هـ . ـذا كـ . ـان هـ . ـذا مقـ . ـبلا

وصار دهنش وميمونة ينظران إليهما فقال دهنش أن معشوقتي أحسن قالت له ميمونة بـ ـل معشـ ـوقي أحسن ويلك يا دهنش هل أنت أعمى أما تنظر إلى حسنه وجماله وقده واعتداله فأسمع ما أقوله في محبـ ـوبي وأن كنت محباً صادقاً لمن تعشقها فقل فيها مثل ما أقول في محبوبي ثم أن ميمونة قبلت قمر الزمـ ـان قـ ـبلاً عديدة وأنشدت هذه القصيدة :

مـ . ـالي وللاحـ . ـى عليـ . ـك يعنـ . ـف	كيـ ـف السـ ـلو وأنـ ـت غصـ ـن أهيـ ـف
لـ ـك مقلـ ـة كحـ ـلاء تنفـ ـث سـ ـحرها	مـ ـا للهـ ـوى العـ ـذري عنهـ ـا مصـ ـرف
تركيـ . ـة الألحـ . ـاظ تفعـ . ـل باحشـ . ـا	مـ ـا لـ ـيس يفعلـ ـه الصـ ـقيل المرهـ ـف
حملتنـ . ـي ثقـ . ـل الغـ . ـرام وأننـ . ـي	بالعجز عـ ـن حمـ ـل القمـ ـيص لأضـ ـعف
وجدي عليـ ـك كمـ ـا علمـ ـت ولـ ـوعتي	طبـ ـع وعشـ ـقي فـ ـي هـ ـواك تكلـ ـف
لـ ـو أن قلبـ ـي مثـ ـل قلبـ ـك لـ ـم أبـ ـت	والجسـ ـم منـ ـي مثـ ـل خصـ ـرك منحـ ـف
ويـ ـلاه مـ ـن قمـ ـر بكـ ـل ملاحـ ـة	بـ ـين الأنـ ـام وكـ ـل حسـ ـن يوصـ ـف
قال العواذل في الهـ ـوى مـ ـن ذا الـ ـذي	أنـ ـت الكئيـ ـب بـ ـه فقلـ ـت لهـ ـم صـ ـفوا

يـ ـا قلبـ ـه القاسـ ـي تعلـ ـم عطفـ ـه   مـ ـن قـ ـده فعسـ ـى تـ ـرق وتعطـ ـف
لـ ـك يـ ـا أمير ـر فـ ـي الملاحـ ـة نـ ـاظر   يسطو على وحاجب لا ينصف في يوسـ ـف
كـ ـذب الـ ـذي ظـ ـن الملاحـ ـة كلهـ ـا   كـ . . ـم فـ . . ـي جمالـ . . ـك يوسـ . . ـف
الجـ . . ـن تخشـ . . ـاني إذا قابلتهـ . . ـا   وأنـ . ـا إذا ألقـ . ـاك قلبـ . ـي يرجـ . ـف
"أتكلـ ـف الأغـ ـراض عنـ ـك مهابـ ـة   وإليـ ـك أصـ ـبو جهـ ـد مـ ـا أ .. كلف
والشـ ـعر أسـ ـود والجبـ ـين مشعشـ ـع   والطـ ـرف أحـ ـور والقـ ـوام مهفهـ ـف

فلما سمع دهنش شعر ميمونة في معشوقها طرب غاية الطرب وتعجب كل العجب. وأدرك شـ ـهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢١٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن دهنشاً قال أنك أنشدتيني فيمن تعشقينه هذا الشعر الرقيق مع أنك بالك مشغول به ولكن أنا بذل الجهد في إنشاد الشعر على قدر فكرتي ثم أن دهنشاً قام إلى معشوقته بدور وقبلهـ ـا بين عينيها ونظر إلى العفريتة ميمونة وإلى معشوقته بدور وجعل ينشد هذه القصيدة وهو بلا شعور.

أفـ . ـوت معاهـ . ـدهم بشـ . ـط الـ . ـوادي   فبقيـ . ـت مقتـ . ـولاً وسـ . ـط الـ . ـوادي
وسكرت مـ ـن خمـ ـر الغـ ـرام ورقصـ ـت   عينـ ـي الـ ـدموع علـ ـى غنـ ـاء الحـ ـادي
أسـ ـعي لأسـ ـعد بالوصـ ـال وحـ ـق لـ ـي   أن السـ . ـعادة فـ . ـي بـ . ـدور سـ . ـعاد
لـ ـم أدر مـ . ـن أي الثلاثـ ـة أشـ ـتكي   ولقـ . ـد عـ . ـددت فأصـ . ـغ للأعـ . ـداد
مـ ـن لحظهـ ـا السـ ـياف أم مـ ـن قـ ـدها   الرمـ . ـاح أم مـ . ـن صـ . ـدغها الـ . ـزراد
قالـ ـت وقـ ـد فقشـ ـت عنهـ ـا كـ ـل مـ ـن   لاقيتـ . ـه مـ . ـن حاضـ . ـر أو بـ . ـادي
أنا فـ ـي فـ ـؤادك فـ ـارم طرفـ ـك نحـ ـوه   ترنـ ـي فقلـ ـت لهـ ـا وأيـ ـن فـ ـؤادي

فلما فرغ من شعره قالت العفريتة أحسنت يا دهنش ولكن أي هذين الأثنين أحسن فقال لهـ ـا محبـ ـوبتي بدور أحسن من محبوبك فقالت له كذبت يا ملعون بل معشوقي أحسن من معشوقتك ثـ ـم أنهمـ ـا لـ ـم يـ ـزالا يعارضان بعضهما في الكلام حتى صرخت ميمونة على دهنش وأرادت أن تبطش به فذل لها ورقق كلامـ ـه وقال لها لا يصعب عليك الحق فأبطلي قولك وقولي فإن كلامنا يشهد لمعشوقه أنه أحسن فنعرض عن كـ ـلام كل واحد منا ونطلب من يفصل الحكم بيننا بالإنصاف ونعتمد على قوله فقالت له ميمونة وهـ ـو كـ ذلك ثـ ـم ضربت الأرض برجلها فطلع لها من الأرض عفريت أعور أجرب وعيناه مشقوقتان في وجهه بالطول وفـ ـي رأسه سبعة قرون وله أربع ذوائب من الشعر مسترسلة إلى الأرض ويداه مثل يدي القطرب له أظفار كأظفار الأسد ورجلان كرجلي الفيل وحوافر كحوافر الحمار فلما طلع ذلك العفريت ورأي ميمونة قبل الأرض بـ ـين يديها وتكتف وقال لها ما حاجتك يا سيدتي يا بنت الملك فقالت له يا قشقش أني أريد أن تحكم بيني وبين هذا الملعون دهنش ثم أنها أخبرته بالقصة من أولها إلى آخرها فعندها نظر العفريت قشقش إلى وجه ذلك الصبي ووجه تلك الصبية فرآهما متعانقين وهما نائمان ومعصم كل منهما تحت عنق الآخـ ـر وهمـ ـا فـ ـي الحسـ ـن والجمال متشابهان وفي الملاحة متساويان فنظر وتعجب المارد قشقش من حسنهما وجمالهما والتفـ ـت إلـ ـى ميمونة ودهنش بعد أن أطال إلى الصبي والصبية الألتفات وأنشد هذه الأبيات:

زر مـ ـن تحـ ـب ودع مقالـ ـة حاسـ ـد	ليس الحسود على الهوى بمسـ ـاعد مـ ـن
لـ ـم يخلـ ـق الـ ـرحمن أحسـ ـن منظـ ـراً	عـ ـ ـاشقين علـ ـ ـى فـ ـ ـراش واحـ ـ ـد
متعـ ـ ـانقين عليهمـ ـ ـا حلـ ـ ـل الرضـ ـ ـا	متوسـ ـ ـ دين بمعصـ ـ ـم وبسـ ـ ـ ـاعد
وإذا صـ ـفا لـ ـك مـ ـن زمانـ ـك واحـ ـد	فهـ ـو المـ ـراد وعـ ـش بـ ـذاك الواحـ ـد
وإذا تألفـ ـت القلـ ـوب علـ ـى الهـ ـوى	فالنـ ـاس تضـ ـرب فـ ـي حديـ ـد بـ ـارد
يا من يلوم على الهـ ـوى أهـ ـل الهـ ـوى	هـ ـل يسـ ـتطاع صـ ـلاح قلـ ـب فاسـ ـد
يـ ـارب يـ ـا رحمـ ـن تحسـ ـن حتمنـ ـا	قبـ ـل الممـ ـات ولـ ـو بيـ ـوم واحـ ـد

ثم أن العفريت قشقش التفت إلى ميمونة وإلى دهنش وقال لهما والله ما فيهما أحد أحسن من الآخر ولا دون الآخر بل هما أشبه الناس ببعضهما في الحسن والجمال والبهجة والكمال ولا يفرق بينهما إلا بالتـ ذكير والتأنيث وعندي حكم آخر وهو أن ننبه كل واحد منهما من غير علم الآخر وكل من التهب على رفيقه فهـ و دونه في الحسن والجمال فقالت ميمونة نعم هذا الرأي الذي قلته فأنا رضيته وقال دهنش وأنا أيضاً رضـ يته فعند ذلك انقلب دهنش في صورة برغوث ولدغ قمر الزمان وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢١٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن دهنشاً لدغ قمر الزمان في رقبته في موضع ناعم فمذ قمر الزمان يده على رقبته وهرش موضع اللدغة من شدة ما أحرقته فتحرك بجنبه فوجد شيئاً نائماً بجنبه ونفسه أذكى من المسـ ـك وجسمه ألين من الزبد فتعجب قمر الزمان من ذلك غاية العجب ثم قام من وقته قاعداً ونظر إلى ذلك الشخص الراقد بجانبه فوجده صبية كالدرة السنية أو القبة المبنية بقامة الفية خماسية القد بارزة النهد موردة الخد كمـ ـا قال كما قال فيها بعض واصفيها.

بـ ـدت قمـ ـراً وعـ ـادت غصـ ـن بـ ـان	وفاحـ ـت عنبـ ـراً ورنـ ـت غـ ـزالاً
كـ ـأن الحـ ـزن مشـ ـغوف بقلبـ ـي	فسـ ـاعة مجرهـ ـا يجـ ـد الوصـ ـالا

فلما رأى قمر الزمان السيدة بدور بنت الملك الغيور وشاهد حسنها وجمالها وهي نائمة طولـ ـه ووجـ ـد فوق بدنها قميصاً بندقياً وهي بلا سروال وعليها كوفية من ذهب مرصعة بالجواهر وفي عنقها قـ ـلادة مـ ـن الفصوص المثمنة لا يقدر عليها أحد من الملوك فصار مدهوش العقل من ذلك ثم أنه حـ ـين شـ ـاهد حسـ ـنها تحركت فيه الحرارة الغريزية وألقى الله عليه شهوة الجماع وقال في نفسه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ثم قلبها بيده ثاني مرة وفتح طوق قميصها فبان له بطنها ونظر إليها وإلى نهودها فازداد فيها محبة ورغبـ ـة فصار ينبهها وهي لا تنتبه لأن دهنشا ثقل نومها فصار قمر الزمان يهزها ويحركهـ ـا ويقـ ـول يـ ـا حبيبتـ ـي استيقظي وانظري من أنا فأنا قمر الزمان فلم تستيقظ ولم تحرك رأسها فعند ذلك تفكر في أمرها ساعة زمانية وقال في نفسه أن صدق حذري فهذه الصبية هي التي يريد والدي زواجي بها ومضى لي ثلاث سـ ـنين وأنـ ـا أمتنع من ذلك فإن شاء الله إذا جاء الصبح أقول لأبي زوجني بها. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢١٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن قمر الزمان قال في نفسه أن شاء الله إذا جاء الصد بح أق ول لأب ي زوجني بها ولا أترك نصف النهار يفوت حتى أفوز بوصلها وأتملى بحسنها وجمالها ثم أن قمر الزمان مـ ال إلى بدور ليقبلها فارتعدت ميمونة الجنية وخجلت وأما العفريت دهنش فإنه طار من الفرح ثم أن قمر الزمان لما أراد أن يقبلها في فمها استحى من الله ولفت وجهه وقال في نفسه أنا أصبر لئلا يكون والدي لما غضـ ب علي وحبسني في هذا الموضع جاء لي بهذه العروسة وأمرها بالنوم جنبي ليمتحني بها وأوصـ اها أنـ ي إذا نبهتها لا تستيقظ وقال لها أي شيء فعل بك قمر الزمان فاعلميني به وربما يكون والدي مستخفياً في مكـ ان بحيث يطلع علي وأنا لا أنظره فينظر جميع ما أفعله بهذه الصبية وإذا أصبح الصباح يوبخني ويقول لي كيف تقول لي ما لي أرب في الزواج وأنت قبلت تلك الصبية وعانقتها فأنا أكف نفسي عنها لئلا ينكشف أمري مع والدي فأنا لا ألمس هذه الصبية من تلك الساعة ولا التفت لها غير أني آخذ لي منها شيئاً يكون أمارة عنـ دي وتذكرة لها حتى يبقى بيني وبينها إشارة ثم أن قمر الزمان رفع كف الصبية وأخذ خاتمها من خنصرها وهو يساوي جملة من المال لأن فصه من نفيس الجواهر ومنقوش في دائرته هذه الأبيات:

لا تحسـ ـبوا أنـ ـي نسـ ـيت عهـ ـودكم … مهمـ ـا أطلـ ـتم فـ ـي الزمـ ـان صـ ـدودكم
يـ ـا سـ ـادتي جـ ـودوا علـ ـي تعطفـ ـاً … فعسـ ـى أقبـ ـل ثغـ ـركم وخـ ـدودكم
والله أنـ ـي لسـ ـت أبـ ـرح عـ ـنكم … ولـ ـو أعـ ـديتم فـ ـي الغـ ـرام حـ ـدودكم

ثم أن قمر الزمان نزع ذلك الخاتم من خنصر الملكة بدور ولبسه في خنصره وأدار ظهره إليها وقـ ام ففرحت ميمونة الجنية لما رأت ذلك وقالت لدهنش وقشقش هل رأيتما محبوبي قمر الزمان وما فعله من العفة عن هذه الصبية فهذا من كمال محاسنه فانظروا كيف رأى هذه الصبية وحسنها وجمالها ولم يعانقها ولم يملس بيده عليها بل أدار ظهره إليها ونام فقالا لها قد رأينا ما صنع من الكمال فعند ذلك أنقلبت ميمونـ ـة وجعلـ ـت نفسها برغوثاً ودخلت ثياب بدور محبوبة دهنش ومشت على ساقها وطلعت على فخذها ومشت تحت سـ ـرتها مقدار أربعة قراريط ولدغتها ففتحت عينيها واستوت قاعدة فرأت شاباً نائماً بجانبها وهو يغط في نومه ولـ ـه خدود كشقائق النعمان ولواحظ تخجل الحور الحسان وفم كأنه خاتم سليمان وريقه حلو المـ ـذاق وانفـ ـع مـ ـن الترياق كما قال فيه بعض واصفيه.

سـ ـلاحاً طـ ـرى عـ ـن زينـ ـب وذ ـوار … بـ ـ ـوردة خـ ـ ـد فـ ـ ـوق آس عـ ـ ـذار
وأصـ ـبحت بـ ـالظبي المقرط ـق مغرمـ ـاً … ولا أرى لـ ـي فـ ـي عشـ ـق ذات سـ ـوار
أنيسي في النادي وفـ ـي خلـ ـوتي معـ ـاً … خـ ـلاف أنيسـ ـي فـ ـي قـ ـرارة داري
فيا لائمـ ـي فـ ـي هجـ ـر هنـ ـد وزينـ ـب … وقـ ـد لاح عـ ـذري كالمصـ ـباح السـ ـاري
أترضـ ـى بـ ـأن أمسـ ـي أسـ ـير أسـ ـيرة … محصـ ـ ـنة أو مـ ـ ـن وراء جـ ـ ـداري

ثم أن الملكة بدور لما رأت قمر الزمان أخذها الهيام والوجد والغرام وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢١٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملكة بدور قالت في نفسها وافضيحتاه أن هذا شاب غريب لا أعرفه ما باله راقد بجانبي في فراش واحد ثم نظرت إليه بعيونها وحققت النظر فيه وفي ظرفه ودلاله وحسنه وجماله ثم قالت وحق الله أنه شاب مليح مثل القمر إلا أن كبدي تكاد أن تتمزق وجدا عليه وشغفا بحسنه وجماله فيا فضيحتي منه والله لو علمت أن هذا الشاب هو الذي خطبني من أبي ما رددته بل كنت أتزوجه وأتملى بجماله ثم أن الملكة بدور تطلعت من وقتها وساعتها في وجه قمر الزمان وقالت له يا سيدي وحبيب قلبي ونور عيني انتبه من منامك وتمتع بحسني وجمالي ثم حركته بيدها فأرخت عليه ميمونة الجنية النوم وثقلت رأسه بجناحها فلم يستيقظ قمر الزمان فهزته الملكة بدور بيديها وقالت له بحياتي عليك أن تطيعني وأنتبه من منامك وانظر النرجس والخضرة وتمتع ببطني والسرة وهارشني وناغشني من هذا الوقت إلى بكرة قم بيا سيدي واتكيء على المخدة ولا تنم فلم يجيبها قمر الزمان بجواب ولم يرد عليها خطاباً بل غط في النوم فقالت الملكة بدور مالك تائهاً بحسنك وجمالك وظرفك ودلالك فكما أنت مليح أنا الأخرى مليحة فما هذا الذي تفعله هل هم علموك الصد عني أو أبى الشيخ النحس منعك من أن تكلمني في هذه الليلة ففتح قمر الزمان عينيه فازدادت فيه محبة وألقى الله محبته في قلبها ونظرته نظرة أعقبتها ألف حسرة فخفق فؤادها وتقلقلت أحشاؤها واضطربت جوارحها وقالت لقمر الزمان يا سيدي كلمني يا حبيبي حدثني يا معشوقي رد على الجواب وقل لي ما اسمك فأنك سلبت عقلي كل ذلك وقمر الزمان مستغرق في يالنوم ولم يرد عليها بكلمة فتأوهت الملكة بدور وقالت مالك معجباً بنفسك ثم هزته وقبلت يده فرأت خاتمها في أصبعه الخنصر فشهقت شهقة واتبعتها بغنجة وقالت أوه أوه والله أنت حبيبي وتحبني ولكن كأنك تعرض عني دلالاً مع أنك جئتني وأنا نائمة وما أعرف كيف عملت أنت معي ولكني ما أنا قالعة خاتمي من خنصرك ثم فتحت جيب قميصه ومالت عليه وقبلت رقبته وفتشت على شيء تأخذه منه فلم تجد معه شيئاً ورأته بغير سروال فمدت يدها من تحت ذيل قميصه وجست سيقانه فزلقت يدها من نعومة جسمه وسقطت على أيره فانصدع قلبها وارتجف فؤادها لأن شهوة النساء أقوى من شهوة الرجال وخجلت ثم نزعت خاتمه من أصبعه ووضعته في أصبعها موضعاً عن خاتمها وقبلته في ثغره وقبلت كفيه ولم تترك فيه موضعاً إلا قبلته وبعد ذلك أخذته في حضنها وعانقته ووضعت إحدى يديها تحت رقبته والأخرى من تحت أبطه ونامت بجانبه وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢١٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملكة بدور نامت بجانب قمر الزمان وجرى منها ما جرى فلما رأت ذلك ميمونة فرحت غاية الفرح وقالت لدهنش هل رأيت يا ملعون كيف فعلت معشوقتك من الوله بمعشوقي وكيف فعل معشوقي من التيه والدلال فلاشك أن معشوقي أحسن من معشوقتك ولكن عفوت عنك ثم كتبت له ورقة بالعتق والتفتت إلى قشقش وقالت له أدخل معه وأحمل معشوقته وساعده علي وصولها إلى مكانها لأن الليل مضى وفاتني مطلوبي فتقدم دهنش وقشقش إلى الملكة بدور ودخلا تحتها وحملاها وطارا بها وأوصلاها إلى مكانها وأعاداها إلى فراشها واختلت ميمونة بالنظر إلى قمر الزمان وهو نائم حتى لم يبق من

الليل إلا القليل ثم توجهت إلى حال سبيلها فلما انشق الفجر انتبه قمر الزمان من منامه والتفت يميناً وشمالاً فلم يجد الصبية عنده فقال في نفسه ما هذا الأمر كأن أبي يرغبني في الزواج بالصبية التي كانت عندي ثم أخذها سراً لأجل أن تزداد رغبتي في الزواج ثم صرخ على الخادم الذي هو نائم على الباب وقال له ويلك يا ملعون قم فقام الخادم وهو طائش العقل من النوم ثم قدم له الطشت والأبريق فقام قمر الزمان ودخل المستراح وقضى حاجته وخرج فتوضأ وصلي الصبح وجلس يسبح الله ثم نظر إلى الخادم فوجده واقفاً في خدمته بين يديه فقال له ويلك يا صواب من جاء هنا وأخذ الصبية من جنبي وأنا نائم فقال الخادم يا سيدي أي شيء الصبية فقال قمر الزمان الصبية التي كانت نائمة عندي في هذه الليلة فانزعج الخادم من كلام قمر الزمان وقال له لم يكن عندك صبية ولا غيرها ومن أين دخلت الصبية وأنا نائم وراء الباب وهو مقفول والله يا سيدي ما دخل عليك ذكر ولا أنثى فقال له قمر الزمان تكذب يا عبد النحس وهل وصل من قدرك أنت الآخر أنك تخادعني ولا تخبرني أين راحت هذه الصبية التي كانت نائمة عندي في هذه الليلة ولم تخبرني بالذي أخذها من عندي فقال الطواشي وقد أنزعج منه والله يا سيدي ما رأيت صبية ولا صبياً فغضب قمر الزمان من كلام الخادم وقال له أنهم علموك الخداع يا ملعون فتعال عندي فتقدم الخادم إلى قمر الزمان فأخذ بأطواقه وضرب به الأرض فضرط ثم برك عليه قمر الزمان ورفسه برجله وخنقه حتى غشي علي ثم بعد ذلك ربطه في سلبة البئر وأدلاه فيه إلى أن وصل إلى الماء وأرخاه وكانت تلك الأيام أيام برد وشتاء قاطع فغطس الخادم في الماء ثم نشله قمر الزمان وأرخاه ومازال يغطس ذلك الخادم في الماء وينشله منه والخادم يستغيث ويصرخ ويصيح وقمر الزمان يقول له والله يا ملعون ما أطلعك من هذه البئر حتى تخبرني بخبر هذه الجارية وقضيتها ومن الذي أخذها وأنا نائم وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢١٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الخادم قال لقمر الزمان انقذني من البئر يا سيدي وأنا أخبرك بالصحيح فجذبه من البئر واطلعه وهو غائب عن الوجود من شدة ما قاساه من الغرق والغطاس والبرد والضرب والعذاب وصار يرتعد مثل القصبة في الريح العاصف واشتكت أسنانه في بعضها وابتلت ثيابه بالماء فلما رأى الخادم نفسه على وجه الأرض قال له دعني يا سيدي أروح وأقلع ثيابي وأعصرها وأنشرها في الشمس والبس غيرها ثم أحضر إليك سريعاً وأخبرك بأمر تلك الصبية وأحكي لك حكايتها فقال له قمر الزمان والله يا عبد النحس لولا أنك عاينت الموت ما أقررت بالحق فأخرج لقضاء أغراضك وعد إلي بسرعة وأحك لي حكاية الصبية وقصتها فعند ذلك خرج الخادم وهو لا يصدق بالنجاة ولم يزل يجري إلي أن دخل على الملك شهرمان أبى قمر الزمان فوجد الوزير بجانبه وهما يتحدثان في أمر قمر الزمان فسمع الملك يقول للوزير أني ما نمت في هذه الليلة من اشتغال قلبي بولدي قمر الزمان وأخشى أن يجري له شيء من هذا البرج العتيق وما كان في سجنه شيء من المصلحة فقال له الوزير لا تخف عليه والله لا يصيبه شيء ودعه مسجوناً شهر كامل حتى تلين عريكته فبينما هما في الكلام وإذا بالخادم دخل عليهما وهو في تلك الحالة وقال له يا مولانا السلطان أن ولدك حصل له جنون وقد فعل بي هذه الفعال وقال لي أن صبية باتت عندي في هذه الليلة وذهبت خفية فأخبرني بخبرها وأنا لا أعرف ما شان هذه الصبية فلما سمع السلطان شهرمان هذا الكلام

عن ولده قمر الزمان صرخ قائلاً وا ولداه وغضب على الوزير الذي كان سبباً في هذه الأمور غضباً شديداً وقال له قم اكشف لي خبر ولدي قمر الزمان فخرج الوزير وهو يعثر في أذياله من خوفه من الملك وراح مع الخادم إلى البرج وكانت الشمس قد طلعت فدخل الوزير على قمر الزمان فوجده جالساً على السرير يقرأ القرآن فسلم عليه الوزير وجلس إلى جانبه وقال له يا سيدي أن هذا العبد النحس أخبرنا بخبر شوش علينا وأزعجنا فاغتاظ الملك من ذلك فقال له قمر الزمان أيها الوزير وما الذي قاله لكم عني حتى شوش على أبي وفي الحقيقة هو ما شوش إلا علي فقال له الوزير أنه جاءنا بحالة منكرة وقال لنا قولاً حاشاك منه وكذب علينا بما لا ينبغي أن يذكر في شأنك فسلامة شبابك وعقلك الرجيح ولسانك الفصيح وحاشى أن يصدر منك شيء قبيح فقال له قمر الزمان فأي شيء قال هذا العبد النحس فقال له الوزير أنه أخبرنا أنك جننت وقلت له كان عندي صبية في الليلة الماضية فهل قلت للخادم هذا الكلام فلما سمع قمر الزمان هذا الكلام اغتاظ غيظاً شديداً وقال للوزير تبين لي أنكم علمتم الخادم الفعل الذي صدر منه وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢١٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن قمر الزمان ابن الملك شهرمان قال للوزير تبين لي أنكم منعتموه من أن يخبرني بأمر الصبية التي كانت نائمة عندي في هذه الليلة وأنت أيها الوزير أعقل من الخادم فأخبرني في هذه الساعة أين ذهبت الصبية المليحة التي كانت نائمة في حضني في تلك الليلة فأنتم الذين ارسلتموها عندي وأمرتموها أن تبيت في حضني ونمت معها إلى الصباح فلما انتبهت ما وجدتها فأين هي الآن فقال الوزير يا سيدي قمر الزمان اسم الله حواليك وأنا ما أرسلنا لك في هذه الليلة أحداً وقد نمت وحدك والباب مقفل عليك والخادم نائم من خلف الباب وما أتى إليك صبية ولا غيرها فأرجع إلى عقلك يا سيدي ولا تشغل خاطرك فقال له قمر الزمان وقد أغتاظ من كلامه أيها الوزير أن تلك الصبية معشوقتي وهي المليحة صاحبة العيون السود والخدود الحمر التي عانقتها في هذه الليلة فتعجب الوزير من كلام قمر الزمان وقال له هل رأيت هذه الصبية في هذه الليلة بعينك في اليقظة أو في المنام فقال له قمر الزمان يا أيها الشيخ النحس أتظن أني رأيتها بأذني أنما رأيتها بعيوني في اليقظة وقلبتها بيدي وسهرت معها نصف ليلة كاملة وأنا أتفرج على حسنها وجمالها وظرفها ودلالها وأنما أنتم أوصيتموها أنها لا تكلمني فجعلت نفسها نائمة فنمت بجانبها إلى الصباح ثم أستيقظت من منامي فلم أجدها فقال له الوزير يا سيدي قمر الزمان ربما تكون رأيت هذا الأمر في المنام فيكون أضغاث أحلام أو تخيلات من أكل مختلف الطعام أو وسوسة من الشياطين اللئام فقال له قمر الزمان يا أيها الشيخ النحس كيف تهزأ بي أنت الآخر وتقول لي لعل هذا أضغاث أحلام مع أن الخادم قد أقر بتلك الصبية وقال لي في هذه الساعة أعود إليك وأخبرك بقصتها ثم أن قمر الزمان قام من وقته وتقدم إلى الوزير وقبض لحيته في يده وكانت لحيته طويلة فأخذها قمر الزمان ولفها على يده وجذبه منها فرماه من فوق السرير وألقاه على الأرض فأحس الوزير أن روحه طلعت من شدة نتف لحيته ومازال قمر الزمان يرفس الوزير برجليه ويصفعه على الصبي المجنون بكذبة فأنا أولاً بذلك منه وأخلص نفسي أنا الآخر بكذبة وألا يهلكني فها أنا أكذب وأخلص روحي منه فأنه مجنون لاشك في جنونه ثم أن الوزير التفت إلى قمر الزمان

وقال له يا سيدي لا تؤاخذني فإن والدك أوصاني أن أكتم عنك خبر هذه الصبية وأنا الآن عجزت وكليت من الضرب لأني بقيت رجلاً كبيراً وليس لي قوة على تحمل الضرب فتمهل علي قليلاً حتى أحدثك بقصة الصبية فعند ذلك منع عنه الضرب وقال له لأي شيء لم تخبرني بخبر تلك الصبية إلا بعد الضرب والإهانة فقم يـ ـا أيها الشيخ النحس وأحك لي خبرها فقال له الوزير هل أنت تسأل عن تلك الصبية صاحبة الوجه المليح والقد الرجيح فقال له قمر الزمان نعم أخبرني أيها الوزير من الذي جاء بها إلى وأنامها عندي وأين هي في هـ ـذه الساعة حتى أروح أنا إليها بنفسي فإن كان أبي الملك شهرمان فعل معي هذه الفعال وامتحني بتلك الصـ ـبية المليحة من أجل زواجها فأنا رضيت أن أتزوج بها فإنه ما فعل معي هذا الأمر كله وولـ ـع خـ ـاطري بتلـ ـك الصبية بعد ذلك حجبها عني إلا من أجل امتناعي من الزواج فها أنا رضيت بالزواج فأعلم والدي بذلك أيهـ ـا الوزير وأشر إليه أن يزوجني بتلك الصبية فإني لا أريد سواها وقلبي لم يعشق إلا إياها فقم وأسرع إلى أبـ ـي وأشر إليه بتعجيل زواجي ثم عدا لي قريباً في هذه ساعة فما صدق الوزير بالخلاص من قمر الزمان حتـ ـى خرج من البرج وهو يجري إلى أن دخل على الملك شهرمان وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢١٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير خرج يجري من البرج إلى أن دخل على الملك شهرمان فلمـ ـا دخل عليه قال له الملك أيها الوزير مالي أراك في ارتباك ومن الذي بشره رماك حتى جئت مرعوبـ ـاً فقـ ـال للملك إني قد جئتك ببشارة قال له الملك وما تلك البشارة قال له اعلم أن ولدك قمر الزمان قد حصل له جنون فلما سمع الملك كلام الوزير صار الضياء في وجهه ظلاماً وقال له أيها الوزير أوضح لي صفة جنون ولدي قال له الوزير سمعاً وطاعة ثم أخبره بما صدر من ولده فقال الملك أبشر أيها الوزير أني أعطيك في نظيـ ـر بشارتك أياي بجنون ولدي ضرب رقبتك وزوال النعم عنك يا نحس الوزراء وأخبث الأمراء لأني أعلم أنـ ـك سبب جنون ولدي بمشورتك ورأيك التعيس الذي أشرت به علي في الأول والآخر والله أن كان يـ ـأتي علـ ـى ولدي شيء من الضرر أو الجنون لأسمرنك على القبة وأذيقنك النكبة ثم أن الملك نهض قائماً علـ ـى أقدامـ ـه وأخذ الوزير معه ودخل به البرج الذي فيه قمر الزمان فلما وصلا إليه قام قمر الزمان على قدميـ ـه لوالـ ـده ونزل سريعاً من فوق السرير الذي هو جالس عليه وقبل يديه ثم تأخر وراءه وأطرق رأسه إلى الأرض وهو مكتف اليدين قدام أبيه ولم يزل كذلك ساعة زمانية وبعد ذلك رفع رأسه إلى والده وفرت الدموع من عينيـ ـه وسالت على خديه وأنشد قول الشاعر:

أن كنـ ـت قـ ـد أذنبـ ـت ذنبـ ـاً سـ ـالفاً	فـ ـي حقك ـم وأتيـ ـت شـ ـيئاً منك ـراً
أنـ ـا تائـ ـب عمـ ـا جنيـ ـت وعفـ ـوكم	يسـ ـع المسـ ـيء إذا أتـ ـى مسـ ـتغفراً

فعند ذلك قام الملك وعانق ولده قمر الزمان وقبله بين عينيه وأجلسه إلى جانبه فوق السرير ثم التفـ ـت إلى الوزير بعين الغضب وقال له يا كلب الوزراء كيف تقول على ولدي قمر الزمان ما هو كذا وكذا وترعب قلبي عليه ثم التفت إلى ولده وقال له يا ولدي ما اسم هذا اليوم فقال له يا والدي هذا يوم السبت وغـ ـدا يـ ـوم الأحد وبعده يوم الأثنين وبعده الثلاثاء وبعده الأربعاء وبعده الخميس وبعده الجمعة فقال له الملك يا ولدي قمر الزمان الحمد لله على سلامتك ما إسم هذا الشهر الذي علينا بالعربي فقال اسمه ذو القعدة ويليـ ـه ذو الحجـ ـة

وبعده المحرم وبعده صفر وبعده ربيع الأول وبعده ربيع الثاني وبعده جمادي الأولى وبعده جمـ ـادي الثانيـ ـة وبعده رجب وبعده شعبان وبعده رمضان وبعده شوال ففرح بذلك الملك فرحاً شديداً وبصق في وجه الـ ـوزير وقال له يا شيخ السوء كيف تزعم أن ولدي قمر الزمان قد جن والحال أنه ما جن إلا أنت فعند ذلـ ـك حـ ـرك الوزير رأسه وأراد أن يتكلم ثم خطر بباله أن يتمهل قليلاً لينظر ماذا يكون ثم أن الملك قال لولده يا ولدي أي شيء هذا الكلام الذي تكلمت به للخادم والوزير حيث قلت لهما أني كنت نائماً أنا وصبية مليحة في هذه الليلة فما شأن هذه الصبية التي ذكرتها فضحك قمر الزمان من كلام أبيه وقال له يا والدي اعلم أنه ما بقي لي قوة تتحمل السخرية فلا تزيدوا على شيئاً ولا كلمة واحدة فقد ضاق خلقي مما تفعلونه معي واعلم يا والدي أنـ ـي رضيت بالزواج ولكن بشرط أن تزوجني تلك الصبية التي كانت نائمة عندي في هذه الليلة فإني أتحقق أنـ ـك أنت الذي أرسلتها إلي وشوقتني إليها وبعد ذلك أرسلت إليها قبل الصبح وأخذتها من عندي فقال الملك اسـ ـم الله حواليك يا ولدي سلامة عقلك من الجنون. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٢٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك شهرمان قال لولده قمر الزمان أي شيء هذه الصبية التي تزعم أني أرسلتها إليك في هذه الليلة ثم أرسلت أخذتها من عندك قبل الصباح فو الله يا ولدي ليس لي علـ ـم بهـ ـذا الأمر فبالله عليك أن تخبرني هل ذلك أضغاث أحلام أو تخيلات طعام فإنك بت في هذه الليلة وأنت مشـ ـغول الخاطر بالزواج وموسوس بذكره قبح الله الزواج وساعته وقبح من أشار به ولاشك أنك متكدر المزاج مـ ـن جهة الزواج فرأيت في المنام أن صبية مليحة تعانقك وأنت تعتقد في بالك أنك رأيتها في اليقظة وهذا كله يـ ـا ولدي أضغاث أحلام فقال قمر الزمان دع عنك هذا الكلام واحلف بالله الخالق العلام قاصم الجبـ ـابرة ومبيـ ـد الأكاسرة أنه لم يكن عندك خبر بالصبية ومحلها فقال الملك وحق إله موسى وإبراهيم إنه لم يكن لي علم بذلك ولعله أضغاث أحلام رأيته في المنام فقال قمر الزمان لوالده أنا أضرب لك مثلاً يبين لك أن هذا كـ ـان فـ ـي اليقظة وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٢١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن قمر الزمان قال لوالده هذا المثل هو أني أسألك هل اتفق لأحـ ـد أنـ ـه رأي نفسه في المنام يقاتل وقد قاتل قتالاً شديداً وبعد ذلك استيقظ من منامه فوجد في يده سيفاً ملوثاً بالدم فقال له والده لا والله يا ولدي لم يتفق هذا فلقال له قمر الزمان أخبرك بما حصل لي وهو أني رأيت في هذه الليلة كأني استيقظت من منامي نصف الليل فوجدت بنتاً نائمة بجانبي وقدها كقدي وشكلها كشكلي فعانقتها ومسكتها بيدي وأخذت خاتمها ووضعته في أصبعي وقلعت خاتمي ووضعته في أصبعها وأمتنعت عنها حيـ ـاء منـ ـك وظننت أنك أرسلتها واستخفيت في موضع لتنظر ما أفعل واستحييت من أجل ذلك أن أقبلها في فمهـ ـا حيـ ـاء منك وخطر ببالي أنك تمتحني بها حتى ترغبني في الزواج وبعد ذلك أنتبهت من منامي في وجه الصبح فلـ ـم أجد للصبية من أثر ولا وقفت لها على خبر وجرى لي مع الخادم والوزير ما جرى فكيف يكون هذا الأمـ ـر كذباً وأمر الخاتم ميخا ولولا الخاتم كنت أظن أنه منام وهذا خاتمها الذي في خنصري في هذه الساعة فانظر أيها الملك إلى الخاتم كم يساوي ثم أن قمر الزمان ناول الخاتم لأبيه فأخذه وقلبه ثم التفت إلى ولده وقال له أن

لهذا الخاتم نبأ عظيماً وخبراً جسيماً وأن الذي اتفق لك في هذه الليلة مع تلك الصبية أمر مشكل ولا أعلم من أين دخل علينا هذا الدخيل وما تسبب في هذا كله إلا الوزير فبالله عليك يا ولدي أن تصبر لعل الله يفرج عنك هذه الكربة ويأتيك بالفرج العظيم كما قال الشاعر:

عسـ ـى ولعـ ـل الـ ـدهر يلـ ـوي عنانـ ـه ويـ ـأتي بخيـ ـر فالزمـ ـان غيـ ـور
وتسـ ـعد آمـ ـالي وتقضـ ـي حـ ـوائجي وتحـ ـدث مـ ـن بعـ ـد الأمـ ـور أمـ ـور

فيا ولدي قد تحققت في هذه الساعة أنه ليس بك جنون ولكن قضيتك ما يجليها عنك إلا الله فقال قمـ ـر الزمان لوالده بالله يا والدي أنك تفحص لي عن هذه الصبية وتعجل بقدومها وإلا مت كمداً ثم أن قمر الزمان أظهر الوجد والتفت إلى أبيه وأنشد هذين البيتين:

إن كان فـ ـي وعـ ـدكم بالوصـ ـل تزويـ ـر ففي الكـ ـرى واصـ ـلوا المشـ ـتاق أوزورا
قالوا وكيف يزور الطيـ ـف جفـ ـن فتـ ـى منامـ ـه عنـ ـه ممنـ ـوع ومحجـ ـور

ثم إن قمر الزمان بعد أنشاد هذه الأشعار التفت إلى أبيه بخضوع وانكسار وأفاض العبرات وأنشد هذه الأبيات وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٢٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن قمر الزمان أفاض العبرات وأنشد هذه الأبيات:

خذوا حذركم من طرفها فهـ ـو سـ ـاحر ولـ ـيس بنـ ـاج مـ ـن رمتـ ـه المحـ ـاجر
ولا تخـ ـدعوا مـ ـن رقـ ـة فـ ـي كلامهـ ـا فـ ـإن الحميـ ـا للعقـ ـول تخـ ـامر
منعمـ ـة لـ ـولا مـ ـس الـ ـورد خـ ـدها بكـ ـت وبـ ـدت مـ ـن مقلتيهـ ـا البـ ـواتر
فلو في الكـ ـرى مـ ـر النسـ ـيم بأرضـ ـها سرى بـ ـدا مـ ـن أرضـ ـها وهـ ـو عـ ـاطر

فلما فرغ قمر الزمان من شعره قال الوزير للملك يا ملك الزمان إلى متى أنت محجوب عن العسـ ـكر عند ولدك قمر الزمان فربما يفسد عليك نظام المملكة بسبب بعدك عن أرباب دولتك والعاقل إذا ألمت بجسمه أمراض مختلفة يجب عليه أن يبدأ بمداواة أعظمها والرأي عندي أن تنقل ولدك من هذا المكان إلى القصـ ـر الذي في السراية المطل على البحر وتنقطع عن ولدك فيه وتجعل للموكب والديوان في كـ ـل جمعـ ـة يـ ـومين الخميس والأثنين فيدخل عليك فيهما الأمراء والوزراء والحجاب والنواب وأرباب الدولة وخـ ـواص المملكـ ـة وأصحاب الصولة وبقية العساكر والرعية ويعرضون عليك أحوالهم فاقض حوائجهم واحكم بينهم وخذ واعط معهم وأمر وانهي بينهم وبقية الجمعة تكون عند ولدك قمر الزمان ولا تزال على تلك الحالة حتى يفـ ـرج الله عنك وعنه ولا تأمن أيها الملك من نوائب الزمان وطوارق الحدثان فإن العاقل دائماً محاذر وما أحسن قـ ـول الشاعر:

حسـ ـنت ظنـ ـك بالأيـ ـام إذ حسـ ـنت ولم تخف سـ ـوء مـ ـا يـ ـأتي بـ ـه القـ ـدر
وسـ ـالمتك الليـ ـالي فـ ـاغتررت بهـ ـا وعنـ ـد صـ ـفو الليـ ـالي يحـ ـدث الكـ ـدر
يا معشر الناس من كـ ـان الزمـ ـان لـ ـه مسـ ـاعداً فلـ ـيكن مـ ـن رأيـ ـه الحـ ـذر

فلما سمع السلطان من الوزير هذا الكلام رآه صواباً ونصيحة في مصلحته فأثر عنده وخاف أن ينفسد عليه نظام الملك فنهض من وقته وساعته وأمر بتحويل ولده من ذلك المكان إلى القصر الذي في السراية المطل على البحر ويمشون إليه على ممشاة في وسط البحر عرضها عشرون ذراعاً وبدائر القصر شبابيك مظلة على البحر وأرض ذلك القصر مفروشة بالرخام الملون وسقفه مدهون بأفخر الدهان من سائر الألوان ومنقوش بالذهب واللازورد ففرشوا لقمر الزمان فيه البسط الحرير والبسوا حيطانه الديباج وأرخوا عليه الستائر المكللة بالجواهر ودخل فيه قمر الزمان وصار من شدة العشق كثير السهر فاشتغل خاطره وأصفر لونه وانتحل جسمه وجلس والده الملك شهرمان عند رأسه وحزن عليه وصار الملك في كل يوم اثنين ويوم خميس يأذن في أن يدخل عليه من شاء الدخول من الأمراء والوزراء والحجاب والنواب وأرباب الدولة وسائر العساكر والرعية في ذلك القيصر فيدخلون عليه ويؤدون وظائف الخدمة ويقيمون عنده إلى آخر النهار ثم ينصرفون بعد ذلك إلى حال سبيلهم وبعد ذلك يدخل الملك عند ولده قمر الزمان في ذلك المكان ولا يفارقه ليلاً ولا نهاراً ولم يزل على تلك الحالة مدة أيام وليال من الزمان هذا ما كان من أمر قمر الزمان بن الملك شهرمان (وأما) ما كان من أمر الملكة بدور بنت الملك الغيور صاحب الجزائر والسبعة قصور فإن الجن لما حملوها وأناموها في فراشها لم يبق من الليل إلا ثلاثة ساعات ثم طلع الفجر فاستيقظت من منامها وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٢٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن السيدة بدور لما استيقظت من منامها جلست والتفتت يميناً وشمالاً فلم ترى معشوقها الذي كان في حضنها فارتجف فؤادها وزال عقلها وصرخت صرخة عظيمة فاستيقظ جميع جواريها والدايات والقهرمانات ودخلن عليها فتقدمت إليها كبيرتهن وقالت لها يا سيدتي ما الذي أصابك فقالت لها أيتها العجوز النحس أين معشوقي الشاب الذي كان نائماً هذه الليلة في حضني فأخبريني أين راح فلما سمعت منها القهرمانة هذا الكلام صار الضياء في وجهها ظلاماً وخافت من بأسها خوفاً عظيماً وقالت يا سيدتي بدور أي شيء هذا الكلام الصبيح والعيون السود والحواجب المقرونة الذي كان بائتاً عندي من العشاء إلى قرب طلوع الفجر فقالت والله ما رأيت شاباً ولا غيره فبالله يا سيدتي لا تمزحي هذا المزاح الخارج عن الحد فتروح أرواحنا وربما بلغ أباك هذا المزاح فمن يخلصنا من يده فقالت لها الملكة بدور أنه كان غلاماً بائتاً عندي في هذه الليلة وهو من أحسن الناس وجهاً فقالت له القهرمانة سلامة عقلك ما كان أحد بائتاً عندك في هذه الليلة فعند ذلك نظرت السيدة بدور إلى يدها فوجدت خاتم قمر الزمان في أصبعها ولم تجد خاتمها فقالت للقهرمانةويلك يا خائنة تكذبين علي وتقولين ما كان أحد بائتاً عندك وتحلفين لي بالله باطلاً فقالت القهرمانة والله ما كذبت عليك ولا حلفت باطلاً فاغتاظت منها السيدة بدور وسحبت سيفاً كان عندها وضربت القهرمانة فقتلتها فعند ذلك صاح الخدام والجواري والسراري عليها وراحوا إلى أبيها واعلموه بحالها فأتى الملك إلى أبنته السيدة بدور من وقته وساعته وقال لها يا بنتي ما خبرك فقالت يا أبي أين الشاب الذي كان نائماً بجانبي في هذه الليلة وطار عقلها من رأسها وصارت تلتفت بعينها يميناً وشمالاً ثم شقت ثوبها إلى ذيلها فلما رأى أبوها تلك الفعال أمر الجواري والخدم أن يمسكوها فقبضوا عليها وقيدوها وجعلوا في رقبتها سلسلة

من حديد وربطوها في الشباك الذي في القصر هذا ما كان من أمر الملكة بدور (وأما) ما كان من أمر أبيهـا الملك الغيور فإنه لما رأى ما جرى من أبنته السيدة بدور ضاقت عليه الدنيا لأنه كان يحبها فلم يهـن عليـه أمرها فعند ذلك أحضر المنجمين والحكماء وأصحاب الأقلام وقال لهم من أبرأ بنتي مما هي فيه زوجته بهـا وأعطيته نصف مملكتي ومن لم يبرئها ضربت عنقه ويعلق رأسه على باب القصر ولم يزل يفعل ذلك إلى أن قطع من أجلها أربعين رأساً فطلب سائر الحكماء فتوقفت جميع الناس عنها وعجزت جميـع الحكمـاء عـن دوائها واشتكلت قضيتها على أهل العلوم وأرباب الأقلام ثم أن السيدة بدور لمـا زاد بهـا الوجـد والغـرام وأضربها العشق والهيام أجرت العبرات وأنشدت هذه الأبيات:

غرامـي فيـك يـا قمـري غريمـي	وذكـرك فـي دجـى ليلـي نـديمي
أبيـت وأضـلعي فيهـا لهيـب	يحـاكي حـره نـار الجحـيم
بليـت بفـرط وجـد واحتـراق	عـذائي منهم ـا أضـحى اليمـي

فلما فرغت السيدة بدور من إنشاد هذه الأشعار بكت حتى مرضت جفونها وتدبلت وجناتهـا ثـم أنهـا استمرت على هذا الحال ثلاث سنين وكان لها أخ من الرضاع يسمى مرزوان وكان سافر إلى أقصى البـلاد وغاب عنها تلك المدة بطولها وكان يحبها محبة زائدة على محبة الأخوة فلما حضر دخل على والدته وسألها عن أخته السيدة بدور فقالت له يا ولدي أن أختك حصل لها جنون ومضى لها ثلاث سنين وفي رقبتها سلسلة من حديد وعجزت الأطباء عن دوائها فلما سمع مرزوان هذا الكلام قال لابد من دخولي عليها لعلي أعرف ما بها وأقدر على دوائها فلما سمعت كلامه قالت لابد من دخولك عليها ولكن أصبر إلى غد حتى أتحيـل فـي أمرك ثم أن أمه ذهبت إلى قصر السيدة بدور واجتمعت بالخادم الموكل بالباب وأهدت له هدية وقالت لـه أن لي بنتاً وقد تربت مع السيدة بدور وقد زوجتها ولما جرى لسيدتك ما جرى صار قلبها متعلقاً بها وأرجو من فضلك أن بنتي تأتي عندها ساعة لتنظرها ثم ترجع من حيث جاءت ولا يعلم بها أحد فقال الخـادم لا يمكـن ذلك إلا في الليل فبعد أن يأتي السلطان ينظر ابنته ويخرج أدخلي أنت وأبنتك فقبلـت العجـوز يـد الخـادم وخرجت إلى بيتها فلما جاء وقت العشاء من الليلة القابلة قامت من وقتها وساعتها وأخذت ولـدها مـرزوان وألبسته بدلة من ثياب النساء وجعلت يده في يدها وأدخلته القصر ومازالت تمشي حتى أوصلته إلى الخـادم بعد انصراف السلطان من عند بنته فلما رآها الخادم قام واقفاً وقال لها ادخلي ولا تطيلي القعود فلما دخلـت العجوز بولدها مرزوان رأى السيدة بدور في تلك الحالة فسلموا عليها بعد أن كشفت عنه أمه ثيـاب النسـاء فأخرج مرزوان الكتب التي معه وأوقد شمعة فنظرت إليه السيدة بدور فعرفته وقالت له يا أخي أنـت كنـت سافرت وانقطعت أخبارك عنا فقال لها صحيح ولكن ردني الله بالسلامة وأردت السفر ثانياً فما ردني عنه إلا هذا الخبر الذي سمعته عنك فاحترق فؤادي عليك وجئت إليك لعلي أعرف داءك وأقدر على دوائك فقالت له يا أخي هل تحسب أن الذي أعتراني جنون ثم أشارت إليه وأنشدت هذين البيتين:

قالوا جننت بمـن تهـوى فقلـت لهـم	مـا لـذة العـيش إلا للمجـانين
ثـم جننـت فهـاتوا مـن جننـت بـه	إن كـان يشـفى جنـوني لا تلومـوني

فعلم مرزوان أنها عاشقة فقال لها أخبريني بقصتك وما أتفق لك لعلي الله أن يطلعني عل ى م ا في ه خلاصك. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٢٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن بدور قالت يا أخي اسمع قصتي وذلك أنني استيقظت من منامي ليل ة في الثلث الأخير من الليل وجلست فرأيت بجانبي شاباً أحسن ما يكون من الشبان بكل عن وصفه اللسان كأنه غصن بان أو قضيب خيزران فظننت أن أبي هو الذي أمره بهذا الأمر ليمتعني لأنه راودني عن الزواج لما خطبني منه الملوك فأبيت فهذا الظن هو الذي منعني من أن أنه وخشيت أني إذا عانقته ربما يخبر أبي ب ذلك فلما أصبحت رأيت بيدي خاتمه عوضا عن خاتمي فهذه حكايتي وأنا يا أخي قد تعلق قلبي به من حين رؤيته ومن كثرة عشقي والغرام لم أذق طعم المنام ومالي شغل غير بكائي بالدموع وأنشاد الأشعار بالليل والنه ار ثم أفاضت العبرات وأنشدت هذه الأبيات:

أبع . . د الح . . ب ل . . ذاتي تطي . . ب ... وذاك الظب . . ي مرتع . . ه القل . . وب
دم العش . . اق أه . . ون م . . ا علي . . ه ... وفي . . ه مهج . . ة الض . . نى ت . . ذوب
أغ . ار علي . ه م . ن نظ . ري وفك . ري ... فم . ن بعض . ي عل . ى بعض . ي رقي . ب
وأجف . . ان ل . . ه ترم . . ي س . . هاماً ... فوات . ك ف . ي القل . وب لن . ا تص . يب
فه . . ل ل . . ي أن أراه قب . . ل م . . وتي ... إذا م . ا ك . ان ف . ي ال . دنيا نص . يب
وأك . . تم س . . ره فين . . يم دمع . . ي ... بم . . ا عن . . دي ويعلم . . ه الرقي . . ب
قري . . ب وص . . له من . . ي بعي . . د ... بعي . . د ذك . . ره من . . ي قري . . ب

ثم أن السيدة بدور قالت لمرزوان أنظر يا أخي ما الذي تعمل معي في الذي أعتراني فاطرق مرزوان رأسه إلى الأرض ساعة وهو يتعجب وما يدري ما يفعل ثم رفع رأسه وقال لها جميع ما جرى لك ص حيح وأن حكاية هذا الشاب أعيت فكري ولكن أدور في جميع البلاد وأفتش على دوائك لعل الله يجعله على ي دي فأصبري ولا تقلقي ثم أن مرزوان ودعها ودعا لها بالثبات وخرج من عندها ثم أن مرزوان تمشي إلى بي ت والدته فنام تلك الليلة ولما أصبح الصباح تجهز للسفر فسافر ولم يزل مسافراً من مدينة إل ى مدين ة وم ن جزيرة إلى جزيرة مدة شهر كامل ثم دخل مدينة يقال لها الطيرب واستنشق الأخبار من الناس لعله يجد دواء الملكة بدور وكان كلما يدخل في مدينة أو يمر بها يسمع أن الملكة بدور بنت الملك الغيور قد حص ل له ا جنون ولم يزل يستنشق الأخبار حتى وصل إلى مدينة الطيرب فسمع أن قمر الزمان ب ن المل ك ش هرمان مريض وأنه اعتراه وسواس وجنون فلما سمع مرزوان بخبره سال بعض أهالي تلك المدينة عن بلاده ومحل تخته فقالوا له جزائر خالدات وبيننا وبينها مسيرة شهر كامل في البحر وأما في البرفتة أشهر فنزل م رزوان في مركب إلى جزائر خالدات وكانت مركب مجهزة للسفر وطاب لها الريح مدة شهر فبانت لهم المدينة ولما أشرفوا عليها ولم يبق لهم إلا الوصول إلى الساحل خرجت عليهم ريح عاصف فرمي القرية ووقعت القل وع في البحر وانقلبت المركب بجميع ما فيها وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٢٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن مرزوان جذبته قوة التيار جذبة حتى أوصلته تحت قصر الملك الـ ذي فيه قمر الزمان وكان بالأمر المقدر قد اجتمع الأمراء والوزراء عنده للخدمة والملك شهرمان جـ الس ورأس ولده قمر الزمان في حجره وخادم بنش عليه وكان قمر الزمان مضي له يومان وهو لم يأكل ولم يشرب ولم يتكلم وصار الوزير واقفاً عند رجليه قريب من الشباك المطل على البحر فرفع الوزير بصره فرأي مرزوان قد أشرف على الهلاك من التيار وبقي على آخر نفس فرق قلب الوزير إليه فتقرب إلى السـ لطان ومدرأسـ ه إليه وقال له استأذنك في أن أنزل إلى ساحة القصر وأفتح بابها لأنقذ إنساناً قد أشرف على الغرق في البحـ ر وأطلعه من الضيق إلى الفرج لعل الله بسبب ذلك يخلص ولدك مما هو فيه فقال السلطان كل ما جرى علـ ى ولدى بسببك وربما أنك إذا اطلعت هذا الغريب يطلع على أحوالنا وينظر إلى ولدي وخرج يتحدث مع أحـ د باسرارنا لأضربن رقبتك قبله لأنك أيها الوزير سبب ما جرى لنا أولاً وآخراً فافعل ما بدا لك فنهض الوزير وفتح باب الساحة ونزل في الممشاة عشرين خطوة ثم خرج إلى البحر فرأى مرزوان مشرفاً على الموت فمد الوزير يده إليه وأمسكه من شعر رأسه وجذبه منه عليه حتى ردت روحه إليه ثم نزع عنه ثيابه وألبسه ثياباً غيرها وعممه بعمامة من عمائم غلمانه. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٢٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير لما فعل مع مرزوان ما فعل وكيف قال له أنـ ي كنـ ت سـ بباً لنجاتك من الغرق فلا تكن سبباً لموتى وموتك فقال مرزوان وكيف ذلك قال الوزير لأنك في هـ ذه السـ اعة تطلع وتشق بين أمراء ووزراء والكل ساكتون لا يتكلمون من أجل قمر الزمان بـ ن السـ لطان فلمـ ا سـ مع مرزوان ذكر قمر الزمان عرفه لأنه كان يسمع بحديثه في البلاد فقال مرزوان ذكر قمر الزمان عرفه لأنـ ه كان يسمع بحديثه في البلاد فقال مرزوان ومن قمر الزمان فقال الوزيرهو ابـ ن السـ لطان شـ هرمان وهـ و ضعيف ملقى على الفراش لا يقر له قرار ولا يعرف ليلاً ولا نهار وكاد أن يفارق الحياة من نحول جسـ مه ويصير من الأموات فنهاره لهيب وليله في تعذيب وقد يئسنا من حياته وأيقنا بوفاته وأياك أن تطيل النظر إليه أو تنظر إلى غير الموضع الذي تحط فيه رجلك وإلا فتروح روحك وروحي فقال بالله أخبرنـ ي عـ ن هـ ذا الشاب الذي وصفته لي ما سبب هذا الأمر الذي هو فيه فقال له الوزير لا أعلم له سبباً إلا أن والده من منـ ذ ثلاث سنين كان يراوده عن أمر الزواج وهو يأبى فأصبح يزعم أنه كان نائماً فرأى بجنبـ ه صـ بية بارعـ ة الجمال وجمالها يحير العقول ويعجز عنه الوصف وذكر لنا أنه نزع خاتما من أصبعها ولبسه وألبسها خاتمه ونحن لا نعرف باطن هذه القضية فبالله يا ولدي أطلع معي القصر ولا تنظر إلى ابن الملك ثم بعد ذلـ ك رح إلى حال سبيلك فإن السلطان قلبه ملآن عليه غيظاً فقال مرزوان في نفسه والله أن هذا هو المطلوب ثم طلـ ع مرزوان خلف الوزير إلى أن وصل إلى القصر ثم جلس الوزير تحت رجلي قمر الزمان وأما مرزوان فإنـ ه لم يكن له دأب إلا أنه مشى حتى وقف قدام قمر الزمان ونظر إليه فمات الوزير في جلده وصار ينظر إلـ ى مرزوان ويغمزه ليروح إلى حال سبيله ومرزوان يتغافل وينظر إلى قمر الزمان وعلم أنـ ه هـ و المطلـ وب وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٢٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن مرزوان قال سبحان الله جعل قده مثل قدها ولونه مثل لونها وخده مثل خدها ففتح قمر الزمان عينيه وأصغى له بأذنيه فلما رآه مرزوان صاغياً إلى ما يلقيه من الكلمات أنشد هـ ذه الأبيات:

أراك طروب . .اً ذا شـ . .جى وت . .رنم ... تميـ .ل إلـ .ى ذكـ .ر المحاسـ .ن بـ .الفم

أصـ .ابك عشـ .ق أم رميـ .ت بأسـ .هم ... فمـ . ا هـ . ذه الأسـ . جية مـ . ن رمـ . ى

إلا فاسقني كاسـ ات خمـ ر وغـ ن لـ ي ... بـ . ـذكر سـ . ـليمي والربـ . ـاب تـ . ـنعم

أغـ .ار علـ ـى أعطافها ـا مـ .ن ثيابها ـا ... إذا لبسـ . ـتها فـ . ـوق جسـ . ـم مـ . ـنعم

وأحسـ . ـد كاسـ . ـات تقبـ . ـل ثغرهـ . ـا ... إذا وضـ عتها موضـ ع اللـ ـثم فـ ـي الفـ ـم

فـ ـلا تحسـ ـبوا أنـ ـي قتلـ ـت بصـ ـارم ... ولكـ .ن لحـ .اظ قـ .د رمتنـ .ي بأسـ .هم

ولمـ . ـا تلاقينـ . ـا وجـ . ـدت بنانهـ . ـا ... مخضـ . ـبة تحكـ . ـي عصـ . ـارة عنـ . ـدم

فقالت والقت في الحشا لاعـ ـج الهـ ـوى ... مقالـ . ـة مـ . ـن للحـ . ـب لـ . ـم يـ . ـتكلم

رويـ ـدك مـ ـا هـ ـذا خضـ ـاب خضـ ـبته ... فلاتـ . ـك بالبهّـ . ـان والـ . ـزور متهمـ . ـي

ولكنـ . ـي لمـ . ـا رأيتـ . ـك نائمـ . ـاً ... وقد كشـ ـفت كفـ ـي وزنـ ـدي ومعصـ ـمي

بكيـ ـت دمـ ـاً يـ ـوم النـ ـوى فمسـ ـحته ... بكفـ . ـي فابلـ . ـت بنـ . ـاني مـ . ـن دمـ . ـي

فلـ ـو قيـ ـل مبكاهـ ـا بكيـ ـت صـ ـبابة ... لكنـ ـت شـ ـفيت الـ ـنفس قبـ ـل التنـ ـدم

ولكن بكـ ـت قبلـ ـي فهـ ـيج لـ ـي البكـ ـا ... بكاهـ . ـا فقلـ . ـت الفضـ . ـل للمتقـ . ـدم

فـ ـلا تعـ ـذلوني فـ ـي هواهـ ـا لأننـ ـي ... وحـ ـق الهـ ـوى فيهـ ـا كثيـ ـر التـ ـألم

بكيـ ـت علـ ـى زيـ ـن الحسـ ـن وجهها ـا ... لـ . ـيس لهـ ـا مثـ ـل بعـ ـرب وأعجـ ـم

لهـ ـا علـ ـم لقمـ ـان وصـ ـورة يوسـ ـف ... ونغمـ . . . ـة داود وعفـ . . . ـة مـ . . . ـريم

ولي حـ ـزن يعقـ ـوب وحسـ ـرة يـ ـونس ... وبلـ . . . ـوة أيـ . . . ـوب وقصـ . . . ـة آدم

فـ ـلا تقتلوهـ ـا أن قلـ ـت بهـ ـا جـ ـوى ... بلى فاسـ ـألوها كيـ ـف حـ ـل لهـ ـا دمـ ـي

فلما أنشد مرزوان هذا الشعر نزل على قلب قمر الزمان برداً وسلاماً. وأدرك شهرزاد فسـ كتت عـ ن الكلام المباح..

(وفي ليلة ٢٢٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن مرزوان أشار إلى السلطان بيده دع هذا للشاب يجلس في جانبي فلمـ ا سمع السلطان من ولده قمر الزمان هذا الكلام فرح فرحاً شديداً بعد أن غضب على الشاب وأضمر في نفسه أنه يرمي رقبته ثم قام الملك وأجلس مرزوان إلى جانب ولده وأقبل عليه وقال له من أي البلاد أنت قال مـ ن الجزائر الجوانية من بلاد الملك الغيور صاحب الجزائر والبحور والسبعة قصور فقال له الملـ ك شـ هرمان عسى أن يكون الفرج على يديك لولدي قمر الزمان ثم أن مرزوان أقبل على قمر الزمان وقال له فـ ي أذنـ ه ثبت قلبك وطب نفساً وقر عيناً فإن التي صرت من أجلها هكذا لا تسأل عما هي فيه من أجلك ولكنك كتمـ ت أمرك فضعفت وأما هي فإنها أظهرت ما بها فجئت وهي الآن مسجونة بأسوأ حال وفي رقبتها غل من حديد وإن شاء الله تعالى يكون دواؤكما على يدي فلما سمع قمر الزمان هذا الكلام ردت روحه إليه واستفاق وأشار

إلى الملك والده أن يجلس ففرح فرحاً زائداً وأجلس ولده ثم أخرج جميع الوزراء والأمراء واتكأ قمر الزمان بين مخدتين وأمر الملك أن يطيبوا القصر بالزعفران ثم أمر بزينة المدينة وقال لمرزوان والله يا ولـ دي أن هذه طلعة مباركة ثم أكرمه غاية الإكرام وطلب لمرزوان الطعام فقدموا له فأكل وأكل معـ ـه قمـ ـر الزمـ ـان وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٢٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن السلطان شهرمان بات تلك الليلة عندهما من شدة فرحته بشفاء ولـ ـده فلما أصبح الصباح صار مرزوان يحدث قمر الزمان بالقصة وقال له اعلم أنني أعرف التي اجتمعـ ـت بهـ ـا وأسمها السيدة بدون بنت الملك الغيور ثم حدثه بما جرى للسيدة بدور من الأول إلى الآخر وأخبـ ـره بفـ ـرط محبتها له وقال له جميع ما جرى لك مع والدك جرى لها مع والدها وأنت من غير شك حبيبها وهي حبيبتك فثبت قلبك وقو عزيمتك فها أنا أوصلك إليها وأجمع بينك وبينها وأعمل معكما كما قال بعض الشعراء:

إذا حبيـ . ـب صـ . ـد عـ . ـن صـ . ـبه	ولـ . ـم يـ . ـزل فـ . ـي فـ . ـرط أعـ . ـراض
الفـ . ـت وصـ . ـلا بـ . ـين شخصـ . ـيهما	كـ . . . أنني مسـ . . . مار مقـ . . . راض

ولم يزل مرزوان يشجع قمر الزمان حتى أكل الطعام وشرب الشراب وردت روحه إليه ونقه مما كان فيه ولم يزل مرزوان يحدثه وينادمه ويسليه وينشد له الأشعار حتى دخل الحمام وأمر والده بزيـ ـة المديـ ـة فرحاً بذلك. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٣٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك شهرمان خلع الخلع وتصدق وأطلق من فـ ـي الحبـ ـوس ثـ ـم أن مرزوان قال لقمر الزمان اعلم أنني ما جئت من عند السيدة بدور إلا لهذا الأمر وهو سبب سفري لأجـ ـل أن أخلصها مما هي فيه وما بقي لنا إلا الحيلة في زواجنا إليها لأن والدك لا يقدر في أنك تخرج إلى الصيد فـ ـي البرية وخذ معك خرجاً ملآناً من المال واركب جواداً من الخيل وخذ معك جنيباً وأنا الآخر مثلك وقل لوالدك إني أريد أن أتفرج في البرية وأتصيد وأنظر الفضاء وأبيت هناك ليلة واحدة فلا تشغل قلبك علي بشيء ففرح قمر الزمان بما قاله مرزوان ودخل على والده واستأذنه في الخروج إلى الصيد وقال له الكلام الذي أوصـ ـاه به مرزوان فأذن له والده في الخروج إلى الصيد وقال له لا تبت غير ليلة واحدة وفي غد تحضر فإنك تعلـ ـم أنه ما يطيب لي عيش إلا بك وأنني ما صدقت أنك خلصت مما كنت فيه ثم أن الملك شهرمان أنشـ ـد هـ ـذين البيتين:

ولـ ـو أنـ ـي أصـ ـبحت فـ ـي كـ ـل نعمـ ـة	وكانـ ـت لـ ـي الـ ـدنيا وملـ ـك الأكاسـ ـرة
لمـ ـا وازنـ ـت عنـ ـدي جنـ ـاح بعوضـ ـة	وإذا لم تكـ ـن عيـ ـي لشخصـ ـك نـ ـاظرة

ثم أن الملك جهز ولده قمر الزمان هو ومرزوان وأمر أن يهيأ لهما ستة من الخيل وهجين برسم المال وجمل يحمل الماء والزاد ومنع قمر الزمان أن يخرج معه أحد في خدمته فودعه أبوه وضمه إلى صدره وقال له سألتك بالله لا تغب عني إلا ليلة واحدة وحرام على المنام فيها وأنشد يقول:

وصـ . .ـالك عنـ . ـدي ألـ . ـذ نعـ . ـيم وصـ . ـبري عنـ . ـك أضـ . ـر إلـ . ـيم
فـ . ـديتك إن كـ . ـان ذنـ . ـب الهـ . ـوى إليـ . ـك فـ . ـذنبي أجـ . ـل عظـ . ـيم
أعنـ . ـدك مثلـ . ـي نـ . ـار الجـ . ـوى فأصـ . ـلي بـ . ـذاك عـ . ـذاب الجحـ . ـيم

ثم خرج قمر الزمان ومرزوان وركبا فرسين ومعهما الهجين والجمل عليه الماء والزاد واستقبلا البر. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٣١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن قمر الزمان ومرزوان لما استقبلا البر سار أول يوم إلى المسـ ـاء ثـ ـم نزلا وأكلا وشربا وأطعما دوابهما واستراحا ساعة ثم ركبا وسارا ومازالا سائرين مدة ثلاثة أيام وفي رابـ ـع يوم بأن لهما مكان متسع فيه غاب فنزلا فيه ثم أخذ مرزوان جملا وفرساً وذبحهما وقطع لحمهما قطعاً وتجر عظمهما وأخذ من قمر الزمان قميصه ولباسه وقطعهما قطعاً ولوثهما بدم الفرس وأخذ ملوطة قمـ ـر الزمـ ـان ومزقها ولوثها بالدم ورماها في مفرق الطريق ثم أكلا وشربا وسافرا فسأله قمر الزمان عمـ ـا فعلـ ـه فقـ ـال مرزوان اعلم أن والدك الملك شهرمان أذا غبت عنه ليلة ولم تحضر له ثاني ليلة يركب ويسافر في أثرنا إلى أن يصل إلى هذا الدم الذي فعلته ويرى قماشك مقطعاً وعلي الدم فيظن في نفسه أنه جرى لك شيء من قطا الطريق أو وحش البر فينقطع رجاؤه منك ويرجع إلى المدينة ونبلغ بهذه الحيلة ما نريد فقال قمر الزمان نعم ما فعلت ثم سارا أياماً وليالي كل ذلك وقمر الزمان باكي العين إلى أن استبشر بقرب الـ ديار فأنشـ ـد هـ ـذه الأشعار.

اتجفـ ـو محبـ ـاً ماسـ ـلا عنـ ـك سـ ـاعة وتزهـ ـد فيـ ـه بعـ ـد مـ ـا كنـ ـت راغبـ ـاً
حرمت الرضا أن كنت خنتك في الهـ ـوى وعوقبت بالهجران أن كنت كاذباً وإن كان
وما كان لـ ـي ذنـ ـب فاسـ ـتوجب الجفـ ـا لـ . ـي ذنـ . ـب فقـ . ـد جئـ . ـت تائبـ . ـاً
ومـ ـن عجـ ـب الأيـ ـام أنـ ـك هـ ـاجري ومـ ـا زالـ ـت الأيـ ـام تبـ ـدي العجائبـ ـا

فلما فرغ قمر الزمان من شعره بانت له جزائر الملك الغيـ ـور ففـ ـرح قمـ ـر الزمـ ـان فرحـ ـاً شـ ـديداً وشكرمرزوان على فعله. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٣٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن قمر الزمان ومرزوان دخلا المدينة وأنزله مرزوان في خان واستراحا ثلاثة أيام من السفر وبعد ذلك دخل بقمر الزمان الحمام وألبسه لبس التجار وعمل له تخت رمل مـ ـن ذهـ ـب وعمل له عدة وعمل له اصطرلاباً من الذهب ثم قال له مرزوان قم يا مولاي وقف تحت قصر الملك وناد أنا الحاسب الكاتب المنجم فأين الطالب فإن الملك إذا سمعك يرسل خلفك ويدخل بك على ابنته محبوبتـ ـك وهـ ـي حين تراك يزول ما بها من الجنون ويفرح أبوها بسلامتها ويزوجها لك ويقاسمك في ملكه لأنه شرط علـ ـى نفسه هذا الشرط فقبل قمر الزمان ما أشار به مرزوان وخرج من الخان وهو لابس البدلة وأخذ معـ ـه العـ ـدة التي ذكرناها ومشي إلى أن وقف تحت قصر الملك الغيور ونادى أنا الكاتب الحاسب المنجم أكتـ ـب الكتـ ـاب وأحكم الحجاب وأحسب الحساب وأخط بأقلام المطالب فأين الطالب فلما سمع أهل المدينة هذا الكلام وكـ ـانوا

مدة من الزمان ما رأوا حاسباً ولا منجماً وقفوا حوله وتأملوه فتعجبوا من حسن صورته وورنق شبابه وقالوا له بالله عليك يا مولانا لا تفعل بنفسك هذه الفعال طمعاً في زواج بنت الملك الغيور وانظر بعينك إلى هذه الرؤوس المعلقة فإن أصحابهم كلهم قتلوا من أجل هذا الحال فآل بهم الطمع إلى الوبال فلم يلتفت قمر الزمان إلى كلامهم بل رفع صوته ونادى أنا كاتب حاسب أقرب المطالب للطالب فتداخل عليه الناس وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٣٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن قمر الزمان نهته الناس فلم يسمع كلامهم فاغتاظوا جميعاً وقالوا له ما أنت إلا شاب مكابر أحمق ارحم شبابك وصغر سنك وحسنك وجمالك فصاح قمر الزمان وقال أنا المنجم والحاسب فهل من طالب فبينما الناس تنهي قمر الزمان عن هذه الحالة إذ سمع الملك الغيور الصياح وشجة الناس فقال للوزير أنزل فائتنا بهذا المنجم فنزل الوزير وأخذ قمر الزمان فلما دخل على الملك قبل الأرض بين يديه وأنشد هذين البيتين:

ثماني ـة ف ـي المج ـد خ ـرت جميعه ـا … ف ـلا زال خ ـداماً به ـن ل ـك ال ـدهر
يتيذ ـك والتق ـوى ومج ـدك والن ـدى … ولفظ ـك والمعن ـى وع ـزك والنص ـر

(فلما) نظر الملك الغيور إليه أجلسه إلى جانبه وأقبل عليه وقال له يا ولدي لا تجعل نفسك منجماً ولا تدخل على شرطي فأني ألزمت نفسي أن كل من دخل على بنتي ولم يبرئها مما أصابها ضربت عنقه وكل من أبرأها زوجته لها فلا يغرك حسنك وجمالك وقدك واعتدالك والله والله إن لم تبرئها لأضربن عنقك فقال قمر الزمان قبلت منك هذا الشرط فأشهد عليه الملك الغيور القضاة وسلمه إلى الخادم وقال له أوصل هذا إلى السيدة بدور فأخذه الخادم من يده ومشى به في الدهليز فصار قمر الزمان يسابقه وصار الخادم يقول له ويلك لا تستعجل على هلاك نفسك فو الله ما رأيت منجماً يستعجل على هلاك نفسه إلا أنت ولكنك لم تعرف أي شيء قدامك من الدواهي فاعرض قمر الزمان بوجهه عن الخادم وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٣٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن قمر الزمان أنشد هذه الأبيات:

أنـ ـا عـ ـارف بصـ ـفات حسـ ـنك جاهـ ـل … متحير ـ ـر لـ ـم أدر مـ ـ ـا أنـ ـ ـا قائـ ـ ـل
أن قلت شمساً كـ ـان حسـ ـنك لـ ـم يغـ ـب … عنـ ـي وعهـ ـدي بالشـ ـموس أو أفـ ـل
كملـ ـت محاسـ ـنك التـ ـي فـ ـي وصـ ـفها … عجـ ـز البليـ ـغ وحـ ـار فيهـ ـا القائـ ـل

ثم أن الخادم أوقف قمر الزمان خلف الستارة التي على الباب فقال له قمر الزمان أي الحالتين أحب إليك كي أداوي سيدتك وأبرئها من هنا أو أدخل إليها فابرئها من داخل الستار فتعجب الخادم من كلامه وقال له أن أبرأتها من هنا كان ذلك زيادة في فضلك فعند ذلك جلس قمر الزمان خلف الستارة وأطلع الدواة والقلم وكتب في ورقة هذه الكلمات من يروح به الجفاء فدواؤه الوفاء والبلاء لمن يئس من حياته وأيقن بحلول وفاته وما لقلبه الحزين من مسعف ولا معين وما لطرفه الساهر على الهم ناصر فنهاره في لهيب وليلة في تعذيب وقد انبرى جسمه من كثرة التحول ولم يأته من حبيبه رسول ثم كتب هذه الأبيات:

كتب ـت ولـ ـي قلـ ـب بـ ـذكرك مولـ ـع	وجف ـن قـ ـريح مـ ـن دمـ ـائي يـ ـدمع
وجسم كساه لا عـ ـج الشـ ـوق والأسـ ـى	قمـ ـيص نحـ ـول فهـ ـو فيـ ـه مضعضـ ـع
شكوت الهـ ـوى لمـ ـا أضـ ـربي الهـ ـوى	ولـ ـم يبـ ـق عنـ ـدي للتصـ ـبر موضـ ـع
إليـ ـك فجـ ـودي وأرحمـ ـي وتعطفـ ـي	فـ ـإن فـ ـؤادي بـ ـالهوى يتقطـ ـع

ثم كتب تحت الشعر هذه السجعات شفاء القلوب لقاء المحبوب من جفاه حبيبه فالله طبيبه من خان منكم ومنالاً نال ما يتمنى ولا أظرف من المحب الوافي إلى الحبيب الجافي ثم كتب في الأمضاء من الهائم الولهان العاق الحيران من أقلقه الشوق والغرام أسير الوجد والهيام قمر الزمان بن الملك شهرمان إلى فريدة الزمـ ـان ونخبة الحور الحسان السيدة بدور بنت الملك الغيور أعلمي أنني في ليلى سهران وفي نهاري حيـ ـران زائـ ـد النحول والأسقام والعشق والغرام كثير الزفرات غزير العبرات أسير الهوى قتيل الجوي غريم الغـ ـرام نـ ـديم السقام فأنا السهران الذي لا تهجع مقلته والمتيم الذي لا ترقأ عبرته فنار قلبي لا تطفأ ولهيب شوقي لا يخفى ثم كتب في حاشية الكتاب هذا البيت المستطاب :

سـ ـلام مـ ـن خـ ـزائن لطـ ـف ربـ ـي	علـ ـى مـ ـن عنـ ـدها روحـ ـي وقلبـ ـي

ثم كتب أيضاً:

أرسـ ـلت خاتمـ ـك الـ ـذي اسـ ـتبدلته	يـ ـوم التواصـ ـل فارسـ ـلي لـ ـي خـ ـاتمي

وكان وضع خاتم السيدة بدور في طي الكتاب ثم ناول الكتاب للخادم وأدرك شهرزاد الصباح فسـ ـكتت عن الكلام المباح:

(وفي ليلة ٢٣٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن قمر الزمان لما وضع الخاتم في الورقة ناولها للخادم فأخذها ودخـ ـل بها إلى السيدة بدور فأخذتها من يد الخادم وفتحتها فوجدت خاتمها بعينه ثم قرأت الورقة فلما عرفت المقصود علمت أن معشوقها قمر الزمان وأنه هو الواقف خلف الستار فطار عقلها من الفرح واتسع صدرها وانشـ ـرح ومن فرط المسرات أنشدت هذه الأبيات:

ولقـ ـد نـ ـدمت علـ ـى تفـ ـرق شـ ـملنا	دهـ ـراً وفـ ـاض الـ ـدمع مـ ـن أجفـ ـاني
ونـ ـذرت أن عـ ـاد الزمـ ـان يلمنـ ـا	لأعـ ـدت أذكـ ـر فرقـ ـة بلسـ ـاني
هجـ ـم السـ ـرور علـ ـى حتـ ـى أنـ ـه	مـ ـن فـ ـرط مـ ـا قـ ـد سـ ـرني أبكـ ـاني
يا عـ ـين صـ ـار الـ ـدمع منـ ـك سـ ـجية	تبكـ ـين فـ ـي فـ ـرح وفـ ـي أحـ ـزان

فلما فرغت السيدة بدور من شعرها قامت من وقتها وصلبت رجليها في الحائط واتكأت بقوتهـ ـا علـ ـى الغل الحديد فقطعته من رقبتها وقطعت السلاسل وخرجت من خلف الستارة ورمت روحها على قمر الزمـ ـان وقبلته في فمه مثل زق الحمام وعانقته من شدة ما بها من الغرام وقالت له يا سيدي هلب هذا يقظة أو منـ ـام وقد من الله علينا بجمع شملنا ثم حمدت الله وشكرته على جمع شملها بعد اليأس فلما رآها الخادم على تلـ ـك الحالة ذهب يجري حتى وصل إلى الملك الغيور فقبل الأرض بين يديه وقال له يا مولاي اعلم أن هذا المنجم

اعلم المنجمين كلهم فإنه داوي ابنتك وهو واقف خلف الستارة ولم يدخل عليها فقال الملك للخادم أصحيح هذا الخبر فقال الخادم يا سيدي قم وانظر إليها كيف قطعت السلاسل الحديد وخرجت للمنجم تقبله وتعانقه فعند ذلك قام الملك الغيور ودخل علي ابنته فلما رأته نهضت قائمة وغطت رأسها وأنشدت هذين البيتين:

لا أحب السواك من أجل أني ... أن ذكرت السواك قلت سواكا

وأحب الأراك من أجل أني ... أن ذكرت الأراك قلت أراك

ففرح أبوها بسلامتها وقبلها بين عينيها لأنه كان يحبها محبة عظيمة وأقبل الملك الغيور على قمر الزمان وسأله عن حاله وقال له من أي البلاد أنت فأخبره قمر الزمان بشأنه وأعلمه أن والده الملك شهرمان ثم أن قمر الزمان قص عليه القصة من أولها إلى آخرها وأخبره بجميع ما اتفق له مع السيدة بدور وكيف أخذ الخاتم من أصبعها وألبسها خاتمه فتعجب الملك الغيور من ذلك وقال أن حكايتكما لابد أن تؤرخ في الكتب وتقرأ بعدكما جيلاً بعد جيل ثم أن الملك الغيور أحضر القضاة والشهود من وقته وكتب كتاب السيدة بدور على قمر الزمان وأمر بتزين المدينة سبعة أيام ثم مدوا السماط والأطعمة وزينت المدينة وجميع العساكر وأقبلت البشائر ودخل قمر الزمان على السيدة بدور وفرح بعافيتها وزواجها وحمدا الله الذي رماها في حب شاب مليح من أبناء الملوك ثم أدخلوها عليه وكانا يشبهان بعضهما في الحسن والجمال والظرف والدلال ونام قمر الزمان عندها تلك الليلة وبلغ أربه منها وتمتعت هي بحسنه وجماله وتعانقا إلى الصباح وفي اليوم الثاني عمل الملك وليمة وجمع جميع أهل الجزائر الجوانية والجزائر البرانية وقدم لهم الأسمطة وامتدت الموائد مدة شهر كامل وبعد ذلك تفكر قمر الزمان أبا ورآه في المنام يقول له يا ولدي أهكذا تفعل معي هذه الفعال وأنشده في المنام هذين البيتين:

لقد راعني بدر الدجى بصدوده ... ووكل أجفاني برعي كواكبه

فيا كبدي مهلاً عساه يعود لي ... ويا مهجتي صبراً على ما كواك به

ثم أن قمر الزمان لما رأى والده في المنام يعاتبه أصبح حزيناً واعلم زوجته بذلك وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٣٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن قمر الزمان لما رأى والده في المنام يعاتبه أصبح حزيناً وأخبر زوجته السيدة بدور بذلك فدخلت هي وأياه على والدها وأعلماه واستأذنا في السفر فأذن له في السفر فقالت السيدة بدور يا والدي لا أصبر على فراقه فقال لها والدها سافري معه وأذن لها بالإقامة معه سنة كاملة وبعد السنة تجيء تزور والدها في كل عام مرة قبلت يد أبيها وكذلك قمر الزمان ثم شرع الملك الغيور في تجهيز ابنته هي وزوجتها وهيأ لهم أدوات السفر وأخرج لهما الخيول والهجان وأخرج لأبنته محفة وحمل لهما البغال والهجان وأخرج لهما ما يحتاجان إليه في السفر وفي يوم المسير ودع الملك الغيور قمر الزمان وخلع عليه خلعة سنية من الذهب مرصعة بالجواهر وقدم له حزنة مال وأوصاه على أبنته بدور وهي في المحفة وصار يعانقها ويبكي وأنشد هذين البيتين:

يـ . ـا طالبـ . ـاً للفـ . ـراق صـ . ـبراً فمنعـ . . . ـة العاشـ . . . ـق العنـ . . . ـاق
مهـ . ـلاً فطبـ . ـع الزمـ . ـان غـ . ـدر وآخـ . . . ـر العشـ . . . ـرة الفـ . . . ـراق

ثم خرج من عند ابنته وأتى إلى زوجها قمر الزمان فصار يودعه ويقبله ثم فارقهما وعاد إلى جزائـ ـره بعسكره بعد أن أمرهما بالرحيل فسار قمر الزمان هو وزوجته السيدة بدور ومن معهم من الاتباع أول يـ ـوم والثاني والثالث والرابع ولم يزالوا مسافرين مدة شهر ثم نزلوا في مرج واسع كثير الكلأ وضربوا خيامهم فيه وأكلوا وشربوا وأستراحوا ونامت السيدة بدور فدخل عليها قمر الزمان فوجدها نائمة وفوق بـ ـدنها قمـ ـيص مشمشي من الحرير يبين منه كل شيء وفوق رأسها كوفية من الحرير مرصعة بالجواهر وقد رفـ ـع الهـ ـواء قميصها فطلع فوق سرتها عند نهودها فبان لها بطن أبيض من الثلج وكل عكسة من عكس طياته تسع أوقيـ ـة من دهن البان فزاد محبة وهياماً وأنشد هذين البيتين:

لـ ـو قيـ ـل لـ ـي وزفيـ ـر الحـ ـر متقـ ـد والنار فـ ـي القلـ ـب والأحشـ ـاء تضـ ـطرم
أهـ ـم تريـ ـد. وتهـ ـوى أن تشـ ـاهدهم أو شـ ـربة مـ ـن زلال المـ ـاء قلـ ـت هـ ـم

فحط قمر الزمان يده في تكة لباسها فجذبها وحلها لما أشتهاها خاطره فرأى فصاً أحمـ ـر مثـ ـل العـ ـدم مربوطاً على التكة وعليه أسماء منقوشة سطرين بكتابة لا تقرأ فتعجب قمر الزمان من ذلك الفص وقال فـ ـي نفسه لولا أن لهذا الفص أمر عظيم عندها ما ربطته هذه الربطة على تكة لباسها وما خبأته في أعـ ـز مكـ ـان عندها حتى لا تفارقه فماذا تصنع بهذا وما السر الذي هو فيه ثم أخذه وخرج من الخيمة ليبصره في النـ ـور وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٣٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أنه لما أخذ الفص ليبصره في النور صار يتأمل فيه وإذا بطائر انقـ ـض عليه وخطفه من يده وطار به وحط على الأرض فخاف قمر الزمان على الفص وجرى خلف الطائر وصار الطائر يجري على قدر جري قمر الزمان وصار قمر الزمان خلفه من واد إلى واد ومن تل إلى تل إلـ ـى أن دخل الليل وتغلس الظلام فنام الطائر على شجرة عالية فوقف قمر الزمان تحتها وصار باهتاً وقد ضعف من الجوع والتعب وظن أنه هلك وأراد أن يرجع فما عرف الموضع الذي جاء منه وهجم عليـ ـه الظـ ـلام فقـ ـال لاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ثم نام تحت الشجرة التي فوقها الطائر إلى الصباح ثم انتبه مـ ـن نومـ ـه فوجد الطائر قد انتبه وطار من فوق الشجرة فمشي قمر الزمان خلفه وصار ذلك الطائر يطير قلـ ـيلاً بقـ ـدر مشي قمر الزمان فتبسم قمر الزمان وقال ياالله العجب أن هذا الطائر كان بالأمس يطير بقدر جريتي وفي هذا اليوم علم أني أصبحت تعباناً لا أقدر على الجري فصار يطير على قدر مشي أن هذا عجيب ولكن لابـ ـد أن أتبع هذا الطائر فأما أن يقودني إلى حياتي أو إلى مماتي فأنا أتبعه أينما يتوجه لأنه على كل حال لا يقـ ـيم إلا في البلاد العمار ثم إن قمر الزمان جعل يمشي تحت الطائر والطائر يبيت في كل ليلة على شجرة ولم يـ ـزل متابعة مدة عشرة أيام وقمر الزمان يتقوت من نبات الأرض يشرب من الأنهار وبعد العشرة أيام شرف على مدينة عامرة فمرق الطائر في تلك المدينة مثل لمح البصر وغاب عن قمر الزمان ولـ ـم يعـ ـرف أيـ ـن راح

فتعجب قمر الزمان وقال الحمد لله الذي سلمني حتى وصلت إلى هذه المدينة ثم جلس عند الماء وغسل يديه ورجليه ووجهه واستراح ساعة وتذكر ما كان فيه من الراحة ونظر إلى ما هو فيه من الغربة والجوع والتعب فأنشد يقول :

أخفيت ما ألقاه منه وقد ظهر　　　والنوم من عيني تبدل بالسهر

ساديت لما أوهنت قلبي الفكر　　　يا دهر لا تبقي علي ولا تذر

ها مهجتي بين المشقة والخطر

لو كان سلطان المحبة منصفي　　　ما كان نومي من عيوني قد نفى

يا سادتي رفقاً بصب مدنف　　　وتعطفوا لعزيز قوم ذل في

شرع الهوى وغنى قوم افتقر

لج العواذل فيك ما طاوعتهم　　　وسددت كل مسامعي وعصيتهم

قالوا عشقت مهفهفاً فاجبتهم　　　اخترته من بينهم وتركتهم

كفوا إذا وقع القضا عمى البصر

ثم أن قمر الزمان لما فرغ من شعره واستراح دخل باب المدينة. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٣٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن قمر الزمان دخل باب المدينة وهو لا يعلم أين يتوجه فمشى في المدينة جميعها وقد كان دخل من باب البر ولم يزل يمشي إلى أن خرج من باب البحر فلم يقابله أحد من أهلها وكانت مدينة على جانب البحر ثم أنه بعد أن خرج من باب البحر مشى ولم يزل ماشياً حتى وصل إلى بساتين المدينة وشق بين الأشجار فأتى إلى بستان ووقف على بابه فخرج إليه الخولي ورحب به وقال الحمد لله الذي أتى بك سالماً من أهل هذه المدينة فأدخل هذا البستان سريعاً قبل أن يراك أحد من أهلها فعند ذلك دخل قمر الزمان ذلك البستان وهو ذاهل العقل وقال للخولي ما حكاية أهل هذه المدينة وما خبرهم فقال له اعلم أن أهل هذه المدينة كلهم مجوس فبالله عليك أخبرني كيف وصلت إلى هذا المكان وما سبب دخولك في بلادنا فعند ذلك أخبره قمر الزمان بجميع ما جري له فتعجب الخولي من ذلك غاية العجب وقال له اعلم يا ولدي أن بلاد الإسلام بعيدة من هنا فبيننا وبينها أربعة أشهر في البحر وأما في البر فسنة كاملة وأن عندنا مركباً تقلع وتسافر كل سنة ببضائع إلى أول بلاد الإسلام وتسير من هنا إلى بحر جزيرة الأبنوس ومنه إلى جزائر خالدات وملكها يقال له السلطان شهرمان فعند ذلك تفكر قمر الزمان في نفسه ساعة زمانية وعلم أنه لا أوفق له من قعوده في البستان عند الخولي ويعمل عنده مرابعاً فقال للخولي هل تقبلني عندك مرابعاً في هذا البستان فقال له الخولي سمعاً وطاعة ثم علمه تحويل الماء بين الأشجار فصار قمر الزمان يحول الماء ويقطع الحشيش بالفاس وألبسه الخولي بشتاً قصيراً أزرق يصل إلى ركبته وصار يسقي الأشجار ويبكي بالدموع الغزار وينشد الأشعار بالليل والنهار في معشوقته بدور فمن جملة ذلك هذه الأبيات:

لذ ـا عذ ـدكم وعـ ـد فهـ ـلا وفيـ ـتم وقلـ ـتم لذ ـا قـ ـولاً فهـ ـلا فعلـ ـتم
سـ ـهرنا علـ ـى حكـ ـم الغـ ـرام ونمـ ـتم ولـ ـيس سـ ـواء سـ ـاهرون ونـ ـوم
وكذ ـا عهـ ـدنا أنذ ـا نكـ ـتم الهـ ـوى فـ ـأغراكم الواشـ ـي وقـ ـال وقلـ ـتم
فيا أيها الأحباب فـ ـي السـ ـخط والرضـ ـا علـ ـى كـ ـل حـ ـال أنـ ـتم القصـ ـد أنـ ـتم"
ولي عند بعـ ـض الذ ـاس قلـ ـب معـ ـذب فيـ ـا ليتـ ـه يرثـ ـى لحـ ـالي ويـ ـرحم
وما كـ ـل عـ ـين مثـ ـل عيذ ـي قريحـ ـة ولا كـ ـل قلـ ـب مثـ ـل قلبـ ـي متـ ـيم
ظلمـ ـتم وقلـ ـتم أنمـ ـا الحـ ـب ظـ ـالم صـ ـدقتم كـ ـذا كـ ـان الحـ ـديث صـ ـدقتم
سلوا مغرمـ ـاً لا يـ ـنض الـ ـدهر عهـ ـده ولو كـ ـان فـ ـي أحشـ ـائه الذ ـار تضـ ـرم
إذا كان خصمي فـ ـي الصـ ـبابة حـ ـاكمي لمـ ـن اشـ ـتكى خصـ ـمي لمـ ـن أتظلـ ـم
ولولا أفتقاري فـ ـي الهـ ـوى وصـ ـبابتي لما كان لـ ـي فـ ـي العشـ ـق قلـ ـب متـ ـيم

هذا ما كان من قمر الزمان (وأما) ما كان من أمر زوجته السيدة بدور بنت الملك الغيور فإنهـ ـا لمـ ـا استيقظت من نومها طلبت زوجها قمر الزمان فلم تجده ورأت سروالها محلولاً فافتقدت العقد فوجدتها محلولة والفص معدوما فقالت في نفسها يالله العجب أين معشوقي كأنه أخذ الفص وراح وهو لا يعلم السر الذي هـ ـو فيه فيا ترى أين راح ولكن لابد له من أمر عجيب اقتضى رواحه فإنه لا يقدر أن يفارقني سـ ـاعة فلعـ ـن الله الفص ولعن ساعته ثم أن السيدة بدور تفكرت وقالت في نفسها خرجت إلى الحاشية وأعلمتهم بفقـ ـد زوجـ ـي يطمعوا في ولكن لابد من الحيلة ثم أنها لبست ثياب قمر الزمان ولبست عمامة كعمامته وضربت لها لثاماً وحطت في محفتها جارية وخرجت من خيمتها وصرخت على الغلمان فقدموا لها الجواد فركبت وأمرت بشد الأحمال فشدوا الأحمال وسافروا وأخفت أمرها لأنها كانت تشبه قمر الزمان فما شك أحد أنها قمـ ـر الزمـ ـان بعينه ومازالت مسافرة هي وأتباعها أياماً وليال حتى أشرفت على مدينة مطلة على البحـ ـر المـ ـالح فنزلـ ـت بظاهرها وضربت خيامها في ذلك المكان لأجل الاستراحة ثم سألت عن هذه المدينة فقيل لهـ ـا هـ ـذه مديذ ـة الآبنوس ولملكها الملك أرمانوس وله بنت أسمها حياة النفوس. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٣٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن السيدة بدور لما نزلت بظاهر مدينة الآبنوس لأجل الاستراحة أرسـ ـل الملك أرمانوس رسولاً من عنده يكشف له خبر الملك النازل بظاهر المدينة فلما وصل إليهم الرسول سـ ـألهم فأخبروه بأن هذا ابن الملك تائه عن الطريق وهو قاصد جزائر خالد أن والملك شهرمان فعاد الرسـ ـول إلـ ـى الملك أرمانوس وأخبره بالخبر فلما سمع الملك أرمانوس هذا الكلام نزل هو وأرباب دولته إلى مقابلته فلمـ ـا قدم على الخيام ترجلت السيدة بدور وترجل الملك أرمانوس وسلما على بعضهما وأخذها ودخـ ـل بهـ ـا إلـ ـى مدينته وطلع به إلى قصره وأمر بمد السماط وموائد الأطعمة وأمر بنقل السيدة بدور إلى دار الضيافة فقامت هناك ثلاثة أيام وبعد ذلك أقبل الملك أرمانوس على السيدة بدور وكانت دخلت في ذلك اليوم الحمام وأسفرت عن وجه كأنه البدر عند التمام فافتتن بها العالم وتهتكت بها الخلق عند رؤيتها فعند ذلك أقبل الملك أرمانوس عليها وهي لابسة حلة من الحرير مطرزة يذهب المرصع بالجواهر وقال لها يا ولدي اعلم أني بقيت شـ ـيخاً هرماً وعمري ما رزقت ولداغير بنت وهي على شكلك وقدك في الحسن والجمال وعجزت عن الملك فهـ ـل

لك يا ولدي أن تقيم بأرضي وتسكن بلادي وأزوجك ابنتي وأعطيك مملكتي فأطرقت السيدة بـ دور رأسـ ها وعرق جبينها من الحياء وقالت في نفسها كيف يكون العمل وأنا امرأة فإن خالفت أمره وسرت ربما يرسـ ل خلفي جيشاً يقتلني وأن أطلعته على أمري ربما أتفضح وقد فقدت محبوبي قمر الزمان ولم أعرف له خبـ راً ومالي خلاص إلا أن أجيبه إلى قصده وأقيم عنده حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً ثم أن السيدة بدور رفعت رأسها وأذعنت للملك بالسمع والطاعة ففرح الملك بذلك وأمر المنادي أن ينادي في جزائر الآبنوس بـ الفرح والزينة وجمع الحجاب والنواب والأمراء وأرباب دولته وقضاة مدينته وعزل نفسه من الملك وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٤٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك أرمانوس لما عزل نفسه من الملك سلطن السيدة بدور وألبسـ ها بدلة الملك ودخلت الأمراء جميعاً على السيدة بدور وهم لا يشكون في أنها شاب وصار كل من نظـ ر إليهـ ا منهم جميعاً يبل سراويله لفرط حسنها وجمالها فلما تسلطنت الملكة بدور ودقت لها البشائر بالسـ رور شـ رع الملك أرمانوس في تجهيز ابنته حياة النفوس وبعد أيام قلائل أدخلوا السيدة بدور على حياة النفـ وس فكانتـ ا كأنهما بدران اجتمعا أو شمسان في وقت طلعا فردوا عليهما الأبواب وأرخو الستائر بعـ د أن أوقـ دوا لهمـ ا لشموع وفرشوا لهما الفرش فعند ذلك جلست السيدة بدور مع السيدة حياة النفوس فتـ ذكرت محبوبهـ ا قمـ ر الزمان واشتدت بها الأحزان فسكبت العبرات وأنشدت هذه الأبيات:

يـ ـا راحلـ ـين وقلبـ ـي زائـ ـد القلـ ـق ... لم يبق بيـ نكم فـ ـي الجسـ ـم مـ ـن رمـ ـق

قد كأن لي مقلة تشـ كو السـ ـهاد وقـ ـد ... أذابهـ ـا الـ ـدمع ياليـ ـت السـ ـهاد بقـ ـى

لمـ ـا رحلـ ـتم أقـ ـام الصـ ـب بعـ ـدكم ... ولكن سلوا عنه مـ ـاذا فـ ـي البعـ ـاد لقـ ـى

لـ ـولا جفـ ـوني وقـ ـد فاضـ ـت مـ ـدامعها ... توقـ ـدت عرضـ ـات الأرض مـ ـن حرقـ ـي

أشـ ـكو إلـ ـى الله أحبابـ ـاً عـ ـدمتهم ... لـ ـم يرحمـ ـوا صـ ـبوتي فـ ـيهم ولا قلقـ ـي

لا ذنـ ـب لـ ـي عنـ ـدهم إلا الغـ ـرام بهـ ـم ... والناس بين سعيد فـ ـي الهـ ـوى وشـ ـقي

ثم أن السيدة بدور لما فرغت من أنشادها جلست إلى جانب السيدة حياة النفـ وس وقبلتهـ ا فـ ـي فمهـ ا ونهضت من وقتها وساعتها توضأت ولم تزل تصلي حتى نامت السيدة حياة النفوس ثم دخلت السيدة بـ دور معها في الفرش وأدارت ظهرها لها إلى الصباح فلما طلع النهار دخل الملك هو وزوجته إلى ابنتهما وسألاها عن حالها فأخبرتهما بما جري وما سمعته من الشعر هذا ما كان من أمر حياة النفوس وأبويها (وأما) ما كان من أمر الملكة بدور فإنها خرجت وجلست على كرسي المملكة وطلعت إليها الأمراء وأرباب الدولة وجميـ ع الرؤساء والجيوش وهنؤوها بالملك وقبلوا الأرض بين يديها ودعوا لها فأقبلت عليهم وتبسمت وخلعت عليهم وزادت في إقطاع الأمراء فأحبها العسكر والرعية ودعوا لها بدوام الملك وهم يعتقدون أنها رجل ثـ م أنهـ ا أمرت ونهت وحكمت وعدلت وأطلقت من الحبوس وأبطلت المكوس ولم تزل قاعدة في مجلس الحكومة إلى أن دخل الليل ثم دخلت المكان. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٤١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملكة بدور لما دخلت المكان المعد لها وجدت السيدة حيـ ـاة الفنـ ـوس جالسة فجلست بجانبها وطقطقت على ظهرها ولا طفتها وقبلتها بين عينيها وأنشدت هذه الأبيات:

قـ ـد صـ ـار سـ ـرى بالـ ـدموع علانيـ ـه	ونحـ ـول جسـ ـمي فـ ـي الغـ ـرام علانيـ ـه
أخفـ ـى الهـ ـوى ويذيعـ ـه ألـ ـم النـ ـوى	حـ ـالي علـ ـى الواشـ ـين ليسـ ـت خافيـ ـه
يـ ـا راحلـ ـين عـ ـن الحمـ ـى خلفـ ـتم	جسـ ـمي بكـ ـم مضـ ـني ونفسـ ـي باليـ ـه
وسـ ـكنتم غـ ـور الحشـ ـا فنـ ـواظري	تجـ ـري مـ ـدامعها وعينـ ـي داميـ ـه
وأنـ ـا قـ ـداء الغـ ـائبين بمهجتـ ـي	أبـ ـداً وأشـ ـواقي إلـ ـيهم باديـ ـة
لـ ـي مقلـ ـة مقروحـ ـة فـ ـي حـ ـبهم	حفـ ـت الكـ ـرى ودموعهـ ـا متواليـ ـه
ظـ ـن العـ ـدا منـ ـي عليـ ـه تجلـ ـدا	هيهـ ـات مـ ـا أذنـ ـي إلـ ـيهم واعيـ ـه
خابـ ـت ظنـ ـونهم لـ ـدى وأنمـ ـا	قمـ ـر الزمـ ـان بـ ـه أنـ ـال أمانيـ ـه
جمـ ـع الفضـ ـائل مـ ـا حواهـ ـا قبلـ ـه	أحـ ـد سـ ـواه فـ ـي العصـ ـور الخاليـ ـه
أنسـ ـى الأنـ ـام بجـ ـوده وبعفـ ـوه	كـ ـرم أبـ ـن زائـ ـدة وحلـ ـم معاويـ ـه
لـ ـولا الإطالـ ـة والقـ ـريض مقصـ ـر	عن حصر حسـ ـنك لـ ـم أدع مـ ـن قافيـ ـه

ثم أن الملكة بدور نهضت قائمة على أقدامها ومسحت دموعها وتوضأت وصلت ولم تزل تصلي إلـ ـى أن غلب النوم على السيدة حياة النفوس فنامت فجاءت الملكة بدور ورقدت بجانبها إلى الصـ ـباح ثـ ـم قامـ ـت وصلت الصبح وجلست على كرسي المملكة وأمرت ونهت وحكمت وعدلت هذا ما كان من أمرها (وأما) ما كان من أمر الملك أرمانوس فإنه دخل على ابنته وسألها عن حالها فأخبرته بجميع ما جـ ـرى لهـ ـا وأنشـ ـدته الشعر الذي قالته الملكة بدور وقالت يا أبي ما رأيت أحداً أكثر عقلاً وحياء من زوجي غير أنه يبكي ويتنهـ ـد فقال لها أبوها يا ابنتي أصبري عليه فما بقي غير هذه الليلة الثالثة فإن لم يدخل بك ويزل بكارتك يكـ ـن لنـ ـا معه رأي وتدبير وأخلصه من الملك وأنفيه من بلادنا فاتفق مع ابنته على هذا الكلام وأضمر هـ ـذا الـ ـرأي. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٤٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أنه لما أقبل الليل قامت الملكة بدور من دست المملكة إلى القصر ودخلت المكان الذي هو معد لها فرأت الشمع موقداً والسيدة حياة النفوس جالسة فتذكرت زوجها وما جرى بينهما في تلك المدة اليسيرة فبكت ووالت الزفرات وأنشدت هذه الأبيات:

قسـ ـماً لقـ ـد مـ ـلأت أحـ ـاديثي الفضـ ـا	كالشـ ـمس مشـ ـرقة علـ ـى ذات الغضـ ـى
نطقـ ـت أشـ ـارته فأشـ ـكل فهمهـ ـا	فلذاك شوقي في المزيـ ـد ومـ ـا انقضـ ـى
أبغضـ ـت حسـ ـن الصـ ـبر مذاحببتـ ـه	أرأيـ ـت صـ ـبراً فـ ـي الصـ ـبابة مبغضـ ـاً
ومـ ـرض اللحظـ ـات صـ ـال بفتكهـ ـا	واللحـ ـظ أقتـ ـل مـ ـا يكـ ـون ممرضـ ـاً
ألقـ ـى ذوائبـ ـه وحـ ـط لثامـ ـه	فرأيـ ـت منـ ـه الحسـ ـن أسـ ـود أبيضـ ـاً
سـ ـقمي وبرئـ ـي فـ ـي يديـ ـه وأنمـ ـا	يشفي سـ ـقام الحـ ـب مـ ـن قـ ـد أمرضـ ـا
هـ ـام الوشـ ـاح برقـ ـة فـ ـي حصـ ـره	والـ ـردف مـ ـن حسـ ـد أبـ ـي أن ينهضـ ـا

وكـ ـأن طرتـ ـه وضـ ـوء جبينـ ـه ليلـ ـى دجـ ـى فاعتاقـ ـه صـ ـبح أضـ ـا

فلما فرغت من إنشادها أرادت أن تقوم إلى الصلاة وإذا بحياة النفوس تعلقت بذيلها وقالت لها يا سيدي أما تستحي من والدي وما فعل معك من الجميل وأنت تتركني إلى هذا الوقت فلما سمعت منها ذلك جلست في مكانها وقالت لها يا حبيبتي ما الذي تقولينه قالت الذي أقوله أني ما رأيت أحداً معجباً بنفسه مثلك فهل كل من كان مليحاً يعجب بنفسه هكذا ولكن أنا ما قلت هذا الكلام لأجل أن أرغبك في وأنما قلته خيفة عليك من الملك أرمانوس فإنه أضمر إن لم تدخل بي في هذه الليلة وتزل بكارتي أنه ينزعك من المملكة في غد و يسفرك من بلاده وربما يزداد به الغيظ فيقتلك وأنا يا سيدي رحمتك ونصحتك والرأي رأيك فلما سمعت الملكة بدور منها ذلك الكلام أطرقت برأسها إلى الأرض وتحيرت في أمرها ثم قالت في نفسها أن خالفته هلكت وأن أطلعتـ ـه افتضحت ولكن أنا في هذه الساعة ملكة على جزائر الآبنوس كلها وهي تحت حكمي وما اجتمع أنـ ـا وقمـ ـر الزمان إلا في هذا المكان لأنه ليس له طريق إلى بلاده إلا من جزائر الآبنوس وقد فوضت أمري إلى الله فهو نعم المدبر ثم أن الملكة بدور قالت لحياة النفوس يا حبيبتي إن تركي لك وامتناعي عنك بالرغم عني وحكـ ـت لها ما جرى من المبتدي إلى المنتهي وأرتها نفسها وقالت لها سألتك بالله أن تخفي أمري وتكتمي سري حتى يجمعني الله بمحبوبي قمر الزمان وبعد ذلك يكون ما يكون وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٤٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن السيدة بدور لما أعلمت حياة النفوس بقصتها وأمرتها بالكتمان تعجبت من ذلك غاية العجب ورقت لها ودعت لها بجمع شملها على محبوبها قمر الزمان وقالت لهـ ـا يـ ـا أختـ ـي لا تخافي ولا تفزعي وأصبري إلى أن يقضي الله أمراً كان مفعولاً ثم أن حياة النفوس أنشدت هذين البيتين:

السـ ـر عنـ ـدي فـ ـي بيـ ـت لـ ـه غلـ ـق قـ ـد ضـ ـاع مفتاحـ ـه والبيـ ـت مختـ ـوم
مـ ـا يكـ ـتم السـ ـر إلا كـ ـل ذي ثقـ ـة والسـ ـر عنـ ـد خيـ ـار النـ ـاس مكتـ ـوم

فلما فرغت من شعرها قالت يا أختي أن صدور الأحرار قبور الأسرار وأنا لا أفشي لك سراً ثم لعبتـ ـا وتعانقتا وناما إلى قريب الأذان ثم قامت حياة النفوس وأخذت دجاجة وذبحتهـ ـا وتلطخـ ـت بـ دمها وقلعـ ـت سراويلها وصرخت فدخل لها أهلها وزغردت الجواري ودخلت عليها أمها وسألتها عن حالها وأقامت عنـ ـدها إلى المساء وأما الملكة بدور فإنها لما أصبحت قامت وذهبت إلى الحمام واغتسلت وصلت الصبح ثم توجهت إلى مجلس الحكومة وجلست على كرسي المملكة وحكمت بين الناس فلما سمع الملك أرمـ ـانوس الزغاريـ ـت سأل عن الخبر فأخبره بافتضاض بكارة ابنته ففرح بذلك واتسع صدره وانشرح وأولم الولائم ولم يزالوا على تلك الحالة مدة من الزمان هذا ما كان من أمرهما (وأما) ما كان من أمر الملك شهرمان فإنه بعد خروج ولده إلى الصيد والقنص هو ومرزوان كما تقدم صبر حتى أقبل عليه الليل فلم يجيء ولده فتحير عقله ولم ينم تلك الليلة وقلق غاية القلق وزاد وجده واحترق وما صدق أن الفجر انشق حتى أصبح ينتظر ولده إلـ ـى نصـ ـف

النهار فلم يجيء فأحس قلبه بالفراق والتهب على ولده من الاشفاق ثم بكى حتى بل ثيابه بالدموع وأنشد مـ ن قلب مصدوع:

مازالت معترضـ اً عـلـ ى أهـ ل الهـ وى	حتـ . ـى بليـ . ـت بحظـ . ـوه وبمـ . ـره
وشـ . ـربت كـ . ـأس مـ . ـراره متجرعـ . ـاً	وذلـ . ـت فيـ . ـه لعبـ . ـده ولحـ . ـره
نـ ـذر الزمـ ـان بـ ـأن يفـ ـرض شـ ـملنا	والآن قـ . ـد أوفـ . ـي الزمـ . ـان بنـ . ـذره

فلما فرغ من شعره مسح دموعه ونادى في عسكره بالرحيل والحث على السفر الطويل فركب الجيش جميعه وخرج السلطان وهو محترق القلب على ولده قمر الزمان وقلبه بالحزن ملآن ثم فرق جيشـ ـه يميـ ـناً وشمالاً وأماما وخلف ست فرق وقال لهم الاجتماع غداً عند مفرق الطريق فتفرقت الجيوش والعسـ كر كمـ ـا ذكرنا وسافرت الخيول ولم يزالوا مسافرين بقية النهار إلى أن جن الليل فساروا جميع الليل إلى نصف النهار حتى وصلوا إلى مفرق أربع طرق فلم يعرفوا أي طريق سلكها ثم رأوا أثر أقمشة مقطعة ورأوا اللحم مقطعاً ونظروا أثر الدم باقياً وشاهدوا كل قطعة من الثياب واللحم في ناحية فلما رأى الملك شهرمان ذلـ ـك صـ ـرخ صرخة عظيمة من صميم القلب وقال وا ولداه ولطم على وجهه ونتف لحيته ومزق أثوابه وأيقن بموت ولده وزاد في البكاء والنحيب وبكت لبكائه العساكر وكلهم أيقنوا بهلاك قمر الزمان وحثوا على رؤوسهم التـ ـراب ودخل عليهم الليل وهم في بكاء ونحيب حتى أشرفوا على الهلاك واحترق قلب الملك بلهيب الزفرات وأنشـ ـد هذه الأبيات:

لا تعـ ـذلوا المحـ ـزون فـ ـي احزانـ ـه	فلقـ ـد جفـ ـاه الوجـ ـد مـ ـن أشـ ـجانه
يبكـ . ـي لفـ . ـرط تأسـ . ـف وتوجـ . ـع	وغرامـ . ـه ينبيـ . ـك عـ . ـن نيرانـ . ـه
باسـ ـعد مـ ـن لمتـ ـيم حلـ ـف الضـ ـنى	أن لا يزيـ . ـل الـ . ـدمع مـ . ـن أجفانـ . ـه
يبـ ـدي الغـ ـرام لفقـ ـد بـ ـدر زاهـ ـر	بضـ . ـيائه يزهـ . ـو علـ . ـى أقرانـ . ـه
ولقـ ـد سـ ـقاه المـ ـوت كـ ـأس مترعـ ـاً	يـ ـوم الرحيـ ـل فشـ ـط عـ ـن أوطانـ ـه

فلما فرغ من إنشاده رجع بجيوشه إلى مدينته وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٤٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك شهرمان أيقن بهلاك ولده وعلم أنه عدا عليه وافترسه أما وحش وأما قاطع طريق ثم نادى في جزائر خالدات أن يلبسوا السواد من الأحزان على ولده قمر الزمان وعمل لـ ـه بيتاً وسماه بيت الأحزان وصار كل يوم خميس وأثنين يحكم في مملكته بين عسكره ورعيته وبقيـ ـة الجمعـ ـة يدخل بيت الأحزان وينعي ولده يرثيه بالأشعار (فمن ذلك قوله)

فيـ ـوم الأمـ ـاني يـ ـوم قـ ـربكم منـ ـي	ويـ ـوم المنايـ ـا يـ ـوم أعراضـ ـكم عنـ ـي
إذا بـ . ـت مرعوبـ . ـاً أهـ . ـد بـ . ـالردى	فوصـ ـلكم عنـ ـدي ألـ ـذ مـ ـن الآمـ ـن

(ومن ذلك قوله)

نفسـ ـي الفـ ـداء لظـ ـاعنين رحـ ـيلهم	أنكـ ـى وأفسـ ـد فـ ـي القلـ ـوب وعاثـ ـا
فلـ . ـيقض عدتـ . ـه السـ . ـرور فـ . ـأنني	طلقـ . ـت بعـ . ـدهم النعـ . ـيم ثلاثـ . ـاً

هذا ما كان من أمر الملك شهرمان (وأما) ما كان من أمر الملكة بدور بنت الملك الغيور فإنها صارت ملكة في بلاد الآبنوس وصارت الناس يشيرون إليها بالبنان ويقولون هذا صهر الملك أرمانوس وكل ليلة تنام مع السيدة حياة النفوس وتشتكي وحشة زوجها قمر الزمان وتصف لها حسنه وجماله وتتمنى ولو في المنام وصاله هذا ما كان من أمر الملكة بدور (وأما) ما كان من أمر قمر الزمان فإنه لم يزل مقيماً عند الخولي في البستان مدة من الزمان وهو يبكي بالليل والنهار ويتحسر وينشد الأشعار على أوقات الهنا والسرور والخولي يقول في آخر السنة تسير المركب إلى بلاد المسلمين ولم يزل قمر الزمان على تلك الحالة إلى أن رأى الناس مجتمعين على بعضهم فتعجب من ذلك فدخل عليه الخولي وقال له يا ولدي أبطل الشغل في هذا اليوم ولا تحول الماء إلى الأشجار لأن هذا اليوم عيد والناس فيه يزور بعضهم بعضاً فاسترح واجعل بالك إلى الغيط فإني أريد أن أبصر لك مركباً فما بقي إلا القليل وأرسلك إلى بلاد المسلمين ثم أن الخولي خرج من البستان وبقي قمر الزمان وحده فانكسر خاطره وجرت دموعه ولم يزل يبكي حتى غشي عليه فلما أفاق قام يتمشى في البستان وهو متفكر فيما فعل به الزمان وطول البعد والهجران وعقله ولهان فعثر ووقع على وجهه فجاءت جبهته على حجر شجرة فجري دمه واختلط بدموعه فمسح دمه ونشف دموعه وشد جبهته بخرقة وقام يتمشى في ذلك البستان وهو ذاهل العقل فنظر بعينه إلى شجرة فوقها طائران يتخاصمان فقلب أحدهما لآخر ونقره في عنقه فخلص رقبته من جثته ثم أخذ رأسه وطار بها ووقع المقتول في الأرض قدام قمر الزمان فبينما هو كذلك وإذا بطائرين كبيرين قد انقضا عليه ووقف واحد منهما عند رأسه والآخر عند ذنبه وأرخيا أجنحتهما عليه ومدا أعناقهما إليه وبكيا فبكي قمر الزمان على فراق زوجته حين رأي الطائرين يبكيان على صاحبهما. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٤٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك قمر الزمان بكي على فراق زوجته لما رأي الطائرين يبكيان على صاحبهما ثم إن قمر الزمان رأي الطائرين حفرا حفرة ودفنا الطائر المقتول فيها وطار إلى الجو وغابا ساعة ثم عادا ومعهما الطائر القاتل فنزلا به على قبل المقتول وبركا على قبل القاتل حتى قتلاه وشقا جوفه وأخرجا أمعاءه وأراقا دمه على قبر الطائر المقتول ثم نثر الحمه ومزقا جلده وأخرجا ما في جوفه وفرقا إلى أماكن متفرقة هذا كله جرى وقمر الزمان ينظر ويتعجب فحانت منه التفاتة إلى الموضع الذي قتلا فيه الطائر فوجد فيه شيئاً يلمع فدنها منه فوجده حوصلة الطائر فأخذها وفتحها فوجد فيها الفص الذي كان سبب فراقه من زوجته فلما رآه وعرفه وقع على الأرض مغشياً عليه من فرحته فلما أفاق قال في نفسه هذا علامة الخير وبشارة الاجتماع بمحبوبتي ثم تأمله ومر به على عينه وربطه على ذراعه واستبشر بالخير وقام يتمشى لينظر الخولي ولم يزل يفتش عليه إلى الليل فلم يأت فبات قمر الزمان في موضعه إلى الصباح ثم قام إلى شغفه وشد وسطه بحبل من الليف وأخذ الفأس والقفة وشق في البستان فأتى إلى شجرة خروب وضرب الفاس في جدرها فظنت الضربة فكشف التراب عن موضعها فوجد طابقاً ففتحه وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٤٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن قمر الزمان لما فتح ذلك الطابق وجد باباً فنزل فيه فلقي قاعة قديمة من عهد ثمود وعاد وتلك القاعة واسعة وهي مملوءة ذهبا أحمر فقال في نفسه لقد ذهب التعب وجاء الفرح والسرور ثم أن قمر الزمان طلع من المكان إلى ظاهر البستان ورد الطابق كما كان ورجع إلى البستان وتحويل الماء على الأشجار ولم يزل كذلك إلى آخر النهار فجاء الخولي وقال يا ولدي أبشر برجوعك إلى الأوطان فإن التجار تجهزوا للسفر والمركب بعد ثلاثة أيام مسافرة إلى مدينة من مدائن المسلمين فإذا وصلت إليها تسافر في البرستة أشهر حتى تصل إلى جزائر خالدات والملك شهرمان ففرح قمر الزمان بذلك ثم قبل يد الخولي وقال له يا والدي كما بشرتني فأنا أبشرك بشارة وأخبره بأمر القاعة ففرح الخولي وقال يا ولدي أنا في هذا البستان ثمانون عاماً ما وقفت على شيء وأنت لك عندي دون السنة وقد رأيت هذا الأمر فهو رزقك وسبب زوال عكسك ومعين لك على وصولك إلى أهلك واجتماع شملك بمن تحب فقال قمر الزمان لابد من القسمة بيني وبينك ثم أخذ الخولي ودخل في تلك القاعة وأراه الذهب وكان في عشرين خابية فأخذ عشرة والخولي عشرة فقال له يا ولدي عب لك أمطار من الزيتون العصافيري الذي في هذا البستان فإنه معدوم في غير بلادنا وتحمله التجار إلى جميع البلاد واجعل الذهب في الأمطار والزيتون فوق الذهب ثم سدها وخذها في المركب فقام قمر الزمان من وقته وساعته وعبي خمسين مطراً ووضع الذهب فيها وسد عليه بعد أن جعل الزيتون فوق الذهب وحط الفص معه في مطر وجلس هو والخولي يتحدثان وأيقن بجمع شمله وقربه من أهله وقال في نفسه إذا وصلت إلى جزيرة الآبنوس أسافر منها إلى بلاد أبي وأسأل عن محبوبتي بدور فيا ترى هل رجعت إلى بلادها أو سافرت إلى بلاد أبي أو حدث لها حادث في الطريق ثم جلس قمر الزمان ينتظر انقضاء الأيام وحكى للخولي حكاية الطيور وما وقع بينهما فتعجب الخولي من ذلك ثم ناما إلى الصباح فأصبح الخولي ضعيفاً واستمر على ضعفه يومين وفي ثالث يوم اشتد به الضعف حتى يئسوا من حياته فحزن قمر الزمان على الخولي فبينما هو كذلك وإذا بالريس والبحرية قد أقبلوا وسألوا عن الخولي فأخبرهم بضعفه فقالوا أين الشاب الذي يريد السفر معنا إلى جزيرة الآبنوس فقال لهم قمر الزمان هو المملوك الذي بين أيديكم ثم أمرهم بتحويل الأمطار إلى المركب فنقلوها إلى المركب وقالوا لقمر الزمان أسرع فإن الريح قد طاب فقال لهم سمعاً وطاعة ثم نقل زوادته إلى المركب ورجع إلى الخولي يودعه فوجده في النزع فجلس عند رأسه حتى مات وغمضه وجهزه وواراه في التراب ثم توجه إلى المركب فوجدها أرخت القلوع وسارت ولم تزل تشق البحر حتى غابت عن عينه فصار قمر الزمان مدهوشاً حيران ثم رجع إلى البستان وهو مهموم مغموم وحثا التراب على رأسه وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٤٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن قمر الزمان رجع إلى البستان وهو مهموم مغموم بعد أن سافرت المركب واستأجر البستان من صاحبه وأقام تحت يده رجلاً يعاونه على سقي الشجر وتوجه إلى الطابق ونزل إلى القاعة وعبى الذهب الباقي في خمسين مطراً ووضع فوقه الزيتون وسأل عن المركب فقالوا أنها لا تسافر إلا في كل سنة مرة واحدة فزاد به الوسواس وتحسر على ما جرى له لاسيما فقد الفص الذي للسيدة

بدور فصار يبكي بالليل والنهار وينشد الأشعار هذا ما كان من أمر قمر الزمان (وأما) ما كـ ـان مـ ـن أمـ ـر المركب فإنه طاب لها الريح ووصلت إلى جزيرة الآبنوس واتفق بالأمر المقدور أن الملكة بدور كانت جالسة في الشباك فنظرت إلى المركب وقد رست في الساحل فخفق فؤادها وركبت هي والأمراء والحجاب وتوجهت إلى الساحل ووقفت على المركب وقد دار النقل في البضائع إلى المخازن فاحضرت الريس وسألته عما معه فقال أيها الملك أن معي في هذه المركب من العقاقير والسفوفات والأكحال والمـ ـراهم والأدهـ ـان والأمـ ـوال والأقمشة الفاخرة والبضائع النفيسة ما يعجز عن حمله الجمال والبغال وفيها من أصناف العطر والبهار مـ ـن العود القافلي والتمر الهندي والزيتون العصافيري ما يندر وجوده في هذه البلاد فاشتهت نفسها الزيتون وقالت لصاحب المركب ما مقدار الذي معك من الزيتون قال معي خمسون مطراً ملآنة ولكن صاحبها مـ ـا حضـ ـر معنا والملك يأخذ ما اشتهاه منها فقالت أطلعوها في البلا لأنظر إليها فصاح الريس علـ ـى البحريـ ـة فطلعـ ـوا الخمسين مطراً ففتحت واحداً ونظرت الزيتون وقالت أنا آخذ هذه الخمسين مطراً وأعطيكم ثمنها مهما كـ ـان فقال الريس هذا ماله في بلادنا قيمة ولكن صاحبها تأخر عنا وهو رجل فقير فقالت وما مقدار ثمنها قال ألف درهم قالت أنا آخذها بألف دينار ثم أمرت بنقلها إلى القصر فلما جاء الليل أمرت بإحضار مطر فكشفته ومـ ـا في البيت غيرها هي وحياة النفوس فحطت بين يديها طبقاً ووضعت فيه شيئاً من المطر فنزل في الطبق كوم من الذهب الأحمر فقالت للسيدة حياة النفوس ما هذا إلا ذهب ثم اختبرت الجميع فوجدتها كلها ذهباً والزيتون كله ما يملأ مطراً واحداً وفتشت في الذهب فوجدت الفص فيه فأخذته وتأملته فوجدته الفص الذي كان في تكة لباسها وأخذه قمر الزمان فلما تحققته صاحب من فرحتها وخرت مغشياً عليها وأدرك شهرزاد فسكتت عـ ـن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٤٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملكة بدور لما رأت الفص صاحت من فرحتها وخرت مغشياً عليهـ ـا فلما أفاقت قالت في نفسها أن هذا الفص كان سبباً في فراق محبوبي قمر الزمان ولكنه بشير الخير ثم أعلمت السيدة حياة النفوس بأن وجوده بشارة الاجتماع فلما أصبح الصباح جلست على كرسي المملكـ ـة وأحضـ ـرت ريس المركب فلما حضر قبل الأرض بين يديها فقالت أين خليتم صاحب هذا الزيتون قال يا ملـ ـك الزمـ ـان تركناه في بلاد المجوس وهو خولي بستان فقالت له أن لم تأت به فلا تعلم ما يجري عليك وعلى مركبك من الضرر ثم أمرت بالختم على مخازن النجار وقالت لهم أن صاحب هذا الزيتون غريمي ولي عليه دين وأن لم يأت لاقتلنكم جميعاً وأنهب تجارتكم فأقبلوا على الريس ووعدوه بأجرة مركبه ويرجع ثاني مرة وقالوا خلصنا من هذا الغاشم فنزل الريس في المركب وحل قلوعها وكتب الله له السلامة حتى دخل الجزيرة في الليل وطلع إلى البستان وكان قمر الزمان قد طال عليه الليل وتذكر محبوبته فقعد يبكي على ما جرى له وهو في البستان ثم أن الريس دق الباب على قمر الزمان ففتح الباب وخرج إليه فحمله البحرية ونزلوا به إلى المركب وحلوا القلوع فسافروا وساروا ولم يزالوا سائرين أياماً وليالي وقمر الزمان لا يعلم ما موجب ذلك فسألهم عن السبب فقالوا له أنت غريم الملك صاحب جزائر الآبنوس صهر الملك أرمانوس وقد سرقت ماله يا منحـ ـوس فقـ ـال والله عمري ما دخلت هذه البلاد ولا أعرفها ثم أنهم ساروا به حتى أشرفوا على جزائر الآبنوس وطلعوا بـ ـه

على السيدة بدور فلما رأته عرفته وقالت دعوه عند الخدام ليدخلوا به الحمام وأفرجت عن التجـ ـار وخلعـ ـت على الريس خلعة تساوي عشرة آلاف دينار ودخلت على حياة النفوس وأعلمتها بذلك وقالت لها اكتمي الخبر حتى أبلغ مرادي وأعمل عملاً يؤرخ ويقرأ بعدنا على الملوك والرعايا وحين أمرت أن يدخلوا بقمر الزمـ ـان الحمام دخلوا به الحمام والبسوه لبس الملوك ولما طلع قمر الزمان من الحمام صار كأنه غصن بان أو كوكب يخجل بطلعته القمران وردت روحه إليه ثم توجه إليها ودخل القصر فلما نظرته صبرت قلبها ـا حتـ ـى يـ ـتم مرادها وأنعمت عليه بمماليك وخدم وجمال وبغال وأعطته خزانة مال لم يزل ترقى قمر الزمان من درجـ ـة إلى درجة حتى جعلته خازندار وسلمت إليه الأموال وأقبلت عليه وقمر الزمان لا يعرف ما سبب تعظيمها له ومن كثرة الأموال صار يهب ويتكرم ويخدم الملك أرمانوس حتى أحبه وكذلك أحبتـ ـه الأمـ ـراء والخـ ـواص والعوام وصاروا يحلفون بحياته كل ذلك وقمر الزمان يتعجب من تعظيم الملكة بدور له ويقول في نفسه والله أن هذه المحبة لابد لها من سبب وربما يكون هذا الملك أنما يكرمني هذا الأكرام الزائد لأجل غرض فاسـ ـد فلابد أن استأذنه وأسافر من بلاده ثم أنه توجه إلى الملكة بدور وقال لها أيها الملك أنك أكرمتني أكراماً زائداً ومن تمام الأكرام أن تأذن لي بالسفر وأتخذ معي جميع ما أنعمت به على فتبسمت الملكة بدور وقالت له مـ ـا حملك على طلب الأسفار واقتحام الأخطار وأنت في غاية الأكرام وتزايد الأنعام فقال لها قمر الزمـ ـان أيهـ ـا الملك إن هذا الإكرام إذا لم يكن له سبب فإنه من أعجب العجب خصوصاً وقد أوليتني من المراتب ماحقة أن يكون للشيوخ الكبار مع أنني من الأطفال الصغار فقالت له الملكة بدور سبب ذلك أني أحبك لفـ ـرط جمالـ ـك الفائق وبديع حسنك الرائق وأن أمكنتني مما أريد منك أزيدك إكراماً وعطاء وأنعاماً وأجعلك وزيـ ـراً علـ ـى صغر سنك كما جعلني الناس سلطاناً عليهم وأنا في هذا السن ولا عجب اليوم في رئاسة الأطفال ولله درمـ ـن قال:

كـ ـأن زمانـ ـا مـ ـن قـ ـوم لـ ـوط	لـ ـه شـ ـغف بتقـ ـديم الصـ ـغار

فلما سمع قمر الزمان هذا الكلام خجل وأحمرت خدوده حتى صارت كالضرام وقال لا حاجة لي بهـ ـذا الأكرام المؤدي إلى ارتكاب الحرام بل أعيش فقيراً من المال غنياً بالمروءة والكمال فقالت له الملكة بدور أنا لا أغتر بورعك الناشيء عن التيه والدلال ولله در من قال:

ذاكرتـ ـه عهـ ـد الوصـ ـال فقـ ـال لـ ـي	كـ ـم ذا تطيـ ـل مـ ـن الكـ ـلام المـ ـؤلم
فاريتـ ـه الـ ـدينار أنشـ ـد قـ ـائلاً	أيـ ـن المفـ ـر مـ ـن القضـ ـاء المبـ ـرم

فلما سمع قمر الزمان هذا الكلام وفهم الشعر والنظام قال أيها الملك أنه لاعادة لي بهذه الفعال ولا طاقة لي على حمل الأثقال التي يعجز عن حملها أكبر مني فكيف بي على صغر سني فلما سمعت كلامـ ـه الملكـ ـة بدور تبسمت وقالت أن هذا الشيء عجاب كيف يظهر الخطأ من خلال الصواب إذا كنـ ـت صـ ـغيراً فكيـ ـف تخشى الحرام وارتكاب الآثام وأنت لم تبلغ حد التكليف ولا مؤاخذة في ذنب الصغير ولا تعنيف فقد ألزمـ ـت نفسك الحجة بالجدال وحقت عليك كلمة الوصال فلا تظهر بعد ذلك امتناعاً ولا نفوراً وكان أمـ ـر الله قـ ـدراً مقدوراً فأنا أحق منك بخشية الوقوع في الضلال وقد أجاد من قال :

أي ـرى كبيـ ـر والصـ ـغير يقـ ـول لـ ـي	أطع ـن بـ ـه الأحشـ ـا وكـ ـن صـ ـنديداً
فأجبتـ ـه ذا لا يجـ ـوز فقـ ـال لـ ـي	عنـ ـدي يجـ ـوز فنكتـ ـه تقليـ ـداً

فلما سمع قمر الزمان هذا الكلام تبدل الضياء في وجهه بالظلام وقال أيها الملك أنه يوجد عندك مـ ن النساء والجواري الحسان مالا يوجد له نظير في هذا الزمان فهلا استغنيت بذلك عني فمل إلى ما شئت منهن ودعني فقالت أن كلامك صحيح ولكن لا يشتفي بهن من عشقك ألم ولا تبريح وإذا فسدت الأمزجة والطبيعـ ـة فهي لغير النصح سميعة فاترك الجدال واسمع قول من قال:

أما ترى السـ ـوق قـ ـد صـ ـفت فواكهـ ـه	للتـ ـين قـ ـوم وللجميـ ـز أقـ ـوام

وقول الآخر:

وصـ ـامته الخلخـ ـال رن وشـ ـاخها	فهذا قـ ـد اسـ ـتغنى وذا يشـ ـتكي الفقـ ـرا
تريـ ـد سـ ـلوى عنـ ـك جهـ ـلاً بحسـ ـنها	وما كنت أرضـ ـى بعـ ـد إيمـ ـاني الكفـ ـرا
وحـ ـق عـ ـذار يـ ـزدري بفقاصـ ـها	لمـ ـا خـ ـدعتني عنـ ـك غانيـ ـة عـ ـذرا

وقول الآخر:

يـ ـا فريـ ـد الجمـ ـال حبـ ـك دينـ ـي	واختيـ ـاري علـ ـى جميـ ـع المـ ـذاهب
قـ ـد تركـ ـت النمـ ـا لأجلـ ـك حتـ ـى	زعـ ـم النـ ـاس أننـ ـي اليـ ـوم راهـ ـب

وقول الآخر:

سـ ـلا خـ ـاطري عـ ـن زينـ ـب ونـ ـوار	بـ ـوردة خـ ـذ فـ ـوق آس عـ ـذار
وأصـ ـبحت بـ ـالظبي المقرط قـ مغرمـ ـاً	ولا رأي لـ ـي فنـ ـي عشـ ـق ذات سـ ـوار
أنيسي في النادي وفـ ـي خلـ ـوتي معـ ـاً	خـ ـلاف أنيسـ ـي فـ ـي قـ ـرارة داري
فيـ ـالائمي فـ ـي هجـ ـر هنـ ـد وزينـ ـب	وقـ ـد لاح عـ ـذري كالمصـ ـباح السـ ـاري
أترضـ ـى بـ ـأن أمسـ ـى أسـ ـير أسـ ـيرة	محصـ ـنة أو مـ ـن وراء جـ ـداً.

وقول الآخر:

جـ ـادت بفـ ـرج نـ ـاعم	فقلـ ـت أنـ ـي لـ ـم أنـ ـك
فانصـ ـرفت قائـ ـد	يؤفـ ـك عنـ ـه مـ ـن أفـ ـك
النيـ ـل مـ ـن قـ ـدام فـ ـي	هـ ـذا الزمـ ـان قـ ـد تـ ـرك
ودورت لـ ـي فقحـ ـة	مثـ ـل اللجـ ـين المنسـ ـبك
أحسـ ـنت يـ ـا سـ ـيدتي	أحسـ ـنت لا فجعـ ـت بـ ـك
أحسـ ـنت يـ ـا أوسـ ـع مـ ـن	فتـ ـوح مولاـ ـا الملـ ـك

وقول الآخر:

يسـ ـتغفر النـ ـاس بأيـ ـديهم	وهـ ـن يسـ ـتغفرن بالأرجـ ـل
فيـ ـا لـ ـه مـ ـن عمـ ـل صـ ـالح	يرفعـ ـه الله إلـ ـى أسـ ـفل

فلما سمع قمر الزمان منها هذه الأشعار وتحقق أنه ليس له مما أرادته فرار قال يا ملك الزمان أن كان ولابد فعاهدني على أنك لاتفعل بي هذا الأمر غير مرة واحدة وأن كان ذلك لايجد في إصلاح الطبيعة الفاسدة وبعد ذلك لا تسألني فيه على الأبد فلعل الله يصلح مني ما فسد فقالت عاهدتك على ذلك راجياً أن الله علينا يتوب ويمحو بفضله عنا عظيم الذنوب فإن نطاق أفلاك المغفرة لا يضيق عن أن يحيط بنا ويكفر عنا ما عظم من سيئاتنا ويخرجنا إلى نور الهدى من ظلام الضلال وقد أجاد وأحسن من قال:

تـ وهم فينـ ـا النـ ـاس شـ ـيئاً وصـ ـممت ... عليـ . ـه نفـ . ـوس مـ . ـنهم وقلـ . ـوب

تعـ . ـالي تحقـ . ـق ظـ . ـنهم لنـ . ـريحهم ... مـ . ـن الأثـ . ـم فينـ . ـا مـ . ـرة ونتـ . ـوب

ثم أعطته المواثيق والعهود وجلفت له بواجب الوجود أنه لا يقع بينها وبينه هذا الفعـ ـل إلا مـ ـرة في الزمان وأن ألجأها غرامه إلى الموت والخسران فقام معها على هذا الشرط إلى محل خلوتها لتطفيء نيـ ـران لوعتها وهو يقول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ذلك تقدير العزيز العليم ثم حل سراويله وهـ ـو في غاية الخجل وعيونه تسيل من شدة الوجل فتبسمت وأطلعته معها على السرير وقالت له لا ترى بعد هذه الليلة من نكير ومالت عليه بالتقبيل والعناق والتفاف ساق على ساق ثم قالت له مد يدك بين فخذي إلى المعهود لعله ينتصب إلى القيام من السجود فبكى وقال أنا لا أحسن شيئاً من ذلك فقالت بحياتي تفعل ما أمرتك بـ ـه ممـ ـا هناك فمد يده وفؤاده في زفير فوجد فخذها الين من الزبد وأنعم من الحرير فاستلذ بلمسها وجال بيـ ـده في جميع الجهات حتى وصل إلى قبة كثيرة البركات والحركات وقال في نفسه لعل هذا الملك خنثى وليس بذكر ولا أنثى ثم قال أيها الملك أني لم أجد لك آلة مثل آلات الرجال فما حملك على هذه الفعال فضحكت الملكـ ـة بدور حتى استلقت على قفاها وقالت يا حبيبي ما أسرع ما نسيت ليالي بتناها وعرفته بنفسـ ـها فعـ ـرف أنهـ ـا زوجته الملكة بدور بنت الملك الغيور صاحب الجزائر والبحور فاحتضنها واحتضنته وقبلتهـ ـا وقبلتـ ـه ثـ ـم أضطجعها على فراش الوصال وتناشد

أقول من:

لمـ ـا دعتـ ـه إلـ ـى وصـ ـالي عطفـ ـة ... مـ . ـن معتطـ . ـف بتعطـ . ـف متواصـ . ـي

وصـ ـقت قسـ ـاوة قلبـ ـه مـ ـن لينهـ ـا ... فأجـ . ـاب بعـ . ـد تمنـ . ـع وتعاصـ . ـي

حشـ ـي العـ . ـواذل أن تـ . ـراه إذا بـ . ـدا ... فـ . ـأتى بعـ . ـدة آمـ . ـن الأرهـ . ـاص

شـ ـكت القصـ ـور رواد فاقـ ـد حملـ ـت ... أقدامـ ـه فـ ـي المشـ ـي حمـ ـل قـ ـلاص

متقلـ . ـد الصمصـ . ـام مـ . ـن الحاظـ . ـه ... ومـ . ـن الـ . ـدجى متـ . ـدرعاً بـ . ـدلاص

وشـ . ـذاء بشـ . ـرتي بسـ . ـعد قدومـ . ـه ... ففـ ـرت مثـ ـل الطيـ ـر مـ ـن أقفاصـ ـي

وفرشـ ـت خـ ـدي فـ ـي الطريـ ـق لنعلـ ـه ... فشـ . ـفي باثمـ . ـد تربهـ . ـا أرماصـ . ـي

وعقـ ـدت ألويـ ـة الوصـ ـال معانقـ ـاً ... وفككـ . ـت عقـ . ـدة حظـ . ـي المتعاصـ . ـي

وأقمـ . ـت أفراحـ . ـاً أجـ . ـاب نـ . ـداءها ... طـ ـرب صـ ـفاً عـ ـن شـ ـائب الأنغـ ـاص

والبـ ـدر نقـ ـط بـ ـالنجوم الثغـ ـر مـ ـن ... حبـ ـب علـ ـى وجـ ـه الطـ ـلا رقـ ـاص

وعكفـ ـت فـ ـي محـ ـراب لـ ـذتها علـ ـى ... مـ ـا مـ ـن تعاظيـ ـه يتـ ـوب العاصـ ـي

قسـ ـماً بآيـ ـات الضـ ـحى مـ ـن وجهـ ـه ... لـ ـم أنـ ـس فيـ ـه سـ ـورة الأخـ ـلاص

ثم أن الملكة بدور أخبرت قمر الزمان بجميع ما جرى لها من الأول إلى الآخر وكذلك هـ و أخبره ـا بجميع ما جرى له وبعد ذلك انتقل معها إلى العتاب وقال لها ما حملك على ما فعلتيه بي في هذه الليلة فقالت لا تؤاخذني فإن قصدي المزاح ومزيد البسط والانشراح فلما أصبح الصباح وأضـ اء بنـ وره ولاح أرسـ لت الملكة بدور إلى الملك أرمانوس والد الملكة حياة النفوس وأخبرته بحقيقة أمرها وأنها زوجة قمـ ر الزمـ ان وأخبرته بقصتهما وبسبب افتراقهما من بعضهما وأعلمته أن أبنته حياة النفوس بكر على حالها فلمـ ا سـ مع الملك أرمانوس صاحب جزائر الآبنوس قصة الملكة بدور بنت الملك الغيور تعجب منها غاية العجب وأمـ ر أن يكتبوها بماء الذهب ثم التفت إلى قمر الزمان وقال له يا ابن الملك هل لك أن تصاهرني وتتـ زوج بنتـ ي حياة النفوس فقال له حتى أشاور الملكة بدور فإن لها على فضلاً غير محصور فلما شاورها قالت لـ ه نعـ م الرأي هذا فتزوجها وأكون أنا لها جارية لأن لها على معروفاً وأحساناً وخيراً وامتناناً خصوصاً ونحن فـ ي محلها وقد غمرنا إحسان أبيها فلما رأي قمر الزمان أن الملكة بدور مائلة إلى ذلك ولم يكن عندها غيرة مـ ن حياة النفوس أتفق معها على هذا الأمر. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٤٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن قمر الزمان أتفق مع زوجته الملكة بدور على هذا الأمر وأخبر الملك أرمانوس هذا الكلام من قمر الزمان فرح فرحاً شديداً ثم خرج وجلس على كرسي مملكته وأحضـ ر جميـ ع الوزراء والأمراء والحجاب وأرباب الدولة وأخبرهم بقصة قمر الزمان وزوجته الملكة بدور من الأول إلـ ى الآخر وأنه يريد أن يزوج ابنته حياة النفوس لقمر الزمان ويجعله سلطاناً عليهم عوضاً عن زوجتـ ه الملكـ ة بدور فقالوا جميعاً حيث كان قمر الزمان هو زوج الملكة بدور التي كانت سلطاناً علينا قبله ونحن نظن أنه ـا صهر ملكنا أرمانوس فكلنا نرضاه سلطاناً علينا ونكون له خدماً ولا نخرج عن طاعته ففلرح الملك أرمانوس بذلك فرحاً شديداً ثم أحضر القضاة والشهود ورؤساء الدولة وعقد عقد قمر الزمان على ابنته الملكـ ة حيـ اة النفوس ثم أنه أقام الأفراح وأولم الولائم الفاخرة وخلع الخلع السنية على جميع الأمراء ورؤسـ اء العسـ اكر وتصدق على الفقراء والمساكين وأطلق جميع المحابيس واستبشر العالم بسلطنة الملك قمر الزمان وصـ اروا يدعون له بدوام العز والأقبال والسعادة والإجلال ثم أن قمر الزمان لما صار سلطاناً علـ يهم أزال المكـ وس وأطلق من في الحبوس وسار فيهم سيرة حميدة واقام مع زوجته في هناء وسرور ووفاء وحبور يبيت عنـ د كل واحدة منهما ليلة ولم يزل على ذلك مدة من الزمان وقد أنجلت عنه الهموم والأحزان ونسى أبـ اه الملـ ك شهرمان وما كان له عنده من عز وسلطان حتى رزقه الله تعالى من زوجتيه بولدين ذكرين مثـ ل القمـ رين النيرين أكبرهما من الملكة بدور وكان اسمه الملك الأمجد وأصغرهما من الملكة حياة النفوس وأسمه الملـ ك الأسعد وكان الأسعد أجمل من أخيه الأمجد ثم أنهما تربياً في العز والدلال والأدب والكمال وتعلمـ ا والعلـ م والسياسة والفروسية حتى صارا في غاية الكمال ونهاية الحسن والجمال وافتتن بهما النساء والرجال وصـ ار لهما من العمر نحو سبعة عشر عاماً وهما متلازمان فيأكلان ويشربان سواء ولا يفترقان عن بعضهما ساعة من الساعات ولا وقتاً من الأوقات وجميع الناس تحسدهما على ذلك ولما بلغ مبلغ الرجال واتصـ فا بالكمـ ال صار أبوهما إذا سافر يجلسهما على التعاقب في مجلس الحكم فيحكم كل واحد منهما يوماً بين الناس واتفـ ق

بالقدر المبرم والقضاء المحتم أن محبة الأسعد الذي هو ابن حياة النفوس وقعت في قلب الملكة بدور زوجـ ـة ابيه وأن محبة الأمجد الذي هو ابن الملكة بدور وقعت في قلب حياة النفوس زوجة أبيه فصارت كل واحـ ـدة من المرأتين تلاعب ابن ضرتها وتقبله وتضمه إلى صدرها وإذا رأت ذلك أمه تظن أنه من الشـ ـفقة ومحبـ ـة لأمهات لاولادها وتمكن العشق من قلوب المرأتين وافتتنا بالولدين فصارت كل واحدة منهما إذا دخل عليهـ ـا ابن ضرتها تضمه إلى صدرها وتود أنه لا يفارقها ولما طال عليهما المطال ولم يجدا سبيلا إلـ ـى الوصـ ـال امتنعتا من الشراب والطعام وهجرتا لذيذ المنام ثم أن الملك توجه إلى الصيد والقنص وأمر ولديه أن يجلسـ ـا في موضع الحكم كل واحد منهما يوماً على عادتهما وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٥٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك توجه إلى الصيد والقبض وأمر ولديه أن يجلسا فـ ـي موضـ ـعه للحكم كل واحد يوماً على عادتهما فجلس للحكم في اليوم الأول الأمجد ابن الملكة بدور فأمر ونهـ ـى وولـ ـى وعزل وأعطى ومنع فكتبت له الملكة حياة النفوس أم الأسعد مكتوباً تستعطفه فيه وتوضح له أنها متعلقة بـ ـه ومتعشقة فيه وتكشف له الغطاء وتعلمه أنها تريد وصاله فأخذت ورقة وكتبت فيها هذه السجعات من المسكينة العاشقة الحزينة المفارقة التي ضاع بحبك شبابها وطال فيك عذابها ولو وصفت لك طول الأسف وما أقاسـ ـيه من اللهف وما بقلبي من الشغف وما أنا فيه من البكاء والأنين وتقطع القلب الحزين وتوالى الغمـ ـوم وتتـ ـابع الهموم وما أجده من الفراق والكآبة والاحتراق لطال شرحه في الكتاب وعجزت عن حصره الحسـ ـاب وقـ ـد ضاقت على الأرض والسماء ولآلي في غيرك أمل ولا رجاء فقد أشرفت على الموت وكابدت أهوال الفـ ـوت وزاد بي الاحتراق وألم الهجر والفراق ولو وصفت ما عندي من الأشواق لضاقت عنه الأوراق ثم بعد ذلـ ـك كتبت هذين البيتين:

لو كنت أشرح مـ ـا ألقـ ـاه مـ ـن حـ ـرق	**ومـ ـن سـ ـقام ومـ ـن وجـ ـد ومـ ـن قلـ ـق**
لم يبق فـ ـي الأرض قرطـ ـاس ولا قلـ ـم	**ولا مـ ـداد ولا شـ ـيء مـ ـن الـ ـورق**

ثم أن الملكة حياة النفوس لفت تلك الورقة في رقعة من غالي الحريـ ـر مضـ ـمخة بالمسـ ـك والعنبـ ـر ووضعت معها جدائل شعرها التي تستغرق الأموال بسعرها ثم لفته بمنديل وأعطتهـ ـا للخـ ـادم وأمرتـ ـه أن يوصلها إلى الملك الأمجد وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٥١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أنها أعطت ورقة المواصلة للخادم وأمرته أن يوصلها إلى الملك الأمجـ ـد فسار ذلك الخادم وهو لا يعلم ما خفي له في الغيب وعلام الغيوب يدبر الأمور كيف يشاء فلما دخل الخـ ـادم على الملك الأمجد قبل الأرض بين يديه وناوله المنديل وبلغه الرسالة فتناول الملك الأمجد المنديل من الخادم وفتحه فرأى الورقة ففتحها وقرأها فلما فهم معناها علم أن امرأة أبيه في عينها الخيانة وقد خانت أباه الملـ ـك قمر الزمان في نفسها فغضب غضباً شديداً وذم النساء على فعلهن وقال لعن الله النساء الخائنات الناقصـ ـات عقلاً ودينا ثم أنه جرد سيفه وقال للخادم ويلك يا عبد السوء أتحمل المراسلة المشتملة على الخيانة من زوجة سيدك والله أنه لا خير فيك يا أسود اللون والصحيفة يا قبيح المنظر والطبيعة السخيفة ثم ضربه بالسيف فـ ـي

عنقه فعزل رأسه عن جثته وطوى المنديل على ما فيه ووضعه في جيبه ثم دخل على أمه وأعلمها بما جرى وسبها وشتمها وقال كلكن أنجس من بعضكن والله العظيم لولا أني أخاف أساءة الأدب في حق والـ ـدي قمـ ـر الزمان وأخي الملك الأسعد لادخلن عليها وأضربن عنقها كما ضربت عنق خادمها ثم أنه خـ ـرج مـ ـن عنـ ـد الملكة بدور وهو في غاية الغيظ فلما بلغ الملكة حياة النفوس زوجة أليه ما فعل بخادمها سبته ودعـ ـت عليـ ـه وأضمرت له المكر فبات الملك الأمجد في تلك الليلة ضعيفاً من الغيظ والقهر والفكر ولم يهنأ لـ ـه أكـ ـل ولا شرب ولا منام فلما أصبح الصباح خرج أخوه الملك الأسعد وجلس في مجلس أبيه الملك قمر الزمان لـ يحكم بين الناس وأصبحت أمه حياة النفوس ضعيفة بسبب ما سمعته عن الملك الأمجد من قتله للخادم ثم أن الملـ ـك الأسعد لما جلس للحكم في ذلك اليوم حكم وعدل وولي وعزل وأمر ونهي وأعطي ووهب ولم يزل جالساً في مجلس الحكم إلى قرب العصر ثم أن الملكة بدور أم الملك الأمجد أرسلت إلى عجوز من العجائز المـ ـاكرات وأظهرتها على ما في قلبها وأخذت ورقة لتكتب فيها مراسلة للملك الأسعد ابن زوجها وتشكو غليـ ـه كثـ ـرة محبتها ووجدها به فكتبت له هذه السجعات ممن تلفت وجدا وشوقاً إلى أحسن الناس خلـ ـق وخلق ا المعجـ ـب بجماله التائه بدلاله المعرض عن طلب وصاله الزاهد في القرب ممن خضع وذل إلى من جفا ومـ ـل الملـ ـك الأسعد صاحب الحسن الفائق والجمال الرائق والوجه الأقمر والجبين الأزهر والضياء الأبهر هذا كتابي إلـ ـى من حبة أذاب جسمي ومزق جلدي وعظمي أعلم أنه قد عيل صبري وتحيرت أمري وأقلقني الشوق والبعـ ـاد واجفاني الصبر والرقاد ولازمني الحزن والسهاد وبرح بي الوجد والغرام وحلول الضني والسـ ـقام فـ ـالروح تفديك وأن كان قتل الصب يرضيك والله يبقيك ومن كل سوء يقيك ثم بعد ذلك السجعات كتبت هذه الأبيات:

حكـ ـم الزمـ ـان بـ ـأنني لـ ـك عاشـ ـق ... يـ ـا مـ ـن محاسـ ـنه كبـ ـدر يشـ ـرق
حـ ـزت الفصـ ـاحة والملاحـ ـة كلهـ ـا ... وعليـ ـك مـ ـن دون البريـ ـة رونـ ـق
ولقـ ـد رضـ ـيت بـ ـأن أكـ ـون معـ ـذبي ... فعسـ ـى علـ ـي بنظـ ـرة تتصـ ـدق
مـ ـن مـ ـات فيـ ـك صـ ـبابة فلـ ـه الهنـ ـا ... لا خيـ ـر فـ ـيمن لا يحـ ـب ويعشـ ـق

ثم كتبت أيضاً هذه الأبيات:

إليك أسعد أشـ ـكو مـ ـن لهيـ ـب جـ ـوي ... فـ ـارحم متيمـ ـة بالشـ ـوق تاتهـ ـب
إلى متى وأيـ ـادي الوجـ ـد تلعـ ـب بـ ـي ... والعشق والفكر والتسهيد والنصـ ـب فـ ـي
طـ ـوراً ببحـ ـر وطـ ـوراً اشـ ـتكى لهيـ ـاً ... مهجتي أن ذا يا منيتي عجب من الهـ ـوى
يـ ـالائمي خـ ـل لـ ـومي والـ ـتمس هربـ ـاً ... فـ ... دموع العـ ... ين تنسـ ... كب
كم صحت وجداً من الهجـ ـران وأحربـ ـا ... فلـ ـم يفـ ـدني بـ ـذاك الويـ ـل والحـ ـرب
أمرضـ ـتني بصـ ـدود لسـ ـت أحملـ ـه ... أنـ ـت الطبيـ ـب فاسـ ـعفني بمـ ـا يجـ ـب
يا عاذلي كـ ـف عـ ـن عـ ـذلي محـ ـاذرة ... كـ ـيلا يصـ ـيبك مـ ـن داء الهـ ـوى عطـ ـب

ثم أن الملكة بدور ضمخت ورقة الرسالة بالمسك إلا ذفر ولفتها في جدائل شعرها وهي مـ ـن الحريـ ـر العراقي وشراريبها من قضبان الزمرد الأخضر مرصعة بالدر والجوهر ثم سلمتها إلى العجوز وأمرتهـ ـا أن تعطيها للملك الأسعد ابن زوجها الملك قمر الزمان فراحت العجوز من أجل خاطرها ودخلت علـ ـى الملـ ـك

الأسعد من وقتها وساعتها وكان في خلوة عند دخولها فناولته الورقة بما فيها وقد وقفت ساعة زمانية تنتظر رد الجواب فعند ذلك قرأ الملك الأسعد الورقة وفهم ما فيها ثم بعد ذلك لف الورقة في الجدائل ووضعها في جيبه وغضب غضباً شديداً ما عليه من مزيد ولعن النساء الخائنات ثم أنه نهض وسحب السيف من غمده وضرب رقبة العجوز فعزل رأسها عن جثتها وبعد ذلك قام وتمشى حتى دخل على أمه حياة النفوس فوجدها راقدة في الفرش ضعيفة بسبب ما جرى لها من الملك الأمجد فشتمها الملك الأسعد ولعنها ثم خرج من عندها فاجتمع بأخيه الملك الأمجد وحكى له جميع ما جرى له من أمه الملكة بدور وأخبره أنه قتل العجوز التي جاءت له بالرسالة ثم قال له والله يا أخي لولا حيائي منك لكنت دخلت في هذه الساعة الها وقطعت رأسها من بين كتفيها فقال له أخوه الملك الأمجد والله يا أخي أنه قد جرى لي بالأمس لما جلست على كرسي المملكة مثل ما جرى لك في هذا اليوم فإن أمك أرسلت إلى رسالة بمثل مضمون هذا الكلام ثم أخبره بجميع ما جرى له مع أمه الملكة حياة النفوس وقال له يا أخي لولا حيائي منك لدخلت إليها وفعلت بها ما فعلت بالخادم ثم أنهما باتا يتحدثان بقية تلك الليلة ويلعنان النساء الخائنات ثم تواصيا بكتمان هذا الأمر لئلا يسمع به أبوهما الملك قمر الزمان فيقتل المرأتين ولم يزالا في غم تلك الليلة إلى الصباح فلما أصبح الصباح أقبل الملك بجيشه من الصيد وطلع إلى قصره ثم صرف الأمراء إلى حال سبيلهم وقام ودخل القصر فوجد زوجتيه راقدتين على الفراش وهما في غاية الضعف وقد عملتا لولديهما مكيدة واتفقا على تضييع أرواحهما لأنهما قد فضحتا أنفسهما معهما وقد خشيتا أن يصيرا تحت ذلتهما فلما رآهما الملك على تلك الحالة قال لهما مالكما فقامتا إليه وقبلتا يديه وعكستا عليه المسألة وقالتا له اعلم أيها الملك أن ولديك الذين قد تربيا في نعمتك قد خاناك في زوجتيك وأركباك العار فلما سمع قمر الزمان من نسائه هذا الكلام صار الضياء في وجهه ظلاماً واغتاظ غيظاً شديداً حتى طار عقله من شدة الغيظ وقال لنسائه أوضحا لي هذه القضية فقالت له الملكة بدور اعلم يا ملك الزمان أن ولد الأسعد ابن حياة النفوس له مدة من الأيام وهو يراسلني ويكاتبني ويراودني عن الزنا وأنا أنهاه عن ذلك فلم ينته فلما سافرت أنت هجم علي وهو سكران والسيف في يده فخفت أن يقتلني إذا مانعته كما قتل خادمي فقضى أربه مني غصباً وأن لم تخلص حقي منه أيها الملك قتلت نفسي بيدي وليس لي حاجة بالحياة في الدنيا بعد هذا الفعل القبيح وأخبرته حياة النفس أيضاً بمثل ما أخبرته به ضرتها بدور.

وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٥٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملكة حياة النفوس أخبرت زوجها الملك قمر الزمان بمثل ما أخبرته به الملكة بدور وقالت له أنا الأخرى جرى لي مع ولدك الأمجد كذلك ثم أنها أخذت في البكاء والنحيب وقالت له أن لم تخلص لي حقي منه أعلمت أبي الملك أرمانوس بذلك ثم أن المرأتين بكتا قدام زوجهما الملك قمر الزمان بكاء شديداً فلما سمع كلامهما أعتقد أنه حق فغضب غضباً شديداً ما عليه من مزيد فقام وأراد أن يهجم على أولاده الأثنين ليقتلهما فلقيه صهره الملك أرمانوس وقد كان داخلاً في تلك الساعة ليسلم عليه لما علم أنه قد أتى من الصيد فرآه والسيف مشهور في يده والدم يقطر من مناخيره من شدة غيظه فسأله عما به فأخبره بجميع ما جرى من ولديه الأمجد والأسعد ثم قال له وها أنا داخل إليهما لاقتلهما أقبح قتلة وأمثل بهما

أقبح مثله فقال له صهره الملك أرمانوس وقد اغتاظ منهما أيضاً ونعم ما تفعل يا ولدي فلا بارك الله فيهما ولا في أولاد تفعل هذه الفعال في حق أبيهما ولكن يا ولدي صاحب المثل يقول من لم ينظر في العواقب ما الدهر له بصاحب وهما ولداك على كل حال وينبغي أن لا تقتلهما بيدك فتجرع غصتهما وتندم بعد ذلك على قتلهما حيث لا ينفعك الندم ولكن أرسلهما مع أحد من المماليك ليقتلهما في البرية وهما غائبان عن عينك فلما سـ مع الملك قمر الزمان من صهره الملك أرمانوس هذا الكلام رآه صواباً فأغمد سيفه ورجع وجلس عل ى سـ رير مملكته ودعا خازنداره وكان شيخاً كبيراً عارفاً بالأمور وتقلبات الدهور وقال له أدخل إلى ول دي الأمج د والأسعد وكتفهما كتافاً جيداً واجعلهما في صندوقين واحملهما على بغل واركب أنت وأخرج بهما إلى وسـ ط البرية واذبحهما واملأ لي قنينتين من دمهما وائتني بها عاجلاً فقال له الخازندار سمعاً وطاعة ثم نهض مـ ن وقته وساعته وتوجه إلى الأمجد والأسعد فصادفهما في الطريق وهما خارجان في دهليز القصر وق د لبسـ ا قماشهما وأفخر ثيابهما وأراد التوجه إلى والدهما قمر الزمان ليسلما عليهما ويهنآه بالسلامة عند قدومه مـ ن السفر إلى الصيد فلما رآهما الخازندار قبض عليهما وقال لهما يا ولدي اعلما أنني عبد مأمور وأن أبا كمـ ا أمرني بأمر فهل أنتما طائعان لأمره قالا نعم فعند ذلك تقدم إليهما الخازندار وكتفهما ووضعهما في صندوقين وحملهما على ظهر بغل وخرج بهما من المدينة ولم يزل سائراً بهما في البرية إلى قريب الظهر فأنزلهما في مكان أقفر موحش ونزل عن فرسه وحط الصندوقين عن ظهر البغل وفتحهما وأخرج الأمجد والأسعد منهما فلما نظر إليهما بكى بكاء شديداً على حسنهما وجمالهما وبعد ذلك جرد سيفه وقال لهما والله يا سيدي أنه يعز علي أن أفعل بكما فعلاً قبيحاً ولكن أنا معذور في هذه الأمور لأنني عبد مأمور وقد أمرني والدكما الملك قمر الزمان بضرب رقابكما فقالا له أيها الأمير افعل ما أمرك به الملك فنحن صابرون على ما قدره الله عز وجل علينا وأنت في حل من دمائنا ثم أنهما تعانقا وودعا بعضهما وقال الأسعد للخازندار بالله عليك يا عم أن ك لا تجرعني غصة أخي ولا تسقني حسرته بل أقتلني أنا قبله ليكون ذلك أهون علي وقال الأمجد للخازندار مث ل ما قال الأسعد واستعطف الخازندار أن يقتله قبل أخيه وقال له إن أخي أصغر مني فلا تذقني لوعته ثم بك ى كل منهما بكاء شديد ما عليه من مزيد وبكى الخازندار لبكائهما وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٥٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الخازندار بكى لبكائهما ثم أن الأخوين تعانقا وودعا بعض ـهما وق ـال أحدهما للآخر أن هذا كله من كيد الخائنتين أمي وأمك وهذا ما جرى مني في حق أمك وجزاء ما جرى منك في حق أمي ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم أنا لله وأنا إليه راجعون ثم أن الأسعد أعتنق أخاه وصعد الزفرات وأنشد هذه الأبيات:

يـ ـا مـ ـن إليـ ـه المشـ ـتكي والمفـ ـزع ... أنـ ـت المعـ ـد لكـ ـل مـ ـا يتوقـ ـع
مـ ـالي سـ ـوى قرعـ ـي لبابـ ـك حيلـ ـة ... ولـ ـئن رددت فـ ـأي بـ ـاب أقـ ـرع
يا من خـ ـزائن فضـ ـله فـ ـي قـ ـول كـ ـن ... أمـ ـنن فـ ـإن الخيـ ـر عنـ ـدك أجمـ ـع

فلما سمع الأمجد بكاء أخيه بكى وضمه إلى صدره وأنشد هذين البيتين:

يا مـ ن أياديـ ـه عنـ دي غيـ ر واحـ دة | ومـ ـن مواهبـ ـه تنمـ ـو مـ ـن العـ ـدد
ماذ ـا بنـ ـي مـ ـن زمـ ـاني قـ ـط نائبـ ـة | إلا وجـ ـدتك فيهـ ـا آخـ ـذ بيـ ـدي

ثم قال الأمجد للخازندار سألتك بالواحد القهار الملك الستار أن تقتلني قبل أخي الأسعد لعل نار قلبـ ـي تخمد ولا تدعها تتوقد فبكى الأسعد وقال ما يقتل قبل إلا أنا فقال الأمجد الرأي أن تعتنقني وأعتنقك حتى ينزل السيف علينا فيقتلنا دفعة واحدة فلما اعتنق الأثنان وجهاً لوجه التزما بعضهما وشدهما الخازنـ دار وربطهمـ ـا بالحبال وهو يبكي ثم جرد سيفه وقال والله يا سيدي أنه يعز علي قتلكما فهل لكما مـ ـن حاجـ ـة فاقضـ ـيها أو وصية فأنفذها أو رسالة فأبلغها فقال الأمجد ما لنا حاجة وأما من جهة الوصية فأني أوصيك أن تجعل أخـ ـي الأسعد من تحت وأنا من فوق لأجل أن تقع على الضربة أولاً فإذا فرغت من قتلنا ووصلت إلى الملك وقـ ـال لك ما سمعت منهما قبل موتهما فقل له أن ولديك يقرآنك السلام ويقولان لك أنك لا تعلم هل هما بريئـ ـان أو مذنبان وقد قتلتهما وما تحققت ذنبهما وما نظرت في حالهما ثم أنشد هذين البيتين:

أن النسـ ـاء شـ ـياطين خلقـ ـن لنـ ـا | نعـ ـوذ بـ ـالله مـ ـن كيـ ـد الشـ ـياطين
فهـ ـن أصـ ـل البليـ ـات التـ ـي ظهـ ـرت | بـ ـين البريـ ـة فـ ـي الـ ـدنيا وفـ ـي الـ ـدين

ثم قال الأمجد ما نريد منك إلا أن تبلغه هذين البيتين وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٥٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الأمجد قال للخازندار ما نريد منك إلا أن تبلغه هذين البيتـ ـين اللـ ـذين سمعتهما وأسألك بالله أن تطول بالك علينا حتى أنشد لأخي هذين البيتين الآخرين ثم بكى بكاء شديداً وجعـ ـل يقول:

فـ ـ ـ ـي الـ ـ ـ ـذاهبين الأولـ ـ ـ ـين | مـ ـ ـ ـن الملـ ـ ـ ـوك لنـ ـ ـ ـا بصـ ـ ـ ـائر
كـ ـم قـ ـد مضـ ـى فـ ـي ذا الطريـ ـق | مـ ـ ـ ـ ـن الأكـ ـ ـ ـابر والأصـ ـ ـ ـاغر

فلما سمع الخازندار من الأمجد هذا الكلام بكى بكاء شديداً حتى بل لحيته وأما الأسعد فإنه قد تغرغرت عيناه بالعبرات وأنشد هذه الأبيات :

الـ ـدهر يفجـ ـع بعـ ـد العـ ـين بـ ـالأثر | فمـ ـا البكـ ـاء علـ ـى الأشـ ـباح والصـ ـور
مـ ـ ـا الليـ ـ ـالي أقـ ـ ـال الله عثرتنـ ـ ـا | مـ ـن الليـ ـالي وخانتهـ ـا يـ ـد الغيـ ـر
فقد أضمرت كيدها لابـ ـن الزبيـ ـر ومـ ـا | رعـ ـ ـت ليأذنـ ـ ـه بالبيـ ـ ـت والحجـ ـ ـر
وليتهـ ـا إذ فـ ـدت عمـ ـراً بخارجـ ـة | فدت عليـ ـا بمـ ـن شـ ـاءت مـ ـن البشـ ـر

ثم خضب آخذه بدمعه المدرار وأنشد هذه الأشعار:

أن الليـ ـالي والأيـ ـام قـ ـ ـد طبعـ ـ ـت | علـ ـى الخـ ـداع وفيهـ ـا المكـ ـر والحيـ ـل
سـ ـراب كـ ـل بيـ ـاب عنـ ـدها شـ ـنب | وهـ ـول كـ ـل ظـ ـلال عنـ ـدها كحـ ـل
ذنبـ ـي إلـ ـى الـ ـدهر فليكـ ـره سـ ـجيته | ذنـ ـب الحسـ ـام إذ مـ ـا أحجـ ـم البطـ ـل

ثم صعد الزفرات وأنشد هذه الأبيات:

يـ ـا طالـ ـب الـ ـدنيا الدنيـ ـة أنهـ ـا شـ ـرك الـ ـردى أو قـ ـرارة الأكـ ـدار
دار متـ ـى مـ ـا أضـ ـحكت فـ ـي يومهـ ـا أبكـ ـت غـ ـدا تبـ ـاً لهـ ـا مـ ـن دار
غاراتهـ ـا لا تنقضـ ـي وأسـ ـيرها لا يفتـ ـدي بجلائـ ـل الأخطـ ـار
كـ ـم مـ ـزده بغـ ـروره حتـ ـى غـ ـدا متفـ ـرداً متجـ ـاوز المقـ ـدار

فلما فرغ الأسعد من شعره اعتنق أخاه الأمجد حتى صارا كأنهما شخص واحد وسل الخازندار سـ يفه وأراد أن يضربهما وإذا بفرسه جفل في البر وكان يساوي جملة من المال فالقى السيف من يده وذهـ ب وراء فرسه وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٥٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الخازندار ذهب وراء فرسه وقد التهب فؤاده ومازال يجـ ري خلفـ ه ليمسكه حتى دخل في غابة فدخل وراءه في تلك الغابة فشق الجواد في وسط الغابة ودق الأرض برجليه فعلاً الغبار وارتفع وثاروا ما الفرس فإنه شخر ونخر وصهل وزمجر وكان في تلك الغابة أسد عظيم الخطر قبيح المنظر عيونه ترمي بالشرر له وجه عبوس وشكل يهول النفوس بالتفت الخازندار فرأى ذلك الأسد قاصد إليه فلم يجد له مهربا من يديه ولم يكن معه سيف فقال في نفسه لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ما حصـ ل لي هذا الضيق إلا بذنب الأمجد والأسعد وأن هذه السفرة مشؤومة من أولها ثم أن الأمجد والأسعد قد حمـ ي عليهما الحر فعطشا عطشاً شديداً حتى نزلت ألسنتهما واستغاثا من العطش فلم يغثهما أحد فقالا يا ليتنـ ا كنـ ا قتلنا واسترحنا من هذا ولكن ما ندري أين جفل الحصان حتى ذهب الخازندار وراءه وخلاناً مكتفين فلو جاءنا وقتلنا كان أربح لنا من مقاساة هذا العذاب فقال الأسعد يا أخي أصبر فسوف يأتينا فرج الله سبحانه وتعـ الى فإن الحصان ما جفل إلا لأجل لطف الله بنا وما ضرنا غير هذا العطش ثم هز نفسه وتحرك يمينـ اً وشـ مالا فانحل كتافه فقام وحل كتاف أخيه ثم أخذ سيف الأمير وقال لأخيه والله لا تبرح من هذا حتى نكشف خبـ ره ونعرف ما جري له وشرعاً يقتفيان الأثر فدلهما على الغابة فقال لبعضهما أن الحصان والخازندار ما تجاوز ا هذه الغابة فقال الأسعد لأخيه قف هنا حتى أدخل الغابة وأنظرها فقال الأمجد ما أخليك تدخل فيهـ ا وحـ دك وما ندخل إلا جميعاً فإن سلمنا سلمنا سواء وأن عطبنا عطبنا سواء فدخل الاثنان فوجدا الأسد قد هجـ م عـ ل الخازندار وهو تحته كأنه عصفور ولكنه صار يبتهل إلى الله ويشير إلى نحو السماء فلما رآه الأمجـ د أخـ ذ السيف وهجم على الأسد وضربه بالسيف بين عينيه فقتله ووقع مطروحاً على الأرض فنهض الأميـ ر وهـ و متعجب من هذا الأمر فرأي الأمجد والأسعد ولدى سيده وقفين فترامي على أقدامهما وقال لهما والله يا سيدي ما يصلح أن أفرط فيكما بقتلكما فلا كان من يقتلكما فبروحي أفديكما وأدرك شهرزاد فسـ كتت عـ ن الكـ لام المباح.

(وفي ليلة ٢٥٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الخازندار قال للأمجد والأسعد بروحي أفديكما ثم نهض مـ ن وقتـ ه وساعته وأعتنقهما وسألهما عن سبب فك وثاقهما وقدومهما فأخبراه أنهما عطشاً وانحل الوثاق مـ ن أحـ دهما ففك الآخر بسبب خلوص نيتهما ثم أنهما أقتفيا الأثر حتى وصلا إليه فلما سمع كلامهما شكرهما على فعلهما

وخرج معهما إلى ظاهر الغابة فلما صارا في ظاهر الغابة فالا له ياعم افعل ما أمرك به أبونا فقال حاشا لله أن أقربكما بضرر ولكن أعلما أني أريد أن أنزع ثيابكما والبسكما ثيابي وأملأ قنينتين من دم الأسد ثم أروح إلى الملك وأقول له أني قتلتهما وأما أنتما فسيحاً في البلاد وأرض الله واسعة واعلما يا سيدي أن فراقكما يعز علي ثم بكى كل من الخازندار والغلامين وقلعهماثيابهما والبسهما ثيابه وراح إلى الملك وقد أخذ ذلك وربط قماش كل واحد منهما في بقجة معه وملأ القنينتين من دم الأسد وجعل البقجتين قدامه على ظهر الجواد ثم ودعهما وسار متوجهاً إلى المدينة ولم يزل سائراً حتى دخل على الملك وقبل الأرض بين يديه فرآه الملك متغير الوجه وذلك مما جرى له من الأسد فظن أن ذلك من قتل أولاده ففرح وقال له هل قضيت الشغل قال نعم يا مولانا ثم ناوله البقجتين اللتين فيهما الثياب والقنينتين الممتلئتين بالدم فقال له الملك ماذا رأيت منهما وهل أوصياك بشيء قال وجدتهما صابرين محتسبين لما نزل بهما وقد قالا لي أن أبانا معذور فاقرئه منا السلام وقل له أنت في حل من قتلنا ومن دمائنا ولكن نوصيك أن تبلغه هذين البيتين وهما:

أن النساء شياطين خلق لنا	نعوذ بالله من كيد الشياطين
فهن أصل البليات التي ظهرت	بين البرية في الدنيا وفي الدين

فلما سمع الملك من الخازندار هذا الكلام أطرق برأسه إلى الأرض ملياً وعلم أن كلام ولديه هذا يدل على أنهما قد قتلا ظلماً ثم تفكر في مكر النساء ودواهيهن وأخذ البقجتين وفتحهما وصار يقلب ثياب أولاده ويبكي وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٥٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك قمر الزمان لما فتح البقجتين صار يقلب ثياب أولاده ويبكي فلما فتح ثياب ولده الأسعد وجد في جيبه ورقة مكتوبة بخط زوجته بدور ومعها جدائل شعرها ففتح الورقة وقرأها وفهم معناها فعلم أن ولده الأسعد مظلوم ولما قلب ثياب الأمجد وجد في جيبه ورقة مكتوبة بخط زوجته حياة النفوس وفيها جدائل شعرها ففتح الورقة وقراها فعلم أنه مظلوم فدق يد على يد وقال لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم قد قتلت أولادي ظلماً ثم صار يلطم على وجهه ويقول واوالداه وأطول حزناه وأمر ببناء قبرين في بيت الأحزان وكتب على القبرين اسمى ولديه وترامى على قبر الأمجد وبكي وأن واشتكى وأنشد هذه الأبيات:

يا قمراً قد غاب تحت الثرى	بكت عليه الأنجم الزاهره
ويا قضيباً لم يمس بعده	معاطف للأعين الناظرة
منعت عيني عنك من غيرتي	عليك لا أراك للآخره
وأغرقت بالسهد في دمها	وأنني منك ذاك بالعاهرة

ثم ترامى على قبر الأسعد وبكى وأنّ واشتكى وأفاض العبرات وأنشد هذه الأبيات:

قد كنت أهوى أن أشاطرك الردى	لكن الله أراد غير مرادي
سودت ما بين الفضاء وناظري	ومحوت من عيني كل سواد

لا ينف ـذ الـ ـدمع الـ ـذي أبكـ ـي بـ ـه أن الفـ ـؤاد لـ ـ ـه مـ ـ ـن الأمـ ـ ـداد
أعـ ـزز علـ ـى بـ ـان أراك بموضـ ـع متسـ ـ ـابه الأوغـ ـ ـاد والأمجـ ـ ـاد

ولما فرغ من شعره هجر الأحباب والخلان وانقطع في البيت الذي سماه بيت الأحزان وصـ ـار يبكـ ـي على أولاده وقد هجر نساءه وأصحابه وأصدقاءه هذا ما كان من أمره (وأما) ما كان من أمر الأمجد والأسعد فإنهما لم يزالا سائرين في البرية وهما يأكلان من نبات الأرض ويشربان من متحصلات الأمطار مدة شـ ـهر كامل حتى انتهى بهما المسير إلى جبل من الصوان الأسود لا يعلم أين منتهاه والطريق افترقت عنـ ـد ذلـ ـك الحبل طريقين طريق تشقه من وسطه وطريق صاعده إلى أعلاه فسلكا الطريق التي في أعلا الجبل واستمرا سائرين فيها خمسة أيام فلم يريا له منتهى وقد حصل لهم الأعياء من التعب وليسا معتادين على المشي فـ ـي جبل ولا في غيره ولما يئسا من الوصول إلى منتهاه رجعاً وسلكا الطريق التي فـ ـي وسـ ـط الجبـ ـل وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٥٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الأمجد و الأسعد ولدي الملك قمر الزمان لمـ ـا عـ ـادا مـ ـن الطريـ ـق الصاعدة في الجبل إلى الطريق المسلوكة في وسطه مشياً طول ذلك النهار إلى الليل وقد تعب الأسـ ـعد مـ ـن كثرة السير فقال لأخيه يا أخي أنا ما بقيت أقدر على المشي فأني ضعفت جداً فقال له الأمجد يا أخـ ـي شـ ـد حيلك لعل الله أن يفرج عنا ثم أنهما مشيا ساعة من الليل وقد تعب الأسعد تعباً شديداً ما عليه من مزيد وقال يا أخي أني تعبت وكليت من المشي ثم وقع في الأرض وبكى فحمله أخوه الأمجد ومشي به وصـ ـار سـ ـاعة يمشي وساعة يستريح إلى أن لاح الفجر حتى استراح أخوه فطلع هو وأياه فوق الجبل فوجـ ـدا عيـ ـنا نابعـ ـة يجري منها الماء وعندها شجرة رمان ومحراب فما صدقا أنهما يريان ذلك ثم جلسا عند تلك العين وشربا من مائها وأكلا من رمان تلك الشجرة وناما في ذلك الموضع حتى طلعت الشمس ثم جلسا واغتسلا مـ ـن العـ ـين وأكلا من ذلك الزمان الذي في الشجرة وناما إلى العصر وأراد أن يسيرا فما قدر الأسعد على السـ ـير وقـ ـد ورمت رجلاه فأقاما هناك ثلاثة أيام حتى استراحا ثم سارا في الجبل مدة أيام وهما سائران فوق الجبل وقـ ـد تعبا من العطش إلى أن لاحت لهما مدينة من بعيد ففرحا وصارا حتى وصلا إليها فلما قربا منها شـ ـكرا الله تعالى وقال الأمجد للأسعد يا أخي أجلس هنا وأنا أسير إلى هذه المدينة وانظر ما شأنها واسأل عن أحوالهـ ـا لأجل أن نعرف أين نحن من أرض الله الواسعة ونعرف الذي قطعناه من البلاد في عرض هذا الجبل ولو ابناً مشينا في وسطه ما كنا نصل إلى هذه المدينة في سنة كاملة فالحمد لله على السلامة فقال له الأسعد والله يـ ـا أخي ما يذهب إلى المدينة غيري وأنا فداؤك فأنك أن تركتني ونزلت وغبت عني تستغرقني الأفكار من أجلك وليس لي قدرة على بعدك عني فقال له الأمجد توجه ولا تبطيء فنزل الأسعد من الجبل وأخذ معـ ـه دنانـ ـاير وخلى أخاه ينتظره وسار ولم يزل ماشياً في أسفل الجبل حتى دخل المدينة وشق في أزقتها فلقيه في طريقـ ـه رجل وهو شيخ كبير طاعن في السن وقد نزلت لحيته على صدره وافترقت فرقتين وبيده عكاز وعليه ثيـ ـاب فاخرة وعلى رأسه عمامة كبيرة حمراء فلمارآه الأسعد تعجب من لبسه وهيئته وتقدم إليه وسلم عليه وقال له

أين طريق السوق يا سيدي فلما سمع الشيخ كلامه تبسم في وجهه وقال له يا ولدي كأنك غريب فقال له الأسعد نعم أنا غريب يا عم وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٥٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشيخ الذي لقي الأسعد تبسم في وجهه وقال يا ولدي كأنك غريب فقال له الأسعد نعم غريب فقال له الشيخ قد آنست ديارنا وأوحشت ديار أهلك فما الذي تريد من السوق فقال الأسعد ياعم أن لي أخاً تركته في الجبل ونحن مسافران من بلاد بعيدة ولنا في السفر مدة ثلاثة شهور وقد أشرفنا على هذه المدينة فجئت إلى ههنا لأشتري طعاماً وأعود به إلى أخي لأجل أن نقتات به فقال له الشيخ يا ولدي أبشر بكل خير واعلم أنني عملت وليمة وعندي ضيوف كثيرة وجمعت فيها من أطيب الطعام وأحسنه ما تشتهيه النفوس فهل لك أن تسير معي إلى مكاني فأعطيك ما تريد ولا آخذ منك ثمناً وأخبرك بأحوال هذه المدينة والحمد لله يا ولدي حيث وقعت بك ولم يقع بك أحد غيري فقال الأسعد افعل ما أنت أهله وعجل فإن أخي ينتظرني وخاطره عندي فأخذ الشيخ بيد الأسعد ورجع به إلى زقاق ضيق وصار يتبسم في وجهه ويقول له سبحان من نجاك من أهل هذه المدينة ولم يزل ماشياً به حتى دخل داراً واسعة وفيها قاعة جالساً فيها أربعون شيخاً طاعنون في السن وهم مصطفون حلقة وفي وسطهم نار موقدة والمشايخ جالسون حولها يعبدونها ويسجدون لها فلما رأى ذلك الأسعد أقشعر بدنه ولم يعلم ما خبرهم ثم أن الشيخ قال لهؤلاء الجماعة يا مشايخ النار ما أبركه من نهار ثم نادى قائلاً يا غضبان فخرج له عبد أسود بوجه أعبس وأنف أفطس وقامة مائلة وصورة هائلة ثم أشار إلى العبد فشد وثاق الأسعد وبعد ذلك قال الشيخ أنزل به إلى القاعة التي تحت الأرض وأتركه هناك وقل للجارية الفلانية تتولى عذابه بالليل والنهار فأخذه العبد وأنزله به تلك القاعة وسلمه إلى الجارية فصارت تتولى عذابه وتعطيه رغيفاً واحداً في أول النهار ورغيفاً واحداً في أول الليل وكوز ماء مالح في الغداة ومثله في العشي ثم أن المشايخ قالوا لبعضهم لما يأتي أو أن عيد النار نذبحه على الجبل ونتقرب به إلى النار ثم أن الجارية نزلت إليه وضربته ضرباً وجيعاً حتى سالت الدماء من أعضاءه وغشي عليه ثم حطت عند رأسه رغيفاً وكوز ماء مالح وراحت وخلته فاستفاق في نصف الليل فوجد نفسه مقيداً وقد آلمه الضرب فبكي بكاء شديداً وتذكر ما كان فيه من العز والسعادة والملك والسيادة وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٦٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الأسعد لما رأى نفسه مقيداً وقد ألمه الضرب تذكر ما كان فيه من العز والسعادة والملك السيادة فبكى وصعد الزفرات وأنشد هذه الأبيات:

قفوا برسوم الدار واستخبروا عنا　　ولا تحسبونا في الديار كما كنا
لقد فرق الدهر المشتت شملنا　　وما تشتفي أكباد حسادنا منا
تولت عذابي بالسياط لئيمة　　وقد ملئت منها جوانحي ضغنا
عسى ولعل الله يجمع شملنا　　ويدفعوا بالتنكيل أعداءنا عنا

فلما فرغ الأسعد من شعره مد يده عند رأسه فوجد رغيفاً وكوز ماء مالح فأكل قليلاً ليسد رمقه وشرب قليلاً من الماء ولم يزل ساهراً إلى الصباح ومن كثرة البق والقمل فلما أصبح الصباح نزلت إليه الجارية ونزعت عنه ثيابه وكانت قد غمرت بالدم والتصقت بجلده وهو مقيد في الحديد بعبد عن الأحباب فتذكر أخاه والعز الذي كان فيه وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٦١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الأسعد تذكر أخاه والعز الذي كان فيه فحنّ وأنّ واشتكى وسكب العبرات وأنشد هذه الأبيات:

يـ ـا دهـ ـر مهلاك ـم تجـ ـور وتعتـ ـدي	ولكـ ـم بأحبـ ـابي تـ ـروح وتغتـ ـدي
مـ ـا آن أن ترثـ ـى لطـ ـول تشـ ـتتي	وتـ ـرق يـ ـا مـ ـن قلبـ ـه كالجامـ ـد
وأسـ ـأت أحبـ ـابي بمـ ـا أشـ ـمت بـ ـي	كـ ـل العـ ـداة بمـ ـا صـ ـنعت مـ ـن الـ ـردى
وقـ ـد اشـ ـتفى قلـ ـب العـ ـدو بمـ ـا رأى	مـ ـن غربتـ ـي وسـ ـبابتي وتوحـ ـدي
لـ ـم يكفـ ـه مـ ـا حـ ـل بـ ـي مـ ـن كربـ ـة	وفـ ـراق أحبـ ـابي وطـ ـرف أرمـ ـدي
حتى بليت بضـ ـيق سـ ـجن لـ ـيس لـ ـي	فيـ ـه أنـ ـيس غيـ ـر عضـ ـى باليـ ـد
ومـ ـذامع تهمـ ـي كفـ ـيض سـ ـحائب	وغليـ ـل شـ ـوق نـ ـاره لـ ـم تخمـ ـد
وكآبـ ـة وصـ ـبابة وتـ ـذكر	وتحسـ ـر وتـ ـنفس وتنهـ ـد
شـ ـوق أكابـ ـده وحـ ـزن متلـ ـف	ووقعـ ـت فـ ـي وجـ ـد مقـ ـيم مقعـ ـد

فلما فرغ من نظمه ونثره حنّ وبكى وأنّ واشتكى وتذكر ما كان فيه وما حصل له من فراق أخيه هذا ما كان من أمره (وأما) ما كان من أمر أخيه الأمجد فإنه مكث ينتظر أخاه الأسعد إلى نصف النهار فلم يعد إليه فخفق فؤاده واشتد به ألم الفراق وأفاض دمعه المهراق وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٦٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الأمجد لما مكث ينتظر أخاه الأسعد إلى نصف النهار فلم يعد إليه خفق فؤاده واشتد به ألم الفراق وأفاض دمعه المهراق وصاح واحسرتاه ما كان أخوفني من الفراق ثم نزل من فوق الجبل ودمعه سايل على خديه ودخل المدينة ولم يزل ماشياً فيها حتى وصل إلى السوق وسأل الناس عن اسم المدينة وعن أهلها فقالوا له هذه تسمى مدينة المجوس وأهلها يعبدون النار دون الملك الجبار ثم سأل عن مدينة الآبنوس فقالوا له أن المسافة التي بيننا وبينها من البر سنة ومن البحر ستة أشهر وملكها يقال له أرمانوس وقد صاهر اليوم ملكاً وجعله مكانه وذلك الملك يقال له قمر الزمان وهو صاحب عدل وإحسان وجود وأمان فلما سمع الأمجد ذكر أبيه حنّ وبكى وأنّ واشتكى وصار لا يعلم أين يتوجه وقد اشترى معه شيئاً للأكل وذهب إلى موضع يتوارى فيه ثم قعد وأراد أن يأكل فتذكر أخاه فبكى ولم يأكل إلا قدر سد الرمق ثم قام ومشى في المدينة ليعلم خبر أخيه فوجد رجلاً مسلماً خياطاً في دكان فجلس عنده وحكى له قصته فقال له الخياط أن كان وقع في يد أحد من المجوس فما بقيت تراه إلا بعسر ولعل الله يجمع بينك وبينه ثم قال هل لك يا أخي أن تنزل عندي قال نعم ففرح الخياط بذلك وأقام عنده أياماً وهو يسليه ويصبره ويعلمه الخياطة حتى صار ماهراً ثم خرج يوماً إلى شاطيء البحر وغسل أثوابه ودخل الحمام ولبس ثياباً نظيفة ثم خرج من

الحمام يتفرج في المدينة فصادف في طريقه أمرأة ذات حسن وجمال وقدر واعتدال ليس لها في الحسن مثال فلما رأته رفعت القناع عن وجهها وغمزته بحواجبها وعيونها وغزلته باللحظات وقد لعبت به أيدي الصبابات فأشار لها وأنشد هذه الأبيات:

ورد الخـ ـدود ودونـ ـه شـ ـوك القنـ ـا   فمـ ـن المحـ ـدث نفسـ ـه أن يجتنـ ـي
لا تمـ ـدد الأيـ ـدي إليـ ـه فطالمـ ـا   شـ ـنوا الحـ ـروب لأن مـ ـددنا الأعيـ ـا
قـ ـل للتـ ـي ظلمـ ـت وكانـ ـت فتنـ ـة   ولـ ـو أنهـ ـا عـ ـدلت لكانـ ـت افتنـ ـا
ليـ ـزاد وجهـ ـك بـ ـالتبرقع ضـ ـلة   وأرى السـ ـفور لمثـ ـل حسـ ـنك أصـ ـونا
كالشـ ـمس يمتنـ ـع اجـ ـتلاءك وجههـ ـا   وأن اكتسـ ـت برقيـ ـق غـ ـيم أسـ ـكنا
غدت النحيلة فـ ـي حمـ ـى مـ ـن نحلهـ ـا   فسـ ـلوا حمـ ـاة الحـ ـي عـ ـم تصـ ـدنا
إن كـ ـان قتلـ ـى قصـ ـدهم فليرفعـ ـوا   تلـ ـك الضـ ـغائن وليخلـ ـوا بيننـ ـا
مـ ـا هـ ـم بـ ـأعظم فتكـ ـة لـ ـو بـ ـارزوا   من طـ ـرف ذات الخـ ـال إذا بـ ـرزت لنـ ـا

فلما سمعت من الأمجد هذا الشعر تنهدت بصاعد الزفرات وأشارت إليه وأنشدت هذه الأبيات:

أنت الذي سلك الأعـ ـراض لسـ ـت أنـ ـا   جـ ـد بالوصـ ـال إذا كـ ـان الوفـ ـاء آبـ ـى
يا فـ ـالق الصـ ـبح مـ ـن لآلـ ـيء غرتـ ـه   وجاعـ ـل الليـ ـل مـ ـن أصـ ـداغه سـ ـكنا
بصـ ـورة الـ ـوثن اسـ ـتعبدتني وبهـ ـا   فتنتنـ ـي وقـ ـديماً هجـ ـت لـ ـي فتنـ ـا
لأغر وإن أحرقت نـ ـار الهـ ـوى كبـ ـدي   فالنـ ـار حـ ـق علـ ـى مـ ـن يعبـ ـد الوثنـ ـا
تبيـ ـع مثلـ ـي مجانـ ـاً إلا أن   إن كـ ـان لابـ ـد مـ ـن يسـ ـع فخـ ـذ ثمنـ ـا

فلما سمع الأمجد منها هذا الكلام قال لها أتجيئين عندي أو أجيء عندك فأطرقت برأسها حيـ ـاء إلـ ـى الأرض وتلت قوله تعالى الرجال قوامون على النساء بما فضل بعضهم على بعض ففهم الأمجـ ـد أشـ ـارتها. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٦٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الأمجد فهم إشارة المرأة وعرف أنها تريد الذهاب معه حيث يـ ـذهب فالتزم لما بالمكان وقد استحى أن يروح بها عند الخياط الذي هو عنده فمشى قدامها ومشت خلفه ولـ ـم يـ ـزل ماشياً بها من زقاق إلى زقاق ومن موضع إلى موضع حتى تعبت الصبية فقالت له يا سيدي أين دارك فقـ ـال لها قدام وما بقى عليها إلا شيء يسير ثم انعطف بها في زقاق مليح ولم ماشياً فيه وهي خلفه حتى وصل إلى آخره فوجده غير نافذ فقال لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ثم التفت بعينه فرأى في صدر الزقاق بابـ ـاً كبيراً بمصطبتين ولكنه مغلق فجلس الأمجد على مصطبة وجلست المرأة على مصطبة ثم قالت له يا سـ ـيدي ما الذي تنتظره فأطرق برأسه إلى الأرض ملياً ثم رفع رأسه وقال لها انتظر مملوكي فإن المفتاح معه وكنت قد قلت له هيء لنا المأكول والمشروب وصحبته المدام حتى أخرج من الحمام ثم قال في نفسه ربما يطـ ـول عليها المطال فتزوج إلى حال سبيلها وتخليني في هذا المكان فلما طال عليها الوقت قالت له يـ ـا سـ ـيدي أن المملوك قد أبطأ علينا ونحن قاعدون في الزقاق ثم قامت الصبية إلى الضبة بحجر فقال لها الأمجد لا تعجلي وأصبري حتى يجيء المملوك فلم تسمع كلامه ثم ضربت الضبة بالحجر فقسمتها نصفين فانفتح الباب فقـ ـال

لها وأي شيء خطر لك حتى فعلت هكذا فقالت له يا سيدي أي شيء جرى أما هو بيتك فقال نعم ولكن لا يحتاج إلى كسر الضبة ثم أن الصبية دخلت البيت فصار الأمجد متحيراً في نفسه خوفاً من أصحاب المنزل ولم يدر ماذا يصنع فقالت له الصبية لم لا تدخل يا سيدي يا نور عيني وحشاشة قلبي قال لها سمعاً وطاعة ولكن قد أبطأ على المملوك وما أدري هل فعل شيئاً مما أمرته به أم لا ثم أنه دخل معها وهو في غاية ما يكون من الهم خوفاً من أصحاب المنزل فقالت يا سيدي مالك واقفاً هكذا ثم شهقت شهقة وأعطت الأمجد قبلة مثل كسر الجوز وقالت يا سيدي أن كنت مواعد غيري فأنا أشد ظهري وأخدمها فضحك الأمجد عن قلب مملوء بالغيظ ثم طلع وجلس وهو ينفخ وقال في نفسه يا قبلة الشوم إذا جاء صاحب المنزل فبينما هو كذلك وإذا بصاحب الدار قد جاء وكان مملوكاً من أكابر المدينة لأنه كان أمير ياخور عند الملك وقد جعل تلك القاعة معدة لحظة لينشرح فيها صدره ويختلي فيها بمن يريد وكان في ذلك اليوم قد أرسل إلى معشوق يجيء له وجهز له ذلك المكان وكان اسم ذلك المملوك بهادر وكان سخي اليد صاحب جود وإحسان وصدقات وامتنان فلما وصل إلى قريب القاعة وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٦٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن بهادر صاحب القاعة لما وصل إلى قريب القاعة وجد الباب مفتوحاً فدخل قليلاً قليلاً وطل برأسه فنظر الأمجد والصبية وقدامهما طبق فاكهة وآلة المدام وفي ذلك الوقت كان الأمجد ماسك القدح وعينه إلى الباب فلما صارت عينه في عين صاحب الدار أصفر لونه وارتعدت فرائصه فلما رآه بهادر وقد اصفر لونه وتغير حاله غمزه بأصبعه على فمه يعني أسكت وتعالى عندي فحط الأمجد الكاس من يده وقام إليه فقالت الصبية إلى أين فحرك رأسه وأشار لها أنه يريق الماء ثم خرج إلى الدهليز حافياً فلما رأى بهادر علم أنه صاحب الدار فأسرع إليه وقبل يديه ثم قال له بالله عليك يا سيدي قبل أن تؤذيني أسمع مني مقالي ثم حدثه بحديثه من أوله إلى آخره وأخبره بسبب خروجه من أرضه ومملكته وأنه ما دخل القاعة باختياره ولكن الصبية هي التي كسرت الضبة وفتحت الباب وفعلت هذه الفعال فلما سمع بهادر كلام الأمجد وعرف أنه ابن ملك حنّ عليه ورحمه ثم قال اسمع يا أمجد كلامي وأطعني وأنا أتكفل لك بالأمان مما تخاف وأن خالفتني قتلتك فقال الأمجد آمرني بما شئت فأنا لا أخالفك أبداً لأنني عتيق مروءتك فقال له بهادر أدخل هذه القاعة واجلس في المكان الذي كنت فيه واطمئن وها أنا داخل إليك وأسمي بهادر فإذا دخلت إليك فاشتمني وأنهرني وقل لي ما سبب تأخرك إلى هذا الوقت ولا تقبل لي عذراً بل قم أضربني وأن أشفقت عليّ أعدمتك حياتك فأدخل وانبسط ومهما طلبته مني تجده حاضراً بين يديك في الوقت وبت كما تحب في هذه الليلة وفي غد توجه إلى حال سبيلك أكراماً لغربتك فأني أحب الغريب وواجب على أكرامه فقبل الأمجد يده ودخل وقد اكتسى وجهه حمرة وبياضاً فأول ما دخل قال للصبية يا سيدتي آنست موضعك وهذه ليلة مباركة فقالت له الصبية أن هذا عجيب منك حيث بسطت لي الأنس فقال الأمجد والله يا سيدتي أني كنت أعتقد أن مملوكي بهادر أخذ لي عقود جواهر كل عقد يساوي عشرة آلاف دينار ثم خرجت الآن وأنا متفكر في ذلك ففتشت عليها فوجدتها في موضعها ولم أدر ما سبب تأخر المملوك إلى هذا الوقت ولابد لي من عقوبته فاستراحت الصبية بكلام الأمجد ولعبا وشربا وأنشرحا ولم يزالا في حظ إلى قريب المغرب ثم

دخل عليهما بهادر وقد غير لبسه وشد وسطه وجعل في رجليه زرنوباً على عادة المماليك ثـ م سـ لم وقبـ ل الأرض وكتف يديه وأطرق برأسه إلى الأرض كالمعترف بذنبه فنظر إليه الأمجد بعين الغضب وقال له مـ ا سبب تأخرك يا أنحس المماليك فقال له يا سيدي أني اشتغلت بغسل أثوابي وما علمت أنك ههنا فإن ميعـ ادي وميعادك العشاء لا بالنهار فصرخ عليه الأمجد وقال له تكذب يا أخس المماليك والله لابد من ضربك ثم قـ ام الأمجد وسطح بهادر على الأرض وأخذ عصا وضربه برفق فقامت الصبية وخلصت العصا من يده ونزلـ ت بها على بهادر بضرب وجيع حتى جرت دموعه واستغاث وصار يكز على أسنانه والأمجـ د يصـ يح علـ ى الصبية لا تفعلي هكذا وهي تقول له دعني أشفي غيظي منه ثم أن الأمجد خطف العصا من يدها ودفعها فقام بهادر ومسح دموعه عن وجهه ووقف في خدمته ساعة ثم مسح القاعة وأوقد القناديل وصارت الصبية كلمـ ا دخل بهادر وخرج تشتمه وتلعنه والأمجد يغضب عليها ويقول لها بحق الله تعالى أن تتركي مملـ وكي فإنـ ه غير معود بهذا ومازالا يأكلان ويشربان وبهادر في خدمتهما إلى نصف الليل حتى تعب من الخدمة والضرب فنام في وسط القاعة وشخر ونخر فسكرت الصبية وقالت اللامجد قم خذ هذا السيف المعاق واضـ رب رقبـ ة هذا المملوك وأن لم تفعل ذلك عملت على إزهاق روحك فقال الأمجد وأي شيء خطر لك أن أقتل مملـ وكي قالت لا يكمل الحظ إلا بقتله وأن لم تقم قمت أنا وقتلته فقال الأمجد بحق الله عليك أن لا تفعلي فقالت لابد من هذا وأخذت السيف وجردته وهمت بقتله فقال الأمجد في نفسه هذا رجل عمل معنا خيراً وسترنا وأحسن إلينا وجعل نفسه مملوكي كيف تجازيه بالقتل لا كان ذلك أبداً ثم قال للصبية إن لم يكن بد من قتل مملـ وكي فأنـ ا أحق بقتله منك ثم أخذ السيف من يدها ورفع يده وضرب الصبية في عنقها فأطاح رأسها عن جثتها فوقعـ ت رأسها على صاحب الدار فاستيقظ وجلس وفتح عينيه فوجد الأمجد واقفاً والسيف في يده مخضباً بالدم ثم نظر إلى الصبية فوجدها مقتولة فاستخبره عن أمرها فأعاد عليه حديثها وقال له أنها أبـ ت إلا أن تقتلـ ك وهـ ذا جزاؤها فقام بهادر وقبل رأس الأمجد وقال له يا سيدي ليتك عفوت عنها وما بقي في الأمر إلا أخراجها فـ ي هذا الوقت قبل الصباح ثم أن بهادر شد وسطه وأخذ الصبية ولفها في عباءة ووضعها في فرد وحملها وقـ ل للأمجد أنت غريب ولا تعرف أحداً فأجلس في مكانك وانتظرني عند طلوع الشمس فإن عدت إليك لابـ د أن أفعل معك خيراً كثيراً واجتهد في كشف خبر أخيك وإن طلعت الشمس ولم أعد إليك فاعلم أنه قد قضى على والسلام عليك وهذه الدار لك بما فيها من الأموال والقماش ثم أنه حمل الفرد وخرج من القاعة وشـ ق بهـ ا الأسواق وقصد بها طريق البحر المالح ليرميها فيه فلما صار قريباً من البحر التفت فرأى الوالي والمقـ دمين قد أحاطوا به ولما عرفوه تعجبوا وفتحوا الفرد فوجدوا فيه قتيلة فقبضوا عليه وبيتوه في الحديد إلى الصـ باح ثم طلعوا به هو والفرد إلى الملك واعلموه بالخبر فلما رأى الملك غضب غضباً شديداً وقال له ويلـ ك أنـ ك تفعل هكذا دائماً فتقتل القتلى وترميهم في البحر وتأخذ جميع ما لهم وكم فعلت قبل ذكل من قتل فأطرق بهادر برأسه وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٦٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن بهادر أطرق برأسه إلى الأرض قدام الملك فصرخ الملك عليه وقـ ال له ويلك من قتل هذه الصبية فقال له يا سيدي أنا قتلتها ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فغضب الملك

وأمر بشنقه فنزل به السياف حين أمره الملك وأمر الوالي المنادي ينادي في أزقة المدينة بالفرجة على بهادر أمير يا خور الملك ودار به في الأزقة والأسواق هذا ما كان من أمر بهادر (وأما) ما كان من أمر الأمجد فإنه لما طلع عليه النهار وارتفعت الشمس ولم يعد إليه بهادر قال لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم أي شيء جرى له فبينما هو يتفكر وإذا بالمنادي ينادي بالفرجة على بهادر فأنهم يشنقونه في وسط النهار فلما سمع الأمجد ذلك بكى وقال أنا لله وأنا إليه راجعون قد أراد هلاك نفسه من أجلي وأنا الذي قتلتها والله لا كان هذا أبداً ثم خرج من القاعة وقفلها وشق في وسط المدينة حتى إلى أتى إلى بهادر ووقف قدام الوالي وقال له ياسيدي لا تقتل بهادر فإنه بريء والله ما قتلها إلا أنا فلما سمع الوالي كلامه أخذه هو وبهادر وطلع بهما إلى الملك وأعلمه بما سمعه من الأمجد فنظر الملك إلى الأمجد وقال له أنت قتلت الصبية قال نعم فقال له الملك أحك لي ما سبب قتلك أياها وأصدقني قال له أيها الملك أنه جرى لي حديث عجيب وأمر غريب لو كتب بالأبر على آماق البصر لكان عبرة لمن اعتبر ثم حكى للملك حديثه وأخبره بما جرى له ولأخيه من المبتدأ إلى المنتهى فتعجب الملك من ذلك غاية العجب وقال أني قد علمت أنك معذور ولكن يا فتى هل لك أن تكون عندي وزيراً فقال له سمعاً وطاعة فخلع عليه الملك وعلى بهادر خلعاً سنية وأعطاه داراً حسنة وخدماً وحشماً وأنعم عليه بجميع ما يحتاج إليه ورتب له الرواتب والجرايات وأمره أن يبحث عن أخيه الأسعد فجلس الأمجد في رتبة الوزارة وحكم وعدل وولى وعزل وأخذ وأعطى وارسل المنادى في أزقة المدينة ينادي على أخيه الأسعد فمكث مدة أيام ينادي في الشوارع والأسواق فلم يسمع له بخبر ولم يقع له على أثر هذا ما كان من أمر الأمجد (وأما) ما كان من أمر الأسعد فإن المجوس ما زالوا يعاقبونه بالليل والنهار وفي العشي والأبكار مدة سنة كاملة حتى قرب عيد المجوس فتجهز بهرام المجوسي إلى السفر وهيأ له مركباً.

وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٦٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن بهرام المجوسي جهز مركباً للسفر ثم حط الأسعد في صندوق وأقفله عليه ونقله إلى المركب وسافر وأولم يزالوا مسافرين أياماً وليالي وكل يومين يخرج الأسعد ويطعمه قليلاً من الزاد ويسقيه قليلاً من الماء إلى أن قربوا من جبل النار فخرج عليهم ريح وهاج بهم البحر حتى تاهت المركب عن الطريق وسلكوا طريقاً غير طريقهم ووصلوا إلى مدينة مبنية على شاطيء البحر ولها قلعة بشبابيك تطل على البحر والحاكمة على تلك المدينة امرأة يقال لها الملكة مرجانه فقال الريس لبهرام يا سيدي أننا تهنا عن الطريق ولابد لنا من دخول هذه المدينة لأجل الراحة وبعد ذلك يفعل الله ما يشاء فقال له بهرام نعم ما رأيت والذي تراه افعله فقال له الريس إذا أرسلت لنا المسكة تسألنا ماذا يكون جوابنا لها فقال له بهرام أنا عندي هذا المسلم الذي معنا فنلبسه لبس المماليك ونخرجه معنا إذا رأته الملكة تظن أنه مملوك فأقول لها أني جلاب مماليك أبيع واشتري فيهم وقد كان عندي مماليك كثيرة قبعتهم ولم يبق غير هذا المملوك فقال له الريس هذا كلام مليح ثم أنهم وصلوا إلى المدينة وأرخوا القلوع ودقوا المراسي ووقف المراكب وإذا بالملكة مرجانة نزلت إليهم ومعها عسكرها ووقفت على المركب ونادت على الريس فطلع عندها وقبل الأرض بين يديها فقالت له أي شيء في مركبك هذه ومن معك فقال لها يا ملكة الزمان معي رجل تاجر يبيع المماليك

فقالت علي به وإذا ببهرام طلع ومعه الأسعد ماش وراءه في صفة مملوك فلما وصل إليها بهرام قبل الأرض بين يديها فقالت له ما شأنك فقال لها أنا تاجر رقيق فنظرت إلى الأسعد وقد ظنت أنه مملوك فقالت لـ ـه مـ ـا اسمك فخنقه البكاء وقال لها اسمي الأسعد فحن قلبها عليه فقالت أتعرف الكتابة قال نعـ ـم فناولتـ ـه دواة وقلمـ ـا وقرطاساً وقالت له اكتب شيئاً حتى أراه فكتب هذين البيتين:

مـ ـا حيلـ ـة العبـ ـد والأقـ ـدار جاريـ ـة	عليـ ـه فـ ـي كـ ـل حـ ـال أيهـ ـا الرائـ ـي
ألقـ ـاه فـ ـي اليـ ـيم مكتوفـ ـاً وقـ ـال لـ ـه	إيـ ـاك إيـ ـاك أن تبتـ ـل بالمـ ـاء

فلما رأت الورقة رحمته ثم قالت لبهرام يعني هذا المملوك فقال لها يا سيدتي لا يمكنني بيعـ ـه لأنـ ـي بعت جميع مماليكي ولم يبق عندي غير هذا فقالت الملكة مرجانة لابد من أخذه منك أما ببيع وأما بهبة فقـ ـال لها لا أبيعه ولا أهبه فقبضت على الأسعد وأخذته وطلعت به القلعة وأرسلت تقول له أن لم تقلع في هذه الليلة عن بلدنا أخذت جميع مالك وكسرت مركبك فلما وصلت إليه الرسالة أغتم غماً شديداً وقال هذه سفرة غيـ ـر محمودة ثم قام وتجهز وأخذ جميع ما يريده وانتظر الليل ليسافر فيه وقال للبحرية خذوا أهبتكم واملؤا قـ ـربكم من الماء وأقلعوا بنا في آخر الليل فصار البحرية يقضون أشغالهم هذا ما كان من أمرهم (وأما) ما كان مـ ـن أمر الملكة مرجانه فإنها أخذت الأسعد ودخلت به القلعة وفتحت الشبابيك المطلة على البحر وأمرت الجواري أن يقدمن لهم من الطعام فقدمن لهم الطعام فأكلا ثم أمرتهن أن يقدمن المدام وأدرك شهرزاد فسـ ـكتت عـ ـن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٦٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملكة مرجانة أمرت الجواري أن يقدمن المدام فقد منه فشربت مـ ـع الأسعد وألقى الله سبحانه وتعالى محبة الأسعد في قلبها وصارت تملأ القدح وتسقيه حتى غلب عقله فقام يريد قضاء حاجة ونزل من القاعة فرأى باباً مفتوحاً فدخل فيه وتمشى فانتهى به السير إلى بستان عظيم فيه جميع الفواكه والأزهار فجلست تحت شجرة وقضى حاجته وقام إلى الفسقية التي في البستان فاستلقى علـ ـى قفـ ـاه ولباسه محلول فضربه الهواء فنام ودخل عليه الليل هذا ما كان من أمره (وأما) ما كان من أمر بهرام فإنـ ـه لما دخل عليه الليل صاح على بحرية المركب وقال لهم حلوا قلوعكم وسافروا بنا فقالوا له سـ ـمعاً وطاعـ ـة ولكن أصبر علينا حتى نملأ قربنا ونحل ثم طلع البحرية بالقرب وداروا حول القلعة فلم يجدوا غير حيطـ ـان البستان فتعلقوا بها ونزلوا البستان وتتبعوا أثر الأقدام الموصلة إلى الفسقية فلما وصلوا وجدوا الأسعد مستلقياً على قفاه فعرفوه وفرحوا به وحملوه بعد أن ملؤوا قربهم ونطوا من الحائط وأتوا به مسرعين إلـ ـى بهـ ـرام المجوسي وقالوا له أبشر بحصول المراد وشفاه الأكباد فقد طبل طبلك وزمر زمرك فإن أسيرك الذي أخذتـ ـه الملكة مرجانه منك غصباً قد وجدناه وآتينا به معنا ثم رموه قدامه فلما نظره بهرام طار قلبه من الفرح واتسع صدره وانشرح ثم خلع عليهم وأمرهم أن يحلوا القلوع بسرعة فحلوا قلوعهم وسافروا قاصدين جبل النار ولم يزالوا مسافرين إلى الصباح هذا ما كان من أمرهم (وأما) ما كان من أمر الملكة مرجانة فإنها بعـ ـد نـ ـزول الأسعد من عندها مكثت تنتظره ساعة فلم يعد إليها فقامت وفتشت عليه فما وجدته فأوقدت الشموع وأمـ ـرت الجواري أن يفتشن عليه ثم نزلت هي بنفسها فرأت البستان مفتوحاً فعلمت أنه دخله فدخلت البستان فوجـ ـدت

نعله بجانب الفسقية فصارت تفتش عليه في جميع البستان فلم تر له خبر ولم تزل تفتش عليه فـ ي جواذ ب البستان إلى الصباح ثم سألت عن المركب فقالوا لها قد سافرت في ثلث الليل فعلمت أنهم أخذوه معهم فصعب عليها واغتاظت غيظاً شديداً ثم أمرت بتجهيز عشر مراكب كبار في الوقت وتجهزت للحرب ونزلـ ت فـ ي مركب من العشر مراكب ونزل معها عسكرها متهيئين بالعدة الفاخرة وآلات الحرب وحلوا القلـ وع وقالـ ت للرؤساء متى لحقتم مركب المجوسي فلكم عندي الخلع والأموال وأن لم تلحقوها قتلتكم عن آخركم فحصـ ل للبحرية خوف عظيم ثم سافروا بالمراكب ذلك النهار وتلك الليلة وثاني يوم وثالث يوم وفـ ي اليـ وم الرابـ ع لاحت لهم مركب بهرام ولم ينقض النهار حتى أحاطت المراكب بمركب المجوسي وكان بهـ رام فـ ي ذلـ ك الوقت قد أخرج الأسعد وضربه وصار يعاقبه والأسعد يستغيث ويستجير فلم يجد مغيثاً ولا مجيراً من الخلق وقد آلمه الضرب الشديد فبينما هو يعاقبه إذ لاحت منه نظرة فوجد المراكب قد أحاطت بمركبه دارت حولها كما يدور بياض العين بسوادها فتيقن أنه هالك لا محالة فتحسر بهرام وقال ويلك يا أسعد هذا كله من تحـ ت رأسك ثم أخذه من يده وأمر البحرية أن يرموه في البحر وقال والله لأقتلنك قبل موتي فاحتملته البحرية مـ ن يديه ورجليه ورموه في وسط البحر فأذن الله سبحانه وتعالى لما يريد من سلامته وبقية أجله أنه غطـ س ثـ م طلع وخبط بيديه ورجليه إلى أن سهل الله عليه آتاه الفرج وضربه الموج وقذفه بعيداً عن مركب المجوسـ ي ووصل إلى البر فطلع وهو لا يصدق بالنجاة ولما صار في البر قلع أثوابه وعصرها ونشرها وقعد عرياذ ـاً يبكي على ما جرى له من المصائب والأسر ثم انشد هذين البيتين:

إلهـ ـي قـ ـل صـ ـبري واحتيـ ـالي	**وضـ ـاق الصـ ـدر وانصـ ـرفت حيـ ـالي**
إلـ ـى مـ ـن يشـ ـتكي المسـ ـكين إلا	**إلـ ـى مـ ـولاه يـ ـا مـ ـولى المـ ـوالي**

فلما فرغ من شعره قام ولبس ثيابه ولم يعلم أين يروح ولا أين يجيء فصار يأكل مـ ن نبـ ات الأرض وفواكه الأشجار ويشرب من ماء الأنهار وسافر بالليل والنهار حتى أشرف على مدينة ففرح وأسـ رع فـ ي مشيه نحو المدينة فلما وصل إليها أدركه المساء وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٦٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الأسعد لما وصل إلى المدينة أدركه المساء وقد قفـ ل بابهـ ا وكاذ ـت المدينة هي التي كان أسيراً فيها وأخوه الأمجد وزير ملكها فلما رآها الأسعد مقفلة رجع إلى جهة المقابر فلما وصل إلى المقابر وجد تربة بلا باب فدخلها ونام فيها فحط وجهه في عنه وكان بهرام المجوسي لما وصـ لت إليه الملكة مرجانة بالمراكب كسرها بمكره وسحره ورجع سالماً نحو مدينته وسار من وقته وسـ ـاعته وهـ و فرحان فلما جاز على المقابر طلع من المركب بالقضاء والقدر ومشى بين المقابر فرأى التربـ ـة التـ ي فيهـ ا الأسعد مفتوحة فتعجب وقال لابد أن أنظر في هذه التربة فلما نظر فيها رأى الأسعد وهو نائم ورأسه في عبه فنظر في وجهه فعرفه فقال له هل أنت تعيش إلى الآن ثم أخذه وذهب به إلى بيته وكان له في بيتـ ـه طـ ـابق تحت الأرض معد لعذاب المسلمين وكان له بنت تسمى بستان فوضع في رجلي الأسعد قيداً ثقيلاً وأنزله فـ ي ذلك الطابق ووكل بنته بتعذيبه ليلاً ونهاراً إلى أن يموت ثم أنه ضربه الضرب الوجيع وأقفل عليـ ـه الطـ ـابق وأعطى المفاتيح لبنته ثم أن بنته بستان نزلت لتضربه فوجدته شاباً ظريف الشـ ـمائل حلـ ـو المنظـ ـر مقـ ـوس

الحاجبين كحيل المقتلين فوقعت محبته في قلبها فقالت له ما اسمك قال لها اسمي الأسعد فقالت لـه سـعدت وسعدتك أيامك أنت ما تستاهل العذاب وقد علمت أنك مظلوم وصارت تؤانسه بالكلام وفكت قيوده ثـم أنهـا سألته عن دين الإسلام فأخبرها أنه هو الدين الحق القويم وأن سيدنا محمد صاحب المعجزات الباهرة والآيات الظاهرة وأن النار تضر ولا تنفع وعرفها قواعد الإسلام فأذعنت إليه ودخل حب الإيمان في قلبها ومزج الله محبة الأسعد بفؤادها فنطقت بالشهادتين وصارت من أهل السعادة وصارت تطعمه وتسـقيه وتتحـدث معـه وتصلي هي وهو وتصنع له المساليق بالدجاج حتى اشتد وزال ما به من الأمراض ورجع إلى ما كان عليـه من الصحة ثم أن بنت بهرام خرجت من عند الأسعد ووقفت على الباب وإذ بالمنادي ينادي ويقول كل مـن كان عنده شاب مليح صفته كذا وكذا وأظهره فله جميع ما طلب من الأموال ومن كان عنده وأنكره فإنه يشنق على باب داره وينهب ما له ويهدر دمه وكان الأسعد قد أخبر بستان بنت بهرام بجميع ما جـرى لـه فلمـا سمعت ذلك عرفت أنه هو المطلوب فدخلت عليه وأخبرته بالخبر فخرج وتوجه إلى دار الـوزير فلمـا رأى الوزير قال والله أن هذا الوزير هو أخي الأمجد ثم طلع وطلعت الصبية وراءه إلى القصر فرأى أخاه الأمجد فألقى نفسه عليه ثم أن الأمجد عرفه فألقى نفسه عليه وتعانقا واحتاطت بهما المماليك وغشي علـى الأسـعد والأمجد ساعة فلما أفاقا من غشيتهما أخذه الأمجد وطلع به إلى السلطان وأخبره بقصته فأمر السلطان بنهـب بيت بهرام وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٦٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن السلطان أمر الأمجد بنهب دار بهرام فأرسل الوزير جماعـة لـذلك فتوجهوا إلى بيت بهرام ونهبوه وطلعوا بابنته إلى الوزير فأكرمها وحدث الأسعد أخاه بكل ما جرى له مـن العذاب وما عملت معه بنت بهرام من الأحسان فزاد الأمجد في أكرامها ثم حكى الأمجد للأسعد جميـع مـا جرى له مع الصبية وكيف سلم من الشنق وقد صار وزيراً وصار يشكو أحدهما للآخر ما وجد مـن فرقـة أخيه ثم أن السلطان أحضر المجوسي وأمر بضرب عنقه فقال بهرام أيها الملك الأعظم هل صـممت علـى قتلي قال نعم فقال بهرام أصبر علي أيها الملك قليلاً ثم أطرق برأسه إلى الأرض وبعد ذلك رفع رأسه وتشهد وأسلم على يد السلطان ففرحوا بإسلامه ثم حكى الأمجد والأسعد جميع ما جرى لهما فقال لهمـا يـا سـيدي تجهزا للسفر وأنا أسافر بكما ففرحا بذلك وبإسلامه وبكيا بكاء شديداً فقال لهما بهـرام يـا سـيدي لا تبكيـا فمصيركما تجتمعان كما اجتمع نعمة ونعم فقالا له وما جرى لنعمة ونعم.

حكاية نعم ونعمة

قال بهرام ذكرو الله أعلم أنه كان بمدينة الكوفة رجل من وجهاء أهلها يقال له الربيع بن حـاتم وكـان كثير المال مرفه الحال وكان قد رزق ولداً فسماه نعمة الله فبينما هو ذات يوم بدكة النخاسين إذ نظر جاريـة تعرض للبيع وعلى يدها وصيفة صغيرة بديعة في الحسن والجمال فأشار الربيع إلى النخاس وقال له بكم هذه الجارية وأبتها فقال بخمسين دينار فقال الربيع اكتب العهد وخذ المال وسلمه لمولاها ثم دفع للنخـاس ثمـن الجارية وأعطاه دلالته وتسلم لجارية وابنتها ومضى بهما إلى بيته فلما نظرت ابنة عمه إلى الجارية قالت له يا ابن العم ما هذه الجارية قال اشتريتها رغبة في هذه الصغيرة التي على يديها واعلمي أنها إذا كبـرت مـا

يكون في بلاد العرب والعجم مثلها ولا أجمل منها فقالت لها ابنة عمه ما اسمك يا جارية فقالت يا سيدتي اسمي توفيق قالت وما اسم ابنتك قالت سعد قالت صدقت لقد سعدت وسعد من اشتراك ثم قالت يا ابن عمي ما تسميها قال ما تختارينه أنت قالت نسميها نعم قال الربيع لا بأس بذلك ثم أن الصغيرة نعم تربت مع نعمة بن الربيع في مهد واحد إلى حين بلغا من العمر عشر سنين وكان كل شخص منهما أحسن من صاحبه وصار الغلام يقول لها يا أختي وهي تقول له يا أخي ثم أقبل الربيع على ولده نعمة حين بلغا هذا السن وقال له يا ولدي ليست نعمة أختك بل هي جاريتك وقد اشتريتها على اسمك وأنت في المهد فلا تدعها بأختك من هذا اليوم قال نعمة لأبيه فإذا كان كذلك فأنا أتزوجها ثم أنه دخل على والدته وأعلمها بذلك فقالت يا ولدي هي جاريتك فدخل نعمة بن الربيع بتلك الجارية وأحبها ومشى عليهما تسع سنين وهما على تلك الحالة ولم يكن بالكوفة جارية أحسن من نعم ولا أحلى ولا أظرف منها وقد كبرت وقرأت القرآن والعلوم وعرفت أنواع اللعب والآلات وبرعت في المغنى وآلات الملاهي حتى أنها فاقت جميع أهل عصرها وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٧٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد بأن نعم فاقت أهل عصرها وبينما هي جالسة ذات يوم من الأيام مع زوجها نعمة بن الربيع في مجلس الشراب وقد أخذت العود وشدت أوتاره وأنشدت هذين البيتين:

إذا كنت لي مولى أعيش بفضله ... وسيفا به أفني رقاب النوائب
فما لي إلى زيد وعمرو شفاعة ... سواك إذا ضاقت علي مذاهبي

فطرب نعمة طرباً عظيماً ثم قال لها بحياتي يا نعم أن تغني لنا على الدف وآلات الطرب فأطربت بالنغمات وغنت بهذه الأبيات:

وحياة من ملكت يداه قيادي ... لأخالفن على الهوى حسادي
ولأعصين عواذلي وأطيعكم ... ولأهجرن تلذذي ورقادي
ولأجعلن لكم بأكناف الحشا ... قبراً ولم يشعر بذاك فؤادي

فقال الغلام لله درك يا نعم فبينما هما في أطيب عيش وإذا بالحجاج في دار نيابته يقول لابد لي أن أحتال على أخذ هذه الجارية التي اسمها نعم وأرسلها إلى أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان لأنه لا يوجد في قصره مثلها ولا أطيب من غنائها ثم أنه استدعى بعجوز قهرمانة وقال لها أمض إلى دار الربيع واجتمعي بالجارية نعم وتسببي في أخذها لأنه لم يوجد على وجه الأرض مثلها فقبلت العجوز من الحجاج ما قاله ولما أصبحت لبست أثوابها الصوف وحطت في رقبتها سبحة عدد جبتها ألوف وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٧١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العجوز قبلت ما قاله الحجاج ولما أصبحت لبست أثوابها الصوف ووضعت في رقبتها سبحة عدد حباتها ألوف وأخذت بيدها عكازاً وركوة يمانية وسارت وهي تقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ولم تزل في تسبيح وابتهال

وقلبها ملان بالمكر والاحتيال حتى وصلت إلى دار نعمة بن الربيع عند صلاة الظهر فقرعت الباب ففتح لها البواب وقال ما تريدين قالت أنا فقيرة من العابدات وأدركتني صلاة الظهر واريد أن أصلي في هذا المكان المبارك فقال لها البواب يا عجوز أن هذه دار نعمة بن الربيع وليست بجامع ولا مسجد فقالت أنا أعرف أنه لا جامع ولا مسجد مثل دار نعمة ابن الربيع وأنا قهرمانة من قصر أمين المؤمنين خرجت طالبة العبادة والسياحة فقال لها البواب لا أمكنك من أن تدخلي وكثر بينهما الكلام فتعلقت به العجوز وقالت له هل يمنع مثلي من دخول دار نعمة بن الربيع وأنا أعبر إلي ديار الأمراء والأكابر فخرج نعمة وسمع كلامها فضحك وأمرها أن تدخل خلفه فدخل نعمة وسارت العجوز خلفه حتى دخل بها على نعم فسلمت عليها العجوز بأحسن سلام ولما نظرت إلى نعم تعجبت من فرط جمالها ثم قالت لها يا سيدتي أعيذك بالله الذي ألف بينك وبين مولاك في الحسن والجمال ثم انتصبت العجوز في المحراب وأقبلت على الركوع والسجود والدعاء إلى أن مضى النهار وأقبل الليل بالاعتكار فقالت الجارية يا أمي أريحي قدميك ساعة فقالت العجوز يا سيدتي من طلب الآخرة أتعب نفسه في الدنيا ومن لم يتعب نفسه في الدنيا لم ينل منازل الأبرار في الآخرة ثم أن نعم قدمت الطعام للعجوز وقالت لها كلي من طعامي وأدعي لي بالتوبة والرحمة فقالت العجوز يا سيدتي أني صائمة وأما أنت فصبية يصلح لك الأكل والشرب والطرب والله يتوب عليك وقد قال الله تعالى إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً ولم تزل الجارية جالسة مع العجوز ساعة تحدثها ثم قالت لسيدها يا سيدي أحلف على هذه العجوز أن تقيم عندنا مدة فإن على وجهها أثر العبادة فقال أخلي لها مجلساً للعبادة ولا تخلي أحداً يدخل عليها فلعل الله سبحانه وتعالى ينفعنا ببركتها ولا يفرق بيننا ثم باتت العجوز ليلتها تصلي وتقرأ إلى الصباح فلما أصبح الصباح جاءت إلى نعمة ونعم وصبحت عليهما وقالت لهما استودعتكما الله فقالت لها نعم إلى أين تمضين يا أمي وقد أمرني سيدي أن أخلي لك مجلساً تعتكفين فيه للعبادة فقالت العجوز الله يبقيكما ويديم نعمته عليكما ولكن أريد منكما أن توصوا البواب أن لا يمنعني من الدخول أليكما وأن شاء الله تعالى أدور في الأماكن الطاهرة وأدعو لكما عقب الصلاة والعبادة في كل يوم وليلة ثم خرجت من الدار والجارية نعم تبكي على فراقها وما تعلم السبب الذي أتت إليها من أجله ثم أن العجوز توجهت إلى الحجاج فقال لها ما وراءك فقالت له أني نظرت إلى الجارية فرأيتها لم تلد النساء أحسن منها في زمانها فقال لها الحجاج أن فعلت ما أمرتك به يصل إليك مني خير جزيل فقالت له أريد منك المهلة شهراً كاملاً فقال لها أمهلتك شهراً ثم أن العجوز جعلت تتردد إلى دار نعمة وجاريته نعم وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٧٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العجوز صارت تتردد إلى دار نعمة ونعم وهما يزيدان في أكرامها ومازالت العجوز تمسي وتصبح عندهما ويرحب بها كل من في الدار حتى أن العجوز أختلت بالجارية يوماً من الأيام وقالت يا سيدتي والله أني حضرت الأماكن الطاهرة ودعوت لك وأتمنى أن تكوني معي حتى ترى المشايخ الواصلين ويدعوا لك بما تختارين فقالت لها الجارية نعم بالله يا أمي أن تأخذين معك فقالت لها أستأذني حماتك وأنا أخذك معي فقالت الجارية لحماتها أم نعمة يا سيدتي اسألي سيدي أن يخليني أخرج أنا وأنت يوماً من الأيام مع أمي العجوز إلى الصلاة والدعاء مع الفقراء في الأماكن الشريفة فلما أتى نعمة

وجلس تقدمت إليه العجوز وقبلت يديه فمنعها من ذلك ودعت له وخرجت من الدار فلما كان ثاني يوم جاءت العجوز ولم يكن نعمة في الدار فأقبلت على الجارية نعم وقالت لها قد دعونا لكم البارحة ولكن قومي في هذه الساعة تفرجي وعودي قبل أن يجيء سيدك فقالت الجارية لحماتها سألتك بالله أن تأذني لي في الخروج مع هذه المرأة الصالحة لا تفرج على أولياء الله في الأماكن الشريفة وأعود بسرعة قبل مجيء سيدي فقالت أم نعمة أخشى أن يعلم سيدك فقالت العجوز والله لا أدعها تجلس على الأرض بل تنظر وهي واقفة على أقدامها ولا تبطيء ثم أخذت الجارية بالحيلة وتوجهت بها إلى قصر الحجاج وعرفته بمجيئها بعد أن حطتها في مقصورة فأتى الحجاج ونظر إليها فرآها أجمل أهل زمانها ولم ير مثلها فلما رأته نعم سترت وجهها فلم يفارقها حتى استدعى بحاجبه وأركب معه خمسين فارساً وأمره أن يأخذ الجارية على نجيب سابق ويتوجه بها إلى دمشق ويسلمها إلى أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان وكتب له كتاباً وقال له أعطه هذا الكتاب وخذ منه الجواب وأسرع لي بالرجوع فتوجه الحاجب وأخذ الجارية على هجين وسافر بها وهي باكية العين من أجل فراق سيدها حتى وصلوا إلى دمشق واستأذن على أمير المؤمنين فأذن له فدخل الحاجب عليه وأخبره بخبر الجارية فأخلى لها مقصورة ثم دخل الخليفة حريمه فرأى زوجته فقال لها أن الحجاج قد اشترى لي جارية من بنات ملوك الكوفة بعشرة آلاف دينار وأرسل إلى هذا الكتاب وهي صحبة الكتاب فقالت له زوجته وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٧٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الخليفة لما أخبر زوجته بقصة الجارية قالت له زوجته زادك الله من فضلك ثم دخلت أخت الخليفة على الجارية فلما رأتها قالت والله ما خاب من أنت في منزله ولو كان ثمنك مائة ألف دينار فقالت لها الجارية نعم يا صبيحة الوجه هذا قصر من الملوك وأي مدينة هذه المدينة قالت لها هذه مدينة دمشق وهذا قصر أخي أمير المؤمنين عبد الله بن مروان ثم قالت للجارية كأنك ما علمت هذا قالت والله يا سيدتي لا علم لي بهذا قالت والذي باعك وقبض ثمنك لنفسها لقد تمت ما أعلمك بأن الخليفة قد اشتراك فلما سمعت الجارية ذلك الكلام سكبت دموعها وبكت وقالت الحيلة علي ثم أنها أطرقت رأسها حياء وقد أحمرت خدودها من أثر السفر والشمس فتركتها أخت الخليفة في ذلك اليوم وجاءتها في اليوم الثاني بقماش وقلائد من الجوهر والبستها فدخل عليها أمير المؤمنين وجلس إلى جانبها فقالت له أخته انظر إلى هذه الجارية التي قد كمل الله فيها من الحسن والجمال فقال الخليفة لنعم أزيحي القناع عن وجهك فلم تزل القناع عن وجهها وأنما رأى معاصمها فوقعت محبتها في قلبه وقال لأخته لا أدخل عليها إلا بعد ثلاثة أيام حتى تستأنس بك ثم قام وخرج من عندها فصارت الجارية متفكرة في أمرها ومتحسرة على افتراقها من سيدها نعمة فلما أتى الليل ضعفت الجارية بالحمى ولم تأكل ولم تشرب وتغير وجهها ومحاسنها فعرفوا الخليفة بلك فشق عليه أمرها ودخل عليها بالأطباء وأهل البصائر فلم يقف لها أحد على طب هذا ما كان من أمرها (وأما) ما كان من أمر سيدها نعمة فإنه أتى إلى داره وجلس على فراشه ونادى يا نعم فلم تجبه فقام مسرعاً ونادى فلم يدخل عليه أحد وكل جارية في البيت اختفت خوفاً منه فخرج نعمة إلى والدته فوجدها جالسة ويدها على خدها فقال لها يا أمي أين نعم فقالت له يا ولدي مع من هي أوثق مني عليها وهي العجوز الصالحة فإنها

خرجت معها لتزور الفقراء وتعود فقال ومتى كان لها عادة بذلك وفي أي وقت خرجت قالت خرجت بكرة النهار قال وكيف أذنت لها بذلك فقالت له يا ولدي هي التي أشارت علي بذلك فقال نعمة لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ثم خرج من بيته وهو غائب عن الوجود ثم توجه إلى صاحب الشرطة فقال له اتحتال علي وتأخذ جاريتي من داري فلابد لي أن أسافر واشتكيك إلى أمير المؤمنين فقال صاحب الشرطة ومن أخذها فقال عجوز صفتها كذا وكذا وعليها ملبوس من الصوف وبيدها سبحة عدد حباتها ألوف فقال له صاحب الشرطة أوقفني على العجوز وأنا أخلص لك جاريتك فقال ومن يعرف العجوز فقال له صاحب الشرطة ما يعلم الغيب إلا الله سبحانه وتعالى وقد علم صاحب الشرطة أنها محتالة الحجاج فقال له نعمة ما أعرف حاجتي إلا منك وبيني وبينك الحجاج فقال له أمض إلي من شئت فتوجه نعمة إلى قصر الحجاج وكان والده من أكابر أهل الكوفة فلما وصل إلى بيت الحجاج دخل حاجب الحجاج عليه وأعلمه بالقضية فقال له علي به فلما وقف بين يديه قال له الحجاج ما بالك فقال له نعمة كان من أمري ما هو كذا وكذا فقال هاتوا صاحب الشرطة فنأمره أن يفتش على العجوز فلما حضر صاحب الشرطة قال له أريد منك أن تفتش على جارية نعمة أبن الربيع فقال له صاحب الشرطة لا يعلم الغيب إلا الله تعالى فقال له الحجاج لابد أن تركب الخيل وتبصر الجارية في الطرقات وتنظر في البلدان. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٧٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الحجاج قال لصاحب الشرطة لابد أن تركب الخيل وتنظر في البلدان والطرقات وتفتش على الجارية ثم التفت إلى نعمة وقال له أن لم ترجع جاريتك دفعت لك عشر جوار من داري وعشر جوار من دار صاحب الشرطة ثم قال لصاحب الشرطة أخرج في طلب الجارية فخرج صاحب الشرطة ونعمة مغموم وقد يئس من الحياة وكان قد بلغ من العمر أربع عشرة سنة ولا نبات بعارضيه فجعل يبكي وينتحب وانعزل عن داره ولم يزل يبكي إلى الصباح فأقبل والده عليه وقال له يا ولدي أن الحجاج قد احتال على الجارية وأخذها ومن ساعة إلى ساعة يأتي الله بالفرج من عنده فتزايدت الهموم على نعمة وصار لا يعلم ما يقول ولا يعرف من يدخل عليه وأقام ضعيفاً ثلاثة أشهر حتى تغيرت أحواله ويئس منه أبوه ودخلت عليه الأطباء فقالوا ما له دواء إلا الجارية فبينما والده جالس يوماً من الأيام إذ سمع بطبيب وهو أعجمي وقد وصفه الناس بإتقان الطب والتنجيم وضرب الرمل فدعا به الربيع فلما حضر أجلسه الربيع وأكرمه وقال له أنظر ما حال ولدي فقال لنعمة هات يدك فأعطاه يده فجس مفاصله ونظر في وجهه وضحك والتفت إلى أبيه وقال ليس بولدك غير مرض في قلبه فقال صدقت يا حكيم فانظر في شأن ولدي بمعرفتك وأخبرني بجميع أحواله ولا تكتم عني شيئاً من أمره فقال الأعجمي أنه متعلق بجارية وهذه الجارية في البصرة أو في دمشق وما دواء ولدك غير اجتماعه بها فقال الربيع أن جمعت وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٧٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الربيع قال للعجمي أن جمعت بينهما فلك عندي ما يسرك وتعيش عمرك كله في المال والنعمة فقال له العجمي أن هذا الأمر قريب وسهل ثم التفت إلى نعمة وقال له لا بأس

عليك فطب نفساً وقر عيناً ثم قال للربيع أخرج من مالك أربعة آلاف دينار فأخرجها وسلمها للأعجمي أريد أن ولدك يسافر معي إلى دمشق ثم أن نعمة ودع والده ووالدته وسافر مع الحكيم إلى حلب فلم يقع على خبر الجارية ثم أنهما وصلا إلى دمشق وأقاما فيها ثلاثة أيام وبعد ذلك أخذ الأعجمي دكاناً وملأ رفوفها بالصيني النفيس والأغطية وزركش الرفوف بالذهب والقطع المثمنة وحط قدامه أواني من القناني فيها سائر الأدهان وسائر الأشربة ووضع حول القناني أقداحاً من البلور وحط الأصطرلاب قدامه ولبس أثواب الحكمة والطب وأوقف بين يديه نعمة وألبسه قميصاً وملوطاً من الحرير بفوطة في وسطه من الحرير مزركشة بالذهب ثم قال العجمي لنعمة يا نعمة أنت من اليوم ولدي فلا تدعني إلا بأبيك وأنا لا أدعوك إلا بولد فقال نعمة سمعاً وطاعة ثم أن أهل دمشق اجتمعوا على دكان العجمي ينظرون إلى حسن نعمة وإلى حسن الدكان والبضائع التي فيها والعجمي يكلم نعمة بالفارسية ونعمة يكلمه كذلك بتلك اللغة لأنه كان يعرفها على عادة أولاد الأكابر واشتهر ذلك العجمي عند أهل دمشق وجعلوا يصفون له الأوجاع وهو يعطيهم الأدوية فبينما هو ذات يوم جالس إذ أقبلت عليه عجوز راكبة على حمار بردعته من الديباج المرصع بالجواهر فوقفت على دكان العجمي وشدت لجام الحمار وأشارت للعجمي وقالت له أمسك يدي فأخذ يدها فنزلت من فوق الحمار وقالت له أنت الطبيب العجمي الذي جئت من العراق قال نعم قالت أعلم أن لي بنتاً وبها مرض وأخرجت له قارورة فلما نظر العجمي إلى ما في القارورة قال لها يا سيدتي ما اسم هذه الجارية حتى أحسب نجمها وأعرف أي ساعة يوفقها فيها شرب الدواء فقالت يا أخا الفرس أسمها نعم. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٧٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العجمي لما سمع اسم نعم جعل يحسب ويكتب على يده وقال لها يا سيدتي ما أصف لها دواء حتى أعرف من أي أرض هي لأجل اختلاف الهواء فعرفيني في أي أرض تربت وكم سنة سنها فقالت العجوز سنها أربع عشرة سنة ومرباها بأرض الكوفة من العراق فقال وكم شهر لها في هذه الديار فقالت له قامت في هذه الديار شهوراً قليلة فلما سمع نعمة كلام العجوز وعرف اسم جاريته خفق قلبه فقال لها الأعجمي يوافقها من الأدوية كذا وكذا فقالت له العجوز أعطني ما وصفت على بركة الله تعالى ورمت له عشرة دنانير على الدكان فنظر الحكيم إلى نعمة وأمره أن يهيء لها عقاقير الدواء وصارت العجوز تنظر إلى نعمة وتقول أعيذك بالله يا ولدي أن شكلها مثل شكلك ثم قالت العجوز للعجمي يا أخا الفرس هل هذا مملوكك أوولدك فقال لها العجمي أنه ولدي ثم أن نعمة وضع لها الحوائج في علبة وأخذ ورقة وكتب فيها هذين البيتين:

إذا أنعمت نعم علي بنظرة	فلا أسعدت سعدي ولا أجملت جمل
وقالوا أسل عنها تعط عشرين مثلها	وليس لها مثل ولست لها أسلو

ثم خبأ الورقة في داخل العلبة وختمها وكتب على غطاء العلبة بالخط الكوفي أنا نعمة ابن الربيع الكوفي ثم وضعت العلبة قدام العجوز فأخذتها وودعتهما وانصرفت متوجهة إلى قصر الخليفة فلما طلعت العجوز بالحوائج إلى الجارية وضعت الدواء قدامها ثم قالت لها يا سيدتي اعلمي أنه قد أتى مدينتنا طبيب عجمي ما رأيت أحداً أعرف بأمور الأمراض منه فذكرت له أسمك بعد أن رأى القارورة فعرف مرضك

ووصف دواءك ثم أمر ولده فشد لك هذا الدواء وليس في دمشق أجمل ولا أظرف من ولده ولا أحسن ثياباً منه ولا يوجد لأحد دكاناً مثل دكانه فأخذت العلبة فرأت مكتوباً على غطائها اسم سيدها واسم أبيه فلما رأت ذلك تغير لونها وقالت لاشك أن صاحب الدكان قد أتى في شأني ثم قالت للعجوز صفي لي هذا الصبي فقالت اسمه نعمة وعلى حاجبه الأيمن أثر وعليه ملابس فاخرة وله حسن كامل فقالت الجارية ناوليني الدواء على بركة الله تعالى وعونه وأخذت الدواء وشربته وهي تضحك وقالت لها أنه دواء مبارك ثم فتشت في العلبة فرأت الورقة ففتحتها وقرأتها فلما فهمت معناها تحققت أنه سيدها فطابت نفسها وفرحت فلما رأتها العجوز قد ضحكت قالت لها أن هذا اليوم يوم مبارك فقالت نعم يا قهرمانة أريد الطعام والشراب فقالت العجوز للجواري قدمن الموائد والأطعمة الفاخرة لسيدتكن وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٧٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العجوز قالت للجوار أحضرن الطعام فقدمن إليها الأطعمة وجلست للأكل وإذا بعبد الملك بن مروان قد دخل عليهن ونظر الجارية جالسة وهي تأكل الطعام ففرح ثم قالت القهرمانة يا أمير المؤمنين يهنيك عافية جاريتك نعم وذلك أنه وصل إلى هذه المدينة رجل طبيب ما رأيت أعرف منه بالأمراض ودوائها فأتيت لها منه بدواء فتعاطت منه مرة واحدة فحصلت لها العافية يا أمير المؤمنين فقال أمير المؤمنين خذي ألف دينار وقومي بأبرائها ثم خرج وهو فرحان بعافية الجارية وراحت العجوز إلى دكان العجمي بالألف دينار وأعطته أياها وأعلمته أنها جارية الخليفة وناولته ورقة كانت نعم قد كتبتها فأخذها العجمي وناولها لنعمة فلما رآها عرف خطها فوقع مغشياً عليه فلما أفاق فتح الورقة فوجد مكتوباً فيها من الجارية المسلوبة من نعمتها المخدوعة في عقلها المفارقة لحبيب قلبها أما بعد فإنه قد ورد كتابكم علي فشرح الصدر وسر الخاطر وكان كقول الشاعر:

ورد الكتـ ـاب فـ ـلا عـ ـدمت أنـ ـاملا	**كتبـ ـت بـ ـه حتـ ـى تضـ ـمخ طيبـ ـاً**
فكـ ـأن موسـ ـى قـ ـد أعيـ ـد لأمـ ـه	**أو ثـ ـوب يوسـ ـف قـ ـد أتـ ـى يعقوبـ ـاً**

فلما قرأ نعمة هذا الشعر هملت عيناه بالدموع فقالت له القهرمانة ما الذي يبكيك يا ولدي لا أبكى الله لك عينا فقال العجمي يا سيدتي كيف لا يبكي ولدي وهذه جاريته وهو سيدها نعمة بن الربيع الكوفي وعافية هذه الجارية مرهونة برؤيته وليس بها علة إلا هواه وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٧٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العجمي قال للعجوز كيف لا يبكي ولدي وهذه جاريته وهو سيدها نعمة بن الربيع الكوفي وعافية هذه الجارية مرهونة برؤيته وليس لها علة إلا هواه فخذي أنت يا سيدتي هذه الألف دينار لك ولك عندي أكثر من ذلك وأنظري لنا بعين الرحمة وأننا لا نعرف أصلاح هذا الأمر إلا منك فقالت العجوز لنعمة هل أنت مولاها قال نعم قالت صدقت فإنها لا تفتر عن ذكرك فأخبرها نعمة بما جرى من الأول إلى الآخر فقالت العجوز يا غلام لا تعرف اجتماعك بها إلا مني ثم ودعته وذهبت إلى الجارية وقالت لها أن سيدك قد ذهبت روحه في هواك وهو يريد الاجتماع بك فما تقولين في ذلك فقالت نعم وأنا كذلك قد ذهبت روحي واريد الاجتماع به فعند ذلك أخذت العجوز بقجة فيها حلي ومصاغ وبدلة من ثياب

النساء وتوجهت إلى نعمة وقالت له أدخل بنا مكاناً وحدنا فدخل معها قاعة خلف الدكان ونقشته وزينت معاصمه وزوقت شعره وألبسته لباس جارية وزينته بأحسن ما تزين به الجواري فصار كأنه من حور الجنان فلما رأته القهرمانة في تلك الصفة قالت تبارك الله أحسن الخالقين والله أنك لأحسن من الجارية ثم قالت له أمش وقدم الشمال وأخر اليمين وهز أردافك فمشى قدامها كما أمرته فلما رأته قد عرف مشي النساء قالت له أمكث حتى آتيك ليلة غد أن شاء الله تعالى فآخذك وأدخل بك القصر وإذا نظرت الحجاب والخدامين فقوي عزمك وطأطيء رأسك ولا تتكلم مع أحد وأنا أكفيك كلامهم وبالله التوفيق فلما أصبح الصباح أتته القهرمانة في ثاني يوم وأخذته وطلعت به القصر ودخلت قدامه ودخل هو وراءها في أثرها فأراد الحاجب أن يمنعه من الدخول فقالت له يا أنحس العبيد أنها الجارية نعم محظية أمير المؤمنين فكيف تمنعها من الدخول ثم قالت أدخلي يا جارية فدخل مع العجوز ولم يزالا داخلين إلى الباب الذي يتوصل منه إلى صحن القصر فقالت له العجوز يا نعمة قو نفسك وثبت قلبك وأدخل القصر وخذ على شمالك وعد خمسة أبواب وأدخل الباب السادس فإنه باب المكان المعد لك ولا تخف وإذا كلمك أحد فلا تتكلم معه ثم سارت حتى وصلت إلى الأبواب فقابلها الحاجب المعد لتلك الأبواب وقال لها ما هذه الجارية. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٧٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الحاجب قابل العجوز وقال لها ما هذه الجارية فقالت له العجوز أن سيدتنا تريد شراءها فقال الخادم ما يدخل أحد إلا بإذن أمير المؤمنين فارجعي بها فأني لا أخليها تدخل لأني أمرت بهذا فقالت له القهرمانة أيها الحاجب الكبير أين عقلك أن نعماً جارية للخليفة الذي قلبه متعلق بها قد توجهت إليها العافية وما صدق أمير المؤمنين بعافيتها وتريد شراء هذه الجارية فلا تمنعها من الدخول لئلا يبلغها أنك منعتها فتغضب عليك وأن غضبت عليك تسببت في قطع رأسك ثم قالت أدخلي يا جارية ولا تسمعي كلامه ولا تخبري سيدتك أن الحاجب منعك من الدخول فطأطأ نعمة رأسه ودخل القصر وأراد أن يمشي إلى جهة يساره فغلط ومشي إلى جهة يمينه وأراد أن يعد الخمسة أبواب ويدخل السادس فعد ستة ودخل السابع فلما دخل في ذلك الباب رأى موضعاً مفروشاً بالديباج وحيطانه عليها ستائر الحرير المرقومة بالذهب وفيه مباخر العود والعنبر والمسك إلا ذفر ورأى سريراً في الصدر مفروشاً بالديباج فجلس عليه نعمة ولم يعلم بما كتب له في الغيب فبينما هو جالس متفكر في أمره إذ دخلت عليه أخت أمير المؤمنين ومعها جاريتها فلما رأت الغلام جالساً ظنته جارية فتقدمت إليه وقالت له من تكوني يا جارية وما خبرك وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٨٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أخت الخليفة قالت لنعمة ما خبرك وما سبب دخولك في هذا المكان فلم يتكلم نعمة ولم يرد عليها جواباً فقالت يا جارية أن كنت من محاظي أخي وقد غضب عليك فأنا أستعطفه عليك فلم يرد نعمة عليها جواباً فعند ذلك قالت لجاريتها قفي على باب المجلس ولا تدعي أحد يدخل ثم تقدمت غليه ونظرت إلى جماله وقالت يا صبية عرفيني من تكوني وما اسمك وما سبب دخولك هنا فأني لم أنظرك في قصرنا فلم يرد عليها جواباً فعند ذلك غضبت أخت الملك ووضعت يدها على صدر نعمة فلم تجد له

نهوداً فأرادت أن تكشف ثيابه لتعلم خبره فقال لها نعمة يا سيدتي أنا مملوك فاشتريني وأنـا مستجير بك فأجبريني فقالت له لا بأس عليك فمن أنت ومن أدخلك مجلسي هذا فقال لها نعمة أنا أيتها الملكة أدعي بنعمة بن الربيع الكوفي وقد خاطرت بروحي لأجل جاريتي نعم التي احتال عليها الحجاج وأخذها وأرسلها إلى هنا فقالت له لا بأس عليك ثم صاحت على جاريتها وقالت لها امض إلى مقصورة نعم وقد كانت القهرمانة أتـت إلى مقصورة نعم وقالت لها هل وصل إليك سيدك فقالت لا والله فقالت القهرمانة لعلـه غلـط فدخل غير مقصورتك وتاه عن مكانك فقالت نعم لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم قد فرغ أجلنا وهلكنـا وجلستا متفكرين فبينما هما كذلك إذ دخلت عليهما جارية أخت الخليفة فسلمت على نعم وقالت لها أن مولاتي تدعوك إلى ضيافتها فقالت سمعاً وطاعة فقالت القهرمانة لعل سيدك عند أخت الخليفة وقد انكشف الغطا فنهضت نعم من وقتها وساعتها ودخلت على أخت الخليفة فقالت لها هذا مولاك جالس عندي وكأنه غلط في المكان وليس عليك ولا عليه خوف إن شاء الله تعالى فلما سمعت نعم هذا الكلام من أخت الخليفة اطمأنت نفسها وتقـدمت إلى مولاها نعمة فلما نظرها قام إليها وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٨١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن نعمة لما نظر إلى جاريته نعم قام إليها وضم كل واحد منهما صـاحبه إلى صدره ثم وقعا على الأرض مغشياً عليهما فلما أفاقا قالت لهما أخت الخليفة أجلسـا حتـى نتـدبر فـي الخلاص من الأمر الذي وقعنا فيه فقال لها سمعاً وطاعة والأمر لك فقالت والله ما ينالكما منا سوء قـط ثـم قالت لجاريتها أحضري الطعام والشراب فأحضرت فأكلوا بحسب الكفاية ثم جلسوا يشربون فـ دارت علـيهم الأقداح وزالت عنهم الأتراح فقال نعمة ليت شعري بعد ذلك ما يكون فقالت له أخت الخليفة يا نعمة هل تحب نعما جاريتك فقال لها يا سيدتي إن هواها هو الذي حملني على ما أنا فيه من المخاطرة بروحي ثم قالت لنعم يا نعم هل تحبين سيدك قالت يا سيدتي هواه هو الذي أذاب جسمي وغير حالي فقالت والله أنكما متحابان فلا كان من يفرق بينكما فقرا عيناً وطيباً نفساً ففرحا بذلك وطلبت نعم عوداً فأحضروه لهـا فأخذتـه وأصـلحته وأطربت بالنغمات وأنشدت هذه الأبيات:

ولمـا أبـى الواشـون إلا فراقنـا وليس لهـم عنـدي وعنـدك مـن ثـار
وشـنوا علـى أسمـاعنا كـل غـارة وقلـت حمـاتي عنـد ذاك وأنصـاري
غـزوتهم مـن مقلتيـك وأدمعـي ومن نفسـي بالسـيف والسـيل والنـار

ثم أن نعما أعطت العود لسيدها نعمة وقالت له عن لنا شعراً فأخذه وأصلحه وأطرب بالنغمات ثم أنشد هذه الأبيات:

البـدر يحكيـك لـولا أنـه كلـف والشمس مثلك لـولا الشـمس تنكسـف
أني عجبت وكم في الحـب مـن عجـب فيـه الهمـوم وفيـه الوجـد والكلـف
أرى الطريـق قريبـاً حـين أسـلكه إلـى الحبيب بعيـداً حـين انصـرف

فلما فرغ من شعره ملأت له قدحاً وناولته أياه فأخذه وشربه ثم ملأت قدحاً آخر وناولته لأخت الخليفـة فشربته وأخذت العود وأصلحته وشدت أوتاره وأنشدت هذين البيتين:

غ ـم وحـ ـزن فـ ـي الفـ ـؤاد مقـ ـيم وجـ ـوى تـ ـردد فـ ـي حشـ ـاي عظـ ـيم
ونحـ ـول جسـ ـمي قـ ـد تبـ ـدي ظـ ـاهراً فالجسـ ـم منـ ـي بـ ـالغرام سـ ـقيم

ثم ناولت العود لنعمة بن الربيع فأخذه وأصلح أوتاره وأنشد هذين البيتين:

يـ ـا مـ ـن وهبـ ـت لـ ـه روحـ ـي فعـ ـذبها ورمـ ـت تخليصـ ـه منـ ـه فلـ ـم أطـ ـق
دارك محبـ ـا بمـ ـا ينجيـ ـه مـ ـن تلـ ـف قبـ ـل الممـ ـات فهـ ـذا آخـ ـر الرمـ ـق

ولم يزالوا ينشدون الأشعار ويشربون على نغمات الأوتار وهم في لذة وحبور وفرح وسرور فبينما هم كذلك أذ دخل عليهم أمير المؤمنين فلما نظروه قاموا إليه وقبلوا الأرض بين يديه فنظر إلى نعم والعود معها فقال يا نعم الحمد لله الذي أذهب عنك اليأس والوجع ثم التفت إلى نعمة وهو على تلك الحالة وقال يا أختـ ـي من هذه الجارية التي في جانب نعم فقالت له أخته يا أمير المؤمنين أن هذه جارية من المحاظي أنيسة لا تأكل نعم ولا تشرب إلا وهي معها ثم أنشدت قول الشاعر:

ضـ ـدان واجتمعـ ـا افتراقـ ـاً فـ ـي إليهـ ـا والضـ ـد يظهـ ـر حسـ ـنه بالضـ ـد

فقال الخليفة والله العظيم أنها مليحة مثلها وفي غد أخلى لها مجلساً بجانب مجلسها وأخرج لها الفـ ـرش والقماش وأنقل إليها جميع ما يصلح لها أكثر مما لنعم واستدعت أخت الخليفة بالطعام فقدمته لأخيهـ ـا فأكـ ـل وجلس معهم في تلك الحضرة ثم ملأ قدحاً وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٨٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الخليفة لما ملأ القدح وأومأ إلى نعم بأن تنشد له من الشـ ـعر فأخـ ـذت العود بعد أن شربت قدحين وأنشدت هذين البيتين:

إذا مـ ـا نـ ـديمي علـ ـي ثـ ـم علـ ـي ثلاثـ ـة أقـ ـداح لهـ ـن هـ ـدير
أبيـ ـت أجـ ـر الـ ـذيل تيهـ ـاً كـ ـأنني عليـ ـك أميـ ـر المـ ـؤمنين أميـ ـر

فطرب أمير المؤمنين وملأ قدحاً آخر وناوله إلى نعم وأمرها أن تغني فبعد أن شربت القـ ـدح جسـ ـت الأوتار وأنشدت هذه الأشعار:

يا أشرف الناس في هذا الزمـ ـان ومـ ـا لـ ـه مثيـ ـل بهـ ـذا الأمـ ـر يفتخـ ـر
يا واحداً فـ ـي العـ ـلا والجـ ـود منصـ ـبه يـ ـا سـ ـيداً ملكـ ـاً فـ ـي الكـ ـل مشـ ـتهر
يـ ـا مالكـ ـاً لملـ ـوك الأرض قاطبـ ـة تعطـ ـي الجزيـ ـل ولا مـ ـن ولا ضـ ـجر
أبقاك ربـ ـي علـ ـى رغـ ـم العـ ـدا كمـ ـدا وزان طالعـ ـك الأقبـ ـال والظفـ ـر

فلما سمع الخليفة من نعم هذه الأبيات قال لها لله درك يا نعم ما أفصح لسانك وأوضح بيانك ولم يزالوا في فرح وسرور إلى نصف الليل ثم قالت أخت الخليفة أسمع يا أمير المؤمنين أني رأيت حكاية فـ ـي الكتـ ـب عن بعض أرباب المراتب قال الخليفة وما تلك الحكاية فقالت له أخته اعلم يا أمير المؤمنين أنه كان بمدينـ ـة الكوفة صبي يسمى نعمة بن الربيع وكان له جارية يحبها وتحبه وكانت قد تربت معه في فراش واحد فلمـ ـا بلغا وتمكن حبهما من بعضهما رماهما الدهر بنكباته وجار عليهما الزمان بآفاتـ ـه وحكـ ـم عليهمـ ـا بـ ـالفراق

وتحيلت عليها الوشاة حتى خرجت من داره وأخذوها سرقة من مكانه ثم أن سارقها باعها لـ بعض الملـ وك بعشرة آلاف دينار وكان عند الجارية لمولاها من المحبة مثل ما عنده لها ففارق أهله وداره وسافر في طلبها وتسبب باجتماعه بها وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٨٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن نعمة لم يزل مفارقاً لأهله ووطنه وخاطر بنفسه وبذل مهجتـ ـه حتـ ـى توصل إلى اجتماعه بجاريته وكان يقال لها نعم فلما اجتمع بها لم يستقر بهما الجلوس حتى دخل عليهما الملك الذي كان اشتراها من الذي سرقها فعجل عليهما وأمر بقتلهما ولم ينصف من نفسه ولم يمهل عليه في حكمه فما تقول يا أمير المؤمنين في قلة إنصاف هذا الملك فقال أمير المؤمنين أن هذا شيء عجيب فكـ ـان ينبغـ ـي لذلك الملك العفو عند المقدرة لأنه يجب عليه أ، يحفظ لهما ثلاثة أشياء الأول أنهما متحابان والثاني أنهما في منزله وتحت قبضته والثالث أن الملك ينبغي له التأني في الحكم بين الناس فكيف بالأمر الذي يتعلق به فهـ ـذا الملك قد فعل فعلاً لا يشبه فعل الملوك فقالت له أخته يا أخي بحق ملك السموات والأرض أن تـ ـأمر نعمـ ـاً بالغناء وتسمع ما تغنى به فقال يا نعم عن لي فاطر بت بالنغمات وأنشدت هذه الأبيات:

غـ ـدر الزمـ ـان ولـ ـم يـ ـزل غـ ـداراً يصـ ـمى القلـ ـوب ويـ ـورث الأفكـ ـارا
ويفـ ـرق الأحبـ ـاب بعـ ـد تجمـ ـع فتـ ـرى الـ ـدموع علـ ـى الخـ ـدود غـ ـزارا
كـ ـانوا وكنـ ـت وكـ ـان عيشـ ـي ناعمـ ـاً والـ ـدهر يجمـ ـع شـ ـملنا مـ ـدرارا
فلأبكـ ـين دمـ ـاً ودمعـ ـاً سـ ـاجما أسـ ـفاً عليـ ـك لياليـ ـا ونهـ ـارا

فلما سمع أمير المؤمنين هذا الشعر طرب طرباً عظيماً فقالت له أخته يا أخي من حكـ ـم علـ ـى نفسـ ـه بشيء ألزمه القيام به والعمل بقوله وأنت قد حكمت على نفسك هذا الحكم ثم قالت يا نعمة قف على قـ ـدميك وكذا قفي أنت يا نعم فوقفا فقالت أخت الخليفة يا أمير المؤمنين إن هذه الواقفة هي نعـ ـم المسـ ـروقة سـ ـرقها الحجاج بن يوسف الثقفي وأوصلها لك وكذب فيما أدعاه من كتابه من أنه اشتراها بعشرة آلاف دينار وهـ ـذا الواقف هو نعمة بن الربيع سيدها وأنا أسألك بحرمة آبائك الطاهرين أن تعفو عنهما ويهبهما لبعضهما لتغـ ـنم أجرهما فأنهما في قبضتك وقد أكلا من طعامك وشربا من شرابك وأنا الشافعة فيهما المستوهبة دمهما فعنـ ـد ذلك قال الخليفة صدقت أنا حكمت بذلك وما أحكم بشيء وأرجع فيه ثم قال يا نعم هل هذا مولاك قالت له نعم يا أمير المؤمنين فقال لا بأس عليكما فقد وهبتكما لبعضكما ثم قال يا نعمة وكيف عرفت مكانها ومن وصف لك هذا المكان فقال يا أمير المؤمنين اسمع خبري وأنصت إلى حديثي فوحق آبائك وأجـ ـدادك الطـ ـاهرين لا أكتم عنك شيئاً ثم حدثه بجميع ما كان من أمره وما فعله معه الحكيم العجمي وما فعلتـ ـه القهرمانـ ـة وكيـ ـف دخلت به القصر وغلط في الأبواب فتعجب الخليفة من ذلك غاية العجب ثم قال علي بالعجمي فأحضروه بين يديه فجعله من جملة خواصه وخلع عليه خلعة وأمر له بجائزة سنية وقال من يكون هـ ـذا تـ ـدبيره يجـ ـب أن نجعله من خواصنا ثم أن الخليفة أحسن على نعمة وأنعم على القهرمانة وقعدا عنده سبعة أيام في سرور وحظ وأرغد عيش ثم طلب نعمة الأذن بالسفر هو وجاريته فأذن لهما بالسفر إلى الكوفة فسـ ـافر واجتمـ ـع بوالـ ـده ووالدته وأقاموا في أطيب عيش إلى أن أتاهم هازم اللذات ومفرق الجماعات فلما سمع الأمجد والأسعد هـ ـذا

الحديث من بهرام تعجبا منه غاية العجب وقالا أن هذا لشيء عجيب وأدرك شهرزاد فسـ كتت عـ ن الكـ ـلام المباح.

(وفي ليلة ٢٨٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الأمجد والأسعد لما سمعا من بهرام المجوسي الذي أسلم هذه الحكايـ ـة تعجبا منها غاية العجب وباتا تلك الليلة ولما أصبح الصباح وركب الأمجد والأسعد وأرادوا أن يدخلا علـ ـى الملك أستأذنا في الدخول فأذن لهما فلما دخلا أكرمهما وجلسوا يتحدثون فبينما هم كذلك وإذا بأهـ ـل المديـ ـة يصيحون ويتصارخون ويستغيثون فدخل الحاجب على الملك وقال له أن ملكاً من الملوك نزل بعساكره على المدينة وهم شاهرون السلاح وما ندري ما مرادهم فأخبر الملك وزيره الأمجد وأخاه الأسعد بما سمعه مـ ـن الحاجب فقال الأمجد أنا أخرج إليه وأكشف خبره فخرج الأمجد إلى ظاهر المدينة فوجد الملك ومعه عسـ ـكر كثير ومماليك راكبة فلما نظروا إلى الأمجد عرفوا أنه رسول من عند ملك المدينة فأخذوه وأحضـ ـروه قـ ـدام السلطان فلما صار قدامه قبّل الأرض بين يديه وإذا بالملك امرأة ضاربة لها لثاماً فقالت اعلم أنه مالي عندكم غرض في هذه المدينة إلا مملوك أمرد فإن وجدته عندكم فلا بأس عليكم وأن لم أجده وقع بيني وبينكم القتال الشديد لأنني ما جئت إلا في طلبه فقال الأمجد أيتها الملكة ما صفة هذا المملوك وما اسمه فقالت اسمه الأسعد وأنا أسمي مرجانة وهذا المملوك جاءني صحبة بهرام المجوسي وما رضي أن يبيعه فأخذته منه غصباً فعدا عليه وأخذه من عندي بالليل سرقه وأما أوصافه فأنها كذا وكذا فلما سمع الأمجد ذلك علم أنه أخـ ـو الأسـ ـعد فقال لها يا ملكة الزمان الحمد لله الذي جاءنا بالفرج وأن هذا المملوك هو أخي ثم حكى لها حكايته وما جرى لهما في بلاد الغربة وأخبرها بسبب خروجهما من جزائر الآبنوس فتعجبت الملكة مرجانة من ذلك وفرحـ ـت بلقاء الأسعد وخلعت على أخيه الأمجد ثم بعد ذلك عادا لأمجد إلى الملك وأعلمه بما جرى ففرحوا بذلك ونزل الملك هو والأمجد والأسعد قاصدين الملكة فلما دخلوا عليها جلسوا يتحدثون فبينما هم كذلك وإذا بالغبار طار حتى سد الأقطار وبعد ساعة انكشف ذلك الغبار عن عسكر جرار مثل البحر الذخار وهـ ـم مهيئـ ـون بالعـ ـدد والسلاح فقصدوا المدينة ثم داروا بها كما يدور الخاتم بالخنصر وشهروا سيوفهم فقال الأمجد والأسعد أنا لله وإنا إليه راجعون ما هذا الجيش الكبير أن هذه أعداء لا محالة وأن لم نتفق مع هذه الملكة مرجانة على قتالهم أخذوا منا المدينة وقتلونا وليس لنا حيلة إلا أننا نخرج غليهم ونكشف خبرهم ثم قام الأمجد وخرج من بـ ـاب المدينة وتجاوز جيش الملكة مرجانة فلما وصل إلى العسكر وجده عسكر جده الملك الغيور أبا أمـ ـه الملكـ ـة بدور. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٨٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الأمجد لما وصل إلى العسكر وجدها عسكر جده الملك الغيور صاحب الجزائر والبحور والسبعة قصور فلما صار قدامه قبل الأرض بين يديه وبلغه الرسالة وقال له ما أسمك قـ ـال أسمي الملك الغيور وقد جئت عابر سبيل لأن الزمان قد فجدعني في بنتي بدور فإنها فارقتني وما رجعت إلي وما سمعت لها ولزوجها قمر الزمان خبراً فهل عندكم خبرهما فلما سمع الأمجد ذلك أطـ ـرق برأسـ ـه إلـ ـى الأرض ساعة يتفكر حتى تحقق أنه جده أبو أمه ثم رفع رأسه وقبل الأرض بين يديه وأخبره أنه ابـ ـن بنتـ ـه

بدور فلما سمع الملك أنه ابن أبنته بدور رمي نفسه عليه وصار يبكيان ثم قال الملك الغيور الحمد لله يا ولدي على السلامة حيث اجتمعت بك ثم قال له الأمجد أن ابنته بدور في عافية وكذلك أبوه قمر الزمـ ـان وأخبـ ـره أنهما في مدينة يقال لها جزيرة الآبنوس وحكى له أن قمر الزمان والده غضب عليه وعلى أخيه وأمر بقتلهما وأن الخازندار رق لهما وتركهما بلا قتل فقال الملك الغيور أنا أرجع بك وبأخيك إلى والدك وأصلح بينكمـ ـا وأقيم عندكم فقبل الأرض بين يديه ثم خلع الملك الغيور على الأمجد ابن أبنته ورجع مبتسماً إلى الملك الغيور وأعلمه بقصة الملك الغيور فتعجب منها غاية العجب ثم أرسل له آلات الضيافة من الخيل والجمـ ـال والغـ ـنم والعليق وغير ذلك وأخرج للملكة مرجانة كذلك وأعلموها بما جرى فقالت أنا أذهب معكم بعسكري وأكـ ـون ساعية في الصلح فبينما هم كذلك وإذا بغبار قد ثار حتى سد الأقطار وأسود منه النهار وسمعوا مـ ـن تحتـ ـه صياحاً وصراخاً وصهيل الخيل ورأوا سيوفاً تلمع ورماحاً تشرع فلما قربوا من المدينة ورأوا العسكرين دقوا الطبول فلما رأى الملك ذلك قال ما هذا النهار إلا نهار مبارك الحمد لله الذي أصلحنا مع هذين العسكرين وإن شاء الله تعالى يصلحنا مع هذا العسكر أيضاً ثم قال يا أمجد أخرج أنت وأخوك الأسعد وأكشفا لنا خبر هـ ـذه العساكر فإنه جيش ثقيل ما رأيت أثقل منه فخرج الأثنان الأمجد وأخوه الأسعد بعد أن أغلـ ـق المـ ـك بـ ـاب المدينة خوفاً من العسكر المحيط بها ففتحا الأبواب وسارا حتى وصلا إلى العسكر الذي وصل فوجداه عسكر ملك جزائر الآبنوس وفيه والدهما قمر الزمان فلما نظراه قبلا الأرض بين يديه وبكيا فلما رآهما قمر الزمان رمى نفسه عليهما وبكى بكاء شديداً واعتذر لهما وضمهما إلى صدره ثم أخبرهما بما قاسـ ـاه بعـ ـدهما مـ ـن الوحشة الشديدة لفراقهما ثم أن الأمجد والأسعد ذكرا له عن الملك الغيور أنه وصل إليهم فركب قمر الزمـ ـان في خواصه وأخذ ولديه الأمجد والأسعد معه وساروا حتى وصلوا إلى قرب عسكر الملك الغيور فسبق واحد منهم إلى الملك الغيور وأخبره أن قمر الزمان وصل فطلع إلى ملاقاته فاجتمعوا ببعضهم وتعجبوا من هـ ـذه الأمور وكيف اجتمعوا في هذا المكان وصنع أهل المدينة الولائم وأنواع الأطعمة والحلويات وقدموا الخيـ ـول والجمال والضيافات والعليق وما تحتاج إليه العساكر فبينما هم كذلك وإذا بغبار ثار حتى سـ ـد الأقطـ ـار قـ ـد وارتجت الأرض من الخيول وصارت الطبول كعواصف الرياح والجيش جميعـ ـه بالعـ ـدد والآزراد وكلهـ ـم لابسون السواد وفي وسطهم شيخ كبير ولحيته واصلة إلى صدره عليه ملابس سود فلما نظر أهل المدينة هذه العساكر العظيمة قال صاحب المدينة للملوك ألحمد لله الذي اجتمعتم بأذنه تعالى في يوم واحد وكنـ ـتم كلكـ ـم معارف فما هذا العسكر الجرار الذي قد سدّ الأقطار فقال له الملوك لا تخف منه فنحن ثلاثة ملوك وكل ملك له عساكر كثيرة فإن كانوا أعداء نقاتلهم معك ولو زادوا ثلاثة أمثالهم فبينما هم كذلك وإذا برسول من تلـ ـك العساكر قد أقبل متوجها إلى هذه المدينة فقدموه بين يدي قمر الزمان والملك الغيور والملكة مرجانة والمـ ـك صاحب المدينة فقبل الأرض وكان هذا الملك من بلاد العجم وقد فقد ولده من مدة سنين وهو دائر يفتش عليه في الأقطار فإن وجده عندكم فلا بأس عليكم وأن لم يجده وقع الحرب بينه وبينكم وأخرب مدينتكم فقـ ـال لـ ـه قمر الزمان ما يصل إلى هذا ولكن ما يقال له في بلاد العجم فقال الرسول يقال له الملك شـ ـهرمان صـ ـاحب جزائر خالدات وقد جمع هذه العساكر من الأقطار التي مر بها وهو دائر يفتش على ولده فلمـ ـا سـ ـمع قمـ ـر الزمان كلام الرسول صرخ صرخة عظيمة وخرّ مغشياً عليه واستمر في غشيته ساعة ثم أفاق وبكى بكـ ـاء

شديداً وقال للأمجد والأسعد وخواصهما امشوا يا أولادي مع الرسول وسلموا علـ ى جـ دكم والـ دي الملـ ك شهرمان وبشروه بي فإنه حزين على فقدي وهو الآن لابس الملابس السود من أجلـ ي ثـ م حكـ ى للملـ وك الحاضرين جميع ما جرى له في أيام صباه فتعجب جميع الملوك من ذلك ثم نزلوا هم وقمر الزمان وتوجهوا إلى والده فسلم قمر الزمان على والده وعانقا بعضهما ووقعا مغشياً عليهما من شدة الفرح فلما أفاق ـا حكـ ى لأبنه جميع ما جرى له ثم سلم عليه بقية الملوك وردوا مرجانة إلى بلادها بعد أن زوجوها للأسعد ووصوها أنها لا تقطع عنهم مراسلتها ثم زوجوا الأمجد بستان بنت بهرام وسافروا كلهم إلى مدينة الآبنوس وخلا قمـ ر الزمان بصهره وأعلمه بجميع ما جرى له وكيف اجتمع بأولاده ففرح وهنأه بالسلامة ثم دخل الملك الغيـ ور أبو الملكة بدور على بنته وسلم عليها وبل شوقه منها وقعدوا في مدينة الآبنوس شهراً كاملاً ثم سافر الملـ ك الغيور بابنته إلى بلده وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٨٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك الغيور سافر بابنته وجماعته إلى بلده وأخذ الأمجد معهـ م فلمـ ا استقر في مملكته أجلس الأمجد يحكم مكان جده وأما قمر الزمان فإنه أجلس ابنه الأسعد يحكم في مكانه فـ ي مدينة جده أرمانوس ورضي به جده ثم تجهز قمر الزمان وسافر مع أبيه الملك شهرمان إلى أن وصل إلـ ى جزائر خالدات فزينت له المدينة فاستمرت البشائر تدق شهراً كاملاً وجلس قمر الزمان يحكم مكان أبيه إلـ ى أن أتاهم هازم اللذات ومفرق الجماعات والله أعلم فقال الملك يا شهرزاد أن هذه الحكاية عجيبة جداً قالت أيها الملك ليست هذه باعجب من حكاية علاء الدين أبي الشامات قال وما حكايته.

حكاية علاء الدين أبي الشامات

قالت بلغني أيها الملك السعيد أنه كان في قديم الزمان وسالف العصر والأوان رجل تاجر بمصر يقـ ال له شمس الدين وكان من أحسن التجار وأصدقهم مقالاً وهو صاحب خدم وحشم وعبيد وجوار ومماليك ومال كثير وكان شاه بندر التجار بمصر وكان معه زوجة يحبها وتحبه إلا أنه عاش معها أربعين عاماً ولم يـ رزق منها ببنت ولا ولد فقعد يوماً من الأيام في دكانه فرأى التجار وكل واحد منهم له ولداً وولدان أو أكثر وهـ م قاعدون في دكاكين مثل أبائهم وكان ذلك اليوم يوم جمعة فدخل ذلك التاجر الحمام واغتسل غسل الجمعة ولما طلع أخذ مرآة المزين فرأى وجهه فيها وقال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ثم نظر إلـ ى لحيته فرأى البياض غطي السواد وتذكر أن الشيب نذير الموت وكانت زوجته تعرف ميعاد مجيئـ ه فتغتسـ ل وتصلح شأنها له فدخل عليها فقالت له مساء الخير فقال لها أنا ما رأيت الخير وكانت قالت للجاريـ ة هـ اتي سفرة العشاء فأحضرت الطعام وقالت له تعش يا سيدي فقال لها ما آكل شيئاً وأعرض عن السـ فرة بوجهـ ه فقالت له ما سبب ذلك وأي شيء أحزنك فقال لها أنت سبب حزني وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٨٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن شمس الدين قال لزوجته أنت سبب حزني فقالت له لأي شيء فقال لها أني فتحت دكاني في هذا اليوم ورأيت كل واحد من التجار له ولد أو ولدان أو أكثر وهم قاعدون في الدكاكين مثل آبائهم فقلت لنفسي أن الذي أخذ أباك ما يخليك وليلة دخلت بك حلفتيني أنني ما أتزوج عليك ولا أتسري

بجارية حبشية ولا رومية ولا غير ذلك من الجواري ولم أبت ليلة بعيداً عنك والحالة أنك عاقر والنكاح فيك كالنحت في الحجر فقالت اسم الله على أن العاقة منك ما هي مني لأن بيضك رائق فقال لها وما شأن الذي بيضه رائق فقالت هو الذي لا يحبل النساء وهو لا يجيء بأولاد فقال لها وأين معكر البيض وأنا اشتريه لعله يعكر بيضي فقالت له فتش عليه عند العطارين فبات التاجر وأصبح متندماً حيث عاير زوجته وندمت هي حيث عايرته ثم توجه إلى السوق فوجد رجلاً عطاراً فقال له السلام عليكم فرد عليه السلام فقال له هل يوجد عندك معكر البيض فقال له كان عندي وجبر ولكن أسأل جاري فدار يسأل حتى سأل جميع العطارين وهم يضحكون عليه وبعد ذلك رجع إلى دكانه وقعد فكان في السوق نقيب الدلالين وكان رجلاً حشاشاً يتعاطي الأفيون والبرش ويستعمل الحشيش الأخضر وكان ذلك النقيب يسمى الشيخ محمد سمسم وكان فقير الحال وكانت عادته أن يصبح على التاجر في كل يوم فجاءه على عادته وقال له السلام عليكم فرد عليه السلام وهو مغتاظ فقال له يا سيدي مالك مغتاظ فحكى له جميع ما جرى بينه وبين زوجته وقال له أن لي أربعين سنة وأنا متزوج بها ولم تحبل مني بولد ولا ببنت وقالوا إلى سبب عدم حبلها منك أن بيضك رائق ففتشت على شيء أعكر به بيضي فلم أجده فقال له يا سيدي أنا عندي معكر البيض فما تقول فيمن يجعل زوجتك تحبل منك بعد هذه الأربعين سنة التي مضت قال له التاجر أن فعلت ذلك فأنا أحسن إليك وأنعم عليك فقال له هات لي ديناراً فقال له خذ هذين الدينارين فأخذهما وقال هات هذه السلطانية الصيني فأعطاه السلطانية فأخذها وتوجه إلى بياع الحشيش وأخذ منه من المكرر الرومي قدر أوقيتين وأخذ جانباً من الكبابة الصيني والقرفة والقرنفل والحبهان والزنجبيل والفلفل الأبيض والسقنقور الجبلي ودق الجميع وغلاهم في الزيت الطيب وأخذ ثلاث أوراق حصا لبان ذكر وأخذ مقدار قدح من الحبة السوداء ونقعه وعمل جميع ذلك معجوناً بالعسل النحل وحطه في السلطانية ورجع بها إلى التاجر وأعطاها له وقال له هذا معكر البيض فينبغي أن تأخذ منه على رأس الملوق بعد أن تأكل اللحم الضاني والحمام البيتي وتكثر له الحرارات والبهارات وتتعشى وتشرب السكر المكرر فأحضر التاجر جميع ذلك وأرسله إلى زوجته وقال لها أطبخي ذلك طبخاً جيداً وخذي معكر البيض واحفظيه عندك حتى أطلبه ففعلت ما أمرها به ووضعت له الطعام فتعشى ثم أنه طلب السلطانية فأكل منها فأعجبته فأكل بقيتها وواقع زوجته فعلقت منه تلك الليلة ففات عليها أول شهر والثاني والثالث ولم ينزل عليها الدم فعلمت أنها حملت ثم وفت أيام حملها ولحقها الطلق وقامت الأفراح فقاست الداية المشقة في الخلاص ورقته بأسمي محمد وعلي وكبرت وأذنت في أذنه ولفته وأعطته لأمه فأعطته ثديها وأرضعته فشرب وشبع ونام وأقامت الداية عندهم ثلاثة أيام حتى عملوا الحلاوة ليفرقوها في اليوم السابع ثم رشوا ملحه ودخل التاجر وهنأ زوجته بالسلامة وقال لها أين وديعة الله فقدمت له مولوداً بديع الجمال صنع المدبر الموجود وهو ابن سبعة أيام ولكن الذي ينظره يقول عليه أنه ابن عام فنظر التاجر في وجهه فرآه بدراً مشرقاً وله شامات على الخدين فقال لها ما سميتيه فقالت له لو كان بنتاً كنت سميتها وهذا ولد فلا يسميه إلا أنت وكان أهل ذلك الزمن يسمون أولادهم بالفال فبينما هم يتشاورون في الاسم وإذا بواحد يقول يا سيدي علاء الدين فقال لها نسميه بعلاء الدين أبي الشامات ووكل به المراضع والدايات فشرب اللبن عامين وفطموه فكبر وانتشي وعلى الأرض مشى فلما بلغ من العمر سبع سنين أدخلوه تحت طابق خوفاً عليه من العين وقال

هذا لا يخرج من الطابق حتى تطلع لحيته ووكل به جارية وعبداً فصارت الجارية تهيء له السد فرة والعبد د يحملها إليه ثم أنه طاهره وعمل له وليمة عظيمة ثم بعد ذلك أحضر له فقيهاً يعلمه فعلمه الخط والقرآن والعلم إلى أن صار ماهراً وصاحب معرفة فاتفق أن العبد أوصل إليه السفرة في بعض الأيام ونسي الطابق مفتوحاً فطلع علاء الدين من الطابق ودخل على أمه وكان عندها محضر من أكابر النساء فبينما النساء يتحدثن مـ ع أمه وإذا هو داخل عليهن كالمملوك السكران من فرط جماله فحيز رآه النسوة غطين وجوههن وقلن لأمه الله يجازيك يا فلانة كيف تدخلين علينا هذا المملوك الأجنبي أما تعلمين أن الحياء من الإيمان فقالت لهن سـ مين الله أن هذا ولدي وثمرة فؤادي وأبن شاه بندر التجار شمس الدين ابن الدادة والقلادة والقشفة واللبابة فقلن لها عمرنا ما رأينا لك ولداً فقالت أن أباه خاف عليه من العين فجعل مرباه فـ ي طـ ابق تحـ ت الأرض وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٨٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أم علاء الدين قالت للنسوة أن أباه خاف عليه من العين فجعل مربـ اه في طابق تحت الأرض فلعل الخادم نسى الطابق مفتوحاً فطلع منه ولم يكن مرادنا أن يطلع منه حتى تطلـ ع لحيته فهنأها النسوة بذلك وطلع الغلام من عند النسوة إلى حوش البيت ثم طلع المقعد وجلس فيه فبينمـ ا هـ و جالس وإذا بالعبيد قد دخلوا ومعهم بغلة أبيه فقال لهم علاء الدين أين كانت هذه البغلة فقالوا له نحن أوصـ لنا أباك إلى الدكان وهو راكب عليها وجئنا بها فقال لهم أي شيء صنعة أبي فقالوا أن أباك شاه بنـ در التجـ ار بأرض مصر وهو سلطان أولاد العرب فدخل علاء الدين على أمه وقال لها يا أمي ما صناعة أبي فقالت لـ ه يا ولدي أن أباك تاجر وهو شاه بندر التجار بأرض مصر وسلطان أولاد العرب وعبيده لا تشاوره في البيـ ع إلا على البيعة التي تكون أقل ثمنها ألف دينار وأما البيعة التي تكون بتسعمائة دينار فأقل فإنهم لا يشـ اورونه عليها بل يبيعونها بأنفسهم ولا يأتي متجر من بلاد الناس قليلاً أو كثيراً لا ويدخل تحت يده ويتصـ رف فيـ ه كيف يشاء ولا ينحزم متجراً ويروح بلاد الناس إلا ويكون من بيت أبيك والله تعالى أعطى أباك يا ولدي مالاً كثيراً إلا يحصى فقال لها يا أمي الحمد لله الذي جعلني أبن سلطان أولاد العرب ووالدي شاه بنـ در التجـ ار ولاي شيء يا أمي تحطونني في الطابق وتتركونني محبوساً فيه فقالت له يا ولدي نحن مـ ا حطينـ اك فـ ي الطابق إلاخوفا عليك من أعين الناس فإن العين حق وأكثر أهل القبور من العين فقال لها يا أمي وأين المفـ ر من القضاء والحذر لا يمنع القدر والمكتوب ما منه مهروب وأن الذي أخذ جدي لا يترك أبي فإنه أن عـ اش اليوم ما يعيش غداً وإذا مات أبي وطلعت أنا وقلت أنا علاء الدين أبن التاجر شمس الدين لا يصدقني أحد من الناس والاختيارية يقولون عمرنا ما رأينا لشمس الدين ولداً ولا بنتاً فينزل بيت المال ويأخذ مال أبي ورحـ م الله من قال:

يمـ . ـوت الفتـ . ـى ويـ . ـذهب مالـ . ـه ويأخـ . ـذ أنـ . ـذل الرجـ . ـال نسـ . ـاءه

فأنت يا أمي تكلمين أبي حتى يأخذني معه إلى السوق ويفتح لي دكاناً وأقعد فيه ببضائع ويعلمني البيـ ع والشراء والأخذ والعطاء فقالت له يا ولدي إذا حضر أبوك أخبرته بذلك فلما رجع التاجر إلى بيته وجد أبنـ ه علاء الدين أبا الشامات قاعداً عند أمه فقال لها لأي شيء أخرجتيه من الطابق فقالت له يا ابن عمي أنـ ا مـ ا

أخرجته ولكن الخدم نسوا الطابق مفتوحاً فبينما أنا قاعدة وعندي محضر من أكابر النساء وإذا به دخل علينا وأخبرته بما قاله ولده فقال له يا ولدي في غد أن شاء الله تعالى آخذك معي إلى السوق ولكن يا ولدي قعود الأسواق والدكاكين يحتاج إلى الأدب والكمال في كل حال فبات علاء الدين وهو فرحان من كلام أبيه فلما أصبح الصباح أدخله الحمام وألبسه بدله تساوي جملة من المال ولما أفطروا وشربوا الشرابات ركب بغلته وأركب ولده بغلة وأخذه وراءه وتوجه به إلى السوق فنظر أهل السوق شاه بندر التجار مقبلاً ووراءه غلام كأن وجهه القمر في ليلة أربعة عشر فقال واحد منهم لرفيقه أنظر هذا الغلام الذي وراء شاه بندر التجار قد كنا نظن به الخير وهو مثل الكرات شائب وقلبه أخضر فقال الشيخ محمد سمسم النقيب المتقدم ذكره للتجار نحن ما بقينا نرضى به أن يكون شيخاً علينا أبداً وكان من عادة شاه بندر التجار أنه لما يأتي من بيته في الصباح ويقعد في دكانه يتقدم نقيب السوق ويقرأ الفاتحة للتجار فيقومون معه ويأتون شاه بندر التجار ويقرؤون له الفاتحة ويصبحون عليه ثم ينصرف كل واحد منهم إلى دكانه فلما قعد شاه بندر التجار في دكانه ذلك اليوم على عادته لم تأت إليه التجار حسب عادتهم فنادى النقيب وقال له لأي شيء لم تجتمع التجار على جري عادتهم فقال له أنا ما أعرف نقل الفتن أن التجار أتفقوا على عزلك من المشيخة ولا يقرءون لك فاتحة فقال له ما سبب ذلك فقال له ما شأن هذا الولد الجالس بجانبك وأنت اختيار ورئيس التجار فهل هذا الولد مملوكك أو يقرب لزوجتك وأظن أنك تعشقه وتميل إلى الغلام فصرخ عليه وقال له أسكت قبح الله ذاتك وصفاتك هذا ولدي فقال له عمرنا ما رأينا لك ولداً فقال له لما جئتني بمعكر البيض حملت زوجتي وولدته ولكن من خوفي عليه من العين ربيته في طابق تحت الأرض وكان مرادي أنه لا يطلع من الطابق حتى يمسك لحيته بيده فما رضيت أمه وطلب مني أن أفتح له دكاناً وأحط عنده بضائع وأعلمه البيع والشراء فذهب النقيب إلى التجار وأخبرهم بحقيقة الأمر فقاموا كلهم بصحبته وتوجهوا إلى شاه بندر التجار ووقفوا بين يديه وقرعوا الفاتحة وهنأوه بذلك الغلام وقالوا له ربنا يبقي الأصل والفرع ولكن الفقير منا لما يأتيه ولداً أو بنت لابد أن يصنع لأخوانه دست عصيدة ويعزم معارفه وأقاربه وأنت لم تعمل ذلك فقال لهم لكم علي ذلك ويكون اجتماعنا في البستان وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٨٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن شاه بندر التجار وعد التجار بالسماط وقال لهم يكون اجتماعنا في البستان فلما أصبح الصباح أرسل الفراش للقاعة والقصر الذين في البستان وأمره بفرشهما وأرسل آلة الطبخ من حرفان وسمن وغير ذلك مما يحتاج إليه الحال وعمل سماطين سماطاً في القصر وسماطاً في القاعة وتحزم التاجر شمس الدين وتحزم ولده علاء الدين وقال له ياولدي إذا دخل الرجل الشائب فأنا أتلقاه وأجلسه على السماط الذي في القصر وأنت يا ولدي إذا دخل الولد الأمرد فخذه وأدخل به القاعة وأجلسه على السماط فقال له لأي شيء يا أبي تعمل سماطين وأحد للرجال وواحد للأولاد فقال يا ولدي أن الأمرد يستحي أن يأكل عند الرجال فاستحسن ذلك ولده فلما جاء التجار صار شمس الدين يقابل الرجال ويجلسهم في القصر وولده علاء الدين يقابل الأولاد ويجلسهم في القاعة ثم وضعوا الطعام فأكلوا وشربوا وتلذذوا وطربوا وشربوا الشربات وأطلقوا البخور ثم قعد الاختيارية في مذاكرة العلم والحديث وكان بينهم رجل تاجر يسمى محمود

البلحي وكان مسلماً في الظاهر ومجوسياً في الباطن وكان يبغي الفساد ويهوى الأولاد فنظر إلى علاء الدين نظرة أعقبته ألف حسرة وعلق له الشيطان جوهرة في وجهه فأخذه به الغرام والوجد والهيام وكان ذلك التاجر الذي أسمه محمود البلخي يأخذ القماش والبضائع من والد علاء الدين ثم أن محمود البلخي قام يتمشى وانعطف نحو الأولاد فقاموا لملتقاه وكان علاء الدين أنحصر فقام يزيل الضرورة فالتفت التاجر محمود إلى الأولاد وقال لهم أن طيبتم خاطر علاء الدين على السفر معي أعطيت كل واحد منكم بدلة تساوي جملة من المال ثم توجه من عندهم إلى مجلس الرجال فبينما الأولاد جالسون وإذا بعلاء الدين أقبل عليهم فقاموا لملتقاه وأجلسوه بينهم في صدر المقام فقام ولد منهم وقال لرفيقه يا سيدي حسن أخبرني برأس المال الذي عندك تبيع فيه وتشتري من أين جاءك فقال له أنا لما كبرت ونشأت وبلغت مبلغ الرجال قلت لأبي يا والدي إحضر لي متجراً فقال يا ولدي ما عندي شيء ولكن رح خذ مالاً من واحد تاجر وأتجر به وتعلم البيع والشراء والأخذ والعطاء فتوجهت إلى واحد من التجار واقترضت منه ألف دينار فاشتريت بها قماشاً وسافرت به إلى الشام فربحت المثل مثلين ثم أخذت متجراً من الشام وسافرت به إلى بغداد وبعته فربحت المثل مثلين ولم أزل أتجر حتى صار رأس مالي نحو عشرة آلاف دينار وصار كل واحد من الأولاد يقول لرفيقه مثل ذلك إلى أن دار الدور وجاء الكلام إلى علاء الدين أبي الشامات فقالوا له وأنت يا سيدي علاء الدين فقال لهم أنا تربيت في طابق تحت الأرض وطلعت منه في هذه الجمعة وأنا أروح الدكان وأرجع منه إلى البيت فقالوا له أنت متعود على قعود البيت ولا تعرف لذة السفر والسفر ما يكون إلا للرجال فقال لهم أنا مالي حاجة بالسفر وليس للراحة قيمة فقال واحد منهم لرفيقه هذا مثل السمك أن فارق الماء مات ثم قالوا له يا علاء الدين ما فخر أولاد التجار إلا بالسفر لأجل المكسب فحصل لعلاء الدين غيظ بسبب ذلك وطلع من عند الأولاد وهو باكي العين فقالت له أمه ما يبكيك يا ولدي فقال لها أن أولاد التجار جميعاً يعايرونني وقالوا لي ما فخر أولاد التجار إلا بالسفر لأجل أن يكسبوا الدراهم وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٩٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن علاء الدين قال لوالدته أن أولاد التجار عايروني وقالوا لي ما فخر أولاد التجار إلا بالسفر لأجل أن يكسبوا الدراهم والدنانير فقالت أمه يا ولدي هل مرادك السفر قال نعم فقالت له تسافر إلى أي البلاد فقال لها إلى مدينة بغداد فإن الإنسان يكتسب فيها المثل مثلين فقالت يا ولدي أن أباك عنده مال كثير وأن لم يجهز لك متجراً من ماله فأنا أجهز لك متجراً من عندي فقال لها خير البر عاجله فإن كان معروفاً فهذا وقته فأحضرت العبيد وأرسلتهم إلى الذين يحزمون القماش وفتحت حاصلاً وأخرجت له منه قماشاً وحزموا عشرة أحمال هذا ما كان من أمر أمه (وأما) ما كان من أمر أبيه فإنه التفت فلم يجد أبنه علاء الدين في البستان فسأل عنه فقالوا أنه ركب بغلته وراح إلى البيت فركب وتوجه خلفه فلما دخل منزله رأي أحمالاً محزومة فسأل عنها فأخبرته زوجته بما وقع من أولاد التجار لولده علاء الدين فقال له يا ولدي خيب الله الغربة فقد قال رسول الله ﷺ من سعادة المرء أن يرزق في بلده وقال الأقدمون دع السفر ولو كان ميلاً ثم قال لولده هل صممت على السفر ولا ترجع عنه فقال له ولده لابد لي من السفر إلى بغداد بمتجر وإلا قلعت ثيابي ولبست ثياب الدراويش وطلعت سائحاً في البلاد فقال له ما أنا محتاج ولا معدم بل عندي مال كثير

وأراه جميع ما عنده من المال والمتاجر والقماش وقال له أنا عندي لكل بلد ما يناسبها من القماش والمتاجر وأراه من جملة ذلك أربعين حملاً محزمين ومكتوباً على كل جمل ثمنه ألف دينار ثم قال يا ولدي خذ الأربعين حملاً والعشرة أحمال التي من عند أمك وسافر مع سلامة الله تعالى ولكن يا ولدي أخاف عليك من غابة في طريقك تسمى غابة الأسد وواد هناك يقال له وادي الكلاب فإنهما تروح فيهما الأرواح بغير سماح فقال له لماذا يا والدي فقال من بدوى قاطع الطريق يقال له عجلان فقال له الرزق رزق الله وأن كان لي فيه نصيب لم يصيبني ضرر ثم ركب علاء الدين مع والده وسار إلى سوق الدواب وإذا بعكام نزل من فوق بغلته وقبل يد شاه بندر التجار وقال له والله زمان يا سيدي ما استقضيتنا في تجارات فقال له لكل زمان دولة ورجال ورحم الله من قال:

وشيخ في جهات الأرض يمشي	ولحيته تقابل ركبتيه
فقلت له لماذا أنت محن	فقال وقد لوى نحوي يديه
شبابي في الثرى قد ضاع مني	وها أنا منحن بحثاً عليه

فلما فرغ من شعره قال يا مقدم ما مراده السفر إلا ولدي هذا فقال له العكام الله يحفظه عليك ثم أن شاه بندر التجار عاهد بين ولده وبين العكام وجعله ولده وأوصاه عليه وقال له خذ هذه المائة دينار لغلمانك ثم أن شاه بندر التجار اشترى ستين بغلاً وستر السيدي عبد القادر الجيلاني وقال له يا ولدي أنا غائب وهذا أبوك عوضاً عني وجميع ما يقوله لك طاوعه فيه ثم توجه بالبغال والغلمان وعملوا في تلك الليلة ختمة ومولد الشيخ عبد القادر الجيلاني ولما أصبح الصباح أعطي شاه بندر التجار لولده عشرة آلاف دينار وقال له إذا دخلت بغداد ولقيت القماش رائجاً معه فبعه وأن لقيت حاله واقفاً فأصرف من هذه الدنانير ثم حملوا البغال وودعوا بعضهم. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٩١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن علاء الدين والعكام لما أمروا العبيد أن يحملوا البغال ودعوا شاه بندر التجحار والد علاء الدين وساروا متوجهين حتى خرجوا من المدينة وكان محمود البلخي تجهز للسفر إلى جهة بغداد وأخرج حمولة ونصب صواوينه خارج المدينة وقال في نفسه ما تحظى بهذا الولد إلا في الخلاء لأنه لا واشي ولا رقيب يعكر عليك وكان لأب الولد ألف دينار عند محمود البلخي بقية معاملة فذهب إليه وودعه وقال له أعط الألف دينار لولدي علاء الدين وأوصاه عليه وقال أنه مثل ولدك فاجتمع علاء الدين بمحمود البلخي فقام محمود البلخي ووصى طباخ علاء الدين أنه لا يطبخ شيئاً وصار محمود يقدم لعلاء الدين المأكل والمشرب هو وجماعته ثم توجهوا للسفر وكان للتاجر محمود البلخي أربعة بيوت واحد في مصر وواحد في الشام وواحد في حلب وواحد في بغداد ولم يزالوا مسافرين في البراري والقفار حتى أشرفوا على الشام فأرسل محمود عبده إلى علاء الدين فرآه قاعداً يقرأ فتقدم وقبل يديه فقال ما تطلب فقال له سيدي يسلم عليك ويطلعك لعزومتك في منزله فقال له لما أشاور أبي المقدم كمال الدين العكام فشاوره على الرواح فقال له لا ترح ثم سافروا من الشام إلى أن دخلوا حلب فعمل محمود البلخي عزومة وأرسل يطلب علاء الدين فشاور المقدم فمنعه وسافروا من حلب إلى أن يقي بينهم وبين بغداد مرحلة فعمل محمود البلخي عزومة

وأرسل يطلب علاء الدين فشاور المقدم فمنعه فقال علاء الدين لابد لي من الرواح ثم قام وتقلد بسيف تحـ ـت ثيابه وسار إلى أن دخل على محمود البلخي فقام لملتقاه وسلم عليه وأحضر له سفرة عظيمة فأكلوا وشـ ـربوا وغلوا أيديهم ومال محمود البلخي على علاء الدين ليأخذ منه قبلة فلاقاها في كفه وقال له ما مرادك أن تعمل فقال أني أحضرتك ومرادي أعمل معك حظاً في هذا المجال ونفسر قول من قال:

أيمكـ . ـن أن تجـ . ـيء لنـ . ـا لحظـ . ـه … كحلـ . ـب شـ . ـويهة أوشـ . ـى بيصـ . ـه

وتأكـ . ـل مـ . ـا تيسـ . ـر مـ . ـن خبيـ . ـز … وتقـ ـيض مـ ـا تحمـ ـل مـ ـن فضيضـ ـه

وتحمـ ـل مـ ـا تشـ ـاء بغيـ ـر عسـ ـر … شـ . . ـبيرا أو فتيـ . . ـراً أو قبيضـ . . ـه

ثم أن محمود البلخي هم بعلاء الدين وأراد أن يفترسه فقام علاء الدين وجرد سيفه وقال له واشيبتاه أما تخشى الله وهو شديد المحال ولم تسمع قول من قال:

احفـ ـظ مشـ ـيبك مـ ـن عيـ ـب يدنسـ ـه … أن البيـ ـاض سـ ـريع الحمـ ـل للـ ـدنس

فلما فرغ علاء الدين من شعره قال لمحمود أن هذه البضاعة أمانة الله لا تباع ولو بعتها لغيرك بالذهب لبعتها لك بالفضة ولكن والله يا خبيث ما بقيت أرافقك أبداً ثم رجع علاء الدين إلى المقدم كمال الدين وقال له أن هذا رجل فاسق فأنا ما بقيت أرافقه أبداً ولا أمشني معه في طريق فقال له يا ولدي أما قلت لك لا تـ ـروح عنده ولكن يا ولدي أن افترقنا منه نخشى على أنفسنا التلف فحلنا قفلا واحداً فقال له لا يمكن أن أرافقه فـ ـي الطريق أبداً ثم حمل علاء الدين حموله وسار هو ومن معه إلى أن نزلوا في واد وأرادوا أن يحطوا فيه فقال العكام لا تحطوا هنا واستمروا رائحين وأسرعوا في المسير لعلنا نحصل بغداد قبل أن تقفل أبوابها فـ إنهم لا يفتحونها ولا يقفلونها إلا بعد الشمس خوفاً على المدينة أن يملكها الروافض ويرموا كتب العلم في الدجلة فقال له يا والدي أنا ما توجهت بهذا المتجر إلى هذه البلد لأجل أن أتسبب بل لأجل الفرجة على بلاد الناس فقال له يا ولدي نخشى عليك وعلى مالك من العرب فقال له علاء الدين هل أنت خادم أو مخدوم أنا ما أدخل بغـ ـداد إلا وقت الصباح لأجل أن تنظر أولاد بغداد إلى متجري ويعرفوني فقال له العكام أفعل ما تريد فأنا نصحتك وأنت تعرف خلاصك فأمرهم علاء الدين بتنزيل الأحمال عن البغال فأنزلوا الأحمـ ـال ونصـ ـبوا الصـ ـيوان واستمروا مقيمين إلى نصف الليل ثم طلع علاء الدين يزيل ضرورة فرأى شيئاً يلمع على بعد فقال للعكام يا مقدم ما هذا الشيء الذي يلمع فتأمل العكام وحقق النظر فرأى الذي يلمع أسنة رماح وحديد وسلاح وسـ ـيوفاً بدوية وإذا بهم عرب ورئيسهم يسمى شيخ العرب عجلان أبو ناب ولما قرب العرب مـ ـنهم ورأوا حمـ ـولهم قالوا لبعضهم يا ليلة الغنيمة فلما سمعوهم يقولون ذلك قال المقدم كمال الدين العكام حاس يـ ـا أقـ ـل العـ ـرب فلطشه أبو ناب بحربته في صدره فخرجت تلمع من ظهره فوقع على باب الخيمة قتيلاً فقال السقا حـ ـاس يـ ـا أخس العرب فضربوه بسيف على عاتقه فخرج يلمع من علائقه ووقع قتيلاً كل هذا جرى وعلاء الدين واقف ينظر ثم أن العرب جالوا وصالوا على القافلة فقتلوهم ولم يبق أحد من طائفة علاء الدين ثم حملوا الأحمـ ـال على ظهور البغال وراحوا فقال علاء الدين لنفسه ما يقتلك إلا بغلتك وبدلتك هذه فقام وقطع البدلـ ـة ورماهـ ـا على ظهر البغلة وصار القميص واللباس فقط والتفت قدامه إلى باب الخيمة فوجد بركة دم سائلة من القتلـ ـى

فصار يتمرغ فيها بالقميص واللباس حتى صار كالقتيل الغريق في دمه هذا ما كان من أمره (وأما) ما كان من أمر شيخ العرب عجلان فإنه قال لجماعته يا عرب هذه القافلة داخلة من مصر أو خارجة من بغداد. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٩٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن البدوي لما قال لجماعته يا عرب هذه القافلة داخلة من مصر أو خارجة من بغداد فقالوا له داخلة من مصر إلى بغداد فقال لهم ردوا على القتلى لأني أظن أن صاحب هذه القافلة لم يمت فرد العرب على القتلى وصاروا يردون القتلى بالطعن والضرب إلى أن وصلوا إلى علاء الدين وكان قد القى نفسه بين القتلى فلما وصلوا إليه قالوا أنت جعلت نفسك ميتاً فنحن نكمل قتلك وسحب البدوي الحربة وأراد أن يغرزها في صدر علاء الدين فقال علاء الدين يا بركتك يا سيدتي نفيسة هذا وقتك وإذا بعقرب لدغ البدوي في كفه فصرخ وقال يا عرب تعالوا إلي فأني لدغت ونزل من فوق ظهر فرسه فأتاه رفقاؤه وأركبوه ثانياً على فرسه وقالوا له أي شيء أصابك فقال لهم لدغني عقرب ثم أخذوا القافلة وساروا هذا ما كان من أمرهم (وأما) ما كان من أمر محمود البلخي فإنه أمر بتحميل الأحمال وسافر إلى أن وصل إلى غابة الأسد فوجد غلمان علاء الدين كلهم قتلى وعلاء الدين نائماً وهو عريان بالقميص واللباس فقط فقال له من فعل بك هذه الفعال وخلاك في أسوأ حال فقال له العرب فقال له يا ولدي فداك البغال والأموال وتسل بقول من قال:

إذا سلمت هام الرجال من الردى — فما المال إلا مثل قص الأظافر

ولكن يا ولدي أنزل ولا تخش بأساً فنزل علاء الدين من شباك الصهريج وأركبه بغلة وسافروا إلى أن دخلوا مدينة بغداد في دار محمود البلخي فأمر بدخول علاء الدين الحمام وقال له المال والأحمال فداؤك يا ولدي وأن طاوعتني أعطيك قدر مالك وأحمالك مرتين وبعد طلوعه من الحمام أدخله قاعة مزركشة بالذهب لها أربعة لواوين ثم أمر بإحضار سفرة فيها جميع الأطعمة فأكلوا وشربوا ومال محمود البلخي على علاء الدين ليأخذ من خده قبلة فلقيها علاء الدين بكفه وقال له هل أنت إلى الآن تابع لضلالك أما قلت لك أنا لو كنت بعت هذه البضاعة لغيرك بالذهب ما كنت أبيعها لك بالفضة فقال أنا ما أعطيتك المتجر والبغلة والبدلة إلا لأجل هذه القضية فأنني من غرامي بك في خيال ولله در من قال:

حدثنا عن بعض أشياخه — أبو بلال شيخنا عن شريك
لا يشتفي العاشق مما به — بالضم والتقبيل حتى ينيك

فقال له علاء الدين أن هذا لشيء لا يمكن أبداً فخذ بدلتك وبغلتك وافتح الباب حتى أروح ففتح له الباب فطلع علاء الدين والكلاب تنبح وراءه وسار فبينما هو سائر إذ رأى باب مسجد فدخل في دهليز المسجد واستكن فيه وإذا بنور مقبل عليه فتأمله فرأى فانوسين في يد عبدين قدام اثنين من التجار واحد منهما اختيار حسن الوجه والثاني شاب فسمع الشاب يقول للاختيار بالله يا عمي أن ترد لي بنت عمي فقال له أما نهيتك مراراً عديدة وأنت جاعل الطلاق مصحفك ثم أن الاختيار التفت على يمينه فرأى ذلك الولد كأنه فلقة قمر

فقال له السلام عليك فرد عليه السلام فقال له يا غلام من أنت فقال له أنا علاء الدين ابن شمس الدين شاه بندر التجار بمصر وتمنيت على والدي المتجر فجهز لي خمسين حملاً من البضاعة وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٩٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن علاء الدين قال فجهز لي خمسين حملاً من البضاعة وأعطاني عشرة آلاف دينار وسافرت حتى وصلت إلى غابة الأسد فطلع على العرب وأخذوا مالي وأحمالي فدخلت هذه المدينة وما أدري أين أبيت فرأيت هذا المحل فاستكننت فيه فقال له يا ولدي ما تقول في أني أعطيك ألف دينار وبدلة بألف دينار فقال له علاء الدين على أي وجه تعطيني ذلك يا عمي فقال له أن هذا الغلام الذي معي ابن أخي ولم يكن لأبيه غيره وأنا عندي بنت لم يكن لي غيرها تسمي زبيدة العودية وهي ذات حسن وجمال فزوجتها له وهو يحبها وهي تكرهه فحنث في يمينه بالطلاق الثلاث فما صدقت زوجته بذلك حتى افترقت منه فساق على جميع الناس أني أردها له فقلت له هذا لا يصح إلا بالمحلل واتفقت معه على أن نجعل المحلل له واحد غريباً لا يعايره أحد بهذا الأمر وحيث كنت أنت غريباً فتعال معنا لكتب كتابك عليها وتبيت عندها هذه الليلة وتصبح تطلقها ونعطيك ما ذكرته لك فقال علاء الدين في نفسه مبيتي ليلة مع عروس في بيت على فراش أحسن من مبيتي في الأزقة والدهاليز فسار معهما إلى القاضي فلما نظر القاضي إلى علاء الدين وقعت محبته في قلبه وقال لأبي البنت أي شيء مرادكم فقال مرادنا أن نعمل هذا محللاً لبنتنا ولكن نكتب عليه حجة بمقدم الصداق عشرة آلاف دينار فإذا بات عندها وأصبح طلقها أعطيناه بدلة بألف دينار فعقدوا والعقد على هذا الشرط وأخذ أبو البنت حجة بذلك ثم أخذ علاء الدين معه وألبسه البدلة وساروا به إلى أن وصلوا دار بنته فأوقفه على باب الدار ودخل على بنته وقال لها خذي حجة صداقك فأني كتبت كتابك على شاب مليح يسمى علاء الدين أبا الشامات فتوصي به غاية الوصية ثم أعطاها الحجة وتوجه إلى بنته وأما ابن عم البنت فإنه كان له قهرمانة تتردد على زبيدة العودية بنت عمه وكان يحسن إليها فقال لها يا أمي أن زبيدة بنت عمي متى رأت هذا الشاب المليح لم تقبلني بعد ذلك فأنا أطلب منك أن تعملي حيلة وتمنعي الصبية عنه فقالت له وحياة شبابك ما أخليه يقربها ثم أنها جاءت لعلاء الدين وقالت له يا ولدي أنصحك لله تعالى فأقبل نصيحتي ولا تقرب تلك الصبية ودعها تنام وحدها ولا تلمسها ولا تدن منها فقال لأي شيء فقالت له إن جسدها ملآناً بالجذام وأخاف عليك منها أن تعدي شبابك المليح فقال لها ليس لي بها حاجة ثم انتقلت إلى الصبية وقالت لهما مثل ما قالت لعلاء الدين فقالت لها لا حاجة لي به بل أدعه ينام وحده ولما يصبح الصباح يروح لحال سبيله ثم دعت جارية وقالت لها خذي سفرة الطعام وأعطيها له يتعشى فحملت له الجارية سفرة الطعام ووضعتها بين يديه فأكل حتى اكتفى ثم قعد وقرأ سورة يس بصوت حسن فصغت له الصبية فوجدت صوته يشبه مزامير آل داود فقالت في نفسها الله ينكد على هذه العجوز التي قالت لي عليه إنه مبتلى بالجذام فمن كانت به هذه الحالة لا يكون صوته هكذا وإنما هذا الكلام كذب عليه ثم إنها وضعت في يديها عوداً من صنعة الهنود وأصلحت أو تاره وغنت عليه بصوت يوقف الطير في كبد السماء وأنشدت هذين البيتين:

تعشقت ظبياً نـ ـاعس الطـ ـرف أحـ ـوراً	تغـ ـار غصـ ـون البـ ـان منـ ـه إذا مشـ ـى
بمـ ـا تغنـ ـى والغيـ ـر يحظـ ـى بوصـ ـله	وذلـ ـك فضـ ـل الله يؤتيـ ـه مـ ـن يشـ ـا

فلما سمعها أنشدت هذا الكلام بعد أن ختم السورة غنى هو وأنشد هذا البيت:

سلامي على ما في الثيـ ـاب مـ ـن القـ ـد	وما فـ ـي خـ ـدود البسـ ـاتين مـ ـن الـ ـورد

فقامت الصبية وقد زادت محبتها له ورفعت الستارة فلما رآها علاء الدين أنشد هذين البيتين:

بـ ـدت قمـ ـر ومالـ ـت غصـ ـن بـ ـان	وفاحـ ـت عنبـ ـراً ورنـ ـت غـ ـزالاً
كـ ـأن الحـ ـزن مشـ ـغوف بقلبـ ـي	فسـ ـاعة هجرهـ ـا يجـ ـد الوصـ ـالا

ثم أنها خطرت تهزأ رداً فأتميل بإعطاف صنعة خفى الألطاف ونظر كل واحد منهما نظرة أعقبته ألف خسرة فلما تمكن في قلبه منها سهم اللحظين وأنشد هذين البيتين:

بـ ـدت قمـ ـر السـ ـماء فـ ـأذكرتني	ليـ ـالي وصـ ـلها بـ ـالرقمتين
كلانـ ـا نـ ـاظر قمـ ـراً ولكـ ـن	رأيـ ـت بعينهـ ـا ورأت بعينـ ـي

فلما قربت منه ولم يبق بينه وبينها غير خطوتين وأنشد هذين البيتين:

نشـ ـرت ثـ ـلاث ذوائـ ـب مـ ـن شـ ـعرها	فـ ـي ليلـ ـة فـ ـأرت ليـ ـالي أربعـ ـاً
واسـ ـتقبلت قمـ ـر السـ ـماء بوجههـ ـا	فـ ـأرتني القمـ ـرين فـ ـي وقـ ـت معـ ـا

فلما أقبلت عليه قال لها ابعدي عني لئلا تعديني فكشفت عن معصمها فانفرق المعصم فرقتين وبياضـ ـه كبياض اللجين ثم قالت له أبعد عني فإنك مبتلى بالجذام لئلا تعديني فقال لها من أخبرك أني مجذوم فقالت له العجوز أخبرتني بذلك فقال لها وأنا الآخر أخبرتني بالعجوز أنك مصابة بالبرص ثم كشف لها عـ ـن ذراعـ ـه فوجدت بدنه كالفضة النقية فضمته إلى حضنها وضمها إلى صدره واعتنق الأثنان ببعضهما ثم أخذته وراحت على ظهره وفكت لباسها فتحرك عليه الذي خلفه له الوالد فقالت مددك يا شيخ زكريا يا أبا العروق وحط يديه في خارتيها ووضع عرق الحلاوة في الخرق فوصل إلى باب الشعرية وكان مورده من باب الفتوح وبعد ذلك دخل سوق الأثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس وفجد البساط على قدر الليوان ودور الحق على غطاه حتـ ـى التقاه فلما أصبح الصباح قال لها يافرحة ما تمت أخذها الغراب وطار فقالت له ما معنى هذا الكلام فقال لهـ ـا سيدتي ما بقى لي قعود معك غير هذه الساعة فقالت له من يقول ذلك فقال لها أن أباك كتب على حجة بعشرة آلاف دينار مهرك وأن لم أوردها في هذا اليوم حبسوني عليها في بيت القاضي والآن يدي قصيرة عن نصف فضة واحد من العشرة آلاف دينار فقالت له يا سيدي هل العصمة بيدك أو بأيديهم فقال لها العصـ ـمة بيـ ـدي ولكن ما معي شيء فقالت له أن الأمر سهل ولا نخش شيئاً ولكن خذ هذه المائة دينار ولو كان معي غيرهـ ـا لأعطيتك ما تريد فإن أبي من محبته لابن أخيه حول جميع ما له من عندي إلى بيته حتى صيغتي أخذها كلها وإذا أرسل إليك رسولاً من طرف الشرع في غد وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٩٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الصبية قالت لعلاء الدين وإذا أرسلوا إليك رسولاً من طرف الشـ ـرع في غد وقال لك القاضي وأبي طلق فقل لهما في أي مذهب يجوز أنني أتزوج في العشاء وأطلق في الصباح ثم أنك تقبل يد القاضي وتعطيه أحساناً وكذا كل شاهد تقبل يده وتعطيه عشرة دنانير فكلهم يتكلمون معك فإذا قالوا لك لأي شيء ما تطلق وتأخذ ألف دينار والبغلة والبدلة على حكم الشرط الذي شرطناه عليك فقل لهم أنا عندي فيها كل شعرة بألف دينار ولا أطلقها أبداً ولا آخذ بدلة ولا غيرها فإذا قال لك القاضي أدفع المهر فقل لهم أنا معسر الآن وحينئذ يسترفق بك القاضي والشهود ويمهلونك مدة فبينما هما في الكـ ـلام وإذا برسـ ـول القاضي يدق الباب فخرج إليه فقال له الرسول كلم الأفندي فإن نسيبك طالبك فأعطاه خمسة دنانير وقال له يا محضر في أي شرع أني أتزوج في العشاء وأطلق في الصباح فقال له لا يجوز عندنا أبداً وأن كنت تجهـ ـل الشرع فأنا أعمل وكيلك وساروا إلى المحكمة فقالوا له لأي شيء لم تطلق المرأة وتأخذ ما وقع عليه الشـ ـرط فتقدم إلى القاضي وقبل يده ووضع فيها خمسين ديناراً وقال له يا مولانا القاضي في أي مذهب أني أتـ ـزوج في العشاء وأطلق في الصباح قهراً عني فقال القاضي لا يجوز الطلاق بالإجبار في أي مذهب من مـ ـذاهب المسلمين فقال أبو الصبية إن لم تطلق فادفع الصداق عشرة آلاف دينار فقال علاء الدين أمهلني ثلاثـ ـة أيـ ـام فقال القاضي لا تكف ثلاثة أيام في المهلة يمهلك عشرة أيام واتفقوا على ذلك وشرطوا عليه بعد العشرة أيـ ـام إما المهر وإما الطلاق وطلع من عندهم على هذا الشرط فأخذ اللحم والأرز والسمن وما يحتاج إليه الأمر من المأكل وتوجه إلى البيت فدخل على الصبية وحكى جميع ما جرى له فقالت له بين الليـ ـل والنهـ ـار يسـ ـاوي عجائب ولله در من قال:

كـ . ـن حليمـ . ـاً إذا بليـ . ـت بغـ . ـيظ	وصـ . . ـبوراً إذا أتتـ . . ـك مصـ . . ـيبة
فالليـ . ـالي مـ . ـن الزمـ . ـان حبـ . ـالى	مـ . . ـثقلات يلـ . . ـدن كـ . . ـل عجيبـ . . ـة

ثم قامت وهيأت الطعام وأحضرت السفرة فأكلا وشربا وتلذذا وطربا ثم طلب منها أن تعمل نوبة سماع فأخذت العود وعملت نوبة يطرب منها الحجر الجلمود ونادت الأوتار في الحضرة يا داود ودخلت في دارج النوبة فبينما هما في حظ ومزاح وبسط وانشراح وإذا بالباب يطرق فقالت له قم انظر من بالباب فنزل وفـ ـتح الباب فوجدا ربع دراويش بالباب واقفين فقال لهم أي شيء تطلبون فقالوا له يا سيدي نحن دراويش غربـ ـاء الديار وقوت أرواحنا السماع ورقائق الأشعار ومرادنا أن نرتاح عندك هذه الليلة إلى وقت الصباح ثم نتوجه إلى حال سبيلنا وأجرك على الله تعالى فإننا نعشق السماع وما فينا واحـ ـد إلا ويحفـ ـظ القصـ ـائد والأشـ ـعار والموشحات فقال لهم على مشورة ثم طلع وأعلمها فقالت له افتح لهم الباب وأطلعهم وأجلسهم ورحب بهم ثم أحضر لهم طعاماً فلم يأكلوا وقالوا له يا سيدي أن زادنا ذكر الله بقلوبنا وسماع المغاني بآذانـ ـا ولله در مـ ـن قال:

ومـ ـا القصـ ـد إلا أن يكـ ـون اجتماعنـ ـا	ومـ . ـا الأكـ . ـل إلا سـ . ـيمة للبهـ . ـائم

وقد كنا نسمع عندك سماعاً لطيفاً فلما طلعنا بطل السماع فيا هل ترى التي كانت تعمل النوبة جارية بيضاء أو سوداء أو بنت ناس فقال لهم هذه زوجتي وحكى لهم جميع ما جرى له وقال لهم أن نسيبي عمل على عشرة آلاف دينار مهرها وأمهلوني عشرة أيام فقال درويش منهم لا تحزن ولا تأخذ في خاطرك إلا الطيب فأنا شيخ التكية وتحت يدي أربعون درويشاً أحكم عليهم وسوف أجمع لك العشرة آلاف دينار منهم وتوفي المهر الذي عليك لنسيبك ولكن آمرها أن تعمل لنا نوبة لأجل أن ننحظ ويحصل لنا انتعاش فإن السماع لقوم كالغذاء ولقوم كالدواء ولقوم كالمروحة وكان هؤلاء الدراويش الأربعة الخليفة هارون الرشيد والوزير جعفر البرمكي وأبو نواس الحسن بن هانيء ومسرور سياف النقمة وسبب مرورهم على هذا البيت أن الخليفة حصل له ضيق صدر فقال للوزيران مرادنا أن ننزل ونشق في يالمدينة لأنه حاصل عندي ضيق صدر فلبسوا لبس الدراويش ونزلوا في المدينة فجازوا على تلك الدار فسمعوا النوبة فأحبوا أن يعرفوا حقيقة الأمر ثم أنهم باتوا في حظ ونظام ومناقلة كلام إلى أن أصبح الصباح فحط الخليفة مائة دينار تحت السجادة ثم أخذوا خاطره وتوجهوا إلى حال سبيلهم فلما رفعت الصبية السجادة رأت مائة دينار تحتها فقالت لزوجها خذ هذه المائة دينار التي وجدتها تحت السجادة لأن الدراويش حطوها قبل ما يروحوا وليس عندنا علم بذلك فأخذها علاء الدين وذهب إلى السوق واشتري منها اللحم والأرز والسمن وجميع ما يحتاج إليه وفي ثاني ليلة قاد الشمع. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٩٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن علاء الدين قاد الشمع في ثاني ليلة وقال لزوجته زبيدة أن الدراويش لم يأتوا بالعشرة آلاف دينار التي وعدوني بها ولكن هؤلاء فقراء فبينما هما في الكلام وإذا بالدراويش قد طرقوا الباب فقالت له أنزل أفتح لهم ففتح لهم وطلعوا فقال لهم هل أحضرتم العشرة آلاف دينار التي وعدتموني بها فقالوا له ما تيسر منها شيء ولكن لا تخش بأساً أن شاء الله في غد نطبخ لك طبخة كيمياء وأمر زوجتك أن تسمعنا نوبة عظيمة تنتعش بها قلوبنا فإننا نحب السماع فعملت لهم نوابة على العود ترقص الحجر الجلمود فباتوا في هناء وسرور ومسامرة وحبور إلى أن طلع الصباح وأضاء بنوره ولاح فحط الخليفة مائة دينار تحت السجادة ثم أخذوا خاطره وانصرفوا من عنده إلى حال سبيلهم ولم يزالوا يأتون إليه على هذا الحال مدة تسع ليال وكل ليلة يحط الخليفة تحت السجادة مائة دينار إلى أن أقبلت الليلة العاشرة فلم يأتوا وكان السبب في انقطاعهم أن الخليفة أرسل إلى رجل عظيم من التجار وقال له أحضر لي خمسين حملاً من الأقمشة التي تجيء من مصر وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٩٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أمير المؤمنين قال لذلك التاجر أحضر لي خمسين حملاً من القماش الذي يجيء من مصر يكون كل حمل ثمنه ألف دينار واكتب على كل حمل ثمنه وأحضر لي عبداً حبشياً فأحضر له التاجر جميع ما أمره به ثم أن الخليفة أعطى العبد طشتاً وأبريقاً من الذهب وهدية والخمسين حملاً وكتب كتاباً على لسان شمس الدين شاه بندر التجار بمصر والد علاء الدين وقال له خذ هذه الأحمال وما معها ورح بها الحارة الفلانية التي فيها بيت شاه بندر التجار وقل أين سيدي علاء الدين أبو الشامات فإن

الناس يدلونك على الحارة وعلى البيت فأخذ العبد الأحمال وما معها وتوجه كما أمره الحليفة هذا ما كان من أمره (وأما) ما كان من أمر ابن عم الصبية فإنه توجه إلى أبيها وقال له تعال نروح لعلاء الدين لنطلق بنـ ـت عمي فنزل وسار هو وأياه وتوجها إلى علاء الدين فلما وصلا إلى البيت وجدا خمسين بغلاً وعليها خمسـ ـون حملاً من القماش وعبداً راكب بغلة فقالا له لمن هذه الأحمال فقال لسيدي علاء الدين أبي الشامات فإن أبـ ـاه كان جهز له متجراً وسفره إلى مدينة بغداد فطلع عليه العرب فأخذوا ماله وأحماله فبلـ ـغ الخبـ ـر إلـ ـى أبيـ ـه فأرسلني إليه بالجمال عوضا وأرسل له معي بغلاً عليه خمسون ألف دينار وبقجة تساوي جملة مـ ـن المـ ـال وكرك سمور وطشتاً وأبريقاً من الذهب فقال له أبو البنت هذا نسيبي وأنا أدلك على بيته فبينما علاء الـ ـدين قاعد في البيت وهو في غم شديد وإذا بالباب يطرق فقال علاء الدين يا زبيدة الله أعلم أن أباك أرسـ ـل إلـ ـى رسولاً من طرف القاضي أو من طرف الوالي فقالت له أنزل وأنظر الخبر فنزل وفتح الباب فرأى نسيبه شاه بندر التجار أبا زبيدة ووجد عبداً حبشياً أسمر اللون حلو المنظر راكباً فوق بغلة فنزل العبد وقبل يديه فقال له أي شيء تريد فقال له أنا عبد سيدي علاء الدين أبي الشامات بن شمس الدين شاه بندر التجار يا أرض مصر وقد أرسلني إليه أبوه بهذه الأمانة ثم أعطاه الكتاب فأخذه علاء الدين وفتحه وقرأه فرأى مكتوباً فيه:

يـ . . ـا كتـ . . ـابي إذا رآك حبيبـ . . ـي　　　قبـ . . ـل الأرض والنعـ . . ـال لديـ . . ـه

وتمهـ . . ـل ولا تكـ . . ـن بعجـ . . ـول　　　أن روحـ . ـي وراحتـ . ـي فـ . ـي يديـ . ـه

بعد السلام والتحية والأكرام من شمس الدين إلى ولده علاء الدين أبي الشامات أعلم يا ولدي أنه بلغني خبر قتل رجالك ونهب أموالك وأحمالك فأرسلت غليك غيرها هذه الخمسين حملاً مـ ـن القمـ ـاش المصـ ـري والبدلة والكرك السمور والطشت والأبريق الذهب ولا تخش بأساً والمال فداؤك يا ولدي ولا يحصل لك حزن أبداً وأن أمك وأهل البيت طيبون بخير وهم يسلمون عليك كثير السلام وبلغني يا ولدي خبر وهو أنهم عملوك محللاً للبنت زبيدة العودية وعملوا عليك مهرها خمسين ألف دينار فهي واصلة إليك صـ ـحبة الأحمـ ـال مـ ـع عبدك سليم فلما فرغ من قراءة الكتاب تسلم الأحمال ثم التفت إلى نسيبه وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكـ ـلام المباح.

(وفي ليلة ٢٩٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن علاء الدين لما التفت إلى نسيبه قال له يا نسيبي خذ الخمسـ ـين ألـ ـف دينار مهر بنتك زبيدة وخذ الأحمال تصرف فيها ولك المكسب ورد لي رأس المال فقال لـ ـه لا والله لا آخـ ـذ شيئاً وأما مهر زوجتك فأتفق أنت وأياها من جهته فقام علاء الدين هو ونسيبه ودخـ ـلا البيـ ـت بعـ ـد إدخـ ـال الجمول فقالت زبيدة لأبيها يا أبي لمن هذه الأحمال فقال لها هذه الأحمال لعلاء الدين زوجك أرسلها إليه أبوه عوضاً عن الأحمال التي أخذها العرب منه وارسل إليه الخمسين ألف دينار وبقجة وكـ ـرك سـ ـمور وبغلـ ـة وطشتاً وأبريقاً ذهباً وأما من جهة مهرك فالرأي لك فيه فقام علاء الدين وفتح الصندوق وأعطاها أياه فقـ ـال الولد ابن عم البنت يا عم خل علاء الدين بطلق لي أمرأتي قال له هذا شيء ما بقي يصح أبداً والعصمة بيده فراح الولد مهموماً مقهوراً ورقد في بيته ضعيفاً فكانت القاضية فمات وأما علاء الدين فإنه طلع إلى السـ ـوق بعد أن أخذ الأحمال وأخذ ما يحتاج إليه من المأكل والمشرب والسمن وعمل نظاماً مثل كل ليلة وقال لزبيدة

انظري هؤلاء الدراويش الكذابين قد وعدونا وأخلفوا وعدهم فقالت له أنت ابن شاه بندر التجار وكانت يـ دك قصيرة عن نصف فضة فكيف بالمساكين الدراويش فقال لها أغنانا الله تعالى عنهم ولكن ما بقيت أفـ تح لهـ م الباب إذا أتوا إلينا فقالت له لأي شيء والخير ما جاءنا إلا على قدومهم وكل ليلة يحطون لنا تحت السـ جادة مائة دينار فلابد أن تفتح لهم الباب إذا جاءوا فلما ولى النهار بضيائه وأقبل الليل قادوا الشمع وقال لهـ ا يـ ا زبيدة قومي اعملي لنا نوبة وإذا بالباب يطرق فقالت له قم انظر من بالباب فنزل وفتح الباب فرآهم الدراويش فقال مرحباً بالكذابين اطلعوا فطلعوا معه وأجلسهم وجاء لهم بسفرة الطعام فأكلوا وشربوا وتلـ ذذوا وطربـ وا وبعد ذلك قالوا له يا سيدي أن قلوبنا عليك مشغولة أي شيء جرى لك مع نسيبك فقال لهم عوض الله عليـ ـا بما فوق المراد فقالوا له والله أنا كنا خائفين عليك وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٩٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الدراويش قالوا لعلاء الدين والله أنا كنا خائفين عليـ ك ومـ ـا منعنـ ـا الأقصر أيدينا عن الدراهم فقال لهم قد أتاني الفرج القريب من ربي وقد أرسل إلى والدي خمسين ألف دينار وخمسين حملاً من القماش ثمن كل حمل ألف دينار وبدلة وكرك سمور وبغلة وعبداً وطشـ تاً وأبريقـ اً مـ ن الذهب ووقع الصلح بيني وبين نسيبي وطابت لي زوجتي والحمد لله على ذلك ثـ م أن الخليفـ ـة قـ ام يزيـ ل ضرورة فمال الوزير جعفر على علاء الدين وقال له الزم الأدب فإنك في حضرة أمير المؤمنين فقال له أي شيء وقع مني من قلة الأدب في حضرة أمير المؤمنين ومن هو أمير المؤمنين منكم فقال له أن الذي كـ ان يكلمك وقام يزيل الضرورة هو أمير المؤمنين الخليفة هارون الرشيد وأنا الوزير جعفر وهذا مسرور سـ ياف نقمته وهذا أبو نواس الحسن بن هانيء فتأمل بعقلك يا علاء الدين وانظر مسافة كم يوم في السفر من مصر إلى بغداد فقال له خمسة وأربعون يوماً فقال له أن حمولك نهبت من منذ عشرة أيام فقط فكيف يروح الخبـ ر لأبيك ويحزم لك الأحمال وتقطع مسافة خمسة وأربعين يوماً في العشرة أيام فقال له يا سيدي ومن أين أتاني هذا فقال له من عند الخليفة أمير المؤمنين بسبب فرط محبته لك فبينما هم في هذا الكلام وإذا بالخليفة قد أقبل فقام علاء الدين وقبل الأرض بين يديه وقال له الله يحفظك يا أمير المؤمنين ويديم بقاءك ولا عـ دم النـ ـاس فضلك وأحسانك فقال يا علاء الدين خل زبيدة تعمل لنا نوبة حلاوة السلامة فعملت نوبة عـ ل العـ ود مـ ن غرائب الموجود إلى أن طرب لها الحجر الجلمود وصاح العود في الحضرة يا داود فباتوا على أسر حال إلى الصباح فلما أصبحوا قال الخليفة لعلاء الدين في غدا طلع الديوان فقال له سمعاً وطاعة يا أمير المـ ؤمنين إن شاء الله تعالى وأنت بخير ثم أن علاء الدين أخذ عشرة أطباق ووضع فيها هدية سنية وطلع بها الديوان فـ ي ثاني يوم فبينما الخليفة قاعد على الكرسي في الديوان وإذا بعلاء الدين مقبل من باب الديوان وهو ينشد هذين البيتين:

تصـ . ـحبك السـ . ـعادة كـ . ـل يـ . ـوم	بـ . ـإجلال علـ . ـى رغـ . ـم الحسـ . ـود
ولا زالـ . ـت الأيـ . ـام لـ . ـك بيضـ . ـا	وأيـ . ـام الـ . ـذي عـ . ـاداك سـ . ـود

فقال له الخليفة مرحباً يا علاء الدين فقال علاء الدين يا أمير المؤمنين أن النبي ﷺ قبل الهديـ ـة وهـ ذه العشرة أطباق وما فيها هدية مني إليك فقبل منه ذلك أمير المؤمنين وأمر له بخلعة وجعله شاه بندر التجـ ار

وأقعده في الديوان فبينما هو جالس وإذا نسيبه أبي زبيدة مقبل فوجد علاء الدين جالساً في رتبته وعليه خلعة فقال لأمير المؤمنين يا ملك الزمان لأي شيء هذا جالس في رتبتي وعليه هذه الخلعة فقال له الخليفة أني جعلته شاه بندر التجار والمناصب تقليد لا تخليد وأنت معزول فقال له أنه منا وإلينا ونعم ما فعلت يا أمير المؤمنين الله يجعل خيارنا أولياء أمورنا وكم من صغير صار كبيراً ثم أن الخليفة كتب فرمانا لعلاء الدين أبو الشامات وهو مسموع الكلمة محفوظ الحرمة يجب له الإكرام والاحترام ورفع المقام فلما انفض الديوان نزل الوالي بالمنادي بين يدي علاء الدين وصار المنادي يقول ما شاه بندر التجار الأسيدي علاء الدين أبو الشامات فلما أصبح الصباح فتح دكاناً للعبد وأجلسه فيها يبيع ويشتري وأما علاء الدين فأنه كان يركب ويتوجه إلى مرتبته في ديوان الخليفة وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٩٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن علاء الدين كان يركب ويتوجه إلى ديوان الخليفة فأتفق أنه جلس في مرتبته يوماً على عادته فبينما هو جالس إلى ديوان الخليفة فاتفق أنه جلس في مرتبته يوماً على عادته فبينما هو جالس وإذا بقائل يقول للحليفة يا أمير المؤمنين تعيش راسك في فلان النديم فإنه توفى إلى رحمة الله تعالى وحياتك الباقية فقال الخليفة أين علاء الدين أبو الشامات فحضر بين يديه فلما رآه خلع عليه خلعة سنية وجعله نديمه وكتب له جامكية ألف دينار في كل شهر وأقام عنده يتنادم معه فاتفق أنه كان جالساً يوماً من الأيام في مرتبته على عادته في خدمة الخليفة وإذا بأمير طالع إلى الديوان بسيف وترس وقال يا أمير المؤمنين تعيش رأسك رئيس الستين فإنه مات في هذا اليوم فأمر الخليفة لعلاء الدين أبي الشامات وجعله رئيس الستين مكانه وكان رئيس الستين لا ولد له ولا زوجة فنزل علاء الدين ووضع يده على ماله وقال الخليفة لعلاء الدين واره في التراب وخذ جميع ما تركه من مال وعبيد وجوار وخدم ثم نفض الخليفة المنديل وانفض الديوان فنزل علاء الدين وفي ركابه المقدم أحمد الدنف مقدم ميمنة الخليفة هو واتباعه الأربعون وفي يساره المقدم حسن شومان مقدم ميسرة الخليفة هو واتباعه الأربعون فالتفت علاء الدين إلى المقدم حسن شومان هو واتباعه وقال لهم أنتم سياق على المقدم أحمد الدنف لعله يقبلني ولده في عهد الله فقبله وقال له أنا واتباعي الأربعون نمشي قدامك إلى الديوان في كل يوم ثم أن علاء الدين مكثف في خدمة الخليفة مدة أيام فاتفق أن علاء الدين نزل من الديوان يوماً من الأيام وسار إلى بيته وصرف أحمد الدنف هو ومن معه إلى حال سبيلهم ثم جلس مع زوجته زبيدة العودية وقد أوقدت الشموع وبعد ذلك قامت تزيل ضرورة فبينما هو جالس في مكانه إذ سمع صرخة عظيمة فقام مسرعاً لينظر الذي صرخ فرأى صاحب الصرخة زبيدة العودية وهي مطروحة فوضع يده على صدرها فوجدها ميتة وكان بيت أبيها قدام بيت علاء الدين فسمع صرختها فقال لعلاء الدين ما الخبر يا سيدي علاء الدين فقال له تعيش رأسك يا والدي في بنتك زبيدة العودية ولكن يا والدي أكرام الميت دفنه فلما أصبح الصباح واروها في التراب وصار علاء الدين يعزى أباها وأباها يعزيه هذا ما كان من أمر زبيدة العودية (وأما) ما كان من أمر علاء الدين فأنه لبس ثياب الحزن وانقطع عن الديوان وصار باكي العين حزين القلب فقال الخليفة لجعفر يا وزيري ما سبب انقطاع علاء الدين عن الديوان فقال له الوزير يا أمير المؤمنين أنه حزين القلب على امرأته زبيدة مشغول بعزائها فقال الخليفة للوزير

واجب علينا أن نعزيه فقال الوزير سمعاً وطاعة ثم نزل الخليفة هو والوزير وبعض الخدم وركبوا وتوجه وا إلى بيت علاء الدين فبينما هو جالس وإذا بالخليفة والوزير ومن معهما مقبلون عليه فق ام لملتق اهم وقب ل الأرض بين يدي الخليفة فقال له الخليفة عوضك الله خيراً فقال علاء الدين أطال الله لن ا بق اءك ي ا أمير ر المؤمنين فقال الخليفة يا علاء الدين ما سبب انقطاعك وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٠٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الخليفة قال لعلاء الدين ما سبب انقطاعك عن الديوان فقال له حزن ي على زوجتي زبيدة يا أمير المؤمنين فقال له الخليفة ادفع الهم عن نفسك فإنها ماتت إلى رحم ة الله تع الى والحزن لا يفيدك شيئاً أبداً فقال يا أمير المؤمنين أنا لا أترك الحزن عليها إلا إذا مت ودفنوني عندها فقال له الخليفة أ، في الله عوضاً من كل فائت ولا يخلص من الموت حيلة ولا مال ولله در من قال:

كل ابـ ن أنثـ ى وإن طالب ت سـ لامته	**يومـ ـاً علـ ـى آلـ ـة حـ ـدباء محمـ ـول**
وكيـ ـف يلهـ ـوا بعـ ـيش أو يلـ ـذ بـ ـه	**مـ ـن التـ ـراب علـ ـى خديـ ـه مجعـ ـول**

ولما فرغ الخليفة من تعزيته أوصاه أنه لا ينقطع عن الديوان وتوجه إلى محله ثم بات علاء الدين ولما أصبح الصباح ركب وسار إلى الديوان فدخل على الخليفة وقبل الأرض بين يديه فتحرك له الخليفة من على الكرسي ورحب به وحياه وأنزله في منزلته وقال له يا علاء الدين أنت ضيفي في هذه الليلة ثـ م دخـ ل بـ ـه سرايته ودعا بجارية تسمى قوت القلوب وقال لها أن علاء الدين كان عنده زوجة تسمى زبيدة العودية وكانت تسليه عن الهم والغم فماتت إلى رحمة الله تعالى ومرادي أن تسمعيه نوبة على العود وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٠١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الخليفة قال لجاريته قوت القلوب مرادي أن تسمعيه نوبة على العـ ود من غرائب الموجود لأجل أن يتسلى عن الهم والأحزان فقامت الجارية وعملت نوبة من الغرائب فقال الخليفة ما تقول يا علاء الدين في صوت هذه الجارية فقال له أن زبيدة أحسن صوتاً منها إلا أنها صاحبة صناعة في ضرب العود لأنها تطرب الحجر الجلمود فقال له هل هي أعجبتك فقال له أعجبتني يا أمير المـ ؤمنين فقـ ال الخليفة وحياة رأسي وتربة جدودي أنها هبة مني إليك هي وجواريها فظن علاء الدين أن الخليفة يمزح معـ ـه فلما أصبح الخليفة دخل على جاريته قوت القلوب وقال لها أنا وهبتك لعلاء الدين ففرحت بذلك لأنهـ ا رأتـ ـه واحبته ثم تحول الخليفة من قصر السراية إلى الديوان ودعا بالحمالين وقال لهم انقلوا أمتعة قـ وت القلـ وب وحطوها في التختروان هي وجواريها إلى بيت علاء الدين فنقلوها هي وجواريها وامتعتها إلى بيـ ت عـ لاء الدين وأدخلوها القصر وجلس الخليفة في مجلس الحكم إلى آخر النهار ثم انقض الديوان ودخل قصره هذا ما كان من أمره (وأما) ما كان من أمر قوت القلوب فإنها لما دخلت قصر علاء الدين هي وجواريهـ ا وكـ انوا أربعين جارية غير الطواشيه قالت لأثنين من الطواشية أحدكما يقعد على كرسي في ميمنة الباب والثاني يقعد على كرسي في ميسرته وحين يأتي علاء الدين قبلا يديه وقولا له أن سيدتنا قوت القلوب تطلبك إلى القصـ ر فإن الخليفة وهبها لك هي وجواريها فقالا لها سمعاً وطاعة ثم فعلا ما أمرتهما به فلما أقبل علاء الدين وجـ ـد

أثنين من طواشيه الخليفة جالسين بالباب فاستغرب الأمر وقال في نفسه لعل هذا ما هو بيتي وإلا فما الخبر فلما رأته الطواشية قاموا إليه وقبلوا يديه وقالوا نحن من اتباع الخليفة ومماليك قوت القلوب وهي تسلم عليك وتقول لك أن الخليفة قد وهبها لك هي وجواريها وتطلبك عندها فقال لهم قولوا لها مرحباً بك ولكن ما دمت عنده ما يدخل القصر الذي أنت فيه لأن ما كان للمولى لا يصلح أن يكون للخدام وقولوا لها ما مقدار مصروفك عند الخليفة في كل يوم فطلعوا إليها وقالوا لها ذلك فقالت كل يوم مائة دينار فقال لنفسه أنا ليس لي حاجة بأن يهب لي الخليفة قوت القلوب حتى أصرف عليها هذا المصروف ولكن لا حيلة في ذلك ثم إنها أقامت عنده مدة أيام وهو مرتب لها في كل يوم مائة دينار إلى أن انقطع علاء الدين عن الديوان يوماً من الأيام فقال الخليفة للوزير جعفر أنا ما وهبت قوت القلوب لعلاء الدين إلا لتسلية عن زوجته وما سبب انقطاعه عنا فقال يا أمير المؤمنين لقد صدق من قال من لقي أحبابه نسي أصحابه فقال الخليفة لعله ما قطعه عنا إلا عذر ولكن نحن نزوره وكان قبل ذلك بأيام قال علاء الدين للوزير أنا شكوت للخليفة ما أجده من الحزن على زوجتي زبيدة العودية فوهب لي قوت القلوب فقال له الوزير لولا أنه يحبك ما وهبها لك وهل دخلت بها يا علاء الدين فقال لا والله لا أعرف لها طولاً من عرض فقال له ما سبب ذلك فقال يا وزير الذي يصلح للمولى لا يصلح للخدام ثم أن الخليفة وجعفر اختفيا وسارا لزيارة علاء الدين ولم يزالا سائرين إلى أن دخلا على علاء الدين فعرفهما وقام وقبل يد الخليفة فلما رآه الخليفة وجد عليه علامة الحزن فقال له يا علاء الدين ما سبب هذا الحزن الذي أنت فيه أما دخلت على قوت القلوب فقال يا أمير المؤمنين الذي يصلح للمولى لا يصلح للخدام وأني إلى الآن ما دخلت عليها ولا أعرف لها طولاً من عرض فأقلني منها فقال الخليفة أن مرادي الاجتماع بها حتى أسألها عن حالها فقال علاء الدين سمعاً وطاعة يا أمير المؤمنين فدخل عليها الخليفة وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٠٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الخليفة دخل على قوت القلوب فلما رأته قامت وقبلت الأرض بين يديه فقال لها هل دخل بك علاء الدين فقالت لا يا أمير المؤمنين وقد أرسلت أطلبه للدخول فلم يرض فأمر الخليفة برجوعها إلى السراية وقال لعلاء الدين لا تنقطع عنا ثم توجه الخليفة إلى داره فبات علاء الدين تلك الليلة ولما أصبح ركب وسار إلى الديوان فجلس في رتبة رئيس الستين فأمر الخليفة الخازندار أن يعطي للوزير جعفر عشرة آلاف دينار فأعطاه ذلك المبلغ ثم قال الخليفة للوزير الزمتك أن تنزل إلى سوق الجواري وتشتري لعلاء الدين بالعشرة آلاف دينار جارية فامتثل الوزير أمر الخليفة وأخذ معه علاء الدين وسار به إلى سوق الجواري فاتفق في هذا اليوم أن وأني بغداد الذي من طرف الخليفة وكان اسمه الأمير خالد نزل إلى السوق لأجل اشتراء جارية لولده وسبب ذلك أنه كان له زوجة تسمى خاتون وكان رزق منها بولد قبيح المنظر يسمى حبظلم بظاظة وكان بلغ من العمر عشرين سنة ولا يعرف أن يركب الحصان وكان أبوه شجاعاً قرما مناعاً وكان يركب الخيل ويخوض بحار الليل فنام حبظلم بظاظة في ليله من الليالي فاحتلم فأخبر والدته بذلك ففرحت وأخبرت والده بذلك وقالت مرادي أن تزوجه فإنه صار يستحق الزواج فقال لها هذا قبيح المنظر كريه الرائحة دنس وحش لا تقبله واحدة من النساء فقالت تشتري له جارية فلأمر قدره الله

تعالى أن اليوم الذي نزل فيه الوزير وعلاء الدين إلى السوق نزل فيه الأمير خالد الوالي هو وولده حـ بظلم بظاظة فبينما هم في السوق وإذا بجارية ذات حسن وجمال وقد واعتدال في رد رجل دلال فقال الوزير شاور يا دلال عليها بألف دينار فمر بها على الوالي فرآها حبظلم بظاظة نظرة أعقبته النظرة ألف حسرة وتولع بها وتمكن منه حبها فقال يا أبت اشتري هذه الجارية فناد الدلال وسأل الجارية عن اسمها فقالت له إسمي ياسمين فقال له أبوه يا ولدي إن كانت أعجبتك فزد في ثمنها فقال يا دلال كم معك من الثمن قال ألف دينار قال علي بألف دينار ودينار فجاء لعلاء الدين فعملها بألفين فصار كلما يزيد الوليد ابن الوالي ديناراً في الـ ثمن يزيـ د علاء الدين ألف دينار فاغتاظ بن الوالي وقال يا دلال من يزيد علي في ثمن الجارية فقـ ـال لـ ـه الـ دلال أن الوزير جعفر يريد أن يشتريها لعلاء الدين أبي الشامات فعملها علاء الدين بعشرة آلاف دينار فسمح له سيدها وقبض ثمنها وأخذها علاء الدين وقال لها اعتقتك لوجه الله تعالى ثم أنه كتب كتابه عليها وتوجه بهـ ـا إلـ ـى البيت ورجع الدلال ومعه دلالته فناداه أبن الوالي وقال له أين الجارية فقال له اشتراها علاء الـ دين بعشـ ـرة آلاف دينار وأعتقها وكتب كتابه عليها فانكمد الولد وزادت به الحسرات ورجع ضعيفاً إلى البيت من محبتـ ـه لها وأرتمى في الفرش وقطع الزاد وزاد به العشق والغرام فلما رأته أمه ضعيفاً قالت له سلامتك يا ولدي ما سبب ضعفك قال لها اشتري لي ياسمين يا أمي قالت له لما يفوت صاحب الرياحين اشتري لك جنبة ياسـ ـمين فقال لها ليس الياسمين الذي يشم وإنما هي جارية اسمها ياسمين لم يشترها لي أبي فقالت لزوجها لأي شـ ـيء ما اشتريت له هذه الجارية فقال لها الذي يصلح للمولى لا يصلح للخدام وليس لي قدرة على أخذها فإنه مـ ـا اشتراها إلا علاء الدين رئيس الستين فزاد الضعف بالولد حتى جفا الرقاد وقطع الزاد وتعصبت أمه بعصائب الحزن فبينما هي جالسة في بيتها حزينة على ولدها وإذا بعجوز دخلت عليها اسمها أم أحمد قمـ ـاقم السـ ـراق وكان هذا السراق ينقب وسطانياً ويلقف فوقانياً ويسرق الكحل من العين وكان بهذه الصفات القبيحة فـ ـي أول أمره ثم عملوه مقدم الدرك فسرق عمله فوقع بها وهجم عليه الوالي فأخذه وعرضه على الخليفة فأمر بقتلـ ـه في نفعة الدم فاستجار بالوزير وكان للوزير عند الخليفة شفاعة لا ترد فشفع فيه فقال له الخليفة كيف تشـ ـفع في آفة تضر الناس فقال له يا أمير المؤمنين فإن الذي بنى السجن كان حكيماً لأن السجن قبر الأحياء وشماتة العداء فأمر الخليفة بوضعه في قيد وكتب على قيد مخلد إلى الممات لا يفك إلا على دكة المغسـ ـل فوضـ ـعوه مقيد في السجن وكانت أمه تتردد على بيت الأمير خالد الوالي وتدخل لأبنها في السجن وتقول له أما قلت لك تب عن الحرام فيقول لها قدر اله على ذلك ولكن يا أمي إذا دخلت على زوجة الوالي فخليها تشفع لي عنـ ـده فلما دخلت العجوز على زوجة الوالي وجدتها معصبة بعصائب الحزن فقالت لها مالك حزينة فقالت لها على فقد ولدي حبظلم بظاظة فقالت لها سلامة ولدك ما الذي أصابه فحكت لها الحكاية فقالت لها العجوز ما تقولين فيمن يلعب منصفاً يكون فيه سلامة ولدك فقالت لها وما الذي تفعليه فقالت أنا لي ولد يسـ ـمي أحمـ ـد قمـ ـاقم السراق وهو مقيد في السجن مكتوب على قيده مخلد إلى الممات وأنت تقومين وتلبسين أفخـ ـر مـ ـا عنـ ـدك وتتزينين بأحسن الزينة وتقابلين وجهك ببشر وبشاشة فإذا طلب منك ما يطلب الرجال من النساء فامتنعي منه ولا تمكنيه وقولي له يا لله العجب إذا كان للرجل حاجة عند زوجته يلح عليها حتى يقضيها منهـ ـا وإذا كـ ـان للزوجة عند زوجها حاجة فإنه لا يقضيها لها فيقول لك وما حاجتك فقولي له حتى تحلف لي فإذا حلـ ـف لـ ـك

بحياة رأسه أو بالله فقولي له أحلف لي بالطلاق مني ولا تمكنيه إلا أن حلف لك بالطلاق فـ إذا حلـ فـ لـ ك بالطلاق فقولي له عندك في السجن واحد مقدم إسمه أحمد قماقم وله أم مسكينة وقد وقعت على وساقتني عليك وقالت لي خليه يشفع له عند الخليفة لأجل أن يتوب ويحصل له الثواب فقالت لها سمعاً وطاعة فلمـ ا دخـ ل الوالي على زوجته وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٠٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوالي لما دخل على زوجته قالت له ذلك الكلام وحلف لها بـ الطلاق فمكنته وبات ولما أصبح الصباح اغتسل وصلي الصبح وجاء إلى السجن وقال يا أحمد قماقم يا سـ راق هـ ل تتوب مما أنت فيه فقال أني تبت إلى الله ورجعت وأقول بالقلب واللسان استغفر الله فأطلقه الوالي من السجن وأخذه معه إلى الديوان وهو في القيد ثم تقدم إلى الخليفة وقبل الأرض بين يديه فقال له يا أمير خالد أي شيء تطلب فتقدم أحمد قماقم يخطر في القيد قدام الخليفة فقال له يا قماقم هل أنت حي إلى الآن فقـ ال يـ ا أميـ ر المؤمنين أن عمر الشقي بقي فقال يا أمير خالد لأي شيء جئت به هنا فقال له أن له أم مسكينة منقطعة وليس لها أحد غيره وقد وقعت على عبدك أن يتشفع عندك يا أمير المؤمنين في أنك تفكه من القيد وهو يتوب عمـ ا كان فيه وتجعله مقدم الدرك كما كان أولاً فقال الخليفة لاحمد قماقم هل تبت عما كنت فيه فقال له تبت إلـ ى الله يا أمير المؤمنين فأمر بإحضار الحداد وفك قيده على دكة المغسل وجعله مقدم الدرك وأوصـ اه بالمشـ ي الطيب والاستقامة فقبل يد الخليفة ونزل بخلعة الدرك ونادوا له بالتقديم فمكث مدة من الزمان في منصبه ثـ م دخلت على زوجة الوالي فقالت لها الحمد لله الذي خلص ابنك من السجن وهو على قيد الصـ حة والسـ لامة فلأي شيء لم تقولي له يدبر أمراً في مجيئه بالجارية ياسمين إلى ولدي حبظلم بظاظة فقالت أقول له ثم قامت من عندها ودخلت على ولدها فوجدته سكراناً فقالت له يا ولدي ما سبب خلاصك من السجن إلا زوجة الوالي وتريد منك أن تدبر لها أمراً في قتل علاء الدين أبي الشامات وتجيء بالجارية ياسمين إلـ ى ولـ دها حـ بظلم بظاظة فقال لها هذا أسهل ما يكون ولابد أن أدبر له أمراً في هذه الليلة وكانت تلك الليلة أول ليلة في الشـ هر الجديد وعادة أمير المؤمنين أن يبيت فيها عند السيدة زبيدة لعتق جارية أو مملوك أو نحو ذلك وكان من عادة الخليفة أن يقلع بدلة الملك ويترك السبحة والنمشة وخاتم الملك ويضع الجميع فوق الكرسي في قاعة الجلوس وكان عند الخليفة مصباح من ذهب وفيه ثلاث جواهر منظومة في سلك من ذهب وكان ذلك المصباح عزيزاً عند الخليفة ثم أن الخليفة وكل الطواشية بالبدلة والمصباح وباقي الأمتعة ودخل مقصورة السيدة زبيدة فصبر أحمد قماقم السراق لما انتصف الليل وأضاء سهيل ونامت الخلائق وتجلى عليهم بالستر الخالق ثم سحب سيفه في يمينه وأخذ مقلفه في يساره وأقبل على قاعة الجلوس التي للخليفة ونصب سلم التسليم ورمى ملقفه علـ ى قاعة الجلوس فتعلق بها وطلع على السلم إلى السطوح ورفع طابق القاعة ونزل فيها فوجد الطواشية نـ ائمين فبنجهم وأخذ بدلة الخليفة والسبحة والنمشة والمنديل والخاتم والمصباح الذي بالجواهر ثم نزل من الموضـ ع الذي طلع منه وسار إلى بيت علاء الدين أبي الشامات وكان علاء الدين في هذه الليلة مشغولاً بفرح الجارية فدخل عليها وراحت منه حاملاً فنزل أحمد قماقم السراق على قاعة علاء الدين وقلع لوحاً رخامـ اً مـ ن دار قاعة القاعة وحفر نحته ووضع بعض المصالح وأبقى بعضها معه ثم جبس اللوح الرخام كما كان ونزل مـ ن

الموضع الذي طلع منه وقال في نفسه أنا أقعد أسكر وأحط المصباح قدامي وأشرب الكاس على نوره ثم سار إلى بيته فلما أصبح الصباح ذهب الخليفة إلى القاعة فوجد الطواشية مبنجين فأيقظهم وحط يده فلم يجد البدلـة ولا الخاتم ولا السبحة ولا النمشة ولا المنديل ولا المصباح فاغتاظ لذلك غيظاً شديداً ولبس بدلة الغضب وهي بدلة حمراء وجلس في الديوان فتقدم الوزير وقبل الأرض بين يديه وقال يكفي الله شر أمير المؤمنين فقال له يا وزير أن الشر فايض فقال له الوزير أي شيء حصل فحكى له جميع ما وقع وإذا بالوالي طالع وفي ركابه أحمد قماقم السراق فوجد الخليفة في غيظ عظيم فلما نظر الخليفة إلى الوالي قال له يا أمير خالد كيف حـال بغداد فقال له سالمة أمينة فقال له تكذب فقال له لأي شيء يا أمير المؤمنين فقص عليه القصـة وقـال لـه الزمتك أن تجيء لي بذلك كله فقال له يا أمير المؤمنين دود الخل منه فيه ولا يقدر غريب أن يصل إلى هذا المحل أبداً فقال إن لم تجيء لي بهذه الأشياء قتلتك فقال له قبل أن تقتلني اقتل أحمد قماقم السـراق فإنـه لا يعرف الحرامي والخائن إلا مقدم الدرك فقال أحمد قماقم وقال للخليفة شفعني في الوالي وأنا أضمن لك عهدة الذي سرق وأقص الأثر وراءه حتى أعرف ولكن أعطني اثنين من طرف القاضي وأثنين من طرف الـوالي فإن الذي فعل هذا الفعل لا يخشاك ولا يخشى من الوالي ولا من غيره فقال الخليفة لك ما طلبت ولكـن أول التفتيش يكون في سرايتي وبعدها سراية الوزير وفي سراية رئيس الستين فقال أحمد قماقم صدقت يـا أميـر المؤمنين ربما يكون الذي عمل هذه العملة واحد قد تربى في سراية أمير المؤمنين أو في أحد من خواصـه فقال الخليفة وحياة رأسي كل من ظهرت عليه هذه العملة لابد من قتله ولو كان ولدي ثم أن أحمد قماقم أخـذ ما أراده وأخذ فرماناً بالهجوم على البيوت وتفتيشها وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٠٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أحمد قماقم أخذ ما أراده وأخذ فرماناً بالهجوم على البيوت وتفتيشـها ونزل وبيده قضيب ثلثه من الشوم وثلثه من النحاس وثلثه من الحديد ومن الفولاذ وفـتش سـراية الخليفـة وسراية الوزير جعفر ودار على بيوت الحجاب والنواب إلى أن مر على بيت علاء الدين أبي الشامات فلمـا سمع الضجة علاء الدين قدام بيته قام من عند ياسيمين زوجته ونزل وفتح الباب فوجد الوالي في كركبة فقال له ما الخبر يا أمير خالد فحكى له جميع القضية فقال علاء الدين أدخلوا بيتي وفتشوه فقال الوالي العفـو يـا سيدي أنت أمين وحاشا أن يكون الأمين خائناً فقال له لابد من تفتيش بيتي فدخل الوالي والقضـاة والشـهود وتقدم أحمد قماقم إلى دار قاعة القاعة وجاء إلى الرخامة التي دفن تحتها الأمتعة وأرخي القضيب على اللوح الرخام بعزمه فانكسرت الرخامة وإذا بشيء ينور تحتها فقال المقدم بسم الله ما شاء الله على بركـة قـدومنا انفتح لنا كنز أريد أن أنزل إلى هذا المطلب وانظر ما فيه فنظر القاضي والشهود إلى ذلك المحـل فوجـدوا الأمتعة بتمامها فكتبوا ورقة مضمونها أنهم وجدوا الأمتعة في بيت علاء الدين ثم وضعوا في تلـك الورقـة ختومهم وأمروا بالقبض على علاء الدين وأخذوا عمامته من فوق رأسه وضبطوا جميع ما له ورزقـه فـي قائمة وقبض أحمد قماقم السراق على الجارية ياسمين وكانت حاملاً من علاء الدين وأعطاها لأمه وقال لهـا سلميها لخاتون امرأة الوالي فأخذت ياسمين ودخلت بها على زوجة الوالي فلما رآها حبظلم بظاظة جاءت له العافية وقام من وقته وساعته وفرح فرحاً شديداً وتقرب إليها فسحبت خنجراً من حياصتها وقالت له أبعد عني

وإلا أقتلك وأقتل نفسي فقالت له أمه خاتون يا عاهرة خلي ولدي يبلغ منك مراده فقالت لها يا كلبة في أي مذهب يجوز للمرأة أن تتزوج بأثنين وأي شيء أوصل الكلاب أن تدخل في مواطن السباع فزاد بالولد الغرام وأضعفه الوجد والهيام وقطع الزاد ولزم الوساد. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٠٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن حبظلم بظاظة قطع الزاد ولزم الوساد فقالت لها امرأة الوالي يا عاهرة كيف تحسريني على ولدي لابد من تعذيبك وأما علاء الدين فإنه لابد من شنقه فقالت لها أنا أموت على محبته فقامت زوجة الوالي ونزعت عنها ما كان عليها من الصيغة وثياب الحرير وألبسها لباساً من الخيش وقميصاً من الشعر وأنزلتها في المطبخ وعملتها من الجواري الخدمة وقالت لها جزاؤك أنك تكسرين الحطب وتقشرين البصل وتحطين النار تحت الحلل فقالت لها أرضي بكل عذاب وخدمة ولا أرضى برؤية ولدك فحنن الله عليها قلوب الجواري وصرن يتعاطين الخدمة عنها في المطبخ هذا ما كان من أمر ياسمين (وأما) ما كان من أمر علاء الدين أبي الشامات فإنهم أخذوه هو وأمتعة الخليفة وساروا به إلى أن وصلوا إلى الديوان فبينما الخليفة جالس على الكرسي وإذا بهم طالعون بعلاء الدين ومعه الأمتعة فقال الخليفة أين وجدتموها فقالوا له في وسط بيت علاء الدين أبي الشامات فامتزج الخليفة بالغضب وأخذ الأمتعة فلم يجد المصباح فقال يا علاء الدين أين المصباح فقال أنا ما سرقت ولا علمت ولا رأيت ولا معي خبر فقال له يا خائن كيف أقربك إلى وتبعدني عنك وأستأمنك وتخونني ثم أمر بشنقه فنزل به إلى الوالي والمنادي ينادي علهي هذا جزاء وأقل من جزاء من يخون الخلفاء الراشدين فاجتمع الخلائق عند المشنقة هذا ما كان من أمر علاء الدين (وأما) ما كان من أمر أحمد الدنف كبير علاء الدين فإنه كان قاعداً هو واتباعه على بستان فبينما هم جالسون في حظ وسرور وإذا برجل سقاء من السقايين الذين في الديوان دخل عليهم وقبل يد أحمد الدنف ما الخبر فقال السقاء أن ولدك في عهد الله علاء الدين نزلوا به إلى المشنقة فقال الدنف ما عندك من الحيلة يا حسن شومان فقال له علاء الدين بريء من هذا الأمر وهذا ملعوب عليه من واحد عدو فقال له ما الرأي عندك فقال خلاصه علينا إن شاء المولى ثم أن حسن شومان ذهب إلى السجن وقال للسجان أعطنا واحداً يكون مستوجباً للقتل فأعطاه واحداً وكان شبه البرايا بعلاء الدين أبي الشامات فغطى رأسه وأخذه أحمد الدنف بينه وبين علي الزيبق المصري وكانوا قدموا علاء الدين إلى الشنق فتقدم الدنف وحط رجله على رجل المشاعل فقال له المشاعلي أعطني الوسع حتى أعمل صنعتي فقال له يا لعين خذ هذا الرجل وأشنقه موضع علاء الدين أبي الشامات فإنه مظلوم وأنفذي إسماعيل بالكبس فأخذ المشاعلي ذلك الرجل وشنقه عوضاً عن علاء الدين ثم أن أحمد الدنف وعلي الزيبق المصري أخذ علاء الدين وسارا به إلى قاعة أحمد الدنف فلما دخلوا عليه قال له علاء الدين جزاك الله خيراً يا كبيري فقال له أحمد الدنف ما هذا الفعل الي فعلته وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٠٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أحمد الدنف قال لعلاء الدين ما هذا الفعل الذي فعلته ورحم الله من قال من أئتمنك فلا تخونه ولو كنت خائناً والخليفة مكنك عنده وسماك بالثقة الأمين كيف تفعل معه هكذا

وتأخذ أمتعته فقال علاء الدين والأسم الأعظم يا كبيري ما هي عملتي ولا لي فيها ذنب ولا أعرف من عملها فقال أحمد الدنف إن هذه العملة ما عملها إلا عدو مبين ومن فعل شيئاً يجازي به ولكن يا علاء الدين أنت ما بقي لك إقامة في بغداد فإن الملوك لا تعادي يا ولدي ومن كانت الملوك في طلبه يا طول تعبه فق ال ع لاء الدين أين أروح يا كبيري فقال له أنا أوصلك إلى الاسكندرية فإنها مباركة وعتبتها خضراء وعيشتها هنيئ ة فقال له سمعاً وطاعة يا كبيري فقال أحمد الدنف لحسن شومان خل بالك وإذا سأل عني الخليفة فقل ل ه أن ه راح يطوف على البلاد ثم أخذه وخرج من بغداد ولم يزالا سائرين حتى وصلا إلى الكروم والبساتين فوج دا يهودين من عمال الخليفة راكبين على بغلتين فقال أحمد الدنف لليهوديين هاتوا الغفر فقال اليهوديان نعطي ك الغفر على أي شيء فقال لهما أنا غفير هذا الوادي فأعطاه كل واحد منهما مائة دينار وبعد ذكل قتلهما أحم د الدنف وأخذ البغلتين فركب بغلة وركب علاء الدين بغلة وسار إلى مدينة أياس فأدخلا البغلتين في خان وباتا فيه ولما أصبح الصباح باع علاء الدين بغلته وأوصى البواب على بغلة أحمد الدنف ونزل في مرك ب م ن مينة أياس حتى وصلا إلى الاسكندرية فطلع أحمد الدنف ومعه علاء الدين ومشيا في السوق وإذا بدلال يدلل على دكان ومن داخل الدكان طبقة على تسعمائة وخمسين فقال علاء الدين علي بألف فسمح له البائع وكانت لبيت المال فتسلم علاء الدين المفاتيح وفتح الدكان وفتح الطبقة فوجدها مفروشة بالفرش والمساند ورأى فيها حاصلاً فيه قلاع وصواري وحبال وصناديق وأجربة ملآنة خرزاً وودع ا وركاب ات وأطي اراً ودب ابيس وسكاكين ومقصات وغير ذلك لأن صاحبه كان سقطياً فقعد علاء الدين أبو الشامات في الدكان وقال له أحمد الدنف يا ولدي الدكان والطبقة وما فيها صارت ملكك فاقعد فيها وبع واشتري ولا تنكري فإن الله تعالى بارك في التجارة وأقام عنده ثلاثة أيام واليوم الرابع أخذ خاطره وقال له استقر في هذا المكان حتى أروح وأع ود إليك بخبر من الخليفة بالأمان عليك وأنظر الذي عمل معك هذا الملعوب ثم توجه مسافراً حتى وص ل إل ى إياس فأخذ البغلة من الخان وسار إلى بغداد فاجتمع بحسن شومان وأتباعه وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٠٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أحمد الدنف أجتمع بحسن شومان وأتباعه وقال يا حسن هل الخليف ة سأل عني فقال لا ولا خطرت على باله فقام في خدمة الخليفة وصار يستنشق الأخبار فرأى الخليفة التفت إلى الوزير جعفر يوماً من الأيام وقال له أنظر يا وزير هذه العملة التي فعلها معي علاء الدين فقال له يا أمي ر المؤمنين أنت جازيته بالشنق وجزاؤه ما حل به فقال له يا وزير مرادي أن أنزل وأنظره وهو مشنوق فق ال الوزير أفعل ما شئت يا أمير المؤمنين فنزل الخليفة ومعه الوزير جعفر إلى جهة المشنقة ثم رفع طرفه فرأى المشنوق غير علاء الدين أبي الشامات الثقة الأمين فقال يا وزير هذا ما هو علاء الدين فقال له كيف عرفت أنه غيره فقال أن علاء الدين كان قصيراً وهذا طويل فقال له الوزير أن المشنوق يطول فقال ل ه أن ع لاء الدين كان قصيراً وهذا طويل فقال له الوزير أن المشنوق يطول فقال له أن علاء الدين كان أب يض وه ذا وجهه أسود فقال له أما تعلم يا أمير المؤمنين أن الموت له غبرات فأمر بتنزيله من فوق المشنقة فلما أنزلوه وجد مكتوباً على كعبيه الأثنين أسما الشيخين فقال له يا وزير إن علاء الدين كان سنياً وهذا رافضي فقال له

سبحان الله علام الغيوب ونحن لا نعلم هل هذا علاء الدين أو غيره فأمر الخليفة بدفنه فدفنوه وصار علاء الدين نسياً منسياً هذا ما كان من أمره (وأما) ما كان من أمر حبظلم بظاظة ابن الوالي فإنه قد طاب به العشق والغرام حتى مات وواروه في التراب (وأما) ما كان من أمر الجارية ياسمين فإنها وفت حملها ولحقها الطلق فوضعت ذكراً كأنه القمر فقال لها الجواري ما تسميه فقالت لو كان أبوه طيباً كان سماه ولكن أنا أسميه أصلان ثم أنها أرضعته اللبن عامين متتابعين وفطمته وحبي ومشي فأتفق أن أمه اشتغلت بخدمة المطبخ يوماً من الأيام فمشى الغلام ورأى سلم المقعد فطلع عليه وكان الأمير خالد الوالي جالساً فأخذه وأقعده في حجره وسبح مولاه فيما خلق وصور وتأمل وجهه فرآه شبه البرايا بعلاء الدين أبي الشامات ثم أن أمه ياسمين فتشت عليه فلم تجده فطلعت المقعد فرأت الأمير خالد جالساً والولد في حجره يلعب وقد ألقى الله محبة الولد في قلب الأمير خالد فالتفت الولد فرأى أمه فرمي نفسه عليها فزنقه الأمير خالد في حضنه وقال لها تعالي يا جارية فلما جاءت قال لها هذا الولد ابن من فقالت له هذا ولدي وثمرة فؤادي فقال لها ومن أبوه فقالت أبوه علاء الدين أبو الشامات والآن صار ولدك فقال لها إن علاء الدين كان خائناً فقالت سلامته من الخيانة حاشا وكلا أن يكون الأمين خائناً فقال لها إذا كبر هذا الولد ونشأ وقال لك من أبي فقولي له أنت ابن الأمير خالد الوالي صاحب الشرطة فقالت له سمعاً وطاعة ثم إن الأمير خالد طاهر الولد ورباه وأحسن تربيته وجاء له بفقيه خطاط فعلمه الخط والقراءة فقرأ وأعاد وختم وصار يقول للأمير خالد يا والدي وصار الوالي يعمل في الميدان ويجمع الخيل وينزل يعلم الولد أرباب الحرب ومقام الطعن والضرب إلى أن انتهى في الفروسية وتعلم الشجاعة وبلغ من العمر أربع عشرة سنة ووصل إلى درجة الأمارة فاتفق أن أصلان اجتمع مع أحمد قماقم السراق يوماً من الأيام وصارا أصحاباً فتبعه إلى الخمارة وإذا بأحمد قماقم السراق أطلع المصباح الجوهر الذي أخذه من أمتعة الخليفة وحطه قدامه وتناول الكاس على نوره وسكر فقال له أصلان يا مقدم أعطني هذا المصباح فقال له ما أقدر أن أعطيك إياه فقال له لأي شيء وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٠٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أصلان قال لأحمد قماقم لأي شيء فقال لأنه راحت عليه شأنه الأرواح فقال له أي روح راحت على شأنه فقال له كان واحد جاءنا هنا وعمل رئيس الستين يسمي علاء الدين أبا الشامات ومات بسبب ذلك فقال له وما حكايته وما سبب موته فقال له كان لك أخ يسمي حبظلم بظاظة وبلغ من العمر ستة عشر عاماً حتى استحق الزواج وطلب أبوه أن يشتري له جارية وأخبره بالقصة من أولها إلى آخرها وأعلمه بضعف حبظلم بظاظة وما وقع لعلاء الدين ظلماً فقال أصلان في نفسه لعل هذه الجارية ياسمين أمي وما أبي إلا علاء الدين أبو الشامات فطلع الولد أصلان من عنده حزيناً فقابل المقدم أحمد الدنف فلما رآه أحمد الدنف قال سبحان من لا شبيه له فقال له حسن شومان يا كبيري من أي شيء تتعجب فقال له من خلقة هذا الوجد أصلان فإنه أشبه البرايا بعلاء الدين أبي الشامات فناد أحمد الدنف وقال يا أصلان فرد عليه فقال هل ما أسم أمك فقال له تسمى الجارية ياسمين فقال له يا أصلان طب نفساً وقر عيناً فإنه ما أبوك إلا علاء الدين أبو الشامات ولكن يا ولدي أدخل على أمك واسألها عن أبيك فقال سمعاً

وطاعة ثم دخل على أمه وسأله ا فقالت له أبوك الأمير خالد فقال لها ما أبي إلا علاء الدين أب و الش امات فبكت أمه وقالت له من أخبرك بهذا يا ولدي فقال المقدم أحمد الدنف أخبرني بذلك فحكت له جميع ما ج رى وقالت له يا ولدي قظهر الحق واختفى الباطل واعلم أن أباك علاء الدين أبو الشامات إلا أنه م ا رب اك إلا الأمير خالد وجعلك ولده فيا ولدي أن اجتمعت بالمقدم أحمد الدنف قل له يا كبيري سألتك بالله الآن تأخذ ل ي ثاري من قاتل أبي علاء الدين أبي الشامات فطلع من عندها وسار وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٠٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أصلان طلع من عند أمه وسار إلى أن دخل على المقدم أحمد ال دنف وقبل يده فقال له مالك يا أصلان فقال له إني قد عرفت وتحققت أن أبي علاء الدين أبو الشامات ومرادي أنك تأخذ لي ثأري من قاتله فقال له من الذي قتل أباك فقال له أحمد قماقم السراق فقال له ومن أعلمك بهذا الخبر فقال رأيت معه المصباح الجوهر الذي ضاع من جملة أمتعة الخليفة وقلت له أعطني هذا المصباح فما رضي وقال لي هذ اا راحت على شأنه الأرواح وحكى لي أنه هو الذي نزل وسرق العملة ووضعها ف ي دار أب ي فقال له أحمد الدنف إذا رأيت الأمير خالد الوالي يلبس لباس الحرب فقل له ألبسني مثلك فإذا طلع ت مع ه وأظهرت باباً من أبواب الشجاعة قدام أمير المؤمنين فإن الخليفة يقول لك بمن علي يا أصلان فقل له أتمن ى عليك أن تأخذ لي ثار أبي من قاتله فيقول لك أن أباك حي وهو الأمير خالد الوالي فقل له أن أبي علاء الدين أبو الشامات وخالد الوالي له علي حق التربية فقط وأخبره بجميع ما وقع بينك وبين أحمد قماقم السراق وق ل له يا أمير المؤمنين أؤمر بتفتيشه وأنا أخرجه من جيبه فقال له سمعاً وطاعة ثم طلع أصلان فوج د الأمي ر خالداً يتجهز إلى طلوعه ديوان الخليفة فقال له مرادي أن تلبسني لباس الحرب مثلك وتأخذني معك إلى ديوان الخليفة فألبسه وأخذه معه إلى الديوان ونزل الخليفة بالعسكر خارج البلد ونصبوا الصواوين والخيام واصطفت الصفوف وطلع بالأكرة والصولجان فصار الفارس منهم يضرب الأكرة بالصولجان فيردها علي ه الف ارس الثاني وكان بين العسكر واحد جاسوس مغري على قتل الخليفة فأخذ الأكرة وضربها الص ولجان وحرره ا على وجه الخليفة وإذا بأصلان استلقاها عن الخليفة وضربها راميها فوقعت بين أكتافه فوق ع عل ى الأرض فقال الخليفة بارك الله فيك يا أصلان ثم نزلوا من على ظهور الخيل وقعدوا على الكراس ي وأم ر الخليف ة بإحضار الذي ضرب الأكرة فلما حضر بين يديه قال له من أغراك على هذا الأمر وهل أنت عدو أو حبيب فقال له أنا عدو وكنت مضمر قتلك فقال ما سبب ذلك أما أنت مسلم فقال لا وأنما أنار رافضي فأمر الخليف ة بقتله وقال لأصلان تمن علي فقال له أتمنى عليك أن تأخذ لي ثار أبي من قاتله فقال له أن أباك ح ي وه و واقف على رجليه فقال له من هو أبي فقال له الأمير خالد الوالي فقال له يا أمير المؤمنين ما هو أبي إلا في التربية وما والدي إلا علاء الدين أبو الشامات فقال له أن أباك كان خائناً فقال يا أمير الم ؤمنين حاش ا أن يكون الأمين خائناً وما الذي خانك فيه فقال له سرق بدلتي وما معها فقال يا أمير المؤمنين حاشا أن يكون أبي خائناً ولكن يا سيدي لما عدمت بدلتك وعادت إليك هل رأيت المصباح رجع إليك أيضاً فقال ما وجدناه فق ال أنا رأيته مع أحمد قماقم وطلبته منه فلم يعطه لي وقال هذا راحت عليه الأرواح وحكى ل ي ع ن ض عف حبظلم بظاظة أبن الأمير خالدوعشقه للجارية ياسمين وخلاصة من القيد وانه هو الذي سرق البدلة والمصباح

وأنت يا أمير المؤمنين تأخذ لي بثار والدي من قاتله فقال الخليفة اقبضوا على أحمد قماقم فقبضوا عليه وقال أين المقدم أحمد الدنف فحضر بين يديه فقال له الخليفة فتش قماقم فحط يديه في جيبه فأطلع منه المصباح الجوهر فقال الخليفة تعال يا خائن من أين لك هذا المصباح فقال له اشتريته يا أمير المؤمنين فقال له الخليفة من أين اشتريته ومن يقدر على مثله حتى يبيعه لك وضربوه فأقر أنه هو الذي سرق البدلة والمصباح فقال له الخليفة لأي شيء تفعل هذه الفعال يا خائن حتى ضيعت علاء الدين أبا الشامات وهو الثقة الأمين ثم أمر الخليفة بالقبض عليه وعلى الوالي فقال الوالي يا أمير المؤمنين أنا مظلوم وأنت أمرتني بشنقه ولم يكن عندي خبر بهذا الملعوب فإن التدبير كان بين العجوز وأحمد قماقم وزوجتي وليس عندي خبر وأنا في جيرتك يا أصلان فتشفع فيه أصلان عند الخليفة ثم قال أمير المؤمنين ما فعل الله بأم هذا الولد فقال له عندي فقال أمرتك أن تأمر زوجتك أن تلبسها بدلتها وصيغتها وتردها إلى سيادتها وأن تفك الختم الذي على بيت علاء الدين وتعطي ابنه رزقه وماله فقال سمعاً وطاعة ثم نزل الوالي وأمر امرأته فألبستها بدلتها وفك الختم عن بيت علاء الدين وأعطى أصلان المفاتيح ثم قال الخليفة تمن علي يا أصلان فقال له تمنيت عليك أن تجمع شملي بأبي فبكى الخليفة وقال الغالب أن أباك هو الذي شنق ومات ولكن وحياة جدودي كل من بشرني بأنه على قيد الحياة أعطيته جميع ما يطلبه فتقدم أحمد الدنف وقبل الأرض بين يديه وقال له أعطني الأمان يا أمير المؤمنين فقال له عليك الأمان فقال أبشرك أن علاء الدين أبا الشامات الثقة الأمين طيب على قيد الحياة فقال له ما الذي تقول فقال له وحياة رأسك أن كلامي حق وفديته بغيره ممن يستحق القتل وأوصلته إلى الاسكندرية وفتحت له دكان سقطي فقال الخليفة ألزمتك أن تجيء به وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣١٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الخليفة قال لأحمد الدنف ألزمتك أن تجيء به فقال له سمعاً وطاعة فأمر له الخليفة بعشرة آلاف دينار وسار متوجهاً إلى الاسكندرية هذا ما كان من أمر أصلان (وأما) ما كان من أمر والده علاء الدين أبي الشامات فإنه باع ما كان عنده في الدكان جميعه ولم يبق في الدكان إلا القليل وجراب فنفض الجراب فنزلت منه خرزة تملأ الكف في سلسلة من الذهب ولها خمسة وجوه وعليها أسماء وطلاسم كدبيب النمل فدعك الخمسة وجوه فلم يجاوبه أحد فقال في نفسه لعلها خرزة من جزع ثم علقها في الدكان وإذا بقنصل فائت في الطريق فرفع بصره فرأى الخرزة معلقة فقعد على دكان علاء الدين وقال له يا سيدي هل هذه الخرزة للبيع فقال له جميع ما عندي للبيع فقال له أتبيعني أياها بثمانين ألف دينار فقال له علاء الدين يفتح الله فقال له أتبيعها بمائة ألف دينار فقال بعتها لك بمائة ألف دينار فأنقذني الدنانير فقال له القنصل ما أقدر أن أحمل ثمنها معي والأسكندرية فيها حرامية وشرطية فأنت تروح معي إلى مركبي وأعطي لك الثمن ورزمة صوف أنجوري ورزمة أطلس ورزمة قطيفة ورزمة جوخ فقام علاء الدين وقفل الدكان بعد أن أعطاه الخرزة وأعطي المفاتيح لجاره وقال له خذ هذه المفاتيح عندك أمانة حتى أروح إلى المركب مع هذا القنصل وأجيء بثمن خرزتي فإن عوقت عنك وورد عليك المقدم أحمد الدنف الذي كان وطنني في هذا المكان فأعطه المفاتيح وأخبره بذلك ثم توجه مع القنصل إلى المركب فلما نزل به المركب نصب له كرسياً

وأجلسه عليه وقال هاتوا المال فدفع له الثمن والخمس رزم التي وعده بها وقال له يا سيدي أقصد جبري بلقمة أو شربة ماء فقال إن كان عندك ماء فاسقني فأمر بالشربات فإذا فيها بنج فلما شرب انقلب على ظهره فرفعوا الكراسي وحطوا المداري وحلوا القلوع وأسعفتهم الرياح حتى وصلوا إلى وسط البحر فأمر القبطان بطلوع علاء الدين من الطنبر فطلعوه وشمموه ضد البنج ففتح عينيه وقال أين أنا فقال له أنت معي مربوط وديعة ولو كنت تقول يفتح الله لكنت أزيدك فقال له علاء الدين ما صناعتك فقال له أنا قبطان ومرادي أن آخذك إلى حبيبة قلبي فبينما هما في الكلام وإذا بمركب فيها أربعون من تجار المسلمين فطلع القبطان بمركبه عليهم ووضع الكلاليب في مراكبهم ونزل هو ورجاله فنهبوها وأخذوها وساروا بها إلى مدينة جنوة فأقبل القبطان الذي معه علاء الدين إلى باب قصر قيطون وإذا بصبية نازلة وهي ضاربة لثاماً فقالت له هل جئت بالخرزة وصاحبها فقال لها جئت بهما فقالت له هات الخرزة فأعطاها لها وتوجه إلى المينا وضرب مدافع السلامة فعلم ملك المدينة بوصول ذلك القبطان فخرج إلى مقابلته وقال له كيف كانت سفرتك فقال له كانت طيبة جداً وقد كسبت فيها مركباً فيها واحد وأربعون من تجار المسلمين فقال له أخرجهم إلى المدينة في الحديد ومن جملتهم علاء الدين وركب الملك هو والقبطان وأمشوهم قدامهم إلى أن وصلوا إلى الديوان وقدموا أول واحد فقال له الملك من أين يا مسلم فقال من الاسكندرية فقال يا سياف اقتله فضربه السياف بالسيف فرمى رقبته والثاني والثالث وهكذا إلى تمام الأربعين وكان علاء الدين في آخرهم فشرب حسرتهم وقال لنفسه رحمة الله عليك يا علاء الدين فرغ عمرك فقال له الملك وأنت من أي البلاد فقال من الاسكندرية فقال يا سياف ارم عنقه فرفع السياف يده بالسيف وأراد أن يرمي رقبة علاء الدين وإذا بعجوز ذات هيبة تقدمت بين أيادي الملك فقام إليها تعظيماً لها فقالت يا ملك أما قلت لك لما يجيء القبطان بالأسارى تذكر الدير بأسير أو بأسيرين يخدمان في الكنيسة فقال لها يا أمي ليتك سبقت بساعة ولكن خذي هذا الأسير الذي فضل فالتفتت إلى علاء الدين وقالت له هل أنت تخدم في الكنيسة أو أخلي الملك يقتلك فقال لها أنا أخدم في الكنيسة فأخذته وطلعت به من الديوان وتوجهة إلى الكنيسة فقال لها علاء الدين ما أعمل من الخدمة فقالت له تقوم في الصبح وتأخذ خمسة بغال وتسير بها إلى الغابة وتقطع ناشف الحطب وتكسره وتجيء به إلى مطبخ الدير وبعد ذلك تلم البسط وتكنس وتمسح البلاط والرخام وترد الفرش مثل ما كان وتأخذ نصف أردب قمح وتغربله وتطحنه وتعجنه وتعمله منينات للدير وتأخذ ويبة عدس تغربلها وتدشها وتطبخها ثم تملأ الأربع فساقي ماء وتحول بالبرميل وتملأ ثلثمائة وستة وستين قصعة وتفت فيها المنينات وتسقيها من العدس وتدخل لك راهب أو بطريق قصعته فقال لها علاء الدين رديني إلى الملك وخليه يقتلني أسهل لي من هذه الخدمة فقالت له إن خدمت ووفيت الخدمة التي عليك خلصت من القتل وإن لم توف خليت الملك يقتلك فقعد علاء الدين حامل الهم وكان في الكنيسة عشر عميان مكسحين فقال له واحد منهم هات لي قصرية فأتي له فتغوط فيها وقال له أرم الغائط فرماه فقال له يبارك فيك المسيح يا خدام الكنيسة وإذا بالعجوز أقبلت وقالت له لأي شيء ما وفيت الخدمة في الكنيسة فقال لها أنا لي كم يد حتى أقدر على توفية هذه الخدمة فقالت له يا مجنون أنا ما جئت بك للخدمة ثم قالت له خذ يا إبني هذا القضيب وكان من النحاس وفي رأسه صليب وأخرج إلى الشارع فإذا قابلك والي البلد فقل له إني أدعوك إلى خدمة الكنيسة من أجل السيد المسيح فإنه لا يخالفك فخليه

يأخذ القمح ويغربله ويطحنه وينخله ويعجنه ويخبزه منينات وكل من يخالفك أضربه ولا تخف من أحد فقال سمعاً وطاعة وعمل كما قالت ولم يزل يسخر الأكابر والأصاغر مدة سبعة عشر عاماً فبينما هو قاعد في الكنيسة وإذا بالعجوز داخلة عليه فقالت له أطلع إلى خارج الدير فقال لها أين أروح فقالت له بت هذه الليلة في خمارة أو عبد واحد من أصحابك فقال لها لأي شيء تطرديني من الكنيسة فقالت له إن حسن مريم بنت الملك يوحنا ملك هذه المدينة مرادها أن تدخل الكنيسة للزيارة ولا ينبغي أن تقعد في طريقها فامتثل كلامها وقام وأراها أنه رائح إلى خارج الكنيسة وقال في نفسه يا هل ترى بنت الملك مثل نسائنا أو أحسن منهن فأنا لا أروح حتى أتفرج عليها فاختفى في مخدع له طاقة تطل على الكنيسة فبينما هو ينظر في الكنيسة وإذا ببنت الملك مقبلة فنظر إليها نظرة أعقبته ألف حسرة لأنه وجدها كأنها البدر إذا نزغ من تحت الغمام وصحبتها صبية وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣١١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن علاء الدين لما نظر إلى بنت الملك ورأى صحبتها صبية وهي تقول لتلك الصبية آلست يا زبيدة فأمعن علاء الدين النظر في تلك الصبية فرآها زوجته زبيدة العودية التي كانت ماتت ثم أن بنت الملك قالت لزبيدة قومي أعملي لنا نوبة على العود فقالت لها أنا لا أعمل لك نوبة حتى تبلغيني مرادي وتفي لي بما وعدتيني به فقالت لها ما الذي وعدتك به قالت لها وعدتيني بجمع شملي بزوجي علاء الدين أبي الشامات الثقة الأمين فقالت لها يا زبيدة طيبي نفساً وقري عيناً واعملي لنا نوبة حلاوة اجتماع شملك بزوجك علاء الدين فقالت لها وأين هو فقالت لها إنه هنا في هذا المخدع يسمع كلامنا فعملت نوبة على العود ترقص الحجر الجلمود فلمكا سمع ذلك علاء الدين هاجت بلابله وخرج من المخدع وهجم عليها وأخذ زوجته زبيده العودية بالحضن وعرفته فأعتنق الأثنان بعضهما ووقعا على الأرض مغشياً عليهما فتقدمت الملكة حسن مريم ورشت عليهما ماء الورد ونبهتهما وقالت جمع الله شملكما فقال لها علاء الدين على محبتك يا سيدتي ثم التفت علاء الدين إلى زوجته زبيدة العودية وقال لها أنت قدمت يا زبيدة ودفناك في القبر فكيف حييت وجئت بها إلى هذا المكان فقالت له يا سيدي أنا ما مت وإنما اختطفني عون من أعوان الجان وطار بي إلى هذا المكان وأما التي دفنتموها فإنها جنيه وتصورت في صورتي وعمل أنها ميتة وبعد ما دفنتموها شقت القبر وخرجت منه وراحت إلى خدمة سيدتها حسن مريم بنت الملك وأما أنا فإني صرعت وفتحت عيني فرأيت نفسي عند حسن مريم بنت الملك وهي هذه فقالت لها لأي شيء جئت بي إلى هنا فقالت لي أنا موعودة بزواجي بزوجك علاء الدين أبي الشامات فهل تقبليني يا زبيدة أن أكون ضرتك ويكون لي ليلة ولك ليلة فقالت لها سمعاً وطاعة يا سيدتي ولكن أين زوجي فقالت إنه مكتوب على جبينه ما قدره الله عليه فمتى أستوفي ما على جبينه لابد أن يجيء إلى هذا المكان ولكن نتسلى على فراقه بالنغمات والضرب على الآلات حتى يجمعنا الله به فمكثت عندها هذه المدة إلى أن جمع الله شملي بك في هذه الكنيسة ثم أن حسن مريم التفتت إليه وقالت له يا سيدي علاء الدين هل تقبلني أن أكون لك أهلاً وتكون لي بعلاً فقال لها يا سيدتي أنا مسلم وأنت نصرانية فكيف أتزوج بك فقالت حاش لله أن أكون كافرة بل أنا مسلمة ولي ثمانية عشر عاماً وأنا متمسكة بدين الإسلام وأني بريئة من كل دين يخالف دين الإسلام فقال لها يا سيدتي مرادي

أن أروح إلى بلادي فقالت له اعلم أني رأيت مكتوباً على جبينك أموراً لابد أن تستوفيها وتبلغ غرضك ونهنيك يا علاء الدين أنه ظهر لك ولد اسمه أصلان وهو الآن جالس في مرتبتك عند الخليفة وقد بلغ من العمر ثمانية عشر عاماً واعلم أنه ظهر الحق واختفى الباطل وربنا كشف الستر عن الذي سرق أمتعة الخليفة وهو أحمد قماقم السراق الخائن وهو الآن في السجن محبوس ومقيد واعلم أني أنا التي أرسلت إليك الخرزة ووضعتها لك في داخل الجراب الذي في الدكان وأنا التي أرسلت القبطان وجاء بك بالخرزة واعلم أن هذا القبطان متعلق بي ويطلب مني الوصال فماضيت أن أمكنه من نفسي بل قلت له لا أمكنك من نفسي إلا إذا جئت لي بالخرزة وصاحبها وأعطيته مائة كيس وارسلته في صفة تاجر وهو قبطان ولما قدموك إلى القتل بعد قتل الأربعين الأسارى الذين كنت معهم أرسلت إليك هذه العجوز فقال لها جزاك الله عني كل خير ثم أن حسن مريم جددت أسلامها على يديه ولما عرف صدق كلامها قال لها أخبريني عن فضيلة هذه الخرزة من أين هي فقالت له هذه خرزة من كنز مرصود وفيها خمس فضائل تنفعنا عند الاحتياج إليها وأن جدتي أم أبي كانت ساحرة تحل الرموز وتختلس ما في الكنوز فوقعت لها هذه الخرزة من كنز فلما كبرت أنا وبلغت من العمر أربعة عشر عاماً قرأت الأنجيل وغيره من الكتب فرأيت اسم محمد ﷺ في الأربعة كتب التوراة والأنجيل والزبور والفرقان فآمنت بمحمد ﷺ وأسلمت وتحققت بعقلي أنه لا يعبد بحق إلا الله تعالى وأن رب الأنام لا يرضى إلا دين الإسلام وكانت جدتي حين ضعفت وهبت لي هذه الخرزة وأعلمتني بما فيها من الخمس الفضائل وقبل أن تموت جدتي قال لها أبي أضربي لي تخت رمل وأنظري عاقبة أمري وما يحصل لي فقالت له أن البعيد يموت قتيلاً من أسير يجيء من الأسكندرية فحلف أبي أن يقتل كل أسير يجيء منها وأخبر القبطان بذلك وقال له لابد أن تهجم على مراكب المسلمين وكل من رأيته من الأسكندرية تقتله أو تجيء به إلى فامتثل أمره حتى قتل عدد شعر رأسه ثم هلكت جدتي فطلعت أنا وضربت لي تخت رمل وأضمرت ما في نفسي وقلت يا هل ترى من يتزوج بي فظهر أنه لا يتزوج بي إلا واحد يسمى علاء الدين أبا الشامات الثقة الأمين فتعجبت من ذلك وصبرت إلى أن آن الأوان واجتمعت بك ثم أنه تزوج بها وقال لها أنا مرادي أن أروح إلى بلادي فقالت له إذا كان الأمر كذلك فتعالى معي ثم أخذته وخبأته في مخدع في قصرها ودخلت على أبيها فقال لها يا بنتي أنا عندي اليوم قبض زائد فاقعدي حتى أسكر معك فقعدت ودعا بسفرة المدام وصارت تملأ وتسقيه حتى غاب عن الوجود ثم أنها وضعت له البنج في قدح فشرب القدح وأنقلب على قفاه ثم جاءت إلى علاء الدين وأخرجته من المخدع وقالت له أن خصمك مطروح على قفاه فافعل به ما شئت فأني أسكرته وبنجته فدخل علاء الدين فرآه مبنجاً فكتفه تكتيفاً وثيقاً وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣١٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن علاء الدين أعطى الملك أبا حسن مريم ضد البنج فأفاق فوجد علاء الدين وأبنته راكبين على صدره فقال لها يا بنتي أتفعلين معي هذه الفعال فقالت له أن كنت بنتك فأسلم لأنني أسلمت وقد تبين لي الحق فاتبعته والباطل فاجتنبته وقد أسلمت لله رب العالمين وأنني بريئة من كل دين يخالف دين الإسلام في الدنيا والآخرة فإن أسلمت حباً وكرامة وإلا فقتلك أولى من حياتك ثم نصحه علاء

الدين فأبى وتمرد فسحب علاء الدين خنجراً ونحره من الوريد إلى الوريد وكتب ورقة بصورة الذي جرى ووضعها على جبهته وأخذ ما خف حمله وغلا ثمنه وطلعا من القصر وتوجها إلى الكنيسة فأحضرت الخرزة وحطت يدها على الوجه الذي هو منقوش عليه السرير ودعكته وإذا بسرير وضع قدامها فركبت هي وعلاء الدين وزوجته زبيدة العودية على ذلك السرير وقالت بحق ما كتب على هذه الخرزة من الأسماء والطلاسم وعلوم الأقلام أن ترتفع بنا يا سرير فارتفع بهم السرير وسار إلى واد لا نبات فيه فأقامت الأربعة وجوه الباقية من الخرزة إلى السماء وقلبت الوجه المرسوم عليه السرير فنزل بهم إلى الأرض وقلبت الوجه المرسوم عليه هيئة صيوان ودعكته وقالت لينتصب صيوان في هذا الوادي فانتصب الصيوان وجلسوا فيه وكان ذلك الوادي أقفر لا نبات فيه ولا ماء فقلبت الأربعة وجوه إلى السماء وقالت بحق أسماء الله تنبت هنا أشجار ويجري بجانبها بحر فنبتت الأشجار في الحال وجري بجانبها بحر عجاج متلاطم بالأمواج فتوضؤا منه وصلوا وشربوا وقلبت الثلاثة وجوه الباقية من الخرزة إلى الوجه الذي على هيئة سفرة الطعام وقالت بحق أسماء الله يمتد السماط وإذا بسماط امتد وفيه سائر الأطعمة الفاخرة فأكلوا وشربوا وتلذذوا وطربوا هذا ما كان من أمرهم (وأما) ما كان من أمر ابن الملك فإنه دخل ينبه أباه فوجده قتيلاً ووجد الورقة التي كتبها علاء الدين فقرأها وعرف ما فيها ثم فتش على أخته فلم يجدها فذهب إلى العجوز في الكنيسة وسألها عنها فقالت من أمس ما رأيتها فناد إلى العسكر وقال لهم الخيل يا أربابها وأخبرهم بالذي جرى فركبوا الخيل وسافروا إلى أن قربوا من الصيوان فالتفتت حسن مريم فرأت الغبار قد سد الأقطار وبعد أن علا وطار أنكشف فظهر من تحته أخوها والعسكر وهم ينادون إلى أين تقصدون نحن وراءكم فقالت الصبية لعلاء الدين كيف ثباتك في الحرب والنزال فقال لها مثل الوتد في النخال فإني ما أعرف الحرب والكفاح ولا السيوف والرماح فسحبت الخرزة ودعكت الوجه المرسوم عليه صورة الفرس والفارس وإذا بفارس ظهر من البر ولم يزل يضرب فيهم بالسيف إلى أن كسرهم وطردهم ثم قالت له أتسافر إلى مصر أو إلى الإسكندرية وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣١٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن حسن مريم قالت أتسافر إلى مصر أو إلى الإسكندرية فادخلهم علاء الدين في مغارة وذهب إلى الإسكندرية فأتاهم بثياب وألبسهم أياها وتوجه بهم إلى الدكان والطبقة ثم طلع يجيء لهم بغداء وإذا بالمقدم أحمد الدنف قادم من بغداد فرآه في الطريق فقابله بالعناق وسلم عليه ورحب به ثم أن المقدم أحمد الدنف بشره بولده أصلان وأنه بلغ من العمر عشرين عاماً وحكى له علاء الدين جميع ما جرى له من الأول إلى الآخر وأخذه إلى الدكان والطبقة فتعجب أحمد الدنف من ذلك غاية العجب وباتوا تلك الليلة ولما أصبحوا باع علاء الدين الدكان ووضع ثمنها على ما معه ثم أن أحمد الدنف أخبر علاء الدين بأن الخليفة يطلبه فقال له أنا رائح إلى مصر أسلم على أبي وأمي وأهل بيتي فركبوا السرير جميعاً وتوجهوا إلى مصر السعيدة ونزلوا في الدرب الأصفر لأن بيتهم كان في تلك الحارة ودق باب بيتهم فقالت أمه من بالباب بعد فقد الأحباب فقال أنا علاء الدين فنزلوا وأخذوه بالأحضان ثم أدخل زوجته وما معه في البيت وبعد ذلك دخل وأحمد الدنف صحبته وأخذوا لهم راحة ثلاثة أيام ثم طلب السفر إلى بغداد فقال له أبوه يا ولدي أجلس

عندي فقال ما أقدر على فراق ولدي أصلان ثم أنه أخذ أباه وأمه معه وسافروا إلى بغداد فدخل أحمد الـ دنف وبشر الخليفة بقدوم علاء الدين وحكى له حكايته فطلع الخليفة لملتقاه وأخـ ذ معـ ـه ولـ ده أصـ لان وقـ ابلوه بالأحضان وأمر الخليفة بأحضار أحمد قماقم السراق فلما حضر بين يديه قال يا علاء الدين دونك وخصـ مك فسحب علاء الدين السيف وضرب أحمد قماقم فرمي عنقه ثم أن الخليفة عمل لعلاء الدين فرحاً عظيماً بعـ د أن أحضر القضاة والشهود وكتب كتابه على حسن مريم ولما دخل عليها وجدها درة لم تثقب ثم جعل ولـ ده أصلان رئيس الستين وخلع عليهم الخلع السنية وأقاموا في أرغد عيش وأهناه إلى أن أتـ ـاهم هـ ـازم اللـ ذات ومفرق الجماعات.

بعض حكايات تتعلق بالكرام

أما حكايات الكرام فإنها كثيرة جداً (منها) ما روى عن حاتم الطائي أنه لما مات دفن فـ ـي رأس جبـ ـل وعملوا على قبره حوضين من حجر وصور بنات محلولات الشعر من حجر وكان تحت ذلك الجبل نهر جار فإذا نزلت الوفود يسمعون الصراخ في الليل من العشاء إلى الصباح فإذا أصبحوا لم يجدوا أحد غير البنـ ـات المصورة من الحجر فلما نزل ذو الكراع ملك حمير بذلك الوادي خارجاً عن عشيرته بات تلك الليلة هنـ ـاك وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣١٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن ذا الكراع لما نزل بذلك الوادي بات تلك الليلة هناك وتقرب من ذلك الموضع فسمع الصراخ فقال ما هذا العويل الذي فوق الجبل فقالوا له أن هذا قبر حاتم الطائي يا حاتم نحـ ـن الليلة ضيوفك ونحن خماض فغلب عليه النوم ثم استيقظ وهو مرعوب وقال يا عـ ـرب الحقـ ـوني وأدركـ ـوا راحلتي فلما جاءوه وجدوا الناقة تضطرب فنحروها وشووا لحمها وأكلوه ثم سألوه عن سبب ذلك فقال أنـ ـي نمت فرأيت حاتماً الطائي في المنام قد جاءني بسيف وقال جئتنا ولم يكن عندنا شيء وعقر ناقتي بالسيف ولو لم تنحروها لماتت فلما أصبح الصباح ركب ذو الكراع راحلة واحد من أصحابه ثم أردفه خلفه فلما كان فـ ـي وسط النهار رأوا راكباً على راحلة وفي يده راحلة أخرى فقالوا له من أنت قال أنا عندي بن حاتم الطائي ثم قال أين ذو الكراع أمير حمير فقالوا له هو هذا فقال اركب هذه الناقة عوضاً عن راحلتك فإن ناقتك قد نحرها أبي لك قال ومن أخبرك قال أتاني في المنام في هذه الليلة وقال لي يا عـ ـدي أن ذو الكـ ـراع ملـ ـك حميـ ـر استضافني فنحرت له ناقته فأدركه بناقة يركبها فإني لم يكن عندي شيء فأخذها ذو الكراع وتعجب من كـ ـرم حاتم حياً وميتاً.

ومن حكايات الكرام أيضاً

ما يروي عن معن بن زائدة أنه كان في يوم من الأيام في الصيد والقنص فعطش فلم يجد مع غلمانـ ـه ماء فبينما هو كذلك وإذا بثلاث جوار قد أقبلن عليه حاملات ثلاث قرب ماء وأدرك شهرزاد فسـ كتت عـ ـن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣١٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجواري أقبلن على معن حاملات ثلاث قرب ماء فاستسقاهن فأسقينه فطلب شيئاً من غلمانه ليعطيه للجواري فلم يجد معهم مالاً فدفع لكل واحدة منهن عشرة أسـ ـهم مـ ـن كنانتـ ـه نصولها من الذهب فقالت إحداهن لصاحبتيها لم تكن هذه الشمائل إلا لمعن بن زائدة فلتقل كل واحـ ـدة مـ ـنكن شيئاً من الشعر مدحاً فيه فقالت الأولى:

يرك .ب ف .ي الس .هام نص .ول تب .ر   ويرم . .ي للع . .دا كرم . .اً وج . .وداً
فللمرض . ى ع . لاج م . . ن ج . راح   وأكف . .ان لم . .ن س . .كن اللح . .ودا

وقالت الثانية:

ومح .ارب م .ن ف .رط ج .ود بنان .ه   عم . ت مكارم . .ه الأحب . .ة والع . .دا
صيغت نص ول س هامه م ن عس جد   ك .يلا تعوق .ه الح .روب ع .ن الن .دا

وقالت الثالثة:

وم ن ج وده يرم ي الع داة بأس هم   من الـ ذهب إلا بري ز ص يغت نص ولها
لينفقه . .ا المج . .روح عن . .د دوائ . .ه   ويشـ . .تري الأكف . .ان منه . .ا قتيله . .ا

وقيل أن معن بن زائدة خرج في جماعته إلى الصيد فقرب منهم قطيع ظباء فافترقوا في طلبه وانفـ ـرد معن خلف ظبي فلما ظفر به نزل فذبحه فرأى شخصاً مقبل من البرية على حمار فركب فرسه واستقبله فسلم عليه وقال له من أين أتيت قال أتيت من أرض قضاعة وأن لها مدة من السنين مجدبة وقد أخضبت في هـ ـذه السنة فزرعت فيها مقثاة فطرحت في غير وقتها فجمعت منها ما استحسنته من القثاة وقصدت الأمير معن بن زائدة لكرمه المشهور ومعروفه المأثور فقال له كم أملت منه قال ألف دينار فقال له فإن قال لك هـ ـذا القـ ـدر كثير قال خمسمائة دينار قال فإن قال لك كثير قال مائة دينار قال فإن قال لك كثير قال خمسين دينـ ـاراً قـ ـال فإن قال لك كثير قال أدخلت قوائم حماري في حر أمه ورجعت إلى أهلي سفر اليدين فضحك معن من كلامه وساق جواده حتى لحق بعسكره ونزل في منزله وقال لحاجبه إذا أتاك شخص على حمار بقثاء فأدخله علـ ـى فأتي ذلك الرجل بعد ساعة فأذن له الحاجب بالدخول فلما دخل على الأمير معن لم يعرف أنه هو الذي قابلـ ـه في البرية لهيبته وجلالته وكثرة خدمه وحشمه وهو متصدر في دست مملكته والحفدة قيام عن يمينـ ـه وعـ ـن شماله وبين يديه فلما سلم عليه قال له الأمير ما الذي أتي بك يا أخا العرب قال أملت من الأمير وأتيـ ـت لـ ـه بقثاة في غير أوانها فقال له كم أملت منا قال ألف دينار قال هذا القدر كثير قال خمسمائة دينار قال كثير قال ثلثمائة دينار قال كثير قال مائتي دينار قال كثير قال مائة دينار قال كثير قال خمسين دينار قال كثيـ ـر قـ ـال ثلاثين دينار قال كثير قال والله لقد كان ذلك الرجل الذي قابلني في البرية مشؤوماً أفلا أقل من ثلاثين دينـ ـار فضحك معن وسكت فعلم الأعرابي أنه هو الرجل الذي قابله في البرية فقال له يا سيدي إذا لم تجيء بالثلاثين ديناراً فها هو الحمار مربوط بالباب وها معن جالس فضحك معن حتى استلقى على قفاه ثم استدعي بوكيلـ ـه وقال أعطه ألف دينار وخمسمائة دينار وثلثمائة دينار ومائة دينار وخمسين دينار وثلاثين ديناراً ودع الحمار مربوطاً مكانه فبهت الأعرابي وتسلم الألفين ومائة وثمانين ديناراً فرحمة الله عليهم أجمعين.

حكاية تتعلق ببعض مدائن الأندلس التي فتحها طارق بن زياد

وبلغني أيها الملك السعيد أن بلدة يقال لها لبطه وكانت مملكة للأفرنج وكان فيها قصر مقفل دائماً وكلما مات ملك وتولى بعده ملك آخر من الروم رمي عليه قفلاً محكماً فاجتمع على الباب أربعة وعشرون قفلاً من كل ملك قفل ثم تولى بعدهم رجل ليس من أهل بيت المملكة فأراد فتح تلك الأقفال ليرى ما في ذلك القصر فمنعه من ذلك أكابر الدولة وأنكروا عليه وزجروه فأبى وقال لابد من فتح ذلك القصر فبذلوا له جميع ما بأيديهم من نفائس الأموال والذخائر على عدم فتحه فلم يرجع وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣١٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أهل المملكة بذلوا لذلك الملك جميع ما في أيديهم من الأموال والذخائر على عدم فتح ذلك القصر فلم يرجع عن فتحه ثم أنه أزال الأقفال وفتح الباب فوجد فيه صور العرب على خيلها وجمالها وعليهم العمائم المسبلة وهم متقلدون بالسيوف وبأيديهم الرماح الطوال ووجد كتاباً فيه فأخذ الكتاب وقرأه فوجد مكتوباً فيه إذا فتح هذا الباب يغلب على هذه الناحية قوم من العرب وهم على هيئة هذه الصور فالحذر ثم الحذر من فتحه وكانت تلك المدينة بالأندلس ففتحها طارق ابن زياد في تلك السنة في خلافة الوليد بن عبد الملك من بني أمية وقتل ذلك الملك أقبح قتلة ونهب بلاده وسبى من بها من النساء والغلمان وغنم أموالها ووجد فيها ذخائر عظيمة فيها ما ينوف عن مائة وسبعين تاجاً من الدر والياقوت ووجد فيها أحجاراً نفيسة وأيواناً ترمح فيه الخيالة برماحهم ووجد بها من أواني الذهب والفضة ما لا يحيط به وصف ووجد بها المائدة التي كانت لنبي الله سليمان بن داود عليهما السلام وكانت على ما ذكر من زمرد أخضر وهذه المائدة إلى الآن باقية في مدينة رومة وأوانيها من الذهب وصحافها من الزبرجد ونفيس الجواهر ووجد فيها الزبور مكتوباً بخط يوناني في ورق من الذهب مفصص بالجواهر ووجد فيها كتاباً يذكر فيه منافع الأحجار والنبات والمدائن والقرى والطلاسم وعلم الكيمياء من الذهب والفضة ووجد كتاباً آخر يحكي فيه صناعة صياغة اليواقيت والأحجار وتركيب السموم وأنترياقات وصورة شكل الأرض والبحار والبلدان والمعادن ووجد فيها قاعة كبيرة ملآنة من الأكسير الذي الدرهم منه يقلب ألف درهم من الفضة ذهباً خالصاً ووجد بها مرآة كبيرة مستديرة عجيبة مصنوعة من أخلاط صنعت لنبي الله سليمان بن داود عليهما السلام إذا نظر الناظر فيها رأى الأقاليم السبعة عياناً ووجد فيها ليواناً فيه من الياقوت البهرماني مالا يحيط به وصف فحمل ذلك كله إلى الوليد بن عبد الملك وتفرق العرب في مدنها وهي من أعظم البلاد.

(حكاية هشام بن عبد الملك مع غلام من الأعراب)

(ومما) يحكي أيضاً أن هشام بن عبد الملك بن مروان كان ذاهباً إلى الصيد في بعض الأيام فنظر إلى ظبي فتبعه بالكلاب فبينما هو خلف الظبي إذ نظر إلى صبي من الأعراب يرعى غنماً فقال هشام له يا غلام دونك هذا الظبي فأتني به فرفع رأسه إليه وقال يا جاهلاً بقدر الأخبار لقد نظرت إلي بالاستصغار وكلمتني بالاحتقار فكلامك كلام جبار وفعلك فعل جبار فقال هشام ويلك أما تعرفني فقال قد عرفني بك سوء أدبك إذ بدأتني بكلامك دون سلامك فقال له ويلك أنا هشام بن عبد الملك فقال له الأعرابي لا قرب الله ديارك ولا حيا

مزارك فما أكثر كلامك وأقل إكرامك فما أستتم كلامه حتى أحدقت به الجند من كل جانب وكل واحد منهم يقول السلام عليك يا أمير المؤمنين فقال هشام أقصروا عن هذا الكلام واحفظوا هذا الغلام فقبضوا عليه ورجع هشام إلى قصره وجلس في مجلسه وقال علي بالغلام البدوي فأتى به فلما رأى الغلام كثرة الحجاب والوزراء وأرباب الدولة لم يكترث بهم ولم يسأل عنهم بل جعل ذقنه على صدره ونظر حيث يقع قدمه إلى أن وصل إلى هشام فوقف بين يديه ونكس رأسه إلى الأرض وسكت عن السلام وامتنع من الكلام فقال له بعض الخدام يا كلب العرب ما منعك أن تسلم على أمير المؤمنين فالتفت إلى الخادم مغضباً وقال يا بردعة الحمار منعني من ذلك طول الطريق وصعود الدرجة والتعويق فقال هشام وقد تزايد به الغضب يا صبي لقد حضرت في يوم حضر فيه أجلك وغاب عنك أملك وانصرم عمرك فقال والله يا هشام لئن كان في المدة تأخير ولم يكن في الأجل تقصير فما ضرني من كلامك لا قليل ولا كثير فقال له الحاجب هل بلغ من مقامك يا أخس العرب أن تخاطب أمير المؤمنين كلمة بكلمة فقال مسرعاً لقيت الخبل ولا فارقك الويل والهيل أما سمعت ما قال الله تعالى يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها فعند ذلك اغتاظ هشام غيظاً شديداً وقال يا سياف علي برأس هذا الغلام فإنه أكثر بالكلام ولم يخش الملام فأخذ الغلام ونزل به إلى نطع الدم وسل سيفه على رأسه وقال يا أمير المؤمنين هذا عبدك المذل بنفسه السائر إلى رمسه هل أضرب عنقه وأنا بريء من دمه قال نعم فأستأذن ثانياً فأذن له فاستأذن ثالثاً ففهم الفتى أنه إن أذن له في هذه المرة يقتله فضحك حتى بدت نواجذه فازداد هشاماً غضباً وقال يا صبي أظنك معتوهاً أما ترى أنك مفارق الدنيا فكيف تضحك هزأ بنفسك فقال يا أمير المؤمنين لئن كان في العمر تأخير لا يضرني قليل ولا كثير ولكن حضرتني أبياتاً فاسمعها فإن قتلي لا يفوتك فقال هشام هات وأوجز فأنشد هذه الأبيات:

نبئـ ـت أن البـ ـاذ صـ ـادف مـ ـرة ... عصـ ـفور برسـ ـاقه المقـ ـدور
فـ ـتكلم العصـ ـفور فـ ـي أظفـ ـاره ... والبـ ـاز منهمـ ـك عليـ ـه يطيـ ـر
مـ ـا فـ ـي مـ ـا يغنـ ـي لمثلـ ـك شـ ـبعة ... ولـ ـئن أكلـ ـت بـ ـأنني لحقيـ ـر
فتبسـ ـم البـ ـاز المـ ـدل بنفسـ ـه ... عجبـ ـاً وأفلـ ـت ذلـ ـك العصـ ـفور

فتبسم هشام وقال وحق قرابتي من رسول الله ﷺ لو تلفظ بهذا اللفظ في أول كلامه وطلب ما دون الخلافة لأعطيتها أياه يا خادم أحش فاه جوهراً وأحسن جائزته فأعطاه الخادم صلة عظيمة فأخذها وانصرف إلى حال سبيله انتهى.

(حكاية اسحق الموصلي وتزوج المأمون بخديجة بنت الحسن بن سهل)

ومما يحكي أن أسحق الموصلي قال خرجت ليلة من عند المأمون متوجهاً إلى بيتي فتضايقني حصر البول فعمدت إلى زقاق وقمت أبول خوفاً أن يضربي شيء إذا جلست في جانب الحيطان فرأيت شيئاً معلقاً من تلك الدور فلمسته لا عرف ما هو فوجدته زنبيلاً كبيراً بأربعة آذان ملبساً ديباجاً فقلت في نفسي لابد هذا من سبب وصرت متحيراً في أمري فحملني السكر على أن أجلس فيه فجلست فيه وإذا بأصحاب الدار جذبوه بي وظنوا أنني الذي كانوا يرتقبونه ثم رفعوا الزنبيل إلى رأس الحائط وإذا بأربع جوار يقلن لي أنزل على الرحب والسعة ومشت بين يدي جارية بشمعة حتى نزلت إلى دار فيها مجالس مفروشة لم أر مثلها إلا في

دار الخلافة فجلست فما شعرت بعد ساعة إلا بستور قد رفعت في ناحية من الجدار وإذا بوصائف يتماشى وفي أيديهن الشموع ومجامر البخور من العود القاقلي وبينهن جارية كأنها البدر الطالع فنهضت وقالت مرحباً بك من زائر ثم أجلستني وسألتني عن خبري فقلت لها أني انصرفت من عند بعض أخواني وغرني الوقت وحصرني البول في الطريق فملت إلى هذا الزقاق فوجدت زنبيلاً ملقى فأجلسني النبيذ في الزنبيل ورفع بي الزنبيل إلى هذا الدار هذا ما كان من أمري فقالت لا ضير عليك وأرجو أن تحمد عاقبة أمرك ثم قالت لي فما صناعتك فقلت تاجر في سوق بغداد فقالت هل تروي من الأشعار شيئاً قلت شيئاً ضعيفاً قالت فذاكرنا فيه وأنشدنا شيئاً منه فقلت أن للداخل دهشه ولكن تبدئين أنت قالت صدقت ثم أنشدت شعراً رقيقاً من كلام القدماء والمحدثين وهو من أجواد أقاويلهم وأنا أسمع ولا أدري أأعجب من حسنها وجمالها أم من حسن روايتها ثم قالت هل ذهب ما كان عندك من الدهشة قلت أي والله قالت أن شئت فأنشدنا شيئاً من روايتك فأنشدتها شعر الجماعة من القدماء ما فيه الكفاية فاستحسنت ذلك ثم قالت والله ما ظننت أنه يوجد في أبناء السوقة مثل هذا ثم أمرت بالطعام فقالت لها أختها ديناراً دما أحلى حديثك وأحسنه وأطيبه وأعذبه فقالت وأين هذا مما أحدثكم به الليلة القابلة أن عشت وأبقاني الملك وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣١٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أسحق الموصلي قال ثم أن الجارية أمرت بإحضار الطعام فحضر فجعلت تأخذ وتضع قدامي وكان في المجلس من أصناف الرياحين وغريب الفواكه مالا يكون إلا عند الملوك ثم دعت بالشراب فشربت قدحاً ثم ناولتني قدحاً وقالت هذا أوان المذاكرة والأخبار فأندفعت إذا كرها وقلت بلغني أنه كان كذا وكذا وكان رجل يقول كذا حتى حكيت لها عدة أخبار حسان فسرت بذلك وقالت أني لا عجب كيف يكون أحد من التجار يحفظ مثل هذه الأخبار وأنما هي أحاديث ملوك فقلت كان لي جار يحادث الملوك وينادمهم وإذا تعطل حضرت بيته فربما حدث بما سمعت فقالت لعمري لقد أحسنت الحفظ ثم أخذنا في المذاكرة وكلما سكت ابتدأت هي حتى قطعنا أكثر الليل وبخور العود يعبق وأنا في حالة لو توهمها المأمون لطار شوقا إليها فقالت لي أنك من الطف الرجال وأظرفهم لأنك ذو أدب بارع وما بقي إلا شيء واحد فقلت لها وما هو قالت لو كنت نتر نم بالأشعار على العود فقلت لها أني كنت تعلقت بهذا قديماً ولكن لما لم أرزق حظاً فيه أعرضت عنه وفي قلبي منه حرارة وكنت أحب في هذا المجلس أن أسن شيئاً منه لتكمل ليلتي قالت كأنك عرضت بإحضار العود فقلت الرأي لك وأنت صاحبة الفضل ولك المنة في ذلك فأمرت بعود فحضرت وغنت بصوت ما سمعت بمثل حسنه مع حسن الأدب وجودة الضرب والكمال الراجح ثم قالت هل تعرف هذا الصوت لمن وهل تعرف الشعر لمن قلت لا قالت الشعر لفلان والمغنى لأسحق قلت وهل اسحق جعلت فداءك بهذه الصفة قالت بخ بخ اسحق بارع هذا الشأن فقلت سبحان الله الذي أعطى هذا الرجل مالا يعطه أحد سواه قالت فكيف لو سمعت هذا الصوت منه ثم لم نزل على ذلك حتى إذا كان انشقاق الفجر أقبلت عليها عجوز كأنها داية لها وقالت أن الوقت قد حضر فنهضت عند قولها وقالت لتستر ما كان منا فإن المجالس بالأمانات وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣١٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية قالت لتستر ما كان منا فإن المجالس بالأمانات فقلت لها جعلت فداءك لست محتاجاً إلى وصية في ذلك ثم ودعتها وأرسلت جارية تمشي بين يدي إلى باب الدار ففتحت لي وخرجت متوجها إلى داري فصليت الصبح ونمت فأتاني رسول المأمون فسرت إليه وأقمت نهاري عنده فلما كان وقت العشاء تفكرت ما كنت فيه البارحة وهو شيء لا يصبر عنه الجهلاء فخرجت وجئت إلى الزنبيل وجلست فيه ورفعت إلى موضعي الذي كنت فيه البارحة فقالت لي الجارية لقد عاودت فقلت لا أظن إلا أنني قد غفلت ثم أخذنا في المحادثة على عادتنا في الليلة السالفة من المذاكرة والمناشدة وغريب الحكايات منها ومني إلى الفجر ثم انصرفت إلى منزلي وصليت الصبح ونمت فأتى رسول المأمون فمضيت إليه وأقمت نهاري عنده فلما كان وقت العشاء قال لي أمير المؤمنين أقسمت عليه أن تجلس حتى أذهب إلى غرض وأحضر فلما ذهب الخليفة وغاب عني جالت وساوسي وتذكرت ما كنت فيه فهان علي ما يحصل لي من أمير المؤمنين فوثبت مدبراً وخرجت جارياً حتى وصلت إلى الزنبيل فجلست فيه ورفع بي إلى مجلسي فقالت لعلك صديقنا قلت أي والله قالت اجعلتنا دار إقامة قلت جعلت فداءك حتى الضيافة ثلاثة أيام فإن رجعت بعد ذلك فأنتم في حل من دمي ثم جلسنا على تلك الحالة فلما قرب الوقت علمت أن المأمون لابد أن يسألني فلا يقنع إلا بشرح القصة فقلت لها أراك ممن يعجب بالغناء ولي ابن عم أحسن مني وجهاً وأشرف قدراً وأكثر أدباً وأعرف خلق الله تعالى بأسحق قالت اطفيلي وتقترح قلت لها أنت المحكمة في الأمر فقالت إن كان ابن عمك علي ما تصف فما نكره معرفته ثم جاء الوقت فنهضت وقمت متوجها إلى داري فلم أصل إلى داري إلا ورسل المأمون هجموا علي وحملوني حملاً عنيفاً وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣١٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن اسحق الموصلي قال فلم أصل إلى داري إلا ورسل المأمون قد هجموا علي وحملوني حملاً عنيفاً وذهبوا بي إليه فوجدته قاعداً على كرسي وهو مغتاظ مني فقال يا أسحق أخروجاً عن الطاعة فقلت لا والله يا أمير المؤمنين فقال فما قصتك أصدقني الخبر فقلت نعم ولكن في خلوة فأومأ إلى من بين يديه فتنحوا فحدثته الحديث وقلت له أني وعدتها بحضورك قال أحسنت ثم أخذنا في لذتنا ذلك اليوم والمأمون متعلق القلب بها فما صدقنا بمجيء الوقت وسرنا وأنا أوصيه وأقول له تجنب أن تناديني بأسمي قدامها بل أنا لك تبع في حضرتها أو اتفقنا على ذلك ثم سرنا إلى أن أتينا مكان الزنبيل فوجدنا زنبلين فقعدنا فيهما ورفعنا إلى الموضع المعهود فأقبلت وسلمت علينا فلما رآها المأمون تحير من حسنها وجمالها وأخذت تذاكره الأخبار وتناشده الأشعار ثم أحضرت النبيذ فشربنا وهي مقبلة عليه مسرورة به وهو أيضاً مقبل إليها مسروراً بها ثم أخذت العود وغنت طريقة وبعد ذلك قالت لي وهل ابن عمك من التجار وأشارت إلى المأمون قلت نعم قالت أنكما لقريبا الشبه من بعضكما قلت نعم فلما شرب المأمون ثلاثة أرطال داخله الفرح والطرب

فصاح وقال يا أسحق قلت لبيك يا أمير المؤمنين قال عن بهذه الطريقة فلما علمت أنه الخليفة مضـ ت إلـ ى مكان ودخلت فيه وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٢٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الصبية دخلت في المكان ولما فرغ اسحق من الغناء قال له المـ أمون انظر من رب هذه الدار فبادرت عجوز بالجواب وقالت هي للحسن ابن سهل فقال علي به فغابـ ت العجـ وز ساعة وإذا بالحسن قد حضر فقال له المأمون ألك بنت قال نعم قال ما أسمها قال اسمها خديجة قال له هل هي متزوجة قال لا والله قال فأني أخطبها منك قال هي جاريتك وأمرها إليك يا أمير المؤمنين قال الخليفـ ـة قـ د تزوجتها علي نقد ثلاثين ألف دينار تحمل إليك صبيحة يومنا هذا فإذا قبضت المال فاحملها إلينا من ليلتها قال سمعاً وطاعة ثم خرجنا فقال يا اسحق لا تقص هذا الحديث على أحد فسترته إلى أن مات المأمون فما اجتمع لأحد مثل ما اجتمع لي في هذه الأربعة أيام مجالسة المأمون بالنهار ومجالسة خديجة بالليل والله مـ ا رأيـ ت أحداً من الرجال مثل المأمون ولا شاهدت امرأة من النساء مثل خديجة بل ولا تقارب خديجة فهماً ولا عقـ ـلاً ولا لفظاً والله أعلم

(حكاية الحشاش مع حريم بعض الأكابر)

(ومما) يحكي أنه كان آوان الحج والناس في الطواف فبينما المطاف مزدحم بالناس وإذا بإنسان متعلق بأستار الكعبة وهو يقول من صميم قلبه اسألك يا الله أنها تغضب على زوجها وأجامعها قال فسمعه جماعـ ـة من الحجاج فقبضوا عليه وأتوا إلى أمير الحجاج بعد أن أشبعوه ضرباً وقالوا له أيها الأمير أنا وجدنا هذا في الأماكن الشريفة يقول كذا وكذا فأمر أمير الحجاج بشنقه فقال له أيها الأمير بحق رسـ ول الله ﷺ أن تسـ مع قصتي وحديثي وبعد ذلك أفعل بي ما تريد قال حدث قال أعلم أيها الأمير أنني رجل حشاش أعمل في مسالخ الغنم فأحمل الدم والوسخ إلى الكيمان فأتفق أنني رائح بحماري يوماً من الأيام وهو محمل فوجـ دت النـ ـاس هاربين فقال واحد منهم أدخل هذا الزقاق لئلا يقتلوك فقلت ما للناس هاربين فقال لي واحد خدام هـ ذا حـ ريم لبعض الأكابر وصار الخدم ينحون الناس من الطريق قدامها ويضربون جميع الناس ولا يبالون بأخذ فدخلت بالحمار عطفة وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٢١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الرجل قال فدخلت بالحمار عطفة ووقفت وانتظر انقضاص الزحمـ ـة فرأيت الخدم وبأيديهم العصى ومعهم نحو ثلاثين أمرأة بينهم واحدة كأنها قضيب بان كاملة الحسن والظـ ـرف والدلال والجميع في خدمتها فلما وصلت إلى باب العطفة التي أنا واقف فيها التفتت يميناً وشمالاً ثـ م دعـ ت بطواشي فحضر بين يديها فساورته في أذنه وإذا بالطواشي جاء إلي وقـ بض علـ ي فتهاربـ ت النـ ـاس وإذا بطواشي آخر أخذ حماري ومضى به ثم جاء الطواشي وربطني بحبل وجرني خلفه وأنا لم أعرف ما الخبـ ر والناس من خلفنا يصيحون ويقولون ما يحل من الله هذا رجل حشاش فقير الحال ما سـ ـبب ربطـ ـه بالحبـ ـال ويقولون الطواشيه ارحموه يرحمكم الله تعالى وأطلقوه فقلت أنا في نفسي ما أخذني الطواشية إلا لأن سيدتهم شمت رائحة الوسخ فاشمأزت من ذلك أو تكون حبلى أو حصل لها ضرر فلا حول ولا قوة إلا بـ ـالله العلـ ي

العظيم وما زلت ماشياً خلفهم إلى أن وصلوا إلى باب دار كبير فدخلوا وأنا خلفهم واستمروا داخلين بي حتى وصلت إلى قاعة كبيرة ما أعرف كيف أصف محاسنها وهي مفروشة بفرش عظيم ثم دخل ت النس اء تل ك القاعة وأنا مربوط مع الطواشي فقلت في نفسي لابد أنهم يعاقبونني في هذا البيت حتى أموت ولا يعلم بموتي أحد ثم بعد ذلك أدخلوني حماماً لطيفاً من داخل القاعة فبينما أنا في الحمام وإذا بثلاث جوار دخل ن وقع دن حولي وقلن لي أقلع شراميطك فقلعت ما على من الخلقان وصارت واحدة منهن تحك رجلي وواح دة م نهن تغسل رأسي وواحدة تكسني فلما فرغن من ذلك حطوا لي بقجة قماش وقالوا لي البس ه ذه فقل ت والله م ا أعرف كيف ألبس فتقدمن إلي والبستني وهن يتضاحكن على ثم جئن بقماقم مملوءة بماء الورد ورششن علي وخرجت معهن إلى قاعة أخرى والله ما أعرف كيف أصف محاسنها من كثرة ما فيثها من ال نقش والف رش فلما دخلت تلك القاعة وجدت واحدة قاعدة على تخت من الخيزران وأدرك شهرزاد فس كتت ع ن الك لام المباح.

(وفي ليلة ٣٢٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الرجل قال فلما دخلت تلك القاعة وجدت واحدة قاعدة على تخت م ن الخيزران قوائمه من عاج وبين يديها جملة جوار فلما رأتني قامت إلى ون ادتني فجئ ت عن دها ف أمرتني بالجلوس فجلست إلى جانبها وأمرت الجواري أن يقدمن الطعام فقدمن لي طعاماً فأخرا من سائر الألوان م ا أعرف أسمه ولا أعرف صفته في عمري فأكلت منه قدر كفايتي وبعد رفع الزبادي وغسل الأي ادي أم رت بإحضار الفواكه فحضرت بين يديها في الحال فأمرتني بالأكل فأكلت فلما فرغنا من الأك ل أم رت بع ض الجواري بإحضار سلاحيات الشراب فأحضرن شيئاً مختلف الألوان ثم أطلقن المباخر م ن جمي ع البخ ور وقامت جارية مثل القمر تسقينا على نغمات الأوتار فسكرت أنا وتلك السيدة الجالسة كل ذلك جرى وأنا أعتقد أنه حلم في المنام ثم بعد ذلك أشارت إلى بعض الجواري أن يفرشن لنا في مكان ففرشن في المك ان ال ذي أمرت به ثم قامت وأخذت بيدي إلى ذلك المكان المفروش وقامت ونمت معها إل ى الص باح وكن ت كلم ا ضممتها إلى صدري أشم منها رائحة المسك والطيب وما أعتقد إلا أني في الجنة أر أني أحلم في المنام فلم ا أصبحت سألتني عن مكاني فقلت في المحل الفلاني فأمرت بخروجي وأعطتني منديلاً مطرزاً بالذهب والفضة وعليه شيء مربوط فقالت لي أدخل الحمام بهذا ففرحت وقلت في نفسي أن كان ما عليه خمسة فلوس فه ي غدائي في هذا اليوم ثم خرجت من عندها كأني خارج من الجنة وجئت إلى المخزن الذي أن ا في ه ففتح ت المنديل فوجدت فيه خمسين مثقالاً من الذهب فدفنتها وقعدت عند الباب بعد أن اشتريت بفلسين خبزاً وإدام ا وتغديت ثم صرت متفكراً في أمري فبينما أنا كذلك إلى وقت العصر وإذا بجارية قد أتت وقالت لي أن سيدتي تطلبك فخرجت معها إلى باب الدار فاستأذنت لي فدخلت وقبلت الأرض بين يديها فأمرتني بالجلوس وأمرت بإحضار الطعام والشراب على العادة ثم نمت معها على جري العادة التي تقدمت أول ليل ة فلم ا أص بحت ناولتني منديلاً ثانياً فيه خمسون مثقالاً من الذهب فأخذتها وخرجت وجئت إلى المخزن ودفنتها ومكثت عل ى هذه الحالة مدة ثمانية أيام أدخل عندها في كل يوم وقت العصر وأخرج من عندها في أول النهار فبينما أن ا نائم عندها ليلة ثامن يوم وإذا بجارية دخلت وهي تجري وقالت لي قم أطلع إلى هذه الطبقة فطلعت في تل ك

الطبقة فوجدتها تشرف على وجه الطريق فبينما أنا جالس وإذا بضجة عظيمة ودربكة خيل في الزقاق وك ان في الطبقة طاقة تشرف على الباب فنظرت منها فرأيت شاباً راكباً كأنه القمر الطالع ليلة تمامه وب ين يدي ه مماليك وجند يمشون في خدمته فتقدم إلى الباب وترجل ودخل القاعة فرآها قاعدة على السرير فقبل الأرض بين يديها ثم تقدم وقبل يدها فلم تكلمه فما برح ينخضع لها حتى صالحها ون ام عن دها تل ك الليل ة وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٢٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الصبية لما صالحها زوجها نام عندها تلك الليلة فلما أصبح الص باح أتته الجنود وركب وخرج من الباب فطلعت عندي وقالت لي أرأيت هذا قلت لها نعم قالت هو زوجي وأحكي لك ما جرى لي معه أتفق أنني كنت أنا وأياه يوماً قاعدين في الجنينة داخل البيت وإذا هو قد قام من ج انبي وغاب عني ساعة طويلة فاستبطأته فقلت في نفسي لعله يكون في بيت الخلاء فنهضت إلى بيت الخلاء فل م أجده فدخلت المطبخ فرأيت جارية فسألتها عنه فأرتني أياه وهو راقد مع جارية من جواري المطبخ فعند ذلك حلفت يميناً عظيماً أنني لابد أن أزني مع أوسخ الناس وأقدرهم ويوم قبض عليك الطواشي كان لي أربعة أيام وأنا أدور في البلد على واحد يكون بهذه الصفة فما وجدت أحداً أوسخ ولا أقذر منك فطلبتك وقد كان ما كان من قضاء الله علينا وقد خلصت من اليمين التي حلفتها ثم قالت فمتى وقع زوجي على الجارية ورق د معه ا مرة أخرى أعدتك إلى ما كنت عليه معي فلما سمعت منها هذا الكلام ورمت قلبي من لحاظها بالسهام ج زت دموعي حتى قرحت المحاجر وأنشدت قول الشاعر:

مكنيذ ـي م ـن بـ ـوس يسـ ـراك عشـ ـراً   وأعرف ـ ـي فضـ ـ ـلها علـ ـ ـى يمنـ ـ ـاك
أن يسـ ـ ـراك لهـ ـ ـي أقـ ـ ـرب عهـ ـ ـداً   وقـ ـ ـت غسـ ـ ـل الخـ ـ ـرا بمسـ ـ ـتنجاك

ثم أنها أمرت بخروجي من عندها وقد تحصل لي منها أربعمائة مثقال من الذهب فأنا أص رف منه ا وجئت إلى ههنا أدعو الله سبحانه وتعالى أن زوجها يعود إلى الجارية مرة لعلي أعود إلى ما كنت عليه فلم ا سمع أمير الحج قصة الرجل أطلقه وقال للحاضرين بالله عليكم أن تدعوا له فإنه معذور.

حكاية هارون الرشيد مع محمد بن علي الجوهري

(ومما) يحكي أن الخليفة هارون الرشيد قلق ليلة من الليالي قلقاً شديداً فاستدعى بوزيره جعفر البرمكي وقال له أن صدري ضيق ومرادي في هذه الليلة أن اتفرج في شوارع بغداد وانظر في مصالح العباد بشرط أننا نتزيا بزي التجار حتى لا يعرفنا أحد من الناس فقال له الوزير سمعاً وطاعة ثم قاموا في الوقت والساعة ونزعوا ما عليهم من ثياب الافتخار ولبسوا ثياب التجار وكانوا ثلاثة الخليف ة وجعف ر ومس رور الس ياف وتمشوا من مكان إلى مكان حتى وصلوا إلى الدجلة فرأوا شيخاً قاعداً في زورق فتقدموا إليه وسلموا علي ه وقالوا له يا شيخ أنا نشتهي من فضلك وأحسانك أن تفرجنا في مركبك هذه وخذ هذا ال دينار ف ي أجرت ك وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٢٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أنهم قالوا للشيخ أنا نشتهي أن تفرجنا في مركبك وخذ هذا الدينار قال لهم من ذا الذي يقدر على الفرجة والخليفة هارون الرشيد ينزل في كل ليلة بحر الدجلة في زورق صغير ومعه مناد ينادي ويقول يا معشر الناس كافة من كبير وصغير وخاص وعام وصبي وغلام كل من نزل في مركب وشق الدجلة ضربت عنقه أو شنقته على صاري مركبه وكأنكم به في هذه الساعة وزورقه مقبل فقال الخليفة وجعفر يا شيخ خذ هذين الدينارين وأدخل بنا قبة من هذه القباب إلى أن يروح زورق الخليفة فقال لهم الشيخ هاتوا الذهب والتوكل على الله تعالى فأخذ الذهب وعوم بهم قليلاً وإذا بالزورق قد أقبل من كبد الدجلة وفيه الشموع والمشاعل مضيئة فقال لهم الشيخ أما قلت لكم أن الخليفة يشق في كل ليلة ثم أن الشيخ صار يقول يا ستار لا تكشف الأستار ودخل بهم في قبة ووضع عليهم مئزرا أسود وصاروا يتفرجون من تحت المئزر فرأوا في مقدم الزورق رجلاً بيده مشعل من الذهب لأحمر وهو يشعل فيه بالعود القاقلي وعلى كتفه الآخر محلاة من الحرير الأخضر ملآنة بالعود القاقلي يوقد منها المشعل عوضاً عن الحطب ورأوا رجلاً آخر الزورق لابساً مثل لبسه وبيده مشعل مثل المشعل الذي معه ورأوا في الزورق مائتي مملوك واقفين يميناً ويساراً ووجد كرسياً من الذهب الأحمر منصوباً وعليه شاب حسن جالس كالقمر وعليه خلعة سوداء بطراز من الذهب الأصفر وبين يديه إنسان كأنه الوزير جعفر وعلى رأسه خادم واقف كأنه مسرور وبيده سيف مشهور ورأوا عشرين نديماً فلما رأى الخليفة ذلك قال يا جعفر قال لبيك يا أمير المؤمنين قال لعل هذا واحد من أولادي أما المأمون وأما الأمين ثم تأمل الشاب وهو جالس على الكرسي فرآه كامل الحسن والجمال والقد والاعتدال فلما تأمله التفت إلى الوزير قال يا وزير قال لبيك قال والله أن هذا الجالس لم يترك شيئاً من شكل الخلافة والذي بين يديه كأنه أنت يا جعفر والخادم الذي وقف على رأسه كأنه مسرور وهؤلاء الندماء كأنهم ندمائي وقد حار عقلي في هذا الأمر. فقالت لها أختها دنيا زاد ما أحسن حديثك وأطيبه وأحلاه وأعذبه فقالت وأين هذا مما أحدثكم به الليلة القابلة أن عشت وأبقاني الملك فقال الملك في نفسه والله لا أقتلها حتى أسمع بقية حديثها. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٢٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الخليفة لما رأى هذا الأمر تحير في عقله وقال والله أني تعجبت من هذا الأمر يا جعفر فقال له جعفر وأنا والله يا أمير المؤمنين ثم ذهب الزورق حتى غاب عن العين فعند ذلك خرج الشيخ بزورقه وقال الحمد لله على السلامة حيث لم يصادفنا أحد فقال الخليفة يا شيخ وهل الخليفة في كل ليلة ينزل الدجلة قال نعم يا سيدي وله على هذه الحالة سنة كاملة فقال يا شيخ نشتهي من فضلك أن نقف لنا هنا الليلة القابلة ونحن نعطيك خمسة دنانير ذهباً فأننا قوم غرباء وقصدنا النزهة ونحن نازلون في الخندق فقال له الشيخ حباً وكرامة ثم أن الخليفة وجعفراً ومسروراً توجهوا من عند الشيخ إلى القصر وقلعوا ما كان عليهم من لبس التجار ولبسوا ثياب الملك وجلس كل واحد في مرتبته ودخل الأمراء والوزراء والحجاب والنواب وانعقد المجلس بالناس فلما انقضى المجلس وتفرقت أجناس الناس وذهب كل واحد إلى حال سبيله

قال الخليفة هارون الرشيد يا جعفر أنهض بنا للفرجة على الخليفة الثاني فضحك جعفر ومسرور ولبسوا لبس التجار وخرجوا يشقون وهم في غاية الانشراح وكان خروجهم من باب السر فلما وصلوا إلى الدجلة وجـ دوا الشيخ صاحب الزورق قاعداً لهم في الانتظار فنزلوا عنده في المركب فما استقر بهم الجلـ وس مـ ـع الشـ يخ ساعة حتى جاء زورق الخليفة الثاني وأقبل عليهم فالتفتوا إليه وأمعنوا فيه النظر فوجدوا فيه مائتي مملـ وك غير المماليك الأول والمشاعلية ينادون على عادتهم فقال الخليفة يا وزير هذا شيء لو سمعت به مـ ـا كنـ ـت أصدقه ولكنني رأيت ذلك عياناً ثم أن الخليفة قال لصاحب الزورق الذي هم فيه خذ يا شيخ هذه العشرة دنانير وسر بنا في محاذاتهم فإنهم في النور ونحن في الظلام فننظرهم ونتفرج عليهم وهم لا ينظروننا فأخذ الشـ يخ العشرة دنانير ومشي بزورقه في محاذاتهم وساروا في ظلام زورقهم وأدرك شهرزاد فسكتت عـ ـن الكـ ـلام المباح.

(وفي ليلة ٣٢٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الخليفة هارون الرشيد قال للشيخ خذ هذه العشرة دنانير ومر بنا فـ ـي محاذاتهم فقال سمعاً وطاعة ثم أخذ الدنانير وسار بهم ومازالوا سائرين في ظلام الزورق إلى البساتين فلمـ ـا وصلوا إلى البستان رأوا زربيه فرسي عليها الزورق وإذا بغلمان واقفين ومعهم بغلة مسرجة ملجمـ ـة فطلـ ـع الخليفة الثاني وركب البغلة وسار بين الندماء وصاحت المشاعلية واشتغلت الغاشية بشـ ـأن الخليفـ ـة الثـ ـاني هارون الرشيد هو وجعفر ومسرور إلى البر وسقوا بين المماليك وساروا قدامهم فلاحت من المشاعلية التفاتة فرأوا ثلاثة أشخاص لبسهم لبس تجار وهم غرباء الديار فأنكروا عليهم وغمزوا عليهم وأحضروهم بين يدي الخليفة الثاني فلما نظرهم قال لهم كيف وصلتم إلى هذا المكان وما الذي جاء بكم في هذا الوقـ ـت قـ ـالوا يـ ـا مولانا نحن قوم من التجار غرباء الديار وقدمنا في هذا اليوم وخرجنا نتمشى الليل وإذا بكم فقد أقبلتم فجـ ـاء هؤلاء وقبضوا علينا وأوقفونا بين يديك وهذا خبرنا فقال الخليفة الثاني لا بأس عليكم لأنكم قوم غرباء ولـ ـو كنتم من بغداد لضربت أعناقكم ثم التفت إلى وزيره وقال خذ هؤلاء صحبتك فإنهم ضيوفنا في هذه الليلة فقال سمعاً وطاعة لك يا مولانا ثم سار وهم معه إلى أن وصلوا إلى قصر عال عظيم الشأن محكم البنيان ما حواه سلطان قام من التراب وتعلق بأكتاف السحاب وبابه من خشب الصاج مرصع بالذهب الوهـ ـاج يصـ ـل منـ ـه الداخل إلى أيوان بفسقية وشاذروان وبسط ومخدات من الديباج ونمارق وطوالات وهناك ستر مسبول وفرش يذهل العقول ويعجز من يقول وعلى الباب مكتوب هذان البيتان:

قصـ . ـر عليـ . ـه تحيـ . ـة وسـ . ـلام	خلعـ . ـت عليـ . ـه جمالهـ . ـا الأيـ . ـام
فيـ . ـه العجائـ . ـب والغرائـ . ـب نوعـ . ـت	فتحيـ . ـرت فـ . ـي فنهـ . ـا الأقـ . ـلام

ثم دخل الخليفة الثاني والجماعة صحبته إلى أن جلس على كرسي من الذهب مرصع بالجواهر وعلـ ـى الكرسي سجادة من الحرير الأصفر وقد جلست الندماء ووقف سياف النقمة بين يديه فمدوا السـ ـماط وأكلـ ـوا ورفعت الأواني وغسلت الأيادي وأحضروا آلة المدام واصطفت القناني والكاسات ودار الدور إلى أن وصل إلى الخليفة هارون الرشيدي فامتنع من الشراب فقال الخليفة الثاني لجعفر ما بال صاحبك لا يشرب فقال يـ ـا مولاي أن له مدة ما شرب من هذا فقال الخليفة الثاني عندي مشروب غير هذا يصلح لصاحبك وهـ ـو مـ ـن

شراب التفاح ثم أمر به فأحضروه في الحال فتقدم الخليفة الثاني بين يدي هارون الرشيد وقال له كلما وصل إليك الدور فأشرب من هذا الشراب ومازالوا في انشراح وتعاطي أقداح الراح إلى أن تمكن الشراب من رؤوسهم واستولى على عقولهم وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٢٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الخليفة الثاني هو وجلسائه ما زالوا يشربون حتى تمكن الشرب من رؤوسهم واستولى على عقولهم فقال الخليفة هارون الرشيد لوزيره يا جعفر والله ما عندنا آنية مثل هذه الآنية فياليت شعري ما شأن هذا الشاب فبينما هما يتحدثان سراً إذ لاحت من الشاب التفاتة فوجد الوزير بتسارر مع الخليفة فقال أن المسارة عربدة فقال الوزير ما ثم عربدة إلا أن رفيقي هذا يقول أني سافرت إلى غالب البلاد ونادمت أكابر الملوك وعاشرت الأجناد فما رأيت أحسن من هذا النظام ولا أبهج من هذه الليلة غير أن أهل بغداد يقولون الشراب بلا سماع ربما أورث الصداع فلما سمع الخليفة الثاني ذلك تبسم وانشرح وكان بيده قضيب فضرب به على مدورة وإذا بباب فتح وخرج منه خادم يحمل كرسياً من العاج مصفحاً بالذهب الوهاج وخلفه جارية بارعة في الحسن والجمال والبهاء والكمال فنصب الخادم الكرسي وجلست عليه الجارية وهي كالشمس الضاحية في السماء الصافية وبيدها عود عمل صناع الهنود فوضعته في حجرها وانحنت عليه انحناء الوالدة على ولدها وغنت عليه بعد أن أطربت وقلبت أربعاً وعشرين طريقة حتى أذهلت العقول ثم عادت إلى طريقتها الأولى وأطربت بالنغمات وأنشدت هذه الأبيات:

لسان الهوى في مهجتي لك ناطق ... يخبر عني أنني لك عاشق
ولي شاهد من حر قلب معذب ... وطرف قريح والدموع سوابق
وما كنت أدري قبل حبك ما الهوى ... ولكن قضاء الله في الخلق سابق

فلما سمع الخليفة الثاني هذا الشعر من الجارية صرخ صرخة عظيمة وشق البدلة التي كانت عليه إلى الذيل وأسبلت عليه الستارة وأتوه ببدلة غيرها أحسن منها فلبسها ثم جلس على عادته فلما وصل إليه القدح ضرب بالقضيب على المدورة وإذا بباب قد فتح وخرج منه خادم يحمل كرسياً من الذهب وخلفه جارية أحسن من الجارية الأولى فجلست على ذلك الكرسي وبيدها عود يكمد قلب الحسود فغنت عليه بهذين البيتين:

كيف اصطباري ونار الشوق في كبدي ... والدمع من مقلتي طوفانه أبدي
والله ما طاب لي عيش أسر به ... فكيف يفرح قلب حشوه كمدي

فلما سمع الشاب هذا الشعر صرخ صرخة عظيمة وشق ما عليه من الثياب إلى الذيل وانسبلت عليه الستارة وأتوه ببدلة أخرى فلبسها واستوي جالساً فرجع إلى حالته الأولى وانبسط في الكلام فلما وصل القدح إليه ضرب على المدورة فحرج خادم ووراءه جارية أحسن من التي قبلها ومعه كرسي فجلست الجارية على الكرسي وبيدها عود فغنت عليه بهذه الأبيات:

أقصروا الهجر أو أقلوا جفاكم ... ففؤادي وحقكم ما سلاكم
وأرحموا مدنفا كئيبا حزينا ... ذا غرام متيما في هواكم
قد برته السقام من فرط وجد ... فتمنى من الإله رضاكم

يـ ـا بـ ـدورا محلهـ ـم فـ ـي فـ ـؤادي كيـ ـف أختـ ـار فـ ـي الأنـ ـام سـ ـواكم

فلما سمع الشاب هذه الأبيات صرخ صرخة عظيمة وشق ما عليه من الثياب فأرخوا علي ـه الس تارة وأتوه بثياب غيرها ثم عاد إلى حالته مع ندمائه ودارت الأقداح فلما وصل القدح إليه ضرب عل ى المـ دورة فانفتح الباب وخرج منه غلام ومعه كرسي وخلفه جارية فنصب لها الكرسي وجلست عليه وأخـ ذت العـ ود وأصلحته وغنت عليه بهذه الأبيات:

حتى متـ ى يمضـ ي التهـ اجر والقلـ ي ويعـ ود لـ ـي مـ ـا قـ ـد مضـ ى لـ ـي أولاً
مـ ـن أمـ ـس كنـ ـا والـ ـديار تلمنـ ـا" فـ ـي أنسـ ـنا ونـ ـرى الحواسـ ـد عقـ ـلاً
غـ ـدر الزمـ ـان بنـ ـا وفـ ـرق شـ ـملنا مـ ـن بعـ ـد مـ ـا تـ ـرك المنـ ـازل كـ ـالخلا
أتـ ـروم منـ ـي يـ ـا عـ ـذولي سـ ـلوة وأرى فـ ـ ـؤادي لا يطيـ ـ ـع العـ ـ ـذلا
فـ ـ دع المـ ـ ـلام وخلنـ ـي بصـ ـ بابتي فالقلـ ـب مـ ـن أنـ ـس الأحبـ ـة مـ ـا خـ ـلا
يـ ـا سـ ـادة نقضـ ـوا العهـ ـود وبـ ـدلوا لا تحسـ ـ بوا قلبـ ـ ـي ببعـ ـ ـدكم سـ ـ ـلا

فلما سمع الخليفة الثاني إنشاد الجارية صرخ صرخة عظيمة وشق ما عليه. وأدرك شهرزاد فسـ كتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٢٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الخليفة الثاني لما سمع شعر الجارية صرخ صرخة عظيمة وشق مـ ـا عليه من الثياب وخر مغشياً عليه فأرادوا أن يرخوا عليه الستارة بحسب العادة فتوقفت حبالها فلاحـ ـت مـ ـن هارون الرشيد التفاتة إليه فنظر على بدنه آثار ضرب مقارع فقال الرشيد بعد النظر والتأكيد يا جعفـ ـر والله أنه شاب مليح إلا أنه لص قبيح فقال جعفر من أين عرفت ذلك يا أمير المؤمنين فقال أما رأيت ما على جنبيه من أثر السياط ثم أسبلوا عليه الستارة وأتوه ببدلة غير التي كانت عليه فلبسها واستوى جالساً علـ ى حالتـ ـه الأولى مع الندماء فلاحت منه التفاتة فوجد الخليفة وجعفراً يتحدثان سراً فقال لهما ما الخبر يا فتيـ ـان فقـ ـال جعفرلا يا مولانا خير غير أنه لا خفاء عليك أن رفيقي هذا من التجار وقد سافر جميع الأمصـ ـار والأقطـ ـار وصحب الملوك والأخبار وهو يقول لي أن الذي حصل من مولانا الخليفة في هذه الليلة أسراف عظيم ولم أر أحداً فعل مثل فعله في سائر الأقاليم لأنه شق كذا وكذا بدلة كل بدلة بألف دينار وهذا أسـ ـراف زائـ ـد فقـ ـال الخليفة الثاني يا هذا أن المال مالي والقماش قماشي وهذا من بعض الألغام على الخدام والحواشي فـ ـإن كـ ـل بدلة شققتها لواحد من الندماء المضار وقد رسمت لهم مع كل بدلة بخمسمائة دينار فقال الوزير جعفر نعم ما فعلت يا مولانا ثم أنشد هذين البيتين:

بنـ ـت المكـ ـارم وسـ ـط كفـ ـك منـ ـزلاً وجعلـ ـ ـت مالـ ـ ـك للأنـ ـ ـام مباحـ ـ ـا
فـ ـ إذا المكـ ـ ـارم أغلقـ ـ ـت أبوابهـ ـ ـا كانـ ـ ـت يـ ـ ـداك لقفلهـ ـ ـا مفتاحـ ـ ـا

فلما سمع الشاب هذا الشعر من الوزير جعفر رسم له بألف دينار وبدلة ثم دارت بينهم الأقداح وطـ ـاب لهم الراح فقال الرشيد يا جعفر أسأله عن الضرب الذي على جنبيه حتى ننظر ما يقول في جوابـ ـه فقـ ـال لا تعجل يا مولانا وترفق بنفسك فإن الصبر أجمل فقال وحياة رأسي وتربة العباس أن لم تسأله لأخمـ ـدن منـ ـك

الأنفاس فعند ذلك التفت الشاب إلى الوزير وقال له مالك مع رفيقك تتسارران فأخبرني بشأنكما فقال خير فقال الشاب سألتك بالله أن تخبرني بخبركما ولا تكتما عني شيئاً من أمركما فقال يا مولاي أنه أبصر على جنبيك ضرباً وأثر سياطاً ومقارع فتعجب من ذلك غاية العجب وقال كيف يضرب الخليفة وقصده أن يعلم ما السبب فلما سمع الشاب ذلك تبسم وقال اعلموا أن حديثي غريب وأمري عجيب لو كتب بالأبر على أماق البصر لكان عبرة لمن اعتبر ثم صعد الزفرات وأنشد هذه الأبيات:

حـ ـديثي عجيـ ـب فـاق كـ ـل العجائـ ـب	وحـ ـق الهـ ـوى ضـ ـاقت علـ ـى مـ ـذاهبي
فإن شئتموا أن تسـ ـمعوا لـ ـي فانصـ ـتوا	ويسكت هـ ـذا الجمـ ـع مـ ـن كـ ـل جانـ ـب
وأصـ ـغوا إلـ ـى قـ ـولي ففيـ ـه إشـ ـارة	وأن كلامـ ـي صـ ـادق غيـ ـر كـ ـاذب
فـ ـأني قتيـ ـل مـ ـن غـ ـرام ولوعـ ـة	وقـ ـاتلتي فاقـ ـت جميـ ـع الكواكـ ـب
لها مقلـ ـة كحـ ـلاء مثـ ـل مهنـ ـدي	وترمي سهاماً من قسي الحواجـ ـب
وقد حسـ قلبـ ـي أن فـ ـيكم أمامنـ ـا	خليفة هذا الوقـ ـت وابـ ـن الأطايـ ـب
وثـ ـانيكم وهـ ـو المنـ ـادي بجعفـ ـر	لديه وزير صاحب وابن الأصـ ـاحب
وثـ ـالثكم مسـ ـرور سـ ـياف نقمـ ـة	فإن كان هذا القولي لـ ـيس بكـ ـاذب
لقد نلت ما أرجو من الأمـ ـر كلـ ـه	وجاء سرور القلب من كـ ـل جانـ ـب

فلما سمعوا منه هذا الكلام حلف له جعفر وورى في يمينه أنهم لم يكونوا المذكورين فضحك الشاب وقال اعلموا يا سادتي أني لست أمير المؤمنين وأنما سميت نفسي بهذا لأبلغ ما أريد من أولاد المدينة وأنما أسمى محمد علي بن علي الجوهري وكان أبي من الأعيان فمات وخلف لي مالاً كثيراً من ذهب وفضة ولؤلؤ ومرجان وياقوت وزبرجد وجواهر وعقارات وحمامات وغيطان وبساتين ودكاكين وطوابين وعبيد وجواري وغلمان فاتفق في بعض الأيام أني كنت جالساً في دكاني وحولي الخدم والحشم وإذا بجارية قد أقبلت راكبة على بغلة وفي خدمتها ثلاث جوار كأنهن الأقمار فلما قربت مني نزلت على دكاني وجلست عندي وقالت لي هل أنت محمد الجوهري فقلت لها لعم هو أنا مملوكك وعبدك فقالت هل عندك جوهر يصلح لي فقلت يا سيدتي الذي عندي أعرضه عليك وأحضره بين يديك فإن أعجبك منه شيء كان بسعد المملوك وأن لم يعجبك شيء فبسوء حظي وكان عندي مائة عقد من الجوهر فعرضت عليها الجميع فلم يعجبها شيء من ذلك وقالت أريد أحسن مما رأيت وكان عندي عقداً صغيراً اشتراه والدي بمائة ألف دينار ولم يوجد مثله عند أحد من السلاطين الكبار فقلت لها يا سيدتي بقي عندي عقد من الفصوص والجواهر الذي لا يملك مثله أحد من الأكابر والأصاغر فقالت لي أرني أياه فلما رأته قالت هذا مطلوبي وهو الذي طول عمري أتمناه ثم قالت لي كم ثمنه فقلت لها ثمنه على والدي مائة ألف دينار فقالت ولك خمسة آلاف دينار فائدة فقلت يا سيدتي العقد وصاحبه بين يديك ولا خلاف عندي فقالت لابد من الفائدة ولك المنة الزائدة ثم قامت من وقتها وركبت البغلة بسرعة وقالت لي يا سيدي باسم الله تفضل صحبتنا لتأخذ الثمن فإن نهارك اليوم بنا مثل اللبن فقمت وأقفلت الدكان وسرت معها في أمان إلى أن وصلنا الدار فوجدتها داراً عليها آثار السعادة لائحة وبابها مزركش بالذهب والفضة واللازورد مكتوب عليه هذان البيتان:

ألا يـ . . ـا دار لا يـ . . ـدخلك حـ . . ـزن ولا يغـ . . ـدر بصـ . . ـاحبك الزمـ . . ـان
فـ ـنعم الـ ـدار أنـ ـت لكـ ـل ضـ ـيف إذا مـ . ـا ضـ ـاق بالضـ ـيف المكـ ـان

فنزلت الجارية ودخلت الدار وأمرتني بالجلوس على مصطبة الباب إلى أن يأتي الصـ يرفي فجلسـ ـت على باب الدار ساعة وإذا بجارية خرجت إلى وقالت يا سيدي أدخل الدهليز فإن جلوسك على البـ ـاب قبـ ـيح فقمت ودخلت الدهليز وجلست على الدكة فبينما أنا جالس وإذا بجارية خرجت إلي وقالت لي يـ ـا سـ ـيدي أن سيدتي تقول لك أدخل وأجلس على باب الديوان حتى تقبض مالك فقمت ودخلت البيت وجلسـ ـت لحظـ ـة وإذا بكرسي من الذهب وعليه ستارة من الحرير وإذا بتلك الستارة قد رفعت فبان من تحتها تلك الجاريـ ـة التـ ـي أشترت مني ذلك العقد وقد أسفرت عن وجه كأنه دارة القمر والعقد في عنقها فطاش عقلي وأندهش لبي مـ ـن تلك الجارية لفرط حسنها وجمالها فلما رأتني قامت من فوق الكرسي وسعت إلى نحوي وقالت لي يـ ـا نـ ـور عيني هل كل من كان مليح مثلك ما يرثي لمحبوبته فقلت يا سيدتي الحسن كله فيك وهو من بعض معانيـ ـك فقالت يا جوهري اعلم أني أحبك وما صدقت أني أجيء بك عندي ثم أنها مالت على فقبلتها وقبلتـ ـي وإلـ ـى جهتها جذبتني وعلى صدرها رمتني وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٢٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجوهري قال ثم أنها مالت علي وقبلتني وإلى جهتها جذبتني وعلـ ـى صدرها رمتني وعلمت من حالي أنني أريد وصالها فقالت يا سيدي أتريد أن تجتمع بي فـ ـي الحـ ـرام والله لا كان من يفعل مثل هذه الآثام ويرضى بقبح الكلام فأني بكر عذراء مادنا مني أحد ولست مجهولة فـ ـي البلـ ـد أتعلم من أنا فقلت لا والله يا سيدتي فقالت أنا السيدة دنيا بنت يحيى بن خالد البرمكي وأخـ ـي جعفـ ـر وزيـ ـر الخليفة فلما سمعت ذلك منها أحجمت بخاطري عنها وقلت لها يا سيدتي مالي ذنب في التهجم عليك أنت التي أطعمتيني في وصالك بالوصول إليك فقالت لا بأس عليك ولابد من بلوغك المراد بما يرضى الله فإن أمـ ـري بيدي والقاضي ولي عقدي والقصد أن أكون لك أهلاً وتكون لي بعلائم أنها دعت بالقاضي والشهود وبـ ـذلت المجهود فلما حضروا قالت لهم محمد علي ابن علي الجوهري قد طلب زواجي ودفع لي هذا العقد في مهرى وأنا قبلت ورضيت فكتبوا كتابي عليها ودخلت بها وأحضرت آلات الراح ودارت الأقدام بأحسن نظام وأتـ ـم أحكام ولما شعشعت الخمرة في رؤوسنا أمرت جارية عوادة أن تغني فأخـ ـذت العـ ـود وأطربـ ـت النغمـ ـات وأنشدت هذه الأبيات:

بدا فـ ـاراني الظبـ ـي والغصـ ـن والبـ ـدرا فتبـ ـا لقلـ ـب لا يبيـ ـت بـ ـه مغـ ـرى
ملـ . ـيح أراد الله أطفـ . . ـاء فتنـ . . ـة بعارضـ ـه فاسـ ـتؤنفت فتنـ ـة أخـ ـرى
أغـ ـالط عـ ـذالي إذا ذكـ ـروا لـ ـي حـ ـديثاً كـ ـأني لا أحـ ـب لـ ـه ذكـ ـراً
وأصـ ـغى إذا فـ ـاهوا بغيـ ـر حديثـ ـه بسـ ـمعي ولكنـ ـي أذوب بـ ـه فكـ ـراً
نبـ ـي جمـ ـال كـ ـل مـ ـا فيـ ـه معجـ ـز من الحسن لكن وجهـ ـه الآيـ ـة الكبـ ـرى
أقام بـ ـلال الحـ ـال فـ ـي صـ ـحن خـ ـده يراقـ ـب مـ ـن لألأ غرتـ ـه الفجـ ـرا
يريـ . . ـد سـ . . ـلوى العـ . . ـاذلون وما كنت أرضـ ـى بعـ ـد أيمـ ـاني الكفـ ـرا

فاطر بت الجارية بما أبدته من نغمات الأوتار ورقيق الأشعار ولم تزل الجواري تغني جاري ـة بع ـد جارية وينشدن الأشعار إلى أن غنت عشر جوار ثم أنها صرفت الجواري وقمنا إلى أحسن مكان قد فرش لنا فيه فرش من سائر الألوان ونزعت ما عليها من الثياب وخلوت بها خلوة الأحباب فوج ـدتها درة ل ـم تثق ـب ومهرة لم تركب ففرحت بها ولم أر في عمري ليلة أطيب من تلك الليلة وأدرك شهرزاد فسكتت عن الك ـلام المباح.

(وفي ليلة ٣٢٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن محمد بن علي الجوهري قال لما دخلت بالسيدة دنيا بنت يحي ـى ب ـن خالد البرمكي رأيتها درة لم تثقب ومهرة لم تركب فأنشدت هذين البيتين:

طوقتـ ـه ط ـوق الحم ـام بس ـاعدي	**وجعلـ ـت كف ـ ـى للثـ ـام مباحـ ـ ـاً**
ه ـذا ه ـو الف ـوز العظ ـيم ولـ ـم نـ ـزل	**متعـ ـانقين فـ ـلا نريـ ـد براحـ ـ ـا**

ثم أقمت عندها شهراً كاملاً وقد تركت الدكان والأهل والأوطان فقالت لي يوماً من الأيام يا نور العين يا سيدي محمد أني قد عزمت اليوم على المسير إلى الحمام فاستقر أنت على هذا السرير ولا تنتقل من مكانك إلى أن أرجع إليك وحلفتني على ذلك فقلت لها سمعاً وطاعة ثم أنها حلفتني أني لا أنتقل من موضعي وأخذت جواريها وذهبت إلى الحمام فو الله يا أخواني ما لحقت أن تصل إلى رأس الزقاق إلا والباب قد فتح ودخل ـت منه عجوز وقالت يا سيدي محمد أن السيدة زبيدة تدعوك فإنها سمعت بأدبك وظرفك وحسن غنائك فقلت لها والله ما أقوم من مكاني حتى تأتي السيدة دنيا فقالت العجوز يا سيدي لا يجعل السيدة زبيدة تغضـ ـب علي ـك وتبقى عدوتك فقم كلمها وأرجع إلى مكانك فقمت من وقتي وتوجهت إليها والعجوز أمامي إلى أن أوصـ ـلتني إلى السيدة زبيدة فلما وصلت إليها قالت لي يا نور العين هل أنت معشوق السيدة دنيا فقلـ ـت أنـ ـا مملوك ـك وعندك فقالت صدق الذي وصفك بالحسن والجمال والأدب والكمال فإنك فوق الوصف والمنال ولكن عن لي حتى أسمعك فقلت سمعاً وطاعة فأتتني بعود فغنيت عليه بهذه الأبيات:

قلـ ـب المحـ ـب مـ ـع الأحبـ ـاب مغلـ ـوب	**وجسـ ـمه بيـ ـد الأسـ ـقام منهـ ـوب**
ما في الرجـ ـال وقـ ـد زمـ ـت ركـ ـائبهم	**إلا محـ ـب لـ ـه فـ ـي الركـ ـب محبـ ـوب**
أسـ ـتودع الله فـ ـي أظـ ـابكم قمـ ـراً	**يهـ ـواه قلبـ ـي وعـ ـن عيذـ ـي محجـ ـوب**
يرضـ ـى ويغضـ ـب مـ ـا أحلـ ـى تـ ـدلله	**وكـ ـل مـ ـا يفعلـ ـه المحبـ ـوب محبـ ـوب**

فلما فرغت من الغناء قالت لي أصح الله بدنك وطيب أنفاسك فلقد كملت في الحسن والأدب والغناء فقم وامض إلى مكانك قبل أن تجيء السيدة دنيا فلا تجدك فتغضب عليك فقبلت الأرض بـ ـين يـ ـديها وخرجـ ـت والعجوز أمامي إلى أن وصلت إلى الباب الذي خرجت منه فدخلت وجئت إلى السرير فوجدتها قد جاءت من الحمام وهي نائمة على السرير فقعدت عند رجليها وكبستها ففتحت عينيها فرأتني تحت رجليهـ ـا فرفسـ ـتني ورمتني من فوق السرير وقالت لي يا خائن خنت اليمين وحنثت فيه ووعدتني أنـ ـك لا تنتقـ ـل مـ ـن مكانـ ـك وأخلفت الوعد وذهبت إلى السيدة زبيدة والله لولا خوفي من الفضيحة لهدمت قصرها على رأسها ثـ ـم قالـ ـت

لعبدها يا صواب قم أضرب رقبة الخائن الكذاب فلا حاجة لنا به فتقدم العبد وشرط من ذيله رقعة وعصـ ب بها عيني وأراد أن يضرب عنقي وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٣٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن محمد الجواهرجي قال فتقدم العبد وشرط من ذيله رقعة وعصب بهـ ا عيني وأراد أن يضرب عنقي فقامت إليها الجواري الكبار والصغار وقلن لها يا سيدتنا ليس هـ ذا أول مـ ن أخطأ وهو لا يعرف خلقك وما فعل ذنباً يوجب القتل فقالت والله لابد أن أعمل فيه أثراً ثم أمـ رت بضـ ربي فضربوني على أضلاعي وهذا الذي رأيتموه أثر ذلك الضرب وبعد ذلـ ك أمـ رت بـ أخراجي فـ أخرجوني وأبعدوني عن القصر ورموني فحملت نفسي ومشيت قليلاً قليلاً حتى وصلت إلى منزلي وأحضرت جراحيـ اً وأريته الضرب فلاطفني وسعي في مداواتي فلما شفيت ودخلت الحمام وزالت عني الأوجاع والأسقام جئـ ت إلى الدكان وأخذت جميع ما فيها وبعته وجمعت ثمنه واشتريت لي أربعمائة مملوك ما جمعهم أحد من الملوك وصار يركب معي منهم في كل يوم مائتان وعملت هذا الزورق وصرفت عليه خمسة آلاف دينار من الذهب وسميت نفسي بالخليفة ورتبت من معي من الخدم واحد في وظيفة واحد من أتباع الخليفـ ة وهيأتـ ه بهيئتـ ه وناديت كل من يتفرج في الدجلة ضربت عنقه بلا مهلة ولي على هذا الحال سنة كاملة وأنا لم أسمع لها خبراً ولم أقف لها على أثر ثم أنه بكى وأفاض العبرات وأنشد هذه الأبيات:

والله مـ ا كنـ ـت طـ ول الـ دهر ناسـ يها	ولا دنـ ـوت إلـ ـى مـ ـن لـ ـيس يـ ـدنيها
كأنهـ ـا البـ ـدر فـ ـي تكـ ـوين خلقتهـ ـا	سـ . بحان خالقهـ . ـا سـ . بحان باريهـ . ـا
قـ ـد سـ ـيرتني حزيـ ـاً سـ ـاهراً دنفـ ـاً	والقلـ ـب قـ ـد حـ ـار منـ ـي فـ ـي معانيهـ ـا

فلما سمع هارون الرشيد كلامه وعرف وجده ولوعته وغرامه تدله ولها تحير عجباً وقال سـ بحان الله الذي جعل لكل شيء سبباً ثم أنهم استأذنوا الشاب في الانصراف فأذن لهم وأضمر له الرشيد على الإنصـ ـاف وأن يتحفه غاية الإتحاف ثم أنصرفوا من عنده سائرين إلى محل الخلافة متوجهين فلما استقر بهم الجلـ وس وغيروا ما عليهم من الملبوس ولبسوا أثواب المواكب ووقف بين أيديهم مسرور سياف النقمة قـ ـال الخليفـ ـة لجعفر يا وزير علي بالشاب وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٤٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الخليفة قال للوزير علي بالشاب الذي كنا عنده في الليلة الماضية فقال سمعاً وطاعة ثم توجه إليه وسلم عليه وقال له أجب أمير المؤمنين الخليفة هارون الرشيد فسـ ـار معـ ـه إلـ ى القصر وهو من الترسيم عليه في حصر فلما دخل على الخليفة قبل الأرض بين يديه ودعا له بـ دوام العـ ز والإقبال وبلوغ الآمال ودوام النعم وإزالة البؤس والنقم وقد أحسن ما به تكلم حيث قال السلام عليك يا أميـ ر المؤمنين وحامي حومة الدين ثم أنشد هذين البيتين:

لا زال بابـ . ـك كعبـ . ـة مقصـ . ـودة	وترابهـ . ـا فـ . ـوق الجبـ . ـاه رسـ . ـوم
حتـ ـى ينـ ـادي فـ ـي الـ ـبلاد بأسـ ـرها	هـ . ـذا المقـ . ـام وأنـ . ـت ابـ . ـراهيم

فتبسم الخليفة في وجهه ورد عليه السلام والتفت إليه بعين الإكرام وقربه لديه وأجلسه بين يديه وقال له يا محمد علي أريد منك أن تحدثني بما وقع لك في هذه الليلة فإنه من العجائب وبديع الغرائب فقال الشاب العفو يا أمير المؤمنين أعطني منديل الأمان ليسكن روعي ويطمئن قلبي فقال له الخليفة لك الأمان من الخوف والأحزان فشرع الشاب يحدثه بالذي حصل له من أوله إلى آخره فعلم الخليفة أن الصبي عاشق وللمعشوق مفارق فقال له أتحب أن أردها عليك قال هذا من فضل أمير المؤمنين ثم أنشد هذين البيتين:

الذتم أناملـه فليس أنامـلا لكنهن مفاتح الأرزاق

وأشكر صنائعه فلسن صنائعا لكنهن قلائد الأعناق

فعند ذلك التفت الخليفة إلى الوزير وقال له يا جعفر أحضر لي أختك السيدة دنيا بنت الوزير يحيى بن خالد فقال سمعاً وطاعة يا أمير المؤمنين ثم أحضرها في الوقت والساعة فلما تمثلت بين يديه قال لها الخليفة أتعرفين من هذا قالت يا أمير المؤمنين من أين للنساء معرفة الرجال فتبسم الخليفة وقال لها يا دنيا هذا حبيبك محمد بن علي الجوهري وقد عرفنا الحال وسمعنا الحكاية من أولها إلى آخرها وفهمنا ظاهرها وباطنها والأمر لا يخفى وإن كان مستوراً فقالت يا أمير المؤمنين كان ذلك في الكتاب مسطوراً وأنا استغفر الله العظيم مما جرى مني وأسألك من فضلك العفو عني فضحك الخليفة هارون الرشيد وأحضر القاضي والشهود وجدد عقدها على زوجها محمد بن علي الجوهري وحصل لها وله سعد السعود وإكماد الحسود وجعله من جملة ندمائه واستمروا في سرور ولده وحبور إلى أن أتاهم هازم اللذات ومفرق الجماعات.

(حكاية هارون الرشيد مع علي العجمي وما يتبع ذلك)

(من حديث الجراب والكردي)

(ومما) يحكي أيضاً أن الخليفة هارون الرشيد قلق ليلة من الليالي فاستدعى بوزيره فلما حضر بين يديه قال له يا جعفر أني قلقت الليلة قلقاً عظيماً وضاق صدري وأريد منك شيئاً يسر خاطري وينشرح به صدري فقال له جعفر يا أمير المؤمنين إن لي صديقاً أسمه علي العجمي وعنده من الحكايات والأخبار المطربة ما يسر النفوس ويزيل عن القلب البؤس فقال له علي به فقال سمعة وطاعة ثم أن جعفر خرج من عند الخليفة في طلب العجمي فأرسل خلفه فلما حضر قال له أجب أمير المؤمنين فقال سمعاً وطاعة وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٣١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العجمي قال سمعاً وطاعة ثم توجه معه إلى الخليفة فلما تمثل بين يديه أذن له في الجلوس فجلس فقال له الخليفة يا علي أنه ضاق صدري في هذه الليلة وقد سمعت عنك أنك تحفظ حكايات وأخبار وأريد منك أن تسمعني ما يزيل همي ويصقل فكري فقال يا أمير المؤمنين هل أحدثك بالذي رأيته بعيني أو بالذي سمعته بأذني فقال إن كنت رأيت شيئاً فاحكه فقال سمعاً وطاعة اعلم يا أمير المؤمنين أني سافرت في بعض السنين من بلدي هذه وهي مدينة بغداد وصحبتي غلام ومعه جراب لطيف ودخلنا مدينة فبينما أنا أبيع وأشتري وإذا برجل كردي ظالم متعدي قد هجم علي وأخذ مني الجراب وقال هذا جرابي

وكل ما فيه متاعي فقلت يا معشر المسلمين خلصوني من يدا فجر الظالمين فقال الناس جميعاً اذهبا إلى القاضي واقبلا حكمه بالتراضي فتوجهنا إلى القاضي وأنا بحكمه راضي فلما دخلنا عليه وتمثلنا بين يديه قال القاضي في أي شيء جئتما وما قضية خبركما فقلت نحن خصمان إليك تداعينا وبحكمك تراضينا فقال أيكما المدعي فتقدم الكردي وقال أيد الله مولانا القاضي أن هذا الجراب جرابي وكل ما فيه متاعي وقد ضاع مني ووجدته مع هذا الرجل فقال القاضي ومتى ضاع منك فقال الكردي من أمس هذا اليوم وبت لفقده بلا نوم فقال القاضي إن كنت تعرفه فصف لي ما فيه فقال الكردي في جرابي هذا مردوان من لجين وفيه أكحال للعين ومنديل لليدين ووضعت فيه شرابتين مذهبتين وشمعدانين وهو مشتمل على بيتين وطبقتين ومعلقتين ومخدة ونطعين وأبريقين وصينية وطشتين وقدرة وزلعتين ومغرفة ومسلة ومرودين وهرة وكلبتين وقصعة وقعيدتين وجبة وفروتين وبقرة وعجلين وعنزا وشاتين ونعجة وسلخين وصيوانين أخضرين وجملاً وناقتين وجاموسة وثورين ولبوة وسبعين ودبة وثعلبين ومرتبة وسريرين وقصراً وقاعتين ورواقاً ومقعدين ومطبخاً ببابين وجماعة أكراد يشهدون أن الجراب جرابي فقال القاضي ما نقول أنت يا هذا فتقدمت إليه يا أمير المؤمنين وقد أبهتني الكردي بكلامه فقلت أعز الله مولانا القاضي أنا ما في جرابي هذا إلا دويرة خراب وأخرى بلا باب ومقصورة للكلاب وفيه للصبيان كتاب وشباب يلعبون الكعاب وفيه خيام وأطناب ومدينة البصرة وبغداد وقصر شداد ابن عاد وكور حداد وشبكة صياد وعصا وأوتاد وبنات وأولاد وألف قواد يشهدون أن الجراب جرابي فلما سمع الكردي هذا الكلام بكى وانتحب وقال يا مولانا القاضي أن جرابي هذا معروف وكل ما فيه موصوف في جرابي هذا حصون وقلاع وكراكي وسباع ورجال يلعبون بالشطرنج والرقاع وفي جرابي هذا حجرة ومهران وفحل وحصانان ورمحان طويلان وهو مشتمل على سبع وأرنبين ومدينة وقريتين وقحبة وقوادين شاطرين ومخنث وعلقين وأعمى وبصيرين وأعرج ومكسحين وقسيس وشماسين وبطريق وراهبين وقاض وشاهدين وهم يشهدون أن الجراب جرابي فقال القاضي ما تقول يا علي فامتلأت غيظاً يا أمير المؤمنين وتقدمت إليه وقلت أيد لله مولانا القاضي وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٣٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العجمي قال فامتلأت غيظاً يا أمير المؤمنين وتقدمت إليه وقلت أيد الله مولانا القاضي أنا في جرابي هذا زرد وصفاح وخزائن سلاح وألف كبش نطاح وفيه للغنم مراح وألف كلب نباح وبساتين وكروم وأزهار ومشموم وتين وتفاح وصور وأشباح وقناني وأقداح وعرائس ومغاني وأفراح وهرج وصياح وأقطار فساح وأخوة نجاح ورفقة صباح ومعهم سيوف ورماح ملاح وقوس ونشاب وأصدقاء وأحباب وخلان وأصحاب ومحابس للعقاب وندماء للشراب وطنبور ونايات وأعلام ورايات وصبيان وبنات وعرائس مجليات وجوار مغنيات وخمس حبشيات وثلاث هنديات وأربع مدنيات وعشرون روميات وخمسون تركيات وسبعون عجميات وثمانون كرديات وتسعون جرجيات والدجله والفرات وشبكة صياد وقداحة وزناد وأرم ذات العماد وألف علق وقواد وميادين واصطبلات ومساجد وحمامات وبناء وتجار وخشبة ومسمار وعبد أسود بمزمار ومقدم وركبدار ومدن وأمصار ومائة ألف دينار والكوفة مع الأنبار وعشرون صندوقاً

ملآنة بالقماش وخمسون حاصلاً للمعاش وغزة وعسقلان من دمياط إلى أصوان وأيوان كسرى أنوشروان وملك سليمان ومن وادي نعمان إلى أرض خراسان وبلخ وأصبهان ومن الهند إلى بلاد السودان وفيه أطال الله عمر مولانا القاضي غلائل وعراضي وألف موس ماض تحلق ذقن القاضي إن لم يخش عقابي ولم يحكم بان الجراب جرابي فلما سمع القاضي هذا الكلام تحير عقله من ذلك وقال ما أراكما إلا شخصين نحسين أو رجلين زنديقين تلعبان بالقضاة والحكام ولا تخشيان من الملام لأنه ما وصف الواصفون ولا سمع السامعون بأعجب مما وصفتما ولا تكلموا بمثل ما تكلمتا والله أن من الصين إلى شجرة أم غيلان ومن بلاد فارس إلى أرض السودان ومن وادي نعمان إلى أرض خراسان لا يسع ما ذكرتماه ولا يصدق ما أدعيتماه فهل هذا الجراب بحر ليس له قرار أويوم العرض الذي يجمع الأبرار والفجار ثم أن القاضي أمر بفتح الجراب ففتحه وإذا فيه خبز وليمون وجبن وزيتون ثم رميت الجراب قدام الكردي ومضيت فلما سمع الخليفة هذه الحكاية من على العجمي استلقى على قفاه من الضحك وأحسن جائزته.

(حكاية هارون الرشيد مع جعفر والجارية والإمام أبي يوسف)

(ومما يحكي أن جعفر البرمكي نادم الرشيد ليلة فقال الرشيد يا جعفر بلغني أنك اشتريت الجارية الفلانية ولي مدة تطلبها فإنها على غاية الجمال وقلبي بحبها في اشتغال فبعها لي فقال لا أبيعها يا أمير المؤمنين فقال هبها لي فقال لا أهبها فقال هارون الرشيد زبيدة طالق ثلاثاً إن لم تبعها لي أو تهبها لي فقال جعفر زوجتي طالق ثلاثاً إن بعتها لك ثم أفاق من نشوتهما وعلما أنهما وقعا في أمر عظيم وعجزا عن تدبير الحيلة فقال هارون الرشيد هذه وقعة ليس لها غير أبي يوسف فطلبوه وكان ذلك نصف الليل فلما جاءه الرسول قام فزعاً وقال في نفسه ما طلبت في هذا الوقت إلا لأمر حدث في الإسلام ثم خرج مسرعاً وركب بغلته وقال لغلامه خذ معك مخلاة البغلة لعلها لم تستوف عليقها فإذا دخلنا دار الخلافة فضع لها المخلاة لتأكل ما بقي من عليقها إلى حين خروجي إذ لم تستوف عليقها في هذه الليلة فقال الغلام سمعاً وطاعة فلما دخل على هارون الرشيد قام له وأجلسه على سريره بجانبه وكان لا يجلس معه أحد غيره وقال له ما طلبناك في هذا الوقت إلا لأمر مهم هو كذا وكذا وقد عجزنا في تدبير الحيلة فقال يا أمير المؤمنين إن هذا الأمر أسهل ما يكون ثم قال يا جعفر بع لأمير المؤمنين نصفها وهب له نصفها وتبرآن في يمينكما بذلك فسر أمير المؤمنين بذلك وفعلا ما أمرهما به ثم قال هارون الرشيد أحضروا الجارية في هذا الوقت وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٣٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الخليفة هارون الرشيد قال أحضروا لجارية في هذا الوقت فإني شديد الشوق إليها فأحضروها وقال للقاضي أبي يوسف أريد وطأها في هذا الوقت فإني لا أطيق الصبر عنها إلى مضي مدة الأستبراء وما الحيلة في ذلك فقال أبو يوسف تئوني بمملوك أمير المؤمنين الذي لم يجر عليهم العتق فأحضروا مملوكاً فقال أبو يوسف أئذن لي أن أزوجها منه ثم يطلقها قبل الدخول فيحل وطؤها في هذا الوقت من غير استبراء فأعجب هارون الرشيد ذلك أكثر من الأول فلما حضر المملوك قال الخليفة للقاضي أذنت لك في العقد فأوجب القاضي النكاح ثم قبله المملوك وبعد ذلك قال له القاضي طلقها ولك مائة دينار

فقال لا أفعل ولم يزل يزيده وهو يمتنع إلى أن عرض عليه ألف دينار ثم قال للقاضي هل الطلاق بيدي أم بيد أمير المؤمنين قال بل بيدك قال والله لا أفعل أبداً فاشتد غضب أمير المؤمنين وقال ما الحيلة يا أبا يوسف قال القاضي أبو يوسف يا أمير المؤمنين لا تجزع فإن الأمر هين ملك هذا المملوك للجارية قال ملكته لها قال لها القاضي قولي قبلت فقالت قبلت فقال القاضي حكمت بينهما بالتفريق لأنه دخل في ملكها فانفسخ النكاح فق ام أمير المؤمنين على قدميه وقال مثلك من يكون قاضياً في زماني واستدعي بأطباق الذهب فأفرغت بين يدي ه وقال للقاضي هل معك شيء تضعه فيه فتذكر مخلاة البغلة فاستدعى بها فملئت له ذهباً فأخذها وانصرف إلى بيته فلما أصبح الصباح قال لأصحابه لا طريق إلى الدين والدنيا أسهل وأقرب من طريق العلم فإني أعطيت هذا المال العظيم في مسئلتين أو ثلاث فانظر أيها المتأدب إلى لطف هذه الوقعة فإنها اشتملت على محاس ن منها دلال الوزير على هارون الرشيد وعلم الخليفة وزيادة علم القاضي فرحم الله تعالى أرواحهم أجمعين.

(حكاية خالد بن عبد الله القسري مع الشاب السارق)

(ومما) يحكى أن خالد بن عبد الله القسري كان أمير البصرة فجاء إليه جماع ة متعلق ون بش اب ذي جمال باهر وأدب ظاهر وعقل وافر وهو حسن الصورة طيب الرائحة وعليه سكينة ووقار فقدموه إلى خال د فسألهم عن قصته فقالوا هذا لص أصبناه البارحة في منزلنا فنظر إليه خالد فأعجبه حسن هيئته ونظافته فقال خلوا عنه ثم دنا منه وسأله عن قصته فقال أن القوم صادقون فيما قالوه والأمر على ما ذكروا فقال له خال د ما حملك على ذلك وأنت في هيئة جميلة وصورة حسنة قال حملني على ذلك الطمع في ال دنيا وقض اء الله سبحانه وتعالى فقال له خالد ثكلتك أمك أما كان لك في جمال وجهك وكمال عقلك وحسن أدبك زاجر يزجرك عن السرقة قال دع عنك هذا أيها الأمير وامض إلى ما أمر الله تعالى به فذلك بما كسبت يداي وما الله بظلام للعبيد فسكت خالد ساعة يفكر في أمر الفتى ثم أدناه منه وقال له أن اعترافك على رؤوس الأشهاد قد رابن ي وأنا ما أظنك سارقاً ولعل لك قصة غير السرقة فأخبرني بها قال أيها الأمير لا يقطع نفعك شيء س وى م ا اعترفت به عندك وليس لي قصة أشرحها إلا أني دخلت دار هؤلاء فسرقت ما أمكنني فأدركوني وأخذوه مني وحملوني إليك فأمر خالد بحبسه وأمر مناديي ينادي بالبصرة إلا من أحب أن ينظر إلى عقوبة ف لان الل ص وقطع يده فليحضر من الغداة إلى المحل الفلاني فلما استقر الفتى في الحبس ووضعوا في رجليه الحديد تنفس الصعداء وأفاض العبرات وأنشد هذه الأبيات:

ه . .ددني خال . .د بقط . .ع ي . .دي	إذ ل . .م أب . .ح عن . .ده بقص . .تها
فقل . .ت هيه . .ات أن أب . .وح بم . .ا	تض . .من القل . .ب م . .ن محبته . .ا
قط . .ع ي . .دي ال . .ذي اعترف . .ت ب . .ه	أه . .ون للقل . .ب م . .ن فض . .يحتها

فسمع ذلك الموكلون به فاتوا خالداً وأخبره بما حصل منه فلما جن الليل أمر بإحضاره عنده فلما حضر استنطقه فرآه عاقلاً أديباً فطنا ظريفاً لبيباً فأمر له بطعام فأكل وتحدث معه ساعة ثم قال له خالد قد علمت أن لك قصة غير السرقة فإذا كان الصباح وحضر الناس وحضر القاضي وسألك عن السرقة فأنكرها واذكر م ا يدرأ عنك حد القطع فقد قال رسول الله ﷺ أدرأوا الحدود بالشبهات ثم أمر به إلى الس جن وأدرك شه هرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٣٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن خالداً بعد أن تحدث مع الشاب أمر به إلى السجن فمكث فيه ليلته فلما أصبح الصباح حضر الناس يقطعون يد الشاب ولم يبق أحد في البصرة من رجل ولا امرأة إلا وقد حضر ليرى عقوبة ذلك الفتى وركب خالد ومعه وجوه أهل البصرة وغيرهم ثم استدعى بالقضاة وأمر بإحضار الفتى فأقبل يحجل في قيوده ولم يره أحد من الناس إلا بكى عليه وارتفعت أصوات النساء بالنحيب فأمر القاضي بتسكيت النساء ثم قال له أن هؤلاء القوم يزعمون أنك دخلت دارهم وسرقت ما لهم فلعلك سرقت دون النصائب قال بل سرقت نصاباً كاملاً قال لعلك شريك القوم في شيء منه قال بل هو جميعه لهم لاحق لي فيه فغضب خالد وقام إليه بنفسه وضربه على وجهه بالسوط وقال متمثلاً بهذا البيت

يريد المرء أن يعطى مناه	ويأبى الله ألا ما يريد

ثم دعا بالجزار ليقطع يده فحضر وأخرج السكين ومد يده ووضع عليها السكين فبادرت جارية من وسط النساء عليها أطوار وسخة فصرخت ورمت نفسها عليه ثم أسفرت عن وجه كأنه القمر وارتفع في الناس ضجة عظيمة وكاد أن يقع بسبب ذلك فتنة طائرة الشر ثم نادت تلك الجارية بأعلا صوتها ناشدتك الله أيها الأمير لا تعجل بالقطع حتى تقرأ هذه الرقعة ثم دفعت إليه رقعة ففتحها خالد وقرأها فإذا مكتوب فيها هذه الأبيات:

أخالد هذا مستهام متيم	رمته بلحاظي عن قسي الحمالق
فأصماه سهم اللحظ مني لأنه	حليف جوى من دائه غير فائق
أقربما لم يقترفه كأنه	رأى ذاك خيراً من هتيكة عاشق
فهلا عن الصب الكئيب فإنه	كريم السجايا في الورى غير سارق

فلما قرأ خالد الأبيات تنحى وانفرد عن الناس وأحضر المرأة ثم سألها عن القصة فأخبرته بأن هذا الفتى عاشق لها وهي عاشقة له وأنما أراد زيارتها فتوجه إلى دار أهلها ورمى حجراً في الدار ليعلمها بمجيئه فسمع أبوها وأخوتها صوت الحجر فصعدوا إليه فلما أحس بهم جمع قماش البيت كله وأراهم أنه سارق ستراً على معشوقته فلما رأوه على هذه الحالة أخذوه وقالوا هذا سارق وأتوا به إليك فاعترف بالسرقة وأصر على ذلك حتى لا يفضحني وقد ارتكب هذه الأمور من رمى نفسه بالسرقة لفرط مروءته وكرم نفسه فقال خالد أنه لخليق بان يسعف بمراده ثم استدعى الفتى إليه وقبله بين عينيه وأمر بإحضار أبي الجارية وقال له يا شيخ أنا كنا عزمنا على إنقاذ الحكم في هذا الفتى بالقطع ولكن الله عز وجل قد حفظه من ذلك وقد أمرت له بعشرة آلاف درهم لبذله يده حفظاً لعرضك وعرض أبنتك وصيانتكما من العار وقد أمرت لأبنتك بعشرة آلاف درهم حيث أخبرتني بحقيقة الأمر وأنا أسألك أن تأذن لي في تزويجها منه فقال الشيخ أيها الأمير قد أذنت لك في ذلك فحمد الله خالد وأثنى عليه وخطب خطبة حسنة وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٣٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن خالد أحمد الله وخطب خطبة حسنة وقال للفتى قد زوجتك هذه الجارية فلانة الحاضرة بأذنها ورضاها وأذن أبيها على هذا المال وقدره عشرة آلاف درهم فقال الفتى قبلت منك هذا التزويج ثم أن خالداً أمر بحمل المال إلى دار الفتى مزفوفاً في الصواني وانصرف الناس وهم مسروورون فما رأيت يوماً أعجب من ذلك اليوم أوله بكاء وشرور وآخره فرح وسرور.

(حكاية أبي محمد الكسلان مع الرشيد)

(ومما) يحكى أن هارون الرشيد كان جالساً ذات يوم في تخت الخلافة إذ دخل عليه غلام من الطواشية ومعه تاج من الذهب الأحمر مرصع بالدر والجوهر وفيه من سائر اليواقيت والجواهر مالاً يفي به مال ثم أن الغلام قبل الأرض بين يدي الخليفة وقال له يا أمير المؤمنين أن السيدة زبيدة وأدرك شهرزاد فسـ كتت عـ ن الكلام المباح. فقالت لها أختها ما أحسن حديثك وأطيبه وأحلاه وأعذبه فقالت وأين هذا مما أحدثكم به الليلـ ـة القابلة إن عشت وأبقاني الملك فقال الملك في نفسه والله لا أقتلها حتى أسمع بقية حديثها.

(وفي ليلة ٣٣٦)

قالت لها أختها يا أختي أتممي لنا حديثك قالت حباً وكرامة أن أذن لي الملك فقال المـ ـك أحكـ ـي يـ ـا شهرزاد قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الغلام قال للخليفة أن السيدة زبيدة تقبل الأرض بين يديك وتقول لك أنت تعرف أنها قد عملت هذا التاج وأنه محتاج إلى جوهرة كبيرة تكون في رأسه وفتشت في ذخائرها فلـ ـم تجد فيها جوهرة كبيرة على غرضها فقال الخليفة للحجاب والنواب فتشوا على جوهرة كبيرة علـ ـى غـ ـرض زبيدة ففتشوا فلم يجدوا شيئاً يوافقها فاعلموا الخليفة بذلك فضاق صدره وقال كيف أكون خليفة وملك ملـ ـوك الأرض واعجز عن جوهرة ويلكم فاسألوا التجار فسألوا التجار فقالوا لهم لا يجد مولانا الخليفة الجـ ـوهرة إلا عند رجل من البصرة يسمى أبا محمد الكسلان فأخبروا الخليفة بذلك فأمر وزيره جعفر أن يرسل بطاقة إلـ ـى الأمير محمد الزبيدي المتولي على البصرة أن يجهز أبا محمد الكسلان ويحضر بين يدي أمير المؤمنين فكتب الوزير بطاقة بمضمون ذلك وأرسلها مع مسرور ثم توجه مسرور بالبطاقة إلى مدينة البصرة ودخـ ـل علـ ـى الأمير محمد الزبيدي ففرح به وأكرمه غاية الأكرام ثم قرأ عليه بطاقة أمير المؤمنين هارون الرشـ ـيد فقـ ـال سمعاً وطاعة ثم أرسل مسرور مع جماعة من أتباعه إلى أبي محمد الكسلان فتوجهوا إليـ ـه وطرقـ ـوا عليـ ـه الباب فخرجوا لهم بعض الغلمان فقال له مسرور قل لسيدك أن أمير المؤمنين يطلبك فدخل الغـ ـلام وأخبـ ـره بذلك فخرج فوجده مسروراً حاجب الخليفة ومعه أتباع الأمير محمد الزبيدي فقبل الأرض بين يديـ ـه وقـ ـال سمعاً وطاعة لأمير المؤمنين ولكن ادخلوا عندنا فقالوا ما نقدر على ذلك لأننا على عجل كما أمرنـ ـا أميـ ـر المؤمنين فإنه ينتظر قدومك فقال أصبروا على يسيراً حتى أجهز أمري ثم دخلوا معه إلى الدار بعد استعطاف زائد فرأوا في الدهليز ستوراً من الديباج الأزرق المطرز بالذهب الأحمر ثم أن أبا محمد الكسلان أمر بعض غلمانه أن يدخلوا مع مسرور الحمام الذي في الدار ففعلوا فرأوا حيطانه ورخامه من الغرائب وهو مـ ـزركش بالذهب والفضة ماؤه ممزوج بماء الورد واحتفل الغلمان بمسرور ومن معه وخدموهم أتـ ـم الخدمـ ـة ولمـ ـا خرجوا من الحمام البسوهم خلعاً من الديباج منسوجة بالذهب ثم دخل مسرور وأصحابه فوجدوا أبـ ـا محمـ ـد

الكسلان جالساً في قصره وقد علقت على رأسه ستور من الديباج المنسوج بالذهب المرصع بالدر والجـ وهر والقصر مفروش بمساند مزركشة بالذهب الأحمر وهو جالس على مرتبة والمرتبة علـ ى سـ رير مرصـ ع بالجواهر فلما دخل عليه مسرور رحب به وتلقاه واجلسه بجانبه ثم أمر بإحضار السماط فلما رأى مسـ رور وذلك السماط قال والله ما رأيت عند أمير المؤمنين مثل ذلك السماط أبداً وكان في ذلك السماط أنواع الأطعمة وكلها موضوعة في أطباق صيني مذهبة قال مسرور فأكلنا وشربنا وفرحنا إلىآخر النهار ثم أعطانـ ا كـ ل واحد خمسة آلاف دينار ولما كان اليوم الثاني ألبسونا خلعاً خضراء مذهبة وأكرمونا غاية الإكرام ثم قال لـ ه مسرور لا يمكننا أن نقعد زيادة على تلك المدة خوفاً من الخليفة فقال له أبو محمد الكسلان يا مولانا أصـ بر علينا إلى غد حتى نتجهز ونسير معكم فقعدوا ذلك اليوم وباتوا إلى الصباح ثم أن الغلمان شدوا لأبي محمـ د الكسلان بغلة بسرج من الذهب مرصع بأنواع الدر والجوهر فقال مسرور في نفسه يا ترى إذا أحضر أبـ و محمد بين يدي الخليفة بتلك الصفة هل يسأله عن سبب تلك الأموال ثم بعد ذلك ودعوا أبا محمـ د الزبيـ دي وطلعوا من البصرة وساروا ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا إلى مدينة بغداد فلما دخلوا على الخليفة ووقفـ وا بين يديه أمره بالجلوس فجلس ثم تكلم بأدب وقال يا أمير المؤمنين أني جئت معي بهدية على وجـ ه الخدمـ ة فهل أحضرها عن أذنك قال الرشيد لا بأس بذلك فأمر بصندوق وفتحه وأخرج منه تفاحاً من جملتها أشـ جار من الذهب وأوراقها من الزمرد الأبيض وثمارها ياقوت أحمر وأصفر ولؤلؤ أبيض فتعجب الخليفة من ذلـ ك ثم أحضر صندوقاً ثانياً وأخرج منه خيمة من الديباج مكللة باللؤلؤ واليواقيت والزمـ رد والزبرجـ د وأنـ واع الجوهر وقوائمها من عود هندي رطب وأذيال تلك الخيمة مرصعة بالزمرد الأخضر وفيهـ ا تصـ اوير كـ ل الصور من سائر الحيوانات الطيور والوحوش وتلك الصور مكللة بالجواهر واليواقيت والزمـ رد والزبرجـ د والبلخش وسائر المعادن فلما رأى الرشيد ذلك فرح فرحاً شديداً ثم قال أبو محمد الكسلان يا أمير المؤمنين لا تظن أني حملت لك هذا فرعاً من شيء ولا طمعاً في شيء وأنما رأيت نفسي رجلاً عامياً ورأيـ ت هـ ذا لا يصلح إلا لأمير المؤمنين وأن أذنت لي فرجتك على بعض ما أقدر عليه فقال الرشيد أفعل ما شـ ئت حتـ ى ننظر فقال سمعاً وطاعة ثم حرك شفتيه وأومأ إلى شراريف القصر فمالت إليه ثم أشار إليها فرجعـ ت إلـ ى موضعها ثم أشار بعينه فظهرت إليه مقفلة الأبواب ثم تكلم عليها وإذا بأصوات طيور تجاوبه فتعجب الرشـ يد من ذلك غاية العجب وقال له من أين لك هذا كله وأنت ما تعرف إلا بأبي محمد الكسلان وأخبروني أن أباك كان حلاقاً يخدم في حمام وما خلف لك شيئاً فقال يا أمير المؤمنين أسمع حديثي وأدرك شـ هرزاد الصـ باح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٣٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أبا محمد الكسلان قال للخليفة يا أمير المؤمنين أسـ مع حـ ديثي فإنـ ه عجيب وأمره غريب لو كتب بالأبر على آماق البصر لكان عبرة لمن اعتبر فقال الرشيد حدث بمـ ا عنـ دك وأخبرني به يا أبا محمد فقال يا أمير المؤمنين أدام الله لك العز والتمكين أن أخبـ ار النـ اس بـ أن أعـ رف بالكسلان وأن أبي لم يخلف لي مالا صدق لأن أبي لم يكن إلا كما ذكرت فإنه كان حلاقاً في حمام وكنت أنا في صغري أكسل من يوجد على وجه الأرض وبلغ من كسلي أني إذا كنت نائماً في أيام الحر وطلعت علـ ى

الشمس أكسل عن أن أقوم وأنتقل من الشمس إلى الظل وأقمت على ذلك خمسة عشر عاماً ثم أن أبي تـ وفى إلى رحمة الله تعالى ولم يخلف لي شيئاً وكانت أمي تخدم الناس وتطعمني وتسقيني وأنا راقد علـ ى جنبـ ي فأتفق أن أمي دخلت علي في بعض الأيام ومعها خمسة دراهم من الفضة وقالت لي يا ولدي بلغني أن الشيخ أبا المظفر عزم على أن يسافر إلى الصين وكان ذلك الشيخ يحب الفقراء وهو من أهل الخير فقالت أمي يـ ا ولدي خذ هذه الخمسة دراهم وامض بنا إليه واسأله أن يشتر لك بهاشيئاً من بلاد الصين لعله يحصل لك فيـ ه ربح من فضل الله تعالى فكسلت عن القيام معها فأقسمت بالله أن لم أقم معها لا تطعمني ولا تسقيني ولا تدخل على بل تتركني أموت جوعاً وعطشاً فلما سمعت كلامها يا أمير المؤمنين علمت أنها تفعل ذلك لما تعلم مـ ن كسلي فقلت لها أقعديني فأقعدتني وأنا باكي العين وقلت لها أتيني بمداسي فأتتني به فقلت ضعيه في رجـ لاي فوضعته فيهما فقلت لها حمليني حتى ترفعيني من الأرض ففعلت ذلك فقلت أسنديني حتى أمشـ ي فصـ ارت تسندني وما زلت أمشي وأتعثر في أذيالي إلى أن وصلنا إلى ساحل البحر فسلمنا على الشيخ وقلت له يا عـ م أنت أبو المظفر قال لبيك قلت خذ هذه الدراهم واشتر لي بها شيئاً من بلاد الصين عسى الله أن يربحني فيـ ه فقال الشيخ أبو المظفر لأصحابه أتعرفون هذا الشاب قالوا نعم هذا يعرف بأبي محمد الكسلان ما رأيناه قـ ط خرج من داره إلا في هذا الوقت فقال الشيخ أبو المظفر يا ولدي هات الدراهم على بركة الله تعالى ثم أخـ ذ مني الدراهم وقال باسم الله ثم رجعت مع أمي إلى البيت وتوجه الشيخ أبو المظفر إلى السفر ومعه جماعـ ة من التجار ولم يزالوا مسافرين حتىوصلوا إلى بلاد الصين ثم أن الشيخ باع واشتري وبعد ذلك عزم علـ ى الرجوع هو ومن معه بعد قضاء أغراضهم وساروا في البحر ثلاثة أيام فقال الشيخ لأصحابه قفوا بالمركـ ب فقال التجار ما حاجتك فقال اعلموا أن الرسالة التي معي لأبي محمد الكسلان نسيتها فارجعوا بنا حتى نشتري له بها شيئاً حتى ينتفع به فقالوا له سألناك بالله تعالى أن لا تردنا فإننا قطعنا مسافة طويلة زائدة وحصل لنـ ا في ذلك أهوال عظيمة ومشقة زائدة فقال لابد لنا من الرجوع فقالوا خذ منا أضعاف ربح الخمسة دراهـ م ولا تردنا فسمع منهم وجمعوا له مالا جزيلاً ثم ساروا حتى أشرفوا على جزيرة فيها خلق كثير فأرسـ وا عليهـ ا وطلع التجار يشترون منها متجراً من معادن وجواهر ولؤلؤ وغير ذلك ثم رأى أبو المظفر رجلاً جالساً وبين يديه قرود كثيرة وبينهم قرد منتوف الشعر وكانت تلك القرود كلما غفل صاحبهم يمسكون ذلك القرد المنتوف ويضربونه ويرمونه على صاحبهم فيقوم ويضربهم ويقيدهم ويعذبهم على ذلك فتغتاظ القرود كلها مـ ن ذلـ ك القرد ويضربونه ثم أن الشيخ أبا المظفر لما رأى ذلك القرد حزن عليه ورفق به فقال لصاحبه أتبيعني هـ ذا القرد قال اشتر قال أن معي لصبي يتيم خمسة دراهم هل تبيعني أياه بها قال له بعتك بارك الله لك فيـ ه ثـ م تسلمه وأقبضه الدراهم وأخذ عبيد الشيخ القرد وربطوه في المركب ثم حلوا وسافروا إلـ ى جزيـ رة أخـ رى فأرسوا عليها فنزل الغطاسون الذين يغطسون على المعادن واللؤلؤ والجوهر وغير ذلك فأعطـ اهم التجـ ار دراهم أجرة على الغطاس فغطسوا فرآهم القرد يفعلون ذلك فحل نفسه من رباطه ونط من المركب وغطـ س معهم فقال أبو المظفر لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم قد عدم القرد منا ببخت هذا المسكين الذي أخذناه له وياسوا على القرد ثم طلع جماعة من الغطاسين وإذا بالقرد طلع معهم وفي يده نفائس الجواهر فرماها بين يدي أبي المظفر فتعجب من ذلك وقال أن هذا القرد فيه سرد عظيم ثم حلوا وسافروا إلى أن وصـ لوا إلـ ى

جزيرة تسمى جزيرة الزنوج وهم قوم من السودان يأكلون لحم بني آدم فلما رأوهم السودان ركبوا عليهم في القوارب وأتوا إليهم وأخذوا كل من في المركب وكتفوهم وأتوا بهم إلى الملك فأمر بذبح جماعة من التجار فذبحوهم وأكلوا لحومهم ثم أن بقية التجار باتوا محبوسين وهم في نكد عظيم فلما كان وقت الليل قام القرد إلى أبي المظفر وحل قيده فلما رأى التجار أبا المظفر قد انحل قالوا عسى الله أن يكون خلاصنا على يديك يا أبا المظفر فقال لهم اعلموا أنه ما خلصني بإرادة الله تعالى إلا هذا القرد. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٣٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أبا المظفر قال ما خلصني بإرادة الله تعالى إلا هذا القرد وقد خرجت له عن ألف دينار فقال التجار ونحن كذلك كل واحد منا خرج له عن ألف دينار أن خلصنا فقام القرد إليهم وصار يحل واحد بعد واحد حتى حل الجميع من قيودهم وذهبوا إلىالمركب وطلعوا فيها فوجدوها سالمة ولم ينقص منها شيء ثم حلوا وسافروا فقال أبو المظفر يا تجار أوفوا بالذي قلتم عليه للقرد فقالوا سمعاً وطاعة ودفع له كل واحد منهم ألف دينار وأخرج أبو المظفر من ماله ألف دينار فاجتمع للقرد من المال شيء عظيم ثم سافروا حتى وصلوا إلى مدينة البصرة فتلقاهم أصحابهم حين طلعوا من المركب فقال أبو المظفر أين أبو محمد الكسلان فبلغ الخبر إلى أمي فبينما أنا نائم إذ أقبلت على أمي وقالت يا ولدي أن الشيخ أبا المظفر قد أتى ووصل إلى المدينة فقم وتوجه إليه وسلم عليه وأسأله عن الذي جاء به فلعل الله تعالى يكون قد فتح عليه بشيء فقلت لها احمليني من الأرض واسنديني حتى أخرج وأمشي إلى ساحل البحر ثم مشيت وأنا أتعثر في أذيالي حتى وصلت إلى الشيخ أبا المظفر فلما رآني قال لي أهلاً بمن كانت دراهمه سبباً لخلاصي وخلاص هؤلاء التجار بإرادة الله تعالى ثم قال لي خذ هذا القرد فإني اشتريته لك وامض به إلى بيتك حتى أجيء إليك فأخذت القرد بين يدي ومضيت وقلت في نفسي والله ما هذا إلا متجر عظيم ثم دخلت بيتي وقلت لأمي كلما أنا نائم تأمريني بالقيام لأتجر فانظري بعينك هذا المتجر ثم جلست فبينما أنا جالس وإذا بعبيد أبي المظفر قد أقبلوا علي وقالوا لي هل أنت أبو محمد الكسلان فقلت لهم نعم وإذا بأبي المظفر أقبل خلفهم فقمت إليه وقبلت يديه فقال لي سر معي إلى داري فقلت سمعاً وطاعة وسرت معه إلى أن دخلت وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٣٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أبا محمد الكسلان قال ثم سرت معه ودخلت الدار فأمر عبيده أن يحضروا بالمال فحضروا به فقال يا ولدي لقد فتح الله عليك بهذا المال من ربح الخمسة دراهم ثم حملوه في صناديقه على رؤوسهم وأعطاني مفاتيح تلك الصناديق وقال لي أمض قدام العبيد إلى دارك فإن هذا المال كله لك فمضيت إلى أمي ففرحت بذلك وقالت يا ولدي لقد فتح الله عليك بهذا المال الكثير فدع عنك هذا الكسل وانزل إلى السوق وبع واشتر فتركت الكسل وفتحت دكاناً في السوق وصار القرد يجلس معي على مرتبتي فإذا أكلت يأكل معي وإذا شربت يشرب معي وصار كل يوم من بكرة النهار يغيب إلى وقت الظهر ثم يأتي ومعه كيس فيه ألف دينار فيضعه في جانبي ويجلس ولم يزل على هذه الحالة مدة من الزمان حتى اجتمع

عندي مال كثير فاشتريت يا أمير المؤمنين الأملاك والربوع وغرست البساتين واشتريت المماليك والعبيد والجوار فاتفق في بعض الأيام أنني كنت جالساً والقرد جالس معي على المرتبة وإذا به تلفت يميناً وشمالاً فقلت في نفسي أي شيء خبر هذا فانطق الله القرد بلسان فصيح وقال يا أبا محمد فلما سمعت كلامه فزعت فزعاً شديداً فقال لي لا تفزع أنا أخبرك بحالي أني أنا مارد من الجن ولكن جئتك بسبب ضعف حالك وأنت اليوم لا تدري قدر مالك وقد وقعت لي عندك حاجة وهي خير لك فقلت ما هي قال أريد أن أزوجك بصبية مثل البدر فقلت له وكيف ذلك فقال لي في غد البسك قماشك الفاخر وأركب بغلتك بالمرج المذهب وامض إلى سوق العلافين واسأل عن دكان الشريف واجلس عنده وقل له أني جئت خاطباً راغباً في ابنتك فإن قال لك أنت ليس لك مال ولا حسب ولا نسب فادفع له ألف دينار فإن قال لك زدني فزده ورغبة في المال فقال سمعاً وطاعة في غد افعل ذلك إن شاء الله تعالى قال أبو محمد فلما أصبحت لبست أفخر قماشي وركبت البغلة بالسرج المذهب ثم مضيت إلى سوق العلافين وسألت عن دكان الشريف فوجدته جالساً في دكانه فنزلت وسلمت عليه وجلست عنده وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٤٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أبا محمد الكسلان قال فنزلت وسلمت عليه وجلست عنده وكان معي عشرة من العبيد والمماليك فقال الشريف لعل لك عندنا حاجة نفوز بقضائها فقلت نعم لي عندك حاجة قال وما حاجتك فقلت جئتك خاطباً راغباً في ابنتك فقال لي أنت ليس لك مال ولا حسب ولا نسب فأخرجت له كيساً فيه ألف دينار ذهباً أحمر وقلت له هذا حسبي ونسبي وقد قال ﷺ نعم الحسب المال وما أحسن قول من قال:

من كان يملك درهمين تعلمت ... شفتاه أنواع الكلام فقالا
وتقدم الأخوان فاستمعوا له ... ورأيته بين الورى مختالاً
لولا دراهمه التي يزهو بها ... لوجدته في الناس أسوأ حالاً
إن الغني إذا تكلم بالخطا ... قالوا صدقت وما نطقت محالاً
أما الفقير إذا تكلم صادقاً ... قالوا كذبت وأبطلوا ما قالا
أن الدراهم في المواطن كلها ... تكسو الرجال مهابة وجمالاً
فهي اللسان لمن أراد فصاحة ... وهي السلاح لمن أراد قتالاً

فلما سمع الشريف مني هذا الكلام وفهم الشعر والنظام أطرق برأسه إلى الأرض ساعة ثم رفع رأسه وقال لي أن كان ولابد فإني أريد منك ثلاثة آلاف دينار أخرى فقلت سمعاً وطاعة ثم أرسلت بعض المماليك إلى منزلي فجاءني بالمال الذي طلبه فلما رأى ذلك وصل إليه قام من الدكان وقال لغلمانه أقفلوها ثم دعا أصحابه من السوق إلى داره وكتب كتابي على بنته وقال لي بعد عشرة أيام أدخلك عليها ثم مضيت إلى منزلي وأنا فرحان فخلوت مع القرد وأخبرته بما جرى لي فقال نعم ما فعلت فلما قرب ميعاد الشريف قال القرد أن لي عندك حاجة أن قضيتها لي فلك عندي ما شئت قلت وما حاجتك قال لي أن في صدر القاعة التي تدخل فيها على بنت الشريف خزانة وعلى بابها حلقة من نحاس والمفاتيح تحت الحلقة فخذها وافتح الباب تجد

صندوقاً من حديد على أركانه أربع رايات من الطلسم وفي وسط ذلك طشت ملآن من المال وفي جانبه إحدى عشر حية وفي وسط الطشت ديك أفرق أبيض مربوط هناك سكين بجنب الصندوق فخذ السكين واذبـ ـح بـه ـا الديك واقطع الرايات واقلب الصندوق وبعد ذلك أخرج للعروسة وأزل بكارتها فهذه حاجتي عندك فقلت سمعاً وطاعة ثم مضيت إلى دار الشريف فدخلت القاعة وانظرت إلى الخزانة التي وصفها إلى القرد فلم ـا خلـ ـوت بالعروسة تعجبت من حسنها وجمالها وقدها واعتدالها لذنها لا تستطيع الألسن أن تصـ ـف حسـ ـنها وجمالهـ ـا ففرحت بها فرحاً شديداً فلما كان نصف الليل ونامت العروسة قمت وأخذت المفاتيح وفتحت الخزانة وأخـ ـذت السكين وذبحت الديك وقطعت الرايات وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٤١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أنه قال لما ذبحت الديك وقطعت الرايات وقلبت الصـ ـندوق فاسـ ـتيقظت الصبية فرأت الخزانة قد فتحت والديك قد ذبح فقالت لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم قد أخذني المـ ـارد فما استتمت كلامها إلا وقد أحاط المارد بالدار وخلف العروسة فعند ذلك وقعت الضجة وإذا بالشريف قد أقبل وهو يلطم علىوجهه وقال يا أبا محمد ما هذا الفعل الذي فعلته معنا هل هذا جزاؤنا منك وأنا قد عملت هـ ـذا الطلسم في هذه الخزنة خوفاً على بنتي من هذا الملعون فإنه كان يقصد أخذ هذه الصبية من مندست سنين ولا يقدر على ذلك ولكن ما بقى لك عندنا مقام فامض إلى حال سبيلك فخرجت من دار الشريف وجئت إلى داري وفتشت على القرد فلم أجده ولم أر له أثراً فعلمت أنه هو المارد الذي أخذ زوجتي وتحيل على حتـ ـى فعلـ ـت ذلك بالطلسم والديك اللذين كانا يمنعانه من أخذها فندمت وقطعت أثوابي ولطمت على وجهي ولـ ـم تسـ ـعني الأرض فخرجت من ساعتي وقصدت البرية ولم أزل سائراً إلى أن أمسى على المساء ولم أعلم أيـ ـن أروح فبينما أنا مشغول الفكر إذ قبل على حيتان واحداة سمراء والأخرى بيضاء وهما يتقاتلان فأخذت حجراً مـ ـن الأرض وضربت به الحية السمراء فقتلتها فإنها كانت باغية على البيضاء فغابت ساعة وعادت ومعها عشـ ـر حيات بيض فجاءوا إلى الحية التي ماتت وقطعوها قطعاً حتى لم يبق إلا رأسها ثم مضوا إلى حـ ـال سـ ـبيلهم واضطجعت في مكاني من التعب وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٤٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أبا محمد الكسلان قال ثم أضطجعت من التعب فبينما أنـ ـا مضـ ـطجع متفكر في أمري وإذا أنا بهاتف اسمع صوته ولم أر شخصه وهو يقول هذين البيتين:

دع المقـ ـادير تجـ ـري فـ ـي أعنتهـ ـا	**ولا تبيـ ـ ـتن إلا خـ ـ ـالي البـ ـ ـال**
مـ ـا بـ ـين طرفـ ـة عـ ـين وانتباهتهـ ـا	**يغيـ ـر الله مـ ـن حـ ـال إلـ ـى حـ ـال**

فلما سمعت ذلك لحقني يا أمير المؤمنين أمر شديد وفكر ما عليه من مزيد وإذا بصـ ـوت مـ ـن خلفـ ـي أسمعه ينشد هذين البيتين:

يـ ـ ـا مسـ ـ ـلماً أمامـ ـ ـه القـ ـ ـرآن	**أبشـ ـر بـ ـ ـه قـ ـد جـ ـ ـاءك الآمـ ـ ـان**
ولا تخـ ـف مـ ـ ـا سـ ـ ـول الشـ ـيطان	**فـ ـ ـنحن قـ ـ ـوم ديننـ ـ ـا الإيمـ ـ ـان**

فقلت له بحق معبودك أن تعرفني من أنت فانقلب ذلك الهاتف في صورة إنسان وقال لي لا تخف فإن جميلك قد وصل إلينا ونحن قوم من جن المؤمنين فإن كان لك حاجة فأخبرنا بها حتى نفوز بقضائها فقلت له أن لي حاجة عظيمة لأني أصبت بمصيبة جسيمة ومن الذي حصل له مثل مصيبتي فقال لعلك أبو محمد الكسلان فقلت نعم فقال يا أبا محمد أنا أخوالحية البيضاء التي قتلت أنت عدوها ونحن أربع أخوة من أم وأب وكلنا شاكرون لفضلك واعلم أن الذي كان على صورة القرد وفعل معك المكيدة مارد من مردة الجن ولولا أنه تحيل بهذه الحيلة ما كان يقدر على أخذها أبداً لأن له مدة طويلة وهو يريد أخذها فيمنعه من ذلك هذا الطلسم ولو بقي ذلك الطلسم ما كان يمكنه الوصول إليها ولكن لا تجزع من هذا الأمر فنحن نوصلك إليها ونقتل المارد فإن جميلك لا يضيع عندنا ثم أنه صاح صيحة عظيمة وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٤٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العفريت قال فإن جميلك لا يضيع عندنا ثم أنه صاح صيحة عظيمة بصوت هائل وإذا بجماعة قد أقبلوا عليه فسألهم عن القرد فقال واحد منهم أنا أعرف مستقره قال أين مستقره قال في مدينة النحاس التي لا تطلع عليها الشمس فقال يا أبا محمد خذ عبداً من عبيدنا وهو يحملك على ظهره ويعلمك كيف تأخذ الصبية واعلم أن ذلك العبد مارد من المردة فإذا حملك لا تذكر اسم الله وهو حاملك فإنه يهرب منك فتقع وتهلك فقلت سمعاً وطاعة وأخذت عبداً من عبيدهم فانحنى وقال اركب فركبت ثم طار بي في الجو حتى غاب عن الدنيا ورأيت النجوم كالجبال الرواسي وسمعت تسبيح الملائكة في السماء كل هذا والمارد يحدثني ويفرجني وينهيني عن ذكر الله تعالى فبينما أنا كذلك وإذا بشخص عليه لباس أخضر وله ذوائب شعر ووجه منير وفي يده حربة يطير منها الشرر قد أقبل علي وقال لي يا أبا محمد قل لا إله إلا الله محمد رسول الله وإلا ضربتك بهذه الحربة وكانت مهجتي قد تقطعت من سكوتي عن ذكر الله تعالى فقلت لا إله إلا الله محمد رسول الله ثم أن ذلك الشخص ضرب المارد بالحربة فذاب وصار رماداً فسقطت من فوق ظهره فصرت أهوى إلى الأرض حتى وقعت في بحر عجاج متلاطم بالأمواج وإذا بسفينة فيها خمسة أشخاص بحرية فلما رأوني أتوا إلي وحملوني في السفينة وصاروا يكلموني بكلام لا أعرفه فأشرت لهم أني لا أعرف كلامكم فساروا إلى آخر النهار ثم رموا شبكة واصطادوا حوتاً وشووه وأطعموني ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا بي إلى مدينتهم فدخلوا بي إلى ملكهم وأوقفوني بين يديه فقبلت الأرض فخلع علي خلعة وكان ذلك الملك يعرف اللغة العربية فقال قد جعلتك من أعواني فقلت ما اسم هذه المدينة قال اسمها هناد وهي من بلاد الصين ثم أن الملك سلمني إلى وزير المدينة وأمره أن يفرجني في المدينة وكان أهل تلك المدينة في الزمن الأول كفار فمسخهم الله تعالى حجارة فتفرجت فيها فلم أرى أكثر من أشجارها وأثمارها فأقمت فيها مدة شهر ثم أتيت إلى نهر وجلست على شاطئه فبينما أنا جالس وإذا بفارس قد أتى وقال هل أنت أبو محمد الكسلان فقلت له نعم قال لا تخف فإن جميلك وصل إلينا فقلت له من أنت قال أنا أخوا الحية وأنت قريب من مكان الصبية التي تريد الوصول إليها ثم خلع أثوابه والبسني أياها وقال لي لا تخف فإن العبد الذي هلك من تحتك بعض عبيدنا ثم أن ذلك الفارس أردفني خلفه وسار بي إلى برية وقال أنزل من خلفي وسر

بين هذين الجبلين حتى ترى مدينة النحاس فقف بعيداً عنها ولا تدخلها حتى أعود إليك وأقول لك كيف تصنع فقلت له سمعاً وطاعة ونزلت من خلفه ومشيت حتى وصلت إلى المدينة فرأيت سورها فجعلت أدور حولها لعلي أجد لها باباً فما وجدت لها باباً فبينما أنا أدور حولها وإذا بأخ الحية قد أقبل علي وأعطاني سيفاً مطلسماً حتى لا يراني أحد ثم أنه مضى إلى حال سبيله فلم يغب عني وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٤٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أبا محمد الكسلان قال لم يغب عني إلا قليلاً وإذا بصياح قد علا ورأيت خلقاً كثيراً وأعينهم في صدورهم فلما رأوني قالوا من أنت وما الذي رماك في هذا المكان فأخبرتهم بالواقعة فقالوا أن الصبية التي ذكرتها مع المارد في هذه المدينة وما ندري ما فعل بها ونحن أخوة الحية ثم قالوا أمض إلى تلك العين وانظر من أين يدخل الماء وأدخل معه فإنه يوصلك إلى المدينة ففعلت ذلك ودخلت مع الماء في سرداب تحت الأرض ثم طلعت معه فرأيت نفسي في وسط المدينة ووجدت الصبية جالسة على سرير من ذهب وعليها ستارة من ديباج وحول الستارة بستان فيه أشجار من الذهب وأثمارها من نفيس الجواهر كالياقوت والزمرجد واللؤلؤ والمرجان فلما رأتني تلك الصبية عرفتني وأبتدأتني بالسلام وقالت لي يا سيدي من أوصلك إلى هذا المكان فأخبرتها بما جرى فقالت لي اعلم أن هذا الملعون من كثرة محبته لي اعلمني بالذي يضره والذي ينفعه وأعلمني أن في هذه المدينة طلسمان أن شاء هلاك جميع من في المدينة أهلكهم به ومهما أمر العفاريت فإنهم يمتثلون أمره وذلك الطلسم في عمود فقلت لها وأين العمود فقالت في المكان الفلاني فقلت وأي شيء يكون ذلك الطلسم قالت هو صورة عقاب وعليه كتابة لا أعرفها فخذه بين يديك وخذ مجمرة نار وأرم فيه شيئاً من المسك فيطلع دخان يجذب العفاريت فإذا فعلت ذلك فإنهم يحضرون بين يديك كلهم ولا يغيب منهم أحد ويمتثلون أمرك ومهما أمرتهم فإنهم يفعلونه فقم وافعل ذلك على بركة الله تعالى فقلت لها سمعاً وطاعة ثم قمت وذهبت إلى ذلك العمود وفعلت جميع ما أمرتني به فجاءت العفاريت وحضرت بين يدي وقالوا لبيك يا سيدي فمهما أمرتنا به فعلناه فقلت لهم قيدوا المارد الذي جاء بهذه الصبية من مكانها فقالوا سمعاً وطاعة ثم ذهبوا إلى ذلك المارد وقيدوه وشدوا وثاقه ورجعوا إلى وقالوا قد فعلنا ما أمرتنا به فأمرتهم بالرجوع ثم رجعت إلى الصبية وأخبرتها بما حصل وقلت يا زوجتي هل تروحين معي فقالت نعم ثم إني طلعت بها من السرداب الذي دخلت منه وسرنا حتى وصلنا إلى القوم الذي كانوا دلوني عليها وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٤٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أنه قال وسرنا حتى وصلنا إلى القوم الذين كانوا دلوني عليها ثم قلت دلوني على طريق توصلني إلى بلادي فدلوني ومشوا معي إلى ساحل البحر وأنزلوني في مركب وطاب لنا الريح فسارت بنا تلك المركب حتى وصلنا إلى مدينة البصرة فلما دخلت الصبية دار أبيها رأوها أهلها ففرحوا فرحاً شديداً ثم أني بخرت العقاب بالمسك وإذا بالعفاريت قد أقبلوا من كل مكان وقالوا لبيك فما تريد أن نفعل فأمرتهم أن ينقلوا كل ما في مدينة النحاس من المال والمعادن والجواهر إلى داري التي في البصرة ففعلوا ذلك ثم أمرتهم أن يدخلوه في قمقم نحاس فأدخلوه في قمقم ضيق من نحاس وسدوا عليه بالرصاص

وأقمت أنا وزوجتي في هناء وسرور وعندي الآن يا أمير المؤمنين من نفائس الذخائر والجواهر وكثير الأموال مالا يحيط به عدو لا يحصره أحد وإذا طلبت شيئاً من المال وغيره أمرت الجن أن يأتوا لك به في الحال وكل ذلك من فضل الله تعالى فتعجب أمير المؤمنين من ذلك غاية العجب ثم أعطاه مواهب الخلافة عوضاً عن هديته وأنعم عليه أنعاماً يليق به.

(حكاية على شار مع زمرد الجارية)

(وحكى) أنه كان في قديم الزمان وسالف العصر والأوان تاجر من التجار في بلاد خراسان اسمه مجد وله مال كثير وعبيد ومماليك وغلمان إلا أنه بلغ من العمر ستين سنة ولم يرزق ولد أو بعد ذلك رزقه الله تعالى ولداً فسماه علياً فلما نشأ ذلك الغلام صار كالبدر ليلة التمام ولما بلغ مبلغ الرجال وحاز صفات الكمال ضعف والده بمرض الموت فدعا بولده وقال له يا ولدي أنه قد قرب وقت المنية وأريد أن أوصيك بوصية فقال له وما هي يا والدي فقال له أوصيك أنك لا تعاشر أحد من الناس وتجنب ما يجلب الضر والبأس وأياك وجليس السوء فإنه كالحداد إن لم تحرقك ناره يضرك دخانه وما أحسن قول الشاعر:

ما في زمانك من ترجو مودته ... ولا صديق إذا خان الزمان وفى

فعش فريداً ولا تركن إلى أحد ... ها قد نصحتك فيما قلته وكفى

فقال يا أبي سمعت وأطعت ثم ماذا أفعل فقال أفعل الخير إذا قدرت ودم على صنع الجميل مع الناس واغتنم بذل المعروف فما في كل وقت ينجح الطلب وما أحسن قول الشاعر:

ليس في كل ساعة وأوان ... تتأتي صنائع الإحسان

فإذا أمكنتك بادر إليها ... حذراً من تعذر الإمكان

فقال سمعت وأطعت وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٤٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الصبي قال لأبيه سمعت وأطعت ثم ماذا قال يا ولدي أحفظ الله يحفظك وصن مالك ولا تفرط فيه فإنك أن فرطت فيه تحتاج إلى أقل الناس واعلم أن قيمة المرء ما ملكت يمينه وما أحسن قول الشاعر:

أن قل مالي فلا خل يصاحبني ... وإن زاد مالي فكل الناس خلاني

فكم عدو لأجل المال صاحبني ... وكم صديق لفقد المال عاداني

فقال ثم ماذا قال يا ولدي شاور من هو أكبر منك سناً ولا تعجل في الأمر الذي تريده وارحم من هو دونك يرحمك من هو فوقك ولا تظلم أحداً فيسلط الله عليك من يظلمك وما أحسن قول الشاعر:

أقرن برأيك رأي غيرك واستشر ... فالرأي لا يخفى على الأثنين

فالمرء مرآة تريه وجهه ... ويرى قفاه بجمع مرآتين

وقول الآخر:

تأن ولا تعجل لامر تريده ... وكن راحماً للناس تبلى براحم

فمـ ـا مـ ـن يـ ـد الأيـ ـد الله فوقهـ ـا ولا ظ . . ـالم إلا سـ . . ـيبلى بظـ . . ـالم

وقول الآخر:

لا تظلمـ ـن إذا مـ ـا كنـ ـت مقتـ ـدراً أن الظلـ ـوم علـ ـى حـ ـد مـ ـن الـ ـنقم

تنـ ـام عينـ ـاك والمظلـ ـوم منتبـ ـه يـ ـدعو عليـ ـك وعـ ـين الله لـ ـم تـ ـنم

وإياك وشرب الخمر فهو رأس كل شر وشربه مذهب العقول ويزرى بصاحبه وما أحسن قول الشاعر:

تا الله لأخـ ـامرتني الخمـ ـر مـ ـا علقـ ـت روحـ ـي بجسـ ـمي وأقـ ـوالي بإفصـ ـاحي

ولا صـ ـبوت إلـ ـى مشـ ـمولة أبـ ـداً يوماً ولا اخترت ندماناً سـ ـوى الصـ ـاحي

فهذه وصيتي لك فاجعلها بين عينيك والله خليفتي عليك ثم غشي عليه فسكت ساعة واستفاق فاسـ ـتغفر الله وتشهد وتوفى إلى رحمة الله تعالى فبكى عليه ولده وانتحب ثم أخذ في تجهيزه على ما يجب ومشيت فـ ـي جنازته الأكابر والأصاغر وصار القراء يقرءون حول تابوته وما ترك من حقه شيئاً إلا وفعله ثم صلوا عليه وواروه في التراب وكتبوا على قبره هذين البيتين:

خلقـ ـت مـ ـن التـ ـراب فصـ ـرت حيـ ـاً وعلمت الفصاحة في الخطاب كأنـ ـك مـ ـا

وعـ ـدت إلـ ـى التـ ـراب فصـ ـرت ميتـ ـاً برحـ . . . ـت مـ . . . . ـن التـ . . . ـراب

حزن عليه ولده شار حزناً شديداً وعمل عزاءه على عادة الأعيان واستمر حزيناً على أبيـ ـه إلـ ـى أن ماتت أمه بعده بمدة يسيرة ففعل بوالدته مثل ما فعل بأبيه ثم بعد ذلك جلس في الـ ـدكان يبيـ ـع ويشـ ـتري ولا يعاشر أحداً من خلق الله تعالى عملاً بوصية أبيه واستمر على ذلك مدة سنه وبعد السنة دخلت عليه النسـ ـاء الزواني بالحيل وصاحبوه حتى مال معهم إلى الفساد واعرض عن طريق الرشاد وشرب الراح بالأقداح وإلى الملاح غدا ورواح وقال في نفسه أن والدي جمع لي هذا المال وأنا إن لم أتصرف فيه فلمـ ـن أخليـ ـه والله لا أفعل لا كما قال الشاعر:

إن كنـ . . . ـت دهـ . . . ـره كلـ . . . ـه تحـ . . . ـوي إليـ . . . ـك تجمـ . . . ـع

فمتـ . . . ـى بمـ . . . ـا حصـ . . . ـلته وحويتـ . . . . ـه تتمتـ . . . . . . ـع

ومازال على شار يبذل في المال آناء الليل وأطراف النهار حتى أذهب ماله كله وافتقر فسـ ـاء حالـ ـه وتكدر باله وباع الدكان والأماكن وغيرها ثم بعد ذلك باع ثياب بدنه ولم يترك لنفسه غير بدلة واحـ ـدة فلمـ ـا ذهبت السكرة وجاءت الفكرة وقع في الحسرة وقعد يوماً من الصبح إلى العصر بغير إفطار فقال في نفسه أنا أدور على الذين كنت أنفق مالي عليهم لعل أحداً منهم يطعمني في هذا اليوم فدار عليهم جميعاً وكلما طـ ـرق باب أحد منهم ينكر نفسه ويتوارى منه حتى أحرقه الجوع ثم ذهب إلى سوق التجار. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٤٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن علي شار أحرقه الجوع فذهب إلى سوق التجار فوجد حلق ـة ازدحـ ـام والناس مجتمعون فيها فقال في نفسه يا ترى ما سبب اجتماع هؤلاء الناس والله لا أنتقل من هذا المكان حتى أتفرج على هذه الحلقة ثم تقدم فوجد جارية خماسية معتدلة القد موردة الخد قاعدة النهد قد فاقت أهل زمانهـ ـا في الحسن والجمال والبهاء والكمال كما قال بعض واصفيها.

كما اشـ ـتهت خلقـ ـت حتـ ـى إذا كملـ ـت	فـي قالـ ـب الحسـ ـن لا طـ ـول ولا قصـ ـر
والحسـ ـن أصـ ـبح مشـ ـغوفاً بصـ ـورتها	والصـ ـد أبعـ ـد لهـ ـا والتيـ ـه والخفـ ـر
فالبـ ـدر طلعتهـ ـا والغصـ ـن قامتهـ ـا	والمسـ ـك نكهتهـ ـا مـ ـا مثلهـ ـا بشـ ـر
كأنهـ ـا أفرغـ ـت مـ ـن مـ ـاء لؤلـ ـؤة	فـ ـي كـ ـل جارحـ ـة مـ ـن حسـ ـنها قمـ ـر

وكانت تلك الجارية اسمها زمرد فلما نظرها علي شار تعجب من حسنها وجمالها وقال والله لا أبـ ـرح حتى أنظر القدر الذي يبلغه ثمن هذه الجارية وأعرف الذي يشتريها ثم وقف بجملة التجار فظنوا أنه يشـ ـتري لما يعلمون من غناه بالمال الذي ورثه من والده ثم أن الدلال وقف على رأس الجارية وقال يا تجار يا أرباب الأموال من يفتح باب السعر في هذه الجارية سيدة الأقمار الدرة السنية زمرد السنورية بغية الطالب ونزهـ ـة الراغب فافتحوا الباب فليس على من فتحه لوم ولا عتاب فقال بعض التجار على بخمسمائة دينار وقال آخـ ـر وعشرة فقال شيخ يسمي رشيد الدين وكان أزرق العين قبيح المنظر ومائة وقال آخر وعشرة قال الشيخ بألف دينار فحبس التجار ألسنتهم وسكتوا فشاور الدلال سيدها فقال أنا حالف أني ما أبيعها إلا لمن تختاره فشاورها فجاء الدلال إليها وقال يا سيدة الأقمار أن هذا التاجر يريد أن يشتريك فنظرت إليه فوجدته كما ذكرنا فقالـ ـت للدلالة أنا لا أباع لشيخ أوقعته الهموم في أسوأ حال ولله در من قال:

سـ ـألتها قبلـ ـة يومـ ـاً وقـ ـد نظـ ـرت	شـ ـيبي وقـ ـد كنـ ـت ذا مـ ـال وذا نعـ ـم
فأعرضت عـ ـن مرامـ ـي وهـ ـي قائلـ ـة	لا والـ ـذي خلـ ـق الإنسـ ـان مـ ـن عـ ـدم
ما كان لي في بياض الشـ ـيب مـ ـن أرب	>أفي الحياة يكون القطـ ـن حشـ ـو فمـ ـي

فلما سمع الدلال قولها قال لها والله أنك معذورة وقيمتك عشرة آلاف دينار ثم اعلم سـ ـيدها أنهـ ـا مـ ـا رضيت بذلك الشيخ فقال شاورها في غيره فتقدم إنسان آخر وقال علي بما أعطى فيها الشيخ الذي لم تـ ـرض به فنظرت إلى ذلك الرجل فوجدته مصبوغ اللحية فقالت ما هذا العيب والريب وسواد وجه الشيب وأنشـ ـدت هذين البيتين:

قالت أراك خضبت الشـ ـيب قلـ ـت لهـ ـا	سترتـه عنـ ـك يـ ـا سـ ـمعي ويـ ـا بصـ ـري
فقهقهـ ـت ثـ ـم قالـ ـت أن ذا عجـ ـب	تكاثر الغـ ـش حتـ ـى صـ ـار فـ ـي الشـ ـعر

فلما سمع الدلال شعرها قال لها والله أنك صدقت فقال التاجر ما الذي قالت فأعاد عليه الأبيات فعـ ـرف أن الحق على نفسه وأمتنع من شرائها فتقدم تاجر آخر وقال شاورها على الثمن الـ ـذي سـ ـمعته فشـ ـاورها فنظرت إليه فوجدته أعور فقالت هذا أعور فقال لها الدلال يا سيدتي أنظري من يعجبـ ـك مـ ـن الحاضـ ـرين

وقولي عليه حتى أبيعك له فنظرت إلى حلقة التجار وتفرستهم واحداً بعد واحد فوقع نظرها على علي شـ ـار.

وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٤٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية لما وقع نظرها على علي شار نظرته نظـ ـرة أعقبتها ـا ألـ ـف حسرة وتعلق قلبها به لأنه كان بديع الجمال وألطف من نسيم الشمال فقالت يا دلال أنا لا أبـ ـاع إلا لسـ ـيدي صاحب هذا الوجه المليح والقد الرجيح الذي قال فيه بعض واصفيه أبرزوا وجهك الجميل ولا موا من أفتـ ـتن لو أرادوا صيانتي ستروا وجهك الحسن فلا يمكنني إلا هو لأن خده أسيل ورضا به سلسبيل وريقـ ـه يشـ ـفي العليل ومحاسنه تحير الناظم والناثر كما قال فيه الشاعر:

فريقـ . . . ـه خمـ . . . ـر وأنفاسـ . . . ـه	مسـ . . . ـك وذاك الثغـ . . . ـر كـ . . . ـافور
أخرجـ . . . ـه رضـ . . . ـوان مـ . . . ـن داره	مخافـ . . . ـة أن تفـ . . . ـتن الحـ . . . ـور
يلومـ . . ـه النـ . . ـاس عـ . . . ـى تيهـ . . ـه	والبـ . . . ـدر مهمـ . . . ـا تـ . . . ـاه معـ . . ـذور

صاحب الشعر الأجعد والخد المورد واللحظ الساحر الذي قال فيه الشاعر:

وشـ ـادن بوصـ ـال منـ ـه واعـ ـدني	فالقلـ ـب فـ ـي قلـ ـق والعـ ـين منتظـ ـره
أخفائـ ـه ضـ ـمنت لـ ـي صـ ـدق موعـ ـده	فكيـ ـف تـ ـوفى ضـ ـماناً وهـ ـي منكسـ ـرة

فلما سمع الدلال ما أنشدته من الأشعار في محاسن على شار تعجب من فصاحتها وأشراق بهاتها فقال له صاحبها لا تعجب من بهجتها التي تفضح شمس النهار ولا من حفظها لرقائق الأشعار فإنها مع ذلك تقـ ـرأ القرآن العظيم بالسبع قراءات وتروى الحديث بصحيح الروايات وتكتب بالسبعة أقلام وتعرف العلـ ـوم مـ ـالا يعرفه العالم العلام ويداها أحسن من الذهب والفضة فإنها تعمل الستور الحرير وتبيعها فتكسب في كل واحدة خمسين دينار أو تشتغل الستر في ثمانية أيام فقال الدلال يا سعادة من تكون هذه في داره ويجمعها من ذخائر أسراره ثم قال له سيدها بعها لكل من أرادته فرجع الدلال إلى على شار وقبل يديه وقال يا سيدي اشتري هذه الجارية فإنها اختارتك وذكر له صفتها وما تعرفه وقال له هنياً لك إذا اشتريتها فإنه قد أعطاك من لا يبخـ ـل بالعطاء فاطرق على شار برأسه ساعة إلى الأرض وهو يضحك على نفسه ويقول في سره أنا لي هذا الوقت من غير إفطار ولكن أختشي من التجار أن أقول ما عندي مال اشتريها به فنظرت الجارية إلى أطرافه وقالت للدلال خذ بيدي وامض بي إليه حتى أعرض نفسي عليه وأرغبه في أخذي فإني ما أباع الإله فأخذها الـ ـدلال وأوقفها قدام على شار وقال له ما رأيك يا سيدي فلم يرد عليه جواباً فقالت الجارية يا سيدي وحبيـ ـب قلبـ ـي مالك لا تشتريني فاشترني بما شئت وأكون سبب سعادتك فرفع رأسه إليها وقال هل الشراء بالغصـ ـب أنـ ـت غالية بألف دينار فقالت له يا سيدي اشترني بتسعمائة قال لا قالت بثمانمائة قال لا فمازالت تنقص من الـ ـثمن إلي أن قالت له بمائة دينار قال ما معي مائة كاملة فضحكت وقالت له كم تنقص مائتك قال ما معي لا مائـ ـة ولا غيرها أنا والله ما أملك لا أبيض ولا أحمر من درهم ولا دينار فانظري لك زبوناً غيري فلما علمت أنـ ـه ما معه شيء قالت له خذ بيدي على أنك تقبلني في عطفة ففعل ذلك فاخرجت من جيبها كيساً فيه ألف ديـ ـار

وقالت زن منه تسعمائة في ثمني وأبق المائة معك تنفعنا ففعل ما أمرته به واشتراها بتسعمائة ديذ ار ودف ع ثمنها من ذلك الكيس ومضى بها إلى الدار فلما وصلت إلى الدار وجدتها قاعاً صفصفاً لا فرش بها ولا أواني فأعطته ألف دينار وقالت له أمض إلى السوق واشتر لنا بثلثمائة دينار فرشاً وأواني للبيت ففعل ثم قالت لـ ـه اشتر لنا مأكولاً ومشروباً وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٤٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية قالت له اشتر لنا مأكولاً ومشروباً بثلاثة دنانير ففعل ثم قالت له اشتر لنا خرقة حرير قدر ستر واشتر قصباً أصفر وأبيض وحريراً ملوناً صبغة ألوان ففعل ثم أنها فرشت البيت وأوقدت الشمع وجلست تأكل وتشرب هي وأياه وبعد ذلك قاموا إلى الف رش وقضـ وا الغ رض مـ ن بعضهما ثم باتا متعانقين خلف الستائر وكان كما قال الشاعر:

زر مـ ـن تحـ ـب ودع كـ ـلام الحاسـ ـد ... ليس الحسـ ـود عـلـ ـى الهـ ـوى بمسـ ـاعد
أنـ ـي نظرتـ ـك المنـ ـام مضـ ـاجعي ... ولثمـ ـت مـ ـن شـ ـفتيك أحلـ ـى بـ ـارد
حـ ـق صـ ـحيح كـ ـل مـ ـا عاينتـ ـه ... ولسـ ـوف أبلغـ ـه بـ ـرغم الحاسـ ـد
لـ ـم تنظـ ـر العيـ ـان أحسـ ـن منظـ ـراً ... مـ ـن عاشـ ـقين علـ ـى فـ ـراش واحـ ـد
متعـ ـانقين عليهمـ ـا حلـ ـل الرضـ ـا ... متوسـ ـدين بمعصـ ـم ويسـ ـاعد
وإذا تألفـ ـت القلـ ـوب علـ ـى الهـ ـوى ... فالنـ ـاس تضـ ـرب فـ ـي حديـ ـد بـ ـارد
يا من يلوم على الهـ ـوى أهـ ـل الهـ ـوى ... هـ ـل تسـ ـتطيع صـ ـلاح قلـ ـب فاسـ ـد
وإذا صـ ـفا لـ ـك مـ ـن زمانـ ـك واحـ ـد ... فهـ ـو المـ ـراد وعـ ـش بـ ـذاك الواحـ ـد

واستمرا متعانقين إلى الصباح وقد سكنت محبة كل واحد منهما في قلب صاحبه ثـ م أخـ ذت السـ ـتر وطرزته بالحرير الملون وزركشته بالقصب وجعلت فيه منطقة بصور طيور وصورت في دائرهـ ـا صـ ـور الوحوش ولم تترك وحشاً في الدنيا إلا وصورت صورته فيه ومكثت تشتغل فيه ثمانية أيام فلما فرغ صـ ـقلته وطوته ثم أعطته لسيدها وقالت له اذهب به إلى السوق وبعه بخمسين ديناراً للتاجر واحذر أن تبيعـ ـه لأحـ ـد عابر طريق فإن ذلك يكون سبباً للفراق بيني وبينك لأن لنا أعداء لا يغفلون عنا فقال سمعاً وطاعة ثم ذهـ ـب به إلى السوق وباعه لتاجر كما أمرته وبعد ذلك اشترى الحرقة والحرير والقصب على العادة وما يحتاج ـان إليه من الطعام وأحضر لها ذلك وأعطاها بقية الدراهم فصارت كل ثمانية أيام تعطيه ستراً يبيعـ ـه بخمسـ ـين ديناراً ومكثت على ذلك سنة كاملة وبعد السنة راح إلى السوق بالستر على العادة وأعطاه للدلال فعرض لـ ـه نصراني فدفع له ستين ديناراً فامتنع فما زال يزيده حتى عمله بمائة دينار وبرطل الدلال بعشرة دنانير فرجع الدلال على علي شار وأخبره بالثمن وتحيل عليه في أن يبيع الستر للنصراني بذلك المبلغ وقال له يا سـ ـيدي لا تخف من هذا النصراني وما عليك منه بأس وقامت التجار عليه فباعه للنصراني وقلبه مرعوب ثم قـ ـبض المال ومضى إلى البيت فوجد النصراني ماشياً خلفه فقال له يا نصراني مالك ماشياً خلفي فقال له يا سـ ـيدي أن لي حاجة في صدر الزقاق الله لا يحوجك فما وصل على شار إلى منزله إلا والنصراني لاحقه فقـ ـال يـ ـا ملعون مالك تتبعني أينما أسير فقال يا سيدي أسقني شربة ماء فإني عطشان وأجرك على الله تعالى فقال علي شار في نفسه هذا رجل ذمي وقصدني في شربة ماء فو الله لاخيبة وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٥٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن علي شار قال في نفسه هذا رجل ذمي وقصدني في شربة ماء فو الله لا أخيبه ثم دخل البيت وأخذ كوز ماء فرأته جازيته زمرد فقالت يا حبيبي هل بعت الستر قال نعم قالت لتاجر أو لعابر سبيل قد أحس قلبي بالفراق قال ما بعته إلا لتاجر قالت أخبرني بحقيقة الأمر حتى أتدارك شأني وما بالك أخذت كوز الماء قال لأسقي الدلال فقالت لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ثم أنشدت هذين البيتين:

يـ . . ـا طالبـ . . ـاً للفـ . . ـراق مهـ . . ـلاً	فـ . . . . ـلا يغرنـ . . . . ـك العنـ . . . . ـاق
مهـ . . ـلاً فطبـ . . ـع الزمـ . . ـان غـ . . ـدر	وآخـ . . . ـر الصـ . . . ـحبة الفـ . . . ـراق

ثم خرج بالكوز فوجد النصراني داخلاً في دهليز البيت فقال له هل وصلت إلى هنا يا كلب كيف تدخل بغير أذني فقال يا سيدي لا فرق بين الباب والدهليز وما بقيت أنتقل من مكاني هذا إلا للخروج وأنـ ـت لـ ـك الفضل والإحسان والجود والإمتنان ثم أنه تناول كوز الماء وشرب منه وبعد ذلك ناوله إلى علي شار فأخـ ـذه وانتظره أن يقوم فما قام فقال له لأي شيء لم تقم وتذهب إلى حال سبيلك فقال يا مولاي أني قد شربت ولكن أريد منك أن تطعمني مهما كان من البيت حتى إذا كان كسرة قرقوشة وبصلة فقال له قم بلا مماحكة ما فـ ـي البيت شيء فقال يا مولاي أن لم يكن في البيت شيء فخذ هذه المائة دينار وائتني بشيء مـ ـن السـ ـوق ولـ ـو برغيف واحد ليصير بيني وبينك خبز وملح فقال علي شار في سره أن هذا النصراني مجنون فأنا آخذ منـ ـه المائة دينار آتي له بشيء يساوي درهمين وأضحك عليه فقال النصراني يا سيدي إنما أريد شيئاً يطرد الجوع ولو رغيفاً واحداً وبصلة فخير الزاد ما دفع الجوع فقال على شار أصبر هنا حتى أقفل القاعة وآتيك بشـ ـيء من السوق فقال له سمعاً وطاعة ثم خرج وقفل القاعة وحط على الباب كيلونا وأخذ المفتاح معه وذهب إلـ ـى السوق واشتري جبناً مقلياً وعسلاً أبيض وموزاً وخبزاً وآتي به إليه فلما نظر النصراني إلى ذلـ ـك قـ ـال يـ ـا مولاي هذا شيء كثير يكفي عشرة رجال وأنا وحدي فلعلك تأكل معي فقال له كل وحدك فإني شبعان فقال له يا مولاي قالت الحكماء من لم يأكل مع ضيفه فهو ولد زنا فلما سمع علي شار من النصراني هذا الكلام جلس وأكل معه شيئاً قليلاً وأراد أن يرفع يده وهنا أدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٥١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن علي شار جلس وأكل معه شيئاً قلـ ـيلاً وأراد أن يرفـ ـع يـ ـده فأخـ ـذ النصراني موزة وقشرها وشقها نصفين وجعل في نصفها بنجاً مكرراً ممزوجاً بأفيون الدرهم منه يرمي الفيل ثم غمس نصف الموزة في العسل وقال يا مولاي وحق دينك أن تأخذ هذه فاستحى على شار أن يحنثـ ـه فـ ـي يمينه فأخذها منه وابتلعها فما استقرت في بطنه حتى سبقت رأسه رجليه وصار كأنه له سنة وهو راقد فلمـ ـا رأى النصراني ذلك قام على قدميه كأنه ذئب معط أو قضاء مسلط وأخذ منه مفتاح القاعـ ـة وتركـ ـه مرميـ ـاً وقهب يجري إلى أخيه وأخبره بالخبر وسبب ذلك أن أخا النصراني هو الشيخ الهرم الذي أراد أن يشـ ـتريها بألف دينار فلم ترض به وهجته بالشعر وكان كافراً في الباطن ومسلماً في الظاهر وسمي نفسه رشيد الـ ـدين ولما هجته ولم ترض به شكا إلى أخيه النصراني الذي تحيل في أخذها من سيدها على شـ ـار وكـ ـان اسـ ـمه برسوم فقال له لا تحزن من هذا الأمر فأنا أتحيل لك في أخذها بلا درهم ولا دينار لأنه كان كاهنـ ـاً مـ ـاكراً

مخادعاً فاجراً ثم أنه لم يزل يمكر ويتحيل حتى عمل الحيلة التي ذكرناها وأخذ المفتاح وذهـ ب إلـ ى أخيـ ه وأخبره بما حصل وركب بغلته وأخذ غلمانه وتوجه مع أخيه إلى بيت على شار وأخذ معه كيساً فيـ ه ألـ ف دينار ذا صادفه الوالي فيعطيه أياه ففتح القاعة وهجمت الرجال الذين معه على زمرد وأخذوها قهراً وهددوها بالقتل أن تكلمت وتركوا المنزل على حاله ولم يأخذوا منه شيئاً وتركوا على شار راقداً في الدهليز ثـ م ردوا الباب عليه وتركوا مفتاح القاعة في جانبه ومضى بها النصراني إلى قصره ووضعها بين جواريه وسـ راريه وقال لها يا فاجرة أنا الشيخ الذي ما رضيت بي وهجوتيني وقد أخذتك بلا درهم ولا دينار فقالـ ت لـ ه وقـ د تغرغرت عيناها بالدموع حسبك الله يا شيخ السوء حيث فرقت بيني وبين سيدي فقال لها يا فاجرة يا عشـ اقة سوف تنظرين ما أفعل بك من العذاب وحق المسيح والعذراء إن لم تطار عيني وتدخل في ديـ ي لأعـ ذبنك بأنواع العذاب فقالت له لو قطعت لحمي قطعاً ما أفارق دين الإسلام ولعل الله تعالى يأتيني بالفرج القريب أنه على ما يشاء قدير وقد قالت العقلاء مصيبة في الأبدان ولا مصيبة في الأديان فعند ذلك صاح علـ ى الخـ دم والجواري وقال لهم أطرحوها فطرحوها ومازال يضربها ضرباً عنيفاً وصارت تسـ تغيث فـ لا تغـ اث ثـ م أعرضت عن الاستغاثة وصارت تقول حسبي الله وكفى إلى أن أنقطع نفسها وخفي أنينها واشتفى قلبه منها ثم قال للخدم اسحبوها من رجليها وأرموها في المطبخ ولا تطعموها شيئاً ثم بات الملعون تلك الليلة ولما أصبح الصباح طلبها وكرر عليها الضرب وأمر الخدم أن يرموها في مكانها ففعلوا فلما رد عليها الضرب قالـ ت لا إله إلا الله محمد رسول الله حسبي الله ونعم الوكيل ثم استغاثت بسيدنا محمد ﷺ وأدرك شهرزاد فسكتت عـ ن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٥٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن زمرد استغاثت بالنبي ﷺ هذا ما كان من أمرها (وأما) ما كان من أمر علي شار فإنه لم يزل راقداً إلى ثاني يوم ثم طار البنج من رأسه ففتح عينيه وصاح قائلاً يا زمرد فلم يجيبـ ه أحد فدخل القاعة فوجد الجو قفرا والمزار بعيد فعلم أنه ما جرى عليه هذا الأمر إلا من النصراني فحن وبكى وأن واشتكى وأفاض العبرات وأنشد هذه الأبيات:

يـ ـا وجـ ـد لا تبقـ ـى علـ ـي ولا تـ ـذر   هـ ـا مهجتـ ـي بـ ـين المشـ ـقة والخطـ ـر

يـ ـا سـ ـادتي رقـ ـوا لعبـ ـد ذل فـ ـي   شـ ـرع الهـ ـوى وغنـ ـى قـ ـوم افتقـ ـر

مـ ـا حيلـ ـة الرامـ ـي إذا التقـ ـت العـ ـدا   وأراد يرمـ ـي السـ ـهم فـ ـانقطع لـ ـوتر

وإذا تكـ ـاثرت الهمـ ـوم علـ ـى الفتـ ـى   وتراكمـ ـت أيـ ـن المفـ ـر مـ ـن القـ ـدر

ولكـ ـم أحـ ـاذر مـ ـن تفـ ـرق شـ ـملنا   ولكن إذا نـ زل القضـ ـاء عمـ ـي البصـ ـر

وندم حيث لا ينفعه الندم وبكى ومزق أثوابه وأخذ بيديه حجرين ودار حول المدينة وصار يدق بهما في صدره ويصيح قائلاً يا زمرد فدارت الصغار حوله وقالوا مجنون مجنون فكل من عرفه يبكي عليه ويقـ ول هذا فلان ما الذي جرى له ولم يزل على هذه الحالة إلى آخر النهار فلما جن عليه الليل نام في بعض الأزقة إلى الصباح ثم أصبح دائراً بالأحجار حول المدينة إلى آخر النهار وبعد ذلك رجع إلى قاعتـ ه ليبيـ ت فيهـ ا

فنظرته جارته وكانت امرأة عجوز من أهل الخير فقالت له يا ولدي سلامتك متى جنن ت فأجابه ا به ذين البيتين:

قالوا جننت بم ن ته وى فقل ت له م ... م . ـا ل . ـذة الع . ـيش إلا للمج . ـانين

دعوا جنوني وه ـاتوا م ـن جنن ت ب ـه ... إن ك ـان يش ـفي جن ـوني لا تلوم ـوني

فعلمت جارته العجوز أنه عاشق مفارق فقالت لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم يا ولدي أش تهي منك أن تحكي لي خبر مصيبتك عسى الله أن يقدرني على مساعدتك عليها بمشيئته فحكى لها جميع ما وقع له مع برسوم النصراني أخي الكاهن الذي سمي نفسه رشيد الدين فلما علمت ذلك قالت له يا ولدي أنك مع ذور ثم أفاضت دمع العين وأنشدت هذين البيتين:

كف ـى المحب ـين ف ـي الـ ـدنيا ع ـذابهم ... ت . ـالله لأع . ـذبتهم بع . ـدها س . ـقر

لأنـه ـم هلك ـوا عش ـقاً وق ـد كتم ـوا ... م ـع العف ـاف به ـذا يش ـهد الخب ـر

فلما فرغت من شعرها قالت له يا ولدي قم الآن واشتر قفصاً مثل أقفاص أهل الصاغة واشتر أس ـاور وخواتم وحلقاناً وحلياً يصلح للنساء ولا تبخل بالمال وضع جميع ذلك في القفص وهات القفص وأنا أضعه على رأسي في صورة دلالة وأدور أفتش عليها في البيوت حتى أقع على خبرها أن شاء الله تعالى ففرح علي شار بكلامها وقبل يدها ثم ذهب بسرعة وأتى لها بما طلبته فلما حضر ذلك عندها قامت ولبست مرقعه ووضعت على رأسها آزاراً عسلياً وأخذت في يدها عكازاً وحملت القفص ودارت في العطف والبيوت ولم تزل دائرة من مكان إلى مكان ومن حارة إلى حارة ومن درب إلى درب إلى أن دلها الله تعالى على قصر الملعون رشيد الدين النصراني فسمعت من داخله أنيناً فطرقت الباب وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٥٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العجوز لما سمعت من داخل البيت أنيناً طرقت الباب فنزلت لها جارية ففتحت لها الباب وسلمت عليها فقالت لها العجوز معي هذه الحويجات للبيع هل عندكم من يشتري منها شيئاً فقالت لها الجارية نعم ثم أدخلتها الدار وأجلستها وجلس الجواري حولها وأخذت كل واحدة شيئاً منها وصارت العجوز تلاطف الجواري وتتساهل معهن في الثمن ففرح بها الجواري بسبب معروفها ولين كلامها وهي تتأمل من جهات المكان على صاحب الأنين فلاحت منها التفاتة إليها فحابتهم وأحسنت إليهم وتأملت فوجدت زمرد مطروحة فعرفتها فبكت وقالت لهم يا أولادي ما بال هذه الصبية في هذا الحال فحكى لها الجواري جميع القصة وقلن لها الأمر ليس باختيارنا ولكن سيدنا أمر بهذا وهو مسافر الآن فقالت لهم يا أولادي لي عندكم حاجة وهي أنكم تحلون هذه المسكينة من الرباط إلى أن تعلموا بمجيء سيدكم فتربطوها كما كانت وتكسبوا الأجر من رب العالمين فقلن لها سمعاً وطاعة ثم أنهم حلوها وأطعموها وأسقوها ثم قالت العجوز يا ليت رجلي انكسرت ولا دخلت لكم وبعد ذلك ذهبت إلى زمرد وقالت لها يا بنتي سلامتك سيفرج الله عنك ثم ذكرت لها أنها جاءت من عند سيدها علي شارو وأعدتها أنها في ليلة غد تكون حاضرة وتلقى

سمعها للحس وقالت لها إن سيدك يأتي إليك تحت مصطبة القصر ويصفر لك فإذا سمعت ذلك فاصفري له وتدلي له من الطاقة بحبل وهو يأخذك ويمضي فشكرتها على ذلك ثم خرجت العجوز وذهبت إلى علي شار وأعلمته وقالت له توجه في الليلة القابلة نصف الليل إلى الحارة الفلانية فإن بيت الملعون هناك وعلامته كذا وكذا فقف تحت قصره وصفر فإنها تتدلى إليك فخذها وامض بها إلى حيث شئت فشكرها على ذلك ثم أنه صبر إلى أن جن الليل وجاء وقت الميعاد فذهب إلى تلك الحارة التي وصفتها له جارته ورأى القصر فعرفه وجلس على مصطبة تحته وغلب عليه النوم فنام وجل من لا ينام وكان له مدة لم ينم من الوجد الذي به فصار كالسكران فبينما هو نائم وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٥٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أنه بينما هو نائم وإذا بلص من اللصوص خرج تلك الليلة في أطراف المدينة ليسرق شيئاً فرمته المقادير تحت قصر ذلك النصراني فدار حوله فلم يجد له سيلاً إلى الصعود إليه فصار دائر حوله إلى أن وصل إلى المصطبة فرأى علي شار نائماً فأخذ عمامته وبعد أن أخذها لم يشعر إلا وزمرد طلعت في ذلك الوقت فرأته واقفاً في الظلام فحسبته سيدها فصفرت له فصفر لها الحرامي فتدلت له بالحبل وصحبتها خرج ملآن ذهبا فلما رآه اللص قال في نفسه ما هذا إلا أمر عجيب له سبب غريب ثم حمل الخرج وحملتها على أكتافه وذهب بهما مثل البرق الخاطف فقالت له أن العجوز أخبرتني أنك ضعيف بسببي وها أنت أقوى من الفرس فلم يرد عليها جواباً فحبست على وجهه فوجدت لحيته مثل مقشة الحمام كأنه خنزيراً ابتلع ريشاً فطلع زغبه من حلقه ففزعت منه وقالت له أي شيء أنت فقال لها يا عاهرة أنا الشاطر جوان الكردي من جماعة أحمد الدنف ونحن أربعون شاطراً وكلهم في هذه الليلة يفسقون في رحمك من العشاء إلى الصباح فلما سمعت كلامه بكت ولطمت على وجهها وعلمت أن القضاء غلب عليها وأنه لا حيلة لها إلا التفويض إلى الله تعالى فصبرت وسلمت الحكم لله تعالى وقالت لا إله إلا الله كلما خلصنا من هم وقعنا في هم أكبر وكان السبب في مجيء جوان إلى هذا المحل أنه قال لأحمد الدنف يا شاطر أنا دخلت هذه المدينة قبل الآن وأعرف فيها غارا خارج البلد يسع أربعين نفساً وأنا أريد أن أسبقكم إليه وأخلي أمي في ذل الغار ثم أرجع إلى المدينة وأسرق منها شيئاً على بختكم وأحفظه على أسمكم إلى أن تحضروا فتكون ضيافتكم في هذا النهار من عندي فقال له أحمد الدنف أفعل ما تريد فخرج قبلهم وسبقهم إلى ذلك المحل ووضع أمه في ذلك الغار ولما خرج من الغار وجد جندياً راقداً وعنده فرس مربوط فذبحه وأخذ فرسه وسلاحه وثيابه وأخفاها في الغار عند أمه وربط الحصان هناك ثم رجع المدينة ومشى إلي حتى وصل إلى قصر النصراني وفعل ما تقدم ذكره من أخذ عمامة على شار ومن أخذ زمرد جاريته ولم يزل يجري بها إلى أن أحطها عند أمه وقال لها احتفظي عليها إلى حين ارجع إليك في بكرة النهار ثم ذهب وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٥٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن جوان الكردي قال لأمه احتفظي عليها حتى أرجع إليك في بكرة النهار ثم ذهب فقالت زمرد في نفسها وما هذه الغفلة عن خلاص روحي بالحيلة كيف أصبر إلى أن يجيء هؤلاء الأربعون رجلاً فيتعاقبون على حتى يجعلوني كالمركب الغريقة في البحر ثم أنها التفتت إلى العجوز أم

حوان الكردي وقالت لها يا خالتي أما تقومين بنا إلى خارج الغار حتى أفليك في الشمس فقالت أي والله يا أبنتي فإن لي مدة وأنا بعيدة عن الحمام لأن هؤلاء الخنازير لم يزالوا دائرين بي من مكان إلى مكان فخرجت معها فصارت تفليها وتقتل القمل من رأسها إلى أن استلذت بذلك ورقدت فقامت زمرد ولبست ثياب الجندي الذي قتله جوان الكردي وشدت سيفه في وسطها وتعممت بعمامته حتى صارت كأنها رجل وركبت الفرس وأخذت الخرج الذهب معها وقالت يا جميل الستر استرني بجاه محمد ﷺ ثم أنها قالت في نفسها إن رحت إلى البلد ربما ينظرني أحد من أهل الجندي فلا يحصل لي خير ثم أعرضت عن دخول المدينة وسارت في البر الأقفر ولم تزل سائرة بالخرج والفرس وتأكل من نبات الأرض وتطعم الفرس منه وتشرب وتسقيها من الأنهار مدة عشرة أيام وفي اليوم الحادي عشر أقبلت على مدينة طيبة أمينة بالخير مكينة قد ولى عنها فصل الشتاء ببرده وأقبل عليها فصل الربيع بزهره ووروده فزهات أزهارها وتدفقت أنهارها وغردت أطيارها فلما وصلت إلى المدينة وقربت من بابها وجدت العساكر والأمراء وأكابر أهل المدينة فتعجبت لما نظرتهم على هذه الحالة وقالت في نفسها أن أهل هذه المدينة كلهم مجتمعون ببابها ولابد لذلك من سبب ثم أنها قصدتهم فلما قربت منهم تسابق العساكر وترجلوا وقبلوا الأرض بين يديها وقالوا الله ينصرك يا مولانا السلطان واصطفت بين يديها أرباب المناصب فصارت العساكر يرتبون الناس ويقولون لها الله ينصرك ويجعل قدومك مباركاً على المسلمين يا سلطان العالمين ثبتك الله يا ملك الزمان يا فريد العصر والأوان فقالت لهم زمرد ما خبركم يا أهل هذه المدينة فقال الحاجب أنه أعطاك من لا يبخل بالعطاء وجعلك سلطاناً على هذه المدينة وحاكماً على رقاب جميع من فيها واعلم أن عادة أهل هذه المدينة إذا مات ملكهم ولم يكن له ولد تخرج العساكر إلى ظاهر المدينة ويمكثون ثلاثة أيام فأي إنسان جاء من طريقك التي جئت منها يجعلونه سلطاناً عليهم والحمد لله الذي ساق لنا إنساناً من أولاد الترك جميل الوجه فلو طلع علينا أقل منك كان سلطاناً وكانت زمرد صاحبة رأي في جميع أفعالها فقالت لا تحسبوا أنني من أولاد عامة الأتراك بل أنا من أولاد الأكابر لكنني غضبت من أهلي فخرجت من عندهم وتركتهم وانظروا إلى هذا الخرج الذهب الذي جئت به تحتي لا تصدق منه على الفقراء والمساكين طول الطريق فدعوا لها وفرحوا بها غاية الفرح وكذلك زمرد فرحت بهم ثم قالت في نفسها بعد أن وصلت إلى هذا الأمر وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٥٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن زمرداً قالت في نفسها بعد أن وصلت إلى هذا الأمر لعل الله يجمعني بسيدي في هذا المكان أنه على ما يشاء قدير ثم سارت فسارت العسكر بسيرها حتى دخلوا المدينة وترجل العسكر بين يديها حتى أدخلوها القصر فنزلت وأخذها الأمراء والأكابر من تحت أبطيها حتى أجلسوها على الكرسي وقبلوا الأرض جميعاً بين يديها فلما جلست على الكرسي أمرت بفتح الخزائن ففتحت وأنفقت على جميع العسكر فدعوا لها بدوام الملك وأطاعها العباد وسائر أهل البلاد واستمرت على ذلك مدة من الزمان وهي تأمر وتنهي وقد صار لها في قلوب الناس هيبة عظيمة من أجل الكرم والعفة وأبطلت المكوس وأطلقت من في الحبوس ورفعت المظالم فأحبها جميع الناس وكلما تذكرت سيدها تبكي وتدعو الله أن يجمع بينها

وبينه واتفق أنها تذكرته في بعض الليالي وتذكرت أيامها التي مضت لها معه فأفاضت دمع العين وأنشـ ـدت هذين البيتين :

شـ ـوقي إليـ ـك علـ ـى الزمـ ـان جديـ ـد والـ ـدمع قـ ـرح مقلتـ ـي ويزيـ ـد
وإذا بكيـ ـت بكيـ ـت مـ ـن ألـ ـم الجـ ـوي أن الفـ ـراق علـ ـى المحـ ـب شـ ـديد

فلما فرغت من شعرها مسحت دموعها وطلعت القصر ودخلت الحريم وأفردت للجواري والسـ ـراري منازل ورتبت لهن الرواتب والجرايات وزعمت أنها تريد أن تجلس في مكان وحدها عاكفـ ـة علـ ـى العبـ ـادة وصارت تصوم وتصلي حتى قالت الأمراء أن هذا السلطان له ديانة عظيمة ثم أنها لم تدع عندها أحداً مـ ـن الخدم غير طواشين صغيرين لأجل الخدمة وجلست في تخت الملك سنة وهي لم تسمع لسيدها خبراً ولم تقف له على أثرفقلقت من ذلك فلما اشتد قلقها دعت بالوزراء والحجاب وأمرتهم أن يحضروها المهندسين والبنائين وأن يبنوا لها تحت القصر ميداناً طوله فرسخ وعرضه فرسخ ففعلوا ما أمرتهم به في أسـ ـرع وقـ ـت فجـ ـاء الميدان على طبق مرادها فلما تم ذلك الميدان نزلت فيه وضربت لها فيه قبة عظيمة وصفت فيـ ـه كراسـ ـي الأمراء وأمرت أن يمدوا سماطاً من سائر الأطعمة الفاخرة في ذلك الميدان ففعلوا ما أمرتهم به ثـ ـم أمـ ـرت أرباب الدولة أن يأكلوا فأكلوا ثم قالت للأمراء أريد إذا هل الشهر الجديد أن تفعلوا هكذا وتنادوا في المدينـ ـة أن لا يفتح أحد دكانه بل يحضرون جميعاً ويأكلون من سماط الملك وكل من خالف منهم يشنق على باب داره فلما هل الشهر الجديد فعلوا ما أمرتهم به واستمروا على هذه العادة إلى أن هل أول الشهر في السنة الثانيـ ـة فنزلت إلى الميدان ونادى المنادي يا معشر الناس كافة كل من فتح دكانه أو حاصله أو منزله شنق في الحال على باب دكانه بل يجب عليكم أن تحضروا جميعاً لتأكلوا من سماط الملك فلما فرغت المناداة ووضع السماط جاءت الخلق أفواجاً أفواجاً فأمرتهم بالجلوس على السماط ليأكلوا حتى يشبعوا من سـ ـائر الألـ ـوان فجلسـ ـوا يأكلون كما أمرتهم وجلست على كرسي المملكة تنظر إليهم فسار كل من جلس على السماط يقول في نفسـ ـه أن الملك لا ينظر إلا إلي وجعلوا يأكلون وصار الأمراء يقولون للناس كلوا ولا تستحوا فإن الملك يحب ذلك فأكلوا حتى شبعوا وانصرفوا داعين للملك وصار بعضهم يقول لبعض عمرنا ما رأينا سلطاناً يحب الفقـ ـراء مثل هذا السلطان ودعوا له بطول البقاء وذهبت إلى قصرها وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٥٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملكة زمرد ذهبت إلى قصرها وهي فرحانة بما رتبته وقالـ ـت فـ ـي نفسها أن شاء الله تعالى بسبب ذلك أقع على خبر سيدي على شار ولما هل الشهر الثاني فعلت ذلـ ـك الأمـ ـر على جري العادة ووضعوا السماط ونزلت زمرد وجلست على كرسيها وأمرت الناس أن يجلسـ ـوا ويـ ـأكلوا فبينما هي جالسة على رأس السماط والناس يجلسون عليه جماعة بعد جماعة وواحد بعد واحد إذ وقعت عينها على برسوم النصراني الذي كان اشترى الستر من سيدها فعرفته فصاحت على بعض الجند وقالت لهم هاتوا هذا الذي قدامه الصحن الأرز الحلو ولا تدعوه يأكل القمة التي في يده بل أرموها من يده فجاء أربعـ ـة مـ ـن العساكر وسحبوه على وجهه بعد أن رموا اللقمة من يده وأوقفوه قدام زمرد فامتنعت الناس عن الأكل وقـ ـال بعضهم لبعض والله أنه ظالم لأنه لم يأكل من طعام أمثاله فقال واحد أنا قنعت بهذا الكشك الذي قدامي فقـ ـال

الحشاش الحمد لله الذي منعني أن آكل من الصحن الأرز الحلو شيئاً لأني كنت أنتظر أن يستقر قدامه ويتهنى عليه ثم آكل معه فحصل له ما رأينا فقال الناس لبعضهم أصبروا حتى ننظر ما يجري عليه فلما قدموه بـ ين يدي الملكة زمرد قالت له ويلك يا أزرق العينين ما اسمك وما سبب قدومك إلى بلادنا فأنكر الملعون اسـ مه وكان متعمما بعمامة بيضاء فقال يا ملك اسمي على وصنعتي حباك وجئت إلى هذه المدينة من أجل التجـ ارة فقالت زمرد ائتوني بتخت رمل وقلم من نحاس فجاءوا بما طلبته في الحال فأخذت التخـ ت الرمـ ل والقلـ م وضربت تخت رمل وخطت بالقلم صورة مثل صورة قرد ثم بعد ذلك رفعت رأسها وتأملت في برسوم ساعة زمانية وقالت له يا كلب كيف تتكذب على الملوك أما أنت نصراني وأسمك برسوم وقد أتيت إلى حاجة تفتش عليها فاصدقني الخبر وإلا وعزة الربوبية لاضربن عنقك فتلجلج النصراني فقال الأمراء والحاضرون أن هذا الملك يعرف ضرب الرمل سبحان من أعطاه ثم صاحت على النصراني وقالت له أصدقني الخبر وإلا أهلكتك فقال النصراني العفو يا ملك الزمان أنك صادق في ضرب الرمل فإن إلا بعـ د نصـ راني وأدرك شـ هرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٥٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن النصراني قال العفو يا ملك الزمان أنك صادق في ضرب الرمل فإن إلا بعد نصراني فتعجب الحاضرون من الأمراء وغيرهم من إصابة الملك في ضرب الرمل وقالوا أن هـ ذا الملك منجم ما في الدنيا مثله ثم أن الملكة أمرت بأن يسلخ النصراني ويحشي جلده قبنا ويعلـ ق علـ ى بـ اب الميدان وأن يحفروا حفرة في خارج البلد ويحرق فيها لحمه وعظمه وترمي عليه الأوساخ والأقـ دار فقـ الوا سمعاً وطاعة وفعلوا جميع ما أمرتهم به فلما نظر الخلق ما حل بالنصراني قالوا جزاؤه ما حل به فما كـ ان أشأمها لقمة عليه فقال واحد منهم على البعيد الطلاق عمري ما بقيت آكل أرز حلواً فقال الحشاش الحمـ د لله الذي عافاني مما حل بهذا حيث حفظني من أكل ذلك الأرز ثم خرج الناس جميعهم وقد حرموا الجلوس على الأرز الحلو في موضع ذلك النصر اني ولما كان الشهر الثالث مدوا السماط علـ ى جـ ري العـ ادة ومـ لأوه بالأصحن وقعدت الملكة زمرد على الكرسي ووقفت العسكر على جري العادة وهم خـ ائفون مـ ن سـ طوتها ودخلت الناس من أهل المدينة على العادة وداروا حول السماط ونظروا إلى موضع الصحن فقال واحد مـ نهم للآخر يا حج خلف قال له لبيك يا حج خالد قال تجنب الصحن الأرز الحلو وأحذر أن تأكل منـ ه وأن أكلـ ت منه تصبح مشنوقاً ثم أنهم جلسوا حول السماط للأكل فبينما هم يأكلون والملكة زمرد جالسة إذ حانـ ت منهـ ا التفاته إلى رجل داخل يهرول من باب المدينة فتأملته فوجدته جوان الكردي اللص الذي قتل الجندي وسـ بب مجيئه أنه كان ترك أمه ومضى إلى رفقائه وقال لهم أني كسبت البارحة كسباً طيباً وقتلـ ت جنـ دياً وأخـ ذت فرسه وحصل لي في تلك الليلة خرج ملآن ذهباً وصبية قيمتها أكثر من الذهب الذي في الخـ رج ووضـ عت جميع ذلك في الغار عند والدتي ففرحوا بذلك وتوجهوا إلى الغار في آخر النهار ودخل جوان الكردي قدامهم وهم خلفه وأراد أن يأتي لهم بما قال لهم عليه فوجد المكان قفراً فسأل أمه عن حقيقة الأمر فأخبرته بجميع ما جرى فعض على كفيه ندماً وقال والله لا دورن على هذه الفاجرة وآخذها من المكان الذي هي فيه ولو كانت في قشور الفستق وأشفي غليلي منها وخرج يفتش عليها ولم يزل دائراً في البلاد حتى وصل إلى مدينة الملكة

زمرد فلما دخل المدينة لم يجد فيها أحداً فسأل بعض النساء الناظرات من الشبابيك فأعلمنه أن أول كل شهر يمد السلطان سماطاً وتروح الناس وتأكل منه ودلوه على الميدان الذي يمد فيه السماط فجاء وهو يهرول فلم يجد مكانا خالياً يجلس فيه إلا عند الصحن المتقدم ذكره فقعد وصار الصحن قدامه فمد يده إليه فصاحت عليه الناس وقالوا له يا أخانا ما تريد أن تعمل قال أريد أن آكل من هذا الصحن حتى أشبع فقال له واحد أن أكلت تصبح مشنوقاً فقال له أسكت ولا تنطق بهذا الكلام ثم مد يده إلى الصحن وحره قدامه وكان الحشاش المتقدم ذكره جالساً في جنبه فلما رآه جر الصحن قدامه هرب من مكانه وطارت الحشيشة من رأسه وجلس بعيداً وقال أنا مالي حاجة بهذا الصحن أن جوان الكردي مد يده إلى الصحن وهي في صورة وجل الغراب وغرف بها وأطلعها منه وهي في صورة خف الجمل وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٥٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن جوان الكردي أطلع يده من الصحن وهي في صورة خف الجمل ودور اللقمة في كفه حتى صارت مثل النارنجه الكبيرة ثم رماها في فمه بسرعة فانحدرت في حلقه ولها فرقعه مثل الرعد وبان قعر الصحن من موضعها فقال له من بجانبه الحمد لله الذي لم يجعلني طعاماً بين يديك لأنك خسفت الصحن بلقمة واحدة فقال الحشاش دعوه يأكل فأني تخيلت فيه صورة المشنوق ثم التفت إليه وقال له علي لا هناك الله فما يده إلى اللقمة الثانية وأراد أن يدورها في يده مثل اللقمة الأولى وإذا بالملكة صاحت على بعض الجند وقالت لهم هاتوا ذلك الرجل بسرعة ولا تدعوه يأكل اللقمة التي في يده فتجارت عليه العساكر وهو مكب على الصحن وقبضوا عليه وأخذوه قدام الملكة زمرد فشمتت الناس فيه وقالوا لبعضهم أنه يستاهل لأننا نصحناه فلم ينتصح وهذا المكان موعود بقتل من جلس فيه وذلك الأرز مشؤوم على كل من يأكل منه ثم أن الملكة زمرد قالت له ما اسمك وما صنعتك وما سبب مجيئك مدينتنا قال يا مولانا السلطان أسمي عثمان وصنعتي خولي بستان وسبب مجيئي إلى هذه المدينة أنني دائر أفتش على شيء ضاع مني فقالت الملكة علي بتخت الرمل فأحضروه بين يديها فأخذت القلم وضربت تخت رمل ثم تأملت فيه ساعة وبعد ذلك رفعت رأسها وقالت له ويلك يا خبيث كيف تكذب على الملوك هذا الرمل يخبرني أن أسمك جوان الكردي وصنعتك أنك لص تأخذ أموال الناس بالباطل وتقتل النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق ثم صاحت عليه وقالت له يا خنزير أصدقني بخبرك وإلا قطعت رأسك فلما سمع كلامها أصفر لونه واصطكت أسنانه وظن أنه أن نطق بالحق ينجو فقال صدقت أيها الملك ولكنني أتوب على يديك من الآن وأرجع إلى الله تعالى فقالت له الملكة لا يحل لي أن أترك آفة في طريق المسلمين ثم قالت لبعض أتباعها خذوه وأسلخوا جلده وافعلوا به مثل ما فعلتم بنظيره في الشهر الماضي ففعلوا ما أمرتهم به ولما رأى الحشاش العسكر حين قبضوا على ذلك الرجل أدار ظهره إلى الصحن الأرز وقال أن استقبالك بوجهي حرام ولما فرغوا من الأكل تفرقوا وذهبوا إلى أماكنهم وطلعت الملكة قصرها وأذنت للمماليك بالإنصراف ولما هل الشهر الرابع نزلوا إلى الميدان على جري العادة وأحضروا الطعام وجلس الناس ينتظرون الأذن وإذا بالملكة قد أقبلت وجلست على الكرسي وهي تنظر إليهم فوجدت موضع الصحن الأرز خالياً وهو يسع أربعة أنفس فتعجبت من ذلك فبينما هي تجول بنظرها إذ حانت منها التفاتة فنظرت إنساناً داخلاً من باب الميدان يهرول وما زال يهرول

حتى وقف على السماط فلم يجد مكاناً خالياً إلا عند الصحن فجلس فتأملته فوجدته الملعون النصـ راني الـ ذي سمي نفسه رشيد الدين فقالت في نفسها ما أبرك هذا الطعام الذي وقع في حبائله هذا الكافر وكـ ان لمجيئـ ه سبب عجيب وهو أنه لما رجع من سفره وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٦٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملعون الذي سمي نفسه رشيد الدين لما رجع من سفره أخبره أهـ ل بيته أن زمردا قد فقد ومعها خرج مال فلما سمع ذلك الخبر شق أثوابه ولطم على وجهه ونتف لحيته وأرسل أخاه برسوماً نفتش عليها في البلاد فلما أبطأ عليه خبره خرج هو بنفسه ليفتش على أخيه وعلى زمـ رد فـ ي البلاد فرمته المقادير إلى مدينة زمرد ودخل تلك المدينة في أول يوم من الشهر فلما مشـ ي فـ ي شـ وارعها وجدها خالية ورأى الدكاكين مقفولة ونظر النساء في الطبقان فسأل بعضهن عن هذا الحال فقلن له أن المـ لك يعمل سماطاً لجميع الناس في أول كل شهر وتأكل منه الخلق جميعاً وما يقدر أحد أن يجلس في بيته ولا فـ ي دكانه ودلوه على الميدان فلما دخل الميدان وجد الناس مزدحمين على الطعام ولم يجـ د موضـ عاً خاليـ اً إلا الموضع الذي فيه الصحن الأرز المعهود فجلس فيه ومد يده ليأكل فصاحت الملكة على بعض العسكر وقالت لهم هاتوا الذي قعد على الصحن الأرز فعرفوه بالعادة وقبضوا عليه وأوقفوه قدام الملكة زمرد فقالت له ويلك ما اسمك وما صنعتك وما سبب مجيئك إلى مدينتنا فقال يا ملك الزمان اسمي رستم ولا صنعة لي لأني فقير درويش فقالت لجماعتها هاتوا لي تخت الرمل والقلم النحاس فأتوها بما طلبته على العادة فأخذت القلم وخطت به نخت رمل ومكثت تتأمل فيه ساعة ثم رفعت رأسها إليه وقالت له يا كلب كيف تكذب علي المـ وك أنـ ت أسمك رشيد الدين النصراني وصنعتك أنك تنصب الحيل لجواري المسلمين وتأخذهن وأنت مسلم في الظاهر ونصراني في الباطن فانطق بالحق وإن لم تنطق بالحق فأني أضرب عنقك فتلجلج في كلامه ثم قال صـ دقت يا ملك الزمان فأمرت به أن يمد ويضرب على كل رجل مائة سوط وعلى جسده ألف سوط وبعد ذلك يسـ لخ ويحشي جلده ساسا ثم تحفر له حفرة في خارج المدينة ويحرق وبعد ذلك يضعون عليه الأوسـ اخ والأقـ ذار ففعلوا ما أمرتهم به ثم أذنت للناس بالأكل فأكلوا ولما فرغ الناس من الأكل وانصرفوا إلى حال سبيلهم طلعت الملكة زمرد إلى قصرها وقالت الحمد لله الذي أراح قلبي من الذين آذوني ثم أنها شكرت فـ اطر السـ موات والأرض وأنشدت هذه الأبيات:

تحكمـ ـوا فاسـ ـتطالوا فـ ـي تحكمهـ ـم	**وبعـ ـد حـ ـين كـ ـان الحكـ ـم لـ ـم يكـ ـن**
لو انصفوا أنصـ ـفوا لكـ ـن بغـ ـوا فـ ـاتي	**علـ ـيهم الـ ـدهر بالآفـ ـات والمحـ ـن**
فأصـ ـبحوا ولسـ ـان الحـ ـال ينشـ ـدهم	**هـ ـذا بـ ـذاك ولا عتـ ـب علـ ـى الـ ـزمن**

ولما فرغت من شعرها خطر ببالها سيدها على شار فبكت بالدموع الغزار وبعد ذلك رجعت إلى عقلها وقالت في نفسها لعل الله الذي مكنني من أعدائي يمن علي برجوع أحبائي فاستغفرت الله عز وجـ ل وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٦١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملكة استغفرت الله عز وجل وقالت لعل الله يجمع شملي بحبيبي على شار قريباً أنه علي ما يشاء قدير وبعباده لطيف خبير ثم حمدت الله ووالت الاستغفار وسلمت لمواقع الأق دار وأيقنت أنه لابد لكل أول من آخر وأنشدت قول الشاعر:

ك . ـن حلـ . ـيم إذا ابتليـ . ـت بغـ . ـيظ	وصـ . . ـبوراً إذا أتتـ . . ـك مصـ . . ـيبة
فالليـ . ـالي مـ . ـن الزمـ . ـان حبـ . ـالى	مـ . . ـثقلات يلـ . . ـدن كـ . . ـل عجيبـ . . ـة

وقول الآخر:

أصبر ففي الصبر خير لـ ـو علمـ ـت بـ ـه	لطبـ ـت نفسـ ـاً ولـ ـم تجـ ـزع مـ ـن الألـ ـم
واعلم بأنـ ـك لـ ـو لـ ـم تصـ ـطبر كرمـ ـاً	صبرت رغمـ ـاً علـ ـى مـ ـا خـ ـط بـ ـالقلم

فلما فرغت من شعرها مكثت بعد ذلك شهراً كاملاً وهي بالنهار تحكم بين الناس وتأمر وتنهي وبالليـ ـل تبكي وتنتحب على فراق سيدها على شار ولما هل الشهر الجديد أمرت بمد السماط في الميدان على جـ ـري العادة وجلست فوق الناس وصاروا ينتظرون الأذن في الأكل وكان موضع الصحن الأرز خالياً وجلست هي على رأس السماط وجعلت عينها قبال باب الميدان لتنظر كل من يدخل وصارت تقول في سرها يا مـ ـن رد يوسف علي يعقوب وكشف البلاء عن أيوب أمنن على برد سيدي على شار بقدرتك وعظمتك أنك على كـ ـل شيء قدير يارب العالمين يا هادي الضالين يا سامع الأصوات يا مجيب الدعوات استجب مني يارب العالمين فلم يتم دعاؤها إلا وشخص داخل من باب الميدان كأن قوامه غصن بان إلا أنه نحيـ ـل البـ ـدن يلـ ـوح عليـ ـه الأصفرار وهو أحسن ما يكون من الشباب كامل العقل والآداب فلما دخل لم يجد موضعاً خالياً إلا الموضـ ـع الذي عند الصحن الأرز فجلس فيه ولما رأته زمرد خفق قلبها فحققت النظر فيه فتبين لها أنه سـ ـيدها علـ ـي شار فأرادت أن تصرخ من الفرح فثبتت نفسها وخشيت من الفضيحة بين الناس ولكـ ـن تقلقلـ ـت أحشـ ـاؤها واضطرب قلبها فكتمت ما بها وكان السبب في مجيء علي شار لما أنه رقد على المصطبة ونزلـ ـت زمـ ـرد وأخذها جوان الكردي استيقظ بعد ذلك فوجد نفسه مكشوف الرأس فعرف أن إنساناً تعدى عليه وأخذ عمامته وهو نائم فقال الكلمة التي لا يخجل قائلها وهي أنا لله وإنا إليه راجعون ثم أنه رجع إلى العجوز التي كانـ ـت أخبرته بمكان زمرد وطرق عليها الباب فخرجت إليه فبكى بين يديها حتى وقع مغشياً عليه فلما أفاق أخبرها بجميع ما حصل له فلامته وعنفته على ما وقع منه وقالت له أن مصيبتك وداهيتك من نفسك ولا زالت تلومه حتى طفح الدم من منخريه ووقع مغشياً عليه فلما أفاق من غشيته وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٦٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن علي شار لما أفاق من غشيته رأى العجوز تبكي من أجلـ ـه وتفـ ـيض دمع العين فتضجر وأنشد هذين البيتين:

مـ ـا أمـ ـر الفـ ـراق للأحبـ ـاب وألـ ـذ	وألـ . . . ـذ الوصـ . . . ـال للعشـ . . . ـاق
جمـ . ـع الله شـ . ـمل كـ . ـل محـ . ـب	ورعـ . ـاني لأنـ . ـي فـ . ـي السـ . ـياق

فحزنت عليه العجوز وقالت يا ولدي هذا الذي أنت فيه من الكآبة والحزن لا يرد عليك محبوبتك فقم وشد حيلك وفتش عليها في البلاد لعلك أن تقع على خبرها ولم تزل تجلده وتقويه حتى نشطته وأدخلته الحمام وسقته الشراب وأطعمته الدجاج وصارت كل يوم تفعل معه كذلك مدة شهر حتى تقوي وسافر ولم يزل مسافر إلى أن وصل إلى مدينة زمرد ودخل الميدان وجلس على الطعام ومد يده ليأكل فحزنت عليه الناس وقالوا له يا شاب لا تأكل من هذا الصحن لأن من أكل منه يحصل له ضرر فقال دعوني آكل منه ويفعلون بي ما يريدون لعلي أستريح من هذه الحياة المتعبة ثم أكل أول لقمة وأرادت زمرد أن تحضره بين يديها فخطر ببالها أنه جائع فقالت في نفسها المناسب أني أدعه يأكل حتى يشبع فصار يأكل والحلق باهتة ينتظرون الذي يجري له فلما أكل وشبع قالت لبعض الطواشية أمضوا إلى ذلك الشاب الذي أكل من الأرز وهاتوه برفق وقولوا له كلم الملك لسؤال لطيف وجواب فقالوا سمعاً وطاعة ثم ذهبوا إليه حتى وقفوا على رأسه وقالوا له يا سيدي تفضل كلم الملك وأنت منشرح الصدر فقال سمعاً وطاعة ثم مضى مع الطواشية وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٦٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن علي شار قال سمعاً وطاعة ثم ذهب مع الطواشية فقال الخلق لبعضهم لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم يا ترى ما الذي يفعله به الملك فقال بعضهم لا يفعل به إلا الخير لانه لو كان يريد ضرره ما كان تركه يأكل حتى يشبع فلما وقف قدام زمرد سلم عليها وقبل الأرض بين يديها فردت عليه السلام وقابلته بالإكرام وقالت له ما أسمك وما صنعتك وما سبب مجيئك إلى هذه المدينة فقال لها يا ملك أسمي على شار وأنا من أولاد التجار وبلدي خراسان وسبب مجيئي إلى هذه المدينة التفتيش على جارية ضاعت مني وكانت عندي أعز من سمعي وبصري فروحي متعلقة من حين فقدتها وهذه قصتي ثم بكى حتى غشي عليه فأمرت أن يرشوا على وجهه ماء الورد فرشوا على وجهه ماء الورد حتى أفاق فلما أفاق من غشيته قالت على بتخت الرمل والقلم النحاس فجاءوا به فأخذت القلم وضربت تخت رمل وتأملت فيه ساعة من الزمان ثم بعد ذلك قالت صدقت في كلامك الله يجمعك عليها قريباً فلا تقلق ثم أمرت الحاجب أن يمضي به إلى الحمام ويلبسه بدلة حسنه من ثياب الملوك ويركبه فرساً من خواص خيل الملك ويمضي به بعد ذلك إلى القصر في آخر النهار فقال الحاجب سمعاً وطاعة ثم أخذه من قدامها وتوجه به فقال الناس لبعضهم ما بال السلطان لاطف الغلام هذه الملاطفة وقال بعضهم أما قلت لكم أنه لا يسيئه فإن شكله حسن ومن حين صبر عليه لما شبع عرفت ذلك وصار كل واحد منهم يقول مقالة ثم تفرق الناس إلى حال سبيلهم وما صدقت زمرد أن الليل أقبل حتى تختلي بمحبوب قلبها فلما أتى الليل دخلت محل بيتها وأظهرت أنه غلب عليها النوم ولم يكن لها عادة بأن ينام عندها أحد غير خادمين برسم الخدمة فلما استقرت في ذلك المحل أرسلت إلى محبوبها علي شار وقد جلست على السرير والشمع يضيء فوق رأسها وتحت رجليها والتعاليق الذهب مشرقة في ذلك المحل فلما سمع الناس بإرساله إليه تعجبوا من ذلك وصار كل واحد منهم يظن ظناً ويقول مقالة وقال بعضهم أن الملك على كل حال تعلق بهذا الغلام وفي غد يجعله قائد عسكر فلما دخلوا به عليها قبل الأرض بين يديها ودعا لها فقالت في نفسها لابد أن أمزح معه ساعة ولا أعلمه بنفسي ثم قالت يا

علي هل ذهبت لي الحمام قال نعم يا مولاي قالت قم كل من هذا الدجاج واللحم واشرب من هذا السكر الشراب فانك تعبان وبعد ذلك تعال هنا فقال سمعاً وطاعة ثم فعل ما أمرته به ولما فرغ من الأكل والشرب قالت له اطلع عندي على السرير وكبسني فشرع يكبس رجليها وسيقانها فوجدها أنعم من الحرير فقالت له اطلع بالتكبيس إلى فوق فقال العفو يا مولاي من عند الركبة اتعدي قالت أتخالفني فتكون ليلة مشؤومة عليك وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٦٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن زمرد قالت لسيدها علي شار أتخالفني فتكون ليلة مشؤومة عليك بل ينبغي لك أن تطاوعني وأنا أعملك معشوقي وأجعلك أميراً من أمرأتي فقال علي شار يا ملك الزمان ما الذي أطيعك فيه قالت حل لباسك ونم علي وجهك فقال هذا شيء عمري ما فعلته وأن قهرتني على ذلك فإني أخاصمك فيه عند الله يوم القيامة فخذ كل شيء أعطيتني أياه ودعني أروح من مدينتك ثم بكى وانتحب فقالت حل لباسك ونم على وجهك وإلا ضربت عنقك ففعل فطلعت على ظهره فوجد شيئاً ناعماً أنعم من الحرير والين من الزبد فقال في نفسه أن هذا الملك خير من جميع النساء ثم أنها صبرت ساعة وهي على ظهره وبعد ذلك انقلبت على الأرض فقال علي شار الحمد لله كان ذكره لم ينتصب فقالت أن من عادة ذكري لم ينتصب إلا إذا عركوه بأيديهم فقم أعركه بيدك حتى ينتصب وإلا قتلتك ثم رقدت على ظهرها وأخذت بيده ووضعتها على فرجها فوجد فرجاً أنعم من الحرير وهو أبيض مربرب كبير يحكي في السخونة حرارة الحمام أو قلب صب أضناه الغرام فقال علي شار في نفسه أن الملك له كس فهذا من العجب العجاب وأدركته الشهوة فصار ذكره في غاية الانتصاب فلما رأت منه ذلك ضحكت وقهقهت وقالت له يا سيدي قد حصل هذا كله وما تعرفني فقال ومن أنت أيها الملك قال أنا جاريتك زمرد فلما علم ذلك قبلها وعانقها وانقض عليها مثل الأسد على الشاة وتحقق أنها جاريته بلا اشتباه فأغمد قضيبه في جرابها ولم يزل بواباً لبابها وأماماً لمحرابها وهي معه في ركوع وسجود وقيام وقعود إلا أنها صارت تتبع التسبيحات بغنج في ضمنه حركات حتى سمع الطواشية فجاءوا ونظروا من خلف الأستار فوجدوا الملك راقداً وفوقه علي شار وهو يرضع ويرهز وهي تشحر وتغنج فقالت الطواشية أن هذا الغنج ما هو غنج رجل لعل هذا الملك امرأة ثم كتموا أمرهم ولم يظهروه على أحد فلما أصبحت زمرد أرسلت إلى كامل العسكر وأرباب الدولة وأحضرتهم وقالت لهم أنا أريد أن أسافر إلى بلد هذا الرجل فاختاروا لكم نائباً يحكم بينكم حتى أحضر عندكم فأجابوا زمرد بالسمع والطاعة ثم شرعت في تجهيز آلة السفر من زاد وأموال وأرزاق وتحفة وجمال وبغال وسافرت من المدينة ولم تزل مسافرة إلى أن وصلت إلى بلد علي شار ودخل منزله وأعطى وتصدق ووهب ورزق منها الأولاد وعاشا في أحسن المسرات إلى أن أتاهما هازم اللذات ومفرق الجماعات فسبحان الباقي بلا زوال والحمد لله على كل حال.

(حكاية بدور بنت الجوهري مع جبير بن عمير الشيباني)

(ومما) يحكي أن أمير المؤمنين هارون الرشيد أرق ليلة من الليالي وتعذر عليه النوم ولم يزل يتقلب من جنب إلى جنب لشدة أرقه فلماأعياه ذلك أحضر مسروراً وقال يا مسرور انظر إلى من يسليني على هذا

الأرق فقال له يا مولاي هل لك أن تدخل البستان الذي في الدار وتتفرج على ما فيه من الأزهار وتنظر إلى الكواكب وحسن ترصيعها والقمر بينها مشرف على الماء قال له يا مسرور أن نفسي لا تهفو إلى شيء من ذلك قال يا مولاي أن في قصرك ثلثمائة سرية لكل سرية مقصورة فأمر كل واحدة منهن أن تختلي بنفسها في مقصورتها وتدور أنت تتفرج عليهن وهن لا يدرين قال يا مسرور القصر قصري والجواري ملكي غير أن نفسي لا تهفوا إلى شيء من ذلك قال يا مولاي مر العلماء والحكماء والشعراء أن يحضروا بين يديك ويفيضوا في المباحث وينشدون الأشعار ويقصون عليك الحكايات والأخبار قال ما تهفو نفسي إلى شيء من ذلك قال يا مولاي مر العلماء والندماء والظرفاء أن يحضروا بين يديك ويتحفوك بغريب النكات قال يا مسروران نفسي ما تهفو إلى شيء من ذلك قال يا مولاي فاضرب عنقي. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٦٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن مسرور قال للخليفة يا مولاي فاضرب عنقي لعله يزيل أرقك ويذهب القلق عنك فضحك الرشيد من قوله وقال يا مسرور انظر من بالباب من الندماء فخرج مسرور ثم عاد وقال يا مولاي الذي على الباب علي بن منصور الخليع الدمشقي قال علي بن فذهب وأتي به فلما دخل قال السلام عليك يا أمير المؤمنين فرد عليه السلام وقال يا ابن منصور حدثني بشيء من أخبارك فقال يا أمير المؤمنين هل أحدثك بشيء رأيته عياناً أو شيء سمعت به فقال أمير المؤمنين إن كنت عاينت شيئاً غريباً فحدثنا به فإنه ليس الخبر كالعيان قال يا أمير المؤمنين أجل لي سمعك وقلبك قال يا ابن منصور ها أنا سامع لك بأذني ناظر لك بعيني مصغ لك بقلبي قال يا أمير المؤمنين اعلم أن لي كل سنة رسماً علي محمد بن سليمان الهاشمي سلطان البصرة فمضيت إليه على عادتي فلما وصلت إليه وجدته متهيئاً للركوب إلى الصيد والقنص فسلمت عليه وسلم على وقال لي يا ابن منصور اركب معنا إلى الصيد فقلت له يا مولاي مالي قدرة على الركوب فاجلسني في دار الضيافة وأوصي على الحجاب والنواب ففعلوا ثم توجه إلى الصيد فاكرموني غاية الإكرام وضيفوني أحسن الضيافة فقلت في نفسي يا لله العجب أن لي مدة أقدم من بغداد إلى البصرة ولم أعرف في البصرة سوى من القصر إلى البستان ومن البستان إلى القصر ومتى يكون لي فرصة أنتهزها في الفرجة على جهات الجرة مثل هذه النوبة فأنا أقوم هذه الساعة وأتمشى وحدي لا تفرج وينهضم عني الأكل فلبست أفخر ثيابي وتمشيت في جانب البصرة ومعلومك ياأمير المؤمنين أن فيها سبعين درباً طول كل درب سبعين فرسخاً بالعراقي فتهت في أزقتها ولحقني العطش فبينما أنا ماش يا أمير المؤمنين وإذا بباب كبير له حلقتان من النحاس الأصفر ومرخي عليه ستور من الديباج الأحمر وفي جانبه مصطبتان وفوقه مكعب لدوالي العنب وقد ظللت على ذلك الباب فوقفت أتفرج على هذا المكان فبينما أنا واقف إذ سمعت صوت أنين ناشيء عن قلب حزين يقلب النغمات وينشد هذه الأبيات:

جسمي غدا منزل الأسقام والمحن	**من أجل ظبي بعيد الدار والوطن**
فيا نسيمي زرود هيجا شجني	**بالله ربكما عوجا على سكني**

وعاتباه لعل العتب يعطفه

وحسـ ـنا القـ ـول إذ يصـ ـغى لقولكمـ ـا واسـ ـتدرجا خبـ ـر العشـ ـاق بينكمـ ـا
وأوليـ ـاني جمـ ـيلاً مـ ـن صـ ـنيعكما وعرضـ ـا بـ ـي وقـ ـولا فـ ـي حـ ـديثكما

ما بال عبد بالهجران تتلفه

فقلت في نفسي إن كان صاحب النغمة مليحاً فقد جمع بين الملاحة والفصاحة وحس الصوت ثم دنـ ـوت مـ ـن الباب وجعلت أرفع الستر قليلاً قليلاً وإذا بجارية بيضاء كأنها البدر إذا بدر في ليلة أربعة عشـ ـر بحـ ـاجبين مقرونين وجفنين ناعسين ونهدين كرمانتين ولها شفتان رقيقتان كأنهما أقحوانتان وفم كأنـ ـه خـ ـاتم سـ ـليمان ونضيد أسنان يلعب بعقل الناظم والناثر كما قال فيه الشاعر:

يـ ـا در ثغـ ـر الحبيـ ـب مـ ـن نظمـ ـك وأودع الـ ـ ـ ـراح والأقـ ـ ـ ـاح فمـ ـ ـ ـك
ومـ ـن أعـ ـار الصـ ـباح مبتسـ ـمك ومـ ـن بقفـ ـل العقيـ ـق قـ ـد حتمـ ـك
أصـ ـبح مـ ـن قـ ـدرآك مـ ـن طـ ـرب بتيـ ـه عجبـ ـاً فكيـ ـف مـ ـن لثمـ ـك

وبالجملة قد حازت أنواع الجمال وصارت فتنة للنساء والرجال لا يشع من رؤية حسنها الناظر وهي كما قال فيها الشاعر:

أن أقبلـ ـت قتلـ ـت وإن هـ ـي أدبـ ـرت جعلـ ـت جميـ ـع النـ ـاس مـ ـن عشـ ـاقها
شـ ـ ـ ـمبية بدريـ ـ ـ ـة لكنهـ ـ ـ ـا لـ ـيس الجفـ ـا والصـ ـد مـ ـن أخلاقهـ ـا

فبينما أنا انظر إليها من خلال الستارة وإذا هي التفتت فرأتني واقفاً على الباب فقالت لجاريتها انظـ ـري من بالباب فقامت الجارية وأتت إلى وقالت يا شيخ أليس عندك حياء وهل شيب وعيب فقلت لها يا سيدتي أما الشيب فقد عرفناه وأما العيب فما أظن أني أتيت بعيب فقالت سيدتها وأي عيب أكثر من تهجمـ ـك علـ ـى دار غير دارك ونظرك إلى حريم غير حريمك فقلت لها يا سيدتي إلى عذر في ذلك فقالت وما عذرك فقلت لهـ ـا أني رجل غريب عطشان وقد قتلني العطش فقالت قبلنا عذرك وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٦٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية قالت قبلنا عذرك ثم نادت بعض جواريها وقالت يـ ـا لطـ ـف أسقبه شربة بالكوز الذهب فجاءتني بكوز من الذهب الأحمر مرصع بالدر والجوهر مـ ـلآن مـ ـاء ممـ ـزوج بالمسك الأذفر وهو مغطى بمنديل من الحرير الأخضر فجعلت أشرب وأطيل في شربي وأنا أسارق النظـ ـر إليها حتى طال وقوفي ثم رددت الكوز على الجارية ووقفت فقالت يا شيخ أمض إلى حال سبيلك فقلت لها يا سيدتي أنا مشغول الفكر فقالت فيما ذا فقلت في تقلب الزمان وتصرف الحدثان قالت يحق لك لأن الزمان ذو عجائب ولكن ما الذي رأيت من عجائبه حتى تفكر فيه فقلت لها أفكر في صاحب هذه الدار لأنه كان صديقي في حال حياته فقالت لي ما أسمه فقلت محمد بن علي الجوهري وكان ذا مال جزيل فهل خلف أولاداً قالـ ـت نعم خلف بنتاً يقال لها بدور وقد ورثت أمواله جميعها فقلت لها كأنك أبنته قالت نعم وضحكت ثم قالـ ـت يـ ـا شيخ قد أطلت الخطاب فأذهب إلى حال سبيلك فقلت لها لابد من الـ ـذهاب ولكنـ ـي أرى محاسـ ـنك متغيـ ـرة

فأخبريني بشأنك لعل الله يجعل لك على يدي فرجاً فقالت لي يا شيخ أن كنت من أهل الأسرار كشفنا لك سرنا فأخبرني من أنت حتى أعرف هل أنت محل للسر أولاً فقد قال الشاعر:

لا يك . تم السـ . ر إلا كـ . ل ذي ثقـ . ـة ‏ والسـ ـر عنـ ـد خيـ ـار النـ ـاس مكتـ ـوم
قد ضت سـ ـري فـ ـي بيـ ـت لـ ـه غلـ ـق ‏ وقـ ـد ضـ ـاع مفتاحـ ـه والبيـ ـت مختـ ـوم

فقلت لها يا سيدتي أن كان قصدك أن تعلمي من أنا فأنا علي بن منصور الخليع الدمشقي نـ ـديم أميـ ـر المؤمنين هارون الرشيد فلما سمعت بأسمي نزلت من على كرسيها وسلمت علي وقالت لي مرحباً بك يا ابن منصور الآن أخبرك بحالي واستأمنك على سري أنا عاشقة مفارقة فقلت يا سيدتي أنت مليحة وما تعشقين إلا كل مليح فمن الذي تعشقينه قالت أعشق جبير بن عمير الشيباني أمير بني شيبان وقد وصفت لي شاباً لم يكن بالبصرة أحسن منه فقلت لها يا سيدتي هل جرى بينكما مواصلة أو مراسله قالت نعم إلا أنه قد عشقنا عشـ ـقاً باللسان لا بالقلب والجنان لأنه لم يوف بوعد ولم يحافظ على عهد فقلت لها يا سيدتي وما سبب الفراق بينكما قالت سببه أني كنت يوماً جالسة وجاريتي هذه تسرح شعري فلما فرغت من تسريحه جدلت ذوائبي فأعجبها حسني وجمالي فطأطأت علي وقبلت خدي وكان في ذلك الوقت داخلاً علي غفله فرأى ذلك فلما رأى الجارية تقبل خدي ولي من رقته غضبان عازماً على دوام البين وأنشد هذين البيتين:

إذا كـ ـان لـ ـي فـ ـيمن أحـ ـب مشـ ـارك ‏ تركـ ـت الـ ـذي أهـ ـوى وعشـ ـت وحيـ ـداً
فلا خير في المعشوق إن كان في الهوى ‏ لغيـ ـر الـ ـذي يرضـ ـى المحـ ـب مزيـ ـداً

ومن حين ولي معرضاً إلى الآن لم يأتنا من عنده كتاب ولا جواب يا ابن منصور فقلت لها فما تريدين قالت أريد أن أرسل إليه معك كتاباً فإن أتيتني بجوابه فلك عندي خمسمائة دينار وإن لم تأتني بجوابه فلك حق مشيك مائة دينار فقلت لها افعلي ما بدا لك فقالت سمعاً وطاعة ثم نادت بعض جواريها وقالت أئتيني بـ ـدواة وقرطاسة فأتتها بدواة وقرطاس فكتبت هذه الأبيات:

حبيبـ ـي مـ ـا هـ ـذا التباعـ ـد والقـ ـلا ‏ فـ . ـأين التغاضـ . ـي بينـ . ـا والتعطـ . ـف
ومـ ـا لـ ـك بـ ـالهجران عنـ ـي معرضـ ـا ‏ فما وجهك الوجـ ـه الـ ـذي كنـ ـت أعـ ـرف
نعـ ـم نقـ ـل الواشـ ـون عنـ ـي بـ ـاطلاً ‏ فملـ ـت لمـ ـا قـ ـالوا فـ ـزادوا وأسـ ـرفوا
فإن تـ ـك قـ ـد صـ ـدقتهم فـ ـي حـ ـديثهم ‏ فحاشـ ـاك مـ ـن هـ ـذا ورأيـ ـك أعـ ـرف
بعيشك قل لي مـ ـا الـ ـذي قـ ـد سـ ـمعته ‏ فإنـ ـك تـ ـدري مـ ـا يقـ ـال وتنصـ ـف
فـ ـإن كـ ـان قـ ـولاً صـ ـح أنـ ـي قلتـ ـه ‏ فللقـ . ـول تأويـ . ـل وللقـ . ـول مصـ . ـرف
وهـ ـب أنـ ـه قـ ـول مـ ـن الله منـ ـزل ‏ فقـ ـد بـ ـدل التـ ـوراة قـ ـوم وحرفـ ـوا
وبالزور كم قد قيل فـ ـي النـ ـاس قبلنـ ـا ‏ فهـ ـا عنـ ـد يعقـ ـوب تلـ ـوم يوسـ ـف
وهـ ـا أنـ ـا والواشـ ـي وأنـ ـت جميعـ ـاً ‏ يكـ . ـون لنـ . ـا يـ . ـوم عظـ . ـيم موقـ . ـف

ثم بعد ذلك حتمت الكتاب وناولتني أياه فأخذته ومضيت إلى دار جبير بن عمير الشيباني فوجدته فـ ـي الصيد فجلست أنتظره فبينما أنا جالس وإذا به قد أقبل من الصيد فلما رأيته يا أمير المؤمنين على فرسه ذهل عقلي من حسنه وجماله فالتفت فرآني جالساً بباب داره فلما رآني نزل عن جواده وأني إلى وأعتنقني وسـ ـلم

علي فخيل لي أني أعتنقت الدنيا وما فيها ثم دخل بي إلى داره وأجلسني على فراشه وأمـ ر بتقـ ديم المائـ دة فقدموا مائدة من الخولنج الخراساني وقوائمها من الذهب عليها جميع الأطعمة وأنواع اللحم من مقلي ومشوي وما أشبه ذلك فلما جلست على المائدة وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٦٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن علي بن منصور قال لما جلست على مائدة جبير بن عمير الشـ يباني قال مد يدك إلى طعامنا واجبر خاطرنا بأكل زادنا فقلت له والله ما آكل من طعامك لقمة واحدة حتى تقضـ ي حاجتي قال فما حاجتك فأحرجت إليه الكتاب فلما قرأه وفهم ما فيه مزقه ورماه في الأرض وقال لي يا ابـ ن منصور مهما كان لك من الحوائج قضيناه إلا هذه الحاجة التي تتعلق بصاحبة هذا الكتاب فإن كتابها ليس لـ ـه عندنا جواب فقمت من عنده غضبان فتعلق بأذيالي وقال لي يا ابن منصور أنا أخبرك بالذي قالته لك وأن لم أكن حاضراً معكما فقلت له ما الذي قالته لي قال أما قالت لك صاحبة هذا الكتاب أن أتيتني بجوابه فلك عندي خمسمائة دينار وإن لم تأتني بجوابه فلك حق مشيك مائة دينار قلت نعم قال أجلس عندي اليوم وكل واشـ رب وتلذذ وأطرب وخذ لك خمسمائة دينار فجلست عنده وأكلت وشربت وتلذذت وطجربت وسامرته ثم قلت يـ ا سيدي ما في دارك سماع قال لي أن لنا مدة نشرب من غير سماع ثم نادى بعض جواريه وقال يا شجرة الدر فأجابته جارية من مقصورتها ومعها عود من صنع الهنود ملفوف في كيس من أبريسم ثم جـ اءت وجلسـ ت ووضعته في حجرها وضربت عليه إحدى وعشرين طريقة ثم عادت إلى الطريقة الأولى وأطربت بالنغمـ ات وأنشدت هذه الأبيات:

من لم يـ ذق حلـ و الهـ وى مـ ع مـ ره ... لـ ـم يـ ـدر وصـ ـل حبيبـ ـه مـ ـن هجـ ـره

وكذاك من قد حاد عـ ن سـ نن الهـ وى ... لـ ـم يـ ـدر سـ ـهل طريقـ ـه مـ ـن وعـ ـره

ما زلت معترضـ ـاً علـ ى أهـ ل الهـ وى ... حتـ ـ ـى بليـ ـ ـت بحلـ ـ ـوه وبمـ ـ ـره

وشـ ـربت كـ ـأس مـ ـراره متجرعـ ـاً ... وخضـ ـعت فيـ ـه لعبـ ـده ولحـ ـره

وكـ ـم ليلـ ـة بـ ـات الحبيـ ـب منـ ـادمي ... ورشـ ـفت حلـ ـو رضـ ـابه مـ ـن ثغـ ـره

ما كـ ـان أقصـ ـر عمـ ـر ليـ ـل وصـ ـالنا ... قـ ـد جـ ـاء وقـ ـت عشـ ـائه مـ ـع فجـ ـره

نـ ـذر الزمـ ـان بـ ـأن يفـ ـرق شـ ـملنا ... والآن قـ ـ ـد أوفـ ـ ـى الزمـ ـ ـان بنـ ـ ـذره

حكـ ـم الزمـ ـان فـ ـلا مـ ـرد لحكمـ ـه ... مـ ـن ذا يعـ ـارض سـ ـيداً فـ ـي أمـ ـره

فلما فرغت الجارية من شعرها صرخ سيدها صرخة عظيمة ووقع مغشياً عليه فقالت الجارية لا آخذك الله أيها الشيخ إن لنا مدة ونحن نشرب بلا سماع مخافة على سيدنا من مثل هذه الصرعة ولكن أذهـ ب إلـ ى المقصورة ونم فيها فتوجهت إلى المقصورة التي أشارت إليها ونمت فيها إلى الصباح وإذا أنا بغـ ـلام أتـ ـاني ومعه كيس فيه خمسمائة دينار وقال هذا الذي وعدك به سيدي ولكنك لاتعد إلى هذه الجارية التـ ي أرسـ لتك وكأنك ما سمعت بهذا الخبر ولا سمعنا فقلت له سمعاً وطاعة ثم أخذت الكيس ومضيت إلى حال سبيلي وقلت في نفسي أن الجارية في انتظاري من أمس والله لابد أن أرجع إليها وأخبرها بما جرى بيني وبينه لأنـ ي إن لم أعد إليها ربما تشتمني وتشتم كل من طلع من بلادي فمضيت إليها فوجدتها واقفة فلما رأتني قالت يا ابـ ن

منصور أنك ما قضيت لي حاجة فقلت لها من أعلمك بهذا فقالت يا ابن منصور أن معي مكاشفة أخرى وهي أنك لما ناولته الورقة مزقها ورماها وقال لك يا ابن منصور مهما كان لك من الحوائج قضيناه لك لا حاجة صاحبة هذه الورقة فإنها ليس لها عندي جواب فقمت أنت من عنده مغضباً فتعلق بأذيالك وقال يا ابن منصور اجلس عندي اليوم فإنك ضيفي فكل واشرب والتلذ وأطرب وخذ لك خمسمائة دينار فجلست عنده وأكلت وشربت وتلذذت وطربت وسامرته وغنت الجارية بالصوت الفلاني والصوت الفلاني فوقع مغشياً عليه فقلت لها يا أمير المؤمنين هل أنت كنت معنا فقالت لي يا إبن منصور أما سمعت قول الشاعر:

قلـ . ـوب العاشـ . ـقين لهـ . ـا عيـ . ـون   تـ . ـرى مـ . ـالا يـ . ـراه الناظرونـ . ـا

ولكن يا ابن منصور ما تعاقب الليل والنهار على شيء إلا وغيراه. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٦٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية قالت يا ابن منصور ما تعاقب الليل والنهار على شيء إلا وغيراه ثم رفعت طرفها إلى السماء وقالت الهي وسيدي ومولاي كما بليتني بمحبة جبير بن عمير أن تبليه بمحبتي وأن تنقل المحبة من قلبي إلى قلبه ثم أنها أعطتني مائة دينار حق طريقي فأخذتها ومضيت إلى سلطان البصرة فوجدته قد جاء من الصيد فأخذت رسمي منه ورجعت إلى بغداد فلما أقبلت السنة الثانية توجهت إلى مدينة البصرة لأطلب رسمي على عادتي ودفع السلطان إلى رسمي ولما أردت الرجوع إلى بغداد تفكرت في نفسي أمر الجارية بدور وقلت والله لابد أن أذهب إليها وانظر ما جرى بينها وبين صاحبها فجئت دارها فرأيت على بابها كنساً ورشا وخدماً وحشماً وغلماناً فقلت لعل الجارية طفح الهم على قلبها فماتت ونزل في دارها أمير من الأمراء فتركتها ورجعت إلى دار جبير بن عمير الشيباني فوجدت مصاطبها قد هدمت ولم أجد على بابه غلماناً مثل العادة فقلت في نفسي لعله مات ثم وقفت على باب داره وجعلت أفيض العبرات وأندبه بهذه الأبيات:

يـ . ـا سـ . ـادة رحلـ . ـوا والقلـ . ـب يتـ . ـبعهم   عـ . ـودوا تعـ . ـدلي أعيـ . ـادي بعـ . ـودكم
وقفـ . ـت فـ . ـي داركـ . ـم أنعـ . ـي مسـ . ـاكنكم   والـ . ـدمع يـ . ـدفق والأحفـ . ـان تلـ . ـتطم
أسـ . ـائل الـ . ـدار والأطـ . ـلال باكيـ . ـة   أيـ . ـن الـ . ـذي كـ . ـان منـ . ـه الجـ . ـود والـ . ـنعم
أقصـ . ـد سـ . ـبيلك فالأحبـ . ـاب قـ . ـد رحلـ . ـوا   من الربوع وتحـ . ـت التـ . ـرب قـ . ـد ردمـ . ـوا
لا أوحـ . ـش الله مـ . ـن رؤيـ . ـا محاسـ . ـنهم   طـ . ـولاً وعرضـ . ـاً ولا فابـ . ـت لهـ . ـم شـ . ـيم

فبينما أنا أندب أهل هذه الدار بهذه الأبيات يا أمير المؤمنين وإذا بعبد أسود قد خرج على من الدار فقال ياشيخ اسكت ثكلتك أمك مالي أراك تندب هذه الدار بهذه الأبيات فقلت له أني كنت أعهدها لصديق من أصدقائي فقال وما أسمه فقلت جبير بن عمير الشيباني قال وأي شيء جرى له الحمد لله ها هو على حاله من الغنى والسعادة والملك لكن ابتلاه بمحبة جارية يقال لها السيدة بدور وهو في محبتها مغمور من شدة الوجد والتبريح فهو كالحجر الجلمود الطريح فإن جاع لا يقول لهم أطعموني وأن عطش لا يقول فقلت لابد أن أدخل إليه على كل حال فدخل الدار مستأذناً ثم عاد إلى آذنا فدخلت عليه فوجدته كالحجر الطريح لا يفهم بإشارة

ولا بصريح وكلمته فلم يكلمني فقال لي بعض اتباعه يا سيدي أن كنت تحفظ شيئاً من الشعر فأنشده أياه وأرفع صوتك به فإنه ينتبه لذلك ويخاطبك فأنشدت هذين البيتين:

أسلوت حب بدور أم تتجلد وسهرت ليلك جفونك ترقد
أن كان دمعك سائلاً مهمولة فاعلم بأنك في الجنان مخلد

فلما سمع هذا الشعر فتح عينيه وقال لي مرحباً يا ابن منصور قد صار الهزل جداً فقلت له يا سيدي الك بي حاجة قال نعم أريد أن أكتب لها ورقة وأرسلها معك إليها فإن أتيتني بجوابها فلك على ألف دينار وإن لم تأتني بجوابها فلك عندي حق مشيك مائة دينار فقلت له أفعل ما بدا لك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٦٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن ابن منصور قال فقلت له افعل ما بدا لك فنادي بعض جواريه وقال أئتيني بدواة وقرطاس فأتته بما طلبه فكتب هذه الأبيات:

سألتكم بالله يا سادتي مهلاً على فان الحب لم يبق لي عقلاً
تمكن مني حبكم وهواكم فألبسني سقماً وأورثني ذلاً
لقد كنت قبل اليوم استصغر الهوى وأحسبه يا سادتي هيناً سهلاً
فلما أراني الحب أمواج بحره رجعت لحكم الله فهو من يبلى
فإن شئتم أن ترحموني بوصلكم وإن شئتم قتلى فلا تنسوا الفضلا

ثم ختم الكتاب وناولني أياه فأخذته ومضيت به إلى دار بدور وجعلت أرفع الستر قليلاً قليلاً على العادة وإذا أنا بعشر جوار بهذا أبكار كأنهن الأقمار والسيدة بدور جالسة في وسطهن كأنها البدر في وسط النجوم أو الشمس إذا دخلت على الغيوم وليس بها ألم لا وجع فبينما أنا أنظر إليها وأتعجب من هذا الحال إذ لاحت منها التفاتة لي فرأتني واقفاً بالباب فقالت لي أهلاً وسهلاً ومرحباً بك يا ابن منصور ادخل فدخلت وسلمت عليها وناولتها الورقة فلما قرأتها وفهمت ما فيها ضحكت وقالت يا ابن منصور ما كذب الشاعر حيث قال:

فلاصبرن على هواك تجلداً حتى يجيء إلى منك رسول

يا ابن منصور ها أنا أكتب لك جواباً حتى يعطيك الذي وعدك به فقلت لها جزاك الله خيراً فنادت بعض جواريها وقالت ائتيني بدواة وقرطاس فلما أتتها بما طلبت كتبت إليه هذه الأبيات:

ما بالي وفيت بعهدكم فغدرتم ورأيتموني منصفاً فظلمتم
بادیتمونی بالقطیعة والجفا وغدرتم والغدر بادمنكم
مازلت أحفظ في البرية عهدكم وأصون عرضكم وأحلف عنكم
حتى رأيت بناظري ما ساءني وسمعت أخبار القبائح عنكم
أيهون قدري حين أرفع قدركم والله لو أكرمتم لكرمتم
فلاصرفن القلب عنكم سلوة ولا نفضن يدي يأساً منكم

فقلت لها والله يا سيدتي أنه ما يقرأ هذه الأبيات إلا وتفارق روحه من جسده فقالت لي يابن منصور قد بلغ بي الوجد إلى هذا الحد حتى قلت ما قلت فقلت لها لو قلت أكثر من ذلك الحق لك ولكن العفو مـ ن شـ يم الكرام فلما سمعت كلامي تغرغرت عيناها بالدموع وكتبت إليه رقعة والله يا أمير المؤمنين ما في ديوانك من يحسن أن يكتب مثلها وكتبت فيها هذه الأبيات:

إلـ ـى كـ ـم ذا الـ ـدلال وذا التجنـ ـي	شـ ـفيت وحقـ ـك الحسـ ـاد منـ ـي
لعلـ ـي قـ ـد أسـ ـأت ولسـ ـت أدري	فقـ ـل لـ ـي مـ ـا الـ ـذي بلغـ ـت عنـ ـي
مـ ـرادي لـ ـو وضـ ـعتك يـ ـا حبيبـ ـي	مكـ ـان النـ ـوم مـ ـن عينـ ـي وجفنـ ـي
شـ ـربت كـ ـؤس حبـ ـك مترعـ ـات	فـ ـإن ترنـ ـي سـ ـكرت فـ ـلا تلمنـ ـي

فلما فرغت من كتابة المكتوب وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٧٠) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن يدور لما فرغت من كتابة المكتوب وختمته نـ ـاولتني إياه فقلت لها يا سيدتي أن هذه الرقعة تداوي العليل وتشفى الغليل ثم أخذت المكتوب وخرجت فنادتني بعد ما خرجت من عندها وقالت لي يا ابن منصور قل له أنها في هذه الليلة ضيفتك ففرحت أنا بذلك فرحـ ـاً شـ ـديداً ومضيت بالكتاب إلى جبير بن عمير فلما دخلت عليه وجدت عينه شاخصة إلى الباب ينتظر الجـ ـواب فلمـ ـا ناولته الورقة فتحها وقرأها وفهم معناها فصاح صيحة عظيمة ووقع مغشياً عليه فلما أفاق قال يا ابن منصور هل كتبت هذه الرقعة بيدها ولمستها بأناملها قلت يا سيدي وهل الناس يكتبون بأرجلهم فو الله يا أمير المؤمنين ما أستتم كلامي أنا وأياه إلا وقد سمعنا شن خلاخلها في الدهليز وهي داخلة فلما رآها قام على أقدامه كأنه لم يكن به ألم قط وعانقها عناق اللام للألف وزالت عنه علته التي لا تنصرف ثم جلس ولم تجلس هي فقلت لها يا سيدتي لأي شيء لم تجلسي قالت يا ابن منصور لا أجلس إلا بالشرط الذي بيننا فقلت لها وما ذلك الشـ ـرط الذي بينكما قالت أن العشاق لا يطلع أحد على أسرارهم ثم وضعت فمها على أذنه وقالت له كلاماً سراً فقال سمعاً وطاعة ثم نام جبير ووشوش بعض عبيده فغاب العبد ساعة ثم أتى ومعه قاض وشاهد أن فقـ ـام جبيـ ـر وأتى بكيس فيه مائة ألف دينار وقال أيها القاضي أعقد عقدي على هذه الصبية بهذا المبلغ فقال لها القاضـ ـي قولي رضيت بذلك فقالت رضيت بذلك فعقدوا العقد ثم فتحت الكيس وملأت يدها منـ ـه وأعطـ ـت القاضـ ـي والشهود ثم ناولته بقية الكيس فانصرف القاضي والشهود وقعدت أنا وأياها في بسط وانشراح إلى أن مضـ ـى من الليل أكثره فقلت في نفسي أنهما عاشقان ومضت عليهما مدة من الزمان وهما متهاجران فأنا أقوم في هذه الساعة لانام في مكان بعيد عنهما وأتركهما يختليان ببعضهما ثم قمت فتعلقت بأذيالي وقالت ما الذي حـ ـدثتك به نفسك فقلت ما هو كذا وكذا فقالت أجلس فإذا أردنا أنصرافك صرفناك فجلست معهما إلى أن قرب الصبح فقالت يا ابن منصور أمض إلى تلك المقصورة لإننا فرشنا هالك وهي محل نومك فقمت ونمت إلى الصـ ـباح فلما أصبحت جاءني غلام بطشت وأبريق فتوضأت وصليت الصبح ثم جلست فبينما أنا جـ ـالس وإذا بجبيـ ـر ومحبوبته خرجا من حمام في الدار وكل منهما يعصر ذوائبه فصبحت عليهما وهنيتهما بالسلامة وجمع الشمل ثم قلت له الذي أوله شرط آخره رضا فقال لي صدقت وقد وجب لك الأكرام ثم نادى خازنداره وقال له أئتني بثلاثة آلاف دينار فأتاه بكيس فيه ثلاثة آلاف دينار فقال لي تفضل علينا بقبول هذا فقلت له لا أقبلـ ـه حتـ ـى

تحكي لي ما سبب انتقال المحبة منها إليك بعد ذلك الصد العظيم قال سمعاً وطاعة اعلم أن عندنا عيداً يقال له عيد النواريز يخرج الناس فيه وينزلون في الزورق ويتفرجون في البحر فخرجت أتفرج أنا وأصحابي فرأيت زورقاً فيه عشر جوار كأنهن الأقمار والسيدة بدور هذه في وسطهن وعودها معها فضربت عليه إحدى عشر طريقة ثم عادت إلى الطريقة الأولى وأنشدت هذين البيتين:

النـ ـار أبـ ـرد مـ ـن نيـ ـران أحشـ ـائي والصـ ـخر ألـ ـين مـ ـن قلبـ ـي لمـ ـولائي

أنـ ـيلا عجـ ـب مـ ـن تـ ـأليف خلقتـ ـه قلب من الصخر فـ ـي جسـ ـم مـ ـن المـ ـاء

فقلت لها أعيدي البيتين والطريقة فما رضيت. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٧١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن جبير قال فقلت لها أعيدي البيتين فما رضـ ـيت فـ ـأمرت النوتيـ ـة أن يرجموها فرجموها بالنارنج حتى خشينا الغرق على الزورق الذي هي فيه ثم مضت إلى حال سـ ـبيلها وهـ ـذا سبب انتقال المحبة من قلبها إلى قلبي فهنيتهما بجمع الشمل وأخذت الكيس بما فيه وتوجهت إلى بغداد فانشرح صدر الخليفة وزال عنه ما كان يجده من الأرق وضيق الصدر.

حكاية الجواري المختلفة الألوان وما وقع بينهن من المحاورة

(ومما) يحكي أن أمير المؤمنين المأمون جلس يوماً من الأيام في قصره وأحضر رؤساء دولته وأكابر مملكته جميعاً وكذلك أحضر الشعراء والندماء بين يديه وكان من جملة ندمائه نديم يسمى محمـ ـد البصـ ـري فالتفت إليه المأمون وقال له يا محمد أريد منك في هذه الساعة أن تحدثني بشيء ما سمعته قط قال له يا أمير المؤمنين نريد أن أحدثك بحديث سمعته بأذني أو بأمر عاينته ببصري فقال المأمون حدثني يا محمد بالأغرب منهما فقال اعلم يا أمير المؤمنين أنه كان في الأيام الماضية رجل من أرباب النعم وكان موطنه باليمن ثم أنه ارتحل من اليمن إلى مدينة بغداد هذه فطاب له مسكنها فنقل أهله وماله وعياله إليها وكان لـ ـه سـ ـت جـ ـوار كأنهن الأقمار الأولى بيضاء والثانية سمراء. والثالثة سمينة والرابعة هزيلة والخامسـ ـة صـ ـفراء والسادسـ ـة سوداء وكن حسان الوجوه كاملات الأدب وطلب الطعام والمدام فأكلوا وشربوا وتلذذوا وطربوا ثم ملأ الكاس وأخذه في يده وأشار للجارية البيضاء وقال لها يا وجه الهلال أسمعينا من لذيذ المقال فأخذت العود وأصلحته ورجعت عليه الألحان حتى رقص المكان ثم أطربت بالنغمات وأنشدت هذه الأبيات :

لـ ـ ـي حبيـ ـ ـب خيالـ ـ ـه نصـ ـ ـب وأسـ ـمه فـ ـي جـ ـوارحي مكنـ ـون

أن تذكرتـ ـ ـ ـه فكلـ ـ ـي قلـ ـ ـوب أو تأملتـ ـ ـ ـه فكلـ ـ ـ ـي عيـ ـ ـ ـون

قـ ـال لـ ـي عـ ـاذلي أتسـ ـلو هـ ـواه قلـ ـت مـ ـالا يكـ ـون كيـ ـف يكـ ـون

يـ ـا عـ ـاذلي أمـ ـض عنـ ـي ودعنـ ـي لا تهـ ـ ـون علـ ـ ـى مـ ـ ـالا يهـ ـ ـون

فطرب مولاهن وشرب قدحه وسقى الجواري ثم ملأ الكاس وأخذه في يده وأشار إلى الجارية السمراء وقال لها يا نور المقباس وطيبة الأنفاس أسمعينا صوتك الحسن الذي من سمعه افتتن فأخذت العود ورجعـ ـت عليه الألحان حتى طرب المكان وأخذت القلوب باللفتات وأنشدت هذه الأبيات:

وحيـ ـاة وجهـ ـك لا أحـ ـب سـ ـواكا   حتـ ـى أمـ ـوت ولا أخـ ـون هواكـ ـا
يـ ـا بـ ـدر تـ ـم بالجميـ ـل مبرقعـ ـاً   كـ ـل المـ ـلاح تسـ ـير تحـ ـت لواكـ ـا
أنـ ـت الـ ـذي فقـ ـت المـ ـلاح لطافـ ـة   والله رب العـ ـ ـ ـ ـالمين حباكـ ـ ـ ـ ـا

فطرب مولاهن وشرب كأسه وسقى الجواري ثم ملأ القدح وأخذه في يده واشار إلى الجارية السـ مينة وأمرها بالغناء وتقليب الأهواء فأخذت العود وضربت عليه ضرباً يذهب الحسرات وأنشدت هذه الأبيات:

أن صح منك الرضايا من هـ ـو الطلـ ـب   فـ ـلا أبـ ـالي بكـ ـل النـ ـاس أن غضـ ـبوا
وأن تبـ ـدي محيـ ـاك الجميـ ـل فلـ ـم   أعبـ ـأ بكـ ـل ملـ ـوك الأرض أن حجبـ ـوا
قصدي رضـ ـاك مـ ـن الـ دنيا باجمعهـ ـا   يا مـ ـن إليـ ـه جميـ ـع الحسـ ـن ينتسـ ـب

فطرب مولاهن وأخذ الكاس وسقى الجواري ثم ملأ الكاس وأخذه بيده وأشار إلى الجارية الهزيلة وقال يا حوراء الجنان اسمعينا الألفاظ الحسان فأخذت العود وأصلحته ورجعت عليه الألحان وأنشدت هذين البيتين:

إلا في سبيل الله مـ ـا حـ ـل بـ ـي منكمـ ـا   بصـ ـدكم عنـ ـي حيـ ـث لا صـ ـبر عنكمـ ـا
إلا حـ ـاكم فـ ـي الحـ ـب يحكـ ـم بيننـ ـا   فيأخـ ـذ لـ ـي حقـ ـي وينصـ ـفني منكمـ ـا

فطرب مولاهن وشرب القدح وأخذه بيده وأشار إلى الجارية الصفراء وقال يا شمس النهار اسمعينا من لطيف الأشعار فأخذت العود وضربت عليه أحسن الضربات وأنشدت هذه الأبيات:

لـ ـي حبيـ ـب إذا ظهـ ـرت إليـ ـه   سـ ـل سـ ـيفاً علـ ـى مـ ـن مقلتيـ ـه
أخـ ـذ الله بعـ ـض حقـ ـي منـ ـه   إذ جفـ ـاني ومهجتـ ـي فـ ـي يديـ ـه
كلمـ ـا قلـ ـت يـ ـا فـ ـؤادي دعـ ـه   لا يميـ ـ ـ ـل الفـ ـ ـ ـؤاد إلا إليـ ـ ـ ـه
هـ ـو سـ ـؤالي مـ ـن الأنـ ـام ولكـ ـن   حسـ ـدتني عـ ـين الزمـ ـان عليـ ـه

فطرب مولاهن وشرب وسقى الجواري ثم ملأ الكاس وأخذه في يده وأشار إلى الجارية السوداء وقـ ـال يا سوداء العين اسمعينا ولو كلمتين فأخذت العود وأصلحته وشدت أوتاره وضربت عليه عدة طرق ثم رجعت إلى الطريقة الأولى وأطربت بالنغمات وأنشدت هذه الأبيات:

ألا يـ ـا عـ ـين بـ ـالعبرات جـ ـودي   فوجـ ـدي قـ ـد عـ ـدمت بـ ـه وجـ ـودي
أكابـ ـد كـ ـل وجـ ـدي مـ ـن حبيـ ـب   ألفـ ـت بـ ـه ويشـ ـمت بـ ـي حسـ ـودي
وتمنعنـ ـ ـي العـ ـ ـواذل ورد خـ ـ ـ ـد   ولـ ـي قلـ ـب يحـ ـن إلـ ـى الـ ـورود
لقـ ـ ـد دارت هنـ ـ ـاك كـ ـ ـؤوس راح   بـ ـ ـأفراح لـ ـ ـذي ضـ ـ ـرب وعـ ـ ـود
ووافـ ـاني الحبيـ ـب فهمـ ـت فيـ ـه   وأشـ ـرق بألوفـ ـا نجـ ـم السـ ـعود
قصـ ـدي للصـ ـدود بغيـ ـر ذنـ ـب   وهـ ـل شـ ـيء أمـ ـر مـ ـن الصـ ـدود
وفـ ـ ـي وجناتـ ـ ـه ورد جنـ ـ ـى   فيـ ـ ـا لله مـ ـ ـن ورد الخـ ـ ـدود
فلـ ـو أن السـ ـجود يحـ ـل شـ ـرعاً   لغيـ ـر الله كـ ـان لـ ـه سـ ـجودي

ثم بعد ذلك قامت الجواري وقبلن الأرض بين يدي مولاهن وقلن له أنصف بيننا يا سيدنا فنظر مولاهن إلى حسنهن وجمالهن واختلاف ألوانهن فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال لهن ما منكن إلا وقد قرأت القرآن وتعلمت الألحان وعرفت أخبار المتقدمين واطلعت على سير الأمم الماضين وقد اشتهيت أن تقوم كل واحـ دة

منكن وتشير بيدها إلى ضرتها يعني تشير البيضاء إلى السوداء والسمينة إلى الهزيلة والصفراء إلى السوداء وتمدح كل واحدة منكن نفسها وتذم ضرتها ثم تقوم ضرتها وتفعل معها مثلها ولكن يكون ذلـ ـك بـ دليل مـ ن القرآن الشريف وشيء من الأخبار والأشعار لننظر أدبكن وحسن ألفاظكن فقلن سمعاً وطاعة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٧٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الرجل اليمني قالت له جواريه سمعاً وطاعة ثم قامت أولاً هن وهـ ـي البيضاء واشارت إلى السوداء وقالت لها ويحك يا سوداء قد ورد أن البياض قال أنا النور اللامع أنـ ـا البـ ـدر الطالع لوني ظاهر وجبيني زاهر وفي حسني قال الشاعر:

بيضـ ـاء مصـ ـقولة الخـ ـدين ناعمـ ـة ... كأنهـ ـا لؤلـ ـؤة فـ ـي الحسـ ـن مكنـ ـون
فقـ . ـدها ألـ . ـف بزهـ . ـو ومبسـ . ـمها ... مـ ـيم وحاجبهـ ـا مـ ـن فوقـ ـه نـ ـون
كـ . ـأن ألحاظهـ . ـا نبـ . ـل وحاجبهـ . ـا ... فـ ـرس علـ ـى أنـ ـه بـ ـالموت مقـ ـرون
بالخـ . ـد والقـ . ـدان تبـ . ـدو فوجنتهـ . ـا ... ورد وآس وريحـ . . . ـان ونسـ . . . ـرين
والغصن يعهد فـ ـي البسـ ـتان معرسـ ـه ... وغصـ ـن فـ ـدك كـ ـم فيـ ـه بسـ ـاتين

فلوني مثل النهار الهني والزهر الجني والكوكب الدري وقد قال الله تعالى في كتابه العزيز لنبيه موسى عليه السلام وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء وقال الله تعالى وأما الذين ابيضت وجـ ـوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون فلوني آية وجمالي غاية وحسني نهاية وعلى مثلي يحسن الملبوس وإليه تميل النفوس وفي البياض فضائل كثيرة منها أن الثلج ينزل من السماء أبيض وقد وردان أحسن الألوان البيـ ـاض وتفتخر المسلمون بالعمائم البيض ولو ذهبت أذكر ما فيه من المدح لطال الشرح ولكن ما قل وكفى خير مما كثر وما وفى وسوف أبتديء بذمك يا سوداء يا لون المداد وهباب الحداد ومجه الغراب المفرق بين الأحباب وفي المثل يقول القائل كيف يوجد أسود عاقل فقال لها سيدها اجلسي ففي هذا القدر كفاية فقد أسرفت ثم أشار إلى السوداء فقامت وأشارت بيدها إلى البيضاء وقالت أما علمت أنه ورد في القرآن المنزل علـ ـى نبـ ـي الله المرسل قوله تعالى والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى ولولا أن الليل أجل لما أقسم الله به وقدمه على النهـ ـار وقبلته أولوا البصائر والأبصار أما علمت أن السود زينة الشباب فإذا نزل المشيب ذهبت اللذات ودنت أوقات الممات ولو لم يكن أجل الأشياء ما جعله الله في حنة القلب والناظر وما أحسن قول الشاعر:

لم أعشـ ـق السـ ـمر إلا مـ ـن حيـ ـازتهم ... لـ ـون الشـ ـباب وحـ ـب القلـ ـب والحـ ـدق
ولا سلوب بياض البـ ـيض عـ ـن غلـ ـط ... أني مـ ـن الشـ ـيب والأكفـ ـان فـ ـي فـ ـرق

وقول الآخر :

السـ . . ـمر دون البـ . . ـيض هـ . . ـم ... أولـ . . . ـى بعشـ . . . ـقي وأحـ . . . ـق
السـ . . ـمر فـ . . ـي لـ . . ـون اللمـ . . ـي ... والبـ . . ـيض فـ . . ـي لـ . . ـون البهـ . . ـق

وقول الآخر:

سـ . وداء بيضـ . اء الفعـ . ال كأنهـ . ـا مثـ . ـل العيـ . ون تحـ . ص بالأضـ . واء

أنـ . ـا إن حنيـ . ـت بحبهـ . ـا لا تعجبـ . ـوا أصـ . ـل الجنـ . ون يكـ . ون بالسـ . وداء

فكـ ـأن لـ ـوني فـ ـي الـ ـدياجي غيهـ ـب لـ . ولاه مـ . ـا قمـ . ـر أتـ . ـي بضـ . ياء

وأيضاً فلا يحسن اجتماع الأجناب إلا في الليل فيكفيك هذا الفضل والنيل فما ستر الأحباب عن الواشين واللوام مثل سواد الظلام ولا خوفهم من الافتضاح مثل ببياض الصباح فكم للسواد من مآثر وما أحسن قـ ـول الشاعر:

أزورهـ ـم وسـ ـواد الليـ ـل يشـ ـفع لـ ـي وأنثنـ ـي وبيـ ـاض الصـ ـبح يغـ ـري بـ ـي

وقول الآخر:

وكـ ـم ليلـ ـة بـ ـات الحبيـ ـب مؤانسـ ـتي وقـ . ـد سـ . ـترتنا مـ . ـن دجـ . ـاه ذوائـ . ـب

فلما بدا نـ ـور الصـ ـباح أخـ ـافني فقلـ . ـت لـ . ـه أن المجـ . وس كـ . واذب

ولو ذهبت أذكر في السواد من المدح لطال الشرح ولكن ما قل وكفى خير مما كثر وما وفى وأما أنت يا بيضاء فلونك لون البرص ووصالك من الغصص وقد ورد أن البرد والزمهرير في جهـ نم لعـ ذاب أهـ ل النكير ومن فصيلة السواد أن منه المداد الذي يكتب به كلام الله ولولا سواد المسك والعنبر ما كـ ـان الطيـ ـب يحمل للملوك ولا يذكروكم للسواد من مفاخر وما أحسن قول الشاعر:

ألـ ـم تـ ـر أن المسـ ـك يعظـ ـم قـ ـدره وإن بيـ . ـاض الجيـ . ـر حمـ . ـل بـ . ـدرهم

وأن بيـ ـاض العـ ـين يقـ ـبح بـ ـالفتى وأن سـ . ـواد العـ . ـين برمـ . ـي بأسـ . ـهم

فقال لها سيدها اجلسي ففي هذا القدر كفاية فجلست ثم أشار إلى السمينة فقامت وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٧٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن اليمني سيد الجواري أشار إلى الجارية السمينة فقامت وأشارت بيدها إلى الهزيلة وكشفت سيقانها ومعاصمها وكشفت عن بطنها فبانت طياته وظهر تدوير سرتها ثم لبست قميصا رفيعاً فبان منه جميع بدنها وقالت الحمد لله الذي حلقني فأحسن صورتي وسميني فأحسن سـ منتي وشـ بهني بالأغصان وزاد في حسني وبهجتي فله الحمد على ما أولاني وشرفني إذ ذكر في كتابه العزيز فقال تعـ ـالى وجاء بعجل سمين وجعلني كالبستان المشتمل على خوخ ورمان وأهل المدن يشتهون الجطير السمين فيأكلون منه ولا يحبون طيراً هزيلاً وبنو آدم يشتهون اللحم السمين ويأكلونه وكم للسمن من مفاخر وما أحسن قـ ـول الشاعر:

ودع حبيبـ . ـك أن الركـ . ـب مرتحـ . ـل وهـ ـل تطيـ ـق وداعـ ـاً أيهـ ـا الرجـ ـل

كـ ـأن مشـ ـيتها فـ ـي بيـ ـت جارتهـ ـا مشـ . ـى السـ . ـمينة لاعيـ . ـب ولا ملـ . ـل

وما رأيت أحداً يقف على الجزار إلا ويطلب منه اللحم السمين وقالت الحكماء اللذة في ثلاثة أشياء أكل اللحم والركوب على اللحم ودخول اللحم في اللحم وأما أنت يا رفيعة فسيقانك كسيقان العصـ فور ومحـ ـراك التنور وأنت خشبة المسلوب ولحم المعيوب وليس فيك شيء يسر الخاطر كما قال فيك الشاعر:

أعـوذ بـالله مـن أشـياء تحـوجني إلـى مضـاجعة كالـذلك بالمسـد
فـي كـل عضـو لهـا قـرن يناطحني عنـد المنـام فأمسـى وأهـي الجلـد

فقال سيدها اجلسي ففي هذا القدر كفاية فجلست ثم أشار ألى الهزيلة فقامت كأنها غصن بان أو قضيب خيزران أو عود ريحان وقالت الحمد لله الذي خلقني فأحسنني وجعل وصلي غاية المطلوب وشبهتني بالغصن الذي تميل إليه القلوب فإن قمت قمت خفيفة وإن جلست جلست ظريفة فأنا خفيفة الروح عند المـزاح طيبـة النفس من الارتياح وما رأيت أحداً يصف حبيبه فقال حبيبي قدر الفيل ولا مثل الجبل العريض الطويل وأنما حبيبي له قد أهيف وقوام مهفهف فاليسير من الطعام يكفيني والقليل من الماء يرويني لعبي خفيف ومزاحـي ظريف فأنا أنشط من العصفور وأخف حركة من الزرزور وصلى منية الراغب ونزهة الطالب وأنا مليحـة القوام حسنة الابتسام كأني غصن بان أو قضيب خيزران أو عود ريحان وليس لي في الجمال مماثل كما قال في القائل:

شـبهت قـدك بالقضـيب وجعلـت شـكك مـن نصـيبي
وغـدوت خلعـك هائمـاً خوفـاً عليـك مـن الرقيـب

وفي مثلي تهيم العشاق ويتوله المشتاق وأن جذبني حبيبي أنجذبت إليه وأن استمالتي ملت له لا عليـه وها أنت ياسمينة البدن فإن أكلك أكل الفيل ولا يشبعك كثير ولا قليل وعند الاجتماع لا يستريح معك خليـل ولا يوجد لراحته معك سبيل فكبر بطنك يمنعه من جماعك وعند التمكن من فرجك يمنعه غلـظ أفخـاذك أي شيء في غلظك من الملاحة أو في فظاظتك من اللطف والسماحة ولا يليق باللحم السمين غير الذبح ولـيس فيه شيء من موجبات المدح أن مازحك أحد غضبت وأن لاعبك حزنت فإن غنجت شخرت وإن مشيت لهثت وإن أكلت ما شبعت وأنت أثقل من الجبال وأقبح من الخبال والوبال مالك حركة ولا فيك بركة وليس لك شغل إلا الأكل والنوم وإن بلت شرشرت وإن تغوطت بطبطت كأنك زق منفوخ أو فيل ممسوخ إن دخلـت بيـت الخلاء تريدين من يغسل لك فرجك وينتف من فوقه شعرك وهذا غاية الكسل وعنوان الخبل وبالجملة لـيس فيك شيء من المفاخر وقد قال الشاعر:

ثقيلـة مثـل زق البـول منـتفخ أو راكبـاً كعواميـد مـن الجبـل
إذا مشت في بـلاد العـرب أو خطـرت سرى إلى الشرق ما تبـدي مـن الهبـل

فقال لها سيدها اجلسي ففي هذا القدر كفاية فجلست ثم أشار إلى الصفراء فقامت على قدميها وحمـدت الله تعالى وأثنت عليه وأتت بالصلاة والسلام على خيار خلقه لديه ثم أشارت بيدها إلـى السـمراء وقالـت. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٧٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية الصفراء قامت على قدميها فحمدت الله تعالى وأثنت عليه ثـم أشارت بيدها إلى السمراء وقالت لها أنا المنعوتة في القرآن ووصف لوني الرحمن وفضله على سائر الألوان بقوله تعالى في كتابه المبين صفراء فاقع لونها تسر الناظرين فلوني آية وجمالي غاية وحسني نهاية لأن لوني لون الدينار ولون النجوم والأقمار ولون التفاح وشكلي شكل الملاح ولون الزعفران يزهو على سائر الألوان

فشكلي غريب ولوني عجيب وأنا ناعمة البدن غالية الثمن وقدا حويت كل معنى حسن ولوني ف ي الوج ود عزيز مثل الذهب الأبريز وكم من مآثر وفي مثلي وقال الشاعر:

لها اصف فرار كل ون الش مس مب تهج وكال دنانير ف ي حس ن م ن النظ ر
ما الزعفران تح اكي بع ض بهجتها ك لا ومنظره ا يعل و ع ن القم ر

وسوف أبتديء بذمك يا سمراء اللون فإنك في لون الجاموس تشمئز عند رؤيتك النفوس أن كان لون ك في شيء قم ومدموم وإن كان في طعام فهو مسموم فلونك لون الذباب وفيه بشاعة الكلاب وهو محي ر ب ين الألوان ومن علامات الأحزان وما سمعت قط بذهب أسمر ولا درولا جوهران دخلت الخلاء يتغير لونك وأن خرجت أزددت قبحاً فلا أنت سوداء فتعرفي ولا أنت بيضاء فتوصفي وليس لك شيء من المآثر كما قال فيك الشاعر:

ل ون الهب اب ل ون فغبرته ا ك التراب ت دهس ف ي أق دام قص اد
فم ا نظ رت له ا ب العين أرمقه ا ألا تزاي د هم ي وأنك ادي

فقال لها سيدها اجلسي ففي هذا القدر كفاية فجلست ثم أشار إلى السمراء وكانت ذات حسن وجمال وقد واعتدال وبهاء وكمال لها حسم ناعم وشعر قاحم معتدلة القد موردة الخد ذات طرف كحيل وخد أسيل ووجه مليح ولسان فصيح وخصر نحيل وردف ثقيل فقالت الحمد لله الذي خلقني لا س مينة مدموم ة ولا هزيل ة مهضومة ولا بيضاء كالبرق ولا صفراء كالمغص ولا سوداء بلون الهباب بل جعل لوني معش وقاً لأول ي الألباب وسائر الشعراء يمدحون السمر بكل لسان ويفضلون ألوانهم على سائر الألوان فاسمر الل ون حمي د الخصال ولله درمن قال:

وفي السمر معن ى ل و علم ت بيان ه لم ا نظ رت عين اك ب يض ولا حم را
لباق ة ألف اظ وغ نج ل واحظ يعلم ن ه اروت الكهان ة والس حرا

فشكلي مليح وقدي رجيح ولوني ترغب فيه الملوك ويعشقه كل غني وصعلوك وأنا لطيفة خفيفة مليحة ظريفة ناعمة البدن غالية الثمن وقد كملت في الملاحة والأدب والفصاحة مظاهري ولساني فصيح ومزاج ي خفيف ولعبي ظريف وأما أنت فمثل ملوخية باب اللوق صفراء وكلها عروق فتعساً لك يا قدرة الرواس وي ا صدأ النحاس وطلعة البوم وطعام الزقوم فضجيعك يضيق الأنفاس مقبور في الأرماس وليس لك في الحس ن مآثر وفي مثلك قال الشاعر:

عليه ا اصف فرار زاد م ن غي ر عل ة يضيق له صدري وتوجعني رأس ي بل ثم
إذا ل م تت ب نفس ي ف أني أذله ا محياه ا فتقل ع أضراس ي

فلما فرغت من شعرها قال لها سيدها اجلسي ففي هذا القدر كفاية ثم بعد ذلك. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٧٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية لما فرغت من شعرها قال لها سيدها اجلسي ففي هذا الق در كفاية ثم أن بعد ذلك أصلح بينهن وألبسهن الخلع السنية ونقطهن بنفيس الجواهر البرية والبحرية فما رأيت يا

أمير المؤمنين في مكان ولا زمان أحسن من هؤلاء الجواري الحسان فلما سمع المأمون هذه الحكاي ـة مـ ن محمد البصري أقبل عليه وقال له يا محمد هل تعرف لهؤلاء الجواري وسـ يدهن محـ ـلاً وهـ ـل يمكنـ ـك أن تشتريهن لنا من سيدهن فقال له محمد يا أمير المؤمنين قد بلغني أن يسيدهن مغرم بهن ولا يمكنه مفـ ـارقتهن فقال المأمون خذ معك إلى سيدهن في كل جارية عشرة آلاف دينار فيكون مبلغ ذلك الثمن ستين ألف دينـ ـار فاحملها صحبتك وتوجه إلى منزله واشترهن منه فأخذ محمد البصري منه ذلك القدر وتوجه به فلما وصـ ـل إلى سيد الجواري أخبره بأن أمير المؤمنين يريد اشتراءهن منه بذلك المبلغ فسمح ببيعهن لأجل خاطر أميـ ـر المؤمنين أرسلهن إليه فلما وصلت الجواري إلى أمير المؤمنين هيألهن مجساً لطيفاً وصار يجلس فيه معهـ ـن وينادمنه وقد تعجب من حسنهن وجمالهن واختلاف ألوانهن وحسن كلامهن وقد استمر على ذلك مـ ـدة مـ ـن الزمان ثم أن سيدهن الأول الذي باعهن لما لم يكن له صبر على فراقهن أرسل كتاباً إلـ ـى أميـ ـر المـ ـؤمنين المأمون يشكوا إليه فيه ما عنده للجواري من الصبابات ومن ضمنه هذه الأبيات:

سـ ـلبتني سـ ـت مـ ـلاح حسـ ـان فعلـ ـى السـ ـتة المـ ـلاح سـ ـلامي

هـ ـن سـ ـمعي ونـ ـاظري وحيـ ـاتي وشـ ـ ـرابي ونزهتـ ـ ـي وطعـ ـ ـامي

لسـ ـت أسـ ـلو مـ ـن حسـ ـنهن وصـ ـالاً ذاهـ ـب بعـ ـدهن طيـ ـب منـ ـامي

آه يـ ـا طـ ـول حسـ ـرتي وبكـ ـائي ليتنـ ـي مـ ـا خلقـ ـت بـ ـين الأنـ ـام

مـ ـن عيـ ـون قـ ـد زانهـ ـن جفـ ـون كقسـ ـ ـى رمينـ ـ ـي بسـ ـ ـهام

فلما وقع ذلك الكتاب في يد الخليفة المأمون كسا الجواري من الملابس الفاخرة وأعطاهن ستين ألـ ـف دينار وأرسلهن إلى سيدهن فوصلن إليه وفرح بهن غاية الفرح أكثر مما أتى إليه من المال وأقام معهن فـ ـي أطيب عيش وأهناه إلى أن أتاهم حازم اللذات ومفرق الجماعات.

حكاية وردان الجزار

(ومما) يحكي أنه كان في زمن الحاكم بأمر الله رجل بمصر يسمى وردان وكان جـ ـزاراً فـ ـي اللحـ ـم الضاني وكانت امرأة تأتيه كل يوم بدينار يقارب وزنه وزن دينارين ونصف من الدنانير المصرية وتقول له أعطني خروفاً وتحضر معها حمالاً بقفص فيأخذ منها الدينار ويعطيها خروفاً فيحمله الحمال وتأخذه وتـ ـروح به إلى مكانها وفي ثاني يوم وقت الضحى تأتي وكان ذلك الجزار يكتسب منها كل يوم ديناراً وأقامـ ـت مـ ـدة طويلة على ذلك فتفكر وردان الجزار ذات يوم في أمرها وقال في نفسه هذه المرأة كل يـ ـوم تشـ ـتري منـ ـي بدينار ولم تغلط يوماً واحداً وتشتري مني بدراهم فهذا أمر عجيب ثم أن وردان سأل الحمال في غيبة المـ ـرأة فقال له أنا في غاية العجب منها فإنها كل يوم تحملني الخروف من عندك وتشتري حوائج الطعام والفاكهـ ـة والشمع والنقل بدينار آخر وتأخذ من شخص نصراني مروقتين نبيذاً وتعطيه ديناراً وتحملني الجميع وأسـ ـير معها إلى بساتين الوزير ثم تعصب عيني بحيث أني لا أنظر موضعاً من الأرض أحط فيه قدمي وتأخذ بيدي فما أعرف أين تذهب بي ثم تقول حط هنا وعندها قفص آخر فتعطيني الفارغ ثم تمسك يدي وتعود بي إلـ ـى الموضع الذي شدت عيني فيه بالعصابة فتحلها وتعطيني عشرة دراهم فقال له الجزار كان الله فـ ـي عونـه ـا ولكن ازداد فكراً في أمرها وكثرت عنده الوساوس وبات في قلق عظيم ثم قال وردان الحزار فلما أصـ ـبحت

أتتني على العادة وأعطتني الدينار وأخذت الحروف وحملته للحمال وراحت فاوصيت صبيي عل ى ال دكان وتبعتها بحيث لا تراني وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٧٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن وردان الجزار قال فأوصيت صبيي على الدكان وتبعته ا بحي ث لا تراني ولم أزل أعاينها إلى أن خرجت من مصر وأنا أتوارى خلفها حتى وصلت إلى بساتين الوزير فاختفيت حتى عصبت عيني الحمال وتبعتها من مكان إلى مكان إلى أن أتت الجبل فوصلت إلى مكان فيه حجر كبي ر وحطت القفص عن الحمال فصبرت إلى أن عادت بالجمال ورجعت ونزعت جميع ما كان في القفص وغابت ساعة فاتيت إلى ذلك الحجر فزحزحته ودخلت فوجدت خلفه طابقاً من نحاس مفتوحاً ودرجاً نازلة فنزلت في تلك الدرج قليلاً قليلاً حتى وصلت إلى دهليز طويل كثير النور فمشيت فيه حتى رأيت هيئة ه ب اب قاع ة فارتكنت في زوايا الباب فوجدت صفة بها سلالم خارج باب القاعة فتعلقت فيها فوجدت صفة صد غيرة به ا طاقة تشرف على قاعة فنظرت في القاعة وجدت المرأة قد أخذت الخروف وقطعت منه مطايبه وعملت ف ي قدر ورمت الباقي قدام دب كبير عظيم الخلقة فأكله عن آخره وهي تطبخ فلما فرغت أكلت كفايتها ووضعت الفاكهة والنقل وحطت النبيذ وصارت تشرب بقدح وتسقى الدب بطاسة من ذهب حتى حصل لها نشوة السكر فنزعت لباسها ونامت فقام الدب وواقعها وهي تعاطيه من أحسن ما يكون لبنى آدم حتى فرغ وجلس ثم وثب إليها وواقعها ولما فزع جلس واستراح ولم يزل كذلك حتى فعل ذلك عشر مرات ثم وقع كل منهم ا مغش ياً عليه وصارا لا يتحركان فقلت في نفسي هذا وقت انتهاز الفرصة فنزلت ومعي سكين تبري العظم قبل اللحم فلما صرت عندهما وجدتهما لا يتحرك فيهما عرق لما صح لهما من المشقة فجعلت السكين في منحر ال دب واتكأت عليه حتى خلصته وانعزلت رأسه عن بدنه فصار له شخير عظيم مثل شخير الرعد فانتبهت الم رأة مرعوبة فلما رأت الدب مذبوحاً وأنا واقف والسكين في يدي زعقت زعقة عظيمة حتى ظننت أن روحها ق د خرجت وقالت لي يا وردان أيكون هذا جزاء الإحسان فقلت لها يا عدوة نفسها هل عدمت الرجال حتى تفعلي الفعل الذميم فاطرقت رأسها إلى الأرض لا ترد جواباً وتأملت الدب وقد نزعت رأسه عن جثته ثم قالت ي ا ورد أن أي شيء أحب إليك أن تسمع الذي أقوله لك ويكون سبباً لسلامتك وأدرك شهرزاد الصباح فس كتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٧٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن المرأة قالت يا وردان أي شيء أحب إليك أن تسمع الذي أقول ه ل ك ويكون سبباً لسلامتك وغناك إلى آخر الدهر أو تخالفني ويكون سبباً لهلاكك قلت اخت ار أن أسد مع كلام ك فحدثيني بما شئت فقالت أذبحني كما ذبحت هذا الدب وخذ من هذا الكنز حاجتك وتوجه إلى حال سبيلك فقلت لها أنا خير من هذا الدب فارجعي إلى الله تعالى وتوبي وأتزوج بك ونعيش باقي عمرنا بهذا الكنز قالت أي ا وردان أن هذا بعيد كيف أعيش بعده والله أن لم تذبحني لا تلفن روحك فلا تراجعني تتلف وهذا ما عندي من الرأي والسلام فقلت أذبحك وتروحين لي لعنة الله ثم جذبتها من شعرها وذبحته ا وراح ت إل ى لعن ة الله والملائكة والناس أجمعين وبعد ذلك نظرت في المحل فوجدت فيه من الذهب والفصوص واللؤلؤ مالا يق در

على جمعه أحد من الملوك فأخذت قفص الحمال وملأته على قدر ما أطيق ثم سترته بقماشي الذي كان علـ ى وحملته وطلعت من الكنز وسرت ولم أزل سائراً إلى باب مصر وإذا بعشرة من جماعـ ـة الحـ ـاكم بـ ـأمر الله مقبلون والحاكم خلفهم فقال يا وردان قلت لبيك أيها الملك قال هل قتلت الدب والمرأة قلت نعم قال حط عـ ـن رأسك وطب نفساً فجميع ما معك من المال لك لا ينازعك أحد فحطيت القفص بين يديه فكشـ ـفه ورآه وقـ ـال حدثني بخبرهما وإن كنت أعرفه كأنني حاضر معكم فحدثته بجميع ما جرى وهو يقول صدقت فقال يا وردان قم سر بنا فتوجهت إليه معه فوجدت الطابق مغلقاً فقال ارفعه يا وردان فإن هذا الكنز لا يقدر أحد أن يفتحـ ـه غيرك فإنه مرصود بإسمك وصفتك فقلت والله لا أطيق فتحه فقال تقدم أنت على بركـ ـة الله فتقـ ـدمت إليـ ـه وسميت الله تعالى ومددت يدي إلى الطابق فارتفع كأنه أخف ما يكون فقال الحاكم انزل واطلع ما فيه فإنه لا ينزله إلا من هو بأسمك وصورتك وصفاتك من حين وضع وقتل هذا الدب وهذه المرأة علـ ـى يـ ـديك وهـ ـو عندي مؤرخ وكنت أنتظر وقوعه حتى وقع قال وردان فنزلت ونقلت له جميع ما في الكنز ثم دعا بالـ ـدواب وحمله وأعطاني قفصي بما فيه فأخذته وعمدت إلى بيتي وفتحت لي دكاناً في السوق وهذا السوق موجود إلى الآن ويعرف بسوق وردان.

(حكاية تتضمن داء غلبة الشهوة في النساء ودواءها)

(ومما) يحكى أيضاً أنه كان لبعض السلاطين ابنة وقد تعلق قلبها بحب عبد أسـ ـود فـ ـافتض بكارتهـ ـا وأولعت بالنكاح فكانت لا تصبر عنه ساعة واحدة فكشفت أمرها إلى بعض القهرمانات فأخبرتها أنه لا شيء ينكح أكثر من القرد فاتفق أن قرد آتياً مر تحت طاقتها بقرد كبير فأسفرت عن وجهها ونظرت إلـ ـى القـ ـرد وغمزته بعيونها فقطع القرد وثاقه وسلاسله وطلع لها فخبأته في مكان عندها وصار ليلاً ونهاراً علـ ـى أكـ ـل وشرب جماع ففطن أبوها بذلك وأراد قتلها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٧٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن السلطان لما فطن بامر ابنته وأراد قتلها شعرت بذلك فتزيـ ـت بـ ـزي المماليك وركبت فرساً وأخذت لها بغلاً وحملته من الذهب والمعادن والقماش مالا يوصف وحملت القرد معها وسارت حتى وصلت إلى مصر فنزلت في بعض بيوت الصحراء وصارت كل يوم تشتري لحماً من شـ ـاب جزار ولكن لا تأتيه إلا بعد الظهر وهي مصفرة اللون متغيرة الوجه فقال الشاب في نفسه لابد لهذا المملـ ـوك من سبب عجيب فلما جاءت على العادة وأخذت اللحم تبعها من حيث لا تراه قال ولم أزل خلفها من حيث لا تراني من محل إلى محل حتى وصلت إلى مكانها الذي بالصحراء ودخلت هناك فنظرت إليها مـ ـن بعـ ـض جهاته فرأيتها استقرت بمكانها وأوقدت النار وطبخت اللحم وأكلت كفايتها وقدمت باقية إلى القرد الذي معهـ ـا فأكل كفايته ثم أنها أحضرت خمراً وشربت منه وسقت القرد ثم واقعها القرد نحو عشر مرات حتـ ـى غشـ ـي عليها وبعد ذلك نشر القرد عليها ملاءة من حرير وراح إلى محله فنزلت إلى وسط المكان فأحس بي القـ ـرد وأراد افتراسي فبادرته بسكين كانت معي ففريت بها كرشه فانتبهت الصبية فزعة مرعوبة فرأت القرد علـ ـى هذه الحالة فصرخت صرخة عظيمة حتى كادت أن تزهق روحها ثم وقعت مغشياً عليها فلمـ ـا أفاقـ ـت مـ ـن غشيتها قالت لي ما حملك على ذلك ولكن بالله عليك أن تلحقني به فلا زلت ألاطفها وأضمن لها أني أقوم بما

قام القرد من كثرة النكاح إلى أن سكن روعها وتزوجت بها فعجزت عن ذلك ولم أصبر عليه فشكوت حـ الي إلى بعض العجائز وذكرت لها ما كان من أمرها فالتزمت لي بتدبير هذا الأمر وقالت لي لابد أن تأتيني بقدر وتملأه من الخل البكر وتأتيني بقدر رطل من العود القرح فأتيت لها بما طلبته فوضعته في القدر ووضـ عت القدر على النار وغلته غلياناً قوياً ثم أمرتني بنكاح الصبية فنكتها إلى أن غشي عليها فحملتها العجوز وهي لا تشعر وألقت فرجها على فم القدر فصعد دخانه حتى دخل فرجها فنزل منه شيء فتأملته فإذا هـ و دود تـ ان أحادهما سوداء والأخرى صفراء فقالت العجوز الأولى تربت من نكاح العبد والثانية من نكاح القـ رد فلمـ ا أفاقت من غشيتها استمرت معي مدة وهي لا تطلب النكاح وقد صرف الله عنها تلك الحالة وتعجبت من ذلك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٧٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشاب قال وقد صرف الله عنها تلك الحالة وتعجبت من ذلك فأخبرتها بالقصة واستمرت معه في أرغد عيش وأحسن لذة واتخذت عندها العجوز مكان والدتها ومـ ا زالـ ت هـ ي وزوجها والعجوز في هناء وسرور إلى أن أتاهم هازم اللذات ومفرق الجماعات فسبحان الحي الذي لا يموت وبيده الملك والملكوت.

(حكاية الحكماء أصحاب الطاووس والبوق والفرس)

ومما يحكي أنه كان قديم الزمان ملك عظيم ذو خطر جسيم وكان له ثلاث بنات مثل البـ دور السـ افرة والرياض الزاهرة وولد ذكر كأنه القمر فبينما الملك جالس على كرسي مملكته يوماً من الأيام إذ دخل عليـ ه ثلاثة من الحكماء مع أحدهم طاووس من ذهب ومع الثاني بوق من نحاس ومع الثالث فرس من عاج وآبنوس فقال لهم الملك ما هذه الأشياء وما منفعتها فقال صاحب الطاووس أن منفعة هذا الطاووس أنه كلمـ ا مضـ ت ساعة من ليل أو نهار يصفق بأجنحته ويزعق وقال صاحب البوق أنه إذا وضع هذا البوق على باب المدينـ ة يكون كالمحافظ عليها فإذا دخل في تلك المدينة عدو يزعق عليه هذا البوق فيعرف ويمسك باليد وقال صاحب الفرس يا مولاي أن منفعة هذا الفرس أنه إذا ركبها إنسان توصله إلى أي بلاد أراد فقال الملك لا أنعم عليـ ك حتى أجرب منافع هذه الصور ثم أنه جرب الطاووس فوجده كما قال صاحبه وجرب البوق فوجده كما قـ ال صاحبه فقال الملك للحكيمين تمنياً على فقالا تتمنى عليك أن تزوج كل واحد منا بنتامن بناتك ثم تقدم الحكـ يم الثالث صاحب الفرس وقبل الأرض بين يدي الملك وقال له يا ملك الزمان أنعم علـ ى كمـ ا أنعمـ ت علـ ى أصحابي فقال له الملك حتى أجرب ما أتيت به فعند ذلك تقدم أبن الملك وقال يا والدي أنا أركب هذه الفـ رس وأجربها وأختبر منفعتها فقال الملك يا ولدي جربها كما تحب فقام ابن الملك وركب الفرس وحرك رجليه فلم يتحرك من مكانها فقال يا حكيم أين الذي ادعيته من سيرها فعند ذلك جاء الحكيم إلى ابن الملك وأراه لولـ ب الصعود وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٧٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الحكيم عرف ابن الملك لولب الصعود وقال له أفـ رك هـ ذا اللولـ ب ففركه ابن الملك وإذا بالفرس قد تحرك وطار بابن الملك إلى عنان السماء ولم يزل طائراً به حتى غاب عن

الأعين فعند ذلك احتار ابن الملك في أمره وندم على ركوبه الفرس ثم قال أن الحكيم قد عمل حيلة على هلاكي فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ثم أنه جعل يتأمل في جميع أعضاء الفرس فبينما هو يتأمل فيها إذ نظر لشيء مثل رأس الديك على كتف الفرس الأيمن وكذلك الأيسر فقال ابن الملك ما أرى فيه أثراً غير هذين الزرين ففرك الزر الذي على الكتف الأيمن فازدادت به الفرس طيراناً طالعة إلى الجو فتركه ثم نظر إلى الكتف الأيسر فرأى ذلك الزر ففركه فتناقصت حركات الفرس من الصعود إلى الهبوط ولم تزل هابطة به إلى الأرض قليلاً قليلاً وهو محترس على نفسه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٨٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن ابن الملك لما فرك الزر الأيسر تناقصت حركات الفرس من الصعود إلى الهبوط ولم تزل هابطة إلى الأرض قليلاً قليلاً وهو محترس على نفسه فلما نظر ابن الملك ذلك وعرف منافع الفرس امتلأ قلبه فرحاً وسروراً وشكر الله تعالى على ما أنعم به عليه حيث أنقذه من الهلاك ولم يزل هابطاً طول نهاره لأنه كان حال صعوده بعدت عنه الأرض وجعل يدير وجه الفرس كما يريد وهي هابطة به وإذا نزل بها وإذا شاء طلع بها فلما تم له من الفرس ما يريد أقبل بها إلى جهة الأرض وصار ينظر إلى ما فيها من البلاد والمدن التي لا يعرفها لأنه لم يرها طول عمره وكان من جملة ما رآه مدينة مبنية بأحسن البنيان وهي في وسط أرض خضراء ناضرة ذات أشجار وأنهار فتفكر في نفسه وقال يا ليت شعري ما اسم هذه المدينة وفي أي الأقاليم هي ثم أنه جعل يطوف حول تلك المدينة ويتأملها يميناً وشمالاً وكان النهار قد ولى ودنت الشمس للمغيب فقال في نفسه أني لا أجد موضعاً للمبيت أحسن من هذه المدينة فأنا أبيت فيها هذه الليلة وعند الصباح أتوجه على أهلي ومحل ملكي واعلم أهلي ووالدي بما جرى لي وأخبره بما نظرت عيناي وصار يفتش على موضع يأمن فيه على نفسه وعلى فرسه ولا يراه أحد فبينما هو كذلك وإذا به قد نظر في وسط المدينة قصراً شاهقاً في الهواء وقد أحاط بذلك القصر سور متسع بشرافات عاليات فقال ابن الملك في نفسه أن هذا الموضع مليح وجعل يحرك الزر الذي يهبط به الفرس ولم يزل هابطاً به حتى نزل مستوياً على سطح القصر ثم نزل من فوق الفرس وحمد الله تعالى وجعل يدور حول الفرس ويتأملها ويقول والله أن الذي عملك بهذه الصفة لحكيم ماهر فإن مد الله تعالى في أجلي وردني إلى بلادي وأهلي سالماً وجمع بيني وبين والدي لأحسنن إلى هذا الحكيم كل الإحسان ولا نعمن عليه غاية الإنعام ثم جلس فوق سطح القصر حتى علم أن الناس قد ناموا وكان قد أضربه الجوع والعطش لأنه منذ فارق والده لم يأكل طعاماً فقال في نفسه أن مثل هذا القصر لا يخلوا من الرزق فترك الفرس في مكان ونزل يتمشى لينظر شيء يأكله فوجد سلماً فنزل منه إلى أسفل فوجد ساحة مفروشة بالرخام فتعجب من ذلك المكان ومن حسن بنيانه لكنه لم يجد في ذلك القصر حس حسيس ولا أنس أنيس فوقف متحيراً وصار ينظر يميناً وشمالاً وهو لا يعرف أين يتوجه ثم قال في نفسه ليس لي أحسن من أن أرجع إلى المكان الذي فيه فرسي وأبيت عندها فإذا أصبح الصباح ركبتها وسرت وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٨١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن ابن الملك قال في نفسه ليس لي أحسن من البيات عند فرسـ ـي فـ إذا أصبح الصباح ركبتها وسرت فبينما هو واقف يحدث نفسه بهذا الكلام إذ نظر إلى نور مقبل إلى ذلك المحـ ـل الذي هو فيه فتأمل ذلك النور فوجده مع جماعة من الجواري وبينهن صبية الفية بهية تحاكي البـ ـدر الزاهـ ـر كما قال فيها الشاعر:

جاءت بلا موعـ ـد فـ ـي ظلمـ ـة الغسـ ـق	كأنهـ ـا البـ ـدر فـ ـي داج مـ ـن الأفـ ـق
هيفاء ما فـ ـي البرايـ ـا مـ ـن يشـ ـابهها	في بهجة الحسن أوفـ ـى رونـ ـق الخلـ ـق
ناديـ ـت لمـ ـا رأت عينـ ـي محاسـ ـنها	سبحان من خلـ ـق الإنسـ ـان مـ ـن علـ ـق
أعيـ ـذها مـ ـن عيـ ـون النـ ـاس كلهـ ـم	بقـ ـل أعـ ـوذ بـ ـرب النـ ـاس والفلـ ـق

وكانت تلك الصبية بنت ملك هذه المدينة وكان أبوها يحبها حباً شديداً ومن محبته أياها بنى لهـ ـا هـ ـذا القصر فكانت كلما ضاق صدرها تجيء إليه وجواريها تقيم فيه يوماً أو يومين أو أكثر ثم تعود إلى سـ ـرايتها فاتفق أنها قد أتت تلك الليلة من أجل الفرجة والانشراح وصارت ماشية بين الجواري ومعها خادم مقلد بسيف فلما دخلوا ذلك القصر فرشوا الفرش وطلقوا مجامر البخور ولعبوا وانشرحوا فبينما هم في لعب وانشراح إذ هجم ابن الملك على ذلك الخادم ولطمه لطمة فبطحه وأخذ السيف من يده وهجم على الجواري اللاتي مع ابنة الملك فشتتهم يميناً وشمالاً فلما نظرت ابنة الملك إلى حسنه وجماله قالت لعلك أنت الذي خطبتني من والـ ـدي بالأمس وردك وزعم أنك قبيح المنظر والله لقد كذب أبي كيف قال ذلك الكلام فما أنت إلا مليح وكـ ـان ابـ ـن ملك الهند قد خطبها من أبيها فرده لأنه كان بشع المنظر فظننت أنه هو الذي خطبها ثم أقبلت عليه وعانقتـ ـه وقبلته ورقدت هي وإياه فقالت لها الجواري يا سيدتي هذا ما هو الذي خطبك من أبيك لأن ذاك قبـ ـيح وهـ ـذا مليح وما يصلح الذي خطبك من أبيك ورده أن يكون خادماً لهذا ولكن يا سيدتي أن هذا الفتى له شأن عظـ ـيم ثم توجهت الجواري إلى الخادم المبطوح وأيقظته فوثب مرعوباً وفتش على سيفه قام يجده بيده فقالـ ـت لـ ـه الجواري الذي أخذ سيفك وبطحك جالس مع ابنة الملك وكان ذلك الخادم قد وكله الملك بالمحافظة على ابنتـ ـه خوفاً عليها من نوائب الزمان وطارق الحدثان فقام ذلك الخادم وتوجه إلى الستر ورفعه فرأى ابنـ ـة الملـ ـك جالسة مع ابن الملك وهما يتحدثان فلما نظرهما الخادم قال لابن الملك يا سيدي هل أنت أنسي أو جني فقـ ـال له ابن الملك ويلك يا أنجس العبيد كيف تجعل أولاد الملوك الأكاسرة من الشياطين الكافرة ثم أنه أخذ السيف بيده وقال له أنا صهر الملك وقد زوجني بابنته وأمرني بالدخول عليها فلما سمع الخادم منه ذلك الكلام قال له يا سيدي إن كنت من الأنس كما زعمت فإنها ما تصلح إلا لك وأنت أحق بها من غيرك ثم أن الخادم توجـ ـه إلى الملك وهو صارخ وقد شق ثيابه وحثا التراب على رأسه فلما سمع الملك صياحه قال له ما الذي دهـ ـاك فقد أرجفت فؤادي أخبرني بسرعة وأوجز في الكلام فقال له أيها الملك أدرك ابنتك فإنها قد اسـ ـتولى عليهـ ـا شيطان من الجن في زي الأنس مصور بصورة أولاد الملوك فدونك وإياه فلما سمع الملك منه هذا الكلام هم بقتله وقال له كيف تغافلت عن ابنتي حتى لحقها هذا العارض ثم أن الملك توجه إلى القصر الذي فيـ ـه ابنتـ ـه فلما وصل إليه وجد الجواري قائمات فقال لهن ما الذي جرى لابنتي قلن له أيها الملك بينما نحـ ـن جالسـ ـات

معها فلم نشعر إلا وقد هجم علينا هذا الغلام الذي كانه بدر التمام ولم نر أحسن منه وجهاً وبيده سيف مسلول فسألناه عن حاله فزعم أنك قد زوجته ابنتك ونحن لا نعلم شيئاً غير هذا ولا نعرف هل هو أنسي أو جني ولكنه عفيف أديب لا يتعاطى القبيح فلما سمع الملك مقالتهن برد ما به ثم أنه رفع الستر قليلاً قليلاً ونظر فرأى ابن الملك جالساً مع ابنته يتحدثان وهو في أحسن التصوير ووجهه كالبدر المنير فلم يقدر الملك أن يمسك نفسه من غيرته على ابنته فرفع الستر ودخل وبيده سيف مسلول وهجم عليها كأنه الغول فلما نظره ابن الملك قال لها أهذا أبوك قالت نعم. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٨٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك لما رأى الملك بيده سيف مسلول وقد هجم عليها كأنه الغول قال لها أهذا أبوك قالت نعم فعند ذلك وثب قائماً على قدميه وتناول سيفه بيديه وصاح على الملك صيحة منكرة فأدهشته وهم أن يحمل عليه بالسيف فعلم الملك أنه أوثب منه فأغمد سيفه ثم وقف حتى انتهى إليه ابن الملك فقابله بملاطفة وقال يا فتى هل أنت أنسي أم جني فقال له ابن الملك لولا أني أرعى ذمامك وحرمة ابنتك لسفكت دمك كيف تنسبني إلى الشياطين وأنا من أولاد الملوك الأكاسرة الذين لو شاء وأخذوا ملكك وزلزلوك عن عزل وسلطانك وسلبوا عنك جميع ما في أوطانك فلما سمع الملك كلامه هابه وخاف على نفسه منه وقال له أن كنت من أولاد الملوك كما زعمت فكيف دخلت قصري بغير أذني وهتكت حرمتي ووصلت إلى بنتي وزعمت أنك بعلها وادعيت أن قد زوجتك بها وأنا قد قتلت الملوك وأبناء الملوك حين خطبوها مني ومن ينجيك من سطوتي وأنا إن صحت على عبيدي وغلماني وأمرتهم بقتلك قتلوك في الحال فمن يخلصك من يدي فلما سمع ابن الملك منه ذلك الكلام قال للملك أني لا عجب منك ومن قلة بصيرتك هل تطمع لأبنتك في بعل أحسن مني وهل رأيت أحداً أثبت جناناً وأكثر مكافأة وأعز سلطاناً وجنوداً وأعواناً مني فقال له الملك لا والله ولكن وددت يا فتى أن تكون خاطباً لها على رؤوس الأشهاد حتى أزوجك بها وأما إذا زوجتك بها خفية فإنك تفضحني فيها فقال له ابن الملك لقد أحسنت في قولك ولكن أيها الملك إذا اجتمعت عبيدك وخدمك وجنودك على وقتلوني كما زعمت فإنك تفضح نفسك وتبقى الناس فيك بين مصدق ومكذب ومن الرأي عندي أن ترجع أيها الملك إلى ما أشير به عليك فقال له الملك هات حديثك فقال له ابن الملك الذي أحدثك به أما أن تبارزني أنا وأنت خاصة فمن قتل صاحبه كان أحق وأولى بالملك وأما أن تتركني في هذه الليلة وإذا كان الصباح فأخرج إلى عسكرك وجنودك وغلمانك وأخبرني بعدتهم فقال له الملك أن عدتهم أربعون ألف فارس غير العبيد الذين لي وغير أتباعهم وهم مثلهم في العدد فقال ابن الملك إذا كان طلوع النهار فأخرجهم إي وقل لهم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٨٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن ابن الملك قال له إذا كان طلوع النهار فأخرجهم إلي وقل لهم هذا خطب مني ابنتي على شرط أن يبارزكم جميعاً وادعي أنه يغلبكم ويقهركم وأنكم لا تقدرون عليه ثم أتركني معهم أبارزهم فإذا قتلوني فذلك أخفى لسرك وأصون لغرضك وأن غلبتهم وقهرتهم فمثلي يرغب الملك في مصاهرته فلما سمع الملك كلامه استحسن رأيه وقبل رأيه مع ما استعظمه من قوله وما هاله من أمره في

عزمه على مبارزة جميع عسكره الذين وصفهم له ثم جلسا يتحدثان وبعد ذلك دعا الملك بالخادم وأم ره أن يخرج من وقته وساعته إلى وزيره ويأمره أن يجمع العساكر ويأمرهم بحمل أسلحتهم وأن يركب وا خيـ ولهم فسار الخادم إلى الوزير وأعلمه بما أمره به الملك فعند ذلك طلب الوزير نقباء الجيش وأكابر الدولة وأمرهم أن يركبوا خيولهم ويخرجوا لابسين آلات الحرب هذا ما كان من أمرهم (وأما) ما كان من أمر الملك فإنـ ـه مازال يتحدث مع الغلام حيث أعجبه حديث وعقله وأدبه فبينما هما يتحدثان وإذا بالصباح قد أصبح فقام الملك وتوجه إلى تخته وأمر جيشه بالركوب وقدم لابن الملك فرساً جيداً من خيار خيله فقال له لا يعجبني شيء من خيلك ولا أركب إلا الفرس التي جئت راكباً عليها فقال له الملك وأين فرسك فقال له هي فوق قصرك فقال له في أي موضع في قصري فقال على سطح القصر فلما سمع كلامه قال له هذا أول ما ظهر من خبالـ ـك يـ ـا ويلك كيف تكون الفرس فوق السطح ولكن في هذا الوقت يظهر صدقك من كذبك ثم أن الملك التفـ ـت إلـ ـى بعض خواصه وقال له أمض إلى قصري وأحضر الذي تجده فوق السطح فصار الناس متعجبين مـ ـن قـ ـول الفتى ويقول بعضهم لبعض كيف ينزل هذا الفرس من سلالم السطح أن هذا شيء ما سمعنا بمثله ثم أن الذي أرسله الملك إلى القصر صعد إلى أعلاه فرأى الفرس قائماً ولم ير أحسن منه فتقدم إليه وتأمله فوجـ ـده مـ ـن الأبنوس والعاج وكان بعض خواص الملك طلع معه أيضاً فلما نظروا على الفرس تضاحكوا وقـ ـالوا وعلـ ـى مثل هذا الفرس يكون ما ذكره الفتى فما ظنه إلا مجنوناً ولكن سوف يظهر لنا أمره وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٨٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن خواص الملك لما نظروا الفرس تضاحكوا وقالوا وعلـ ـى مثـ ـل هـ ـذا الفرس يكون ما ذكره الفتى فما أظنه إلا مجنونا ولكن سوف يظهر لنا أمره وربما يكون له شأن عظـ ـيم ثـ ـم أنهم رفعوا الفرس على أيديهم ولم يزالوا حاملين لها حتى وصلوا إلى قدام الملك وأوقفوها بين يديه فـ ـاجتمع عليها الناس ينظرون إليها ويتعجبون من حسن صنعتها وحسن سرجها ولجامها واستحسـ ـنها الملـ ـك أيضـ ـاً وتعجب منها غاية العجب ثم قال لابن الملك يا فتى أهذه فرسك فقال نعم أيها الملك هذه فرسي وسوف تـ ـرى منها العجب فقال له الملك خذ فرسك وأركبها قال لا أركبها إلا إذا بعد عنها العساكر فأمر الملـ ـك العسـ ـكر الذين حوله أن يبعدوا عنها مقدار رمية السهم فقال له أيها الملك ها أنا رائح أركب فرسي وأحمل على جيشك فأفرقهم يميناً وشمالاً وأصدع قلوبهم فقال له الملك أفعل ما تريد ولا تبق عليهم فإنهم لا يبقون عليـ ـك ثـ ـم أن ابن الملك توجه إلى فرسه وركبها واصطفت له الجيوش وقال بعضهم لبعض إذا وصل الغلام بين الصـ ـفوف نأخذه بأسنة الرماح وشفار الصفاح فقال واحد منهم والله أنها مصيبة كيف نقتل هذا الغلام صـ ـاحب الوجـ ـه المليح والقد الرجيح فقال واحد آخر والله لن تصلوا إليه إلا بعد أمر عظيم وما فعل الفتى هذه الفعال إلا لمـ ـا علم من شجاعة نفسه وبراعته فلما استوى ابن الملك على فرسه فرك لولب الصعود فتطاولت إليه الأبصـ ـار لينظروا ماذا يريدان يفعل فماجت فرسه واضطربت حتى عملت أغرب حركات تعملها الخيل وامتلأ جوفهـ ـا بالهواء ثم ارتفعت وصعدت إلى الجو فلما رآه الملك قد ارتفع وصعد نادي على جيشه وقال ويلكم خذوه قبل أن يفوتكم فعند ذلك قال له وزرائه ونوابه أيها الملك هل أحد يلحق الطير الطائر وما هذا إلا ساحر عظيم قد

نجاك الله منه فأحمد الله تعالى على خلاصك من يده فرجع الملك إلى قصره بعد ما رأى من بن الملك ما رأى ولما وصل إلى قصره ذهب إلى ابنته وأخبرها بما جرى له مع ابن الملك في الميدان فوجدها كثيرة التأسف عليه وعلى فراقها له ثم أنها مرضت مرضاً شديداً ولزمت الوساد فلما رآها أبوها على تلك الحالة ضمها إلى صدره وقبلها بين عينيها وقال لها يا ابنتي أحمدي الله تعالى وأشكريه حيث خلصنا من هذا الساحر الماكر وجعل يكرر عليها ما رآه من ابن الملك ويذكر لها صفة صعوده في الهواء وهي لا تصغى إلى شيء من قول أبيها واشتد بكاؤها ونحيبها ثم قالت في نفسها والله لا آكل طعاماً ولا أشرب شراباً حتى يجمع الله بيني وبينه فحصل لأبيها الملك هم عظيم من أجل ذلك وشق عليه حال ابنته وصار حزين القلب عليها وكلما يلاطفها لا تزداد إلا شغفاً به وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٨٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك صار حزين القلب على ابنته وكلما يلاطفها لا تزداد إلا شغفاً به هذا ما كان من أمر الملك وابنته (وأما) ما كان من أمر ابن الملك فإنه لما صعد في الجو اختلى بنفسه وتذكر حسن الجارية وجمالها وكان قد سأل أصحاب الملك عن اسم المدينة واسم الملك واسم بنته وكانت تلك المدينة مدينة صنعاء ثم أنه جد في السير حتى أشرف على مدينة أبيه ودار حول المدنية ثم توجه إلى قصر أبيه ونزل فوق السطح وترك فرسه هناك ونزل إلى والده ودخل عليه فوجده حزيناً كئيباً لأجل فراقه فلما رآه والده قام إليه واعتنقه وضمه إلى صدره وفرح به فرحاً شديداً ثم أنه لما اجتمع بوالده وسأله عن الحكيم الذي عمل الفرس وقال يا والدي ما فعل الدهر به فقال له والده لا بارك الله في الحكيم ولا في الساعة التي رأيته فيها لأنه هو الذي كان سبباً لفراقك منا وهو مسجون يا ولدي من يوم غبت عنا فأمر ابن الملك بالأفراج عنه وأخراجه من السجن وإحضاره بين يديه فلما حضر بين يديه خلع عليه وأحسن إليه غاية الإحسان إلا أنه لم يزوجه إبنته فغضب الحكيم من أجل ذلك غضباً شديداً وندم على ما فعل وعلم أن ابن الملك قد عرف سر الفرس وكيفية سيرها ثم أن الملك قال لابنه الرأي عندي أنك لا تقرب هذا الفرس بعد ذلك ولا تركبها أبداً بعد يومك هذا إنك لا تعرف أحوالها فأنت منها على غرور وكان ابن الملك حدث أباه بما جرى له مع ابنه الملك صاحب تلك المدينة وما جرى له مع أبيها فقال له أبوه لو أراد الملك قتلك لقتلك ولكن في أجلك تأخير ثم أن ابن الملك هاجت بلابله بحب الجارية ابنة الملك صاحب صنعاء فقام إلى الفرس وركبها وفرك لولب الصعود فطارت به في الهواء وعلت به إلى عنان السماء فلما أصبح الصباح افتقده أبوه فلم يجده فطلع إلى أعلى القصر وهو ملهوف فنظر إلى ابنه وهو صاعد في الهواء فتأسف على فراقه وندم كل الندم حيث لم يأخذ الفرس ويخفى أمره ثم قال في نفسه والله أن رجع إلى ولدي ما بقيت أخلي هذا الفرس لأجل أن يطمئن قلبي على ولدي ثم أنه عاد إلى بكائه ونحيبه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٨٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك عاد إلى بكائه ونحيبه من حزنه على ولده هذا ما كان من أمره (وأما) ما كان من أمر إبنه فإنه لم يزل سائراً في الجو حتى وقف على مدينة صنعاء ونزل في المكان الذي كان فيه أولاً ومشى مستخفياً حتى وصل إلى محل ابنة الملك فلم يجدها لا هي ولا جواريها ولا الخادم الذي

كان محافظاً عليها فعظم ذلك عليه ثم أنه دار يفتش عليها في القصر فوجدها في مجلس آخر غير محلها الذي اجتمع معها فيه وقد لزمت الوساد وحولها الجواري والدايات فدخل عليهن وسلم عليهن فلما سمعت الجارية كلامه قامت إليه واعتنقته وجعلته تقبله بين عينيه وتضمه إلى صدرها فقال لها يا سيدتي أوحشتيني هذه المدة فقالت له أنت الذي أوحشتني ولو طالب غيبتك عني لكنت هلكت بلا شك فقال لها يا سيدتي كيف رأيت حالي مع أبيك وما صنع بي ولولا محبتك يا فتنة العالمين لقتلته وجعلته عبرة للناظرين ولكن أحبه من أجلك فقالت له كيف تغيب عني وهل تطيب حياتي بعدك فقال لها أتطعيني وتصغي إلي قولي فقالت له قل ما شئت فإني أجيبك ما تدعوني إليه ولا أخالفك في شيء فقال لها سيري معي إلى بلادي وملكي فقالت له حباً وكرامة فلما سمع ابن الملك كلامها فرح فرحاً شديداً وأخذ بيدها وعاهدها بعهد الله تعالى على ذلك ثم صعد بها إلى أعلى سطح القصر وركب فرسه وأركبها خلفه ثم ضمها إليه وشدها شداً وثيقاً وحرك لولب الصعود الذي في كتف الفرس فصعدت بهما إلى الجو فعند ذلك زعقت الجواري وأعلمن الملك أباها وأمها فصعدا مبادرين إلى سطح القصر والتفت الملك إلى الجو فرأى الفرس الآبنوس وهي طائرة بهما في الهواء فعند ذلك انزعج الملك وزاد انزعاجه وقال يا ابن الملك سألتك بالله أن ترحمني وترحم زوجتي ولا تفرق بيننا وبين بنتنا فلم يجبه ابن الملك ثم أن ابن الملك ظن في نفسه أن الجارية ندمت على فراق أمها وأبيها فقال لها يا فتنة الزمان هل لك أن أردك إلي أمك وأبيك فقالت له يا سيدي والله ما مرادي ذلك أنما مرادي أن أكون معك أينما تكون لأنني مشغولة بمحنتك عن كل شيء حتى أبي وأمي فلما سمع ابن الملك كلامها فرح بذلك فرحاً شديداً وجعل يسير الفرس بهما سيراً لطيفاً لكيلا يزعجها ولم يزل يسير بها حتى نظر إلى مرج أخضر وفيه عين جارية فنزلا هناك وأكلا وشربا ثم أن ابن الملك ركب فرسه وأردفها خلفه وأوثقها بالرباط خوفاً عليها وسار بها ولم يزل في الهواء حتى وصل إلى المدينة أبيه فاشتد فرحه ثم أراد أن يظهر للجارية محل سلطانه وملك أبيه ويعرفها أن ملك أبيه أعظم من ملك أبيها فأنزلها في بعض البساتين التي يتفرج فيها والده وأدخلها في المقصورة المعدة لأبيه وأوقف الفرس الآبنوس على باب تلك المقصورة وأوصى الجارية بالمحافظة على الفرس وقال لها اقعدي ههنا حتى أرسل إليك رسولي فإني متوجه إلى أبي لأجل أيهيء لك قصراً وأظهر لك ملكي ففرحت الجارية عندما سمعت منه هذا الكلام وقالت له افعل ما تريد. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٨٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية فرحت عندما سمعت من ابن الملك هذا الكلام وقالت له افعل ما تريد ثم خطر ببالها أنها لا تدخل إلا بالتبجيل والتشريف كما يصلح لأمثالها ثم أن ابن الملك تركها وسار حتى وصل إلى المدينة ودخل على أبيه فلما رآه أبوه فرح بقدومه وتلقاه ورحب به ثم أن ابن الملك قال لوالده اعلم أنني قد أتيت ببنت الملك التي كنت أعلمتك بها وقد تركتها خارج المدينة في بعض البساتين وجئت أعلمك بها لأجل أن تهيء الموكب وتخرج لملاقتها وتظهر لها ملكك وجنودك وأعوانك فقال له الملك حباً وكرامة ثم أمر من وقته وساعته أهل المدينة أن يزينوا المدينة أحسن زينة وركب في أكمل هيئة وأحسن زينة هو وجميع عساكره وأكابر دولته وسائر مملكته وخدمه وأخرج ابن الملك من قصره الحلي والحلل وما

تدخره الملوك وهيأ لها عمارة من الديباج الأخضر والأحمر والأصفر وأجلس على تلك العمارة الجواري الهنديات والروميات والحبشيات وأظهر من الذخائر شيئاً عجيباً ثم أن ابن الملك ترك العمارة بمن فيها وسبق إلى البستان ودخل المقصورة التي تركها فيها وفتش عليها فلم يجدها ولم يجد الفرس فعند ذلك لطم على وجهه ومزق ثيابه وجعل يطوف في البستان وهو مدهوش العقل ثم بعد ذلك رجع إلى عقل وقال في نفسه كيف علمت بسر هذا الفرس وأنا لم أعلمها بشيء من ذلك ولعل الحكيم الفارسي الذي عمل الفرس قد وقع عليها وأخذها جزاء بما عمله والدي معه ثم ابن الملك طلب حراس البستان وسألهم عمن مر بهم وقال لهم هل نظر تم أحد أمر بكم ودخل هذا البستان فقالوا ما رأينا أحداً دخل البستان سوى الحكيم الفارسي فإنه دخل ليجمع الحشائش النافعة فلما سمع كلامهم صح عنده أن الذي أخذ الجارية هو ذلك الحكيم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٨٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك لما سمع كلامهم صح عنده أن الذي أخذ الجارية هو ذلك الحكيم وكان بالأمر المقدر أن ابن الملك لما ترك الجارية في المقصورة التي في البستان وذهب إلى قصر أبيه لهيء أمره دخل الحكيم الفارسي البستان ليجمع شيئاً من الحشيش النافع فشم رائحة المسك والطيب التي عبق منها المكان وكان ذلك الطيب من رائحة ابنة الملك فقصد الحكيم صوت تلك الرائحة حتى وصل إلى تلك المقصورة فرأى الفرس التي صنعه بيده واقف على باب المقصورة فلما رأى الحكيم الفرس امتلأ قلبه فرحاً وسروراً لأنه كان كثير التأسف على الفرس حيث خرجت من يده فتقدم إلى الفرس وافتقد جميع أجزائها فوجدها سالمة ولما أراد أن يركبها ويسير قال في نفسه لابد أن انظر إلى ما جاء به ابن الملك وتركه مع الفرس ههنا فدخل المقصورة فوجد الجارية جالسة وهي كالشمس الضاحية في السماء الصافية ثم توجه إلى المدينة ليجيء لها بموكب ويدخلها المدينة فقالت له من أنت فقالت لها يا سيدتي أنا رسول ابن الملك قد أرسلني إليك وأمرني أن أنقلك إلى بستان آخر قريب من المدينة فلما سمعت الجارية منه ذلك الكلام دخل في عقلها وصدقته وقامت معه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٨٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الحكيم الفارسي لما أخبر الجارية بأحوال ابن الملك صدقت كلامه ودخل في عقلها وقامت معه ووضعت يدها في يده ثم قالت له يا والدي ما الذي جئت لي به معك حتى أركبه فقال يا سيدتي الفرس التي جئت عليها تركبينها فقالت له لنا لا أقدر على ركوبها وحدي فتبسم الحكيم عندما سمع منها ذلك وعلم أنه قد ظفر بها فقال لها أنا أركب معك بنفسي ثم ركب وأركب الجارية خلفه وضمها إليه وضد وثاقها وهي لا تعلم ما يريد بها ثم أنه حرك لولب الصعود فامتلأ جوف الفرس بالهواء وتحركت وماجت ثم ارتفعت صاعدة إلى الجو ولم تزل سائرة بهما حتى غابت عن المدينة فقالت له الصبية يا هذا ابن الذي قلته عن ابن الملك حيث زعمت أنه أرسلك إلي فقال لها الحكيم قبح الله ابن الملك فإنه خبيث لئيم فقالت له يا ويلك كيف تخالف أمر مولاك فيما أمرك به فقال لها ليس هو مولاي فهل تعرفين من أنا فقالت له لا أعرفك إلا بما عرفتني به عن نفسك فقال لها أنما كان أخباري لك بهذا الخبر حيلة مني عليك وعلى ابن

الملك ولقد كنت متأسفاً طول عمري على هذه الفرس التي تحتك فإنها صناعتي وكان استولى عليها والآن قد ضفرت بها وبك أيضاً وقد أحرقت قلبه كما أحرق قلبي ولا يتمكن منها بعد ذلك أبداً فطبي قلباً وقري عيناً فأنا لك أنفع منه فلما سمعت الجارية كلامه لطمت على وجهها ونادت يا أسفاه لا حصلت حبيبي ولا بقيت عند أبي وأمي وبكت بكاء شديداً على ما حل بها ولم يزل الحكيم سائراً بها إلى بلاد الروم حتى نزل بها في مرج أخضر ذي أنهار وأشجار وكان ذالك المرج بالقرب من مدينة وفي تلك المدينة ملك عظيم الشأن فاتفق في ذلك اليوم أن ملك تلك المدينة خرج إلى الصيد والنزهة فجاز على ذلك المرج فرأى الحكيم واقفاً والفرس والجارية بجانبه فلم يشعر الحكيم إلا وقد هجم عليه عبيد الملك وأخذوه هو والجارية والفرس وأوقفوا الجميع بين يدي الملك فلما نظر إلى قبح منظره وبشاعته ونظر إلى حسن الجارية وجمالها قال لها يا سيدتي ما نسبة هذا الشيخ منك فبادر الحكيم بالجواب وقال هي زوجتي وابنة عمي فكذبته الجارية عندما سمعت قوله وقالت أيها الملك والله لا أعرفه ولا هو بعلي بل أخذ نيس قهراً بالحيلة فلما سمع الملك مقالها أمر بضربه فضربوه حتى كاد أن يموت ثم أمر الملك أن يحملوه إلى المدينة ويطرحوه في السجن ففعلوا به ذلك ثم أن الملك أخذ الجارية والفرس منه ولكنه لم يعلم بأمر الفرس ولا بكيفية سرها هذا ما كان من أمر الحكيم والجارية (وأما) ما كان من أمر ابن الملك فإنه لبس ثياب السفر وأخذ ما يحتاج إليه من المال وسافر وهو في أسوأ حال وسار مسرعاً يقتص الأثر في طلبهما من بلد إلى بلد ومن مدينة إلى مدينة ويسأل عن الفرس الآبنوس وكل من سمع منه خبر الفرس الآبنوس يتعجب ويستعظم ذلك منه فأقام على هذا الحال مدة من الزمان ومع كثرة السؤال والتفتيش عليهما لم يقع لهما على خبر ثم أنه سار إلى مدينة أبي الجارية وسأل عنها هناك فلم يسمع لها بخبر ووجد أباها حزيناً على فقدها فرجع وقصد بلاد الروم وجعل يقتص أثرهما ويسأل عنهما وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٩٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن ابن الملك قصد بلاد الروم وجعل يقتص أثرهما ويسأل عنهما فاتفق أنه نزل في خان من الخانات فرأى جماعة من التجار جالسين يتحدثون فجلس قريباً منهم فسمع أحدهم يقول يا اصحابي لقد رأيت عجباً من العجائب فقالوا وما هو قال أني كنت في بعض الجهات في مدينة كذا وذكر اسم المدينة التي فيها الجارية فسمعت أهلها يتحدثون بحديث غريب وهو أن ملك المدينة خرج يوماً من الأيام إلى الصيد والقنص ومعه جماعة من أصحابه وأكابر دولته فلما طلعوا إلى البرية جازوا على مرج أخضر فوجدوا هناك رجلاً واقفاً وإلى جانبه أمرأة جالسة ومعه فرس من آبنوس فأما الرجل فإنه قبيح المنظر مهول الصورة جداً وأما المرأة فإنها صبية ذات حسن وجمال وبهاء وكمال وقد واعتدال وأما الفرس الآبنوس فإنها من العجائب التي لم ير الراؤون أحسن منها ولا أجمل من صنعتها فقال له الحاضرون فما فعل الملك بهم فقال أما الرجل فإنه أخذه الملك وسأله عن الجارية فادعى أنها زوجته وابنة عمه وأما الجارية فإنها كذبته في قوله فأخذها الملك منه وأمر بضربه وطرحه في السجن وأما الفرس الآبنوس فمالي به علم فلما سمع ابن الملك هذا الكلام من التاجر دنا منه وصار يسأله برفق وتلطف حتى أخبره باسم المدينة واسم ملكها فلما عرف ابن الملك اسم المدينة واسم ملكها بات ليلته مسروراً فلما أصبح الصباح خرج وسافر ولم يزل مسافراً

حتى وصل إلى تلك المدينة فلما أراد أن يدخلها أخذه البوابون وأرادوا حضارة قدام الملك ليسأله عن حاله وعن سبب مجيئه إلى تلك المدينة وعما يحسنه من الصنائع وكانت هذه عادة الملك من سؤال الغرباء عن أحوالهم وصنائعهم وكان وصول ابن الملك إلى تلك المدينة في وقت المساء وهو وقت لا يمكن الدخول فيه على الملك ولا المشاورة عليه فأخذه البوابون وأتوا به إلى السجن ليضعوه فيه فلما نظر السجانون إلى حسنه وجماله لم يهن عليهم أن يدخلوه السجن بل أجلسوه معهم خارج السجن فلما جاءهم الطعام أكل معهم بحسب الكفاية فلما فرغوا من الأكل جعلوا يتحدثون ثم أقبلوا على ابن الملك وقالوا له من أي البلاد أنت فقال أنا من بلاد فارس بلاد الأكاسرة فلما سمعوا كلامه ضحكوا وقال بعضهم يا كسروي لقد سمعت حديث الناس وأخبارهم وشاهدت أحوالهم فما رأيت ولا سمعت أكذب من هذا الكسروي الذي عندنا في السجن فقال آخر ولا رأيت أقبح من خلقته ولا أبشع من صورته فقال لهم ما الذي بان لكم من كذبه فقالوا يزعم أنه حكيم وكان الملك قد رآه في طريقه وهو ذاهب إلى الصيد ومعه امرأة بديعة الحسن والجمال والبهاء والكمال والقد والاعتدال ومعه أيضاً فرس من الآبنوس الأسود ما رأينا قط أحسن منها فأما الجارية فهي عند الملك وهو لها محب ولكن تلك المرأة مجنونة ولو كان ذلك الرجل حكيماً كما يزعم لداواها والملك مجتهد في علاجها وغرضه مداواتها مما هي فيه وأما الفرس الآبنوس فإنها في خزانة الملك وأما الرجل القبيح المنظر الذي كان معها فإنه عندنا في السجن فإذا جن عليه الليل يبكي وينتحب أسفاً على نفسه ولا يدعنا ننام. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٩١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الموكلين بالسجن لما أخبره بخبر الحكيم الفارسي الذي عندهم في السجن وبما هو فيه من البكاء والنحيب خطر بباله أن يدبر تدبيراً ليبلغ به غرضه فلما أراد البوابون النوم أدخلوه السجن وأغلقوا عليه الباب فسمع الحكيم يبكي وينوح على نفسه بالفارسية ويقول في نوحه الويل لي بما جنيت على نفسي وعلى ابن الملك وبما فعلت بالجارية حيث لم أتركها ولم أظفر بمرادي وذلك كله من سوء تدبيري فإني طلبت لنفسي مالا استحقه ومالا يصلح لمثلي ومن طلب مالا يصلح له وقع في مثل ما وقعت فيه فلما سمع ابن الملك كلام الحكيم كلمة بالفارسية وقال له إلى كم هذا البكاء والعويل هل ترى أنه أصابك ما لم يصب غيرك فلما سمع الحكيم كلامه أنس به وشكا إليه حاله وما يجده من المشقة فلما أصبح الصباح أخذ البوابون ابن الملك وأتوا به إلى ملكهم وأعلموه أنه وصل إلى المدينة بالأمس في وقت لا يمكن الدخول فيه على الملك فسأله الملك وقال له من أي البلاد أنت وما أسمك وما صنعتك وما سبب مجيئك إلى هذه المدينة فقال ابن الملك أما اسمي فإنه بالفارسية حرجة وأما بلادي فهي بلاد فارس وأنا من أهل العلم وخصوصاً علم الطب فإني أداوي المرضى والمجانين ولهذا أطواف في الأقاليم والمدن لاستفيد علماً على علمي وإذا رأيت مريضاً فإني أداويه فهذه صنعتي فلما سمع الملك كلامه فرح به فرحاً شديداً وقال له أيها الحكيم الفاضل لقد وصلت إلينا وقت الحاجة إليك ثم أخبره بخبر الجارية وقال له أن داويتها وأبرأتها من جنونها فلك عندي جميع ما تطلبه فلما سمع كلام الملك قال له أعز الله الملك صف لي كل شيء رأيته من جنونها وأخبرني منذ كم يوم عرض لها هذا الجنون وكيف أخذتها هي والفرس والحكيم فأخبره بالخبر من

أوله إلى آخره ثم قال له أن الحكيم في السجن فقال له أيها الملك السعيد ما فعلت بالفرس التي كانت معهم ا فقال له باقية عندي إلى الآن محفوظة في بعض المقاصير فقال ابن الملك في نفسه أن من الرأي عن دي أن تفقد الفرس وأنظرها قبل كل شيء فإن كانت سالمة لم يحدث فيها أمر فقدتم لي كل ما أريد وأن رأيتها ا ق د بطلت حركاتها تحيلت بحيلة في خلاص مهجتي ثم التفت إلى الملك وقال له أيها الملك ينبغي أن أنظر الفرس المذكورة لعلي أجد شيئاً يعينني على برء الجارية فقال له الملك حباً وكرامة ثم قام الملك وأخذ بي ده ودخ ل معه على الفرس فجعل ابن الملك يطوف حول الفرس ويتفقدها وينظر أحوالها فوجدها سالمة لم يعبها ش يء ففرح ابن الملك بذلك فرحاً شديداً وقال أعز الله الملك أني أريد الدخول على الجارية حتى انظر ما يكون منها وأرجو الله أن يكون برؤها على يدي بسبب الفرس أن شاء الله تعالى ثم أمر بالمحافظة على الفرس ومض ى به الملك إلى البيت الذي فيه الجارية فلما دخل عليها ابن الملك وجدها تختبط وتتصرع على عادتها ولم يك ن بها جنون وأنما تفعل ذلك حتى لا يقر بها أحد فلما رآها ابن الملك على هذه الحالة قال لها لا بأس عليك ي ا فتنة العالمين ثم أنه جعل يرفق بها ويلاطفها إلى أن عرفها بنفسه فلما عرفته صاحت صيحة عظيم ة حت ى غشي عليها من شدة ما حصل لها من الفرح فظن الملك أن هذه الصرعة من فزعها منه ثم أن اب ن المل ك وضع فمه على أذنها وقال لها يا فتنة العالمين أحقني دمي ودمك واصبري وتجلدي فقالت له سمعاً وطاعة ثم أنه خرج من عندها وتوجه إلى الملك فرحاً مسروراً وقال أيها الملك السعيد ق د عرف ت بس عادتك داءه ا ودواءها وقد داويتها لك فقم الآن وادخل إليها ولين كلامك لها وترفق بها وعدها بما يسرها فإنه يتم لك كل ما تريد منها. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٩٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن ابن الملك لما جعل نفسه حكيماً ودخل على الجارية وأعلمه ا بنفس ه وأخبرها بالتدبير الذي يدبره فقالت له سمعاً وطاعة ثم خرج من عندها وتوجه على الملك وقال له قم ادخ ل عليها ولين لها الكلام وعدها بما يسرها فإنه يتم لك كل ما تريد منها فقام الملك ودخل عليها فلما رأته قام ت إليه وقبلت الأرض بين يديه ورحبت به ففرح الملك بذلك فرحاً شديداً ثم أمر الجواري والخ دم أن يقوم وا بخدمتها ويدخلوها الحمام ويجهزوا لها الحلي والحلل فدخلوا إليها وسلموا عليها فردت عليهم السلام ب ألطف منطق وأحسن كلام ثم ألبسوها حللاً من ملابس الملوك ووضعوا في عنقها عقداً من الجواهر وساروا بها إلى الحمام وخدموها ثم أخرجوها من الحمام كأنها بدر التمام ولما وصلت على الملك سلمت عليه وقبلت الأرض بين يديه فحصل للملك بها سرور عظيم وقال لابن الملك كل ذلك ببركتك زادنا الله من نفحاتك فقال له اب ن الملك أن فقام برئها وكمال أمرها أنك تخرج أنت وكل من معك من أعوانك وعسكرك إلى المحل الذي كنت وجدتها فيه وتكون صحبتك الفرس الآبنوس التي كانت معها لأجل أن أعقد عنها الع ارض هن اك وأس جنه وأقتله فلا يعود إليها أبداً فقال له الملك حباً وكرامة ثم أخرج الفرس الآبنوس إلى المرج الذي وجدها فيه هي والجارية والحكيم الفارسي وركب الملك مع جيشه وأخذ الجارية صحبته وهم لا يدرون ما يريد أن يفعل فلما وصلوا إلى ذلك المرج أمر ابن الملك الذي جعل نفسه حكيماً أن توضع الجارية والفرس بعيداً ع ن المل ك والعساكر بمقدار مد البصر وقال للملك دستور عن أذنك أنا أريد أن أطلق البخور واتلوا العزيم ة وأس جن

العارض هنا حتى لا يعود إليها أبداً ثم بعد ذلك أركب الفرس الأبنوس وأركب الجارية خلفي فإذا فعلت ذلك الفرس تضطرب وتمشي حتى تصل إليك . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٩٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك لما قال لملك الروم حتى تصل إليك فعند ذلك يتم الأمر فافعل بها بعد ذلك ما تريد فلما سمع الملك كلامه فرح فرحاً شديداً مث أن الملك ركب الفرس ووضع الصبية خلفه وصار الملك وجميع عسكره ينظرون إليه ثم أنه ضمها إليه وشد وثاقها وبعد ذلك فرك ابن الملك لولب الصعود فصعدت بهما الفرس في الهواء والعساكر تنظر إليه حتى غاب عن أعينهم ومكث الملك نصف يوم ينتظر عودته إليه فلم يعد فيئس منه وندم ندماً عظيماً وتأسف على فراق الجارية ثم أخذ عسكره وعاد إلى مدينته هذا ما كان من أمره (وأما) ما كان من أمر ابن الملك فإنه قصد مدينة أبيه فرحاً مسروراً ولم يزل سائراً إلى أن نزل على قصره وأنزل الجارية في القصر وأمن عليها ثم ذهب إلى أبيه وأمه فسلم عليهما وأعلمها بقدوم الجارية ففرحاً بذلك فرحاً شديداً هذا ما كان من أمر ابن الملك والفرس والجارية (وأما) ما كان من أمر ملك الروم فإنه لما عاد إلى مدينته احتجب في قصره حزيناً كئيباً فدخل عليه وزراؤه وجعلوا يسلونه ويقولون له أن الذي أخذ الجارية ساحر والحمد لله الذي أنجاك من سحره ومكره وما زالوا به حتى تسلى عنها وأما ابن الملك فإنه عمل الولائم العظيمة لأهل المدينة. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٩٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن ابن الملك عمل الولائم العظيمة لأهل المدينة وأقاموا في الفرح شهراً كاملاً ثم دخل على الجارية وفرحا ببعضهما فرحاً شديداً هذا ما كان من أمره (وأما) ما كان من أمر والده فإنه كسر الفرس الآبنوس وأبطل حركاتها ثم أن ابن الملك كتب كتاباً إلى أبي الجارية وذكر له فيه حالها وأخبره أنه تزوج بها وهي عنده في أحسن حال وأرسله إليه مع رسول وصحبته هدايا وتحفاً نفيسة فلما وصل الرسول إلى مدينة أبي الجارية وهي صنعاء اليمن أوصل الكتاب والهدايا إلى ذلك الملك فلما قرأ الكتاب فرح فرحاً شديداً وقبل الهدايا وأكرم الرسول ثم جهز هدية سنية لصهره ابن الملك وأرسلها إليه مع ذلك الرسول فرجع بها إلى ابن الملك وأعلمه بفرح الملك أبي الجارية حين بلغه خبر ابنته فحصل له سرور عظيم وصار ابن الملك في كل سنة يكاتب صهره ويهاديه ولم يزالوا كذلك حتى توفي الملك أبو الغلام وتولى هو بعده في المملكة فعدل في الرعية وسار فيهم بسيرة مرضية فدانت له البلاد وأطاعته العباد وأستمروا على هذه الحالة في ألذ عيش وأهناه وأرغده وأسراه إلى أن أتاهم هازم اللذات ومفرق الجماعات ومخرب القصور ومعمر القبور فسبحان الحي الذي لا يموت وبيده الملك والملكوت.

(حكاية أنس الوجود مع محبوبته الورد في الأكمام)

(ومما) يحكي أيضاً أنه كان في قديم الزمان وسالف العصر والآوان ملك عظيم الشأن ذو عز وسلطان وكان له وزير يسمى إبراهيم وكانت له ابنة بديعة في الحسن والجمال فائقة في البهجة والكمال وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٩٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن بنت الملك كانت فائقة في البهجة والكمال ذات عقل وافر وأدب باهر إلا أنها تهوى المنادمة والراح والوجوه الملاح ورقائق الأشعار ونوادر الأخبار تدعو العقول إلى الهوى رقة معانيها كما قال فيها بعض واصفيها.

كلبيـ ـت بهـ ـا فتانـ ـة التـ ـرك والعـ ـرب	**يجـ ـادلني فـ ـي الفقـ ـه والنحـ ـو والأدب**
تقـ ـول أنـ ـا المفعـ ـول بـ ـي وخفضـ ـتني	**لمـ ـاذا وهـ ـذا فاعـ ـل فلـ ـم انتصـ ـب**
فقلت لها نفسـ ـي وروحـ ـي لـ ـك الفـ ـدا	**ألـ ـم تعلمـ ـي أن الزمـ ـان قـ ـد أنقلـ ـب**
وإن كنـ ـت يومـ ـاً تنكـ ـرين أنقلابـ ـه	**فها فانظري ما عقدة الرأس فـ ـي الـ ـذنب**

وكان اسمها الورد في الأكمام وسبب تسميتها بذلك فرط رقتها وكمال بهجتها وكـ ـان الملـ ـك محبـ ـاً لمنادمتها الكمال أدبها ومن عادة الملك أنه في كل عام يجمع أعيان مملكته ويلعب بالكرة فلما كان ذلك اليـ ـوم الذي يجمع فيه الناس للعب الكرة جلست ابنة الوزير في الشباك لتتفرج فبينما هم في اللعب إذ لاحـ ـت منهـ ـا التفاتة فرأت بين العسكر شاباً لم يكن أحسن منه منظراً ولا أبهى طلعة نير الوجه ضاحك السن طويل البـ ـاع واسع المنكب فكررت فيه النظر مراراً فلم تشبع منه النظر فقالت لدايتها ما اسم هذا الشاب المليـ ـح الشـ ـمائل الذي بين العسكر فقالت لها يا بنتي الكل ملاح فمن هو فيهم فقالت لها هذا الشاب المليح الشمائل الـ ـذي بـ ـين العسكر فقالت لها يا بنتي الكل ملاح فمن هو فيهم فقالت لها أصبري حتى أشير لك عليه ثم أخـ ـذت تفاحـ ـة ورمتها عليه فرفع رأسه فراح ابنة الوزير في الشباك كأنها البدر في الأفلاك فلم يرد إليه طرفـ ـه إلا وهـ ـو بعشقها مشغول الخاطر فأنشد قول الشاعر:

أرمـ ـانـي القـ ـواس أم جفنـ ـاك	**فتكـ ـا بقلـ ـب الصـ ـب حـ ـين رآك**
وأتـ ـاني السـ ـهم المفـ ـوق برهـ ـة	**مـ ـن جحفـ ـل أم جـ ـاء مـ ـن شـ ـباك**

فلما فرغ اللعب قالت لدايتها ما اسم هذا الشاب الذي وريته لك قالت اسمه أنس الوجود فهزت رأسـ ـها ونامت في مرتبتها وقدحت فكرتها ثم صعدت الزفرات وأنشدت هذه الأبيات:

ما خـ ـاب مـ ـن سـ ـماك أنـ ـس الوجـ ـود	**يـ ـا جامعـ ـاً مـ ـا بـ ـين أنـ ـس وجـ ـود**
يـ ـا طلعـ ـة البـ ـدر الـ ـذي وجهـ ـه	**قـ ـد نـ ـور الكـ ـون وعـ ـم الوجـ ـود**
مـ ـا أنـ ـت إلا مفـ ـرد فـ ـي الـ ـورى	**سـ ـلطان ذي حسـ ـن وعنـ ـده شـ ـهود**
حاجبـ ـك النـ ـون التـ ـي حـ ـررت	**ومقلتـ ـاك الصـ ـاد صـ ـنع الـ ـودود**
وقـ ـدك الغصـ ـن الرطيـ ـب الـ ـذي	**إذا دعـ ـى فـ ـي كـ ـل شـ ـيء يجـ ـود**
قـ ـد فقـ ـت فرسـ ـان الـ ـورى سـ ـطوة	**ولـ ـم تـ ـزل بفـ ـرط حسـ ـنك تسـ ـود**

فلما فرغت من شعرها كتبته في قرطاس ولفته في خرقة من الحرير مطرزة بالذهب ووضعته تحـ ـت المخدرة وكانت واحدة من داياتها تنظر إليها فجاءتها وصارت تمارسها حتى نامت وسرقت الورقة من تحت المخدة وقرأتها فعرفت إنها حصل لها وجد بأنس الوجود وبعد أن قرأت الورقة وضعتها فـ ـي مكانهـ ـا فلمـ ـا استفاقت سيدتها الورد في الأكمام من نومها قالت لها يا سيدتي أني لك من الناصحات وعليك من الشـ ـفيقات

اعلمي أن الهوى شديد وكتمانه يذيب الحديد ويورث الأمراض والأسقام وما على من يبـ ـوح بـ ـالهوى مـ ـلام فقالت لها الورد في الأكمام يا دايتي وما دواء الغرام قالت دواءه الوصال قالت وكيف يوجد الوصال قالت يا سيدتي يوجد بالمراسلة ولين الكلام وإكثار التحية والسلام فهذا يجمع بين الأحباب وبه تسهل الأمور الصعاب وإن كان لك أمر يا مولاتي فأنا أولى بكتم سرك وقضاء حاجتك وحمل رسالتك فلما سمعت منها الورد فـ ـي الأكمام ذلك الكلام طار عقلها من الفرح لكن أمسكت نفسها عن الكلام حتى تنظر عاقبة أمرها وقالـ ـت فـ ـي نفسها أن هذا الأمر ما عرفه أحد مني فلا أبوح به لهذه المرأة إلا بعد أن أختبرها فقالت المرأة يا سيدتي أني رأيت في منامي كأن رجلاً جاءني وقال لي أن سيدتك وأنس الوجود متحابان فمارسـ ـي أمرهمـ ـا واحملـ ـي رسائلهما وأقض حوائجهما واكتمي أمرهما وأسرارهما يحصل لك خير كثير وها أنا قد قصصت ما رأيـ ـت عليك والأمر إليك فقالت الورد في الأكمام لدايتها لما أخبرتها بالمنام وأدرك شهرزاد الصباح فسـ ـكتت عـ ـن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٩٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الورد في الأكمام قالت لدايتها لما أخبرتها بالمنام الـ ـذي رأتـ ـه هـ ـل تكتمين الأسرار يا دايتي فقالت كيف لا أكتم الأسرار وأنا من خلاصة الأحرار فأخرجت لها الورقـ ـة التـ ـي كتبت فيها الشعر وقالت لها اذهبي برسالتي هذه إلى أنس الوجود وائتيني بجوابه فأخذتها وتوجهت بها إلـ ـى أنس الوجود فلما دخلت عليه قبلت يديه وحيته بألف سلام ثم أعطته القرطاس فقرأه وفهم معناه ثم كتب فـ ـي ظهره هذه الأبيات:

أعلـ ـل قلبـ ـي فـ ـي الغـ ـرام واكـ ـتم ... ولكـ ـن حـ ـالي عـ ـن هـ ـواي يتـ ـرجم
وأن فاض دمعي قلـ ـت جـ ـرح بمقلتـ ـي ... لـ ـئلا يـ ـرى حـ ـالي العـ ـذول فـ ـيفهم
وكنت خلياً لسـ ـت أعـ ـرف مـ ـا الهـ ـوى ... فأصـ ـبحت صـ ـبا والفـ ـؤاد متـ ـيم
رفعـ ـت إلـ ـيكم قصـ ـتي اشـ ـتكي بـ ـه ... غرامي ووجدي كـ ـي ترقـ ـوا وترحمـ ـوا
وسـ ـطرتها مـ ـن دمـ ـع عيـ ـي لعلهـ ـا ... بمـ ـا حـ ـل بـ ـي مـ ـنكم إلـ ـيكم تتـ ـرحم
رعـ ـى الله وجهـ ـاً بالجمـ ـال مبرقـ ـاً ... لـ ـه البـ ـدر عبـ ـد والكواكـ ـب تخـ ـدم
علـ ـى حسـ ـن ذات مـ ـا رأيـ ـت مثيلهـ ـا ... ومـ ـن ميلهـ ـا الأغصـ ـان عطفـ ـاً تـ ـتعلم
وأسـ ـألكم مـ ـن غيـ ـر حمـ ـل مشـ ـقة ... زيارتنـ ـا أن الوصـ ـال معظـ ـم
وهبت لكـ ـم روحـ ـي عسـ ـى تقبلونهـ ـا ... فلـ ـي الوصـ ـل خلـ ـد والصـ ـدود جهـ ـنم

ثم طوى الكتاب وقبله وأعطاه لها وقال لها يا داية استعطفي خاطر سيدتك فقالت له سمعاً وطاعة ثـ ـم أخذت منه المكتوب ورجعت إلى سيدتها وأعطتها القرطاس فقبلته ورفعته فوق رأسها ثـ ـم فتحتـ ـه وقرأتـ ـه وفهمت معناه وكتبت في أسفله هذه الأبيات:

يـ ـا مـ ـن تولـ ـع قلبـ ـه بجمالنـ ـا ... أصبر لعلـ ـك فـ ـي الهـ ـوى تحظـ ـى بنـ ـا
لمـ ـا علمنـ ـا أن حبـ ـك صـ ـادق ... وأصـ ـاب قلبـ ـك مـ ـا اصـ ـاب فؤادنـ ـا
زدنـ ـاك فـ ـوق الوصـ ـل وصـ ـلاً مثلـ ـه ... لكـ ـن منـ ـع الوصـ ـل مـ ـن حجابنـ ـا
وإذا تجلـ ـى الليـ ـل مـ ـن فـ ـرط الهـ ـوى ... تتوقـ ـد النيـ ـران فـ ـي أحشـ ـائنا

رجع ـت مضـ ـاجعنا الجنـ ـوب وربمـ ـا | قـ ـد بـ ـرح التبـ ـريح فـ ـي أجسـ ـامنا
الفرض في شرع الهـ ـوى كـ ـتم الهـ ـوى | لا ترفعـ ـوا المسـ ـبول مـ ـن أسـ ـتارنا
وقد انحشى مني الحشا بهـ ـوى الرشـ ـا | يـ ـا ليتـ ـه مـ ـا غـ ـاب عـ ـن أوطانـ ـا

فلما فرغت من شعرها طوت القرطاس وأعطته للداية وأدرك شهرزاد الصباح فسـ ـكتت عـ ـن الكـ ـلام المباح.

(وفي ليلة ٣٩٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الورد في الأكمام طوت القرطاس وأعطته للداية فأخذته وخرجت من عند الورد في الأكمام بنت الوزير فصادفها الحاجب وقال لها أين تذهبين فقالت إلى الحمام وقد انزعجت منه فوقعت منها الورقة حين خرجت من الباب وقت انزعاجها هذا ما كان من أمرها (وأما) ما كـ ـان مـ ـن أمـ ـر الورقة فإن بعض الخدم رآها مرمية في الطريق فأخذها ثم أن الوزير خرج من باب الحريم وجلـ ـس علـ ـى سريره فقصد الخادم الذي التقط الورقة فبينما الوزير جالس على سريره وإذا بذلك الخادم تقدم إليه وفي يـ ـده الورقة وقال له يا مولاي أني وجدت هذه الورقة مرمية في الدار فأخذتها فتناولها الوزير من يده وهي مطوية ففتحها فرأى مكتوباً فيها الأشعار التي تقدم ذكرها فقرأها وفهم معناها ثم تأمل كتابتها فرآها بخط ابنته فدخل على أمها وهو يبكي بكاء شديداً حتى ابتلت لحيته فقالت له زوجته ما أبكاك يا مولاي فقال لها خـ ـذي هـ ـذه الورقة وانظري ما فيها فأخذت الورقة وقرأتها فوجدتها مشتملة على مراسلة من بنتها الورد في الأكمام إلـ ـى أنس الوجود فجاءها البكاء لكنها غلبت على نفسها وكفكفت دموعها وقالت للوزير يا مـ ـولاي أن البكـ ـاء لا فائدة فيه وأنما الرأي الصواب أن تتبصر في أمريكون فيه صون عرضك وكتمان أمر بنتك وصارت تسـ ـليه وتخفف عنه الأحزان فقال لها أني خائف على ابنتي من العشق أما تعلمين أن السلطان يحب أنـ ـس الوجـ ـود محبة عظيمة ولخوفي من هذا الأمر سببان الأول من جهتي وهو أنها ابنتي والثاني من جهة السلطان وهو أن أنس الوجود محظي عند السلطان وربما يحدث من هذا أمرب عظيم فما رأيك فـ ـي ذلـ ـك وأدرك شـ ـهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٩٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير لما أخبر زوجته بخبر بنته وقال لها فما رأيك في ذلك قالت له أصبر علي حتى أصلي صلاة الاستخارة ثم أنها صلت ركعتين سنة الاستخارة فلما فرغت من صلاتها قالت لزوجها أن في وسط بحر الكنوز جبلاً يسمى جبل الثكلى وسبب تسميته بذلك سيأتي وذلك الجبل لا يقدر على الوصول إليه أحد إلا بالمشقة فاجعل لها موضعاً هناك فاتفق الوزير مع زوجته على أنه يبني فيه قصراً منيعاً ويجعلها فيه ويضع عندها مؤونتها عاماً بعد عاماً ويجعل عندها من يؤنسها ويخدمها ثـ ـم جمـ ـع النجـ ـارين والبنائين والمهندسين وأرسلهم إلى ذلك الجبل فأحس قلبها بالفراق فلما خرجت ورأت هيئة الأسفار بكت بكاءً شديداً وكتبت على الباب تعرف أنس الوجود بما جرى لها من الوجد الذي تقشعر منه الجلمود ويذيب الجلمود ويجري العبرات والذي كتبته هذه الأبيات:

بالله يـ ـا دار أن مـ ـر الحبيـ ـب ضـ ـحي مسـ . . . ـلماً بإشـ . . . ـارات يحييـنـ . . . ـا
أهديـ ـه منـ ـا سـ ـلاماً زاكيـ ـاً عطـ ـراً لأنـ ـه لـ ـيس يـ ـدري أيـ ـن أمسـ ـينا
ولست أدري إلـ ـى أيـ ـن الرحيـ ـل بنـ ـا لمـ ـا مضـ ـوا بـ ـي سـ ـريعاً مسـ ـتخفينا
في جنح ليل وطير الأيـ ـك قـ ـد عكفـ ـت علـ ـى الغصـ ـون تباكيـنـ ـا وتنعيـنـ ـا
وقـ ـال عنهـ ـا لسـ ـان الحـ ـال واحربـ ـاه مـ ـن التفـ ـرق مـ ـا بـ ـين المحبيـنـ ـا
لما رأيـ ـت كـ ـؤوس البعـ ـد قـ ـد ملئـ ـت والـ ـدهر مـ ـن صـ ـرفها بـ ـالقهر يسـ ـقينا
مزجتهـ ـا بجميـ ـل الصـ ـبر معتـ ـذراً وعـ ـنكم الآن لـ ـيس الصـ ـبر يسـ ـلينا

فلما فرغت من شعرها ركبت وساروا بها يقطعون البراري والقفار والسهول والأوعار حتى وصلوا إلى بحر الكنوز ونصبوا الخيام على شاطيء البحر ومدوا لها مركباً عظيماً وأنزلوها فيها هي وعائلتها وقد أمرهم أنهم إذا وصلوا إلى الجبل وأدخلوها في القصر هي وعائلتها يرجعون بالمركب وبعد أن يطلعوا من المركب يكسرونها فذهبوا وفعلوا جميع ما أمرهم به ثم رجعوا وهم يبكون على ما جرى هذا ما كان من أمرهم (وأما) ما كان من أمر أنس الوجود فإنه قام من نومه وصلى الصبح ثم ركب وتوجه إلى خدمة السلطان فمر في طريقه على باب الوزير على جري العادة لعله يرى أحداً من اتباع الوزير الذين كان يراهم ونظر إلى الباب فرأى الشعر المتقدم ذكره مكتوباً عليه فلما رآه غاب عن وجوده واشتعلت النار في أحشائه ورجع إلى داره ولم يقر له قرار ولم يزل في قلق ووجد إلى أن دخل فكتم أمره وتنكر وخرج في جوف الليل هائماً على غير طريق وهو لا يدري أين يسير فسار الليل كله وثاني يوم إلى أن اشتد حر الشمس وتلهبت الجبال واشتد عليه العطش فنظر إلى شجرة فوجد بجانبها جدول ماء يجري فقصد تلك الشجرة وجلس في ظلها على شاطيء ذلك الجدول وأراد أن يشرب فلم يجد للماء طعم في فمه وقد تغير لونه واصفر وجهه وتورمت قدماه من المشي والمشقة فبكي بكاء شديداً وسكب العبرات وأنشد هذه الأبيات:

سـ ـكر العاشـ ـق فـ ـي حـ ـب الحبيـ ـب كلمـ . . . ـا زاد غرامـ . . . ـاً ولهيـ . . . ـب
هـ ـائم فـ ـي الحـ ـب صـ ـب تائـ ـه مـ ـا لـ ـه مـ ـأوى ولا زاد يطيـ ـب
كيـ ـف يهنـ ـا العـ ـيش للصـ ـب الـ ـذي فـ ـارق الأحبـ ـاب ذا شـ ـيء عجيـ ـب
ذبـ ـت لمـ ـا أن مـ ـا ذكـ ـا وجـ ـدي بهـ ـم وجـ ـرى دمعـ ـي علـ ـى خـ ـدي صـ ـبيب
هـ ـل أراهـ ـم أو أرى مـ ـن ربعهـ ـم أحـ ـداً يبـ ـري بـ ـه القلـ ـب الكئيـ ـب

فلما فرغ من شعره بكى حتى بل الثرى ثم قام من وقته وساعته وسار من ذلك المكان فبينما هو سائر في البراري والقفار إذ خرج عليه سبع رقبته مختنقة بشعره ورأسه قدر القبة وفمه أوسع من البـاب وأنيابه مثل أنياب الفيل فلما رآه أنس الوجود أيقن بالموت واستقبل القبلة وتشهد واستعد بالمديح فشرع يقول له يا أسد الغابة يا ليث الفضاء يا ضرغام يا أبا الفتيان يا سلطان الوحوش أنني عاشق مشتاق وقد أتلفني العشق والفراق وحين فارقت الأحباب غبت عن الصواب فاسمع كلامي وارحم لوعتي وغرامي فلما سمع الأسد مقالته تأخر عنه وجلس مقفياً على ذنبه ورفع رأسه إليه وصار يلعب له ذنبه ويديه فلما رأى أنس الوجود هذه الحركات أنشد هذه الأبيات:

أسـ ـ ـد البيـ ـ ـداء هـ ـ ـل تقتلنـ ـ ـي قبـ ـ ل مـ ـ ـا ألقـ ـ ـى الـ ـ ذي تيمنـ ـ ـي
لسـ ـ ـت صـ ـ ـيد الأولابـ ـ ـي سـ ـ ـمن فقـ ـ ـد مـ ـ ـن أهـ ـ واه قـ ـ ـد أسـ ـ قمني
وفـ ـراق المحـ ـب أضـ ـني مهجتـ ـي فمثـ ـ ـالي صـ ـ ـورة فـ ـ ـي كفـ ـ ـن
يـ ـا أبـ ـا الحـ ـرث يـ ـا ليـ ـث الـ ـوغى لا تشـ ـمت عـ ـاذلي فـ ـ ـي شـ ـجني
أنـ ـ ـا صـ ـ ـب مـ ـ ـدمعي غرقتـ ـ ـي وفـ ـ ـراق الحـ ـ ـب قـ ـ ـد أقلقنـ ـ ـي
واشـ ـتغالي فـ ـي دجـ ـى الليـ ـل بهـ ـا عـ ـن وجـ ـودي فـ ـي الهـ ـوى غيبتـ ـي

فلما فرغ من شعره قام الأسد ومشى نحوه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٩٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أنس الوجود لما فرغ من شعره قام الأسد ومشى نحوه بلطف وعينـ ـاه مغرغرتان بالدموع ولما وصل إليه لحسه بلسانه ومشى قدامه وأشار إليه أن اتبعني فتبعه ولم يـ ـزل سـ ـائراً وهو خلفه ساعة من الزمان حتى طلع به فوق جبل ثم نزل به من فوق ذلك الجبل فرأى أثـ ـر المشـ ـي فـ ـي البراري فعرف أن ذلك أثر مشي القوم بالورد في الأكمام فتبع الأثر ومشى فيه فلما رآه الأسـ ـد تبـ ـع الأثـ ـر وعرف أنه أثر مشي بمحبوبته رجع الأسد إلى حال سبيله وأما أنس الوجود فإنه لم يزل ماشياً في الأثر أياماً وليالي حتى أقبل على بحر عجاج متلاطم بالأمواج ووصل الأثر إلى شاطيء البحر وانقطع فعلم أنهم ركبـ ـوا البحر وساروا فيه وانقطع رجاؤه منهم والتفت يميناً وشمالاً فلم ير أحداً في البرية فخشي علـ ـى نفسـ ـه مـ ـن الوحوش فصعد على جبل عال فبينما هو في الجبل إذ سمع صوت آدمي يتكلم في مغارة فصغى إليه وإذا هو عابد قد ترك الدنيا واشتغل بالعبادة فطرق عليه المغارة ثلاث مرات فلم يجبه العابد ولم يخرج إليـ ـه فصـ ـعد على جبل عال فبينما هو في الجبل إذ سمع صوت آدمي يتكلم في مغارة فصغى غليه وإذا هو عابد قد تـ ـرك الدنيا واشتغل بالعبادة فطرق عليه المغارة ثلاث مرات فلم يجبه العابد ولم يخرج إليه فصعد على جبل عـ ـال فبينما هو في الجبل إذ سمع صوت آدمي يتكلم في مغارة فصغى إليه وإذا هو عابد قد ترك الـ دنيا واشـ تغل بالعبادة فطرق عليه المغارة ثلاث مرات فلم يجبه العابد ولم يخرج إليه فصعد الزفرات وأنشد هذه الأبيات:

كيـ ـف السـ ـبيل إلـ ـى أن أبلـ ـغ الأربـ ـا وأتـ ـ ـرك الهـ ـ ـم والتكـ ـ ـدر والتعبـ ـ ـا
وكـ ـل هـ ـول مـ ـن الأهـ ـوال شـ ـيبني قلباً ورأسـ ـاً مشـ ـيباً فـ ـي زمـ ـان صـ ـبا
ولم أجـ ـد لـ ـي معينـ ـاً فـ ـي الغـ ـرام ولا خـ ـلا يخفـ ـف عنـ ـي الوجـ ـد والنصـ ـبا
وكم أكابـ ـد فـ ـي الأشـ ـواق مـ ـن ولـ ـه كـ ـأن دهـ ـري علـ ـى الآن قـ ـد قلبـ ـا
وارحمتـ ـ ـاه لصـ ـ ـب عاشـ ـ ـق قلـ ـ ـق كـ ـأس التفـ ـرق والهجـ ـران قـ ـد شـ ـربا
فالنار في القلب والأحشاء قـ ـد مجيـ ـت والعقل مـ ـن لوعـ ـة التفريـ ـق قـ ـد سـ ـلبا
ما كـ ـان أعظـ ـم يـ ـوم جئـ ـت منـ ـزلهم وقـ ـد رأيـ ـت علـ ـى الأبـ ـواب مـ ـا كتبـ ـا
بكيت حتى سـ ـقيت الأرض مـ ـن حـ ـرق لكـ ـن كتمـ ـت علـ ـى الـ ـدانين والغربـ ـا
يا عابـ ـداً قـ ـد تغاضـ ـى فـ ـي مغارتـ ـه كـ ـ ـأن ذاك طعـ ـ ـم العشـ ـ ـق وانسـ ـ ـلبا
وبعـ ـ ـد هـ ـ ـذا وهـ ـ ـذا كلـ ـ ـه فـ ـ ـإذا بلغـ ـت قصـ ـدي فـ ـلا همـ ـا ولا تعبـ ـا

فلما فرغ من شعره وإذا بباب المغارة قد انفتح وسمع قائلاً يقول وارحمتاه فدخل البـ ـاب وسـ ـلم علـ ـى العابد فرد عليه السلام وقال له ما اسمك قال اسمي أنس الوجود فقال له ما سبب مجيئك إلي هذا المكان فقص عليه قصته من أولها إلى آخرها وأخبره بجميع ما جرى له فبكى العابد وقال له يا أنس الوجود أن لي في هذا المكان عشرين عاماً ما رأيت فيه أحداً إلا بالأمس فإني سمعت بكاء وغواشا فنظرت إلى جهة الصوت فرأيت ناساً كثيرين وخياماً منصوبة على شاطيء البحر وأقاموا مركباً ونزل فيها قوم منهم وساروا بها في البحر ثم رجع بالمركب بعض من نزل فيها وكسروها وتوجهوا إلى حال سبيلهم وأظن أن الذين ساروا علـ ـى ظهـ ـر البحر ولم يرجعوا هم الذين أنت في طلبهم يا أنس الوجود وحينئذ همك عظيم وأنت معذور ولكـ ـن لا يوجـ ـد محب إلا وقد قاسى الحسرات ثم أنشد العابد هذه الأبيات:

أنس الوجـ ـود خلـ ـى البـ ـال تحسـ ـبني ... والشـ ـوق والوجـ ـد يطـ ـويني وينشـ ـرني
أنـي عرفت الهوى والعشق من صـ ـغري ... من حـ ـين كنـ ـت صـ ـبياً راضـ ـع اللـ ـبن
مارسـ ـته زمنـ ـاً حتـ ـى عرفـ ـت بـ ـه ... إن كنـ ـت تسـ ـأل عنـ ـي فهـ ـو يعرفنـ ـي
شربت كأس الجوى من لوعـ ـة وضـ ـنى ... فصـ ـرت محـ ـوا بـ ـه مـ ـن رقـ ـة البـ ـدن
قد كنـ ـت ذا قـ ـوة لكـ ـن وهـ ـي جلـ ـدي ... وجيش صـ ـبري بأسـ ـياف اللحـ ـاظ فنـ ـي
لا ترتجي في الهوى وصلا بغيـ ـر جفـ ـا ... فالضـ ـد بالضـ ـد مقـ ـرون مـ ـدى الـ ـزمن
قضى الغـ ـرام علـ ـى العشـ ـاق أجمعهـ ـم ... أن السـ ـلو حـ ـرام بدعـ ـة الفـ ـتن

فلما فرغ العابد من أنشاد شعره قام إلى أنس الوجود وعانقه. وأدرك شهرزاد الصباح فسـ ـكتت عـ ـن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٠٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العابد لما فرغ من إنشاد شعره قام إلى أنس الوجود عانقه وتباكيا حتى دوت الجبال من بكائهما ولم يزالا يبكيان حتى وقعا مغشياً عليهما ثم أفاقا وتعاهدا على أنهما أخوان في عهد الله تعالى ثم قال العابد لأنس الوجود أنا في هذه الليلة أصلي واستخير الله لك على شيء تعمله فقال له أنـ ـس الوجود سمعاً وطاعة هذا ما كان من أمر أنس الوجود (وأما) ما كان من أمر الورد في الأكمام فإنهـ ـا لمـ ـا وصلوا بها إلى الجبل وأدخلوها القصر ورأته ورأت ترتيبه بكت وقالت والله أنك مكان مليح غير أنك ناقص وجود الحبيب فيك ورأت في تلك الجزيرة أطياراً فأمرت بعض اتباعها أن ينصب لها فخا و يصطاد به منها وكل ما اصطاده يضعه في أقفاص من داخل القصر ففعل ما أمرته به ثم أنها قعـ ـدت فـ ـي شـ ـباك القصـ ـر وتذكرت ما جرى لها وزاد بها الغرام والوجد والهيام فسكبت العبرات وأنشدت هذه الأبيات:

يـ ـا لمـ ـن اشـ ـتكى الغـ ـرام الـ ـذي بـ ـي ... وشـ ـجوني وفرقتـ ـي عـ ـن حبيبـ ـي
ولهيبـ ـاً بـ ـين الضـ ـلوع ولكـ ـن ... لسـ ـت أبديـ ـه خيفـ ـة مـ ـن رقيـ ـب
ثـ ـم أصـ ـبحت رق عـ ـود خـ ـلال ... مـ ـن بعـ ـاد وحرقـ ـة ونحيـ ـب
أيـ ـن عـ ـين الحبيـ ـب حتـ ـى تراني ... كيـ ـف أصـ ـبحت مثـ ـل حـ ـال السـ ـلب
قـ ـد تعـ ـدوا علـ ـى إذ حجبـ ـوني ... فـ ـي مكـ ـان لـ ـم يسـ ـتطعه حبيبـ ـي
أسـ ـأل الشـ ـمس حمـ ـل الـ ـف سـ ـلام ... عنـ ـد وقـ ـت الشـ ـروق ثـ ـم الغـ ـروب

لحبيب ـب قـ ـد أخجـ ـل البـ ـدر حسـ ـنا م ـ ذ تبـ ـ دى وفـ ـاق قـ ـ د القضـ ـ يب
أن حكـ ـى الـ ـورد خـ ـده قلـ ـت فيـ ـه لست تحكي أن لـ ـم تكـ ـن مـ ـن نصـ يبي
أن فـ ـ ـي ثغـ ـ ـره لسلسـ ـ ـال ريـ ـ ـق يجلـ ـب البـ ـرد عنـ ـد حـ ـر اللهيـ ـب
كيـ ـف أسـ ـلوه وهـ ـو قلبـ ـي وروحـ ـي مسقمي ممرضـ ـي حبيبـ ـي طبيبـ ـي

هذا ما كان من أمر الورد في الأكمام (وأما) ما كان من أمر أنس الوجود فإن العابد قال له أنزل إلـ ـى الوادي وأئتني من النخيل بليف فنزل وجاء له بليف فأخذه العابد وفتله وجعله شنفاً مثل أشناف التبن وقال لـ ـه يا أنس الوجود أن في جوف الوادي فرعا يطلع وينشف على أصوله فأنزل إليه واملأ هذا الشنف منه وأربطه وأرمه في البحر وأركب عليه وأتوجه به إلى وسط البحر لعلك تبلغ قصدك فإن من لم يخاطر بنفسه لم يبلـ ـغ المقصود فقال سمعاً وطاعة ثم ودعه وانصرف من عنده إلى ما أمره به بعد أن دعا له العابد ولم يزل أنـ ـس الوجود سائراً إلى جوف الوادي وفعل كما قال له العابد ولما وصل بالشنف لي وسط البحر هبت عليه ريـ ـح فزقه بالشنف حتى غاب عن عين العابد ولم يزل سابحاً في لجة البحر ترفعه موجة وتحطه أخرى وهو يرى ما في البحر من العجائب والأهوال إلى أن رمته المقادير على جبل الثكلى بعد ثلاثة أيام فنزل إلى البر مثـ ـل الفرخ الدايخ لهفان من الجوع والعطش فوجد في ذلك المكان أنهاراً جارية وأطياراً مغردة علـ ـى الأغصـ ـان وأشجاراً مثمرة صنواناً وغير صنوان فأكل من الأثمار وشرب من الأنهار وقام يمشي فرأى بياضاً على بعد فمشى جهته حتى وصل إليه فوجده قصراً منيعاً حصيناً فأتي إلى باب القصر فوجده مقفولاً فجلس عنده ثلاثة أيام فبينما هو جالس وإذا بباب القصر قد فتح وخرج منه شخص من الخدم فرأى أنس الوجود قاعداً فقال لـ ـه من أين أتيت ومن أوصلك إلى هنا فقال من أصبهان وكنت مسافراً في البحر بتجارة فانكسرت المركب التي كنت فيها فرمتني الأمواج على ظهر هذه الجزيرة فبكى الخادم وعانقه وقال حياك الله يا وجـ ـه الأحبـ ـاب أن أصبهان بلادي ولي فيها بنت عم كنت أحبها وأنا صغير وكنت مولعاً بها فغزي بلادنا قوم أقوى منا وأخذوني في جملة الغنائم وكنت صغيراً فقطعوا أحليلي ثم باعوني خادماً وها أنا في تلـ ـك الحالـ ـة وأدرك شـ ـهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٠١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الخادم الذي خرج من قصر الورد في الأكمام حـ ـدث أنـ ـس الوجـ ـود بجميع ما حصل له وقال له أن القوم الذين أخذوني قطعوا أحليلي وباعوني خادماً وها أنا في تلك الحالة وبعد ما سلم عليه وحياة أدخله ساحة القصر فلما دخل رأي بحيرة عظيمة وحولها أشجار وأغصان وفيها أطيار في أقفاص من فضة وأبوابها من الذهب وتلك الأقفاص معلقة على الأغصان والأطيار فيها تناغي وتسبح الملـ ـك الديان فلما وصل إلى أولها تأمله فإذا هو قمري فلما رآه الطير مد صوته وقال يا كريم فغشـ ـي علـ ـى أنـ ـس الوجود فلما أفاق من غشيته صعد الزفرات وأنشد هذه الأبيات:

أيهـ ـا القمـ ـري هـ ـل بمثلـ ـي تهـ ـيم فاسـ ـأل المـ ـولى وغـ ـرد يـ ـا كـ ـريم
يـ ـ ـا تـ ـ ـرى نوحـ ـ ـك هـ ـ ـذا طـ ـ ـرب أو غـ ـرام منـ ـك فـ ـي القلـ ـب مقـ ـيم
أن تـ ـ ـنح وجـ ـ ـدا الأحبـ ـ ـاب مضـ ـ ـوا أو تخلفـ ـ ـت بهـ ـ ـم مضـ ـ ـني سـ ـ ـقيم

أو فقـدت الحـب مثلـي فـي الهـوى | فالتحـافي يظهـر الوجـد القـديم
يـا راعـي الله محبـاً صـادقاً | لسـت أسـلوه ولـو عظمـي رمـيم

فلما فرغ من شعره بكى حتى وقع مغشياً عليه وحين أفاق من غشيته مشى حتى وصل إلى ثاني قفص فوجده فاختا فلما رآه الفاخت غرد وقال يا دائم أشكرك فصعد أنس الوجود الزفرات وأنشد هذه الأبيات:

وفاخـت قـد طـال فـي نوحـه | يـا دائمـاً شـكرا علـى بلـوتي
عسـى لعـل الله مـن فضـله | يقضـي بوصـل الحـب فـي سـفرتي
ورب معسـول اللمـى زارنـي | فزادنـي عشـقاً علـى صـبوتي
قلـت والنيـران قـد أضـرمت | فـي القلـب حتـى أحرقـت مهجتـي
والـدمع مسـفوك يحـاكي دمـا | قـد فـاض جاريـة علـى وجنتـي
مـا ثـم مخلـوق بـلا محنـة | لكـن لـي صـبراً علـى محنتـي
بقـدرة الله متـى لمنـي | وقـت الصـفا يـوم علـى سـادتي
جعلـت للعشـاق مـالي قـرى | لأنهـم قـوم علـى سـنتي
وأطلـق الأطيـار مـن سـجنها | وأتـرك الأحـزان مـن فرحتـي

فلما فرغ من شعره تمشى إلى ثالث قفص فوجده هزاراً فزعق الهزار عند رؤيته فلما سمعه أنشد هذه الأبيات:

أن الهـزار لطيـف الصـوت يعجبنـي | كأنه صـوت صـب فـي الغـرام فنـي
وارحمتـاه علـى العشـاق كـم قلقـوا | من ليلـة بـالهوى والشـوق والمحـن
كأنهم من عظـيم الشـوق قـد خلقـوا | بـلا صـباح ولا نـوم مـن الشـجن
لمـا جننـت بمـن أهـواه قيـدني | فيـه الغـرام ولمـا فيـه قيـدني
تسلسل الدمع مـن عينـي فقلـت لـه | سلاسـل الـدمع قـد طالـت فسلسـلني
زاد اشـتياقي وطـال البعـد وانعـدمت | كنـوز صـبري وفـرط الوجـد أتلفنـي
أن كـان الـدهر انصـاف ويجمعنـي | بمـن أحـب وسـتر الله يشـملني
قلعت ثوبي لحبي كـي يـرى جسـدي | بالصد والبعـد والهجـران كيـف ضـنـي

فلما فرغ من شعره تمشى إلى رابع قفص فرآه بلبلاً فناح وغرد عند رؤية أنس الوجود فلمـا سـمع تغريده سكب العبرات وأنشد هذه الأبيات :

أن للبلبـل صـوتاً فـي السـحر | شـغل العاشـق مـن حسـن الـوتر
في الهـوى أنـس الوجـود لمشـتكي | مـن غـرام قـد محـا منـه الأثـر
كمـا سـمعنا صـوت الحـان محـت | طربـاً صـلدحديـد وحجـر
ونسـيم الصـبح قـد يـروي لنـا | عـن ريـاض يانعـات بـالزهر
فطربنـا بسـماع وشـذا | مـن نسـيم وطيـور فـي السـحر
وتـذكرنا حبيبـاً غائبـاً | فجـرى الـدمع سـيولاً ومطـر
ولهيـب النـار فـي أحشـائنا | مضـمر ذاك كجمـر بالشـرر
متـع الله محبـاً عائقـاً | مـن حبيـب يوصـال ونظـر

أن للعشـ . . ـاق عـ . . ذراً واضـ . . ـحاً ... لـ ـيس يـ ـدري العـ ـذر إلا ذو النظـ ـر

فلما فرغ من شعره مشى قليلاً فرأى قفصاً حسناً لم يكن هناك أحسن منه فلما قرب منه وجـ ـده حمـ ـام الأيك وهو اليمام المشهور من بين الطيور بنوح الغرام وفي عنقه عقد من جوهر بديع النظام وتأمله فوجـ ـده ذاهلاً باطلاً باهتاً في قفصه فلما رآه بهذا الحال أفاض العبرات وأنشد هذه الأبيات:

يـ ـا حمـ ـام الأيـ ـك أقريـ ـك السـ ـلام ... يـ ـا أخـ ـا العشـ ـاق مـ ـن أهـ ـل الغـ ـرام

إننـ ـ ـي أهـ ـ ـوى غـ ـ ـزالاً أهيفـ ـ ـاً ... لحظـ ـه أقطـ ـع مـ ـن حـ ـد الحسـ ـام

فـ ـي الهـ ـوى أحـ ـرق قلبـ ـي والحشـ ـى ... وعـ ـلا جسـ ـمي نحـ ـول وسـ ـقام

ولذيـ ـذ الـ ـزاد قـ ـد أحرمتـ ـه ... مثـ ـل مـ ـا أحرمـ ـت مـ ـن طيـ ـب المنـ ـام

واصـ ـطباري وسـ ـلوي رحـ ـلاً ... والهـ ـوى بالوجـ ـد عنـ ـدي قـ ـد أقـ ـام

كيف يهنـ ـا العـ ـيش لـ ـي مـ ـن بعـ ـدهم ... وهمـ ـوا روحـ ـي وقصـ ـدي والمـ ـرام

فلما فرغ أنس الوجود من شعره وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٠٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أنس الوجود لما فرغ من شعره التفت إلى صاحبه الأصبهاني وقال له ما هذا القصر ومن هو من بناه قال له بناه وزير الملك الفلاني لابنته خوفاً عليهـ ـا مـ ـن عـ ـوارض الزمـ ـان وطوارق الحدثان وأسكنها فيه هي واتباعها ولا تفتحه إلا في كل سنة مرة لما تأتي إليهم مؤنتهم فقـ ـال فـ ـي نفسه قد حصل المقصود ولكن المدة طويلة هذا ما كان من أمر أنس الوجود وأما ما كان من أمر الورد فـ ـي الأكمام فإنها لم يهنأ لها شراب ولا طعام ولا قعود ولا منام فقامت وقد زاد بها الغرام والوجد والهيام ودارت في أركان القصر فلم تجد لها مصرفاً فسكبت العبرات وأنشدت هذه الأبيات:

حبسـ ـوني عـ ـن حبيبـ ـي قـ ـوة ... وأذاقـ ـوني بسـ ـجني لـ ـوعتي

أحرقـ ـوا قلبـ ـي بنيـ ـران الهـ ـوى ... حيـ ـث ردوا عـ ـن حبيبـ ـي نظرتـ ـي

حبسـ ـوني فـ ـي قصـ ـور شـ ـيدت ... فـ ـي جبـ ـال خلقـ ـت فـ ـي لجـ ـة

أن يكونـ ـوا قـ ـد أرادوا سـ ـلوتي ... لـ ـم تـ ـزد فـ ـي الحـ ـب إلا محنتـ ـي

كيـ ـف أسـ ـلو والـ ـذي بـ ـي كلـ ـه ... أصـ ـله فـ ـي وجـ ـه حبـ ـي نظرتـ ـي

فنهـ ـاري كلـ ـه فـ ـي أسـ ـف ... أقطـ ـع الليـ ـل بهـ ـم فـ ـي فكرتـ ـي

وأنيسـ ـي ذكـ ـرهم فـ ـي وحـ ـدتي ... حـ ـين ألقـ ـي مـ ـن لقـ ـاهم وحشـ ـتي

يـ ـا تـ ـرى هـ ـل بعـ ـد هـ ـذا كلـ ـه ... يسـ ـمح الـ ـدهر بلقيـ ـا منيتـ ـي

فلما فرغت من شعرها طلعت إلى سطح القصر وأخذت أثواباً بعلبكية وربطت نفسها فيها وتدلت حتى وصلت على الأرض وقد كانت لابسة أفخر ما عندها من اللباس وفي عنقها عقد من الجواهر وسـ ـارت فـ ـي تلك البراري والقفار حتى وصلت إلى شاطيء البحر فرأت صياداً في مركب دائر في البحر يصطاد فرمـ ـاه الريح على تلك الجزيرة فالتفت فرأى الورد في الأكمام في تلك الجزيرة فلما رآها فزع منها وخرج بالمركب هارباً فنادته وأكثرت إليه الإشارات وأنشدت هذه الأبيات:

يـا أيهـا الصـياد لا تخشـى الكـدر | أنـ . ـي أنسـ . ـية مثـ . ـل البشـ . ـر
أريـ . ـد منـ . ـك أن تجيـ . ـب دعـ . ـوتي | وتسـ . ـمعن قـ . ـولي بإسـ . ـناد بـ . ـالخبر
فـ . ـارحم وقـ . ـاك الله حـ . ـر صـ . ـبوتي | أن أبصـ . ـرت عيـ . ـاك محبوبـ . ـاً نفـ . ـر
فـ . ـأنني أهـ . ـوى مليحـ . ـاً وجهـ . ـه | فـ . ـاق وجـ . ـه الشـ . ـمس نـ . ـور القمـ . ـر
والظبـ . ـي لمـ . ـا أن رأى الحاظـ . ـه | قـ . ـد قـ . ـال أنـ . ـي عبـ . ـده ثـ . ـم اعتـ . ـذر
قـ . ـد كتـ . ـب الحسـ . ـن علـ . ـى وجنتـ . ـه | سـ ـطراً بـ ـديعاً فـ ـي المعـ ـاني مختصـ ـر
فمـ ـن رأى نـ ـور الهـ ـوى قـ ـد اهتـ ـدى | أمـ . ـا الـ . ـذي ضـ . ـل تعـ . ـدي وكفـ . ـر
"إن شـ . ـاء تعـ . ـديني بـ . ـه يـ . ـا حبـ . ـذا | فكـ . ـل مـ . ـا القـ . ـاه أجـ . ـراً وأجـ . ـر
ومـ . ـن يواقيـ . ـت ومـ . ـا أشـ . ـبهها | ولؤلـ . ـؤ رطـ . ـب وأنـ . ـواع الـ . ـدرر
عسـ . ـى حبيبـ . ـي أن يـ . ـوفى بـ . ـالمني | فـ . ـإن قلبـ . ـي ذاب شـ . ـوقاً وانفطـ . ـر

فلما سمع الصياد كلامها أرسى مركبه على البر وقال لها أنزلي في المركب حتى أعدى بـ ـك إلـ ـى أي موضع تريدين فنزلت في المركب وعوم بها فلما فارق البر بقليل هبت على المركب ريح من خلفها فسـ ـارت المركب بسرعة حتى غاب البر عن أعينهما وصار الصياد لا يعرف أين يذهب ومكث اشتداد الـ ـريح مـ ـدة ثلاثة أيام ثم سكن الريح بأذن الله تعالى ولم تزل المركب تسير بهما حتى وصلت إلى مدينة علـ ـى شـ ـاطيء البحر وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٠٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن المركب لما وصلت بالصياد والورد في الأكمام إلـ ـى مديـ ـة علـ ـى شاطيء البحر أراد الصياد أن يرسى مركبه على تلك المدينة وكان فيها ملك عظيم السطوة يقال له دربـ ـاس وكان في ذلك الوقت جالساً هو وابنه في قصر مملكته وصار ينظران من شباك القصر فالتفتا إلى جهة البحر فرأيا تلك المركب فتأملاها فوجدا فيها صبية كأنها البدر في أفق السماء وفي أذنيها حلق من البلخش الغـ ـالي وفي عنقها عقد من الجوهر النفيس فعرف الملك أنها من بنات الأكابر والملوك فنزل الملك من قصره وخرج من باب القيطون فرأي المركب قد رست على الشاطيء وكانت البنت نائمة والصياد مشغولاً بربط المركـ ـب فأيقظها الملك من منامها فاستيقظت وهي تبكي فقال لها الملك من أين أنت وابنة من أنت وما سبب مجيئـ ـك هنا فقالت له الورد في الأكمام أنا ابنة إبراهيم وزير الملك شامخ وسبب مجيء هنا أمر عجيب وشأن غريب وحكت له جميع قصتها من أولها إلى آخرها ولم تخف عنه شيئاً ثم صعدت الزفرات وأنشدت هذه الأبيات:

قد قرح الدمع جفنـ ـي فاقتضـ ـى عجبـ ـاً | مـ . ـن التكـ . ـدر لمـ . ـا فـ . ـاض وانسـ . ـكبا
من أجل خل سوى فـ ـي مهجتـ ـي أبـ ـدا | ولم أنل في الهـ ـوى مـ ـن وصـ ـله أربـ ـاً
لـ . ـه محيـ . ـا جميـ . ـل باهرنضـ . ـر | وفـ ـي الملاحـ ـة فـ ـاق التـ ـرك والعربـ ـا
والشـ ـمس والبـ ـدر قـ ـد مـ ـالا لطلعتـ ـه | كالصـ . ـب والتزمـ . ـا فـ . ـي حبـ . ـه الأدبـ . ـا
وطرفـ . ـه بعجيـ . ـب السـ . ـحر مكتحـ . ـل | يريـ ـك قوسـ ـاً لرمـ ـي السـ ـهم منتصـ ـبا
يا من لـ ـه حـ ـالتي أوضـ ـحت معتـ ـذراً | ارحم محبـ ـاً بـ ـه صـ ـرف الهـ ـوى لعبـ ـا
أن الهوى قد رماني في وسط سـ ـاحتكم | ضـ ـعيف عـ ـزم ومـ ـنكم ارتجـ ـى حسـ ـباً
أن الكـ . ـرام إذا مـ . ـا حـ . ـل سـ . ـاحتهم | مستحسـ . ـب فحمـ . ـاهم يرفـ . ـع الحسـ . ـبا

فاستر فضائح أهـ ـل العشـ ـق يـ ـا أملـ ـي وكـ ـن لوصـ ـلتهم يـ ـا سـ ـيدي سـ ـبباً

فلما فرغت من شعرها حكت للملك قصتها من أولها إلى آخرها فقال لها لا خوف عليك ولا فزع قـ ـد وصلت إلى مرادك فلابد أن أبلغك ما تريدينه وأوصل إليك ما تطلبينه فاسمعي مني هذه الكلمات ثم أنشد هذه الأبيات:

بنـ ـت الكـ ـرام بلغـ ـت القصـ ـد والأربـ ـا لـ ـك البشـ ـارات لا تخشـ ـى هنـ ـا نصـ ـباً
اليـ ـوم أجمـ ـع أمـ ـوالاً وأرسـ ـلها لشـ ـامخ صـ ـحبة الفرسـ ـان والنجبـ ـا
نـ ـوافج المسـ ـك والـ ـديباج أرسـ ـلها وأرسـ ـل الفضـ ـة البيضـ ـا والـ ـذهبا
نعـ ـم وتخبـ ـره عنـ ـي مكـ ـاتبتي أنـ ـي مريـ ـداً لـ ـه صـ ـهراً ومنتسـ ـباً
وأبـ ـذل اليـ ـوم جهـ ـدي فـ ـي معاونـ ـة حتـ ـى يكـ ـون الـ ـذي تهـ ـوين مقتربـ ـاً
قد ذقت طعـ ـم الهـ ـوى دهـ ـراً وأعرفـ ـه وأعذر اليوم مـ ـن كـ ـأس الهـ ـوى شـ ـرباً

فلما فرغ من شعره خرج إلى عسكره ودعا بوزيره وحزم له مالا لا يحصى وأمره أن يذهب بذلك إلى الملك شامخ وقال له لابد أن تأتيني بشخص عنده اسمه أنس الوجود وقل له أنه يريد مصاهرتك بأن يـ ـزوج ابنته لأنس الوجود تابعك فلابد من إرساله معي حتى نعقد عقده عليها في مملكة أبيها ثم أن الملـ ـك دربـ ـاس كتب مكتوباً للملك شامخ بمضمون ذلك وأعطاه لوزيره وأكد عليه في الأتيان بأنس الوجود وقال لـ ـه أن لـ ـم تأتني به تكون معزولاً عن مرتبتك فقال له سمعاً وطاعة ثم توجه بالهدية إلى الملك شامخ فلما وصـ ـل إليـ ـه بلغه السلام عن الملك درباس وأعطاه المكاتبة والهدية التي معه فلما رآه الملك شامخ وقرأ المكاتبة ونظر اسم أنس الوجود بكى بكاء شديداً وقال للوزير المرسل إليه وأين أنس الوجود فإنه ذهب ولا نعلم مكانه فأتني بـ ـه وأنا أعطيك أضعاف ما جئت به من الهدية ثم بكى وأن واشتكى وأفاض العبرات وأنشد هذه الأبيات:

ردوا علـ . . . . . . ـى حبيبـ . . . . . ـي لا حاجـ . . . . . ـة لـ . . . . . ـي بمـ . . . . ـال
ولا أريـ . . . . ـد هـ . . . . ـدايا مـ . . . . . ـن جـ . . . . . ـوهر ولالـ . . . . ـي
يـ . . . ـد كـ . . ـان عنـ . . ـدي بـ . . . ـدرا سـ . . . . . ـما بـ . . . . . ـافق جمـ . . . . . ـال
وفـ . . . ـاق حسـ . . . ـناً ومعنـ . . . . ـى ولـ . . . . ـم يقـ . . . . . ـس بغـ . . . . ـزل
وقـ . . . . . ـد غصـ . . . . ـن بـ . . . . ـان أثمـ . . . . ـاره مـ . . . . ـن دلال
ولـ . . ـيس فـ . . ـي الغصـ . . ـن طبـ . . ـع يسـ . . . . ـبى عقـ . . . ـول الرجـ . . . ـال
ربيـ . . . . . ـه وهـ . . . . ـو طفـ . . . . ـل علـ . . . . . ـى مهـ . . . . . ـاد الـ . . . . . ـدلال
وأننـ . . . . ـي لحـ . . . . ـزين عليـ . . . . . ـه مشـ . . . . . ـغول بـ . . . . . ـال

ثم التفت إلى الوزير الذي جاء بالهدية والرسالة وقال له اذهب إلى سيدك وأخبـ ـره أن أنـ ـس الوجـ ـود مضى عام وهو غائب وسيده لم يدر أين ذهب ولا يعرف له خبر فقال له الوزير يا مولاي أن سيدي قال لي أن لم تأتني به تكن معزولاً عن الوزارة ولا تدخل مدينتي فكيف أذهب إليه بغيره فقال الملك شامخ لـ ـوزيره إبراهيم اذهب معه صحبة جماعة وفتشوا على أنس الوجود في سائر الأماكن فقال له سمعاً وطاعة ثـ ـم أخـ ـذ

جماعة من اتباعه واستصحب وزير الملك درباس وساروا في طلب أنس الوجود وأدرك شـ هرزاد الصـ باح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٠٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن ابراهيم وزير الملك شامخ أخذ جماعة من اتباعه واستصحب وزيـ ر الملك درباس وساروا في طلب أنس الوجود فكانوا كلما مروا بعرب أو قوم يسألونهم عـ ن أنـ س الوجـ ود فيقولون لهم هل مر بكم شخص اسمه كذا وصفته كذا وكذا فيقولون لا نعلمه ومازالوا يسألون فـ ي المـ دائن والقرآ ويفتشون في السهول والأوعار والبراري والقفار حتى وصلوا إلى شاطيء البحر وطلعوا في مركبـ ا ونزلوا فيها وساروا بها حتى أقبلوا على جبل الثكلي فقال وزير الملك درباس لوزير الملك شامخ لأي شـ يء سمي هذا الجبل بذلك الاسم فقال له لأنه نزلت به جنية في قديم الزمان وكانت تلك الجنية من جن الصين وقد أحبت أنساناً ووقع له معها غرام وخافت على نفسها من أهلها فلما زاد بها الغرام فتشت فـ ي الأرض علـ ى مكان تخفيه فيه عن أهلها فوجدت هذا الجبل منقطعاً عن الأنس والجن بحيث لا يهتدي إلى طريقه أحد مـ ن الأنس والجن فأختطفت محبوبها ووضعته فيه وصارت تذهب إلى أهلها وتأتيه في خفية ولم تزل على ذلـ ك زمناً طويلاً حتى ولدت منه في ذلك الجبل أطفالاً متعددة وكان كل من يمر على هـ ذا الجبـ ل مـ ن التجـ ار والمسافرين في البحر يسمع بكاء الأطفال كبكاء المرأة التي ثكلت أولادها أي فقدتهم فيقول هـ ل هنـ ا ثكلـ ى فتعجب وزير الملك درباس من هذا الكلام ثم أنهم ساروا حتى وصلوا إلى القصر وطرقوا الباب فانفتح الباب وخرج لهم خادم فعرف ابراهيم وزير الملك شامخ فقبل يده ثم دخل القصر فوجد في فسحته رجلاً فقيراً بـ ين الخدامين وهو أنس الوجود فقال لهم من أين هذا فقالوا له أنه رجل تاجر غرق ماله ونجا بنفسه وهو مجذوب فتركه ثم مشى إلى داخل القصر فلم يجد لأبنته أثراً فسأل الجواري التي هناك فقلن له ما عرفنا كيف راحـ ت ولا أقامت معنا سوى مدة يسيرة فسكب العبرات وأنشد هذه الأبيات :

أيهـ ـا الـ ـدار التـ ـي أطيارهـ ـا	قـ ـد تغنـ ـت وازدهـ ـت أعتابهـ ـا
فأتاهـ ـا الصـ ـب ينعـ ـي شـ ـوقه ورآهـ ـا	ورآهـ ـ ـ ـا فتحـ ـ ـ ـت أبوابهـ ـ ـ ـا
ليـ ـت شـ ـعري أيـ ـن ضـ ـاعت مهجتـ ـي	عنـ ـد دار قـ ـد نـ ـأت أربيبهـ ـا
كـ ـان فيهـ ـا كـ ـل شـ ـيء فـ ـاخر	واسـ ـتطالت واعتلـ ـت حجابهـ ـا
وكسـ ـوها حلـ ـل مـ ـن سـ ـندس	يـ ـا تـ ـرى أيـ ـن غـ ـدت أصـ ـحابها

فلما فرغ من شعره بكى وأنّ واشتكى وقال لا حيلة في قضاء الله ولا مفر مما قدره وقضاه ثم طلع إلى سطح القصر فوجد الثياب البعلبكية مربوطة في شراريف القصر واصلة إلى الأرض فعرف أنها نزلت مـ ن ذلك المكان وراحت كالهائم الولهان والتفت فرأى هناك طيرين غراباً وبومه فتشاءم من ذلك وصعد الزفرات وأنشد هذه الأبيات:

أتيـ ـت إلـ ـى دار الأحبـ ـة راجيـ ـاً	بآثـ ـارهم أطفـ ـاء وجـ ـدي ولـ ـوعتي
فلم أجد الأحباب فيهاولم أجد وقال لسان	بهـ ـا غيـ ـر مشـ ـؤمي غـ ـراب وبومـ ـة
الحـ ـ ـال قـ ـ ـد كنـ ـ ـت ظالمـ ـ ـاً	وفرقـ ـت بـ ـين المغـ ـرمين الأحبـ ـة
فذق طعم ما ذاقـ ـوه مـ ـن ألـ ـم الجـ ـوي	وعـ ـش كمـ ـداً مـ ـا بـ ـين دمـ ـع وحرقـ ـة

ثم نزل من فوق القصر وهو يبكي وقد أمر الخدام أن يخرجوا إلى الجبل ويفتشوا على سيدتهم ففعلوا ذلك فلم يجدوها هذا ما كان من أمرها (وأما) ما كان من أمر أنس الوجود فأنه لما تحقق أن الورد في الأكمام قد ذهبت صاح صيحة عظيمة ووقع مغشياً عليه واستمر في غشيته فظنوا أنه أخذته جذبة من الرحمن واستغرق في جمال هيبة الديان ولما يئسوا من وجود أنس الوجود واشتغل قلب الوزير ابراهيم بفقد بنته الورد في الأكمام أراد وزير الملك درباس أن يتوجه إلى بلاده وأن لم يفز من سفره بمراده فأخذ يودعه الوزير ابراهيم والد الورد في الأكمام فقال له وزير الملك درباس إني أريد أن آخذ هذا الفقير معي عسى الله تعالى أن يعطف على الملك ببركته لأنه مجذوب ثم بعد ذلك أرسله إلى بلاد أصبهان لأنها قريبة من بلادنا فقال له افعل ما تريد ثم انصرف كل منهما متوجهاً إلى بلاده وقد أخذ وزير الملك درباس أنس الوجود معه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٠٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن وزير الملك درباس أخذ أنس الوجود وهو مغشى عليه وسار ثلاثة أيام وهو في غشيته محمول على البغال ولا يدري هل هو محمول أو لا فلما أفاق من غشيته قال في أي مكان أنا فقالوا له أنت صحبة وزير الملك درباس ثم ذهبوا إلى الوزير وأخبروه أنه قد أفاق فأرسل إليه ماء الورد والسكر فسقوه وأنعشوه ولم يزالوا مسافرين حتى قربوا من مدينة الملك درباس فأرسل الملك إلى الوزير يقول له أن لم يكن أنس الوجود لا يعلم أين يذهبون به ولا يعلم أن الوزير مرسل في طلبه والوزير لا يعلم أن هذا هو أنس الوجود فلما رأى الوزير أن أنس الوجود قد استفاق قال له أن الملك أرسلني في حاجة وهي لم تقض ولما علم بقدومي أرسل إلى مكتوباً يقول لي فيه إن لم تكن الحاجة قد قضيت فلا تدخل مدينتي فقال له وما حاجة الملك فحكى له جميع الحكاية فقال له أنس الوجود لا تخف واذهب إلى الملك وخذني معك وأنا أضمن مجيء أنس الوجود ففرح الوزير بذلك وقال له أحق ما تقول فقال نعم فركب وأخذه معه وسار به إلى الملك فلما وصلا إلى الملك قال له أين أنس الوجود فقال له أنس الوجود أيها الملك أنا أعرف مكان أنس الوجود فقربه إليه وقال له في أي مكان هو قال في مكان قريب جداً ولكن أخبرني ماذا تريد منه وأنا أحضره بين يديك فقال له حباً وكرامة ولكن هذا الأمر يحتاج إلى خلوة ثم أمر الناس بالانصراف ودخل معه خلوة وأخبره الملك بالقصة من أولها إلى آخرها فقال له أنس الوجود ائتني بثياب فاخرة والبسني إياها وأنا آتيك بأنس الوجود سريعاً فأتاه ببدلة فاخرة فلبسها وقال أنا أنس الوجود وكمد الحسود ثم رمي القلوب باللحظات وأنشد هذه الأبيات:

يؤانسني ذكر الحبيب بخلوتي	ويطرد عني في التباعد وحشتي
وما لي غير الدمع عين وأنما	إذا فاض من عيني يخفف زفرتي وأمري
وشوقي شديد ليس يوجد مثله	عجيب فحب في الهوى والمحبة
فأقطع ليلي ساهر الجفن لم أنم	وفي العشق أسعى بين نار وجنة
وقد كان لي صبر جميل عدمته	وما منحتي في الحب إلا بمحنتي
وقد رق جسمي من أليم بعادهم	وغيرت الأشواق وصفي وصورتي

وأجف ـان عيذ ـي باك ـدموع تقرحـ ـت ولـ ـم أسـ ـتطع أذ ـي أرجـ ـع دمعة ـي
وقـ ـد قـ ـل حيلـ ـي والفـ ـؤاد عدمت ـه وكـ ـم ذا ألاقـ ـي لوعـ ـة بعـ ـد لوعـ ـة
وقلبـ ـي ورأسـ ـي بالمشـ ـيب تشـ ـابها على سادة فـ ـي الحسـ ـن أحسـ ـن سـ ـادة
علـ ـى زعمهـ ـم كـ ـان التفـ ـرق بيننـ ـا ومـ ـا قصـ ـدهم إلا لقـ ـائي ووصـ ـلتي
فيا هل تـ ـرى بعـ ـد التقـ ـاطع والنـ ـوى يمتعنـ ـي دهـ ـري بوصـ ـل أحبتـ ـي
ويطوي كتاب البعـ ـد مـ ـن بعـ ـد نشـ ـره وتمحـ ـي براحـ ـات الوصـ ـال مشـ ـقتي
ويبقـ ـى حبيبـ ـي فـ ـي الـ ـديار منـ ـادمي وتبـ ـدل أحزانـ ـي بصـ ـفو سـ ـريرتي

فلما فرغ من شعره قال له الملك والله أنكما لمحبان صادقان وفي سماء الحسن كوكبان نيران وأمركما عجيب وشأنكما غريب ثم حكى له حكاية الورد في الأكمام إلى آخرها فقال له وأين هي يا ملك الزمان قـ ـال هي عندي الآن ثم أحضر الملك القاضي والشهود وعقد عقدها عليه وأكرمه وأحسن إليه ثـ ـم أرسـ ـل الملـ ـك درباس إلى الملك شامخ وأخبره بجميع ما اتفق له من أمر أنس الوجود والوردد في الأكمام ففرح الملك شامخ بذلك غاية الفرح وأرسل إليه مكتوباً مضمونه حيث حصل عقد العقد عندك ينبغي أن يكون الفرح والـ ـدخول عندي ثم جهز الجمال والخيل والرجال وأرسل في طلبهما فلما وصلت الرسالة إلى الملك درباس أمدهما بمال عظيم وأرسلهما مع جملة عسكره فساروا بهما حتى دخلوا مدينتهما وكان يوماً مشهوداً لم يـ ـر أعظـ ـم منـ ـه وجمع الملك شامخ سائر المطربات من آلات المغاني وعمل الولائم ومكثوا على ذلك سبعة أيام وفي كل يوم يخلع الملك شامخ على الناس الخلع السنية ويحسن إليهم ثم أن أنس الوجود دخل على الـ ـورد فـ ـي الأكمـ ـام فعانقها وجلسا يبكيان من فرط الفرح والمسرات فأنشد هذه الأبيات:

جـ ـاء السـ ـرور أزال الهـ ـم والحزنـ ـا ثـ ـم اجتمعنـ ـا وأكمـ ـدنا حواسـ ـدنا
ونسـ ـمة الوصـ ـل قـ ـد هبـ ـت معطـ ـرة فأحيـ ـت القلـ ـب والأحشـ ـاء والبـ ـدنا
وبهجـ ـة الأنـ ـس قـ ـد لاحـ ـت مخلقـ ـة وفـ ـي الخـ ـوافتي قـ ـد دقـ ـت بشـ ـائرنا
لا تحسبوا أننا باكون من حزن لكـ ـن مـ ـن فـ ـرح فاضـ ـت مـ ـدامعنا
فكـ ـم رأينـ ـا مـ ـن الأهـ ـوال وانصـ ـرفت وقد صـ ـبرنا علـ ـى مـ ـا هـ ـيج الشـ ـجنا
فساعة مـ ـن وصـ ـال قـ ـد نسـ ـيت بهـ ـا مـ ـا كـ ـان مـ ـن شـ ـدة الأهـ ـوال شـ ـيبنا

فلما فرغ من شعره تعانقا ولم يزالا متعانقين حتى وقعا مغشياً عليهما. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٠٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أنس الوجود والورد في الأكمام لما اجتمعا تعانقاً ولم يزالا متعـ ـانقين حتى وقعا مغشياً عليهما من لذة الاجتماع فلما أفاقا من غشيتهما أنشد أنس الوجود هذه الأبيات:

مـ ـا أحلاهـ ـا لـ ـيلات الوفـ ـا حيـ ـث أمنـ ـي لـ ـي حبيبـ ـي منصـ ـفاً
وتـ ـوالى الوصـ ـل فيمـ ـا بيننـ ـا وانفصـ ـال الهجـ ـر عنـ ـا قـ ـد وفـ ـى
وإلينـ ـا الـ ـدهر يسـ ـعى مقـ ـبلاً بعـ ـد مـ ـا مـ ـال وعنـ ـا أنحرفـ ـا

نصـ ـ ـب السـ ـعد لنـ ـ ـا أعلامـ ـ ـه وشـ ـربنا منـ ـه كأسـ ـاً قـ ـد صـ ـفا
واجتمعنـ ـ ـا وتشـ ـ ـاكينا الأسـ ـ ـى وليـ ـ ـيلات تقضـ ـ ـت بالجفـ ـ ـا
ونسـ ـينا مـ ـا مضـ ـى يـ ـا سـ ـادتي وعـ ـف الـ ـرحمن عمـ ـا سـ ـلفا
مـ ـا ألـ ـذ العـ ـيش مـ ـا أطيبـ ـه لـ ـم يزددنـ ـي الوصـ ـل إلا شـ ـغفا

فلما فرغ من شعره تعانقا واضطجعا في خلوتهما ولم يزالا في منادمة وأشعار ولطف حكايات وأخبار حتى غرقا في بحر الغرام ومضت عليهما سبعة أيام وهما لا يدريان ليلاً من نهار لفرط ما هما فيه من لـ ذة وسرور وصفو وحبور فكأن السبعة أيام يوم واحد ليس له ثاني وما عرفاً يـ وم الأسـ بوع إلا بمجـ يء آلات المغاني فأكثرت الورد في الأكمام التعجبات وأنشدت هذه الأبيات:

علـ ـى غـ ـيظ الحواسـ ـد والرقيـ ـب بلغنـ ـا مـ ـا نريـ ـد مـ ـن الحبيـ ـب
وأسـ ـ ـعفنا التوصـ ـ ـل باعتنـ ـ ـاق علـ ـى الـ ـديباج والقـ ـز القشـ ـيب
وفـ ـرش مـ ـن أديـ ـم قـ ـد حشـ ـونا بـ ـريش الطيـ ـر مـ ـن شـ ـكل غريـ ـب
وعـ ـن شـ ـرب المـ ـدام قـ ـد أغتلينـ ـا بريـ ـق الحـ ـب جنـ ـل عـ ـن الضـ ـريب
ومـ ـن طيـ ـب الوصـ ـال فلـ ـيس نـ ـدري بأوقـ ـ ـات البعيـ ـ ـد مـ ـ ـن القريـ ـ ـب
ليـ ـ ـالي سـ ـ ـبعة مـ ـ ـرت علينـ ـ ـا ولـ ـم نشـ ـعر بهـ ـا كـ ـم مـ ـن عجيـ ـب
فهنـ ـ ـوني بأسـ ـ ـبوع وقولـ ـ ـوا أدام الله وصـ ـ ـ ـ ـلك بأحبيـ ـ ـ ـ ـب

فلما فرغت من شعرها قبلها أنس الوجود ما ينوف عن المئات ثم أنشد هذه الأبيات:

أتـ ـى يـ ـوم السـ ـرور مـ ـع التهـ ـاني وجـ ـاء الحـ ـب مـ ـن صـ ـد وفـ ـاني
فآنسـ ـني بطيـ ـب الوصـ ـل منـ ـه ونـ ـ ـادمني بالطـ ـ ـاف المعـ ـ ـاني
وأسـ ـقاني شـ ـراب الأنـ ـس حتـ ـى ذهلـ ـت عـ ـن الوجـ ـود بمـ ـا سـ ـقاني
طربنـ ـ ـا وانشـ ـ ـرحنا واضـ ـ ـطجعنا وصـ ـرنا فـ ـي شـ ـراب مـ ـع أغـ ـاني
ومـ ـن فـ ـرط السـ ـرور فلـ ـيس نـ ـدري مـ ـ ـن الأيـ ـ ـام أولهـ ـ ـا وثـ ـ ـاني
هنيئـ ـاً للمحـ ـب بطيـ ـب وصـ ـل ووافـ ـاة السـ ـرور كمـ ـا وفـ ـاني
ولا يـ ـدري لمـ ـر الصـ ـد طعمـ ـاً وربـ ـي قـ ـد حبـ ـاه كمـ ـا حبـ ـاني

فلما فرغ من شعره قاما وخرجا من مكانهما وأنعما على الناس بالمال والخلع وأعطيا ووهبـ ا إلـ ى أن أتاهم هازم اللذات ومفرق الجماعات فسبحان من لا يحول ولا يزول وإليه كل الأمور تؤول.

(ومما) يحكي أن الخليفة هارون الرشيد كان يحب السيدة زبيدة محبة عظيمة وبنى لها مكانـ اً للتنـ زه وعمل فيه بحيرة من الماء وعمل لها سياجاً من الأشجار وأرسل إليها الماء من كل جانـ ب فالتفـ ت عليهـ ا الأشجار حتى لو دخل أحد يغتسل في تلك البحيرة لم يره أحد من كثرة أوراق الشجر فاتفق أن السيدة زبيـ دة دخلت ذلك المكان يوماً وأتت إلى البحيرة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٠٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن السيدة زبيدة لما دخلت ذلك المكان يوماً وأتت إلى البحيرة وتفرجـ ت على حسنها فأعجبها رونقها والتفاف الأشجار عليها وكان ذلك في يوم شديد الحر فقلعت أثوابها ونزلت فـ ي

البحيرة ووقفت وكانت البحيرة لا تستر من يقف فيها فجعلت تملأ الماء بأبريق من لجين وتصب الماء على بدنها فعلم الخليفة بذلك فنزل من قصره يتجسس عليها من خلف أوراق الأشجار فرآها عريانه وقد بان منها ما كان مستوراً فلما أحست بأمير المؤمنين خلف أوراق الأشجار وعرفت أنه رآها عريانة التفتت إليه ونظرته فاستحشت منه ووضعت يديها على فرجها ففاض من بين يديها لفرط كبره وغلظه فولّى من ساعته وهو يتعجب من ذلك وينشد هذا البيت:

نظرت عيني لحيني   وزكا وجدي لبيني

فقال أبو نواس سمعاً وطاعة وارتجل في أقرب اللحظات وأنشد هذه الأبيات:

نظ . . . رت عيـ . . . ـي لحيـ . . . ـي	وزك . . . ـا وج . . . ـدي لبيـ . . . ـي
م . . . ن غ . . . زال ق . . . د سـ . . باني	تحـ . . . ـت ظ . . . ـل الـ . . . ـدرتين
سـ . . . ـكب المـ . . . ـاء عليـ . . . ـه	بأبـ . . . . . . ـاريق اللجـ . . . . . . ـين
نظرتـ . . . . . . ـي سـ . . . . . . ـترته	فـ . . ـاص مـ . . . ـن بـ . . . ـين اليـ . . ـدين
ليتـ . . . ـي كـ . . . ـت عليـ . . . ـه	سـ . . . . . . ـاعة أو سـ . . . . . . ـاعتين

فتبسم أمير المؤمنين من كلامه وأحسن إليه وانصرف من عنده مسروراً.

(ومما يحكي) أن الملك العادل كسرى أنو شروان ركب يوماً إلى الصيد فأنفرد عن عسكره خلف ظبي فبينما هو ساع خلف الظبي إذ رأى ضيعة قريبة منه وكان قد عطش عطشاً شديداً فتوجه إلى تلك الضيعة وقد دار باب قوم في طريقه فطلب ماء ليشرب فخرجت له صبية فأبصرته ثم عادت إلى البيت وعصرت له عوداً واحداً من قصب السكر ومزجت ما عصرته منه بالماء ووضعته في قدح ووضعت عليه شيئاً من الطيب يشبه التراب ثم سلمته إلى أنو شروان فنظر في القدح فرأى فيه شيئاً يشبه التراب فجعل يشرب منه قليلاً حتى انتهى إلى آخره ثم قال للصبية أيتها الصبية نعم الماء ما أحلاه لولا ذلك القذي الذي فيه فإنه كدره فقالت الصبية أيها الضيف أنا عمداً القيت فيه ذلك القذى الذي كدره فقال الملك لوم فعلت ذلك فقالت لأني رأيتك شديد العطش وخفت أن تشربه نهلة واحدة فضرك فلو لم يكن فيه قذى لكنت شربته بسرعة نهلة واحدة وكان يضرك شربه على هذه الطريقة فتعجب الملك العادل أنو شروان من كلامها وذكاء عقلها وعلم أن ما قالته ناشيء عن ذكاء وفطنة وجودة عقل فقال لها من عود عصرت ذلك الماء فقالت من عود واحد فتعجب أنو شروان وطلب ضريبة الخراج الذي يحصل من تلك القرية فرأى خراجها قليلاً فاضمر في نفسه أنه إذا عاد إلى تخته يزيد في خراج تلك القرية وقال قرية يكون في عود واحد منها هذا الماء كيف يكون خراجها هذا القدر القليل ثم انصرف عن تلك القرية إلى الصيد وفي آخر النهار رجع إليها واجتاز على ذلك الباب منفرداً وطلب الماء ليشرب فخرجت تلك الصبية بعينها فرأته فعرفته ثم عادت لتخرج له الماء فأبطأت عليه فاستعجلها أنو شروان وقال لأي شيء أبطأت وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٠٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك أنو شروان لما استعجل الصبية قال لها لأي شيء أبطأت فقالت له لأنه لم يخرج من عود واحد قدر حاجتك فعصرت ثلاثة أعوام ولم يخرج منها مثل ما كان يخرج من عود واحد فقال الملك أنو شروان ما سبب ذلك فقالت سببه أن نية السلطان قد تغيرت فقال لها من أين جاءك قالت سمعنا من العقلاء أنه إذا تغيرت نية السلطان على قوم زالت بركتهم وقلت خيراتهم فضحك أنو شروان وأزال من نفسه ما كان أضمر لهم عليه وتزوج بتلك الصبية حالا حيث أعجبه فرط ذكائها وفطنتها وحسن كلامها.

(ومما يحكي) أنه كان بمدينة بخارى رجل سقا يحمل بالماء إلى دار رجل صائغ ومضى له على تلك الحالة والصيانة فجاء السقا على عادته يوماً وصب الماء في الحباب وكانت قائمة في وسط الدار فدنا منها السقا وأخذ بيدها وفركها وعصرها ثم مضى وتركها فلما جاء زوجها من السوق قالت له أني أريد أن تعرفني أي شيء صنعت هذا اليوم في السوق ما يغضب الله تعالى فقال الرجل ما صنعت شيئاً يغضب الله تعالى فقالت المرأة بلى والله أنك فعلت شيئاً يغضب الله تعالى وأن لم تحدثني بما صنعت وتصدقني في حديثك لا أقعد في بيتك ولا تراني ولا أراك فقال أخبرك بما فعلته في يومي هذا على وجه الصدق اتفق لي أنني جالس في الدكان على عادتي إذ جاءت امرأة إلى دكاني وأمرتني أن أصوغ لها سواراً وانصرفت فصغت لها سواراً من ذهب ورفعته فلما حضرت أتيتها به فأخرجت يدها ووضعت السوار في ساعدها فتحيرت من بياض يدها وحسن زندها الذي يسبى الناظر وتذكرت قول الشاعر:

وسـ ـواعد تزهـ ـو بحسـ ـن أسـ ـاور	**كالنـ ـار تضـ ـرم فـ ـوق مـ ـاء جـ ـار**
فكأنمـ ـا والتبـ ـر محتـ ـاط بهـ ـا	**مـ ـاء تمنطـ ـق معجبـ ـاً بالنـ ـار**

فأخذت يدها وعصرتها ولويتها فقالت له المرأة الله أكبر لم فعلت هذا الجرم أن ذلك الرجل السقا الذي كان يدخل بيتنا منذ ثلاثين سنة ولم نر فيه خيانة أخذ اليوم يدي وعصرها ولواها فقال الرجل نسأل الله الأمان أيتها المرأة أني تائب مما كان مني فاستغفري الله لي فقالت المرأة غفر الله لي ولك ورزقنا حسن العاقبة فلما كان الغد جاء الرجل السقا والقى نفسه بين يدي المرأة وتمرغ على التراب واعتذر إليها وقال يا سيدتي اجعليني في حل مما أغراني به الشيطان حيث أضلني وأغواني فقالت له المرأة امض إلى حال سبيلك فإن ذلك الخطأ لم يكن منك وأنما كان سببه من زوجي حيث فعل ما فعل في الدكان فاقتص الله منه في الدنيا وقيل أن الرجل الصائغ لما أخبرته زوجته بما فعل السقا معها قال دقة بدقة ولو زدت لزاد السقا فصار هذا الكلام مثلاً سائراً بين الناس فينبغي للمرأة أن تكون مع زوجها ظاهراً وباطناً وتقنع منه بالقليل إن لم يقدر على الكثير وتقتدي بعائشة الصديقة وفاطمة الزهراء رضي الله تعالى عنهما لتكون مع حواشي السلف.

(ومما يحكي) أنه كان في قديم الزمان وسالف العصر والأوان امرأة صالحة في بني إسرائيل وكانت تلك المرأة دينة عابدة تخرج كل يوم إلى المصلى وكان بجانب تلك المصلى بستان فإذا خرجت إلى المصلى تدخل ذلك البستان وتتوضأ منه وكان في البستان شيخان يحرسانه فتعلق الشيخان بتلك المرأة وراوداها عن نفسها فأبت فقالا لها أن لم تمكنينا من نفسك لنشهدن عليك بالزنا فقالت لهما الجارية الله يكفيني شركما ففتحا

باب البستان وصاحا فأقبل عليهما الناس من كل مكان وقالوا ما خبركما فقالا أنا وجدنا هذه الجارية مع شاب يفجر بها وانفلت الشاب من أيدينا وكان الناس في ذلك الوقت ينادون بفضيحة الزاني ثلاثة أيام ثم يرجمونه فنادوا عليها ثلاثة أيام من أجل الفضيحة وكان الشيخان في كل يوم يدانون منها ويضعان أيديهما على رأسها ويقولان لها الحمد لله الذي أنزل بك نقمته فلما أرادوا رجمها اتبعهم دانيال وهو ابن اثنتي عشرة سنة وهذه أول معجزة له على نبينا وعليه الصلاة والسلام ولم يزل تابعاً لهم حتى لحقهم وقال لا تعجلوا عليها بالرجم حتى أقضي بينهم فوضعوا له كرسياً ثم جلس وفرق بين الشيخين وهو أول من فرق بين الشهود فقال لأحدهما ما رأيت فذكر له ما جرى فقال له حصل ذلك في أي مكان في البستان فقال في الجانب الشرقي تحت شجرة كمثرى ثم الثاني عما رأى فأخبره بما جرى فقال له في أي مكان في البستان فقال في الجانب الغربي تحت شجرة تفاح هذا والجارية واقفة رافعة رأسها ويديها إلى السماء وهي تدعو الله بالخلاص فأنزل الله تعالى صاعقة من العذاب فأحرقت الشيخين وأظهر الله تعالى براءة الجارية وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٠٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الصاعقة نزلت على الشيخين فأحرقتهما وأظهر الله براءة الجارية وهذا أول ما جرى من المعجزات لنبي الله دانيال عليه السلام.

(ومما يحكى) أن أمير المؤمنين هارون الرشيد خرج يوماً من الأيام هو وأبو أسحق النديم وجعفر البرمكي وأبو نواس وساروا في الصحراء فرأوا شيخاً متكئاً على حمار له فقال هارون الرشيد لجعفر أسأل هذا الشيخ من أين هو فقال له جعفر من أين جئت فقال من البصرة فقال له جعفر وإلى أين سيرك قال إلى بغداد قال وما تصنع فيها قال التمس دواء لعيني فقال هارون الرشيد يا جعفر مازحه فقال إذا مازحته أسمع منه ما أكره فقال بحقي عليك أن تمازحه فقال جعفر للشيخ إن وصفت لك دواء ينفعك ما الذي تكافئني به فقال له الله تعالى يكافئك عني ما هو خير لك من مكافئتي فقال أنصت إلي حتى أصف لك هذا الدواء الذي لا أصفه لأحد غيرك فقال له وما هو قال جعفر خذ لك ثلاث أوراق من هبوب الريح وثلاث أوراق من شعاع الشمس وثلاث أوراق من زهر القمر وثلاث أوراق من نور السراج وأجمع الجميع وضعها في الريح ثلاثة أشهر ثم بعد ذلك ضعها في هون بلا قعر ودقها ثلاثة أشهر فإذا دفقتها تضعها في جفنك مشقوقة وضع الجفنة في الريح ثلاثة أشهر ثم استعمل من هذا الدواء في كل يوم ثلاثة دراهم عند النوم واستمر على ذلك ثلاثة أشهر فإنك تعافي إن شاء الله تعالى فلما سمع الشيخ كلام جعفر انسطح على حماره وضرط ضرطة منكرة وقال خذ هذه الضرطة مكفأة لك على وصفك هذا الدواء فإذا استعملته ورزقني الله العافية أعطيته جارية تخدمك في حياتك خدمة يقطع الله بها أجلك فإذا مت وعجل الله بروحك إلى النار وسخمت وجهك بخراها من حزنها عليك وتندب وتلطم وتنوح وتقول في نياحها يا ساقع الذقن ما أسقع ذقنك فضحك هارون حتى استلقى على قفاه وأمر لذلك الرجل بثلاثة آلاف درهم.

(وحكى) الشريف حسين بن ريان أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب كان جالساً في بعض الأيام للقضاء بين الناس والحكم بين الرعايا وعنده أكابر أصحابه من أهل الرأي والإصابة فبينما هو جالس إذ أقبل

عليه شاب من أحسن الشباب نظيف الثياب وقد تعلق به شابان من أحسن الشباب وقد جذبه الشابان من طوقه وأوقفاه بين يدي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فنظر أمير المؤمنين إليهما وإليه فأمرهما بالكف عنه وأدناه منه وقال للشابان ما قصتكما معه فقالا يا أمير المؤمنين نحن أخوان شقيقان وباتباع الحق حقيقان كان لنا أب شيخ كبير حسن التدبير معظم في القبائل منزه عن الرذائل معروف بالفضائل ربانا صغاراً وأولاد ا كب ارا وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٠٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشابين قالا لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب أن أبانا كان معظماً في القبائل منزه عن الرذائل معروفاً بالفضائل رباناً صغاراً وأولانا كبارا جم المناقب والمف اخر حقيق اً بق ول الشاعر:

قالوا أبو الصقر من شيبان قل ت لهم	**ك .لا لعم .ري ولك .ن من .ه ش .يبان**
فك م أب ق د ع لا ب ابن ذرى ش رف	**كم . ا عل . ت برس . ول الله ع . دنان**

فخرج يوماً إلى حديقة له ليتنزه في أشجارها ويقتطف يانع أثمارها فقتله هذا الشاب وعدل عن طري ق الرشاد ونسألك القصاص بما جناه والحكم فيه بما أمرك الله فنظر عمر إلى الشاب نظرة مرهبة وقال له ق د سمعت من هذين الغلامين الخطاب فما تقول أنت في الجواب وكان ذلك الغلام ثابت الجنان جريء اللسان قد خلع ثياب الهلع ونزع لباس الجزع فتبسم وتكلم بأفصح لسان وحيا أمير المؤمنين بكلمات حسان ثم ق ال والله يا أمير المؤمنين لقد وعيت ما أدعوا وصدقا فيما قالاه حيث أخبرا بما جرى وكان أمر الله قدرا مقدوراً ولكن سأذكر قصتي بين يديك والأمر فيها إليك اعلم يا أمير المؤمنين أني من صميم العرب العرب اء ال ذين ه م أشرف من تحت الجرباء نشأت في منازل البادية فأصابت قومي سود السنين العادية فأقبلت إلى ظاهر ه ذا البلد بالأهل والمال والولد وسلكت بعض طرائقها إلى المسير بين حدائقها بنياق كريمة لدى عزي زات عل ى بينهن فحل كريم الأصل كثير النسل مليح الشكل به يكثر منهن النتاج ويمشي بينهن كأنه ملك عليه تاج فندت بعض النياق إلى حديقة أبيهم وقد ظهر من الحائط أشجارها فتناولته بمشفرها فطردتها عن تلك الحديق ة وإذا بشيخ من الحائط قد ظهر وزفير غيظه يرمي الشرر وفي يده اليمنى حجر وهو يتهادى كالليث إذا حض ر فضرب الفحل بذلك الحجر فقتله لأنه أصاب مقتله فلما رأيت الفحل قد سقط بجانبي آنست أن قلبي قد توقدت فيه جمرات الغضب فتناولت ذلك الحجر بعينه وضربته به فكان سبباً لحينه ولقي سوء مقلبه والمرء مقت ول بما قتل به وعند إصابته الحجر صاح صيحة عظيمة وصرخ صرخة اليمة فأسرعت بالس ير م ن مك اني فأسرع هذان الشابان وأمسكاني وإليك أحضراني وبين يديك أوقفاني فقال عمر الله تعالى عنه قد اعترفت بما اقترفت وتعذر الخلاص ووجب القصاص ولات حين مناص فقال الشاب سمعاً وطاعة لما حكم ب ه الإم ام ورضيت بما اقتضته شريعة الإسلام ولكن لي أخ صغير كان له أب كبير خصه قبل وفاته بمال جزيل وذهب جليل وسلم أمره إلى وأشهد الله علي وقال هذا لأخيك عندك فأحفظه جهدك فأخذت ذلك المال منه ودفنته ولا أحد يعلم به إلا أنا فإن حكمت الآن بقتلي ذهب المال وكنت أنت السبب في ذهابه وطالبك الصغير بحقه ي وم يقضي الله بين خلقه وإن أنت انظرتني ثلاثة أيام أقمت من يتولى أمر الغلام وعدت وافياً بالذمام ول ي م ن

يضمنني على هذا الكلام فأطرق أمير المؤمنين رأسه ثم نظر إلى من حضر وقال من يقوم بضمانه والعـ ود إلى مكانه فنظر الغلام إلى وجوه من في المجلس وأشار إلى أبي ذردون الحاضـ رين وقـ ال هـ ذا يكفلنـ ي ويضمنني وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤١٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشاب لما أشار إلي أبي ذر وقال هذا يكفلني ويضمنني قـ ال عمـ ر رضي الله تعالى عنه يا أبا ذر أسمعت هذا الكلام وتضمن لي حضور هذا الغلام قال نعم يا أمير المـ ؤمنين أضمنه إلى ثلاثة أيام فرضي بذلك وأذن للغلام في الانصراف فلما انقضت مدة الإمهال وكاد وقتها أن يزول أوزال ولم يحضر الشاب إلى مجلس عمر والصحابة حوله كالنجوم حـ ول القمـ ر وأبـ و ذر قـ د حضـ روا الخصمان ينتظران فقالا ابن الغريم يا أبا ذر كيف رجوع من فر ولكن نحن لا نبرح من مكاننا حتى تأتينا به للأخذ بثأرنا فقال أبو ذرك وحق الملك العلام أن انقضت الثلاثة أيام ولم يحضر الغـ لام وفيـ ت بالضـ مان وسلمت نفسي للإمام فقال عمر رضي الله عنه والله إن تأخر الغلام لأقضين في أبي ذر ما اقتضـ ته شـ ريعة الإسلام فهملت عبرات الحاضرين وارتفعت زفرات الناظرين وعظم الضجيج فعرض أكابر الصحابة علـ ى الشابين أخذ الدية واغتنام الأثنية فأبيا ولم يقبلا شيئاً إلا الأخذ بالثار فبينما الناس يموجون ويضـ جون تأسـ فاً على أبي ذر إذا قبل الغلام ووقف بين يدي الإمام وسلم عليه بأحسن سلام ووجهه مشرق يتهلـ ل وبـ العرق يتكلل وقال له قد أسلمت الصبي إلى أخواله وعرفتهم بجميع أحواله وأطلعتهم على مكان ما له ثـ م اقتحمـ ت هاجرة الحر ووفيت فاه الحر فتعجب الناس من صدقه ووفائه وأقدامه على الموت واجترائه فقال له بعضـ هم ما أكرمك من غلام وأوفاك بالعهد والزمام فقال الغلام أما تحققتم أن الموت إذا حضر لا ينجو منه أحد وأنما وفيت كيلا يقال ذهب الوفاء من الناس فقال أبو ذر والله يا أمير المؤمنين لقد ضمنت هذا الغلام ولم أعرفـ ه من أي قوم ولا رأيته قبل ذلك اليوم ولكن لما أعرض عمن حضر وقصدني وقال هذا يضمنني ويكلفني لـ م أستحسن رده وأبت المروءة أن تخيب قصده إذ ليس في إجابة القصد من باس كيلا يقال ذهب الفضـ ل مـ ن الناس فعند ذلك قال الشابان يا أمير المؤمنين قد وهبنا لهذا الشاب دم أبينا حيث بدل الوحشة بالأيـ اس كـ يلا يقال ذهب المعروف من الناس فاستبشر الإمام بالعفو عن الغلام وصدقه ووفائه بالذمام واستكبر مروءة أبـ ي ذر دون جلسائه واستحسن اعتماد الشابين في اصطناع المعروف وأثنى عليهما ثناء الشـ اكر وتمثـ ل بقـ ول الشاعر:

من صنع الخير بين الـ ورى يجـ ز بـ ـه   لا يـ ـذهب الخيـ ـر بـ ـين الله والنـ ـاس

ثم عرض عليهما أن يصرف اليهما دية أبيهما من بيت المال فقالا أنما عفونا عنـ ـه ابتغـ ـاء وجـ ـه الله الكريم المتعال ومن نيته كذا لا يتبع إحسانه مناولاً أذي.

(ومما يحكي) أن أمير المؤمنين هارون الرشيد كان له ولد قد بلغ من العمر ستة عشر عامـ ـاً وكـ ـان معرضاً عن الدنيا وسالكاً طريقه الزهاد والعباد فكان يخرج إلى المقابر ويقول قد كنتم تملكون الدنيا فما ذلكم بمنجيكم وقد صرتم إلى قبوركم فيا ليت شعري ما قلتم وما قيل لكم ويبكي بكاء الخائف الوجل وينشـ ـد قـ ـول القائل:

فاتفق أن أباه مر عليه في بعض الأيام هو في موكبه وحوله وزرائه وكبراء دولته وأهل مملكته فرأوا ولد أمير المؤمنين وعلى جسده جبة من صوف وعلى رأسه مئزر من صوف فقال بعضهم لبعض لقد فضـ ح هذا الولد أمير المؤمنين بين الملوك فلو عاتبه لرجع عما هو فيه فسمع أمير المؤمنين كلامهم فكلمه في ذلـ ك وقال له لقد فضحتني بما أنت عليه فنظر إليه ولم يجبه ثم نظر إلى طائر على شرفة من شرفات القصر فقال له أيها الطائر بحق الذي خلقك أن تسقط على يدي فانقض الطائر على يد الغلام ثم قال له ارجع إلى موضعك فرجع إلى موضعه ثم قال له اسقط على يد أمير المؤمنين فأبى أن يسقط على يده فقال الغـ ـلام لأبيـ ـه أميـ ـر المؤمنين أنت الذي فضحتني بين الأولياء بحبك الدنيا وقد عزمت على مفارقتك مفارقة لا أعود إليك بعدها إلا في الآخرة ثم أنحدر إلى البصرة فكان يعمل مع الفعلة في الطين وكان لا يعمل في كل يوم إلا بدرهم ودانق فيتقوت بالدانق ويتصدق بالدرهم قال أبو عامر البصري وكان قد وقع في داري حائط فخرجت إلى موقـ ـف الفعلة لأنظر رجلاً يعمل لي فيه فوقعت عيني على شاب مليح ذي وجه صبيح فجئت إليه وسلمت عليه وقلت له يا حبيبي أتريد الخدمة فقال نعم فقلت قم معي إلى بناء حائط فقال لي بشروط اشترطها عليك قلت يا حبيبي ما هي قال الأجرة درهم ودانق وإذا أذن المؤذن تتركني حتى أصلي مع الجماعة قلت نعم ثم أخذته وذهبـ ـت به إلي المنزل فخدم خدمة لم أرى مثلها وذكرت له الغداء فقال لا فعلمت أنه صائم فلما سمع الأذان فقال لـ ـي قد علمت الشرط فقلت نعم فحل حزامه وتفرغ للوضوء وتوضأ وضوء لم أر أحسن منه ثم خرج إلى الصلاة فصلى مع الجماعة ثم رجع إلى خدمته فلما أذن العصر توضأ وذهب إلى الصلاة ثم عاد إلى الخدمة فقلت له ياحبيبي قد انتهى وقت الخدمة فإن خدمة الفعلة إلى العصر فقال سبحان الله أنما خدمتي إلى الليل ولـ ـم يـ ـزل يخدم إلى الليل فأعطيته درهمين فلما رآهما قال ما هذا قلت والله أن هذا بعض أجرتك لاجتهادك في خـ ـدمتي فرمي بهما إلي وقال لا أريد زيادة على ما كان بيني وبينك فرغبته فلم أقدر عليه فأعطيتـ ـه درهمـ ـاً ودانقـ ـاً وسار فلما أصبح الصباح بكرت إلى الموقف فلم أجده فسألت عنه فقيل لي أنه لا يأتي ههنا إلا في يوم السبت فقط فلما كان يوم السبت الثاني ذهبت إلى ذلك المكان فوجدته فقلت له باسم الله تفضل إلى الخدمة فقال لـ ـي على الشروط التي تعملها قلت نعم فذهبت به إلى داري ووقفت انظره وهو لا يراني فأخذ كفـ ـا مـ ـن الطـ ـين ووضعه على الحائط فإذا الحجارة يتركب بعضها على بعض فقلت هكذا أولياء الله فخدم يومه ذلك وزاد فيـ ـه على ما تقدم فلما كان الليل دفعت له أجرته فأخذها وصار فلما جاء يوم السبت الثالث أتيت إلى الموقف فلـ ـم أجده فسألت عنه فقيل لي هو مريض وراقد في خيمة فلانة وكانت تلك المرأة عجوز مشهورة بالصلاح ولها خيمة من قصب في الجبانة فسرت إلى الخيمة ودخلتها فإذا هو مضطجع على الأرض وليست تحته شيء وقد وضع رأسه على لبنة ووجهه يتهلل نوراً فسلمت عليه فرد على السلام فجلست عند رأسه أبكي على صـ ـغر سنه وغربته وتوفيقه لطاعة ربه ثم قلت له ألك حاجة قال نعم قلت وما هي قال إذا كان الغد تجيء إلي فـ ـي وقت الضحى فتجدني ميتاً فتغسلني وتحفر قبري ولا تعلم بذلك أحداً وتكفنني في هذه الجبة التي على بعد أن تفتقها وتفتش جيبها وتخرج ما فيه وتحفظه عندك فإذا صليت على وواريتني في التراب فاذهب إلـ ـى بغـ ـداد

وارتقب الخليفة هارون الرشيد حتى يخرج وادفع له ما يجده في جيبي وأقرئه مني السلام ثم تشد هد وأثد ى علي ربه بأبلغ الكلمات وأنشد هذه الأبيات:

بلـ ـغ أمانـ ـة مـ ـن وافـ ـت منيتـ ـه   إلـ ـى الرشـ ـيد فـ ـإن الأجـ ـر فـ ـي ذاك ـا
وقـ ـل غريـ ـب لـ ـه شـ ـوق لـ ـرؤيتكم   علـ ـى تمـ ـادي الهـ ـوى والبعـ ـد لباك ـا
مـ ـا صـ ـده عنـ ـك لابغـ ـض ولا ملـ ـل   لأن قربتـ . ـه مـ . ـن لـ . ـثم يمناك . ـا
وأنمـ ـا أبعدتـ ـه عنـ ـك يـ ـا أبتـ ـي   نفـ ـس لهـ ـا عفـ ـة عـ ـن نيـ ـل دنياك ـا

ثم أن الغلام بعد ذلك اشتغل بالاستغفار وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤١١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الغلام بعد ذلك اشتغل بالاستغفار والصلاة والسلام على سيد الأبـ رار وتلاوة بعض الآيات ثم أنشد هذه الأبيات:

يـ . ـا والـ . ـدي لا تغتـ . ـر بتـ . ـنعم   فـ . ـالعمر ينفـ . ـذ والنعـ . ـيم يـ . ـزول
وإذا علمـ ـت بحـ ـال قـ ـوم سـ ـاءهم   فـ . ـاعلم بأنـ . ـك عـ . ـنهم مسـ . ـؤول
وإذا حملـ ـت إلـ ـى القبـ ـور جنـ ـازة   فـ . ـاعلم بأنـ . ـك بعـ . ـدها محمـ . ـول

قال أبو عامر البصري فلما فرغ الغلام من وصيته وأنشاده ذهبت عنه وتوجهت إلى بيتي فلما أصـ بح الصباح ذهبت إليه من الغد وقت الضحى فوجدته قد مات رحمة الله عليه فغسلته وفتقت جبته فوجـ دت فـ ي جيبه يا قوته تساوى ألافاً من الدنانير فقلت في نفسي والله أن هذا الفتى لقد زهد في الدنيا غاية الزهد ثم بعـ د أن دفنته توجهت إلى بغداد ووصلت إلى دار الخلافة وصرت أترقب خروج الرشيد إلى أن خرج فتعرضـ ت له في بعض الطرق ودفعت إليه الياقوتة فلما رآها عرفها فخر مغشياً عليه فقبض على الخدمة فلما أفاق قـ ال للخدمة أفرجوا عنه وأرسلوه برفق إلى القصر ففعلوا ما أمرهم به فلما دخل قصره طلبني وأدخلنـ ي محلـ ـه وقال لي ما فعل صاحب هذه الياقوتة فقلت قدمات ووصفت له حاله فجعل يبكي ويقول انتفع الولـ ـد وخـ ـاب الوالد ثم نادى يا فلانة فخرجت امرأة فلما رأتني أرادت أن ترجع فقال لها تعالى وما عليـ ـك منـ ـه فـ دخلت وسلمت فرمي إليها الياقوتة فلما رأتها صرخت صرخة عظيمة ووقعت مغشياً عليها فلما أفاقت من غشـ يتها قالت يا أمير المؤمنين ما فعل الله بولدي فقال لي أخبرها بشأنه وأخذته العبرة فأخبرتها بشأنه فجعلت تبكـ ـي وتقول بصوت ضعيف ما أشوقني إلا لقائك يا قرة عيني ليتني كنت أسقيك إذا لم تجد ليتني كنت أؤانسـ ـك إذا لم تجد مؤانساً ثم سكبت العبرات وأنشدت هذه الأبيات:

أبكـ ـي غريبـ ـاً أتـ ـاه المـ ـوت منفـ ـرداً   لـ ـم يلـ ـق الفالـ ـه يشـ ـكوا الـ ـذي وجـ ـدا
من بعـ ـد عـ ـز وشـ ـمل كـ ـان مجتمعـ ـاً   أضـ ـحي فريـ ـداً وحيـ ـداً لا يـ ـرى أحـ ـداً
يبـ ـين للنـ ـاس مـ ـا الأيـ ـام تضـ ـمره   لـ ـم يتـ ـرك المـ ـوت منـ ـا واحـ ـداً أبـ ـداً
يـ ـا غائبـ ـاً دقـ ضـ ـى ربـ ـي بغربتـ ـه   وصـ . ـار منـ . ـي القـ . ـرب مبتعـ . ـداً
أن أيأس الموت من لقيـ ـاك يـ ـا ولـ ـدي   فأننـ ـا نلتقـ ـي يـ ـوم الحسـ ـاب غـ ـداً

فقلت يا أمير المؤمنين أهو ولدك قال نعم وقد كان قبل ولايتي هذا الأمر يزور العلماء ويجالس الصالحين فلما وليت هذا الأمر نفر مني وباعد نفسيه عني فقلت لأمه أن هذا الولد منقطع إلى الله تعالى وربما تصيبه الشدائد ويكابد الامتحان فادفعي إليه هذه الياقوتة ليجدها وقت الاحتياج إليها فدفعتها إليه وعزمت إليه أن يمسكها فامتثل أمرها وأخذها منها ثم ترك لنا دنيانا وغاب عنا ولم يزل غائباً عنا حتى لقي الله عز وجل تقيا نقياً ثم قال قم فأرني قبره فخرجت معه وجعلت أسير إلى أن أريته أياه فجعل يبكي وينتحب حتى وقع مغشياً عليه فلما أفاق من غشيته استغفر الله وقال أنا لله وإنا إليه راجعون ودعا له بخير ثم سألني الصحبة فقلت له يا أمير المؤمنين إن لي في ولدك أعظم العظمات ثم أنشدت هذه الأبيات:

أنا الغريب فلا آوي إلى أحد	أنا الغريب وأن أمسيت في بلدي
أنا الغريب فلا أهل ولا ولد	وليس لي أحد يأوي إلى أحد
إلى المساجد آوي بل وأعمرها	فما يفارقها قلبي مدى الأبد
فالحمد لله رب العالمين على	أفضاله ببقاء الروح في الجسد

(ومما يحكي) عن بعض الفضلاء أنه قال مررت بفقيه في كتاب وهو يقريء الصبيان فوجدته في هيئة حسنة وقماش مليح فاقبلت عليه فقام لي وأجلسني معه فمارسته في القراءات والنحو والشعر واللغة فإذا هو كامل في كل ما يراد منه فقلت له قوى الله عزمك فأنك عارف بكل ما يراد منك ثم عاشرته مدة وكل يوم يظهر فيه حسن فقلت في نفسي أن هذا شيء عجيب من فقيه يعلم الصبيان مع أن العقلاء اتفقوا على نقص عقل معلم الصبيان ثم فارقته وكنت كل أيام قلائل أتفقده وأزوره فأتيت إليه في بعض الأيام على عادتي من زيارته فوجدت الكتاب مغلقاً فسألت جيرانه فقالوا أنه مات عنده ميت فقلت في نفسي وجب علينا أن نعزيه فجئت إلى بابه وطرقته فخرجت لي جارية وقالت ما تريد فقلت أريد مولاك فقالت أن مولاي قاعداً في العزاء وحده فقلت لها قولي له أن صديقك فلاناً يطلب أن يعزيك فراحت وأخبرته فقال لها دعيه يدخل فأذنت لي في الدخول فدخلت إليه بالصبر ثم قلت له من الذي مات لك فقال أعز الناس علي واحبهم إلي فقلت لعله والدك فقال لا قلت والدتك قال لا قلت أخوك قال لا قلت أحد من أقاربك قال لا قلت فما نسبته إليك قال حبيبتي فقلت في نفسي هذا أول المباحث في قلة عقله ثم قلت له قد يوجد غيرها مما هو أحسن منها فقال أنا ما رأيتها من لا تراها فقال اعلم أني كنت جالساً في الطاقة وإذا برجل عابر طريق يغني هذا البيت:

يا أم عمرو وجزاك الله مكرمة	ردي علي فؤادي أينما كانا

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤١٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الفقيه قال لما غنى الرجل المار في الطريق بالشعر الذي سمعته منه قلت في نفسي لولا أن أم عمر وهذه ما في الدنيا مثلها ما كان الشعراء يتغزلون فيها فتعلقت بحبها فلما كان بعد يومين عبر ذلك الرجل وهو ينشد هذا البيت:

إذا ذهب الحمار بأم عمرو	فلا رجعت ولا رجع الحمار

فعلمت أنها ماتت فحزنت عليها ومضى لي ثلاثة أيام وأنا في العزاء فتركته وانصرفت بعدما تحقق ت قلة عقله (ومما يحكي) من قلة عقل معلم الصبيان أنه كان رجل فقيه في مكتب فدخل علي ه رج ل ظري ف وجلس عنده ومارسه فرآه فقيهاً نحويا لغويا شاعراً أديباً فهيما لطيفاً فتعجب من ذلك وقال أن الذين يعلم ون الصبيان في المكاتب ليس لهم عقل كامل فلما هم بالإنصراف من عند الفقيه قال له أنت ضيفي في هذه الليلة فأجابه إلى الضيافة وتوجه صحبته إلى منزله فأكرمه وأتى له بالطعام فأكلا وشربا ثم جلسا بعد ذلك يتحدثان إلى ثلث الليل وبعد ذلك جهز له الفراش وطلع إلى حريمه فاضطجع الضيف وأراد النوم وإذا بصراخ كثي ر ثار في حريمه فسأل ما الخبر فقالوا له أن الشيخ حصل له أمر عظيم وهو في آخر رمق فقال اطلعوني ل ه فطلعوه له ودخل عليه فرآه مغشياً عليه ودمه سائل فرش الماء على وجهه فلما أفاق قال له ما هذا الحال أنت طلعت من عندي في غاية ما يكون من الحظ وأنت صحيح البدن فما أصابك فقال له يا أخي بعد ما طلع ت من عندك جلست أتذكر في مصنوعات الله تعالى وقلت في نفسي كل شيء خلقه الله للإنسان فيه نفع لأن الله سبحانه وتعالى خلق اليدين للبطش والرجلين للمشي والعينين للنظر والأذنين للسماع والذكر للجماع وهلم جرا إلا هاتين البيضتين ليس لهما نفع فأخذت موس كان عندي وقطعتهما فحل لي هذا الأمر فنزل من عنده وقال صدق من قال إن كل فقيه يعلم الصبيان ليس له عقل كامل ولو كان يعرف جميع العلوم (وحكى) أيض اً أن بعض المجاورين كان لا يعرف الخط ولا القراءة وأنما يحتال على الناس بحيل يأكل منها الخبز فخطر بباله يوماً من الأيام أنه يفتح له مكتباً ويقريء فيه الصبيان فجمع ألواحاً وأوراقاً مكتوبة وعلقها في مك ان وكب ر عمامته وجلس على باب المكتب فصار الناس يمرون عليه وينظرون إلى عمامته وإل ى الأل واح والأوراق فيظنون أنه فقيه جيد فيأتون إليه بأولادهم فصار يقول لهذا أكتب ولهذا أقرأ فصار الأولاد يعلم بعضهم بعضاً فبينما هو ذات يوم جالس على باب المكتب على عادته وإذا بامرأة مقبلة من بعيد وبيدها مكتوب فقال في باله لابد أن هذه المرأة تقصدني لأقرأ لها المكتوب الذي معها فكيف يكون حالي معها وأنا لا أعرف قراءة الخ ط وهم بالنزول ليهرب منها فلحقته قبل أن ينزل وقالت له ألى أين فقال لها أريد أن أصلي الظهر وأعود فقالت له الظهر بعيد فأقرأ لي هذا الكتاب فأخذه منها وجعل أعلاه أسفله وصار ينظر إلي ه ويه ز عمامت ه ت ارة ويرقص حواجبه تارة أخرى ويظهر غيظاً وكان زوج المرأة غائباً والكتاب مرسل إليها من عنده فلم ا رأت الفقيه على تلك الحالة قالت في نفسها لاشك أن زوجي مات وهذا الفقيه يستحي أن يقول لي أنه مات فقالت له يا سيدي إن كان مات فقل لي فهز رأسه وسكت فقالت له المرأة هل أشق ثيابي فقال لها شقي فقالت له ه ل الطم على وجهي فقال لها الطمي فأخذت الكتاب من يده وعادت إلى منزلها وصارت تبكي ه ي وأولاده ا فسمع بعض جيرانها البكاء فسألوا عن حالها فقيل لهم أنه جاءها كتاب بموت زوجها فقال رجل أن هذا ك لام كذب لأن زوجها أرسل لي مكتوباً بالأمس يخبرني فيه أنه طيب بخير وعافية وأنه بعد عش رة أي ام يك ون عندها فقام من ساعته وجاء إلى المرأة وقال لها أين الكتاب الذي جاء فجاءت به إليه وأخذه منها وق رأه وإذا فيه أما بعد فأني طيب بخير وعافية وبعد عشرة أيام أكون عندكم وقد أرسلت إليكم ملحفة ومكم رة فأخ ذت الكتاب وعادت به إلى الفقيه وقالت له ما حملك على الذي فعلته معي وأخبرته بما قاله جارها م ن س لامة

زوجها وأنه أرسل إليها ملحفة ومكمرة فقال لها لقد صدقت ولكن يا حرمة أعذريني فأني كنت في تلك الساعة مغتاظاً وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤١٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن المرأة لما قالت للفقيه ما حملك على الذي فعلته معي فقال لهـ ا أنـ ي كنت في تلك الساعة مغتاظاً مشغول الخاطر ورأيت المكمرة ملفوفة في الملحفة فظننت أنـ ـه مـ ـات وكفنـ ـوه وكانت المرأة لا تعرف الحيلة فقالت له أنت معذور وأخذت الكتاب منه وأنصرفت (وحكـ ـى) أن ملكـ ـاً مـ ـن الملوك خرج مستخفياً ليطلع على أحوال رعيته فوصل إلى قرية عظيمة فدخلها منفرداً وقد عطـ ـش فوقـ ـف بباب دار من دور القرية وطلب ماء فخرجت إليه امرة جميلة بكوز ماء فناولته أياه فشرب فلما نظـ ـر إليهـ ـا افتتن بها فراودها عن نفسها وكانت المرأة عارفة به فدخلت به بيتها وأجلسته وأخرجت له كتاباً وقالت أنظر في هذا الكتاب إلى أن أصلح أمري وأرجع إليك فجلس يطالع في الكتاب وإذا فيه الزجر عن الزنا وما أعـ ـده الله لا هله من العذاب فاقشعر جلده وتاب الى الله وصاح بالمرأة وأعطاها الكتاب ودهب وكان زوج المـ ـرأة غائباً فلما حضر أخبرته بالخبر فتحير وقال في نفسه أخاف أن يكون وقع غرض الملك فيها فلم يتجاسر على وطئها بعد ذلك ومكث على ذلك مدة فأعلمت المرأة أقاربها بما حصل لها مع زوجها فعرفوه إلى الملك فلمـ ـا مثل بين يديه قال أقارب المرأة أعز الله الملك أن هذا الرجل استأجر منا أرضاً للزراعة فزرعهـ ـا مـ ـدة ثـ ـم عطلها فلا هو يتركها حتى نؤجرها لمن يزرعها ولا هو يزرعها وقد حصل الضرر للأرض فنخاف فسادها بسبب التعطيل لأن الأرض إذا لم تزرع فسدت فقال الملك ما الذي يمنعك من زرع أرضك فقـ ـال أعـ ـز الله الملك أنه قد بلغني أن الأسد قد دخل الأرض فهبته ولم أقدر على الدنو منها لعلمي أنه لا طاقة لـ ـي بالأسـ ـد وأخاف منه ففهم الملك القصة وقال له يا هذا إن أرضك لم يطأها الأسد وأرضك طيبة الزرع فازرعها بارك الله لك فيها فإن الأسد لا يعدو عليها ثم أمر له ولزوجته بصلة حسنة وصرفهم (ومما) يحكي أن أسحق بـ ـن إبراهيم الموصلي قال أتفق أنني ضجرت من ملازمة دار الخليفة والخدمة بها فركبت وخرجت ببكرة النهـ ـار وعزمت على أن أطوف الصحراء وأتفرج وقلت لغلماني إذا جاء رسول الخليفة أو غيره فعرفوه أنني بكرت في بعض مهماتي وأنك لا تعرفون أين ذهبت ثم مضيت وحدي وطفت في المدينة وقد حمى النهار فوقفت في شارع يعرف بالحرم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤١٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أسحق بن إبراهيم الموصلي قال لما حمى النهار وقفت فـ ـي شـ ـارع يعرف بالحرم لاستظل من حر الشمس وكان للدار جناح رحب بارز على الطريق فلما لبث حتى جاء خـ ـادم أسود يقود حماراً فرأيت عليه جارية راكبة وتحتها منديل مكلل بالجواهر وعليها من اللباس الفاخر مالا غاية بعده ورأيت لها قواماً حسناً وطرفاً فاتراً وشمائل ظريفة فسألت عنها بعض المارين فقال لي إنها مغنية وقـ ـد تعلق بحبها قلبي عند نظري إليها وما قدرت أن أستقر على ظهر دابتي ثم إنها دخلت الدار التي كنت واقفـ ـاً على بابها فجعلت أتفكر في حيلة أتوصل بها إليها فبينما أنا واقف إذ أقبل رجلان شابان جميلان فاستأذنا فأذن لهما صاحب الدار فنزلا ونزلت معهما ودخلت صحبتهما فظننا أن صاحب الدار دعاني فجلسنا سـ ـاعة فـ ـأتي

بالطعام فأكلنا ثم وضع الشراب بين أيدينا ثم خرجت الجارية وفي يدها عود فغنت وشربنا وقمـ ـت لأقضـ ـي حاجة فسأل صاحب المنزل الرجلين عني فأخبراه أنهما لا يعرفاني فقال هذا طفيلي ولكنه ظريـ ـف فـ ـأجملوا عشرته ثم جئت فجلست في مكاني فغنت الجارية بلحن لطيف وأنشدت هذين البيتين:

قـ ـل للغزالـ ـة وهـ ـي غيـ ـر غزالـ ـة	والجـ ـؤذر المكحـ ـول غيـ ـر الجـ ـؤذر
لمـ ـذكر الخلـ ـوات غيـ ـر مؤنـ ـث	ومؤنـ ـث الخطـ ـوات غيـ ـر مـ ـذكر

فأدته أداء حسناً وشرب القوم وأعجبهم ذلك ثم غنت طرقاً شتى بألحان غريبة وغنت من جملتها طريقة هي لي وأنشدت تقول:

الطلـ ـ ـ ـ ـول الـ ـ ـ ـ ـ ـدوارس	فأرقتهـ ـ ـ ـ ـ ـ ـا الأوانـ ـ ـ ـ ـ ـ ـس
أوحشـ ـ ـ ـ ـت بعـ ـ ـ ـد أنسـ ـ ـ ـها	فهـ ـ ـ ـي قفـ ـ ـ ـراء طـ ـ ـ ـامس

فكان أمرها أصلح فيها من الأولى ثم غنت طرقاً شتى بألحان غريبة من القديم والحديث وغنـ ـت فـ ـي أثنائها طريقة هي لي وأنشدت تقول:

قـ ـ ـل لمـ ـ ـن صـ ـ ـد عاتبـ ـ ـاً	ونـ ـ ـ ـأي عنـ ـ ـ ـك جانبـ ـ ـ ـاً
قـ ـ ـد بلغـ ـ ـت الـ ـ ـذي بلغـ ـ ـت	وإن كنـ ـ ـ ـ ـ ـ ـت لاعبـ ـ ـ ـ ـ ـ ـاً

فاستعدته منها لأ صححه فأقبل على أحد الرجلين وقال ما رأينا طفيليا أصفق وجهاً منك أمـ ـا ترضـ ـي بالتطفل حتى اقترحت وقد صح فيك المثل طفيلي ومقترح فأطرقت حياء ولم أجبه فجعل صاحبه يكفه عنـ ـي فلا ينكف ثم قاموا إلى الصلاة فتأخرت قليلاً وأخذت العود وشددت طرفيه وأصلحته أصلاحاً محكماً وعـ ـدت إلى موضعي فصليت معهم ولما فرغنا من الصلاة رجع ذلك الرجل إلى اللوم علي والتعنيف ولج في عربدته وأنا صامت فأخذت الجارية العود وجسته فأنكرت حاله وقالت من حبس عودي فقالوا ما جسه أحد منا قالـ ـت بلى والله لقد جسه حاذق متقدم في الصناعة لأنه أحكم أوتاره وأصلحه إصلاح حاذق في صنعته فقلت لها أنا الذي أصلحته فقالت بالله عليك أن تأخذه وتضرب عليه فأخذته وضربت عليه طريقة عجيبة صعبة تكـ ـاد أن تميت الأحياء وتحيي الأموات وأنشدت عليه هذه الأبيات:

وكـ ـان لـ ـي قلـ ـب أعـ ـيش بـ ـه	فـ ـ ـاكتوى بالنـ ـ ـار واحترقـ ـ ـا
أنـ ـ ـا لـ ـ ـم أرزق محبتهـ ـ ـا	وأنمـ ـا للعبـ ـ ـد مـ ـ ـا رزقـ ـ ـا
أن يكـ ـن مـ ـا دقـ ـت طعـ ـم هـ ـوى	ذاقـ ـ ـه لاشـ ـ ـك مـ ـ ـن عشـ ـ ـقا

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤١٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أسحق بن إبراهيم الموصلي قال لما فرغت من شعري لم يبق أحد من الجماعة ووثب من موضعه وجلسوا بين يدي وقالوا بالله عليك يا سيدنا أن تغنى لنا صوتاً آخر فقلـ ـت حبـ ـاً وكرامة ثم أحكمت الضربات وغنيت بهذه الأبيات:

إلا مـ ـ ن لقـ ـ ب ذوائـ ـ ب بنوائـ ـ ب	أناحت بـ ـه الأحـ ـزان مـ ـن كـ ـل جانـ ـب
حـ ـرام علـ ـى رامـ ـي فـ ـؤادي بسـ ـهمه	دم صـ ـبه بـ ـين الحشـ ـا والترائـ ـب
تبـ ـين بـ ـين ألبـ ـين أن اقترابـ ـه	على البين من ضمن الظنـ ـون الكـ ـواذب
أراق مـ ـا لـ ـولا الهـ ـوى مـ ـا أراقـ ـه	فهـ ـل لـ ـدمي مـ ـن ثـ ـائر ومطالـ ـب

فلما فرغ من شعره لم يبق أحد منهم إلا وقام على قدميه ثم رمي بنفسه على الأرض من شدة ما أصابه من الطرب قال فرميت العود من يدي فقالوا بالله عليك أن لا تفعل بنا هذا وزدنا صوتاً آخر زادك الله تعالى من نعمته فقلت لهم يا قوم أزيدكم صوتاً آخر وآخر وآخر وأعرفكم من أنا أنا أسحق بن إبراهيم الموصـ لي والله إني لأتيه على الخليفة إذا طلبني وأنتم قد اسمعتموني غليظ ما أكرهه في هذا اليـ ـوم فـ ـو الله لانطقـ ـت بحرف ولا جلست معكم حتى تخرجوا هذا العربيد من بينكم فقال له صاحبه من هذا حذرتك وخفت عليك ثـ ـم أخذوا بيده وأخرجوه فأخذت العود وغنيت الأصوات التي غنتها الجارية من صنعتي ثم أسررت إلى صاحب الدار أن الجارية قد وقعت محبتها في قلبي ولا صبر لي عنها فقال الرجل هل لك بشرط فقلت وما هو قال أن تقيم عندي شهراً فأقمت عنده شهر ولا يعرف أحد أين أنا والخليفة يفتش علي في كل موضع ولا يعرف لـ ـي خبراً فلما أنقضى الشهر سلم لي الجارية وما يتعلق بها من الأمتعة النفيسة وأعطاني خادماً آخر فجئت بـ ـذلك إلى منزلي كأني قد حزت الدنيا بأسرها من شدة فرحي بالجارية ثم ركبت إلى المـ ـأمون مـ ـن وقتـ ـي فلمـ ـا حضرت بين يديه قالي ويحك يا إسحق وأين كنت فأخبرته بخبري فقال علي بذلك الرجل في هـ ـذه السـ ـاعة فدللتهم على داره فأرسل إليه الخليفة فلما حضر سأله عن القصة فأخبره بها فقال له أنت رجـ ـل ذو مـ ـروءة والرأي أن تعان على مروءتك فأمر له بمائة ألف درهم وقال لي يا أسحق أحضر الجارية فأحضرتها وغنت له وأطربته فحصل له منها سرور عظيم فقال قد جعلت عليها نوبة في كل يوم خميس فتحضر وتغنـ ـى مـ ـن وراء الستارة ثم أمر لها بخمسين ألف درهم فو الله لقد ربحت في تلك الركبة.

(ومما يحكي) أن القاسم بن عدي حكى عن رجل من بني تميم أنه قال خرجت في طلب ضالة فوردت على مياه بني طي فرأيت فريقين أحدهما قريب من الآخر وإذا في أحد الفريقين كلام مثل كلام أهل الطريـ ـق الآخر فتأملت فرأيت في أحد الفريقين شاباً قد أنهكه المرض وهو مثل الشن البالي فبينما أنا أتأمله وإذا هـ ـو ينشد هذه الأبيات:

ألا للمليحـ ـ ـ ـة مـ ـ ـ ـا تعـ ـ ـ ـود	أبخـ ـ ـ ـل بالمليحـ ـ ـ ـة أم صـ ـ ـ ـدود
مرضـ ـت فعـ ـادني أهلـ ـي جميعـ ـاً	فمالـ ـك لا تـ ـرى فـ ـيمن يعـ ـود
فلـ ـو كنـ ـت المريضـ ـة جئـ ـت أسـ ـعى	إليـ ـك ولـ ـم ينهنـ ـي الوعيـ ـد
عـ ـدمتك مـ ـنهم فبقيـ ـت وحـ ـدي	وفقـ ـد الألـ ـف يـ ـا سـ ـكني شـ ـديد

فسمعت كلامه جارية من الفريق الآخر فبادرت نحوه وتبعها أهلها وجعلت تضاربهم فأحس بها الشاب فوثب نحوها فبادر إليه أهل فريقه وتعلقوا به فجعل يجذب نفسه وهي تجذب نفسها من فريقها حتى تخلصـ ـا وقصد كل واحد منهما صاحبه حتى التقيا بين الفريقين وتعانقا ثم خر إلى الأرض ميتـ ـين. وأدرك شـ ـهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤١٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أنه (مما يحكي) أن أبا بكر محمد الأنباري قال خرجت من الأنبار في بعض الأسفار إلى عمورية من بلاد الروم فنزلت في أثناء الطريق بدير الأنوار في قرية من قرى عمورية فخرج إلى صاحب الدير الرئيس على الرهبان وكان اسمه عبد المسيح فادخلني الدير فوجدت فيه أربعون راهباً فأكرموني في تلك الليلة بضيافة حسنة ثم رحلت عنهم في الغد وقد رأيت من كثرة أجتهادهم وعبادتهم ما لم أره من غيرهم فقضيت إربى من عمورية ثم رجعت إلى الأنبا فلما كان في العام المقبل حججت إلى مكة فبينما أنا أطوف حول البيت إذا رأيت عبد المسيح الراهب يطوف أيضاً ومعه خمسة أنفار من أصحابه الرهبان فلما تحققت معرفته تقدمت إليه وقلت له هل أنت عبد المسيح الراهب قال بل أنا عبد الله الراغب فجعلت أقبل شيبته وابكي ثم أخذت بيده وملت إلى جانب الحرم وقلت له أخبرني عن سبب إسلامك فقال إنه من أعجب العجائب وذلك أن جماعة من زهاد المسلمين مروا بالقرية التي فيها ديرنا فأرسلوا شاباً يشتري لهم طعاماً فرأي في السوق جارية نصرانية تبيع الخبز وهي من أحسن النساء صورة فلما نظر إليها افتتن بها وسقط على وجهه مغشياً عليه فلما أفاق رجع إلى أصحابه وأخبرهم بما اصابه وقال أمضوا إلى شأنكم فلست بذاهب معكم فعذلوه ووعظوه فلم يلتفت إليهم فانصرفوا عنه ودخل القرية وجلس عند باب حانوت تلك المرأة فسألته عن حاجته فأخبرها أنه عاشق لها فأعرضت عنه فمكث في موضعه ثلاثة أيام لم يطعم طعاماً بل صار شاخصاً إلى وجهها فلما رأته لا ينصرف عنها ذهبت إلى أهلها وأخبرتهم بخبره فسلطوا عليه الصبيان فرموه بالحجارة حتى رضوا أضلاعه وشجوا رأسه وهو مع ذلك لا ينصرف فعزم أهل القرية على قتله فجاءني رجل منهم وأخبرني بحاله فخرجت إليه فرأيته طريحاً فمسحت الدم عن وجهه وحملته إلى الدير وداويت جراحاته واقام عندي أربعة عشر يوماً فلما قدر علي المشي خرج من الدير وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤١٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الراهب عبد الله قال فحملته إلى الدير وداويت جراحاته وأقام عندي أربعة عشر يوماً فلما قدر على المشي خرج من الدير إلى باب حانوت الجارية وجلس ينظر إليها فلما أبصرته قامت إليه وقالت له والله لقد رحمتك فهل لك أن تدخل في ديني وأنا أتزوجك فقال معاذ الله أن أنسلخ من دين التوحيد وأدخل في دين الشرك فقالت قم وادخل معي داري وأقض مني إربك وانصرف راشداً فقال لا ما كنت لأذهب عبادة أثنى عشر سنة بشهوة لحظة واحدة فقالت انصرف عني حينئذ قال لا يطاوعني قلبي فأعرضت عنه بوجهها ثم فطن به الصبيان فأقبلوا عليه يرمونه بالحجارة فسقط على وجهه وهو يقول إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين فخرجت من الدير وطردت عنه الصبيان ورفعت رأسه عن الأرض فسمعته يقول اللهم اجمع بيني وبينها في الجنة فحملته إلى الدير فمات قبل أن أصل به إليه فخرجت به عن القرية وحفرت له قبراً ودفنته فلما دخل الليل وذهب نصفه صرخت تلك المرأة وهي في فراشها صرخة فاجتمع إليها أهل القرية وسألوها عن قصتها فقالت بينما أنا نائمة إذ دخل علي هذا الرجل المسلم فأخذ بيدي وانطلق بي إلى الجنة فلما صار بي إلى بابها منعني خازنها من دخولها وقال إنها محرمة على

الكافرين فأسلمت على يديه ودخلت معه فرأيت فيها من القصور والأشجار ما لم يمكن أن أصفه لكم ثم أخذه أخذني إلى قصر من الجوهر وقال لي إن هذا القصر لي ولك وأنا لا أدخله إلا بك وبعد خمس ليال تكونين عندي فيه إن شاء الله تعالى ثم مد يده إلى شجرة على باب ذلك القصر فقطف منها تفاحتين وأعطانيهما وقال كلي هذه وأخفي الأخرى حتى يراها الرهبان فأكلت واحدة فما رأيت أطيب منها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤١٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية قالت لما قطف التفاحتين أعطانيهما وقال كلي هذه وأخفي الأخرى حتى يراها الرهبان فأكلت واحدة فما رأيت أطيب منها ثم أخذ بيدي وخرج بي حتى أوصلني إلى داري فلما استيقظت من منامي وجدت طعم التفاح في فمي والتفاحة الثانية عندي ثم أخرجت التفاحة فأشرقت في ظلم الليل كأنها كوكب دري فجاءوا بالمرأة إلى الدير ومعها التفاحة فقصت علينا الرؤيا وأخرجت لنا التفاحة فلم نر شيئاً مثلها في سائر فواكه الدنيا فأخذت سكيناً وشققتها على عدد أصحابي فما رأينا الذ من طعمها ولا أطيب من ريحها فقلنا لعل هذا شيطان تمثل إليها ليغويها عن دينها فأخذها أهلها وانصرفوا ثم أنها امتنعت عن الأكل والشرب فلما كانت الليلة الخامسة قامت من فراشها وخرجت من بيتها وتوجهت إلى قبر ذلك المسلم وألقت نفسها عليه وماتت ولم يعلم بها أهلها فلما كان وقت الصباح أقبل على القرية شيخان مسلمان عليهما ثياب من الشعر ومعهما أمرأتان كذلك فقالا يا أهل القرية أن لله تعالى عندكم ولية من أوليائه قد ماتت مسلمة ونحن نتولاها دونكم فطلب أهل القرية تلك المرأة فوجدوها على القبر ميتة فقالوا هذه صاحبتنا قد ماتت على ديننا ونحن نتولاها وقال الشيخان إنها ماتت مسلمة ونحن نتولاها وأشتد الخصام والنزاع بينهما فقال أحد الشيخين أن علامة إسلامها أن يجتمع رهبان الدير الأربعون ويجذبوها عن القبر فإن قدروا على حملها من الأرض فهي نصرانية وإن لم يقدروا على ذلك يتقدم واحد منا ويجذبها فإن جاءت معه فهي مسلمة فرضي أهل القرية بذلك واجتمع الأربعون راهباً وقوي بعضهم بعضاً وأتوها ليحملوها فلم يقدروا على ذلك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤١٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الراهب عبد الله قال وأتوها ليحملوها فلم يقدروا على ذلك فربطنا في وسطها حبلاً عظيماً وجذبناها فانقطع الحبل ولم تتحرك من موضعها فلما عجزنا عن حملها بكل حيلة قلنا لأحد الشيخين تقدم أنت واحملها فتقدم إليها أحدهما ولفها في ردائه وقال بسم الله الرحمن الرحيم وعلى ملة رسول الله ﷺ ثم حملها في حضنه وانصرف بها المسلمون إلى غار هناك فوضعوها فيه وجاءت المرأتان فغسلتاها وكفنتاها ثم حملها الشيخان وصليا عليها ودفناها إلى جانب قبره وانصرفا ونحن نشاهد هذا كله فلما خلا بعضنا ببعض قلنا أن الحق أحق أن يتبع وقد وضح الحق لنا بالمشاهدة والعيان ولا برهان لنا على صحة الإسلام أوضح لنا مما رأيناه بأعيننا ثم أسلمت وأسلم رهبان الدير جميعهم وكذلك أهل القرية ثم إنا بعثنا إلى أهل الجزيرة نستدعي فقيهاً يعلمنا شرائع الإسلام وأحكام الدين فجاءنا رجل فقيه صالح فعلمنا العبادة وأحكام الإسلام ونحن اليوم على خير كثير ولله الحمد والمنه".

(ومما) يحكي أن بعض الفضلاء قال ما رأيت في النساء أذكى خاطراً وأحسن فطنة وأع وز علم اً وأجود قريحة وأظرف أخلاقاً من امرأة واعظة من أهل بغداد يقال لها سيدة المشايخ اتفق أنها جـ اءت إلـ ى مدينة حماة سنة أحدى وستين وخمسمائة فكانت تعظ الناس على الكرسي وعظاً شافياً وكان يتردد على منزلها جماعة من المتفقهين وذوي المعارف والآداب يطارحونها مسائل الفقه ويناظرونها في الخلاف فمضيت إليها ومعي رفيق من أهل الأدب فلما جلسنا عندها وضعت بين أيدينا طبقاً من الفاكهة وجلست هي خلـ ف سـ تر وكان لها أخاً حسن الصورة قائماً على رؤوسنا في الخدمة فلما أكلنا شرعنا في مطارحة الفقه فسألتها مسـ ألة فقهية مشتملة على خلاف بين الأئمة فشرعت تتكلم في جوابها وأنا أصغي إليها وجعل رفيقي ينظر إلى وجه أخيها ويتأمل في محاسنه ولا يصغي إليها وهي تلحظه من وراء الستر فلما فرغت من كلامها التفـ ت إليـ ه وقالت أظنك ممن يفضل الرجال على النساء قال أجل قالت ولم ذلك قال لأن الله فضل الذكر علـ ى الأنثـ ى وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٢٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشيخ أجابها بقوله لأن الله فضل الذكر على الأنثـ ى وأنـ ا أحـ ب الفاضل وأكره المفضول فضحكت ثم قالت أتنصفني في المناظرة أن ناظرتك في هذا المبحث قال نعم قالـ ت فما الدليل على تفضيل الذكر على الأنثى قال المنقول والمعقول أما المنقول فالكتاب والسنة أما الكتاب فقولـ ه تعالى الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وقوله تعالى فإن لم يكونا رجلين فرجـ ل وامرأتان وقوله تعالى في الميراث وإن كانوا أخوة رجالاً ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين فالله سبحانه وتعالى فضل الذكر على الأنثى في هذه المواضع وأخبر أن الأنثى على النصف من الذكر لأنه أفضل منهـ ا وأمـ ا السنة فما روى عن النبي ﷺ أنه جعل دية المرأة على النصف من دية الرجل وأما المعقول فإن الذكر فاعـ ل والأنثى مفعول بها والفاعل أفضل من المفعول بها فقالت له أحسنت يا سيدي لكنك والله أظهرت حجتي عليك من لسانك ونطقت ببرهان هو عليك لا لك وذلك أن الله سبحانه وتعالى أنما فضل الذكر على الأنثى بمجـ رد وصف الذكورية وهذا النزاع فيه بيني وبينك وقد يستوي في هذا الوصف الطفل والغلام والشـ اب والكهـ ل والشيخ لا فرق بينهم في ذلك وإذا كانت الفضيلة إنما حصلت له بوصف الذكورية فينبغي أن يميـ ل طبعـ ك وترتاح نفسك إلى الشيخ كما ترتاح إلى الغلام إذ لا فرق بينهما في الذكورية وأنما وقع الخلاف بيني وبينـ ك في الصفات المقصودة من حسن العشرة والاستمتاع وأنت لم تأت ببرهان على فضل الغلام على الأنثى فـ ي ذلك فقال لها يا سيدتي أما علمت ما اختص به الغلام من اعتدال القد وتوريد الخد وملاحة الابتسام وعذوبـ ة الكلام فالغلمان بهذا الاعتبار أفضل من النساء والدليل على ذلك ما روي عن النبي ﷺ أنه قال لا تدعو النظر إلى الأمرد فإن فيهم لمحة من الحور العين وتفضيل الغلام على الجارية لا يخفى على أحد من النـ اس ومـ ا أحسن قول أبي نواس:

أقـ ل مـ ـا فيـ ـه مـ ـن فضـ ـائله ... أمنـ ـك مـ ـن طمثـ ـه ومـ ـن حبلـ ـه

وقول الشاعر:

قـ ـال الإمـ ـام أبـ ـو نـ ـواس وهـ ـو فـ ـي ... شـ ـرع الخلاعـ ـة والمجـ ـون يقلـ ـد

يـ ـا أمـ ـة تهـ ـوى العـ ـذار تمتعـ ـوا　　مـ ـن لـ ـذة فـ ـي الخلـ ـد ليسـ ـت توجـ ـد

ولأن الجارية إذ بالغ الواصف في وصفها وأراد تزويجها بذكر محاسن أوصـ ـافها شـ ـبهها بـ ـالغلام وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٢١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشيخ قال ولأن الجارية إذا بالغ الواصف في وصفها وأراد تزويجها بذكر محاسن أوصافها شبهها بالغلام لما له من المآثر كما قال الشاعر:

غلاميـ ـة الأرداف تهتـ ـز فـ ـي الصـ ـبا　　كما اهتـ ـز فـ ـي ريـ ـح الشـ ـمال قضـ ـيب

فلولا أن الغلام أفضل وأحسن لما شبهت به الجارية واعلمي صانك الله تعالى أن الغلام سهل القيـ ـاد موافق على المراد حسن العشرة والأخلاق مائل عن الخلاف للوفاق ولا سيما أن تنمنم هذارة وأخضر شاربه وجرت حمرة الشبيبة في وجنته حتى صار كالبدر التمام وما أحسن قول أبي تمام:

قال الوشـ ـاة بـ ـدا فـ ـي الخـ ـد عارضـ ـه　　فقلـ ـت لا تكثـ ـروا مـ ـا ذاك عائبـ ـه
لمـ ـا اسـ ـتقل بـ ـارداف تجاذبـ ـه　　وأخضـ ـر فـ ـوق جمـ ـان الـ ـدر شـ ـاربه
وأقسـ ـم الـ ـورد إيمانـ ـاً مغلظـ ـة　　أن لا يفـ ـارق خديـ ـه عجائبـ ـه
كلمتـ ـه بجفـ ـون غيـ ـر ناطقـ ـة　　فكـ ـان مـ ـن رده مـ ـا قـ ـال حاجبـ ـه
الحسن منـ ـك علـ ـى مـ ـا كنـ ـت تعهـ ـده　　والشـ ـعر أحـ ـرزه ممـ ـن يطالبـ ـه
أحلـ ـى وأحسـ ـن مـ ـا كانـ ـت شـ ـمائله　　إذا لاح عارضـ ـه وأخضـ ـر شـ ـاربه
وصار مـ ـن كـ ـان يلحـ ـى فـ ـي محبتـ ـه　　أن يحـ ـك عنـ ـي وعنـ ـه قـ ـال صـ ـاحبه

فهذه فضيلة في الغلمان لم تعطها النساء وكفى بذلك للغلمان عليهن فخرا ومزية فقالت له عافـ ـاك الله تعالى أنك قد شرطت على نفسك المناظرة وقد تكلمت وما قصرت واستدللت بهذه الأدلة على ما ذكرت ولكن الآن قد حصحص الحق فلا تعدل عن سبيله وأن لم تقنع باجمال الدليل فأنا آتيك بتفصيله بالله عليك أين الغلام من الفتاة من يقيس السخلة على المهاة أنما الفتاة رخيمة الكلام حسنة القوام فهي كقضـ ـيب الريحـ ـان بثغـ ـر كاقحوان وشعر كالأرسوان وخد كشقائق النعمان ووجه كتفاح وشفة كـ ـالراح وثـ ـدي كالرمـ ـان ومعـ ـاطف كالأغصان وهي ذات قد معتدل وجسم متجدل وخد كحد السيف اللائح وجبين واضـ ـح وحـ ـاجبين مقـ ـرونين وعينين كحلاوين أن نطقت فاللؤلؤ الرطب يتناثر من فيها وتجذب القلوب برقة معانيها وإن تبسـ ـمت ظننـ ـت البدر يتلألأ من بين شفتيها وأن رنت فالسيوف تسل من مقلتيها إليها تنتهي المحاسن وعليها مـ ـدار الظـ ـاعن والقاطن ولها شفتان حمر وأن ألين من الزبد وأحلى مذاقاً من الشهد. وأدرك شهرزاد الصباح فسـ ـكتت عـ ـن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٢٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن المرأة الواعظة لما وصفت الفتاة قالت ولها شفتان حمراوان ألين من الزبد وأحلى مذاقاً من الشهد ثم قالت بعد ذلك ولها صدر كجادة الفجاج فيه ثديان كأنهما حقان من عاج وبطن لطيف الكشح كالزهر الغض وعكن قد انعطفت وانطوى بعضها على بعض وفخذان ملتفان كأنهما من الـ ـدر

عمودان وأرداف تموج كأنها بحر من بلّور أو جبال من نور ولها قدمان لطيفان وكفان كأنهما سبائك العقبان فيا مسكين أين الأنس من الجان ومن قال الدنيا عبارة عن النساء كان صادقا وأما ما ذكـ رت مـ ن الحـ ديث الشريف فهو حجة عليك لا لك لأن النبي ﷺ قال لا تدعو النظر إلى المرد فإن فيهم لمحة من الحـ ور العـ ين فشبه المرد بالحور العين ولا شك أن المشبه به أفضل من المشبه فلولا أن النساء أفضل وأحسن لما شبه بهن غيرهن وأما قولك أن الجارية تشبه بالغلام فليس الأمر كذلك بل الغلام يشبه بالجارية حتى قالوا أنها تصـ لح للأمرين جميعاً عدولاً منهم عن سلوك طريق الحق عند الناس كما قال كبيرهم أبو نواس.

ممشـ . . ـوقة القصـ . . ـر غلامية . . ـة	تصـ . . . لح للـ . . . وطى والزانـ . . . ـي

وأما ما ذكرته من حسن نبات العذار وخضار الشارب وأن الغلام يزداد به حسناً وجمالاً فو الله لقـ ـد عدلت عن الطريق وقلت غير التحقيق لأن العذار يبدل حسنات الجمال بالسيئات ثم أنشدت هذه الأبيات:

بـ ـدا الشـ ـعر فـ ـي وجهـ ـه فـ ـأنتقم	لعاشـ . . ـقه منـ . . ـه لمـ . . ـا ظلـ . . ـم
ولـ . ـم أر فـ . ـي وجهـ . ـه كالـ . ـدخا	ن إلا وسـ . . . . . . الفه كـ . . . . . . الحمم
إذا أسـ . . ـود فاضـ . . ـل قرطاسـ . . ـه	فمـ . ـا ضـ . ـنظكم بمكـ . ـان القلـ . ـم
فـ . ـإن فضـ . ـلوه علـ . ـى غيـ . ـره	فمـ . . ـا ذاك إلا لجهـ . . ـل الحكـ . . ـم

فلما فرغت من شعرها قالت للرجل سبحان الله العظيم. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكـ ـلام المباح.

(وفي ليلة ٤٢٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن المرأة الواعظة لما فرغت من شعرها قالـ ـت للرجـ ـل سـ ـبحان الله العظيم كيف يخفى عليك أن كمال اللذة في النساء وأن النعيم المقيم لا يكون إلا بهن وذلـ ـك أن الله سـ ـبحانه وتعالى وعد الأنبياء والأولياء في الجنة بالحور العين وجعلهن جزاء لأعمالهم الصالحة ولو علم الله تعالى أن في غيرهن لذة الاستمتاع لجزاهم به ووعدهم أياه وقال ﷺ حبب إلي من دنياكم ثلاث :النساء والطيب وقـ ـرة عيني في الصلاة وأنما جعل الله الولدان خدماً للأنبياء والأولياء في الجنة لأن الجنة دار نعيم وتلذذ ولا يكمل ذلك إلا بخدمة الولدان وأما استعمالهم لغير الخدمة فهو من الخبال والوبال وأنا أستغفر الله العظيم لي ولكـ ـم ولسائر المسلمين أنه هو الغفور الرحيم ثم سكتت فلم تجبنا عن شيء بعد ذلك فخرجنا من عندها مسـ ـرورين بما استفدناه من مناظرتها متأسفين على مفارقتها.

(ومما) يحكي أن أبا سويد قال أتفق أنني أنا وجماعة من أصحابي دخلنا بسـ ـتاناً يومـ ـاً مـ ـن الأيـ ـام لنشتري شيئاً من الفاكهة فرأينا في جانب ذلك البستان عجوزاً صبيحة الوجه غير أن شعر رأسها أبيض وهي تسرحه بمشط من العاج فوقفنا عندها فلم تجفل منا ولم تغط رأسها فقلت لها يا عجوز لو صبغت شعرك أسود لكنت أحسن من صبية فما منعك من ذلك فرفعت رأسها إلي وأدرك شهرزاد الصباح فسـ ـكتت عـ ـن الكـ ـلام المباح.

(وفي ليلة ٤٢٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أبا سويد قال لما قلت للعجوز ذلك الكلام رفعت رأسها إلي وحملقت العينين وأنشدت هذين البيتين:

وصبغت ما صـ بغ الزمـ ـان فلـ ـم يـ ـدم	صـ ـبغي ودامـ ـت صـ ـبغة الأيـ ـام
أيـ ـام الرفـ ـل لـ ـي ثيـ ـاب شـ ـبيبتي	وأنـ ـاك مـ ـن خلفـ ـي ومـ ـن قـ ـدامي

فقلت لها لله درك من عجوز ما أصدقك في اللهج بالحرام وأكذبك في دعوى التوبة من الآثام (ومما) يحكي أن علي بن محمد بن عبد الله بن طاهر استعرض جارية اسمها مؤنس للشراء وكانت فاضـ ـلة أديبـ ـة شاعرة فقال لها ما أسمك يا جارية قالت أعز الله الأمير أسمي مؤنس وكان قد عرف اسمها قبل ذلك فأطرق ساعة ثم رفع رأسه إليها وأنشد هذا البيت:

مـ ـاذا تقـ ـولين فـ ـيمن شـ ـفه سـ ـقم	مـ ـن أجـ ـل حبـ ـك حتـ ـى صـ ـار حيرانـ ـاً

فقالت أعز الله الأمير وأنشدت هذا البيت:

إذا رأيـ ـنـ ـا محبـ ـاً قـ ـد أضـ ـربه	داء الصـ ـبابة أولينـ ـاه أحسـ ـانا

فأعجبته فاشتراها بسبعين ألف درهم وأولدها عبد الله بن محمد صاحب المآثر (وقال أبو العينا) كـ ـان عندنا في الدرب امرأتان أحداهما تعشق رجلاً والأخرى تعشق أمرد فاجتمعتا ليلة على سطح أحداهما وهـ ـو قريب من داري وهما لا يعلمان بي فقالت صاحبة الأمرد للأخرى يا أختي كيف تصبرين على خشونة اللحية حين تقع على سدرك وقت لثمك وتقع شواربه على شفتيك وخديك فقالت لها يا رعناء وهل يزين الشـ ـجر إلا ورقة والخيار إلا زغبة وهل رأيت في الدنيا أقبح من أقرع منتوف أما علمت أن اللحية للرجل مثل الـ ـذوائب للمرأة وما الفرق بين الذوائب واللحية أما علمت أن الله سبحانه وتعالى خلق في السماء ملكاً يقول سبحان من زين الرجال باللحى والنساء بالذوائب فلولا أن اللحى كالذوائب في الجمال لما قرن بينهما يا رعنـ ـاء مـ ـالي وافرش نفسي تحت الغلام الذي يعالجني أنزاله ويسابقني انحلاله واترك الرجل الذي إذا شم ضم وإذا أدخـ ـل أمهل وإذا فرغ رجع وإذا رهز اجاد وكلما خلص عاد فاتعظت صاحبة الغلام بمقالتها وقالت سلوت صـ ـاحبي ورب الكعبة.

(حكاية تودد الجارية)

(ومما) يحكي أنه كان ببغداد رجل ذو مقدار وكان موسر بالمال والعقار وهو من التجار الكبار وقـ ـد سهل الله عليه دنياه ولم يبلغه من الذرية ما يتمناه ومضت عليه مدة من الزمان ولم يرزق بأناث ولا ذكـ ـور فكبر سنه ورق عظمه وانحنى ظهره وكثر وهنه وهمه فخاف ذهاب ماله ونسبه إذا لم يكن لـ ـه ولـ ـد يرثـ ـه ويذكر به فتضرع إلى الله تعالى وصام النهار وقام الليل ونذر النذور لله تعالى الحي القيوم وزار الصـ ـالحين وأكثر التضرع إلى الله تعالى فاستجاب الله له وقبل دعاءه ورحم تضرعه وشكواه فما كان إلا قليل من الأيام حتى جامع أحدى نساءه فحملت منه في ليلتها ووقتها وساعتها وأتمت أشهرها ووضعت حملها وجاءت نذكر كأنه فلقة قمر فأوفى بالنذر وشكر الله عز وجل وصدق وكسا الأرامل والأيتام وليلة سابع الولادة سماه بـ ـأبي

الحسن فرضعته المراضع وحضنته الحواضن وحملته المماليك والخدم إلى أن كبر ونشأ وترعـ رع وانتشـ ى وتعلم القرآن العظيم وفرائض الإسلام وأمور الدين القويم والخط والشعر والحساب والرمي بالنشـ ـاب فكـ ـان فريد دهره وأحسن أهل زمانه وعصره ذا وجه مليح ولسان فصيح يتهادى تمايلاً واعتدالاً ويترامـ ى تـ دللاً واختيالاً بخد أحمر وجبين أزهر وعذار أخضر كما قال فيه بعض واصفيه.

بـ . ـدا ربيـ . ـع العـ . ـذار للحـ . ـدق	والـ ـورد بعـ ـد الربيـ ـع كيـ ـف بقـ ـى
أمـ ـا تـ ـرى النبـ ـت فـ ـوق عارضـ ـه	بنفسـ . ـجاً طالعـ . ـاً مـ . ـن الـ . ـورق

فأقام أبيه برهة من الزمن في أحسن حال وأبوه به فرح مسور إلى أن بلغ مبالغ الرجال فأجلسه أبوه بين يديه يوماً من الأيام وقال له ياولدي أنه قد قرب الأجل وحانت وفاتي ولم يبق غير لقاء الله عز وجل وقد خلفت لك ما يكفيك إلى ولد الولد من المال المتين والضياع والأملاك والبساتين فاتق الله تعالى يا ولدي فيمـ ـا خلفته لك ولا تتبع إلا من رفدك فلم يكن إلا قليل حتى مرض الرجل ومات فجهزه ولده أحسن تجهيز ودفنـ ـه ورجع إلى منزله وقعد للعزاء أياماً وليالي وإذا بأصحابه قد دخلوا عليه وقالوا له من خلف مثلك ما مات وكل ما فات فقد فات وما يصلح العزاء إلا للبنات والنساء المخدرات ولم يزالوا به حتى دخل الحمام ودخلوا عليه وفكوا حزنه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٢٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أبا الحسن ابن الخواجا لما دخل عليه أصحابه الحمام وفكوا حزنـ ـه نسي وصية أبيه وذهل لكثرة المال وظن أن الدهر يبقى معه على حال وأن المال ليس له زوال فأكل وشرب ولذ وطرب وخلع ووهب وجاد بالذهب ولازم أكل الدجاج وفض ختام الزجاج وقهقهـ ـة القنـ ـاني واسـ تماع الأغاني ولم يزل على هذا الحال إلى أن نفد المال وقعد الحال وذهب ما كان لديه وسقط في يديه ولم يبق لـ ـه بعد أن أتلف ما أتلف غير وصيفة خلفها له والده من جملة ما خلف وكانت الوصيفة هذه ليس لها نظير فـ ـي الحسن والجمال والبهاء والكمال والقد والاعتدال وهي ذات فنون وآداب وفضائل تستطاب قـ ـد فاقـ ـت أهـ ـل عصرها وأوانها وصارت أشهر من علم في افتتانها وزادت على الملاح بالعلم والعمل والتثني والميـ ـل مـ ـع كونها خماسية القد مقارنة للسعد بجبينين كأنهما هلال شعبان وحاجبين أزجين وعيون كعيون غزلان وأنـ ـف كحد الحسام وخد كأنه شقائق النعمان وفم كخاتم سليما وأسنان كأنها عقود الجمان وسرة تسع أوقية دهن بـ ـأن وخصر انحل من جسم من أضناه الهوى وأسقمه الكتمان وردف أثقل من الكثبان وبالجملة فهي فـ ـي الحسـ ـن والجمال جديرة بقول من قال:

أن أقبلـ ـت فتنـ ـت بحسـ ـن قوامهـ ـا	أو أدبـ ـرت قتلـ ـت بصـ ـد فراقهـ ـا
شمسـ . ـية بدريـ . ـة غصـ . ـنية	لـ ـيس الجفـ ـا والبعـ ـد مـ ـن أخلاقهـ ـا
جنـ ـات عـ ـدن تحـ ـت جيـ ـب قميصـ ـها	والبـ ـدر فـ ـي فلـ ـك علـ ـى أطواقهـ ـا

تسلب من يراها بحسن جمالها وبريق ابتسامها وترميه من عيونها بنبل سهامها وهي مع هـ ـذا كلـ ـه فصيحة الكلام حسنة النظام فلما نقد جميع ما له وتبين سوء حاله ولم يبق معه غير هذه الجارية أقام ثلاثة أيام

وهو لم يذق طعم طعام ولم يسترح في منام فقالت له الجارية يا سيدي احملني إلى أمير المؤمنين هارون الرشيد وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٢٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية قالت لسيدها يا سيدي احملني إلى هارون الرشيد الخامس من بني العباس واطلب ثمني منه عشرة آلاف دينار فإن استغلاني فقل له يا أمير المؤمنين وصفتي أكثر من ذلك فاختبرها يعظم قدرها في عيني لأن هذه الجارية ليس لها نظير ولا تصلح إلا لمثلك ثم قالت له أياك أن تبيعني بدون ما قلت لك من الثمن فإنه قليل في مثلي وكان سيد الجارية لا يعلم قدرها ولا يعرف أنها ليس لها نظير في زمانها ثم أنه حملها إلى أمير المؤمنين هارون الرشيد وقدمها له وذكر ما قالت فقال لها الخليفة ما أسمك قالت أسمي تودد قال يا تودد ما تحسنين من العلوم قالت يا سيد أني أعرف النحو والشعر والفقه والتفسير واللغة وأعرف فن الموسيقى وعلم الفرائض والحساب والقسمة والمساحة وأساطير الأولين وأعرف القرآن العظيم وقد قرأته بالسبع والعشر وبالأربع عشرة وأعرف عدد سوره وآياته وأحزابه وأنصافه وأرباعه وأثمانه وأعشاره وسجداته وعدد أحرفه وأعرف ما فيه من الناسخ والمنسوخ والمدنية والمكية وأسباب التنزيل وأعرف الحديث الشريف دراية ورواية المسند منه والمرسل ونظرت في علوم الرياضة والهندسة والفلسفة وعلم الحكمة والمنطق والمعاني والبيان وحفظت كثيراً من العلم وتعلقت بالشعر وضربت العود وعرفت مواضع النغم فيه ومواقع حركات أوتاره وسكناتها فإن غنيت ورقصت فتنت وأن تزينت وتطيبت قتلت وبالجملة فأني وصلت إلى شيء لم يعرفه إلا الراسخون في العلم فلما سمع الخليفة هارون الرشيد كلامها على صغر سنها تعجب من فصاحة لسانها والتفت إلى مولاها وقال أني أحضر من يناظرها في جميع ما ادعته فإن أجابت دفعت لك ثمنها وزيادة وإن لم تجب فأنت أولى بها فقال مولاها يا أمير المؤمنين حباً وكرامه فكتب أمير المؤمنين إلى عامل البصرة بأن يرسل إليه إبراهيم بن سيار النظام وكان أعظم أهل زمانه في الحجة والبلاغة والشعر والمنطق وأمره أن يحضر القراء والعلماء والأطباء والمنجمين والحكماء والمهندسين والفلاسفة وكان إبراهيم أعلم من الجميع فما كان إلا قليل حتى حضروا دار الخلافة وهم لا يعلمون الخبر فدعاهم أمير المؤمنين إلى عامل البصرة بأن يرسل إليه إبراهيم بن سيار النظام وكان أعظم أهل زمانه في الحجة والبلاغة والشعر والمنطق وأمره أن يحضر القراء والعلماء والأطباء والمنجمين والحكماء والمهندسين والفلاسفة وكان إبراهيم أعلم من الجميع فما كان إلا قليل حتى حضروا دار الخلافة وهم لا يعلمون الخبر فدعاهم أمير المؤمنين إلى مجلسه وأمرهم بالجلوس فجلسوا ثم أمر أن تحضر الجارية تودد فحضرت وأظهرت نفسها وهي كأنه كوكب دري فوضع لها كرسي من ذهب فسلمت ونطقت بفصاحة لسان وقالت يا أمير المؤمنين مر من حضر من العلماء والقراء والأطباء والمنجمين والحكماء والمهندسين والفلاسفة أن يناظروني فقال لهم أمير المؤمنين أريد منكم أن تناظروا هذه الجارية في أمر دينها وأن تدحضوا حجتها في كل ما أدعته فقالوا السمع والطاعة لله ولك يا أمير المؤمنين فعند ذلك أطرقت الجارية برأسها إلى الأرض وقالت أيكم الفقيه العالم المقري المحدث فقال أحدهم أنا ذلك الرجل الذي طلبت قالت له أسأل عما شئت قال لها أنت قرأت كتاب الله العزيز وعرفت ناسخه ومنسوخه وتدبرت آياته وحروفه قالت

نعم فقال لها أسألك عن الفرائض الواجبة والسنن القائمة فأخبريني أيتها الجارية عن ذلك ومن ربك ومن نبيك ومن أمامك وما قبلتك وما أخوانك وما طريقتك وما منهاجك قالت الله ربي ومحمد ﷺ نبي والقرآن أمامي والكعبة قبلتي والمؤمنون أخواني والخير طريقتي والسنة منهاجي فتعجب الخليفة من قولها ومن فصاحة لسانها على صغر سنها ثم قال لها أيتها الجارية أخبريني بما عرفت الله تعالى قالت بالعقل قال وما العقل قالت العقل عقلان عقل موهوب وعقل مكسوب وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٢٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية قالت العقل عقلان موهوب ومكسوب فالعقل الموهوب هو الذي خلقه الله عز وجل يهدي به من يشاء من عباده والعقل المكسوب هو الذي يكسبه المرء بتأدبه وحسن معرفته فقال لها أحسنت ثم قال أين يكون العقل قالت يقذفه الله في القلب فيصعد شعاعه في الدماغ حتى يستقر قال لها أحسنت ثم قال أخبريني بم عرفت النبي ﷺ قالت بقراءة كتاب الله تعالى وبالآيات والدلالات والبراهين والمعجزات قال أحسنت فأخبريني عن الفرائض الواجبة والسنن القائمة قالت أما الفرائض الواجبة فخمس شهادة أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج بيت الله الحرام من استطاع إليه سبيلاً وأما السنن القائمة فهي أربع الليل والنهار والشمس والقمر وهن يدنين العمر والأمل وليس بعلم ابن آدم أنهن يهدمن الأجل قال أحسنت فأخبريني ما شعائر الإيمان قالت شعائر الإيمان الصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد واجتناب الحرام قال أحسنت فأخبريني بأي شيء تقومين إلى الصلاة قالت بنية العبودية مقرة بالربوبية قال فأخبريني كم فرض الله عليك قبل قيامك على الصلاة قالت الطهارة وستر العورة واجتناب الثياب المتنجسة والوقوف على مكان طاهر والتوجه للقبلة والقيام والنية وتكبيرة الإحرام قال أحسنت فأخبريني بم تخرجين من بيتك إلى الصلاة قالت بنية العبادة قال فبأي نية تدخلين المسجد قالت بنية الخدمة قال فيما ذا تستقبلين القبلة قالت بثلاث فرائض وسنة قالت أحسنت فأخبريني ما بمبدأ الصلاة وما تحليلها وما تحريمها قالت مبدأ الصلاة الطهور وتحريمها تكبيرة الإحرام وتحليلها السلام من الصلاة قال فماذا يجب على من تركها قالت روي في الصحيح من ترك الصلاة عامداً متعمداً من غير عذر فلا حظ له في الإسلام وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٢٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية لما ذكرت الحديث الشريف قال لها الفقيه أحسنت فأخبريني عن الصلاة ما هي قالت الصلاة صلة بين العبد وربه وفيها عشر خصال تنور القلب وتضيء الوجه وترضي الرحمن وتغضب الشيطان وتدفع البلاء وتكفي شر الأعداء وتكثر الرحمة وتدفع النقمة وتقرب العبد من مولاه وتنهي عن الفحشاء والمنكر وهي من الواجبات المفروضات المكتوبات وهي عماد الدين قال أحسنت فأخبريني ما مفتاح الصلاة قالت الوضوء قال فما مفتاح الوضوء قالت التسمية قال فما مفتاح التسمية قالت اليقين قال فما مفتاح اليقين قالت التوكل قال فما مفتاح التوكل قالت الرجاء قال فما مفتاح الرجاء قالت الطاعة قال فما مفتاح الطاعة قالت الاعتراف لله تعالى بالوحدانية والإقرار له بالربوبية قال أحسنت فأخبرينين عن فروض الوضوء قالت ستة أشياء على مذهب الإمام الشافعي محمد بن أدريس رضي الله تعالى عنه النية عند

غسل الوجه وغسل اليدين مع المرفقين ومسح بعض الرأس وغسل الرجلين مع الكعبين والترتيـ ـب وسـ ـنته عشرة أشياء التسمية وغسل الكفين قبل أدخالهما الأناء والمضمضة والاستنشاق ومسح بعض الرأس ومسـ ـح الأذنين ظاهرهما وباطنهما بماء جديد وتخليل اللحية الكثة وتخليل أصابع اليدين والرجلين وتقديم اليمنى على اليسرى والطهارة ثلاثاً ثلاثاً والموالاة فإذا فرغ من الوضوء قال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شـ ـريك لـ ـه وأشهد أن محمداً عبداً ورسوله اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك فقد جاء في الحديث الشريف عن النبي ﷺ أنه قال من قالها عقب كل وضوء فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء قال أحسنت فإذا أراد الإنسان الوضوء ماذا يكـ ـون عنده من الملائكة والشياطين قالت إذا تهيأ الإنسان للوضوء أتت الملائكة عن يمينه والشياطين عن شماله فإذا ذكر الله تعالى في ابتداء الوضوء فرت منه الشياطين واستولت عليه الملائكة بخيمة من نور لها أربعة أطناب من كل طنب ملك يسبح الله تعالى ويستغفر له ما دام في أنطات أو ذكر فإن لم يذكر الله عز وجل عند ابتداء الوضوء ولم ينصت استولت عليه الشياطين وانصرفت عنه الملائكة ووسوس له الشيطان حتى يدخل عليـ ـه الشك والنقص في وضوئه فقد قال عليه الصلاة والسلام الوضوء الصالح يطرد الشيطان ويؤمن مـ ـن جـ ـور السلطان وقال أيضاً من نزلت عليه بلية وهو على غير وضوء فلا يلومن إلا نفسه قال أحسنت فأخبريني عما يفعل الشخص إذا استيقظ من منامه قالت إذا استيقظ الشخص من منامه فليغسل يديه ثلاثاً قبل ادخالهما الأناء قال أحسنت فأخبريني عن فروض الغسل وعن سننه قالت فروض الغسل النية وتعميم البدن بالماء أي إيصال الماء إلى جميع الشعر والبشرة وأما سننه فالوضوء قبله والتدليك وتخليل الشعر وتأخير غسل الـ ـرجلين فـ ـي قول إلى آخر الغسل قال أحسنت وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٢٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية لما أخبرت الفقيه عن فروض الغسل وسننه قـ ـال أحسـ ـنت فأخبريني عن أسباب التيمم وفروضه وسننه قالت أما أسبابه فسبعه فقد الماء والخوف والحاجة إليه وأضلاله في رحله والمرض والجبيرة والجراح وأما فروضه فأربعة النية والتراب وضربة للوجه وضربة لليدين وأما سننه فالتسمية وتقديم اليمنى على اليسرى قال أحسنت فأخبريني عن شروط الصلاة وعن أركانها وعن سننها قالت أما شروطها فخمسة أشياء طهارة الأعضاء وستر العورة ودخول الوقت يقيناً أو ظناً واسـ ـتقبال القبلـ ـة والوقوف على مكان طاهر وأما أركانها فالنية وتكبيرة الإحرام والقيام مع القدرة وقراءة الفاتحـ ـة وبسـ ـم الله الرحمن الرحيم آية منها على مذهب الإمام الشافعي والركوع والطمأنينة فيـ ـه والاعتـ ـدال والطمأنينـ ـة فيـ ـه والسجود والطمأنينة فيه والجلوس بين السجدتين والطمأنينة فيه والتشهد الأخير والجلوس له والصلاة علـ ـى النبي ﷺ فيه والتسليمة الأولى ونية الخروج من الصلاة في قول وأما سننها فالأذان والإقامة ورفع اليدين عند الإحرام ودعاء الافتتاح والتعوذ والتأمين وقراءة السورة بعد الفاتحة والتكبيرات عند الانتقالات وقول سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد والجهر في موضعه والأسرار في موضعه والتشهد الأولى والجلوس له والصـ ـلاة على النبي ﷺ فيه والصلاة على الآل في التشهد الأخير والتسليمة الثانية قال أحسنت فأخبريني فيما ـ ذا تجب الزكاة قالت تجب في الذهب والفضة والأبل والبقر والغنم والحنطة والشعير والدخن والذرة والفول والحمص

والأرز والزبيب والتمر قال أحسنت فأخبريني في كم تجب الزكاة في الذهب قالت لا زكاة فيما دون عشرين مثقالاً فإذا بلغت العشرين ففيها نصف مثقال وما زاد فبحسابه قال فأخبريني في كم تجب الزكاة في الورق قالت ليس فيما دون مائتي درهم زكاة فإذا بلغت المائتين ففيها خمسة دراهم وما زاد فبحسابه قال أحسنت فأخبريني في كم تجب الزكاة في الأبل قالت في كل خمس شاة إلى خمس وعشرين ففيها بنت مخاض قال أحسنت فأخبريني في كم تجب الزكاة في الشاة قالت إذا بلغت أربعين ففيها شاة قال أحسنت فأخبريني عن الصوم وفروضه قالت أما فروض الصوم فالنية والإمساك عن الأكل والشرب والجماع وتعمد القيء وهو واجب على كل مكلف خال عن الحيض والنفاس ويجب على رؤية الهلال أو بأخبار عدل يقع في قلب المخبر صدقه ومن واجباته تثبيت النية وأما سننه فتعجيل الفطر وتأخير السحور وترك الكلام إلا في الخير والذكر وتلاوة القرآن قال أحسنت فأخبريني عن شيء لا يفسد الصوم قالت الأذهان والاكتحال وغبار الطريق وابتلاع الريق وخروج المني بالاحتلام والنظر لامرأة أجنبية والفصادة والحجامة هذا كله لا يفسد الصوم قال أحسنت فأخبريني عن صلاة العيدين قالت ركعتان وهماسة من غير آذان وإقامة ولكن يقول الصلاة جامعة ويكبر في الأولى سبعاً سوى تكبيرة الإحرام وفي الثانية خمساً سوى تكبيرة القيام على مذهب الإمام الشافعي رحمه الله تعالى وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٣٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية لما أخبرت الفقيه عن صلاة العيدين قال لها أحسنت فأخبريني عن صلاة كسوف الشمس وخسوف القمر قالت ركعتان بغير أذان ولا إقامة يأتي في ركعة بقيامين وركوعين وسجودين ويجلس وينشد ويسلم ثم يخطب ويستغفر الله تعالى مكان التكبير في خطبتي العيدين ويحول رداءه بأن يجعل أعلاه أسفله ويدعوا ويتضرع قال أحسنت فأخبريني عن صلاة الوتر قالت الوتر أقله ركعة واحدة وأكثره أحدى عشرة قال أحسنت فأخبريني عن صلاة الضحى قالت صلاة الضحى أقلها ركعتان وأكثرها اثنتي عشرة ركعة قال أحسنت فأخبريني عن الاعتكاف قالت هو سنة قال فما شروطه قالت النية وأن لا تخرج من المسجد إلا لحاجة ولا يباشر النساء وأن يصوم ويترك الكلام قال أحسنت فأخبريني بماذا يجب الحج قالت بالبلوغ والعقل والإسلام والاستطاعة وهو واجب في العمر مرة واحدة قبل الموت قال فما فروض الحج قالت الإحرام والوقوف بعرفة والطواف والسعي والحلق والتقصير قال فما فروض العمرة قالت الإحرام بها وطوافها وسعيها قال فما فروض الإحرام قالت التجرد من المخيط واجتناب الطيب وترك حلق الرأس وتقليم الأظافر وقتل الصيد والنكاح قال فما سنن الحج قالت التلبية وطواف القدوم والوداع ولمبيت بالمزدلفة وبمنى ورمي الجمار قال أحسنت فما الجهاد وما أركانه قالت أما أركانه فخروج الكفار علينا ووجود الإمام والعدة والثبات عند لقاء العدو وأما سننه فهو التحريض على القتال لقوله تعالى يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال قال أحسنت فأخبريني عن فروض البيع وسننه قالت أما فروض البيع فالأيجاب والقبول وأوان يكون المبيع مملوكاً متفعاً به مقدوراً على تسليمه وترك الربا وأما سننه فالأقالة والخيار قبل التفرق لقوله ﷺ البيعان بالخيار ما لم يتفرقا قال أحسنت فأخبريني عن شيء لا يجوز بيع بعضه ببعض قالت حفظت في ذلك حديثاً صحيحاً عن نافع عن رسول الله ﷺ أنه نهى عن بيع التمر بالرطب والتين باليابس

والقديد باللحم والزبد بالسمن وكل ما كان من صنف واحد مأكول فلا يجوز بيع بعضه ببعض فلما سمع الفقيه كلامها وعرف أنها زكية فطنة حاذقة عالمة بالفقه والحديث والتفسير وغير ذلك قال في نفسه لابد من أن أتخيل عليها حتى أغلبها في مجلس أمير المؤمنين فقال لها يا جارية ما معنى الوضوء في اللغة قالت الوضوء في اللغة النظافة والخلوص من الأدناس قال فما معنى الصلاة في اللغة قالت الدعاء بخير قال فما معنى الغسل في اللغة وقالت التطهير قال فما معنى الصوم في اللغة قالت الإمساك قال فما معنى الزكاة لغة قالت الزيادة قال فما معنى الحج في اللغة قالت القصد قال فما معنى الجهاد في اللغة قالت الدفاع فانقطعت حجة الفقيه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٣١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الفقيه لما انقطعت حجته قام على قدميه وقال أشهد الله يا أمير المؤمنين بأن الجارية اعلم مني في الفقه فقالت له الجارية أسألك عن شيء فأتني بجوابه سريعاً إن كنت عارفاً قال اسألي قالت في سهام الدين قال هي عشرة الأولى الشهادة وهي الملة الثاني الصلاة وهي الفطرة الثالث الزكاة وهي الطهارة الرابع الصوم وهي الجنة الخامس الحج وهي الشريعة السادس الجهاد وهي الكفاية السابع والثامن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهما الغيرة التاسع الجماعة وهي الألفة العاشر طلب العلم وهي الطريق الجيدة قالت أحسنت وقد بقيت عليك مسألة فما أصول الإسلام قال هي أربعة صحة العقد وصدق القصد وحفظ الحد والوفاء بالعهد قالت بقي مسألة أخرى فإن أجبت وإلا أخذت ثيابك قال قولي يا جارية قالت فما فروع الإسلام فسكت ساعة ولم يجب بشيء فقالت أنزع ثيابك وأنا أفسرها لك قال أمير المؤمنين فسريها وأنا أنزع لك ما عليه من الثياب قالت هي أثنى وعشرون فرعاً التمسك بكتاب الله تعالى والاقتداء برسوله ﷺ وكف الأذى وأكل الحلال واجتناب الحرام ورد المظالم إلى أهلها والتوبة والفقه في الدين وحب الجليل واتباع التنزيل وتصديق المرسلين وخوف التبديل والتأهب للرحيل وقوة اليقين والعفو عند القدرة والقوة عند الضعف والصبر عند المصيبة ومعرفة الله تعالى ومعرفة ما جاء به نبيه ﷺ ومخالفة اللعين أبليس ومجاهدة النفس ومخالفتها والإخلاص لله فلما سمع أمير المؤمنين ذلك منها أمر أن تنزع ثياب الفقيه وطيلسانه فنزعهما ذلك الفقيه وخرج مقهوراً منها خجلاً من بين يدي أمير المؤمنين ثم قام لها رجل آخر وقال يا جارية اسمعي مني مسائل قليلة قالت له قل قال فما شرط صحة المسلم قالت القدر المعلوم والجنس المعلوم والأجل المعلوم قال أحسنت فما فروض الأكل وسننه قالت فروض الأكل الاعتراف بأن الله تعالى رزقه وأطعمه وسقاه والشكر لله تعالى على ذلك قال فما الشكر قالت صرف العبد لجميع ما أنعم الله به عليه فيما خلق لأجله قال فما سنن الأكل قالت التسمية وغسل اليدين والجلوس على الورك الأيسر والأكل بثلاث أصابع والأكل مماليك قال أحسنت فأخبريني ما آداب الأكل قالت أن نصغر اللقمة وتقل النظر إلى جليسك قال أحسنت وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٣٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية لما سئلت عن آداب الأكل وذكرت الجواب قال لها الفقيه السائل أحسنت فأخبريني عن عقائد القلب واضدادها قالت هن ثلاث وأضدادها ثلاث الأولى اعتقاد الإيمان

وضدها مجانبة الكفر والثانية اعتقاد السنة وضدها مجانبة البدعة والثالثة اعتقاد الطاعة وضدها مجانبة المعصية قال أحسنت فأخبريني عن شروط الوضوء قالت الإسلام والتميز وطهور الماء وعدم المانع الحسن وعدم المانع الشرعي قال أحسنت فأخبريني عن الإيمان قالت الإيمان ينقسم إلى تسعة أقسام إيمان بالمعبودة وإيمان بالعبودية وإيمان بالخصوصية وإيمان بالقبضتين وإيمان بالناسخ وإيمان بالمنسوخ وأن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وتؤمن بالقضاء والقدر خيره وشره حلوه ومره قال أحسنت فأخبريني عن ثلاث تمنع ثلاثاً قالت نعم روى عن سفيان الثوري أنه قال ثلاث تذهب ثلاثاً الاستخفاف بالصالحين يذهب الآخرة والاستخفاف بالملوك يذهب الروح والاستخفاف بالنفقة يذهب المال قد أحسنت فأخبرينين عن مفاتيح السموات وكم لها من باب قالت قال الله تعالى وفتحت السماء فكانت أبواباً وقال عليه الصلاة والسلام وليس يعلم عدة أبواب السماء إلا الذي خلق السماء وما من أحد من بني آدم إلا وله باباً في السماء باب ينزل منه رزقه وباب يصعد منه عمله ولا يغلق باب رزقه حتى ينقطع أجله ولا يغلق باب عمله حتى تصعد روحه قال أحسنت فأخبريني عن شيء وعن نصف الشيء وعن لا شيء قالت الشيء هو المؤمن ونصف الشيء هو المنافق وأن لا شيء هو الكافر قال أحسنت فأخبريني عن القلوب قالت قلب سليم وقلب سقيم وقلب منيب وقلب نذير وقلب منير فالقلب السليم هو قلب الخليل والقلب السقيم هو قلب الكافر والقلب المنيب هو قلب المتقين الخائفين والقلب النذير هو قلب سيدنا محمد ﷺ والقلب المنير هو قلب من يتبعه وقلوب العلماء ثلاثة قلب متعلق بالدنيا وقلب متعلق بالآخرة وقلب متعلق بمولاه وقيل أن القلوب ثلاثة قلب معلق وهو قلب الكافر وقلب معدوم وهو قلب المنافق وقلب ثابت وهو قلب المؤمن وقيل هي ثلاثة قلب مشروح بالنور والإيمان وقلب مجروح من خوف الهجران وقلب خائف من الخذلان قال أحسنت وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٣٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية لما سألها الفقيه الثاني وأجابته وقال لها أحسنت قالت يا أمير المؤمنين أنه قد سألني حتى عيني وأنا أسأله مسألتين فإن أتى بجوابهما فذاك وإلا أخذت ثيابه وانصرف بسلام فقال لها الفقيه سليني عما شئت قالت فما تقول في الإيمان قال الإيمان أقرار باللسان وتصديق بالقلب وعمل بالجوارح وقال عليه الصلاة والسلام لا يكمل المرء في الإيمان حتى يكمل فيه خمس خصال التوكل على الله والتفويض إلى الله والتسليم لأمر الله والرضا بقضاء الله وإن تكون أموره لله فإنه من أحب الله وأعطي لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان قالت فأخبرني عن فرض الفرض وعن فرض في ابتداء كل فرض وعن فرض يحتاج إليه كل فرض وعن فرض يستغرق كل فرض وعن سنة داخلة في الفرض وعن سنة يتم بها الفرض فسكت ولم يجب بشيء فأمرها أمير المؤمنين بأن تفسرها وأمره بأن ينزع ثيابه ويعطيها أياها فعند ذلك قالت يا فقيه أما فرض الفرض فمعرفة الله تعالى وأما الفرض الذي في ابتداء فهي شهادة أتن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأما الفرض الذي يحتاج إليه كل فرض فهو الوضوء وأما الفرض المستغرق كل فرض فهو الغسل من الجنابة وأما السنة الداخلة في الفرض فهي تخليل الأصابع وتخليل اللحية الكثيفة وأما السنة التي يتم بها الفرض فهو الاختتان فعند ذلك تبين عجز الفقيه وقام على قدميه وقال أشهد الله يا أمير المؤمنين أن هذه الجارية اعلم مني بالفقه وغيره ثم نزع ثيابه وانصرف مقهوراً (وأما) حكايتها مع

المقري فإنها التفتت إلى من بقي من العلماء الحاضرين وقالت أيكم الأستاذ المقريء العالم بـ ـالقرآن الســ ـبع والنحو واللغة فقام إليها المقريء وجلس بين يديها وقال لها هل قرأت كتاب الله تعالى وأحكمت معرفة آياتـ ـه وناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومكية ومدنية وفهمت تفسيره وعرفتيه على الروايات والأصـ ـول فـ ـي القرآن قالت نعم قال أخبريني عن عدد سور القرآن وكم فيه من عشر وكم فيه من آية وكم فيه مـ ـن حـ ـرف وكم فيه من سجدة وكم فيه من نبي مذكور وكم فيه من سورة مدنية وكم فيه من سورة مكية وكم فيه من طير قالت يا سيدي أما سور القرآن فمائة وأربع عشرة سورة المكي منها سبعون سورة والمدني أربع وأربعـ ـون سورة وأما أعشاره فستمائة عشر واحد وعشرون عشراً وأما الآيات فستة آلاف ومائتان وست وثلاثون آية وأما كلماته فتسعة وسبعون ألف كلمة وأما حروفه فثلثمائة ألف وثلاثة وعشرون ألفاً وستمائة وسبعون حرفاً وللقاريء بكل حرف عشر حسنات وأما السجدات فأربع عشر سجدة وأدرك شهرزاد الصباح فسـ كتت عـ ـن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٣٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية لما سألها المقريء عن القرآن أجابته وقالت له وأما الأنبياء الذين ذكرت أسماؤهم في القرآن فخمسة وعشرون نبياً وهم آدم ونوح وإبراهيم وإسماعيل وأسحق ويعقـ ـوب ويوسف واليسع ويونس ولوط وصالح وهو ذو شعيب وداود وسليمان وذو الكفل وأدريس واليـ ـاس ويحيـ ـى وزكريا وأيوب وموسى وهارون وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وأما الطير فهن تسع قال ما أسمهن قالت البعوض والنحل والذباب والنمل والهدهد والغراب والجراد والأبابيل وطيـ ـر عيسـ ـى عليـ ـه السلام وهو الخفاش قال أحسنت فأخبريني أي سورة البقرة قال فأي آية أعظم قالـ ـت آيـ ـة الكرسـ ـي وهـ ـي خمسون كلمة من كل كلمة خمسون بركة قال فأي آية فيها تسع آيات قالت قولـ ـه تعـ ـالى ﴿ أن فـ ـي خلـ ـق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس﴾ إلى آخر الآية قـ ـال أحسنت فأخبريني أي آية أعدل قالت قوله تعالى أن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عـ ـن الفحشاء والمنكر والبغي قال فأي آية أطمع قالت قوله تعالى أيطمع كل أمريء منهم أن يدخل جنة نعيم قـ ـال فأي آية أرجى قالت قوله تعالى قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله أن الله يغفـ ـر الذنوب جميعاً أنه هو الغفور الرحيم قال أحسنت فأخبريني بأي قراءة تقرئين قالت بقراءة أهل الجنـ ـة وهـ ـي قراءة نافع قال فأي آية كذب فيها الأنبياء قالت قوله تعالى وجاءوا على قميصه بدم كذب وهم أخوة يوسـ ـف قال فأخبريني أي آية صدق فيها الكفار قالت قوله تعالى وقالت اليهود ليست النصارى على شـ ـيء وقالـ ـت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب فهم صدقوا جميعاً قال آية قالها الله لنفسه قالـ ـت قولـ ـه تعالى وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون قال فأي آية فيها قول الملائكة قالت قوله تعـ ـالى ونحـ ـن نسـ ـبح بحمدك ونقدس لك قال فأخبريني عن أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وما جاء فيها قالت لتعوذ واجب أمر الله به عند القراءة والدليل عليه قوله تعالى فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم قال فأخبريني مـ ـا لفظ الاستعاذة وما الخلاف فيها قالت منهم من يستعيذ بقوله أعوذ بالله السميع العليم مـ ـن الشـ ـيطان الـ ـرجيم ومنهم من يقول أعوذ بالله القوي والأحسن ما نطق به القرآن العظيم ووردت به السنة وكان ﷺ إذا اسـ ـتفتح

القرآن كان أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وروي عن نافع عن أبيه قال كان رسول الله ﷺ إذا قام يصلي في الليل قال الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلاً ثم يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ومن همزات الشياطين ونزعاتهم وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال قال أول ما نزل جبريل على النبي ﷺ علمه الاستعاذة وقال له قل يا محمد أعوذ بالله السميع العليم ثم قل بسم الله الرحمن الرحيم ثم اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق فلما سمع المقريء كلامها تعجب من لفظها وفصاحتها وعلمها وفضلها ثم قال لها يا جارية ما تقولين في قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم هل هي آية من آيات القرآن قالت نعم آية من القرآن في النمل وآية بين كل سورتين والاختلاف في ذلك بين العلماء كثير قال أحسنت وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٣٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية لما أجابت المقريء وقالت أن بسم الله الرحمن الرحيم فيها اختلاف كثير بين العلماء قال أحسنت فأخبريني لم لا تكتب بسم الله الرحمن الرحيم في أول سورة براءة قالت لما نزلت سورة براءة بنقض العهد الذي كان بينه ﷺ وبين المشركين وجه لهم النبي ﷺ علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه في يوم موسم بسورة براءة فقرأها عليهم ولم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم قال فأخبريني عن فضل بسم الله الرحمن الرحيم وبركتها قالت روي عن النبي ﷺ أنه قال ما قرأت بسم الله الرحمن الرحيم على شيء إلا كان فيه البركة وعنه ﷺ حلف رب العز بعزته لا تسمى بسم الله الرحمن الرحيم على مريض إلا عوفي من مرضه وقيل لما خلق الله العرش اضطرب اضطراباً عظيماً فكتب عليه بسم الله الرحمن الرحيم فسكن اضطرابه ولما نزلت بسم الله الرحمن الرحيم على رسول الله ﷺ قال أمنت من ثلاثة من الخسف والمسخ والغرق وفضلها عظيم وبركتها كثيرة يطول شرحها وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال يؤتي برجل يوم القيامة فيحاسب فلا يلقى له حسنة فيؤمر به إلى النار فيقول الهي ما انصفتني فيقول الله عز وجل ولم ذلك فيقول يارب لأنك سميت نفسك الرحمن الرحيم وتريد أن تعذبني بالنار فقال الله جل جلالة أنا سميت نفسي الرحمن الرحيم أمضوا بعبدي لي الجنة برحمتي وأنا أرحم الراحمين قال أحسنت فأخبريني عن أول بدء بسم الله الرحمن الرحيم قالت لما أنزل الله تعالى القرآن كتبوا بإسمك اللهم فلما أنزل الله تعالى قل أعدوا الله أو أدعوا الرحمن أياماً تدعوا فله الأسماء الحسنى كتبوا بسم الله الرحمن الرحيم فما نزل والهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم كتبوا بسم الله الرحمن الرحيم فلما سمع المقريء كلامها أطرق وقال في نفسه أن هذا العجب عجيب وكيف تكلمت هذه الجارية في أول بدء بسم الله الرحمن الرحيم والله لابد من أن أتحيل عليها لعلي أغلبها ثم قال لها يا جارية هل أنزل الله القرآن جملة واحدة أو أنزله متفرقاً قالت نزل به جبريل الأمين عليه السلام من عند رب العالمين على نبيه محمد سيد المرسلين وخاتم النبيين بالأمر والنهي والوعد والوعيد والأخبار والأمثال في عشرين سنة آيات متفرقات على حسب الوقائع قال أحسنت فأخبريني عن أول سورة نزلت على رسول الله ﷺ قالت في قول ابن عباس سورة العلق وفي قول ابن جابر بن عبد الله سورة المدثر ثم أنزلت السور والآيات بعد ذلك قال فأخبريني عن آخر آية نزلت قالت آخر آية نزلت عليه هي آية الربا وقيل إذا جاء نصر الله والفتح. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٣٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية لما أجابت المقريء عن آخر آية نزلت في القرآن قال لها أحسنت فأخبريني عن عدة الصحابة الذين جمعوا القرآن على عهد رسول الله ﷺ قالت هم أربعة أبي بن كعب وزير بن ثابت وأبو عبيدة عامر بن الجراح وعثمان بن عفان رضي الله عنهم أجمعين قال أحسنت فأخبريني عن القراء الذين تؤخذ عنهم القرآت قالت هم أربعة عبد الله بن مسعود وأبي كعب ومعاذ بن جبل وسالم ابن عبد الله قال فما تقولين في قوله تعالى وما ذبح على النصب قالت هي الأصنام التي تنصب وتعبد من دون الله والعياذ بالله تعالى قال فما تقولين في قوله تعالى تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك قالت تعلم حقيقتي وما عندي ولا أعلم ما عندك والدليل على هذا قوله تعالى أنك أنت علام الغيوب وقيل تعلم عيني ولا أعلم عينك قال فما تقولين في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم قالت حدثني الشيخ رحمه الله تعالى عن الضحاك أنه قال هم قوم من المسلمين قالوا نقطع مذاكيرنا ونلبس المسوح فنزلت هذه الآية وقال قتادة أنها نزلت في جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ وهم علي بن أبي طالب وعثمان ابن مصعب وغيرهما وقالوا نخصى أنفسنا ونلبس الشعر ونترهب فنزلت هذه الآية قال فما تقولين في قوله تعالى وأتخذ الله ابراهيم خليلاً قالت الخليل المحتاج الفقير وفي قوله أخر هو المحب المنقطع إلى الله تعالى الذي ليس لانقطاعه اختلال فلما رآها المقريء تمر في كلامها مر السحاب ولم تتوقف في الجواب قام على قدميه وقال أشهد الله يا أمير المؤمنين أن هذه الجارية اعلم مني بالقرآت وغيرها فعند ذلك قالت الجارية أنا أسألك مسألة واحدة فإن أتيت بجوابها فذاك وإلا نزعت ثيابك قال أمير المؤمنين سليه فقالت ما نقول في آية فيها ثلاثة وعشرون كافا وآية فيها ستة عشر ميما وآية فيها مائة وأربعون عيناً وحزب ليس فيه جلالة فعجز المقريء عن الجواب فقالت أنزع ثيابك فنزع ثيابه ثم قالت يا أمير المؤمنين أن الآية التي فيها ستة عشر ميماً في سورة هود وهي قوله تعالى قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك الآية وأن الآية التي فيها ثلاثة وعشرون كافاً في سورة البقرة وهي أية الدين وأن الآية التي فيها مائة وأربعون عيناً في سورة الأعراف وهي قوله تعالى واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا لكل رجل عينان وأن الحزب الذي ليس فيه جلاله هو سورة اقتربت الساعة وانشق القمر والرحمن والواقعة فعند ذلك نزع المقريء ثيابه التي عليه وانصرف خجلاً وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٣٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية لما غلبت المقريء ونزع ثيابه وأنصرف خجلاً تقدم إليها الطبيب الماهر وقال فرغنا من علم الأديان فتيقظي لعلم الأبدان وأخبريني عن الإنسان وكيف خلقه وكم في جسده من عرق وكم من عظم وكم من فقارة وأين أول العروق ولم سمي آدم آدم قالت سمي آدم لأدمته أي سمرة لونه وقيل لأنه خلق من أديم الأرض أي ظاهر وجهها صدره من تربة الكعبة ورأسه من تربة المشرق ورجلاه من تربة المغرب وخلق الله له سبعة أبواب في رأسه وهي العينان والأذنان والمنخران والفم وجعل له منفذين قبله ودبره فجعل العينين حاسة النظر والأذنين حاسة السمع والمنخرين حاسة الشم والفم حاسة الذوق وجعل اللسان ينطق بما في ضمير الإنسان وخلق آدم مركباً من أربعة عناصر وهي الماء والتراب

والنار والهواء فكانت الصفراء طبع النار وهي حارة يابسة والسوداء طبع التراب وهو بارد يـ ابس والـ بلغم طبع الماء وهو بارد رطب والدم طبع الهواء وهو حار رطب وخلق في الإنسان ثلثمائة وستين عرقاً ومائتين وأربعون عظماً وثلاثة أرواح حيواني ونفساني وطبيعي وجعل لكل منها حكماً وحلق الله له قلباً وطحالاً ورئة وستة أمعاء وكبداً وكليتين واليتين ومخاو عظماً وجلداً وخمس حواس سامعة وباصرة وشامة وذائقة ولامسة وجعل القلب في الجانب الأيسر من الصدر وجعل المعدة أمام القلب وجعل الرئة مروحة للقلب وجعل الكبـ د في الجانب الأيمن محاذية للقلب وخلق ما دون ذلك من الحجاب والأمعاء وركب ترائـ ب الصـ در وشـ بكها بالأضلاع قال أحسنت فاخبريني كم في رأس ابن آدم من بطن قالت ثلاثة بطون وهي تشتمل علـ ى خمـ س قوي تسمى الحواس الباطنية وهي الحس المشترك والخيال والمتصرفة والواهمة والحافظـ ة قـ ال أحسـ نت فأخبريني عن هيكل العظام وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٣٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية لما قال لها الطبيب أخبريني عن هيكل العظام قالـ ت هـ و مؤلف من مائتين وأربعون عظماً وينقسم إلى ثلاثة أقسام رأس وجذع وأطراف أما الرأس فتنقسم إلى جمجمة ووجه فالجمجمة مركبة من ثمانية عظام ويضاف إليها عظيمات السمع الأربع والوجه ينقسم إلى فك علـ وي وفك سفلي فالعلوي يشتمل على أحد عشر عظماً والسفلي عظم واحد ويضاف إليه الأسـ نان وهـ ي اثنتـ ان وثلاثون سناً وكذا العظم اللامي وأما الجذع فينقسم إلى سلسلة فقارية وصدر وحوش لسلسلة مركبة من أربعة وعشرون عظماً تسمى الفقار والصدر مركب من القفص والإضلاع التي هي أربع وعشرون ضلعاً في كـ ل جانب اثنتا عشرة والحوض مركب من العظمين الحرقفيين والعجز والعصعص وأما الأطراف فتنقسـ م إلـ ى طرفين علويين وطرفيين سفليين فالعلويان ينقسم كل منهما أولاً إلى منكب مركب من الكتف والترقوة وثانيـ اً إلى عضد وهو عظم واحد وثالثاً إلى ساعد مركب من عظمين هما الكعبرة والزند ورابعاً إلى كف ينقسم إلى رسغ ومشط وأصابع فالرسغ مركب من ثمانية عظام مصفوفة صفين كل منهما يشتمل على أربعـ ة عظـ ام والمشط يشتمل على خمسة عظام والأصابع عدتها خمس كل منها مركب من ثلاثة عظام تسمى السـ لاميات إلا الإبهام فإنها مركبة من أثنين فقط والطرفان السفليان ينقسم كل منهما أولاً إلى فخذ هو عظم واحد وثانيـ اً إلى ساق مركب من ثلاثة عظام القصبة والشظية والرصفة وثالثاً إلى قدم ينقسم كالكف إلى رسـ غ ومشـ ط وأصابع فالرسغ مركب من سبعة عظام مصفوفة صفين الأول فيه عظمان والثاني فيه خمسة والمشط مركب من خمسة عظام والأصابع عدتها خمس كل منهما مركبة من ثلاث سلاميات إلا الإبهام فمن سـ لاميين فقـ ط قال أحسنت فأخبريني عن أصل العروق قالت أصل العروق الوتين ومنه تشعت العروق وهي كثيرة لا يعلـ م عددها إلا الذي خلقها وقيل أنها ثلثمائة وستون عرقاً كما سبق وقد جعل الله اللسان ترجماناً والعينين سراجين والمنخرين منشقين واليدين جناحين ثم أن الكبد فيه الرحمة والطحال فيه الضحك والكليتين فيهما المكر والرئة مروحة والمعدة خزانة والقلب عماد الجسد فإذا صلح القلب صلح الجسد كله وإذا فسد فسد الجسد كلـ ه قـ ال أخبريني عن الدلالات والعلامات الظاهرة التي يستدل بها على المرض في الأعضاء الظاهرة والباطنة قالت نعم إذا كان الطبيب ذا فهم نظر في أحوال البدن واستدل بحبس اليدين على الصـ لابة والحـ رارة واليبوسـ ة

والبرودة والرطوبة وقد توجد في المحسوس دلالات على الأمراض الباطنة كصفرة العينين فإنها تدل عل ى اليرقان وتحقف الظهر فإنه يدل على داء الرئة قال أحسنت وأدرك شهرزاد الصباح فس كتت ع ن الك لام المباح.

(وفي ليلة ٤٣٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية لما وصفت للطبيب العلامات الظاهرة قال لها أحسنت فم ا العلامات الباطنة قالت إن الوقوف على الأمراض بالعلامات الباطنة يؤخذ من ستة قوانين الأول من الأفع ال والثاني مما يستغفر من البدن والثالث من الوجع والرابع من الموضع والخامس من ال ورم والس ادس م ن الأعراض قال أخبريني بم يصل الأذى إلى الرأس قالت بإدخال الطعام على الطعام قبل هضم الأول والش بع على الشبع فهو الذي أفنى الأمم فمن أراد البقاء فليباكر بالغداء ولا يتمس بالعشاء وليقلل من مجامعة النس اء وليخفف الرداء وأن لا يكثر القصد ولا الحجامة وأن يجعل بطنه ثلاث أثلاث ثلث للطعام وثلث للماء وثل ث للتنفس لأن مصران بني آدم ثمانية عشر شبراً يجب أن يجعل ستة للطعام وستة للشراب وستة للت نفس وإذا مشي برفق كان أوفق له وأجمل لبدنه وأكمل لقوله تعالى (ولا تمش في الأرض مرحاً) قال أحسنت فأخبريني ما علامة الصفراء وماذا يخاف منها قالت تعرف بصفرة اللون ومرارة الف م والجف اف وض عف الش هوة وسرعة النبض ويخاف صاحبها من الحمى المحرقة والبرسام والجمرة واليرقان وال ورم وق روح الأمع اء وكثرة العطش فهذه علامات الصفراء قال أحسنت فأخبريني عن علامات السوداء وماذا يخاف على صاحبها إذا غلبت على البدن قالت أنها تتولد منها الشهوة الكاذبة وكثرة الوسوسة والهم والغم فينبغي حينئذ أن تستفرغ وألا تولد منها الماليخوليا والجذام والسرطان وأوجاع الطحال وقروح الأمعاء قال أحسنت أخبريني إلى ك م جزء ينقسم الطب قالت ينقسم إلى جزأين أحدهما علم تدبير الأبدان المريضة والآخر كيفية ردها إل ى ح ال صحتها قال فأخبريني أي وقت يكون شرب الأدوية أنفع فيه منه في غيره قالت إذ جرى الم اء ف ي الع ود وانعقد الحب في العنقود وطلع سعد السعود فقد دخل وقت نفع شرب الدواء وطرد الداء قال ف أخبريني ع ن وقت إذا شرب فيه الإنسان من أناء جديد يكون شرابه أهنأ وأمرأ منه في غيره وتسعد له رائحة طيبة ذكي ة قالت إذا صبر بعد أكل الطعام ساعة فقد قال الشاعر:

لا تش . .ربن م . .ن بع . .د أكل . .ك	فتس . وق جس . مك ل . لأذى بزم . ام
واص .بر قل .يلاً بع .د أكل .ك س .اعة	فعس . اك نظف . ر ي . ا أخ . ي بم . رام

قال فأخبريني عن طعام لا تتسبب عنه أسقام قالت هو الذي لا يطعم إلا بع د الج وع وإذا طع م لا تمتليء منه الضلوع لقول جالينوس الحكيم من أراد أدخال الطعام فليبطيء ثم لا يخطيء ولنختم بقوله علي ه الصلاة والسلام المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء وأصل كل داء البردة يعني التخم ة وأدرك ش هرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٤٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية لما قالت للحكيم المعدة بيت ال داء والحمي ة رأس ال دواء الحديث قال لها فما تقولين في الحمام قالت لا يدخله شبعان وقد قال النبي ﷺ نعم البيت الحمام ينظف الجس د

ويذكر النار قال فأي الحمامات أحسن قالت ما عذب ماؤه واتسع فضاؤه وطاب هواؤه بحيث تك ون أهويت ه أربعة خريفي وصيفي وشتوي وربيعي قال فأخبريني أي الطعام أفضل قالت ما صنعت النساء وقل فيه العناء وأكلته بالهناء وأفضل الطعام الثريد لقوله عليه الصلاة والسلام فضل الثريد على الطعام كفضل عائشة عل ى سائر النساء قال فأي الأدم أفضل قالت اللحم لقوله عليه الصلاة والسلام أفضل الأدم اللحم لأن ه ل ذة ال دنيا والآخرة قال فأخبريني فأي اللحم أفضل قالت الضأن ويجتنب القديد لأنه لا فائدة فيه ق ال ف أخبريني ع ن الفاكهة قالت كلها في إقبالها وأتركها إذا انقضى زمانها قال فما تقولين في شرب الماء قالت لا تشربه ش رباً ولا تعبه عباً فإنه يؤديك صداعه ويشوش عليك من الأذى أنواعه ولا تشربه عقب خروجك من الحم ام ولا عقب الجماع ولا عقب الطعام إلا بعد مضي خمس عشر درجة للشاب وللشيخ بعد أربعين درجة ولا عق ب يقظتك من المنام قال أحسنت فأخبريني عن شرب الخمر قالت أفلا يكفيك زاجراً ما جاء في كتاب الله تع الى حيث قال (إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلح ون) وق ال تعالى (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وأثمهما أكبر من نفعهم ا) وق د ق ال الشاعر:

ي .ا ش .ارب الخم .ر أم .ا تس .تحي	تش . . . رب ش . . . يئاً ح . . . رم الله
فحل . . . ه عن . . . ك ولا تأت . . . ه	ففي . . . ـه حق . . . ـاً عن . . . ف الله

وقال آخر في هذا المعنى:

ش . ربت الأث . م حت . ى زال عقل . ي	فب . ئس الش . رب حي . ث العق . ل زالا

وأما المنافع التي فيها فإنها تفتت حصى الكلى وتقوي الأمعاء وتنفي الهم وتح رك الك رم وتحف ظ الصحة وتعين على الهضم وتصح البدن وتخرج الأمراض من المفاصل وتنقي الجسم من الأخ لاط الفاس دة وتولد الطرب والفرح وتقوي الغريزة وتشد المثانة وتقوي الكبد وتفتح السدد وتحمر الوجه وتنقي الفض لات من الرأس والدماغ وتبطيء بالمشيب ولولا الله عز وجل حرمها لم يكن على وجه الأرض ما يق وم مقامه ا وأما الميسر فهو القمار قال فأي شيء من الخمر أحسن قالت ما كان بعد ثمانين يوماً أو أكثر وقد اعتصر من عنب أبيض ولم يشبه ماء ولا شيء على وجه الأرض مثلها قال فما تقولين في الحجامة قالت ذلك لمن ك ان ممتلئاً من الدم وليس فيه نقصان في دمه فمن أراد الحجامة فليحتجم في نقصان الهلال في يوم هو بلا غ يم ولا ريح ولا مطر ويكون في السابع عشر من الشهر وأن وافق يوم الثلاثاء كان أبلغ في النفع ولا شيء أنفع من الحجامة للدماغ والعينين وتصفية الذهن وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٤١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية لما وصفت منافع الحجامة قال لها الحك يم أخبرين ي ع ن أحسن الحجامة قالت أحسنها على الريق فإنها تزيد في العقل وفي الحفظ المروي عنه عليه الصلاة والس لام أنه كان ما اشتكى إليه أحد وجعاً في رأسه أو رجليه إلا قال له احتجم وإذا احتجم لا يأكل على الريق مالح ا فانه يورث الجرب ولا يأكل على أثره حامضاً قال فأي وقت تكره فيه الحجامة قالت يوم السبت والأربع اء

ومن احتجم فيهما فلا يلومن إلا نفسه ولا يحتجم في شدة الحر ولا في شدة البرد وخيار أيامه أيام الربيع قال أخبريني عن الجامعة فلما سمعت ذلك أطرقت وطأطأت رأسها واستحيت أجلالاً لأمير المؤمنين ثم قالت والله يا أمير المؤمنين ما عجزت بل خجلت وأن جوابه على طرف لساني قال لها يا جارية تكلمي قالـ ت لـ ـه أن النكاح فيه فضائل مزيدة وأمور حميدة منها أنه يخفف البدن الممتلىء بالسوداء ويسكن حرارة العشق ويجلب المحبة ويبسط القلب ويقطع الوحشة والإكثار منه في أيام الصيف والخريف أشد ضرراً منه في أيام الشـ ـتاء والربيع قال فأخبريني عن منافعه قالت أنه يزيل الهم والوسواس ويسكن العشق والغضب وينفع القروح هـ ـذا إذا كان الغالب على الطبع والبرودة واليبوسية وإلا فالإكثار منه يضعف النظر ويتولد منـ ـه وجـ ـع السـ ـاقين والرأس والظهر وإياك إياك من مجامعة العجوز فإنها من القواتل قال الإمام على كرم الله وجهه أربع يقـ ـتلن ويهرمن البدن دخول الحمام على الشبع وأكل المالح والجامعة على الامتلاء ومجامعة المريضة فإنها تضعف قوتك وتسقم بدنك والعجوز سم قاتل قال بعضهم إياك أن تتزوج عجوزاً ولو كانت أكثر من قارون كنوز أقال فما أطيب الجماع قالت إذا كانت المرأة صغيرة السن مليحة القد حسنة الخد كريمة الجد بارزة النهد فهي تزيد قوة في صحة بدنك وتكون كما قال فيها بعض واصفيها:

مهمـ ـا لحظـ ـت علمـ ـت مـ ـاذا تبتغـ ـي	**وحيـ . ـا بـ . ـدون إشـ . ـارة وبيـ . ـان**
وإذا نظـ . ـرت إلـ . ـى بـ . ـديع جمالهـ . ـا	**أغنـ . ـت محاسـ . ـنها عـ . ـن البسـ . ـتان**

قال فأخبريني عن أي وقت يطيب فيه الجماع قالت إذا كان ليلاً فبعد هضم الطعام وإذا كـ ـان نهـ ـاراً فبعد الغداء قال فأخبريني عن أفضل الفواكه قالت الرمان والأترج قال فأخبريني عن أفضـ ـل البقـ ـول قالـ ـت الهندبان قال فما أفضل الرياحين قالت الورد والبنفسج قال فأخبريني عن قرار مني الرجل قالت أن في الرجل عرقاً يسقى سائر العروق فيجتمع الماء من ثلثمائة وستين عرقاً ثم يدخل في البيضة اليسـ ـرى دمـ ـاً أحمـ ـر فينطبخ من حرارة مزاج بني آدم ماء غليظاً أبيض رائحته مثل رائحة الطلع قال أحسنت فأخبريني عن طير يمني ويحيض قالت هو الخفاض أي الوطواط قال فأخبريني عن شيء إذا حبس عاش وإذا شم الهواء مـ ـات قالت هو السمك قال فأخبريني عن شجاع يبيض قالت الثعبان فعجز الطبيب من كثرة سؤاله وسـ ـكت فقالـ ـت الجارية يا أمير المؤمنين أنه سألني حتى عيي وأنا أسأله مسألة واحدة فإن لم يجب أخذت ثيابه حـ ـلالاً لـ ـي وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٤٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية لما قالت لأمير المؤمنين أنه سألني حتى عيسى وأنا أسـ ـأله مسألة واحدة فإن لم يجب أخذت ثيابه حلالاً لي قال لها الخليفة سلبه فقالت له ما تقول في شيء يشبه الأرض استدارة ويواري عن العيون فقاره قليل القيمة والقدر ضيق الصدر والنحر مقيد وهو غير آبق موثـ ـق وهـ ـو غير سارق مطعون لا في القتال مجروح لا في النضال يأكل الدهر مره ويشرب الماء مـ ـن كثـ ـرة وتـ ـارة يضرب من غير جناية ويستخدم لا من كفاية مجموع بعد تفرقه متواضع لا من تملقه حامل لا لولد في بطنه مائل لا يسند إلى ركنه يتسخ فيتطهر ويصلي فيتغير بجامع بلا ذكر ويصارع بلا حذر يريح ويستريح ويعـ ـد فلا يصيح أكرم من النديم وأبعد من الحميم يفارق زوجته ليلاً ويعانقها نهاراً مسكنه الأطراف فـ ـي مسـ ـاكن

الأشراف سكت الطبيب ولم يجب بشيء وتحير في أمره وتغير لونه وأطرق برأسه ساعة ولم يتكلم فقالت أيها الطبيب تكلم وإلا فانزع ثيابك فقام وقال يا أمير المؤمنين أشهد على أن هذه الحارية أعلم مني بالطب وغيره ولا لي طاقة ونزع ما عليه من الثياب وخرج هارباً فعند ذلك قال لها أمير المؤمنين فسرى لنا ما قلتيه فقالت يا أمير المؤمنين هذا الزرار والعروة (وأما) ما كان من أمرها مع المنجم فإنها قالت من كان منكم منجماً فليقم فنهض إليها المنجم وجلس بين يديها فلما رأته ضحكت وقالت أنت المنجم الحاسب الكاتب قال نعم قالت اسأل عما شئت وبالله التوفيق قال أخبريني عن الشمس وطلوعها وأفولها قالت أعلم أن الشمس تطلع من عيون وتأفل في عيون فعيون الطلوع أجزاء المشارق وعيون الأفول أجزاء المغارب وكلتاهما مائة وثمانون جزءاً قال الله تعالى فلا أقسم برب المشارق والمغارب وقال تعالى هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب فالقمر سلطان الليل والشمس سلطان النهار وهما متسابقان متداركان قال الله تعالى لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون قال فأخبريني إذا جاء الليل كيف يكون النهار وإذا جاء النهار كيف يكون الليل قالت يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل قال فأخبريني عن منازل القمر قالت منازل القمر ثمان وعشرون منزلة وهي السرطان والبطين والثريا والدبران والهقعة والهنعة والذراع والنثرة والطرف والجبهة والزبرة والصرف والعواء والسماك والغفر والزباني والأكليل والقلب والشولة والنعائم والبلدة وسعد الذابح وسعد بلع وسعد السعود وسعد الأخبية والفرع المقدم والفرع المؤخر والرشاء وهي مرتبة على حروف بجد وهوز إلى آخرها وفيها سر غامض لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى والراسخون في العلم وأما قسمتها على البروج الأثنى عشر فهي أن تعطي كل برج منزلتين وثلث منزلة فتجعل السرطين والبطين وثلث الثريا للحمل وثلثي الثريا مع الدبران وثلثي الهقة للثور وثلب المقعة مع الهقعة والذراع للجوزاء والنثرة والطرف وثلث الجبهة للسرطان وثلثيها مع الزبرة وثلثي الصرفة للأسد وثلثها مع العواء والسماك للسنبلة والغفر والزباني وثلث الأكليل للميزان وثلثي الأكليل مع القلب وثلثي الشولة للعقرب وثلثها مع النعائم والبلدة للقوس وسعد الذبائح وسعد بلع وثلث المقدم مع المؤخر والرساء للحوت وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٤٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية لما عدت المنازل وقسمتها على البروج قال لها المنجم أحسنت فأخبريني عن الكواكب السيارة وعن طبائعها وعن مكثها في البروج والسعد منها والنحس وأين بيوتها وشرفها وسقوطها قالت المجلس ضيق ولكن سأخبرك أما الكواكب فسبعة وهي الشمس والقمر وعطارد ولزهرة والمريخ والمشتري وزحل فالشمس حارة يابسة نحيسة بالمقارنة سعيدة بالنظرة تمكث في كل برج ثلاثين يوماً والقمر بارد رطب سعيد يمكث في كل برج يومين وثلث يوم وعطارد ممتزج سعد مع السعود نحس مع النحوس يمكث في كل برج سبعة عشر يوماً ونصف يوم والزهرة معتدلة سعيدة تمكث في كل برج من البروج خمسة وعشرين يوماً والمريخ نحس يمكث في كل برج عشرة أشهر والمشتري سعد يمكس في كل برج سنة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(تم المجلد الثاني ويليه المجلد الثالث من ألف ليلة وليلة وأوله ليلة ٤٤٤)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

(وفي ليلة ١٧٠) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك سلسان قال أهلاً وسهلاً بولدي كان ما كان والله لقد ضاقت بي الأرض لأجل غيبتك والحمد لله على سلامتك ثم نظر السلطان إلى هذا الحصان المسمى بالق انون فعرف أنه الحصان الذي رآه سنة كذا وكذا في حصار عبدة الصلبان مع أبيه ضوء المكان حين قت ل عم ه شركان وقال له لو قدر عليه أبوك لاشتراه بألف جواد ولكن الآن عاد العز إلى أهله وقد قبلناه وهنالك وهبناه وأنت أحق به من كل إنسان لأنك سيد الفرسان ثم أمر أن يحضر لكان ما كان خلعة سنية وجملة من الخي ل وأفرد له في القصر أكبر الدور وأقبل عليه العز والسرور وأعطاه مالا جزيلاً وأكرمه غاية الإكرام لأنه كان يخشى عاقبة أمر الوزير دندان ففرح بذلك كان ما كان وذهب عنه الذل والهوان ودخل بيته وأقبل على أم ه وقال يا أمي ما حال ابنة عمي فقالت والله يا ولدي أنه كان عندي من غيبتك ما شغلني عن محبوبتك فقال ي ا أمي إذهبي إليها وأقبلي عليها لعلها تجود علي بنظرة فقالت له أن المطامع تذل أعناق الرجال فدع عنك ه ذا المقال لئلا يقضي بك إلى الوبال فأنا أذهب إليها ولا أدخل بهذا الكلام عليها فلما سمع من أمه ذلك أخبرها بما قاله السلال من أن العجوز ذات الدواهي طرقت البلاد وعزمت على أن تدخل بغداد وقال هي الت ي قتل ت عمي وجدي ولابد أن أكشف العار وآخذ الثأر ثم ترك أمه وأقبل على عجوز عاهرة محتالة م اكرة اس مها سعدانة وشكا إليها حاله وما يجده من حب قضى فكان وسألها أن تتوجه العجوز إليها وتستعطفها عليه فقالت له العجوز سمعاً وطاعة ثم فارقته ومضت إلى قصر قضى فكان وسألها أن تتوجه العجوز إليها وتس تعطفها عليه فقالت له العجوز سمعاً وطاعة ثم فارقته ومضت إلى قصر قضى فكان واستعطفت قلبها عليه ثم رجعت إليه وأعلمته بأن قضي فكان تسلم عليه ووعدتها أنها في نصف الليل تجيء إليه. وأدرك ش هرزاد الص باح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٧١) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العجوز قالت لكان ما كان بأنها ستجيء إليك ف ي نص ف الليل ففرح لوعد ابنة عمي قضي فكان فلما جاء نصف الليل اتته بملاءة سوداء من الحرير ودخل ت علي ه ونبهته من نومه وقالت له كيف تدعي أنك تحبني وأنت خلي البال نائم على أحسن حال فانتبه وقال والله ي ا منية القلب أني ما نمت إلاطمعا في أن يزورني منك طيف الخيال فعند ذلك عاتبته بعتاب لطي ف الكلم ات وأنشدت هذه الأبيات:

ل .و كذ .ت تص .دق ف .ي المحب .ة ... م . . . ا جنح . . . ت إل . . . ى المن . . . ام

ي . .ا م . . .دعي ط . . .رق المحب . . .ة ... ف . . . . ي الم . . . .ودة والغ . . . .رام

والله ي . . . ا اب . . . ن الع . . . م م . . . ا ... رق . . . .دت عي . . . .ون المس . . . .تهام

فاستحيا منها كان ما كان وتعانقا وتشاكيا ألم الفراق وعظيم الوجد والاشتياق ولم يزالا كذلك إلى أن بدت غرة الصباح وطلع الفجر ولاح فبكى كان ما كان بكاء شديداً وصعد الزفرات وأنشد هذه الأبيات:

فيا زائ .ري م .ن بع .د ف .رط ص .دوده ... وفي الثغر منه ال .در ف .ي نظ .م عق .ده

فقبلت . .ه ألف . .ا وعانق . .ت ق . .ده وبـ .ت وخـ .دي لاصـ .ق تحـ .ت خـ .ده
إلـ ـى أن بـ ـدا نـ ـور الصـ ـباح فراعنـ ـا كحـ ـد حسـ ـام لاح مـ ـن جـ ـوف غمـ ـده

فلما فرغ من شعره ودعته قضي فكان ورجعت إلى خدرها وأظهرت بعض الجـ ـواري علـ ـى سـ ـرها فذهبت جارية منهن إلى الملك سلسان وأعلمته بالخبر فتوجه إلى قضي فكان وجرد عليها الحسـ ـام وأراد أن يضرب عنقها فدخلت عليه أمها نزهة الزمان وقالت له بالله لا تفعل بها ضرراً فإنك إن فعلت بهـ ـا ضـ ـرراً يشيع الخبر بين الناس وتبقى معيرة عند ملوك الزمان وإن كان ما كان صاحب عرض ومـ ـروءة ولا يفعـ ـل أمراً يعاب عليه فاصبر ولا تعجل فإن أهل القصر وجميع أهل بغداد قد شاع عندهم أن الوزير دنـ ـدان قـ ـاد العساكر من جميع البلدان وجاء بهم ليملكوا كان ما كان فقال لها لابد أن أرميه في بلية بحيث لا أرض تقلـ ـه ولا سماء تظله وأني ما طيبت خاطره ولا أنعمت عليه إلا لأجل أهل مملكتي لئلا يميلوا إليه وسوف ترين ما يكون ثم تركها وخرج يدبر أمر مملكته هذا ما كان من أمر الملك سلسان (وأما) ما كان من أمر كان ما كان فإنه أقبل على أمه في ثاني يوم وقال لها يا أمي أني عزمت على شن الغارات وقطع الطرقات وسوق الخيل والنعم والعبيد والمماليك وإذا كثر مالي وحسن حالي خطبت قضي فكان من عمي سلسان فقالت يا ولـ ـدي أن أموال الناس غير سائبة لأن دونها ضرب الصفاح وطعن الرماح ورجالاً تقتنص الأسود وتصيد الفهود فقـ ـال لها كان ما كان هيهات أن أرجع عن عزيمتي إلا إذا بلغت منيتي ثم أرسل العجوز إلى قضي فكان ليعلمهـ ـا أنه يريد السير حتى يحصل لها مهراً يصلح لها وقال للعجوز لابد أن تأتيني منها بجواب فقـ ـال لـ ـه سـ ـمعاً وطاعة ثم ذهبت إليها ورجعت لها بالجواب وقالت له أنها في نصف الليل تكون عندك فأقـ ـام سـ ـهران إلـ ـى نصف الليل من قلقه فلم يشعر إلا وهي داخلة عليه وتقول له روحي فداك من السهر فنهض لها قائماً وقال يا منية القلب روحي فداك من جميع الأسواء ثم اعلمها بما عزم عليه فبكت فقال لها لا تبكي يا بنت العـ ـم فأنـ ـا أسأل الذي حكم علينا بالفراق أن يمن علينا بالتلاق والوفاق ثم أن كان ما كان أخذ في السفر ودخل على أمه وودعها ونزل من القصر وتقلد بسيفه وتعمم وتلثم وركب جواده القانوني ومشى في شوارع المدينـ ـة وهـ ـو كالبدر حتى وصل إلى باب بغداد وإذا برفيقه صباح ابن رباح خارج من المدينة فلما رآه جرى فـ ـي ركابـ ـه وحياه فرد عليه السلام فقال صباح يا أخي كيف صار لك هذا الجواد وهذا المال وأنا الآن لا أملك غير سيفي فقال له كان ما كان ما يرجع الصياد بصيد إلا على قدر نيته وبعد فراقك بساعة حصلت لي السعادة وهل لك أن تأتي معي وتخلص النية في صحبتي ونسافر في تلك البرية فقال ورب الكعبة ما بقيت أدعوك إلا مـ ـولاي ثم جرى قدام الجواد وسيفه على عاتقه وجرابه بين كتفيه ولم يزالا سائرين في البر أربعة أيام وهما يـ ـأكلان من صيد الغزلان ويشربان من ماء العيون وفي اليوم الخامس أشرفا على تل عال تحته مراتع فيها أبل وغنم وبقر وخيل قد ملأت الروابي والبطاح وأولادها الصغار تلعب حول المراح فلما رأى ذلك كان ما كان زادت به الأفراح وامتلأ صدره بالأنشراح وعول على القتال وأخذ النياق والجمال فقال لصباح انزل بنا علـى هـ ـذا المال الذي عن أهله وحيد ونقاتل دونه القريب والبعيد حتى يكون لنا في أخذه نصيب فقال صباح يا مـ ـولاي أن أصحابه خلق كثير وجم غفير وفيهم أبطال من فرسان ورجال وأن رمينا أرواحنا في هذا الخطيب الجسيم

فأننا نكون من هوله على خطر عظيم فضحك كان ما كان وعلم أنه جبان فتركه وانحدر من الرابية عازماً على شن الغارات وترنم بإنشاد هذه الأبيات:

وآل نعم . . ان هـ . . م ذوو الهم . . م   والسـ . ادة الضـ . اربون فـ . ـي القمـ . م
قـ . وم إذا مـ . ا الهيـ . اج قـ . ام لهـ . م   قـ . . اموا بأسـ . . واقه علـ . . ى قـ . . دم
تنـ . . ام عـ . . ين الفقيـ . . ر بيـ . . نهم   ولا يـ . ـرى قـ . ـبح صـ . ـور العـ . ـدم
وأننـ . . . ي أرتجـ . . . ي معاونـ . . . ة   مـ . ن مالـ . ك الملـ . ك بـ . اريء النسـ . م

ثم حمل على ذلك المال مثل الجمل الهائج وساق جميع الإبل والبقر والغنم والخيل قدامه فتبادرت إليه العبيد بالسيوف الثقال والرماح الطوال وفي أولهم فارس تركي إلا أنه شديد الحرب والكفاح عارف بأعمال سمر القنا وبيض الصفاح فحمل على كان ما كان وقال له ويلك لو علمت لمن هذا المال ما فعلت هذه الفعال أعلم أن هذه الأموال للعصابة الرومية والفرقة الجركسية الذين ما فيهم إلا كل بطل عابس وهم مائة فارس قد خرجوا عن طاعة كل سلطان وقد سرق منهم حصان وحلفوا بأن لا يرجعوا من هنا إلا به فلما سمع كان ما كان هذا الكلام صاح قائلاً هذا هو الحصان الذي تعنون وأنتم له طالبون وفي قتالي بسببه راغبون فبارزوني كلكم اجمعون وشأنكم وما تريدون ثم صرخ بين أذني القانون فخرج عليهم مثل الغول وعطف على الفارس وطعنه فأخرج كلام ومال على ثان وثالث ورابع فأعدمهم الحياة فعند ذلك هابته العبيد فقال لهم يا بني الزواني سوقوا المال والخيول وإلا خضبت من دمائكم سناني فساقوا المال وأخذوا في الانطلاق وأنحدر إليه صباح وأعلن بالصياح وزادت به الأفراح وإذا بغبار قد علا وطار حتى سد الأقطار وبان من تحته مائة فارس مثل الليوث العوابس فلما رآهم صباح فر إلى الرابية وترك البطاح وصار يتفرج على الكفاح وقال ما أنا فارس إلا في اللعب والمزاح ثم أن المائة فارس داروا حول كان ما كان وأحاطوا به من كل مكان فتقدم إليه فارس منهم وقال أين تذهب بهذا المال فقال له كان ما كان دونك والقتال واعلم أن من دونه أسداً أروع وبطل صميدع وسيفاً أينما مال قطع فلما سمع الفارس ذلك الكلام التفت إليه فرآه فارساً كالأسد الضرغام إلا أن وجهه كبدر التمام وكان ذلك الفارس رئيس المائة فارس وأسمه كهرداش فلما رأى كان ما كان مع كمال فروسيته بديع المحاسن يشبه حسنه حسن معروقة له يقال لها فاتن وكانت من أحسن النساء وجهاً قد أعطاها الله من الحسن والجمال وكرم الخصال ما يعجز عن وصفه اللسان ويشغل قلب كل إنسان وكانت فرسان القوم تخشى سطوتها وأبطال ذلك القطر تخاف هيبتها وحلفت أنها لا تتزوج إلا من يقهرها وكان كهرداش من جملة خطابها فقالت لابيها ما يقربني إلا من يقهرني في الميدان وموقف الحرب والطعان فلما بلغ كهرداش هذا القول أختشي أن يقاتل جارية وخاف من العار فقال بعض خواصه أنت كامل الخصال في الحسن والجمال فلو قاتلتها وكانت أقوى منك فإنك تغلبها لأنها إذا رأت حسنك وجمالك تنهزم قبالك حتى تملكها لأن النساء لهن غرض في الرجال ولا يخفى عنك هذا الحال فأبي كهرداش وامتنع من قتالها واستمر على امتناعه من القتال إلى أن جرت له مع كان ما كان هذه الأفعال فظن أنها محبوبته فاتن وقد عشقته لما سمعت بحسنه وشجاعته فتقدم إلى كان ما كان وقال ويلك يا فاتن قد أتيت لتريني شجاعتك فأنزلي عن جوادك حتى أتحدث

معك فإني قد سقت هذه الأموال وقطعت الطريق على الفرسان والأبطال وكل هذا لحسنك وجمالك الذي ماله مثل وتزوجيني حتى تخدمك بنات الملوك وتصيري ملكة هذه الأقطار فلما سمع كان ما كان هذا الكلام صارت نار غيظه في اضطرام وقال ويلك يا كلب الإعجام دع فاتنا وما بها ترتاب وتقدم إلى الطعن والضراب فعن قليل تبقى على التراب ثم صال وجال وطلب الحرب والنزال فلما نظر كهرداش إليه علم أنه فارس همام وبطل مصدام وتبين خطأ ظنه حيث لاح له عذار أخضر فوق خده كآس نبت خلال ورد أحمر وقال للذين معه ويلكم ليحمل واحد منكم عليه ويظهر له السيف البتار والرمح الخطار واعلموا أن قتال الجماعة للواحد عار ولو كان في سنان رمحه بشعلة نار فعند ذلك حمل عليه فارس تحته جواد أدهم بتحجيل وغرة كالدرهم يحير العقل والناظر كما قال فيه الشاعر:

قد جاءك المهر الذي نزل الوغى ... ج . ذلان يخلـ . ـط أرضـ . ـه بسـ . ـمائه

وكأنمـ . ـا لطـ . ـم الصـ . ـباح جبينـ . ـه ... واقتص منـه فخاض فـي أحشائه

ثم إن ذلك الفارس حمل عليه كان ما كان وتجاولا في الحرب برهة من الزمان وتضاربا ضرباً تحير الأفكار ويغشى الأبصار فسبقه كان ما كان بضربة بطل شجاع قطعت منه العمامة والمغفر فمال عن الجواد كأنه البعير إذا انحدر وحمل عليه الثاني والثالث والرابع والخامس ففعل بهم كالأول ثم حمل عليه الباقون وقد اشتد بهم القلق وزادت الحرق فما كان إلا ساعة حتى التقطهم بسنان رمحه فنظر كهرداش إلى هذا الحال فخاف من الارتحال وعرف من نفسه أن عنده ثبات الجنان وأعتقد أنه أوحد الأبطال والفرسان فقال لكان ما كان قد وهبت لك دمك ودم أصحابي فخذ من المال ما شئت واذهب إلى حال سبيلك فقد رحمتك لحسن هبابك والحياة أولى بك فقال له كان ما كان لا عدمت مروءة الكرام ولكن أترك عنك هذا الكلام وفز بنفسك ولا تخش الملام ولا تطمع نفسك في رد الغنيمة واسلك لنجاة نفسك طريقة مستقيمة فعند ذلك اشتد بكهرداش الغضب وحصل عنده ما يوجب العطب فقال لكان ما كان ويلك لو عرفت من أنا ما نطقت بهذا الكلام في حومة الزحام فأسأل عني فأنا الأسد البطاش المعروف بكهرداش الذي نهب الملوك الكبار وقطع الطريق على جميع السفار وأخذ أموال التجار وهذا الحصان الذي تحتك طلبتي وأريد أن تعرفني كيف وصلت إليه حتى استوليت عليه فقال اعلم أن هذا الجواد كان سائر إلى عمي الملك سلسان تحت عجوز كبيرة ولنا عند هاتار من جهة جدي الملك عمر النعمان وعمي الملك شركان فقال كهرداش ويلك ومن أبوك لا أم لك فقال اعلم أني كان ما كان بن الملك ضوء المكان بن عمر النعمان فلما سمع كهرداش هذا الخطاب قال لا يستنكر عليك الكمال والجمع بين الفروسية والجمال ثم قال له توجه بأمان فإن أباك كان صاحب فضل وإحسان فقال له كان ما كان أنا والله ما أوقرك يا مهان فاغتاظ البدوي ثم حمل كل منهما على صاحبه فشدت لهما الخيل آذانها ورفعت أذنابها ولم يزالا يصطدمان حتى ظن كل منهما أن السماء قد انشقت ثم بعد ذلك تقاتلا ككباش النطاح واختلفت بينهما طعنات الرماح فحاوله كهرداش بطعنة فزاغ عنها كان ما كان ثم كر عليه وطعنه في صدر فاطلع السنان يلمع من ظهره وجمع الخيل والأسلاب وصاح في العبيد دونكم والسوق الشديد فنزل عند ذلك صباح وجاء إلى كان ما كان وقال له أحسنت يا فارس الزمان أني دعوت لك وقد استجاب ربي دعائي ثم أن صباح قطع رأس كهرداش فضحك كان ما كان وقال له ويلك يا صباح أني كنت أظن أنك فارس

الحرب والكفاح فقال لا تنس عبدك من هذه الغنيمة لعلي أصل بسببها إلى زواج بنت عمي نجمة فقال له لا بد لك فيها من نصيب ولكن كن محافظاً على الغنيمة والعبيد ثم أن كان ما كان سار متوجهاً إلى الديار ولم يزل سائراً بالليل والنهار حتى أشرف على مدينة بغداد وعلمت به جميع الأجناد ورأوا ما معه من الغنيمة والأموال ورأس كهرداش على رمح صباح وعرف التجار رأس كهرداش ففرحوا وقالوا لقد أراح الله الخلق منه لأنه كان قاطع الطريق وتعجبوا من قتله ودعوا القاتله وأتت أهل بغداد إلى كان ما كان بما جري من الأخبار فهابته جميع الرجال وخافته الفرسان والأبطال وساق ما معه إلى أن أوصله تحت القصر وركز الرمح الذي عليه رأس كهرداش إلى باب القصر ووهب للناس وأعطاهم الخيل والجمال فأحبه أهل بغداد ومالت إليه القلوب ثم أقبل على صباح وأنزله في بعض الأماكن الفساح ثم دخل على أمه وأخبرها بما جرى له في سفره وقد وصل إلى الملك خبره فقام من مجلسه واختلى بخواصه وقال لهم اعلموا أني أريد أن أبوح لكم بسري وأبدي لكم مكنون أمري اعلموا أن كان ما كان هو الذي يكون سبباً لانقلاعنا من هذه الأوطان لأنه قتل كهرداش مع أن له قبائل من الأكراد والأتراك وأمرنا معه آيل إلى الهلاك وأكثر خوفنا من أقاربه وقد علمتم بما فعل الوزير دندان فإنه جحد معروفي بعد الإحسان وخانني في الإيمان وبلغني أنه جمع عساكر البلدان وقصد أن يسلطن كان ما كان لأن السلطنة كانت لأبيه وجده ولاشك أنه قاتلي لا محالة فلما سمع خواص مملكته منه هذا الكلام قالوا له أيها الملك أنه أقل من ذلك ولولا أننا علمنا بأنه تربيتك لم يقبل عليه منا أحد واعلم أننا بين يديك أن شئت قتله قتلناه وأن شئت أبعدناه أبعدناه فلما سمع كلامهم قال إن قتله هو الصواب ولكن لابد من أخذ الميثاق فتحالفوا على أنهم لابد أن يقتلوا كان ما كان فإذا أتى الوزير دندان وسمع بقتله تضعف قوته عما هو عازم عليه فلما أعطوه العهد والميثاق على ذلك أكرمهم غاية الإكرام ثم دخل بيته وقد تفرق عنه الرؤساء وأمتنعت العساكر من الركوب والنزول حتى يبصروا ما يكون لأنهم رؤوا غالب العسكر مع الوزير دندان ثم أن الخبر وصل إلى قضي فكان فحصل عندها غم زائد وأرسلت إلى العجوز التي عادتها أن تأتيها من عند أبن عمها بالأخبار فلما حضرت عندها أمرتها أن تذهب إليه وتخبره بالخبر فلما وصلت إليه العجوز سلمت عليه ففرح بها وأخبرته بالخبر فلما سمع ذلك قال بلغي بنت عمي سلامي وقولي لها أن الأرض لله عز وجل يورثها من يشاء من عباده وما أحسن قول القائل:

الملـ ـك لله ومـ ـن يظفـ ـر بنيـ ـل منـ ـي   يـ ـردده قهـ ـر ويضـ ـمن عنـ ـده الـ ـدركا
لو كـ ـان لـ ـي أو لغيـ ـري قـ ـدر أنملـ ـة   مـ ـن التـ ـراب لكـ ـان الأمـ ـر مشـ ـتركا

فرجعت العجوز إلى بنت عمه وأخبرتها بما قاله وأعلمتها بأن كان ما كان أقام في المدينة ثم أن الملك سلسان صار ينظر خروجه من بغداد ليرسل وراءه من يقتله فاتفق أنه خرج إلى الصـ يد والقـ نص وخـ رج صباح معه لأنه كان لا يفارقه ليلاً ولا نهاراً فاصطاد عشر غزالات وفيهن غزالة كحلاء العيـ ون صـ ـارت تتلفت يميناً وشمالاً فأطلقها فقال له صباح لأي شيء أطلقت هذه الغزالة فضحك كان ما كان وأطلـ ق البـ ـاقي وقال أن من المروءة أطلاق الغزالات التي لها أولاد وما تتلفت تلك الغزالة إلا لأن لها أولاد فأطلقتها وأطلقت الباقي في كرامتها فقال له صباح أطلقني حتى أروح إلى أهلي فضحك وضربه يعقب الرمح على قلبه فوقـ ـع على الأرض يلتوي كالثعبان فبينما هما كذلك وإذا بعبرة سائرة وخيل تركض وبـ ـان مـ ـن تحتهـ ـا فرسـ ـان وشجعان وسبب ذلك أن الملك سلسان أخبره جماعة أن كان ما كان خرج إلى الصيد والقنص فأرسل أمير من الديلم يقال له جامع ومعه عشرين فارساً ودفع لهم المال ثم أمرهم أن يقتلوا كان ما كان فلما قربوا منه حملوا عليه وحمل عليهم فقتلهم عن آخرهم وإذا بالملك سلسان ركب وسار ولحق بالعسكر فوجدهم مقتولين فتعجب ورجع وإذا بأهاليهم قبضوا عليه وشدوا وثاقه ثم أن كان ما كان توجه بعد ذلك من المكان وتوجه معه صباح البدوي فبينما هو سائر إذ رأى في طريقه شاباً على باب داره فألقى كان ما كان عليه السلام فرد الشاب عليه السلام ثم دخل الدار وخرج ومعه قصعتان إحداهما فيها لبن والثانية ثريد والسمن في جوانبها يموج ووضـ ـع القصعتين قدام كان ما كان وقال له تفضل علينا بالأكل من زادنا فامتنع كان ما كان من الأكل فقال له الشاب مالك أيها الإنسان لا تأكل فقال له كان ما كان أني على نذر فقال له الشاب وما سبب نذرك فقال له كان مـ ـا كان اعلم أن الملك سلسان غصب ملكي ظلماً وعدواناً ثم أن ذلك الملك كان لأبي وجدي من قبلي فاسـ ـتولى عليه قهراً بعد موت أبي ولم يعتبرني لصغر سني فنذرت أنني لا آكل لأحد زاد حتى أشـ ـفي فـ ـؤادي مـ ـن غريمي فقال له الشاب أبشر فقد وفي الله نذرك واعلم أنه مسجون في مكان وأظنه يموت قريباً فقال هل كان ما كان في أي بيت هو معتقل فقال له في تلك القبة العالية فنظر كان ما كان إلى قبة عالية ورأى الناس فـ ـي تلك القبة يدخلون وعلى سلسان يلطمون وهو يتجرع غصن المنون فقام كان ما كان ومشى حتى وصل إلـ ـى تلك القبة وعاين ما فيها ثم عاد إلى موضعه وقعد على الأكل وأكل ما تيسر ووضع ما بقى من اللحـ ـم فـ ـي مزودة ثم جلس مكانه ولم يزل جالساً إلى أن أظلم الليل ونام الشاب الذي ضيفه ثم ذهب كان ما كان إلى القبة التي فيها سلسان وكان حولها كلاب يحرسونها فوثب عليه كلب من الكلاب فرمى له قطعة لحم من الذي في مزوده وما زال يرمي للكلاب لحماً حتى وصل إلى القبة وتوصل إلى أن صار عند الملك سلسان ووضع يده على رأسه فقال له بصوت عال من أنت فقال أنا كان ما كان الذي سعيت في قتله فأوقعـ ـك الله فـ ـي سـ ـوء تدبيرك أما يكفيك أخذ ملكي وملك أبي وجدي حتى تسعى في قتلي فخلف سلسان الإيمان الباطلة أنه لم يسـ ـع في قتله وأن هذا الكلام غير صحيح فصفح عنه كان ما كان وقال له أتبعني فقال لا أقدر أن أخطـ ـو خطـ ـوة واحدة لضعف قوتي فقال كان ما كان إذا كان الأمر كذلك نأخذ لنا فرسين ونركب أنا وأنت ونطلب البر ثـ ـم

فعل كما قال وركب هو وسلسان وسار إلى الصباح ثم وصلوا الصباح وساروا ولم يزالوا كذلك حتى وصلوا إلى بستان فجعلوا يتحدثون فيه ثم قام كان ما كان إلى سلسان وقال له هل بقي في قلبك مني أمر تكرهه قال سلسان لا والله ثم اتفقوا على أنهم يرجعون إلى بغداد فقال صباح البدوي أنا أسبقكما لأبشر الناس فسبق يبشر النساء والرجال فخرجت إليه الناس بالدفوف والمزامير وبرزت قضى فكان وهي مثل البدر بهي الأنوار في دياجي الاعتكار فقابلها كان ما كان وحنت الأرواح للأرواح واشتاقت الأشباح للأشباح ولم يبق لأهل العصر حديث إلا في كان ما كان وشهد له الفرسان أنه أشجع أهل الزمان وقالوا لا يصلح أن يكون سلطاناً علينا إلا كان ما كان ويعود إلى ملك جده كما كان وأما سلسان فإنه دخل على نزهة الزمان فقالت له أني أرى الناس ليس لهم حديث إلا في كان ما كان ويصفونه بأوصاف يعجز عنها اللسان فقال لها ليس الخبر كالعيان فأني رأيته ولم أر فيه صفة من صفات الكمال وما كل ما يسمع يقال ولكن الناس يقلد بعضهم بعضاً في مدحه ومحبته وأجرى الله على ألسنة الناس مدحه حتى مالت إليه قلوب أهل بغداد والوزير دندان الغادر الخوان قد جمع له عساكر من سائر البلدان ومن الذي يكون صاحب الأقطار ويرضى أن يكون تحت يد حاكم يتيم ماله مقدار فقالت له نزهة الزمان وعلى ماذا عولت فقال عولت على قتله ويرجع الوزير ديدان خائباً في قصده ويدخل تحت أمري وطاعتي ولا يبقى له إلا خدمتي فقالت له نزهة الزمان الغدر قبيح بالأجانب فكيف بالأقارب والصواب أن تزوجه ابنتك قضى فكان وتسمع ما قيل فيما مضى من الزمان.

إذا رفـ ـع الزمـ ـان عليـ ـك شخصـ ـاً	وكنـ ـت أحـ ـق منـ ـه ولـ ـو تصـ ـاعد
أتلـ . . ـه حـ . . ـق رتبتـ . . ـه تجـ . . ـده	ينيلـ . . ـك إن دنـ . . ـوت وإن تباعـ . . ـد
ولا تقـ . ـل الـ . ـذي تدريـ . . ـه فيـ . ـه	تكـ ـن ممـ ـن عـ ـن الحسـ ـنى تقاعـ ـد
فكم فـ ـي الخـ ـدر أبهـ ـى مـ ـن عـ ـروس	ولكـ . ـن للعـ . ـروس الـ . ـدهر سـ . ـاعد

فلما سمع سلسان هذا الكلام وفهم الشعر والنظام قام مغضباً من عندها وقال لولا أني أعرف أنك تمزحين لعلوت رأسك بالسيف وأخمدت أنفاسك فقالت حيث غضبت مني فأنا أمزح معك ثم وثبت إليه وقبلت رأسه ويديه وقالت له الصواب ما تراه وسوف أتدبر أنا وأنت في حيلة تقتله بها فلما سمع منها هذا الكلام فرح وقال لها عجلي بالحيلة وفرجي كربتي فلقد ضاق على باب الحيل فقالت له سوف أتحيل لك على اتلاف مهجته فقال لها بأي شيء فقالت له بجاريتنا التي اسمها بانون فإنها في المكر ذات فنون وكانت هذه الجارية من أنحس العجائز وعدم الخبث في مذهبها غير جائز وكانت قد ربت كان ما كان وقضى فكان غير أن كان ما كان يميل إليها كثيراً ومن فرط ميله إليها كان ينام تحت رجليها فلما سمع الملك سلسان من زوجته هذا الكلام قال أن هذا الرأي هو الصواب ثم أحضر الجارية باكون وحدثها بما جرى وأمرها أن تسعى في قتله ووعدها بكل جميل فقالت له أمرك مطاع ولكن أريد يا مولاي أن تعطيني خنجراً قد سقي بماء الهلاك لا عجل لك بإتلافه فقال لها سلسان مرحباً بك ثم أحضر لها خنجراً يكاد أن يسبق القضاء وكانت هذه الجارية قد سمعت الحكايات والأشعار وتحفظ النوادر والأخبار فأخذت الخنجر وخرجت من الديار مفكرة فيما يكون به الدمار وأتت إلى كان ما كان وهو قاعد ينتظر وعد السيدة قضي فكان وكان في تلك الليلة قد تذكر بنت عمه قضي فكان فالتهبت من حبها في قلبه النيران فبينما هو كذلك وإذا بالجارية با كون داخلة عليه وهي تقول آن

أوان الوصال ومضت أيام الانفصال فلما سمع ذلك قال لها كيف حال قضي فكان فقالت له باكون اعلم أنها مشتغلة بحبك فعند ذلك قام كان ما كان إليها وخلع أثوابه عليها ووعدها بكل جميل فقالت له اعلم أنني أنام عندك الليلة وأحدثك بما سمعت من الكلام وأسليك بحديث كل متيم أمرضه الغرام فقال لها كان ما كان حدثيني بحديث يفرح به قلبي ويزول به كربي فقالت له باكون حباً وكرامة ثم جلست إلى جانبه وذلك الخنجر من داخل أثوابها فقالت له اعلم أن أعذب ما سمعت أذني أن رجلاً كان يعشق الملاح وصرف عليهن ماله حتى افتقر وصار لا يملك شيئاً فضاقت عليه الدنيا فصار يمشي في الأسواق ويفتش على شيء يقتات به بينما هو ماش وإذا بقطعة مسمار شكته في أصبعه فسال دمه فقعد ومسح الدم وعصب أصبعه ثم قام وهو يصرخ حتى جاز على الحمام ودخلها ثم قلع ثيابه فلما صار داخل الحمام وجدها نظيفة فجلس على الفسقية وما زال ينزح الماء على رأسه إلى أن تعب وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٧٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد ثم خرج إلى الحوض البارد فلم يجد أحداً فاختلى بنفسه وأطلع قطعة حشيش وبلعها فساحت في مخه فانقلب على الرخام وخيل له الحشيش أن مهتاراً كبيراً يكبسه وعبدين واقفان على رأسه واحد معه الطاسة والآخر معه آلة الحمام وما يحتاج إليه البلان فلما رأى ذلك قال في نفسه كأن هؤلاء غلطوا في أومن طائفتنا الحشاشين ثم أنه مد رجليه فتخيل له أن البلان قال له يا سيدي قد أزف الوقت على طلوعك واليوم نوبتك فضحك وقال في نفسه ما شاء الله يا حشيش ثم قعد وهو ساكت فقام البلان وأخذ بيده وأدار على وسطه مئزراً من الحرير الأسود ومشى وراءه العبدان بالطاسات والحوائج ولم يزالا به حتى ادخلاه الخلوة وأطلقا فيها البخور فوجدها ملآنة من سائر الفواكه والمشموم وشقاله بطيخة وأجلساه على كرسي من الأبنوس ووقف البلان يغسله والعبدان يصبان الماء ثم دلكوه دلكاً جيداً وقالوا له يا مولانا الصاحب نعيم دائم ثم خرجوا وردوا عليه الباب فلما خيل له ذلك قام ورفع المئزر من وسطه وصار يضحك إلى أن غشي عليه واستمر ساعة يضحك ثم قال في نفسه ما بالهم يخاطبونني خطاب الوزير ويقولون يا مولانا الصاحب فلعل الأمر التبس عليهم في هذه الساعة وبعد ذلك يعرفونني ويقولون هذا زليط ويشبعون صكا في رقبتي ثم أنه استحمى وفتح الباب فتخيل له أن مملوكاً صغيراً وطواشياً قد دخلا عليه المملوك معه بقجة ففتحها وأخرج منها ثلاث فوط من الحرير فرمى الأولى على رأسه والأخرى على أكتافه وحزمه بالثالثة وقدم له الطواشي قبقاباً فلبسه وأقبلت عليه مماليكه وطواشيه وصاروا يسندونه وكل ذلك حصل وهو يضحك إلى أن خرج وطلع الليوان فوجد فرشاً عظيماً لا يصلح إلا للملوك وتبادرت إليه الغلمان واجلسوه على المرتبة وصاروا يكسبونه حتى غلب عليه النوم فلما نام رأى في حضنه صبية فباسها ووضعها بين فخذيه وجلس منها مجلس الرجل من المرأة وقبض ذكره بيده وسحبها وعصرها تحته عنده وإذا بواحد يقول انتبه يا زليط قد جاء الظهر وأنت نائم ففتح عينه فوجد نفسه على الحوض البارد وحوله جماعة يضحكون عليه وايره قائم والفوطه انحلت من وسطه وتبين له كل هذا أضغاث أحلام أو تخيلات حشيش فاغتم ونظر إلى الذي نبهه وقال كنت أصبر حتى أحطه فقال له الناس أما تستحي يا حشاش وأنت نائم وذكرك قائم وصكوه حتى أحمر قفاه وهو جيعان وقد ذاق طعم السعادة وهو في المنام فلما سمع كان ما كان من الجارية

هذا الكلام ضحك حتى استلقى على قفاه وقال لباكون يادادتي أن هذا حديث عجيب فأني ما سمعت مثل هذه الحكاية فهل عندك غيرها فقالت له نعم ثم أن الجارية باكون لم تزل تحدث كان ما كان بمخارف حكايات ونوادر مضحكات حتى غلب عليه النوم ولم تزل تلك الجارية جالسة عند رأسه حتى مضى غالب الليل فقالت في نفسها هذا وقت انتهاز الفرصة ثم نهضت وسلت الخنجر ووثبت على كان ما كان وأرادت ذبحه وإذ بأم كان ما كان دخلت عليهما فلما رأتها باكون قامت لها واستقبلتها ثم لحقها الخوف فاصبحت تنتفض كأنها أخذتها الحمى فلما رأتها أم كان ما كان تعجبت ونبهت ولدها من النوم فلما استيقظ وجد أمه جالسة فوق رأسه وكان السبب في حياته مجيئها وسبب مجيء أمه إليه أن قضى فكان سمعت الحديث والاتفاق على قتله فقالت لأمه يا زوجة العم الحقي ولدك قبل أن تقتله العاهرة باكون وأخبرتها بما جرى من أوله إلى آخره فخرجت وهي لا تعقل شيئاً حتى دخلت في الساعة التي نام فيها وهمت باكون عليه تريد ذبحه فلما استيقظ قال لأمه لقد جئت يا أمي في وقت طيب ودادتي باكون حاضرة عندي في تلك الليلة ثم التفت إلى باكون وقال لها بحياتي عليك هل تعرفين حكاية أحسن من هذه الحكاية التي حدثتيني بها فقالت له الجارية وأين ما حدثتك به سابقاً مما أحدثك به الآن فإنه أعذب وأغرب ولكن أحكيه لك في غير هذا الوقت ثم قامت باكون وهي لا تصدق بالنجاة فقال لها مع السلامة ولمحت بمكرها أن أمه عندها خبر بما حصل فذهبت إلى حالها فعند ذلك قالت له والدته يا ولدي هذه ليلة مباركة حيث نجاك الله من الملعونة فقال لها وكيف ذلك فأخبرته بالأمر من أوله إلى آخره فقال لها يا والدتي الحي ما له قاتل وأن قتل لا يموت ولكن الأحوط لنا أننا نرحل عن هؤلاء الأعداء والله يفعل ما يريد فلما أصبح الصباح خرج كان ما كان من المدينة واجتمع بالوزير دندان وبعد خروجه حصلت أمور بين الملك سلسان ونزهة الزمان أوجبت خروج نزهة الزمان أيضاً من المدينة فاجتمعت بهم واجتمع عليهم جميع أرباب دولة الملك سلسان الذين يميلون إليهم فجلسوا يدبرون الحيلة فاجتمع رأيهم على غزو ملك الروم وأخذ الثار فلما توجهوا إلى غزو الروم وقعوا في أسر الملك رومزان بعد أمور يطول شرحها كما يظهر من السياق فلما اصبح الصباح أمر الملك رومزان أن يحضر كان ما كان والوزير دندان وجماعتهما فحضروا بين يديه وأجلسهم بجانبه وأمر بإحضار الموائد فأحضرت فأكلوا وشربوا وأطمأنوا بعد أن أيقنوا بالموت لما أمر بإحضارهم وقالوا لبعضهم أنه ما أرسل إلينا إلا لأنه يريد قتلنا وبعد أن اطمأنوا قال لهم أني رأيت مناماً وقصصته على الرهبان فقالوا ما يفسره لك إلا الوزير دندان فقال الوزير دندان خير ما رأيت يا ملك الزمان فقال له أيها الوزير رأيت أني في حفرة على ضفة بئر أسود وكان أقواماً يعذبونني فأردت القيام فلما نهضت وقفت على أقدامي وما قدرت على الخروج من تلك الحفرة ثم ألتفت فرأيت فيها منطقة من ذهب فمددت يدي لآخذها فلما رفعتها من الأرض رأيتها منطقتين فشددت وسطي بهما فإذا هما قد صارتا منطقة واحدة وهذا أيها الوزير منامي والذي رأيته في لذيذ أحلامي فقال له الوزير دندان اعلم يا مولانا السلطان أن رؤياك تدل على أن لك أخاً أو ابن أخاً أو ابن عم أو أحد يكون من أهلك من دمك ولحمك وعلى كل حال هو من دندان ومن معهم من الأسارى وقال في نفسه إذا رميت رقاب هؤلاء انقطعت قلوب عسكرهم بهلاك أصحابهم ورجعت إلى بلادي عن قريب لئلا يخرج الملك من يدي ولما صمم على ذلك استدعى بالسياف وأمره أن يضرب رقبة كان ما كان من وقته وساعته وإذا بداية الملك قد

أقبلت في تلك الساعة فقالت له أيها الملك السعيد على ماذا عولت فقال لها عولت على قتل هؤلاء الأسارى الذين في قبضتي وبعد ذلك أرمي رؤوسهم إلى أصحابهم ثم أحمل أنا وأصحابي عليهم حملة واحدة فنقتل الذي تقتله ونهزم الباقي وتكون هذه وقعة الانفصال وأرجع إلى بلادي عن قريب قبل أن يحدث بعد الأمور أمور في مملكتي فعندما سمعت منه دايته هذا الكلام أقبلت عليه وقالت له بلسان الأفرنج كيف يطيب عليك أن تقتل ابن أخيك وأختك وأبنة أختك فلما سمع الملك من دايته هذا الكلام إتاظ غيظاً شديداً وقال لها يا ملعونة ألم تعلمي أن أمي قد قتلت وأن أبي قد مات مسموماً وأعطيتيني خرزة وقلت لي أن هذه الخرزة كانت لأبيك فلم لا تصدقيني في الحديث فقالت له كل ما أخبرتك به صدق ولكن شأني وشأنك عجيب وأمري وأمرك غريب فأنني أنا اسمي مرجانة وأسم أمك أبريزة وكانت ذات حسن وجمال وشجاعتها تضرب بها الأمثال وأشتهرت بالشجاعة بين الأبطال وأما أبوك فإنه الملك عمر النعمان صاحب بغداد وخراسان من غير شك ولا ريب ولا رجم بالغيب وكان قد أرسل ولده شركان إلى بعض غزواته صحبة هذا الوزير دندان وكان منهم الذي قد كان وكان أخوك الملك شركان تقدم على الجيوش وأنفرد وحده عن عسكره فوقع عند أمك الملكة أبريزة في قصرها ونزلنا وأياها في خلوة للصراع فصادفنا ونحن على تلك الحالة فتصارع مع أمك فغلبته لباهر حسنها وشجاعتها ثم استضافته أمك مدة خمسة أيام في قصرها فبلغ أباها ذلك الخبر من العجوز شواهي الملقبة بذات الدواهي وكانت أمك قد أسلمت على يد شركان أخيك فأخذها وتوجه بها إلى مدينة بغداد سراً وكنت أنا وريحانه وعشرون جارية معها وكنا قد أسلمنا كلنا على يد الملك شركان فلما دخلنا على أبيك الملك عمر النعمان ورأى أمك الملكة أبريزة وقع في قلبه محبتها فدخل عليها ليلة واختلى بها فحملت بك وكان مع أمك ثلاث خرزات فأعطتها لأبيك فأعطى خرزة لأبنته نزهة الزمان وأعطى الثانية لأخيك ضوء المكان وأعطى الثالثة لأخيك الملك شركان فأخذتها منه الملكة إبريزة وحفظتها لك فلما قربت ولادتها اشتاقت أمك إلى أهلها وأطلعتني على سرها فأجتمعت بعبد أسود يقال له الغضبان وأخبرته بالخبر سراً ورغبتها في أن يسافر معنا فأخذنا العبد وطلع بنا من المدينة وهرب بنا وكانت أمك قربت ولادتها فلما دخلنا على أوائل بلادنا في مكان منقطع أخذ أمك الطلق بولادتك فحدث العبد نفسه بالخنا فأتي أمك فلما قرب منها راودها على الفاحشة فصرخت عليه صرخة عظيمة وانزعجت منه فمن عظم انزعاجها وضعتك حالاً وكان في تلك الساعة قد طلع علينا في البر من ناحية بلادنا غبار قد علا وطار حتى سد الأقطار فخشي العبد على نفسه من الهلاك فضرب الملكة أبريزة بسيفه فقتلها من شدة غيظه وركب جواده وتوجه إلى حال سبيله وبعد ما راح العبد انكشف الغبار عن جدك الملك حردوب ملك الروم فرأى أمك ابنته وهي في ذلك المكان قتيلة وعلى الأرض جديلة فصعب ذلك عليه وكبر لديه وسألني عن سبب قتلها وعن سبب خروجها خفية من بلاد أبيها فحكيت له جميع ذلك من الأول إلى الآخر وهذا هو سبب العداوة بين أهل بلاد الروم وبين أهل بغداد فعند ذلك احتملنا أمك وهي قتيلة ودفناها في قصرها وقد احتملتك أنا وربيتك وعلقت لك الخرزة التي كانت مع أمك الملكة أبريزة ولما كبرت وبلغت مبلغ الرجال لم يمكنني أن أخبرك بحقيقة الأمر لأنني لو أخبرتك بذلك لثارت بينكم الحروب وقد أمرني جدك بالكتمان ولا قدرة لي على مخالفة أمر جدك الملك حردوب ملك الروم فهذا سبب كتمان الخبر عنك وعدم إعلامك بأن أباك الملك عمر النعمان فلما استقللت بالمملكة أخبرتك وما

أمكنني أن أعلمك إلا في هذا الوقت يا ملك الزمان وقد كشفت السر والبرهان وهذا ما عندي من الخبر وأنت برأيك أخبر وكان الأسارى قد سمعوا من الجارية مرجانة داية الملك هذا الكلام جميعه فصاحت نزهة الزمان من وقتها وساعتها صيحة عظيمة وقالت هذا الملك رومزان أخي من أبي عمر النعمان وأمه الملكة أبريزة بنت الملك حردوب ملك الروم وأنا أعرف هذه الجارية مرجانة حق المعرفة فلما سمع الملك رومزان هذا الكلام أخذته الحدة وصار متحيراً في أمره وأحضر من وقته وساعته نزهة الزمان بين يديه فلما رآها حن الدم للدم وستخبرها عن قصته فحكت له فوافق كلامها كلام دايته مرجانة فصح عند الملك أنه من أهل العراق من غير شك ولا ارتياب وأن أباه الملك عمر النعمان فقام من تلك الساعة وحل كتاف أخته نزهة الزمان فتقدمت إليه وقبلت يديه ودمعت عيناها فبكى الملك لبكائها وأخذه حنو الأخوة ومال قلبه إلى ابن أخيه السلطان كان ما كان وقام ناهضاً على قدميه وأخذ السيف من يد السياف فأيقن الأسارى بالهلاك لما رأوا منه ذلك فأمر بإحضارهم بين يديه وفك وثاقهم وقال لدايته مرجانة أشرحي حديثك الذي شرحتيه إلى هؤلاء الجماعة فقالت دايته مرجانة اعلم أيها الملك أن هذا الشيخ هو الوزير دندان وهو لي أكبر شاهد لأنه يعرف حقيقة الأمر ثم إنها أقبلت عليهم من وقتها وساعتها وعلى من حضرهم من ملوك الروم وملوك الأفرنج وحدثتهم بذلك الحديث والملكة نزهة الزمان والوزير دندان ومن معها من الأسارى يصدقونها على ذلك وفي آخر الحديث لاحت من الجارية مرجانة التفاتة فرأت الخرزة الثالثة بعينها رفيقة الخرزتين اللتين كانتا مع الملكة أبريزة في رقبة السلطان كان ما كان فعرفتها فصاحت صيحة عظيمة دوى لها الفضاء وقالت للملك يا ولدي اعلم أنه قد زاد في ذلك صدق يقيني لأن هذه الخرزة التي في رقبة هذا الأسير نظير الخرزة التي وضعتها في عنقك وهي رفيقتها وهذا الأسير هو ابن أخيك وهو كان ما كان ثم أن الجارية مرجانة التفت إلى كان ما كان وقالت له أرني هذه الخرزة يا ملك الزمان فنزعها من عنقه وناولها لتلك الجارية داية الملك رومزان فأخذتها منه ثم سألت نزهة الزمان عن الخرزة الثالثة فأعطتها لها فلما صارت الخرزتان في يد الجارية ناولتهما للملك رومزان فظهر له الحق والبرهان وتحقق أنه عم السلطان كان ما كان وأن أباه الملك عمر النعمان فقام من وقته وساعته إلى الوزير دندان وعانقه ثم عانق الملك كان ما كان وعلا الصياح بكثرة الأفراح وفي تلك الساعة انتشرت البشائر ودقت الكاسات والطبول وزمرت الزمور وزادت الأفراح وسمع عساكر العراق والشام ضجيج الروم بالأفراح فركبوا عن آخرهم وركب الملك الزبلكان وقال في نفسه يا ترى ما سبب هذا الصياح والسرور الذي في عسكر الأفرنج والروم وأما عساكر العراق فإنهم قد أقبلوا وعلى القتال عولوا وصاروا في الميدان ومقام الحرب والطعان فالتفت الملك رومزان فرأى العساكر مقبلين للحزب متهيئين فسأل عن سبب ذلك فأخبروه بالخبر فأمر قضي فكان ابنة أخيه شركان أن تسير من وقتها وساعتها إلى عسكر الشام والعراق وتعلمهم بحصول الاتفاق وأن الملك رومزان ظهر أنه عم السلطان كان ما كان فسارت قضي فكان بنفسها ونفت عنها الشرور والأحزان حتى وصلت إلى الملك الزبلكان وسلمت عليه وأعلمته بما جرى من الاتفاق وأن الملك رومزان ظهر أنه عمها وعم كان ما كان وحين أقبلت عليه وجدته باكي العين خائفاً على الأمراء والأعيان فشرحت له القصة من أولها إلى آخرها فزادت أفراحهم وزالت أتراحهم وركب الملك الزبلكان هو وجميع الأكابر والأعيان وسارت قدامهم الملكة قضي فكان حتى أوصلتهم

إلى سرادق الملك رومزان فلما دخلوا عليه وجدوه جالساً مع ابن أخيه السلطان كان ما كان وقد استشاره هو والوزير دندان في أمر الملك الزبلكان فاتفقوا على أنهم يسلمون إليه مدينة دمشق الشام ويتركونه ملكاً عليها كما كان مثل العادة وهم يدخلون إلى العراق فجعلوا الملك الزبلكان عاملاً على دمشق الشام ثم أمروه بالتوجه إليها فتوجه بعساكره إليها ومشوا معه ساعة لأجل الوداع وبعد ذلك رجعوا إلى مكانهم ثم نادوا في العسكر بالرحيل إلى بلاد العراق واجتمع العسكران مع بعضهم ثم أن الملوك قالوا لبعضهم ما بقيت قلوبنا تستريح ولا يشفى غيظنا إلا بأخذ الثأر وكشف العار بالانتقام من العجوز شواهي الملقبة بذات الدواهي فعند ذلك سار الملك رومزان مع خواصه وأرباب دولته وفرح السلطان كان ما كان بعمه الملك رومزان ودعا للجارية مرجانة حيث عرفتهم ببعضهم ثم ساروا ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا إلى أرضهم فسمع الحاجب الكبير سلسان فطلع وقبل يد الملك ررومزان فخلع عليه ثم أن الملك رومز أن يا عم ما يصلح هذا الملك إلالك فقال له معاذ الله أن أعارضك في ملكك فعند ذلك أشار إليهما الوزير دندان أن يكون الأثنان في الملك سواء وكل واحداً يحكم يوماً فارتضيا بذلك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٧٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أنهما أتفقا على أن كل واحد يحكم يوماً ثم أولموا الولائم وذبحوا الذبائح وزادت بهم الأفراح وأقاموا على ذلك مدة من الزمان كل ذلك والسلطان كان ما كان يقطع ليلة مع بنت عمه قضي فكان وبعد تلك المدة بينما هم قاعدون فرحون بهذا الأمر وانصلاح الشأن إذ ظهر لهم غبار قد علا وطارحتي سد الأقطار وقد أتى إليهم من التجار صارخ يستغيث وهو يصيح ويقول يا ملوك الزمان كيف أسلم في بلاد الكفر وأنهب في بلادكم وهي بلاد العدل والأمان فأقبل عليه الملك رومزان وسأله عن حاله فقال له أنا تاجر من التجار ولي غائب عن الأوطان مدة مديدة من الزمان واستغرقت في البلاد نحو عشرين سنة من الأعوام وأن معي كتاباً من مدينة دمشق كان قد كتبه إلى المرحوم الملك شركان وسبب ذلك أنني قد أهديت إليه جارية فلما قربت من تلك البلاد وكان معي مائة حمل من تحف الهند وأتيت بها إلى بغداد التي هي حرمكم ومحل أمنكم وعدلكم خرجت علينا عربان ومعهم أكراد مجتمعة من جميع البلاد فقتلوا رجالي ونهبوا أموالي وهذا شرح حالي ثم أن التاجر بكى بين يدي الملك رومزان وحوقل واشتكى فرحمه الملك ورق إليه وكذلك رحمه ابن أخيه الملك كان ماكان وحلفوا أنهم يخرجون إليه فخرجوا إليه في مائة فارس كل فارس منهم بين الرجال بألوف وذلك التاجر سار أمامهم يدلهم على الطريق ولم يزالوا سائر بن ذلك النهار وطول الليل إلى السحر حتى أشرفوا على واد غزير الأنهار كثير الأشجار فوجد القوم قد تفرقوا في ذلك الوادي وقسموا بينهم أحمال ذلك التاجر وبقى البعض فأطبق عليه المائة فارس وأحاطوا بهم من كل مكان وصاح عليهم الملك رومزان هو وابن أخيه كان ما كان فما كان غير ساعة حتى أسروا الجميع وكانوا ثلثمائة فارس مجتمعين من أوباش العربان فلما أسروهم أخذوا ما معهم من مال التاجر وشدوا وثاقهم وطلعوا بهم إلى مدينة بغداد فعند ذلك جلس الملك رومزان هو وابن أخيه الملك كان ما كان على تخت واحد مع بعضهما ثم عرضوا الجميع بين أيديهما وسألاهم عن حالهم وعن كبارهم فقالوا ما لنا كبار غير ثلاثة أشخاص وهم الذين جمعونا من سائر النواحي والأقطار فقالا لهم ميزوهم لنا بأعيانهم فميزوهم لهما فأمر بالقبض عليهم وإطلاق

بقية أصحابهم بعد أخذ جميع ما معهم من الأموال وتسليمه للتاجر فتفقد التاجر قماشه وما له فوجده قد هلـ ك ربعه فوعدوه أنهم يعوضون له جميع ما ضاع منه فعند ذلك أخرج التاجر كتابين أحـ دهما بخـ ط شـ ركان والآخر بخط نزهة الزمان وقد كان التاجر اشترى نزهة الزمان من البدوي وهي بكر وقدمها لأخيها شـ ركان وجرى بينهما وبين أخيها ما جرى ثم أن الملك كان ما كان وقف على الكتابين وعرف خط عمـ ـه شـ ركان وسمع حكاية عمته نزهة الزمان فدخل بذلك الكتاب الثاني الذي كانت كتبته للتاجر الذي ضـ ـاع منـ ـه المـ ـال وأخبرها كان ما كان بقصة التاجر من أولها إلى آخرها فعرفته نزهة الزمان وعرفت خطها وأخرجت للتاجرا الضيافات وأوصت عليه أخاها الملك رومزان وابن أخيها الملك كان ما كان فأمر له بأموال وعبيد وغلمـ ـان من أجل خدمته وأرسلت إليه نزهة الزمان مائة ألف درهم من المال وخمسين حملاً من البضائع وقد اتحفتـ ـه بهدايا وأرسلت إليه تطلبه فلما أحضر طلعت وسلمت عليه وأعلمته أنها بنت الملك عمر النعمان وأن أخاهـ ـا الملك رومزان وأبن أخيها الملك كان ما كان ففرح التاجر بذلك فرحاً شديداً وهنأهـ ـا بسـ ـلامتها واجتماعهـ ـا بأخيها وابن أخيها وقبل يديها وشكرها على فعلها وقال لها والله ما ضاع الجميل معك ثم دخلت إلى خـ ـدرها وأقام التاجر عندهم ثلاثة أيام ثم ودعهم ورحل إلى الشام وبعد ذلك أحضر الملوك الثلاثة أشخاص اللصوص الذين كانوا رؤساء قطاع الطريق وسألوهم عن حالهم فتقدم واحد منهم وقال اعلموا أني رجل بدوي أقف في الطريق لا خطف الصغار والبنات الأبكار وأبيعهم للتجار ودمت على ذلك مدة من الزمان إلى هـ ـذه الأيـ ـام وأغراني الشيطان فاتفقت مع هذين الشقيقين على جمع الأوباش من الأغراب والبلدان لأجل نهـ ـب الأمـ ـوال وقطع الطريق على التجار فقالوا له احك لنا على أعجب ما رأيت في خطفك في الصغار والبنات فقال لهـ ـم أعجب ما جرى لي يا ملوك الزمان أنني من مدة اثنتين وعشرين سنة خطفت بنتاً من بنات بيت المقدس ذات يوم من الأيام وكانت تلك البنت ذات حسن وجمال غير أنها كانت خدامة وعليها أثواب خلقة وعلـ ـى رأسـ ـها قطعة عباءة فرأيتها قد خرجت من الخان فخطفتها بحيلة في تلك الساعة وحملتها على جمل وسقت بها وكان في أملي أنني أذهب بها إلى أهلي في البرية وأجعلها عندي ترعى الجمال وتجمع البعر من الوادي فبكت بكاء شديداً فدنوت منها وضربتها ضرباً وجيعاً وأخذتها إلى مدينة دمشق فرآها معي تاجر فتحير عقله لما رآهـ ـا وأعجبته فصاحتها وأراد اشتراءها مني ولم يزل يزيدني في ثمنها حتى بعتها له بمائة ألـ ـف درهـ ـم فعنـ ـدما أعطيتها له رأيت منها فصاحة عظيمة وبلغني أن التاجر كساها كسوة مليحة وقدمها إلى الملك صاحب دمشق فأعطاه قدر المبلغ الذي دفعه إلى مرتين وهذا يا ملوك الزمان أعجب ما جرى ولعمري أن ذلك الثمن قليـ ـل في تلك البنت فلما سمع الملوك هذه الحكاية تعجبوا ولما سمعت نزهة الزمان من البدوي مـ ـا حكـ ـاه صـ ـار الضياء في وجهها ظلاماً وصاحت وقالت لأخيها رومزان إن هذا البدوي الذي كان خطفني من بيت المقـ ـدس بعينه من غير شك ثم أن نزهة الزمان حكت لهم جميع ما جرى لها معه في غربتها من الشـ ـدائد والضـ ـرب والجوع والذل والهوان ثم قالت لهم الآن حل لي قتله ثم جذبت السيف وقامت إلى البدوي لقتله وإذا هو صـاح وقال يا ملوك الزمان لا تدعوها تقتلني حتى أحكي لكم ما جرى لي من العجائب فقال لها ابن أخيها كان مـ ـا كان يا عمتي دعيه يحكي لنا حكاية وبعد ذلك افعلي ما تريدين فرجعت عنه فقال له الملوك الآن أحـ ـك لنـ ـا حكاية فقال يا ملوك الزمان أن حكيت لكم حكاية عجيبة تعفوا عني قالوا نعم فابتدأ البدوي يحدثهم بأعجب ما

وقع له وقال اعلموا أني من مده يسيرة أرقت ليلة أرقاً شديداً وما صدقت أن الصباح صد بح فلم ا أصد بح الصباح قمت من وقتي وساعتي وتقلدت بسيفي وركبت جوادي واعتقلت رمح ي وخرج ت أري د الصد يد والقنص فواجهني جماعة في الطريق فسألوني عن قصدي فأخبرتهم به فقالوا ونحن رفقاؤك فنزلنا كلنا م ع بعضنا فبينما نحن سائرون وإذا بنعامة ظهرت لنا فقصدناها ففرت من بين أيدينا وهي فاتحة أجنحتها ولم تزل شاردة ونحن خلفها إلى الظهر حتى رمتنا في برية لا نبات فيها ولا ماء ولا يسمع فيها غير صفير الحي ات وزعيق الجان وصريخ الغيلان فلما وصلنا إلى ذلك المكان غابت عنا فلم ندر أف ي س ماء ط ارت أم ف ي الأرض غارت فرددنا رؤوس الخيل وأردنا الرواح ثم رأيت أن الرجوع في هذا الوقت الشديد الحر لا خي ر فيه ولا إصلاح وقد اشتد علينا الحر وعطشنا عطشاً شديداً ووقفت خيولنا فأيقنا بالموت فبينما نحن ك ذلك إذ نظرنا من بعيد مرجاً أفيج فيه غزلان تمرح وهناك خيمة مضروبة وفي جانب الخيمة حصان مربوط وسنان يلمع على رمح مركوز فانتعشت نفوسنا من بعد اليأس ورددنا رؤوس خيلنا نحو تلك الخيم ة نطل ب ذل ك المرج والماء وتوجه إليه جميع أصحابي وأنا في أولهم ولم نزل سائرين حتى وصلنا إلى ذلك المرج فوقفن ا على عين وشربنا وسقينا خيلنا فأخذتني حمية الجاهلية وقصدت باب ذلك الخباء فرأيت في ه ش اباً لا نب ات بعارضيه وهو كأنه هلال وعن يمينه جارية هيفاء كأنها قضيب بان فلما نظرت إليها وقعت محبتها في قلب ي فسلمت على ذلك الشاب فرد علي السلام فقلت يا أخا العرب أخبرني من أنت وما تكون لك تلك الجارية التي عندك فأطرق الشاب رأسه إلى الأرض ساعة ثم رفع رأسه وقال أخبرني من أنت وما الخيل التي معك فقلت أنا حماد بن الفزاري الفارس الموصوف الذي أعد بين العرب بخمسمائة فارس ونحن خرجنا من محلنا نريد الصيد والقنص فأدركنا العطش فقصدت أنا باب تلك الخيمة لعلي أجد عندكم شربة ماء فلما سمع مني ذل ك الكلام التفت إلى جارية مليحة وقال أئتي إلى هذا الرجل بالماء وما حصل من الطعام فقامت الجارية تس حب أذيالها والحجال الذهب تشخشخ في رجليها وهي تتعثر في شعرها وغابت قليلاً ثم أقبلت وفي يدها اليمنى أناء من فضة مملوء ماء بارداً وفي يدها اليسرى قدح ملآن تمراً ولبنا وما حضر من لحم الوحوش فما استطعت أن آخذ من الجارية طعاماً ولا شراباً من شدة محبتي لها فتمثلت بهذين البيتين وقلت :

ك . .أن الخض . .اب عل . .ى كفه . .ا	غ . .راب عل . .ى ثلج . .ة واق . .ف
ت رى الش مس والبـ در م ن وجهها ا	ق . . .ريبين خ . . .اف وذا خ . . .ائف

ثم قلت للشاب بعد أن أكلت وشربت يا وجه العرب اعلم أني أوقفك على حقيق ة خب ري وأري د أن تخبرني بحالك وتوقفني على حقيقة خبرك فقال الشاب أما هذه الجارية فهي أختي فقلت أريد أن تزوجني بها طوعاً وإلا اقتلك وآخذها غصباً فعند ذلك أطرق الشاب رأسه إلى الأرض ساعة ثم رفع بصره إلي وقال لي لقد صدقت في دعواك أنك فارس معروف وبطل موصوف وأنك أسد البيداء ولكن أن هجمتم عل ي غ دراً وقتلتموني قهراً وأخذتم أختي فإن هذا يكون عاراً عليكم وأن كنتم على ما ذكرتم من أنكم فرسان تعدون من الأبطال ولا تبالون بالحرب والنزال فأمهلوني قليلاً حتى ألبس آلة حربي وأتقل د بس يفي وأعتق ل برمح ي وأركب فرسي وأصبر أنا وأياكم في ميدان الحرب فإن ظفرت بكم أقتلكم ع ن آخ ركم وأن ظف رتم ب ي وقتلتموني فهذه الجارية أختي لكم فلما سمعت منه هذا الكلام قلت له أن هذا هو الأنصاف وما عندنا خلاف ثم

رددت رأس جوادي إلى خلفي وقد زاد بي الجنون في محبة تلك الجارية ورجعت إلى أصحابي ووصفت لهم حسنها وجمالها وحسن الشاب الذي عندها وشجاعته وقوة جنانه وكيف يذكر أنه يصادم ألف فارس ثم أعلمت أصحابي بجميع ما في الخباء من الأموال والتحف وقلت لهم اعلموا أن هذا الشاب ما هو منقطع ف ي تل ك الأرض إلا لكونه ذا شجاعة عظيمة وأنا أوصيكم أن كل من قتل هذا الغلام يأخذ أخته فقالوا رضينا بذلك ثم أن اصحابي لبسوا آلة حربهم وركبوا خيولهم وقصدوا الغلام فوجدوه قد لبس آلة حربه وركب جواده ووثبت إليه أخته وتعلقت بركابه وبلت برقعها بدموعها وهي تنادي بالويل والثبور من خوفها على أخيها وتنشد ه ذه الأبيات:

إل . ى الله أش . كو محن . ة وكآب . ة   لعل . ه إل . ه الع . رش ي . رهقهم رعب . اً
يري . دون ق . تلاً ي . ا أخ . ي تعم . دا   ولا ش . يء م . ن قب . ل القت . ال ولا ذنب . اً
وق . د ع . رف الأبط . ال أن . ك ف . ارس   وأش . جع م . ن ح . ل المش . ارق والغرب . ا
تحامي من الأخ . ت الت . ي ق . ل عزمه . ا   فأنت أخوه . ا وه . ي ت . دعو ل . ك الرب . ا
ف . لا تت . رك الأع . داء تمل . ك مهجت . ي   وتأخ . ذني قه . راً وتأس . رني غص . باً
ولس . ت ح . ق الله أبق . ى ببل . دة   إذا ل . م تك . ن فيه . ا وإن ملئ . ت خص . باً
وأقت . ل نفس . ي ف . ي ه . واك محب . ة   وأس . كن لح . داً في . ه أفت . رش الترب . ا

فلما سمع أخوها شعرها بكى بكاء شديداً ورد رأس جواده إلى أخته وأجلبها على شعرها بقوله:

قفي وانظ . ري من . ي وق . وع عجائ . ب   إذا م . ا التقين . ا ح . ين أنخ . نهم ض . رباً
وأن ب . رز اللي . ث المق . دم ف . يهم   وأش . جعهم قلب . اً وأثب . تهم لب . ا
سأس . قيه من . ي ض . ربة ثعلبي . ة   وأت . رك ال . رمح يس . تغرق الكعب . ا
وإن ل . م أقات . ل عن . ك أخت . ي فليتن . ي   قتي . ل ولي . ت الطي . ر تنهبن . ي نهب . ا
قات . ل عن . ك م . ا اس . تطعت تكرم . ا   وه . ذا ح . ديث يع . دنا يم . لأ الكتب . ا

فلما فرغ من شعره قال يا أختي أسمعي ما أقول لك وما أوصيك به فقالت له سمعاً وطاعة فقال لها إن هلكت فلا تمكني أحداً من نفسك فعند ذلك لطمت على وجهها وقالت معاذ الله يا أخي أن أراك صريعاً وأمكن الأعداء مني فعند ذلك مد الغلام يده إليها وكشف برقعها عن وجهها فلاحت لنا صورتها كالشمس من تح ت الغمام فقبلها بين عينيها وودعها وبعد ذلك التفت وقال لنا يا فرسان هل أنتم ض يفان أو تري دون الض رب والطعان فإن كنتم ضيفانا فأبشروا بالقرى وإن كنتم تريدون القمر الزاهر فليبرز لي منكم فارس بعد ف ارس في هذا الميدان ومقام الحرب والطعان فعند ذلك برز إليه شجاع فقال له الشاب ما أسمك وما اسم أبيك ف إني حالف أني ما أقتل من أسمه موافق لا سمي واسم أبيه موافق لا سم أبي فإن كنت بهذا الوصف فق د س لمت إليك الجارية فقال له الفارس اسمي بلال فأجابه الشاب بقوله:

ك . ذبت ف . ي قول . ك م . ن ب . لال   وجئ . . . ت ب . . . الزور وبالمح . . . ال
إن كن . ت ش . هماً فاس . تمع مق . الي   مجن . دل الأبط . ال ف . ي المج . ال
وص . ارمي م . اض كم . ا اله . لال   فأص . بر لطع . ن مرج . ف الجب . ال

ثم حملا على بعضهما فطعنه الشاب في صدره فخرج السنان يلمع من ظهره ثم برز إليه واحد فقال الشاب:

يـ .ـا أيهـ .ـا الكلـ .ـب وخـ .ـيم الـ .ـرجس ... فـ . ـأين عـ . ـال سـ . ـعره مـ . ـن بخـ . ـس

وإنمـ . ـا الليـ . ـث الكـ . ـريم الجـ . ـنس ... مـ ـن لـ ـم يبـ ـال فـ ـي الـ ـوغى بـ ـنفس

ثم لم يمهله الشاب دون أن يتركه غريقاً في دمه ثم نادى الشاب هل من مبارز فبرز إليه واحد فانطلق على الشاب وجعل يقول:

إليـ .ـك أقبلـ .ـت وفـ .ـي قلبـ .ـي لهـ .ـب ... منـ ـه أنـ ـادي عنـ ـد صـ ـحبي بـ ـالحرب

لمـ .ـا قتلـ .ـت اليـ .ـوم سـ ـادات العـ .ـرب ... فـ .ـاليوم لا تلقـ .ـى فكاكـ .ـاً مـ .ـن طلـ .ـب

فلما سمع الشاب كلامه أجابه بقوله:

كـ .ـذبت بـ .ـئس أنـ .ـت مـ .ـن الشـ .ـيطان ... قـ . ـد جئـ . ـت بـ . ـالزور والبهتـ . ـان

اليـ . ـوم تلقـ . ـى فاتـ . ـك السـ . ـنان ... فـ ـي موقـ ـف الحـ ـرب وفـ ـي الطعـ ـان

ثم طعنه في صدره فطلع السنان من ظهره ثم قال هل من مبارز فخرج إليه الرابع وسأله الشاب عن اسمه فقال له الفارس أسمي هلال فأنشد يقول:

أخطـ . ـأت إذا أردت خـ . ـوض بحـ . ـري ... وجئـ . ـت بـ . ـالزور وكـ . ـل الأمـ . ـر

أنـ ـا الـ ـذي تسـ ـمع منـ ـي شـ ـعري ... اخـ ـتلس الـ ـنفس ولسـ ـت تـ ـدري

ثم حملا على بعضهما واختلف بينهما ضربتان فكانت ضربة الشاب هي السابقة إلى الفارس فقتله وصار كل من نزل إليه يقتله فلما نظرت أصحابي قد قتلوا قلت في نفسي أن نزلت إليه في الحرب لم أطلقه وأن هربت أبقى معيرة بين العرب فلم يمهلني الشاب دون أن أنقض علي وجذبني بيده فأطاحني من سرجي فوقعت مغشياً علي ورفع سيفه وأراد أن يضرب عنقي فتعلقت بأذياله فحملني بكفه فصرت معه كالعصفور فلما رأت ذلك الجارية فرحت بفعل أخيها وأقبلت عليه وقبلته بين عينيه ثم أنه سلمني إلى أخته وقال لها دونك وأياه وأحسني مثواه لأنه دخل في زمامنا فقبضت الجارية على أطواق درعي وصارت تقودني كما تقود الكلب وفكت عن أخيها لامة الحرب والبسته بدلة ونصبت له كرسياً من العاج فجلس عليه وقالت له بيض الله عرضك وجعلك عدة للنائبات فأجابها بهذه الأبيات:

تقـ ـول وقـ ـد رأت فـ ـي الحـ ـرب أختـ ـي ... لوامـ . ـع غرتـ . ـي مثـ . ـل الشـ . ـعاع

إلا لله دركـ مـ . . . . . ـن شـ . . . . جاع ... تـ . . ـذل لحربـ . . ـه أسـ . . ـد البقـ . . ـاع

فقلـ .ـت لهـ .ـا سـ .ـلي الأبطـ .ـال عنـ .ـي ... إذا مـ . . ـا فـ . . ـر أربـ . ـاب القـ . ـراع

أنـ ـا المعـ ـروف فـ ـي سـ ـعدي وجـ ـدي ... وعزمـ . ـي قـ . ـد عـ . ـلا أي ارتفـ . ـاع

أيـ . ـا حمـ . ـاد قـ . ـد نازلـ . ـت ليثـ . ـا ... يريـ . ـك المـ . ـوت يسـ . ـعى كالأفـ . ـاعي

فلما سمعت شعره حرت في أمري ونظرت إلى حالتي وما صرت إليه من الأسـ ر وتصـ اغرت إلـ ى نفسي ثم نظرت إلى الجارية أخت الشاب وإلى حسنها فقلت في نفسي هذه الفتنة وصرت أتعجب من جمالهـ ا وأجريت العبرات وأنشدت هذه الأبيات:

خليلـ ـي كـ ـف عـ ـن لـ ـومي وعـ ـذلي	فـ . . .إني للملام . . . .ة غير . . . .ر واع
كلف . . .ت بغـ . . .ادة لـ . . .م تبـ . . دالا	أن دعتنـ ـي فـ ـي محبتهـ ـا الـ ـدواعي
أخوهـ ـا فـ ـي الهـ ـوى أمسـ ـى رقيبـ ـي	وصـ . ـاحب همـ . ـة وطويـ . ـل بـ . ـاع

ثم أن الجارية أحضرت لأخيها الطعام فدعاني إلى الأكل معه ففرحت وأمنت على نفسي من القتل ولما فرغ أخوها من الأكل أحضرت له آنية المدام ثم إن الشاب أقبل على المدام وشرب حتى شعشع المـ دام فـ ي رأسه وأحمر وجهه فالتفت إلي وقال ويلك يا حماد أنا عابد بن تميم بن ثعلبة أن الله وهب لك نفسـ ك وأبقـ ى عليك عرسك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٧٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن البدوي حماد قال ثم أن عابد بن تميم بن ثعلبة قال لي أن الله وهب لك نفسك وأبقى عليك عرسك وحياني بقدح شربته وحياني بثان وثالث ورابع فشربت الجميع ونادمني وحلفنـ ي أني لا أخونه فحلفت له الفاً وخمسمائة يمين أني لا أخونه قط بل أكون له معيناً فعند ذلك أمر أخته أن تأتيني بعشر خلع من الحرير وهذه بدلة منها على جسدي وأمرها أن تأتيني بناقة من أحسن النيـ اق فـ أتتني بناقـ ـة محملة من التحف والزاد وأمرها أن تحضر لي الحصان الأشقر فأحضرته لي ثم وهب لي جميع ذلك وقمـ ت عندهم ثلاثة أيام في أكل وشرب والذي قد أعطاه لي موجود عندي إلى الآن وبعد ثلاثة أيام قال لي يا أخي يا حماد أريد أن أنام قليلاً لأريح نفسي وقد أستأمنت على نفسي وأن رأيت خيلاً ثائرة فلا تفزع منها واعلم أنهم من ثعلبة يطلبون حربي ثم توسد سيفه تحت رأسه ونام فلما استغرق في النوم وسوس إلى إبليس بقتله فقمـ ت بسرعة وجذبت سيفه من تحت رأسه وضربته ضربة أطاحت رأسه عن جثته فعلمت بي أخته فوثبـ ـت مـ ـن جانب الخباء ورمت نفسها على أخيها وشقت ما عليها من الثياب وأنشدت هذه الأبيات:

إلـ ـى الأهـ ـل بلـ ـغ أن ذا أشـ ـأم الخبـ ـر	وما لا مريء مما الحكـ ـيم قضـ ـى مفـ ـر
وأنـ ـت صـ ـريع يـ ـا أخـ ـي متجنـ ـدل	ووجهـ ـك يحكـ ـي حسـ ـنة دورة القمـ ـر
لقـ ـد كـ ـان يـ ـوم الشـ ـؤم يـ ـوم لقيتـ ـه	ورمحـ ـك مـ ـن بعـ ـد أطـ ـراد قـ ـد أنكـ ـر
وبعـ . ـدك لا يرتـ . ـاح للخيـ . ـل راكـ . ـب	ولا تلـ ـد الأنثـ ـى نظيـ ـرك مـ ـن ذكـ ـر
وأصـ ـبح حمـ ـاد لـ ـك اليـ ـوم قـ ـاتلاً	وقـ ـد خـ ـان إيمانـ ـاً وبالعهـ ـد قـ ـد غـ ـدر
يريـ . ـد بهـ . ـذا أن ينـ . ـال مـ . ـراده	لقد كذب الشـ ـيطان فـ ـي كـ ـل مـ ـا أمـ ـر

فلما فرغت من شعرها قالت لي يا معلون الجدين لماذا قتلت أخي وخنته وكان مراده أن يـ ـردك إلـ ـى بلادك بالناد والهدايا وكان مراده أيضاً أن يزوجني لك في أول الشهر ثم جذبت سيفاً كان عندها وجعلت قائمة في الأرض وطرفه في صدرها وانحنت عليه حتى طلع من ظهرها فخرت على الأرض ميتة فحزنت عليهـ ا وندمت حيث لا ينفعني الندم وبكيت ثم قمت مسرعاً إلى الخباء وأخذت ما خف حمله وغلا ثمنه وسرت إلـ ـى

حال سبيلي ومن خوفي وعجلتي لم التفت إلى أحد من أصحابي ولا دفنت الصبية ولا الشاب وهذه الحكاية أعجب من حكايتي الأولى مع البنت الخادمة التي خطفتها من بيت المقدس فلما سمعت نزهة الزمان من البدوي هذا الكلام تبدل النور في عينها بالظلام وقامت وجردت السيف وضربت به البدوي حماد على عاتقه فأطلعته من علائقه فقال لها الحاضرون لأي شيء استعجلت على قتله فقالت الحمد لله الذي فسح في أجلي حتى أخذت ثأري بيدي ثم أنها أمرت العبيد أن يجروه من رجليه ويرموه للكلاب وبعد ذلك أقبلوا على الأثنين الباقين من الثلاثة وكان أحدهما عبداً أسود فقالوا له ما أسمك أنت فاصدقنا في حديثك قال أنا اسمي الغضبان وأخبرهم بما وقع له مع الملكة أبريزة بنت الملك حردوب ملك الروم وكيف قتلها وهرب فلم يتم العبد كلامه حتى رمي الملك رومزان رقبته بالحسام وقال الحمد لله الذي أحياني وأخذت ثار أمي بيدي وأخبره أن دايته مرجانه حكت له على هذا العبد الذي اسمه الغضبان وبعد ذلك أقبلوا على الثالث وكان هو الجمال الذي أكتراه أهل بيت المقدس إلى حمل ضوء المكان وتوصيله إلى المارستان الذي في دمشق الشام فذهب به وألقاه في المستوقد وذهب إلى حال سبيله ثم قالوا له أخبرنا أنت بخربك وأصدق في حديثك فحكى لهم جميع ما وقع له مع السلطان ضوء المكان وكيف حمله من بيت المقدس بالدراهم وهو ضعيف على أنه يوصله إلى الشام ويرميه في المارستان وكيف جاء له أهل بيت المقدس بالدراهم فأخذها وهرب بعد أن رماه في مستوقد الحمام فلما أتم كلامه أخذ السلطان كان ما كان السيف وضربه فرمي عنقه وقال الحمد لله الذي أحياني حتى جازيت هذا الخائن بما فعل مع أبي فأنني قد سمعت هذه الحكاية بعينها من والدي السلطان ضوء المكان فقال الملوك لبعضهم ما بقي علينا إلا العجوز شواهي الملقبة بذات الدواهي فإنها سبب هذه البلايا حيث أوقعتنا في الرزايا ومن لنا بها حتى تأخذ منها الثار ونكشف العار فقال لهم الملك رومزان عم كان ما كان لابد من حضورها ثم أن الملك رومزان كتب كتاباً من وقته وساعته وأرسله إلى جدته العجوز شواهي الملقبة بذات الدواهي وذكر له فيه أنه غلب على مملكة دمشق والموصل والعراق وكسر عسكر المسلمين وأسر ملوكهم وقال أريد أن تحضري عندي من كل بد أنت والملكة صفية بنت الملك أفريدون ملك القسطنطينية ومن شئتم من أكابر النصارى من غير عسكر فإن البلاد أمان لأنها صارت تحت أيدينا فلما وصل الكتاب إليها وقرأته وعرفت خط الملك رومزان فرحت فرحاً شديداً وتجهزت من وقتها وساعتها للسفر هي والملكة صفية أم نزهة الزمان ومن صحبتهم ولم يزالوا مسافرين حتى وصلوا إلى بغداد فتقدم الرسول وأخبرهم بحضورها فقال رومزان أن المصلحة تقتضي أن نلبس اللبس الأفرنجي ونقابل العجوز حتى نأمن من خداعها وحيلتها فقالوا سمعاً وطاعة ثم أنهم لبسوا لباس الأفرنج فلما رأت ذلك قضى فكان قالت وحق الرب المعبود لولا أني أعرفكم لقلت أنكم أفرنج ثم أن الملك رومزان تقدم أمامهم وخرجوا يقابلون العجوز في ألف فارس فلما وقعت العين على العين ترجل رومزوان عن جواده وسعي إليها فلما رأته وعرفته ترجلت إليه وعانقته ففرط بيده على أضلاعها حتى كاد أن يقصفها فقالت ما هذا فلم تتم كلامها حتى نزل إليهما كان ما كان والوزير دندان وزعقت الفرسان على من معها من الجوار والغلمان وأخذوهم جميعهم ورجعوا إلى بغداد وأمرهم رومزان أن يزينوا بغداد فزينوها ثلاثة أيام ثم أخرجوا شواهي الملقبة بذات الدواهي وعلى رأسها طرطوراً أحمر مكلل بروث الحمير وقدامها مناد ينادي هذا جزاء من يتجارى على الملوك وعلى أولاد الملوك ثم صلبوها

على باب بغداد ولما رأى أصحابها ما جرى لها أسلموا كلهم جميعاً ثم أن كان ما كان وعمه رومزان ونزهة الزمان والوزير دندان تعجبوا لهذه السير العجيبة وأمروا الكتاب أن يؤرخوها في الكتب حتى تقرأ من بعدهم واقاموا بقية الزمان في ألذ عيش وأهناه إلى أن أتاهم هازم اللذات ومفرق الجماعات وهذا آخر ما انتهى إلينا من تصاريف الزمان بالملك عمر النعمان وولده شركان وولده ضوء المكان وولد ولده كان ما كان ونزهة الزمان وقضي فكان ثم أن الملك قال لشهرزاد أشتهي أن تحكي لي شيئاً من حكاية الطيور فقالت حباً وكرامة فقالت لها أختها لم أر الملك في طول هذه المدة أنشرح صدره غير في هذه الليلة وأرجو أن تكون عاقبتك معه محمودة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

حكاية تتعلق بالطيور

(وفي ليلة ١٧٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أنه كان في قديم الزمان وسالف العصر والأوان طاووس يأوي إلى جانب البحر مع زوجته وكان ذلك الموضع كثير السباع وفيه من الوحوش غير أنه كثير الأشجار والأنهار وذلك الطاووس هو وزوجته يأويان إلى شجرة من تلك الأشجار ليلاً من خوفهما من الوحوش ويغدوان في طلب الرزق نهاراً ولم يزالا كذلك حتى كثر خوفهما فسارا يبغيان موضعاً غير موضعهما يأويان إليه فبينما هما يفتشان على موضع إذ ظهرت لهم جزيرة كثيرة الأشجار والأنهار فنزلا في تلك الجزيرة وأكلا من أثمارها وشربا من أنهارها فبينما هما كذلك وإذا ببطة أقبلت عليهما وهي في شدة الفزع ولم تزل تسعى حتى أتت إلى الشجرة التي عليها الطاووس هو وزوجته فاطمأنت فلم يشك الطاووس في أن تلك البطة لها حكاية عجيبة فسألها عن حالها وعن سبب خوفها فقالت أنني مريضة من الحزن وخوفي من ابن آدم فالحذر ثم الحذر من بني آدم فقال لها الطاووس لا تخافي حيث وصلت إلينا فقالت البطة الحمد لله الذي فرج عني همي وغمي بقربكما وقد أتيت راغبة في مودتكما فلما فرغت من كلامها نزلت إليها زوجة الطاووس وقالت لها أهلاً وسهلاً ومرحباً لا بأس عليك ومن أين يصل إلينا ابن آدم ونحن في تلك الجزيرة التي في وسط البحر فمن البر لا يقدر أن يصل إلينا ومن البحر لا يمكن أن يطلع علينا فابشري وحدثينا بالذي نزل بك واعتراك من بني آدم فقالت البطة اعلمي أيتها الطاووسة أني في هذه الجزيرة طول عمري آمنة لا أرى مكروهاً فنمت ليلة من الليالي فرأيت في منامي صورة ابن آدم وهو يخاطبني وأخاطبه وسمعت قائلاً يقول أيتها البطة أحذري من ابن آدم ولا تغتري بكلامه ولا بما يدخله عليك فإنه كثير الحيل والخداع فالحذر كل الحذر من مكره فإنه مخادع ماكر كما قال فيه الشاعر.

يعطيك من طرف اللسان حلاوة　　　ويروغ منك كما يروغ الثعلب

واعلمي أن ابن آدم يحتال على الحيتان فيخرجها من البحار ويرمي الطير ببندقة من طين ويوقع الفيل بمكره وابن آدم لا يسلم أحد من شره ولا ينجو منه طير ولا وحش وقد بلغتك ما سمعته عن ابن آدم فاستيقظت من منامي خائفة مرعوبة وأنا إلى الآن ما انشرح صدري خوفاً على نفسي من ابن آدم لئلا يدهمني بحيلته ويصيدني بحبائله ولم يأت على آخر النهار إلا وقد ضعفت قوتي وبطلت همتي ثم أني اشتقت

إلى الأكل والشرب فخرجت أتمشى وخاطري مكدر وقلبي مقبوض فلما وصلت إلى ذلك الجبل وجدت على باب مغارة شبلاً أصفر اللون فلما رآني ذلك الشبل فرح بي فرحاً شديداً وأعجبه لوني وكوني لطيفة الذات فصاح علي وقال لي أقربي مني فلما قربت منه قال لي ما أسمك وما جنسك فقلت له أسمي بطة وأنا من جنس الطيور ثم قلت له ما سبب قعودك إلى هذا الوقت في هذا المكان فقال الشبل سبب ذلك أن والدي الأسد له أيام وهو يحذرني من ابن آدم فاتفق أنني رأيت في هذه الليلة في منامي صورة ابن آدم ثم أن الشبل حكى لي نظير ما حكيته لك فلما سمعت كلامه قلت له يا أسد أني قد لجأت إليك في أن تقتل ابن آدم وتجزم رأيك في قتله فأني أخاف على نفسي منه خوفاً شديداً وازددت خوفاً على خوفي من خوفك من بنى آدم مع أنك سلطان الوحوش وما زلت يا أختي أحذر الشبل من ابن آدم وأوصيته بقتله حتى قام من وقته وساعته من المكان الذي كان فيه وتمشي وتمشيت وراءه ففرقع بذنبه على ظهره ولم يزل يمشي وأنا أمشي وراءه إلى مرق الطريق فوجدنا غبرة طارت وبعد ذلك انكشفت الغبرة فبان من تحتها حمار شارد عريان وهو تارة يقمص ويجري وتارة يتمرغ فلما رآه الأسد صاح عليه فأتى إليه خاضعاً فقال له أيها الحيوان الخريف العقل ما جنسك وما سبب قدومك إلى هذا المكان فقال يا ابن السلطان إن جنسي حمار وسبب قدومي إلى هذا المكان هروبي من ابن آدم فقال له الشبل وهل أنت خائف من ابن آدم أن يقتلك فقال الحمار لا يا ابن السلطان وأنما خوفي أن يعمل حيلة علي ويركبني لأن عنده شيئاً يسميه البردعة فيجعلها على ظهري وشيئاً يسميه الحزام فيشده على بطني وشيئاً يسميه الطفر فيجعله تحت ذنبي وشيئاً يسمى اللجام فيجعله في فمي ويعمل منخاساً ينخسني به ويكلفني مالا أطيق من الجري وإذا عثرت لعنني وإذا نهقت شتمني وبعد ذلك إذا كبرت ولم أقدر على الجري يجعل لي رجلاً من الخشب ويسلمني إلى السقائين فيحملون الماء على ظهري من البحر في القرب ونحوها كالجرار ولا أزال في ذل وهوان وتعب حتى أموت فيرموني فوق التلال للكلاب فأي شيء أكبر من هذا الهم وأي مصيبة أكبر من هذه المصائب فلما سمعت أيتها الطاووسة كلام الحمار أقشعر جسدي من ابن آدم وقلت للشبل يا سيدي أن الحمار معذور وقد زادني كلامه رعباً على رعبي فقال الشبل للحمار إلى أين أنت سائر فقال له الحمار أني نظرت ابن آدم قبل أشراق الشمس من بعيد ففررت هرباً منه وها أنا أريد أنطلق ولم أزل أجري من شدة خوفي منه فعسى أن أجد لي موضعاً يأويني من ابن آدم الغدار فبينما ذلك الحمار يتحدث مع الشبل ذلك الكلام وهو يريد أن يودعنا ويروح إذ ظهرت لنا غبرة فنهق الحمار ونظر بعينه إلى ناحية الغبرة وضرط ضراطاً عالية وبعد ساعة انكشفت الغبرة عن فرس أدهم بغرة كالدرهم وذلك الفرس ظريف الغرة مليح التحجيم حسن القوائم والصهيل ولم يزل يجري حتى وقف بين يدي الشبل ابن الأسد فلما رآه الشبل استعظمه وقال له ما جنسك أيها الوحش الجليل وما سبب شرودك في هذا البر العريض الطويل فقال يا سيد الوحوش أنا فرس من جنس الخيل وسبب شرودي هروبي من ابن آدم فتعجب الشبل من كلام الفرس وقال لا تقل هذا الكلام فإنه عيب عليك وأنت طويل غليظ وكيف تخاف من ابن آدم مع عظم جثتك وسرع جريك وأنا مع صغر جسمي قد عزمت على أن التقي مع ابن آدم فابطش به وآكل لحمه وأسكن روع هذه البطة المسكينة وأقرها في وطنها وها أنت لما أتيت في هذه الساعة قطعت قلبي بكلامك وأرجعتني عما أردت أن أفعله فإذا كنت أنت مع عظمك قد قهرك ابن آدم ولم يخف من طولك

وعرضك مع أنك لو رفسته برجلك لقتلته ولم يقدر عليك بل تسقيه كاس الردى فضحك الفرس لما سمع كلام الشبل وقال هيهات هيهات أن أغلبه يا ابن الملك فلا يغرك طولي ولا عرضي ولا ضخامتي مع ابن آدم لأنه من شدة حيله ومكره يصنع لي شيئاً يقال له الشكال ويضع في أربعة قوائمي شكالين من حبال الليف الملفوفة باللبادو يصلبني من رأسي في وتد عال وأبقى واقفاً وأنا مصلوب لا أقـ در أن أقعـ د ولا أنـ ام وإذا أراد أن يركبني يعمل لي شيئاً في رجلي من الحديد أسمه الركاب ويضع على ظهري شيئاً يسـ ميه السـ رج ويشـ ده بحزامين من تحت أبطي ويضع في فمي شيئاً من الحديد يسميه اللجام ويضع فيه شيئاً من الجلد يسميه السرع فإذا ركب فوق ظهري على السرج يمسك السرع بيده ويقودني ويهمزني بالركاب في خواصري حتى يدميها ولا تسأل يا ابن السلطان عما أقاسيه من ابن آدم فإذا كبرت وانتحل ظهري ولم أقدر على سـ رعة الجـ ري يبيعني للطحان ليدورني في الطاحون فلا أزال دائراً فيها ليلاً ونهاراً إلى أن أهزم فيبيعني للجزار فيـ ذبحني ويسلخ جلدي وينتف ذنبي ويبيعها للغرابلي والمناخلي ويسلي شحمي فلما سمع الشبل كلام الفرس إزداد غيظاً وغماً وقال له متى فارقت ابن آدم قال فارقته نصف النهار وهو في أثرى فبينما الشبل يتحدث مع الفرس في هذا الكلام وإذا بغبرة ثارت وبعد ذلك انكشفت الغبرة وبان من تحتها جمل هائج وهو يبعبع ويخبط برجليـ ه في الأرض ولم يزل يفعل كذلك حتى وصل إلينا فلما رآه الشبل كبيراً غليظاً ظن أنه ابن آدم فأراد الوثـ وب عليه فقلت له يا ابن السلطان هذا ما هو ابن آدم وأنما هو جمل وكأنه هارب من ابن آدم فبينما أنا يا أختي مع الشبل في هذا الكلام وإذا بالجمل تقدم بين أيادي الشبل وسلم عليه فرد عليه السلام وقال له ما سبب مجيئـ ك إلى هذا المكان قال جئت هارباً من ابن آدم فقال له الشبل وأنت مع عظم خلقتك وطولـ ك وعرضـ ك كيـ ف تخاف من ابن آدم ولو رفسته برجلك رفسة لقتلته فقال له الجمل يا ابن السلطان اعلم أن ابن آدم له دواهي لا تطاق وما يغلبه إلا الموت لأنه يضع في أنفي خيطاً ويسميه خزاماً ويجعل في رأسي مقود أو يسـ لمني إلـ ى أصغر أولاده فيجرني الولد الصغير بالخيط مع كبري وعظمي ويحملونني أثقل الأحمـ ال ويسـ افرون بـ ي الأسفار الطوال ويستعملونني في الأشغال الشاقة أناء الليل وأطراف النهار وإذا كبرت وشخت أو انكسرت فلم يحفظ صحبتي بل يبيعني للجزار فيذبحني ويبيع جلدي للدباغين ولحمي للطباخين ولا تسأل عما أقاسي مـ ن ابن آدم فقال له الشبل أي وقت فارقت ابن آدم فقال فارقته وقت الغروب وأظنه يأتي عنـ د انصـ رافي فلـ م يجدني فيسعى في طلبي فدعني يا ابن السلطان حتى أهيج في البراري والقفار فقال الشبل تمهل قليلاً يا جمل حتى تنظر كيف افترسه وأطعمك من لحمه وأهشم عظمه وأشرب من دمه فقال له الجميل ياابن السلطان أنـ ا خائف عليك منه فإنه مخادع ماكر ثم أنشد أنشد قول الشاعر:

إذا حـ ـل الثقيـ ـل بـ ـأرض قـ ـوم فمـ ـا للسـ ـاكنين سـ ـوى الرحيـ ـل

فبينما الجمل يتحدث مع الشبل في هذا الكلام وإذا بغبرة طلعت وبعد ساعة انكشفت عن شـ يخ قصـ ير رقيق البشرة على كتفه مقطف فيه عدة نجار وعلى رأسه شعبة وثمانية الواح وبيده أطفـ ال صـ غار وهـ و يهرول في مشيه ومازال يمشي حتى قرب من الشبل فلما رأيته يا أختي وقعت من شدة الخوف وأما الشـ بل فإنه قام وتمشي إليه ولاقاه فلما وصل إليه ضحك النجار في وجهه وقال بلسان فصيح أيها الملـ ك الجليـ ل صاحب الباع الطويل أسعد الله مساءك ومسعاك وزاد في شجاعتك وقواك أجرني مما دهاني وبشره رمـ اني

لأني ما وجدت لي نصيراً غيرك ثم أن النجار وقف بين يدي الأسد وبكى وأن واشتكى فلما سمع الشبل بكاءه وشكواه قال له أجرتك مما تخشاه فمن الذي قد ظلمك وما تكون أيها الوحش الذي ما رأيت عمري مثلك ولا أحسن صورة وأفصح لساناً منك فما شأنك فقال له النجار يا سيدي الوحوش أما أنا فنجار وأما الذي ظلمني فإنه ابن آدم وفي صباح هذه الليلة يكون عندك في هذا المكان فلما سمع الشبل من النجار هذا الكلام تبدل الضياء في وجهه بالظلام وشخر ونخر ورمت عيناه بالشرر وصاح وقال والله لأسهرن في هذه الليلة إلى الصباح ولا أرجع إلى والدي حتى أبلغ مقصدي ثم أن الشبل التفت إلى النجار وقال له أرى خطواتك قصيرة ولا أقدر أن أكسر بخاطرك لأني ذو مروءة أظن أنك لا تقدر أن تماشي الوحوش فأخبرني إلى أين تذهب فقال له النجار اعلم أنني رائح إلى وزير والدك الفهد لأنه لما بلغه أن ابن آدم داس هذه الأرض خاف على نفسه خوفاً عظيماً وأرسل إلى رسولاً من الوحوش لا صنع له بيتاً يسكن فيه ويأوي إليه ويمنع عنه عدوه حتى لا يصل إليه أحد من بني آدم فلما جاءني الرسول أخذت هذه الألواح وتوجهت إليه فلما سمع الشبل كلام النجار أخذه الحسد للفهد فقال له بحياتي لابد أن تصنع لي هذه الألواح بيتاً قبل أن تصنع للفهد بيته وإذا فرغت من شغلي فامض إلى الفهد وأصنع له ما يريد فلما سمع النجار من الشبل هذا الكلام قال له يا سيد الوحوش ما أقدر أن أصنع لك شيئاً إلا إذا صنعت للفهد ما يريد ثم أجيء إلى خدمتك وأصنع لك بيتاً يحصنك من عدوك فقال له الشبل والله ما أخليك تروح من هذا المكان حتى تصنع لي هذه الألواح بيتاً ثم أن الشبل هم على النجار ووثب عليه وأراد أن يمزح معه فلطشه بيده فرمى المقطف من على كتفه ووقع النجار مغشياً عليه فضحك الشبل عليه وقال له ويلك يا نجار أنك ضعيف ومالك قوة فأنت معذور إذا خفت من ابن آدم فلما وقع النجار على ظهره اغتاظ غيظاً شديداً ولكنه كتم ذلك عن الشبل من خوفه منه ثم قعد النجار وضحك في وجه الشبل وقال له ها أنا أصنع لك البيت ثم أن النجار تناول الألواح التي كانت معه وسمر البيت وجعله مثل القالب قياس الشلل وخلى بابه مفتوحاً لأنه جعله على صورة صندوق وفتح له طاقة كبيرة وجعل لها غطاء وثقب فيها ثقباً كثيرة وأخرج منها مسامير مطرفة وقال للشبل أدخل في هذا البيت من هذه الطاقة لا قبيه عليك ففرح الشبل بذلك وأتى تلك الطاقة فرآها ضيقة فقال له النجار أدخل وأبرك على يديك ورجليك ففعل الشبل ذلك ودخل الصندوق وبقي ذنبه خارجاً ثم أراد الشبل أن يتأخر إلى ورائه ويخرج فقال له النجار أمهل حتى أنظر هل يسع ذنبك معك أم لا فامتثل الشبل أمره ثم أن النجار لف ذنب الشبل وحشاه في الصندوق ورد اللوح على الطاقة سريعاً وسمره فصاح الشبل قائلاً يانجار ما هذا البيت الضيق الذي صنعته لي دعني أخرج منه فقال له النجار هيهات لا ينفع الندم على ما فات إنك لا تخرج من هذا المكان ثم ضحك النجار وقال للشبل إنك وقعت في القفص وكنت أخبث الوحوش فقال له يا أخي ما هذا الخطاب الذي تخاطبني به فقال له النجار اعلم يا كلب البر إنك وقعت فيما كنت تخاف منه وقد رماك القدر ولم ينفعك الحذر فلما سمع الشبل كلامه يا أختي علم أنه ابن آدم الذي حذره منه أبوه في اليقظة والهاتف في المنام وتحققت أنه هو بلا شك ولا ريب فخفت منه على نفسي خوفاً عظيماً وبعدت عنه قليلاً وصرت أنتظر ماذا يفعل بالشبل فرأيت يا أختي ابن آدم حفر حفرة في هذا المكان بالقرب من الصندوق الذي فيه الشبل ورماه في تلك الحفرة

والقى عليه الحطب وأحرقه بالبار فكبر يا أختي خوفي ولي يومان هاربة من ابن آدم وخائفة منه فلما سمعت الطاووسة من البطة هذا الكلام وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٧٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الطاووسة لما سمعت من البطة هذا الكلام تعجبت منه غاية العجـ ـب وقالت يا أختي إنك أمنت من بني آدم لأننا في جزيرة من جزائر البحر وليس لابن آدم فيها مسلك فاختـ ـاري المقام عندنا إلى أن يسهل الله أمرك وأمرنا قالت أخاف أن يطرقني طارق والقضاء لا ينفعك عنه آبق فقالـ ـت أقعدي عندنا وأنت مثلنا ولا زالت بها حتى قعدت وقالت يا أختي أنت تعلمين قلة صبري ولولا أني رأيتك هنا ما كنت قعدت فقالت الطاووسة أن كان على جبيننا شيء تستوفاه وإن كان أجلنا دنا فمن يخلصنا ولن تمـ ـوت نفس حتى تستوفي رزقها وأجلها فبينما هما في هذا الكلام إذ طلعت عليهما غبرة فعند ذلك صـ ـاحت البطـ ـة ونزلت البحر وقالت الحذر الحذر وإن كان أجلنا دنا فمن يخلصنا ولن تموت نفس حتى تستوفي رزقها وأجلها فبينما هما في هذا الكلام إذ طلعت عليهما غبرة فعند ذلك صاحت البطة ونزلت البحر وقالت الحـ ـذر الحـ ـذر وإن لم يكن مفر من القدر وكانت الغبرة عظيمة فلما انكشفت الغبرة ظهر من تحتها ظبي فاطمأنـ ـت البطـ ـة والطاووسة ثم قالت البطة يا أختي إن الذي تفزعين منه ظبي وها هو قد أقبل نحونا فليس علينا منه باس لأن الظبي إنما يأكل الحشائش من نبات الأرض وكما أنت من جنس الطير هو الآخـ ـر مـ ـن جـ ـنس الوحـ ـوش فاطمئني ولا تهتمي فإن الهم ينحل البدن فلم تتم الطاووسة كلامها حتى وصل الظبي إليهـ ـا يسـ ـتظل تحـ ـت الشجرة فلما رأى الطاووسة والبطة سلم عليهما وقال لهما أني دخلت هذه الجزيرة اليوم فلم أر أكثـ ـر منهـ ـا خصباً ولا أحسن منها مسكناً ثم دعاهما لمرافقته ومضافاته فلما رأت البطة والطاووسة تودده إليهما أقبلتـ ـا عليه ورغبتا في عشرته وتحالفوا على ذلك وصار مبيتهم واحد ومأكلهم سواء ولم يزالوا آمنين آكلين شاربين حتى مرت بهم سفينة كانت تائهة في البحر فأرست قريباً منهم فطلع الناس وتفرقوا في الجزيرة فرأوا الظبي والطاووسة والبطة مجتمعين فأقبلوا عليهم فشرد الظبي في البرية وطارت الطاووسة في الجو فبقيت البطـ ـة مخبلة ولم يزالوا بها حتى صادوها وصاحت قائلة لم ينفعني الحذر من القضاء والقدر وانصرفوا بهـ ـا إلـ ـى سفينتهم فلما رأت الطاووسة ما جري للبطة ارتحلت من الجزيرة وقالت لا أرى الآفاق إلا مراصد لكل أحـ ـد ولولا هذه السفينة ما حصل بيني وبين هذه البطة افتراق ولقد كانت من خيار الأصدقاء ثم طارت الطاووسـ ـة واجتمعت بالظبي فسلم عليها وهنأها بالسلامة وسألها عن البطة فقالت له قد أخذها العدو وكرهت المقام فـ ـي تلك الجزيرة بعدها ثم بكت على فراق البطة وأنشدت تقول:

إن يـ ـوم الفـ ـراق قطـ ـع قلبـ ـي ... قطـ ـع الله قلـ ـب يـ ـوم الفـ ـراق

وأنشدت أيضاً :

تمنيـ ـت الوصـ ـال يعـ ـود يومـ ـاً ... لأخبـ ـره بمـ ـا صـ ـنع الفـ ـراق

فاغتم الظبي غماً شديداً ثم رد عزم الطاووسة عن الرحيل فأقام معها في تلك الجزيرة آمنـ ـين آكلـ ـين شاربين غير أنهما لم يزالا حزينين على فراق البطة فقال الظبي للطاووسة يا أختي قد علمت أن الناس الذين

طلعوا لنا من المركب كانوا سبباً لفراقنا ولهلاك البطة فأحذريهم واحترسي منهم ومن مكر ابن آدم وخداعه قالت قد علمت يقيناً أن ما قتلها غير تركها التسبيح ولقد قلت لها أني أخاف عليك من تركك التسبيح لأن كل ما خلقه الله يسبحه فإن غفل عن التسبيح عوقب بهلاكه فلما سمع الظبي كلام الطاووسة قال أحسن الله صورتك وأقبل على التسبيح لا يفتر عنه ساعة وقد قيل أن الظبي يقول في تسبيحه سبحان الملك الديان ذي الجبروت والسلطان وورد أن بعض العباد كان يتعبد في الجبال وكان يأوي إلى ذلك الجبل زوج من الحمام وكان ذلك العابد قسم قوته نصفين وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٧٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العابد قسم قوته نصفين وجعل نصفه لنفسه ونصفه لذلك الزوج الحمام ودعا العابد لهما بكثرة النسل فكثر نسلهما ولم يكن الحمام يأوي إلى غير الجبل الذي فيه العابد وكان السبب في اجتماع الحمام بالعابد كثرة تسبيح الحمام وقيل أن الحمام يقول في تسبيحه سبحان خالق الخلق وقاسم الرزق وباني السموات وباسط الأرضين ولم يزل ذلك الزوج الحمام في أرغد عيش هو ونسله حتى مات ذلك العابد فتشتت شمل الحمام وتفرق في المدن والقرى والجبال وقيل أنه كان في بعض الجبال رجل من الرعاة صاحب دين وعقل وعفة وكان له غنم يرعاها وينتفع بالبانها وأصوافها وكان ذلك الجبل الذي يأوي إليه الراعي كثير الأشجار والمرعى والسباع ولم يكن لتلك الوحوش قدرة على الراعي ولا على غنمه ولم يزل مقيماً في الجبل مطمئناً لايهمه شيء من أمر الدنيا لسعادته وأقباله على عبادته فاتفق له أنه مرض مرضاً شديداً فدخل كهفاً في الحبل وصارت الغنم تخرج بالنهار إلى مرعاها وتأوى بالليل إلى الكهف فأراد الله أن يمتحن ذلك الراعي ويختبره في طاعته وصبره فبعث إليه ملكاً فدخل عليه في صورة امرأة حسناء وجلس بين يديه فلما رأى الراعي تلك المرأة جالسة عنده أقشعر بدنه منها فقال لها أيتها المرأة ما الذي دعاك إلى المجيء هنا وليس لك حاجة معي ولا بيني وبينك ما يوجب دخولك عندي فقالت له أيها الإنسان أما ترى حسني وجمالي وطيب رائحتي أما تعلم حاجة الرجال إلى النساء فما الذي يمنعك مني فقال الراعي إن الذي تقولينه كرهته وجميع ما تبدينه زهدته لأنك خداعة غدارة لا عهد لك ولا وفاء فكم من قبيح تحت حسنك أخفيتيه وكم من صالح فتنتيه وكانت عاقبته إلى الندامة والحزن فارجعي عني أيتها المصلحة نفسها لفساد غيرها ثم ألقى عباءته على وجهه حتى لا يرى وجهها واشتغل بذكر ربه فلما رأى الملك حسن طاعته خرج وعرج إلى السماء وكان بالقرب من الراعي قرية فيها رجل من الصالحين لم يعلم بمكانه فرأى في منامه كأن قائلاً يقول له بالقرب منك في مكان كذا وكذا رجل صالح فاذهب إليه وكن تحت طاعة أمره فلما أصبح الصباح توجه نحوه سائراً فلما اشتد عليه الحر انتهى إلى شجرة عندها عين جارية فجلس في ظل الشجرة ليستريح فبينما هو جالس وإذا بوحوش وطيور أتوا إلى تلك العين ليشربوا منها فلما رأوا العابد جالساً نفروا ورجعوا شاردين فقال العابد في نفسه أنا ما استرحت هنا إلا لتعب هذه الوحوش والطيور ثم قام وقال معاتباً لنفسه لقد أضر بهذه الحيوانات في هذا اليوم جلوسي في هذا المكان فما عذري عند خالقي وخالق هذه الطيور والوحوش فإني كنت سبباً لشرودهم عن مائهم ومرعاهم فواخجلتي من ربي يوم يقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء ثم أفاض من جفنه العبرات وأنشد هذه الأبيات:

أم . . ا والله ل . . و عل . . م الأ . . ام لم . ا خلق . وا لم . ا غفل . وا ون . اموا
فم . وت ث . م بع . ث ث . م حش . ر وت . . . وبيخ وأه . . . وال عظ . . . ام
ونح . . ن إذا تهين . . ا أوامرن . . ا كأه . . ل الكه . . ف أكثرن . . ا نيام . . اً

ثم بكى على جلوسه تحت الشجرة عند العين ومنعه الطيور والوحوش من شـ ربهاوولى هائمـ اً علـ ى وجهه حتى أتى إلى الراعي فدخل عنده وسلم عليه فرد عليه السلام وعانقه وبكى ثم قال له الراعي ما الـ ذي أقدمك إلى هذا المكان الذي لم يدخله أحد من الناس علي فقال العابد أني رأيت في منامي مـ ن يصـ ف لـ ي مكانك ويأمرني بالمسير إليك والسلام عليك وقد أتيتك ممتثلاً لما أمرت به فقبلـ ه الراعـ ي وطابـ ت نفسـ ه بصحبته وجلس معه في الجبل يعبدان الله تعالى في ذلك الغار وحسنت عبادتهما ولم يزالا في ذلـ ك المكـ ان يعبدان ربهما ويتقوتان من لحوم الغنم وألبانها متجردين عن المال والبنين إلى أن أتاهما اليقين وهـ ذا آخـ ر حديثهما قال الملك لقد زهدتيني يا شهرزاد في ملكي وندمتيني على ما فرط مني في قتل النساء والبنات فهل عندك شيء من حديث الطيور قالت نعم زعموا أيها الملك أن طيراً طار وعلا إلى الجو ثـ م أنقـ ض علـ ى صخرة في وسط الماء وكان الماء جارياً فبينما الطائر واقف على الصخرة وإذا برمة إنسان جرها الماء حتى أسدها إلى الصخرة ووقفت تلك الجيفة في جانب الصخرة وارتفعت لانتفاخها فدنا طير الماء وتأملها فرآهـ ا رمة ابن آدم وظهر له فيها ضرب السيف وطعن الرماح فقال في نفسه أن هذا المقتول كان شريراً فـ اجتمع عليه جماعة وقتلوه واستراحوا منه ومن شره ولم يزل طير الماء يكثر التعجب من تلك الرمـ ة حتـ ى رأى نسوراً وعقباناً أحاطوا بتلك الجيفة من جميع جوانبها فلما رأى ذلك طير الماء جزع جزعاً شـ ديداً وقـ ال لا صبر لي على الإقامة في هذا المكان ثم طار منه يفتش على موضع يأويه إلى حين نفاذ تلك الجيفـ ة وزوال سباع الطير عنها ولم يزل طائراً حتى وجد نهراً في وسطه شجرة فنزل عليها كئيباً حزيناً على بعـ ده عـ ن وطنه وقال في نفسه لم تزل الأحزان تتبعني وكنت قد استرحت لما رأيت تلك الجيفة وفرحت بها فرحاً شديداً وقلت هذا رزق ساقه الله إلي فصار فرحي غماً وسروري حزناً وهما وافترستها سباع الطير مني وحال بينها وبيني فكيف أرجو أن أكون سالماً في هذه الدنيا واطمئن إليها وقد قيل في المثل الدنيا دار من لا دار له يغتر بها من لا عقل له ويطمئن إليها بماله وولده وقومه وعشيرته ولم يزل المغتر بها راكناً إليهـ ا يختـ ال فـ وق الأرض حتى يصير تحتها ويحثوا عليه التراب أعز الناس عليه وأقربهم إليه وما للفتى خير من الصبر علـ ى مكارهها وقد فارقت مكاني ووطني وكنت كارهاً لفرقة أخواني وأصحابي فبينما هو في فكرته وإذا بذكر من السلاحف أقبل منحدراً في الماء ودنا من طير الماء وسلم عليه وقال يا سيدي ما الذي أبعدك عن موضـ عك قال حلول الأعداء فيه ولا صبر للعاقل على مجاورة عدوه وما أحسن قول بعض الشعراء.

إذا حـ . ل النقيـ . ل بـ . ـارض قـ . ـوم فمـ . ـا للسـ . ـاكنين سـ . ـوى الرحيـ . ـل

فقال له السلحف إذا كان الأمر كما وصفته والحال مثل ما ذكرته فأنا لا أزال بين يـ ديك ولا أفارقـ ك لاقضي حاجتك وأوفي بخدمتك فإنه يقال لا وحشة أشد من وحشة الغريب المنقطع عن أهله ووطنه وقد قيـ ل أن فرقة الصالحين لا يعد لها شيء من المصائب ومما يسمى العاقل نفسه الإستئناس في الغربة والصبر على

الرزية والسكربه وأرجو أن تحمد صحبتي لك وأكون لك خادماً ومعيناً فلما سمع طير الماء مقالة السلحف قال له لقد صدقت في قولك ولعمري أني وجدت للفراق الماً وهماً مدة بعدي عن مكاني وفراقي لأخواني وخلاني لأن فيه الفراق عبرة لمن أعتبر وفكرة لمن تفكر وإذا لم يجد الفتى من يسليه من الأصحاب ينقطع عنه الخير أبداً ويثبت له الشر سرمداً وليس للعاقل إلا التسلي بالأخوان عن الهموم في جميع الأحوال وملازمة الصبر والتجلد فإنهما خصلتان محمودتان يعينان على نوائب الدهر ويدفعان الفزع والجزع في كل أمر فقال له السحلف أياك والجزع فإنه يفسد عليك عيشك ويذهب مروءتك ومازالا يتحدثان مع بعضهما إلى أن قال طير الماء للسحلف أنا لم أزل أخشى نوائب الزمان وطوارق الحدثان فلما سمع السحلف مقالة طير الماء أقبل عليه وقبله بين عينيه وقال له لم تزل جماعة الطير تعرف في مشورتك الخير فكيف تحمل الهم والضير ولم يزل يسكن روع طير الماء حتى اطمأن ثم أن طير الماء طار إلى مكان الجيفة فلما وصل إليه لم يرمن سباع الطير شيئاً ولا من تلك الجيفة الإ عظاماً فرجع يخبر السحلف بزوال العدو من مكانه فلما وصل إلى السلحف أخبره بما رأى وقال له أني أحب الرجوع إلى مكاني وأتملى بخلاني لأنه لا صبر للعاقل عن وطنه فذهب معه إلى ذلك المكان فلم يجد شيئاً مما يخافان منه فصار طير الماء قرير العين وأنشد هذين البيتين:

ولـ ـرب نازلـ ـة يضـ ـيق لهـ ـا الفتـ ـى ... ذرعـ ـاً وعنـ ـد الله منهـ ـا المخـ ـرج
ضـ ـاقت فلمـ ـا اسـ ـتحكمت حلقاتهـ ـا ... فرجـ ـت وكنـ ـت أظنهـ ـا لا تفـ ـرج

ثم كنا تلك الجزيرة فبينما طير الماء في أمن وسرور وفرح وحبور إذ ساق القضاء إليه بازا جائعاً فضربه بمخلبه ضربة فقتله ولم يغن عنه الحذر عند فراغ الأجل وسبب قتله غفلته عن التسبيح قيل أنه كان يقول في تسبيحه سبحان ربنا فيما قدر ودبر سبحان ربنا فيما أغنى وأفقر هذا ما كان من حديث الطير فقال الملك يا شهرزاد لقد زدتيني بحكايتك مواعظ واعتبار فهل عندك شيء من حكايات الوحوش.

حكاية الثعلب مع الذئب وابن آدم

فقالت اعلم أيها الملك أن ثعلباً وذئباً ألفا وكراً فكان يأويان أليهما مع بعضهما فلبنا على ذلك مدة من الزمان وكان الذئب للثعلب قاهراً فاتفق أن الثعلب أشار على الذئب بالرفق وترك الفساد وقال له أن دمت على عتوك ربما سلط الله عليك ابن آدم فإنه ذو حيل ومكر وخداع يصيد الطير من الجو والحوت من البحر ويقطع الجبال وينقلها وكل ذلك من حيله فعليك بالأنصاف وترك الشر والاعتساف فإنه أهنأ لطعامك فلم يقبل الذئب قوله وأغلظ له الرد وقال له لا علاقة لك بالكلام في عظيم الأمور وجسيمها ثم لطم الثعلب لطمة فخر منها مغشياً عليه فلما أفاق تبسم في وجه الذئب واعتذر إليه من الكلام الشين وأنشد هذين البيتين:

إذا كنـ ـت قـ ـد أذنبـ ـت ذنبـ ـاً سـ ـالفاً ... فـ ـي حـ ـبكم وأتيـ ـت شـ ـيئاً منكـ ـراً
أنـ ـا تائـ ـب عمـ ـا جنيـ ـت وعفـ ـوكم ... يسـ ـع المسـ ـيء إذا أتـ ـى مسـ ـتغفراً

فقبل الذئب اعتذاره وكف عنه أشراره وقال له لا تتكلم فيما لا يعنيك تسمع ما لا يرضيك وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٧٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الذئب قال للثعلب لا تتكلم فيما لا يعنيك تسمع مالا يرضيك فقال لـ ـه الثعلب سمعاً وطاعة فأنا بمعزل عما لا يرضيك فقد قال الحكيم لا تخبر عمالا تسئل عنه أولاً تجب إلا مـ ـالا تدعي إليه وذر الذي لا يعنيك إلى مالا يعنيك ولا تبذل النصيحة للأشرار فإنهم يجزونك عليها شراً فلما سمع الذئب كلام الثعلب تبسم في وجهه ولكنه أضمر له مكراً وقال لابد أن أسعى في هلاك هذا الثعلب وأما الثعلب فإنه صبر على أذى الذئب وقال في نفسه إن البطر والافتراء يجلبان الهلاك ويوقعان في الأرتباك فقد قيل من بطر خسر ومن جهل ندم ومن خاف سلم والإنصاف من شيم الأشراف والآداب أشرف الاكتساب ومن الرأي مداراة هذا الباغي ولابد له مصرع ثم أن الثعلب قال للذئب ألأن الرب يعفو ويتوب على عبـ ـده إن اقتـ ـرف الذنوب وأنا عبد ضعيف وقد ارتكبت في نصحك التعسيف ولوعلمت بما حصل لي من لطمتـ ـك لعلمـ ـت أن الفيل لا يقوم به ولا يقدر عليه ولكني لا أشتكي من ألم هذه اللطمة بسبب ما حصل لي بها من السرور فإنهـ ـا وإن كانت قد بلغت مني مبلغاً عظيماً فإن عاقبتها سروراً وقد قال الحكيم ضرب المؤدب أوله صعب شـ ـديد وآخره أحلى من العسل المصفى فقال الذئب غفرت ذنبك وأقلت عثرتك فكن من قوتي على حذر واعترف لي بالعبودية فقد علمت قهري لمن عاداني فسجد له الثعلب وقال له أطال الله عمرك ولازلت قاهر المن عـ ـاداك ولم يزل الثعلب خائفاً من الذئب مصانعاً له ثم أن الثعلب ذهب إلى كرم يوماً فرأي في حائطه ثلمة فأنكرهـ ـا وقال في نفسه إن هذه الثلمة لابد لها من سبب وقد قيل من رأي خرقاً في الأرض فلم يجتنبه ويتـ ـوق عـ ـن الإقدام عليه كان بنفسه مغرراً وللهلاك متعرضاً وقد اشتهر أن بعض الناس يعمل صورة الثعلب في الكـ ـرم ويقدم إليه العنب في الأطباق لأجل أن يرى ذلك ثعلب آخر فيقدم إليه فيقع في الهلاك وأني أرى هذه الثلمـ ـة مكيدة وقد قيل أن الحذر نصف الشطارة ومن الحذر أن أبحث على هذه الثلمة وأنظر لعلي أجد عندها أمـ ـراً يؤدي إلى التلف ولا يحملني الطمع على أن ألقي نفسي في الهلكة ثم دنا منها وطاف بها وهو محاذر فرآهـ ـا فإذا هي حفرة عظيمة قد حفرها صاحب الكرم ليصيد فيها الوحش الذي يفسد الكرم ورأى عليها غطاء رقيقاً فتأخر عنها وقال الحمد لله حيث حذرتها وأرجو أن يقع فيها عدوى الذئب الذي نغص عيشي فأستقل بـ ـالكرم وحدي وأعيش فيه آمناً ثم هز رأسه وضحك ضحكاً عالياً وأطرب بالنغمات وأنشد هذه الأبيات:

ليتنـ ـي أبصـ ـرت هـ ـذا الوقـ ـت	فـ . . . ـي ذي البئـ . . . ـر ذئبـ . . . ـا
طالمـ . . ـا قـ . . ـد سـ . . ـاء قلبـ . . ـي	وسـ ـقاني المـ ـر غصـ ـباً ليتنـ ـي
مـ . . . ـن بعـ . . . ـد ذا أبقـ . . . ـى	ويقضـ . . . ـي الـ . . . ـذئب نحبـ . . . ـا
ثـ . . ـم يخلـ . . ـو الكـ . . ـرم منـ . . ـه	وأرى لـ . . . ـي فيهـ . . . ـا نهبـ . . . ـا

فلما فرغ من شعره انطلق مسرعاً حتى وصل إلى الذئب وقال أن الله سهل لك الأمور إلى الكرم بـ ـلا تعب وهذا من سعادتك فهنيئاً لك بما فتح الله عليك وسهل لك من تلك الغنيمة والرزق الواسع بلا مشقة فقـ ـال الذئب للثعلب وما الدليل على ما وصفت قال أني أنتهيت إلى الكرم فوجدت صاحبه قد مات ودخلت البسـ ـتان فرأيت الأثمار زاهية على الأشجار فلم يشك الذئب في قول الثعلب وأدركه الشر فقام حتى انتهى إلى النامـ ـة وقد غره الطمع ووقف الثعلب متهافتاً كالميت وتمثل بهذا البيت:

انتظم ــع مـ ـن ليلـ ـى بوصـ ـلي وإنمـ ـا تضـ ـ ـر باعنـ ـ ـاق الرجـ ـ ـال المطـ ـ ـامع

فلما انتهى الذئب إلى الثلمة قال له الثعلب أدخل إلى الكرم فقد كفيت مؤنة هدم حائط البستان وعلى الله تمام الأحسان فأقبل الذئب ماشياً يريد الدخول إلى الكرم فلما توسط غطاء الثلمة وقع فيها فاضطرب الثعلـ ـب اضطراباً شديداً من السرور والفرح وزوال الهم والترح ثم أنه تطلع في الحفرة فرأى الذئب يبكي ندماً وحزناً على نفسه فبكى الثعلب معه فرفع الذئب رأسه إلى الثعلب وقال له لمن رحمتك لى بكيت يا أبا الحصين قـ ـال لا والذي قذفك في هذه الحفرة أنما بكيت لطول عمرك الماضي وأسفاً على كونك لم تقع في هذه الثلمة قبـ ـل اليوم ولو وقعت قبل اجتماعي بك لكنت أرحت واسترحت ولكن أبقيت إلى أجلك المحتوم ووقتك المعلوم فقال له أيها الثعلب رح أيها المسيء في فعله لوالدتي وأخبرها بما حصل لي لعلها تحتال على خلاصي فقـ ـال لـ ـه الثعلب لقد أوقعك في الهلاك شدة طمعك وكثرة حرصك حيث سقطت في حفرة لست منها بسالم ألم تعلم أيها الذئب الجاهل أن صاحب المثل يقول من لم يفكر في العواقب لم يأمن المعاطب فقال الذئب للثعلـ ـب يـ ـا أبـ ـا الحصين أنما كنت تظهر محبتي وترغب في مودتي وتخاف من شدة قوتي فلا تحقد علي بما فعلت معك فمن قدر وعفا كان أجره على الله وقد قال الشاعر :

أزرع جميلاً ولـ ـو فـ ـي غيـ ـر موضـ ـعه	مـ ـا خـ ـاب قـ ـط جمـ ـيلاً أينمـ ـا زرع
إن الجميـ ـل وإن طـ ـال الزمـ ـان بـ ـه	فلـ ـ ـيس يحصـ ـ ـده إلا الـ ـ ـذي زرع

فقال له الثعلب يا أجهل السباع وأحمق الوحوش في البقاع هل نسيت تجبرك وعتوك وتكبرك وأنت لم ترع حق المعاشرة ولم تنتصح بقول الشاعر:

لا تظلمـ ـ ـن إذا مـ ـ ـا كنـ ـ ـت مقتـ ـ ـدراً	إن الظلـ ـوم علـ ـى حـ ـدٍ مـ ـن الـ ـنقم
تنـ ـ ـام عينـ ـ ـاك والمظلـ ـوم منتبـ ـ ـه	يـ ـدعو عليـ ـك وعـ ـين الله لـ ـم تـ ـنم

فقال له الذئب يا أبا الحصين لا تؤاخذني بسابق الذنوب فالعفو من الكرام مطلوب وصنع المعروف من حسن الذخائر وما أحسن قول الشاعر:

بـ ـادر بخيـ ـر إذا مـ ـا كنـ ـت مقتـ ـدر	فلـ ـيس فـ ـي كـ ـل حـ ـين أنـ ـت مقتـ ـدر

وما زال الذئب يتذلل للثعلب ويقول له لعلك تقدر على شيء تخلصني به من الهلاك فقال له الثعلب أيها الفظ الغليظ أني أشبهك في حسن علانيتك وقبح نيتك بالباز مع الحجل قال الذئب وما حديث الباز والحجل قال الثعلب دخلت يوماً كرماً لآكل من عنبه فبينما أنا فيه إذ رأيت بازاً انقض على حجل فلما اقتنصه انفلت منـ ـه الحجل ودخل وكره واختفى فيه فتبعه الباز وناداه أيها الجاهل أني رأيتك في البرية جائعاً فرحمتك والتقطـ ـت لك حباً وأمسكتك لتأكل فهزيت مني ولم أعرف لهروبك وجهاً إلا الحرمان فأظهر وخذ ما أتيتك من الحـ ـب فكله هنيئاً مريئا فلما سمع الحجل قول الباز صدقه وخرج إليه فانشب مخالبه فيه ومكنها منه فقال له الحجـ ـل أهذا الذي ذكرت أنك أتيتني به من البرية وقلت لي كله هنيئاً مريئاً فكذبت على جعل ما تأكله من لحمي فـ ـي جوفك سما قاتلاً فلما أكله وقع ريشه وسقطت قوته ومات لوقته ثم قال له الثعلب أعلم أيها الذئب أن من حفر لاخيه قليبا وقع فيه قريباً وأنت غدرت بي أولاً فقال الذئب للثعلب دعني من هذا المقال وضرب الأمثـ ـال ولا

تذكر لي ما سلف مني من قبيح الفعال يكفيني ما أنا فيه من سوء الحال حيث وقعت في ورطة يرثي لي منها العد وفضلاً عن الصديق وانظر لي حيلة اتخلص بها وكن فيها غياثي وإن كان عليك ذلك مشقة فقد يتحمـ ـل الصديق لصديقه أشد النصب ويقاسي فيما فيه نحباته العطب وقد قيل أن الصديق الشـ ـفيق خيـ ـر مـ ـن الأخ الشقيق وأن تسببت في نجاتي لاجمعن لك من الآلة ما يكون لك عدة ثم لأعلمنك من الحيل الغريبة ما تفتح به الكروم الخصيبة وتجني الأشجار المثمرة فطب نفساً وقر عيناً فقال له الثعلب وهو يضحك ما أحسن ما قالته العلماء في كثير من الجهل مثلك قال الذئب وما قالت العلماء قال الثعلب ذكر العلماء أن غليظ الجثـ ـة غلـ ـيظ الطبع يكون بعيداً من العقل قريباً من الجهل لأن قولك أيها الماكر الأحمق قد يحتمل الصـ ـديق المشـ ـقة فـ ـي تخليص صديقه صحيح كما ذكرت ولكن عرفتني بجهلك وقلة عقلك كيف أصادقك مع خيانتك أحسبتني لـ ـك صديقاً وأنا لك عدو شامت وهذا الكلام أشد من رشق السهام أن كنت تعقل وأما قولك أنك تعطيني من الآلات ما يكون عدة لي وتعلمني من الحيل ما أصل به إلى الكروم المخصبة وأجتني به الأشجار المثمرة فمالك أيها المخادع الغادر لا تعرف لك حيلة تتخلص بها من الهلاك فما أبعدك من المنفعة لنفسك وما أبعدني من القبول لنصيحتك فإن كان عندك حيل فتحيل لنفسك في الخلاص من هذا الأمر الذي أسأل الله أن يبعد خلاصك منـ ـه فانظر أيها الجاهل أن كان عندك حيلة فخلص نفسك بها من القتل قبل أن تبذل التعليم لغيـ ـرك ولكنـ ـك مثـ ـل إنسان حصل له مرض فأتاه رجل مريض بمثل مرضه ليداويه فقال له هل لك أن أداويك من مرضك فقال له الرجل هلا بدأت بنفسك في المداواة فتركه وأنصرف وأنت أيها الذئب كذلك فالزم مكانك وأصبر علـ ـى مـ ـا أصابك فلما سمع الذئب كلام الثعلب علم أنه لا خير له عنده فبكي على نفسه وقال كنت في غفلة من أمـ ـري فإن خلصني الله من هذا الكرب لأتوبن من تجبري على من هو أضعف مني ولألبس الصـ ـوف ولأصـ ـعدن الجبل ذاكراً لله تعالى خائفاً من عقابه وأعتزل سائر الوحوش ولأطعمن المجاهدين والفقراء ثم بكى وانتحـ ـب فرق له قلب الثعلب وكان لما سمع تضرعه والكلام الذي يدل على توبته من العتو والتكبر أخذته الشفقة عليه فوثب من فرحته ووقف على شفيز الحفيرة ثم جلس على رجليه وأدلى ذنبه في الحفيرة فعند ذلك قام الـ ـذئب ومد يده إلى ذنب الثعلب وجذبه إليه فصار في الحفيرة معه ثم قال له الذئب أيها الثعلب القليل الرحمة كيـ ـف تشمت بي وقد كنت صاحبي وتحت قهري ووقعت معي في الحفيرة وتعجلت لك العقوبة وقد قالت الحكماء لو عاير أحدكم أخاه برضاع كلبة لارتضعها وما أحسن قول الشاعر:

إذا مـ ـا الـ ـدهر جـ ـار علـ ـى أنـ ـاس	كـ ـ ـ ـلا كلـ ـ ـ ـه أنـ ـ ـ ـاخ بآخرينـ ـ ـ ـا
فقـ ـ ـل للشـ ـ ـامتين بنـ ـ ـا أفيقـ ـ ـوا	سـ ـ ـيلقى الشـ ـ ـامتون كمـ ـ ـا لقينـ ـ ـا

ثم قال الذئب للثعلب فلابد أن أعجل قتلك قبل أن ترى قتلى فقال الثعلب في نفسه أني وقعت مع هـ ـذا الجبار وهذا الحال يحتاج إلى المكر والخدائع وقد قيل أن المرأة تصوغ حليها ليوم الزينة وفـ ـي المثـ ـل مـ ـا أدخرتك يا دمعتي إلا لشدتي وأن لم أتحيل في أمر هذا الوحش الظالم هلكت لا محالة ما أحسن قول الشاعر:

عـ ـ ـش بالخـ ـ ـداع فأنـ ـ ـت فـ ـ ـ ـي	زمـ ـ ـ ـن بنـ ـ ـ ـوه كاسـ ـ ـ ـد بيشـ ـ ـ ـة
وأدر قنـ ـ ـ ـاة المكـ ـ ـ ـر حتـ ـ ـ ـى	تسـ ـ ـ ـتدير رحـ ـ ـ ـي المعيشـ ـ ـ ـة
واجـ ـ ـن الثمـ ـ ـار فـ ـ ـإن تفتـ ـ ـك	فـ ـ ـ ـرض نفسـ ـ ـ ـك بالحشيشـ ـ ـ ـة

ثم أن الثعلب قال للذئب لا تعجل علي بالقتل فتندم أيها الوحش الصنديد صاحب القوة والبأس الشديد وأن تمهلت وأمعنت النظر فيما أحكيه لك عرفت قصدي الذي قصدته وأن عجلت بقتلي فلا فائدة لك فيه ونموت جميعاً ههنا فقال له الذئب أيها الخادع الماكر وما الذي ترجوه من سلامتي وسلامتك حتى تسألني التمهل عليك فأخبرني بقصدك الذي قصدته فقال له الثعلب أما قصدي الذي قصدته فما ينبغي أن تحسن عليه مجازاتي لأني سمعت ما وعدت من نفسك وأعترافك بما سلف منك وتلهفك علي ما فاتك من التوبة وفعل الخير وسمعت ما نذرته على نفسك من كف الأذى عن الأصحاب وغيرهم وتركك أكل العنب وسائر الفواكه ولزمك الخشوع وتقليم أظفارك وتكسير أنيابك وأن تلبس الصوف وتقرب القربان لله تعالى أن نجاك مما أنت فيه فأخذتني الشفقة عليك مع أنني كنت على هلاكك حريصاً فلما سمعت منك توبتك وما نذرت على نفسك أن نجاك الله لزمني خلاصك مما أنت فيه فأدليت إليك ذنبي لكيما تتعلق به وتنجو فلم تترك الحالة التي أنت عليها من العنف والشدة ولم تلتمس النجاة والسلامة لنفسك بالرفق بل جذبتني جذبة ظننت منها أن روحي قد خرجت فصرت أنا وأنت في منزلة الهلاك والموت وما ينجيني أنا وأنت إلا شيء أن قبلته مني خلصت أنا وأنت وبعد ذلك يجب عليك أن تفي بما نذرته وأكون رفيقك فقال له الذئب وما الذي أقبله منك قال له الثعلب تنهض قائماً ثم أعلو أنا فوق رأسك حتى أكون قريباً من ظاهر الأرض فإني حين أصير فوقها أخرج وآتيك بما تتعلق به وتخلص أنت بعد ذلك فقال له الذئب لست بقولك واثقاً لأن الحكماء قالوا من استعمل الثقة في موضع الحقد كان مخطئاً وقيل من وثق بغير ثقة كان مغروراً ومن جرب المجرب حلت به الندامة ومن لم يفرق بين الحالات فيعطي كل حالة حظها بل أحمل الأشياء كلها على حالة واحدة قل حظه وكثرت مصائبه وما أحسن قول الشاعر:

لا يكــن ظنــك لا ســيئاً أن	ســوء الظــن مــن أقــوى الفطــن
مــا رمــى الإنســان فــي مهلكــة	مثــل فعــل الخيــر والظــن الحســن

فقال له الثعلب أن سوء الظن ليس محموداً في كل حال وحسن الظن من شيم الكمال وعاقبته السيئة من الأهوال وينبغي لك أيها الذئب أن تتحيل على النجاة مما أنت فيه ونسلم جميعاً خير من موتنا فأرجع عن سوء الظن والحقد لأنك أن أحسنت الظن بي لا أخلو من أحد أمرين أما أن آتيك بما تتعلق به وتنجوا مما أنت فيه وأما أن أغدر بك فأخلص وأدعك وهذا مما لا يمكن فإني لا آمن أن ابتلي بشيء مما ابتليت به فيكون ذلك عقوبة الغدر وقد قيل في الأمثال الوفاء مليح والغدر قبيح فينبغي أن تثق بي فأني لم أكن جاهلاً بحوادث الدهر فلا تؤخر حيلة خلاصنا فالأمر أضيق من أن نطيل فيه الكلام فقال الذئب أني مع قلة ثقتي بوفائك قد عرفت ما في خاطرك من أنك أردت خلاصي لما عرفت توبتي فقلت في نفسي أن كان حقاً فيما زعم فإنه يستدرك ما أفسدوا كان مبطلاً فجزاؤه على ربه وها أنا أقبل منك ما أشرت به على فإن غدرت بي كان الغدر سبباً لهلاكك ثم أن الذئب انتصب قائماً في الحفرة وأخذ الثعلب على أكتافه حتى ساوى به ظاهر الأرض فوثب الثعلب عن أكتاف الذئب حتى صار على وجه الأرض ووقع مغشياً عليه فقال له الذئب يا خليلي لا تغفل عن أمري ولا تؤخر خلاصي فضحك الثعلب وقهقه وقال أيها المغرور لم يوقعني في يدك إلا المزح معك والسخرية بك وذلك أني لما سمعت توبتك أستخفني الفرح فطربت ورقصت فتدلى ذنبي في

الحفرة فجذبتني فوقعت عندك ثم أنقذني الله تعالى من يدك فمالي لا أكون عوناً على هلاكك وأنت من حزب الشيطان واعلم أنني رأيت البارحة في منامي أني أرقص في غرس فقصصت الرؤيا على معبرفقال لي أنك تقع في ورطة وتنجو منها فعلمت وقوعي في يدك ونجاتي هو تأويل رؤياي وأنت تعلم أيها المغرور الجاهل أني عدوك فكيف تطمع بقلة عقلك وجهلك في إنقاذي أياك مع ما سمعت من غلظ كلامك وكيف أسعى في نجاتك وقد قالت العلماء أن في موت الفاجر راحة للناس وتطهير للأرض ولولا مخافة أن احتمل من الألم في الوفاء لك ما هو أعظم من ألم الغدر لتدبرت في خلاصك فلما سمع الذئب كلام الثعلب عض على كتفه ندماً. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٧٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الذئب لما سمع كلام الثعلب عض على كتفه ندماً ثم لين له الكلام ولم يجد بداً من ذلك وقال له بلسان خافت أنكم معاشر الثعالب من أحلى القوم لساناً وألطفها مزاحاً وهذا منك مزاح ولكن ما كل وقت يحسن اللعب والمزاح فقال الثعلب أيها الجاهل أن للمزاح حد لا يجاوزه صاحبه فلا تحسب أن الله يمكنك مني بعد أن أنقذني من يديك فقال له الذئب أنك لجدير أن ترغب في خلاصي لما بيننا من سابق المؤاخاة والصحبة وأن خلصتني لابد أن أحسن مكافأتك فقال الثعلب قد قال الحكماء لا تؤاخ الجاهل الفاجر فإنه يشينك ولا يزينك ولا تؤاخ الكذاب فإنه إن بدا منك خير أخفاه وإن بدا منك شر افشاه وقال الحكماء لكل شيء حيلة إلا الموت وقد يصلح كل شيء إلا فساد الجوهر وقد يدفع كل شيء إلا القدر وأما من جهة المكافأة التي زعمت أني استحقها منك فإني شبهتك بالحية الهاربة من الحاوي إذ رآها رجل وهي مرعوبة فقال لها ما شأنك أيتها الحية قالت هربت من الحاوي فإنه يطلبني ولئن انجيتني منه وأخفيتني عندك لأحسنن مكافأتك وأصنع معك كل جميل فأخذها أغتناماً للأجر وطمعاً في المكافأة وأدخلها في جيبه فلما فات الحاوي ومضى إلى حال سبيله وزال عنها ما كانت تخافه قال لها الرجل أين المكافأة فقد أنجيتك مما تخافين وتحذرين فقالت له الحية أخبرني في أي عضو أنهشك وقد علمت أننا لا نتجاوز هذه المكافأة ثم نهشته نهشة مات منها وأنت أيها الأحمق شبهتك بتلك الحية مع ذلك الرجل أما سمعت قول الشاعر:

لا تـ ـأمنن فتـ ـى أسـ ـكنت مهجتـ ـه — غيظ ـاً وتحسـ ـب أن الغـ ـيظ قـ ـدر إلا

إن الأفـ ـاعي وإن لانـ ـت ملامسـ ـها — تبـ ـدي انعطاف ـاً وتخفـ ـى السـ ـم قتـ ـالاً

فقال له الذئب أيها الفصيح صاحب الوجه المليح لا تجهل حالي وخوف الناس مني وقد علمت أني أهجم على الحصون وأقلع الكروم فأفعل ما أمرتك به وقم بي قيام العبد بسيده فقال له الثعلب أيها الأحمق الجاهل المحال بالباطل أني تعجبت من حماقتك وصلابة وجهك فيما تأمرني به من خدمتك والقيام بين يديك حتى كأنني بعدك ولكن سوف ترى ما يحل بك من شرخ رأسك بالحجارة وكسر أنيابك الغدارة ثم وقف الثعلب على تل يشرف على الكرم ولم يزل يصيح لأهل الكرم حتى بصروا به وأقبلوا عليه مسرعين فثبت لهم الثعلب حتى قربوا منه ومن الحفرة التي فيها الذئب ثم ولى الثعلب هارباً فنظر أصحاب الكرم في الحفرة فلما رأوا فيها الذئب ونقعوا عليه بالحجارة الثقال ولم يزالوا يضربونه بالحجارة والخشب ويطعنونه بأسنة

الرماح حتى قتلوه وانصرفوا فرجع الثعلب إلى تلك الحفرة وقف على مقتل الذئب فرآه ميتا فحرك رأسه من شدة الفرحات وأنشد هذه الأبيات:

أودي الزمان بنفس الـ ذئب فاختطف ـت ... بعداً وسحقاً لهـ ا مـ ن مهجـ ـة تلفـ ـت

فكم سـ عيت أبـ ا سـ رحان فـ ـي تلفـ ـي ... فـ ـاليوم حلـ ـت بـ ـك الآفـ ـات والتهـ ـت

وقعـ ـد فـ ـي حفـ ـرة ماجلهـ ـا أحـ ـد ... إلا وفيهـ ـا ريـ ـاح المـ ـوت قـ ـد عصـ فت

ثم أن الثعلب أقام بالكرم وحده مطمئناً لا يخاف ضرراً وهذا ما كان من حديث الثعلب (ومما يحكـ ـي) أن فأرة وبنت عرس كانتا ينزلان منزلاً لبعض الناس وكان ذلك الرجل فقيراً وقـ ـد مـ ـرض بعـ ـد أصـ ـدقائه فوصف له الطبيب السمسم المقشور فأعطى قدراً من السمسم لذلك الرجل الفقير ليقشره له فأعطاه ذلك الرجل لزوجته وأمرها بإصلاحه فقشرته تلك المرأة له وأصلحته فلما عاينت بنت عرس السمسم أتت إليه ولم تـ ـزل تنقل من ذلك السمسم إلى جحرها طول يومها حتى نقلت أكثره وجاءت المرأة فرأت نقصان السمسم واضـ ـحاً فجلست ترصد من يأتي إليه حتى تعلم سبب نقصانه فنزلت بنت عرس لتنقل منه على عادتها فرأت المـ ـرأة جالسة فعلمت أنها ترصدها فقالت في نفسها أن لهذا الفعل عواقب ذميمة وأني أخشى من تلك المرأة أن تكون لي بالمرصاد ومن لم ينظر في العواقب ما الدهر له بصاحب ولا بدل لي أن أعمل عملاً حسناً أظهـ ـر بـ ـه براءتي من جميع ما عملته من القبيح فجعلت تنقل من ذلك السمسم الذي في جحرها فرأتها المرأة وهي تفعل ذلك فقالت في نفسها ما هذا سبب نقصه لأنها تأتي به من جحر الذي اختلسه وتضعه على بعضه وقد أحسنت إلينا في رد السمسم وما جزاء من أحسن إلا أن يحسن إليه وليست هذه آفة في السمسم ولكن لا أزال أرصده حتى يقع واعلم من هو ففهمت بنت عرس ما خطر ببال تلك المرأة فانطلقت إلى الفأرة فقالت لها يا أختي أنه لا خير فيمن لا يرعي المجاورة ولا يثبت على المودة فقالت الفأرة نعم يا خليلتي وانعم بك وبجـ ـوارك فمـ ـا سبب هذا الكلام فقالت بنت عرس إن رب البيت أتي بسمسم فأكل منه هو وعياله وشـ ـبعوا وأسـ ـتغنوا عنـ ـه وتركوه وقد أخذ منه كل ذي روح فلو أخذت أنت الأخرى كنت أحق به ممن يأخذ منه فأعجب الفـ ـأرة ذلـ ـك ورقصت ولعبت ذنبها وغرها الطمع في السمسم فقامت من وقتها وخرجت من بيتها فرأت السمسم مقشـ ـور يلمع من البياض والمرأة جالسة ترصده فلم تفكر المرأة في عاقبة الأمر وكانت المرأة قد استعدت بهراوة فلم تتمالك الفأرة نفسها حتى دخلت في السمسم وعانت فيه وصارت تأكل منه فضربتها المـ ـرأة بتلـ ـك الهـ ـراوة فشجت رأسها وكان الطمع سبب هلاكها وغفلتها عن عواقب الأمور فقال الملك يـ ـا شـ ـهرزاد والله أن هـ ـذه حكاية مليحة فهل عندك حديث في حسن الصداقة والمحافظة عليها عند الشدة والتخلص من الهلكة قالت نعـ ـم بلغني أن غراباً وسنوراً كانا متآخين فبينما هما تحت الشجرة على تلك الحالة إذ رأيا نمراً مقبلاً علـ ـى تلـ ـك الشجرة التي كانا تحتها ولم يعلما به حتى سار قريباً من الشجرة فطار الغراب إلى أعلى الشجرة وبقا السنور متحيراً فقال للغراب يا خليلي هل عندك حيلة في خلاصي كما هو الرجاء فيك فقال له الغراب أنمـ ـا تلـ ـتمس الأخوان عند الحاجة إليهم في الحيلة عند نزول المكروه بهم وما أحسن قول الشاعر:

أن صـ ـديق الحـ ـق مـ ـن كـ ـان معـ ـك ... ومـ ـن يضـ ـر نفسـ ـه لا ينفعـ ـك

ومـ ـن إذا ريـ ـب الزمـ ـان صـ ـدعك ... شـ ـتت فيـ ـك شـ ـمله ليجمعـ ـك

وكان قريباً من الشجرة رعاة معهم كلاب فذهب الغراب حتى ضرب بجناحه وجهه الأرض ونعق وصاح ثم تقدم إليهم وضرب بجناحه وجه بعض الكلاب وارتفع قليلاً فتبعته الكلاب وسارت في أثره ورفع لراعي رأسه فرأى طائر يطير قريباً من الأرض ويقع في قيعه وسار الغراب لا يطير إلا بقدر التخلص من الكلاب ويطمعها في أن تفترسه ثم أرتفع قليلاً وتبعه الكلاب حتى انتهى إلى الشجرة التي تحتها النمر فلما رأت الكلاب النمر وثبت عليه فولى هارباً وكان يظن أنه يأكل السنور فنجا منه ذلك السنور بحيلة الغراب صاحبه وقد أخبرتك بهذا أيها الملك لتعلم أن مودة أخوان الصفا تنجي من الهلكات (ويحكى) أن ثعلباً سكن في بيت في الجبل وكان كلما ولد ولداً وأشتد ولده أكله من الجوع وأن لم يأكل ولده يضربه الجوع وكان يأوي إلى ذروة ذلك الجبل غراب فقال الثعلب في نفسه أريد أن أعقد بيني وبين هذا الغراب مودة وأجعله لي مؤنساً على الوحدة معاوناً على طلب الرزق لأنه يقدر من ذلك على مالا أقدر عليه فدنا الثعلب من الغراب حتى سار قريباً منه بحيث يسمع كلامه فسلم عليه ثم قال له يا جاري إن للجار المسلم على الجار المسلم حقين حق الجيرة وحق الإسلام واعلم بأنك جاري ولك علي حق يجب قضاؤه وخصوصاً مع طول المجاورة على أن في صدري وديعة من محبتك دعتني إلى ملاطفتك وبعثتني على التماس أخوتك فما عندك من الجواب فقال الغراب للثعلب أعلم أن خير القول أصدقه وربما تتحدث بلسانك بما ليس في قلبك وأخشى أن تكون أخوتك باللسان ظاهراً وعداوتك في القلب لأنك آكل وأنا مأكول فوجب لنا التباين في المحبة ولا يمكن مواصلتنا فما الذي دعاك إلى طلب مالا تدرك واردة مالا يكون وأنت من جنس الوحوش وأنا من جنس الطير وهذه الأخوة لا تصح فقال له الثعلب أن من علم موضع الإخلاء فأحسن الأختيار فيما يختاره منهم ربما يصل إلى منافع الأخوان وقد أحببت قربك وأخترت الأنس بك ليكون بعضنا عوناً لبعض على أغراضنا وتعقب مودتنا نجاحاً وعندي حكايات في حسن الصداقة فإن أردت أن أحكيها حكيتها لك فقال الغراب أذنت لك في أن تبثها فحدثتني بها حتى أعرف المراد منها فقال له الثعلب اسمع يا خليلي يحكي عن برغوث وفأرة ما يستدل به على ما ذكرته لك فقال الغراب وكيف كان ذلك فقال الثعلب زعموا أن فارة كانت في بيت رجل من التجار كثير المال فأوى البرغوث ليلة إلى فراش ذلك التاجر فرأى بدناً ناعماً وكان البرغوث عطشاناً فشرب من دمه ووجد التاجر من البرغوث ألماً فاستيقظ من النوم واستوى قاعداً ونادى بعض أتباعه فأسرعوا إليه وشمروا عن أيديهم يطوفون على البرغوث فلما أحس البرغوث بالطلب ولى هارباً فصادف جحر الفأرة فدخله فلما رأته الفأرة قالت له ما الذي أدخلك علي ولست من جوهري ولا من جنسي ولست بآمن من الغلظة عليك ولا مضارتك فقال لها البرغوث أني هربت في منزلك وفزت بنفسي من القتل وأتيتك مستجيراً بك ولاطمع لي في بيتك ولا يلحقك مني شر يدعوك إلى الخروج من منزلك وأني أرجو أن أكافئك على إحسانك إلا بكل جميل وسوف تحمدين عاقبة ما أقول لك فلما سمعت الفأرة كلام البرغوث وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٨٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الفأرة لما سمعت كلام البرغوث قالت إذا كان الكلام علي ما أخبرت فاطمئن هنا وما عليك بأس ولا تجد إلا ما يسرك ولا يصيبك إلا ما يصيبني وقد بذلت لك مودتي ولا تندم

على ما فاتك من دم التاجر ولا تأسف على قوتك منه وأرض بما تيسر لك من العيش فإن ذلك أسلم لك وقد سمعت أيها البرغوث بعض الوعاظ ينشد هذه الأبيات:

سـ . . لكت القناعـ . . ـة والانفـ . . ـراد وقضـ . ـيت دهـ . ـري بمـ . ـاذا أتفـ . ـق
بكسـ . ـرة خبـ . ـز وشـ . ـربة مـ . ـاء وملـ . ـح جـ . ـريش وثـ . ـوب خلـ . ـق
فـ . ـإن يسـ . ـر الله لـ . ـي عيشـ . ـتي وإلا قنعـ . . ـت بمـ . . ـا قـ . . ـد رزق

فلما سمع البرغوث كلام الفأرة قال يا أختي قد سمعت وصيتك وأنقذت إلى طاعتك ولا قوة لي على مخالفتك إلى أن ينقضي العمر بتلك النية الحسنة فقالت له الفأرة كفى بصدق المودة في صلاح النية ثم انعقد الود بينهما وكان البرغوث بعد ذلك يأوي إلى فراش التاجر ولا يتجاوز بلغته ويأوي بالنهار مع الفأرة في مسكنها فاتفق أن التاجر جاء ليلة إلى منزله بدنانير كثيرة فجعل يقلبها فلما سمعت الفأرة صوت الدنانير أطلعت رأسها من جحرها وجعلت تنظر إليها حتى وضعها التاجر تحت وسادة ونام فقالت الفأرة للبرغوث أما ترى الفرصة والحظ العظيم فهل عندك حيلة توصلنا إلى بلوغ الغرض من تلك الدنانير فقال لها البرغوث قد التزمت لك باخراجه من البيت ثم انطلق البرغوث إلى فراش التاجر ولدغه لدغة قوية لم يكن جرى للتاجر مثلها ثم تنحى البرغوث إلى موضع يأمن فيه على نفسه من التاجر فانتبه التاجر يفتش على البرغوث فلم يجد شيئاً فرقد على جنبه الآخر فلدغه البرغوث لدغة أشد من الأولى فقلق التاجر وفارق مضجعه وخرج إلى مصطبة على باب داره فنام هناك ولم ينتبه إلى الصباح ثم أن الفأرة أقبلت على نقل الدنانير حتى لم تترك منها شيئاً فلما أصبح الصباح صار التاجر يتهم الناس ويظن الظنون ثم قال الثعلب للغراب واعلم أني لم أقل لك هذا الكلام أنها الغراب البصير العاقل الخبير إلا ليصل إليك جزاء إحسانك إلى كما وصل للفأرة جزاء إحسانها إلى البرغوث فانظر كيف جازاها أحسن المجازاة وكافأها أحسن المكافأة فقال الغراب إن شاء الحسن يحسن أولاً يحسن وليس الإحسان واجباً لمن التمس صلة بقطيعة وأن أحسنت إليك مع كونك عدوى أكون قد أتسبب في قطيعة نفسي وأنت أيها الثعلب ذو مكر وخداع ومن شيمتك المكر والخديعة لا تؤمن على عهد ومن لا يؤمن على عهد لا أمان له وقد بلغني عن قريب أنك غدرت بصاحبك الذئب ومكرت به حتى أهلكته بغدرك وحيلتك وفعلت به هذه الأمور مع أنه من جنسك وقد صحبته مدة مديدة فما أبقيت عليه فكيف أثق منك بنصيحة وإذا كان هذا فعلك مع صاحبك الذي من جنسك فكيف يكون فعلك مع عدوك الذي من غير جنسك وما مثالك معي إلا مثال الصقر مع ضواري الطير فقال الثعلب وما حكاية الصقر مع ضواري الطير فقال الغراب زعموا أن صقراً كان جباراً عنيداً وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٨١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الغراب قال زعموا أن صقراً كان جباراً عنيداً أيام شبيبته وكانت سباع البر وسباع الطير تفزع منه ولا يسلم من شره أحد وله حكايات كثيرة في ظلمه وتجبره وكان دأب هذا الصقر الأذى لسائر الطيور فلما مرت عليه السنون ضعف وجاع واشتد جهده بعد فقد قوته فاجمع رأيه على أن يأتي مجمع الطير فيأكل ما يفضل منها فعند ذلك صار قوته بالحيلة بعد القوة والشدة وأنت كذلك أيها الثعلب أن عدمت قوتك ما عدمت خداعك ولست أشك في أن ما تطلبه من صحبتي حيلة على قوتك فلا كنت ممن يضع يده في يدك لأن الله أعطاني قوة في جناحي وحذرا في نفسي وبصرا في عيني واعلم أن من تشبه بأقوى منه تعب وربما هلك هذا ما عندي من الكلام واذهب عني بسلام فلما يئس الثعلب من مصادقة

الغراب رجع من حزنه يئن وقرع للندامة سناً على سن فلما سمع الغراب بكاءه وأنينه ورأى كآبته وحزنه قال أيها الثعلب ما نابك حتى قرعت نابك قال له الثعلب أنما قرعت سني لأني رأيتك أخدع مني ثم أنه ولى هارباً ورجع إلى جحره طالباً وهذا ما كان من حديثهما أيها الملك فقال الملك يا شهرزاد ما أحسن هذه الحكايات هل عندك شيء مثلها من الخرافات (قالت) ويحكى أن قنفذ اتخذ مسكناً بجانب نخلة وكان الورشان هو وزوجته قد اتخذا عشاً في النخلة وعاشا فوقها عيشاً رغداً فقال القنفذ في نفسه أن الورشان يأكل من ثمر النخلة وأنا لا أجد إلى ذلك سبيلاً ولكن لابد من استعمال الحيلة ثم حفر في أسفل النخلة بيتاً و أتخذه مسكناً له ولزوجته وإلى جانبه مسجداً وانفرد فيه وأظهر النسك والعبادة وترك الدنيا وكان الورشان متعبداً مصلياً فرق له من شدة زهده وقال كم سنة وأنت هكذا قال مدة ثلاثين سنة قال ما طعامك قال ما يسقط من النخلة قال ما لباسك قال شوك انتفع بخشونته فقال وكيف اخترت مكانك هذا على غيره قال اخترته على غير طريق لأجل أن أرشد الضال واعلم الجاهل فقال له الورشان كنت أظن على أنك على غير هذه الحالة ولكنني الآن رغبت فيما عندك فقال القنفذ أني أخشى أن يكون قولك ضد فعلك فتكون كالزارع الذي لما جاء وقت الزرع قصر في بذره وقال أني أخشى أن يكون أوان الزرع قد فات فأكون قد أضعت المال بسرعة البذر فلما جاء وقت الحصاد ورأى الناس وهم يحصدون ندم على ما فاته من تقصيره ومن تخلفه ومات أسفاً وحزناً فقال الورشان للقنفذ وماذا أصنع حتى أتخلص من علائق الدنيا وأنقطع إلى عبادة ربي قال له القنفذ خذ في الاستعداد للميعاد والقناعة بالكفاية من الزاد فقال الورشان كيف لي بذلك وأنا طائر لا أستطيع أن أتجاوز النخلة التي فيها قوتي ولو أستطعت ذلك ما عرفت موضعاً استقر فيه فقال القنفذ يمكنك أن تنثر من ثمر النخلة ما يكفيك مؤونة عام أنت وزوجتك وتسكن في وكر تحت النخلة لالتماس حسن أرشادك ثم مل إلى ما نثرته من النمر فانقله جميعه وأدخره قوتاً للعدم وإذا فرغت الثمار وطال عليك المطال مر إلى كفاف من العيش فقال الورشان جزاك الله خيراً حيث ذكرتني بالميعاد وهديتني إلى الرشاد ثم تعب الورشان هو وزوجته في طرح الثمر حتى لم يبق في النخلة شيء فوجد القنفذ ما يأكل وفرح به وملأ مسكنه من الثمر وأدخره لقوته وقال في نفسه أن الورشان هو وزوجته إذا احتاجا إلى مؤنتهما طلباها مني وطمعا فيما عندي وركنا إلى تزهدي وورعي فلما رأى الورشان منه الخديعة لائحة قال له أين الليلة من البارحة أما تعلم أن للمظلومين ناصراً فإياك والمكر والخديعة لئلا يصيبك ما أصاب الخداعين الذين مكروا بالتاجر فقال القنفذ وكيف ذلك قال بلغني أن تاجراً من مدينة يقال لها سنده كان ذا مال واسع فشد جمالاً وجهز متاعاً وخرج به إلى بعض المدن ليبيعه فيها فتبعه رجلان من المكرة وحملا شيئاً من المال ومتاع وأظهرا للتاجر أنهما من التجار وسارا معه فلما نزلا أول منزل اتفقا على المكر به وأخذ ما معه ثم أن كل واحد منهما أضمر المكر لصاحبه وقال في نفسه لومكرت بصاحبي بعد مكرنا بالتاجر لصفا لي الوقت وأخذت جميع المال ثم أضمرا لبعضهما نية فاسدة وأخذ كل منهما طعاماً وجعل فيه سما وقربه لصاحبه فقتلا بعضهما وكانا يجلسان مع التاجر ويحدثانه فلما أبطأوا عليه فتش عليهما ليعرف خبرهما فوجدهما ميتين فعلم أنهما كانا محتالين وأراد المكر به فعاد عليهما مكرهما وسلم التاجر والمال معهما فقال الملك نبهتيني يا شهرزاد على شيء كنت غافلاً عنه أفلا تزيديني من هذه الأمور (قالت) بلغني أيها الملك السعيد أن رجلاً كان عنده قرد وكان ذلك الرجل سارقاً لا يدخل سوقاً من أسواق المدينة التي هو فيها إلا ويرجع بكسب عظيم فاتفق أن رجلاً حمل أثواباً مقطعة ليبيعها فذهب إلى السوق وصار ينادي عليها فلا يسومها أحد وكان لا يعرضها على أحد إلا امتنع من شرائها فاتفق أن السارق الذي معه القرد رأي الشخص الذي معه الثياب المقطعة وكان قد وضعها في بقجة وجلس يستريح من التعب فلعب القرد قدامه حتى أشغله بالفرجة عليه واختلس منه تلك البقجة ثم أخذ القرد وذهب إلى مكان خال وفتح البقجة فرأى تلك الثياب المقطعة فوضعها في بقجة نفيسة وذهب إلى سوق آخر وعرض البقجة للبيع بما فيها واشترط أن لا تفتح ورغب الناس فيها لقلة الثمن فرآها رجل وأعجبه نفاستها فاشتراها بهذا الشرط وذهب بها إلى زوجته فلما رأت ذلك أمرأته قالت ما هذا قال متاع نفيس اشتريته بدون

القيمة لا بيعه وآخذ فائدته فقالت أيها المغبون ليباع هذا المتاع بأقل من قيمته إلا إذا كان مسروقاً أما تعلم أن من اشترى شيئاً ولم يعاينه كان مخطئاً وكان مثله مثل الحائك فقال لها وكيف كان ذلك فقالت بلغني أن حائكاً كان في بعض القرى وكان يعمل فلا ينال القوت إلا بجهد فاتفق أن رجلاً من الأغنياء كان ساكناً قريباً منه قد أولم وليمة ودعا الناس إليها فحضر الحائك فرأى الناس الذين عليهم الثياب الناعمة يقدم لهم الأطعمة الفاخرة وصاحب المنزل يعظمهم لما يرى من حسن زيهم فقال في نفسه لو بدلت تلك الصنعة بصنعة أخف مؤنة منها وأكثر أجرة لجمعت مالا كثيراً واشتريت ثياباً فاخرة وارتفع شأني وعظمت في أعين الناس ثـ م نظـ ر إلـ ى بعض ملاعب الحاضرين في الوليمة وقد صعد سوراً شاهقاً ثم رمى بنفسه إلى الأرض ونهض قائماً فقال في نفسه لابد أن أعمل مثل عمل هذا ولا أعجز عنه ثم صعد إلى السور ورمى نفسه فلما وصـ ل إلـ ى الأرض اندقت رقبته فمات وإنما أخبرتك بذلك لئلا يتمكن منك الشره فترغب فيما ليس من شأنك فقال لها زوجها مـ ا كل عالم يسلم بعلمه ولا كل جاهل يعطب بجهله وقد رأيت الحاوي الخبير بالأفاعي العالم بها وربما نهشـ ته الحية فقتلته وقد يظهر بها الذي لا معرفة له بها ولا علم عنده بأحوالها ثم خالف زوجته واشتري المتاع وأخذ في تلك العادة فصار يشتري من السارقين بدون القيمة إلى أن وقع في تهمة فهلك فيهـ ا وكـ ان فـ ي زمنـ ه عصفور يأتي كل يوم إلى ملك من ملوك الطيور ولم يزل غادياً ورائحاً عنده بحيث كان أول داخـ ل عليـ ه وآخر خارج من عنده فاتفق أن جماعة من الطير اجتمعوا في جبل عال من الجبال فقال بعضهم لبعض أنا قد كثرنا وكثر الاختلاف بيننا ولابد لنا من ملك ينظر في أمورنا فتجتمع كلمتنا ويزول الاختلاف عنا فمر بهـ م ذلك العصفور فأشار عليهم بتمليك الطاووس وهو الملك الذي يتردد إليه فاختاروا الطاووس وجعلوه علـ يهم ملكاً فأحسن إليهم وجعل ذلك العصفور كاتبه ووزيره فكان تارة يترك الملازمة وينظر في الأمـ ور ثـ م أن العصفور غاب يوماً عن الطاووس فقلق قلقاً عظيماً فبينما هو كذلك إذ دخل عليه العصفور فقال له ما الـ ذي أخرك وأنت أقرب أتباعي إلي فقال العصفور رأيت أمراً واشتبه علي فتخوفت منه فقال له الطاووس ما الذي رأيت قال العصفور رأيت رجلاً معه شبكة قد نصبها عند وكري وثبت أوتادها وبذر في وسطها حباً وقعـ د بعيداً عنها فجلست أنظر ما يفعل فبينما أنا كذلك وإذا بكركي هو وزوجته قد ساقهما القضاء والقـ در حتـ ى سقطا في وسط الشبكة فصارا يصرخان فقام الصياد وأخذهما فأزعجني ذلك وهذا سبب غيابي عنك يا ملـ ك الزمان وما بقيت أسكن هذا الوكر حذراً من الشبكة فقال له الطاووس لأترحل من مكانك لأنه لا ينفع الحـ ذر من القدر فامتثل أمره وقال سأصبر ولا أرحل طاعة للملك ولم يزل العصفور محاذراً على نفسه وأخذ الطعام إلى الطاووس فأكل حتى اكتفى وتناول على الطعام ماء ثم ذهب العصفور فبينما هو في بعض الأيام شاخصاً وإذا بعصفورين يقتتلان في الأرض فقال في نفسه كيف أكون وزير الملك وأرى العصافير تقتل في جواري والله لأصلحن بينهما ثم ذهب إليهما ليصلح بينهما فقلب الصياد الشبكة على الجميع فوقع ذلك العصفور فـ ي وسطها فقام إليه الصياد وأخذه ودفعه إلى صاحبه وقال استوثق به فإنه سمين لم أر أحسن منه فقال العصـ فور في نفسه قد وقعت فيما كنت أخاف وما كان آمنا إلا الطاووس ولم ينفعني الحذر من القدر فـ لا مفـ ر مـ ن القضاء للمحاذر وما أحسن قول الشاعر:

م ـالا يكـون فـلا يكـون بحيلـة	بـداً وم ـا هـو كـائن سـيكون
سـيكون مـا هـو كـائن فـي وقتـه	وأخـو الجهالـة دائمـاً مغبـون

فقال الملك يا شهرزاد زيديني من هذا الحديث فقالت الليلة القابلة أن أبقاني الملك أعزه الله وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

حكاية علي بن بكار مع شمس النهار

(وفي ليلة ١٨٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أنه كان في قديم الزمان في خلافة هارون الرشيد رجل تاجر له ولد يسمى أبا الحسن علي بن طاهر وكان كثير المال والنوال حسن الصورة محبوباً عند كل من يراه وكان يدخل دار الخلافة من غير أذن ويحبه جميع سراري الخليفة وجواريه وكان ينادمه وينشد عنده الأشعار ويحدثه بنوادر الأخبار إلا أنه كان يبيع ويشتري في سوق التجار وكان يجلس على دكان شاب من أولاد ملوك العجم يقال له علي بن بكار وكان ذلك الشاب مليح القامة ظريف الشكل كامل الصورة مورد الخدين مقرون الحاجبين عذب الكلام ضاحك السن يحب البسط والانشراح فاتفق أنهما كانا جالسين يتحدثان ويضحكان وإذا بعشر جوار كأنهن الأقمار وكل منهن ذات حسن وجمال وقد واعتدال وبينهن صبية راكبة على بغلة بسرج مزركش له ركاب من الذهب وعليها إزار رفيع وفي وسطها زنار من الحرير مطرز بالذهب كما قال فيها الشاعر:

لهـا بشـر مثـل الحريـر ومنطـق	رخـيم الحواشـي لا هـراء ولا نـزر
وعينـاك قـل الله كونـا فكانتـا	فعـولان بالألبـاب مـا تفعـل الخمـر
فيـا حبهـا زدنـي جـوي كـل ليلـة	ويـا سـلوة الأحبـاب موعـدك الحشـر

فلما وصلوا إلى دكان أبي الحسن نزلت عن البغلة وجلست على دكانه فسلمت عليه وسلم عليها فلما رآها علي بن بكار سلبت عقله وأراد القيام فقالت له اجلس مكانك كيف تذهب إذا حضرنا هذا ما هو أنصاف فقال والله يا سيدتي إني هارب مما رأيت وما أحسن قول الشاعر:

هـي الشـمس مسـكنها فـي السـماء	فعـز الفـؤاد عـزاء جمـيلاً
فلـن تسـتطيع إليهـا الصـعودا	ولـن تسـتطيع إليـك النـزولا

فلما سمعت ذلك الكلام تبسمت وقالت لأبي الحسن ما اسم هذا الفتى ومن أين هو فقال لها هذا غريب اسمه علي بن بكار بن ملك العجم والغريب يجب أكرامه فقالت له إذا جاءتك جاريتي فائت به عندي فقال أبو الحسن على الرأس ثم قامت وتوجهت إلى حال سبيلها هذا ما كان من أمرها (وأما) ما كان من أمر علي بن بكار فإنه صار لا يعرف ما يقول وبعد ساعة جاءت الجارية إلى أبي الحسن وقالت أن سيدتي تطلبك أنت ورفيقك فنهض أبو الحسن وأخذ معه علي بن بكار وتوجها إلى دار هارون الرشيد فأدخلتهما في مقصورة وأجلستهما وإذا بالموائد وضعت قدامهما فأكلا وغسلا أيديهما ثم أحضرت لهما الشراب فشربا ثم أمرتهما بالقيام فقاما معها وأدخلتهما مقصورة أخرى مركبة على أربعة أعمدة وهي مفروشة بأنواع الفرش مزينة

بأحسن الزينة كأنها من قصور الجنان فاندهشا مما عاينا من التحف فبينما هما يتفرجان على هـ ذه الغرائـ ب وإذا بعشر جوار أقبلن وبينهن جارية اسمها شمس النهار كأنها القمر بين النجوم وهـ ي متوشـ حة بفاضـ ل شعرها وعليها لباس أزرق وأزرار من الحرير بطراز من الذهب وفي وسطها حياصـ ة مرصـ عة بـ أنواع الجواهر ولم تزل تتبختر حتى جلست على السرير فلما رآها على بن بكار أنشد هذه الأشعار.

أن هـ . ذي هـ . ـي ابتـ . داء سـ . قامي   وتمـ . ـادى وجـ . ـدي وطـ . ـول غرامـ . ـي
عنـ . ـدها قـ . ـد رأيـ . ـت نفسـ . ـي ذابـ . ـت   مـ . ـن ولـ . ـوعي بهـ . ـا وبـ . ـري عظـ . ـامي

فلما فرغ من شعره قال لأبي الحسن لو عملت معي خيراً كنت أخبرتني بهذه الأمور قبل الدخول هنـ ـا لأجل أن أوطن نفسي وأصبرها على ما أصابها ثم بكى وأن واشتكى فقال له أبو الحسن يا أخي أنا ما أردت لك إلا الخير ولكن خشيت أن أعلمك بذلك فليحقك من الوجد ما يصدك عن لقائها ويحيل بينك وبين وصـ ـالها فطب نفساً وقر عيناً فهي بسعدك مقبلة وللقائك متوصلة فقال علي بن بكار ما اسم هذه الصبية فقال لـ ـه أبـ ـو الحسن تسمى شمس النهار وهي من محاظي أمير المؤمنين هارون الرشيد وهذا المكان قصر الخلافة ثـ ـم أن شمس النهار جلست وتأملت محاسن علي بن بكار وتأمل هو حسنهاواشتغلا بحـ ـب بعضـ ـهما وقـ ـد أمـ ـرت الجواري أن تجلس كل واحدة منهن في مكانها على سرير فجلست كل واحدة قبال طاقة وأمـ ـرتهن بالغنـ ـاء فتسلمت واحدة منهن العود وأنشدت تقول:

أعـ . . . ـد الرسـ . . . ـالة ثانيـ . . . ـة   وخـ . . . ـذ الجـ . . . ـواب علانيـ . . . ـه
وإليـ . . ـك يـ . . ـا ملـ . . ـك المـ . . ـلاح   وقفـ . . . ـت أشـ . . . ـكوا حاليـ . . . ـه
مـ . . ـولاي يـ . . ـا قلبـ . . ـي العزيـ . . ـز   ويـ . . . ـا حيـ . . . ـاتي الغاليـ . . . ـة
أنعـ . . . ـم علـ . . . ـي بقبلـ . . . ـة   هبـ . . . . ـة وإلا عاريـ . . . . . . ـه
وأردهـ . . . ـا لـ . . . ـك لاعـ . . . ـدمت   بعينهـ . . . ـا وكمـ . . . ـا هيـ . . . ـه
وإذا أردت بزيـ . . . . ـادة   خـ . . . ـذها ونفسـ . . . ـي راضـ . . . ـيه
يـ . . ـا ملبسـ . . ـي ثـ . . ـوب الضـ . . ـنى   يهنيـ . . . ـك ثـ . . . ـوب العافيـ . . . ـه

فطرب على بن بكار وقال خذ زيديني من مثل هذا الشعر فحركت الأوتار وأنشدت هذه الأشعار:

مـ . ـن كثـ . ـرة البعـ . ـد يـ . ـا حبيبـ . ـي   علمـ . . ـت طـ . . ـول البكـ . . ـا جفـ . . ـوني
يـ . . ـا حـ . . ـظ عينـ . . ـي ومناهـ . . ـا   ومنتهـ . . . ـى غـ . . . ـايتي وديـنـ . . . ـي
أرثـ لمـ . . . ـن طرفـ . . . ـة غريـ . . . ـق   فـ . . ـي عبـ . . ـرة الوالـ . . ـه الحـ . . ـزين

فلما فرغت من شعرها قالت شمس النهار لجارية غيرها أنشدي فأطربـ ـت بالنغمـ ـات وأنشـ ـدت هـ ـذه الأبيات:

سـ ـكرت مـ ـن لحظـ ـه لا مـ ـن مدامتـ ـه   ومـ ـال بـ ـالنوم عـ ـن عينـ ـي تمايلـ ـه
فمـ ـا السـ ـلاف سـ ـلتني بـ ـل سـ ـوالفه   ومـ ـا الشـ ـمول شـ ـلتني بـ ـل شـ ـمائله
لـ ـوى بعزمـ ـي أصـ ـداغاً لـ ـوين لـ ـه   وغـ ـالى عقلـ ـي بمـ ـا تهـ ـوي غلائلـ ـه

فلما سمعت شمس النهار أنشاد الجارية تنهدت وأعجبها الشعر ثم أمرت جارية أخرى أن تغني فأنشدت هذه الأبيات:

وج .ـه لمصـ .ـباح السـ .ـماء مبـ .ـاهي	يبـ .ـدو الشـ .ـباب عليـ .ـه رشـ .ـح ميـ .ـاه
رقـ .ـم العـ .ـذار غلالتيـ .ـه بـ .ـأحرف	معنـ ـى الهـ ـوى فـ ـي طيبهـ ـا متنـ ـاهي
نـ ـادى عليـ ـه الحسـ ـن حـ ـين لقيتـ ـه	هـ .ـذا المنمـ .ـنم فـ .ـي طـ .ـراز الله

فلما فرغت من شعرها قال علي بن بكار لجارية قريبة منه أنشدي أنت أيها الجاريـ ـة فأخـ ذت العـ ود وأنشدت هذه الأبيات:

زمـ .ـن الوصـ .ـال يضـ .ـيق عـ .ـن	هـ . . . ـذا التمـ . . . ـادي والـ . . . ـدلال
كـ . . ـم مـ . . ـن صـ . . ـدود متلـ . . ـف	مـ . . . ـا هكـ . . ـذا أهـ . . ـل الجمـ . . ـال
فاسـ . . ـتغنموا وقـ . . ـت السـ . . ـعود	بطيـ . . . ـب سـ . . . ـاعات الوصـ . . . ـال

فلما فرغت من شعرها تنهد علي بن بكار وأرسل دموعه الغزار فلما رأته شمس النهار قد بكـ ـى وأن وأشتكى أحرقها الوجد والغرام واتلفها الوله والهيام فقامت من فوق السرير وجاءت إلى باب القبة فقام علـ ـي بن بكار وتلقاها وتعانقا وقعا مغشياً عليهما في باب القبة فقام الجواري إليهما وحملنهمـ ـا وأدخلنهمـ ـا القبـ ـة ورششن عليهما ماء الورد فلما أفاقا لم يجد أبا الحسن وكان قد اختفى في جانب سرير فقالت الصبية أين أبو الحسن فظهر لها من جانب السرير فسلمت عليه وقالت اسأل الله أن يقدرني علـ ـى مكافأتـ ـك يـ ـا صـ ـاحب المعروف ثم أقبلت على علي بن بكار وقالت له يا سيدي ما بلغ بك الهوى إلى غاية إلا وعندي أمثالها وليس لنا إلا الصبر على ما أصابنا فقال علي بن بكار والله يا سيدتي ليس جمع شملي بك يطيب ولا ينطفي إليك ما عندي من اللهيب ولا يذهب ما تمكن من حبك في قلبي إلا بذهاب روحي ثم بكى فنزلت دموعه علـ ـى خـ ـده كأنها المطر فلما رأته شمس النهار يبكي بكت لبكائه فقال أبو الحسن والله أني عجبت من أمركما واحتـ ـرت في شأنكما فإن حالكما عجيب وأمركما غريب في هذا البكاء وأنتما مجتمعـ ـان فكيـ ـف يكـ ـون الحـ ـال بعـ ـد انفصالكما ثم قال هذا ليس وقت حزن وبكاء بل هذا وقت سرور وانشراح فأشارت شمس النهار إلى جاريـ ـة فقامت وعادت ومعها وصائف حاملات مائدة صحافها من الفضة وفيها أنواع الطعام ثم وضعت المائدة قدامها وصارت شمس النهار تأكل وتلقم على ابن بكار حتى اكتفوا ثم رفعت المائدة وغسلوا أيديهم وجاءتهم المباخر بأنواع العود وجاءت القماقم بماء الورد فتبخروا وتطيبوا وقدمت لهم أطباق من الذهب المنقوش فيهـ ـا مـ ـن أنواع الشراب والفواكه والنقل ما تشتهي إلا نفس وتلذ الأعين ثم جاءت لهم بطشت من العقيـ ـق مـ ـلآن مـ ـن المدام فاختارت شمس النهار عشر وصائف أوقفتهن عندها وعشر جوار مـ ـن المغنيـ ـات وصـ ـرفت بـ ـاقي الجواري إلى أماكنهن وأمرت بعض الحاضرين من الجواري أن يضربن بالعود ففعلن ما أمرت به وأنشدت واحدة منهن:

بنفسـ .ـي مـ .ـن رد التحيـ .ـة ضـ .ـاحكاً	فجدد بعد اليأس فـ ـي الوصـ ـل مطمعـ ـي
لقـ ـد أبـ ـرزت سـ ـر الغـ ـرام سـ ـرائري	وأظهـ .ـرت للعـ ـذال مـ ـا بـ .ـين أضـ .ـلعي
وحالـ ـت دمـ ـوع العـ ـين بينـ ـي وبينـ ـه	كـ .ـأن دمـ .ـوع العـ .ـين تعشـ .ـقه معـ .ـي

فلما فرغت من شعرها قامت شمس النهار وملأت الكأس وشربته ثم ملأته وأعطته لعلي بـ ن بكـ ار. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٨٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن شمس النهار ملأت الكأس وأعطته لعلي بن بكار ثم أمرت جاريـ ة أن تغني فأنشدت هذين البيتين:

تشـ ـابه دمعـ ـي إذ جـ ـرى ومـ ـدامتي	**فمـ ـن مثـ ـل الكـ ـأس عينـ ـي تسـ ـكب**
فـ ـو الله لا أدري أبـ ـالخمر أسـ ـبلت	**جفـ ـوني أم مـ ـن أدمعـ ـي كنـ ـت أشـ ـرب**

فلما فرغت من شعرها شرب علي بن بكار كأسه ورده إلى شمس النهار فملأته وناولته لأبي الحسـ ن فسر به ثم أخذت العود وقالت لا يغني على قد حي غيري ثم شدت الأوتار وأنشدت هذه الأشعار:

غرائب الـ ـدمع فـ ـي خديـ ـه تضـ ـطرب	**وجدا ونـ ـار الهـ ـوى فـ ـي صـ ـدره تتقـ ـد**
يبكي من القرب خوفـ ـاً مـ ـن تباعـ ـدهم	**فالـ ـدمع أن قربـ ـوا جـ ـار وإن بعـ ـدوا**

فلما سمع علي بن بكار وأبو الحسن والحاضرون شعر شمس النهار كادوا أن يطيـ روا مـ ن الطـ رب ولعبوا وضحكوا فبينما هم على هذا الحال وإذا بجارية أقبلت وهي ترتعد من الخوف وقالت يا سـ يدتي قـ د وصل أمير المؤمنين وها هو بالباب ومعه عفيف ومسرور غيرهما فلما سمعوا كلام الجارية كادوا أن يهلكوا من الخوف فضحكت شمس النهار وقالت لا تخافوا ثم قالت للجارية ردي عليهم الجواب بقدر ما نتحول مـ ن هذا المكان ثم أنها أمرت بغلق باب القبة وارخاء الستور على أبوابها وهم فيها وأغلقت باب القاعة ثم خرجت إلى البستان وجلست على سريرها وأمرت جارية أن تكبس رجليها وأمرت بقية الجواري أن يمضـ ين إلـ ى أماكنهن وأمرت الجارية أن تدع الباب مفتوحاً ليدخل الخليفة فدخل مسرور ومن معه وكانوا عشرين وبأيديهم السيوف فسلموا على شمس النهار فقالت لهم لأي شيء جئتم فقالوا أن أمير المؤمنين يسلم عليك وقد استوحش لرؤيتك ويخبرك أنه كان عنده اليوم سرور وحظ زائد وأحب أن يكون ختام السرور بوجودك في هذه الساعة فهل تأتين عنده أو يأتين عندك فقامت وقبلت الأرض وقالت سمعاً وطاعة لأمير المؤمنين ثم أمرت بإحضار القهرمانات والجواري فحضرن وأظهرت لهن أنها مقبلة على ما أمر به الخليفة وكان المكان كاملاً في جميع أموره ثم قالت للخدم أمضوا إلى أمير المؤمنين وأخبروه أنني في انتظاره بعد قليل إلى أن أهيىء لـ ه مكانـ اً بالفرش والأمتعة فمضى الخدم مسرعين إلى أمير المؤمنين ثم أن شمس النهار قلعت ودخلت إلى معشـ وقها علي بن بكار وضمته إلى صدرها وودعته فبكى بكاء شديداً وقال يا سيدتي هذا الوداع فمتعيني به لعله يكون على تلف نفسي وهلاك روحي في هواك ولكن أسأل الله أن يرزقني الصبر على ما بلاني به مـ ن محبتـ ي فقالت له شمس النهار والله ما يصير في التلف إلا أنا فإنك قد تخرج إلى السوق وتجتمع بمن يسليك فتكونـ ا مصوناً وغرامك مكنوناً وأما أنا فسوف أقع في البلاء خصوصاً وقد وعدت الخليفه بميعاد فربما يلحقني مـ ن ذلك عظيم الخطر بسبب شوقي إليك وحبي لك وتعشقي فيك وتأسفي على مفارقتك فبأي لسان أغنـ ى وبـ أي قلب أحضر عند الخليفة وبأي كلام أنادم أمير المؤمنين وبأي نظر أنظر إلى مكان ما أنت فيه وكيف أكـ ون

في حضرة لم تكن بها وبأي ذوق أشرب مداماً ما أنت حاضره فقال لها أبو الحسن لا تتحيري وأصبري ولا تغفلي عن منادمة أمير المؤمنين هذه الليلة ولا تريه تهاوناً فبينما هما في الكلام وإذا بجارية قدمت وقالت يـ ا سيدتي جاء غلمان أمير المؤمنين فنهضت قائمة وقالت للجارية خذي أبا الحسن ورفيقه وأصعدى بهما أعلـ ى الروشن المطل على البستان ودعيهما هناك إلى الظلام ثم تحيلي في خروجهما فأخذتهما الجارية وأطلعتهمـ ا في الروشن وأغلقت الباب عليهما وضمت إلى حال سبيلها وصار ينظر أن إلى البستان وإذا بالخليفـ ة قـ دم وقدامه نحو المائة خادم بأيديهم السيوف وحواليه عشرون جارية كأنهن الأقمار عليهن أفخر ما يكـ ون مـ ن الملبوس وعلى رأس كل واحدة تاج مكلل بالجواهر واليواقيت وفي يد كل واحدة شـ معة موقـ ودة والخليفـ ة يمشي بينهن وهن محيطات به من كل ناحية ومسرور وعفيف ووصيف قدامه وهو يتمايل بينهم فقامت شمس النهار وجميع من عندها من الجواري ولاقينه من باب البستان وقبلن الأرض بين يديه ولم يـ زلن سـ ائرات أمامه إلى أن جلس على السرير والذين في البستان من الجواري والخدم وقفـ وا حولـ ه والشـ موع موقـ ودة والآلات تضرب إلى أن أمرهم بالأنصراف والجلوس على الأسرة فجلست شمس النهار على سرير بجانـ ب سرير الخليفة وصارت تحدثه كل ذلك وأبو الحسن وعلي بن بكار ينظران ويسمعان والخليفة لم يرهما ثم أن الخليفة صار يلعب مع شمس النهار وأمر بفتح القبة ففتحت وشرعوا طيقانها وأوقدوا الشموع حتـ ى صـ ار المكان وقت الظلام كالنهار ثم أن الخدم صاروا ينقلون آلات المشروب فقال أبـ و الحسـ ن أن هـ ذه الآلات والمشروب والتحف ما رأيت مثلها وهذا شيء من أصناف الجواهر ما سمعت بمثله وقد خيل لي أننـ ي فـ ي المنام وقد اندهش عقلي وخفق قلبي وأما علي بن بكار فإنه لما فارقته شمس النهار لم يزل مطروحـ اً علـ ى الأرض من شدة العشق فلما أفاق صار ينظر إلى هذه الفعال التي لا يوجد مثلها فقال لأبي الحسن يـ ا أخـ ي الخشي أن ينظرناالخليفة أو يعلم حالنا وأكثر خوفي عليك وأما أنا فأني أعلم أن نفسي من الهالكين وما سـ بب موتي إلا العشق والغرام وفرط الوجد والهيام ونرجوا من الله الخلاص مما به بلينا ولم يزل علي بـ ن بكـ ار وأبو الحسن ينظران من الروشن إلى الخليفة وما هو فيه حتى تكاملت الحضرة بين يدي الخليفة ثم أن الخليفة التفت إلى جارية من الجواري وقال هات ما عندك يا غرام من السماع المطرب فاطربت بالنغمان وأنشـ دت هذه الأبيات:

ومـ ـا وجـ ـد أعرابيـ ـة بـ ـأن أهلهـ ـا	فحنـ ـت إلـ ـيّ بـ ـأن الحجـ ـاز ورنـ ـده
إذا آنسـ ـت ركبـ ـاً تكفـ ـل شـ ـوقها	بنـ ـار قـ ـراه والـ ـدموع بـ ـورده
بـ ـأعظم مـ ـن وجـ ـدي بحبـ ـي وأنمـ ـا	يـ ـرى أننـ ـي أذنبـ ـت ذنبـ ـاً بـ ـوده

فلما سمعت شمس النهار هذا الشعر وقعت مغشياً عليها من فوق الكرسي الذي كانت عليه وغابت عن الوجود فقام الجواري واحتملنها فلما نظر علي بن بكار من الروشن وقع مغشياً عليه فقال أبـ و الحسـ ن أن القضاء قسم الغرام بينكما بالسوية فبينما هما يتحدثان وإذا بالجارية التي أطلعتهما الروشن جاءتهما وقالت يـ ا أبا الحسن أنهض أنت ورفيقك وأنزلا فقد ضاقت علينا الدنيا وأنا خائفة أن يظهر أمرنا فقوما في هذه الساعة وإلا متنا فقال أبو الحسن فكيف ينهض معي هذا الغلام ولا قدرة له علي النهوض فسارت الجارية ترش ماء الورد على وجهه حتى أفاق فحمله أبو الحسن هو والجارية ونزلا به من الروشن ومشيا قلـ يلاً ثـ م فتحـ ت

الجارية باباً صغيراً من حديد وأخرجت بالحسن هو وعلي بن بكار على مصطبة ثم صفقت الجاريـ ـة بيـ ـدها فجاء زورق فيه أنسان يقذف فاطلعتهما الجارية في الزورق وقالت للذي في الزورق أطلعهما في ذلك البـ ـر فلما نزلا في الزورق وفارق البستان نظر علي بن بكار إلى القبة والبستان وودعهما بهذين البيتين:

مـ ـددت إلـ ـى التوديـ ـع كفـ ـا ضـ ـعيفة وأخرى علـ ـى الرمضـ ـاء تحـ ـت فـ ـؤادي
فـ ـلا كـ ـان هـ ـذا آخـ ـر العهـ ـد بيننـ ـا ولا كـ ـان هـ ـذا الـ ـزاد آخـ ـر زادي

ثم أن الجارية قالت للملاح أسرع بهما فصار يقذف لأجل السرعة والجارية معهـ ـم وأدرك شـ ـهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٨٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملاح صار يقذف والجارية معهم إلى أن قطعوا ذلك الجانب وعـ ـدوا إلى البر الثاني ثم انصرفت الجارية وودعتهما وطلعا في البر وقالت لهما كان قصدي أن لا أفارقكما لكنني لا أقدر أن أسير إلى مكان غير هذا الموضع ثم أن الجارية عادت وصار علي بن بكار مطروحاً بين يدي أبـ ـي الحسن لا يستطيع النهوض فقال له أبوالحسن إن هذا المكان غير أمين ونخشى على أنفسنا من التلف في هذا المكان بسبب اللصوص وأولاد الحرام فقام علي بن بكار يتمشى قليلاً وهو لا يستطيع المشـ ـي وكـ ـان أبـ ـو الحسن له في ذلك الجانب أصدقاء فقصد من يثق به ويركن إليه منهم فدق بابه فخرج إليه مسرعاً فلما رآهما رحب بهما ودخل بهما إلى منزله وأجلسهما وتحدث معهما وسألهما أين كانا فقال له أبو الحسن قد خرجنا في هذا الوقت وقد أحوجنا إلى هذا الأمر إنسان عاملته في دراهم وبلغني أنه يريد السفر بمالي فخرجت في هـ ـذه الليلة وقصدته واستأنست برفيقي هذا على بن بكار وجئنا لعلنا ننظره فتوارى منا ولم نره وعدنا بـ ـلا شـ ـيء وشق علينا العودة في هذا الليل ولما نزلنا محلاً غير محلك فجئنا إليك على عوائدك الجميلـ ـة فرحـ ـب بهمـ ـا واجتهد في إكرامهما وأقاما عنده بقية ليلتهما فلما أصبح الصباح خرجا من عنده ومازالا يمشيان حتى وصلا إلى المدينة ودخلا وجازا على بيت أبي الحسن فحلف على صاحبه علي بن بكار وأدخله بيته فاضطجعا على الفراش قليلاً ثم أفاقا فأمر أبو الحسن غلمانه أن يفرشوا البيت فرشاً فاخراً ففعلوا ثم أن أبا الحسن قـ ـال فـ ـي نفسه لابد أن أؤانس هذا الغلام وأسليه عما هو فيه فأني أدري بأمره ثم أن علي بن بكار لما أفـ ـاق اسـ ـتدعى بماء فحضروا له الماء فقام وتوضأ وصلى ما فاته من الفروض في يومه وليلته وصار يسلي نفسـ ـه بـ ـالكلام فلما رأى منه ذلك أبو الحسن تقدم إليه وقال يا سيدي على الأليق بما أنت فيه أن تقيم عندي هذه الليلة لينشرح صدرك وينفرج ما بك من كرب الشوق ونتلاهى معنا فقال علي بن بكار أفعل يا أخي ما بدا لك فإني علـ ـى كل حال غير ناج مما أصابني فاصنع ما أنت صانع فقام أبو الحسن واستدعي غلمانـ ـه وأحضـ ـر أصـ ـحابه وأرسل إلى أرباب المغاني والآلات فحضروا واقاموا على أكل وشرب وانشراح باقي اليوم إلى المسـ ـاء ثـ ـم أوقدوا الشموع ودارت بينهم كؤوس المنادمة وطاب لهم الوقت فأخذت المغنية العود وجعلت تقول:

رميـ ـت مـ ـن الزمـ ـان بسـ ـهم لحـ ـظ فأضـ ـناني وفارقـ ـت الحبائـ ـب
وعانـ ـدني الزمـ ـان وقـ ـل صـ ـبري وأنـ ـي قبـ ـل هـ ـذا كنـ ـت حاسـ ـب

فلما سمع علي بن بكار كلام المغنية خر مغشياً عليه ولم يزل في غشيته إلى أن طلع الفجر ويئس منه أبو الحسن ولما طلع النهار أفاق وطلب الذهاب إلى بيته فلم يمنعه أبو الحسن خوفاً من عاقه أمره فأتاه غلمانه ببغلة وأركبوه وصار معه أبو الحسن إلى أن أدخله منزله فلما اطمأن في بيته حمد الله أبو الحسن على خلاصه من هذه الورطة وصار يسليه وهو لا يتمالك نفسه من شدة الغرام ثم أن أبا الحسن ودعه. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٨٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أبا الحسن ودعه فقال له علي بن بكار يا أخي لا تقطع عني الأخبار فقال سمعاً وطاعة ثم أن أبا الحسن قام من عنده وأتى إلى دكانه وفتحها فما جلس غير قليل حتى أقبلت إليه الجارية وسلمت فرد عليها السلام ونظر غليها فوجدها خافقة القلب يظهر عليها أثر الكآبة فقال لها أهلاً وسهلاً كيف حال شمس النهار فقالت سوف أخبرك بحالها كيف حال علي بن بكار فأخبرها أبو الحسن بجميع ما كان من أمره فتأسفت وتأوهت وتعجبت من ذلك الأمر ثم قالت أن حال سيدتي أعجب من ذلك فإنكم لما توجهتم رجعت وقلبي يخفق عليكم وما صدقت بنجاتكم فلما رجعت وجدت سيدتي مطروحة في القبةلا تتكلم ولا ترد على أحد وأمير المؤمنين جالس عند رأسها لايجد من يخبره بخبرها ولم يعلم ما بها ولم تزل في غشيتها إلى نصف الليل ثم أفاقت فقال لها أمير المؤمنين ما الذي أصابك يا شمس النهار وما الذي أعتراك في هذه الليلة فلما سمعت شمس النهار كلام الخليفة قبلت أقدامه وقالت له يا أمير المؤمنين جعلني الله فداءك أنه خامرني خلط فأضرم النار في جسدي فوقعت مغشياً على من شدة ما بي ولا أعلم كيف كان حالي فقال لها الخليفة ما الذي استعملتيه في نهارك قالت أفطرت على شيء لم آكله قط ثم أظهرت القوة وأستدعت بشيء من الشراب فشربته وسألت أمير المؤمنين أن يعود إلى انشراحه فعاد إلى الجلوس في القبة فلما جئت إليها سألتني عن حالكما فأخبرتها بما فعلت معكما وأخبرتها بما أنشده علي بن بكار فسكتت ثم أن أمير المؤمنين جلس وأمر الجارية بالغناء فأنشدت هذين البيتين:

ولم يصف لي شيء من العيش بعدكم … فيا ليت شعري كيف حالكم بعدي
يحق لدمعي أن يكون من الدما … إذا كنتم تبكون دمعاً على بعدي

فلما سمعت هذا الشعر وقعت مغشياً عليها وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٨٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية قالت لأبي الحسن أن سيدتي لما سمعت هذا الشعر وقعت مغشياً عليها فأمسكت يدها ورششت ماء الورد على وجهها فأفاقت فقلت لها يا سيدتي لا تهتكي نفسك ومن يحويه قصرك بحياة محبوبك أن تصبري فقالت هل في الأمر أكثر من الموت فأنا أطلبه لأن فيه راحتي فبينما نحن في هذا القول إذ غنت جارية بقول الشاعر:

وقالوا لعل الصبر يعقب راحة … فقلت وأين الصبر بعد فراقه
وقد أكد الميثاق بيني وبينه … نقطع حبال الصبر عند عناقه

فلما فرغت من الشعر وقعت مغشياً عليها فنظرها الخليفة فأتى مسرعاً إليها وأمر برفع الشد راب وأن تعود كل جارية إلى مقصورتها وأقام عندها باقي ليلته إلى أن أصبح الصباح فاسد تدعى الأطب اء وأمد رهم بمعالجتها ولم يعلم بما هي فيه من العشق والغرام وأقمت عندها حتى ظننت أنها قد أنصلح حالها وهذا الد ذي عاقني عن المجيء إليكما وقد خلفت عندها جماعة من خواصها لما أمرتني بالمسير أليكما لآخذ خبر علي بن بكار وأعود إليها فلما سمع أبو الحسن كلامها تعجب وقال لها والله أخبرتك بجميع ما كان من أمره فعد ودي إلى سيدتك وسلمي عليها وحثيها على الصبر وقولي لها أكتمي السر وأخبريها أني عرفت أمرها وهد و أمد ر صعب يحتاج إلى التدبير فشكرته الجارية ثم ودعته وأنصرفت إلى سيدتها هذا ما كان من أمرها (وأما) مد ا كان من أمر أبي الحسن فإنه لم يزل في دكانه إلى آخر النهار فلما مضى النهار قام وقفل دكانه وأتى إلى دار علي بن بكار فدق الباب فخرج له بعض غلمانه وأدخله فلما دخل عليه تبسم واستبشر بقدومه وقال له يا أب ا الحسن أوحشتني لتخلفك عني في هذا اليوم وروحي متعلقة بك باقي عمري فقال له أبو الحسن دع هذا الكلام فلو أمكن فداءك كنت أفديك بروحي وفي هذا اليوم جاءت جارية شمس النهار وأخبرتني أنه ما عاقه ا ع ن المجيء إلا جلوس الخليفة عند سيدتها وأخبرتني بما كان من أمر سيدتها وحكى له جميع مد ا سد معه مد ن الجارية فتأسف علي بن بكار غاية الأسف وبكى ثم التفت إلى أبي الحسن وقال له بالله أن تساعدني علي مد ا بليت به وأخبرني ماذا تكون الحيلة وأني أسألك من فضلك المبيت عندي في هذه الليلة لاستأنس بك فامتث ل أبو الحسن أمره وأجابه إلى المبيت عنده وباتا يتحدثان في تلك الليلة ثم أن علي بن بكار بكى وأرسل العبرات وأنشد هذه الأبيات:

حفرت بسد يف اللحد ظ ذمد ـة مغف ـري … وفـ ـرت بـ ـرمح القـ ـد درع تصـ ـبري
فزعت فضرسد ت العقيد ق بلؤلد ؤ … كـ ـافور فجـ ـر شـ ـق ليـ ـل العنبـ ـري
وتنهد ـدت جزعـ ـاً فـ ـأثر كفهـ ـا … سـ ـكنت فرائـ ـده غـ ـدير السـ ـكر
أقـ ـلام مرجـ ـان كتبـ ـين بعنبـ ـر … فـ ـي صد درها فنظد رت مد ا لد م أنظد ر
يا حامل السيف الصقيل إذا رنـ ـت … بصـ ـحيفة البلـ ـور خمسـ ـة أسـ ـطر
وتوق يـ ـارب القنـ ـاة الطعـ ـن أن … أيـ ـاك ضـ ـربه جفنهـ ـا المتكسـ ـر
… حمـ ـت عليـ ـك مـ ـن القـ ـوام باسـ ـمر

فلما فرغ علي بن بكار من شعره صرخ صرخة عظيمة ووقع مغشياً عليه فظن أبو الحسن أن روحد ه خرجت من جسده ولم يزل في غشيته حتى طلع النهار فأفاق وتحدث مع أبي الحسن ولم يزل أبد و الحسد ن جالساً عند علي بن بكار إلى ضحوة النهار ثم أنصرف من عنده وجاء إلى دكانه وفتحها وإذا بالجارية جاءته ووقفت عنده فلما نظر إليها أومأت إليه بالسلام فرد عليها السلام وبلغته سلام سيدتها وقالت له كيد ف حد ال علي بن بكار فقال لها يا جارية لا تسألي عن حاله وما هو فيه من شدة الغرام فإنه لا ينام الليل ولا يسد تريح بالنهار وقد انجله السهر وغلب عليه الضجر وصار في حال لا يسر حبيباً فقالت له أن سيدتي تسد لم علي ك وعليه وقد كتبت له ورقة وهي في حال أعظم من حاله وقد سلمتني الورقة وقالد ت لا تد أتيني إلا بجوابه ا وافعلي ما أمرتك به وها هي الورقة معي فهل لك أن تسير معي إلى علي بن بكار وتأخذ منه الجواب فقد ال

لها أبو الحسن سمعاً وطاعة ثم قفل الدكان وأخذ معه الجارية وذهب بها إلى مكان غير الذي جاء منه ولم يزالا سائرين حتى وصلا إلى دار علي بن بكار ثم أوقف الجارية على الباب ودخل وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٨٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أبا الحسن ذهب بالجارية ودخل البيت فلما رآه علي بن بكار فرح به فقال له أبو الحسن سبب مجيء أن فلاناً أرسل غليك جاريته برقعة تتضمن سلامة عليك وذكر فيها أن سبب تأخره عنك عذر حصل له والجارية واقفة بالباب فهل تأذن لها بالدخول فقال على أدخلوها وأشار له أبو الحسن أنها جارية شمس النهار ففهم الإشارة فلما رآها تحرك وفرح وقال لها بالإشارة كيف حال السيدة شفاها الله وعفاها فقالت بخير ثم أخرجت الورقة ودفعتها له فأخذها وقبلها وقرأها وناولها لأبي الحسن فوجد مكتوباً فيها هذه الأبيات:

ينبيك هذا الرسول عن خبري ... فاستعن في ذكره عن النظر
خلفت صبا بحبكم دنفا ... وطرفه لا يزال بالسهر
أكابد الصبر في البلاء فما ... يندفع خلق مواقع القدر
فقر عينا فلست تبعدي عن ... قلبي ولا يوم غبت عن بصري
وانظر إلى جسمك النحيل وما ... قد حله واستدل بالأثر

وبعد فقد كتبت لك كتاباً بغير بنان وأطلقت لك بغير لسان وجملت شرح حالي أن لي يميناً لا يفارقها السهر وقلباً لا تبرح عنه الفكر فكأنني قط ما عرفت صحة ولا فرحة ولا رأيت منظراً باهياً ولا قطعت عيشاً هنياً وكأنني خلقت من الصبابة ومن ألم الوجد والكآبة فعلى السقام مترادف والغرام متضاعف والشوق متكاسر وسرت كم قال الشاعر:

القلب منقبض والفكر منبسط ... والعين ساهرة والجسم متعوب
والصبر منفصل والهجر متصل ... والعقل مختبل والقلب مسلوب

واعلم أن الشكوى لا تطفيء نار البلوي لكنها تتعلل من أعله الاشتياق واتلفه الفراق وأني أتسلى بذكر لفظ الوصال وما أحسن قول من قال:

إذا لم يكن في الحب سخط ولا رضا ... فأين حلاوت الرسائل والكتب

قال أبو الحسن فلما قرأناها هيجت ألفاظها بلا بلى وأصابت معانيها مقاتلي ثم دفعتها إلى الجارية فلما أخذتها قال لها علي بن بكار أبلغي سيدتك سلامي وعرفيها بوجدي وغرامي وامتزاج المحبة بلحمي وعظامي وأخبريها أنني محتاج إلى من ينقذني من بحر الهلاك وينجيني من هذا الارتباك ثم بكى فبكت الجارية لبكائه وودعته وخرجت من عنده وخرج أبو الحسن معها ثم ودعها ومضى إلى دكانه وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٨٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أبا الحسن ودع الجارية ورجع إلى دكانه فلما جلس فيه وجد قلبه انقبض وضاق صدره وتحير في أمره ولم يزل في فكر بقية يومه وليلته وفي اليوم الثاني ذهب إلى علي بن بكار وجلس عنده حتى ذهبت الناس وسأله عن حاله فأخذ في شكوى الكرام وما به من الوجد والهيام وأنشد قول الشاعر:

شد .كا ألم الغ .رام الن .اس قبل .ي | وروع بـ . . ـالنوى حـ . . . ـي وميـ . . ـت
وأمـ .ـا مثـ .ـل مـ .ـا ضـ .ـمت ضـ .ـلوعي | فـ . . ـإني لا سـ . . ـمعت ولا رأيـ . . ـت

فقال أبو الحسن أنا ما رأيت ولا سمعت بمثلك في محبتك كيف يكون هذا الوجد وضعف الحركة وقد تعلقت بحبيب موافق فكيف إذا تعلقت بحبيب مخالف مخادع فكان أمرك ينكشف قال أبو الحسن فركن علي بن بكار إلى كلامي وشكرني على ذلك وكان لي صاحب يطلع على أمري وأمر علي بن بكار ويعلم أننا متوافقان ولم يعلم أحد ما بيننا غيره وكان يأتيني فيسألني عن حال علي بن بكار وبعد قليل يسألني عن الجارية فقلت له قد دعته إليها وكان بينه وبينها مالا مزيد عليه وهذا آخر ما انتهى من أمرهما ولكن دبرت لنفسي أمر أريد عرضه عليك فقال له صاحبه ما هو قال أبو الحسن اعلم أن رجل معروف بكثرة المعاملات بين الرجال والنساء وأخشى أن ينكشف أمرهما فيكون سبباً لهلاكي وأخذ مالي وهتك عيالي وقد اقتضى رأي أن أجمع مالي وأجهز حالي وأتوجه إلى مدينة البصرة وأقيم بها حتى أنظر ما يكون من أحوالهما بحيث لا يشعر بي أحد فإن المحبة قد تمكنت منهما ودارت المراسلة بينهما والحال أن الرسول بينهما جارية وهي كاتمة لأسرارهما وأخشى أن يغلب عليها الضجر فتبوح بسرهما لأحد فيشيع خبرهما ويؤدي ذلك إلى هلاكي ويكون سبباً لتلفي وليس لي عذر عند الناس فقال له صاحبه قد أخبرتني بخبر خطير يخاف من مثله العاقل الخبير كفاك الله شر ما تخافه وتخشاه ونجاك مما تخاف عقباه وهذا الرأي هو الصواب فانصرف أبو الحسن إلى منزله وصار يقضي مصالحه ويتجهز للسفر إلى مدينة البصرة فما مضى ثلاثة أيام حتى قضي مصالحه وسافر إلى البصرة فجاء صاحبه بعد ثلاثة أيام ليزوره فلم يجده فسأل عنه جيرانه فقالوا له أنه توجه من مدة ثلاثة أيام إلى البصرة لأن له معاملة عند تجارها فذهب ليطالب أرباب الديون وعن قريب يأتي فاحتار الرجل في أمره وصار لا يدري أين يذهب وقال يا ليتي لم أفارق أبا الحسن ثم دبر حيلة يتوصل بها إلى علي بن بكار فقصد داره وقال لبعض غلمانه استأذن لي سيدك لأدخل اسلم عليه فدخل الغلام وأخبر سيده به ثم عاد إليه واذن له الدخول فدخل عليه فوجده ملقى على الوسادة فسلم عليه فرد عليه السلام ورحب به ثم أن الرجل اعتذر إليه في تخلفه عنه تلك المدة ثم قال له يا سيدي أن بيني وبين أبي الحسن صداقه وأني كنت أودعه أسراري ولا انقطع عنه ساعة فغبت في بعض المصالح مع جماعة من أصحابي مدة ثلاثة أيام ثم جئت إليه فوجدت دكانه مقفلة فسألت عنه الجيران فقالوا أنه توجه إلى البصرة ولم أعلم له صديقاً أوفى منك فبالله أن تخبرني بخبره فلما سمع علي بن بكار كلامه تغير لونه واضطرب وقال لم أسمع قبل هذا اليوم خبر سفره وأن كان الأمر كما ذكرت فقد حصل لي التعب ثم أفاض دمع العين وأنشد هذين البيتين:

قـ .ـد كنـ .ـت مـ .ـا فـ .ـات مـ .ـن فـ .ـرح | وأهـ .ـل ودي جميعـ .ـاً غيـ .ـر أشـ .ـتات

واليـ ـوم فـ ـرق مـ ـا بيـ ـي وبيـ ـنهم   دهـ ـري فـ ـأبكى علـ ـى أهـ ـل المـ ـودات

ثم أن علي بن بكار أطرق رأسه إلى الأرض يتفكر وبعد ساعة رفع رأسه إلى خادم له وقال له امض إلى دار أبي الحسن واسأل عنه هل هو مقيم أو مسافر فإن قالوا سافر فاسأل إلى أي ناحية توجـ ـه فمضـ ـي الغلام وغاب ساعة ثم أقبل إلى سيده وقال إني لما سألت عن أبي الحسن أخبرني أتباعه أنه سافر إلى البصرة ولكن وجدت جارية واقفة على الباب فلما رأتني عرفتني ولم أعرفها وقالت لي هل أنت غلام علي بن بكـ ـار فقلت لها نعم فقالت أني معي رسالة إليه من عند أعز الناس عليه فجاءت معي وهي واقفة على الباب فقـ ـال علي بن بكار أدخلها فطلع الغلام إليها وأدخلها فنظر الرجل الذي عند علي بن بكار إلى الجاريـ ـة فوجـ ـدها ظريفة ثم أن الجارية تقدمت إلى علي بن بكار وسلمت عليه. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٨٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية لما دخلت على علي بن بكار تقـ ـدمت إليـ ـه وسـ ـلمت عليـ ـه وتحدثت معه سراً وصار يقسم في أثناء الكلام ويحلف أنه لم يتكلم بذلك ثم ودعته وانصرفت وكان الرجـ ـل صاحب أبي الحسن جواهرجياً فلما انصرفت الجارية وجد للكلام محلاً فقال لعلي بن بكار لاشك ولا ريب أن لدار الخلافة عليك مطالبة أو بينك وبينها معاملة فقال ومن أعلمك بذلك فقال معرفتي بهذه الجارية لأنها جارية شمس النهار وكانت جاءتني من مدة برقعة مكتوب فيها أنها تشتهي عقد جوهر فأرسلت إليها عقداً ثميناً فلمـ ـا سمع علي بن بكار كلامه اضطرب حتى غشي عليه ثم التف راجع نفسه وقال يا أخي سألتك بالله مـ ـن أيـ ـن تعرفها فقال له الجواهرجي دع الألحاح في السؤال فقال له علي بن بكار لا أرجـ ـع عنـ ـك إلا إذا أخبرتنـ ـي بالصحيح فقال له الجواهرجي أنا اخبرك بحيث لا يدخلك مني وهم ولا يعتريك من كلامي انقباض ولا أخفي عنك سراً وأبين لك حقيقة الأمر ولكن بشرط أن تخبرني بحقيقة حالك وسبب مرضك فأخبره بخبره ثم قـ ـال والله يا أخي ما حملني على كتمان أمري من غيرك إلا مخافة إن النـ ـاس تكشـ ـف أسـ ـتار بعضـ ـها فقـ ـال الجواهرجي لعلي بن بكار وأنا ما أردت اجتماعي بك إلا لشدة محبتي لك وغيرتي عليك وشفقتي على قلبـ ـك من ألم الفراق عسى أن أكون لك مؤنساً نيابة عن صديقي أبو الحسن مدة غيبته فطب نفساً وقر عيناً فشـ ـكره علي بن بكار على ذلك وأنشد هذين البيتين:

ولـ ـو قلـ ـت أنـ ـي صـ ـابر بعـ ـد بعـ ـده   لكـ ـذبني دمـ ـوع وفـ ـرط تحيبـ ـي

وكيـ ـف أداري مـ ـدمعاً جريانـ ـه   على صحن خـ ـدي مـ ـن فـ ـراق حبيبـ ـي

ثم أن علي بن بكار سكت ساعة من الزمان وبعد ذلك قال للجواهرجي أتدري ما أمرتني به الجاريـ ـة فقال لا والله يا سيدي فقال أنها زعمت أني أشرت علي أبي الحسن بالمسير إلى مدينة البصرة وأنني دبـ ـرت بذلك حيلة لأجل عدم المراسلة والمواصلة فحلفت لها أن ذلك لم يكن فلم تصدقني ومضت إلى سيدتها وهـ ـي على ما هي عليه من سوء الظن لأنها كانت تصغي إلى أبي الحسن فقال الجواهرجي يا أخي إني فهمت مـ ـن حال هذه الجارية هذا الأمر ولكن إن شاء الله تعالى أكون عوناً لك على مرادك فقال له علي بن بكار وكيف تعمل معها وهي تنفر كوحش الفلاة فقال له لابد أن أبذل جهدي في مساعدتك واحتيالي في التوصل إليها من

غير كشف ستر ولا مضرة ثم استأذن في الانصراف فقال له علي بن بكار يا أخي عليك بكتمان السـ ر ثـ م نظر إليه وبكى فودعه وانصرف. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٩٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجواهرجي ودعه وانصرف وهو لا يدري كيف يعمل فـ ي إسـ عاف علي بن بكار ومازال ماشياً وهو متفكر في أمره إذ رأى ورقة مطروحة في الطريق فأخذها ونظر عنوانهـ ا وقرأها فإذا هي من المحب الأصغر إلى الحبيب الأكبر ففتح الورقة فرأى مكتوباً فيها هذان البيتان.

جاء الرسـ ـول بوصـ ـل منـ ـك يطمعنـ ـي	وكـ ـان أكثـ ـر ظنـ ـي أنـ ـه وهمـ ـا
فمـ ـا فرحـ ـت ولكـ ـن زادنـ ـي حزنـ ـاً	علمي بـ أن رسـ ـولي لـ م يكـ ـن فيهم ـا

وبعد فاعلم يا سيدي أنني لم أدر ما سبب قطع المراسلة بيني وبينك فإن يكن صدر منك الجفـ ـاء فأنـ ـا أقابله بالوفاء وأن يكن ذهب منك الوداد فأنا أحفظ الود على البعاد فأنا معك كما قال الشاعر:

بـه احتمـ ـل وأسـ ـتطل أصـ ـبر وعـ ـزاهن	وول اقبـ ـل وقـ ـل اسـ ـمع ومـ ـر أطـ ـع

فلما قرأها إذا بالجارية أقبلت تتلفت يميناً وشمالاً فرأت الورقة في يده فقالت يا سيدي أن هذه الورقـ ـة وقعت مني فلم يرد عليها جواباً ومشى ومشت الجارية خلفه إلى أن أقبل على داود ودخل والجاريـ ـة خلفـ ـه فقالت له يا سيدي رد لي هذه الورقة فإنها سقطت مني فالتفت إليها وقال يا جارية لا تخافي ولا تحزني ولكن أخبريني بالخبر على وجه الصدق فإني كتوم للإسرار وأحلفك يميناً أنك لا تخفي عني شيئاً من أمر سـ يدتك فعسى الله أن يعينني على قضاء أعراضك ويسهل الأمور والصعاب على يدي فلما سمعت الجاريـ ـة كلامـ ـه قالت يا سيدي ما ضاع سر أنت حافظه ولا خاب أمر أنت تسعى في قضائه اعلم أن قلبي مـ ـال إليـ ـك فأنـ ـا أخبرك بحقيقة الأمر لتعطيني الورقة ثم أخبرته بالخبر كله وقالت والله لعلى ما أقول شهيد فقال لها صـ دقت فإن عندي علم بأصل الخبر ثم حدثها بحديث علي بن بكار وكيف أخذ ضميره وأخبرها بالخبر من أوله إلـ ى آخره فلما سمعت ذلك فرحت واتفقا على أنها تأخذ الورقة وتعطيها لعلي بن بكار وجميع ما يحصـ ـل ترجـ ـع إليه وتخبره به فأعطاها الورقة فأخذتها وختمتها كما كانت وقالت أن سيدتي شمس النهار أعطتها إلى مختومة فإذا قرأها ورد لي جوابها أتيتك به ثم أن الجارية ودعته وتوجهت إلى علي بن بكار فوجدته فـ ي الانتظـ ـار فأعطته الورقة وقرأها ثم كتب لها ورقة رد الجواب وأعطاها لها فأخذتها ورجعت بها إلى الجواهرجي حسب الاتفاق ففض ختمها وقرأها فرأى مكتوباً فيها:

أن الرسـ ـول الـ ـذي كانـ ـت رسـ ـائلنا	مكتومـ ـة عنـ ـده ضـ ـاقت وقـ ـد غضـ ـبا
فاستخلصـ ـوا لـ ـي رسـ ـولاً مـ ـنكم ثقـ ـة	يستحسن الصـ ـدق لا يستحسـ ـن الكـ ـذبا

وبعد فإني لم يصدر مني جفاء ولا تركت وفاء ولا نقضت عهداً ولا قطعت ودا ولا فارقت أسـ فاً ولا لقيت بعد الفراق إلا تلفاً ولا علمت أصلاً بما ذكرتم ولا أحب غير ما أحببتم وحق عالم السر والنجـ ـوى مـ ـا قصدي غير الاجتماع بمن أهوى وشأني كتمان الغرام وأن أمرضني السقام وهذا شرح حالي والسلام فلما قرأ الجواهرجي هذه الورقة وعرف ما فيها بكى بكاء شديدا ثم أن الجارية قالت له لا تخرج من هذا المكان حتى

أعود إليك لأنه قد أتهمني بأمر من الأمور وهو معذور وأنا أريد أن أجمع بينك وبين سيدتي شمس النهار بأي حيلة فإني تركتها مطروحة وهي تنتظر مني رد الجواب ثم أن الجارية مضت إلى سيدتها ولم تغ ب قل يلاً وعادت إلى الجواهرجي وقالت له أحذر أن يكون عندك جارية أو غلام فقال ما عندي غير جاري ة س وداء كبيرة السن تخدمني فقامت الجارية وأغلقت الأبواب بين جارية الجواهرجي وبينه وصرفت غلمانه إلى خارج الدار ثم خرجت الجارية وعادت ومعها جارية خلفها ودخلت دار الجواهرجي فعبقت الدار من الطي ب فلم ا رآها الجواهرجي نهض قائماً ووضع لها مخدة وجلس بين يديها فمكثت ساعة لا تتكلم حت ى اس تراحت ث م كشفت وجهها فخيل للجواهرجي أن الشمس أشرقت في منزله ثم قالت لجاريتها أهذا الرجل الذي قل ت ل ي عليه فقالت الجارية نعم فالتفتت إلى الجواهرجي وقالت له كيف حالك قال بخير ودعا لها فقالت أنك حملتن ا المسير إليك وأن نطلعك على ما يكون من سرنا ثم سألته عن أهله وعياله فأخبرها بجميع أحواله وقال لها أن لي داراً غير هذه الدار جعلتها للاجتماع بالأصحاب والأخوان ليس لي فيها إلا ما ذكرته لجاريتك ثم س ألته عن كيفية اطلاعه على أصل القصة فأخبرها بما سألته عنه من أول الأمر إلى آخره فتأوهت على فراق أبي الحسن وقالت يا فلان اعلم أن أرواح الناس متلائمة في الشهوات والناس بالناس ولا يتم عمل إلا بق ول ولا يتم غرض إلا بمعين ولا تحصل راحة إلا بعد تعب. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٩١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن شمس النهار قالت للجواهرجي لا تحصل راح ة إلا بع د تع ب ولا يظهر نجاح إلا من ذوي مروءة وقد أطلعتك الآن على أمرنا وصار بيدك هتكنا ولا زيادة لما أنت عليه م ن المروءة فأنت قد علمت أن جاريتي هذه كاتمة لسري وبسبب ذلك لها رتبة عظيمة عندي وق د اختصص تها بمهمات أموري فلا يكن عندك أعز منها وأطلعها على أمرك وطب نفساً فأنت آمن مما تخافه من جهتنا ومما يسد عليك موضع إلا وتفتحه لك وهي تأتيك من عندي بأخبار علي بن بكار وتكون أنت الواسطة في التبلي غ بيني وبينه ثم أن شمس النهار قامت وهي لا تستطيع القيام ومشت فتمشي بين يديها الجواهرجي حتى وصلت إلى باب الدار ثم رجع وقعد في موضعه بعد أن نظر من حسنها ما بهره وسمع من كلامها ما حي ر عقل ه وشاهد من ظرفها وأدبها ما أدهشه ثم استمر يتفكر في شمائلها حتى سكنت نفسه وطلب الطع ام فأك ل م ا يمسك رمقه ثم غير ثيابه وخرج من دياره وتوجه إلى علي بن بكار فلاقاه غلمانه ومشوا بين يدي ه إل ى أن وصلوا إلى سيدهم فوجدوه ملقى على فراشه فلما رأى الجواهرجي قال له ابطأت على فزدتني هما على همي ثم صرف غلمانه وأمر بغلق أبوابه وقال له والله ما غمضت عيني من يوم ما فارقتني فإن الجارية ج اءتني بالأمس ومعها رقعة مختومة من عند سيدتها شمس النهار وحكى له ابن بكار على جميع ما وقع له معها ث م قال لقد تحيرت في أمري وقل صبري وكان لي أبو الحسن أنيساً لأنه يعرف الجارية فلما سمع الج واهرجي كلام ابن بكار ضحك فقال له كيف تضحك من كلامي وقد استبشرت بك وأخذتك عدة للنائبات ثم بكى وأنشد هذه الأبيات:

رضاحك م ن بك ائي ح ين أبص رني	لو ك ان قاس ي ال ذي قاس يت أبك اه
ل م ي رث للمبتل ى مم ا يكاب ده	الأش ج منل ه ق د ط ال بل واه

وجدي حنيذ ـي أنيذ ـي فكرتـ ـي ولهـ ـي إلى حبيب زوايا القلب مأواه وقتاً ولكنه قد

حـ ـ ـل الفـ ـ ـؤاد مقيمـ ـ ـاً لا يفارقـ ـ ـه ع . . . . ز لقيـ . . . . اه

مـ ـالي سـ ـواه خليـ ـل ارتضـ ـى بـ ـدلاً ومـ ـا اصـ ـطفيت حبيبـ ـاً قـ ـط إلا هـ ـو

فلما سمع الجواهرجي منه هذا الكلام وفهم الشعر والنظام بكى لبكائه وأخبره بما جرى مع الجارية من حين فارقه فصار ابن بكار يصغى إلى كلامه وكلما سمع منه كلمة يتغير لون وجهه من صفرة إلى احمـ ـرار ويقوي جسمه مرة ويضعف أخرى فلما انتهى إلى آخر الكلام بكى ابن بكار وقال له يا أخي أنا على كل حال هالك فليت أجلي قريب واسألك من فضلك أن تكون ملاطفي في جميع أموري إلى أن يقضي الله ما يريـ ـد و أنا لا أخالف لك قولاً فقال الجواهرجي لا يطفيء عنك هذه النار إلا الاجتماع بمن شغفت بها ولكن في غيـ ـر هذا المكان الخطير وأنما يكون ذلك عندي في بيت جنب بيتي الذي جاءتني فيه الجارية هي وسـ ـيدتها وهـ ـو الموضع الذي اختارته لنفسها والمقصود اجتماعكما ببعضكما وفيه نشكو أن لبعضكما ما قاسيتما فقال علي بن بكار أفعل ما تريد والذي تراه هو الصواب قال الجواهرجي فأقمت عنده تلك الليلة أسامره إلـ ـى أن أصـ ـبح الصباح ثم صليت الصبح وخرجت من عنده وذهبت إلى منزله فما أستقريت إلا قليلاً حتى جـ ـاءت الجاريـ ـة وسلمت علي فرددت عليها السلام وحدثتها بما كان بيني وبين علي بن بكار فقالت الجارية علـ ـم أن الخليفـ ـة توجه من عندنا وأن مجلسنا لا أحد فيه وهوأستر لنا وأحسن فقلت لها كلامك صحيح ولكنه ليس كمنزلي هذا فإنه استرلنا وأليق بنا فقالت الجارية أن الرأي ما تراه أنت وأنا ذاهبة إلى سـ ـيدتي لأخبرهـ ـا بمـ ـا ذكـ ـرت وأعرض عليها ما قلت ثم أن الجارية توجهت إلى سيدتها وعرضت عليها الكلام وعادت إلى منزلي وقالـ ـت لي أن سيدتي رضيت بما قلته أن الجارية أخرجت من جيبها كيساً فيه دنانير وقالت أن سيدتي تسـ ـلم عليـ ـك وتقول لك خذ هذا واقض لنا به ما تحتاج إليه فأقسمت أني لا أصرف شيئاً منه فأخذته الجارية وعادت إلـ ـى سيدتها وقالت لها أنه ما قبل الدراهم بل دفعها إلي وبعد رواح الجارية ذهبت إلى داري الثانية وحولت إليهـ ـا من الآلات والفرش ما يحتاج إليه الحال ونقلت إليها أواني الفضة والصيني وهيأت جميع ما نحتاج إليه مـ ـن المأكل والمشرب فلما حضرت الجارية ونظرت مافعلته أعجبها وأمرتني بإحضار علي بن بكار فقلـ ـت مـ ـا يحضر به إلا أنت فذهبت إليه وأحضرته على أتم حال وقد راقت محاسنه فلما جاء قابلته ورحبت به وأجلسته على مرتبة تصلح له ووضعت بين يديه شيئاً من المشموم في بعض الأواني الصيني والبللور وصرت أتحدث معه نحو ساعة من الزمان ثم أن الجارية مضت وغابت إلى بعد صلاة المغرب ثم عادت ومعها شمس النهار ووصيفتان لا غير فلما رأت علي بن بكار ورآها سقطا على الأرض مغشياً عليهما واستمرا سـ ـاعة زمانيـ ـة فلما أفاقا أقبلا على بعضهما ثم جلسا يتحدثان بكلام رقيق وبعد ذلك استعملا شيئاً من الطيب ثم أنهما صـ ـارا يشكران صنعي معهما فقلت لهما هل لكما في شيء من الطعام فقالا نعم فأحضرت شيئاً من الطعـ ـام فـ ـأكلا حتى اكتفيا ثم غسلا أيديهما ثم نقلتهما إلى مجلس آخر وأحضرت لهما الشراب فشربا وسكرا ومـ ـالا علـ ـى بعضهما ثم أن شمس النهار قالت لي يا سيدي كمل جميلك وأحضر لنا عوداً أو شيئاً من آلات الملاهي حتى أننا نكمل حظنا في هذه الساعة فقلت على رأسي وعيني ثم أني قمت وأحضرت عوداً فأخذته وأصـ ـلحته ثـ ـم أنها وضعته في حجرها وضربت عليه ضرباً جميلاً ثم أنشدت هذين البيتين:

أرقـت حتـى كـأني أعشـق الأرقـا | وذبت حتـى تـراءى السـقم لـي خلقـا
وفـاض دمعـي علـى خـدي فأحرقـه | يا ليت شـعري هـل بعـد الفـراق لقـا

ثم أنها أخذت في غناء الأشعار حتى حيرت الأفكار بأصوات مختلفات وإشارات رائقات وكاد المجلس أن يطيره من شدة الطرب لما أتت فيه من مغانيها بالعجب ثم قال الجواهرجي ولما استقر بنا الجلوس ودارت بيننا الكؤوس أطربت الجارية بالنغمات وأنشدت هذه الأبيات:

وعـد الحبيـب بوصـله ووفـى لـي | فـ . ـي ليلـ . ـة سـ . ـاعدها بلي . ـالي
يـا ليلـة سـمح الزمـان لنـا بهـا | فـ . ـي غفلـ . ـة الواشـ . ـين والعـ . ـذال
بـ . ـات الحبيـ . ـب يضـ . ـمني بيمينـ . ـه | فضـ . ـممته مـ . ـن فرحـ . ـي بشـ . ـمالي
عانقتـ . ـه ورشـ . ـفت خمـ . ـرة ريقـ . ـه | وحظيـ . ـت بالمعسـ . ـول والعسـ . ـال

ثم أن الجواهرجي تركهما في تلك الدار وانصرف إلى دار سكناه وبات فيها إلى الصباح ولما أصـبح الصبح صل فرضه وشرب القهوة وجلس يفكر في المسير إليهما في داره الثانية فبينما هو جـالس أذ دخـل عليه جاره وهو مرعوب وقال يا أخي ما هان على الذي جرى لك الليلة في دارك الثانية فقلت له يـا أخـي وأي شيء جرى فأخبرني بما حصل في داري فقال له أن اللصوص الذين جاءوا جيراننا بالأمس وقتلوا فلاناً وأخذوا ماله قد رأوك بالأمس وأنت تنقل حوائجك إلى دارك الثانية فجاءوا إليها ليلاً وأخذوا ما عندك وقتلـوا ضيوفك قال الجواهرجي فقمت أنا وجاري وتوجهنا إلى تلك الدار فوجدناها خالية ولم يبق فيها شيء فتحيرت في أمري وقلت أما الأمتعة فلا أبالي بضياعها وأن كنت استعرت بعض أمتعة من أصحابي وضـاعت فـلا بأس بذلك لأنهم عرفوا عذري بذهاب مالي ونهب داري وأما علي بن بكار ومحظية أمير المؤمنين فأخشـى أن يشتهر الأمر بينهما فيكون ذلك سبب رواح روحي ثم أن الجواهرجي التفت إلى جاره وقال له أنت أخـي وجاري وتستر عورتي فما الذي تشير به على من الأمور فقال الرجل للجواهرجي الذي أشير به عليـك أن تتربص فإن الذين دخلوا دارك وأخذوا متاعك قد قتلوا أحسن جماعة من دار الخليفة وقتلوا جماعة مـن دار صاحب الشرطة وأعوان الدولة يدورون عليهم في جميع الطرق فلعلهم يجدونهم فيحصل مرادك بغير سـعي منك فلما سمع الجواهرجي هذا الكلام رجع إلى داره التي هو ساكن بها. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكـلام المباح.

(وفي ليلة ١٩٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجواهرجي لما سمع هذا الكلام رجع إلى داره التي هو سـاكن بهـا وقال في نفسه أن الذي حصل لي هو الذي خاف منه أبو الحسن وذهب إلى البصرة وقد وقعت فيـه ثـم أن نهب داره اشتهر عند الناس فأقبلوا إليه من كل جانب ومكان فمنهم من هو شامت ومنهم من هو حامل همـه فصار يشكو لهم ولم يأكل طعاماً ولم يشرب شراباً فبينما هو جالس متندم وإذا بغلام من غلمانه دخـل عليـه وقال له أن شخصاً بالباب يدعوك لم أعرفه فخرج إليه الجواهرجي وسلم عليه فوجده إنساناً لم يعرفه فقال له الرجل أن لي حديثاً بيني وبينك فأدخله الدار وقال له ما عندك من الحديث فقال الرجل أمض معي إلى دارك الثانية فقال الجواهرجي وهل تعرف داري الثانية فقال أن جميع خبرك عندي وعندي أيضاً يفرج الله به همك

فقلت في نفسي أنا أمضي معه حيث أراد ثم توجهت إلى أن أتينا الدار فلما رآها الرجل قال أنها بغير بواب ولا يمكن القعود فيها فامض معي إلى غيرها فلم يزل الرجل يدور بي من مكان إلى مكان وأنا معه حتى دخل علينا الليل ولم اسأله عن أمر من الأمور ثم أنه لم يزل يمشي وأنا أمشي معه حتى خرجنا إلى الفضاء وهو يقول اتبعني وصار يهرول في مشيه وأنا أهرول وراءه حتى وصلنا إلى البحر فطلع بنا في زورق وقذف بنا الملاح حتى عدانا إلى البر الثاني فنزل من ذلك الزورق ونزلت خلفه ثم أنه أخذ بيدي ونزل بي في درب لم أدخله طول عمري ولم أعلم هو في أي ناحية ثم أن الرجل وقف على باب دار وفتحها دخل وأدخلني معه وأغلق بابها بقليل من حديد ثم مشى بي في دهليزها حتى دخلنا على عشرة رجال كأنهم رجل واحد وهم أخوة فلما دخلنا عليهم سلم عليهم ذلك الرجل فردوا عليه السلام ثم أمروني بالجلوس فجلست وكنت ضعفت من شدة التعب فجاؤني بماء ورد ورشوه على وجهي وسقوني شراباً وقدموا لي طعاماً فقلت لو كان في الطعام شيئاً مضراً ما أكلوا معي فلما غسلنا أيدينا عاد كل منا إلى مكانه وقالوا هل تعرفنا فقلت لا ولا عمري عرفت موضعكم بل ولا أعرف من جاء بي إليكم فقالوا أطلعنا على خبرك ولا تكذب في شيء فقلت لهم أعلموا أن حالي عجيب وأمري غريب فهل عندكم شيء من خبري قالوا نعم نحن الذين أخذنا أمتعتك في الليلة الماضية وأخذنا صديقك والتي كانت تغني فقلت لهم أسبل الله عليكم ستره اين صديقي هو والتي كانت تغني فأشاروا إليّ بأيديهم إلى ناحية وقالوا ههنا ولكن يا أخي ما ظهر على سرهما أحد منا ومن حين أتينا بهما لم نجتمع عليهما ولم نسألهما عن حالهما لما رأينا عليهما من الهيبة والوقار وهذا هو الذي منعنا عن قتلهما فأخبرنا عن حقيقة أمرهما وأنت في أمان على نفسك وعليهما قال الجواهرجي فلما سمعت هذا الكلام.
وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٩٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجواهرجي قال لما سمعت هذا الكلام كدت أن أهلك من الخوف والفزع وقلت لهم أعلموا أن المرأة إذا ضاعت لا توجد إلا عندكم وإذا كان عندي سراً خاف أفشاءه فلا يخفيه إلا صدوركم وصرت أبالغ في هذا المعنى ثم أن وجدت المبادرة لهم بالحديث أنفع من كتمانه فحدثتهم بجميع ما وقع لي حتى انتهيت إلى آخر الحديث فلما سمعوا حكايتي قالوا وهل هذا الفتى علي بن بكار وهذه شمس النهار فقلت لهم نعم فذهبوا إليهما واعتذروا لهما ثم قالوا لي أن الذي أخذناه من دارك ذهب بعضه وهذا ما بقى منه ثم ردوا إلى أكثر الأمتعة والتزموا أنهم يعيدوها إلى محلها في داري ويردون إلى الباقي ولكنهم انقسموا نصفين فصار قسم منهم معي ثم خرجنا من تلك الدار هذا ما كان من أمري (وأما) ما كان من أمر علي بن بكار وشمس النهار فأنهما قد أشرفا على الهلاك من الخوف ثم تقدمت إلى علي بن بكار وشمس النهار وسلمت عليهما وقلت لهما يا ترى ما جرى للجارية والوصيفتين وأين ذهبن فقالا لا علم لنا بهن ولم نزل سائرين إلى أن أنتهينا إلى المكان الذي فيه الزورق فاطلعونا فيه وإذا هو الزورق الذي عدينا به بالأمس فقذف بنا الملاح حتى أوصلنا إلى البر الثاني فانزلونا فما استقر بنا الجلوس على جانب البر حتى جاءت خيالة وأحاطوا بنا من كل جانب فوثب الذين معنا عاجلاً كالعقبان فرجع لهم الزورق فنزلوا فيه وسار بهم في البحر وبقيت أنا وعلي بن بكار وشمس النهار على شاطيء البحر لا نستطيع حركة ولا سكوناً فقال لنا

الخيالة من أين أنتم بتحيرنا في الجواب قال الجواهرجي فقلت لهم أن الذين رأيتموهم لا نعرفهم وأنما رأيناهم ههنا وأما نحن فمغنون فأرادوا أخذنا لنغني لهم فما تخلصنا منهم إلا بالحيلة ولين الكلام فأفرجوا عنا في هذه الساعة وقد كان منهم ما رأيتم من أمرهم فنظر الخيالة إلى شمس النهار وإلى علي بن بكار ثم قالوا لي لست صادقاً فأخبرنا من أنتم ومن أين أتيتم وما موضعكم وفي أي الحارات أنتم ساكنون قال الجواهرجي فلم أدر ما أقول فوثبت شمس النهار وتقدمت إلى مقدم الخيالة وتحدثت معه سراً فنزل من فوق جواده وأركبها عليه وأخذ بزمامها وصار يقودها وكذلك فعل بعلي بن بكار وفعل بي أيضاً ثم أن مقدم الخيالة لم يزل سائراً بنا إلى موضع على جانب البحر وصاح بالرطانة فأقبل لي جماعة من البرية فأطلعنا المقدم في زورق وأطلع أصحابه في زورق آخر وقذفوا بنا إلى أن انتهينا إلى دار الخلافة ونحن نكابد الموت من شدة الخوف فدخلت شمس النهار وأما نحن فرجعنا ولم نزل سائرين إلى أن انتهينا إلى المحل الذي نتوصل منه إلى موضعنا فنزلنا على البر ومشينا ومعنا جماعة من خيالة يؤانسوننا إلى أن دخلنا الدار وحين دخلناها ودعنا من كان معنا من الخيالة ومضوا إلى حال سبيلهم وأما نحن فقد دخلنا مكاننا ونحن لا نقدر أن نتحرك من مكاننا ولا ندري الصباح من المساء ولم نزل على هذه الحالة إلى أن أصبح الصباح فلما جاء آخر النهار سقط علي بن بكار مغشياً عليه وبكى عليه النساء والرجال وهو مطروح لم يتحرك فجاءني بعض أهله وقالوا حدثنا بما جرى لولدنا وأخبرنا بسبب الحال الذي هو فيه فقلت لهم يا قوم اسمعوا كلامي وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٩٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجواهرجي قال لا تفعلوا بي مكروهاً وأصبروا وهو يفيق ويخبركم بقصته بنفسه ثم شددت عليهم وخوفتهم من الفضيحة بيني وبينهم فبينما نحن كذلك وإذا بعلي بن بكار تحرك في فراشه ففرح أهله وانصرف الناس عنه ومنعني أهله من الخروج من عنده ثم رشوا ماء الورد على وجهه فلما أفاق وشم الهواء صاروا يسألونه عن حاله فصار يخبرهم ولسانه لا يرد جواباً بسرعة ثم أشار إليهم أن يطلقوني لأذهب إلى منزلي فأطلقوني فخرجت فلما أردت المسير رأيت أمرأة واقفة فتأملتها وإذا هي جارية شمس النهار فلما عرفتها سرت وهرولت في سيري فتبعتني فداخلني منها الفزع وسرت كلما انظرها يأخذني الرعب منها وهي تقول لي قف حتى أحدثك بشيء وأنا لم ألتفت إليها ولم أزل سائر إلى مسجد في موضع خال من الناس فقالت لي أدخل هذا المسجد لأقول لك كلمة ولا تخف من شيء وحلفتني فدخلت المسجد ودخلت خلفي فصليت ركعتين ثم تقدمت إليها وأنا أتأوه وقلت لها ما نالك فسألتني عن حالي فحدثتها بما وقع لي وأخبرتها بما جرى لعلي بن بكار وقلت لها ما خبرك فقالت اعلم أني لما رأيت الرجال كسروا باب دارك ودخلوا خفت منهم وخشيت أن يكونوا من عند الخليفة فيأخذوني أنا وسيدتي فنهلك من وقتنا فهربت من السطوح أنا والوصيفتان ورمينا أنفسنا من مكان عالي ودخلنا على قوم فهربنا عندهم حتى وصلنا إلى قصر الخلافة ونحن على أقبح صفة ثم أخفينا أمرنا وصرنا نتقلب على الجمر إلى أن جن الليل ففتحت باب البحر واستدعيت الملاح الذي أخرجنا تلك الليلة وقلت له أن سيدتي لم نعلم لها خبراً فاحملني في الزورق حتى أفتش عليها في البحر لعلي أقع على خبرها فحملني في الزورق وسار بي ولم أزل سائرة في البحر حتى

انتصف الليل فرأيت زورقا أقبل إلى جهة الباب وفيه رجل يقذف ومعه رجل آخر وامرأة مطروحة بينهما ومازال يقذف حتى وصل إلى البر فلما نزلت المرأة تأملتها فإذا هي شمس النهار فنزلت إليها وقد اندهشت من الفرحة لما رأيتها بعدما قطعت الرجاء منها وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٩٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية قالت للجواهرجي فنزلت إليها وقد اندهشت من الفرح فلما تقدمت بين يديها أمرتني أن أدفع إلى الرجل الذي جاء بها ألف دينار ثم حملتها أنا والوصيفتان إلى أن ألقيناها على فراشها فأقامت تلك الليلة على حالة مكدرة فلما أصبح الصباح منعت الجواري والخدم من الدخول عليها والوصول إليها ذلك اليوم وفي ثاني يوم أفاقت مما كان بها فوجدتها كأنها قد خرجت من مقبرة فرششت على وجهها ماء الورد وغيرت ثيابها وغسلت يديها ورجليها ولم أزل ألاطفها حتى أطعمتها شيئاً من الطعام وأسقيتها شيئاً من الأشربة وهي ليس لها قابلية في شيء من ذلك فلما شمت الهواء وتوجهت إليها العافية قلت لها يا سيدتي أرفقي بنفسك فقد حصل لك من المشقة ما فيه الكفاية فإنك قد أشرفت على الهلاك فقالت والله يا جارية لالخير أن الموت عندي أهون مما جرى لي فإني كنت مقتولة لا محالة لأن اللصوص لما خرجوا بنا من دار الجواهرجي سألوني وقالوا من أنت وما شأنك فقلت أنا جارية من المغنيات فصدقوني ثم سألوا علي ابن بكار عن نفسه وقالوا من أنت وما شأنك فقال أنا من عوام الناس فأخذونا وسرنا معهم إلى أن انتبهوا بنا إلى موضعهم ونحن نسرع في السير معهم من شدة الخوف فلما استقروا بنا في أماكنهم تأملوني ونظروا ما على من الملبوس والعقود والجواهر فأنكروا أمري وقالوا أن هذه العقود لا تكون لواحدة من المغنيات ثم قالوا أصدقينا وقولي لنا الحق وما قضيتك فلم أرد عليهم جواباً بشيء وقلت في نفسي الآن يقتلونني لأجل ما على من الحلي والحلل فلم أنطق بكلمة ثم التفتوا إلى علي بن بكار وقالوا له من أين أنت فإن رؤيتك غير رؤية العوام فسكت وصرنا نكتم أمرنا ونبكي فحنن الله علينا قلوب اللصوص فقالوا لنا من صاحب الدار التي كنتما فيها فقلنا لهم صاحبها فلأن الجواهرجي فقال واحد منهم أنا أعرفه حق المعرفة وأعرف أنه ساكن في داره الثانية وعلى أن آتيكم به في هذه الساعة واتفقوا على أن يجعلوني في موضع وحدي وعلي بن بكار في موضع وحده وقالوا لنا استريحا ولا تخافا أن ينكشف خبركما وأنتما في أمان منا ثم أن صاحبهما مضى إلى الجواهرجي وأتى به وكشف أمرنا لهم واجتمعنا عليه ثم أن رجلاً منهم أحضر لنا زورقاً وأطلعونا فيه وعدوا بنا إلى الجانب الثاني ورمونا إلى البر وذهبوا فأتت خيالة من أصحاب العسس وقالوا من تكونون فتكلمت مع مقدم العسس وقلت له أنا شمس النهار محظية الخليفة وقد سكرت وخرجت لبعض معارفي من نساء الوزراء فجاءني اللصوص وأخذوني وأوصلوني إلى هذا المكان فلما رأوكم فروا هاربين وأنا قادرة على مكافأتك فلما سمع كلامي مقدم الخيالة عرفني ونزل عن مركوبه وأركبني وفعل كذلك مع علي بن بكار والجواهرجي وفي كبدي الآن من أجلهما لهيب النار لا سيما الجواهرجي رفيق ابن بكار فأمض إليه وسلمي عليه واستخبريه عن علي بن بكار فلمتها على ما وقع منها وحذرتها وقلت لها يا سيدتي خافي على نفسك فصاحت علي وغضبت من كلامي ثم قمت من عندها وجئت فلم أجدك وخشيت من الرواح إلى ابن بكار فصرت واقفة أترقبك حتى أسألك عنه واعلم ما هو فيه فاسألك من فضلك أن تأخذ مني شيئاً من

المال فإنك ربما استعرت أمتعة من أصحابك وضاعت عليك فتحتاج أن تعوض على الناس ما ذهب لهم من الأمتعة قال الجواهرجي فقلت سمعاً وطاعة ثم مشيت معها إلى أن أتينا إلى قرب محلي فقالت لي قف هنا حتى أعود إليك وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٩٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية مضت ثم عادت وهي حاملة المال فأعطته للجواهرجي وقالت له يا سيدي أنجتمع بك في أي محل قال الجواهرجي فقلت لها أتوجه إلى داري في هذه الساعة وأتحمل الصعوبة لأجل خاطرك وأتدبر فيما يوصلك إليه فإنه يتعذر الوصول إليه في هذا الوقت ثم ودعتني ومضت فحملت المال وأتيت به إلى منزلي وعددت المال فوجدته خمسة آلاف دينار فأعطيت أهلي منه شيئاً ومن كان له عندي شيء أعطيته عوضاً منه ثم أني أخذت غلماني وذهبت إلى الدار التي ضاعت منها الأمتعة وجئت بالنجارين والبنائين فأعادوها إلى ما كانت عليه وجعلت جاريتي فيها ونسيت ما جرى لي ثم تمشيت إلى دار بن بكار فلما وصلت إليها أقبل غلمانه علي وقال لي واحد منهم أن غلمان سيدي في طلبك ليلاً ونهاراً وقد وعدهم أن كل من أتاه بك يعتقه فهم يفتشون عليك ولم يعرفوا لك موضعاً وقد رجعت إلى سيدي عافيته وهو تارة يفيق وتارة يستغرق فلما يفيق يذكرك ويقول لابد أن نحضروه لحظة لي ويعود إلى حال سبيله قال الجواهرجي فمضيت مع الغلام إلى سيده فوجدته لا يستطيع الكلام فلما رأيته جلست عند رأسه ففتح عينيه فلما رآني قال اعلم أن لكل شيء نهاية ونهاية الهوى الموت أو الوصال وأنا إلى الموت أقرب فيا ليتني مت من قبل الذي جري ولولا أن الله لطف بنا لا فتضحنا ولا أدري ما الذي يوصلني إلى الخلاص مما أنا فيه ولولا خوفي من الله تعالى لعجلت على نفسي بالهلاك واعلم يا أخي أنني كالطير في القفص وأن نفسي هالكة من الغصص ولكن لها وقت معلوم وأجل محتوم ثم أفض دمع العين وأنشد هذين البيتين:

شـ . كا ألـ . ـم الفـ . ـراق النـ . ـاس قبلـ . ـي	وروع بـ . . ـالنوى حـ . . . ـي وميـ . . ـت
وأمـ . . ـا مثـ . . ـل ماضـ . . ـمت ضـ . . ـلوعي	فـ . . ـإني مـ . . ـا سـ . . ـمعت ولا رأيـ . . ـت

فلما فرغ من شعره قال له الجواهرجي يا سيدي اعلم أني عزمت على الذهاب إلى داري فلعل الجارية ترجع إلى بخبر فقال علي بن بكار لا بأس بذلك ولكن أسرع بالعودة عندنا لأجل أن تخبرني قال الجواهرجي فودعته وأنصرفت إلى داري فلم يستقر بي الجلوس حتى رأيت الجارية أقبلت وهي في بكاء ونحيب فقلت لها ما سبب ذلك فقالت يا سيدي اعلم أنه حل بنا ما حل من أمر نخافه فأني لما مضيت من عندك بالأمس وجدت سيدتي مغتاظة على وصيفة من الوصيفتين اللتين كانتا معنا تلك الليلة وأمرت بضربها فخافت من سيدتها وهربت فلاقاها بعض الموكلين بالباب وأراد ردها إلى سيدتها فلوحت له بالكلام فلاطفها واستنطقها عن حالها فأخبرته بما كنا فيه فبلغ الخبر إلى الخليفة فأمر بنقل سيدتي شمس النهار وجميع ما لها إلى دار الخلافة ووكل بها عشرين خادماً ولم اجتمع بها إلى الآن ولم أعلمها بالسبب وتوهمت أنه بسبب ذلك فخشيت على نفسي واحترت يا سيدي ولم أدر كيف احتال في أمري وأمرها ولم يكن عندها أحفظ لكتمان السر مني وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٩٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية قالت للجواهرجي توجه يا سيدي إلى علي بن بكار سريعاً وأخبره بذلك لأجل أن يكون على أهبة فإذا انكشف الأمر نتدبر في شيء نفعله لنجاة أنفسنا قال الجواهرجي فأخذني من ذلك هم عظيم وسار الكون في وجهي ظلاماً من كلام الجارية وهمت الجارية بالانصراف فقلت لها وما الرأي فقالت لي الرأي أن تبادر إلى علي بن بكار إن كان صديقك وتريد له النجاة وأنت عليك تبليغ هذا الخبر له بسرعة وأنا على أن أتقيد باستنشاق الأخبار ثم ودعتني وخرجت فلما خرجت الجارية قمت وخرجت في أثرها وتوجهت إلى علي بن بكار فوجدته يحدث نفسه بالوصال ويعللها بالمحال فلما رآني رجعت إليه عاجلاً قال لي أني أراك رجعت إلي في الحال فقلت له أقصر من التعلق بالطال ودع ما أنت فيه من الاشتغال فقد حدث حادث يقضي إلى تلف نفسك وما لك فلما سمع هذا الكلام تغير حاله وانزعج وقال للجواهرجي يا أخي أخبرني بما وقع فقال له الجواهرجي يا سيدي اعلم أنه قد جرى ما هو كذا وكذا وأنك أن أقمت في دارك هذه إلى آخر النهار فأنت تالف لا محالة فبهت علي بن بكار وكادت روحه أن تفارق جسده ثم استرجع بعد ذلك وقال له ماذا نفعل يا أخي وما عندي من الرأي قال الجواهرجي فقلت له الرأي أن تأخذ معك من مالك ما تقدر عليه ومن غلمانك ما تثق به وأن تمضي بنا إلى ديار غير هذه قبل أن ينقضي هذا النهار فقال سمعاً وطاعة ثم وثب وهو متحير في أمره فتارة يمشي وتارة يقع وأخذ ما قدر عليه واعتذر إلى أهله وأوصاهم بمقصوده وأخذ معه ثلاثة جمال محملة وركب دابة وقد فعلت أنا كما فعل ثم خرجنا خفية وسرنا ولم نزل سائرين باقي يومنا وليلتنا فلما كان آخر النهار حططنا حمولنا وعقلنا وجمالنا ونمنا فحل علينا التعب وغفلنا عن أنفسنا وإذا باللصوص أحاطوا بنا وأخذوا جميع ما كان معنا وقتلوا الغلمان ثم تركونا مكاننا ونحن في أقبح حال بعد أن أخذوا المال وساروا فلما قمنا مشينا إلى أن أصبح الصباح فوصلنا إلى بلد فدخلناها وقصدنا مسجده ونحن عرايا وجلسنا في جنب المسجد باقي يومنا فلما جاء الليل بتنا في المسجد تلك الليلة ونحن من غير أكل ولا شرب فلما أصبح الصباح صلينا الصبح وجلسنا وإذا برجل داخل فسلم علينا وصل ركعتين ثم التفت إلينا وقال يا جماعة هل أنتم غرباء قلنا نعم وقطع اللصوص علينا الطريق وعرونا ودخلنا هذه البلدة ولا نعرف فيها أحداً نأوي عنده فقال لنا الرجل هل لكم أن تقوموا معي إلى داري قال الجواهرجي فقلت لعلي بن بكار قم بنا معه فننجوا من أمرين الأول أننا نخشى أن يدخل علينا أحد يعرفنا في هذا المسجد فنفتضح والثاني أننا ناس غرباء وليس لنا مكان نأوي إليه فقال علي بن بكار افعل ما تريد ثم أن الرجل قال لنا ثاني مرة يا فقراء أطيعوني وسيروا معي إلى مكاني قال الجواهرجي فقلت له سمعاً وطاعة ثم أن الرجل خلع لنا شيئاً من ثيابه وألبسنا ولاطفنا فقمنا معه إلى داره فطرق الباب فخرج إلينا خادم صغير وفتح الباب فدخل الرجل صاحب المنزل ودخلنا خلفه ثم أن الرجل أمر بإحضار بقجة فيها أثواب وشاشات فألبسنا حلتين وأعطانا شاشين فتعممنا وجلسنا وإذا بجارية أقبلت إلينا بمائدة ووضعتها بين أيدينا فأكلنا شيئاً يصيراً ورفعت المائدة ثم أقمنا عنده إلى أن دخل الليل فتاوه علي بن بكار وقال للجواهرجي يا أخي أعلم أنني هالك لا محالة وأريد أن أوصيك وصية وهو أنك إذا رأيتني مت تذهب إلى والدتي وتخبرها أن تأتي إلى هذا المكان لأجل أن تأخذ عزائي وتحضر غسلي وأوصيها أن تكون صابرة على فراقي ثم وقع مغشياً عليه فلما

أفاق سمع جارية تغنى من بعيد وتنشد الأشعار فصار يصغي إليها ويسمع صوتها وهو تـ ـارة يفكـ ـر وتـ ـارة يضحك وتارة يبكي شجنا وحزناً مما أصابه فسمع الجارية تطرب بالنغمات وتنشد هذه الأبيات:

عجـ ـ ـل البـ ـ ـين بيننـ ـ ـا بـ ـ ـالفراق بعـ ـ ـد ألـ ـ ـف وجيـ ـ ـرة واتفـ ـ ـاق
فرقـ ـ ـت بيننـ ـ ـا صـ ـ ـروف الليـ ـ ـالي ليـ ـت شـ ـعري متـ ـى يكـ ـون التلاقـ ـي
مـ ـا أمـ ـر الفـ ـراق بعـ ـد اجتمـ ـاع ليتـ ـ ـه مـ ـ ـا أضـ ـ ـر بالعشـ ـ ـاق
غصـ ـة المـ ـوت سـ ـاعة ثـ ـم تنقضـ ـي وفـ ـراق الحبيـ ـب فـ ـي القلـ ـب بـ ـاقي
لـ ـو وجـ ـدنا إلـ ـى الفـ ـراق سـ ـبيلاً لأذقنـ ـا الفـ ـراق طعـ ـم الفـ ـراق

فلما سمع ابن بكار انشاد الجارية شهق شهقة ففارقت روحه جسده قال الجواهرجي فلما رأيتـ ـه مـ ـات أوصيت عليه صاحب الدار وقلت له اعلم أنني متوجه إلى بغداد لأخبر والدته وأقاربه حتى يأتوا ليجهزوه ثم أني توجهت إلى بغداد ودخلت داري وغيرت ثيابي وبعد ذلك ذهبت إلى دار علي بن بكار فلما رآني غلمانه أتوا إلي وسألوني عنه وسألتهم أن يستأذنوا لي والدته في الدخول عليها فأذنت لي بالدخول فدخلت وسـ ـلمت عليها وقلت أن الله إذا قضى أمراً لا مفر من قضائه وما كان لنفس أن تموت إلا بـ ـأذن الله كتابـ ـاً مـ ـؤجلاً فتوهمت أم علي بن بكار من هذا الكلام أن ابنها قد مات فبكت بكاء شديداً ثم قالت بالله عليك أن تخبرني هل توفي ولدي فلم أقدرأن أرد عليها جواباً من كثرة الجزع فلما رأتني على تلك الحالة أنخنقت بالبكاء ثم وقعـ ـت على الأرض مغشياً عليها فلما أفاقت من غشيتها قالت ما كان من أمر ولدي فقلت لها عظم الله أجرك فيه ثم أني حدثتها بما كان من أمره من المبتدأ إلى المنتهى قالت أوصاك بشيء فقلت لها نعم وأخبرتها بما أوصاني به وقلت لها أسرعي في تجهيزه فلما سمعت أم علي بكار كلامي سقطت مغشياً عليها فلما أفاقت عزمت على ما أوصيتها به ثم أنى رجعت إلى داري وسرت في الطريق أتفكر في حسن شبابه فبينما أنا كذلك وإذا بامرأة قد قبضت على يدي وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ١٩٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجواهرجي قال وإذا بامرأة قد قبضت على يـ ـدي فتأملتهـ ـا فرأيتهـ ـا الجارية التي كانت تمشي من عند شمس النهار وقد علاها الإنكسار فلما تعارفنا بكينا جميعاً وسرنا حتى أتينا إلى تلك الدار فقلت لها هل علمت بخبر علي بن بكار فقالت لا والله فأخبرتها بخبره وما كان من أمره ثم أني قلت لها فكيف حال سيدتك فقالت لم يقبل فيها أمير المؤمنين قول أحد لشدة محبته لها وقد حمل جميع أمورها على المحامل الحسنة وقال لها يا شمس النهار أنت عندي عزيزة وأنا أتحملك على رغم أعدائك ثم أمر لهـ ـا بفرش مقصورة مذهبة وحجرة مليحة وصارت عنده من ذلك في قبول عظيم فاتفق أنه جلس يوماً من الأيـ ـام على جري عادته للشراب وحضرت المحاظي بين يديه فأجلسهن في مراتبهن وأجلسها بجانبه وقـ ـد عـ ـدمت صبرها وزاد أمرها فعند ذلك أمر جارية من الجواري أن تغني فأخذت العود وضربت به وجعلت تقول:

وداع دعـ ـ ـاني للهـ ـ ـوى فأجبتـ ـ ـه ودمعي بحط الوجـ ـد خطـ ـا علـ ـى خـ ـدي
كـ ـان دمـ ـوع العـ ـين تخبـ ـر حالنـ ـا فتبدي الذي أخفى وتخفـ ـي الـ ـذي أبـ ـدى
فكيـ ـف أروم السـ ـر أو أكـ ـتم الهـ ـوى وفرط غرامي فيـ ـك يظهـ ـر مـ ـا عنـ ـدي
وقد طـ ـاب مـ ـوتي عنـ ـد فقـ ـد أحبتـ ـي فياليت شعري مـ ـا يطيـ ـب لهـ ـم بعـ ـدي

فلما سمعت شمس النهار أنشاد تلك الجارية لم تستطع الجلوس ثم سقطت مغشياً عليها فرمى الخليفة القدح وجذبها عنده وصاح وضجت الجواري وقلبها أمير المؤمنين فوجدها ميتة فحزن أمير المؤمنين لموتها وأمر أن يكسر جميع ما كان في الحضرة من الآلات والقوانين وحملها في حجرة بعد موتها ومكث عندها باقي ليلته فلما طلع النهار جهزها وأمر بغسلها ودفنها وحزن عليها حزناً كثيراً ولم يسأل عن حالها ولا عن الأمر الذي كانت فيه ثم قالت الجارية للجواهرجي سألتك بالله أن تعلمني بوقت خروج جنازة علي بن بكار وأن تحضرني دفنه فقال لها أما أنا ففي أي محل شئت تجديني وأما أنت فمن يستطيع الوصول إليك في المحل الذي أنت فيه فقالت له أن أمير المؤمنين لما ماتت شمس النهار أعتق جواريها من يوم موتها وأنا من جملتهن ونحن مقيمات على تربتها في المحل الفلاني فقمت معها وأتيت إلى المقبرة وزرت شمس النهار ثم مضيت إلى حالي ولم أزل أنتظر جنازة على بن بكار إلى أن جاءت فخرجت له أهل بغداد وخرجت معهم فوجدت الجارية بين النساء وهي أشدهن حزناً ولم أرجنازة ببغداد أعظم من هذه الجنازة ومازلنا في ازدحام عظيم إلى أن أتينا إلى قبره ودفناه وصرت لا أنقطع عن زيارته ولا عن زيارة شمس النهار هذا ما كان من حديثهما وليس باعجب من حديث الملك شهرمان وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

حكاية الملك قمر الزمان ابن الملك شهرمان

(وفي ليلة ١٩٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أنه كان في قديم الزمان ملك يسمى شهرمان صاحب عسكر وخدم وأعوان إلا أنه كبر سنه ورق عظمه ولم يرزق بولد فتفكر في نفسه وحزن وقلق وشكا ذلك لبعض وزرائه وقال أني أخاف إذا مت أن يضيع الملك لأنه ليس لي ولد يتولاه بعدي فقال له ذلك الوزير لعل الله يحدث بعد أمراً فتوكل على الله أيها الملك وتوضأ وصل ركعتين ثم جامع زوجتك لعل تبلغ مطلوبك فجامع زوجته فحملت في تلك الساعة ولما كملت أشهرها وضعت ولدا ذكرا كأنه البدر السافر في الليل العاكر فسماه قمر الزمان وفرح غاية الفرح وزينوا المدينة سبعة أيام ودقت الطبول وأقبلت البشائر وحملته المراضع والدايات وتربى في العز والدلال حتى صار له من العمر خمس عشر سنة وكان فائقاً في الحسن والجمال والقد والاعتدال وكان أبوه يحبه ولا يقدر أن يفارقه ليلاً ولا نهاراً فشكا الملك شهرمان لأحد وزرائه فرط محبته لولده وقال أيها الوزير إني خائف على ولدي قمر الزمان من طوارق الدهر والحدثان وأريد أن أزوجه في حياتي فقال له الوزير اعلم أيها الملك أن الزواج من مكارم الأخلاق ولا بأس أن تزوج ولدك في حياتك فعند ذلك قال الملك شهرمان على بولدي قمر الزمان فحضر وأطرق رأسه إلى الأرض حياء من أبيه فقال له أبوه يا قمر الزمان اعلم أني أريد أن أزوجك وأفرح بك في حياتي فقال له اعلم يا أبي أنني ليس لي في الزواج أرب وليست نفسي تميل إلى النساء لأني وجدت في مكرهن كتباً بالروايات وبكيدهن وردت الآيات وقال الشاعر:

فإن تسألوني بالنساء فإنني	خبير بأحوال النساء طبيب
إذا شاب رأس المرء وقل ماله	فليس له في ودهن نصيب

ولما فرغ من شعره قال يا أبي أن الزواج شيء لا أفعله أبداً فلما سمع السلطان شهرمان من ولده ه ذا الكلام أغتم غماً شديداً على عدم مطاوعة ولده قمر الزمان له. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٠٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك شهرمان لما سمع من ولده هذا الكلام صار الضياء في وجه ه ظلاماً وأغتم على عدم مطاوعة ولده قمر الزمان له ومن محبته له لم يكرر عليه الكلام في ذلك ولم يغضب به بل أقبل عليه وأكرمه ولاطفه بكل ما يجلب المحبة إلى القلب كل ذلك وقمر الزمان يزداد ك ل ي وم حس ناً وجمالاً وظرفاً ودلالاً فصبر الملك شهرمان على ولده سنة كاملة حتى صار كامل الفصاحة والملاحة وتهتكت في حسنه الوري وسار فتنة للعشاق وروضة للمشتاق عذب الكلام يخجل في وجهه بدر التمام صد احب ق د واعتدال وظرف ودلال كأنه غصن بأن أو قضيب خيزران ينوب خده عن شقائق النعمان وقده ع ن غص ن البان ظريف الشمائل كما قال فيه القائل:

ب . . . .دا فق . . . .الوا تب . . . .ارك ... الله ج . ل ال . ذي ص . اغه وس . واه
ملي . .ك ك . .ل الم . .لاح قاطب . .ة ... فكلهم . . . م أص . . . بحوا رعاي . . . اه
ف . .ي ريق . .ه ش . .هدة مذوب . .ة ... وأنعق . . د ال . . دار ف . . ي ثناي . . اه
مكم . . .لاً بالجم . . .ال منف . . .رداً ... ك .ل ال . ورى ف .ي جمال .ه ت . اهوا
ق .د كت .ب الحس .ن ف .وق وجنت .ه ... أش . . .هد أن لا مل . . .يح إلا ه . . .و

فلما تكاملت سنة أخرى لقمر الزمان ابن الملك شهرمان دعاه والده إليه وقال له يا ولدي أما تسمع مني فوقع قمر الزمان على الأرض بين يدي أبيه هيبة واستحى منه وقال له يا أبي كيف لا أسمع منك وقد أمرني الله بطاعتك وعدم مخالفتك فقال له الملك شهرمان اعلم يا ولدي أني أريد أن أزوجك وأفرح بك في حي اتي وأسلطنك في مملكتي قبل مماتي فلما سمع قمر الزمان من أبيه هذا الكلام أطرق رأسه ساعة وبعد ذلك رف ع رأسه وقال يا أبي هذا شيء لا أفعله أبداً ولو سقيت كأس الردي وأنا أعلم أن الله فرض على طاعتك فبح ق الله عليك لا تكلفني أمر الزواج ولا تظن أني أتزوج طول عمري لأنني قرأت في كتب المتقدمين والمتأخرين وعرفت ما جرى لهم من المصائب والآفات بسبب فتن النساء ومكرهن غير المتناهي وما يحدث عنهن م ن الدواهي وما أحسن قول الشاعر:

إن النس . .اء وأن أدع . .ين العف . .ة ... رم . .م تقلبه . .ا النس . .ور الح . .وم
ف ـي الليـ ل عنـ ـدك سـ ـرها وحـ ـديثها ... وغ . دا لغي . رك س . اقها والمعص . م
كالخ . ان تس . كنه وتص . بح راح . لاً ... فيح . ل بع . داك في . ه م . ن لا تع . م

فلما سمع الملك شهرمان من ولده قمر الزمان هذا الكلام وفهم الشعر والنظام لم يرد عليه جواباً م ن فرط محبته له وزاده من أنعامه وأكرامه وأنقبض ذلك المجلس من تلك الساعة وبعد انفضاض ذلك المجل س طلب الملك شهرمان وزيره واختلى به وقال له أيها الوزير وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٠١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك شهرمان قال له أيها الوزير قل لي ما الذي أفعله في قضية ولدي قمر الزمان فأني استشرتك في زواجه قبل أن أسلطنه فأشرت علي بذلك وأشرت علي أيضاً أن أذكر له أمر الزواج فذكرته له فخالفني فأشر على الآن بما تراه حسناً فقال الوزير الذي أشير به عليك الآن أيها الملك أن تصبر عليه سنة أخرى فإذا أردت أن تكلمه بعدها في أمر الزواج فلا تكلمه سراً ولكن حدثه في يوم حكومة ويكون جميع الأمراء والوزراء حاضرين وجميع العساكر واقفين فإذا اجتمع هؤلاء فأرسل إلى ولدك قمر الزمان في تلك الساعة وأحضره فإذا حضر فخاطبه في أمر الزواج بحضرة جميع الأمراء والوزراء والحجاب والنواب وأرباب الدولة والعساكر وأصحاب الصولة فإنه يستحي منهم وما يقدر أن يخالفك بحضرتهم فلما سمع الملك شهرمان من وزيره هذا الكلام فرح فرحاً شديداً أو استصوب رأي الوزير في ذلك وخلع عليه خلعة سنية فصبر الملك شهرمان على ولده قمر الزمان سنة ولكما مضي عليه يوماً من الأيام يزداد سحناً وجمالاً وبهجة وكمالاً حتى بلغ من العمر قريباً عشرين عاماً والبسه الله حلل الجمال وتوجه بتاج الكمال وأشرقت خدوده بالأحمرار وبياض غرته حكى القمر الزاهر وسواد شعره كأنه الليل العاكر وخصره أرق من خيط هميان وردقه أثقل من الكثبان تهيج البلابل على أعطافه ويشتكي خصره من ثقل أردافه ومحاسنه حيرت الورى كما قال فيه بعض الشعراء.

قس . ـماً بوجنت . ـه وباسه . ـم ثغ . ـره ... وبأسه .ـهم قـ .ـدر أشـ .ـها مـ .ـن سـ .ـحره
وبلـ .ـين عطفيـ .ـة ومرهـ .ـف لحظ .ـه ... وبيـ . ـاض غرقـ . ـه وأسـ . ـود شـ . ـعره
وبحاجـ . ـب حجـ . ـب الكـ . ـرى عـ . ـن ... صـ .ـبه وسـ .ـطا عليـ .ـه بنيـ .ـه وبـ .ـأمره
وعقـ ـارب قـ ـد أرسـ ـلت مـ ـن صـ ـدغه ... وسـ .ـمعت لقتـ .ـل العاشـ .ـقين بهجـ .ـره
وبـ . . ـورد خديـ . . ـه وآس عـ . . ـذاره ... وعقيـ . ـق مبسـ . ـمه ولؤلـ . ـؤ ثغـ . ـره
وبطيـ . ـب نكهتـ . ـه وسـ . ـال جـ . ـري ... فـ ـي فيـ ـه يـ ـزري بـ ـالرحيق وعصـ ـره
وبردفـ . ـه المـ . ـرتج فـ . ـي حركاتـ . ـه ... وسـ . ـكونه وبرقـ . ـة فـ . ـي خصـ . ـره
وبجـ . ـود راحتـ . ـه وصـ . ـدق لسـ . ـانه ... وبطيـ . ـب عنصـ . ـره وعـ . ـالي قـ . ـدره
مـ ـا المسـ ـك إلا مـ ـن فضـ ـالة خالـ ـه ... والطيـ ـب يـ ـروي ريحـ ـه عـ ـن نشـ ـره
وكـ . ذلك الشـ . ـمس المنيـ . ـرة دونـ . ـه ... ورأى الهـ . ـلال قلامـ . ـة مـ . ـن ظفـ . ـره

ثم أن الملك شهرمان سمع كلام الوزير وصبر سنة أخرى حتى حصل يوم موسم وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٠٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك شهرمان دعى الأمراء والوزراء والحجاب وأرباب الدولة والعساكر وأصحاب الصولة ثم أن الملك أرسل خلف ولده قمر الزمان فلما حضر قبل الأرض بين يديه ثلاث مرات ووقف مكتفاً يديه وراء ظهره قدام أبيه فقال له أبوه يا ولدي أني ما أحضرتك هذه المرة قدام هذا المجلس وجميع العساكر حاضرون بين أيدينا إلا لأجل أن أمرتك بأمر فلا تخالفني فيه وذلك أن تتزوج لأني اشتهى أن أزوجك بنت ملك من الملوك وأفرح بك قبل موتي فلما سمع قمر الزمان من أبيه هذا الكلام أطرق

برأسه إلى الأرض ساعة ثم رفع رأسه إلى أبيه ولحقه في تلك الساعة جنون الصبا وجهل الشبيبة فقال له أما أنا فلا أتزوج أبداً ولو سقيت كأس الردي وأما أنت فرجل كبير السن صغير العقل أنك سألتني قبل هذا اليوم مرتين غير هذه المرة في شأن الزواج وأنا لا أجيبك إلى ذلك ثم أن قمر الزمان فك كتاف يديه وشمر عن ذراعيه قدام أبيه وهو في غيظه فخجل أبوه وأستحي حيث حصل ذلك قدام أرباب دولته والعساكر الحاضرين في الموسم ثم أن الملك شهرمان لحقته شهامة الملك فصرخ على ولده فأرعبه وصرخ على المماليك وأمرهم بإمساكه فأمسكوه وأمرهم أن يكتفوه فكتفوه وقدموه بين يدي الملك وهو مطرق رأسه من الخوف والوجل وتكلل وجهه وجبينه بالعرق واشتد به الحياء والخجل فعند ذلك شتمه أبوه وسبه وقال له ويلك يا ولد الزنا وتربية الخنا كيف يكون هذا جوابك لي بين عساكري وجيوشي ولكن أنت إلى الآن ما أدبك أحد وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٠٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك شهرمان قال لولده قمر الزمان أما تعلم أن هذا الأمر الذي صدر منك لو صدر من عامي من العوام لكان ذلك قبيحاً منه ثم أن الملك أمر المماليك أن يحلو أكتافه ويحبسوه في برج من أبراج القلعة فعند ذلك دخل الفراشون القاعة التي فيها البرج فكنسوها ومسحوا بلاطها ونصبوا فيها سرير القمر الزمان وفرشوا له على السرير طراحة ونطعاً وضعوا له مخدة وفانوساً كبيراً وشمعة لأن ذلك المكان كان مظلم في النهار ثم أن المماليك أدخلوا قمر الزمان في تلك القاعة وجعلوا على باب القاعة خادماً فعند ذلك طلع قمر الزمان فوق ذلك السرير وهو منكسر الخاطر حزين الفؤاد وقد عاتب نفسه وندم على ما جرى منه في حق أبيه حيث لا ينفعه الندم وقال خيب الله الزواج والبنات والنساء الخائنات فياليتني سمعت من والدي وتزوجت فلو فعلت ذلك كان أحسن لي من هذا السجن هذا ما كان من أمر قمر الزمان (وأما) ما كان من أمر أبيه فإنه أقام على كرسي مملكته بقية اليوم إلى وقت الغروب ثم خلا بالوزير وقال له أعلم أيها الوزير أنك كنت السبب في الذي جرى بيني وبين ولدي كله حيث أشرت علي بما أشرت فما الذي تشير به على الآن فقال له الوزير أيها الملك دع ولدك في السجن مدة خمسة عشر يوماً ثم أحضره بين يديك وأمره بالزواج فإنه لا يخالفك أبداً وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٠٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك شهرمان قبل رأي الوزير في ذلك اليوم ونام تلك الليلة وهو مشتغل القلب على ولده لأنه كان يحبه محبة عظيمة حيث لم يكن له ولد سواه وكان الملك شهرمان كل ليلة لا يأتيه نوم حتى يجعل ذراعه تحت رقبة قمر الزمان وينام فبات الملك الليلة وهو متشوش الخاطر من أجله وصار يتقلب من جنب إلى جنب كأنه نائم على جمر اللظى ولحقه الوسواس ولم يأخذه نوم في تلك الليلة بطولها وذرفت عيناه بالدموع وأنشد قول الشاعر:

لقد طال ليلي والوشاة هجوع	وناهيك قلباً بالفراق مروع
أقول وليلي زاد بالهم طوله	أما لك يا ضوء الصباح رجوع

(قول الآخر)

لم ..ا رأي..ت ال..نجم س..اه طرف..ه والقل..ب ق..د ألق..ى علي..ه س..باتاً
وبن..ات نع..ش ف..ي الح..داد س..وافرا أيقن..ت أن ص..باحه ق..د مات..ا

هذا ما كان من أمر الملك شهرمان (وأما) ما كان من أمر قمر الزمان فإنه لما قدم عليه الليل قدم لـ ـه الخادم الفانوس وأوقد له شمعة وجعلها في شمعدان وقدم له شيئاً من الماء كل فأكل قليلاً وصار يعاتب نفسـ ـه حيث أساء الأدب في حق أبيه الملك شهرمان وقال في نفسه ألم تعلم أن ابن آدم ر ه ين لسـ ـانه وإن لسـ ـان الآدمي هو الذي يوقعه في المهالك ولم يزل يعاتب نفسه ويلومها حتى غلبت عليه الـ ـدموع واحتـ ـرق قلبـ ـه المصدوع وندم علي ما خرج من لسانه في حق الملك غاية الندم وأنشد هذين البيتين:

يموت الفتى م..ن عث..رة م..ن لس..انه وليس يموت المرء م..ن عث..رة الرج..ل
فعثرت..ه م..ن في..ه تقض..ي بحتف..ه وعثرت..ه بالرج..ل تب..راً عل..ى مه..ل

ثم أن قمر الزمان لما فرغ من الأكل طلب أن يغسل يديه فغسل يديه مـ ـن الطعـ ـام وتوضـ ـأ وصـ ـلى المغرب والعشاء وجلس وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٠٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن قمر الزمان ابن الملك شهرمان جلس على السرير يقرأ القرآن فقـ ـرأ البقرة وآل عمران ويس والرحمن وتبارك والملك والمعوذتين وختم الدعاء واستعاذ بالله ونام علـ ـى السـ ـرير فوق طراحة من الأطلس المعدن لها وجهان وهي محشوة بريش النعام وحين أراد النوم تجرد من ثيابه وخلع لباسه ونام في قميص شمع رفيع وكان على رأسه مقنع مروزي أزرق فصار قمر الزمان في تلك الليلة كأنه البدر في ليلة أربع عشر ثم تغطى بملاءة من حرير ونام والفانوس موقد تحت رجليه والشمعة موقدة تحـ ـت رأسه ولم يزل نائماً إلى ثلث الليل ولم يعلم ما خبيء له في الغيب وما قدر عليه عـ ـلام الغيـ ـوب واتفـ ـق أن القاعة والبرج كانا عتيقين مهجورين مدة سنين كثيرة وكان في تلك القاعة بئر روماني معمور بجنية سـ ـاكنة فيه وهي من ذرية إبليس اللعين واسم تلك الجنية ميمونة ابنة الدمرياط أحد ملوك الجان المشـ ـهورين وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٠٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن اسم تلك الجنيه ميمونة ابنة الدمرياط أحد ملوك الجان المشهورين فلما ساتمر قمر الزمان نائماً إلى ثلث الليل الأول طلعت تلك العفريتة من البئر الروماني وقصدت السماء لاستراق السمع فلما صارت في أعلى البئر رأت نوراً مضيئاً في البرج على خلاف العادة وكانت العفريتة مقيمة فـ ـي ذلك المكان مدة مديدة من السنين فقالت في نفسها أنا ما عهدت هنا شيئاً من ذلك وتعجبت من هذا الأمر غاية العجب وخطر ببالها أنه لا بد لذلك من سبب ثم قصدت ناحية ذلك النور فوجدته خارجاً من القاعة فـ ـدخلتها ووجدت الخادم نائماً على بابها ولما دخلت القاعة وجدت سريراً منصوباً وعليه هيئة إنسـ ـان نـ ـائم وشـ ـمعة مضيئة عند رأسه وفانوس مضيء عند رجليه فتعجبت العفريتة ميمونة من ذلك النور وتقدمت إليه قليلاً قليلاً وأرخت أجنحتها ووقفت على السرير وكشفت الملاءة عن وجهه ونظرت إليه واستمرت باهتة فـ ـي حسـ ـنه

وجماله ساعة زمانية وقد وجدت ضوء وجهه غالباً على نور الشمعة وصار وجهه يتلألأ نوراً وقد غازلـ ت عيناه واسودت مقلتاه وأحمر خداه وفتر جفناه وتقوس حاجباه وفاح مسكه العاطر كما قال فيه الشاعر:

قبلتـ . ـه فاسـ . ـودت المقـ . ـل التـ . ـي ... هـ . ـي فتنتـ . ـي وأحمـ . ـرت الوجنـ . ـات

يـ . ـا قلـ . ـب أن زعـ . ـم العـ . ـواذل أنـ . ـه ... فـ ـي الحسـ ـن يوجـ ـد مثلـ ـه قـ ـل هـ ـاتوا

فلما رأته العفريته ميمونة بنت الدمرياط سبحت الله وقالت تبارك الله أحسـ ـن الخـ ـالقين وكانـ ـت تلـ ـك العفريتة من الجن المؤمنين فاستمرت ساعة وهي تنظر إلى وجه قمر الزمان وتوحد الله وتغبطه على حسـ ـنه وجماله وقالت في نفسها والله أني لا أضره ولا أترك أحداً يؤذيه ومن كل سوء أفديه فإن هذا الوجه المليح لا يستحق إلا النظر إليه والتسبيح ولكن كيف هان على أهله حتى نسوه في هذا المكان الخرب فلو طلع له أحـ ـد من مردتنا في هذه الساعة لأعطيه ثم أن تلك العفريتة مالت عليه وقبلته بين عينيه وبعد ذلك أرخت المـ ـلاءة على وجهه وغطته بها وفتحت أجنحتها وطارت ناحية السماء وطلعت من دور تلك القاعة وصعدت ولم تزل صاعدة في الجو إلى أن قربت من سماء الدنيا وإذا بها سمعت خفق أجنحة طائرة في الهواء فقصدت ناحيـ ـة تلك الأجنحة فلما قربت من صاحبها وجدته عفريتاً يقال له دهنش فانقض عليه انقضاض الباشق فلما أحـ ـس بها دهنش وعرف أنها ميمونة بنت ملك الجن خاف منها وارتعدت فرائصه واستجار بها وقال لها أقسم عليك بالاسم الأعظم والطلسم الأكرم المنقوش على خاتم سليمان أن ترفقي بي ولا تؤذيني فلما سمعت ميمونة مـ ـن دهنش هذا الكلام حن قلبها عليه وقالت له أنك أقسمت علي بقسم عظيم ولكن لا أعتقك حتى تخبرني من أين مجيئك في هذه الساعة فقال لها أيتها السيدة أعلمي أن مجيئي من آخر بلاد الصين ومـ ـن داخـ ـل الجزائـ ـر وأخبرك بأعجوبة رأيتها في هذه الليلة فإن وجدتي كلامك وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٠٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجني قال للجنية فإن وجدتي كلامي صحيحاً فأتركيني أروح إلى حال سبيلي وأكتبي لي بخطك في هذه الساعة أني عتيقك حتى لا يعارضني أحد من أرهاط الجن الطيارة العلويـ ـة والسفلية والغواصة قالت له ميمونة فما الذي رأيته في هذه الليلة يا دهنش فأخبرني ولا تكذب علـ ـى وتريـ ـد بكذبك أن تنفلت من يدي وأنا أقسم بحق النقش المكتوب على فص خاتم سليمان بن داود عليهما السلام أن لم يكن كلامك صحيحاً نتفت ريشك بيدي ومزقت جلدك وكسرت عظمك فقال لها العفريت دهنش بن شـ ـمهورش الطياران لم يكن كلامي صحيحاً فافعلي بي ما شئت يا سيدتي وأدرك شهرزاد الصـ ـباح فسـ ـكتت عـ ـن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٠٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن دهنشاً قال خرجت في هذه الليلة من الجزائر الداخلة في بلاد الصـ ـين وهي بلاد الغيور صاحب الجزائر والبحور والسبعة قصور فرأيت لذلك الملك بنتاً لم يخلق الله فـ ـي زمانهـ ـا أحسن منها ولا أعرف كيف أصفها لك ويعجز لساني عن وصفها كما ينبغي ولكن اذكر لك شيئاً من صفاتها على سبيل التقريب أما شعرها فكليالي الهجر وأما وجهها فكأيام الوصال وقد أحسن في وصفها من قال:

نشـ ـرت ثـ ـلاث ذوائـ ـب مـ ـن شـ ـعرها فـ ـي ليلـ ـة فـ ـأرت ليـ ـالي أربعـ ـاً
واسـ ـتقبلت قمـ ـر السـ ـماء بوجههـ ـا فـ ـأرتني القمـ ـرين فـ ـي وقـ ـت معـ ـاً

ولها أنف كحد السيف المصقول ولها وجنتان كرحيق الأرجوان ولها خد كشـ قائق النعمـ ان وشـ فتاها كالمرجان والعقيق وريقها أشهى من الرحيق يطفيء مذاقه عذاب الحريق ولسانها يحركه عقل وافر وجـ واب حاضر ولها صدر فتنة لمن يراه فسبحان من خلقه وسواه ومتصل بذلك الصدر عضد أمدن ملجان كما قـ ـال فيهما الشاعر الولهان.

وزنـ ـدان لـ ـولا أمسـ ـكا بأسـ ـاور لسـ ـالا مـ ـن الأكمـ ـام سـ ـيل الجـ ـداول

ولها نهدان كأنهما من العاج يستمد من أشراقهما القمران ولها بطن مطوية كطي القبـ ـاطي المصـ ـرية وينتهي ذلك إلى خصر مختصر من وهم الخيال فوق ردف ككثيب من رمال يقعدها إذا قامـ ـت ويوقظهـ ـا إذا نامت كما قال فيه بعض واصفيه:

لهـ ـا كفـ ـل تعلـ ـق فـ ـي ضـ ـعيف وذاك الـ ـردف لـ ـي ولهـ ـا ظلـ ـوم
فيـ ـ ـ ـوقفني إذا فكـ ـ ـ ـرت فيـ ـ ـ ـه ويقعـ ـ ـ ـدها إذا همـ ـ ـ ـت تقـ ـ ـ ـوم

يحمي ذلك الكفل فخذان كأنهما من الدر عمودان وعلى حمله ما أقدرهما إلا بركة الشيخ الذي بينهمـ ـا وأما غير ذلك من الأوصاف بمالا يحصيه ناعت ولا وصاف ويحمل ذلك كله قدمان لطيفتان صنعه المهيمن الديان فعجبت منهما كيف كان يحملان ما فوقهما وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٠٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العفريت دهنش ابن شمهورش قال للعفريتة ميمونة وأما ما وراه ذلك فإني تركته لأنه تقصر عنه العبارة ولا تفي به الإشارة وأبو تلك الصبية ملك جبار فارس كرار يخوض بحار الأقطار في الليل والنهار لا يهاب الموت ولا يخاف القوت لأنه جائر ظلوم وقاهر غشوم وهو صاحب جيوش وعساكر وأقاليم وجزائر ومدن ودور وأسمه الملك الغيور صاحب الجزائر والبحور والسبعة قصور وكـ ـان يحب ابنته هذه التي وصفتها لك حباً شديداً ومن محبته لها جلب أموال سائر الملوك وبني لها بـ ذلك سـ ـبعة قصور كل قصر من جنس مخصوص القصر الأول من البللور والقصر الثاني من الرخام والقصر الثالث من الحديد الصيني والقصر الرابع من الجزع والفصوص والقصر الخامس من الفضة والقصـ ـر السـ ـادس مـ ـن الذهب والقصر السابع من الجوهر وملأ السبعة قصور من أنواع الفرش الفاخرة وأوانـ ـي الـ ذهب والفضـ ـة وجميع الآلات من كل ما تحتاج إليه الملوك وأمر ابنته أن تسكن في كل قصر مدة السنة ثم تنتقل منـ ـه إلـ ـى قصر غيره وأسمها الملكة بدور فلما اشتهرحسنها وشاع في البلاد ذكرها أرسل سائر الملـ ـوك إلـ ـى أبيهـ ـا يخطبونها منه فراودها في أمر الزواج فكرهت ذلك وقالت لأبيها يا والدي ليس لي غرض في الـ ـزواج أبـ ـداً فإني سيدة وملكة أحكم على الناس ولا أريد رجلاً يحكم علي وكلما امتنعت من الزواج زادت رغبة الخطاب فيها ثم أن جميع ملوك جزائر الصين الجوانية أرسلوا إلى أبيها الهدايا والتحف وكاتبوه في أمر زواجها فكرر عليها أبوها المشاورة في أمر الزواج مراراً عديدة فخالفته وغضبت منه وقالت له يا أبـ ـي أن ذكـ ـرت لـ ـي

الزواج مرة أخرى أخذت السيف ووضعت قائمة في الأرض وذبابه في بطني واتكأت عليه حتى يطلع من ظهري وقتلت نفسي فلما سمع أبوها منها هذا الكلام صار الضياء في وجهه ظلام واحترق قلبه عليها غاية الاحتراق وخشي أن تقتل نفسها وتحير في أمرها وفي أمر الملوك الذين خطبوها منه فقال لها أن كان ولابد من عدم زواجك فامتنعي من الدخول والخروج ثم إن أباها أدخلها البيت وحجبها فيه واستحفظ عليها عشر عجائز قهرمانات ومنعها من أ، تذهب إلى السبع قصور وأظهر أنه غضبان عليها وأرسل يكاتب الملوك جميعهم وأعلمهم أنها أصيبت بجنون في عقلها ولها الآن سنة وهي محجوبة ثم قال العفريت دهنش للعفريتة وأنا يا سيدتي أتوجه إليها في كل ليلة فأنظرها وأتملى بوجهها وأقبلها وهي نائمة بين عيبها ومن محبتي لها لا أضرها ولا أركبها لأن جمالها بارع وكل من رآها يغار عليها من نفسه وأقسمت عليك يا سيدتي أن ترجعي معي وتنظري حسنها وجمالها وقدها واعتدالها وبعد هذا إن شئت أن تعاقبيني أو تأسريني فافعلي فإن الأمر أمرك والنهي نهيك ثم أن العفريت دهنشا أطرق رأسه إلى الأرض وخفض أجنحته إلى الأرض فقالت له العفريتة ميمونة بعد أن ضحكت من كلامه وبصقت في وجهه أي شيء هذه البنت التي تقول عنها فما هي إلا قواره بول فكيف لو رأيت معشوقي والله أن حسبت أن معك أمر عجيباً أو خبراً غريباً يا ملعون أني رأيت إنساناً في هذه الليلة لو رأيته ولو في المنام لا نفلجت عليه وسالت ريالتك فقال لها دهنش وما حكاية هذا الغلام فقالت له اعلم يا دهنش أن هذا الغلام قد جرى له مثل ما جرى لمعشوقتك التي ذكرتها وأمره أبوه بالزواج مراراً عديدة فأبى فلما خالف أباه غضب عليه وسجنه في البرج الذي أنا ساكنة فيه فطلعت في هذه الليلة فرأيته فقال لها دهنش يا سيدتي أريني هذا الغلام لانظر هل هو أحسن من معشوقتي الملكة بدور أم لا لأني ما أظن أن يوجد في هذا الزمان مثل معشوقتي فقالت له العفريتة تكذب يا معلون يا أنحس المردة وأحقر الشياطين فأنا أتحقق أنه لا يوجد لمعشوقي مثيل في هذه الديار. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢١٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العفريتة ميمونة قالت للعفريت دهنش أنا أتحقق أنه لا يوجد لمشوقي مثيل في هذه الديار فهل أنت مجنون حتى تقيس معشوقتك بمعشوقي قال لها بالله عليك يا سيدتي أن تذهبي معي وتنظري معشوقتي وأرجع معك وانظر معشوقك فقالت له ميمونة لابد من ذلك يا ملعون لأنك شيطان مكار ولكن لا أجيء معك ولا تجيء معي إلا برهن فإن طلعت معشوقتك التي أنت تحبها وتتغالى فيها أحسن من معشوقي الذي أنا أحبه وأتغالى فيه فإن ذلك الرهن يكون لك وأن طلع معشوقي أحسن فإن ذلك الرهن يكون لي عليك فقال لها العفريت دهنش يا سيدتي قبلت منك هذا الشرط ورضيت به تعالي معي إلى الجزائر فقالت له ميمونة أن موضع معشوقي أقرب من موضع معشوقتك وها هو تحتنا فأنزل معي لتنظر معشوقي ونروح بعد ذلك إلى معشوقتك فقال لها دهنش سمعاً وطاعة ثم أنحدرا إلى أسفل ونزلا في دور القاعة التي في البرج وأوقفت ميمونة دهنشاً بجنب السرير ومدت يدها ورفعت الملاءة عن وجه قمر الزمان بن الملك شهرمان فسطع وجهه وأشرق ولمع وزها فنظرته ميمونة والتفتت من وقتها إلى دهنش وقالت له انظر يا ملعون ولا تكن أقبح مجنون فنحن بنات وبه مفتونات فعند ذلك التفت إليه دهنش واستمر يتأمل فيه ساعة ثم

حرك رأسه وقال لميمونة والله يا سيدتي أنك معذورة ولكن بقي شيء آخر وهو أن حال الأنثى غير حال الذكر وحق الله أن معشوقك هذا أشبه الناس بمعشوقتي في الحسن والجمال والبهجة والكمال وهما الأثنان كأنهما قد أفرغا في قالب الحسن سواء فلما سمعت ميمونة من دهنش هذا الكلام صار الضياء في وجهها ظلاماً ولطمته بجناحها على رأسه لطمة قرية كادت أن تقضي عليه من شدتها وقالت له قسماً بنور وجهه وجلاله أن تروح يا ملعون في هذه الساعة وتحمل معشوقتك التي تحبها وتجيء بها سريعاً إلى هذا المكان حتى نجمع بين الأثنين وننظرهما وهما نائمان بالقرب من بعضهما فيظهر لنا أيهما أحسن وأن لم تفعل ما أمرتك به في هذه الساعة يا ملعون أحرقتك بناري ورميتك بشرار أسراري ومزقتك قطعاً في البراري وجعلتك عبرة للمقيم والساري فقال لها دهنش يا سيدتي لك على ذلك وأنا أعرف أن محبوبتي أحسن وأحلى ثم أن العفريت دهنش طار من وقته وساعته وطارت ميمونة معه من أجل المحافظة عليه فغابا ساعة زمانية ثم أقبل الأثنان بعد ذلك وهما حاملان تلك الصبية وعليها قميص بندقي رفيع بطرازين من الذهب وهو مزركش ببدائع التطريزات ومكتوب على رأسه كمية هذه الأبيات:

ثلاث . . ـة منعتها . . ـا مـ . ـن زيارتنـ . ـا	خوف الرقيب وخـ ـوف الحاسـ ـد الحنـ ـق
ضوء الجبين ووسـ ـاوس الحلـ ـي ومـ ـا	حـ ـوت معاطفها ـا مـ ـن عنبـ ـر عبـ ـق
هـ ـب الجبـ ـين بفضـ ـل الكـ ـم تسـ ـتره	والحلـ ـي تنزعـ ـه مـ ـا حيلـ ـة العـ ـرق

ثم أنهما نزلا بتلك الصبية ومدداها بجانب الغلام وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢١١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العفريت والعفريتة كشفا عن وجود الأثنين فكانا أشبه الناس ببعضهما فكأنهما توأمان أخوان منفردان وهما فتنة للمتقين كما قال فيهما الشاعر المبين:

يـ ـا قلـ ـب لا تعشـ ـق مليحـ ـاً واحـ ـداً	تحتـ . . ـار فيـ . ـه تـ . . دللاً وتـ . . ذللاً
واهـ . ـو المـ . ـلاح جمـ . ـيعهم تلقـ . ـاهم	أن صـ . ـد هـ . ـذا كـ . ـان هـ . ـذا مقـ . ـبلا

وصار دهنش وميمونة ينظران إليهما فقال دهنش أن معشوقتي أحسن قالت له ميمونة بل معشوقي أحسن ويلك يا دهنش هل أنت أعمى أما تنظر إلى حسنه وجماله وقده واعتداله فأسمع ما أقوله في محبوبي وأن كنت محباً صادقاً لمن تعشقها فقل فيها مثل ما أقول في محبوبي ثم أن ميمونة قبلت قمر الزمان قبلاً عديدة وأنشدت هذه القصيدة :

مـ . ـالي وللاحـ . ـي عليـ . ـك يعنـ . ـف	كيـ ـف السـ ـلو وأنـ ـت غصـ ـن أهيـ ـف
لـ ـك مقلـ ـة كحـ ـلاء تنفـ ـث سـ ـحرها	مـ ـا للهـ ـوى العـ ـذري عنهـ ـا مصـ ـرف
تركيـ . ـة الألحـ . ـاظ تفعـ . ـل باحشـ . ـا	مـ ـا لـ ـيس يفعلـ ـه الصـ ـقيل المرهـ ـف
حملتنـ . ـي ثقـ . ـل الغـ . ـرام وأننـ . ـي	بالعجز عـ ـن حمـ ـل القمـ ـيص لأضـ ـعف
وجدي عليـ ـك كمـ ـا علمـ ـت ولـ ـوعتي	طبـ ـع وعشـ ـقي فـ ـي هـ ـواك تكلـ ـف
لـ ـو أن قلبـ ـي مثـ ـل قلبـ ـك لـ ـم أبـ ـت	والجسـ ـم منـ ـي مثـ ـل خصـ ـرك منحـ ـف
ويـ ـلاه مـ ـن قمـ ـر بكـ ـل ملاحـ ـة	بـ ـين الأنـ ـام وكـ ـل حسـ ـن يوصـ ـف
قال العواذل في الهـ ـوى مـ ـن ذا الـ ـذي	أنـ ـت الكئيـ ـب بـ ـه فقلـ ـت لهـ ـم صـ ـفوا

يـ ـا قلبـ ـه القاسـ ـي تعلـ ـم عطفـ ـه … مـ ـن قـ ـده فعسـ ـى تـ ـرق وتعطـ ـف
لـ ـك يـ ـا أميـ ـر فـ ـي الملاحـ ـة نـ ـاظر … يسطو على وحاجب لا ينصف في يوسـ ـف
كـ ـذب الـ ـذي ظـ ـن الملاحـ ـة كلهـ ـا … كـ . . ـم فـ . . ـي جمالـ . . ـك يوسـ . . ـف
الجـ . . ـن تخشـ . . ـاني إذا قابلتهـ . . ـا … وأنـ ـا إذا ألقـ ـاك قلبـ ـي يرجـ . ـف
"أتكلـ ـف الأغـ ـراض عنـ ـك مهابـ ـة … وإليـ ـك أصـ ـبو جهـ ـد مـ ـا أ .. كلف
والشـ ـعر أسـ ـود والجبـ ـين مشعشـ ـع … والطـ ـرف أحـ ـور والقـ ـوام مهفهـ ـف

فلما سمع دهنش شعر ميمونة في معشوقها طرب غاية الطرب وتعجب كل العجب. وأدرك شـ ـهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢١٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن دهنشاً قال أنك أنشدتيني فيمن تعشقينه هذا الشعر الرقيق مع أنك بالك مشغول به ولكن أنا بذل الجهد في إنشاد الشعر على قدر فكرتي ثم أن دهنشاً قام إلى معشوقته بدور وقبلهـ ـا بين عينيها ونظر إلى العفريتة ميمونة وإلى معشوقته بدور وجعل ينشد هذه القصيدة وهو بلا شعور.

أفـ . ـوت معاهـ . ـدهم بشـ . ـط الـ . ـوادي … فبقيـ . ـت مقتـ . ـولاً وسـ . ـط الـ . ـوادي
وسكرت مـ ـن خمـ ـر الغـ ـرام ورقصـ ـت … عينـ ـي الـ ـدموع علـ ـى غنـ ـاء الحـ ـادي
أسـ ـعي لأسـ ـعد بالوصـ ـال وحـ ـق لـ ـي … أن السـ . ـعادة فـ . ـي بـ . ـدور سـ . ـعاد
لـ ـم أدر مـ ـن أي الثلاثـ ـة أشـ ـتكي … ولقـ . ـد عـ . ـددت فأصـ . ـغ للأعـ . ـداد
مـ ـن لحظهـ ـا السـ ـياف أم مـ ـن قـ ـدها … الرمـ . ـاح أم مـ . ـن صـ . ـدغها الـ . ـزراد
قالـ ـت وقـ ـد فقشـ ـت عنهـ ـا كـ ـل مـ ـن … لاقيتـ . ـه مـ . ـن حاضـ . ـر أو بـ . ـادي
أنا فـ ـي فـ ـؤادك فـ ـارم طرفـ ـك نحـ ـوه … ترنـ ـي فقلـ ـت لهـ ـا وأيـ ـن فـ ـؤادي

فلما فرغ من شعره قالت العفريتة أحسنت يا دهنش ولكن أي هذين الأثنين أحسن فقال لهـ ـا محبـ ـوبتي بدور أحسن من محبوبك فقالت له كذبت يا ملعون بل معشوقي أحسن من معشوقتك ثـ ـم أنهمـ ـا لـ ـم يـ ـزالا يعارضان بعضهما في الكلام حتى صرخت ميمونة على دهنش وأرادت أن تبطش به فذل لها ورقق كلامـ ـه وقال لها لا يصعب عليك الحق فأبطلي قولك وقولي فإن كلامنا يشهد لمعشوقه أنه أحسن فنعرض عن كـ ـلام كل واحد منا ونطلب من يفصل الحكم بيننا بالإنصاف ونعتمد على قوله فقالت له ميمونة وهـ ـو كـ ـذلك ثـ ـم ضربت الأرض برجلها فطلع لها من الأرض عفريت أعور أجرب وعيناه مشقوقتان في وجهه بالطول وفـ ـي رأسه سبعة قرون وله أربع ذوائب من الشعر مسترسلة إلى الأرض ويداه مثل يدي القطرب له أظفار كأظفار الأسد ورجلان كرجلي الفيل وحوافر كحوافر الحمار فلما طلع ذلك العفريت ورأي ميمونة قبل الأرض بـ ـين يديها وتكتف وقال لها ما حاجتك يا سيدتي يا بنت الملك فقالت له يا قشقش أني أريد أن تحكم بيني وبين هذا الملعون دهنش ثم أنها أخبرته بالقصة من أولها إلى آخرها فعندها نظر العفريت قشقش إلى وجه ذلك الصبي ووجه تلك الصبية فرآهما متعانقين وهما نائمان ومعصم كل منهما تحت عنق الآخـ ـر وهمـ ـا فـ ـي الحسـ ـن والجمال متشابهان وفي الملاحة متساويان فنظر وتعجب المارد قشقش من حسنهما وجمالهما والتفـ ـت إلـ ـى ميمونة ودهنش بعد أن أطال إلى الصبي والصبية الألتفات وأنشد هذه الأبيات:

زر مـ ـن تحـ ـب ودع مقالـ ـة حاسـ ـد | ليس الحسود على الهوى بمسـ ـاعد مـ ـن
لـ ـم يخلـ ـق الـ ـرحمن أحسـ ـن منظـ ـراً | عـ ـ ـاشقين علـ ـ ـى فـ ـ ـراش واحـ ـ ـد
متعـ ـانقين عليهمـ ـا حلـ ـل الرضـ ـا | متوسـ ـ ـدين بمعصـ ـ ـم وبسـ ـ ـاعد
وإذا صـ ـفا لـ ـك مـ ـن زمانـ ـك واحـ ـد | فهـ ـو المـ ـراد وعـ ـش بـ ـذاك الواحـ ـد
وإذا تألفـ ـت القلـ ـوب علـ ـى الهـ ـوى | فالنـ ـاس تضـ ـرب فـ ـي حديـ ـد بـ ـارد
يا من يلوم على الهـ ـوى أهـ ـل الهـ ـوى | هـ ـل يسـ ـتطاع صـ ـلاح قلـ ـب فاسـ ـد
يـ ـارب يـ ـا رحمـ ـن تحسـ ـن حتمنـ ـا | قبـ ـل الممـ ـات ولـ ـو بيـ ـوم واحـ ـد

ثم أن العفريت قشقش التفت إلى ميمونة وإلى دهنش وقال لهما والله ما فيهما أحد أحسن من الآخر ولا دون الآخر بل هما أشبه الناس ببعضهما في الحسن والجمال والبهجة والكمال ولا يفرق بينهما إلا بالتـ ـذكير والتأنيث وعندي حكم آخر وهو أن ننبه كل واحد منهما من غير علم الآخر وكل من التهب على رفيقه فهـ ـو دونه في الحسن والجمال فقالت ميمونة نعم هذا الرأي الذي قلته فأنا رضيته وقال دهنش وأنا أيضاً رضـ ـيته فعند ذلك انقلب دهنش في صورة برغوث ولدغ قمر الزمان وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢١٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن دهنشاً لدغ قمر الزمان في رقبته في موضع ناعم فمذ قمر الزمان يده على رقبته وهرش موضع اللدغة من شدة ما أحرقته فتحرك بجنبه فوجد شيئاً نائماً بجنبه ونفسه أذكى من المسـ ـك وجسمه ألين من الزبد فتعجب قمر الزمان من ذلك غاية العجب ثم قام من وقته قاعداً ونظر إلى ذلك الشخص الراقد بجانبه فوجده صبية كالدرة السنية أو القبة المبنية بقامة الفية خماسية القد بارزة النهد موردة الخد كمـ ـا قال كما قال فيها بعض واصفيها.

بـ ـدت قمـ ـراً وعـ ـادت غصـ ـن بـ ـان | وفاحـ ـت عنبـ ـراً ورنـ ـت غـ ـزالاً
كـ ـأن الحـ ـزن مشـ ـغوف بقلبـ ـي | فسـ ـاعة مجرهـ ـا يجـ ـد الوصـ ـالا

فلما رأى قمر الزمان السيدة بدور بنت الملك الغيور وشاهد حسنها وجمالها وهي نائمة طولـ ـه ووجـ ـد فوق بدنها قميصاً بندقياً وهي بلا سروال وعليها كوفية من ذهب مرصعة بالجواهر وفي عنقها قـ ـلادة مـ ـن الفصوص المثمنة لا يقدر عليها أحد من الملوك فصار مدهوش العقل من ذلك ثم أنه حـ ـين شـ ـاهد حسـ ـنها تحركت فيه الحرارة الغريزية وألقى الله عليه شهوة الجماع وقال في نفسه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ثم قلبها بيده ثاني مرة وفتح طوق قميصها فبان له بطنها ونظر إليها وإلى نهودها فازداد فيها محبة ورغبـ ـة فصار ينبهها وهي لا تنتبه لأن دهنشا ثقل نومها فصار قمر الزمان يهزها ويحركهـ ـا ويقـ ـول يـ ـا حبيبتـ ـي استيقظي وانظري من أنا فأنا قمر الزمان فلم تستيقظ ولم تحرك رأسها فعند ذلك تفكر في أمرها ساعة زمانية وقال في نفسه أن صدق حذري فهذه الصبية هي التي يريد والدي زواجي بها ومضى لي ثلاث سـ ـنين وأنـ ـا أمتنع من ذلك فإن شاء الله إذا جاء الصبح أقول لأبي زوجني بها. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢١٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن قمر الزمان قال في نفسه أن شاء الله إذا جاء الصد بح أق ول لأب ي زوجني بها ولا أترك نصف النهار يفوت حتى أفوز بوصلها وأتملى بحسنها وجمالها ثم أن قمر الزمان مـ ـال إلى بدور ليقبلها فارتعدت ميمونة الجنية وخجلت وأما العفريت دهنش فإنه طار من الفرح ثم أن قمر الزمان لما أراد أن يقبلها في فمها استحى من الله ولفت وجهه وقال في نفسه أنا أصبر لئلا يكون والدي لما غضـ ب علي وحبسني في هذا الموضع جاء لي بهذه العروسة وأمرها بالنوم جنبي ليمتحني بها وأوصـ ـاها أنـ ـي إذا نبهتها لا تستيقظ وقال لها أي شيء فعل بك قمر الزمان فاعلميني به وربما يكون والدي مستخفياً في مكـ ـان بحيث يطلع علي وأنا لا أنظره فينظر جميع ما أفعله بهذه الصبية وإذا أصبح الصباح يوبخني ويقول لي كيف تقول لي ما لي أرب في الزواج وأنت قبلت تلك الصبية وعانقتها فأنا أكف نفسي عنها لئلا ينكشف أمري مع والدي فأنا لا ألمس هذه الصبية من تلك الساعة ولا التفت لها غير أني آخذ لي منها شيئاً يكون أمارة عنـ ـدي وتذكرة لها حتى يبقى بيني وبينها إشارة ثم أن قمر الزمان رفع كف الصبية وأخذ خاتمها من خنصرها وهو يساوي جملة من المال لأن فصه من نفيس الجواهر ومنقوش في دائرته هذه الأبيات:

لا تحسـ ـبوا أنـ ـي نسـ ـيت عهـ ـودكم	**مهمـ ـا أطلـ ـتم فـ ـي الزمـ ـان صـ ـدودكم**
يـ ـا سـ ـادتي جـ ـودوا علـ ـي تعطفـ ـاً	**فعسـ ـى أقبـ ـل ثغـ ـركم وخـ ـدودكم**
والله أنـ ـي لسـ ـت أبـ ـرح عـ ـنكم	**ولـ ـو أعـ ـديتم فـ ـي الغـ ـرام حـ ـدودكم**

ثم أن قمر الزمان نزع ذلك الخاتم من خنصر الملكة بدور ولبسه في خنصره وأدار ظهره إليها وقـ ـام ففرحت ميمونة الجنية لما رأت ذلك وقالت لدهنش وقشقش هل رأيتما محبوبي قمر الزمان وما فعله من العفة عن هذه الصبية فهذا من كمال محاسنه فانظروا كيف رأى هذه الصبية وحسنها وجمالها ولم يعانقها ولم يملس بيده عليها بل أدار ظهره إليها ونام فقالا لها قد رأينا ما صنع من الكمال فعند ذلك أنقلبت ميمونـ ـة وجعلـ ـت نفسها برغوثاً ودخلت ثياب بدور محبوبة دهنش ومشت على ساقها وطلعت على فخذها ومشت تحت سـ ـرتها مقدار أربعة قراريط ولدغتها ففتحت عينيها واستوت قاعدة فرأت شاباً نائماً بجانبها وهو يغط في نومه ولـ ـه خدود كشقائق النعمان ولواحظ تخجل الحور الحسان وفم كأنه خاتم سليمان وريقه حلو المـ ـذاق وانفـ ـع مـ ـن الترياق كما قال فيه بعض واصفيه.

سـ ـلاحاً طـ ـرى عـ ـن زينـ ـب ونـ ـوار	**بـ ـ ـوردة خـ ـ ـد فـ ـ ـوق آس عـ ـ ـذار**
وأصـ ـبحت بـ ـالظبي المقرط ـق مغرمـ ـاً	**ولا أرى لـ ـي فـ ـي عشـ ـق ذات سـ ـوار**
أنيسي في النادي وفـ ـي خلـ ـوتي معـ ـاً	**خـ ـلاف أنيسـ ـي فـ ـي قـ ـرارة داري**
فيا لائمـ ـي فـ ـي هجـ ـر هنـ ـد وزينـ ـب	**وقـ ـد لاح عـ ـذري كالمصـ ـباح السـ ـاري**
أترضـ ـى بـ ـأن أمسـ ـي أسـ ـير أسـ ـيرة	**محصـ ـ ـنة أو مـ ـ ـن وراء جـ ـ ـداري**

ثم أن الملكة بدور لما رأت قمر الزمان أخذها الهيام والوجد والغرام وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢١٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملكة بدور قالت في نفسها وافضيحتاه أن هذا شاب غريب لا أعرفه ما باله راقد بجانبي في فراش واحد ثم نظرت إليه بعيونها وحققت النظر فيه وفي ظرفه ودلاله وحسنه وجماله ثم قالت وحق الله أنه شاب مليح مثل القمر إلا أن كبدي تكاد أن تتمزق وجدا عليه وشغفا بحسنه وجماله فيا فضيحتي منه والله لو علمت أن هذا الشاب هو الذي خطبني من أبي ما رددته بل كنت أتزوجه وأتملى بجماله ثم أن الملكة بدور تطلعت من وقتها وساعتها في وجه قمر الزمان وقالت له يا سيدي وحبيب قلبي ونور عيني انتبه من منامك وتمتع بحسني وجمالي ثم حركته بيدها فأرخت عليه ميمونة الجنية النوم وثقلت رأسه بجناحها فلم يستيقظ قمر الزمان فهزته الملكة بدور بيديها وقالت له بحياتي عليك أن تطيعني وأنتبه من منامك وانظر النرجس والخضرة وتمتع ببطني والسرة وهارشني وناغشني من هذا الوقت إلى بكرة قم بيا سيدي واتكيء على المخدة ولا تنم فلم يجيبها قمر الزمان بجواب ولم يرد عليها خطاباً بل غط في النوم فقالت الملكة بدور مالك تائهاً بحسنك وجمالك وظرفك ودلالك فكما أنت مليح أنا الأخرى مليحة فما هذا الذي تفعله هل هم علموك الصد عني أو أبى الشيخ النحس منعك من أن تكلمني في هذه الليلة ففتح قمر الزمان عينيه فازدادت فيه محبة وألقى الله محبته في قلبها ونظرته نظرة أعقبتها ألف حسرة فخفق فؤادها وتقلقلت أحشاؤها واضطربت جوارحها وقالت لقمر الزمان يا سيدي كلمني يا حبيبي حدثني يا معشوقي رد على الجواب وقل لي ما اسمك فأنك سلبت عقلي كل ذلك وقمر الزمان مستغرق في يالنوم ولم يرد عليها بكلمة فتأوهت الملكة بدور وقالت مالك معجباً بنفسك ثم هزته وقبلت يده فرأت خاتمها في أصبعه الخنصر فشهقت شهقة واتبعتها بغنجة وقالت أوه أوه والله أنت حبيبي وتحبني ولكن كأنك تعرض عني دلالاً مع أنك جئتني وأنا نائمة وما أعرف كيف عملت أنت معي ولكني ما أنا قالعة خاتمي من خنصرك ثم فتحت جيب قميصه ومالت عليه وقبلت رقبته وفتشت على شيء تأخذه منه فلم تجد معه شيئاً ورأته بغير سروال فمدت يدها من تحت ذيل قميصه وجست سيقانه فزلقت يدها من نعومة جسمه وسقطت على أيره فانصدع قلبها وارتجف فؤادها لأن شهوة النساء أقوى من شهوة الرجال وخجلت ثم نزعت خاتمه من أصبعه ووضعته في أصبعها موضعاً عن خاتمها وقبلته في ثغره وقبلت كفيه ولم تترك فيه موضعاً إلا قبلته وبعد ذلك أخذته في حضنها وعانقته ووضعت إحدى يديها تحت رقبته والأخرى من تحت أبطه ونامت بجانبه وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢١٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملكة بدور نامت بجانب قمر الزمان وجرى منها ما جرى فلما رأت ذلك ميمونة فرحت غاية الفرح وقالت لدهنش هل رأيت يا ملعون كيف فعلت معشوقتك من الوله بمعشوقي وكيف فعل معشوقي من التيه والدلال فلاشك أن معشوقي أحسن من معشوقتك ولكن عفوت عنك ثم كتبت له ورقة بالعتق والتفتت إلى قشقش وقالت له أدخل معه وأحمل معشوقته وساعده علي وصولها إلى مكانها لأن الليل مضى وفاتني مطلوبي فتقدم دهنش وقشقش إلى الملكة بدور ودخلا تحتها وحملاها وطارا بها وأوصلاها إلى مكانها وأعاداها إلى فراشها واختلت ميمونة بالنظر إلى قمر الزمان وهو نائم حتى لم يبق من

الليل إلا القليل ثم توجهت إلى حال سبيلها فلما انشق الفجر انتبه قمر الزمان من منامه والتفت يميناً وشـ مالاً فلم يجد الصبية عنده فقال في نفسه ما هذا الأمر كأن أبي يرغبني في الزواج بالصبية التي كانت عندي ثـ م أخذها سراً لأجل أن تزداد رغبتي في الزواج ثم صرخ على الخادم الذي هو نائم على الباب وقال له ويلك يا ملعون قم فقام الخادم وهو طائش العقل من النوم ثم قدم له الطشت والأبريق فقام قمر الزمان ودخل المستراح وقضى حاجته وخرج فتوضأ وصلي الصبح وجلس يسبح الله ثم نظر إلى الخادم فوجده واقفاً في خدمته بـ ين يديه فقال له ويلك يا صواب من جاء هنا وأخذ الصبية من جنبي وأنا نائم فقال الخادم يا سـ يدي أي شـ يء الصبية فقال قمر الزمان الصبية التي كانت نائمة عندي في هذه الليلة فانزعج الخادم من كلام قمـ ر الزمـ ان وقال له لم يكن عندك صبية ولا غيرها ومن أين دخلت الصبية وأنا نائم وراء الباب وهـ و مقف ول والله يـ ا سيدي ما دخل عليك ذكر ولا أنثى فقال له قمر الزمان تكذب يا عبد النحس وهل وصل من قدرك أنت الآخر أنك تخادعني ولا تخبرني أين راحت هذه الصبية التي كانت نائمة عندي في هذه الليلة ولم تخبرنـ ي بالـ ذي أخذها من عندي فقال الطواشي وقد أنزعج منه والله يا سيدي ما رأيت صبية ولا صبياً فغضب قمر الزمـ ان من كلام الخادم وقال له أنهم علموك الخداع يا ملعون فتعال عندي فتقدم الخادم إلى قمر الزمان فأخذ بأطواقه وضرب به الأرض فضرط ثم برك عليه قمر الزمان ورفسه برجله وخنقه حتى غشي علي ثم بعد ذلك ربطه في سلبة البئر وأدلاه فيه إلى أن وصل إلى الماء وأرخاه وكانت تلك الأيام أيام برد وشـ تاء قـ اطع فغطـ س الخادم في الماء ثم نشله قمر الزمان وأرخاه ومازال يغطس ذلك الخادم في الماء وينشله منه والخادم يستغيث ويصرخ ويصيح وقمر الزمان يقول له والله يا ملعون ما أطلعك من هذه البئر حتـ ى تخبرنـ ي بخبـ ر هـ ذه الجارية وقضيتها ومن الذي أخذها وأنا نائم وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢١٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الخادم قال لقمر الزمان انقذني من البئر يـ ا سـ يدي وأنـ ا أخبـ رك بالصحيح فجذبه من البئر واطلعه وهو غائب عن الوجود من شدة ما قاساه من الغـ رق والغطـ اس والبـ رد والضرب والعذاب وصار يرتعد مثل القصبة في الريح العاصف واشتكت أسنانه في بعضها وابتلـ ت ثيابـ ه بالماء فلما رأى الخادم نفسه على وجه الأرض قال له دعني يا سيدي أروح وأقلع ثيابي وأعصرها وأنشرها في الشمس والبس غيرها ثم أحضر إليك سريعاً وأخبرك بأمر تلك الصبية وأحكي لك حكايتها فقال له قمـ ر الزمان والله يا عبد النحس لولا أنك عاينت الموت ما أقررت بالحق فأخرج لقضاء أغراضك وعد إلي بسرعة وأحك لي حكاية الصبية وقصتها فعند ذلك خرج الخادم وهو لا يصدق بالنجاة ولم يزل يجري إلي أن دخـ ل على الملك شهرمان أبى قمر الزمان فوجد الوزير بجانبه وهما يتحدثان في أمر قمر الزمان فسمع الملك يقول للوزير أني ما نمت في هذه الليلة من اشتغال قلبي بولدي قمر الزمان وأخشى أن يجري له شيء مـ ن هـ ذا البرج العتيق وما كان في سجنه شيء من المصلحة فقال له الوزير لا تخف عليه والله لا يصيبه شيء ودعه مسجوناً شهر كامل حتى تلين عريكته فبينما هما في الكلام وإذا بالخادم دخل عليهما وهو في تلك الحالة وقال له يا مولانا السلطان أن ولدك حصل له جنون وقد فعل بي هذه الفعال وقال لي أن صبية باتت عندي في هذه الليلة وذهبت خفية فأخبرني بخبرها وأنا لا أعرف ما شان هذه الصبية فلما سمع السلطان شهرمان هذا الكلام

عن ولده قمر الزمان صرخ قائلاً وا ولداه وغضب على الوزير الذي كان سبباً في هذه الأمور غضباً شديداً وقال له قم اكشف لي خبر ولدي قمر الزمان فخرج الوزير وهو يعثر في أذياله من خوفه من الملك وراح مع الخادم إلى البرج وكانت الشمس قد طلعت فدخل الوزير على قمر الزمان فوجده جالساً على السرير يقرأ القرآن فسلم عليه الوزير وجلس إلى جانبه وقال له يا سيدي أن هذا العبد النحس أخبرنا بخبر شوش علينا وأزعجنا فاغتاظ الملك من ذلك فقال له قمر الزمان أيها الوزير وما الذي قاله لكم عني حتى شوش على أبي وفي الحقيقة هو ما شوش إلا علي فقال له الوزير أنه جاءنا بحالة منكرة وقال لنا قولاً حاشاك منه وكذب علينا بما لا ينبغي أن يذكر في شأنك فسلامة شبابك وعقلك الرجيح ولسانك الفصيح وحاشى أن يصدر منك شيء قبيح فقال له قمر الزمان فأي شيء قال هذا العبد النحس فقال له الوزير أنه أخبرنا أنك جننت وقلت له كان عندي صبية في الليلة الماضية فهل قلت للخادم هذا الكلام فلما سمع قمر الزمان هذا الكلام اغتاظ غيظاً شديداً وقال للوزير تبين لي أنكم علمتم الخادم الفعل الذي صدر منه وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢١٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن قمر الزمان ابن الملك شهرمان قال للوزير تبين لي أنكم منعتموه من أن يخبرني بأمر الصبية التي كانت نائمة عندي في هذه الليلة وأنت أيها الوزير أعقل من الخادم فأخبرني في هذه الساعة أين ذهبت الصبية المليحة التي كانت نائمة في حضني في تلك الليلة فأنتم الذين ارسلتموها عندي وأمرتموها أن تبيت في حضني ونمت معها إلى الصباح فلما انتبهت ما وجدتها فأين هي الآن فقال الوزير يا سيدي قمر الزمان اسم الله حواليك وأنا ما أرسلنا لك في هذه الليلة أحداً وقد نمت وحدك والباب مقفل عليك والخادم نائم من خلف الباب وما أتى إليك صبية ولا غيرها فأرجع إلى عقلك يا سيدي ولا تشغل خاطرك فقال له قمر الزمان وقد أغتاظ من كلامه أيها الوزير أن تلك الصبية معشوقتي وهي المليحة صاحبة العيون السود والخدود الحمر التي عانقتها في هذه الليلة فتعجب الوزير من كلام قمر الزمان وقال له هل رأيت هذه الصبية في هذه الليلة بعينك في اليقظة أو في المنام فقال له قمر الزمان يا أيها الشيخ النحس أتظن أني رأيتها بأذني أنما رأيتها بعيوني في اليقظة وقلبتها بيدي وسهرت معها نصف ليلة كاملة وأنا أتفرج على حسنها وجمالها وظرفها ودلالها وأنما أنتم أوصيتموها أنها لا تكلمني فجعلت نفسها نائمة فنمت بجانبها إلى الصباح ثم أستيقظت من منامي فلم أجدها فقال له الوزير يا سيدي قمر الزمان ربما تكون رأيت هذا الأمر في المنام فيكون أضغاث أحلام أو تخيلات من أكل مختلف الطعام أو وسوسة من الشياطين اللئام فقال له قمر الزمان يا أيها الشيخ النحس كيف تهزأ بي أنت الآخر وتقول لي لعل هذا أضغاث أحلام مع أن الخادم قد أقر بتلك الصبية وقال لي في هذه الساعة أعود إليك وأخبرك بقصتها ثم أن قمر الزمان قام من وقته وتقدم إلى الوزير وقبض لحيته في يده وكانت لحيته طويلة فأخذها قمر الزمان ولفها على يده وجذبه منها فرماه من فوق السرير وألقاه على الأرض فأحس الوزير أن روحه طلعت من شدة نتف لحيته ومازال قمر الزمان يرفس الوزير برجليه ويصفعه على الصبي المجنون بكذبة فأنا أولاً بذلك منه وأخلص نفسي أنا الآخر بكذبة وألا يهلكني فها أنا أكذب وأخلص روحي منه فأنه مجنون لاشك في جنونه ثم أن الوزير التفت إلى قمر الزمان

وقال له يا سيدي لا تؤاخذني فإن والدك أوصاني أن أكتم عنك خبر هذه الصبية وأنا الآن عجزت وكليت من الضرب لأني بقيت رجلاً كبيراً وليس لي قوة على تحمل الضرب فتمهل علي قليلاً حتى أحدثك بقصة الصبية فعند ذلك منع عنه الضرب وقال له لأي شيء لم تخبرني بخبر تلك الصبية إلا بعد الضرب والإهانة فقم يـ ـا أيها الشيخ النحس وأحك لي خبرها فقال له الوزير هل أنت تسأل عن تلك الصبية صاحبة الوجه المليح والقد الرجيح فقال له قمر الزمان نعم أخبرني أيها الوزير من الذي جاء بها إلى وأنامها عندي وأين هي في هـ ـذه الساعة حتى أروح أنا إليها بنفسي فإن كان أبي الملك شهرمان فعل معي هذه الفعال وامتحني بتلك الصـ ـبية المليحة من أجل زواجها فأنا رضيت أن أتزوج بها فإنه ما فعل معي هذا الأمر كله ولـ ـع خـ ـاطري بتلـ ـك الصبية بعد ذلك حجبها عني إلا من أجل امتناعي من الزواج فها أنا رضيت بالزواج فأعلم والدي بذلك أيهـ ـا الوزير وأشر إليه أن يزوجني بتلك الصبية فإني لا أريد سواها وقلبي لم يعشق إلا إياها فقم وأسرع إلى أبـ ـي وأشر إليه بتعجيل زواجي ثم عدا لي قريباً في هذه ساعة فما صدق الوزير بالخلاص من قمر الزمان حتـ ـى خرج من البرج وهو يجري إلى أن دخل على الملك شهرمان وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢١٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير خرج يجري من البرج إلى أن دخل على الملك شهرمان فلمـ ـا دخل عليه قال له الملك أيها الوزير مالي أراك في ارتباك ومن الذي بشره رماك حتى جئت مرعوبـ ـاً فقـ ـال للملك إني قد جئتك ببشارة قال له الملك وما تلك البشارة قال له اعلم أن ولدك قمر الزمان قد حصل له جنون فلما سمع الملك كلام الوزير صار الضياء في وجهه ظلاماً وقال له أيها الوزير أوضح لي صفة جنون ولدي قال له الوزير سمعاً وطاعة ثم أخبره بما صدر من ولده فقال الملك أبشر أيها الوزير أني أعطيك في نظيـ ـر بشارتك أياي بجنون ولدي ضرب رقبتك وزوال النعم عنك يا نحس الوزراء وأخبث الأمراء لأني أعلم أنـ ـك سبب جنون ولدي بمشورتك ورأيك التعيس الذي أشرت به علي في الأول والآخر والله أن كان يـ ـأتي علـ ـى ولدي شيء من الضرر أو الجنون لأسمرنك على القبة وأذيقنك النكبة ثم أن الملك نهض قائماً علـ ـى أقدامـ ـه وأخذ الوزير معه ودخل به البرج الذي فيه قمر الزمان فلما وصلا إليه قام قمر الزمان على قدميـ ـه لوالـ ـده ونزل سريعاً من فوق السرير الذي هو جالس عليه وقبل يديه ثم تأخر وراءه وأطرق رأسه إلى الأرض وهو مكتف اليدين قدام أبيه ولم يزل كذلك ساعة زمانية وبعد ذلك رفع رأسه إلى والده وفرت الدموع من عينيـ ـه وسالت على خديه وأنشد قول الشاعر:

أن كنـ ـت قـ ـد أذنبـ ـت ذنبـ ـاً سـ ـالفاً	فـ ـي حقك ـم وأتيـ ـت شـ ـيئاً منك ـراً
أنـ ـا تائـ ـب عمـ ـا جنيـ ـت وعفـ ـوكم	يسـ ـع المسـ ـيء إذا أتـ ـى مسـ ـتغفراً

فعند ذلك قام الملك وعانق ولده قمر الزمان وقبله بين عينيه وأجلسه إلى جانبه فوق السرير ثم التفـ ـت إلى الوزير بعين الغضب وقال له يا كلب الوزراء كيف تقول على ولدي قمر الزمان ما هو كذا وكذا وترعب قلبي عليه ثم التفت إلى ولده وقال له يا ولدي ما اسم هذا اليوم فقال له يا والدي هذا يوم السبت وغـ ـدا يـ ـوم الأحد وبعده يوم الأثنين وبعده الثلاثاء وبعده الأربعاء وبعده الخميس وبعده الجمعة فقال له الملك يا ولدي قمر الزمان الحمد لله على سلامتك ما إسم هذا الشهر الذي علينا بالعربي فقال اسمه ذو القعدة ويليـ ـه ذو الحجـ ـة

وبعده المحرم وبعده صفر وبعده ربيع الأول وبعده ربيع الثاني وبعده جمادي الأولى وبعده جمادي الثانية وبعده رجب وبعده شعبان وبعده رمضان وبعده شوال ففرح بذلك الملك فرحاً شديداً وبصق في وجه الوزير وقال له يا شيخ السوء كيف تزعم أن ولدي قمر الزمان قد جن والحال أنه ما جن إلا أنت فعند ذلك حرك الوزير رأسه وأراد أن يتكلم ثم خطر بباله أن يتمهل قليلاً لينظر ماذا يكون ثم أن الملك قال لولده يا ولدي أي شيء هذا الكلام الذي تكلمت به للخادم والوزير حيث قلت لهما أني كنت نائماً أنا وصبية مليحة في هذه الليلة فما شأن هذه الصبية التي ذكرتها فضحك قمر الزمان من كلام أبيه وقال له يا والدي اعلم أنه ما بقي لي قوة تتحمل السخرية فلا تزيدوا على شيئاً ولا كلمة واحدة فقد ضاق خلقي مما تفعلونه معي واعلم يا والدي أني رضيت بالزواج ولكن بشرط أن تزوجني تلك الصبية التي كانت نائمة عندي في هذه الليلة فإني أتحقق أنك أنت الذي أرسلتها إلي وشوقتني إليها وبعد ذلك أرسلت إليها قبل الصبح وأخذتها من عندي فقال الملك اسم الله حواليك يا ولدي سلامة عقلك من الجنون. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٢٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك شهرمان قال لولده قمر الزمان أي شيء هذه الصبية التي تزعم أني أرسلتها إليك في هذه الليلة ثم أرسلت أخذتها من عندك قبل الصباح فو الله يا ولدي ليس لي علم بهذا الأمر فبالله عليك أن تخبرني هل ذلك أضغاث أحلام أو تخيلات طعام فإنك بت في هذه الليلة وأنت مشغول الخاطر بالزواج وموسوس بذكره قبح الله الزواج وساعته وقبح من أشار به ولاشك أنك متكدر المزاج من جهة الزواج فرأيت في المنام أن صبية مليحة تعانقك وأنت تعتقد في بالك أنك رأيتها في اليقظة وهذا كله يا ولدي أضغاث أحلام فقال قمر الزمان دع عنك هذا الكلام واحلف بالله الخالق العلام قاصم الجبابرة ومبيد الأكاسرة أنه لم يكن عندك خبر بالصبية ومحلها فقال الملك وحق إله موسى وإبراهيم إنه لم يكن لي علم بذلك ولعله أضغاث أحلام رأيته في المنام فقال قمر الزمان لوالده أنا أضرب لك مثلاً يبين لك أن هذا كان في اليقظة وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٢١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن قمر الزمان قال لوالده هذا المثل هو أني أسألك هل اتفق لأحد أنه رأي نفسه في المنام يقاتل وقد قاتل قتالاً شديداً وبعد ذلك استيقظ من منامه فوجد في يده سيفاً ملوثاً بالدم فقال له والده لا والله يا ولدي لم يتفق هذا فلقال له قمر الزمان أخبرك بما حصل لي وهو أني رأيت في هذه الليلة كأني استيقظت من منامي نصف الليل فوجدت بنتاً نائمة بجانبي وقدها كقدي وشكلها كشكلي فعانقتها ومسكتها بيدي وأخذت خاتمها ووضعته في أصبعي وقلعت خاتمي ووضعته في أصبعها وأمتنعت عنها حياء منك وظننت أنك أرسلتها واستخفيت في موضع لتنظر ما أفعل واستحييت من أجل ذلك أن أقبلها في فمها حياء منك وخطر ببالي أنك تمتحني بها حتى ترغبني في الزواج وبعد ذلك أنتبهت من منامي في وجه الصبح فلم أجد للصبية من أثر ولا وقفت لها على خبر وجرى لي مع الخادم والوزير ما جرى فكيف يكون هذا الأمر كذباً وأمر الخاتم ميخا ولولا الخاتم كنت أظن أنه منام وهذا خاتمها الذي في خنصري في هذه الساعة فانظر أيها الملك إلى الخاتم كم يساوي ثم أن قمر الزمان ناول الخاتم لأبيه فأخذه وقلبه ثم التفت إلى ولده وقال له أن

لهذا الخاتم نبأ عظيماً وخبراً جسيماً وأن الذي اتفق لك في هذه الليلة مع تلك الصبية أمر مشكل ولا أعلم من أين دخل علينا هذا الدخيل وما تسبب في هذا كله إلا الوزير فبالله عليك يا ولدي أن تصبر لعل الله يفرج عنك هذه الكربة ويأتيك بالفرج العظيم كما قال الشاعر:

عسـ ـى ولعـ ـل الـ ـدهر يلـ ـوي عنانـ ـه   ويـ ـأتي بخيـ ـر فالزمـ ـان غيـ ـور
وتسـ ـعد آمـ ـالي وتقضـ ـى حـ ـوائجي   وتحـ ـدث مـ ـن بعـ ـد الأمـ ـور أمـ ـور

فيا ولدي قد تحققت في هذه الساعة أنه ليس بك جنون ولكن قضيتك ما يجليها عنك إلا الله فقال قمـ ـر الزمان لوالده بالله يا والدي أنك تفحص لي عن هذه الصبية وتعجل بقدومها وإلا مت كمداً ثم أن قمر الزمان أظهر الوجد والتفت إلى أبيه وأنشد هذين البيتين:

إن كان فـ ـي وعـ ـدكم بالوصـ ـل تزويـ ـر   ففي الكـ ـرى واصـ ـلوا المشـ ـتاق أوزورا
قالوا وكيف يزور الطيـ ـف جفـ ـن فتـ ـى   منامـ ـه عنـ ـه ممنـ ـوع ومحجـ ـور

ثم إن قمر الزمان بعد أنشاد هذه الأشعار التفت إلى أبيه بخضوع وانكسار وأفاض العبرات وأنشد هذه الأبيات وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٢٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن قمر الزمان أفاض العبرات وأنشد هذه الأبيات:

خذوا حذركم من طرفها فهـ ـو سـ ـاحر   ولـ ـيس بنـ ـاج مـ ـن رمتـ ـه المحـ ـاجر
ولا تخـ ـدعوا مـ ـن رقـ ـة فـ ـي كلامهـ ـا   فـ ـإن الحميـ ـا للعقـ ـول تخـ ـامر
منعمـ ـة لـ ـولا مـ ـس الـ ـورد خـ ـدها   بكـ ـت ويـ ـدت مـ ـن مقلتيهـ ـا البـ ـواتر
فلو في الكـ ـرى مـ ـر النسـ ـيم بأرضـ ـها   سرى بـ ـدا مـ ـن أرضـ ـها وهـ ـو عـ ـاطر

فلما فرغ قمر الزمان من شعره قال الوزير للملك يا ملك الزمان إلى متى أنت محجوب عن العسـ ـكر عند ولدك قمر الزمان فربما يفسد عليك نظام المملكة بسبب بعدك عن أرباب دولتك والعاقل إذا ألمت بجسمه أمراض مختلفة يجب عليه أن يبدأ بمداواة أعظمها والرأي عندي أن تنقل ولدك من هذا المكان إلى القصـ ـر الذي في السراية المطل على البحر وتنقطع عن ولدك فيه وتجعل للموكب والديوان في كـ ـل جمعـ ـة يـ ـومين الخميس والأثنين فيدخل عليك فيهما الأمراء والوزراء والحجاب والنواب وأرباب الدولة وخـ ـواص المملكـ ـة وأصحاب الصولة وبقية العساكر والرعية ويعرضون عليك أحوالهم فاقض حوائجهم واحكم بينهم وخذ واعط معهم وأمر وانهي بينهم وبقية الجمعة تكون عند ولدك قمر الزمان ولا تزال على تلك الحالة حتى يفـ ـرج الله عنك وعنه ولا تأمن أيها الملك من نوائب الزمان وطوارق الحدثان فإن العاقل دائماً محاذر وما أحسن قـ ـول الشاعر:

حسـ ـنت ظنـ ـك بالأيـ ـام إذ حسـ ـنت   ولم تخف سـ ـوء مـ ـا يـ ـأتي بـ ـه القـ ـدر
وسـ ـالمتك الليـ ـالي فـ ـاغتررت بهـ ـا   وعنـ ـد صـ ـفو الليـ ـالي يحـ ـدث الكـ ـدر
يا معشر الناس من كـ ـان الزمـ ـان لـ ـه   مسـ ـاعداً فلـ ـيكن مـ ـن رأيـ ـه الحـ ـذر

فلما سمع السلطان من الوزير هذا الكلام رآه صواباً ونصيحة في مصلحته فأثر عنده وخاف أن ينفسد عليه نظام الملك فنهض من وقته وساعته وأمر بتحويل ولده من ذلك المكان إلى القصر الذي فـ ي السـ راية المطل على البحر ويمشون إليه على ممشاة في وسط البحر عرضها عشرون ذراعاً وبدائر القصر شـ بابيك مظلة على البحر وأرض ذلك القصر مفروشة بالرخام الملون وسقفه مدهون بأفخر الدهان من سائر الألـ وان ومنقوش بالذهب واللازورد ففرشوا لقمر الزمان فيه البسط الحرير والبسوا حيطانه الديباج وأرخـ وا عليـ ه الستائر المكللة بالجواهر ودخل فيه قمر الزمان وصار من شدة العشق كثير السهر فاشتغل خـ اطره وأسـ فر لونه وانتحل جسمه وجلس والده الملك شهرمان عند رأسه وحزن عليه وصار الملك في كل يوم اثنين ويـ وم خميس يأذن في أن يدخل عليه من شاء الدخول من الأمراء والوزراء والحجاب والنـ واب وأربـ اب الدولـ ة وسائر العساكر والرعية في ذلك القيصر فيدخلون عليه ويؤدون وظائف الخدمة ويقيمون عنـ ده إلـ ى آخـ ر النهار ثم ينصرفون بعد ذلك إلى حال سبيلهم وبعد ذلك يدخل الملك عند ولده قمر الزمان في ذلك المكان ولا يفارقه ليلاً ولا نهاراً ولم يزل على تلك الحالة مدة أيام وليال من الزمان هذا ما كان من أمر قمر الزمان بن الملك شهرمان (وأما) ما كان من أمر الملكة بدور بنت الملك الغيور صاحب الجزائر والسبعة قصـ ور فـ إن الجن لما حملوها وأناموها في فراشها لم يبق من الليل إلا ثلاثة ساعات ثم طلع الفجر فاستيقظت من منامهـ ا وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٢٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن السيدة بدور لما استيقظت من منامها جلست والتفتت يميناً وشمالاً فلم ترى معشوقها الذي كان في حضنها فارتجف فؤادها وزال عقلها وصرخت صرخة عظيمة فاسـ تيقظ جميـ ع جواريها والدايات والقهرمانات ودخلن عليها فتقدمت إليها كبيرتهن وقالت لها يا سيدتي ما الذي أصابك فقالت لها أيتها العجوز النحس أين معشوقي الشاب الذي كان نائماً هذه الليلة في حضني فأخبريني أيـ ن راح فلمـ ا سمعت منها القهرمانة هذا الكلام صار الضياء في وجهها ظلاماً وخافت من بأسها خوفاً عظيماً وقالـ ت يـ ا سيدتي بدور أي شيء هذا الكلام الصبيح والعيون السود والحواجب المقرونة الذي كان بائتاً عندي من العشاء إلى قرب طلوع الفجر فقالت والله ما رأيت شاباً ولا غيره فبالله يا سيدتي لا تمزحي هذا المزاح الخارج عـ ن الحد فتروح أرواحنا وربما بلغ أباك هذا المزاح فمن يخلصنا من يده فقالت لها الملكة بدور أنه كـ ان غلامـ اً بائتاً عندي في هذه الليلة وهو من أحسن الناس وجهاً فقالت له القهرمانة سلامة عقلك ما كان أحد بائتاً عندك في هذه الليلة فعند ذلك نظرت السيدة بدور إلى يدها فوجدت خاتم قمر الزمان في أصبعها ولم تجـ د خاتمهـ ا فقالت للقهرمانةويلك يا خائنة تكذبين علي وتقولين ما كان أحد بائتاً عندك وتحلفين لي بـ الله بـ اطلاً فقالـ ت القهرمانة والله ما كذبت عليك ولا حلفت باطلاً فاغتاظت منها السيدة بدور وسحبت سيفاً كان عندها وضربت القهرمانة فقتلتها فعند ذلك صاح الخدام والجواري والسراري عليها وراحوا إلى أبيها واعلموه بحالهـ ا فـ أتى الملك إلى أبنته السيدة بدور من وقته وساعته وقال لها يا بنتي ما خبرك فقالت يا أبي أين الشاب الذي كـ ان نائماً بجانبي في هذه الليلة وطار عقلها من رأسها وصارت تلتفت بعينها يميناً وشمالاً ثم شقت ثوبها إلى ذيلها فلما رأى أبوها تلك الفعال أمر الجواري والخدم أن يمسكوها فقبضوا عليها وقيدوها وجعلوا في رقبتها سلسلة

من حديد وربطوها في الشباك الذي في القصر هذا ما كان من أمر الملكة بدور (وأما) ما كان من أمر أبيه ا الملك الغيور فإنه لما رأى ما جرى من أبنته السيدة بدور ضاقت عليه الدنيا لأنه كان يحبها فلم يه ن علي ه أمرها فعند ذلك أحضر المنجمين والحكماء وأصحاب الأقلام وقال لهم من أبرأ بنتي مما هي فيه زوجته به ا وأعطيته نصف مملكتي ومن لم يبرئها ضربت عنقه ويعلق رأسه على باب القصر ولم يزل يفعل ذلك إلى أن قطع من أجلها أربعين رأساً فطلب سائر الحكماء فتوقفت جميع الناس عنها وعجزت جمي ع الحكم اء ع ن دوائها واشتكلت قضيتها على أهل العلوم وأرباب الأقلام ثم أن السيدة بدور لم ا زاد به ا الوج د والغ رام وأضربها العشق والهيام أجرت العبرات وأنشدت هذه الأبيات:

غرام ـي فيـ ـك يـ ـا قمـ ـري غريمـ ـي وذكـ ـرك فـ ـي دجـ ـى ليلـ ـى نـ ـديمي
أبيـ . ـت وأضـ . ـلعي فيه . ـا لهيـ . ـب يحـ . ـاكي حـ . ـره نـ . ـار الجحـ . ـيم
بليـ . ـت بفـ . ـرط وجـ . ـد واحتـ . ـراق عـ . ـذائي منهم . ـا أضـ . ـحى اليمـ . ـي

فلما فرغت السيدة بدور من إنشاد هذه الأشعار بكت حتى مرضت جفونها وتدبلت وجناته ا ث م أنه ا استمرت على هذا الحال ثلاث سنين وكان لها أخ من الرضاع يسمى مرزوان وكان سافر إلى أقصى الـ بلاد وغاب عنها تلك المدة بطولها وكان يحبها محبة زائدة على محبة الأخوة فلما حضر دخل على والدته وسألها عن أخته السيدة بدور فقالت له يا ولدي أن أختك حصل لها جنون ومضى لها ثلاث سنين وفي رقبتها سلسلة من حديد وعجزت الأطباء عن دوائها فلما سمع مرزوان هذا الكلام قال لابد من دخولي عليها لعلي أعرف ما بها وأقدر على دوائها فلما سمعت كلامه قالت لابد من دخولك عليها ولكن أصبر إلى غد حتى أتحي ل ف ي أمرك ثم أن أمه ذهبت إلى قصر السيدة بدور واجتمعت بالخادم الموكل بالباب وأهدت له هدية وقالت لـ ه أن لي بنتاً وقد تربت مع السيدة بدور وقد زوجتها ولما جرى لسيدتك ما جرى صار قلبها متعلقاً بها وأرجو من فضلك أن بنتي تأتي عندها ساعة لتنظرها ثم ترجع من حيث جاءت ولا يعلم بها أحد فقال الخ ادم لا يمك ن ذلك إلا في الليل فبعد أن يأتي السلطان ينظر ابنته ويخرج أدخلي أنت وأبنتك فقبلـ ت العج وز يـ د الخـ ادم وخرجت إلى بيتها فلما جاء وقت العشاء من الليلة القابلة قامت من وقتها وساعتها وأخذت ولـ دها مـ رزوان وألبسته بدلة من ثياب النساء وجعلت يده في يدها وأدخلته القصر ومازالت تمشي حتى أوصلته إلى الخ ادم بعد انصراف السلطان من عند بنته فلما رآها الخادم قام واقفاً وقال لها ادخلي ولا تطيلي القعود فلما دخلـ ت العجوز بولدها مرزوان رأى السيدة بدور في تلك الحالة فسلموا عليها بعد أن كشفت عنه أمه ثيـ اب النسـ اء فأخرج مرزوان الكتب التي معه وأوقد شمعة فنظرت إليه السيدة بدور فعرفته وقالت له يا أخي أنـ ت كنـ ت سافرت وانقطعت أخبارك عنا فقال لها صحيح ولكن ردني الله بالسلامة وأردت السفر ثانياً فما ردني عنه إلا هذا الخبر الذي سمعته عنك فاحترق فؤادي عليك وجئت إليك لعلي أعرف داءك وأقدر على دوائك فقالت له يا أخي هل تحسب أن الذي أعتراني جنون ثم أشارت إليه وأنشدت هذين البيتين:

قالوا جننت بمـ ـن تهـ ـوى فقلـ ـت لهـ ـم مـ . ـا لـ . ـذة العـ . ـيش إلا للمجـ . ـانين
ثـ ـم جننـ ـت فهـ ـاتوا مـ ـن جننـ ـت بـ ـه إن كـ ـان يشـ ـفى جنـ ـوني لا تلومـ ـوني

فعلم مرزوان أنها عاشقة فقال لها أخبريني بقصتك وما أتفق لك لعلي الله أن يطلعني علـ ى مـ ا فيـ ه خلاصك. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٢٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن بدور قالت يا أخي اسمع قصتي وذلك أنني استيقظت من منامي ليلـ ة في الثلث الأخير من الليل وجلست فرأيت بجانبي شاباً أحسن ما يكون من الشبان بكل عن وصفه اللسان كأنه غصن بان أو قضيب خيزران فظننت أن أبي هو الذي أمره بهذا الأمر ليمتعني لأنه راودني عن الزواج لما خطبني منه الملوك فأبيت فهذا الظن هو الذي منعني من أن أنه وخشيت أني إذا عانقته ربما يخبر أبي بـ ذلك فلما أصبحت رأيت بيدي خاتمه عوضا عن خاتمي فهذه حكايتي وأنا يا أخي قد تعلق قلبي به من حين رؤيته ومن كثرة عشقي والغرام لم أذق طعم المنام ومالي شغل غير بكائي بالدموع وأنشاد الأشعار بالليل والنهـ ار ثم أفاضت العبرات وأنشدت هذه الأبيات:

أبعـ . ـد الحـ . ـب لـ . ـذاتي تطيـ . ـب	وذاك الظبـ . ـي مرتعـ . ـه القلـ . ـوب
دم العشـ . ـاق أهـ . ـون مـ . ـا عليـ . ـه	وفيـ . ـه مهجـ . ـة الضـ . ـنى تـ . ـذوب
أغـ ـار عليـ ـه مـ ـن نظـ ـري وفكـ ـري	فمـ ـن بعضـ ـي علـ ـى بعضـ ـي رقيـ ـب
وأجفـ . ـان لـ . ـه ترمـ . ـي سـ . ـهاماً	فواتـ . ـك فـ . ـي القلـ . ـوب لنـ . ـا تصـ . ـيب
فهـ . ـل لـ . ـي أن أراه قبـ . ـل مـ . ـوتي	إذا مـ . ـا كـ . ـان فـ . ـي الـ . ـدنيا نصـ . ـيب
وأكـ . ـتم سـ . ـره فيذ . ـيم دمعـ . ـي	بمـ . ـا عنـ . ـدي ويعلمـ . ـه الرقيـ . ـب
قريـ . ـب وصـ . ـله منـ . ـي بعيـ . ـد	بعيـ . ـد ذكـ . ـره منـ . ـي قريـ . ـب

ثم أن السيدة بدور قالت لمرزوان أنظر يا أخي ما الذي تعمل معي في الذي أعتراني فاطرق مرزوان رأسه إلى الأرض ساعة وهو يتعجب وما يدري ما يفعل ثم رفع رأسه وقال لها جميع ما جرى لك صـ حيح وأن حكاية هذا الشاب أعيت فكري ولكن أدور في جميع البلاد وأفتش على دوائك لعل الله يجعله على يـ دي فأصبري ولا تقلقي ثم أن مرزوان ودعها ودعا لها بالثبات وخرج من عندها ثم أن مرزوان تمشي إلى بيـ ت والدته فنام تلك الليلة ولما أصبح الصباح تجهز للسفر فسافر ولم يزل مسافراً من مدينة إلـ ى مدينـ ة ومـ ن جزيرة إلى جزيرة مدة شهر كامل ثم دخل مدينة يقال لها الطيرب واستنشق الأخبار من الناس لعله يجد دواء الملكة بدور وكان كلما يدخل في مدينة أو يمر بها يسمع أن الملكة بدور بنت الملك الغيور قد حصـ ل لهـ ا جنون ولم يزل يستنشق الأخبار حتى وصل إلى مدينة الطيرب فسمع أن قمر الزمان بـ ن الملـ ك شـ هرمان مريض وأنه اعتراه وسواس وجنون فلما سمع مرزوان بخبره سال بعض أهالي تلك المدينة عن بلاده ومحل تخته فقالوا له جزائر خالدات وبيننا وبينها مسيرة شهر كامل في البحر وأما في البرفتة أشهر فنزل مـ رزوان في مركب إلى جزائر خالدات وكانت مركب مجهزة للسفر وطاب لها الريح مدة شهر فبانت لهم المدينة ولما أشرفوا عليها ولم يبق لهم إلا الوصول إلى الساحل خرجت عليهم ريح عاصف فرمي القرية ووقعت القلـ وع في البحر وانقلبت المركب بجميع ما فيها وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٢٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن مرزوان جذبته قوة التيار جذبة حتى أوصلته تحت قصر الملك الذي فيه قمر الزمان وكان بالأمر المقدر قد اجتمع الأمراء والوزراء عنده للخدمة والملك شهرمان جالس ورأس ولده قمر الزمان في حجره وخادم بنش عليه وكان قمر الزمان مضي له يومان وهو لم يأكل ولم يشرب ولم يتكلم وصار الوزير واقفاً عند رجليه قريب من الشباك المطل على البحر فرفع الوزير بصره فرأي مرزوان قد أشرف على الهلاك من التيار وبقي على آخر نفس فرق قلب الوزير إليه فتقرب إلى السلطان ومدرأسه إليه وقال له استأذنك في أن أنزل إلى ساحة القصر وأفتح بابها لأنقذ إنساناً قد أشرف على الغرق في البحر وأطلعه من الضيق إلى الفرج لعل الله بسبب ذلك يخلص ولدك مما هو فيه فقال السلطان كل ما جرى على ولدى بسببك وربما أنك إذا اطلعت هذا الغريب يطلع على أحوالنا وينظر إلى ولدي وخرج يتحدث مع أحد باسرارنا لأضربن رقبتك قبله لأنك أيها الوزير سبب ما جرى لنا أولاً وآخراً فافعل ما بدا لك فنهض الوزير وفتح باب الساحة ونزل في الممشاة عشرين خطوة ثم خرج إلى البحر فرأى مرزوان مشرفاً على الموت فمد الوزير يده إليه وأمسكه من شعر رأسه وجذبه منه عليه حتى ردت روحه إليه ثم نزع عنه ثيابه وألبسه ثياباً غيرها وعممه بعمامة من عمائم غلمانه. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٢٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير لما فعل مع مرزوان ما فعل وكيف قال له أني كنت سبباً لنجاتك من الغرق فلا تكن سبباً لموتى وموتك فقال مرزوان وكيف ذلك قال الوزير لأنك في هذه الساعة تطلع وتشق بين أمراء ووزراء والكل ساكتون لا يتكلمون من أجل قمر الزمان بن السلطان فلما سمع مرزوان ذكر قمر الزمان عرفه لأنه كان يسمع بحديثه في البلاد فقال مرزوان ذكر قمر الزمان عرفه لأنه كان يسمع بحديثه في البلاد فقال مرزوان ومن قمر الزمان فقال الوزيرهو ابن السلطان شهرمان وهو ضعيف ملقى على الفراش لا يقر له قرار ولا يعرف ليلاً ولا نهار وكاد أن يفارق الحياة من نحول جسمه ويصير من الأموات فنهاره لهيب وليله في تعذيب وقد يئسنا من حياته وأيقنا بوفاته وأياك أن تطيل النظر إليه أو تنظر إلى غير الموضع الذي تحط فيه رجلك وإلا فتروح روحك وروحي فقال بالله أخبرني عن هذا الشاب الذي وصفته لي ما سبب هذا الأمر الذي هو فيه فقال له الوزير لا أعلم له سبباً إلا أن والده من منذ ثلاث سنين كان يراوده عن أمر الزواج وهو يأبى فأصبح يزعم أنه كان نائماً فرأى بجنبه صبية بارعة الجمال وجمالها يحير العقول ويعجز عنه الوصف وذكر لنا أنه نزع خاتما من أصبعها ولبسه وألبسها خاتمه ونحن لا نعرف باطن هذه القضية فبالله يا ولدي أطلع معي القصر ولا تنظر إلى ابن الملك ثم بعد ذلك رح إلى حال سبيلك فإن السلطان قلبه ملآن عليه غيظاً فقال مرزوان في نفسه والله أن هذا هو المطلوب ثم طلع مرزوان خلف الوزير إلى أن وصل إلى القصر ثم جلس الوزير تحت رجلي قمر الزمان وأما مرزوان فإنه لم يكن له دأب إلا أنه مشى حتى وقف قدام قمر الزمان ونظر إليه فمات الوزير في جلده وصار ينظر إلى مرزوان ويغمزه ليروح إلى حال سبيله ومرزوان يتغافل وينظر إلى قمر الزمان وعلم أنه هو المطلوب وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٢٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن مرزوان قال سبحان الله جعل قده مثل قدها ولونه مثل لونها وخده مثل خدها ففتح قمر الزمان عينيه وأصغى له بأذنيه فلما رآه مرزوان صاغياً إلى ما يلقيه من الكلمات أنشد هـ ذه الأبيات:

أراك طروب . .اً ذا شد . .جى وتـ . .رنم — تميـ .ل إلـ .ى ذكـ .ر المحاسـ .ن بـ .الفم
أصـ .ابك عشـ .ق أم رميـ .ت بأسـ .هم — فمـ . ـا هـ . ـذه الأسـ . جية مـ . ـن رمـ . ـى
إلا فاسقني كاسـ ـات خمـ ـر وغـ ـن لـ ـي — بـ . ـذكر سـ . ـليمي والربـ . ـاب تـ . ـنعم
أغـ ـار عـلـ ـى أعطافهـ ـا مـ .ـن ثيابهـ ـا — إذا لبسـ . ـتها فـ . ـوق جسـ . ـم مـ . ـنعم
وأحسـ . ـد كاسـ . ـات تقبـ . ـل ثغرهـ . ـا — إذا وضـ ـعتها موضـ ـع اللـ ـثم فـ ـي الفـ ـم
فـ .ـلا تحسـ .ـبوا أنـ .ـي قتلـ .ـت بصـ .ـارم — ولكـ .ـن لحـ .ـاظ قـ .ـد رمتنـ .ـي بأسـ .ـهم
ولمـ . ـا تلاقينـ . ـا وجـ . ـدت بناتهـ . ـا — مخضـ . ـبة تحكـ . ـي عصـ . ـارة عنـ . ـدم
فقالت والقت في الحشا لاعـ ـج الهـ ـوى — مقالـ . ـة مـ . ـن للحـ . ـب لـ . ـم يـ . ـتكلم
رويـ ـدك مـ ـا هـ ـذا خضـ ـاب خضـ ـبته — فلاتـ . ـك بالبهّ . ـان والـ . ـزور متهمـ . ـي
ولكننـ . ـي لمـ . ـا رأيتـ . ـك نائمـ . ـاً — وقد كشـ ـفت كفـ ـي وزنـ ـدي ومعصـ ـمي
بكيـ ـت دمـ ـاً يـ ـوم النـ ـوى فمسـ ـحته — بكفـ .ـي قابلـ .ـت بنـ .ـاني مـ .ـن دمـ .ـي
فلـ .ـو قيـ .ـل مبكاهـ .ـا بكيـ .ـت صـ .ـبابة — لكنـ .ـت شـ .ـفيت الـ .ـنفس قبـ .ـل التنـ .ـدم
ولكن بكـ ـت قبلـ ـي فهـ ـيج لـ ـي البكـ ـا — بكاهـ . ـا فقلـ . ـت الفضـ . ـل للمتقـ . ـدم
فـ .ـلا تعـ .ـذلوني فـ .ـي هواهـ .ـا لأننـ .ـي — وحـ .ـق الهـ .ـوى فيهـ .ـا كثيـ .ـر التـ .ـألم
بكيـ ـت عـلـ ـى زيـ ـن الحسـ ـن وجههـ ـا — لـ .ـيس لهـ .ـا مثـ .ـل بعـ .ـرب وأعجـ .ـم
لهـ ـا عـلـ ـم لقمـ ـان وصـ ـورة يوسـ ـف — ونغمـ . . .ـة داود وعفـ . . .ـة مـ . . .ـريم
ولي حـ ـزن يعقـ ـوب وحسـ ـرة يـ ـونس — وبلـ . . .ـوة أيـ . . .ـوب وقصـ . . .ـة آدم
فـ .ـلا تقتلوهـ .ـا أن قلـ .ـت بهـ ـا جـ .ـوى — بلى فاسـ ـألوها كيـ ـف حـ ـل لهـ ـا دمـ ـي

فلما أنشد مرزوان هذا الشعر نزل على قلب قمر الزمان برداً وسلاماً. وأدرك شهرزاد فسـ كتت عـ ن الكلام المباح..

(وفي ليلة ٢٢٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن مرزوان أشار إلى السلطان بيده دع هذا للشاب يجلس في جانبي فلمـ ـا سمع السلطان من ولده قمر الزمان هذا الكلام فرح فرحاً شديداً بعد أن غضب على الشاب وأضمر في نفسه أنه يرمي رقبته ثم قام الملك وأجلس مرزوان إلى جانب ولده وأقبل عليه وقال له من أي البلاد أنت قال مـ ن الجزائر الجوانية من بلاد الملك الغيور صاحب الجزائر والبحور والسبعة قصور فقال له الملـ ك شـ ـهرمان عسى أن يكون الفرج على يديك لولدي قمر الزمان ثم أن مرزوان أقبل على قمر الزمان وقال له فـ ـي أذنـ ـه ثبت قلبك وطب نفساً وقر عيناً فإن التي صرت من أجلها هكذا لا تسأل عما هي فيه من أجلك ولكنك كتمـ ـت أمرك فضعفت وأما هي فإنها أظهرت ما بها فجئت وهي الآن مسجونة بأسوأ حال وفي رقبتها غل من حديد وإن شاء الله تعالى يكون دواؤكما على يدي فلما سمع قمر الزمان هذا الكلام ردت روحه إليه واستفاق وأشار

إلى الملك والده أن يجلس ففرح فرحاً زائداً وأجلس ولده ثم أخرج جميع الوزراء والأمراء واتكأ قمر الزمان بين مخدتين وأمر الملك أن يطيبوا القصر بالزعفران ثم أمر بزينة المدينة وقال لمرزوان والله يا ولـ دي أن هذه طلعة مباركة ثم أكرمه غاية الإكرام وطلب لمرزوان الطعام فقدموا له فأكل وأكل معـ ـه قمـ ـر الزمـ ـان وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٢٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن السلطان شهرمان بات تلك الليلة عندهما من شدة فرحته بشفاء ولـ ـده فلما أصبح الصباح صار مرزوان يحدث قمر الزمان بالقصة وقال له اعلم أنني أعرف التي اجتمعـ ـت بهـ ـا وأسمها السيدة بدون بنت الملك الغيور ثم حدثه بما جرى للسيدة بدور من الأول إلى الآخر وأخبـ ـره بفـ ـرط محبتها له وقال له جميع ما جرى لك مع والدك جرى لها مع والدها وأنت من غير شك حبيبها وهي حبيبتك فثبت قلبك وقو عزيمتك فها أنا أوصلك إليها وأجمع بينك وبينها وأعمل معكما كما قال بعض الشعراء:

إذا حبيـ . ـب صـ . ـد عـ . ـن صـ . ـبه ... ولـ . ـم يـ . ـزل فـ . ـي فـ . ـرط أعـ . ـراض

الفـ . ـت وصـ . ـلا بـ . ـين شخصـ . ـيهما ... كـ . . . أنني مسـ . . . مار مقـ . . . راض

ولم يزل مرزوان يشجع قمر الزمان حتى أكل الطعام وشرب الشراب وردت روحه إليه ونقه مما كان فيه ولم يزل مرزوان يحدثه وينادمه ويسليه وينشد له الأشعار حتى دخل الحمام وأمر والده بزيـ ـنة المديـ ـنة فرحاً بذلك. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٣٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك شهرمان خلع الخلع وتصدق وأطلق من فـ ـي الحبـ ـوس ثـ ـم أن مرزوان قال لقمر الزمان اعلم أنني ما جئت من عند السيدة بدور إلا لهذا الأمر وهو سبب سفري لأجـ ـل أن أخلصها مما هي فيه وما بقي لنا إلا الحيلة في زواجنا إليها لأن والدك لا يقدر في أنك تخرج إلى الصيد فـ ـي البرية وخذ معك خرجاً ملآناً من المال واركب جواداً من الخيل وخذ معك جنيباً وأنا الآخر مثلك وقل لوالدك إني أريد أن أتفرج في البرية وأتصيد وأنظر الفضاء وأبيت هناك ليلة واحدة فلا تشغل قلبك علي بشيء ففرح قمر الزمان بما قاله مرزوان ودخل على والده واستأذنه في الخروج إلى الصيد وقال له الكلام الذي أوصـ ـاه به مرزوان فأذن له والده في الخروج إلى الصيد وقال له لا تبت غير ليلة واحدة وفي غد تحضر فإنك تعلـ ـم أنه ما يطيب لي عيش إلا بك وأنني ما صدقت أنك خلصت مما كنت فيه ثم أن الملك شهرمان أنشـ ـد هـ ـذين البيتين:

ولـ ـو أنـ ـي أصـ ـبحت فـ ـي كـ ـل نعمـ ـة ... وكانـ ـت لـ ـي الـ ـدنيا وملـ ـك الأكاسـ ـرة

لمـ ـا وازنـ ـت عنـ ـدي جنـ ـاح بعوضـ ـة ... وإذا لم تكـ ـن عينـ ـي لشخصـ ـك نـ ـاظرة

ثم أن الملك جهز ولده قمر الزمان هو ومرزوان وأمر أن يهيأ لهما ستة من الخيل وهجين برسم المال وجمل يحمل الماء والزاد ومنع قمر الزمان أن يخرج معه أحد في خدمته فودعه أبوه وضمه إلى صدره وقال له سألتك بالله لا تغب عني إلا ليلة واحدة وحرام على المنام فيها وأنشد يقول:

وصـ . ـالك عنـ . ـدي ألـ . ـذ نعـ . ـيم   وصـ . ـبري عنـ . ـك أضـ . ـر إلـ . ـيم
فـ . ـديتك إن كـ . ـان ذنـ . ـب الهـ . ـوى   إليـ . ـك فـ . ـذنبي أجـ . ـل عظـ . ـيم
أعنـ . ـدك مثلـ . ـي نـ . ـار الجـ . ـوى   فأصـ . ـلي بـ . ـذاك عـ . ـذاب الجحـ . ـيم

ثم خرج قمر الزمان ومرزوان وركبا فرسين ومعهما الهجين والجمل عليه الماء والزاد واستقبلا البر. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٣١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن قمر الزمان ومرزوان لما استقبلا البر سار أول يوم إلى المسـ ـاء ثـ ـم نزلا وأكلا وشربا وأطعما دوابهما واستراحا ساعة ثم ركبا وسارا ومازالا سائرين مدة ثلاثة أيام وفي رابـ ـع يوم بأن لهما مكان متسع فيه غاب فنزلا فيه ثم أخذ مرزوان جملا وفرساً وذبحهما وقطع لحمهما قطعاً وتجر عظمهما وأخذ من قمر الزمان قميصه ولباسه وقطعهما قطعاً ولوثهما بدم الفرس وأخذ ملوطة قمـ ـر الزمـ ـان ومزقها ولوثها بالدم ورماها في مفرق الطريق ثم أكلا وشربا وسافرا فسأله قمر الزمان عمـ ـا فعلـ ـه فقـ ـال مرزوان اعلم أن والدك الملك شهرمان أذا غبت عنه ليلة ولم تحضر له ثاني ليلة يركب ويسافر في أثرنا إلى أن يصل إلى هذا الدم الذي فعلته ويرى قماشك مقطعاً وعلي الدم فيظن في نفسه أنه جرى لك شيء من قطا الطريق أو وحش البر فينقطع رجاؤه منك ويرجع إلى المدينة ونبلغ بهذه الحيلة ما نريد فقال قمر الزمان نعم ما فعلت ثم سارا أياماً وليالي كل ذلك وقمر الزمان باكي العين إلى أن استبشر بقرب الـ ديار فأنشـ ـد هـ ـذه الأشعار.

اتجفـ ـو محبـ ـاً ماسـ ـلا عنـ ـك سـ ـاعة   وتزهـ ـد فيـ ـه بعـ ـد مـ ـا كنـ ـت راغبـ ـاً
حرمت الرضا أن كنت خنتك في الهـ ـوى   وعوقبت بالهجران أن كنت كاذباً وإن كان
وما كان لـ ـي ذنـ ـب فاسـ ـتوجب الجفـ ـا   لـ . ـي ذنـ . ـب فقـ . ـد جئـ . ـت تائبـ . ـاً
ومـ ـن عجـ ـب الأيـ ـام أنـ ـك هـ ـاجري   ومـ ـا زالـ ـت الأيـ ـام تبـ ـدي العجائبـ ـا

فلما فرغ قمر الزمان من شعره بانت له جزائر الملك الغيـ ـور ففـ ـرح قمـ ـر الزمـ ـان فرحـ ـاً شـ ـديداً وشكرمرزوان على فعله. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٣٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن قمر الزمان ومرزوان دخلا المدينة وأنزله مرزوان في خان واستراحا ثلاثة أيام من السفر وبعد ذلك دخل بقمر الزمان الحمام وألبسه لبس التجار وعمل له تخت رمل مـ ـن ذهـ ـب وعمل له عدة وعمل له اصطرلاباً من الذهب ثم قال له مرزوان قم يا مولاي وقف تحت قصر الملك وناد أنا الحاسب الكاتب المنجم فأين الطالب فإن الملك إذا سمعك يرسل خلفك ويدخل بك على ابنته محبوبتـ ـك وهـ ـي حين تراك يزول ما بها من الجنون ويفرح أبوها بسلامتها ويزوجها لك ويقاسمك في ملكه لأنه شرط علـ ـى نفسه هذا الشرط فقبل قمر الزمان ما أشار به مرزوان وخرج من الخان وهو لابس البدلة وأخذ معـ ـه العـ ـدة التي ذكرناها ومشي إلى أن وقف تحت قصر الملك الغيور ونادى أنا الكاتب الحاسب المنجم أكتـ ـب الكتـ ـاب وأحكم الحجاب وأحسب الحساب وأخط بأقلام المطالب فأين الطالب فلما سمع أهل المدينة هذا الكلام وكـ ـانوا

مدة من الزمان ما رأوا حاسباً ولا منجماً وقفوا حوله وتأملوه فتعجبوا من حسن صورته ورونق شبابه وقالوا له بالله عليك يا مولانا لا تفعل بنفسك هذه الفعال طمعاً في زواج بنت الملك الغيور وانظر بعينك إلى هذه الرؤوس المعلقة فإن أصحابهم كلهم قتلوا من أجل هذا الحال فآل بهم الطمع إلى الوبال فلم يلتفت قمر الزمان إلى كلامهم بل رفع صوته ونادى أنا كاتب حاسب أقرب المطالب للطالب فتداخل عليه الناس وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٣٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن قمر الزمان نهته الناس فلم يسمع كلامهم فاغتاظوا جميعاً وقالوا له ما أنت إلا شاب مكابر أحمق ارحم شبابك وصغر سنك وحسنك وجمالك فصاح قمر الزمان وقال أنا المنجم والحاسب فهل من طالب فبينما الناس تنهي قمر الزمان عن هذه الحالة إذ سمع الملك الغيور الصياح وضجة الناس فقال للوزير أنزل فائتنا بهذا المنجم فنزل الوزير وأخذ قمر الزمان فلما دخل على الملك قبل الأرض بين يديه وأنشد هذين البيتين:

ثمانية في المجد حزت جميعها ... فلا زال خداماً بهن لك الدهر
يتيه لك والتقوى ومجدك والندى ... ولفظك والمعنى وعزك والنصر

(فلما) نظر الملك الغيور إليه أجلسه إلى جانبه وأقبل عليه وقال له يا ولدي لا تجعل نفسك منجماً ولا تدخل على شرطي فأني ألزمت نفسي أن كل من دخل على بنتي ولم يبرئها مما أصابها ضربت عنقه وكل من أبرأها زوجته لها فلا يغرك حسنك وجمالك وقدك واعتدالك والله والله إن لم تبرئها لأضربن عنقك فقال قمر الزمان قبلت منك هذا الشرط فأشهد عليه الملك الغيور القضاة وسلمه إلى الخادم وقال له أوصل هذا إلى السيدة بدور فأخذه الخادم من يده ومشى به في الدهليز فصار قمر الزمان يسابقه وصار الخادم يقول له ويلك لا تستعجل على هلاك نفسك فو الله ما رأيت منجماً يستعجل على هلاك نفسه إلا أنت ولكنك لم تعرف أي شيء قدامك من الدواهي فاعرض قمر الزمان بوجهه عن الخادم وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٣٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن قمر الزمان أنشد هذه الأبيات:

أنا عارف بصفات حسنك جاهل ... متحير لم أدر ما أنا قائل
أن قلت شمساً كان حسنك لم يغب ... عن مقلتي وعهدي بالشموس أوافل
كملت محاسنك التي في وصفها ... عجز البليغ وحار فيها القائل

ثم أن الخادم أوقف قمر الزمان خلف الستارة التي على الباب فقال له قمر الزمان أي الحالتين أحب إليك كي أداوي سيدتك وأبرئها من هنا أو أدخل إليها فابرئها من داخل الستار فتعجب الخادم من كلامه وقال له أن أبرأتها من هنا كان ذلك زيادة في فضلك فعند ذلك جلس قمر الزمان خلف الستارة وأطلع الدواة والقلم وكتب في ورقة هذه الكلمات من يروح به الجفاء فدواؤه الوفاء والبلاء لمن يئس من حياته وأيقن بحلول وفاته وما لقلبه الحزين من مسعف ولا معين وما لطرفه الساهر على الهم ناصر فنهاره في لهيب وليلة في تعذيب وقد انبرى جسمه من كثرة التحول ولم يأته من حبيبه رسول ثم كتب هذه الأبيات:

كتب ـت ول ـي قل ـب ب ـذكرك مول ـع وجف ـن ق ـريح م ـن دم ـائي ي ـدمع
وجسم كساه لا ع ـج الش ـوق والأس ـى قم ـيص نح ـول فه ـو في ـه مضعض ـع
شكوت اله ـوى لم ـا أضر ربي اله ـوى ول ـم يب ـق عن ـدي للتص ـبر موض ـع
إلي ـك فج ـودي وأرحم ـي وتعطف ـي ف ـ ـإن ف ـ ـؤادي ب ـ ـالهوى يتقط ـ ـع

ثم كتب تحت الشعر هذه السجعات شفاء القلوب لقاء المحبوب من جفاه حبيبه فالله طبيبه من خان منكم ومنالاً نال ما يتمنى ولا أظرف من المحب الوافي إلى الحبيب الجافي ثم كتب في الأمضاء من الهائم الولهان العاق الحيران من أقلقه الشوق والغرام أسير الوجد والهيام قمر الزمان بن الملك شهرمان إلى فريدة الزم ـان ونخبة الحور الحسان السيدة بدور بنت الملك الغيور أعلمي أنني في ليلى سهران وفي نهاري حي ـران زائ ـد النحول والأسقام والعشق والغرام كثير الزفرات غزير العبرات أسير الهوى قتيل الجوي غريم الغ ـرام ن ـديم السقام فأنا السهران الذي لا تهجع مقلته والمتيم الذي لا ترفأ عبرته فنار قلبي لا تطفأ ولهيب شوقي لا يخفى ثم كتب في حاشية الكتاب هذا البيت المستطاب :

سـ ـلام م ـن خ ـزائن لط ـف رب ـي عل ـى م ـن عن ـدها روح ـي وقلب ـي

ثم كتب أيضاً:

أرس ـ ـلت خاتم ـ ـك ال ـ ـذي اس ـ ـتبدلته ي ـوم التواص ـل فارس ـلي ل ـي خ ـاتمي

وكان وضع خاتم السيدة بدور في طي الكتاب ثم ناول الكتاب للخادم وأدرك شهرزاد الصباح فس ـكتت عن الكلام المباح:

(وفي ليلة ٢٣٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن قمر الزمان لما وضع الخاتم في الورقة ناولها للخادم فأخذها ودخ ـل بها إلى السيدة بدور فأخذتها من يد الخادم وفتحتها فوجدت خاتمها بعينه ثم قرأت الورقة فلما عرفت المقصود علمت أن معشوقها قمر الزمان وأنه هو الواقف خلف الستار فطار عقلها من الفرح واتسع صدرها وانش ـرح ومن فرط المسرات أنشدت هذه الأبيات:

ولق ـد ن ـدمت عل ـى تف ـرق ش ـملنا ده ـراً وف ـاض ال ـدمع م ـن أجف ـاني
ون ـ ـذرت أن ع ـ ـاد الزم ـ ـان يلمن ـ ـا لأع ـ ـدت أذك ـ ـر فرق ـ ـة بلس ـ ـاني
هج ـم الس ـرور عل ـى حت ـى أن ـه م ـن ف ـرط م ـا ق ـد س ـرني أبك ـاني
يا ع ـين ص ـار ال ـدمع من ـك س ـجية تبك ـ ـين ف ـ ـي ف ـ ـرح وف ـ ـي أح ـ ـزان

فلما فرغت السيدة بدور من شعرها قامت من وقتها وصلبت رجليها في الحائط واتكأت بقوته ـا عل ـى الغل الحديد فقطعته من رقبتها وقطعت السلاسل وخرجت من خلف الستارة ورمت روحها على قمر الزم ـان وقبلته في فمه مثل زق الحمام وعانقته من شدة ما بها من الغرام وقالت له يا سيدي هلب هذا يقظة أو من ـام وقد من الله علينا بجمع شملنا ثم حمدت الله وشكرته على جمع شملها بعد اليأس فلما رآها الخادم على تل ـك الحالة ذهب يجري حتى وصل إلى الملك الغيور فقبل الأرض بين يديه وقال له يا مولاي اعلم أن هذا المنجم

اعلم المنجمين كلهم فإنه داوي ابنتك وهو واقف خلف الستارة ولم يدخل عليها فقال الملك للخادم أصحيح هذا الخبر فقال الخادم يا سيدي قم وانظر إليها كيف قطعت السلاسل الحديد وخرجت للمنجم تقبله وتعانقه فعند ذلك قام الملك الغيور ودخل علي ابنته فلما رأته نهضت قائمة وغطت رأسها وأنشدت هذين البيتين:

لا أحـب السـواك مـن أجـل أنـي   أن ذكـرت السـواك قلـت سـواكا
وأحـب الأراك مـن أجـل أنـي   أن ذكـرت الأراك قلـت أراك

ففرح أبوها بسلامتها وقبلها بين عينيها لأنه كان يحبها محبة عظيمة وأقبل الملك الغيور على قمر الزمان وسأله عن حاله وقال له من أي البلاد أنت فأخبره قمر الزمان بشأنه وأعلمه أن والده الملك شهرمان ثم أن قمر الزمان قص عليه القصة من أولها إلى آخرها وأخبره بجميع ما اتفق له مع السيدة بدور وكيف أخذ الخاتم من أصبعها وألبسها خاتمه فتعجب الملك الغيور من ذلك وقال أن حكايتكما لابد أن تؤرخ في الكتب وتقرأ بعدكما جيلاً بعد جيل ثم أن الملك الغيور أحضر القضاة والشهود من وقته وكتب كتاب السيدة بدور على قمر الزمان وأمر بتزين المدينة سبعة أيام ثم مدوا السماط والأطعمة وزينت المدينة وجميع العساكر وأقبلت البشائر ودخل قمر الزمان على السيدة بدور وفرح بعافيتها وزواجها وحمدا الله الذي رماها في حب شاب مليح من أبناء الملوك ثم أدخلوها عليه وكانا يشبهان بعضهما في الحسن والجمال والظرف والدلال ونام قمر الزمان عندها تلك الليلة وبلغ أربه منها وتمتعت هي بحسنه وجماله وتعانقا إلى الصباح وفي اليوم الثاني عمل الملك وليمة وجمع جميع أهل الجزائر الجوانية والجزائر البرانية وقدم لهم الأسمطة وامتدت الموائد مدة شهر كامل وبعد ذلك تفكر قمر الزمان أبا ورآه في المنام يقول له يا ولدي أهكذا تفعل معي هذه الفعال وأنشده في المنام هذين البيتين:

لقد راعني بدر الدجى بصدوده   ووكل أجفاني برعي كواكبه
فيا كبدي مهلاً عساه يعود لي   ويا مهجتي صبراً على ما كواك به

ثم أن قمر الزمان لما رأى والده في المنام يعاتبه أصبح حزيناً واعلم زوجته بذلك وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٣٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن قمر الزمان لما رأى والده في المنام يعاتبه أصبح حزيناً وأخبر زوجته السيدة بدور بذلك فدخلت هي وأباه على والدها وأعلماه واستأذنا في السفر فأذن له في السفر فقالت السيدة بدور يا والدي لا أصبر على فراقه فقال لها والدها سافري معه وأذن لها بالإقامة معه سنة كاملة وبعد السنة تجيء تزور والدها في كل عام مرة قبلت يد أبيها وكذلك قمر الزمان ثم شرع الملك الغيور في تجهيز ابنته هي وزوجتها وهيأ لهم أدوات السفر وأخرج لهما الخيول والهجان وأخرج لأبنته محفة وحمل لهما البغال والهجان وأخرج لهما ما يحتاجان إليه في السفر وفي يوم المسير ودع الملك الغيور قمر الزمان وخلع عليه خلعة سنية من الذهب مرصعة بالجواهر وقدم له حزنة مال وأوصاه على أبنته بدور وهي في المحفة وصار يعانقها ويبكي وأنشد هذين البيتين:

يـ . . ـا طالبـ . . ـاً للفـ . ـراق صـ . ـبراً   فمنعـ . . . ـة العاشـ . . . ـق العنـ . . . ـاق
مهـ . ـلاً فطبـ . ـع الزمـ . ـان غـ . ـدر   وآخـ . . . ـر العشـ . . . ـرة الفـ . . . ـراق

ثم خرج من عند ابنته وأتى إلى زوجها قمر الزمان فصار يودعه ويقبله ثم فارقهما وعاد إلى جزائـ ـره بعسكره بعد أن أمرهما بالرحيل فسار قمر الزمان هو وزوجته السيدة بدور ومن معهم من الاتباع أول يـ ـوم والثاني والثالث والرابع ولم يزالوا مسافرين مدة شهر ثم نزلوا في مرج واسع كثير الكلأ وضربوا خيامهم فيه وأكلوا وشربوا وأستراحوا ونامت السيدة بدور فدخل عليها قمر الزمان فوجدها نائمة وفوق بـ ـدنها قمـ ـيص مشمشي من الحرير يبين منه كل شيء وفوق رأسها كوفية من الحرير مرصعة بالجواهر وقد رفـ ـع الهـ ـواء قميصها فطلع فوق سرتها عند نهودها فبان لها بطن أبيض من الثلج وكل عكسة من عكس طياته تسع أوقيـ ـة من دهن البان فزاد محبة وهياماً وأنشد هذين البيتين:

لـ ـو قيـ ـل لـ ـي وزفيـ ـر الحـ ـر متقـ ـد   والنار فـ ـي القلـ ـب والأحشـ ـاء تضـ ـطرم
أهـ ـم تريـ ـد. وتهـ ـوى أن تشـ ـاهدهم   أو شـ ـربة مـ ـن زلال المـ ـاء قلـ ـت هـ ـم

فحط قمر الزمان يده في تكة لباسها فجذبها وحلها لما أشتهاها خاطره فرأى فصاً أحمـ ـر مثـ ـل العـ ـدم مربوطاً على التكة وعليه أسماء منقوشة سطرين بكتابة لا تقرأ فتعجب قمر الزمان من ذلك الفص وقال فـ ـي نفسه لولا أن لهذا الفص أمر عظيم عندها ما ربطته هذه الربطة على تكة لباسها وما خبأته في أعـ ـز مكـ ـان عندها حتى لا تفارقه فماذا تصنع بهذا وما السر الذي هو فيه ثم أخذه وخرج من الخيمة ليبصره في النـ ـور وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٣٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أنه لما أخذ الفص ليبصره في النور صار يتأمل فيه وإذا بطائر انقـ ـض عليه وخطفه من يده وطار به وحط على الأرض فخاف قمر الزمان على الفص وجرى خلف الطائر وصار الطائر يجري على قدر جري قمر الزمان وصار قمر الزمان خلفه من واد إلى واد ومن تل إلى تل إلـ ـى أن دخل الليل وتغلس الظلام فنام الطائر على شجرة عالية فوقف قمر الزمان تحتها وصار باهتاً وقد ضعف من الجوع والتعب وظن أنه هلك وأراد أن يرجع فما عرف الموضع الذي جاء منه وهجم عليـ ـه الظـ ـلام فقـ ـال لاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ثم نام تحت الشجرة التي فوقها الطائر إلى الصباح ثم انتبه مـ ـن نومـ ـه فوجد الطائر قد انتبه وطار من فوق الشجرة فمشي قمر الزمان خلفه وصار ذلك الطائر يطير قلـ ـيلاً بقـ ـدر مشي قمر الزمان فتبسم قمر الزمان وقال ياالله العجب أن هذا الطائر كان بالأمس يطير بقدر جريتي وفي هذا اليوم علم أني أصبحت تعباناً لا أقدر على الجري فصار يطير على قدر مشي أن هذا عجيب ولكن لابـ ـد أن أتبع هذا الطائر فأما أن يقودني إلى حياتي أو إلى مماتي فأنا أتبعه أينما يتوجه لأنه على كل حال لا يقـ ـيم إلا في البلاد العمار ثم إن قمر الزمان جعل يمشي تحت الطائر والطائر يبيت في كل ليلة على شجرة ولم يـ ـزل متابعة مدة عشرة أيام وقمر الزمان يتقوت من نبات الأرض يشرب من الأنهار وبعد العشرة أيام شرف على مدينة عامرة فمرق الطائر في تلك المدينة مثل لمح البصر وغاب عن قمر الزمان ولـ ـم يعـ ـرف أيـ ـن راح

فتعجب قمر الزمان وقال الحمد لله الذي سلمني حتى وصلت إلى هذه المدينة ثم جلس عند الماء وغسل يديه ورجليه ووجهه واستراح ساعة وتذكر ما كان فيه من الراحة ونظر إلى ما هو فيه من الغربة والجوع والتعب فأنشد يقول :

أخفيت ما ألقاه منه وقد ظهر والنوم من عيني تبدل بالسهر
سهاديت لما أوهنت قلبي الفكر يا دهر لا تبق علي ولا تذر

ها مهجتي بين المشقة والخطر

لو كان سلطان المحبة منصفي ما كان نومي من عيوني قد نفى
يا سادتي رفقاً بصب مدنف وتعطفوا لعزيز قوم ذل في

شرع الهوى وغنى قوم افتقر

لج العواذل فيك ما طاوعتهم وسددت كل مسامعي وعصيتهم
قالوا عشقت مهفهفاً فأجبتهم اخترته من بينهم وتركتهم

كفوا إذا وقع القضا عمى البصر

ثم أن قمر الزمان لما فرغ من شعره واستراح دخل باب المدينة. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٣٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن قمر الزمان دخل باب المدينة وهو لا يعلم أين يتوجه فمشى في المدينة جميعها وقد كان دخل من باب البر ولم يزل يمشي إلى أن خرج من باب البحر فلم يقابله أحد من أهلها وكانت مدينة على جانب البحر ثم أنه بعد أن خرج من باب البحر مشى ولم يزل ماشياً حتى وصل إلى بساتين المدينة وشق بين الأشجار فأتى إلى بستان ووقف على بابه فخرج إليه الخولي ورحب به وقال الحمد لله الذي أتى بك سالماً من أهل هذه المدينة فأدخل هذا البستان سريعاً قبل أن يراك أحد من أهلها فعند ذلك دخل قمر الزمان ذلك البستان وهو ذاهل العقل وقال للخولي ما حكاية أهل هذه المدينة وما خبرهم فقال له اعلم أن أهل هذه المدينة كلهم مجوس فبالله عليك أخبرني كيف وصلت إلى هذا المكان وما سبب دخولك في بلادنا فعند ذلك أخبره قمر الزمان بجميع ما جري له فتعجب الخولي من ذلك غاية العجب وقال له اعلم يا ولدي أن بلاد الإسلام بعيدة من هنا فبيننا وبينها أربعة أشهر في البحر وأما في البر فسنة كاملة وأن عندنا مركباً تقلع وتسافر كل سنة ببضائع إلى أول بلاد الإسلام وتسير من هنا إلى بحر جزيرة الأبنوس ومنه إلى جزائر خالدات وملكها يقال له السلطان شهرمان فعند ذلك تفكر قمر الزمان في نفسه ساعة زمانية وعلم أنه لا أوفق له من قعوده في البستان عند الخولي ويعمل عنده مرابعاً فقال للخولي هل تقبلني عندك مرابعاً في هذا البستان فقال له الخولي سمعاً وطاعة ثم علمه تحويل الماء بين الأشجار فصار قمر الزمان يحول الماء ويقطع الحشيش بالفاس وألبسه الخولي بشتاً قصيراً أزرق يصل إلى ركبته وصار يسقي الأشجار ويبكي بالدموع الغزار وينشد الأشعار بالليل والنهار في معشوقته بدور فمن جملة ذلك هذه الأبيات:

لذ ـا عذ ـدكم وع ـد فه ـلا وفي ـتم
وقذ ـتم لذ ـا ق ـولاً فه ـلا فعلا ـتم

سـهرنا علـى حكـم الغـرام ونمـتم
ولـ ـيس سـ ـواء سـ ـاهرون ونـ ـوم

وكذ ـا عه ـدنا أنذ ـا نكـتم الهـوى
فـ ـأغراكم الواشـ ـي وقـ ـال وقذ ـتم

فيا أيها الأحباب فـي السخط والرضـا
علـى كـل حـال أنـتم القصـد أنـتم"

ولي عند بعـض النـاس قلـب معـذب
فيـ ـا ليتـ ـه يرثـ ـى لحـ ـالي ويـ ـرحم

وما كـل عـين مثـل عينـي قريحـة
ولا كـ ـل قلـ ـب مثـ ـل قلبـ ـي متـ ـيم

ظلمـتم وقلـتم أنمـا الحـب ظـالم
صـدقتم كـذا كـان الحـديث صـدقتم

سلوا مغرمـاً لا يـنض الـدهر عهـده
ولو كـان فـي أحشـائه النـار تضـرم

إذا كان خصمي فـي الصـبابة حـاكمي
لمـن اشـتكى خصـمي لمـن أتظلـم

ولولا أفتقاري فـي الهـوى وصـبابتي
لما كان لـي فـي العشـق قلـب متـيم

هذا ما كان من قمر الزمان (وأما) ما كان من أمر زوجته السيدة بدور بنت الملك الغيور فإنهـا لمـا استيقظت من نومها طلبت زوجها قمر الزمان فلم تجده ورأت سروالها محلولاً فافتقدت العقد فوجدتها محلولة والفص معدوما فقالت في نفسها يالله العجب أين معشوقي كأنه أخذ الفص وراح وهو لا يعلم السر الذي هـو فيه فيا ترى أين راح ولكن لابد له من أمر عجيب اقتضى رواحه فإنه لا يقدر أن يفارقني سـاعة فلعـن الله الفص ولعن ساعته ثم أن السيدة بدور تفكرت وقالت في نفسها خرجت إلى الحاشية وأعلمتهم بفقـد زوجـي يطمعوا في ولكن لابد من الحيلة ثم أنها لبست ثياب قمر الزمان ولبست عمامة كعمامته وضربت لها لثامـا وحطت في محفتها جارية وخرجت من خيمتها وصرخت على الغلمان فقدموا لها الجواد فركبت وأمرت بشد الأحمال فشدوا الأحمال وسافروا وأخفت أمرها لأنها كانت تشبه قمر الزمان فما شك أحد أنها قمـر الزمـان بعينه ومازالت مسافرة هي وأتباعها أياماً وليال حتى أشرفت على مدينة مطلة على البحـر المـالح فنزلـت بظاهرها وضربت خيامها في ذلك المكان لأجل الاستراحة ثم سألت عن هذه المدينة فقيل لهـا هـذه مدينـة الآبنوس ولملكها الملك أرمانوس وله بنت أسمها حياة النفوس. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٣٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن السيدة بدور لما نزلت بظاهر مدينة الآبنوس لأجل الاستراحة أرسـل الملك أرمانوس رسولاً من عنده يكشف له خبر الملك النازل بظاهر المدينة فلما وصل إليهم الرسول سـألهم فأخبروه بأن هذا ابن الملك تائه عن الطريق وهو قاصد جزائر خالد أن والملك شهرمان فعاد الرسـول إلـى الملك أرمانوس وأخبره بالخبر فلما سمع الملك أرمانوس هذا الكلام نزل هو وأرباب دولته إلى مقابلته فلمـا قدم على الخيام ترجلت السيدة بدور وترجل الملك أرمانوس وسلما على بعضهما وأخذها ودخـل بهـا إلـى مدينته وطلع به إلى قصره وأمر بمد السماط وموائد الأطعمة وأمر بنقل السيدة بدور إلى دار الضيافة فقامت هناك ثلاثة أيام وبعد ذلك أقبل الملك أرمانوس على السيدة بدور وكانت دخلت في ذلك اليوم الحمام وأسفرت عن وجه كأنه البدر عند التمام فافتتن بها العالم وتهتكت بها الخلق عند رؤيتها فعند ذلك أقبل الملك أرمانوس عليها وهي لابسة حلة من الحرير مطرزة بذهب المرصع بالجواهر وقال لها يا ولدي اعلم أني بقيت شـيخاً هرماً وعمري ما رزقت ولداغير بنت وهي على شكلك وقدك في الحسن والجمال وعجزت عن الملك فهـل

لك يا ولدي أن تقيم بأرضي وتسكن بلادي وأزوجك ابنتي وأعطيك مملكتي فأطرقت السيدة ب دور رأس ها وعرق جبينها من الحياء وقالت في نفسها كيف يكون العمل وأنا امرأة فإن خالفت أمره وسرت ربما يرس ل خلفي جيشاً يقتلني وأن أطلعته على أمري ربما أتفضح وقد فقدت محبوبي قمر الزمان ولم أعرف له خب راً ومالي خلاص إلا أن أجيبه إلى قصده وأقيم عنده حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً ثم أن السيدة بدور رفعت رأسها وأذعنت للملك بالسمع والطاعة ففرح الملك بذلك وأمر المنادي أن ينادي في جزائر الآبنوس ب الفرح والزينة وجمع الحجاب والنواب والأمراء وأرباب دولته وقضاة مدينته وعزل نفسه من الملك وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٤٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك أرمانوس لما عزل نفسه من الملك سلطن السيدة بدور وألبس ها بدلة الملك ودخلت الأمراء جميعاً على السيدة بدور وهم لا يشكون في أنها شاب وصار كل من نظ ر إليه ا منهم جميعاً يبل سراويله لفرط حسنها وجمالها فلما تسلطنت الملكة بدور ودقت لها البشائر بالس رور شر ع الملك أرمانوس في تجهيز ابنته حياة النفوس وبعد أيام قلائل أدخلوا السيدة بدور على حياة النف وس فكانت ا كأنهما بدران اجتمعا أو شمسان في وقت طلعا فردوا عليهما الأبواب وأرخو الستائر بع د أن أوق دوا لهم ا لشموع وفرشوا لهما الفرش فعند ذلك جلست السيدة بدور مع السيدة حياة النفوس فت ذكرت محبوبه ا قم ر الزمان واشتدت بها الأحزان فسكبت العبرات وأنشدت هذه الأبيات:

ي ـا راحل ـين وقلب ـي زائ ـد القل ـق	لم يبق بي نكم ف ي الجس م م ن رم ق
قد كأن لي مقلة تش كو الس هاد وق د	أذابه ـا ال ـدمع ياليـ ـت الس ـهاد بق ـى
لم ـا رحل ـتم أق ـام الص ـب بع ـدكم	ولكن سلوا عنه م اذا ف ي البع اد لق ى
ل ولا جف وني وق د فاض ت م دامعها	توق دت عرض ات الأرض م ن حرق ي
أش ـ كو إل ـ ى الله أحباب ـ اً ع ـ دمتهم	ل م يرحم وا ص بوتي ف يهم ولا قلق ي
لا ذن ب ل ي عن دهم إلا الغ رام به م	والناس بين سعيد ف ي اله وى وش قي

ثم أن السيدة بدور لما فرغت من أنشادها جلست إلى جانب السيدة حياة النف وس وقبلته ا ف ي فمه ا ونهضت من وقتها وساعتها توضأت ولم تزل تصلي حتى نامت السيدة حياة النفوس ثم دخلت السيدة ب دور معها في الفرش وأدارت ظهرها لها إلى الصباح فلما طلع النهار دخل الملك هو وزوجته إلى ابنتهما وسألاها عن حالها فأخبرتهما بما جري وما سمعته من الشعر هذا ما كان من أمر حياة النفوس وأبويها (وأما) ما كان من أمر الملكة بدور فإنها خرجت وجلست على كرسي المملكة وطلعت إليها الأمراء وأرباب الدولة وجمي ع الرؤساء والجيوش وهنؤوها بالملك وقبلوا الأرض بين يديها ودعوا لها فأقبلت عليهم وتبسمت وخلعت عليهم وزادت في إقطاع الأمراء فأحبها العسكر والرعية ودعوا لها بدوام الملك وهم يعتقدون أنها رجل ث م أنه ا أمرت ونهت وحكمت وعدلت وأطلقت من الحبوس وأبطلت المكوس ولم تزل قاعدة في مجلس الحكومة إلى أن دخل الليل ثم دخلت المكان. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٤١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملكة بدور لما دخلت المكان المعد لها وجدت السيدة حيـ اة النفـ وس جالسة فجلست بجانبها وطقطقت على ظهرها ولا طفتها وقبلتها بين عينيها وأنشدت هذه الأبيات:

قـ ـد صـ ـار سـ ـرى بالـ ـدموع علانيـ ـه ... ونحـ ـول جسـ ـمي فـ ـي الغـ ـرام علانيـ ـه
أخفـ ـى الهـ ـوى ويذيعـ ـه ألـ ـم النـ ـوى ... حـ ـالي علـ ـى الواشـ ـين ليسـ ـت خافيـ ـه
يـ ـا راحلـ ـين عـ ـن الحمـ ـى خلفـ ـتم ... جسـ ـمي بكـ ـم مضـ ـني ونفسـ ـي باليـ ـه
وسـ ـكنتم غـ ـور الحشـ ـا فنـ ـواظري ... تجـ ـري مـ ـدامعها وعينـ ـي داميـ ـه
وأنـ ـا قـ ـداء الغـ ـائبين بمهجتـ ـي ... أبـ ـداً وأشـ ـواقي إلـ ـيهم باديـ ـة
لـ ـي مقلـ ـة مقروحـ ـة فـ ـي حـ ـبهم ... حفـ ـت الكـ ـرى ودموعهـ ـا متواليـ ـه
ظـ ـن العـ ـدا منـ ـي عليـ ـه تجلـ ـدا ... هيهـ ـات مـ ـا أذنـ ـي إلـ ـيهم واعيـ ـه
خابـ ـت ظنـ ـونهم لـ ـدى وأنمـ ـا ... قمـ ـر الزمـ ـان بـ ـه أنـ ـال أمانيـ ـه
جمـ ـع الفضـ ـائل مـ ـا حواهـ ـا قبلـ ـه ... أحـ ـد سـ ـواه فـ ـي العصـ ـور الخاليـ ـه
أنسـ ـى الأنـ ـام بجـ ـوده وبعفـ ـوه ... كـ ـرم أبـ ـن زائـ ـدة وحلـ ـم معاويـ ـه
لـ ـولا الإطالـ ـة والقـ ـريض مقصـ ـر ... عن حصر حسـ ـنك لـ ـم أدع مـ ـن قافيـ ـه

ثم أن الملكة بدور نهضت قائمة على أقدامها ومسحت دموعها وتوضأت وصلت ولم تزل تصلي إلـ ـى أن غلب النوم على السيدة حياة النفوس فنامت فجاءت الملكة بدور ورقدت بجانبها إلى الصـ ـباح ثـ ـم قامـ ـت وصلت الصبح وجلست على كرسي المملكة وأمرت ونهت وحكمت وعدلت هذا ما كان من أمرها (وأما) ما كان من أمر الملك أرمانوس فإنه دخل على ابنته وسألها عن حالها فأخبرته بجميع ما جـ ـرى لهـ ـا وأنشـ ـدته الشعر الذي قالته الملكة بدور وقالت يا أبي ما رأيت أحداً أكثر عقلاً وحياء من زوجي غير أنه يبكي ويتنهـ ـد فقال لها أبوها يا ابنتي أصبري عليه فما بقي غير هذه الليلة الثالثة فإن لم يدخل بك ويزل بكارتك يكـ ـن لنـ ـا معه رأي وتدبير وأخلصه من الملك وأنفيه من بلادنا فاتفق مع ابنته على هذا الكلام وأضمر هـ ـذا الـ ـرأي. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٤٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أنه لما أقبل الليل قامت الملكة بدور من دست المملكة إلى القصر ودخلت المكان الذي هو معد لها فرأت الشمع موقداً والسيدة حياة النفوس جالسة فتذكرت زوجها وما جرى بينهما في تلك المدة اليسيرة فبكت ووالت الزفرات وأنشدت هذه الأبيات:

قسـ ـماً لقـ ـد مـ ـلأت أحـ ـاديثي الفضـ ـا ... كالشـ ـمس مشـ ـرقة علـ ـى ذات الغضـ ـي
نطقـ ـت أشـ ـارته فأشـ ـكل فهمهـ ـا ... فلذاك شوقي في المزيـ ـد ومـ ـا انقضـ ـى
أبغضـ ـت حسـ ـن الصـ ـبر مذاحببتـ ـه ... أرأيـ ـت صـ ـبراً فـ ـي الصـ ـبابة مبغضـ ـاً
ومـ ـرض اللحظـ ـات صـ ـال بفتكهـ ـا ... واللحـ ـظ أقتـ ـل مـ ـا يكـ ـون ممرضـ ـاً
ألقـ ـى ذوائبـ ـه وحـ ـط لثامـ ـه ... فرأيـ ـت منـ ـه الحسـ ـن أسـ ـود أبيضـ ـاً
سـ ـقمي وبرئـ ـي فـ ـي يديـ ـه وأنمـ ـا ... يشفي سـ ـقام الحـ ـب مـ ـن قـ ـد أمرضـ ـا
هـ ـام الوشـ ـاح برقـ ـة فـ ـي حصـ ـره ... والـ ـردف مـ ـن حسـ ـد أبـ ـي أن ينهضـ ـا

وكـ . ـأن طرتـ . ـه وضـ . ـوء جبينـ . ـه ليلـ . ـى دجـ . ـى فاعتاقـ . ـه صـ . ـبح أضـ . ـا

فلما فرغت من إنشادها أرادت أن تقوم إلى الصلاة وإذا بحياة النفوس تعلقت بذيلها وقالت لها يا سيدي أما تستحي من والدي وما فعل معك من الجميل وأنت تتركني إلى هذا الوقت فلما سمعت منها ذلك جلست في مكانها وقالت لها يا حبيبتي ما الذي تقولينه قالت الذي أقوله أني ما رأيت أحداً معجباً بنفسه مثلك فهل كل من كان مليحاً يعجب بنفسه هكذا ولكن أنا ما قلت هذا الكلام لأجل أن أرغبك في وأنما قلته خيفة عليك من الملك أرمانوس فإنه أضمر إن لم تدخل بي في هذه الليلة وتزل بكارتي أنه ينزعك من المملكة في غد و يسفرك من بلاده وربما يزداد به الغيظ فيقتلك وأنا يا سيدي رحمتك ونصحتك والرأي رأيك فلما سمعت الملكة بدور منها ذلك الكلام أطرقت برأسها إلى الأرض وتحيرت في أمرها ثم قالت في نفسها أن خالفته هلكت وأن أطلعتـ ـه افتضحت ولكن أنا في هذه الساعة ملكة على جزائر الآبنوس كلها وهي تحت حكمي وما اجتمع أنـ ـا وقمـ ـر الزمان إلا في هذا المكان لأنه ليس له طريق إلى بلاده إلا من جزائر الآبنوس وقد فوضت أمري إلى الله فهو نعم المدبر ثم أن الملكة بدور قالت لحياة النفوس يا حبيبتي إن تركي لك وامتناعي عنك بالرغم عني وحكـ ـت لها ما جرى من المبتدي إلى المنتهي وأرتها نفسها وقالت لها سألتك بالله أن تخفي أمري وتكتمي سري حتى يجمعني الله بمحبوبي قمر الزمان وبعد ذلك يكون ما يكون وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٤٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن السيدة بدور لما أعلمت حياة النفوس بقصتها وأمرتها بالكتمان تعجبت من ذلك غاية العجب ورقت لها ودعت لها بجمع شملها على محبوبها قمر الزمان وقالت لهـ ـا يـ ـا أختـ ـي لا تخافي ولا تفزعي وأصبري إلى أن يقضي الله أمراً كان مفعولاً ثم أن حياة النفوس أنشدت هذين البيتين:

السـ ـر عنـ ـدي فـ ـي بيـ ـت لـ ـه غلـ ـق قـ ـد ضـ ـاع مفتاحـ ـه والبيـ ـت مختـ ـوم
مـ ـا يكـ ـتم السـ ـر إلا كـ ـل ذي ثقـ ـة والسـ ـر عنـ ـد خيـ ـار النـ ـاس مكتـ ـوم

فلما فرغت من شعرها قالت يا أختي أن صدور الأحرار قبور الأسرار وأنا لا أفشي لك سراً ثم لعبتـ ـا وتعانقتا ونامتا إلى قريب الأذان ثم قامت حياة النفوس وأخذت دجاجة وذبحتهـ ـا وتلطخـ ـت بـ ـدمها وقلعـ ـت سراويلها وصرخت فدخل لها أهلها وزغردت الجواري ودخلت عليها أمها وسألتها عن حالها وأقامت عنـ ـدها إلى المساء وأما الملكة بدور فإنها لما أصبحت قامت وذهبت إلى الحمام واغتسلت وصلت الصبح ثم توجهت إلى مجلس الحكومة وجلست على كرسي المملكة وحكمت بين الناس فلما سمع الملك أرمـ ـانوس الزغاريـ ـت سأل عن الخبر فأخبره بافتضاض بكارة ابنته ففرح بذلك واتسع صدره وانشرح وأولم الولائم ولم يزالوا على تلك الحالة مدة من الزمان هذا ما كان من أمرهما (وأما) ما كان من أمر الملك شهرمان فإنه بعد خروج ولده إلى الصيد والقنص هو ومرزوان كما تقدم صبر حتى أقبل عليه الليل فلم يجيء ولده فتحير عقله ولم ينم تلك الليلة وقلق غاية القلق وزاد وجده واحترق وما صدق أن الفجر انشق حتى أصبح ينتظر ولده إلـ ـى نصـ ـف

النهار فلم يجيء فأحس قلبه بالفراق والتهب على ولده من الاشفاق ثم بكى حتى بل ثيابه بالدموع وأنشد مـ ن قلب مصدوع:

مازالت معترضـ اً علـ ى أهـ ل الهـ وى	**حتـ . ـى بليـ . ـت بحلـ . ـوه وبمـ . ـره**
وشـ ـربت كـ ـأس مـ ـراره متجرعـ ـاً	**وذللـ . ـت فيـ . ـه لعبـ . ـده ولحـ . ـره**
نـ ـذر الزمـ ـان بـ ـأن يفـ ـرض شـ ـملنا	**والآن قـ . ـد أوفـ . ـي الزمـ . ـان بنـ . ـذره**

فلما فرغ من شعره مسح دموعه ونادى في عسكره بالرحيل والحث على السفر الطويل فركب الجيش جميعه وخرج السلطان وهو محترق القلب على ولده قمر الزمان وقلبه بالحزن ملآن ثم فرق جيشـ ـه يمينـ ـاً وشمالاً وأماما وخلف ست فرق وقال لهم الاجتماع غداً عند مفرق الطريق فتفرقت الجيوش والعسـ ـكر كمـ ـا ذكرنا وسافرت الخيول ولم يزالوا مسافرين بقية النهار إلى أن جن الليل فساروا جميع الليل إلى نصف النهار حتى وصلوا إلى مفرق أربع طرق فلم يعرفوا أي طريق سلكها ثم رأوا أثر أقمشة مقطعة ورأوا اللحم مقطعاً ونظروا أثر الدم باقياً وشاهدوا كل قطعة من الثياب واللحم في ناحية فلما رأى الملك شهرمان ذلـ ـك صـ ـرخ صرخة عظيمة من صميم القلب وقال وا ولداه ولطم على وجهه ونتف لحيته ومزق أثوابه وأيقن بموت ولده وزاد في البكاء والنحيب وبكت لبكائه العساكر وكلهم أيقنوا بهلاك قمر الزمان وحثوا على رؤوسهم التـ ـراب ودخل عليهم الليل وهم في بكاء ونحيب حتى أشرفوا على الهلاك واحترق قلب الملك بلهيب الزفرات وأنشـ ـد هذه الأبيات:

لا تعـ ـذلوا المحـ ـزون فـ ـي احزانـ ـه	**فلقـ ـد جفـ ـاه الوجـ ـد مـ ـن أشـ ـجانه**
يبكـ . ـي لفـ . ـرط تأسـ . ـف وتوجـ . ـع	**وغرامـ . ـه ينبيـ . ـك عـ . ـن نيرانـ . ـه**
باسـ ـعد مـ ـن لمتـ ـيم حلـ ـف الضـ ـنى	**أن لا يزيـ . ـل الـ . ـدمع مـ . ـن أجفانـ . ـه**
يبـ ـدي الغـ ـرام لفقـ ـد بـ ـدر زاهـ ـر	**بضـ . ـيائه يزهـ . ـو علـ . ـى أقرانـ . ـه**
ولقـ ـد سـ ـقاه المـ ـوت كـ ـأس مترعـ ـاً	**يـ ـوم الرحيـ ـل فشـ ـط عـ ـن أوطانـ ـه**

فلما فرغ من إنشاده رجع بجيوشه إلى مدينته وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٤٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك شهرمان أيقن بهلاك ولده وعلم أنه عدا عليه وافترسه أما وحش وأما قاطع طريق ثم نادى في جزائر خالدات أن يلبسوا السواد من الأحزان على ولده قمر الزمان وعمل لـ ـه بيتاً وسماه بيت الأحزان وصار كل يوم خميس وأثنين يحكم في مملكته بين عسكره ورعيته وبقيـ ـة الجمعـ ـة يدخل بيت الأحزان وينعي ولده يرثيه بالأشعار (فمن ذلك قوله)

فيـ ـوم الأمـ ـاني يـ ـوم قـ ـربكم منـ ـي	**ويـ ـوم المنايـ ـا يـ ـوم أعراضـ ـكم عنـ ـي**
إذا بـ . ـت مرعوبـ . ـاً أهـ . ـد بـ . ـالردى	**فوصـ ـلكم عنـ ـدي ألـ ـذ مـ ـن الآمـ ـن**

(ومن ذلك قوله)

نفسـ ـي الفـ ـداء لظـ ـاعنين رحـ ـيلهم	**أنكـ ـى وأفسـ ـد فـ ـي القلـ ـوب وعاثـ ـا**
فلـ . ـيقض عدتـ . ـه السـ . ـرور فـ . ـأنني	**طلقـ . ـت بعـ . ـدهم النعـ . ـيم ثلاثـ . ـاً**

هذا ما كان من أمر الملك شهرمان (وأما) ما كان من أمر الملكة بدور بنت الملك الغيور فإنها صارت ملكة في بلاد الآبنوس وصارت الناس يشيرون إليها بالبنان ويقولون هذا صهر الملك أرمانوس وكل ليلة تنام مع السيدة حياة النفوس وتشتكي وحشة زوجها قمر الزمان وتصف لها حسنه وجماله وتتمنى ولو في المنام وصاله هذا ما كان من أمر الملكة بدور (وأما) ما كان من أمر قمر الزمان فإنه لم يزل مقيماً عند الخولي في البستان مدة من الزمان وهو يبكي بالليل والنهار ويتحسر وينشد الأشعار على أوقات الهنا والسرور والخولي يقول في آخر السنة تسير المركب إلى بلاد المسلمين ولم يزل قمر الزمان على تلك الحالة إلى أن رأى الناس مجتمعين على بعضهم فتعجب من ذلك فدخل عليه الخولي وقال له يا ولدي أبطل الشغل في هذا اليوم ولا تحول الماء إلى الأشجار لأن هذا اليوم عيد والناس فيه يزور بعضهم بعضاً فاسترح واجعل بالك إلى الغيط فإني أريد أن أبصر لك مركباً فما بقي إلا القليل وأرسلك إلى بلاد المسلمين ثم أن الخولي خرج من البستان وبقي قمر الزمان وحده فانكسر خاطره وجرت دموعه ولم يزل يبكي حتى غشي عليه فلما أفاق قام يتمشى في البستان وهو متفكر فيما فعل به الزمان وطول البعد والهجران وعقله ولهان فعثر ووقع على وجهه فجاءت جبهته على حجر شجرة فجري دمه واختلط بدموعه فمسح دمه ونشف دموعه وشد جبهته بخرقة وقام يتمشى في ذلك البستان وهو ذاهل العقل فنظر بعينه إلى شجرة فوقها طائران يتخاصمان فقلب أحدهما لآخر ونقره في عنقه فخلص رقبته من جثته ثم أخذ رأسه وطار بها ووقع المقتول في الأرض قدام قمر الزمان فبينما هو كذلك وإذا بطائرين كبيرين قد انقضا عليه ووقف واحد منهما عند رأسه والآخر عند ذنبه وأرخيا أجنحتهما عليه ومدا أعناقهما إليه وبكيا فبكي قمر الزمان على فراق زوجته حين رأي الطائرين يبكيان على صاحبهما. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٤٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك قمر الزمان بكي على فراق زوجته لما رأي الطائرين يبكيان على صاحبهما ثم إن قمر الزمان رأي الطائرين حفرا حفرة ودفنا الطائر المقتول فيها وطار إلى الجو وغابا ساعة ثم عادا ومعهما الطائر القاتل فنزلا به على قبل المقتول وبركا على قبل القاتل حتى قتلاه وشقا جوفه وأخرجا أمعاءه وأراقا دمه على قبر الطائر المقتول ثم نثر الحمه ومزقا جلده وأخرجا ما في جوفه وفرقا إلى أماكن متفرقة هذا كله جرى وقمر الزمان ينظر ويتعجب فحانت منه التفاتة إلى الموضع الذي قتلا فيه الطائر فوجد فيه شيئاً يلمع فدنها منه فوجده حوصلة الطائر فأخذها وفتحها فوجد فيها الفص الذي كان سبب فراقه من زوجته فلما رآه وعرفه وقع على الأرض مغشياً عليه من فرحته فلما أفاق قال في نفسه هذا علامة الخير وبشارة الاجتماع بمحبوبتي ثم تأمله ومر به على عينه وربطه على ذراعه واستبشر بالخير وقام يتمشى لينظر الخولي ولم يزل يفتش عليه إلى الليل فلم يأت فبات قمر الزمان في موضعه إلى الصباح ثم قام إلى شغفه وشد وسطه بحبل من الليف وأخذ الفأس والقفة وشق في البستان فأتي إلى شجرة خروب وضرب الفاس في جدرها فظنت الضربة فكشف التراب عن موضعها فوجد طابقاً ففتحه وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٤٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن قمر الزمان لما فتح ذلك الطابق وجد باباً فنزل فيه فلقي قاعة قديمة من عهد ثمود وعاد وتلك القاعة واسعة وهي مملوءة ذهبا أحمر فقال في نفسه لقد ذهب التعب وجاء الفرح والسرور ثم أن قمر الزمان طلع من المكان إلى ظاهر البستان ورد الطابق كما كان ورجع إلى البستان وتحويل الماء على الأشجار ولم يزل كذلك إلى آخر النهار فجاء الخولي وقال يا ولدي أبشر برجوعك إلى الأوطان فإن التجار تجهزوا للسفر والمركب بعد ثلاثة أيام مسافرة إلى مدينة من مدائن المسلمين فإذا وصلت إليها تسافر في البرستة أشهر حتى تصل إلى جزائر خالدات والملك شهرمان ففرح قمر الزمان بذلك ثم قبل يد الخولي وقال له يا والدي كما بشرتني فأنا أبشرك بشارة وأخبره بأمر القاعة ففرح الخولي وقال يا ولدي أنا في هذا البستان ثمانون عاماً ما وقفت على شيء وأنت لك عندي دون السنة وقد رأيت هذا الأمر فهو رزقك وسبب زوال عكسك ومعين لك على وصولك إلى أهلك واجتماع شملك بمن تحب فقال قمر الزمان لابد من القسمة بيني وبينك ثم أخذ الخولي ودخل في تلك القاعة وأراه الذهب وكان في عشرين خابية فأخذ عشرة والخولي عشرة فقال له يا ولدي عب لك أمطار من الزيتون العصافيري الذي في هذا البستان فإنه معدوم في غير بلادنا وتحمله التجار إلى جميع البلاد واجعل الذهب في الأمطار والزيتون فوق الذهب ثم سدها وخذها في المركب فقام قمر الزمان من وقته وساعته وعبي خمسين مطراً ووضع الذهب فيها وسد عليه بعد أن جعل الزيتون فوق الذهب وحط الفص معه في مطر وجلس هو والخولي يتحدثان وأيقن بجمع شمله وقربه من أهله وقال في نفسه إذا وصلت إلى جزيرة الآبنوس أسافر منها إلى بلاد أبي وأسأل عن محبوبتي بدور فيا ترى هل رجعت إلى بلادها أو سافرت إلى بلاد أبي أو حدث لها حادث في الطريق ثم جلس قمر الزمان ينتظر انقضاء الأيام وحكى للخولي حكاية الطيور وما وقع بينهما فتعجب الخولي من ذلك ثم ناما إلى الصباح فأصبح الخولي ضعيفاً واستمر على ضعفه يومين وفي ثالث يوم اشتد به الضعف حتى يئسوا من حياته فحزن قمر الزمان على الخولي فبينما هو كذلك وإذا بالريس والبحرية قد أقبلوا وسألوا عن الخولي فأخبرهم بضعفه فقالوا أين الشاب الذي يريد السفر معنا إلى جزيرة الآبنوس فقال لهم قمر الزمان هو المملوك الذي بين أيديكم ثم أمرهم بتحويل الأمطار إلى المركب فنقلوها إلى المركب وقالوا لقمر الزمان أسرع فإن الريح قد طاب فقال لهم سمعاً وطاعة ثم نقل زوادته إلى المركب ورجع إلى الخولي يودعه فوجده في النزع فجلس عند رأسه حتى مات وغمضه وجهزه وواراه في التراب ثم توجه إلى المركب فوجدها أرخت القلوع وسارت ولم تزل تشق البحر حتى غابت عن عينه فصار قمر الزمان مدهوشاً حيران ثم رجع إلى البستان وهو مهموم مغموم وحثا التراب على رأسه وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٤٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن قمر الزمان رجع إلى البستان وهو مهموم مغموم بعد أن سافرت المركب واستأجر البستان من صاحبه وأقام تحت يده رجلاً يعاونه على سقي الشجر وتوجه إلى الطابق ونزل إلى القاعة وعبى الذهب الباقي في خمسين مطراً ووضع فوقه الزيتون وسأل عن المركب فقالوا أنها لا تسافر إلا في كل سنة مرة واحدة فزاد به الوسواس وتحسر على ما جرى له لاسيما فقد الفص الذي للسيدة

بدور فصار يبكي بالليل والنهار وينشد الأشعار هذا ما كان من أمر قمر الزمان (وأما) ما كان من أمر المركب فإنه طاب لها الريح ووصلت إلى جزيرة الآبنوس واتفق بالأمر المقدور أن الملكة بدور كانت جالسة في الشباك فنظرت إلى المركب وقد رست في الساحل فخفق فؤادها وركبت هي والأمراء والحجاب وتوجهت إلى الساحل ووقفت على المركب وقد دار النقل في البضائع إلى المخازن فاحضرت الريس وسألته عما معه فقال أيها الملك أن معي في هذه المركب من العقاقير والسفوفات والأكحال والمراهم والأدهان والأموال والأقمشة الفاخرة والبضائع النفيسة ما يعجز عن حمله الجمال والبغال وفيها من أصناف العطر والبهار من العود القافلي والتمر الهندي والزيتون العصافيري ما يندر وجوده في هذه البلاد فاشتهت نفسها الزيتون وقالت لصاحب المركب ما مقدار الذي معك من الزيتون قال معي خمسون مطراً ملآنة ولكن صاحبها ما حضر معنا والملك يأخذ ما اشتهاه منها فقالت أطلعوها في البلا لأنظر إليها فصاح الريس على البحرية فطلعوا الخمسين مطراً ففتحت واحداً ونظرت الزيتون وقالت أنا آخذ هذه الخمسين مطراً وأعطيكم ثمنها مهما كان فقال الريس هذا ماله في بلادنا قيمة ولكن صاحبها تأخر عنا وهو رجل فقير فقالت وما مقدار ثمنها قال ألف درهم قالت أنا آخذها بألف دينار ثم أمرت بنقلها إلى القصر فلما جاء الليل أمرت بإحضار مطر فكشفته وما في البيت غيرها هي وحياة النفوس فحطت بين يديها طبقاً ووضعت فيه شيئاً من المطر فنزل في الطبق كوم من الذهب الأحمر فقالت للسيدة حياة النفوس ما هذا إلا ذهب ثم اختبرت الجميع فوجدتها كلها ذهباً والزيتون كله ما يملأ مطراً واحداً وفتشت في الذهب فوجدت الفص فيه فأخذته وتأملته فوجدته الفص الذي كان في تكة لباسها وأخذه قمر الزمان فلما تحققته صاحب من فرحتها وخرت مغشياً عليها وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٤٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملكة بدور لما رأت الفص صاحت من فرحتها وخرت مغشياً عليها فلما أفاقت قالت في نفسها أن هذا الفص كان سبباً في فراق محبوبي قمر الزمان ولكنه بشير الخير ثم أعلمت السيدة حياة النفوس بأن وجوده بشارة الاجتماع فلما أصبح الصباح جلست على كرسي المملكة وأحضرت ريس المركب فلما حضر قبل الأرض بين يديها فقالت أين خليتم صاحب هذا الزيتون قال يا ملك الزمان تركناه في بلاد المجوس وهو خولي بستان فقالت له أن لم تأت به فلا تعلم ما يجري عليك وعلى مركبك من الضرر ثم أمرت بالختم على مخازن النجار وقالت لهم أن صاحب هذا الزيتون غريمي ولي عليه دين وأن لم يأت لاقتلنكم جميعاً وأنهب تجارتكم فأقبلوا على الريس ووعدوه بأجرة مركبه ويرجع ثاني مرة وقالوا خلصنا من هذا الغاشم فنزل الريس في المركب وحل قلوعها وكتب الله له السلامة حتى دخل الجزيرة في الليل وطلع إلى البستان وكان قمر الزمان قد طال عليه الليل وتذكر محبوبته فقعد يبكي على ما جرى له وهو في البستان ثم أن الريس دق الباب على قمر الزمان ففتح الباب وخرج إليه فحمله البحرية ونزلوا به إلى المركب وحلوا القلوع فسافروا وساروا ولم يزالوا سائرين أياماً وليالي وقمر الزمان لا يعلم ما موجب ذلك فسألهم عن السبب فقالوا له أنت غريم الملك صاحب جزائر الآبنوس صهر الملك أرمانوس وقد سرقت ماله يا منحوس فقال والله عمري ما دخلت هذه البلاد ولا أعرفها ثم أنهم ساروا به حتى أشرفوا على جزائر الآبنوس وطلعوا به

على السيدة بدور فلما رأته عرفته وقالت دعوه عند الخدام ليدخلوا به الحمام وأفرجت عن التجـ ـار وخلعـ ـت على الريس خلعة تساوي عشرة آلاف دينار ودخلت على حياة النفوس وأعلمتها بذلك وقالت لها اكتمي الخبر حتى أبلغ مرادي وأعمل عملاً يؤرخ ويقرأ بعدنا على الملوك والرعايا وحين أمرت أن يدخلوا بقمر الزمـ ـان الحمام دخلوا به الحمام والبسوه لبس الملوك ولما طلع قمر الزمان من الحمام صار كأنه غصن بان أو كوكب يخجل بطلعته القمران وردت روحه إليه ثم توجه إليها ودخل القصر فلما نظرته صبرت قلبهـ ـا حتـ ـى يـ ـتم مرادها وأنعمت عليه بمماليك وخدم وجمال وبغال وأعطته خزانة مال لم يزل ترقى قمر الزمان من درجـ ـة إلى درجة حتى جعلته خازندار وسلمت إليه الأموال وأقبلت عليه وقمر الزمان لا يعرف ما سبب تعظيمها له ومن كثرة الأموال صار يهب ويتكرم ويخدم الملك أرمانوس حتى أحبه وكذلك أحبتـ ـه الأمـ ـراء والخـ ـواص والعوام وصاروا يحلفون بحياته كل ذلك وقمر الزمان يتعجب من تعظيم الملكة بدور له ويقول في نفسه والله أن هذه المحبة لابد لها من سبب وربما يكون هذا الملك أنما يكرمني هذا الأكرام الزائد لأجل غرض فاسـ ـد فلابد أن استأذنه وأسافر من بلاده ثم أنه توجه إلى الملكة بدور وقال لها أيها الملك أنك أكرمتني أكراماً زائداً ومن تمام الأكرام أن تأذن لي بالسفر وأتخذ معي جميع ما أنعمت به على فتبسمت الملكة بدور وقالت له مـ ـا حملك على طلب الأسفار واقتحام الأخطار وأنت في غاية الأكرام وتزايد الأنعام فقال لها قمر الزمـ ـان أيهـ ـا الملك إن هذا الإكرام إذا لم يكن له سبب فإنه من أعجب العجب خصوصاً وقد أوليتني من المراتب ماحقة أن يكون للشيوخ الكبار مع أنني من الأطفال الصغار فقالت له الملكة بدور سبب ذلك أني أحبك لفـ ـرط جمالـ ـك الفائق وبديع حسنك الرائق وأن أمكنتني مما أريد منك أزيدك إكراماً وعطاء وأنعاماً وأجعلك وزيـ ـراً علـ ـى صغر سنك كما جعلني الناس سلطاناً عليهم وأنا في هذا السن ولا عجب اليوم في رئاسة الأطفال ولله درمـ ـن قال:

كـ ـأن زمانـ ـا مـ ـن قـ ـوم لـ ـوط	لـ ـ ـه شـ ـ ـغف بتقـ ـديم الصـ ـغار

فلما سمع قمر الزمان هذا الكلام خجل وأحمرت خدوده حتى صارت كالضرام وقال لا حاجة لي بهـ ـذا الأكرام المؤدي إلى ارتكاب الحرام بل أعيش فقيراً من المال غنياً بالمروءة والكمال فقالت له الملكة بدور أنا لا أغتر بورعك الناشيء عن التيه والدلال ولله در من قال:

ذاكرتـ ـه عهـ ـد الوصـ ـال فقـ ـال لـ ـي	كـ ـم ذا تطيـ ـل مـ ـن الكـ ـلام المـ ـؤلم
فاريتـ ـه الـ ـدينار أنشـ ـد قـ ـائلاً	أيـ ـن المفـ ـر مـ ـن القضـ ـاء المبـ ـرم

فلما سمع قمر الزمان هذا الكلام وفهم الشعر والنظام قال أيها الملك أنه لاعادة لي بهذه الفعال ولا طاقة لي على حمل الأثقال التي يعجز عن حملها أكبر مني فكيف بي على صغر سني فلما سمعت كلامـ ـه الملكـ ـة بدور تبسمت وقالت أن هذا الشيء عجاب كيف يظهر الخطأ من خلال الصواب إذا كنـ ـت صـ ـغيراً فكيـ ـف تخشى الحرام وارتكاب الآثام وأنت لم تبلغ حد التكليف ولا مؤاخذة في ذنب الصغير ولا تعنيف فقد ألزمـ ـت نفسك الحجة بالجدال وحقت عليك كلمة الوصال فلا تظهر بعد ذلك امتناعاً ولا نفوراً وكان أمـ ـر الله قـ ـدراً مقدوراً فأنا أحق منك بخشية الوقوع في الضلال وقد أجاد من قال :

أي ـرى كبيـ ـر والصـ ـغير يقـ ـول لـ ـي أطع ـن بـ ـه الأحشـ ـا وكـ ـن صـ ـنديداً
فأجبتـ ـه ذا لا يجـ ـوز فقـ ـال لـ ـي عنـ ـدي يجـ ـوز فنكتـ ـه تقليـ ـداً

فلما سمع قمر الزمان هذا الكلام تبدل الضياء في وجهه بالظلام وقال أيها الملك أنه يوجد عندك مـ ـن النساء والجواري الحسان مالا يوجد له نظير في هذا الزمان فهلا استغنيت بذلك عني فمل إلى ما شئت منهن ودعني فقالت أن كلامك صحيح ولكن لا يشتفي بهن من عشقك ألم ولا تبريح وإذا فسدت الأمزجة والطبيعـ ـة فهي لغير النصح سميعة فاترك الجدال واسمع قول من قال:

أما ترى السـ ـوق قـ ـد صـ ـفت فواكهـ ـه للتـ ـين قـ ـوم وللجميـ ـز أقـ ـوام

وقول الآخر:

وصـ ـامته الخلخـ ـال رن وشـ ـاخها فهذا قـ ـد اسـ ـتغنى وذا يشـ ـتكي الفقـ ـرا
تريـ ـد سـ ـلوى عنـ ـك جهـ ـلاً بحسـ ـنها وما كنت أرضـ ـى بعـ ـد إيمـ ـاني الكفـ ـرا
وحـ ـق عـ ـذار يـ ـزدري بفقاصـ ـها لمـ ـا خـ ـدعتني عنـ ـك غانيـ ـة عـ ـذرا

وقول الآخر:

يـ ـا فريـ ـد الجمـ ـال حبـ ـك دينـ ـي واختيـ ـاري علـ ـى جميـ ـع المـ ـذاهب
قـ ـد تركـ ـت النمـ ـا لأجلـ ـك حتـ ـى زعـ ـم النـ ـاس أننـ ـي اليـ ـوم راهـ ـب

وقول الآخر:

سـ ـلا خـ ـاطري عـ ـن زينـ ـب ونـ ـوار بـ ـوردة خـ ـد ـذ فـ ـوق آس عـ ـذار
وأصـ ـبحت بـ ـالظبي المقرط قـ مغرمـ ـاً ولا رأي لـ ـي فنـ ـي عشـ ـق ذات سـ ـوار
أنيسي في النادي وفـ ـي خلـ ـوتي معـ ـاً خـ ـلاف أنيسـ ـي فـ ـي قـ ـرارة داري
فيـ ـالائمي فـ ـي هجـ ـر هنـ ـد وزينـ ـب وقـ ـد لاح عـ ـذري كالمصـ ـباح السـ ـاري
أترضـ ـى بـ ـأن أمسـ ـى أسـ ـير أسـ ـيرة محصـ ـنة أو مـ ـن وراء جـ ـدا.

وقول الآخر:

جـ ـادت بفـ ـرج نـ ـاعم فقلـ ـت أنـ ـي لـ ـم أنـ ـك
فانصـ ـرفت قائـ ـد يؤفـ ـك عنـ ـه مـ ـن أفـ ـك
النيـ ـل مـ ـن قـ ـدام فـ ـي هـ ـذا الزمـ ـان قـ ـد تـ ـرك
ودورت لـ ـي فقحـ ـة مثـ ـل اللجـ ـين المنسـ ـبك
أحسـ ـنت يـ ـا سـ ـيدتي أحسـ ـنت لا فجعـ ـت بـ ـك
أحسـ ـنت يـ ـا أوسـ ـع مـ ـن فتـ ـوح مولانـ ـا الملـ ـك

وقول الآخر:

يسـ ـتغفر النـ ـاس بأيـ ـديهم وهـ ـن يسـ ـتغفرن بالأرجـ ـل
فيـ ـا لـ ـه مـ ـن عمـ ـل صـ ـالح يرفعـ ـه الله إلـ ـى أسـ ـفل

فلما سمع قمر الزمان منها هذه الأشعار وتحقق أنه ليس له مما أرادته فرار قال يا ملك الزمان أن كان ولابد فعاهدني على أنك لاتفعل بي هذا الأمر غير مرة واحدة وأن كان ذلك لايجد في إصلاح الطبيعة الفاسدة وبعد ذلك لا تسألني فيه على الأبد فلعل الله يصلح مني ما فسد فقالت عاهدتك على ذلك راجياً أن الله علينا يتوب ويمحو بفضله عنا عظيم الذنوب فإن نطاق أفلاك المغفرة لا يضيق عن أن يحيط بنا ويكفر عنا ما عظم من سيئاتنا ويخرجنا إلى نور الهدى من ظلام الضلال وقد أجاد وأحسن من قال:

تـ وهم فينـ ا النـ اس شـ يئاً وصـ ممت عليـ ـه نفـ ـوس مـ ـنهم وقلـ ـوب
تعـ ـالي تحقـ ـق ظـ ـنهم لنـ ـريحهم مـ ـن الأثـ ـم فينـ ـا مـ ـرة ونتـ ـوب

ثم أعطته المواثيق والعهود وجلفت له بواجب الوجود أنه لا يقع بينها وبينه هذا الفعل إلا مرة في الزمان وأن ألجأها غرامه إلى الموت والخسران فقام معها على هذا الشرط إلى محل خلوتها لتطفيء نيران لوعتها وهو يقول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ذلك تقدير العزيز العليم ثم حل سراويله وهو في غاية الخجل وعيونه تسيل من شدة الوجل فتبسمت وأطلعته معها على السرير وقالت له لا ترى بعد هذه الليلة من نكير ومالت عليه بالتقبيل والعناق والتفاف ساق على ساق ثم قالت له مد يدك بين فخذي إلى المعهود لعله ينتصب إلى القيام من السجود فبكى وقال أنا لا أحسن شيئاً من ذلك فقالت بحياتي تفعل ما أمرتك به مما هناك فمد يده وفؤاده في زفير فوجد فخذها الين من الزبد وأنعم من الحريز فاستلذ بلمسها وجال بيده في جميع الجهات حتى وصل إلى قبة كثيرة البركات والحركات وقال في نفسه لعل هذا الملك خنثى وليس بذكر ولا أنثى ثم قال أيها الملك أني لم أجد لك آلة مثل آلات الرجال فما حملك على هذه الفعال فضحكت الملكة بدور حتى استلقت على قفاها وقالت يا حبيبي ما أسرع ما نسيت ليالي بتناها وعرفته بنفسها فعرف أنها زوجته الملكة بدور بنت الملك الغيور صاحب الجزائر والبحور فاحتضنها واحتضنته وقبلتها وقبلته ثم أضطجعا على فراش الوصال وتناشد

أقول من:

لمـ ـا دعتـ ـه إلـ ـى وصـ ـالي عطفـ ـة مـ ـن معتطـ ـف بتعطـ ـف متواصـ ـي
وصـ ـقت قسـ ـاوة قلبـ ـه مـ ـن لينـه ـا فأجـ ـاب بعـ ـد تمنـ ـع وتعاصـ ـي
حشـ ـي العـ ـواذل أن تـ ـراه إذا بـ ـدا فـ ـأتى بعـ ـدة آمـ ـن الأرهـ ـاص
شـ ـكت القصـ ـور رواد فاقـ ـد حملـ ـت أقدامـ ـه فـ ـي المشـ ـي حمـ ـل قـ ـلاص
متقلـ ـد الصمصـ ـام مـ ـن الحاظـ ـه ومـ ـن الـ ـدجى متـ ـدرعاً بـ ـدلاص
وشـ ـذاء بشـ ـرتي بسـ ـعد قدومـ ـه ففـ ـرت مثـ ـل الطيـ ـر مـ ـن أقفاصـ ـي
وفرشـ ـت خـ ـدي فـ ـي الطريـ ـق لنعلـ ـه فشـ ـفي باثـ ـد تربهـ ـا أرماصـ ـي
وعقـ ـدت ألويـ ـة الوصـ ـال معانقـ ـاً وفككـ ـت عقـ ـدة حظـ ـي المتعاصـ ـي
وأقمـ ـت أفراحـ ـاً أجـ ـاب نـ ـداءها طـ ـرب صـ ـفاً عـ ـن شـ ـائب الأنغـ ـاص
والبـ ـدر نقـ ـط بـ ـالنجوم الثغـ ـر مـ ـن حبـ ـب علـ ـى وجـ ـه الطـ ـلا رقـ ـاص
وعكفـ ـت فـ ـي محـ ـراب لـ ـذتها علـ ـى مـ ـا مـ ـن تعاظيـ ـه يتـ ـوب العاصـ ـي
قسـ ـماً بآيـ ـات الضـ ـحى مـ ـن وجهـ ـه لـ ـم أنـ ـس فيـ ـه سـ ـورة الأخـ ـلاص

ثم أن الملكة بدور أخبرت قمر الزمان بجميع ما جرى لها من الأول إلى الآخر وكذلك هو أخبرها بجميع ما جرى له وبعد ذلك انتقل معها إلى العتاب وقال لها ما حملك على ما فعلتيه بي في هذه الليلة فقالت لا تؤاخذني فإن قصدي المزاح ومزيد البسط والانشراح فلما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح أرسلت الملكة بدور إلى الملك أرمانوس والد الملكة حياة النفوس وأخبرته بحقيقة أمرها وأنها زوجة قمر الزمان وأخبرته بقصتهما وبسبب افتراقهما من بعضهما وأعلمته أن أبنته حياة النفوس بكر على حالها فلما سمع الملك أرمانوس صاحب جزائر الآبنوس قصة الملكة بدور بنت الملك الغيور تعجب منها غاية العجب وأمر أن يكتبوها بماء الذهب ثم التفت إلى قمر الزمان وقال له يا ابن الملك هل لك أن تصاهرني وتتزوج بنتي حياة النفوس فقال له حتى أشاور الملكة بدور فإن لها علي فضلاً غير محصور فلما شاورها قالت له نعم الرأي هذا فتزوجها وأكون أنا لها جارية لأن لها علي معروفاً وأحساناً وخيراً وامتناناً خصوصاً ونحن في محلها وقد غمرنا إحسان أبيها فلما رأي قمر الزمان أن الملكة بدور مائلة إلى ذلك ولم يكن عندها غيرة من حياة النفوس أتفق معها على هذا الأمر. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٤٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن قمر الزمان أتفق مع زوجته الملكة بدور على هذا الأمر وأخبر الملك أرمانوس هذا الكلام من قمر الزمان فرح فرحاً شديداً ثم خرج وجلس على كرسي مملكته وأحضر جميع الوزراء والأمراء والحجاب وأرباب الدولة وأخبرهم بقصة قمر الزمان وزوجته الملكة بدور من الأول إلى الآخر وأنه يريد أن يزوج ابنته حياة النفوس لقمر الزمان ويجعله سلطاناً عليهم عوضاً عن زوجته الملكة بدور فقالوا جميعاً حيث كان قمر الزمان هو زوج الملكة بدور التي كانت سلطاناً علينا قبله ونحن نظن أنها صهر ملكنا أرمانوس فكلنا نرضاه سلطاناً علينا ونكون له خدماً ولا نخرج عن طاعته ففرح الملك أرمانوس بذلك فرحاً شديداً ثم أحضر القضاة والشهود ورؤساء الدولة وعقد عقد قمر الزمان على ابنته الملكة حياة النفوس ثم أنه أقام الأفراح وأولم الولائم الفاخرة وخلع الخلع السنية على جميع الأمراء ورؤساء العساكر وتصدق على الفقراء والمساكين وأطلق جميع المحابيس واستبشر العالم بسلطنة الملك قمر الزمان وصاروا يدعون له بدوام العز والأقبال والسعادة والإجلال ثم أن قمر الزمان لما صار سلطاناً عليهم أزال المكوس وأطلق من في الحبوس وسار فيهم سيرة حميدة واقام مع زوجته في هناء وسرور ووفاء وحبور يبيت عند كل واحدة منهما ليلة ولم يزل على ذلك مدة من الزمان وقد أنجلت عنه الهموم والأحزان ونسى أباه الملك شهرمان وما كان له عنده من عز وسلطان حتى رزقه الله تعالى من زوجتيه بولدين ذكرين مثل القمرين النيرين أكبرهما من الملكة بدور وكان اسمه الملك الأمجد وأصغرهما من الملكة حياة النفوس وأسمه الملك الأسعد وكان الأسعد أجمل من أخيه الأمجد ثم أنهما تربياً في العز والدلال والأدب والكمال وتعلما العلم والسياسة والفروسية حتى صارا في غاية الكمال ونهاية الحسن والجمال وافتتن بهما النساء والرجال وصار لهما من العمر نحو سبعة عشر عاماً وهما متلازمان فيأكلان ويشربان سواء ولا يفترقان عن بعضهما ساعة من الساعات ولا وقتاً من الأوقات وجميع الناس تحسدهما على ذلك ولما بلغ مبلغ الرجال واتصفا بالكمال صار أبوهما إذا سافر يجلسهما على التعاقب في مجلس الحكم فيحكم كل واحد منهما يوماً بين الناس واتفق

بالقدر المبرم والقضاء المحتم أن محبة الأسعد الذي هو ابن حياة النفوس وقعت في قلب الملكة بدور زوجة ابيه وأن محبة الأمجد الذي هو ابن الملكة بدور وقعت في قلب حياة النفوس زوجة أبيه فصارت كل واحدة من المرأتين تلاعب ابن ضرتها وتقبله وتضمه إلى صدرها وإذا رأت ذلك أمه تظن أنه من الشفقة ومحبة لأمهات لاولادها وتمكن العشق من قلوب المرأتين وافتتنا بالولدين فصارت كل واحدة منهما إذا دخل عليها ابن ضرتها تضمه إلى صدرها وتود أنه لا يفارقها ولما طال عليهما المطال ولم يجدا سبيلا إلى الوصال امتنعتا من الشراب والطعام وهجرتا لذيذ المنام ثم أن الملك توجه إلى الصيد والقنص وأمر ولديه أن يجلسا في موضع الحكم كل واحد منهما يوماً على عادتهما وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٥٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك توجه إلى الصيد والقبض وأمر ولديه أن يجلسا في موضعه للحكم كل واحد يوماً على عادتهما فجلس للحكم في اليوم الأول الأمجد ابن الملكة بدور فأمر ونهى وولى وعزل وأعطى ومنع فكتبت له الملكة حياة النفوس أم الأسعد مكتوباً تستعطفه فيه وتوضح له أنها متعلقة به ومتعشقة فيه وتكشف له الغطاء وتعلمه أنها تريد وصاله فأخذت ورقة وكتبت فيها هذه السجعات من المسكينة العاشقة الحزينة المفارقة التي ضاع بحبك شبابها وطال فيك عذابها ولو وصفت لك طول الأسف وما أقاسيه من اللهف وما بقلبي من الشغف وما أنا فيه من البكاء والأنين وتقطع القلب الحزين وتوالى الغموم وتتابع الهموم وما أجده من الفراق والكآبة والاحتراق لطال شرحه في الكتاب وعجزت عن حصره الحساب وقد ضاقت على الأرض والسماء ولآلي في غيرك أمل ولا رجاء فقد أشرفت على الموت وكابدت أهوال الفوت وزاد بي الاحتراق وألم الهجر والفراق ولو وصفت ما عندي من الأشواق لضاقت عنه الأوراق ثم بعد ذلك كتبت هذين البيتين:

لو كنت أشرح ما ألقاه من حرق	**ومن سقام ومن وجد ومن قلق**
لم يبق في الأرض قرطاس ولا قلم	**ولا مداد ولا شيء من الورق**

ثم أن الملكة حياة النفوس لفت تلك الورقة في رقعة من غالي الحرير مضمخة بالمسك والعنبر ووضعت معها جدائل شعرها التي تستغرق الأموال بسعرها ثم لفته بمنديل وأعطتها للخادم وأمرته أن يوصلها إلى الملك الأمجد وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٥١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أنها أعطت ورقة المواصلة للخادم وأمرته أن يوصلها إلى الملك الأمجد فسار ذلك الخادم وهو لا يعلم ما خفي له في الغيب وعلام الغيوب يدبر الأمور كيف يشاء فلما دخل الخادم على الملك الأمجد قبل الأرض بين يديه وناوله المنديل وبلغه الرسالة فتناول الملك الأمجد المنديل من الخادم وفتحه فرأى الورقة ففتحها وقرأها فلما فهم معناها علم أن امرأة أبيه في عينها الخيانة وقد خانت أباه الملك قمر الزمان في نفسها فغضب غضباً شديداً وذم النساء على فعلهن وقال لعن الله النساء الخائنات الناقصات عقلاً ودينا ثم أنه جرد سيفه وقال للخادم ويلك يا عبد السوء أتحمل المراسلة المشتملة على الخيانة من زوجة سيدك والله أنه لا خير فيك يا أسود اللون والصحيفة يا قبيح المنظر والطبيعة السخيفة ثم ضربه بالسيف في

عنقه فعزل رأسه عن جثته وطوى المنديل على ما فيه ووضعه في جيبه ثم دخل على أمه وأعلمها بما جرى وسبها وشتمها وقال كلكن أنجس من بعضكن والله العظيم لولا أني أخاف أساءة الأدب في حق والـ دي قمـ ر الزمان وأخي الملك الأسعد لادخلن عليها وأضربن عنقها كما ضربت عنق خادمها ثم أنه خـ رج مـ ن عنـ د الملكة بدور وهو في غاية الغيظ فلما بلغ الملكة حياة النفوس زوجة أليه ما فعل بخادمها سبته ودعـ ت عليـ ه وأضمرت له المكر فبات الملك الأمجد في تلك الليلة ضعيفاً من الغيظ والقهر والفكر ولم يهنأ لـ ـه أكـ ل ولا شرب ولا منام فلما أصبح الصباح خرج أخوه الملك الأسعد وجلس في مجلس أبيه الملك قمر الزمان لـ يحكم بين الناس وأصبحت أمه حياة النفوس ضعيفة بسبب ما سمعته عن الملك الأمجد من قتله للخادم ثم أن الملـ ك الأسعد لما جلس للحكم في ذلك اليوم حكم وعدل وولي وعزل وأمر ونهي وأعطي ووهب ولم يزل جالساً في مجلس الحكم إلى قرب العصر ثم أن الملكة بدور أم الملك الأمجد أرسلت إلى عجوز من العجائز المـ ـاكرات وأظهرتها على ما في قلبها وأخذت ورقة لتكتب فيها مراسلة للملك الأسعد ابن زوجها وتشكو غليـ ـه كثـ ـرة محبتها ووجدها به فكتبت له هذه السجعات ممن تلفت وجدا وشوقاً إلى أحسن الناس خلـ ق وخلق ـا المعجـ ـب بجماله التائه بدلاله المعرض عن طلب وصاله الزاهد في القرب ممن خضع وذل إلى من جفا ومـ ل الملـ ك الأسعد صاحب الحسن الفائق والجمال الرائق والوجه الأقمر والجبين الأزهر والضياء الأبهر هذا كتابي إلـ ـى من حبة أذاب جسمي ومزق جلدي وعظمي أعلم أنه قد عيل صبري وتحيرت أمري وأقلقني الشوق والبعـ ـاد واجفاني الصبر والرقاد ولازمني الحزن والسهاد وبرح بي الوجد والغرام وحلول الضني والسـ ـقام فـ ـالروح تفديك وأن كان قتل الصب يرضيك والله يبقيك ومن كل سوء يقيك ثم بعد ذلك السجعات كتبت هذه الأبيات:

حكـ ـم الزمـ ـان بـ ـأنني لـ ـك عاشـ ـق   يـ ـا مـ ـن محاسـ ـنه كبـ ـدر يشـ ـرق
حـ ـزت الفصـ ـاحة والملاحـ ـة كلهـ ـا   وعليـ ـك مـ ـن دون البريـ ـة رونـ ـق
ولقـ ـد رضـ ـيت بـ ـأن أكـ ـون معـ ـذبي   فعسـ ـى علـ ـي بنظـ ـرة تتصـ ـدق
مـ ـن مـ ـات فيـ ـك صـ ـبابة فلـ ـه الهنـ ـا   لا خيـ ـر فـ ـيمن لا يحـ ـب ويعشـ ـق

ثم كتبت أيضاً هذه الأبيات:

إليك أسعد أشـ ـكو مـ ـن لهيـ ـب جـ ـوي   فـ ـارحم متيمـ ـة بالشـ ـوق تاتهـ ـب
إلى متى وأيـ ـادي الوجـ ـد تلعـ ـب بـ ـي   والعشق والفكر والتسهيد والنصـ ـب فـ ـي
طـ ـوراً ببحـ ـر وطـ ـوراً اشـ ـتكى لهيـ ـاً   مهجتي أن ذا يا منيتي عجب من الهـ ـوى
يـ ـالائمي خـ ـل لـ ـومي والـ ـتمس هربـ ـاً   فـ . . . دموع العـ . . . ين تنسـ . . . كب
كم صحت وجداً من الهجـ ـران وأحربـ ـا   فلـ ـم يفـ ـدني بـ ـذاك الويـ ـل والحـ ـرب
أمرضـ ـتني بصـ ـدود لسـ ـت أحملـ ـه   أنـ ـت الطبيـ ـب فاسـ ـعفني بمـ ـا يجـ ـب
يا عاذلي كـ ـف عـ ـن عـ ـذلي محـ ـاذرة   كـ ـيلا يصـ ـيبك مـ ـن داء الهـ ـوى عطـ ـب

ثم أن الملكة بدور ضمخت ورقة الرسالة بالمسك إلا ذفر ولفتها في جدائل شعرها وهي مـ ـن الحريـ ـر العراقي وشراريبها من قضبان الزمرد الأخضر مرصعة بالدر والجوهر ثم سلمتها إلى العجوز وأمرتهـ ـا أن تعطيها للملك الأسعد ابن زوجها الملك قمر الزمان فراحت العجوز من أجل خاطرها ودخلت علـ ـى الملـ ـك

الأسعد من وقتها وساعتها وكان في خلوة عند دخولها فناولته الورقة بما فيها وقد وقفت ساعة زمانية تنتظ ر رد الجواب فعند ذلك قرأ الملك الأسعد الورقة وفهم ما فيها ثم بعد ذلك لف الورقة في الجدائل ووضعها ف ي جيبه وغضب غضباً شديداً ما عليه من مزيد ولعن النساء الخائنات ثم أنه نهض وسحب السيف م ن غم ده وضرب رقبة العجوز فعزل رأسها عن جثتها وبعد ذلك قام وتمشى حتى دخل على أمه حياة النفوس فوجدها راقدة في الفرش ضعيفة بسبت ما جرى لها من الملك الأمجد فشتمها الملك الأسعد ولعنها ثم خرج من عندها فاجتمع بأخيه الملك الأمجد وحكى له جميع ما جرى له من أمه الملكة بدور وأخبره أنه قتل العج وز الت ي جاءت له بالرسالة ثم قال له والله يا أخي لولا حيائي منك لكنت دخلت في هذه الساعة الها وقطعت رأسها من بين كتفيها فقال له أخوه الملك الأمجد والله يا أخي أنه قد جرى لي بالأمس لما جلست على كرسي المملك ة مثل ما جرى لك في هذا اليوم فإن أمك أرسلت إلى رسالة بمثل مضمون هذا الكلام ثم أخبره بجميع ما جرى له مع أمه الملكة حياة النفوس وقال له يا أخي لولا حيائي منك لدخلت إليها وفعلت بها ما فعلت بالخ ادم ث م أنهما باتا يتحدثان بقية تلك الليلة ويلعنان النساء الخائنات ثم تواصيا بكتمان هذا الأمر لئلا يسمع ب ه أبوهم ا الملك قمر الزمان فيقتل المرأتين ولم يزالا في غم تلك الليلة إلى الصباح فلما أصبح الص باح أقب ل المل ك بجيشه من الصيد وطلع إلى قصره ثم صرف الأمراء إلى حال سبيلهم وقام ودخل القص ر فوج د زوجتي ه راقدتين على الفراش وهما في غاية الضعف وقد عملتا لولديهما مكيدة واتفقا على تضييع أرواحهما لأنهما قد فضحتا أنفسهما معهما وقد خشيتا أن يصيرا تحت ذلتهما فلما رآهما الملك على تلك الحالة قال لهم ا مالكم ا فقامتا إليه وقبلتا يديه وعكستا عليه المسألة وقالتا له اعلم أيها الملك أن ولديك الذين قد تربيا في نعمت ك ق د خاناك في زوجتيك وأركباك العار فلما سمع قمر الزمان من نسائه هذا الكلام صار الضياء في وجهه ظلام اً واغتاظ غيظاً شديداً حتى طار عقله من شدة الغيظ وقال لنسائه أوضحا لي هذه القضية فقالت له الملكة بدور اعلم يا ملك الزمان أن ولد الأسعد ابن حياة النفوس له مدة من الأيام وهو يراسلني ويكاتبني ويراودني ع ن الزنا وأنا أنهاه عن ذلك فلم ينته فلما سافرت أنت هجم علي وهو سكران والسيف في يده فخفت أن يقتلني إذا مانعته كما قتل خادمي فقضى أربه مني غصباً وأن لم تخلص حقي منه أيها الملك قتلت نفسي بيدي وليس لي حاجة بالحياة في الدنيا بعد هذا الفعل القبيح وأخبرته حياة النفس أيضاً بمثل ما أخبرته ب ه ض رتها ب دور. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٥٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملكة حياة النفوس أخبرت زوجها الملك قمر الزمان بمثل ما أخبرته به الملكة بدور وقالت له أنا الأخرى جرى لي مع ولدك الأمجد كذلك ثم أنها أخذت في البكاء والنحيب وقالت له أن لم تخلص لي حقي منه أعلمت أبي الملك أرمانوس بذلك ثم أن المرأتين بكتا قدام زوجهما الملك قم ر الزمان بكاء شديداً فلما سمع كلامهما أعتقد أنه حق فغضب غضباً شديداً ما عليه من مزي د فق ام وأراد أن يهجم على أولاده الأثنين ليقتلهما فلقيه صهره الملك أرمانوس وقد كان داخلاً في تلك الساعة ليسلم عليه لم ا علم أنه قد أتى من الصيد فرآه والسيف مشهور في يده والدم يقطر من مناخيره من شدة غيظه فسأله عما به فأخبره بجميع ما جرى من ولديه الأمجد والأسعد ثم قال له وها أنا داخل إليهما لاقتلهما أقبح قتلة وأمثل بهما

أقبح مثله فقال له صهره الملك أرمانوس وقد اغتاظ منهما أيضاً ونعم ما تفعل يا ولدي فلا بارك الله فيهما ولا في أولاد تفعل هذه الفعال في حق أبيهما ولكن يا ولدي صاحب المثل يقول من لم ينظر في العواقب ما الدهر له بصاحب وهما ولداك على كل حال وينبغي أن لا تقتلهما بيدك فتجرع غصتهما وتندم بعد ذلك على قتلهما حيث لا ينفعك الندم ولكن أرسلهما مع أحد من المماليك ليقتلهما في البرية وهما غائبان عن عينك فلما سمع الملك قمر الزمان من صهره الملك أرمانوس هذا الكلام رآه صواباً فأغمد سيفه ورجع وجلس على سرير مملكته ودعا خازنداره وكان شيخاً كبيراً عارفاً بالأمور وتقلبات الدهور وقال له أدخل إلى ولدي الأمجد والأسعد وكتفهما كتافاً جيداً واجعلهما في صندوقين واحملهما على بغل واركب أنت وأخرج بهما إلى وسط البرية واذبحهما واملأ لي قنينتين من دمهما وائتني بها عاجلاً فقال له الخازندار سمعاً وطاعة ثم نهض من وقته وساعته وتوجه إلى الأمجد والأسعد فصادفهما في الطريق وهما خارجان في دهليز القصر وقد لبسا قماشهما وأفخر ثيابهما وأراد التوجه إلى والدهما قمر الزمان ليسلما عليهما ويهنآه بالسلامة عند قدومه من السفر إلى الصيد فلما رآهما الخازندار قبض عليهما وقال لهما يا ولدي اعلما أنني عبد مأمور وأن أباكما أمرني بأمر فهل أنتما طائعان لأمره قالا نعم فعند ذلك تقدم إليهما الخازندار وكتفهما ووضعهما في صندوقين وحملهما على ظهر بغل وخرج بهما من المدينة ولم يزل سائراً بهما في البرية إلى قريب الظهر فأنزلهما في مكان أقفر موحش ونزل عن فرسه وحط الصندوقين عن ظهر البغل وفتحهما وأخرج الأمجد والأسعد منهما فلما نظر إليهما بكى بكاء شديداً على حسنهما وجمالهما وبعد ذلك جرد سيفه وقال لهما والله يا سيدي أنه يعز علي أن أفعل بكما فعلاً قبيحاً ولكن أنا معذور في هذه الأمور لأنني عبد مأمور وقد أمرني والدكما الملك قمر الزمان بضرب رقابكما فقالا له أيها الأمير افعل ما أمرك به الملك فنحن صابرون على ما قدره الله عز وجل علينا وأنت في حل من دمائنا ثم أنهما تعانقا وودعا بعضهما وقال الأسعد للخازندار بالله عليك يا عم أنك لا تجرعني غصة أخي ولا تسقني حسرته بل أقتلني أنا قبله ليكون ذلك أهون علي وقال الأمجد للخازندار مثل ما قال الأسعد واستعطف الخازندار أن يقتله قبل أخيه وقال له إن أخي أصغر مني فلا تذقني لوعته ثم بكى كل منهما بكاء شديد ما عليه من مزيد وبكى الخازندار لبكائهما وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٥٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الخازندار بكى لبكائهما ثم أن الأخوين تعانقا وودعا بعضهما وقال أحدهما للآخر أن هذا كله من كيد الخائنتين أمي وأمك وهذا ما جرى مني في حق أمك وجزاء ما جرى منك في حق أمي ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم أنا لله وأنا إليه راجعون ثم أن الأسعد أعتنق أخاه وصعد الزفرات وأنشد هذه الأبيات:

يـ ـا مـ ـن إليـ ـه المشـ ـتكي والمفـ ـزع ... أنـ ـت المعـ ـد لكـ ـل مـ ـا يتوقـ ـع
مـ ـالي سـ ـوى قرعـ ـي لبابـ ـك حيلـ ـة ... ولـ ـئن رددت فـ ـأي بـ ـاب أقـ ـرع
يا من خـ ـزائن فضـ ـله فـ ـي قـ ـول كـ ـن ... أمـ ـنن فـ ـإن الخيـ ـر عنـ ـدك أجمـ ـع

فلما سمع الأمجد بكاء أخيه بكى وضمه إلى صدره وأنشد هذين البيتين:

يا مـ ـن أياديـ ـه عنـ ـدي غيـ ـر واحـ ـدة   ومـ ـن مواهبـ ـه تنمـ ـو مـ ـن العـ ـدد
ماذ ـا بنـ ـي مـ ـن زمـ ـاني قـ ـط نائبـ ـة   إلا وجـ ـدتك فيهـ ـا آخـ ـذ بيـ ـدي

ثم قال الأمجد للخازندار سألتك بالواحد القهار الملك الستار أن تقتلني قبل أخي الأسعد لعل نار قلبـ ـي تخمد ولا تدعها تتوقد فبكى الأسعد وقال ما يقتل قبل إلا أنا فقال الأمجد الرأي أن تعتنقني وأعتنقك حتى ينزل السيف علينا فيقتلنا دفعة واحدة فلما اعتنق الأثنان وجهاً لوجه التزما بعضهما وشدهما الخازنـ ـدار وربطهمـ ـا بالحبال وهو يبكي ثم جرد سيفه وقال والله يا سيدي أنه يعز علي قتلكما فهل لكما مـ ـن حاجـ ـة فاقضـ ـيها أو وصية فأنفذها أو رسالة فأبلغها فقال الأمجد ما لنا حاجة وأما من جهة الوصية فأني أوصيك أن تجعل أخـ ـي الأسعد من تحت وأنا من فوق لأجل أن تقع على الضربة أولاً فإذا فرغت من قتلنا ووصلت إلى الملك وقـ ـال لك ما سمعت منهما قبل موتهما فقل له أن ولديك يقرآنك السلام ويقولان لك أنك لا تعلم هل هما بريئـ ـان أو مذنبان وقد قتلتهما وما تحققت ذنبهما وما نظرت في حالهما ثم أنشد هذين البيتين:

أن النسـ ـاء شـ ـياطين خلقـ ـن لنـ ـا   نعـ ـوذ بـ ـالله مـ ـن كيـ ـد الشـ ـياطين
فهـ ـن أصـ ـل البليـ ـات التـ ـي ظهـ ـرت   بـ ـين البريـ ـة فـ ـي الـ ـدنيا وفـ ـي الـ ـدين

ثم قال الأمجد ما نريد منك إلا أن تبلغه هذين البيتين وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٥٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الأمجد قال للخازندار ما نريد منك إلا أن تبلغه هذين البيتـ ـين اللـ ـذين سمعتهما وأسألك بالله أن تطول بالك علينا حتى أنشد لأخي هذين البيتين الآخرين ثم بكى بكاء شديداً وجعـ ـل يقول:

فـ . . ـي الـ . . ـذاهبين الأولـ . . ـين   مـ . . ـن الملـ . . ـوك لنـ . . ـا بصـ . . ـائر
كـ ـم قـ ـد مضـ ـى فـ ـي ذا الطريـ ـق   مـ . . ـن الأكـ . . ـابر والأصـ . . ـاغر

فلما سمع الخازندار من الأمجد هذا الكلام بكى بكاء شديداً حتى بل لحيته وأما الأسعد فإنه قد تغرغرت عيناه بالعبرات وأنشد هذه الأبيات :

الـ ـدهر يفجـ ـع بعـ ـد العـ ـين بـ ـالأثر   فمـ ـا البكـ ـاء علـ ـى الأشـ ـباح والصـ ـور
مـ ـا الليـ ـالي أقـ ـال الله عثرتنـ ـا   مـ ـن الليـ ـالي وخانتهـ ـا يـ ـد الغيـ ـر
فقد أضمرت كيدها لابـ ـن الزبيـ ـر ومـ ـا   رعـ ـت لياذنـ ـه بالبيـ ـت والحجـ ـر
وليتهـ ـا إذ فـ ـدت عمـ ـراً بخارجـ ـة   فدت عليـ ـا بمـ ـن شـ ـاءت مـ ـن البشـ ـر

ثم خضب آخذه بدمعه المدرار وأنشد هذه الأشعار:

أن الليـ ـالي والأيـ ـام قـ ـد طبعـ ـت   علـ ـى الخـ ـداع وفيهـ ـا المكـ ـر والحيـ ـل
سـ ـراب كـ ـل يبـ ـاب عنـ ـدها شـ ـنب   وهـ ـول كـ ـل ظـ ـلال عنـ ـدها كحـ ـل
ذنبـ ـي إلـ ـى الـ ـدهر فليكـ ـره سـ ـجيته   ذنـ ـب الحسـ ـام إذ مـ ـا أحجـ ـم البطـ ـل

ثم صعد الزفرات وأنشد هذه الأبيات:

يـ ـا طالـ ـب الـ ـدنيا الدنيـ ـة أنهـ ـا	شـ ـرك الـ ـردى أو قـ ـرارة الأكـ ـدار
دار متـ ـى مـ ـا أضـ ـحكت فـ ـي يومهـ ـا	أبكـ ـت غـ ـدا تبـ ـاً لهـ ـا مـ ـن دار
غاراتهـ ـ ـا لا تنقضـ ـ ـي وأسـ ـ ـيرها	لا يفتـ ـ ـدي بجلائـ ـ ـل الأخطـ ـ ـار
كـ ـم مـ ـزده بغـ ـروره حتـ ـى غـ ـدا	متفـ ـ ـ ـرداً متجـ ـ ـ ـاوز المقـ ـ ـ ـدار

فلما فرغ الأسعد من شعره اعتنق أخاه الأمجد حتى صارا كأنهما شخص واحد وسل الخازندار سـ ـيفه وأراد أن يضربهما وإذا بفرسه جفل في البر وكان يساوي جملة من المال فالقى السيف من يده وذهـ ـب وراء فرسه وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٥٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الخازندار ذهب وراء فرسه وقد التهب فؤاده ومازال يجـ ـري خلفـ ـه ليمسكه حتى دخل في غابة فدخل وراءه في تلك الغابة فشق الجواد في وسط الغابة ودق الأرض برجليه فعلاً الغبار وارتفع وثاروا ما الفرس فإنه شخر ونخر وصهل وزمجر وكان في تلك الغابة أسد عظيم الخطر قبيح المنظر عيونه ترمي بالشرر له وجه عبوس وشكل يهول النفوس بالتفت الخازندار فرأى ذلك الأسد قاصد إليه فلم يجد له مهربا من يديه ولم يكن معه سيف فقال في نفسه لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ما حصـ ـل لي هذا الضيق إلا بذنب الأمجد والأسعد وأن هذه السفرة مشؤومة من أولها ثم أن الأمجد والأسعد قد حمـ ـي عليهما الحر فعطشا عطشاً شديداً حتى نزلت ألسنتهما واستغاثا من العطش فلم يغثهما أحد فقالا يا ليتـ ـا كنـ ـا قتلنا واسترحنا من هذا ولكن ما ندري أين جفل الحصان حتى ذهب الخازندار وراءه وخلانا مكتفين فلو جاءنا وقتلنا كان أربح لنا من مقاساة هذا العذاب فقال الأسعد يا أخي أصبر فسوف يأتينا فرج الله سبحانه وتعـ ـالى فإن الحصان ما جفل إلا لأجل لطف الله بنا وما ضرنا غير هذا العطش ثم هز نفسه وتحرك يميـ ـناً وشـ ـمالا فانحل كتافه فقام وحل كتاف أخيه ثم أخذ سيف الأمير وقال لأخيه والله لا تبرح من هذا حتى نكشف خبـ ـره ونعرف ما جري له وشرعاً يقتفيان الأثر فدلهما على الغابة فقال لبعضهما أن الحصان والخازندار ما تجاوز ا هذه الغابة فقال الأسعد لأخيه قف هنا حتى أدخل الغابة وأنظرها فقال الأمجد ما أخليك تدخل فيهـ ـا وحـ ـدك وما ندخل إلا جميعاً فإن سلمنا سلمنا سواء وأن عطبنا عطبنا سواء فدخل الاثنان فوجدا الأسد قد هجـ ـم عـ ـل الخازندار وهو تحته كأنه عصفور ولكنه صار يبتهل إلى الله ويشير إلى نحو السماء فلما رآه الأمجـ ـد أخـ ـذ السيف وهجم على الأسد وضربه بالسيف بين عينيه فقتله ووقع مطروحاً على الأرض فنهض الأميـ ـر وهـ ـو متعجب من هذا الأمر فرأي الأمجد والأسعد ولدى سيده وقفين فترامي على أقدامهما وقال لهما والله يا سيدي ما يصلح أن أفرط فيكما بقتلكما فلا كان من يقتلكما فبروحي أفديكما وأدرك شهرزاد فسـ ـكتت عـ ـن الكـ ـلام المباح.

(وفي ليلة ٢٥٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الخازندار قال للأمجد والأسعد بروحي أفديكما ثم نهض مـ ـن وقتـ ـه وساعته وأعتنقهما وسألهما عن سبب فك وثاقهما وقدومهما فأخبراه أنهما عطشاً وانحل الوثاق مـ ـن أحـ ـدهما ففك الآخر بسبب خلوص نيتهما ثم أنهما أقتفيا الأثر حتى وصلا إليه فلما سمع كلامهما شكرهما على فعلهما

وخرج معهما إلى ظاهر الغابة فلما صارا في ظاهر الغابة فالا له ياعم أفعل ما أمرك به أبونا فقال حاشا لله أن أقربكما بضرر ولكن أعلما أني أريد أن أنزع ثيابكما والبسكما ثيابي وأملا قنينتين من دم الأسد ثم أروح إلى الملك وأقول له أني قتلتهما وأما أنتما فسيحاً في البلاد وأرض الله واسعة واعلما يا سيدي أن فراقكما يعز علي ثم بكى كل من الخازندار والغلامين وقلعهماثيابهما والبسهما ثيابه وراح إلى الملك وقد أخذ ذلك وربط قماش كل واحد منهما في بقجة معه وملأ القنينتين من دم الأسد وجعل البقجتين قدامه على ظهر الجواد ثم ودعهما وسار متوجهاً إلى المدينة ولم يزل سائراً حتى دخل على الملك وقبل الأرض بين يديه فرآه الملك متغير الوجه وذلك مما جرى له من الأسد فظن أن ذلك من قتل أولاده ففرح وقال له هل قضيت الشغل قال نعم يا مولانا ثم ناوله البقجتين اللتين فيهما الثياب والقنينتين الممتلئتين بالدم فقال له الملك ماذا رأيت منهما وهل أوصياك بشيء قال وجدتهما صابرين محتسبين لما نزل بهما وقد قالا لي أن أبانا معذور فاقرئه منا السلام وقل له أنت في حل من قتلنا ومن دمائنا ولكن نوصيك أن تبلغه هذين البيتين وهما:

أن النسـ ـاء شـ ـياطين خلق ـن لنـ ـا   نعـ ـوذ بـ ـالله مـ ـن كيـ ـد الشـ ـياطين

فهـ ـن أصـ ـل البليـ ـات التـ ـي ظهـ ـرت   بـ ـين البريـ ـة فـ ـي الـ ـدنيا وفـ ـي الـ ـدين

فلما سمع الملك من الخازندار هذا الكلام أطرق برأسه إلى الأرض ملياً وعلم أن كلام ولديه هذا يدل على أنهما قد قتلا ظلماً ثم تفكر في مكر النساء ودواهيهن وأخذ البقجتين وفتحهما وصار يقلب ثياب أولاده ويبكي وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٥٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك قمر الزمان لما فتح البقجتين صار يقلب ثياب أولاده ويبكي فلما فتح ثياب ولده الأسعد وجد في جيبه ورقة مكتوبة بخط زوجته بدور ومعها جدائل شعرها ففتح الورقة وقرأها وفهم معناها فعلم أن ولده الأسعد مظلوم ولما قلب ثياب الأمجد وجد في جيبه ورقة مكتوبة بخط زوجته حياة النفوس وفيها جدائل شعرها ففتح الورقة وقراها فعلم أنه مظلوم فدق يد على يد وقال لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم قد قتلت أولادي ظلماً ثم صار يلطم على وجهه ويقول واوالداه وأطول حزناه وأمر ببناء قبرين في بيت الأحزان وكتب على القبرين اسمى ولديه وترامى على قبر الأمجد وبكي وأن واشتكى وأنشد هذه الأبيات:

يـ ـا قمـ ـر قـ ـد غـ ـاب تحـ ـت الثـ ـري   بكـ ـ ـت عليـ ـ ـه الأنجـ ـ ـم الزاهـ ـ ـره

ويـ ـا قضـ ـيبا لـ ـم يهـ ـس بعـ ـده   معـ ـ ـاطف للأعـ ـ ـ ـين النـ ـ ـ ـاظرة

منعـ ـت عيـ ـي عنـ ـك مـ ـن غيرتـ ـي   عليـ ـ ـ ـ ـ ـك لا أراك للآخـ ـ ـ ـ ـ ـره

وأغرقـ ـ ـت بالسـ ـ ـهد فـ ـ ـي دمهـ ـ ـا   وأنـ ـ ـ ـي مـ ـ ـ ـن ذاك بالعـ ـ ـ ـاهرة

ثم ترامى على قبر الأسعد وبكى وأنّ واشتكى وأفاض العبرات وأنشد هذه الأبيات:

قد كنـ ـت أهـ ـوى أن أشـ ـاطرك الـ ـردى   لكـ ـ ـ ـن الله أراد غيـ ـ ـ ـر مـ ـ ـ ـرادي

سـ ـودت مـ ـا بـ ـين الفضـ ـاء ونـ ـاظري   ومحـ ـوت مـ ـن عيـ ـي كـ ـل سـ ـواد

لا ينفـ ـذ الـ ـدمع الـ ـذي أبكـ ـي بـ ـه	أن الفـ ـؤاد لـ ـه مـ ـن الأمـ ـداد
أعـ ـزز علـ ـى بـ ـان أراك بموضـ ـع	متسـ ـابه الأوغـ ـاد والأمجـ ـاد

ولما فرغ من شعره هجر الأحباب والخلان وانقطع في البيت الذي سماه بيت الأحزان وصـار يبكـي على أولاده وقد هجر نساءه وأصحابه وأصدقاءه هذا ما كان من أمره (وأما) ما كان من أمر الأمجد والأسعد فإنهما لم يزالا سائرين في البرية وهما يأكلان من نبات الأرض ويشربان من متحصلات الأمطار مدة شـهر كامل حتى انتهى بهما المسير إلى جبل من الصوان الأسود لا يعلم أين منتهاه والطريق افترقت عنـد ذلـك الحبل طريقين طريق تشقه من وسطه وطريق صاعده إلى أعلاه فسلكا الطريق التي في أعلا الجبل واستمرا سائرين فيها خمسة أيام فلم يريا له منتهى وقد حصل لهم الأعياء من التعب وليسا معتادين على المشي فـي جبل ولا في غيره ولما يئسا من الوصول إلى منتهاه رجعاً وسلكا الطريق التي فـي وسـط الجبـل وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٥٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الأمجد و الأسعد ولدي الملك قمر الزمان لمـا عـادا مـن الطريـق الصاعدة في الجبل إلى الطريق المسلوكة في وسطه مشياً طول ذلك النهار إلى الليل وقد تعب الأسـعد مـن كثرة السير فقال لأخيه يا أخي أنا ما بقيت أقدر على المشي فأني ضعفت جداً فقال له الأمجد يا أخـي شـد حيلك لعل الله أن يفرج عنا ثم أنهما مشيا ساعة من الليل وقد تعب الأسعد تعباً شديداً ما عليه من مزيد وقال يا أخي أني تعبت وكليت من المشي ثم وقع في الأرض وبكى فحمله أخوه الأمجد ومشي به وصـار سـاعة يمشي وساعة يستريح إلى أن لاح الفجر حتى استراح أخوه فطلع هو وأياه فوق الجبل فوجـدا عينـا نابعـة يجري منها الماء وعندها شجرة رمان ومحراب فما صدقا أنهما يريان ذلك ثم جلسا عند تلك العين وشربا من مائها وأكلا من رمان تلك الشجرة وناما في ذلك الموضع حتى طلعت الشمس ثم جلسا واغتسلا مـن العـين وأكلا من ذلك الزمان الذي في الشجرة وناما إلى العصر وأراد أن يسيرا فما قدر الأسعد على السـير وقـد ورمت رجلاه فأقاما هناك ثلاثة أيام حتى استراحا ثم سارا في الجبل مدة أيام وهما سائران فوق الجبل وقـد تعبا من العطش إلى أن لاحت لهما مدينة من بعيد ففرحا وصارا حتى وصلا إليها فلما قربا منها شـكرا الله تعالى وقال الأمجد للأسعد يا أخي أجلس هنا وأنا أسير إلى هذه المدينة وانظر ما شأنها واسأل عن أحوالهـا لأجل أن نعرف أين نحن من أرض الله الواسعة ونعرف الذي قطعناه من البلاد في عرض هذا الجبل ولو ابناً مشينا في وسطه ما كنا نصل إلى هذه المدينة في سنة كاملة فالحمد لله على السلامة فقال له الأسعد والله يـا أخي ما يذهب إلى المدينة غيري وأنا فداؤك فأنك أن تركتني ونزلت وغبت عني تستغرقني الأفكار من أجلك وليس لي قدرة على بعدك عني فقال له الأمجد توجه ولا تبطيء فنزل الأسعد من الجبل وأخذ معـه دنانـاير وخلى أخاه ينتظره وسار ولم يزل ماشياً في أسفل الجبل حتى دخل المدينة وشق في أزقتها فلقيه في طريقـه رجل وهو شيخ كبير طاعن في السن وقد نزلت لحيته على صدره وافترقت فرقتين وبيده عكاز وعليه ثيـاب فاخرة وعلى رأسه عمامة كبيرة حمراء فلمارآه الأسعد تعجب من لبسه وهيئته وتقدم إليه وسلم عليه وقال له

أين طريق السوق يا سيدي فلما سمع الشيخ كلامه تبسم في وجهه وقال له يا ولدي كأنك غريب فقال له الأسعد نعم أنا غريب يا عم وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٥٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشيخ الذي لقي الأسعد تبسم في وجهه وقال يا ولدي كأنك غريب فقال له الأسعد نعم غريب فقال له الشيخ قد آنست ديارنا وأوحشت ديار أهلك فما الذي تريد من السوق فقال الأسعد ياعم أن لي أخاً تركته في الجبل ونحن مسافران من بلاد بعيدة ولنا في السفر مدة ثلاثة شهور وقد أشرفنا على هذه المدينة فجئت إلى ههنا لأشتري طعاماً وأعود به إلى أخي لأجل أن نقتات به فقال له الشيخ يا ولدي أبشر بكل خير واعلم أنني عملت وليمة وعندي ضيوف كثيرة وجمعت فيها من أطيب الطعام وأحسنه ما تشتهيه النفوس فهل لك أن تسير معي إلى مكاني فأعطيك ما تريد ولا آخذ منك ثمناً وأخبرك بأحوال هذه المدينة والحمد لله يا ولدي حيث وقعت بك ولم يقع بك أحد غيري فقال الأسعد افعل ما أنت أهله وعجل فإن أخي ينتظرني وخاطره عندي فأخذ الشيخ بيد الأسعد ورجع به إلى زقاق ضيق وصار يتبسم في وجهه ويقول له سبحان من نجاك من أهل هذه المدينة ولم يزل ماشياً به حتى دخل داراً واسعة وفيها قاعة جالساً فيها أربعون شيخاً طاعنون في السن وهم مصطفون حلقة وفي وسطهم نار موقدة والمشايخ جالسون حولها يعبدونها ويسجدون لها فلما رأى ذلك الأسعد أقشعر بدنه ولم يعلم ما خبرهم ثم أن الشيخ قال لهؤلاء الجماعة يا مشايخ النار ما أبركه من نهار ثم نادى قائلاً يا غضبان فخرج له عبد أسود بوجه أعبس وأنف أفطس وقامة مائلة وصورة هائلة ثم أشار إلى العبد فشد وثاق الأسعد وبعد ذلك قال الشيخ أنزل به إلى القاعة التي تحت الأرض وأتركه هناك وقل للجارية الفلانية تتولى عذابه بالليل والنهار فأخذه العبد وأنزله تلك القاعة وسلمه إلى الجارية فصارت تتولى عذابه وتعطيه رغيفاً واحداً في أول النهار ورغيفاً واحداً في أول الليل وكوز ماء مالح في الغداة ومثله في العشي ثم أن المشايخ قالوا لبعضهم لما يأتي أو أن عيد النار نذبحه على الجبل ونتقرب به إلى النار ثم أن الجارية نزلت إليه وضربته ضرباً وجيعاً حتى سالت الدماء من أعضاءه وغشي عليه ثم حطت عند رأسه رغيفاً وكوز ماء مالح وراحت وخلته فاستفاق في نصف الليل فوجد نفسه مقيداً وقد آلمه الضرب فبكي بكاء شديداً وتذكر ما كان فيه من العز والسعادة والملك والسيادة وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٦٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الأسعد لما رأى نفسه مقيداً وقد ألمه الضرب تذكر ما كان فيه من العز والسعادة والملك السيادة فبكى وصعد الزفرات وأنشد هذه الأبيات:

قفوا برسـ ـوم الـ ـدار واسـ ـتخبروا عنـ ـا	ولا تحسـ ـبونا فـ ـي الـ ـديار كمـ ـا كنـ ـا
لقـ ـد فـ ـرق الـ ـدهر المشـ ـتت شـ ـملنا	ومـ ـا تشـ ـتفي أكبـ ـاد حسـ ـادنا منـ ـا
تولـ ـ ـت عـ ـ ـذابي بالسـ ـ ـياط لئيـ ـ ـة	وقـ ـد ملئـ ـت منهـ ـا جـ ـوانحي ضـ ـغنا
عسـ ـ ـى ولعـ ـ ـل الله يجمـ ـع شـ ـ ـملنا	ويـ ـ ـدفعوا بالتنكيـ ـ ـل أعـ ـ ـداءنا عنـ ـ ـا

فلما فرغ الأسعد من شعره مد يده عند رأسه فوجد رغيفاً وكوز ماء مالح فأكل قليلاً ليسد رمقه وشرب قليلاً من الماء ولم يزل ساهراً إلى الصباح ومن كثرة البق والقمل فلما أصبح الصباح نزلت إليه الجارية ونزعت عنه ثيابه وكانت قد غمرت بالدم والتصقت بجلده وهو مقيد في الحديد بعبد عن الأحباب فتذكر أخاه والعز الذي كان فيه وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٦١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الأسعد تذكر أخاه والعز الذي كان فيه فحـ ـنّ وأنّ واشـ ـتكى وسـ ـكب العبرات وأنشد هذه الأبيات:

يـ ـا دهـ ـر مهلاك ـم تجـ ـور وتعتـ ـدي	ولكـ ـ ـم بأحبـ ـ ـابي تـ ـ ـروح وتغتـ ـ ـدي
مـ ـ ـا آن أن ترثـ ـ ـى لطـ ـ ـول تشـ ـ ـتتي	وتـ ـ ـرق يـ ـ ـا مـ ـ ـن قلبـ ـ ـه كالجامـ ـ ـد
وأسـ ـأت أحبـ ـابي بمـ ـا أشـ ـمت بـ ـي	كـ ـل العـ ـداة بمـ ـا صـ ـنعت مـ ـن الـ ـردى
وقـ ـد اشـ ـتفى قلـ ـب العـ ـدو بمـ ـا رأى	مـ ـ ـن غربتـ ـ ـي وسـ ـ ـبابتي وتوحـ ـ ـدي
لـ ـم يكفـ ـه مـ ـا حـ ـل بـ ـي مـ ـن كربـ ـة	وفـ ـ ـراق أحبـ ـ ـابي وطـ ـ ـرف أرمـ ـ ـدي
حتى بليت بضـ ـيق سـ ـجن لـ ـيس لـ ـي	فيـ ـ ـه أنـ ـ ـيس غيـ ـ ـر عضـ ـ ـى باليـ ـ ـد
ومـ ـ ـذامع تهمـ ـ ـي كفـ ـ ـيض سـ ـ ـحائب	وغليـ ـ ـل شـ ـ ـوق نـ ـ ـاره لـ ـ ـم تخمـ ـ ـد
وكآبـ ـ ـ ـة وصـ ـ ـ ـبابة وتـ ـ ـ ـذكر	وتحسـ ـ ـ ـ ـر وتـ ـ ـ ـنفس وتنهـ ـ ـ ـ ـد
شـ ـ ـق أكابـ ـ ـده وحـ ـ ـزن متلـ ـ ـف	ووقعـ ـ ـت فـ ـ ـي وجـ ـ ـد مقـ ـ ـيم مقعـ ـ ـد

فلما فرغ من نظمه ونثره حنّ وبكى وأنّ واشتكى وتذكر ما كان فيه وما حصل له من فراق أخيه هذا ما كان من أمره (وأما) ما كان من أمر أخيه الأمجد فإنه مكث ينتظر أخاه الأسعد إلى نصف النهار فلم يعـ ـد إليه فخفق فؤاده واشتد به ألم الفراق وأفاض دمعه المهراق وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٦٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الأمجد لما مكث ينتظر أخاه الأسعد إلى نصف النهار فلم يعـ ـد إليـ ـه خفق فؤاده واشتد به ألم الفراق وأفاض دمعه المهراق وصاح واحسرتاه ما كان أخوفني من الفراق ثم نـ ـزل من فوق الجبل ودمعه سايل على خديه ودخل المدينة ولم يزل ماشياً فيها حتى وصل إلى السوق وسأل الناس عن اسم المدينة وعن أهلها فقالوا له هذه تسمى مدينة المجوس وأهلها يعبدون النار دون الملك الجبار ثم سأل عن مدينة الآبنوس فقالوا له أن المسافة التي بيننا وبينها من البر سنة ومن البحر ستة أشهر وملكها يقال لـ ـه أرمانوس وقد صاهر اليوم ملكاً وجعله مكانه وذلك الملك يقال له قمر الزمان وهو صاحب عـ ـدل وإحسـ ـان وجود وأمان فلما سمع الأمجد ذكر أبيه حنّ وبكى وأنّ واشتكى وصار لا يعلم أين يتوجه وقد اشـ ـترى معـ ـه شيئاً للأكل وذهب إلى موضع يتوارى فيه ثم قعد وأراد أن يأكل فتذكر أخاه فبكى ولم يأكل إلا قدر سد الرمق ثم قام ومشى في المدينة ليعلم خبر أخيه فوجد رجلاً مسلماً خياطاً في دكان فجلس عنده وحكى له قصته فقال له الخياط أن كان وقع في يد أحد من المجوس فما بقيت تراه إلا بعسر ولعل الله يجمع بينك وبينه ثم قال هل لك يا أخي أن تنزل عندي قال نعم ففرح الخياط بذلك وأقام عنده أياماً وهو يسليه ويصبره ويعلمه الخياطـ ـة حتى صار ماهراً ثم خرج يوماً إلى شاطيء البحر وغسل أثوابه ودخل الحمام ولبس ثياباً نظيفة ثم خرج من

الحمام يتفرج في المدينة فصادف في طريقه أمرأة ذات حسن وجمال وقدر واعتدال ليس لها في الحسن مثال فلما رأته رفعت القناع عن وجهها وغمزته بحواجبها وعيونها وغزلته باللحظات وقد لعبت به أيدي الصبابات فأشار لها وأنشد هذه الأبيات:

ورد الخ ـدود ودونـ ـه شـ ـوك القنـ ـا فمـ ـن المحـ ـدث نفسـ ـه أن يجتنـ ـي
لا تمـ ـدد الأيـ ـدي إليـ ـه فطالمـ ـا شـ ـنوا الحـ ـروب لأن مـ ـددنا الأعينـ ـا
قـ ـل للتـ ـي ظلمـ ـت وكانـ ـت فتنـ ـة ولـ ـو أنهـ ـا عـ ـدلت لكانـ ـت افتنـ ـا
ليـ ـزاد وجهـ ـك بـ ـالتبرقع ضـ ـلة وأرى السـ ـفور لمثـ ـل حسـ ـنك أصـ ـونا
كالشـ ـمس يمتنـ ـع اجـ ـتلاءك وجههـ ـا وأن اكتسـ ـت برقيـ ـق غـ ـيم أسـ ـكنا
غدت النحيلة فـ ـي حمـ ـى مـ ـن نحلهـ ـا فسـ ـلوا حمـ ـاة الحـ ـي عـ ـم تصـ ـدنا
إن كـ ـان قتلـ ـى قصـ ـدهم فليرفعـ ـوا تلـ ـك الضـ ـغائن وليخلـ ـوا بيننـ ـا
مـ ـا هـ ـم بـ ـأعظم فتكـ ـة لـ ـو بـ ـارزوا من طـ ـرف ذات الخـ ـال إذا بـ ـرزت لنـ ـا

فلما سمعت من الأمجد هذا الشعر تنهدت بصاعد الزفرات وأشارت إليه وأنشدت هذه الأبيات:

أنت الذي سلك الأعـ ـراض لسـ ـت أنـ ـا جـ ـد بالوصـ ـال إذا كـ ـان الوفـ ـاء آبـ ـى
يا فـ ـالق الصـ ـبح مـ ـن لآلـ ـيء غرتـ ـه وجاعـ ـل الليـ ـل مـ ـن أصـ ـداغه سـ ـكنا
بصـ ـورة الـ ـوثن اسـ ـتعبدتني وبهـ ـا فتنتنـ ـي وقـ ـديماً هجـ ـت لـ ـي فتنـ ـا
لأغر وإن أحرقت نـ ـار الهـ ـوى كبـ ـدي فالنـ ـار حـ ـق علـ ـى مـ ـن يعبـ ـد الوثنـ ـا
تبيـ ـ ـع مثلـ ـ ـي مجانـ ـ ـاً إلا أن إن كـ ـان لابـ ـد مـ ـن يسـ ـع فخـ ـذ ثمنـ ـا

فلما سمع الأمجد منها هذا الكلام قال لها أتجيئين عندي أو أجيء عندك فأطرقت برأسها حيـ ـاء إلـ ـى الأرض وتلت قوله تعالى الرجال قوامون على النساء بما فضل بعضهم على بعض ففهم الأمجـ ـد أشـ ـارتها. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٦٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الأمجد فهم إشارة المرأة وعرف أنها تريد الذهاب معه حيث يـ ـذهب فالتزم لما بالمكان وقد استحى أن يروح بها عند الخياط الذي هو عنده فمشى قدامها ومشت خلفه ولـ ـم يـ ـزل ماشياً بها من زقاق إلى زقاق ومن موضع إلى موضع حتى تعبت الصبية فقالت له يا سيدي أين دارك فقـ ـال لها قدام وما بقى عليها إلا شيء يسير ثم انعطف بها في زقاق مليح ولم ماشياً فيه وهي خلفه حتى وصل إلى آخره فوجده غير نافذ فقال لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ثم التفت بعينه فرأى في صدر الزقاق بابـ ـاً كبيراً بمصطبتين ولكنه مغلق فجلس الأمجد على مصطبة وجلست المرأة على مصطبة ثم قالت له يا سـ ـيدي ما الذي تنتظره فأطرق برأسه إلى الأرض ملياً ثم رفع رأسه وقال لها انتظر مملوكي فإن المفتاح معه وكنت قد قلت له هيء لنا المأكول والمشروب وصحبته المدام حتى أخرج من الحمام ثم قال في نفسه ربما يطـ ـول عليها المطال فتزوج إلى حال سبيلها وتخليني في هذا المكان فلما طال عليها الوقت قالت له يـ ـا سـ ـيدي أن المملوك قد أبطأ علينا ونحن قاعدون في الزقاق ثم قامت الصبية إلى الضبة بحجر فقال لها الأمجد لا تعجلي وأصبري حتى يجيء المملوك فلم تسمع كلامه ثم ضربت الضبة بالحجر فقسمتها نصفين فانفتح الباب فقـ ـال

لها وأي شيء خطر لك حتى فعلت هكذا فقالت له يا سيدي أي شيء جرى أما هو بيتك فقال نعم ولكن لا يحتاج إلى كسر الضبة ثم أن الصبية دخلت البيت فصار الأمجد متحيراً في نفسه خوفاً من أصحاب المنزل ولم يدر ماذا يصنع فقالت له الصبية لم لا تدخل يا سيدي يا نور عيني وحشاشة قلبي قال لها سمعاً وطاعة ولكن قد أبطأ على المملوك وما أدري هل فعل شيئاً مما أمرته به أم لا ثم أنه دخل معها وهو في غاية ما يكون من الهم خوفاً من أصحاب المنزل فقالت يا سيدي مالك واقفاً هكذا ثم شهقت شهقة وأعطت الأمجد قبلة مثل كسر الجوز وقالت يا سيدي أن كنت مواعد غيري فأنا أشد ظهري وأخدمها فضحك الأمجد عن قلب مملوء بالغيظ ثم طلع وجلس وهو ينفخ وقال في نفسه يا قبلة الشوم إذا جاء صاحب المنزل فبينما هو كذلك وإذا بصاحب الدار قد جاء وكان مملوكاً من أكابر المدينة لأنه كان أمير ياخور عند الملك وقد جعل تلك القاعة معدة لحظة لينشرح فيها صدره ويختلي فيها بمن يريد وكان في ذلك اليوم قد أرسل إلى معشوق يجيء له وجهز له ذلك المكان وكان اسم ذلك المملوك بهادر وكان سخي اليد صاحب جود وإحسان وصدقات وامتنان فلما وصل إلى قريب القاعة وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٦٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن بهادر صاحب القاعة لما وصل إلى قريب القاعة وجد الباب مفتوحاً فدخل قليلاً قليلاً وطل برأسه فنظر الأمجد والصبية وقدامهما طبق فاكهة وآلة المدام وفي ذلك الوقت كان الأمجد ماسك القدح وعينه إلى الباب فلما صارت عينه في عين صاحب الدار أصفر لونه وارتعدت فرائصه فلما رآه بهادر وقد اصفر لونه وتغير حاله غمزه بأصبعه على فمه يعني أسكت وتعالى عندي فحط الأمجد الكاس من يده وقام إليه فقالت الصبية إلى أين فحرك رأسه وأشار لها أنه يريق الماء ثم خرج إلى الدهليز حافياً فلما رأى بهادر علم أنه صاحب الدار فأسرع إليه وقبل يديه ثم قال له بالله عليك يا سيدي قبل أن تؤذيني أسمع مني مقالي ثم حدثه بحديثه من أوله إلى آخره وأخبره بسبب خروجه من أرضه ومملكته وأنه ما دخل القاعة باختياره ولكن الصبية هي التي كسرت الضبة وفتحت الباب وفعلت هذه الفعال فلما سمع بهادر كلام الأمجد وعرف أنه ابن ملك حنّ عليه ورحمه ثم قال اسمع يا أمجد كلامي وأطعني وأنا أتكفل لك بالأمان مما تخاف وأن خالفتني قتلتك فقال الأمجد آمرني بما شئت فأنا لا أخالفك أبداً لأنني عتيق مروءتك فقال له بهادر أدخل هذه القاعة واجلس في المكان الذي كنت فيه واطمئن وها أنا داخل إليك وأسمي بهادر فإذا دخلت إليك فاشتمني وأنهرني وقل لي ما سبب تأخرك إلى هذا الوقت ولا تقبل لي عذراً بل قم أضربني وأن أشفقت عليّ أعدمتك حياتك فأدخل وانبسط ومهما طلبته مني تجده حاضراً بين يديك في الوقت وبت كما تحب في هذه الليلة وفي غد توجه إلى حال سبيلك أكراماً لغربتك فأني أحب الغريب وواجب على أكرامه فقبل الأمجد يده ودخل وقد اكتسى وجهه حمرة وبياضاً فأول ما دخل قال للصبية يا سيدتي آنست موضعك وهذه ليلة مباركة فقالت له الصبية أن هذا عجيب منك حيث بسطت لي الأنس فقال الأمجد والله يا سيدتي أني كنت أعتقد أن مملوكي بهادر أخذ لي عقود جواهر كل عقد يساوي عشرة آلاف دينار ثم خرجت الآن وأنا متفكر في ذلك ففتشت عليها فوجدتها في موضعها ولم أدر ما سبب تأخر المملوك إلى هذا الوقت ولابد لي من عقوبته فاستراحت الصبية بكلام الأمجد ولعبا وشربا وأنشرحا ولم يزالا في حظ إلى قريب المغرب ثم

دخل عليهما بهادر وقد غير لبسه وشد وسطه وجعل في رجليه زرنوباً على عادة المماليك ثم سلم وقبل الأرض وكتف يديه وأطرق برأسه إلى الأرض كالمعترف بذنبه فنظر إليه الأمجد بعين الغضب وقال له ما سبب تأخرك يا أنحس المماليك فقال له يا سيدي أني اشتغلت بغسل أثوابي وما علمت أنك ههنا فإن ميعادي وميعادك العشاء لا بالنهار فصرخ عليه الأمجد وقال له تكذب يا أخس المماليك والله لابد من ضربك ثم قام الأمجد وسطح بهادر على الأرض وأخذ عصا وضربه برفق فقامت الصبية وخلصت العصا من يده ونزلت بها على بهادر بضرب وجيع حتى جرت دموعه واستغاث وصار يكز على أسنانه والأمجد يصيح على الصبية لا تفعلي هكذا وهي تقول له دعني أشفي غيظي منه ثم أن الأمجد خطف العصا من يدها ودفعها فقام بهادر ومسح دموعه عن وجهه ووقف في خدمته ساعة ثم مسح القاعة وأوقد القناديل وصارت الصبية كلما دخل بهادر وخرج تشتمه وتلعنه والأمجد يغضب عليها ويقول لها بحق الله تعالى أن تتركي مملوكي فإنه غير معود بهذا ومازالا يأكلان ويشربان وبهادر في خدمتهما إلى نصف الليل حتى تعب من الخدمة والضرب فنام في وسط القاعة وشخر ونخر فسكرت الصبية وقالت للامجد قم خذ هذا السيف المعاق واضرب رقبة هذا المملوك وأن لم تفعل ذلك عملت على إزهاق روحك فقال الأمجد وأي شيء خطر لك أن أقتل مملوكي قالت لا يكمل الحظ إلا بقتله وأن لم تقم قمت أنا وقتلته فقال الأمجد بحق الله عليك أن لا تفعلي فقالت لابد من هذا وأخذت السيف وجردته وهمت بقتله فقال الأمجد في نفسه هذا رجل عمل معنا خيراً وسترنا وأحسن إلينا وجعل نفسه مملوكي كيف تجازيه بالقتل لا كان ذلك أبداً ثم قال للصبية إن لم يكن بد من قتل مملوكي فأنا أحق بقتله منك ثم أخذ السيف من يدها ورفع يده وضرب الصبية في عنقها فأطاح رأسها عن جثتها فوقعت رأسها على صاحب الدار فاستيقظ وجلس وفتح عينيه فوجد الأمجد واقفاً والسيف في يده مخضباً بالدم ثم نظر إلى الصبية فوجدها مقتولة فاستخبره عن أمرها فأعاد عليه حديثها وقال له أنها أبت إلا أن تقتلك وهذا جزاؤها فقام بهادر وقبل رأس الأمجد وقال له يا سيدي ليتك عفوت عنها وما بقي في الأمر إلا أخراجها في هذا الوقت قبل الصباح ثم أن بهادر شد وسطه وأخذ الصبية ولفها في عباءة ووضعها في فرد وحملها وقال للأمجد أنت غريب ولا تعرف أحداً فأجلس في مكانك وانتظرني عند طلوع الشمس فإن عدت إليك لابد أن أفعل معك خيراً كثيراً واجتهد في كشف خبر أخيك وإن طلعت الشمس ولم أعد إليك فاعلم أنه قد قضى علي والسلام عليك وهذه الدار لك بما فيها من الأموال والقماش ثم أنه حمل الفرد وخرج من القاعة وشق بها الأسواق وقصد بها طريق البحر المالح ليرميها فيه فلما صار قريباً من البحر التفت فرأى الوالي والمقدمين قد أحاطوا به ولما عرفوه تعجبوا وفتحوا الفرد فوجدوا فيه قتيلة فقبضوا عليه وبيتوه في الحديد إلى الصباح ثم طلعوا به هو والفرد إلى الملك واعلموه بالخبر فلما رأى الملك غضب غضباً شديداً وقال له ويلك أنك تفعل هكذا دائماً فتقتل القتلى وترميهم في البحر وتأخذ جميع ما لهم وكم فعلت قبل ذكل من قتل فأطرق بهادر برأسه وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٦٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن بهادر أطرق برأسه إلى الأرض قدام الملك فصرخ الملك عليه وقال له ويلك من قتل هذه الصبية فقال له يا سيدي أنا قتلتها ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فغضب الملك

وأمر بشنقه فنزل به السياف حين أمره الملك وأمر الوالي المنادي ينادي في أزقة المدينة بالفرجة على بهادر أمير يا خور الملك ودار به في الأزقة والأسواق هذا ما كان من أمر بهادر (وأما) ما كان من أم ر الأمج د فإنه لما طلع عليه النهار وارتفعت الشمس ولم يعد إليه بهادر قال لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظ يم أي شيء جرى له فبينما هو يتفكر وإذا بالمنادي ينادي بالفرجة على بهادر فأنهم يشنقونه في وسط النه ار فلم ا سمع الأ مجد ذلك بكى وقال أنا لله وأنا إليه راجعون قد أراد هلاك نفسه من أجلي وأنا ال ذي قتلته ا والله لا كان هذا أبداً ثم خرج من القاعة وقفلها وشق في وسط المدينة حتى إلى أتى إلى بهادر ووقف ق دام ال والي وقال له ياسيدي لا تقتل بهادر فإنه بريء والله ما قتلها إلا أنا فلما سمع الوالي كلامه أخذه هو وبهادر وطل ع بهما إلى الملك وأعلمه بما سمعه من الأمجد فنظر الملك إلى الأمجد وقال له أنت قتلت الصبية قال نعم فق ال له الملك أحك لي ما سبب قتلك أياها وأصدقني قال له أيها الملك أنه جرى لي حديث عجيب وأمر غريب لو كتب بالأبر على آماق البصر لكان عبرة لمن اعتبر ثم حكى للملك حديثه وأخبره بما جرى له ولأخي ه م ن المبتدأ إلى المنتهى فتعجب الملك من ذلك غاية العجب وقال أني قد علمت أنك معذور ولكن يا فتى هل لك أن تكون عندي وزيراً فقال له سمعاً وطاعة فخلع عليه الملك وعلى بهادر خلعاً سنية وأعطاه داراً حسنة وخدماً وحشماً وأنعم عليه بجميع ما يحتاج إليه ورتب له الرواتب والجرايات وأمره أن يبحث ع ن أخي ه الأس عد فجلس الأ محد في رتبة الوزارة وحكم وعدل وولى وعزل وأخذ وأعطى وارسل المنادى في أزق ة المدين ة ينادي على أخيه الأسعد فمكث مدة أيام ينادي في الشوارع والأسواق فلم يسمع له بخبر ولم يقع له على أث ر هذا ما كان من أمر الأمجد (وأما) ما كان من أمر الأسعد فإن المجوس ما زالوا يعاقبونه بالليل والنهار وف ي العشى والأبكار مدة سنة كاملة حتى قرب عيد المجوس فتجهز بهرام المجوسي إلى السفر وهيأ ل ه مركب اً. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٦٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن بهرام المجوسي جهز مركباً للسفر ثم حط الأسعد في صندوق وأقفل ه عليه ونقله إلى المركب وسافر وأولم يزالوا مسافرين أياماً وليالي وكل يومين يخرج الأسعد ويطعمه قليلاً من الزاد ويسقيه قليلاً من الماء إلى أن قربوا من جبل النار فخرج عليهم ريح وهاج بهم البح ر حت ى تاه ت المركب عن الطريق وسلكوا طريقاً غير طريقهم ووصلوا إلى مدينة مبنية على شاطيء البحر وله ا قلع ة بشبابيك تطل على البحر والحاكمة على تلك المدينة امرأة يقال لها الملكة مرجانه فقال الريس لبهرام يا سيدي أننا تهنا عن الطريق ولابد لنا من دخول هذه المدينة لأجل الراحة وبعد ذلك يفعل الله ما يشاء فقال له به رام نعم ما رأيت والذي تراه افعله فقال له الريس إذا أرسلت لنا المسكة تسألنا ماذا يكون جوابنا لها فقال له بهرام أنا عندي هذا المسلم الذي معنا فنلبسه لبس المماليك ونخرجه معنا إذا رأته الملكة تظن أنه مملوك فأقول له ا أني جلاب مماليك أبيع واشتري فيهم وقد كان عندي مماليك كثيرة قبعتهم ولم يبق غير هذا المملوك فقال ل ه الريس هذا كلام مليح ثم أنهم وصلوا إلى المدينة وأرخوا القلوع ودقوا المراسي ووقف المراكب وإذا بالملكة مرجانة نزلت إليهم ومعها عسكرها ووقفت على المركب ونادت على الريس فطلع عندها وقبل الأرض ب ين يديها فقالت له أي شيء في مركبك هذه ومن معك فقال لها يا ملكة الزمان معي رجل تاجر يبي ع المماليـ ك

فقالت علي به وإذا ببهرام طلع ومعه الأسعد ماش وراءه في صفة مملوك فلما وصل إليها بهرام قبل الأرض بين يديها فقالت له ما شأنك فقال لها أنا تاجر رقيق فنظرت إلى الأسعد وقد ظنت أنه مملوك فقالت لـ ـه مـ ـا اسمك فخنقه البكاء وقال لها اسمي الأسعد فحن قلبها عليه فقالت أتعرف الكتابة قال نعـ ـم فناولتـ ـه دواة وقلمـ ـا وقرطاساً وقالت له اكتب شيئاً حتى أراه فكتب هذين البيتين:

مـ ـا حيلـ ـة العبـ ـد والأقـ ـدار جاريـ ـة   عليـ ـه فـ ـي كـ ـل حـ ـال أيهـ ـا الرائـ ـي
القـ ـاه فـ ـي اليـ ـم مكتوفـ ـاً وقـ ـال لـ ـه   أيـ ـاك أيـ ـاك أن تبتـ ـل بالمـ ـاء

فلما رأت الورقة رحمته ثم قالت لبهرام يعني هذا المملوك فقال لها يا سيدتي لا يمكنني بيعـ ـه لأنـ ـي بعت جميع مماليكي ولم يبق عندي غير هذا فقالت الملكة مرجانة لابد من أخذه منك أما ببيع وأما بهبة فقـ ـال لها لا أبيعه ولا أهبه فقبضت على الأسعد وأخذته وطلعت به القلعة وأرسلت تقول له أن لم تقلع في هذه الليلة عن بلدنا أخذت جميع مالك وكسرت مركبك فلما وصلت إليه الرسالة أغتم غماً شديداً وقال هذه سفرة غيـ ـر محمودة ثم قام وتجهز وأخذ جميع ما يريده وانتظر الليل ليسافر فيه وقال للبحرية خذوا أهبتكم واملؤا قـ ـربكم من الماء وأقلعوا بنا في آخر الليل فصار البحرية يقضون أشغالهم هذا ما كان من أمرهم (وأما) ما كان مـ ـن أمر الملكة مرجانه فإنها أخذت الأسعد ودخلت به القلعة وفتحت الشبابيك المطلة على البحر وأمرت الجواري أن يقدمن لهم من الطعام فقدمن لهم الطعام فأكلا ثم أمرتهن أن يقدمن المدام وأدرك شهرزاد الصـ ـباح فسـ ـكتت عـ ـن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٦٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملكة مرجانة أمرت الجواري أن يقدمن المدام فقد منه فشربت مـ ـع الأسعد وألقى الله سبحانه وتعالى محبة الأسعد في قلبها وصارت تملأ القدح وتسقيه حتى غلب عقله فقام يريد قضاء حاجة ونزل من القاعة فرأى باباً مفتوحاً فدخل فيه وتمشى فانتهى به السير إلى بستان عظيم فيه جميع الفواكه والأزهار فجلست تحت شجرة وقضى حاجته وقام إلى الفسقية التي في البستان فاستلقى علـ ـى قفـ ـاه ولباسه محلول فضربه الهواء فنام ودخل عليه الليل هذا ما كان من أمره (وأما) ما كان من أمر بهرام فإنـ ـه لما دخل عليه الليل صاح على بحرية المركب وقال لهم حلوا قلوعكم وسافروا بنا فقالوا له سـ ـمعاً وطاعـ ـة ولكن أصبر علينا حتى نملأ قربنا ونحل ثم طلع البحرية بالقرب وداروا حول القلعة فلم يجدوا غير حيطـ ـان البستان فتعلقوا بها ونزلوا البستان وتتبعوا أثر الأقدام الموصلة إلى الفسقية فلما وصلوا وجدوا الأسعد مستلقياً على قفاه فعرفوه وفرحوا به وحملوه بعد أن ملؤوا قربهم ونطوا من الحائط وأتوا به مسرعين إلـ ـى بهـ ـرام المجوسي وقالوا له أبشر بحصول المراد وشفاه الأكباد فقد طبل طبلك وزمر زمرك فإن أسيرك الذي أخذتـ ـه الملكة مرجانه منك غصباً قد وجدناه وآتينا به معنا ثم رموه قدامه فلما نظره بهرام طار قلبه من الفرح واتسع صدره وانشرح ثم خلع عليهم وأمرهم أن يحلوا القلوع بسرعة فحلوا قلوعهم وسافروا قاصدين جبل النار ولم يزالوا مسافرين إلى الصباح هذا ما كان من أمرهم (وأما) ما كان من أمر الملكة مرجانة فإنها بعـ ـد نـ ـزول الأسعد من عندها مكثت تنتظره ساعة فلم يعد إليها فقامت وفتشت عليه فما وجدته فأوقدت الشموع وأمـ ـرت الجواري أن يفتشن عليه ثم نزلت هي بنفسها فرأت البستان مفتوحاً فعلمت أنه دخله فدخلت البستان فوجـ ـدت

نعله بجانب الفسقية فصارت تفتش عليه في جميع البستان فلم تر له خبر ولم تزل تفتش عليه في جوانب البستان إلى الصباح ثم سألت عن المركب فقالوا لها قد سافرت في ثلث الليل فعلمت أنهم أخذوه معهم فصعب عليها واغتاظت غيظاً شديداً ثم أمرت بتجهيز عشر مراكب كبار في الوقت وتجهزت للحرب ونزلت في مركب من العشر مراكب ونزل معها عسكرها متهيئين بالعدة الفاخرة وآلات الحرب وحلوا القلوع وقالت للرؤساء متى لحقتم مركب المجوسي فلكم عندي الخلع والأموال وأن لم تلحقوها قتلتكم عن آخركم فحصل للبحرية خوف عظيم ثم سافروا بالمراكب ذلك النهار وتلك الليلة وثاني يوم وثالث يوم وفي اليوم الرابع لاحت لهم مركب بهرام ولم ينقض النهار حتى أحاطت المراكب بمركب المجوسي وكان بهرام في ذلك الوقت قد أخرج الأسعد وضربه وصار يعاقبه والأسعد يستغيث ويستجير فلم يجد مغيثاً ولا مجيراً من الخلق وقد آلمه الضرب الشديد فبينما هو يعاقبه إذ لاحت منه نظرة فوجد المراكب قد أحاطت بمركبه دارت حولها كما يدور بياض العين بسوادها فتيقن أنه هالك لا محالة فتحسر بهرام وقال ويلك يا أسعد هذا كله من تحت رأسك ثم أخذه من يده وأمر البحرية أن يرموه في البحر وقال والله لأقتلنك قبل موتي فاحتملته البحرية من يديه ورجليه ورموه في وسط البحر فأذن الله سبحانه وتعالى لما يريد من سلامته وبقية أجله أنه غطس ثم طلع وخبط بيديه ورجليه إلى أن سهل الله عليه آتاه الفرج وضربه الموج وقذفه بعيداً عن مركب المجوسي ووصل إلى البر فطلع وهو لا يصدق بالنجاة ولما صار في البر قلع أثوابه وعصرها ونشرها وقعد عرياناً يبكي على ما جرى له من المصائب والأسر ثم انشد هذين البيتين:

إلهي قل صبري واحتيالي	وضاق الصدر وانصرفت حبالي
إلى من يشتكي المسكين إلا	إلى مولاه يا مولى الموالي

فلما فرغ من شعره قام ولبس ثيابه ولم يعلم أين يروح ولا أين يجيء فصار يأكل من نبات الأرض وفواكه الأشجار ويشرب من ماء الأنهار وسافر بالليل والنهار حتى أشرف على مدينة ففرح وأسرع في مشيه نحو المدينة فلما وصل إليها أدركه المساء وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٦٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الأسعد لما وصل إلى المدينة أدركه المساء وقد قفل بابها وكانت المدينة هي التي كان أسيراً فيها وأخوه الأمجد وزير ملكها فلما رآها الأسعد مقفلة رجع إلى جهة المقابر فلما وصل إلى المقابر وجد تربة بلا باب فدخلها ونام فيها فحط وجهه في عنه وكان بهرام المجوسي لما وصلت إليه الملكة مرجانة بالمراكب كسرها بمكره وسحره ورجع سالماً نحو مدينته وسار من وقته وساعته وهو فرحان فلما جاز على المقابر طلع من المركب بالقضاء والقدر ومشى بين المقابر فرأى التربة التي فيها الأسعد مفتوحة فتعجب وقال لابد أن أنظر في هذه التربة فلما نظر فيها رأى الأسعد وهو نائم ورأسه في عبه فنظر في وجهه فعرفه فقال له هل أنت تعيش إلى الآن ثم أخذه وذهب به إلى بيته وكان له في بيته طابق تحت الأرض معد لعذاب المسلمين وكان له بنت تسمى بستان فوضع في رجلي الأسعد قيداً ثقيلاً وأنزله في ذلك الطابق ووكل بنته بتعذيبه ليلاً ونهاراً إلى أن يموت ثم أنه ضربه الضرب الوجيع وأقفل عليه الطابق وأعطى المفاتيح لبنته ثم أن بنته بستان نزلت لتضربه فوجدته شاباً ظريف الشمائل حلو المنظر مقوس

الحاجبين كحيل المقتلين فوقعت محبته في قلبها فقالت له ما اسمك قال لها اسمي الأسعد فقالت له سعدت وسعدتك أيامك أنت ما تستاهل العذاب وقد علمت أنك مظلوم وصارت تؤانسه بالكلام وفكت قيوده ثم أنها سألته عن دين الإسلام فأخبرها أنه هو الدين الحق القويم وأن سيدنا محمد صاحب المعجزات الباهرة والآيات الظاهرة وأن النار تضر ولا تنفع وعرفها قواعد الإسلام فأذعنت إليه ودخل حب الإيمان في قلبها ومزج الله محبة الأسعد بفؤادها فنطقت بالشهادتين وصارت من أهل السعادة وصارت تطعمه وتسقيه وتتحدث معه وتصلي هي وهو وتصنع له المساليق بالدجاج حتى اشتد وزال ما به من الأمراض ورجع إلى ما كان عليه من الصحة ثم أن بنت بهرام خرجت من عند الأسعد ووقفت على الباب وإذ بالمنادي ينادي ويقول كل من كان عنده شاب مليح صفته كذا وكذا وأظهره فله جميع ما طلب من الأموال ومن كان عنده وأنكره فإنه يشنق على باب داره وينهب ما له ويهدر دمه وكان الأسعد قد أخبر بستان بنت بهرام بجميع ما جرى له فلما سمعت ذلك عرفت أنه هو المطلوب فدخلت عليه وأخبرته بالخبر فخرج وتوجه إلى دار الوزير فلما رأى الوزير قال والله أن هذا الوزير هو أخي الأمجد ثم طلع وطلعت الصبية وراءه إلى القصر فرأى أخاه الأمجد فألقى نفسه عليه ثم أن الأمجد عرفه فألقى نفسه عليه وتعانقا واحتاطت بهما المماليك وغشي على الأسعد والأمجد ساعة فلما أفاقا من غشيتهما أخذه الأمجد وطلع به إلى السلطان وأخبره بقصته فأمر السلطان بنهب بيت بهرام وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٦٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن السلطان أمر الأمجد بنهب دار بهرام فأرسل الوزير جماعة لذلك فتوجهوا إلى بيت بهرام ونهبوه وطلعوا بابنته إلى الوزير فأكرمها وحدث الأسعد أخاه بكل ما جرى له من العذاب وما عملت معه بنت بهرام من الأحسان فزاد الأمجد في أكرامها ثم حكى الأمجد للأسعد جميع ما جرى له مع الصبية وكيف سلم من الشنق وقد صار وزيراً وصار يشكو أحدهما للآخر ما وجد من فرقة أخيه ثم أن السلطان أحضر المجوسي وأمر بضرب عنقه فقال بهرام أيها الملك الأعظم هل صممت على قتلي قال نعم فقال بهرام أصبر علي أيها الملك قليلاً ثم أطرق برأسه إلى الأرض وبعد ذلك رفع رأسه وتشهد وأسلم على يد السلطان ففرحوا بإسلامه ثم حكى الأمجد والأسعد جميع ما جرى لهما فقال لهما يا سيدي تجهزا للسفر وأنا أسافر بكما ففرحا بذلك وبإسلامه وبكيا بكاء شديداً فقال لهما بهرام يا سيدي لا تبكيا فمصيركما تجتمعان كما اجتمع نعمة ونعم فقالا له وما جرى لنعمة ونعم.

حكاية نعم ونعمة

قال بهرام ذكرو الله أعلم أنه كان بمدينة الكوفة رجل من وجهاء أهلها يقال له الربيع بن حاتم وكان كثير المال مرفه الحال وكان قد رزق ولداً فسماه نعمة الله فبينما هو ذات يوم بدكة النخاسين إذ نظر جارية تعرض للبيع وعلى يدها وصيفة صغيرة بديعة في الحسن والجمال فأشار الربيع إلى النخاس وقال له بكم هذه الجارية وأبتها فقال بخمسين دينار فقال الربيع اكتب العهد وخذ المال وسلمه لمولاها ثم دفع للنخاس ثمن الجارية وأعطاه دلالته وتسلم لجارية وابنتها ومضى بهما إلى بيته فلما نظرت ابنة عمه إلى الجارية قالت له يا ابن العم ما هذه الجارية قال اشتريتها رغبة في هذه الصغيرة التي على يديها واعلمي أنها إذا كبرت ما

يكون في بلاد العرب والعجم مثلها ولا أجمل منها فقالت لها ابنة عمه ما اسمك يا جارية فقالت يـ ا سـ يدتي اسمي توفيق قالت وما اسم ابنتك قالت سعد قالت صدقت لقد سعدت وسعد من اشتراك ثم قالت يا ابن عمـ ي ما تسميها قال ما تختارينه أنت قالت نسميها نعم قال الربيع لا بأس بذلك ثم أن الصغيرة نعم تربت مع نعمـ ة بن الربيع في مهد واحد إلى حين بلغا من العمر عشر سنين وكان كل شخص منهما أحسـ ن مـ ن صـ احبه وصار الغلام يقول لها يا أختي وهي تقول له يا أخي ثم أقبل الربيع على ولده نعمة حين بلغا هذا السن وقال له يا ولدي ليست نعمة أختك بل هي جاريتك وقد اشتريتها على اسمك وأنت في المهد فلا تدعها بأختك مـ ن هذا اليوم قال نعمة لأبيه فإذا كان كذلك فأنا أتزوجها ثم أنه دخل على والدته وأعلمها بذلك فقالت يا ولدي هي جاريتك فدخل نعمة بن الربيع بتلك الجارية وأحبها ومشى عليهما تسع سنين وهما على تلك الحالة ولم يكـ ن بالكوفة جارية أحسن من نعم ولا أحلى ولا أظرف منها وقد كبرت وقرأت القرآن والعلوم وعرفـ ت أنـ واع اللعب والآلات وبرعت في المغنى وآلات الملاهي حتى أنها فاقت جميع أهـ ل عصـ رها وأدرك شـ هرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٧٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد بأن نعم فاقت أهل عصرها وبينما هي جالسة ذات يوم من الأيـ ام مـ ع زوجها نعمة بن الربيع في مجلس الشراب وقد أخذت العود وشدت أوتاره وأنشدت هذين البيتين:

إذا كنـ ت لـ ي مـ ولى أعـ يش بفضـ له	**وسـ ـيفا بـ ـه أفنـ ـى رقـ ـاب النوائـ ـب**
فما لـ ي إلـ ى زيـ د وعمـ رو شـ فاعة	**سـ ـواك إذا ضـ ـاقت علـ ـى مـ ـذاهبي**

فطرب نعمة طرباً عظيماً ثم قال لها بحياتي يا نعم أن تغني لنا على الدف وآلات الطـ رب فأطربـ ت بالنغمات وغنت بهذه الأبيات:

وحيـ ـاة مـ ـن ملكـ ـت يـ ـداه قيـ ـادي	**لأخـ ـالفن علـ ـى الهـ ـوى حسـ ـادي**
ولا عصـ ـين عـ ـواذلي وأطـ ـيعكم	**ولأهجـ ـرن تلـ ـذذي ورقـ ـادي**
ولأجعلـ ـن لكـ ـم بأكنـ ـاف الحشـ ـا	**قبـ ـراً ولـ ـم يشـ ـعر بـ ـذاك فـ ـؤادي**

فقال الغلام لله درك يا نعم فبينما هما في أطيب عيش وإذا بالحجاج في دار نيابته يقول لابـ د لـ ي أن أحتال على أخذ هذه الجارية التي اسمها نعم وأرسلها إلى أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان لأنه لا يوجـ د في قصره مثلها ولا أطيب من غنائها ثم أنه استدعى بعجوز قهرمانة وقال لها أمضِ إلى دار الربيع واجتمعي بالجارية نعم وتسببي في أخذها لأنه لم يوجد على وجه الأرض مثلها فقبلت العجوز من الحجاج ما قاله ولما أصبحت لبست أثوابها الصوف وحطت في رقبتها سبحة عدد جبتها ألوف وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٧١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العجوز قبلت ما قاله الحجاج ولما أصبحت لبست أثوابهـ ا الصـ وف ووضعت في رقبتها سبحة عدد حباتها ألوف وأخذت بيدها عكازاً وركوة يمانية وسارت وهي تقول سـ بحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ولم تزل في تسـ بيح وابتهـ ال

وقلبها ملان بالمكر والاحتيال حتى وصلت إلى دار نعمة بن الربيع عند صلاة الظهر فقرعت الباب ففتح لها البواب وقال ما تريدين قالت أنا فقيرة من العابدات وأدركتني صلاة الظهر واريد أن أصلي في هذا المكان المبارك فقال لها البواب يا عجوز أن هذه دار نعمة بن الربيع وليست بجامع ولا مسجد فقالت أنا أعرف أنه لا جامع ولا مسجد مثل دار نعمة ابن الربيع وأنا قهرمانة من قصر أمين المؤمنين خرجت طالبة العبادة والسياحة فقال لها البواب لا أمكنك من أن تدخلي وكثر بينهما الكلام فتعلقت به العجوز وقالت له هل يمنع مثلي من دخول دار نعمة بن الربيع وأنا أعبر إلي ديار الأمراء والأكابر فخرج نعمة وسمع كلامها فضحك وأمرها أن تدخل خلفه فدخل نعمة وسارت العجوز خلفه حتى دخل بها على نعم فسلمت عليها العجوز بأحسن سلام ولما نظرت إلى نعم تعجبت من فرط جمالها ثم قالت لها يا سيدتي أعيذك بالله الذي ألف بينك وبين مولاك في الحسن والجمال ثم انتصبت العجوز في المحراب وأقبلت على الركوع والسجود والدعاء إلى أن مضى النهار وأقبل الليل بالاعتكار فقالت الجارية يا أمي أريحي قدميك ساعة فقالت العجوز يا سيدتي من طلب الآخرة أتعب نفسه في الدنيا ومن لم يتعب نفسه في الدنيا لم ينل منازل الأبرار في الآخرة ثم أن نعم قدمت الطعام للعجوز وقالت لها كلي من طعامي وأدعي لي بالتوبة والرحمة فقالت العجوز يا سيدتي أني صائمة وأما أنت فصبية يصلح لك الأكل والشرب والطرب والله يتوب عليك وقد قال الله تعالى إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً ولم تزل الجارية جالسة مع العجوز ساعة تحدثها ثم قالت لسيدها يا سيدي أحلف على هذه العجوز أن تقيم عندنا مدة فإن على وجهها أثر العبادة فقال أخلي لها مجلساً للعبادة ولا تخلي أحداً يدخل عليها فلعل الله سبحانه وتعالى ينفعنا ببركتها ولا يفرق بيننا ثم باتت العجوز ليلتها تصلي وتقرأ إلى الصباح فلما أصبح الصباح جاءت إلى نعمة ونعم وصبحت عليهما وقالت لهما استودعتكما الله فقالت لها نعم إلى أين تمضين يا أمي وقد أمرني سيدي أن أخلي لك مجلساً تعتكفين فيه للعبادة فقالت العجوز الله يبقيكما ويديم نعمته عليكما ولكن أريد منكما أن توصوا البواب أن لا يمنعني من الدخول أليكما وأن شاء الله تعالى أدور في الأماكن الطاهرة وأدعو لكما عقب الصلاة والعبادة في كل يوم وليلة ثم خرجت من الدار والجارية نعم تبكي على فراقها وما تعلم السبب الذي أتت إليها من أجله ثم أن العجوز توجهت إلى الحجاج فقال لها ما وراءك فقالت له أني نظرت إلى الجارية فرأيتها لم تلد النساء أحسن منها في زمانها فقال لها الحجاج أن فعلت ما أمرتك به يصل إليك مني خير جزيل فقالت له أريد منك المهلة شهراً كاملاً فقال لها أمهلتك شهراً ثم أن العجوز جعلت تتردد إلى دار نعمة وجاريته نعم وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٧٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العجوز صارت تتردد إلى دار نعمة ونعم وهما يزيدان في أكرامها ومازالت العجوز تمسي وتصبح عندهما ويرحب بها كل من في الدار حتى أن العجوز أختلت بالجارية يوماً من الأيام وقالت يا سيدتي والله أني حضرت الأماكن الطاهرة ودعوت لك وأتمنى أن تكوني معي حتى ترى المشايخ الواصلين ويدعوا لك بما تختارين فقالت لها الجارية نعم بالله يا أمي أن تأخذين معك فقالت لها أستأذني حماتك وأنا أخذك معي فقالت الجارية لحماتها أم نعمة يا سيدتي اسألي سيدي أن يخليني أخرج أنا وأنت يوماً من الأيام مع أمي العجوز إلى الصلاة والدعاء مع الفقراء في الأماكن الشريفة فلما أتى نعمة

وجلس تقدمت إليه العجوز وقبلت يديه فمنعها من ذلك ودعت له وخرجت من الدار فلما كان ثاني يوم جاءت العجوز ولم يكن نعمة في الدار فأقبلت على الجارية نعم وقالت لها قد دعونا لكم البارحة ولكن قومي في هذه الساعة تفرجي وعودي قبل أن يجيء سيدك فقالت الجارية لحماتها سألتك بالله أن تأذني لي في الخروج مع هذه المرأة الصالحة لا تفرج على أولياء الله في الأماكن الشريفة وأعود بسرعة قبل مجيء سيدي فقالت أم نعمة أخشى أن يعلم سيدك فقالت العجوز والله لا أدعها تجلس على الأرض بل تنظر وهي واقفة على أقدامها ولا تبطيء ثم أخذت الجارية بالحيلة وتوجهت بها إلى قصر الحجاج وعرفته بمجيئها بعد أن حطتها في مقصورة فأتى الحجاج ونظر إليها فرآها أجمل أهل زمانها ولم ير مثلها فلما رأته نعم سترت وجهها فلم يفارقها حتى استدعى بحاجبه وأركب معه خمسين فارساً وأمره أن يأخذ الجارية على نجيب سابق ويتوجه بها إلى دمشق ويسلمها إلى أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان وكتب له كتاباً وقال له أعطه هذا الكتاب وخذ منه الجواب وأسرع لي بالرجوع فتوجه الحاجب وأخذ الجارية على هجين وسافر بها وهي باكية العين من أجل فراق سيدها حتى وصلوا إلى دمشق واستأذن على أمير المؤمنين فأذن له فدخل الحاجب عليه وأخبره بخبر الجارية فأخلى لها مقصورة ثم دخل الخليفة حريمه فرأى زوجته فقال لها أن الحجاج قد اشترى لي جارية من بنات ملوك الكوفة بعشرة آلاف دينار وأرسل إلى هذا الكتاب وهي صحة الكتاب فقالت له زوجته وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٧٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الخليفة لما أخبر زوجته بقصة الجارية قالت له زوجته زادك الله من فضلك ثم دخلت أخت الخليفة على الجارية فلما رأتها قالت والله ما خاب من أنت في منزله ولو كان ثمنك مائة ألف دينار فقالت لها الجارية نعم يا صبيحة الوجه هذا قصر من الملوك وأي مدينة هذه المدينة قالت لها هذه مدينة دمشق وهذا قصر أخي أمير المؤمنين عبد الله بن مروان ثم قالت للجارية كأنك ما علمت هذا قالت والله يا سيدتي لا علم لي بهذا قالت والذي باعك وقبض ثمنك لنفسها لقد تمت ما أعلمك بأن الخليفة قد اشتراك فلما سمعت الجارية ذلك الكلام سكبت دموعها وبكت وقالت الحيلة علي ثم أنها أطرقت رأسها حياء وقد أحمرت خدودها من أثر السفر والشمس فتركتها أخت الخليفة في ذلك اليوم وجاءتها في اليوم الثاني بقماش وقلائد من الجوهر والبستها فدخل عليها أمير المؤمنين وجلس إلى جانبها فقالت له أخته انظر إلى هذه الجارية التي قد كمل الله فيها من الحسن والجمال فقال الخليفة لنعم أزيحي القناع عن وجهك فلم تزل القناع عن وجهها وأنما رأى معاصمها فوقعت محبتها في قلبه وقال لأخته لا أدخل عليها إلا بعد ثلاثة أيام حتى تستأنس بك ثم قام وخرج من عندها فصارت الجارية متفكرة في أمرها ومتحسرة على افتراقها من سيدها نعمة فلما أتى الليل ضعفت الجارية بالحمى ولم تأكل ولم تشرب وتغير وجهها ومحاسنها فعرفوا الخليفة بلك فشق عليه أمرها ودخل عليها بالأطباء وأهل البصائر فلم يقف لها أحد على طب هذا ما كان من أمرها (وأما) ما كان من أمر سيدها نعمة فإنه أتى إلى داره وجلس على فراشه ونادى يا نعم فلم تجبه فقام مسرعاً ونادى فلم يدخل عليه أحد وكل جارية في البيت اختفت خوفاً منه فخرج نعمة إلى والدته فوجدها جالسة ويدها على خدها فقال لها يا أمي أين نعم فقالت له يا ولدي مع من هي أوثق مني عليها وهي العجوز الصالحة فإنها

خرجت معها لتزور الفقراء وتعود فقال ومتى كان لها عادة بذلك وفي أي وقت خرجت قالت خرجت بكرة النهار قال وكيف أذنت لها بذلك فقالت له يا ولدي هي التي أشارت علي بذلك فقال نعمة لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ثم خرج من بيته وهو غائب عن الوجود ثم توجه إلى صاحب الشرطة فقال له اتحتال علي وتأخذ جاريتي من داري فلابد لي أن أسافر واشتكيك إلى أمير المؤمنين فقال صاحب الشرطة ومن أخذها فقال عجوز صفتها كذا وكذا وعليها ملبوس من الصوف وبيدها سبحة عدد حباتها ألوف فقال له صاحب الشرطة أوقفني على العجوز وأنا أخلص لك جاريتك فقال ومن يعرف العجوز فقال له صاحب الشرطة ما يعلم الغيب إلا الله سبحانه وتعالى وقد علم صاحب الشرطة أنها محتالة الحجاج فقال له نعمة ما أعرف حاجتي إلا منك وبيني وبينك الحجاج فقال له أمض إلي من شئت فتوجه نعمة إلى قصر الحجاج وكان والده من أكابر أهل الكوفة فلما وصل إلى بيت الحجاج دخل حاجب الحجاج عليه وأعلمه بالقضية فقال له علي به فلما وقف بين يديه قال له الحجاج ما بالك فقال له نعمة كان من أمري ما هو كذا وكذا فقال هاتوا صاحب الشرطة فنأمره أن يفتش على العجوز فلما حضر صاحب الشرطة قال له أريد منك أن تفتش على جارية نعمة أبن الربيع فقال له صاحب الشرطة لا يعلم الغيب إلا الله تعالى فقال له الحجاج لابد أن تركب الخيل وتبصر الجارية في الطرقات وتنظر في البلدان. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٧٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الحجاج قال لصاحب الشرطة لابد أن تركب الخيل وتنظر في البلدان والطرقات وتفتش على الجارية ثم التفت إلى نعمة وقال له أن لم ترجع جاريتك دفعت لك عشر جوار من داري وعشر جوار من دار صاحب الشرطة ثم قال لصاحب الشرطة أخرج في طلب الجارية فخرج صاحب الشرطة ونعمة مغموم وقد يئس من الحياة وكان قد بلغ من العمر أربع عشرة سنة ولا نبات بعارضيه فجعل يبكي وينتحب وانعزل عن داره ولم يزل يبكي إلى الصباح فأقبل والده عليه وقال له يا ولدي أن الحجاج قد احتال على الجارية وأخذها ومن ساعة إلى ساعة يأتي الله بالفرج من عنده فتزايدت الهموم على نعمة وصار لا يعلم ما يقول ولا يعرف من يدخل عليه وأقام ضعيفاً ثلاثة أشهر حتى تغيرت أحواله ويئس منه أبوه ودخلت عليه الأطباء فقالوا ما له دواء إلا الجارية فبينما والده جالس يوماً من الأيام إذ سمع بطبيب وهو أعجمي وقد وصفه الناس بإتقان الطب والتنجيم وضرب الرمل فدعا به الربيع فلما حضر أجلسه الربيع وأكرمه وقال له أنظر ما حال ولدي فقال لنعمة هات يدك فأعطاه يده فجس مفاصله ونظر في وجهه وضحك والتفت إلى أبيه وقال ليس بولدك غير مرض في قلبه فقال صدقت يا حكيم فانظر في شأن ولدي بمعرفتك وأخبرني بجميع أحواله ولا تكتم عني شيئاً من أمره فقال الأعجمي أنه متعلق بجارية وهذه الجارية في البصرة أو في دمشق وما دواء ولدك غير اجتماعه بها فقال الربيع أن جمعت وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٧٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الربيع قال للعجمي أن جمعت بينهما فلك عندي ما يسرك وتعيش عمرك كله في المال والنعمة فقال له العجمي أن هذا الأمر قريب وسهل ثم التفت إلى نعمة وقال له لا بأس

عليك فطب نفساً وقر عيناً ثم قال للربيع أخرج من مالك أربعة آلاف دينار فأخرجها وسلمها للأعجمي أريد أن ولدك يسافر معي إلى دمشق ثم أن نعمة ودع والده ووالدته وسافر مع الحكيم إلى حلب فلم يقع على خبر الجارية ثم أنهما وصلا إلى دمشق وأقاما فيها ثلاثة أيام وبعد ذلك أخذ الأعجمي دكاناً وملأ رفوفها بالصيني النفيس والأغطية وزركش الرفوف بالذهب والقطع المثمنة وحط قدامه أواني من القناني فيها سائر الأدهان وسائر الأشربة ووضع حول القناني أقداحاً من البلور وحط الأصطرلاب قدامه ولبس أثواب الحكمة والطب وأوقف بين يديه نعمة وألبسه قميصاً وملوط من الحرير بفوطة في وسطه من الحرير مزركشة بالذهب ثم قال العجمي لنعمة يا نعمة أنت من اليوم ولدي فلا تدعني إلا بأبيك وأنا لا أدعوك إلا بولد فقال نعمة سمعاً وطاعة ثم أن أهل دمشق اجتمعوا على دكان العجمي ينظرون إلى حسن نعمة وإلى حسن الدكان والبضائع التي فيها والعجمي يكلم نعمة بالفارسية ونعمة يكلمه كذلك بتلك اللغة لأنه كان يعرفها على عادة أولاد الأكابر واشتهر ذلك العجمي عند أهل دمشق وجعلوا يصفون له الأوجاع وهو يعطيهم الأدوية فبينما هو ذات يوم جالس إذ أقبلت عليه عجوز راكبة على حمار بردعته من الديباج المرصع بالجواهر فوقفت على دكان العجمي وشدت لجام الحمار وأشارت للعجمي وقالت له أمسك يدي فأخذ يدها فنزلت من فوق الحمار وقالت له أنت الطبيب العجمي الذي جئت من العراق قال نعم قالت أعلم أن لي بنتاً وبها مرض وأخرجت له قارورة فلما نظر العجمي إلى ما في القارورة قال لها يا سيدتي ما اسم هذه الجارية حتى أحسب نجمها وأعرف أي ساعة يوفقها فيها شرب الدواء فقالت يا أخا الفرس أسمها نعم. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٧٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العجمي لما سمع اسم نعم جعل يحسب ويكتب على يده وقال لها يا سيدتي ما أصف لها دواء حتى أعرف من أي أرض هي لأجل اختلاف الهواء فعرفيني في أي أرض تربت وكم سنة سنها فقالت العجوز سنها أربع عشرة سنة ومرباها بأرض الكوفة من العراق فقال وكم شهر لها في هذه الديار فقالت له قامت في هذه الديار شهوراً قليلة فلما سمع نعمة كلام العجوز وعرف اسم جاريته خفق قلبه فقال لها الأعجمي يوافقها من الأدوية كذا وكذا فقالت له العجوز أعطني ما وصفت على بركة الله تعالى ورمت له عشرة دنانير على الدكان فنظر الحكيم إلى نعمة وأمره أن يهيء لها عقاقير الدواء وصارت العجوز تنظر إلى نعمة وتقول أعيذك بالله يا ولدي أن شكلها مثل شكلك ثم قالت العجوز للعجمي يا أخا الفرس هل هذا مملوكك أوولدك فقال لها العجمي أنه ولدي ثم أن نعمة وضع لها الحوائج في علبة وأخذ ورقة وكتب فيها هذين البيتين:

إذا أنعمت نعم علي بنظرة	فلا أسعدت سعدي ولا أجملت جمل
وقالوا أسل عنها تعط عشرين مثلها	ولیس لها مثل ولست لها أسلو

ثم خبأ الورقة في داخل العلبة وختمها وكتب على غطاء العلبة بالخط الكوفي أنا نعمة ابن الربيع الكوفي ثم وضعت العلبة قدام العجوز فأخذتها وودعتهما وانصرفت متوجهة إلى قصر الخليفة فلما طلعت العجوز بالحوائج إلى الجارية وضعت الدواء قدامها ثم قالت لها يا سيدتي اعلمي أنه قد أتى مدينتنا طبيب عجمي ما رأيت أحداً أعرف بأمور الأمراض منه فذكرت له أسمك بعد أن رأى القارورة فعرف مرضك

ووصف دواءك ثم أمر ولده فشد لك هذا الدواء وليس في دمشق أجمل ولا أظرف من ولده ولا أحسن ثياباً منه ولا يوجد لأحد دكاناً مثل دكانه فأخذت العلبة فرأت مكتوباً على غطائها اسم سيدها واسم أبيه فلما رأت ذلك تغير لونها وقالت لاشك أن صاحب الدكان قد أتى في شأني ثم قالت للعجوز صفي لي هذا الصبي فقالت اسمه نعمة وعلى حاجبه الأيمن أثر وعليه ملابس فاخرة وله حسن كامل فقالت الجارية ناوليني الدواء على بركة الله تعالى وعونه وأخذت الدواء وشربته وهي تضحك وقالت لها أنه دواء مبارك ثم فتشت في العلبة فرأت الورقة ففتحتها وقرأتها فلما فهمت معناها تحققت أنه سيدها فطابت نفسها وفرحت فلما رأتها العجوز قد ضحكت قالت لها أن هذا اليوم يوم مبارك فقالت نعم يا قهرمانة أريد الطعام والشراب فقالت العجوز للجواري قدمن الموائد والأطعمة الفاخرة لسيدتكن وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٧٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العجوز قالت للجوار أحضرن الطعام فقدمن إليها الأطعمة وجلست للأكل وإذا بعبد الملك بن مروان قد دخل عليهن ونظر الجارية جالسة وهي تأكل الطعام ففرح ثم قالت القهرمانة يا أمير المؤمنين يهنيك عافية جاريتك نعم وذلك أنه وصل إلى هذه المدينة رجل طبيب ما رأيت أعرف منه بالأمراض ودوائها فأتيت لها منه بدواء فتعاطت منه مرة واحدة فحصلت لها العافية يا أمير المؤمنين فقال أمير المؤمنين خذي ألف دينار وقومي بأبرائها ثم خرج وهو فرحان بعافية الجارية وراحت العجوز إلى دكان العجمي بالألف دينار وأعطته أياها وأعلمته أنها جارية الخليفة وناولته ورقة كانت نعم قد كتبتها فأخذها العجمي وناولها لنعمة فلما رآها عرف خطها فوقع مغشياً عليه فلما أفاق فتح الورقة فوجد مكتوباً فيها من الجارية المسلوبة من نعمتها المخدوعة في عقلها المفارقة لحبيب قلبها أما بعد فإنه قد ورد كتابكم علي فشرح الصدر وسر الخاطر وكان كقول الشاعر:

ورد الكتـ ـاب فـ ـلا عـ ـدمت أنـ ـاملا	كتبـ ـت بـ ـه حتـ ـى تضـ ـمخ طيبـ ـاً
فكـ ـأن موسـ ـى قـ ـد أعيـ ـد لأمـ ـه	أو ثـ ـوب يوسـ ـف قـ ـد أتـ ـى يعقوبـ ـاً

فلما قرأ نعمة هذا الشعر هملت عيناه بالدموع فقالت له القهرمانة ما الذي يبكيك يا ولدي لا أبكى الله لك عينا فقال العجمي يا سيدتي كيف لا يبكي ولدي وهذه جاريته وهو سيدها نعمة بن الربيع الكوفي وعافية هذه الجارية مرهونة برؤيته وليس بها علة إلا هواه وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٧٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العجمي قال للعجوز كيف لا يبكي ولدي وهذه جاريته وهو سيدها نعمة بن الربيع الكوفي وعافية هذه الجارية مرهونة برؤيته وليس لها علة إلا هواه فخذي أنت يا سيدتي هذه الألف دينار لك ولك عندي أكثر من ذلك وأنظري لنا بعين الرحمة وأننا لا نعرف أصلاح هذا الأمر إلا منك فقالت العجوز لنعمة هل أنت مولاها قال نعم قالت صدقت فإنها لا تفتر عن ذكرك فأخبرها نعمة بما جرى من الأول إلى الآخر فقالت العجوز يا غلام لا تعرف اجتماعك بها إلا مني ثم ودعته وذهبت إلى الجارية وقالت لها أن سيدك قد ذهبت روحه في هواك وهو يريد الاجتماع بك فما تقولين في ذلك فقالت نعم وأنا كذلك قد ذهبت روحي واريد الاجتماع به فعند ذلك أخذت العجوز بقجة فيها حلي ومصاغ وبدلة من ثياب

النساء وتوجهت إلى نعمة وقالت له أدخل بنا مكاناً وحدنا فدخل معها قاعة خلف الدكان ونقشت وزيت معاصمه وزوقت شعره وألبسته لباس جارية وزينته بأحسن ما تزين به الجواري فصار كأنه من حور الجنان فلما رأته القهرمانة في تلك الصفة قالت تبارك الله أحسن الخالقين والله أنك لأحسن من الجارية ثم قالت له أمش وقدم الشمال وأخر اليمين وهز أردافك فمشى قدامها كما أمرته فلما رأته قد عرف مشي النساء قالت له أمكث حتى آتيك ليلة غد أن شاء الله تعالى فآخذك وأدخل بك القصر وإذا نظرت الحجاب والخدامين فقو عزمك وطأطيء رأسك ولا تتكلم مع أحد وأنا أكفيك كلامهم وبالله التوفيق فلما أصبح الصباح أتته القهرمانة في ثاني يوم وأخذته وطلعت به القصر ودخلت قدامه ودخل هو وراءها في أثرها فأراد الحاجب أن يمنعه من الدخول فقالت له يا أنحس العبيد أنها الجارية نعم محظية أمير المؤمنين فكيف تمنعها من الدخول ثم قالت أدخلي يا جارية فدخل مع العجوز ولم يزالا داخلين إلى الباب الذي يتوصل منه إلى صحن القصر فقالت له العجوز يا نعمة قو نفسك وثبت قلبك وأدخل القصر وخذ على شمالك وعد خمسة أبواب وأدخل الباب السادس فإنه باب المكان المعد لك ولا تخف وإذا كلمك أحد فلا تتكلم معه ثم سارت حتى وصلت إلى الأبواب فقابلها الحاجب المعد لتلك الأبواب وقال لها ما هذه الجارية. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٧٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الحاجب قابل العجوز وقال لها ما هذه الجارية فقالت له العجوز أن سيدتنا تريد شراءها فقال الخادم ما يدخل أحد إلا بإذن أمير المؤمنين فارجعي بها فأني لا أخليها تدخل لأني أمرت بهذا فقالت له القهرمانة أيها الحاجب الكبير أين عقلك أن نعماً جارية للخليفة الذي قلبه متعلق بها قد توجهت إليها العافية وما صدق أمير المؤمنين بعافيتها وتريد شراء هذه الجارية فلا تمنعها من الدخول لئلا يبلغها أنك منعتها فتغضب عليك وأن غضبت عليك تسببت في قطع رأسك ثم قالت أدخلي يا جارية ولا تسمعي كلامه ولا تخبري سيدتك أن الحاجب منعك من الدخول فطأطأ نعمة رأسه ودخل القصر وأراد أن يمشي إلى جهة يساره فغلط ومشي إلى جهة يمينه وأراد أن يعد الخمسة أبواب ويدخل السادس فعد ستة ودخل السابع فلما دخل في ذلك الباب رأى موضعاً مفروشاً بالديباج وحيطانه عليها ستائر الحرير المرقومة بالذهب وفيه مباخر العود والعنبر والمسك إلا ذفر ورأى سريراً في الصدر مفروشاً بالديباج فجلس عليه نعمة ولم يعلم بما كتب له في الغيب فبينما هو جالس متفكر في أمره إذ دخلت عليه أخت أمير المؤمنين ومعها جاريتها فلما رأت الغلام جالساً ظنته جارية فتقدمت إليه وقالت له من تكوني يا جارية وما خبرك وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٨٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أخت الخليفة قالت لنعمة ما خبرك وما سبب دخولك في هذا المكان فلم يتكلم نعمة ولم يرد عليها جواباً فقالت يا جارية أن كنت من محاظي أخي وقد غضب عليك فأنا أستعطفه عليك فلم يرد نعمة عليها جواباً فعند ذلك قالت لجاريتها قفي على باب المجلس ولا تدعي أحد يدخل ثم تقدمت غليه ونظرت إلى جماله وقالت يا صبية عرفيني من تكوني وما اسمك وما سبب دخولك هنا فأني لم أنظرك في قصرنا فلم يرد عليها جواباً فعند ذلك غضبت أخت الملك ووضعت يدها على صدر نعمة فلم تجد له

نهوداً فأرادت أن تكشف ثيابه لتعلم خبره فقال لها نعمة يا سيدتي أنا مملوك فاشتريني وأنا مستجير بك فأجبريني فقالت له لا بأس عليك فمن أنت ومن أدخلك مجلسي هذا فقال لها نعمة أنا أيتها الملكة أدعي بنعمة بن الربيع الكوفي وقد خاطرت بروحي لأجل جاريتي نعم التي احتال عليها الحجاج وأخذها وأرسلها إلى هنا فقالت له لا بأس عليك ثم صاحت على جاريتها وقالت لها امض إلى مقصورة نعم وقد كانت القهرمانة أتت إلى مقصورة نعم وقالت لها هل وصل إليك سيدك فقالت لا والله فقالت القهرمانة لعله غلط فدخل غير مقصورتك وتاه عن مكانك فقالت نعم لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم قد فرغ أجلنا وهلكنا وجلستا متفكرين فبينما هما كذلك إذ دخلت عليهما جارية أخت الخليفة فسلمت على نعم وقالت لها أن مولاتي تدعوك إلى ضيافتها فقالت سمعاً وطاعة فقالت القهرمانة لعل سيدك عند أخت الخليفة وقد انكشف الغطا فنهضت نعم من وقتها وساعتها ودخلت على أخت الخليفة فقالت لها هذا مولاك جالس عندي وكأنه غلط في المكان وليس عليك ولا عليه خوف إن شاء الله تعالى فلما سمعت نعم هذا الكلام من أخت الخليفة اطمأنت نفسها وتقدمت إلى مولاها نعمة فلما نظرها قام إليها وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٨١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن نعمة لما نظر إلى جاريته نعم قام إليها وضم كل واحد منهما صاحبه إلى صدره ثم وقعا على الأرض مغشياً عليهما فلما أفاقا قالت لهما أخت الخليفة أجلسا حتى نتدبر في الخلاص من الأمر الذي وقعنا فيه فقال لها سمعاً وطاعة والأمر لك فقالت والله ما ينالكما منا سوء قط ثم قالت لجاريتها أحضري الطعام والشراب فأحضرت فأكلوا بحسب الكفاية ثم جلسوا يشربون فدارت عليهم الأقداح وزالت عنهم الأتراح فقال نعمة ليت شعري بعد ذلك ما يكون فقالت له أخت الخليفة يا نعمة هل تحب نعما جاريتك فقال لها يا سيدتي إن هواها هو الذي حملني على ما أنا فيه من المخاطرة بروحي ثم قالت لنعم يا نعم هل تحبين سيدك قالت يا سيدتي هواه هو الذي أذاب جسمي وغير حالي فقالت والله أنكما متحابان فلا كان من يفرق بينكما فقرا عيناً وطيباً نفساً ففرحا بذلك وطلبت نعم عوداً فأحضروه لها فأخذته وأصلحته وأطربت بالنغمات وأنشدت هذه الأبيات:

ولما أبى الواشون إلا فراقنا	وليس لهم عندي وعندك من ثار
وشنوا على أسماعنا كل غارة	وقلت حماتي عند ذاك وأنصاري
غزوتهم من مقلتيك وأدمعي	ومن نفسي بالسيف والسيل والنار

ثم أن نعما أعطت العود لسيدها نعمة وقالت له غن لنا شعراً فأخذه وأصلحه وأطرب بالنغمات ثم أنشد هذه الأبيات:

البدر يحكيك لولا أنه كلف	والشمس مثلك لولا الشمس تنكسف
أني عجبت وكم في الحب من عجب	فيه الهموم وفيه الوجد والكلف
أرى الطريق قريباً حين أسلكه	إلى الحبيب بعيداً حين انصرف

فلما فرغ من شعره ملأت له قدحاً وناولته أياه فأخذه وشربه ثم ملأت قدحاً آخر وناولته لأخت الخليفة فشربته وأخذت العود وأصلحته وشدت أوتاره وأنشدت هذين البيتين:

غ ـم وحـ ـزن فـ ـي الفـ ـؤاد مقـ ـيم		وجـ ـوى تـ ـردد فـ ـي حشـ ـاي عظـ ـيم
ونحـ ـول جسـ ـمي قـ ـد تبـ ـدي ظـ ـاهراً		فالجسـ ـم منـ ـي بـ ـالغرام سـ ـقيم

ثم ناولت العود لنعمة بن الربيع فأخذه وأصلح أوتاره وأنشد هذين البيتين:

يـ ـا مـ ـن وهبـ ـت لـ ـه روحـ ـي فعـ ـذبها		ورمـ ـت تخليصـ ـه منـ ـه فلـ ـم أطـ ـق
دارك محبـ ـا بمـ ـا ينجيـ ـه مـ ـن تلـ ـف		قبـ ـل الممـ ـات فهـ ـذا آخـ ـر الرمـ ـق

ولم يزالوا ينشدون الأشعار ويشربون على نغمات الأوتار وهم في لذة وحبور وفرح وسرور فبينما هم كذلك أذ دخل عليهم أمير المؤمنين فلما نظروه قاموا إليه وقبلوا الأرض بين يديه فنظر إلى نعم والعود معها فقال يا نعم الحمد لله الذي أذهب عنك اليأس والوجع ثم التفت إلى نعمة وهو على تلك الحالة وقال يا أختـ ـي من هذه الجارية التي في جانب نعم فقالت له أخته يا أمير المؤمنين أن هذه جارية من المحاظي أنيسة لا تأكل نعم ولا تشرب إلا وهي معها ثم أنشدت قول الشاعر:

ضـ ـدان واجتمعـ ـا افتراقـ ـاً فـ ـي إليهـ ـا		والضـ ـد يظهـ ـر حسـ ـنه بالضـ ـد

فقال الخليفة والله العظيم أنها مليحة مثلها وفي غد أخلى لها مجلساً بجانب مجلسها وأخرج لها الفـ ـرش والقماش وأنقل إليها جميع ما يصلح لها أكثر مما لنعم واستدعت أخت الخليفة بالطعام فقدمته لأخيهـ ـا فأكـ ـل وجلس معهم في تلك الحضرة ثم ملأ قدحاً وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٨٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الخليفة لما ملأ القدح وأومأ إلى نعم بأن تنشد له من الشـ ـعر فأخـ ـذت العود بعد أن شربت قدحين وأنشدت هذين البيتين:

إذا مـ ـا نـ ـديمي علـ ـي ثـ ـم علـ ـي		ثلاثـ ـة أقـ ـداح لهـ ـن هـ ـدير
أبيـ ـت أجـ ـر الـ ـذيل تيهـ ـاً كـ ـأنني		عليـ ـك أميـ ـر المـ ـؤمنين أميـ ـر

فطرب أمير المؤمنين وملأ قدحاً آخر وناوله إلى نعم وأمرها أن تغني فبعد أن شربت القـ ـدح حسـ ـت الأوتار وأنشدت هذه الأشعار:

يا أشرف الناس في هذا الزمـ ـان ومـ ـا		لـ ـه مثيـ ـل بهـ ـذا الأمـ ـر يفتخـ ـر
يا واحداً فـ ـي العـ ـلا والجـ ـود منصـ ـبه		يـ ـا سـ ـيداً ملكـ ـاً فـ ـي الكـ ـل مشـ ـتهر
يـ ـا مالكـ ـاً لملـ ـوك الأرض قاطبـ ـة		تعطـ ـي الجزيـ ـل ولا مـ ـن ولا ضـ ـجر
أبقاك ربـ ـي علـ ـى رغـ ـم الغـ ـدا كمـ ـدا		وزان طالعـ ـك الأقبـ ـال والظفـ ـر

فلما سمع الخليفة من نعم هذه الأبيات قال لها لله درك يا نعم ما أفصح لسانك وأوضح بيانك ولم يزالوا في فرح وسرور إلى نصف الليل ثم قالت أخت الخليفة أسمع يا أمير المؤمنين أني رأيت حكاية فـ ـي الكتـ ـب عن بعض أرباب المراتب قال الخليفة وما تلك الحكاية فقالت له أخته اعلم يا أمير المؤمنين أنه كان بمدينـ ـة الكوفة صبي يسمى نعمة بن الربيع وكان له جارية يحبها وتحبه وكانت قد تربت معه في فراش واحد فلمـ ـا بلغا وتمكن حبهما من بعضهما رماهما الدهر بنكباته وجار عليهما الزمان بآفاتـ ـه وحكـ ـم عليهمـ ـا بـ ـالفراق

وتحيلت عليها الوشاة حتى خرجت من داره وأخذوها سرقة من مكانه ثم أن سارقها باعها لـ بعض الملـ وك بعشرة آلاف دينار وكان عند الجارية لمولاها من المحبة مثل ما عنده لها ففارق أهله وداره وسافر في طلبها وتسبب باجتماعه بها وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٨٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن نعمة لم يزل مفارقاً لأهله ووطنه وخاطر بنفسه وبذل مهجتـ ـه حتـ ـى توصل إلى اجتماعه بجاريته وكان يقال لها نعم فلما اجتمع بها لم يستقر بهما الجلوس حتى دخل عليهما الملك الذي كان اشتراها من الذي سرقها فعجل عليهما وأمر بقتلهما ولم ينصف من نفسه ولم يمهل عليه في حكمه فما تقول يا أمير المؤمنين في قلة إنصاف هذا الملك فقال أمير المؤمنين أن هذا شيء عجيب فكـ ـان ينبغـ ـي لذلك الملك العفو عند المقدرة لأنه يجب عليه أ، يحفظ لهما ثلاثة أشياء الأول أنهما متحابان والثاني أنهما في منزله وتحت قبضته والثالث أن الملك ينبغي له التأني في الحكم بين الناس فكيف بالأمر الذي يتعلق به فهـ ـذا الملك قد فعل فعلاً لا يشبه فعل الملوك فقالت له أخته يا أخي بحق ملك السموات والأرض أن تـ ـأمر نعمـ ـاً بالغناء وتسمع ما تغنى به فقال يا نعم عن لي فاطر بت بالنغمات وأنشدت هذه الأبيات:

غـ ـدر الزمـ ـان ولـ ـم يـ ـزل غـ ـداراً	يصـ ـمى القلـ ـوب ويـ ـورث الأفكـ ـارا
ويفـ ـرق الأحبـ ـاب بعـ ـد تجمـ ـع	فتـ ـرى الـ ـدموع علـ ـى الخـ ـدود غـ ـزارا
كـ ـانوا وكنـ ـت وكـ ـان عيشـ ـي ناعمـ ـاً	والـ ـدهر يجمـ ـع شـ ـملنا مـ ـدرارا
فلأبكـ ـين دمـ ـاً ودمعـ ـاً سـ ـاجما	أسـ ـفاً عليـ ـك لياليـ ـا ونهـ ـارا

فلما سمع أمير المؤمنين هذا الشعر طرب طرباً عظيماً فقالت له أخته يا أخي من حكـ ـم علـ ـى نفسـ ـه بشيء ألزمه القيام به والعمل بقوله وأنت قد حكمت على نفسك هذا الحكم ثم قالت يا نعمة قف على قـ ـدميك وكذا قفي أنت يا نعم فوقفا فقالت أخت الخليفة يا أمير المؤمنين إن هذه الواقفة هي نعـ ـم المسـ ـروقة سـ ـرقها الحجاج بن يوسف الثقفي وأوصلها لك وكذب فيما أدعاه من كتابه من أنه اشتراها بعشرة آلاف دينار وهـ ـذا الواقف هو نعمة بن الربيع سيدها وأنا أسألك بحرمة آبائك الطاهرين أن تعفو عنهما ويهبهما لبعضهما لتغـ ـنم أجرهما فأنهما في قبضتك وقد أكلا من طعامك وشربا من شرابك وأنا الشافعة فيهما المستوهبة دمهما فعنـ ـد ذلك قال الخليفة صدقت أنا حكمت بذلك وما أحكم بشيء وأرجع فيه ثم قال يا نعم هل هذا مولاك قالت له نعم يا أمير المؤمنين فقال لا بأس عليكما فقد وهبتكما لبعضكما ثم قال يا نعمة وكيف عرفت مكانها ومن وصف لك هذا المكان فقال يا أمير المؤمنين اسمع خبري وأنصت إلى حديثي فوحق آبائك وأجـ ـدادك الطـ ـاهرين لا أكتم عنك شيئاً ثم حدثه بجميع ما كان من أمره وما فعله معه الحكيم العجمي وما فعلتـ ـه القهرمانـ ـة وكيـ ـف دخلت به القصر وغلط في الأبواب فتعجب الخليفة من ذلك غاية العجب ثم قال علي بالعجمي فأحضروه بين يديه فجعله من جملة خواصه وخلع عليه خلعة وأمر له بجائزة سنية وقال من يكون هـ ـذا تـ ـدبيره يجـ ـب أن نجعله من خواصنا ثم أن الخليفة أحسن على نعمة وأنعم على القهرمانة وقعدا عنده سبعة أيام في سرور وحظ وأرغد عيش ثم طلب نعمة الأذن بالسفر هو وجاريته فأذن لهما بالسفر إلى الكوفة فسـ ـافر واجتمـ ـع بوالـ ـده ووالدته وأقاموا في أطيب عيش إلى أن أتاهم هازم اللذات ومفرق الجماعات فلما سمع الأمجد والأسعد هـ ـذا

الحديث من بهرام تعجبا منه غاية العجب وقالا أن هذا لشيء عجيب وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٨٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الأمجد والأسعد لما سمعا من بهرام المجوسي الذي أسلم هذه الحكاية تعجبا منها غاية العجب وباتا تلك الليلة ولما أصبح الصباح وركب الأمجد والأسعد وأرادوا أن يدخلا على الملك أستأذنا في الدخول فأذن لهما فلما دخلا أكرمهما وجلسوا يتحدثون فبينما هم كذلك وإذا بأهل المدينة يصيحون ويتصارخون ويستغيثون فدخل الحاجب على الملك وقال له أن ملكاً من الملوك نزل بعساكره على المدينة وهم شاهرون السلاح وما ندري ما مرادهم فأخبر الملك وزيره الأمجد وأخاه الأسعد بما سمعه من الحاجب فقال الأمجد أنا أخرج إليه وأكشف خبره فخرج الأمجد إلى ظاهر المدينة فوجد الملك ومعه عسكر كثير ومماليك راكبة فلما نظروا إلى الأمجد عرفوا أنه رسول من عند ملك المدينة فأخذوه وأحضروه قدام السلطان فلما صار قدامه قبّل الأرض بين يديه وإذا بالملك امرأة ضاربة لها لثاماً فقالت اعلم أنه مالي عندكم غرض في هذه المدينة إلا مملوك أمرد فإن وجدته عندكم فلا بأس عليكم وأن لم أجده وقع بيني وبينكم القتال الشديد لأنني ما جئت إلا في طلبه فقال الأمجد أيتها الملكة ما صفة هذا المملوك وما اسمه فقالت اسمه الأسعد وأنا أسمي مرجانة وهذا المملوك جاءني صحبة بهرام المجوسي وما رضي أن يبيعه فأخذته منه غصباً فعدا عليه وأخذه من عندي بالليل سرقه وأما أوصافه فأنها كذا وكذا فلما سمع الأمجد ذلك علم أنه أخوه الأسعد فقال لها يا ملكة الزمان الحمد لله الذي جاءنا بالفرح وأن هذا المملوك هو أخي ثم حكى لها حكايته وما جرى لهما في بلاد الغربة وأخبرها بسبب خروجهما من جزائر الآبنوس فتعجبت الملكة مرجانة من ذلك وفرحت بلقاء الأسعد وخلعت على أخيه الأمجد ثم بعد ذلك عادا لأمجد إلى الملك وأعلمه بما جرى ففرحوا بذلك ونزل الملك هو والأمجد والأسعد قاصدين الملكة فلما دخلوا عليها جلسوا يتحدثون فبينما هم كذلك وإذا بالغبار طار حتى سد الأقطار وبعد ساعة انكشف ذلك الغبار عن عسكر جرار مثل البحر الذخار وهم مهيئون بالعدد والسلاح فقصدوا المدينة ثم داروا بها كما يدور الخاتم بالخنصر وشهروا سيوفهم فقال الأمجد والأسعد أنا لله وإنا إليه راجعون ما هذا الجيش الكبير أن هذه أعداء لا محالة وأن لم نتفق مع هذه الملكة مرجانة على قتالهم أخذوا منا المدينة وقتلونا وليس لنا حيلة إلا أننا نخرج غليهم ونكشف خبرهم ثم قام الأمجد وخرج من باب المدينة وتجاوز جيش الملكة مرجانة فلما وصل إلى العسكر وجده عسكر جده الملك الغيور أبا أمه الملكة بدور. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٨٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الأمجد لما وصل إلى العسكر وجدها عسكر جده الملك الغيور صاحب الجزائر والبحور والسبعة قصور فلما صار قدامه قبل الأرض بين يديه وبلغه الرسالة وقال له ما أسمك قال أسمي الملك الغيور وقد جئت عابر سبيل لأن الزمان قد فجدعني في بنتي بدور فإنها فارقتني وما رجعت إلي وما سمعت لها ولزوجها قمر الزمان خبراً فهل عندكم خبرهما فلما سمع الأمجد ذلك أطرق برأسه إلى الأرض ساعة يتفكر حتى تحقق أنه جده أبو أمه ثم رفع رأسه وقبل الأرض بين يديه وأخبره أنه ابن بنته

بدور فلما سمع الملك أنه ابن أبنته بدور رمي نفسه عليه وصار يبكيان ثم قال الملك الغيور الحمد لله يا ولدي على السلامة حيث اجتمعت بك ثم قال له الأمجد أن ابنته بدور في عافية وكذلك أبوه قمر الزمان وأخبره أنهما في مدينة يقال لها جزيرة الآبنوس وحكى له أن قمر الزمان والده غضب عليه وعلى أخيه وأمر بقتلهما وأن الخازندار رق لهما وتركهما بلا قتل فقال الملك الغيور أنا أرجع بك وبأخيك إلى والدك وأصلح بينكما وأقيم عندكم فقبل الأرض بين يديه ثم خلع الملك الغيور على الأمجد ابن أبنته ورجع مبتسماً إلى الملك الغيور وأعلمه بقصة الملك الغيور فتعجب منها غاية العجب ثم أرسل له آلات الضيافة من الخيل والجمال والغنم والعليق وغير ذلك وأخرج للملكة مرجانة كذلك وأعلموها بما جرى فقالت أنا أذهب معكم بعسكري وأكون ساعية في الصلح فبينما هم كذلك وإذا بغبار قد ثار حتى سد الأقطار وأسود منه النهار وسمعوا من تحته صياحاً وصراخاً وصهيل الخيل ورأوا سيوفاً تلمع ورماحاً تشرع فلما قربوا من المدينة ورأوا العسكرين دقوا الطبول فلما رأى الملك ذلك قال ما هذا النهار إلا نهار مبارك الحمد لله الذي أصلحنا مع هذين العسكرين وإن شاء الله تعالى يصلحنا مع هذا العسكر أيضاً ثم قال يا أمجد أخرج أنت وأخوك الأسعد وأكشفا لنا خبر هذه العساكر فإنه جيش ثقيل ما رأيت أثقل منه فخرج الأثنان الأمجد وأخوه الأسعد بعد أن أغلق الملك باب المدينة خوفاً من العسكر المحيط بها ففتحا الأبواب وسارا حتى وصلا إلى العسكر الذي وصل فوجداه عسكر ملك جزائر الآبنوس وفيه والدهما قمر الزمان فلما نظراه قبلا الأرض بين يديه وبكيا فلما رآهما قمر الزمان رمى نفسه عليهما وبكى بكاء شديداً واعتذر لهما وضمهما إلى صدره ثم أخبرهما بما قاساه بعدهما من الوحشة الشديدة لفراقهما ثم أن الأمجد والأسعد ذكرا له عن الملك الغيور أنه وصل إليهم فركب قمر الزمان في خواصه وأخذ ولديه الأمجد والأسعد معه وساروا حتى وصلوا إلى قرب عسكر الملك الغيور فسبق واحد منهم إلى الملك الغيور وأخبره أن قمر الزمان وصل فطلع إلى ملاقاته فاجتمعوا ببعضهم وتعجبوا من هذه الأمور وكيف اجتمعوا في هذا المكان وصنع أهل المدينة الولائم وأنواع الأطعمة والحلويات وقدموا الخيول والجمال والضيافات والعليق وما تحتاج إليه العساكر فبينما هم كذلك وإذا بغبار ثار حتى سد الأقطار وارتجت الأرض من الخيول وصارت الطبول كعواصف الرياح والجيش جميعه بالعدد والآزراد وكلهم لابسون السواد وفي وسطهم شيخ كبير ولحيته واصلة إلى صدره عليه ملابس سود فلما نظر أهل المدينة هذه العساكر العظيمة قال صاحب المدينة للملوك ألحمد لله الذي اجتمعتم بأذنه تعالى في يوم واحد وكنتم كلكم معارف فما هذا العسكر الجرار الذي قد سدّ الأقطار فقال له الملوك لا تخف منه فنحن ثلاثة ملوك وكل ملك له عساكر كثيرة فإن كانوا أعداء نقاتلهم معك ولو زادوا ثلاثة أمثالهم فبينما هم كذلك وإذا برسول من تلك العساكر قد أقبل متوجها إلى هذه المدينة فقدموه بين يدي قمر الزمان والملك الغيور والملكة مرجانة والملك صاحب المدينة فقبل الأرض وكان هذا الملك من بلاد العجم وقد فقد ولده من مدة سنين وهو دائر يفتش عليه في الأقطار فإن وجده عندكم فلا بأس عليكم وأن لم يجده وقع الحرب بينه وبينكم وأخرب مدينتكم فقال له قمر الزمان ما يصل إلى هذا ولكن ما يقال له في بلاد العجم فقال الرسول يقال له الملك شهرمان صاحب جزائر خالدات وقد جمع هذه العساكر من الأقطار التي مر بها وهو دائر يفتش على ولده فلما سمع قمر الزمان كلام الرسول صرخ صرخة عظيمة وخرّ مغشياً عليه واستمر في غشيته ساعة ثم أفاق وبكى بكاء

شديداً وقال للأمجد والأسعد وخواصهما امشوا يا أولادي مع الرسول وسلموا على جدكم والدي الملك شهرمان وبشروه بي فإنه حزين على فقدي وهو الآن لابس الملابس السود من أجلي ثم حكى للملوك الحاضرين جميع ما جرى له في أيام صباه فتعجب جميع الملوك من ذلك ثم نزلوا هم وقمر الزمان وتوجهوا إلى والده فسلم قمر الزمان على والده وعانقا بعضهما ووقعا مغشياً عليهما من شدة الفرح فلما أفاقا حكى لأبنه جميع ما جرى له ثم سلم عليه بقية الملوك وردوا مرجانة إلى بلادها بعد أن زوجوها للأسعد ووصوها أنها لا تقطع عنهم مراسلتها ثم زوجوا الأمجد بستان بنت بهرام وسافروا كلهم إلى مدينة الآبنوس وخلا قمر الزمان بصهره وأعلمه بجميع ما جرى له وكيف اجتمع بأولاده ففرح وهنأه بالسلامة ثم دخل الملك الغيور أبو الملكة بدور على بنته وسلم عليها وبل شوقه منها وقعدوا في مدينة الآبنوس شهراً كاملاً ثم سافر الملك الغيور بابنته إلى بلده وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٨٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك الغيور سافر بابنته وجماعته إلى بلده وأخذ الأمجد معهم فلما استقر في مملكته أجلس الأمجد يحكم مكان جده وأما قمر الزمان فإنه أجلس ابنه الأسعد يحكم في مكانه في مدينة جده أرمانوس ورضي به جده ثم تجهز قمر الزمان وسافر مع أبيه الملك شهرمان إلى أن وصل إلى جزائر خالدات فزينت له المدينة فاستمرت البشائر تدق شهراً كاملاً وجلس قمر الزمان يحكم مكان أبيه إلى أن أتاهم هازم اللذات ومفرق الجماعات والله أعلم فقال الملك يا شهرزاد أن هذه الحكاية عجيبة جداً قالت أيها الملك ليست هذه باعجب من حكاية علاء الدين أبي الشامات قال وما حكايته.

حكاية علاء الدين أبي الشامات

قالت بلغني أيها الملك السعيد أنه كان في قديم الزمان وسالف العصر والأوان رجل تاجر بمصر يقال له شمس الدين وكان من أحسن التجار وأصدقهم مقالاً وهو صاحب خدم وحشم وعبيد وجوار ومماليك ومال كثير وكان شاه بندر التجار بمصر وكان معه زوجة يحبها وتحبه إلا أنه عاش معها أربعين عاماً ولم يرزق منها ببنت ولا ولد فقعد يوماً من الأيام في دكانه فرأى التجار وكل واحد منهم له ولداً وولدان أو أكثر وهم قاعدون في دكاكين مثل أبائهم وكان ذلك اليوم يوم جمعة فدخل ذلك التاجر الحمام واغتسل غسل الجمعة ولما طلع أخذ مرآة المزين فرأى وجهه فيها وقال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ثم نظر إلى لحيته فرأى البياض غطي السواد وتذكر أن الشيب نذير الموت وكانت زوجته تعرف ميعاد مجيئه فتغتسل وتصلح شأنها له فدخل عليها فقالت له مساء الخير فقال لها أنا ما رأيت الخير وكانت قالت للجارية هاتي سفرة العشاء فأحضرت الطعام وقالت له تعش يا سيدي فقال لها ما آكل شيئاً وأعرض عن السفرة بوجهه فقالت له ما سبب ذلك وأي شيء أحزنك فقال لها أنت سبب حزني وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٨٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن شمس الدين قال لزوجته أنت سبب حزني فقالت له لأي شيء فقال لها أني فتحت دكاني في هذا اليوم ورأيت كل واحد من التجار له ولد أو ولدان أو أكثر وهم قاعدون في الدكاكين مثل آبائهم فقلت لنفسي أن الذي أخذ أباك ما يخليك وليلة دخلت بك حلفتيني أنني ما أتزوج عليك ولا أتسري

بجارية حبشية ولا رومية ولا غير ذلك من الجواري ولم أبت ليلة بعيداً عنك والحالة أنك عاقر والنكاح فيك كالنحت في الحجر فقالت اسم الله على أن العاقة منك ما هي مني لأن بيضك رائق فقال لها وما شأن الذي بيضه رائق فقالت هو الذي لا يحبل النساء وهو لا يجيء بأولاد فقال لها وأين معكر البيض وأنا اشتريه لعله يعكر بيضي فقالت له فتش عليه عند العطارين فبات التاجر وأصبح متندماً حيث عاير زوجته وندمت هي حيث عايرته ثم توجه إلى السوق فوجد رجلاً عطاراً فقال له السلام عليكم فرد عليه السلام فقال له هل يوجد عندك معكر البيض فقال له كان عندي وجبر ولكن أسأل جاري فدار يسأل حتى سأل جميع العطارين وهم يضحكون عليه وبعد ذلك رجع إلى دكانه وقعد فكان في السوق نقيب الدلالين وكان رجلاً حشاشاً يتعاطي الأفيون والبرش ويستعمل الحشيش الأخضر وكان ذلك النقيب يسمى الشيخ محمد سمسم وكان فقير الحال وكانت عادته أن يصبح على التاجر في كل يوم فجاءه على عادته وقال له السلام عليكم فرد عليه السلام وهو مغتاظ فقال له يا سيدي مالك مغتاظ فحكى له جميع ما جرى بينه وبين زوجته وقال له أن لي أربعين سنة وأنا متزوج بها ولم تحبل مني بولد ولا ببنت وقالوا إلى سبب عدم حبلها منك أن بيضك رائق ففتشت على شيء أعكر به بيضي فلم أجده فقال له يا سيدي أنا عندي معكر البيض فما تقول فيمن يجعل زوجتك تحبل منك بعد هذه الأربعين سنة التي مضت قال له التاجر أن فعلت ذلك فأنا أحسن إليك وأنعم عليك فقال له هات لي ديناراً فقال له خذ هذين الدينارين فأخذهما وقال هات هذه السلطانية الصيني فأعطاه السلطانية فأخذها وتوجه إلى بياع الحشيش وأخذ منه من المكرر الرومي قدر أوقيتين وأخذ جانباً من الكبابة الصيني والقرفة والقرنفل والحبهان والزنجبيل والفلفل الأبيض والسقنقور الجبلي ودق الجميع وغلاهم في الزيت الطيب وأخذ ثلاث أوراق حصا لبان ذكر وأخذ مقدار قدح من الحبة السوداء ونقعه وعمل جميع ذلك معجوناً بالعسل النحل وحطه في السلطانية ورجع بها إلى التاجر وأعطاها له وقال له هذا معكر البيض فينبغي أن تأخذ منه على رأس الملوق بعد أن تأكل اللحم الضاني والحمام البيتي وتكثر له الحرارات والبهارات وتتعشى وتشرب السكر المكرر فأحضر التاجر جميع ذلك وأرسله إلى زوجته وقال لها أطبخي ذلك طبخاً جيداً وخذي معكر البيض واحفظيه عندك حتى أطلبه ففعلت ما أمرها به ووضعت له الطعام فتعشى ثم أنه طلب السلطانية فأكل منها فأعجبته فأكل بقيتها وواقع زوجته فعلقت منه تلك الليلة ففات عليها أول شهر والثاني والثالث ولم ينزل عليها الدم فعلمت أنها حملت ثم وفت أيام حملها ولحقها الطلق وقامت الأفراح فقاست الداية المشقة في الخلاص ورقته بأسمي محمد وعلي وكبرت وأذنت في أذنه ولفته وأعطته لأمه فأعطته ثديها وأرضعته فشرب وشبع ونام وأقامت الداية عندهم ثلاثة أيام حتى عملوا الحلاوة ليفرقوها في اليوم السابع ثم رشوا ملحه ودخل التاجر وهنأ زوجته بالسلامة وقال لها أين وديعة الله فقدمت له مولوداً بديع الجمال صنع المدبر الموجود وهو ابن سبعة أيام ولكن الذي ينظره يقول عليه أنه ابن عام فنظر التاجر في وجهه فرآه بدراً مشرقاً وله شامات على الخدين فقال لها ما سميتيه فقالت له لو كان بنتاً كنت سميتها وهذا ولد فلا يسميه إلا أنت وكان أهل ذلك الزمن يسمون أولادهم بالفال فبينما هم يتشاورون في الاسم وإذا بواحد يقول يا سيدي علاء الدين فقال لها نسميه بعلاء الدين أبي الشامات ووكل به المراضع والدايات فشرب اللبن عامين وفطموه فكبر وانتشي وعلى الأرض مشى فلما بلغ من العمر سبع سنين أدخلوه تحت طابق خوفاً عليه من العين وقال

هذا لا يخرج من الطابق حتى تطلع لحيته ووكل به جارية وعبداً فصارت الجارية تهيء له السفرة والعبد يحملها إليه ثم أنه طاهره وعمل له وليمة عظيمة ثم بعد ذلك أحضر له فقيهاً يعلمه فعلمه الخط والقرآن والعلم إلى أن صار ماهراً وصاحب معرفة فاتفق أن العبد أوصل إليه السفرة في بعض الأيام ونسي الطابق مفتوحاً فطلع علاء الدين من الطابق ودخل على أمه وكان عندها محضر من أكابر النساء فبينما النساء يتحدثن مع أمه وإذا هو داخل عليهن كالمملوك السكران من فرط جماله فحيز رآه النسوة غطين وجوههن وقلن لأمه الله يجازيك يا فلانة كيف تدخلين علينا هذا المملوك الأجنبي أما تعلمين أن الحياء من الإيمان فقالت لهن سمين الله أن هذا ولدي وثمرة فؤادي وأبن شاه بندر التجار شمس الدين ابن الدادة والقلادة والقشفة واللبابة فقلن لها عمرنا ما رأينا لك ولداً فقالت أن أباه خاف عليه من العين فجعل مرباه في طابق تحت الأرض وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٨٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أم علاء الدين قالت للنسوة أن أباه خاف عليه من العين فجعل مرباه في طابق تحت الأرض فلعل الخادم نسى الطابق مفتوحاً فطلع منه ولم يكن مرادنا أن يطلع منه حتى تطلع لحيته فهنأها النسوة بذلك وطلع الغلام من عند النسوة إلى حوش البيت ثم طلع المقعد وجلس فيه فبينما هو جالس وإذا بالعبيد قد دخلوا ومعهم بغلة أبيه فقال لهم علاء الدين أين كانت هذه البغلة فقالوا له نحن أوصلنا أباك إلى الدكان وهو راكب عليها وجئنا بها فقال لهم أي شيء صنعة أبي فقالوا أن أباك شاه بندر التجار بأرض مصر وهو سلطان أولاد العرب فدخل علاء الدين على أمه وقال لها يا أمي ما صناعة أبي فقالت له يا ولدي أن أباك تاجر وهو شاه بندر التجار بأرض مصر وسلطان أولاد العرب وعبيده لا تشاوره في البيع إلا على البيعة التي تكون أقل ثمنها ألف دينار وأما البيعة التي تكون بتسعمائة دينار فأقل فإنهم لا يشاورونه عليها بل يبيعونها بأنفسهم ولا يأتي متجر من بلاد الناس قليلاً أو كثيراً لا ويدخل تحت يده ويتصرف فيه كيف يشاء ولا ينحزم متجراً ويروح بلاد الناس إلا ويكون من بيت أبيك والله تعالى أعطى أباك يا ولدي مالاً كثيراً إلا يحصى فقال لها يا أمي الحمد لله الذي جعلني أبن سلطان أولاد العرب ووالدي شاه بندر التجار ولاي شيء يا أمي تحطونني في الطابق وتتركونني محبوساً فيه فقالت له يا ولدي نحن ما حطيناك في الطابق إلاخوفا عليك من أعين الناس فإن العين حق وأكثر أهل القبور من العين فقال لها يا أمي وأين المفر من القضاء والحذر لا يمنع القدر والمكتوب ما منه مهروب وأن الذي أخذ جدي لا يترك أبي فإنه أن عاش اليوم ما يعيش غداً وإذا مات أبي وطلعت أنا وقلت أنا علاء الدين أبن التاجر شمس الدين لا يصدقني أحد من الناس والاختيارية يقولون عمرنا ما رأينا لشمس الدين ولداً ولا بنتاً فينزل بيت المال ويأخذ مال أبي ورحم الله من قال:

يموت الفتى ويذهب ماله ... ويأخذ أنذل الرجال نساءه

فأنت يا أمي تكلمين أبي حتى يأخذني معه إلى السوق ويفتح لي دكاناً وأقعد فيه ببضائع ويعلمني البيع والشراء والأخذ والعطاء فقالت له يا ولدي إذا حضر أبوك أخبرته بذلك فلما رجع التاجر إلى بيته وجد أبنه علاء الدين أبا الشامات قاعداً عند أمه فقال لها لأي شيء أخرجتيه من الطابق فقالت له يا ابن عمي أنا ما

أخرجته ولكن الخدم نسوا الطابق مفتوحاً فبينما أنا قاعدة وعندي محضر من أكابر النساء وإذا به دخل علينا وأخبرته بما قاله ولده فقال له يا ولدي في غد أن شاء الله تعالى آخذك معي إلى السوق ولكن يا ولدي قعود الأسواق والدكاكين يحتاج إلى الأدب والكمال في كل حال فبات علاء الدين وهو فرحان من كلام أبيه فلما أصبح الصباح أدخله الحمام وألبسه بدله تساوي جملة من المال ولما أفطروا وشربوا الشرابات ركب بغلته وأركب ولده بغلة وأخذه وراءه وتوجه به إلى السوق فنظر أهل السوق شاه بندر التجار مقبلاً ووراءه غلام كأن وجهه القمر في ليلة أربعة عشر فقال واحد منهم لرفيقه أنظر هذا الغلام الذي وراء شاه بندر التجار قد كنا نظن به الخير وهو مثل الكرات شائب وقلبه أخضر فقال الشيخ محمد سمسم النقيب المتقدم ذكره للتجار نحن ما بقينا نرضى به أن يكون شيخاً علينا أبداً وكان من عادة شاه بندر التجار أنه لما يأتي من بيته في الصباح ويقعد في دكانه يتقدم نقيب السوق ويقرأ الفاتحة للتجار فيقومون معه ويأتون شاه بندر التجار ويقرؤون له الفاتحة ويصبحون عليه ثم ينصرف كل واحد منهم إلى دكانه فلما قعد شاه بندر التجار في دكانه ذلك اليوم على عادته لم تأت إليه التجار حسب عادتهم فنادى النقيب وقال له لأي شيء لم تجتمع التجار على جري عادتهم فقال له أنا ما أعرف نقل الفتن أن التجار أتفقوا على عزلك من المشيخة ولا يقرءون لك فاتحة فقال له ما سبب ذلك فقال له ما شأن هذا الولد الجالس بجانبك وأنت اختيار ورئيس التجار فهل هذا الولد مملوكك أو يقرب لزوجتك وأظن أنك تعشقه وتميل إلى الغلام فصرخ عليه وقال له أسكت قبح الله ذاتك وصفاتك هذا ولدي فقال له عمرنا ما رأينا لك ولداً فقال له لما جئتني بمعكر البيض حملت زوجتي وولدته ولكن من خوفي عليه من العين ربيته في طابق تحت الأرض وكان مرادي أنه لا يطلع من الطابق حتى يمسك لحيته بيده فما رضيت أمه وطلب مني أن أفتح له دكاناً وأحط عنده بضائع وأعلمه البيع والشراء فذهب النقيب إلى التجار وأخبرهم بحقيقة الأمر فقاموا كلهم بصحبته وتوجهوا إلى شاه بندر التجار ووقفوا بين يديه وقرعوا الفاتحة وهنأوه بذلك الغلام وقالوا له ربنا يبقي الأصل والفرع ولكن الفقير منا لما يأتيه ولداً أو بنت لابد أن يصنع لأخوانه دست عصيدة ويعزم معارفه وأقاربه وأنت لم تعمل ذلك فقال لهم لكم علي ذلك ويكون اجتماعنا في البستان وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٨٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن شاه بندر التجار وعد التجار بالسماط وقال لهم يكون اجتماعنا في البستان فلما أصبح الصباح أرسل الفراش للقاعة والقصر الذين في البستان وأمره بفرشهما وأرسل آلة الطبخ من حرفان وسمن وغير ذلك مما يحتاج إليه الحال وعمل سماطين سماطاً في القصر وسماطاً في القاعة وتحزم التاجر شمس الدين وتحزم ولده علاء الدين وقال له ياولدي إذا دخل الرجل الشائب فأنا أتلقاه وأجلسه على السماط الذي في القصر وأنت يا ولدي إذا دخل الولد الأمرد فخذه وأدخل به القاعة وأجلسه على السماط فقال له لأي شيء يا أبي تعمل سماطين وأحد للرجال وواحد للأولاد فقال يا ولدي أن الأمرد يستحي أن يأكل عند الرجال فاستحسن ذلك ولده فلما جاء التجار صار شمس الدين يقابل الرجال ويجلسهم في القصر وولده علاء الدين يقابل الأولاد ويجلسهم في القاعة ثم وضعوا الطعام فأكلوا وشربوا وتلذذوا وطربوا وشربوا الشربات وأطلقوا البخور ثم قعد الاختيارية في مذاكرة العلم والحديث وكان بينهم رجل تاجر يسمى محمود

البلحي وكان مسلماً في الظاهر ومجوسياً في الباطن وكان يبغي الفساد ويهوى الأولاد فنظر إلى علاء الدين نظرة أعقبته ألف حسرة وعلق له الشيطان جوهرة في وجهه فأخذه به الغرام والوجد والهيام وكان ذلك التاجر الذي أسمه محمود البلخي يأخذ القماش والبضائع من والد علاء الدين ثم أن محمود البلخي قام يتمشى وانعطف نحو الأولاد فقاموا لملتقاه وكان علاء الدين أنحصر فقام يزيل الضرورة فالتفت التاجر محمود إلى الأولاد وقال لهم أن طيبتم خاطر علاء الدين على السفر معي أعطيت كل واحد منكم بدلة تساوي جملة من المال ثم توجه من عندهم إلى مجلس الرجال فبينما الأولاد جالسون وإذا بعلاء الدين أقبل عليهم فقاموا لملتقاه وأجلسوه بينهم في صدر المقام فقام ولد منهم وقال لرفيقه يا سيدي حسن أخبرني برأس المال الذي عندك تبيع فيه وتشتري من أين جاءك فقال له أنا لما كبرت ونشأت وبلغت مبلغ الرجال قلت لأبي يا والدي إحضر لي متجراً فقال يا ولدي ما عندي شيء ولكن رح خذ مالاً من واحد تاجر وأتجر به وتعلم البيع والشراء والأخذ والعطاء فتوجهت إلى واحد من التجار واقترضت منه ألف دينار فاشتريت بها قماشاً وسافرت به إلى الشام فربحت المثل مثلين ثم أخذت متجراً من الشام وسافرت به إلى بغداد وبعته فربحت المثل مثلين ولم أزل أتجر حتى صار رأس مالي نحو عشرة آلاف دينار وصار كل واحد من الأولاد يقول لرفيقه مثل ذلك إلى أن دار الدور وجاء الكلام إلى علاء الدين أبي الشامات فقالوا له وأنت يا سيدي علاء الدين فقال لهم أنا تربيت في طابق تحت الأرض وطلعت منه في هذه الجمعة وأنا أروح الدكان وأرجع منه إلى البيت فقالوا له أنت متعود على قعود البيت ولا تعرف لذة السفر والسفر ما يكون إلا للرجال فقال لهم أنا مالي حاجة بالسفر وليس للراحة قيمة فقال واحد منهم لرفيقه هذا مثل السمك أن فارق الماء مات ثم قالوا له يا علاء الدين ما فخر أولاد التجار إلا بالسفر لأجل المكسب فحصل لعلاء الدين غيظ بسبب ذلك وطلع من عند الأولاد وهو باكي العين فقالت له أمه ما يبكيك يا ولدي فقال لها أن أولاد التجار جميعاً يعايرونني وقالوا لي ما فخر أولاد التجار إلا بالسفر لأجل أن يكسبوا الدراهم وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٩٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن علاء الدين قال لوالدته أن أولاد التجار عايروني وقالوا لي ما فخر أولاد التجار إلا بالسفر لأجل أن يكسبوا الدراهم والدنانير فقالت أمه يا ولدي هل مرادك السفر قال نعم فقالت له تسافر إلى أي البلاد فقال لها إلى مدينة بغداد فإن الإنسان يكتسب فيها المثل مثلين فقالت يا ولدي أن أباك عنده مال كثير وأن لم يجهز لك متجراً من ماله فأنا أجهز لك متجراً من عندي فقال لها خير البر عاجله فإن كان معروفاً فهذا وقته فأحضرت العبيد وأرسلتهم إلى الذين يحزمون القماش وفتحت حاصلاً وأخرجت له منه قماشاً وحزموا عشرة أحمال هذا ما كان من أمر أمه (وأما) ما كان من أمر أبيه فإنه التفت فلم يجد أبنه علاء الدين في البستان فسأل عنه فقالوا أنه ركب بغلته وراح إلى البيت فركب وتوجه خلفه فلما دخل منزله رأي أحمالاً محزومة فسأل عنها فأخبرته زوجته بما وقع من أولاد التجار لولده علاء الدين فقال له يا ولدي خيب الله الغربة فقد قال رسول الله ﷺ من سعادة المرء أن يرزق في بلده وقال الأقدمون دع السفر ولو كان ميلاً ثم قال لولده هل صممت على السفر ولا ترجع عنه فقال له ولده لابد لي من السفر إلى بغداد بمتجر وإلا قلعت ثيابي ولبست ثياب الدراويش وطلعت سائحاً في البلاد فقال له ما أنا محتاج ولا معدم بل عندي مال كثير

وأراه جميع ما عنده من المال والمتاجر والقماش وقال له أنا عندي لكل بلد ما يناسبها من القماش والمتاجر وأراه من جملة ذلك أربعين حملاً محزمين ومكتوباً على كل جمل ثمنه ألف دينار ثم قال يا ولدي خذ الأربعين حملاً والعشرة أحمال التي من عند أمك وسافر مع سلامة الله تعالى ولكن يا ولدي أخاف عليك من غابة في طريقك تسمى غابة الأسد وواد هناك يقال له وادي الكلاب فإنهما تروح فيهما الأرواح بغير سماح فقال له لماذا يا والدي فقال من بدوى قاطع الطريق يقال له عجلان فقال له الرزق رزق الله وأن كان لي فيه نصيب لم يصيبني ضرر ثم ركب علاء الدين مع والده وسار إلى سوق الدواب وإذا بعكام نزل من فوق بغلته وقبل يد شاه بندر التجار وقال له والله زمان يا سيدي ما استقضيتنا في تجارات فقال له لكل زمان دولة ورجال ورحم الله من قال:

وشـ ـيخ فـ ـي جهـ ـات الأرض يمشـ ـي	ولحيتـ . . . ـه تقابـ . . . ـل ركبتيـ . . . ـه
فقلـ ـت لـ ـه لمـ ـاذا أنـ ـت محـ ـن	فقـ ـال وقـ ـد لـ ـوى نحـ ـوي يديـ ـه
شبابي فـ ـي الثـ ـرى قـ ـد ضـ ـاع منـ ـي	وهـ ـا أنـ ـا مـ ـنحن بحثـ ـاً عليـ ـه

فلما فرغ من شعره قال يا مقدم ما مراده السفر إلا ولدي هذا فقال له العكام الله يحفظه عليك ثم أن شاه بندر التجار عاهد بين ولده وبين العكام وجعله ولده وأوصاه عليه وقال له خذ هذه المائة دينار لغلمانك ثم أن شاه بندر التجار اشترى ستين بغلاً وستر السيدي عبد القادر الجيلاني وقال له يا ولدي أنا غائب وهذا أبوك عوضاً عني وجميع ما يقوله لك طاوعه فيه ثم توجه بالبغال والغلمان وعملوا في تلك الليلة ختمة ومولد الشيخ عبد القادر الجيلاني ولما أصبح الصباح أعطي شاه بندر التجار لولده عشرة آلاف دينار وقال له إذا دخلت بغداد ولقيت القماش رائجاً معه فبعه وأن لقيت حاله واقفاً فأصرف من هذه الدنانير ثم حملوا البغال وودعوا بعضهم. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٩١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن علاء الدين والعكام لما أمروا العبيد أن يحملوا البغال ودعوا شاه بندر التجحار والد علاء الدين وساروا متوجهين حتى خرجوا من المدينة وكان محمود البلخي تجهز للسفر إلى جهة بغداد وأخرج حمولة ونصب صواوينه خارج المدينة وقال في نفسه ما تحظى بهذا الولد إلا في الخلاء لأنه لا واشي ولا رقيب يعكر عليك وكان لأب الولد ألف دينار عند محمود البلخي بقية معاملة فذهب إليه وودعه وقال له أعط الألف دينار لولدي علاء الدين وأوصاه عليه وقال أنه مثل ولدك فاجتمع علاء الدين بمحمود البلخي فقام محمود البلخي ووصى طباخ علاء الدين أنه لا يطبخ شيئاً وصار محمود يقدم لعلاء الدين المأكل والمشرب هو وجماعته ثم توجهوا للسفر وكان للتاجر محمود البلخي أربعة بيوت واحد في مصر وواحد في الشام وواحد في حلب وواحد في بغداد ولم يزالوا مسافرين في البراري والقفار حتى أشرفوا على الشام فأرسل محمود عبده إلى علاء الدين فرآه قاعداً يقرأ فتقدم وقبل يديه فقال ما تطلب فقال له سيدي يسلم عليك ويطلعك لعزومتك في منزله فقال له لما أشاور أبي المقدم كمال الدين العكام فشاوره على الرواح فقال له لا ترح ثم سافروا من الشام إلى أن دخلوا حلب فعمل محمود البلخي عزومة وأرسل يطلب علاء الدين فشاور المقدم فمنعه وسافروا من حلب إلى أن يقي بينهم وبين بغداد مرحلة فعمل محمود البلخي عزومة

وأرسل يطلب علاء الدين فشاور المقدم فمنعه فقال علاء الدين لابد لي من الرواح ثم قام وتقلد بسيف تحـ ت ثيابه وسار إلى أن دخل على محمود البلخي فقام لملتقاه وسلم عليه وأحضر له سفرة عظيمة فأكلوا وشـ ربوا وغلوا أيديهم ومال محمود البلخي على علاء الدين ليأخذ منه قبلة فلاقاها في كفه وقال له ما مرادك أن تعمل فقال أني أحضرتك ومرادي أعمل معك حظاً في هذا المجال ونفسر قول من قال:

أيمكـ . ـن أن تجـ . ـيء لنـ . ـا لحظ . ـه	كحلـ . ـب شـ . ـويهة أوشـ . ـى بيضـ . ـه
وتأكـ . ـل مـ . ـا تيسـ . ـر مـ . ـن خبيـ . ـز	وتقـ .ـبض مـ .ـا تحمـ .ـل مـ .ـن فضيضـ .ـه
وتحمـ .ـل مـ .ـا تشـ .ـاء بغيـ .ـر عسـ .ـر	شـ . . ـبيرا أو فتيـ . . ـراً أو قبيضـ . . ـه

ثم أن محمود البلخي هم بعلاء الدين وأراد أن يفترسه فقام علاء الدين وجرد سيفه وقال له واشيبتاه أما تخشى الله وهو شديد المحال ولم تسمع قول من قال:

احفـ .ـظ مشـ ـيبك مـ ـن عيـ ـب يدنسـ ـه	أن البيـ .ـاض سـ .ـريع الحمـ .ـل للـ .ـدنس

فلما فرغ علاء الدين من شعره قال لمحمود أن هذه البضاعة أمانة الله لا تباع ولو بعتها لغيرك بالذهب لبعتها لك بالفضة ولكن والله يا خبيث ما بقيت أرافقك أبداً ثم رجع علاء الدين إلى المقدم كمال الدين وقال له أن هذا رجل فاسق فأنا ما بقيت أرافقه أبداً ولا أمشني معه في طريق فقال له يا ولدي أما قلت لك لا تـ ـروح عنده ولكن يا ولدي أن افترقنا منه نخشى على أنفسنا التلف فحلنا قفلا واحداً فقال له لا يمكن أن أرافقه فـ ـي الطريق أبداً ثم حمل علاء الدين حموله وسار هو ومن معه إلى أن نزلوا في واد وأرادوا أن يحطوا فيه فقال العكام لا تحطوا هنا واستمروا رائحين وأسرعوا في المسير لعلنا نحصل بغداد قبل أن تقفل أبوابها فـ ـإنهم لا يفتحونها ولا يقفلونها إلا بعد الشمس خوفاً على المدينة أن يملكها الروافض ويرموا كتب العلم في الدجلة فقال له يا والدي أنا ما توجهت بهذا المتجر إلى هذه البلد لأجل أن أتسبب بل لأجل الفرجة على بلاد الناس فقال له يا ولدي نخشى عليك وعلى مالك من العرب فقال له علاء الدين هل أنت خادم أو مخدوم أنا ما أدخل بغـ ـداد إلا وقت الصباح لأجل أن تنظر أولاد بغداد إلى متجري ويعرفوني فقال له العكام أفعل ما تريد فأنا نصحتك وأنت تعرف خلاصك فأمرهم علاء الدين بتنزيل الأحمال عن البغال فأنزلوا الأحمـ ـال ونصـ ـبوا الصـ ـيوان واستمروا مقيمين إلى نصف الليل ثم طلع علاء الدين يزيل ضرورة فرأى شيئاً يلمع على بعد فقال للعكام يا مقدم ما هذا الشيء الذي يلمع فتأمل العكام وحقق النظر فرأى الذي يلمع أسنة رماح وحديد وسلاح وسـ ـيوفاً بدوية وإذا بهم عرب ورئيسهم يسمى شيخ العرب عجلان أبو ناب ولما قرب العرب مـ ـنهم ورأوا حمـ ـولهم قالوا لبعضهم يا ليلة الغنيمة فلما سمعوهم يقولون ذلك قال المقدم كمال الدين العكام حاس يـ ـا أقـ ـل العـ ـرب فلطشه أبو ناب بحربته في صدره فخرجت تلمع من ظهره فوقع على باب الخيمة قتيلاً فقال السقا حـ ـاس يـ ـا أخس العرب فضربوه بسيف على عاتقه فخرج يلمع من علائقه ووقع قتيلاً كل هذا جرى وعلاء الدين واقف ينظر ثم أن العرب جالوا وصالوا على القافلة فقتلوهم ولم يبق أحد من طائفة علاء الدين ثم حملوا الأحمـ ـال على ظهور البغال وراحوا فقال علاء الدين لنفسه ما يقتلك إلا بغلتك وبدلتك هذه فقام وقطع البدلـ ـة ورماهـ ـا على ظهر البغلة وصار القميص واللباس فقط والتفت قدامه إلى باب الخيمة فوجد بركة دم سائلة من القتلـ ـى

فصار يتمرغ فيها بالقميص واللباس حتى صار كالقتيل الغريق في دمه هذا ما كان من أمره (وأما) ما كـ ـان من أمر شيخ العرب عجلان فإنه قال لجماعته يا عرب هذه القافلة داخلة من مصر أو خارجة مـ ـن بغـ ـداد. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٩٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن البدوي لما قال لجماعته يا عرب هذه القافلة داخلـ ـه مـ ـن مصـ ـر أو خارجة من بغداد فقالوا له داخلة من مصر إلى بغداد فقال لهم ردوا على القتلى لأني أظن أن صـ ـاحب هـ ـذه القافلة لم يمت فرد العرب على القتلى وصاروا يردون القتلى بالطعن والضرب إلى أن وصلوا إلـ ـى عـ ـلاء الدين وكان قد القى نفسه بين القتلى فلما وصلوا إليه قالوا أنت جعلت نفسك ميتاً فنحن نكمل قتلـ ـك وسـ ـحب البدوي الحربة وأراد أن يغرزها في صدر علاء الدين فقال علاء الدين يا بركتك يا سيدتي نفيسة هذا وقتـ ـك وإذا بعقرب لدغ البدوي في كفه فصرخ وقال يا عرب تعالوا إلي فأني لدغت ونزل من فوق ظهر فرسه فأتاه رفقاؤه وأركبوه ثانياً على فرسه وقالوا له أي شيء أصابك فقال لهم لدغني عقرب ثم أخذوا القافلة وسـ ـاروا هذا ما كان من أمرهم (وأما) ما كان من أمر محمود البلخي فإنه أمر بتحميل الأحمال وسافر إلى أن وصـ ـل إلى غابة الأسد فوجد غلمان علاء الدين كلهم قتلى وعلاء الدين نائماً وهو عريان بالقميص واللباس فقط فقال له من فعل بك هذه الفعال وخلاك في أسوأ حال فقال له العرب فقال له يا ولدي فداك البغال والأموال وتسـ ـل بقول من قال:

إذا سلمت هـ ـام الرجـ ـال مـ ـن الـ ـردي	فمـ ـا المـ ـال إلا مثـ ـل قـ ـص الأظـ ـافر

ولكن يا ولدي أنزل ولا تخش بأساً فنزل علاء الدين من شباك الصهريج وأركبه بغلة وسافروا إلى أن دخلوا مدينة بغداد في دار محمود البلخي فأمر بدخول علاء الدين الحمام وقال له المال والأحمال فداؤك يـ ـا ولدي وأن طاوعتني أعطيك قدر مالك وأحمالك مرتين وبعد طلوعه من الحمام أدخله قاعة مزركشة بالذهب لها أربعة لواوين ثم أمر بإحضار سفرة فيها جميع الأطعمة فأكلوا وشربوا ومال محمود البلخي على عـ ـلاء الدين ليأخذ من خده قبلة فلقيها علاء الدين بكفه وقال له هل أنت إلى الآن تابع لضلالك أما قلت لك أنـ ـا لـ ـو كنت بعت هذه البضاعة لغيرك بالذهب ما كنت أبيعها لك بالفضة فقال أنا ما أعطيتك المتجر والبغلة والبدلـ ـة إلا لأجل هذه القضية فأنني من غرامي بك في خيال ولله در من قال:

حـ ـ ـدثنا عـ ـ ـن بعـ ـ ـض أشـ ـ ـياخه	أبـ ـ ـو بـ ـ ـلال شـ ـ ـيخنا عـ ـ ـن شـ ـ ـريك
لا يشـ ـ ـتفي العاشـ ـ ـق ممـ ـ ـا بـ ـ ـه	بالضـ ـ ـم والتقبيـ ـ ـل حتـ ـ ـى ينيـ ـ ـك

فقال له علاء الدين أن هذا لشيء لا يمكن أبداً فخذ بدلتك وبغلتك وافتح الباب حتى أروح ففتح له الباب فطلع علاء الدين والكلاب تنبح وراءه وسار فبينما هو سائر إذ رأى باب مسجد فدخل في دهليـ ـز المسـ ـجد واستكن فيه وإذا بنور مقبل عليه فتأمله فرأى فانوسين في يد عبدين قدام اثنين من التجار واحد منهما اختيار حسن الوجه والثاني شاب فسمع الشاب يقول للاختيار بالله يا عمي أن ترد لي بنت عمي فقال له أما نهيتـ ـك مراراً عديدة وأنت جاعل الطلاق مصحفك ثم أن الاختيار التفت على يمينه فرأى ذلك الولد كأنه فلقـ ـة قمـ ـر

فقال له السلام عليك فرد عليه السلام فقال له يا غلام من أنت فقال له أنا علاء الدين ابن شمس الدين شاه بندر التجار بمصر وتمنيت على والدي المتجر فجهز لي خمسين حملاً من البضاعة وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٩٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن علاء الدين قال فجهز لي خمسين حملاً من البضاعة وأعطاني عشرة آلاف دينار وسافرت حتى وصلت إلى غابة الأسد فطلع على العرب وأخذوا مالي وأحمالي فدخلت هذه المدينة وما أدري أين أبيت فرأيت هذا المحل فاستكنت فيه فقال له يا ولدي ما تقول في أني أعطيك ألف دينار وبدلة بألف دينار فقال له علاء الدين على أي وجه تعطيني ذلك يا عمي فقال له أن هذا الغلام الذي معي ابن أخي ولم يكن لأبيه غيره وأنا عندي بنت لم يكن لي غيرها تسمي زبيدة العودية وهي ذات حسن وجمال فزوجتها له وهو يحبها وهي تكرهه فحنث في يمينه بالطلاق الثلاث فما صدقت زوجته بذلك حتى افترقت منه فساق على جميع الناس أني أردها له فقلت له هذا لا يصح إلا بالمحلل واتفقت معه على أن نجعل المحلل له واحد غريباً لا يعايره أحد بهذا الأمر وحيث كنت أنت غريباً فتعال معنا لكتب كتابك عليها وتبيت عندها هذه الليلة وتصبح تطلقها ونعطيك ما ذكرته لك فقال علاء الدين في نفسه مبيتي ليلة مع عروس في بيت على فراش أحسن من مبيتي في الأزقة والدهاليز فسار معهما إلى القاضي فلما نظر القاضي إلى علاء الدين وقعت محبته في قلبه وقال لأبي البنت أي شيء مرادكم فقال مرادنا أن نعمل هذا محللاً لبنتنا ولكن نكتب عليه حجة بمقدم الصداق عشرة آلاف دينار فإذا بات عندها وأصبح طلقها أعطيناه بدلة بألف دينار فعقدوا والعقد على هذا الشرط وأخذ أبو البنت حجة بذلك ثم أخذ علاء الدين معه وألبسه البدلة وساروا به إلى أن وصلوا دار بنته فأوقفه على باب الدار ودخل على بنته وقال لها خذي حجة صداقك فأني كتبت كتابك على شاب مليح يسمى علاء الدين أبا الشامات فتوصي به غاية الوصية ثم أعطاها الحجة وتوجه إلى بنته وأما ابن عم البنت فإنه كان له قهرمانة تتردد على زبيدة العودية بنت عمه وكان يحسن إليها فقال لها يا أمي أن زبيدة بنت عمي متى رأت هذا الشاب المليح لم تقبلني بعد ذلك فأنا أطلب منك أن تعملي حيلة وتمنعي الصبية عنه فقالت له وحياة شبابك ما أخليه يقربها ثم أنها جاءت لعلاء الدين وقالت له يا ولدي أنصحك لله تعالى فأقبل نصيحتي ولا تقرب تلك الصبية ودعها تنام وحدها ولا تلمسها ولا تدن منها فقال لأي شيء فقالت له إن جسدها ملآناً بالجذام وأخاف عليك منها أن تعدي شبابك المليح فقال لها ليس لي بها حاجة ثم انتقلت إلى الصبية وقالت لهما مثل ما قالت لعلاء الدين فقالت لها لا حاجة لي به بل أدعه ينام وحده ولما يصبح الصباح يروح لحال سبيله ثم دعت جارية وقالت لها خذي سفرة الطعام وأعطيها له يتعشى فحملت له الجارية سفرة الطعام ووضعتها بين يديه فأكل حتى اكتفى ثم قعد وقرأ سورة يس بصوت حسن فصغت له الصبية فوجدت صوته يشبه مزامير آل داود فقالت في نفسها الله ينكد على هذه العجوز التي قالت لي عليه إنه مبتلى بالجذام فمن كانت به هذه الحالة لا يكون صوته هكذا وإنما هذا الكلام كذب عليه ثم إنها وضعت في يديها عوداً من صنعة الهنود وأصلحت أوتاره وغنت عليه بصوت يوقف الطير في كبد السماء وأنشدت هذين البيتين:

تعشقت ظبياً نـ ـاعس الطـ ـرف أحـ ـوراً تغـ ـار غصـ ـون البـ ـان منـ ـه إذا مشـ ـى
بمـ ـا تغنـ ـى والغيـ ـر يحظـ ـى بوصـ ـله وذلـ ـك فضـ ـل الله يؤتيـ ـه مـ ـن يشـ ـا

فلما سمعها أنشدت هذا الكلام بعد أن ختم السورة غنى هو وأنشد هذا البيت:

سلامي على ما في الثيـ ـاب مـ ـن القـ ـد وما فـ ـي خـ ـدود البسـ ـاتين مـ ـن الـ ـورد

فقامت الصبية وقد زادت محبتها له ورفعت الستارة فلما رآها علاء الدين أنشد هذين البيتين:

بـ ـدت قمـ ـر ومالـ ـت غصـ ـن بـ ـان وفاحـ ـت عنبـ ـراً ورنـ ـت غـ ـزالاً
كـ ـأن الحـ ـزن مشـ ـغوف بقلبـ ـي فسـ ـاعة هجرهـ ـا يجـ ـد الوصـ ـالا

ثم أنها خطرت تهزأ رداً فأتميل بإعطاف صنعة خفى الألطاف ونظر كل واحد منهما نظرة أعقبته ألف خسرة فلما تمكن في قلبه منها سهم اللحظين وأنشد هذين البيتين:

بـ ـدت قمـ ـر السـ ـماء فـ ـأذكرتني ليـ ـالي وصـ ـلها بـ ـالرقمتين
كلانـ ـا نـ ـاظر قمـ ـراً ولكـ ـن رأيـ ـت بعينهـ ـا ورأت بعينـ ـي

فلما قربت منه ولم يبق بينه وبينها غير خطوتين وأنشد هذين البيتين:

نشـ ـرت ثـ ـلاث ذوائـ ـب مـ ـن شـ ـعرها فـ ـي ليلـ ـة فـ ـأرت ليـ ـالي أربعـ ـاً
واسـ ـتقبلت قمـ ـر السـ ـماء بوجههـ ـا فـ ـأرتني القمـ ـرين فـ ـي وقـ ـت معـ ـا

فلما أقبلت عليه قال لها ابعدي عني لئلا تعديني فكشفت عن معصمها فانفرق المعصم فرقتين وبياضـ ـه كبياض اللجين ثم قالت له أبعد عني فإنك مبتلى بالجذام لئلا تعديني فقال لها من أخبرك أني مجذوم فقالت له العجوز أخبرتني بذلك فقال لها وأنا الآخر أخبرتني بالعجوز أنك مصابة بالبرص ثم كشف لها عـ ـن ذراعـ ـه فوجدت بدنه كالفضة النقية فضمته إلى حضنها وضمها إلى صدره واعتنق الأثنان ببعضهما ثم أخذته وراحت على ظهره وفكت لباسها فتحرك عليه الذي خلفه له الوالد فقالت مددك يا شيخ زكريا يا أبا العروق وحط يديه في خارتيها ووضع عرق الحلاوة في الخرق فوصل إلى باب الشعرية وكان مورده من باب الفتوح وبعد ذلك دخل سوق الأثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس وفجد البساط على قدر الليوان ودور الحق على غطاه حتـ ـى التقاه فلما أصبح الصباح قال لها يافرحة ما تمت أخذها الغراب وطار فقالت له ما معنى هذا الكلام فقال لهـ ـا سيدتي ما بقى لي قعود معك غير هذه الساعة فقالت له من يقول ذلك فقال لها أن أباك كتب على حجة بعشرة آلاف دينار مهرك وأن لم أوردها في هذا اليوم حبسوني عليها في بيت القاضي والآن يدي قصيرة عن نصف فضة واحد من العشرة آلاف دينار فقالت له يا سيدي هل العصمة بيدك أو بأيديهم فقال لها العصـ ـمة بيـ ـدي ولكن ما معي شيء فقالت له أن الأمر سهل ولا نخش شيئاً ولكن خذ هذه المائة دينار ولو كان معي غيرهـ ـا لأعطيتك ما تريد فإن أبي من محبته لابن أخيه حول جميع ما له من عندي إلى بيته حتى صيغتي أخذها كلها وإذا أرسل إليك رسولاً من طرف الشرع في غد وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٩٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الصبية قالت لعلاء الدين وإذا أرسلوا إليك رسولاً من طرف الشـ ـرع في غد وقال لك القاضي وأبي طلق فقل لهما في أي مذهب يجوز أنني أتزوج في العشاء وأطلق في الصباح ثم أنك تقبل يد القاضي وتعطيه أحساناً وكذا كل شاهد تقبل يده وتعطيه عشرة دنانير فكلهم يتكلمون معك فإذا قالوا لك لأي شيء ما تطلق وتأخذ ألف دينار والبغلة والبدلة على حكم الشرط الذي شرطناه عليك فقل لهم أنا عندي فيها كل شعرة بألف دينار ولا أطلقها أبداً ولا آخذ بدلة ولا غيرها فإذا قال لك القاضي أدفع المهر فقل لهم أنا معسر الآن وحينئذ يسترفق بك القاضي والشهود ويمهلونك مدة فبينما هما في الكـ ـلام وإذا برسـ ـول القاضي يدق الباب فخرج إليه فقال له الرسول كلم الأفندي فإن نسيبك طالبك فأعطاه خمسة دنانير وقال له يا محضر في أي شرع أني أتزوج في العشاء وأطلق في الصباح فقال له لا يجوز عندنا أبداً وأن كنت تجهـ ـل الشرع فأنا أعمل وكيلك وساروا إلى المحكمة فقالوا له لأي شيء لم تطلق المرأة وتأخذ ما وقع عليه الشـ ـرط فتقدم إلى القاضي وقبل يده ووضع فيها خمسين ديناراً وقال له يا مولانا القاضي في أي مذهب أني أتـ ـزوج في العشاء وأطلق في الصباح قهراً عني فقال القاضي لا يجوز الطلاق بالإجبار في أي مذهب من مـ ـذاهب المسلمين فقال أبو الصبية إن لم تطلق فادفع الصداق عشرة آلاف دينار فقال علاء الدين أمهلني ثلاثـ ـة أيـ ـام فقال القاضي لا تكف ثلاثة أيام في المهلة يمهلك عشرة أيام واتفقوا على ذلك وشرطوا عليه بعد العشرة أيـ ـام إما المهر وإما الطلاق وطلع من عندهم على هذا الشرط فأخذ اللحم والأرز والسمن وما يحتاج إليه الأمر من المأكل وتوجه إلى البيت فدخل على الصبية وحكى جميع ما جرى له فقالت له بين الليـ ـل والنهـ ـار يسـ ـاوي عجائب ولله در من قال:

كـ . ـن حليمـ . ـاً إذا بليـ . ـت بغـ . ـيظ	وصـ . . ـبوراً إذا أتتـ . . ـك مصـ . . ـيبة
فالليـ . ـالي مـ . ـن الزمـ . ـان حبـ . ـالى	مـ . . ـثقلات يلـ . . ـدن كـ . . ـل عجيبـ . . ـة

ثم قامت وهيأت الطعام وأحضرت السفرة فأكلا وشربا وتلذذا وطربا ثم طلب منها أن تعمل نوبة سماع فأخذت العود وعملت نوبة يطرب منها الحجر الجلمود ونادت الأوتار في الحضرة يا داود ودخلت في دارج النوبة فبينما هما في حظ ومزاح وبسط وانشراح وإذا بالباب يطرق فقالت له قم انظر من بالباب فنزل وفـ ـتح الباب فوجدا ربع دراويش بالباب واقفين فقال لهم أي شيء تطلبون فقالوا له يا سيدي نحن دراويش غربـ ـاء الديار وقوت أرواحنا السماع ورقائق الأشعار ومرادنا أن نرتاح عندك هذه الليلة إلى وقت الصباح ثم نتوجه إلى حال سبيلنا وأجرك على الله تعالى فإننا نعشق السماع وما فينا واحـ ـد إلا ويحفـ ـظ القصـ ـائد والأشـ ـعار والموشحات فقال لهم على مشورة ثم طلع وأعلمها فقالت له افتح لهم الباب وأطلعهم وأجلسهم ورحب بهم ثم أحضر لهم طعاماً فلم يأكلوا وقالوا له يا سيدي أن زادنا ذكر الله بقلوبنا وسماع المغاني بآذانـ ـا ولله در مـ ـن قال:

ومـ ـا القصـ ـد إلا أن يكـ ـون اجتماعنـ ـا	ومـ . ـا الأكـ . ـل إلا سـ . ـيمة للبهـ . ـائم

وقد كنا نسمع عندك سماعاً لطيفاً فلما طلعنا بطل السماع فيا هل ترى التي كانت تعمل النوبة جارية بيضاء أو سوداء أو بنت ناس فقال لهم هذه زوجتي وحكى لهم جميع ما جرى له وقال لهم أن نسيبي عمل على عشرة آلاف دينار مهرها وأمهلوني عشرة أيام فقال درويش منهم لا تحزن ولا تأخذ في خاطرك إلا الطيب فأنا شيخ التكية وتحت يدي أربعون درويشاً أحكم عليهم وسوف أجمع لك العشرة آلاف دينار منهم وتوفي المهر الذي عليك لنسيبك ولكن آمرها أن تعمل لنا نوبة لأجل أن ننحظ ويحصل لنا انتعاش فإن السماع لقوم كالغذاء ولقوم كالدواء ولقوم كالمروحة وكان هؤلاء الدراويش الأربعة الخليفة هارون الرشيد والوزير جعفر البرمكي وأبو نواس الحسن بن هانيء ومسرور سياف النقمة وسبب مرورهم على هذا البيت أن الخليفة حصل له ضيق صدر فقال للوزيران مرادنا أن ننزل ونشق في يالمدينة لأنه حاصل عندي ضيق صدر فلبسوا لبس الدراويش ونزلوا في المدينة فجازوا على تلك الدار فسمعوا النوبة فأحبوا أن يعرفوا حقيقة الأمر ثم أنهم باتوا في حظ ونظام ومناقلة كلام إلى أن أصبح الصباح فحط الخليفة مائة دينار تحت السجادة ثم أخذوا خاطره وتوجهوا إلى حال سبيلهم فلما رفعت الصبية السجادة رأت مائة دينار تحتها فقالت لزوجها خذ هذه المائة دينار التي وجدتها تحت السجادة لأن الدراويش حطوها قبل ما يروحوا وليس عندنا علم بذلك فأخذها علاء الدين وذهب إلى السوق واشتري منها اللحم والأرز والسمن وجميع ما يحتاج إليه وفي ثاني ليلة قاد الشمع. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٩٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن علاء الدين قاد الشمع في ثاني ليلة وقال لزوجته زبيدة أن الدراويش لم يأتوا بالعشرة آلاف دينار التي وعدوني بها ولكن هؤلاء فقراء فبينما هما في الكلام وإذا بالدراويش قد طرقوا الباب فقالت له أنزل أفتح لهم ففتح لهم وطلعوا فقال لهم هل أحضرتم العشرة آلاف دينار التي وعدتموني بها فقالوا له ما تيسر منها شيء ولكن لا تخش بأساً أن شاء الله في غد نطبخ لك طبخة كيمياء وأمر زوجتك أن تسمعنا نوبة عظيمة تنتعش بها قلوبنا فإننا نحب السماع فعملت لهم نوابة على العود ترقص الحجر الجلمود فباتوا في هناء وسرور ومسامرة وحبور إلى أن طلع الصباح وأضاء بنوره ولاح فحط الخليفة مائة دينار تحت السجادة ثم أخذوا خاطره وانصرفوا من عنده إلى حال سبيلهم ولم يزالوا يأتون إليه على هذا الحال مدة تسع ليال وكل ليلة يحط الخليفة تحت السجادة مائة دينار إلى أن أقبلت الليلة العاشرة فلم يأتوا وكان السبب في انقطاعهم أن الخليفة أرسل إلى رجل عظيم من التجار وقال له أحضر لي خمسين حملاً من الأقمشة التي تجيء من مصر وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٩٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أمير المؤمنين قال لذلك التاجر أحضر لي خمسين حملاً من القماش الذي يجيء من مصر يكون كل حمل ثمنه ألف دينار واكتب على كل حمل ثمنه وأحضر لي عبداً حبشياً فأحضر له التاجر جميع ما أمره به ثم أن الخليفة أعطى العبد طشتاً وأبريقاً من الذهب وهدية والخمسين حملاً وكتب كتاباً على لسان شمس الدين شاه بندر التجار بمصر والد علاء الدين وقال له خذ هذه الأحمال وما معها ورح بها الحارة الفلانية التي فيها بيت شاه بندر التجار وقل أين سيدي علاء الدين أبو الشامات فإن

الناس يدلونك على الحارة وعلى البيت فأخذ العبد الأحمال وما معها وتوجه كما أمره الخليفة هذا ما كان من أمره (وأما) ما كان من أمر ابن عم الصبية فإنه توجه إلى أبيها وقال له تعال نروح لعلاء الدين لنطلق بنت عمي فنزل وسار هو وأياه وتوجها إلى علاء الدين فلما وصلا إلى البيت وجدا خمسين بغلاً وعليها خمسون حملاً من القماش وعبداً راكب بغلة فقالا له لمن هذه الأحمال فقال لسيدي علاء الدين أبي الشامات فإن أباه كان جهز له متجراً وسفره إلى مدينة بغداد فطلع عليه العرب فأخذوا ماله وأحماله فبلغ الخبر إلى أبيه فأرسلني إليه بالجمال عوضا وأرسل له معي بغلاً عليه خمسون ألف دينار وبقجة تساوي جملة من المال وكرك سمور وطشتاً وأبريقاً من الذهب فقال له أبو البنت هذا نسيبي وأنا أدلك على بيته فبينما علاء الدين قاعد في البيت وهو في غم شديد وإذا بالباب يطرق فقال علاء الدين يا زبيدة الله أعلم أن أباك أرسل إلى رسولاً من طرف القاضي أو من طرف الوالي فقالت له أنزل وأنظر الخبر فنزل وفتح الباب فرأى نسيبه شاه بندر التجار أبا زبيدة ووجد عبداً حبشياً أسمر اللون حلو المنظر راكباً فوق بغلة فنزل العبد وقبل يديه فقال له أي شيء تريد فقال له أنا عبد سيدي علاء الدين أبي الشامات بن شمس الدين شاه بندر التجار يا أرض مصر وقد أرسلني إليه أبوه بهذه الأمانة ثم أعطاه الكتاب فأخذه علاء الدين وفتحه وقرأه فرأى مكتوباً فيه:

يـ . . ـا كتـ . . ـابي إذا رآك حبيبـ . . ـي	قبـ . . ـل الأرض والنعـ . . ـال لديـ . . ـه
وتمهـ . . ـل ولا تكـ . . ـن بعجـ . . ـول	أن روحـ . ـي وراحتـ . ـي فـ . ـي يديـ . ـه

بعد السلام والتحية والأكرام من شمس الدين إلى ولده علاء الدين أبي الشامات أعلم يا ولدي أنه بلغني خبر قتل رجالك ونهب أموالك وأحمالك فأرسلت غليك غيرها هذه الخمسين حملاً من القماش المصري والبدلة والكرك السمور والطشت والأبريق الذهب ولا تخش بأساً والمال فداؤك يا ولدي ولا يحصل لك حزن أبداً وأن أمك وأهل البيت طيبون بخير وهم يسلمون عليك كثير السلام وبلغني يا ولدي خبر وهو أنهم عملوك محللاً للبنت زبيدة العودية وعملوا عليك مهرها خمسين ألف دينار فهي واصلة إليك صحبة الأحمال مع عبدك سليم فلما فرغ من قراءة الكتاب تسلم الأحمال ثم التفت إلى نسيبه وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٩٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن علاء الدين لما التفت إلى نسيبه قال له يا نسيبي خذ الخمسين ألف دينار مهر بنتك زبيدة وخذ الأحمال تصرف فيها ولك المكسب ورد لي رأس المال فقال له لا والله لا آخذ شيئاً وأما مهر زوجتك فأتفق أنت وأياها من جهته فقام علاء الدين هو ونسيبه ودخلا البيت بعد إدخال الجمول فقالت زبيدة لأبيها يا أبي لمن هذه الأحمال فقال لها هذه الأحمال لعلاء الدين زوجك أرسلها إليه أبوه عوضاً عن الأحمال التي أخذها العرب منه وارسل إليه الخمسين ألف دينار وبقجة وكرك سمور وبغلة وطشتاً وأبريقاً ذهباً وأما من جهة مهرك فالرأي لك فيه فقام علاء الدين وفتح الصندوق وأعطاها أياه فقال الولد ابن عم البنت يا عم خل علاء الدين بطلق لي أمرأتي قال له هذا شيء ما بقي يصح أبداً والعصمة بيده فراح الولد مهموماً مقهوراً ورقد في بيته ضعيفاً فكانت القاضية فمات وأما علاء الدين فإنه طلع إلى السوق بعد أن أخذ الأحمال وأخذ ما يحتاج إليه من المأكل والمشرب والسمن وعمل نظاماً مثل كل ليلة وقال لزبيدة

انظري هؤلاء الدراويش الكذابين قد وعدونا وأخلفوا وعدهم فقالت له أنت ابن شاه بندر التجار وكانت يـ دك قصيرة عن نصف فضة فكيف بالمساكين الدراويش فقال لها أغنانا الله تعالى عنهم ولكن ما بقيت أفـ تح لهـ م الباب إذا أتوا إلينا فقالت له لأي شيء والخير ما جاءنا إلا على قدومهم وكل ليلة يحطون لنا تحت السـ جادة مائة دينار فلابد أن تفتح لهم الباب إذا جاءوا فلما ولى النهار بضيائه وأقبل الليل قادوا الشمع وقال لهـ ا يـ ا زبيدة قومي اعملي لنا نوبة وإذا بالباب يطرق فقالت له قم انظر من بالباب فنزل وفتح الباب فرآهم الدراويش فقال مرحباً بالكذابين اطلعوا فطلعوا معه وأجلسهم وجاء لهم بسفرة الطعام فأكلوا وشربوا وتلـ ذذوا وطربـ وا وبعد ذلك قالوا له يا سيدي أن قلوبنا عليك مشغولة أي شيء جرى لك مع نسيبك فقال لهم عوض الله عليـ ا بما فوق المراد فقالوا له والله أنا كنا خائفين عليك وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٩٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الدراويش قالوا لعلاء الدين والله أنا كنا خائفين عليـ ك ومـ ا منعنـ ا الأقصر أيدينا عن الدراهم فقال لهم قد أتاني الفرج القريب من ربي وقد أرسل إلى والدي خمسين ألف دينار وخمسين حملاً من القماش ثمن كل حمل ألف دينار وبدلة وكرك سمور وبغلة وعبداً وطشـ تاً وأبريقـ اً مـ ن الذهب ووقع الصلح بيني وبين نسيبي وطابت لي زوجتي والحمد لله على ذلك ثـ م أن الخليفـ ة قـ ام يزيـ ل ضرورة فمال الوزير جعفر على علاء الدين وقال له الزم الأدب فإنك في حضرة أمير المؤمنين فقال له أي شيء وقع مني من قلة الأدب في حضرة أمير المؤمنين ومن هو أمير المؤمنين منكم فقال له أن الذي كـ ان يكلمك وقام يزيل الضرورة هو أمير المؤمنين الخليفة هارون الرشيد وأنا الوزير جعفر وهذا مسرور سـ ياف نقمته وهذا أبو نواس الحسن بن هانيء فتأمل بعقلك يا علاء الدين وانظر مسافة كم يوم في السفر من مصر إلى بغداد فقال له خمسة وأربعون يوماً فقال له أن حمولك نهبت من منذ عشرة أيام فقط فكيف يروح الخبـ ر لأبيك ويحزم لك الأحمال وتقطع مسافة خمسة وأربعين يوماً في العشرة أيام فقال له يا سيدي ومن أين أتاني هذا فقال له من عند الخليفة أمير المؤمنين بسبب فرط محبته لك فبينما هم في هذا الكلام وإذا بالخليفة قد أقبل فقام علاء الدين وقبل الأرض بين يديه وقال له الله يحفظك يا أمير المؤمنين ويديم بقاءك ولا عـ دم النـ اس فضلك وأحسانك فقال يا علاء الدين خل زبيدة تعمل لنا نوبة جلاوة السلامة فعملت نوبة عـ لى العـ ود مـ ن غرائب الموجود إلى أن طرب لها الحجر الجلمود وصاح العود في الحضرة يا داود فباتوا على أسر حال إلى الصباح فلما أصبحوا قال الخليفة لعلاء الدين في غدا طلع الديوان فقال له سمعاً وطاعة يا أمير المـ ؤمنين إن شاء الله تعالى وأنت بخير ثم أن علاء الدين أخذ عشرة أطباق ووضع فيها هدية سنية وطلع بها الديوان فـ ي ثاني يوم فبينما الخليفة قاعد على الكرسي في الديوان وإذا بعلاء الدين مقبل من باب الديوان وهو ينشد هذين البيتين:

تصـ . ـحبك السـ . ـعادة كـ . ـل يـ . ـوم	بـ . ـإجلال علـ . ـى رغـ . ـم الحسـ . ـود
ولا زالـ . ـت الأيـ . ـام لـ . ـك بيضـ . ـا	وأيـ . ـام الـ . ـذي عـ . ـاداك سـ . ـود

فقال له الخليفة مرحباً يا علاء الدين فقال علاء الدين يا أمير المؤمنين أن النبي ﷺ قبل الهديـ ة وهـ ذه العشرة أطباق وما فيها هدية مني إليك فقبل منه ذلك أمير المؤمنين وأمر له بخلعة وجعله شاه بندر التجـ ار

وأقعده في الديوان فبينما هو جالس وإذا نسيبه أبي زبيدة مقبل فوجد علاء الدين جالساً في رتبته وعليه خلعة فقال لأمير المؤمنين يا ملك الزمان لأي شيء هذا جالس في رتبتي وعليه هذه الخلعة فقال له الخليف ـة أن ـي جعلته شاه بندر التجار والمناصب تقليد لا تخليد وأنت معزول فقال له أنه منا وإلينا ونعم ما فعلت ي ـا أمي ـر المؤمنين الله يجعل خيارنا أولياء أمورنا وكم من صغير صار كبيراً ثم أن الخليفة كتب فرمانا لعلاء الدين أبو الشامات وهو مسموع الكلمة محفوظ الحرمة يجب له الإكرام والاحترام ورفع المقام فلما انفض الديوان نزل الوالي بالمنادي بين يدي علاء الدين وصار المنادي يقول ما شاه بندر التجار الأس ـيدي ع ـلاء ال ـدين أب ـو الشامات فلما أصبح الصباح فتح دكاناً للعبد وأجلسه فيها يبيع ويشتري وأما علاء الدين فأن ـه ك ـان يرك ـب ويتوجه إلى مرتبته في ديوان الخليفة وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٩٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن علاء الدين كان يركب ويتوجه إلى ديوان الخليفة فأتفق أنه جلس ف ـي مرتبته يوماً على عادته فبينما هو جالس إلى ديوان الخليفة فاتفق أنه جلس في مرتبته يوماً على عادته فبينما هو جالس وإذا بقائل يقول للحليفة يا أمير المؤمنين تعيش راسك في فلان النديم فإنه توفى إل ـى رحم ـة الله تعالى وحياتك الباقية فقال الخليفة أين علاء الدين أبو الشامات فحضر بين يديه فلما رآه خلع عليه خلعة سنية وجعله نديمه وكتب له جامكية ألف دينار في كل شهر وأقام عنده يتنادم معه فاتفق أنه كان جالساً يوم ـاً م ـن الأيام في مرتبته على عادته في خدمة الخليفة وإذا بأمير طالع إلى الديوان بسيف وت ـرس وق ـال ي ـا أمي ـر المؤمنين تعيش رأسك رئيس الستين فإنه مات في هذا اليوم فأمر الخليفة لعلاء الدين أبي الش ـامات وجعل ـه رئيس الستين مكانه وكان رئيس الستين لا ولد له ولا زوجة فنزل علاء الدين ووضع يده على مال ـه وق ـال الخليفة لعلاء الدين واره في التراب وخذ جميع ما تركه من مال وعبيد وجوار وخدم ثم نفض الخليفة المنديل وانفض الديوان فنزل علاء الدين وفي ركابه المقدم أحمد الدنف مقدم ميمنة الخليفة هو واتباعه الأربعون وفي يساره المقدم حسن شومان مقدم ميسرة الخليفة هو واتباعه الأربعون فالتفت علاء الدين إلى المق ـدم حس ـن شومان هو واتباعه وقال لهم أنتم سياق على المقدم أحمد الدنف لعله يقبلني ولده في عهد الله فقبله وقال له أنا واتباعي الأربعون نمشي قدامك إلى الديوان في كل يوم ثم أن علاء الدين مكثف في خدمة الخليفة مدة أي ـام فاتفق أن علاء الدين نزل من الديوان يوماً من الأيام وسار إلى بيته وصرف أحمد الدنف هو ومن معه إل ـى حال سبيلهم ثم جلس مع زوجته زبيدة العودية وقد أوقدت الشموع وبعد ذلك قامت تزيل ضرورة فبينما ه ـو جالس في مكانه إذ سمع صرخة عظيمة فقام مسرعاً لينظر الذي صرخ فرأى صاحب الصرخة زبيدة العودية وهي مطروحة فوضع يده على صدرها فوجدها ميتة وكان بيت أبيها قدام بيت علاء الدين فسمع ص ـرختها فقال لعلاء الدين ما الخبر يا سيدي علاء الدين فقال له تعيش رأسك يا والدي في بنتك زبيدة العودية ولكن يا والدي أكرام الميت دفنه فلما أصبح الصباح واروها في التراب وصار علاء الدين يعزى أباها وأباها يعزي ـه هذا ما كان من أمر زبيدة العودية (وأما) ما كان من أمر علاء الدين فأنه لبس ثياب الح ـزن وانقط ـع ع ـن الديوان وصار باكي العين حزين القلب فقال الخليفة لجعفر يا وزيري ما سبب انقطاع علاء الدين عن الديوان فقال له الوزير يا أمير المؤمنين أنه حزين القلب على امرأته زبيدة مشغول بعزائها فق ـال الخليف ـة لل ـوزير

واجب علينا أن نعزيه فقال الوزير سمعاً وطاعة ثم نزل الخليفة هو والوزير وبعض الخدم وركبوا وتوجه وا إلى بيت علاء الدين فبينما هو جالس وإذا بالخليفة والوزير ومن معهما مقبلون عليه فق ام لملتق اهم وقب ل الأرض بين يدي الخليفة فقال له الخليفة عوضك الله خيراً فقال علاء الدين أطال الله لن ا بق اءك ي ا أمي ر المؤمنين فقال الخليفة يا علاء الدين ما سبب انقطاعك وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٠٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الخليفة قال لعلاء الدين ما سبب انقطاعك عن الديوان فقال له حزن ي على زوجتي زبيدة يا أمير المؤمنين فقال له الخليفة ادفع الهم عن نفسك فإنها ماتت إلى رحم ة الله تع الى والحزن لا يفيدك شيئاً أبداً فقال يا أمير المؤمنين أنا لا أترك الحزن عليها إلا إذا مت ودفنوني عندها فقال له الخليفة أ، في الله عوضاً من كل فائت ولا يخلص من الموت حيلة ولا مال ولله در من قال:

كل اب ن أنث ى وإن طالب ت س لامته	يوم ـاً عل ـى آل ـة ح ـدباء محم ـول
وكي ـف يله ـوا بع ـيش أو يل ـذ ب ـه	م ـن الت ـراب عل ـى خدي ـه مجع ـول

ولما فرغ الخليفة من تعزيته أوصاه أنه لا ينقطع عن الديوان وتوجه إلى محله ثم بات علاء الدين ولما أصبح الصباح ركب وسار إلى الديوان فدخل على الخليفة وقبل الأرض بين يديه فتحرك له الخليفة من على الكرسي ورحب به وحياه وأنزله في منزلته وقال له يا علاء الدين أنت ضيفي في هذه الليلة ث م دخ ل ب ه سرايته ودعا بجارية تسمى قوت القلوب وقال لها أن علاء الدين كان عنده زوجة تسمى زبيدة العودية وكانت تسليه عن الهم والغم فماتت إلى رحمة الله تعالى ومرادي أن تسمعيه نوبة على العود وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٠١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الخليفة قال لجاريته قوت القلوب مرادي أن تسمعيه نوبة على الع ود من غرائب الموجود لأجل أن يتسلى عن الهم والأحزان فقامت الجارية وعملت نوبة من الغرائب فقال الخليفة ما تقول يا علاء الدين في صوت هذه الجارية فقال له أن زبيدة أحسن صوتاً منها إلا أنها صاحبة صناعة في ضرب العود لأنها تطرب الحجر الجلمود فقال له هل هي أعجبتك فقال له أعجبتني يا أمير الم ؤمنين فق ال الخليفة وحياة رأسي وتربة جدودي أنها هبة مني إليك هي وجواريها فظن علاء الدين أن الخليفة يمزح مع ه فلما أصبح الخليفة دخل على جاريته قوت القلوب وقال لها أنا وهبتك لعلاء الدين ففرحت بذلك لأنه ا رأت ه واحبته ثم تحول الخليفة من قصر السراية إلى الديوان ودعا بالحمالين وقال لهم انقلوا أمتعة ق وت القل وب وحطوها في التختروان هي وجواريها إلى بيت علاء الدين فنقلوها هي وجواريها وامتعتها إلى بي ت ع لاء الدين وأدخلوها القصر وجلس الخليفة في مجلس الحكم إلى آخر النهار ثم انقض الديوان ودخل قصره هذا ما كان من أمره (وأما) ما كان من أمر قوت القلوب فإنها لما دخلت قصر علاء الدين هي وجواريه ا وك انوا أربعين جارية غير الطواشيه قالت لأثنين من الطواشية أحدكما يقعد على كرسي في ميمنة الباب والثاني يقعد على كرسي في ميسرته وحين يأتي علاء الدين قبلا يديه وقولا له أن سيدتنا قوت القلوب تطلبك إلى القص ر فإن الخليفة وهبها لك هي وجواريها فقالا لها سمعاً وطاعة ثم فعلا ما أمرتهما به فلما أقبل علاء الدين وج د

أثنين من طواشيه الخليفة جالسين بالباب فاستغرب الأمر وقال في نفسه لعل هذا ما هو بيتي وإلا فما الخبر فلما رأته الطواشية قاموا إليه وقبلوا يديه وقالوا نحن من اتباع الخليفة ومماليك قوت القلوب وهي تسلم عليك وتقول لك أن الخليفة قد وهبها لك هي وجواريها وتطلبك عندها فقال لهم قولوا لها مرحباً بك ولكن ما دمت عنده ما يدخل القصر الذي أنت فيه لأن ما كان للمولى لا يصلح أن يكون للخدام وقولوا لها ما مقدار مصروفك عند الخليفة في كل يوم فطلعوا إليها وقالوا لها ذلك فقالت كل يوم مائة دينار فقال لنفسه أنا ليس لي حاجة بأن يهب لي الخليفة قوت القلوب حتى أصرف عليها هذا المصروف ولكن لا حيلة في ذلك ثم إنها أقامت عنده مدة أيام وهو مرتب لها في كل يوم مائة دينار إلى أن انقطع علاء الدين عن الديوان يوماً من الأيام فقال الخليفة للوزير جعفر أنا ما وهبت قوت القلوب لعلاء الدين إلا لتسلية عن زوجته وما سبب انقطاعه عنا فقال يا أمير المؤمنين لقد صدق من قال من لقي أحبابه نسي أصحابه فقال الخليفة لعله ما قطعه عنا إلا عذر ولكن نحن نزوره وكان قبل ذلك بأيام قال علاء الدين للوزير أنا شكوت للخليفة ما أجده من الحزن على زوجتي زبيدة العودية فوهب لي قوت القلوب فقال له الوزير لولا أنه يحبك ما وهبها لك وهل دخلت بها يا علاء الدين فقال لا والله لا أعرف لها طولاً من عرض فقال له ما سبب ذلك فقال يا وزير الذي يصلح للمولى لا يصلح للخدام ثم أن الخليفة وجعفر اختفيا وسارا لزيارة علاء الدين ولم يزالا سائرين إلى أن دخلا على علاء الدين فعرفهما وقام وقبل يد الخليفة فلما رآه الخليفة وجد عليه علامة الحزن فقال له يا علاء الدين ما سبب هذا الحزن الذي أنت فيه أما دخلت على قوت القلوب فقال يا أمير المؤمنين الذي يصلح للمولى لا يصلح للخدام وأني إلى الآن ما دخلت عليها ولا أعرف لها طولاً من عرض فأقلني منها فقال الخليفة أن مرادي الاجتماع بها حتى أسألها عن حالها فقال علاء الدين سمعاً وطاعة يا أمير المؤمنين فدخل عليها الخليفة وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٠٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الخليفة دخل على قوت القلوب فلما رأته قامت وقبلت الأرض بين يديه فقال لها هل دخل بك علاء الدين فقالت لا يا أمير المؤمنين وقد أرسلت أطلبه للدخول فلم يرض فأمر الخليفة برجوعها إلى السراية وقال لعلاء الدين لا تنقطع عنا ثم توجه الخليفة إلى داره فبات علاء الدين تلك الليلة ولما أصبح ركب وسار إلى الديوان فجلس في رتبة رئيس الستين فأمر الخليفة الخازندار أن يعطي للوزير جعفر عشرة آلاف دينار فأعطاه ذلك المبلغ ثم قال الخليفة للوزير الزمتك أن تنزل إلى سوق الجواري وتشتري لعلاء الدين بالعشرة آلاف دينار جارية فامتثل الوزير أمر الخليفة وأخذ معه علاء الدين وسار به إلى سوق الجواري فاتفق في هذا اليوم أن وأني بغداد الذي من طرف الخليفة وكان اسمه الأمير خالد نزل إلى السوق لأجل اشتراء جارية لولده وسبب ذلك أنه كان له زوجة تسمى خاتون وكان رزق منها بولد قبيح المنظر يسمى حبظلم بظاظة وكان بلغ من العمر عشرين سنة ولا يعرف أن يركب الحصان وكان أبوه شجاعاً قرما مناعاً وكان يركب الخيل ويخوض بحار الليل فنام حبظلم بظاظة في ليله من الليالي فاحتلم فأخبر والدته بذلك ففرحت وأخبرت والده بذلك وقالت مرادي أن تزوجه فإنه صار يستحق الزواج فقال لها هذا قبيح المنظر كريه الرائحة دنس وحش لا تقبله واحدة من النساء فقالت تشتري له جارية فلأمر قدره الله

تعالى أن اليوم الذي نزل فيه الوزير وعلاء الدين إلى السوق نزل فيه الأمير خالد الوالي هو وولده حـ بظلم بظاظة فبينما هم في السوق وإذا بجارية ذات حسن وجمال وقد واعتدال في رد رجل دلال فقال الوزير شاور يا دلال عليها بألف دينار فمر بها على الوالي فرآها حبظلم بظاظة نظرة أعقبته النظرة ألف حسرة وتولع بها وتمكن منه حبها فقال يا أبت اشتري هذه الجارية فناد الدلال وسأل الجارية عن اسمها فقالت له إسمي ياسمين فقال له أبوه يا ولدي إن كانت أعجبتك فزد في ثمنها فقال يا دلال كم معك من الثمن قال ألف دينار قال علي بألف دينار ودينار فجاء لعلاء الدين فعملها بألفين فصار كلما يزيد الوليد ابن الوالي ديناراً في الـ ثمن يزيـ د علاء الدين ألف دينار فاغتاظ بن الوالي وقال يا دلال من يزيد علي في ثمن الجارية فقـ ـال لـ ـه الـ دلال أن الوزير جعفر يريد أن يشتريها لعلاء الدين أبي الشامات فعملها علاء الدين بعشرة آلاف دينار فسمح له سيدها وقبض ثمنها وأخذها علاء الدين وقال لها اعتقتك لوجه الله تعالى ثم أنه كتب كتابه عليها وتوجه بهـ ـا إلـ ـى البيت ورجع الدلال ومعه دلالته فناداه أبن الوالي وقال له أين الجارية فقال له اشتراها علاء الـ دين بعشـ ـرة آلاف دينار وأعتقها وكتب كتابه عليها فانكمد الولد وزادت به الحسرات ورجع ضعيفاً إلى البيت من محبتـ ـه لها وأرتمى في الفرش وقطع الزاد وزاد به العشق والغرام فلما رأته أمه ضعيفاً قالت له سلامتك يا ولدي ما سبب ضعفك قال لها اشتري لي ياسمين يا أمي قالت له لما يفوت صاحب الرياحين اشتري لك جنبة ياسـ ـمين فقال لها ليس الياسمين الذي يشم وإنما هي جارية اسمها ياسمين لم يشترها لي أبي فقالت لزوجها لأي شـ ـيء ما اشتريت له هذه الجارية فقال لها الذي يصلح للمولى لا يصلح للخدام وليس لي قدرة على أخذها فإنه مـ ـا اشتراها إلا علاء الدين رئيس الستين فزاد الضعف بالولد حتى جفا الرقاد وقطع الزاد وتعصبت أمه بعصائب الحزن فبينما هي جالسة في بيتها حزينة على ولدها وإذا بعجوز دخلت عليها اسمها أم أحمد قمـ ـاقم السـ ـراق وكان هذا السراق ينقب وسطانياً ويلقف فوقانياً ويسرق الكحل من العين وكان بهذه الصفات القبيحة فـ ـي أول أمره ثم عملوه مقدم الدرك فسرق عمله فوقع بها وهجم عليه الوالي فأخذه وعرضه على الخليفة فأمر بقتلـ ـه في نفعة الدم فاستجار بالوزير وكان للوزير عند الخليفة شفاعة لا ترد فشفع فيه فقال له الخليفة كيف تشـ ـفع في آفة تضر الناس فقال له يا أمير المؤمنين فإن الذي بنى السجن كان حكيماً لأن السجن قبر الأحياء وشماتة العداء فأمر الخليفة بوضعه في قيد وكتب على قيد مخلد إلى الممات لا يفك إلا على دكة المغسـ ـل فوضـ ـعوه مقيد في السجن وكانت أمه تتردد على بيت الأمير خالد الوالي وتدخل لأبنها في السجن وتقول له أما قلت لك تب عن الحرام فيقول لها قدر اله على ذلك ولكن يا أمي إذا دخلت على زوجة الوالي فخليها تشفع لي عنـ ـده فلما دخلت العجوز على زوجة الوالي وجدتها معصبة بعصائب الحزن فقالت لها مالك حزينة فقالت لها على فقد ولدي حبظلم بظاظة فقالت لها سلامة ولدك ما الذي أصابه فحكت لها الحكاية فقالت لها العجوز ما تقولين فيمن يلعب منصفاً يكون فيه سلامة ولدك فقالت لها وما الذي تفعليه فقالت أنا لي ولد يسـ ـمي أحمـ ـد قمـ ـاقم السراق وهو مقيد في السجن مكتوب على قيده مخلد إلى الممات وأنت تقومين وتلبسين أفخـ ـر مـ ـا عنـ ـدك وتتزينين بأحسن الزينة وتقابلين وجهك ببشر وبشاشة فإذا طلب منك ما يطلب الرجال من النساء فامتنعي منه ولا تمكنيه وقولي له يا لله العجب إذا كان للرجل حاجة عند زوجته يلح عليها حتى يقضيها منهـ ـا وإذا كـ ـان للزوجة عند زوجها حاجة فإنه لا يقضيها لها فيقول لك وما حاجتك فقولي له حتى تحلف لي فإذا حلـ ـف لـ ـك

بحياة رأسه أو بالله فقولي له أحلف لي بالطلاق مني ولا تمكنيه إلا أن حلف لك بالطلاق فإذا حلف لك بالطلاق فقولي له عندك في السجن واحد مقدم إسمه أحمد قماقم وله أم مسكينة وقد وقعت على وساقتني عليك وقالت لي خليه يشفع له عند الخليفة لأجل أن يتوب ويحصل له الثواب فقالت لها سمعاً وطاعة فلما دخل الوالي على زوجته وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٠٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوالي لما دخل على زوجته قالت له ذلك الكلام وحلف لها بالطلاق فمكنته وبات ولما أصبح الصباح اغتسل وصلي الصبح وجاء إلى السجن وقال يا أحمد قماقم يا سراق هل تتوب مما أنت فيه فقال أني تبت إلى الله ورجعت وأقول بالقلب واللسان استغفر الله فأطلقه الوالي من السجن وأخذه معه إلى الديوان وهو في القيد ثم تقدم إلى الخليفة وقبل الأرض بين يديه فقال له يا أمير خالد أي شيء تطلب فتقدم أحمد قماقم يخطر في القيد قدام الخليفة فقال له يا قماقم هل أنت حي إلى الآن فقال يا أمير المؤمنين أن عمر الشقي بقي فقال يا أمير خالد لأي شيء جئت به هنا فقال له أن له أم مسكينة منقطعة وليس لها أحد غيره وقد وقعت على عبدك أن يتشفع عندك يا أمير المؤمنين في أنك تفكه من القيد وهو يتوب عما كان فيه وتجعله مقدم الدرك كما كان أولاً فقال الخليفة لاحمد قماقم هل تبت عما كنت فيه فقال له تبت إلى الله يا أمير المؤمنين فأمر بإحضار الحداد وفك قيده على دكة المغسل وجعله مقدم الدرك وأوصاه بالمشي الطيب والاستقامة فقبل يد الخليفة ونزل بخلعة الدرك ونادوا له بالتقديم فمكث مدة من الزمان في منصبه ثم دخلت على زوجة الوالي فقالت لها الحمد لله الذي خلص ابنك من السجن وهو على قيد الصحة والسلامة فلأي شيء لم تقولي له يدبر أمراً في مجيئه بالجارية ياسمين إلى ولدي حبظلم بظاظة فقالت أقول له ثم قامت من عندها ودخلت على ولدها فوجدته سكراناً فقالت له يا ولدي ما سبب خلاصك من السجن إلا زوجة الوالي وتريد منك أن تدبر لها أمراً في قتل علاء الدين أبي الشامات وتجيء بالجارية ياسمين إلى ولدها حبظلم بظاظة فقال لها هذا أسهل ما يكون ولابد أن أدبر له أمراً في هذه الليلة وكانت تلك الليلة أول ليلة في الشهر الجديد وعادة أمير المؤمنين أن يبيت فيها عند السيدة زبيدة لعتق جارية أو مملوك أو نحو ذلك وكان من عادة الخليفة أن يقلع بدلة الملك ويترك السبحة والنمشة وخاتم الملك ويضع الجميع فوق الكرسي في قاعة الجلوس وكان عند الخليفة مصباح من ذهب وفيه ثلاث جواهر منظومة في سلك من ذهب وكان ذلك المصباح عزيزاً عند الخليفة ثم أن الخليفة وكل الطواشية بالبدلة والمصباح وباقي الأمتعة ودخل مقصورة السيدة زبيدة فصبر أحمد قماقم السراق لما انتصف الليل وأضاء سهيل ونامت الخلائق وتجلى عليهم بالستر الخالق ثم سحب سيفه في يمينه وأخذ مقلفه في يساره وأقبل على قاعة الجلوس التي للخليفة ونصب سلم التسليم ورمى ملقفه على قاعة الجلوس فتعلق بها وطلع على السلم إلى السطوح ورفع طابق القاعة ونزل فيها فوجد الطواشية نائمين فبنجهم وأخذ بدلة الخليفة والسبحة والنمشة والمنديل والخاتم والمصباح الذي بالجواهر ثم نزل من الموضع الذي طلع منه وسار إلى بيت علاء الدين أبي الشامات وكان علاء الدين في هذه الليلة مشغولاً بفرح الجارية فدخل عليها وراحت منه حاملاً فنزل أحمد قماقم السراق على قاعة علاء الدين وقلع لوحاً رخاماً من دار قاعة القاعة وحفر نحته ووضع بعض المصالح وأبقى بعضها معه ثم جبس اللوح الرخام كما كان ونزل من

الموضع الذي طلع منه وقال في نفسه أنا أقعد أسكر وأحط المصباح قدامي وأشرب الكاس على نوره ثم سار إلى بيته فلما أصبح الصباح ذهب الخليفة إلى القاعة فوجد الطواشية مبنجين فأيقظهم وحط يده فلم يجد البدلة ولا الخاتم ولا السبحة ولا النمشة ولا المنديل ولا المصباح فاغتاظ لذلك غيظاً شديداً ولبس بدلة الغضب وهي بدلة حمراء وجلس في الديوان فتقدم الوزير وقبل الأرض بين يديه وقال يكفي الله شر أمير المؤمنين فقال له يا وزير أن الشر فايض فقال له الوزير أي شيء حصل فحكى له جميع ما وقع وإذا بالوالي طالع وفي ركابه أحمد قماقم السراق فوجد الخليفة في غيظ عظيم فلما نظر الخليفة إلى الوالي قال له يا أمير خالد كيف حال بغداد فقال له سالمة أمينة فقال له تكذب فقال له لأي شيء يا أمير المؤمنين فقص عليه القصة وقال له الزمتك أن تجيء لي بذلك كله فقال له يا أمير المؤمنين دود الخل منه فيه ولا يقدر غريب أن يصل إلى هذا المحل أبداً فقال إن لم تجيء لي بهذه الأشياء قتلتك فقال له قبل أن تقتلني اقتل أحمد قماقم السراق فإنه لا يعرف الحرامي والخائن إلا مقدم الدرك فقال أحمد قماقم وقال للخليفة شفعني في الوالي وأنا أضمن لك عهدة الذي سرق وأقص الأثر وراءه حتى أعرف ولكن أعطني اثنين من طرف القاضي وأثنين من طرف الوالي فإن الذي فعل هذا الفعل لا يخشاك ولا يخشى من الوالي ولا من غيره فقال الخليفة لك ما طلبت ولكن أول التفتيش يكون في سرايتي وبعدها سراية الوزير وفي سراية رئيس الستين فقال أحمد قماقم صدقت يا أمير المؤمنين ربما يكون الذي عمل هذه العملة واحد قد تربى في سراية أمير المؤمنين أو في أحد من خواصه فقال الخليفة وحياة رأسي كل من ظهرت عليه هذه العملة لابد من قتله ولو كان ولدي ثم أن أحمد قماقم أخذ ما أراده وأخذ فرماناً بالهجوم على البيوت وتفتيشها وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٠٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أحمد قماقم أخذ ما أراده وأخذ فرماناً بالهجوم على البيوت وتفتيشها ونزل وبيده قضيب ثلثه من الشوم وثلثه من النحاس وثلثه من الحديد ومن الفولاذ وفتش سراية الخليفة وسراية الوزير جعفر ودار على بيوت الحجاب والنواب إلى أن مر على بيت علاء الدين أبي الشامات فلما سمع الضجة علاء الدين قدام بيته قام من عند ياسيمين زوجته ونزل وفتح الباب فوجد الوالي في كركبة فقال له ما الخبر يا أمير خالد فحكى له جميع القضية فقال علاء الدين أدخلوا بيتي وفتشوه فقال الوالي العفو يا سيدي أنت أمين وحاشا أن يكون الأمين خائناً فقال له لابد من تفتيش بيتي فدخل الوالي والقضاة والشهود وتقدم أحمد قماقم إلى دار قاعة القاعة وجاء إلى الرخامة التي دفن تحتها الأمتعة وأرخي القضيب على اللوح الرخام بعزمه فانكسرت الرخامة وإذا بشيء ينور تحتها فقال المقدم بسم الله ما شاء الله على بركة قدومنا انفتح لنا كنز أريد أن أنزل إلى هذا المطلب وانظر ما فيه فنظر القاضي والشهود إلى ذلك المحل فوجدوا الأمتعة بتمامها فكتبوا ورقة مضمونها أنهم وجدوا الأمتعة في بيت علاء الدين ثم وضعوا في تلك الورقة ختومهم وأمروا بالقبض على علاء الدين وأخذوا عمامته من فوق رأسه وضبطوا جميع ما له ورزقه في قائمة وقبض أحمد قماقم السراق على الجارية ياسمين وكانت حاملاً من علاء الدين وأعطاها لأمه وقال لها سلميها لخاتون امرأة الوالي فأخذت ياسمين ودخلت بها على زوجة الوالي فلما رآها حبظلم بظاظة جاءت له العافية وقام من وقته وساعته وفرح فرحاً شديداً وتقرب إليها فسحبت خنجراً من حياصتها وقالت له أبعد عني

وإلا أقتلك وأقتل نفسي فقالت له أمه خاتون يا عاهرة خلي ولدي يبلغ منك مراده فقالت لها يا كلبة في أي مذهب يجوز للمرأة أن تتزوج بأثنين وأي شيء أوصل الكلاب أن تدخل في مواطن السباع فزاد بالولد الغرام وأضعفه الوجد والهيام وقطع الزاد ولزم الوساد. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٠٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن حبظلم بظاظة قطع الزاد ولزم الوساد فقالت لها امرأة الوالي يا عاهرة كيف تحسريني على ولدي لابد من تعذيبك وأما علاء الدين فإنه لابد من شنقه فقالت لها أنا أموت على محبته فقامت زوجة الوالي ونزعت عنها ما كان عليها من الصيغة وثياب الحرير وألبسها لباساً من الخيش وقميصاً من الشعر وأنزلتها في المطبخ وعملتها من الجواري الخدمة وقالت لها جزاؤك أنك تكسرين الحطب وتقشرين البصل وتحطين النار تحت الحلل فقالت لها أرضي بكل عذاب وخدمة ولا أرضى برؤية ولدك فحنن الله عليها قلوب الجواري وصرن يتعاطين الخدمة عنها في المطبخ هذا ما كان من أمر ياسمين (وأما) ما كان من أمر علاء الدين أبي الشامات فإنهم أخذوه هو وأمتعة الخليفة وساروا به إلى أن وصلوا إلى الديوان فبينما الخليفة جالس على الكرسي وإذا بهم طالعون بعلاء الدين ومعه الأمتعة فقال الخليفة أين وجدتموها فقالوا له في وسط بيت علاء الدين أبي الشامات فامتزج الخليفة بالغضب وأخذ الأمتعة فلم يجد المصباح فقال يا علاء الدين أين المصباح فقال أنا ما سرقت ولا علمت ولا رأيت ولا معي خبر فقال له يا خائن كيف أقربك إلي وتبعدني عنك وأستأمنك وتخونني ثم أمر بشنقه فنزل به إلى الوالي والمنادي ينادي علهي هذا جزاء وأقل من جزاء من يخون الخلفاء الراشدين فاجتمع الخلائق عند المشنقة هذا ما كان من أمر علاء الدين (وأما) ما كان من أمر أحمد الدنف كبير علاء الدين فإنه كان قاعداً هو واتباعه على بستان فبينما هم جالسون في حظ وسرور وإذا برجل سقاء من السقايين الذين في الديوان دخل عليهم وقبل يد أحمد الدنف ما الخبر فقال السقاء أن ولدك في عهد الله علاء الدين نزلوا به إلى المشنقة فقال الدنف ما عندك من الحيلة يا حسن شومان فقال له علاء الدين بريء من هذا الأمر وهذا ملعوب عليه من واحد عدو فقال له ما الرأي عندك فقال خلاصه علينا إن شاء المولى ثم أن حسن شومان ذهب إلى السجن وقال للسجان أعطنا واحداً يكون مستوجباً للقتل فأعطاه واحداً وكان شبه البرايا بعلاء الدين أبي الشامات فغطى رأسه وأخذه أحمد الدنف بينه وبين علي الزيبق المصري وكانوا قدموا علاء الدين إلى الشنق فتقدم الدنف وحط رجله على رجل المشاعل فقال له المشاعلي أعطني الوسع حتى أعمل صنعتي فقال له يا لعين خذ هذا الرجل وأشنقه موضع علاء الدين أبي الشامات فإنه مظلوم وأنفذي إسماعيل بالكبس فأخذ المشاعلي ذلك الرجل وشنقه عوضاً عن علاء الدين ثم أن أحمد الدنف وعلي الزيبق المصري أخذ علاء الدين وسارا به إلى قاعة أحمد الدنف فلما دخلوا عليه قال له علاء الدين جزاك الله خيراً يا كبيري فقال له أحمد الدنف ما هذا الفعل الي فعلته وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٠٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أحمد الدنف قال لعلاء الدين ما هذا الفعل الذي فعلته ورحم الله من قال من أئتمنك فلا تخونه ولو كنت خائناً والخليفة مكنك عنده وسماك بالثقة الأمين كيف تفعل معه هكذا

وتأخذ أمتعته فقال علاء الدين والأسم الأعظم يا كبيري ما هي عملتي ولا لي فيها ذنب ولا أعرف من عملها فقال أحمد الدنف إن هذه العملة ما عملها إلا عدو مبين ومن فعل شيئاً يجازي به ولكن يا علاء الدين أنت ما بقي لك إقامة في بغداد فإن الملوك لا تعادي يا ولدي ومن كانت الملوك في طلبه يا طول تعبه فقال علاء الدين أين أروح يا كبيري فقال له أنا أوصلك إلى الاسكندرية فإنها مباركة وعتبتها خضراء وعيشتها هنيئة فقال له سمعاً وطاعة يا كبيري فقال أحمد الدنف لحسن شومان خل بالك وإذا سأل عني الخليفة فقل له أنه راح يطوف على البلاد ثم أخذه وخرج من بغداد ولم يزالا سائرين حتى وصلا إلى الكروم والبساتين فوجدا يهودين من عمال الخليفة راكبين على بغلتين فقال أحمد الدنف لليهوديين هاتوا الغفر فقال اليهوديان نعطيك الغفر على أي شيء فقال لهما أنا غفير هذا الوادي فأعطاه كل واحد منهما مائة دينار وبعد ذكل قتلهما أحمد الدنف وأخذ البغلتين فركب بغلة وركب علاء الدين بغلة وسار إلى مدينة أياس فأدخلا البغلتين في خان وباتا فيه ولما أصبح الصباح باع علاء الدين بغلته وأوصى البواب على بغلة أحمد الدنف ونزل في مركب من مينة أياس حتى وصلا إلى الاسكندرية فطلع أحمد الدنف ومعه علاء الدين ومشيا في السوق وإذا بدلال يدلل على دكان ومن داخل الدكان طبقة على تسعمائة وخمسين فقال علاء الدين علي بألف فسمح له البائع وكانت لبيت المال فتسلم علاء الدين المفاتيح وفتح الدكان وفتح الطبقة فوجدها مفروشة بالفرش والمساند ورأى فيها حاصلاً فيه قلاع وصواري وحبال وصناديق وأجربة ملآنة خرزاً وودعا وركابات وأطيارا ودبابيس وسكاكين ومقصات وغير ذلك لأن صاحبه كان سقطياً فقعد علاء الدين أبو الشامات في الدكان وقال له أحمد الدنف يا ولدي الدكان والطبقة وما فيها صارت ملكك فاقعد فيها وبع واشتري ولا تنكري فإن الله تعالى بارك في التجارة وأقام عنده ثلاثة أيام واليوم الرابع أخذ خاطره وقال له استقر في هذا المكان حتى أروح وأعود إليك بخبر من الخليفة بالأمان عليك وأنظر الذي عمل معك هذا الملعوب ثم توجه مسافراً حتى وصل إلى إياس فأخذ البغلة من الخان وسار إلى بغداد فاجتمع بحسن شومان وأتباعه وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٠٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أحمد الدنف أجتمع بحسن شومان وأتباعه وقال يا حسن هل الخليفة سأل عني فقال لا ولا خطرت على باله فقام في خدمة الخليفة وصار يستنشق الأخبار فرأى الخليفة التفت إلى الوزير جعفر يوماً من الأيام وقال له أنظر يا وزير هذه العملة التي فعلها معي علاء الدين فقال له يا أمير المؤمنين أنت جازيته بالشنق وجزاؤه ما حل به فقال له يا وزير مرادي أن أنزل وأنظره وهو مشنوق فقال الوزير أفعل ما شئت يا أمير المؤمنين فنزل الخليفة ومعه الوزير جعفر إلى جهة المشنقة ثم رفع طرفه فرأى المشنوق غير علاء الدين أبي الشامات الثقة الأمين فقال يا وزير هذا ما هو علاء الدين فقال له كيف عرفت أنه غيره فقال أن علاء الدين كان قصيراً وهذا طويل فقال له الوزير أن المشنوق يطول فقال له أن علاء الدين كان قصيراً وهذا طويل فقال له الوزير أن المشنوق يطول فقال له أن علاء الدين كان أبيض وهذا وجهه أسود فقال له أما تعلم يا أمير المؤمنين أن الموت له غبرات فأمر بتنزيله من فوق المشنقة فلما أنزلوه وجد مكتوباً على كعبيه الأثنين أسما الشيخين فقال له يا وزير إن علاء الدين كان سنياً وهذا رافضي فقال له

سبحان الله علام الغيوب ونحن لا نعلم هل هذا علاء الدين أو غيره فأمر الخليفة بدفنه فدفنوه وصار علاء الدين نسياً منسياً هذا ما كان من أمره (وأما) ما كان من أمر حبظلم بظاظة ابن الوالي فإنه قد طاب به العشق والغرام حتى مات وواروه في التراب (وأما) ما كان من أمر الجارية ياسمين فإنها وفت حملها ولحقها الطلق فوضعت ذكراً كأنه القمر فقال لها الجواري ما تسميه فقالت لو كان أبوه طيباً كان سماه ولكن أنا أسميه أصلان ثم أنها أرضعته اللبن عامين متتابعين وفطمته وحبي ومشي فأتفق أن أمه اشتغلت بخدمة المطبخ يوماً من الأيام فمشى الغلام ورأى سلم المقعد فطلع عليه وكان الأمير خالد الوالي جالساً فأخذه وأقعده في حجره وسبح مولاه فيما خلق وصور وتأمل وجهه فرآه شبه البرايا بعلاء الدين أبي الشامات ثم أن أمه ياسمين فتشت عليه فلم تجده فطلعت المقعد فرأت الأمير خالد جالساً والولد في حجره يلعب وقد ألقى الله محبة الولد في قلب الأمير خالد فالتفت الولد فرأى أمه فرمي نفسه عليها فزنقه الأمير خالد في حضنه وقال لها تعالي يا جارية فلما جاءت قال لها هذا الولد ابن من فقالت له هذا ولدي وثمرة فؤادي فقال لها ومن أبوه فقالت أبوه علاء الدين أبو الشامات والآن صار ولدك فقال لها إن علاء الدين كان خائناً فقالت سلامته من الخيانة حاشا وكلا أن يكون الأمين خائناً فقال لها إذا كبر هذا الولد ونشأ وقال لك من أبي فقولي له أنت ابن الأمير خالد الوالي صاحب الشرطة فقالت له سمعاً وطاعة ثم إن الأمير خالد طاهر الولد ورباه وأحسن تربيته وجاء له بفقيه خطاط فعلمه الخط والقراءة فقرأ وأعاد وختم وصار يقول للأمير خالد يا والدي وصار الوالي يعمل في الميدان ويجمع الخيل وينزل يعلم الولد أرباب الحرب ومقام الطعن والضرب إلى أن انتهى في الفروسية وتعلم الشجاعة وبلغ من العمر أربع عشرة سنة ووصل إلى درجة الأمارة فاتفق أن أصلان اجتمع مع أحمد قماقم السراق يوماً من الأيام وصارا أصحاباً فتبعه إلى الخمارة وإذا بأحمد قماقم السراق أطلع المصباح الجوهر الذي أخذه من أمتعة الخليفة وحطه قدامه وتناول الكاس على نوره وسكر فقال له أصلان يا مقدم أعطني هذا المصباح فقال له ما أقدر أن أعطيك إياه فقال له لأي شيء وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٠٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أصلان قال لأحمد قماقم لأي شيء فقال لأنه راحت على شأنه الأرواح فقال له أي روح راحت على شأنه فقال له كان واحد جاءنا هنا وعمل رئيس الستين يسمى علاء الدين أبا الشامات ومات بسبب ذلك فقال له وما حكايته وما سبب موته فقال له كان لك أخ يسمى حبظلم بظاظة وبلغ من العمر ستة عشر عاماً حتى استحق الزواج وطلب أبوه أن يشتري له جارية وأخبره بالقصة من أولها إلى آخرها وأعلمه بضعف حبظلم بظاظة وما وقع لعلاء الدين ظلماً فقال أصلان في نفسه لعل هذه الجارية ياسمين أمي وما أبي إلا علاء الدين أبو الشامات فطلع الولد أصلان من عنده حزيناً فقابل المقدم أحمد الدنف فلما رآه أحمد الدنف قال سبحان من لا شبيه له فقال له حسن شومان يا كبيري من أي شيء تتعجب فقال له من خلقة هذا الوجد أصلان فإنه أشبه البرايا بعلاء الدين أبي الشامات فناد أحمد الدنف وقال يا أصلان فرد عليه فقال هل ما أسم أمك فقال له تسمى الجارية ياسمين فقال له يا أصلان طب نفساً وقر عيناً فإنه ما أبوك إلا علاء الدين أبو الشامات ولكن يا ولدي أدخل على أمك واسألها عن أبيك فقال سمعاً

وطاعة ثم دخل على أمه وسأله ا فقالت له أبوك الأمير خالد فقال لها ما أبي إلا علاء الدين أب و الشا امات فبكت أمه وقالت له من أخبرك بهذا يا ولدي فقال المقدم أحمد الدنف أخبرني بذلك فحكت له جميع ما ج رى وقالت له يا ولدي قظهر الحق واختفى الباطل واعلم أن أباك علاء الدين أبو الشامات إلا أنه مـ ا ربـ اك إلا الأمير خالد وجعلك ولده فيا ولدي أن اجتمعت بالمقدم أحمد الدنف قل له يا كبيري سألتك بالله الآن تأخذ لـ ي ثاري من قاتل أبي علاء الدين أبي الشامات فطلع من عندها وسار وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٠٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أصلان طلع من عند أمه وسار إلى أن دخل على المقدم أحمد الـ دنف وقبل يده فقال له مالك يا أصلان فقال له إني قد عرفت وتحققت أن أبي علاء الدين أبو الشامات ومرادي أنك تأخذ لي ثأري من قاتله فقال له من الذي قتل أباك فقال له أحمد قماقم السراق فقال له ومن أعلمك بهذا الخبر فقال رأيت معه المصباح الجوهر الذي ضاع من جملة أمتعة الخليفة وقلت له أعطني هذا المصباح فما رضي وقال لي هذا ا راحت على شأنه الأرواح وحكى لي أنه هو الذي نزل وسرق العملة ووضعها فـ ي دار أبـ ي فقال له أحمد الدنف إذا رأيت الأمير خالد الوالي يلبس لباس الحرب فقل له ألبسني مثلك فإذا طلعـ ت معـ ه وأظهرت باباً من أبواب الشجاعة قدام أمير المؤمنين فإن الخليفة يقول لك بمن علي يا أصلان فقل له أتمنـ ى عليك أن تأخذ لي ثار أبي من قاتله فيقول لك أن أباك حي وهو الأمير خالد الوالي فقل له أن أبي علاء الدين أبو الشامات وخالد الوالي له علي حق التربية فقط وأخبره بجميع ما وقع بينك وبين أحمد قماقم السراق وقـ ل له يا أمير المؤمنين أؤمر بتفتيشه وأنا أخرجه من جيبه فقال له سمعاً وطاعة ثم طلع أصلان فوجـ د الأميـ ر خالداً يتجهز إلى طلوعه ديوان الخليفة فقال له مرادي أن تلبسني لباس الحرب مثلك وتأخذني معك إلى ديوان الخليفة فألبسه وأخذه معه إلى الديوان ونزل الخليفة بالعسكر خارج البلد ونصبوا الصواوين والخيام واصطفت الصفوف وطلع بالأكرة والصولجان فصار الفارس منهم يضرب الأكرة بالصولجان فيردها عليـ ه الفـ ارس الثاني وكان بين العسكر واحد جاسوس مغري على قتل الخليفة فأخذ الأكرة وضربها الصـ ولجان وحررهـ ا على وجه الخليفة وإذا بأصلان استلقاها عن الخليفة وضربها راميها فوقعت بين أكتافه فوقـ ع علـ ى الأرض فقال الخليفة بارك الله فيك يا أصلان ثم نزلوا من على ظهور الخيل وقعدوا على الكراسـ ي وأمـ ر الخليفـ ة بإحضار الذي ضرب الأكرة فلما حضر بين يديه قال له من أغراك على هذا الأمر وهل أنت عدو أو حبيب فقال له أنا عدو وكنت مضمر قتلك فقال ما سبب ذلك أما أنت مسلم فقال لا وأنما أنار رافضي فأمر الخليفـ ة بقتله وقال لأصلان تمن علي فقال له أتمنى عليك أن تأخذ لي ثار أبي من قاتله فقال له أن أباك حـ ي وهـ و واقف على رجليه فقال له من هو أبي فقال له الأمير خالد الوالي فقال له يا أمير المؤمنين ما هو أبي إلا في التربية وما والدي إلا علاء الدين أبو الشامات فقال له أن أباك كان خائناً فقال يا أمير المـ ؤمنين حاشـ ا أن يكون الأمين خائناً وما الذي خانك فيه فقال له سرق بدلتي وما معها فقال يا أمير المؤمنين حاشا أن يكون أبي خائناً ولكن يا سيدي لما عدمت بدلتك وعادت إليك هل رأيت المصباح رجع إليك أيضاً فقال ما وجدناه فقـ ال أنا رأيته مع أحمد قماقم وطلبته منه فلم يعطه لي وقال هذا راحت عليه الأرواح وحكى لـ ي عـ ن ضـ عف حبظلم بظاظة أبن الأمير خالدوعشقه للجارية ياسمين وخلاصة من القيد وانه هو الذي سرق البدلة والمصباح

وأنت يا أمير المؤمنين تأخذ لي بثار والدي من قاتله فقال الخليفة اقبضوا على أحمد قماقم فقبضوا عليه وقال أين المقدم أحمد الدنف فحضر بين يديه فقال له الخليفة فتش قماقم فحط يديه في جيبه فأطلع منه المصباح الجوهر فقال الخليفة تعال يا خائن من أين لك هذا المصباح فقال له اشتريته يا أمير المؤمنين فقال له الخليفة من أين اشتريته ومن يقدر على مثله حتى يبيعه لك وضربوه فأقر أنه هو الذي سرق البدلة والمصباح فقال له الخليفة لأي شيء تفعل هذه الفعال يا خائن حتى ضيعت علاء الدين أبا الشامات وهو الثقة الأمين ثم أمر الخليفة بالقبض عليه وعلى الوالي فقال الوالي يا أمير المؤمنين أنا مظلوم وأنت أمرتني بشنقه ولم يكن عندي خبر بهذا الملعوب فإن التدبير كان بين العجوز وأحمد قماقم وزوجتي وليس عندي خبر وأنا في جيرتك يا أصلان فتشفع فيه أصلان عند الخليفة ثم قال أمير المؤمنين ما فعل الله بأم هذا الولد فقال له عندي فقال أمرتك أن تأمر زوجتك أن تلبسها بدلتها وصيغتها وتردها إلى سيادتها وأن تفك الختم الذي على بيت علاء الدين وتعطي ابنه رزقه وماله فقال سمعاً وطاعة ثم نزل الوالي وأمر امرأته فألبستها بدلتها وفك الختم عن بيت علاء الدين وأعطى أصلان المفاتيح ثم قال الخليفة تمن علي يا أصلان فقال له تمنيت عليك أن تجمع شملي بأبي فبكى الخليفة وقال الغالب أن أباك هو الذي شنق ومات ولكن وحياة جدودي كل من بشرني بأنه على قيد الحياة أعطيته جميع ما يطلبه فتقدم أحمد الدنف وقبل الأرض بين يديه وقال له أعطني الأمان يا أمير المؤمنين فقال له عليك الأمان فقال أبشرك أن علاء الدين أبا الشامات الثقة الأمين طيب على قيد الحياة فقال له ما الذي تقول فقال له وحياة رأسك أن كلامي حق وفديته بغيره ممن يستحق القتل وأوصلته إلى الاسكندرية وفتحت له دكان سقطي فقال الخليفة ألزمتك أن تجيء به وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣١٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الخليفة قال لأحمد الدنف ألزمتك أن تجيء به فقال له سمعاً وطاعة فأمر له الخليفة بعشرة آلاف دينار وسار متوجهاً إلى الاسكندرية هذا ما كان من أمر أصلان (وأما) ما كان من أمر والده علاء الدين أبي الشامات فإنه باع ما كان عنده في الدكان جميعه ولم يبق في الدكان إلا القليل وجراب فنفض الجراب فنزلت منه خرزة تملأ الكف في سلسلة من الذهب ولها خمسة وجوه وعليها أسماء وطلاسم كدبيب النمل فدعك الخمسة وجوه فلم يجاوبه أحد فقال في نفسه لعلها خرزة من جزع ثم علقها في الدكان وإذا بقنصل فائت في الطريق فرفع بصره فرأى الخرزة معلقة فقعد على دكان علاء الدين وقال له يا سيدي هل هذه الخرزة للبيع فقال له جميع ما عندي للبيع فقال له أتبيعني أياها بثمانين ألف دينار فقال له علاء الدين يفتح الله فقال له أتبيعها بمائة ألف دينار فقال بعتها لك بمائة ألف دينار فأنقذني الدنانير فقال له القنصل ما أقدر أن أحمل ثمنها معي والأسكندرية فيها حرامية وشرطية فأنت تروح معي إلى مركبي وأعطي لك الثمن ورزمة صوف أنجوري ورزمة أطلس ورزمة قطيفة ورزمة جوخ فقام علاء الدين وقفل الدكان بعد أن أعطاه الخرزة وأعطي المفاتيح لجاره وقال له خذ هذه المفاتيح عندك أمانة حتى أروح إلى المركب مع هذا القنصل وأجيء بثمن خرزتي فإن عوقت عنك وورد عليك المقدم أحمد الدنف الذي كان وطنني في هذا المكان فأعطه المفاتيح وأخبره بذلك ثم توجه مع القنصل إلى المركب فلما نزل به المركب نصب له كرسياً

وأجلسه عليه وقال هاتوا المال فدفع له الثمن والخمس رزم التي وعده بها وقال له يا سيدي أقصد د جب ري بلقمة أو شربة ماء فقال إن كان عندك ماء فاسقني فأمر بالشربات فإذا فيها بنج فلما شرب انقلب على ظهره فرفعوا الكراسي وحطوا المداري وحلوا القلوع وأسعفتهم الرياح حتى وصلوا إلى وسط البحر فأمر القبطان بطلوع علاء الدين من الطنبر فطلعوه وشمموه ضد البنج ففتح عينيه وقال أين أنا فقال له أنت معي مربوط وديعة ولو كنت تقول يفتح الله لكنت أزيدك فقال له علاء الدين ما صناعتك فقال له أنا قبطان ومرادي أن آخذك إلى حبيبة قلبي فبينما هما في الكلام وإذا بمركب فيها أربعون من تجار المسلمين فطلع القبطان بمركبه عليهم ووضع الكلاليب في مراكبهم ونزل هو ورجاله فنهبوها وأخذها وساروا بها إلى مدينة جنوة فأقبل القبطان الذي معه علاء الدين إلى باب قصر قيطون وإذا بصبية نازلة وهي ضاربة لثاماً فقالت له هل جئت بالخرزة وصاحبها فقال لها جئت بهما فقالت له هات الخرزة فأعطاها لها وتوجه إلى المينا وضرب مدافع السلامة فعلم ملك المدينة بوصول ذلك القبطان فخرج إلى مقابلته وقال له كيف كانت سفرتك فقال له كانت طيبة جداً وقد كسبت فيها مركباً فيها واحد وأربعون من تجار المسلمين فقال له أخرجهم إلى المدينة في الحديد ومن جملتهم علاء الدين وركب الملك هو والقبطان وأمشوهم قدامهم إلى أن وصلوا إلى الديوان وقدموا أول واحد فقال له الملك من أين يا مسلم فقال من الاسكندرية فقال يا سياف اقتله فضربه السياف بالسيف فرمى رقبته والثاني والثالث وهكذا إلى تمام الأربعين وكان علاء الدين في آخرهم فشرب حسرتهم وقال لنفسه رحمة الله عليك يا علاء الدين فرغ عمرك فقال له الملك وأنت من أي البلاد فقال من الاسكندرية فقال يا سياف ارم عنقه فرفع السياف يده بالسيف وأراد أن يرمي رقبة علاء الدين وإذا بعجوز ذات هيبة تقدمت بين أيادي الملك فقام إليها تعظيماً لها فقالت يا ملك أما قلت لك لما يجيء القبطان بالأساري تذكر الدير بأسير أو بأسيرين يخدمان في الكنيسة فقال لها يا أمي ليتك سبقت بساعة ولكن خذي هذا الأسير الذي فضل فالتفتت إلى علاء الدين وقالت له هل أنت تخدم في الكنيسة أو أخلى الملك يقتلك فقال لها أنا أخدم في الكنيسة فأخذته وطلعت به من الديوان وتوجهة إلى الكنيسة فقال لها علاء الدين ما أعمل من الخدمة فقالت له تقوم في الصبح وتأخذ خمسة بغال وتسير بها إلى الغابة وتقطع ناشف الحطب وتكسره وتجيء به إلى مطبخ الدير وبعد ذلك تلم البسط وتكنس وتمسح البلاط والرخام وترد الفرش مثل ما كان وتأخذ نصف أردب قمح وتغربله وتطحنه وتعجنه وتعمله منينات للدير وتأخذ ويبة عدس تغربلها وتدشها وتطبخها ثم تملأ الأربع فساقي ماء وتحول بالبرميل وتملأ ثلثمائة وستة وستين قصعة وتفت فيها المنينات وتسقيها من العدس وتدخل لك راهب أو بطريق قصعته فقال لها علاء الدين رديني إلى الملك وخليه يقتلني أسهل لي من هذه الخدمة فقالت له إن خدمت ووفيت الخدمة التي عليك خلصت من القتل وإن لم توف خليت الملك يقتلك فقعد علاء الدين حامل الهم وكان في الكنيسة عشر عميان مكسحين فقال له واحد منهم هات لي قصرية فأتي له فتغوط فيها وقال له أرم الغائط فرماه فقال له يبارك فيك المسيح يا خدام الكنيسة وإذا بالعجوز أقبلت وقالت له لأي شيء ما وفيت الخدمة في الكنيسة فقال لها أنا لي كم يد حتى أقدر على توفية هذه الخدمة فقالت له يا مجنون أنا ما جئت بك للخدمة ثم قالت له خذ يا إبني هذا القضيب وكان من النحاس وفي رأسه صليب وأخرج إلى الشارع فإذا قابلك والي البلد فقل له إني أدعوك إلى خدمة الكنيسة من أجل السيد المسيح فإنه لا يخالفك فخليه

يأخذ القمح ويغربله ويطحنه وينخله ويعجنه ويخبزه منينات وكل من يخالفك أضربه ولا تخف من أحد فقال سمعاً وطاعة وعمل كما قالت ولم يزل يسخر الأكابر والأصاغر مدة سبعة عشر عاماً فبينما هو قاعد في الكنيسة وإذا بالعجوز داخلة عليه فقالت له أطلع إلى خارج الدير فقال لها أين أروح فقالت له بت هذه الليلة في خمارة أو عبد واحد من أصحابك فقال لها لأي شيء تطرديني من الكنيسة فقالت له إن حسن مريم بنت الملك يوحنا ملك هذه المدينة مرادها أن تدخل الكنيسة للزيارة ولا ينبغي أن تقعد في طريقها فامتثل كلامها وقام وأراها أنه رائح إلى خارج الكنيسة وقال في نفسه يا هل ترى بنت الملك مثل نسائنا أو أحسن منهن فأنا لا أروح حتى أتفرج عليها فاختفى في مخدع له طاقة تطل على الكنيسة فبينما هو ينظر في الكنيسة وإذا ببنت الملك مقبلة فنظر إليها نظرة أعقبته ألف حسرة لأنه وجدها كأنها البدر إذا نزغ من تحت الغمام وصحبتها صبية وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣١١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن علاء الدين لما نظر إلى بنت الملك ورأى صحبتها صبية وهي تقول لتلك الصبية آلست يا زبيدة فأمعن علاء الدين النظر في تلك الصبية فرآها زوجته زبيدة العودية التي كانت ماتت ثم أن بنت الملك قالت لزبيدة قومي أعملي لنا نوبة على العود فقالت لها أنا لا أعمل لك نوبة حتى تبلغيني مرادي وتفي لي بما وعدتيني به فقالت لها ما الذي وعدتك به قالت لها وعدتيني بجمع شملي بزوجي علاء الدين أبي الشامات الثقة الأمين فقالت لها يا زبيدة طيبي نفساً وقري عيناً واعملي لنا نوبة حلاوة اجتماع شملك بزوجك علاء الدين فقالت لها وأين هو فقالت لها إنه هنا في هذا المخدع يسمع كلامنا فعملت نوبة على العود ترقص الحجر الجلمود فلمكا سمع ذلك علاء الدين هاجت بلابله وخرج من المخدع وهجم عليها وأخذ زوجته زبيده العودية بالحضن وعرفته فأعتنق الأثنان بعضهما ووقعا على الأرض مغشياً عليهما فتقدمت الملكة حسن مريم ورشت عليهما ماء الورد ونبهتهما وقالت جمع الله شملكما فقال لها علاء الدين على محبتك يا سيدتي ثم التفت علاء الدين إلى زوجته زبيدة العودية وقال لها أنت قدمت يا زبيدة ودفناك في القبر فكيف حييت وجئت بها إلى هذا المكان فقالت له يا سيدي أنا ما مت وإنما اختطفني عون من أعوان الجان وطار بي إلى هذا المكان وأما التي دفنتموها فإنها جنيه وتصورت في صورتي وعمل أنها ميتة وبعد ما دفنتموها شقت القبر وخرجت منه وراحت إلى خدمة سيدتها حسن مريم بنت الملك وأما أنا فإني صرعت وفتحت عيني فرأيت نفسي عند حسن مريم بنت الملك وهي هذه فقالت لها لأي شيء جئت بي إلى هنا فقالت لي أنا موعودة بزواجي بزوجك علاء الدين أبي الشامات فهل تقبليني يا زبيدة أن أكون ضرتك ويكون لي ليلة ولك ليلة فقالت لها سمعاً وطاعة يا سيدتي ولكن أين زوجي فقالت إنه مكتوب على جبينه ما قدره الله عليه فمتى أستوفي ما على جبينه لابد أن يجيء إلى هذا المكان ولكن نتسلى على فراقه بالنغمات والضرب على الآلات حتى يجمعنا الله به فمكثت عندها هذه المدة إلى أن جمع الله شملي بك في هذه الكنيسة ثم أن حسن مريم التفتت إليه وقالت له يا سيدي علاء الدين هل تقبلني أن أكون لك أهلاً وتكون لي بعلاً فقال لها يا سيدتي أنا مسلم وأنت نصرانية فكيف أتزوج بك فقالت حاش لله أن أكون كافرة بل أنا مسلمة ولي ثمانية عشر عاماً وأنا متمسكة بدين الإسلام وأني بريئة من كل دين يخالف دين الإسلام فقال لها يا سيدتي مرادي

أن أروح إلى بلادي فقالت له اعلم أني رأيت مكتوباً على جبينك أموراً لابد أن تستوفيها وتبلغ غرضك ونهنيك يا علاء الدين أنه ظهر لك ولد اسمه أصلان وهو الآن جالس في مرتبتك عند الخليفة وقد بلغ من العمر ثمانية عشر عاماً واعلم أنه ظهر الحق واختفى الباطل وربنا كشف الستر عن الذي سرق أمتعة الخليفة وهو أحمد قماقم السراق الخائن وهو الآن في السجن محبوس ومقيد واعلم أني أنا التي أرسلت إليك الخرزة ووضعتها لك في داخل الجراب الذي في الدكان وأنا التي أرسلت القبطان وجاء بك بالخرزة واعلم أن هذا القبطان متعلق بي ويطلب مني الوصال فماضيت أن أمكنه من نفسي بل قلت له لا أمكنك من نفسي إلا إذا جئت لي بالخرزة وصاحبها وأعطيته مائة كيس وارسلته في صفة تاجر وهو قبطان ولما قدموك إلى القتل بعد قتل الأربعين الأسارى الذين كنت معهم أرسلت إليك هذه العجوز فقال لها جزاك الله عني كل خير ثم أن حسن مريم جددت أسلامها على يديه ولما عرف صدق كلامها قال لها أخبريني عن فضيلة هذه الخرزة من أين هي فقالت له هذه خرزة من كنز مرصود وفيها خمس فضائل تنفعنا عند الاحتياج إليها وأن جدتي أم أبي كانت ساحرة تحل الرموز وتختلس ما في الكنوز فوقعت لها هذه الخرزة من كنز فلما كبرت أنا وبلغت من العمر أربعة عشر عاماً قرأت الأنجيل وغيره من الكتب فرأيت اسم محمد ﷺ في الأربعة كتب التوراة والأنجيل والزبور والفرقان فآمنت بمحمد ﷺ وأسلمت وتحققت بعقلي أنه لا يعبد بحق إلا الله تعالى وأن رب الأنام لا يرضى إلا دين الإسلام وكانت جدتي حين ضعفت وهبت لي هذه الخرزة وأعلمتني بما فيها من الخمس الفضائل وقبل أن تموت جدتي قال لها أبي أضربي لي تخت رمل وأنظري عاقبة أمري وما يحصل لي فقالت له أن البعيد يموت قتيلاً من أسير يجيء من الأسكندرية فحلف أبي أن يقتل كل أسير يجيء منها وأخبر القبطان بذلك وقال له لابد أن تهجم على مراكب المسلمين وكل من رأيته من الأسكندرية تقتله أو تجيء به إلى فامتثل أمره حتى قتل عدد شعر رأسه ثم هلكت جدتي فطلعت أنا وضربت لي تخت رمل وأضمرت ما في نفسي وقلت يا هل ترى من يتزوج بي فظهر أنه لا يتزوج بي إلا واحد يسمى علاء الدين أبا الشامات الثقة الأمين فتعجبت من ذلك وصبرت إلى أن آن الأوان واجتمعت بك ثم أنه تزوج بها وقال لها أنا مرادي أن أروح إلى بلادي فقالت له إذا كان الأمر كذلك فتعالى معي ثم أخذته وخبأته في مخدع في قصرها ودخلت على أبيها فقال لها يا بنتي أنا عندي اليوم قبض زائد فاقعدي حتى أسكر معك فقعدت ودعا بسفرة المدام وصارت تملأ وتسقيه حتى غاب عن الوجود ثم أنها وضعت له البنج في قدح فشرب القدح وأنقلب على قفاه ثم جاءت إلى علاء الدين وأخرجته من المخدع وقالت له أن خصمك مطروح على قفاه فافعل به ما شئت فأني أسكرته وبنجته فدخل علاء الدين فرآه مبنجاً فكتفه تكتيفاً وثيقاً وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣١٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن علاء الدين أعطى الملك أبا حسن مريم ضد البنج فأفاق فوجد علاء الدين وأبنته راكبين على صدره فقال لها يا بنتي أتفعلين معي هذه الفعال فقالت له أن كنت بنتك فأسلم لأنني أسلمت وقد تبين لي الحق فاتبعته والباطل فاجتنبته وقد أسلمت لله رب العالمين وأنني بريئة من كل دين يخالف دين الإسلام في الدنيا والآخرة فإن أسلمت حباً وكرامة وإلا فقتلك أولى من حياتك ثم نصحه علاء

الدين فأبى وتمرد فسحب علاء الدين خنجراً ونحره من الوريد إلى الوريد وكتب ورقة بصورة الذي جـ رى ووضعها على جبهته وأخذ ما خف حمله وغلا ثمنه وطلعا من القصر وتوجها إلى الكنيسة فأحضرت الخرزة وحطت يدها على الوجه الذي هو منقوش عليه السرير ودعكته وإذا بسرير وضع قدامها فركبت هي وعـ لاء الدين وزوجته زبيدة العودية على ذلك السرير وقالت بحق ما كتب على هذه الخرزة من الأسماء والطلاسـ م وعلوم الأقلام أن ترتفع بنا يا سرير فارتفع بهم السرير وسار إلى واد لا نبات فيه فأقامت الأربعـ ـة وجـ وه الباقية من الخرزة إلى السماء وقلبت الوجه المرسوم عليه السرير فنزل بهـ م إلـ ى الأرض وقلبـ ت الوجـ ـه المرسوم عليه هيئة صيوان ودعكته وقالت لينتصب صيوان في هذا الوادي فانتصب الصيوان وجلسوا فيـ ـه وكان ذلك الوادي أقفر لا نبات فيه ولا ماء فقلبت الأربعة وجوه إلى السماء وقالت بحق أسماء الله تنبت هذ ـا أشجار ويجري بجانبها بحر فنبتت الأشجار في الحال وجري بجانبها بحر عجاج متلاطم بالأمواج فتوضـ ؤا منه وصلوا وشربوا وقلبت الثلاثة وجوه الباقية من الخرزة إلى الوجه الذي على هيئة سفرة الطعـ ـام وقالـ ـت بحق أسماء الله يمتد السماط وإذا بسماط امتد وفيه سائر الأطعمة الفاخرة فأكلوا وشربوا وتلذذوا وطربوا هذا ما كان من أمرهم (وأما) ما كان من أمر ابن الملك فإنه دخل ينبه أباه فوجده قتيلاً ووجد الورقة التي كتبهـ ـا علاء الدين فقرأها وعرف ما فيها ثم فتش على أخته فلم يجدها فذهب إلى العجوز في الكنيسة وسألها عنهـ ـا فقالت من أمس ما رأيتها فناد إلى العسكر وقال لهم الخيل يا أربابها وأخبرهم بالذي جـ رى فركبـ ـوا الخيـ ـل وسافروا إلى أن قربوا من الصيوان فالتفتت حسن مريم فرأت الغبار قد سد الأقطار وبعـ ـد أن عـ ـلا وطـ ـار أنكشف فظهر من تحته أخوها والعسكر وهم ينادون إلى أين تقصدون نحن وراءكم فقالت الصبية لعلاء الدين كيف ثباتك في الحرب والنزال فقال لها مثل الوتد في النخال فإني ما أعرف الحرب والكفـ ـاح ولا السـ ـيوف والرماح فسحبت الخرزة ودعكت الوجه المرسوم عليه صورة الفرس والفارس وإذا بفارس ظهر من البر ولم يزل يضرب فيهم بالسيف إلى أن كسرهم وطردهم ثم قالت له أتسافر إلى مصر أو إلى الإسـ ـكندرية وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣١٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن حسن مريم قالت أتسافر إلى مصر أو إلى الإسكندرية فادخلهم عـ ـلاء الدين في مغارة وذهب إلى الإسكندرية فأتاهم بثياب وألبسهم أياها وتوجه بهم إلى الدكان والطبقة ثـ ـم طلـ ـع يجيء لهم بغداء وإذا بالمقدم أحمد الدنف قادم من بغداد فرآه في الطريق فقابله بالعناق وسلم عليه ورحب به ثم أن المقدم أحمد الدنف بشره بولده أصلان وأنه بلغ من العمر عشرين عاماً وحكى له علاء الدين جميع ما جرى له من الأول إلى الآخر وأخذه إلى الدكان والطبقة فتعجب أحمد الدنف من ذلك غاية العجب وباتوا تلك الليلة ولما أصبحوا باع علاء الدين الدكان ووضع ثمنها على ما معه ثم أن أحمد الدنف أخبر علاء الدين بأن الخليفة يطلبه فقال له أنا رائح إلى مصر أسلم على أبي وأمي وأهل بيتي فركبوا السرير جميعاً وتوجهوا إلى مصر السعيدة ونزلوا في الدرب الأصفر لأن بيتهم كان في تلك الحارة ودق باب بيتهم فقالت أمه من بالبـ ـاب بعد فقد الأحباب فقال أنا علاء الدين فنزلوا وأخذوه بالأحضان ثم أدخل زوجته وما معه في البيت وبعد ذلـ ـك دخل وأحمد الدنف صحبته وأخذوا لهم راحة ثلاثة أيام ثم طلب السفر إلى بغداد فقال له أبوه يا ولدي أجلـ ـس

عندي فقال ما أقدر على فراق ولدي أصلان ثم أنه أخذ أباه وأمه معه وسافروا إلى بغداد فدخل أحمد الـ دنف وبشر الخليفة بقدوم علاء الدين وحكى له حكايته فطلع الخليفة لملتقاه وأخـ ذ معـ ـه ولـ ده أصـ ـلان وقـ ـابلوه بالأحضان وأمر الخليفة بأحضار أحمد قماقم السراق فلما حضر بين يديه قال يا علاء الدين دونك وخصـ مك فسحب علاء الدين السيف وضرب أحمد قماقم فرمي عنقه ثم أن الخليفة عمل لعلاء الدين فرحاً عظيماً بعـ ـد أن أحضر القضاة والشهود وكتب كتابه على حسن مريم ولما دخل عليها وجدها درة لم تثقب ثم جعل ولـ ده أصلان رئيس الستين وخلع عليهم الخلع السنية وأقاموا في أرغد عيش وأهناه إلى أن أتـ ـاهم هـ ـازم اللـ ذات ومفرق الجماعات.

بعض حكايات تتعلق بالكرام

أما حكايات الكرام فإنها كثيرة جداً (منها) ما روى عن حاتم الطائي أنه لما مات دفن فـ ـي رأس جبـ ـل وعملوا على قبره حوضين من حجر وصور بنات محلولات الشعر من حجر وكان تحت ذلك الجبل نهر جار فإذا نزلت الوفود يسمعون الصراخ في الليل من العشاء إلى الصباح فإذا أصبحوا لم يجدوا أحد غير البنـ ـات المصورة من الحجر فلما نزل ذو الكراع ملك حمير بذلك الوادي خارجاً عن عشيرته بات تلك الليلة هنـ ـاك وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣١٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن ذا الكراع لما نزل بذلك الوادي بات تلك الليلة هناك وتقرب من ذلك الموضع فسمع الصراخ فقال ما هذا العويل الذي فوق الجبل فقالوا له أن هذا قبر حاتم الطائي يا حاتم نحـ ـن الليلة ضيوفك ونحن خماص فغلب عليه النوم ثم استيقظ وهو مرعوب وقال يا عـ ـرب الحقـ ـوني وأدركـ ـوا راحلتي فلما جاءوه وجدوا الناقة تضطرب فنحروها وشووا لحمها وأكلوه ثم سألوه عن سبب ذلك فقال أنـ ـي نمت فرأيت حاتماً الطائي في المنام قد جاءني بسيف وقال جئتنا ولم يكن عندنا شيء وعقر ناقتي بالسيف ولو لم تنحروها لماتت فلما أصبح الصباح ركب ذو الكراع راحلة واحد من أصحابه ثم أردفه خلفه فلما كان فـ ـي وسط النهار رأوا راكباً على راحلة وفي يده راحلة أخرى فقالوا له من أنت قال أنا عندي بن حاتم الطائي ثم قال أين ذو الكراع أمير حمير فقالوا له هو هذا فقال اركب هذه الناقة عوضاً عن راحلتك فإن ناقتك قد نحرها أبي لك قال ومن أخبرك قال أتاني في المنام في هذه الليلة وقال لي يا عـ ـدي أن ذو الكـ ـراع ملـ ـك حميـ ـر استضافني فنحرت له ناقته فأدركه بناقة يركبها فإني لم يكن عندي شيء فأخذها ذو الكراع وتعجب من كـ ـرم حاتم حياً وميتاً.

ومن حكايات الكرام أيضاً

ما يروي عن معن بن زائدة أنه كان في يوم من الأيام في الصيد والقنص فعطش فلم يجد مع غلمانـ ـه ماء فبينما هو كذلك وإذا بثلاث جوار قد أقبلن عليه حاملات ثلاث قرب ماء وأدرك شهرزاد فسـ كتت عـ ـن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣١٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجواري أقبلن على معن حاملات ثلاث قرب ماء فاستسقاهن فأسقينه فطلب شيئاً من غلمانه ليعطيه للجواري فلم يجد معهم مالاً فدفع لكل واحدة منهن عشرة أسـ ـهم مـ ـن كنانتـ ـه نصولها من الذهب فقالت إحداهن لصاحبتيها لم تكن هذه الشمائل إلا لمعن بن زائدة فلتقل كل واحـ ـدة مـ ـنكن شيئاً من الشعر مدحاً فيه فقالت الأولى:

يرك .ـب فـ .ـي السـ .ـهام نصـ .ـول تبـ .ـر   ويرمـ . .ـي للعـ . .ـدا كرمـ . .ـاً وجـ . .ـوداً
فللمرضـ . .ى عـ . ـلاج مـ . .ن جـ . راح   وأكفـ . .ـان لمـ . .ـن سـ . .ـكن اللحـ . .ـودا

وقالت الثانية:

ومحـ .ـارب مـ .ـن فـ .ـرط جـ .ـود بنانـ .ـه   عمـ . .ـت مكارمـ . .ـه الأحبـ . .ـة والعـ . ـدا
صيغت تصـ ـول سـ ـهامه مـ ـن عسـ جد   كـ .ـيلا تعوقـ .ـه الحـ .ـروب عـ .ـن النـ .ـدا

وقالت الثالثة:

ومـ ـن جـ ـوده يرمـ ـي العـ ـداة بأسـ ـهم   من الـ ـذهب إلا بريـ ـز صـ ـيغت نصـ ـولها
لينفقهـ . .ـا المجـ . .ـروح عنـ . .ـد دوائـ . .ـه   ويشـ . .ـتري الأكفـ . .ـان منهـ . .ـا قتيلهـ . .ـا

وقيل أن معن بن زائدة خرج في جماعته إلى الصيد فقرب منهم قطيع ظباء فافترقوا في طلبه وانفـ ـرد معن خلف ظبي فلما ظفر به نزل فذبحه فرأى شخصاً مقبل من البرية على حمار فركب فرسه واستقبله فسلم عليه وقال له من أين أتيت قال أتيت من أرض قضاعة وأن لها مدة من السنين مجدبة وقد أخضبت في هـ ـذه السنة فزرعت فيها مقناة فطرحت في غير وقتها فجمعت منها ما استحسنته من القناة وقصدت الأمير معن بن زائدة لكرمه المشهور ومعروفه المأثور فقال له كم أملت منه قال ألف دينار فقال له فإن قال لك هـ ـذا القـ ـدر كثير قال خمسمائة دينار قال فإن قال لك كثير قال مائة دينار قال فإن قال لك كثير قال خمسين دينـ ـاراً قـ ـال فإن قال لك كثير قال أدخلت قوائم حماري في حر أمه ورجعت إلى أهلي سفر اليدين فضحك معن من كلامه وساق جواده حتى لحق بعسكره ونزل في منزله وقال لحاجبه إذا أتاك شخص على حمار بقثاء فأدخله علـ ـى فأتي ذلك الرجل بعد ساعة فأذن له الحاجب بالدخول فلما دخل على الأمير معن لم يعرف أنه هو الذي قابلـ ـه في البرية لهيبته وجلالته وكثرة خدمه وحشمه وهو متصدر في دست مملكته والحفدة قيام عن يميـ ـنه وعـ ـن شماله وبين يديه فلما سلم عليه قال له الأمير ما الذي أتي بك يا أخا العرب قال أملت من الأمير وأتيـ ـت لـ ـه بقثاة في غير أوانها فقال له كم أملت منا قال ألف دينار قال هذا القدر كثير قال خمسمائة دينار قال كثير قال ثلثمائة دينار قال كثير قال مائتي دينار قال كثير قال مائة دينار قال كثير قال خمسين دينار قال كثيـ ـر قـ ـال ثلاثين دينار قال كثير قال والله لقد كان ذلك الرجل الذي قابلني في البرية مشؤوماً أفلا أقل من ثلاثين دينـ ـار فضحك معن وسكت فعلم الأعرابي أنه هو الرجل الذي قابله في البرية فقال له يا سيدي إذا لم تجيء بالثلاثين ديناراً فها هو الحمار مربوط بالباب وها معن جالس فضحك معن حتى استلقى على قفاه ثم استدعي بوكيلـ ـه وقال أعطه ألف دينار وخمسمائة دينار وثلثمائة دينار ومائة دينار وخمسين دينار وثلاثين ديناراً ودع الحمار مربوطاً مكانه فبهت الأعرابي وتسلم الألفين ومائة وثمانين ديناراً فرحمة الله عليهم أجمعين.

حكاية تتعلق ببعض مدائن الأندلس التي فتحها طارق بن زياد

وبلغني أيها الملك السعيد أن بلدة يقال لها لبطه وكانت مملكة للأفرنج وكان فيها قصر مقفل دائماً وكلما مات ملك وتولى بعده ملك آخر من الروم رمي عليه قفلاً محكماً فاجتمع على الباب أربعة وعشرون قفلاً من كل ملك قفل ثم تولى بعدهم رجل ليس من أهل بيت المملكة فأراد فتح تلك الأقفال ليرى ما في ذلك القصـ ر فمنعه من ذلك أكابر الدولة وأنكروا عليه وزجروه فأبى وقال لابد من فتح ذلك القصر فبذلوا له جميـ ع مـ ا بأيديهم من نفائس الأموال والذخائر على عدم فتحه فلم يرجع وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣١٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أهل المملكة بذلوا لذلك الملك جميع ما في أيديهم من الأموال والذخائر على عدم فتح ذلك القصر فلم يرجع عن فتحه ثم أنه أزال الأقفال وفتح الباب فوجد فيه صور العرب علـ ى خيلها وجمالها وعليهم العمائم المسبلة وهم متقلدون بالسيوف وبأيديهم الرماح الطوال ووجد كتاباً فيـ ه فأخـ ذ الكتاب وقرأه فوجد مكتوباً فيه إذا فتح هذا الباب يغلب على هذه الناحية قوم من العرب وهم على هيئة هـ ذه الصور فالحذر ثم الحذر من فتحه وكانت تلك المدينة بالأندلس ففتحها طارق ابن زياد في تلـ ك السـ نة فـ ي خلافة الوليد بن عبد الملك من بني أمية وقتل ذلك الملك أقبح قتلة ونهب بلاده وسبى من بهـ ا مـ ن النسـ اء والغلمان وغنم أموالها ووجد فيها ذخائر عظيمة فيها ما ينوف عن مائة وسبعين تاجاً من الدر والياقوت ووجد فيها أحجاراً نفيسة وأيواناً ترمح فيه الخيالة برماحهم ووجد بها من أواني الذهب والفضة مـ الا يحـ يط بـ ه وصف ووجد بها المائدة التي كانت لنبي الله سليمان بن داود عليهما السلام وكانت على ما ذكر مـ ن زمـ رد أخضر وهذه المائدة إلى الآن باقية في مدينة رومة وأوانيها من الذهب وصـ حافها مـ ن الزبرجـ د ونفـ يس الجواهر ووجد فيها الزبور مكتوباً بخط يوناني في ورق من الذهب مفصص بالجواهر ووجد فيها كتاباً يذكر فيه منافع الأحجار والنبات والمدائن والقرى والطلاسم وعلم الكيمياء من الذهب والفضة ووجد كتابـ اً آخـ ر يحكي فيه صناعة صياغة اليواقيت والأحجار وتركيب السموم وأنترياقات وصورة شـ كل الأرض والبحـ ار والبلدان والمعادن ووجد فيها قاعة كبيرة ملآنة من الأكسير الذي الدرهم منه يقلب ألف درهم من الفضة ذهباً خالصاً ووجد بها مرآة كبيرة مستديرة عجيبة مصنوعة من أخلاط صنعت لنبي الله سليمان بن داود عليهمـ ا السلام إذا نظر الناظر فيها رأى الأقاليم السبعة عياناً ووجد فيها ليواناً فيه من الياقوت البهرماني مالا يحـ يط به وصف فحمل ذلك كله إلى الوليد بن عبد الملك وتفرق العرب في مدنها وهي من أعظم البلاد.

(حكاية هشام بن عبد الملك مع غلام من الأعراب)

(ومما) يحكي أيضاً أن هشام بن عبد الملك بن مروان كان ذاهباً إلى الصيد في بعض الأيام فنظر إلى ظبي فتبعه بالكلاب فبينما هو خلف الظبي إذ نظر إلى صبي من الأعراب يرعى غنماً فقال هشام له يا غلام دونك هذا الظبي فأتني به فرفع رأسه إليه وقال يا جاهلاً بقدر الأخبار لقد نظرت إلي بالاستصغار وكلمتنـ ي بالاحتقار فكلامك كلام جبار وفعلك فعل جبار فقال هشام ويلك أما تعرفني فقال قد عرفني بك سوء أدبـ ك إذ بدأتني بكلامك دون سلامك فقال له ويلك أنا هشام بن عبد الملك فقال له الأعرابي لا قرب الله ديارك ولا حيا

مزارك فما أكثر كلامك وأقل إكرامك فما أستتم كلامه حتى أحدقت به الجند من كل جانب وكل واحد منهم يقول السلام عليك يا أمير المؤمنين فقال هشام أقصروا عن هذا الكلام واحفظوا هذا الغلام فقبضوا عليه ورجع هشام إلى قصره وجلس في مجلسه وقال علي بالغلام البدوي فأتى به فلما رأى الغلام كثرة الحجاب والوزراء وأرباب الدولة لم يكترث بهم ولم يسأل عنهم بل جعل ذقنه على صدره ونظر حيث يقع قدمه إلى أن وصل إلى هشام فوقف بين يديه ونكس رأسه إلى الأرض وسكت عن السلام وامتنع من الكلام فقال له بعض الخدام يا كلب العرب ما منعك أن تسلم على أمير المؤمنين فالتفت إلى الخادم مغضباً وقال يا بردعة الحمار منعني من ذلك طول الطريق وصعود الدرجة والتعويق فقال هشام وقد تزايد به الغضب يا صبي لقد حضرت في يوم حضر فيه أجلك وغاب عنك أملك وانصرم عمرك فقال والله يا هشام لئن كان في المدة تأخير ولم يكن في الأجل تقصير فما ضرني من كلامك لا قليل ولا كثير فقال له الحاجب هل بلغ من مقامك يا أخس العرب أن تخاطب أمير المؤمنين كلمة بكلمة فقال مسرعاً لقيت الخبل ولا فارقك الويل والهيل أما سمعت ما قال الله تعالى يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها فعند ذلك اغتاظ هشام غيظاً شديداً وقال يا سياف علي برأس هذا الغلام فإنه أكثر بالكلام ولم يخش الملام فأخذ الغلام ونزل به إلى نطع الدم وسل سيفه على رأسه وقال يا أمير المؤمنين هذا عبدك المذل بنفسه السائر إلى رمسه هل أضرب عنقه وأنا بريء من دمه قال نعم فأستأذن ثانياً فأذن له فاستأذن ثالثاً ففهم الفتى أنه إن أذن له في هذه المرة يقتله فضحك حتى بدت نواجذه فازداد هشاماً غضباً وقال يا صبي أظنك معتوهاً أما ترى أنك مفارق الدنيا فكيف تضحك هزأ بنفسك فقال يا أمير المؤمنين لئن كان في العمر تأخير لا يضرني قليل ولا كثير ولكن حضرتني أبياتاً فاسمعها فإن قتلي لا يفوتك فقال هشام هات وأوجز فأنشد هذه الأبيات:

نبئت أن البازي صادف مرة ... عصفور بر ساقه المقدور
فتكلم العصفور في أظفاره ... والباز منهمك عليه يطير
ما في ما يغني لمثلك شبعة ... ولئن أكلت فإنني لحقير
فتبسم البازي المدل بنفسه ... عجباً وأفلت ذلك العصفور

فتبسم هشام وقال وحق قرابتي من رسول الله ﷺ لو تلفظ بهذا اللفظ في أول كلامه وطلب ما دون الخلافة لأعطيتها أياه يا خادم أحش فاه جوهراً وأحسن جائزته فأعطاه الخادم صلة عظيمة فأخذها وانصرف إلى حال سبيله انتهى.

(حكاية اسحق الموصلي وتزوج المأمون بخديجة بنت الحسن بن سهل)

ومما يحكي أن أسحق الموصلي قال خرجت ليلة من عند المأمون متوجهاً إلى بيتي فتضايقني حصر البول فعمدت إلى زقاق وقمت أبول خوفاً أن يضربي شيء إذا جلست في جانب الحيطان فرأيت شيئاً معلقاً من تلك الدور فلمسته لا عرف ما هو فوجدته زنبيلاً كبيراً بأربعة آذان ملبساً ديباجاً فقلت في نفسي لابد هذا من سبب وصرت متحيراً في أمري فحملني السكر على أن أجلس فيه فجلست فيه وإذا بأصحاب الدار جذبوه بي وظنوا أنني الذي كانوا يرتقبونه ثم رفعوا الزنبيل إلى رأس الحائط وإذا بأربع جوار يقلن لي أنزل على الرحب والسعة ومشت بين يدي جارية بشمعة حتى نزلت إلى دار فيها مجالس مفروشة لم أر مثلها إلا في

دار الخلافة فجلست فما شعرت بعد ساعة إلا بستور قد رفعت في ناحية من الجدار وإذا بوصائف يتماشى وفي أيديهن الشموع ومجامر البخور من العود القاقلي وبينهن جارية كأنها البدر الطالع فنهضت وقالت مرحباً بك من زائر ثم أجلستني وسألتني عن خبري فقلت لها أني انصرفت من عند بعض أخواني وغرني الوقت وحصرني البول في الطريق فملت إلى هذا الزقاق فوجدت زنبيلاً ملقى فأجلسني النبيذ في الزنبيل ورفع بي الزنبيل إلى هذا الدار هذا ما كان من أمري فقالت لا ضير عليك وأرجو أن تحمد عاقبة أمرك ثم قالت لي فما صناعتك فقلت تاجر في سوق بغداد فقالت هل تروي من الأشعار شيئاً قلت شيئاً ضعيفاً قالت فذاكرنا فيه وأنشدنا شيئاً منه فقلت أن للداخل دهشه ولكن تبدئين أنت قالت صدقت ثم أنشدت شعراً رقيقاً من كلام القدماء والمحدثين وهو من أجواد أقاويلهم وأنا أسمع ولا أدري أأعجب من حسنها وجمالها أم من حسن روايتها ثم قالت هل ذهب ما كان عندك من الدهشة قلت أي والله قالت أن شئت فأنشدنا شيئاً من روايتك فأنشدتها شعر الجماعة من القدماء ما فيه الكفاية فاستحسنت ذلك ثم قالت والله ما ظننت أنه يوجد في أبناء السوقة مثل هذا ثم أمرت بالطعام فقالت لها أختها ديناراً دما أحلى حديثك وأحسنه وأطيبه وأعذبه فقالت وأين هذا مما أحدثكم به الليلة القابلة أن عشت وأبقاني الملك وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣١٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أسحق الموصلي قال ثم أن الجارية أمرت بإحضار الطعام فحضر فجعلت تأخذ وتضع قدامي وكان في المجلس من أصناف الرياحين وغريب الفواكه مالا يكون إلا عند الملوك ثم دعت بالشراب فشربت قدحاً ثم ناولتني قدحاً وقالت هذا أوان المذاكرة والأخبار فأندفعت إذا كرها وقلت بلغني أنه كان كذا وكذا وكان رجل يقول كذا حتى حكيت لها عدة أخبار حسان فسرت بذلك وقالت أني لا عجب كيف يكون أحد من التجار يحفظ مثل هذه الأخبار وأنما هي أحاديث ملوك فقلت كان لي جار يحادث الملوك وينادمهم وإذا تعطل حضرت بيته فربما حدث بما سمعت فقالت لعمري لقد أحسنت الحفظ ثم أخذنا في المذاكرة وكلما سكت ابتدأت هي حتى قطعنا أكثر الليل وبخور العود يعبق وأنا في حالة لو توهمها المأمون لطار شوقا إليها فقالت لي أنك من الطف الرجال وأظرفهم لأنك ذو أدب بارع وما بقي إلا شيء واحد فقلت لها وما هو قالت لو كنت نتر ثم بالأشعار على العود فقلت لها أني كنت تعلقت بهذا قديماً ولكن لما لم أرزق حظاً فيه أعرضت عنه وفي قلبي منه حرارة وكنت أحب في هذا المجلس أن أسن شيئاً منه لتكمل ليلتي قالت كأنك عرضت بإحضار العود فقلت الرأي لك وأنت صاحبة الفضل ولك المنة في ذلك فأمرت بعود فحضرت وغنت بصوت ما سمعت بمثل حسنه مع حسن الأدب وجودة الضرب والكمال الراجح ثم قالت هل تعرف هذا الصوت لمن وهل تعرف الشعر لمن قلت لا قالت الشعر لفلان والمغنى لأسحق قلت وهل اسحق جعلت فداءك بهذه الصفة قالت بخ بخ اسحق بارع هذا الشأن فقلت سبحان الله الذي أعطى هذا الرجل مالا يعطه أحد سواه قالت فكيف لو سمعت هذا الصوت منه ثم لم نزل على ذلك حتى إذا كان انشقاق الفجر أقبلت عليها عجوز كأنها داية لها وقالت أن الوقت قد حضر فنهضت عند قولها وقالت لتستر ما كان منا فإن المجالس بالأمانات وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣١٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية قالت لتستر ما كان منا فإن المجالس بالأماد ات فقل ت له ا جعلت فداءك لست محتاجاً إلى وصية في ذلك ثم ودعتها وأرسلت جارية تمشي بين يدي إل ى ب اب ال دار ففتحت لي وخرجت متوجها إلى داري فصليت الصبح ونمت فأتاني رسول المأمون فس رت إلي ه وأقم ت نهاري عنده فلما كان وقت العشاء تفكرت ما كنت فيه البارحة وهو شيء لا يصبر عنه الجه لاء فخرج ت وجئت إلى الزنبيل وجلست فيه ورفعت إلى موضعي الذي كنت فيه البارحة فقالت لي الجارية لق د ع اودت فقلت لا أظن إلا أنني قد غفلت ثم أخذنا في المحادثة على عادتنا في الليلة السالفة من الم ذاكرة والمناش دة وغريب الحكايات منها ومني إلى الفجر ثم انصرفت إلى منزلي وصليت الصبح ونمت فأتى رسول الم أمون فمضيت إليه وأقمت نهاري عنده فلما كان وقت العشاء قال لي أمير المؤمنين أقسمت عليه أن تجل س حت ى أذهب إلى غرض وأحضر فلما ذهب الخليفة وغاب عني جالت وساوسي وتذكرت ما كنت فيه فهان علي ما يحصل لي من أمير المؤمنين فوثبت مدبراً وخرجت جارياً حتى وصلت إلى الزنبيل فجلست فيه ورفع ب ي إلى مجلسي فقالت لعلك صديقنا قلت أي والله قالت اجعلتنا دار إقامة قلت جعلت فداءك حتى الض يافة ثلاث ة أيام فإن رجعت بعد ذلك فأنتم في حل من دمي ثم جلسنا على تلك الحالة فلما قرب الوقت علمت أن المأمون لابد أن يسألني فلا يقنع إلا بشرح القصة فقلت لها أراك ممن يعجب بالغناء ولي ابن عم أحسن من ي وجه اً وأشرف قدراً وأكثر أدباً وأعرف خلق الله تعالى بأسحق قالت اطفيلي وتقترح قلت لها أنت المحكمة في الأمر فقالت إن كان ابن عمك علي ما تصف فما نكره معرفته ثم جاء الوقت فنهضت وقمت متوجها إلى داري فلم أصل إلى داري إلا ورسل المأمون هجموا علي وحملوني حملاً عنيفاً وأدرك شهرزاد فسكتت ع ن الك لام المباح.

(وفي ليلة ٣١٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن اسحق الموصلي قال فلم أصل إلى داري إلا ورسل المأمون قد هجموا علي وحملوني حملاً عنيفاً وذهبوا بي إليه فوجدته قاعداً على كرسي وهو مغتاظ مني فقال يا أسحق أخروجاً عن الطاعة فقلت لا والله يا أمير المؤمنين فقال فما قصتك أصدقني الخبر فقلت نعم ولكن في خلوة فأومأ إلى من بين يديه فتنحوا فحدثته الحديث وقلت له أني وعدتها بحضورك قال أحسنت ثم أخذنا في لذتنا ذلك الي وم والمأمون متعلق القلب بها فما صدقنا بمجيء الوقت وسرنا وأنا أوصيه وأقول له تجنب أن تن اديني بأس مي قدامها بل أنا لك تبع في حضرتها أو اتفقنا على ذلك ثم سرنا إلى أن أتينا مكان الزنبيل فوجدنا زبلين فقع دنا فيهما ورفعنا إلى الموضع المعهود فأقبلت وسلمت علينا فلما رآها المأمون تحير من حسنها وجمالها وأخ ذت تذاكره الأخبار وتناشده الأشعار ثم أحضرت النبيذ فشربنا وهي مقبلة عليه مسرورة به وهو أيضاً مقبل إليها مسروراً بها ثم أخذت العود وغنت طريقة وبعد ذلك قالت لي وهل ابن عمك من التجار وأشارت إلى المأمون قلت نعم قالت أنكما لقريبا الشبه من بعضكما قلت نعم فلما شرب المأمون ثلاثة أرطال داخله الفرح والطرب

فصاح وقال يا أسحق قلت لبيك يا أمير المؤمنين قال عن بهذه الطريقة فلما علمت أنه الخليفة مضت إلى مكان ودخلت فيه وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٢٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الصبية دخلت في المكان ولما فرغ اسحق من الغناء قال له المأمون انظر من رب هذه الدار فبادرت عجوز بالجواب وقالت هي للحسن ابن سهل فقال علي به فغابت العجوز ساعة وإذا بالحسن قد حضر فقال له المأمون ألك بنت قال نعم قال ما أسمها قال اسمها خديجة قال له هل هي متزوجة قال لا والله قال فأني أخطبها منك قال هي جاريتك وأمرها إليك يا أمير المؤمنين قال الخليفة قد تزوجتها علي نقد ثلاثين ألف دينار تحمل إليك صبيحة يومنا هذا فإذا قبضت المال فاحملها إلينا من ليلتها قال سمعاً وطاعة ثم خرجنا فقال يا اسحق لا تقص هذا الحديث على أحد فسترته إلى أن مات المأمون فما اجتمع لأحد مثل ما اجتمع لي في هذه الأربعة أيام مجالسة المأمون بالنهار ومجالسة خديجة بالليل والله ما رأيت أحداً من الرجال مثل المأمون ولا شاهدت امرأة من النساء مثل خديجة بل ولا تقارب خديجة فهماً ولا عقلاً ولا لفظاً والله أعلم

(حكاية الحشاش مع حريم بعض الأكابر)

(ومما) يحكي أنه كان آوان الحج والناس في الطواف فبينما المطاف مزدحم بالناس وإذا بإنسان متعلق بأستار الكعبة وهو يقول من صميم قلبه اسألك يا الله أنها تغضب على زوجها وأجامعها قال فسمعه جماعة من الحجاج فقبضوا عليه وأتوا إلى أمير الحجاج بعد أن أشبعوه ضرباً وقالوا له أيها الأمير أنا وجدنا هذا في الأماكن الشريفة يقول كذا وكذا فأمر أمير الحجاج بشنقه فقال له أيها الأمير بحق رسول الله ﷺ أن تسمع قصتي وحديثي وبعد ذلك أفعل بي ما تريد قال حدث قال أعلم أيها الأمير أنني رجل حشاش أعمل في مسالخ الغنم فأحمل الدم والوسخ إلى الكيمان فأتفق أنني رائح بحماري يوماً من الأيام وهو محمل فوجدت الناس هاربين فقال واحد منهم أدخل هذا الزقاق لئلا يقتلوك فقلت ما للناس هاربين فقال لي واحد خدام هذا حريم لبعض الأكابر وصار الخدم ينحون الناس من الطريق قدامها ويضربون جميع الناس ولا يبالون بأخذ فدخلت بالحمار عطفة وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٢١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الرجل قال فدخلت بالحمار عطفة ووقفت وانتظر انقضاص الزحمة فرأيت الخدم وبأيديهم العصى ومعهم نحو ثلاثين أمرأة بينهم واحدة كأنها قضيب بان كاملة الحسن والظرف والدلال والجميع في خدمتها فلما وصلت إلى باب العطفة التي أنا واقف فيها التفتت يميناً وشمالاً ثم دعت بطواشي فحضر بين يديها فساورته في أذنه وإذا بالطواشي جاء إلي وقبض علي فتهاربت الناس وإذا بطواشي آخر أخذ حماري ومضى به ثم جاء الطواشي وربطني بحبل وجرني خلفه وأنا لم أعرف ما الخبر والناس من خلفنا يصيحون ويقولون ما يحل من الله هذا رجل حشاش فقير الحال ما سبب ربطه بالحبال ويقولون الطواشيه ارحموه يرحمكم الله تعالى وأطلقوه فقلت أنا في نفسي ما أخذني الطواشية إلا لأن سيدتهم شمت رائحة الوسخ فاشمأزت من ذلك أو تكون حبلى أو حصل لها ضرر فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي

العظيم وما زلت ماشياً خلفهم إلى أن وصلوا إلى باب دار كبير فدخلوا وأنا خلفهم واستمروا داخلين بي حتى وصلت إلى قاعة كبيرة ما أعرف كيف أصف محاسنها وهي مفروشة بفرش عظيم ثم دخل ت النس اء تل ك القاعة وأنا مربوط مع الطواشي فقلت في نفسي لابد أنهم يعاقبونني في هذا البيت حتى أموت ولا يعلم بموتي أحد ثم بعد ذلك أدخلوني حماماً لطيفاً من داخل القاعة فبينما أنا في الحمام وإذا بثلاث جوار دخل ن وقع دن حولي وقلن لي أقلع شراميطك فقلعت ما على من الخلقان وصارت واحدة منهن تحك رجلي وواح دة م نهن تغسل رأسي وواحدة تكسني فلما فرغن من ذلك حطوا لي بقجة قماش وقالوا لي البس ه ذه فقل ت والله م ا أعرف كيف ألبس فتقدمن إلي والبستني وهن يتضاحكن على ثم جئن بقماقم مملوءة بماء الورد ورششن علي وخرجت معهن إلى قاعة أخرى والله ما أعرف كيف أصف محاسنها من كثرة ما فيها من ال نقش والف رش فلما دخلت تلك القاعة وجدت واحدة قاعدة على تخت من الخيزران وأدرك شهرزاد فس كتت ع ن الك لام المباح.

(وفي ليلة ٣٢٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الرجل قال فلما دخلت تلك القاعة وجدت واحدة قاعدة على تخت م ن الخيزران قوائمه من عاج وبين يديها جملة جوار فلما رأتني قامت إلى ون ادتني فجئ ت عن دها ف أمرتني بالجلوس فجلست إلى جانبها وأمرت الجواري أن يقدمن الطعام فقدمن لي طعاماً فأخرا من سائر الألوان م ا أعرف أسمه ولا أعرف صفته في عمري فأكلت منه قدر كفايتي وبعد رفع الزبادي وغسل الأي ادي أم رت بإحضار الفواكه فحضرت بين يديها في الحال فأمرتني بالأكل فأكلت فلما فرغنا من الأك ل أم رت بع ض الجواري بإحضار سلاحيات الشراب فأحضرن شيئاً مختلف الألوان ثم أطلقن المباخر م ن جمي ع البخ ور وقامت جارية مثل القمر تسقينا على نغمات الأوتار فسكرت أنا وتلك السيدة الجالسة كل ذلك جرى وأنا أعتقد أنه حلم في المنام ثم بعد ذلك أشارت إلى بعض الجواري أن يفرشن لنا في مكان ففرشن في المك ان ال ذي أمرت به ثم قامت وأخذت بيدي إلى ذلك المكان المفروش وقامت ونمت معها إل ى الص باح وكن ت كلم ا ضممتها إلى صدري أشم منها رائحة المسك والطيب وما أعتقد إلا أني في الجنة أو أني أحلم في المنام فلم ا أصبحت سألتني عن مكاني فقلت في المحل الفلاني فأمرت بخروجي وأعطتني منديلاً مطرزاً بالذهب والفضة وعليه شيء مربوط فقالت لي أدخل الحمام بهذا ففرحت وقلت في نفسي أن كان ما عليه خمسة فلوس فه ي غدائي في هذا اليوم ثم خرجت من عندها كأني خارج من الجنة وجئت إلى المخزن الذي أن ا في ه ففتح ت المنديل فوجدت فيه خمسين مثقالاً من الذهب فدفنتها وقعدت عند الباب بعد أن اشتريت بفلسين خبزاً وإدام ا وتغديت ثم صرت متفكراً في أمري فبينما أنا كذلك إلى وقت العصر وإذا بجارية قد أتت وقالت لي أن سيدتي تطلبك فخرجت معها إلى باب الدار فاستأذنت لي فدخلت وقبلت الأرض بين يديها فأمرتني بالجلوس وأمرت بإحضار الطعام والشراب على العادة ثم نمت معها على جري العادة التي تقدمت أول ليل ة فلم ا أص بحت ناولتني منديلاً ثانياً فيه خمسون مثقالاً من الذهب فأخذتها وخرجت وجئت إلى المخزن ودفنتها ومكثت عل ى هذه الحالة مدة ثمانية أيام أدخل عندها في كل يوم وقت العصر وأخرج من عندها في أول النهار فبينما أن ا نائم عندها ليلة ثامن يوم وإذا بجارية دخلت وهي تجري وقالت لي قم أطلع إلى هذه الطبقة فطلعت في تل ك

الطبقة فوجدتها تشرف على وجه الطريق فبينما أنا جالس وإذا بضجة عظيمة ودربكة خيل في الزقاق وكـ ان في الطبقة طاقة تشرف على الباب فنظرت منها فرأيت شاباً راكباً كأنه القمر الطالع ليلة تمامه وبـ ين يديـ ه مماليك وجند يمشون في خدمته فتقدم إلى الباب وترجل ودخل القاعة فرآها قاعدة على السرير فقبل الأرض بين يديها ثم تقدم وقبل يدها فلم تكلمه فما برح ينخضع لها حتى صالحها ونـ ام عنـ دها تلـ ك الليلـ ة وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٢٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الصبية لما صالحها زوجها نام عندها تلك الليلة فلما أصبح الصـ باح أتته الجنود وركب وخرج من الباب فطلعت عندي وقالت لي أرأيت هذا قلت لها نعم قالت هو زوجي وأحكي لك ما جرى لي معه أتفق أنني كنت أنا وأياه يوماً قاعدين في الجنينة داخل البيت وإذا هو قد قام من جـ انبي وغاب عني ساعة طويلة فاستبطأته فقلت في نفسي لعله يكون في بيت الخلاء فنهضت إلى بيت الخلاء فلـ م أجده فدخلت المطبخ فرأيت جارية فسألتها عنه فأرتني أياه وهو راقد مع جارية من جواري المطبخ فعند ذلك حلفت يميناً عظيماً أنني لابد أن أزني مع أوسخ الناس وأقدرهم ويوم قبض عليك الطواشي كان لي أربعة أيام وأنا أدور في البلد على واحد يكون بهذه الصفة فما وجدت أحداً أوسخ ولا أقذر منك فطلبتك وقد كان ما كان من قضاء الله علينا وقد خلصت من اليمين التي حلفتها ثم قالت فمتى وقع زوجي على الجارية ورقـ د معهـ ا مرة أخرى أعدتك إلى ما كنت عليه معي فلما سمعت منها هذا الكلام ورمت قلبي من لحاظها بالسهام جـ زت دموعي حتى قرحت المحاجر وأنشدت قول الشاعر:

مكنيـ ـي مـ ـن بـ ـوس يسـ ـراك عشـ ـراً	وأعرفـ ـي فضـ ـلها علـ ـى يمنـ ـاك
أن يسـ ـراك لهـ ـي أقـ ـرب عهـ ـداً	وقـ ـت غسـ ـل الخـ ـرا بمسـ ـتنجاك

ثم أنها أمرت بخروجي من عندها وقد تحصل لي منها أربعمائة مثقال من الذهب فأنا أصـ رف منهـ ا وجئت إلى ههنا أدعو الله سبحانه وتعالى أن زوجها يعود إلى الجارية مرة لعلي أعود إلى ما كنت عليه فلمـ ا سمع أمير الحج قصة الرجل أطلقه وقال للحاضرين بالله عليكم أن تدعوا له فإنه معذور.

حكاية هارون الرشيد مع محمد بن علي الجوهري

(ومما) يحكي أن الخليفة هارون الرشيد قلق ليلة من الليالي قلقاً شديداً فاستدعى بوزيره جعفر البرمكي وقال له أن صدري ضيق ومرادي في هذه الليلة أن اتفرج في شوارع بغداد وانظر في مصالح العباد بشرط أننا نتزيا بزي التجار حتى لا يعرفنا أحد من الناس فقال له الوزير سمعاً وطاعة ثم قاموا في الوقت والساعة ونزعوا ما عليهم من ثياب الافتخار ولبسوا ثياب التجار وكانوا ثلاثة الخليفـ ة وجعفـ ر ومسـ رور السـ ياف وتمشوا من مكان إلى مكان حتى وصلوا إلى الدجلة فرأوا شيخاً قاعداً في زورق فتقدموا إليه وسلموا عليـ ه وقالوا له يا شيخ أنا نشتهي من فضلك وأحسانك أن تفرجنا في مركبك هذه وخذ هذا الـ دينار فـ ي أجرتـ ك وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٢٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أنهم قالوا للشيخ أنا نشتهي أن تفرجنا في مركبك وخذ هذا الدينار قال لهم من ذا الذي يقدر على الفرجة والخليفة هارون الرشيد ينزل في كل ليلة بحر الدجلة في زورق صغير ومعه مناد ينادي ويقول يا معشر الناس كافة من كبير وصغير وخاص وعام وصبي وغلام كل من نزل في مركب وشق الدجلة ضربت عنقه أو شنقته على صاري مركبه وكأنكم به في هذه الساعة وزورقه مقبل فقال الخليفة وجعفر يا شيخ خذ هذين الدينارين وأدخل بنا قبة من هذه القباب إلى أن يروح زورق الخليفة فقال لهم الشيخ هاتوا الذهب والتوكل على الله تعالى فأخذ الذهب وعوم بهم قليلاً وإذا بالزورق قد أقبل من كبد الدجلة وفيه الشموع والمشاعل مضيئة فقال لهم الشيخ أما قلت لكم أن الخليفة يشق في كل ليلة ثم أن الشيخ صار يقول يا ستار لا تكشف الأستار ودخل بهم في قبة ووضع عليهم مئزرا أسود وصاروا يتفرجون من تحت المئزر فرأوا في مقدم الزورق رجلاً بيده مشعل من الذهب لأحمر وهو يشعل فيه بالعود القاقلي وعلى كتفه الآخر محلاة من الحرير الأخضر ملآنة بالعود القاقلي يوقد منها المشعل عوضاً عن الحطب ورأوا رجلاً آخر الزورق لابساً مثل لبسه وبيده مشعل مثل المشعل الذي معه ورأوا في الزورق مائتي مملوك واقفين يميناً ويساراً ووجد كرسياً من الذهب الأحمر منصوباً وعليه شاب حسن جالس كالقمر وعليه خلعة سوداء بطراز من الذهب الأصفر وبين يديه إنسان كأنه الوزير جعفر وعلى رأسه خادم واقف كأنه مسرور وبيده سيف مشهور ورأوا عشرين نديماً فلما رأى الخليفة ذلك قال يا جعفر قال لبيك يا أمير المؤمنين قال لعل هذا واحد من أولادي أما المأمون وأما الأمين ثم تأمل الشاب وهو جالس على الكرسي فرآه كامل الحسن والجمال والقد والاعتدال فلما تأمله التفت إلى الوزير قال يا وزير قال لبيك قال والله أن هذا الجالس لم يترك شيئاً من شكل الخلافة والذي بين يديه كأنه أنت يا جعفر والخادم الذي وقف على رأسه كأنه مسرور وهؤلاء الندماء كأنهم ندمائي وقد حار عقلي في هذا الأمر. فقالت لها أختها دنيا زاد ما أحسن حديثك وأطيبه وأحلاه وأعذبه فقالت وأين هذا مما أحدثكم به الليلة القابلة أن عشت وأبقاني الملك فقال الملك في نفسه والله لا أقتلها حتى أسمع بقية حديثها. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٢٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الخليفة لما رأى هذا الأمر تحير في عقله وقال والله أني تعجبت من هذا الأمر يا جعفر فقال له جعفر وأنا والله يا أمير المؤمنين ثم ذهب الزورق حتى غاب عن العين فعند ذلك خرج الشيخ بزورقه وقال الحمد لله على السلامة حيث لم يصادفنا أحد فقال الخليفة يا شيخ وهل الخليفة في كل ليلة ينزل الدجلة قال نعم يا سيدي وله على هذه الحالة سنة كاملة فقال يا شيخ نشتهي من فضلك أن نقف لنا هنا الليلة القابلة ونحن نعطيك خمسة دنانير ذهباً فأننا قوم غرباء وقصدنا النزهة ونحن نازلون في الخندق فقال له الشيخ حباً وكرامة ثم أن الخليفة وجعفراً ومسروراً توجهوا من عند الشيخ إلى القصر وقلعوا ما كان عليهم من لبس التجار ولبسوا ثياب الملك وجلس كل واحد في مرتبته ودخل الأمراء والوزراء والحجاب والنواب وانعقد المجلس بالناس فلما انقضى المجلس وتفرقت أجناس الناس وذهب كل واحد إلى حال سبيله

قال الخليفة هارون الرشيد يا جعفر أنهض بنا للفرجة على الخليفة الثاني فضحك جعفر ومسرور ولبسوا لبس التجار وخرجوا يشقون وهم في غاية الانشراح وكان خروجهم من باب السر فلما وصلوا إلى الدجلة وجدوا الشيخ صاحب الزورق قاعداً لهم في الانتظار فنزلوا عنده في المركب فما استقر بهم الجلوس مع الشيخ ساعة حتى جاء زورق الخليفة الثاني وأقبل عليهم فالتفتوا إليه وأمعنوا فيه النظر فوجدوا فيه مائتي مملوك غير المماليك الأول والمشاعلية ينادون على عادتهم فقال الخليفة يا وزير هذا شيء لو سمعت به ما كنت أصدقه ولكنني رأيت ذلك عياناً ثم أن الخليفة قال لصاحب الزورق الذي هم فيه خذ يا شيخ هذه العشرة دنانير وسر بنا في محاذاتهم فإنهم في النور ونحن في الظلام فننظرهم ونتفرج عليهم وهم لا ينظروننا فأخذ الشيخ العشرة دنانير ومشي بزورقه في محاذاتهم وساروا في ظلام زورقهم وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٢٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الخليفة هارون الرشيد قال للشيخ خذ هذه العشرة دنانير ومر بنا في محاذاتهم فقال سمعاً وطاعة ثم أخذ الدنانير وسار بهم ومازالوا سائرين في ظلام الزورق إلى البساتين فلما وصلوا إلى البستان رأوا زربيه فرسي عليها الزورق وإذا بغلمان واقفين ومعهم بغلة مسرجة ملجمة فطلع الخليفة الثاني وركب البغلة وسار بين الندماء وصاحت المشاعلية واشتغلت الغاشية بشأن الخليفة الثاني هارون الرشيد هو وجعفر ومسرور إلى البر وسقوا بين المماليك وساروا قدامهم فلاحت من المشاعلية التفاتة فرأوا ثلاثة أشخاص لبسهم لبس تجار وهم غرباء الديار فأنكروا عليهم وغمزوا عليهم وأحضروهم بين يدي الخليفة الثاني فلما نظرهم قال لهم كيف وصلتم إلى هذا المكان وما الذي جاء بكم في هذا الوقت قالوا يا مولانا نحن قوم من التجار غرباء الديار وقدمنا في هذا اليوم وخرجنا نتمشى الليل وإذا بكم فقد أقبلتم فجاء هؤلاء وقبضوا علينا وأوقفونا بين يديك وهذا خبرنا فقال الخليفة الثاني لا بأس عليكم لأنكم قوم غرباء ولو كنتم من بغداد لضربت أعناقكم ثم التفت إلى وزيره وقال خذ هؤلاء صحبتك فإنهم ضيوفنا في هذه الليلة فقال سمعاً وطاعة لك يا مولانا ثم سار وهم معه إلى أن وصلوا إلى قصر عال عظيم الشأن محكم البنيان ما حواه سلطان قام من التراب وتعلق بأكتاف السحاب وبابه من خشب الصاج مرصع بالذهب الوهاج يصل منه الداخل إلى أيوان بفسقية وشاذروان وبسط ومخدات من الديباج ونمارق وطوالات وهناك ستر مسبول وفرش يذهل العقول ويعجز من يقول وعلى الباب مكتوب هذان البيتان:

قصـ . .ـر عليـ . .ـه تحيـ . .ـة وسـ . .ـلام	خلعـ . .ـت عليـ . .ـه جمالهـ . .ـا الأيـ . .ـام
فيـ . .ـه العجائـ . .ـب والغرائـ . .ـب نوعـ . .ـت	فتحيـ . .ـرت فـ . .ـي فنهـ . .ـا الأقـ . .ـلام

ثم دخل الخليفة الثاني والجماعة صحبته إلى أن جلس على كرسي من الذهب مرصع بالجواهر وعلى الكرسي سجادة من الحرير الأصفر وقد جلست الندماء ووقف سياف النقمة بين يديه فمدوا السماط وأكلوا ورفعت الأواني وغسلت الأيادي وأحضروا آلة المدام واصطفت القناني والكاسات ودار الدور إلى أن وصل إلى الخليفة هارون الرشيدي فامتنع من الشراب فقال الخليفة الثاني لجعفر ما بال صاحبك لا يشرب فقال يا مولاي أن له مدة ما شرب من هذا فقال الخليفة الثاني عندي مشروب غير هذا يصلح لصاحبك وهو من

شراب التفاح ثم أمر به فأحضروه في الحال فتقدم الخليفة الثاني بين يدي هارون الرشيد وقال له كلما وصل إليك الدور فأشرب من هذا الشراب ومازالوا في انشراح وتعاطي أقداح الراح إلى أن تمكن الشراب من رؤوسهم واستولى على عقولهم وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٢٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الخليفة الثاني هو وجلسائه ما زالوا يشربون حتى تمكن الشرب من رؤوسهم واستولى على عقولهم فقال الخليفة هارون الرشيد لوزيره يا جعفر والله ما عندنا آنية مثل هذه الآنية فياليت شعري ما شأن هذا الشاب فبينما هما يتحدثان سراً إذ لاحت من الشاب التفاتة فوجد الوزير يتسارر مع الخليفة فقال أن المسارة عربدة فقال الوزير ما ثم عربدة إلا أن رفيقي هذا يقول أني سافرت إلى غالب البلاد ونادمت أكابر الملوك وعاشرت الأجناد فما رأيت أحسن من هذا النظام ولا أبهج من هذه الليلة غير أن أهل بغداد يقولون الشراب بلا سماع ربما أورث الصداع فلما سمع الخليفة الثاني ذلك تبسم وانشرح وكان بيده قضيب فضرب به على مدورة وإذا بباب فتح وخرج منه خادم يحمل كرسياً من العاج مصفحاً بالذهب الوهاج وخلفه جارية بارعة في الحسن والجمال والبهاء والكمال فنصب الخادم الكرسي وجلست عليه الجارية وهي كالشمس الضاحية في السماء الصافية وبيدها عود عمل صناع الهنود فوضعته في حجرها وانحنت عليه انحناء الوالدة على ولدها وغنت عليه بعد أن أطربت وقلبت أربعاً وعشرين طريقة حتى أذهلت العقول ثم عادت إلى طريقتها الأولى وأطربت بالنغمات وأنشدت هذه الأبيات:

لسان الهوى في مهجتي لك ناطق	**يخبر عني أنني لك عاشق**
ولي شاهد من حر قلب معذب	**وطرف قريح والدموع سوابق**
وما كنت أدري قبل حبك ما الهوى	**ولكن قضاء الله في الخلق سابق**

فلما سمع الخليفة الثاني هذا الشعر من الجارية صرخ صرخة عظيمة وشق البدلة التي كانت عليه إلى الذيل وأسبلت عليه الستارة وأتوه ببدلة غيرها أحسن منها فلبسها ثم جلس على عادته فلما وصل إليه القدح ضرب بالقضيب على المدورة وإذا بباب قد فتح وخرج منه خادم يحمل كرسياً من الذهب وخلفه جارية أحسن من الجارية الأولى فجلست على ذلك الكرسي وبيدها عود يكمد قلب الحسود فغنت عليه بهذين البيتين:

كيف اصطباري ونار الشوق في كبدي	**والدمع من مقلتي طوفانه أبدي**
والله ما طاب لي عيش أسر به	**فكيف يفرح قلب حشوه كمدي**

فلما سمع الشاب هذا الشعر صرخ صرخة عظيمة وشق ما عليه من الثياب إلى الذيل وانسبلت عليه الستارة وأتوه ببدلة أخرى فلبسها واستوي جالساً فرجع إلى حالته الأولى وانبسط في الكلام فلما وصل القدح إليه ضرب على المدورة فحرج خادم وراءه جارية أحسن من التي قبلها ومعه كرسي فجلست الجارية على الكرسي وبيدها عود فغنت عليه بهذه الأبيات:

أقصروا الهجر أو أقلوا جفاكم	**ففؤادي وحقكم ما سلاكم**
وأرحموا مدنفا كئيبا حزينا	**ذا غرام متيما في هواكم**
قد برته السقام من فرط وجد	**فتمنى من الإله رضاكم**

يـ ـا بـ ـدورا محلهـ ـم فـ ـي فـ ـؤادي   كيـ ـف أختـ ـار فـ ـي الأنـ ـام سـ ـواكم

فلما سمع الشاب هذه الأبيات صرخ صرخة عظيمة وشق ما عليه من الثياب فأرخوا علي ـه الس ـتارة وأتوه بثياب غيرها ثم عاد إلى حالته مع ندمائه ودارت الأقداح فلما وصل القدح إليه ضرب عل ـى الم ـدورة فانفتح الباب وخرج منه غلام ومعه كرسي وخلفه جارية فنصب لها الكرسي وجلست عليه وأخ ـذت الع ـود وأصلحته وغنت عليه بهذه الأبيات:

حتى مت ـى يمض ـي التهـ ـاجر والقل ـي   ويع ـود ل ـي م ـا ق ـد مض ـى ل ـي أولاً
مـ ـن أمـ ـس كنـ ـا والـ ـديار تلمنـ ـا"   فـ ـي أنسـ ـنا ونـ ـرى الحواسـ ـد عقـ ـلاً
غـ ـدر الزمـ ـان بنـ ـا وفـ ـرق شـ ـملنا   مـ ـن بعـ ـد مـ ـا تـ ـرك المنـ ـازل كـ ـالخلا
أتـ ـروم منـ ـي يـ ـا عـ ـذولي سـ ـلوة   وأرى فـ ـؤادي لا يطيـ ـع العـ ـذلا
فـ ـدع المـ ـلام وخلنـ ـي بصـ ـبابتي   فالقلـ ـب مـ ـن أنـ ـس الأحبـ ـة مـ ـا خـ ـلا
يـ ـا سـ ـادة نقضـ ـوا العهـ ـود وبـ ـدلوا   لا تحسـ ـبوا قلبـ ـي ببعـ ـدكم سـ ـلا

فلما سمع الخليفة الثاني إنشاد الجارية صرخ صرخة عظيمة وشق ما عليه. وأدرك شهرزاد فس ـكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٢٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الخليفة الثاني لما سمع شعر الجارية صرخ صرخة عظيمة وشق م ـا عليه من الثياب وخر مغشياً عليه فأرادوا أن يرخوا عليه الستارة بحسب العادة فتوقفت حبالها فلاح ـت م ـن هارون الرشيد التفاتة إليه فنظر على بدنه آثار ضرب مقارع فقال الرشيد بعد النظر والتأكيد يا جعف ـر والله أنه شاب مليح إلا أنه لص قبيح فقال جعفر من أين عرفت ذلك يا أمير المؤمنين فقال أما رأيت ما على جنبيه من أثر السياط ثم أسبلوا عليه الستارة وأتوه ببدلة غير التي كانت عليه فلبسها واستوى جالساً عل ـى حالت ـه الأولى مع الندماء فلاحت منه التفاتة فوجد الخليفة وجعفراً يتحدثان سراً فقال لهما ما الخبر يا فتي ـان فق ـال جعفر لا يا مولانا خير غير أنه لا خفاء عليك أن رفيقي هذا من التجار وقد سافر جميع الأمص ـار والأقط ـار وصحب الملوك والأخبار وهو يقول لي أن الذي حصل من مولانا الخليفة في هذه الليلة أسراف عظيم ولم أر أحداً فعل مثل فعله في سائر الأقاليم لأنه شق كذا وكذا بدلة كل بدلة بألف دينار وهذا أس ـراف زائ ـد فق ـال الخليفة الثاني يا هذا أن المال مالي والقماش قماشي وهذا من بعض الألغام على الخدام والحواشي ف ـإن ك ـل بدلة شققتها لواحد من الندماء المضار وقد رسمت لهم مع كل بدلة بخمسمائة دينار فقال الوزير جعفر نعم ما فعلت يا مولانا ثم أنشد هذين البيتين:

بنـ ـت المكـ ـارم وسـ ـط كفـ ـك منـ ـزلاً   وجعلـ ـت مالـ ـك للأنـ ـام مباحـ ـاً
فـ ـإذا المكـ ـارم أغلقـ ـت أبوابهـ ـا   كانـ ـت يـ ـداك لقفلهـ ـا مفتاحـ ـاً

فلما سمع الشاب هذا الشعر من الوزير جعفر رسم له بألف دينار وبدلة ثم دارت بينهم الأقداح وط ـاب لهم الراح فقال الرشيد يا جعفر أسأله عن الضرب الذي على جنبيه حتى ننظر ما يقول في جواب ـه فق ـال لا تعجل يا مولانا وترفق بنفسك فإن الصبر أجمل فقال وحياة رأسي وتربة العباس أن لم تسأله لأخم ـدن من ـك

الأنفاس فعند ذلك التفت الشاب إلى الوزير وقال له مالك مع رفيقك تتساررا ن فأخبرني بشأنكما فقال خير فقال الشاب سألتك بالله أن تخربني بخبركما ولا تكتما عني شيئاً من أمركما فقال يا مولاي أنه أبصر على جنبيك ضرباً وأثر سياطاً ومقارع فتعجب من ذلك غاية العجب وقال كيف يضرب الخليفة وقصده أن يعلم ما السبب فلما سمع الشاب ذلك تبسم وقال اعلموا أن حديثي غريب وأمري عجيب لو كتب بالأبر على أماق البصر لكان عبرة لمن اعتبر ثم صعد الزفرات وأنشد هذه الأبيات:

حديثي عجيب فاق كل العجائب	وحق الهوى ضاقت علي مذاهبي
فإن شئتموا أن تسمعوا لي فانصتوا	ويسكت هذا الجمع من كل جانب
وأصغوا إلى قولي ففيه إشارة	وأن كلامي صادق غير كاذب
فأني قتيل من غرام ولوعة	وقاتلتي فاقت جميع الكواكب
لها مقلة كحلاء مثل مهندي	وترمي سهاماً من قسي الحواجب
وقد حس قلبي أن فيكم أمامنا	خليفة هذا الوقت وابن الأطايب
وثانيكم وهو المنادي بجعفر	لديه وزير صاحب وابن الأصاحب
وثالثكم مسرور سياف نقمة	فإن كان هذا القولي ليس بكاذب
لقد نلت ما أرجو من الأمر كله	وجاء سرور القلب من كل جانب

فلما سمعوا منه هذا الكلام حلف له جعفر ووری في يمينه أنهم لم يكونوا المذكورين فضحك الشاب وقال اعلموا يا سادتي أني لست أمير المؤمنين وأنما سميت نفسي بهذا لأبلغ ما أريد من أولاد المدينة وأنما أسمى محمد علي بن علي الجوهري وكان أبي من الأعيان فمات وخلف لي مالاً كثيراً من ذهب وفضة ولؤلؤ ومرجان وياقوت وزبرجد وجواهر وعقارات وحمامات وغيطان وبساتين ودكاكين وطوابين وعبيد وجواري وغلمان فاتفق في بعض الأيام أني كنت جالساً في دكاني وحولي الخدم والحشم وإذا بجارية قد أقبلت راكبة على بغلة وفي خدمتها ثلاث جوار كأنهن الأقمار فلما قربت مني نزلت على دكاني وجلست عندي وقالت لي هل أنت محمد الجوهري فقلت لها نعم هو أنا مملوكك وعبدك فقالت هل عندك جوهر يصلح لي فقلت يا سيدتي الذي عندي أعرضه عليك وأحضره بين يديك فإن أعجبك منه شيء كان بسعد المملوك وأن لم يعجبك شيء فبسوء حظي وكان عندي مائة عقد من الجوهر فعرضت عليها الجميع فلم يعجبها شيء من ذلك وقالت أريد أحسن مما رأيت وكان عندي عقداً صغيراً اشتراه والدي بمائة ألف دينار ولم يوجد مثله عند أحد من السلاطين الكبار فقلت لها يا سيدتي بقى عندي عقد من الفصوص والجواهر الذي لا يملك مثله أحد من الأكابر والأصاغر فقالت لي أرني أياه فلما رأته قالت هذا مطلوبي وهو الذي طول عمري أتمناه ثم قالت لي كم ثمنه فقلت لها ثمنه على والدي مائة ألف دينار فقالت ولك خمسة آلاف دينار فائدة فقلت يا سيدتي العقد وصاحبه بين يديك ولا خلاف عندي فقالت لابد من الفائدة ولك المنة الزائدة ثم قامت من وقتها وركبت البغلة بسرعة وقالت لي يا سيدي باسم الله تفضل صحبتنا لتأخذ الثمن فإن نهارك اليوم بنا مثل اللبن فقمت وأقفلت الدكان وسرت معها في أمان إلى أن وصلنا الدار فوجدتها داراً عليها آثار السعادة لائحة وبابها مزركش بالذهب والفضة واللازورد مكتوب عليه هذان البيتان:

ألا يـ . . ـا دار لا يـ . . ـدخلك حـ . . ـزن | ولا يغـ . . ـدر بصـ . . ـاحبك الزمـ . . ـان
فـ . ـنعم الـ . ـدار أنـ . ـت لكـ . ـل ضـ . ـيف | إذا مـ . ـا ضـ . ـاق بالضـ . ـيف المكـ . ـان

فنزلت الجارية ودخلت الدار وأمرتني بالجلوس على مصطبة الباب إلى أن يأتي الصـ ـيرفي فجلسـ ـت على باب الدار ساعة وإذا بجارية خرجت إلى وقالت يا سيدي أدخل الدهليز فإن جلوسك على البـ ـاب قبـ ـيح فقمت ودخلت الدهليز وجلست على الدكة فبينما أنا جالس وإذا بجارية خرجت إلي وقالت لي يـ ـا سـ ـيدي أن سيدتي تقول لك أدخل وأجلس على باب الديوان حتى تقبض مالك فقمت ودخلت البيت وجلسـ ـت لحظـ ـة وإذا بكرسي من الذهب وعليه ستارة من الحرير وإذا بتلك الستارة قد رفعت فبان من تحتها تلك الجاريـ ـة التـ ـي أشترت مني ذلك العقد وقد أسفرت عن وجه كأنه دارة القمر والعقد في عنقها فطاش عقلي وأندهش لبي مـ ـن تلك الجارية لفرط حسنها وجمالها فلما رأتني قامت من فوق الكرسي وسعت إلى نحوي وقالت لي يـ ـا نـ ـور عيني هل كل من كان مليح مثلك ما يرثي لمحبوبته فقلت يا سيدتي الحسن كله فيك وهو من بعض معانيـ ـك فقالت يا جوهري اعلم أني أحبك وما صدقت أني أجيء بك عندي ثم أنها مالت على فقبلتها وقبلتـ ـي وإلـ ـى جهتها جذبتني وعلى صدرها رمتني وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٢٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجوهري قال ثم أنها مالت علي وقبلتني وإلى جهتها جذبتني وعلـ ـى صدرها رمتني وعلمت من حالي أنني أريد وصالها فقالت يا سيدي أتريد أن تجتمع بي فـ ـي الحـ ـرام والله لا كان من يفعل مثل هذه الآثام ويرضى بقبح الكلام فأني بكر عذراء مادنا مني أحد ولست مجهولة فـ ـي البلـ ـد أتعلم من أنا فقلت لا والله يا سيدتي فقالت أنا السيدة دنيا بنت يحيى بن خالد البرمكي وأخـ ـي جعفـ ـر وزيـ ـر الخليفة فلما سمعت ذلك منها أحجمت بخاطري عنها وقلت لها يا سيدتي مالي ذنب في التهجم عليك أنت التي أطعمتيني في وصالك بالوصول إليك فقالت لا بأس عليك ولابد من بلوغك المراد بما يرضى الله فإن أمـ ـري بيدي والقاضي ولي عقدي والقصد أن أكون لك أهلاً وتكون لي بعلاً ثم أنها دعت بالقاضي والشهود وبـ ـذلت المجهود فلما حضروا قالت لهم محمد علي ابن علي الجوهري قد طلب زواجي ودفع لي هذا العقد في مهرى وأنا قبلت ورضيت فكتبوا كتابي عليها ودخلت بها وأحضرت آلات الراح ودارت الأقدام بأحسن نظام وأتـ ـم أحكام ولما شعشعت الخمرة في رؤوسنا أمرت جارية عوادة أن تغني فأخـ ـذت العـ ـود وأطربـ ـت النغمـ ـات وأنشدت هذه الأبيات:

بدا فـ ـاراني الظبـ ـي والغصـ ـن والبـ ـدرا | فتبـ ـا لقلـ ـب لا يبيـ ـت بـ ـه مغـ ـرى
ملـ . ـيح أراد الله أطفـ . . ـاء فتنـ . ـة | بعارضـ ـه فاسـ ـتؤنفت فتنـ ـة أخـ ـرى
أغـ ـالط عـ ـذالي إذا ذكـ ـروا لـ ـي | حـ ـديثاً كـ ـأني لا أحـ ـب لـ ـه ذكـ ـراً
وأصـ ـغى إذا فـ ـاهوا بغيـ ـر حديثـ ـه | بسـ ـمعي ولكنـ ـي أذوب بـ ـه فكـ ـراً
نبـ ـي جمـ ـال كـ ـل مـ ـا فيـ ـه معجـ ـز | من الحسن لكن وجهـ ـه الآيـ ـة الكبـ ـرى
أقام بـ ـلال الحـ ـال فـ ـي صـ ـحن خـ ـده | يراقـ ـب مـ ـن لألأ غرتـ ـه الفجـ ـرا
يريـ . . ـد سـ . . ـلوى العـ . . ـاذلون | وما كنت أرضـ ـى بعـ ـد أيمـ ـاني الكفـ ـرا

فاطر بت الجارية بما أبدته من نغمات الأوتار ورقيق الأشعار ولم تزل الجواري تغني جاري ـة بع ـد جارية وينشدن الأشعار إلى أن غنت عشر جوار ثم أنها صرفت الجواري وقمنا إلى أحسن مكان قد فرش لنا فيه فرش من سائر الألوان ونزعت ما عليها من الثياب وخلوت بها خلوة الأحباب فوج ـدتها درة ل ـم تثق ـب ومهرة لم تركب ففرحت بها ولم أر في عمري ليلة أطيب من تلك الليلة وأدرك شهرزاد فسكتت عن الك ـلام المباح.

(وفي ليلة ٣٢٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن محمد بن علي الجوهري قال لما دخلت بالسيدة دنيا بنت يحي ـى ب ـن خالد البرمكي رأيتها درة لم تثقب ومهرة لم تركب فأنشدت هذين البيتين:

طوقته ـه ط ـوق الحم ـام بس ـاعدي وجعل ـ ـت كف ـ ـى للث ـ ـام مباد ـ ـاً

ه ـذا ه ـو الف ـوز العظ ـيم ول ـم ن ـزل متع ـ ـانقين ف ـ ـلا نري ـ ـد براد ـ ـا

ثم أقمت عندها شهراً كاملاً وقد تركت الدكان والأهل والأوطان فقالت لي يوماً من الأيام يا نور العين يا سيدي محمد أني قد عزمت اليوم على المسير إلى الحمام فاستقر أنت على هذا السرير ولا تنتقل من مكانك إلى أن أرجع إليك وحلفتني على ذلك فقلت لها سمعاً وطاعة ثم أنها حلفتني أني لا أنتقل من موضعي وأخذت جواريها وذهبت إلى الحمام فو الله يا أخواني ما لحقت أن تصل إلى رأس الزقاق إلا والباب قد فتح ودخل ـت منه عجوز وقالت يا سيدي محمد أن السيدة زبيدة تدعوك فإنها سمعت بأدبك وظرفك وحسن غنائك فقلت لها والله ما أقوم من مكاني حتى تأتي السيدة دنيا فقالت العجوز يا سيدي لا يجعل السيدة زبيدة تغض ـب علي ـك وتبقى عدوتك فقم كلمها وأرجع إلى مكانك فقمت من وقتي وتوجهت إليها والعجوز أمامي إلى أن أوص ـلتني إلى السيدة زبيدة فلما وصلت إليها قالت لي يا نور العين هل أنت معشوق السيدة دنيا فقل ـت أن ـا مملوك ـك وعندك فقالت صدق الذي وصفك بالحسن والجمال والأدب والكمال فإنك فوق الوصف والمنال ولكن عن لي حتى أسمعك فقلت سمعاً وطاعة فأتتني بعود فغنيت عليه بهذه الأبيات:

قل ـب المح ـب م ـع الأحب ـاب مغل ـوب وجس ـ مه بي ـ د الأس ـ قام منه ـ وب

ما في الرج ـال وق ـد زم ـت رك ـائبهم إلا مح ـب ل ـه ف ـي الرك ـب محب ـوب

أس ـتودع الله ف ـي أظ ـ ـابكم قم ـ ـراً يه ـواه قلب ـي وع ـن عين ـي محج ـوب

يرض ـى ويغض ـب م ـا أحل ـى ت ـدلله وك ـل م ـا يفعل ـه المحب ـوب محب ـوب

فلما فرغت من الغناء قالت لي أصح الله بدنك وطيب أنفاسك فلقد كملت في الحسن والأدب والغناء فقم وامض إلى مكانك قبل أن تجيء السيدة دنيا فلا تجدك فتغضب عليك فقبلت الأرض ب ـين ي ـديها وخرج ـت والعجوز أمامي إلى أن وصلت إلى الباب الذي خرجت منه فدخلت وجئت إلى السرير فوجدتها قد جاءت من الحمام وهي نائمة على السرير فقعدت عند رجليها وكبستها ففتحت عينيها فرأتني تحت رجليه ـا فرفس ـتني ورمتني من فوق السرير وقالت لي يا خائن خنت اليمين وحنثت فيه ووعدتني أن ـك لا تنتق ـل م ـن مكان ـك وأخلفت الوعد وذهبت إلى السيدة زبيدة والله لولا خوفي من الفضيحة لهدمت قصرها على رأسها ث ـم قال ـت

لعبدها يا صواب قم أضرب رقبة الخائن الكذاب فلا حاجة لنا به فتقدم العبد وشرط من ذيله رقعة وعصب بها عيني وأراد أن يضرب عنقي وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٣٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن محمد الجواهرجي قال فتقدم العبد وشرط من ذيله رقعة وعصب بها عيني وأراد أن يضرب عنقي فقامت إليها الجواري الكبار والصغار وقلن لها يا سيدتنا ليس هذا أول من أخطأ وهو لا يعرف خلقك وما فعل ذنباً يوجب القتل فقالت والله لابد أن أعمل فيه أثراً ثم أمرت بضربي فضربوني على أضلاعي وهذا الذي رأيتموه أثر ذلك الضرب وبعد ذلك أمرت بإخراجي فأخرجوني وأبعدوني عن القصر ورموني فحملت نفسي ومشيت قليلاً قليلاً حتى وصلت إلى منزلي وأحضرت جراحياً وأريته الضرب فلاطفني وسعي في مداواتي فلما شفيت ودخلت الحمام وزالت عني الأوجاع والأسقام جئت إلى الدكان وأخذت جميع ما فيها وبعته وجمعت ثمنه واشتريت لي أربعمائة مملوك ما جمعهم أحد من الملوك وصار يركب معي منهم في كل يوم مائتان وعملت هذا الزورق وصرفت عليه خمسة آلاف دينار من الذهب وسميت نفسي بالخليفة ورتبت من معي من الخدم واحد في وظيفة واحد من أتباع الخليفة وهيأته بهيئته وناديت كل من يتفرج في الدجلة ضربت عنقه بلا مهلة ولي على هذا الحال سنة كاملة وأنا لم أسمع لها خبراً ولم أقف لها على أثر ثم أنه بكى وأفاض العبرات وأنشد هذه الأبيات:

والله ما كنت طول الدهر ناسيها	ولا دنوت إلى من ليس يدنيها
كأنها البدر في تكوين خلقتها	سبحان خالقها سبحان باريها
قد صيرتني حزيناً ساهراً دنفاً	والقلب قد حار مني في معانيها

فلما سمع هارون الرشيد كلامه وعرف وجده ولوعته وغرامه تدله ولها تحير عجباً وقال سبحان الله الذي جعل لكل شيء سبباً ثم أنهم استأذنوا الشاب في الانصراف فأذن لهم وأضمر له الرشيد على الإنصاف وأن يتحفه غاية الإتحاف ثم أنصرفوا من عنده سائرين إلى محل الخلافة متوجهين فلما استقر بهم الجلوس وغيروا ما عليهم من الملبوس ولبسوا أثواب المواكب ووقف بين أيديهم مسرور سياف النقمة قال الخليفة لجعفر يا وزير علي بالشاب وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٤٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الخليفة قال للوزير علي بالشاب الذي كنا عنده في الليلة الماضية فقال سمعاً وطاعة ثم توجه إليه وسلم عليه وقال له أجب أمير المؤمنين الخليفة هارون الرشيد فسار معه إلى القصر وهو من الترسيم عليه في حصر فلما دخل على الخليفة قبل الأرض بين يديه ودعا له بدوام العز والإقبال وبلوغ الآمال ودوام النعم وإزالة البؤس والنقم وقد أحسن ما به تكلم حيث قال السلام عليك يا أمير المؤمنين وحامي حومة الدين ثم أنشد هذين البيتين:

لا زال بابك كعبة مقصودة	وترابها فوق الجباه رسوم
حتى ينادي في البلاد بأسرها	هذا المقام وأنت ابراهيم

فتبسم الخليفة في وجهه ورد عليه السلام والتفت إليه بعين الإكرام وقربه لديه وأجلسه بين يديه وقال له يا محمد علي أريد منك أن تحدثني بما وقع لك في هذه الليلة فإنه من العجائب وبديع الغرائب فقال الشاب العفو يا أمير المؤمنين أعطني منديل الأمان ليسكن روعي ويطمئن قلبي فقال له الخليفة لك الأمان من الخوف والأحزان فشرع الشاب يحدثه بالذي حصل له من أوله إلى آخره فعلم الخليفة أن الصبي عاشق وللمعشوق مفارق فقال له أتحب أن أردها عليك قال هذا من فضل أمير المؤمنين ثم أنشد هذين البيتين:

الـ . ـتم أناملـ . ـه فلي . ـيس أنـ . ـاملا لكـ . . . . . نهن مفـ . . . . . اتح الأرزاق
وأشـ . ـكر صـ . نائعه فلسـ . ن صـ . نائعا لكـ . . . نهن قلائـ . . . د الأعنـ . . . اق

فعند ذلك التفت الخليفة إلى الوزير وقال له يا جعفر أحضر لي أختك السيدة دنيا بنت الوزير يحيى بن خالد فقال سمعاً وطاعة يا أمير المؤمنين ثم أحضرها في الوقت والساعة فلما تمثلت بين يديه قال لها الخليفة أتعرفين من هذا قالت يا أمير المؤمنين من أين للنساء معرفة الرجال فتبسم الخليفة وقال لها يا دنيا هذا حبيبك محمد بن علي الجوهري وقد عرفنا الحال وسمعنا الحكاية من أولها إلى آخرها وفهمنا ظاهرها وباطنها والأمر لا يخفى وإن كان مستوراً فقالت يا أمير المؤمنين كان ذلك في الكتاب مسطوراً وأنا استغفر الله العظيم مما جرى مني وأسألك من فضلك العفو عني فضحك الخليفة هارون الرشيد وأحضر القاضي والشهود وجدد عقدها على زوجها محمد بن علي الجوهري وحصل لها وله سعد السعود وإكماد الحسود وجعله من جملة ندمائه واستمروا في سرور ولده وحبور إلى أن أتاهم هازم اللذات ومفرق الجماعات.

(حكاية هارون الرشيد مع علي العجمي وما يتبع ذلك
(من حديث الجراب والكردي)

(ومما) يحكي أيضاً أن الخليفة هارون الرشيد قلق ليلة من الليالي فاستدعى بوزيره فلما حضر بين يديه قال له يا جعفر أني قلقت الليلة قلقاً عظيماً وضاق صدري وأريد منك شيئاً يسر خاطري وينشرح به صدري فقال له جعفر يا أمير المؤمنين إن لي صديقاً أسمه علي العجمي وعنده من الحكايات والأخبار المطربة ما يسر النفوس ويزيل عن القلب البؤس فقال له على به فقال سمعة وطاعة ثم أن جعفر خرج من عند الخليفة في طلب العجمي فأرسل خلفه فلما حضر قال له أجب أمير المؤمنين فقال سمعاً وطاعة وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٣١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العجمي قال سمعاً وطاعة ثم توجه معه إلى الخليفة فلما تمثل بين يديه أذن له في الجلوس فجلس فقال له الخليفة يا علي أنه ضاق صدري في هذه الليلة وقد سمعت عنك أنك تحفظ حكايات وأخبار وأريد منك أن تسمعني ما يزيل همي ويصقل فكري فقال يا أمير المؤمنين هل أحدثك بالذي رأيته بعيني أو بالذي سمعته بأذني فقال إن كنت رأيت شيئاً فاحكه فقال سمعاً وطاعة اعلم يا أمير المؤمنين أني سافرت في بعض السنين من بلدي هذه وهي مدينة بغداد وصحبتي غلام ومعه جراب لطيف ودخلنا مدينة فبينما أنا أبيع وأشتري وإذا برجل كردي ظالم متعدي قد هجم علي وأخذ مني الجراب وقال هذا جرابي

وكل ما فيه متاعي فقلت يا معشر المسلمين خلصوني من يدا فجر الظالمين فقال الناس جميعاً اذهبا إلى القاضي واقبلا حكمه بالتراضي فتوجهنا إلى القاضي وأنا بحكمه راضي فلما دخلنا عليه وتمثلنا بين يديه قال القاضي في أي شيء جئتما وما قضية خبركما فقلت نحن خصمان إليك تداعينا وبحكمك تراضينا فقال أيكما المدعي فتقدم الكردي وقال أيد الله مولانا القاضي أن هذا الجراب جرابي وكل ما فيه متاعي وقد ضاع مني ووجدته مع هذا الرجل فقال القاضي ومتى ضاع منك فقال الكردي من أمس هذا اليوم وبت لفقده بلا نوم فقال القاضي إن كنت تعرفه فصف لي ما فيه فقال الكردي في جرابي هذا مردوان من لجين وفيه أكحال للعين ومنديل لليدين ووضعت فيه شرابتين مذهبتين وشمعدانين وهو مشتمل على بيتين وطبقتين ومعلقتين ومخدة ونطعين وأبريقين وصينية وطشتين وقدرة وزلعتين ومغرفة ومسلة ومرودين وهرة وكلبتين وقصعة وقعيدتين وجبة وفروتين وبقرة وعجلين وعنزا وشاتين ونعجة وسلخين وصيوانين أخضرين وجملاً وناقتين وجاموسة وثورين ولبوة وسبعين ودبة وثعلبين ومرتبة وسريرين وقصراً وقاعتين ورواقاً ومقعدين ومطبخاً ببابين وجماعة أكراد يشهدون أن الجراب جرابي فقال القاضي ما تقول أنت يا هذا فتقدمت إليه يا أمير المؤمنين وقد أبهتني الكردي بكلامه فقلت أعز الله مولانا القاضي أنا ما في جرابي هذا إلا دويرة خراب وأخرى بلا باب ومقصورة للكلاب وفيه للصبيان كتاب وشباب يلعبون الكعاب وفيه خيام وأطناب ومدينة البصرة وبغداد وقصر شداد ابن عاد وكور حداد وشبكة صياد وعصا وأوتاد وبنات وأولاد وألف قواد يشهدون أن الجراب جرابي فلما سمع الكردي هذا الكلام بكى وانتحب وقال يا مولانا القاضي أن جرابي هذا معروف وكل ما فيه موصوف في جرابي هذا حصون وقلاع وكراكي وسباع ورجال يلعبون بالشطرنج والرقاع وفي جرابي هذا حجرة ومهران وفحل وحصانان ورمحان طويلان وهو مشتمل على سبع وأرنبين ومدينة وقريتين وقحبة وقوادين شاطرين ومخنث وعلقين وأعمى وبصيرين وأعرج ومكسحين وقسيس وشماسين وبطريق وراهبين وقاض وشاهدين وهم يشهدون أن الجراب جرابي فقال القاضي ما تقول يا علي فامتلأت غيظاً يا أمير المؤمنين وتقدمت إليه وقلت أيد الله مولانا القاضي وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٣٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العجمي قال فامتلأت غيظاً يا أمير المؤمنين وتقدمت إليه وقلت أيد الله مولانا القاضي أنا في جرابي هذا زرد وصفاح وخزائن سلاح وألف كبش نطاح وفيه للغنم مراح وألف كلب نباح وبساتين وكروم وأزهار ومشموم وتين وتفاح وصور وأشباح وقناني وأقداح وعرائس ومغاني وأفراح وهرج وصياح وأقطار فساح وأخوة نجاح ورفقة صباح ومعهم سيوف ورماح ملاح وقوس ونشاب وأصدقاء وأحباب وخلان وأصحاب ومحابس للعقاب وندماء للشراب وطنبور ونايات وأعلام ورايات وصبيان وبنات وعرائس مجليات وجوار مغنيات وخمس حبشيات وثلاث هنديات وأربع مدنيات وعشرون روميات وخمسون تركيات وسبعون عجميات وثمانون كرديات وتسعون جرجيات والدجله والفرات وشبكة صياد وقداحة وزناد وأرم ذات العماد وألف علق وقواد وميادين واصطبلات ومساجد وحمامات وبناء وتجار وخشبة ومسمار وعبد أسود بمزمار ومقدم وركبدار ومدن وأمصار ومائة ألف دينار والكوفة مع الأنبار وعشرون صندوقاً

ملآنة بالقماش وخمسون حاصلاً للمعاش وغزة وعسقلان من دمياط إلى أصوان وأيوان كسرى أنوشروان وملك سليمان ومن وادي نعمان إلى أرض خراسان وبلخ وأصبهان ومن الهند إلى بلاد السودان وفيه أطال الله عمر مولانا القاضي غلائل وعراضي وألف موس ماض تحلق ذقن القاضي إن لم يخش عقابي ولم يحكم بان الجراب جرابي فلما سمع القاضي هذا الكلام تحير عقله من ذلك وقال ما أراكما إلا شخصين نحسين أو رجلين زنديقين تلعبان بالقضاة والحكام ولا تخشيان من الملام لأنه ما وصف الواصفون ولا سمع السامعون بأعجب مما وصفتما ولا تكلموا بمثل ما تكلمتا والله أن من الصين إلى شجرة أم غيلان ومن بلاد فارس إلى أرض السودان ومن وادي نعمان إلى أرض خراسان لا يسع ما ذكرتماه ولا يصدق ما أدعيتماه فهل هذا الجراب بحر ليس له قرار أويوم العرض الذي يجمع الأبرار والفجار ثم أن القاضي أمر بفتح الجراب ففتحه وإذا فيه خبز وليمون وجبن وزيتون ثم رميت الجراب قدام الكردي ومضيت فلما سمع الخليفة هذه الحكاية من على العجمي استلقى على قفاه من الضحك وأحسن جائزته.

(حكاية هارون الرشيد مع جعفر والجارية والإمام أبي يوسف)

(ومما يحكي أن جعفر البرمكي نادم الرشيد ليلة فقال الرشيد يا جعفر بلغني أنك اشتريت الجارية الفلانية ولي مدة تطلبها فإنها على غاية الجمال وقلبي بحبها في اشتغال فبعها لي فقال لا أبيعها يا أمير المؤمنين فقال هبها لي فقال لا أهبها فقال هارون الرشيد زبيدة طالق ثلاثاً إن لم تبعها لي أو تهبها لي فقال جعفر زوجتي طالق ثلاثاً إن بعتها لك ثم أفاق من نشوتهما وعلما أنهما وقعا في أمر عظيم وعجزا عن تدبير الحيلة فقال هارون الرشيد هذه وقعة ليس لها غير أبي يوسف فطلبوه وكان ذلك نصف الليل فلما جاءه الرسول قام فزعاً وقال في نفسه ما طلبت في هذا الوقت إلا لأمر حدث في الإسلام ثم خرج مسرعاً وركب بغلته وقال لغلامه خذ معك مخلاة البغلة لعلها لم تستوف عليقها فإذا دخلنا دار الخلافة فضع لها المخلاة لتأكل ما بقي من عليقها إلى حين خروجي إذ لم تستوف عليقها في هذه الليلة فقال الغلام سمعاً وطاعة فلما دخل على هارون الرشيد قام له وأجلسه على سريره بجانبه وكان لا يجلس معه أحد غيره وقال له ما طلبناك في هذا الوقت إلا لأمر مهم هو كذا وكذا وقد عجزنا في تدبير الحيلة فقال يا أمير المؤمنين إن هذا الأمر أسهل ما يكون ثم قال يا جعفر بع لأمير المؤمنين نصفها وهب له نصفها وتبرآن في يمينكما بذلك فسر أمير المؤمنين بذلك وفعلا ما أمرهما به ثم قال هارون الرشيد أحضروا الجارية في هذا الوقت وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٣٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الخليفة هارون الرشيد قال أحضروا لجارية في هذا الوقت فإني شديد الشوق إليها فأحضروها وقال للقاضي أبي يوسف أريد وطأها في هذا الوقت فإني لا أطيق الصبر عنها إلى مضي مدة الأستبراء وما الحيلة في ذلك فقال أبو يوسف تئوني بمملوك أمير المؤمنين الذي لم يجر عليهم العتق فأحضروا مملوكاً فقال أبو يوسف أئذن لي أن أزوجها منه ثم يطلقها قبل الدخول فيحل وطؤها في هذا الوقت من غير استبراء فأعجب هارون الرشيد ذلك أكثر من الأول فلما حضر المملوك قال الخليفة للقاضي أذنت لك في العقد فأوجب القاضي النكاح ثم قبله المملوك وبعد ذلك قال له القاضي طلقها ولك مائة دينار

فقال لا أفعل ولم يزل يزيده وهو يمتنع إلى أن عرض عليه ألف دينار ثم قال للقاضي هل الطلاق بيدي أم بيد أمير المؤمنين قال بل بيدك قال والله لا أفعل أبداً فاشتد غضب أمير المؤمنين وقال ما الحيلة يا أبا يوسف قال القاضي أبو يوسف يا أمير المؤمنين لا تجزع فإن الأمر هين ملك هذا المملوك للجارية قال ملكته لها قال لها القاضي قولي قبلت فقالت قبلت فقال القاضي حكمت بينهما بالتفريق لأنه دخل في ملكها فانفسخ النكاح فقام أمير المؤمنين على قدميه وقال مثلك من يكون قاضياً في زماني واستدعي بأطباق الذهب فأفرغت بين يديه وقال للقاضي هل معك شيء تضعه فيه فتذكر مخلاة البغلة فاستدعى بها فملئت له ذهباً فأخذها وانصرف إلى بيته فلما أصبح الصباح قال لأصحابه لا طريق إلى الدين والدنيا أسهل وأقرب من طريق العلم فإني أعطيت هذا المال العظيم في مسئلتين أو ثلاث فانظر أيها المتأدب إلى لطف هذه الوقعة فإنها اشتملت على محاسن منها دلال الوزير على هارون الرشيد وعلم الخليفة وزيادة علم القاضي فرحم الله تعالى أرواحهم أجمعين.

(حكاية خالد بن عبد الله القسري مع الشاب السارق)

(ومما) يحكى أن خالد بن عبد الله القسري كان أمير البصرة فجاء إليه جماعة متعلقون بشاب ذي جمال باهر وأدب ظاهر وعقل وافر وهو حسن الصورة طيب الرائحة وعليه سكينة ووقار فقدموه إلى خالد فسألهم عن قصته فقالوا هذا لص أصبناه البارحة في منزلنا فنظر إليه خالد فأعجبه حسن هيئته ونظافته فقال خلوا عنه ثم دنا منه وسأله عن قصته فقال أن القوم صادقون فيما قالوه والأمر على ما ذكروا فقال له خالد ما حملك على ذلك وأنت في هيئة جميلة وصورة حسنة قال حملني على ذلك الطمع في الدنيا وقضاء الله سبحانه وتعالى فقال له خالد ثكلتك أمك أما كان لك في جمال وجهك وكمال عقلك وحسن أدبك زاجر يزجرك عن السرقة قال دع عنك هذا أيها الأمير وامض إلى ما أمر الله تعالى به فذلك بما كسبت يداي وما الله بظلام للعبيد فسكت خالد ساعة يفكر في أمر الفتى ثم أدناه منه وقال له أن اعترافك على رؤوس الأشهاد قد رابني وأنا ما أظنك سارقاً ولعل لك قصة غير السرقة فأخبرني بها قال أيها الأمير لا يقطع نفعك شيء سوى ما اعترفت به عندك وليس لي قصة أشرحها إلا أني دخلت دار هؤلاء فسرقت ما أمكنني فأدركوني وأخذوه مني وحملوني إليك فأمر خالد بحبسه وأمر منادي ينادي بالبصرة إلا من أحب أن ينظر إلى عقوبة فلان اللص وقطع يده فليحضر من الغداة إلى المحل الفلاني فلما استقر الفتى في الحبس ووضعوا في رجليه الحديد تنفس الصعداء وأفاض العبرات وأنشد هذه الأبيات:

هـ . .ددني خالـ . .د بقطـ . .ع يـ . .دي	إذ لـ . . .م أبـ . .ح عنـ . .ده بقصـ . .تها
فقلـ . .ت هيهـ . ـات أن أبـ . ـوح بمـ . ـا	تضـ . .من القلـ . .ب مـ . .ن محبته . .ـا
قطـ .ـع يـ .ـدي الـ .ـذي اعترفـ .ـت بـ .ـه	أهـ . ـون للقلـ . ـب مـ . .ن فضـ . ـيحتها

فسمع ذلك الموكلون به فاتوا خالداً وأخبره بما حصل منه فلما جن الليل أمر بإحضاره عنده فلما حضر استنطقه فرآه عاقلاً أديباً فطنا ظريفاً لبيباً فأمر له بطعام فأكل وتحدث معه ساعة ثم قال له خالد قد علمت أن لك قصة غير السرقة فإذا كان الصباح وحضر الناس وحضر القاضي وسألك عن السرقة فأنكرها واذكر ما يدرأ عنك حد القطع فقد قال رسول الله ﷺ أدرأوا الحدود بالشبهات ثم أمر به إلى السجن وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٣٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن خالداً بعد أن تحدث مع الشاب أمر به إلى السجن فمكث فيه ليلته فلما أصبح الصباح حضر الناس يقطعون يد الشاب ولم يبق أحد في البصرة من رجل ولا امرأة إلا وقد حضـ ر ليرى عقوبة ذلك الفتى وركب خالد ومعه وجوه أهل البصرة وغيرهم ثم استدعى بالقضاة وأمـ ر بإحضـ ـار الفتى فأقبل يحجل في قيوده ولم يره أحد من الناس إلا بكى عليه وارتفعت أصوات النسـ ـاء بالنحيـ ـب فـ أمر القاضي بتسكيت النساء ثم قال له أن هؤلاء القوم يزعمون أنك دخلت دارهم وسرقت ما لهم فلعلـ ـك سـ ـرقت دون النصائب قال بل سرقت نصاباً كاملاً قال لعلك شريك القوم في شيء منه قال بل هو جميعه لهم لاحـ ـق لي فيه فغضب خالد وقام إليه بنفسه وضربه على وجهه بالسوط وقال متمثلاً بهذا البيت

يري . د الم . رء أن يعط . ى من . اه	**وي . . . أبى الله ألا م . . . ا يري . . . د**

بم دعا بالجزار ليقطع يده فحضر وأخرج السكين ومد يده ووضع عليها السكين فبادرت جاريـ ـة مـ ـن وسط النساء عليها أطوار وسخة فصرخت ورمت نفسها علهي ثم أسفرت عن وجه كأنه القمر وارتفـ ـع فـ ـي الناس ضجة عظيمة وكاد أن يقع بسبب ذلك فتنة طائرة الشر ثم نادت تلك الجارية بأعلا صوتها ناشدتك الله أيها الأمير لا تعجل بالقطع حتى تقرأ هذه الرقعة ثم دفعت إليه رقعة ففتحها خالد وقرأها فإذا مكتوب فيها هذه الأبيات:

أخال . .د ه . .ذا مس . .تهام مت . .يم	**رمتـ ـه لحـ ـاظي عـ ـن قسـ ـى الحمـ ـالق**
فأصـ .ماه سـ .هم اللحـ .ظ منـ ـي لأنـ .ه	**حليف جـ ـوري مـ ـن دائـ ـه غيـ ـر فـ ـائق**
أقربمـ . . ا لـ . . م يقترف . . ه كأنـ . . ه	**رأي ذاك خيـ .راً مـ .ن هتيكـ .ة عاشـ .ق**
فهـ .لا عـ .ن الصـ .ب الكئيـ .ب فإنـ .ه	**كريم السجايا في الـ ـورى غيـ ـر سـ ـارق**

فلما قرأ خالد الأبيات تنحى وانفرد عن الناس وأحضر المرأة ثم سألها عن القصة فأخبرته بـ ـأن هـ ـذا الفتى عاشق لها وهي عاشقة له وأنما أراد زيارتها فتوجه إلى دار أهلها ورمى حجراً في الدار ليعلمها بمجيئه فسمع أبوها وأخوتها صوت الحجر فصعدوا إليه فلما أحس بهم جمع قماش البيت كله وأراهم أنه سارق ستراً على معشوقته فلما رأوه على هذه الحالة أخذوه وقالوا هذا سارق وأتوا به إليك فاعترف بالسرقة وأصر على ذلك حتى لا يفضحني وقد ارتكب هذه الأمور من رمى نفسه بالسرقة لفرط مروءته وكرم نفسه فقال خالد أنه لخليق بان يسعف بمراده ثم استدعى الفتى إليه وقبله بين عينيه وأمر بإحضار أبي الجارية وقال له يا شيخ أنا كنا عزمنا على إنقاذ الحكم في هذا الفتى بالقطع ولكن الله عز وجل قد حفظه من ذلك وقد أمرت له بعشـ ـرة آلاف درهم لبذله يده حفظاً لعرضك وعرض أبنتك وصيانتكما من العار وقد أمرت لأبنتك بعشرة آلاف درهم حيث أخبرتني بحقيقة الأمر وأنا أسألك أن تأذن لي في تزويجها منه فقال الشيخ أيها الأمير قد أذنت لك فـ ـي ذلك فحمد الله خالد وأثنى عليه وخطب خطبة حسنة وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٣٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن خالد أحمد الله وخطب خطبة حسنة وقال للفتى قد زوجتك هذه الجارية فلانة الحاضرة بأذنها ورضاها وأذن أبيها على هذا المال وقدره عشرة آلاف درهم فقال الفتى قبلت منك هذا التزويج ثم أن خالداً أمر بحمل المال إلى دار الفتى مزفوفاً في الصواني وانصرف الناس وهم مسرورون فما رأيت يوماً أعجب من ذلك اليوم أوله بكاء وشرور وآخره فرح وسرور.

(حكاية أبي محمد الكسلان مع الرشيد)

(ومما) يحكى أن هارون الرشيد كان جالساً ذات يوم في تخت الخلافة إذ دخل عليه غلام من الطواشية ومعه تاج من الذهب الأحمر مرصع بالدر والجوهر وفيه من سائر اليواقيت والجواهر مالاً يفي به مال ثم أن الغلام قبل الأرض بين يدي الخليفة وقال له يا أمير المؤمنين أن السيدة زبيدة وأدرك شهرزاد فسـ كتت عـ ن الكلام المباح. فقالت لها أختها ما أحسن حديثك وأطيبه وأحلاه وأعذبه فقالت وأين هذا مما أحدثكم به الليلـ ـة القابلة إن عشت وأبقاني الملك فقال الملك في نفسه والله لا أقتلها حتى أسمع بقية حديثها.

(وفي ليلة ٣٣٦)

قالت لها أختها يا أختي أتممي لنا حديثك قالت حباً وكرامة أن أذن لي الملك فقال المـ ـك أحكـ ـي يـ ـا شهرزاد قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الغلام قال للخليفة أن السيدة زبيدة تقبل الأرض بين يديك وتقول لك أنت تعرف أنها قد عملت هذا التاج وأنه محتاج إلى جوهرة كبيرة تكون في رأسه وفتشت في ذخائرها فلـ ـم تجد فيها جوهرة كبيرة على غرضها فقال الخليفة للحجاب والنواب فتشوا على جوهرة كبيرة علـ ـى غـ ـرض زبيدة ففتشوا فلم يجدوا شيئاً يوافقها فاعلموا الخليفة بذلك فضاق صدره وقال كيف أكون خليفة وملك ملـ ـوك الأرض واعجز عن جوهرة ويلكم فاسألوا التجار فسألوا التجار فقالوا لهم لا يجد مولانا الخليفة الجـ ـوهرة إلا عند رجل من البصرة يسمى أبا محمد الكسلان فأخبروا الخليفة بذلك فأمر وزيره جعفر أن يرسل بطاقة إلـ ـى الأمير محمد الزبيدي المتولي على البصرة أن يجهز أبا محمد الكسلان ويحضر بين يدي أمير المؤمنين فكتب الوزير بطاقة بمضمون ذلك وأرسلها مع مسرور ثم توجه مسرور بالبطاقة إلى مدينة البصرة ودخـ ـل علـ ـى الأمير محمد الزبيدي ففرح به وأكرمه غاية الأكرام ثم قرأ عليه بطاقة أمير المؤمنين هارون الرشـ ـيد فقـ ـال سمعاً وطاعة ثم أرسل مسرور مع جماعة من أتباعه إلى أبي محمد الكسلان فتوجهوا إليـ ـه وطرقـ ـوا عليـ ـه الباب فخرجوا لهم بعض الغلمان فقال له مسرور قل لسيدك أن أمير المؤمنين يطلبك فدخل الغـ ـلام وأخبـ ـره بذلك فخرج فوجده مسروراً حاجب الخليفة ومعه أتباع الأمير محمد الزبيدي فقبل الأرض بين يديـ ـه وقـ ـال سمعاً وطاعة لأمير المؤمنين ولكن ادخلوا عندنا فقالوا ما نقدر على ذلك لأننا على عجل كما أمرنـ ـا أميـ ـر المؤمنين فإنه ينتظر قدومك فقال أصبروا على يسيراً حتى أجهز أمري ثم دخلوا معه إلى الدار بعد استعطاف زائد فرأوا في الدهليز ستوراً من الديباج الأزرق المطرز بالذهب الأحمر ثم أن أبا محمد الكسلان أمر بعض غلمانه أن يدخلوا مع مسرور الحمام الذي في الدار ففعلوا فرأوا حيطانه ورخامه من الغرائب وهو مـ ـزركش بالذهب والفضة ماؤه ممزوج بماء الورد واحتفل الغلمان بمسرور ومن معه وخدموهم أتـ ـم الخدمـ ـة ولمـ ـا خرجوا من الحمام البسوهم خلعاً من الديباج منسوجة بالذهب ثم دخل مسرور وأصحابه فوجدوا أبـ ـا محمـ ـد

الكسلان جالساً في قصره وقد علقت على رأسه ستور من الديباج المنسوج بالذهب المرصع بالدر والجوهر والقصر مفروش بمساند مزركشة بالذهب الأحمر وهو جالس على مرتبة والمرتبة على سرير مرصع بالجواهر فلما دخل عليه مسرور رحب به وتلقاه واجلسه بجانبه ثم أمر بإحضار السماط فلما رأى مسرور وذلك السماط قال والله ما رأيت عند أمير المؤمنين مثل ذلك السماط أبداً وكان في ذلك السماط أنواع الأطعمة وكلها موضوعة في أطباق صيني مذهبة قال مسرور فأكلنا وشربنا وفرحنا إلىآخر النهار ثم أعطانا كل واحد خمسة آلاف دينار ولما كان اليوم الثاني ألبسونا خلعاً خضراء مذهبة وأكرمونا غاية الإكرام ثم قال له مسرور لا يمكننا أن نقعد زيادة على تلك المدة خوفاً من الخليفة فقال له أبو محمد الكسلان يا مولانا أصبر علينا إلى غد حتى نتجهز ونسير معكم فقعدوا ذلك اليوم وباتوا إلى الصباح ثم أن الغلمان شدوا لأبي محمد الكسلان بغلة بسرج من الذهب مرصع بأنواع الدر والجوهر فقال مسرور في نفسه يا ترى إذا أحضر أبو محمد بين يدي الخليفة بتلك الصفة هل يسأله عن سبب تلك الأموال ثم بعد ذلك ودعوا أبا محمد الزبيدي وطلعوا من البصرة وساروا ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا إلى مدينة بغداد فلما دخلوا على الخليفة ووقفوا بين يديه أمره بالجلوس فجلس ثم تكلم بأدب وقال يا أمير المؤمنين أني جئت معي بهدية على وجه الخدمة فهل أحضرها عن أذنك قال الرشيد لا بأس بذلك فأمر بصندوق وفتحه وأخرج منه تفاحاً من جملتها أشجار من الذهب وأوراقها من الزمرد الأبيض وثمارها ياقوت أحمر وأصفر ولؤلؤ أبيض فتعجب الخليفة من ذلك ثم أحضر صندوقاً ثانياً وأخرج منه خيمة من الديباج مكللة باللؤلؤ واليواقيت والزمرد والزبرجد وأنواع الجوهر وقوائمها من عود هندي رطب وأذيال تلك الخيمة مرصعة بالزمرد الأخضر وفيها تصاوير كل الصور من سائر الحيوانات الطيور والوحوش وتلك الصور مكللة بالجواهر واليواقيت والزمرد والزبرجد والبلخش وسائر المعادن فلما رأى الرشيد ذلك فرح فرحاً شديداً ثم قال أبو محمد الكسلان يا أمير المؤمنين لا تظن أني حملت لك هذا فرعاً من شيء ولا طمعاً في شيء وأنما رأيت نفسي رجلاً عامياً ورأيت هذا لا يصلح إلا لأمير المؤمنين وأن أذنت لي فرجتك على بعض ما أقدر عليه فقال الرشيد أفعل ما شئت حتى ننظر فقال سمعاً وطاعة ثم حرك شفتيه وأومأ إلى شراريف القصر فمالت إليه ثم أشار إليها فرجعت إلى موضعها ثم أشار بعينه فظهرت إليه مقفلة الأبواب ثم تكلم عليها وإذا بأصوات طيور تجاوبه فتعجب الرشيد من ذلك غاية العجب وقال له من أين لك هذا كله وأنت ما تعرف إلا بأبي محمد الكسلان وأخبروني أن أباك كان حلاقاً يخدم في حمام وما خلف لك شيئاً فقال يا أمير المؤمنين أسمع حديثي وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٣٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أبا محمد الكسلان قال للخليفة يا أمير المؤمنين أسمع حديثي فإنه عجيب وأمره غريب لو كتب بالأبر على آماق البصر لكان عبرة لمن اعتبر فقال الرشيد حدث بما عندك وأخبرني به يا أبا محمد فقال يا أمير المؤمنين أدام الله لك العز والتمكين أن أخبار الناس بأن أعرف بالكسلان وأن أبي لم يخلف لي مالا صدق لأن أبي لم يكن إلا كما ذكرت فإنه كان حلاقاً في حمام وكنت أنا في صغري أكسل من يوجد على وجه الأرض وبلغ من كسلي أني إذا كنت نائماً في أيام الحر وطلعت على

الشمس أكسل عن أن أقوم وأنتقل من الشمس إلى الظل وأقمت على ذلك خمسة عشر عاماً ثم أن أبي تـ وفى إلى رحمة الله تعالى ولم يخلف لي شيئاً وكانت أمي تخدم الناس وتطعمني وتسقيني وأنا راقد علـ ى جنبـ ي فأتفق أن أمي دخلت علي في بعض الأيام ومعها خمسة دراهم من الفضة وقالت لي يا ولدي بلغني أن الشيخ أبا المظفر عزم على أن يسافر إلى الصين وكان ذلك الشيخ يحب الفقراء وهو من أهل الخير فقالت أمي يـ ا ولدي خذ هذه الخمسة دراهم وامض بنا إليه واسأله أن يشتر لك بهاشيئاً من بلاد الصين لعله يحصل لك فيـ ه ربح من فضل الله تعالى فكسلت عن القيام معها فأقسمت بالله أن لم أقم معها لا تطعمني ولا تسقيني ولا تدخل علي بل تتركني أموت جوعاً وعطشاً فلما سمعت كلامها يا أمير المؤمنين علمت أنها تفعل ذلك لما تعلم مـ ن كسلي فقلت لها أقعديني فأقعدتني وأنا باكي العين وقلت لها أتيني بمداسي فأتتني به فقلت ضعيه في رجـ لاي فوضعته فيهما فقلت لها حمليني حتى ترفعيني من الأرض ففعلت ذلك فقلت أسنديني حتى أمشـ ي فصـ ارت تسندني وما زلت أمشي وأتعثر في أذيالي إلى أن وصلنا إلى ساحل البحر فسلمنا على الشيخ وقلت له يا عـ م أنت أبو المظفر قال لبيك قلت خذ هذه الدراهم واشتر لي بها شيئاً من بلاد الصين عسى الله أن يربحني فيـ ه فقال الشيخ أبو المظفر لأصحابه أتعرفون هذا الشاب قالوا نعم هذا يعرف بأبي محمد الكسلان ما رأيناه قـ ط خرج من داره إلا في هذا الوقت فقال الشيخ أبو المظفر يا ولدي هات الدراهم على بركة الله تعالى ثم أخـ ذ مني الدراهم وقال باسم الله ثم رجعت مع أمي إلى البيت وتوجه الشيخ أبو المظفر إلى السفر ومعه جماعـ ة من التجار ولم يزالوا مسافرين حتىوصلوا إلى بلاد الصين ثم أن الشيخ باع واشتري وبعد ذلك عزم علـ ى الرجوع هو ومن معه بعد قضاء أغراضهم وساروا في البحر ثلاثة أيام فقال الشيخ لأصحابه قفوا بالمركـ ب فقال التجار ما حاجتك فقال اعلموا أن الرسالة التي معي لأبي محمد الكسلان نسيتها فارجعوا بنا حتى نشتري له بها شيئاً حتى ينتفع به فقالوا له سألناك بالله تعالى أن لا تردنا فإننا قطعنا مسافة طويلة زائدة وحصل لنـ ا في ذلك أهوال عظيمة ومشقة زائدة فقال لابد لنا من الرجوع فقالوا خذ منا أضعاف ربح الخمسة دراهـ م ولا تردنا فسمع منهم وجمعوا له مالا جزيلاً ثم ساروا حتى أشرفوا على جزيرة فيها خلق كثير فأرسـ وا عليهـ ا وطلع التجار يشترون منها متجراً من معادن وجواهر ولؤلؤ وغير ذلك ثم رأى أبو المظفر رجلاً جالساً وبين يديه قرود كثيرة وبينهم قرد منتوف الشعر وكانت تلك القرود كلما غفل صاحبهم يمسكون ذلك القرد المنتوف ويضربونه ويرمونه على صاحبهم فيقوم ويضربهم ويقيدهم ويعذبهم على ذلك فتغتاظ القرود كلها مـ ن ذلـ ك القرد ويضربونه ثم أن الشيخ أبا المظفر لما رأى ذلك القرد حزن عليه ورفق به فقال لصاحبه أتبيعني هـ ذا القرد قال اشتر قال أن معي لصبي يتيم خمسة دراهم هل تبيعني أياه بها قال له بعتك بارك الله لك فيـ ه ثـ م تسلمه وأقبضه الدراهم وأخذ عبيد الشيخ القرد وربطوه في المركب ثم حلوا وسافروا إلـ ى جزيـ رة أخـ رى فأرسوا عليها فنزل الغطاسون الذين يغطسون على المعادن واللؤلؤ والجوهر وغير ذلك فأعطـ اهم التجـ ار دراهم أجرة على الغطاس فغطسوا فرآهم القرد يفعلون ذلك فحل نفسه من رباطه ونط من المركب وغطـ س معهم فقال أبو المظفر لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم قد عدم القرد منا ببخت هذا المسكين الذي أخذناه له وياسوا على القرد ثم طلع جماعة من الغطاسين وإذا بالقرد طلع معهم وفي يده نفائس الجواهر فرماها بين يدي أبي المظفر فتعجب من ذلك وقال أن هذا القرد فيه سرد عظيم ثم حلوا وسافروا إلى أن وصـ لوا إلـ ى

جزيرة تسمى جزيرة الزنوج وهم قوم من السودان يأكلون لحم بني آدم فلما رأوهم السودان ركبوا عليهم في القوارب وأتوا إليهم وأخذوا كل من في المركب وكتفوهم وأتوا بهم إلى الملك فأمر بذبح جماعة من التجـار فذبحوهم وأكلوا لحومهم ثم أن بقية التجار باتوا محبوسين وهم في نكد عظيم فلما كان وقت الليل قام القـرد إلى أبي المظفر وحل قيده فلما رأى التجار أبا المظفر قد انحل قالوا عسى الله أن يكون خلاصنا على يديك يا أبا المظفر فقال لهم اعلموا أنه ما خلصني بإرادة الله تعالى إلا هذا القرد. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٣٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أبا المظفر قال ما خلصني بإرادة الله تعالى إلا هذا القرد وقد خرجت له عن ألف دينار فقال التجار ونحن كذلك كل واحد منا خرج له عن ألف دينار أن خلصنا فقام القـرد إلـيهم وصار يحل واحد بعد واحد حتى حل الجميع من قيودهم وذهبوا إلىالمركب وطلعوا فيها فوجدوها سالمة ولم ينقص منها شيء ثم حلوا وسافروا فقال أبو المظفر يا تجار أوفوا بالذي قلتم عليه للقرد فقالوا سمعاً وطاعـة ودفع له كل واحد منهم ألف دينار وأخرج أبو المظفر من ماله ألف دينار فاجتمع للقرد من المال شيء عظيم ثم سافروا حتى وصلوا إلى مدينة البصرة فتلقاهم أصحابهم حين طلعوا من المركب فقال أبو المظفر أين أبو محمد الكسلان فبلغ الخبر إلى أمي فبينما أنا نائم إذ أقبلت على أمي وقالت يا ولدي أن الشيخ أبا المظفر قـد أتى ووصل إلى المدينة فقم وتوجه إليه وسلم عليه وأسأله عن الذي جاء به فلعل الله تعالى يكون قد فتح عليه بشيء فقلت لها احمليني من الأرض واسنديني حتى أخرج وأمشي إلى ساحل البحر ثم مشيت وأنا أتعثر فـي أذيالي حتى وصلت إلى الشيخ أبا المظفر فلما رآني قال لي أهلاً بمن كانت دراهمه سبباً لخلاصي وخـلاص هؤلاء التجار بإرادة الله تعالى ثم قال لي خذ هذا القرد فإني اشتريته لك وامض به إلى بيتك حتى أجيء إليك فأخذت القرد بين يدي ومضيت وقلت في نفسي والله ما هذا إلا متجر عظيم ثم دخلت بيتي وقلت لأمي كلمـا أنا نائم تأمريني بالقيام لأتجر فانظري بعينك هذا المتجر ثم جلست فبينما أنا جالس وإذا بعبيد أبي المظفر قد أقبلوا علي وقالوا لي هل أنت أبو محمد الكسلان فقلت لهم نعم وإذا بأبي المظفر أقبل خلفهم فقمت إليه وقبلت يديـه فقال لي سر معي إلى داري فقلت سمعاً وطاعة وسرت معه إلى أن دخلت وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٣٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أبا محمد الكسلان قال ثم سرت معه ودخلت الدار فـأمر عبيـده أن يحضروا بالمال فحضروا به فقال يا ولدي لقد فتح الله عليك بهذا المال من ربح الخمسة دراهم ثم حملوه في صناديقه على رؤوسهم وأعطاني مفاتيح تلك الصناديق وقال لي أمض قدام العبيد إلى دارك فإن هذا المال كله لك فمضيت إلى أمي ففرحت بذلك وقالت يا ولدي لقد فتح الله عليك بهذا المال الكثير فدع عنك هذا الكسـل وانزل إلى السوق وبع واشتر فتركت الكسل وفتحت دكاناً في السوق وصار القرد يجلس معي على مرتبتـي فإذا أكلت يأكل معي وإذا شربت يشرب معي وصار كل يوم من بكرة النهار يغيب إلى وقت الظهر ثم يـأتي ومعه كيس فيه ألف دينار فيضعه في جانبي ويجلس ولم يزل على هذه الحالة مدة من الزمان حتـى اجتمـع

عندي مال كثير فاشتريت يا أمير المؤمنين الأملاك والربوع وغرست البساتين واشتريت المماليـ ك والعبيـ د والجوار فاتفق في بعض الأيام أنني كنت جالساً والقرد جالس معي على المرتبة وإذا به تلفت يميناً وشـ مالاً فقلت في نفسي أي شيء خبر هذا فانطق الله القرد بلسان فصيح وقال يا أبا محمد فلما سمعت كلامه فزعـ ت فزعاً شديداً فقال لي لا تفزع أنا أخبرك بحالي أني أنا مارد من الجن ولكن جئتك بسبب ضعف حالك وأنـ ت اليوم لا تدري قدر مالك وقد وقعت لي عندك حاجة وهي خير لك فقلت ما هي قال أريد أن أزوجك بصـ بية مثل البدر فقلت له وكيف ذلك فقال لي في غد البسك قماشك الفاخر وأركب بغلتك بالمرج المذهب وامض إلى سوق العلافين واسأل عن دكان الشريف واجلس عنده وقل له أني جئت خاطباً راغباً في ابنتك فإن قال لـ ك أنت ليس لك مال ولا حسب ولا نسب فادفع له ألف دينار فإن قال لك زدني فزده ورغبة في المال فقال سمعاً وطاعة في غد افعل ذلك إن شاء الله تعالى قال أبو محمد فلما أصبحت لبست أفخر قماشي وركبـ ت البغلـ ة بالسرج المذهب ثم مضيت إلى سوق العلافين وسألت عن دكان الشريف فوجدته جالساً فـ ي دكانـ ه فنزلـ ت وسلمت عليه وجلست عنده وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٤٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أبا محمد الكسلان قال فنزلت وسلمت عليه وجلست عنده وكان معـ ي عشرة من العبيد والمماليك فقال الشريف لعل لك عندنا حاجة نفوز بقضائها فقلت نعم لي عندك حاجـ ة قـ ال وما حاجتك فقلت جئتك خاطباً راغباً في ابنتك فقال لي أنت ليس لك مال ولا حسب ولا نسب فأخرجـ ت لـ ه كيساً فيه ألف دينار ذهباً أحمر وقلت له هذا حسبي ونسبي وقد قال ﷺ نعم الحسب المال وما أحسن قول من قال:

مـ ـن كـ ـان يملـ ـك درهمـ ـين تعلمـ ـت	**شـ ـ ـفتاه أنـ ـ ـواع الكـ ـ ـلام فقـ ـ ـالا**
وتقـ ـدم الأخـ ـوان فاسـ ـتمعوا لـ ـه	**ورأيتـ ـه بـ ـين الـ ـورى مختـ ـالاً**
لـ ـولا دراهمـ ـه التـ ـي يزهـ ـو بهـ ـا	**لوجدتـ ـه فـ ـي النـ ـاس أسـ ـوأ حـ ـالاً**
إن الغنـ ـ ـي إذا تكلـ ـ ـم بالخطـ ـ ـأ	**فـ ـالوا صـ ـدقت ومـ ـا نطقـ ـت محـ ـالاً**
أمـ ـا الفقيـ ـر إذا تكلـ ـم صـ ـادقاً	**قـ ـالوا كـ ـذبت وأبطلـ ـوا مـ ـا قـ ـالا**
أن الـ ـدراهم فـ ـي المـ ـواطن كلهـ ـا	**تكسـ ـوا الرجـ ـال مهابـ ـة وجمـ ـالاً**
فهـ ـي اللسـ ـان لمـ ـن أراد فصـ ـاحة	**وهـ ـي السـ ـلاح لمـ ـن أراد قتـ ـالاً**

فلما سمع الشريف مني هذا الكلام وفهم الشعر والنظام أطرق برأسه إلى الأرض ساعة ثم رفع رأسـ ه وقال لي أن كان ولابد فإني أريد منك ثلاثة آلاف دينار أخرى فقلت سمعاً وطاعة ثم أرسلت بعض المماليـ ك إلى منزلي فجاءني بالمال الذي طلبه فلما رأى ذلك وصل إليه قام من الدكان وقال لغلمانه أقفلوها ثـ م دعـ ا أصحابه من السوق إلى داره وكتب كتابي على بنته وقال لي بعد عشرة أيام أدخلك عليها ثم مضـ يت إلـ ى منزلي وأنا فرحان فخلوت مع القرد وأخبرته بما جرى لي فقال نعم ما فعلت فلما قرب ميعاد الشريف قـ ال القرد أن لي عندك حاجة أن قضيتها لي فلك عندي ما شئت قلت وما حاجتك قال لي أن في صدر القاعة التي تدخل فيها على بنت الشريف خزانة وعلى بابها حلقة من نحاس والمفاتيح تحت الحلقة فخذها وافتح الباب تجد

صندوقاً من حديد على أركانه أربع رايات من الطلسم وفي وسط ذلك طشت ملآن من المال وفي جانبه إحدى عشر حية وفي وسط الطشت ديك أفرق أبيض مربوط هناك سكين بجنب الصندوق فخذ السكين واذبـ ـح بـه ـا الديك واقطع الرايات واقلب الصندوق وبعد ذلك أخرج للعروسة وأزل بكارتها فهذه حاجتي عندك فقلت سمعاً وطاعة ثم مضيت إلى دار الشريف فدخلت القاعة وانظرت إلى الخزانة التي وصفها إلى القرد فلمـ ـا خلـ ـوت بالعروسة تعجبت من حسنها وجمالها وقدها واعتدالها لذنها لا تستطيع الألسن أن تصـ ـف حسـ ـنها وجمالهـ ـا ففرحت بها فرحاً شديداً فلما كان نصف الليل ونامت العروسة قمت وأخذت المفاتيح وفتحت الخزانة وأخـ ـذت السكين وذبحت الديك وقطعت الرايات وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٤١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أنه قال لما ذبحت الديك وقطعت الرايات وقلبت الصـ ـندوق فاسـ ـتيقظت الصبية فرأت الخزانة قد فتحت والديك قد ذبح فقالت لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم قد أخذني المـ ـارد فما استتمت كلامها إلا وقد أحاط المارد بالدار وخلف العروسة فعند ذلك وقعت الضجة وإذا بالشريف قد أقبل وهو يلطم علىوجهه وقال يا أبا محمد ما هذا الفعل الذي فعلته معنا هل هذا جزاؤنا منك وأنا قد عملت هـ ـذا الطلسم في هذه الخزنة خوفاً على بنتي من هذا الملعون فإنه كان يقصد أخذ هذه الصبية من مندست سنين ولا يقدر على ذلك ولكن ما بقى لك عندنا مقام فامض إلى حال سبيلك فخرجت من دار الشريف وجئت إلى داري وفتشت على القرد فلم أجده ولم أر له أثراً فعلمت أنه هو المارد الذي أخذ زوجتي وتحيل على حتـ ـى فعلـ ـت ذلك بالطلسم والديك اللذين كانا يمنعانه من أخذها فندمت وقطعت أثوابي ولطمت على وجهي ولـ ـم تسـ ـعني الأرض فخرجت من ساعتي وقصدت البرية ولم أزل سائراً إلى أن أمسى على المساء ولم أعلم أيـ ـن أروح فبينما أنا مشغول الفكر إذ قبل على حيتان واحداة سمراء والأخرى بيضاء وهما يتقاتلان فأخذت حجراً مـ ـن الأرض وضربت به الحية السمراء فقتلتها فإنها كانت باغية على البيضاء فغابت ساعة وعادت ومعها عشـ ـر حيات بيض فجاءوا إلى الحية التي ماتت وقطعوها قطعاً حتى لم يبق إلا رأسها ثم مضوا إلى حـ ـال سـ ـبيلهم واضطجعت في مكاني من التعب وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٤٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أبا محمد الكسلان قال ثم أضطجعت من التعب فبينما أنـ ـا مضـ ـطجع متفكر في أمري وإذا أنا بهاتف اسمع صوته ولم أر شخصه وهو يقول هذين البيتين:

دع المقـ ـادير تجـ ـري فـ ـي أعنتهـ ـا	ولا تبيـ ـ ـتن إلا خـ ـ ـالي البـ ـ ـال
مـ ـا بـ ـين طرفـ ـة عـ ـين وانتباهتهـ ـا	يغيـ ـر الله مـ ـن حـ ـال إلـ ـى حـ ـال

فلما سمعت ذلك لحقني يا أمير المؤمنين أمر شديد وفكر ما عليه من مزيد وإذا بصـ ـوت مـ ـن خلفـ ـي أسمعه ينشد هذين البيتين:

يـ ـ ـا مسـ ـ ـلماً أمامـ ـ ـه القـ ـ ـرآن	أبشـ ـ ـر بـ ـ ـه قـ ـ ـد جـ ـ ـاءك الآمـ ـ ـان
ولا تخـ ـ ـف مـ ـ ـا سـ ـ ـول الشـ ـ ـيطان	فـ ـ ـنحن قـ ـ ـوم ديننـ ـ ـا الإيمـ ـ ـان

فقلت له بحق معبودك أن تعرفني من أنت فانقلب ذلك الهاتف في صورة إنسان وقال لي لا تخف فإن جميلك قد وصل إلينا ونحن قوم من جن المؤمنين فإن كان لك حاجة فأخبرنا بها حتى نفوز بقضائها فقلت له أن لي حاجة عظيمة لأني أصبت بمصيبة جسيمة ومن الذي حصل له مثل مصيبتي فقال لعلك أبو محمد الكسلان فقلت نعم فقال يا أبا محمد أنا أخو الحية البيضاء التي قتلت أنت عدوها ونحن أربع أخوة من أم وأب وكلنا شاكرون لفضلك واعلم أن الذي كان على صورة القرد وفعل معك المكيدة مارد من مردة الجن ولولا أنه تحيل بهذه الحيلة ما كان يقدر على أخذها أبداً لأن له مدة طويلة وهو يريد أخذها فيمنعه من ذلك هذا الطلسم ولو بقي ذلك الطلسم ما كان يمكنه الوصول إليها ولكن لا تجزع من هذا الأمر فنحن نوصلك إليها ونقتل المارد فإن جميلك لا يضيع عندنا ثم أنه صاح صيحة عظيمة وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٤٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العفريت قال فإن جميلك لا يضيع عندنا ثم أنه صاح صيحة عظيمة بصوت هائل وإذا بجماعة قد أقبلوا عليه فسألهم عن القرد فقال واحد منهم أنا أعرف مستقره قال أين مستقره قال في مدينة النحاس التي لا تطلع عليها الشمس فقال يا أبا محمد خذ عبداً من عبيدنا وهو يحملك على ظهره ويعلمك كيف تأخذ الصبية واعلم أن ذلك العبد مارد من المردة فإذا حملك لا تذكر اسم الله وهو حاملك فإنه يهرب منك فتقع وتهلك فقلت سمعاً وطاعة وأخذت عبداً من عبيدهم فانحنى وقال اركب فركبت ثم طار بي في الجو حتى غاب عن الدنيا ورأيت النجوم كالجبال الرواسي وسمعت تسبيح الملائكة في السماء كل هذا والمارد يحدثني ويفرجني وينهيني عن ذكر الله تعالى فبينما أنا كذلك وإذا بشخص عليه لباس أخضر وله ذوائب شعر ووجه منير وفي يده حربة يطير منها الشرر قد أقبل علي وقال لي يا أبا محمد قل لا إله إلا الله محمد رسول الله وإلا ضربتك بهذه الحربة وكانت مهجتي قد تقطعت من سكوتي عن ذكر الله تعالى فقلت لا إله إلا الله محمد رسول الله ثم أن ذلك الشخص ضرب المارد بالحربة فذاب وصار رماداً فسقطت من فوق ظهره فصرت أهوى إلى الأرض حتى وقعت في بحر عجاج متلاطم بالأمواج وإذا بسفينة فيها خمسة أشخاص بحرية فلما رأوني أتوا إلي وحملوني في السفينة وصاروا يكلموني بكلام لا أعرفه فأشرت لهم أني لا أعرف كلامكم فساروا إلى آخر النهار ثم رموا شبكة واصطادوا حوتاً وشووه وأطعموني ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا بي إلى مدينتهم فدخلوا بي إلى ملكهم وأوقفوني بين يديه فقبلت الأرض فخلع علي خلعة وكان ذلك الملك يعرف اللغة العربية فقال قد جعلتك من أعواني فقلت ما اسم هذه المدينة قال اسمها هنا دوهي من بلاد الصين ثم أن الملك سلمني إلى وزير المدينة وأمره أن يفرجني في المدينة وكان أهل تلك المدينة في الزمن الأول كفار فمسخهم الله تعالى حجارة فتفرجت فيها فلم أر أكثر من أشجارها وأثمارها فأقمت فيها مدة شهر ثم أتيت إلى نهر وجلست على شاطئه فبينما أنا جالس وإذا بفارس قد أتى وقال هل أنت أبو محمد الكسلان فقلت له نعم قال لا تخف فإن جميلك وصل إلينا فقلت له من أنت قال أنا أخو الحية وأنت قريب من مكان الصبية التي تريد الوصول إليها ثم خلع أثوابه والبسني أياها وقال لي لا تخف فإن العبد الذي هلك من تحتك بعض عبيدنا ثم أن ذلك الفارس أردفني خلفه وسار بي إلى برية وقال أنزل من خلفي وسر

بين هذين الجبلين حتى ترى مدينة النحاس فقف بعيداً عنها ولا تدخلها حتى أعود إليك وأقول لك كيف تصنع فقلت له سمعاً وطاعة ونزلت من خلفه ومشيت حتى وصلت إلى المدينة فرأيت سورها فجعلت أدور حولها لعلي أجد لها باباً فما وجدت لها باباً فبينما أنا أدور حولها وإذا بأخ الحية قد أقبل علي وأعطاني سيفاً مطلسماً حتى لا يراني أحد ثم أنه مضى إلى حال سبيله فلم يغب عني وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٤٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أبا محمد الكسلان قال لم يغب عني إلا قليلاً وإذا بصياح قد علا ورأيت خلقاً كثيراً وأعينهم في صدورهم فلما رأوني قالوا من أنت وما الذي رماك في هذا المكان فأخبرتهم بالواقعة فقالوا أن الصبية التي ذكرتها مع المارد في هذه المدينة وما ندري ما فعل بها ونحن أخوة الحية ثم قالوا أمض إلى تلك العين وانظر من أين يدخل الماء وأدخل معه فإنه يوصلك إلى المدينة ففعلت ذلك ودخلت مع الماء في سرداب تحت الأرض ثم طلعت معه فرأيت نفسي في وسط المدينة ووجدت الصبية جالسة على سرير من ذهب وعليها ستارة من ديباج وحول الستارة بستان فيه أشجار من الذهب وأثمارها من نفيس الجواهر كالياقوت والزمرجد واللؤلؤ والمرجان فلما رأتني تلك الصبية عرفتني وأبتداتني بالسلام وقالت لي يا سيدي من أوصلك إلى هذا المكان فأخبرتها بما جرى فقالت لي اعلم أن هذا الملعون من كثرة محبته لي اعلمني بالذي يضره والذي ينفعه وأعلمني أن في هذه المدينة طلسمان أن شاء هلاك جميع من في المدينة أهلكهم به ومهما أمر العفاريت فإنهم يمتثلون أمره وذلك الطلسم في عمود فقلت لها وأين العمود فقالت في المكان الفلاني فقلت وأي شيء يكون ذلك الطلسم قالت هو صورة عقاب وعليه كتابة لا أعرفها فخذه بين يديك وخذ مجمرة نار وأرم فيه شيئاً من المسك فيطلع دخان يجذب العفاريت فإذا فعلت ذلك فإنهم يحضرون بين يديك كلهم ولا يغيب منهم أحد ويمتثلون أمرك ومهما أمرتهم فإنهم يفعلونه فقم وافعل ذلك على بركة الله تعالى فقلت لها سمعاً وطاعة ثم قمت وذهبت إلى ذلك العمود وفعلت جميع ما أمرتني به فجاءت العفاريت وحضرت بين يدي وقالوا لبيك يا سيدي فمهما أمرتنا به فعلناه فقلت لهم قيدوا المارد الذي جاء بهذه الصبية من مكانها فقالوا سمعاً وطاعة ثم ذهبوا إلى ذلك المارد وقيدوه وشدوا وثاقه ورجعوا إلى وقالوا قد فعلنا ما أمرتنا به فأمرتهم بالرجوع ثم رجعت إلى الصبية وأخبرتها بما حصل وقلت يا زوجتي هل تروحين معي فقالت نعم ثم إني طلعت بها من السرداب الذي دخلت منه وسرنا حتى وصلنا إلى القوم الذي كانوا دلوني عليها وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٤٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أنه قال وسرنا حتى وصلنا إلى القوم الذين كانوا دلوني عليها ثم قلت دلوني على طريق توصلني إلى بلادي فدلوني ومشوا معي إلى ساحل البحر وأنزلوني في مركب وطاب لنا الريح فسارت بنا تلك المركب حتى وصلنا إلى مدينة البصرة فلما دخلت الصبية دار أبيها رآها أهلها ففرحوا فرحاً شديداً ثم أني بخرت العقاب بالمسك وإذا بالعفاريت قد أقبلوا من كل مكان وقالوا لبيك فما تريد أن نفعل فأمرتهم أن ينقلوا كل ما في مدينة النحاس من المال والمعادن والجواهر إلى داري التي في البصرة ففعلوا ذلك ثم أمرتهم أن يدخلوه في قمقم نحاس فأدخلوه في قمقم ضيق من نحاس وسدوا عليه بالرصاص

وأقمت أنا وزوجتي في هناء وسرور وعندي الآن يا أمير المؤمنين من نفائس الذخائر والجواهر وكثير الأموال مالا يحيط به عدو لا يحصره أحد وإذا طلبت شيئاً من المال وغيره أمرت الجن أن يأتوا لك به في الحال وكل ذلك من فضل الله تعالى فتعجب أمير المؤمنين من ذلك غاية العجب ثم أعطاه مواهب الخلافة عوضاً عن هديته وأنعم عليه أنعاماً يليق به.

(حكاية على شار مع زمرد الجارية)

(وحكى) أنه كان في قديم الزمان وسالف العصر والأوان تاجر من التجار في بلاد خراسان اسمه مجد وله مال كثير وعبيد ومماليك وغلمان إلا أنه بلغ من العمر ستين سنة ولم يرزق ولد أو بعد ذلك رزقه الله تعالى ولداً فسماه علياً فلما نشأ ذلك الغلام صار كالبدر ليلة التمام ولما بلغ مبلغ الرجال وحاز صفات الكمال ضعف والده بمرض الموت فدعا بولده وقال له يا ولدي أنه قد قرب وقت المنية وأريد أن أوصيك بوصية فقال له وما هي يا والدي فقال له أوصيك أنك لا تعاشر أحد من الناس وتجنب ما يجلب الضر والبأس وأياك وجليس السوء فإنه كالحداد إن لم تحرقك ناره يضرك دخانه وما أحسن قول الشاعر:

ما في زمانك من ترجو مودته ... ولا صديق إذا خان الزمان وفي

فعش فريداً ولا تركن إلى أحد ... ها قد نصحتك فيما قلته وكفى

فقال يا أبي سمعت وأطعت ثم ماذا أفعل فقال أفعل الخير إذا قدرت ودم على صنع الجميل مع الناس واغتنم بذل المعروف فما في كل وقت ينجح الطلب وما أحسن قول الشاعر:

ليس في كل ساعة وأوان ... تتأتي صنائع الإحسان

فإذا أمكنتك بادر إليها ... حذراً من تعذر الإمكان

فقال سمعت وأطعت وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٤٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الصبي قال لأبيه سمعت وأطعت ثم ماذا قال يا ولدي أحفظ الله يحفظك وصن مالك ولا تفرط فيه فإنك أن فرطت فيه تحتاج إلى أقل الناس واعلم أن قيمة المرء ما ملكت يمينه وما أحسن قول الشاعر:

أن قل مالي فلا خل يصاحبني ... وإن زاد مالي فكل الناس خلاني

فكم عدو لأجل المال صاحبني ... وكم صديق لفقد المال عاداني

فقال ثم ماذا قال يا ولدي شاور من هو أكبر منك سناً ولا تعجل في الأمر الذي تريده وارحم من هو دونك يرحمك من هو فوقك ولا تظلم أحداً فيسلط الله عليك من يظلمك وما أحسن قول الشاعر:

أقرن برأيك رأي غيرك واستشر ... فالرأي لا يخفى على الأثنين

فالمرء مرآة تريه وجهه ... ويرى قفاه بجمع مرآتين

وقول الآخر:

تأن ولا تعجل لامر تريده ... وكن راحماً للناس تبلى براحم

فمـ ـا مـ ـن يـ ـد الأيـ ـد الله فوقهـ ـا ولا ظـ ـ ـالم إلا سـ ـ ـيبلى بظـ ـ ـالم

وقول الآخر:

لا تظلمـ ـن إذا مـ ـا كنـ ـت مقتـ ـدراً أن الظلـ ـوم علـ ـى حـ ـد مـ ـن الـ ـنقم
تنـ ـام عينـ ـاك والمظلـ ـوم منتبـ ـه يـ ـدعو عليـ ـك وعـ ـين الله لـ ـم تـ ـنم

وإياك وشرب الخمر فهو رأس كل شر وشربه مذهب العقول ويزرى بصاحبه وما أحسن قول الشاعر:

تا الله لأخـ ـامرتني الخمـ ـر مـ ـا علقـ ـت روحـ ـي بجسـ ـمي وأقـ ـوالي بإفصـ ـاحي
ولا صـ ـبوت إلـ ـى مشـ ـمولة أبـ ـداً يوماً ولا اخترت ندماناً سـ ـوى الصـ ـاحي

فهذه وصيتي لك فاجعلها بين عينيك والله خليفتي عليك ثم غشي عليه فسكت ساعة واستفاق فاسـ ـتغفر الله وتشهد وتوفى إلى رحمة الله تعالى فبكى عليه ولده وانتحب ثم أخذ في تجهيزه على ما يجب ومشيت فـ ـي جنازته الأكابر والأصاغر وصار القراء يقرءون حول تابوته وما ترك من حقه شيئاً إلا وفعله ثم صلوا عليه وواروه في التراب وكتبوا على قبره هذين البيتين:

خلقـ ـت مـ ـن التـ ـراب فصـ ـرت حيـ ـاً وعلمت الفصاحة في الخطاب كأنـ ـك مـ ـا
وعـ ـدت إلـ ـى التـ ـراب فصـ ـرت ميتـ ـاً بر حـ ـ ـ ـ ـت مـ ـ ـ ـ ـن التـ ـ ـ ـ ـراب

حزن عليه ولده شار حزناً شديداً وعمل عزاءه على عادة الأعيان واستمر حزيناً على أبيـ ـه إلـ ـى أن ماتت أمه بعده بمدة يسيرة ففعل بوالدته مثل ما فعل بأبيه ثم بعد ذلك جلس في الـ ـدكان يبيـ ـع ويشـ ـتري ولا يعاشر أحداً من خلق الله تعالى عملاً بوصية أبيه واستمر على ذلك مدة سنه وبعد السنة دخلت عليه النسـ ـاء الزواني بالحيل وصاحبوه حتى مال معهم إلى الفساد واعرض عن طريق الرشاد وشرب الراح بالأقداح وإلى الملاح غدا ورواح وقال في نفسه أن والدي جمع لي هذا المال وأنا إن لم أتصرف فيه فلمـ ـن أخليـ ـه والله لا أفعل لا كما قال الشاعر:

إن كنـ ـ ـ ـ ـت دهـ ـ ـ ـ ـره كلـ ـ ـ ـ ـه تحـ ـ ـ ـ ـوي إليـ ـ ـ ـ ـك تجمـ ـ ـ ـ ـع
فمتـ ـ ـ ـ ـى بمـ ـ ـ ـ ـا حصـ ـ ـ ـ ـلته وحويتـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـه تتمتـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـع

ومازال على شار يبذل في المال آناء الليل وأطراف النهار حتى أذهب ماله كله وافتقر فسـ ـاء حالـ ـه وتكدر باله وباع الدكان والأماكن وغيرها ثم بعد ذلك باع ثياب بدنه ولم يترك لنفسه غير بدلة واحـ ـدة فلمـ ـا ذهبت السكرة وجاءت الفكرة وقع في الحسرة وقعد يوماً من الصبح إلى العصر بغير إفطار فقال في نفسه أنا أدور على الذين كنت أنفق مالي عليهم لعل أحداً منهم يطعمني في هذا اليوم فدار عليهم جميعاً وكلما طـ ـرق باب أحد منهم ينكر نفسه ويتوارى منه حتى أحرقه الجوع ثم ذهب إلى سوق التجار. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٤٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن علي شار أحرقه الجوع فذهب إلى سوق التجار فوجد حلقـ ـة ازدحـ ـام والناس مجتمعون فيها فقال في نفسه يا ترى ما سبب اجتماع هؤلاء الناس والله لا أنتقل من هذا المكان حتى أتفرج على هذه الحلقة ثم تقدم فوجد جارية خماسية معتدلة القد موردة الخد قاعدة النهد قد فاقت أهل زمانهـ ـا في الحسن والجمال والبهاء والكمال كما قال بعض واصفيها.

كما اشـ ـتهت خلقـ ـت حتـ ـى إذا كملـ ـت في قالـ ـب الحسـ ـن لا طـ ـول ولا قصـ ـر
والحسـ ـن أصـ ـبح مشـ ـغوفاً بصـ ـورتها والصـ ـد أبعـ ـد لهـ ـا والتيـ ـه والخفـ ـر
فالبـ ـدر طلعتهـ ـا والغصـ ـن قامتهـ ـا والمسـ ـك نكهتهـ ـا مـ ـا مثلهـ ـا بشـ ـر
كأنهـ ـا أفرغـ ـت مـ ـن مـ ـاء لؤلـ ـؤة فـ ـي كـ ـل جارحـ ـة مـ ـن حسـ ـنها قمـ ـر

وكانت تلك الجارية اسمها زمرد فلما نظرها علي شار تعجب من حسنها وجمالها وقال والله لا أبـ ـرح حتى أنظر القدر الذي يبلغه ثمن هذه الجارية وأعرف الذي يشتريها ثم وقف بجملة التجار فظنوا أنه يشـ ـتري لما يعلمون من غناه بالمال الذي ورثه من والده ثم أن الدلال وقف على رأس الجارية وقال يا تجار يا أرباب الأموال من يفتح باب السعر في هذه الجارية سيدة الأقمار الدرة السنية زمرد السنورية بغية الطالب ونزهـ ـة الراغب فافتحوا الباب فليس على من فتحه لوم ولا عتاب فقال بعض التجار علي بخمسمائة دينار وقال آخـ ـر وعشرة فقال شيخ يسمى رشيد الدين وكان أزرق العين قبيح المنظر ومائة وقال آخر وعشرة قال الشيخ بألف دينار فحبس التجار ألسنتهم وسكتوا فشاور الدلال سيدها فقال أنا حالف أني ما أبيعها إلا لمن تختاره فشاورها فجاء الدلال إليها وقال يا سيدة الأقمار أن هذا التاجر يريد أن يشتريك فنظرت إليه فوجدته كما ذكرنا فقالـ ـت للدلالة أنا لا أباع لشيخ أوقعته الهموم في أسوأ حال ولله در من قال:

سـ ـألتها قبلـ ـة يومـ ـاً وقـ ـد نظـ ـرت شـ ـيبي وقـ ـد كنـ ـت ذا مـ ـال وذا نعـ ـم
فأعرضت عـ ـن مرامـ ـي وهـ ـي قائلـ ـة لا والـ ـذي خلـ ـق الإنسـ ـان مـ ـن عـ ـدم
ما كان لي في بياض الشـ ـيب مـ ـن أرب >أفي الحياة يكون القطـ ـن حشـ ـو فمـ ـي

فلما سمع الدلال قولها قال لها والله أنك معذورة وقيمتك عشرة آلاف دينار ثم اعلم سـ ـيدها أنهـ ـا مـ ـا رضيت بذلك الشيخ فقال شاورها في غيره فتقدم إنسان آخر وقال علي بما أعطى فيها الشيخ الذي لم تـ ـرض به فنظرت إلى ذلك الرجل فوجدته مصبوغ اللحية فقالت ما هذا العيب والريب وسواد وجه الشيب وأنشـ ـدت هذين البيتين:

قالت أراك خضبت الشـ ـيب قلـ ـت لهـ ـا سترته عنـ ـك يـ ـا سـ ـمعي ويـ ـا بصـ ـري
فقهقهـ ـت ثـ ـم قالـ ـت أن ذا عجـ ـب تكاثر الغـ ـش حتـ ـى صـ ـار فـ ـي الشـ ـعر

فلما سمع الدلال شعرها قال لها والله أنك صدقت فقال التاجر ما الذي قالت فأعاد عليه الأبيات فعـ ـرف أن الحق على نفسه وأمتنع من شرائها فتقدم تاجر آخر وقال شاورها على الثمن الـ ـذي سـ ـمعته فشـ ـاورها فنظرت إليه فوجدته أعور فقالت هذا أعور فقال لها الدلال يا سيدتي أنظري من يعجبـ ـك مـ ـن الحاضـ ـرين

وقولي عليه حتى أبيعك له فنظرت إلى حلقة التجار وتفرستهم واحداً بعد واحد فوقع نظرها على علي شـ ـار. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٤٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية لما وقع نظرها على علي شار نظرته نظـ ـرة أعقبتها ـا ألـ ـف حسرة وتعلق قلبها به لأنه كان بديع الجمال وألطف من نسيم الشمال فقالت يا دلال أنا لا أبـ ـاع إلا لسـ ـيدي صاحب هذا الوجه المليح والقد الرجيح الذي قال فيه بعض واصفيه أبرزوا وجهك الجميل ولا موا من أفتـ ـتن لو أرادوا صيانتي ستروا وجهك الحسن فلا يمكنني إلا هو لأن خده أسيل ورضا به سلسبيل وريقـ ـه يشـ ـفي العليل ومحاسنه تحير الناظم والناثر كما قال فيه الشاعر:

فريق . . . ـه خمـ . . . ـر وأنفاسـ . . . ـه — مسـ . . . ـك وذاك الثغـ . . . ـر كـ . . . ـافور

أخرجـ . . ـه رضـ . . وان مـ . . . ن داره — مخاف . . . ـة أن تفـ . . . ـتن الحـ . . . ـور

يلومـ . . ـه النـ . . ـاس علـ . . ـى تيهـ . . ـه — والبـ . . ـدر مهمـ . . ـا تـ . . ـاه معـ . . ـذور

صاحب الشعر الأجعد والخد المورد واللحظ الساحر الذي قال فيه الشاعر:

وشـ . ـادن بوصـ . ـال منـ . ـه واعـ . ـدني — فالقلـ ـب فـ ـي قلـ ـق والعـ ـين منتظـ ـره

أخفائـ ـه ضـ ـمنت لـ ـي صـ ـدق موعـ ـده — فكيـ ـف تـ ـوفى ضـ ـماناً وهـ ـي منكسـ ـرة

فلما سمع الدلال ما أنشدته من الأشعار في محاسن على شار تعجب من فصاحتها وأشراق بهاتها فقال له صاحبها لا تعجب من بهجتها التي تفضح شمس النهار ولا من حفظها لرقائق الأشعار فإنها مع ذلك تقـ ـرأ القرآن العظيم بالسبع قراءات وتروى الحديث بصحيح الروايات وتكتب بالسبعة أقلام وتعرف العلـ ـوم مـ ـالا يعرفه العالم العلام ويداها أحسن من الذهب والفضة فإنها تعمل الستور الحرير وتبيعها فتكسب في كل واحدة خمسين دينار أو تشتغل الستر في ثمانية أيام فقال الدلال يا سعادة من تكون هذه في داره ويجمعها من ذخائر أسراره ثم قال له سيدها بعها لكل من أرادته فرجع الدلال إلى على شار وقبل يديه وقال يا سيدي اشتري هذه الجارية فإنها اختارتك وذكر له صفتها وما تعرفه وقال له هنياً لك إذا اشتريتها فإنه قد أعطاك من لا يبخـ ـل بالعطاء فاطرق على شار برأسه ساعة إلى الأرض وهو يضحك على نفسه ويقول في سره أنا لي هذا الوقت من غير إفطار ولكن أختشي من التجار أن أقول ما عندي مال اشتريها به فنظرت الجارية إلى أطرافه وقالت للدلال خذ بيدي وامض بي إليه حتى أعرض نفسي عليه وأرغبه في أخذي فإني ما أباع الإله فأخذها الـ ـدلال وأوقفها قدام على شار وقال له ما رأيك يا سيدي فلم يرد عليه جواباً فقالت الجارية يا سيدي وحبيـ ـب قلبـ ـي مالك لا تشتريني فاشترني بما شئت وأكون سبب سعادتك فرفع رأسه إليها وقال هل الشراء بالغصـ ـب أنـ ـت غالية بألف دينار فقالت له يا سيدي اشترني بتسعمائة قال لا قالت بثمانمائة قال لا فمازالت تنقص من الـ ـثمن إلي أن قالت له بمائة دينار قال ما معي مائة كاملة فضحكت وقالت له كم تنقص مائتك قال ما معي لا مائـ ـة ولا غيرها أنا والله ما أملك لا أبيض ولا أحمر من درهم ولا دينار فانظري لك زبوناً غيري فلما علمت أنـ ـه ما معه شيء قالت له خذ بيدي على أنك تقبلني في عطفة ففعل ذلك فاخرجت من جيبها كيساً فيه ألف ديـ ـار

وقالت زن منه تسعمائة في ثمني وأبق المائة معك تنفعنا ففعل ما أمرته به واشتراها بتسعمائة دينـار ودفـع ثمنها من ذلك الكيس ومضى بها إلى الدار فلما وصلت إلى الدار وجدتها قاعاً صفصفاً لا فرش بها ولا أواني فأعطته ألف دينار وقالت له أمض إلى السوق واشتر لنا بثلثمائة دينار فرشاً وأواني للبيت ففعل ثم قالت لـه اشتر لنا مأكولاً ومشروباً وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٤٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية قالت له اشتر لنا مأكولاً ومشروباً بثلاثة دنانير ففعل ثم قالت له اشتر لنا خرقة حرير قدر ستر واشتر قصباً أصفر وأبيض وحريراً ملوناً صبغة ألوان ففعل ثم أنها فرشت البيت وأوقدت الشمع وجلست تأكل وتشرب هي وأياه وبعد ذلك قاموا إلى الفـرش وقضـوا الغـرض مـن بعضهما ثم باتا متعانقين خلف الستائر وكان كما قال الشاعر:

زر مـ .ن تحـ .ب ودع كـ .لام الحاسـ .د   ليس الحسـ ـود عـلـ ـى الهـ ـوى بمسـ ـاعد

أنـ . ـي نظرتـ . ـك المنـ . ـام مضـ . ـاجعي   ولنمـ .ـت مـ .ـن شـ .ـفتيك أحلـ .ـى بـ .ـارد

حـ . ـق صـ . ـحيح كـ . ـل مـ . ـا عاينتـ . ـه   ولسـ . ـوف أبلغ . ـه بـ . ـرغم الحاسـ . ـد

لـ ـم تنظـ .ـر العيـ ـان أحسـ .ـن منظـ .ـراً   مـ .ـن عاشـ .ـقين عـلـ .ـى فـ .ـراش واحـ .ـد

متعـ . ـانقين عليهمـ . ـا حلـ . ـل الرضـ . ـا   متوسـ . . ـدين بمعصـ . . ـم ويسـ . . ـاعد

وإذا تألفـ .ـت القلـ .ـوب عـلـ .ـى الهـ .ـوى   فالنـ .ـاس تضـ .ـرب فـ .ـي حديـ .ـد بـ .ـارد

يا من يلوم على الهـ ـوى أهـ ـل الهـ ـوى   هـ .ـل تسـ .ـتطيع صـ .ـلاح قلـ .ـب فاسـ .ـد

وإذا صـ ـفا لـ ـك مـ .ـن زمانـ ـك واحـ ـد   فهـ .ـو المـ .ـراد وعـ .ـش بـ .ـذاك الواحـ .ـد

واستمرا متعانقين إلى الصباح وقد سكنت محبة كل واحد منهما في قلب صاحبه ثـم أخـذت السـتر وطرزته بالحرير الملون وزركشته بالقصب وجعلت فيه منطقة بصور طيور وصورت في دائرهـا صـور الوحوش ولم تترك وحشاً في الدنيا إلا وصورت صورته فيه ومكثت تشتغل فيه ثمانية أيام فلما فرغ صـقلته وطوته ثم أعطته لسيدها وقالت له اذهب به إلى السوق وبعه بخمسين ديناراً للتاجر واحذر أن تبيعـه لأحـد عابر طريق فإن ذلك يكون سبباً للفراق بيني وبينك لأن لنا أعداء لا يغفلون عنا فقال سمعاً وطاعة ثم ذهـب به إلى السوق وباعه لتاجر كما أمرته وبعد ذلك اشترى الحرقة والحرير والقصب على العادة وما يحتاجـان إليه من الطعام وأحضر لها ذلك وأعطاها بقية الدراهم فصارت كل ثمانية أيام تعطيه ستراً يبيعـه بخمسـين ديناراً ومكثت على ذلك سنة كاملة وبعد السنة راح إلى السوق بالستر على العادة وأعطاه للدلال فعرض لـه نصراني فدفع له ستين ديناراً فامتنع فما زال يزيده حتى عمله بمائة دينار وبرطل الدلال بعشرة دنانير فرجع الدلال على علي شار وأخبره بالثمن وتحيل عليه في أن يبيع الستر للنصراني بذلك المبلغ وقال له يا سـيدي لا تخف من هذا النصراني وما عليك منه بأس وقامت التجار عليه فباعه للنصراني وقلبه مرعوب ثم قـبض المال ومضى إلى البيت فوجد النصراني ماشياً خلفه فقال له يا نصراني مالك ماشياً خلفي فقال له يا سـيدي أن لي حاجة في صدر الزقاق الله لا يحوجك فما وصل على شار إلى منزله إلا والنصراني لاحقه فقـال يـا ملعون مالك تتبعني أينما أسير فقال يا سيدي أسقني شربة ماء فإني عطشان وأجرك على الله تعالى فقال على شار في نفسه هذا رجل ذمي وقصدني في شربة ماء فو الله لاخيبة وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٢٥٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن علي شار قال في نفسه هذا رجل ذمي وقصدني في شربة ماء فو الله لا أخيبه ثم دخل البيت وأخذ كوز ماء فرأته جازيته زمرد فقالت يا حبيبي هل بعت الستر قال نعم قالت لتاجر أو لعابر سبيل قد أحس قلبي بالفراق قال ما بعته إلا لتاجر قالت أخبرني بحقيقة الأمر حتى أتدارك شأني وما بالك أخذت كوز الماء قال لأسقي الدلال فقالت لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ثم أنشدت هذين البيتين:

يـ . . ـا طالبـ . . ـاً للفـ . . ـراق مهـ . . ـلاً	فـ . . . . ـلا يغرنـ . . . . ـك العنـ . . . . ـاق
مهـ . . ـلاً فطبـ . . ـع الزمـ . . ـان غـ . . ـدر	وآخـ . . . ـر الصـ . . . ـحبة الفـ . . . ـراق

ثم خرج بالكوز فوجد النصراني داخلاً في دهليز البيت فقال له هل وصلت إلى هنا يا كلب كيف تدخل بغير أذني فقال يا سيدي لا فرق بين الباب والدهليز وما بقيت أنتقل من مكاني هذا إلا للخروج وأنـ ـت لـ ـك الفضل والإحسان والجود والإمتنان ثم أنه تناول كوز الماء وشرب منه وبعد ذلك ناوله إلى علي شار فأخـ ـذه وانتظره أن يقوم فما قام فقال له لأي شيء لم تقم وتذهب إلى حال سبيلك فقال يا مولاي أني قد شربت ولكن أريد منك أن تطعمني مهما كان من البيت حتى إذا كان كسرة قرقوشة وبصلة فقال له قم بلا مماحكة ما فـ ـي البيت شيء فقال يا مولاي أن لم يكن في البيت شيء فخذ هذه المائة دينار وائتني بشيء مـ ـن السـ ـوق ولـ ـو برغيف واحد ليصير بيني وبينك خبز وملح فقال علي شار في سره أن هذا النصراني مجنون فأنا آخذ منـ ـه المائة دينار آتي له بشيء يساوي درهمين وأضحك عليه فقال النصراني يا سيدي إنما أريد شيئاً يطرد الجوع ولو رغيفاً واحداً وبصلة فخير الزاد ما دفع الجوع فقال على شار أصبر هنا حتى أقفل القاعة وآتيك بشـ ـيء من السوق فقال له سمعاً وطاعة ثم خرج وقفل القاعة وحط على الباب كيلونا وأخذ المفتاح معه وذهب إلـ ـى السوق واشتري جبناً مقلياً وعسلاً أبيض وموزاً وخبزاً وآتي به إليه فلما نظر النصراني إلى ذلـ ـك قـ ـال يـ ـا مولاي هذا شيء كثير يكفي عشرة رجال وأنا وحدي فلعلك تأكل معي فقال له كل وحدك فإني شبعان فقال له يا مولاي قالت الحكماء من لم يأكل مع ضيفه فهو ولد زنا فلما سمع علي شار من النصراني هذا الكلام جلس وأكل معه شيئاً قليلاً وأراد أن يرفع يده وهنا أدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٥١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن علي شار جلس وأكل معه شيئاً قلـ ـيلاً وأراد أن يرفـ ـع يـ ـده فأخـ ـذ النصراني موزة وقشرها وشقها نصفين وجعل في نصفها بنجاً مكرراً ممزوجاً بأفيون الدرهم منه يرمي الفيل ثم غمس نصف الموزة في العسل وقال يا مولاي وحق دينك أن تأخذ هذه فاستحي على شار أن يحنثـ ـه فـ ـي يمينه فأخذها منه وابتلعها فما استقرت في بطنه حتى سبقت رأسه رجليه وصار كأنه له سنة وهو راقد فلمـ ـا رأى النصراني ذلك قام على قدميه كأنه ذئب معط أو قضاء مسلط وأخذ منه مفتاح القاعـ ـة وتركـ ـه مرميـ ـاً وقهب يجري إلى أخيه وأخبره بالخبر وسبب ذلك أن أخا النصراني هو الشيخ الهرم الذي أراد أن يشـ ـتريها بألف دينار فلم ترض به وهجته بالشعر وكان كافراً في الباطن ومسلماً في الظاهر وسمي نفسه رشيد الـ ـدين ولما هجته ولم ترض به شكا إلى أخيه النصراني الذي تحيل في أخذها من سيدها على شـ ـار وكـ ـان اسـ ـمه برسوم فقال له لا تحزن من هذا الأمر فأنا أتحيل لك في أخذها بلا درهم ولا دينار لأنه كان كاهنـ ـاً مـ ـاكراً

مخادعاً فاجراً ثم أنه لم يزل يمكر ويتحيل حتى عمل الحيلة التي ذكرناها وأخذ المفتاح وذه ب إل ى أخي ه وأخبره بما حصل وركب بغلته وأخذ غلمانه وتوجه مع أخيه إلى بيت علي شار وأخذ معه كيساً في ه أل ف دينار ذا صادفه الوالي فيعطيه أياه ففتح القاعة وهجمت الرجال الذين معه على زمرد وأخذوها قهراً وهددوها بالقتل أن تكلمت وتركوا المنزل على حاله ولم يأخذوا منه شيئاً وتركوا علي شار راقداً في الدهليز ث م ردوا الباب عليه وتركوا مفتاح القاعة في جانبه ومضى بها النصراني إلى قصره ووضعها بين جواريه وس راريه وقال لها يا فاجرة أنا الشيخ الذي ما رضيت بي وهجوتيني وقد أخذتك بلا درهم ولا دينار فقال ت ل ه وق د تغرغرت عيناها بالدموع حسبك الله يا شيخ السوء حيث فرقت بيني وبين سيدي فقال لها يا فاجرة يا عش اقة سوف تنظرين ما أفعل بك من العذاب وحق المسيح والعذراء إن لم تطار عيني وتدخل في دين ي لأع ذبنك بأنواع العذاب فقالت له لو قطعت لحمي قطعاً ما أفارق دين الإسلام ولعل الله تعالى يأتيني بالفرج القريب أنه على ما يشاء قدير وقد قالت العقلاء مصيبة في الأبدان ولا مصيبة في الأديان فعند ذلك صاح عل ى الخ دم والجواري وقال لهم أطرحوها فطرحوها ومازال يضربها ضرباً عنيفاً وصارت تس تغيث ف لا تغ اث ث م أعرضت عن الاستغاثة وصارت تقول حسبي الله وكفى إلى أن أنقطع نفسها وخفي أنينها واشتفى قلبه منها ثم قال للخدم اسحبوها من رجليها وأرموها في المطبخ ولا تطعموها شيئاً ثم بات الملعون تلك الليلة ولما أصبح الصباح طلبها وكرر عليها الضرب وأمر الخدم أن يرموها في مكانها ففعلوا فلما رد عليها الضرب قال ت لا إله إلا الله محمد رسول الله حسبي الله ونعم الوكيل ثم استغاثت بسيدنا محمد ﷺ وأدرك شهرزاد فسكتت ع ن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٥٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن زمرد استغاثت بالنبي ﷺ هذا ما كان من أمرها (وأما) ما كان من أمر علي شار فإنه لم يزل راقداً إلى ثاني يوم ثم طار البنج من رأسه ففتح عينيه وصاح قائلاً يا زمرد فلم يجب ه أحد فدخل القاعة فوجد الجو قفرا والمزار بعيد فعلم أنه ما جرى عليه هذا الأمر إلا من النصراني فحن وبكى وأن واشتكى وأفاض العبرات وأنشد هذه الأبيات:

ي ـا وج ـد لا تبق ـى عل ـي ولا ت ـذر ه ـا مهجت ـي ب ـين المش ـقة والخط ـر
ي ـا س ـادتي رق ـوا لعب ـد ذل ف ـي ش ـرع اله ـوى وغن ـى ق ـوم افتق ـر
م ـا حيل ـة الرام ـي إذا التق ـت الع ـدا وأراد يرم ـي الس ـهم ف ـانقطع ل ـوتر
وإذا تك ـاثرت اله ـوم عل ـى الفت ـى وتراكم ـت أي ـن المف ـر م ـن الق ـدر
ولك ـم أح ـاذر م ـن تف ـرق ش ـملنا ولكن إذا ن زل القض اء عم ي البص ر

وندم حيث لا ينفعه الندم وبكى ومزق أثوابه وأخذ بيديه حجرين ودار حول المدينة وصار يدق بهما في صدره ويصيح قائلاً يا زمرد فدارت الصغار حوله وقالوا مجنون مجنون فكل من عرفه يبكي عليه ويق ول هذا فلان ما الذي جرى له ولم يزل على هذه الحالة إلى آخر النهار فلما جن عليه الليل نام في بعض الأزقة إلى الصباح ثم أصبح دائراً بالأحجار حول المدينة إلى آخر النهار وبعد ذلك رجع إلى قاعت ه ليبي ت فيه ا

فنظرته جارته وكانت امرأة عجوز من أهل الخير فقالت له يا ولدي سلامتك متى جنن ت فأجابه ا بهـ ذين البيتين:

قالوا جننت بمـ ن تهـ وى فقلـ ت لهـ م	مـ ـ ـا لـ ـ ـذة العـ ـ يش إلا للمجـ ـ ـانين
دعوا جنوني وهـ ـاتوا مـ ـن جننـ ت بـ ـه	إن كـ ـان يشـ ـفي جنـ ـوني لا تلومـ ـوني

فعلمت جارته العجوز أنه عاشق مفارق فقالت لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم يا ولدي أشـ تهي منك أن تحكي لي خبر مصيبتك عسى الله أن يقدرني على مساعدتك عليها بمشيئته فحكى لها جميع ما وقع له مع برسوم النصراني أخي الكاهن الذي سمي نفسه رشيد الدين فلما علمت ذلك قالت له يا ولدي أنك معـ ذور ثم أفاضت دمع العين وأنشدت هذين البيتين:

كفـ ـى المحبـ ـين فـ ـي الـ ـدنيا عـ ـذابهم	تـ ـ ـالله لأعـ ـ ـذبتهم بعـ ـ ـدها سـ ـ ـقر
لأنهـ ـم هلكـ ـوا عشـ ـقاً وقـ ـد كتمـ ـوا	مـ ـع العفـ ـاف بهـ ـذا يشـ ـهد الخبـ ـر

فلما فرغت من شعرها قالت له يا ولدي قم الآن واشتر قفصاً مثل أقفاص أهل الصاغة واشتر أسـ ـاور وخواتم وحلقاناً وحلياً يصلح للنساء ولا تبخل بالمال وضع جميع ذلك في القفص وهات القفص وأنـ ـا أضـ ـعه على رأسي في صورة دلالة وأدور أفتش عليها في البيوت حتى أقع على خبرها أن شاء الله تعالى ففرح علي شار بكلامها وقبل يدها ثم ذهب بسرعة وأتى لها بما طلبته فلما حضر ذلك عندها قامـ ـت ولبسـ ـت مرقعـ ـه ووضعت على رأسها آزاراً عسلياً وأخذت في يدها عكازاً وحملت القفص ودارت في العطف والبيوت ولـ ـم تزل دائرة من مكان إلى مكان ومن حارة إلى حارة ومن درب إلى درب إلى أن دلها الله تعالى على قصـ ـر الملعون رشيد الدين النصراني فسمعت من داخله أنيناً فطرقت الباب وأدرك شهرزاد فسـ كتت عـ ـن الكـ ـلام المباح.

(وفي ليلة ٣٥٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العجوز لما سمعت من داخل البيت أنيناً طرقت البـ ـاب فنزلـ ـت لهـ ـا جارية ففتحت لها الباب وسلمت عليها فقالت لها العجوز معي هذه الحويجات للبيع هل عندكم من يشتري منها شيئاً فقالت لها الجارية نعم ثم أدخلتها الدار وأجلستها وجلس الجواري حولها وأخذت كل واحدة شـ ـيئاً منهـ ـا وصارت العجوز تلاطف الجواري وتتساهل معهن في الثمن ففرح بها الجواري بسبب معروفها ولين كلامها وهي تتأمل من جهات المكان على صاحب الأنين فلاحت منها التفاتة إليها فحابتهم وأحسنت إلـ ـيهم وتأملـ ـت فوجدت زمرد مطروحة فعرفتها فبكت وقالت لهم يا أولادي ما بال هذه الصبية في هذا الحـ ـال فحكـ ـى لهـ ـا الجواري جميع القصة وقلن لها الأمر ليس باختيارنا ولكن سيدنا أمر بهذا وهو مسافر الآن فقالـ ـت لهـ ـم يـ ـا أولادي لي عندكم حاجة وهي أنكم تحلون هذه المسكينة من الرباط إلى أن تعلموا بمجيء سيدكم فتربطوهـ ـا كما كانت وتكسبوا الأجر من رب العالمين فقلن لها سمعاً وطاعة ثم أنهم حلوها وأطعموها وأسقوها ثم قالت العجوز يا ليت رجلي انكسرت ولا دخلت لكم وبعد ذلك ذهبت إلى زمرد وقالت لها يا بنتي سلامتك سـ يفرج الله عنك ثم ذكرت لها أنها جاءت من عند سيدها على شارو وأعدتها أنها في ليلة غد تكون حاضرة وتلقـ ـى

سمعها للحس وقالت لها إن سيدك يأتي إليك تحت مصطبة القصر ويصفر لك فإذا سمعت ذلك فاصفري لـ ـه وتدلي له من الطاقة بحبل وهو يأخذك ويمضي فشكرتها على ذلك ثم خرجت العجوز وذهبت إلى علي شـ ـار وأعلمته وقالت له توجه في الليلة القابلة نصف الليل إلى الحارة الفلانية فإن بيت الملعون هناك وعلامته كـ ـذا وكذا فقف تحت قصره وصفر فإنها تتدلى إليك فخذها وامض بها إلى حيث شئت فشكرها على ذلك ثـ ـم أنـ ـه صبر إلى أن جن الليل وجاء وقت الميعاد فذهب إلى تلك الحارة التي وصفتها له جارته ورأى القصر فعرفه وجلس على مصطبة تحته وغلب عليه النوم فنام وجل من لا ينام وكان له مدة لم ينم من الوجـ ـد الـ ـذي بـ ـه فصار كالسكران فبينما هو نائم وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٥٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أنه بينما هو نائم وإذا بلص من اللصوص خرج تلك الليلة فـ ـي أطـ ـراف المدينة ليسرق شيئاً فرمته المقادير تحت قصر ذلك النصراني فدار حوله فلم يجد له سبيلاً إلى الصعود إليـ ـه فصار دائر حوله إلى أن وصل إلى المصطبة فرأى علي شار نائماً فأخذ عمامته وبعد أن أخذها لم يشعر إلا وزمرد طلعت في ذلك الوقت فرأته واقفاً في الظلام فحسبته سيدها فصفرت له فصفر لها الحرامي فتدلت لـ ـه بالحبل وصحبتها خرج ملآن ذهبا فلما رآه اللص قال في نفسه ما هذا إلا أمر عجيب له سبب غريب ثم حمل الخرج وحملتها على أكتافه وذهب بهما مثل البرق الخاطف فقالت له أن العجوز أخبرتني أنك ضعيف بسببي وها أنت أقوى من الفرس فلم يرد عليها جواباً فحبست على وجهه فوجدت لحيته مثل مقشـ ـة الحمـ ـام كأنـ ـه خنزيراً ابتلع ريشاً فطلع زغبه من حلقه ففزعت منه وقالت له أي شيء أنت فقال لها يا عاهرة أنا الشـ ـاطر جوان الكردي من جماعة أحمد الدنف ونحن أربعون شاطراً وكلهم في هذه الليلة يفسقون فـ ـي رحمـ ـك مـ ـن العشاء إلى الصباح فلما سمعت كلامه بكت ولطمت على وجهها وعلمت أن القضاء غلب عليها وأنه لا حيلة لها إلا التفويض إلى الله تعالى فصبرت وسلمت الحكم لله تعالى وقالت لا إله إلا الله كلما خلصنا من هم وقعنا في هم أكبر وكان السبب في مجيء جوان إلى هذا المحل أنه قال لأحمد الدنف يا شاطر أنا دخلت هذه المدينة قبل الآن وأعرف فيها غارا خارج البلد يسع أربعين نفساً وأنا أريد أن أسبقكم إليه وأخلي أمي في ذل الغار ثم أرجع إلى المدينة وأسرق منها شيئاً على بختكم وأحفظه على أسمكم إلى أن تحضروا فتكون ضيافتكم في هذا النهار من عندي فقال له أحمد الدنف أفعل ما تريد فخرج قبلهم وسبقهم إلى ذلك المحل ووضع أمه في ذلـ ـك الغار ولما خرج من الغار وجد جندياً راقداً وعنده فرس مربوط فذبحه وأخذ فرسه وسلاحه وثيابه وأخفاهـ ـا في الغار عند أمه وربط الحصان هناك ثم رجع المدينة ومشى إلي حتى وصل إلى قصر النصراني وفعل ما تقدم ذكره من أخذ عمامة على شار ومن أخذ زمرد جاريته ولم يزل يجري بها إلى أن أحطها عند أمه وقال لها احتفظي عليها إلى حين ارجع إليك في بكرة النهار ثم ذهب وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٥٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن جوان الكردي قال لأمه احتفظي عليها حتى أرجع إليـ ـك فـ ـي بكـ ـرة النهار ثم ذهب فقالت زمرد في نفسها وما هذه الغفلة عن خلاص روحي بالحيلة كيف أصبر إلى أن يجـ ـيء هؤلاء الأربعون رجلاً فيتعاقبون على حتى يجعلوني كالمركب الغريقة في البحر ثم أنها التفتت إلى العجوز أم

حوان الكردي وقالت لها يا خالتي أما تقومين بنا إلى خارج الغار حتى أفليك في الشمس فقالت أي والله يا أبنتي فإن لي مدة وأنا بعيدة عن الحمام لأن هؤلاء الخنازير لم يزالوا دائرين بي من مكان إلى مكان فخرجت معها فصارت تفليها وتقتل القمل من رأسها إلى أن استلذت بذلك ورقدت فقامت زمرد ولبست ثياب الجندي الذي قتله جوان الكردي وشدت سيفه في وسطها وتعممت بعمامته حتى صارت كأنها رجل وركبت الفرس وأخذت الخرج الذهب معها وقالت يا جميل الستر استرني بجاه محمد ﷺ ثم أنها قالت في نفسها إن رحت إلى البلد ربما ينظرني أحد من أهل الجندي فلا يحصل لي خير ثم أعرضت عن دخول المدينة وسارت في البر الأقفر ولم تزل سائرة بالخرج والفرس وتأكل من نبات الأرض وتطعم الفرس منه وتشرب وتسقيها من الأنهار مدة عشرة أيام وفي اليوم الحادي عشر أقبلت على مدينة طيبة أمينة بالخير مكينة قد ولى عنها فصل الشتاء ببرده وأقبل عليها فصل الربيع بزهره وورده فزهات أزهارها وتدفقت أنهارها وغردت أطيارها فلما وصلت إلى المدينة وقربت من بابها وجدت العساكر والأمراء وأكابر أهل المدينة فتعجبت لما نظرتهم على هذه الحالة وقالت في نفسها أن أهل هذه المدينة كلهم مجتمعون ببابها ولابد لذلك من سبب ثم أنها قصدتهم فلما قربت منهم تسابق العساكر وترجلوا وقبلوا الأرض بين يديها وقالوا الله ينصرك يا مولانا السلطان واصطفت بين يديها أرباب المناصب فصارت العساكر يرتبون الناس ويقولون لها الله ينصرك ويجعل قدومك مباركاً على المسلمين يا سلطان العالمين ثبتك الله يا ملك الزمان يا فريد العصر والأوان فقالت لهم زمرد ما خبركم يا أهل هذه المدينة فقال الحاجب أنه أعطاك من لا يبخل بالعطاء وجعلك سلطاناً على هذه المدينة وحاكماً على رقاب جميع من فيها واعلم أن عادة أهل هذه المدينة إذا مات ملكهم ولم يكن له ولد تخرج العساكر إلى ظاهر المدينة ويمكثون ثلاثة أيام فأي إنسان جاء من طريقك التي جئت منها يجعلونه سلطاناً عليهم والحمد لله الذي ساق لنا إنساناً من أولاد الترك جميل الوجه فلو طلع علينا أقل منك كان سلطاناً وكانت زمرد صاحبة رأي في جميع أفعالها فقالت لا تحسبوا أنني من أولاد عامة الأتراك بل أنا من أولاد الأكابر لكنني غضبت من أهلي فخرجت من عندهم وتركتهم وانظروا إلى هذا الخرج الذهب الذي جئت به تحتي لأتصدق منه على الفقراء والمساكين طول الطريق فدعوا لها وفرحوا بها غاية الفرح وكذلك زمرد فرحت بهم ثم قالت في نفسها بعد أن وصلت إلى هذا الأمر وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٥٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن زمرداً قالت في نفسها بعد أن وصلت إلى هذا الأمر لعل الله يجمعني بسيدي في هذا المكان أنه على ما يشاء قدير ثم سارت فسارت العسكر بسيرها حتى دخلوا المدينة وترجل العسكر بين يديها حتى أدخلوها القصر فنزلت وأخذها الأمراء والأكابر من تحت أبطيها حتى أجلسوها على الكرسي وقبلوا الأرض جميعاً بين يديها فلما جلست على الكرسي أمرت بفتح الخزائن ففتحت وأنفقت على جميع العسكر فدعوا لها بدوام الملك وأطاعها العباد وسائر أهل البلاد واستمرت على ذلك مدة من الزمان وهي تأمر وتنهي وقد صار لها في قلوب الناس هيبة عظيمة من أجل الكرم والعفة وأبطلت المكوس وأطلقت من في الحبوس ورفعت المظالم فأحبها جميع الناس وكلما تذكرت سيدها تبكي وتدعو الله أن يجمع بينهما

وبينه واتفق أنها تذكرته في بعض الليالي وتذكرت أيامها التي مضت لها معه فأفاضت دمع العين وأنشدت هذين البيتين :

شوقي إليك على الزمان جديد ... والدمع قرح مقلتي ويزيد
وإذا بكيت بكيت من ألم الجوي ... أن الفراق على المحب شديد

فلما فرغت من شعرها مسحت دموعها وطلعت القصر ودخلت الحريم وأفردت للجواري والسراري منازل ورتبت لهن الرواتب والجرايات وزعمت أنها تريد أن تجلس في مكان وحدها عاكفة على العبادة وصارت تصوم وتصلي حتى قالت الأمراء أن هذا السلطان له ديانة عظيمة ثم أنها لم تدع عندها أحداً من الخدم غير طواشين صغيرين لأجل الخدمة وجلست في تخت الملك سنة وهي لم تسمع لسيدها خبراً ولم تقف له على أثرفقلقت من ذلك فلما اشتد قلقها دعت بالوزراء والحجاب وأمرتهم أن يحضروها المهندسين والبنائين وأن يبنوا لها تحت القصر ميداناً طوله فرسخ وعرضه فرسخ ففعلوا ما أمرتهم به في أسرع وقت فجاء الميدان على طبق مرادها فلما تم ذلك الميدان نزلت فيه وضربت لها فيه قبة عظيمة وصفت فيه كراسي الأمراء وأمرت أن يمدوا سماطاً من سائر الأطعمة الفاخرة في ذلك الميدان ففعلوا ما أمرتهم به ثم أمرت أرباب الدولة أن يأكلوا فأكلوا ثم قالت للأمراء أريد إذا هل الشهر الجديد أن تفعلوا هكذا وتنادوا في المدينة أن لا يفتح أحد دكانه بل يحضرون جميعاً ويأكلون من سماط الملك وكل من خالف منهم يشنق على باب داره فلما هل الشهر الجديد فعلوا ما أمرتهم به واستمروا على هذه العادة إلى أن هل أول الشهر في السنة الثانية فنزلت إلى الميدان ونادى المنادي يا معشر الناس كافة كل من فتح دكانه أو حاصله أو منزله شنق في الحال على باب دكانه بل يجب عليكم أن تحضروا جميعاً لتأكلوا من سماط الملك فلما فرغت المناداة ووضع السماط جاءت الخلق أفواجاً أفواجاً فأمرتهم بالجلوس على السماط ليأكلوا حتى يشبعوا من سائر الألوان فجلسوا يأكلون كما أمرتهم وجلست على كرسي المملكة تنظر إليهم فسار كل من جلس على السماط يقول في نفسه أن الملك لا ينظر إلا إلي وجعلوا يأكلون وصار الأمراء يقولون للناس كلوا ولا تستحوا فإن الملك يحب ذلك فأكلوا حتى شبعوا وانصرفوا داعين للملك وصار بعضهم يقول لبعض عمرنا ما رأينا سلطاناً يحب الفقراء مثل هذا السلطان ودعوا له بطول البقاء وذهبت إلى قصرها وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٥٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملكة زمرد ذهبت إلى قصرها وهي فرحانة بما رتبته وقالت في نفسها أن شاء الله تعالى بسبب ذلك أقع على خبر سيدي على شار ولما هل الشهر الثاني فعلت ذلك الأمر على جري العادة ووضعوا السماط ونزلت زمرد وجلست على كرسيها وأمرت الناس أن يجلسوا ويأكلوا فبينما هي جالسة على رأس السماط والناس يجلسون عليه جماعة بعد جماعة وواحد بعد واحد إذ وقعت عينها على برسوم النصراني الذي كان اشترى الستر من سيدها فعرفته فصاحت على بعض الجند وقالت لهم هاتوا هذا الذي قدامه الصحن الأرز الحلو ولا تدعوه يأكل القمة التي في يده بل أرموها من يده فجاء أربعة من العساكر وسحبوه على وجهه بعد أن رموا اللقمة من يده وأوقفوه قدام زمرد فامتنعت الناس عن الأكل وقال بعضهم لبعض والله أنه ظالم لأنه لم يأكل من طعام أمثاله فقال واحد أنا قنعت بهذا الكشك الذي قدامي فقال

الحشاش الحمد لله الذي منعني أن آكل من الصحن الأرز الحلو شيئاً لأني كنت أنتظر أن يستقر قدامه ويتهنى عليه ثم آكل معه فحصل له ما رأينا فقال الناس لبعضهم أصبروا حتى ننظر ما يجري عليه فلما قدموه بـ ين يدي الملكة زمرد قالت له ويلك يا أزرق العينين ما اسمك وما سبب قدومك إلى بلادنا فأنكر الملعون اسـ مه وكان متعمما بعمامة بيضاء فقال يا ملك اسمي على وصنعتي حباك وجئت إلى هذه المدينة من أجل التجـ ارة فقالت زمرد ائتوني بتخت رمل وقلم من نحاس فجاءوا بما طلبته في الحال فأخذت التخـ ت الرمـ ل والقلـ م وضربت تخت رمل وخطت بالقلم صورة مثل صورة قرد ثم بعد ذلك رفعت رأسها وتأملت في برسوم ساعة زمانية وقالت له يا كلب كيف تتكذب على الملوك أما أنت نصراني وأسمك برسوم وقد أتيت إلى حاجة تفتش عليها فاصدقني الخبر وإلا وعزة الربوبية لاضربن عنقك فتلجلج النصراني فقال الأمراء والحاضرون أن هذا الملك يعرف ضرب الرمل سبحان من أعطاه ثم صاحت على النصراني وقالت له أصدقني الخبر وإلا أهلكتك فقال النصراني العفو يا ملك الزمان أنك صادق في ضرب الرمل فإن إلا بعـ د نصـ راني وأدرك شـ هرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٥٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن النصراني قال العفو يا ملك الزمان أنك صادق في ضرب الرمل فإن إلا بعد نصراني فتعجب الحاضرون من الأمراء وغيرهم من إصابة الملك في ضرب الرمل وقالوا أن هـ ذا الملك منجم ما في الدنيا مثله ثم أن الملكة أمرت بأن يسلخ النصراني ويحشي جلده قبنا ويعلـ ق علـ ى بـ اب الميدان وأن يحفروا حفرة في خارج البلد ويحرق فيها لحمه وعظمه وترمي عليه الأوساخ والأقـ دار فقـ الوا سمعاً وطاعة وفعلوا جميع ما أمرتهم به فلما نظر الخلق ما حل بالنصراني قالوا جزاؤه ما حل به فما كـ ان أشأمها لقمة عليه فقال واحد منهم على البعيد الطلاق عمري ما بقيت آكل أرز حلواً فقال الحشاش الحمـ د لله الذي عافاني مما حل بهذا حيث حفظني من أكل ذلك الأرز ثم خرج الناس جميعهم وقد حرموا الجلوس على الأرز الحلو في موضع ذلك النصر اني ولما كان الشهر الثالث مدوا السماط علـ ى جـ ري العـ ادة ومـ لأوه بالأصحن وقعدت الملكة زمرد على الكرسي ووقفت العسكر على جري العادة وهم خـ ائفون مـ ن سـ طوتها ودخلت الناس من أهل المدينة على العادة وداروا حول السماط ونظروا إلى موضع الصحن فقال واحد مـ نهم للآخر يا حج خلف قال له لبيك يا حج خالد قال تجنب الصحن الأرز الحلو وأحذر أن تأكل منـ ه وأن أكلـ ت منه تصبح مشنوقاً ثم أنهم جلسوا حول السماط للأكل فبينما هم يأكلون والملكة زمرد جالسة إذ حانـ ت منهـ ا التفاته إلى رجل داخل يهرول من باب المدينة فتأملته فوجدته جوان الكردي اللص الذي قتل الجندي وسـ بب مجيئه أنه كان ترك أمه ومضى إلى رفقائه وقال لهم أني كسبت البارحة كسباً طيباً وقتلـ ت جنـ دياً وأخـ ذت فرسه وحصل لي في تلك الليلة خرج ملآن ذهباً وصبية قيمتها أكثر من الذهب الذي في الخـ رج ووضـ عت جميع ذلك في الغار عند والدتي ففرحوا بذلك وتوجهوا إلى الغار في آخر النهار ودخل جوان الكردي قدامهم وهم خلفه وأراد أن يأتي لهم بما قال لهم عليه فوجد المكان قفراً فسأل أمه عن حقيقة الأمر فأخبرته بجميع ما جرى فعض على كفيه ندماً وقال والله لا دورن على هذه الفاجرة وآخذها من المكان الذي هي فيه ولو كانت في قشور الفستق وأشفي غليلي منها وخرج يفتش عليها ولم يزل دائراً في البلاد حتى وصل إلى مدينة الملكة

زمرد فلما دخل المدينة لم يجد فيها أحداً فسأل بعض النساء الناظرات من الشبابيك فأعلمنه أن أول كل شهر يمد السلطان سماطاً وتروح الناس وتأكل منه ودلوه على الميدان الذي يمد فيه السماط فجاء وهو يهرول فلم يجد مكانا خالياً يجلس فيه إلا عند الصحن المتقدم ذكره فقعد وصار الصحن قدامه فمد يده إليه فصاحت عليه الناس وقالوا له يا أخانا ما تريد أن تعمل قال أريد أن آكل من هذا الصحن حتى أشبع فقال له واحد أن أكلت تصبح مشنوقاً فقال له أسكت ولا تنطق بهذا الكلام ثم مد يده إلى الصحن وحره قدامه وكان الحشاش المتقدم ذكره جالساً في جنبه فلما رآه جر الصحن قدامه هرب من مكانه وطارت الحشيشة من رأسه وجلس بعيداً وقال أنا مالي حاجة بهذا الصحن أن جوان الكردي مد يده إلى الصحن وهي في صورة وجل الغراب وغرف بها وأطلعها منه وهي في صورة خف الجمل وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٥٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن جوان الكردي أطلع يده من الصحن وهي في صورة خف الجمل ودور اللقمة في كفه حتى صارت مثل النارنجه الكبيرة ثم رماها في فمه بسرعة فانحدرت في حلقه ولها فرقعه مثل الرعد وبان قعر الصحن من موضعها فقال له من بجانبه الحمد لله الذي لم يجعلني طعاماً بين يديك لأنك خسفت الصحن بلقمة واحدة فقال الحشاش دعوه يأكل فأني تخيلت فيه صورة المشنوق ثم التفت إليه وقال له علي لا هناك الله فما يده إلى اللقمة الثانية وأراد أن يدورها في يده مثل اللقمة الأولى وإذا بالملكة صاحت على بعض الجند وقالت لهم هاتوا ذلك الرجل بسرعة ولا تدعوه يأكل اللقمة التي في يده فتجارت عليه العساكر وهو مكب على الصحن وقبضوا عليه وأخذوه قدام الملكة زمرد فشمتت الناس فيه وقالوا لبعضهم أنه يستاهل لأننا نصحناه فلم ينتصح وهذا المكان موعود بقتل من جلس فيه وذلك الأرز مشؤوم على كل من يأكل منه ثم أن الملكة زمرد قالت له ما اسمك وما صنعتك وما سبب مجيئك مدينتنا قال يا مولانا السلطان أسمي عثمان وصنعتي خولي بستان وسبب مجيئي إلى هذه المدينة أنني دائر أفتش على شيء ضاع مني فقالت الملكة علي بتخت الرمل فأحضروه بين يديها فأخذت القلم وضربت تخت رمل ثم تأملت فيه ساعة وبعد ذلك رفعت رأسها وقالت له ويلك يا خبيث كيف تكذب على الملوك هذا الرمل يخبرني أن أسمك جوان الكردي وصنعتك أنك لص تأخذ أموال الناس بالباطل وتقتل النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق ثم صاحت عليه وقالت له يا خنزير أصدقني بخبرك وإلا قطعت رأسك فلما سمع كلامها أصفر لونه واصطكت أسنانه وظن أنه أن نطق بالحق ينجو فقال صدقت أيها الملك ولكنني أتوب على يديك من الآن وأرجع إلى الله تعالى فقالت له الملكة لا يحل لي أن أترك آفة في طريق المسلمين ثم قالت لبعض أتباعها خذوه وأسلخوا جلده وافعلوا به مثل ما فعلتم بنظيره في الشهر الماضي ففعلوا ما أمرتهم به ولما رأى الحشاش العسكر حين قبضوا على ذلك الرجل أدار ظهره إلى الصحن الأرز وقال أن استقبالك بوجهي حرام ولما فرغوا من الأكل تفرقوا وذهبوا إلى أماكنهم وطلعت الملكة قصرها وأذنت للمماليك بالإنصراف ولما هل الشهر الرابع نزلوا إلى الميدان على جري العادة وأحضروا الطعام وجلس الناس ينتظرون الأذن وإذا بالملكة قد أقبلت وجلست على الكرسي وهي تنظر إليهم فوجدت موضع الصحن الأرز خالياً وهو يسع أربعة أنفس فتعجبت من ذلك فبينما هي تجول بنظرها إذ حانت منها التفاتة فنظرت إنساناً داخلاً من باب الميدان يهرول وما زال يهرول

حتى وقف على السماط فلم يجد مكاناً خالياً إلا عند الصحن فجلس فتأملته فوجدته الملعون النصـ راني الـ ذي سمي نفسه رشيد الدين فقالت في نفسها ما أبرك هذا الطعام الذي وقع في حبائله هذا الكافر وكـ ـان لمجيئـ ـه سبب عجيب وهو أنه لما رجع من سفره وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٦٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملعون الذي سمي نفسه رشيد الدين لما رجع من سفره أخبره أهـ ـل بيته أن زمردا قد فقد ومعها خرج مال فلما سمع ذلك الخبر شق أثوابه ولطم على وجهه ونتف لحيته وأرسل أخاه برسوماً نفتش عليها في البلاد فلما أبطأ عليه خبره خرج هو بنفسه ليفتش على أخيه وعلى زمـ ـرد فـ ـي البلاد فرمته المقادير إلى مدينة زمرد ودخل تلك المدينة في أول يوم من الشهر فلما مشـ ـي فـ ـي شـ ـوارعها وجدها خالية ورأى الدكاكين مقفولة ونظر النساء في الطبقان فسأل بعضهن عن هذا الحال فقلن له أن الملـ ـك يعمل سماطاً لجميع الناس في أول كل شهر وتأكل منه الخلق جميعاً وما يقدر أحد أن يجلس في بيته ولا فـ ـي دكانه ودلوه على الميدان فلما دخل الميدان وجد الناس مزدحمين على الطعام ولم يجـ ـد موضـ ـعاً خاليـ ـاً إلا الموضع الذي فيه الصحن الأرز المعهود فجلس فيه ومد يده ليأكل فصاحت الملكة على بعض العسكر وقالت لهم هاتوا الذي قعد على الصحن الأرز فعرفوه بالعادة وقبضوا عليه وأوقفوه قدام الملكة زمرد فقالت له ويلك ما اسمك وما صنعتك وما سبب مجيئك إلى مدينتنا فقال يا ملك الزمان اسمي رستم ولا صنعة لي لأني فقير درويش فقالت لجماعتها هاتوا لي تخت الرمل والقلم النحاس فأتوها بما طلبته على العادة فأخذت القلم وخطت به نخت رمل ومكثت تتأمل فيه ساعة ثم رفعت رأسها إليه وقالت له يا كلب كيف تكذب علي الملـ ـوك أنـ ـت أسمك رشيد الدين النصراني وصنعتك أنك تنصب الحيل لجواري المسلمين وتأخذهن وأنت مسلم في الظاهر ونصراني في الباطن فانطق بالحق وإن لم تنطق بالحق فأني أضرب عنقك فتلجلج في كلامه ثم قال صـ ـدقت يا ملك الزمان فأمرت به أن يمد ويضرب على كل رجل مائة سوط وعلى جسده ألف سوط وبعد ذلك يسـ ـلخ ويحشي جلده ساسا ثم تحفر له حفرة في خارج المدينة ويحرق وبعد ذلك يضعون عليه الأوسـ ـاخ والأقـ ـذار ففعلوا ما أمرتهم به ثم أذنت للناس بالأكل فأكلوا ولما فرغ الناس من الأكل وانصرفوا إلى حال سبيلهم طلعت الملكة زمرد إلى قصرها وقالت الحمد لله الذي أراح قلبي من الذين آذوني ثم أنها شكرت فـ ـاطر السـ ـموات والأرض وأنشدت هذه الأبيات:

تحكمـ ـوا فاسـ ـتطالوا فـ ـي تحكمهـ ـم ... وبعـ ـد حـ ـين كـ ـان الحكـ ـم لـ ـم يكـ ـن

لو انصفوا أنصـ ـفوا لكـ ـن بغـ ـوا فـ ـاتي ... علـ ـيهم الـ ـدهر بالآفـ ـات والمحـ ـن

فأصـ ـبحوا ولسـ ـان الحـ ـال ينشـ ـدهم ... هـ ـذا بـ ـذاك ولا عتـ ـب علـ ـى الـ ـزمن

ولما فرغت من شعرها خطر ببالها سيدها على شار فبكت بالدموع الغزار وبعد ذلك رجعت إلى عقلها وقالت في نفسها لعل الله الذي مكنني من أعدائي يمن علي برجوع أحبائي فاستغفرت الله عز وجـ ـل وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٦١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملكة استغفرت الله عز وجل وقالت لعل الله يجمع شملي بحبيبي على شار قريباً أنه علي ما يشاء قدير وبعباده لطيف خبير ثم حمدت الله ووالت الاستغفار وسلمت لمواقع الأق دار وأيقنت أنه لابد لكل أول من آخر وأنشدت قول الشاعر:

ك . ـن حل . ـيم إذا ابتليـ . ـت بغ . ـيظ	**وصـ . . ـبوراً إذا أتتـ . . ـك مصـ . . ـيبة**
فالليـ . ـالي مـ . ـن الزمـ . ـان حبـ . ـالى	**مـ . . ـثقلات يلـ . . ـدن كـ . . ـل عجيبـ . . ـة**

وقول الآخر:

أصبر ففي الصبر خير لـ ـو علمـ ـت بـ ـه	**لطبـ ـت نفسـ ـاً ولـ ـم تجـ ـزع مـ ـن الألـ ـم**
واعلم بأنـ ـك لـ ـو لـ ـم تصـ ـطبر كرمـ ـاً	**صبرت رغمـ ـاً علـ ـى مـ ـا خـ ـط بـ ـالقلم**

فلما فرغت من شعرها مكثت بعد ذلك شهراً كاملاً وهي بالنهار تحكم بين الناس وتأمر وتنهي وبالليـ ـل تبكي وتنتحب على فراق سيدها على شار ولما هل الشهر الجديد أمرت بمد السماط في الميدان على جـ ـري العادة وجلست فوق الناس وصاروا ينتظرون الأذن في الأكل وكان موضع الصحن الأرز خالياً وجلست هي على رأس السماط وجعلت عينها قبال باب الميدان لتنظر كل من يدخل وصارت تقول في سرها يا مـ ـن رد يوسف علي يعقوب وكشف البلاء عن أيوب أمنن على برد سيدي على شار بقدرتك وعظمتك أنك على كـ ـل شيء قدير يارب العالمين يا هادي الضالين يا سامع الأصوات يا مجيب الدعوات استجب مني يارب العالمين فلم يتم دعاؤها إلا وشخص داخل من باب الميدان كأن قوامه غصن بان إلا أنه نحيـ ـل البـ ـدن يلـ ـوح عليـ ـه الأصفرار وهو أحسن ما يكون من الشباب كامل العقل والآداب فلما دخل لم يجد موضعاً خالياً إلا الموضـ ـع الذي عند الصحن الأرز فجلس فيه ولما رأته زمرد خفق قلبها فحققت النظر فيه فتبين لها أنه سـ ـيدها علـ ـي شار فأرادت أن تصرخ من الفرح فثبتت نفسها وخشيت من الفضيحة بين الناس ولكـ ـن تقلقلـ ـت أحشـ ـاؤها واضطرب قلبها فكتمت ما بها وكان السبب في مجيء علي شار لما أنه رقد على المصطبة ونزلـ ـت زمـ ـرد وأخذها جوان الكردي استيقظ بعد ذلك فوجد نفسه مكشوف الرأس فعرف أن إنساناً تعدى عليه وأخذ عمامته وهو نائم فقال الكلمة التي لا يخجل قائلها وهي أنا لله وإنا إليه راجعون ثم أنه رجع إلى العجوز التي كانـ ـت أخبرته بمكان زمرد وطرق عليها الباب فخرجت إليه فبكى بين يديها حتى وقع مغشياً عليه فلما أفاق أخبرها بجميع ما حصل له فلامته وعنفته على ما وقع منه وقالت له أن مصيبتك وداهيتك من نفسك ولا زالت تلومه حتى طفح الدم من منخريه ووقع مغشياً عليه فلما أفاق من غشيته وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٦٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن علي شار لما أفاق من غشيته رأى العجوز تبكي من أجلـ ـه وتفـ ـيض دمع العين فتضجر وأنشد هذين البيتين:

مـ . ـا أمـ . ـر الفـ . ـراق للأحبـ . ـاب وألـ . ـذ	**وألـ . . . ـذ الوصـ . . . ـال للعشـ . . . ـاق**
جمـ . . ـع الله شـ . . ـمل كـ . . ـل محـ . . ـب	**ورعـ . ـاني لأنـ . ـي فـ . ـي السـ . ـياق**

فحزنت عليه العجوز وقالت يا ولدي هذا الذي أنت فيه من الكآبة والحزن لا يرد عليك محبوبتك فقم وشد حيلك وفتش عليها في البلاد لعلك أن تقع على خبرها ولم تزل تجلده وتقويه حتى نشطته وأدخلته الحمام وسقته الشراب وأطعمته الدجاج وصارت كل يوم تفعل معه كذلك مدة شهر حتى تقوي وسافر ولم يزل مسافر إلى أن وصل إلى مدينة زمرد ودخل الميدان وجلس على الطعام ومد يده ليأكل فحزنت عليه الناس وقالوا له يا شاب لا تأكل من هذا الصحن لأن من أكل منه يحصل له ضرر فقال دعوني آكل منه ويفعلون بي ما يريدون لعلي أستريح من هذه الحياة المتعبة ثم أكل أول لقمة وأرادت زمرد أن تحضره بين يديها فخطر ببالها أنه جائع فقالت في نفسها المناسب أني أدعه يأكل حتى يشبع فصار يأكل والخلق باهتة ينتظرون الذي يجري له فلما أكل وشبع قالت لبعض الطواشية أمضوا إلى ذلك الشاب الذي أكل من الأرز وهاتوه برفق وقولوا له كلم الملك لسؤال لطيف وجواب فقالوا سمعاً وطاعة ثم ذهبوا إليه حتى وقفوا على رأسه وقالوا له يا سيدي تفضل كلم الملك وأنت منشرح الصدر فقال سمعاً وطاعة ثم مضى مع الطواشية وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٦٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن علي شار قال سمعاً وطاعة ثم ذهب مع الطواشية فقال الخلق لبعضهم لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم يا ترى ما الذي يفعله به الملك فقال بعضهم لا يفعل به إلا الخير لانه لو كان يريد ضرره ما كان تركه يأكل حتى يشبع فلما وقف قدام زمرد سلم عليها وقبل الأرض بين يديها فردت عليه السلام وقابلته بالإكرام وقالت له ما أسمك وما صنعتك وما سبب مجيئك إلى هذه المدينة فقال لها يا ملك أسمي على شار وأنا من أولاد التجار وبلدي خراسان وسبب مجيئي إلى هذه المدينة التفتيش على جارية ضاعت مني وكانت عندي أعز من سمعي وبصري فروحي متعلقة من حين فقدتها وهذه قصتي ثم بكى حتى غشي عليه فأمرت أن يرشوا على وجهه ماء الورد فرشوا على وجهه ماء الورد حتى أفاق فلما أفاق من غشيته قالت على بتخت الرمل والقلم النحاس فجاءوا به فأخذت القلم وضربت تخت رمل وتأملت فيه ساعة من الزمان ثم بعد ذلك قالت صدقت في كلامك الله يجمعك عليها قريباً فلا تقلق ثم أمرت الحاجب أن يمضي به إلى الحمام ويلبسه بدلة حسنه من ثياب الملوك ويركبه فرساً من خواص خيل الملك ويمضي به بعد ذلك إلى القصر في آخر النهار فقال الحاجب سمعاً وطاعة ثم أخذه من قدامها وتوجه به فقال الناس لبعضهم ما بال السلطان لاطف الغلام هذه الملاطفة وقال بعضهم أما قلت لكم أنه لا يسيئه فإن شكله حسن ومن حين صبر عليه لما شبع عرفت ذلك وصار كل واحد منهم يقول مقالة ثم تفرق الناس إلى حال سبيلهم وما صدقت زمرد أن الليل أقبل حتى تختلي بمحبوب قلبها فلما أتى الليل دخلت محل بيتها وأظهرت أنه غلب عليها النوم ولم يكن لها عادة بأن ينام عندها أحد غير خادمين برسم الخدمة فلما استقرت في ذلك المحل أرسلت إلى محبوبها علي شار وقد جلست على السرير والشمع يضيء فوق رأسها وتحت رجليها والتعاليق الذهب مشرقة في ذلك المحل فلما سمع الناس بإرساله إليه تعجبوا من ذلك وصار كل واحد منهم يظن ظناً ويقول مقالة وقال بعضهم أن الملك على كل حال تعلق بهذا الغلام وفي غد يجعله قائد عسكر فلما دخلوا به عليها قبل الأرض بين يديها ودعا لها فقالت في نفسها لابد أن أمزح معه ساعة ولا أعلمه بنفسي ثم قالت يا

علي هل ذهبت لي الحمام قال نعم يا مولاي قالت قم كل من هذا الدجاج واللحم واشرب من هذا السكر الشراب فانك تعبان وبعد ذلك تعال هنا فقال سمعاً وطاعة ثم فعل ما أمرته به ولما فرغ من الأكل والشرب قالت له اطلع عندي على السرير وكبسني فشرع يكبس رجليها وسيقانها فوجدها أنعم من الحرير فقالت له اطلع بالتكبيس إلى فوق فقال العفو يا مولاي من عند الركبة اتعدي قالت أتخالفني فتكون ليلة مشؤومة عليك وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٦٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن زمرد قالت لسيدها علي شار أتخالفني فتكون ليلة مشؤومة عليك بل ينبغي لك أن تطاوعني وأنا أعملك معشوقي وأجعلك أميراً من أمرأتي فقال على شار يا ملك الزمان ما الذي أطيعك فيه قالت حل لباسك ونم علي وجهك فقال هذا شيء عمري ما فعلته وأن قهرتني على ذلك فإني أخاصمك فيه عند الله يوم القيامة فخذ كل شيء أعطيتني أياه ودعني أروح من مدينتك ثم بكى وانتحب فقالت حل لباسك ونم على وجهك وإلا ضربت عنقك ففعل فطلعت على ظهره فوجد شيئاً ناعماً أنعم من الحرير والين من الزبد فقال في نفسه أن هذا الملك خير من جميع النساء ثم أنها صبرت ساعة وهي على ظهره وبعد ذلك انقلبت على الأرض فقال علي شار الحمد لله كان ذكره لم ينتصب فقالت أن من عادة ذكري لم ينتصب إلا إذا عركوه بأيديهم فقم أعركه بيدك حتى ينتصب وإلا قتلتك ثم رقدت على ظهرها وأخذت بيده ووضعتها على فرجها فوجد فرجاً أنعم من الحرير وهو أبيض مربرب كبير يحكي في السخونة حرارة الحمام أو قلب صب أضناه الغرام فقال علي شار في نفسه أن الملك له كس فهذا من العجب العجاب وأدركته الشهوة فصار ذكره في غاية الانتصاب فلما رأت منه ذلك ضحكت وقهقهت وقالت له يا سيدي قد حصل هذا كله وما تعرفني فقال ومن أنت أيها الملك قال أنا جاريتك زمرد فلما علم ذلك قبلها وعانقها وانقض عليها مثل الأسد على الشاة وتحقق أنها جاريته بلا اشتباه فأغمد قضيبه في جرابها ولم يزل بواباً لبابها وأماماً لمحرابها وهي معه في ركوع وسجود وقيام وقعود إلا أنها صارت تتبع التسبيحات بغنج في ضمنه حركات حتى سمع الطواشية فجاءوا ونظروا من خلف الأستار فوجدوا الملك راقداً وفوقه علي شار وهو يرضع ويرهز وهي تشحر وتغنج فقالت الطواشية أن هذا الغنج ما هو غنج رجل لعل هذا الملك امرأة ثم كتموا أمرهم ولم يظهروه على أحد فلما أصبحت زمرد أرسلت إلى كامل العسكر وأرباب الدولة وأحضرتهم وقالت لهم أنا أريد أن أسافر إلى بلد هذا الرجل فاختاروا لكم نائباً يحكم بينكم حتى أحضر عندكم فأجابوا زمرد بالسمع والطاعة ثم شرعت في تجهيز آلة السفر من زاد وأموال وأرزاق وتحفة وجمال وبغال وسافرت من المدينة ولم تزل مسافرة إلى أن وصلت إلى بلد علي شار ودخل منزله وأعطى وتصدق ووهب ورزق منها الأولاد وعاشا في أحسن المسرات إلى أن أتاهما هازم اللذات ومفرق الجماعات فسبحان الباقي بلا زوال والحمد لله على كل حال.

(حكاية بدور بنت الجوهري مع جبير بن عمير الشيباني)

(ومما) يحكي أن أمير المؤمنين هارون الرشيد أرق ليلة من الليالي وتعذر عليه النوم ولم يزل يتقلب من جنب إلى جنب لشدة أرقه فلماأعياه ذلك أحضر مسروراً وقال يا مسرور انظر إلى من يسليني على هذا

الأرق فقال له يا مولاي هل لك أن تدخل البستان الذي في الدار وتتفرج على ما فيه من الأزهار وتنظر إلى الكواكب وحسن ترصيعها والقمر بينها مشرف على الماء قال له يا مسرور أن نفسي لا تهفو إلى شيء مـ ن ذلك قال يا مولاي أن في قصرك ثلثمائة سرية لكل سرية مقصورة فأمر كل واحدة منهن أن تختلي بنفسها في مقصورتها وتدور أنت تتفرج عليهن وهن لا يدرين قال يا مسرور القصر قصري والجواري ملكي غيـ ر أن نفسي لا تهفوا إلى شيء من ذلك قال يا مولاي مر العلماء والحكماء والشـ عراء أن يحضـ روا بـ ين يـ ديك ويفيضوا في المباحث وينشدون الأشعار ويقصون عليك الحكايات والأخبار قال ما تهفو نفسي إلى شيء مـ ن ذلك قال يا مولاي مر العلماء والندماء والظرفاء أن يحضروا بين يديك ويتحفوك بغريب النكـ ات قـ ال يـ ا مسروران نفسي ما تهفو إلى شيء من ذلك قال يا مولاي فاضرب عنقي. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٦٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن مسرور قال للخليفة يا مولاي فاضرب عنقي لعله يزيل أرقك ويذهب القلق عنك فضحك الرشيد من قوله وقال يا مسرور انظر من بالباب من الندماء فخرج مسرور ثم عاد وقـ ال يا مولاي الذي على الباب علي بن منصور الخليع الدمشقي قال علي بن فذهب وأتي به فلما دخل قال السلام عليك يا أمير المؤمنين فرد عليه السلام وقال يا ابن منصور حدثني بشيء من أخبارك فقال يا أمير المؤمنين هل أحدثك بشيء رأيته عياناً أو شيء سمعت به فقال أمير المؤمنين إن كنت عاينت شيئاً غريباً فحدثنا به فإنه ليس الخبر كالعيان قال يا أمير المؤمنين أجل لي سمعك وقلبك قال يا ابن منصور ها أنا سامع لـ ك بـ أذني ناظر لك بعيني مصغ لك بقلبي قال يا أمير المؤمنين اعلم أن لي كل سنة رسماً علي محمـ د بـ ن سـ ليمان الهاشمي سلطان البصرة فمضيت إليه على عادتي فلما وصلت إليه وجدته متهيئاً للركوب إلى الصيد والقنص فسلمت عليه وسلم على وقال لي يا ابن منصور اركب معنا إلى الصيد فقلت له يا مولاي مالي قـ درة عـ ى الركوب فاجلسني في دار الضيافة وأوصي على الحجاب والنواب ففعلوا ثم توجه إلى الصيد فاكرموني غاية الإكرام وضيفوني أحسن الضيافة فقلت في نفسي يا لله العجب أن لي مدة أقدم من بغداد إلى البصـ رة ولـ م أعرف في البصرة سوى من القصر إلى البستان ومن البستان إلى القصر ومتى يكون لي فرصة أنتهزها في الفرجة على جهات الجرة مثل هذه النوبة فأنا أقوم هذه الساعة وأتمشى وحدي لا تفرج وينهضم عني الأكـ ل فلبست أفخر ثيابي وتمشيت في جانب البصرة ومعلومك ياأمير المؤمنين أن فيها سبعين درباً طول كل درب سبعين فرسخاً بالعراقي فتهت في أزقتها ولحقني العطش فبينما أنا ماش يا أمير المؤمنين وإذا بباب كبير لـ ـه حلقتان من النحاس الأصفر ومرخي عليه ستور من الديباج الأحمر وفي جانبه مصـ طبتان وفوقـ ـه مكعـ ب لدوالي العنب وقد ظللت على ذلك الباب فوقفت أتفرج على هذا المكان فبينما أنا واقف إذ سمعت صوت أنين ناشيء عن قلب حزين يقلب النغمات وينشد هذه الأبيات:

جسمي غـ ـدا منـ ـزل الأسـ ـقام والمحـ ـن	**من أجـ ـل ظبـ ـي بعيـ ـد الـ ـدار والـ ـوطن**
فيـ ـا نسـ ـيمي زرود هيجـ ـا شـ ـجني	**بـ ـالله ربكمـ ـا عوجـ ـا عـ ـن سـ ـكني**

وعاتباه لعل العتب يعطفه

وحسـ ـنا القـ ـول إذ يصـ ـغى لقولكمـ ـا واسـ ـتدرجا خبـ ـر العشـ ـاق بينكمـ ـا
وأوليـ ـاني جمـ ـيلاً مـ ـن صـ ـنيعكما وعرضـ ـا بـ ـي وقـ ـولا فـ ـي حـ ـديثكما

ما بال عبد بالهجران تتلفه

فقلت في نفسي إن كان صاحب النغمة مليحاً فقد جمع بين الملاحة والفصاحة وحس الصوت ثم دنـ وتـ مـ ن الباب وجعلت أرفع الستر قليلاً قليلاً وإذا بجارية بيضاء كأنها البدر إذا بدر في ليلة أربعة عشـ ر بحـ اجبين مقرونين وجفنين ناعسين ونهدين كرمانتين ولها شفتان رقيقتان كأنهما أقحوانتان وفم كأنـ ـه خـ اتم سـ ليمان ونضيد أسنان يلعب بعقل الناظم والناثر كما قال فيه الشاعر:

يـ ـا در ثغـ ـر الحبيـ ـب مـ ـن نظمـ ـك وأودع الـ ـ ـ راح والأقـ ـ ـ احـ فمـ ـ ـ ك
ومـ ـن أعـ ـار الصـ ـباح مبتسـ ـمك ومـ ـن بقفـ ـل العقيـ ـق قـ ـد حتمـ ـك
أصـ ـبح مـ ـن قـ ـدرآك مـ ـن طـ ـرب بتيـ ـه عجبـ ـاً فكيـ ـف مـ ـن لثمـ ـك

وبالجملة قد حازت أنواع الجمال وصارت فتنة للنساء والرجال لا يشع من رؤية حسنها الناظر وهي كما قال فيها الشاعر:

أن أقبلـ ـت قتلـ ـت وإن هـ ـي أدبـ ـرت جعلـ ـت جميـ ـع النـ ـاس مـ ـن عشـ ـاقها
شـ ـ ـ ـ مسية بدريـ ـ ـ ـ ـة لكنهـ ـ ـ ـ ـا لـ ـيس الجفـ ـا والصـ ـد مـ ـن أخلاقهـ ـا

فبينما أنا انظر إليها من خلال الستارة وإذا هي التفتت فرأتني واقفاً على الباب فقالت لجاريتها انظـ ـري من بالباب فقامت الجارية وأتت إلي وقالت يا شيخ أليس عندك حياء وهل شيب وعيب فقلت لها يا سيدتي أما الشيب فقد عرفناه وأما العيب فما أظن أني أتيت بعيب فقالت سيدتها وأي عيب أكثر من تهجمـ ـك علـ ـى دار غير دارك ونظرك إلى حريم غير حريمك فقلت لها يا سيدتي إلى عذر في ذلك فقالت وما عذرك فقلت لهـ ـا أني رجل غريب عطشان وقد قتلني العطش فقالت قبلنا عذرك وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٦٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية قالت قبلنا عذرك ثم نادت بعض جواريها وقالت يـ ـا لطـ ـف أسقبه شربة بالكوز الذهب فجاءتني بكوز من الذهب الأحمر مرصع بالدر والجوهر مـ ـلآن مـ ـاء ممـ ـزوج بالمسك الأذفر وهو مغطى بمنديل من الحرير الأخضر فجعلت أشرب وأطيل في شربي وأنا أسارق النظـ ـر إليها حتى طال وقوفي ثم رددت الكوز على الجارية ووقفت فقالت يا شيخ أمض إلى حال سبيلك فقلت لها يا سيدتي أنا مشغول الفكر فقالت فيما ذا فقلت في تقلب الزمان وتصرف الحدثان قالت يحق لك لأن الزمان ذو عجائب ولكن ما الذي رأيت من عجائبه حتى تفكر فيه فقلت لها أفكر في صاحب هذه الدار لأنه كان صديقي في حال حياته فقالت لي ما أسمه فقلت محمد بن علي الجوهري وكان ذا مال جزيل فهل خلف أولاداً قالـ ـت نعم خلف بنتاً يقال لها بدور وقد ورثت أمواله جميعها فقلت لها كأنك أبنته قالت نعم وضحكت ثم قالـ ـت يـ ـا شيخ قد أطلت الخطاب فأذهب إلى حال سبيلك فقلت لها لابد من الـ ـذهاب ولكنـ ـي أرى محاسـ ـنك متغيـ ـرة

فأخبريني بشأنك لعل الله يجعل لك على يدي فرجاً فقالت لي يا شيخ أن كنت من أهل الأسرار كشفنا لك سرنا فأخبرني من أنت حتى أعرف هل أنت محل للسر أو لاً فقد قال الشاعر:

لا يكـ ـتم السـ ـر إلا كـ ـل ذي ثقـ ـة   والسـ ـر عنـ ـد خيـ ـار النـ ـاس مكتـ ـوم

قد ضت سـ ـري فـ ـي بيـ ـت لـ ـه غلـ ـق   وقـ ـد ضـ ـاع مفتاحـ ـه والبيـ ـت مختـ ـوم

فقلت لها يا سيدتي أن كان قصدك أن تعلمي من أنا فأنا علي بن منصور الخليع الدمشقي نـ ـديم أمير ر المؤمنين هارون الرشيد فلما سمعت بأسمي نزلت من على كرسيها وسلمت علي وقالت لي مرحباً بك يا ابن منصور الآن أخبرك بحالي واستأمنك على سري أنا عاشقة مفارقة فقلت يا سيدتي أنت مليحة وما تعشقين إلا كل مليح فمن الذي تعشقينه قالت أعشق جبير بن عمير الشيباني أمير بني شيبان وقد وصفت لي شاباً لم يكن بالبصرة أحسن منه فقلت لها يا سيدتي هل جرى بينكما مواصلة أو مراسله قالت نعم إلا أنه قد عشقنا عشـ ـقاً باللسان لا بالقلب والجنان لأنه لم يوف بوعد ولم يحافظ على عهد فقلت لها يا سيدتي وما سبب الفراق بينكما قالت سببه أني كنت يوماً جالسة وجاريتي هذه تسرح شعري فلما فرغت من تسريحه جدلت ذوائبي فأعجبها حسني وجمالي فطأطأت على وقبلت خدي وكان في ذلك الوقت داخلاً علي غفله فرأى ذلك فلما رأى الجارية تقبل خدي ولي من رقته غضبان عازماً على دوام البين وأنشد هذين البيتين:

إذا كـ ـان لـ ـي فـ ـيمن أحـ ـب مشـ ـارك   تركـ ـت الـ ـذي أهـ ـوى وعشـ ـت وحيـ ـداً

فلا خير في المعشوق إن كان في الهوى   لغيـ ـر الـ ـذي يرضـ ـى المحـ ـب مزيـ ـداً

ومن حين ولي معرضاً إلى الآن لم يأتنا من عنده كتاب ولا جواب يا ابن منصور فقلت لها فما تريدين قالت أريد أن أرسل إليه معك كتاباً فإن أتيتني بجوابه فلك عندي خمسمائة دينار وإن لم تأتني بجوابه فلك حق مشيك مائة دينار فقلت لها افعلي ما بدا لك فقالت سمعاً وطاعة ثم نادت بعض جواريها وقالت أئتيني بـ ـدواة وقرطاسة فأتتها بدواة وقرطاس فكتبت هذه الأبيات:

حبيبـ ـي مـ ـا هـ ـذا التباعـ ـد والقـ ـلا   فـ ـأين التغاضـ ـي بيننـ ـا والتعطـ ـف

ومـ ـا لـ ـك بـ ـالهجران عنـ ـي معرضـ ـا   فما وجهك الوجـ ـه الـ ـذي كنـ ـت أعـ ـرف

نعـ ـم نقـ ـل الواشـ ـون عنـ ـي بـ ـاطلاً   فملـ ـت لمـ ـا قـ ـالوا فـ ـزادوا وأسـ ـرفوا

فإن تـ ـك قـ ـد صـ ـدقتهم فـ ـي حـ ـديثهم   فحاشـ ـاك مـ ـن هـ ـذا ورأيـ ـك أعـ ـرف

بعيشك قل لي مـ ـا الـ ـذي قـ ـد سـ ـمعته   فإنـ ـك تـ ـدري مـ ـا يقـ ـال وتنصـ ـف

فـ ـإن كـ ـان قـ ـولاً صـ ـح أنـ ـي قلتـ ـه   فللقـ ـول تأويـ ـل وللقـ ـول مصـ ـرف

وهـ ـب أنـ ـه قـ ـول مـ ـن الله منـ ـزل   فقـ ـد بـ ـدل التـ ـوراة قـ ـوم وحرفـ ـوا

وبالزور كم قد قيل فـ ـي النـ ـاس قبلنـ ـا   فهـ ـا عنـ ـد يعقـ ـوب تلـ ـوم يوسـ ـف

وهـ ـا أنـ ـا والواشـ ـي وأنـ ـت جميعـ ـاً   يكـ ـون لنـ ـا يـ ـوم عظـ ـيم موقـ ـف

ثم بعد ذلك حتمت الكتاب وناولتني أياه فأخذته ومضيت إلى دار جبير بن عمير الشيباني فوجدته فـ ـي الصيد فجلست أنتظره فبينما أنا جالس وإذا به قد أقبل من الصيد فلما رأيته يا أمير المؤمنين على فرسه ذهل عقلي من حسنه وجماله فالتفت فرآني جالساً بباب داره فلما رآني نزل عن جواده وأني إلى وأعتنقني وسـ ـلم

علي فخيل لي أني أعتنقت الدنيا وما فيها ثم دخل بي إلى داره وأجلسني على فراشه وأمر بتق ديم المائ دة فقدموا مائدة من الخولنج الخراساني وقوائمها من الذهب عليها جميع الأطعمة وأنواع اللحم من مقلي ومشوي وما أشه ذلك فلما جلست على المائدة وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٦٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن علي بن منصور قال لما جلست على مائدة جبير بن عمير الش يباني قال مد يدك إلى طعامنا واجبر خاطرنا بأكل زادنا فقلت له والله ما آكل من طعامك لقمة واحدة حتى تقض ي حاجتي قال فما حاجتك فأحرجت إليه الكتاب فلما قرأه وفهم ما فيه مزقه ورماه في الأرض وقال لي يا اب ن منصور مهما كان لك من الحوائج قضيناه إلا هذه الحاجة التي تتعلق بصاحبة هذا الكتاب فإن كتابها ليس ل ه عندنا جواب فقمت من عنده غضبان فتعلق بأذيالي وقال لي يا ابن منصور أنا أخبرك بالذي قالته لك وأن لم أكن حاضراً معكما فقلت له ما الذي قالته لي قال أما قالت لك صاحبة هذا الكتاب أن أتيتني بجوابه فلك عندي خمسمائة دينار وإن لم تأتني بجوابه فلك حق مشيك مائة دينار قلت نعم قال أجلس عندي اليوم وكل واش رب وتلذذ وأطرب وخذ لك خمسمائة دينار فجلست عنده وأكلت وشربت وتلذذت وطجربت وسامرته ثم قلت ي ا سيدي ما في دارك سماع قال لي أن لنا مدة نشرب من غير سماع ثم نادى بعض جواريه وقال يا شجرة الدر فأجابته جارية من مقصورتها ومعها عود من صنع الهنود ملفوف في كيس من أبريسم ثم ج اءت وجلس ت ووضعته في حجرها وضربت عليه إحدى وعشرين طريقة ثم عادت إلى الطريقة الأولى وأطربت بالنغم ات وأنشدت هذه الأبيات:

من لم ي ذق حل و اله وى م ع م ره   ل م ي در وص ل حبيب ه م ن هج ره
وكذاك من قد حاد ع ن س نن اله وى   ل م ي در س هل طريق ه م ن وع ره
ما زلت معترض اً عل ى أه ل اله وى   حت . .ى بلي . .ت بحل . .وه وبم . .ره
وش .ربت ك .أس م .راره متجرع .اً   وخض . .عت في . .ه لعب . .ده ولح . .ره
وك .م ليل .ة ب .ات الحبي .ب من .ادمي   ورش .فت حل .و رض .ابه م .ن ثغ .ره
ما ك ان أقص ر عم ر لي ل وص النا   ق د ج اء وق ت عش ائه م ع فج ره
ن .ذر الزم .ان ب .أن يف .رق ش .ملنا   والآن ق . .د أوف . .ى الزم . .ان بن . .ذره
حك .م الزم .ان ف .لا م .رد لحكم .ه   م .ن ذا يع .ارض س .يداً ف .ي أم .ره

فلما فرغت الجارية من شعرها صرخ سيدها صرخة عظيمة ووقع مغشياً عليه فقالت الجارية لا آخذك الله أيها الشيخ إن لنا مدة ونحن نشرب بلا سماع مخافة على سيدنا من مثل هذه الصرعة ولكن أذه ب إل ى المقصورة ونم فيها فتوجهت إلى المقصورة التي أشارت إليها ونمت فيها إلى الصباح وإذا أنا بغ لام أت اني ومعه كيس فيه خمسمائة دينار وقال هذا الذي وعدك به سيدي ولكنك لاتعد إلى هذه الجارية الت ي أرس لتك وكأنك ما سمعت بهذا الخبر ولا سمعنا فقلت له سمعاً وطاعة ثم أخذت الكيس ومضيت إلى حال سبيلي وقلت في نفسي أن الجارية في انتظاري من أمس والله لابد أن أرجع إليها وأخبرها بما جرى بيني وبينه لأنن ي إن لم أعد إليها ربما تشتمني وتشتم كل من طلع من بلادي فمضيت إليها فوجدتها واقفة فلما رأتني قالت يا اب ن

منصور أنك ما قضيت لي حاجة فقلت لها من أعلمك بهذا فقالت يا ابن منصور أن معي مكاشفة أخرى وهي أنك لما ناولته الورقة مزقها ورماها وقال لك يا ابن منصور مهما كان لك من الحوائج قضيناه لك لا حاجـ ـة صاحبة هذه الورقة فإنها ليس لها عندي جواب فقمت أنت من عنده مغضباً فتعلق بأذيالك وقال يا ابن منصور اجلس عندي اليوم فإنك ضيفي فكل واشرب والتلذ وأطرب وخذ لك خمسمائة دينار فجلسـ ـت عنـ ـده وأكلـ ـت وشربت وتلذذت وطربت وسامرته وغنت الجارية بالصوت الفلاني والصوت الفلاني فوقع مغشياً عليه فقلت لها يا أمير المؤمنين هل أنت كنت معنا فقالت لي يا إبن منصور أما سمعت قول الشاعر:

قلـ ـوب العاشـ ـقين لهـ ـا عيـ ـون ... تـ ـرى مـ ـالا يـ ـراه الناظرونـ ـا

ولكن يا ابن منصور ما تعاقب الليل والنهار على شيء إلا وغيراه. وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٦٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية قالت يا ابن منصور ما تعاقب الليل والنهار علـ ـى شـ ـيء إلا وغيراه ثم رفعت طرفها إلى السماء وقالت الهي وسيدي ومولاي كما بليتني بمحبة جبير بن عمير أن تبليـ ـه بمحبتي وأن تنقل المحبة من قلبي إلى قلبه ثم أنها أعطتني مائة دينار حق طريقي فأخـ ـذتها ومضـ ـيت إلـ ـى سلطان البصرة فوجدته قد جاء من الصيد فأخذت رسمي منه ورجعت إلى بغداد فلما أقبلـ ـت السـ ـنة الثانيـ ـة توجهت إلى مدينة البصرة لأطلب رسمي على عادتي ودفع السلطان إلى رسمي ولما أردت الرجـ ـوع إلـ ـى بغداد تفكرت في نفسي أمر الجارية بدور وقلت والله لابد أن أذهب إليها وانظر ما جرى بينها وبين صاحبها فجئت دارها فرأيت على بابها كنساً ورشا وخدماً وحشماً وغلماناً فقلت لعل الجارية طفح الهـ ـم علـ ـى قلبهـ ـا فماتت ونزل في دارها أمير من الأمراء فتركتها ورجعت إلى دار جبير بن عمير الشيباني فوجدت مصاطبها قد هدمت ولم أجد على بابه غلماناً مثل العادة فقلت في نفسي لعله مات ثم وقفت علـ ـى بـ ـاب داره وجعلـ ـت أفيض العبرات وأندبه بهذه الأبيات:

يـ ـا سـ ـادة رحلـ ـوا والقلـ ـب يتـ ـبعهم ... عـ ـودوا تعـ ـدلي أعيـ ـادي بعـ ـودكم
وقفـ ـت فـ ـي داركـ ـم أنعـ ـي مسـ ـاكنكم ... والـ ـدمع يـ ـدفق والأحفـ ـان تلـ ـتطم
أسـ ـائل الـ ـدار والأطـ ـلال باكيـ ـة ... أيـ ـن الـ ـذي كـ ـان منـ ـه الجـ ـود والـ ـنعم
أقصـ ـد سـ ـبيلك فالأحبـ ـاب قـ ـد رحلـ ـوا ... من الربوع وتحـ ـت التـ ـرب قـ ـد ردمـ ـوا
لا أوحـ ـش الله مـ ـن رؤيـ ـا محاسـ ـنهم ... طـ ـولاً وعرضـ ـاً ولا فابـ ـت لهـ ـم شـ ـيم

فبينما أنا أندب أهل هذه الدار بهذه الأبيات يا أمير المؤمنين وإذا بعبد أسود قد خرج على مـ ـن الـ ـدار فقال ياشيخ اسكت ثكلتك أمك مالي أراك تندب هذه الدار بهذه الأبيات فقلت له أني كنت أعهدها لصديق مـ ـن أصدقائي فقال وما أسمه فقلت جبير بن عمير الشيباني قال وأي شيء جرى له الحمد لله ها هو على حاله من الغنى والسعادة والملك لكن ابتلاه بمحبة جارية يقال لها السيدة بدور وهو في محبتها مغمور من شدة الوجـ ـد والتبريح فهو كالحجر الجلمود الطريح فإن جاع لا يقول لهم أطعموني وأن عطش لا يقول فقلت لابد أن أدخل إليه على كل حال فدخل الدار مستأذناً ثم عاد إلى آذنا فدخلت عليه فوجدته كالحجر الطريح لا يفهم بإشـ ـارة

ولا بصريح وكلمته فلم يكلمني فقال لي بعض اتباعه يا سيدي أن كنت تحفظ شيئاً من الشعر فأنشده أياه وأرفع صوتك به فإنه ينتبه لذلك ويخاطبك فأنشدت هذين البيتين:

أسـ . لوت حـ . ب بـ . دور أم تتجلـ . ـد ... وسـ . ـهرت ليلـ . ـك جفونـ . ـك ترقـ . ـد
أن كـ . ـان دمعـ . ـك سـ . ـائلاً مهمولـ . ـة ... فـ . ـاعلم بأنـ . ـك فـ . ـي الجنـ . ـان مخلـ . ـد

فلما سمع هذا الشعر فتح عينيه وقال لي مرحباً يا ابن منصور قد صار الهزل جداً فقلت له يا سيدي الك بي حاجة قال نعم أريد أن أكتب لها ورقة وأرسلها معك إليها فإن أتيتني بجوابها فلك على ألف دينار وإن لم تأتني بجوابها فلك عندي حق مشيك مائة دينار فقلت له أفعل ما بدا لك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٦٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن ابن منصور قال فقلت له افعل ما بدا لك فنادي بعض جواريه وقال أئتيني بدواة وقرطاس فأتته بما طلبه فكتب هذه الأبيات:

سـ . ـألتكم بـ . ـالله يـ . ـا سـ . ـادتي مهـ . ـلاً ... على فـ ـان الحـ ـب لـ ـم يبـ ـق لـ ـي عقـ ـلاً
تمكـ . ـن منـ . ـي حـ . ـبكم وهـ . ـواكم ... فألبسـ . . ـني سـ . . ـقماً وأورثنـ . . ـي ذلاً
لقد كنت قبل اليـ ـوم استصـ ـغر الهـ ـوى ... وأحسـ . ـه يـ . ـا سـ . ـادتي هينـ . ـاً سـ . ـهلاً
فلمـ ـا أرانـ ـي الحـ ـب أمـ ـواج بحـ ـره ... رجعـ . ـت لحكـ . ـم الله فهـ . ـو مـ . ـن يبلـ . ـى
فـ ـإن شـ ـئتم أن ترحمـ ـوني بوصـ ـلكم ... وإن شـ ـئتم قتلـ ـى فـ ـلا تنسـ ـوا الفضـ ـلا

ثم ختم الكتاب وناولني أياه فأخذته ومضيت به إلى دار بدور وجعلت أرفع الستر قليلاً قليلاً على العادة وإذا أنا بعشر جوار بهذا أبكار كأنهن الأقمار والسيدة بدور جالسة في وسطهن كأنها البدر في وسط النجوم أو الشمس إذا دخلت على الغيوم وليس بها ألم لا وجع فبينما أنا أنظر إليها وأتعجب من هذا الحال إذ لاحت منها التفاتة لي فرأتني واقفاً بالباب فقالت لي أهلاً وسهلاً ومرحباً بك يا ابن منصور ادخل فدخلت وسلمت عليها وناولتها الورقة فلما قرأتها وفهمت ما فيها ضحكت وقالت يا ابن منصور ما كذب الشاعر حيث قال:

فلاصـ . ـبرن عـ . ـى هـ . ـواك تجلـ . ـدا ... حتـ . ـى يجـ . ـيء إلـ . ـى منـ . ـك رسـ . ـول

يا ابن منصور ها أنا أكتب لك جواباً حتى يعطيك الذي وعدك به فقلت لها جزاك الله خيراً فنادت بعض جواريها وقالت ائتيني بدواة وقرطاس فلما أتتها بما طلبت كتبت إليه هذه الأبيات:

مـ . ـالي وفيـ . ـت بعهـ . ـدكم فغـ . ـدرتم ... ورأيتمـ . . ـوني منصـ . . ـفاً فظلمـ . . ـتم
بـ . ـا ديتمـ . ـوني بالقطيعـ . ـة والجفـ . ـا ... وغـ . ـدرتم والغـ . ـدر بـ . ـاد مـ . ـنكم
مازلـ ـت أحفـ ـظ فـ ـي البريـ ـة عهـ ـدكم ... وأصـ . ـون عرضـ . ـكم وأحلـ . ـف عـ . ـنكم
حتـ ـى رأيـ ـت بنـ ـاظري مـ ـا سـ ـاءني ... وسـ . ـمعت أخبـ . ـار القبـ . ـائح عـ . ـنكم
أيهـ ـون قـ ـدري حـ ـين أرفـ ـع قـ ـدركم ... والله لـ . . ـو أكـ . . ـرمتم لكـ . . ـرمتم
فـ ـلاصـ ـرفن القلـ ـب عـ ـنكم سـ ـلوة ... ولا نفضـ . ـن يـ . ـدي يأسـ . ـاً مـ . ـنكم

فقلت لها والله يا سيدتي أنه ما يقرأ هذه الأبيات إلا وتفارق روحه من جسده فقالت لي يابن منصور قد بلغ بي الوجد إلى هذا الحد حتى قلت ما قلت فقلت لها لو قلت أكثر من ذلك الحق لك ولكن العفو مـ ن شـ يم الكرام فلما سمعت كلامي تغرغرت عيناها بالدموع وكتبت إليه رقعة والله يا أمير المؤمنين ما في ديوانك من يحسن أن يكتب مثلها وكتبت فيها هذه الأبيات:

إلـ ـى كـ ـم ذا الـ ـدلال وذا التجنـ ـي	**شـ ـفيت وحقـ ـك الحسـ ـاد منـ ـي**
لعلـ ـي قـ ـد أسـ ـأت ولسـ ـت أدري	**فقـ ـل لـ ـي مـ ـا الـ ـذي بلغـ ـت عنـ ـي**
مـ ـرادي لـ ـو وضـ ـعتك يـ ـا حبيبـ ـي	**مكـ ـان النـ ـوم مـ ـن عينـ ـي وجفنـ ـي**
شـ ـربت كـ ـؤس حبـ ـك مترعـ ـات	**فـ ـإن ترنـ ـي سـ ـكرت فـ ـلا تلمنـ ـي**

فلما فرغت من كتابة المكتوب وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٧٠) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن يدور لما فرغت من كتابة المكتوب وختمته نـ ـاولتني إياه فقلت لها يا سيدتي أن هذه الرقعة تداوي العليل وتشفى الغليل ثم أخذت المكتوب وخرجت فنادتني بعد ما خرجت من عندها وقالت لي يا ابن منصور قل له أنها في هذه الليلة ضيفتك ففرحت أنا بذلك فرحـ ـاً شـ ـديداً ومضيت بالكتاب إلى جبير بن عمير فلما دخلت عليه وجدت عينه شاخصة إلى الباب ينتظر الجـ ـواب فلمـ ـا ناولته الورقة فتحها وقرأها وفهم معناها فصاح صيحة عظيمة ووقع مغشياً عليه فلما أفاق قال يا ابن منصور هل كتبت هذه الرقعة بيدها ولمستها بأناملها قلت يا سيدي وهل الناس يكتبون بأرجلهم فو الله يا أمير المؤمنين ما أستتم كلامي أنا وأياه إلا وقد سمعنا شن خلاخلها في الدهليز وهي داخلة فلما رآها قام على أقدامه كأنه لم يكن به ألم قط وعانقها عناق اللام للألف وزالت عنه علته التي لا تتصرف ثم جلس ولم تجلس هي فقلت لها يا سيدتي لأي شيء لم تجلسي قالت يا ابن منصور لا أجلس إلا بالشرط الذي بيننا فقلت لها وما ذلك الشـ ـرط الذي بينكما قالت أن العشاق لا يطلع أحد على أسرارهم ثم وضعت فمها على أذنه وقالت له كلاماً سراً فقال سمعاً وطاعة ثم نام جبير ووشوش بعض عبيده فغاب العبد ساعة ثم أتى ومعه قاض وشاهد أن فقـ ـام جبيـ ـر وأتى بكيس فيه مائة ألف دينار وقال أيها القاضي أعقد عقدي على هذه الصبية بهذا المبلغ فقال لها القاضـ ـي قولي رضيت بذلك فقالت رضيت بذلك فعقدوا العقد ثم فتحت الكيس وملأت يدها منـ ـه وأعطـ ـت القاضـ ـي والشهود ثم ناولته بقية الكيس فانصرف القاضي والشهود وقعدت أنا وأياها في بسط وانشراح إلى أن مضـ ـى من الليل أكثره فقلت في نفسي أنهما عاشقان ومضت عليهما مدة من الزمان وهما متهاجران فأنا أقوم في هذه الساعة لانام في مكان بعيد عنهما وأتركهما يختليان ببعضهما ثم قمت فتعلقت بأذيالي وقالت ما الذي حـ ـدثتك به نفسك فقلت ما هو كذا وكذا فقالت أجلس فإذا أردنا أنصرافك صرفناك فجلست معهما إلى أن قرب الصبح فقالت يا ابن منصور أمض إلى تلك المقصورة لإننا فرشنا هالك وهي محل نومك فقمت ونمت إلى الصـ ـباح فلما أصبحت جاءني غلام بطشت وأبريق فتوضأت وصليت الصبح ثم جلست فبينما أنا جـ ـالس وإذا بجبيـ ـر ومحبوبته خرجا من حمام في الدار وكل منهما يعصر ذوائبه فصبحت عليهما وهنيتهما بالسلامة وجمع الشمل ثم قلت له الذي أوله شرط آخره رضا فقال لي صدقت وقد وجب لك الأكرام ثم نادى خازنداره وقال له أئتني بثلاثة آلاف دينار فأتاه بكيس فيه ثلاثة آلاف دينار فقال لي تفضل علينا بقبول هذا فقلت له لا أقبلـ ـه حتـ ـى

تحكي لي ما سبب انتقال المحبة منها إليك بعد ذلك الصد العظيم قال سمعاً وطاعة اعلم أن عندنا عيداً يقال له عيد النواريز يخرج الناس فيه وينزلون في الزورق ويتفرجون في البحر فخرجت أتفرج أنا وأصحابي فرأيت زورقاً فيه عشر جوار كأنهن الأقمار والسيدة بدور هذه في وسطهن وعودها معها فضربت عليه إحدى عشر طريقة ثم عادت إلى الطريقة الأولى وأنشدت هذين البيتين:

الن ـار أب ـرد م ـن ني ـران أحش ـائي   والص ـخر أل ـين م ـن قلب ـي لم ـولاتي

أن ـيلا عج ـب م ـن ت ـأليف خلقت ـه   قلب من الصخر ف ـي جس ـم م ـن الم ـاء

فقلت لها أعيدي البيتين والطريقة فما رضيت. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٧١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن جبير قال فقلت لها أعيدي البيتين فما رض ـيت ف ـأمرت النوتي ـة أن يرجموها فرجموها بالنارنج حتى خشينا الغرق على الزورق الذي هي فيه ثم مضت إلى حال س ـبيلها وه ـذا سبب انتقال المحبة من قلبها إلى قلبي فهنيتهما بجمع الشمل وأخذت الكيس بما فيه وتوجهت إلى بغداد فانشرح صدر الخليفة وزال عنه ما كان يجده من الأرق وضيق الصدر.

حكاية الجواري المختلفة الألوان وما وقع بينهن من المحاورة

(ومما) يحكي أن أمير المؤمنين المأمون جلس يوماً من الأيام في قصره وأحضر رؤساء دولته وأكابر مملكته جميعاً وكذلك أحضر الشعراء والندماء بين يديه وكان من جملة ندمائه نديم يسمى محم ـد البص ـري فالتفت إليه المأمون وقال له يا محمد أريد منك في هذه الساعة أن تحدثني بشيء ما سمعته قط قال له يا أمير المؤمنين نريد أن أحدثك بحديث سمعته بأذني أو بأمر عاينته ببصري فقال المأمون حدثني يا محمد بالأغرب منهما فقال اعلم يا أمير المؤمنين أنه كان في الأيام الماضية رجل من أرباب النعم وكان موطنه باليمن ثم أنه ارتحل من اليمن إلى مدينة بغداد هذه فطاب له مسكنها فنقل أهله وماله وعياله إليها وكان ل ـه س ـت ج ـوار كأنهن الأقمار الأولى بيضاء والثانية سمراء. والثالثة سمينة والرابعة هزيلة والخامس ـة ص ـفراء والسادس ـة سوداء وكن حسان الوجوه كاملات الأدب وطلب الطعام والمدام فأكلوا وشربوا وتلذذوا وطربوا ثم ملأ الكاس وأخذه في يده وأشار للجارية البيضاء وقال لها يا وجه الهلال أسمعينا من لذيذ المقال فأخذت العود وأصلحته ورجعت عليه الألحان حتى رقص المكان ثم أطربت بالنغمات وأنشدت هذه الأبيات :

ل ـ ـي حبي ـ ـب خيال ـ ـه نص ـ ـب   وأس ـ مه ف ـ ي ج ـ وارحي مكن ـ ون

أن تذكرت ـ ـ ـه فكل ـ ـ ـي قل ـ ـ ـوب   أو تأملت ـ ـ ـه فكل ـ ـ ـي عي ـ ـ ـون

ق ـال ل ـي ع ـاذلي أتس ـلو ه ـواه   قل ـ ت م ـ ـالا يك ـ ون كي ـ ف يك ـ ون

ي ـا ع ـاذلي أم ـض عن ـي ودعن ـي   لا ته ـ ـون عل ـ ـى م ـ ـالا يه ـ ـون

فطرب مولاهن وشرب قدحه وسقى الجواري ثم ملأ الكاس وأخذه في يده وأشار إلى الجارية السمراء وقال لها يا نور المقباس وطيبة الأنفاس أسمعينا صوتك الحسن الذي من سمعه افتتن فأخذت العود ورجع ـت عليه الألحان حتى طرب المكان وأخذت القلوب باللفتات وأنشدت هذه الأبيات:

وحيـ ـاة وجهـ ـك لا أحـ ـب سـ ـواكا حتـ ـى أمـ ـوت ولا أخـ ـون هواكـ ـا
يـ ـا بـ ـدر تـ ـم بالجميـ ـل مبرقعـ ـاً كـ ـل المـ ـلاح تسـ ـير تحـ ـت لواكـ ـا
أنـ ـت الـ ـذي فقـ ـت المـ ـلاح لطافـ ـة والله رب العـ ـ ـ ـ ـالمين حباكـ ـ ـ ـ ـا

فطرب مولاهن وشرب كأسه وسقى الجواري ثم ملأ القدح وأخذه في يده واشار إلى الجارية السـ مينة وأمرها بالغناء وتقليب الأهواء فأخذت العود وضربت عليه ضرباً يذهب الحسرات وأنشدت هذه الأبيات:

أن صح منك الرضايا من هـ ـو الطلـ ـب فـ ـلا أبـ ـالي بكـ ـل النـ ـاس أن غضـ ـبوا
وأن تبـ ـدي محيـ ـاك الجميـ ـل فلـ ـم أعبـ ـأ بكـ ـل ملـ ـوك الأرض أن حجبـ ـوا
قصدي رضـ ـاك مـ ـن الـ ـدنيا باجمعهـ ـا يا مـ ـن إليـ ـه جميـ ـع الحسـ ـن ينتسـ ـب

فطرب مولاهن وأخذ الكاس وسقى الجواري ثم ملأ الكاس وأخذه بيده وأشار إلى الجارية الهزيلة وقال يا حوراء الجنان اسمعينا الألفاظ الحسان فأخذت العود وأصلحته ورجعت عليه الألحان وأنشدت هذين البيتين:

إلا في سبيل الله مـ ـا حـ ـل بـ ـي منكمـ ـا بصـ ـدكم عنـ ـي حيـ ـث لا صـ ـبر عنكمـ ـا
إلا حـ ـاكم فـ ـي الحـ ـب يحكـ ـم بيننـ ـا فيأخـ ـذ لـ ـي حقـ ـي وينصـ ـفني منكمـ ـا

فطرب مولاهن وشرب القدح وأخذه بيده وأشار إلى الجارية الصفراء وقال يا شمس النهار اسمعينا من لطيف الأشعار فأخذت العود وضربت عليه أحسن الضربات وأنشدت هذه الأبيات:

لـ ـ ـي حبيـ ـ ـب إذا ظهـ ـ ـرت إليـ ـ ـه سـ ـ ـل سـ ـ ـيفاً علـ ـ ـى مـ ـ ـن مقلتيـ ـ ـه
أخـ ـ ـذ الله بعـ ـ ـض حقـ ـ ـي منـ ـ ـه إذ جفـ ـ ـاني ومهجتـ ـ ـي فـ ـ ـي يديـ ـ ـه
كلمـ ـ ـا قلـ ـ ـت يـ ـ ـا فـ ـ ـؤادي دعـ ـ ـه لا يميـ ـ ـ ـ ـل الفـ ـ ـ ـؤاد إلا إليـ ـ ـ ـه
هـ ـو سـ ـؤالي مـ ـن الأنـ ـام ولكـ ـن حسـ ـ ـدتني عـ ـ ـين الزمـ ـ ـان عليـ ـ ـه

فطرب مولاهن وشرب وسقى الجواري ثم ملأ الكاس وأخذه في يده وأشار إلى الجارية السوداء وقـ ـال يا سوداء العين اسمعينا ولو كلمتين فأخذت العود وأصلحته وشدت أوتاره وضربت عليه عدة طرق ثم رجعت إلى الطريقة الأولى وأطربت بالنغمات وأنشدت هذه الأبيات:

ألا يـ ـ ـا عـ ـ ـين بـ ـ ـالعبرات جـ ـ ـودي فـوجـ ـدي قـ ـد عـ ـدمت بـ ـه وجـ ـودي
أكابـ ـد كـ ـل وجـ ـدي مـ ـن حبيـ ـب ألفـ ـت بـ ـه ويشـ ـمت بـ ـي حسـ ـودي
وتمنعنـ ـ ـي العـ ـ ـواذل ورد خـ ـ ـد ولـ ـ ـي قلـ ـ ـب يحـ ـ ـن إلـ ـ ـى الـ ـ ـورود
لقـ ـ ـد دارت هنـ ـ ـاك كـ ـ ـؤوس راح بـ ـ ـأفراح لـ ـ ـذي ضـ ـ ـرب وعـ ـ ـود
ووافـ ـ ـاني الحبيـ ـ ـب فهمـ ـ ـت فيـ ـ ـه وأشـ ـ ـرق بألوفـ ـ ـا نجـ ـ ـم السـ ـ ـعود
قصـ ـ ـدي للصـ ـ ـدود بغيـ ـ ـر ذنـ ـ ـب وهـ ـل شـ ـيء أمـ ـر مـ ـن الصـ ـدود
وفـ ـ ـ ـي وجناتـ ـ ـ ـه ورد جنـ ـ ـ ـى فيـ ـ ـ ـا لله مـ ـ ـ ـن ورد الخـ ـ ـ ـدود
فلـ ـو أن السـ ـجود يحـ ـل شـ ـرعاً لغيـ ـ ـر الله كـ ـ ـان لـ ـ ـه سـ ـ ـجودي

ثم بعد ذلك قامت الجواري وقبلن الأرض بين يدي مولاهن وقلن له أنصف بيننا يا سيدنا فنظر مولاهن إلى حسنهن وجمالهن واختلاف ألوانهن فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال لهن ما منكن إلا وقد قرأت القرآن وتعلمت الألحان وعرفت أخبار المتقدمين واطلعت على سير الأمم الماضين وقد اشتهيت أن تقوم كل واحـ ـدة

منكن وتشير بيدها إلى ضرتها يعني تشير البيضاء إلى السوداء والسمينة إلى الهزيلة والصفراء إلى السوداء وتمدح كل واحدة منكن نفسها وتذم ضرتها ثم تقوم ضرتها وتفعل معها مثلها ولكن يكون ذلـ ك بـ دليل مـ ن القرآن الشريف وشيء من الأخبار والأشعار لننظر أدبكن وحسن ألفاظكن فقلن سمعاً وطاعة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٧٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الرجل اليمني قالت له جواريه سمعاً وطاعة ثم قامت أولاً هن وهـ ي البيضاء واشارت إلى السوداء وقالت لها ويحك يا سوداء قد ورد أن البياض قال أنا النور اللامع أنـ ـا البـ ـدر الطالع لوني ظاهر وجبيني زاهر وفي حسني قال الشاعر:

بيضـ ـاء مصـ ـقولة الخـ ـدين ناعمـ ـة	**كأنهـ ـا لؤلـ ـؤة فـ ـي الحسـ ـن مكنـ ـون**
فقـ . ـدها ألـ . ـف بزهـ . ـو ومبسـ . ـمها	**مـ ـيم وحاجبها ـا مـ ـن فوقـ ـه نـ ـون**
كـ . ـأن ألحاظهـ . ـا نبـ . ـل وحاجبهـ . ـا	**فـ ـرس علـ ـى أنـ ـه بـ ـالموت مقـ ـرون**
بالخـ . ـد والقـ . ـدان تبـ . ـدو فوجنتهـ . ـا	**ورد وآس وريحـ . . . ـان ونسـ . . . ـرين**
والغصن يعهد فـ ـي البسـ ـتان معرسـ ـه	**وغصـ ـن فـ ـدك كـ ـم فيـ ـه بسـ ـاتين**

فلوني مثل النهار الهني والزهر الجني والكوكب الدري وقد قال الله تعالى في كتابه العزيز لنبيه موسى عليه السلام وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء وقال الله تعالى وأما الذين ابيضت وجـ وههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون فلوني آية وجمالي غاية وحسني نهاية وعلى مثلي يحسن الملبوس وإليه تميل النفوس وفي البياض فضائل كثيرة منها أن الثلج ينزل من السماء أبيض وقد وردان أحسن الألوان البيـ ـاض وتفتخر المسلمون بالعمائم البيض ولو ذهبت أذكر ما فيه من المدح لطال الشرح ولكن ما قل وكفى خير مما كثر وما وفى وسوف أبتديء بذمك يا سوداء يا لون المداد وهباب الحداد ومجه الغراب المفرق بين الأحباب وفي المثل يقول القائل كيف يوجد أسود عاقل فقال لها سيدها اجلسي ففي هذا القدر كفاية فقد أسرفت ثم أشار إلى السوداء فقامت وأشارت بيدها إلى البيضاء وقالت أما علمت أنه ورد في القرآن المنزل علـ ى نبـ ي الله المرسل قوله تعالى والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى ولولا أن الليل أجل لما أقسم الله به وقدمه على النهـ ـار وقبلته أولوا البصائر والأبصار أما علمت أن السود زينة الشباب فإذا نزل المشيب ذهبت اللذات ودنت أوقات الممات ولو لم يكن أجل الأشياء ما جعله الله في حنة القلب والناظر وما أحسن قول الشاعر:

لم أعشـ ـق السـ ـمر إلا مـ ـن حيـ ـازتهم	**لـ ـون الشـ ـباب وحـ ـب القلـ ـب والحـ ـدق**
ولا سلوب بياض البـ ـيض عـ ـن غلـ ـط	**أنـي مـ ـن الشـ ـيب والأكفـ ـان فـ ـي فـ ـرق**

وقول الآخر :

السـ . . ـمر دون البـ . . ـيض هـ . . ـم	**أولـ . . . ـى بعشـ . . . ـقي وأحـ . . . ـق**
السـ . . ـمر فـ . . ـي لـ . . ـون اللمـ . . ـي	**والبـ . . ـيض فـ . . ـي لـ . . ـون البهـ . . ـق**

وقول الآخر:

سـ . وداء بيضـ . ـاء الفعـ . ـال كأنهـ . ـا   مثـ . ـل العيـ . ـون تخـ . ـص بالأضـ . ـواء

أنـ . ـا إن حنيـ . ـت بحبهـ . ـا لا تعجبـ . ـوا   أصـ . ـل الجنـ . ـون يكـ . ـون بالسـ . ـوداء

فكـ ـأن لـ ـوني فـ ـي الـ ـدياجي غيهـ ـب   لـ . ـولاه مـ . ـا قمـ . ـر أتـ . ـي بضـ . ـياء

وأيضاً فلا يحسن اجتماع الأجناب إلا في الليل فيكفيك هذا الفضل والنيل فما ستر الأحباب عن الواشين واللوام مثل سواد الظلام ولا خوفهم من الافتضاح مثل ببياض الصباح فكم للسواد من مآثر وما أحسن قـ ـول الشاعر:

أزورهـ ـم وسـ ـواد الليـ ـل يشـ ـفع لـ ـي   وأنثنـ ـي وبيـ ـاض الصـ ـبح يغـ ـري بـ ـي

وقول الآخر:

وكـ ـم ليلـ ـة بـ ـات الحبيـ ـب مؤانسـ ـتي   وقـ ـد سـ ـترتنا مـ ـن دجـ ـاه ذوائـ ـب

فلما بدا نـ ـور الصـ ـباح أخـ ـافني   فقلـ ـت لـ ـه أن المجـ ـوس كـ ـواذب

ولو ذهبت أذكر في السواد من المدح لطال الشرح ولكن ما قل وكفى خير مما كثر وما وفى وأما أنت يا بيضاء فلونك لون البرص ووصالك من الغصص وقد ورد أن البرد والزمهرير في جهـ ـنم لعـ ـذاب أهـ ـل النكير ومن فصيلة السواد أن منه المداد الذي يكتب به كلام الله ولولا سواد المسك والعنبر ما كـ ـان الطيـ ـب يحمل للملوك ولا يذكروكم للسواد من مفاخر وما أحسن قول الشاعر:

ألـ ـم تـ ـر أن المسـ ـك يعظـ ـم قـ ـدره   وإن بيـ . ـاض الجيـ . ـر حمـ . ـل بـ . ـدرهم

وأن بيـ ـاض العـ ـين يقـ ـبح بـ ـالفتى   وأن سـ . ـواد العـ . ـين برمـ . ـي بأسـ . ـهم

فقال لها سيدها اجلسي ففي هذا القدر كفاية فجلست ثم أشار إلى السمينة فقامت وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٧٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن اليمني سيد الجواري أشار إلى الجارية السمينة فقامت وأشارت بيدها إلى الهزيلة وكشفت سيقانها ومعاصمها وكشفت عن بطنها فبانت طياته وظهر تدوير سرتها ثم لبست قميصا رفيعاً فبان منه جميع بدنها وقالت الحمد لله الذي خلقني فأحسن صورتي وسميني فأحسن سـ منتي وشـ بهني بالأغصان وزاد في حسني وبهجتي فله الحمد على ما أولاني وشرفني إذ ذكر في كتابه العزيز فقال تعـ ـالى وجاء بعجل سمين وجعلني كالبستان المشتمل على خوخ ورمان وأهل المدن يشتهون الجطير السمين فيأكلون منه ولا يحبون طيراً هزيلاً وبنو آدم يشتهون اللحم السمين ويأكلونه وكم للسمن من مفاخر وما أحسن قـ ـول الشاعر:

ودع حبيبـ . ـك أن الركـ . ـب مرتحـ . ـل   وهـ ـل تطيـ ـق وداعـ ـاً أيهـ ـا الرجـ ـل

كـ ـأن مشـ ـيتها فـ ـي بيـ ـت جارتهـ ـا   مشـ . ـى السـ . ـمينة لاعيـ . ـب ولا ملـ . ـل

وما رأيت أحداً يقف على الجزار إلا ويطلب منه اللحم السمين وقالت الحكماء اللذة في ثلاثة أشياء أكل اللحم والركوب على اللحم ودخول اللحم في اللحم وأما أنت يا رفيعة فسيقانك كسيقان العصـ فور ومحـ ـراك التنور وأنت خشبة المسلوب ولحم المعيوب وليس فيك شيء يسر الخاطر كما قال فيك الشاعر:

أعـوذ بـالله مـن أشـياء تحـوجني | إلـى مضـاجعة كالـدلك بالمسـد
في كـل عضـو لهـا قـرن ينـاطحني | عنـد المنـام فأمسـى وأهـي الجلـد

فقال سيدها اجلسي ففي هذا القدر كفاية فجلست ثم أشار ألى الهزيلة فقامت كأنها غصن بان أو قضيب خيزران أو عود ريحان وقالت الحمد لله الذي خلقني فأحسنني وجعل وصلي غاية المطلوب وشبهتني بالغصن الذي تميل إليه القلوب فإن قمت قمت خفيفة وإن جلست جلست ظريفة فأنا خفيفة الروح عند المزاح طيبة النفس من الارتياح وما رأيت أحداً يصف حبيبه فقال حبيبي قدر الفيل ولا مثل الجبل العريض الطويل وأنما حبيبي له قد أهيف وقوام مهفهف فاليسير من الطعام يكفيني والقليل من الماء يرويني لعبي خفيف ومزاحي ظريف فأنا أنشط من العصفور وأخف حركة من الزرزور وصلي منية الراغب ونزهة الطالب وأنا مليحة القوام حسنة الابتسام كأني غصن بان أو قضيب خيزران أو عود ريحان وليس لي في الجمال مماثل كما قال في القائل:

شـبهت قـدك بالقضـيب | وجعلـت شـكك مـن نصـيبي
وغـدوت خلعـك هائمـاً | خوفـاً عليـك مـن الرقيـب

وفي مثلي تهيم العشاق ويتوله المشتاق وأن جذبني حبيبي أنجذبت إليه وأن استمالتي ملت له لا عليه وها أنت ياسمينة البدن فإن أكلك أكل الفيل ولا يشبعك كثير ولا قليل وعند الاجتماع لا يستريح معك خليل ولا يوجد لراحته معك سبيل فكبر بطنك يمنعه من جماعك وعند التمكن من فرجك يمنعه غلظ أفخاذك أي شيء في غلظك من الملاحة أو في فظاظتك من اللطف والسماحة ولا يليق باللحم السمين غير الذبح وليس فيه شيء من موجبات المدح أن مازحك أحد غضبت وأن لاعبك حزنت فإن غنجت شخرت وإن مشيت لهثت وإن أكلت ما شبعت وأنت أثقل من الجبال وأقبح من الخبال والوبال مالك حركة ولا فيك بركة وليس لك شغل إلا الأكل والنوم وإن بلت شرشرت وإن تغوطت بطبطت كأنك زق منفوخ أو فيل ممسوخ إن دخلت بيت الخلاء تريدين من يغسل لك فرجك وينتف من فوقه شعرك وهذا غاية الكسل وعنوان الخبل وبالجملة ليس فيك شيء من المفاخر وقد قال الشاعر:

ثقيلـة مثـل زق البـول منـتفخ | أو راكبـاً كعواميـد مـن الجبـل
إذا مشت في بـلاد الغـرب أو خطـرت | سرى إلى الشرق ما تبـدي مـن الهبـل

فقال لها سيدها اجلسي ففي هذا القدر كفاية فجلست ثم أشار إلى الصفراء فقامت على قدميها وحمدت الله تعالى وأثنت عليه وأتت بالصلاة والسلام على خيار خلقه لديه ثم أشارت بيدها إلى السمراء وقالت. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٧٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية الصفراء قامت على قدميها فحمدت الله تعالى وأثنت عليه ثم أشارت بيدها إلى السمراء وقالت لها أنا المنعوتة في القرآن ووصف لوني الرحمن وفضله على سائر الألوان بقوله تعالى في كتابه المبين صفراء فاقع لونها تسر الناظرين فلوني آية وجمالي غاية وحسني نهاية لأن لوني لون الدينار ولون النجوم والأقمار ولون التفاح وشكلي شكل الملاح ولون الزعفران يزهو على سائر الألوان

فشكلي غريب ولوني عجيب وأنا ناعمة البدن غالية الثمن وقدا حويت كل معنى حسن ولوني ف ي الوج ود عزيز مثل الذهب الأبريز وكم من مآثر وفي مثلي وقال الشاعر:

لها اصـ فرار كـ ون الشـ مس مبـ تهج	وكالـ دنانير فـ ـي حسـ ـن مـ ـن النظـ ـر
ما الزعفران تحـ اكي بعـ ض بهجتها	كـ ـلا ومنظرهـ ـا يعلـ ـو عـ ـن القمـ ـر

وسوف أبتديء بذمك يا سمراء اللون فإنك في لون الجاموس تشمئز عند رؤيتك النفوس أن كان لونـ ك في شيء قم ومدموم وإن كان في طعام فهو مسموم فلونك لون الذباب وفيه بشاعة الكلاب وهو محيـ ر بـ ين الألوان ومن علامات الأحزان وما سمعت قط بذهب أسمر ولا درولا جوهران دخلت الخلاء يتغير لونك وأن خرجت أزددت قبحاً فلا أنت سوداء فتعرفي ولا أنت بيضاء فتوصفي وليس لك شيء من المآثر كما قال فيك الشاعر:

لـ ـون الهبـ ـاب لـ ـون فغبرتهـ ـا	كـ ـالتراب تـ ـدهس فـ ـي أقـ ـدام قصـ ـاد
فمـ ـا نظـ ـرت لهـ ـا بـ ـالعين أرمقهـ ـا	ألا تزايـ ـد همـ ـي وأنكـ ـادي

فقال لها سيدها اجلسي ففي هذا القدر كفاية فجلست ثم أشار إلى السمراء وكانت ذات حسن وجمال وقد واعتدال وبهاء وكمال لها حسم ناعم وشعر قاحم معتدلة القد موردة الخد ذات طرف كحيل وخد أسيل ووجه مليح ولسان فصيح وخصر نحيل وردف ثقيل فقالت الحمد لله الذي خلقني لا سـ مينة مدمومـ ة ولا هزيلـ ة مهضومة ولا بيضاء كالبرق ولا صفراء كالمغص ولا سوداء بلون الهباب بل جعل لوني معشـ وقاً لأولـ ي الألباب وسائر الشعراء يمدحون السمر بكل لسان ويفضلون ألوانهم على سائر الألوان فاسمر اللـ ون حميـ د الخصال ولله درمن قال:

وفي السمر معنـ ى لـ و علمـ ت بيانـ ه	لمـ ا نظـ رت عينـ اك بـ بيض ولا حمـ را
لباقـ ـة ألفـ ـاظ وغـ ـنج لـ ـواحظ	يعلمـ ـن هـ ـاروت الكهانـ ـة والسـ ـحرا

فشكلي مليح وقدي رجيح ولوني ترغب فيه الملوك ويعشقه كل غني وصعلوك وأنا لطيفة خفيفة مليحة ظريفة ناعمة البدن غالية الثمن وقد كملت في الملاحة والأدب والفصاحة مظاهري ولساني فصيح ومزاجـ ي خفيف ولعبي ظريف وأما أنت فمثل ملوخية باب اللوق صفراء وكلها عروق فتعساً لك يا قدرة الرواس ويـ ا صدأ النحاس وطلعة البوم وطعام الزقوم فضجيعك يضيق الأنفاس مقبور في الأرماس وليس لك في الحسـ ن مآثر وفي مثلك قال الشاعر:

عليهـ ا اصـ فرار زاد مـ ن غيـ ر علـ ة	يضيق له صدري وتوجعني رأسـ ي بلـ ثم
إذا لـ ـم تتـ ـب نفسـ ـي فـ ـأني أذلـهـ ـا	محياهـ ـا فتقلـ ـع أضراسـ ـي

فلما فرغت من شعرها قال لها سيدها اجلسي ففي هذا القدر كفاية ثم بعد ذلك. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٧٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية لما فرغت من شعرها قال لها سيدها اجلسي ففي هذا القـ در كفاية ثم أن بعد ذلك أصلح بينهن وألبسهن الخلع السنية ونقطهن بنفيس الجواهر البرية والبحرية فما رأيت يا

أمير المؤمنين في مكان ولا زمان أحسن من هؤلاء الجواري الحسان فلما سمع المأمون هذه الحكاي ة م ن محمد البصري أقبل عليه وقال له يا محمد هل تعرف لهؤلاء الجواري وس يدهن محـ لاً وه ل يمكن ك أن تشتريهن لنا من سيدهن فقال له محمد يا أمير المؤمنين قد بلغني أن يسيدهن مغرم بهن ولا يمكنه مف ارقتهن فقال المأمون خذ معك إلى سيدهن في كل جارية عشرة آلاف دينار فيكون مبلغ ذلك الثمن ستين ألف دين ار فاحملها صحبتك وتوجه إلى منزله واشترهن منه فأخذ محمد البصري منه ذلك القدر وتوجه به فلما وص ل إلى سيد الجواري أخبره بأن أمير المؤمنين يريد اشتراءهن منه بذلك المبلغ فسمح ببيعهن لأجل خاطر أمي ر المؤمنين أرسلهن إليه فلما وصلت الجواري إلى أمير المؤمنين هيألهن مجساً لطيفاً وصار يجلس فيه معه ن وينادمنه وقد تعجب من حسنهن وجمالهن واختلاف ألوانهن وحسن كلامهن وقد استمر على ذلك م دة م ن الزمان ثم أن سيدهن الأول الذي باعهن لما لم يكن له صبر على فراقهن أرسل كتاباً إل ى أمي ر الم ؤمنين المأمون يشكوا إليه فيه ما عنده للجواري من الصبابات ومن ضمنه هذه الأبيات:

سـ . ـلبتني سـ . ـت مـ . ـلاح حسـ . ـان	فعط . ـى السـ . ـتة المـ . ـلاح سـ . ـلامي
هـ . ـن سـ . ـمعي ونـ . ـاظري وحيـ . ـاتي	وشـ . . رابي ونزهتـ . . ـي وطعـ . . ـامي
لسـ ـت أسـ ـلو مـ ـن حسـ ـنهن وصـ ـالاً	ذاهـ . ـب بعـ . ـدهن طيـ . ـب منـ . ـامي
آه يـ . ـا طـ . ـول حسـ . ـرتي وبكـ . ـائي	ليتنـ . ـي مـ . ـا خلقـ . ـت بـ . ـين الأنـ . ـام
مـ ـن عيـ ـون قـ ـد زانهـ ـن جفـ ـون	كقسـ . . . ـى رميننـ . . . ـي بسـ . . . ـهام

فلما وقع ذلك الكتاب في يد الخليفة المأمون كسا الجواري من الملابس الفاخرة وأعطاهن ستين أل ف دينار وأرسلهن إلى سيدهن فوصلن إليه وفرح بهن غاية الفرح أكثر مما أتى إليه من المال وأقام معهن ف ي أطيب عيش وأهناه إلى أن أتاهم حازم اللذات ومفرق الجماعات.

حكاية وردان الجزار

(ومما) يحكي أنه كان في زمن الحاكم بأمر الله رجل بمصر يسمى وردان وكان ج زاراً ف ي اللح م الضاني وكانت امرأة تأتيه كل يوم بدينار يقارب وزنه وزن دينارين ونصف من الدنانير المصرية وتقول له أعطني خروفاً وتحضر معها حمالاً بقفص فيأخذ منها الدينار ويعطيها خروفاً فيحمله الحمال وتأخذه وت روح به إلى مكانها وفي ثاني يوم وقت الضحى تأتي وكان ذلك الجزار يكتسب منها كل يوم ديناراً وأقام ت م دة طويلة على ذلك فتفكر وردان الجزار ذات يوم في أمرها وقال في نفسه هذه المرأة كل ي وم تش تري من ي بدينار ولم تغلط يوماً واحداً وتشتري مني بدراهم فهذا أمر عجيب ثم أن وردان سأل الحمال في غيبة الم رأة فقال له أنا في غاية العجب منها فإنها كل يوم تحملني الخروف من عندك وتشتري حوانج الطعام والفاكه ة والشمع والنقل بدينار آخر وتأخذ من شخص نصراني مروقتين نبيذاً وتعطيه ديناراً وتحملني الجميع وأس ير معها إلى بساتين الوزير ثم تعصب عيني بحيث أني لا أنظر موضعاً من الأرض أحط فيه قدمي وتأخذ بيدي فما أعرف أين تذهب بي ثم تقول حط هنا وعندها قفص آخر فتعطيني الفارغ ثم تمسك يدي وتعود بي إل ى الموضع الذي شدت عيني فيه بالعصابة فتحلها وتعطيني عشرة دراهم فقال له الجزار كان الله ف ي عونه ا ولكن ازداد فكراً في أمرها وكثرت عنده الوساوس وبات في قلق عظيم ثم قال وردان الحزار فلما أصـ بحت

أتتني على العادة وأعطتني الدينار وأخذت الحروف وحملته للحمال وراحت فاوصيت صبيي عل ى ال دكان وتبعتها بحيث لا تراني وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٧٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن وردان الجزار قال فأوصيت صبيي على الدكان وتبعته ا بحيـ ث لا تراني ولم أزل أعاينها إلى أن خرجت من مصر وأنا أتوارى خلفها حتى وصلت إلى بساتين الوزير فاختفيت حتى عصبت عيني الحمال وتبعتها من مكان إلى مكان إلى أن أتت الجبل فوصلت إلى مكان فيه حجر كبيـ ر وحطت القفص عن الحمال فصبرت إلى أن عادت بالجمال ورجعت ونزعت جميع ما كان في القفص وغابت ساعة فاتيت إلى ذلك الحجر فزحزحته ودخلت فوجدت خلفه طابقاً من نحاس مفتوحاً ودرجاً نازلة فنزلت في تلك الدرج قليلاً قليلاً حتى وصلت إلى دهليز طويل كثير النور فمشيت فيه حتى رأيت هيئة ه ب اب قاع ة فارتكنت في زوايا الباب فوجدت صفة بها سلالم خارج باب القاعة فتعلقت فيها فوجدت صفة صـ غيرة بهـ ا طاقة تشرف على قاعة فنظرت في القاعة وجدت المرأة قد أخذت الخروف وقطعت منه مطايبه وعملت فـ ي قدر ورمت الباقي قدام دب كبير عظيم الخلقة فأكله عن آخره وهي تطبخ فلما فرغت أكلت كفايتها ووضعت الفاكهة والنقل وحطت النبيذ وصارت تشرب بقدح وتسقى الدب بطاسة من ذهب حتى حصل لها نشوة السكر فنزعت لباسها ونامت فقام الدب وواقعها وهي تعاطيه من أحسن ما يكون لبنى آدم حتى فرغ وجلس ثم وثب إليها وواقعها ولما فزع جلس واستراح ولم يزل كذلك حتى فعل ذلك عشر مرات ثم وقع كل منهمـ ا مغشـ ياً عليه وصارا لا يتحركان فقلت في نفسي هذا وقت انتهاز الفرصة فنزلت ومعي سكين تبري العظم قبل اللحم فلما صرت عندهما وجدتهما لا يتحرك فيهما عرق لما صح لهما من المشقة فجعلت السكين في منحر الـ دب واتكأت عليه حتى خلصته وانعزلت رأسه عن بدنه فصار له شخير عظيم مثل شخير الرعد فانتبهت المـ رأة مرعوبة فلما رأت الدب مذبوحاً وأنا واقف والسكين في يدي زعقت زعقة عظيمة حتى ظننت أن روحها قـ د خرجت وقالت لي يا وردان أيكون هذا جزاء الإحسان فقلت لها يا عدوة نفسها هل عدمت الرجال حتى تفعلي الفعل الذميم فاطرقت رأسها إلى الأرض لا ترد جواباً وتأملت الدب وقد نزعت رأسه عن جثته ثم قالت يـ ا ورد أن أي شيء أحب إليك أن تسمع الذي أقوله لك ويكون سبباً لسلامتك وأدرك شهرزاد الصباح فسـ كتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٧٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن المرأة قالت يا وردان أي شيء أحب إليك أن تسمع الذي أقولـ ه لـ ك ويكون سبباً لسلامتك وغناك إلى آخر الدهر أو تخالفني ويكون سبباً لهلاكك قلت اختـ ار أن أسـ مع كلامـ ك فحدثيني بما شئت فقالت أذبحني كما ذبحت هذا الدب وخذ من هذا الكنز حاجتك وتوجه إلى حال سبيلك فقلت لها أنا خير من هذا الدب فارجعي إلى الله تعالى وتوبي وأتزوج بك ونعيش باقي عمرنا بهذا الكنز قالت أيـ ا وردان أن هذا بعيد كيف أعيش بعده والله أن لم تذبحني لا تلفن روحك فلا تراجعني تتلف وهذا ما عندي من الرأي والسلام فقلت أذبحك وتروحين لي لعنة الله ثم جذبتها من شعرها وذبحتهـ ا وراحـ ت إلـ ى لعنـ ة الله والملائكة والناس أجمعين وبعد ذلك نظرت في المحل فوجدت فيه من الذهب والفصوص واللؤلؤ مالا يقـ در

على جمعه أحد من الملوك فأخذت قفص الحمال وملأته على قدر ما أطيق ثم سترته بقماشي الذي كان علي وحملته وطلعت من الكنز وسرت ولم أزل سائراً إلى باب مصر وإذا بعشرة من جماعة الحاكم بأمر الله مقبلون والحاكم خلفهم فقال يا وردان قلت لبيك أيها الملك قال هل قتلت الدب والمرأة قلت نعم قال حط عن رأسك وطب نفساً فجميع ما معك من المال لك لا ينازعك أحد فحطيت القفص بين يديه فكشفه ورآه وقال حدثني بخبرهما وإن كنت أعرفه كأنني حاضر معكم فحدثته بجميع ما جرى وهو يقول صدقت فقال يا وردان قم سر بنا فتوجهت إليه معه فوجدت الطابق مغلقاً فقال ارفعه يا وردان فإن هذا الكنز لا يقدر أحد أن يفتحه غيرك فإنه مرصود بإسمك وصفتك فقلت والله لا أطيق فتحه فقال تقدم أنت على بركة الله فتقدمت إليه وسميت الله تعالى ومددت يدي إلى الطابق فارتفع كأنه أخف ما يكون فقال الحاكم انزل واطلع ما فيه فإنه لا ينزله إلا من هو بأسمك وصورتك وصفاتك من حين وضع وقتل هذا الدب وهذه المرأة على يديك وهو عندي مؤرخ وكنت أنتظر وقوعه حتى وقع قال وردان فنزلت ونقلت له جميع ما في الكنز ثم دعا بالدواب وحمله وأعطاني قفصي بما فيه فأخذته وعمدت إلى بيتي وفتحت لي دكاناً في السوق وهذا السوق موجود إلى الآن ويعرف بسوق وردان.

(حكاية تتضمن داء غلبة الشهوة في النساء ودواءها)

(ومما) يحكى أيضاً أنه كان لبعض السلاطين ابنة وقد تعلق قلبها بحب عبد أسود فافتض بكارتها وأولعت بالنكاح فكانت لا تصبر عنه ساعة واحدة فكشفت أمرها إلى بعض القهرمانات فأخبرتها أنه لا شيء ينكح أكثر من القرد فاتفق أن قرداً آتياً مر تحت طاقتها بقرد كبير فأسفرت عن وجهها ونظرت إلى القرد وغمزته بعيونها فقطع القرد وثاقه وسلاسله وطلع لها فخبأته في مكان عندها وصار ليلاً ونهاراً على أكل وشرب جماع ففطن أبوها بذلك وأراد قتلها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٧٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن السلطان لما فطن بامر ابنته وأراد قتلها شعرت بذلك فتزيت بزي المماليك وركبت فرساً وأخذت لها بغلاً وحملته من الذهب والمعادن والقماش مالا يوصف وحملت القرد معها وسارت حتى وصلت إلى مصر فنزلت في بعض بيوت الصحراء وصارت كل يوم تشتري لحماً من شاب جزار ولكن لا تأتيه إلا بعد الظهر وهي مصفرة اللون متغيرة الوجه فقال الشاب في نفسه لابد لهذا المملوك من سبب عجيب فلما جاءت على العادة وأخذت اللحم تبعها من حيث لا تراه قال ولم أزل خلفها من حيث لا تراني من محل إلى محل حتى وصلت إلى مكانها الذي بالصحراء ودخلت هناك فنظرت إليها من بعض جهاته فرأيتها استقرت بمكانها وأوقدت النار وطبخت اللحم وأكلت كفايتها وقدمت باقية إلى القرد الذي معها فأكل كفايته ثم أنها أحضرت خمراً وشربت منه وسقت القرد ثم واقعها القرد نحو عشر مرات حتى غشي عليها وبعد ذلك نشر القرد عليها ملاءة من حرير وراح إلى محله فنزلت إلى وسط المكان فأحس بي القرد وأراد افتراسي فبادرته بسكين كانت معي ففريت بها كرشه فانتبهت الصبية فزعة مرعوبة فرأت القرد على هذه الحالة فصرخت صرخة عظيمة حتى كادت أن تزهق روحها ثم وقعت مغشياً عليها فلما أفاقت من غشيتها قالت لي ما حملك على ذلك ولكن بالله عليك أن تلحقني به فلا زلت ألاطفها وأضمن لها أني أقوم بما

قام القرد من كثرة النكاح إلى أن سكن روعها وتزوجت بها فعجزت عن ذلك ولم أصبر عليه فشكوت حـ الي إلى بعض العجائز وذكرت لها ما كان من أمرها فالتزمت لي بتدبير هذا الأمر وقالت لي لابد أن تأتيني بقدر وتملأه من الخل البكر وتأتيني بقدر رطل من العود القرح فأتيت لها بما طلبته فوضعته في القدر ووضـ عت القدر على النار وغلته غلياناً قوياً ثم أمرتني بنكاح الصبية فنكتها إلى أن غشي عليها فحملتها العجوز وهي لا تشعر وألقت فرجها على فم القدر فصعد دخانه حتى دخل فرجها فنزل منه شيء فتأملته فإذا هـ و دود تـ ان أحادهما سوداء والأخرى صفراء فقالت العجوز الأولى تربت من نكاح العبد والثانية من نكاح القـ رد فلمـ ا أفاقت من غشيتها استمرت معي مدة وهي لا تطلب النكاح وقد صرف الله عنها تلك الحالة وتعجبت من ذلك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٧٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشاب قال وقد صرف الله عنها تلك الحالة وتعجبت من ذلك فأخبرتها بالقصة واستمرت معه في أرغد عيش وأحسن لذة واتخذت عندها العجوز مكان والدتها ومـ ا زالـ ت هـ ي وزوجها والعجوز في هناء وسرور إلى أن أتاهم هازم اللذات ومفرق الجماعات فسبحان الحي الذي لا يموت وبيده الملك والملكوت.

(حكاية الحكماء أصحاب الطاووس والبوق والفرس)

ومما يحكي أنه كان قديم الزمان ملك عظيم ذو خطر جسيم وكان له ثلاث بنات مثل البـ دور السـ افرة والرياض الزاهرة وولد ذكر كأنه القمر فبينما الملك جالس على كرسي مملكته يوماً من الأيام إذ دخل عليـ ه ثلاثة من الحكماء مع أحدهم طاووس من ذهب ومع الثاني بوق من نحاس ومع الثالث فرس من عاج وآبنوس فقال لهم الملك ما هذه الأشياء وما منفعتها فقال صاحب الطاووس أن منفعة هذا الطاووس أنه كلمـ ا مضـ ت ساعة من ليل أو نهار يصفق بأجنحته ويزعق وقال صاحب البوق أنه إذا وضع هذا البوق على باب المدينـ ة يكون كالمحافظ عليها فإذا دخل في تلك المدينة عدو يزعق عليه هذا البوق فيعرف ويمسك باليد وقال صاحب الفرس يا مولاي أن منفعة هذا الفرس أنه إذا ركبها إنسان توصله إلى أي بلاد أراد فقال الملك لا أنعم عليـ ك حتى أجرب منافع هذه الصور ثم أنه جرب الطاووس فوجده كما قال صاحبه وجرب البوق فوجده كما قـ ال صاحبه فقال الملك للحكيمين تمنياً على فقالا تتمنى عليك أن تزوج كل واحد منا بنتامن بناتك ثم تقدم الحكـ يم الثالث صاحب الفرس وقبل الأرض بين يدي الملك وقال له يا ملك الزمان أنعم علـ ى كمـ ا أنعمـ ت علـ ى أصحابي فقال له الملك حتى أجرب ما أتيت به فعند ذلك تقدم أبن الملك وقال يا والدي أنا أركب هذه الفـ رس وأجربها وأختبر منفعتها فقال الملك يا ولدي جربها كما تحب فقام ابن الملك وركب الفرس وحرك رجليه فلم يتحرك من مكانها فقال يا حكيم أين الذي ادعيته من سيرها فعند ذلك جاء الحكيم إلى ابن الملك وأراه لولـ ب الصعود وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٧٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الحكيم عرف ابن الملك لولب الصعود وقال له أفـ رك هـ ذا اللولـ ب ففركه ابن الملك وإذا بالفرس قد تحرك وطار بابن الملك إلى عنان السماء ولم يزل طائراً به حتى غاب عن

الأعين فعند ذلك احتار ابن الملك في أمره وندم على ركوبه الفرس ثم قال أن الحكيم قد عمل حيلة على هلاكي فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ثم أنه جعل يتأمل في جميع أعضاء الفرس فبينما هو يتأمل فيها إذ نظر لشيء مثل رأس الديك على كتف الفرس الأيمن وكذلك الأيسر فقال ابن الملك ما أرى فيه أثراً غير هذين الزرين ففرك الزر الذي على الكتف الأيمن فازدادت به الفرس طيراناً طالعة إلى الجو فتركه ثم نظر إلى الكتف الأيسر فرأى ذلك الزر ففركه فتناقصت حركات الفرس من الصعود إلى الهبوط ولم تزل هابطة به إلى الأرض قليلاً قليلاً وهو محترس على نفسه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٨٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن ابن الملك لما فرك الزر الأيسر تناقصت حركات الفرس من الصعود إلى الهبوط ولم تزل هابطة إلى الأرض قليلاً قليلاً وهو محترس على نفسه فلما نظر ابن الملك ذلك وعرف منافع الفرس امتلأ قلبه فرحاً وسروراً وشكر الله تعالى على ما أنعم به عليه حيث أنقذه من الهلاك ولم يزل هابطاً طول نهاره لأنه كان حال صعوده بعدت عنه الأرض وجعل يدير وجه الفرس كما يريد وهي هابطة به وإذا نزل بها وإذا شاء طلع بها فلما تم له من الفرس ما يريد أقبل بها إلى جهة الأرض وصار ينظر إلى ما فيها من البلاد والمدن التي لا يعرفها لأنه لم يرها طول عمره وكان من جملة ما رآه مدينة مبنية بأحسن البنيان وهي في وسط أرض خضراء ناضرة ذات أشجار وأنهار فتفكر في نفسه وقال يا ليت شعري ما اسم هذه المدينة وفي أي الأقاليم هي ثم أنه جعل يطوف حول تلك المدينة ويتأملها يميناً وشمالاً وكان النهار قد ولى ودنت الشمس للمغيب فقال في نفسه أني لا أجد موضعاً للمبيت أحسن من هذه المدينة فأنا أبيت فيها هذه الليلة وعند الصباح أتوجه على أهلي ومحل ملكي واعلم أهلي ووالدي بما جرى لي وأخبره بما نظرت عيناي وصار يفتش على موضع يأمن فيه على نفسه وعلى فرسه ولا يراه أحد فبينما هو كذلك وإذا به قد نظر في وسط المدينة قصراً شاهقاً في الهواء وقد أحاط بذلك القصر سور متسع بشرافات عاليات فقال ابن الملك في نفسه أن هذا الموضع مليح وجعل يحرك الزر الذي يهبط به الفرس ولم يزل هابطاً به حتى نزل مستوياً على سطح القصر ثم نزل من فوق الفرس وحمد الله تعالى وجعل يدور حول الفرس ويتأملها ويقول والله أن الذي عملك بهذه الصفة لحكيم ماهر فإن مد الله تعالى في أجلي وردني إلى بلادي وأهلي سالماً وجمع بيني وبين والدي لأحسنن إلى هذا الحكيم كل الإحسان ولا نعمن عليه غاية الإنعام ثم جلس فوق سطح القصر حتى علم أن الناس قد ناموا وكان قد أضربه الجوع والعطش لأنه منذ فارق والده لم يأكل طعاماً فقال في نفسه أن مثل هذا القصر لا يخلوا من الرزق فترك الفرس في مكان ونزل يتمشى لينظر شيء يأكله فوجد سلماً فنزل منه إلى أسفل فوجد ساحة مفروشة بالرخام فتعجب من ذلك المكان ومن حسن بنيانه لكنه لم يجد في ذلك القصر حس حسيس ولا أنس أنيس فوقف متحيراً وصار ينظر يميناً وشمالاً وهو لا يعرف أين يتوجه ثم قال في نفسه ليس لي أحسن من أن أرجع إلى المكان الذي فيه فرسي وأبيت عندها فإذا أصبح الصباح ركبتها وسرت وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٨١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن ابن الملك قال في نفسه ليس لي أحسن من البيات عند فرسـ ـي فـ إذا أصبح الصباح ركبتها وسرت فبينما هو واقف يحدث نفسه بهذا الكلام إذ نظر إلى نور مقبل إلى ذلك المحـ ـل الذي هو فيه فتأمل ذلك النور فوجده مع جماعة من الجواري وبينهن صبية الفية بهية تحاكي البـ ـدر الزاهـ ـر كما قال فيها الشاعر:

جاءت بلا موعـ ـد فـ ـي ظلمـ ـة الغسـ ـق	كأنهـ ـا البـ ـدر فـ ـي داج مـ ـن الأفـ ـق
هيفاء ما فـ ـي البرايـ ـا مـ ـن يشـ ـابهها	في بهجة الحسن أوفـ ـى رونـ ـق الخلـ ـق
ناديـ ـت لمـ ـا رأت عينـ ـي محاسـ ـنها	سبحان من خلـ ـق الإنسـ ـان مـ ـن علـ ـق
أعيـ ـذها مـ ـن عيـ ـون النـ ـاس كلهـ ـم	بقـ ـل أعـ ـوذ بـ ـرب النـ ـاس والفلـ ـق

وكانت تلك الصبية بنت ملك هذه المدينة وكان أبوها يحبها حباً شديداً ومن محبته أياها بنى لهـ ـا هـ ـذا القصر فكانت كلما ضاق صدرها تجيء إليه وجواريها تقيم فيه يوماً أو يومين أو أكثر ثم تعود إلى سـ ـرايتها فاتفق أنها قد أتت تلك الليلة من أجل الفرجة والانشراح وصارت ماشية بين الجواري ومعها خادم مقلد بسيف فلما دخلوا ذلك القصر فرشوا الفرش وطلقوا مجامر البخور ولعبوا وانشرحوا فبينما هم في لعب وانشراح إذ هجم ابن الملك على ذلك الخادم ولطمه لطمة فبطحه وأخذ السيف من يده وهجم على الجواري اللاتي مع ابنة الملك فشتتهم يميناً وشمالاً فلما نظرت ابنة الملك إلى حسنه وجماله قالت لعلك أنت الذي خطبتني من والـ ـدي بالأمس وردك وزعم أنك قبيح المنظر والله لقد كذب أبي كيف قال ذلك الكلام فما أنت إلا مليح وكـ ـان ابـ ـن ملك الهند قد خطبها من أبيها فرده لأنه كان بشع المنظر فظنت أنه هو الذي خطبها ثم أقبلت عليه وعانقتـ ـه وقبلته ورقدت هي وإياه فقالت لها الجواري يا سيدتي هذا ما هو الذي خطبك من أبيك لأن ذاك قبـ ـيح وهـ ـذا مليح وما يصلح الذي خطبك من أبيك ورده أن يكون خادماً لهذا ولكن يا سيدتي أن هذا الفتى له شأن عظـ ـيم ثم توجهت الجواري إلى الخادم المبطوح وأيقظته فوثب مرعوباً وفتش على سيفه قام يجده بيده فقالـ ـت لـ ـه الجواري الذي أخذ سيفك وبطحك جالس مع ابنة الملك وكان ذلك الخادم قد وكله الملك بالمحافظة على ابنتـ ـه خوفاً عليها من نوائب الزمان وطارق الحدثان فقام ذلك الخادم وتوجه إلى الستر ورفعه فرأى ابنـ ـة الملـ ـك جالسة مع ابن الملك وهما يتحدثان فلما نظرهما الخادم قال لابن الملك يا سيدي هل أنت أنسي أو جني فقـ ـال له ابن الملك ويلك يا أنجس العبيد كيف تجعل أولاد الملوك الأكاسرة من الشياطين الكافرة ثم أنه أخذ السيف بيده وقال له أنا صهر الملك وقد زوجني بابنته وأمرني بالدخول عليها فلما سمع الخادم منه ذلك الكلام قال له يا سيدي إن كنت من الأنس كما زعمت فإنها ما تصلح إلا لك وأنت أحق بها من غيرك ثم أن الخادم توجـ ـه إلى الملك وهو صارخ وقد شق ثيابه وحثا التراب على رأسه فلما سمع الملك صياحه قال له ما الذي دهـ ـاك فقد أرجفت فؤادي أخبرني بسرعة وأوجز في الكلام فقال له أيها الملك أدرك ابنتك فإنها قد اسـ ـتولى عليهـ ـا شيطان من الجن في زي الأنس مصور بصورة أولاد الملوك فدونك وإياه فلما سمع الملك منه هذا الكلام هم بقتله وقال له كيف تغافلت عن ابنتي حتى لحقها هذا العارض ثم أن الملك توجه إلى القصر الذي فيـ ـه ابنتـ ـه فلما وصل إليه وجد الجواري قائمات فقال لهن ما الذي جرى لابنتي قلن له أيها الملك بينما نحـ ـن جالسـ ـات

معها فلم نشعر إلا وقد هجم علينا هذا الغلام الذي كانه بدر التمام ولم نر أحسن منه وجهاً وبيده سيف مسلول فسألناه عن حاله فزعم أنك قد زوجته ابنتك ونحن لا نعلم شيئاً غير هذا ولا نعرف هل هو أنسي أو جني ولكنه عفيف أديب لا يتعاطى القبيح فلما سمع الملك مقالتهن برد ما به ثم أنه رفع الستر قليلاً قليلاً ونظر فرأى ابن الملك جالساً مع ابنته يتحدثان وهو في أحسن التصوير ووجهه كالبدر المنير فلم يقدر الملك أن يمسك نفسه من غيرته على ابنته فرفع الستر ودخل وبيده سيف مسلول وهجم عليها كأنه الغول فلما نظره ابن الملك قال لها أهذا أبوك قالت نعم. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٨٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك لما رأى الملك بيده سيف مسلول وقد هجم عليها كأنه الغول قال لها أهذا أبوك قالت نعم فعند ذلك وثب قائماً على قدميه وتناول سيفه بيديه وصاح على الملك صيحة منكرة فأدهشته وهم أن يحمل عليه بالسيف فعلم الملك أنه أوثب منه فأغمد سيفه ثم وقف حتى انتهى إليه ابن الملك فقابله بملاطفة وقال يا فتى هل أنت أنسي أم جني فقال له ابن الملك لولا أني أرعى ذمامك وحرمة ابنتك لسفكت دمك كيف تنسبني إلى الشياطين وأنا من أولاد الملوك الأكاسرة الذين لو شاء وأخذوا ملكك وزلزلوك عن عزل وسلطانك وسلبوا عنك جميع ما في أوطانك فلما سمع الملك كلامه هابه وخاف على نفسه منه وقال له أن كنت من أولاد الملوك كما زعمت فكيف دخلت قصري بغير أذني وهتكت حرمتي ووصلت إلى بنتي وزعمت أنك بعلها وادعيت أن قد زوجتك بها وأنا قد قتلت الملوك وأبناء الملوك حين خطبوها مني ومن ينجيك من سطوتي وأنا إن صحت على عبيدي وغلماني وأمرتهم بقتلك قتلوك في الحال فمن يخلصك من يدي فلما سمع ابن الملك منه ذلك الكلام قال للملك أني لا عجب منك ومن قلة بصيرتك هل تطمع لأبنتك في بعل أحسن مني وهل رأيت أحداً أثبت جناناً وأكثر مكافأة وأعز سلطاناً وجنوداً وأعواناً مني فقال له الملك لا والله ولكن وددت يا فتى أن تكون خاطباً لها على رؤوس الأشهاد حتى أزوجك بها وأما إذا زوجتك بها خفية فإنك تفضحني فيها فقال له ابن الملك لقد أحسنت في قولك ولكن أيها الملك إذا اجتمعت عبيدك وخدمك وجنودك على وقتلوني كما زعمت فإنك تفضح نفسك وتبقى الناس فيك بين مصدق ومكذب ومن الرأي عندي أن ترجع أيها الملك إلى ما أشير به عليك فقال له الملك هات حديثك فقال له ابن الملك الذي أحدثك به أما أن تبارزني أنا وأنت خاصة فمن قتل صاحبه كان أحق وأولى بالملك وأما أن تتركني في هذه الليلة وإذا كان الصباح فأخرج إلى عسكرك وجنودك وغلمانك وأخبرني بعدتهم فقال له الملك أن عدتهم أربعون ألف فارس غير العبيد الذين لي وغير أتباعهم وهم مثلهم في العدد فقال ابن الملك إذا كان طلوع النهار فأخرجهم إي وقل لهم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٨٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن ابن الملك قال له إذا كان طلوع النهار فأخرجهم إلي وقل لهم هذا خطب مني ابنتي على شرط أن يبارزكم جميعاً وادعي أنه يغلبكم ويقهركم وأنكم لا تقدرون عليه ثم أتركني معهم أبارزهم فإذا قتلوني فذلك أخفى لسرك وأصون لغرضك وأن غلبتهم وقهرتهم فمثلي يرغب الملك في مصاهرته فلما سمع الملك كلامه استحسن رأيه وقبل رأيه مع ما استعظمه من قوله وما هاله من أمره في

عزمه على مبارزة جميع عسكره الذين وصفهم له ثم جلسا يتحدثان وبعد ذلك دعا الملك بالخادم وأمره أن يخرج من وقته وساعته إلى وزيره ويأمره أن يجمع العساكر ويأمرهم بحمل أسلحتهم وأن يركبوا خيولهم فسار الخادم إلى الوزير وأعلمه بما أمره به الملك فعند ذلك طلب الوزير نقباء الجيش وأكابر الدولة وأمرهم أن يركبوا خيولهم ويخرجوا لابسين آلات الحرب هذا ما كان من أمرهم (وأما) ما كان من أمر الملك فإنه مازال يتحدث مع الغلام حيث أعجبه حديث وعقله وأدبه فبينما هما يتحدثان وإذا بالصباح قد أصبح فقام الملك وتوجه إلى تخته وأمر جيشه بالركوب وقدم لابن الملك فرساً جيداً من خيار خيله فقال له لا يعجبني شيء من خيلك ولا أركب إلا الفرس التي جئت راكباً عليها فقال له الملك وأين فرسك فقال له هي فوق قصرك فقال له في أي موضع في قصري فقال على سطح القصر فلما سمع كلامه قال له هذا أول ما ظهر من خيالك يا ويلك كيف تكون الفرس فوق السطح ولكن في هذا الوقت يظهر صدقك من كذبك ثم أن الملك التفت إلى بعض خواصه وقال له أمض إلى قصري وأحضر الذي تجده فوق السطح فصار الناس متعجبين من قول الفتى ويقول بعضهم لبعض كيف ينزل هذا الفرس من سلالم السطح أن هذا شيء ما سمعنا بمثله ثم أن الذي أرسله الملك إلى القصر صعد إلى أعلاه فرأى الفرس قائماً ولم ير أحسن منه فتقدم إليه وتأمله فوجده من الأبنوس والعاج وكان بعض خواص الملك طلع معه أيضاً فلما نظروا على الفرس تضاحكوا وقالوا وعلى مثل هذا الفرس يكون ما ذكره الفتى فما ظنه إلا مجنوناً ولكن سوف يظهر لنا أمره وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٨٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن خواص الملك لما نظروا الفرس تضاحكوا وقالوا وعلى مثل هذا الفرس يكون ما ذكره الفتى فما أظنه إلا مجنونا ولكن سوف يظهر لنا أمره وربما يكون له شأن عظيم ثم أنهم رفعوا الفرس على أيديهم ولم يزالوا حاملين لها حتى وصلوا إلى قدام الملك وأوقفوها بين يديه فاجتمع عليها الناس ينظرون إليها ويتعجبون من حسن صنعتها وحسن سرجها ولجامها واستحسنها الملك أيضاً وتعجب منها غاية العجب ثم قال لابن الملك يا فتى أهذه فرسك فقال نعم أيها الملك هذه فرسي وسوف ترى منها العجب فقال له الملك خذ فرسك وأركبها قال لا أركبها إلا إذا بعد عنها العساكر فأمر الملك العسكر الذين حوله أن يبعدوا عنها مقدار رمية السهم فقال له أيها الملك ها أنا رائح أركب فرسي وأحمل على جيشك فأفرقهم يميناً وشمالاً وأصدع قلوبهم فقال له الملك أفعل ما تريد ولا تبق عليهم فإنهم لا يبقون عليك ثم أن ابن الملك توجه إلى فرسه وركبها واصطفت له الجيوش وقال بعضهم لبعض إذا وصل الغلام بين الصفوف نأخذه بأسنة الرماح وشفار الصفاح فقال واحد منهم والله أنها مصيبة كيف نقتل هذا الغلام صاحب الوجه المليح والقد الرجيح فقال واحد آخر والله لن تصلوا إليه إلا بعد أمر عظيم وما فعل الفتى هذه الفعال إلا لما علم من شجاعة نفسه وبراعته فلما استوى ابن الملك على فرسه فرك لولب الصعود فتطاولت إليه الأبصار لينظروا ماذا يريدان يفعل فماجت فرسه واضطربت حتى عملت أغرب حركات تعملها الخيل وامتلأ جوفها بالهواء ثم ارتفعت وصعدت إلى الجو فلما رآه الملك قد ارتفع وصعد نادي على جيشه وقال ويلكم خذوه قبل أن يفوتكم فعند ذلك قال له وزرائه ونوابه أيها الملك هل أحد يلحق الطير الطائر وما هذا إلا ساحر عظيم قد

نجاك الله منه فأحمد الله تعالى على خلاصك من يده فرجع الملك إلى قصره بعد ما رأى من بن الملك ما رأى ولما وصل إلى قصره ذهب إلى ابنته وأخبرها بما جرى له مع ابن الملك في الميدان فوجدها كثيرة التأسف عليه وعلى فراقها له ثم أنها مرضت مرضاً شديداً ولزمت الوساد فلما رآها أبوها على تلك الحالة ضمها إلى صدره وقبلها بين عينيها وقال لها يا ابنتي أحمدي الله تعالى وأشكريه حيث خلصنا من هذا الساحر الماكر وجعل يكرر عليها ما رآه من ابن الملك ويذكر لها صفة صعوده في الهواء وهي لا تصغى إلى شيء من قول أبيها واشتد بكاؤها ونحيبها ثم قالت في نفسها والله لا آكل طعاماً ولا أشرب شراباً حتى يجمع الله بيني وبينه فحصل لأبيها الملك هم عظيم من أجل ذلك وشق عليه حال ابنته وصار حزين القلب عليها وكلما يلاطفها لا تزداد إلا شغفاً به وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٨٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك صار حزين القلب على ابنته وكلما يلاطفها لا تزداد إلا شغفاً به هذا ما كان من أمر الملك وابنته (وأما) ما كان من أمر ابن الملك فإنه لما صعد في الجو اختلى بنفسه وتذكر حسن الجارية وجمالها وكان قد سأل أصحاب الملك عن اسم المدينة واسم الملك واسم بنته وكانت تلك المدينة مدينة صنعاء ثم أنه جد في السير حتى أشرف على مدينة أبيه ودار حول المدنية ثم توجه إلى قصر أبيه ونزل فوق السطح وترك فرسه هناك ونزل إلى والده ودخل عليه فوجده حزيناً كئيباً لأجل فراقه فلما رآه والده قام إليه واعتنقه وضمه إلى صدره وفرح به فرحاً شديداً ثم أنه لما اجتمع بوالده وسأله عن الحكيم الذي عمل الفرس وقال يا والدي ما فعل الدهر به فقال له والده لا بارك الله في الحكيم ولا في الساعة التي رأيته فيها لأنه هو الذي كان سبباً لفراقك منا وهو مسجون يا ولدي من يوم غبت عنا فأمر ابن الملك بالأفراج عنه وأخراجه من السجن وإحضاره بين يديه فلما حضر بين يديه خلع عليه وأحسن إليه غاية الإحسان إلا أنه لم يزوجه إبنته فغضب الحكيم من أجل ذلك غضباً شديداً وندم على ما فعل وعلم أن ابن الملك قد عرف سر الفرس وكيفية سيرها ثم أن الملك قال لابنه الرأي عندي أنك لا تقرب هذا الفرس بعد ذلك ولا تركبها أبداً بعد يومك هذا إنك لا تعرف أحوالها فأنت منها على غرور وكان ابن الملك حدث أباه بما جرى له مع ابنه الملك صاحب تلك المدينة وما جرى له مع أبيها فقال له أبوه لو أراد الملك قتلك لقتلك ولكن في أجلك تأخير ثم أن ابن الملك هاجت بلابله بحب الجارية ابنة الملك صاحب صنعاء فقام إلى الفرس وركبها وفرك لولب الصعود فطارت به في الهواء وعلت به إلى عنان السماء فلما أصبح الصباح افتقده أبوه فلم يجده فطلع إلى أعلى القصر وهو ملهوف فنظر إلى ابنه وهو صاعد في الهواء فتأسف على فراقه وندم كل الندم حيث لم يأخذ الفرس ويخفى أمره ثم قال في نفسه والله أن رجع إلى ولدي ما بقيت أخلي هذا الفرس لأجل أن يطمئن قلبي على ولدي ثم أنه عاد إلى بكائه ونحيبه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٨٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك عاد إلى بكائه ونحيبه من حزنه على ولده هذا ما كان من أمره (وأما) ما كان من أمر إبنه فإنه لم يزل سائراً في الجو حتى وقف على مدينة صنعاء ونزل في المكان الذي كان فيه أولاً ومشى مستخفياً حتى وصل إلى محل ابنة الملك فلم يجدها لا هي ولا جواريها ولا الخادم الذي

كان محافظاً عليها فعظم ذلك عليه ثم أنه دار يفتش عليها في القصر فوجدها في مجلس آخر غير محلها الذي اجتمع معها فيه وقد لزمت الوساد وحولها الجواري والدايات فدخل عليهن وسلم عليهن فلما سمعت الجارية كلامه قامت إليه واعتنقته وجعلته تقبله بين عينيه وتضمه إلى صدرها فقال لها يا سيدتي أوحشتيني هذه المدة فقالت له أنت الذي أوحشتني ولو طالب غيبتك عني لكنت هلكت بلا شك فقال لها يا سيدتي كيف رأيت حالي مع أبيك وما صنع بي ولولا محبتك يا فتنة العالمين لقتلته وجعلته عبرة للناظرين ولكن أحبه من أجلك فقالت له كيف تغيب عني وهل تطيب حياتي بعدك فقال لها أتطعيني وتصغي إلي قولي فقالت له قل ما شئت فإني أجيبك ما تدعوني إليه ولا أخالفك في شيء فقال لها سيري معي إلى بلادي وملكي فقالت له حباً وكرامة فلما سمع ابن الملك كلامها فرح فرحاً شديداً وأخذ بيدها وعاهدها بعهد الله تعالى على ذلك ثم صعد بها إلى أعلى سطح القصر وركب فرسه وأركبها خلفه ثم ضمها إليه وشدها شداً وثيقاً وحرك لولب الصعود الذي في كتف الفرس فصعدت بهما إلى الجو فعند ذلك زعقت الجواري وأعلمن الملك أباها وأمها فصعدا مبادرين إلى سطح القصر والتفت الملك إلى الجو فرأى الفرس الآبنوس وهي طائرة بهما في الهواء فعند ذلك انزعج الملك وزاد انزعاجه وقال يا ابن الملك سألتك بالله أن ترحمني وترحم زوجتي ولا تفرق بيننا وبين بنتنا فلم يجبه ابن الملك ثم أن ابن الملك ظن في نفسه أن الجارية ندمت على فراق أمها وأبيها فقال لها يا فتنة الزمان هل لك أن أردك إلي أمك وأبيك فقالت له يا سيدي والله ما مرادي ذلك أنما مرادي أن أكون معك أينما تكون لأنني مشغولة بمحبتك عن كل شيء حتى أبي وأمي فلما سمع ابن الملك كلامها فرح بذلك فرحاً شديداً وجعل يسير الفرس بهما سيراً لطيفاً لكيلا يزعجها ولم يزل يسير بها حتى نظر إلى مرج أخضر وفيه عين جارية فنزلا هناك وأكلا وشربا ثم أن ابن الملك ركب فرسه وأردفها خلفه وأوثقها بالرباط خوفاً عليها وسار بها ولم يزل في الهواء حتى وصل إلى المدينة أبيه فاشتد فرحه ثم أراد أن يظهر للجارية محل سلطانه وملك أبيه ويعرفها أن ملك أبيه أعظم من ملك أبيها فأنزلها في بعض البساتين التي يتفرج فيها والده وأدخلها في المقصورة المعدة لأبيه وأوقف الفرس الآبنوس على باب تلك المقصورة وأوصى الجارية بالمحافظة على الفرس وقال لها اقعدي ههنا حتى أرسل إليك رسولي فإني متوجه إلى أبي لأجل أيهيء لك قصراً وأظهر لك ملكي ففرحت الجارية عندما سمعت منه هذا الكلام وقالت له افعل ما تريد. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٨٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية فرحت عندما سمعت من ابن الملك هذا الكلام وقالت له افعل ما تريد ثم خطر ببالها أنها لا تدخل إلا بالتبجيل والتشريف كما يصلح لأمثالها ثم أن ابن الملك تركها وسار حتى وصل إلى المدينة ودخل على أبيه فلما رآه أبوه فرح بقدومه وتلقاه ورحب به ثم أن ابن الملك قال لوالده اعلم أنني قد أتيت ببنت الملك التي كنت أعلمتك بها وقد تركتها خارج المدينة في بعض البساتين وجئت أعلمك بها لأجل أن تهيء الموكب وتخرج لملاقتها وتظهر لها ملكك وجنودك وأعوانك فقال له الملك حباً وكرامة ثم أمر من وقته وساعته أهل المدينة أن يزينوا المدينة أحسن زينة وركب في أكمل هيئة وأحسن زينة هو وجميع عساكره وأكابر دولته وسائر مملكته وخدمه وأخرج ابن الملك من قصره الحلي والحلل وما

تدخره الملوك وهيأ لها عمارة من الديباج الأخضر والأحمر والأصفر وأجلس على تلك العمارة الجواري الهنديات والروميات والحبشيات وأظهر من الذخائر شيئاً عجيباً ثم أن ابن الملك ترك العمارة بمن فيها وسبق إلى البستان ودخل المقصورة التي تركها فيها وفتش عليها فلم يجدها ولم يجد الفرس فعند ذلك لطم على وجهه ومزق ثيابه وجعل يطوف في البستان وهو مدهوش العقل ثم بعد ذلك رجع إلى عقل وقال في نفسه كيف علمت بسر هذا الفرس وأنا لم أعلمها بشيء من ذلك ولعل الحكيم الفارسي الذي عمل الفرس قد وقع عليها وأخذها جزاء بما عمله والدي معه ثم ابن الملك طلب حراس البستان وسألهم عمن مر بهم وقال لهم هل نظر تم أحد أمر بكم ودخل هذا البستان فقالوا ما رأينا أحداً دخل البستان سوى الحكيم الفارسي فإنه دخل ليجمع الحشائش النافعة فلما سمع كلامهم صح عنده أن الذي أخذ الجارية هو ذلك الحكيم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٨٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك لما سمع كلامهم صح عنده أن الذي أخذ الجارية هو ذلك الحكيم وكان بالأمر المقدر أن ابن الملك لما ترك الجارية في المقصورة التي في البستان وذهب إلى قصر أبيه لهيء أمره دخل الحكيم الفارسي البستان ليجمع شيئاً من الحشيش النافع فشم رائحة المسك والطيب التي عبق منها المكان وكان ذلك الطيب من رائحة ابنة الملك فقصد الحكيم صوت تلك الرائحة حتى وصل إلى تلك المقصورة فرأى الفرس التي صنعه بيده واقف على باب المقصورة فلما رأى الحكيم الفرس امتلأ قلبه فرحاً وسروراً لأنه كان كثير التأسف على الفرس حيث خرجت من يده فتقدم إلى الفرس وافتقد جميع أجزائها فوجدها سالمة ولما أراد أن يركبها ويسير قال في نفسه لابد أن انظر إلى ما جاء به ابن الملك وتركه مع الفرس ههنا فدخل المقصورة فوجد الجارية جالسة وهي كالشمس الضاحية في السماء الصافية ثم توجه إلى المدينة ليجيء لها بموكب ويدخلها المدينة فقالت له من أنت فقالت لها يا سيدتي أنا رسول ابن الملك قد أرسلني إليك وأمرني أن أنقلك إلى بستان آخر قريب من المدينة فلما سمعت الجارية منه ذلك الكلام دخل في عقلها وصدقته وقامت معه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٨٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الحكيم الفارسي لما أخبر الجارية بأحوال ابن الملك صدقت كلامه ودخل في عقلها وقامت معه ووضعت يدها في يده ثم قالت له يا والدي ما الذي جئت لي به معك حتى أركبه فقال يا سيدتي الفرس التي جئت عليها تركبينها فقالت له لنا لا أقدر على ركوبها وحدي فتبسم الحكيم عندما سمع منها ذلك وعلم أنه قد ظفر بها فقال لها أنا أركب معك بنفسي ثم ركب وأركب الجارية خلفه وضمها إليه وضد وثاقها وهي لا تعلم ما يريد بها ثم أنه حرك لولب الصعود فامتلأ جوف الفرس بالهواء وتحركت وماجت ثم ارتفعت صاعدة إلى الجو ولم تزل سائرة بهما حتى غابت عن المدينة فقالت له الصبية يا هذا ابن الذي قلته عن ابن الملك حيث زعمت أنه أرسلك إلي فقال لها الحكيم قبح الله ابن الملك فإنه خبيث لئيم فقالت له يا ويلك كيف تخالف أمر مولاك فيما أمرك به فقال لها ليس هو مولاي فهل تعرفين من أنا فقالت له لا أعرفك إلا بما عرفتني به عن نفسك فقال لها أنما كان أخباري لك بهذا الخبر حيلة مني عليك وعلى ابن

الملك ولقد كنت متأسفاً طول عمري على هذه الفرس التي تحتك فإنها صناعتي وكان استولى عليها والآن قد ضفرت بها وبك أيضاً وقد أحرقت قلبه كما أحرق قلبي ولا يتمكن منها بعد ذلك أبداً فطبي قلباً وقري عيناً فأنا لك أنفع منه فلما سمعت الجارية كلامه لطمت على وجهها ونادت يا أسفاه لا حصلت حبيبي ولا بقيت عند أبي وأمي وبكت بكاء شديداً على ما حل بها ولم يزل الحكيم سائراً بها إلى بلاد الروم حتى نزل بها في مرج أخضر ذي أنهار وأشجار وكان ذالك المرج بالقرب من مدينة وفي تلك المدينة ملك عظيم الشأن فاتفق في ذلك اليوم أن ملك تلك المدينة خرج إلى الصيد والنزهة فجاز على ذلك المرج فرأى الحكيم واقفاً والفرس والجارية بجانبه فلم يشعر الحكيم إلا وقد هجم عليه عبيد الملك وأخذوه هو والجارية والفرس وأوقفوا الجميع بين يدي الملك فلما نظر إلى قبح منظره وبشاعته ونظر إلى حسن الجارية وجمالها قال لها يا سيدتي ما نسبة هذا الشيخ منك فبادر الحكيم بالجواب وقال هي زوجتي وابنة عمي فكذبته الجارية عندما سمعت قوله وقالت أيها الملك والله لا أعرفه ولا هو بعلي بل أخذ نيس قهراً بالحيلة فلما سمع الملك مقالها أمر بضربه فضربوه حتى كاد أن يموت ثم أمر الملك أن يحملوه إلى المدينة ويطرحوه في السجن ففعلوا به ذلك ثم أن الملك أخذ الجارية والفرس منه ولكنه لم يعلم بأمر الفرس ولا بكيفية سرها هذا ما كان من أمر الحكيم والجارية (وأما) ما كان من أمر ابن الملك فإنه لبس ثياب السفر وأخذ ما يحتاج إليه من المال وسافر وهو في أسوأ حال وسار مسرعاً يقتص الأثر في طلبهما من بلد إلى بلد ومن مدينة إلى مدينة ويسأل عن الفرس الآبنوس وكل من سمع منه خبر الفرس الآبنوس يتعجب ويستعظم ذلك منه فأقام على هذا الحال مدة من الزمان ومع كثرة السؤال والتفتيش عليهما لم يقع لهما على خبر ثم أنه سار إلى مدينة أبي الجارية وسأل عنها هناك فلم يسمع لها بخبر ووجد أباها حزيناً على فقدها فرجع وقصد بلاد الروم وجعل يقتص أثرهما ويسأل عنهما وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٩٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن ابن الملك قصد بلاد الروم وجعل يقتص أثرهما ويسأل عنهما فاتفق أنه نزل في خان من الخانات فرأى جماعة من التجار جالسين يتحدثون فجلس قريباً منهم فسمع أحدهم يقول يا اصحابي لقد رأيت عجباً من العجائب فقالوا وما هو قال أني كنت في بعض الجهات في مدينة كذا وذكر اسم المدينة التي فيها الجارية فسمعت أهلها يتحدثون بحديث غريب وهو أن ملك المدينة خرج يوماً من الأيام إلى الصيد والقنص ومعه جماعة من أصحابه وأكابر دولته فلما طلعوا إلى البرية جازوا على مرج أخضر فوجدوا هناك رجلاً واقفاً وإلى جانبه أمرأة جالسة ومعه فرس من آبنوس فأما الرجل فإنه قبيح المنظر مهول الصورة جداً وأما المرأة فإنها صبية ذات حسن وجمال وبهاء وكمال وقد واعتدال وأما الفرس الآبنوس فإنها من العجائب التي لم ير الراؤون أحسن منها ولا أجمل من صنعتها فقال له الحاضرون فما فعل الملك بهم فقال أما الرجل فإنه أخذه الملك وسأله عن الجارية فادعى أنها زوجته وابنة عمه وأما الجارية فإنها كذبته في قوله فأخذها الملك منه وأمر بضربه وطرحه في السجن وأما الفرس الآبنوس فمالي به علم فلما سمع ابن الملك هذا الكلام من التاجر دنا منه وصار يسأله برفق وتلطف حتى أخبره باسم المدينة واسم ملكها فلما عرف ابن الملك اسم المدينة واسم ملكها بات ليلته مسروراً فلما أصبح الصباح خرج وسافر ولم يزل مسافراً

حتى وصل إلى تلك المدينة فلما أراد أن يدخلها أخذه البوابون وأرادوا حضارة قدام الملك ليسأله عن حاله وعن سبب مجيئه إلى تلك المدينة وعما يحسنه من الصنائع وكانت هذه عادة الملك من سؤال الغرباء عن أحوالهم وصنائعهم وكان وصول ابن الملك إلى تلك المدينة في وقت المساء وهو وقت لا يمكن الدخول فيه على الملك ولا المشاورة عليه فأخذه البوابون وأتوا به إلى السجن ليضعوه فيه فلما نظر السجانون إلى حسنه وجماله لم يهن عليهم أن يدخلوه السجن بل أجلسوه معهم خارج السجن فلما جاءهم الطعام أكل معهم بحسب الكفاية فلما فرغوا من الأكل جعلوا يتحدثون ثم أقبلوا على ابن الملك وقالوا له من أي البلاد أنت فقال أنا من بلاد فارس بلاد الأكاسرة فلما سمعوا كلامه ضحكوا وقال بعضهم يا كسروى لقد سمعت حديث الناس وأخبارهم وشاهدت أحوالهم فما رأيت ولا سمعت أكذب من هذا الكسروي الذي عندنا في السجن فقال آخر ولا رأيت أقبح من خلقته ولا أبشع من صورته فقال لهم ما الذي بان لكم من كذبه فقالوا يزعم أنه حكيم وكان الملك قد رآه في طريقه وهو ذاهب إلى الصيد ومعه امرأة بديعة الحسن والجمال والبهاء والكمال والقد والاعتدال ومعه أيضاً فرس من الآبنوس الأسود ما رأينا قط أحسن منها فأما الجارية فهي عند الملك وهو لها محب ولكن تلك المرأة مجنونة ولو كان ذلك الرجل حكيماً كما يزعم لداواها والملك مجتهد في علاجها وغرضه مداواتها مما هي فيه وأما الفرس الآبنوس فإنها في خزانة الملك وأما الرجل القبيح المنظر الذي كان معها فإنه عندنا في السجن فإذا جن عليه الليل يبكي وينتحب أسفاً على نفسه ولا يدعنا ننام. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٩١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الموكلين بالسجن لما أخبره بخبر الحكيم الفارسي الذي عندهم في السجن وبما هو فيه من البكاء والنحيب خطر بباله أن يدبر تدبيراً ليبلغ به غرضه فلما أراد البوابون النوم أدخلوه السجن وأغلقوا عليه الباب فسمع الحكيم يبكي وينوح على نفسه بالفارسية ويقول في نوحه الويل لي بما جنيت على نفسي وعلى ابن الملك وبما فعلت بالجارية حيث لم أتركها ولم أظفر بمرادي وذلك كله من سوء تدبيري فإني طلبت لنفسي مالا استحقه ومالا يصلح لمثلي ومن طلب مالا يصلح له وقع في مثل ما وقعت فيه فلما سمع ابن الملك كلام الحكيم كلمة بالفارسية وقال له إلى كم هذا البكاء والعويل هل ترى أنه أصابك ما لم يصب غيرك فلما سمع الحكيم كلامه أنس به وشكا إليه حاله وما يجده من المشقة فلما أصبح الصباح أخذ البوابون ابن الملك وأتوا به إلى ملكهم وأعلموه أنه وصل إلى المدينة بالأمس في وقت لا يمكن الدخول فيه على الملك فسأله الملك وقال له من أي البلاد أنت وما أسمك وما صنعتك وما سبب مجيئك إلى هذه المدينة فقال ابن الملك أما اسمي فإنه بالفارسية حرجة وأما بلادي فهي بلاد فارس وأنا من أهل العلم وخصوصاً علم الطب فإني أداوي المرضى والمجانين ولهذا أطواف في الأقاليم والمدن لاستفيد علماً على علمي وإذا رأيت مريضاً فإني أداويه فهذه صنعتي فلما سمع الملك كلامه فرح به فرحاً شديداً وقال له أيها الحكيم الفاضل لقد وصلت إلينا وقت الحاجة إليك ثم أخبره بخبر الجارية وقال له أن داويتها وأبرأتها من جنونها فلك عندي جميع ما تطلبه فلما سمع كلام الملك قال له أعز الله الملك صف لي كل شيء رأيته من جنونها وأخبرني منذ كم يوم عرض لها هذا الجنون وكيف أخذتها هي والفرس والحكيم فأخبره بالخبر من

أوله إلى آخره ثم قال له أن الحكيم في السجن فقال له أيها الملك السعيد ما فعلت بالفرس التي كانت معهما فقال له باقية عندي إلى الآن محفوظة في بعض المقاصير فقال ابن الملك في نفسه أن من الرأي عندي أن تفقد الفرس وأنظرها قبل كل شيء فإن كانت سالمة لم يحدث فيها أمر فقدتم لي كل ما أريد وأن رأيتها قد بطلت حركاتها تحيلت بحيلة في خلاص مهجتي ثم التفت إلى الملك وقال له أيها الملك ينبغي أن أنظر الفرس المذكورة لعلي أجد شيئاً يعينني على برء الجارية فقال له الملك حباً وكرامة ثم قام الملك وأخذ بيده ودخل معه على الفرس فجعل ابن الملك يطوف حول الفرس ويتفقدها وينظر أحوالها فوجدها سالمة لم يعبها شيء ففرح ابن الملك بذلك فرحاً شديداً وقال أعز الله الملك أني أريد الدخول على الجارية حتى انظر ما يكون منها وأرجو الله أن يكون برؤها على يدي بسبب الفرس أن شاء الله تعالى ثم أمر بالمحافظة على الفرس ومضى به الملك إلى البيت الذي فيه الجارية فلما دخل عليها ابن الملك وجدها تختبط وتتصرع على عادتها ولم يكن بها جنون وأنما تفعل ذلك حتى لا يقر بها أحد فلما رآها ابن الملك على هذه الحالة قال لها لا بأس عليك يا فتنة العالمين ثم أنه جعل يرفق بها ويلاطفها إلى أن عرفها بنفسه فلما عرفته صاحت صيحة عظيمة حتى غشي عليها من شدة ما حصل لها من الفرح فظن الملك أن هذه الصرعة من فزعها منه ثم أن ابن الملك وضع فمه على أذنها وقال لها يا فتنة العالمين أحقني دمي ودمك واصبري وتجلدي فقالت له سمعاً وطاعة ثم أنه خرج من عندها وتوجه إلى الملك فرحاً مسروراً وقال أيها الملك السعيد قد عرفت بسعادتك داءها ودواءها وقد داويتها لك فقم الآن وادخل إليها ولين كلامك لها وترفق بها وعدها بما يسرها فإنه يتم لك كل ما تريد منها. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٩٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن ابن الملك لما جعل نفسه حكيماً ودخل على الجارية وأعلمها بنفسه وأخبرها بالتدبير الذي يدبره فقالت له سمعاً وطاعة ثم خرج من عندها وتوجه على الملك وقال له قم ادخل عليها ولين لها الكلام وعدها بما يسرها فإنه يتم لك كل ما تريد منها فقام الملك ودخل عليها فلما رأته قامت إليه وقبلت الأرض بين يديه ورحبت به ففرح الملك بذلك فرحاً شديداً ثم أمر الجواري والخدم أن يقوموا بخدمتها ويدخلوها الحمام ويجهزوا لها الحلي والحلل فدخلوا إليها وسلموا عليها فردت عليهم السلام بألطف منطق وأحسن كلام ثم ألبسوها حللاً من ملابس الملوك ووضعوا في عنقها عقداً من الجواهر وساروا بها إلى الحمام وخدموها ثم أخرجوها من الحمام كأنها بدر التمام ولما وصلت على الملك سلمت عليه وقبلت الأرض بين يديه فحصل للملك بها سرور عظيم وقال لابن الملك كل ذلك ببركتك زادنا الله من نفحاتك فقال له ابن الملك أن فقام برئها وكمال أمرها أنك تخرج أنت وكل من معك من أعوانك وعسكرك إلى المحل الذي كنت وجدتها فيه وتكون صحبتك الفرس الآبنوس التي كانت معها لأجل أن أعقد عنها العارض هناك وأسجنه وأقتله فلا يعود إليها أبداً فقال له الملك حباً وكرامة ثم أخرج الفرس الآبنوس إلى المرج الذي وجدها فيه هي والجارية والحكيم الفارسي وركب الملك مع جيشه وأخذ الجارية صحبته وهم لا يدرون ما يريد أن يفعل فلما وصلوا إلى ذلك المرج أمر ابن الملك الذي جعل نفسه حكيماً أن توضع الجارية والفرس بعيداً عن الملك والعساكر بمقدار مد البصر وقال للملك دستور عن أذنك أنا أريد أن أطلق البخور واتلوا العزيمة وأسجن

العارض هنا حتى لا يعود إليها أبداً ثم بعد ذلك أركب الفرس الأبنوس وأركب الجارية خلفي فإذا فعلت ذلك الفرس تضطرب وتمشي حتى تصل إليك . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٩٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك لما قال لملك الروم حتى تصل إليك فعند ذلك يتم الأمر فافعل بها بعد ذلك ما تريد فلما سمع الملك كلامه فرح فرحاً شديداً مث أن الملك ركب الفرس ووضع الصبية خلفه وصار الملك وجميع عسكره ينظرون إليه ثم أنه ضمها إليه وشد وثاقها وبعد ذلك فرك ابن الملك لولب الصعود فصعدت بهما الفرس في الهواء والعساكر تنظر إليه حتى غاب عن أعينهم ومكث الملك نصف يوم ينتظر عودته إليه فلم يعد فيئس منه وندم ندماً عظيماً وتأسف على فراق الجارية ثم أخذ عسكره وعاد إلى مدينته هذا ما كان من أمره (وأما) ما كان من أمر ابن الملك فإنه قصد مدينة أبيه فرحاً مسروراً ولم يزل سائراً إلى أن نزل على قصره وأنزل الجارية في القصر وأمن عليها ثم ذهب إلى أبيه وأمه فسلم عليهما وأعلمها بقدوم الجارية ففرحاً بذلك فرحاً شديداً هذا ما كان من أمر ابن الملك والفرس والجارية (وأما) ما كان من أمر ملك الروم فإنه لما عاد إلى مدينته احتجب في قصره حزيناً كئيباً فدخل عليه وزراؤه وجعلوا يسلونه ويقولون له أن الذي أخذ الجارية ساحر والحمد لله الذي أنجاك من سحره ومكره وما زالوا به حتى تسلى عنها وأما ابن الملك فإنه عمل الولائم العظيمة لأهل المدينة. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٩٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن ابن الملك عمل الولائم العظيمة لأهل المدينة وأقاموا في الفرح شهراً كاملاً ثم دخل على الجارية وفرحا ببعضهما فرحاً شديداً هذا ما كان من أمره (وأما) ما كان من أمر والده فإنه كسر الفرس الآبنوس وأبطل حركاتها ثم أن ابن الملك كتب كتاباً إلى أبي الجارية وذكر له فيه حالها وأخبره أنه تزوج بها وهي عنده في أحسن حال وأرسله إليه مع رسول وصحبته هدايا وتحفاً نفيسة فلما وصل الرسول إلى مدينة أبي الجارية وهي صنعاء اليمن أوصل الكتاب والهدايا إلى ذلك الملك فلما قرأ الكتاب فرح فرحاً شديداً وقبل الهدايا وأكرم الرسول ثم جهز هدية سنية لصهره ابن الملك وأرسلها إليه مع ذلك الرسول فرجع بها إلى ابن الملك وأعلمه بفرح الملك أبي الجارية حين بلغه خبر ابنته فحصل له سرور عظيم وصار ابن الملك في كل سنة يكاتب صهره ويهاديه ولم يزالوا كذلك حتى توفي الملك أبو الغلام وتولى هو بعده في المملكة فعدل في الرعية وسار فيهم بسيرة مرضية فدانت له البلاد وأطاعته العباد وأستمروا على هذه الحالة في ألذ عيش وأهناه وأرغده وأسراه إلى أن أتاهم هازم اللذات ومفرق الجماعات ومخرب القصور ومعمر القبور فسبحان الحي الذي لا يموت وبيده الملك والملكوت.

(حكاية أنس الوجود مع محبوبته الورد في الأكمام)

(ومما) يحكي أيضاً أنه كان في قديم الزمان وسالف العصر والآوان ملك عظيم الشأن ذو عز وسلطان وكان له وزير يسمى إبراهيم وكانت له ابنة بديعة في الحسن والجمال فائقة في البهجة والكمال وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٩٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن بنت الملك كانت فائقة في البهجة والكمال ذات عقل وافر وأدب باهر إلا أنها تهوى المنادمة والراح والوجوه الملاح ورقائق الأشعار ونوادر الأخبار تدعو العقول إلى الهوى رقة معانيها كما قال فيها بعض واصفيها.

كلبيو ـت بهـ ـا فتاذ ـة التـ ـرك والعـ ـرب … يجـ ـادلني فـ ـي الفقـ ـه والنحـ ـو والأدب

تقـ ـول أذ ـا المفعـ ـول بـ ـي وخفضـ ـتني … لمـ ـاذا وهـ ـذا فاعـ ـل فلـ ـم انتصـ ـب

فقلت لها نفسـ ـي وروحـ ـي لـ ـك الفـ ـدا … ألـ ـم تعلمـ ـي أن الزمـ ـان قـ ـد أنقلـ ـب

وإن كذ ـت يومـ ـاً تنكـ ـرين أنقلابـ ـه … فها فانظري ما عقدة الرأس فـ ـي الـ ـذنب

وكان اسمها الورد في الأكمام وسبب تسميتها بذلك فرط رقتها وكمال بهجتهـ ـا وكـ ـان الملـ ـك محبـ ـاً لمنادمتها الكمال أدبها ومن عادة الملك أنه في كل عام يجمع أعيان مملكته ويلعب بالكرة فلما كان ذلك اليـ ـوم الذي يجمع فيه الناس للعب الكرة جلست ابنة الوزير في الشباك لتتفرج فبينما هم في اللعب إذ لاحـ ـت منهـ ـا التفاتة فرأت بين العسكر شاباً لم يكن أحسن منه منظراً ولا أبهى طلعة نير الوجه ضاحك السن طويل البـ ـاع واسع المنكب فكررت فيه النظر مراراً فلم تشبع منه النظر فقالت لدايتها ما اسم هذا الشاب المليـ ـح الشـ ـمائل الذي بين العسكر فقالت لها يا بنتي الكل ملاح فمن هو فيهم فقالت لها هذا الشاب المليح الشمائل الـ ـذي بـ ـين العسكر فقالت لها يا بنتي الكل ملاح فمن هو فيهم فقالت لها أصبري حتى أشير لك عليه ثم أخـ ـذت تفاحـ ـة ورمتها عليه فرفع رأسه فراح ابنة الوزير في الشباك كأنها البدر في الأفلاك فلم يرد إليه طرفـ ـه إلا وهـ ـو بعشقها مشغول الخاطر فأنشد قول الشاعر:

أرمـ ـ ـاني القـ ـ ـواس أم جفنـ ـ ـاك … فتكـ ـا بقلـ ـب الصـ ـب حـ ـين رآك

وأتـ ـاني السـ ـهم المفـ ـوق برهـ ـة … مـ ـن جحفـ ـل أم جـ ـاء مـ ـن شـ ـباك

فلما فرغ اللعب قالت لدايتها ما اسم هذا الشاب الذي وريته لك قالت اسمه أنس الوجود فهزت رأسـ ـها ونامت في مرتبتها وقدحت فكرتها ثم صعدت الزفرات وأنشدت هذه الأبيات:

ما خـ ـاب مـ ـن سـ ـماك أنـ ـس الوجـ ـود … يـ ـا جامعـ ـاً مـ ـا بـ ـين أنـ ـس وجـ ـود

يـ ـا طلعـ ـة البـ ـدر الـ ـذي وجهـ ـه … قـ ـد نـ ـور الكـ ـون وعـ ـم الوجـ ـود

مـ ـا أنـ ـت إلا مفـ ـرد فـ ـي الـ ـورى … سـ ـلطان ذي حسـ ـن وعنـ ـده شـ ـهود

حاجبـ ـك النـ ـون التـ ـي حـ ـررت … ومقلتـ ـاك الصـ ـاد صـ ـنع الـ ـودود

وقـ ـدك الغصـ ـن الرطيـ ـب الـ ـذي … إذا دعـ ـى فـ ـي كـ ـل شـ ـيء يجـ ـود

قـ ـد فقـ ـت فرسـ ـان الـ ـورى سـ ـطوة … ولـ ـم تـ ـزل بفـ ـرط حسـ ـنك تسـ ـود

فلما فرغت من شعرها كتبته في قرطاس ولفته في خرقة من الحرير مطرزة بالذهب ووضعته تحـ ـت المخدرة وكانت واحدة من داياتها تنظر إليها فجاءتها وصارت تمارسها حتى نامت وسرقت الورقة من تحت المخدة وقرأتها فعرفت إنها حصل لها وجد بأنس الوجود وبعد أن قرأت الورقة وضعتها فـ ـي مكانهـ ـا فلمـ ـا استفاقت سيدتها الورد في الأكمام من نومها قالت لها يا سيدتي أني لك من الناصحات وعليك من الشـ فيقات

اعلمي أن الهوى شديد وكتمانه يذيب الحديد ويورث الأمراض والأسقام وما على من يبـ ـوح بـ ـالهوى مـ ـلام فقالت لها الورد في الأكمام يا دايتي وما دواء الغرام قالت دواءه الوصال قالت وكيف يوجد الوصال قالت يا سيدتي يوجد بالمراسلة ولين الكلام وإكثار التحية والسلام فهذا يجمع بين الأحباب وبه تسهل الأمور الصعاب وإن كان لك أمر يا مولاتي فأنا أولى بكتم سرك وقضاء حاجتك وحمل رسالتك فلما سمعت منها الورد فـ ـي الأكمام ذلك الكلام طار عقلها من الفرح لكن أمسكت نفسها عن الكلام حتى تنظر عاقبة أمرها وقالـ ـت فـ ـي نفسها أن هذا الأمر ما عرفه أحد مني فلا أبوح به لهذه المرأة إلا بعد أن أختبرها فقالت المرأة يا سيدتي أني رأيت في منامي كأن رجلاً جاءني وقال لي أن سيدتك وأنس الوجود متحابان فمارسـ ـي أمرهمـ ـا واحملـ ـي رسائلهما وأقض حوائجهما واكتمي أمرهما وأسرارهما يحصل لك خير كثير وها أنا قد قصصت ما رأيـ ـت عليك والأمر إليك فقالت الورد في الأكمام لدايتها لما أخبرتها بالمنام وأدرك شهرزاد الصباح فسـ ـكتت عـ ـن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٩٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الورد في الأكمام قالت لدايتها لما أخبرتها بالمنام الـ ـذي رأتـ ـه هـ ـل تكتمين الأسرار يا دايتي فقالت كيف لا أكتم الأسرار وأنا من خلاصة الأحرار فأخرجت لها الورقـ ـة التـ ـي كتبت فيها الشعر وقالت لها اذهبي برسالتي هذه إلى أنس الوجود وائتيني بجوابه فأخذتها وتوجهت بها إلـ ـى أنس الوجود فلما دخلت عليه قبلت يديه وحيته بألف سلام ثم أعطته القرطاس فقرأه وفهم معناه ثم كتب فـ ـي ظهره هذه الأبيات:

أعلـ ـل قلبـ ـي فـ ـي الغـ ـرام واكـ ـتم ... ولكـ ـن حـ ـالي عـ ـن هـ ـواي يتـ ـرجم
وأن فاض دمعي قلـ ـت جـ ـرح بمقلتـ ـي ... لـ ـئلا يـ ـرى حـ ـالي العـ ـذول فـ ـيفهم
وكنت خلياً لسـ ـت أعـ ـرف مـ ـا الهـ ـوى ... فأصـ ـبحت صـ ـبا والفـ ـؤاد متـ ـيم
رفعـ ـت إلـ ـيكم قصـ ـتي اشـ ـتكي بـ ـه ... غرامي ووجدي كـ ـي ترقـ ـوا وترحمـ ـوا
وسـ ـطرتها مـ ـن دمـ ـع عينـ ـي لعلهـ ـا ... بمـ ـا حـ ـل بـ ـي مـ ـنكم إلـ ـيكم تتـ ـرحم
رعـ ـى الله وجهـ ـاً بالجمـ ـال مبرقـ ـاً ... لـ ـه البـ ـدر عبـ ـد والكواكـ ـب تخـ ـدم
علـ ـى حسـ ـن ذات مـ ـا رأيـ ـت مثيلهـ ـا ... ومـ ـن ميلهـ ـا الأغصـ ـان عطفـ ـاً تـ ـتعلم
وأسـ ـألكم مـ ـن غيـ ـر حمـ ـل مشـ ـقة ... زيارتنـ ـا أن الوصـ ـال معظـ ـم
وهبت لكـ ـم روحـ ـي عسـ ـى تقبلونهـ ـا ... فلـ ـي الوصـ ـل خلـ ـد والصـ ـدود جهـ ـنم

ثم طوى الكتاب وقبله وأعطاه لها وقال لها يا داية استعطفي خاطر سيدتك فقالت له سمعاً وطاعة ثـ ـم أخذت منه المكتوب ورجعت إلى سيدتها وأعطتها القرطاس فقبلته ورفعته فوق رأسها ثـ ـم فتحتـ ـه وقرأتـ ـه وفهمت معناه وكتبت في أسفله هذه الأبيات:

يـ ـا مـ ـن تولـ ـع قلبـ ـه بجمالنـ ـا ... أصبر لعلـ ـك فـ ـي الهـ ـوى تحظـ ـى بنـ ـا
لمـ ـا علمنـ ـا أن حبـ ـك صـ ـادق ... وأصـ ـاب قلبـ ـك مـ ـا اصـ ـاب فؤادنـ ـا
زدنـ ـاك فـ ـوق الوصـ ـل وصـ ـلاً مثلـ ـه ... لكـ ـن منـ ـع الوصـ ـل مـ ـن حجابنـ ـا
وإذا تجلـ ـى الليـ ـل مـ ـن فـ ـرط الهـ ـوى ... تتوقـ ـد النيـ ـران فـ ـي أحشـ ـائنا

رجع ـت مضـ ـاجعنا الجنـ ـوب وربمـ ـا	قـ ـد بـ ـرح التبـ ـريح فـ ـي أجسـ ـامنا
الفرض في شرع الهـ ـوى كـ ـتم الهـ ـوى	لا ترفعـ ـوا المسـ ـبول مـ ـن أسـ ـتارنا
وقد انحشى مني الحشا بهـ ـوى الرشـ ـا	يـ ـا ليتـ ـه مـ ـا غـ ـاب عـ ـن أوطانـ ـا

فلما فرغت من شعرها طوت القرطاس وأعطته للداية وأدرك شهرزاد الصباح فسـ ـكتت عـ ـن الكـ ـلام المباح.

(وفي ليلة ٣٩٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الورد في الأكمام طوت القرطاس وأعطته للداية فأخذته وخرجت من عند الورد في الأكمام بنت الوزير فصادفها الحاجب وقال لها أين تذهبين فقالت إلى الحمام وقد انزعجت منه فوقعت منها الورقة حين خرجت من الباب وقت انزعاجها هذا ما كان من أمرها (وأما) ما كـ ـان مـ ـن أمـ ـر الورقة فإن بعض الخدم رآها مرمية في الطريق فأخذها ثم أن الوزير خرج من باب الحريم وجلـ ـس علـ ـى سريره فقصد الخادم الذي التقط الورقة فبينما الوزير جالس على سريره وإذا بذلك الخادم تقدم إليه وفي يـ ـده الورقة وقال له يا مولاي أني وجدت هذه الورقة مرمية في الدار فأخذتها فتناولها الوزير من يده وهي مطوية ففتحها فرأى مكتوباً فيها الأشعار التي تقدم ذكرها فقرأها وفهم معناها ثم تأمل كتابتها فرآها بخط ابنته فدخل على أمها وهو يبكي بكاء شديداً حتى ابتلت لحيته فقالت له زوجته ما أبكاك يا مولاي فقال لها خـ ـذي هـ ـذه الورقة وانظري ما فيها فأخذت الورقة وقرأتها فوجدتها مشتملة على مراسلة من بنتها الورد في الأكمام إلـ ـى أنس الوجود فجاءها البكاء لكنها غلبت على نفسها وكفكفت دموعها وقالت للوزير يا مـ ـولاي أن البكـ ـاء لا فائدة فيه وأنما الرأي الصواب أن تتبصر في أمريكون فيه صون عرضك وكتمان أمر بنتك وصارت تسـ ـليه وتخفف عنه الأحزان فقال لها أني خائف على ابنتي من العشق أما تعلمين أن السلطان يحب أنـ ـس الوجـ ـود محبة عظيمة ولخوفي من هذا الأمر سببان الأول من جهتي وهو أنها ابنتي والثاني من جهة السلطان وهو أن أنس الوجود محظي عند السلطان وربما يحدث من هذا أمرب عظيم فما رأيك فـ ـي ذلـ ـك وأدرك شـ ـهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٩٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير لما أخبر زوجته بخبر بنته وقال لها فما رأيك في ذلك قالت له أصبر علي حتى أصلي صلاة الاستخارة ثم أنها صلت ركعتين سنة الاستخارة فلما فرغت من صلاتها قالت لزوجها أن في وسط بحر الكنوز جبلاً يسمى جبل الثكلى وسبب تسميته بذلك سيأتي وذلك الجبل لا يقدر على الوصول إليه أحد إلا بالمشقة فاجعل لها موضعاً هناك فاتفق الوزير مع زوجته على أنه يبني فيه قصراً منيعاً ويجعلها فيه ويضع عندها مؤونتها عاماً بعد عاماً ويجعل عندها من يؤنسها ويخدمها ثـ ـم جمـ ـع النجـ ـارين والبنائين والمهندسين وأرسلهم إلى ذلك الجبل فأحس قلبها بالفراق فلما خرجت ورأت هيئة الأسفار بكت بكاءً شديداً وكتبت على الباب تعرف أنس الوجود بما جرى لها من الوجد الذي تقشعر منه الجلمود ويذيب الجلمود ويجري العبرات والذي كتبته هذه الأبيات:

بالله يـ ـا دار أن مـ ـر الحبيـ ـب ضـ حي مسـ . . . ـلماً بإشـ . . . ـارات يحيينـ . . . ـا

أهديـ ـه منـ ـا سـ ـلاماً زاكيـ ـاً عطـ ـراً لأنـ . ـه لـ . ـيس يـ . ـدري أيـ . ـن أمسـ . ـينا

ولست أدري إلـ ـى أيـ ـن الرحيـ ـل بنـ ـا لمـ ـا مضـ ـوا بـ ـي سـ ـريعاً مسـ ـتخفينا

في جنح ليل وطير الأيـ ـك قـ ـد عكفـ ـت علـ . ـى الغصـ . ـون تباكينـ . ـا وتتعينـ . ـا

وقـ ـال عنهـ ـا لسـ ـان الحـ ـال واحربـ ـاه مـ . ـن التفـ . ـرق مـ . ـا بـ . ـين المحبينـ . ـا

لما رأيـ ـت كـ ـؤوس البعـ ـد قـ ـد ملئـ ـت والـ ـدهر مـ ـن صـ ـرفها بـ ـالقهر يسـ ـقينا

مزجتهـ ـا بجميـ ـل الصـ ـبر معتـ ـذراً وعـ ـنكم الآن لـ ـيس الصـ ـبر يسـ ـلينا

فلما فرغت من شعرها ركبت وساروا بها يقطعون البراري والقفار والسهول والأوعار حتى وصـ ـلوا إلى بحر الكنوز ونصبوا الخيام على شاطيء البحر ومدوا لها مركباً عظيماً وأنزلوها فيها هي وعائلتها وقـ ـد أمرهم أنهم إذا وصلوا إلى الجبل وأدخلوها في القصر هي وعائلتها يرجعون بالمركب وبعد أن يطلعوا مـ ـن المركب يكسرونها فذهبوا وفعلوا جميع ما أمرهم به ثم رجعوا وهم يبكون على ما جرى هذا ما كـ ـان مـ ـن أمرهم (وأما) ما كان من أمر أنس الوجود فإنه قام من نومه وصلى الصبح ثم ركب وتوجـ ـه إلـ ـى خدمـ ـة السلطان فمر في طريقه على باب الوزير على جري العادة لعله يرى أحداً من اتباع الوزير الذين كان يراهم ونظر إلى الباب فرأى الشعر المتقدم ذكره مكتوباً عليه فلما رآه غاب عن وجوده واشتعلت النار في أحشـ ـائه ورجع إلى داره ولم يقر له قرار ولم يزل في قلق ووجد إلى أن دخل فكتم أمره وتنكر وخرج في جوف الليل هائماً على غير طريق وهو لا يدري أين يسير فسار الليل كله وثاني يوم إلى أن اشتد حر الشمس وتلهبـ ـت الجبال واشتد عليه العطش فنظر إلى شجرة فوجد بجانبها جدول ماء يجري فقصد تلك الشجرة وجلـ ـس فـ ـي ظلها على شاطيء ذلك الجدول وأراد أن يشرب فلم يجد للماء طعم في فمه وقد تغير لونه واصـ ـفر وجهـ ـه وتورمت قدماه من المشي والمشقة فبكي بكاء شديداً وسكب العبرات وأنشد هذه الأبيات:

سـ ـكر العاشـ ـق فـ ـي حـ ـب الحبيـ ـب كلمـ . . . ـا زاد غرامـ . . . ـاً ولهيـ . . . ـب

هـ . ـائم فـ . ـي الحـ . ـب صـ . ـب تائـ . ـه مـ . ـا لـ . ـه مـ . ـأوى ولا زاد يطيـ . ـب

كيـ ـف يهنـ ـا العـ ـيش للصـ ـب الـ ـذي فـ . ـارق الأحبـ . ـاب ذا شـ . ـيء عجيـ . ـب

ذبـ ـت لمـ ـا أن مـ ـا ذكـ ـا وجـ ـدي بهـ ـم وجـ ـرى دمعـ ـي علـ ـى خـ ـدي صـ ـبيب

هـ . ـل أراهـ . ـم أو أرى مـ . ـن ربعهـ . ـم أحـ . ـداً يبـ . ـري بـ . ـه القلـ . ـب الكئيـ . ـب

فلما فرغ من شعره بكى حتى بل الثرى ثم قام من وقته وساعته وسار من ذلك المكان فبينما هو سائر في البراري والقفار إذ خرج عليه سبع رقبته مختنقة بشعره ورأسه قدر القبة وفمه أوسع من البـ ـاب وأنيابـ ـه مثل أنياب الفيل فلما رآه أنس الوجود أيقن بالموت واستقبل القبلة وتشهد واستعد بالمديح فشرع يقول لـ ـه يـ ـا أسد الغابة يا ليث الفضاء يا ضرغام يا أبا الفتيان يا سلطان الوحوش أنني عاشق مشتاق وقد أتلفني العشـ ـق والفراق وحين فارقت الأحباب غبت عن الصواب فاسمع كلامي وارحم لوعتي وغرامي فلما سـ ـمع الأسـ ـد مقالته تأخر عنه وجلس مقفياً على ذنبه ورفع رأسه إليه وصار يلعب له ذنبه ويديه فلما رأى أنـ ـس الوجـ ـود هذه الحركات أنشد هذه الأبيات:

أســـد البيـــداء هـــل تقتلنـــي	قبـــل مـــا ألقـــى الـــذي تيمنـــي
لســـت صـــيد الأولابـــي ســـمن	فقـــد مـــن أهـــواه قـــد أســـقمني
وفـــراق المحـــب أضـــني مهجتـــي	فمثـــالي صـــورة فـــي كفـــن
يـــا أبـــا الحـــرث يـــا ليـــث الـــوغى	لا تشـــمت عـــاذلي فـــي شـــجني
أنـــا صـــب مـــدمعي غرقتـــي	وفـــراق الحـــب قـــد أقلقنـــي
واشـــتغالي فـــي دجـــى الليـــل بهـــا	عـــن وجـــودي فـــي الهـــوى غيبتـــي

فلما فرغ من شعره قام الأسد ومشى نحوه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٩٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أنس الوجود لما فرغ من شعره قام الأسد ومشى نحوه بلطف وعيناه مغرغرتان بالدموع ولما وصل إليه لحسه بلسانه ومشى قدامه وأشار إليه أن اتبعني فتبعه ولم يزل سائراً وهو خلفه ساعة من الزمان حتى طلع به فوق جبل ثم نزل به من فوق ذلك الجبل فرأى أثر المشي في البراري فعرف أن ذلك أثر مشي القوم بالورد في الأكمام فتبع الأثر ومشى فيه فلما رآه الأسد تبع الأثر وعرف أنه أثر مشي بمحبوبته رجع الأسد إلى حال سبيله وأما أنس الوجود فإنه لم يزل ماشياً في الأثر أياماً وليالي حتى أقبل على بحر عجاج متلاطم بالأمواج ووصل الأثر إلى شاطيء البحر وانقطع فعلم أنهم ركبوا البحر وساروا فيه وانقطع رجاؤه منهم والتفت يميناً وشمالاً فلم ير أحداً في البرية فخشي على نفسه من الوحوش فصعد على جبل عال فبينما هو في الجبل إذ سمع صوت آدمي يتكلم في مغارة فصغى إليه وإذا هو عابد قد ترك الدنيا واشتغل بالعبادة فطرق عليه المغارة ثلاث مرات فلم يجبه العابد ولم يخرج إليه فصعد على جبل عال فبينما هو في الجبل إذ سمع صوت آدمي يتكلم في مغارة فصغى غليه وإذا هو عابد قد ترك الدنيا واشتغل بالعبادة فطرق عليه المغارة ثلاث مرات فلم يجبه العابد ولم يخرج إليه فصعد على جبل عال فبينما هو في الجبل إذ سمع صوت آدمي يتكلم في مغارة فصغى إليه وإذا هو عابد قد ترك الدنيا واشتغل بالعبادة فطرق عليه المغارة ثلاث مرات فلم يجبه العابد ولم يخرج إليه فصعد الزفرات وأنشد هذه الأبيات:

كيـــف الســـبيل إلـــى أن أبلـــغ الأربـــا	وأتـــرك الهـــم والتكـــدر والتعبـــا
وكـــل هـــول مـــن الأهـــوال شـــيبني	قلبـــاً ورأســـاً مشـــيباً فـــي زمـــان صـــبا
ولم أجـــد لـــي معينـــاً فـــي الغـــرام ولا	خـــلا يخفـــف عنـــي الوجـــد والنصـــبا
وكم أكابـــد فـــي الأشـــواق مـــن ولـــه	كـــأن دهـــري علـــى الآن قـــد قلبـــا
وارحمتـــاه لصـــب عاشـــق قلـــق	كـــأس التفـــرق والهجـــران قـــد شـــربا
فالنار في القلب والأحشاء قـــد مجيـــت	والعقل مـــن لوعـــة التفريـــق قـــد ســـلبا
ما كـــان أعظـــم يـــوم جئـــت منـــزلهم	وقـــد رأيـــت علـــى الأبـــواب مـــا كتبـــا
بكيت حتى ســـقيت الأرض مـــن حـــرق	لكـــن كتمـــت علـــى الـــدانين والغربـــا
يا عابـــداً قـــد تغاضـــى فـــي مغارتـــه	كـــأن ذاك طعـــم العشـــق وانســـلبا
وبعـــد هـــذا وهـــذا كلـــه فـــإذا	بلغـــت قصـــدي فـــلا همـــا ولا تعبـــا

فلما فرغ من شعره وإذا بباب المغارة قد انفتح وسمع قائلاً يقول وارحمتاه فدخل البـ ـاب وسـ ـلم علـ ـى العابد فرد عليه السلام وقال له ما اسمك قال اسمي أنس الوجود فقال له ما سبب مجيئك إلي هذا المكان فقص عليه قصته من أولها إلى آخرها وأخبره بجميع ما جرى له فبكى العابد وقال له يا أنس الوجود أن لي في هذا المكان عشرين عاماً ما رأيت فيه أحداً إلا بالأمس فإني سمعت بكاء وغواشا فنظرت إلى جهة الصوت فرأيت ناساً كثيرين وخياماً منصوبة على شاطيء البحر وأقاموا مركباً ونزل فيها قوم منهم وساروا بها في البحر ثم رجع بالمركب بعض من نزل فيها وكسروها وتوجهوا إلى حال سبيلهم وأظن أن الذين ساروا علـ ـى ظهـ ـر البحر ولم يرجعوا هم الذين أنت في طلبهم يا أنس الوجود وحينئذ همك عظيم وأنت معذور ولكـ ـن لا يوجـ ـد محب إلا وقد قاسى الحسرات ثم أنشد العابد هذه الأبيات:

أنس الوجـ ـود خلـ ـى البـ ـال تحسـ ـبني	**والشـ ـوق والوجـ ـد يطـ ـويني وينشـ ـرني**
أني عرفت الهوى والعشق من صـ ـغري	**من حـ ـين كنـ ـت صـ ـبياً راضـ ـع اللـ ـبن**
مارسـ ـته زمنـ ـاً حتـ ـى عرفـ ـت بـ ـه	**إن كنـ ـت تسـ ـأل عنـ ـي فهـ ـو يعرفنـ ـي**
شربت كأس الجوى من لوعـ ـة وضـ ـنى	**فصـ ـرت محـ ـوا بـ ـه مـ ـن رقـ ـة البـ ـدن**
قد كنـ ـت ذا قـ ـوة لكـ ـن وهـ ـي جلـ ـدي	**وجيش صـ ـبري بأسـ ـياف اللحـ ـاظ فنـ ـي**
لا ترتجي في الهوى وصلا بغيـ ـر جفـ ـا	**فالضـ ـد بالضـ ـد مقـ ـرون مـ ـدى الـ ـزمن**
قضى الغـ ـرام علـ ـى العشـ ـاق أجمعهـ ـم	**أن السـ ـلو حـ ـرام بدعـ ـة الفـ ـتن**

فلما فرغ العابد من أنشاد شعره قام إلى أنس الوجود وعانقه. وأدرك شهرزاد الصباح فسـ ـكتت عـ ـن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٠٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العابد لما فرغ من إنشاد شعره قام إلى أنس الوجود عانقه وتباكيا حتى دوت الجبال من بكائهما ولم يزالا يبكيان حتى وقعا مغشياً عليهما ثم أفاقا وتعاهدا على أنهما أخوان في عهد الله تعالى ثم قال العابد لأنس الوجود أنا في هذه الليلة أصلي واستخير الله لك على شيء تعمله فقال له أنـ ـس الوجود سمعاً وطاعة هذا ما كان من أمر أنس الوجود (وأما) ما كان من أمر الورد في الأكمام فإنهـ ـا لمـ ـا وصلوا بها إلى الجبل وأدخلوها القصر ورأته ورأت ترتيبه بكت وقالت والله أنك مكان مليح غير أنك ناقص وجود الحبيب فيك ورأت في تلك الجزيرة أطياراً فأمرت بعض اتباعها أن ينصب لها فخا و يصطاد به منها وكل ما اصطاده يضعه في أقفاص من داخل القصر ففعل ما أمرته به ثم أنها قعـ ـدت فـ ـي شـ ـباك القصـ ـر وتذكرت ما جرى لها وزاد بها الغرام والوجد والهيام فسكبت العبرات وأنشدت هذه الأبيات:

يـ ـا لمـ ـن اشـ ـتكى الغـ ـرام الـ ـذي بـ ـي	**وشـ ـجوني وفرقتـ ـي عـ ـن حبيبـ ـي**
ولهيبـ ـاً بـ ـين الضـ ـلوع ولكـ ـن	**لسـ ـت أبديـ ـه خيفـ ـة مـ ـن رقيـ ـب**
ثـ ـم أصـ ـبحت رق عـ ـود خـ ـلال	**مـ ـن بعـ ـاد وحرقـ ـة ونحيـ ـب**
أيـ ـن عـ ـين الحبيـ ـب حتـ ـى ترانـ ـي	**كيـ ـف أصـ ـبحت مثـ ـل حـ ـال السـ ـلب**
قـ ـد تعـ ـدوا علـ ـى إذ حجبـ ـوني	**فـ ـي مكـ ـان لـ ـم يسـ ـتطعه حبيبـ ـي**
أسـ ـأل الشـ ـمس حمـ ـل الـ ـف سـ ـلام	**عنـ ـد وقـ ـت الشـ ـروق ثـ ـم الغـ ـروب**

لحبيب قد أخجل البدر حسنا ... منذ تبدى وفاق قد القضيب
أن حكى الورد خده قلت فيه ... لست تحكي أن لم تكن من نصيبي
أن في ثغره لسلسال ريق ... يجلب البرد عند حر اللهيب
كيف أسلوه وهو قلبي وروحي ... مسقمي ممرضي حبيبي طبيبي

هذا ما كان من أمر الورد في الأكمام (وأما) ما كان من أمر أنس الوجود فإن العابد قال له أنزل إلى الوادي وأئتني من النخيل بليف فنزل وجاء له بليف فأخذه العابد وفتله وجعله شنفاً مثل أشناف التبن وقال له يا أنس الوجود أن في جوف الوادي فرعا يطلع وينشف على أصوله فأنزل إليه واملأ هذا الشنف منه وأربطه وأرمه في البحر وأركب عليه وأتوجه به إلى وسط البحر لعلك تبلغ قصدك فإن من لم يخاطر بنفسه لم يبلغ المقصود فقال سمعاً وطاعة ثم ودعه وانصرف من عنده إلى ما أمره به بعد أن دعا له العابد ولم يزل أنس الوجود سائراً إلى جوف الوادي وفعل كما قال له العابد ولما وصل بالشنف لي وسط البحر هبت عليه ريح فزقه بالشنف حتى غاب عن عين العابد ولم يزل سابحاً في لجة البحر ترفعه موجة وتحطه أخرى وهو يرى ما في البحر من العجائب والأهوال إلى أن رمته المقادير على جبل الثكلى بعد ثلاثة أيام فنزل إلى البر مثل الفرخ الدايخ لهفان من الجوع والعطش فوجد في ذلك المكان أنهاراً جارية وأطياراً مغردة على الأغصان وأشجاراً مثمرة صنواناً وغير صنوان فأكل من الأثمار وشرب من الأنهار وقام يمشي فرأى بياضاً على بعد فمشى جهته حتى وصل إليه فوجده قصراً منيعاً حصيناً فأتي إلى باب القصر فوجده مقفولاً فجلس عنده ثلاثة أيام فبينما هو جالس وإذا بباب القصر قد فتح وخرج منه شخص من الخدم فرأى أنس الوجود قاعداً فقال له من أين أتيت ومن أوصلك إلى هنا فقال من أصبهان وكنت مسافراً في البحر بتجارة فانكسرت المركب التي كنت فيها فرمتني الأمواج على ظهر هذه الجزيرة فبكى الخادم وعانقه وقال حياك الله يا وجه الأحباب أن أصبهان بلادي ولي فيها بنت عم كنت أحبها وأنا صغير وكنت مولعاً بها فغزي بلادنا قوم أقوى منا وأخذوني في جملة الغنائم وكنت صغيراً فقطعوا أحليلي ثم باعوني خادماً وها أنا في تلك الحالة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٠١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الخادم الذي خرج من قصر الورد في الأكمام حدث أنس الوجود بجميع ما حصل له وقال له أن القوم الذين أخذوني قطعوا أحليلي وباعوني خادماً وها أنا في تلك الحالة وبعد ما سلم عليه وحياة أدخله ساحة القصر فلما دخل رأي بحيرة عظيمة وحولها أشجار وأغصان وفيها أطيار في أقفاص من فضة وأبوابها من الذهب وتلك الأقفاص معلقة على الأغصان والأطيار فيها تناغي وتسبح الملك الديان فلما وصل إلى أولها تأمله فإذا هو قمري فلما رآه الطير مد صوته وقال يا كريم فغشي على أنس الوجود فلما أفاق من غشيته صعد الزفرات وأنشد هذه الأبيات:

أيها القمري هل بمثلي تهيم ... فاسأل المولى وغرد يا كريم
يا ترى نوحك هذا طرب ... أو غرام منك في القلب مقيم
أن تنح وجدا الأحباب مضوا ... أو تخلفت بهم مضني سقيم

أو فق ـدت الحـ ـب مثلـ ـي فـ ـي الهـ ـوى ... فالتحـ ـافي يظهـ ـر الوجـ ـد القـ ـديم
يـ ـا راعـ ـي الله محبـ ـاً صـ ـادقاً ... لسـ ـت أسـ ـلوه ولـ ـو عظمـ ـي رمـ ـيم

فلما فرغ من شعره بكى حتى وقع مغشياً عليه وحين أفاق من غشيته مشى حتى وصل إلى ثاني قفص فوجده فاختا فلما رآه الفاخت غرد وقال يا دائم أشكرك فصعد أنس الوجود الزفرات وأنشد هذه الأبيات:

وفاخـ ـت قـ ـد طـ ـال فـ ـي نوحـ ـه ... يـ ـا دائمـ ـاً شـ ـكرا علـ ـى بلـ ـوتي
عسـ ـى لعـ ـل الله مـ ـن فضـ ـله ... يقضـ ـي بوصـ ـل الحـ ـب فـ ـي سـ ـفرتي
ورب معسـ ـول اللمـ ـي زارنـ ـي ... فزادنـ ـي عشـ ـقاً علـ ـى صـ ـبوتي
قلـ ـت والنيـ ـران قـ ـد أضـ ـرمت ... فـ ـي القلـ ـب حتـ ـى أحرقـ ـت مهجتـ ـي
والـ ـدمع مسـ ـفوك يحـ ـاكي دمـ ـا ... قـ ـد فـ ـاض جاريـ ـة علـ ـى وجنتـ ـي
مـ ـا تـ ـم مخلـ ـوق بـ ـلا محنـ ـة ... لكـ ـن لـ ـي صـ ـبراً علـ ـى محنتـ ـي
بقـ ـدرة الله متـ ـى لمنـ ـي ... وقـ ـت الصـ ـفا يـ ـوم علـ ـى سـ ـادتي
جعلـ ـت للعشـ ـاق مـ ـالي قـ ـرى ... لأنهـ ـم قـ ـوم علـ ـى سـ ـنتي
وأطلـ ـق الأطيـ ـار مـ ـن سـ ـجنها ... وأتـ ـرك الأحـ ـزان مـ ـن فرحتـ ـي

فلما فرغ من شعره تمشى إلى ثالث قفص فوجده هزاراً فزعق الهزار عند رؤيته فلما سمعه أنشد هذه الأبيات:

أن الهـ ـزار لطيـ ـف الصـ ـوت يعجبنـ ـي ... كأنه صـ ـوت صـ ـب فـ ـي الغـ ـرام فنـ ـي
وارحمتـ ـاه علـ ـى العشـ ـاق كـ ـم قلقـ ـوا ... من ليلـ ـة بـ ـالهوى والشـ ـوق والمحـ ـن
كأنهم من عظـ ـيم الشـ ـوق قـ ـد خلقـ ـوا ... بـ ـلا صـ ـباح ولا نـ ـوم مـ ـن الشـ ـجن
لمـ ـا جننـ ـت بمـ ـن أهـ ـواه قيـ ـدني ... فيـ ـه الغـ ـرام ولمـ ـا فيـ ـه قيـ ـدني
تسلسل الدمع مـ ـن عينـ ـي فقلـ ـت لـ ـه ... سلاسـ ـل الـ ـدمع قـ ـد طالـ ـت فسلسـ ـلني
زاد اشـ ـتياقي وطـ ـال البعـ ـد وانعـ ـدمت ... كنـ ـوز صـ ـبري وفـ ـرط الوجـ ـد أتلفنـ ـي
أن كـ ـان الـ ـدهر انصـ ـاف ويجمعنـ ـي ... بمـ ـن أحـ ـب وسـ ـتر الله يشـ ـملني
قلعت ثوبي لحبي كـ ـي يـ ـرى جسـ ـدي ... بالصد والبعـ ـد والهجـ ـران كيـ ـف ضـ ـني

فلما فرغ من شعره تمشى إلى رابع قفص فرآه بلبلاً فناح وغرد عند رؤية أنس الوجود فلمـ ـا سـ ـمع تغريده سكب العبرات وأنشد هذه الأبيات :

أن للبلبـ ـل صـ ـوتاً فـ ـي السـ ـحر ... شـ ـغل العاشـ ـق مـ ـن حسـ ـن الـ ـوتر
في الهـ ـوى أنـ ـس الوجـ ـود لمشـ ـتكي ... مـ ـن غـ ـرلام قـ ـد محـ ـا منـ ـه الأثـ ـر
كمـ ـا سـ ـمعنا صـ ـوت الحـ ـان محـ ـت ... طربـ ـاً صـ ـلد حديـ ـد وحجـ ـر
ونسـ ـيم الصـ ـبح قـ ـد يـ ـروي لنـ ـا ... عـ ـن ريـ ـاض يانعـ ـات بـ ـالزهر
فطربنـ ـا بسـ ـماع وشـ ـذا ... مـ ـن نسـ ـيم وطيـ ـور فـ ـي السـ ـحر
وتـ ـذكرنا حبيبـ ـاً غائبـ ـاً ... فجـ ـرى الـ ـدمع سـ ـيولاً ومطـ ـر
ولهيـ ـب النـ ـار فـ ـي أحشـ ـائنا ... مضـ ـمر ذاك كجمـ ـر بالشـ ـرر
متـ ـع الله محبـ ـاً عائقـ ـاً ... مـ ـن حبيـ ـب بوصـ ـال ونظـ ـر

أن للعشـ . . ـاق عـ . . ـذراً واضـ . . ـحاً   لـ . ـيس يـ . ـدري العـ . ـذر إلا ذو النظـ . ـر

فلما فرغ من شعره مشى قليلاً فرأى قفصاً حسناً لم يكن هناك أحسن منه فلما قرب منه وجـ ـده حمـ ـام الأيك وهو اليمام المشهور من بين الطيور بنوح الغرام وفي عنقه عقد من جوهر بديع النظام وتأمله فوجـ ـده ذاهلاً باطلاً باهتاً في قفصه فلما رآه بهذا الحال أفاض العبرات وأنشد هذه الأبيات:

يـ ـا حمـ ـام الأيـ ـك أقريـ ـك السـ ـلام   يـ ـا أخـ ـا العشـ ـاق مـ ـن أهـ ـل الغـ ـرام
إننـ . ـي أهـ . ـوى غـ . ـزالاً أهيفـ . ـاً   لحظـ ـه أقطـ ـع مـ ـن حـ ـد الحسـ ـام
فـ ـي الهـ ـوى أحـ ـرق قلبـ ـي والحشـ ـى   وعـ ـلا جسـ ـمي نحـ ـول وسـ ـقام
ولذيـ . ـذ الـ . ـزاد قـ . ـد أحرمتـ . ـه   مثـ ـل مـ ـا أحرمـ ـت مـ ـن طيـ ـب المنـ ـام
واصـ . ـطباري وسـ . ـلوي رحـ . ـلاً   والهـ ـوى بالوجـ ـد عنـ ـدي قـ ـد أقـ ـام
كيف يهنـ ـا العـ ـيش لـ ـي مـ ـن بعـ ـدهم   وهمـ ـوا روحـ ـي وقصـ ـدي والمـ ـرام

فلما فرغ أنس الوجود من شعره وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٠٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أنس الوجود لما فرغ من شعره التفت إلى صاحبه الأصبهاني وقال له ما هذا القصر ومن هو من بناه قال له بناه وزير الملك الفلاني لابنته خوفاً عليهـ ـا مـ ـن عـ ـوارض الزمـ ـان وطوارق الحدثان وأسكنها فيه هي واتباعها ولا تفتحه إلا في كل سنة مرة لما تأتي إليهم مؤنتهم فقـ ـال فـ ـي نفسه قد حصل المقصود ولكن المدة طويلة هذا ما كان من أمر أنس الوجود وأما ما كان من أمر الورد فـ ـي الأكمام فإنها لم يهنأ لها شراب ولا طعام ولا قعود ولا منام فقامت وقد زاد بها الغرام والوجد والهيام ودارت في أركان القصر فلم تجد لها مصرفاً فسكبت العبرات وأنشدت هذه الأبيات:

حبسـ . ـوني عـ . ـن حبيبـ . ـي قـ . ـوة   وأذاقـ . ـوني بسـ . ـجني لـ . ـوعتي
أحرقـ . ـوا قلبـ . ـي بنيـ . ـران الهـ . ـوى   حيـ . ـث ردوا عـ . ـن حبيبـ . ـي نظرتـ . ـي
حبسـ . ـوني فـ . ـي قصـ . ـور شـ . ـيدت   فـ . ـي جبـ . ـال خلقـ . ـت فـ . ـي لجـ . ـة
أن يكونـ . ـوا قـ . ـد أرادوا سـ . ـلوتي   لـ . ـم تـ . ـزد فـ . ـي الحـ . ـب إلا محنتـ . ـي
كيـ . ـف أسـ . ـلو والـ . ـذي بـ . ـي كلـ . ـه   أصـ . ـله فـ . ـي وجـ . ـه حبـ . ـي نظرتـ . ـي
فنهـ . ـاري كلـ . ـه فـ . ـي أسـ . ـف   أقطـ . ـع الليـ . ـل بهـ . ـم فـ . ـي فكرتـ . ـي
وأنيسـ . ـي ذكـ . ـرهم فـ . ـي وحـ . ـدتي   حـ ـين ألقـ ـي مـ ـن لقـ ـاهم وحشـ ـتي
يـ ـا تـ ـرى هـ ـل بعـ ـد هـ ـذا كلـ ـه   يسـ . ـمح الـ . ـدهر بلقيـ . ـا منيتـ . ـي

فلما فرغت من شعرها طلعت إلى سطح القصر وأخذت أثواباً بعلبكية وربطت نفسها فيها وتدلت حتى وصلت على الأرض وقد كانت لابسة أفخر ما عندها من اللباس وفي عنقها عقد من الجواهر وسـ ـارت فـ ـي تلك البراري والقفار حتى وصلت إلى شاطيء البحر فرأت صياداً في مركب دائر في البحر يصطاد فرمـ ـاه الريح على تلك الجزيرة فالتفت فرأى الورد في الأكمام في تلك الجزيرة فلما رآها فزع منها وخرج بالمركب هارباً فنادته وأكثرت إليه الإشارات وأنشدت هذه الأبيات:

يـ ـا أيهـ ـا الصـ ـياد لا تخشـ ـى الكـ ـدر
أنتـ ـي أنسـ ـية مثـ ـل البشـ ـر

أريـ ـد منـ ـك أن تجيـ ـب دعـ ـوتي
وتسـ ـمعن قـ ـولي بإسـ ـناد بـ ـالخبر

فـ ـارحم وقـ ـاك الله حـ ـر صـ ـبوتي
أن أبصـ ـرت عينـ ـاك محبوبـ ـاً نفـ ـر

فـ ـأنني أهـ ـوى مليحـ ـاً وجهـ ـه
فـ ـاق وجـ ـه الشـ ـمس نـ ـور القمـ ـر

والظبـ ـي لمـ ـا أن رأى الحاظـ ـه
قـ ـد قـ ـال أنـ ـي عبـ ـده ثـ ـم اعتـ ـذر

قـ ـد كتـ ـب الحسـ ـن علـ ـى وجنتـ ـه
سـ ـطراً بـ ـديعاً فـ ـي المعـ ـاني مختصـ ـر

فمـ ـن رأى نـ ـور الهـ ـوى قـ ـد اهتـ ـدى
أمـ ـا الـ ـذي ضـ ـل تعـ ـدي وكفـ ـر

"إن شـ ـاء تعـ ـديني بـ ـه يـ ـا حبـ ـذا
فكـ ـل مـ ـا القـ ـاه أجـ ـراً وأجـ ـر

ومـ ـن يواقيـ ـت ومـ ـا أشـ ـبهها
ولؤلـ ـؤ رطـ ـب وأنـ ـواع الـ ـدرر

عسـ ـى حبيبـ ـي أن يـ ـوفى بـ ـالمني
فـ ـإن قلبـ ـي ذاب شـ ـوقاً وانفطـ ـر

فلما سمع الصياد كلامها أرسى مركبه على البر وقال لها أنزلي في المركب حتى أعدى بـ ـك إلـ ـى أي موضع تريدين فنزلت في المركب وعوم بها فلما فارق البر بقليل هبت على المركب ريح من خلفها فسـ ـارت المركب بسرعة حتى غاب البر عن أعينهما وصار الصياد لا يعرف أين يذهب ومكث اشتداد الـ ـريح مـ ـدة ثلاثة أيام ثم سكن الريح بأذن الله تعالى ولم تزل المركب تسير بهما حتى وصلت إلى مدينة علـ ـى شـ ـاطيء البحر وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٠٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن المركب لما وصلت بالصياد والورد في الأكمام إلـ ـى مدينـ ـة علـ ـى شاطيء البحر أراد الصياد أن يرسى مركبه على تلك المدينة وكان فيها ملك عظيم السطوة يقال له دربـ ـاس وكان في ذلك الوقت جالساً هو وابنه في قصر مملكته وصار بنظران من شباك القصر فالتفتا إلى جهة البحر فرأيا تلك المركب فتأملاها فوجدا فيها صبية كأنها البدر في أفق السماء وفي أذنيها حلق من البلخش الغـ ـالي وفي عنقها عقد من الجوهر النفيس فعرف الملك أنها من بنات الأكابر والملوك فنزل الملك من قصره وخرج من باب القيطون فرأي المركب قد رست على الشاطيء وكانت البنت نائمة والصياد مشغولاً بربط المركـ ـب فأيقظها الملك من منامها فاستيقظت وهي تبكي فقال لها الملك من أين أنت وابنة من أنت وما سبب مجيئـ ـك هنا فقالت له الورد في الأكمام أنا ابنة إبراهيم وزير الملك شامخ وسبب مجيء هنا أمر عجيب وشأن غريب وحكت له جميع قصتها من أولها إلى آخرها ولم تخف عنه شيئاً ثم صعدت الزفرات وأنشدت هذه الأبيات:

قد قرح الدمع جفنـ ـي فاقتضـ ـى عجبـ ـاً
مـ ـن التكـ ـدر لمـ ـا فـ ـاض وانسـ ـكبا

من أجل خل سوى فـ ـي مهجتـ ـي أبـ ـدا
ولم أنل في الهـ ـوى مـ ـن وصـ ـله أربـ ـاً

لـ ـه محيـ ـا جميـ ـل باهرنضـ ـر
وفـ ـي الملاحـ ـة فـ ـاق التـ ـرك والعربـ ـا

والشـ ـمس والبـ ـدر قـ ـد مـ ـالا لطلعتـ ـه
كالصـ ـب والتزمـ ـا فـ ـي حبـ ـه الأدبـ ـا

وطرفـ ـه بعجيـ ـب السـ ـحر مكتحـ ـل
يريـ ـك قوسـ ـاً لرمـ ـي السـ ـهم منتصـ ـبا

يا من لـ ـه حـ ـالتي أوضـ ـحت معتـ ـذراً
ارحم محبـ ـاً بـ ـه صـ ـرف الهـ ـوى لعبـ ـا

أن الهوى قد رماني في وسط سـ ـاحتكم
ضـ ـعيف عـ ـزم ومـ ـنكم ارتجـ ـى حسـ ـباً

أن الكـ ـرام إذا مـ ـا حـ ـل سـ ـاحتهم
مستحسـ ـب فحمـ ـاهم يرفـ ـع الحسـ ـبا

فاستر فضائح أهـ ل العشـ ق يـ ـا أملـ ـي وكـ ـن لوصـ ـلتهم يـ ـا سـ ـيدي سـ ـبباً

فلما فرغت من شعرها حكت للملك قصتها من أولها إلى آخرها فقال لها لا خوف عليك ولا فزع قـ ـد وصلت إلى مرادك فلابد أن أبلغك ما تريدينه وأوصل إليك ما تطلبينه فاسمعي مني هذه الكلمات ثم أنشد هذه الأبيات:

بنـ ـت الكـ ـرام بلغـ ـت القصـ ـد والأربـ ـا لـ ـك البشـ ـارات لا تخشـ ـى هنـ ـا نصـ ـباً
اليـ ـوم أجمـ ـع أمـ ـوالاً وأرسـ ـلها لشـ ـامخ صـ ـحبة الفرسـ ـان والنجبـ ـا
نـ ـوافج المسـ ـك والـ ـديباج أرسـ ـلها وأرسـ ـل الفضـ ـة البيضـ ـا والـ ـذهبا
نعـ ـم وتخبـ ـره عنـ ـي مكـ ـاتبتي أنـ ـي مريـ ـداً لـ ـه صـ ـهراً ومنتسـ ـباً
وأبـ ـذل اليـ ـوم جهـ ـدي فـ ـي معاونـ ـة حتـ ـى يكـ ـون الـ ـذي تهـ ـوين مقتربـ ـاً
قد ذقت طعـ ـم الهـ ـوى دهـ ـراً وأعرفـ ـه وأعذر اليوم مـ ـن كـ ـأس الهـ ـوى شـ ـرباً

فلما فرغ من شعره خرج إلى عسكره ودعا بوزيره وحزم له مالا لا يحصى وأمره أن يذهب بذلك إلى الملك شامخ وقال له لابد أن تأتيني بشخص عنده اسمه أنس الوجود وقل له أنه يريد مصاهرتك بأن يـ ـزوج ابنته لأنس الوجود تابعك فلابد من إرساله معي حتى نعقد عقده عليها في مملكة أبيها ثم أن الملـ ـك دربـ ـاس كتب مكتوباً للملك شامخ بمضمون ذلك وأعطاه لوزيره وأكد عليه في الأتيان بأنس الوجود وقال لـ ـه أن لـ ـم تأتني به تكون معزولاً عن مرتبتك فقال له سمعاً وطاعة ثم توجه بالهدية إلى الملك شامخ فلما وصـ ـل إليـ ـه بلغه السلام عن الملك درباس وأعطاه المكاتبة والهدية التي معه فلما رآه الملك شامخ وقرأ المكاتبة ونظر اسم أنس الوجود بكى بكاء شديداً وقال للوزير المرسل إليه وأين أنس الوجود فإنه ذهب ولا نعلم مكانه فأتني بـ ـه وأنا أعطيك أضعاف ما جئت به من الهدية ثم بكى وأن واشتكى وأفاض العبرات وأنشد هذه الأبيات:

ردوا علـ ـ ـ ـ ـ ـ ـى حبيبـ ـ ـ ـ ـ ـي لا حاجـ ـ ـ ـ ـة لـ ـ ـ ـ ـي بمـ ـ ـ ـ ـال
ولا أريـ ـ ـ ـ ـ ـ ـد هـ ـ ـ ـ ـ ـ ـدايا مـ ـ ـ ـ ـ ـن جـ ـ ـ ـ ـوهر ولآ ـ ـ ـ ـي
يـ ـ ـد كـ ـ ـان عنـ ـ ـدي بـ ـ ـدرا سـ ـ ـ ـ ـما بـ ـ ـ ـ ـافق جمـ ـ ـ ـ ـال
وفـ ـ ـاق حسـ ـ ـناً ومعنـ ـ ـى ولـ ـ ـ ـ ـم يقـ ـ ـ ـ ـس بغـ ـ ـ ـ ـزل
وقـ ـ ـ ـد غصـ ـ ـ ـن بـ ـ ـ ـان أثمـ ـ ـ ـ ـ ـ ـاره مـ ـ ـ ـ ـ ـ ـن دلال
ولـ ـ ـيس فـ ـ ـي الغصـ ـ ـن طبـ ـ ـع يسـ ـ ـ ـبى عقـ ـ ـ ـول الرجـ ـ ـ ـال
ربيـ ـ ـ ـ ـه وهـ ـ ـ ـو طفـ ـ ـ ـل علـ ـ ـ ـ ـى مهـ ـ ـ ـ ـاد الـ ـ ـ ـ ـدلال
وأنـ ـ ـ ـ ـ ـ ـي لحـ ـ ـ ـ ـ ـ ـزين عليـ ـ ـ ـ ـه مشـ ـ ـ ـ ـغول بـ ـ ـ ـ ـال

ثم التفت إلى الوزير الذي جاء بالهدية والرسالة وقال له اذهب إلى سيدك وأخبـ ـره أن أنـ ـس الوجـ ـود مضى عام وهو غائب وسيده لم يدر أين ذهب ولا يعرف له خبر فقال له الوزير يا مولاي أن سيدي قال لي أن لم تأتني به تكن معزولاً عن الوزارة ولا تدخل مدينتي فكيف أذهب إليه بغيره فقال الملك شامخ لـ ـوزيره إبراهيم اذهب معه صحبة جماعة وفتشوا على أنس الوجود في سائر الأماكن فقال له سمعاً وطاعة ثـ ـم أخـ ـذ

جماعة من اتباعه واستصحب وزير الملك درباس وساروا في طلب أنس الوجود وأدرك شـ هرزاد الصـ باح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٠٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن ابراهيم وزير الملك شامخ أخذ جماعة من اتباعه واستصحب وزيـ ر الملك درباس وساروا في طلب أنس الوجود فكانوا كلما مروا بعرب أو قوم يسألونهم عـ ن أنـ س الوجـ ود فيقولون لهم هل مر بكم شخص اسمه كذا وصفته كذا وكذا فيقولون لا نعلمه ومازالوا يسألون فـ ي المـ دائن والقرآ ويفتشون في السهول والأوعار والبراري والقفار حتى وصلوا إلى شاطيء البحر وطلعوا في مركبـ ا ونزلوا فيها وساروا بها حتى أقبلوا على جبل الثكلي فقال وزير الملك درباس لوزير الملك شامخ لأي شـ يء سمي هذا الجبل بذلك الاسم فقال له لأنه نزلت به جنية في قديم الزمان وكانت تلك الجنية من جن الصين وقد أحبت أنساناً ووقع له معها غرام وخافت على نفسها من أهلها فلما زاد بها الغرام فتشت فـ ي الأرض علـ ى مكان تخفيه فيه عن أهلها فوجدت هذا الجبل منقطعاً عن الأنس والجن بحيث لا يهتدي إلى طريقه أحد مـ ن الأنس والجن فأختطفت محبوبها ووضعته فيه وصارت تذهب إلى أهلها وتأتيه في خفية ولم تزل على ذلـ ك زمناً طويلاً حتى ولدت منه في ذلك الجبل أطفالاً متعددة وكان كل من يمر على هـ ذا الجبـ ل مـ ن التجـ ار والمسافرين في البحر يسمع بكاء الأطفال كبكاء المرأة التي ثكلت أولادها أي فقدتهم فيقول هـ ل هنـ ا ثكلـ ى فتعجب وزير الملك درباس من هذا الكلام ثم أنهم ساروا حتى وصلوا إلى القصر وطرقوا الباب فانفتح الباب وخرج لهم خادم فعرف ابراهيم وزير الملك شامخ فقبل يده ثم دخل القصر فوجد في فسحته رجلاً فقيراً بـ ين الخدامين وهو أنس الوجود فقال لهم من أين هذا فقالوا له أنه رجل تاجر غرق ماله ونجا بنفسه وهو مجذوب فتركه ثم مشى إلى داخل القصر فلم يجد لأبنته أثراً فسأل الجواري التي هناك فقلن له ما عرفنا كيف راحـ ت ولا أقامت معنا سوى مدة يسيرة فسكب العبرات وأنشد هذه الأبيات :

أيهـ ـا الـ ـدار التـ ـي أطيارهـ ـا	قـ ـد تغنـ ـت وازدهـ ـت أعتابهـ ـا
فأتاهـ ـا الصـ ـب ينعـ ـي شـ ـوقه ورآهـ ـا	ورآهـ ـ ـ ـا فتحـ ـ ـ ـت أبوابهـ ـ ـ ـا
ليـ ـت شـ ـعري أيـ ـن ضـ ـاعت مهجتـ ـي	عنـ ـد دار قـ ـد نـ ـأت أربيبهـ ـا
كـ ـان فيهـ ـا كـ ـل شـ ـيء فـ ـاخر	واسـ ـتطالت واعتلـ ـت حجابهـ ـا
وكسـ ـوها حلـ ـل مـ ـن سـ ـندس	يـ ـا تـ ـرى أيـ ـن غـ ـدت أصـ ـحابها

فلما فرغ من شعره بكى وأنّ واشتكى وقال لا حيلة في قضاء الله ولا مفر مما قدره وقضاه ثم طلع إلى سطح القصر فوجد الثياب البعلبكية مربوطة في شراريف القصر واصلة إلى الأرض فعرف أنها نزلت مـ ن ذلك المكان وراحت كالهائم الولهان والتفت فرأى هناك طيرين غراباً وبومه فتشاءم من ذلك وصعد الزفرات وأنشد هذه الأبيات:

أتيـ ـت إلـ ـى دار الأحبـ ـة راجيـ ـاً	بآثـ ـارهم أطفـ ـاء وجـ ـدي ولـ ـوعتي
فلم أجد الأحباب فيهاولم أجد وقال لسان	بهـ ـا غيـ ـر مشـ ـؤمي غـ ـراب وبومـ ـة
الحـ ـال قـ ـد كنـ ـت ظالمـ ـاً	وفرقـ ـت بـ ـين المغـ ـرمين الأحبـ ـة
فذق طعم ما ذاقـ ـوه مـ ـن ألـ ـم الجـ ـوي	وعـ ـش كمـ ـداً مـ ـا بـ ـين دمـ ـع وحرقـ ـة

ثم نزل من فوق القصر وهو يبكي وقد أمر الخدام أن يخرجوا إلى الجبل ويفتشوا على سيدتهم ففعلوا ذلك فلم يجدوها هذا ما كان من أمرها (وأما) ما كان من أمر أنس الوجود فأنه لما تحقق أن الورد في الأكمام قد ذهبت صاح صيحة عظيمة ووقع مغشياً عليه واستمر في غشيته فظنوا أنه أخذته جذبة من الرحمن واستغرق في جمال هيبة الديان ولما يئسوا من وجود أنس الوجود واشتغل قلب الوزير ابراهيم بفقد بنته الورد في الأكمام أراد وزير الملك درباس أن يتوجه إلى بلاده وأن لم يفز من سفره بمراده فأخذ يودعه الوزير ابراهيم والد الورد في الأكمام فقال له وزير الملك درباس إني أريد أن آخذ هذا الفقير معي عسى الله تعالى أن يعطف على الملك ببركته لأنه مجذوب ثم بعد ذلك أرسله إلى بلاد أصبهان لأنها قريبة من بلادنا فقال له افعل ما تريد ثم انصرف كل منهما متوجهاً إلى بلاده وقد أخذ وزير الملك درباس أنس الوجود معه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٠٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن وزير الملك درباس أخذ أنس الوجود وهو مغشى عليه وسار ثلاثة أيام وهو في غشيته محمول على البغال ولا يدري هل هو محمول أو لا فلما أفاق من غشيته قال في أي مكان أنا فقالوا له أنت صحبة وزير الملك درباس ثم ذهبوا إلى الوزير وأخبروه أنه قد أفاق فأرسل إليه ماء الورد والسكر فسقوه وأنعشوه ولم يزالوا مسافرين حتى قربوا من مدينة الملك درباس فأرسل الملك إلى الوزير يقول له أن لم يكن أنس الوجود لا يعلم أين يذهبون به ولا يعلم أن الوزير مرسل في طلبه والوزير لا يعلم أن هذا هو أنس الوجود فلما رأى الوزير أن أنس الوجود قد استفاق قال له أن الملك أرسلني في حاجة وهي لم تقض ولما علم بقدومي أرسل إلى مكتوباً يقول لي فيه إن لم تكن الحاجة قد قضيت فلا تدخل مدينتي فقال له وما حاجة الملك فحكى له جميع الحكاية فقال له أنس الوجود لا تخف واذهب إلى الملك وخذني معك وأنا أضمن مجيء أنس الوجود ففرح الوزير بذلك وقال له أحق ما تقول فقال نعم فركب وأخذه معه وسار به إلى الملك فلما وصلا إلى الملك قال له أين أنس الوجود فقال له أنس الوجود أيها الملك أنا أعرف مكان أنس الوجود فقربه إليه وقال له في أي مكان هو قال في مكان قريب جداً ولكن أخبرني ماذا تريد منه وأنا أحضره بين يديك فقال له حباً وكرامة ولكن هذا الأمر يحتاج إلى خلوة ثم أمر الناس بالانصراف ودخل معه خلوة وأخبره الملك بالقصة من أولها إلى آخرها فقال له أنس الوجود ائتني بثياب فاخرة والبسني إياها وأنا آتيك بأنس الوجود سريعاً فأتاه ببدلة فاخرة فلبسها وقال أنا أنس الوجود وكمد الحسود ثم رمي القلوب باللحظات وأنشد هذه الأبيات:

يؤانسني ذكر الحبيب بخلوتي	ويطرد عني في التباعد وحشتي
وما لي غير الدمع عين وأنما	إذا فاض من عيني يخفف زفرتي وأمري
وشوقي شديد ليس يوجد مثله	عجيب فب في الهوى والمحبة
فأقطع ليلى ساهر الجفن لم أنم	وفي العشق أسعى بين نار وجنة
وقد كان لي صبر جميل عدمته	وما منحتي في الحب إلا بمحنتي
وقد رق جسمي من أليم بعادهم	وغيرت الأشواق وصفي وصورتي

وأجف ـان عيذ ـي بالـ ـدموع تقرحـ ـت ولـ ـم أسـ ـتطع أذ ـي أرجـ ـع دمعة ـي
وقـ ـد قـ ـل حيلـ ـي والفـ ـؤاد عدمت ـه وكـ ـم ذا ألاقـ ـي لوعـ ـة بعـ ـد لوعـ ـة
وقلبـ ـي ورأسـ ـي بالمشـ ـيب تشـ ـابها على سادة فـ ـي الحسـ ـن أحسـ ـن سـ ـادة
علـ ـى زعمهـ ـم كـ ـان التفـ ـرق بيننـ ـا ومـ ـا قصـ ـدهم إلا لقـ ـائي ووصـ ـلتي
فيا هل تـ ـرى بعـ ـد التقـ ـاطع والنـ ـوى يمتعذـ ـي دهـ ـري بوصـ ـل أحبتـ ـي
ويطوي كتاب البعـ ـد مـ ـن بعـ ـد نشـ ـره وتمحـ ـي براحـ ـات الوصـ ـال مشـ ـقتي
ويبقـ ـى حبيبـ ـي فـ ـي الـ ـديار منـ ـادمي وتبـ ـدل أحزانـ ـي بصـ ـفو سـ ـريرتي

فلما فرغ من شعره قال له الملك والله أنكما لمحبان صادقان وفي سماء الحسن كوكبان نيران وأمركما عجيب وشأنكما غريب ثم حكى له حكاية الورد في الأكمام إلى آخرها فقال له وأين هي يا ملك الزمان قـ ـال هي عندي الآن ثم أحضر الملك القاضي والشهود وعقد عقدها عليه وأكرمه وأحسن إليه ثـ ـم أرسـ ـل الملـ ـك درباس إلى الملك شامخ وأخبره بجميع ما اتفق له من أمر أنس الوجود والوردد في الأكمام ففرح الملك شامخ بذلك غاية الفرح وأرسل إليه مكتوباً مضمونه حيث حصل عقد العقد عندك ينبغي أن يكون الفرح والـ ـدخول عندي ثم جهز الجمال والخيل والرجال وأرسل في طلبهما فلما وصلت الرسالة إلى الملك درباس أمدهما بمال عظيم وأرسلهما مع جملة عسكره فساروا بهما حتى دخلوا مدينتهما وكان يوماً مشهوداً لم يـ ـر أعظـ ـم منـ ـه وجمع الملك شامخ سائر المطربات من آلات المغاني وعمل الولائم ومكثوا على ذلك سبعة أيام وفي كل يوم يخلع الملك شامخ على الناس الخلع السنية ويحسن إليهم ثم أن أنس الوجود دخل على الـ ـورد فـ ـي الأكمـ ـام فعانقها وجلسا يبكيان من فرط الفرح والمسرات فأنشد هذه الأبيات:

جـ ـاء السـ ـرور أزال الهـ ـم والحزنـ ـا ثـ ـم اجتمعـ ـا وأكمـ ـدنا حواسـ ـدنا
ونسـ ـمة الوصـ ـل قـ ـد هبـ ـت معطـ ـرة فأحيـ ـت القلـ ـب والأحشـ ـاء والبـ ـدنا
وبهجـ ـة الأنـ ـس قـ ـد لاحـ ـت مخلقـ ـة وفـ ـي الخـ ـوافتي قـ ـد دقـ ـت بشـ ـائرنا
لا تحسبوا أننا باكون من حزن لكـ ـن مـ ـن فـ ـرح فاضـ ـت مـ ـدامعنا
فكـ ـم رأيذـ ـا مـ ـن الأهـ ـوال وانصـ ـرفت وقد صـ ـبرنا علـ ـى مـ ـا هـ ـيج الشـ ـجنا
فساعة مـ ـن وصـ ـال قـ ـد نسـ ـيت بهـ ـا مـ ـا كـ ـان مـ ـن شـ ـدة الأهـ ـوال شـ ـيبنا

فلما فرغ من شعره تعانقا ولم يزالا متعانقين حتى وقعا مغشياً عليهما. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٠٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أنس الوجود والورد في الأكمام لما اجتمعا تعانقاً ولم يزالا متعـ ـانقين حتى وقعا مغشياً عليهما من لذة الاجتماع فلما أفاقا من غشيتهما أنشد أنس الوجود هذه الأبيات:

مـ ـا أحلاهـ ـا لـ ـيلات الوفـ ـا حيـ ـث أمنـ ـي لـ ـي حبيبـ ـي منصـ ـفاً
وتـ ـوالى الوصـ ـل فيمـ ـا بيننـ ـا وانفصـ ـال الهجـ ـر عنـ ـا قـ ـد وفـ ـى
وإلينـ ـا الـ ـدهر يسـ ـعى مقـ ـبلاً بعـ ـد مـ ـا مـ ـال وعنـ ـا أنحرفـ ـا

نصـ ـ ـب السـ ـعد لنـ ـ ـا أعلامـ ـ ـه وشـ ـربنا منـ ـه كأسـ ـاً قـ ـد صـ ـفا
واجتمعنـ ـ ـا وتشـ ـ ـاكينا الأسـ ـ ـى وليـ ـ ـ ـيلات تقضـ ـ ـ ـت بالجفـ ـ ـ ـا
ونسـ ـينا مـ ـا مضـ ـى يـ ـا سـ ـادتي وعـ ـف الـ ـرحمن عمـ ـا سـ ـلفا
مـ ـا ألـ ـذ العـ ـيش مـ ـا أطيبـ ـه لـ ـم يزددنـ ـي الوصـ ـل إلا شـ ـغفا

فلما فرغ من شعره تعانقا واضطجعا في خلوتهما ولم يزالا في منادمة وأشعار ولطف حكايات وأخبار حتى غرقا في بحر الغرام ومضت عليهما سبعة أيام وهما لا يدريان ليلاً من نهار لفرط ما هما فيه من لـ ذة وسرور وصفو وحبور فكأن السبعة أيام يوم واحد ليس له ثاني وما عرفاً يـ وم الأسـ بوع إلا بمجـ يء آلات المغاني فأكثرت الورد في الأكمام التعجبات وأنشدت هذه الأبيات:

علـ ـى غـ ـيظ الحواسـ ـد والرقيـ ـب بلغنـ ـا مـ ـا نريـ ـد مـ ـن الحبيـ ـب
وأسـ ـ ـعفنا التوصـ ـ ـل باعتنـ ـ ـاق علـ ـى الـ ـديباج والقـ ـز القشـ ـيب
وفـ ـرش مـ ـن أديـ ـم قـ ـد حشـ ـونا بـ ـريش الطيـ ـر مـ ـن شـ ـكل غريـ ـب
وعـ ـن شـ ـرب المـ ـدام قـ ـد أغتلينـ ـا بريـ ـق الحـ ـب جنـ ـل عـ ـن الضـ ـريب
ومـ ـن طيـ ـب الوصـ ـال فلـ ـيس نـ ـدري بأوقـ ـ ـات البعيـ ـ ـد مـ ـ ـن القريـ ـ ـب
ليـ ـ ـالي سـ ـ ـبعة مـ ـ ـرت علينـ ـ ـا ولـ ـم نشـ ـعر بهـ ـا كـ ـم مـ ـن عجيـ ـب
فهنـ ـ ـوني بأسـ ـ ـبوع وقولـ ـ ـوا أدام الله وصـ ـ ـ ـ ـلك بأحبيـ ـ ـ ـ ـب

فلما فرغت من شعرها قبلها أنس الوجود ما ينوف عن المئات ثم أنشد هذه الأبيات:

أتـ ـى يـ ـوم السـ ـرور مـ ـع التهـ ـاني وجـ ـاء الحـ ـب مـ ـن صـ ـد وفـ ـاني
فآنسـ ـني بطيـ ـب الوصـ ـل منـ ـه ونـ ـ ـادمني بالطـ ـ ـاف المعـ ـ ـاني
وأسـ ـقاني شـ ـراب الأنـ ـس حتـ ـى ذهلـ ـت عـ ـن الوجـ ـود بمـ ـا سـ ـقاني
طربنـ ـ ـا وانشـ ـ ـرحنا واضـ ـ ـطجعنا وصـ ـرنا فـ ـي شـ ـراب مـ ـع أغـ ـاني
ومـ ـن فـ ـرط السـ ـرور فلـ ـيس نـ ـدري مـ ـ ـن الأيـ ـ ـام أولهـ ـ ـا وثـ ـ ـاني
هنيئـ ـاً للمحـ ـب بطيـ ـب وصـ ـل ووافـ ـاة السـ ـرور كمـ ـا وفـ ـاني
ولا يـ ـدري لمـ ـر الصـ ـد طعمـ ـاً وربـ ـي قـ ـد حبـ ـاه كمـ ـا حبـ ـاني

فلما فرغ من شعره قاما وخرجا من مكانهما وأنعما على الناس بالمال والخلع وأعطيا ووهبـ ـا إلـ ـى أن أتاهم هازم اللذات ومفرق الجماعات فسبحان من لا يحول ولا يزول وإليه كل الأمور تؤول.

(ومما) يحكي أن الخليفة هارون الرشيد كان يحب السيدة زبيدة محبة عظيمة وبنى لها مكانـ ـاً للتنـ ـزه وعمل فيه بحيرة من الماء وعمل لها سياجاً من الأشجار وأرسل إليها الماء من كل جانـ ـب فالتفـ ـت عليهـ ـا الأشجار حتى لو دخل أحد يغتسل في تلك البحيرة لم يره أحد من كثرة أوراق الشجر فاتفق أن السيدة زبيـ ـدة دخلت ذلك المكان يوماً وأتت إلى البحيرة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٠٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن السيدة زبيدة لما دخلت ذلك المكان يوماً وأتت إلى البحيرة وتفرجـ ـت على حسنها فأعجبها رونقها والتفاف الأشجار عليها وكان ذلك في يوم شديد الحر فقلعت أثوابها ونزلت فـ ـي

البحيرة ووقفت وكانت البحيرة لا تستر من يقف فيها فجعلت تملأ الماء بأبريق من لجين وتصب الماء علـ ى بدنها فعلم الخليفة بذلك فنزل من قصره يتجسس عليها من خلف أوراق الأشجار فرآها عريانه وقد بان منه ـا ما كان مستوراً فلما أحست بأمير المؤمنين خلف أوراق الأشجار وعرفت أنه رآه ـا عرياذ ـة التفذ ـت إليـ ـه ونظرته فاستحشت منه ووضعت يديها على فرجها ففاض من بين يديها لفرط كبره وغلظه فولّى من سـ ـاعته وهو يتعجب من ذلك وينشد هذا البيت:

نظرت عيني لحيني   وزكا وجدي لبيني

فقال أبو نواس سمعاً وطاعة وارتجل في أقرب اللحظات وأنشد هذه الأبيات:

نظ . . . رت عيذ . . . ي لحيذ . . . ي	وزك . . . . ا وج . . . . دي لبيذ . . . . ي
مـ . . . ن غ . . . زال قـ . . . د سـ . . . باني	تحـ . . . . . ت ظـ . . . . ل الـ . . . . دوتين
سـ . . . . كب الـ . . . . ـاء عليـ . . . . ـه	بأبـ . . . . اريق اللجـ . . . . ين
نظرتذ . . . . ي سـ . . . . ترته	فـ . . . اص مـ . . . ن بـ . . . ين اليـ . . . دين
ليتذ . . . . . ي كذ . . . . . ت عليـ . . . . ـه	سـ . . . . اعة أو سـ . . . . اعتين

فتبسم أمير المؤمنين من كلامه وأحسن إليه وانصرف من عنده مسروراً.

(ومما يحكي) أن الملك العادل كسرى أنو شروان ركب يوماً إلى الصيد فأنفرد عن عسكره خلف ظبي فبينما هو ساع خلف الظبي إذ رأى ضيعة قريبة منه وكان قد عطش عطشاً شديداً فتوجه إلى تلك الضيعة وقد دار باب قوم في طريقه فطلب ماء ليشرب فخرجت له صبية فأبصرته ثم عادت إلى البيت وعصرت له عوداً واحداً من قصب السكر ومزجت ما عصرته منه بالماء ووضعته في قدح ووضعت عليه شيئاً مـ ـن الطيـ ـب يشبه التراب ثم سلمته إلى أنو شروان فنظر في القدح فرأى فيه شيئاً يشبه التراب فجعل يشرب منـ ـه قلـ ـيلاً حتى انتهى إلى آخره ثم قال للصبية أيتها الصبية نعم الماء ما أحلاه لولا ذلك القذي الذي فيه فإنه كدره فقالت الصبية أيها الضيف أنا عمداً القيت فيه ذلك القذى الذي كدره فقال الملك لوم فعلت ذلك فقالت لأنـ ـي رأيتـ ـك شديد العطش وخفت أن تشربه نهلة واحدة فضرك فلو لم يكن فيه قذى لكنت شربته بسرعة نهلة واحدة وكان يضرك شربه على هذه الطريقة فتعجب الملك العادل أنو شروان من كلامها وذكاء عقلها وعلم أن ما قالتـ ـه ناشيء عن ذكاء وفطنة وجودة عقل فقال لها من عود عصرت ذلك الماء فقالت من عود واحد فتعجب أنـ ـو شروان وطلب ضريبة الخراج الذي يحصل من تلك القرية فرأى خراجها قليلاً فاضمر في نفسه أنه إذا عـ ـاد إلى تخته يزيد في خراج تلك القرية وقال قرية يكون في عود واحد منها هذا الماء كيف يكون خراجها هـ ـذا القدر القليل ثم انصرف عن تلك القرية إلى الصيد وفي آخر النهار رجع إليها واجتاز على ذلك الباب منفرداً وطلب الماء ليشرب فخرجت تلك الصبية بعينها فرأته فعرفته ثم عادت لتخرج لـ ـه المـ ـاء فأبطـ ـأت عليـ ـه فاستعجلها أنو شروان وقال لأي شيء أبطأت وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٠٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك أنو شروان لما استعجل الصبية قال لها لأي شيء أبطأت فقالت له لأنه لم يخرج من عود واحد قدر حاجتك فعصرت ثلاثة أعوام ولم يخرج منها مثل ما كان يخرج من عود واحد فقال الملك أنو شروان ما سبب ذلك فقالت سببه أن نية السلطان قد تغيرت فقال لها من أين جاءك قالت سمعنا من العقلاء أنه إذا تغيرت نية السلطان على قوم زالت بركتهم وقلت خيراتهم فضحك أنو شروان وأزال من نفسه ما كان أضمر لهم عليه وتزوج بتلك الصبية حالا حيث أعجبه فرط ذكائها وفطنتها وحسن كلامها.

(ومما يحكي) أنه كان بمدينة بخارى رجل سقا يحمل بالماء إلى دار رجل صائغ ومضى له على تلك الحالة والصيانة فجاء السقا على عادته يوماً وصب الماء في الحباب وكانت قائمة في وسط الدار فدنا منها السقا وأخذ بيدها وفركها وعصرها ثم مضى وتركها فلما جاء زوجها من السوق قالت له أني أريد أن تعرفني أي شيء صنعت هذا اليوم في السوق ما يغضب الله تعالى فقال الرجل ما صنعت شيئاً يغضب الله تعالى فقالت المرأة بلى والله أنك فعلت شيئاً يغضب الله تعالى وأن لم تحدثني بما صنعت وتصدقني في حديثك لا أقعد في بيتك ولا تراني ولا أراك فقال أخبرك بما فعلته في يومي هذا على وجه الصدق اتفق لي أنني جالس في الدكان على عادتي إذ جاءت امرأة إلى دكاني وأمرتني أن أصوغ لها سواراً وانصرفت فصغت لها سواراً من ذهب ورفعته فلما حضرت أتيتها به فأخرجت يدها ووضعت السوار في ساعدها فتحيرت من بياض يدها وحسن زندها الذي يسبى الناظر وتذكرت قول الشاعر:

وسـ ـواعد تزهـ ـو بحسـ ـن أسـ ـاور	كالنـ ـار تضـ ـرم فـ ـوق مـ ـاء جـ ـار
فكأنمـ ـا والتبـ ـر محتـ ـاط بهـ ـا	مـ ـاء تمنطـ ـق معجبـ ـاً بالنـ ـار

فأخذت يدها وعصرتها ولويتها فقالت له المرأة الله أكبر لم فعلت هذا الجرم أن ذلك الرجل السقا الذي كان يدخل بيتنا منذ ثلاثين سنة ولم نر فيه خيانة أخذ اليوم يدي وعصرها ولواها فقال الرجل نسأل الله الأمان أيتها المرأة أني تائب مما كان مني فاستغفري الله لي فقالت المرأة غفر الله لي ولك ورزقنا حسن العاقبة فلما كان الغد جاء الرجل السقا والقى نفسه بين يدي المرأة وتمرغ على التراب واعتذر إليها وقال يا سيدتي اجعليني في حل مما أغراني به الشيطان حيث أضلني وأغواني فقالت له المرأة امض إلى حال سبيلك فإن ذلك الخطأ لم يكن منك وأنما كان سببه من زوجي حيث فعل ما فعل في الدكان فاقتص الله منه في الدنيا وقيل أن الرجل الصائغ لما أخبرته زوجته بما فعل السقا معها قال دقة بدقة ولو زدت لزاد السقا فصار هذا الكلام مثلاً سائراً بين الناس فينبغي للمرأة أن تكون مع زوجها ظاهراً وباطناً وتقنع منه بالقليل إن لم يقدر على الكثير وتقتدي بعائشة الصديقة وفاطمة الزهراء رضي الله تعالى عنهما لتكون مع حواشي السلف.

(ومما يحكي) أنه كان في قديم الزمان وسالف العصر والأوان امرأة صالحة في بني إسرائيل وكانت تلك المرأة دينة عابدة تخرج كل يوم إلى المصلى وكان بجانب تلك المصلى بستان فإذا خرجت إلى المصلى تدخل ذلك البستان وتتوضأ منه وكان في البستان شيخان يحرسانه فتعلق الشيخان بتلك المرأة وراوداها عن نفسها فأبت فقالا لها أن لم تمكنينا من نفسك لنشهدن عليك بالزنا فقالت لهما الجارية الله يكفيني شركما ففتحا

باب البستان وصاحا فأقبل عليهما الناس من كل مكان وقالوا ما خبركما فقالا أنا وجدنا هذه الجارية مع شاب يفجر بها وانفلت الشاب من أيدينا وكان الناس في ذلك الوقت ينادون بفضيحة الزاني ثلاثة أيام ثم يرجمونه فنادوا عليها ثلاثة أيام من أجل الفضيحة وكان الشيخان في كل يوم يدانون منها ويضعان أيديهما على رأسها ويقولان لها الحمد لله الذي أنزل بك نقمته فلما أرادوا رجمها اتبعهم دانيال وهو ابن اثنتي عشرة سنة وهذه أول معجزة له على نبينا وعليه الصلاة والسلام ولم يزل تابعاً لهم حتى لحقهم وقال لا تعجلوا عليها بالرجم حتى أقضي بينهم فوضعوا له كرسياً ثم جلس وفرق بين الشيخين وهو أول من فرق بين الشهود فقال لأحدهما ما رأيت فذكر له ما جرى فقال له حصل ذلك في أي مكان في البستان فقال في الجانب الشرقي تحت شجرة كمثرى ثم الثاني عما رأى فأخبره بما جرى فقال له في أي مكان في البستان فقال في الجانب الغربي تحت شجرة تفاح هذا والجارية واقفة رافعة رأسها ويديها إلى السماء وهي تدعو الله بالخلاص فأنزل الله تعالى صاعقة من العذاب فأحرقت الشيخين وأظهر الله تعالى براءة الجارية وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٠٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الصاعقة نزلت على الشيخين فأحرقتهما وأظهر الله براءة الجارية وهذا أول ما جرى من المعجزات لنبي الله دانيال عليه السلام.

(ومما يحكى) أن أمير المؤمنين هارون الرشيد خرج يوماً من الأيام هو وأبو أسحق النديم وجعفر البرمكي وأبو نواس وساروا في الصحراء فرأوا شيخاً متكئاً على حمار له فقال هارون الرشيد لجعفر أسأل هذا الشيخ من أين هو فقال له جعفر من أين جئت فقال من البصرة فقال له جعفر وإلى أين سيرك قال إلى بغداد قال وما تصنع فيها قال التمس دواء لعيني فقال هارون الرشيد يا جعفر مازحه فقال إذا مازحته أسمع منه ما أكره فقال بحقي عليك أن تمازحه فقال جعفر للشيخ إن وصفت لك دواء ينفعك ما الذي تكافئني به فقال له الله تعالى يكافئك عني ما هو خير لك من مكافئتي فقال أنصت إلي حتى أصف لك هذا الدواء الذي لا أصفه لأحد غيرك فقال له وما هو قال جعفر خذ لك ثلاث أوراق من هبوب الريح وثلاث أوراق من شعاع الشمس وثلاث أوراق من زهر القمر وثلاث أوراق من نور السراج وأجمع الجميع وضعها في الريح ثلاثة أشهر ثم بعد ذلك ضعها في هون بلا قعر ودقها ثلاثة أشهر فإذا دفقتها تضعها في جفنك مشقوقة وضع الجفنة في الريح ثلاثة أشهر ثم استعمل من هذا الدواء في كل يوم ثلاثة دراهم عند النوم واستمر على ذلك ثلاثة أشهر فإنك تعافي إن شاء الله تعالى فلما سمع الشيخ كلام جعفر انسطح على حماره وضرط ضرطة منكرة وقال خذ هذه الضرطة مكفأة لك على وصفك هذا الدواء فإذا استعملته ورزقني الله العافية أعطيته جارية تخدمك في حياتك خدمة يقطع الله بها أجلك فإذا مت وعجل الله بروحك إلى النار وسخمت وجهك بخراها من حزنها عليك وتندب وتلطم وتنوح وتقول في نياحها يا ساقع الذقن ما أسقع ذقنك فضحك هارون حتى استلقى على قفاه وأمر لذلك الرجل بثلاثة آلاف درهم.

(وحكى) الشريف حسين بن ريان أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب كان جالساً في بعض الأيام للقضاء بين الناس والحكم بين الرعايا وعنده أكابر أصحابه من أهل الرأي والإصابة فبينما هو جالس إذ أقبل

عليه شاب من أحسن الشباب نظيف الثياب وقد تعلق به شابان من أحسن الشباب وقد جذبه الشابان من طوقه وأوقفاه بين يدي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فنظر أمير المؤمنين إليهما وإليه فأمرهما بالكف عنه وأدناه منه وقال للشابان ما قصتكما معه فقالا يا أمير المؤمنين نحن أخوان شقيقان وباتباع الحق حقيقان كان لنا أب شيخ كبير حسن التدبير معظم في القبائل منزه عن الرذائل معروف بالفضائل رباناً صغاراً وأولانا كباراً وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٠٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشابين قالا لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب أن أبانا كان معظماً في القبائل منزه عن الرذائل معروفاً بالفضائل رباناً صغاراً وأولانا كبارا جم المناقب والمفاخر حقيقاً بقول الشاعر:

قالوا أبو الصقر من شيبان قلت لهم	**كلا لعمري ولكن منه شيبان**
فكم أب قد علا بابن ذرى شرف	**كما علا برسول الله عدنان**

فخرج يوماً إلى حديقة له ليتنزه في أشجارها ويقتطف يانع أثمارها فقتله هذا الشاب وعدل عن طريق الرشاد ونسألك القصاص بما جناه والحكم فيه بما أمرك الله فنظر عمر إلى الشاب نظرة مرهبة وقال له قد سمعت من هذين الغلامين الخطاب فما تقول أنت في الجواب وكان ذلك الغلام ثابت الجنان جريء اللسان قد خلع ثياب الهلع ونزع لباس الجزع فتبسم وتكلم بأفصح لسان وحيا أمير المؤمنين بكلمات حسان ثم قال والله يا أمير المؤمنين لقد وعيت ما أدعوا وصدقا فيما قالاه حيث أخبرا بما جرى وكان أمر الله قدرا مقدوراً ولكن سأذكر قصتي بين يديك والأمر فيها إليك اعلم يا أمير المؤمنين أني من صميم العرب العرباء الذين هم أشرف من تحت الجرباء نشأت في منازل البادية فأصابت قومي سود السنين العادية فأقبلت إلى ظاهر هذا البلد بالأهل والمال والولد وسلكت بعض طرائقها إلى المسير بين حدائقها بنياق كريمة لدى عزيزات علي بينهن فحل كريم الأصل كثير النسل مليح الشكل به يكثر منهن النتاج ويمشي بينهن كأنه ملك عليه تاج فندت بعض النياق إلى حديقة أبيهم وقد ظهر من الحائط أشجارها فتناولته بمشفرها فطردتها عن تلك الحديقة وإذا بشيخ من الحائط قد ظهر وزفير غيظه يرمي الشرر وفي يده اليمنى حجر وهو يتهادى كالليث إذا حضر فضرب الفحل بذلك الحجر فقتله لأنه أصاب مقتله فلما رأيت الفحل قد سقط بجانبي آنست أن قلبي قد توقدت فيه جمرات الغضب فتناولت ذلك الحجر بعينه وضربته به فكان سبباً لحينه ولقي سوء مقلبه والمرء مقتول بما قتل به وعند إصابته الحجر صاح صيحة عظيمة وصرخ صرخة اليمة فأسرعت بالسير من مكاني فأسرع هذان الشابان وأمسكاني وإليك أحضراني وبين يديك أوقفاني فقال عمر الله تعالى عنه قد اعترفت بما اقترفت وتعذر الخلاص ووجب القصاص ولات حين مناص فقال الشاب سمعاً وطاعة لما حكم به الإمام ورضيت بما اقتضته شريعة الإسلام ولكن لي أخ صغير كان له أب كبير خصه قبل وفاته بمال جزيل وذهب جليل وسلم أمره إلي وأشهد الله علي وقال هذا لأخيك عندك فأحفظه جهدك فأخذت ذلك المال منه ودفنته ولا أحد يعلم به إلا أنا فإن حكمت الآن بقتلي ذهب المال وكنت أنت السبب في ذهابه وطالبك الصغير بحقه يوم يقضي الله بين خلقه وإن أنت انظرتني ثلاثة أيام أقمت من يتولى أمر الغلام وعدت وافياً بالذمام ولي من

يضمنني على هذا الكلام فأطرق أمير المؤمنين رأسه ثم نظر إلى من حضر وقال من يقوم بضمانه والعـ ود إلى مكانه فنظر الغلام إلى وجوه من في المجلس وأشار إلى أبي ذردون الحاضـ رين وقـ ال هـ ذا يكفلنـ ي ويضمنني وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤١٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشاب لما أشار إلي أبي ذر وقال هذا يكفلني ويضمنني قـ ال عمـ ر رضي الله تعالى عنه يا أبا ذر أسمعت هذا الكلام وتضمن لي حضور هذا الغلام قال نعم يا أمير المـ ؤمنين أضمنه إلى ثلاثة أيام فرضي بذلك وأذن للغلام في الانصراف فلما انقضت مدة الإمهال وكاد وقتها أن يزول أوزال ولم يحضر الشاب إلى مجلس عمر والصحابة حوله كالنجوم حـ ول القمـ ر وأبـ و ذر قـ د حضـ روا الخصمان ينتظران فقالا ابن الغريم يا أبا ذر كيف رجوع من فر ولكن نحن لا نبرح من مكاننا حتى تأتينا به للأخذ بثأرنا فقال أبو ذرك وحق الملك العلام أن انقضت الثلاثة أيام ولم يحضر الغـ لام وفيـ ت بالضـ مان وسلمت نفسي للإمام فقال عمر رضي الله عنه والله إن تأخر الغلام لأقضين في أبي ذر ما اقتضـ ته شـ ريعة الإسلام فهملت عبرات الحاضرين وارتفعت زفرات الناظرين وعظم الضجيج فعرض أكابر الصحابة علـ ى الشابين أخذ الدية واغتنام الأثنية فأبيا ولم يقبلا شيئاً إلا الأخذ بالثار فبينما الناس يموجون ويضـ جون تأسـ فاً على أبي ذر إذا قبل الغلام ووقف بين يدي الإمام وسلم عليه بأحسن سلام ووجهه مشرق يتهلـ ل وبـ العرق يتكلل وقال له قد أسلمت الصبي إلى أخواله وعرفتهم بجميع أحواله وأطلعتهم على مكان ما له ثـ م اقتحمـ ت هاجرة الحر ووفيت فاه الحر فتعجب الناس من صدقه ووفائه وأقدامه على الموت واجترائه فقال له بعضـ هم ما أكرمك من غلام وأوفاك بالعهد والزمام فقال الغلام أما تحققتم أن الموت إذا حضر لا ينجو منه أحد وأنما وفيت كيلا يقال ذهب الوفاء من الناس فقال أبو ذر والله يا أمير المؤمنين لقد ضمنت هذا الغلام ولم أعرفـ ه من أي قوم ولا رأيته قبل ذلك اليوم ولكن لما أعرض عمن حضر وقصدني وقال هذا يضمنني ويكلفني لـ م أستحسن رده وأبت المروءة أن تخيب قصده إذ ليس في إجابة القصد من باس كيلا يقال ذهب الفضـ ل مـ ن الناس فعند ذلك قال الشابان يا أمير المؤمنين قد وهبنا لهذا الشاب دم أبينا حيث بدل الوحشة بالأيـ ناس كـ يلا يقال ذهب المعروف من الناس فاستبشر الإمام بالعفو عن الغلام وصدقه ووفائه بالذمام واستكبر مروءة أبـ ي ذر دون جلسائه واستحسن اعتماد الشابين في اصطناع المعروف وأثنى عليهما ثناء الشـ اكر وتمثـ ل بقـ ول الشاعر:

من صنع الخير بين الـ ورى يجـ ز بـ ـه لا يـ ـذهب الخيـ ـر بـ ـين الله والنـ ـاس

ثم عرض عليهما أن يصرف اليهما دية أبيهما من بيت المال فقالا أنما عفونا عنـ ه ابتغـ اء وجـ ه الله الكريم المتعال ومن نيته كذا لا يتبع إحسانه مناولاً أذي.

(ومما يحكي) أن أمير المؤمنين هارون الرشيد كان له ولد قد بلغ من العمر ستة عشر عامـ اً وكـ ان معرضاً عن الدنيا وسالكاً طريقه الزهاد والعباد فكان يخرج إلى المقابر ويقول قد كنتم تملكون الدنيا فما ذلكم بمنجيكم وقد صرتم إلى قبوركم فيا ليت شعري ما قلتم وما قيل لكم ويبكي بكاء الخائف الوجل وينشـ د قـ ول القائل:

فاتفق أن أباه مر عليه في بعض الأيام هو في موكبه وحوله وزرائه وكبراء دولته وأهل مملكته فرأوا ولد أمير المؤمنين وعلى جسده جبة من صوف وعلى رأسه مئزر من صوف فقال بعضهم لبعض لقد فضح هذا الولد أمير المؤمنين بين الملوك فلو عاتبه لرجع عما هو فيه فسمع أمير المؤمنين كلامهم فكلمه في ذلك وقال له لقد فضحتني بما أنت عليه فنظر إليه ولم يجبه ثم نظر إلى طائر على شرفة من شرفات القصر فقال له أيها الطائر بحق الذي خلقك أن تسقط على يدي فانقض الطائر على يد الغلام ثم قال له ارجع إلى موضعك فرجع إلى موضعه ثم قال له اسقط على يد أمير المؤمنين فأبى أن يسقط على يده فقال الغلام لأبيه أمير المؤمنين أنت الذي فضحتني بين الأولياء بحبك الدنيا وقد عزمت على مفارقتك مفارقة لا أعود إليك بعدها إلا في الآخرة ثم أنحدر إلى البصرة فكان يعمل مع الفعلة في الطين وكان لا يعمل في كل يوم إلا بدرهم ودانق فيتقوت بالدانق ويتصدق بالدرهم قال أبو عامر البصري وكان قد وقع في داري حائط فخرجت إلى موقف الفعلة لأنظر رجلاً يعمل لي فيه فوقعت عيني على شاب مليح ذي وجه صبيح فجئت إليه وسلمت عليه وقلت له يا حبيبي أتريد الخدمة فقال نعم فقلت قم معي إلى بناء حائط فقال لي بشروط اشترطها عليك قلت يا حبيبي ما هي قال الأجرة درهم ودانق وإذا أذن المؤذن تتركني حتى أصلي مع الجماعة قلت نعم ثم أخذته وذهبت به إلي المنزل فخدم خدمة لم أرى مثلها وذكرت له الغداء فقال لا فعلمت أنه صائم فلما سمع الأذان فقال لي قد علمت الشرط فقلت نعم فحل حزامه وتفرغ للوضوء وتوضأ وضوء لم أر أحسن منه ثم خرج إلى الصلاة فصلى مع الجماعة ثم رجع إلى خدمته فلما أذن العصر توضأ وذهب إلى الصلاة ثم عاد إلى الخدمة فقلت له ياحبيبي قد انتهى وقت الخدمة فإن خدمة الفعلة إلى العصر فقال سبحان الله أنما خدمتي إلى الليل ولم يزل يخدم إلى الليل فأعطيته درهمين فلما رآهما قال ما هذا قلت والله أن هذا بعض أجرتك لاجتهادك في خدمتي فرمي بهما إلي وقال لا أريد زيادة على ما كان بيني وبينك فرغبته فلم أقدر عليه فأعطيته درهماً ودانقاً وسار فلما أصبح الصباح بكرت إلى الموقف فلم أجده فسألت عنه فقيل لي أنه لا يأتي ههنا إلا في يوم السبت فقط فلما كان يوم السبت الثاني ذهبت إلى ذلك المكان فوجدته فقلت له باسم الله تفضل إلى الخدمة فقال لي على الشروط التي تعملها قلت نعم فذهبت به إلى داري ووقفت انظره وهو لا يراني فأخذ كفا من الطين ووضعه على الحائط فإذا الحجارة يتركب بعضها على بعض فقلت هكذا أولياء الله فخدم يومه ذلك وزاد فيه على ما تقدم فلما كان الليل دفعت له أجرته فأخذها وصار فلما جاء يوم السبت الثالث أتيت إلى الموقف فلم أجده فسألت عنه فقيل لي هو مريض وراقد في خيمة فلانة وكانت تلك المرأة عجوز مشهورة بالصلاح ولها خيمة من قصب في الجبانة فسرت إلى الخيمة ودخلتها فإذا هو مضطجع على الأرض وليست تحته شيء وقد وضع رأسه على لبنة ووجهه يتهلل نوراً فسلمت عليه فرد على السلام فجلست عند رأسه أبكي على صغر سنه وغربته وتوفيقه لطاعة ربه ثم قلت له ألك حاجة قال نعم قلت وما هي قال إذا كان الغد تجيء إلي في وقت الضحى فتجدني ميتاً فتغسلني وتحفر قبري ولا تعلم بذلك أحداً وتكفنني في هذه الجبة التي على بعد أن تفتقها وتفتش جيبها وتخرج ما فيه وتحفظه عندك فإذا صليت على وواريتني في التراب فاذهب إلى بغداد

وارتقب الخليفة هارون الرشيد حتى يخرج وادفع له ما يجده في جيبي وأقرئه مني السلام ثم تشد هد وأثن ى علي ربه بأبلغ الكلمات وأنشد هذه الأبيات:

بل ـغ أمان ـة م ـن واف ـت منيت ـه	إل ـى الرش ـيد ف ـإن الأج ـر ف ـي ذاك ـا
وق ـل غري ـب ل ـه ش ـوق ل ـرؤيتكم	عل ـى تم ـادي اله ـوى والبع ـد لباك ـا
م ـا ص ـده ع ـك لابغ ـض ولا مل ـل	لأن قربت ـه م ـ ـن ل ـ ـثم يمناك ـ ـا
وأنم ـا أبعدت ـه ع ـك ي ـا أبت ـي	نف ـس له ـا عف ـة ع ـن ني ـل دنياك ـا

ثم أن الغلام بعد ذلك اشتغل بالاستغفار وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤١١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الغلام بعد ذلك اشتغل بالاستغفار والصلاة والسلام على سيد الأبـ رار وتلاوة بعض الآيات ثم أنشد هذه الأبيات:

ي ـ ـا وال ـ ـدي لا تغت ـ ـر بت ـ ـنعم	ف ـ ـالعمر ينف ـ ـذ والنع ـ ـيم ي ـ ـزول
وإذا علم ـت بح ـال ق ـوم س ـاءهم	ف ـ ـاعلم بأن ـ ـك ع ـ ـنهم مس ـ ـؤول
وإذا حمل ـت إل ـى القب ـور جن ـازة	ف ـ ـاعلم بأن ـ ـك بع ـ ـدها محم ـ ـول

قال أبو عامر البصري فلما فرغ الغلام من وصيته وأنشاده ذهبت عنه وتوجهت إلى بيتي فلما أصـ بح الصباح ذهبت إليه من الغد وقت الضحى فوجدته قد مات رحمة الله عليه فغسلته وفتقت جبته فوجـ دت فـ ي جيبه يا قوته تساوى ألافاً من الدنانير فقلت في نفسي والله أن هذا الفتى لقد زهد في الدنيا غاية الزهد ثم بعـ د أن دفنته توجهت إلى بغداد ووصلت إلى دار الخلافة وصرت أترقب خروج الرشيد إلى أن خرج فتعرضـ ت له في بعض الطرق ودفعت إليه الياقوتة فلما رآها عرفها فخر مغشياً عليه فقبض على الخدمة فلما أفاق قـ ال للخدمة أفرجوا عنه وأرسلوه برفق إلى القصر ففعلوا ما أمرهم به فلما دخل قصره طلبني وأدخلنـ ي محلـ ه وقال لي ما فعل صاحب هذه الياقوتة فقلت قدمات ووصفت له حاله فجعل يبكي ويقول انتفع الولـ د وخـ اب الوالد ثم نادى يا فلانة فخرجت امرأة فلما رأتني أرادت أن ترجع فقال لها تعالى وما عليـ ك منـ ه فـ دخلت وسلمت فرمي إليها الياقوتة فلما رأتها صرخت صرخة عظيمة ووقعت مغشياً عليها فلما أفاقت من غشـ يتها قالت يا أمير المؤمنين ما فعل الله بولدي فقال لي أخبرها بشأنه وأخذته العبرة فأخبرتها بشأنه فجعلت تبكـ ي وتقول بصوت ضعيف ما أشوقني إلا لقائك يا قرة عيني ليتني كنت أسقيك إذا لم تجد ليتني كنت أؤانسـ ك إذا لم تجد مؤانساً ثم سكبت العبرات وأنشدت هذه الأبيات:

أبك ـي غريب ـاً أت ـاه الم ـوت منف ـرداً	ل ـم يل ـق الفال ـه يش ـكوا ال ـذي وج ـدا
من بع ـد ع ـز وش ـمل ك ـان مجتمع ـاً	أض ـحي فري ـداً وحي ـداً لا ي ـرى أح ـداً
يب ـين للن ـاس م ـا الأي ـام تض ـمره	ل ـم يت ـرك الم ـوت من ـا واح ـداً أب ـداً
ي ـا غائب ـاً دق ض ـى رب ـي بغربت ـه	وص ـ ـار من ـ ـي الق ـ ـرب مبتع ـ ـداً
أن أيأس الموت من لقي ـاك ي ـا ول ـدي	فأنن ـا نلتق ـي ي ـوم الحس ـاب غ ـداً

فقلت يا أمير المؤمنين أهو ولدك قال نعم وقد كان قبل ولايتي هذا الأمر ير زور العلماء ويجالس الصالحين فلما وليت هذا الأمر نفر مني وباعد نفسيه عني فقلت لأمه أن هذا الولد منقطع إلى الله تعالى وربما تصيبه الشدائد ويكابد الامتحان فادفعي إليه هذه الياقوتة ليجدها وقت الاحتياج إليها فدفعتها إليه وعزمت إليه أن يمسكها فامتثل أمرها وأخذها منها ثم ترك لنا دنيانا وغاب عنا ولم يزل غائباً عنا حتى لقي الله عز وجل تقيا نقياً ثم قال قم فأرني قبره فخرجت معه وجعلت أسير إلى أن أريته أياه فجعل يبكي وينتحب حتى وقع مغشياً عليه فلما أفاق من غشيته استغفر الله وقال أنا لله وإنا إليه راجعون ودعا له بخير ثم سألني الصحبة فقلت له يا أمير المؤمنين إن لي في ولدك أعظم العظمات ثم أنشدت هذه الأبيات:

أنا الغريب فلا آوي إلى أحد ... أنا الغريب وأن أمسيت في بلدي

أنا الغريب فلا أهل ولا ولد ... وليس لي أحد يأوي إلى أحد

إلى المساجد آوي بل وأعمرها ... فما يفارقها قلبي مدى الأبد

فالحمد لله رب العالمين على ... أفضاله ببقاء الروح في الجسد

(ومما يحكي) عن بعض الفضلاء أنه قال مررت بفقيه في كتاب وهو يقريء الصبيان فوجدته في هيئة حسنة وقماش مليح فاقبلت عليه فقام لي وأجلسني معه فمارسته في القراءات والنحو والشعر واللغة فإذا هو كامل في كل ما يراد منه فقلت له قوى الله عزمك فأنك عارف بكل ما يراد منك ثم عاشرته مدة وكل يوم يظهر فيه حسن فقلت في نفسي أن هذا شيء عجيب من فقيه يعلم الصبيان مع أن العقلاء اتفقوا على نقص عقل معلم الصبيان ثم فارقته وكنت كل أيام قلائل أتفقده وأزوره فأتيت إليه في بعض الأيام على عادتي من زيارته فوجدت الكتاب مغلقاً فسألت جيرانه فقالوا أنه مات عنده ميت فقلت في نفسي وجب علينا أن نعزيه فجئت إلى بابه وطرقته فخرجت لي جارية وقالت ما تريد فقلت أريد مولاك فقالت أن مولاي قاعداً في العزاء وحده فقلت لها قولي له أن صديقك فلاناً يطلب أن يعزيك فراحت وأخبرته فقال لها دعيه يدخل فأذنت لي في الدخول فدخلت إليه بالصبر ثم قلت له من الذي مات لك فقال أعز الناس على واحبهم إلي فقلت لعله والدك فقال لا قلت والدتك قال لا قلت أخوك قال لا قلت أحد من أقاربك قال لا قلت فما نسبته إليك قال حبيبتي فقلت في نفسي هذا أول المباحث في قلة عقله ثم قلت له قد يوجد غيرها مما هو أحسن منها فقال أنا ما رأيتها من لا تراها فقال اعلم أني كنت جالساً في الطاقة وإذا برجل عابر طريق يغني هذا البيت:

يا أم عمرو وجزاك الله مكرمة ... ردي على فؤادي أينما كانا

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤١٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الفقيه قال لما غنى الرجل المار في الطريق بالشعر الذي سمعته منه قلت في نفسي لولا أن أم عمر وهذه ما في الدنيا مثلها ما كان الشعراء يتغزلون فيها فتعلقت بحبها فلما كان بعد يومين عبر ذلك الرجل وهو ينشد هذا البيت:

إذا ذهب الحمار بأم عمرو ... فلا رجعت ولا رجع الحمار

فعلمت أنها ماتت فحزنت عليها ومضى لي ثلاثة أيام وأنا في العزاء فتركته وانصرفت بعدما تحقق ت قلة عقله (ومما يحكي) من قلة عقل معلم الصبيان أنه كان رجل فقيه في مكتب فدخل علي ه رج ل ظري ف وجلس عنده ومارسه فرآه فقيهاً نحويا لغويا شاعراً أديباً فهيما لطيفاً فتعجب من ذلك وقال أن الذين يعلم ون الصبيان في المكاتب ليس لهم عقل كامل فلما هم بالإنصراف من عند الفقيه قال له أنت ضيفي في هذه الليلة فأجابه إلى الضيافة وتوجه صحبته إلى منزله فأكرمه وأتى له بالطعام فأكلا وشربا ثم جلسا بعد ذلك يتحدثان إلى ثلث الليل وبعد ذلك جهز له الفراش وطلع إلى حريمه فاضطجع الضيف وأراد النوم وإذا بصراخ كثي ر ثار في حريمه فسأل ما الخبر فقالوا له أن الشيخ حصل له أمر عظيم وهو في آخر رمق فقال اطلعوني ل ه فطلعوه له ودخل عليه فرآه مغشياً عليه ودمه سائل فرش الماء على وجهه فلما أفاق قال له ما هذا الحال أنت طلعت من عندي في غاية ما يكون من الحظ وأنت صحيح البدن فما أصابك فقال له يا أخي بعد ما طلع ت من عندك جلست أتذكر في مصنوعات الله تعالى وقلت في نفسي كل شيء خلقه الله للإنسان فيه نفع لأن الله سبحانه وتعالى خلق اليدين للبطش والرجلين للمشي والعينين للنظر والأذنين للسماع والذكر للجماع وهلم جرا إلا هاتين البيضتين ليس لهما نفع فأخذت موس كان عندي وقطعتهما فحل لي هذا الأمر فنزل من عنده وقال صدق من قال إن كل فقيه يعلم الصبيان ليس له عقل كامل ولو كان يعرف جميع العلوم (وحكى) أيض اً أن بعض المجاورين كان لا يعرف الخط ولا القراءة وأنما يحتال على الناس بحيل يأكل منها الخبز فخطر بباله يوماً من الأيام أنه يفتح له مكتباً ويقريء فيه الصبيان فجمع ألواحاً وأوراقاً مكتوبة وعلقها في مك ان وكب ر عمامته وجلس على باب المكتب فصار الناس يمرون عليه وينظرون إلى عمامته وإل ى الأل واح والأوراق فيظنون أنه فقيه جيد فيأتون إليه بأولادهم فصار يقول لهذا أكتب ولهذا أقرأ فصار الأولاد يعلم بعضهم بعضاً فبينما هو ذات يوم جالس على باب المكتب على عادته وإذا بامرأة مقبلة من بعيد وبيدها مكتوب فقال في باله لابد أن هذه المرأة تقصدني لأقرأ لها المكتوب الذي معها فكيف يكون حالي معها وأنا لا أعرف قراءة الخ ط وهم بالنزول ليهرب منها فلحقته قبل أن ينزل وقالت له ألى أين فقال لها أريد أن أصلي الظهر وأعود فقالت له الظهر بعيد فأقرأ لي هذا الكتاب فأخذه منها وجعل أعلاه أسفله وصار ينظر إلي ه ويه ز عمامت ه ت ارة ويرقص حواجبه تارة أخرى ويظهر غيظاً وكان زوج المرأة غائباً والكتاب مرسل إليها من عنده فلم ا رأت الفقيه على تلك الحالة قالت في نفسها لاشك أن زوجي مات وهذا الفقيه يستحي أن يقول لي أنه مات فقالت له يا سيدي إن كان مات فقل لي فهز رأسه وسكت فقالت له المرأة هل أشق ثيابي فقال لها شقي فقالت له ه ل الطم على وجهي فقال لها الطمي فأخذت الكتاب من يده وعادت إلى منزلها وصارت تبكي ه ي وأولاده ا فسمع بعض جيرانها البكاء فسألوا عن حالها فقيل لهم أنه جاءها كتاب بموت زوجها فقال رجل أن هذا ك لام كذب لأن زوجها أرسل لي مكتوباً بالأمس يخبرني فيه أنه طيب بخير وعافية وأنه بعد عش رة أي ام يك ون عندها فقام من ساعته وجاء إلى المرأة وقال لها أين الكتاب الذي جاء فجاءت به إليه وأخذه منها وق رأه وإذا فيه أما بعد فأني طيب بخير وعافية وبعد عشرة أيام أكون عندكم وقد أرسلت إليكم ملحفة ومكم رة فأخ ذت الكتاب وعادت به إلى الفقيه وقالت له ما حملك على الذي فعلته معي وأخبرته بما قاله جارها م ن س لامة

زوجها وأنه أرسل إليها ملحفة ومكمرة فقال لها لقد صدقت ولكن يا حرمة أعذريني فأني كنت في تلك الساعة مغتاظاً وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤١٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن المرأة لما قالت للفقيه ما حملك على الذي فعلته معي فقال لها أني كنت في تلك الساعة مغتاظاً مشغول الخاطر ورأيت المكمرة ملفوفة في الملحفة فظننت أنه مات وكفنوه وكانت المرأة لا تعرف الحيلة فقالت له أنت معذور وأخذت الكتاب منه وأنصرفت (وحكى) أن ملكاً من الملوك خرج مستخفياً ليطلع على أحوال رعيته فوصل إلى قرية عظيمة فدخلها منفرداً وقد عطش فوقف بباب دار من دور القرية وطلب ماء فخرجت إليه امرة جميلة بكوز ماء فناولته أياه فشرب فلما نظر إليها افتتن بها فراودها عن نفسها وكانت المرأة عارفة به فدخلت به بيتها وأجلسته وأخرجت له كتاباً وقالت أنظر في هذا الكتاب إلى أن أصلح أمري وأرجع إليك فجلس يطالع في الكتاب وإذا فيه الزجر عن الزنا وما أعده الله لا هله من العذاب فاقشعر جلده وتاب الى الله وصاح بالمرأة وأعطاها الكتاب ودهب وكان زوج المرأة غائباً فلما حضر أخبرته بالخبر فتحير وقال في نفسه أخاف أن يكون وقع غرض الملك فيها فلم يتجاسر على وطئها بعد ذلك ومكث على ذلك مدة فأعلمت المرأة أقاربها بما حصل لها مع زوجها فعرفوه إلى الملك فلما مثل بين يديه قال أقارب المرأة أعز الله الملك أن هذا الرجل استأجر منا أرضاً للزراعة فزرعها مدة ثم عطلها فلا هو يتركها حتى نؤجرها لمن يزرعها ولا هو يزرعها وقد حصل الضرر للأرض فنخاف فسادها بسبب التعطيل لأن الأرض إذا لم تزرع فسدت فقال الملك ما الذي يمنعك من زرع أرضك فقال أعز الله الملك أنه قد بلغني أن الأسد قد دخل الأرض فهبته ولم أقدر على الدنو منها لعلمي أنه لا طاقة لي بالأسد وأخاف منه ففهم الملك القصة وقال له يا هذا إن أرضك لم يطأها الأسد وأرضك طيبة الزرع فازرعها بارك الله لك فيها فإن الأسد لا يعدو عليها ثم أمر له ولزوجته بصلة حسنة وصرفهم (ومما) يحكي أن أسحق بن إبراهيم الموصلي قال أتفق أنني ضجرت من ملازمة دار الخليفة والخدمة بها فركبت وخرجت ببكرة النهار وعزمت على أن أطوف الصحراء وأتفرج وقلت لغلماني إذا جاء رسول الخليفة أو غيره فعرفوه أنني بكرت في بعض مهماتي وأنك لا تعرفون أين ذهبت ثم مضيت وحدي وطفت في المدينة وقد حمى النهار فوقفت في شارع يعرف بالحرم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤١٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أسحق بن إبراهيم الموصلي قال لما حمى النهار وقفت في شارع يعرف بالحرم لاستظل من حر الشمس وكان للدار جناح رحب بارز على الطريق فلما لبث حتى جاء خادم أسود يقود حماراً فرأيت عليه جارية راكبة وتحتها منديل مكلل بالجواهر وعليها من اللباس الفاخر مالا غاية بعده ورأيت لها قواماً حسناً وطرفاً فاتراً وشمائل ظريفة فسألت عنها بعض المارين فقال لي إنها مغنية وقد تعلق بحبها قلبي عند نظري إليها وما قدرت أن أستقر على ظهر دابتي ثم إنها دخلت الدار التي كنت واقفاً على بابها فجعلت أتفكر في حيلة أتوصل بها إليها فبينما أنا واقف إذ أقبل رجلان شابان جميلان فاستأذنا فأذن لهما صاحب الدار فنزلا ونزلت معهما ودخلت صحبتهما فظنا أن صاحب الدار دعاني فجلسنا ساعة فأتي

بالطعام فأكلنا ثم وضع الشراب بين أيدينا ثم خرجت الجارية وفي يدها عود فغنت وشربنا وقمـ ـت لأقضـ ـي حاجة فسأل صاحب المنزل الرجلين عني فأخبراه أنهما لا يعرفاني فقال هذا طفيلي ولكنه ظريـ ـف فـ ـأجملوا عشرته ثم جئت فجلست في مكاني فغنت الجارية بلحن لطيف وأنشدت هذين البيتين:

قـ ـل للغزالـ ـة وهـ ـي غيـ ـر غزالـ ـة	والجـ ـؤذر المكحـ ـول غيـ ـر الجـ ـؤذر
لمـ ـذكر الخلـ ـوات غيـ ـر مؤنـ ـث	ومؤنـ ـث الخطـ ـوات غيـ ـر مـ ـذكر

فأدته أداء حسناً وشرب القوم وأعجبهم ذلك ثم غنت طرقاً شتى بألحان غريبة وغنت من جملتها طريقة هي لي وأنشدت تقول:

الطلـ . . . . . ـول الـ . . . . . ـدوارس	فأرقتهـ . . . . ـا الأوانـ . . . . ـس
أوحشـ . . . . ـت بعـ . . . . ـد أنسـ . . . ـها	فهـ . . . . ـي قفـ . . . ـراء طـ . . . ـامس

فكان أمرها أصلح فيها من الأولى ثم غنت طرقاً شتى بألحان غريبة من القديم والحديث وغنـ ـت فـ ـي أثنائها طريقة هي لي وأنشدت تقول:

قـ . . . ـل لمـ . . . ـن صـ . . . ـد عاتبـ . . . ـاً	ونـ . . . . . ـأي عنـ . . . . . ـك جانبـ . . . . . ـاً
قـ . . . ـد بلغـ . . . ـت الـ . . . ـذي بلغـ . . . ـت	وإن كنـ . . . . ـت لاعبـ . . . . ـاً

فاستعدته منها لأ صححه فأقبل على أحد الرجلين وقال ما رأينا طفيليا أصفق وجهاً منك أمـ ـا ترضـ ـي بالتطفل حتى اقترحت وقد صح فيك المثل طفيلي ومقترح فأطرقت حياء ولم أجبه فجعل صاحبه يكفه عنـ ـي فلا ينكف ثم قاموا إلى الصلاة فتأخرت قليلاً وأخذت العود وشددت طرفيه وأصلحته أصلاحاً محكماً وعـ ـدت إلى موضعي فصليت معهم ولما فرغنا من الصلاة رجع ذلك الرجل إلى اللوم علي والتعنيف ولج في عربدته وأنا صامت فأخذت الجارية العود وجسته فأنكرت حاله وقالت من حبس عودي فقالوا ما جسه أحد منا قالـ ـت بلى والله لقد جسه حاذق متقدم في الصناعة لأنه أحكم أوتاره وأصلحه إصلاح حاذق في صنعته فقلت لها أنا الذي أصلحته فقالت بالله عليك أن تأخذه وتضرب عليه فأخذته وضربت عليه طريقة عجيبة صعبة تكـ ـاد أن تميت الأحياء وتحيي الأموات وأنشدت عليه هذه الأبيات:

وكـ ـان لـ ـي قلـ ـب أعـ ـيش بـ ـه	فـ . . . ـاكتوى بالنـ . . . ـار واحترقـ . . . ـا
أنـ . . . ـا لـ . . . ـم أرزق محبتهـ . . . ـا	وأنمـ . . . ـا للعبـ . . . ـد مـ . . . ـا رزقـ . . . ـا
أن يكـ ـن مـ ـا دقـ ـت طعـ ـم هـ ـوى	ذاقـ . . . ـه لاشـ . . . ـك مـ . . . ـن عشـ . . . ـقا

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤١٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أسحق بن إبراهيم الموصلي قال لما فرغت من شعري لم يبق أحد من الجماعة ووثب من موضعه وجلسوا بين يدي وقالوا بالله عليك يا سيدنا أن تغنى لنا صوتاً آخر فقلـ ـت حبـ ـاً وكرامة ثم أحكمت الضربات وغنيت بهذه الأبيات:

إلا مـ . ن لق . ب ذوائـ . ب بنوائـ . ب | أناحت بـ ـه الأحـ ـزان مـ ـن كـ ـل جانـ ـب
حـ ـرام علـ ـى رامـ ـي فـ ـؤادي بسـ ـهمه | دم صـ . به بـ . ين الحشـ . ـا والترائـ . ب
تبـ . ين بـ . ين ألبـ . ين أن اقترابـ . ـه | على البين من ضمن الظنـ ـون الكـ ـواذب
أراق مـ ـا لـ ـولا الهـ ـوى مـ ـا أراقـ ـه | فهـ ـل لـ ـدمي مـ ـن ثـ ـائر ومطالـ ـب

فلما فرغ من شعره لم يبق أحد منهم إلا وقام على قدميه ثم رمي بنفسه على الأرض من شدة ما أصابه من الطرب قال فرميت العود من يدي فقالوا بالله عليك أن لا تفعل بنا هذا وزدنا صوتاً آخر زادك الله تعالى من نعمته فقلت لهم يا قوم أزيدكم صوتاً آخر وآخر وآخر وأعرفكم من أنا أنا أسحق بن إبراهيم الموصـ لي والله إني لأتيه على الخليفة إذا طلبني وأنتم قد اسمعتموني غليظ ما أكرهه في هذا اليـ ـوم فـ ـو الله لانطقـ ـت بحرف ولا جلست معكم حتى تخرجوا هذا العربيد من بينكم فقال له صاحبه من هذا حذرتك وخفت عليك ثـ ـم أخذوا بيده وأخرجوه فأخذت العود وغنيت الأصوات التي غنتها الجارية من صنعتي ثم أسررت إلى صاحب الدار أن الجارية قد وقعت محبتها في قلبي ولا صبر لي عنها فقال الرجل هل لك بشرط فقلت وما هو قال أن تقيم عندي شهراً فأقمت عنده شهر ولا يعرف أحد أين أنا والخليفة يفتش علي في كل موضع ولا يعرف لـ ـي خبراً فلما أنقضى الشهر سلم لي الجارية وما يتعلق بها من الأمتعة النفيسة وأعطاني خادماً آخر فجئت بـ ـذلك إلى منزلي كأني قد حزت الدنيا بأسرها من شدة فرحي بالجارية ثم ركبت إلى المـ ـأمون مـ ـن وقتـ ـي فلمـ ـا حضرت بين يديه قالي ويحك يا إسحق وأين كنت فأخبرته بخبري فقال على بذلك الرجل في هـ ـذه السـ ـاعة فدللتهم على داره فأرسل إليه الخليفة فلما حضر سأله عن القصة فأخبره بها فقال له أنت رجـ ـل ذو مـ ـروءة والرأي أن تعان على مروءتك فأمر له بمائة ألف درهم وقال لي يا أسحق أحضر الجارية فأحضرتها وغنت له وأطربته فحصل له منها سرور عظيم فقال قد جعلت عليها نوبة في كل يوم خميس فتحضر وتغنـ ـى مـ ـن وراء الستارة ثم أمر لها بخمسين ألف درهم فو الله لقد ربحت في تلك الركبة.

(ومما يحكي) أن القاسم بن عدي حكى عن رجل من بني تميم أنه قال خرجت في طلب ضالة فوردت على مياه بني طي فرأيت فريقين أحدهما قريب من الآخر وإذا في أحد الفريقين كلام مثل كلام أهل الطريـ ـق الآخر فتأملت فرأيت في أحد الفريقين شاباً قد أنهكه المرض وهو مثل الشن البالي فبينما أنا أتأمله وإذا هـ ـو ينشد هذه الأبيات:

ألا للمليحـ . . . ـة مـ . . . ـا تعـ . . . ـود | أبخـ . . . ـل بالمليحـ . . . ـة أم صـ . . . ـدود
مرضـ . ـت فعـ . ـادني أهلـ . ـي جميعـ . ـاً | فمالـ . ـك لا تـ . ـرى فـ . ـيمن يعـ . ـود
فلـ ـو كنـ ـت المريضـ ـة جئـ ـت أسـ ـعى | إليـ . ـك ولـ . ـم ينهنـ . ـي الوعيـ . ـد
عـ . ـدمتك مـ . ـنهم فبقيـ . ـت وحـ . ـدي | وفقـ . ـد الألـ . ـف يـ . ـا سـ . ـكني شـ . ـديد

فسمعت كلامه جارية من الفريق الآخر فبادرت نحوه وتبعها أهلها وجعلت تضاربهم فأحس بها الشاب فوثب نحوها فبادر إليه أهل فريقه وتعلقوا به فجعل يجذب نفسه وهي تجذب نفسها من فريقها حتى تخلصـ ـا وقصد كل واحد منهما صاحبه حتى التقيا بين الفريقين وتعانقا ثم خر إلى الأرض ميتـ ـين. وأدرك شـ ـهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤١٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أنه (مما يحكي) أن أبا بكر محمد الأنباري قال خرجت من الأنبار في بعض الأسفار إلى عمورية من بلاد الروم فنزلت في أثناء الطريق بدير الأنوار في قرية من قرى عمورية فخرج إلى صاحب الدير الرئيس على الرهبان وكان اسمه عبد المسيح فادخلني الدير فوجدت فيه أربعون راهباً فأكرموني في تلك الليلة بضيافة حسنة ثم رحلت عنهم في الغد وقد رأيت من كثرة أجتهادهم وعبادتهم ما لم أره من غيرهم فقضيت إربى من عمورية ثم رجعت إلى الأنبا فلما كان في العام المقبل حججت إلى مكة فبينما أنا أطوف حول البيت إذا رأيت عبد المسيح الراهب يطوف أيضاً ومعه خمسة أنفار من أصحابه الرهبان فلما تحققت معرفته تقدمت إليه وقلت له هل أنت عبد المسيح الراهب قال بل أنا عبد الله الراغب فجعلت أقبل شيبته وابكي ثم أخذت بيده وملت إلى جانب الحرم وقلت له أخبرني عن سبب إسلامك فقال إنه من أعجب العجائب وذلك أن جماعة من زهاد المسلمين مروا بالقرية التي فيها ديرنا فأرسلوا شاباً يشتري لهم طعاماً فرأي في السوق جارية نصرانية تبيع الخبز وهي من أحسن النساء صورة فلما نظر إليها افتتن بها وسقط على وجهه مغشياً عليه فلما أفاق رجع إلى أصحابه وأخبرهم بما اصابه وقال أمضوا إلى شأنكم فلست بذاهب معكم فعذلوه ووعظوه فلم يلتفت إليهم فانصرفوا عنه ودخل القرية وجلس عند باب حانوت تلك المرأة فسألته عن حاجته فأخبرها أنه عاشق لها فأعرضت عنه فمكث في موضعه ثلاثة أيام لم يطعم طعاماً بل صار شاخصاً إلى وجهها فلما رأته لا ينصرف عنها ذهبت إلى أهلها وأخبرتهم بخبره فسلطوا عليه الصبيان فرموه بالحجارة حتى رضوا أضلاعه وشجوا رأسه وهو مع ذلك لا ينصرف فعزم أهل القرية على قتله فجاءني رجل منهم وأخبرني بحاله فخرجت إليه فرأيته طريحاً فمسحت الدم عن وجهه وحملته إلى الدير وداويت جراحاته واقام عندي أربعة عشر يوماً فلما قدر علي المشي خرج من الدير وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤١٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الراهب عبد الله قال فحملته إلى الدير وداويت جراحاته وأقام عندي أربعة عشر يوماً فلما قدر على المشي خرج من الدير إلى باب حانوت الجارية وجلس ينظر إليها فلما أبصرته قامت إليه وقالت له والله لقد رحمتك فهل لك أن تدخل في ديني وأنا أتزوجك فقال معاذ الله أن أنسلخ من دين التوحيد وأدخل في دين الشرك فقالت قم وادخل معي داري وأقض مني إربك وانصرف راشداً فقال لا ما كنت لأذهب عبادة أثنى عشر سنة بشهوة لحظة واحدة فقالت انصرف عني حينئذ قال لا يطاوعني قلبي فأعرضت عنه بوجهها ثم فطن به الصبيان فأقبلوا عليه يرمونه بالحجارة فسقط على وجهه وهو يقول إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين فخرجت من الدير وطردت عنه الصبيان ورفعت رأسه عن الأرض فسمعته يقول اللهم اجمع بيني وبينها في الجنة فحملته إلى الدير فمات قبل أن أصل به إليه فخرجت به عن القرية وحفرت له قبراً ودفنته فلما دخل الليل وذهب نصفه صرخت تلك المرأة وهي في فراشها صرخة فاجتمع إليها أهل القرية وسألوها عن قصتها فقالت بينما أنا نائمة إذ دخل علي هذا الرجل المسلم فأخذ بيدي وانطلق بي إلى الجنة فلما صار بي إلى بابها منعني خازنها من دخولها وقال إنها محرمة على

الكافرين فأسلمت على يديه ودخلت معه فرأيت فيها من القصور والأشجار ما لم يمكن أن أصفه لكم ثم أذ ه أخذني إلى قصر من الجوهر وقال لي إن هذا القصر لي ولك وأنا لا أدخله إلا بك وبعد خمس ليال تك ونين عندي فيه إن شاء الله تعالى ثم مد يده إلى شجرة على باب ذلك القصر فقطف منها تفاحتين وأعطانيهما وقال كلي هذه وأخفي الأخرى حتى يراها الرهبان فأكلت واحدة فما رأيت أطيب منها وأدرك شد هرزاد الصد باح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤١٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية قالت لما قطف التفاحتين أعطانيهما وقال كلي هذه وأخف ي الأخرى حتى يراها الرهبان فأكلت واحدة فما رأيت أطيب منها ثم أخذ بيدي وخرج بي حتى أوصد لني إل ى داري فلما استيقظت من منامي وجدت طعم التفاح في فمي والتفاحة الثانية عندي ثم أخرجت التفاحة فأشرقت في ظلم الليل كأنها كوكب دري فجاءوا بالمرأة إلى الدير ومعها التفاحة فقصت علينا الرؤيا وأخرج ت لن ا التفاحة فلم نر شيئاً مثلها في سائر فواكه الدنيا فأخذت سكيناً وشققتها على عدد أصحابي فما رأينا الد ذ م ن طعمها ولا أطيب من ريحها فقلنا لعل هذا شيطان تمثل إليها ليغويها عن دينها فأخذها أهلها وانصرفوا ثم أنها امتنعت عن الأكل والشرب فلما كانت الليلة الخامسة قامت من فراشها وخرجت من بيتها وتوجهت إلى قب ر ذلك المسلم وألقت نفسها عليه وماتت ولم يعلم بها أهلها فلما كان وقت الصباح أقبل عل ى القري ة شد يخان مسلمان عليهما ثياب من الشعر ومعهما أمرأتان كذلك فقالا يا أهل القرية أن لله تعالى عندكم ولية من أوليائه قد ماتت مسلمة ونحن نتولاها دونكم فطلب أهل القرية تلك المرأة فوجدوها على القب ر ميت ة فق الوا ه ذه صاحبتنا قد ماتت على ديننا ونحن نتولاها وقال الشيخان إنها ماتت مسلمة ونحن نتولاه ا وأش تد الخصد ام والنزاع بينهما فقال أحد الشيخين أن علامة إسلامها أن يجتمع رهبان الدير الأربعون ويجذبوها عن القبر فإن قدروا على حملها من الأرض فهي نصرانية وإن لم يقدروا على ذلك يتقدم واحد منها ويجذبها ف إن ج اءت معه فهي مسلمة فرضي أهل القرية بذلك واجتمع الأربعون راهباً وقوي بعضهم بعضاً وأتوها ليحملوها فل م يقدروا على ذلك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤١٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الراهب عبد الله قال وأتوها ليحملوها فلم يقدروا على ذلك فربطن ا في وسطها حبلاً عظيماً وجذبناها فانقطع الحبل ولم تتحرك من موضعها فلما عجزنا عن حملها بكل حيلة قلنا لأحد الشيخين تقدم أنت واحملها فتقدم إليها أحدهما ولفها في ردائه وقال بسم الله الرحمن الرحيم وعلى مل ة رسول الله ﷺ ثم حملها في حضنه وانصرف بها المسلمون إلى غار هناك فوضعوها فيه وج اءت المرأت ان فغسلتاها وكفنتاها ثم حملها الشيخان وصليا عليها ودفناها إلى جانب قبره وانصرفا ونحن نشاهد هذا كله فلما خلا بعضنا ببعض قلنا أن الحق أحق أن يتبع وقد وضح الحق لنا بالمشاهدة والعيان ولا برهان لنا على صحة الإسلام أوضح لنا مما رأيناه بأعيننا ثم أسلمت وأسلم رهبان الدير جميعهم وكذلك أهل القرية ثم إنا بعثنا إلى أهل الجزيرة نستدعي فقيهاً يعلمنا شرائع الإسلام وأحكام الدين فجاءنا رجل فقيه صالح فعلمنا العبادة وأحكام الإسلام ونحن اليوم على خير كثير ولله الحمد والمنه".

(ومما) يحكي أن بعض الفضلاء قال ما رأيت في النساء أذكى خاطراً وأحسن فطنة وأع وز علم اً وأجود قريحة وأظرف أخلاقاً من امرأة واعظة من أهل بغداد يقال لها سيدة المشايخ اتفق أنها ج اءت إل ى مدينة حماة سنة أحدى وستين وخمسمائة فكانت تعظ الناس على الكرسي وعظاً شافياً وكان يتردد على منزلها جماعة من المتفقهين وذوي المعارف والآداب يطارحونها مسائل الفقه ويناظرونها في الخلاف فمضيت إليها ومعي رفيق من أهل الأدب فلما جلسنا عندها وضعت بين أيدينا طبقاً من الفاكهة وجلست هي خل ف س تر وكان لها أخاً حسن الصورة قائماً على رؤوسنا في الخدمة فلما أكلنا شرعنا في مطارحة الفقه فسألتها مس ألة فقهية مشتملة على خلاف بين الأئمة فشرعت تتكلم في جوابها وأنا أصغي إليها وجعل رفيقي ينظر إلى وجه أخيها ويتأمل في محاسنه ولا يصغي إليها وهي تلحظه من وراء الستر فلما فرغت من كلامها التفت ت إلي ه وقالت أظنك ممن يفضل الرجال على النساء قال أجل قالت ولم ذلك قال لأن الله فضل الذكر عل ى الأنث ى وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٢٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشيخ أجابها بقوله لأن الله فضل الذكر على الأنث ى وأن ا أح ب الفاضل وأكره المفضول فضحكت ثم قالت أتنصفني في المناظرة أن ناظرتك في هذا المبحث قال نعم قال ت فما الدليل على تفضيل الذكر على الأنثى قال المنقول والمعقول أما المنقول فالكتاب والسنة أما الكتاب فقول ه تعالى الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وقوله تعالى فإن لم يكونا رجلين فرج ل وامرأتان وقوله تعالى في الميراث وإن كانوا أخوة رجالاً ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين فالله سبحانه وتعالى فضل الذكر على الأنثى في هذه المواضع وأخبر أن الأنثى على النصف من الذكر لأنه أفضل منه ا وأم ا السنة فما روى عن النبي ﷺ أنه جعل دية المرأة على النصف من دية الرجل وأما المعقول فإن الذكر فاع ل والأنثى مفعول بها والفاعل أفضل من المفعول بها فقالت له أحسنت يا سيدي لكنك والله أظهرت حجتي عليك من لسانك ونطقت ببرهان هو عليك لا لك وذلك أن الله سبحانه وتعالى أنما فضل الذكر على الأنثى بمج رد وصف الذكورية وهذا النزاع فيه بيني وبينك وقد يستوي في هذا الوصف الطفل والغلام والش اب والكه ل والشيخ لا فرق بينهم في ذلك وإذا كانت الفضيلة إنما حصلت له بوصف الذكورية فينبغي أن يمي ل طبع ك وترتاح نفسك إلى الشيخ كما ترتاح إلى الغلام إذ لا فرق بينهما في الذكورية وأنما وقع الخلاف بيني وبين ك في الصفات المقصودة من حسن العشرة والاستمتاع وأنت لم تأت ببرهان على فضل الغلام على الأنثى ف ي ذلك فقال لها يا سيدتي أما علمت ما اختص به الغلام من اعتدال القد وتوريد الخد وملاحة الابتسام وعذوب ة الكلام فالغلمان بهذا الاعتبار أفضل من النساء والدليل على ذلك ما روي عن النبي ﷺ أنه قال لا تدعو النظر إلى الأمرد فإن فيهم لمحة من الحور العين وتفضيل الغلام على الجارية لا يخفى على أحد من الن اس وم ا أحسن قول أبي نواس:

أق ـ ل م ـ ا في ـ ـه م ـ ن فض ـ ائله أمن ـ ك م ـ ن طمث ـ ـه وم ـ ن حبل ـ ـه

وقول الشاعر:

ق ـال الإم ـام أب ـو ن ـواس وه ـو ف ـي ش ـ ـرع الخلاع ـ ـة والمج ـ ون يقل ـ ـد

يـ ـا أمـ ـة تهـ ـوى العـ ـذار تمتعـ ـوا مـ ـن لـ ـذة فـ ـي الخلـ ـد ليسـ ـت توجـ ـد

ولأن الجارية إذ بالغ الواصف في وصفها وأراد تزويجها بذكر محاسن أوصـ ـافها شـ ـبهها بـ ـالغلام وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٢١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشيخ قال ولأن الجارية إذا بالغ الواصف في وصفها وأراد تزويجها بذكر محاسن أوصافها شبهها بالغلام لما له من المآثر كما قال الشاعر:

غلاميـ ـة الأرداف تهتـ ـز فـ ـي الصـ ـبا كما اهتـ ـز فـ ـي ريـ ـح الشـ ـمال قضـ ـيب

فلولا أن الغلام أفضل وأحسن لما شبهت به الجارية واعلمي صانك الله تعالى أن الغلام سهل القيـ ـاد موافق على المراد حسن العشرة والأخلاق مائل عن الخلاف للوفاق ولا سيما أن تنمنم هذارة وأخضر شاربه وجرت حمرة الشبيبة في وجنته حتى صار كالبدر التمام وما أحسن قول أبي تمام:

قال الوشـ ـاة بـ ـدا فـ ـي الخـ ـد عارضـ ـه فقلـ ـت لا تكثـ ـروا مـ ـا ذاك عائبـ ـه

لمـ ـا اسـ ـتقل بـ ـارداف تجاذبـ ـه وأخضـ ـر فـ ـوق جمـ ـان الـ ـدر شـ ـاربه

وأقسـ ـم الـ ـورد إيمانـ ـاً مغلظـ ـة أن لا يفـ ـارق خديـ ـه عجائبـ ـه

كلمتـ ـه بجفـ ـون غيـ ـر ناطقـ ـة فكـ ـان مـ ـن رده مـ ـا قـ ـال حاجبـ ـه

الحسن منـ ـك علـ ـى مـ ـا كنـ ـت تعهـ ـده والشـ ـعر أحـ ـرزه ممـ ـن يطالبـ ـه

أحلـ ـى وأحسـ ـن مـ ـا كانـ ـت شـ ـمائله إذا لاح عارضـ ـه وأخضـ ـر شـ ـاربه

وصار مـ ـن كـ ـان يلحـ ـى فـ ـي محبتـ ـه أن يحـ ـك عنـ ـي وعنـ ـه قـ ـال صـ ـاحبه

فهذه فضيلة في الغلمان لم تعطها النساء وكفى بذلك للغلمان عليهن فخرا ومزية فقالت له عافـ ـاك الله تعالى أنك قد شرطت على نفسك المناظرة وقد تكلمت وما قصرت واستدللت بهذه الأدلة على ما ذكرت ولكن الآن قد حصحص الحق فلا تعدل عن سبيله وأن لم تقنع باجمال الدليل فأنا آتيك بتفصيله بالله عليك أين الغلام من الفتاة من يقيس السخلة على المهاة أنما الفتاة رخيمة الكلام حسنة القوام فهي كقضـ ـيب الريحـ ـان بثغـ ـر كاقحوان وشعر كالأرسوان وخد كشقائق النعمان ووجه كتفاح وشفة كـ ـالراح وثـ ـدي كالرمـ ـان ومعـ ـاطف كالأغصان وهي ذات قد معتدل وجسم متجدل وخد كحد السيف اللائح وجبين واضـ ـح وحـ ـاجبين مقـ ـرونين وعينين كحلاوين أن نطقت فاللؤلؤ الرطب يتناثر من فيها وتجذب القلوب برقة معانيها وإن تبسـ ـمت ظننـ ـت البدر يتلألأ من بين شفتيها وأن رنت فالسيوف تسل من مقلتيها إليها تنتهي المحاسن وعليها مـ ـدار الظـ ـاعن والقاطن ولها شفتان حمر وأن ألين من الزبد وأحلى مذاقاً من الشهد. وأدرك شهرزاد الصباح فسـ ـكتت عـ ـن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٢٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن المرأة الواعظة لما وصفت الفتاة قالت ولها شفتان حمراوان ألين من الزبد وأحلى مذاقاً من الشهد ثم قالت بعد ذلك ولها صدر كجادة الفجاج فيه ثديان كأنهما حقان من عاج وبطن لطيف الكشح كالزهر الغض وعكن قد انعطفت وانطوى بعضها على بعض وفخذان ملتفان كأنهما من الـ ـدر

عمودان وأرداف تموج كأنها بحر من بلّور أو جبال من نور ولها قدمان لطيفان وكفان كأنهما سبائك العقبان فيا مسكين أين الأنس من الجان ومن قال الدنيا عبارة عن النساء كان صادقا وأما ما ذكـ رت مـ ن الحـ ديث الشريف فهو حجة عليك لا لك لأن النبي ﷺ قال لا تدعو النظر إلى المرد فإن فيهم لمحة من الحـ ور العـ ين فشبه المرد بالحور العين ولا شك أن المشبه به أفضل من المشبه فلولا أن النساء أفضل وأحسن لما شبه بهن غيرهن وأما قولك أن الجارية تشبه بالغلام فليس الأمر كذلك بل الغلام يشبه بالجارية حتى قالوا أنها تصـ لح للأمرين جميعاً عدولاً منهم عن سلوك طريق الحق عند الناس كما قال كبيرهم أبو نواس.

ممشـ . . ـوقة القصـ . . ـر غلامية . . ـة تصـ . . . لح للـ . . . وطى والزانـ . . . ـي

وأما ما ذكرته من حسن نبات العذار وخضار الشارب وأن الغلام يزداد به حسناً وجمالاً فو الله لقـ د عدلت عن الطريق وقلت غير التحقيق لأن العذار يبدل حسنات الجمال بالسيئات ثم أنشدت هذه الأبيات:

بـ ـدا الشـ ـعر فـ ـي وجهـ ـه فـ ـأنتقم لعاشـ . . قه منـ . . ـه لمـ . . . ا ظلـ . . ـم

ولـ . ـم أر فـ . ـي وجهـ . ـه كالـ . ـدخا ن إلا وسـ . . . . الفه كـ . . . . . . الحمم

إذا أسـ . . ـود فاضـ . . ـل قرطاسـ . . ـه فمـ . . ـا ضـ . . ـنظكم بمكـ . . ـان القلـ . . ـم

فـ . . ـإن فضـ . . ـلوه علـ . . ـى غيـ . . ـره فمـ . . . ـا ذاك إلا لجهـ . . . ـل الحكـ . . . ـم

فلما فرغت من شعرها قالت للرجل سبحان الله العظيم. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكـ ـلام المباح.

(وفي ليلة ٤٢٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن المرأة الواعظة لما فرغت من شعرها قالـ ت للرجـ ل سـ بحان الله العظيم كيف يخفى عليك أن كمال اللذة في النساء وأن النعيم المقيم لا يكون إلا بهن وذلـ ك أن الله سـ بحانه وتعالى وعد الأنبياء والأولياء في الجنة بالحور العين وجعلهن جزاء لأعمالهم الصالحة ولو علم الله تعالى أن في غيرهن لذة الاستمتاع لجزاهم به ووعدهم أياه وقال ﷺ حبب إلي من دنياكم ثلاث :النساء والطيب وقـ رة عيني في الصلاة وأنما جعل الله الولدان خدماً للأنبياء والأولياء في الجنة لأن الجنة دار نعيم وتلذذ ولا يكمل ذلك إلا بخدمة الولدان وأما استعمالهم لغير الخدمة فهو من الخبال والوبال وأنا أستغفر الله العظيم لي ولكـ م ولسائر المسلمين أنه هو الغفور الرحيم ثم سكتت فلم تجبنا عن شيء بعد ذلك فخرجنا من عندها مسـ رورين بما استفدناه من مناظرتها متأسفين على مفارقتها.

(ومما) يحكي أن أبا سويد قال أتفق أنني أنا وجماعة من أصحابي دخلنا بسـ تاناً يومـ اً مـ ن الأيـ ام لنشتري شيئاً من الفاكهة فرأينا في جانب ذلك البستان عجوزاً صبيحة الوجه غير أن شعر رأسها أبيض وهي تسرحه بمشط من العاج فوقفنا عندها فلم تجفل منا ولم تغط رأسها فقلت لها يا عجوز لو صبغت شعرك أسود لكنت أحسن من صبية فما منعك من ذلك فرفعت رأسها إلي وأدرك شهرزاد الصباح فسـ كتت عـ ن الكـ ـلام المباح.

(وفي ليلة ٤٢٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أبا سويد قال لما قلت للعجوز ذلك الكلام رفعت رأسها إلي وحملقت العينين وأنشدت هذين البيتين:

وصبغت ما صـ ـبغ الزمـ ـان فلـ ـم يـ ـدم ... صـ ـبغى ودامـ ـت صـ ـبغة الأيـ ـام

أيـ ـام الرفـ ـل لـ ـي ثيـ ـاب شـ ـبيبتي ... وأتـ ـاك مـ ـن خلفـ ـي ومـ ـن قـ ـدامي

فقلت لها لله درك من عجوز ما أصدقك في اللهج بالحرام وأكذبك في دعوى التوبة من الآثام (ومما) يحكي أن علي بن محمد بن عبد الله بن طاهر استعرض جارية اسمها مؤنس للشراء وكانت فاضـ ـلة أديبـ ـة شاعرة فقال لها ما أسمك يا جارية قالت أعز الله الأمير أسمي مؤنس وكان قد عرف اسمها قبل ذلك فأطرق ساعة ثم رفع رأسه إليها وأنشد هذا البيت:

مـ ـاذا تقـ ـولين فـ ـيمن شـ ـفه سـ ـقم ... مـ ـن أجـ ـل حبـ ـك حتـ ـى صـ ـار حيرانـ ـاً

فقالت أعز الله الأمير وأنشدت هذا البيت:

إذا رأيـ ـنـ ـا محبـ ـاً قـ ـد أضـ ـربه ... داء الصـ ـبابة أولينـ ـاه أحسـ ـانا

فأعجبته فاشتراها بسبعين ألف درهم وأولدها عبد الله بن محمد صاحب المآثر (وقال أبو العينا) كـ ـان عندنا في الدرب امرأتان أحداهما تعشق رجلاً والأخرى تعشق أمرد فاجتمعتا ليلة على سطح أحداهما وهـ ـو قريب من داري وهما لا يعلمان بي فقالت صاحبة الأمرد للأخرى يا أختي كيف تصبرين على خشونة اللحية حين تقع على سدرك وقت لثمك وتقع شواربه على شفتيك وخديك فقالت لها يا رعناء وهل يزين الشـ ـجر إلا ورقة والخيار إلا زغبة وهل رأيت في الدنيا أقبح من أقرع منتوف أما علمت أن اللحية للرجل مثل الـ ـذوائب للمرأة وما الفرق بين الذوائب واللحية أما علمت أن الله سبحانه وتعالى خلق في السماء ملكاً يقول سبحان من زين الرجال باللحى والنساء بالذوائب فلولا أن اللحى كالذوائب في الجمال لما قرن بينهما يا رعنـ ـاء مـ ـالي وافرش نفسي تحت الغلام الذي يعالجني أنزاله ويسابقني انحلاله واترك الرجل الذي إذا شم ضم وإذا أدخـ ـل أمهل وإذا فرغ رجع وإذا رهز اجاد وكلما خلص عاد فاتعظت صاحبة الغلام بمقالتها وقالت سلوت صـ ـاحبي ورب الكعبة.

(حكاية تودد الجارية)

(ومما) يحكي أنه كان ببغداد رجل ذو مقدار وكان موسر بالمال والعقار وهو من التجار الكبار وقـ ـد سهل الله عليه دنياه ولم يبلغه من الذرية ما يتمناه ومضت عليه مدة من الزمان ولم يرزق بأناث ولا ذكـ ـور فكبر سنه ورق عظمه وانحنى ظهره وكثر وهنه وهمه فخاف ذهاب ماله ونسبه إذا لم يكن لـ ـه ولـ ـد يرثـ ـه ويذكر به فتضرع إلى الله تعالى وصام النهار وقام الليل ونذر النذور لله تعالى الحي القيوم وزار الصـ ـالحين وأكثر التضرع إلى الله تعالى فاستجاب الله له وقبل دعاءه ورحم تضرعه وشكواه فما كان إلا قليل من الأيام حتى جامع أحدى نساءه فحملت منه في ليلتها ووقتها وساعتها وأتمت أشهرها ووضعت حملها وجاءت نذكر كأنه فلقة قمر فأوفى بالنذر وشكر الله عز وجل وصدق وكسا الأرامل والأيتام وليلة سابع الولادة سماه بـ ـأبي

الحسن فرضعته المراضع وحضنته الحواضن وحملته المماليك والخدم إلى أن كبر ونشأ وترعرع وانتشى وتعلم القرآن العظيم وفرائض الإسلام وأمور الدين القويم والخط والشعر والحساب والرمي بالنشاب فكان فريد دهره وأحسن أهل زمانه وعصره ذا وجه مليح ولسان فصيح يتهادى تمايلاً واعتدالاً ويترامى تدللاً واختيالاً بخد أحمر وجبين أزهر وعذار أخضر كما قال فيه بعض واصفيه.

ب . . .دا ربيـ . .ع العـ . .ذار للحـ . .دق — والـ .ورد بعـ .د الربيـ .ع كيـ .ف بقـ .ى
أمـ .ا تـ .رى النبـ .ت فـ .وق عارضـ .ه — بنفسـ . .جاً طالعـ . .اً مـ . .ن الـ . .ورق

فأقام أبيه برهة من الزمن في أحسن حال وأبوه به فرح مسور إلى أن بلغ مبالغ الرجال فأجلسه أبوه بين يديه يوماً من الأيام وقال له ياولدي أنه قد قرب الأجل وحانت وفاتي ولم يبق غير لقاء الله عز وجل وقد خلفت لك ما يكفيك إلى ولد الولد من المال المتين والضياع والأملاك والبساتين فاتق الله تعالى يا ولدي فيما خلفته لك ولا تتبع إلا من رفدك فلم يكن إلا قليل حتى مرض الرجل ومات فجهزه ولده أحسن تجهيز ودفنه ورجع إلى منزله وقعد للعزاء أياماً وليالي وإذا بأصحابه قد دخلوا عليه وقالوا له من خلف مثلك ما مات وكل ما فات فقد فات وما يصلح العزاء إلا للبنات والنساء المخدرات ولم يزالوا به حتى دخل الحمام ودخلوا عليه وفكوا حزنه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٢٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أبا الحسن ابن الخواجا لما دخل عليه أصحابه الحمام وفكوا حزنه نسي وصية أبيه وذهل لكثرة المال وظن أن الدهر يبقى معه على حال وأن المال ليس له زوال فأكل وشرب ولذ وطرب وخلع ووهب وجاد بالذهب ولازم أكل الدجاج وفض ختام الزجاج وقهقهة القناني واستماع الأغاني ولم يزل على هذا الحال إلى أن نفد المال وقعد الحال وذهب ما كان لديه وسقط في يديه ولم يبق له بعد أن أتلف ما أتلف غير وصيفة خلفها له والده من جملة ما خلف وكانت الوصيفة هذه ليس لها نظير في الحسن والجمال والبهاء والكمال والقد والاعتدال وهي ذات فنون وآداب وفضائل تستطاب قد فاقت أهل عصرها وأوانها وصارت أشهر من علم في افتتانها وزادت على الملاح بالعلم والعمل والتثني والميل مع كونها خماسية القد مقارنة للسعد بجبينين كأنهما هلال شعبان وحاجبين أزجين وعيون كعيون غزلان وأنف كحد الحسام وخد كأنه شقائق النعمان وفم كخاتم سليما وأسنان كأنها عقود الجمان وسرة تسع أوقية دهن بان وخصر انحل من جسم من أضناه الهوى وأسقمه الكتمان وردف أثقل من الكثبان وبالجملة فهي في الحسن والجمال جديرة بقول من قال:

أن أقبلـ .ت فتنـ .ت بحسـ .ن قوامهـ .ا — أو أدبـ . .رت قتلـ . .ت بصـ . .د فراقهـ . .ا
شمسـ . . .ية بدريـ . . .ة غصـ . . .نية — لـ .يس الجفـ .ا والبعـ .د مـ .ن أخلاقهـ .ا
جنـ ـات عـ ـدن تحـ ـت جيـ ـب قميصـ ـها — والبـ .در فـ .ي فلـ .ك علـ .ى أطواقهـ .ا

تسلب من يراها بحسن جمالها وبريق ابتسامها وترميه من عيونها بنبل سهامها وهي مع هذا كله فصيحة الكلام حسنة النظام فلما نقد جميع ما له وتبين سوء حاله ولم يبق معه غير هذه الجارية أقام ثلاثة أيام

وهو لم يذق طعم طعام ولم يسترح في منام فقالت له الجارية يا سيدي احملني إلى أمير المـ ؤمنين هـ ارون الرشيد وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٢٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية قالت لسيدها يا سيدي احملني إلى هارون الرشيد الخـ امس من بني العباس واطلب ثمني منه عشرة آلاف دينار فإن استغلاني فقل له يا أمير المؤمنين وصفتي أكثر من ذلك فاختبرها يعظم قدرها في عيني لأن هذه الجارية ليس لها نظير ولا تصلح إلا لمثلك ثم قالت له أياك أن تبيعني بدون ما قلت لك من الثمن فإنه قليل في مثلي وكان سيد الجارية لا يعلم قدرها ولا يعرف أنها لـ يس لها نظير في زمانها ثم أنه حملها إلى أمير المؤمنين هارون الرشيد وقدمها له وذكر ما قالت فقال لها الخليفة ما أسمك قالت أسمي تودد قال يا تودد ما تحسنين من العلوم قالت يا سيد أني أعرف النحو والشـ عر والفقـ ه والتفسير واللغة وأعرف فن الموسيقى وعلم الفرائض والحساب والقسمة والمساحة وأساطير الأولين وأعرف القرآن العظيم وقد قرأته بالسبع والعشر وبالأربع عشرة وأعرف عدد سوره وآياته وأحزابه وأنصافه وأرباعه وأثمانه وأعشاره وسجداته وعدد أحرفه وأعرف ما فيه من الناسخ والمنسوخ والمدنيـ ة والمكيـ ة وأسـ باب التنزيل وأعرف الحديث الشريف دراية ورواية المسند منه والمرسل ونظرت في علوم الرياضـ ة والهندسـ ة والفلسفة وعلم الحكمة والمنطق والمعاني والبيان وحفظت كثيراً من العلم وتعلقت بالشعر وضـ ربت العـ ود وعرفت مواضع النغم فيه ومواقع حركات أوتاره وسكناتها فإن غنيت ورقصت فتنت وأن تزيـ ت وتطيبـ ت قتلت وبالجملة فأني وصلت إلى شيء لم يعرفه إلا الراسخون في العلم فلما سمع الخليفـ ة هـ ارون الرشـ يد كلامها على صغر سنها تعجب من فصاحة لسانها والتفت إلى مولاها وقال أني أحضر من يناظرها في جميع ما ادعته فإن أجابت دفعت لك ثمنها وزيادة وإن لم تجب فأنت أولى بها فقال مولاها يا أمير المـ ؤمنين حبـ اً وكرامه فكتب أمير المؤمنين إلى عامل البصرة بأن يرسل إليه إبراهيم بن سيار النظام وكان أعظم أهل زمانه في الحجة والبلاغة والشعر والمنطق وأمره أن يحضر القراء والعلمـ اء والأطبـ اء والمنجمـ ين والحكمـ اء والمهندسين والفلاسفة وكان إبراهيم أعلم من الجميع فما كان إلا قليل حتى حضـ روا دار الخلافـ ة وهـ م لا يعلمون الخبر فدعاهم أمير المؤمنين إلى عامل البصرة بأن يرسل إليه إبراهيم بن سيار النظام وكان أعظـ م أهل زمانه في الحجة والبلاغة والشعر والمنطق وأمره أن يحضر القراء والعلمـ اء والأطبـ اء والمنجمـ ين والحكماء والمهندسين والفلاسفة وكان إبراهيم أعلم من الجميع فما كان إلا قليل حتى حضـ روا دار الخلافـ ة وهم لا يعلمون الخبر فدعاهم أمير المؤمنين إلى مجلسه وأمرهم بالجلوس فجلسوا ثم أمر أن تحضر الجارية تودد فحضرت وأظهرت نفسها وهي كأنه كوكب دري فوضع لها كرسي من ذهب فسلمت ونطقت بفصـ احة لسان وقالت يا أمير المؤمنين مر من حضر من العلماء والقراء والأطباء والمنجمين والحكماء والمهندسـ ين والفلاسفة أن يناظروني فقال لهم أمير المؤمنين أريد منكم أن تناظروا هذه الجاريـ ة فـ ي أمـ ر دينهـ ا وأن تدحضوا حجتها في كل ما أدعته فقالوا السمع والطاعة لله ولك يا أمير المؤمنين فعند ذلك أطرقـ ت الجاريـ ة برأسها إلى الأرض وقالت أيكم الفقيه العالم المقري المحدث فقال أحدهم أنا ذلك الرجل الذي طلبت قالت لـ ه أسأل عما شئت قال لها أنت قرأت كتاب الله العزيز وعرفت ناسخه ومنسوخه وتدبرت آياته وحروفه قالـ ت

نعم فقال لها أسألك عن الفرائض الواجبة والسنن القائمة فأخبريني أيتها الجارية عن ذلك ومن ربك ومن نبيك ومن أمامك وما قبلتك وما أخوانك وما طريقتك وما منهاجك قالت الله ربي ومحمد ﷺ نبي والقرآن أمامي والكعبة قبلتي والمؤمنون أخواني والخير طريقتي والسنة منهاجي فتعجب الخليفة من قولها ومن فصاحة لسانها على صغر سنها ثم قال لها أيتها الجارية أخبريني بما عرفت الله تعالى قالت بالعقل قال وما العقل قالت العقل عقلان عقل موهوب وعقل مكسوب وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٢٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية قالت العقل عقلان موهوب ومكسوب فالعقل الموهوب هو الذي خلقه الله عز وجل يهدي به من يشاء من عباده والعقل المكسوب هو الذي يكسبه المرء بتأدبه وحسن معرفته فقال لها أحسنت ثم قال أين يكون العقل قالت يقذفه الله في القلب فيصعد شعاعه في الدماغ حتى يستقر قال لها أحسنت ثم قال أخبريني بم عرفت النبي ﷺ قالت بقراءة كتاب الله تعالى وبالآيات والدلالات والبراهين والمعجزات قال أحسنت فأخبريني عن الفرائض الواجبة والسنن القائمة قالت أما الفرائض الواجبة فخمس شهادة أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج بيت الله الحرام من استطاع إليه سبيلاً وأما السنن القائمة فهي أربع الليل والنهار والشمس والقمر وهن يدنين العمر والأمل وليس بعلم ابن آدم أنهن يهدمن الأجل قال أحسنت فأخبريني ما شعائر الإيمان قالت شعائر الإيمان الصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد واجتناب الحرام قال أحسنت فأخبريني بأي شيء تقومين إلى الصلاة قالت بنية العبودية مقرة بالربوبية قال فأخبريني كم فرض الله عليك قبل قيامك على الصلاة قالت الطهارة وستر العورة واجتناب الثياب المتنجسة والوقوف على مكان طاهر والتوجه للقبلة والقيام والنية وتكبيرة الإحرام قال أحسنت فأخبريني بم تخرجين من بيتك إلى الصلاة قالت بنية العبادة قال فبأي نية تدخلين المسجد قالت بنية الخدمة قال فيما ذا تستقبلين القبلة قالت بثلاث فرائض وسنة قالت أحسنت فأخبريني ما بمبدأ الصلاة وما تحليلها وما تحريمها قالت مبدأ الصلاة الطهور وتحريمها تكبيرة الإحرام وتحليلها السلام من الصلاة قال فماذا يجب على من تركها قالت روي في الصحيح من ترك الصلاة عامداً متعمداً من غير عذر فلا حظ له في الإسلام وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٢٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية لما ذكرت الحديث الشريف قال لها الفقيه أحسنت فأخبريني عن الصلاة ما هي قالت الصلاة صلة بين العبد وربه وفيها عشر خصال تنور القلب وتضيء الوجه وترضي الرحمن وتغضب الشيطان وتدفع البلاء وتكفي شر الأعداء وتكثر الرحمة وتدفع النقمة وتقرب العبد من مولاه وتنهي عن الفحشاء والمنكر وهي من الواجبات المفروضات المكتوبات وهي عماد الدين قال أحسنت فأخبريني ما مفتاح الصلاة قالت الوضوء قال فما مفتاح الوضوء قالت التسمية قال فما مفتاح التسمية قالت اليقين قال فما مفتاح اليقين قالت التوكل قال فما مفتاح التوكل قالت الرجاء قال فما مفتاح الرجاء قالت الطاعة قال فما مفتاح الطاعة قالت الاعتراف لله تعالى بالوحدانية والإقرار له بالربوبية قال أحسنت فأخبرينين عن فروض الوضوء قالت ستة أشياء على مذهب الإمام الشافعي محمد بن أدريس رضي الله تعالى عنه النية عند

غسل الوجه وغسل اليدين مع المرفقين ومسح بعض الرأس وغسل الرجلين مع الكعبين والترتيب وسنته عشرة أشياء التسمية وغسل الكفين قبل أدخالهما الأناء والمضمضة والاستنشاق ومسح بعض الرأس ومسح الأذنين ظاهرهما وباطنهما بماء جديد وتخليل اللحية الكثة وتخليل أصابع اليدين والرجلين وتقديم اليمنى على اليسرى والطهارة ثلاثاً ثلاثاً والموالاة فإذا فرغ من الوضوء قال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبداً ورسوله اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك فقد جاء في الحديث الشريف عن النبي ﷺ أنه قال من قالها عقب كل وضوء فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء قال أحسنت فإذا أراد الإنسان الوضوء ماذا يكون عنده من الملائكة والشياطين قالت إذا تهيأ الإنسان للوضوء أتت الملائكة عن يمينه والشياطين عن شماله فإذا ذكر الله تعالى في ابتداء الوضوء فرت منه الشياطين واستولت عليه الملائكة بخيمة من نور لها أربعة أطناب من كل طنب ملك يسبح الله تعالى ويستغفر له ما دام في أنطات أو ذكر فإن لم يذكر الله عز وجل عند ابتداء الوضوء ولم ينصت استولت عليه الشياطين وانصرفت عنه الملائكة ووسوس له الشيطان حتى يدخل عليه الشك والنقص في وضوئه فقد قال عليه الصلاة والسلام الوضوء الصالح يطرد الشيطان ويؤمن من جور السلطان وقال أيضاً من نزلت عليه بلية وهو على غير وضوء فلا يلومن إلا نفسه قال أحسنت فأخبريني عما يفعل الشخص إذا استيقظ من منامه قالت إذا استيقظ الشخص من منامه فليغسل يديه ثلاثاً قبل ادخالهما الأناء قال أحسنت فأخبريني عن فروض الغسل وعن سننه قالت فروض الغسل النية وتعميم البدن بالماء أي إيصال الماء إلى جميع الشعر والبشرة وأما سننه فالوضوء قبله والتدليك وتخليل الشعر وتأخير غسل الرجلين في قول إلى آخر الغسل قال أحسنت وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٢٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية لما أخبرت الفقيه عن فروض الغسل وسننه قال أحسنت فأخبريني عن أسباب التيمم وفروضه وسننه قالت أما أسبابه فسبعه فقد الماء والخوف والحاجة إليه وأضلاله في رحله والمرض والجبيرة والجراح وأما فروضه فأربعة النية والتراب وضربة للوجه وضربة لليدين وأما سننه فالتسمية وتقديم اليمنى على اليسرى قال أحسنت فأخبريني عن شروط الصلاة وعن أركانها وعن سننها قالت أما شروطها فخمسة أشياء طهارة الأعضاء وستر العورة ودخول الوقت يقيناً أو ظناً واستقبال القبلة والوقوف على مكان طاهر وأما أركانها فالنية وتكبيرة الإحرام والقيام مع القدرة وقراءة الفاتحة وبسم الله الرحمن الرحيم آية منها على مذهب الإمام الشافعي والركوع والطمأنينة فيه والاعتدال والطمأنينة فيه والسجود والطمأنينة فيه والجلوس بين السجدتين والطمأنينة فيه والتشهد الأخير والجلوس له والصلاة على النبي ﷺ فيه والتسليمة الأولى ونية الخروج من الصلاة في قول وأما سننها فالأذان والإقامة ورفع اليدين عند الإحرام ودعاء الافتتاح والتعوذ والتأمين وقراءة السورة بعد الفاتحة والتكبيرات عند الانتقالات وقول سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد والجهر في موضعه والأسرار في موضعه والتشهد الأولى والجلوس له والصلاة على النبي ﷺ فيه والصلاة على الآل في التشهد الأخير والتسليمة الثانية قال أحسنت فأخبريني فيما ذا تجب الزكاة قالت تجب في الذهب والفضة والأبل والبقر والغنم والحنطة والشعير والدخن والذرة والفول والحمص

والأرز والزبيب والتمر قال أحسنت فأخبريني في كم تجب الزكاة في الذهب قالت لا زكاة فيما دون عشرين مثقالاً فإذا بلغت العشرين ففيها نصف مثقال وما زاد فبحسابه قال فأخبريني في كم تجب الزكاة في الو ورق قالت ليس فيما دون مائتي درهم زكاة فإذا بلغت المائتين ففيها خمسة دراهم وما زاد فبحسابه ق ال أحس نت فأخبريني في كم تجب الزكاة في الأبل قالت في كل خمس شاة إلى خمس وعشرين ففيها بنت مخ اض ق ال أحسنت فأخبريني في كم تجب الزكاة في الشاة قالت إذا بلغت أربعين ففيها شاة قال أحسنت ف أخبريني ع ن الصوم وفروضه قالت أما فروض الصوم فالنية والإمساك عن الأكل والشرب والجماع وتعمد الق يء وه و واجب على كل مكلف خال عن الحيض والنفاس ويجب على رؤية الهلال أو بأخبار عدل يقع في قلب المخبر صدقه ومن واجباته تثبيت النية وأما سننه فتعجيل الفطر وتأخير السحور وترك الكلام إلا في الخير وال ذكر وتلاوة القرآن قال أحسنت فأخبريني عن شيء لا يفسد الصوم قالت الأذهان والاكتح ال وغب ار الطري ق وابتلاع الريق وخروج المني بالاحتلام والنظر لامرأة أجنبية والفصادة والحجامة هذا كله لا يفسد الصوم قال أحسنت فأخبريني عن صلاة العيدين قالت ركعتان وهماسة من غير آذان وإقامة ولكن يقول الصلاة جامع ة ويكبر في الأولى سبعاً سوى تكبيرة الإحرام وفي الثانية خمساً سوى تكبيرة القيام على مذهب الإمام الشافعي رحمه الله تعالى وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٣٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية لما أخبرت الفقيه عن صلاة العي دين ق ال له ا أحس نت فأخبريني عن صلاة كسوف الشمس وخسوف القمر قالت ركعتان بغير أذان ولا إقامة يأتي في ركعة بقيامين وركوعين وسجودين ويجلس وينشد ويسلم ثم يخطب ويستغفر الله تعالى مكان التكبير في خطبت ي العي دين ويحول رداءه بأن يجعل أعلاه أسفله ويدعوا ويتضرع قال أحسنت فأخبريني عن صلاة الوتر قالت الوتر أقله ركعة واحدة وأكثره أحدى عشرة قال أحسنت فأخبريني عن صلاة الضحى قالت صلاة الضحى أقلها ركعتان وأكثرها اثنتي عشرة ركعة قال أحسنت فأخبريني عن الاعتكاف قالت هو سنة قال فما شروطه قال ت الني ة وأن لا تخرج من المسجد إلا لحاجة ولا يباشر النساء وأن يصوم ويترك الكلام قال أحسنت فأخبريني بم اذا يجب الحج قالت بالبلوغ والعقل والإسلام والاستطاعة وهو واجب في العمر مرة واحدة قبل الموت قال فم ا فروض الحج قالت الإحرام والوقوف بعرفة والطواف والسعي والحلق والتقصير قال فما فروض العمرة قالت الإحرام بها وطوافها وسعيها قال فما فروض الإحرام قالت التجرد من المخيط واجتناب الطيب وترك حل ق الرأس وتقليم الأظافر وقتل الصيد والنكاح قال فما سنن الحج قالت التلبية وطواف القدوم وال وداع ولمبي ت بالمزدلفة وبمنى ورمي الجمار قال أحسنت فما الجهاد وما أركانه قالت أما أركانه فخ روج الكف ار علين ا ووجود الإمام والعدة والثبات عند لقاء العدو وأما سننه فهو التحريض على القتال لقوله تعالى يا أيه ا النب ي حرض المؤمنين على القتال قال أحسنت فأخبريني عن فروض البيع وسننه قالت أما فروض البيع فالأيج اب والقبول وأوان يكون المبيع مملوكاً متفعاً به مقدوراً على تسليمه وترك الربا وأما سننه فالأقالة والخيار قب ل التفرق لقوله ﷺ البيعان بالخيار ما لم يتفرقا قال أحسنت فأخبريني عن شيء لا يجوز بيع بعضه ببعض قالت حفظت في ذلك حديثاً صحيحاً عن نافع عن رسول الله ﷺ أنه نهى عن بيع التمر بالرطب والت ين بالي ابس

والقديد باللحم والزبد بالسمن وكل ما كان من صنف واحد مأكول فلا يجوز بيع بعضه ببعض فلما سمع الفقيه كلامها وعرف أنها زكية فطنة حاذقة عالمة بالفقه والحديث والتفسير وغير ذلك قال في نفسه لابد من أن أتحيل عليها حتى أغلبها في مجلس أمير المؤمنين فقال لها يا جارية ما معنى الوضوء في اللغة قالت الوضوء في اللغة النظافة والخلوص من الأدناس قال فما معنى الصلاة في اللغة قالت الدعاء بخير قال فما معنى الغسل في اللغة وقالت التطهير قال فما معنى الصوم في اللغة قالت الإمساك قال فما معنى الزكاة لغة قالت الزيادة قال فما معنى الحج في اللغة قالت القصد قال فما معنى الجهاد في اللغة قالت الدفاع فانقطعت حجة الفقيه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٣١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الفقيه لما انقطعت حجته قام على قدميه وقال أشهد الله يا أمير المؤمنين بأن الجارية اعلم مني في الفقه فقالت له الجارية أسألك عن شيء فأتني بجوابه سريعاً إن كنت عارفاً قال اسألي قالت في سهام الدين قال هي عشرة الأولى الشهادة وهي الملة الثاني الصلاة وهي الفطرة الثالث الزكاة وهي الطهارة الرابع الصوم وهي الجنة الخامس الحج وهي الشريعة السادس الجهاد وهي الكفاية السابع والثامن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهما الغيرة التاسع الجماعة وهي الألفة العاشر طلب العلم وهي الطريق الجيدة قالت أحسنت وقد بقيت عليك مسألة فما أصول الإسلام قال هي أربعة صحة العقد وصدق القصد وحفظ الحد والوفاء بالعهد قالت بقي مسألة أخرى فإن أجبت وإلا أخذت ثيابك قال قولي يا جارية قالت فما فروع الإسلام فسكت ساعة ولم يجب بشيء فقالت أنزع ثيابك وأنا أفسرها لك قال أمير المؤمنين فسريها وأنا أنزع لك ما عليه من الثياب قالت هي أثنى وعشرون فرعاً التمسك بكتاب الله تعالى والاقتداء برسوله ﷺ وكف الأذى وأكل الحلال واجتناب الحرام ورد المظالم إلى أهلها والتوبة والفقه في الدين وحب الجليل واتباع التنزيل وتصديق المرسلين وخوف التبديل والتأهب للرحيل وقوة اليقين والعفو عند القدرة والقوة عند الضعف والصبر عند المصيبة ومعرفة الله تعالى ومعرفة ما جاء به نبيه ﷺ ومخالفة اللعين أبليس ومجاهدة النفس ومخالفتها والإخلاص لله فلما سمع أمير المؤمنين ذلك منها أمر أن تنزع ثياب الفقيه وطيلسانه فنزعهما ذلك الفقيه وخرج مقهوراً منها خجلاً من بين يدي أمير المؤمنين ثم قام لها رجل آخر وقال يا جارية اسمعي مني مسائل قليلة قالت له قل قال فما شرط صحة المسلم قالت القدر المعلوم والجنس المعلوم والأجل المعلوم قال أحسنت فما فروض الأكل وسننه قالت فروض الأكل الاعتراف بأن الله تعالى رزقه وأطعمه وسقاه والشكر لله تعالى على ذلك قال فما الشكر قالت صرف العبد لجميع ما أنعم الله به عليه فيما خلق لأجله قال فما سنن الأكل قالت التسمية وغسل اليدين والجلوس على الورك الأيسر والأكل بثلاث أصابع والأكل مماليك قال أحسنت فأخبريني ما آداب الأكل قالت أن نصغر اللقمة وتقل النظر إلى جليسك قال أحسنت وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٣٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية لما سئلت عن آداب الأكل وذكرت الجواب قال لها الفقيه السائل أحسنت فأخبريني عن عقائد القلب واضدادها قالت هن ثلاث وأضدادها ثلاث الأولى اعتقاد الإيمان

وضدها مجانبة الكفر والثانية اعتقاد السنة وضدها مجانبة البدعة والثالثة اعتقاد الطاعة وضدها مجانبة المعصية قال أحسنت فأخبريني عن شروط الوضوء قالت الإسلام والتميز وطهور الماء وعدم المانع الحسي وعدم المانع الشرعي قال أحسنت فأخبريني عن الإيمان قالت الإيمان ينقسم إلى تسعة أقسام إيمان بالمعبودة وإيمان بالعبودية وإيمان بالخصوصية وإيمان بالقبضتين وإيمان بالناسخ وإيمان بالمنسوخ وأن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وتؤمن بالقضاء والقدر خيره وشره حلوه ومره قال أحسنت فأخبريني عن ثلاث تمنع ثلاثاً قالت نعم روى عن سفيان الثوري أنه قال ثلاث تذهب ثلاثاً الاستخفاف بالصالحين يذهب الآخرة والاستخفاف بالملوك يذهب الروح والاستخفاف بالنفقة يذهب المال قد أحسنت فأخبرينين عن مفاتيح السموات وكم لها من باب قالت قال الله تعالى وفتحت السماء فكانت أبواباً وقال عليه الصلاة والسلام وليس يعلم عدة أبواب السماء إلا الذي خلق السماء وما من أحد من بني آدم إلا وله باباً في السماء باب ينزل منه رزقه وباب يصعد منه عمله ولا يغلق باب رزقه حتى ينقطع أجله ولا يغلق باب عمله حتى تصعد روحه قال أحسنت فأخبريني عن شيء وعن نصف الشيء وعن لا شيء قالت الشيء هو المؤمن ونصف الشيء هو المنافق وأن لا شيء هو الكافر قال أحسنت فأخبريني عن القلوب قالت قلب سليم وقلب سقيم وقلب منيب وقلب نذير وقلب منير فالقلب السليم هو قلب الخليل والقلب السقيم هو قلب الكافر والقلب المنيب هو قلب المتقين الخائفين والقلب النذير هو قلب سيدنا محمد ﷺ والقلب المنير هو قلب من يتبعه وقلوب العلماء ثلاثة قلب متعلق بالدنيا وقلب متعلق بالآخرة وقلب متعلق بمولاه وقيل أن القلوب ثلاثة قلب معلق وهو قلب الكافر وقلب معدوم وهو قلب المنافق وقلب ثابت وهو قلب المؤمن وقيل هي ثلاثة قلب مشروح بالنور والإيمان وقلب مجروح من خوف الهجران وقلب خائف من الخذلان قال أحسنت وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٣٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية لما سألها الفقيه الثاني وأجابته وقال لها أحسنت قالت يا أمير المؤمنين أنه قد سألني حتى عيني وأنا أسأله مسألتين فإن أتى بجوابهما فذاك وإلا أخذت ثيابه وانصرف بسلام فقال لها الفقيه سليني عما شئت قالت فما تقول في الإيمان قال الإيمان أقرار باللسان وتصديق بالقلب وعمل بالجوارح وقال عليه الصلاة والسلام لا يكمل المرء في الإيمان حتى يكمل فيه خمس خصال التوكل على الله والتفويض إلى الله والتسليم لأمر الله والرضا بقضاء الله وإن تكون أموره لله فإنه من أحب الله وأعطي لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان قالت فأخبرني عن فرض الفرض وعن فرض في ابتداء كل فرض وعن فرض يحتاج إليه كل فرض وعن فرض يستغرق كل فرض وعن سنة داخلة في الفرض وعن سنة يتم بها الفرض فسكت ولم يجب بشيء فأمرها أمير المؤمنين بأن تفسرها وأمره بأن ينزع ثيابه ويعطيها أياها فعند ذلك قالت يا فقيه أما فرض الفرض فمعرفة الله تعالى وأما الفرض الذي في ابتداء فهي شهادة أتن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأما الفرض الذي يحتاج إليه كل فرض فهو الوضوء وأما الفرض المستغرق كل فرض فهو الغسل من الجنابة وأما السنة الداخلة في الفرض فهي تخليل الأصابع وتخليل اللحية الكثيفة وأما السنة التي يتم بها الفرض فهو الاختتان فعند ذلك تبين عجز الفقيه وقام على قدميه وقال أشهد الله يا أمير المؤمنين أن هذه الجارية اعلم مني بالفقه وغيره ثم نزع ثيابه وانصرف مقهوراً (وأما) حكايتها مع

المقري فإنها التفتت إلى من بقي من العلماء الحاضرين وقالت أيكم الأستاذ المقريء العالم بـ ـالقرآن الس ـبع والنحو واللغة فقام إليها المقريء وجلس بين يديها وقال لها هل قرأت كتاب الله تعالى وأحكمت معرفة آياتـ ـه وناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومكية ومدنية وفهمت تفسيره وعرفتيه على الروايات والأصـ ـول فـ ـي القرآن قالت نعم قال أخبريني عن عدد سور القرآن وكم فيه من عشر وكم فيه من آية وكم فيه مـ ـن حـ ـرف وكم فيه من سجدة وكم فيه من نبي مذكور وكم فيه من سورة مدنية وكم فيه من سورة مكية وكم فيه من طير قالت يا سيدي أما سور القرآن فمائة وأربع عشرة سورة المكي منها سبعون سورة والمدني أربع وأربعـ ـون سورة وأما أعشاره فستمائة عشر واحد وعشرون عشراً وأما الآيات فستة آلاف ومائتان وست وثلاثون آية وأما كلماته فتسعة وسبعون ألف كلمة وأما حروفه فثلثمائة ألف وثلاثة وعشرون ألفاً وستمائة وسبعون حرفاً وللقاريء بكل حرف عشر حسنات وأما السجدات فأربع عشر سجدة وأدرك شهرزاد الصباح فسـ ـكتت عـ ـن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٣٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية لما سألها المقريء عن القرآن أجابته وقالت له وأما الأنبياء الذين ذكرت أسماؤهم في القرآن فخمسة وعشرون نبياً وهم آدم ونوح وإبراهيم وإسماعيل وأسحق ويعقـ ـوب ويوسف واليسع ويونس ولوط وصالح وهو ذو شعيب وداود وسليمان وذو الكفل وأدريس والياـ ـاس ويحيـ ـى وزكريا وأيوب وموسى وهارون وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وأما الطير فهن تسع قال ما أسمهن قالت البعوض والنحل والذباب والنمل والهدهد والغراب والجراد والأبابيل وطيـ ـر عيسـ ـى عليـ ـه السلام وهو الخفاش قال أحسنت فأخبريني أي سورة البقرة قال فأي آية أعظم قالـ ـت آيـ ـة الكرسـ ـي وهـ ـي خمسون كلمة من كل كلمة خمسون بركة قال فأي آية فيها تسع آيات قالت قولـ ـه تعـ ـالى ﴿ أن فـ ـي خلـ ـق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس﴾ إلى آخر الآية قـ ـال أحسنت فأخبريني أي آية أعدل قالت قوله تعالى أن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عـ ـن الفحشاء والمنكر والبغي قال فأي آية أطمع قالت قوله تعالى أيطمع كل أمريء منهم أن يدخل جنة نعيم قـ ـال فأي آية أرجى قالت قوله تعالى قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله أن الله يغفـ ـر الذنوب جميعاً أنه هو الغفور الرحيم قال أحسنت فأخبريني بأي قراءة تقرئين قالت بقراءة أهل الجنـ ـة وهـ ـي قراءة نافع قال فأي آية كذب فيها الأنبياء قالت قوله تعالى وجاءوا على قميصه بدم كذب وهم أخوة يوسـ ـف قال فأخبريني أي آية صدق فيها الكفار قالت قوله تعالى وقالت اليهود ليست النصارى على شـ ـيء وقالـ ـت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب فهم صدقوا جميعاً قال آية قالها الله لنفسه قالـ ـت قولـ ـه تعالى وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون قال فأي آية فيها قول الملائكة قالت قوله تعـ ـالى ونحـ ـن نسـ ـبح بحمدك ونقدس لك قال فأخبريني عن أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وما جاء فيها قالت لتعوذ واجب أمر الله به عند القراءة والدليل عليه قوله تعالى فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم قال فأخبريني مـ ـا لفظ الاستعاذة وما الخلاف فيها قالت منهم من يستعيذ بقوله أعوذ بالله السميع العليم مـ ـن الشـ ـيطان الـ ـرجيم ومنهم من يقول أعوذ بالله القوي والأحسن ما نطق به القرآن العظيم ووردت به السنة وكان ﷺ إذا اسـ ـتفتح

القرآن كان أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وروي عن نافع عن أبيه قال كان رسول الله ﷺ إذا قام يصلي في الليل قال الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلاً ثم يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ومن همزات الشياطين ونزعاتهم وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال قال أول ما نزل جبريل على النبي ﷺ علمه الاستعاذة وقال له قل يا محمد أعوذ بالله السميع العليم ثم قل بسم الله الرحمن الرحيم ثم اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق فلما سمع المقريء كلامها تعجب من لفظها وفصاحتها وعلمها وفضلها ثم قال لها يا جارية ما تقولين في قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم هل هي آية من آيات القرآن قالت نعم آية من القرآن في النمل وآية بين كل سورتين والاختلاف في ذلك بين العلماء كثير قال أحسنت وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٣٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية لما أجابت المقريء وقالت أن بسم الله الرحمن الرحيم فيها اختلاف كثير بين العلماء قال أحسنت فأخبريني لم لا تكتب بسم الله الرحمن الرحيم في أول سورة براءة قالت لما نزلت سورة براءة بنقض العهد الذي كان بينه ﷺ وبين المشركين وجه لهم النبي ﷺ علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه في يوم موسم بسورة براءة فقرأها عليهم ولم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم قال فأخبريني عن فضل بسم الله الرحمن الرحيم وبركتها قالت روي عن النبي ﷺ أنه قال ما قرأت بسم الله الرحمن الرحيم على شيء إلا كان فيه البركة وعنه ﷺ حلف رب العز بعزته لا تسمى بسم الله الرحمن الرحيم على مريض إلا عوفي من مرضه وقيل لما خلق الله العرش اضطرب اضطراباً عظيماً فكتب عليه بسم الله الرحمن الرحيم فسكن اضطرابه ولما نزلت بسم الله الرحمن الرحيم على رسول الله ﷺ قال أمنت من ثلاثة من الخسف والمسخ والغرق وفضلها عظيم وبركتها كثيرة يطول شرحها وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال يؤتي برجل يوم القيامة فيحاسب فلا يلقى له حسنة فيؤمر به إلى النار فيقول الهي ما انصفتني فيقول الله عز وجل ولم ذلك فيقول يارب لأنك سميت نفسك الرحمن الرحيم وتريد أن تعذبني بالنار فقال الله جل جلالة أنا سميت نفسي الرحمن الرحيم أمضوا بعبدي لي الجنة برحمتي وأنا أرحم الراحمين قال أحسنت فأخبريني عن أول بدء بسم الله الرحمن الرحيم قالت لما أنزل الله تعالى القرآن كتبوا بإسمك اللهم فلما أنزل الله تعالى قل أعدوا الله أو أدعوا الرحمن أياماً تدعوا فله الأسماء الحسنى كتبوا بسم الله الرحمن الرحيم فما نزل والهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم كتبوا بسم الله الرحمن الرحيم فلما سمع المقريء كلامها أطرق وقال في نفسه أن هذا العجب عجيب وكيف تكلمت هذه الجارية في أول بدء بسم الله الرحمن الرحيم والله لابد من أن أتحيل عليها لعلي أغلبها ثم قال لها يا جارية هل أنزل الله القرآن جملة واحدة أو أنزله متفرقاً قالت نزل به جبريل الأمين عليه السلام من عند رب العالمين على نبيه محمد سيد المرسلين وخاتم النبيين بالأمر والنهي والوعد والوعيد والأخبار والأمثال في عشرين سنة آيات متفرقات على حسب الوقائع قال أحسنت فأخبريني عن أول سورة نزلت على رسول الله ﷺ قالت في قول ابن عباس سورة العلق وفي قول ابن جابر بن عبد الله سورة المدثر ثم أنزلت السور والآيات بعد ذلك قال فأخبريني عن آخر آية نزلت قالت آخر آية نزلت عليه هي أية الربا وقيل إذا جاء نصر الله والفتح. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٣٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية لما أجابت المقريء عن آخر آية نزلت في القرآن قال لها أحسنت فأخبريني عن عدة الصحابة الذين جمعوا القرآن على عهد رسول الله ﷺ قالت هم أربعة أبي بن كعب وزير بن ثابت وأبو عبيدة عامر بن الجراح وعثمان بن عفان رضي الله عنهم أجمعين قال أحسنت فأخبريني عن القراء الذين تؤخذ عنهم القرآت قالت هم أربعة عبد الله بن مسعود وأبي كعب ومعاذ بن جبل وسالم ابن عبد الله قال فما تقولين في قوله تعالى وما ذبح على النصب قالت هي الأصنام التي تنصب وتعبد من دون الله والعياذ بالله تعالى قال فما تقولين في قوله تعالى تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك قالت تعلم حقيقتي وما عندي ولا أعلم ما عندك والدليل على هذا قوله تعالى أنك أنت علام الغيوب وقيل تعلم عيني ولا أعلم عينك قال فما تقولين في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم قالت حدثني الشيخ رحمه الله تعالى عن الضحاك أنه قال هم قوم من المسلمين قالوا نقطع مذاكيرنا ونلبس المسوح فنزلت هذه الآية وقال قتادة أنها نزلت في جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ وهم علي بن أبي طالب وعثمان ابن مصعب وغيرهما وقالوا نخصى أنفسنا ونلبس الشعر ونترهب فنزلت هذه الآية قال فما تقولين في قوله تعالى وأتخذ الله ابراهيم خليلاً قالت الخليل المحتاج الفقير وفي قوله أخر هو المحب المنقطع إلى الله تعالى الذي ليس لانقطاعه اختلال فلما رآها المقريء تمر في كلامها مر السحاب ولم تتوقف في الجواب قام على قدميه وقال أشهد الله يا أمير المؤمنين أن هذه الجارية اعلم مني بالقرآت وغيرها فعند ذلك قالت الجارية أنا أسألك مسألة واحدة فإن أتيت بجوابها فذاك وإلا نزعت ثيابك قال أمير المؤمنين سليه فقالت ما نقول في آية فيها ثلاثة وعشرون كافا وآية فيها ستة عشر ميما وآية فيها مائة وأربعون عيناً وحزب ليس فيه جلالة فعجز المقريء عن الجواب فقالت أنزع ثيابك فنزع ثيابه ثم قالت يا أمير المؤمنين أن الآية التي فيها ستة عشر ميماً في سورة هود وهي قوله تعالى قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك الآية وأن الآية التي فيها ثلاثة وعشرون كافاً في سورة البقرة وهي أية الدين وأن الآية التي فيها مائة وأربعون عيناً في سورة الأعراف وهي قوله تعالى واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا لكل رجل عينان وأن الحزب الذي ليس فيه جلاله هو سورة اقتربت الساعة وانشق القمر والرحمن والواقعة فعند ذلك نزع المقريء ثيابه التي عليه وانصرف خجلاً وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٣٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية لما غلبت المقريء ونزع ثيابه وأنصرف خجلاً تقدم إليها الطبيب الماهر وقال فرغنا من علم الأديان فتيقظي لعلم الأبدان وأخبريني عن الإنسان وكيف خلقه وكم في جسده من عرق وكم من عظم وكم من فقارة وأين أول العروق ولم سمي آدم آدم قالت سمي آدم لأدمته أي سمرة لونه وقيل لأنه خلق من أديم الأرض أي ظاهر وجهها صدره من تربة الكعبة ورأسه من تربة المشرق ورجلاه من تربة المغرب وخلق الله له سبعة أبواب في رأسه وهي العينان والأذنان والمنخران والفم وجعل له منفذين قبله ودبره فجعل العينين حاسة النظر والأذنين حاسة السمع والمنخرين حاسة الشم والفم حاسة الذوق وجعل اللسان ينطق بما في ضمير الإنسان وخلق آدم مركباً من أربعة عناصر وهي الماء والتراب

والنار والهواء فكانت الصفراء طبع النار وهي حارة يابسة والسوداء طبع التراب وهو بارد يـ ابس والـ بلغم طبع الماء وهو بارد رطب والدم طبع الهواء وهو حار رطب وخلق في الإنسان ثلثمائة وستين عرقاً ومائتين وأربعون عظماً وثلاثة أرواح حيواني ونفساني وطبيعي وجعل لكل منها حكماً وحلق الله له قلباً وطحالاً ورئة وستة أمعاء وكبداً وكليتين واليتين ومخاو عظماً وجلداً وخمس حواس سامعة وباصرة وشامة وذائقة ولامسة وجعل القلب في الجانب الأيسر من الصدر وجعل المعدة أمام القلب وجعل الرئة مروحة للقلب وجعل الكبـ د في الجانب الأيمن محاذية للقلب وخلق ما دون ذلك من الحجاب والأمعاء وركب ترائـ ب الصـ در وشـ بكها بالأضلاع قال أحسنت فاخبريني كم في رأس ابن آدم من بطن قالت ثلاثة بطون وهي تشتمل علـ ى خمـ س قوي تسمى الحواس الباطنية وهي الحس المشترك والخيال والمتصرفة والواهمة والحافظـ ة قـ ال أحسـ نت فأخبريني عن هيكل العظام وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٣٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية لما قال لها الطبيب أخبريني عن هيكل العظام قالـ ت هـ و مؤلف من مائتين وأربعون عظماً وينقسم إلى ثلاثة أقسام رأس وجذع وأطراف أما الرأس فتنقسم إلى جمجمة ووجه فالجمجمة مركبة من ثمانية عظام ويضاف إليها عظيمات السمع الأربع والوجه ينقسم إلى فك علـ وي وفك سفلي فالعلوي يشتمل على أحد عشر عظماً والسفلي عظم واحد ويضاف إليه الأسـ نان وهـ ي اثنتـ ان وثلاثون سناً وكذا العظم اللامي وأما الجذع فينقسم إلى سلسلة فقارية وصدر وحوش لسلسلة مركبة من أربعة وعشرون عظماً تسمى الفقار والصدر مركب من القفص والإضلاع التي هي أربع وعشرون ضلعاً في كـ ل جانب اثنتا عشرة والحوض مركب من العظمين الحرقفيين والعجز والعصعص وأما الأطراف فتنقسـ م إلـ ى طرفين علويين وطرفيين سفليين فالعلويان ينقسم كل منهما أولاً إلى منكب مركب من الكتف والترقوة وثانيـ اً إلى عضد وهو عظم واحد وثالثاً إلى ساعد مركب من عظمين هما الكعبرة والزند ورابعاً إلى كف ينقسم إلى رسغ ومشط وأصابع فالرسغ مركب من ثمانية عظام مصفوفة صفين كل منهما يشتمل على أربعـ ة عظـ ام والمشط يشتمل على خمسة عظام والأصابع عدتها خمس كل منها مركب من ثلاثة عظام تسمى السـ لاميات إلا الإبهام فإنها مركبة من أثنين فقط والطرفان السفليان ينقسم كل منهما أولاً إلى فخذ هو عظم واحد وثانيـ اً إلى ساق مركب من ثلاثة عظام القصبة والشظية والرصفة وثالثاً إلى قدم ينقسم كالكف إلى رسـ غ ومشـ ط وأصابع فالرسغ مركب من سبعة عظام مصفوفة صفين الأول فيه عظمان والثاني فيه خمسة والمشط مركب من خمسة عظام والأصابع عدتها خمس كل منهما مركبة من ثلاث سلاميات إلا الإبهام فمن سـ لاميين فقـ ط قال أحسنت فأخبريني عن أصل العروق قالت أصل العروق الوتين ومنه تشعت العروق وهي كثيرة لا يعلـ م عددها إلا الذي خلقها وقيل أنها ثلثمائة وستون عرقاً كما سبق وقد جعل الله اللسان ترجماناً والعينين سراجين والمنخرين منشقين واليدين جناحين ثم أن الكبد فيه الرحمة والطحال فيه الضحك والكليتين فيهما المكر والرئة مروحة والمعدة خزانة والقلب عماد الجسد فإذا صلح القلب صلح الجسد كله وإذا فسد فسد الجسد كلـ ه قـ ال أخبريني عن الدلالات والعلامات الظاهرة التي يستدل بها على المرض في الأعضاء الظاهرة والباطنة قالت نعم إذا كان الطبيب ذا فهم نظر في أحوال البدن واستدل بحبس اليدين على الصـ لابة والحـ رارة واليبوسـ ة

والبرودة والرطوبة وقد توجد في المحسوس دلالات على الأمراض الباطنة كصفرة العينين فإنها تدل على اليرقان وتحقف الظهر فإنه يدل على داء الرئة قال أحسنت وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٣٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية لما وصفت للطبيب العلامات الظاهرة قال لها أحسنت فما العلامات الباطنة قالت إن الوقوف على الأمراض بالعلامات الباطنة يؤخذ من ستة قوانين الأول من الأفعال والثاني مما يستغفر من البدن والثالث من الوجع والرابع من الموضع والخامس من الورم والسادس من الأعراض قال أخبريني بم يصل الأذى إلى الرأس قالت بإدخال الطعام على الطعام قبل هضم الأول والشبع على الشبع فهو الذي أفنى الأمم فمن أراد البقاء فليباكر بالغداء ولا يتمس بالعشاء وليقلل من مجامعة النساء وليخفف الرداء وأن لا يكثر القصد ولا الحجامة وأن يجعل بطنه ثلاث أثلاث ثلث للطعام وثلث للماء وثلث للتنفس لأن مصران بني آدم ثمانية عشر شبراً يجب أن يجعل ستة للطعام وستة للشراب وستة للتنفس وإذا مشي برفق كان أوفق له وأجمل لبدنه وأكمل لقوله تعالى (ولا تمش في الأرض مرحاً) قال أحسنت فأخبريني ما علامة الصفراء وماذا يخاف منها قالت تعرف بصفرة اللون ومرارة الفم والجفاف وضعف الشهوة وسرعة النبض ويخاف صاحبها من الحمى المحرقة والبرسام والجمرة واليرقان والورم وقروح الأمعاء وكثرة العطش فهذه علامات الصفراء قال أحسنت فأخبريني عن علامات السوداء وماذا يخاف على صاحبها إذا غلبت على البدن قالت أنها تتولد منها الشهوة الكاذبة وكثرة الوسوسة والهم والغم فينبغي حينئذ أن تستفرغ وألا تولد منها الماليخوليا والجذام والسرطان وأوجاع الطحال وقروح الأمعاء قال أحسنت أخبريني إلى كم جزء ينقسم الطب قالت ينقسم إلى جزأين أحدهما علم تدبير الأبدان المريضة والآخر كيفية ردها إلى حال صحتها قال فأخبريني أي وقت يكون شرب الأدوية أنفع فيه منه في غيره قالت إذ جرى الماء في العود وانعقد الحب في العنقود وطلع سعد السعود فقد دخل وقت نفع شرب الدواء وطرد الداء قال فأخبريني عن وقت إذا شرب فيه الإنسان من أناء جديد يكون شرابه أهنأ وأمرأ منه في غيره وتسعد له رائحة طيبة ذكية قالت إذا صبر بعد أكل الطعام ساعة فقد قال الشاعر:

لا تشـ . .ربن مـ . .ن بعـ . .د أكلـ . .ك	فتسـ . وق جسـ . مك لـ . للأذى بزمـ . ـام
واصـ .بر قلـ .يلاً بعـ .د أكلـ .ك سـ .اعة	فعسـ .اك نظفـ .ر يـ .ا أخـ .ي بمـ .رام

قال فأخبريني عن طعام لا تتسبب عنه أسقام قالت هو الذي لا يطعم إلا بعد الجوع وإذا طعم لا تمتلىء منه الضلوع لقول جالينوس الحكيم من أراد أدخال الطعام فليبطىء ثم لا يخطيء ولنختم بقوله عليه الصلاة والسلام المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء وأصل كل داء البردة يعني التخمة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٤٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية لما قالت للحكيم المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء الحديث قال لها فما تقولين في الحمام قالت لا يدخله شبعان وقد قال النبي ﷺ نعم البيت الحمام ينظف الجسد

ويذكر النار قال فأي الحمامات أحسن قالت ما عذب ماؤه واتسع فضاؤه وطاب هواؤه بحيث تك ون أهويت ه أربعة خريفي وصيفي وشتوي وربيعي قال فأخبريني أي الطعام أفضل قالت ما صنعت النساء وقل فيه العناء وأكلته بالهناء وأفضل الطعام الثريد لقوله عليه الصلاة والسلام فضل الثريد على الطعام كفضل عائشة عل ى سائر النساء قال فأي الأدم أفضل قالت اللحم لقوله عليه الصلاة والسلام أفضل الأدم اللحم لأن ه ل ذة ال دنيا والآخرة قال فأخبريني فأي اللحم أفضل قالت الضأن ويجتنب القديد لأنه لا فائدة فيه ق ال ف أخبريني ع ن الفاكهة قالت كلها في إقبالها وأتركها إذا انقضى زمانها قال فما تقولين في شرب الماء قالت لا تشربه ش رباً ولا تعبه عباً فإنه يؤذيك صداعه ويشوش عليك من الأذى أنواعه ولا تشربه عقب خروجك من الحم ام ولا عقب الجماع ولا عقب الطعام إلا بعد مضي خمس عشر درجة للشاب وللشيخ بعد أربعين درجة ولا عق ب يقظتك من المنام قال أحسنت فأخبريني عن شرب الخمر قالت أفلا يكفيك زاجراً ما جاء في كتاب الله تع الى حيث قال (إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلح ون) وق ال تعالى (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وأثمهما أكبر من نفعهم ا) وق د ق ال الشاعر:

يـ ـا شـ ـارب الخمـ ـر أمـ ـا تسـ ـتحي تشـ . . . ـرب شـ . . . ـيئاً حـ . . . ـرم الله
فحلـ . . . ـه عنـ . . . ـك ولا تأتـ . . . ـه ففيـ . . . ـه حقـ . . . ـاً عنـ . . . ـف الله

وقال آخر في هذا المعنى:

شـ ـربت الأثـ ـم حتـ ـى زال عقلـ ـي فبـ ـئس الشـ ـرب حيـ ـث العقـ ـل زالا

وأما المنافع التي فيها فإنها تفتت حصى الكلى وتقوي الأمعاء وتنفي الهم وتحـ رك الك رم وتحف ظ الصحة وتعين على الهضم وتصح البدن وتخرج الأمراض من المفاصل وتنقي الجسم من الأخـ ـلاط الفاس دة وتولد الطرب والفرح وتقوي الغريزة وتشد المثانة وتقوي الكبد وتفتح السدد وتحمر الوجه وتنقي الفضـ ـلات من الرأس والدماغ وتبطيء بالمشيب ولولا الله عز وجل حرمها لم يكن على وجه الأرض ما يق وم مقامه ا وأما الميسر فهو القمار قال فأي شيء من الخمر أحسن قالت ما كان بعد ثمانين يوماً أو أكثر وقد اعتصر من عنب أبيض ولم يشبه ماء ولا شيء على وجه الأرض مثلها قال فما تقولين في الحجامة قالت ذلك لمن ك ان ممتلئاً من الدم وليس فيه نقصان في دمه فمن أراد الحجامة فليحتجم في نقصان الهلال في يوم هو بلا غ يم ولا ريح ولا مطر ويكون في السابع عشر من الشهر وأن وافق يوم الثلاثاء كان أبلغ في النفع ولا شيء أنفع من الحجامة للدماغ والعينين وتصفية الذهن وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٤١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية لما وصفت منافع الحجامة قال لها الحك يم أخبرين ي ع ن أحسن الحجامة قالت أحسنها على الريق فإنها تزيد في العقل وفي الحفظ المروي عنه عليه الصلاة والسـ ـلام أنه كان ما اشتكى إليه أحد وجعاً في رأسه أو رجليه إلا قال له احتجم وإذا احتجم لا يأكل على الريق مالحـ ـا فانه يورث الجرب ولا يأكل على أثره حامضاً قال فأي وقت تكره فيه الحجامة قالت يوم السبت والأربعـ ـاء

ومن احتجم فيهما فلا يلومن إلا نفسه ولا يحتجم في شدة الحر ولا في شدة البرد وخيار أيامه أيام الربيع قال أخبريني عن الجامعة فلما سمعت ذلك أطرقت وطأطأت رأسها واستحيت أجلالاً لأمير المؤمنين ثم قالت والله يا أمير المؤمنين ما عجزت بل خجلت وأن جوابه على طرف لساني قال لها يا جارية تكلمي قالت لـ ـه أن النكاح فيه فضائل مزيدة وأمور حميدة منها أنه يخفف البدن الممتلىء بالسوداء ويسكن حرارة العشق ويجلب المحبة ويبسط القلب ويقطع الوحشة والإكثار منه في أيام الصيف والخريف أشد ضرراً منه في أيام الشـ ـتاء والربيع قال فأخبريني عن منافعه قالت أنه يزيل الهم والوسواس ويسكن العشق والغضب وينفع القروح هـ ـذا إذا كان الغالب على الطبع والبرودة واليبوسية وإلا فالإكثار منه يضعف النظر ويتولد منـ ـه وجـ ـع السـ ـاقين والرأس والظهر وإياك إياك من مجامعة العجوز فإنها من القواتل قال الإمام على كرم الله وجهه أربع يقـ ـتلن ويهرمن البدن دخول الحمام على الشبع وأكل المالح والجامعة على الامتلاء ومجامعة المريضة فإنها تضعف قوتك وتسقم بدنك والعجوز سم قاتل قال بعضهم إياك أن تتزوج عجوزاً ولو كانت أكثر من قارون كنوز أقال فما أطيب الجماع قالت إذا كانت المرأة صغيرة السن مليحة القد حسنة الخد كريمة الجد بارزة النهد فهي تزيد قوة في صحة بدنك وتكون كما قال فيها بعض واصفيها:

مهمـ ـا لحظـ ـت علمـ ـت مـ ـاذا تبتغـ ـي	وحيـ . ـا بـ . ـدون إشـ . ـارة وبيـ . ـان
وإذا نظـ . ـرت إلـ . ـى بـ . ـديع جمالهـ . ـا	أغنـ . ـت محاسـ . ـنها عـ . ـن البسـ . ـتان

قال فأخبريني عن أي وقت يطيب فيه الجماع قالت إذا كان ليلاً فبعد هضم الطعام وإذا كـ ـان نهـ ـاراً فبعد الغداء قال فأخبريني عن أفضل الفواكه قالت الرمان والأترج قال فأخبريني عن أفضـ ـل البقـ ـول قالـ ـت الهندبان قال فما أفضل الرياحين قالت الورد والبنفسج قال فأخبريني عن قرار مني الرجل قالت أن في الرجل عرقاً يسقى سائر العروق فيجتمع الماء من ثلثمائة وستين عرقاً ثم يدخل في البيضة اليسـ ـرى دمـ ـاً أحمـ ـر فينطبخ من حرارة مزاج بني آدم ماء غليظاً أبيض رائحته مثل رائحة الطلع قال أحسنت فأخبريني عن طير يمني ويحيض قالت هو الخفاض أي الوطواط قال فأخبريني عن شيء إذا حبس عاش وإذا شم الهواء مـ ـات قالت هو السمك قال فأخبريني عن شجاع يبيض قالت الثعبان فعجز الطبيب من كثرة سؤاله وسـ ـكت فقالـ ـت الجارية يا أمير المؤمنين أنه سألني حتى عيي وأنا أسأله مسألة واحدة فإن لم يجب أخذت ثيابه حـ ـلالاً لـ ـي وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٤٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية لما قالت لأمير المؤمنين أنه سألني حتى عيسى وأنا أسـ ـأله مسألة واحدة فإن لم يجب أخذت ثيابه حلالاً لي قال لها الخليفة سلبه فقالت له ما تقول في شيء يشبه الأرض استدارة ويواري عن العيون فقاره قليل القيمة والقدر ضيق الصدر والنحر مقيد وهو غير آبق موثـ ـق وهـ ـو غير سارق مطعون لا في القتال مجروح لا في النضال يأكل الدهر مره ويشرب الماء مـ ـن كثـ ـرة وتـ ـارة يضرب من غير جناية ويستخدم لا من كفاية مجموع بعد تفرقه متواضع لا من تملقه حامل لا لولد في بطنه مائل لا يسند إلى ركنه يتسخ فيتطهر ويصلي فيتغير بجامع بلا ذكر ويصارع بلا حذر يريح ويستريح ويعـ ـد فلا يصيح أكرم من النديم وأبعد من الحميم يفارق زوجته ليلاً ويعانقها نهاراً مسكنه الأطراف فـ ـي مسـ ـاكن

الأشراف سكت الطبيب ولم يجب بشيء وتحير في أمره وتغير لونه وأطرق برأسه ساعة ولم يتكلم فقالت أيها الطبيب تكلم وإلا فانزع ثيابك فقام وقال يا أمير المؤمنين أشهد على أن هذه الجارية أعلم مني بالطب وغيره ولا لي طاقة ونزع ما عليه من الثياب وخرج هارباً فعند ذلك قال لها أمير المؤمنين فسرى لنا ما قلتيه فقالت يا أمير المؤمنين هذا الزرار والعروة (وأما) ما كان من أمرها مع المنجم فإنها قالت من كان منكم منجماً فليقم فنهض إليها المنجم وجلس بين يديها فلما رأته ضحكت وقالت أنت المنجم الحاسب الكاتب قال نعم قالت اسأل عما شئت وبالله التوفيق قال أخبريني عن الشمس وطلوعها وأفولها قالت أعلم أن الشمس تطلع من عيون وتأفل في عيون فعيون الطلوع أجزاء المشارق وعيون الأفول أجزاء المغارب وكلتاهما مائة وثمانون جزءاً قال الله تعالى فلا أقسم برب المشارق والمغارب وقال تعالى هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب فالقمر سلطان الليل والشمس سلطان النهار وهما مستبقان متداركان قال الله تعالى لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون قال فأخبريني إذا جاء الليل كيف يكون النهار وإذا جاء النهار كيف يكون الليل قالت يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل قال فأخبريني عن منازل القمر قالت منازل القمر ثمان وعشرون منزلة وهي السرطان والبطين والثريا والدبران والهقعة والهنعة والذراع والنثرة والطرف والجبهة والزبرة والصرف والعواء والسماك والغفر والزباني والأكليل والقلب والشولة والنعائم والبلدة وسعد الذابح وسعد بلع وسعد السعود وسعد الأخبية والفرع المقدم والفرع المؤخر والرشاء وهي مرتبة على حروف بجد وهوز إلى آخرها وفيها سر غامض لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى والراسخون في العلم وأما قسمتها على البروج الأثنى عشر فهي أن تعطي كل برج منزلتين وثلث منزلة فتجعل السرطين والبطين وثلث الثريا للحمل وثلثي الثريا مع الدبران وثلثي الهقة للثور وثلب المقعة مع الهقعة والذراع للجوزاء والنثرة والطرف وثلث الجبهة للسرطان وثلثيها مع الزبرة وثلثي الصرفة للأسد وثلثها مع العواء والسماك للسنبلة والغفر والزباني وثلث الأكليل للميزان وثلثي الأكليل مع القلب وثلثي الشولة للعقرب وثلثها مع النعائم والبلدة للقوس وسعد الذبائح وسعد بلع وثلث المقدم مع المؤخر والرساء للحوت وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٤٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية لما عدت المنازل وقسمتها على البروج قال لها المنجم أحسنت فأخبريني عن الكواكب السيارة وعن طبائعها وعن مكثها في البروج والسعد منها والنحس وأين بيوتها وشرفها وسقوطها قالت المجلس ضيق ولكن سأخبرك أما الكواكب فسبعة وهي الشمس والقمر وعطارد ولزهرة والمريخ والمشتري وزحل فالشمس حارة يابسة نحيسة بالمقارنة سعيدة بالنظرة تمكث في كل برج ثلاثين يوماً والقمر بارد رطب سعيد يمكث في كل برج يومين وثلث يوم وعطارد ممتزج سعد مع السعود نحس مع النحوس يمكث في كل برج سبعة عشر يوماً ونصف يوم والزهرة معتدلة سعيدة تمكث في كل برج من البروج خمسة وعشرين يوماً والمريخ نحس يمكث في كل برج عشرة أشهر والمشتري سعد يمكس في كل برج سنة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(تم المجلد الثاني ويليه المجلد الثالث من ألف ليلة وليلة وأوله ليلة ٤٤٤)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

(وفي ليلة ٤٤٤) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن المشتري سعد يمكث في كل برج سنة وزحل بارد يابس نحس يمكث في كل برج ثلاثين شهراً والشمس بيتها الأسد وشرفها الحمل وهبوطها الدلو والقمر بيته السرطان وشرفه الثور وهبوطه العقرب ووباله الجدي وزحل بيته الجدي والدلو وشرفه الميزان وهبوطه الحمل ووباله السرطان والأسد والمشتري بيته الحوت والقوس وشرفه السرطان وهبوطه الجدي ووباله الجوزاء والأسد والزهرة بيتها الثور وشرفها الحوت وهبوطها الميزان ووبالها الحمل والعقرب وعطارد بيته الجوزاء والسنبلة وشرفه السنبلة وهبوطه الحوت ووباله الثور والمريخ بيته الحمل والعقرب وشرفه الجدي وهبوطه السرطان ووناله الميزان فلما نظر المنجم إلى حذقها وعلمها وحسن كلامها وفهمها ابتغى لها حيلة يخجلها بها بين يدي أمير المؤمنين فقال لها يا جارية هل ينزل في هذا الشهر مطرفاً طرقت ساعة لم تفكرت طويلاً حتى ظن أمير المؤمنين أنها عجزت عن جوابها فقال لها المنجم لم لم تتكلمي فقالت لا أتكلم إلا أن أذن لي في الكلام أمير المؤمنين فقال لها يا جارية هل ينزل في هذا الشهر مطرفاً طرقت ساعة لم تفكرت طويلاً حتى ظن أمير المؤمنين أنها عجزت عن جوابها فقال لها المنجم لم لم تتكلمي فقالت لا أتكلم إلا أن إذن لي في الكلام أمير المؤمنين فقال لها أمير المؤمنين وكيف ذلك قالت أريد أن تعطيني سيفاً أضرب به عنقه لأنه زنديق فضحك أمير المؤمنين وضحك من حوله ثم قالت يا منجم خمسة لا يعلمها إلا الله تعالى وقرأت أن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير قال لها أحسنت وأني والله ما أردت إلا اختبارك فقالت له اعلم أن أصحاب التقويم لهم إشارات وعلامات ترجع إلى الكواكب بالنظر إلى دخول السنة وللناس فيها تجاريب قال وما هي قلت إن لكل يوم من الأيام كوكباً يملكه فإذا كان أول يوم من السنة يوم الأحد فهو الشمس ويدل ذلك والله أعلم على الجور من الملوك والسلاطين والولاه وكثرة الوخم وقلة المطروان تكون الناس في هرج عظيم وتكون الحبوب طيبة إلا العدس فإنه يعطب ويفسد العنب ويغلو الكتان ويرخص القمح من أول طوبة إلى آخر برمهات ويكثر القتال بين الملوك ويكثر الخير في تلك السنة والله أعلم قال تأخيري عن يوم الأثنين قالت هو القمر ويدل ذلك على صلاح ولاة الأمور والعمال وأن تكون السنة كثيرة الأمطار وتكون الحبوب طيبة ويفسد بزر الكتان ويرخص القمح في شهر كيهك ويكثر

الطاعون ويموت نصف الدواب الضأن والمعز ويكثر العنب ويقل العسل ويرخص القطن والله أعلم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام

(وفي ليلة ٤٤٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية لما فرغت من بيان يوم الأثنين قال لها تجربتي عن يوم الثلاثاء قالت هو للمريخ ويدل ذلك على موت كبار الناس وكثرة الفناء وأهارق كل ماء والغلاء في الحب وقلة الأمطار وأن يكون السمك قليلاً ويزيد في أيام وينقص في أيام ويرخص العسل والعدس ويغلوا بزر الكتان في تلك السنة وفيها يفلح الشعير دون سائر الحبوب ويكثر القتال بين الملوك ويكثر الموت بالدم ويكثر موت الحمير والله أعلم قال فاخبريني عن يوم الأربعاء قالت هو لعطارد ويدل ذلك على هرج عظيم يقع في الناس وعلى كثرة العدو وأن تكون الأمطار معتدلة وأن يفسد بعض الزرع وأن يكثر موت الدواب وموت الأطفال ويكثر القتل في البحر ويعلو القمح من برمودة إلى مسرى وترخص بقية الحبوب ويكثر الرعد والبرق ويغلو العسل ويكثر طلع النخل ويكثر الكتان والقطن ويغلو الفجل والبصل والله أعلم قال أخبريني عن يوم الخميس قالت هو للمشتري ويدل ذلك على العدل في الوزراء والصلاح في القضاة والفقراء وأهل الدين وأن يكون الخير كثيراً وتكثر الأمطار والثمار والأشجار والحبوب ويرخص الكتان والقطن والعسل والعنب ويكثر السمك والله أعلم قال أخبريني عن يوم الجمعة قالت هو للزهرة ويدل ذلك على الجور في كبار الجن والتحدث بالزور والبهتان وأن يكثر الندى ويطيب الخريف في البلاد ويكون الرخص في بلاد دون بلاد ويكثر الفساد في البر والبحر ويغلو بزر الكتان ويغلو القمح في هاتور ويرخص في أمشير ويغلو العسل ويفسد العنب والبطيخ والله أعلم قال فاخبريني عن يوم السبت قالت هو لزحل ويدل ذلك على إيثار العبيد والروم ومن لا خير فيه ولا في قربه وأن يكون الغلاء والقحط كثيراً ويكون الغيم كثيراً ويكثر الموت في بني آدم والويل لأهل مصر والشام من جور السلطان وتقل البركة من الزرع وتفسد الحبوب والله أعلم ثم أن المنجم أطرق برأسه وطأطأ رأسه فقالت يا منجم أسألك مسئلة واحدة فإن لم تجب أخذت ثيابك قال لها قولي قالت أين يكون سكن زحل قال في السماء السابعة قالت فالمشتري قال في السماء السادسة قالت فالمريخ قال في السماء الخامسة قالت فالشمس قال في السماء الرابعة قالت فالزهرة قال في السماء الثالثة قالت فعطارد قال في السماء الثانية قالت فالقمر قال في السماء الأولى قالت أحسنت وبقى عليك مسئلة واحدة قال اسألي قالت فاخبرني عن النجوم إلى كم جزء تنقسم فسكت ولم يجب جواباً قالت انزع ثيابك فنزعها ولما أخذتها قال لها أمير المؤمنين فسرى لنا هذه المسئلة فقالت يا أمير المؤمنين هم ثلاثة أجزاء جزء معلق بسماء الدنيا كالقناديل وهو ينير الأرض وجزء ترمي به الشياطين إذا استرقوا السمع قال الله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا

بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين والجزء الثالث معلق بالهواء وهو ينير البحار وما فيها قال المنجم بقى لنا مسئلة واحدة فإن أجابت أقررت لها قالت قل وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٤٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أنه قال أخبريني عن أربعة أشياء متضادة مترتبة على أربعة أشياء متضادة قالت هي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة خلق الله من الحرارة النار وطبعها حار يابس وخلق من اليبوسة التراب وطبعه بارديابس وخلق من البرودة الماء وطبعه بارد رطب وخلق من الرطوبة الهواء وطبعه حار رطب ثم خلق الله اثنى عشر برجا وهي الحمل الثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت وجعلها على أربع طبائع ثلاثة نارية وثلاثة ترابية وثلاثة هوائية وثلاثة مائية فالحمل والأسد والقوس نارية والثور والسنبلة والجدي ترابية والجوزاء والميزان والدلو هوائية والسرطان والعقرب والحوت مائية فقام المنجم وقال اشهدوا على أنها أعلم مني وانصرف مغلوبا ثم قالت يا أمير المؤمنين أين الفيلسوف فنهض إليها رجل وتقدم وقال أخبريني عن الدهر وحده وأيامه وما جاء فيه قالت أن الدهر هو اسم واقع على ساعات الليل والنهار وأن هي مقادير جري الشمس والقمر في أفلاكهما كما أخبر الله تعالى حيث قال وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم قال فأخبريني عن ابن آدم كيف يصل إليه الكفر قالت روي عن رسول الله ﷺ أنه قال الكفر في ابن آدم يجري كما يجري الدم في عروقه حيث يسب الدنيا والدهر والليلة والساعة وقال عليه الصلاة والسلام لا يسب أحدكم الدهر فإن الدهر هو الله ولا يسب أحدكم الدنيا فتقول لا أعان الله من يسبني ولا يسب أحدكم الساعة فإن الساعة آتية لا ريب فيها ولا يسب أحدكم الأرض فإنها آية لقوله تعالى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى قال فاخبريني عن خمسة أكلوا وشربوا وما خرجوا من ظهر ولا بطن قالت هو آدم وشمعون وناقة صالح وكبش إسماعيل والطير الذي رآه أبو بكر الصديق في الغار قال فأخبريني عن خمسة في الجنة لا من الأنس ولا من الجن ولا من الملائكة قال ذئب يعقوب وكلب أصحاب الكهف وحمار العزيز وناقة صالح ودلدل بغلة النبي ﷺ قال فأخبريني عن رجل صلى صلاة لا في الأرض ولا في السماء قالت هو سليمان حين صلى على بساطه وهو على الريح قال أخبريني عمن صلى صلاة الصبح فنظر إلى أمه فحرمت عليه فلما كان الظهر حلت له فلما كان العصر حرصت عليه فلما كان المغرب حلت له فلما كان العشاء حرمت عليه فلما كان الصبح حلت له قالت هذا رجل نظر إلى أمة غيره عند الصبح وهي حرام عليه فلما كان الظهر اشتراها فحلت له فلما كان العصر أعتقها فحرمت عليه فلما كان المغرب تزوجها فحلت له فلما كان

العشاء طلقها فحرمت عليه فلما كان الصبح راجعها فحلت له قال أخبريني عن قبر مشى بصاحبه قالت هو حوت يونس بن متى حتى ابتلعه قال أخبريني عن بقعة واحدة طلعت عليها الشمس مرة واحدة ولا تطلع عليها بعد إلى يوم القيامة قالت البحر حين ضربه موسى بعصاه فانفلق اثنى عشر فرقاً على عدد الأسباط وطلعت عليه الشمس ولم تعد له إلى يوم القيامة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٤٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الفيلسوف قال بعد ذلك للجارية أخبريني عن أول ذيل سحب على وجه الأرض قالت ذيل هاجر حياء من سارة فصارت سنة في العرب قال أخبريني عن شيء يتنفس بلا روح قالت قوله تعالى والصبح إذا تنفس قال أخبريني عن حمام طائر أقبل على شجرة عالية فوقع بعضه فوقها وبعضه تحتها فقالت الفرقة التي فوق الشجرة التي تحتها أن طلعت منكن واحدة صرتن الثلث وأن نزلت منا واحدة كنا مثلكن في العدد قالت الجارية كان الحمام اثنتي عشر حمامة فوقع منهن فوق الشجرة سبع وتحتها خمس فإذا طلعت واحدة صار الذي فوق قدر الذي تحت مرتين ولو نزلت واحدة صار الذي تحت مساوياً للذي فوق والله أعلم فتجرد الفيلسوف عن ثيابه وخرج هارباً (وأما) حكايتها مع النظام فإن الجارية التفتت إلى العلماء الحاضرين وقالت أيكم المتكلم في كل فن وعلم فقام إليها النظام وقال لها لا تحسبيني كغيري فقالت له الأصح عندي أنك مغلوب لأنك مدع والله ينصرني عليك حتى أجردك من ثيابك فلو أرسلت من يأتيك بشيء تلبسه لكان خيراً لك فقال والله لاغلبنك واجعلنك حديثاً يتحدث بك الناس جيلاً بعد جيل فقالت له الجارية كفر عن يمينك قال أخبريني عن خمسة أشياء خلقها الله تعالى قبل خلق الخلق قالت له الماء والتراب والنوم والظلمة والثمار قال أخبريني عن شيء خلقه الله بيد القدرة قالت العرش وشجرة طوبى وآدم وجنة عدن فهؤلاء خلقهم الله بيد القدرة وسائر المخلوقات قال لهم الله كونوا فكانوا قال أخبريني عن أبيك في الإسلام قالت محمد ﷺ قال فمن أبو محمد قالت إبراهيم خليل الله قال فما دين الإسلام قال شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله قال فأخبريني ما أولك وما آخرك قالت أولي نطفة مذرة وأخرى جيفة قذرة وأولى من التراب وأخرى إلى التراب قال الشاعر:

خلقت من التراب فصرت شخصاً	**فصيحاً في السؤال وفي الجواب**
وعدت إلى التراب فصرت فيه	**كأني ما برحت من التراب**

قال فأخبريني عن شيء أوله عود وآخره روح قالت عصى موسى حين القاها في الوادي فإذا هي حية تسعى بإذن الله تعالى قال فأخبريني عن قوله تعالى ولي فيها مآرب أخرى قالت كان يغرسها في الأرض فتزهو وتثمر وتظله من الحر والبرد وتحمله إذا عيي

وتحرس له الغنم إذا نام من السباع قال أخبر بني عن أنثى من ذكر وذكر من أنثى قالت حواء من آدم وعيسى من مريم قال فأخبريني عن أربع نيران نار تأكل وتشرب ونـ ـار تأكـ ـل ولا تشرب ونار تشرب ولا تأكل ونار لا تأكل ولا تشرب قالت أما النار التي تأكـ ـل ولا تشـ ـرب فهي نار الدنيا وأما النار التي تأكل وتشرب فهي نار جهنم وأما النار التي تشـ ـرب ولا تأكـ ـل فهي نار الشمس وأما النار التي تأكل وتشرب فهي نار جهنم وأما النار التي تشرب ولا تأكـ ـل فهي نار الشمس وأما التي لا تأكل ولا تشرب فهي نار القمر قال أخبريني كم كلمـ ـة كلـ ـم الله موسى قالت روي عن رسول الله ﷺ أنه قال كلم الله موسى ألف كلمة وخمسمائة عشرة كلمـ ـة قال أخبريني عن أربعة عشر كلموا رب العالمين قالت السموات السبع والأرضون السبع لمـ ـا قالتا أتينا طائعين وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٤٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية لما قالت له الجواب قال لها أخبريني عـ ـن آدم وأول خلقته قالت خلق الله آدم من طين والطير من زبد والزبد من بحر والبحر مـ ـن ظلمـ ـة والظلمة من ثور والثور من حوت والحوت من صخرة والصخرة من ياقوته والياقوتة من ماء والماء من القدرة لقوله تعالى إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون قال فأخبريني عن قول الشاعر:

وآكلـ ـه بغيـ ـر فـ ـم وبطـ ـن ... لها الأشجار والحيوانـ ـات قـ ـوت
فإن أطعمتها انتعشـ ـت وعاشـ ـت ... ولـ ـو اسـ ـقيتها مـ ـاء تمـ ـوت

قالت هي النار قال فأخبريني عن قول الشاعر:

خليلان ممنوعان مـ ـن كـ ـل لـ ـذة ... يبيتـ ـان طـ ـول الليـ ـل يعتنقـ ـان
هما يحفظان الأهل من كـ ـل آفـ ـة ... وعند طلوع الشـ ـمس يفترقـ ـان

قالت هما مصراعا الباب قال فأخبريني عن أبواب جهنم قالت سبعة وهي ضمن بيتـ ـين من الشعر:

جهنم ولظـ ـي ثـ ـم الحطـ ـيم كـ ـذا ... عد السعير وكل القول في صـ ـفر
وبعد ذلـ ـك جحـ ـيم ثـ ـم هاويـ ـة ... هناك عدتهم فـ ـي قـ ـول الشـ ـعر

قال فأخبريني عن قول الشاعر:

وذات ذوائـ ـب تنجـ ـر طـ ـولاً ... ورثما في المجيء وفي الـ ـذهاب
بعـ ـين لـ ـم تـ ـذق للنـ ـوم طعمـ ـا ... ولا ذرفـ ـت لـ ـدمع ذي المكـ ـاب

ولا لبست مدى الأيام ثوبا وتكسو الناس أنواع الثياب

قالت هي الإبرة قال فأخبريني عن الصراط ما هو وما طوله وما عرضه قالت أما طوله فثلاثة آلاف عام ألف هبوطه وألف صعوده وألف استواء وهو أحد من السيف وأرق من الشعرة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٤٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية لما وصفت له الصراط قال أخبريني كم لنبينا محمد ﷺ من شفاعة قالت له ثلاث شفاعات قال لها هل كان أبو بكر أول من أسلم قالت نعم قال أن علي أسلم قبل أبا بكر قالت أن علي أتى النبي ﷺ وهو ابن سبع سنين فأعطاه الله الهداية على صغر سنه فما سجد لصنم قط قال فأخبريني أعلي أفضل أم العباس فعلمت أن هذه مكيدة لها فان قالت علي أفضل من العباس فما لها من عذر عند أمير المؤمنين فأطرقت ساعة وهي تارة تحمر وتارة تصفر ثم قالت تسألني عن أسمين فاضلين لكل واحد منهما فضل فأرجع بنا الى ما كنا فيه فلما سمعها الخليفة هارون الرشيد استوى قائماً على قدميه وقال لها أحسنت ورب الكعبة يا تودد فعند ذلك قال لها إبراهيم النظام أخبريني عن قول الشاعر:

مهفهفة الأذيال عذب مذاقها تحاكي القنى لكن بغير سنان
ويأخذ كل الناس منها منافعاً وتأكل بعد العصر في رمضان

قالت قصب السكر قال فأخبريني عن مسائل كثيرة قالت وما هي قال ما أحلى من العسل وما أحد من السيف وما أسرع من السهم وما لذة ساعة وما سرور ثلاثة أيام وما أطيب يوم وما فرحة جمعة وما الحق الذي لا ينكره صاحب الباطل وما سجن القبر وما فرحة القلب وما كيد النفس وما موت الحياة وما الداء الذي لا يداوي وما العار الذي لا ينجلي وما الدابة التي لا تأوى إلى العمران وتسكن الخراب وتبغض بني آدم وخلق فيها خلق من سبعة جبابرة قالت له أسمع جواب ما قلت ثم انزع ثيابك حتى أفسر لك ذلك قال لها أمير المؤمنين فسري وهو ينزع ثيابه قالت أما ما هو أحلى من العسل فهو حب الأولاد البارين بوالديهم وأما ما هو أحد من السيف فهو اللسان وأما ما هو أسرع من السهم فهو عين الميعان وأما لذة ساعة فهو الجماع وأما سرورا ثلاثة أيام فهوالنورة للنساء وأما ما هو أطيب يوم فهو يوم الربح في التجارة وأما فرحة جمعة فهو العروس وأما الحق الذي لا ينكره صاحب الباطل فهو الموت وأما سجن القبر فهو الولد السوء وأما فرحة القلب فهي المرأة المطيعة لزوجها وقيل اللحم حين ينزل على القلب فإنه يفرح بذلك وأما كيد النفس فهو العبد العاصي وأما موت الحياة فهو الفقر وأما الداء الذي لا يداوي فهو سوء الخلق وأما العار الذي لا ينجلي فهو البنت السوء

وأما الدابة التي لا تأوى إلى العمران وتسكن الخراب وتبغض بني آدم وخلق فيها خلق من سبعة جبابرة فإن الجرادة رأسها كراس الفرس وعنقها عنق الثور وجناحها جناح النسر ورجلها رجل الجمل وذنبها ذنب الحية وبطنها بطن العقرب وقرنها قرن الغزال فتعجب الخليفة هارون الرشيد من حذقها وفهمها ثم قال للنظام انزع ثيابك فقام وقال أشهد على جميع من حضر هذا المجلس أنها اعلم مني ومن كل عالم ونزع ثيابه وقال لها خذيها لا بارك الله لك فيها فأمر له أمير المؤمنين بثياب يلبسها ثم قال أمير المؤمنين يا تودد بقى عليك شيء مما وعدت به وهو الشطرنج وأمر بإحضار معلمي الشطرنج والكنجفة والنرد فحضروا وجلس الشطرنجي معها وصفت بينهما الصفوف ونقل ونقلت فما نقل شيئاً إلا أفسدته عن قريب وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٥٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية لما لعبت الشطرنج مع المعلم بحضرة أمير المؤمنين هارون الرشيد صارت كلما نقل نقلاً أفسدته حتى غلبته ورأى الشاه مات فقال أنا أردت أن أطعمك حتى تظني أنك عارفة لكن صفي حتى أريك فلما صفت الثاني قال في نفسه افتح عينك وإلا غلبتك وصار ما يخرج قطعة إلا بحساب ومازال يلعب حتى قالت له الشاه مات فلما رأى ذلك منها دهش من حذقها وفهمها فضحكت وقالت له يا معلم أنا أراهنك في هذه المرة الثالثة على أن أرفع لك الفرزان ورخ الميمنة وفرس الميسرة وأن غلبتني فخذ ثيابي وأن غلبتك أخذت ثيابك قال رضيت بهذا الشرط ثم صفا الصفين ورفعت الفرزان والرخ والفرس وقالت له أنقل يا معلم فنقل وقال مالي لا أغلبها بعد هذه الحطيطة وعقد عقداً وإذا هي نقلت نقلاً قليلاً إلى أن صيرت له فرزانا ودنت منه وقربت البيادق والقطع وشغلته وأطعمته قطعة فقطعها فقالت الكيل كيل وافى والرز رز صافي فكل حتى تزيد على الشبع ما يقتلك يا ابن آدم إلا الطمع أما تعلم إني أطعمتك لأخدعك أنظر فهذا الشاه مات ثم قالت له أنزع ثيابك فقال لها اتركي لي السراويل وأجرك على الله وحلف بالله أن لا يناظر أحداً مادامت تودد ببغداد ثم نزع ثيابه وسلمها لها وانصرف فجيء بلاعب النرد فقالت له أن غلبتك في هذا اليوم فماذا تعطيني قال أعطيك عشر ثياب من الديباج القسطنطيني المطرد بالذهب وعشر ثياب من المخمل وألف دينار وان غلبتك فما أريد منك إلا أن تكتبي لي درجاً بأني غلبتك قالت له دونك وما عولت عليه فلعب فإذا هو قد خسر وقام وهو برطن بالأفرنجية وتقول ونعمة أمير المؤمنين أنها لا يوجد مثلها في سائر البلاد ثم أن أمير المؤمنين دعا بأرباب آلات الضرب فحضروا فقال لها أمير المؤمنين هل تعرفين شيئاً من آلات الضرب قالت نعم فأمر بإحضار عود محكوم مدعوك مجرود صاحبه بالهجران مكدود فوضعته في حجرها وأرخت

عليه نهدها وأنحنت عليه انحناء والدة ترضع ولدها وضربت عليه اثنى عشر نغماً حتى ماج المجلس من الطرب وأنشدت تقول:

اقصروا هجركم أقلوا جفاكم ... تسترائي وحقكم ما سلاكم
وارحموا باكياً حزيناً كئيباً ... فالغرام ضميم في هواكم

فطرب أمير المؤمنين وقال بارك الله فيك ورحم من علمك فقامت وقبلت الأرض بين يديه ثم أن أمير المؤمنين أمر بإحضار المال ودفع لمولاها مائة ألف دينار وقال لها يا تودد تمني على قالت تمنيت عليك أن تردني إلى سيدي الذي باعني فقال لها نعم فردها إليه وأعطاها خمسة آلاف دينار لنفسها وجعل سيدها نديماً له على طول الزمان وأدرك شهرزاد الصباح فسكت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٥١)

قالت أيها الملك السعيد أن الخليفة أعطى الجارية خمسة آلاف دينار وردها إلى مولاها وجعله نديماً له على طول الزمان وأطلق له في كل شهر ألف دينار وقعد مع جاريته تودد في أرغد عيش فأعجب أيها الملك من فصاحة هذه الجارية ومن غزارة علمها وفهمها وفضلها في كامل العلوم وانظر إلى مروءة أمير المؤمنين هارون الرشيد حيث أعطى سيدها هذا المال وقال لها تمني علي فتمنت عليه أن يردها إلى سيدنا فردها إليه وأعطاها خمسة آلاف دينار لنفسها وجعل سيدها نديماً له فأبن يوجد هذا الكرم بعد الخلفاء العباسيين رحمة الله تعالى عليهم أجمعين.

(جملة حكايات تتضمن عدم الإغترار بالدنيا والوثوق بها وما ناسب ذلك.)

(ومما يحكى) أيها الملك السعيد أن ملكاً من الملوك المتقدمين أراد أن يركب يوماً في جملة أهل مملكته وأرباب دولته ويظهر الخلائق عجائب زينته فأمر أصحابه وأمراءه وكبراء دولته أن يأخذوا أهبة الخروج معه وأمر خازن الثياب بأن يحضروا له من أفخر الثياب ما يصلح للملك في زينته وأمر بإحضار خيله الموصوفة العتاق المعروفة ففعلوا ذلك ثم أنه اختار من الثياب ما أعجبه ومن الخيل ما استحسنه ثم لبس الثياب وركب الجواد وسار بالموكب والطوق المرصع بالجواهر وأصناف الدرر واليواقيت وجعل يركب الحصان في عسكره ويفتخر بتيهه وتجبره فأتاه أبليس فوضع يده على منخره ونفخ في أنفه نفخة الكبرى والعجب فزها وقال في نفسه من في العالم مثلي وطفق يتيه بالعجب والكبر ويظهر الأبهة ويزهو الخلاء ولا ينفر إلى أحد من تيهه وكبره وعجبه وفخره فوقف بين يديه رجل عليه ثياب رثة

فسلم عليه فرد عليه سلام فقبض على عنان فرسه فقال له الملك ارفع يدك فإنك لا تدوي بعنان من قد أمسكت فقال له أن لي إليك حاجة فقال أصبر حتى أنزل واذكر حاجتك فقال أنها سر ولا أقولها إلا في أذنك فمال بسمعه إليه فقال له أنا ملك الموت وأريد قبض روحك فقال تمهلني بقدر ما أعود إلى بيتي وأودع اهلي وأولادي وجيراني وزوجتي فقال كلا لا تعود ولن تراهم أبدا فإنه قد مضى أجل عمرك فأخذ روحه وهو على ظهر فرسه فخر ميتاً ومضى ملك الموت من هناك فإتي رجلاً صالحاً لقد رضي الله عنه فسلم عليه فرد عليه السلام فقال ملك الموت أيها الرجل الصالح إن إليك حاجة وهي سر فقال له الرجل الصالح اذكر حاجتك في أذني فقال أنا ملك الموت فقال الرجل مرحباً بك الحمد لله على أني كنت كثيراً أراقب مجيئك ووصولك إلى ولقد طالت غيبتك على المشتاق إلى قدومك فقال له ملك الموت إن كان لك شغل فاقضه فقال له ليس لي شغل أهم عندي من لقاء ربي عز وجل فقال كيف تحب أن أقبض روحك فإني أمرت أن أقبضها كيف أردت واخترت فقال أمهلني حتى أتوضأ وأصلي فإذا سجدت فاقبض روحي وأنا ساجد فقال ملك الموت إن ربي عز وجل أمرني أن لا أقبض روحك إلا باختيارك كيف أردت وأنا أفعل ما قلت فقام الرجل وتوضأ وصلى فقبض ملك الموت روحه وهو ساجد ونقله الله تعالى إلى محل الرحمة والرضوان والمغفرة.

(وحكى) أن ملكاً من الملوك كان قد جمع مالاً عظيماً لا يحصى عدده واحتوى على أشياء كثيرة من كل نوع خلقه الله تعالى في الدنيا ليرفه عن نفسه حتى إذا أراد أن يتفرغ لما جمعه من النعم الطائلة بنى له قصراً عالياً مرتفعاً شاهقاً يصلح للملوك ويكون بهم لائقاً ثم ركب عليه بابين محكمين ورتب له الغلمان والأجناد والبوابين كما أراد ثم أمر الطباخ في بعض الأيام أن يصنع له شيئاً من أطيب الطعام وجمع أهله وحشمه وأصحابه وخدمه ليأكلوا عنده وينالوا رفده وجلس على سرير مملكته وسيادته واتكأ على وسادته وخاطب نفسه وقال يا نفس قد جمعت لك نعم الدنيا بأسرها فالآن تفرغي وكلي من هذه النعم مهنأة بالعمر الطويل والحظ الجزيل وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٥٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك لما حدث نفسه وقال لها كلي من هذه النعم مهنأ بالعمر الطويل والحظ الجزيل ولم يفرغ مما حدث به نفسه حتى أتاه رجل من ظاهر القصر عليه ثياب رثة وفي عنقه مخلاة معلقة على هيئة سائل يسال الطعام فجاء وطرق حلقة باب القصر طرقة عظيمة هائلة كادت تزلزل القصر وتزعج الشرير فخاف الغلمان فوثبوا إلى الباب وصاحوا بالطارق وقالوا له ويحك ما هذه الفعلة وسوء الأدب أصبر حتى يأكل الملك ونعطيك مما يفضل فقال للغلمان قولوا لصاحبكم يخرج إلى حتى يكلمني فلي إليه حاجة وشغل مهم وأمر ملم قالوا تنح أيها الضعيف من أنت حتى تأمر صاحبنا بالخروج إليك فقال لهم

عرفوه ذلك فجاؤا إليه وعرفوه فقال هلا زجرتموه وحردتم عليه السلاح ونهرتموه ثم ط رق الباب أعظم من الطرقة الأولى فنهض الغلمان إليه بالعصى والسلاح وقصدوه ليحاربوه فصاح بهم صيحة وقال الزموا أماكنكم فأنا ملك الموت فرعبت قلوبهم وذهب ت عق ولهم وطاش ت حلومهم وارتعدت فرائصهم مثلت على المعركة جوارحهم فقال لهم الملك قولوا له يأخذ ب دلاً مني وعوضاً عني فقال ملك الموت لا أخذ و لا أتيت إلا من أجلك ثم أن ملك الموت ق بض روحه وهو على سريره قبل أن يأكل العالم الحجر ميتاً ساقطاً من فوق سريره قال الله تع الى حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم ملبسون (ومما يحكي) أن ملكاً جباراً من ملوك بني إسرائيل كان في بعض الأيام جالساً على سرير مملكته فرأى رجلاً قد دخل علي ه ب اب الدار وله صورة منكرة وهيئة هائلة فاشماً زمن هجومه عليه وفزع من هيئته فوثب في وجهه وقال من أنت أيها الرجل ومن أذن لك في الدخول علي وأمرك ب المجيء إل ى داري فق ال أمرني صاحب الدار وأنا لا يحجبني حاجب ولا أحتاج في دخولي على الملوك إل ى أذن ولا أرهب سياسة سلطان ولا كثرة أعوان أنا الذي لا يقرعني جبار ولا لاحد من قبضتي فرار أنا هازم اللذات ومفرق الجماعات فلما سمع الملك هذا الكلام خر على وجهه ودبت الرعدة ف ي بدنه ووقع مغشياً عليه فلما أفاق قال أنت ملك الموت قال نعم قال أقسمت عليك بالله لا أمهلتني يوماً واحد لا ستغفر من ذنبي وأطلب العذر من ربي وأرد الأموال التي ف ي خزائن ي إل ى أربابها ولا أتحمل مشقة حسابها وويل عقابها فقال ملك الموت هيهات هيهات هيهات لا سبيل لك إلى ذلك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٥٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن ملك الموت قال للملك هيهات هيهات لا سبيل لك إل ى ذلك وكيف أمهلك وأيام عمرك محسوبة وأنفاسك معدودة وأوقاتك مثبوتة مكتوبة فقال أمهلن ي ساعة فقال أن الساعة في الحساب قد مضت وأنت غافل وانقضت وأنت ذاهل وقد اس توفيت أنفاسك ولم يبق لك إلا نفس واحد فقال من يكون عندي إذا نقلت إلى لحدي قال لا يكون عندك إلا عملك فقال مالي عمل قال لا جرم أنه يكون مقبلك في النار ومصيرك إلى غضب الجب ار ثم قبض روحه فخر ساقطاً عن سريره ووقع إلى الأرض فحصل الضجيج في أه ل مملكت ه وارتفعت الأصوات وعلا الصياح والبكاء ولو علموا ما يصير إليه من سخط ربه لكان بكاؤهم عليه أكثر وعويلهم أشد وأوفر.

(ومما يحكي) أنه كان في بني إسرائيل قاض من قضاتهم وكان له زوجة بديعة الجمال كثيرة الصون والصبر والاحتمال فأراد ذلك القاضي النهوض إل ى زي ارة بي ت المق دس فاستخلف أخاه على القضاء وأوصاه بزوجته وكان أخوه قد سمع بحسنها وجمالها فكلف به ا فلما سار القاضي توجه إليها راودها عن نفسها فامتنعت واعتصمت ب الور ع ف أكثر الطل ب

عليها وهي تمتنع فلما يئس منها خاف أن تخبر أخاه بصنيعه إذا رجع فاستدعى بشهود زور يشهدون عليها بالزنا ثم رفع مسألتها إلى ملك ذلك الزمان فأمر برجمها فحفروا لها حفرة وأقعدوها فيها ورجمت حتى غطتها الحجارة وقال تكون الحفرة قبرها فلما جن الليل صارت تئن من شدة ما نالها فمر بها رجل يريد قرية فلما سمع أنينها قصدها فأخرجها من الحفرة واحتملها إلى زوجته وأمرها بمداواتها فداوتها حتى شفيت وكان للمرأة ولد فدفعته إليها فصارت تكفله ويبيت معها في بيت ثان فرآها أحد الشطار فطمع فيها وأرسل يراودها عن نفسها فامتنعت فعزم على قتلها فجاءها بالليل ودخل عليها البيت وهي نائمة ثم هوى بالسكين إليها فوافق الصبي فذبحه فلما علم أنه ذبح الصبي أدركه الخوف فخرج من البيت وعصمها الله منه ولما أصبحت وجدت الصبي مذبوحاً وجاءت أمه وقالت أنت التى ذبحتيه ثم ضربتها ضرباً موجعاً وأرادت ذبحها فجاء زوجها وأنقذها منها وقال والله لم تفعل ذلك فخرجت المرأة فارة بنفسها لا تدري أين تتوجه وكان معها بعض دراهم فمرت بقرية والناس مجتمعون ورجل مصلوب على جذع إلا أنه في قيد الحياة فقالت يا قوم ماله قالوا لها أصاب ذنباً لا يكفره إلا قتله أو صدقة كذا وكذا من الدراهم فقالت خذوا الدراهم وأطلقوه فتاب على يديها ونذر على نفسه أنه يخدمها لله تعالى حتى يتوفاه الله ثم بنى لها صومعة أسكنها فيها وصار يحتطب ويأتيها بقوتها واجتهدت المرأة في العبادة حتى كان لا يأتيها مريض أو مصاب فتدعوا له إلا شفي من وقته وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٥٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن المرأة لما صارت مقصودة للناس وهي مقبلة على عبادتها في الصومعة كان من قضاء الله تعالى أنه نزل باخي زوجها الذي رجمها عاهة في وجهه وأصاب المرأة التي ضربتها برص وابتلى الشاطر بوجع أقعده وقد جاء القاضي زوجها من حجة وسأل أخاه عنها فأخبره أنها ماتت فأسف عليها واحتسبها عند الله ثم تسامعت الناس بالمرأة حتى كانوا يقصدون صومعتها من أطراف الأرض ذات الطول والعرض فقال القاضي لأخيه يا أخي هلا قصدت هذه المرأة الصالحة لعل الله يجعل لك على يديها شفاء قال يا أخي احملني إليها وسمع بها زوج المرأة التي نزل بها البرص فسار بها إليها وسمع أهل الشاطر المقعد يخبرها فساروا به إليها أيضاً واجتمع الجميع عند باب صومعتها وكانت ترى جميع من يأتي صومعتها من حيث لا يراها أحد فانتظروا خادمها حتى جاء ورغبوا إليه في أن يستأذن لهم في الدخول عليها ففعل فتنقبت واستترت ووقفت عند الباب تنظر زوجها وأخاه اللص والمرأة فعرفتهم وهم لا يعرفونها فقالت لهم يا هؤلاء إنكم ما تستريحون مما بكم حتى تعترفوا بذنوبكم فإن العبد إذا اعترف بذنبه تاب الله عليه وأعطاه ما هو متوجه إليه فقال القاضي لأخيه يا أخي تب إلى الله ولا تضر على عصيانك فإنه أنفع لخلاصك (قال) فعند ذلك قال أخو

القاضي الآن أقول الحق أني فعلت بزوجتك ما هو كذا وكذا وهذا ذنبي فقالت البرصاء وأنا كانت عندي امرأة فنسبت إليها ما لم أعلمه وضربتها عمداً وهذا ذنبي فقال المقعد وأنا دخلت على امرأة لأقتلها بعد مراودتها عن نفسها وامتناعها من الزنا فذبحت صبياً كان بين يديها وهذا ذنبي فقالت المرأة اللهم كما أريتهم ذل المعصية فأرهم عز الطاعة أنك على كل شيء قدير فشفاهم الله عز وجل وجعل القاضي ينظر إليها ويتأملها فسألته عن سبب النظر فقال كانت لي زوجة ولولا أنها ماتت لقلت أنها أنت فعرفته بنفسها وجعلا يحمدان الله عز وجل على ما من عليهما به من جمع شملهما ثم طفق كل من أخي القاضي واللص والمرأة يسألونها المسامحة فسامحت الجميع وعبدوا الله تعالى في ذلك المكان مع لزوم خدمتها إلى أن فرق الموت بينهم.

(ومما يحكي) أن بعض السادة قال بينما أنا أطوف بالكعبة في ليلة مظلمة إذ سمعت صوتا ذي أنين ينطق عن قلب حنين ينطق عن قلب حزين وهو يقول يا كريم لطفك القديم فإن قلبي على العهد مقيم فتطاير قلبي لسماع ذلك الصوت تطاير أشرفت منه على الموت فقصدت نحوه فإذا صاحبته امرأة فقلت السلام عليك يا أمة الله فقالت وعليك السلام ورحمة الله وبركاته فقلت أسألك بالله العظيم ما العهد الذي قلبك عليه مقيم فقالت لولا أقسمت بالجبار ما أطلعتك على الأسرار أنظر مابين يدي فنظر فإذا بين يديها صبي نائم يغط في نومه فقالت خرجت وأنا حامل بهذا الصبي لاحج هذا البيت فركبت في سفينة فهاجت علينا الأمواج واختلفت علينا الرياح وانكسرت بنا السفينة فنجوت على لوح منها ووضعت هذا الصبي وأنا على ذلك اللوح فبينما هو في حجري والأمواج تضربني وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٥٥) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية قالت لما انكسرت السفينة نجوت على لوح منها ووضعت هذا الصبي وأنا على ذلك اللوح فبينما هو في حجري والأمواج تضربني إذ وصل إلى رجل من ملاحي السفينة وحصل معي وقال لي والله لقد كنت أهواك وأنت في السفينة والآن قد حصلت معك فمكنيني من نفسك وإلا قذفتك في هذا البحر فقلت ويحك أما كان لك مما رأيت تذكرة وعبرة فقال أني رأيت مثل ذلك مراراً ونجوت وأنا لا أبالي فقلت يا هذا نحن في بلية نرجو السلامة منها بالطاعة لا بالمعصية فألح علي فخفت منه وأردت أن أخادعه فقلت له مهلاً حتى ينام هذا الطفل فأخذه من حجري وقذفه في البحر فلما رأيت جرأته وما فعل بالصبي طار قلبي وزاد كربي فرفعت رأسي إلى السماء وقلت يا من يحول بين المرء وقلبه حل بيني وبين هذا الأسد إنك على كل شيء قدير فو الله ما فرغت من كلامي إلا ودابة قد طلعت من البحر فاختطفته من فوق الموج وبقيت وحدي وزاد كربي وحزني إشفاقاً على ولدي فانشدت وقلت:

قرة العين حبيبي ولدي ضاع حيث الوجد أوهى جلدي

وأرى جسـ .ماً غريقـ .اً وغـ .دت	بالتباع الوحد تشوى كبدي غيـ ر
ليس لي في كربتـ ـي مـ ـن فـ ـرج	الطاف . . ك يـ . . . ا معتمـ . . دي
أنت يارب تـ ـرى مـ ـا حـ ـل بـ ـي	مـ ـن غرامـ ـي بفراقـ ـي ولـ ـدي
فاجمع الشمل وكن لـ ـي راحمـ ـاً	فرجـ ـائي فيـ ـك أقـ ـوى عـ ـددي

فبقيت على تلك الحالة يوما وليلة فلما كان الصباح نظرت قلع سفينة تلوح من بعد فمـ ـا زالت الأمواج تقذفني حتى وصلت إلى تلك السفينة التي كنت أرى قلعها فأخذني أهل السـ ـفينة ووضعوني فيها فنظرت فإذا ولدي بينهم فتراميت عليه وقلت يا قوم هذا ولدي فمن أين كـ ـان لكم قالوا بينما نحن نسير في البحر إذ حبست السفينة فإذا دابة كأنها المدينة العظيمـ ـة وهـ ـذا الصبي على ظهرها يمص إبهامه فأخذناه فلما سمعت ذلك حدثتهم بقصتي ومـ ـا جـ ـرى لـ ـي وشكرت ربي على ما أنالني وعاهدته أن لا أبرح من بيته ولا أنثني عن خدمته وماسألته بعد ذلك شيئاً إلا أعطانه فمددت يدي إلى كيس النفقة واردت أن أعطيها فقالت إليك عني بإبطـ ـال فأحدثك بإفضاله وكرم فعاله وآخذ الرفد عن يد غيره فلم أقدر على أن تقبل مني شيئاً فتركتها وانصرفت من عندها وأنا أنشدوأقول هذه الأبيات.

وكـ ـم لـ ـك مـ ـن لطـ ـف خفـ ـى	يدق خفـ ـاه عـ ـن فهـ ـم الـ ـذكي
وكم يسر أتى من بعـ ـد عسـ ـر	وفـ ـرج لوعـ ـة القلـ ـب الشـ ـجي
وكـ .م هـ .م تعانيـ .ه صـ .باحاً	فتعقبـ . ـه المسـ . ـرة بالعشـ . ـي
إذا ضاقت بك الأسـ ـباب يومـ ـاً	فثـ ـق بالواحـ ـد الصـ ـمد العلـ ـي
تشـ .فع بـ .النبي فكـ .ل عبـ .د	يفـ . ـوز إذا تشـ . ـفع بـ . ـالنبي

ومازالت في عبادة ربها ملازمة بيته إلى أن أدركها الموت.

(ومما يحكى) أنه كان من بني إسرائيل رجل من خيارهم وقد اجتهد فـ ـي عبـ ـادة ربـ ـه وزهد دنياه وأزالها عن قلبه وكانت له زوجة مساعدة له على شأنه مطيعة له في كـ ـل زمـ ـان وكانا يعيشان من عمل الأطباق والمراوح يعملان النهار كله فإذا كان آخر النهار خرج الرجل بما عملاه في يده ومشى به يمر على الأزقة والطرق يلتمس مشترياً يبيع له ذلك وكان يديمان الصوم فأصبحا في يوم من الأيام وهما صائمان وقد عملا يومهما ذلك فلما كان آخر النهـ ـار وخرج الرجل على عادته وبيده ما عملاه يطلب من يشتريه منه فمر بباب أحد أبنـ ـاء الـ ـدنيا وأهل الرفاهية والجاه وكان للرجل وضيء الوجه جميل الصورة فرأته أمرأة صـ ـاحب الـ ـدار فعشقته ومال قلبها إليه ميلاً شديداً وكان زوجها غائباً فدعت خادمتها وقالت لها لعلك تتحيلـ ـين

على ذلك الرجل لتأتي به عندنا فخرجت الخادمة ودعته لتشتري منه ما بيـ ده ووردتـ ـه مـ ـن طريقة. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٥٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الخادمة خرجت إلى الرجل ودعته وقالت ادخـ ـل فـ ـإن سيدتي تريد أن تشتري من هذا الذي بيدك شيئاً بعد أن تختبره وتنظر إليه فتخيل الرجل أنهـ ـا صادقة في قولها ولم ير في ذلك بأساً فدخل وقعد كما أمرته فاغلقت البـ ـاب عليـ ـه وخرجـ ـت سيدتها من بيته وأمسكت بجلاليبه وجذبته وأدخلته وقالت له كم ذا أطلب خلوة منك وقد عيـ ـل صبري من أجلك وهذا البيت مبخر والطعام محضر وصاحب الدار غائب في هذه الليلة وأنـ ـا قد وهبت لك نفسي ولطالما طلبتني الملوك والرؤساء وأصحاب الدنيا فلم التفت لاحـ ـد مـ ـنهم وطال أمرها في القول والرجل لا يرفع رأسه من الأرض حياء من الله تعالى وخوفاً من الـ ـيم عقابه كما قال الشاعر:

ورب كبيـ ـ ـرة مـ ـ ـا حـ ـ ـال بينـ ـ ـي	**وبـ ـين ركوبهـ ـا إلـ ـى الحيـ ـاء**
وكـ ـان هـ ـو الـ ـدواء لهـ ـا ولكـ ـن	**إذا ذهـ ـ ـب الحيـ ـ ـاء فـ ـ ـلا دواء**

قال وطمع الرجل في أن يخلص نفسه منها فلم يقدر فقال أريد منك شيئاً قالت وما هـ ـو قال أريد ماء طاهراً أصعد به إلى أعلى موضع في دارك لأقضي به أمراً وأغسل به درنا مماً لا يمكنني أن أطلعك عليه فقالت الدار متسعة ولها خبايا وزوايا وبيت المطهرة معد قال مـ ـا غرضي إلا الارتفاع فقالت لخادمتها اصعدي به إلى المنظرة العليا من الدار فصعدت به إلـ ـى أعلا موضع فيها ودفعت له آنية الماء ونزلت فتوضأ الرجل وصلى ركعتـ ـين ونظـ ـر إلـ ـى الأرض ليلقى نفسه فرآها بعيدة فخاف أن لا يصل إليها إلا وقد تمزق ثم تفكر في معصية الله تعالى وعقابه فهان عليه بذل نفسه وسفك دمه فقال إلهي وسيدي ترى ما نزل بـ ـه ولا يخفـ ـى عليك حالي أنك على كل شيء قدير ثم أن الرجل القى نفسه من أعلى المنظرة فبعث الله إليـ ـه ملكاً احتمله على جناحه وأنزله إلى الأرض سالماً دون أن يناله ما يؤذيه فلما استقر بـ ـالأرض حمد الله عز وجل على ما أولاه من عصمته وما أنا له من رحمته وساردون شيء إلى زوجته وكان قد أبطأ عنها فدخل وليس معه شيء فسألته عن سبب بطئه وعما خرج به في يده ومـ ـا فعل به وكيف رجع بدون شيء فأخبرها بما عرض له من الفتنة وأنه ألقى نفسـ ـه مـ ـن ذلـ ـك الموضع فنجاه الله فقالت زوجته الحمد لله الذي صرف عنك الفتنة وحال بينك وبين المحنة ثم قال الرجل أن الجيران قد تعودوا منا أن نوقد تنورا في كل ليلة فإن رأونا الليلـ ـة دون نـ ـار علموا أننا بلا شيء ومن شكر الله كتم ما نحن فيه من الخصاصة ووصال صوم هـ ـذه الليلـ ـة

باليوم الماضي وقيامها لله تعالى فقامت إلى التنور وملأته حطباً وأضرمته لتغالط به الجيـ ـران وأنشدت تقول هذه الأبيات:

سأكتم ما بي من غرامي وأشد جاني	وأضرم ناري كي أغـ ـالط جيراـ ـي
وأرضى بما أمضى من الحكم سيدي	عساه يرى ذلـ ـي إليـ ـه فيرضـ ـاني

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٤٥٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن المرأة لما أضرمت النار تغالط الجيران نهضت هـ ـي وزوجها وتوضأ وقاما إلى الصلاة فإذا امرأة من جارتها تستأذن في أن توقد من تنورها فقالا لها لا شأنك والتنور فلما دخلت المرأة من التنور لتأخذ النار نادت يا فلا نة أدركي خبزك قبل أن يحترق فقالت امرأة الرجل لزوجها اسمعت ما تقول هذه المرأة فقال قومي وانظري فقامت وتوجهت للتنور فإذا هو قد امتلأ من خبز نقي أبيض فأخذت المرأة الأرغفة ودخلـ ـت علـ ـى زوجها وهي تشكر الله عز وجل على ما أولى من الخير العميم والمن الجسيم فأكلا من الخبز وشربا من الماء وحمد الله تعالى ثم قالت المرأة لزوجها تعالى ندع الله تعالى عسـ ـاه أن يمـ ـن علينا بشيء يغنينا عن كد المعيشة وتعب العمل ويعيننا به على عبادته والقيام بطاعته قال لها نعم فدعا الرجل ربه وأمنت المرأة على دعائه فإذا السقف قد انفرج ونزلت ياقوته أضاء البيت من نورها فزاد شكراً وثناء وسرا بتلك الياقوتة سروراً كثيراً وصلبا ما شاء الله تعـ ـالى فلمـ ـا كان آخر الليل ناما فرأت المرأة في منامها كأنها دخلت الجنة وشاهدت منابر كثيرة مصـ ـفوفة وكراسي منصوبة فقالت ما هذه المنابر وما هذه الكراسي فقيل لها هذه منابر الأنبيـ ـاء وهـ ـذه كراسي الصديقين والصالحين فقالت وأين كرسي زوجي فلان فقيل لها هذا فنظرت إليه فـ ـإذا في جانبه ثلم فقالت وما هذا الثلم فقيل لها هو ثلم الياقوتة النازلة عليكما مـ ـن سـ ـقف بيتكمـ ـا فانتبهت من منامها وهي باكية حزينة على نقصان كرسي زوجها بين كراسي الصديقين فقالت أيها الرجل دع ربك أن يرد هذه الياقوتة إلى موضعها فمكابدة الجوع والمسـ ـكنة فـ ـي الأيـ ـام القلائل أهون من ثلم كرسيك بين أصحاب الفضائل فدعا الرجل ربه فإذا الياقوتة قـ ـد طـ ـارت صاعدة إلى السقف وهما ينظران غليها ومازالا على فقرهما وعبادتهما حتـ ـى لقيـ ـا الله عـ ـز وجل.

(ومما) يحكى أن سيدي إبراهيم الخواص رحمة الله عليه قال طالبتني نفسي في وقـ ـت من الأوقات الخروج إلى بلاد الكفار فكففتها فلم تكف وتكتف وعملت على نفي هذا الخاطر فلم ينتف فخرجت أخترق ديارها وأجول أقطارها والعناية تكتنفنـ ـي والرعايـ ـة تحفنـ ـي لا ألقـ ـى نصرانياً إلا غض ناظره عني وتباعد مني إلى أن أتيت مصراً من الأمصار وجدت عند بابها

جماعة من العبيد عليهم الأسلحة وبأيديهم مقاطع الحديد فلما رأوني قاموا على القدم وقالوا لي أطبيب أنت قلت نعم فقالوا أجب الملك وأحتملوني إليه فإذا هو ملك عظيم ذو وجه وسيم فلم ا دخلت عليه نظر إلي وقال أطبيب أنت قلت نعم فقال احملوه إليها وعرفوه بالشرط قبل دخوله عليها فاخرجوني وقالوا لي أن للملك ابنة قد أصابها أعلال شديد وقد أعيا الأطباء علاجها وما من طبيب دخل عليها وعالجها ولم يفد طبه إلا قتله الملك فانظر ماذا ترى فقلت لهم أن الملك سألني إليها فأدخلوني عليها فاحتملونى إلى بابها فلما وصلت فرعوه فإذا هي تنادي من داخ ل الدار أدخلوها على الطبيب صاحب السر العجيب وأنشدت تقول:

افتحوا الب اب ق د ج اء الطبيـ ب	وانظروا نحوي فلي سر عجيب
فلك . . .م مقتـ . . .رب مبتع . . .د	ولك .م مبتع .د وه .و قريـ .ب
كذ .ت فيم .ا بيـ .نكم ف .ي غربـ .ة	ف أراد الحـ ق أنسـ ى بغريـ ب
جمعتـ . . .ا نسـ . . بة دينيـ . . ـة	فتـ .رى أي محـ . ب وحبيـ . ب
ودعـ . .اني للتلاق . .ي إذا دعـ . .ا	حجب العـ اذل عنـ ا والرقيـ ب
ف .أتركوا عـ .ذلي وخلـ .وا لـ ـومكم	أنني يا و يحكم لسـ ت أجيـ ب
لسـ ـت الـ ـوي نحـ ـو فـ إن غائـ ب	أنمـ ـا قصـ دي بـ اق لا يغيـ ب

قال فإذا شيخ كبير قد فتح الباب بسرعة وقال ادخل فدخلت فإذا بيت مبسـ وط بـ أنواع الرياحين وستر مضروب في روايته ومن خلفه أنين ضعيف يخرج من هيكل نحيف فجلسـ ت بإزاء الستر وأردت أن أسلم فتذكرت قوله ﷺ لا تبدؤ اليهود والنصارى بالسلام وإذا لقيتموهم في طريق فاضطروهم إلى أضيقه فأمسكت فنادت مـ ن داخ ل السـ ترأين سـ لام التوحيـ د والإخلاص ياخواص قال فتعجبت من ذلك وقلت من أين عرفتيني فقالت إذا صـ فت القلـ وب والخواطر أعربت الألسن عن مخبآت الضمائر وقد سألته البارحة أن يبعث إلي وليامن أوليائه يكون لي على يديه الخلاص فنوديت من زوايا بيتي لا تحزني أنا سنرسـ ل غليـ ك إبـ راهيم الخواص فقلت لها ما خبرك فقالت لي أنا منذ أربع سنين قد لا ح لي الحق المبين فهو المحدث والأنيس والمقرب والجليس فرمقني قومي بالعيون وظنوا بي الظنون ونسبوني إلى الجنون فما دخل على طبيب منهم إلا أوحشني ولا زائر إلا أدهشني فقلت ومن ذلك على ما وصلت إليـ ه قالت براهينه الواضحة وآياته اللائحة وإذا وضح لك السبيل شاهدت المدلول والدليل قال فبينما أنا أكلمها إذ جاء الشيخ الموكل بها وقال لها ما فعل طبيبك قالت عرف العلة وأصاب الـ دواء وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٥٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشيخ الموكل بها لما دخل عليها قال لها ما فعل طبيبك قالت عرف العلة وأصاب الدواء فظهر لي منه البشر والسرور وقا بلني بالبر والحبور فسـ ـار إلى الملك وأخبره فحضه الملك على أكرامي فبقيت اختلف إليها سبعة أيام فقالت يا أبا اسـ ـحق متى تكون الهجرة إلى دار الإسلام فقلت كيف يكون خروجك ومن يتجاسر عليه فقالت الـ ـذي أدخلك علي وساقك إلي فقلت نعم ما قلت فلما كان الغد خرجنا على باب الحصن وحجب عنـ ـا العيون من أمره (إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون) قال فما رأيت أصبر منها على الصيام والقيام فجاورت بيت الله الحرام سبعة أعوام ثم قضت نحبها وكانت أرض مكة تربتها أنـ ـزل الله عليها الرحمات ورحم الله من قال هذه الأبيات:

ولما أتوني بالطبيب ـب وقـ ـد بـ ـدت	دلائل من دمع سفوح ومـ ـن سـ ـقم
فضا الثوب عن وجهي فلم ير تحته	سوى نفس من غير روح ولا جسم
فقـ ـال لهـ ـم ذا قـ ـد تعـ ـذر بـ ـرؤه	وللحب سر لـ ـيس يـ ـدرك بـ ـالوهم
فقالوا إذا لم يعلم الناس مـ ـا بـ ـه	ولم يـ ـك تعريـ ـف بحـ ـد ولا رسـ ـم
فكيف يكون الطـ ـب فيـ ـه مـ ـؤثراً	دعوني فإني لسـ ـت أحكـ ـم بـ ـالوهم

(ومما يحكي) أن رجلاً من خيار بني إسرائيل كان كثير المال وله ولد صـ ـالح مبـ ـارك فحضرت الرجل الوفاة فقعد ولده عند رأسه وقال يا سيدي أوصني فقال يا بني لا تحلف بـ ـالله باراً ولا زاجراً ثم مات الرجل وبقي الولد بعد أبيه فتسامع به فساق بني إسرائيل فكان الرجل يأتيه فيقول لي عند والدك كذا وكذا وأنت تعلم بذلك أعطني ما في ذمته وإلا فـ ـاحلف فيقـ ـف الولد على الوصية ويعطيه جميع ما طلبه فمازالوا به حتى فني ما له واشتد إقلاسه وكان للولد زوجة صالحة مباركة وله منها ولدان صغيران فقال لها أن الناس قد أكثروا طلبي ومادام معي ما أدفع به عن نفسي بذلته والآن لم يبق لنا شيء فإن طالبني مطالب امتحنت أنا وأنت فالأولى أن نفوز بأنفسنا ونذهب إلى موضع لا يعرفنا فيه أحد ونتعيش بين أظهر الناس قال فركب بها البحر وبولديه وهو لا يعرف أين يتوجه والله يحكم لا معقب لحكمه ولسان الحال يقول:

يا خارجا خوف العـ ـدا مـ ـن داره	واليسـ ـر قـ ـد وافـ ـاه عنـ ـد فـ ـراره
لا تجـ ـزعن مـ ـن البعـ ـاد فربمـ ـا	عز الغريـ ـب يطـ ـول بعـ ـد مـ ـراره
لو قد أقـ ـام الـ ـدر فـ ـي أصـ ـدافه	ما كان تـ ـاج الملـ ـك بيـ ـت قـ ـراره

قال فانكسرت السفينة وخرج الرجل على لوح وخرجت المرأة على لوح وخرج كل ولد على لوح وفرقتهم الأمواج فحصلت المرأة على بلدة وحصل أحد الولدين على بلـ ـدة أخـ ـرى والتقط الولد الأخرى أهل سفينة في البحر وأما الرجل فقذفته الأمواج إلـ ـى جزيـ ـرة منقطعـ ـة

فخرج إليها وتوضأ من البحر وأذن وأقام الصلاة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٥٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الرجل لما خرج إلى الجزيرة توضأ من البحر وأذن وأقام الصلاة فإذا قد خرج من البحر أشخاص بألوان مختلفة فصلوا معه ولما فرغ قام إلى شجرة في الجزيرة فأكل من ثمرها فزال عنه جوعه ثم وجد عين ماء فشرب منها وحمد الله عز وجل وبقي ثلاثة أيام يصلي وتخرج أقوام يصلون مثل صلاته وبعد مضي الأيام الثلاثة سمع منادياً يناديه يا أيها الرجل الصالح الاربابية المحل قدر ربه لا تحزن أن الله عز وجل مخلف عليك ما خرج من يدك فإن في هذه الجزيرة كنوز وأموالاً ومنافع يريد الله أن تكون لها وارثاً وهي في موضع كذا وكذا من هذه الجزيرة فاكشف عنها وأنا لنسوق إليك السفن فأحسن إلى الناس وأدعهم إليك فإن الله عز وجل يميل قلوبهم إليك فقصد ذلك الموضع من الجزيرة وكشف الله تعالى له عن تلك الكنوز وصارت أهل السفن ترد عليه فيحسن إليهم إحساناً عظيماً ويقول لهم لعلكم تدلون على الناس فإني أعطيهم كذا وكذا واجعل لهم كذا وكذا فصار الناس يأتون من الأقطار والأماكن وما مضت عليه عشر سنين إلا والجزيرة قد عمرت والرجل صار ملكها لا يأوى إليه أحد إلا أحسن إليه وشاع ذكره في الأرض بالطول والعرض وكان ولده الأكبر قد وقع عند رجل علمه وأدبه والآخر قد وقع عند رجل رباه وأحسن تربيته وعلمه طرق التجارة والمرأة قد وقعت عند رجل من التجار أئتمنها على ماله وعاهدها على أن لا يخونها وأن يعينها على طاعة الله عز وجل وكان يسافر بها في السفينة إلى البلاد ويستصحبها فيث أي موضع أراد فسمع الولد الكبير بصيت ذلك الملك فقصده وهو لا يعلم من هو فلما دخل عليه أخذه وأئتمنه على سره وجعله كاتباً له وسمع الولد الآخر بذلك الملك العادل الصالح فقصده وسار إليه وهو لا يعلم من هو أيضاً فلما دخل عليه وكله والنظر في أموره وبقي مدة من الدهر في خدمته وكل واحد منهم لا يعلم بصاحبه وسمع الرجل التاجر الذي عنده المرأة بذلك الملك ويرد للناس وإحسانه إليهم فأخذ جانباً من الثياب الفاخرة ومما يستظرف من تحف البلاد وأتى بسفينته والمرأة منه حتى وصل إلى شاطيء الجزيرة ونزل إلى الملك وقدم له هديته فنظرها الملك وسر بها سروراً كثيراً وأمر الرجل بجائزة سنية وكان في الهدية عقاقير أراد الملك من التاجر أن يعرفها له بأسمائها ويخبره بمصالحها فقال الملك للتاجر أقم الليلة عندنا. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٦٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن التاجر لما قال له الملك أقم الليلة عندنا قال أن لي في السفينة وديعة عاهدتها أن لا أوكل أمرها إلى غيري وهي امرأة صالحة تمنيت بدعائها

وظهرت لي البركة في آرائها فقال الملك سأبعث إليها أمناء يبيتون عليها ويحرسون كل ملديها قال فأجابه لذلك وبقى عند الملك ووجه الملك كاتبه ووكيله إليها وقل لهما اذهبا فاخرسا سفينة هذا الرجل الليلة إن شاء الله تعالى قال فسار أو صعد إلى السفينة وقعد هذا عل ى مؤخره ا وهذا على مقدمها وذكر الله عز وجل برهة من الليل ثم قال أحدهما للآخر يافلان أن الملك قد أمرنا بالحراسة وتخاف النوم فتعالى نتحدث بأخبار الزمان وما رأيناه من الخير ر والامتح ان فقال الآخر يا أخي أما أنا فمن امتحاني أن فرق الدهر بيني وبين أبي وأمي وأخ لي كان أسمه كإسمك والسبب في ذلك أنه ركب والدنا البحر من بلد كذا وكذا فهاجت علينا الرياح واختلفت فكسرت السفينة وفرق الله شملنا فلمع سمع الآخر بذلك قلل وما كان اسم والدتك يا أخي ق ال فلانة قال وما اسم والدك قال فلان فترامى الأخ على أخيه قال له أنت أخي والله حقا وجع ل كل واحد منهما يحدث أخاه بما جرى عليه في صغره والأم تسمع الكلام ولكنها كتمت أمره ا وصبرت نفسها فلما طلع الفجر قال أحدهما للآخر هيا يا أخي نتحدث في منزل ي ق ال نع م فسارا وأتي الرجل فوجد المرأة في كرب شديد فقال لها ماذا بك قالت جاءإلى الليلة من أرادني بالسوء وكنت منهما في كرب عظيم فغضب الملك وارسل فى طلب الأمينان فأحضرهما الملك بسرعة وكان يحبهما لما تحقق فيهما من الأمانةواحضر المرأة حتى تذكر م ا ك ان منهم ا مشافهة فجيء بها وأحضرت فقال لها أيتها المرأة ماذا رأيت من هذين الأمينين فقال ت أيه ا الملك اسألك بالله العظيم رب العرش الكريم إلا ما أمرتهما أن يعيداً كلامهما الذي تكلم ا ب ه البارحة فقال لهما الملك قولا ما قلتما ولا تكتمامنه شيئاً فأعاد كلامهما وإذا بالملك قد قام م ن فوق السرير وصاح صيحة عظيمة وترامى عليهما واعتنقهما وقال والله أنتم ا ول داي حق اً فكشفت المرأة عن وجههما وقالت أنا والله امهما فاجتمعوا جميعاً وصار في الذ عيش واهن اه إلى أن أتاهم الموت فسبحان من إذا قصده العبد نجا ولم يخيب ما أمله فيه ورجا وما أحسن ما قيل في المعنى

لكل شيء م ن الأش ياء ميق ات ... **والأمر في ه أخ ي مح و وإثب ات**
لا تجزعن لام ر ق د دهي ت ب ه ... **فق د أتات ا بيس ر العس ر آي ات**
ورب ذي كرب ـة بن ـت مض ـرتها ... **تب ـدو وباطنه ـا في ـه المس ـرات**
وكم مهان عيان الن ـاس تش نؤه ... **م ـن اله ـوان تغش ـته الكرام ـات**
هذا ال ذي نال ـه ك ـرب وكاب ـده ... **ضر وحلت به ف ـي الوق ـت آف ـات**
وفرق ال دهر من ـه ش ـمل الفت ـه ... **فكلهم بع د ط ول الجم ـع أش ـتات**
أعطاه مولاه خير أتم ج ـاء به م ... **وفي الجميع إلى الم ولى أش ـارات**
سبحان من عمت ألاكوان قدرت ـه ... **وأخب ـ رت * بتدانيـ ـه ال ـ دلالات**
فه ـو القري ـب ولك ـن لا يكيف ـه ... **عق ـل وليس ـت تداني ـه المس ـافات**

{حكاية حاسب كريم الدين}

(ومما يحكي) أنه كان في قديم الزمان وسالف العصر والأوان حكيم من حكماء اليونان وكان ذلك الحكيم يسمى دانيال وكان له تلامذة وجنود وكانت حكماء اليونان يذعنون لأمره ويعولون على علومه ومع هذا لم يرزق ولدا ذكر فبينما هو ذات ليلة من الليالي يتفكر في نفسه على عدم ولد يرثه في علومه من بعده إذ خطر بباله أن الله سبحانه وتعالى يجيب دعوة من إليه أناب وأنه ليس على باب فضله أبواب ويرزق من يشاء بغير حساب ولا يرد سائلاً إذا سأله بل يجزل الخير والإحسان له فسأل الله تعالى الكريم أن يرزقه ولداً يخلفه من بعده ويجزل له الإحسان من عنده ثم رجع إلى بيته وواقع زوجته فحملت منه في تلك الليلة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٦١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الحكيم اليوناني رجع إلى بيته وواقع زوجته فحملت منه تلك الليلة ثم بعد أيام سافر إلى مكان في مركب فانكسرت به المركب وراحت كتبه في البحر وطلع هو على لوح من تلك السفينة وكان معه خمس ورقات بقيت من الكتب التي وقعت منه في البحر فلما رجع إلى بيته وضع تلك الأوراق في صندوق وقفل عليها وكانت زوجته قد ظهر حملها فقال لها اعلمي أني قد دنت وفاتي وقرب انتقالي من دار الفناء إلى دار البقاء وأنت حامل فربما تلدين بعد موتي صبياً ذكراً فإذا وضعتيه فسميه حاسباً كريم الدين وربيه أحسن التربية فإذا كبر وقال لك ما خلف لي أبي من الميراث فأعطيه هذه الخمس ورقات فإذا قرأها وعرف معناها يصير أعلم أهل زمانه ثم أنه ودعها وشهق شهقة ففارق الدنيا وما فيها رحمة الله تعالى عليه فبكت عليه أهله وأصحابه ثم غسلوه وأخرجوه خرجة عظيمة ودفنوه ورجعوا ثم أن زوجته بعد أيام قلائل وضعت ولداً مليحاً فسمته حاسباً كريم الدين كما أوصاها به ولما ولدته أحضرت له المنجمين فحسبوا طالعه وناظره من الكواكب ثم قالوا لها اعلمي أيتها المرأة أن هذا المولود يعيش أياماً كثيرة ولكن بعد شدة تحصل له في مبدأ عمره فإذا نجا منها فإنه يعطي بعد ذلك علم الحكمة ثم مضى المنجمون إلى حال سبيلهم فأرضعته اللبن سنتين وفطمته فلما بلغ خمس سنين حطته في المكتب ليتعلم شيئاً من العلم فلم يتعلم فأخرجته من المكتب وحطته في الصنعة فلم يتعلم شيئاً من الصنعة ولم يطلع من يده شيء من الشغل فبكت أمه من أجل ذلك فقال لها الناس زوجيه لعله يحمل هم زوجته ويتخذ له صنعة فقامت وخطبت بنتاً وزوجته بها ومكث على ذلك الحال مدة من الزمان وهو لم يتخذ له صنعة أبد ثم أنهم كان لهم جيران حطابون فأتوا إلى أمه وقالوا لها اشتري لابنك حمارا وحبلاً وفأساً ويروح معنا إلى الجبل فنحتطب نحن وإياه ويكون ثمن الحطب له ولنا وينفق عليكم ما

يخصه فلما سمعت أمه ذلك من الحطابين فرحت فرحاً شديداً واشترت لابنها حمـ اراً وحـ بلاً وفأساً وأخذته وتوجهت به إلى الحطابين وسلمته إليهم وأوصتهم عليه فقالوا لها لا تحملي هـ م هذا الولد ربنا يرزقه وهذا ابن شيخنا ثم أخذوه معهم وتوجهوا إلى الجبـ ل فقطعـ وا الحطـ ب وأنفقوا على عيالهم ثم أنهم شدوا حميرهم ورجعوا إلى الاحتطاب في ثاني يوم وثالث يوم ولم يزالوا على هذه الحالة مدة من الزمان فاتفق أنهم ذهبوا إلى الاحتطاب في بعض الأيام فنـ زل عليهم مطر عظيم فهربوا إلى مغارة عظيمة ليداروا أنفسهم فيها من ذلك المطر فقام من عندهم حاسب كريم الدين وجلس وحده في مكان من تلك المغارة وصار يضـ رب الأرض بالفـ اس فسمع حس الأرض خالية من تحت الفأس فلما عرف أنها خالية مكث يحفر ساعة فرأى بلاطة مدورة وفيها حلقة فلما رأى ذلك فرح ونادى جماعته الحطـ ابين وأدرك شـ هرزاد الصـ باح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٦٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن حاسباً كريم الدين لما رأى البلاطة التي فيهـ ا الحلقـ ة فرح ونادى جماعته فحضروا إليه فرأوا تلك البلاطة فتسارعوا إليها وقلعوها فوجدوا تحتهـ ا باباً ففتحوا الباب الذي تحت البلاطة فإذا هو جب ملان عسل نحل فقال الحطابون لبعضهم هذا جب ملان عسلاً وما لنا إلا أن نروح المدينة ونأتي بظروف ونعي هذا العسل فيهـ ا ونبيعـ ه ونقتسم حقه وواحد منا يقعد ليحفظه من غيرنا فقال حاسب أنا أقعد وأحرسه حتى تروحوا تأتوا بالظروف فتركوا حاسباً كريم الدين يحرس لهم الجب وذهبوا إلى المديـ ـة وأتـ وا بظـ روف وعبوها من ذلك العسل وحملوا حميرهم ورجعوا إلى المدينة وباعوا ذلك العسل ثم عادوا إلى الجب ثاني مرة ومازالوا على هذه الحالة مدة من الزمان وهم يبيعون في المدينة ويرجعـ ون إلى الجب يعبون من ذلك العسل وحاسب كريم الدين قاعد يحرس لهم الجب فقـ الوا لبعضـ هم يوماً من الأيام أن الذي لقي جب العسل حاسب كريم الدين وفي غد ينزل إلى المدينة ويـ دعي علينا ويأخذ ثمن العسل ويقول أنا الذي لقيته ومالنا خلاص من ذلك إلا أن ننزله فـ ي الجـ ب ليعبي العسل الذي بقي فيه ونتركه هناك فيموت كمداً ولا يدري به أحداً فأتفق الجميع على هذا الأمر ثم ساروا ومازالوا سائرين حتى أتوا إلى الجب فقالوا له يا حاسب أنزل الجب وعب لنا العسل الذي بقي فيه فنزل حاسب في الجب وعبى لهم العسل الذي بقي فيه وقال لهم اسحبوني فما بقي فيه شيء فلم يرد عليه أحد منهم جواباً وحملوا حميرهم وساروا إلى المدينة وتركـ وه في الجب وحده وصار يستغيث ويبكي ويقول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم قـ د مـ ت كمداً هذا ما كان من أمر حاسب كريم الدين (وأما) ما كان من أمر الحطابين فإنهم لما وصلوا إلى المدينة باعوا العسل وراحوا إلى أم حاسب وهم يبكون وقالوا لها تعيش راسك في ابنـ ك حاسب فقالت لهم ما سبب موته قالوا لها أنا كنا قاعدين فوق الجبل فأمطرت عليـ ـا السـ ماء

مطراً عظيماً فأوينا إلى مغارة لنتداري فيها من ذلك المطر فلم نشعر إلا وحمار ابنك هرب في الوادي فذهب خلفه ليرده من الوادي وكان فيه ذئب عظيم فافترس ابنك وأكل الحمار فلما سمعت أمه كلام الحطابين لطمت على وجهها وحثت التراب على رأسها وأقامت عزاءه وصار الخطابون يجيئون لها بالاكل والشرب في كل يوم هذا ما كان من أمر أمه (وأما) ما كان من أمر الحطابين فإنهم فتحوا لهم دكاكين وصاروا تجاراً ولم يزالوا في أكل وشرب وضحك ولعب (وأما) ما كان من أمر حاسب كريم الدين فإنه صار يبكي وينتحب فبينما هو قاعد في الجب على هذه الحالة وإذا بعقرب كبير وقع إليه فقام وقتله ثم تفكر في نفسه وقال إن الجب كان ملآن عسلاً فمن أين أتى هذا العقرب فقام ينظر المكان الذي وقع منه العقرب وصار يلتفت يميناً وشمالاً في الجب فرأى المكان الذي وقع منه العقرب يلوح منه النور فأخرج سكيناً كانت معه ووسع ذلك المكان حتى صار قدر الطاقة وخرج منه وتمشى ساعة في داخله فرأى دهليزاً عظيماً فمشى فيه فرأى باباً عظيماً من الحديد الأسود وعليه قفل من الفضة وعلى ذلك القفل مفتاح من الذهب فتقدم إلى ذلك الباب ونظر من خلاله فرأى نوراً عظيماً يلوح من داخله فأخذ المفتاح وفتح الباب وعبر إلى داخله وتمشى ساعة حتى وصل إلى بحيرة عظيمة فرأى في تلك البحيرة شيئاً يلمع مثل الماء فلم يزل يمشي حتى وصل إليه فرأى تلا عالياً من الزبرجد الأخضر وعليه تخت منصوب من الذهب مرصع بأنواع الجواهر وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٦٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن حاسباً كريم الدين لما وصل إلى التل وجده من الزبرجد الأخضر وعليه تختا منصوب من الذهب مرصع بأنواع الجواهر وحول ذلك التخت كراسي منصوبة بعضها من الذهب وبعضها من الفضة وبعضها من الزمرد الأخضر فلما أتى إلى تلك الكراسي تنهد ثم عدها فرآها أثنى عشر كرسيا فطلع على ذلك التخت المنصوب في وسط تلك الكراسي وقعد عليه وصار يتعجب من تلك البحيرة وتلك الكراسي المنصوبة ولم يزل متعجباً حتى غلب عليه النوم فنام ساعة وإذا هو يسمع نفخاً وصفيراً وهرجاً عظيماً ففتح عينيه وقعد فرأى على الكراسي حيات عظيمة طول كل حية منها مائة ذراع فحصل له من ذلك فزع عظيم ونشف ريقه من شدة خوفه ويئس من الحياة وخاف خوفاً عظيماً ورأى عين كل حية تتوقد مثل الجمر وهي فوق الكراسي والتفت إلى البحيرة فرأى فيها حيات صغار لا يعلم عددها إلا الله تعالى وبعد ساعة أقبلت عليه حية عظيمة مثل البغل وعلى ظهر تلك الحية طبق من الذهب وفي وسط ذلك الطبق حية تضيء مثل البللور ووجهها وجه إنسان وهي تتكلم بلسان فصيح فلما قربت من حاسب كريم الدين سلمت عليه فرد عليهم السلام ثم أقبلت حية من تلك الحيات التي فوق الكراسي إلى ذلك الطبق وحملت الحية التي فوقه وحطتها على كرسي

من تلك الكراسي ثم أن تلك الحية زعقت على تلك الحيات بلغاتها فخرت جميع الحيات من فوق كراسيها ودعون لها وأشارت إليهن بالجلوس فجلسوا ثم أن الحية قالت لحاسب كريم الدين لا تخف منا أيها الشاب فإني أنا ملكة الحيات وسلطانتهن فلما سمع حاسب كريم الدين ذلك الكلام من الحية اطمأن قلبه ثم أن الحية أشارت إلى تلك الحيات أن يأتوا بشيء من الأكل فأتوا بتفاح وعنب ورمان وفستق وبندق وجوز ولوز وموز وحطوه قدام حاسب كريم الدين ثم قالت له ملكة الحيات مرحباً بك يا شاب ما إسمك فقال لها إسمي حاسب كريم الدين فقالت له يا حاسب كل من هذه الفواكه فما عندنا طعم غيرها ولا تخف منا أبداً فلما سمع حاسب هذا الكلام من الحية أكل حتى اكتفى وحمد الله تعالى فلما اكتفى من الأكل رفعوا السماط من قدامه ثم بعد ذلك قالت له ملكة الحيات أخبرني يا حاسب من أين أنت ومن أين أتيت إلى هذا المكان وما جرى لك فحكى لها حاسب ما جرى لأبيه وكيف ولدته أمه وحطته في المكتب وهو ابن خمس سنين ولم يتعلم شيئاً من العلم وكيف حطته في الصنعة وكيف اشترت أمه له الحمار وصار حطاباً وكيف لقي جب العسل وكيف تركه رفقاؤه الحطابون في الجب وراحوا وكيف نزل عليه العقرب وقتله وكيف وسع الشق الذي نزل منه العقرب وطلع من الجب وأتى إلى الباب الحديد وفتحه حتى وصل إلى ملكة الحيات التي يكلمها ثم قال لها وهذه حكايتي من أولها إلى آخرها والله أعلم بما يحصل لي بعد هذا كله فلما سمعت ملكة الحيات حكاية حاسب كريم الدين من أولها إلى آخرها قالت له ما يحصل لك إلا كل خير وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٦٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن ملكة الحيات لما سمعت حكاية حاسب كريم الدين من أولها إلى آخرها قالت له ما يحصل لك إلا كل خير ولكن أريد منك يا حاسب أن تقعد عندي مدة من الزمن حتى أحكي لك حكايتي وأخبرك بما جرى لي من العجائب فقال لها سمعاً وطاعة فيما تأمريني به فقالت له اعلم يا حاسب أنه كان بمدينة مصر ملك من بني إسرائيل وكان له ولد اسمه بلوقيا وكان هذا الملك عالماً عابداً مكباً على قراءة كتب العلم فلما ضعف وأشرف على الموت طلعت له أكابر دولته ليسلموا عليه فلما جلسوا عنده وسلموا عليه قال لهم يا قوم اعلموا أنه قد دنا رحيلي من الدنيا إلى الآخرة ومالي عندكم شيء أوصيكم به إلا أبني بلوقيا فاستوصوا به ثم قال أشهد أن لا إله إلا الله وشهق شهقة ففارق الدنيا رحمة الله عليه فجهزوه وغسلوه ودفنوه وأخرجوه خرجة عظيمة وجعلوا ولده بلوقيا سلطاناً عليهم وكان ولده عادلاً في الرعية واستراحت الناس في زمانه فاتفق في بعض الأيام أنه فتح خزائن أبيه ليتفرج فيها ففتح خزائنة من تلك الخزائن فوجد فيها صورة باب ففتحه ودخل فإذا هي خلوة

صغيرة وفيها عمود من الرخام الأبيض وفوقه صندوق من الأبنوس فأخذه بلوقيا وفتحه فوجد فيه صندوقاً آخر من الذهب ففتحه فرأي فيه كتاباً ففتح الكتاب وقرأه فرأى فيه صفة محمد ﷺ وأنه يبعث في آخر الزمان وهو سيد الأولين والآخرين فلما قرأ بلوقيا هذا الكتاب وعرف صفات سيدنا محمد ﷺ تعلق قلبه بحبه ثم أن بلوقيا جمع أكابر بني إسرائيل من الكهان والأحبار والرهبان وأطلعهم على ذلك الكتاب وقرأه عليهم وقال لهم يا قوم ينبغي أن أخرج أبي من قبره وأحرق وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٦٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن بلوقيا قال لقومه لابد أن أخرج أبي من قبره وأحرقه فقال له قومه لأي شيء تحرقه فقال لهم بلوقيا لأنه أخفى عني هذا الكتاب ولم يظهره لي وقد كان استخرجه من التوراة ومن صحف إبراهيم ووضع هذا الكتاب في خزانة من خزائنه ولم يطلع عليه أحد من الناس فقالوا له يا ملكنا أن أباك قد مات وهو الآن في التراب وأمره مفوض إلى ربه ولا تخرجه من قبره فلما سمع بلوقيا هذا الكلام من أكابر بني إسرائيل عرف أنهم لا يمكنونه من أبيه فتركهم ودخل على أمه وقال لها يا أمي أني رأيت في خزائن أبي كتاباً فيه صفة محمد ﷺ وهو نبي يبعث في آخر الزمان وقد تعلق قلبي بحبه وأنا أريد أن أسبح في البلاد حتى اجتمع به فإنني إن لم أجتمع به مت غراماً في حبه ثم نزع ثيابه ولبس عباءة وزربونا وقال لا تنسيني يا أمي من الدعاء فبكت عليه أمه وقالت له كيف يكون حالنا بعدك قال بلوقياماً بقى لي صبراً بدا وقد فوضت أمري وأمرك إلى الله تعالى ثم خرج سائحاً نحو الشام ولم يدر به أحد من قومه وسار حتى وصل إلى ساحل البحر فرأى مركباً فنزل فيها مع الركاب وسارت بهم إلى أن أقبلوا على جزيرة فطلع الركاب من المركب إلى تلك الجزيرة وطلع معهم ثم انفرد عنهم في الجزيرة وقعد تحت شجرة فغلب عليه النوم فنام ثم أنه أفاق من نومه٨ وقام إلى المركب لينزل فيها فرأى المركب قد أقلعت ورأى في تلك الجزيرة حيات مثل الجمال ومثل النخل وهم يذكرون الله عز وجل ويصلون على محمد ﷺ ويصيحون بالتهليل والتسبيح فلما رأى ذلك بلوقيا تعجب غاية العجب وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٦٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن بلوقيا لما رأى الحيات يسبحون ويهللون تعجب من ذلك غاية العجب ثم أن الحيات لما رأوا بلوقيا اجتمعوا عليه وقالت له حية منهم من تكون أنت ومن أين أتيت وما اسمك وإلى أين رائح فقال لها اسمي بلوقيا وأنا من بني إسرائيل وخرجت هائماً في حب محمد ﷺ وفي طلبه فمن تكونون أنتم أيتها الخليقة الشريفة فقالت له الحيات نحن من سكان جهنم وقد خلقنا الله تعالى نقمة على الكافرين فقال لهم بلوقيا وما الذي جاء بكم إلى

هذا المكان فقالت له الحيات اعلم يا بلوقيا أن جهنم من كثرة غليانها تتنفس في السنة مرتين مرة في الشتا ومرة في الصيف واعلم أن كثرة الحر من شدة فيحها ولما تخرج نفسها الحيات أننا ما نخرج إلا مع تنفسها لصغرنا فإن في جهنم كل حية لو عبر أكبر ما فينا في أنفها لم تحس به فقال لهم بلوقيا أنتم تذكرون الله وتصلون على محمد ومن أين تعرفون محمد ﷺ فقالوا يا بلوقيا أن اسم محمد ﷺ مكتوب على باب الجنة ولولاه ما خلق الله المخلوقات ولا جنة ولا نار ولا سماء ولا أرضاً لأن الله لم يخلق جميع الموجودات الامن أجل محمد ﷺ وقرن اسمه باسمه في كل مكان ولأجل هذا نحن نحب محمد ﷺ فلما سمع بلوقيا هذا الكلام من الحيات زاد غرامه في حب محمد ﷺ وعظم اشتياقه إليه ثم أن بلوقيا ودعهم وسار حتى وصل إلى شاطيء البحر فرأى مركباً راسية في جانب الجزيرة فنزل فيها مع ركابها وسارت بهم ومازالوا سائرين حتى وصلوا إلى جزيرة أخرى فطلع عليها وتمسى ساعة فرأى فيها حيات كباراً وصغاراً لا يعلم عددها إلا الله تعالى وبينهم حية بيضاء أبيض من البلور وهي جالسة في طبق من الذهب وذلك الطبق على ظهر حية مثل الفيل وتلك الحية ملكة الحيات وهي أنا يا حاسب ثم أن حاسباً سأل ملكة الحيات وقال لها أي شيء جوابك مع بلوقيا فقالت الحية يا حاسب اعلم أني لما نظرت على بلوقيا سلمت عليه فرد على السلام وقلت له من أنت وما شأنك ومن أين أقبلت وإلى أين تذهب وما اسمك فقال أنا من بني إسرائيل وأسمي بلوقيا وأنا سائح في حب محمد ﷺ وفي طلبه فإني رأيت صفاته في الكتب المنزلة ثم أن بلوقيا سألني وقال لي أي شيء أنت وما شأنك وما هذه الحيات التي حولك فقلت له يا بلوقيا أنا ملكة الحيات وإذا اجتمعت بمحمد ﷺ فاقرئه مني السلام ثم أن بلوقيا ودعني ونزل في المركب حتى وصل إلى بيت المقدس وكان في بيت المقدس رجل تمكن من جميع العلوم وكان متقناً لعلم الهندسة وعلم الفلك والحساب والكيمياء والروحاني وكان يقرأ التوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم وكان يقال له عفان وقد وجد في كتاب عنده أن كل من لبس خاتم سيدنا سليمان انقادت له الأنس والجن والطير والوحوش وجميع المخلوقات ورأى في بعض الكتب أنه لما توفي سيدنا سليمان وضعوه في تابوت وعدوا به سبعة أبحر وكان الخاتم في أصبعه ولا يقدر أحد من الأنس ولا من الجن أن يأخذ ذلك الخاتم ولا يقدر أحد من أصحاب المراكب أن يروح بمركب إلى ذلك المكان وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٦٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن عفان وجد في بعض الكتب أنه لا يقدر أحد من الأنس ولا من الجن أن يأخذ الخاتم من أصبع سيدنا سليمان ولا يقدر أحد من أصحاب المراكب أن يسافر بمركبه في السبعة أبحر التي عدوها بتابوته ووجد في بعض الكتب أيضاً أن بين الأعشاب عشباً كل من أخذ منه شيئاً وعصره وأخذ ماءه ودهن به قدميه فإنه يمشي على أي

بحر خلقه الله تعالى ولا تبتل قدماه ولا يقدر أحد على تحصيل ذلك إلا إذا كانت معه ملكة الحيات ثم أن بلوقيا لما دخل بيت المقدس جلس في مكان يعبد الله تعالى فبينما هو جالس يعبد الله إذا قبل عليه عفان وسلم عليه فرد عليه السلام ثم أن عفان نظر إلى بلوقيا فرآه يقرأ في التوراة وهو جالس يعبد الله تعالى فتقدم إليه وقال له أيها الرجل ما أسمك ومن أين أتيت وإلى أين تذهب فقال له اسمي بلوقيا وأنا من مدينة مصر خرجت سائحاً في طلب محمد ﷺ فقال عفان لبلوقيا قم معي إلى منزلي حتى أضيفك فقال سمعاً وطاعة فأخذ عفان بيد بلوقيا وذهب به إلى منزله وأكرمه غاية الأكرام وبعد ذلك قال له إخبرني يا أخي بخبرك من أين عرفت محمداً ﷺ حتى تعلق قلبك بحبه وذهبت في طلبه ومن دلك على هذا الطريق فحكى له بلوقيا حكايته من الأول إلى الآخر فلما سمع عفان كلامه كاد أن يذهب عقله وتعجب من ذلك غاية العجب ثم أن عفان قال لبلوقيا اجمعني على ملكة الحيات وأنا أجمعك على محمد ﷺ لأن زمان مبعث محمد ﷺ بعيد وإذا ظفرنا بملكة الحيات نحطها في قفص ونروح بها إلى الأعشاب التي في الجبال وكل عشب جزنا عليه وهي معنا ينطق ويخبر بمنفعته بقدرة الله تعالى فإني قد وجدت عندي في الكتب أن في الأعشاب عشباً كل من أخذه ودفه وأخذ ماءه ودهن به قدميه ومشى على أي بحر خلقه الله تعالى لم يبتل له قدم فإذا أخذنا ملكة الحيات تدلنا على ذلك العشب وإذا وجدناه نأخذه وندفه ونأخذ ماءه ثم نطلقها إلى حال سبيلها وندهن بذلك الماء أقدامنا ونعدي السبعة أبحر وتصل إلى مدفن سيدنا سليمان ونأخذ الخاتم من أصبعه ونحكم كما حكم سيدنا سليمان ونصل إلى مقصودنا بعد ذلك ندخل بحر الظلمات فنشرب من ماء الحياة فيمهلنا الله إلى آخر الزمان ونجتمع بمحمد ﷺ فلما سمع بلوقيا هذا الكلام من عفان قال له يا عفان أنا أجمعك بملكة الحيات وأريك مكانها فقام عفان وصنع له قفصاً من حديد وأخذ معه قدحين وملأ أحدهما خمراً وملأ الآخر لبناً وسار عفان هو وبلوقيا أياماً وليالي حتى وصلا إلى الجزيرة التي فيها ملكة الحيات فطلع عفان وبلوقيا إلى الجزيرة ومشيا فيها وبعد ذلك وضع عفان القفص ونصب فيه فخا وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٦٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن عفان وضع القفص ونصب فيه فخاً ووضع فيه القدحين المملوءين خمراً ولبناً ثم تباعدا عن القفص وأستخفيا ساعة فأقبلت ملكة الحيات على القفص حتى قربت من القدحين فتأملت فيهما ساعة فلما شمت رائحة اللبن نزلت من فوق ظهر الحية التي هي فوقها وطلعت من الطبق ودخلت القفص وأتت إلى القدح الذي فيه الخمر التي هي فوقها وطلعت من الطبق ودخلت القفص وأتت إلى القدح الذي فيه الخمر وشربت منه فلما شربت من ذلك القدح داخت رأسها ونامت فلما رأى ذلك عفان تقدم إلى القفص وقفله على ملكة الحيات ثم أخذها هو وبلوقيا وسارا فلما أفاقت رأت روحها في قفص من حديد والقفص

على رأس رجل وبجانبه بلوقيا فلما رأت ملكة الحيات بلوقيا قالت هذا جزاء من لا يؤذي بني آدم فرد عليها بلوقيا وقال لها لا تخافي منا يا ملكة الحيات فإننا لا نؤذيك أبداً ولكن نريد منك أن تدلينا على عشب بين الأعشاب كل من أخذه ودقه واستخرج ماءه ودهن به قدميه ومشى على أي بحر خلقه الله تعالى لا تبتل قدماه فإذا وحدنا ذلك العشب أخذناه ونرجع بك إلى مكانك ونطلقك إلى حال سبيلك ثم أن عفان وبلوقيا سارا بملكة الحيات نحو الجبال التي فيها الأعشاب ودارا بها على جميع الأعشاب فصار كل عشب ينطق ويخبر بمنفعته بإذن الله تعالى فبينما هما في هذا الأمر والأعشاب تنطق يميناً وشمالاً ونخبر بمنافعها وإذا بعشب نطق وقال العشب أنا الذي كل من أخذني ودقني وأخذ مائي ودهن قدميه وجاز على أي بحر خلقه الله تعالى لا تبتل قدماه فلما سمع عفان كلام العشب حط القفص من فوق رأسه وأخذ من ذلك العشب ما يكفيهما ودقاه وعصراه وأخذ ماءه وجعلاه في قزازتين وحفظهما والذل فضل منهما دهنا به أقدامهما ثم أن بلوقيا وعفان أخذا ملكة الحيات وسارا بها ليالي وأياماً حتى وصلا إلى الجزيرة التي كانت فيها وفتح عفان باب القفص فخرجت منه ملكة الحيات فلما خرجت فقالت لهما فما تصنعان بهذا الماء قالا لها مرادنا أن ندهن به أقدامنا حتى نتجاوز السبعة أبحر ونصل إلى مدفن سيدنا سليمان ونأخذ الخاتم من أصبعه فقالت لهما ملكة الحيات هيهات أن تقدرا على أخذ الخاتم فقالا لها لأي شيء فقالت لهما لأن الله تعالى من على سليمان بإعطائه ذلك الخاتم وخصه بذلك لأنه قال رب هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي أنك أنت الوهاب فمالكما وذلك الخاتم ثم قالت لهما لو أخذتما من العشب الذي من أكل منه لا يموت إلى النفخة الأولى وهو بين تلك الأعشاب لكان أنفع لكما من هذا الذي أخذتماه فإنه لا يحصل لكما منه مقصود كما فلما سمع كلامها ندما ندماً عظيماً وسار إلى حال سبيلهما وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٦٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن بلوقيا وعفان لما سمعا كلام ملكة الحيات قد ندما ندماً عظيماً وسار إلى حال سبيلهما هذا ما كان من أمرهما (وأما) ما كان من أمر ملكة الحيات فإنها أتت إلى عساكرها فرأتهم قد ضاعت مصالحهم وضعف قويهم وضعيفهم مات فلما رأى الحيات ملكتهم بينهم فرحوا وأجتمعوا حولها وقالوا لها ما خبرك وأين كنت فحكت لهم جميع ما جرى لها مع عفان وبلوقيا ثم بعد ذلك جمعت جنودها وتوجهت بهم إلى جبل قاف لأنها كانت تشتى فيه وتصيف في المكان الذي رآها فيه حاسب كريم الدين ثم أن الحية قالت يا حاسب هذه حكايتي وما جرى لي فتعجب حاسب من كلام الحية ثم قال لها أريد من فضلك أن تأمري أحداً من أعوانك أن يخرجني إلى وجه الأرض وأروح ألى أهلي فقالت له ملكة الحيات يا حاسب ليس لك رواح من عندنا حتى يدخل الشتاء وتروح معنا إلى جبل قاف وتتفرج فيه

على تلال ورمال وأشجار وأطيار تسبح الواحد القهار وتتفرج على مردة وعفاريت وجان مـ ا يعلم عددهم إلا الله تعالى فلما سمع حاسب كريم الدين كلام ملكة الحيات صار مهموماً مغموماً ثم قال لها اعلمني بعفان وبلوقيا لما فارقاك وسار أهل عديا السبعة بحور ووصلا إلى مـ دفن سيدنا سليمان أولاً وإذا كانا وصلا إلى مدفن سيدنا سليمان هل قدرا على أخذ الخاتم أولا فقالت له أعلم أن عفان وبلوقيا لما فارقاني وسارا دهنا أقدامهما من ذلك الماء ومشـ يا علـ ى وجـ ه البحر وصارا يتفرجان على عجائب البحر ومازالا سائران من بحر إلى بحـ ر حتـ ى عـ ديا السبعة أبحر فلما عديا تلك البحار وجدا جبلاً عظيماً شاهقاً في الهـ واء وهـ و مـ ن الزمـ رد الأخضر وفيه عين تجري وترابه كله من المسك فلما وصلا إلى ذلك المكان فرح وقـ الا قـ د بلغنا مقصودنا ثم سارا حتى وصلا إلى جبل عال فمشيا فيه فرأيا مغارة من بعيد فـ ي ذلـ ك الجبل وعليها قبة عظيمة والنور يلوح منها فلما رأيا تلك المغارة قصداها حتى وصـ لا إليهـ ا فدخلا فرأيا فيها تختاً منصوباً من الذهب مرصعاً بأنواع الجواهر وحوله كراسي منصـ وبة لا يحصى لها عدد إلا الله تعالى ورأيا السيد سليمان نائماً فوق ذلك التخت وعليه حلة من الحرير الأخضر مزركشة بالذهب مرصعة بنفيس المعادن من الجوهر ويده اليمنـ ى علـ ى صـ دره والخاتم في أصبعه ونور الخاتم يغلب على نور تلك الجواهر التي في تلك المكان ثم أن عفان علم بلوقيا أقساماً وعزائم وقال هل اقرأ هذه الأقسام ولا تترك قراءتها حتى أخذ الخاتم ثم تقدم عفان إلى التخت حتى قرب منه وإذا بحية عظيمة طلعت من تحت التخـ ت وزعقـ ت زعقـ ة عظيمة فارتعد ذلك المكان من زعقتها وصار الشرر يطير من فمها ثم أن الحية قالت لعفان إن لم ترجع هلكتك فاشتغل عفان بالأقسام ولم ينزعج من تلك الحية فنفخت عليـ ه الحيـ ة نفخـ ة عظيمة كادت أن تحرق ذلك المكان وقالت ويلك إن لم ترجع أحرقتك فلما سمع بلوقيـ ا هـ ذا الكلام من الحية طلع من المغارة وأما عفان فإنه لم ينزعج من ذلك ثم تقدم إلى السيد سـ ليمان ومد يده ولمس الخاتم وأراد أن يسحبه من أصبع السيد سليمان وإذا بالحية نفخت على عفـ ان فأحرقته وصار كوم رماد هذا ما كان من أمر هؤلاء (واما) ما كان من أمر بلوقيا فإنه وقـ ع مغشياً عليه من هذا الأمر وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٧٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن بلوقيا لما رأى عفان احترق وصار كوم رمـ اد وقـ ع مغشياً عليه وأمر الرب جل جلاله جبريل أن يهبط إلى الأرض قبل أن تنفخ الحية على بلوقيا فهبط إلى الأرض بسرعة فرأى بلوقيا مغشياً عليه ورأى عفان احترق من نفخة الحيـ ة فـ أتى جبريل إلى بلوقيا وأيقظه من غشيته فلما أفاق سلم عليه جبريل وقال له من أين اتيتما على هذا المكان فحكى له بلوقيا جميع حكايته من الأول إلى الآخر ثم قال له اعلم أنني ما أتيت إلى هذا المكان إلا بسبب محمد ﷺ فإن عفان أخبرني أنه يبعث في آخر الزمان ولا يجتمع به إلا مـ ن

يعيش إلى ذلك الوقت ولا يعيش إلى ذلك الوقت إلا من شرب من ماء الحياة ولا يمكن ذلك إلا بالحصول على خاتم سليمان عليه السلام فصحبته إلى هذا المكان وحصل له ما حصل وها هو قد احترق وأنا لم أحترق ومرادي أن تخبرني بمحمد أين يكون فقال له جبريل يا بلوقيا اذهب إلى حال سبيلك فإن زمان محمد بعيد ثم ارتفع جبريل إلى السماء من وقته وأما بلوقيا فإنه صار يبكي بكاء شديداً وندم على ما فعل وتفكر قول ملكة الحيات هيهات أن يقدر أحد على أخذ الخاتم فتحير بلوقيا في نفسه وبكى ثم أنه نزل من الجبل وسلم ولم يزل سائراً حتى قرب من شاطيء البحر وقعد هناك يتعجب من تلك الجبال والبحار والجزائر وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٧١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن بلوقيا تعجب من تلك الجبال والبحار والجزائر ثم بات تلك الليلة في ذلك الموضع ولما أصبح الصباح دهن قدميه من الماء الذي كان أخذه من العشب ونزل البحر وصار ماشياً فيه أياماً وليالي وهو يتعجب من أهوال البحر وعجائبه وغرائبه ومازال سائراً على وجه الماء حتى وصل إلى جزيرة كأنها الجنة فطلع بلوقيا إلى تلك الجزيرة وصار يتعجب منها ومن حسنها وصاح فيها فرآها جزيرة عظيمة ترابها زعفران وحصاؤها من الياقوت والمعادن الفاخرة وسياجها الياسمين وزرعها من أحسن الأشجار وأبهج الرياحين وأطيبها وفيها عيون جارية وحطبها من العود القماري والعود القاقلي وبوصها قصب السكر وحولها الورد والنرجس والعنبر والقرنفل والأقحوان والسوسن والبنفسج وكل ذلك فيها أشكال وألوان وأطيارها تناغي على تلك الأشجار وهي مليحة الصفات واسعة الجهات كثيرة الخيرات قد حوت جميع الحسن والمعاني وتغريد أطيارها ألطف من رنات المباني وأشجارها باسقة وأطيارها ناطقة وأنهارها دافقة وعيونها جارية ومياهها خالية وفيها الغزلان تمرح والجاذر تسنح والأطيار تناغي على تلك الأغصان وتسلي العاشق الولهان فتعجب بلوقيا من هذه الجزيرة وعلم أنه قد تاه عن الطريق التي قد أتى منها أول مرة حين كان معه عفان فساح في تلك الجزيرة وتفرج فيها إلى وقت المساء فلما أمتسى عليه الليل طلع على شجرة عالية لينام فوقها وصار يتفكر في حسن تلك الجزيرة فبينما هو فوق الشجرة على تلك الحالة وإذا بالبحر قد اختبط وطلع منه حيوان عظيم وصاح صياحاً عظيماً حتى انزعجت حيوانات تلك الجزيرة من صياحه فنظر عليه بلوقيا وهو جالس على الشجرة فرآه حيواناً عظيماً فصار يتعجب منه فلم يشعر بعد ساعة إلا وطلع خلفه من البحر وحوش مختلفة الألوان وفي يد كل وحش منها جوهرة تضيء مثل السراج حتى صارت الجزيرة مثل النهار من ضياء الجواهر وبعد ساعة أقبلت من الجزيرة وحوش لا يعلم عددها إلا الله تعالى فنظر إليها بلوقيا فرآها وحوش الفلاة من سباع ونمور وفهود وغير ذلك من حيوانات البر ولم تزل

وحوش البر مقبلة حتى اجتمعت مع وحوش البحر في جانب الجزيرة وصاروا يتحدثون إلى الصباح فلما أصبح الصباح افترقوا عن بعضهم ومضى واحد منهم إلى حال سبيله فلما رآهم بلوقيا خاف ونزل من فوق الشجرة وصار إلى شاطيء البحر ودهن قدميه من الماء الذي معه ونزل البحر الثاني وسار على وجه الماء ليالي وأياماً حتى وصل إلى جبل عظيم وتحت ذلك الجبل واد ماله آخر وذلك الواد حجارته من المغناطيس ووحوشه سباع وأرانب ونمور فطلع بلوقيا إلى ذلك الجبل وساح فيه من مكان إلى مكان حتى أمسى عليه المساء فجلس تحت قمة من قمم ذلك الجبل بجانب البحر وصار يأكل من السمك الناشف الذي يقذفه البحر فبينما هو جالس يأكل من ذلك السمك وإذا بنمر عظيم أقبل على بلوقيا وأراد أن يفترسه فالتفت بلوقيا إلى ذلك النمر فرآه حاطاً عليه ليفترسه فدهن قدميه من الماء الذي معه ونزل البحر الثالث هربا من ذلك النمر وسار على وجه الماء في الظلام وكانت ليلة سوداء ذات ريح عظيم ومازال سائراً حتى أقبل على جزيرة فطلع عليها فرأى فيها أشجاراً رطبة ويابسة فأخذ بلوقيا من ثمر تلك الأشجار وأكل وحمد الله تعالى ودار فيها يتفرج إلى وقت المساء وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٧٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن بلوقيا دار يتفرج في تلك الجزيرة ولم يزل دائراً يتفرج فيها إلى وقت المساء فنام في تلك الجزيرة ولما أصبح الصباح صار يتأمل في جهاتها ولم يزل يتفرج فيها مدة عشرة أيام وبعد ذلك توجه إلى شاطيء البحر ودهن قدميه ونزل في البحر الرابع ومشي على وجه الماء ليلاً ونهاراً حتى وصل إلى جزيرة فرأى أرضها من الرمل الناعم الأبيض وليس فيها شيء من الشجر ولا من الزرع فتمشى فيها ساعة فوجد وحشها الصقور وهي معششة في ذلك الرمل فلما رأى ذلك دهن قدميه ونزل في البحر الخامس وسار فوق الماء ومازال سائراً ليلاً ونهاراً حتى أقبل على جزيرة صغيرة أرضها وجبالها مثل البلور وفيها العروق التي يصنع منها الذهب وفيهاا شجار غريبة ما رأى مثلها في سياحته وازهارها كلون الذهب فطلع بلوقيا إلى تلك الجزيرة وصار يتفرج فيها إلى وقت المساء فلما جن عليه الظلام صارت الأزهار تضيء في تلك الجزيرة كالنجوم يتعجب بلوقيا من هذه الجزيرة وقال أن الأزهار التي في هذه الجزيرة هي التي تيبس من الشمس وتسقط على الأرض فتضربها الرياح فتجتمع تحت الحجارة وتصيراكسيراً فيأخذونها ويصنعون من الذهب ثم أن بلوقيا نام في تلك الجزيرة إلى وقت الصباح وعند طلوع الشمس دهن قدميه من الماء الذي معه ونزل البحر السادس وسار ليالي وأياماً حتى أقبل على جزيرة فطلع عليها وتمشي فيها ساعة فرأي فيها جبلين وعليهما أشجار كثيرة وأثمار تلك الأشجار كرؤوس الآدميين وهي معلقة من شعورها ورأى فيها أشجار أخرى أثمارها طيور خضر معلقة من

أرجلها وفيها أشجار تتوقد مثل النار ولها فواكه مثل الصبر وكل من سقطت عليه نقطة من تلك الفواكه احترق بها ورأى بها فواكه تبكي وفواكه تضحك ورأى بلوقيا في تلك الجزيرة عجائب ثم أنه تمشي إلى شاطيء البحر فرأى شجرة عظيمة فجلس تحتها إلى وقت العشاء فلما طلع فوق تلك الشجرة وصار يتفكر في مصنوعات الله تعالى فبينما هو كذلك وإذا بالبحر قد اختبط وطلع منه بنات البحر وفي يد كل واحدة منهن جوهرة تضيء مثل المصباح وسرن حتى أتين تحت تلك الشجرة وجلسن ولعبن ورقصن وطربن فصار بلوقيا يتفرج عليهن وهن في هذه الحالة ولم يزلن في لعب إلى الصباح فلما أصبحن نزلن البحر فتعجب منهن بلوقيا ونزل من فوق الشجرة ودهن قدميه من الماء الذي معه ونزل البحر السابع وسار ولم يزل سائراً مدة شهرين وهو لا ينظر جبلاً ولا جزيرة ولا براً ولا وادياً ولا ساحلاً حتى قطع ذلك البحر وقاسى فيه جوعاً عظيماً حتى صار يخطف السمك من البحر ويأكله نيئاً من شدة جوعه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٧٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن بلوقيا لما قاسى في البحر الجوع العظيم وسار يخطف السمك من البحر ويأكله نيئا من شدة جوعه ولم يزل سائراً على هذه الحالة حتى أنتهي إلى جزيرة أشجارها كثيرة وأنهارها غزيرة فطلع إلى تلك الجزيرة وصار يمشي فيها ويتفرج يميناً وشمالاً وكان ذلك في وقت الضحى وما زال يتمشى حتى أقبل على شجرة تفاح فمد يده ليأكل من تلك الشجرة وإذا بشخص صاح عليه من تلك الشجرة وقال له أن تقربت إلى هذه الشجرة وأكلت منها شيئاً قسمتك نصفين فنظر بلوقيا إلى ذلك الشخص فرآه طويلاً طوله أربعون ذراعاً بذراع أهل ذلك الزمان فلما رآه بلوقيا خاف منه خوفاً شديداً وامتنع عن تلك الشجرة ثم قال بلوقيا لأي شيء تمنعني من الأكل من هذه الشجرة فقال له لأنك ابن آدم وأبوك آدم نسى عبد الله فعصاه وأكل من الشجرة فقال له بلوقيا أي شيء أنت ولمن هذه الجزيرة والأشجار وما اسمك فقال له الشخص أنا اسمي شراهيا وهذه الأشجار والجزيرة للملك صخر وأنا من أعوانه وقد وكلني على هذه الجزيرة ثم أن شراهيا سال بلوقيا وقال له من أنت ومن اين أتيت إلى هذه البلاد فحكى له بلوقيا حكايته من الأول إلى الآخر فقال له شراهيا لا تخف ثم جاء له بشيء من الأكل فأكل بلوقيا حتى اكتفى ثم ودعه وسار ولم يزل سائراً مدة عشرة أيام فبينما هو سائر في جبال ورمال إذ نظر غبرة عاقدة في الجو فقصد بلوقيا صوب تلك الغبرة فسمع صياحاً وضرباً وهرجاً عظيماً فمشي بلوقيا نحو تلك الغبرة حتى وصل إلى واد عظيم طوله مسيرة شهرين ثم تأمل بلوقيا في جهة ذلك الصباح فرأى ناسارا كبين على خيل وهم يقتتلون مع بعضهم وقد جرى الدم بينهم حتى صار مثل النهر ولهم أصوات مثل الرعد

وفي أيديهم رماح وسيوف وأعمدة من الحديد وقسى ونبال وهم في قتال عظيم فأخذه خوف شديد وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٤٧٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن بلوقيا لما رأى هؤلاء الناس بأيديهم السلاح وهم في قتال عظيم أخذه خوف شديد وتحير في أمره فبينما هو كذلك وإذا رأوه فلما رأوه امتنعوا عن بعضهم وتركوا الحرب ثم أتت إليه طائفة منهم فلما قربوا منه تعجبوا من خلقته ثم تقدم إليه فارس منهم وقال له أي شيء أنت ومن أين أتيت وإلى أين رائح ومن دلك على هذه الطريق حتى وصلت إلى بلادنا فقال له بلوقيا أنا من بني آدم وجئت هائماً في حب محمد ﷺ ولكني تهت عن الطريق فقال له الفارس نحن ما صادفنا ابن آدم قط ولا إلى هذه الأرضي وصاروا يتعجبون منه ومن كلامه ثم أن بلوقيا سألهم وقال لهم أي شيء أنتم أيتها الخليقة قال له الفارس نحن من الجان فقال له بلوقيا يا أيها الفارس ما سبب القتال الذي بينكم وأين مسكنكم وما اسم هذا الوادي وهذه الأراضي فقال له الفارس نحن مسكننا الأرض البيضاء وفي كل عام يأمرنا الله تعالى أن نأتي إلى هذه الأرض ونغازي الجان الكافرين فقال له بلوقيا وأين الأرض البيضاء فقال له الفارس خلف جبل قاف بمسيرة خمسة وسبعين سنة وهذه الأرض يقال لها أرض شداد بن عاد ونحن أتينا إليها لنغازي فيها وما لنا شغل سوى التسبيح والتقديس ولنا ملك يقال له ملك صخر وما يمكن إلا أن تروح معنا إليه حتى ينظرك ويتفرج عليك ثم أنهم ساروا وبلوقيا معهم حتى أتوا منزلهم فنظر بلوقيا خياما عظيمة من الحرير الأخضر لا يعلم عددها إلا الله تعالى ورأي بينها خيمة منصوبة من الحرير الأحمر واتساعها مقدار ألف ذراع وأطنابها من الحرير الأزرق وأوتادها من الذهب والفضة فتعجب بلوقيا من تلك الخيمة ثم إنهم ساروا بي حتى أقبلوا على الخيمة فإذا هي خيمة الملك صخر ثم دخلوا به حتى أتوا أقدام الملك صخر فنظر بلوقيا إلى الملك فرآه جالساً على تخت عظيم من الذهب الأحمر مرصع بالدر والجواهر وعلى يمينه ملوك الجان وعلى يساره الحكماء والأمراء وأرباب الدولة وغيرهم فلما رآه الملك صخر أمر أن يدخلوا به عنده فدخلوا به عند الملك فتقدم بلوقيا وسلم عليه وقبل الأرض بين يديه فرد عليه الملك صخر السلام ثم قال له أدن مني أيها الرجل فدنا منه بلوقيا حتى صار بين يديه فعند ذلك أمر الملك صخران ينصبوا له كرسياً بجانبه فنصبوا له كرسياً بجانب الملك ثم أمره الملك صخر أن يجلس على ذلك الكرسي فجلس بلوقيا عليه ثم أن الملك صخر سأل بلوقيا وقال له أي شيء أنت فقال له أنا من بني آدم من بني إسرائيل فقال له الملك صخر أحك لي حكايتك وأخبرني بما جرى لك وكيف أتيت إلى هذه الأرض فحكى له بلوقيا جميع ما جرى له في سياحته من الأول إلى الآخر فتعجب الملك صخر من كلامه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٧٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن بلوقيا لما أخبر الملك صخر بجميع ما جرى لـ ـه فـ ـي سياحته من الأول إلى الآخر تعجب من ذلك ثم أمر الفراشين أن يأتوا بسماط فـ أتوا بسـ ماط ومدوه ثم أنهم أتوا بصواني من الذهب الأحمر وصواني من الفضة وصواني مـ ـن النحـ ـاس وبعض الصواني فيها خمسون جملاً مسلوقة وبعضها فيها عشـ ـرون جمـ ـلاً وبعضـ ـها فيهـ ـا خمسون رأساً من الغنم وعدد الصواني ألف وخمسمائة صينية فلما رأى بلوقيا ذلـ ـك تعجـ ـب غاية العجب ثم أنهم أكلوا وأكل بلوقيا معهم حتى اكتفى وحمد الله تعالى وبعـ ـد ذلـ ـك رفعـ ـوا الطعام وأتوا بفواكه فأكلوا ثم بعد ذلك سبحوا الله تعالى وصلوا على نبيه محمد ﷺ فلما سـ ـمع بلوقيا ذكر محمد تعجب وقال للملك صخر أريد أن أسألك بعض مسائل فقال له الملك صـ ـخر سل ما تريد فقال له بلوقيا يا ملك أي شيء أنتم ومن أين أصلكم ومن أين تعرفون محمـ ـداً ﷺ حتى تصلون عليه وتحبونه فقال له الملك صخر يا بلوقيا إن الله تعالى خلق النار سبع طبقات بعضها فوق بعض وبين كل طبقة مسيرة الف عام وجعل اسم الطبقة الأولى جهـ ـنم وأعـ ـدها لعصاة المؤمنين الذين يموتون من غير توبة واسم الطبقة الثانية لظي واعدها للكفـ ـار وأسـ ـم الطبقة الثالثة الجحيم وأعدها ليأجوج ومأجوج واسم الرابعة السعير وأعدها لقوم أبليس وأسـ ـم الخامسة سقر وأعدها لتارك الصلاة وأسم السادسة الحطمة وأعدها لليهود والنصـ ـارى وأسـ ـم السابعة الهاوية وأعدها للمنافقين فهذه السبع طبقات فقال له بلوقيا لعل جهنم أهون عذاباً مـ ـن الجميع لأنها هي الطبقة الفوقانية قال الملك صخر نعم هي أهون الجميع عذاباً ومع ذلك فيهـ ـا ألف جبل من النار وفي كل جبل سبعون ألف واد من النار وفي كل واد سبعون ألف مدينة من النار وفي كل مدينة سبعون ألف قلعة من النار وفي كل قلعة سبعون ألف بيت من النار وفـ ـي كل بيت سبعون ألف تخت من النار وفي كل تخت سبعون ألف نوع من العذاب وما في جميع طبقات النار يا بلوقيا أهون عذاباً من عذابها لأنها هي الطبقة الأولى وأما الباقي فلا يعلم عدد ما فيها من أنواع العذاب إلا الله تعالى فلما سمع بلوقيا هذا الكلام من الملك صخر وقع مغشياً عليه فلما أفاق من غشيته بكى وقال يا ملك كيف يكون حالنا فقال له الملك صخر يا بلوقيـ ـا لا تخف واعلم أن كل من كان يحب محمداً لم تحرقه النار وهو معتوق لأجل محمد ﷺ وكل من كان على ملته تهرب منه النار وأما نحن فخلقنا الله تعـ ـالى مـ ـن النـ ـار وأول مـ ـا خلـ ـق الله المخلوقات في جهنم خلق شخصين من جنوده أحدهما أسمه خليت ولآخر اسمه مليت وجعـ ـل خليت على صورة أسد ومليت على صورة ذئب وكان ذنب مليت على صورة لأنثى ولونهـ ـا أبلق وذنب خليت على صورة ذكر وهو في هيئة حية وذنب مليت في هيئة سـ ـلحفاة وطـ ـول ذنب خليت مسيرة عشرين سنة من أسمائه تعالى ذنبيهما أن يجتمعا مع بعضـ ـهما ويتناكحـ ـا فتوالهم عا حيات ويقترب ××× ليعذب الله بها من يدخلها ثم أن تلك الحيات والعقارب تناسلوا

وتكاثروا ثم بعد ذلك أمر أن تحت ذنبي خليت ومليت أن يجتمعا ويتناكحا ثاني مرة فاجتمع ا وتناكحا في ذنب مليت من ذنب خليت فلما وضعت ولدت سبعة ذكور وسبع أناث فتربوا حتى كبروا فلما كبر وتزوج الأناث بالذكور وأطاعوا والدهم إلا واحداً منهم عصى وال ده فصد ار دودة وتنبت الردة معي أبليس لعنه الله تعالى وكان من المقربين فإنه عبد الله تعالى حتى ارتفع إلى السماء وتقرب من الرحمن وصار رئيس المقربين وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت ع ن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٧٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك قال له أن أبليس كان عب د الله تع الى وصد ار رئيس المقربين ولما خلق الله تعالى آدم عليه السلام أمر أبليس بالسجود له فامتنع م ن ذل ك فطرده الله تعالى ولعنه فلما تناسل جاءت منه الشياطين وأما الستة ذكور الذين قبلهم فهم الجان المؤمنون ونحن من نسلهم وهذا أصلنا يا بلوقيا فتعجب بلوقيا من كلام الملك صخر ثم أنه قال يا ملك أريد منك أن تأمر واحداً من أعوانك ليوصلني إلى بلادي فقال له الملك صخر ما نقدر أن نفعل شيئاً من ذلك إلا إذا أمرنا الله تعالى ولكن يا بلوقيا إن شئت الذهاب من عندنا ف إني أحضر لك فرساً من خيلي وأركبك على ظهرها وآمرها أن تسير بك إلى آخر حكم ي ف إذا وصلت إلى آخر حكمي يلاقيك من خيلي وأركبك على ظهرها وآمرها أن تسير بك إلى آخ ر حكمي فإذا وصلت إلى آخر حكمي يلاقيك جماعة منك اس مه براخي ا فينظ رون الف رس فيعرفونها وينزلونك من فوقها ويرسلونها إلينا هذا الذي نقدر عليه لاغير فلما سمع بلوقيا هذا الكلام بكى وقال للملك افعل ما تريد فأمر الملك أن يأتوا له بالفرس فأتوا له بالفرس وأركب وه على ظهرها وقالوا له احذر أن تنزل من فوق ظهرها أو تفسر بها أو تصيح في وجهها ف إن فعلت ذلك أهلكتك بل استمر راكباً عليها مع السكون حتى تقف بك فانزل عن ظهره ا وروح إلى حال سبيلك فقال لهم بلوقيا سمعاً وطاعة ثم ركب الفرس وسار في الخيام مدة طويلة ول م يمر في سيره إلا على مطبخ الملك صخر فنظر بلوقيا إلى قدور معلقة في كل قدر خمس ون جملاً والنار تلتهب من تحتها فلما رأى بلوقيا تلك القدور وكبرها تأملها وتعجب منها وأكث ر التعجب والتأمل فيها فنظر إليه الملك فرآه متعجباً من المطبخ فظن الملك في نفسه أنه ج ائع فأمر أن يجيئوا له بجملين مشويين وربطوهما خلفه على ظهر الفرس ثم أنه ودعه م وصد ار حتى وصل إلى آخر حكم الملك صحر فوقفت الفرس فنزل عنها بلوقيا ينفض تراب السفر من ثيابه وإذا برجال أتوا إليه ونظر والفرس فعرفوها فأخذوها وساروا وبلوقيا معهم حتى وصلوا إلى الملك براخيا فلما دخل بلوقيا على الملك براخيا سلم عليه فرد عليه السلام ث م أن بلوقي ا نظر إلى الملك فرآه جالياً في صيوان عظيم وحوله عساكر وأبطال وملوك الجان على يمين ه وشماله ثم إن الملك أمر بلوقيا أن يدنو منه فتقدم بلوقيا إليه فأجلسه الملك بجانبه وأمر أن يأتوا

بالسماط فنظر بلوقيا إلى حال الملك براخيا فرآه مثل حال الملك صخر ولما حضرت الأطعمة أكلوا وأكل بلوقيا حتى اكتفى وحمد الله تعالى ثم أنهم رفعوا الأطعمة وأتوا بالفاكهة فأكلوا ثم أن براخيا سأل بلوقيا وقال له متى فارقت الملك صخر فقال له من مدة يومين فقال الملك براخيا لبلوقيا أتدري مسافة كم يوم سافرت في هذين اليومين قال لا قال مسيرة سبعين شهراً وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٧٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك براخيا قال لبلوقيا أنك سافرت في هذين اليومين مسيرة سبعين شهراً ولكنك لما ركبت الفرس فزعت منك وعلمت منك أنك ابن آدم وأرادت أن ترميك عن ظهرها فأنقلوها بهذين الجملين فلما سمع بلوقيا هذا الكلام من الملك براخيا تعجب وحمد الله تعالى على السلامة ثم أن الملك براخيا قال لبلوقيا أخبرني بما جرى لك وكيف أتيت إلى هذه البلاد فحكى له بلوقيا جميع ما جرى له وكيف ساح وأتى إلى هذه البلاد فلما سمع الملك كلامه تعجب منه ومكث بلوقيا عنده مدة شهرين فلما سمع حاسب كلام ملكة الحيات تعجب غاية العجب ثم قال لها أريد من فضلك وإحسانك أن تأمري أحداً من أعوانك أن يخرجني إلى وجه الأرض حتى أروح إلى أهلي فقالت له ملكة الحيات يا حاسب كريم الدين اعلم أنك متى خرجت إلى وجه الأرض تروح إلى أهلك ثم تدخل الحمام وتغتسل وبمجرد ما تفرغ من غسلك أموت أنا لأن ذلك يكون سبباً لموتي فقال حاسب أنا أحلف لك ما أدخل الحمام طول عمري وإذا وجب علي الغسل أغتسل في بيتي فقالت له ملكة الحيات لو حلفت لي مائة يمين ما أصدقك أبداً فإن هذا لا يكون واعلم أنك ابن آدم مالك عهد فإن أباك آدم قد عاهد الله ونقض عهده وكان الله تعالى خمر طينته أربعين صباحاً وأسجد له ملائكته وبعد ذلك الكلام أنسى العهد ونسيه وخالفه فلما سمع حاسب ذلك الكلام سكت وبكي ومكث يبكي مدة عشرة أيام ثم قال لها حاسب أخبريني بالذي جرى لبلوقيا بعد قعوده شهرين عند الملك براخيا فقالت له اعلم يا حاسب أن بلوقيا بعد قعوده عند الملك براخيا ودعه وسار في البراري ليلاً ونهارا حتى وصل إلى جبل عال فطلع ذلك الجبل فرأى فوقه ملكاً عظيماً جالساً على ذلك الجبل وهو يذكر الله تعالى ويصلي على محمد وبين يدي ذلك الملك لوح مكتوب فيه شيء أبيض وشيء أسود وهو ينظر في اللوح وله جناحان أحدهما ممدود بالمشرق والآخر ممدود بالمغرب فاقبل عليه بلوقيا وسلم عليه فرد عليه السلام ثم أن الملك سأل بلوقيا وقال له من أنت ومن أين أتيت وإلى أين رائح وما أسمك فقال بلوقيا أنا من بني آدم من قوم بني إسرائيل وأنا سائح في حب محمد ﷺ وإسمي بلوقيا فقال ما الذي جرى لك في مجيئك إلى هذه الأرض فحكى له بلوقيا جميع ما جرى له وما رأى في سياحته فلما سمع الملك من بلوقيا ذلك الكلام تعجب منه ثم أن بلوقيا سأل الملك وقال أخبرني أنت الآخر بهذا اللوح وأي شيء مكتوب فيه

وما هذا الأمر الذي أنت فيه وما اسمك فقال له الملك أنا اسمي ميخائيل وأنا موكل بتصـ ريف الليل والنهار وهذا شغلي لي يوم القيامة فلما سمع بلوقيا ذلك الكلام تعجب منه ومن صـ ورة ذلك الملك ومن هيبته وعظم خلقته ثم أن بلوقيا ودع ذلك الملك وسار ليلاً ونهاراً حتى وصل إلى مرج عظيم فتمشي في ذلك المرح فرأى فيه سبعة أنهر ورأى أشجاراً كثيرة فتعجب بلوقيا من ذلك المرج العظيم وسار في جوانبه فرأى فيه شجرة عظيمة وتحت تلك الشـ جرة أربعـ ـة ملائكة فتقدم إليهم بلوقيا ونظر إلى خلقتهم فرأى واحد منهم صورته صورة بني آدم والثـ ـاني صورته صورة وحش والثالث صورته صورة طير والرابع صـ ورته صـ ورة ثـ ور وهـ ـم مشغولون بذكر الله تعالى ويقول كل منهم الهي وسيدي ومولاي بحقك وبجاه نبيك محمد ﷺ أن تغفر لكل مخلوق خلقته على صورتي وتسامحه أنك على كل شيء قدير فلما سمع بلوقيا منهم ذلك الكلام تعجب وسار من عندهم ليلاً ونهاراً حتى وصل إلى جبل قاف فطلع فوقـ ـه فـ ـرأى هناك ملكاً عظيماً وهو جالس يسبح الله تعالى ويقدسه ويصلي على محمد ﷺ ورأى ذلك الملك في قبض وبسط أوطى ونشر فبينما هو في هذا الأمر إذ أقبل عليه بلوقيا وسلم عليه فرد الملك عليه السلام وقال له أي شيء أنت ومن أين أتيت وإلى أين رائح وما اسمك فقال بلوقيا أنا من بني إسرائيل من بني آدم واسمي بلوقيا وأنا سائح في حب محمد ﷺ ولكن نتفي طريقي وحكى له جميع ما جرى له فلما فرغ بلوقيا من حكايته سأل الملك وقال له من أنت وما هذا الجبـ ـل وما هذا الشغل الذي أنت فيه فقال له أعلم يا بلوقيا أن هذا الجبل قاف المحيط بالـ دنيا وكـ ـل أرض خلقها الله في الدنيا قبضتها في يدي فإذا أراد الله تعالى بتلك الأرض شيئاً من زلزلة أو قحط أو خصب أو قتال أو صلح أمرني أن أفعله فافعل وأنا في مكاني واعلم أن يدي قابضة بعروق الأرض وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٧٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك قال لبلوقيا واعلم أن يدي قابضة بعروق الأرض فقال بلوقيا للملك هل خلق الله في جبل قاف أرضاً غير هذه الأرض التي أنت فيها قال المـ ـلك نعم خلق أرضاً بيضاء مثل الفضة وما يعلم قدر اتساعها إلا الله سـ ـبحانه وتعـ ـالى وأسـ ـكنها ملائكة أكلهم وشربهم التسبيح والتقديس والإكثار من الصلاة على محمد ﷺ وفي كل ليلة جمعة يأتون إلى هذا الجبل ويجتمعون ويدعون الله تعالى طول الليل إلى وقت الصباح ويهدون ثواب ذلك التسبيح والتقديس والعبادات للمذنبين من أمة محمد ﷺ ولكل من اغتسل غسـ ـل الجمعـ ـة وهذا حالهم إلى يوم القيامة ثم أن بلوقيا سأل الملك وقال له هل خلق الله جبالاً خلف جبل قاف فقال الملك نعم خلف جبل قاف جبل قدره مسيرة خمسمائة عام وهو من الثلج والبرد وهو الذي حرجتهم عن الدنيا ولولا ذلك الجبل لاحترقت الدنيا من حر نار جهـ ـنم وخلـ ـف جبـ ـل قـ ـاف أربعون أرضاً كل أرض منها قدر الدنيا أربعون مرة منها ما هو من الذهب ومنها ما هو من

الفضة ومنها ما هو من الياقوت ولكل أرض من تلك الأراضي لون وأسـ كن الله فـ ي تلـ ك الأراضي ملائكة لأشغل لهم سوى التسبيح والتقديس والتهليل والتكبير ويدعون الله لأمة محمد ﷺ ولا يعرفون حواء ولا آدم ولا ليلاً ولا نهاراً واعلم يا بلوقيا أن الأراضـ ي سـ بع طبـ اق بعضها فوق بعض وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٧٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك قال لبلوقيا واعلم يـ ا بلوقيـ ا أن الأرض سـ بع طبقات بعضها فوق بعض وخلق الله ملكاً من الملائكة لا يعلم أوصافه ولا قـ دره إلا الله عـ ز وجل وهو حامل السبع أراضي على كاهله وخلق الله تعالى تحت ذلك الملك صخرة وخلق الله تعالى تحت تلك الصخرة نوراً وخلق الله تعالى تحت ذلك النور حوتاً وخلق الله تحـ ت ذلـ ك الحوت بحراً عظيماً وقد أعلم الله تعالى عيسى عليه السلام بذلك الحوت فقال له يارب أرنـ ي ذلك الحوت حتى أنظر إليه فأمر الله تعالى ملكاً من الملائكة أن يأخذ عيسى ويروح بـ ه إلـ ى الحوت حتى ينظره فأتى ذلك الملك إلى عيسى عليه السلام وأخذه وأتى به البحر الـ ذي فيـ ه الحوت وقال له انظر يا عيسى إلى الحوت فنظر عيسى إلى الحوت فلم يره فمر الحوت على عيسى مثل البرق فلما رأى ذلك عيسى وقع مغشياً عليه فلما أفاق أوحى الله إلى عيسى وقـ ال يا عيسى هل رأيت الحوت وهل علمت طوله وعرضه فقال عيسى وعزتك وجلالك يارب ما رأيته ولكن مّر عليّ ثور عظيم قدره مسافة ثلاثة أيام ولم أعرف ما شأن ذلك الثور فقـ ال الله له يا عيسى ذلك الذي مر عليك وقدره مسافة ثلاثة أيام أنما هو رأس الثور واعلم يا عيسـ ى أنني في كل يوم أخلق أربعين حوتاً مثل ذلك الحوت فلما سمع ذلك الكلام تعجب من قدرة الله تعالى ثم أن بلوقيا سأل الملك وقال له أي شيء خلق الله تحت البحر الذي فيه الحوت فقال له الملك خلق الله تحت البحر هواء عظيماً وخلق الله تحت الهواء ناراً وخلق الله تحت النار حية عظيمة اسمها فلق ولولا خوف تلك الحية من الله تعالى لا بتلعت جميع ما فوقها مـ ن الهـ واء والنار والملك وما حمله ولم تحس بذلك الملك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عـ ن الكـ لام المباح.

(وفي ليلة ٤٨٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك قال لبلوقيا في وصف الحية ولولا خوفها من الله تعالى لا بتلعت جميع ما فوقها من الهواء والنار والملك وما حمله ولم تحس بذلك ولما خلـ ق الله تعالى تلك الحية أوحى إليها أني أريد منك أن أودع عندك أمانة فاحفظيها فقالت الحية افعل ما تريد فقال الله لتلك الحية افتحي فاك ففتحت فاهها فأدخل الله جهنم في بطنهـ ا وقـ ال لهـ ا احفظي جهنم إلى يوم القيامة فإذا جاء يوم القيامة يأمر الله ملائكته أن يأتوا ومعهـ م سلاسـ ل يقودون بها جهنم إلى المحضر ويأمر الله تعالى جهنم أن تفتح أبوابها فتفتحها ويطيـ ر منهـ ا

شرر كبار أكبر من الجبال فلما سمع بلوقيا ذلك الكلام من ذلك الملك بكى بكاء شديداً ثم أنه ودع الملك وسار إلى ناحية الغرب حتى أقبل على شخصين فرآهما جالسين وعندهما باب عظيم مقفول فلما قرب منهما رأى أحدهما صورته صورة أسد والآخر صورته صورة ثور فسلم عليهما بلوقيا فردا عليه السلام ثم أنهما سألاه وقالا له أي شيء أنت من أين أتيت على أين رائح فقال لهما بلوقيا أنا من بني آدم وأنا سائح في حب محمد صلى الله عليه وسلم ولكن تهت عن طريقي ثم أن بلوقيا سألهما وقال لهما أي شيء أنتما وما هذا الباب الذي عندكما فقالا له نحن حراس هذا الباب الذي تراه وما لنا شغل سوى التسبيح والتقديس والصلاة على محمد ﷺ فلما سمع بلوقيا هذا الكلام تعجب وقال لهما أي شيء داخل هذا الباب فقالا لا ندري فقالا لهما بحق ربكما الجليل أن تفتحا لي هذا الباب حتى أنظر شيئا داخله فقالا له ما نقدر أن نفتح هذا الباب ولا يقدر على فتحه أحد من المخلوقين إلا الأمين جبريل عليه السلام فلما سمع بلوقيا ذلك تضرع إلى الله تعالى وقال يارب أئتني بالأمين جبريل ليفتح لي هذا الباب حتى أنظر ما داخله فاستجاب الله أمر دعاءه وأمر الأمين جبريل أن ينزل إلى الأرض ويفتح باب مجمع البحرين حتى ينظره بلوقيا فنزل جبريل إلى بلوقيا وسلم عليه وأتى إلى ذلك الباب وفتحه ثم أن جبريل قال لبلوقيا أدخل إلى هذا الباب فإن الله أمرني أن افتحه لك فدخل بلوقيا وسار فيه ثم أن جبريل قفل الباب وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٨١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن بلوقيا لما دخل قفل جبريل الباب وارتفع إلى السماء ورأى بلوقيا داخل الباب بحراً عظيماً نصفه مالح ونصفه حلو وحول ذلك البحر جبلان وهذا الجبلان من الياقوت الأحمر وسار بلوقيا حتى أقبل على هذين الجبلين فرأى فيهما ملائكة مشغولين بالتسبيح والتقديس فلما رآهم بلوقيا سلم عليهم فردوا عليه السلام فسألهم بلوقيا عن البحر. وعن هذين الجبلين فقال له الملائكة أن هذا مكان تحت العرش وأن هذا البحر يمد كل بحر في الدنيا ونحن نقسم هذا الماء ونسوقه إلى الأراضي المالح للأرض المالحة والحلو للأرض الحلوة وهذان الجبلان خلقهما ليحفظا هذا الماء وهذا أمرنا إلى يوم القيامة ثم أنهم سألوه وقالوا له من أين أقبلت وإلى أين رائح فحكى لهم بلوقيا حكايته من الأول إلى الآخر ثم أن بلوقيا سألهم عن الطريق فقالوا له أطلع هنا على ظهر هذا البحر فأخذ بلوقيا من الماء الذي معه ودهن قدميه وودعهم وسار على ظهر البحر ليلاً ونهاراً فبينما هو سائر وإذا هو بشاب مليح سائر على ظهر البحر فأتى إليه وسلم عليه فردّ عليه السلام ثم أن بلوقيا لما فارق الشاب رأى أربعة ملائكة سائرين على وجه البحر وسيرهم منيل البرق الخاطف فتقدم بلوقيا ووقف في طريقهم فلما وصلوا إليه سلم عليهم بلوقيا وقال لهم أريد أن أسألكم بحق العزيز الجليل ما اسمكم ومن أين أنتم وإلى أين تذهبون فقال واحد منهم أنا اسمي جبريل والثاني اسمه اسرافيل

والثالث اسمه ميكائيل والرابع اسمه عزرائيل وقد ظهر في المشرق ثعبان عظيم وذلك الثعبان خرّب ألف مدينة وأكل أهلها وقد أمرنا الله تعالى أن نروح إليه ونمسكه ونرميه فـ ي جهـ نم فتعجب منهم بلوقيا ومن عظمهم وسار على عادته ليلاً ونهاراً حتى وصل إلى جزيرة فطلـ ع عليها وتمشى فيها ساعة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٨٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن بلوقيا طلع إلى الجزيرة وتمشي فيها ساعة فرأى شـ اباً مليحاً والنور يلوح من جهة فلما قرب منه بلوقيا رآه جالساً بين قبرين مبنيـ ين وهـ و ينـ وح ويبكى فأتى إليه وسلّم بلوقيا عليه فردّ عليه السلام ثم أن بلوقيا سأل الشاب وقال له ما شـ أنك وما ا سمك وما هذان القبران المبنيان اللذان أنت جالس بينهما وما هذا البكاء الذي أنت فيـ ه فالتفت الشاب إلى بلوقيا وبكى بكاءً شديد حتى بل ثيابه من دموعه وقال لبلوقيا اعلم يا أخـ ي أن حكايتي عجيبة وقصتي غريبة وأحب أن تجلس عندي حتى تحكي لي ما رأيت في عمرك وما سبب مجيئك إلى هذا المكان وما ا سمك وإلى أين رائح وأحكي لك أنا الآخـ ر بحكـ ايتي فجلس بلوقيا عند الشاب وأخبره بجميع ما وقع له في سياحته من الأول إلى الآخـ ر وأخبـ ره كيف مات والده وخلفه وكيف فتح الخلوة ورأى فيها الصندوق وكيف رأي الكتاب الذي فيـ ه صفة محمد ﷺ وكيف تعلق قلبه به وطلع سائحاً في حبه وأخبره بجميع ما وقع لـ ه إلـ ى أن وصل إليه ثم قال له وهذه حكايتي بتمامها والله أعلم وما أدري بالذي يجري على بعد ذلك فلما سمع الشاب كلامه تنهد وقال له يا مسكين أي شيء رأيت في عمرك اعلم يا بلوقيا أنت رأيت السيد سليمان في زمانه ورأيت شيئاً لا يعد ولا يحصى وحكايتي عجيبة وقصتي غريبة وأريد منك أن تقعد عندي حتى أحكي لك حكايتي وأخبرك بسبب قعودي هنا فلما سمع حاسب هـ ذا الكلام من الحية تعجب وقال يا ملكة الحيات بالله عليك أن تعتقيني وتأمري أحـ د خـ دمك أن يخرجني إلى وجه الأرض وأحلف لك يميناً أنني لا أدخل الحمام طول عمري فقالت أن هـ ذا الأمر لا يكون ولا أصدقك في يمينك فلما سمع منها ذلك الكلام بكى وبكت الحيـ ات جميعـ اً لأجله وصارت تتشفع له عند الملكة وتقول لها نريد منك أن تأمري إحدانا أن يخرجه إلى وجه الأرض ويحلف لك يميناً أنه لا يدخل الحمام طول عمره وكانت ملكة الحيات ا سمها يمليخـ ا فلما سمعت يمليخا منهن ذلك الكلام أقبلت على حاسب وحلفته فحلف لهـ ا ثم أمـ رت حيـ ة أن تخرجه إلى وجه الأرض فأتته وأرادت أن تخرجه فلما أتت تلك الحية لتخرجـ ه قـ ال لملكـ ة الحيات أريد منك أن تحكي لي حكاية الشاب الذي قعد عنده بلوقيا ورآه جالساً بـ ين القبـ رين فقالت اعلم يا حاسب أن بلوقيا جلس عند الشاب وحكى له حكايته من أولها إلى آخرها لأجـ ل

أن يحكي له الآخر قصته ويخبره بما جرى له في عمره ويعرفه بسبب قعوده بـ ين القبـ رين وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٨٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن بلوقيا لما حكى للشاب حكايته قال له الشاب وأي شيء رأيت من العجائب يا مسكين أنا رأيت السيد سليمان في زمانه ورأيت عجائـ ـب لا تعـ ـد ولا تحصى واعلم يا أخي أن أبي كان ملكاً يقال له الملك طيغموس وكان يحكم على بـ ـلاد كابـ ـل وعلى بني شهلان وهم عشرة آلاف بهلوان كل بهلوان منهم يحكم على مائة مدينة ومائة قلعة بأسوارها وكان يحكم على سبعة سلاطين ويحمل له المال من المشرق إلى المغـ ـرب وكـ ـان عادلاً في حكمه وقد أعطاه الله تعالى كل هذا ومنّ عليه بذلك الملك العظيم ولم يكن لـ ـه ولـ ـد وكان مراده في عمره أن يرزقه الله ولداً ذكر ليخلفه. في ملكه بعد موته فـ ـاتفق أنـ ـه طلـ ـب العلماء والمنجمين والحكماء وأرباب المعرفة والتقويم يوماً من الأيام وقال لهم انظروا طالعي وهل يرزقني الله في عمري ولداً ذكرا فيخلفني في ملكي ففتح المنجمون الكتب وحسبوا طالعه وناظره من الكواكب ثم قالوا له اعلم أيها الملك أنك ترزق ولداً ذكرا ولا يكون ذلك الولـ ـد إلا من بنت ملك خرا سان فلما سمع طيغموس ذلك منهم فرح فرحاً شـ ـديداً وأعطـ ـى المنجمـ ـين والحكماء مالا كثيراً لا يعد ولا يحصى وذهبوا إلى حال سبيلهم وكان عند الملـ ـك طيغمـ ـوس وزيراً كبيراً وكان بهلواناً عظيماً مقوماً بألف فارس وكان اسمه عين زار فقال له يـ ـا وزيـ ـر أريد منك أن تتجهز للسفر إلى بلاد خراسان وتخطب بنت الملك بهروان ملك خراسان وحكى الملك طيغموس لوزيره عين زار ما أخبره به المنجمون فلما سمع الوزير ذلك الكـ ـلام مـ ـن الملك طيغموس ذهب من وقته وساعته وتجهز للسفر وأدرك شهرزاد الصباح فسـ ـكتت عـ ـن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٨٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير عين زار قام وتجهز للسفر ثم برز إلى خـ ـارج المدينة بالعساكر والأبطال والجيوش هذا ما كان من أمر الوزير (وأما) ما كان من أمر الملك طيغموس فإنه جهز ألفاً وخمسمائة حمل من الحرير والجواهر واللؤلؤ واليواقيـ ـت والـ ـذهب والفضة والمعادن وجهز شيئاً كثيراً من آلة العرس وحملها على الجمال والبغال وسلمها إلـ ـى وزيره عين زار وكتب له كتاباً مضمونه أما بعد فالسلام على الملك بهران اعلم أننا قد جمعنا المنجمين والحكماء وأ رباب التقاويم فأخبرونا أننا نرزق ولد اذكر أولاً يكون ذلك الولد ألا من بنتك وها أنا جهزت لك الوزير عين زار ومعه أشياء كثيرة من آلة العـ ـرس وأنـ ـي أقمـ ـت وزيري مقامي في هذه المسألة ووكلته في قبول العقد وأريد من فضـ ـلك أن تقضـ ـي للـ ـوزير حاجته فإنها حاجتي ولا تبدي في ذلك إهمالا ولا أمهالاً وما فعلته من الجميل فهو مقبول منك

والحذر من المخالفة في ذلك واعلم يا ملك بهروان أن الله قد منّ عليّ بمملكة كابل وملّكني على بني شهلان وأعطاني ملكاً عظيماً وإذا تزوجت بنتك أكون أنا وأنت في الملك شيئاً واحداً وأرسل إليك في كل سنة ما يكفيك من المال وهذا قصدي منك ثم أن الملك طيغموس ختم الكتاب وناوله لوزيره عين زار وأمره بالسفر إلى بلاد خراسان فسافر الوزير حتى وصل الوزير إلى قرب مدينة الملك بهروان فأعلموه بقدوم وزير الملك طيغموس فلما سمع الملك بهروان بذلك الكلام جهّز أمراء دولته للملاقاة وجهّز معهم أكلاً وشرباً وغير ذلك وأعطاهم عليقاً لأجل الخيل وأمرهم بالمسير إلى ملاقاة الوزير عين زار فحملوا الأحمال وساروا حتى أقبلوا على الوزير وحطوا الأحمال ونزلت الجيوش والعساكر وسلّم بعضهم على بعض ومكثوا في ذلك المكان مدة عشرة أيام وهم في أكل وشرب ثم بعد ذلك ركبوا وتوجهوا إلى المدينة وطلع الملك بهروان إلى مقابلة وزير الملك طيغموس وعانقه وسلم عليه وأخذه وتوجه به إلى القلعة ثم أن الوزير قدّم الأحمال والتحف وجميع الأموال للملك بهروان وأعطاه الكتاب فأخذه الملك بهروان وقرأه وعرف ما فيه وفهم معناه وفرح فرحاً شديداً ورحّب بالوزير وقال له أبشر بما تريد ولو طلب الملك طيغموس روحى لا عطيته إياها وذهب الملك بهروان من وقته إلى بنته وأمها وأقاربها وأعلمهم بذلك الأمر واستشارهم فيه فقالوا له افعل ما شئت وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٨٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك استشار البنت وأمها وأقاربها فقالوا له افعل ما شئت ثم أن الملك بهروان رجع إلى الوزير عين زار وأعلمه بقضاء حاجته ومكث الوزير عند الملك بهروان مدة شهرين ثم بعد ذلك قال الوزير للملك أننا نريد أن تنعم علينا بما أتيناك فيه ونروح إلى بلادنا فقال الملك للوزير سمعاً وطاعة ثم أمر بإقامة العرس وتجهيز الجهاز ففعلوا ما أمرهم به وبعد ذلك أمر بإحضار وزرائه وجميع الأمراء وأكابر دولته فحضروا جميعاً ثم أمر بإحضار الرهبان والقسيس فحضروا وعقدوا عقد البنت للملك طيغموس وهيأ الملك بهروان آلة السفر وأعطى بنته من الهدايا والتحف والمعادن مايكل عنه الوصف وأمر بفرش أزقة المدينة وزينها بأحسن زينة وسافر الوزير عين زار ببنت الملك بهروان إلى بلاده فلما وصل الخبر إلى الملك طيغموس أمر بإقامة الفرح وزينة المدينة ثم أن الملك طيغموس دخل على بنت الملك بهروان وأزال بكارتها فما مضت عليه أيام قلائل حتى علقت منه ولما تمت أشهرها وضعت ولداً ذكراً مثل البدر في ليلة تمامه فلما علم الملك طيغموس أن زوجته وضعت ولداً ذكراً مليحاً فرح فرحاً شديداً وطلب الحكماء والمنجمين وأرباب التقاويم وقال لهم

أريد منكم أن تنظروا طالع هذا المولود وناظره من الكواكب وتخبروني بما يلقاه في عمره فحسب الحكماء والمنجمون طالعه وناظره فرأوا الولد سعيداً ولكنه يحصل له في أول عمره تعب وذلك عند بلوغه خمس عشر سنة فإن عاش بعدها رأى خيراً كثيراً وصار ملكاً عظيماً أعظم من أبيه وعظم سعده وهلك ضده وعاش عيشاً هنيئاً وإن مات فلا سبيل إلى ما فات والله أعلم فلما سمع الملك ذلك الخبر فرح فرحاً شديداً وسمّاه جانشاه وسلّمه للمراضع والدايات وأحسن تربيته فلما بلغ من العمر خمس سنين علّمه أبوه القراءة وصار يقرأ في الإنجيل وعلّمه الحرب والطعن والضرب في أقل من سبع سنين وجعل يركب للصيد والقنص وصار بهلواناً عظيماً كاملاً في جميع آلات الفروسية وصار أبوه كلما سمع بفروسيته في جميع آلآت الحرب يفرح فرحاً شديداً فاتفق في يوم من الأيام أن الملك طيغموس أمر عسكره أن يركبوا للصيد والقنص فطلعت العسكر والجيوش فركب الملك طيغموس هو وأبنه جانشاه وسار وإلى البراري والقفار واشتغلوا بالصيد والقنص إلى عصر اليوم الثالث فشجت لجانشاه غزالة عجيبة اللون وشردت قدامه فلما نظر جانشاه إلى تلك الغزالة وهي شاردة قدامه تبعها وأسرع في الجري وراءها وهي هاربة فانتبذ سبعة مماليك من مماليك طيغموس وذهبوا في أثر جانشاه فلما نظر وإلى سيدهم وهو مسرع وراء تلك الغزالة راحوا مسرعين وراءه وهم على خيل سوابق ومازالوا سائرين حتى وصلوا إلى بحر فتهاجم الجميع على الغزالة ليمسكوها قنصاًففرت منهم الغزالة وألقت نفسها في البحر وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٨٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن جانشاه هو مماليكه لما هجموا على الغزالة يمسكوها قنصاً ففرت منهم ورمت نفسها في البحر وكان في ذلك البحر مركب صياد فنطت فيها الغزالة فغزل جانشاه ومماليكه عن خيلهم إلى المركب وقنصوا الغزالة وأرادوا أن يرجعوا إلى البر وإذا بجانشاه ينظر إلى جزيرة عظيمة فقال للمماليك الذين معه إني أريد أن اذهب إلى هذه الجزيرة فقالوا له سمعاً وطاعة وساروا بالمركب إلى ناحية الجزيرة حتى وصلوا إليها فلما وصلوا إليها طلعوا فيها وساروا يتفرجون عليها ثم بعد ذلك عادوا إلى المركب ونزلوا فيها وساروا والغزالة معهم قاصدين البر الذي أتوا منه فأمسى عليهم المساء وتأهبوا في البحر فهبت عليهم الريح وأجرت المركب في وسط البحر وناموا إلى وقت الصباح ثم انتبهوا وهم لا يعرفون الطريق وهم لم يزالوا سائرين في البحر هذا ما كان من أمرهم (وأما) ما كان من أمر الملك طيغموس والد جانشاه فإنه تفقد ابنه فلم يره فامر العسكر أن يروح كل جماعة منهم إلى طريق فصاروا دائرين يفتشون على ابن الملك طيغموس وذهب جماعة منهم إلى البحر فرأوا المملوك الذي خلوه عند الخيل فأتوه وسألوه عن سيده وعن الستة المماليك فأخبرهم المملوك

بما جرى لهم فأخذوا المملوك والخيل ورجعوا على الملك وأخبروه بذلك الخبر فلما سمع الملك ذلك الكلام بكى بكاءً شديداً ورمى التاج من فوق رأسه وعضّ يديه ندماً وقام من وقته وكتب كتباً وأرسلها إلى الجزائر التي في البحر وجمع مائة مركب وأنزل فيها عساكر وأمرهم أن يدوروا في البحر ويفتشوا على ولده جانشاه ثم أن الملك أخذ بقية العساكر والجيوش ورجع إلى المدينة وصار في نكد شديد ونما علمت والدة جانشاه بذلك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٨٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن والدة جانشاه لما علمت بذلك لطمت على وجهها وأقامت عزاءه هذا ما كان من أمرهم (وأما) ما كان من أمر جانشاه والمماليك الذين معه فإنهم لم يزالوا تائهين في البحر ولم يزل الرواد دائرين يفتشون عليهم في البحر مدة عشرة أيام فما وجدوهم فرجعوا إلى الملك واعلموا بذلك ثم أن جانشاه والمماليك الذين معه هبّ عليهم وريح عاصف وساق المركب التي هم فيها حتى أوصلها إلى جزيرة فطلع جانشاه والستة المماليك من المركب وتمشوا في تلك الجزيرة حتى وصلوا إلى عين ماء جارية في وسط تلك الجزيرة فرأوا رجلاً جالساً علىبعد قريباً من العين فأتوه وسلّموا عليه فردّ عليهم السلام ثم أن الرجل كلمهم بكلام مثل صفيه الطير فلما سمع جانشاه كلام ذلك الرجل تعجب ثم أن الرجل التفت يميناً وشمالاً وبينما هم يتعجبون من ذلك الرجل إذ هو قد انقسم نصفين وراح كل نصف في ناحية وبينما هم كذلك إذ أقبل عليهم أصناف رجال لا تحصى ولا تعد وأتوا من جانب الجبل وساروا حتى وصلوا إلى العين وصار كل واحد منقسماً نصفين ثم إنهم أتوا جانشاه والمماليك ليأكلوهم فلما رآهم جانشاه يريدون أكلهم هرب منهم وهربت معه المماليك فتبعهم هؤلاء الرجال فأكلوا من المماليك ثلاثة وبقي ثلاثة مع جانشاه ثم أن جانشاه نزل في المركب ومعه الثلاثة المماليك ودفعوا المركب إلى وسط البحر وساروا ليلاً ونهاراً وهم لا يعرفون أين تذهب بهم المركب ثم أنهم ذبحوا الغزالة وصاروا يقتاتون منها فضربتهم الرياح فألقتهم إلى جزيرة أخرى فنظروا إلى تلك الجزيرة فرأوا فيها أشجاراً وأنهاراً وأثماراً وبساتين وفيها من جميع الفواكه والأنهار تجري من تحت تلك الأشجار وهي كأنها الجنة فلما رأى جانشاه تلك الجزيرة أعجبته وقال للمماليك من فيكم يطلع هذه الجزيرة وينظر لنا خبرها فقال مملوك منهم أنا أطلع وأكشف لكم عن خبرها وأرجع إليكم فقال جانشاه هذا أمر لا يكون وإنما تطلعون أنتم الثلاثة وتكشفون خبر هذه الجزيرة وأنا قاعد لكم في المركب حتى ترجعوا ثم أن جانشاه أنزل الثلاثة المماليك ليكشفوا عن خبر هذه الجزيرة فطلع الثلاثة إلى الجزيرة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٨٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن المماليك الثلاثة لما طلعوا إلى الجزيرة داروا فيها شرقاً وغرباً فلم يجدوا فيها أحد ثم مشوا فيها إلى وسطها فرأوا على بعد قلعة من الرخام الأبيض وبيوتها من البللور الصافي وفي وسط تلك القلعة بستان فيه جميع الفواكه اليابسة والرطبة ما يكل عنه الوصف وفيه جميع المشموم ورأوا في تلك القلعة أشجاراً وأثماراً وأطياراً تناغي على تلك الأشجار وفيها بحيرة عظيمة وبجانب البحيرة إيوان عظيم وعلى ذلك الأيوان كراسي منصوبة وفي وسط تلك الكراسي تخت منصوب من الذهب الأحمر مرصع بأنواع الجواهر واليواقيت فلما رأى المماليك حسن تلك القلعة وذلك البستان داروا يتفرجون في البستان ويأكلون من تلك الفواكه ولم يزالوا دائرين إلى وقت المسى ولما أمسوا عليهم المسى أتوا إلى الكراسي المنصوبة جلس جانشاه على التخت المنصوب في الوسط وصارت الكراسي منصوبة عن يمينه وشماله ثم أن جانشاه لما جلس على ذلك التخت صار يتفكر ويبكي على فراق تخت والده وعلى فراق بلده وأهله وأقاربه وبكت حوله الثلاثة المماليك فبينما هم في ذلك الأمر وإذا بصيحة عظيمة من جانب البحر فالتفتوا إلى جانب تلك الصيحة فإذا هم قردة كالجراد المنتشر وكانت تلك القلعة والجزيرة للقردة ثم أن هؤلاء القردة لما رأوا المركب التي أتى فيها جانشاه خسفوها على شاطيء البحر وأتوا إلى جانشاه وهو جالس في القلعة قالت ملكة الحيات كل هذا يا حاسب مما يحكيه الشاب الجالس بين القبرين لبلوقيا فقال لها حاسب وما فعل جانشاه مع القردة بعد ذلك قالت له ملكة الحيات لما طلع جانشاه جلس على التخت والمماليك عن يمينه وشماله أقبل عليهم القردة فأفزعوهم وأخافوهم خوفاً عظيماً ثم دخلت جماعة من القردة وتقدموا إلى أن قرّبوا من التخت الجالس عليه جانشاه وقبلوا الأرض بين يديه ووضعوا أيديهم على صدورهم ووقفوا قدامه ساعة وبعد ذلك أقبلت جماعة منهم ومعهم غزلان فذبحوها وأتوا بها إلى القلعة وملخوها وقطعوا لحمها وشووها حتى طابت للأكل وحطوها في صوان من الذهب والفضة ومدّوا السماط وأشاروا إلى جانشاه وجماعته أن يأكلوا فنزل جانشاه من فوق التخت وأكل وأكلت معه القرود والمماليك حتى أكتفوا من الأكل ثم أن القرود رفعوا أسماط الطعام وأتوا بفاكهة فأكلوا منها وحمدوا الله تعالى ثم أن جانشاه أشار إلى أكابر القرود بالإشارة وقال لهم ما شأنكم ولمن هذا المكان فقالوا له القردة بالإشارة اعلم أن هذا المكان كان لسيدنا سليمان بن داود عليهما السلام وكان يأتي إليه في كل سنة مرة يتفرج فيه ويروح من عندنا وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٨٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن جانشاه أخبره القرود عن القلعة وقالوا له أن هذا المكان كان لسيدنا سليمان بن داود وكان يأتي إليه في كل سنة مرة يتفرج فيه ويروح من عندنا ثم قال له القرود اعلم أيها الملك أنك بقيت علينا سلطاناً ونحن في خدمتك وكل واشرب

وكل ما أمرتنا به نفعله ثم قام القرود وقبلوا الأرض بين يديه وانصرف كل واحد منهم إلى حال سبيله ونام جانشاه فوق التخت ونام المماليك حوله على الكراسي إلى وقت الصباح ثم دخل عليه الأربعة وزراء الرؤساء على القرود وعساكرهم حتى امتلأ ذلك المكان وصاروا حوله صفاً بعد صف وأتت الوزراء وأشاروا إلى جانشاه أن يحكم بينهم بالصواب ثم صاح القرود على بعضهم وانصرفوا وبقى منهم جانب قدام الملك جانشاه من أجل الخدمة ثم بعد ذلك أقبل قردة وهم معهم كلاب في صورة الخيل وفي رأس كل كلب منهم سلسلة فتعجب جانشاه من هؤلاء الكلاب ومن عظم خلقتها ثم أن وزراء القرود أشاروا لجانشاه أن يركب ويسير معهم فركب جانشاه والثلاثة مماليك وركب معهم عسكر القرود وصاروا مثل الجراد المنتشر وبعضهم راكب وبعضهم ماش فتعجب من أمورهم ولم يزالوا سائرين إلى شاطيء البحر فلما رأى جانشاه المركب التي كان راكباً فيها قد خسفت التفت إلى وزرائه من القرود وقال لهم أين المركب التي كانت هنا فقالوا له اعلم أيها الملك أنكم لما أتيتم إلى جزيرتنا علمنا بأنك تكون سلطاناً علينا وخفنا أن تهربوا منا إذا أتينا عندكم وتنزلوا المركب فمن أجل ذلك خسفناها فلما سمع جانشاه هذا الكلام التفت إلى المماليك وقال لهم ما بقي لنا حيلة في الرواح من عند هؤلاء القرود ولكن نصبر لما قدر الله تعالى ثم ساروا ومازالوا سائرين حتى وصلوا إلى شاطيء نهر وفي جانب ذلك النهر جبل عال فنظر جانشاه إلى ذلك الجبل فرأى غيلاناً كثيرة فالتفت إلى القرود وقال لهم ما شأن هؤلاء الغيلان فقال له القرود اعلم أيها الملك أن هؤلاء الغيلان أعداءنا ونحن أتينا لنقاتلهم فتعجب جانشاه من هؤلاء الغيلان ومن عظم خلقتهم وهم راكبون على الخيل ورؤوس بعضهم على صورة رؤوس البقر وبعضهم على صورة الجمال فلما رأى الغيلان عسكر القرود هجموا عليهم ووقفوا على شاطيء النهر وصاروا يرجمونهم بشيء من الحجارة في صورة العواميد وحصل بينهم حرب عظيم فلما رأى جانشاه الغيلان غلبوا القرود زعق على المماليك وقال لهم اطلعوا القسى والنشاب وارموا عليهم بالنبال حتى تقتلوهم وتردوهم عنا. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٨٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن جانشاه قال لمماليكه أرموا الغيلان بالنبال وردوهم عنا ففعل المماليك ما أمرهم به جانشاه حتى حصل للغيلان كرب عظيم وقتل منهم خلق كثير وأنهزموا وولوا هاربين فلما رأى القرود من جانشاه هذا الأمر نزلوا في النهر وعدوه وجانشاه معهم وطردوا الغيلان حتى غابوا عن أعينهم وانهزموا وقتل منهم كثير ولم يزل جانشاه والقرود سائرين حتى وصلوا إلى جبل عال فنظر جنشاه إلى ذلك الجبل فوجد فيه لوحاً من المرمر مكتوباً فيه اعلم يا من دخل هذه الأرض أنك تصير سلطاناً على هؤلاء القرود وما يتأتى لك رواح من عندهم إلا أن رحت من الدرب الشرقي بناحية الجبل وطوله ثلاثة أشهر

وأنت سائر بين الوحوش والغيلان والمردة والعفاريت وبعد ذلك تنتهي إلى البحـ ـر المحـ ـيط بالدنيا أو رخت من الدرب الغربي وطوله أربعة أشهر وفي رأسه وادي النمل فإذا وصلت إلى وادي النمل ودخلت فيه فاحترس على نفسك من هذا النمل حتى تنتهي إلى جبل عـ ـال وذلـ ـك الجبل يتوقد مثل النار ومسيره عشرة أيام فلما رأى جانشاه ذلك اللوح وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٩٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن جانشاه لما رأى ذلك اللوح قرأه ورأى فيه ما ذكرنـ ـاه ورأى في آخر الكلام ثم تنتهي إلى نهر عظيم وهو يجري وجريانه يخطف البصر من شـ ـدة عزمه وذلك النهر في كل يوم سبت ييس وبجانبه مدينة أهلها كلهم يهوداً ولدين محمد جحـ ـود ما فيهم مسلم وما في هذه الأرض إلا هذه المدينة ومادمت مقيماً عند القرود هم منصـ ـورون على الغيلان وأعلم أن هذا اللوح كتبه السيد سليمان بن داود عليهما السلام فلما قرأه جانشـ ـاه بكى بكاءً شديداً ثم التفت إلى مماليكه وأعلمهم بما هو مكتوب على اللوح وبعد ذلـ ـك ركـ ـب وركب حوله عساكر القرود وصاروا فرحانين بالنصر على أعدائهم ورجعـ ـوا إلـ ـى قلعـ ـتهم ومكث جانشاه في القلعة سلطاناً على القرود سنة ونصف ثم بعد ذلك أمـ ـر جانشـ ـاه عسـ ـاكر القرود أن يركبوا للصيد والقنص فركبوا وركب معهم جانشاه ومماليكه وساروا في البـ ـراري والقفار ولم يزالوا سائرين من مكان إلى مكان حتى عرف وادي النمل ورأى الإمارة المكتوبة في اللوح المرمر فلما رأى ذلك أمرهم أن ينزلوا في ذلك المكان فنزلوا ونزلت عساكر القرود ومكثوا في أكل وشرب مدة عشرة أيام ثم اختلى جانشاه بمماليكه ليلة من الليالي قال لهم أنـ ـي أريد أن نهرب ونروح إلى وادي النمل ونسير إلى مدينة اليهود لعل الله ينجينـ ـا مـ ـن هـ ـؤلاء القرود ونروح إلى حال سبيلنا فقالوا له سمعاً وطاعة ثم أنه صبر حتى مضى من الليل شـ ـيء قليل وقام وقامت معه المماليك وتسلحوا بأسلحتهم وحزموا أوساطهم بالسيوف والخناجر ومـ ـا أشبه ذلك من آلات الحرب وخرج جانشاه هو ومماليكه وساروا من أول الليل إلى وقت الصبح فلما انتبه القرود من نومهم لم يروا جانشاه ولا مماليكه فعلموا أنهم هربوا منهم فقامت جماعة من القرود وركبوا وساروا ناحية الدرب الشرقي وجماعة ركبوا وساروا إلـ ـى وادي النمـ ـل فبينما القرود سائرون إذ نظروا جانشاه والمماليك معه وهم مقبلون علـ ـى وادي النمـ ـل فلمـ ـا رأوهم أسرعوا وراءهم فلما نظرهم جانشاه هرب وهربت معه المماليك ودخلوا وادي النمـ ـل فما مضت ساعة من الزمان إلا والقرود فقد هجمت عليهم وأرادوا أن يقتلـ ـوا جانشـ ـاه هـ ـو ومماليكه وإذا هم بنمل قد خرج من تحت الأرض مثل الجراد المنتشر كل نملة منه قدر الكلب فلما رأى النمل القرود هجم عليهم وأكل منهم جماعة وقتل من النمل جماعـ ـة كثيـ ـرة ولكـ ـن حصل النصر للنمل وصارت النملة تأتي إلى القرد وتضربه فتقسمه نصفين وصـ ـار العشـ ـرة

قرود يركبون النملة الواحدة ويمسكونها ويقسمونها نصفين ووقع بينهم حرب عظيم إلى وقت المساء ولما أمسى الوقت هرب جانشاه هو والمماليك في بطن الوادي وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٩١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أنه لما أقبل المساء هرب جانشاه هو ومماليكه في بطن الوادي إلى الصباح فلما أصبح الصباح أقبل القرود على جانشاه فلما رآهم زعق على مماليكه وقال لهم اضربوهم بالسيوف فسحب المماليك سيوفهم وجعلوا يضربون القرود يميناً وشمالاً فتقدم قرد عظيم له أنياب مثل أنياب الفيل وأتي إلى واحد من المماليك وضربه فقسمه نصفين وتكاثرت القرود على جانشاه فهرب إلى أسفل الوادي ورأى هناك نهراً عظيماً وبجانبه نمل عظيم فلما رأى النمل جانشاه مقبلاً عليه احتاط وإذا بمملوك ضرب نملة بالسيف فقسمها نصفين فلما رأت عساكر النمل ذلك تكاثروا على المملوك وقتلوه فبينما هم في هذا الأمر وإذا بالقرود قد أقبلوا من فوق الجبل وتكاثروا على جانشاه فلما رأى جانشاه اندفاعهم عليه نزع ثيابه ونزل النهر ونزل معه المملوك الذي بقي وعاماً في الماء إلى وسط النهر ثم أن جانشاه رأى شجرة على شاطيء النهر من الجهة الأخرى فمد يده إلى غصن من أغصانها وتناوله وتعلق به وطلع إلى البر وأما المملوك فإنه غلب عليه التيار فأخذه وقطعه في الجبل وصار جانشاه واقفاً وحده في البر يعصر ثيابه وينشفها في الشمس ووقع بين القرود والنمل قتال عظيم ثم رجع القرود إلى بلادهم هذا ما كان من أمر القرود والنمل وأما ما كان من أمر جانشاه فإنه صار يبكي إلى وقت المساء ثم دخل مغارة واستكن فيها وقد خاف خوفاً شديداً واستوحش فقد مماليكه ثم نام في تلك المغارة إلى الصباح ثم ساروا ولم يزل سائر الليالي وأياماً وهو يأكل من الأعشاب حتى وصل إلى الجبل الذي يتوقد مثل النار فلما أتى إليه سار فيه حتى وصل إلى النهر الذي ينشف كل يوم سبت فلما وصل إلى النهر رآه نهراً عظيماً وبجانبه مدينة عظيمة وهي مدينة اليهود التي رآها مكتوبة في اللوح فأقام هناك إلى أن أتى يوم السبت ونشف النهر ثم مشى من النهر حتى وصل إلى مدينة اليهود فلم يرقبها أحد فمشى فيها حتى وصل إلى باب بيت ففتحه ودخله فرأى أهله ساكتين لا يتكلمون أبداً فقال لهم إني رجل غريب جائع فقالوا له بالإشارة كل واشرب ولا تتكلم فقعد عندهم وأكل وشرب ونام تلك الليلة فلما أصبح الصباح سلم عليه صاحب البيت ورحب به وقال له من أين أتيت وإلى أين رائح فلما سمع جانشاه كلام ذلك اليهودي بكى بكاءً شديداً وحكي له قصته وأخبره بمدينة أبيه فتعجب اليهودي من ذلك وقال له ما سمعنا بهذه المدينة قط غير أننا كنا نسمع من قوافل التجار أن هناك بلاداً تسمى بلاد اليمن فقال جانشاه لليهودي هذه البلاد التي تخبر بها التجار كم تبعد عن هذا المكان فقال له اليهودي أن تجار تلك القوافل يزعمون أن مدة سفرهم من

بلادهم إلى هنا سنتان وثلاثة أشهر فقال جانشاه لليهودي ومتى تأتي القافلة فقال له تأتي فـ ي السنة القابلة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٩٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن جانشاه لما سأل اليهودي عن مجيء القافلة قال له تأتي في السنة القابلة فلما سمع جانشاه كلامه بكى بكاء شديداً و حزن على نفسه وعلـ ى مماليكـ ه وعلى فراق أمه وأبيه وعلى ما جرى له في سفره فقال له اليهودي لا تبك ياشاب واقعد عندنا حتى تأتي القافلة ونحن نرسلك معها إلى بلادك فلما سمع جانشاه ذلك الكلام قعد عند اليهودي مدة شهرين وصار في كل يوم يخرج إلى أزقة المدينة ويتفرج فيها فاتفق أنـ ه خـ رج علـ ى عادته يوماً من الأيام ودار في شوارع المدينة يميناً وشمالاً فسمع رجلاً ينادي ويقول من يأخذ ألف دينار وجارية حسناء بديعة الحسن والجمال ويعمل لي شغلاً من وقت الصبح إلى الظهر فلم يجبه أحد فلما سمع جانشاه كلام المنادي قال في نفسه لولا أن هذا الشغل خطر مـ ا كـ ان صاحبه يعطي ألف دينار وجارية حسناء في شغل من الصبح إلى الظهر ثم أن جانشاه تمشـ ي إلى المنادي وقال له أنا أعمل هذا الشغل فلما سمع المنادي من جانشاه هذا الكلام أخذه وأتـ ى به إلى بيت التاجر فدخل هو وجانشاه ذلك البيت فوجده بيتاً عظيماً ووجد هناك رجلاً يهوديـ اً تاجراً جالساً على كرسي من الأبنوس فوقف المنادي قدامه وقال له أيها التاجر إن لي ثلاثـ ة شهور وأنا أنادي في المدينة فلم يجبني أحد إلا هذا الشاب فلما سمع التاجر كلام المنادي رحب بجانشاه وأخذه ودخل به إلى مكان نفيس وأشار إلى عبيده أن يأتوا له بالطعام فمدوا له السماط وأتوا بأنواع الأطعمة فأكل التاجر وجانشاه وغسلا أيديهما وأتوا بالمشـ روب فشـ ربا ثـ م أن التاجر قام وأتى لجانشاه بكيس فيه ألف دينار وأتى له بجارية بديعة الحسن والجمال وقال لـ ه خذ هذه الجارية وهذا المال في الشغل الذي تعمله فأخذ جانشاه الجارية والمال وأجلس الجارية بجانبه وقال له التاجر في غد أعمل لنا الشغل ثم ذهب التاجر من عنده ونـ ام جانشـ اه هـ و والجارية في تلك الليلة ولما أصبح الصباح راح إلى الحمّام فأمر التاجر عبيدة أن يـ أتوا لـ ه ببدلة من الحرير فأتوا له ببدلة نفيسة من الحرير وصبروا حتى خرج من الحمـ ام وألبسـ وه البدلة وأتوا به إلى البيت فأمر التاجر عبيده أن يأتوا بالجنك والعود والمشروب فـ أتوا إليهمـ ا بذلك فشربا ولعبا وضحكا إلى أن مضى من الليل نصفه وبعد ذلك ذهب التاجر إلـ ى حريمـ ه ونام جانشاه مع الجارية إلى وقت الصباح ثم راح إلى الحمام فلما رجع من الحمّام جاء إليـ ه التاجر وقال أني أريد أن تعمل لنا الشغل فقال جانشاه سمعاً وطاعة فأمر التاجر عبيده أن يأتوا ببغلتين فأتوا ببغلتين فركب بغلة وأمر جانشاه أن يركب البغلة الثانية فركبها ثـ م أن جانشـ اه والتاجر سارا من وقت الصباح إلى وقت الظهر حتى وصلا إلى جبل عال ماله حد في العلـ و فنزل التاجر من فوق ظهر البغلة وأمر جانشاه أن ينزل فنزل جانشاه ثـ م أن التـ اجر نـ اول

جانشاه سكيناً وحبلاً وقال له أريد منك أن تذبح هذه البغلة فشمّر جانشاه ثيابه وأتى إلى البغلة ووضع الحبل في أربعتها ورماها على الأرض وأخذ السكين وذبحها وسلخها وقطع أربعتها ورأسها وصارت كوم لحم فقال له التاجر أمرتك أن تشق بطنها وتدخل فيه وأخيط عليك وتقعد هناك ساعة من الزمان ومهما تراه في بطنها فأخبرني به فشق جانشاه بطن البغلة ودخله وخيطها عليه التاجر ثم تركه وبعد عنه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٩٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن التاجر لما خيط بطن البغلة على جانشاه وتركه وبعد عنه واستخفى في ذيل الجبل وبعد ساعة نزل على البغلة طائر عظيم فاختطفها وطار ثم حطّ بها على أعلى الجبل وأراد أن يأكلها فأحس جانشاه بالطائر فشق بطن البغلة وخرج منها فجفل الطائر لما رأى جانشاه وطار وراح إلى حال سبيله فقام جانشاه على قدميه وصار ينظر يميناً وشمالاً فلم ير أحد إلا رجالاً ميتة يابسة من الشمس فلما رأى ذلك قال في نفسه لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ثم أنه نظر إلى أسفل الجبل فرأى التاجر واقفاً تحت الجبل ينظر إلى جانشاه فلما رآه قال له أرم لي من الحجارة نحو مائتي حجر وكانت تلك الحجارة من الياقوت والزبرجد والجواهر الثمينة ثم أن جانشاه قال للتاجر دلني على الطريق وأنا أرمي لك مرة أخرى فلمّ التاجر تلك الحجارة وحملها على البغلة التي كان راكبها وسار ولم يرد له جواباً وبقي جانشاه فوق الجبل وحده فصار يستغيث ويبكي ثم مكث فوق الجبل ثلاثة أيام فقام وسار في عرض الجبل مدة شهرين وهو يأكل من أعشاب الجبل ومازال سائراً حتى وصل في سيره إلى طرف الجبل فلما وصل إلى الجبل رأى وادياً على بعد وفيه أشجار وأثمار وأطيار تسبح الله الواحد القهار فلما رأى جانشاه ذلك الوادي فرح فرحاً شديداً فقصده ولم يزل ماشياً ساعة من الزمان حتى وصل إلى شرم في الجبل ينزل منه السيل فنزل منه وسار حتى وصل إلى الوادي الذي رآه وهو على الجبل فنزل الوادي وصار يتفرج فيه يميناً وشمالاً ومازال يمشي ويتفرج حتى وصل إلى قصر عال شاهق في الهواء فتقرب جانشاه من ذلك القصر حتى وصل إلى بابه فرأى شيخاً مليح الهيئة يلمع النور من وجهه وبيده عكاز من الياقوت وهو واقف على باب القصر فتمشى جانشاه حتى قرب منه وسلم عليه فرد عليه السلام ورحب به وقال له اجلس يا ولدي فجلس جانشاه على باب ذلك القصر ثم أن الشيخ سأله وقال له من أين أتيت إلى هذه الأرض وأين آدم ما داسها قط وإلى أين رائح فلما سمع جانشاه كلام الشيخ بكى بكاء شديداً من كثرة ما قاساه وخنقه البكاء فقال له الشيخ يا ولدي أترك البكاء فقد أوجعت قلبي ثم قام الشيخ وأتى له بشيء من الأكل وحطه قدامه وقال له كل من هذا فأكل جانشاه حتى اكتفى وحمد الله تعالى ثم أن الشيخ بعد ذلك سأل جانشاه وقال له يا ولدي أريد منك أن تحكي لي حكايتك وتخبرني بما جرى لك فحكى له حكايته وأخبره بجميع ما جرى له من أول

الأمر إلى أن وصل إليه فلما سمع كلامه تعجب منه عجباً شديداً فقال جانشاه للشيخ أريد منك أن تخبرني بصاحب هذا الوادي ولمن هذا القصر العظيم فقال الشيخ لجانشاه اعلم يا ولدي أن هذا الوادي وما فيه وذلك القصر وما حواه للسيد سليمان بن داود عليهما السلام وأنا أسمى الشيخ نصر ملك الطيور واعلم أن السيد سليمان وكلمني بهذا القصر وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٩٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشيخ نصر ملك الطيور قال لجانشاه واعلم أن السيد سليمان وكلني بهذا القصر وعلمني منطق الطير وجعلني حاكماً على جميع الطير الذي في الدنيا وفي كل سنة يأتي الطير إلى هذا القصر وينظره ويروح وهذا سبب قعودي في هذا المكان فلما سمع جانشاه كلام الشيخ نصر بكى بكاء شديداً وقال له يا والدي كيف يكون حيلتي حتى أروح إلى بلادي فقال له الشيخ اعلم يا ولدي أنك بالقرب من جبل قاف وليس لك رواح من هذا المكان إلا إذا أتت الطيور وأوصي عليك واحداً منها فيوصلك إلى بلادك فاقعد عندي في هذا المكان وكل واشرب وتفرج في هذه المقاصير حتى تأتي الطيور فقعد جانشاه عند الشيخ نصر وصار يدور في الوادي ويأكل من تلك الفواكه ويتفرج ويضحك ويلعب ولم يزل مقيماً في ألذ عيش مدة من الزمان حتى قرب مجيء الطيور من أماكنها لزيارة الشيخ نصر فلما علم الشيخ نصر بمجيء الطيور قام على قدميه وقال لجانشاه يا جانشاه خذ هذه المفاتيح وافتح المقاصير التي في هذا القصر وتفرج على ما فيها إلا المقصورة الفلانية فأحذر أن تفتحها ومتى خالفتني وفتحتها ودخلتها لا يحصل لك خير أبداً ووصى جانشاه بهذه الوصية وأكد عليه فيها وسار من عنده لملاقاة الطيور فلما نظرت الطيور للشيخ نصر أقبلت عليه وقبلت يديه جنساً بعد جنس هذا ما كان من أمر الشيخ نصر (وأما) ما كان من أمر جانشاه فإنه قام على قدميه وصار سائرا يتفرج على القصر يميناً وشمالاً وفتح جميع المقاصير التي في القصر حتى وصل إلى المقصورة التي حذره الشيخ نصر من فتحها فنظر إلى باب تلك المقصورة فأعجبه ورأى عليه قفلاً من الذهب فقال في نفسه أن هذه المقصورة أحسن من جميع المقاصير التي في القصر يا ترى ما يكون في هذه المقصورة حتى منعني الشيخ نصر من الدخول فيها فلا بد من أن أدخل هذه المقصورة وانظر الذي فيها وما كان مقدراً على العبد وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٩٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن جانشاه قال وما كان مقدراً على العبد لابد أن يستوفيه ثم مد يده وفتح المقصورة ودخلها فرأى فيها بحيرة عظيمة وبجانب البحيرة قصر صغير وهو مبنى من الذهب والفضة والبلور وشبابيكه من الياقوت ورخامه من الزبرجد الأخضر

والبلخش والزمرد والجواهر مرصعة في الأرض على هيئة الرخام وفي وسط ذلـ ك القصـ ر فسقية من الذهب ملآنة بالماء وحول تلك الفسقية وحوش وطيور مصنوعة من الذهب والفضة يخرج من بطونها الماء وإذا هب النسيم يدخل في آذانها فتصفر كل صورة بلغتهـ ا وبجانـ ب الفسقيةإيوان عظيم وعليه تخت عظيم من الياقوت مرصع بالدر والجواهر وعلى ذلك التخـ ت خيمة منصوبة من الحرير الأخضر مزركشة بالفصوص والمعادن الفاخرة ومقـ دار سـ عتها خمسون ذراعاً وداخل تلك الخيمة مخدع فيه البساط الذي كان للسيد سليمان عليه السلام ورأى جانشاه حول ذلك القصر بستاناً عظيماً وفيه أشجار وأثمار وأنهار وفي دائر القصر مـ زارع من الورد والريحان والنسرين ومن كل مشموم وإذا هبت الرياح على الأشجار تمايلـ ت تلـ ك الأغصان ورأى جانشاه في ذلك البستان من جميع الأشجار رطباً ويابساً وكل ذلك فـ ي تلـ ك المقصورة فلما رأى جانشاه هذا الأمر تعجب منه غاية العجب وصار يتفرج في ذلك البسـ تان وفي ذلك القصر على ما فيهما من العجائب والغرائب ونظر إلى البحيرة فرأى حصاها مـ ن الفصوص النفيسة والجواهر الثمينة والمعادن الفاخرة ورأى في تلك المقصورة شـ يئاً كثيـ راً وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٩٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن جانشاه رأى في تلك المقصورة شيئاً كثيراً فتعجب منه ثم تمشى حتى دخل القصر الذي في تلك المقصورة وطلع على التخت المنصوب على الإيوان بجانب الفسقية ودخل الخيمة المنصوبة فوقه ونام في تلك الخيمة مدة من الزمان ثم أفاق وقام يتمشى حتى خرج من باب القصر وجلس على كرسي قدام باب القصر وهو يتعجب من حسن ذلك المكان فبينما هو جالس إذ أقبل عليه من الجو ثلاثة طيور في صفة الحمام ثم أن الطيور حطوا بجانب البحيرة ولعبوا ساعة وبعد ذلك نزعوا ما عليهم من الريش فصاروا ثلاث بنات كأنهن الأقمار ليس لهن في الدنيا شبيه ثم نزلن البحيرة وسبحن فيها ولعـ بن وضـ حكن فلمـ ا رآهن جانشاه تعجب من حسنهن وجمالهن واعتدال قدودهن ثم طلعن إلى البر ودرن يتفـ رجن في البستان فلما رآهن جانشاه طلعن إلى البر كاد عقله أن يذهب وقام على قدميه وتمشي حتى وصل إليهن فلما قرب منهن سلم عليهن فرددن عليه السلام ثم أنه سألهن وقال لهن من أنـ تن أيتها السيدات الفاخرات ومن أين أقبلتن فقالت له الصغيرة نحن أتينا من ملكـ وت الله تعـ الى لنتفرج في هذا المكان فتعجب من حسنهن ثم قال للصغيرة أرحميني وتعطفي علـ ى وارثـ ي لحالي وما جرى لي في عمري فقالت له دع عنك هذا الكلام واذهب إلى حال سبيلك فلما سمع منها هذا الكلام بكى بكاء شديداً واشتدت به الزفرات وأنشد هذه الأبيات.

بدت لي في البستان بالحلل الخضر　　مفكك ـة الأزرز محلول ـة الشـ ـعر

فقلت لها ما الاسم قالت أنا التـ ـي　　كويت قلوب العاشقين على الجمـ ـر

شكوت إليها ما ألاقي من اله وى	فقالت إلى صخر شكوت ول م ت در
فقلت لها أن ك ان قلب ك صـ خر	قد أنبع الله الـ زلال مـ ن الصـ خر

فلما سمع البنات هذا الشعر من جانشاه ضحكن ولعبن وغنين وطربن ثـ م أن جانشـ اه أتىإليهن بشيء من الفواكه فأكلن وشربن ونمن مع جانشاه تلك الليلة إلى الصباح فلما أصـ بح الصباح لبست البنات ثيابهن الريش وصرن في هيئة الحمام وطرن ذاهبات إلى حال سـ بيلهن فلما رآهن جانشاه طائرات وقدغبن عن عيونه كاد عقله أن يطير معهن وزعق زعقة عظيمة ووقع مغشياً عليه ومكث في غشيته طول ذلك اليوم فبينما هو طريح على الأرض وإذا بالشيخ نصر قد أتى من ملاقاة الطيور وفتش على جانشاه ليرسله مع الطيور ويروح إلى بلاده فلـ م يره فعلم الشيخ نصر أنه دخل المقصورة وقد كان الشيخ نصر قال للطيور أن عنـ دي ولـ داً صغيراً جاءت به المقادير من بلاد بعيدة إلى هذه الأرض وأريد منكم أن تحملوه وتوصلوه إلى بلاده فقالوا له سمعاً وطاعة ولم يزل الشيخ نصر يفتش على جانشاه حتـ ى أتـ ى إلـ ى بـ اب المقصورة التي نهاه عن فتحها فوجده مفتوحاً فدخل فرأى جانشاه مرمياً تحت شـ جرة وهـ و مغشي عليه فأتاه بشيء من المياه العطرية ورشه على وجهه فأفاق من غشيته وصار يلتفـ ت وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٩٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشيخ نصر لما رأى جانشاه مرمياً تحت شجرة أتـ اه بشيء من المياه العطرية ورشه على وجهه فأفاق من غشيته وصار يلتفت يميناً وشمالاً فلم ير عنده أحداً سوى الشيخ نصر فزادت به الحسرات وأنشد هذه الأبيات.

تبدت كبدر التم فـ ي ليلـ ة السـ عد	منعمـ ة الأطـ راف ممشـ وقة القـ د
لها مقله تسبى العقـ ول بسـ حرها	وثغر حكى الياقوت في حمرة الورد
تحدر فوق الردف أسـ ود شـ عرها	فإياك إيـ اك الحبـ اب مـ ن السـ عد
لقد وفت الأعطاف منهـ ا وقلبهـ ا	على صبها أقسى من الحجر الصـ لد
وترسل سهم اللحـ ظ مـ ن قـ وس	يصيب ولم يخطيء ولو كان من بعد
حاجـ . . . . بـ	وليس لها بـ ين البريـ ة مـ ن نـ د
فيا حسنها قد فـ اق كـ ل ملاحـ ة	

فلما سمع الشيخ نصر من جانشاه هذه الأشعار قال له يا ولدي أما قلت لك لا تفتح هـ ذه المقصورة ولا تدخلها ولكن أخبرني يا ولدي بما رأيت فيها واحك لي حكايتك وعرفنـ ي مـ ا جري لك فحكي له جانشاه حكايته وأخبره بما جرى له مع الثلاث بنات وهو جالس فلما سـ مع

الشيخ نصر كلامه قال له يا ولدي إن هذه البنات من بنات الجان وفي كل سنة يأ تين إلى هذا المكان فيلعبن وينشرحن إلى وقت العصر ثم يذهبن إلى بلادهن فقال له جانشاه وأين بلادهن فقال له الشيخ نصر والله يا ولدي ما أعلم أين بلادهن ثم أن الشيخ نصر قال له قم معي وقو نفسك حتى أرسلك إلى بلادك مع الطيور وخل عنك هذا العشق فلما سمع جانشاه كلام الشيخ نصر صرخ صرخة عظيمة ووقع مغشياً عليه فلما أفاق قال له يا والدي أنا لا أريد الرواح إلى بلادي حتى اجتمع بهؤلاء للبنات واعلم يا والدي أني ما بقيت أذكر أهلي ولو أموت بين يديك ثم بكى وقال أنا رضيت بأن أنظر وجنه من عشقتها ولو في السنة مرة واحدة ثم صعد الزفرات وأنشد هذه الأبيات:

ليت الخيال على الأحباب ما طرقا	وليت هذا الهوى للناس ما خلقا
لولا حرارة قلبي من تذكركم	ما سال دمعي على خدي ولا اندفقا
أصبر القلب في يومي وليلته	وصار جسمي بنار الحب محترقا

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٩٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن جانشاه لما فرغ من شعره وقع على رجلي الشيخ نصر وقبلهما وبكى بكاء شديداً وقال له ارحمني يرحمك الله واعني على بلوتي يعينك الله فقال له الشيخ نصر يا ولدي والله لا أعرف هؤلاء البنات ولا أدري أين بلادهن ولكن يا ولدي حيث تولعت بإحداهن فاقعد عندي إلى مثل هذا العام لأنهن يأتين في السنة القابلة في مثل هذا اليوم فإذا قربت الأيام التي يأتين فيها فكن في البستان تحت شجرة حين ينزلن البحيرة ويسبحن فيها ويلعبن ويبعدن عن ثيابهن فخذ ثياب التي تريدها منهن فإذا نظرتك يطلعن على البر ليلبسن ثيابهن وتقول لك التي أخذت ثيابها بعذوبة كلام وحسن ابتسام أعطني ثيابي يا أخي حتى البسها واستتر بها ومتى قبلت كلامها وأعطيتها ثيابها فإنك لا تبلغ مرادك منها أبداً بل تلبس ثيابها وتروح إلى أهلها ولا تنظرها بعد ذلك أبداً فإذا ظفرت بثيابها فأحفظها وحطها تحت إبطك ولا تعطها أياها حتى أرجع من ملاقاة الطيور وأوفق بينك وبينها وأرسلك إلى بلادك وهي معك وهذا الذي أقدر عليه يا ولدي لاغير. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٤٩٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشيخ نصر قال لجانشاه احفظ ثياب التي تريدها ولا تعطها إياها حتى أرجع من ملاقاة الطيور وأوفق بينك وبينها وأرسلك إلى بلادك وهي معك

وهذا الذي أقدر عليه يا ولدي لا غير فلما سمع جانشاه كلام الشيخ نصر اطمأن قلب ه وقع د عنده إلى ثاني عام وصار يعد الماضي من الأيام التي تأتي الطيور عقبها فلم ا ج اء ميع اد مجيء الطيور أتى الشيخ نصر إلى جانشاه وقال له اعمل بالوصية التي أوصيتك بها من أمر ثياب البنات فإنني ذاهب إلى ملاقاة الطيور فقال جانشاه سمعاً وطاعة لامرك يا وال دي ث م ذهب الشيخ نصر إلى ملاقاة الطيور وبعددها به قام جانشاه وتمشي حتى دخل البستان واختفى تحت شجرة بحيث لا يراه أحد وقعد أول يوم وثاني يوم وثالث يوم فلم تأت إليه البنات فقل ق وصار في بكاء وانين ناشيء عن قلب حزين ولم يزل يبكي حتى اغمى عليه ثم بع د س اعة أفاق وجعل ينظر تارة إلى السماء وتارة ينظر إل الأرض وتارة ينظر إلى البحيرة وتارة ينظر إلى البر وقلبه يرتجف من شدة العشق فبينما هو على هذه الحالة إذا قبل عليه من الجو ث لاث طيور وفي صفة الحمام ولكن كل حمامة قدر النمر ثم أنهن نزلن بجانب البحيرة وتلفتن يمين اً وشمالاً فلم يرين أحداً من الأنس ولا من الجن فنزعن ثيابهن ونزلن البحيرة وص رن يلع بن ويضحكن وينشرحن وهن كسبائك الفضة ثم أن الكبيرة فيهن قالت لهن أخشى يا أخ واتي أن يكون أحد مختفياً لنا في هذا القصر فقالت الوسطى منهن يا أختي أن هذا القصر م ن عه د سليمان ما دخله أنس ولا جان فقالت الصغيرة منهن وهي تضحك والله يا أخواتي إن كان أحد مختفياً في هذا المكان فإنه لا يأخذ إلا أنائم أنهن لعبن وضحكن وقلب جانشاه يرتجف من فرط الغرام وهو مختف تحت الشجرة ينظرهن وهن لا ينظرونه ثم أنهن سبحن في الم اء حت ى وصلن إلى وسط البحيرة وبعدن عن ثيابهن فقام جانشاه على قدميه وه و يج ري ك البرق الخاطف وأخذ ثياب البنت الصغيرة وهي التي تعلق قلبه بها وكان اسمها شمسة فلما التفت ت رأت جانشاه فارتجف قلوبهن واستترن منه بالماء وأتين إلى قرب البر ثم نظرن إل ى وج ه جانشاه فرأينه كأنه البدر في ليلة تمامه فقلن له من أنت وكيف أتيت إلى هذا المكان وأخ ذت ثياب السيدة شمسة فقال لهن تعالين عندي حتى أحكي لك حكايتي وأخبرك بم ا ج رى ل ي وأعلمك بسبب معرفتي بك فقالت له يا سيدي وقرة عيني وثمرة فؤادي أعطني ثي ابي حت ى البسها وأستتر بها وأطلع عندك فقالي لها جانشاه ياسيدة الملاح ما يمكن أني أعطي ك ثياب ك وأقتل نفسي من الغرام فلا أعطيك ثيابك إلا إذا أني الشيخ نصر ملك الطي ور فلم ا س معت السيدة شمسه كلام جانشاه قالت له إن كنت لا تعطيني ثيابي فتأخر عنا قل يلاً حت ى يطل ع أخواتي إلى البر ويلبسن ثيابهن ويعطينني شيئاً أستتر به فقال لها جانشاه سمعاً وطاع ة ث م تمشي من عندهن إلى القصر ودخله فطلعت السيدة شمسة هي وأخواتها إلى البر ولبسن ثيابهن ثم أن أخت السيدة شمسة الكبيرة أعطتها ثياباً من ثيابهن لا يمكنها الطيران به والبستها إياه ثم قامت السيدة شمسة وهي كالبدر الطالع والغزال الراتع وتمشت حتى وصلت إلى جانشاه فرأته جالساً فوق التخت فسلمت عليه وجلست قريباً منه وقالت له يا مليح الوجه أنت ال ذي قتلتن ي

وقتلت نفسك ولكن أخبرنا بما جرى لك حتى ننظر ما خبرك فلما سمع جانشاه كـلام السـيدة شمسة بكى حتى بل ثيابه من دموعه فلما علمت أنه مغرم بحبها قامت على قدميها وأخذته من يديه وأجلسته بجانبها ومسحت دموعه بكمها وقالت له يا مليح الوجه دع عنك هذا البكاء واحك لي ما جرى لك فحكى لها ما جرى له وأخبرها بما رآه. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٠٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن السيدة شمسة قالت لجانشاه أحك لي ما جرى لك فحكى لها جميع ما جرى له فلما سمعت السيدة شمسة منه هذا الكلام تنهدت وقالت لـه ياسـيدي إذا كنت مغرماً بي فأعطني ثيابي حتى ألبسها وأروح أنا وإخواتي إلى أهلي وأعلمهم بما جـرى لك في محبتي ثم أرجع إليك وأحملك إلى بلادك فلما سمع جانشاه منها هذا الكلام بكى بكـاء شديداً وقال لها أيحل لك من الله أن تقتليني ظلماً فقالت له يا سيدي بأي سبب أقتلك ظلماً فقال لأنك متي لبست ثيابك ورحت من عندي فإني أموت من وقتي فلما سمعت السيدة شمسة كلامه ضحكت وضحك أخواتها ثم قالت له طب نفساً وقر عيناً فلابد أن أتزوج بـك ومالـت عليـه وعانقته وضمته إلى صدرها وقبلته بين عينيه وفي خده وتعانقت هي وأياه ساعة من الزمـان ثم أفترقا وجلسا فوق ذلك التخت فقامت أختها الكبيرة وخرجت من القصر إلى البستان فأخذت شيئاً من الفواكه والمشموم وأتت به إليهم فأكلوا وشربوا وتلذذوا وطربوا وضـحكوا ولعبـوا وكان جانشاه بديع الحسن والجمال رشيق القد والاعتدال فقالت له السيدة شمسة يا حبيبي والله أنا أحبك محبة عظيمة وما بقيت أفارقك أبداً فلما سمع جانشاه كلامها انشرح صدره وضـحك سنه واستمروا يضحكون ويلعبون فبينما هم في حظ وسرور وإذا بالشيخ نصر قد أتـى مـن ملاقاة الطيور فلما أقبل عليهم نهض الجميع إليه قائمين على أقدامهم وسلموا عليه وقبلوا يديه فرحب بهم الشيخ نصر وقال لهم اجلسوا فجلسوا ثم أن الشيخ نصر قال للسيدة شمسة أن هـذا الشاب يحبك محبة عظيمة فبالله عليك أن نتوصى به فإنه من أكابر الناس ومن أبناء الملـوك وأبوه يحكم على بلاد كابل وقد حوى ملكاً عظيماً فلما سمعت السيدة شمسة كلام الشيخ نصـر قالت له سمعاً وطاعة لأمرك ثم أنها قبلت يدي الشيخ نصر ووقفت قدامه فقال لها الشيخ نصر إن كنت صادقة في قولك فاحلفي لي بالله أنك لا تخونينه مادمت على قيد الحياة فحلفت يمينـاً عظيماً أنها لا تخونه أبداً ولابد أن تتزوج به وبعد أن حلفت قالت اعلم يا شيخ نصر أنـي لا أفارقه أبداً فلما حلفت السيدة شمسة للشيخ نصر صدق يمينها وقال لجانشاه الحمد لله الذي وفق بينك وبينها ففرح جانشاه بذلك فرحاً شديداً ثم قعد جانشاه هو والسيدة شمسة عند الشيخ نصر مدة ثلاثة أشهر في أكل وشرب ولعب وضحك. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكـلام المباح.

(وفي ليلة ٥٠١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن جانشاه هو والسيدة شمسة قعدا عند الشيخ نصر ثلاثة أشهر في أكل وشرب ولعب وحظ عظيم وبعد الثلاثة أشهر قالت السيدة شمسة لجانشاه أني أريد أن أروح إلى بلادك وتتزوج بي ونقيم فيها فقال لها سمعاً وطاعة ثم أن جانشاه شاور الشيخ نصر وقال له أننا نريد أن نروح إلى بلادي وأخبره بما قالته السيدة شمسة فقال لهما الشيخ نصر اذهبا إلى بلادك وتوص بها فقال جانشاه سمعاً وطاعة ثم أنها طلبت ثوبها وقالت يا شيخ نصر مره أن يعطيني ثوبي حتى ألبسه فقال له يا جانشاه أعطها ثوبها فقال سمعاً وطاعة ثم قام بسرعة ودخل القصر وأتى بثوبها وأعطاه لها فأخذته منه ولبسته وقالت لجانشاه اركب فوق ظهري وغمض عينيك وسد أذنيك حتى لا تسمع دوي الفلك الدوار وأمسك في ثوبي الريش وأنت على ظهري بيديك وأحترس على نفسك من الوقوع لما سمع جانشاه كلامها ركب على ظهرها ولما أرادت الطيران قال لها الشيخ نصر قفي حتى أصف لك بلاد كابل خوفاً عليكما أن تغلطا في الطريق فوقفت حتى وصف لها البلاد وأوصاها بجانشاه ثم ودعهما وودعت السيدة شمسة أختيها وقالت لهما وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٠٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن شمسة قالت لأختيها روحاً إلى أهلكما أعلماهم بما جرى لي مع جانشاه ثم أنها طارت من وقتها وساعتها وسارت في الجو مثل هبوب الريح والبرق اللامع وبعد ذلك طار أختاها وذهبا إلى أهلهما وأعلماهم بما جرى للسيدة شمسة مع جانشاه ومن حين طارت السيدة شمسة لم تزل طائرة من وقت الضحى إلى وقت العصر وجانشاه راكب على ظهرها وفي وقت العصر لاح لهما على بعد واد ذو أشجار وأنهار فقالت لجانشاه قصدي أن ننزل في هذا الوادي لنتفرج على ما فيه من الأشجار والنباتات هذه الليلة فقال لها جانشاه افعلي ما تريدين فنزلت من الجو وحطت في ذلك الوادي ونزل جانشاه من فوق ظهرها وقبلها بين عينيها ثم جلسا بجانب نهر ساعة من الزمان وبعد ذلك قاما على قدميهما وصارا دائرين في الوادي يتفرجان على ما فيه ويأكلون من تلك الأثمار ولم يزالا يتفرجان في الوادي إلى وقت المساء ثم أتيا إلى شجرة وناما عندها إلى الصباح ثم قامت السيدة شمسة وأمرت جانشاه أن يركب على ظهرها فقال جانشاه سمعاً وطاعة ثم ركب جانشاه على ظهرها وطارت به من وقتها وساعتها ولم تزل طائرة من الصبح إلى وقت الظهر فبينما هما سائران إذ نظر الأمارات التي أخبرهما بها الشيخ نصر فلما رأت السيدة شمسة تلك الأمارات نزلت من أعلى الجو إلى مرج فسيح ذي زرع مليح فيه غزلان رائعة وعيون نابعة وأثمار يانعة وأنهار واسعة فلما نزلت في ذلك المرج نزل جانشاه من فوق ظهرها وقبلها بين عينيها فقالت يا حبيبي وقرة عيني أتدري ما المسافة التي سرناها قال لا قالت مسافة ثلاثين

شهر فقال لها جانشاه الحمد لله على السلامة ثم جلس وجلست بجانبه وقعدا في أكل وشرب ولعب وضحك فبينما هما في هذا الأمر إذ أقبل عليهما مملوكان أحدهما الذي كان عند الخيل لما نزل جانشاه في مركب الصياد والثاني من المماليك الذين كانوا معه في الصيد والقنص فلما رأيا جانشاه عرفاه وسلما عليه وقالا له عن أذنك نتوجه إلى والدك ونبشره بقدومك فقال لهما جانشاه اذهبا إلى أبي واعلماه بذلك وأئتيانا بالخيام ونحن نقعد في هذا المكان سبعة أيام لأجل الراحة حتى يجيء الموكب لملاقاتنا وندخل في موكب عظيم: وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٠٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن جانشاه قال للمملوكين إذهبا إلى أبي واعلماه بي وائتيانا بالخيام ونحن نقعد في هذا المكان سبعة أيام لأجل الراحة حتى يجيء الموكب لملاقاتنا وندخل في موكب عظيم فركب المملوكان خيلهما وذهبا إلى أبيه وقالا له البشارة يا ملك الزمان فلما سمع الملك طيغموس كلام المملوكين قال لهما بأي شيء تبشراني هل قدم ابني جانشاه فقالا نعم إن ابنك جانشاه أتى من غيبته وهو بالقرب منك في مرج الكراني فلما أفاق أمر وزيره أن يخلع على المملوكين كل واحد خلعة نفيسة ويعطي كل واحد منهما قدراً من المال فقال له الوزير سمعاً وطاعة ثم قام من وقته وأعطى المملوكين ما أمره به الملك وقال لهما خذا هذا المال في نظير البشارة التي أتيتما بها هذه سواء كذبتما أو صدقتما فقالا المملوكان نحن ما نكذب وكنا في هذا الوقت قاعدين عنده وسلمنا عليه وقبلنا يديه وأمرنا أن نأتي له بالخيام وهو يقعد في مرج الكراني سبعة أيام حتى تذهب الأمراء والوزراء وأكابر الدولة لملاقاته ثم أن الملك قال لهما كيف حال ولدي فقالا له إن ولدك معه حورية كأنها خرج بها من الجنة فلما سمع الملك ذلك الكلام أمر بدق الكاسات والبوقات فدقت البشارة وأرسل الملك طيغموس المبشرين في جهات المدينة ليبشروا أم جانشاه ونساء الأمراء والوزراء وأكابر الدولة فانتشر المبشرون في المدينة وأعلموا أهلها بقدوم جانشاه ثم تجهز الملك طيغموس بالعساكر والجيوش إلى مرج الكراني فبينما جانشاه جالس والسيدة شمسة بجانبه وإذا بالعساكر قد أقبلت عليهما فقام جانشاه على قدميه وتمشي حتى قرب منهم فلما رأته العساكر عرفوه ونزلوا عن خيلهم وترجلوا إليه وسلموا عليه وقبلوا يديه ومازال جانشاه سائراً والعساكر قدامه واحداً بعد واحد حتى وصل إلى أبيه فلما نظر الملك طيغموس ولده رمي نفسه عن ظهر الفرس وحضنه وبكى بكاء شديداً ثم ركب وركب ابنه والعساكر عن يمينه وشماله ومازالوا سائرين حتى أتوا إلى جانب النهر فنزلت العساكر والجيوش ونصبوا الخيام والصواوين والبيارق ودقت الطبول وزمرت الزمور وضربت الكاسات وزعقت البوقات ثم أن الملك طيغموس أمر الفراشين أن يأتوا بخيمة من الحرير الأحمر وينصبوها للسيدة شمسة ففعلوا ما أمرهم به وقامت السيدة

شمسة وقلعت ثوبها الريش وتمشت حتى وصلت إلى تلك الخيمة وجلست فيها فبينما هي جالسة وإذا بالملك طيغموس وابنه جانشاه بجانبه أقبلا عليها فلما رأت السيدة شمسة الملك طيغموس قامت على قدميها وقبلت الأرض بين يديه ثم جلس الملك وأخذ ولده جانشاه عن يمينه والسيدة شمسة عن شماله ورحب بالسيدة شمسة وسأل ابنه جانشاه وقال له اخبرني بالذي وقع لك في هذه الغيبة فحكي له جميع ما جرى له من الأول إلى الآخر فلما سمع الملك من ابنه هذا الكلام تعجب عجباً شديداً والتفت إلى السيدة شمسة وقال الحمد لله الذي وفقك حتى جمعت بيني وبين ولدي أن هذا لهو الفضل العظيم: وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٠٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك طيغموس قال للسيدة شمسة الحمد لله الذي وفقك حتى جمعت بيني وبين ولدي أن هذا لهو الفضل العظيم ولكن أريد منك أن تتمنى على ما تشتهينه حتى أفعله إكرا ما لك فقالت له السيدة شمسة تمنيت عليك عمارة قصر في وسط بستان والماء يجري من تحته فقال سمعاً وطاعة فبينما هما في الكلام وإذا بأم جانشاه أقبلت ومعها جميع نساء الأمراء والوزراء ونساء أكابر المدينة جميعاً فلما رآها ولدها جانشاه خرج من الخيمة وقابلها وتعانقا ساعة من الزمن ثم أن أمه من فرط الفرح أجرت دمع العين وأنشدت هذين البيتين.

هجم السرور علي حتى أنه ... من فرط ما قد سرني أبكاني

يا عين قد صار الدمع منك سجية ... تبكين من فرح ومن أحزان

ثم شكا لبعضهما ما قاسياه من البعد وألم الشوق ثم انتقل والده إلى خيمته وانتقل جانشاه هو إلى خيمته وجلسا يتحدثان مع بعضهما فبينما هما جالسان إذا أقبلت المبشرون بقدوم السيدة شمسة وقالوا لأم جانشاه أن شمسة أتت إليك وهي ماشية تريد أن تسلم عليك فلما سمعت أم جانشاه هذا الكلام قامت على قدميها وقابلتها وسلمت عليها وقعدتا ساعة من الزمان ثم قامت أم جانشاه مع السيدة شمسة وسارت هي وإياها ونساء الأمراء وأرباب الدولة ومازلن سائرات حتى وصلن خيمة السيدة شمسة فدخلنها وجلسن فيها ثم أن الملك طيغموس أجزل العطايا وأكرم الرعايا وفرح بإبنه فرحاً شديداً ومكثوا في ذلك المكان مدة عشرة أيام وهم في أكل وشرب وأهنأ عيش وبعد ذلك أمر الملك عساكره أن يرحلوا ويتوجهوا إلى المدينة ثم ركب

الملك وركبت حوله العساكر والجيوش وسارت الوزراء والحجاب عن يمينه وعن شماله ومازالوا سائرين حتى دخلوا المدينة وذهبت أم جانشاه هي والسيدة شمسة إلى منزلهم وتزينت المدينة بأحسن زينة ودنت البشائر والكاسات وزوقوا المدينة بالحلي والحلل وفرشوا نفيس الديباج تحت سنابك الخيل وفرحت أرباب الدولة وأظهروا التحف وانبهرت المتفرجون وأطعموا الفقراء والمساكين وعملوا فرحاً عظيماً مدة عشرة أيام وفرحت السيدة شمسة فرحاً شديداً لما رأت ذلك ثم أن الملك طيغموس أرسل إلى البنائين والمهندسين وأرباب المعرفة وأمرهم أن يعملوا له قصراً في ذلك البستان فاجابوه بالسمع والطاعة وشرعوا في تجهيز ذلك القصر ثم أنهم أتموه على أحسن حال وحين علم جانشاه بصدور الأمر ببناء القصر أمر الصناع أن يأتوا بعمودين من الرخام الأبيض وأن ينقروه ويجوفوه ويجعلوه على صورة صندوق ففعلوا ما أمرهم ثم أن جانشاه أخذ ثوب السيدة شمسة الذي تطير به وحطه في ذلك العمود ودفنه في أساس القصر وأمر البنائين أن يبنوا فوقه القناطر التي عليها القصر ولما تم القصر فرشوه وصار قصراً عظيماً في وسط ذلك البستان والأنهار تجري من تحته ثم أن الملك طيغموس بعد ذلك عمل عرس جانشاه في تلك المدة وصار فرحاً عظيماً لم ير له نظير وزفوا السيدة شمسة إلى ذلك القصر وذهب كل واحد منهم إلى حال سبيله ولما دخلت السيدة شمسة في ذلك القصر شمت رائحة ثوبها الريش. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٠٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن السيدة شمسة لما دخلت ذلك القصر شمت رائحة ثوبها الريش الذي تطير به وعرفت مكانه وأرادت أخذه فصبرت إلى نصف الليل حتى استغرق جانشاه في النوم ثم قامت وتوجهت إلى العمود الذي عليه القناطر وحفرت بجانبه حتى وصلت إلى العمود الذي فيه الثوب وأزالت الرصاص الذي كان مسبوكاً عليه وأخرجت الثوب منه ولبسته وطارت من وقتها وجلست على أعلى القصر وقالت لهم أريد منكم أن تحضروا إلى جانشاه حتى أودعه فأخبروا جانشاه بذلك فذهب إليها فرآها فوق سطح القصر وهي لابسة ثوبها الريش فقال لها كيف فعلت هذه الفعال فقالت له يا حبيبي وقرة عيني وثمرة فؤادي والله أني أحبك محبة عظيمة وقد فرحت فرحاً شديداً حيث أوصلتك إلى أرضك وبلادك ورأيت أمك وأباك فإن كنت تحبني كما أحبك فتعال عندي إلى قلعة جوهر تسكني ثم طارت من وقتها وساعتها ومضت إلى أهلها فلما سمع جانشاه كلام السيدة شمسة وهي فوق سطح القصر كاد أن يموت من الوجع ووقع مغشيا عليه فمضوا إلى أبيه وأعلموه بذلك فركب أبوه وتوجه إلى

القصر ودخل على ولده فرآه مطروحاً على الأرض فبكى الملك طيغموس وعلم أن ابنه مغرم بحب السيدة شمسة فرش على وجهه ماء ورد فأفاق فرأى أباه عند رأسه فبكى من فراق زوجته فقال له أبوه ما الذي جرى لك يا ولدي فقال اعلم يا أبي أن السيدة شمسة من بنات الجان وأنا أحبها ومغرم بها وقد عشقت جمالها وكان عندي ثوب لها وهي ما تقدر أن تطير بدونه وقد كنت أخذت ذلك الثوب وأخفيته في عمود على هيئة الصندوق وسبكت عليه الرصاص ووضعته في أساس القصر فحفرت ذلك الأساس وأخذته ولبسته وطارت ثم نزلت على القصر وقالت أني أحبك وقد أوصلتك إلى أرضك وبلادك واجتمعت بأبيك وأمك فإن كنت تحبني فتعال عندي في قلعة جوهر تكنى ثم طارت من سطح القصر وراحت إلى حال سبيلها فقال الملك طيغموس يا ولدي لا تحمل هماً فإننا نجمع أرباب التجارة والسواحين في البلاد ونستخبرهم عن تلك القلعة فإذا عرفناها نسير إليها ونذهب إلى أهل السيدة شمسة ونرجوا من الله تعالى أن يعطوك إياها وتتزوج بها ثم خرج الملك من وقته وساعته وأمر وزراءه الأربعة وقال لهم اجمعوا كل من في المدينة من التجار والسواحين وأسألوهم عن قلعة جوهر تكنى وكل من عرفها ودل عليها فإني أعطيه خمسين ألف دينار فلما سمع الوزراء ذلك الكلام قالوا له سمعاً وطاعة ثم ذهبوا من وقتهم وساعتهم وفعلوا ما أمرهم به الملك وصاروا يسألون التجار والسواحين في البلاد عن قلعة جوهر تكنى فما أخبرهم بها أحد فأتوا الملك وأخبروه بذلك فما سمع الملك كلامهم قام من وقته وساعته وأمر أن يأتوا ابنه جانشاه من السراري الحسان والجواري ربات الآلات والمحاظي المطربات بما لا يوجد مثله إلا عند الملوك لعله يتسلى عن حب السيدة شمسة فأتوه بما طلبه ثم أرسل الملك رواداً وجواسيس إلى جميع البلاد والجزائر والأقاليم ليسألوا عن قلعة جوهر تكنى فسألوا عنها مدة شهرين فما أخبرهم بها أحد فرجعوا إلى الملك وأعلموه بذلك فبكي بكاء شديداً وذهب إلى ابنه فوجده جالساً بين السراري والمحاظي وربات آلات الطرب من الجنك والسنطير وغيرهما وهو لا يتسلى بهن عن السيدة شمسة فقال له يا ولدي ما وجدت من يعرف هذه القلعة وقد أتيتك بأجمل منها فلما سمع جانشاه ذلك الكلام بكى وأفاض دمع العين وأنشد هذين البيتين:

ترحل صبري والغرام مقيم	**وجسمي من فرط الغرام سقيم**
متى تجمع الأيام شملي بشمسة	**وعظمي من حر الفراق رميم**

ثم أن الملك طيغموس كان بينه وبين ملك الهند عداوة عظيمة لأن الملك طيغموس كان تعدي عليه وقتل رجاله وسلب أمواله وكان ملك الهند يقال له الملك كفيد وله جيوش وعساكر وأبطال وكان له ألف بهلوان كل بهلوان منهم يحكم على ألف قبيلة وكل قبيلة من تلك القبائل تشتمل على أربعة آلاف فارس وكان عنده أربعة وزراء وتحته ملوك وأكابر وأمراء وجيوش

كثيرة وكان يحكم على ألف مدينة لكل مدينة ألف قلعة وكان ملكاً عظيماً شديد البأس وعساكره قد ملأت جميع الأرض فلما علم الملك كفيد ملك الهند أن الملك طيغموس اشتعل بحب ابنه وترك الحكم والملك وقلت من عنده العساكر وصار في هم ونكد بسبب اشتغاله بحب ابنه جمع الوزراء والأمراء وأرباب الدولة وقال لهم أما تعلمون أن الملك طيغموس قد هجم على بلادنا وقتل أبي وأختي ونهب أموالنا وما منكم أحد إلا وقد قتل له قريباً وأخذ له مالا ونهب رزقه وأسر أهله وأني سمعت اليوم أنه مشغول بحب ابنه جانشاه وقد قلت من عنده العساكر وهذا وقت أخذ ثأرنا منه فتأهبوا للسفر إليه وجهزوا آلات الحرب للهجوم عليه ولا تتهاونوا في هذا الأمر بل نسير إليه ونهجم عليه ونقتله هو وابنه ونملك بلاده وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٠٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك كفيد ملك الهند أمر جيوشه وعساكره أن يركبوا على بلاد الملك طيغموس وقال لهم تأهبوا للسفر إليه وجهزوا آلات الحرب للهجوم عليه ولا تتهاونوا في هذا الأمر بل نسير إليه ونهجم عليه ونقتله هو وابنه ونملك بلاده فلما سمعوا منه ذلك الكلام قالوا سمعاً وطاعة وأخذ كل واحد منهم في تجهيز عدته واستمروا في تجهيز العدد والسلاح وجمع العساكر ثلاثة أشهر ولما تكاملت العساكر والجيوش والأبطال دقوا الكاسات ونفخوا في البوقات ونصبوا البيارق والرايات ثم أن الملك كفيد خرج بالعساكر والجيوش وسار حتى وصل إلى أطراف بلاد كابل وهي بلاد الملك طيغموس ولما وصلوا إلى تلك البلاد نهبوها وفسقوا في الرعية وذبحوا الكبار وأسروا الصغار فوصل الخبر إلى الملك طيغموس فلما سمع بذلك الخبر اغتاظ غيظاً شديداً وجمع أكابر دولته ووزراءه وأمراء مملكته وقال لهم اعلموا أن الملك كفيد قد أتى ديارنا ونزل بلادنا ويريد قتالنا ومعه جيوش وأبطال وعساكر لا يعلم عددهم إلا الله تعالى فما الرأي عندكم فقالوا له يا ملك الزمان الرأي عندنا أننا نخرج إليه ونقاتله ونرده عن بلادنا فقال لهم الملك طيغموس تجهزوا للقتال ثم أخرج لهم من الزرد والدروع والخوذ السيوف وجميع آلات الحرب ما يردي الأبطال ويتلف صناديد الرجال فاجتمعت العساكر والجيوش والأبطال وتجهزوا للقتال ونصبوا الرايات ودقوا الكاسات ونفخ في البوقات وضربت الطبول وزمرت الزمور وسار الملك طيغموس بعساكره إلى ملاقاة الملك كفيه ومازال الملك طيغموس سائر بالعساكر والجيوش حتى قربوا من الملك كفيد ثم نزل الملك طيغموس على واد يقال له وادي زهران وهو في أطراف بلاد كابل ثم أن الملك طيغموس كتب كتاباً وأرسله مع رسول من عسكره إلى الملك كفيد مضمونه أما بعد فالذي نعلم به الملك كفيد أنك ما فعلت إلا فعل الأوباش ولو كنت ملكاً ابن ملك ما فعلت هذا الفعال ولا كنت تجيء بلادي وتنهب أموال الناس وتفسق في رعيتي أما علمت أن هذا كله جور منك

ولو علمت بأنك تتجرأ على مملكتي لكنت أتيتك قبل مجيئك بمدة ومنعتك عن بلادي ولكن إن رجعت وتركت الشر بيننا وبينك فيها نعمت وإن لم ترجع فابرز إلى حومة الميدان وتجلد لدي في موقف الحرب والطعان ثم أنه ختم الكتاب وسلمه لرجل عامل من عسكره وأرسل معه جواسيس يتجسسون له على الأخبار ثم أن الرجل أخذ الكتاب وسار به حتى وصل إلى الملك كفيد فلما قرب من مكانه رأى خياماً منصوبة على بعد وهي مصنوعة من الحرير الأطلس ورأى رايات من الحرير الأزرق ورأى بين الخيام خيمة عظيمة من الحرير الأحمر وحول تلك الخيمة عسكر عظيم ومازال سائر حتى وصل إلى تلك الخيمة فسأل عنها فقيل له أنها خيمة الملك كفيد فنظر الرجل إلى وسط الخيمة فرأى الملك كفيد جالساً في كرسي مرصع بالجواهر وعنده الوزراء والأمراء وأر باب الدولة فلما رأى ذلك ظهر الكتاب في يده ذهب إليه جماعة من عسكر الملك كفيد وأخذوا الكتاب منه وأتوا به أمام الملك فأخذه الملك فلما قرأه عرف معناه وكتب له جواباً أما بعد فالذي نعلم به الملك طيغموس أنه لابد من أننا نأخذ الثأر ونكشف العار ونخرب الديار ونهتك الأستار ونقتل الكبار ونأسر الصغار وفي غد أبرز إلى القتال في الميدان حتى أريك الحرب والطعان ثم ختم الكتاب وسلمه لرسول الملك طيغموس فأخذه وسار. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٠٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك كفيد سلم رد الجواب الذي أرسله الملك طيغموس لرسوله فأخذه ورجع فلما وصل إليه قبل الأرض بين يديه ثم أعطاه الكتاب وأخبره بما رآه وقال له يا ملك أني رأيت فرساناً وأبطالاً ورجالاً لا يحصى لهم عدد ولا يقطع لهم مدد فلما قرأ الكتاب وفهم معناه غضب غضباً شديداً وأمر وزيره عين زار أن يركب ومعه ألف فارس ويهجم على عسكر الملك كفيد في نصف الليل وأن يخوضوا فيهم ويقتلوهم فقال له الوزير عين زار سمعاً وطاعة ثم ركب وركبت معه العساكر والجيوش وساروا نحو الملك كفيد وكان للملك كفيد وزير يقال له غطرفان فأمره أن يركب ويأخذ معه خمسة آلاف فارس ويذهب بهم إلى عسكر الملك طيغموس ويهجموا عليهم ويقتلوهم فركب الوزير غطرفان وفعل ما أمره به الملك كفيد وسار بالعسكر نحو الملك طيغموس ومازالوا سائرين إلى نصف الليل حتى قطعوا نصف الطريق فإذا بالوزير غطرفان وقع بالوزير عين زار فصاحت الرجال على الرجال ووقع بينهم شديد القتال ومازال يقاتل بعضهم بعضاً إلى وقت الصباح فلما أصبح الصباح انهزمت عساكر الملك كفيد وولوا هاربين إليه فلما رأى ذلك غضب غضباً شديداً وقال لهم يا ويلكم ما الذي أصابكم حتى فقدتم أبطالكم فقالوا له يا ملك الزمان أنه لما ركب الوزير غطرفان وسرنا نحو الملك طيغموس لم نزل سائرين إلى أن نصفنا الليل وقطعنا نصف الطريق فقابلنا عين زار وزير الملك طيغموس وأقبل علينا ومعه جيوش وأبطال وكانت

المقابلة بجنب وادي زهران فما نشعر إلا ونحن في وسط العسكر ووقعت العين على العين وقاتلنا قتالاً شديداً من نصف الليل إلى الصباح وقد قتل خلق كثير وصار الوزير عين زار يصيح في وجه الفيل ويضربه فيجفل الفيل من شدة الضرب ويدوس الفرسان ويولي هارباً وما بقي أحد ينظر أحداً من كثرة ما يطير من الغبار وصار الدم يجري كالتيار ولولا أننا أتينا هاربين لكنا قتلنا عن آخرنا فلما سمع الملك كفيد هذا الكلام قال لا باركت فيكم الشمس بل غضبت عليكم غضباً شديداً ثم أن الوزير عين زار رجع إلى الملك طيغموس وأخبره بذلك فهنأه الملك طيغموس بالسلامة وفرح فرحاً شديداً وأمر بدق الكاسات والنفخ في البوقات ثم تفقد عسكره فإذا هم قد قتل منهم مائتا فارس من الشجعان الشداد ثم أن الملك كفيد هيأ عسكره وجنوده وجيوشه وأتى الميدان وأصطفوا صفاً بعد صف فكملوا خمسة عشر صفاً في كل صف عشرة آلاف فارس وكان معه ثلثمائة بهلوان يركبون على الأفيال وقد انتخب الأبطال وصناديد الرجال ونصب البيارق والرايات ودقت الكاسات ونفخ في البوقات وبرز الأبطال طالبين القتال وأما الملك طيغموس فإنه صف عسكره صفاً بعد صف فإذا هم عشرة صفوف كل صف عشرة آلاف فارس وكان معه مائة بهلوان يركبون عن يمينه وشماله ولما اصطفت الصفوف تقدم كل فارس موصوف وتصادمت الجيوش وضاق رحب الأرض عن الخيل وضربت الطبول وزمرت الزمور ودقت الكاسات ونفخ في البوقات وصاح النفير وصمت الآذان من صهيل الخيل في الميدان وصاحت الرجال بأصواتهم وانعقد الغبار على رؤوسهم واقتتلوا قتالاً شديداً من أول النهار إلى أن أقبل الظلام ثم افترقوا وذهبت العساكر إلى منازلهم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٠٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العساكر افترقوا وذهبوا إلى منازلهم فتفقد الملك كفيد عسكره فإذا هم قد قتل منهم خمسة آلاف فغضب غضباً شديداً وتفقد الملك طيغموس عسكره فإذا هم قد فقد منهم ثلاثة آلاف فارس من خواص شجعانه فلما رأى ذلك غضب غضباً شديداً ثم أن الملك كفيد برز إلى الميدان ثانياً وفعل كما فعل أول مرة وكل واحد منهما يطلب النصر لنفسه وصاح الملك كفيد على عسكره وقال هل فيكم من يبرز إلى الميدان ويفتح لنا باب الحرب والطعان فإذا ببطل يقال له بركيك قد أقبل راكباً على فيل وكان بهلواناً عظيماً ثم تقدم ونزل من فوق ظهر الفيل وقبل الأرض بين يدي الملك كفيد واستأذنه في البراز ثم ركب وساقه إلى الميدان وصاح وقال هل من مبارز هل من مناجز هل من مقاتل فلما سمع ذلك الملك طيغموس التفت إلى عسكره وقال لهم من يبرز إلى هذا البطل منكم فإذا فارس قد برز من بين الصفوف راكباً على جواد عظيم الخلقة وسار حتى أقبل على الملك طيغموس وقبل الأرض قدامه وأستأذنه في المبارزة ثم توجه إلى بركيك فلما أقبل عليه قال له من تكون أنت

حتى تستهزيء بي وتبرز إلى وحدك وما اسمك فقال له اسمي غضنفر بن كخيل فقال له بركيك كنت أسمع بك وأنا في بلادي فدونك والقتال بين صفوف الأبطال فلما سمع غضنفر كلامه سحب العمود الحديد من تحت فخذه وقد أخذ بركيك السيف في يده وتقاتلا قتالاً شديداً ثم أن بركيك ضرب غضنفر بالسيف فأتت الضربة في خوذته ولم يصبه منها ضرر فلما رأى ذلك غضنفر ضربه بالعمود فاستوى لحمه بلحم الفيل فأتاه شخص وقال له من أنت حتى تقتل أخي ثم أخذ نبلة في يده وضرب بها غضنفر فأصابت فخذه فسمرت الدرع فيه فلما رأى ذلك غضنفر جر السيف في يده وضربه فقسمه نصفين فنزل إلى الأرض يخور في دمه ثم أن غضنفر ولى هارباً نحو الملك طيغموس فلما رأى ذلك الملك كفيد صاح على عسكره وقال لهم أنزلوا الميدان وقاتلوا الفرسان ونزل الملك طيغموس بعسكره وجيوشه وقاتلوا قتالاً شديداً وقد صهلت الخيل على الخيل وصاحت الرجال على الرجال وتجردت السيوف وتقدم كل فارس موصوف وحملت الفرسان على الفرسان وفر الجبان من موقف الطعان ودقت الكاسات ونفخ في البوقات فما تسمع الناس إلا ضجة صياح وقعقعة سلاح وهلك في ذلك الوقت من الأبطال من هلك ومازالوا على هذا الحال إلى أن صارت الشمس في قبة الفلك ثم أن الملك طيغموس انفرق بعساكره وجيوشه وعاد لخيامه وكذلك الملك كفيد ثم أن الملك طيغموس تفقد رجاله فوجدهم قد قتل منهم خمسة آلاف فارس وانكسرت منهم أربعة بيارق فلما علم الملك طيغموس ذلك غضب غضباً شديداً وأما الملك كفيد فاته تفقد عسكره فوجدهم قد قتل منهم ستمائة فارس من خواص شجعانه وانكسرت منهم تسعة بيارق ثم ارتفع القتال من بينهم مدة ثلاثة أيام وبعد ذلك كتب الملك كفيد كتاباً وأرسله مع رسول من عسكره إلى ملك يقال له فافون الكلب فذهب الرسول إليه وكان كيفيد يدعي أنه قريبه من جهة أمه فلما علم الملك فاقون بذلك جمع عسكره وجيوشه وتوجه إلى الملك كفيد وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٠٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك فاقون جمع عساكره وجيوشه وتوجه إلى الملك كفيد فبينما الملك طيغموس جالس في حظه إذ أتاه شخص وقال له أني رأيت غبرة ثائرة على بعد قد ارتفعت إلى الجو فأمر الملك طيغموس جماعة من عسكره أن يكتفوا خبر تلك الغبرة فقالوا سمعاً وطاعة وذهبوا ورجعوا وقالوا أيها الملك قد رأينا الغبرة بعد ساعة ضربها الهواء وقطعها وبان من تحتها سبعة بيارق تحت كل بيرق ثلاثة آلاف فارس وساروا إلى ناحية الملك كفيد ولما وصل الملك فاقون الكلب إلى الملك كفيد سلم عليه وقال له ما خبرك وما هذا القتال الذي أنت فيه فقال له الملك كفيد أما تعلم أن الملك طيغموس عدوى وقاتل أخوتي وأبى وأنا قد جئته لأقاتله وآخذ بثأري منه فقال الملك فاقون باركت الشمس فيك ثم أن الملك كفيد

أخذ الملك فاقون الكلب وذهب به إلى خيمته وفرح فرحاً شديداً هذا ما كان من أمر الملك طيغموس والملك كفيد (وأما) ما كان من أمر الملك جانشاه فإنه استمر شهرين وهو لم ينظر أباه ولم يأذن بالدخول عليه لأحد من الجواري اللاتي كن في خدمته فحصل له بذلك قلق عظيم فقال لبعض أتباعه ما خبر أبي حتى أنه لم يأتني فأخبروه بما جرى لأبيه مع الملك كفيد فقال أئتوني بجوادي حتى أذهب إلى أبي فقالوا له سمعاً وطاعة وأتوا بالجواد فلما حضر جواده قال في نفسه أنا مشغول بنفسي فالرأي أن آخذ فرسي وأسير إلى مدينة اليهود وإذا وصلت إليها يهون الله علي بذلك التاجر الذي استأجرني للعمل لعله يفعل بي مثل ما فعل أول مرة وما يدري أحد أين تكون الخيرة ثم أنه ركب وأخذ معه ألف فارس وسار حتى صار الناس يقولون أن جانشاه ذاهب إلى أبيه ليقاتل معه ومازالوا سائرين إلى وقت المساء ثم نزلوا في مرج عظيم وباتوا بذلك المرج فلما ناموا وعلم جانشاه أن عسكره ناموا كلهم قام في حفية وشد وسطه وركب جواده وسار إلى طريق بغداد لأنه كان سمع من اليهود أنه تأتيهم في كل سنتين قافلة من بغداد وقال في نفسه إذا وصلت إلى بغداد أسير مع القافلة حتى أصل إلى مدينة اليهود وصممت نفسه على ذلك وسار إلى حال سبيله فلما استيقظ العساكر من نومهم ولم يروا جانشاه ولا جواده ركبوا وساروا يفتشون على جانشاه يميناً وشمالاً فلم يجدوا له خبر فرجعوا إلى أبيه وأعلموه بما فعل ابنه فغضبوا غضباً شديداً وكاد الشرر يطلع من فيه ورمى بتاجه من فوق رأسه وقال لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم قد فقدت ولدي والعدو قبالي فقال له الملوك والوزراء أصبر يا ملك الزمان فما بعد الصبر إلا الخير ثم أن جانشاه صار من أجل أبيه وفراق محبوبته حزيناً مهموماً جريح القلب قريح العين سهران الليل والنهار وأما أبوه فإنه لما علم بفقده مع عساكره وجيوشه ورجع عن حرب عدوه وتوجه إلى مدينته ودخلها وغلق أبوابها وحصن أسوارها وصار هارباً من الملك كفيد وصار كفيد في كل شهر يجيء المدينة طالباً القتال والخصام ويقعد عليها سبع ليال وثمانية أيام وبعد ذلك يأخذ عسكره ويرجع بهم إلى الخيام ليداوي المجروحين من الرجال فأما أهل مدينة الملك طيغموس فإنهم عند انصراف العدو عنهم يشتغلون بإصلاح السلاح وتحصين الأسوار وتهيئة المنجنيقات ومكث الملك طيغموس والملك كفيد على هذه الحالة سبع سنين والحرب مستمرة بينهما. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥١٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك طيغموس مكث هو والملك كفيد على هذه الحالة سبع سنين هذا ما كان من أمرهما (وأما) ما كان من أمر جانشاه فإنه لم يزل سائراً يقطع البراري والقفار كلما وصل إلى بلد من البلاد سأل عن قلعة جوهر تكنى فلم يخبره أحد بها وإنما يقولون له إننا لم نسمع بهذا الاسم أصلاً ثم أنه سأل عن مدينة اليهود فأخبره رجل من

التجار أنها في أطراف بلاد المشرق وقال له في هذا الشهر صر معنا إلى مدينة شمعون ومنها إلى خوارزم وتبقى مدينة اليهود قريبة من خوارزم فإن بينها وبينها مسافة سنة وثلاثة أشهر فصبر جانشاه حتى سافرت القافلة وسافر معها إلى أن وصل إلى مدينة مرزقان ولما دخل تلك المدينة صار يسأل عن قلعة جوهر تكنى فلم يخبره بها أحد وسافرت القافلة وسافر معها إلى الهند ودخل المدينة وسأل عن قلعة جوهر تكنى فلم يخبره بها أحد وقالوا له ما سمعنا بهذا الاسم أصلاً وقاسى في الطريق شدة عظيمة وأهوالا صعبة وجوعاً وعطشاً ثم سافر من الهند ولم يزل مسافر حتى وصل إلى بلاد خراسان وانتهى إلى مدينة شمعون ودخلها وسأل عن مدينة اليهود فأخبروه عنها ووصفوا له طريقها فسافر أياماً وليالي حتى وصل إلى المكان الذي هرب فيه من القردة ثم مشى أياماً وليالي حتى وصل إلى نهر بجانب مدينة اليهود وجلس على شاطئه وصبر إلى يوم السبت حتى نشف بقدرة الله تعالى فعدى منه إلى بيت اليهودي الذي كان فيه أول مرة فسلم عليه هو وأهل بيته ففرحوا به وأتوه بالأكل والشرب ثم قالوا له أين كانت غيبتك فقال لهم في ملك الله تعالى ثم بات تلك الليلة عندهم ولما كان الغد دار في المدينة يتفرج فرأى منادياً ينادي ويقول يا معاشر الناس من يأخذ ألف دينار وجارية حسنة ويعمل عندنا شغل نصف يوم فقال جانشاه أنا أعمل فقال له المنادي اتبعني فتبعه حتى وصل إلى بيت اليهودي التاجر الذي وصل إليه أول مرة ثم قال المنادي لصاحب البيت أن هذا الولد يعمل الشغل الذي تريد فرحب به التاجر وقال له مرحباً بك وأخذه ودخل به إلى الحريم وأتاه بالأكل والشرب فأكل جانشاه وشرب ثم أن التاجر قدم له الدنانير والجارية الحسنة وبات معها تلك الليلة ولما أصبح الصباح أخذ الدنانير والجارية وسلمها لليهودي الذي بات في بيته أول مرة ثم رجع إلى التاجر صاحب الشغل فركب معه وسارا حتى وصلا إلى جبل عال شاهق في العلو ثم أن التاجر أخرج حبلاً وسكيناً وقال لجانشاه ارم هذا الفرس على الأرض فرماها وكتفها بالحبل وذبحها وسلخها وقطع قوائمها ورأسها وشق بطنها كما أمره التاجر ثم قال التاجر لجانشاه أدخل بطن هذه الفرس حتى أخيطه عليك ومهما رأيته فيه فقل لي عليه فهذا الشغل الذي أخذت أجرته فدخل جانشاه بطن الفرس وخيطها عليه التاجر ثم ذهب إلى محل بعيد عن الفرس واختفى فيه وبعد ساعة أقبل طير عظيم ونزل من الجو وخطف الفرس وارتفع بها إلى عنان السماء ثم نزل على رأس الجبل فلما استقر على رأس الجبل أراد أن يأكل الفرس فلما أحس به جانشاه شق بطن الفرس وخرج فحفل الطير منه وطار إلى حال سبيله فطلع جانشاه ونظر إلى التاجر صاحب الشغل فركب معه وسارا حتى وصلا إلى جبل عال شاهق في العلو ثم أن التاجر أخرج حبلاً وسكينا وقال لجانشاه أرم هذا الفرس على الأرض فرماها وكتفها بالحبل وذبحها وسلخها وقطع قوائمها ورأسها وشق بطنها كما أمره التاجر ثم قال التاجر لجانشاه ادخل بطن هذه الفرس حتى أخيطه عليك ومهما رأيته فيه فقل لي عليه فهذا الشغل

الذي أخذت أجرته فدخل جانشاه بطن الفرس وخيطها عليه التاجر ثم ذهب إلى محل بعيد عن الفرس واختفى فيه وبعد ساعة أقبل طير عظيم ونزل من الجو وخطف الفرس وارتفع بها إلى عنان السماء ثم نزل على رأس الجبل فلما استقر على رأس الجبل أراد أن يأكل الفرس فلما أحس به جانشاه شق بطن الفرس وخرج فجفل الطير منه وطار إلى حال سبيله فطلع جانشاه ونظر إلى التاجر فرآه واقفاً تحت الجبل مثل العصفور فقال ما تريد أيها التاجر فقال له أرم لي بشيء من هذه الحجارة التي حواليك حتى أدلك على الطريق التي تنزل منها فقال جانشاه أنت الذي فعلت بي كيت وكيت من مدة خمس سنين وقد قاسيت جوعاً وعطشاً وحصل لي تعب عظيم وشر كثير وها أنت عدت بي إلى هذا المكان وأردت هلاكي والله لا أرمي لك شيء ثم أن جانشاه سار وقصد الطريق التي توصل إلى الشيخ نصر ملك الطيور وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥١٠)

قالت أيها الملك السعيد أن جانشاه سار وقصد الطريق التي توصل إلى الشيخ نصر ملك الطيور ولم يزل سائرا أياماً وليالي وهو باكي العين حزين القلب وإذا جاع يأكل من نبات الأرض وإذا عطش يشرب من أنهارها حتى وصل إلى قصر السيد سليمان فرأى الشيخ نصر جالساً على باب القصر فأقبل عليه وقبل يديه فرحب به الشيخ نصر وسلم عليه ثم قال له يا ولدي ما خبرك حتى جئت هذا المكان وكنت قد توجهت من هنا مع السيدة شمسة وأنت قرير العين منشرح الصدر فبكى جانشاه وحكى له ما جري من السيدة شمسة لما طارت وقالت له أن كنت تحبني تعال عندي في قلعة جوهر تكنى فتعجب الشيخ نصر من ذلك وقال والله يا ولدي ما أعرفها وحق السيد سليمان ولا سمعت بهذا الاسم طول عمري فقال جانشاه كيف أعمل وقد مت من العشق والغرام فقال له الشيخ نصر أصبر حتى تأتي الطيور ونسألهم عن قلعة جوهر تكنى لعل أحداً منهم يعرفها فاطمأن قلب جانشاه ودخل القصر وذهب إلى المقصورة المشتملة على البحيرة التي رأى فيها البنات الثلاث ومكث عند الشيخ نصر مدة من الزمان فبينما هو جالس على عادته إذ قال له الشيخ نصر يا ولدي أنه قرب مجيء الطير ففرح جانشاه بذلك الخبر ولم تمض إلا أياماً قلائل حتى أقبلت الطيور فجاء الشيخ نصر إلى جانشاه وقال له يا ولدي تعلم هذه الأسماء وأقبل على الطيور فجاءت وسلمت على الشيخ نصر جنساً بعد جنس ثم سألها عن قلعة جوهر تكنى فقال كل منها ما سمعت بهذه القلعة طول عمري فبكى بكاء شديداً وتحسر ووقع مغشياً عليه فطلب الشيخ نصر طيراً عظيماً وقال له أوصل هذا الشاب إلى بلاد كابل ووصف له البلاد وطريقها فقال له سمعاً وطاعة ثم أركب جانشاه على ظهره وقال له احترس على نفسك وإياك أن تميل فتنقطع في الهواء وسد أذنيك من الريح لئلا يضرك جري الأفلاك ودوي البحار فقبل جانشاه ما قاله الشيخ نصر ثم أقبل به

إله الطير وعلا به إلى الجو وسار به يوما وليلة ثم نزل به عند ملك الوحوش وأسـ مه شـ اه بدري فقال لجانشاه قد تهنا عن البلاد التي وصفها لنا الشيخ نصـ ر وأراد أن يأخـ ذ جانشـ اه ويطير به فقال له جانشاه اذهب إلى حال سبيلك واتركني في هذه الأرض حتى أموت فيها ولا أصل إلى بلادي فتركه الطير عند ملك الوحوش شاه بدري وذهب إلى حال سبيله ثم أن شـ اه بدري سأله وقال من أنت ومن أين أقبلت مع هذا الطير العظيم وما حكايتك فحكى له جميع ما جرى له من الأول إلى الآخر فتعجب منك الوحوش من حكايته وقال له وحق السيد سـ ليمان أني ما أعرف هذه القلعة وكل من دلنا عليها نكرمه ونوضعك إليها فبكى جانشاه بكاء شـ ديداً وصبر مدة قليلة وبعدها أتاه ملك الوحوش وهو شاه بدري وقال له قم يا ولـ دي وخـ ذ هـ ذه الألواح واحفظ الذي فيها وإذا أتت الوحوش نسألها عن تلك القلعة وأدرك شـ هرزاد الصـ باح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥١١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن شاه بدري ملك الوحوش قال لجانشاه احفظ ما في هذه الألواح وإذا جاءت الوحوش نسألها عن تلك القلعة فما مضى غير ساعة حتى أقبلت الوحوش جنساً بعد جنس وصاروا يسلمون على الملك شاه بدري ثم أنه سألهم عن قلعة جـ وهر تكنـ ى فقالوا له جميعاً ما نعرف هذه القلعة ولا سمعنا بها فبكى جانشاه وتأسف على عدم ذهابه مـ ع الطير الذي أتى به من عند الشيخ نصر فقال له ملك الوحوش يا ولدي لا تحمل هماً أنا لي أخاً أكبر مني يقال له الملك شماخ وكان أسيراً عند السيد سليمان لأنه كان عاصياً عليه وليس أحد من الجن أكبر منه وهو والشيخ نصر فلعله يعرف هذه القلعة وهو يحكم على الجان الذي فـ ي هذه البلاد ثم أركبه ملك الوحوش على ظهر وحش منها وأرسل معه كتاباً إلى أخيه بالوصـ ية عليه ثم أن ذلك الوحش سار من وقته وساعته ولم يزل سائراً بجانشاه أياماً وليالي حتى وصل إلى الملك شماخ فوقف ذلك الوحش في مكان وحده بعيداً عن الملك ثم نزل جانشاه من فـ وق ظهره وصار يتمشى حتى وصل إلى حضرة الملك شماخ فقبل يديه وناولـ ه الكتـ اب فقـ رأه وعرف معناه ورحب به وقال له والله يا ولدي أن هذه القلعة عمري ما سمعت بها ولا رأيتها فبكى جانشاه وتحسر فقال له الملك شمساخ أحك لي حكايتك وأخبرني من أنت ومن أين أتيت وإلى أين تذهب فأخبره بجميع ما جرى له من الأول إلى الآخر فتعجب شماخ من ذلك وقال له يا ولدي ما أظن أن السيد سليمان في عمره سمع بهذه القلعة ولا رآها ولكن يـ ا ولـ دي أنـ ا أعرف راهباً في الجبل وهو كبير في العمر وقد أطاعته جميع الطيور والوحوش والجان مـ ن كثرة أقسامه لأنه مازال يتلو الأقسام على ملوك الجن حتى أطاعوه قهراً عنهم من شدة تلـ ك الأقسام والسحر الذي عنده وجميع الطيور والوحوش تسير إلى خدمته وأنا قد كنت عصـ يت السيد سليمان فهو أسرني عنده وما غلبني سوى هذا الراهب من شدة مكره وأقسامه وسـ حره

وقد بقيت في خدمته واعلم أنه ساح في جميع البلاد والأقاليم وعرف جميع الطرق والجهات والأماكن والقلاع والمدائن وما أظن أنه يخفى عليه مكان فأنا أرسلك إليه لعله يدلك على هذه القلعة وإن لم يدلك هو عليها فما يدلك عليها أحد لانه قد أطاعته الطيور والوحوش والجان وكلهم يأتونه من شدة سحره وقد اصطنع له عكازه ثلاث قطع فيفرزها في الأرض ويتلو القسم على القطعة الأولى من العكازة فيخرج منها لحم ويخرج منها دم ويتلو القسم على القطعة الثانية فيخرج منها لبن حليب ويتلو القسم على القطعة الثالثة فيخرج منها قمح وشعير وبعد ذلك يخرج العكازة من الأرض ثم يذهب إلى ديره وديره يسمى دير الماس وهذا الراهب الكاهن يخرج من يده اختراع كل صنعة غريبة وهو ساحر كاهن ما كسر مخادع خبيث واسمه يغموس وقد حوى جميع الأقسام والعزائم ولابد من أن أرسلك إليه مع طير عظيم له أربعة أجنحة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥١٢)

قالت بلغني أيها الملك السعد أن الملك شماخ قال لجانشاه ولابد من أن أرسلك إلى الراهب مع طير عظيم له أربعة أجنحة ثم أركبه على ظهر طير عظيم له أربعة أجنحة طول كل جناح منها ثلاثون ذراعاً بالهاشمي وله أرجل مثل أرجل الفيل لكنه لا يطير في السنة إلا مرتين وكان عند الملك شماخ عون يقال له طمشون كل يوم يخطف لهذا الطير بختيتين من بلاد العراق ويفسخهما له ليأكلهما فلما ركب جانشاه على ظهر ذلك الطير امره شماخ أن يوصله إلى الراهب يغموس فأخذه على ظهره وسار به ليالي وأياماً حتى وصل إلى الجبل القلع ودير الماس فنزل جانشاه عند ذلك الدير فرأى يغموس الراهب داخل الكنيسة وهو يتعبد فيها فتقدم جانشاه إليه وقبل الأرض ووقف بين يديه فلما رآه الراهب قال له مرحباً بك يا ولدي يا غريب الديار وبعيد المزار أخبرني ما سبب مجيئك هذا المكان فبكى جانشاه وحكى له حكايته من الأول إلى الآخر فلما سمع الراهب الحكاية تعجب منها غاية العجب وقال له والله يا ولدي عمري ما سمعت بهذه القلعة ولا رأيت من سمع بها أو رآها مع أني كنت موجوداً على عهد نوح نبي الله وحكمت من عهد نوح إلى زمن السيد سليمان بن داود على الوحوش والطيور والجن وما أظن أن سليمان سمع بهذه القلعة ولكن أصبر يا ولدي حتى تأتي الطيور والوحوش وأعوان الجان وأسألهم لعل أحداً منهم يخبرنا بها ويأتينا بخبر عنها ويهون الله تعالى عليك فقعد جانشاه مدة من الزمان عند الراهب فبينما هو قاعد إذا أقبلت عليه الطيور والوحوش والجان أجمعون وصار جانشاه والراهب يسألونهم عن قلعة جوهر تكنى فما أحد منهم قال أنا رأيتها وسمعت بها بل كان كل منهم يقول ما رأيت هذه القلعة ولا سمعت بها فصار جانشاه يبكي وينوح ويتضرع إلى الله تعالى فبينما هو كذلك وإذا بطير قد أقبل آخر الطيور وهو أسود اللون عظيم الخلقة ولما نزل من أعلى الجو جاء قبل يدي الراهب فسأله

الراهب عن قلعة جوهر تكنى فقال له الطير أيها الراهب أننا كنا ساكنين خلف جبل قاف بحبل البللور في بر عظيم وكنت أنا وأخواتي فراخاً صغاراً وأبي وأمي كانا يسرحان في كل ي وم يجيآن برزقنا فاتفق أنهما سرحا يوماً من الأيام وغابا عنا سبعة أيام فاشتد علينا الجوع ثم أتيا في اليوم الثامن وهما يبكيان فقلنا لهما ما سبب غيابكما عنا فقالا أنه خرج علينا مارد فخطفنا وذهب بنا إلى قلعة جوهر تكنى وأوصلنا إلى الملك شهلان فلما رآنا الملك شهلان أراد قتلذ ا فقلنا له أن وراءنا فراخا صغاراً فأعتقنا من القتل ولو كان أبي وأمي في قي د الحي اة لكاذ ا أخبراكم عن القلعة فلما سمع جانشاه هذا الكلام بكى بكاء شديداً وقال للراهب أري د مذ ك أن تأمر هذا الطير أن يوصلني إلى نحو وكر أبيه وأمه في جبل البللور خلف جبل ق اف فق ال الراهب للطير أيها الطير أريد منك أن تطيع هذا الولد في جميع ما يأمرك ب ه فق ال الطير ر للراهب سمعاً وطاعة لما تقول ثم أن ذلك الطير أركب جانشاه على ظهره وطار ول م ي زل طائراً به أياماً وليالي حتى أقبل على جبل البللور ثم نزل به هناك ومكث برهة من الزمان ثم أركبه على ظهره وطار ولم يزل طائراً به مدة يومين حتى وصل إلى الأرض التي فيها الوكر وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥١٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الطير لم يزل طائراً بجانشاه مدة يومين حتى وصل به إلى الأرض التي فيها الوكر ونزل به هناك ثم قال له يا جانشاه هذا الوكر الذي كنا فيه فبك ى جانشاه بكاء شديداً وقال للطير أريد منك أن تحملني وتوصلني إلى الناحية التي ك ان أب وك وأمك يذهبان إليها ويجيآن منها بالرزق فقال له الطير سمعاً وطاعة يا جانشاه ثم حمله وط ار به ولم يزل طائراً سبع ليال وثمانية أيام حتى وصل به إلى جبل عال ثم أنزله من فوق ظهره وقال له ما بقيت أعرف وراء هذا المكان أرضاً فغلب على جانشاه النوم فنام ف ي رأس ذل ك الجبل فلما أفاق من النوم رأى بريقاً على بعد يملأ نوره الجو فصار متحيراً في نفسه من ذلك اللمعان والبريق ولم يدر أنه لمعان القلعة التي هو يفتش عليها وكان بينه وبينها مسيرة شهرين وهي مبنية من الياقوت الأحمر وبيوتها من الذهب الأصفر ولها ألف برج مبنية من المع ادن النفيسة التي تخرج من بحر الظلمات ولهذا سميت قلعة جوهر تكنى لأنها من نفس الج واهر والمعادن وكانت قلعة عظيمة واسم ملكها شهلان وهو أبو البنات الثلاث هذا ما كان من أم ر جانشاه (وأما) ما كان من أمر السيدة شمسة فإنها لما هربت من عند جانشاه وراحت عند أبيها وأمها وأهلها أخبرتهم بما جرى لها مع جانشاه وحكت لهم حكايته وأعلمتهم أذ ه س اح ف ي الأرض ورأى العجائب وعرفتهم بمحبته لها ومحبتها له وبما وقع بينهم فلما سمع أبوها وأمها ذلك الكلام قالا لها ما يحل لك من الله أن تفعلي معه هذا الأمر ثم أن أباها حكي هذه المس ألة لأعوانه من مردة الجان وقال لهم كل من رأى منكم انسيا فيأتني به وكاذ ت الس يدة شمس ة

أخبرت أمها أن جانشاه مغرم بها وقالت لها ولا بد من أنه يأتينا لأني لما طرت من فوق البيت قلت له أن كنت تحبني فتعال في قلعة جوهر تكنى ثم أن جانشاه لما رأى ذلك البريق واللمعان قصد نحوه ليعرف ما هو وكانت شمسة قد أرسلت عونا من الأعوان في شغل بناحية جبل فرموس فبينما ذلك العون سائر إذ هو نظر من بعيد شخص أنسى فلما رآه أقبل نحوه وسلم عليه فخاف جانشاه من ذلك العون ورد عليه السلام فقال له العون ما إسمك فقال له إسمي جانشاه وكنت قبضت على جنية اسمها السيدة شمسه لأني تعلقت بحسنها وجمالها وكنت أحبها محبة عظيمة ثم أنها هربت مني بعد دخولها في قصر والدي وحكى له جميع ما جرى له معها وصار جانشاه يكلم المارد وهو يبكي فلما نظر العون إلى جانشاه وهو يبكي أحرق قلبه وقال له لا تبك فإنك قد وصلت إلى مرادك واعلم أنها تحبك محبة عظيمة وقد أعلمت أباها وأمها بمحبتك لها وكل من في القلعة يحبك لأجلها فطب نفساً وقر عيناً ثم أن المارد حمله على كاهله وصار حتى وصل إلى قلعة جوهر تكنى وذهبت المبشرون إلى الملك شهلان وإلى السيدة شمسة وإلى أمها يبشرونهم بمجيء جانشاه فلما جاءتهم البشائر بذلك فرحوا فرحاً عظيماً ثم أن الملك شهلان أمر جميع الأعوان أن يلاقوا جانشاه وركب هو وجميع الأعوان والعفاريت والمردة إلى ملاقاة جانشاه. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥١٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك شهلان ركب هو وجميع الأعوان والعفاريت والمردة إلى ملاقاة جانشاه فلما أقبل الملك شهلان أبو السيدة شمسة على جانشاه عانقه ثم أن جانشاه قبل يدي الملك شهلان فأمر له الملك بخلعة عظيمة من الحرير مختلفة الألوان مطرزة بالذهب مرصعة بالجوهر ثم ألبسه التاج الذي ما رأى مثله أحد من ملوك الأنس ثم أمر له بفرس عظيمة من خيل ملوك الجان فركبها ثم ركب الأعوان عن يمينه وشماله وسار هو والملك في موكب عظيم حتى أتوا باب القصر فنزل الملك ونزل جانشاه في ذلك القصر فرآه قصراً عظيماً حيطانه مبنية بالجواهر واليواقيت ونفيس المعادن فقام الملك إليه وأجلسه على تخته بجانبه ثم أنهم أتوا بالسماط فأكلوا وشربوا ثم غسلوا يديهم وبعد ذلك أقبلت عليه أم السيدة شمسة فسلمت عليه ورحبت به وقالت له قد بلغت المقصود بعد التعب ونامت عينك بعد السهر والحمد لله على سلامتك ثم ذهبت من وقتها إلى بنتها السيدة شمسه وأتت بها إلى جانشاه فلما أقبلت عليه السيدة شمسة سلمت عليه وأقبلت عليه وأطرقت برأسها خجلاً منه ومن أمها وأبيها وأتى أخواتها اللاتي كن معها في القصر وقبلوا يديه وسلموا عليه ثم أن أم السيدة شمسة قالت له مرحباً يا ولدي وليكن بنتي شمسة قد أخطأت في حقك ولا تؤاخذها بما فعلت معك لأجلها

فلما سمع جانشاه منها ذلك الكلام صاح ووقع مغشياً عليه فتعجب الملك منه ثم إنهم رشوا على وجهه ماء الورد الممزوج بالمسك والزباد فأفاق ونظر إلى السيدة شمسة وقال الحمد لله الذي بلغني مرادي وأطفأ ناري حتى لم يبق في قلبي نار فقالت له السيدة شمسة سلامتك من النار ولكن يا جانشاه أريد أن تحكي لي على ما جرى لك بعد فراقي وكيف أتيت إلى هذا المكان مع أن أكثر الجان لا يعرفون قلعة جوهر تكنى ونحن عاصون على جميع الملوك وما أحد عرف طريق هذا المكان ولا سمع به فأخبرها بجميع ما جرى له وكيف أتى وأعلمهم بما جرى لأبيه مع الملك كفيد وأخبرهم بما قاساه في الطريق وما رآه من الأهوال والعجائب وقال لها كل هذا من أجلك يا سيدتي شمسه فقال له أبوها قد بلغت المراد والسيدة شمسة جارية نهديها إليك فلما سمع ذلك جانشاه فرح فرحاً شديداً فقالت له بعد ذلك أن شاء الله تعالى في الشهر القابل ننصب الفرح ونعمل العرس ونزوجك بها ثم تذهب بها إلى بلادك ونعطيك ألف مارد من الأعوان لو أذنت لأقل من فيهم أن يقتل الملك كفيد هو وقومه لفعل ذلك في لحظة وفي كل عام نرسل إليك قوماً إذا أمرت واحداً منهم بإهلاك أعدائك جميعاً أهلكهم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥١٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أبو السيدة شمسة قال له وفي كل عام نرسل إليك قوماً إذا أمرت أقل واحداً منهم بإهلاك أعدائك جميعاً أهلكهم عن آخرهم ثم أن الملك شهلان جلس فوق التخت وأمر أرباب الدولة أن يعملوا فرحاً عظيماً ويزينوا المدينة سبعة أيام بلياليها فقالوا سمعاً وطاعة ثم ذهبوا في ذلك الوقت وأخذوا في تجهيز الأهبة للفرح ومكثوا في التجهيز مدة شهرين وبعد ذلك عملوا عرساً عظيماً للسيدة شمسة حتى صار فرحاً عظيماً لم يكن مثله ثم أدخلوا جانشاه على السيدة شمسة واستمر معها مدة سنتين في ألذ عيش وأهناه وأكل وشرب ثم بعد ذلك قال للسيدة شمسة أن أباك قد وعدنا بالذهاب إلى بلادي وأن نقعد هناك سنة وهنا سنة فقالت السيدة شمسة سمعا وطاعة ولما أمسى المساء دخلت على أبيها وذكرت له ما قاله جانشاه فقال لها سمعاً وطاعة ولكن أصبري إلى أول الشهر حتى نجهز لكما الأعوان فأخبرت جانشاه بما قاله أبوها وصبر المدة التي عينها وبعد ذلك أذن الملك شهلان للأعوان أن يخرجوا في خدمة السيدة شمسة وجانشاه حتى يوصلوهما إلى بلاد جانشاه وقد جهز لهما تختاً عظيماً من الذهب الأحمر مرصعاً بالدر والجوهر فوقه خيمة من الحرير الأخضر منقوشة بسائر الألوان مرصعة بنفيس الجواهر يحار في حسنها الناظر فطلع جانشاه هو والسيدة شمسة فوق ذلك التخت ثم انتخب من الأعوان أربعة ليحملوا ذلك التخت فحملوه وصار كل واحد منهم في جهة من جهاته وجانشاه والسيدة شمسة فوقه ثم أن السيدة شمسة ودعت أمها وأباها وأخواتها وأهلها وقد ركب أبوها وسار مع جانشاه وسارت الأعوان بذلك التخت ولم يزل الملك شهلان

سائراً معهم إلى وسط النهار ثم حطت الأعوان ذلك التخت ونزلوا ودعوا بعضهم وصار الملك شهلان يوصي جانشاه على السيدة شمسة ويوصي الأعوان عليهما ثم أمر الأعوان أن يحملوا التخت فودعت السيدة شمسة أباها وكذلك ودعه جانشاه وسارا ورجع أبوها وكان أبوها قد أعطاها ثلثمائة جارية من السراري الحسان وأعطى جانشاه ثلثمائة مملوك من أولاد الجان ثم أنهم ساروا من ذلك الوقت بعد أن طلعوا بأجمعهم على ذلك التخت والأعوان الأربعة قد حملته وطارت به بين السماء والأرض وصاروا يسيرون كل يوم مسيرة ثلاثين شهراً ولم يزالوا سائرين على هذه الحالة مدة عشرة أيام وكان في الأعوان عون يعرف بلاد كابل فلما رآها أمرهم أن ينزلوا على المدينة الكبيرة في تلك البلاد وكانت تلك المدينة مدينة الملك طيغموس فنزلوا عليها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥١٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الأعوان نزلوا على مدينة الملك طيغموس ومعهم جانشاه والسيدة شمسة وكان الملك طيغموس قد أنهزم من الأعداء وهرب في مدينته وصار في حصر عظيم وضيق عليه الملك كفيد فلما رأت السيدة شمسة الملك طيغموس ومملكته في ذلك الحال أمرت الأعوان أن يضربوا العسكر الذين حاصروهم ضرباً شديداً ويقتلوهم وقالت للأعوان لا تبقوا منهم أحداً ثم أن جانشاه أومأ إإلى عون من الأعوان شديد البأس أسمه قراطش وأمره أن يجيء بالملك كفيد مقيداً ثم أن الأعوان ساروا إليه وأخذوا ذلك التخت معهم ومازالوا سائرين حتى حطوا التخت فوق الأرض ونصبوا الخيمة على التخت وصبروا إلى نصف الليل ثم هجموا على الملك كفيد وعساكره وساروا يقتلونهم وصار الواحد يأخذ عشرة أو ثمانية وهم على ظهر الفيلة ويطير بهم إلى الجو ثم يلقيهم فيتمزقون في الهواء وكان بعض الأعوان يضرب العساكر بالعمد الحديد ثم أن العون الذي اسمه قراطش ذهب من وقته إلى خيمة الملك كفيد فهجم عليه وهو أجالس فوق السرير وأخذه وطار به إلى الجو فزعق من هيبة ذلك العون ولم يزل طائراً به حتى وضعه على التخت قدام جانشاه فأمر الأعوان الأربعة أن يقتلعوا التخت ينصبوه في الهواء فلم ينتبه الملك كفيد إلا وقد رأى نفسه ما بين السماء والأرض فصار يلطم وجهه ويتعجب من ذلك هذا ما كان من أمر الملك كفيد (وأما) ما كان من أمر الملك طيغموس فإنه لما رأى ابنه كاد يموت من شدة الفرح وصاح صيحة عظيمة ووقع مغمى عليه فرشوا على وجهه ماء الورد فلما أفاق تعانق هو وابنه وبكيا بكاء شديداً ولم يعلم الملك طيغموس بأن الأعوان في قتال الملك كفيد وبعد ذلك قامت السيدة شمسه وتمشت حتى وصلت إلى الملك طيغموس أبى جانشاه وقبلت يديه وقالت له يا سيدي أصعد إلى أعلا القصر وتفرج على قتال أعوان أبي فصعد الملك إلى أعلا القصر وجلس هو والسيدة شمسة يتفرجان على حرب الأعوان وذلك أنهم صاروا يضربون في العساكر طولاً وعرضاً وكان

منهم من يأخذ العمود الحديد ويضرب به الفيل فينهرس الفيل والذي على ظهره حتى صارت الفيلة لا تتميز من الآدميين ومنهم من يجيء جماعة وهم هاربون فيصيح في وجوههم فيسقطون ميتين ومنهم من يقبض على نحو العشرين فارساً ويقلع بهم إلى الجو ويلقيهم إلى الأرض فيتقطعون قطعاً هذا وجانشاه ووالده والسيدة شمسة ينظرون إليهم ويتفرجون على القتال وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥١٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن طيغموس هو وابنه جانشاه وزوجته السيدة شمسة ارتقوا إلى أعلا القصر وصاروا يتفرجون على قتال الأعوان مع عسكر الملك كفيد وصار الملك كفيد ينظر إليهم وهو فوق التخت ويبكي ومازال القتل في عسكره مدة يومين حتى قطعوا عن آخرهم ثم أن جانشاه أمر الأعوان أن يأتوا بالتخت وينزلوا به إلى الأرض في وسط قلعة الملك طيغموس فأتوا به وفعلوا ما أمرهم به سيدهم الملك جانشاه ثم إن الملك طيغموس أمر عوناً من الأعوان يقال له شموال أن يأخذ الملك كفيد ويجعله في السلاسل والأغلال ويسجنه في البرج الأسود ففعل شموال ما أمره به ثم بعد ذلك بأيام توجهت السيدة شمسة إلى الملك طيغموس وتشفعت عنده في الملك كفيد وقالت له أطلقه ليرجع إلى بلاده إن حصل منه شر أمرت أحد الأعوان أن يخطفه ويأتيك به فقال لها سمعاً وطاعة ثم أرسل إلى شموال أن يحضر إليه بالملك كفيد فأتى به في السلاسل والأغلال فلما قدم عليه قبّل الأرض بين يديه فأمر الملك أن يحلوه من تلك الأغلال فحلوه منها ثم أركبه على فرس عرجاء وقال له أن الملكة شمسة قد تشفعت فيك إذهب إلى بلادك وإن عدت لما كنت عليه فإنها نرسل إليك عوناً من الأعوان فيأتي بك فسار الملك كفيد إلى بلاده وهو في أسوأ حال. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥١٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك كفيد سار إلى بلاده وهو في أسوأ حال ثم أن جانشاه قعد هو وأبوه والسيدة شمسة في ألذ عيش وأهنأ وأطيب سرور وأوفاه وكل هذا يحكيه الشاب الجالس بين القبرين لبلوقيا ثم قال له وها أنا جانشاه الذي رأيت هذا كله يا أخي يا بلوقيا فتعجب بلوقيا من حكايته ثم أن بلوقيا السائح في حب محمد ﷺ قال لجانشاه يا أخي وما شأن هذين القبرين وما جلوسك بينهما وما سبب بكائك فرد عليه جانشاه وقال له اعلم يا بلوقيا أننا كنا في ألذ عيش وأهناه وأطيب سرور وأوناه وكنا نقيم ببلادنا سنة وبقلعة جوهر تكنى سنة ولا نسير إلا ونحن جالسون فوق التخت والأعوان نحمله وتطير به بين السماء والأرض فقال له بلوقيا يا أخي يا جانشاه ما كان طول المسافة التي بين تلك القلعة وبين بلادكم فرد عليه جانشاه وقال له كنا نقطع في كل يوم مسافة ثلاثين شهراً وكنا نصل إلى القلعة في عشرة

أيام ولم نزل على هذه الحالة مدة من السنين فاتفق أننا سافرنا على عادتنا حتى وصلنا إلى هذا المكان فنزلنا فيه بالتخت لنتفرج على هذه الجزيرة فجلسنا على شاطيء النهر وأكلنا وشر بنا فقالت السيدة شمسة أني أريد أن أغتسل في هذا النهر ثم نزعت ثيابها ونزع الجواري ثيـ ابهن ونزلن في النهر وسبحان فيه ثم أني تمشيت على شاطيء النهر وتركت الجواري يلعبن فيـ ه مع السيدة شمسه فإذا بفرس عظيم من دواب البحر ضربها في رجلهـ ا مـ ن دون الجـ واري فصرخت ووقعت ميتة من وقتها وساعتها فطلعت الجواري من النهر هاربات إلى الخيمة من ذلك الفرس ثم أن بعض الجواري حملها وأتى بها الخيمة وهي ميتة فلما رأيتها ميتـ ـة وقعـ ـت مغشياً على فرشوا وجهي بالماء فلما أفقت بكيت عليها وأمرت الأعوان أن يأخـ ذوا التخـ ـت ويروحوا به إلى أهلها ويعلموهم بما جرى لها فراحوا إلى أهلها واعلموهم بما جرى فلم يغب أهلها إلا قليلاً حتى أتوا هذا المكان فغسلوها وكفنوها وفي هذا المكان دفنوها وعملوا عزاءها وطلبوا أن يأخذوني معهم إلى بلادهم فقلت لأبيها أريد منك أن تحفر لي حفرة بجانب قبرهـ ا واجعل تلك الحفرة قبراً لي لعلي إذا مت أدفن فيها بجانبها فأمر الملـ ك شـ ـهلان عونـ ـاً مـ ن الأعوان بذلك ففعل لي ما أردته ثم راحوا من عندي وخلوني هنا أنوح وأبكي عليهـ ا وهـ ذه قصتي وسبب قعودي بين هذين القبرين ثم أنشد هذين البيتين:

ما الدار مذ غبتم يـ ـا سـ ـادتي دار	**كلا ولا ذلك الجـ ـار الرضـ ـى جـ ـار**
ولا الأنيس الذي قد كنـ ـت أعهـ ـده	**فيهـ ـا أنـ ـيس ولا الأنـ ـوار أنـ ـوار**

فلما سمع بلوقيا هذا الكلام من جانشاه تعجب وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥١٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن بلوقيا لما سمع هذا الكلام من جانشاه تعجب وقال والله أني كنت أظن أنني سحت ودرت طائفاً في الأرض والله أني نسيت الذي رأيته بما سمعته من قصتي ثم أنه قال لجانشاه أريد من فضلك وإحسانك يا أخي أنك تدلني على طريـ ـق السـ ـلامة فدله على الطريق ثم ودّعه وسار وكل هذا الكلام تحكيه ملكة الحيات لحاسب كريم الدين فقال لها حاسب يا ملكة الحيات أخبريني بما جرى لبلوقيا حين عاد إلى مصر فقالت له اعلـ ـم يـ ـا حاسب أن بلوقيا لما فارق جانشاه سار ليالي وأياماً حتى وصل إلى بحر عظيم ثم أنـ ـه دهـ ـن قدميه من الماء الذي معه ومشى على وجه الماء حتى وصل إلى جزيرة ذات أشجار وأنهـ ـار كأنها الجنة ودار في تلك الجزيرة فرأى شجرة عظيمة ورقها مثل قلوع المراكب فقرب مـ ـن تلك الشجرة فرأى تحتها سماطاً ممدوداً وفيه جميع الألوان الفاخرة من الطعام ورأى على تلك الشجرة طيراً عظيماً من اللؤلؤ والزمرد الأخضر ورجلاه من الفضة ومنقاره مـ ـن اليـ ـاقوت

الأحمر وريشه من نفيس المعادن وهو يسبح الله تعالى ويصلي على محمد ﷺ وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٢٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن بلوقيا لما طلع الجزيرة ووجدها كالجنة تمشي في جوانبها ورأى فيها من العجائب ومن جملتها الطير الذي هو من اللؤلؤ والزمرد الأخضر وريشه من نفيس المعادن على تلك الحالة وهو يسبح الله تعالى ويصلي على محمد ﷺ فلما رأى بلوقيا ذلك الطائر العظيم قال له من أنت وما شأنك فقال له أنا من طيور الجنة واعلم يا أخي أن الله تعالى أخرج آدم من الجنة وأخرج معه أربع ورقات استتر بها فسقطن في الأرض فواحدة منهن أكلها الدود فصار منها الحرير والثانية أكلها الغزلان فصار منها المسك والثالثة أكلها النحل فصار منها العسل والرابعة وقعت في الهند فصار منها البهار وأما أنا فإني سحت في جميع الأرض إلى أن منّ الله عليّ بهذا المكان فمكثت فيه وأنه في كل جمعة ويومها تأتي الأولياء والأقطاب الذين في الدنيا هذا المكان ويزورونه ويأكلون من هذا الطعام وهو ضيافة الله تعالى لهم يضيفهم به في كل ليلة جمعة ويومها وبعد ذلك يرتفع السماط إلى الجنة ولا ينقص أبداً ولا يتغير فأكل بلوقيا ولما فرغ من الأكل حمد الله تعالى فإذا الخضر عليه السلام قد أقبل فقام بلوقيا إليه وسلم عليه وأراد أن يذهب فقال له الطير أجلس يا بلوقيا في حضرة الخضر عليه السلام فجلس بلوقيا فقال له الخضر اخبرني بشأنك واحك لي حكايتك فأخبره بلوقيا بجميع ما جرى له من الأول إلى الآخر إلى أن أتاه ووصل إلى المكان الذي هو جالس فيه بين يدي الخضر ثم قال له يا سيدي ما مقدار الطريق من هنا إلى مصر فقال له مسيرة خمسة وتسعين عاماً فلما سمع بلوقيا هذا الكلام بكي ثم وقع على يد الخضر وقبلها وقال له أنقذني من هذه الغربة وأجرك على الله لأني قد أشرفت على الهلاك وما بقيت لي حيلة فقال له الخضر أدع الله تعالى أن يأذن لي أن أوصلك إلى مصر قبل أن تهلك فبكي بلوقيا وتضرع إلى الله تعالى فتقبل الله دعاءه وألهم الخضر عليه السلام أن يوصله إلى أهله فقال الخضر عليه السلام لبلوقيا ارفع رأسك فقد تقبل الله دعاءك والهمني أن أوصلك إلى مصر فتعلق بي وأقبض عليّ بيديك وأغمض عينيك فتعلق بلوقيا بالخضر عليه السلام وقبض عليه بيديه وأغمض عينيه وخطى الخضر عليه السلام خطوة ثم قال لبلوقيا افتح عينيك ففتح عينيه فرأى نفسه واقفاً على باب منزله ثم أنه التفت ليودع الخضر عليه السلام فلم يجد له أثراً وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٢١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن بلوقيا لما أوصله الخضر عليه السلام إلى باب منزله فتح عينيه ليودعه فلم يجده فدخل بيته فلما رأته أمه صاحت صيحة عظيمة ووقعت مغشياً

عليها من شدة الفرح فرشوا على وجهها الماء حتى أفاقت فلما أفاقت عانقته وبكت بكاء شديداً وصار بلوقيا تارة يبكي وتارة يضحك وأتاه أهله وجماعته وجميع أصحابه وصاروا يهنئون ه بالسلامة وشاعت الأخبار في البلاد وجاءته الهدايا من جميع الأقطار ودقت الطبول وزم رت الزمور وفرحوا فرحاً شديداً ثم بعد ذلك حكى لهم بلوقيا حكايته وأخبرهم بجميع ما جرى ل ه وكيف أتى به الخضر وأوصله إلى باب منزله فتعجبوا من ذلك وبكوا حتى ملّوا م ن البك اء وكل هذا تحكيه ملكة الحيات لحاسب كريم الدين فتعجب حاسب كريم الدين من ذل ك وبك ى بكاء شديداً ثم قال لملكة الحيات أني أريد الذهاب إلى بلادي فقالت ملكة الحيات أني أخاف ي ا حاسب إذا وصلت إلى بلادك أن تنقض العهد وتحنث في اليمين الذي حلفته وت دخل الحمّ ام فحلف يميناً آخراً وثيقة أنه لن يدخل الحمّام طول عمره فأمرت حية وقالت لها اخرجي حاسباً كريم الدين إلى وجه الأرض فأخذته الحية وسارت به من مكان إلى مكان حتى أخرجته عل ى وجه الأرض من سطح جب مهجور ثم مشى حتى وصل إلى المدينة وتوجه إلى منزله وك ان ذلك آخر النهار وقت أصفرار الشمس ثم طرق الباب فخرجت أمه وفتحت الباب فرأت ابنه ا واقفاً فلما رأته صاحت من شدة فرحتها وألقت نفسها عليه وبكت فلما سمعت زوجت ه بكاه ا خرجت إليها فرأت زوجها فسلمت عليه وقبّلت يديه وفرح بعضهم ببعض فرحاً عظيماً ودخل البيت فلما استقر بهم الجلوس وقعد بين أهله سأل عن الحطابين الذين كانوا يحتطب ون مع ه وراحوا وخلّوه في الجب فقالت له أمه أنهم أتوني وقالوا لي أن ابنك أكله الذئب في الوادي وقد صاروا تجاراً وأصحاب أملاك ودكاكين واتسعت عليهم الدنيا وهم في كل يوم يجيئوننا بالأكل والشرب وهذا دأبهم إلى الآن فقال لأمه في غد روحي إليهم وقولي لهم قد جاء حاسب ك ريم الدين من سفره فتعالوا وقابلوه وسلموا عليه فلما أصبح الصباح راحت أمه إلى بيوت الحطابين وقالت لهم ما وصاها به ابنها فلما سمع الحطابين ذلك الكلام تغيرت أل وانهم وق الوا سـ معاً وطاعة وقد أعطاها كل واحد منهم بدلة من الحرير مطرز بالذهب وقالوا لها أعطي ولدك هذه ليلبسها وقولي له أنهم في غد يأتون عندك فقالت لهم سمعاً وطاعة ثم رجعت من عندهم إل ى ابنها وأعلمته بذلك وبما أعطوها أياه هذا ما كان من أمر حاسب كريم الدين وأمه (وأما) م ا كان من أمر الحطابين فإنهم جمعوا جماعة من التجار وأعلموهم بما حصل م نهم ف ي ح ق حاسب كريم الدين وقالوا لهم كيف نصنع معه الآن فقال لهم التجار ينبغي لكل منهم أن يعطيه نصف ماله ومماليكه فاتفق الجميع على هذا الرأي وكل واحد أخذ نصف ماله معه وذهبوا إليه جميعاً وسلموا عليه وقبّلوا يديه وأعطوه ذلك وقالوا له هذا من بعض إحسانك وقد صرنا ب ين يديك فقبله منهم وقال لهم قد راح الذي راح وهذا مقدر م ن الله تع الى والمق دور يغل ب المحذور فقالوا له قم بنا نتفرج في المدينة وندخل الحمام فقال لهم أنا قد صدر مني يمين أنني لا أدخل الحمّام طول عمري فقالوا قم بنا لبيوتنا حتى نضيفك فقال لهم سمعاً وطاعة ث م ق ام

وراح معهم إلى بيوتهم وصار كل واحد منهم يضيفه ليلة ولم يزالوا على هذه الحالة مدة سبع ليال وقد صار صاحب أموال وأملاك ودكاكين واجتمعت به تجار المدينة فأخبرهم بجميع ما جرى له وما رآه وصار من أعيان التجار ومكث على هذا الحال مدة من الزمان فاتفق أنه خرج يوماً من الأيام يتمشى في المدينة فرآه صاحب حمّام وهو جائز على باب الحمّام ووقعت العين على العين فسلم عليه وعانقه وقال له تفضل علي بدخول الحمّام وتكيس حتى أعمل لك ضيافة فقال له صدر مني يمين أنني لا أدخل الحمّام مدة عمري فحلف الحمّامي وقال له نسائي الثلاث طالقات ثلاثاً إن لم تدخل معي الحمام وتغتسل فيه فتحير حاسب كريم الدين في نفسه وقال أتريد يا أخي أنك تيتم أولادي وتخرب بيتي وتجعل الخطيئة في رقبتي فارتمى الحمّامى على رجل حاسب كريم الدين وقبلها وقال له أنا في جيرتك أن تدخل معي الحمام وتكون الخطيئة في رقبتي أنا واجتمع عملة الحمام وكل من فيه على حاسب كريم الدين وتداخلوا عليه ونزعوا عنه ثيابه وأدخلوه الحمام فبمجرد ما دخل الحمام وقعد بجانب الحائط وسكب على رأسه من الماء أقبل عليه عشرون رجلاً وقالوا له قم يا أيها الرجل من عندنا فإنك غريم السلطان وأملوا واحداً منهم إلى وزير السلطان فراح الرجل واعلم الوزير فركب الوزير وركب معه ستون مملوكاً وساروا حتى أتوا إلى الحمام واجتمعوا بحاسب كريم الدين وسلم عليه الوزير ورحب به وأعطى الحمامي مائة دينار وأمر أن يقدموا لحاسب حصاناً ليركبه ثم ركب الوزير وحاسب وكذلك جماعة الوزير وأخذوه معهم وساروا به حتى وصلوا إلى قصر السلطان فنزل الوزير ومن معه ونزل حاسب وجلسوا في القصر وأتوا بالسماط فأكلوا وشربوا ثم غسلوا أيديهم وخلع عليه الوزير خلعتين كل واحدة تساوي خمسة آلاف دينار وقال له اعلم أن الله قد منّ علينا بك ورحمنا بمجيئك فإن السلطان كان أشرف على الموت من الجذام الذي به وقد دلت عندنا الكتب على أن حياته على يديك فتعجب حاسب من أمرهم ثم تمشى الوزير وحاسب وخواص الدولة من أبواب القصر السبعة إلى أن دخلوا على الملك وكان يقال له الملك كرزدان ملك العجم وقد ملك الأقاليم السبعة وكان في خدمته مائة سلطان يجلسون على كراسي من الذهب الأحمر وعشرة آلاف بهلوان كل بهلوان تحت يده مائة نائب ومائة جلاد وبأيديهم السيوف والأطبار فوجدوا ذلك الملك نائماً ووجهه ملفوف في منديل وهو يئن من شدة الأمراض فلما رأى حاسب هذا الترتيب دهش عقله من هيبة الملك كرزدان وقبل الأرض بين يديه ودعا له ثم أقبل عليه وزيره الأعظم وكان يقال له الوزير شمهور ورحب به وأجلسه على كرسي عظيم عن يمين الملك كرزدان. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٢٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير شمهور أقبل على حاسب وأجلسه على كرسـ ـي عن يمين الملك كرزدان وأحضر والسماط فأكلوا وشربوا وغسلوا أيديهم ثم بعـ ـد ذلـ ـك قـ ـام الوزير شمهور وقام لأجله كل من في المجلس هيبة له وتمشى إلى نحو حاسب كـ ـريم الـ ـدين وقال له نحن في خدمتك وكل ما طلبت نعطيك ولو طلبت نصف الملك أعطيناك أياه لأن شفاء الملك على يديك ثم أخذه من يده وذهب به إلى الملك فكشف حاسب عن وجه الملك ونظر إليه فرآه في غاية المرض فتعجب من ذلك ثم أن الوزير نزل على يد حاسب وقبلها وقال له نريد منك أن تداري هذا الملك والذي تطلبه نعطيك إياه وهذه حاجتنا عندك فقال حاسب نعم إني ابن دانيال نبي الله لكنني ما أعرف شيئاً من العلم فإنهم وضعوني في صنعة الطب ثلاثين يوماً فلم أتعلم شيئاً من تلك السنة وكنت أود لو عرفت شيئاً من العلم وأداوي هذا الملك فقال الوزير لا تطل علينا الكلام فلو جمعنا حكماء المشرق والمغرب ما يداوي الملك إلا أنت فقال له حاسـ ـب كيف أداويه وأنا ما أعرف داؤه ولا دواؤه فقال له الوزيران دواء الملك عندك قال له حاسـ ـب لو كنت أعرف دواءه لداويته فقال له الوزير أنت تعرف دواءه معرفة جيدة فإن دواءه ملكـ ـة الحيات وأنت تعرف مكانها ورأيتها وكنت عندها فلما سمع حاسب هذا الكلام عرف أن سـ ـبب ذلك دخول الحمام وصار يتندم حيث لا ينفعه الندم وقال لهم كيف يكون دواؤه ملكة الحيـ ـات وأنا لا أعرفها ولا سمعت طول عمري بهذا الاسم فقال الوزير لا تنكر معرفتها فـ ـإن عنـ ـدي دليلاً على أنك تعرفها وأقمت عندها سنتين فقال حاسب أنا لا أعرفها ولا رأيتها ولا سـ ـمعت بهذا الخبر إلا في هذا الوقت منكم فأحضر الوزير كتاباً وفتحه وصار يحسب ثم قال إن ملكـ ـة الحيات تجتمع برجل يمكث عندها سنتين ويرجع من عندها ويطلع على وجـ ـه الأرض فـ ـإذا دخل الحمام تسود بطنه ثم قال لحاسب انظر على بطنك فنظر عليها فرآها سوداء فقـ ـال لهـ ـم حاسب إن بطني سوداء من يوم ولدتني أمي فقال له أنا كنت وكلت على كـ ـل حمـ ـام ثلاثـ ـة مماليك لأجل أن يتعهدوا كل من يدخل الحمام وينظروا إلى بطنه ويعلموني به فلما دخلت أنت الحمام نظروا إلى بطنك فوجدوها سوداء فأرسلوا إلي خبراً بذلك وما صدقنا أننا نجتمع بك في هذا اليوم وما لنا عندك حاجة إلا أن ترينا الموضع الذي طلعت منه وتروح إلى حال سـ ـبيلك ونحن نقدر على إمساك ملكة الحيات وعندنا من يأتينا بها فلما سمع حاسب هذا الكلام ندم على دخول الحمام ندماً عظيماً حيث لا ينفعه الندم وصار الأمراء والوزراء يتداخلون على حاسب في يأن يخبرهم بملكة الحيات حتى عجزوا وهو يقول لا رأيت هذا الأمر ولا سمعت به فعنـ ـد ذلك طلب الوزير الجلاد فأتوه به فأمره أن ينزع ثياب حاسب عنه ويضربه ضرباً شديداً ففعل ذلك حتى عاين الموت من شدة الضرب وبعد ذلك قال الوزير أن عندنا دليلاً على أنك تعرف مكان ملكة الحيات فلأي شيء أنت تنكره أرنا الموضع الذي خرجت منه وابعد عنـ ـا وعنـ ـدنا الذي يمسكها ولا ضرر عليك ثم لاطفه وأقامه وأمر له بخلعة مزركشـ ـة بالـ ـذهب والمعـ ـادن

فامتثل حاسب لأمر الوزير وقال له أنا أريكم الموضع الذي خرجت منه فلما سمع الوزير كلامه فرح فرحاً شديداً وركب هو والأمراء جميعاً وركب حاسب وسار قدام العساكر ومازالوا سائرين حتى وصلوا إلى الجبل ثم إنه دخل بهم إلى المغارة وبكى وتحسر ونزلت الأمراء والوزراء وتمشوا وراء حاسب حتى وصلوا إلى البئر الذي طلع منه ثم تقدم الوزير وجلس وأطلق البخور وأقسم وتلا العزائم ونفث وهمهم لأنه كان ساحراً ماكراً كاهناً يعرف علم الروحاني وغيره ولما فرغ من عزيمته الأولى قرأ عزيمة ثانية وعزيمة ثالثة وكلما فرغ البخور وضع غيره على النار ثم قال أخرجي يا ملكة الحيات فإذا البئر قد غاص ماؤها وانفتح فيها باب عيم وخرج منها صراخ عظيم مثل الرعد حتى ظنوا أن تلك البئر قد انهدمت ووقع جميع الحاضرين في الأرض مغشياً عليهم ومات بعضهم وخرج من تلك البئر حية عظيمة مثل الفيل يطير من عينيها ومن فيها الشرر مثل الجمر وعلى ظهرها طبق من الذهب الأحمر مرصع بالدر والجوهر وفي وسط ذلك الطبق حية تضيء المكان ووجهها كوجه إنسان وتتكلم بأفصح لسان وهي ملكة الحيات والتفتت يميناً وشمالاً فوقع بصرها على حاسب كريم الدين فقالت له أين العهد الذي عاهدتني به واليمين الذي حلفته لي من أنك لا تدخل الحمام ولكن لا تنفع حيلة في القدر والذي على الجبين مكتوب ما منه هروب وقد جعل الله آخر عمري على يديك وبهذا حكم الله وأراد أن أقتل أنا والملك كرزدان يشفى من مرضه ثم أن ملكة الحيات بكت بكاء شديداً وبكى حاسب لبكائها ولما رأى الوزير شمهور الملعون ملكة الحيات مدّ يده عليها ليمسكها فقالت له امنع يدك يا ملعون وإلا نفخت عليك وصيرتك كوم أسود ثم صاحت على حاسب وقالت له تعال عندي وخذني بيدك وحطني في هذه الصينية التي معكم واحملها على رأسك فإن موتي على يدك مقدر من الأزل ولا حيلة لك في دفعه فأخذها حاسب وحطها في الصينية وحملها على رأسه وعادت البئر كما كانت ثم ساروا وحاسب حامل الصينية التي هي على رأسه فبينما هم في أثناء الطريق إذ قالت ملكة الحيات لحاسب كريم الدين سراً يا حاسب اسمع ما أقوله لك من النصيحة وإن كنت نقضت العهد وحنثت في اليمين وفعلت هذه الأفعال لأن ذلك مقدر من الأزل فقال لها سمعاً وطاعة ما الذي تأمرينني به يا ملكة الحيات فقالت له إذا وصلت إلى بيت الوزير فإنه يقول لك اذبح ملكة الحيات وقطعها ثلاث قطع فامتنع من ذلك ولا تفعل وقل له أنا ما أعرف الذبح لأجل أن يذبحني هو بيده ويعمل في ما يريد فإذا ذبحني وقطعني يأتيه رسول من عند الملك كرزدان ويطلبه إلى الحضور عنده فيضع لحمي في قدر من النحاس ويضع القدر فوق الكانون قبل الذهاب إلى الملك ويقول لك أوقد النار على القدر حتى تطلع رغوة اللحم فخذها وحطها في قنينة وأصبر عليها حتى تبرد وأشربها أنت فإذا شربتها لا يبقى في بدنك وجع فإذا طلعت الرغوة الثانية فحطها عندك في قنينة ثانية حتى يجيء من عندك الملك وأشربها من أجل مرض في صلبي

ثم أنه يعطيك القنانيتين ويروح إلى الملك فإذا راح إليه فأوقد النار على القدر حتى تطلع الرغوة الأولى فخذها وحطها في قنانية واحفظها عندك وإياك أن تشربها فإن شربتها لم يحصل لك خيراً وإذا طلعت الرغوة الثانية فحطها في القنانية الثانية وأصبر حتى تبرد واحفظها عندك حتى تشربها فإذا جاء من عند الملك وطلب منك القنانية الثانية فاعطه الأولى وانظر ما يجري له وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٢٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن ملكة الحيات أوصت حاسباً كريم الدين بعدم الشرب من الرغوة الأولى والمحافظة على الرغوة الثانية وقالت له إذا رجع الوزير من عند الملك وطلب منك القنانية الثانية فأعطه الأولى انظر ما يجري له ثم بعد ذلك اشرب أنت الثانية فإذا شربتها تصير قلبك بيت الحكمة ثم بعد ذلك أطلع اللحم وحطه في صينية من النحاس وأعط الملك إياه ليأكله فإذا أكله واستقر في بطنه فاستر وجهه بمنديل وأصبر عليه إلى وقت الظهر حتى تبرد بطنه وبعد ذلك اسقه شيئاً من الشراب فإنه يعود صحيحاً كما كان ويبرأ من مرضه بقوة الله تعالى واسمع هذه الوصية التي أوصيك بها وحافظ عليها كل المحافظة ومازالوا سائرين حتى أقبلوا على بيت الوزير فقال الوزير لحاسب ادخل معي البيت فلما دخل الوزير وحاسب وتفرق العساكر وراح كل منهم إلى حال سبيله وضع حاسب الصينية التي فيها ملكة الحيات من فوق رأسه ثم قال له الوزير اذبح ملكة الحيات فقال له حاسب أنا لا أعرف الذبح وعمري ماذبحت شيئاً فإن كان لك غرض في ذبحها فاذبحها أنت بيدك فقام الوزير شمهور وأخذ ملكة الحيات من الصينية التي هي فيها وذبحها فلما رأى حاسب ذلك بكى بكاء شديداً فضحك شمهور منه وقال له يا ذاهل العقل كيف تبكي من أجل ذبح حية وبعد أن ذبحها الوزير قطعها ثلاث قطع ووضعها في قدر من النحاس ووضع القدر على النار وجلس ينتظر نضج لحمها فبينما هو جالس وإذا بمملوك أقبل عليه من عند الملك وقال له أن الملك يطلبك في هذه الساعة فقال له الوزير سمعاً وطاعة ثم قام وأحضر قنانيتين لحاسب وقال له أوقد النار على هذا القدر حتى تخرج رغوة اللحم الأولى فإذا خرجت فاكشفها من فوق اللحم وحطها في إحدى هاتين القنانتين وأصبر عليها حتى تبرد واشربها أنت فإذا شربتها صح جسمك ولا يبقى في جسدك وجع ولا مرض وإذا طلعت الرغوة الثانية فضعها في القنانية الأخرى واحفظها عندك حتى أرجع من عند الملك وأشربها لأن في صلبي وجعاً عساه يبرأ إذا شربتها ثم توجه على الملك بعد أن أكد على حاسب في تلك الوصية فصار حاسب يوقد النار تحت القدر حتى طلعت الرغوة الأولى فكشطها وحطها في قنانية من الأثنين ووضعها عنده ولم يزل يوقد النار تحت القدر حتى طلعت الرغوة الثانية فكشطها في القنانية الأخرى وحفظها عنده ولما استوى اللحم أنزل القدر من فوق النار وقعد ينتظر الوزير فلما أقبل الوزير من عند

الملك قال لحاسب أي شيء فعلت فقال له حاسب قد انقضى الشغل فقال له الوزير ما فعلت في القنانية الأولى قال له شربت ما فيها في هذا الوقت فقال له الوزير أرى جسدك لم يتغير منه شيء فقال له حاسب أن جسدي من فوقي إلى قدمي أحس منه بأنه يشتعل مثل النار فكتم الماكر الوزير شمهور الأمر عن حاسب خداعاً ثم أنه قال له هات القنانية الثانية لأشرب ما فيها لعلي أشفى وأبرأ من هذا المرض الذي في صلبي ثم أنه شرب ما في القنانية الأولى وهو يظن أنها الثانية فلم يتم شربها حتى سقطت من يده وتورم من ساعته وصح فيه قول صاحب المثل من حفر بئراً لأخيه وقع فيه فلما رأى حاسب ذلك الأمر تعجب منه وصار خائفاً من شرب القنانية الثانية ثم تفكر وصية الحية وقال في نفسه لوكان ما في القنانية الثانية مضراً ما كان الوزير اختارها لنفسه ثم أنه قال توكلت على الله تعالى وشرب ما فيها ولما شربه فجر الله في قلبه ينابيع الحكمة وفتح له عين العلم نحصل له الفرح والسرور وأخذ اللحم الذي كان في القدر ووضعه في صينية من نحاس وخرج به من بيت الوزير ورفع رأسه إلى السماء فرأى السموات السبع وما فيهن إلى سدرة المنتهى ورأى كيفية دوران الفلك وكشف الله له عن جميع ذلك ورأى النجوم السيارة والثوابت وعلم كيفية سير الكواكب وشاهد هيئة البر والبحر واستيقظ من ذلك وعلم التنجيم وعلم الهيئة وعلم الفلك وعلم الحساب وما يتعلق بذلك كله وعرف ما يترتب على الكسوف والخسوف وغير ذلك ثم نظر إلى الأرض فعرف ما فيها من المعادن والنبات والأشجار وعلم جميع ما لها من الخواص والمنافع واستنبط من ذلك علم الطب وعلم السيمياء وعلم الكيمياء وعرف صنعة الذهب والفضة ولم يزل سائراً بذلك اللحم حتى وصل إلى قصر الملك كرزدان ودخل عليه وقبل الأرض بين يديه وقال له تعيش رأسك في وزيرك شمهور فاغتاظ الملك غيظاً شديداً بسبب موت وزيره وبكى بكاء شديداً وبكت عليه الوزراء والأمراء وأكابر الدولة ثم بعد ذلك قال الملك كرزدان أن الوزير شمهور كان عندي في هذا الوقت وهو في غاية الصحة ثم ذهب ليأتيني باللحم إن كان طبخه فما سبب موته في هذه الساعة وأي شيء عرض له من العوارض فحكى حاسب للملك جميع ما جرى لوزيره ثم أنه شرب القنانية وتورم وانتفخ بطنه ومات فحزن عليه الملك حزناً شديداً ثم قال لحاسب كيف حالي بعد شمهور فقال حاسب لا تحمل هما يا ملك الزمان فأنا أدوايك في ثلاثة أيام ولا أترك في جسمك شيء من الأمراض فانشرح صدر الملك كرزدان وقال لحاسب أنا مرادي أن أعافى من هذا البلاء ولو بعد مدة من السنين فقام حاسب وأتى بالقدر وحطه قدام الملك وأخذ قطعة من لحم ملكة الحيات وأطعمها للملك كرزدان وغطاه ونشر على وجه منديلاً وقعد عنده وأمره بالنوم فنام من وقت الظهر إلى وقت المغرب حتى دارت قطعة اللحم في بطنه ثم بعد ذلك أيقظه وسقاه شيء من الشراب وأمره بالنوم فنام الليل إلى وقت الصبح ولما طلع النهار فعل معه مثل ما فعل بالأمس حتى أطعمه القطع الثلاث على ثلاثة أيام فقب جلد

الملك وانقشر جميعه فعند ذلك عرق الملك حتى جرى العرق من رأسه إلى قدمه وتعافى وما بقي في جسده شيء من الأمراض وبعد ذلك قال له حاسب لابد من دخول الحمام ثـ م أدخلـ ه الحمام وغسل جسده وأخرجه فصار جسمه مثل قضيب الفضة وعاد لما كان عليه من الصحة وردت له العافية أحسن ما كانت أولاً ثم أنه لبس أحسن ملبوسه وجلـ س علـ ى التخـ ت وأذن لحاسب كريم الدين في أن يجلس معه فجلس بجانبه ثم أمر الملك بمد السماط فمد وأكلا وغسلا أيديهما وبعد ذلك أمر أن يأتوا بالمشروب فأتوا بما طلب فشربا ثم بعد ذلك أتى جميع الأمراء والوزراء والعسكر وأكابر الدولة وعظماء رعيته وهنوه بالعافية والسـ لامة ودقـ وا الطبـ ول وزينوا المدينة من أجل سلامة الملك ولما اجتمعوا عنده للتهنئة قال لهـ م الملـ ك يـ ا معشـ ر الوزراء والأمراء وأرباب الدولة هذا حاسب كريم الدين داوني من مرضي اعلموا أننـ ي قـ د جعلته وزيراً أعظم من مكان الوزير شمهور وأدرك شهرزاد الصباح فسـ كتت عـ ن الكـ لام المباح.

(وفي ليلة ٥٢٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك قال لوزرائه وأكابر دولته أن الذي داواني مـ ن مرضي وهو حاسب كريم الدين وقد جعلته وزيراً أعظم من مكان الوزير شمهور فمن أحبـ ه فقد أحبني ومن أكرمه فقد أكرمني ومن أطاعه فقد أطاعني فقالوا له الجميع سمعاً وطاعة ثـ م قاموا كلهم وقبلوا يد حاسب كريم الدين وسلموا عليه وهنوه بالوزارة ثم بعد ذلك خلـ ع عليـ ه الملك خلعة سنية منسوجة بالذهب الأحمر رصعة بالدرر والجوهر أقل جوهرة فيهـ ا تسـ اوي خمسة آلاف دينار وأعطاه ثلثمائة مملوك وثلثمائة سرية تضيء مثل الأقمار وثلثمائة جاريـ ة من الحبش وخمسمائة بغلة محملة من المال وأعطاه من المواشي والغنم والجاموس والبقر مـ ا يكل عنه الوصف و بعد هذا كله أمر وزراءه وأمراءه وأرباب دولته وأكابر مملكته وعمـ وم رعيته أن يهاودوه ثم أركب حاسب كريم الدين وركبت خلفه الوزراء والأمراء وأرباب الدولـ ة وجميع العساكر وساروا إلى بيته الذي أخلاه له الملك ثم جلس على كرسـ ي وتقـ دمت إليـ ه الأمراء والوزراء وقبلوا يده وهنوه بالوزارة وصاروا كلهم في خدمته وفرحت أمه بذلك فرحاً شديداً وهنأته بالوزارة وجاء أهله وهنوه بالسلامة والوزارة وفرحوا به فرحاً شديداً ثم بعد ذلك أقبل عليه أصحابه الحطابون وهنوه بالوزارة وبعد ذلك ركب وسار حتى وصل إلـ ى قصـ ر الوزير شمهور فختم على بيته ووضع يده على ما فيه ثم نقله إلى بيته وبعد أن كان لا يعرف شيء من العلوم ولا قراءة الخط صار عالماً بجميع العلوم بقدرة الله تعـ الى وانتشـ ر علمـ ه وشاعت حكمته في جميع البلاد واشتهر بالتبحر في علم الطب والهيئـ ة والهندسـ ة والتنجـ يم والكيمياء والسيمياء والروحاني وغير ذلك من العلوم ثم أنه قال لأمه يوماً من الأيام يا والدتي أن أبي دانيال كان عالماً فاضلاً فأخبريني بما خلفه من الكتب وغيرها فلما سمعت أمه كلامـ ه

أتته بالصندوق الذي كان أبوه قد وضع فيه الورقات الخمس الباقية من الكتب التى غرقت في البحر وقالت له ما خلف أبوك شيء من الكتب إلا الورقات الخمس التي في هذا الصندوق ففتح الصندوق وأخذ منه الورقات الخمس وقرأها وقال لها يا أمي إن هذه الأوراق من جملة كتاب وأين بقيته فقالت له أن أباك كان قد سافر بجميع كتبه في البحر فانكسرت به المركب وغرقت كتبه ونجاه الله من الغرق ولم يبق من كتبه إلا هذه الورقات الخمس ولما جاء أبوك من السفر كنت حاملاً بك فقال لي ربما تلدين ذكراً فخذي هذه الأوراق واحفظيها عندك فإذا كبر الغلام وسأل عن تركتي فأعطيه إياها وقولي له أن أباك لم يخلف غيرها وهذه هي ثم أن حاسباً كريم الدين تعلم جميع العلوم ثم بعد ذلك قعد في أكل وشرب وأطيب معيشة وأرغد عيش إلى أن أتاه هازم اللذات ومفرق الجماعات وهذا آخر ما انتهى إلينا من حديث حاسب بن دانيال رحمه الله تعالى والله أعلم.

{**حكاية السند باد**}

قالت بلغني أنه كان في زمن الخليفة أمير المؤمنين هارون الرشيد بمدينة بغداد رجل يقال له السندباد الحمال وكان رجلاً فقير الحال يحمل تجارته على رأسه فاتفق له أنه حمل في يوم من الأيام حمله ثقيلة وكان ذلك اليوم شديد الحر فتعب من تلك الحملة وعرق واشتد عليه الحر فمر على باب رجل تاجر قدامه كنس ورش وهناك هواء معتدل وكان بجانب الباب مصطبة عريضة فحط الحمال حملته على تلك المصطبة ليستريح ويشم الهواء وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٢٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الحمّال لما حط حملته على تلك المصطبة ليستريح ويشم الهواء خرج عليه من ذلك الباب نسيم رائق ورائحة ذكية فاستلذ الحمّال لذلك وجلس على جانب المصطبة فسمع في ذلك المكان نغم أوتار وعود وأصوات مطربة وأنواع أنشاد معربة وسمع أيضاً أصوات طيور تناغي وتسبح الله تعالى باختلاف الأصوات وسائر اللغات من قماري وهزار وشحارير وبلبل وفاخت وكروان فعند ذلك تعجب في نفسه وطرب طرباً شديداً فتقدم إلى ذلك فوجد داخل البيت بستاناً عظيماً ونظر فيه غلماناً وعبيداً وخدماً وحشماً وشيئاً لا يوجد إلا عند الملوك والسلاطين وبعد ذلك هبطت عليه رائحة أطعمة طيبة ذكية من جميع الألوان المختلفة والشراب الطيب فرفع طرفه إلى السماء وقال سبحانك يارب يا خالق يا رازق ترزق من تشاء بغير حساب اللهم إني استغفرك من جميع الذنوب وأتوب إليك من العيوب يارب لا أعترض عليك في حكمك وقدرتك فإنك لا تسأل عما تفعل وأنت على كل شيء قدير سبحانك تغني من تشاء وتفقر من تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء لا إله إلا

أنت ما أعظم شأنك وما أقوى سلطانك وما أحسن تدبيرك قد أنعمت على من تشاء من عبادك فهذا المكان صاحبه في غاية النعمة وهو متلذذ بالروائح اللطيفة والمآكل اللذيذة والمشارب الفاخرة في سائر الصفات وقد حكمت في خلقك بما تريد وما قدرته عليهم فمنهم تعبان ومنهم مستريح ومنهم سعيد ومنهم من هو مثلي في غاية التعب والذل وأنشد يقول:

فكم من شقي بلا راحة ... ينعم في خير فيء وظل
وأصبحت في تعب زائد ... وأمري عجيب وقد زاد حملي
وغيري سعيد بلا شقوة ... وما حمل الدهر يوماً كحملي
ينعم في عيشة دائماً ... بسط وعز وشرب وأكل
وكل الخلائق من نطفة ... أنا مثل هذا وهذا كمثلي
ولكن شتان ما بيننا ... وشتان بين خمر وخل
ولست أقول عليك افتراء ... فأنت حكيم حكمت بعدل

فلما فرغ السندباد الحمال من شعره ونظمه أراد أن يحمل حملته ويسير إذ قد طلع عليه من ذلك الباب غلام صغير السن حسن الوجه مليح القد فاخر الملابس فقبض على يد الحمال وقال له ادخل كلم سيدي فإنه يدعوك فأراد الحمال الامتناع من الدخول مع الغلام داخل الدار فوجد داراً مليحة وعليها أنس ووقار ونظر إلى مجلس عظيم فنظر فيه من السادات الكرام والموالي العظام وفيه من جميع أصناف الزهر وجميع أصناف المشموم ومن أنواع النقل والفواكه وشيء كثير من أصناف الأطعمة النفيسة وفيه مشروب من خواص دوالي الكرام وفيه آلات السماع والطرب من أصناف الجواري الحسان كل منهم في مقامه على حسب الترتيب وفي صدر ذلك المجلس رجل عظيم محترم قد لكزه الشيب في عوارضه وهو مليح الصورة حسن المنظر وعليه هيبة ووقار وعز وافتخار فعند ذلك بهت السندباد الحمال وقال في نفسه والله أن هذا المكان من بقع الجنان أو أنه يكون قصر ملك أو سلطان ثم تأدب وسلم عليهم ودعا لهم وقبّل الأرض بين يديهم ووقف وهو منكس رأسه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٢٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن السندباد الحمال لما قبل الأرض بين أيديهم وقف منكس الرأس متخشع فأذن له صاحب المكان بالجلوس فجلس وقد قربه إليه وصار يؤانسه بالكلام ويرحب به ثم أنه قدم له شيئاً من أنواع الطعام المفتخر الطيب النفيس فتقدم السندباد الحمال وسمى وأكل حتى اكتفى وشبع وقال الحمد لله على كل حال ثم أنه غسل يديه وشكرهم على ذلك فقال صاحب المكان مرحباً بك ونهارك مبارك فما يكون اسمك وما تعاني من الصنائع فقال له يا سيدي اسمي السندباد الحمال وأنا أحمل على رأسي أسباب الناس بالأجرة فتبسم

صاحب المكان وقال له اعلم يا حمال أن اسمك مثل اسمي فأنا السندباد البحري ولكن يا حمال قصدي أن تسمعني الأبيات التي كنت تنشدها وأنت على الباب فاستحى الحمال وقال له بـ ـالله عليك لا تؤاخذني فإن التعب والمشقة وقلة ما في اليد تعلم الإنسان قلة الأدب والسفه فقال له لا تستحي فأنت صرت أخي فانشد الأبيات فإنها أعجبتني لما سمعتها منك وأنت تنش دها عل ى الباب فاستحى الحمال وقال له بالله عليك لا تؤاخذني فإن التعب والمشقة وقلة ما في اليد تعلم الإنسان قلة الأدب والسفه فقال له لا تستحي فأنت صرت أخي فأنشد الأبيات فإنها أعجبتني لما سمعتها منك وأنت تنشدها على الباب فعند ذلك أنشده الحمال تلك الأبيات فأعجبتـ ـه وط ـرب لسماعها وقال له يا حمال اعلم أن لي قصة عجيبة وسوف أخبرك بجميع ما صار لـ ـي وم ـا جرى لي من قبل أن أصير في هذه السعادة واجلس في هذا المكان الذي تراني فيه فـ ـإني مـ ـا وصلت إلى هذه السعادة وهذا المكان إلا بعد تعب شديد ومشقة عظيمة وأهوال كثيـ ـرة وكـ ـم قاست في الزمن الأول من التعب والنصب وقد سافرت سبع سفرات وكل سفرة لهـ ـا حكايـ ـة تحير الفكر وكل ذلك بالقضاء والقدر وليس من المكتوب مفر ولا مهرب.

{**الحكاية الأولى من حكايات السندباد البحري وهي أول السفرات**}

اعلموا يا سادة يا كرام أنه كان لي أب تاجر وكان من أكابر الناس والتجار وكان عنده مال كثير ونوال جزيل وقد مات وأنا ولد صغير وخلف لي مالاً وعقاراً وضياعاً فلما كبـ ـرت وضعت يدي على الجميع وقد أكلت أكلاً مليحاً وشربت شرباً مليحاً وعاشرت الشباب وتجملت بلبس الثياب ومشيت مع الخلان والأصحاب واعتقدت أن ذلك يدوم لي وينفعني ولم أزل على هذه الحالة مدة من الزمان ثم أني رجعت إلى عقلي وافقت من غفلتي فوجدت مالي قـ ـد مـ ـال وحالي قد حال وقد ذهب جميع ما كان معي ولم أستفق لنفسي إلا وأنا مرعوب مدهوش وقـ ـد تفكرت حكاية كنت اسمعها سابقاً وهي حكاية سيدنا سليمان بن داود عليهما السلام فـ ـي قولـ ـه ثلاثة خير من ثلاثة يوم الممات خير من يوم الولادة وكلب حي خير من سبع ميت والقبر خير من القصر ثم أني قمت وجمعت ما كان عندي من أثاث وملبوس وبعته ثم بعت عقاري وجميع ما تملك يدي فجمعت ثلاثة آلاف درهم وقد خطر ببالي السفر إلى بلاد الناس وتذكرت كـ ـلام بعض الشعراء حيث قال:

بقـ ـدر الكـ ـد تكتسـ ـب المعـ ـالي ... ومن طلـ ـب العـ ـلا سـ ـهر الليـ ـالي
يغوص البحر في طلـ ـب اللآلـ ـيء ... ويحظـ ـى بالسـ ـيادة والنـ ـوال
ومن طلب العـ ـلا مـ ـن غيـ ـر كـ ـد ... أضاع العمـ ـر فـ ـي طلـ ـب المحـ ـال

فعند ذلك هممت فقمت واشتريت لي بضاعة ومتاعاً وأسباباً وشيئاً من أغراض السـ ـفر وقد سمحت لي نفسي بالسفر في البحر فنزلت المركب وانحدرت إلى مدينة البصرة مع جماعة

من التجار وسرنا في البحر مدة أيام وليال وقد مررنا بجزيرة بعد جزيرة ومن بحر إلى بحر ومن بر إلى بر وفي كل مكان مررنا به نبيع ونشتري ونقايض بالبضائع فيه وقد انطلقنا في سير البحر إلى أن وصلنا إلى جزيرة كأنها روضة من رياض الجنة فارسى بنا صاحب المركب على تلك الجزيرة ورمى مراسيلها وشد للسقالة فنزل جميع من كان في المركب في تلك الجزيرة وعملوا لهم كوانين وأوقدوا فيها النار واختلفت أشغالهم فمنهم من صار يطبخ ومنهم من صار يغسل ومنهم من صار يتفرج وكنت أنا من جملة المتفرجين في جوانب الجزيرة وقد اجتمعت الركاب على أكل وشرب ولهو ولعب فبينما نحن على تلك الحالة وإذا بصاحب المركب واقف على جانبها وصاح بأعلى صوته يا ركاب السلامة اسرعوا واطلعوا إلى المركب وبادروا إلى الطلوع واتركوا أسبابكم واهربوا بأرواحكم وفوزوا بسلامة أنفسكم من الهلاك فإن هذه الجزيرة التي أنتم عليها ما هي جزيرة وإنما هي سمكة كبيرة رست في وسط البحر فبنى عليها الرمل فصارت مثل الجزيرة وقد نبتت عليها الأشجار من قديم الزمان فلما أوقد تم عليه النار أحست بالسخونة فتحركت وفي هذا الوقت تنزل بكم في البحر فتغرقون جميعا فاطلبوا النجاة لأنفسكم قبل الهلاك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٢٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن ريس المركب لما صاح على الركاب وقال لهم أطلبوا النجاة لأنفسكم واتركوا الأسباب ولما سمع الركاب كلام ذلك الريس أسرعوا وبادروا بالطلوع إلى المركب وتركوا الأسباب وحوائجهم ودسوتهم وكوانينهم فمنهم من لحق المركب ومنهم من لم يلحقها وقد تحركت تلك الجزيرة ونزلت إلى قرار البحر بجميع ما كان عليها وانطبق عليها البحر العجاج المتلاطم بالأمواج وكنت أنا من جملة من تخلف في الجزيرة فغرقت في البحر مع جملة من غرق ولكن الله تعالى أنقذني ونجاني من الغرق ورزقني بقصعة خشب كبيرة من القصع التي كانوا يغسلون فيها فمسكتها بيدي وركبتها من حلاوة الروح ورفست في الماء برجلي مثل المجاديف والأمواج تلعب بي يميناً وشمالاً وقد نشر الريس قلاع المركب وسافر بالذين طلع بهم في المركب ولم يلتفت لمن غرق منهم ومازلت أنظر إلى تلك المركب حتى خفيت عن عيني وأيقنت الهلاك ودخل على الليل وأنا على هذه الحالة فمكثت على ما أنا فيه يوماً وليلة وقد ساعدني الريح والأمواج إلى أن رست بي تحت جزيرة عالية وفيها أشجار مطلة على البحر فمسكت فرعاً من شجرة عالية وتعلقت به بعد ما أشرفت على الهلاك وتمسكت به إلى أن طلعت إلى الجزيرة فوجدت في رجلي خدلاً وأثر أكل السمك في بطونهما ولم أشعر بذلك من شدة ما كنت فيه من الكرب والتعب وقد ارتميت في الجزيرة وأنا مثل الميت وغبت عن وجودي وغرقت في دهشتي ولم أزل على هذه الحالة إلى ثاني يوم وقد

طلعت الشمس علي وانتبهت في الجزيرة فوجدت رجلي قد ورمتا فسرت حزيناً على ما أنا فيه فتارة أزحف وتارة أحبي على ركبي وكان في الجزيرة فواكه كثيرة وعيون ماء عذب فصرت آكل من تلك الفواكه ولم أزل على هذه الحالة مدة أيام وليال فتنعشت نفسي وردت لي روحي وقويت حركتي وصرت أتفكر وأمشي في جانب الجزيرة وأتفرج بين الأشجار مما خلـ ق الله تعالى وقد عملت لي عكازاً من تلك الأشجار أتوكأ عليه ولم أزل على هـ ذه الحالـ ـة إلـ ى أن تمشيت يوماً من الأيام في جانب الجزيرة فلاح لي شبح من بعيد فظننت أنه وحش أو أنه دابة من دواب البحر فتمشيت إلى نحوه ولم أزل أتفرج عليه وإذا هو فرس عظيم المنظر مربـ وط في جانب الجزيرة على شاطيء البحر فدنوت منه فصرخ على صرخة عظيمة فارتعبت منها وأردت أن أرجع وإذ برجل خرج من تحت الأرض وصاح علي واتبعني وقال لي من أنـ ت ومن أين جئت وما سبب وصولك إلى هذا المكان فقلت له يا سيدي اعلم أني رجـ ل غريـ ب وكنت في مركب وغرقت أنا وبعض من كان فيها فرزقني الله بقصعة خشب فركبتها وعامت بي إلى أن رمتني الأمواج في هذه الجزيرة فلما سمع كلامي أمسكني من يدي وقال لي أمـ ش معي فنزل بي في سرداب تحت الأرض ودخل بي إلى قاعة كبيرة تحت الأرض وأجلسني في صدر تلك القاعة وجاء لي بشيء من الطعام وأنا كنت جائعاً فأكلت حتـ ى شـ بعت واكتفيـ ت وارتاحت نفسي ثم أنه سألني عن حالي وما جرى لي فأخبرته بجميع ما كان من أمري مـ ن المبتدأ إلى المنتهى فتعجب من قصتي فلما فرغت حكايتي قلت بالله عليك يا سيدي لا تؤاخذني فأنا قد أخبرتك بحقيقة حالي وما جرى لي وأنا أشتهي منك أن تخبرني من أنت ومـ ا سـ بب جلوسك في هذه القاعة التي تحت الأرض وما سبب ربط هذه الفرس على جانب البحر فقـ ال لي اعلم أننا جماعة متفرقون في هذه الجزيرة على جوانبها ونحن سياس الملـ ك المهرجـ ان وتحت أيدينا جميع خيوله وفي كل شهر عند القمر نأتي بالخيل الجياد و نربطهـ ا فـ ي هـ ذه الجزيرة من كل بكر وتختفي في هذه القاعة تحت الأرض حتى لا يرانا أحد فيجيء حصـ ان من خيول البحر على رائحة تلك الخيل ويطلع على البر فلم ير أحد فيثب عليها ويقضي منهـ ا حاجته وينزل عنها ويريد أخذها معه فلا تقدر أن تسير معه مـ ن الربـ اط فيصـ يح عليهـ ا ويضربها برأسه ورجليه ويصيح فنسمع صوته فنعلم أنه نزل عنها فنطلـ ع صـ ارخين عليـ ه فيخاف وينزل البحر والفرس تحمل وتلد مهراً أو مهرة تساوي خزنة مال ولا يوجد لها نظير على وجه الأرض وهذا وقت طلوع الحصان وإن شاء الله تعالى آخذك معـ ي إلـ ى الملـ ك المهرجان. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٢٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن السايس قال للسندباد البحري آخذك معي إلـ ى الملـ ك المهرجان وأفرجك على بلادنا واعلم أنه لولا اجتماعك علينا ما كنت ترى أحداً في هذا المكان

غيرنا وكنت تموت كمدا ولايدري بك أحدا ولكن أنا أكون سبب حياتك ورجوعك إلى بلادك فدعوت له وشكرته على فضله وإحسانه فبينما نحن في هذا الكلام وإذا بالحصان قد طلع من البحر وصرخ صرخة عظيمة ثم وثب على الفرس فلما فرغ غرضه منها نزل عنها وأراد أخذها معه فلم يقدر ورفست وصاحت عليه فأخذ الرجل السايس سيفاً بيده ودرقة وطلع من باب تلك القاعة وهو يصيح على رفقته ويقول اطلعوا إلى الحصان ويضرب بالسيف على الدرقة فجاء جماعة بالرماح صارخين فجفل منهم الحصان وراح إلى حال سبيله ونزل في البحر مثل الجاموس وغاب تحت الماء فعند ذلك جلس الرجل قليلاً وإذا هو بأصحابه قد جاؤوه ومع كل واحد فرس يقودها فنظروني عنده فسألوني عن أمري فأخبرتهم بما حكيته له وقربوا مني ومدوا السماط وأكلوا وعزموا علي فأكلت معهم ثم أنهم قاموا وركبوا الخيول وأخذوني معهم وأركبوني على ظهر فرس وسافرنا ولم نزل مسافرين إلى أن وصلنا إلى مدينة الملك المهرجان وقد دخلوا عليه وأعلموه بقصتي فطلبني فأدخلوني عليه وأوقفوني بين يديه فسلمت عليه فرد على السلام ورحب بي وحياني بأكرام وسألني عن حالي فأخبرته بجميع ما حصل لي وبكل ما رأيته من المبتدأ إلى المنتهى فعند ذلك تعجب مما وقع لي وما جرى لي فعند ذلك قال لي يا ولدي والله لقد حصل لك مزيد السلامة لولا طول عمرك ما نجوت من هذه الشدائد ولكن الحمد لله على السلامة ثم أنه أحسن إلي وأكرمني وقربني إليه وصار يؤانسني بالكلام والملاطفة وجعلني عنده عاملاً على مينا البحر وكاتبا على كل مركب عبرت إلى البر وصرت واقفاً عنده لاقضي له مصالحة وهو يحسن إلي وينفعني من كل جانب وقد كساني كسوة مليحة فاخرة وصرت مقدماً عنده في الشفاعات وقضاء مصالح الناس ولم أزل عنده مدة طويلة وأنا كلما أشق على جانب البحر أسأل التجار والمسافرين والبحريين عن ناحية مدينة بغداد لعل أحداً يخبرني عنها فأروح معه إليها وأعود إلى بلادي فلم يعرفها أحد ولم يعرف من يروح إليها وقد تحيرت من ذلك وسئمت من طول الغربة ولم أزل على هذه الحالة مدة من الزمان إلى أن جئت يوماً من الأيام ودخلت على الملك المهرجان فوجدت عنده جماعة من الهنود فسلمت عليهم فردوا على السلام ورحبوا بي وقد سألوني عن بلادي فذكرتها لهم وسألتهم عن بلادهم ذكروا لي أنهم أجناس مختلفة فمنهم الشاكرية وهم أشرف أجناسهم لا يظلمون أحداً ولا يقهرونه ومنهم جماعة تسمى البراهمة وهم قوم لا يشربون الخمر أبداً وإنما هم أصحاب حظ وصفاء ولهو وطرب وجمال وخيول ومواشي واعلموني أن صنف الهنود يفترق على اثنتين وسبعين فرقة فتعجبت من ذلك غاية العجب ورأيت في مملكة المهرجان جزيرة من جملة الجزائر يقال لها كابل يسمع فيها ضرب الدفوف والطبول طول الليل وقد أخبرنا أصحاب الجزائر والمسافرون فإنهم أصحاب الجد والرأي ورأيت في ذلك البحر سمكة طولها مائتا ذراع ورأيت أيضاً سمكا وجهها مثل وجه البوم ورأيت في تلك السفرة كثيراً من

العجائب والغرائب مما لو حكيته لكم لطال شرحه ولم أزل اتفرج على تلك الجزائر وما فيه ا إلى أن وقفت يوماً من الأيام على جانب البحر وفي يدي عكاز على جري عاداتي وإذا بمركب قد أقبلت وفيها تجار كثيرة فلما وصلت إلى مينا المدينة وفرضـ تها طـ وى الـ ريس قلوعهـ ا وأرساها على البر ومد السقالة وأطلع البحرية جميع ما كان في تلك المركب إلى البر وأبطؤوا في تطليعه وأنا واقف اكتب عليهم فقلت لصاحب المركب هل بقى في مركبك شيء فقال نعـ م يا سيدي معي بضائع في بطن المركب ولكن صاحبها غرق منها فـ ي البحـ ر وفـ ي بعـ ض الجزائر ونحن قادمون في البحر وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٢٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الريس قال للسندباد البحري أن صاحب هذه البضـ ائع غرق وصارت بضائعه معنا فغرضنا أننا نبيعها ونأخذ ثمنها لأجل أن نوصله إلى أهلـ ه فـ ي مدينة بغداد دار السلام فقلت للريس ما يكون اسم ذلك الرجل صاحب البضـ ائع فقـ ال اسـ مه السندباد البحري وقد غرق منا في البحر فلما سمعت كلامه حققت النظر فيه فعرفته وصرخت عليه صرخة عظيمة وقلت يا ريس اعلم أني أنا صاحب البضائع التي ذكرتها وأنـ ا السـ ندباد البحري الذي نزلت من المركب في الجزيرة مع جملة من نزل من التجـ ار ولمـ ا تحركـ ت السمكة التي كنا عليها وصحت أنت علينا طلع من طلع وغرق الباقي وكنت أنا من جملة مـ ن غرق ولكن الله تعالى سلمني ونجاني من الغرق بقصعة كبيرة من القصع التي كـ ان الركـ اب يغسلون فيها فركبتها وصرت أرفس برجلي وساعدني الريح والموج إلى أن وصلت إلى هـ ذه الجزيرة فطلعت فيها وأعانني الله تعالى واجتمعت بسياس الملك المهرجان فحملوني معهم إلى أن أتوا بي إلى هذه المدينة وأدخلوني عند الملك المهرجان فأخبرته بقصتي فانعم علي وجعلني كاتباً على مينا هذه المدينة فصرت انتفع بخدمته وصار لي عنده قبول وهذه البضائع التي معك بضائعي ورزقي قال الريس لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ما بقى لأحد أمانة ولا ذمة قال فقلت له يا ريس ما سبب ذلك وأنت سمعتني أخبرتك بقصتي فقال الريس لأنك سـ معتني أقول أن معي بضائع صاحبها غرق فتريد أنك تأخذها بلا حق وهذا حرام عليك فإننا رأيناه لما غرق وكان معه جماعة من الركاب كثيرون وما نجا منهم أحد فكيف تدعي أنك أنت صاحب البضائع فقلت له يا ريس اسمع قصتي وافهم كلامي يظهر لك صـ دقي فـ إن الكـ ذب سـ يمة المنافقين ثم أني حكيت للريس جميع ما كان مني من حين خرجت معه من مدينة بغداد إلي أن وصلنا تلك الجزيرة التي غرقنا فيها وأخبرته ببعض أحوال جرت بيني وبينه فعند ذلك تحقـ ق الريس والتجار صدقي فعرفوني وهنوني بالسلامة وقالوا جميعاً والله ما كنـ ا نصـ دق بأنـ ك نجوت من الغرق ولكن رزقك الله عمر جديداً ثم أنهم أعطوني البضائع فوجدت اسمي مكتوباً عليها ولم ينقص منها شيء ففتحتها وأخرجت منها شيئاً نفيساً غالي الثمن وحملته معي بحرية

المركب وطلعت به إلى الملك على سبيل الهدية وأعلمت الملك بأن هذه المركب التي كنت فيها وأخبرته أن بضائعي وصلت إلي بالتمام والكمال وأن هذه الهدية منها فتعجب الملك من ذلك الأمر غاية العجب وظهر له صدقي في جميع ما قلته وقد أحبني محبة شديدة وأكرمني إكراماً زائداً ووهب لي شيئاً كثيراً في نظير هديتي ثم بعت حمولي وما كان معي من البضائع وكسبت فيها شيئاً كثيراً واشتريت بضاعة وأسباباً ومتاعاً من تلك المدينة ولما أراد تجار المركب السفر شحنت جميع ما كان معي في المركب ودخلت عند الملك وشكرته على فضله وأحسانه ثم استأذنته في السفر إلى بلادي وأهلي فودعني وأعطاني شيئاً كثيراً عند سفري من متاع تلك المدينة فودعته ونزلت المركب وسافرنا بإذن الله تعالى وخدمنا السعد وساعدتنا المقادير ولم نزل مسافرين ليلاً ونهاراً إلى أن وصلنا بالسلامة على مدينة البصرة وطلعنا فيها فأقمنا بها زمناً قليلاً وقد فرحت بسلامتي وعودي إلى بلادي وبعد ذلك توجهت إلى مدينة بغداد دار السلام ومعي من الحمول والمتاع والأسباب شيء كثير له قيمة عظيمة ثم جئت إلى حارتي ودخلت بيتي وقد جاء جميع أهلي وأصحابي ثم أني اشتريت لي خدماً وحشماً ومماليك وسراري وعبيداً حتى صار عندي شيء كثير وأشتريت لي دوراً وأماكن وعقاراً أكثر من الأول ثم أني عاشرت الأصحاب ورافقت الخلان وصرت أكثر مما كنت عليه في الزمن الأول ونسيت جميع ما كنت قاسيت من التعب والغربة والمشقة وأهوال السفر واشتغلت باللذات والمسرات والمآكل الطيبة والمشارب النفيسة ولم أزل على هذه الحالة وهذا ما كان في أول سفر لي وفي غد إن شاء الله تعالى أحكي لكم الحكاية الثانية من السبع سفرات ثم أن السندباد البحري عشى السندباد البري عنده وأمر له بمائة مثقال ذهباً وقال له آنستنا في هذا النهار فشكره الحمال وأخذ منه ما وهبه له وانصرف إلى حال سبيله وهو متفكر فيما يقع وما يجري للناس ويتعجب غاية العجب ونام تلك الليلة في منزله ولما أصبح الصباح جاء إلى بيت السندباد البحري ودخل عنده فرحب به وأكرمه وأجلسه عنده ولما حضر بقية أصحابه قدم لهم الطعام والشراب وقد صفا لهم الوقت وحصل لهم الطرب فبدأ السندباد البحري بالكلام وقال اعلموا يا أخواني إنى كنت في ألذ عيش وأصفى سرور على ما تقدم ذكره لكم بالأمس وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

{الحكاية الثانية من حكايات السندباد البحري وهي السفرة الثانية}

(وفي ليلة ٥٣٠)

قالت بلغني أيها الملك السعد أن السندباد البحري لما اجتمع عنده أصحابه قال لهم أني كنت في ألذ عيش إلى أن خطر ببالي يوماً من الأيام السفر إلى بلاد الناس واشتاقت نفسي إلى

التجارة والتفرج في البلدان والجزائر واكتساب المعاش فهممت في ذلك الأمر وأخرجت مـ ن مالي شيئاً كثيراً اشتريت به بضائع وأسباباً تصلح للسفر وحزمتها وجئت إلى الساحل فوجدت مركباً مليحة جديدة ولها قلع قماش مليح وهي كثيرة الرجال زائدة العدة وأنزلت حمولها فيه ا أنا وجماعة من التجار وقد سافرنا في ذلك النهار وطاب لنا السفر ولم نزل من بحر إلى بحر ومن جزيرة إلى جزيرة وكل محل رسونا عليه نقابـ ل التجـ ار وأربـ اب الدولـ ة والبـ ائعين والمشتريين ونبيع ونشتري ونقايض البضائع فيه ولم نزل على هذه الحالـ ة إلـ ى أن القتـ ا المقادير على جزيرة مليحة كثيرة الأشجار يانعة الأثمار فائحة الأزهار مترنمة الأطيار صافية الأنهار ولكن ليس بها ديار ولا نافخ نار فأرسى بنا الريس على تلك الجزيرة وقد طلع التجار والركاب إلى تلك الجزيرة يتفرجون على ما بها من الأشجار والأطيار ويسبحون الله الواحـ د القهار ويتعجبون من قدرة الملك الجبار فعند ذلك طلعت إلى الجزيرة مع جملة من طلع وجلت على عين ماء صاف بين الأشجار وكان معي شيء من المأكل فجلست في هذا المكان آكل ما قسم الله تعالى لي وقد طاب النسيم بذلك المكان وصفا لي الوقت فأخذتني سـ نة مـ ن النـ وم فارتحت في ذلك المكان وقد استغرقت في النوم وتلذذت بذلك النسيم الطيب والروائح الزكيـ ة ثم أني قمت فلم أجد في ذلك المكان أنسياً ولا جنياً وقد سارت المركب بالركاب ولم يتـ ذكرني منهم أحد لا من التجار ولا من البحرية فتركوني في الجزيرة وقد التفت فيها يميناً وشمالاً فلم أجد بها أحد غيري فحصل عندي قهر شديد ما عليه من مزيد وكادت مرارتي تتفقع من شـ دة ما أنا فيه من الغم والحزن والتعب ولم يكن معي شيء من حطام الدنيا ولا من المأكل ولا من المشرب وصرت وحيداً وقد تعبت في نفسي وأيست من الحياة وبعد ذلك قمت علـ ى حيلـ ي وتمشيت في الجزيرة يميناً وشمالاً وصرت لا أستطيع الجلوس في محل واحد ثم أني صعدت على شجرة عالية وصرت أنظر من فوقها يميناً وشمالاً فلم أر غير سـ ماء ومـ اء واشـ جار وأطيار وجزائر ورمال ثم حققت النظر فلاح لي في الجزيرة شيء أبيض عظيم الخلقة فنزلت من فوق الشجرة وقصدته وصرت أمشي إلى ناحيته ولم أزل سائراً إلى أن وصلت إليـ ه وإذا به قبة كبيرة بيضاء شاهقة في العلو كبيرة الدائرة فدنوت منها ودرت حولها فلم أجد لها بابـ اً ولم أجد لي قوة ولا حركة إلى الصعود عليها من شدة النعومة فعلمت مكـ ان وقـ وفي ودرت حول القبة أقيس دائرها فإذا هو خمسون خطوة وافية فصرت متفكراً في الحيلة الموصلة إلـ ى دخولها وقد قرب زوال النهار وغروب الشمس وإذا بالشمس قد خفيـ ت والجـ و قـ د أظلـ م واحتجبت الشمس عني ظننت أنه جاء على الشمس غمامة وكان ذلـ ك فـ ي زمـ ن الصـ يف فتعجبت ورفعت رأسي وتأملت في ذلك فرأيت طيراً عظيم الخلقة كبير الجثة عريض الأجنحة طائراً في الجو وهو الذي غطى عين الشمس وحجبها عن الجزيرة فازددت من ذلك عجباً ثـ م أني تذكرت حكاية. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٣١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن السندباد البحري لما زاد تعجبه من الطائر الذي رآه في الجزيرة تذكر حكاية أخبره بها قديماً أهل السياحة والمسافرون وهي أن في بعض الجزائر طيراً عظيم يقال له الرخ يزق أولاده بالأفيال فتحققت أن القبة التي رأيتها إنما هي بيضة من بيض الرخ ثم أني تعجبت من خلق الله تعالى فبينما أنا على هذه الحالة وإذا بذلك الطائر نزل على تلك القبة وحضنها بجناحيه وقد مد رجليه من خلفه على الأرض ونام عليها فسبحان من لا ينام فعند ذلك فككت عمامتي من فوق رأسي وثنيتها وفتلتها حتى صارت مثل الحبل وتحزمت بها وشددت وسطي وربطت نفسي في رجلي ذلك الطير وشددتها شداً وثيقاً وقلت في نفسي لعل هذا يوصلني إلى بلاد المدن والعمار ويكون ذلك أحسن من جلوسي في هذه الجزيرة وبت تلك الليلة ساهراً خوفاً من أن أنام فيطير بي على حين غفلة فلما طلع الفجر وبان الصباح قام الطائر من على بيضته وصاح صيحة عظيمة وارتفع بي إلى الجو حتى ظننت أنه وصل إلى عنان السماء وبعد ذلك تنازل بي حتى نزل على الأرض وحط على مكان مرتفع عال فلما وصلت إلى الأرض أسرعت وفككت الرباط من رجليه وأنا خائف منه ولم يحس بي وبعد ما فككت عمامتي وخلصتها من رجليه وأنا انتفض مشيت في ذلك المكان ثم أنه أخذ شيئاً من على وجه الأرض في مخالبه وطار إلى عنان السماء فتأملته فإذا هو حية عظيمة الخلقة كبيرة الجسم قد أخذها وذهب بها إلى البحر فتعجبت من ذلك ثم أني تمشيت في ذلك المكان فوجدت نفسي في مكان عال وتحته واد كبير واسع عميق وبجانبه جبل عظيم شاهق في العلو لا يقدر أحد أن يرى أعلاه من فرط علوه وليس لأحد قدرة على الطلوع فوقه فعلمت نفسي على ما فعلته وقلت ياليتني مكثت في الجزيرة فإنها أحسن من هذا المكان القفر لأن الجزيرة كان يوجد فيها شيء آكله من أصناف الفواكه وأشرب من أنهارها وهذا المكان ليس فيه أشجار ولا أثمار ولا أنهار فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم أنا كل ما أخلص من مصيبة أقع فيما هو أعظم منها وأشد ثم أني قمت وقويت نفسي ومشيت في ذلك الوادي فرأيت أرضه من حجر الألماس الذي ينقبون به المعادن والجواهر ويثقبون به الصيني والجزع وهو حجر صلب يابس لا يعمل فيه الحديد ولا الصخر ولا أحد يقدر أن يقطع منه شيئاً ولا أن يكسره إلا بحجر الرصاص وكل ذلك الوادي حيات وأفاع كل واحدة مثل النخلة ومن عظم خلقتها لو جاءها فيل لابتلعته وتلك الحيات يظهرن في الليل ويختفين في النهار خوفاً من طير الرخ والنسران يختطفها ويقطعها ولا أدري ما سبب ذلك فأقمت بذلك الوادي وأنا متندم على ما فعلته وقلت في نفسي والله أني قد عجلت بالهلاك على نفسي وقد ولى النهار علي فصرت أمشي في ذلك الوادي والتفت علي محل أبيت فيه وأنا خائف من تلك الحيات ونسيت أكلي وشربي ومعاشي واشتغلت بنفسي فلاح لي مغارة بالقرب مني فمشيت

فوجدت بأبها ضيقاً فدخلتها ونظرت إلى حجر كبير عند بابها فدفعته وسددت به باب تلك المغارة وأنا داخلها وقلت في نفمي قد أمنت لما دخلت في هذا المكان وأن طلع علي النهار أطلع وأنظر ما تفعل القدرة ثم التفت في داخل المغارة فرأيت حية عظيمة نائمة في صدر المغارة على بيضها فاقشعر بدني وأقمت رأسي وسلمت أمري للقضاء والقدر وبت ساهراً طول الليل إلى أن طلع الفجر ولاح فأزحت الحجر الذي سدت به باب المغارة وخرجت منه وأنا مثل السكران دائخ من شدة السهر والجوع والخوف وتمشيت في الوادي وبينما أنا على هذه الحالة وإذا بذبيحة قد سقطت قدامي ولم أجد أحداً فتعجبت من ذلك غاية العجب وتفكرت حكاية اسمعها من قديم الزمان من بعض التجار والمسافرين وأهل السياحة أن في جبال حجر الألماس الأهوال العظيمة ولا يقدر أحد أن يسلك إليه ولكن التجار الذين يجلبونه يعملون حيلة في الوصول إليه ويأخذون الشاة من الغنم ويذبحونها ويسلخونها ويرشحون لحمها ويرمونه من أعلى ذلك الجبل إلى أرض الوادي فتنزل وهي طرية فليتصق بها شيء من هذه الحجارة ثم تتركها التجار إلى نصف النهار فتنزل الطيور من النسور والرخ إلى ذلك اللحم وتأخذه في مخالبها وتصعد إلى أعلا الجبل فيأتيها التجار وتصيح عليها وتصير من عند ذلك اللحم وتخلص منه الحجارة اللاصقة به ويتركون اللحم للطيور والوحوش ويحملون الحجارة إلى بلادهم ولا أحد يقدر أن يتوصل إلى مجيء حجر الألماس إلا بهذه الحيلة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٣٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن السندباد البحري صار يحكي لأصحابه جميع ما حصل له في جبل الماس ويخبرهم أن التجار لا يقدرون على مجيء شيء منه إلا بحيلة مثل الذي ذكره ثم قال فلما نظرت على تلك الذبيحة تذكرت هذه الحكاية قمت وجئت عند الذبيحة فنقيت من هذه الحجارة شيئاً كثيراً وأدخلته في جيبي وبين ثيابي وصرت أنقي وأدخل في جيبي وبين حزامي وعمامتي وبين حوائجي فبينما أنا على هذه الحالة وإذا بذبيحة كبيرة فربطت نفسي عليها بعمامتي ونمت على ظهري وجعلتها على صدري وأنا قابض عليها فصارت عالية على الأرض وإذا بنسر نزل على تلك الذبيحة وقبض عليها بمخالبه وأقلع بها إلى الجو وأنا معلق بها ولم يزل طائر بها إلى أن صعد بها إلى أعلى الجبل وحط بها وأراد أن ينهش منها وإذا بصيحة عظيمة عالية من خلف ذلك النسر وشيء يخبط بالخشب على ذلك الجبل فجفل النسر وخاف وطار إلى الجو ففككت نفسي من الذبيحة وقد تلوثت ثيابي من دمها ووقفت بجانبها وإذا بذلك التاجر الذي صاح على النسر تقدم إلى الذبيحة فرآني واقفاً فلم يكلمني وقد فزع مني وارتعب وأتى الذبيحة وقلبها فلم يجد فيها شيئاً فصاح صيحة عظيمة وقال واخيبتاه لا حول ولا قوة إلا بالله نعوذ بالله من الشيطان الرجيم وهو يتندم ويخبط كفاً على كف ويقول

واحسرتاه أي شيء هذا الحال فتقدمت إليه فقال لي من أنت وما سبب مجيئك إلى هذا المكان فقلت له لا تخف ولا تخش فإني أنسى من خيار الإنس وكنت تاجراً ولي حكاية عظيمة وقصة غريبة وسبب وصولي إلى هذا الجبل وهذا الوادي حكاية عجيبة فلا تخف فلك ما يسرك مني وأنا معي شيء كثير من حجر الألماس فاعطيك منه شيئاً يكفيك وكل قطعة معي أحسن من كل شيء يأتيك فلا تجزع ولا تخف فعند ذلك شكرني الرجل ودعا لي وتحدث معي وإذا بالتجار سمعوا كلامي مع رفيقهم فجاؤوا إلى وكان كل تاجر رمى ذبيحته فلما قدموا علينا سلموا علينا وهنؤوني بالسلامة وأخذوني معهم وأعلمتهم بجميع قصتي وما قاسيته في سفرتي وأخبرتهم بسبب وصولي إلى هذا الوادي ثم أني أعطيت لصاحب الذبيحة التي تعلقت فيها شيئاً كثيراً مما كان معي ففرح بي ودعا لي وشكرني على ذلك وقال لي التجار والله أنه قد كتب لك عمر جديد فما أحد وصل إلى هذا المكان قبلك ونجا منه ولكن الحمد لله على سلامتك وباتوا في مكان مليح أمان وبت عندهم وأنا فرحان غاية الفرح بسلامتي ونجاتي من وادي الحيات ووصولي إلى بلاد العمار ولما طلع النهار قمنا وسرنا على ذلك الجبل العظيم وصرنا ننظر في ذلك حيات كثيرة ولم نزل سائرين إلى أن أتينا بستاناً في جزيرة عظيمة مليحة وفيها شجر الكافور كل شجرة منه يستظل تحتها إنسان وإذا أراد أن يأخذ منه أحد يثقب من أعلى الشجرة ثقباً بشيء طويل ويلتقي ما ينزل منه فيسيل منه ماء الكافور ويعقد مثل الشمع وهو عسل ذلك الشجر وبعد ذلك تيبس الشجرة وتصير حطباً وفي تلك الجزيرة صنف من الوحوش يقال له الكركدن يرعي فيها رعياً مثل ما يرعى البقر والجاموس في بلادنا ولكن جسم ذلك الوحش أكبر من جسم الجمل ويأكل العلق وهو دابة عظيمة لها قرن واحد غليظ في وسط رأسها طوله قدر عشرة أذرع وفيه صورة إنسان وفي تلك الجزيرة شيء من صنف البقر وقد قال لنا البحريون المسافرون وأهل السياحة في الجبال والأراضي أن هذا الوحش المسمى بالكركدن يحمل الفيل الكبير على قرنه ويرعى به في الجزيرة والسواحل ولا يشعر به ويموت الفيل على قرنه ويسيح دهنه من حر الشمس على رأسه ويدخل في عينيه فيعمي فيرتد في جانب السواحل فيجيء له طير الرخ فيحمله في مخالبه ويروح به عند أولاده ويزقهم به وبما على قرنه وقد رأيت في تلك الجزيرة شيئاً كثيراً من صنف الجاموس ليس له عندنا نظير وفي ذلك الوادي شيء كثير من حجر الألماس الذي حملته معي وخبأته في جيبي وقايضوني عليه ببضائع ومتاع من عندهم وحملوها لي معهم وأعطوني دراهم ودنانير ولم أزل سائراً معهم وأنا أتفرج على بلاد الناس وعلى ما خلق الله من واد إلى واد ومن مدينة إلى مدينة ونحن نبيع ونشتري إلى أن وصلنا إلى مدينة البصرة وأقمنا بها أياماً قلائل ثم جئت إلى مدينة بغداد.
وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٣٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن السندباد البحري لما رجع من غيبته ودخل مدينة بغداد دار السلام وجاء إلى حارته ودخل داره ومعه من صنف حجر الألماس شيء كثير ومعه مال ومتاع وبضائع لها صورة وقد اجتمع بأهله وأقاربه ثم تصدق ووهب وأعطى وهادى جميع أهله وأصحابه وصار يأكل طيباً ويشرب طيباً ويلبس لبساً طيباً ويعاشر ويرافق ونسى جميع ما قاساه ولم يزل في عيش هني وصفاء خاطر وانشراح صدر ولعب وطرب وصار كل من سمع بقدومه يجيء إليه ويسأله عن حال السفر وأحوال البلاد فيخبره ويحكي له ما لقيه وما قاساه فيتعجب من شدة ما قاساه ويهنيه بالسلامة وهذا آخر ما جرى لي وما اتفق لي في السفرة الثانية ثم قال لهم وفي غد إن شاء الله تعالى أحكي لكم حال السفرة الثالثة فلما فرغ السندباد البحري من حكايته للسندباد البري تعجبوا من ذلك ونعشوا عنده وأمر للسندباد بمائة منقال ذهباً فأخذها وتوجه إلى حال سبيله وهو يتعجب مما قاساه السندباد البحري وشكره ودعا له في بيته ولما أصبح الصباح واضاء بنوره ولاح قام السندباد البري كما أمره ودخل إليه وصبح عليه فرحب به وجلس معه حتى أتاه باقي أصحابه وجماعته فأكلوا وشربوا وتلذذوا وطربوا وأنشرحوا ثم ابتدأ السندباد البحري بالكلام وقال

{الحكاية الثالثة من حكايات السندباد البحري وهي السفرة]

اعلموا يا أخواني واسمعوا مني حكايتها فإنها أعجب من الحكايات المتقدمة قبل تاريخه والله أعلم بغيبه وأحكم أني فيما مضى وتقدم لما جئت من السفرة الثانية وأنا في غاية البسط والانشراح فرحان بالسلامة وقد كسبت مالاً كثيراً كما حكيت لكم أمس تاريخه وقد عوض الله على جميع ما راح مني أقمت بمدينة بغداد مدة من الزمان وأنا في غاية الحظ والصفاء والبسط والانشراح فاشتاقت نفسي إلى السفر والفرجة وتشوقت إلى المتجر والكسب والفوائد والنفس أمارة بالسوء فهممت واشتريت شيئاً كثيراً من البضائع المناسبة لسفر البحر وحزمتها للسفر وسافرت بها من مدينة بغداد إلى مدينة البصرة وجئت إلى ساحل البحر فرأيت مركباً عظيماً وفيها تجار وركاب كثيرة أهل خير وناس ملاح طيبون أهل دين ومعروف وصلاح فنزلت معهم في تلك المركب وسافرنا على بركة الله تعالى بعونه وتوفيقه وقد استبشرنا بالخير والسلامة ولم نزل سائرين من بحر إلى بحر ومن جزيرة إلى جزيرة ومن مدينة إلى مدينة وفي كل مكان مررنا عليه نتفرج ونبيع ونشتري ونحن في غاية الفرح والسرور إلى أن كنا يوماً من الأيام سائرين في وسط البحر العجاج المتلاطم بالأمواج فإذا بالريس وهو جانب المركب ينظر على نواحي البحر ثم أنه لطم وجهه وطوى قلوع المركب ورمى مراسيها ونتف لحيته ومزق ثيابه وصاح صيحاً عظيماً فقلنا له ياريس ما الخبر فقال اعلموا يا ركاب

السلامة أن الريح غلب علينا وعسف بنا في وسط البحر ورمتنا المقادير لسوء بختنا إلى جبل القرود وما وصل إلى هذا المكان أحد ولم يسلم منه قط وقد أحس قلبي بهلاكنا أجمعين فما استتم قول الريس حتى جاءنا القرود واحتاطوا بالمركب من كل جانب وهم شيء كثير مثل الجراد المنتشر في المركب وعلى البر فخفنا أن قتلنا منهم أحد أو ضربناه أو طردناه أن يقتلونا لفرط كثرتهم والكثرة تغلب الشجاعة وبقينا خائفين منهم أن ينهبوا رزقنا ومتاعنا وهم أقبح الوحوش وعليهم شعور مثل لبد الأسود ورؤيتهم تفزع ولا يفهم أحد لهم كلاماً ولا خبراً وهم مستوحشون من الناس صفر العيون سود الوجوه صغار الخلقة طول كل واحد منهم أربعة أشبار وقد طلعوا على حبال المرساة وقطعوها بأسنانهم وقطعوا جميع حبال المركب من كل جانب فمالت المركب من الريح ورست على جبلهم وصارت المركب في برهم وقبضوا على جميع التجار والركاب وطلعوا إلى الجزيرة وأخذوا المركب بجميع ما كان فيها وراحوا بها فبينما نحن في تلك الجزيرة نأكل من أثمارها وبقولها وفواكهها ونشرب من الأنهار التي فيها إذ لاح لنا بيت عامر في وسط تلك الجزيرة فقصدناه ومشينا إليه فإذا هو قصر مشيد الأركان عالي الأسوار له باب بضرفتين مفتوح وهو من خشب الأبنوس فدخلنا باب ذلك القصر فوجدنا له حصيراً واسعاً مثل الحوش الواسع الكبير وفي دائرة أبواب كثيرة عالية وفي صدره مصطبة عالية كبيرة وفيها أواني طبيخ معلقة على الكوانين وحواليها عظام كثيرة ولم نر فيها أحداً فتعجبنا من ذلك غاية العجب وجلسنا في حضير ذلك القصر قليلاً ثم بعد ذلك ثمناً ولم نزل نائمين من صحوة النهار إلى غروب الشمس وإذا بالأرض قد ارتجت من تحتنا وسمعنا دوياً من الجو وقد نزل علينا من أعلى القصر شخص عظيم الخلقة في صفة إنسان وهو أسود اللون طويل القامة كأنه نخلة عظيمة وله عينان كأنهما شعلتان من نار وله أنياب مثل أنياب الخنازير وله فم عظيم الخلقة مثل البئر وله مشافر مثل مشافر الجمل مرخية على صدره وله أذنان مثل الحرامين مرخيتان على أكتافه وأظافر يديه مثل مخاليب السبع فلما نظرناه على هذه الحالة غبنا عن وجودنا وقوي خوفنا واشتد فزعنا وصرنا مثل الموتى من شدة الخوف والجزع والفزع وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٣٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن السندباد البحري ورفقته لما رأوا هذا الشخص الهائل الصورة حصل لهم غاية الخوف والفزع فلما نزل على الأرض جلس قليلاً على المصطبة ثم أنه قام وجاء عندنا ثم إنه قبض على يدي من بين أصحابي التجار ورفعني بيده عن الأرض جسني وقلبني فصرت في يده مثل اللقمة الصغيرة وصار يحبسني مثل ما يحبس الجزار ذبيحة الغنم فوجدني ضعيفاً من كثرة القهر هزيلاً من كثرة التعب والسفر وليس في شيء من اللحم فأطلقني من يده وأخذ واحداً غيري من رفقته وقلبه كما قلبني وجسه كما جسني وأطلقه

ولم يزل يجسنا ويقلبنا واحداً بعد واحد إلى أن وصل إلى ريس المركب التي كنا فيها وكان رجلاً سميناً غليظاً عريض الأكتاف صاحب قوة وشدة فأعجبه وقبض عليه مثل ما يقبض الجزار على ذبيحته ورماه على الأرض ووضع رجله على رقبته وجاء بسيخ طويل فأدخله في حلقه حتى أخرجه من دبره وأوقد ناراً وشد يده وركب عليها ذلك الشيخ المشكوك فيه الريس ولم يزل يقلبه على الجمر حتى استوي لحمه وأطلعه من النار وحطه قدامه وفسخه كما يفسخ الرجل الفرخة وصار يقطع لحمه بأظفاره ويأكل منه ولم يزل على هذه الحالة حتى أكل لحمه ونهش عظمه ولم يبق منه شيئاً ورمي باقي العظام في جنب القصر ثم أنه جلس قليلاً وانطرح ونام على تلك المصطبة وصار يشخر مثل شخير الخروف أو البهيمة المذبوحة ولم يزل نائماً إلى الصباح ثم قام وخرج إلى حال سبيله فلما تحققنا بعده تحدثنا مع بعضنا وبكينا على أرواحنا وقلنا يا ليتنا غرقنا في البحر وأكلتنا القرود خير من شوي الإنسان على الجمر والله أن هذا الموت موت رديء ولكن ما شاء الله كان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم لقد متنا كمداً ولم يبدر بنا أحداً وما بقي لنا نجاه من هذا المكان ثم أننا قمنا وخرجنا إلى الجزيرة لننظر لنا مكان نختفي فيه أو نهرب وقد هان علينا أن نموت ولا يشوى لحمنا بالنار فلم نجد مكان نحتفي فيه وقد أدركنا المساء فعدنا إلى القصر من شدة خوفنا وجلسنا قليلاً وإذا بالأرض قد ارتجت من تحتنا وأقبل علينا ذلك الشخص الأسود وجاه عندنا وصار يقلبنا واحداً بعد واحد مثل المرة الأولى ويحبسنا حتى أعجبه وأحد فقبض عليه وفعل به مثل ما فعل بالريس في أول يوم فشواه وأكله على تلك المصطبة ولم يزل نائماً في تلك الليلة وهو يشخر مثل الذبيحة فلما طلع النهار قام وراح إلى حال سبيله وتركنا على جري عادته فاجتمعنا لبعضنا وتحدثنا وقلنا لبعضنا والله لأن نلقي أنفسنا في البحر ونموت غرقاً خير من أن نموت حرقاً لأن هذه قتلة شنيعة فقال واحد منا اسمعوا كلامي أننا نحتال عليه ونقتله ونرتاح من همه ونريح المسلمين من عدوانه وظلمه فقلت لهم اسمعوا يا إخواني إن كان ولابد من قتله فإننا نحول هذا الخشب وننقل شيئاً من هذا الحطب ونعمل لنا فلكاً مثل المركب وبعد ذلك نحتال في قتله وننزل في الفلك ونروح في البحر إلى أي محل يريده أو أننا نقعد في هذا المكان حتى نمر علينا مركب فننزل فيها وإن لم نقدر على قتله ننزل ونروح في البحر ولو كنا نغرق نرتاح من شينا على النار ومن الذبح وأن سلمنا سلمنا وإن غرقنا متنا شهداء فقالوا جميعاً والله هذا رأي سديد وفعل رشيد واتفقنا على هذا الأمر وشرعنا في فعله فنقلنا الأخشاب إلى خارج القصر وصنعنا فلكاً وربطناه على جانب البحر ونزلنا فيه شيئاً من الزاد وعدنا إلى القصر فلما كان وقت المساء إذا بالأرض قد ارتجت بنا ودخل علينا الأسود وهو كأنه الكلب العقور ثم قلبنا وجسنا واحداً بعد واحد ثم أخذ واحد وفعل به مثل ما فعل بسابقيه وأدرك شهرزاد الصباح فسكت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٣٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن السندباد البحري قال أن الأسود أخذ واحداً منا وفعل به مثل ما فعل بسابقيه وأكله ونام على المصطبة وصار شخيره مثل الرعد فنهضنا وقمنا وأخذنا سيخين من حديد من الأسياخ المنصوبة ووضعناهما في النار القوية حتى احمرا وصارا مثل الجمر وقبضنا عليهما قبضاً شديداً وجئنا بهما إلى ذلك الأسود وهو قائم يشخر ووضعناهما في عينيه واتكأنا عليهما جميعاً بقوتنا وعزمنا فأدخلناهما في عينيه وهو نائم فانطمستا وصاح صيحة عظيمة فارتعبت قلوبنا منه ثم قام من فوق تلك المصطبة بعزمه وصار يفتش علينا ونحن نهرب منه يميناً وشمالاً فلم ينظرنا وقد عمي بصره فخفنا منه مخافة شديدة وأيقنا في تلك الساعة بالهلاك وأيسنا من النجاة فعند ذلك قصد الباب وهو يحسس وخرج منه وهو يصيح ونحن في غاية الرعب منه وإذا بالأرض ترتج من تحتنا من شدة صوته فلما خرج من القصر وراح إلى حال سبيله وهو يدور علينا ثم أنه رجع ومعه أنثى أكبر منه وأوحش منه خلقة فلما رأيناه والذي معه أفظع حالة منه خفنا غاية الخوف فلما رأونا أسرعنا ونهضنا ففككنا الفلك الذي صنعناه ونزلنا فيه ودفعناه في البحر ومع كل واحد منهم صخرة عظيمة وصاروا يهاجموننا بها إلى أن مات أكثرنا من الرجم وبقي منا ثلاثة أشخاص أنا واثنان وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٣٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن السندباد البحري لما نزل في الفلك هو وأصحابه وصار يرجمهم الأسود ورفيقته فمات أكثرهم ولم يبق منهم إلا ثلاثة أشخاص فطلع بهم الفلك إلى جزيرة قال فمشينا إلى آخر النهار وقد خل علينا الليل ونحن على هذه الحالة فنمنا قليلاً وأستيقظنا من منامنا وإذا بثعبان عظيم الخلقة كبير الجثة واسع الجوف قد أحاط بنا وقصد واحداً فبلعه إلى أكتافه ثم بلع باقيه فسمعنا أضلاعه تتكسر في بطنه وراح إلى حال سبيله فتعجبنا من ذلك غاية العجب وحزناً على رفيقنا وصرنا في غاية الخوف على أنفسنا وقلنا والله هذا أمر عجيب كل موته أشنع من السابقة وكنا فرحنا بسلامتنا من الأسود فما تمت الفرحة لا حول ولا قوة إلا بالله والله قد نجونا من الأسود ومن الغرق فكيف تكون نجاتنا من هذه الآفة المشؤومة ثم أننا قمنا فمشينا في الجزيرة وأكلنا من ثمرها وشربنا من أنهارها ولم نزل فيها إلى وقت المساء فوجدنا صخرة عظيمة عالية فطلعناها ونمنا فوقها وقد طلعت أنا أعلى فروعها فلما دخل الليل وأظلم الوقت جاء الثعبان وتلفت يميناً وشمالاً ثم أنه قصد تلك الشجرة التي نحن عليها ومشى حتى وصل إلى رفيقي وبلعه إلى أكتافه والتف به على الشجرة فسمعت عظمه يتكسر في بطنه ثم بلعه بتمامه وأنا أنظر بعين ثم أن الثعبان نزل من فوق تلك الشجرة وراح إلى حال سبيله ولم أزل على تلك الشجرة باقي تلك الليلة فلما طلع

النهار وبان النور نزلت من فوق الشجرة وأنا مثل الميت من كثرة الخوف والفزع وأردت أن ألقي بنفسي في البحر وأستريح من الدنيا فلم تهن على روحي لأن الروح عزيزة فربطت خشبة عريضة على أقدامي بالعرض وربطت واحدة مثلها على جنبي الشمال ومثلها على جنبي اليمين ومثلها على بطني وربطت واحدة طويلة عريضة من فوق رأسي بالعرض مثل الذي تحت أقدامي وصرت أنا في وسط هذا الخشب وهو محتاط بي من كل جانب وقد شددت ذلك شداً وثيقاً وألقيت نفسي بالجميع على الأرض فصرت نائماً بين تلك الأخشاب وهي محيطة بي كالمقصورة فلما أمسى الليل أقبل ذلك الثعبان على جري عادته ونظر إلي وقصدني فلم يقدر أن يبلعني وأنا على تلك الحالة والأخشاب حولي من كل جانب فدار الثعبان حولي فلم يستطع الوصول إلي وأنا أنظر بعيني وقد صرت كالميت من شدة الخوف والفزع وصار الثعبان يبعد عني ويعود إلي ولم يزل على هذه الحالة وكلما أراد الوصول إلي ليبتلعني تمنعه تلك الأخشاب المشدودة على من كل جانب ولم يزل كذلك من غروب الشمس إلى أن طلع الفجر وبان النور وأشرقت الشمس فمضى الثعبان إلى حال سبيله وهو في غاية ما يكون من القهر والغيظ فعند ذلك مددت يجدي وفككت نفسي من تلك الأخشاب وأنا في حكم الأموات من شدة ما قاسيت من ذلك الثعبان ثم أني قمت ومشيت في الجزيرة حتى انتهيت إلى آخرها فلاحت مني التفاتة إلى ناحية البحر فرأيت مركباً على بعد في وسط اللجة فأخذت فرعاً كبيراً من شجرة ولوحت به إلى ناحيتهم وأنا أصيح عليهم فلما رأوني قالوا لابد أننا ننظر ما يكون هذا لعله إنسان ثم أنهم قربوا مني وسمعوا صياحي عليهم فجاؤوا إلي وأخذوني معهم في المركب وسألوني عن حالي فأخبرتهم بجميع ما جرى لي من أوله إلى آخره وما قاسيته من الشدائد فتعجبوا من ذلك غاية العجب ثم أنهم ألبسوني من عندهم ثياباً وستروا عورتي وبعد ذلك قدموا إلي شيئاً من الزاد فأكلت حتى أكتفيت وسقوني ماء بارد أعذباً فانتعش قلبي وارتاحت نفسي وحصل لي راحة عظيمة وأحياني الله تعالى بعد موتي فحمدت الله تعالى على نعمة الوافرات وشكرته وقد قويت همتي بعدما كنت أيقنت بالهلاك حتى تخيل لي أن جميع ما أنا فيه منام ولم نزل سائرين وقد طاب لنا الريح بإذن الله تعالى إلى أن أشرفنا على جزيرة يقال لها جزيرة السلاهطة فأوقف الريس المركب عليها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٣٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن المركب التي نزل فيها السندباد البحري رست على جزيرة فنزل منها جميع التجار والركاب وأخرجوا بضائعهم ليبيعوا ويشتروا قال السندباد البحري فالتفت إلى صاحب المركب وقال لي اسمع كلامي أنت رجل غريب فقير وقد أخبرتنا أنك قاسيت أهوالاً كثيرة ومرادي أنفعك بشيء يعينك على الوصول إلى بلادك وتبقى تدعوا

لي فقلت له نعم ولك مني الدعاء فقال اعلم أنه كان معنا رجل مسافر فقدناه ولم نعلم هل هـ و بالحياة أم مات ولم نسمع عنه خبراً ومرادي أن أدفع لك حمولة لتبيعها فـ ي هـ ذه الجزيـ رة وتحفظها وأعطيك شيئاً في نظير تعبك وخدمتك وما بقي منها نأخذه إلى أن نعود إلى مدينـ ة بغداد فنسأل عن أهله وندفع إليهم بقيتها وثمن ما بيع منها فهل لك أن تتسلمها وتنزل بها هـ ذه الجزيرة فتبيعها مثل التجار فقلت سمعاً وطاعة لك يا سيدي ولك الفضل والجميل ودعوت لـ ه وشكرته على ذلك فعند ذلك أمر الحمالين والبحرية بإخراج تلك البضائع إلـ ى الجزيـ رة وأن يسلموها إلى فقال كاتب المركب ياريس ما هذه الحمول التي أخرجهـ ا البحريـ ة والحمـ الون وأكتبها باسم من من التجار فقال اكتب عليها اسم السندباد البحري الذي كان معنا وغرق فـ ي الجزيرة ولم يأتنا عنه خبر فنريد أن هذا الغريب يبيعها وتحمل ثمنها ونعطيه شيئاً منه نظيـ ر تعبه وبيعه والباقي نحمله معنا حتى نرجع إلى مدينة بغداد فإن وجدناه عطيناه إياه وإن لم نجده ندفعه إلى أهله في مدينة بغداد فقال الكاتب كلامك مليح ورأيك رجيح فلما سمعت كلام الريس وهو يذكر أن الحمول باسمي قلت في نفسي والله أنا السندباد البحري وأنا غرقت في الجزيرة مع جملة من غرق ثم أني تجلدت وصبرت إلى أن طلع التجار من المركب واجتمعوا يتحدثون ويتذاكرون في أمور البيع والشراء فتقدمت إلى صاحب المركب وقلت له ياسيدي هل تعـ رف كيف كان صاحب الحمول التي سلمتها إلى لابيعها فقال لي لا أعلم له حالاً ولكنه كان رجـ لاً من مدينة بغداد يقال له السندباد البحري وقد ارسينا على جزيرة من الجزائر فغرق منا فيهـ ا خلق كثير وفقد بجملتهم ولم نعلم له خبر إلى هذا الوقت فعند ذلك صرخت صـ رخة عظيمـ ة وقلت له ياريس السلامة أعلم أني أنا السندباد البحري لم أغرق ولكن لما أرسيت على الجزيرة وطلع التجار والركاب طلعت أنا مع جملة الناس ومعي شيء آكله بجانب الجزيرة ثـ م أنـ ي تلذذت بالجلوس في ذلك المكان فأخذتني سنة من النوم فنمت وغرقت في النوم ثم أني قمت فلم أجد المركب ولم أجد أحداً عندي وهذا المال مالي وهذه البضائع بضائعي وجميع التجار الذين يجلبون حجر الألماس رأوني وأنا في جبل الألماس ويشهدون لي بأني أنا السندباد البحري كما أخبرتهم بقصتي وما جرى لي معكم في المركب وأخبرتكم بأنكم نسيتموني في الجزيرة نائمـ اً وقمت فلم أجد أحداً وجرى لي ما جرى فلما سمع التجار والركاب كلامي اجتمعوا على فمنهم من صدقني ومنهم كذبني فبينما نحن كذلك وإذا بتاجر من التجار حين سـ معني اذكـ ر وادي الألماس نهض وتقدم عندي وقال لهم اسمعوا يا جماعة كلامي أني لما كنت ذكرت لكم أعجب ما رأيت في أسفاري لما ألقينا الذبائح في وادي الألماس وألقيت ذبيحتي معهـ م علـ ى جـ ري عادتي طلع على ذبيحتي رجل متعلق بها ولم تصدقوني بل كذبتموني فقالوا نعم حكيـ ت لنـ ا على هذا الأمر ولم نصدقك فقال له التاجر هذا الرجل الذي تعلق في ذبيحتي وقـ د أعطـ اني شيء من حجر الألماس الغالي الثمن الذي لا يوجد نظيره وعوضني أكثر ما كان يطلع لي في

ذبيحتي وقد استصحبته معي إلى أن وصلنا إلى مدينة البصرة وبعد ذلك توجه إلى بلاده وودعنا ورجعنا إلى بلادنا وهو هذا واعلمنا أن اسمه السندباد البحري وقد أخبرنا بذهاب المركب وجلوسه في هذه الجزيرة وأعلموا أن هذا الرجل ما جاءناهنا إلا لتصدقوا كلامي مما قلته لكم وهذه البضائع كلها رزقه فإنه أخبر بها في وقت اجتماعه علينا وقد ظهر صدقه في قوله فلما سمع الريس كلام ذلك التاجر قام على حيله وجاء عندي وحقق في النظر ساعة وقال ما علامة بضائعك فقلت له اعلم أن علامة بضائعي ما هو كذا وكذا وقد أخبرته بأمر كان بيني وبينه ولما نزلت معه المركب من البصرة فتحقق أني أنا السندباد البحري فعانقني وسلم على وهنأني بالسلامة وقال لي يا سيدي أن قصتك عجيبة وأمرك غريب ولكن الحمد لله الذي جمع بيننا وبينك ورد بضائعك ومالك عليك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٣٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن السندباد البحري لما تبين للريس والتجار أنه هو بعينه وقال له الريس الحمد لله الذي رد بضائعك وما لك عليك قال فعند ذلك تصرفت في بضائعي بمعرفتي وربحت بضائعي في تلك السفرة شيء كثيراً وفرحت بذلك فرحاً عظيماً وهنأت بالسلامة وعاد مالي إلى ولم نزل نبيع ونشتري في الجزائر إلى أن وصلنا إلى بلاد السندباد وبعنا فيها واشترينا ورأيت في ذلك البحر شيء كثيراً من العجائب والغرائب لا يعد ولا يحصى ومن جملة ما رأيت في ذلك البحر سمكة على صفة البقرة وشيئاً على صفة الحمير ورأيت طيراً يخرج من صدف البحر ويبيض ويفرخ على وجه الماء ولا يطلع من البحر على وجه الأرض أبداً وبعد ذلك لم نزل مسافرين بإذن الله تعالى وقد طاب لنا الريح والسفر إلى أن وصلنا إلى البصرة وقد أقمت بها أياماً قلائل وبعد ذلك جئت إلى مدينة بغداد فتوجهت إلى حارتي ودخلت بيتي وسلمت على أهلي وأصحابي وأصدقائي وقد فرحت بسلامتي وعودي إلى بلادي وأهلي ومدينتي ودياري وتصدقت ووهبت وكسوت الأرامل والأيتام وجمعت أصحابي وأحبابي ولم أزل على هذه الحالة في أكل وشرب ولهو طرب وأنا آكل طيباً وأشرب طيباً وأعاشر وأخالط وقد نسيت جميع ما جرى لي وما قسيت من الشدائد والأهوال وكسبت شيئاً في هذه السفرة لا يعد ولا يحصى وهذا أعجب ما رأيته في هذه السفرة وفي غد إن شاء الله تعالى أجيء إليكم وأحكي لكم حكاية السفرة الرابعة فإنها أعجب من هذه السفرات ثم أن السندباد البحري أمر بأن يدفعوا إليه مائة مثقال من الذهب على جري عادته وأمر بمد السماط فمدوه وتعشى الجماعة وهم يتعجبون من تلك الحكاية وما جرى فيها ثم أنهم بعد العشاء انصرفوا إلى حال سبيلهم وقد أخذ السندباد الحمال ما أمر له من الذهب وانصرف إلى حال سبيله وهو متعجب مما سمعه من السندباد البحري وبات في بيته ولما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح قام السندباد الحمال وصلى الصبح وتمشى إلى السندباد البحري وقد دخل إليه

وسلم عليه وتلقاه بالفرح والإنشراح وأجلسه عنده إلى أن حضر بقية أصحابه وقدموا للطعام فأكلوا وشربوا وانبسطوا فبدأ هم بالكلام وحكى لهم الحكاية الرابعة.

{الحكاية الرابعة من حكايات السندباد البحري وهي السفرة الرابعة}

(قال) السندباد البحري اعلموا يا أخواني أني لما عدت إلى مدينة بغداد واجتمعت على أصحابي وأحبابي وصرت في أعظم ما يكون من الهناء والسرور والراحة وقد نسيت ما كنت فيه لكثرة الفوائد وغرقت في اللهو والطرب ومجالسة الأحباب والأصحاب وأنا في الذ ما يكون من العيش فحدثتني نفسي الخبيثة بالسفر إلى بلاد الناس وقد اشتقت إلى مصاحبة الأجناس والبيع والمكاسب فهممت في ذلك الأمر واشتريت بضاعة نفسية تناسب البحر وحزمت حمولاً كثيرة زيادة عن العادة وسامرت من مدينة بغداد إلى مدينة البصرة ونزلت حمولي في المركب وأصطحبت بجماعة من أكابر البصرة وقد توجهنا إلى السفر وسافرت بنا المركب على بركة الله تعالى في البحر العجاج المتلاطم بالأمواج وطاب لنا السفر ولم نزل على هذه الحالة مدة ليالي وأيام من جزيرة إلى جزيرة ومن بحر إلى بحر إلى أن خرجت علينا ريح مختلفة يوماً من الأيام فرمي الريس مراسي المركب وأوقفها في وسط البحر خوفاً عليها من الغرق في وسط البحر فبينما نحن على هذه الحالة ندعوا ونتضرع إلى الله تعالى إذ خرج علينا عاصف ريح شديد مزق القلع وقطعه قطعاً وغرق الناس وجميع حمولهم وما معهم من المتاع والأموال وغرقت أنا بجملة من غرق وعمت في البحر نصف نهار وقد تخليت عن نفسي فيسر الله تعالى لي قطعة لوح خشب من ألواح المركب فركبتها أنا وجماعة من التجار وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٤٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن السندباد البحري بعد أن غرقت المركب وطلع على لوح خشب هو وجماعة من التجار قال اجتمعنا على بعضنا ولم نزل راكبين على ذلك اللوح ونرفس بأرجلنا في البحر والأمواج والريح تساعدنا فمكثنا على هذه الحالة يوماً وليلة فلما كان ثاني يوم ضحوة نهار ثار علينا ريح وهاج البحر وقوي الموج والريح فرماذا الماء على جزيرة ونحن مثل الموتى من شدة السهر والتعب والبرد والجوع والخوف والعطش وقد مشينا في جوانب تلك الجزيرة فوجدنا فيها نباتاً كثيراً فأكلنا منه شيئاً يسد رمقنا وبقيتنا وبتنا تلك الليلة على جانب الجزيرة فلما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح قمنا ومشينا في الجزيرة يميناً وشمالاً فلاح لنا عمارة على بعد فسرنا في تلك الجزيرة قاصدين تلك العمارة التي رأيناها من بعد ولم نزل سائرين إلى أني وقفنا على بابها فبينما نحن واقفون هناك إذ خرج علينا من ذلك الباب جماعة عراة ولم يكلمونا وقد قبضوا علينا وأخذونا عند ملكهم فأمرنا بالجلوس

فجلسنا وقد أحضروا لهم دهن النارجيل فسقوهم منه ودهنوهم منه فلما شرب أصحابي من ذلك الدهن زاغت أعينهم في وجوههم وصاروا يأكلون من ذلك الطعام بخلاف أكلهم المعتاد فعند ذلك احترت في أمرهم وصرت أتأسف عليهم وقد صار عندي هم عظيم من شدة الخوف على نفسي من هؤلاء العرايا وقد تأملتهم فإذا هم قوم مجوس وملك مدينتهم غول وكل من وصل إلى بلادهم أو رأوه في الوادي أو الطرقات يجيئون به إلى ملكهم ويطعمونه من ذلك الطعام ويدهنونه بذلك الدهن فيتسع جوفه لأجل أن يأكل كثيراً ويذهل عقله وتنطمس فكرته ويصير مثل الإبل فيزيدون له الأكل والشرب من ذلك الطعام والدهن حتى يسمن ويغلظ فيذبحونه ويشوونه ويطعمونه لملكهم وأما أصحاب الملك فيأكلون من لحم الإنسان بلا شوي ولا طبخ فلما نظرت منهم ذلك الأمر صرت في غاية الكرب على نفسي وعلى أصحابي وقد صار أصحابي من فرط ما دهشت عقولهم لا يعلمون ما يفعل بهم وقد سلموهم إلى شخص فصار يأخذهم كل يوم ويخرج يرعاهم في تلك الجزيرة مثل البهائم وأما أنا فقد صرت من شدة الخوف والجوع ضعيفاً سقيم الجسم وصار لحمي يابساً على عظمي فلما رأوني على هذه الحالة تركوني ونسوني ولم يتذكرني منهم أحداً ولا خطرت لهم على بال إلى أن تحيلت يوماً من الأيام وخرجت من ذلك المكان ومشيت في تلك الجزيرة ولم أزل سائراً حتى طلع النهار وأصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وطلعت الشمس على رؤوس الروابي والبطاح وقد تعبت وجعت وعطشت فصرت آكل من الحشيش والنبات الذي في الجزيرة ولم أزل آكل من ذلك النبات حتى شبعت وانسد رمقي وبعد ذلك قمت ومشيت في الجزيرة ولم أزل على هذه الحالة طول النهار والليل وكلما أجوع آكل من النبات ولم أزل على هذه الحالة مدة سبعة أيام بلياليها فلما كانت صبيحة اليوم الثامن لاحت مني نظرة فرأيت شبحاً من بعيد فسرت إليه ولم أزل سائراً إلى أن حصلته بعد غروب الشمس فحققت النظر فيه وأنا بعيد عنه وقلبي خائف من الذي قاسيته أولاً وثانياً وإذا هم جماعة يجمعون حب الفلفل فلما قربت منهم ونظروني تسارعوا إلي وجاءوا عندي وقد أحاطوا بي من كل جانب وقالوا لي من أنت ومن أين أقبلت فقلت لهم اعلموا يا جماعة أني رجل غريب مسكين وأخبرتهم بجميع ما كان من أمري وما جرى لي من الأهوال والشدائد وما قاسيته: وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٤١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن السندباد البحري لما رأى الجماعة الذين يجمعون حب الفلفل في الجزيرة وسألوه عن حالة حكى لهم جميع ما جرى له وما قاساه من الشدائد فقالوا والله هذا أمر عجيب ولكن كيف خلاصك من السودان وكيف مرورك عليهم في هذه الجزيرة وهم خلق كثيرون ويأكلون الناس ولا يسلم منهم أحد ولا يقدر أن يجوز عليهم أحد فأخبرتهم بما جرى لي معهم وكيف أخذوا أصحابي وأطعموهم الطعام ولم آكل منه فهنؤوني بالسلامة

وصاروا يتعجبون مما جرى لي ثم أجلسوني عندهم حتى فرغوا من شغلهم وأتوني بشيء من الطعام فأكلت منه وكنت جائعاً وأرتحت عندهم ساعة من الزمان وبعد ذلك أخذوني ونزلوا بي في مركب وجاءوا إلى جزيرتهم ومما كنهم وقد عرضوني على ملكهم فسلمت عليه ورحـ ـب بي وأكرمني وسألني عن حالي فأخبرته بما كان من أمري وما جرى لي وما أتفق لي من يوم خروجي من مدينة بغداد إلى حين وصلت إليه فتعجب ملكهم من قصتي غاية العجب هو ومن كان حاضراً في مجلسه ثم أنه أمرني بالجلوس عنده فجلست وأمر بإحضار الطعام فأحضروه فأكلت منه على قدر كفايتي وغسلت يدي وشكرت فضل الله تعالى وحمدته وأثنيت عليه ثم أني قمت من عند ملكهم وتفرجت في مدينته فإذا هي مدينة عامرة كثيرة الأهـ ـل والمـ ـال كثيـ ـرة الطعام والأسواق والبضائع والبائعين والمشترين ففرحت بوصولي إلى تلك المديـ ـة وأرتـ ـاح خاطري واستأنست بأهلها وصرت عندهم وعند ملكهم معززاً مكرما زيادة عن أهل مملكـ ـه من عظماء مدينته ورأيت جميع أكابرها وأصاغرها يركبون الخيل الجياد الملاح مـ ـن غيـ ـر سروج فتعجبت من ذلك ثم أني قلت للملك لأي شيء يا مولاي لم تركب على سرج فإن فيـ ـه راحة للراكب وزيادة قوة فقال لي كيف يكون السرج هذا شيء عمرنا ما رأيناه ولا ركبنا عليه فقلت له هل لك أن تأذن لي أن أصنع لك سرجاً تركب عليه وتنظر حظه فقال لي أفعل فقلت له أحضر لي شيئاً من الخشب فأمر لي بإحضار جميع ما طلبته فعند ذلك طلبت نجاراً شاطراً وجلست عنده وعلمته صنعة السرج وكيف يعمله ثم أني أخذت صوفاً ونقشته وصـ ـنعت منـ ـه لبدا وأحضرت جلداً والبسته للسرج وصقلته ثم أني ركبت سيوره وشددت شريحته وبعد ذلـ ـك أحضرت الحداد ووصفت له كيفية الركاب فدق ركاباً عظيماً وبردته وبيضته بالقصدير ثم أني شددت له أهداباً من الحرير وبعد ذلك قمت وجئت بحصان من خيار خيول المـ ـك وشـ ـددت عليه ذلك السرج وعلقت فيه الركاب وألجمته بلجام وقدمته إلى الملك فأعجبه ولاق بخـ ـاطره وشكرني وركب عليه وقد حصل له فرح شديد بذلك السرج وأعطاني شيئاً كثيراً فـ ـي نظيـ ـر عملي له فلما نظرني ووزيره عملت ذلك السرج طلب مني واحداً مثله فعملت له سرجاً مثـ ـه وقد صار أكابر الدولة وأصحاب المناصب يطلبون مني السروج فافعل لهم وعلمـ ـت النجـ ـار صنعة السرج والحداد صنعة الركاب وصرنا نعمل السـ ـروج والركابـ ـات ونبيعهـ ـا للأكـ ـابر والمحاديم وقد جمعت من ذلك مالاً كثيراً وصار لي عندهم مقام كبير وأحبوني محبـ ـة زائـ ـدة وبقيت صاحب منزلة عالية عند الملك وجماعته وعند أكـ ـابر الدولـ ـة وأصـ ـحاب المناصـ ـب يطلبون مني السروج فافعل لهم وعلمت النجار صنعة السرج والحداد صنعة الركاب وصـ ـرنا نعمل السروج والركابات ونبيعها للأكابر والمخاديم وقد جمعت من ذلك مالا كثيراً وصار لي عندهم مقام كبير وأحبوني محبة زائدة وبقيت صاحب منزلة عالية عند الملك وجماعته وعنـ ـد أكابر البلد وأرباب الدولة إلى أن جلست يوماً من الأيام عند الملك وأنا في غاية السرور والعز

فبينما أنا جالس قال لي الملك اعلم يا هذا أنك صرت معززاً مكرماً عندنا وواحداً منا ولا نقدر على مفارقتك ولا نستطيع خروجك من مدينتنا ومقودي منك شيء تطيعني فيه ولا ترد قولي فقلت له وما الذي تريد مني أيها الملك فإني لا أرد قولك لأنه صار لك فضل وجميل وإحسان علي والحمد لله أنا صرت من بعض خدامك فقال أريد أن أزوجك عندنا بزوجة حسنة مليحة طريفة صاحبة مال وجمال وتصير مستوطناً عندنا وأسكنك عندي في قصري فلا تخالفني ولا ترد كلمتي فلما سمعت كلام الملك استحيت منه وسكت ولم أرد عليه جواباً من كثرة الحياء فقال لي لم لا ترد علي يا ولدي فقلت يا سيدي الأمر أمرك ياملك الزمان فأرسل من وقته وساعته وأحضر القاضي والشهود وزوجني في ذلك الوقت بامرأة شريفة القدر عالية النسب كثيرة المال والنوال عظيمة الأصل بديعة الجمال والحسن صاحبة أماكن وأملاك وعقارات وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٤٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن السندباد البحري بعد أن زوجه الملك وعقد له على امرأة عظيمة قال ثم أنه أعطاني بيتاً عظيماً مليحاً بمفرده وأعطاني خدماً وحشماً ورتب لي جرايات وجوامك وصرت في غاية الراحة والبسط والانشراح ونسيت جميع ما حصل لي من التعب والمشقة والشدة وقلت في نفسي إذا سافرت إلى بلادي آخذها معي وكل شيء مقدر على الإنسان لابد منه ولم يعلم بما يجري له وقد أحببتها وأحبتني محبة عظيمة ووقع الوفاق بيني وبينها وقد أقمنا في ألذ عيش وأرغد مورد ولم نزل على هذه الحالة مدة من الزمن فأفقد الله تعالى روحه جاري وكان صاحباً لي فدخلت عليه لأعزيه في زوجته فرأيته في أسوأ حال وهو مهموم تعبان السر والخاطر فعند ذلك عزيته وسليته وقلت له لا تحزن على زوجتك الله يعوضك خيراً منها ويكون عمرك طويلاً إن شاء الله تعالى فبكى بكاء شديداً وقال لي يا صاحبي كيف أتزوج بغيرها أو كيف يعوضني الله خيراً منها وأنا بقي من عمري يوم واحد فقلت له يا أخي ارجع لعقلك ولا تبشر على روحك بالموت فإنك طيب بخير وعافية فقال لي يا صاحبي وحياتك في غد تعد مني وما بقيت عمرك تنظرني فقلت له وكيف ذلك فقال لي في هذا النهار يدفنون زوجتي ويدفنونني معها في القبر فإنها عادتنا في بلادنا إذا ماتت المرأة يدفنون معها زوجها بالحياة وإن مات الرجل يدفنون معه زوجته بالحياة حتى لا يتلذذ أحد منهم بالحياة بعد رفيقه فقلت له بالله أن هذه العادة رديئة جداً وما يقدر عليها أحد فبينما نحن في ذلك الحديث وإذا بغالب أهل المدينة قد حضروا وصاروا يعزون صاحبي في زوجته وفي نفسه وقد شرعوا في تجهيزها على جري عادتهم فأحضروا تابوتاً وحملوا فيه المرأة وذلك

الرجل معهم وخرجوا بهما إلى خارج المدينة وأتوا إلى مكان في جانب الجبل على البحر وتقدموا على مكان ورفعوا عنه حجراً كبيراً فبان من تحت ذلك الحجر خرزة من الحجر مثل خرزة البئر فرموا تلك المرأة فيها وإذا هو جب كبير تحت الجبل ثم أنهم جاءوا بذلك الرجل وربطوه تحت صدره في سلبة وأنزلوه في ذلك الجب وأنزلوا عنده كوز ماء عذب كبير وسبعة أرغفة من الزاد ولما نزلوه فك نفسه من السلبة فسحبوا السلبة وغطوا فم البئر بذلك الحجر الكبير مثل ما كان وانصرفوا إلى حال سبيلهم وتركوا صاحبي عند زوجته في الجب فقلت في نفسي والله أن هذا الموت أصعب من الموت الأول ثم أني جئت عندما كلهم وقلت له ياسيدي كيف تدفنون الحي مع الميت في بلادكم فقال لي أعلم أن هذه عادتنا في بلادنا إذا مات الرجل فدفن معه زوجته وإذا ماتت المرأة ندفن معها زوجها بالحياة حتى لا تفرق بينهما في الحياة ولا في الممات وهذه العادة عن أجدادنا فقلت ياملك الزمان وكذا الرجل الغريب مثلا إذا ماتت زوجته عندكم تفعلون به مثل ما فعلتم بهذا فقال لي نعم ندفنه معها ونفعل به كما رأيت فلما سمعت ذلك الكلام منه أنشقت مرارتي من شدة الغم والحزن على نفسي وذهل عقلي وصرت خائفاً أن تموت زوجتي قبلي فيدفنوني معها وأنا بالحياة ثم أني سليت نفسي وقلت لعلي أموت أنا قبلها ولم يعلم أحد السابق من اللاحق وصرت أتلاهى في بعض الأمور فما مضت مدة يسيرة بعد ذلك حتى مرضت زوجتي وقد مكثت أياما قلائل وماتت فاجتمع غالب الناس يعزونني ويعزون أهلها فيها وقد جاءني الملك يعزيني فيها على جري عادتهم ثم أنهم جاءوا لها بغاسلة فغسلوها والبسوها أفخر ما عندها من الثياب والمصاغ والقلائد والجواهر من المعادن فلما ألبسوا زوجتي وحطوها في التابوت وحملوها وراحوا بها إلى ذلك الجبل ورفعوا الحجر عن فم الجب والقوها فيه تقدم جميع أصحابي وأهل زوجتي يودعونني في روحي وأنا أصيح بينهم أنا رجل غريب وليس لي صبر على عادتكم وهم لا يسمعون قولي ولا يلتفتون إلى كلامي ثم أنهم أمسكوني وربطوني بالغصب وربطوا معي سبعة أقراص من الخبز وكوز ماء عذب على جرى عادتهم وأنزلوني في ذلك البئر فإذا هو مغارة كبيرة تحت ذلك الجبل وقالوا لي فك نفسك من الحبال فلم أرض أفك نفسي فرموا على الحبال ثم غطوا فم المغارة بذلك الحجر الكبير الذي كان عليه وراحوا إلى حال سبيلهم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٤٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن السندباد البحري لما حطوه في المغارة مع زوجته التي ماتت وردوا باب المغارة وراحوا إلى حال سبيلهم قال وأما أنا فإني رأيت في تلك المغارة أمواتاً كثيرة ورائحتها منتنة كريهة فلمت نفسي على ما فعلته وقلت والله أني أستحق جميع ما يجري لي وما يقع لي ثم أني صرت لا أعرف الليل من النهار وصرت أتقوت باليسير ولا

آكل حتى يكاد أن يقطعني الجوع ولا أشرب حتى يشتد بي العطش وأنا خائف أن يف رغ م ا عندي من الزاد والماء وقلت لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم أي شيء بلاني ب الزواج في هذه المدينة وكلما أقول خرجت من مصيبة أقع في مصيبة أقوى منها والله أن هذا الم وت موت مشؤوم يا ليتني غرقت في البحر أو مت في الجبال كان أحسن لي م ن ه ذا الم وت الرديء ولم أزل على هذه الحالة ألوم نفسي ونمت على عظام الأموات واستعنت بالله تع الى وصرت أتمنى الموت فلم أجده من شدة ما أنا فيه ولم أزل على هذه الحالة حتى أحرق قلب ي الجوع وألهبني العطش فقعدت وحسست على الخبز وأكلت منه شيئاً قليلاً وتجرعت عليه شيئاً قليلاً من الماء ثم أني قمت ووقفت على حيلي وصرت أمشي في جانب تلك المغارة فرأيته ا متسعة الجوانب خالية البطون ولكن في أرضها أموات كثيرة وعظام رميمة من قديم الزم ان فعند ذلك عملت لي مكاناً في جانب المغارة بعيداً عن الموتى الطريين وصرت أنام فيه وقد قل زادي وما بقي معي إلا شيء يسير وقد كنت آكل في كل يوم أو أكثر أكلة واشرب شربة خوفاً من فراغ الماء والزاد من عندي قبل موتي ولم أزل على هذه الحالة إلى أن جلست يوماً م ن الأيام فبينما أنا جالس متفكر في نفسي كيف أفعل إذا ف رغ زادي والم اء م ن عن دي وإذا بالصخرة قد تزحزحت من مكانها ونزل منه النور عندي فقلت يا ترى ما الخبر وإذا ب القوم واقفون على رأس البئر وقد أنزلوا رجلاً ميتاً وامرأة معه بالحياة وهي تبكي وتص يح عل ى نفسها وقد أنزلوا عندها شيئاً كثيراً من الزاد والماء فصرت أنظر المرأة وهي لم تنظرني وقد غطوا فم البئر بالحجر وانصرفوا إلى حال سبيلهم فقمت أنا وأخذت في يدي قصبة رجل ميت وجئت إلى المرأة وضربتها في وسط رأسها فوقعت على الأرض مغشياً عليها فضربتها ثاني اً وثالثاً فماتت فأخذت خبزها وما معها ورأيت عليها شيئاً كثيراً من الحل ي والحل ل والقلائ د والجواهر والمعادن ثم أني أخذت الماء والزاد الذي مع المرأة وقعدت في الموضع الذي كنت عملته في جانب المغارة لأنام فيه وصرت آكل من ذلك الزاد شيئاً قليلاً على قدر ما يق وتني حتى لا يفرغ بسرعة فأموت من الجوع والعطش وأقمت في تلك المغارة مدة من الزمان وأنا كل من دفنوه أقتل من دفن معه بالحياة وآخذ أكله وشربه أتقوت به إلى أن كنت نائماً يوماً من الأيام فاستيقظت من منامي وسمعت شيئاً يكركب في جانب المغارة فقلت ما يكون هذا ثم إني قمت ومشيت نحوه ومعي قصبة رجل ميت فلما أحس بي فر وهرب مني ف إذا ه و وح ش فتبعته إلى صدر المغارة فبان لي نور من مكان صغير مثل النجمة تارة يبين لي وتارة يخفي عني فلما نظرته قصدت نحوه وبقيت كلما اقترب منه يظهر لي نور منه ويتسع فعن د ذل ك تحققت أنه خرق في تلك المغارة ينفذ للخلاء فقلت في نفسي لابد أن يكون لهذا المكان حرك ة أما أن يكون مدفن ثانياً مثل الذي نزلوني منه وأما أن يكون تخريق من هذا المكان ث م أن ي تفكرت في نفسي ساعة من الزمان ومشيت إلى ناحية النور وإذا به ثقب في ظهر ذلك الجب ل

من الوحوش ثقبوه وصاروا يدخلون منه إلى هذا المكان ويأكلون الموتى حتى يشبعون ويطلعون من ذلك الثقب فلما رأيته هدأت روحي واطمأنت نفسي وارتاح قلبي وأيقنت بالحياة بعد الممات وصرت كأني في المنام ثم أني عالجت حتى طلعت من ذلك الثقب فرأيت نفسي على جانب البحر المالح فوق جبل عظيم وهو قاطع بين البحرين وبين الجزيرة والمدينة ولا يستطيع أحد الوصول إليه فحمدت الله تعالى وشكرته وفرحت فرحاً عظيماً وقوي قلبي ثم أني بعد ذلك رجعت من الثقب إلى تلك المغارة ونقلت جميع ما فيها من الزاد والماء الذي كنت وفرته ثم أني أخذت من ثياب الأموات ولبست شيئاً منها غير الذي كان علي وأخذت مما عليهم شيئاً كثيراً من أنواع العقود والجواهر وقلائد اللؤلؤ والمصاغ من الفضة والذهب المرصع بأنواع المعادن والتحف وربطته في ثياب الموتى وطلعت من الثقب إلى ظهر الجبل ووقفت على جانب البحر وبقيت في كل يوم أنزل المغارة واطلع عليها وكل من دفنوه آخذ زاده وماؤه واقتله سواء كان ذكراً أو أنثى وأطلع من ذلك الثقب فأجلس على جانب البحر لانتظر الفرج من الله تعالى بمركب تجوز علي وصرت أنقل من تلك المغارة كل شيء رأيته من المصاغ وأربطه في ثياب الموتى ولم أزل على هذه الحالة مدة من الزمان. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٤٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن السندباد البحري صار ينقل من تلك المغارة ما يلقاه فيها من المصاغ وغيره ويجلس على جانب البحر مدة من الزمان قال فبينما أنا جالس يوماً من الأيام على جانب البحر وأنا متفكر في أمري وإذا بمركب سائرة في وسط البحر العجاج المتلاطم بالأمواج فأخذت في يدي ثوباً أبيض من ثياب الموتى وربطته في عكاز وجريت به على شاطيء البحر وصرت أشير إليهم بذلك الثوب حتى لاحت منهم التفاتة فرأوني وأنا في رأس الجبل فجاءوا إلي وسمعوا صوتي وأرسلوا إلى زورقاً من عندهم وفيه جماعة من المركب ولم نزل مسافرين من جزيرة إلى جزيرة ومن بحر إلى بحر وأنا أرجو النجاة وصرت فرحاناً بسلامتي وكلما أتفكر قعودي في المغارة مع زوجتي يغيب عقلي وقد وصلنا بقدرة الله تعالى مع السلامة إلى مدينة البصرة فطلعت إليها وأقمت فيها أياماً قلائل وبعدها جئت إلى مدينة بغداد فجئت إلى حارتي ودخلت داري وقابلت أهلي واصحابي وسألت عنهم ففرحوا بسلامتي وهنوني وقد خزنت جميع ما كان معي من الأمتعة في حواصلي وتصدقت ووهبت وكسوت الأيتام والأرامل وصرت في غاية البسط والسرور وقد عدت لما كنت عليه من المعاشرة والمرافقة وصاحبة الأخوان واللهو والطرب وهذا أعجب ما صار لي في السفرة الرابعة ولكن يا أخي تعش عندي وخذ عادتك وفي غد تجيء عندي فأخبرك بما كان لي وما جرى لي في السفرة الخامسة فإنها أعجب وأغرب مما سبق ثم أمر له بمائة مثقال ذهب ومد

السماط وتعشى الجماعة وأنصرفوا لي حال سبيلهم وهم متعجبون غاية العجب وكل حكاية أعظم من التي قبلها وقد راح السندباد الحمال إلى منزله وبات في غاية البسط والانشراح وهو متعجب ولما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح قام السندباد البري وصلى الصبح وتمشى إلى أن دخل دار السندباد البحري وصبح عليه فرحب به وأمره بالجلوس عنده حتى جاء بقية أصحابه فأكلوا وشربوا وتلذذوا وطربوا ودارت بينهم المحادثة فابتدأ السندباد البحري بالكلام. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

{الحكاية الخامسة من حكايات السندباد البحري وهي السفرة الخامسة}

(وفي ليلة ٥٤٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن السندباد البحري ابتدأ بالكلام فيما جرى وما وقع له في الحكاية الخامسة فقال اعلموا يا إخواني أني لما رجعت من السفرة الرابعة وقد غرقت في اللهو والطرب والانشراح وقد نسيت جميع ما كنت لقيته وما جرى لي وما قاسيته من شدة فرحي بالمكسب والربح والفوائد فحدثتني نفسي بالسفر والتفرج في بلاد الناس وفي الجزائر فقمت وهممت في ذلك الوقت واشتريت بضاعة نفيسة تناسب البحر وحزمت الحمول وسرت من مدينة بغداد وتوجهت إلى مدينة البصرة ومشيت على جانب الساحل فرأيت مركباً كبيرة عالية مليحة فأعجبتني فاشتريتها وكانت عدتها جديدة واكتريت لها ريسا وبحرية ونظرت عليها عبيدي وغلماني وأنزلت فيها حمولي وجاءني جماعة من التجار فنزلوا حملهم فيها ودفعوا لي الأجرة وسرنا ونحن في غاية الفرح والسرور وقد أستبشر بالسلامة والكسب ولم نزل مسافرين من جزيرة إلى جزيرة ومن بحر إلى بحر ونحن نتفرج في الجزائر والبلدان ونطلع إليها نبيع فيها ونشتري ولم نزل على هذه الحالة إلى أن وصلنا يوماً من الأيام إلى جزيرة خالية من السكان وليس فيها أحد وهي خراب وفيها قبة عظيمة بيضاء كبيرة الحجم فطلعنا نتفرج عليها وإذا هي بيضة رخ كبيرة فلما طلع التجار إليها وتفرجوا عليها ولم يعلموا أنها بيضة رخ فضربوها بالحجارة فكسرت ونزل منها ماء كثير وقد بان منها فرخ الرخ فسحبوه منها وطلعوه من تلك البيضة وذبحوه وأخذوا منه لحماً كثيراً وأنا في المركب ولم أعلم ولم يطلعوني على ما فعلوه فعند ذلك قال لي واحد من الركاب يا سيدي قم تفرج على هذه البيضة التي تحسبها قبة فقمت لاتفرج عليها فوجدت التجار يضربون البيضة فصحت عليهم لاتفعلوا هذا الفعل فيطلع طير الرخ ويكسر مركبنا ويهلكنا فلم يسمعوا كلامي فبينما هم على هذه الحالة وإذا بالشمس قد غابت عنا والنهار أظلم وصار فوقنا غمامة أظلم الجو منها فرفعنا رؤوسنا ننظر ما الذي حال بيننا وبين الشمس فرأينا أجنحة الرخ هي التي حجبت عنا ضوء الشمس حتى أظلم الجو وذلك أنه لما جاء الرخ رأى بيضته انكسرت تبعنا وصاح علينا

فجاءت رفيقته وصارا حائمين على المركب يصرخان علينا بصوت أشد من الرعد فصحت أنا على الريس والبحرية وقلت لهم ادفعوا المركب واطلبوا السلامة قبل ما نهلك فاسرع الريس وطلع التجار وحل المركب وسرنا في تلك الجزيرة فلما رآنا الرخ سرنا في البحر غاب عنا ساعة من الزمان وقد سرنا وأسرعنا في السير بالمركب نريد الخلاص منهما والخروج من أرضهما وإذا بهما قد تبعانا وأقبل علينا وفي رجل كل واحد منهما صخرة عظيمة من الجبل فألقي الصخرة التي كانت معه علينا فجذب الريس المركب وقد أخطأها نزول الصخرة بشيء قليل فنزلت في البحر تحت المركب فقامت بنا المركب وقعدت من عظم وقوعها في البحر وقد رأينا قرار البحر من شدة عزمها ثم أن رفيقة الرخ ألقت علينا الصخرة التي معها وهي أصغر من لا ولى فنزلت بالأمر المقدر على مؤخر المركب فكسرته وطيرت الدفة عشرين قطعة وقد غرق جميع ما كان في المركب في البحر فصرت أحاول النجاة من حلاوة الروح فقدر الله تعالى لي لوحاً من ألواح المركب فتعلقت فيه وركبته وصرت أقذف عليه برجلي والريح والموج يساعداني على السير وكانت المركب غرقت بالقرب من جزيرة في وسط البحر فرمتني المقادير بإذن الله تعالى إلى تلك الجزيرة فطلعت عليها وأنا على آخر نفس وفي حالة الموت من شدة ما قاسيته من التعب والمشقة والجوع والعطش ثم أني انطرحت على شاطيء البحر ساعة من الزمان حتى ارتاحت نفسي واطمأن قلبي ثم مشيت في تلك الجزيرة فرأيتها كأنها روضة من رياض الجنة أشجارها يانعة وأنهارها دافقة وطيورها مغردة تسبح من له العزة والبقاء وفي تلك الجزيرة شيء كثير من الأشجار والفواكه وأنواع الأزهار فعند ذلك أكلت من الفواكه حتى شبعت وشربت من تلك الأنهار حتى رويت وحمدت الله تعالى على ذلك وأثنيت عليه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٤٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن السندباد البحري حمداً لله وأثنى عليه وقال ولم أزل على هذه الحالة قاعداً في الجزيرة إلى أن أمسى المساء وأقبل الليل فقمت وأنا مثل القتيل مما حصل لي من التعب والخوف ولم أسمع في تلك الجزيرة صوتاً ولم أر فيها أحداً ولم أزل راقداً فيها إلى الصباح ثم قمت على حيلي ومشيت بين تلك الأشجار فرأيت ساقية على عين ماء جارية وعند تلك الساقية شيخ جالس مليح وذلك الشيخ مؤتزر بازار من ورق الأشجار فقلت في نفسي لعل هذا الشيخ طلع إلى هذه الجزيرة وهو من الغرقى الذين كسرت بهم المركب ثم دنوت منه وسلمت عليه فرد علي السلام بالإشارة ولم يتكلم فقلت له يا شيخ ما سبب جلوسك في هذا المكان فحرك رأسه وتأسف وأشار لي بيده يعني احملني على رقبتك وانقلني من هذا المكان إلى جانب الساقية الثانية فقلت في نفسي أعمل مع هذا معروفاً وأنقله إلى هذا المكان الذي يريده لعل ثوابه يحصل لي فتقدمت إليه وحملته على أكتافي وجئت إلى

المكان الذي أشار لي إليه وقلت له أنزل على مهلك فلم ينزل عن أكتافي وقد لف رجليه على رقبتي فنظرت إلى رجليه فرأيتهما مثل جلد الجاموس في السواد والخشونة ففزعت منه وأردت أن أرميه من فوق أكتافي فقرط على رقبتي برجليه وخنقني بهما حتى اسودت الدنيا في وجهي وغبت عن وجودي ووقعت على الأرض مغشياً على مثل الميت فرفع ساقيه وضربني على ظهري وعلى أكتافي فحصل لي ألم شديد فنهضت قائماً به وهو راكب فوق أكتافي وقد تعبت منه فأشار لي بيده أن أدخل بين الأشجار فدخلت إلى أطيب الفواكه وكنت إذا خالفته يضربني برجليه ضرباً أشد من ضرب الأسواط ولم يزل يشير إليّ بيده إلى كل مكان أراده وأنا أمشي به إليه وإن توانيت أو تمهلت يضربني وأنا معه شبه الأسير وقد دخلنا في وسط الجزيرة بين الأشجار وصار يبول ويغوط على أكتافي ولا ينزل ليلاً ولا نهاراً وإذا أراد النوم يلف رجليه على رقبتي وينام قليلاً ثم يقوم ويضربني فأقوم مسرعاً به ولا أستطيع مخالفته من شدة ما أقاسي منه وقد لمت نفسي على ما كان مني من حمله والشفقة عليه ولم أزل معه على هذه الحالة وأنا في أشد ما يكون من التعب وقلت ما كان مني من حمله والشفقة عليه ولم أزل معه على هذه الحالة وأنا في أشد ما يكون من التعب وقلت في نفسي أنا فعلت مع هذا أخيراً فانقلب على شراء والله ما بقيت أفعل مع أحد خيراً طول عمري وقد صرت أتمنى الموت من الله تعالى في كل وقت وكل ساعة من كثرة ما أنا فيه من التعب والمشقة ولم أزل على الحالة مدة من الزمان إلى أن جئت به يوماً من الأيام إلى مكان في الجزيرة فوجدت فيه يقطيناً كثيراً ومنه شيء يابس فأخذت منه واحدة كبيرة يابسة وفتحت رأسها وصفيتها إلى شجرة العنب فملأتها منها وسددت رأسها ووضعتها في الشمس وتركتها مدة أيام حتى صارت خمراً صافياً وصرت كل يوم أشرب منه لاستعين به على تعبي مع ذلك الشيطان المريد وكلما سكرت منها تقوي همتي فنظرني يوماً من الأيام وأنا أشرب فأشار لي بيده ما هذا فقلت له هذا شيء مليح يقوي القلب ويشرح الخاطر ثم أني جريت به ورقصت بين الأشجار وحصل لي نشوة من السكر فسقفت وغنيت وأنشرحت فلما رآني على هذه الحالة أشار لي أن أناوله اليقطية ليشرب منها فخفت منه وأعطيتها له فشرب ما كان باقياً فيها ورماها على الأرض وقد حصل له طرب فصار يهتز على أكتافي ثم أنه سكر وغرق في السكر وقد ارتخت جميع أعضائه وفرائضه وصار يتمايل من فوق أكتافي فلما علمت بسكره وأنه غاب عن الوجود مددت يدي إلى رجليه وفككتهما من رقبتي ثم ملت به إلى الأرض والقيته عليهم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٤٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن السندباد البحري لما القى الشيطان عن أكتافه على الأرض قال فما صدقت أن خلصت نفسي ونجوت من الأمر الذي كنت فيه ثم أني خفت منه

أن يقوم من سكره ويؤذيني وأخذت صخرة عظيمة من بين الأشجار وجئت إليه فضربته على رأسه وهو نائم فاختلط لحمه بدمه وقد قتل فلا رحمة الله وبعد ذلك مشيت في الجزيرة وقد ارتاح خاطري وجئت إلى المكان الذي كنت فيه على ساحل البحر ولم أزل في تلك الجزيرة آكل من أثمارها وأشرب من أنهارها مدة من الزمان وأنا أترقب مركباً تمر عليّ إلى أن كنت جالساً يوماً من الأيام متفكراً فيما جرى لي وما كان من أمري وأقول في نفسي يا ترى يبقيني الله سالماً ثم أعود إلى بلادي وأجتمع بأهلي وأصحابي وإذا بمركب قد أقبلت من وسط البحر العجاج المتلاطم بالأمواج ولم تزل سائرة حتى رست على تلك الجزيرة وطلع منها الركاب إلى الجزيرة فمشيت إليهم فلما نظروني قبلوا عليّ كلهم مسرعين واجتمعوا حولي وقد سألوني عن حالي وما سبب وصولي على تلك الجزيرة فأخبرتهم بأمري وما جري لي فتعجبوا من ذلك غاية العجب وقالوا إن هذا الرجل الذي ركب علي أكتافك يسمى شيخ البحر وما أحد دخل تحت أعضائه وخلص منه إلا أنت والحمد لله على سلامتك ثم أنهم جاءوا إليّ بشيء من الطعام فأكلت حتى اكتفيت وأعطوني شيئاً من الملبوس لبسته وسترت به عورتي ثم أخذوني معهم في المركب وقد سرنا أياماً وليال فرمتنا المقادير على مدينة عالية البناء جميع بيوتها مطلة على البحر وتلك المدينة يقال لها مدينة القرود وإذا دخل الليل تأتي الناس الذين هم ساكنون في تلك المدينة فيخرجون من هذه الأبواب التي على البحر ثم ينزلون في زوارق ومراكب ويبيتون في البحر خوفاً من القرود أن ينزلوا عليهم في الليل من الجبال فطلعت أتفرج في تلك المدينة فسافرت المركب ولم أعلم فندمت على طلوعي إلى تلك المدينة وتذكرت رفقتي وما جرى لي مع القرود أولاً وثانياً فقعدت أبكي وأنا حزين فتقدم إليّ رجل من أصحاب هذه البلد وقال يا سيدي كأنك غريب في هذه الديار فقلت له نعم أنا غريب ومسكين وكنت في مركب قدرست على تلك المدينة فطلعت منها لأتفرج في المدينة وعدت إليها فلم أراها فقال قم وسر معنا أنزل الزورق فإنك إن قعدت في المدينة ليلاً أهلكتك القرود فقلت له سمعاً وطاعة وقمت من وقتي وساعتي ونزلت معهم في الزورق ودفعوه من البر حتى أبعدوه عن ساحل البحر مقدار ميل وباتوا تلك الليلة وأنا معهم فلما أصبح الصباح رجعوا بالزورق إلى المدينة وطلعوا وراح كل واحد منهم إلى شغله ولم تزل هذه عادتهم كل ليلة وكل من تخلف منهم في المدينة بالليل جاء إليه القرود وأهلكوه وفي النهار تطلع القرود إلى خارج المدينة فيأكلون من أثمار البساتين ويرقدون في الجبال إلى وقت المساء ثم يعودون إلى المدينة وهذه المدينة في أقنعتي بلاد السودان ومن أعجب ما وقع لي من أهل هذه المدينة أن شخصاً من الجماعة الذين بت معهم في الزورق قال لي يا سيدي أنت غريب في هذه الديار فهل لك صنعة تشتغل فيها فقلت لا والله يا أخي ليس لي صنعة ولست أعرف عمل شيء وأنا رجل تاجر صاحب مال ونوال وكان لي مركب ملكي مشحونة بأموال كثيرة وبضائع فكسرت في

البحر وغرق جميع ما كان فيها وما نجوت من الغرق إلا بإذن الله فرزقني الله بقطعـ ـة لـ ـوح ركبتها فكانت السبب في نجاتي من الغرق فعند ذلك قام الرجل وأحضر لي مخلاة من قطـ ـن وقال لي خط هذه المحلاة وأملاها حجارة زلط من هذه المدينة وأخرج مع جماعة مـ ـن أهـ ـل المدينة وأنا أرافقك بهم وأوصيهم عليك وافعل كما يفعلون فلعلك أن تعمل بشيء تستعين بـ ـه على سفرك وعودك إلى بلادك ثم أن ذلك الرجل أخذني وأخرجني إلى خارج المدينة فنقيـ ـت حجارة صغيرة من الزلط وملأت تلك المخلاة وإذا بجماعة خارجين من المدينة فأرفقني بهـ ـم وأوصاهم عليّ وقال لهم هذا رجل غريب فخذوه معكم وعلموه اللقط فلعله يعمل بشيء يتقوت به ويبقى لكم الأجر والثواب فقالوا سمعاً وطاعة ورحبوا بي وأخذوني معهم وسـ ـاروا وكـ ـل واحد منهم معه مخلاه مثل المخلاة التي معي مملوءة زلطاً ولم نزل سائرين إلـ ـى أن وصـ ـلنا إلى واد واسع فيه أشجار كثيرة عالية لا يقدر أحد أن يطلع عليها وفي ذلك الوادي قرود كثيرة فلما رأتنا هذه القرود نفرت منا وطلعت تلك الأشجار فصاروا يرجمون القرود بالحجارة التي معهم في المخالي والقرود تقطع من ثمار تلك الأشجار وترمي بها هؤلاء الرجال فنظرت تلك الثمار التي ترميها القرود وإذا هي جوز هندي فلما رأيت ذلك العمل من القوم اخترت شـ ـجرة عظيمة عليها قرود كثيرة وجئت إليها وصرت أرجم هذه القرود فتقطـ ـع مـ ـن ذلـ ـك الجـ ـوز وترميني به فاجمعه كما تفعل القوم فما فرغت الحجارة من مخلاتي حتى جمعت شيئاً كثيـ ـراً فلما فرغ القوم من هذا العمل لموا جميع ما كان معهم وحمل كل واحد منهم ما أطاقه ثم عدنا إلى المدينة في باقي يومنا فجئت إلى الرجل صاحبي الذي أرفقني بالجماعة وأعطيته جميع ما جمعت وشكرت فضله فقال لي خذ هذا بيعه وانتفع بثمنه ثم أعطاني مفتاح مكـ ـان فـ ـي داره وقال لي ضع في هذا المكان هذا الذي بقي معك من الجوز واطلع في كل يوم مـ ـع الجماعـ ـة مثل ما طلعت هذا اليوم والذي تجيء به ميز منه الرديء وبعه وانتفع بثمنه واحفظه عندك في هذا المكان فلعلك تجمع منه شيئاً يعينك على سفرك فقلت له أجرك على الله تعالى وفعلت مثل ما قال لي ولم أزل في كل يوم أملأ المخلاة من الحجارة وأطلع مع القوم وأعمـ ـل مثـ ـل مـ ـا يعملون وقد صاروا يتواصون بي ويدلونني على الشجرة التي فيها الثمر الكثير ولم أزل على هذا الحال مدة من الزمان وقد اجتمع عندي شيء كثير من الجوز الهندي الطيب وبعت شـ ـيئاً كثيراً وكثر عندي ثمنه وصرت أشتري كل شيء رأيته ولاق بخاطري وقد صفا وقتـ ـي وزاد في المدينة حظي ولم أزل على هذه الحالة مدة فبينما أنا واقف على جانب البحر وإذا بمركب قد وردت إلى تلك المدينة ورست على الساحل وفيها تجار معهم بضـ ـائع فصـ ـاروا يبيعـ ـون ويشترون ويقايضون على شيء من الجوز الهندي وغيره فجئـ ـت عنـ ـد صـ ـاحبي وأعلمتـ ـه بالمركب التي جاءت وأخبرته بأني أريد السفر إلى بلادي فقال الرأي لك فودعته وشكرته على إحسانه إليّ ثم أني جئت عند المركب وقابلت الريس وأكتريت معه وأنزلت ما كان معي مـ ـن

الجوز وغيره في تلك المركب وقد ساروا بالمركب وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٤٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن السندباد البحري لما نزل من مدينة القرود في المركب وأخذ ما كان معه من الجوز الهندي وغيره وأكتري مع الريس قال وقد ساروا بالمركب ف ي ذلك اليوم ولم نزل سائرين من جزيرة إلى جزيرة ومن بحر إلى بحر إلى أن وصلنا البصـ رة فطلعت فيها وأقمت بها مدة يسيرة ثم توجهت منها إلى مدينة بغداد ودخلت حارتي وجئت إلى بيتي وسلمت على أهلي وأصحابي فهنوني بالسلامة وخزنت جميع ما كان معي من البضـ ائع والأمتعة وكسوت الأيتام والأرامل وتصدقت ووهبت وهاديت أهلي وأصحابي وأحبـ ابي وقـ د عوض الله علي بأكثر مما راح مني أربع مرات وقد نسيت ما جرى لي وما قاسيته من التعب بكثرة الربح والفوائد وعدت لما كنت عليه في الزمن الأول من المعاشـ رة والصـ حبة وهـ ذا أعجب ما كان من أمري في السفرة الخامسة ولكن تعشوا وفي غد تعالوا أخبركم بما كان في السفرة السادسة فإنها أعجب من هذه فعند ذلك مدوا السماط وتعشوا فلما فرغوا من العشاء أمر السندباد الحمال بمائة مثقال الذهب فأخذوها وانصرف وهو متعجب من ذلـ ك الأمـ ر وبـ ات السندباد الحمال في بيته ولما أصبح الصباح قام وصلى الصبح ومشي إلى أن وصل إلـ ى دار السندباد البحري فدخل عليه وأمره بالجلوس فجلس عنده ولم يزل يتحدث معه حتى جاء بقيـ ة أصحابه فتحدثوا ومدوا السماط وأكلوا وشربوا وتلذذوا وطربوا.

{الحكاية السادسة من حكايات السندباد البحري وهي السفرة السادسة}

وابتدأ السندباد البحري يحدثهم بحكاية السفرة السادسة فقال لهم اعلمـ وا يـ ا أخـ واني وأحبابي وأصحابي أني لما جئت من تلك السفرة الخامسة ونسيت ما كنت قاسيته بسبب اللهـ و والطرب والبسط والانشراح وأنا في غاية الفرح والسرور ولم أزل على هذه الحالـ ة إلـ ى أن جلست يوماً من الأيام في حظ وسرور وانشراح زائد فبينما أنا جالس وإذا بجماعة من التجار وردوا عليّ وعليهم آثار السفر فعند ذلك تذكرت أيام قدومي من السفر وفرحي بدخولي بلقـ اء أهلي وأصحابي وأحبابي وفرحي بلادي فاشتاقت نفسي إلى السفر والتجارة فعزمت على السفر واشتريت لي بضائع نفيسة فاخرة تصلح للبحر وحملت حمولي وسافرت من مدينة بغداد إلـ ى مدينة البصرة فرأيت سفينة عظيمة فيها تجار وأكابر ومعهم بضائع نفيسة فنزلت حمولي معهم في هذه السفينة وسرنا بالسلامة من مدينة البصرة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٤٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن السندباد البحري لما جهز حموله ونزلها في المركب من مدينة البصرة وسافر قال ولم نزل مسافرين من مكان إلى مكان ومن مدينة إلى مدينة ونحن نبيع ونشتري ونتفرج على بلاد الناس وقد طاب لنا السعد والسفر واغنمنا المعاش إلى أن كنا سائرين يوماً من الأيام وإذا بريس المركب صرخ وصاح ورمي عمامته ولطم على وجهه ونتف لحيته ووقع في بطن المركب من شدة الغم والقهر فاجتمع عليه جميع التجار والركاب وقالوا له ياريس ما الخبر فقال لهم الريس اعلموا يا جماعة أننا قد تهنا بمركبنا وخرجنا من البحر الذي كنا فيه ودخلنا بحر لم نعرف طرفه وإذا لم يفيض الله لنا شيئاً يخلصنا من هذا البحر هلكنا بأجمعنا فادعو الله تعالى أن ينجينا من هذا الأمر ثم أن الريس قام وصعد على الصاري وأراد أن يحل القلوع فقوي الريح على المركب فردها على مؤخرها فانكسرت دفتها قرب جبل عال فنزل الريس من الصاري وقال لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم لا يقدر أحد أن يمنع المقدور والله أننا قد وقعنا في مهلكة عظيمة ولم يبق لنا منهم مخلص ولا نجاة فبكى جميع الركاب على أنفسهم وودع بعضهم بعضاً لفراغ أعمارهم وانقطع رجاؤهم ومالت المركب على ذلك الجبل فانكسرت وتفرقت الواحها فغرق جميع ما فيها ووقع التجار في البحر فمنهم من غرق ومنهم من تمسك بذلك الجبل وطلع عليه وكنت أنا من جملة من طلع على ذلك الجبل وإذا فيه جزيرة كبيرة عندها كثير من المراكب المكسرة وفيها أرزاق كثيرة على شاطيء البحر من الذي يطرحه البحر من المراكب التي كسرت وغرق ركابها وفيها شيء كثير يحير العقل والفكر من المتاع والأموال التي يلقيها البحر على جوانبها فعند ذلك طلعت على تلك الجزيرة ومشيت فيها فرأيت في وسطها عين ماء عذب جارية خارج من تحت أول ذلك الجبل وداخل في آخره من الجانب الثاني فعند ذلك طلع جميع الركاب على ذلك الجبل إلى الجزيرة وانتشروا فيها وقد ذهلت عقولهم من ذلك وصاروا مثل المجانين من كثرة ما رأوا في الجزيرة من الأمتعة والأموال التي على ساحل البحر وقد رأيت في وسط تلك العين شيئاً كثيراً من أصناف الجواهر والمعادن واليواقيت واللالىء الكبار الملوكية وهي مثل الحصى في مجاري الماء في تلك الغيطان وجميع أرض تلك العين تبرق من كثرة ما فيها من المعادن وغيرها ورأينا كثيراً في تلك الجزيةر من أعلى العود الصيني والعود القماري وفي تلك الجزيرة عين نابعة من صنف العنبر الخام وهو يسيل مثل الشمع على جانب تلك العين من شدة حر الشمس ويمتد على ساحل البحر فتطلع الهوايش من البحر وتبتلعه وتنزل في البحر فيحمي في بطونها فتقذفه من أفواهها في البحر فيجمد على وجه الماء فعند ذلك يتغير لونه وأحواله فتقذفه الأمواج إلى جانب البحر فيأخذه السواحون والتجار الذين يعرفونه فيبيعونه وأما العنبر الخام الخالص من الابتلاع فإنه يسيل على جانب تلك العين ويتجمد

بأرضه وإذا طلعت عليه الشمس يسيح وتبقى منه رائحة ذلك الوادي كله مثل المسك وإذا زالت عنه الشمس يجمد وذلك المكان الذي هو فيه هذا العنبر الخام لا يقدر أحد على دخوله ولا يستطيع سلوكه من الجبل محيط بتلك الجزيرة ولا يقدر أحد على صعود ذلك الجبل ولم نزل دائرين في تلك الجزيرة نتفرج على ما خلق الله تعالى فيها من الأرزاق ونحن متحيرون في أمرنا وفيما نراه وعندنا خوف شديد وقد جمعنا على جانب الجزيرة شيئاً قليلاً من الزاد فصرنا نوفره ونأكل منه في كل يوم أو يومين أكلة واحدة ونحن خائفون أن يفرغ الزاد منا فنموت كمداً من شدة الجوع والخوف وكل من مات منا نغسله ونكفنه في ثياب وقماش من الذي يطرحه البحر على جانب الجزيرة حتى مات منا خلق كثير ولم يبق منا إلا جماعة قليلة فضعفنا بوجع البطن من البحر وأقمنا مدة قليلة فمات جميع أصحابي ورفقائي وأحداً بعد واحد وكل من مات منهم ندفنه وبقيت في تلك الجزيرة وحدي وبقى معي زاد قليل بعد أن كان كثيراً فبكيت على نفسي وقلت ياليتني مت قبل رفقائي وكانوا غسلوني ودفنوني فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٥٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن السندباد البحري لما دفن رفقاءه جميعاً وصار في الجزيرة وحده قال ثم أني أقمت مدة يسيرة ثم قمت حفرت لنفسي حفرة عميقة في جانب تلك الجزيرة وقلت في نفسي إذا ضعفت وعلمت أن الموت قد أتاني أرقد في هذا القبر فأموت فيه ويبقى الريح يسفى الرمل على فيغطيني وأصير مدفوناً فيه وصرت ألوم نفسي على قلة عقلي وخروجي من بلادي ومدينتي وسفري إلى البلاد بعد الذي قاسيته أولاً وثانياً وثالثاً ورابعاً وخامساً ولا سفره من الأسفار إلا وأقاسي فيها أهوالاً وشدائد أشق وأصعب من الأهوال التي قبلها وما أصدق بالنجاة والسلامة وأتوب عن السفر في البحر وعن عودي إليه ولست محتاجاً لمال وعندي شيء كثير والذي عندي لا أقدر أن أفنيه ولا أضيع نصفه في باقي عمري وعندي ما يكفيني وزيادة ثم أني تفكرت في نفسي وقلت والله لابد أن هذا النهر له أول وآخر ولا بد له من مكان يخرج منه إلى العمار والرأي السديد عندي أن أعمل لي فلكاً صغيراً على قدر ما أجلس فيه وأنزل والقيه في هذا النهر وأسير به فإن وجدت لي خلاصاً أخلص وأنجو بإذن الله تعالى وإن لم أجد لي مخلصاً أموت داخل هذا النهر أحسن من هذا المكان وصرت أتحسر على نفسي ثم أني قمت وسعيت فجمعت أخشاباً من تلك الجزيرة من خشب العود الصيني والقماري وشددتها على جانب البحر بحبال من حبال المراكب التي كسرت وجئت بألواح مساوية من ألواح المراكب ووضعتها في ذلك الخشب وجعلت ذلك الفلك على عرض ذلك النهر أو أقل من عرضه وشددته شداً طيباً مكينا وقد أخذت معي من تلك المعادن والجواهر وأموال واللؤلؤ الكبير الذي مثل الحصى وغير ذلك من الذي في تلك الجزيرة

وشيئاً من العنبر الخام الخالص الطيب ووضعته في ذلك الفلك ووضعت فيه جميع ما أجمعته من الجزيرة وأخذت معي جميع ما كان باقياً من الزاد ثم أني ألقيت ذلك الفلك في هذا النهر وجعلت له خشبتين على جنبيه مثل المجاديف وعملت بقول بعد الشعراء.

ترحـ ـل عـ ـن مكـ ـان فيـ ـه ضـ ـيم	وخـ ـل الـ ـدار تنعـ ـي مـ ـن بناهـ ـا
فإنـ ـك واجـ ـد أرضـ ـاً بـ ـأرض	ونفسـ ـك لـ ـم تجـ ـد نفسـ ـاً سـ ـواها
ولا تجـ ـزع لحادثـ ـة الليـ ـالي	فكـ ـل مصـ ـيبة يـ ـأتي انتهاهـ ـا
ومـ ـن كانـ ـت منيتـ ـه بـ ـأرض	فليس يمـ ـوت فـ ـي أرض سـ ـواها
ولا تبعـ ـث رسـ ـولك فـ ـي مهـ ـم	فمـ ـا للـ ـنفس ناصـ ـحة سـ ـواها

وسرت بذلك الفلك في النهر وأنا متفكر فيما يصير إليه أمري ولم أزل سائر إلى المكان الذي يدخل فيه النهر تحت ذلك الجبل وأدخلت الفلك في هذا المكان وقد صرت في ظلمة شديدة فأخذتني سنة من النوم من شدة القهر فنمت على وجهي في الفلك ولم يزل سائر أبي وأنا نائم لا أدري بكثير ولا قليل حتى استيقظت فوجدت نفسي في النور ففتحت عيني فرأيت مكاناً واسعاً وذلك الفلك مربوط على جزيرة وحولي جماعة من الهنود والحبشة فلما رأوني قمت نهضوا إلي وكلموني بلسانهم فلم أعرف ما يقولون وبقيت أظن أنه حلم وأن هذا في المنام من شدة ما كنت فيه من الضيق والقهر فلما كلموني ولم أعرف حديثهم ولم أرد عليهم جواباً تقدم إلى رجل منهم وقال لي بلسان عربي السلام عليكم يا أخانا من أنت ومن أين جئت وما سبب مجيئك إلى هذا المكان ونحن أصحاب الزرع والغيطان وجئنا لنسقي غيطاننا وزرعنا فوجدناك نائماً في الفلك فأمسكناه وربطناه عندنا حتى تقوم على مهلك فأخبرنا ما سبب وصولك إلى هذا المكان فقلت له بالله عليك يا سيدي ائتني بشيء من الطعام فأني جائع وبعد ذلك أسألني عما تريد فأسرع وأتاني بالطعام فأكلت حتى شبعت وأسترحت وسكن روعي وازداد شبعي وردت لي روحي فحمدت الله تعالى على كل حال وفرحت بخروجي من ذلك النهر ووصولي إليهم وأجبرتهم بجميع ما جرى لي من أوله إلى آخره وما لقيته في ذلك النهار وضيقه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٥١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن السندباد البحري لما طلع من الفلك على جانب الجزيرة ورأى فيها جماعة من الهنود والحبشة واستراح من تعبه سألوه عن خبره فأخبرهم بقصته ثم أنهم تكلموا مع بعضهم وقالوا لابد أننا نأخذه معنا ونعرضه على ملكنا ليخبره بما جرى له قال فأخذوني معهم وحملوا معي الفلك بجميع ما فيه من المال والنوال والجواهر والمعادن والمصاغ وأدخلوني على ملكهم وأخبروه بما جرى فسلم علي ورحب بي وسألني عن حالي

وما اتفق لي من الأمور فأخبرته بجميع ما كان من أمري وما لاقيته من أوله إلىآخره فتعجب الملك من هذه الحكاية غاية العجب وهناني بالسلامة فعند ذلك قمت وأطلعت من ذلك الفلك شيئاً كثيراً من المعادن والجواهر والعود والعنبر الخام وأهديته إلى الملك فقبله مني وأكرمني إكراماً زائداً وأنزلني في مكان عنده وقد صاحبت أخيارهم وأكابرهم وأعزوني معزة عظيمة وصرت لا أفارق دار الملك وصار الواردون إلى تلك الجزيرة يسألونني عن أمور بلادي فأخبرهم بها وكذلك أسألهم عن أمور بلادهم فيخبروني بها إلى أن سألني ملكهم يوماً من الأيام عن أحوال بلادي وعن أحوال حكم الخليفة في بلاد مدينة بغداد فأخبرته بعدله في أحكامه فتعجب من أموره وقال لي والله أن هذه الخليفة له أمور عقلية وأحوال مرضية وأنت قد حببتني فيه ومرادي أن أجهز له هدية وأرسلها معك إليه فقلت سمعاً وطاعة يا مولانا أوصلها إليه وأخبره أنك محب صادق ولم أزل مقيماً عند ذلك الملك وأنا في غاية العز والإكرام وحسن المعيشة مدة من الزمان إلى أن كنت جالساً يوماً من الأيام في دار الملك فسمعت بخبر جماعة من تلك المدينة أنهم جهزوا لهم مركباً يريدون السفر فيها إلى نواحي مدينة البصرة فقلت في نفسي ليس لي أوفق من السفر مع هؤلاء الجماعة فأسرعت من وقتي وساعتي وقبلت يد ذلك الملك وأعلمته بأن مرادي السفر مع الجماعة في المركب التي جهزوها لأني اشتقت إلى أهلي وبلادي فقال لي الملك الرأي لك وإن شئت الإقامة عندنا فعلى الرأس والعين وقد حصل لنا أنسك فقلت والله يا سيدي لقد غمرتني بجميلك وإحسانك ولكن قد اشتقت إلى أهلي وبلادي وعيالي فلما سمع كلامي أحضر التجار الذين جهزوا المركب وأوصاهم علي ووهب لي شيئاً كثيراً من عنده ودفع عني أجرة المركب وأرسل معي هدية عظيمة إلى الخليفة هارون الرشيد بمدينة بغداد ثم أني ودعت الملك وودعت جميع أصحابي الذين كنت أتردد عليهم ثم نزلت المركب مع التجار وسرنا وقد طاب لنا الريح والسفر ونحن متوكلون على الله سبحانه وتعالى ولم نزل مسافرين من بحر إلى بحر ومن جزيرة إلى جزيرة إلى أن وصلنا بالسلامة بإذن الله إلى مدينة البصرة فطلعت من المركب ولم أزل مقيماً بأرض البصرة أياماً وليالي حتى جهزت نفسي وحملت حمولي وتوجهت إلى مدينة بغداد دار السلام فدخلت على الخليفة هارون الرشيد وقدمت إليه تلك الهدية وأخبرته بجميع ما جرى لي ثم خزنت جميع أموالي وأمتعتي ودخلت حارتي وجاءني أهلي وأصحابي وفرقت الهدايا على جميع أهلي وتصدقت ووهبت وبعد مدة من الزمان أرسل إلى الخليفة فسألني عن سبب تلك الهدية ومن أين هي فقلت يا أمير المؤمنين والله لا أعرف للمدينة التي هي منها أسماً ولا طريقاً ولكن لما غرقت المركب التي كنت فيها طلعت على جزيرة وصنعت لي فلكاً ونزلت فيه في نهر كان في وسط تلك الجزيرة وأخبرته بما جرى لي في السفرة وكيف كان خلاصي من ذلك النهر إلى تلك المدينة وبما جرى لي فيها وبسبب إرسال الهدية فتعجب الخليفة من ذلك غاية العجب

وأمر المؤرخون أن يكتبوا حكايتي ويجعلوها في خزائنه ليعتبر بها كل من رآه ثم أنه أكرمني إكراماً زائداً وأقمت بمدينة بغداد على ما كنت عليه في الزمن الأول ونسيت جميع ما جرى لي وما قاسيته من أوله إلى آخره ولم أزل في لذة عيش ولهو وطرب فهذا ما كان من أمري في السفرة السادسة يا أخواني وإن شاء الله تعالى في غد أحكي لكم حكاية السفرة السابعة فإنها أعجب وأغرب من هذه السفرات ثم أنه أمر بمد السماط وتعشوا عنده وأمر السندباد البحري للسندباد الحمال بمائة مثقال من الذهب فأخذها وانصرف الجماعة وهم متعجبون من ذلك غاية العجب وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

{الحكاية السابعة من حكايات السندباد البحري وهي السفرة السابعة}

(وفي ليلة ٥٥٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن السندباد البحري لما حكي حكاية سفرته السادسة وراح كل واحد إلى حال سبيله بات السندباد الحمال في منزله ثم صلى الصبح وجاء إلى منزل السندباد البحري وأقبل الجماعة فلما تكلموا ابتدأ السندباد البحري بالكلام في حكاية السفرة السابعة وقال اعلموا يا جماعة أني لما رجعت من السفرة السادسة وعدت لما كنت عليه في الزمن الأول من البسط والانشراح واللهو والطرب أقمت على تلك الحالة مدة من الزمان وأنا متواصل الهناء والسرور ليلاً ونهاراً وقد حصل لي مكاسب كثيرة وفوائد عظيمة فاشتاقت نفسي إلى الفرجة في البلاد وإلى ركوب البحر وعشرة التجار وسماع الأخبار فهممت بذلك الأمر وحزمت أحمالاً بحرية من الأمتعة الفاخرة وحملتها من مدينة بغداد إلى مدينة البصرة فرأيت مركباً محضرة للسفر وفيها جماعة من التجار العظام فنزلت معهم وأستأنست بهم وسرنا بسلامة وعافية قاصدين السفر وقد طاب لنا الريح حتى وصلنا إلى مدينة الصين ونحن في غاية الفرح والسرور نتحدث مع بعضنا في أمر السفر والمتجر فبينما نحن على هذه الحالة وإذا بريح عاصف هب من مقدم المركب ونزل علينا مطر شديد حتى ابتللنا وابتلت حمولتنا فغطينا الحمول باللباد والخيش خوفاً على البضاعة من التليف بالمطر وسرنا ندعو الله تعالى ونتضرع إليه في كشف ما نزل بنا مما نحن فيه فعند ذلك قام ريس المركب وشد حزامه وتشمر وطلع على الصاري وصار يلتفت يميناً وشمالاً وبعد ذلك نظر إلي أهل المركب ولطم على وجهه ونتف لحيته فقلنا ياريس ما الخبر فقال لنا اطلبوا من الله تعالى النجاة مما وقعنا فيه وابكوا على أنفسكم وودعوا بعضكم واعلموا أن الريح قد غلب علينا ورمانا في آخر بحار الدنيا ثم أن الريس نزل من فوق الصاري وفتح صندوقه وأخرج منه كيساً قطناً وفكه وأخرج منه تراباً مثل الرماد وبله بالماء وصبر عليه قليلاً وشمه ثم أنه أخرج من ذلك الصندوق كتاباً صغيراً وقرأ فيه وقال لنا اعلموا يا ركاب أن في هذا الكتاب أمراً عجيباً يدل على أن كل من

وصل إلى هذه الأرض لم ينج منها بل يهلك فإن هذه الأرض تسمى أقليم الملوك وفيها قبر سيدنا سليمان بن داود عليهما السلام وفيه حيات عظام الخلقة هائلة المنظر فكل مركب وصلت إلى هذا الأقليم يطلع لها حوت من البحر فيبتلعها بجميع ما فيها فلما سمعنا هذا الكلام من الريس تعجبنا غاية العجب من حكايته فلم يتم الريس كلامه لنا حتى صارت المركب ترتفع بنا على الماء ثم تنزل وسمعنا صرخة عظيمة مثل الرعد القاصف فارتعبنا منها وصرنا كالأموات وأيقنا بالهلاك في ذلك الوقت وإذا بحوت قد أقبل على المركب كالجبل العالي ففزعنا منه وقد بكينا على أنفسنا بكاء شديداً وتجهزنا للموت وصرنا ننظر إلى ذلك الحوت ونتعجب من خلقته الهائلة وإذا بحوت ثان قد أقبل علينا فما رأينا أعظم خلقه منه ولا أكبر فعند ذلك ودعنا بعضنا ونحن نبكي على أرواحنا وإذا بحوت ثالث قد أقبل وهو أكبر من الأثنين اللذين جاءنا قبله وصرنا لا نعي ولا نعقل وقد اندهشت عقولنا من شدة الخوف والفزع ثم أن هذه الحيتان الثلاثة صاروا يدورن حول المركب وقد أهوى الحوت الثالث ليبتلع المركب بكل ما فيها وإذا بريح عظيم ثار فقامت المركب ونزلت على شعب عظيم فانكسرت وتفرقت جميع الألواح وغرقت جميع الحمول والتجار والركاب في البحر فخلعت أنا جميع ما كان على من الثياب ولم يبق علي غير ثوب واحد ثم عمت قليلاً فلحقت لوحاً من ألواح المركب وتعلقت به ثم أني طلعت عليه وركبته وقد صارت الأمواج والأرياح تلعب بي علي وجه الماء وأنا قابض علي ذلك اللوح والموج يرفعني ويحطني وأنا في أشد ما يكون من المشقة والخوف والجوع والعطش وصرت ألوم نفسي على ما فعلته وقد تعبت نفسي بعد الراحة وقلت لروحي يا سندباد يا بحري أنت لم تتب وكل مرة تقاسي فيها الشدائد والتعب ولم تتب عن سفر البحر وأن تبت تكذب في التوبة فقاس كل ما تلقاه فإنك تستحق جميع ما يحصل لك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٥٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن السندباد البحري لما غرق في البحر ركب لوحاً من الخشب وقال في نفسه استحق جميع ما يجري لي وكل هذا مقدر على من الله تعالى حتى أرجع عما أنا فيه من الطمع وهذا الذي أقاسيه من طمعي فإن عندي مالاً كثيراً ثم أنه قال وقد رجعت لعقلي وقلت أني في هذه السفرة قد تبت إلى الله تعالى توبة نصوحاً عن السفر وما بقيت عمري أذكره على لساني ولا على بالي ولم أزل أتضرع إلى الله تعالى وأبكي ثم أني تذكرت في نفسي ما كنت فيه من الراحة والسرور واللهو والطرب والانشراح ولم أزل على هذه الحالة أول يوم وثاني يوم إلى أن طلعت على جزيرة عظيمة فيها شيء كثير من الأشجار والأنهار فصرت آكل من ثمر تلك الأشجار وأشرب من ماء تلك الأنهار حتى انتعشت وردت لي روحي وقويت همتي وانشرح صدري ثم مشيت في الجزيرة فرأيت في جانبها الثاني نهراً

عظيماً من الماء العذب ولكن ذلك النهر يجري جرياً قوياً فتذكرت أمر الفلك الذي كنت فيه سابقاً وقلت في نفسي لابد أني أعمل لي فلكاً مثله لعلي أنجو من هذا الأمر فإن نجوت به حصل المراد وتبت إلى الله تعالى من السفر وأن هلكت أرتاح قلبي من التعب والمشقة ثم أني قمت فجمعت أخشاباً من تلك الأشجار من خشب الصندل العال الذي لا يوجد مثله وأنا لا أدري أي شيء هو ولما جمعت تلك الأخشاب تحليت بأغصان ونبات من هذه الجزيرة وفتلتها مثل الحبال وشددت بها الفلك وقلت أن سلمت فمن الله ثم أني نزلت في ذلك الفلك وسرت به في ذلك النهر حتى خرجت من آخر الجزيرة ثم بعدت عنها ولم أزل سائراً أول يوم وثاني يوم وثالث يوم بعد مفارقة الجزيرة وأنا نائم ولم آكل في هذه المدة شيئاً ولكن إذا عطشت شربت من ذلك النهر وصرت مثل الفرخ الدايخ من شدة التعب والجوع والخوف حتى أنتهي بي الفلك إلى جبل عال والنهر داخل من تحته فلما رأيت ذلك خفت على نفسي من الضيق الذي كنت فيه أول مرة في النهر السابق وأردت أني أوقف الفلك وأطلع منه إلى جانب الجبل فغلبني الماء فجذب الفلك وأنا فيه ونزل به تحت الجبل فلما رأيت ذلك أيقنت بالهلاك وقلت لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ولم يزل الفلك سائراً مسافة يسيره ثم طلع إلى مكان واسع وإذا هو واد كبير والماء يهدر فيه وله دوي مثل دوي الرعد وجريان مثل جريان الريح فصرت قابضاً على ذلك الفلك بيدي وأنا خائف أن أقع من فوقه والأمواج تلعب بي يميناً وشمالاً في وسط ذلك المكان ولم يزل الفلك منحدراً مع الماء الجاري في ذلك الوادي وأنا لا أقدر على معه ولا أستطيع الدخول به في جهة البر إلى أن رسي بي على جانب مدينة عظيمة المنظر مليحة البناء فيها خلق كثير فلما رأوني وأنا في ذلك الفلك منحدر في البر فسقطت بينهم وأنا مثل الميت من شدة الجوع والسهر والخوف فتلقاني من بين هؤلاء الجماعة رجل كبير السن وهو شيخ عظيم ورحب بي ورمي على ثياباً كثيرة جميلة فسترت بها عورتي ثم أنه أخذني وسار بي وأدخلني الحمام وجاء لي بالأشربة المنعشة والروائح الذكية ثم بعد خروجنا من الحمام أخذني إلى بيته وأدخلني فيه ففرح بي أهل بيته ثم أجلسني في مكان ظريف وهيأ لي شيئاً من الطعام الفاخر فأكلت حتى شبعت وحمدت الله تعالى على نجاتي وبعد ذلك قدم لي غلمانه ماء ساخناً فغسلت يدي وجاءتني جواريه بمناشف من الحرير فنشفت يدي ومسحت فمي ثم أن ذلك الشيخ قام من وقته وأخلى لي مكاناً منفرداً وحده في جانب داره وألزم غلمانه وجواريه بخدمتي وقضاء حاجتي وجميع مصالحي فصاروا يتعهدونني ولم أزل على هذه الحالة عنده في دار الضيافة ثلاثة أيام وأنا على أكل طيب وشرب طيب ورائحة طيبة حتى ردت لي روحي وسكن روعي وهدأ قلبي وأرتاحت نفسي فلما كان اليوم الرابع تقدم إلى الشيخ وقال لي أنستنا يا ولدي والحمد لله على سلامتك فهل لك أن تقوم معي إلى ساحل البحر وتنزل السوق فتبيع البضاعة وتقبض ثمنها لعلك تشتري لك بها شيئا تتجر فيه فسكت قليلاً وقلت في

نفسي من أين معي بضاعة وما سبب هذا الكلام قال الشيخ يا ولدي لاتهتم ولا تفتكر فقم بنا إلى السوق فإن رأينا من يعطيك في بضاعتك ثمناً يرضيك أقبضه لك وإن لم يجيء فيها شيء يرضيك أحفظها لك عندي في حواصلي حتى تجيء أيام البيع والشراء فتفكرت في أمري وقلت لعقلي طاوعته حتى تنظر أي شيء تكون هذه البضاعة ثم أني قلت له سمعاً وطاعة يا عم الشيخ والذي تفعله فيه البركة ولا يمكنني مخالفتك في شيء ثم أني جئت معه إلى السوق فوجدته قد فك الفلك الذي جئت فيه وهو من خشب الصندل وأطلق المنادي عليه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٥٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن السندباد البحري لما ذهب مع الشيخ إلى شاطيء البحر ورأى الفلك الذي جاء فيه من خشب الصندل مفكوكاً ورأى الدلال يدلل عليه جاء التجار وفتحوا باب سعره وتزايدوا فيه إلى أن بلغ ثمنه ألف دينار وبعد ذلك توقف التجار عن الزيادة فالتفت إلى الشيخ وقال اسمع يا ولدي هذا سعر بضاعتك في مثل هذه الأيام فهل تبيعها بهذا السعر أو تصبر وأنا أحفظها لك عندي في حواصلي حتى يجيء أوان زيادتها في الثمن فنبيعها لك فقلت له يا سيدي الأمر أمرك فافعل ما تريد فقال يا ولدي أتبيعني هذا الخشب بزيادة مائة دينار ذهباً فوق ما أعطى فيه التجار فقلت له نعم بعتك وقبضت الثمن فعند ذلك أمر غلمانه بنقل ذلك الخشب إلى حواصله ثم أني رجعت معه إلى بيته فجلسنا وعد لي جميع ثمن ذلك الخشب وأحضر لي أكياساً ووضع المال فيها وقفل عليها بقفل حديد وأعطاني مفتاحه وبعد مدة أيام وليالي قال الشيخ يا ولدي أني أعرض عليك شيئاً وأشتهي أن تطاوعني فيه فقلت له وماذاك الأمر فقال لي أعلم أني بقيت رجلاً كبير السن وليس لي ولد ذكر وعندي بنت صغيرة السن ظريفة الشكل لها مال كثير وجمال فأريد أن أزوجها لك وتقعد معها في بلادنا ثم أني أملكك جميع ما هو عندي وما تملكه يدي فإني بقيت رجلاً كبيراً وأنت تقوم مقامي فسكتٍ ولم أتكلم فقال لي أطعني يا ولدي في الذي أقول لك فإن مرادي لك الخير فإن أطعتني زوجتك أبنتي وتبقى مثل ولدي وجميع ما في يدي وما هو ملكي يصير لك وأن أردت التجارة والسفر إلى بلادك لا يمنعك أحد وهذا مالك تحت يدك فافعل به ما تريد وما تختاره فقلت له والله يا عم الشيخ أنت صرت مثل والدي وأنا قاسيت أهوالاً كثيرة ولم يبق لي رأي ولا معرفة فالأمر أمرك في جميع ما تريد فعند ذلك أمر الشيخ غلمانه بإحضار القاضي والشهود فأحضروهم وزوجني ابنته وعمل لنا وليمة عظيمة وفرحاً كبيراً وأدخلني عليها فرأيتها في غاية الحسن والجمال بقد واعتدال وعليها شيء كثير من أنواع الحلي والحلل والمعادن والمصاغ والعقود والجواهر الثمينة التي بيننا واقمت معها مدة من الزمان وأنا في غاية الأنس والانشراح وقد توفي والدها إلى رحمة الله تعالى فجهزناه ودفناه ووضعت يدي على ما كان

معه وصار جميع غلمانه غلماني وتحت يدي وفي خدمتي وولاني التجار مرتبته لأنه كان كبيرهم ولا يأخذ أحد شيئاً إلا بمعرفته وإذنه لأنه شيخهم وصرت أنا في مكانه فلما خالطت أهل تلك المدينة وجدتهم تنقلت حالهم في كل شهر فتظهر لهم أجنحة يطيرون بها إلى عنان السماء ولا يبقى متخلفاً في تلك المدينة غير الأطفال والنساء فقلت في نفسي إذا جاء رأس الشهر أسأل أحداً منهم فلعلهم يحملوني معهم إلى أين يروحون فلما جاء رأس ذلك الشهر تغيرت ألوانهم وانقلبت صورهم فدخلت على واحد منهم وقلت له بالله عليك أن تحملني معك حتى أتفرج وأعود معكم فقال لي هذا شيء لا يمكن فلم أزل أتداخل عليه حتى أنعم علي بذلك وقد وافقتهم وتعلقت به فطار بي في الهواء ولم أعلم أحداً من أهل بيتي ولا من غلماني ولا من أصحابي ولم يزل طائراً بي ذلك الرجل وأنا على أكتافه حتى علا بي في الجو فسمعت تسبيح الأملاك في قبة الأفلاك فتعجبت من ذلك وقلت سبحان الله والحمد لله فلم أستتم التسبيح حتى خرجت نار من السماء كادت تحرقهم فنزلوا جميعاً والقوني على جبل عال وقد صاروا في غاية الغيظ مني وراحوا وخلوني فصرت وحدي في ذلك الجبل فلمت نفسي على ما فعلت وقلت لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم أنا كلما أخلص من مصيبة أقع في مصيبة أقوى منها ولم أزل في ذلك الجبل ولا أعرف أين أذهب وإذا بغلامين سائرين كأنهما قمران وفي يد كل واحد منهما قضيب من ذهب يتعكز عليه فتقدمت إليهما وسلمت عليهما فردا علي السلام فقلت لهما بالله عليكما من أنتما وما شأنكما فقالا لي نحن من عباد الله تعالى ثم أنهما أعطياني قضيباً من الذهب الأحمر الذي كان معهما وأنصرفا إلى حال سبيلهما وخلناني فصرت أسير على رأس الجبل وأنا أتعكز بالعكاز وأتفكر في أمر هذين الغلامين وإذا بحية قد خرجت من تحت ذلك الجبل وفي فمها رجل بلته إلى تحت سرته وهو يصيح ويقول من يخلصني يخلصه الله من كل هذه فتقدمت إلى تلك الحية وضربتها بالقضيب الذهب على رأسها فرمت الرجل من فمها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٥٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن السندباد البحري لما ضرب الحية بالقضيب الذهب الذي كان بيده وألقت الرجل من فمها قال فتقدم إلى الرجل وقال حيث كان خلاصي على يديك من هذه الحية فما بقيت أفارقك وأنت صرت رفيقي في هذا الجبل فقلت له مرحباً وسرنا في ذلك الجبل وإذا بقوم أقبلوا علينا فنظرت إليهم فإذا فيهم الرجل الذي كان حملني على أكتافه وطار بي فتقدمت إليه واعتذرت له وتلطفت به وقلت له يا صاحبي ما هكذا تفعل الأصحاب بأصحابهم فقال لي الرجل أنت الذي أهلكتنا بتسبيحك على ظهري فقلت له لا تؤاخذني فإني لم يكن لي علم بهذا الأمر ولكنني لا أتكلم بعد ذلك أبداً فسمح بأخذي معه ولكنه شرط على أن لا أذكر الله ولا أسبحه على ظهره ثم إنه حملني وطار بي مثل الأول حتى أوصلني إلى منزلي

فلقتني زوجتي وسلمت على وهنتني بالسلامة وقالت لي احترس من خروجك بعد ذلك مع هؤلاء الأقوام ولا تعاشرهم فهم أخوان الشياطين ولا يعلمون ذكر الله تعالى فقلت لها كيف كان حال أبيك معهم فقالت لي أن أبي ليس منهم ولا يعمل مثلهم والرأي عندي حيث مات أبي أنك تبيع جميع ما عندنا وتأخذ بثمنه بضائع ثم تسافر إلى بلادك وأهلك وأنا أسير معك وليس لي حاجة بالقعود هنا في هذه المدينة بعد أمي وأبي فعند ذلك صرت أبيع من متاع ذلك الشيخ شيئاً بعد شيء وأنا أترقب أحداً يسافر من تلك المدينة وأسير معه فبينما أنا كذلك وإذا بجماعة في المدينة أرادوا السفر ولم يجدوا لهم مركباً فاشتروا خشباً وصنعوا لهم مركباً كبيرة فاكتريت معهم ودفعت إليهم الأجرة بتمامها ثم نزلت زوجتي وجميع ما كان معنا في المركب وتركنا الأملاك والعقارات فسرنا ولم نزل سائرين في البحر من جزيرة إلى جزيرة ومن بحر إلى بحر وقد طاب لنا ريح السفر حتى وصلنا بالسلامة إلى مدينة البصرة فلم أقم بها بل أكتريت مركباً أخرى ونقلت إليها جميع ما كان معي وتوجهت إلى مدينة بغداد ثم دخلت حارتي وجئت داري وقابلت أهلي وأصحابي وأحبابي وخرنت جميع ما كان معي من البضائع في حواصلي وقد حسب أهلي مدة غيابي عنهم في السفرة السابعة فوجدوها سبعاً وعشرين سنة حتى قطعوا الرجاء مني فلما جئتهم وأخبرتهم بجميع ما كان من أمري وما جرى لي صاروا كلهم يتعجبون من ذلك الأمر عجباً كبيراً وقد هنوني بالسلامة ثم أني تبت إلى الله تعالى عن السفر في البر والبحر بعد عدة السفرة السابعة التي هي غاية السفرات وقاطعة الشهوات وشكرت الله سبحانه وتعالى وحمدته وأثنيت عليه حيث أعادني إلى أهلي وبلادي وأوطاني فانظر ياسندباد يا بري ما جرى لي وما وقع لي وما كان من أمري فقال السندباد البري للسندباد البحري بالله عليك لا تؤاخذني بما كان مني في حقك ولم يزالوا في عشرة ومودة مع بسط زائد وفرح وانشراح إلى أن أتاهم هازم اللذات ومفرق الجماعات ومخرب القصور ومعمر القبور وهو كأس الممات فسبحان الحي الذي لا يموت.

{حكاية في شأن الجن والشياطين المسجونين في القماقم}

{من عهد سليمان عليه الصلاة والسلام}

بلغني أيضاً أنه كان في قديم الزمان وسالف العصر والأوان بدمشق الشام ملك من الخلفاء يسمى عبد الملك بن مروان وكان جالساً يوم من الأيام وعنده أكابر دولته من الملوك والسلاطين فوقعت بينهم نباحته في حديث الأمم السالفة وتذكروا أخبار سيدنا سليمان بن داود عليه السلام وما أعطاه الله تعالى من الملك والحكم في الأنس والجن والطير والوحش وغير ذلك وقالوا قد سمعنا ممن كان قبلنا أن الله سبحانه وتعالى لم يعط أحد مثل ما أعطى سيدنا سليمان وأنه وصل إلى شيء لم يصل إليه أحد حتى أنه كان يسجن الجن والمردة والشياطين

في قماقم من النحاس ويسبك عليهم بالرصاص ويختم عليهم بخاتمة وأدرك شهرزاد الصد باح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٥٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الخليفة عبد الملك بن مروان لما تحدث مـ ـع أعواذ ـه وأكابر دولته وتذكروا سيدنا سليمان وما أعطاه الله من الملك قال أنه وصل إلى شيء لم يصل إليه أحد حتى أنه كان يسجن المردة والشياطين في قماقم من النحاس ويسبك عليهم بالرصاص ويختم عليهم بخاتمه وأخبر طالب أن رجلاً نزل في مركب مع جماعة وانحدروا إلـ ى بـ ـلاد الهند ولم يزالوا سائرين حتى طلع عليهم ريح فوجههم ذلك الريح إلى أرض من أراضـ ـي الله تعالى وكان ذلك في سواد الليل فلما أشرق النهار خرج إليهم من مغارات تلك الأرض أقـ ـوام سود الألوان عراة الأجساد كأنهم وحوش لا يفقهون خطابا لهم ملك من جنسهم وليس منهم أحد يعرف العربية غير ملكهم فلما رأوا المركب ومن فيها خرج إليهم في جماعة مـ ـن أصـ ـحابه فسلم عليهم ورحب بهم وسألهم عن دينهم فأخبروه بحالهم فقال لهم لا بأس عليكم وحين سألهم عن دينهم كان كل منهم على دين من الأديان وسألهم عن دين الإسلام وعن بعثة سيدنا محمد ﷺ فقال أهل المركب نحن لا نعرف ما تقول ولا نعرف شيئاً من هذا الدين فقال لهم الملك أنه لم يصل إلينا أحد من بني آدم قبلكم ثم أنه ضيفهم بلحم الطيور والوحوش والسمك لأنه لـ ـيس لهم طعام غير ذلك ثم أن أهل المركب نزلوا يتفرجون في تلك المدينة فوجدوا بعض الصيادين أرخى شبكته في البحر ليصطاد سمكاً ثم رفعها فإذا فيها قمقم من نحاس مرصص مختوم عليه بخاتم سليمان بن داود عليهما السلام فخرج به الصياد وكسره فخرج منه دخان أزرق التحـ ـق بعنان السماء فسمعنا صوتاً منكراً يقول التوبة التوبة يا نبي الله ثم صار مـ ـن ذلـ ـك الـ ـدخان شخص هائل المنظر مهول الخلقة تلحق رأسه الجبل ثم غاب عن أعينهم فأما أهـ ـل المركـ ـب فكادت تنخلع قلوبهم وأما السودان فلم يفكروا في ذلك فرجع رجل إلى الملك وسأله عن ذلـ ـك فقال له اعلم أن هذا من الجن الذين كان سليمان بن داود إذا غضب عليهم سجنهم فـ ـي هـ ـذه القماقم ورصص عليهم ورماهم في البحر فإذا رمى الصياد الشبكة يطلع بهذه القماقم في غالب الأوقات فإذا كسرت يخرج منها جني ويخطر بباله أن سليمان حي فيتوب ويقول التوبة يا نبي الله فتعجب أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان من هذا الكلام وقال سـ ـبحان الله لقـ ـد أوتـ ـي سليمان ملكاً عظيماً وكان ممن حضر في ذلك المجلس النابغة الذبياني فقال صدق طالب فمـ ـا أخبر به والدليل على صدقه قول الحكيم الأول.

وفي سـ ـليمان إذ قـ ـال الإلـ ـه لـ ـه ... قم بالخلافة واحكـ ـم حكـ ـم مجتهـ ـد

فمن أطاعـ ـك فأكرمـ ـه بطـ ـاعتي ... ومن أبي عنك فاحبسه إلـ ـى الأبـ ـد

وكان يجعلهم في قماقم من النحاس ويرميهم في البحر فاستحسن أمير المـ ؤمنين هـ ذا الكلام وقال والله أني لاشتهي أن أرى شيئاً من هذه القماقم فقال له طالب بن سهل يـ ا أميـ ر المؤمنين أنك قادر على ذلك وأنت مقيم في بلادك فأرسل إلى أخيك عبد العزيز بن مروان أن يأتيك بها من بلاد الغرب بأن يكتب إلى موسى أن يركب من بلاد الغرب إلى هذا الجبل الذي دكرناه ويأتيك من هذه القماقم بما تطلب فإن البر متصل من آخر ولايته بهذا الجبل فاستصوب أمير المؤمنين رأيه وقال يا طالب صدقت فيما قلته وأريد أن تكون أنت رسولي إلـ ى هـ ذا الجبل الذي دكرناه ويأتيك من هذه القماقم بما تطلب فإن البر متصل من آخـ ر ولايتـ ه بهـ ذا الجبل فاستصوب أمير المؤمنين رأيه وقال يا طالب البيضاء وكل ما تريده من مال أو جاه أو غير ذلك وأنا خليفتك في أهلك قال حباً وكرامة يا أمير المؤمنين فقال له سر على بركـ ـة الله تعالى وعونه ثم أمر أن يكتبوا له كتاباً لأخيه عبد العزيز نائبه في مصر وكتابـ ـاً آخـ ر إلـ ى موسى نائبه في بلاد الغرب يامره بالسير في طلب القماقم السليمانية بنفسك ويسـ تخلف ولـ ده على البلاد ويأخذ معه الأدلة وينفق المال وليستكثر من الرجال ولا يلحقه في ذلـ ك فتـ رة ولا يحتج بحجة ثم ختم الكتابين وسلمهما إلى طالب بن سهل وأمره بالسرعة ونصب الرايات على رأسه ثم أن الخليفة أعطاه الأموال والركائب والرجال ليكونوا أعواناً له فـ ي طريقـ ه وأمـ ر بإجراء النفقة على بيته من كل ما يحتاج إليه وتوجه طانب يطلـ ب مصـ ر وأدرك شـ هرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٥٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن طالب بن سهل سار هو وأصحابه يقطعون البلاد مـ ن الشام إلى أن دخلوا مصر فتلقاه أمير مصر وأنزله عنده وأكرمه غاية الإكرام في مدة إقامتـ ـه عنده ثم بعث معه دليلاً في الصعيد الأعلا حتى وصلوا إلى الأمير موسى بن نصير فلما علـ ـم به خرج إليه وتلقاه وفرح به فناوله الكتاب فأخذه وقرأه وفهم معناه ووضعه على رأسه وقـ ال سمعاً وطاعة لأمير المؤمنين ثم أنه اتفق رأيه على أن يحضر أرباب دولته فحضروا فسـ ألهم عما بدا لهم في الكتاب فقالوا أيها الأمير إن أردت من يدلك على طريق ذلك المكـ ـان فعليـ ك بالشيخ عبد الصمد بن عبد القدوس الصمودي فإنه رجل عارف وقـ د سـ افر كثيـ راً خبيـ ر بالبراري والقفار والبحار وسكانها وعجائبها والأرضين وأقطارها فعليك به فإنه يرشدك إلـ ى ما تريده فأمر بإحضاره فحضر بين يديه فإذا هو شيخ كبير قد أهرمه تداول السنين والأعـ ـوام فسلم عليه الأمير موسى وقال له يا شيخ عبد الصمد أن مولانا أمير المؤمنين عبد الملك بـ ن مروان قد أمرنا بكذا وكذا وأنا قليل المعرفة لتلك الأرض وقد قيل لي أنك عارف بتلك الـ بلاد والطرقات فهل لك رغبة في قضاء حاجة أمير المؤمنين فقال الشيخ اعلم أيها الأمير أن هـ ذه الطريق وعرة بعيدة الغيبة قليلة المسالك فقال له الأمير كم مسيرة مسافتها فقال مسيرة سـ نتين

وأشهر ذهاباً ومثلها مجيئاً وفيها شدائد وأهوالاً وغرائب وعجائب وأنت رجل مجاهدو بلادنـ ـا بالقرب من العدو فربما تخرج النصارى في غيبتك والواجب أن تستخلف في مملكتـ ـك مـ ـن يدبرها قال نعم فاستخلف ولده هارون عوضاً عنه في مملكته وأخذ عليه عهداً وأمر الجنود أن لا يخالفوه بل يطاوعوه في جميع ما يأمرهم به فسمعوا كلامه وأطاعوه وكان ولـ ـده هـ ـارون شديد البأس هماماً جليلاً وبطلاً كميناً وأظهر له الشيخ عبد الصمد أن الموضع الذي فيه حاجة أمير المؤمنين مسيرة أربعة أشهر وهو على ساحل البحر وكله منازل تتصل ببعضها وفيهـ ـا عشب وعيون فقال قد يهون الله علينا ذلك ببركتك يا نائب أمير المؤمنين فقال الأمير موسـ ـى هل تعلم أن أحداً من الملوك وطيء هذه الأرض قبلنا قال له نعم يا أمير المؤمنين هذه الأرض لملك الإسكندرية داران الرومي ثم ساروا ولم يزالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى قصر فقـ ـال تقدم بنا إلى هذا القصر الذي هو عبرة لمن اعتبر فتقدم الأمير موسى إلى القصر ومعه الشيخ عبد الصمد وخواص أصحابه حتى وصلوا إلى بابه فوجدوه مفتوحـ ـاً ولـ ـه أركـ ـان طويلـ ـة ودرجات وفي تلك الدرجات درجتان ممتدتان وهما من الرخام الملون الـ ـذي لـ ـم يـ ـر مثلـ ـه والسقوف والحيطان منقوشة بالذهب والفضة والمعدن وعلى الباب لوح مكتوب فيه باليونـ ـاني فقال الشيخ عبد الصمد هل أقرأه يا أمير المؤمنين فقال له تقدم واقرأ بارك الله فيك فما حصل لنا في هذا السفر إلابيركتك فقرأه فإذا فيه شعر وهو:

قـ ـوم تـ ـراهم بعـ ـد مـ ـا صـ ـنعوا … يبكي علـ ـى المـ ـك الـ ـذي نزعـ ـوا
فالقصـ .ـر فيـ .ـه منتهـ .ـى خبـ .ـر … عن سادة في التـ ـرب قـ ـد جمعـ ـوا
أبـ . . ـادهم مـ . . ـوت وفـ . . ـرقهم … وضيعوا فـ ـي التـ ـرب مـ ـا جمعـ ـوا
كأنمـ . . ـا حطـ . . ـوا رحـ . . ـالهم … ليسـ . ـتريحوا سـ . ـرعة رجعـ . ـوا

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٥٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشيخ عبد الصمد لما قرأ هذه الأبيات بكـ ـى الأميـ ـر موسى حتى غشي عليه وقال لا إله إلا الله الحي الباقي بلا زوال ثم أنه دخل القصر فتحير من حسنه وبنائه ونظر إلى ما فيه من الصور والتماثيل وإذا على الباب الثاني أبيات مكتوبة فقال الأمير موسى تقدم أيها الشيخ واقرأ فتقدم وقرأ فإذا هي:

كـ ـم معشـ ـر فـ ـي قبابهـ ـا نزلـ ـوا … علـ ـى قـ ـديم الزمـ ـان وارتحلـ ـوا
فـ ـانظر إلـ ـى مـ ـا بغيـ ـر صـ ـنعت … حـ ـوادث الـ ـدهر إذ بهـ ـم نزلـ ـوا
تقاسـ ـموا كـ ـل مـ ـالهم جمعـ ـوا … وخلفـ . ـوا حـ . ـظ ذاك وارتحلـ . ـوا
كـ ـم لابسـ ـوا نعمـ ـة وكـ ـم أكلـ ـوا … فأصبحوا فـ ـي التـ ـراب قـ ـد أكلـ ـوا

فبكى الأمير موسى بكاء شديداً وأصفرت الدنيا في وجهه ثم قال لقد خلقنا لأمر عظيم ثم تأملوا القصر فإذا هو قد خلا من السكان وعدم الأهل والقطان دوره موحشات وجهاته مقفرات وفي وسطه قبة عالية شاهقة في الهواء حواليها أربعمائة قبر فبكى الأمير موسى ومن معه ثم دنا من القبة فإذا لها ثمانية أبواب من خشب الصندل مسامير من الذهب مكوكبة بكواكب الفضة مرصعة بالمعادن من أنواع الجواهر مكتوب على الباب الأول هذه الأبيات:

ما قد تركت فما خلفته كرما	بل بالقضاء وحكم في الورى جاري
فطالما كنت مسروراً ومغتبطا	أحمي حماي كمثل الضيغم الضاري
لا أستقر ولا أسخى بخردلة	شحا عليه ولو ألقيت في النار
حتى رميت بأقدار مقدرة	من الإله العظيم الخالق الباري
إن كان موتي محتوماً على عجل	فلم أطق دفعة عني بإكثاري

فلما سمع الأمير موسى هذه الأبيات بكى بكاء شديداً حتى غشي عليه فلما أفاق دخل القبة فرأى فيها قبراً طويلاً هائل المنظر وعليه لوح من الحديد الصيني فدنا منه الشيخ عبد الصمد وقرأه فإذا فيه مكتوب بسم الله الدائم الأبدي الأبد بسم الله الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد بسم الله الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد بسم الله ذي العزة والجبروت باسم الحي الذي لا يموت. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٥٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشيخ عبد الصمد لما قرأ ما ذكرناه رأى بعده مكتوباً في اللوح أما بعد أيها الواصل إلى هذا المكان اعتبر بما ترى من حوادث الزمان وطوارق الحدثان ولاتغتر بالدنيا وزينتها وزورها وبهتانها وغرورها وزخرفها فإنها ملاقة مكارة غدارة أمورها مستعارة تأخذ المعار من المستعير فهي كأضغاث النائم وحلم الحالم كأنها سراب بقيعه يحسبه الظمآن ماء يزخرفها الشيطان للإنسان إلى الممات فهذه صفات الدنيا فلا تثق بها ولا تمل إليها فإنها تخون من استند إليها وعول في أموره عليها لا تقع في حبالها ولا تتعلق بأذيالها فإني ملكت أربعة آلاف حصان أحمر في دار وتزوجت ألف بنت من بنات الملوك ونواهد أبكار كأنهن الليوث العوابس وعشت من العمر ألف سنة منعم البال والأسرار وجمعت من الأموال ما يعجز عنه ملوك الأقطار وكان ظني أن النعيم يدوم لي بلا زوال فلم أشعر حتى نزل بنا هازم اللذات ومفرق الجماعات وموحش المنازل ومخرب الدور العامرات وإن سألت عن اسمي فإني كوش بن شداد بن عاد الأكبر وفي ذلك اللوح مكتوب أيضاً هذه الأبيات.

إن تذكروني بعد طول زماني	وتقلب الأيام والحدثان
فأنا ابن شداد الذي ملك الورى	والأرض أجمعها بكل مكان

دانت لي الزمر الصعاب بأسرها والشام من مصر إلى عدنان
قد كنت في عز أذل ملوكها وتخاف أهل الأرض من سلطاني

فبكى الأمير موسى حتى غشي عليه لما رأى من مصارع القوم قال فبينما هم يطوفون بنواحي القصر ويتأملون في مجالسه ومنتزهاته وإذا بمائدة على أربع قوائم من المرمر مكتوب عليها قد أكل على هذه المائدة ألف ملك أعور وألف ملك سليم العينين كلهم فارقوا الدنيا وسكنوا الأرماس والقبور فكتب الأمير موسى ذلك كله ثم خرج ولم يأخذ معه من القصر غير المائدة وسار العسكر والشيخ عبد الصمد أمامهم يدلهم على الطريق حتى مضي ذلك اليوم كله وثانيه وثالثه وإذا هم برابية عالية فنظروا إليها فإذا عليها فارس من نحاس وفي رأس رمحه سنان عريض براق يكاد يخطف البصر مكتوب عليه أيها الواصل إلى أن كنت لا تعرف الطريق الموصلة إلى مدينة النحاس فأفرق كف الفارس فإنه يدوم ثم يقف فأي جهة وقف إليها فأسلكها ولا خوف عليك ولا حرج فإنها توصلك إلى مدينة النحاس. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٦٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الأمير موسى فرك كف الفارس فدار كأنه البرق الخاطف وتوجه إلى غير الجهة التي كانوا فيها فتوجه القوم فيها وساروا فإذا هي طريق حقيقة فسلكوها ولم يزالوا سائرين يومهم وليلتهم حتى قطعوا بلاداً بعيدة فبينما هم سائرون يوماً من الأيام وإذا هم بعمود من الحجر الأسود وفيه شخص غائص في الأرض إلى إبطيه وله جناحان عظيمان وأربع أيادي يدان منها كأيدي الآدميين ويدان كأيدي السباع فيهما مخلب وله شعر في رأسه كأنه أذناب الخيل وله عينان كأنهما جمرتان وله عين ثالثة في جبهته كعين الفهد يلوح منها شرر النار وهو أسود طويل وينادي سبحان رب حكم علي بهذا البلاء العظيم والعذاب الأليم إلى يوم القيامة فلما عاينه القوم طارت عقولهم وأندهشوا لما رأوا من صفته وولوا هاربين فقال الأمير موسى للشيخ عبد الصمد ما هذا فقال لا أدري ما هو فقال أدن منه وأبحث عن أمره فلعله يكشف عن أمره ولعلك تطلع على خبره فقال الشيخ عبد الصمد أصلح الله الأمير أنا نخاف منه قال لا تخافوا فإنه مكفوف عنكم وعن غيركم بما هو فيه فدنا منه الشيخ عبد الصمد وقال له أيها الشخص ما إسمك وما شأنك وما الذي جعلك في هذا المكان على هذه الصورة فقال له أما أنا فإني عفريت من الجن وأسمي داهش ابن الأعمش وأنا مكفوف ههنا بالعظمة محبوس بالقدرة معذب إلى ما شاء الله عز وجل قال الأمير موسي يا شيخ عبد الصمد اسأله ما سبب سجنه في هذا العمود فسأله عن ذلك فقال له العفريت أن حديثي عجيب وذلك أنه كان لبعض أولاد إبليس صنم من العقيق الأحمر وكنت موكلاً به

وكان يعبده ملك من ملوك البحر جليل القدر عظيم الخطر يقود من عساكر الجان ألف أل ف يضربون بين يديه بالسيوف ويجيبون دعوته في الشدائد وكان الجان الذين يطيعونه تحت أمري وطاعتي يتبعون قولي إذ أمرتهم وكانوا كلهم عصاة عن سليمان بن داود عليهما السلام وكنت أدخل في جوف الصنم فآمرهم وأنهاهم وكانت ابنة ذلك الملك تحت ذلك الصنم كثيرة السجود له منهمكة على عبادته وكانت أحسن أهل زمانها ذات حسن وجمال وبهاء وكمال فوصفتها لسليمان عليه السلام فأرسل إلى أبيها يقول له زوجني بنتك واكسر صنمك العقيق وأشهد أن لا إله إلا الله وأن سليمان نبي الله فإن أنت فعلت ذلك كان لك ما لنا وعليك ما علينا وإن أنت أبيت أتيتك بجنود لا طاقة لك بها فاستعد للسؤال جواباً والبس للموت جلباباً فسوف أسير لك بجنود تملأ القضا وتدرك كالأمس الذي مضى فلما جاءه رسول سليمان عليه السلام طغى وتجبر وتعاظم في نفسه. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٦١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك تجبر وتعاظم في نفسه وتكبر ثم قال لوزرائه ماذا تقولون في أمر سليمان بن داود فإنه أرسل يطلب ابنتي وأن أكثر صنمي العقيق وأن أدخل في دينه فقالوا أيها الملك العظيم هل يقدر سليمان أن يفعل بك ذلك وأنت في وسط هذا البحر العظيم فإن هو سار إليك لا يقدر عليك فإن مردة الجن يقاتلون معك وتستعين عليه بصنمك الذي تعبده فإنه يعينك عليه وينصرك والصواب أن تشاور ربك في ذلك يعنون به الصنم العقيق الأحمر وتسمع ما يسكون جوابه فإن أشار عليك أن تقاتله فقاتله وإلا فلا فعند ذلك سار الملك من وقته وساعته ودخل على صنمه بعد أن قرب القربان وذبح الذبائح وخزله ساجداً وجعل يبكي ويقول شعراً.

يـ ـارب أنـ ـي عـ ـارف بقـ ـدركا   وهـ ـا سـ ـليمان يـ ـروم كسـ ـركا

يـ ـارب أنـ ـي طالـ ـب لنصـ ـركا   فـ ـأمر فـ ـأني طـ ـائع لأمركـ ـا

ثم قال ذلك العفريت الذي نصفه في العمود للشيخ عبد الصمد ومن حوله يسمع فدخلت أنا في جوف الصنم من جهلي وقلة عقلي وعدم اهتمامي بأمر سليمان وجعلت أقول شعراً:

أمـ ـا أنـ ـا فلسـ ـت منـ ـه خـ ـائف		لأنـ ـي بكـ ـل أمـ ـر عـ ـارف
وأن يـ ـرد حربـ ـي فـ ـأني زاحـ ـف		وإنـ ـي للـ ـروح منـ ـه خـ ـاطف

فلما سمع الملك جوابي له قوي قلبه وعزم على حرب سليمان نبي الله عليه السلام وعلى مقاتلته فلما حضر رسول سليمان ضربه ضرباً وجيعاً ورد عليه رداً شنيعاً وأرسل يهدده ويقول له مع الرسول لقد حدثتك نفسك بالأماني أتوعدني بزور الأقوال فإما أن تسير إلي وإما أن أسير إليك ثم رجع الرسول إلى سليمان وأعلمه بجميع ما كان من أمره وما حصل له فلما سمع نبي الله سليمان ذلك قامت قيامته وثارت عزيمته وجهز عساكره من الجن والأنس والوحوش والطير والهوام وأمر وزيره الدمرياط ملك الجن أن يجمع مردة الجن من كل مكان فجمع له من الشياطين ستمائة ألف ألف وأمر آصف بن برخيا أن يجمع عساكره من الأنس فكانت عدتهم ألف ألف أو يزيدون وأعدوا العدة والسلاح وركب هو وجنوده من الجن والأنس على البساط والطير فوق رأسه طائرة والوحوش من تحت البساط سائره حتى نزل بساحتك وأحاط بجزيرتك وقد ملأ الأرض بالجنود وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٦٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العفريت قال لما نزل نبي الله سليمان عليه السلام بجيوشه حول الجزيرة أرسل إلى ملكنا يقول له ها أنا قد أتيت فأردد عن نفسك ما نزل وإلا فادخل تحت طاعتي وأقر برسالتي وكسر صنمك وأعبد الواحد المعبود وزوجني بنتك بالحلال وقل أنت ومن معك أشهد أن لا إله إلا الله أو أشهد أن سليمان نبي الله فإن قلت ذلك كان لك الأمان والسلامة وأن أبيت فلا يمنعك تحصنك مني في هذه الجزيرة فإن الله تبارك وتعالى أمر الريح بطاعتي فأمرها أن تحملني إليك بالبساط وأجعلك عبرة ونكالاً لغيرك فجاء الرسول وبلغه رسالة نبي الله سليمان عليه السلام فقال له ليس لهذا الأمر الذي طلبه مني سبيل فاعلمه أني خارج إليه فعاد الرسول إلى سليمان ورد عليه الجواب ثم أن الملك أرسل إلى أرضه وجمع له من الجن الذين كانوا تحت يده ألف ألف وضم إليهم غيرهم من المردة والشياطين الذين في جزائر البحار ورؤوس الجبال ثم جهز عساكره وفتح خزائن السلاح وفرقها عليهم وأما نبي الله سليمان عليه السلام فإنه رتب جنوده وأمر الوحوش أن تنقسم شطرين على يمين القوم وعلى شمالهم وأمر الطيور أن تكون في الجزائر وأمرها عند الحملة أن تختطف أعينهم بمناقيرها وأن تضرب وجههم بأجنحتها وأمر الوحوش أن تفترس خيولهم فقالوا السمع والطاعة لله ولك يا نبي الله ثم أن سليمان نصب له سريراً من المرمر مرصعاً بالجوهر مصفحاً بصفائح الذهب الأحمر وجعل وزيره آصف بن برخيا على الجانب الأيمن ووزيره الدمرياط على الجانب الأيسر وملوك الأنس على يمينه وملوك الجن على يساره والوحوش والأفاعي والحيات أمامه ثم زحفوا علينا زحفة واحدة وتجارينا معه في أرض واسعة مدة يومين ووقع بنا البلاء في اليوم الثالث فنفذ فينا قضاء الله تعالى وكان أول من حمل على

سليمان أنا وجنودي وقلت لأصحابي الزموا مواطنكم حتى أبرز إليهم وأطلب قتال الـ دمرياط وإذا به قد برز كأنه الجبل العظيم ونيرانه تلتهب ودخانه مرتفع فأقبل ورماني بشهاب من نار فغلب سهمه على ناري وصرخ على صرخة عظيمة تخيلت منها أن السماء انطبقـ ت عل ي واهتزت لصوته الجبال ثم أمر أصحابه فحملوا علينا حملة واحدة وحملنا عليهم وصرخ بعضنا على بعض وارتفعت النيران وعلا الدخان وكادت القلوب أن تنفطر وقامت الحرب على ساق وصارت الطيور تقاتل في الهواء والوحوش تقاتل في الثرى وأنا أقاتل الدمر ياط حتى أعياني وأعييته ثم بعد ذلك ضعفت وخذلت أصحابي وجنودي وانهزمت عشائري وصد ـاح نب ـي الله سليمان خذواً هذا الجبار العظيم النحس الذميم فحملت الأنس على الأنس والجن عل ـى الجـ ن ووقعت بملكنا الهزيمة وكنا لسليمان غنيمة وحملت العساكر على جيوشنا والوحـ وش حـ ولهم يميناً وشمالاً والطيور فوق رؤسنا تخطف أبصار القوم تارة بمخالبها وتارة بمناقيرها وتـ ـارة تضرب بأجنحتها في وجوه القوم والوحوش تنهش الخيول وتفترس الرجال حتى أكثـ ر القـ وم على وجه الأرض كجذوع النخل وأما أنا فطرت من بين أيادي الدمرياط فتبعني مسيرة ثلاثـ ـة أشهر حتى لحقني وقد وقعت كما ترون وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

{حكاية مدينة النحاس}

(وفي ليلة ٥٦٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجني الذي في العمود لما حكى لهم حكايته من أولها إلى أن سجن في العمود قالوا له أين الطريق الموصلة إلى مدينة النحاس فأشار لنا إلى طريق المدينة وإذا بيننا وبينها خمسة وعشرون باباً لا يظهر منها باب واحد ولا يعـ رف لـ ـه أثـ ر وسورها كأنه قطعة من جبل أو حديد صب في قالب فنزل القوم ونزل الأمير موسى والشـ ـيخ عبد الصمد واجتهدوا أن يعرفوا لها باباً أو يجدوا لها سبيلاً فلم يصلوا إلى ذلك فقـ ـال الأميـ ر موسى يا طالب كيف الحيلة في دخول هذه المدينة فلابد أن نعرف لها باباً ندخل منـ ـه فقـ ـال طالب أصلح الله الأمير لنستريح يومين أو ثلاثة وندبر الحيلة إن شاء الله تعالى في الوصـ ول إليها والدخول فيها قال فعند ذلك أمر الأمير موسى بعض غلمانه أن يركب جمـ ـلاً ويطـ وف حول المدينة لعله يطلع على أثر باب أو موضع قصر في المكان الذي هم فيه نازلون فركـ ـب بعض غلمانه وصار حولها يومين بلياليهما يجد السير لا يستريح فلما كان اليوم الثالث أشرف على أصحابه وهو مدهوش لما رأى من طولها وارتفاعها ثم قال أيها الأمير أن أهون موضع فيها هذا الموضع الذي أنتم نازلون فيه ثم أن الأمير موسى أخذ طالب بن سهل والشيخ عبـ ـد الصمد وصعدا على جبل مقابلها وهو مشرف عليها فلما طلعوا ذلك الجبل رأوا مدينة لم تـ ـر العيون أعظم منها قصورها عالية وقلبها زاهية ودورها عامرات وأنهارها جاريات وأشجارها

مثمرات وأنهارها يانعات وهي مدينة بأبواب منيعة خالية لا حس فيها ولا أنيس يصفر اليوم في جهاتها ويحوم الطير في عرصاتها وينعق الغراب في نواحيها وشوارعها ويبكي على من كان فيها موقف الأمير موسى يتندم على خلوها من السكان وخرابها من الأهل والقطان وقال سبحان من لاتغيره الدهور والأزمان خالق الخلق بقدرته فبينما هو يسبح الله عز وجل إذ حانت منه التفاتة إلى جهة وإذا فيها سبعة ألواح من الرخام الأبيض وهي تلوح من البعد فدنا منها فإذا هي منقوشة مكتوبة فأمر أن تقرأ كتابتها فتقدم الشيخ عبد الصمد وتأملها وقرأها فإذا فيها وعظ واعتبار وزجر لذوي الأبصار مكتوب على اللوح الأول بالقلم اليوناني يا ابن آدم ماذا أغفلك عن أمر هو أمامك قد الهتك عنه سنينك وأعوامك أما علمت أن كاس المنية لك ينزع وعن قريب له تتجرع فانظر لنفسك قبل دخولك رمسك أين من ملك البلاد وأذل العباد وقاد الجيوش نزل بهم والله هازم اللذات ومفرق الجماعات ومخرب المنازل العامرات فنقلهم من سعة القصور إلى ضيق القبور وفي أسفل اللوح مكتوب هذه الأبيات.

أين الملوك ومن بالأرض قد عمروا ... قد فارقوا ما بنوا فيها وما عمروا
وأصبحوا رهن قبر بالذي عملوا ... عادوا رميما من بعد ما دثروا
أين العساكر ما ردت وما نفعت ... وأين ما جمعوا فيها وما ادخروا
أتاهم أمر رب العرش في عجل ... لم ينجهم منه أموال ولا وزر

فبكى الأمير موسى وجرت دموعه على خده وقال والله أن الزهد في الدنيا هو غاية التوفيق ونهاية التحقيق ثم أنه أحضر دواة وقرطاساً وكتب ما على اللوح الأول ثم أنه دنا من اللوح الثاني وإذا عليه مكتوب يا ابن آدم ما غرك بقديم الأزل وما ألهاك عن حلول الأجل ألم تعلم أن الدنيا دار بوار ما لأحد فيها قرار وأنت ناظر إليها ومكب عليها أين الملوك الذين عمروا العراق وملكوا الآفاق اين من عمروا أصفهان وبلاد خراسان دعاهم داعي المنايا فأجابوه وناداهم منادي الفنا خالبوه وما نفعهم ما بنوا وشدوا ولا رد عنهم ما جمعوا وعددوا وفي أسفل اللوح مكتوب هذه الأبيات:

أين الذين بنوا لذاك وشيدوا ... غرفاً بها لم يحكها بنيان
جمعوا العساكر والجيوش مخافة ... من ذل تقدير الأله فهانوا
أين الأكاسر المناع حصونهم ... تركوا البلاد كأنهم ما كانوا

فبكى الأمير موسى وقال والله لقد خلقنا لأمر عظيم ثم كتب ما عليه ودنا من اللوح الثالث وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٧٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الأمير موسى دنا من اللوح الثالث فوجد فيه مكتوبا يا ابن آدم أنت بحب الدنيا لاه وعن أمر ربك ساه كل يوم من عمرك ماض وأنت بـ ذلك قـ انع وراض فقدم الزاد ليوم الميعاد واستعد لرد الجواب بين يدي رب العباد وفـ ي أسـ فل اللـ وح مكتوب هذه الأبيات.

أين الذي عمـ ـر الـ بلاد بأسـ ـرها ... سـ ـنداً وهنـ ـداً واعتـ ـدي وتجبـ ـرا
والزنـج والحـ ـبش أسـ تقاد لأمـ ـره ... والنـ ـوب لمـ ـا أن طغـ ـي وتكبـ ـرا
لا تنتظر خيـ ـراً بمـ ـا فـ ـي قبـ ـره ... هيهـ ـات أن تلقـ ـي بـ ـذلك مخبـ ـرا
فدعته من ريب المنـ ـون حـ ـوادث ... لم ينجه مـ ـن قصـ ـره مـ ـا عمـ ـرا

فبكى الأمير موسى بكاء شديداً ثم دنا من اللوح الرابع فرأى مكتوبا عليه يا ابن آدم كم يمهلك مولاك وأنت خائض في بحر لهواك كل يوم أوحى إليك أنك لا تموت يـ ـا ابـ ـن آدم لا تغرنك أيامك ولياليك وساعاتك الملهية وغفلاتها واعلم أن الموت لك مراصد وعلـ ـى كتفـ ـك صاعداً ما من يوم يمضي إلا صبحك صباحاً ومساك مساء فاحذر من هجمتـ ـه واسـ ـتعد لهـ ـا فكأني بك وقد سلبت طول حياتك وضيعت لذات أوقاتك فاسمع مقالي وثق بمـ ـولي المـ ـوالي ليس للدنيا ثبوت. إنما الدنيا كبيت نسجه العنكبوت ورأى في أسفل اللوح مكتوباً هذه الأبيات.

أين مـ ـن أسـ ـس الـ ـذرى وبناهـ ـا ... وتـ . ـولى مشـ . ـيدها ثـ . ـم عـ . ـلا
أين أهل الحصون مـ ـن سـ ـكنوها ... كلهم عن تلـ ـك الصياصـ ـي تـ ـولي
أصبحوا في القبـ ـور رهنـ ـاً ليـ ـوم ... فيـ ـه حقـ ـاً كـ ـل السـ ـرائر تبلـ ـى
ليس يبقي سـ ـوى الآلـ ـة تعـ ـالى ... وهـ .ـو مـ .ـا زال للكرامـ .ـة أهـ .ـلا

فبكى الأمير موسى وكتب ذلك ونزل من فوق الجبل وقد صور الدنيا بين عينيـ ـه فلمـ ـا وصل إلى العسكر وأقاموا يومهم يدبرون الحيلة في دخول المدينة فقال الأمير موسى لـ وزيره طالب بن سهل ولمن حوله من خواصه كيف تكون الحيلة في دخول المدينة لننظـ ـر عجائبهـ ـا لعلنا نجد فيها ما نتقرب به إلى أمير المؤمنين فقال طالب بن سهل أدام الله نعمة الأمير نعمـ ـل سلماً ونصعد عليه لعلنا نصل إلى الباب من داخل فقال الأمير موسى هذا ما خطر ببالي وهو نعم الرأي ثم أنه عاد بالنجارين والحدادين وأمرهم أن يسووا الأخشاب ويعملوا سلماً مصـ ـفحاً بصفائح الحديد ففعلوه وأحكموه ومكثوا في عمله شهراً كاملاً وأجتمعت عليه الرجال فأقـ ـاموه والصقوه بالسور فجاء مساوياً له كأنه قد عمل له قبل ذلك اليوم فتعجب الأمير موسـ ـى منـ ـه وقال بارك الله فيكم كأنكم قسمتوه عليه من حسن صنعتكم ثم أن الأمير موسى قال للناس مـ ـن يطلع منكم على هذا السلم ويصعد فوق السور ويمشي عليه ويتخايل في نزولـ ـه إلـ ـى أسـ فل المدينة لينظر كيف الأمر ثم يخبرنا بكيفية فتح الباب فقال أحدهم أنا أصعد عليه أيها الأميـ ـر

وأنزل أفتحه فقال له الأمير موسى أصعد بارك الله فيك فصعد الرجل على السلم حتى صار في أعلاه ثم أنه قام على قدميه وشخص إلى المدينة وصفق بكفيه وصاح بأعلى صوته وقال أنت مليح ورمى بنفسه من داخل المدينة فأنهرس لحمه على عظمه فقال الأمير موسى هذا فعل العاقل فكيف يكون فعل المجنون أن كنا نفعل هذا بجميع أصحابنا لم يبق منهم أحد فنعجز عن قضاء حاجتنا وحاجة أمير المؤمنين أرحلوا فلا حاجة لنا بهذه المدينة فقال بعضهم لعل غير هذا أثبت منه فصعد ثان وثالث ورابع وخامس فمازالوا يصعدون من على ذلك السلم إلى السور واحداً بعد واحد إلى أن راح منهم أثنى عشر رجلاً وهم يفعلون كما فعل الأول فقال الشيخ عبد الصمد ما لهذا الأمر غيري وليس المجرب كغير المجرب فقال له الأمير موسى لا تفعل ذلك ولا أمكنك من الطلوع إلى هذا السور لأنك إذا مت كنت سبباً لموتنا كلنا ولا يبقى منا أحد لأنك أنت دليل القوم فقال له الشيخ عبد الصمد لعل ذلك يكون على يدي بمشيئة الله تعالى فأتفق القوم كلهم على صعوده ثم أن الشيخ عبد الصمد قالم ونشط نفسه وقال بسم الله الرحمن الرحيم ثم أنه صعد على السلم وهو يذكر الله تعالى ويقرأ آيات النجاة إلى أن بلغ أعلى السور ثم أنه صفق بيديه وشخص ببصره فصاح عليه القوم جميعاً وقالوا أيها الشيخ عبد الصمد لا تفعل ولا تلق نفسك وقالوا إنا لله وإنا إليه راجعون إن وقع الشيخ عبد الصمد هلكنا بأجمعنا ثم أن الشيخ عبد الصمد ضحك ضحكاً زائداً وجلس ساعة طويلة يذكر الله تعالى ويتلوا آيات النجاة ثم أنه قام على حيله ونادى بأعلى صوته أيها الأمير لا بأس عليكم فقد صرف الله عز وجل عني كيد الشيطان ومكره ببركة بسم الله الرحمن الرحيم فقال له الأمير ما رأيت أيها الشيخ قال لما وصلت أعلى الصور رأيت عشر جوار كأنهن الأقمار وهن ينادينني. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٦٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشيخ عبد الصمد قال لما وصلت أعلى السور رأيت عشر جوار كأنهن الأقمار وهن يشرن بأيديهن أن تعال إلينا وتخيل لي أن تحتي بحراً من الماء فأردت أن ألقى نفسي كما فعل أصحابنا فرأيتهم موتى فتماسكت عنهم وتلوت شيئاً من كتاب الله تعالى فصرف الله عني كيدهن وانصرفن عني فلم أرم نفسي ورد الله عني كيدهن وسحرهن ولاشك أن هذا سحر مكيدة صنعها أهل تلك المدينة ليردوا عنها كل من أراد أن يشرف عليها ويريد الوصول إليها وهؤلاء أصحابنا مطر وحون موتى ثم أنه مشى على السور إلى أن وصل إلى البرجين النحاس فرأى لهما بابين من الذهب ولا قفل عليهما وليس فيها علامة للفتح ثم وقف الشيخ أمام الباب وتأمل فرأى في وسط الباب صورة فارس من نحاس له كف ممدود كأنه يشير به وفيه خط مكتوب فقرأه الشيخ عبد الصمد فإذا فيه أفرك المسمار الذي في سرة الفارس أثنى عشر فركة فإن الباب ينفتح فتأمل الفارس فإذا في سرته

مسمار محكم متقن مكين ففركه أثنى عشر فركة فانفتح الباب في الحال وله صد وت كالرع د فدخل منه الشيخ عبد الصمد وكان رجلاً فاضلاً عالماً بجميع اللغات والأقلام فمش ي إل ى أن دخل دهليزاً طويلاً نزل منه على درجات فوجده مكاناً بدكك حسنة وعليها أقوام موتي وف وق رؤوسهم التروس المكلفة والحسامات المرهفة والقسى الموترة والسهام المفوقة وخلف الب اب عمود من حديد ومتاريس من خشب وأقفال رقيقة وآلات محكمة فقال الشيخ عبد الصمد ف ي نفسه لعل المفاتيح عند هؤلاء القوم ثم نظر بعينه وإذا هو بشيخ يظهر أنه أكبرهم س ناً وه و على دكة عالية بين القوم الموتي فقال الشيخ عبد الصمد وما يدريك أن تك ون مف اتيح ه ذه المدينة مع هذا الشيخ ولعله بواب المدينة وهؤلاء من تحت يده فدنا من ه ورف ع ثياب ه وإذا بالمفاتيح معلقة في وسطه فلما رآها الشيخ عبد الصمد فرح فرحاً شديد وكاد عقله أن يطير من الفرحة ثم أن الشيخ عبد الصمد أخذ المفاتيح ودنا من الباب وف تح الأقف ال وج ذب الب اب والمتاريس والآلات فانفتحت وانفتح الباب بصوت كالرعد لكبره وهوله وعظم آلاته فعند ذلك كبر الشيخ وكبر القوم معه واستبشروا وفرحوا وفرح الأمير موسى بسلامة الشيخ عبد الصمد وفتح باب المدينة وقد شكره القوم على ما فعله فبادر العسكر كلهم بالدخول من الباب فصد اح عليهم الأمير موسي وقال لهم يا قوم لا نأمن إذا دخلنا كلنا من أم ر يحد دث ول يكن ي دخل النصف ويتأخر النصف ثم أن الأمير موسى دخل من الباب ومعه نصف القوم وهم حد املون آلات الحرب فنظر القوم إلى أصحابهم وهم ميتون فدفنوهم ورأوا البوابين والخدم والحج اب والنواب راقدين فوق الفراش الحرير موتى كلهم ودخلوا إلى سوق المدين ة فنظ روا س وقاً عظيمة عالية الأبنية لا يخرج بعضها عن بعض الدكاكين مفتحة والموازين معلق ة والنح اس مصفوفاً والخانات ملآنة من جميع البضائع ورأوا التجار موتي على دكاكينهم وقد يبست منهم الجلود ونخرت منهم العظام وصاروا عبرة لمن اعتبر ونظروا إلى أربعة أس واق مس تقلات دكاكينهم مملوءة بالمال فتركوها ومضوا إلى سوق الخز وإذا فيه من الحرير والديباج ما ه و منسوج بالذهب الأحمر والفضة البيضاء على اختلاف الألوان وأصحابه موتى رق ود عل ى انطاع الأديم يكادون أن ينطلقوا فتركوهم ومضوا إلى سوق الجواهر واللؤلؤ والياقوت فتركوه ومضوا إلى سوق الصيارفة فوجدهم موتى وتحتهم أنواع الحرير والأب ر يس م ودك اكينهم مملوءة من الذهب والفضة فتركوهم ومضوا إلى سوق العطارين فإذا دكاكينهم مملوءة بأنواع العطريات ونوافح المسك والعنبر والعود والكافور وغير ذلك وأهلها كلهم موتى وليس يك ن عندهم شيء من المأكول فلما طلعوا من سوق العطارين وجدوا قريباً منه قصراً م ن خرف ا مبنياً متقناً فدخلوه فوجدوا أعلاماً منشورة وسيوفاً مجردة وقسيا موترة وتروساً معلقة بسلاسل من الذهب والفضة وخوذا مطلية بالذهب الأحمر وفي دهاليز ذلك القصر دك ك م ن الع اج المصفح بالذهب الوهاج إلا بريسم وعليها رجال قد يبست منهم الجلود على العظام يحتس بهم

الجاهل قياماً ولكنهم من عدم القوت ماتوا وذاقوا الحمام فعند ذلك وقف الأمير موسي يسبح الله تعالى ويقدسه وينظر إلى حسن ذلك القصر ومحكم بنائه وعجيب صنعه بأحسن صفة وأتق ن هندسة وأكثر نقشة اللازورد الأخضر مكتوب على دائرة هذه الأبيات:

أنظر إلى ما ترى يا أيه ا الرج ل	وكن على حذر م ن قب ل ترتح ل
وقدم الزاد من خي ر تف وز ب ه	فك ل س اكن دارا س وف يرتح ل
وانظر إلى معسر زان وا من ازلهم	فأصبحوا في الثرى رهناً بما عملوا
بنوا فما نف ع البني ان وادخ روا	لم ينجهم مالهم لما انقضى الأج ل
كم أملوا غير مقدور لهم فمض وا	إلى القب ور ول م ي نفعهم الأم ل
وأستزلوا من أعالي ع زر تب تهم	لذل ضيق لحود ساء وم ا نزل وا
فجاءهم صارخ من بعد ما دفن وا	أي ن الأس رة والتيج ان والحل ل
أين الوجود التي كان ت محجب ة	من دونها تضرب الأس تار والكل ل
فأفصح القبر عنهم حسب س ائلهم	أما الخدود فعن دها ال ورد منتق ل
قد طال ما أكلوا يوماً وما ش ربوا	فأصبحوا بعد طيب الأكل ق د أكل وا

فبكى الأمير موسى حتى غشي عليه وأمر بكتابة هذا الش عر ودخ ل القص ر وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٦٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الأمير موسى دخل القصر فرأى حجرة كبيرة وأرب ع مجالس عالية كباراً متقابلة واسعة منقوشة بالذهب والفضة مختلفة الألوان وفي وسطها فس قية كبيرة من المرمر وعليها خيمة من الديباج وفي تلك المجالس جهات وفي تلك الجهات فس اقي مزخرفة وحيضان مرخمة ومجار تجري من تحت تلك المجالس وتلك الأنهار الأربعة تجري وتجتمع في بحيرة عظيمة مرخمة باختلاف الألوان ثم قال الأمير موسى للشيخ عب د الص مد أدخل بنا هذه المجالس فدخلوا المجلس الأول فوجدوه مملوء من ال ذهب والفض ة البيض اء واللؤلؤ والجواهر واليواقيت والمعادن النفيسة ووجدوا فيها صناديق مملوءة من الديباج الأحمر والأصفر والأبيض ثم أنهم انتقلوا إلى المجلس الثاني ففتحوا خزانة فيه ف إذا ه ي مملـ وءة بالسلاح وآلات الحرب من الخود المذهبة والدروع الدوادية والسيوف الهندية والرماح الخطية والدجبابيس الخوارزمية وغيرها من أصناف آلات الحرب والكفاح ثم انتقلوا إل ى المجل س الثالث فوجدوا فيه خزائن عليها أقفال مغلقة وفوقها ستارات منقوشة بأنواع الط راز ففتح وا منها خزانة فوجدوها مملوءة بالسلاح المزخرف بأنواع الذهب والفضة والج واهر ث م أنه م انتقلوا إلى المجلس الرابع فوجدوا فيه خزائن ففتحوا خزانة فوجدوها مملوءة ب آلات الطع ام والشراب من أصناف الذهب والفضة وسكارج البللور والأقداح المرص عة ب اللؤلؤ الرط ب

وكاسات العقيق وغير ذلك فجعلوا يأخذون ما يصلح لهم من ذلك ويحمل كل واحد من العسكر ما يقدر عليه فلما عزموا على الخروج من تلك المجالس رأوا هنا باباً من الصاج متداخلاً فيه العاج والآبنوس وهو مصفح بالذهب الوهاج في وسط ذلك القصر وعليه ستر مسبول من حرير منقوش بأنواع الطراز وعليه أقفال من الفضة البيضاء تفتح بالحيلة بغير مفتاح فتقدم الشيخ عبد الصمد إلى تلك الأقفال وفتحها بمعرفته وشجاعته وبراعته فدخل القوم من دهليز مرخم وفي جوانب ذلك الدهليز براقع عليها صور من أصناف الوحوش والطيور وكل ذلك من ذهب أحمر وفضة بيضاء وأعينها من الدر واليواقيت تحير كل من رآها ثم وصلوا إلى قاعة مصنوعة فلما رآها الأمير موسى والشيخ عبد الصمد اندهشا من صنعتها ثم أنهم عبروا فوجدوا قاعة مصنوعة من رخام مصقول منقوش بالجواهر يتوهم الناظران في طريقها ماء جارياً لو مر عليه الزلق فأمر الأمير موسى الشيخ عبد الصمد أن يطرح عليها شيء حتى يتمكنوا أن يمشوا عليها ففعل ذلك وتحيل حتى عبروا فوجدوا فيها قبة عظيمة مبنية بحجارة مطلية بالذهب الأحمر لم يشاهد القوم في جميع ما رأوه أحسن منها وفي وسط تلك القبة قبة عظيمة من المرمر بدائرها شبابيك منقوشة مرصعة بقضبان الزمرد لا يقدر عليها أحد من الملوك وفيها خيمة من الديباج منصوبة على أعمدة من الذهب الأحمر وفيها طيور وأرجلها من الزمرد الأخضر وتحت كل طير شبكة من اللؤلؤ الرطب مجللة على فسقية وموضوع على الفسقية سرير مرصع بالدر والجواهر والياقوت وعلى السرير جارية كأنها الشمس الضاحية لم ير الراؤون أحسن منها وعليها ثوب من اللؤلؤ الرطب وعلى رأسها تاج من الذهب الأحمر وعصابة من الجوهر وفي عنقها عقد من الجوهر وفي وسطه جواهر مشرقة وعلى جوانبها جوهرتان نورهما كنور الشمس وهي كأنها ناظرة إليهم تتأملهم يميناً وشمالاً وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٦٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الأمير موسى لما رأى هذه الجارية تعجب غاية العجب من جمالها وتحير من حسنها وحمرة خديها وسواد شعرها يظن الناظر أنها بالحياة وليست ميتة فقالوا لها السلام عليك أيتها الجارية فقال له طالب بن سهل أصلح الله شأنك أعلم أن هذه الجارية ميتة لا روح فيها فمن أين لها أن ترد السلام ثم أن طالب بن سهل قال له أيها الأمير أنها صورة مدبرة بالحكمة وقد قلعت عيناها بعد موتها وجعل تحتهما زئبق وأعيدتا مكانهما فهما يلمعان كأنما يحركهما الهدب يتخيل للناظر أنها ترمش بعينيها وهي ميتة فقال الأمير موسى سبحان الذي قهر العباد بالموت وأما السرير الذي عليه الجارية فله درج وعلى الدرج عيدان أحدهما أبيض والآخر أسود وبيد أحدهما آلة من الفولاذ وبيد الآخر سيف مجوهر يخطف الأبصار وبين يدي العبدين لوح من ذهب وفيه كتابة تقرأ وهي (بسم الله الرحمن

الرحيم) الحمد لله خالق الإنسان وهو رب الأرباب ومسبب الأسباب بسم الله الباقي السرمدي بسم الله مقدر القضاء والقدر يا ابن آدم ما أجهلك بطول الأمل وما أسهاك عن حلول الأجل أما علمت أن الموت لك قد دعا وإلى قبض روحك قد سعى فكن على أهبة الرحيل وتزود من الدنيا فستفارقها عن قليل أين آدم أبو البشر أين نوح وما نسل أين الملوك الأكاسرة والقياصرة أين ملوك الهند والعراق أين ملوك الآفاق أين العمالقة أين الجبابرة خلت منهم الديار وقد فارقوا الأهل والأوطان أين ملوك العجم والعرب ماتوا بأجمعهم وصاروا رمما أين السادة ذووا الرتب قد ماتوا جميعاً أين قارون وهامان أين شداد بن عاد أين كنعان وذوا الأوتاد قرضهم والله قارض الأعمار وأخلى منهم الديار فهل قدموا الزاد ليوم الميعاد واستعدوا لجواب رب العباد يا هذا إن كنت لا تعرفني فأنا أعرفك بإسمي ونسبي أنا ترمزين بنت عمالقة الملوك من الذين عدلوا في البلاد وملكت ما لم يملكه أحد من الملوك وعدلت في القضية وانصفت بين الرعية وأعطيت ووهبت وقد عشت زمناً طويلاً في سرور وعيش رغيد وأعتقت الجواري والعبيد حتى نزل بي طارق المنايا وحلت بين يدي الرزايا وذلك أنه قد تواترت علينا سبع سنين لم ينزل علينا ماء من السماء ولا نبت لنا عشب على وجه الأرض فأكلنا ما كان عندنا من القوت ثم عطفنا على المواشي من الدواب فأكلنا ولم يبق شيء فحينئذ أحضرت المال وأكلته بمكيال وبعثته مع النقات من الرجال فطافوا به جميع الأقطار ولم يتركوا مصر من الأمصار في طلب شيء من القوت فلم يجدوه ثم عادوا إلينا بالمال بعد طول الغيبة فحينئذ أظهرنا أموالنا وذخائرنا وأغلقنا أبواب الحصون التي بمدينتنا وسلمنا الحكم لربنا وفوضنا أمرنا لمالكنا فمتنا جميعاً كما ترانا وتركنا ما عمرنا وما ادخرنا فهذا هو الخبر وما بعد العين إلا الأثر وقد نظروا في أسفل اللوح فرأوا مكتوباً فيه هذه الأبيات:

بني آدم لا يهزأ بك الأمل ... عن كل ما إدخرت كفاك تنتقل
أراك ترغب في الدنيا وزينتها ... وقد سعى قبلك الماضون والأول
قد حصلوا المال من حل ومن حرم ... فلم يرد القضا لما انتهى الأجل
قادوا العساكر أفواجاً وقد جمعوا ... فحلوا المال والبنيان وارتحلوا
إلى قبور وضيق في الثرى رقدوا ... وقد أقاموا به رهنا بما عملوا
كأنما الركب قد حطوا رحالهم ... في جنح ليل بدار ما بها نزل
فقال صاحبيها يا قوم ليس لكم ... فيها مقام فشدوا بعد ما نزلوا
فكلهم خائف أضحي بها رجلاً ... ولا يطيب به حل ومرتحل
فقدم الزاد من خير يسر غدا ... وليس إلا بتقوى ربك العمل

فبكى الأمير موسى لما سمع هذا الكلام وقال والله أن التقوى هي رأس الأمور والتحقيق والركن الوثيق وأن الموت هو الحق المبين والوعد اليقين فراع فيه يا هذا المرجع والمآب

واعتبر بمن سلف قبلك في التراب وبادر إلى سبيل الميعاد أما ترى الشيب إلى القبر دعاك وبياض شعرك على نفسك قد نعاك فكن على يقظة الرحيل والحساب يا ابن آدم ما أقسى قلبك فما غرك بربك أين الأمم السالفة العبرة لمن يعتبر أين ملوك الصين أهل البأس والتمكين أين عاد بن شداد وما بني وعمر ابن النمرود الذي طغى وتجبر أين فرعون الذي جحد وكفر كلهم قهرهم الموت على الأثر فما بقي صغيراً ولا كبيراً ولا أنثى ولا ذكر قرضهم قارض الأعمار ومكور الليل على النهار اعلم أيها الواصل إلى هذا المكان ممن رآنا أنه لا يغتر بشيء من الدنيا وحطامها فإنها غدارة مكارة دار بوار وغرور فطوبى لعبد ذكر ذنبه وخشي ربه وأحسن المعاملة وقدم الزاد ليوم المعاد فمن وصل إلى مدينتنا ودخلها وسهل الله عليه دخولها فيأخذ من المال ما يقدر عليه ولا يمس من فوق جسدي شيئاً فإنه ستر لعورتي وجهازي من الدنيا فلتبق الله ولا يسلب منه شيئاً فيهلك نفسه وقد جعلت ذلك نصيحة مني إليه وأمانة مني لديه والسلام فاسأل الله أن يكفيكم شر البلايا والسقام وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٦٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الأمير موسى لما سمع هذا الكلام بكى بكاء شديداً حتى غشي عليه فلما أفاق كتب جميع ما رآه وأعتبر بما شاهده ثم قال لأصحابه أئتوا بالأعدال وأملوها من هذه الأموال وهذه الأواني والتحف والجواهر فقال طالب بن سهل للأمير موسى أيها الأمير أتترك هذه الجارية بما عليها وهو شيء لا نظير له ولا يوجد في وقت مثله وهو أوفى ما أخذت من الأموال وأحسن هدية تتقرب إلى أمير المؤمنين فقال الأمير موسى يا هذا لم تسمع ما أوصت به الجارية في هذا اللوح لا سيما وقد جعلته أمانة وما نحن من أهل الخيانة فقال الوزير طالب وهل لأجل هذه الكلمات تترك الأموال وهذه الجواهر وهي ميتة فما نصنع بهذا وهو زينة الدنيا وجمال الأحياء وثوب من القطن نستر به هذه الجارية ونحن أحق به منها ثم دنا من السلم وصعد على الدرج حتى صار بين العمودين ووصل بين الشخصين وإذا بأحد الشخصين ضربه في ظهره وضربه الآخر بالسيف الذي في يده فرمى رأسه ووقع ميتاً فقال الأمير موسى لا رحم الله لك مضجعاً لقد كان في هذه الأموال ما فيه كفاية والطمع لاشك يزري بصاحبه ثم أمر بدخول العساكر فدخلوا وحملوا الجمال من تلك الأموال والمعادن ثم أن الأمير موسى أمرهم أن يغلقوا الباب كما كان ثم ساروا على الساحل حتى أشرفوا على جبل عال مشرف على البحر وفيه مغارات كثيرة وإذا فيها قوم من السودان وعليهم نطوح وعلى رؤوسهم برانيس من نطوح لا يعرف كلامهم فلما رأوا العسكر جفلوا منهم وولوا هاربين إلى تلك المغارات ونساؤهم وأولادهم على أبواب المغارات فقال الأمير موسى ياشيخ عبد الصمد ما هؤلاء القوم فقال هؤلاء طلبة أمير المؤمنين فنزلوا وضربت الخيام وحطت

الأموال فما استقر بهم المكان حتى نزل ملك السودان من الجبل ودنا من العسكر وكان يعرف العربية فلما وصل إلى الأمير موسى سلم عليه فرد عليه السلام وأكرمه فقال ملك السودان للأمير موسى أنتم من الأنس أم من الجن فقال الأمير موسى أما نحن فمن الأنس وأما أنتم فلا شك أنكم من الجن لانفرادكم في هذا الجبل المنفرد عن الخلق ولعظم خلقتكم فقال ملك السودان بل نحن قوم آدميون من أولاد حام بن نوح عليه السلام وأما هذا البحر فإنه يعرف بالكركر فقال له الأمير موسى ومن أين لكم علم ولم يبلغكم نبي أوحى إليه في مثل هذه الأرض فقال أعلم أيها الأمير أنه يظهر لنا من هذا البحر شخص له نور تضيء له الآفاق فينادي بصوت يسمعه البعيد والقريب يا أولاد حام استحيوا ممن يرى ولا يرى وقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله وأنا أبو العباس الخضر وكنا قبل ذلك نعبد بعضنا فدعانا إلى عبادة رب العباد ثم قال للأمير موسى وقد علمنا كلمات نقولها فقال الأمير موسى وما هذه الكلمات قال هي لا إله إلا الله وحده لاشريك له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير وما نتقرب إلى الله عز وجل إلا بهذه الكلمات ولا نعرف غيرها وكل ليلة جمعة نرى نوراً على وجه الأرض ونسمع صوتاً يقول سبوح قدوس رب الملائكة والروح ما شاء الله كان ومالم يشأ لم يكن كل نعمة من فضل الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فقال له الأمير موسى نحن أصحاب ملك الإسلام عبد الملك بن مروان وقد جئنا بسبب القماقم النحاس التي عندكم في بحركم وفيها الشياطين محبوسة من عهد سليمان بن داود عليهما السلام وقد أمر أن نأتيه بشيء منها يبصره ويتفرج عليه فقال له ملك السودان حباً وكرامة ثم أضافهم بلحوم السمك وأمر الغواصين أن يخرجوا من البحر شيئاً من القماقم السليمانية فأخرجوا لهم اثني عشر قمقماً ففرح الأمير موسى بها والشيخ عبد الصمد والعساكر لأجل قضاء حاجة أمير المؤمنين ثم أن الأمير موسى وهب لملك السودان مواهب كثيرة وأعطاه عطايا جزيلة وكذلك ملك السودان أهدى إلى الأمير موسى هدية من عجائب البحر على صفة الآدميين وقال له أن ضيافتكم في هذه الثلاثة أيام من لحوم هذه السمك فقال الأمير موسى لابد أن نحمل معنا شيئاً حتى ينظر إليه أمير المؤمنين فيطمئن خاطره بذلك أكثر من القماقم السليمانية ثم ودعوه وساروا حتى وصلوا إلى بلاد الشام فدخلوا على أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان فحدثه الأمير موسى بجميع ما رآه وما وقع له من الأشعار والأخبار والمواعظ وأخبره بخبر طالب بن سهل فقال له أمير المؤمنين ليتني كنت معكم حتى أعاين ما عاينتم ثم أخذ القماقم وجعل يفتح قمقماً بعد قمقم والشياطين يخرجون منها ويقولون التوبة يا نبي الله وما نعود لمثل ذلك أبداً فتعجب عبد الملك بن مروان من ذلك وأما بنات البحر التي أضافهم بنوعها ملك السودان فإنهم صنعوا لها حيضاناً من خشب وملؤوها ماء ووضعوها فيها فماتت من شدة الحر ثم أن

أمير المؤمنين أحضر الأموال وقسمها بين المسلمين. وأدرك شهرزاد الصباح فسـ كتت عـ ن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٦٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان لما رأى القمـ اقم وما فيها تعجب من ذلك غاية العجب وأمر بإحضار الأموال وقسمها بين المسلمين وقـ ال لـ م يعط الله أحداً مثل ما أعطى سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام ثم أن الأمير موسى سأل أمير المؤمنين أن يستخلف ولده مكانه على بلاده وهو يتوجه إلى القدس الشريف يعبد الله فيه فولى أمير المؤمنين ولده وتوجه إلى القدس الشريف ومات فيه وهذا آخر ما انتهى إلينا مـ ن حديث مدينة النحاس على التمام والله أعلم.

{حكاية تتضمن مكر النساء وأن كيدهن عظيم}

وقد بلغنا أيضاً أنه كان في قديم الزمان وسالف العصر والأوان ملك من ملوك الزمان كان كثير الجند والأعوان وصاحب جاه وأموال ولكنه بلغ من العمر مدة ولم يرزق ولداً ذكراً فلما قلق الملك توسل بالنبي ﷺ إلى الله تعالى وسأله بجاه الأنبياء والأولياء والشهداء من عباده المقربين أن يرزقه بولد ذكر حتى يرث الملك من بعده ويكون قرة عينه ثم قام من وقته وساعته ودخل قاعة جلوسه وأرسل إلى بنت عمه فواقعها فحملت بإذن الله تعالى ومكثت مدة حتى آن أوان وضعها فولدت ولدا ذكراً وجهه مثل دورة القمر ليلة أربعة عشر فتربى ذلك الغلام إلى أن بلغ من العمر خمس سنين وكان عند ذلك الملك رجل حكيم من الحكماء الماهرين يسمى السندباد فسلم إليه ذلك الغلام فلما بلغ من العمر عشر سنين علمه الحكمة والأدب إلى أن صار ذلك الولد ليس أحد في هذا الزمان يناظره في العلم والأدب والفهم فلما بلغ والده ذلك أحضر له جماعة من فرسان العرب يعلمونه الفروسية فمهر فيها وصال وجال في حومة الميدان إلى أن فاق أهل زمانه وسائر أقرانه ففي بعض الأيام نظر ذلك الحكيم في النجوم فرأى طالع الغلام وأنه متى عاش سبعة أيام وتكلم بكلمة واحدة صار فيها هلاكه فذهب الحكيم إلى الملك والده وأعلمه بالخبر فقال له والده فما يكون الرأي والتدبير يا حكيم فقال له الحكيم أيها الملك الرأي والتدبير عندي أن تجعله في مكان نزهة وسماع آلات مطربة يكون فيها إلى أن تمضي السبعة أيام فأرسل الملك إلى جارية من خواصه وكانت أحسن الجواري فسلم إليها الولد وقال لها خذي سيدك في القصر واجعليه عندك ولا ينزل من القصر إلا بعد سبعة أيام تمضي فأخذته الجارية من يده وأجلسته في ذلك القصر وكان في القصر أربعون حجرة وفي كل حجرة عشر جوار وكل جارية معها آلة من آلات الطرب إذا ضربت واحدة منهن يرقص من نغمتها ذلك القصر وحواليه نهر جار مزروع شاطئه بجميع الفواكه والمشمومات وكان ذلك الولد فيه من الحسن والجمال مالا يوصف فبات ليلة واحدة فرأته الجارية محظية والده فطرق العشق قلبها فلم تتمالك أن رمت نفسها عليه فقال لها الولدان شاء الله تعالى حين أخرج عند والدي أخبره بذلك فيقتلك فتوجهت الجارية إلى الملك ورمت نفسها عليه بالبكاء والنحيب فقال لها ما خبرك يا جارية كيف سيدك أما هو طيب فقالت يا مولاي أن سيدي راودني عن نفسي وأراد قتلي على ذلك فمنعته وهربت منه وما بقيت أرجع إليه ولا إلى القصر أبداً فلما سمع والده ذلك الكلام حصل له غيظ عظيم فأحضر عنده الوزراء وأمرهم بقتله فقالوا لبعضهم أن الملك صمم على قتل ولده وأن قتله يندم عليه بعد قتله لا محالة فإنه عزيز عنده وما جاء هذا الولد إلا بعد اليأس ثم بعد ذلك يرجع عليكم باللوم فيقول لكم لم تدبروا لي تدبيراً يمنعني عن قتله فاتفق رأيهم على أن يدبروا له تدبيراً يمنعه عن قتل ولده

فتقدم الوزير الأول وقال أنا أكفيكم شر الملك في هذا اليوم فقام ومضى إلى أن دخل على الملك وتمثل بين يديه ثم استأذنه في الكلام فأذن له فقال له أيها الملك لو قدر أنه كان لك ألف ولد لم تسمح نفسك في أن تقتل واحداً منهم بقول جارية فإنها أما أن تكون صادقة أو كاذبة ولعل هذه مكيدة منها لولدك فقال وهل بلغك شيء من كيدهن أيها الوزير شيئاً قال نعم بلغني أيها الملك أنه كان ملك من ملوك الزمان مغرماً بحب النساء فبينما هو مختل في قصره يوماً من الأيام إذ وقعت عينه على جارية وهي في سطح بيتها وكانت ذات حسن وجمال فلما رآها لم يتمالك نفسه من المحبة فسأل عن ذلك البيت فقالوا له هذا بيت وزيرك فلان فقام من ساعته وأرسل إلى الوزير فلما حضر بين يديه أمره أن يسافر إلى بعض جهات المملكة ليطلع عليها ثم يعود فسافر الوزير كما أمره الملك فبعد أن سافر تحايل الملك حتى دخل بيت الوزير فلما رأته الجارية عرفته فوثبت قائمة على قدميها وقبلت يديه ورجليه ورحبت به ووقفت بعيداً عنه مشتغلة بخدمته ثم قالت يا مولانا ما سبب القدوم المبارك ومثلي لا يكون له ذلك فقال سببه أن عشقك والشوق إليك قد أرماني على ذلك فقبلت الأرض بين يديه ثانياً وقالت له يا مولانا أنا لا أصلح أن أكون جارية لبعض خدام الملك فمن أين يكون لي عندك هذا الحظ حتى صرت عندك بهذه المنزلة فمد الملك يده إليها فقالت هذا الأمر لا يفوتنا ولكن أصبر أيها الملك وأقم عندي هذا اليوم كله حتى أصنع لك شيئاً تأكله قال فجلس الملك على مرتبة وزيره ثم نهضت قائمة واتته بكتاب فيه المواعظ والأدب ليقرأ فيه حتى تجهز له الطعام فأخذه الملك وجعل يقرأ فيه فوجد فيه من المواعظ والحكم ما زجره عن الزنا وكسر همته عن ارتكاب المعاصي فلما جهزت له الطعام قدمته بين يديه وكانت عنده الصحون تسعين صحناً فجعل الملك يأكل من كل صحن معلقة والطعام أنواع مختلفة وطعمها واحد فتعجب الملك من ذلك غاية العجب ثم قال أيتها الجارية أرى هذه الأنواع كثيرة وطعمها واحد فقالت له الجارية أسعد الله الملك هذا مثل ضربته لك لتعتبر به فقال لها وما سببه فقالت اصلح الله حال مولانا الملك أن في قصرك تسعين محظية مختلفات الألوان وطعمهن واحد فلما سمع الملك هذا الكلام خجل منها وقام من وقته وخرج من المنزل ولم يتعرض لها بسوء ومن خجله نسي خاتمه عندها تحت الوسادة ثم توجه إلى قصره فلما جلس الملك في قصره حضر الوزير في ذلك الوقت وتقدم إلى الملك وقبل الأرض بين يديه واعلمه بحال ما أرسله إليه ثم سار الوزير إلى أن دخل بيته وقعد على مرتبته ومد يده تحت الوسادة فلقي خاتم الملك تحتها فرفعه الوزير وحمله على قلبه وانعزل عن الجارية مدة سنة كاملة ولم يكلمها وهي لا تعلم ما سبب غيظه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٧٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير انعزل عن الجارية مدة سنة كاملة ولم يكلمها وهي لا تعلم ما سبب غيظه فلما طال بها المطال ولم تعلم ما سبب ذلك أرسلت إلى أبيها وأعلمته بما جرى لها معه من انعزاله عنها مدة سنة كاملة فقال لها أبوها أني أشكوه حين نكون بحضرة الملك فدخل يوماً من الأيام فوجده بحضرة الملك وبين يديه قاضي العسكر فادعى عليه فقال أصلح الله تعالى حال الملك أنه كان لي روضة حسنة غرستها بيدي وانفقت عليها مالي حتى أثمرت وطاب جناها فأهديتها لوزيرك هذا فأكل منها ما طاب له ثم رفضها ولم يسقها فيبس زهرها وذهب رونقها وتغيرت حالتها فقال الوزير أيها الملك صدق هذا في مقالته أني كنت أحفظها وآكل منها فذهبت يوماً إليها فرأيت أثر الأسد هناك فخفت على نفسي فعزلت نفسي عنها ففهم الملك أن الأثر الذي وجده الوزير هو خاتم الملك الذي نسيه في البيت فقال الملك عند ذلك لوزيره أرجع أيها الوزير لروضتك وأنت آمن مطمئن فإن الأسد لم يقرب بها وقد بلغني أنه وصل إليها ولكن لم يتعرض لها بسوء وحرمة أبائي وأجدادي فقال الوزير عند ذلك سمعاً وطاعة ثم أن الوزير رجع إلى بيته وأرسل إلى زوجته وصالحها ووثق بصيانتها وبلغني أيها الملك أيضاً أن تاجراً كان كثير الأسفار وكانت له زوجة جميلة يحبها ويغار عليها من كثرة المحبة فاشترى لها درة فكانت الدرة تعلم سيدها بما يجري في غيبته فلما كان في بعض أسفاره تعلقت أمرأة التاجر بغلام كان يدخل عليها فتكرمه وتواصله مدة غياب زوجها فلما قدم زوجها من سفره أعلمته الدرة بما جرى وقالت له يا سيدي غلام تركي كان يدخل على زوجتك في غيابك فتكرمه غاية الإكرام فهم الرجل بقتل زوجته فلما سمعت ذلك قالت له يا رجل أتق الله وارجع إلى عقلك هل يكون لطير عقل أو فهم وإن أردت أن أبين لك ذلك لتعرف كذبها من صدقها فامض هذه الليلة ونم عند بعض أصدقائك فإذا أصبحت فتعال لها واسألها حتى تعلم هل تصدق هي فيما تقول أو تكذب فقام الرجل وذهب إلى بعض أصدقائه فبات عنده فلما كان الليل عمدت زوجة الرجل إلى قطعة نطع غطت به قفص الدرة وجعلت ترش على ذلك النطع شيئاً من الماء وتروح عليه بمروحة وتقرب إليها السراج على صورة لمعان البرق وصارت تدير الرحى إلى أن أصبح الصباح فلما جاء زوجها قالت له يا مولاي أسأل الدرة فجاء زوجها إلى الدرة يحدثها ويسألها عن ليلتها الماضية فقالت له الدرة ياسيدي ومن كان ينظر أو يسمع في الليلة الماضية فقال لها لأي شيء فقالت ياسيدي من كثرة المطر والريح والرعد والبرق فقال لها كذبت أن الليلة التي مضت ما كان فيها شيء من ذلك فقالت الدرة ما أخبرتك إلا بما عاينت وشاهدت وسمعت فكذبها في جميع ما قالته عن زوجته وأراد أن يصالح زوجته فقالت والله ما أصطلح حتى تذبح هذه الدرة التي كذبت علي فقام الرجل إلى الدرة وذبحها ثم أقام بعد ذلك مع زوجته مدة أيام قلائل ثم رأى في بعض الأيام ذلك الغلام التركي وهو خارج من بيته فعلم صدق قول الدرة وكذب زوجته فندم على ذبح

الدرة ودخل من وقته وساعته على زوجته وذبحها وأقسم على نفسه أنه لا يتزوج بعدها امرأة مدة حياته وما أعلمتك أيها الملك إلا لتعلم أن كيدهن عظيم والعجلة تورث الندامة فرجع الملك عن قتل ولده فلما كان في اليوم الثاني دخلت عليه الجارية وقبلت الأرض بين يديه وقالت لـ ـه أيها الملك كيف أهملت حقي وقد سمع الملوك عنك أنك امرت بأمر ثم نقضه وزيرك وطاعـ ـة الملك من نفاذ أمره وكل واحد يعلم عدلك وإنصافك فأنصفني من ولدك فقد بلغنـ ـي أن رجـ ـلاً قصاراً يخرج كل يوم إلى شاطيء الدجلة يقصر القماش ويخرج معه ولده فينزل النهر ليعـ ـوم فيه مدة إقامته ولم ينهه والده عن ذلك فبينما هو يعوم يوماً من الأيام إذ تعبت سواعده فغـ ـرق فلما نظر إليه أبوه وثب عليه وترامى إليه فلما أمسكه أبوه تعلق به ذلـ ـك الولـ ـد فغـ ـرق الأب والابن جميعاً فكذلك أنت أيها الملك إذا لم تنه ولدك وتأخذ حقي منه أخاف عليك أن يغرق كل منكما وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٧١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية لما حكت للملك حكاية القصار وولده وقالـ ـت أخاف أن تغرق أنت وولدك أيضاً قالت وكذلك بلغني من كيد الرجال أن رجلاً عشـ ـق امـ ـرأة وكانت ذات حسن وجمال وكان لها زوج يحبها وتحبه وكانت تلك المرأة صالحة عفيفة ولـ ـم يجد الرجل العاشق إليها سبيلاً فطال عليه الحال ففكر في الحيلة وكان لزوج المرأة غلام رباه في بيته وذلك الغلام أمين عنده فجاء إليه ذلك العاشق ومازال يلاطفه بالهدية والإحسان إلـ ـى أن صار الغلام طوعاً له فيما يطلبه منه فقال له يوماً من الأيام يا فلان أما تدخل بي منـ ـزلكم إذا خرجت سيدتك منه فقال له نعم فلما خرجت سيدته إلى الحمام وخرج سيده إلى الدكان جاء الغلام إلى صاحبه وأخذ بيده إلى أن أدخله المنزل ثم عرض عليه جميع ما في المنزل وكـ ـان العاشق مصمماً على مكيدة يكيد بها المرأة فأخذ بياض بيضه معه في إناء ودنا مـ ـن فـ ـراش الرجل وسكبه على الفراش من غير أن ينظر إليه الغلام ثم خرج من المنزل ومضى إلى حال سبيله ثم بعد ساعة دخل للرجل فأتى الفراش ليستريح عليه فوجد فيه بللاً فأخذه بيده فلمـ ـا رآه ظن في عقله أنه مني رجل فنظر إلى الغلام بعين الغضب ثم قال له أين سيدتك فقال له ذهبت إلى الحمام وتعود في هذه الساعة فتحقق ظنه وغلب على عقله أنه مني رجال فقـ ـام للغـ ـلام أخرج في هذه الساعة وأحضر سيدتك فلما حضرت بين يديه وثب قائماً إليها وضربها ضـ ـرباً عنيفاً ثم كتفها وأراد أن يذبحها فصاحت على الجيران فأدركوها فقالت لهم أن هذا الرجل يريد أن يذبحني ولا أعرف لي ذنباً فقام عليه الجيران وقالوا له ليس لك عليها سبيل أما أن تطلقهـ ـا وأما أن تمسكها بمعروف فإننا نعرف عفافها وهي جارتنا مدة طويلة ولم نعلم عليها سوءاً أبداً فقال أني رأيت في فراشي منيا كمني ا لرجال وما أدري ما سـ ـبب ذلـ ـك فقـ ـام رجـ ـل مـ ـن الحاضرين وقال له أرني ذلك فلما رآه الرجل قال أحضر لي ناراً ووعاء فلما أحضر له ذلـ ـك

أخذ البياض قلاه على النار وأكل منه الرجل وأطعمه للحاضرين فتحقق الحاضرون أنه بياض بيض فعلم الرجل أنه ظالم لزوجته وأنها بريئة من ذلك ثم دخل عليه الجيران وصالحوه هو وأياها بعد أن طلقها وبطلت حيلة ذلك الرجل فيما دبره من المكيدة لتلك المرأة وهي غافلة فاعلم أيها الملك أن هذا من كيد الرجال فأمر الملك بقتل ولده فتقدم الوزير الثاني وقبل الأرض بين يديه وقال له أيها الملك لا تعجل على قتل ولدك فإن أمه ما رزقته إلا بعد يأس ونرجو أن يكون ذخيرة في ملكك وحافظاً على مالك فتصبر أيها الملك لعل له حجة يتكلم بها فإن عجلت على قتله ندمت كما ندم الرجل التاجر قال له الملك وكيف كان ذلك وما حكايته يا وزير قال بلغني أيها الملك أنه كان تاجر لطيف في مأكله ومشربه فسافر يوماً من الأيام إلى بعض البلاد فبينما هو يمشي في أسواقها وإذا بعجوز معها رغيفان فقال لها هل تبيعينهما فقالت له نعم فساومها بأرخص ثمن واشتراهما منها وذهب بهما منزله فأكلهما ذلك اليوم فلما أصبح الصباح عاد إلى ذلك المكان فوجد العجوز ومعها الرغيفان فاشتراهما أيضاً منها ولم يزل كذلك مدة عشرين يوماً ثم غابت العجوز عنه فسأل عنها فلم يجد لها خبراً فبينما هو ذات يوم من الأيام في بعض شوارع المدينة إذ وجدها فوقف وسلم عليها وسألها عن سبب غيابها وانقطاع الرغيفين عنه فلما سمعت العجوز كلامه تكاسلت عن رد الجواب فأقسم عليها أن تخبره عن أمرها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٧٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن التاجر لما أقسم على العجوز أن تخبره عن أمرها فقالت يا سيدي اسمع مني الجواب وما ذلك إلا أني كنت أخدم إنساناً وكانت به أكلة في صلبه وكان عنده طبيب يأخذ الدقيق ويلته بسمن ويجعله على الموضع الذي فيه الوجع طول ليلته إلى أن يصبح الصباح فأخذ ذلك الدقيق وأجعله رغيفين وأبيعهما لك أو لغيرك وقد مات ذلك الرجل فانقطع عني الرغيفان فلما سمع التاجر ذلك الكلام قال إنا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ولم يزل ذلك التاجر يتقيأ إلى أن مرض وندم ولم يفده الندم وبلغني أيها الملك من كيد النساء أن رجلاً كان يقف بالسيف على رأس ملك من الملوك وكان لذلك الرجل جارية يهواها فبعث إليها يوماً من الأيام علامة برسالة على العادة بينهما فجلس الغلام عندها ولاعبها فمالت إليه وضمته إلى صدرها فطلب منها المجامعة فطاوعته فبينما هما كذلك وإذا بسيد الغلام قد طرق الباب فأخذت الغلام ورمته في طابق عندها ثم فتحت الباب فدخل و سيفه بيده فجلس على فراش المرأة فأقبلت عليه تمازجه وتلاعبه وتضمه إلى صدرها وتقبله فقام الرجل إليها وجامعها وإذا بزوجها يدق على الباب فقال لها من هذا قالت زوجي فقال لها كيف أفعل وكيف الحيلة في ذلك فقالت له قم سل سيفك وقف في الدهليز ثم سبني واشتمني فإذا دخل زوجي عليك فاذهب وأمض إلى حال سبيلك ففعل ذلك فلما دخل زوجها

رأى خازندار الملك وقفا وسيفه مسلول بيده وهو يشتم زوجته ويهددها فلما رآه الخازندار استحى وأغمد سيفه وخرج من البيت فقال الرجل لزوجته ما سبب ذلك فقالت له يا رجل ما أبرك هذه الساعة التي أتيت فيها قد أعتقت نفساً مؤمنة من القتل وما ذاك إلا أنني كنت فوق السطح أغزل وإذا بغلام قد دخل علي مطروداً ذاهب العقل وهو يلهث خوفاً من القتل وهذا الرجل مجرد سيفه وهو يسرع وراءه ويجد في طلبه فوقع الغلام علي وقبل يدي ورجلي وقال يا سيدتي أعتقيني ممن يريد قتلي ظلماً فخبأته في الطابق الذي عندنا فلما رأيت هذا الرجل قد دخل وسيفه مسلول أنكرته منه حين طلبه مني فصار يشتمني ويهددني كما رأيت والحمد لله الذي ساقك لي فإني كنت حائرة وليس عندي أحد ينقذني فقال لها زوجها نعم ما فعلت يا أمرأة أجرك على الله فيجازيك بفعلك خيراً ثم أن زوجها ذهب إلى الطابق ونادى الغلام وقال له اطلع لا بأس عليك فطلع من الطابق وهو خائف والرجل يقول له أرح نفسك لا بأس عليك وصار يتوجع لما أصابه والغلام يدعو لذلك الرجل ثم خرجا جميعاً ولم يعلمه بما دبرته هذه المرأة فاعلم أيها الملك أن هذا من جملة كيد النساء فإياك والركون إلى قولهن فرجع الملك عن قتل ولده فلما كان اليوم الثالث دخلت الجارية على الملك وقبلت الأرض بين يديه وقالت له أيها الملك خذ لي حقي من ولدك ولا تركن إلى قول وزرائك فإن وزراءك اليوم لا خير فيهم ولا تكن كالملك الذي ركن إلى وزير السوء من وزرائه فقال لها وكيف كان ذلك قالت بلغني أيها الملك السعيد ذا الرأي الرشيد أن ملكاً من الملوك كان له ولد يحبه ويكرمه غاية الأكرام ويفضله على سائر أولاده فقال له يوماً من الأيام يا أبت أني أريد أن أذهب إلى الصيد والقنص فأمر بتجهيزه وأمر وزيراً من وزرائه أن يخرج معه في خدمته ويقضي له جميع مهماته في سفره فأخذ ذلك الوزير جميع ما يحتاج إليه الولد في السفر وخرج معهما الخدم والنواب والغلمان وتوجهوا إلى الصيد حتى وصلوا إلى أرض مخضرة ذات عشب ومرعي ومياه الصيد فيها كثير فتقدم ابن الملك للوزير وعرفه بما أعجبه من التنزه فأقاموا بتلك الأرض مدة أيام وابن الملك في أطيب عيش وأرغده ثم أمرهم ابن الملك بالإنصراف فاعترضته غزالة قد انفردت عن رفقتها فاشتاقت نفسه إلى اقتناصها وطمع فيها فقال للوزير أني أريد أن أتبع هذه الغزالة فقال له الوزير أفعل ما بدا لك فتبعها الولد منفرداً وحده وطلبها طول النهار إلى المساء ودخل الليل فصعدت الغزالة إلى محل وعر واظلم على الولد الليل وأراد الرجوع فلم يعرف أين يذهب فبقى متحيراً في نفسه ومازال راكباً على ظهر فرسه إلى أن أصبح الصباح ولم يلق فرجاً لنفسه ثم سار ولم يزل سائراً خائفاً جائعاً عطشاناً وهو لا يدري أين يذهب حتى انتصف عليه النهار وحميت الرمضاء وإذا هو قد أشرف على مدينة عالية البنيان مشيدة الأركان وهي قفرة خراب ليس فيها غير اليوم والغراب فبينما هو واقف عند تلك المدينة يتعجب من رسومها إذ لاحت منه نظرة فرأى جارية ذات حسن وجمال تحت

جدار من جدرانها وهي تبكي فدنا منها وقال لها من تكوني فقال له أنا بنت التميمة ابنة الطباخ ملك الأرض الشهباء خرجت ذات يوم من الأيام أقضي حاجة لي فاختطفني عفريت من الجن وطار بين السماء والأرض فنزل عليه شهاب من نار فاحترق فسقطت ههنا ولى ثلاث ـة أيـ ـام بالجوع والعطش فلما نظرتك طمعت في الحياة. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكـ ـلام المباح.

(وفي ليلة ٥٧٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن ابن الملك لما خاطبته بنت الطباخ وقالت له لما نظرتك طمعت في الحياة أدركت ابن الملك عليها الرأفة فأركبها وراءه على جواده وقال لهاطيبي نفساً وقرى عينا إن ردني الله سبحانه وتعالى إلى قومي وأهلي أرسلتك إلى أهلك ثم سار ابن الملك يلتمس الفرج فقالت له الجارية التي وراءها يا ابن الملك أنزلني حتى أقضي حاجة تحت هـ ـذه الحائط فوقف وأنزلها ثم انتظرها فتوارت في الحائط ثم خرجت بأشنع منظر فلما رآهـ ـا ابـ ـن الملك أقشعر بدنه وطار عقله وخاف منها وتغيرت حالته ثم وثبت تلك الجارية فركبـ ـت وراء ظهره على الجواد وهي في صورة أقبح ما يكون من الصور ثم قالت له يا ابن المـ ـلك مـ ـالي أراك قد تغير وجهك فقال لها أني تذكرت أمراً أهمني فقالت له استعن عليـ ـه بجيـ ـوش أبيـ ـك وأبطاله فقال لها أن الذي أهمني لا تزعجه الجيوش ولا يهتم بالأبطال فقالت استعن عليه بمال أبيك وذخائره فقال لها أن الذي أهمني لايقنع بالمال ولا بالذخائر فقالت له أنكم تزعمـ ـون أن لكم في السماء الها يرى وأنه قادر على كل شيء فقال لها نعم ما لنا إلا هو قالت لـ ـه فادعـ ـه لعله أن يخلصك مني فرفع ابن الملك طرفه إلى السماء وأخلص بقلبه الدعاء وقال اللهم إنـ ـي استعنت بك على هذا الأمر الذي أهمني وأشار بيده إليها فسقطت على الأرض محرقـ ـة مثـ ـل الفحمة فحمد الله وشكره ومازال يجد في المسير والله سبحانه وتعالى يهون عليه العسير ويدله في الطرق على أن أشرف على بلاده ووصل إلى ملك أبيه بعد أن كان قد يئس مـ ـن الحيـ ـاة وكان ذلك كله برأي الوزير الذي سافر معه لأجل أن يهلكه في سفرته فنصره الله تعالى وإنما أخبرتك أيها الملك لتعلم أن وزراء السوء لا يصفون النية ولا يحسنون الطولية مـ ـع ملـ ـوكهم فكن من ذلك الأمر على حذر فأقبل عليهما الملك وسمع كلامها وأمر بقتل ولده فدخل الـ ـوزير الثالث وقال إنا أكفيكم شر الملك في هذا النهار ثم أن الوزير دخل على الملك وقبـ ـل الأرض بين يديه وقال له أيها الملك أني ناصحك وشفيق عليك وعلى دولتك ومشير عليك برأي سديد وهو أن لا تعجل على قتل ولدك وقرة عينك وثمرة فؤادك فربما كان ذنبه أمراً هيناً قد عظمته عندك هذه الجارية فقد بلغني أن أهل قريتين أفنوا بعضهم على قطرة عسل فقال لـ ـه المـ ـلك وكيف ذلك فقال له أعلم أيها الملك أنه بلغني أن رجلاً صياداً كان يصيد الوحوش في البريـ ـة فدخل يوماً من الأيام كهفاً من كهوف الجبل فوجد فيه حفرة ممتلئة عسل نحل فجمع شيئاً مـ ـن

ذلك العسل في قرية كانت معه ثم حملها على كتفه وأتى بها إلى المدينة ومعه كلب صيد وكان ذلك الكلب عزيزاً عليه فوقف الرجل الصياد على دكان زيات وعرض عليه العسل فاشتراه صاحب الدكان ثم فتح القربة وأخرج منها العسل لينظره فقطرت من القربة قطرة عسل فسقط عليها طير وكان الزيات له قط فوثب على الطير فرآه كلب الصياد فوثب على القط فقتله فوثب الزيات على كلب الصياد فقتله فوثب الصياد على الزيات فقتله وكان للزيات قرية وللصياد قرية فسمعوا بذلك فأخذوا أسلحتهم وعددهم وقاموا على بعضهم بعضاً والتقي الصفان فلم يزل السيف دائراً بينهم إلى أن مات منهم خلق كثير لا يعلم عددهم إلا الله تعالى وقد بلغني أيها الملك من جملة كيد النساء أن امرأة دفع لها زوجها درهماً لتشتري به أرزاً فأخذت منه الدرهم وذهبت به إلى بياع الأرز فأعطاها الأرز وجعل يلاعبها ويغامزها ويقول لها أن الأرز لا يطيب إلا بالسكر فإن أردتيه فادخلي عندي قدر ساعة فدخلت المرأة عنده في الدكان فقال بياع الأرز لعبده زن لها بدرهم سكراً وأعطاه سيده رمزاً فأخذ العبد المنديل من المرأة وفرغ منه الأرز وجعل في موضعه تراباً وجعل بدل السكر حجراً وعقد المنديل وتركه عندها فلما خرجت المرأة من عنده أخذت منديلها وانصرفت إلى منزلها وهي تحسب أن الذي في منديلها أرزاً وسكر فلما وصلت إلى منزلها وضعت المنديل بين يدي زوجها وجد فيه تراباً وحجراً فلما أحضرت القدر قال لها زوجها هل نحن قلنا لك أن عندنا عمارة حتى جئت لنا بتراب وحجر فلما نظرت إلى ذلك علمت أن عبد البياع نصب عليها وكانت قد أتت بالقدر في يدها فقالت لزوجها يا رجل من شغل البال الذي أصابني لاجيء بالغربال فجئت بالقدر فقال لها زوجها واي شيء أشغل بالك قالت له يارجل أن الدرهم الذي كان معي سقط مني في السوق فاستحيت من الناس إن أدور عليه وما هان على أن الدرهم يروح مني فجمعت التراب من ذلك الموضع الذي وقع فيه الدرهم واردت أن أغربله وكنت رائحة أجيء بالغربال فجئت بالقدر ثم ذهبت وأحضرت الغربال وأعطته لزوجها وقالت له غربله فإن عينك أصح من عيني فقعد الرجل يغربل في التراب إلى أن امتلأ وجهه ودقنه من الغبار وهو لا يدرك مكرها وما وقع منها فهذا أيها الملك من جملة كيد النساء وأنظر إلى قول الله تعالى أن كيدهن عظيم وقوله سبحانه وتعالى أن كيد الشيطان كان ضعيفاً فلما سمع الملك من كلام الوزير ما أقنعه وأرضاه وزجره عن هواه وتأمل ما تلاه عليه من آيات الله سطعت أنوار النصيحة على سماء عقله وخلده ورجع عن تصميمه على قتل ولده فلما كان اليوم الرابع دخلت الجارية على الملك وقبلت الأرض بين يديه وقالت له أيها الملك السعيد ذا الرأي الرشيد قد أظهرت لك حقي عياناً فظلمتني وأهملت مقاصصة غريمي لكونه ولدك ومهجة قلبك وسوف ينصرني الله سبحانه وتعالى كما نصر الله ابن الملك على وزير أبيه فقال لها الملك وكيف كان ذلك فقالت له الجارية بلغني أيها الملك أنه كان ملك من الملوك الماضية له ولد ولم يكن له من الأولاد

غيره فلما بلغ ذلك الولد زوجه بابنة ملك آخر وكانت جارية ذات حسن وجمال وكان لها ابـ ن عم قد خطبها من أبيها ولم تكن راضية بزواجها منه فلما علم ابن عمها أنها تزوجت بغيـ ره أخذته الغيرة فاتفق رأي ابن عم الجارية أن يرسل الهدايا إلى وزير الملك الذي تزوج بها ابنه فأرسل إليه هدايا عظيمة وأنفذ إليه أموالاً كثيرة وسأله أن يحتال على قتل ابن الملك بمكيـ دة تكون سبباً لهلاكه أو يتلطف به حتى يرجع عن زواج الجارية وبعث يقول له أيها الوزير لقد حصل عندي من الغيرة على ابنة عمي ما حملني على هذا الأمر فلما وصـ لت الهـ دايا إلـ ى الوزير قبلها وأرسل إليه يقول له طب نفساً وقر عيناً فلك عندي كل ما تريده ثم أن الملك أبـ ا الجارية أرسل إلى ابن الملك بالحضور إلى مكانه لأجل الدخول على ابنته فلما وصل الكتـ اب إلى ابن الملك أذن له أبوه في المسير وبعث معه الوزير الذي جاءت له الهدايا وأرسل معهما ألف فارس وهدايا ومحامل وسرادقات وخياماً فسار الوزير مع ابن الملك وفـ ي ضـ ميره أن يكيده بمكيدة وأضمر له في قلبه السوء فلما صاروا في الصحراء تذكر الوزير أن فـ ي هـ ذا الجبل عينا جارية من الماء تعرش بالزهراء وكل من شرب منها إذا كان رجلاً يصير أمـ رأة فلما تذكر الوزير أنزل العسكر بالقرب منها وركب الوزير جواده ثم قال لابن الملك هل لـ ك أن تروح معي نتفرج على عين ماء في هذا المكان فركب ابن الملك وسار هو ووزيـ ر أبيـ ه وليس معهما أحد وابن الملك لايدري ما سبق له في الغيب ولم يزالا سائرين حتى وصلا إلى تلك العين فنزل ابن الملك من فوق جواده وغسل يديه وشرب منها وإذا به قد صار أمرأة فلما عرف ذلك صرخ وبكى حتى غشي عليه فأقبل عليه الوزير يتوجع لما أصابه ويقول ما الذي أصابك فأخبره الولد بما جرى له فلما سمع الوزير كلامه توجع له وبكى لما أصاب ابن الملك ثم قال له يعيذك الله تعالى من هذا الأمر كيف قد حلت بك هذه المصيبة وعظمت بـ ك تلـ ك الرزية ونحن سائرون بفرحة لك حيث تدخل على ابنة الملك ولا أدري هل نتوجه إليهـ ا أم لا والرأي لك فما تأمره به فقال الولد ارجع إلى أبي وأخبره بما أصابني فإني لا أبرح من ههنـ ا حتى يذهب عني هذا الأمر أو أموت بحسرتي فكتب الولد كتاباً لأبيه يعلمه بما جري له ثم أخذ الوزير الكتاب وأنصرف راجعاً إلى مدينة الملك وترك العسكر والولد وما معه من الجيـ وش عنده وهو فرحان في الباطن بما فعل بابن الملك فلما دخل الوزير على الملك أعلمـ ه بقضـ ية ولده وأعطاه كتابه فحزن الملك على ولده حزناً شديداً ثم ارسـ ل إلـ ى الحكمـ اء وأصـ حاب الأسرار أن يكشفوا له عن هذا الأمر الذي حصل لولده فما أحد رد عليه جواباً ثم أن الـ وزير أرسل إلى ابن عم الجارية يبشره بما حصل لابن الملك فلما وصل إليه الكتاب فـ رح فرحـ اً شديداً وطمع في زواج ابنة عمه وأرسل إلى الوزير هدايا عظيمة وأموالاً كثيرة وشكره شكراً زائداً وأما ابن الملك فإنه أقام على تلك العين مدة ثلاثة أيام بلياليها لا يأكل ولا يشرب وأعتمد فيما أصابه على الله سبحانه وتعالى الذي ما خاب من توكل عليه فلما كان في الليلة الرابعة إذ

هو بفارس على رأسه تاج وهو في صفة أولاد الملوك فقال له الفارس من أتى بك أيها الغلام إلى هنا فاعلمه الولد بما أصابه وأنه كان مسافراً إلى زوجته ليدخل عليها وأعلمه أن الـ وزير أتى به على عين الماء ليشرب منها فحصل له ما حصل وكلما تحدث الغلام يغلبه البكاء فيبكي فلما سمع الفارس كلامه رثى لحاله وقال له أن وزير أبيك هو الذي رماك في هذه المصـ يبة لأن هذه العين لا يعلم بها أحد من البشر إلارجل واحد ثم أن الفارس أمره أن يركـ ب معـ ه فركب الولد وقال له الفارس أمض معي إلى منزلي فأنت ضيفي في هذه الليلة فقال له الولـ د أعلمني من أنت حتى أسير معك فقال له أنا ابن ملك الجن وأنت ابن ملك الأنس فطب نفسـ اً وقر عيناً بما يزيل همك وغمك فهو علي هين فسار معه الولد من أول النهار وأهمل جيوشـ ه وعساكره ومازال سائراً معه إلى نصف الليل فقال له ابن ملك الجن أتدري كم قطعنا في هـ ذا الوقت فقال له الغلام لا أدري فقال له ابن ملك الجن قطعنا مسيرة سنة للمجد المسافر فتعجب ابن الملك من ذلك وقال له كيف العمل والرجوع إلى أهلي فقال له ليس هذا من شأنك إنما هو من شأني وحين تبرأ من علتك تعود إلى أهلك في أسرع من طرفة العين وذلك عليّ هين فلما سمع الغلام من الجني هذا الكلام طار من شدة الفرح وظن أنه اضغاث أحلام وقـ ال سـ بحان القدير على أن يرد الشقي سعيد وفرح بذلك فرحاً شديد. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٧٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن ابن ملك الجن قال لابن ملك الأنس فحين تبـ رأ مـ ن علتك تعود إلى أهلك في أسرع من طرفة عين ففرح بذلك ولم يزالا سائرين حتى انتهيا إلـ ى عين ماء تسيل من جبال سود فقال للشاب أنزل فنزل الشاب من فوق جواده ثم قال له اشرب من هذه العين فشرب منها الشاب فصار لوقته وساعته ذكرا كما كان أولاً بقـ درة الله تعـ الى ففرح الشاب فرحاً شديد ما عليه من مزيد ثم قال له يا أخي ما يقال لهذه العين فقال له يقـ ال لها عين النساء لا تشرب منه امرأة إلا صارت رجلاً فاحمد الله وأشكره على العافية واركـ ب جوادك فسجد ابن الملك شكراً لله تعالى ثم ركب وساراً يجدان السير بقية يومهما حتى رجعـ ا إلى أرض ذلك الجني فبات الشاب عنده في أرغد عيش ولم يزالا في أكل وشرب إلى أن جاء الليل ثم قال له ابن ملك الجن أتريد أن ترجع إلى أهلك في هذه الليلة فقال نعم أريد ذلك لأنـ ي محتاج إليه فدعا ابن ملك الجان بعبد له من عبيد أبيه اسمه راجز وقال له خذ هذا الفتى مـ ن عندي واحمله على عاتقك ولا تخل الصباح يصبح عليه إلا وهو عند صهره وزوجته فقال له العبد سمعاً وطاعة وحباً وكرامة ثم غاب العبد عنه ساعة وأقبل وهو في صورة عفريت فلمـ ا رآه الفتى طار عقله واندهش فقال ابن ملك الجن لا بأس عليك اركب جوادك واعل به فـ وق عاتقه فقال الشاب بل أركب أنا وأترك الجواد عندك ثم نزل الشاب عن الجواد وركـ ب علـ ى

عاتقه فقال له ابن ملك الجن أغمض عينيك وطار العبد بين السماء والأرض ولم يزل طائراً به ولم يدر الشاب بنفسه فما جاء ثلث الليل الأخير إلا وهو على قصر صهره فلما نزل على قصره قال له العفريت أنزل فنزل وقال افتح عينيك فهذا قصر صهرك وابنته ثم تركه ومضى فلما أضاء النهار وسكن الشاب من روعه نزل من فوق القصر فلما نظره صهره قام إليه وتلقاه وتعجب حيث رآه فوق القصر ثم قال له إنا رأينا الناس تأتي من الأبواب وأنت تنزل من السماء فقال له قد كان الذي أراده الله سبحانه وتعالى فتعجب الملك من ذلك وفرح بسلامته فلما طلعت الشمس أمر صهره وزيره أن يعمل الولائم العظيمة فعمل الولائم واستقام العرش ثم دخل على زوجته وأقام مدة شهرين ثم ارتحل بها إلى مدينة أبيه وأما ابن عم الجارية فإنه هلك من الغيرة والحسد لما دخل بها ابن الملك ونصره الله سبحانه وتعالى عليه وعلى وزير أبيه بزوجته على أتم حال وأكمل سرور فتلقاه أبوه بعسكره ووزرائه وأنا أرجو الله تعالى أن ينصرك على وزراءك أيها الملك وأنا أسألك أن تأخذ حقي من ولدك فلما سمع الملك ذلك منها أمر بقتل ولده وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٧٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية لما حكت للملك وقالت أسألك أن تأخذ حقي من ولدك أمر بقتله وكان ذلك في اليوم الرابع فدخل على الملك الوزير الرابع وقبل الأرض بين يديه وقال ثبت الله الملك وأيده أيها الملك إرجع في هذا الأمر الذي عزمت عليه لأن العاقل لا يعمل عملاً حتى ينظر في عاقبته وصاحب المثل يقول:

من لم ينظر في العواقب ... فما الدهر له بصاحب

وبلغني أيضاً أيها الملك من كيد النساء حكاية أخرى قال له الملك وما بلغك قال له بلغني أيها الملك أن امرأة ذات حسن وجمال وبهاء وكمال لم يكن لها نظير فنظرها بعض الشبان المغاوين فتعلق بها وأحبها محبة عظيمة وكانت تلك المرأة عفيفة عن الزنا وليس لها فيه رغبة فاتفق أن زوجها سافر يوماً من الأيام إلى بعض البلاد فصار الشاب كل يوم يرسل إليها مرات عديدة ولم تجبه فقصد الشاب عجوزاً كانت ساكنة بالقرب منه فسلم عليها وقعد يشكو إليها ماأصابه من المحبة وما هو عليه من عشق المرأة وأخبرها أنه مراده وصالها فقالت له العجوز أنا أضمن لك ذلك ولا بأس عليك وأنا أبلغك ما تريد إن شاء الله تعالى فلما سمع الشاب كلامها دفع لها ديناراً ثم انصرف إلى حال سبيله فلما أصبح الصباح دخلت العجوز على المرأة وجددت معها عهداً ومعرفة وصارت العجوز تتردد إليها في كل يوم وتتغدى وتتعشى عندها وتأخذ من عندها بعض الطعام إلى أولادها وصارت تلك العجوز تلاعبها وتباسطها إلى أن أفسدت حالها وصارت لا تقدر على مفارقة العجوز ساعة واحدة

فاتفق في بعض الأيام أن العجوز وهي خارجة من عند المرأة كانت تأخذ خبزاً وتجعل فيه شحماً وفلفلاً وتطعمه إلى كلبة مدة أيام فجعلت الكلبة تتبعها من أجل الشفقة والحسنة فأخذت لها يوماً شيئاً كثيراً من الفلفل والشحم وأطعمته لها فلما أكلته صارت عيناها تدمع من حرارة الفلفل ثم تبعتها الكلبة وهي تبكي فتعجبت منها الصبية غاية العجب ثم قالت للعجوز يا أمي ما سبب بكاء هذه الكلبة فقالت لها يابنتي هذه لها حكاية عجيبة فإنها كانت صبية وكانت صاحبتي ورفيقتي وكانت صاحبة حسن وجمال وبهاء وكمال وكان قد تعلق بها شاب في الحارة وزاد بها حباً وشغفاً حتى لزم الوسادة وأرسل إليها مرات عديدة لعلها ترق له وترحمه فأبت فنصحتها وقلت لها يا بنتي أطيعيه في جميع ما قاله وارحميه وأشفقي عليه فما قبلت نصيحتي فلما قل صبر هذا الشاب شكا لبعض أصحابه فعلموا لها سحر وقلبوا صورتها من صورة البشر إلى صورة الكلاب فلما رأت ما حصل لها وما هي فيه من الأحوال وانقلاب الصورة ولم تجد أحد من المخلوقين يشفق عليها غيري جاءتني إلى منزلي وصارت تستعطف بي وتقبل يدي ورجلي وتبكي وتنتحب فعرفتها وقلت لها كثيراً ما نصحتك فلم يفدك نصحي شيئاً وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٧٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العجوز صارت تحكي للمرأة خبر الكلبة وتعرفها عن حالها بمكر وخداع لأجل موافقتها لغرض تلك العجوز وجعلت تقول لها لما جاءتني هذه الكلبة المسحورة وبكت قلت لها كم نصحتك ولكن يا بنتي لما رأيتها في هذه الحالة أشفقت عليها وأبقيتها عندي فهي على هذه الحالة وكلما تتفكر حالتها الأولى تبكي على نفسها فلما سمعت الصبية كلام العجوز حصل لها رعب كبير وقالت لها يا أمي والله أنك خوفتيني بهذه الحكاية فقالت لها العجوز من أي شيء تخافين فقالت لها أن شابا مليحاً متعلقاً بحبي وأرسل إلي مرات وأنا أمتنع منه وأنا اليوم أخاف أن يحصل لي مثل ما حصل لهذه الكلبة فقالت لها العجوز أحذري يا بنتي أن تخالفي فأني أخاف عليك كثيراً وإذا كنت لم تعرفي محله فأخبريني بصفته وأنا أجيء به إليك ولا تخلي قلب أحد يتغير عليك فوصفته لها وجعلت تتغافل وتريها أنها لم تعرفه وقالت لها لما أقوم وأسأل عنه فلما خرجت من عندها ذهب إلى الشاب تفتش عليه فلم تقف له على خبر وقالت في نفسها كيف العمل أيروح هذا الأكل الذي فعلته خسارة والوعد الذي وعدتني به من الدراهم ولكن لم أخل هذه الحيلة تروح بلا شيء بل أفتش لها على غيره وأجيء به إليها فبينما هي كذلك تدور في الشارع و نظرت شاباً حسناً جميلاً على وجهه أثر السفر فتقدمت إليه وسلمت عليه وقالت له هل لك في طعام وشراب وصبية مهيأة فقال لها الرجل وأين هذا قالت عندي في بيتي فسار معها الرجل والعجوز وهي لا تعلم أنه زوج الصبية حتى وصلت إلى البيت ودقت الباب ففتحت لها الصبية الباب فدخلت وهي لا تعلم أنه

زوج الصبية حتى وصلت إلى البيت ودقت الباب ففتحت لها الصبية الباب فدخلت وهي تجري لتتهيأ بالملبوس والبخور فأدخلته العجوز في قاعة الجلوس وهي في كيد عظيم فلما دخلت المرأة عليه ووقع بصرها عليه والعجوز قاعدة عنده بادرت المرأة بالحيلة والمكيدة ودبرت لها أمر في الوقت والساعة ثم سحبت الخف من رجلها وقالت لزوجها ما هكذا العهد الذي بيني وبينك فكيف تخونني وتفعل معي هذا الفعل فأني لما سمعت بحضورك جربتك بهذه العجوز فأوقعتك فيما حذرتك منه وقد تحققت أمرك وأنك نقضت العهد الذي بيني وبينك وكنت قبل الآن أظن أنك طاهر حتى شاهدتك بعيني مع هذه العجوز وأنك تتردد على النساء الفاجرات وصارت تضربه بالخف على رأسه وهو يتبرأ من ذلك ويحلف لها أنه ما خانها مدة عمره ولا فعل فعلاً مما أتهمته به ولم يزل يحلف لها أيماناً بالله تعالى وهي تضربه وتبكي وتصرخ وتقول تعالوا لي يا مسلمين فيمسك فمها بيده وهي تعضه وصار متذللاً لها ويقبل يديها ورجليها وهي لا ترضى عليه ولا تكف يدها عن صفعه ثم أنها غمزت العجوز أن تمسك يدها عنه فجاءتها العجوز وصارت تقبل يديها ورجليها إلى أن أجلستهما فلما جلسا جعل الزوج يقبل يد العجوز ويقول لها جزاك الله تعالى كل خير حيث خلصتيني منها فصارت العجوز تتعجب من حيلة المرأة وكيدها وهذا أيها الملك من جملة مكر النساء وحيلهن وكيدهن فلما سمعه الملك انتصح بحكايته ورجع عن قتل ولده وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٧٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير الرابع لما حكى الحكاية للملك رجع عن قتل ولده فلما كان في اليوم الخامس دخلت الجارية على الملك وبيدها قدح فيه سم واستغاثت ولطمت على خديها ووجهها وقالت له أيها الملك أما أن تنصفني وتأخذ حقي من ولدك وإلا أشرب هذا القدح السم وأموت ويبقى ذنبي معلقاً بك إلى يوم القيامة فإن وزراءك هؤلاء ينسبونني إلى الكيد والمكر وليس في الدنيا أمكر منهم أما سمعت أيها الملك حديث الصائغ مع الجارية فقال لها ما جرى منهما يا جارية فقالت بلغني أيها الملك السعيد أنه كان رجل صائغ مولعاً بالنساء وشرب الخمر فدخل يوماً من الأيام عند صديق له فنظر إلى حائط من حيطان بيته فرأى فيها صورة جارية منقوشة لم ير الراؤون أحسن ولا أجمل ولا أظرف منها فأكثر الصائغ من النظر إليها وتعجب من حسن هذه الصورة وقع حب هذه الصورة في قلبه إلى أن مرض وأشرف على الهلاك فجاءه بعض أصدقائه يزوروه فلما جلس عنده سأله عن حاله وما يشكو منه فقال له يا أخي إن مرضي كله وجميع ما أصابني من العشق وذلك أني عشقت صورة منقوشة في حائط فلان أخي فلامه ذلك الصديق وقال له أن هذا من قلة عقلك فكيف تعشق صورة في حائط لا تضر ولا تنفع ولا تنظر ولا تسمع ولا تأخذ ولا تمنع فقال له ما

صورها المصور إلا على مثال امرأة جميلة فقال له صديقه لعل الذي صورها اخترعها من رأسه فقال له ها أنا في حبها مبت على كل حال وأن كان لهذه الصورة شبيه في الدنيا فأنا أرجو الله تعالى أن يمدني بالحياة إلى أن أراده فلما قام الحاضرون سألوا عمن صورها فوجدوه قد سافر إلى بلد من البلدان فكتبوا له كتاباً يشكون له فيه حال صاحبهم ويسألونه عن تلك الصورة وما سببها وهل هو اخترعها من ذهنه أو رأي لها شبيهاً في الدنيا فأرسل إليهم أني صورت هذه الصورة على شكل جارية مغنية لبعض الوزراء وهي بمدينة كشمير بإقليم الهند فلما سمع الصائغ بالخبر وكان ببلاد الفرس تجهز وسار متوجهاً إلى بلاد الهند فوصل إلى تلك المدينة من بعد جهد جهيد فلما دخل تلك المدينة واستقر فيها ذهب يوماً من الأيام عند رجل عطار من أهل تلك المدينة وكان ذلك العطار حاذقاً فطناً لبيباً فسأله الصائغ عن ملكهم وسيرته فقال له العطار أما ملكنا فعادل حسن السيرة محسن لأهل دولته منصف لرعيته وما يكره في الدنيا لا السحرة فإذا وقع في يده ساحراً أو ساحرة ألقاها في جب خارج المدينة ويتركها بالجوع إلى أن يموتا ثم سأله عن وزرائه فذكر له سيرة كل وزير وما هو عليه إلى أن أنجز الكلام إلى الجارية المغنية فقال له عند الوزير الفلاني فصبر بعد ذلك أياماً حتى أخذ تدبير الجيلة فلما كان في ليلة ذات مطر ورعد ورياح عاصفة ذهب الصائغ وأخذ معه عدة من اللصوص وتوجه إلى دار الوزير سيد الجارية وعلق فيه السلم الكلاليب ثم طلع إلى أعلى القصر فلما وصل إليه نزل إلى ساحته فرأى جميع الجواري نائمات كل واحدة على سريرها ورأى سريراً من المرمر عليه جارية كأنها البدر إذا أشرق في ليلة أربعة عشر فقصدها وقعد عند رأسها وكشف الستر عنها فإذا عليها ستر من ذهب وعند رأسها شمعة وعند رجليها شمعة كل شمعة منهما في شمعدان من الذهب الوهاج وهاتان الشمعتان من العنبر وتحت الوسادة حق من الفضة فيه جميع حليها وهو مغطى عند رأسها فأخرج سكيناً وضرب بها كفل الجارية فجرحها جرحاً واضحاً فانتبهت فزعة مرعوبة فلما رأته خافت من الصياح فسكتت وظنت أنه يريد أخذ المال فقالت له خذ الحق والذي فيه وليس لك بقتلي نفع وأنا في جيرتك وفي حسبك فتناول الرجل الحق بما فيه وانصرف وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٧٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الصائغ حين طلع قصر الوزير ضرب الجارية على كفلها فجرحها وأخذ الحق الذي فيه حليها وانصرف فلما أصبح الصباح لبس ثيابه وأخذ معه الحق الذي فيه الحلي ودخل به على ملك تلك المدينة ثم قبل الأرض بين يديه وقال أيها الملك أنني رجل ناصح لك وأنا من أرض خراسان وقد أتيت مهاجراً إلى حضرتك لما شاع من حسن سيرتك وعدلك في رعيتك فأردت أن أكون تحت لوائك وقد وصلت إلى هذه المدينة آخر

إليها فوجدت الباب مغلوقاً فنمت من خارجه فبينما أنا بين النائم واليقظان إذ رأيت أربع نسوة أحداهن راكبة منكسة والأخرى راكبة مروحة فعلمت أيها الملك أنهن سحرة يدخلنن مدينتك فدنت أحداهن مني ورفستني برجلها وضربتني بذنب ثعلب كان في يدها فأوجعتني الجدة من الضراب فضربتها بسكين كانت معي فأصابت كفلها وهي مولية شاردة فلما جرحتها أنهزمت قدامي فوقع منها هذا الحق بما فيه فأخذته وفتحته فرأيت فيه هذا الحلي النفيس فخذه فليس لي به حاجة لأني رجل سائح في الجبال وقد رفضت الدنيا عن قلبي وزهدتها بما فيها وأني قاصد وجه الله تعالى ثم ترك الحق بين يدي الملك وانصرف فلما خرج من عند الملك فتح الملك ذلك الحق وأخرج جميع الحلي منه وصار يقلبه بيده فوجد فيه عقداً كان أنعم به على الوزير سيد الجارية فدعا الملك بالوزير فلما حضر بين يديه قال له هذا العقد الذي أهديته إليك فلما رآه عرفه وقال للملك نعم وأنا أهديته إلى جارية مغنية عندي فقال له الملك أحضر لي الجارية في هذه الساعة فأحضرها فلما حضرت الجارية بين يدي الملك قال له أكشف عن كفلها وأنظر هل فيه جرح أم لا فكشف الوزير عنه فرأى فيه جرح سكين فقال الوزير للملك نعم يا مولاي فيها الجرح فقال الملك للوزير هذه ساحرة كما قال لي الرجل الزاهد بلاشك ولا ريب ثم أمر الملك بأن يجعلوها في جب السحرة فأرسلوها إلى الجب في ذلك النهار فلما جاء الليل وعرف الصائغ أن حياته قد تمت جاء إلى حارس الجب وبيده كيس فيه ألف دينار وجلس مع الحارس يتحدث إلى ثلث الليل الأول ثم دخل مع الحارس في الكلام وقال له اعلم يا أخي أن هذه الجارية بريئة من هذه البلية التي ذكروها عنها وأنا الذي أوقعتها وقص عليه القصة من أولها إلى آخرها ثم قال له يا أخي خذ هذا الكيس فإن فيه ألف دينار وأعطني الجارية أسافر بها إلى بلادي فهذه الدنانير أنفع لك من حبس الجارية وأغتنم أجرنا ونحن الأثنان ندعوا لك بالخير والسلامة فلما سمع حكايته تعجب غاية العجب من هذه الحيلة وكيف تمت ثم أخذ الحارس الكيس بما فيه وتركها له وشرط عليه أن لا يقيم بها في هذه المدينة ساعة واحدة فأخذها الصائغ من وقته وسار وجعل يجد في السير إلى أن وصل إلى بلاده وقد بلغ مراده فانظر أيها الملك إلى كيد الرجال وحيلهم ووزراؤك يردونك عن أخذ حقي وفي غد أقف أنا وأنت بين يدي حاكم عادل ليأخذ حقي منك أيها الملك فلما سمع الملك كلامها أمر بقتل ولده فدخل عليه الوزير الخامس وقبل الأرض بين يديه ثم قال أيها الملك العظيم الشأن تمهل ولا تعجل على قتل ولدك فرب عجلة أعقبت ندامة وأخاف عليك أن تندم ندامة الذي لم يضحك بقية عمره فقال له الملك وكيف ذلك أيها الوزير قال بلغني أيها الملك أنه كان رجل من ذوي البيوت والنعم وكان ذا مال وخدم وعبيد وأملاك فمات إلى رحمة الله تعالى وترك ولداً صغيراً فلما كبر الولد أخذ في الأكل والشرب وسماع الطرب والأغاني وتكرم وأعطى وأنفق الأموال التي خلفها له أبوه حتى أذهب المال جميعه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٧٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الولد لما اذهب المال الذي خلفه له أبوه ولم يبق مد ه شيء رجع ‘لى بيع العبدي والجواري والأملاك وأتفق جميع ما كان عنده من مال أبيه وغيره فافتقر حتى صار يشتغل مع الفعلة فمكث على ذلك مدة سنة فبينما هو جالس يوماً من الأي ام تحت حائط ينتظر من يستأجره وإذا هو برجل حسن الوجه والثياب قد نأمن الشاب وسلم عليه فقال له الولد يا عم هل أنت تعرفني قبل الآن فقال له لا أعرفك يا ولدي أصلاً بل أرى آثار النعمة عليك وأنت في هذه الحالة فقال له يا عم نفذ القضاء والقدر فهل لك ياعم ي ا صد بيح الوجه من حاجة تستخدمني فيها فقال له يا ولدي أريد أن أستخدمك في شيء يسير ق ال ل ه الشاب وما هو ياعم فقال له عندي عشرة من الشيوخ في دار واحدة وليس عندنا من يقض ي حاجتنا ولك عندنا من المأكل والمشرب ما يكفيك لتقوم بخدمتنا ولك عندنا ما يصل إليك م ن الخير والدراهم ولعل الله يرد عليك نعمتك بسببنا فقال له الشاب سمعاً وطاعة ثم قال له الشيخ لي عليك شرط فقال له الشاب وما شرطك يا عم فقال له يا ولدي أن تكون كاتماً لسرنا فيم ا ترانا عليه وإذا رأيتنا نبكي فلا تسألنا عن سبب بكاؤنا فقال له الشاب نعم يا عم فقال له الشيخ يا ولدي سر بنا على بركة الله تعالى فقام الشاب خلف الشيخ إلى أن أوصله إلى الحمام فأدخله فيه وأزال عن بدنه ما عليه من القشف ثم أرسل الشيخ رجلاً فإني له بحلة حسنة من القم اش فألبسه أياها ومضى به إلى منزله عند جماعته فلما دخل الشاب وج دها داراً عالي ة البني ان مشيدة الأركان واسعة بمجالس متقابلة وقاعات في كل قاعة فسقية من الماء عليها طيور تغرد وشبابيك تطل من كل جهة على بستان حسن في تلك الدار فأدخله الشيخ في أح د المج الس فوجده منقوشاً بالرخام الملون ووجد سقفه منقوشاً باللازورد والذهب الوهاج وه و منق وش ببسط الحرير ووجد فيه عشرة من الشيوخ قاعدين متقابلين وهم لابسون ثياب الحزن يبك ون وينتحبون فتعجب الشاب من أمرهم وهم أن يسأل الشيخ فتذكر الشرط فمنع لسانه ثم أن الشيخ سلم إلى الشاب صندوقاً فيه ثلاثون ألف دينار وقال له يا ولدي أنفق علينا من هذا الص ندوق وعلى نفسك بالمعروف وأنت أمين واحفظ ما استودعتك فيه فقال الشاب سمعاً وطاع ة ول م يزل الشاب ينفق عليهم مدة أيام وليال ثم مات واحد منهم فأخذه اص حابه وغس لوه وكفن وه ودفنوه في روضة خلف الدار ولم يزل الموت يأخذ منهم واحد بعد واحد إلى أن بقي الش يخ الذي استخدم ذلك الشاب فاستمر هو والشاب في تلك الدار وليس معهما ثالث وأقاما على ذلك مدة من السنين ثم مرض الشيخ فلما يئس الشاب من حياته أقبل عليه وتوجع له ثم قال له ي ا عم أنا خدمتكم وما كنت أقصر في خدمتكم ساعة واحدة مدة اثنتي عشرة سنة وإنما أنصح لكم وأخدمكم بجهدي وطاقتي فقال له الشيخ نعم يا ولدي خدمتنا إلى أن توفيت هذه المشايخ إل ى رحمة الله عز وجل ولابد لنا من الموت فقال الشاب يا سيدي أنت على خطر وأريد من ك أن

تعلمني ما سبب بكائكم ودوام انتحابكم وحزنكم وتحركم فقال له يا ولدي مالك بذلك من حاجة ولا تكلفني مالا أطيق فإني سألت الله تعالى أن لا يبلى أحداً ببليتي فإن أردت أن تسلم وقعد ا فيه فلا تفتح ذلك الباب وأشار إليه بنده وحذره منه وأن أردت أن يصيبك ما أصد ابنا فافتحه فإنك تعلم سبب ما رأيت منا لكنك تندم حيث لا ينفعك الندم. وأدرك شهرزاد الصباح فسد كتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٨٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشيخ الذي بقي من العشرة قال للشاب احذر أن تف تح هذا الباب فتندم حيث لا ينفعك الندم ثم تزايدت العلة على الشيخ فمات فغسله الشاب بيده وكفنه ودفنه عند أصحابه وقعد الشاب في ذلك الموضع وهو مختوم على ما فيه وهو مع ذلك قل ق متفكر فيما كان فيه الشيوخ فبينما هو يتفكر يوماً من الأيام في كلام الشيخ ووصيته له بعد دم فتح الباب إذ خطر بباله أنه ينظر إليه فقام إلى تلك الجهة وفتش حتى رأى بابا اً لطيف اً ق د عشش عليه العنكبوت وعليه أربعة أقفال من البولاد فلما نظره تذكر ما حـ ذره منـ ه الشـ يخ فانصرف عنه وصارت نفسه تراوده على فتح الباب وهو يمنعها مدة سبعة أيام وفـ ي اليـ وم الثامن غلبت عليه نفسه وقال لابد أن أفتح ذلك الباب وأنظر أي شيء يجري على منه فـ إن قضاء الله تعالى وقدره لا يرده شيء ولا يكون أمر من الأمور إلا بإرادته فنهض وفتح الباب بعد أن كسر الإقفال فلما فتح الباب رأى دهليزاً ضيقاً فجعل يمشي فيه مقدار ثـ لاث سـ اعات وإذا به قد خرج على شاطيء نهر عظيم فتعجب الشاب من ذلك وصار يمشـ ي علـ ى ذلـ ك الشاطيء وينظر يميناً وشمالاً وإذا بعقاب كبير قد نزل من الجور فحمل ذلك الشاب في مخالبه وطار بين السماء والأرض إلى أن أتى به إلى جزيرة في وسط البحر فألقاه فيهـ ا وأنصـ رف عنه ذلك العقاب فصار الشاب متحيراً في أمره ولا يدري أين يذهب فبينما هو جالس يوماً من الأيام وإذا بقلع مركب قد لا لاح له في البحر كالنجمة في السماء فتعلق خاطر الشاب بالمركب لعل نجاته تكون فيها وصار ينظر إليها حتى وصلت إلى قرية فلما وصلت رأي زورقاً مـ ن العاج والأبنوس ومجاذيفه من الصندل والعود وهو مصفح جميعه بالذهب الوهاج وفيه عشـ ر من الجواري الأبكار كأنهم الأقمار فلما نظره الجواري طلعن إليه من الزورق وقـ بلن يديـ ه وقلن أنت الملك العريس ثم تقدمت إليه جارية وهي كالشمس الضاحية في السماء الصافية وفي يدها منديل حرير فيه خلعة ملوكية وتاج من الذهب مرصع بأنواع اليواقيـ ت فتقـ دمت غليـ ه وألبسته وتوجته وحملته على الأيدي إلى ذلك الزورق فوجد فيه أنواعاً مـ ن بسـ ط الحريـ ر الملون ثم نشرن القلوع وسرن في الجنح البحر قال الشاب فلما سرت معهم اعتقدت أن هـ ذا منام ولا أرى أين يذهبن بي فلما أشرفن على البر رأيت البر قد أمتلأ بها كرلا يعلم عدتهم إلا الله سبحانه وتعالى وهم متدرعون ثم قدموا إلى خمسة من الخيل المسمومة بسروج من ذهـ ب

مرصعة بأنواع اللألىء والفصوص الثمينة فأخذت منها فرساً فركبته والأربعة سـ ـارت مع ـي ولما ركبت انعقدت على رأسي الرايات والأعلام ودقت الطبول وضربت الكاسات ثم ترتبـ ـت العساكر ميمنة وميسره وصرت أتردد هل أنا نائم أو يقظان ولم أزل سائراً ولا أصدق بما أنا فيه من الموكب بل أظن أنه أضغاث أحلام حتى أشرفنا على مرج أخضر فيه قصور وبساتين وأشجار وأنهار وأزهار وأطيار تسبح الواحد القهار فبينما هم كذلك وإذا بعسكر قد برز مـ ـن بين تلك القصور والبساتين مثل السيل إذا انحدر إلي أن ملأ ذلك المرج فلما دنوا مني وقفـ ـت تلك العساكر وإذا بملك مهم قد تقدم بمفرده راكباً وبين يديه بعض خواصه مشاة فلمـ ـا قـ ـرب الملك من الشاب نزل عن جواده فلما رأي الملك نزل عن جواده نزل الآخر ثم سـ ـلماً علـ ـى بعضهما أحسن سلام ثم ركبوا خيولهم فقال الملك للشاب سر بنا فإنك ضيفي فسار معه الشاب وهم يتحدثون والمواكب مرتبة وهي تسير بين أيديهما إلى قصر الملك ثم نزلوا ودخلوا القصر جميعاً وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٨١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك لما أخذ الشاب سار هو وإياه بالموكب حتى دخلا القصر ويد الشاب في يد الملك ثم أجلسه على كرسي من الخشب وجلس عنده فلما كشف ذلك الملك اللثام عن وجهه إذا هو جارية كأنها الشمس الضاحية في السماء الصـ ـافية ذات حسـ ـن وجمال وبهاء وكمال وعجب ودلال فنظر الشاب إلى نعمة عظيمة وسـ ـعاد جسـ ـيمة وصـ ـار الشاب متعجباً من حسنها وجمالها ثم قالت له اعلم أيها الملك أني ملكة هذه الأرض وكل هـ ـذه العساكر التي رأيتها وجميع ما رأيته من فارس أو راجل فهو من نساء لـ ـيس فـ ـيهن رجـ ـال والرجال عندنا في هذه الأرض يحرثون ويزرعون ويحصدون ويشـ ـتغلون بعمـ ـارة الأرض وعمارة البلاد ومصالح الناس من سائر الصناعات وأما النساء فهن الحكام وأرباب المناصـ ـب والعساكر فتعجب الشاب من ذلك غاية العجب فبينما هم كذلك وإذا بالوزير قد دخل وإذا هـ ـي عجوز شمطاء وهي محتشمة ذات هيبة ووقارب فقالت لها الملكـ ـة احضـ ـري لنـ ـا القاضـ ـي والشهود فمضت العجوز لذلك ثم عطفت الملكة على الشاب تنادمه وتؤانسه وتزيـ ـل وحشـ ـته بكلام لطيف ثم أقبلت عليه وقالت له أترضى أن أكون لك زوجة فقام وقبل الأرض بين يديها فمنعته فقال لها يا سيدتي أنا أقل من الخدم الذين يخدمونك فقالت له أما ترى جميع ما نظرتـ ـه من الخدم والعساكر والمال والخزائن والذخائر فقال لها نعم فقالت له جميع ذلك بـ ـين يـ ـديك تتصرف فيه بحيث تعطي وتهب ما بدا لك ثم أنها أشارت إلى باب مغلق وقالت له جميع ذلك تتصرف فيه إلا هذا الباب فلا تفتحه وإذا فتحته ندمت حيث لا ينفعك الندم فما استتمت كلامها إلا والوزير والقاضي والشهود معها فلما حضروا وكلهن عجائز ناشرات الشعر على أكتافهن وعليهن هيبة وقار قال فلما أحضرن بين يدي الملكة أمرتهن أن يعقدن العقد بالتزويج فزوجنها

الشاب وعملت الولائم وجمعت العساكر فلما أكلوا وشربوا دخل عليها ذلك الشاب فوجدها بكراً عذراء فأزال بكارتها وأقام معها سبعة أعوام في ألذ عيش وأرغده وأهناه وأطيبه فتذكرت ذات يوم من الأيام فتح الباب ونقال لولا أن يكون فيه ذخائر جليلة أحسن مما رأيت ما منعتني عنه ثم قام وفتح الباب وإذا داخله الطائر الذي حمله من ساحل البحر وحطه في الجزيرة فلما نظره ذلك الطائر قال له لا مرحباً بوجه لا يفلح أبداً فلما نظره وسمع كلامه هـ رب منـ ـه فتتبعـ ـه وخطفه وطار به بين السماء والأرض مسافة ساعة وحطه في المكان الذي خطفه منه ثم غاب عنه فجلس مكانه ثم رجع إلى عقله وتذكر ما نظره قبل ذلك من النعمـ ـة والعـ ـز والكرامـ ـة وركوب العسكر أمامه والأمر والنهي فجعل يبكي وينتحب ثم أقام على ساحل البحـ ـر الـ ـذي وضعه فيه ذلك الطائر مدة شهرين وهو بتمنى أن يعود إلى زوجته فبينما هو ذات ليلـ ـة مـ ـن الليالي سهران حزين متفكر وإذا بقائل يقول وهو يسمع صوته ولا يرى شخصه وهو ينادي ما أعظم اللذات هيهات هيات أن يرجع غليك ما فات فأكثر الحسرات فلما سمعه ذلك الساب يئس من لقاء تلك الملكة ومن رجوع النعمة التي كان فيها إليه ثم دخل الدار التي كان فيها المشايخ وعلم أنهم قد جرى لهم مثل ما جرى له وهذا الذي كان سبب بكائهم وحزنهم فعذرهم بعد ذلك ثم أن الشاب أخذ الحزن والهم ودخل ذلك المجلس ومازال يبكـ ـي وينـ ـوح وتـ ـرك المأكـ ـل والمشرب والروائح الطيبة والضحك إلى أن مات ودفنوه بجانب المشايخ فاعلم أيها الملـ ـك أن العجلة ليست محمودة وإنما هي تورث الندامة وقد نصحتك بهذه النصيحة فلما سمع الملك ذلك الكلام أتعظ به وانتصح ورجع عن قتل ولده وأدرك شهرزاد الصباح فسـ ـكتت عـ ـن الكـ ـلام المباح.

(وفي ليلة ٥٨٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك لما سمع حكاية الوزير رجع عن قتل ولده فلمـ ـا كان في اليوم السادس دخلت الجارية على الملك وفي يدها سكين مسلولة وقالت اعلم يا سيدي أنك لم تقبل شكايتي وترع حقك وحرمتك فيمن تعدى على وهم وزراؤك الذين يزعمـ ـون أن النساء صاحبات حيل ومكر وخديعة ويقصدون بذلك ضياع حق وإهمال الملك النظر في حقي وها أنا أحقق بين يديك أن الرجال أمكر من النساء بحكاية ابن ملك من الملوك حيـ ـث خـ ـلا بزوجة تاجر فقال لها الملك وأي شيء جري لهه معها فقالت بلغني أيها الملك السعيد أنه كان تاجر من التجار غيوراً وكان عنده زوجة ذات حسن وجمال فمن كثرة خوفه وغيرته عليها لم يسكن بها في المدائن وإنما عمل لها خارج المدينة قصراً منفرداً وحده عن البنيان وقد أعلـ ـى بنيانه وشيد أركانه وحصن أبوابه وأحكم أقفاله فإذا أراد الذهاب إلى المدينة قفل الأبواب وأخذ مفاتيحها معه وعلقها في رقبته فبينما هو يوماً من الأيام في المدينة إذ خرج ابن ملـ ـك تلـ ـك المدينة يتنزه خارجها ويتفرج على الفضاء فنظر ذلك الخلاء وصار يتأمل فيه زمانـ ـاً طـ ـويلاً

فلاح لعينه ذلك القصر فنظر فيه جارية عظيمة تطل من بعض طيقان القصر فلما نظرها صار متحير في حسنها وجمالها وأراد الوصول إليها فلم يمكنه ذلك فدعا بغلام من غلمانه فأتاه بدواة وورقة وكتب فيها شرح حاله من المحبة وجعلها في سنان نشابة ثم رمى النشابه داخل القصر فنزلت عليها وهي تمشي في بستان فقالت لجارية من جواريها أسرعي إلى هذه الورقة وناولينيها وكانت تقرأ الخط فلما قرأتها وعرفت ما ذكره لها من الذي أصابه من المحبة والشوق والغرام كتبت له جواب ورقته وذكرت له أنه قد وقع عندها من المحبة أكثر مما عنده ثم طلت له من طاقة القصر فرأته فألقت إليه الجواب واشتد بها الشوق فلما نظر إليها جاء تحت القصر وقال ارمي من عندك خيطاً لأربط فيه هذا المفتاح حتى تأخذيه عندك فرمت له خيطاً وربط فيه المفتاح ثم انصرف إلى وزرائه فشكا إليهم محبة تلك الجارية وأنه قد عجز عن الصبر عنها فقال له بعضهم وما التدبير الذي تأمرني به فقال له ابن الملك أريد منك أن تجعلني في صندوق وتودعه عند هذا التاجر في قصره وتجعل أن ذلك الصندوق لك حتى أبلغ أربي من تلك الجارية مدة أيام ثم تسترجع ذلك الصندوق فقال له الوزير حباً وكرامة ثم أن ابن الملك لما توجه إلى منزله جعل نفسه داخل صندوق كان عنده وأغلق الوزير عليه وأتى به إلى قصر التاجر فلما حضر التاجر بين يدي الوزير قبل يده وقال له التاجر لعل لمولانا الوزير خدمة أو حاجة نفوز بقضائها فقال له الوزير أريد منك أن تجعل هذا الصندوق في أعز مكان عندك فقال التاجر للحمالين أحملوه فحملوه ثم أدخله التاجر في القصر ووضعه في خزانة عنده ثم بعد ذلك خرج إلى بعض أشغاله فقامت الجارية إلى الصندوق وفتحته بالمفتاح الذي معها فخرج أكل وشرب مدة سبعة أيام وكلما يحضر زوجها تجعله في الصندوق وتقفل عليه فلما كان في بعض الأيام سأل الملك عن ولده فخرج الوزير مسرعاً إلى منزل التاجر وطلب منه الصندوق وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٨٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير لما حضر إلى منزل التاجر طلب الصندوق فجاء التاجر إلى قصره على خلاف العادة وهو مستعجل وطرق الباب فأحست به الجارية فأخذت ابن الملك وأدخلته في الصندوق وذهلت عن قفله فلما وصل التاجر إلى المنزل هو والحمالون حملوا الصندوق من غطائه فانفتح فنظروا فيه فإذا فيه ابن الملك راقداً فلما رآه التاجر وعرفه خرج إلى الوزير وقال له ادخل أنت وخذ ابن الملك فلا يستطيع أحداً منا أن يمسكه فدخل الوزير وأخذه ثم أنصرفوا جميعاً فلما انصرفوا طلق التاجر الجارية وأقسم على نفسه أن لا يتزوج أبداً وبلغني أيضاً أيها الملك أن رجلاً من الظرفاء دخل السوق فوجد غلاماً ينادي عليه للبيع فاشتراه وجاء به إلى منزله وقال لزوجته استوصي به فأقام الغلام مدة من الزمان فلما كان في بعض الأيام قال الرجل لزوجته أخرجي غداً إلى البستان وتفرجي

وتنزهي وانشرحي فقالت حباً وكرامة فلما سمع الغلام ذلك عمداً إلى طعام وجهزه في تلك الليلة وإلى شراب ونقل وفاكهة ثم توجه إلى البستان وجعل ذلك الطعام تحت شجرة وجعل ذلك الشراب تحت شجرة والفواكه والنقل تحت شجرة في طريق زوجة سيده فلما أصبح الصباح أمر الرجل الغلام أن يتوجه مع سيدته إلى ذلك البستان وأمر بما يحتاجون إليه من المأكل والمشرب والفواكه ثم طلعت الجارية وركبت فرساً والغلام معها حتى وصلوا إلى ذلك البستان فلما دخلوا نعق غراب فقال له الغلام صدقت فقالت له سيدته هل أنت تعرف ما يقول الغراب فقال لها نعم يا سيدتي قالت له فما يقول قال لها يا سيدتي يقول أن تحت هذه الشجرة طعاماً تعالوا كلوه فقالت له أراك تعرف لغات الطير فقال لها نعم فتقدمت الجارية إلى تلك الشجرة فوجدت طعاماً مجهزاً فلما أكلوه تعجبت منه غاية العجب وأعتقدت أنه يعرف لغات الطير فلما أكلوا ذلك الطعام تفرجوا في البستان فنعق الغراب فقال له الغلام صدقت فقالت له سيدته أي شيء يقول قال يا سيدتي يقول أن تحت الشجرة الفلانية كوز ماء ممسك وخمراً عتيقاً فذهبت هي وإياه فوجدا ذلك فتزايدت عجباً وعظم الغلام عندها فقعدت مع الغلام يشربان فلما شربا مشياً في ناحية البستان فنعق الغراب فقال له الغلام صدقت فقالت له سيدته أي شيء يقول هذا الغراب قال يقول أن تحت الشجرة الفلانية فواكه ونقلا فذهبا إلى تلك الشجرة فوجدا ذلك فأكلا من تلك الفواكه والنقل ثم مشيا في البستان فنعق الغراب فأخذ الغلام حجرا ورماه به فقالت مالك تضربه وما الذي قاله قال ياسيدتي أنه يقول كلاما ماً أقدر أن أقوله قالت قل ولا تستح مني أنا ما بيني وبينك شيء فصار يقول لا وهي تقول قل ثم أقسمت عليه فقال لها أنه يقول لي افعل بسيدتك مثل ما يفعل بها زوجها فلما سمعت كلامه ضحكت حتى استلقت على قفاها ثم قالت له حاجتك هينة لا أقدر أن أخالفك فيها ثم توجهت نحو شجرة من الأشجار وفرشت تحتها الفرش ونادته ليقضي لها حاجتها وإذا بسيده خلفه ينظر إليه فناداه وقال له يا غلام ما لسيدتك راقدة هناك تبكي فقال يا سيدي وقعت من فوق شجرة فماتت وما ردها عليك الله سبحانه وتعالى فرقدت ههنا ساعة لتستريح فلما رأت الجارية زوجها فوق رأسها قامت وهي متمردة تتوجع ونقول آه يا ظهري يا جنبي تعالوا إليّ يا أحبابي ما بقيت أعيش فصار زوجها مبهوتاً ثم نادى الغلام وقال له هات لسيدتك الفرس واركبها فلما ركبت أخذ الزوج بركابها والغلام بركابها الثاني ويقول لها الله يعافيك ويشفيك وهذا إليها الملك من جملة حيل الرجال ومكرهم فلا يرد وزراؤك عن نصرتي والأخذ بحقي ثم بكيت فلما رأى الملك بكاءها وهي عنده أعز جواريه أمر بقتل ولده فدخل عليه الوزير السادس وقبل الأرض بين يديه وقال له أعز الله تعالى الملك أني ناصحك ومشير عليك بالتمهل في أمر ولدك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٨٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير السادس قال له أيها الملك تمهل في أمر ولدك فإن الباطل كالدخان والحق مشيد الأركان ونور الحق يذهب ظلام الباطل واعلم أن مكر النساء عظيم وقد قال الله في كتابه العزيز أن كيدهن عظيم وقد بلغني حديث امرأة فعلت مع أرباب الدولة مكيدة ما سبقها بمثلها أحد قط فقال الملك وكيف كان ذلك قال الوزير بلغني أيها الملك أن امرأة من بنات التجار كان لها زوج كثير الأسفار فسافر زوجها إلى بلاد بعيدة وأطال الغيب فزاد عليها الحال فعشقت غلاماً ظريفاً من أولاد التجار وكانت تحبه ويحبها محبة عظيمة ففي بعض الأيام تنازع الغلام مع رجل فشكاه الرجل إلى والي تلك البلد فسجنه فبلغ خبره زوجة التاجر معشوقته فطار عقلها عليه فقامت ولبست أفخر ملبوسها ومضت إلى منزل الوالي فسلمت عليه ودفعت له ورقة تذكر فيها أن الذي سجنته وحبسته هو أخي فلان الذي تنازع مع فلان والجماعة الذين شهدوا عليه قد شهدوا باطلاً وقد سجن في سجنك وهو مظلوم وليس عندي من يدخل علي ويقوم بحالي غيره واسأل من فضل مولانا إطلاقه من السجن فلما قرأ الوالي الورقة ثم نظر إليها فعشقها وقال لها ادخلي المنزل حتى أحضره بين يدي ثم أرسل إليك فتأخذينه فقالت له يا مولانا ليس لي أحد إلا الله تعالى وأنا امرأة غريبة لا أقدر على دخول منزل أحد فقال لها الوالي لا أطلقه لك حتى تدخلي المنزل وأقضي حاجتي منك فقالت له إن أردت ذلك فلابد أن يحضر عندي في منزلي وتقعد وتنام وتستريح نهارك كله فقال لها وأين منزلك فقالت له في الموضع الفلاني ثم خرجت من عنده وقد اشتغل قلب الوالي فلما خرجت دخلت على قاضي البلد وقالت له ياسيدنا القاضي قال لها نعم قالت له انظر في أمري وأجرك على الله فقال لها من ظلمك قالت له ياسيدي لي أخ وليس لي أحد غيره وهو الذي كلفني الخروج إليك لأن الوالي قد سجنه وشهدوا عليه بالباطل أنه ظالم وأنما أطلب منك أن تشفع لي عند الوالي فلما نظرها القاضي عشقها فقال لي ادخلي المنزل عند الجواري واستريحي معنا ساعة ونحن نرسل إلى الوالي بأن يطلق أخاك ولو كنا نعرف الدراهم التي عليه كنا دفعناها من عندنا لأجل قضاء حاجتنا لأنك أعجبتينا من حسن كلامك فقالت له إذا كنت أنت يا مولانا تفعل ذلك فما نلوم الغير فقال لها القاضي إن لم تدخلي منزلنا فأخرجي إلى حال سبيلك فقالت له أن أردت ذلك يامولانا فيكون عندي في منزلي أستر وأحسن من منزلك فإن فيه الجواري والخدم والداخل والخارج وأنا امرأة ما أعرف شيئاً من هذا الأمر لكن الضرورة تحوج فقال لها القاضي وأين منزلك فقالت له في الموضع الفلاني وواعدته على اليوم الذي وعدت فيه الوالي ثم خرجت من عند القاضي إلى منزل الوزير فرفعت إليه قصتها وشكت إليه ضرورة أخيها وأنه سجنه الوالي فراودها الوزير عن نفسها فقال لها نقضي حاجتنا منك ونطلق لك أخاك فقالت له إن أردت ذلك فيكون عندي في منزلي فإنه أستر لي ولك لأن المنزل ليس بعيداً وأنت تعرف ما نحتاج إليه من النظافة والظرافة فقال

لها الوزير وأين منزلك فقالت له في الموضع الفلاني وواعدته على ذلك اليوم ثم خرجت من عنده إلى ملك تلك المدينة ورفعت إليه قصتها وسألته إطلاق أخيها فقال لها من حبسه قالت له حبسه الوالي فلما سمع الملك كلامها رشقته بسهام العشق في قلبه فأمرها أن تدخل معه القصر حتى يرسل إلى الوالي ويخلص أخاها فقالت له أيها الملك هذا أمر يسهل عليك أما باختياري وأما قهراً عني فإن كان الملك أراد ذلك مني فإنه من سعد حظي ولكن إذا جاء إلى منزلي يشرفني بنقل خطواته الكرام كما قال الشاعر

خليلي هل أبصرتما أو سمعتما زيارة من جلت مكارمه عندي

فقال لها الملك لا نخالف لك أمر فواعدته في اليوم الذي واعدت فيه غيره وعرفته منزلها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٨٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن المرأة لما جابت الملك وعرفته منزلها وواعدته على ذلك اليوم الذي واعدت فيه الوالي والقاضي والوزير ثم خرجت من عنده فجاءت إلى رجل نجار وقالت له أريد منك أن تصنع لي خزانة بأربع طبقات بعضها فوق بعض كل طبقة بباب يقفل عليها وأخبرني بقدر أجرتك فأعطيك فقال لها أربعة دنانير وإن أنعمت علي أيتها السيدة المصونة بالوصال فهو الذي أريد ولا آخذ منك شيئاً فقالت له إن كان ولابد فاعمل لي خمس طبقات بأقفالها فقال لها حباً وكرامة وواعدته أن يحضر لها الخزانة في ذلك اليوم بعينه فقال لها النجار يا سيدتي أقعدي حتى تأخذي حاجتك في هذه الساعة وأنا بعد ذلك أجيء على مهلي فقعدت عنده حتى عمل لها الخزانة بخمس طبقات وانصرفت إلى منزلها فوضعتها في المحل الذي فيه الجلوس ثم أنها أخذت أربعة ثياب وحملتها إلى الصباغ فصبغ كل ثوب لوناً وكل لون خلاف الآخر وأقبلت على تجهيز المأكول والمشروب والمشموم والفواكه والطيب فلما جاء يوم الميعاد لبست أفخر ملبوسها وتزينت وتطيبت ثم فرشت المجلس بأنواع البسط الفاخرة وقعدت تنتظر من يأتي وإذا بالقاضي دخل عليها قبل الجماعة فلما رأته قامت واقفة على قدميها وقبلت الأرض بين يديه وأخذته وأجلسته على ذلك الفراش ونامت معه ولاعبته فأراد منها قضاء الحاجة فقالت له ياسيدي أخلع ثيابك وعمامتك وألبس هذه الغلالة الصفراء واجعل هذا القناع على رأسك حتى تحضر المأكول والمشروب وبعد ذلك نقضي حاجتك فأخذت ثيابه وعمامته ولبس الغلالة والقناع وإذا بطارق يطرق الباب فقال لها القاضي من هذا الذي يطرق الباب فقالت له هذا زوجي فقال لها وكيف العمل وأين أروح أنا فقالت له لا تخف فأني أدخلك هذه الخزانة فقال لها أفعلي ما بدا لك فأخذته من يده وأدخلته في الطبقة السفلى وقفلت عليه ثم أنها خرجت إلى الباب وفتحته وإذا هو الوالي فلما رأته قبلت الأرض بين يديه وأخذته بيدها وأجلسته على ذلك الفراش وقالت له يا سيدي أن الموضع موضعك والمحل محلك وأنا

جاريتك ومن بعض خدامك وأنت تقيم هذا النهار عندي فاخلع ما عليك من الملبـوس والـبس هذا الثوب الأحمر فإنه ثوب النوم وقد جعلت على رأسه خلقاً من خرقة كانـت عنـدها فلمـا أخذت ثيابه أتت إليه في الفراش ولاعبته ولاعبها فلما مد يده إليها قالت له يا مولانا هذا النهار نهارك وما أحد يشاركك فيه ولكن من فضلك وإحسانك تكتب لي ورقة بـإطلاق أخـي مـن السجن حتى يطمئن خاطري فقال لها السمع والطاعة على الرأس والعين وكتـب كتابـاً إلـى خازنداره يقول له فيه ساعة وصول هذه المكاتبة إليك تطلق فلاناً من غير إمهال ولا إهمـال ولا تراجع حاملها بكلمة ثم ختمها وأخذتها منه ثم أقبلت تلاعبه علـى الفـراش وإذا بطـارق يطرق الباب فقال لها من هذا قالت زوجي قال وكيف أعمل فقالت له أدخل هذه الخزانة حتـى أصرفه وأعود إليك فأخذته وأدخلته في الطبقة الثانية وقفلت عليه كل هذا والقاضـي يسـمع كلامها ثم خرجت إلى الباب وفتحته وإذا هو الوزير قد أقبل فلما رأته قبلت الأرض بين يديـه وتلقته وخدمته وقالت له يا سيدي لقد شرفتنا بقدومك في منزلنا يا مولانا فلا أعدمنا الله هـذه الطلعة ثم أجلسته على الفراش وقالت له اخلع ثيابك وعمامتك وألبس هذه التخفيفة فخلـع مـا كان عليه وألبسته غلالة زرقاء وطرطور أحمر وقالت له يا مولانا ما ثياب الوزارة فخلعهـا لوقتها وأما في هذه الساعة فهذه ثياب المنادمة والبسط والنوم فلما ألبسها الوزير لاعبته علـى الفراش ولاعبها وهو يريد قضاء الحاجة وهي تمنعه وتقول له يا سيدي هذا ما يفوتنا فبينمـا هم في الكلام وإذا بطارق يطرق الباب فقال لها من هذا فقالت له زوجي فقال لها كيف التدبير فقالت له قم وأدخل هذه الخزانة حتى أصرف زوجي وأعود إليك ولا تخف ثم أنهـا أدخلتـه الطبقة الثالثة وقفلت عليه وخرجت ففتحت الباب وإذا هو الملك دخل فلما رأته قبلـت الأرض بين يديه وأخذت بيده وأدخلته في صدر المكان وأجلسته على الفراش وقالت له شـرفتنا أيهـا الملك ولو قدمنا لك الدنيا وما فيها ما تساوي خطوة من خطواتك إلينا وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٨٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك لما دخل دار المرأة قالت له لو أهدينا لك الـدنيا وما فيها ما تساوى خطوة من خطواتك إلينا فلما جلس على الفراش قالت له أعطني إذنا حتى أكلمك كلمة واحدة فقال لها تكلمي مهما شئت فقالت له استرح يا سيدي وأخلع ثيابك وعمامتك وكانت ثيابه في ذلك الوقت تساوي ألف دينار فلما خلعها ألبسته ثوباً خلقاً قيمته عشرة دراهـم بلا زيادة وأقبلت تؤانسه وتلاعبه هذا كله والجماعة الذين في الخزانة يسمعون ما يحصل منها ولا يقدر أحد أن يتكلم فلما مد الملك يده إلى عنقها وأراد أن يقضي حاجته منها قالت له هـذا الأمر لا يفوتنا وقد كنت قبل الآن وعدت حضرتك بهذا المجلس فلك عندي ما يسرك فبينمـا هما يتحدثان وإذا بطارق يطرق الباب فقال لها من هذا قالت له زوجي فقال لها أصرفيه عنـا

كراماً منه وإلا فاطلع إليه أصرفه قهراً فقالت له لا يكون ذلك يا مولانا بل أصبر حتى أصرفه بحسن معرفتي فقال لها وكيف أفعل أنا فأخذته من يده وأدخلته في الطبقة الرابعة وقفلت عليه ثم أخرجت إلى الباب ففتحته وإذا هو النجار فلما دخل وسلم عليها فقالت له أي شيء هذه الخزائن التي عملتها فقال لها مالها يا سيدتي فقالت له أن هذه الطبقة ضيقة فقال لها هذه واسعة فقالت له أدخل وأنظرها فإنها لا تسعك فقال لها هذه تسع أربعة ثم دخل النجار فلما دخل قفلت عليه الطبقة الخامسة ثم أنها قامت وأخذت ورقة الوالي ومضت بها إلى الخازندار فلما أخذها وقرأها قبلها وأطلق لها الرجل عشيقها من الحبس فأخبرته بما فعلته فقال لها وكيف تفعلي قالت له نخرج من هذه المدينة إلى مدينة أخرى وليس لنا بعد هذا الفعل إقامة هنا ثم جهزا ما كان عندهما وحملاه على الجمال وسافرا من ساعتهما إلى مدينة أخرى وأما القوم فإنهم أقيموا في طبقات الخزانة ثلاثة أيام بلا أكل فانحصروا لأن لهم ثلاثة أيام لم يبولوا فبال النجار على رأس السلطان وبال السلطان على رأس الوزير وبال الوزير على رأس الوالي وبال الوالي على رأس القاضي فصاح القاضي وقال أي شيء هذه النجاسة أما يكفينا ما نحن فيه حتى تبولوا علينا فرفع الوالي صوته وقال عظم الله أجرك أيها القاضي فلما سمعه عرف أنه الوالي ثم أن الوالي رفع صوته وقال ما بال هذه النجاسة فرفع الوزير صوته وقال عظم الله أجرك أيها الوالي فلما سمعه الوالي عرف أنه الوزير ثم أن الوزير رفع صوته وقال ما بال هذه النجاسة فرفع الملك صوته وقال عظم الله أجرك أيها الوزير ثم أن الملك لما سمع كلام الوزير عرفه ثم سكت وكتم أمره ثم أن الوزير قال لعن الله هذه المرأة بما فعلت معنا أحضرت جميع أرباب الدولة عندها ما عدا الملك فلما سمعهم الملك قال لهم اسكتوا فأنا أول من وقع في شبكة هذه العاهرة الفاجرة فلما سمع التجار قولهم قال لهم وأنا أي شيء ذنبي قد عملت لها خزانة بأربعة دنانير ذهباً وجئت أطلب الأجرة فأحتالت علي وأدخلتني هذه الطبقة وقفلتها علي ثم أنهم صاروا يتحدثون مع بعضهم وسلوا الملك بالحديث وأزالوا ما عنده من الانقباض فجاء جيران ذلك المنزل فرأوه خالياً فقال بعضهم لبعض بالأمس كانت جارتنا زوجة فلان فيه والآن لم نسمع في هذا الموضع صوت أحد ولا نرى فيه إنسياً فاكسروا هذه الأبواب وانظروا حقيقة الأمر لئلا يسمع الوالي أو الملك فيسجننا فنكون قادمين على أمر لم نفعله قبل ذلك ثم أن الجيران كسروا الأبواب ودخلوا فرأوا خزانة من خشب ووجدوا فيها رجالاً تئن من الجوع والعطش فقالوا لبعضهم هل جني في هذه الخزانة فقال واحد منهم يجمع لها حطباً وتحرقها بالنار فصاح عليهم القاضي وقال لا تفعلوا وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٨٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجيران لما أرادوا أن يحملوا الحطب ويحرقوا الخزانة صاح عليهم القاضي وقال لا تفعلوا ذلك فقال الجيران لبعضهم أن الجن يتصورون ويتكلمون بكلام الإنس فلما سمعهم القاضي قرأ شيئاً من القرآن العظيم ثم قال للجيران أدنوا من الخزانة التي نحن فيها فلما دنوا منها قال لهم أنا فلان وأنتم فلان وفلان ونحن هنا جماعة فقال الجيران للقاضي ومن جاء بك هنا فاعلمنا بالخبر فأعلمهم بالخبر من أوله إلى آخره فأحضروا لهم نجاراً ففتح للقاضي خزانته وكذلك الوالي والوزير والملك والتجار وكل منهم بالملبوس الذي عليه فلما طلعوا نظر بعضهم لبعض وصار كل منهم يضحك على الآخر ثم أنهم خرجوا وطلبوا المرأة فلم يقفوا لها على خبر وقد أخذت جميع ما كان عليهم فأرسل كل منهم إلى جماعته يطلب ثياباً فأحضروا لهم ملبوساً ثم خرجوا مستورين به على الناس فانظر يا مولانا الملك هذه المكيدة التي فعلتها هذه المرأة مع هؤلاء القوم وقد بلغني أيضاً أنه كان رجل يتمنى في عمره أن يرى ليلة القدر فنظر ليلة من الليالي إلى السماء فرأى الملائكة وأبواب السماء قد فتحت ورأى كل شيء ساجد في محله فلما رأى ذلك قال لزوجته يا فلانه أن الله قد أراني ليلة القدر ونذرت إن رأيتها أدعو ثلاث دعوات مستجابات فأنا أشاورك فماذا أقول فقالت المرأة قل اللهم كبّر لي زبري فقال ذلك فصارذكره مثل صرف القرع حتى صار ذلك الرجل لا يستطيع القيام به وكانت زوجته إذا أراد أن يجامعها تهرب منه من موضع إلى موضع فقال لها الرجل كيف العمل فهذه أمنيتك لأجل شهوتك فقالت له أنا ما اشتهي أن يبقى بهذا الطول فرفع الرجل رأسه إلى السماء وقال اللهم أنقذني من هذا الأمر وخلصني منه فصار الرجل ممسوحاً ليس له ذكر فلما رأته زوجته قالت له ليس لي بك حاجة حيث صرت بلا ذكر فقال لها هذا كله من شؤم رأيك وسوء تدبيرك كان لي عند الله ثلاث دعوات أنال بها خيري الدنيا والآخرة فذهبت دعوتان وبقيت دعوة واحدة فقالت ادع الله على ما كنت عليه أولاً فدعا ربه فعاد كما كان فهذا أيها الملك بسبب سوء تدبير المرأة وإنما ذكرت لك ذلك لتتحقق غفلة النساء وسخافة عقولهن وسوء تدبيرهن فلا تسمع قولها وتقتل ولدك مهجة قلبك وتمحو ذكرك من بعدك فانتهى الملك عن قتل ولده وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٨٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك انتهى عن قتل ولده فلما كان في اليوم السابع حضرت الجارية صارخة بين يدي الملك وأضرمت ناراً عظيمة فأتوا بها قدام الملك ماسكين بأطرافها فقال لها الملك لماذا فعلت ذلك قالت له إن لم تنصفني من ولدك القيت نفسي في هذه النار فقد كرهت الحياة وقبل حضوري كتبت وصيتي وتصدقت بمالي وعزمت على الموت فتندم كل الندم كما ندم الملك على عذاب حارسة الحمام فقال لها الملك وكيف كان ذلك فقالت له الجارية بلغني أيها الملك أن امرأة كانت عابدة زاهدة ناسكة وكانت تدخل قصر ملك من

الملوك يتبركون بها وكان لها عندهم حظ عظيم فدخلت يوماً من الأيام ذلك القصر على جري عادتها وجلست بجانب زوجة الملك فناولتها عقداً قيمته ألف دينار وقالت لها يا جارية خذي هذا العقد عندك وأحرسيه حتى أخرج من الحمام فآخذه منك وكان الحمام في القصر فأخذته الجارية وجلست في موضع في منزل الملكة حتى تدخل الحمام الذي عندها في المنزل وتخرج ثم وضعت ذلك العقد تحت سجادة وقامت تصلي فجاء طير وأخذ ذلك العقد وجعله في شق من زوايا القصر وقد خرجت الحارسة لحاجة تقضيها وترجع ولم تعلم بذلك فلما خرجت زوجة الملك من الحمام طلبت العقد من تلك الحارسة فلم تجده وجعلت تفتش عليه فلم تجد له خبراً ولم تقع له على أثر فصارت الحارسة تقول والله يا بنتي ما جاءني أحد وحين أخذته وضعته تحت السجادة ولم أعلم هل أحد من الخدم عاينه واستغفلني وأنا في الصلاة وأخذه والعلم في ذلك لله تعالى فلما سمع الملك بذلك أمر زوجته أن تعذب الحارسة بالنار والضرب الشديد.
وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٨٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك لما أمر زوجته أن تعذب الحارسة بالنار والضرب الشديد عذبتها بأنواع العذاب فلم تقر بشيء ولم تتهم أحداً فبعد ذلك أمر الملك بسجنها وأن يجعلوها في القيود فحبست ثم أن الملك جلس يوماً من الأيام في وسط القصر والماء محدق به وزوجته بجانبه فوقعت عينه على طير وهو يسحب ذلك العقد من شق من زوايا القصر فصاح على جارية عنده فأدركت ذلك الطير وأخذت العقد منه فعلم الملك أن الحارسة مظلومة فندم على ما فعل معها وأمر بإحضارها فلما حضرت أخذ يقبل رأسها ثم صار يبكي ويستغفر ويتندم على ما فعل معها ثم أمر لها بمال جزيل فأبت أن تأخذه ثم سامحته وانصرفت من عنده وأقسمت على نفسها أن لا تدخل منزل أحد وساحت في الجبال والأودية وصارت تعبد الله تعالى إلى أن ماتت وبلغني أيضاً من كيد الرجال وللنساء حكاية أعجب من هذه الحكايات كلها فقال لها الملك هات ما عندك فقالت اعلم أيها الملك أن جارية من جواري الملك ليس لها نظير في زمانها في الحسن والجمال والقد والاعتدال والبهاء والدلال والأخذ بعقول الرجال وكانت تقول ليس لي نظير في زماني وكان جميع أولاد الملوك يخطبونها فلم ترض أن تأخذ واحد منهم وكان اسمها الدنماء وكانت تقول لا يتزوجني إلا من يقهرني في حومة الميدان والضرب والطعان فإن غلبني أحد تزوجته بطيب قلبي وأن غلبته أخذت فرسه وسلاحه وثيابه وكتبت على جبهته هذا عتيق فلانة وكان أبناء الملوك يأتون إليها من كل مكان بعيد وقريب وهي تغلبهم وتعيبهم وتأخذ أسلحتهم وتلسعهم بالنار فسمع بها ابن ملك من ملوك العجم يقال له بهرام فقصدها من مسافة بعيدة وأستصحب معه مالاً وخيلاً ورجالاً وذخائر من ذخائر الملوك حتى وصل إليها فلما حضر عندها أرسل إلى والدها هدية

سنية فأقبل عليه الملك وأكرمه غاية الأكرام ثم أنه أرسل إليه مع وزرائه أنه يريد أن يخطب ابنته فأرسل إليه والدها وقال له يا ولدي أما أبنتي الدنماء فليس لي عليها حكم لأنها أقسمت على نفسها أنها لا تتزوج إلا من يقهرها في حومة الميدان فقال له أبن الملك وأنا ما سافرت من مدينتي إلا على هذا الشرط فقال الملك في غد تلتقي معها فلما جاء الغد أرسل والدها إليها وأستأذنها فلما سمعت ذلك تأهبت للحرب ولبست آلة حربها وخرجت إلى الميدان فخرج ابن الملك إلى لقائها وعزم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٨٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن ابن الملك خرج للقائها وعزم على حربها فتسامعت الناس بذلك فأتت من كل مكان فحضروا في ذلك اليوم وخرجت الدنماء وقد لبست وتمنطقت وتنقبت فبرز لها ابن الملك وهو في أحسن حالة وأتقن آلة من آلات الحرب وأكمل عدة فحمل كل واحد منهما على الآخر ثم تجاولا طويلاً وأعتركا مليا فنظرت منه من الشجاعة والفروسية ما لم تنظره من غيره فخافت على نفسها أن يخجلها بين الحاضرين وعلمت أنه لا محالة غالبها فأرادت مكيدته وعملت له الحيلة فكشفت عن وجهها وإذا هو أضوأ من البدر فلما نظر إليها ابن الملك اندهش فيه وضعفت قوته وبطلت عزيمته فأقتعلته من سرجه وصار في يدها مثل العصفور في مخلب العقاب وهو ذاهل في صورتها لا يدري ما يفعل به فأخذت جواده وسلاحه وثيابه ووسمته بالنار وأطلقت سبيله فلما أفاق من غشيته مكث أياماً لا يأكل ولا يشرب ولا ينام من القهر وتمكن حب الجارية في قلبه فصرف عبيده إلى والده وكتب له كتاباً أنه لا يقدر أن يرجع إلى بلده حتى يظفر بحاجته أو يموت دونها فلما وصلت المكاتبة إلى والده حزن عليه وأراد أن يبعث إليه الجيوش والعساكر فمنعه الوزراء من ذلك وصبروه ثم أن ابن الملك استعمل في حصول غرضه الحيلة فجعل نفسه شيخاً هرماً وقصد بستان بنت الملك لأنها كانت تدخل أكثر أيامها فيه فاجتمع ابن الملك بالخولي وقال له أني رجل غريب من بلاد بعيدة وكنت بعيدة شبابي خولي وإلى الآن أحسن الفلاحة وحفظ الثبات والمشموم ولا يحسه أحد غيري فلما سمعه الخولي فرح به غاية الفرح فأدخله البستان ووصى عليه جماعته فأخذ في الخدمة وتربية الأشجار والنظر في مصالح أثمارها فبينما هو كذلك يوماً من الأيام وإذا بالعبيد قد دخلوا البستان ومعهم البغال عليها الفرش والأواني فسأل عن ذلك فقالوا له أن بنت الملك تريد أن تتفرج على ذلك البستان فمضى وأخذ الحلي والحلل التي كانت معه من بلاده وجاء بها إلى البستان وقعد فيه ووضع قدامه شيئاً من تلك الذخائر وصار يرتعش ويظهر أن ذلك من الهرم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٩٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن ابن ملك العجم لما جعل نفسه شيخاً كبيراً وقعد في البستان ووضع بين يديه الحلي والحلل وأظهر أنه يرتعش من الكبر والهرم والضعف فلما كان بعد ساعة حضر الجواري والخدم ومعهن ابنة الملك في وسطهن كأنها القمر بين النجوم فأقبلن وجعلن يدرن البستان ويقطفن الأثمار ويتفرجن فرأين رجلاً قاعداً تحت شجرة من الأشجار فقصدته وهو ابن الملك ونظرته وإذا به شيخ كبير يرتعش بيديه ورجليه وبين يديه حلي وذخائر من ذخائر الملوك فلما نظرته تعجبن من أمره فسألته عن هذه الحلي ما يصنع به فقال لهن هذا الحلي أريد أن أتزوج به واحدة منكن فتضاحكن عليه وقلن له إذا تزوجتها ما تصنع بها فقال كنت أقبلها قبلة واحدة وأطلقها فقالت له ابنة الملك زوجتك بهذه الجارية فقام إليها وهو يتوكأ على عصا ويرتعش ويتعثر فقبلها ودفع لها ذلك الحلي والحلل ففرحت الجارية وتضاحكن عليه ثم ذهبن إلى منازلهن فلما كان في اليوم الثاني دخلن البستان وجئن نحوه فوجدته جالساً في موضعه وبين يديه حلي وحلل أكثر من الأول فقعدن عنده وقلن له أيها الشيخ ما تصنع بهذا الحلي فقال أتزوج به واحدة منكن مثل البارحة فقالت له ابنة الملك قد زوجتك هذه الجارية فقام إليها وقبلها وأعطاها ذلك الحلي والحلل وذهبن إلى منزلهن فلما رأت ابنة الملك الذي أعطاه للجواري من الحلي والحلل قالت في نفسها أنا كنت أحق بذلك وما على بذلك من تأس فلما أصبح الصباح خرجت من منزلها وحدها وهي في صورة جارية من الجواري وأخفت نفسها إلى أن أتت إلى الشيخ فلما حضرت بين يديه قالت يا شيخ أنا ابنة الملك هل تريد أن تتزوج بي فقال لها حباً وكرامة وأخرج لها من الحلي والحلل ما هو أعلى قدراً وأغلى ثمناً ثم دفعه وقام ليقبلها وهي آمنة مطمئنة فلما وصل إليها قبض عليها بشدة وضرب بها الأرض وأزال بكارتها وقال لها أما تعرفينني فقالت له من أنت فقال لها أنا بهرام ابن ملك العجم قد غيرت صورتي وتغربت عن أهلي ومملكتي من أجلك فقامت من تحته وهي ساكتة لا ترد عليه جوابا ولا تبدي له خطاباً مما أصابها وقالت في نفسها إن قتلته فما يفيد قتله ثم تفكرت في نفسها وقالت ما يسعني في ذلك إلا أن أهرب معه إلى بلاده فجمعت مالها وذخائرها وأرسلت إليه وأعلمته بذلك لأجل أن يتجهز أيضاً ويجمع ما له وتعاهدا على ليلة يسافرا فيها ثم ركبا الخيل الجياد وسارا تحت الليل فما أصبح الصباح حتى قطعا بلاداً بعيدة ولم يزالا سائرين حتى وصلا إلى بلاد العجم قرب مدينة أبيه فلما سمع والده تلقاه بالعساكر والجنود وفرح غاية الفرح ثم بعد أيام قلائل أرسل إلى والد الدنماء هدية سنية وكتب له كتاباً يخبره فيه أن ابنته عنده ويطلب جهازها فلما وصلت الهدايا إليه تلقاها وأكرم من حضر بها غاية الأكرام وفرح بذلك فرحاً شديداً ثم أولم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٩٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك أبا الدنماء فرح فرحاً شديداً وأولم الولائم وأحضر القاضي والشهود وكتب كتابها على ابن الملك وخلع على الرسل الذين حضروا بالكتاب من عند ابن ملك العجم وأرسل إلى بنته جهازها ثم أقام معها ابن ملك العجم حتى فرق الموت بينهما فانظر أيها الملك كيد الرجال للنساء وأنا لا أرجع عن حقي إلى أن أموت فأمر الملك بقتل ولده فدخل عليه الوزير السابع فلما حضر بين يديه قبل الأرض وقال أيها الملك أمهلني حتى أقول لك هذه النصيحة فإن من صبر وتأنى أدرك الأمل ونال ما تمنى ومن استعجل يحصل له الندم وقد رأيت ما تعبرته هذه الجارية من تحميل الملك على ركوب الأهوال والمملوك المغمور من فضلك وأنعامك ناصح لك وأنا أيها الملك أعرف من كيد النساء مالاً يعرفه أحد غيري وقد بلغني من ذلك حديث العجوز وولد التاجر فقال له الملك وكيف كان ذلك يا وزير فقال الوزير بلغني أيها الملك أن تاجراً كان كثير المال وكان له ولد يعز عليه فقال الولد لوالده يوماً من الأيام يا والدي أتمنى عليك أمنية تفرج عني بها فقال له أبوه ما هي يا ولدي حتى أعطيكها ولو كانت نور عيني لأبلغك به مقصودك فقال له الولد أتمنى عليك أن تعطيني شيئاً من المال أسافر به مع التجار إلى بلاد بغداد لأتفرج عليها وأنظر قصور الخلفاء لأن أولاد للتجار وصفوا لي ذلك وقد اشتقت أن أنظر إليها فقال له والده يا بني من له صبر على غيبتك فقال له الولد أنا قلت لك هذه الكلمة ولابد من المسير إليها برضا أو بغير رضا فإنه وقع في نفسي وجد لا يزول إلا بالوصول إليها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٩١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن ابن التاجر قال لأبيه لابد من السفر والوصول إلى بغداد فلما تحقق منه ذلك جهز له متجراً بثلاثين ألف دينار وسفّره مع التجار الذين يثق بهم ووصى عليه التجار ثم أن والده ودعه ورجع إلى منزله ومازال الولد مسافراً مع رفقائه التجار إلى أن وصلوا إلى مدينة بغداد دار السلام فلما بلغوها دخل الولد سوقها وأكترى له داراً حسنة مليحة أذهلت عقله وأدهشت ناظره فيها الطيور تغرد والمجالس يقابل بعضها بعضاً وأرضها مرخمة بالرخام الملون وسقوفها مذهبة باللازورد المعدني فسأل البواب عن مقدار أجرتها كم في الشهر فقال له عشرة دنانير فقال له الولد هل أنت تقول حقاً أو تهزأ بي فقال له البواب والله لا أقول إلا حقاً فإن كل من سكن هذه الدار لا يسكنها إلا جمعة أو جمعتين فقال له الولد وما السبب في ذلك فقال يا ولدي كل من سكنها لا يخرج منها إلا مريضاً أو ميتاً وقد اشتهرت هذه الدار بهذه الأشياء عند جميع الناس فلم يقدم أحد على سكنها وقد قلت أجرتها لهذا القدر فلما سمع الولد ذلك تعجب منه غاية العجب وقال لابد أن يكون لهذه الدار سبب من الأسباب حتى يحصل فيها ذلك المرض أو الموت ثم تفكر الولد في نفسه

واستعاذ بالله من الشيطان الرجيم وأزال ذلك الوهم من خاطره وسكنها وباع واشترى ومضى عليه مدة أيام وهو مقيم في الدار ولم يصبه شيء مما قال له ذلك البواب فبينما هو جالس يوماً من الأيام على باب الدار أذمرت عليه عجوز شمطاء كأنها الحية الرقطاء وهي تكثر من التسبيح والتقديس وتزيل الحجارة والأذى من الطريق فرأت الولد جالساً على الباب فنظرت إليه وتعجبت من أمره فقال لها الولد يا أمرأة هل تعرفينني أو تشبهين علي فلما سمعت كلامه هرولت إليه وسلمت عليه وقالت له كم لك ساكناً في هذه الدار فقال لها يا أمي مدة شهرين فقالت من هذا تعجبت وأنا يا ولدي لا أعرفك ولا تعرفني ولا شبهت عليك بل أني تعجبت من أنه لا أحد غيرك يسكنها إلا ويخرج منها ميتاً أو مريضاً وما أشك أنك يا ولدي مخاطر بشبابك هلا طلعت القصر ونظرت من المنظرة التي فيه ثم أن العجوز مضت إلى حال سبيلها فلما فارقته العجوز صار الولد متفكراً في كلامها وقال في نفسه أنا ما طلعت أعلى القصر ولا أعلم أن به منظرة ثم دخل من وقته وساعته وجعل يطوف في أركان البيت حتى رأى في ركن منها باباً لطيفاً معششاً عليه العنكبوت بين الأشجار فلما رآه الولد قال في نفسه لعل العنكبوت ما عشش على هذا الباب إلآ لأن المنية داخله فتمسك بقول الله تعالى قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا ثم فتح ذلك الباب وطلع في سلم لطيف حتى وصل إلى أعلاه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٩٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الغلام طلع السلم حتى وصل إلى أعلاه فرأى منظرة فجلس فيها يستريح ويتفرج فنظر على موضع لطيف نظيف بأعلاه مقعد صيف يشرف على جميع بغداد وفي ذلك المقعد جارية كأنها حورية فأخذت بمجامع قلبه وذهبت بعقله ولبه وأورثته ضر أيوب وحزن يعقوب فلما نظرها الولد وتأملها بالتحقيق قال في نفسه لعل الناس يذكرون أنه لا يسكن هذه الدار واحداً إلا مات أو مرض بسبب هذه الجارية فياليت شعري كيف يكون خلاصي فقد ذهب عقلي ثم نزل من أعلى القصر متفكراً في أمره فجلس في الدار فلم يستقر قراره ثم خرج وجلس على الباب متحيراً في أمره وإذا بالعجوز ماشيه وهي تذكر وتسبح في الطريق فلما رآها الولد قام واقفاً على قدميه وبدأها بالسلام والتحية وقال لها ياأمي كنت بخير وعافية حتى أشرت علي بفتح الباب فرأيت المنظرة وفتحتها ونظرت من أعلاها فرأيت ما أدهشني والآن أظن أني هالك وأنا أعلم أنه ليس لي طبيب غيرك فلما سمعته ضحكت وقالت له لا بأس عليك أن شاء الله تعالى فلما كلمته بذلك الكلام قام الولد ودخل الدار وخرج لها وفي كمه مائة دينار وقال لها خذيها يا أمي وعامليني معاملة السادات للعبيد وبالعجل أدركيني وإذا مت فأنت المطالبة بدمي يوم القيامة فقالت له العجوز حباً وكرامة وإنما أريد منك يا ولدي أن تساعدني بمعاملة لطيفة فيها تبلغ مرادك فقال لها وما تريدين يا أمي

فقالت أريد منك أن تعينني وتروح إلى سوق الحرير وتسأل عن دكان أبي الفتح بن قيدام فـ إذا دلوك عليه فأقعد على دكانه وسلم عليه وقول له أعطيني القناع الذي عندك مرسوماً بالـ ذهب فإنه ما عنده في دكانه أحسن منه فاشترى منه يا ولدي بأغلى ثمن واجعله عندك حتى أحضر إليك في غد إن شاء الله تعالى ثم أن العجوز انصرفت وبات الولد تلك الليلة يتقلب على جمـ ر الغضى فلما أصبح الصباح أخذ الولد في جيبه ألف دينار وذهب بها إلى سوق الحرير وسـ أل عن دكان أبي الفتح فأخبره به رجل من التجار فلما وصل إليه رأى بين يديه غلمانـ اً وخـ دماً وحشماً ورأي عليه وقاراً وهو في سعة مال ومن تمام نعمته تلك الجارية التي ما مثلها عنـ د أبناء الملوك ثم أن الولد لما نظره سلم عليه فرد عليه السلام ثم أمره بالجلوس فجلـ س عنـ ده فقال له الولد يا أيها التاجر أريد منك القناع الفلاني لأنظره فأمر التاجر العبد أن يأتيه بربطـ ة من الحرير من صدر الدكان فأتاه بها ففتحها وأخرج منها عدة قناعات فتحير الولد من حسنها ورأى ذلك القناع بعينه فاشتراه بخمسين ديناراً وانصـ رف بـ ـه مسـ روراً إلـ ى داره وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٩٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الولد لما اشترى القناع من التاجر أخذه وانصرف بـ ـه إلى داره وإذا هو بالعجوز قد أقبلت فلما رآها قام لها على قدميه وأعطاها ذلك القناع ثم قالت له أحضر لي جمرة نار فأحضر الولد النار فقربت طرف القناع من الجمرة فأحرقت طرفه ثم طوته كما كان وأخذته وأنصرفت به إلى بيت أبي الفتح فلما وصلت طرقت الباب فلما سمعت الجارية صوتها قامت وفتحت الباب وكانت للعجوز صحبة بأم الجارية وهي تعرفهـ ا وذلـ ك بسبب أنها رفيقة أمها فقالت لها الجارية وما حاجتك يا أمي أن والدتي خرجت من عندي إلـ ى منزلها فقالت لها العجوز يا بنتي أنا عارفة أن أمك ليست عندك وأنا كنت عندها في الدار وما جئت إليك إلا خوف فوات وقت الصلاة فأريد الوضوء عندك فإني أعلم منـ ك أنـ ك نظيفـ ة ومنزلك طاهر فأذنت لها الجارية بالدخول عندها فلما دخلت سلمت عليها ودعت لها ثم أخذت الأبريق ودخلت بيت الخلاء ثم توضأت وصلت في موضع وقامت بعد ذلك للجارية وقالت لها يا بنتي أظن أن هذا الموضع الذي صليت فيه مشى فيه الخدم وأنه نجس فانظري لي موضعاً آخر لأصلي فيه فأني أبطلت الصلاة التي صليتها فأخذتها الجارية من يدها وقالت لها تعالي يا أمي صلي على فرشي الذي يجلس عليه زوجي فلما أوقفتها على الفراش قامت تصلي وتدعو وتركع ثم غافلت الجارية وجعلت ذلك القناع تحت المخدة من غير أن تنظرها ولما فرغت من الصلاة دعت لها وقامت فخرجت من عندها فلما كان آخر النهار دخل التاجر زوجها فجلـ س على الفراش فأتته بطعام فأكل منه كفايته وغسل يديه ثم أتكأ على الوسادة وإذا بطرف القنـ ـاع خارج من تحت المخدة فأخرجه من تحتها فلما نظره عرفه فظن بالجارية بالفحشـ ـاء فناداهـ ـا

وقال لها من أين لك هذا القناع فخلفت له إيماناً وقالت له أنه لم يأتني أحد غيرك فسكت التاجر خوفاً من الفضيحة وقال في نفسه متى فتحت هذا الباب افتضحت في بغداد وأدرك شـ ـهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٩٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن التاجر قال في نفسه متى فتحت هذا الباب افتضحت في بغداد لأن ذلك التاجر كان جليس الخليفة فلم يسعه إلا السكوت ولم يخاطـ ـب زوجتـ ـه بكلمـ ـة واحدة وكان اسم الجارية محظية فناداها وقال لها قد بلغني أن أمك راقدة ضعيفة مـ ـن وجـ ـع قلبها وجميع النساء عندها يتباكين عليها وقد أمرتك أن تخرجي إليها فمضت الجارية إلى أمها فلما دخلت الدار وجدت أمها طيبة فجلست ساعة وإذا بالحمالين قد أقبلوا عليها بنقل حوائجهـ ـا من دار التاجر فنقلوا جميع ما في الدار من الأمتعة فلما رأت ذلك أمها قالت يا بنتي أي شيء جرى لك فأنكرت منها ذلك ثم بكت أمها وحزنت على فراق بنتها من ذلـ ـك الرجـ ـل ثـ ـم أن العجوز بعد مدة من الأيام جاءت إلى الجارية وهي في المنزل فسلمت عليها باشتياق وقالـ ـت لها مالك يا بنتي يا حبيبتي قد شوشت فكري ودخلت على أم الجارية فقالت لها يا أختـ ـي مـ ـا الخبر وما حكاية البنت مع زوجها فإنه قد بلغني أنه طلقها فأي شيء لها من الذنب يوجب هذا كله فقالت لها أم الجارية لعل زوجها يرجع إليها ببركتك فادعى لها يا أختي فإنـ ـك صـ ـوامة قوامة طول ليلك ثم أن البنت لما اجتمعت هي وأمها والعجوز في البيت وتحدثن مع بعضـ ـهن قالت لها العجوز يا بنتي لا تحملي هماً إن شاء الله تعالى أجمع بينك وبين زوجك فـ ـي هـ ـذه الأيام ثم خرجت إلى الولد وقالت له هيأ لنا مجلساً مليحاً فإني آتيك بها في هذه الليلة فـ ـنهض الولد وأحضر ما يحتاجان إليه من الأكل والشرب وقعد في انتظارهما فجاءت العجوز إلـ ـى أم الجارية وقالت لها يا أختي عندنا فرح فارسلي البنت معي لتتفرج ويزول ما بها من الهم والغم ثم أرجع بها إليك مثل ما أخذتها من عندك فقامت أم الجارية وألبستها أفخر ملبوسها وزينتهـ ـا بأحسن الزينة من الحلي والحلل وخرجت مع العجوز وذهبت أمها معها إلى الباب وصـ ـارت توصي العجوز وتقول لها أحذري أن ينظرها أحد من خلق الله تعالى فإنـ ـك تعلمـ ـين منزلـ ـة زوجها عند الخليفة ولا تتعوقي وأرجعي بها في أسرع وقت فأخذتها العجوز إلى أن وصـ ـلت بها إلى منزل الولد والجارية تظن أنه منزل العرس فلما دخلت الدار ووصـ ـلت إلـ ـى قاعـ ـة الجلوس وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٩٥)

قالت بلغني أيها الملك السعد أن الجارية لما دخلت الدار ووصلت إلى قاعـ ـة الجلـ ـوس وثب الولد إليها وعانقها وقبل يديها ورجليها فاندهشت الجارية من حسن الولد وتخيلت أن ذلك المكان وجميع ما فيه من مشموم ومأكول ومشروب منام فلما نظرت العجوز اندهاشها قالـ ـت

لها اسم الله عليك يا بنتي فلا تخافي وأنا قاعدة لا أفارقك ساعة واحدة وأنت تصلحين له وهو يصلح لك فقعدت الجارية وهي في شدة الخجل فلم يزل الولد يلاعبها ويضاحكها ويؤانسها بالأشعار والحكايات حتى انشرح صدرها وانبسطت فأكلت وشربت ولما طاب لهما الشراب أخذت العود وغنت ولحسن الولد مالت وحنت فلما رأى الولد منها ذلك سكر من غير مدام وهانت عليه روحه وخرجت العجوز من عندهم ثم أتتهما في الصباح وصبحت عليهما ثم قالت للجارية كيف كانت ليلتك يا سيدتي فقالت لها كانت طيبة بطول أياديك وحسن تعريفك ثم قالت لها قومي نروح إلى أمك فلما سمع الولد كلام العجوز أخرج لها مائة دينار وقال لها خليها عندي هذه الليلة وخرجت العجوز من عندهما ثم ذهبت إلى والدة الجارية وقالت بنتك تسلم عليك وأم العروسة قد حلفت عليها أنها تبيت عندها هذه الليلة فقالت لها أمها يا أختي سلمي عليهما وإذا كانت الجارية منشرحة لذلك فلا بأس بنياتها حتى تنبسط وتجيء على مهلها ما أخاف عليها إلا من القهر من جهة زوجها ومازالت العجوز تعمل لأم الجارية حيلة بعد حيلة إلى أن مكثت سبعة أيام وكل يوم تأخذ من الولد مائة دينار وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٩٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العجوز مكثت أسبوع تأخذ في كل يوم مائة دينار فلما مضت هذه الأيام قالت أم الجارية للعجوز هات لي بنتي في هذه الساعة فإن قلبي مشغول عليها وقد طالت مدة غيبتها وتوهمت من ذلك فخرجت العجوز من عندها غضبانة من كلامها ثم جاءت إلى الجارية ووضعت يدها في يدها ثم خرجتا من عند الولد وهو نائم على فراشه من سكر المدام إلى أن وصلتا إلى أم الجارية فالتفتت أمها إليها ببسط وانشراح وفرحت بها غاية الفرح وقالت لها يا بنتي أن قلبي مشغول بك ووقعت في حق أختي بكلام أوجعتها به فقالت لها قومي وقبلي يديها ورجليها فإنها كانت لي كالخادم في قضاء حاجتي وإن لم تفعلي ما أمرتك به فما أنا بنتك ولا أنت أمي فقامت من وقتها وصالحتها ثم أن الولد قام من سكره فلم يجد الجارية لأنه استبشر بما ناله لما بلغ مقصوده ثم أن العجوز ذهبت إلى الولد وسلمت عليه وقالت له ماذا رأيت من فعالي فقال لها نعم ما فعلتيه من الرأي والتدبير ثم قالت له تعالي لنصلح ما أفسدنا ونرد هذه الجارية إلى زوجها فإننا كنا سبب الفراق بينهما فقال لها وكيف أفعل قالت تذهب إلى دكان التاجر وتقعد عنده وتسلم عليه وأنا أفوت على الدكان فلما تنظرني قم إلى من الدكان بسرعة وأقبض على وأجذبني من ثيابي وأشتمني وخوفني وطالبني بالقناع وقل للتاجر أنت يا مولاي ما تعرف القناع الذي أشتريته منك بخمسين ديناراً فقد حصل يا سيدي أن جاريتي لبسته فاحترق منه موضع من طرفه فأعطته جاريتي لهذه العجوز تعطيه لا حد يرفوه لها فأخذته ومضت ولم أرها من ذلك اليوم فقال لها الولد حباً وكرامة ثم أن الولد

تمشي من وقته وساعته إلى دكان التاجر وجلس عنده ساعة وإذا بالعجوز جائزة على الـ دكان وبيدها سبحة تسبح بها فلما رآها قام على رجليه من الدكان وجذبها من ثيابها وصار يشـ تمها ويسبها وهي تكلمه بلطافة وتقول له يا ولدي أنت معذور فاجتمع أهل السوق عليها وقالوا مـ ا الخبر فقال يا قوم أنني أشتريت من هذا التاجر قناعاً بخمسين ديناراً ولبسته الجاريـ ـة سـ ـاعة واحدة فقعدت تبخره فطارت شرارة فأحرقت طرفه فدفعناه إلى هذه العجوز على أنها تعطيـ ـه لمن يرفوه وترده لنا فمن ذلك الوقت ما رأيناها أبداً فقالت العجوز صدق هذا الولد نعـ م أنـ ي أخذت منه ودخلت به بيتاً من البيوت التي أدخلها على عادتي فنسيته في موضـ ع مـ ن تلـ ك الأماكن ولم أدر في أي موضع هو وأنا امرأة فقيرة وخفت من صاحبه فلم أواجهه كـ ل هـ ذا والتاجر زوج المرأة يسمع كلامهما وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٩٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الولد لما قبض على العجوز وكلمها من قبل القناع كما علمته كان التاجر زوج المرأة يسمع الكلام من أوله إلى آخره فلما أطلع التاجر علـ ى الخبـ ر الذي دبرته هذه العجوز المكاره مع الولد قام التاجر على قدميه ثم قال الله أكبر أني استغفر الله العظيم من ذنوبي وما توهمه خاطري وحمد الله الذي كشف له عن الحقيقة ثم أقبـ ل التـ اجر وقال لها هل تدخلين عندنا فقالت له يا ولدي أنا أدخل عندك وعند غيرك لأجل الحسنة ومـ ن ذلك اليوم لم يعطني أحد غير ذلك القناع فقال التاجر هل سألت أحداً عنه في بيتنا فقالت له يا سيدي أني رحت البيت وسألت فقالوا لي أن أهل البيت قد طلقها التاجر فرجعت ولم أسأل أحداً بعد ذلك إلى هذا اليوم فالتفت التاجر إلى الولد وقال أطلق سبيل هذه العجوز فإن القناع عندي وأخرجه من الدكان وأعطاه للرفاء قدام الحاضرين ثم بعد ذلك ذهب إلى زوجته وأعطاها شيئاً من المال وراجعها إلى نفسه بعد أن بالغ في الاعتذار إليها واستغفر الله وهو لا يـ دري بمـ ا فعلت العجوز فهذا من جملة كيد النساء أيها الملك ثم قال الوزير وقد بلغني أيضاً أيها الملـ ك أن بعض أولاد الملوك خرج منفرداً بنفسه ليتفرج فمر بروضة خضراء ذات أشجار وأثمـ ار وأنهار تجري خلال تلك الروضة فاستحسن الولد ذلك الموضع وجلس فيه وأخرج من النقـ ل الذي كان معه وجعل يأكل فيه فبينما هو كذلك إذ رأى دخاناً عظيماً طالعاً إلى السماء من ذلك المكان فخاف أبن الملك وقام فصعد على شجرة من الأشجار واختفى فيها فلما طلع فوقها رأى عفريتاً طلع من وسط ذلك النهر وعلى رأسه صندوق من الرخام وعليه قفل فوضعه في تلـ ك الروضة وفتح ذلك الصندوق فخرجت منه جارية كأنها الشمس الضاحية في السماء الصـ افية وهي من الأنس فأجلسها بين يديه يتفرج عليها ثم حط رأسه على حجرها فنام فأخذت رأسـ ه وحطتها على الصندوق وقامت تتمشى فلاح منها نظرة إلى تلك الشجرة فـ رأت أبـ ن الملـ ك فأومأت إليه بالنزول فامتنع من النزول فأقسمت عليه وقالت له أن لم تنزل وتفعل بـ ـي الـ ذي

أقوله لك نبهت العفريت من النوم وأعلمته بك فيهلكك من ساعتك فخاف الولد منها فنزل فلم ا نزلت قبلت يديه ورجليه وراودته عن قضاء حاجتها فأجابها إلى سؤالها فلما فرغ من قضد اء حاجتها قالت له أعطني هذا الخاتم الذي بيدك فأعطاها الخاتم فصرته على منديل حرير ك ان معها وفيه عدة من الخواتم تفوق عن ثمانين وجعلت ذلك الخاتم من جملتها فقال لها ابن الملك وما تصنعين بهذه الخواتم التي معك فقالت له أن هذا العفريت اختطفني من قصر أبي وجعلني في هذا الصندوق وقفل علي بقفل معه ووضعني فيه على رأسه حيثما توجه ولا يكاد يصد بر عني ساعة واحدة من شدة غيرته علي ويمنعني مما أشتهيه فلما رأيت ذلك منه حلفت أن ي لا أمنع أحدا من وصالي وهذه الخواتم التي معي على قدر عدة الرجال الذين واصلوني لأن كل من واصلني آخذ خاتمه فاجعله في هذا المنديل ثم قالت له توجه إلى حال سبيلك لانتظر أحد داً غيرك فإنه لا يقم في هذه الساعة فما صدق الولد بذلك إلا وانصرف إلى حال سد بيله حت ى وصل إلى منزل أبيه والملك لم يعلم بكيد الجارية لأبنه ولم تخف من ذلك ولم تحسب له حساباً فلما سمع الملك أن خاتم ولده ضاع أمر أن يقتل ذلك الولد ثم قام من موضعه فدخل قصد ره وإذ بالوزراء رجعوه عن قتل ولده فلما كان ذات ليلة أرسل الملك إل ى الد وزراء ي دعوهم فحضروا جميعاً فقام إليهم الملك وتلقاهم وشكرهم على ما كان منهم من مراجعته في قتله ولده وكذلك شكرهم الولد وقال لهم نعم ما دبرتم لوالدي في بقاء نفسي وسوف أجازيكم بخي ر إن شاء الله تعالى ثم أن الولد بعد ذلك أخبرهم بسبب ضياع خاتمه فدعوا له بطول البقاء وعل و الارتقاء ثم انصرفوا من المجلس فأنظر أيها الملك كيد النساء وما تفعله في الرج ال فرج ع الملك عن قتل ولده فلما أصبح الصباح جلس وفي اليوم الثامن دخل عليه ولده ويده ف ي ي د مؤدبه السندباد وقبل الأرض بين يديه ثم تكلم بأفصح لسان ومدح وال ده ووزراءه وأرب اب دولته وشكرهم وأثنى عليهم وكان حاضراً بالمجلس العلماء والأمراء والجند وأشراف الن اس فتعجب الحاضرون من فصاحة ابن الملك وبلاغته وبراعته في نطقه فلما سمع والده ذلك فرح به فرحاً شديداً زائداً ثم ناداه وقبله بين عينيه ونادى مؤدبه السندباد وسأله عن سد بب صد مت ولده مدة سبعة أيام فقال له المؤدب يا مولانا الإصلاح في أنه لا يتكلم فإني خشيت عليه م ن القتل في تلك المدة وكنت يا سيدي أعرف هذا الأمر يوم ولادته فإني لما رأيت طالع ه دلذ ي على جميع ذلك وقد زال عنه السوء بسعادة الملك ففرح الملك بذلك وقال لوزرائه ل و كن ت قتلت ولدي هل يكون الذنب علي أو على الجارية أو على المؤدب السندباد فسكت الحاضرون عن رد الجواب فقال مؤدب الولد السندباد لولد الملك زد الجواب يا ول دي وأدرك شد هرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٩٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن السندباد لما قال لابن الملك رد الجواب يا ولدي قـ ـال ابن الملك أني سمعت أن رجلاً من التجار حل به ضيف في منزله فأرسل جاريته لتشتري له من السوق لبناً في جرة فأخذت اللبن في جرتها وأرادت الرجوع إلى منزل سيدها فبينما هـ ـي في الطريق إذ مرت عليها حدأة طائرة وفي مخلبها حية تعصرها به فقطرت نقطة من الحيـ ـة في الجرة وليس عند الجارية خبر بذلك فلما وصلت إلى المنزل أخذ السيد منها اللبن وشـ ـرب منه هو وضيوفه فما استقر اللبن في جوفهم حتى ماتوا جميعاً فانظر أيها الملك لمن كان الذنب في هذه القضية فقال أحد الحاضرين الذنب للجماعة الذين شربوا وقال آخر الـ ـذنب للجاريـ ـة التي تركت الجرة مكشوفة من غير غطاء فقال السندباد مؤدب الغلام ما تقول أنت في ذلك يا ولدي فقال ابن الملك أقول أن القوم أخطأوا ليس الذنب للجارية ولا للجماعة وإنما آجال القوم فرغت مع أرزاقهم وقدرت منيتهم بسبب ذلك الأمر فلما سمع ذلك الحاضرون تعجبـ ـوا منـ ـه غاية العجب ورفعوا أصواتهم بالدعاء لابن الملك وقالوا له يا مولانا قد تكلمت بجواب ليس له نظير وأنت عالم أهل زمانك الآن فلما سمعهم ابن الملك قال لهم لست بعالم وأن الشيخ الأعمى وابن الثلاث سنين وابن الخمس سنين أعلم مني فقال له الجماعة الحاضرون حـ ـدثنا بحـ ـديث هؤلاء الثلاثة الذين هم أعلم منك يا غلام فقال لهم ابن الملك بلغني أنه كان تاجر من التجـ ـار كثير الأموال والأسفار إلى جميع البلدان فأراد المسير على بعض البلدان فسأل من جاء منهـ ـا وقال لهم أي بضاعة فيها كثيرة الكسب فقالوا له حطب الصندل فإنه يباع غالياً فاشترى التاجر بجميع ما عنده من المال حطب صندل وسافر إلى تلك المدينة فلما وصل إليها كان قدومه إليها آخر النهار وإذا بعجوز تسوق غنماً لها فلما رأت التاجر قالت له من أنت أيها الرجل فقال لها أنا رجل تاجر غريب فقالت له أحذر زمن أهل هذا البلد فإنهم قوم مكـ ـارون لصـ ـوص وأنهـ ـم يخدعون الغريب ليظفروا به ويأكلوا ما كان معه وقد نصحتك ثم فارقته فلما صـ ـبح الصـ ـباح تلقاه رجل من أهل المدينة فسلم عليه وقال له يا سيدي من أين قدمت فقال له قدمت من البلـ ـد الفلانية قال له ما حملت معك من التجارة قال له خشب صندل فإني سمعت له قيمـ ـة عنـ ـدكم فقال له الرجل لقد أخطأ من أشار عليك بذلك فإننا لا نوقد تحت القدر إلا بذلك الحطب فقيمتـ ـه عندنا هو والحطب سواء فلما سمع التاجر كلام الرجل تأسف وندم وصار بين مصدق ومكذب ثم نزل ذلك التاجر في بعض خانات المدينة وصار يوقد الصندل تحت القدر فلمـ ـا رآه ذلـ ـك الرجل قال اتبع هذا الصندل كل صاع بما تريده نفسك فقال له بعتك فحول الرجل جميـ ـع مـ ـا عنده من الصندل في منزله وقصد البائع أن يأخذ ذهباً بقدر ما يأخذ المشـ ـتري فلمـ ـا أصـ ـبح الصباح تمشى التاجر في المدينة فلقيه رجل أزرق العينين من أهل تلك المدينة وهـ ـو أعـ ـور فتعلق بالتاجر وقال له أنت الذي أتلفت عيني فلا أطلقك أبداً فأنكر التاجر ذلك وقال له إن هذا الأمر لا يتم فاجتمع الناس عليهما وسألوا الأعور المهلة إلى غد و يعطيه ثمـ ـن عينـ ـه فأقـ ـام

الرجل التاجر له ضامناً حتى أطلقوه ثم مضي التاجر وقد انقطع نعله من مجاذبة الرجل الأعور فوقف على دكان الإسكاف ودفعه له وقال له أصلحه ولك عندي ما يرضيك ثم انصرف عنه وإذا بقوم قاعدين يلعبون فجلس عندهم من الهم والغم فسألوه اللعب فلعب معهم فأوقعوا عليه الغلب وغلبوه وخيروه إما أن يشرب البحر وإما أن يخرج من ماله جميعاً فقام التاجر وقال أمهلوني إلى غد ثم مضى التاجر وهو مغموم على ما فعل ولا يدري كيف يكون حاله فقعد في موضع متفكراً مغموماً مهموماً وإذا بالعجوز جائزة عليه فنظرت نحو التاجر فقالت له لعل أهل تلك المدينة ظفروا بك فإني أراك مهموماً من الذي أصابك فحكى لها جميع ما جرى من أوله إلى آخره فقالت له من الذي عمل عليك في الصندل فإن الصندل عندنا قيمته كل رطل بعشرة دنانير ولكن أنا أدبر لك رأياً أرجو به أن يكون لك فيه خلاص نفسك وهو أن تسير نحو الباب الفلاني فإن في ذلك الموضع شيخاً أعمى مقعداً وهو عالم عارف كبير خبير وكل الناس تحضر عنده يسألونه عما يريدونه فيشير إليهم مما يكون لهم فيه الصلاح لأنه عارف بالمكر والسحر والنصب وهو شاطر فتجتمع الشطار عنده بالليل فاذهب عنده واخف نفسك من غرمائك بحيث تسمع كلامهم ولا يرونك فأنه يخبرهم بالغالبة والمغلوبة لعلك تسمع منه حجة تخلصك من غرمائك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٩٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العجوز قالت للتاجر اذهب الليلة إلى العالم الذي يجتمع عليه أهل البلد وأخف نفسك لعلك تسمع منه حجة تخلصك من غرمائك فانصرف التاجر من عندها إلى الموضع الذي أخبرته به وأخفى نفسه ثم نظر إلى الشيخ وجلس قريباً منه فما كان إلا ساعة وقد حضر جماعته الذين يتحاكمون عنده فلما صاروا بين يدي الشيخ سلموا عليه وسلم بعضهم على بعض وقعدوا حوله فلما رآهم التاجر ووجد غرماءه الأربعة من جملة الذين حضروا فقدم لهم الشيخ شيئاً من الأكل فأكلوا ثم أقبل كل واحد منهم يخبره بما جرى له في يومه فتقدم صاحب الصندل وأخبر الشيخ بما جرى له في يومه من أنه اشترى صندلاً من رجل بغير قيمته واستقر البيع بينهما على ملء صاع مما يحب فقال له الشيخ قد غلبك خصمك فقال له كيف يغلبني قال الشيخ إذا قال لك أنا آخذ ملئها ذهباً أو فضة فهل أنت تعطيه قال نعم أعطيه وأكون أنا الرابح فقال له الشيخ فإذا قال لك أنا آخذ ملء صاع براغيث النصف ذكور والنصف أناث فماذا تصنع فعلم أنه مغلوب ثم تقدم الأعور وقال يا شيخ أني رأيت اليوم رجلاً أزرق العينين وهو غريب البلاد فتقاربت إليه وتعلقت به وقلت له أنت قد أتلفت عيني وما تركته حتى ضمنه لي جماعة أنه يعود إلي ويرضيني في عيني فقال له الشيخ لو أراد غلبك لغلبك قال وكيف يغلبني قال يقول لك أقلع عينك وتكون أنت أعمى ويكون هو بصيراً بعينه الثانية فعلم أنه يغلبه بهذه الحجة ثم تقدم الإسكاف وقال له يا شيخ أني رأيت رجلاً أعطاني

نعله وقال لي أصلحه فقلت له ألا تعطيني الأجرة فقال لي أصلحه ولك عندي ما يرضيك وأنا لا يرضيني إلا جميع ماله فقال له الشيخ إذا أراد أن يأخذ نعله منك ولا يعطيك شيئاً أخذه فقال له وكيف ذلك قال يقول لك أن السلطان هزمت أعداؤه وضـ عفت أضـ داده وكثـ رت أولاده وأنصاره أرضيت أم لا فإن قلت رضيت أخذ نعله منك وانصرف وإن قلـ ت لا أخـ ذ نعلـ ه وضرب به وجهك وقفاك فاعلم أنه مغلوب ثم تقدم الرجل الذي لعب معه بالمراهنة وقال له يا شيخ أني لقيت رجلاً فراهنته وغلبته فقلت له إن شربت هذا البحر فأنا أخرج عن جميع مـ الي لك وأن تشربه فأخرج عن جميع مالك لي فقال له الشيخ لو أراد غلبك لغلبك فقال له وكيـ ف ذلك قال يقول لك امسك لي فم البحر بيدك وناوله لي وأنا أشربه فلا تستطيع ويغلبـ ك بهـ ذه الحجة فلما سمع التاجر ذلك عرف ما يحتج به على غرمائه ثم قاموا من عند الشيخ وانصرف التاجر إلى محله فلما أصبح الصباح أتاه الذي راهنه على شرب البحر فقال له التاجر نـ اولني فم البحر وأنا أشربه فلم يقدر فغلبه التاجر وفدى الراهن نفسه بمائة دينار وانصرف ثم جـ اءه الإسكاف وطلب منه ما يرضيه فقال له التاجر أن السلطان غلـ ب أعـ داءه وأهلـ ك أضـ داده وكثرت أولاده وأنصاره أرضيت أم لا قال نعم رضيت فأخذ مركوبه بلا أجرة وانصرف ثـ م جاءه الأعور وطلب منه دية عينه فقال له التاجر أقلع عينك وأنا أقلع عيـ ي وتزنهمـ ا فـ إن استوتا فأنت صادق فخذ دية عينك فقال له الأعور أمهلني ثم صالح التاجر على مائـ ة ديـ ار وانصرف ثم جاءه الذي اشترى الصندل فقال له خذ ثمن صندلك فقال له أي شـ يء تعطيـ ي فقال له قد أتفقنا على أن صاعاً صندلاً بصاع من غيره فإن أردت خذ ملأه ذهباً أو فضة قال التاجر أنا لا آخذ إلا ملئه براغيث النصف ذكوراً والنصف أناث فقال له أنا لا أقدر على شيء من ذلك فغلبه التاجر وفدى المشتري نفسه بمائة دينار بعد أن رجع له صندله وبـ اع التـ اجر الصندل كيف أراد وقبض ثمنه وسافر من تلك المدينة إلى بلـ ده وأدرك شـ هرزاد الصـ باح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٠٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الرجل التاجر لما باع صندله وقبض ثمنه سـ افر مـ ن تلك المدينة إلى مدينته ثم قال ابن الملك وأما ابن الثلاث سنين فإنه كان رجل فاسـ ق مغـ رم بالنساء قد سمع بامرأة ذات حسن وجمال وهي ساكنة في مدينة غير مدينته فسافر إلى المدينة التي هي فيها وأخذ معه هدية وكتب لها رقعة يصف لها شدة ما يقاسيه من الشوق والغرام وقد حمله حبه إياها على المهاجرة إليها والقدوم عليها فأذنت له بالذهاب إليها فلمـ ا وصـ ل إلـ ى منزلها ودخل عليها قامت له على قدميها وتلقته بالإكرام والاحترام وقبلت يديه وضيفته ضيافة لا مزيد عليها من المأكول والمشروب وكان لها ولد صغير له من العمر ثلاث سنين فتركتـ ه وأشتغلت بتهيئة الطبائخ فقال لها الرجل قومي بنا ننام فقالت له أن ولدي قاعد ينظرنا فقال لها

هذا ولد صغير لا يفهم ولا يعرف أن يتكلم فقالت له لو علمت معرفته ما تكلمت فلما علم الولد أن الأرز أستوي بكي بكاء شديداً فقالت له أمه ما يبكيك يا ولدي فقال لها أغرف ي لـ ي مـ ن الأرز وأجعلي لي فيه سمناً فغرفت وجعلت عليه السمن فأكل الولد ثم بكى ثانياً فقالت له أمـ ـه مايبكيك يا ولدي فقال لها يا أماه اجعلي لي عليه سكراً فقال له الرجل وقد اغتاظ منه ما أنت إلا ولد مشئوم فقال له الولد والله ما مشئوم إلا أنت حيث تعبت وسافرت من بلد إلى بلد فـ ي طلب الزنا وأما أنا فبكائي من أجل شيء كان في عيني فأخرجته بالدموع وأكلت بعد ذلك أرز أو سمناً وسكراً وقد أكتفيت فمن المشؤوم منا فلما سمع الرجل ذلك خجل من كلام ذلك الولـ ـد الصغير ثم أدركته الموعظة فتاب من وقته وساعته ولم يتعرض لها بشيء وانصرف إلى بلده ولم يزل تائباً إلى أن مات ثم قال ابن الملك وأما ابن الخمس سنين فإنه بلغني أيها الملـ ـك أن أربعة من التجار أشتركوا في ألف دينار وقد خلطوها بينهم وجعلوها في كيس واحد فذهبوا بها ليشتروا بضاعة فلقوا في طريقهم بستاناً حسناً فدخلوه وتركوا الكيس عند حارسة ذلك البستان وقالوا لها لا تدفعي هذا الكيس إلا إذا حضرنا جميعاً فلما دخلوا اتفرجوا في ناحيـ ـة البسـ ـتان وأكلوا وشربوا وانشرحوا فقال واحد منهم أنا معي طيب تعالوا نغسل رؤوسنا من هذا المـ ـاء الجاري ونتطيب قال آخر يحتاج إلى مشط قال آخر نسأل الحارسة لعل أن يكون عندها مشط فقام واحد منهم إلى الحارسة وقال لها ادفعي لي الكيس فقالت له حتـ ـى تحضـ ـروا كلكـ ـم أو يأمرني رفقاؤك أن أعطيك إياه وكان رفقاؤه في مكان بحيث تراهم الحارسة وتسمع كلامهـ ـم فقال الرجل لرفقائه ما هي راضية أن تعطيني شيئاً فقالوا لها أعطيه فلمـ ـا سـ ـمعت كلامهـ ـم أعطته الكيس فأخذه الرجل وخرج هارباً منهم فلما أبطأ عليه جاءوا إلى الحارسة وقالوا لهـ ـا مالك لم تعطيه المشط قالت لهم ما طلب مني إلا الكيس ولم أعطه إياه إلا باذنكم وخرج مـ ـن هنا إلى حال سبيله فلما سمعوا كلام الحارسة لطموا على وجوههم وقبضـ ـوا عليهـ ـا بأيـ ـديهم وقالوا لها نحن ما أذناك إلا بإعطاء المشط فقالت لهم ما ذكر لي مشطاً فقبضوا عليها ودفعوها إلى القاضي فلما حضروا بين يديه قصوا عليه القصة فالزم الحارسة بالكيس والزم بها جماعة من غرمائها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٠١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن القاضي لما ألزم الحارسة بالكيس وألزم بها جماعة من غرمائها خرجت وهي حيرانة لم تعرف طريقاً فلقيها غلام له من العمر خمس سنين فلما رآها الغلام وهي حيرانة قال لها ما بالك يا أماه فلم ترد عليه جواباً واستحقرته لصغر سنه فكـ ـرر عليها الكلام أولاً وثانياً وثالثاً فقالت له أن جماعة دخلوا على البستان ووضعوا عندي كيساً فيه ألف دينار وشرطوا على أن لا أعطي أحداً الكيس إلا بحضروهم كلهم ثـ ـم دخلـ ـوا البسـ ـتان يتفرجون ويتنزهون فيه فخرج واحد منهم وقال لي أعطني الكيس فقلت لـ ـه حتـ ـى يحضـ ـر

رفقاؤك فقال لي قد أخذت الإذن منهم فلم أرض أن أعطيه الكيس فصاح على رفقائه وقال لهم ما هي راضية أن تعطيني شيئاً فقالوا لي أعطيه وكانوا بالقرب مني فأعطيته الكيس فأخذه وخرج إلى حال سبيله فاستبطأه رفقاؤه فخرجوا إليّ وقالوا لأي شيء لم تعطيه المشط فقلت لهم ما ذكر لي مشطاً وما ذكر لي إلا الكيس فقبضوا علي ودفعوني إلى القاضي وألزمني بالكيس فقال لها الغلام أعطيني درهماً آخذ به حلاوة وأنا أقول لك شيئاً يكون فيه الخلاص فأعطته درهماً وقالت له ما عندك من القول فقال لها الغلام أرجعي إلى القاضي وقولي له كان بيني وبينهم أني لا أعطيهم الكيس إلا بحضروهم الأربعة قال فرجعت الحارسة إلى القاضي وقالت له ما قاله لها الغلام فقال لهم القاضي أكان بينكم وبينها هكذا قالوا نعم فقال لهم القاضي أحضروا لي رفيقكم وخذوا الكيس فخرجت الحارسة سالمة ولم يحصل لها ضرر وانصرفت إلى حال سبيلها فلما سمع الملك كلام ولده والوزراء ومن حضر ذلك المجلس قالوا للملك يا مولانا الملك أن ابنك هذا أبرع أهل زمانه فدعوا له وللملك فضم الملك ولده إلى صدره وقبله بين عينيه وسأله عن قضيته مع الجارية فحلف ابن الملك بالله العظيم وبنبيه الكريم أنها هي التي راودته عن نفسها فصدقه الملك في قوله وقال له قد حكمتك فيها إن شئت فاقتلها وإلا فافعل بها ما تشاء فقال الولد لأبيه انفيها من المدينة وقعد ابن الملك مع والده في أرغد عيش وأهناه إلى أن أتاهم هازم اللذات ومفرق الجماعات وهذا آخر ما انتهى إلينا من قصة الملك وولده والجارية والوزراء السبعة.

{حكاية جودر ابن التاجر عمر وأخويه}

وبلغني أيضاً أن رجلاً تاجراً اسمه عمر وقد خلف من الذرية ثلاثة أولاد أحدهم يسمى سالماً والأصغر يسمي جودرا والأوسط يسمى سليماً ورباهم إلى أن صاروا رجالاً لكنه كان يحب جودرا أكثر من أخويه فلما تبين لهما أنه يحب جودرا أخذتهما الغيرة وكرها جودرا فبان لأبيهما أنهما يكرهان أخاهما وكان والدهم كبير السن وخاف أنه إذا مات يحصل لجودر مشقة من أخويه فأحضر جماعة من أهله وأحضر جماعة قائمين من طرف القاضي وجماعة من أهل العلم وقال هاتوا لي مالي وقماشي فأحضروا له جميع المال والقماش فقال يا ناس اقسموا هذا المال والقماش أربعة أقسام بالوضع الشرعي فقسموه فأعطى كل ولد قسماً وأخذ هو قسماً وقال هذا مالي وقسمته بينهم ولم يبق لهم عندي ولا عند بعضهم شيء فإذا مت لا يقع بينهم اختلاف لأني قسمت بينهم الميراث في حال حياتي وهذا المال الذي أخذته أنا فإنه يكون لزوجته أم هذه الأولاد لتستعين به على معيشتها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٠٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن للتاجر لما قسم ماله وقماشه أربعة أقسام أعطى كل ولد من الأولاد الثلاثة قسماً وأخذ هو القسم الرابع وقال هذا القسم يكون لزوجتي أم هـ ذه الأولاد لتستعين به على معيشتها ثم بعد مدة قليلة مات والدهم فما أحد رضي بما فعل والدهم عمـ ر بل طلبوا الزيادة من جودر وقالوا له أن مال أبينا عندك فترافع معهم إلـ ى الحكمـ اء وجـ اء المسلمون الذين كانوا حاضرين وقت القسمة وشهدوا بما علموا ومنعهم الحاكم عـ ن بعضـ هم فخسر جودر جانبا من المال وخسر أخوته كذلك بسبب النزاع فتركوه مدة ثم مكروا به ثانيـ اً فترافع معهم إلى الحكام فخسروا جملة من المال أيضاً من أجل الحكام ومازالوا يطلبون أذيتـ ه من ظالم إلى ظالم وهم يخسرون ويخسر حتى أطعموا جميع ما لهم للظالمين وصار الثلاثـ ة فقراء ثم جاء أخواه إلى أمهما وضحكا عليها وأخذا مالها وضرباها وطرداها فجاءت إلى ابنها جودر وقالت له قد فعل أخواك معي كذا وكذا وأخذا مالي و صارت تدعو عليهما فقـ ال لهـ ا جودر يا أمي لا تدعي عليهما فالله يجازي كلاً منهما بعمله ولكن يا أمـ ي أنـ ا بقيـ ت فقيـ راً وأخواي فقيران والمخاصمة تحتاج لخسارة المال وقد اختصمت أنا وإياهما كثيراً بـ ين يـ دي الحكام ولم يفدنا ذلك شيئا بل خسرنا جميع ما خلفه لنا والدنا وهتكتنا الناس بسبب الشهادة هل بسببك اختصم وإياهما ونترافع إلى الحكام فهذا شيء لا يكون أنما تقعدين عنـ دي والرغيـ ف الذي آكله أخليه لك وأدعي لي والله يرزقني وأتركيهما يلقيان من الله جزاء فعلهمـ ا وتسـ لى بقول من قال:

إن يبـ غ ذو جهـ ل عليـ ك فخلـ ه وأرقـ ب زمـ ان الانتقـ ام البـ اغي

وتجنب الظلم الـ وخيم فلـ و بغـ ى جبـ ل علـ ى جبـ ل لـ دك البـ اغي

وصار يطيب خاطر أمه حتى رضيت ومكثت عنده فأخذ له شبكة وصار يـ ذهب إلـ ى البحر والبرك وإلى كل مكان فيه ماء وصار يذهب كل يوم إلى جهة فصار يعمل يوماً بعشرة ويوماً بعشرين ويوماً بثلاثين ويصرفها على أمه ويأكل طيباً ويشرب طيباً ولا صنعة ولا بيع ولا شراء لا خويه ودخل عليهما الساحق والماحق والبلاء اللاحق وقد ضيعا الذي أخذه مـ ن أمهما وصارا من الصعاليك المعا كيس عريانين فقراء يأتيان إلى أمهما ويتواضعان لها زيادة ويشكوان إليها الجوع وقلب الوالدة رؤوف فتطعمهما عيشاً معفنا وأن كان هناك طبيخ بائـ ت تقول لهما كلاه سريعاً وروحاً قبل أن يأتي أخوكما أنه ما يهون عليـ ه ويقسـ ي قلبـ ه علـ ى وتفضحاني معه فيأكلان باستعجال ويروحان فدخلا على أمهما يوماً من الأيام فحطـ ت لهمـ ا طبيخاً وعيشاً ليأكلا وإذا بأخيهما جودر داخل فاستحت أمه وخجلت منه وخافـ ت أن يغضـ ب عليها وأطرقت رأسها إلى الأرض حياء من ولدها فتبسم في وجوههم وقال مرحباً يا أخـ واي نهار مبارك ماذا جرى حتى زرتماني في هذا النهار المبارك وأعتنقهم ووادهما وصار يقـ ول

ما كان رجائي أن توحشاني ولا تجيئا عندي ولا تطلا على ولا على أمكما فقالا والله يا أخانا أننا اشتقنا إليك ولا منعنا إلا الحياء مما جرى بيننا وبينك ولكن ندمنا كثيراً وهذا فعل الشيطان لعنه الله تعالى ولا لنا بركة إلا أنت وأمنا وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٠٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن جودر قال لأمه أفطري أنت وأخواي ثم ذهب إلى البحر ورمي الشبكة أولاً وثانياً وثالثاً وتنقل ومازال كذلك إلى العصر ولم يقع له شيء فحمل الشبكة ومشى مقهوراً وطريقة لا يكون إلا على الخباز فلما وصل جودر رآه الخباز فعد له العيش والفضة وقال له تعالى خذ وروح أن ما كان معك في اليوم يكون في غد فأراد أن يعتذر له فقال له رح مثلي ما يحتاج لعذر لو كنت اصطدت شيئاً كان معك فلما رأيتك فارغاً علمت أنه ما حصل لك شيء وإن كان في غد لم يحصل لك شيء تعال خذ عيشاً ولا تستح وعليك مهل ثم أنه ثالث يوم تابع البرك إلى العصر فلم ير فيها شيئاً فراح إلى الخباز وأخذ منه العيش والفضة ومازال على هذه الحالة مدة سبعة أيام ثم أنه تضايق فقال في نفسه رح اليوم إلى بركة قارون ثم أنه أراد أن يرمي الشبكة فلم يشعر إلا وقد أقبل عليه مغربي راكب على بغلة وهو لابس حلة عظيمة وعلى ظهر البغلة خرج مزركش وكل ما على البغلة مزركش فنزل من فوق ظهر البغلة وقال السلام عليك يا جودر يا ابن عمر فقال له وعليك السلام يا سيدي الحاج فقال له المغربي يا جودر أن لي عندك حاجة فإن طاوعتني تنال خيراً كثير وتكون بسبب ذلك صاحبي وتقض لي حوائجي فقال له ياسيدي الحاج قول لي أي شيء في خاطرك وأنا أطاوعك وما عندي خلاف فقال له أقرأ الفاتحة فقرأها معه وبعد ذلك أخرج له قيطاناً من حرير وقال له كتفني وشد كتافي شداً قويا وأرمني في البركة وأصبر على قليلاً فإن رأيتني أخرجت يدي من الماء مرتفعة قبل أن أبين فأطرح الشبكة على واجذبني سريعاً وأن رأيتني أخرجت رجلي فاعلم أني ميت فأتركني وخذ البغلة والخرج وامض إلى سوق التجار تجد يهود يا اسمه شميعة فاعطه البغلة وهو يعطيك مائة دينار فخذها واكتم السر ورح إلى حال سبيلك فكتفه كتافاً شديداً فصار يقول له شد الكتاف ثم أنه قال له أدفعني إلى أن ترميني في البركة فدفعه ورماه فيها فغطس ووقف ينتظره ساعة من الزمان وإذا بالمغربي خرجت رجلاه فعلم أنه مات فأخذ البغلة وتركه وراح إلى سوق التجار فرأى اليهودي جالساً على كرسي في باب الحاصل فلما رأى البغلة قال اليهودي أن الرجل هلك ثم قال ما هلكه إلا الطمع وأخذ منه البغلة وأعطاه مائة دينار وأوصاه بكتم السر فأخذ جودر الدنانير وراح فأخذ ما يحتاج إليه من العيش من الخباز وقال له خذ هذا الدينار فأخذه وحسب الذي له وقال له عندي بعد ذلك عيش يومين وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٠٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الخباز لما حاسب جودرا على العيش وقال له بقى لك عندي من الدينار عيش يومين أنتقل من عند الجزار وأعطاه ديناراً آخر وأخذ اللحمة وقال له خل عندك بقية الدينار تحت الحساب وأخذ الخضار وراح فرأى أخويه يطلبان من أمهم شيئاً يأكلانه وهي تقول لهما أصبرا حتى يأتي أخوكما فما عندي شيء فدخل عليهم وقال لهم خذوا كلوا فوقعوا على العيش مثل الغيلان ثم أن جودرا أعطى أمه بقية الذهب وقال خذى يا أمي وإذا جاء أخواي فأعطيهما ليشتريا ويأكلا في غيابي وبات تلك الليلة ولما أصبح أخذ الشبكة وراح إلى بركة قارون ووقف وأراد أن يطرح الشبكة وإذا بمغربي آخر أقبل وهو راكب بغلة ومهيأ أكثر من الذي مات ومعه خرج وحقان في الخرج في كل عين منه حق وقال السلام عليك يا جودر فقال عليك السلام يا سيدي الحاج فقال هل جاءك بالأمس مغربي راكب بغلة مثل هذه البغلة فخاف وأنكر وقال ما رأيت أحد خوفاً أن يقول راح إلى أين فإن قلت له غرق في البركة ربما يقول لي أنت أغرقته فما وسعه إلا الإنكار فقال يا مسكين هذا أخي وسبقني قال ما معي خبر قال أما كتفته أنت ورميته في البركة وقال لك إن خرجت يداي أرم عليّ الشبكة واسحبني بالعجل وإن خرجت رجلاي أكون ميتاً فخذ أنت البغلة وديها إلى اليهودي شميعة وهو يعطيك مائة دينار وقد خرجت رجلاه وأنت أخذت البغلة وأديتها إلى اليهودي وأعطاك مائة دينار فقال حيث أنك تعرف ذلك فلأي شيء تسألني قال مرادي أن تفعل بي ما فعلت بأخي وأخرج له قيطاناً من حرير وقال له كتفني وأرمني وأن جرى لي مثل ما جرى لأخي فخذ البغلة وديها إلى اليهودي وخذ منه مائة دينار فقال له قدم فتقدم فكتفه ودفعته فوقع في البركة فغطس فانتظره ساعة فطلعت رجلاه فقال مات في داهية إن شاء الله تعالى كل يوم يجيئني المغاربة وأنا أكتفهم ويموتون ويكفيني من كل ميت مائة دينار ثم أنه أخذ البغلة وراح فلما رآه اليهودي قال له مات الآخر قال له تعيش رأسك قال هذا جزاء الطماعين وأخذ البغلة منه وأعطاه مائة دينار فأخذها وتوجه إلى أمه فأعطاها إياها فقالت له يا ولدي من أين لك هذا فأخبرها بكل ما جرى فقالت له ما بقيت تروح بركة قارون فأني أخاف من المغاربة فقال لها يا أمي أنا ما أرميهم ألا برضاهم وكيف يكون العمل هذه صنعة يأتينا منها كل يوم مائة دينار وارجع سريعاً فوالله لا أرجع عن ذهابي إلى بركة قارون حتى ينقطع أثر المغاربة ولا يبقى منهم أحد ثم أنه في اليوم الثالث راح ووقف وإذا بمغربي راكب بغلة ومعه خرج ولكنه مهيأ أكثر من الأولين وقال السلام عليك يا جودريا ابن عمر فقال في نفسه من أين كلهم يعرفونني ثم رد عليه السلام فقال هل جاز على هذا المكان مغاربة قال له أثنان قال له أين راحا قال كتفتهما ورميتهما في هذه البركة فغرقا والعاقبة لك أنت الآخر فضحك ثم قال يا مسكين كل حي ووعده ونزل عن البغلة وقال له يا جودر اعمل معي كما عملت معهما وأخرج القيطان الحرير فقال له جودر أدر يديك حتى أكتفك فإني مستعجل وراح على الوقت فأدار لي يديه

فكتفته ودفعته فوقع في البركة ووقف ينتظر وإذا بالمغربي أخرج له يديه وقال له أرم الشبكة يا مسكين فرمى عليه الشبكة وجذبه وإذا هو غامض في يديه سمكتين لونهما أحمر مثل المرجان في كل يد سمكة وقال له افتح الحقين فوضع في كل حق سمكة وسد عليهم فم الحقين ثم أنه حصن جودر وقبله ذات اليمين وذات الشمال في خديه وقال له الله ينجيك من كل شدة والله لولا أنك رميت على الشبكة وأخرجتني لكنت مازلت قابضاً على هاتين السمكتين وأنا غاطس في الماء حتى أموت ولا أقدر أن أخرج من الماء فقال له يا سيدي الحاج بالله عليك أن تخبرني بشأن اللذين غرقا أولاً بحقيقة هاتين السمكتين وبشأن اليهود وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٠٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن جودرا لما سأل المغربي وقال له أخبرني عن اللذين غرقا أولاً قال له يا جودر اعلم أن اللذين غرقا أولاً أخواي أحدهما اسمه عبد السلام والثاني اسمه عبد الأحد وأنا أسمي عبد الصمد واليهودي أخونا اسمه عبد الرحيم وما هو يهودي أنما هو مسلم مالكي المذهب وكان والدنا علمنا الرموز وفتح الكنوز والسحر وصرنا نعالج حتى خدمتنا مردة الجن والعفاريت ونحن أربعة أخوة والدنا اسمه عبد الودود ومات أبونا وخلّف لنا شيئاً كثيراً فقسمنا الذخائر والأموال والأرصاد حتى وصلنا إلى الكتب فقسمناها فوقع بيننا اختلاف في سائر الكنوز وحل الرموز وكان أبونا يعمل به ونحن نحفظ منه شيئاً قليلاً وكل منا غرضه أن يملكه حتى يطلع على ما فيه فلما وقع الخلاف بيننا حضر مجلسنا شيخ أبينا الذي كان رباه وعلمه السحر والكهانة وكان اسمه الكهين الأبطن فقال لنا هاتوا الكتاب فأعطيناه الكتاب فقال أنتم أولاد ولدي ولا يمكن أن أظلم منكم أحداً فليذهب من أراد أن يأخذ هذا الكتاب إلى معالجة فتح كنز الشمردل ويأتيني بدائر الفلك والمكحلة والخاتم والسيف فإن الخاتم له مارد يخدمه اسمه الرعد القاصف ومن ملك هذا الخاتم لا يقدر عليه ملك ولا سلطان وأن أراد أن يملك به الأرض بالطول والعرض يقدر على ذلك وأما السيف فأنه لو جرد على جيش وهزه حامله لهزم الجيش وإن قال له وقت هزه اقتل هذا الجيش فإنه يخرج من ذلك السيف برق من نار فيقتل جميع الجيش وأما دائر الفلك فإن الذي يملكها إن شاء أن ينظر جميع البلاد من المشرق إلى المغرب فإنه ينظرها ويتفرج عليها وهو جالس فأي جهة أرادها يوجهه الدائرة إليها وينظر في الدائرة فإنه يرى تلك الجهة وأهلها كأن الجميع بين يديه وإذا غضب على مدينة ووجه الدائرة إلى الشمس وأراد احتراق تلك المدينة فإنها تحترق وأما المكحلة فإن كل من اكتحل منها يرى كنوز الأرض ولكن لي عليكم شرط وهو أن كل من عجز عن فتح هذا الكنز ليس له في الكتاب استحقاق ومن فتح هذا الكنز وأتاني بهذه الذخائر الأربعة فإنه يستحق أن يأخذ هذا الكتاب فرضينا بالشرط فقال لنا يا أولادي أعلموا أن كنز

الشمردل تحت حكم أولاد الملك الأحمر وأبوكم أخبرني أنه كان عالج فتح ذلك الكنز فلم يقدر ولكن هرب منه أولاد الملك الأحمر إلى بركة في أرض مصر تسمى بركة قارون وعصوا في البركة فلحقهم إلى مصر ولم يقدر عليهم بسبب انسيابهم في تلك البركة لأنها مرصودة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٠٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الكهين إلا بطن لما أخبر الأولاد بذلك الخبر قال لهم ثم أنه رجع مغلوباً ولم يقدر على فتح كنز الشمردل من أولاد الملك الأحمر فلما عجز أبوكم عنهم جاءني وشكا إليّ فضربت تقويماً فرأيت هذا الكنز لا يفتح إلا على وجه غلام من أبناء مصر اسمه جودر بن عمر فإنه يكون سبباً في قبض أولاد الملك الأحمر وذلك الغلام يكون صياداً والاجتماع به يكون على بركة قارون ولا ينفعك ذلك الرصد إلا إذا كان جودر يكتف صاحب النصيب ويرميه في البركة فيتحارب مع أولاد الملك الأحمر وكل من كان له نصيب فإنه يقبض على أولاد الملك الأحمر والذي ليس له نصيب يهلك وتظهر رجلاه من الماء والذي يسلم تظهر يداه فيحتاج أن جودرا يرمي عليه الشبكة ويخرجه من البركة فقال أخوتي نحن نروح ولو هلكنا وأنا قلت أروح أيضاً وأما أخونا الذي في هيئة يهودي فإنه قال أنا ليس لي غرض فاتفقنا معه على أنه يتوجه إلى مصر في صفة يهودي تاجر حتى إذا مات منا أحد في البركة يأخذ البغلة والخرج منه ويعطيه مائة دينار فلما أتاك الأول قتله أولاد الملك الأحمر وقتلوا أخي الثاني وأنا لم يقدر وأعلى فقبضتهم فقال أين الذين قبضتهم قال أما رأيتهم قد حبستهم في الحقين قال هذا سمك قال له المغربي ليس هذا سمكاً أنما هم عفاريت بهيئة السمك لكن يا جودر اعلم أن فتح هذا الكنز لا يكون إلا على يديك فهل تطاوعني وتروح معي إلى مدينة فاس ومكناس وتفتح الكنز وأعطيك ما تطلب وأنت بقيت أخي في عهد الله وترجع إلى عيالك مجبور القلب فقال له يا سيدي الحاج أنا في رقبتي أمي وأخواي وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٠٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن جودرا قال للمغربي أنا في رقبتي أمي وأخواي وأنا الذي أجري عليهم وإن رحت معك فمن يطعمهم العيش فقال له هذه حجة باطلة فإن كان من شأن المصروف فنحن نعطيك ألف دينار تعطي أمك أياها لتصرفها حتى ترجع إلى بلادك وأنت إن غبت ترجع قبل أربعة أشهر فلما سمع جودر بالألف دينار قال هات يا حاج الألف دينار أتركها عند أمي وأروح معك فأخرج له الألف دينار فأخذها إلى أمه وأخبرها بما جرى بينه وبين المغربي وقال لها خذي هذه الألف دينار وأصرفي منها عليك وعلى أخواي وأنا مسافر مع المغربي إلى الغرب فأغيب أربعة أشهر ويحصل لي خير كثير أدعى لي يا والدتي

فقالت له يا ولدي توحشني وأخاف عليك فقال يا أمي ما على من يحفظه الله بأس والمغربي رجل طيب وصار يشكر لها حالة فقالت الله يعطف قلبه عليك رح معه يا ولدي لعله يعطيك شيئاً فودع أمه وراح ولما وصل عند المغربي عبد الصمد قال له هل شاورت أمك قال نعم ودعت لي فقال له اركب ورائي فركب على ظهر البغلة وسافر من الظهر إلى العصر فجاع جودر ولم ير مع المغربي شيئاً يؤكل فقال يا سيدي الحاج لعلك نسيت أن تجيء لنا بشيء ناكله في الطريق فقال هل أنت جائع قال نعم فنزل من فوق ظهر البغلة هو وجودر ثم قال انزل الخرج فنزله ثم قال له أي شيء تشتهي يا أخي فقال له أي شيء كان قال له بالله عليك أن تقول لي أي شيء تشتهي قال عيشاً وجبنا قال يا مسكين العيش والجبن ما هو مقامك فاطلب شيئاً طيباً قال جودر أنا عندي في هذه الساعة كل شيء طيب فقال له أتحب الفراخ المحمرة قال نعم قال أتحب الأرز بالعسل قال نعم قال أتحب اللون الفلاني واللون الفلاني حتى سمي له من الطعام أربعة وعشرين لونا ثم قال في باله هل هو مجنون من أين يجيء لي بالأطعمة التي سماها وما عنده مطبخ ولا طباخ لكن قل له يكفي فقال له يكفي هل أنت تشتهيني الألوان ولا أنظر شيئاً فقال المغربي مرحباً بك يا جودر وحط يده في الخرج فأخرج صحنا من الذهب فيه كباب ومازال يخرج من الخرج حتى أخرج الأربعة والعشرين لوناً التي ذكرها بالتمام والكمال فبهت جودر فقال كل يا مسكين فقال يا سيدي أنت جاعل في هذا الخرج مطبخاً وناساً تطبخ فضحك المغربي وقال هذا مرصود له خادم لو تطلب في كل ساعة ألف لون يجيء بها الخادم ويحضرها في الوقت فقال نِعْمَ هذا الخرج وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٠٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن جودر قال نعم هذا الخرج ثم أنهما أكلا حتى اكتفيا والذي فضل كباه ورد الصحون فارغة في الخرج وحط يده فأخرج أبريقاً فشربا وتوضأ وصليا العصر ورد الأبريق في الخرج ثم أنه حط فيه الحقين وحمله على تلك البغلة وركب وقال اركب حتى تسافر ثم أنه قال يا جودر هل تعلم ما قطعنا من مصر إلى هنا قال له والله لا أدري فقال له قطعنا مسيرة شهر كامل قال وكيف ذلك قال له يا جودر اعلم أن البغلة التي تحتنا مارد من مردة الجن تسافر في اليوم مسافة سنة ولكن من شأن خاطرك مشت على مهلها ثم ركبا وسافر إلى المغرب فلما أمسيا أخرج من الخرج العشاء وفي الصباح أخرج الفطور وما زالا على هذه الحالة مدة أربعة أيام وهما يسافر أن إلى نصف الليل وينزلان فيناماں ويسافران في الصباح وجميع ما يشتهي جودر يطلبه من المغربي فيخرجه له من الخرج وفي اليوم الخامس وصلا إلى فاس ومكناس ودخلا المدينة فلما دخلا صار كل من قابل المغربي يسلم عليه ويقبل يده ومازالا كذلك حتى وصل إلى باب فطرقه وإذا بالباب قد

فتح وبان منه بنت كأنها القمر فقال له يا رحمة يا بنتي افتحي لنا القصر قالت علـ ى الـ رأس والعين يا أبت ودخلت تهز أعطافها فطار عقل جودر وقال ما هذه إلا بنت ملك ثم أن البنـ ت فتحت القصر فأخذ الخرج من فوق البغلة وقال لها انصرفي بارك الله فيك وإذا بالأرض قـ د انشقت ونزلت البغلة ورجعت الأرض كما كانت فقال جودر ياستار الحمد لله الذي نجانا فـ وق ظهرها ثم أن المغربي قال لا تعجب يا جودر فإني قلت لك أن البغلة عفريت لكن أطلـ ع بذ ا القصر فلما دخلا ذلك القصر اندهش جودر من كثرة الفرش الفاخرة ومما رأى فيه من التحف وتعاليق الجواهر والمعادن فلما جلسا أمر البنت وقال يا رحمة هات البقجة الفلانيـ ة فقامـ ت وأقبلت ببقجة ووضعتها بين يدي أبيها ففتحها وأخرج منها حلة تساوي ألف دينار وقـ ال لـ ه البس يا جودر مرحباً بك فلبس الحلة وصار كناية عن ملك من ملوك العرب ووضع الخـ رج بين يديه ثم مد يده فيه وأخرج منه أصحنا فيها ألوان مختلفة حتى صارت سفرة فيها أربعـ ون لوناً فقال يا مولاي تقدم وكل ولا تؤاخذنا وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦١٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن المغربي لما أدخل جودر القصر مد له سـ فرة فيهـ ا أربعون لوناً وقال له تقدم كل ولا تؤاخذنا نحن لا نعرف أي شيء تشتهي من الأطعمة فقل ما تشتهي ونحن نحضره إليك من غير تأخير فقال له والله يا سيدي الحـ اج أنـ ي أحـ ب سـ ائر الأطعمة ولا أكره شيئاً فلا تسألني عن شيء فهات جميع ما يخطر ببالك وأنا ما علي إلا الأكل ثم أنه أقام عنده عشرين يوماً كل يوم يلبسه حلة والأكل من الخرج والمغربي لا يشتري شيئاً من اللحم ولا عيشاً ولا يطبخ ويخرج كل ما يحتاجه من الخرج حتى أصناف الفاكهة ثـ م أن المغربي في اليوم الحادي والعشرين قال ياجودر قم بنا فإن هذا هو اليوم الموعود لفتح كنـ ز الشمردل فقام معه ومشيا إلى آخر المدينة ثم خرجا منها فركب جودر بغلة وركب المغربـ ي بغلة ولم يزالا مسافرين إلى وقت الظهر فوصلا إلى نهر ماء جار فنزل عبد الصـ مد وقـ ال أنزل يا جودر فنزل ثم أن عبد الصمد قال هيا واشار بيده إلى عبدين فأخذ البغلتين وراح كل عبد من طريق ثم غابا قليلاً وقد أقبل أحدهما بخيمة فنصبها وأقبل الثاني بفرش وفرشـ ه فـ ي الخيمة ووضع في دائرها وسائد وسماند ثم ذهب واحد منهما وجـ اء بـ الحقين اللـ ذين فيهـ ا السمكتان والثاني جاء بالخرج فقام المغربي وقال تعال يا جودر فإتى وجلس بجانبه وأخـ رج المغربي من الخرج أصحن الطعام وتغديا وبعد ذلك أخذ الحقين ثم أنه عزم عليهما فصارا من داخل المغربي من الخرج أصحن الطعام وتغديا وبعد ذلك أخذ الحقين ثم أنـ ه عـ زم عليهمـ ا فصارا من داخل يقولان لبيك يا كهين الدنيا أرحمنا وهما يستغيثان وهو يعزم عليهما فصـ ارا قطعاً وتطايرت قطعهما فظهر منهما أثنان مكتفان يقولان الأمان يا كهين الـ دنيا مـ رادك أن تعمل فينا أي شيء فقال مرادي أن أحرقكما أو أنكما تعاهداني على فتح كنز الشمردل فقـ الا

نعاهدك ونفتح لك الكنز لكن بشرط تحضر جودر الصياد فان الكنز لا يفتح إلا على وجهه ولا يقدر أحد أن يدخل فيه الا جودر بن عمر فقال لهما الذي تذكر أنه قد جئت به وهو وهذا يسمعكما وينظركما فاهداه على فتح الكنز وأطلقهما ثم أنه أخرج قصبة وألواحاً من العقيق الأحمر وجعلها على القصبة وأخذ مجمرة ووضع فيها فحماً ونفخها نفخة واحدة فأوقد فيها النار وأحضروا البخور وقال يا جودر أنا أتلوا العزيمة وألقى البخور فإذا ابتدأت بالعزيمة لا أقدر أن أتكلم فتبطل العزيمة ومرادي أن أعلمك كيف تصنع حتى تبلغ مرادك فقال له اعلم أني متى عزمت وألقيت البخور نشف الماء من النهر وبان لك من الذهب قدر باب المدينة بحلقتين من المعدن فأنزل إلى الباب وأطرقه طرقة خفيفة وأصبر مدة وأطرق الثانية طرقة أثقل من الأولى وأصبر مدة وأطرقه ثلاث طرقات متتابعات وراء بعضها فأنك تسمع قائلاً يقول من يطرق باب الكنوز وهو لم يعرف أن يحمل الرموز فقل أنا جودر الصياد بن عمر فيفتح لك الباب ويخرج لك شخص بيده سيف ويقول لك إن كنت ذلك الرجل فمد عنقك حتى أرمي رأسك فمد له عنقك ولا تخف فإنه متى رفع يده بالسيف وضربك وقع بين يديك وبعد مدة تراه شخصاً من غير روح وأنت لا تتألم بالضربة ولا يجري عليك شيء وأما إذا خالفته فأنه يقتلك ثم أنك إذا أبطلت رصده بالامتثال فأدخل حتى ترى بابا آخر فأطرقه يخرج لك فارس راكب على فرس وعلى كتفه رمح فيقول أي شيء أوصلك إلى هذا المكان الذي لا يدخله أحد من الإنس ولا من الجن ويهز عليك الرمح فافتح له صدرك فيضربك ويقع في الحال فتراه جسماً من غير روح وإن خالفت قتلك ثم أدخل الباب الثالث يخرج لك آدمى وفي يده قوس ونشاب ويرميك بالقوس فافتح له صدرك ليضربك ويقع قدامك جسماً من غير روح وأن خالفت قتلك ثم أدخل الباب الرابع وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦١١)

قالت بلغني أيها الملك السيعد أن المغربي قال لجودر فادخل الباب الرابع وأطرقه يفتح لك ويخرج لك سبع عظيم الخلقة ويهجم عليك ويفتح فمه يريك أنه يقصد أكلك فلا تخف ولا تهرب منه فإذا وصل إليك فأعطيه يدك فمتى عض يدك فإنه يقع في الحال ولا يصيبك شيء ثم أدخل الباب الخامس يخرج لك عبد أسود ويقول لك من أنت فقل له أنا جوده فيقول لك أن كنت ذلك الرجل فافتح الباب السادس فتقدم إلى الباب وقل له يا عيسى قل لموسى يفتح الباب فيفتح الباب فادخل تجد ثعبانين أحدهما على الشمال والآخر على اليمين كل واحد منهما يفتح فاه ويهجمان عليك في الحال فمد إليهما يديك فيعض كل واحد منهما في يد وأن خالفت قتلاك ثم أدخل إلى الباب السابع وأطرقه تخرج لك أمك ونقول لك مرحباً يا أبني قدم حتى أسلم عليك فقل لها خليك بعيدة عني وأخلعي ثيابك فتقول يا ابني أنا أمك ولي عليك حق الرضاعة والتربية كيف تعريني فقل لها إن لم تخلعي ثيابك قتلتك وانظر جهة يمينك تجد سيفا معلقاً في

الحائط فخذه وأسحبه عليها وقل لها اخلعي فتصير تخادعك وتتواضع إليك فلا تشفق عليها فكلما تخلع لك شيئاً قل لها أخلعي الباقي ولم تزل تهددها بالقتل حتى تخلع لك جميع ما عليها وتسقط وحينئذ قد حللت الرموز وأبطلت الأرصاد وقد أمنت على نفسك فأدخل تجد الذهب كامنا داخل الكنز فلا تعتن بشيء منه وأنما ترى مقصورة في صدر الكنز وعليها ستارة فاكشف الستارة فإنك ترى الكهين الشمردل راقد على سرير من الذهب وعلى رأسه شيء مدور يلمع مثل القمر فهو دائرة الفلك وهو مقلد بالسيف وفي أصبعه خاتم وفي رقبته سلسلة فيها مكحلة فهات الأربع ذخائر وإياك أن تنس شيئاً مما أخبرتك به ولا تخالف فتندم ويخشى عليك ثم كرر عليه الوصية ثانياً وثالثاً ورابعاً حتى قال حفظت كل ما قلته لي لكن من يستطيع أن يواجه هذه الأرصاد التي ذكرتها ويصبر على هذه الأهوال العظيمة فقال له يا جودر لا تخف أنهم أشباح من غير أرواح وصار يطمنه فقال جودر توكلت على الله ثم أن المغربي عبد الصمد القى البخور وصار يعزم مدة وإذا بالماء قد ذهب وبانت أرض النهر وظهر باب الكنز فنزل إلى الباب وطرقه فسمع قائلاً يقول من يطرق أبواب الكنوز ولم يعرف أن يحل الرموز فقال أنا جودر بن عمر فانفتح الباب وخرج له الشخص وجرد السيف وقال له مد عنقك فمد عنقه وضربه ثم وقع وكذلك الثاني إلى أن أبطل أرصاد السبعة أبواب وخرجت أمه وقالت له سلامات يا ولدي فقال لها أنت أي شيء قالت أنا أمك ولي عليك حق الرضاعة والتربية وحملتك تسعة أشهر يا ولدي فقال لها أخلعي ثيابك فقالت أنت ولدي وكيف تعريني قال لها اخلعي ثيابك وإلا أرمي رأسك بهذا السيف ومد يده فأخذ السيف وشهره عليها وقال لها إن لم تخلعي قتلتك وطال بينها وبينه العلاج ثم أنه لما أكثر عليها التهديد خلعت شيء فقال اخلعي الباقي وعالجها كثيراً حتى خلعت شيء آخر ومازالا على هذه الحالة وهي تقول له يا ولدي خابت فيك التربية حتى لم يبق عليها شيء غير اللباس فقالت يا ولدي هل قلبك حجر فتفضحني بكشف العورة يا ولدي أما هذا حرام فقال صدقت فلا تخلعي اللباس فلما نطق بهذه الكلمة صاحت وقالت قد غلط فأضربوه فنزل عليه ضرب مثل قطر المطر واجتمعت عليه خدام الكنز فضربوه علقة لم ينسها في عمره ودفعوه فرموه خارج باب الكنز وانغلقت أبواب الكنز كما كانت فلما رموه خارج الباب أخذه المغربي في الحال وجرت المياه كما كانت وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦١٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن جودر لما ضربه خدام الكنز ورموه خارج الباب وانغلقت الأبواب وجرى النهر كما كان أولاً قام عبد الصمد المغربي فقرأ على جودر حتى أفاق وصحا من سكرته فقال له أي شيء عملت يا مسكين فقال له أبطلت الموانع كلها ووصلت إلى أمي ووقع بيني وبينها معالجة طويلة وصارت يا أخي تخلع ثيابها حتى لم يبق

عليها إلا اللباس فقالت لي لا تفضحني فإن كشف العورة حرام فتركت لها اللباس شفقة عليه ا وإذا بها صاحت وقالت قد غلط فاضربوه فخرج لي ناس لا أدري أين كانوا ثم أنهم ضربوني علقة حتى أشرفت على الموت ودفعوني ولم أدر بعد ذلك ما جرى لي فقال له أما قلت لـ ك لا تخالف ما قلته لك والآن قد أسأتني وأسأت نفسك فلو خلعت لباسها كنا بلغنا المراد ولكن حينئذ تقيم عندي إلى العام القابل لمثل هذا اليوم ونادى العبدين في الحال فحلا الخيمة وحملاها ثـ م غابا قليلاً ورجعا بالبغلتين فركب كل واحد بغلة ورجعاً إلى مدينة فاس فأقام عنده فـ ي أكـ ل طيب وكل يوم يلبسه حلة فاخرة إلى أن فرغت السنة وجاء ذلك اليوم فقال له المغربي هذا هو اليوم الموعود فأمض بنا قال له نعم فأخذه إلى خارج المدينة فرأيا العبدين بالبغلتين ثم ركبـ ا وسار حتى وصلا إلى النهر فانصب العيدان الخيمة وفرشاها وأخرج المغربي السفرة فتغـ ديا وبعد ذلك أخرج القصبة والألواح مثل الأول وأوقد النار وأحضر له البخور وقال له يا جودر مرادي أن النار وأحضر له البخور وقال له يا جودر مرادي أن أوصيك فقال له يـ ا سـ يدي الحاج إن كنت نسيت العلقة أكون نسيت الوصية فقال له هل أنت حافظ الوصية قال نعم قـ ال احفظ روحك ولا تظن أن المرأة أمك وأنما هي رصد في صورة أمك ومرادها أن تغلطك وإن كنت أول مرة طلعت حياً فإنك في هذه المرة أن غلطت يرموك قتيلاً قال أن غلطت أسـ تحق أن يحرقوني ثم أن المغربي وضع البخور وعزم فنشف النهر فتقدم جودر إلى الباب وطرقـ ه فانفتح وأبطل الأرصاد السبعة إلى أن وصل إلى أمه فقالت له مرحباً يا ولدي فقال لها من أين أنا ولدك يا ملعونة اخلعي فجعلت تخادعه وتخلع شيئاً بعد شيء حتى لم يبق عليها غير اللباس اخلعي يا ملعونة فخلعت اللباس وصارت شبحاً بلا روح فدخل ورأى الذهب كيمانا فلم يعـ تن بشيء ثم أتى المقورة ورأى الكهين الشمردل راقداً متقلداً بالسيف والخاتم في أصبعه والمكحلة على صدره ورأى دائرة الفلك فوق رأسه فتقدم وفك السيف وأخذ الخاتم ودائرة الفلك والمكحلة وخرج وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦١٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن جودر أخذ المكحلة وخرج وإذا بنوبة دقت له وصـ ار الخدام ينادونه هنيت بما أعطيت يا جودر ولم تزل النوبة تدق إلى أن خرج من الكنز ووصل إلى المغربي فأبطل العزيمة والبخور وقام وحضنه وسلم عليه وأعطاه جودر الأربعة ذخـ ائر فأخذها وصاح على العبدين فأخذا الخيمة وردها ورجع بالبغلتين فركباهما ودخل مدينة فـ اس فأحضر الخرج وجعل يطلع منه الصحون وفيها الألوان وكملت قدامه سفرة الطعام وقـ ال يـ ا أخي يا جودر كل فأكل حتى أكتفى وفرغ بقية الأطعمة ثم جاءوا بصـ حون غيرهـ ا ورمـ وا الفوارغ في الخرج ثم أن المغربي عبد الصمد قال يا جودر أنت فارقت أهلك وبلادك من أجلنا وقضيت حاجتنا وصار لك علينا أمنية فتمن ما تطلب فإن الله تعالى أعطـ اك ونحـ ن السـ بب

فاطلب مرادك ولا تستح فإنك تستحق فقال يا سيدي تمنيت على الله ثم عليك أن تعطيني الخرج فجاء به وقال خذه فإنه حقك ولو كنت تمنيت غيره لاعطيناك إياه ولكن يا مسكين هذا ما يفيدك غير الأكل وأنت تعبت معنا ونحن وعدناك أن نرجعك إلا بلادك مجبور الخاطر والخرج هذا تأكل منه ونعطيك خرجاً آخر ملآنا من الذهب والجواهر ونوصلك إلى بلادك لتصير تاجراً واكس نفسك وعيالك ولا تحتاج إلى مصروف وكل أنت وعيالك من هذا الخرج وكيفية العمل به أنك تمد يدك فيه وتقول بحق ما عليك من الأسماء العظام يا خادم هذا الخرج أن تأتيني باللون الفلاني فإنه يأتيك بما تطلبه ولو طلبت كل يوم ألف لون ثم أنه أحضر عبداً ومعه بغلة وملأ به خرجاً عينا من الذهب وعيناً من الجواهر والمعادن وقال له اركب هذه البغلة والعبد يمشي قدامك فإنه يعرفك الطريق إلى أن يوصلك إلى باب دارك فإذا وصلت فخذ الخرجين وأعطيه البغلة فإنه يأتي بها ولا تظهر أحد على سرك واستودعناك الله فقال له كثر الله خيرك وحط الخرجين على ظهر البغلة وركب والعبد مشى قدامه وصارت البغلة تتبع العبد طول النهار وطول الليل وثاني يوم في الصباح دخل من باب القصر فرأى أمه قاعدة تقول شيئاً لله فطار عقله ونزل من فوق ظهر البغلة ورمى روحه عليها فلما رأته بكت ثم أنه أركبها على ظهر البغلة ومشى في ركابها إلى أن وصل إلى البيت فأنزل أمه وأخذ الخرجين وترك البغلة للعبد فأخذها وراح لسيده لأن العبد شيطان والبغلة شيطان وأما ما كان من جودر فإنه صعب عليه كون أمه تسأل فلما دخل البيت قال لها يا أمي هل أخواي طيبان قالت طيبان قال لأي شيء تسالين في الطريق قالت يا ابني من جوعي قال أنا أعطيتك قبل ما أسافر مائة دينار في أول يوم ومائة دينار في ثاني يوم وأعطيتك ألف دينار يوم أن سافرت فقالت له يا ولدي أن أخويك قد مكراً على وأخذاها مني وقالا مرادنا أن تشتري بها شيئاً وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦١٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أم جودر قالت أن أخويك مكرا على فأخذاها وطرداني فصرت أسأل في الطريق من شدة الجوع فقال يا أمي ما عليك بأس حيث جئت فلا تحملي هما أبداً هذا خرج ملآن ذهباً وجواهر والخير كثير فقالت له يا ولدي أنت مسعد الله يرضى عليك ويزيدك من فضله قم يا ابني هات لنا عيشاً فإني بائتة بشدة الجوع من غير عشاء فضحك وقال لها مرحباً بك يا أمي فاطلبي أي شيء تأكلينه وأنا أحضره لك في هذه الساعة ولا أحتاج لشرائه من السوق ولا لمن يطبخ فقالت يا ولدي ما أنا ناظرة شيئاً فقال معي في الخرج من جميع الألوان فقالت يا ولدي كل شيء حضر يسد الرمق قال صدقت فعند عدم الموجود يقنع الإنسان بأقل الشيء وأما إذا كان الموجود حاضرا فإن الإنسان يشتهي أن يأكل من الشيء الطيب وأنا عندي الموجود فاطلبي ما تشتهين قالت له يا ولدي عيشاً سخناً وقطعة جبن فقال يا

أمي ما هذا من مقامك فقالت له أنت تعرف مقامي فالذي من مقامي أطعمني منه فقال يا أمـ ـي أنت من مقامك اللحم المحمر والفراخ المحمرة والأرز المفلفل ومن مقامك المنـ ـار المحشـ ـي والقرع المحشي والخروف المحشي والضلع المحشي والكنافة بالمكسـ ـرات والعسـ ـل النحـ ـل والسكر والقطايف والبقلاوة فظنت أنه يضحك عليها ويسخر منها فقالت له يوه يوه أي شـ ـيء جري لك هل أنت تحلم وإلا جننت فقال لها من أين علمت أني جننت قالت له لأنك تذكر لـ ـي جميع الألوان الفاخرة فمن يقدر على ثمنها ومن يعرف أن يطبخها وأدرك شهرزاد الصـ ـباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦١٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أم جودر لما قالت له ومن يعرف يطبخها فقـ ـال لهـ ـا وحياتي لابد أن أطعمك من جميع الذي ذكرته لك في هذه الساعة فقالت له ما أنا ناظرة شـ ـيئاً فقال لها هات الخرج فجاءت له بالخرج وجسته فرأته فارغاً وقدمته إليه فصـ ـار يمـ ـد يديـ ـه ويخرج صحوناً ملآنة حتى أنه أخرج لها جميع ما ذكره فقالت له أمه يا ولـ ـدي أن الخـ ـرج صغير وكان فارغاً وليس فيه شيء وقد أخرجت منه هذه الأطعمة كلها فهذه الصـ ـحون أيـ ـن كانت فقال لها يا أمي أعلمي أن هذا الخرج أعطانيه المغربي وهو مرصود وله خادم إذا أراد الإنسان شيئاً وتلا عليه الأسماء وقال يا خادم هذا الخرج هات لي اللون الفلاني فإنه يحضـ ـره فقالت له أمه هل أمد يدي وأطلب منه شيئاً قال مدى يدك فمدت يدها وقالت بحق ما عليك من الأسماء ياخادم هذا الخرج أن تجيء لي بضلع محشي فرات الصحن صار في الخرج فمـ ـدت يدها فأخذته فوجدت فيه ضلعاً محشياً نفيساً ثم طلبت العيش وطلبت كل شيء أرادته من أنواع الطعام فقال لها يا أمي بعد أن تفرغي من الأكل أفرغي بقية الأطعمة في صحون غيـ ـر هـ ـذه الصحون وارجعي الفوارغ في الخرج فإن الرصد على هذه الحالة واحفظي الخـ ـرج فنقلتـ ـه وحفظته وقال لها يا أمي أكتمي السر وأبقيه عندك وكلما أحتجت لشيء أخرجيه مـ ـن الخـ ـرج وتصدقي وأطعمي أخواي سواء كان في حضوري أو في غيابي وجعل ياكل هو وإياهـ ـا وإذا بأخويه داخلان عليه وكان بلغهم الخبر من رجل من أولاد حارته قال لهم أخوكم أتـ ـي وهـ ـو راكب على بغلة وقدامه عبد وعليه حلة ليس لها نظير فقالا لبعضهما ياليتنا ما كنا شوشنا على أمنا لابد أنها تخبره بما عملنا فيها يا فضيحتنا منه فقال واحد منهما أمنا شفوقة فـ ـإن أخبرتـ ـه فأخونا أشفق منها علينا وإذا اعتذرنا إليه يقبل عذرنا ثم دخلا عليه فقام لهما على الأقدام وسلم عليهما غاية السلام وقال لهما اقعدا وكلا فقعدا وأكلا وكانا ضعيفين من الجوع فمازالا يأكلان حتى شبعا فقال لهما جودر يا أخواي خذا منه بقية الطعام وفرقاه على الفقراء والمساكين فقالا يا أخانا خله لنتعشي به فقال لهما وقت العشاء يأتيكما أكثر منه فأخرجا بقية الأطعمة وصـ ـارا

يقولان لكل فقير جاز عليهما خذ وكل حتى لم يبق شيء ثم رد الصحون وقال لأمه حطيها في الخرج وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦١٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن جودر لما خلص أخويه الغداه قال لأمه حطى الصحون في الخرج وعند المساء دخل القاعة وأخرج من الخرج سماطاً أربعين لوناً وطلع فلما جلس بين أخويه قال لأمه هات العشاء فلما دخلت رأت الصحون ممتلئة فحطت السفرة ونقلت الصحون شيئاً بعد شيء حتى كملت الأربعين صحناً فتعشوا وبعد العشاء قال خذوا وأطعموا الفقراء والمساكين فأخذا بقية الأطعمة وفرقوها وبعد العشاء أخرج لهم حلويات فأكلوا منها والذي فضل منهم قال أطعموه للجيران وفي ثاني يوم الفطور كذلك ومازالوا على هذه الحالة مدة عشرة أيام ثم قال سالم السليم ما سبب هذا الأمر أن أخانا يخرج لنا ضيافة في الصبح وضيافة في الظهر وضيافة في المغرب وفي آخر الليل يخرج حلويات وكل شيء فضل يفرقه على الفقراء وهذا فعل السلاطين ومن أين أتته هذه السعادة ألا نسأل عن هذه الأطعمة المختلفة وعن هذه الحلويات ولا نراه يشتري شيئاً أبدا ولا يوقد ناراً وليس له مطبخ ولا طباخ فقال أخوه والله لا أدري ولكن هل تعرف من يخبرنا بحقيقة هذا الأمر قال له لا يخبرنا إلا أمنا فدبرا لهما حيلة ودخلا على أمهما في غياب أخيهما وقالا يا أمنا نحن جائعان فقالت لهما أبشرا ودخلت القاعة فطلبت من خادم الخرج وأخرجت لهما أطعمة سخنة فقالا يا أمنا هذا الطعام سخن وأنت لم تطبخي ولم تنفخي فقالت لهما أنه من الخرج فقالا لها أي شيء هذا الخرج فقالت لهما أن الخرج مرصود والطلب من الرصد وأخبرتهما بالخبر وقالت لهما أكتما السر فقالا لها السر مكتوم يا أمنا ولكن علمينا كيفية ذلك فعلمتهما وصارا يمدان أياديهما ويخرجان الشيء الذي يطلبانه وأخوهما ليس عنده خبر بذلك فلما علما بصفة الخرج قال سالم لسليم يا أخي إلى متى ونحن عند جودر في صفة الخدامين ونأكل صدقته ألا نعمل عليه حيلة ونأخذ هذا الخرج ونفوز به فقال كيف تكون الحيلة قال نبيع أخانا لرئيس بحر السويس فقال له وكيف نصنع حتى نبيعه فقال أروح أنا وأنت لذلك الرئيس ونعزمه مع اثنين من جماعته والذي أقول لجودر تصدقني فيه وآخر الليل أريك ما أصنع ثم أتفقا على بيع أخيهما وراحا بيت رئيس بحر السويس ودخل سالم وسليم على الرئيس وقالا له يا رئيس جئناك في حاجة تسرك فقال خيراً قالا له نحن أخوان ولنا أخ ثالث معكوس لا خير فيه ومات أبونا وخلف لنا جانباً من المال ثم أننا قسمنا المال وأخذ هو ما نابه من الميراث فصرفه في الفسق والفساد ولما أفتقر تسلط علينا وصار يشكونا إلى الظلمة ويقول أنتما أخذتما مالي ومال أبي وبقينا نترافع إلى الحكام وخسرنا المال وصبر علينا مدة واشتكانا ثانياً حتى أفقرنا ولم يرجع عنا وقد قلقنا منه والمراد أنك تشتريه منا فقال لهما هل تقدران أن تحتالا عليه وتأتياني به إلى هنا وأنا

أرسله سريعاً إلى البحر فقالا ما نقدر أن نجيء به ولكن أنت تكون ضيفنا وهات معك أثنين من غير زيادة فحين ينام نتعاون عليه نحن الخمسة فنقبضه ونجعل في فمه العقلة وتأخذه تحت الليل ونخرج به من البيت وأفعل معه ما شئت فقال لهما سمعاً وطاعة أتبيعانه بأربعين دينارا فقالا له نعم وبعد العشاء تأتوا الحارة الفلانية فتجدوا خادمنا ينتظركم فقعد على باب الزاوية لبعد العشاء وإذا بهم قد أقبلوا عليه فأخذهم ودخل بهم إلى البيت فلما رآهم جودر قال لهم مرحباً بكم وأجلسهم وعمل معهم صحبة وهو لا يعلم ما في الغيب منهم ثم أنه طلب العشاء من أمه فجعلت تخرج من الخرج وهو يقول هات اللون الفلاني حتى صار قدامهم أربعون لوناً فأكلوا حتى اكتفوا ورفعت السفرة والبحرية يظنون أن هذا الإكرام من عند سالم فلما مضى ثلث الليل أخرج لهم الحلويات وسالم هو الذي يخدمهم وجودر وسليم قاعدان إلى أن طلبوا المنام فقام جودر ونام وناموا حتى غفل فقاموا وتعاونوا عليه فلم يفق إلا والعقلة في فمه وكتفوه وحملوه وخرجوا به من القصر تحت الليل. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦١٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن جودر لما أخذوه وحملوه وخرجوا به من تحت القصر تحت الليل أرسلوه إلى السويس وحطوا في رجليه القيد وأقام يخدم وهو ساكت ولم يزل يخدم خدمة الأسارى والعبيد سنة كاملة هذا ما كان من أمر جودر (وأما) ما كان من أمر أخويه فأنهما لما أصبحا دخلا على أمهما وقالا لها يا أمنا أخانا جودر ألم يستيقظ فقالت لهما أيقظاه قالا لها أين هو راقد قالت لهما عند الضيوف قالا لعله راح مع الضيوف ونحن نائمان يا أمي كأن أخانا ذاق الغربة ورغب في دخول الكنوز وقد سمعناه يتكلم مع المغاربة فيقولون له نأخذك معنا ونفتح لك السكنى فقالت هل اجتمع مع المغاربة قالوا لها أما كانوا ضيوفاً عندنا قالت لعله راح معهم ولكن الله يرشد طريقه هذا مسعد لا بد أن يأتي بخير كثير وبكت وعز عليها فراقه فقالا لها يا ملعونة أتحبين جودرا كل هذه المحبة ونحن أن غبنا أو حضرنا فلا تفرحي بنا ولا تحزني علينا أما نحن ولداك كما أن جودرا ابنك فقالت أنتما ولداي ولكن أنتما شقيان ولا لكما على فضل ومن يوم مات أبوكما ما رأيت منكما خيراً وأما جودرا فقد رأيت منه خيراً كثيراً وجبر بخاطري وأكرمني فيحق لي أن أبكي عليه لأن خيره علي وعليكما فلما سمعا هذا الكلام شتماها وضرباها ودخلا وصارا يفتشان على الخرج حتى عثرا به وأخذا الجواهر من العين الأولى والذهب من العين الثانية والخرج المرصودة وقالا لها هذا مال أبينا فقالت لا والله إنما هو مال أخيكما جودروجاء به من بلاد المغاربة فقالا لها كذبت بل هذا مال أبينا نتصرف فيه فقسماه بينهما ووقع الاختلاف بينهما في الخرج المرصود فقال سالم أنا آخذه وقال سليم أنا آخذه ووقعت بينهما المعاندة فقالت أمهما يا ولدي الخرج الذي فيه الجواهر

والذهب قسمتاه وهذا لا ينقسم ولا يعادل بمال وأن أنقطع قطعتين بطل رصده ولكن أتركاه عندي وأنا أخرج لكما ما تأكلانه في كل وقت وأرضى بينكما باللقمة وأن كسوتماني شيئاً من فضلكما وكل منكما يجعل له معاملة مع الناس وأنتما ولداي وأنا أمكما وخلونا على حالنا فربما يأتي أخوكما فيحصل لكما منه الفضيحة فما قبلا كلامها وباتا يختصمان تلك الليلة فسمعهما رجل قواس من أعوان الملك كان معزوماً في بيت بجنب بيت جودر طاقته مفتوحة فطل القواس من الطاقة وسمع جميع الخصام وما قالوه من الكلام والقسمة فلما أصبح الصباح دخل ذلك الرجل القواس على الملك وكان اسمه شمس الدولة وكان ملك مصرفي ذلك العصر فلما دخل عليه القواس أخبره بما قد سمعه فأرسل الملك إلى أخوي جودر وجاء بهما ورماهما تحت العذاب فأقروا وأخذا الخرجين منهما ووضعهما في السجن ثم أنه عين إلى أم جودر من الجرايات في كل يوم ما يكفيها هذا ما كان من أمرهم (وأما) ما كان من أمر جودرا فإنه أقام سنة كاملة يخدم في السويس وبعد السنة كانوا في مركب فخرج عليهم ريح رمى المركب التي هم فيها على جبل فانكسرت وغرق جميع ما فيها ولم يحصل البر إلا جودر والبقية ماتوا فلما حصل البر سافر حتى وصل إلى نجع عرب فسألوه عن حاله فأخبرهم أنه كان بحرياً بمركب وحكى لهم قصته وكان في النجع رجل تاجر من أهل جدة فحن عليه وقال له تخدم عندنا يا مصري وأنا أخوك وآخذك معي إلى جدة فخدم عنده وسافر معه إلى أن وصلا إلى جدة فأكرمه إكراماً كثيراً ثم أن سيده التاجر طلب الحج فأخذه معه إلى مكة فلما دخلاها راح جودر ليطوف الحرم فبينما هو يطوف وإذا بصاحبه المغربي عبد الصمد يطوف وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦١٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن جودرا لما كان ماشياً في الطواف وإذا هو بصاحبه المغربي عبد الصمد يطوف فلما رآه سلم عليه وسأله عن حاله فبكى ثم أخبره بما جرى له فأخذه معه إلى أن دخل منزله وأكرمه وألبسه حلة ليس لها نظير وقال له زال عنك الشر يا جودر وضرب له تحت رمل فبان له الذي جرى لأخويه فقال له اعلم يا جودر أن أخويك جرى لهما كذا وكذا وهما محبوسان في سجن ملك مصر ولكن مرحباً بك حتى تقضي مناسكك ولا يكون الأخير فقال له إئذن لي ياسيدي حتى أروح آخذ خاطر التاجر الذي أنا عنده وأجيء إليك فقال هل عليك مال قال لا فقال رح خذ بخاطره وتعال في الحال أن العيش له حق عند أولاد الحلال فراح وأخذ بخاطر التاجر وقال له أني اجتمعت على أخي فقال له رح هاته فيعمل له ضيافة فقال له ما يحتاج فإنه من أصحاب النعم وعنده خدم كثيراً فأعطاه عشرين ديناراً وقال له أبريء ذمتي فودعه وخرج من عنده فرأى رجلاً فقيراً فأعطاه العشرين ديناراً ثم أنه ذهب إلى عبد الصمد المغربي فأقام عنده حتى قضى مناسك الحج

وأعطاه الخاتم الذي أخرجه من كنز الشمردل وقال له خذ هذا الخاتم فإنه يبلغك مـ رادك لأن خادمه أسمه الرعد القاصف فجميع ما تحتاج إليه من حوائج الدنيا فادعكه يظهر لـ ك الخـ ادم وجميع ما تأمره به يفعله لك ودعكه قدامه فظهر له الخادم ونادى لبيك يا سـ يدي أي شـ يء تطلب فتعطي فهل تعمر مدينة خربة أو تخرب مدينة عامرة أو تقتل ملكاً أو تكسـ ر عسـ كرا فقال المغربي يا رعد وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦١٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الخادم قال للمغربي ما تطلب قال له هذا صار سـ يدك فاستوص به ثم صرفه وقال له أدعك الخاتم يحضر بين يديك خادمه فأمره بما في مرادك فإنه لا يخالفك وأمض إلى بلادك واحتفظ عليه فإنك تكيد به أعداءك ولا تجهل مقدار هذا الخـ اتم فقال له يا سيدي عن أذنك أسير على بلادي قال له أدعك الخاتم يظهر لك الخادم فاركب على ظهره وأن قلت له أوصلني في هذا اليوم إلى بلادي فلا يخالف أمرك ثـ م ودع جـ ودر عبـ د الصمد ودعك الخاتم فحضر له الرعد القاصف وقال له لبيك أطلب تعط فقال له أوصلني إلـ ى مصر في هذا اليوم فقال له لك ذلك وحمله وطار به من وقت الظهر إلى نصف الليل ثم نزل به في بيت أمه وانصرف فدخل على أمه فلما رأته قامت وبكت وسلمت عليه وأخبرتـ ه بمـ ا جرى لأخويه من الملك وكيف ضربهما وأخذا الخرج المرصود والخرج الذهب والجواهر فلما سمع جودر ذلك لم يهن عليه أخواه فقال لأمه لا تحزني على ذلك ففي هذه الساعة أريك مـ ا أصنع وأجيء بأخواي ثم أنه دعك الخاتم فحضر له الخادم وقال لبيك أطلب تعـ ط فقـ ال لـ ه أمرتك أن تجيء بأخواي من سجن الملك فنزل إلى الأرض ولم يخرج إلا من وسط السـ جن وكان سالم وسليم في أشد ضيق وكرب عظيم من ألم السجن وصارا يتمنيان الموت وأحـ دهما يقول للآخر والله يا أخي قد طالت علينا المشقة وإلى متى ونحن في هذا السجن فالموت فيـ ه راحة لنا فبينما هما كذلك وإذا بالأرض قد انشقت وخرج لهما الرعد القاصف وحمل الأثنـ ين ونزل بهما في الأرض فغشي عليهما من شدة الخوف فلما أفاقا وجدا أنفسهما في بيتهما ورأيا أخاهما جودر جالساً وأمه في جانبه فقال لهما سلامات يا أخواي أنسيتماني فطأطأ وجههما في الأرض وصارا يبكيان فقال لهما لا تبكيان فالشيطان والطمع الجآكما إلى ذلك وكيف تبيعـ اني ولكني أتسلى بيوسف فإنه فعل به أخوته أبلغ من فعلكم معي حيث رموه فـ ي الجـ ب: وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٢٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن جودر قال لأخويه كيف فعلتما معي هذا الأمر ولكـ ن توبا إلى الله واستغفراه فيغفر لكما وهو الغفور الرحيم وقد عفوت عنكما ومرحباً بكما ولا بأس عليكما وجعل يأخذ بخاطرهما حتى طيب قلوبهما وصار يحكي لهما جميع ما قاساه وما حصل

له إلى أن اجتمع بالشيخ عبد الصمد وأخبرهما بالخاتم فقالا يا أخانا لا تؤاخذنا في هذه المرة أن عدنا لما كنا فيه فافعل بنا مرادك فقال لا بأس عليكما ولكن أخبراني بما فعل بكما الملك فقالا ضربنا وهددنا وأخذ الخرجين منا فقال ما أبالي بذلك ودعك الخاتم فحضر له الخادم فلما رآه أخواه خافا منه وظنا أنه يأمر الخادم بقتلهما فذهبا إلى أمهما وصارا يقولان يا أمنا نحن في عرضك يا أمنا اشفعي فينا فقالت لهما يا ولدي لا تخافا ثم أنه قال للخادم أمرتك أن تأتيني بجميع ما في خزانة الملك من الجواهر وغيرها ولا تبقى فيها شيئاً وتأتي بالخرج المرصود والخرج والجواهر الذين أخذهما الملك من أخواي فقال السمع والطاعة وذهب في الحال وجمع ما في الخزانة وجاء بالخرجين وأمانتهما ووضع جميع ما كان في الخزانة قدام جودر وقال يا سيدي ما بقيت في الخزانة شيئاً فأمر أمه أن تحفظ خرج الجواهر وحط الخرج المرصود قدامه وقال للخادم أمرتك أن تبني لي في هذه الليلة قصراً عالياً وتزوقه بماء الذهب وتفرشه فرشاً فاخراً ولا يطلع النهار إلا وأنت خالص من جميعه فقال له لك على ذلك ونزل في الأرض وبعد ذلك أخرج جودر الأطعمة وأكلوا وانبسطوا وناموا (وأما) ما كان من أمر الخادم فإنه جمع أعوانه وأمرهم ببناء القصر فصار البعض منهم يقطع الأحجار والبعض يبني والبعض يبيض والبعض ينقش والبعض يفرش فما طلع النهار حتى تم انتظام القصر ثم طلع الخادم إلى جودر وقال يا سيدي أن القصر كمل وتم نظامه فإن كنت تطلع تتفرج عليه فاطلع فطلع هو وأمه وأخواه فرأوا هذا القصر ليس له نظير يحير العقول من حسن نظامه ففرح به جودر وكان على قارعة الطريق ومع ذلك لم يتكلف عليه شيء فقال لأمه هل تسكنين في هذا القصر فقالت يا ولدي أسكن ودعت له فدعك الخاتم وإذا بالخادم يقول لبيك فقال أمرتك أن تأتيني بأربعين جارية بيضا ملاحا وأربعين جارية سودا وأربعين مملوكاً وأربعين عبداً فقال لك ذلك وذهب مع أربعين من أعوانه إلى بلاد الهند والسند والعجم وصاروا كلما رأوا بنتاً جميلة يخطفونها أو غلاماً يخطفونه وأنفذا أربعين عوناً آخر فجاءوا بجوار سود ظراف وأربعين جاءوا بعبيد وأتى الجميع دار جودر فملأوها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٢١)

قالت قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الأعوان جاءوا بالجوار والعبيد ودخلوا على جودر فقال يا رعد هات لكل شخص حلة من أفخر الملبوس قال حاضر وقال هات حلة تلبسها أمي وحلة ألبسها أنا فأتى بالجميع وألبس الجواري وقال لهم هذه سيدتكم فقبلوا يدها ولا تخالفوها وأخدموها بيضاً وسوداً وألبس المماليك وقبلوا يدجودر وألبس أخويه وصار جودر كناية عن ملك وأخواه مثل الوزراء وكان بيته واسعاً فأسكن سالم وجواريه في جهة وسكن هو وأمه في القصر الجديد وصار كل منهم في محله مثل السلطان هذا ما كان من أمرهم (وأما)

ما كان من خازندار الملك فإنه أراد أن يأخذ بعض مصالح من الخزانة فدخل فلم ير فيها شيئاً بل وجدها كقول من قال:

كانت خليات نحل وهي عامرة لما خلا نحلها صارت خليات

فصاح صيحة عظيمة ووقع مغشياً عليه فلما أفاق خرج من الخزانة وترك بابها مفتوحاً ودخل على الملك شمس الدولة وقال يا أمير المؤمنين الذي نعلمك به أن الخزانة فرغت في هذه الليلة فقال له ما صنعت بأموالي التي في خزانتي فقال والله ما صنعت فيها شيئاً ولا أدري ما سبب فراغها بالأمس دخلتها فرأيتها ممتلئة واليوم دخلتها فرأيتها فارغة ليس فيها شيء والأبواب مغلوقة ولا نقبت ولا كسرت ضبتها ولم يدخلها سارق فقال هل راح منها الخرجان فقال نعم فطار عقله من رأسه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٢٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيدان خازندار الملك لما دخل عليه وأعلمه أن ما في الخزانة ضاع وكذلك الخرجان طار عقله من رأسه وإذا القواس الذي بلغه سابقاً على سليم وسالم داخل على الملك وقال يا ملك الزمان طول الليل وأنا أتفرج على بنائين يبنون فلما طلع عليها النهار رأيت قصراً مبنياً ليس له نظير فسالت لمن هذا القصر فقيل لي أن جودر أتى وبنى هذا القصر وعنده مماليك وعبيد وجاء بأموال كثيرة وخلص أخويه من السجن وهو في داره كأنه سلطان فقال الملك انظروا فى السجن فنظروه فلم يروا سالم وسليم فرجعوا واعلموه بما جرى فقال الملك بان غريمي فالذي خلص سالم وسليم من السجن هو الذي أخذ مالي فقال الوزير يا سيدي من هو قال أخوهم جودر وأخذ الخرجين ولكن يا وزير أرسل لهم أمير بخمسين رجلاً يقبضوا عليه وعلى أخويه ويضعون الختم على ماله ويأتون بهم حتى أشنقهم جميعاً وغضب غضباً شديداً وقال هيا بالعجل أبعث لهم أميراً يأتيني بهم لاقتلهم فقال له الوزير احلم فإن الله حليم لا يعجل على عبده إذا عصاه فإن الذي يبني قصراً في ليلة واحدة كما قالوا لم يقس عليه أحد في الدنيا وأني أخاف على الأمير أن يجري له مشقة من جودر فأصبر حتى أدبر لك تدبيراً وتنظر حقيقة الأمر والذي في مرادك أنت لاحقه يا ملك الزمان فقال الملك دبر لي تدبيراً يا وزير قال له أرسل له أميراً وأعزمه ثم أتقيد لك به الود واسأله عن حاله وبعد ذلك ننظر أن كان عزمه شديداً نحتال عليه وأن كان عزمه ضعيفاً فأقبض عليه وأفعل به مرادك فقال الملك أرسل أعزمه فأمر أميراً اسمه الأمير عثمان أن يروح إلى جودر ويعزمه ويقول له الملك يدعوك للضيافة وقال له الملك لا تجيء إلا به وكان ذلك الأمير أحمق متكبراً في نفسه فلما نزل رأي قدام باب القصر طواشيا جالساً على كرسي في باب القصر فلما وصل الأمير عثمان إلى القصر لم يقم له وكان لم يكن مقبلاً عليه أحد ومع ذلك كان مع الأمير عثمان خمسون رجلاً وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٢٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الطواشي لما رأى الأمير عثمان لم يعتن به وكان لم يكن مقبلاً عليه أحد وكان مع الأمير عثمان خمسون رجلاً فوصل الأمير عثمان وقال يا عبد أين سيدك قال في القصر وصار يكلمه وهومتكيء فغضب الأمير عثمان وقال له يا عبد النحس أما تستحي مني وأنا أكلمك وأنت مضطجع مثل العلوق فقال له أمش لا تكن كثير الكلام فلما سمع منه هذا الكلام حتى أمتزج بالغضب وسحب الدبوس وأراد أن يضرب الطواشي ولم يعلم أنه شيطان فلما رآه سحب الدبوس قام واندفع عليه وأخذ منه الدبوس وضربه أربع ضربات فلما رآه الخمسون رجلاً صعب عليهم ضرب سيدهم فسحبوا السيوف وأرادوا أن يقتلوا العبد فقال لهم اتسحبون السيوف يا كلاب وقام عليهم وصار كل من لطشه دبوساً يهشمه ويغرقه في الدم فانهزموا قدامه ومازالوا هاربين وهو يضربهم إلى أن بعدوا عن باب القصر ورجع وجلس على كرسيه ولم يبال بأحد (وأما) ما كان من أمر الأمير عثمان وجماعته فانهم رجعوا منهزمين مضروبين إلى أن وقفوا قدام الملك شمس الدولة وأخبروه بما جرى لهم وقال الأمير عثمان للملك يا ملك الزمان لما وصلت إلى باب القصر رأيت طواشيا جالساً على الباب على كرسي من الذهب وهو متكبر فلما رآني مقبلاً عليه إضطجع بعد إن كان جالساً واحتقرني ولم يقم لي فصرت أكلمه فيجيبني وهو مضطجع فأخذتني الحدة وسحبت عليه الدبوس وأردت ضربه فأخذ الدبوس مني وضربني وضرب جماعتي وبطحهم فهربنا من قدامه ولم نقدر عليه فحصل للملك غيظ وقال ينزل إليه مائة رجل فنزلوا إليه وأقبلوا عليه فقام لهم بالدبوس ومازال يضرب فيهم حتى هربوا من قدامه فرجع وجلس على الكرسي فرجع المائة رجل ولما وصلوا إلى الملك أخبروه وقالوا له يا ملك الزمان هربنا من قدامه خوفاً منه فقال الملك تنزل مائتان فنزلوا فكسرهم ثم رجعوا فقال الملك للوزير ألزمتك أيها الوزير أن تنزل بخمسمائة رجل وتأتيني بهذا الطواشي سريعاً وتأتي بسيده جودر وأخويه فقال يا ملك الزمان لا أحتاج لعسكر بل أروح إليه وحدي من غير سلاح فقال له رح وافعل الذي تراه مناسباً فرمى الوزير السلاح ولبس حلة بيضاء وأخذ في يده سبحة ومشى وحده من غير تأن حتى وصل إلى قصر جودر فرأى العبد جالساً فلما رآه أقبل عليه من غير سلاح وجلس جنبه بأدب ثم قال السلام عليكم فقال وعليكم السلام يا أنسى ما تريده فلما سمعه يقول يا أنسى ما تريده علم أنه من الجن فارتعش من خوفه وقال له يا سيدي هل سيدك جودر هنا قال نعم في القصر فقال له يا سيدي إذهب إليه وقل له أن الملك شمس الدولة يدعوك وعامل لك ضيافة ويقرؤك السلام ويقول لك شرف منزله وأحضر ضيافته فقال له قف أنت هنا حتى أشاوره فوقف الوزير متأدباً وطلع المارد القصر وقال لجودر إعلم يا سيدي أن الملك أرسل إليك أميراً فضربته وكان معه خمسون رجلاً فهزمتهم ثم أرسل مائة رجل فضربتهم ثم أرسل إليك

الوزير من غير سلاح يدعوك إليه لتأكل من ضيافته فماذا تقول فقال له رح هات الوزير إلى هنا فنزل من القصر وقال له يا وزير كلم سيدي فقال على الرأس ثم أنه طلع ودخل على جودر فرآه أعظم من الملك جالساً على فراش لا يقدر الملك أن يفرش مثله فتحير فكره من حسن القصر ومن نقشه وفرشه حتى كان الوزير بالنسبة إليه فقير فقبل الأرض ودعا له فقال له ما شأنك أيها الوزير فقال له ياسيدي أن الملك شمس الدولة حبيبك يقرؤك السلام وهو مشتاق إلى النظر لوجهك وقد عمل لك ضيافة فهل تجبر خاطره فقال جودر حيث كان حبيبي فسلم عليه وقل له يجيء هو عندي فقال له على الرأس ثم أخرج الخاتم ودعكه فحضر الخادم فقال له هات لي حلة من خيار الملبوس فأحضر له حلة فقال البس هذه يا وزير فلبسها ثم قال له رح اعلم الملك بما قلته فنزل لابسا تلك الحلة التي لم يلبس مثلها ثم دخل على الملك وأخبره بحال جودر وشكر القصر وما فيه وقال أن جودراً عزمك فقال قوموا يا عسكر فقاموا كلهم على الأقدام وقال اركبوا خيلكم وهاتوا جوادي حتى نروح إلى جودر ثم أن الملك ركب وأخذ العساكر وتوجهوا إلى بيت جودر وأما جودر فإنه قال للمارد مرادي أن تأت لنا من أعوانك عفاريت في صفة الأنس يكونون عسكراً ويقفون في ساحة البيت حتى يراهم الملك فيرعبونه ويفزعونه فيرتجف قلبه ويعلم أن سطوتي أعظم من سطوته فأحضر مائتين في صفة عسكر متقلدين بالسلاح الفاخر وهم شداد غلاظ فلما وصل الملك رأى القوم الشداد الغلاظ فخاف قلبه منهم ثم أنه طلع القصر ودخل على جودر فرآه جالساً جلسة لم يجلسها ملك ولا سلطان فسلم عليه وتمنى بين يديه وجودر لم يقم له ولم يعمل له مقاماً ولم يقل له اجلس بل تركه واقفاً. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفى ليلة ٦٢٤) قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان جودرا لما دخل عليه الملك لم يقم له ولم يعتبره ولم يقل له اجلس بل تركه واقفا حتى داخله الخوف فصار لا يقدر ان يجلس ولا يخرج وصار يقول فى نفسه لو كان خائفا منى ما كان تركنى عن باله وربما يؤذينى بسبب ما فعلت مع اخويه ثم ان جودر قال يا ملك الزمان ليس شيئا مثلكم ان يظلم الناس ويأخذ اموالهم فقال له يا سيدى لا تؤاخذنى فان الطمع احوجنى إلى ذلك ونفذ القضاء ولولا الذنب ما كانت المغفرة وصار يعتذر إليه على ما سلف منه ويطلب منه العفو والسماح حتى من جملة الاعتذار انشد هذا الشعر

يا أصيل الجدود سمح السجايا … لا تلمني فيما حصل مني

أن تكن ظالماً فعنك عفونا … وإن أكن ظالماً فعفوك عني

وما زال يتواضع بين يديه حتى قال له عفا الله عنك وأمره بالجلوس فجلس وخلع عليه ثياب الأمان وأمر أخويه بمد السماط وبعد أن أكلوا كسى جماعة الملك وأكرمهم وبعد ذلك أمر الملك بالمسير فخرج من بيت جودر وصار كل يوم يأتي إلى بيت جودر ولا ينصب الـ ديوان إلا في بيت جودر وزادت بينهما العشرة والمحبة ثم أنهم قاموا على هذه الحالة مدة وبعد ذلك خلا بوزيره وقال له يا وزير أنا خائف أن يقتلني جودر ويأخذ الملك مني فقال لـ ـه يـ ـا ملـ ـك الزمان أما من قضية أخذ الملك فلا تخف فإن حالة جودر التي هو فيها أعظم من حالة الملـ ـك وأخذ الملك حطة في قدره فإن كنت خائفاً أن يقتلك فإن لك بنتاً فزوجها له وتصير أنت وإيـ ـاه حالة واحدة فقال له يا وزير أنت تكون واسطة بيني وبينه فقال له أعزمه عندك ثم أننا نسـ ـهر في قاعة وأمر بنتك أن تتزين بأفخر زينة وتمر عليه من باب القاعة فإنه متى رآهـ ـا عشـ ـقها فإذا فهمنا منه ذلك فأنا أميل عليه وأخبره أنها إبنتك وأدخل وأخرج معه في الكلام بحيث أنـ ـه لم يكن عندك خبر بشيء من ذلك حتى يخطبها منك ومتى زوجته البنت صرت أنـ ـت وإيـ ـاه شيئاً واحداً وتأمن منه وأن مات ترث منه الكثير فقال له صدقت يا وزيـ ـر وعمـ ـل الضـ ـيافة وعزمه فجاء إلى سراية السلطان وقعدوا في القاعة في أنس زائد إلى آخر النهار وكان الملك أرسل إلى زوجته أن تزين البنت بأفخر زينة وتمر بها على باب القاعة فعملت كما قال ومرت بالبنت فنظرها جودر وكانت ذات حسن وجمال وليس لها نظير فلما حقق جودر النظر فيهـ ـا قال آه وتفككت أعضاؤه واشتد به العشق والغرام وأخذه الوجد والهيام وأصفر لونه فقـ ـال لـ ـه الوزير لا بأس عليك يا سيدي مالي أراك متغيراً متواجعاً فقال يا وزير هذه البنت بنـ ـت مـ ـن فإنها سلبتني وأخذت عقلي فقال هذه بنت حبيبك الملك فإن كانت أعجبتك أنا أتكلم مع الملـ ـك يزوجك إياها فقال يا وزير كلمّه وأنا وحياتي أعطيك ما تطلب وأعطى الملك ما يطلبـ ـه فـ ـي مهرها ونصير أحباباً وأصهاراً فقال له الوزير لابد من حصول غرضك ثم أن الوزير حـ ـدث الملك سراً وقال له يا ملك الزمان أن جودرا حبيبك يريد القرب منك وقد توسل بي إليـ ـك أن تزوجه ابنتك السيدة آسية فلا تخذلني وأقبل سياقي مهما تطلبه في مهرها يدفعه فقـ ـال الملـ ـك المهر قد وصلني والبنت جارية في خدمته وأنا أزوجة إياها وله الفضل فـ ـي القبـ ـول. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٢٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك شمس الدولة لما قال له وزيره أن جودر يريـ ـد القرب منك بتزويجه أبنتك قال له المهر قد وصلني والبنت جارية في خدمته وله الفضل فـ ـي القبول وباتوا تلك الليلة ثم لما أصبح الملك نصب ديواناً وأحضر فيه الخاص والعام وحضـ ـر شيخ الإسلام وجودر خطب البنت وقال المهر قد وصل وكتبوا الكتاب فأرسل جودر لاحضار الخرج الذي فيه الجواهر وأعطاها للملك في مهر البنت ودقـ ـت الطبـ ـول وغنـ ـت الزمـ ـور

وأنتظمت عقود الفرح ودخل على البنت وصار هو والملك شيئاً واحداً وأقاما مع بعضهما مدة من الأيام ثم مات الملك فصارت العساكر تطلب جودرا للسلطنة ولم يزالوا يرغبونه وهو يمتنع منهم حتى رضي فجعلوه سلطاناً فأمر ببناء جامع على قبر الملك شمس الدولة ورتب له الأوقاف وهو في خط البندقانيين وكان بيت جودر في حارة اليمانية فلما تسلطن بني أبنية وجامعاً وقد سميت الحارة به وصار اسمها الجودرية وأقام ملكاً مدة وجعل أخويه وزيرين فقال سالماً لسليم يا أخي إلى متى هذا الحال فهل نقضي عمرنا كله ونحن خادمان لجودر ولا نفرح بسيادة ولا سعادة مادام جودر حيا قال وكيف نصنع حتى نقتله ونأخذ منه الخاتم والخرج فقال سليم لسالم أنت أعرف مني فدبر لنا حيلة لعلنا نقتله بها فقال إذا دبرت لك حيلة على قتله هل ترضى أن أكون أنا سلطاناً وأنت وزير ميمنة ويكون الخاتم لي والخرج لك قال رضيت فأتفقا على قتل جودر من شأن حب الدنيا والرياسة ثم أن سليماً وسالماً دبرا حيلة لجودر وقالا له يا أخانا يجب أن نفتخر بك فتدخل بيوتنا وتأكل ضيافتنا وتجبر خاطرنا وصارا يخادعانه ويقولان له أجبر خاطرنا وكل ضيافتنا فقال لا بأس فالضيافة في بيت من فيكم قال سالم في بيتي بعد ما تأكل ضيافتي تأكل ضيافة أخي قالا لا بأس وذهب مع سليم إلى بيته فوضع له الضيافة وحط فيها السم فلما أكل تفتت لحمه مع عظمه فقام سالم ليأخذ الخاتم من أصبعه فقضى منه فقطع أصبعه بالسكين ثم أنه دعك الخاتم فحضر له المارد وقال لبيك فأطلب ما تريد فقال له أمسك أخي وأقتله وأحمل الأثنين المسموم والمقتول وأرمهما قدام العسكر فأخذ سليما وقتله وحمل الأثنين وخرج بهما ورماهما قدام أكابر العسكر وكانوا جالسين على السفرة في مقعد البيت يأكلون فلما نظروا جودرا وسليماً مقتولين رفعوا أيديهم من الطعام وأزعجهم الخوف وقالوا للمارد من فعل بالملك والوزير هذه الفعال فقال لهم أخوهم سالم وإذا بسالم أقبل عليهم وقال يا عسكر كلوا وانبسطوا فإني ملكت الخاتم من أخي جودر وهذا المارد خادم الخاتم قدامكم وأمرته بقتل أخي سليم حتى لا ينازعني في الملك لأنه خائن وأنا أخاف أن يخونني وهذا جودر صار مقتولاً وأنا بقيت سلطاناً عليكم هل ترضون بي وإلا أدعك الخاتم فيقتلكم خادمه كباراً وصغاراً وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٢٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن سالماً لما قال للعسكر هل ترضون بي عليكم سلطاناً وألا أدعك الخاتم فيقتلكم خادمه كباراً وصغاراً قالوا له رضينا بك ملكاً وسلطاناً ثم أمر بدفن أخويه ونصب الديوان وذهب ناس في تلك الجنازة وناس مشوا قدامه بالموكب ولما وصلوا إلى الديوان جلس على الكرسي وبايعوه على الملك وبعد ذلك قال أريد أن أكتب كتابي على زوجة أخي فقالوا له حتى تنقضي العدة فقال لهم أنا لا أعرف عدة ولا غيرها وحياة رأسي لابد أن أدخل عليها في هذه الليلة فكتبوا له الكتاب وأرسلوا أعلموا زوجة جودر بنت الملك

شمس الدولة فقالت دعوه ليدخل فلما دخل عليها أظهرت له الفرح وأخذته بالترحيب وحط ت له السم في الماء فأهلكته ثم أنها أخذت الخاتم وكسرته حتى لا يملكه أحد وشقت الخ رج ث م أرسلت أخبرت شيخ الإسلام وأرسلت تقول لهم اختاروا لكم ملكاً يكون عليكم سلطاناً وهذا ما انتهى إلينا من حكاية جودر بالتمام والكمال.

{حكاية هند بنت النعمان}

(وحكى أيضاً) أن هند بنت النعمان كانت أحسن نساء زمانها فوصف للحج اج حس نها وجمالها فخطبها وبذل لها مالا كثيراً وتزوج بها وشرط لها عليه بعد الصداق مائتي ألف درهم فلما دخل بها مكث معها مدة طويلة ثم دخل عليها في بعض الأيام وهي تنظ ر وجهه ا ف ي المرآة وتقول:

وم ـا هن ـد إلا مه ـرة عربيـ ـة	س ـلالة أف ـراس تحللهـ ـا بغ ـل
ف إن ول دت فح لا فلل ـه دره ـا	وإن ولدت بغلاً فج اء ب ـه البغ ل

فلما سمع الحجاج ذلك انصرف راجعاً ولم يدخل عليها ولم تكن علمت به فأراد الحجاج طلاقها فبعث إليها عبد الله بن طاهر يطلقها فدخل عبد الله بن طاهرعليها فقال لها يقول ل ك الحجاج أبو محمد كان تأخر لك عليه من الصداق مائتي ألف درهم وهي هذه حضرت مع ي ووكلني في الطلاق فقالت اعلم يا ابن طاهر أننا كنا معه والله ما فرحت ب ـه يوم اً ق ط وأن تفرقنا والله لا أندم عليه أبداً وهذه المائتا ألف درهم لك بشارة بخلاصي من كلب ثقيف ثم بعد ذلك بلغ أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان خبرها ووصف ل ـه حس نها وجمالهـ ا وق دها واعتدالها وعذوبة ألفاظها وتغزل ألحاظها فأرسل إليها يخطبهـ ا وأدرك ش هرزاد الص باح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٢٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان لما بلغ ـه حس ن الجارية وجمالها أرسل إليها يخطبها فأرسلت إليه كتاباً تقول فيه بعد الثناء على الله والص لاة على نبيه محمد ﷺ أما بعد فاعلم يا أمير المؤمنين أن الكلب ولغ في الإناء فلما قرأ كتابها أمير المؤمنين ضحك من قولها وكتب لها قوله ﷺ إذا ولغ الكلب في إناء أح دكم فيغس له س بعاً أحداهن بالتراب وقال أغسلي القذى عن محل الاستعمال فلما قرأت كتاب أمير الم ؤمنين ل م يمكنها المخالفة وكتبت إليه تقول بعد الثناء على الله تعالى يا أمير المؤمنين أني لا أجري العقد إلا بشرط فإن قلت ما الشرط أقول أن يقود الحجاج محملي إلى بلدك التي أنت فيهـ ا ويك ون حافياً بملبوسه الذي هو لابسه فلما قرأ عبد الملك الكتاب ضحك ضحكاً عالياً ش ديداً وأرس ل إلى الحجاج يأمره بذلك فلما قرأ الحجاج رسالة أمير المؤمنين أجاب ولم يخالف وامتثل الأمر

ثم أرسل الحجاج إلى هند يأمرها بالتجهيز فتجهزت في محمل وجاء الحجاج في موكبه حتى وصل إلى باب هند فلما ركبت المحمل وركب حولها جواريها وخدمها ترجل الحجاج وهو حاف وأخذ بزمام البعير يقوده وسار بها فصارت تسخر منه وتهزأ به وتضحك عليه مع دادتها وجواريها ثم أنها قالت لبلانتها اكشفي لي ستارة المحمل فكشفتها حتى قابل وجهها وجهه فضحكت عليه فانشد هذا البيت.

فإن تضحكي يا هند يا رب ليلة ... تركتك فيها تسهرين نواحاً

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٢٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الحجاج لما أنشد البيت أجابته هند بهذين البيتين:

وما نبالي إذا أرواحنا سلمت ... فما فقدناه من مال ومن نشب

المال مكتسب والعز مرتجع ... إذا اشتفى المرء من داء ومن عطب

ولم تزل تضحك وتلعب إلى أن قربت من بلد الخليفة فلما وصلت إلى البلد رمت من يدها ديناراً على الأرض وقالت له ياجمال أنه قد سقط منا درهم فانظره وناولنا إياه فنظر الحجاج إلى الأرض فلم ير إلا ديناراً فقال لها هذا دينار فقالت له بل هو درهم فقال لها بل هو دينار فقالت الحمد لله الذي عوضنا بالدرهم الساقط ديناراً فتا ولنا أياه فخجل الحجاج من ذلك ثم أنه أوصلها إلى قصر أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ودخلت عليه وكانت محظية عنده

{حكاية هارون الرشيد مع البنت العربية}

(وحكى أيضاً) أن أمير المؤمنين هارون الرشيد مر في بعض الأيام وبصحبته جعفر البرمكي وإذا هو بعدة بنات يسقين الماء فعرج عليهن يريد الشرب وإذا أحداهن التفتت إليهم وأنشدت هذه الأبيات.

قولي لطيفك ينثني عن مضجعي وقت المنام ... كي أستريح وتنطفي نار تأجج في العظام

دنف تقلبه إلا كفف على بساط من سهام ... أما أنا فكما علمت فهل لوصلك من دوام

فأعجب أمير المؤمنين ملاحتها وفصاحتها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٢٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أمير المؤمنين لما سمع هذه الأبيات من البنت أعجبتـ ـه ملاحتها وفصاحتها فقال لها يا بنت الكرام أهذا من مقولك أم من منقولك قالت من مقولي قال إذا كان كلامك صحيحاً فأمسكي المعنى وغيري القافية فأنشدت تقول:

قولي لطيفك ينثني عن مضجعي وقت الوسن   كي استريح وتنطفـ ـي نـ ـار تأجج في البدن   دنف تقلبه إلا كفـ ـف علـ ـى بسـ ـاط مـ ـن شـ ـجن

أما أنا فكما علمت فهل لوصلك من ثمن.

فقال لها والآخر مسروق قالت بل كلامي فقال أن كان كلامك أيضاً فامسـ ـكي المعنـ ـى وغيري القافية فجعلت تقول:

قولي لطيفك يتثنى عن مضجعي وقت الرقـ . . . . ـاد	**كي أستريح وتنطفي نار تأجج فـ ـي الفـ . . . . ـؤاد**
دنف تقلبه إلا كفف على بسـ ـاط مـ ـن سـ . . . . ـهاد	**أما أنا فكما علمت فهل لوصلك مـ ـن سـ . . . . ـداد**

فقال لها والآخر مسروق فقالت بل كلامي فقال لها أن كان كلامـ ـك فامسـ ـكي المعنـ ـى وغيري القافية فقالت:

قولي لطيفك ينثني عن مضجعي وقـ ـت الهجـ . . . . ـوع	**كي أستريح وتنطفي نار تأجج فـ ـي الضـ . . . . ـلوع**
دنف تقلبه إلا كفف علـ ـى بسـ ـاط مـ ـن دمـ . . . . ـوع	**أما أنا فكما علمت فهل لوصلك مـ ـن رجـ . . . . ـوع**

فقال لها أمير المؤمنين من أي هذا الحي أنت قالت من أوسطه بيتاً وأعلاه عموداً فعلـ ـم أمير المؤمنين أنها بنت كبير الحي ثم قالت له وأنت من أي رعاة الخيل فقـ ـال مـ ـن أعلاهـ ـا شجرة وأينعها ثمره فقبلت الأرض وقالت أيدك الله يا أمير المؤمنين ودعت له ثم انصرفت مع بنات العرب فقال الخليفة لجعفر لابد من زواجها فتوجه جعفر إلى أبيها وقـ ـال لـ ـه أن أميـ ـر المؤمنين يريد ابنتك فقال حباً وكرامة تهدي جارية إلى حضرة مولانا أمير المؤمنين ثم جهزها وحملها إليه فتزوجها ودخل بها فكانت عنده من أعز نسائه وأعطى والدها مـ ـا يسـ ـتره بـ ـين العرب من الأنعام ثم بعد ذلك انتقل والدها على رحمة الله تعالى فورد على الخليفة خبر وفـ ـاة أبيها فدخل عليها وهو كئيب فلما شاهدته وعليه الكآبة نهضت ودخلت إلى حجرتها وخلعت كل ما كان عليها من الثياب الفاخرة ولبست الحداد وأقامت النعي عليه فقيل لها ما سبب هذا قالت مات والدي فمضوا إلى الخليفة فأخبروه فقام وأتى إليها وسألها من أخبرك بهذا الخبـ ـر قالـ ـت وجهك يا أمير المؤمنين قال وكيف ذلك قالت لأني من منذ ما استقريت عندك ما رأيت هكـ ـذا إلا في هذه المرة ولم يكن لي من أخاف عليه إلا والدي لكبره وتعيش رأسك يا أمير المؤمنين

فتغرغرت عيناه بالدموع وعزاها فيه واقامت مدة حزينة على والدها ثم لحقت به رحمة الله عليهم أجمعين.

{ما حكاه الأصمعي لهارون الرشيد من أخبار النساء وأشعارهن}

(ومما يحكي) أيها الملك السعيد أن أمير المؤمنين هارون الرشيد أرق أرقاً شديداً ف ي ليلة من الليالي فقام من فراشه وتمشى من مقصورة إلى مقصورة ولم يزل قلقاً في نفسه قلق اً زائداً فلما أصبح قال علي بالأصمعي فخرج الطواشي إلى البوابين وقال يق ول لك م أمي ر المؤمنين أرسلوا إلى الأصمعي فلما حضر علم به أمير المؤمنين فأمر بإدخاله وأجلسه ورحب به وقال له يا أصمعي أريد منك أن تحدثني بأجود ما سمعت من أخبار النساء وأشعارهن فقال سمعاً وطاعة لقد سمعت كثيراً ولم يعجبني سوى ثلاثة أبيات أنش دهن ث لاث بن ات وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٢٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الأصمعي قال لأمير المؤمنين لقد سمعت كثي راً ول م يعجبني سوى ثلاثة أبيات أنشدهن ثلاث بنات فقال حدثني بحديثهن فقال اعلم يا أمير المؤمنين أني أقمت سنة في البصرة فاشتد على الحر يوماً من الأيام فطلبت مقيلا أقيل فيه فلم أجد فبينما أنا التفت يميناً وشمالاً وإذا ببساط مكنوس مرشوش وفيه دكة من خشب وعليها شباك مفت وح تفوح منه رائحة المسك فدخلت البساط وجلت على الدكة وأردت الاضطجاع فسمعت كلام اً عذباً من جارية وهي تقول يا أخواتي أننا جلسنا يومنا هذا على وجه المؤانسة فتعالين نط رح ثلثمائة دينار وكل واحدة منا تقول بيتاً من الشعر فكل من قالت البيت الأعذب المل يح كان ت الثلثمائة دينار لها فقلنا حباً وكرامة فقالت الكبرى بيتاً وهو هذا

عجب ت ل ه أن زار ف ي الن وم مض . . . . جعي **ولو زارني مستيقظاً ك ان أعجب ا**

فقالت الوسطى بيتاً وهو هذا

وما زارني ف ي الن وم الا خيال ه **فقلت ل ه أه لاً وس هلاً ومرحب اً**

فقالت الصغرى بيتاً وهو هذا

بنفسي وأهلي من أرى ك ل ليل ة **ضجيعي ورياه من المس ك أطيب ا**

فقلت أن كان لهذا المثال جمال فقد تم الأمر على كل حال فنزلت من على الدكة وأردت الإنصراف وإذا بالباب قد فتح وخرجت منه جارية وهي تقول أجلس يا شيخ فطلع ت عل ى الدكة ثانياً وجلست فدفعت لي ورقة فنظرت فيها خطا في نهاية الحسن مستقيم الألفات مجوف الآهات مدور الواوات مضمونها نعلم الشيخ أطال الله بقاءه أننا ثلاث بنات أخوات جلسن على وجه المؤانسة وطرحنا ثلثمائة دينار وشرطنا أن كل من قالت البيت الأعذب الأملح كان له ا

ثلثمائة دينار وقد جعلناك الحاكم في ذلك فاحكم بما ترى والسلام فقلت للجارية علـ ى بـ دواة وقرطاس فغابت قليلاً وخرجت إلى بدواة مفضضة وأقلام مذهبة فكتبت هذه الأبيات.

أحدث عـ ن خـ ود تحـ دثن مـ رة	حديث أمريء قاسي الأمور وجربـ ـا
ثلاث كبكـ رات الصـ باح صـ باح	تملكـ ـن قلبـ ـاً للمشـ ـوق معـ ـذباً
خلون وقد نامـ ـت عيـ ـون كثيـ ـرة	من الرأي قد أعرض عمـ ـن تجنبـ ـا
فبحن بما يخفين من داخل الحشـ ـا	نعم وأتخذن الشـ ـعر لهـ ـواً وملعبـ ـاً
فقالت عروب ذات تيـ ـه غزيـ ـرزة	تبسم عـ ـن عـ ـذب المقالـ ـة أشـ ـنبا
عجبـ ـت لـ ـه أن زار فـ ـي النـ ـوم	ولو زارني مستيقظاً كـ ـان أعجبـ ـاً
مضـ . . . . جعي	تنفست الوسـ ـطى وقالـ ـت تطربـ ـا
فلما انقضى ما زخرفت بتضـ ـاحك	فقلت لـ ـه أهـ ـلاً وسـ ـهلاً ومرحبـ ـا
وما زارني فـ ـي النـ ـوم إلا خيالـ ـه	بلفظ لها قد كـ ـان أشـ ـهى وأعـ ـذبا
وأحسنت الصغرى وقالت مجيبـ ـة	ضجيعي ورياه من المسـ ـك أطيبـ ـا
بنفسي وأهلي من أرمي كل ليلـ ـة	لي الحكم لم أترك لذي اللب معتبـ ـا
فلما تدبرت الـ ـذي قلـ ـن وأنبـ ـرى	رأيت الذي قالت إلى الحـ ـق أقربـ ـا
حكمت لصغراهن في الشعر أننـ ـي	

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٣٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الأصمعي قال وبعد ما كتبت الأبيات دفعت الورقة إلى الجارية فلما صعدت نظرت إلى القصر وإذا برقص وصفق وقيامة قائمة فقلت ما بقـ ـي لـ ـي إقامة فنزلت من فوق الدكة وأردت الإنصراف وإذا بالجارية تنادي وتقول اجلس يا أصـ معي فقلت ومن أعلمك أني الأصمعي فقالت يا شيخ أن خفي علينا اسمك فما خفي عليـ ـا نظمـ ـك فجلست وإذا بالباب قد فتح وخرجت منه الجارية الأولى وفي يدها طبق من فاكهة وطبق مـ ـن حلوى فتفكهت وتحليت وشكرت صنيعها واردت الإنصراف وإذا بالجارية تنادي وتقول أجلس يا اصمعي فرفعت بصري إليها فنظرت كفاً أحمر في كم أصفر فخلته البدر يشرق من تحـ ـت الغمام ورمت صرة فيها ثلثمائة دينار وقالت هذا إلى وهو مني إليك هدية في نظير حكومتـ ـك فقال له أمير المؤمنين لما حكمت للصغرى فقال يا أمير المؤمنين طال الله بقاءك أن الكبـ ـرى قالت عجبت له أن زار في النوم مضجعي وهو محجوب معلق على شرط قد يقع وقد لا يقـ ـع واما الوسطى فقد مر بها طيف خيال في النوم فسلمت عليه وأما بيت الصغرى فإنها ذكـ ـرت فيه أنه ضاجعها مضاجعة حقيقة وشمت منه أنفاساً أطيب من المسك وفدته بنفسها وأهلهـ ـا ولا

يفدى بالنفس إلا من هو أعز منها فقال الخليفة أحسنت يا أصمعي ودفع إليه ثلثمائة دينار مثلها في نظير حكايته.

{حكاية جميل بن معمر لأمير المؤمنين هارون الرشيد}

(وحكى أيضاً) أن مسرور الخادم قال أرق أمير المؤمنين هارون الرشيد ليلة أرقا شديداً فقال لي يا مسرور من بالباب من الشعراء فخرجت إلى الدهليز فوجدت جمي ل ب ن معم ر العذري فقلت له أجب أمير المؤمنين فقال سمعاً وطاعة فدخلت ودخل معي إلى أن صار ب ين يدي هارون الرشيدي فسلم بسلام الخلافة فرد عليه السلام وأمره بالجلوس ثم قال له ه ارون الرشيد يا جميل أعندك شيء من الأحاديث العجيبة قال نعم يا أمير المؤمنين أيما حبب إليك ما عاينه ورأيته أو ما سمعته ووعيته فقال حدثني بما عاينته ورأيته قال نعم يا أمي ر الم ؤمنين أقبل على بكليتك وأصغ إلي بإذنيك فعمد الرشيد إلى مخدة من ال ديباج الأحم ر الم زركش بالذهب محشوة بريش النعام فجعلها تحت فخذيه ثم مكن منها مرفقيه وقال هلـ م بحـ ديثك يـ ا جميل فقال اعلم يا أمير المؤمنين أني كنت مفتوناً بفتاة محباً لها وكنت أتـ ردد إليهـ ا وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٣١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أمير المؤمنين هارون الرشيد لما أتكأ على مخدة مـ ن الديباج قال هلم بحديثك يا جميل فقال اعلم يا أمير المؤمنين أني كنت مفتوناً بفتاة محبـ اً لهـ ا وكنت أتردد إليها اذ هي سؤالي وبغيتي من الدنيا ثم أن أهلها رحلوا بها لقلة المرعى فأقمـ ت مدة لم أرها ثم أن الشوق أقلقني وجذبني إليها فحدثتني نفسي بالمسير إليها فلما كانت ذات ليلة من الليالي هزني الشوق إليها فقمت وشددت رحلي على ناقتي وتعممـ ت بعمـ امتي ولبسـ ت أطماري وتقلدت بسيفي وأعتقلت رمحي وركبت ناقتي وخرجت طالباً لها وكنت أسـ رع فـ ي المسير فسرت ذات ليلة وكانت ليلة مظلمة مدلهمة وأنا مع ذلك أكابد هبوط الأودية وصـ عود الجبال فأسمع زئير الآساد وعواء الذئاب وأصوات الوحوش من كل جانب وقد ذهـ ل عقلـ ي وطاش لبي ولساني لا يفتر عن ذكر الله تعالى فبينما أنا أسير على هذا الحال إذغلبني النـ وم فأخذت بي الناقة على غير الطريق التي كنت فيه وغلب على النوم وإذا أنا بشيء لطمني فـ ي رأسي فانتبهت فزعاً مرعوباً وإذا بأشجار وأنهار وأطيار على تلك الأغصان تغـ رد بلغاتهـ ا وألحانها وأشجار ذلك المرج مشتبك بعضها ببعض فنزلت على ناقتي وأخذت بزمامها في يدي ولم أزل أتلطف في الخلاص إلى أن خرجت بها من تلك الأشجار إلى أرض فلاة فأصـ لحت كورها وأستويت راكباً على ظهرها ولا أدري إلى أين أذهب ولا إلى أي مكان تسوقني الأقدار فمددت نظري في تلك البرية فلاحت لي نار في صدرها فوكزت ناقتي وسرت متوجها إليهـ ا

حتى وصلت إلى تلك النار فقربت منها وتأملت وإذا بخباء مضروب ورمح مركـ ـوز ودابـ ـة قائمة وخيل واقفة وابل ساعة فقلت في نفسي يوشك أن يكون لهذا الخباء شأن عظيم فـ ـإني لا أرى في تلك البرية سواه ثم تقدمت إلى جهة الخباء وقلت السلام عليكم يا أهل الخباء ورحمة الله وبركاته فخرج إلى من الخباء غلام من أبناء التسع عشرة سنة فكأنـ ـه البـ ـدر إذا أشـ ـرق والشجاعة بين عينيه فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته يا أخا العرب أني أظنك ضـ ـالاً عن الطريق فقلت الأمر كذلك أرشدني يرحمك الله وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٣٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن جميل قال للغلام أرشدني يرحمك الله فقـ ـال يـ ـا أخـ ـا العرب أن بلدنا هذه مسبعة وهذه الليلة مظلمة موحشة شديدة الظلمة والبرد ولا آمن عليك من الوحوش أن تفترسك فأنزل عندي على الرحب والسعة فإذا كان الغد أرشدتك إلـ ـى الطريـ ـق فنزلت عن ناقتي وعقلتها بفضل زمامها ونزعت ما كان على من الثياب وتخففـ ـت وجلسـ ـت ساعة وإذا بالشاب قد عمد إلى شاة فذبحها وإلى نار فأضرمها وأججها ثم دخل الخباء وأخرج أبراراً ناعمة وملحاً طيباً وأقبل يقطع من ذلك اللحم قطعاً ويشويها على النار ويعطيني ويتنهد ساعة ويبكي أخرى ثم شهق شهقة عظيمة وبكي بكاء شديداً وأنشد يقول هذه الأبيات:

لم يبق إلا نفس هافت ومقلة أنسـ ـانها   لـ ـم يبـ ـق فـ ـي أعضـ ـائه مفصـ ـل
باهـ . . . . ـت   توقـ . . ـد إلا أنـ . . ـه سـ . . ـاكت
إلا وفيه سـ ـقم كابـ ـت ودمعـ ـة جـ ـار   يـ ـا ويـ ـح مـ ـن يرحمـ ـه الشـ ـامت
وأحشـ . . . . ـاؤه
تبكـ . ـي لـ . ـه أعـ . ـداؤه رحمـ . ـة

قال جميل فعلمت عند ذلك يا أمير المؤمنين أن الغلام عاشق ولهان ولا يعرف الهـ ـوى إلا من ذاق طعم الهوى فقلت في نفسي هل أسأله ثم راجعت نفسي وقلت كيف أتهجم عليه في السؤال وأنا في منزله فردعت نفسي وأكلت من ذلك اللحم كفايتي فلما فرغنا من الأكـ ـل قـ ـام الشاب ودخل الخباء وأخرج طشتاً نظيفاً وأبريقاً حسناً ومنديلاً من الحرير وأطرافه مزركشـ ـة بالذهب الأحمر وقمقماً ممتلئاً من ماء الورد الممسك فعجبت من ظرفه ورقة حاشيته وقلت في نفسي لم أعرف الظرف في البادية ثم غسلنا يدينا وحدثنا ساعة ثم قام ودخل الخبـ ـاء وفصـ ـل بيني وبينه بفاصل من الديباج الأحمر وقال ادخل يا وجه العرب وخذ مضجعك فقد لحقك فـ ـي هذه الليلة تعب وفي سفرتك هذه نصب مفرط فدخلت وإذا أنا بفراش من الديباج الأخضر فعند ذلك نزعت ما علي من الثياب وبت ليلة لم أبت في عمري مثلها. وأدرك شـ ـهرزاد الصـ ـباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٣٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن جميلاً قال فبت ليلة لم أبت عمري مثلها وكل ذلك وأنا متفكر في أمر هذا الشاب إلى أن جن الليل ونامت العيون فلم أشعر إلا بصوت خفي لم أسمع الطف منه ولا أرق حاشية فرفعت الفاصل المضروب بيننا وإذا أنا بصبية لم أر أحسن منها وجهاً وهي في جانبه وهما يبكيان ويتشاكيان ألم الهوى والصبابة والجوى وشدة اشتياقهما إلى التلاقي فقلت يا للعجب من هذا الشخص الثاني لأني لما دخلت هذا البيت لم أنويه غير هذا الفتى وما عنده أحد ثم قلت في نفسي لا شك أن هذه من بنات الجن تهوي هذا الغلام وقد تفرد بها في هذا المكان وتفردت به ثم أمعنت النظر فيها فإذا هي أنسية عربية إذا أسفرت عن وجهاً تخجل الشمس المضيئة وقد أضاء الخباء من نور وجهها فلما تحققت أنها محبوبته تذكرت غيرة المحبة فأرخيت الستر وغطيت وجهي ونمت فلما أصبحت لبست ثيابي وتوضأت لصلاتي وصليت ما كان علي من الفرض ثم قلت يا أخا العرب هل لك أن ترشدني إلى الطريق وقد تفضلت علي فنظر إلي وقال على رسلك يا وجه العرب أن الضيافة ثلاثة أيام وما كنت بالذي يدعك إلا بعد ثلاثة أيام قال جميل فأقمت عنده ثلاثة أيام فلما كان في اليوم الرابع جلسنا للحديث فحدثته وسألته عن اسمه ونسبه فقال أما نسبي فأنا من بني عذرة وأما اسمي أنا فلان بن فلان وعمي فلان فإذا هو ابن عمي يا أمير وهو من أشرف بيت من بني عذرة فقلت يا ابن العم ما حملك على ما أراه منك من الانفراد في هذه البرية وكيف تركت نعمتك ونعمة آبائك وكيف تركت عبيدك وإماءك وانفردت بنفسك في هذا المكان فلما سمع يا أمير المؤمنين كلامي تغرغرت عيناه بالدموع والبكاء ثم قال يا ابن العم أني كنت محبا لابنة عمي مفتوناً بها هائماً بحبها مجنوناً في هواها لا أطيق الفراق عنها فزاد عشقي لها فخطبتها من عمي فأبى وزوجها لرجل من بني عذرة ودخل بها وأخذها إلى المحلة التي هو فيها من العام الأول فلما بعدت عني واحتجبت عن النظر إليها حملتني لوعات الهوى وشدة الشوق والجوي على ترك أهلي ومفارقة عشيرتي وخلاني وجميع نعمتي وانفردت بهذا البيت في هذه البرية وألفت وحدتي فقلت وأين بيوتهم قال هي قريب في ذروة هذا الجبل وهي كل ليلة عند نوم العيون هذا والليل تنسل من الحي سراً بحيث لا يشعر بها أحد فاقضي منها بالحديث وطراً وتقضى هي كذلك وها أنا مقيم على ذلك الحال أتسلى بها ساعة من الليل ليقضي الله أمراً كان مفعولاً أو يأتيني الأمر على رغم الحاسدين أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين ثم قال جميل فلما أخبرني الغلام يا أمير المؤمنين غمني أمره وصرت من ذلك حيران لما أصابني من الغيرة فقلت له يا ابن العم وهل لك أن أدلك على حيلة أشير بها عليك وفيها إن شاء الله عين الصلاح وسبيل الرشد والنجاح وبها يزيل الله عنك الذي تخشاه فقال الغلام قل لي يا ابن العم فقلت له إذا كان الليل وجاءت الجارية فاطرحها على ناقتي فإنها سريعة الرواح وأركب أنت جوادك

وأنا أركب بعض هذه النياق وأسير بكما الليلة جميعها فما يصبح الصباح إلا وقد قطعت بكم ا براري وقفارا وتكون قد بلغت مرادك وظفرت بمحبوبة قلبك وأرض الله واسعة فضاها وأذ ا والله مساعدك ما حييت بروحي ومالي وسيفي. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت ع ن الك لام المباح.

(وفي ليلة ٦٣٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن جميلاً لما قال لابن عمه على أخذ الجارية ويذهبان بها في الليل ويكون عوناً له ومساعداً مدة حياته فلما سمع ذلك قال يا ابن العم حتى أشاورها ف ي ذلك فإنها عاقلة لبيبة بصيرة بالأمور قال جميل فلما جن الليل وحـ ان وق ت مجيئه ا وه و ينتظرها في الوقت المعلوم فأبطأت عن عادتها فرأيت الفتى خرج من باب الخباء وف تح ف اه وجعل يتنسم هبوب الريح الذي يهب من نحوها وينشد هذين البيتين:

ريح الص با يه دي إل ى نس يم ... م ن بل دة فيه ا الحبي ب مق يم

يا ريح فيك من الحبي ب علام ة ... أفتعلم ـين مت ـى يك ـون ق ـدوم

ثم دخل الخباء وقعد ساعة زمانية وهو يبكي ثم قال يا ابن العم أن لابنة عمي في ه ذه الليلة نبأ وقد حدث لها حادث أو عاقها عني عائق ثم قال لي كن مكانك حتى آتيك بالخبر ث م أخذ سيفه وترسه وغاب على ساعة من الليل ثم أقبل وعلى يده شيء يحمله ثم ص اح عل ي فأسرعت إليه فقال يا ابن العم أتدري ما الخبر فقلت لا والله فقال له فجعت في ابنة عمي هذه الليلة لأنها قد توجهت إلينا فتعرض لها في طريقها أسد فافترسها ولم يبق منها إلا ما ترى ث م طرح ما كان على يده فإذا هو مشاش الجارية وما فضل من عظامها ثم بك ى بك اء ش ديداً ورمى القوس من يده وأخذ كيساً على يده ثم قال لي لا تبرح إلى أن آتيك إن شاء الله تع الى ثم سار فغاب عني ساعة ثم عاد وبيده رأس أسد فطرحه من يده ثم طلب ماء فأتيته به فغس ل فم الأسد وجعل يقبله ويبكي وزاد حزنه عليها وجعل ينشد هذه الأبيات:

ألا أيه ا اللي ث المغ ـر بنفس ـه ... هلكت وقد هيجت لي بع دها حزن ا

وصيرتني فرادا وقد كن ت ألفه ا ... وصيرت بطن الأرض قبراً لها رهنا

أق ـول ال ـدهر س ـاءني بفراقه ـا ... معاذ إليه ا أن ترين ي له ا خ دنا

ثم قال يا ابن العم سألتك بالله وبحق القرابة والرحم التي بيني وبينك أن تحفظ وص يتي فستراني الساعة ميتاً بين يديك فإذا كان ذلك فغسلني وكفني أنا وهذا الفاضل من عظام ابن ة عمي في هذا الثوب وأدفنا جميعاً في قبر واحد وأكتب على قبرنا هذين البيتين.

كنا على ظهرها والعيش في رغ د ... والشمل مجتم ع وال دار وال وطن

ففرق ال دهر والتص ريف الفتن ا ... وصار يجمعنا ف ي بطنه ا الكف ن

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٣٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الغلام وصى جميل بأن يكتب بعد موته على قبره بيتين الشعر ثم بكى بكاء شديداً ودخل الخباء وغاب عني ساعة وخرج وصار يتنهد ويصد يح ث م شهق شهقة ففارق الدنيا فلما رأيت ذلك منه عظم عليّ وكبر عندي حتى كدت أن ألحق به من شدة حزني عليه ثم تقدمت إليه فأضجعته وفعلت به ما أمرني من العمل وكفنتهم ا ودفنتهم ا جميعاً في قبر واحد وأقمت عند قبرهما ثلاثة أيام ثم ارتحلت وأقم ت س نتين أت ردد إل ى زيارتهما وهذا ما كان من حديثهما يا أمير المؤمنين فلما سمع الرشيد كلامه أستحسنه وخل ع عليه وأجازه جائزة حسنة.

{حكاية ضمرة بن المغيرة التي حكاها حسين الخليع لهارون الرشيد}

(وحكى أيضاً) أيها الملك السعيد أن هارون الرشيد أرق ليلة فوجه إلى الأصمعي وإل ى حسين الخليع فأحضرهما وقال حدثاني وأبدا أنت يا حسين فقال نعم يا أمير المؤمنين خرج ت في بعض السنين منحدراً إلى البصرة ممتدحاً محمد بن سليمان الربعي بقصيدة فقبلها وأمرني بالمقام فخرجت ذات يوم إلى المريد وجعلت المهالبة طريقي فأصابني حر شديد فدنوت م ن باب كبير لا ستسقى وإذا أنا بجارية كأنها قضيب يثني سناء العينين زجاء الح اجبين أس يلة الخدين عليها قميص جلناري ورداء صنعاني قد غلبت شدة بياض يديها حمرة قميصها ي تلألأ من تحت القميص ثديان كرمانتين وبطن كطي القباطي بعكن كالقراطيس الناص عة المعق ودة بالمسك محشوة وهي يا أمير المؤمنين متقلدة بخرز من الذهب الأحمر وهو بين نهديها وعلى صحن جبينها طرة كالسبج ولها حاجبان مقرونان وعينان نجلاوان وخدان أسيلان وأنف أقنى تحته ثغر كاللؤلؤ وأسنان كالدر وقد غلب عليها الطيب وهي والهة حيرانة ذاهبة تروح وتجيء تخطو على أكباد محبيها في مشيها وقدر سيقانها أصوات خلالها فهي كما قال فيها الشاعر.

ك . ل ج . ـزء ف . ي محاسـ . ـنها   مرسـ . ـل مـ . ـن حسـ . ـنها مـ . ـثلا

فهبتها يا أمير المؤمنين ثم دنوت منها لأسلم عليها فإذا الدار والدهاليز والشارع قد عبق بالمسك فسلمت عليها فردت علي بلسان خاشع وقلب حزين بلهب الوجد محترق فقلت لها ي ا سيدتي أني شيخ غريب وأصابني عطش افتأمرين لي بشربة ماء تؤجرين عليها قال ت إلي ك عني يا شيخ فإني مشغولة عن الماء والزاد. وأدرك شهرزاد الصباح فس كتت ع ن الك لام المباح.

(وفي ليلة ٦٣٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية قالت أني مشغولة عن الماء والزاد فقلت لأي علة يا سيدتي قالت أني أعشق من لا ينصفني وأريد من لا يريدني ومع ذلك فأني ممتحنة بمراقبة الرقباء فقلت وهل يا سيدتي على بسيطة الأرض من تريدنه ولا يريدك قالت نعم وذلك لفضل ماركب فيه من الجمال والكمال والدلال قلت وما وقوفك في هذا الدهليز قالت ههنا طريق وهذا وقت اجتيازه وقلت لها يا سيدتي فهل اجتمعتما في وقت من الأوقات وتحدثتما حديثاً أوجب هذا الوجد فتنفست الصعداء وأرخت دموعها على خدها كظل سقط على ورد ثم انشدت هذين البيتين:

وكنا كغصني بانة فوق روضة ... نشم جني اللذات في عيشة رغد
فافرد هذا الغصن من ذاك قاطع ... فيا من رأى فرداً يحن إلى فرد

قلت يا هذا فما بلغ من عشقك لهذا الفتى قالت أرى الشمس على حيطان أهله فاحسب أنها هو وربما أراه بغتة فأبهت ويهرب الدم والروح من جسدي وألقى الأسبوع والأسبوعين بغير عقل فقلت لهاأعذريني فأني على مثل ما بك من الصبابة مشتغل البال بالهوى وانتحال الجسم وضعف القوى أرى بك من شحوب اللون ورقة البصيرة ما يشهد بتباريح الهوى وكيف لا يمسك الهوى وأنت مقيمة في أرض البصرة قالت والله كنت قبل محبتي هذا الغلام في غاية الدلال يهيئة الجمال والكمال ولقد فتنت جميع ملوك البصرة حتى افتتن بي هذا الغلام قلت يا هذه ما الذي فرق بينكما قالت نوائب الدهر ولحديثي وحديثه شأن عجيب وذلك أني قعدت في يوم نيروز ودعوت عدة من جواري البصرة وفي تلك الجواري جارية سيران وكان ثمنها عليه من عمان ثمانين ألف درهم وكانت لي محبة وبي مولعة فلما دخلت رمت نفسها وكادت تقطعني قرصاً وعضا ثم خلونا نتنعم بالشراب إلى أن يتهيأ طعامنا ويتكامل سرورنا وكادت تلاعبني وألاعبها فتارة أنا فوقها وتارة هي فوقي فحملها السكر على أن ضربت يدها إلى دكتي فحلتها من غير ريبة كانت بيننا ونزل سروالي بالملاعبة فبينما نحن كذلك إذا دخل هو على حين غفلة فرأى ذلك فاغتاظ لذلك وانصرف عني انصراف المهرة العربية إذا سمعت صلاصل لجامها فولى خارجاً وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٣٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية قالت لحسين الخليع أن محبوبي لما رأى ما ذكرت لك من ملاعبتي مع جارية سيران خرج مغضباً مني فأنا يا شيخ منذ ثلاث سنين لم أزل أعتذر إليه وأتلطف به واستعصفه فلا ينظر إلي بطرف ولا يكتب إلي بحرف ولا يكلم لي رسولاً ولا يسمع مني قليلاً قلت لها يا هذه أمن العرب هو أمن من العجم قالت ويحك هو من جملة ملوك البصرة فقلت لها أشيخ هو أم شاب فنظرت إلى شزرا وقالت أنك أحمق هو مثل

القمر ليلة البدر أجرد أمرد لا يعيبه شيء غير أنحرافه عني فقلت لها ما اسمه قالت ما تصنع به قلت اجتهد في لقائه لتحصيل الوصال بينكما قالت على شرط أن تحمل إليه رقعة قلت لا أكره ذلك فقالت اسمه ضمرة ابن المغيرة ويكنى بأبي السخاء وقصره بالمريد ثم صاحت على من في الدار هاتوا الدواة والقرطاس وشمرت عن ساعدين كأنهما طوفان من فضة وكتبت بعد البسملة سيدي ترك الدعاء في صدر رقعتي ينبيء عن تقصيري واعلم أن دعائي لو كان مستجاباً ما فارقتني لأني كثيراً ما دعوت أن لا تفارقني وقد فارقتني ولولا أن الجهد تجاوز بي حد التقصير لكان ما تكلفته خادمتك من كتابة هذه الرقعة معيباً لها مع يئسها منك لعلمها أنك تترك الجواب وأقصى مرادها سيدي نظرة إليك وقت اجتيازك في الشارع إلى الدهليز تجبى بها نفساً ميتة وأجل من ذلك عندها أن تحفظ بخط يدك بسطها الله بكل فضيلة رقعة وتجعلها عوضاً عن تلك الخلوات التي كانت بيننا في الليالي الخاليات التي أنت ذاكراً لها سيدي الست لك محبة مدنفة فإن أجبت إلى المسألة كنت لك شاكرة ولله حامدة والسلام فتناولت الكتاب وخرجت وأصبحت غدوت إلى باب محمد بن سليمان فوجدت مجلساً محتفلاً بالملوك ورأيت غلاماً وقد زان المجلس وفاق على من فيه جمالاً وبهجة قد رفعه الأمير فوقه فسألت عنه فإذا هو ضمرة بن المغيرة فقلت في نفسي معذورة المسكينة بما حل بها ثم قمت وقصدت المريد ووقفت على باب داره فإذا هو قد ورد في موكب فوثبت إليه وبلغت في الدعاء وناولته الرقعة فلما قرأها وعرف قال لي يا شيخ قد استبد لنا بها فهل لك أن تنظر البديل قلت نعم فصاح على فتاة وإذا هي جارية تخجل ناهدة الثديين تمشي مشية مستعجل من غير وجل فناولها الرقعة وقال أجيبي عنها فلما قرأتها أصفر لونها حيث عرفت ما فيها وقالت يا شيخ استغفر الله بما جئت فيه فخرجت يا أمير المؤمنين وأنا أجر رجلي حتى أتيتها واستأذنت عليها ودخلت فقالت ما وراءك قلت البأس واليأس قالت ما عليك منه فأين والله والقدرة ثم أمرت لي بخمسمائة دينار وخرجت ثم جزت على ذلك المكان بعد أيام فوجدت غلماناً وفرساناً فدخلت وإذا هم أصحاب ضمرة يسألونها الرجوع فيه وهي تقول والله ما نظرت له في وجه فسجدت شكراً لله يا أمير المؤمنين شماتة بضمرة وتقربت من الجارية فأبرزت لي رقعة فإذا فيها بعد التسمية سيدتي لولا أبقائي عليك أدام الله حياتك لوصفت شطراً مما حصل منك وبسطت عذري في ظلامتك أياي إذا كانت الجانية على نفسك ونفسي المظهرة لسوء العهد وقلة الوفاء والمؤثرة علينا غيرنا فخالفت هواي والله المستعان على ما كان من اختيارك والسلام وأوقفتني على ما حمله إليها من الهدايا والتحف وإذا هو بمقدار ثلاثين ألف دينار ثم رأيتها بعد ذلك وقد تزوج بها ضمرة فقال الرشيد لولا أن ضمرة سبقني إليها لكان لي معها شأن من الشئون وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

{حكاية أحمد الدنف وحسن شومان مع دليلة المحتالة وبنتها زينب النصابة}

(وحكى أيضاً) أيها الملك السعيد أنه كان في زمن خلافة هارون الرشيد رجل يسمى أحمد الدنف وآخر يسمى حسن شومان وكانا صاحبي مكر وحيل ولهما أفعال عجيبة فبسبب ذلك خلع الخليفة على أحمد الدنف خلعة وجعله مقدم الميمنة وخلع على حسن شومان خلعة وجعله مقدم الميسرة وجعل لكل منهما جامكية في كل شهر ألف دينار وكان لكل واحد منهما أربعون رجلاً من تحت يده وكان مكتوباً على أحمد الدنف درك البر فنزل أحمد الدنف ومعه حسن شومان والذين من تحت أيديهما راكبين والأمير خالد الوالي بصحبتهم والمنادي ينادي حسبما رسم الخليفة أنه لا مقدم ببغداد في الميمنة إلا المقدم أحمد الدنف ولا مقدم ببغداد في الميسرة إلا حسن شومان وأنهما مسموعاً الكلمة واجبا الحرمة وكان في البلدة عجوز تسمى الدليلة المحتالة ولها بنت تسمى زينب النصابة فسمعتا المناداة بذلك فقالت زينب لأمها الدليلة انظري يا أمي هذا أحمد الدنف جاء من مصر مطرودا ولعب مناصف في بغداد إلى أن تقرب عند الخليفة وبقى مقدم الميمنة وهذا الولد الأقرع حسن شومان مقدم الميسرة وله سماط في الغداء وسماط في العشاء ولهما جوامك لكل واحد منهما ألف دينار في كل شهر ونحن معطلون في هذا البيت لا مقام لنا ولا حرمة وليس لنا من يسأل عنا وكان زوج الدليلة مقدم بغداد سابقاً وكان له عند الخليفة في كل شهر ألف دينار فمات عن بنتين بنت متزوجة ومعها ولد يسمى أحمد اللقيط وبنت عازبة تسمى زينب النصابة وكانت الدليلة صاحبة حيل وخداع ومناصف وكانت تتحيل على الثعبان حتى تطلعه من وكره وكان أبليس يتعلم منها المكر وكان زوجها براما عند الخليفة وكان له جامكية في شهر ألف دينار وكان يربي حمام البطاقة الذي يسافر بالكتب والرسائل وكان عند الخليفة كل طير لوقت حاجته أعز من واحد من أولاده فقالت زينب لأمها قومي أعملي حيلاً ومناصف لعل بذلك يشتهر لنا صيت في بغداد وتكون لنا جامكية أبينا وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٣٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن زينب النصابة لما قالت لأمها قومي اعملي لنا حيلاً ومناصف لعل بذلك يشيع لنا صيت في بغداد فتكون لنا جامكية أبينا فقالت لها وحياتك يا بنتي لالعبن في بغداد مناصف أقوى من مناصف أحمد الدنف وحسن شومان فقامت ضربت لثاماً ولبست لباس الفقراء من الصوفية ولبست لباساً نازلاً لكعبها وجبة صوف وتحزمت بمنطقة عريضة وأخذت أبريقاً وملأته ماء لرقبته وحطت في فمه ثلاث دنانير وغطت فم الأبريق بليفة وتقلدت بسج قدر حملة حطب وأخذت راية في يدها وفيها شراميط حمر وصفر وطلعت تقول الله الله واللسان ناطق بالتسبيح والقلب واكض في ميدان القبيح وصارت تتلمح لمنصف

تلعبه في البلد فسارت من زقاق إلى زقاق حتى وصلت إلى زقاق مكنوس مرشوش وبالرخام مفروش فرأت باباً مقوصراً بعتبة من مرمر ورجلاً مغربياً بواباً واقفاً بالباب وكانت تلك الدار لرئيس الشاويشية عند الخليفة وكان صاحب الدار ذا زرع وبلاد وجامكية واسعة وكان يسمى حسن شر الطريق وما سموه بذلك إلا لكون ضربته تسبق كلمته وكان متزوجاً بصبية مليحة وكان يحبها وكانت ليلة دخلته بها حلفته أنه لا يتزوج عليها ولا يبيت في غير بيتها إلى أن طلع زوجها يوماً من الأيام إلى الديوان فرأي كل أمير معه ولداً وولدان وكان قد دخل الحمام ورأى وجهه في المرآة فرأى بياض شعر ذقنه غطى سوادها فقال في نفسه هل الذي أخذ أباك لا يرزقك ولداً ثم دخل على زوجته وهو متغاظ فقالت له مساء الخير فقال لها روحي من قدامي من يوم رأيتك ما رأيت خيراً فقالت له لأي شيء فقال لها ليلة دخلت عليك حلفتيني أني ما أتزوج عليك ففي هذا اليوم رأيت الأمراء كل واحد معه ولد وبعضهم معه ولدان فتذكرت الموت وأنا ما رزقت بولد ولا بنت ومن لا ذكر له لا يذكر وهذا سبب غيظي فأنك عاقر لا تحبلين مني فقالت له اسم الله عليك أنا خرقت الأهوان من دق الصوف والعقاقير وأنا ما مالي ذنب والعاقة منك لانك بغل أفطس وبيضك رائق لا يحبل ولا يجيء بأولاد فقال لها لما أرجع من السفر أتزوج عليك فقالت له نصيبي على الله تعالى وطلع من عندها وندما على معاشرة بعضهما فبينما زوجته تطل من طاقتها وهي كأنها عروسة كنز من المصاغ الذي عليها وإذا بدليلة واقفة فرأتها فنظرت عليها صيغة وثياباً مثمنة فقالت في نفسها يا دليلة لا أصنع من أن تأخذي هذه الصبية من بيت زوجها وتعريها من المصاغ والثياب وتأخذي جميع ذلك فوقفت وذكرت تحت شباك القصر وقالت الله الله فرأت الصبية هذه العجوزة وهي لابسة من الثياب البيض ما يشبه قبة من نور متهيئة بهيئة الصوفية وهي تقول أحضروا يا أولياء الله فطلت النساء من الطيقان وقالت شيء لله من المدد هذه شيخة طالع من وجهها النور فبكت خاتون زوجة الأمير حسن وقالت لجاريتها أنزلي قبلي يد الشيخ أبو علي البواب وقولي له خليه يدخل الشيخة لنتبرك بها فنزلت وقبلت يده وقالت سيدتي تقول لك خل هذه الشيخة تدخل إلى سيدتي لنتبرك بها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٣٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية لما نزلت للبواب وقالت له سيدتي تقول لك خل هذه الشيخة تدخل لنتبرك بها لعل بركتها تعم علينا فتقدم البواب وقبل يدها فمنعته وقالت له أبعد عني لئلا تنقض وضوئي أنت الآخر مجذوب وملحوظ من أولياء الله الله يعتقك من هذه الخدمة يا أبا علي وكان للبواب أجرة ثلاثة أشهر على الأمير وكان معسراً ولم يعرف أن يخلصها من ذلك الأمير فقال لها يا أمي أسقيني من أبريقك لأتبرك بك فأخذت الأبريق من على كتفها وبرمت به في الهواء وهزت يدها حتى طارت الليفة من فم الأبريق فنزلت الثلاثة

دنانير على الأرض فنظرها البواب والتقطها وقال في نفسه شيء لله هذه الشيخة من أصحاب التصرف فإنها كاشفت علي وعرفت أني محتاج للمصروف فتصرفت لي في حصول ثلاثة دنانير من الهواء ثم أخذهما في يده وقال لها خذي يا خالة الثلاثة دنانير التي وقعت على الأرض من أبريقك فقالت له العجوز أبعدها عني فأني من ناس لا يشتغلون بدنيا أبداً خذها ووسع بها على نفسك عوضاً عن الذي لك عند الأمير فقال شيء لله من المدد وهذا من باب الكشف وإذا بالجارية قبلت يدها وأطلعتها لسيدتها فلما دخلت رأت سيدة الجارية كأنها كنز انفكت عنه الطلاسم فرحبت بها وقبلت يدها فقالت لها يا بنتي أنا ما جئتك إلا بمشورة فقدمت لها الأكل فقالت لها يا بنتي أنا ما آكل إلا من مأكل الجنة وأديم صيامي فلا أفطر إلا خمسة أيام في السنة ولكن يا بنتي أنا أنظرك مكدرة ومرادي أن تقولي لي على سبب تكديرك فقالت يا أمي في ليلة ما دخلت حلفت زوجي أنه لا يتزوج غيري فرأى الأولاد فتشوق إليهم فقال لي أنت عاقر فقلت له أنت بغل لا تحبل فخرج غضبان وقال لي لما أرجع من السفر أتزوج عليك وأنا خائفة يا أمي أن يطلقني وياخذ غيري فإن له بلاداً و زروعاً وجامكية واسعة فإذا جاء له أولاد من غيري يملكون المال والبلاد مني فقالت لها يا بنتي هل أنت عمياء عن شيخي أبي الحملات فكل من كان مديوناً وزاره قضى الله دينه وأن زارته عاقر فإنها تحبل فقالت يا أمي أنا من يوم دخلت ما خرجت لا معزية ولا مهنية فقالت لها العجوز يا بنتي أنا آخذك معي وأزورك أبا الحملات وأرمي حملتك عليه وأنذري له نذراً عسى أن يجيء زوجك من السفر ويجامعك فتحبلي منه ببنت أو ولد وكل شيء ولدتيه إن كان أنثى أو ذكر يبقى درويش الشيخ أبي الحملات فقامت الصبية ولبست مصاغها جميعه ولبست أفخر ما كان عندها من الثياب وقالت للجارية ألقي نظرك على البيت فقالت سمعاً وطاعة يا سيدتي وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٣٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الصبية لما قالت للجارية ألقي نظرك على البيت قالت سمعاً وطاعة ثم نزلت فقابلها الشيخ أبو علي البواب فقال لها إلى أين يا سيدتي فقالت أنا رائحة لأزور الشيخ أبو الحملات فقال البواب صوم العام يلزمني أن هذه الشيخة من الأولياء وملآنة بالولاية وهي يا سيدتي من أصحاب التصريف لأنها أعطتني ثلاثة دنانير من الذهب الأحمر وكاشفت عليّ من غير أن أسألها وعلمت أني محتاج فخرجت العجوز والصبية زوجة الأمير حسن شر الطريق معها والعجوز الدليلة المحتالة تقول للصبية إن شاء الله يا بنتي لما تزورين الشيخ أبا الحملات يحصل لك جبر الخاطر وتحبلين بإذن الله تعالى ويحبك زوجك الأمير حسن ببركة هذا الشيخ لا يسمعك كلمة تؤذي خاطرك بعد ذلك فقالت لها أزوره يا أمي ثم قالت العجوز في نفسها أني أغريها وآخذ ثيابها والناس رائحة وغادية فقالت لها يا بنتي إذا

مشيت فامشي ورائي على قدر ما تنظرينني لأن أمك صاحبة حمل كثيرة وكل من كان علي ه حمل يرميها على وكل من كان معه نذر يعطيه لي ويقبل يدي فمشت الصبية وراءه ا بعي داً عنها والعجوز قدامها إلىأن وصلتا سوق التجار والخلخال يرن والعقوص تشن فمرت عل ى دكان ابن تاجر يسمى سيدي حسن وكان مليحاً جداً نبات بعارضيه فرأى الصبية مقبلة فص ار يلحظها زراً فلما لحظت ذلك العجوز غمزت الصبية وقالت لها أقعدي على هذا الدكان حت ى أجيء إليك فامتثلت أمرها وقعدت قدام دكان ابن التاجر فنظرها ابن التاجر نظرة أعقبته أل ف حسرة ثم أتته العجوز وسلمت عليه وقالت له هل أنت اسمك سيدي حسن ابن التاجر محس ن فقال لها نعم من أعلمك بإسمي فقالت دلني عليك أهل الخير واعلم أن هذه الصبية بنتي وك ان أبوها تاجراً فمات وخلف لها مالاً كثيراً وهي بالغة وقالت العقلاء اخطب لبنت ك ولا تخط ب لابنك وعمرها ما خرجت إلا في هذا اليوم وقد جاءت الإشارة ونويت في أسري أن أزوج ك بها وأن كنت فقيراً أعطيتك رأس مال وافتح لك عوض الدكان اثنين فقال ابن التاجر في نفسه قد سالت الله عروسة فمن علي بثلاثة أشياء كيس وكس وكساء ثم قال لها يا أمي نعم ما شرت به على فإن أمي طالما قالت لي أريد أن أزوجك ولم أرض بل أقول أنا ما أت زوج إلا عل ى نظر عيني فقالت له قم على قدميك واتبعني وأنا أريك لك عريانة فقام معها وأخذ مع ه أل ف دينار وقال في نفسه ربما نحتاج إلى شيء فنشتريه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٤٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العجوز قالت لحسن أبن التاجر محسن قم وأتبعني وأنا أريها لك عريانة فقام معها وأخذ معه ألف دينار وقال في نفسه ربما نحتاج إلى شيء فنشتريه ونحط معلوم العقد ثم قالت له العجوز كن ماشياً بعيداً عنها على قدر ما تنظرها بالعين قال ت العجوز في نفسها أين تروحين بابن التاجر وقد قفل دكانه فتعريه ه و والصد بية ث م مش ت والصبية تابعة لها وابن التاجر تابع للصبية إلى أن أقبلت على مصبغة وكان بها واحد معل م يسمى الحاج محمد وكان مثل سكين القلاقسي يقطع الذكر والأنثى يحب أكل الت ين والرم ان فسمع الخلخال يرن فرفع عينه فرأى الصبية والغلام وإذا بالعجوز قعدت عنده وسلمت علي ه وقالت له أنت الحاج محمد الصباغ فقال لها نعم أنا الحاج محمد أي شيء تطلبين فقالت له أنا دلني عليك أهل الخير فانظر هذه الصبية المليحة بنتي وهذا الشاب الأمرد المليح ابن ي وأن ا ربيتهما وصرفت عليهما أموالاً كثيرة واعلم أن لي بيتاً كبيراً قد خسع وصلبته عل ى خش ب وقال لي المهندس اسكني في مطرح غيره لربما يقع عليك حتى تعمريه وبعد ذلك ارجعي إليه وأسكني فيه فطلعت أفتش لي على مكان فدلني عليك أهل الخير ومرادي أن أسكن عندك بنتي وأبني فقال الصباغ في نفسه قد جاءتك زبدة على فطيرة فقال لها صحيح أن لي بيت اً وقاع ة

وطبقة ولكن أنا ما أستغني عن مكان منها للضيوف والفلاحين أصحاب النيلة فقالت له يا ابني معظمه شهراً أو شهران حتى نعمر البيت ونحن ناس غرباء فاجعل مكان الضيوف مشتركاً بيننا وبينك وحياتك يا ابني أن طلبت أن ضيوفك تكون ضيوفنا فمرحباً بهم نأكل معهم وننام معهم فأعطاها المفاتيح واحداً كبيراً وآخر صغيراً ومفتاح أعوج وقال لها المفتاح الكبير للبيت والأعوج للقاعة والصغير للطبقة فأخذت المفاتيح وتبعتها الصبية ووراءها ابن التاجر إلى أن أقبلت على زقاق فرأت الباب ففتحته ودخلت ودخلت الصبية وقالت لها يا بنتي هذا بيت الشيخ أبي الحملات وأشارت لها إلى القاعة ولكن أطلعي الطبقة وحلي أزرارك حتى أجيء إليك فدخلت الصبية في الطبقة وقعدت فأقبل ابن التاجر فاستقبلته العجوز وقالت له أقعد في القاعة حتى أجيء إليك ببنتي لتنظرها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٤١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العجوز استقبلت ابن التاجر وقالت أقعد في القاعة حتى أجيء إليك فدخل وقعد في القاعة ودخلت العجوز على الصبية فقالت لها الصبية أنا مرادي أن أزور أبا الحملات قبل أن يجيء الناس فقالت لها يا بنتي يخشى عليك فقالت لها من أي شيء فقالت لها هناك ولدي أهبل لا يعرف صيفاً من شتاء دائماً عريان وهو نقيب الشيخ فإن دخلت بنت ملك مثلك لتزور الشيخ يأخذ حلقها ويشرم أذنها ويقطع ثيابها الحرير فأنت تقلعين صيغتك وثيابك لاحفظها لك حتى تزوري فقلعت الصبية الصيغة والثياب وأعطت العجوز إياها وقالت لها أني أضعها لك على ستر الشيخ فتحصل لك البركة ثم أخذتها العجوز وطلعت وخلتها بالقميص واللباس وخبأتها في محل السلالم ثم دخلت على ابن التاجر فوجدته في انتظار الصبية فقال لها أين بنتك حتى أنظرها فلطمت على صدرها فقال لها مالك فقالت له لا عاش الجار السوء ولا كان جيران يحسدون لأنهم رأوك داخلاً معي فسألوني عنك فقلت أنا خطبت لبنتي هذا العريس فحسدوني عليك فقالوا لبنتي هل أمك تعبت من مؤنتك حتى تزوجك لواحد مبتلى فحلفت لها أني ما أخليها تنظرك إلا وأنت عريان فقال أعوذ بالله من الحاسدين وكشف عن ذراعيه فرأتهما مثل الفضة فقالت له لا تخش من شيء فأني أدعك تنظرها عريانة مثل ما تنظرك عرياناً فقال لها خليها تجيء لتنظرني وقلع الفروة السمور والحباصة والسكين وجميع الثياب حتى صار بالقميص واللباس وحط الألف دينار في الحوائج فقالت له هات حوائجك حتى أحفظها لك وأخذتها ووضعتها على حوائج الصبية وحملت جميع ذلك وخرجت به من الباب وقفلته عليهما وراحت إلى حال سبيلها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٤٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العجوز لما أخذت حوائج ابن التاجر وحوائج الصد بية وقفلت الباب عليهما وراحت إلى حال سبيلها وأودعت الذي كان معه ا عند رجل عطار وراحت إلى الصباغ فرأته قاعداً في انتظارها فقال لها إن شاء الله يكون البيت أعجبكم فقالت فيه بركة وأنا رائحة أجيء بالحمالين يحملون حوائجنا وفرشنا وأولادي قد اشتهوا على عيشاً بلحم فأنت تأخذ هذا الدينار وتعمل لهما عيشاً بلحم وتروح تتغذى معهم فقال الصباغ ومن يحرص المصبغة وحوائج الناس فيها فقالت صبيك قال وهو كذلك ثم أخذ صحناً ومكبة معه وراح يعمل الغداء هذا ما كان من أمر الصباغ وله كلام يأتي (وأما) ما كان من أمر العجوز فإنها أخذت من العطار حوائج الصبية وابن التاجر ودخلت المصبغة وقالت لصبي الصباغ الحق معلمك وأنا لا أبرح حتى تأتياني فقال لها سمعاً وطاعة ثم أخذت جميع ما فيها وإذا برجل حمار حشاش له أسبوع وهو بطال فقالت له العجوز تعال يا حمار فجاءها فقالت له هل أنت تعرف ابني الصباغ قال لها أعرفه قالت أعطي الحوائج لأصحابها ومرادي أن تعطيني الحمار حتى أحمل عليه الحوائج للناس وخذ هذا الدينار كرامة وبعد أن أروح تأخذ الدسترة وتنتزح بها الذي في الخوابي ثم شكر الخوابي والدنان لأجل إذا نزلت كشف من طرف القاضي لا يجد شيء في المصبغة فقال لها أن المعلم فضله عليّ وأعمل شيء لله فأخذت الحوائج وحملتها فوق الحمار وستر عليها الستار وعمدت إلى بيتها فدخلت على بنتها زينب فقالت لها قلبي عندك يا أمي أي شيء عملت من المناصف فقالت لها أنا لعبت أربع مناصف على أربعة أشخاص ابن تاجر وامرأة شاويش وصباغ وحمار وجئت لك بجميع حوائجهم على حمار الحمار فقالت لها يا أمي ما بقيت تقدري أن تشقي في البلد من الشاويش الذي أخذت حوائج امرأته وابن التاجر الذي عرتيه والصباغ الذي أخذت حوائج الناس من مصبغته والحمار صاحب الحمار فقالت آه يا بنتي أنا ما أحسب إلا حساب الحمّار فإنه يعرفني (وأما) ما كان من أمر المعلم الصباغ فإنه جهز العيش باللحم وحمله على رأس خادمه وفات على المصبغة فرأى الحمار يكسر في الخوابي ولم يبق فيها قماش ولا حوائج ورأى المصبغة خراباً فقال له ارفع يدك يا حمار فرفع يده الحمار وقال له الحمار الحمد لله على السلامة يا معلم قلبي عليك فقال له لأي شيء وما حصل لي فقال له قد صرت مغلماً وكتبوا حجة إعسارك فقال له من قال لك فقال أمك قالت لي وأمرتني بكسر الخوابي ولاح الدنان خوفاً من الكشاف إذا جاء ربما يجد في المصبغة شيء فقال الله يخيب البعيدان أمي ماتت من زمان ودق صدره بيده وقال يا ضياع مالي ومال الناس فبكى الحمار وقال يا ضيعة حماري ثم قال للصباغ يا صباغ هات لي حماري من أمك فتعلق الصباغ بالحمار وصار يلكمه ويقول أحضر لي العجوز فقال له أحضر لي الحمار فاجتمعت عليهما الخلائق وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٤٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الصباغ تعلق بالحمار والحمار تعلق بالصباغ وتضاربا وصار كل واحد منهما يدعي على صاحبه فاجتمعت عليهم الخلائق فقال واحد منهم أي شيء الحكاية يا معلم محمد قال له الحمّار أنا أحكي لكم الحكاية وحدثهم بما جرى له وقال أني أظن أني مشكور عند المعلم فدق صدره وقال لي أمي ماتت وأنا الآخر أطلب حماري منه لأنه عمل على هذا المنصف لأجل أن يضيع حماري فقالت الناس يا معلم محمد وهذه أنت تعرفها لأنك استأمنتها على المصبغة والذي فيها فقال لا أعرفها وأنما سكنت عندي في هذا اليوم هي وأبنها وبنتها فقال واحد في ذمتي أن الحمار في عهدة الصباغ فقيل له ما أصله فقال لأن الحمار ما اطمأن وأعطى العجوز حماره إلا لما رأى الصباغ استأمن العجوز على المصبغة والذي فيها فقال واحد يا معلم لما سكنتها عندك وجب عليك أنك تجيء له بحمارة ثم تمشوا قاصدين البيت لهم كلام يأتي (وأما) ابن التاجر فإنه انتظر مجيء العجوز حتى تجيء بنتها (وأما) الصبية فإنها انتظرت العجوز أن تجيء لها بإذن من ابنها المجذوب الذي هو نقيب الشيخ أبي الحملات فلم ترجع إليها فقامت لتزوره وإذا بابن التاجر يقول لها حين دخلت تعالى أين أمك التي جاءت بي لأتزوج بك فقالت أن أمي ماتت فهل أنت ابنها المجذوب نقيب الشيخ أبي الحملات فقال هذه ما هي أمي هذه عجوز نصابة نصبت على حتى أخذت ثيابي والألف دينار فقالت له الصبية وأنا الأخرى نصبت علي وجاءت بي لأزور أبا الحملات وعرتني فصار بن التاجر يقول للصبية أنا ما أعرف ثيابي وألف دينار إلا منك والصبية تقول له أنا ما أعرف حوائجي وصيغتي إلا منك فأحضر لي أمك وإذا بالصباغ داخل عليهما فرأى ابن التاجر عرياناً والصبية عريانة فقال قولي لي أين أمكما فحكت الصبية جميع ما وقع لها وحكى ابن التاجر جميع ما جرى له فقال الصباغ يا ضياع مالي ومال الناس وقال الحمار يا ضياع حماري فقال الصباغ هذه عجوز نصابة اطلعوا حتى أقفل الباب فقال ابن التاجر يكون عيباً عليك أن ندخل بيتك لابسين ونخرج منه عريانين وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٤٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن ابن التاجر قال للصباغ يكون عيب عليك أن ندخل بيتك لابسين ونخرج عريانين فكساه وكسى الصبية وروحها بيتها ولها كلام يأتي بعد قدوم زوجها من السفر (وأما) ما كان من أمر الصباغ فإنه قفل المصبغة وقال لابن التاجر إذهب بنا لنفتش على العجوز ونسلمها للوالي فراح معه وبصحبتهما الحمّار ودخلوا بيت الوالي وشكوا إليه فقال لهما يا ناس أي شيء خبركم فحكوا له ما جرى لهم وقال كم عجوز في البلد روحوا فتشوا عليها وأمسكوها وأنا أقررها لكم فداروا يفتشون عليها ولهم كلام يأتي (وأما) العجوز

الدليلة المحتالة فإنها قالت لبنتها زينب يا بنتي أنا أريد أن أعمل منصفاً فقالت لها يا أمي أنا أخاف عليك فقالت لها أنا مثل سقط الفول عاص على الماء والنار فقامت ولبست ثياب خادمة من خدام الأكابر وطلعت تتلمح لمنصف تعمله فمرت على زقاق مفروش فيه قماش ومعلق فيه قناديل وسمعت فيه أغاني ونقر دفوف ورأت جارية على كتفها ولد بلباس مطرز بالفضة وعليه ثياب جميلة وعلى رأسها طربوش مكلل باللؤلؤ وفي رقبته طوق ذهب مجوهر وعليه عباءة من قطيفة وكان هذا البيت لشاه بندر التجار ببغداد والولد ابنه وله أيضاً بنت بكر مخطوبة وهم يعملون أملاكها في ذلك اليوم وكان عند أمها جملة نساء ومغنيات فكلما تطلع أمه أو تنزل يشبط معها الولد فنادت الجارية وقالت لها خذي سيدك لاعبيه حتى ينفض المجلس ثم أن العجوز دليلة لما دخلت رأت الولد على كتف الجارية فقالت لها أي شيء عند سيدتك اليوم من الفرح فقالت تعمل أملاك بنتها وعندها المغنيات فقالت في نفسها يا دليلة ما منتصف إلا أخذ هذا الولد من هذه الجارية وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٤٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العجوز لما قالت لنفسها يا دليلة ما منصف إلا أخذ هذا الولد من هذه الجارية قالت بعد ذلك يا فضيحة الشوم ثم أطلعت من جيبها ورقة صغيرة من الصفر مثل الدينار وكانت الجارية غشيمة ثم قالت العجوز للجارية خذي هذا الدينار وأدخلي لسيدتك وقولي لها أم الخير فرحت لك وفضلك عليها ويوم المحضر تجيء هي وبناتها وينعمن على المواشط بالنقوط فقالت الجارية يا أمي وسيدي هذا كلما ينظر أمه يتعلق بها فقالت هاتيه معي حتى تروحي وتجيئي فأخذت الجارية البرقة ودخلت وأما العجوز فإنها أخذت الولد وراحت إلى زقاق فقلعته الصيغة والثياب التي عليه وقالت لنفسها يا دليلة ما شطارة الأمثل ما لعبت على الجارية وأخذتيه منها أن تعملي منصفاً وتجعليه رهناً على شيء بألف دينار ثم ذهبت إلى سوق الجواهرجية فرأت يهودياً صائغاً وقدامه قفص ملآن صيغة فقالت في نفسها ما شطارة إلا أن تحتالي على هذا اليهودي وتأخذي منه صيغة بألف دينار وتحطي الولد رهنا عنده عليها فنظر اليهودي بعينه فرأى الولد مع العجوز فعرف أنه ابن شاه بندر التجار وكان اليهودي صاحب مال كثير وكان يحسد جاره إذا باع بيعة ولم يبع هو فقال لها أي شيء تطلبين يا سيدتي فقالت له أنت المعلم عذرة اليهودي لأنها سألت عن اسمه فقال لها نعم فقالت له أخت هذا الولد بنت شاه بندر التجار مخطوبة وفي هذا اليوم عملوا أملاكها وهي محتاجة لصيغة فأت لنا بزوجين خلاخل ذهباً وزوج أساور ذهباً وحلق لؤلؤ وحياصة وخنجر وخاتم فأخذت منه شيئاً بألف دينار وقالت له أنا آخذ هذا المصاغ على المشاورة فالذي يعجبهم يأخذونه وآتي إليك بثمنه وخذ هذا الولد عندك فقال الأمر كما تريدين فأخذت الصيغة وراحت بيتها فقالت لها بنتها أي شيء فعلت من المناصف فقالت لعبت منصفاً فأخذت ابن شاه بندر

التجار وأعريته ثم رحت رهنته على مصاغ بألف دينار فأخذتها من يهودي فقالت لها بنتها ما بقيت تقدري أن تمشي في البلد (وأما) الجارية فأنها دخلت لسيدتها وقالت ياسـ يدتي أم الخير ر تسلم عليك وفرحت لك ويوم المحضر تجيء هي وبناتها ويعطين النقوط فقالت لهـ ا سـ يدتها وأين سيدك فقالت لها خليته عندها خوفاً أن يتعلق بك وأعطتني نقوطاً للمغنيات فقالت لرئيسة المغنيات خذي نقوطك فأخذته فوجدته برقة من الصفر فقالت لها سيدتها أنزلـ ي يـ ا عـ اهرة أنظري سيدك فنزلت الجارية فلم تجد الولد ولا العجوز فصرخت وانقلبت على وجهها وتبـ دل فرحهم بحزن وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٤٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية لما نزلت لتنظر سيدها والعجوز فلم تجـ دهما فصرخت وانقلبت على وجهها وأخبرت سيدتها فتبدل فرحهم بحزن وإذا بشاه بندر التجار أقبل فحكت له زوجته جميع ما جرى فطلع يفتش عليه وصار كل تاجر يفتش من طريق ولم يـ زل شاه بندر التجار يفتش على ابنه حتى رأى ابنه عرياناً على دكان اليهودي فقال هذا ولدي فقال اليهودي نعم فأخذه أبوه ولم يسأل عن ثيابه لشدة فرحه به وأما اليهودي فأنه لما رأى التـ اجر أخذ ابنه تعلق به وقال الله ينصر فيك الخليفة فقال له التاجر مالك يا يهودي فقال اليهـ ودي أن العجوز أخذت مني صيغة لبنتك بألف دينار ورهنت هذا الولد عندي وما أعطيتهـ ا إلا لأنهـ ا تركت هذا الولد عندي رهناً على الذي أخذنه وما ائتمنتها إلا لكوني أعرف أن هذا الولد ولدك فقال التاجر أن ابنتي لا تحتاج إلى صيغة فاحضر لي ثياب الولـ د فصـ رخ اليهـ ودي وقـ ال أدركوني يا مسلمين وإذا بالحمار والصباغ وابن التاجر دائرون يفتشون على العجوز فسـ ألوا التاجر واليهودي عن سبب خناقهما فحكيا لهم ما حصل فقالوا أن هذه عجوز نصابة ونصـ بت علينا قبلكما وحكوا جميع ما جرى لهم معها فقال شاه بندر التجار لما لقيت ولدي فالثياب فداه وأن وقعت العجوز طلبت الثياب منها فتوجه شاه بندر التجار بابنه لأمه ففرحت بسلامته وأما اليهودي فإنه سأل الثلاثة وقال لهم أين تذهبون أنتم فقالوا له أنا نريد أن نفتش عليها فقال لهـ م خذوني معكم ثم قال لهم هل فيكم من يعرفها قال الحمار أنا أعرفها فقال لهم اليهودي إن طلعنا سواء لا يمكن أن نجدها وتهرب منا ولكن كل واحد منا يروح من طريق ويكـ ون اجتماعنـ ا على دكان الحاج مسعود المزين المغربي فتوجه كل واحد من طريق وإذا هي طلعت لتعمـ ل منصفاً فرآها الحمار فعرفها فتعلق بها وقال لها ويلك ألك زمان على هذا الأمر فقالت لـه مـ ا خبرك قال لها حماري ما فيه فقالت له أستر ما ستر الله يا ابني أنت طالب حمارك وإلا حوائج الناس فقال طالب حماري فقط فقالت له أنا رأيتك فقيراً وحمارك أودعته لـ ك عنـ د المـ زين المغربي فقف بعيداً حتى أصل إليك وأقول له بلطافة أن يعطيك أياه وتقدمت للمغربي وقبلـ ت يده وبكت فقال لها ما بالك فقالت له يا ولدي انظر ولدي الذي واقف كان ضـ عيفاً واسـ تهوى

فأفسد الهواء عقله وكان يقني الحمير فإن قام يقول حماري وأن قعد يقول حماري وإن مشـ ى يقول حماري فقال لي حكيم من الحكماء أنه اختل في عقله ولا يطيبه إلا قلع ضرسين ويكوى في أصداغه مرتين فخذ هذا الدينار وناده وقل له حمارك عندي فقال المغربي صوم رمضـ ان يلزمني لأعطينه حماره في كفه وكان عنده اثنان صناعية فقال لواحد منهما رح أحم مسمارين ثم ناد الحمار والعجوز راحت إلى حال سبيلها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عـ ن الكـ لام المباح.

(وفي ليلة ٦٤٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن المغربي قال لصانعه أحم مسـ مارين ونـ ـاد الحمـ ـار والعجوز راحت إلى حال سبيلها فلما جاء قال له أن حمارك عندي يا مسـ كين تعـ ـال خـ ذه وحياتي لأعطيتك أياه في كفك ثم أخذه ودخل به في قاعة مظلمة وإذا بالمغربي لكمـ ـه فوقـ ـع فسحبوه وربطوا يديه ورجليه وقام المغربي قلع له ضرسين وكواه على صدغه كيين ثم تركه فقام وقال يا مغربي لأي شيء عملت معي هذا الأمر فقال له أن أمك أخبرتني أنـ ـك مختـ ـل العقل لأنك استهويت وأنت مريض وأن قمت تقول حماري وأن قعـ دت تقـ ـول حمـ ـاري وأن مشيت تقول حماري وهذا حمارك في يدك فقال له تلقى من الله بسبب تقليعك أضراسي فقـ ـال له أن أمك قالت لي وحكى له جميع ما قالت فقال الله ينكد عليها وذهب الحمار هو والمغربـ ـي يتخاصمان وترك الدكان فلما رجع المغربي إلى دكانه لم يجد فيها شيئاً وكانت العجوز حـ ـين راح المغربي هو والحمار أخذت جميع ما في دكانه وراحت لبنتها زينب وحكت جميع ما وقع لها وما فعلت (وأما) المزين فأنه لما رأى دكانه خالية تعلق بالحمار وقال له أحضر أمك فقال له ما هي أمي وإنما هي نصابة نصبت على ناس كثيرين وأخـ ذت حمـ ـاري وإذا بالصـ ـباغ واليهودي وابن التاجر مقبلون فرأوا المغربي متعلقاً بالحمار والحمار مكوي علـ ـى أصـ ـداغه فقالوا له ما جرى لك يا حمار فحكى لهم جميع ما جرى وكذلك المغربي حكى قصته فقالوا له أن هذه عجوز نصابة نصبت علينا وحكوا له ما وقع فقفل دكانه وراح معهم إلى بيت الـ ـوالي وقالوا للوالي ما نعرف حالنا وما لنا إلا منك فقال الوالي وكم عجائز في البلد هل فـ ـيكم مـ ـن يعرفها فقال الحمار أنا أعرفها ولكن أعطنا عشرة من اتباعك فخرج الحمار باتبـ ـاع الـ ـوالي والباقي وراءهم ودار الحمار بالجميع وإذا بالعجوز دليلة مقبلة فقبضها هـ ـو واتبـ ـاع الـ ـوالي وراحوا بها إلى الوالي فوقفوا تحت شباك القصر حتى يخرج الوالي ثم أن اتباع الوالي نـ ـاموا من كثرة سهرهم مع الوالي فجعلت العجوز نفسها نائمة فنام الحمار ورفقاؤه كـ ذلك فانسـ ـلت منهم ودخلت إلى حريم الوالي فقبلت يدي سيدة الحريم وقالت لها أين الوالي فقالـ ـت نـ ـائم أي شيء تطلبين فقالت أن زوجي يبيع الرقيق فأعطاني خمسة مماليك أبيعهم وهو مسافر فقـ ـابلني

الوالي ففصلهم مني بألف دينار ومائتين لي وقال لي أوصليهم إلى البيت فأنا جئت بهم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٤٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العجوز لما طلعت إلى حريم الوالي قالت لزوجته أن الوالي فصل مني المماليك بألف دينار ومائتي دينار وقال أوصليهم إلى البيت وكان الوالي عنده ألف دينار وقال لزوجته أحفظيها حتى تشتري بها مماليك فلما سمعت من العجوز هذا الكلام تحققت من زوجها ذلك فقالت وأين المماليك قالت العجوز يا سيدتي هم نائمون تحت شباك القصر الذي أنت فيه فطلت السيدة من الشباك فرأت المغربي لابسا لبس المماليك وابن التاجر في صورة مملوك والصباغ والحمار واليهودي في صورة المماليك الحليق فقالت زوجة الوالي هؤلاء كل مملوك أحسن من ألف دينار ففتحت الصندوق وأعطت العجوز الألف دينار وقالت لها اصبري حتى يقوم الوالي من النوم ونأخذ لك منه المائتي دينار فقالت لها يا سيدتي منهما مائة دينار لك تحت القلة الشربات التي شربتها والمائة الأخرى إحفظها لي عندك حتى أحضر ثم قالت يا سيدتي أطلعيني من باب السر فأطلعتها منه وستر عليها الستار وراحت لبنتها فقالت لها يا أمي ما فعلت فقالت يا بنتي لعبته منصفاً وأخذت منه هذا الألف دينار من زوجة الوالي وبعت الخمسة رجال لها الحمار واليهودي والصباغ والمزين وابن التاجر وجعلتهم مماليك ولكن يا بنتي ما علي أضر من الحمّار فأنه يعرفني فقالت لها يا أمي أقعدي يكفي ما فعلت فما كل مرة تسلم الجرة (وأما) الوالي فأنه لما قام من النوم قالت له زوجته فرحت لك بالخمسة مماليك الذين اشتريتهم من العجوز فقال لها أي مماليك فقالت لأي شيء تتكر مني إن شاء الله يصيرون مثلك أصحاب مناصب فقال لها وحياة رأسي ما اشتريت مماليك من قال ذلك فقالت العجوز الدلالة التي فصلتهم منها وواعدتها أنك تعطيها حقهم ألف دينار ومائتين لها فقال لها وهل أعطيتها المال قالت له نعم وأنا رأيت المماليك بعيني كل واحد عليه بدلة تساوي ألف دينار وأرسلت وميت عليهم المقدمين فنزل الوالي فرأى اليهودي والحمار والمغربي والصباغ وابن التاجر. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٤٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوالي لما نزل ورأى اليهودي والحمار والمغربي والصباغ وابن التاجر فقال يا مقدمين أين الخمسة مماليك الذين اشتريناهم من العجوز بألف دينار فقالوا ما هنا مماليك ولا رأينا إلا هؤلاء الخمسة الذين أمسكوا العجوز وقبضوا عليها فنمنا كلنا ثم أنها انسلت ودخلت الحريم وأتت الجارية تقول هل الخمسة الذين جاءت بهم العجوز عندكم فقلنا نعم فقال الوالي والله أن هذا أكبر منصف والخمسة يقولون ما نعرف حوائجنا إلا منك فقال لهم أن العجوز صاحبتكم باعتكم لي بألف دينار فقالوا ما يحل من الله

نحن أحرار لا نباع ونحن وإياك للخليفة فقال لهم ما أعرف العجوز طريق البيت إلا أنتم ولكن أنا أبيعكم للأغراب كل واحد بمائتي دينار فبينما هم كذلك وإذا بالأمير حسن شر الطريق جاء من سفره ورأى زوجته عريانة وحكت له جميع ما جرى لها فقال أنا ما خصمي إلا الوالي فدخل عليه وقال له هل أنت تأذن للعجائز أن تدور في البلد وتنصب على الناس وتأخذ أموالهم هذا عهدتك ولا أعرف حوائج زوجتي إلا منك ثم قال للخمسة ما خبركم فحكوا جميع ما جرى فقال لهم أنتم مظلومون والتفت للوالي وقال له لأي شيء تسجنهم فقال له ما عرف العجوز طريق بيتي إلا هؤلاء الخمسة حتى أخذت مالي الألف دينار وباعتهم للحريم فقال يا أمير حسن أنت وكيلنا في هذه الدعوة ثم أن الوالي قال للأمير حسن حوائج أمرائك عندي وضمان العجوز علي ولكن من يعرفها منكم قالوا كلهم نحن نعرفها أرسل معنا عشرة مقدمين ونحن نمسكها فأعطاهم عشرة مقدمين فقال لهما الحمار اتبعوني فإني أعرفها بعيون زرق وإذا بالعجوز دليلة مقبلة من زقاق وإذا بهم قبضوها وساروا بها إلى بيت الوالي فلما رآها الوالي قال أين حوائج الناس فقالت لا أخذت ولا رأيت فقال للسجان أحبسها عندك لغد قال السجان أنا لا آخذها ولا أسجنها مخافة أن تعمل منصفاً وأصير أنا ملزوماً بها فركب الوالي وأخذ العجوز والجماعة وخرج بهم إلى شاطيء الدجلة ونادى المشاعلي وأمره بصلبها من شعرها فسحبها المشاعلي في البكر واستحفظ عليها عشرة من الناس وتوجه الوالي لبيته إلى أن أقبل الظلام وغلب النوم على المحافظين وإذا برجل بدوي سمع رجل يقول لرفيقه الحمد لله على السلامة أين هذه الغيبة فقال له في بغداد وتغديت زلابية بعسل فقال البدوي لابد من دخولي بغداد وآكل فيها زلابية بعسل وكان عمره ما رآها ولا دخل بغداد فركب حصانه وسار وهو يقول لنفسه الزلابية أكلها زين وذمة العرب ما آكل إلا زلابية بعسل وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٥٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن البدوي لما ركب حصانه وأراد دخول بغداد سار وهو يقول لنفسه أكل الزلابية زين وذمة العرب أنا لا آكل إلا زلابية بعسل إلى أن وصل عند مصلب دليلة فسمعته وهو يقول لنفسه هذا الكلام فأقبل عليها وقال لها أي شيء أنت فقالت له أنا في جيرتك يا شيخ العرب فقال لها أن الله قد أجارك ولكن ما سبب صلبك فقالت له عدو لي زيات يقلي الزلابية فوقفت اشتري منه شيئاً فبزقت فوقعت بزقتي على الزلابية فاشتكاني للحاكم فأمر الحاكم بصلبي وقال حكمت لكم تأخذوا لها عشرة أرطال زلابية بعسل وتطعمونها إياها وهي مصلوبة فإن أكلتها فحلوها وأن لم تأكلها فخلوها مصلوبة وأنا نفسي ما تقبل الحلو فقال البدوي وذمة العرب ما جئت من النجع إلا لأكل الزلابية بالعسل وأنا آكلها عوضاً عنك فقالت له هذه ما يأكلها إلا الذي يتعلق موضعي فانطبقت عليه الحيلة فحلها وربطته موضعها

بعد ما قلعته الثياب التي كانت عليه ثم أنها لبست ثيابه وتعممت بعمامته وركبت حصانه وراحت لبنتها فقالت لها بنتها ما هذا الحال فقالت لها صلبوني وحكت لها ما وقع لها من البدوي هذا ما كان من أمرها (وأما) ما كان من أمر المحافظين فأنه لما صحى واحد منهم نبه جماعته فرأوا النهار قد طلع فرفع واحد منهم عينيه وقال دليلة فأجابه البدوي وقال والله ما نأكل بليلة هل أحضرتم الزلابية بالعسل فقالوا هذا رجل بدوي فقالوا له يا بدوي أين دليلة ومن فكها قال أنا فككتها ما تأكل الزلابية بالعسل غصباً لأن نفسها لم تقبلها فعرفوا أن البدوي جاهل بحالها فلعبت عليه منصفاً وقالوا لبعضهم هل نهرب أو نستمر حتى نستوفي ما كتبه الله علينا وإذا بالوالي مقبل ومعه الجماعة الذين نصبت عليهم فقال الوالي للمقدمين قوموا فكوا دليلة فقال البدوي ما نأكل بليلة هل أحضرتم الزلابية بعسل فرفع الوالي عينيه إلى المصلب فرأى بدوياً بدل العجوز فقال للمقدمين ما هذا فقالوا الأمان يا سيدي وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٥١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن المحافظين قالوا للوالي الأمان يا سيدي فقال لهم احكوا لي ما جرى فقالوا نحن كنا سهرنا معك في الغسس وقلنا دليلة مصلوبة ونعسنا فلما صحونا رأينا هذا البدوي مصلوباً ونحن بين يديك فقال يا ناس هذه نصابة وأمان الله عليكم فحلوا البدوي فتعلق البدوي بالوالي وقال الله ينصر فيك الخليفة أنا ما أعرف حصاني وثيابي إلا منك فسأله الوالي فحكى له البدوي قصته فتعجب الوالي وقال له لأي شيء حللتها فقال له ما عندي خبر انها نصابة فقال الجماعة نحن ما نعرف حوائجنا إلا منك يا والي فإننا سلمناها إليك وصارت في عهدتك ونحن وإياك إلى ديوان الخليفة وكان حسن شر الطريق طلع الديوان وإذا بالوالي والبدوي والخمسة مقبلون وهم يقولون أننا مظلومون فقال الخليفة من ظلمكم فتقدم كل واحد منهم وحكى له ما جرى عليه حتى الوالي قال أمير المؤمنين أنها نصبت علي وباعت لي هؤلاء الخمسة بألف دينار مع أنهم أحرار فقال الخليفة جميع ما عدم لكم عندي وقال للوالي ألزمتك بالعجوز فنفض الوالي طوقة وقال لا التزم بذلك بعدما علقتها في المصلب فلعبت على هذا البدوي حتى خلصها وعلقته في موضعها وأخذت حصانه وثيابه فقال الخليفة الزم بها غيرك فقال له الزم بها أحمد الدنف فإن له في كل شهر ألف دينار ولاحمد الدنف من الاتباع أحد وأربعون لكل واحد في كل شهر مائة دينار فقال الخليفة يا مقدم أحمد قال لبيك يا أمير المؤمنين قال له ألزمتك بحضور العجوز فقال ضمانها على ثم أن الخليفة حجز الخمسة والبدوي عنده وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٥٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الخليفة لما الزم أحمد الدنف بإحضار العجوز قال لـ ـه ضمانها على يا أمير المؤمنين ثم نزل هو واتباعه إلى القاعة فقالوا لبعضهم كيف يكون قضنا إياها وكم عجائز في البلد فقال واحد منهم يقال له على كتف الجمل لأحمد الـ دنف عل ـى أي شيء تشاورون حسن شومان وهل حسن شومان أمر عظيم فقال حسن يا علي كيف تسـ تقلني والاسم الأعظم لا أرافقكم في هذه المرة وقام غضبان فقال أحمد الدنف يا شبان كل قيم يأخـ ذ عشرة ويتوجه بهم إلى حارة ليفتشوا على دليلة فذهب على كتف الجمل بعشرة وكذلك كل قيم ويتوجه كل جماعة إلى حارة وقالوا قبل توجههم وانصرافهم يكون اجتماعنا في الحارة الفلانية في الزقاق الفلاني فشاع في البلدان أن أحمد الدنف التزم بالقبض على الدليلة المحتالة فقالـ ـت زينب يا أمي إن كنت شاطرة تلعبي على أحمد الدنف وجماعته فقالت يا بنتي أنا ما أخاف إلا من حسن شومان فقالت البنت وحياة مقصوصي لآخذ لك ثياب الواحد وأربعـ ـين ثـ ـم قامـ ـت ولبست بدلة وتبرقعت وأقبلت على واحد عطار له قاعة ببابين فسلمت عليه وأعطتـ ـه دينـ ـار وقالت له خذ هذا الدينار حلوان قاعتك وأعطنيها إلى آخر النهار فأعطاها المفـ ـاتيح وراحـ ـت أخذت فرشاً على حمار الحمار وفرشت القاعة وحطت في كل ليوان سفرة طعام ومدام ووقفت على الباب مكشوفة الوجه وإذا بعلي كتف الجمل وجماعته مقبلون فقبلت يده فرآهـ ـا صـ ـبية مليحة فحبها وقال لها أي شيء تطلبين فقالت له هل أنت المقدم أحمد الدنف فقال لا بل أنا من جماعته وأسمي على كتف الجمل فقالت لهم أين تذهبون فقال نحن دائرون نفتش على عجـ ـوز نصابة أخذت أرزاق الناس ومرادنا أن نقبض عليها ولكن من أنت وما شأنك فقالت أن أبـ ـي كان خماراً في الموصلي فمات وخلف لي مالا كثيراً فجئت هذه البلدة خوفاً من الحكام وسألت الناس من يحميني فقالوا لي ما يحميك إلا أحمد الدنف فقال لها جماعته اليـ ـوم تجتمعـ ـين بـ ـه فقالت لهم أقصدوا جبر خاطري بلقمة وشربة ماء فلما أجابوها أدخلتهم فأكلوا وسكروا وحطت لهم البنج فبنجتهم وقلعتهم حوائجهم ومثل ما عملت فيهم عملت في الباقي فدار أحمـ ـد الـ ـدنف يفتش على دليله فلم يجدها ولم ير من اتباعه أحدا إلى أن أقبل على الصبية فقبلت يداه فرآهـ ـا فحبها فقالت له أنت المقدم أحمد الدنف فقال لها نعم ومن أنت قالت غريبة من الموصل وأبـ ـي كان خماراً ومات وخلف لي مالاً كثيراً وجئت به إلى هنا خوفاً من الحكام ففتحت هذه الخمارة فجعل الوالي على قانونا ومرادي أن أكون في حمايتك والذي يأخذه الوالي أنت أولى به فقـ ـال أحمد الدنف لا تعطيه شيئاً ومرحبا بك فقالت له أقصد جبر خاطري وكل طعامي فدخل وأكل وشرب مداماً فانقلب من السكر فبنجته وأخذت ثيابه وحملت الجميع على فرص البدوي وحمار الحمار وأيقظت علياً كتف الجمل وراحت فلما أفاق رأى نفسه عريانـ ـاً ورأى أحمـ ـد الـ ـدنف والجماعة مبنجين فأيقظهم بضد البنج فلما أفاقوا رأوا أنفسهم عرايا فقال أحمد الدنف ما هـ ـذا الحال يا شباب نحن دائرون نفتش عليها لنصطادها فاصطادتنا هذه العاهرة يا فرحـ ـة حسـ ـن

شومان فيناولكن نصبر حتى تدخل العتمة ونروح وكان حسن شومان قال للنقيب أين الجماعة فبينما هو يسأل عنهم وإذا بهم قد أقبلوا وهم عرايا فأنشد حسن شومان هذين البيتين:

والناس مشتبهون فـ ـي أيـ ـرادهم | وتبـ ـاين الأقـ ـوال فـ ـي الأصـ ـدار
ومـ ـن الرجـ ـال معـ ـالم ومجاهـ ـل | ومـ ـن النجـ ـوم غـ ـوامض ودراري

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٥٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن حسن شومان قال للجماعة من لعب علـ ـيكم وأغـ ـراكم فقالوا تعهدنا بعجوز نفتش عليها ولا أعرانا إلا صبية مليحة فقال حسن شومان نعم ما فعلـ ـت بكم فقالوا هل أنت تعرفها يا حسن فقال أعرفها وأعرف العجوز فقالوا له أي شيء تقول عنـ ـد الخليفة فقال شومان يا دنف نفض طوقك قدامه فإن قال لك لأي شيء ما قبضت عليها فقل أنا ما أعرفها وألزم بها حسن شومان فإن الزمني بها فانا أقبضها وباتوا فلما أصبحوا اطلعوا إلى ديوان الخليفة فقبلوا الأرض بين يديه فقال الخليفة أين العجوز يا مقدم أحمد فنفص طوقه فقال له لأي شيء فقال أنا ما أعرفها وألزم بها حسن شومان فإنه يعرفها هي وبنتها وقال أنها مـ ـا عملت هذه الملاعب طمعا في حوائج الناس ولكن لبيان شطارتها وشـ ـطارة بنتهـ ـا لأجـ ـل أن ترتب لها راتب زوجها ولبنتها مثل راتب زوجها ولبنتها مثل راتب أبيها فشفع فيها شـ ـومان من القتل وهو يأتي بها فقال الخليفة وحياة أجدادي أن أعيد حوائج الناس عليها الأمان وهـ ـي في شفاعتك فقال شومان أعطني الأمان ياأمير المؤمنين فقال له هي في شـ ـفاعتك وأعطـ ـاه منديل الأمان فنزل شومان وراح إلى دليله فصاح عليها فجاوبته بنتها زينب فقال لها أين أمك فقالت موجودة فقال قولي لها تجيء يحوانج الناس وتذهب معي لتقابل الخليفة وقد جئـ ـت لهـ ـا بمنديل الأمان فإن كانت لا تجيء بالمعروف لا تلوم إلا نفسها فنزلت دليلة وعلقت المحرمـ ـة في رقبتها وأعطته حوائج الناس على حمار الحمار وفرس البدوي فقال لها شومان بقى ثيـ ـاب كبيري وثياب جماعته فقالت والأسم الأعظم أني ما أعريتهم فقال صدقت ولكن هذا منصـ ـف بنتك زينب وهذه جميلة عملتها معك وسار وهي معه إلى ديوان الخليفة فتقدم حسن وعـ ـرض حوائج الناس على الخليفة وقدم دليله بين يديه فلما رآها أمر برميها في بقعة الدم فقالت أنا في جيرتك يا شومان فقام شومان وقبل أيادي الخليفة وقال له العفو أنت أعطيتهـ ـا الأمـ ـان فقـ ـال الخليفة هي في كرامتك تعالى يا عجوز ما أسمك فقالت أسمي دليله فقال مـ ـا أنـ ـت إلا حيلـ ـة محتالة فلقبت بدليله المحتالة ثم قال لها لأي شيء عملت هذه المناصف واتعبت قلوبنا فقالت أنا ما فعلت هذه بقصد الطمع في متاع الناس ولكن سمعت بمناصف أحمد الدنف التي لعبها فـ ـي بغداد ومناصف حسن شومان فقلت أنا الأخرى أعمل مثلهما وقد رددت حوائج النـ ـاس إلـ ـيهم

فقام الحمار وقال شرع الله بيني وبينها فإنها ما كفاها أخذ حماري حتى سلطت على الم زين المغربي فقلع أضراسي وكواني في أصداغي كيين وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٥٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الحمار لما قام وقال شرع الله بيني وبينها فإنه ا م ا كفاها أخذ حماري حتى سلطت على المزين فقلع أضراسي وكواني في أصداغي كي ين أم ر الخليفة للحمار بمائة دينار وللصباغ بمائة دينار وقال أنزل عمر مصبغك فدعوا للخليفة ونزلا وأخذ البدوي حوائجه وحصانه وقال حرام عليّ دخول بغداد وأكل الزلابية بالعسل وكل م ن كان له شيء أخذه وأنفضوا كلهم هذا ما جرى لدليله المحتالة في مدينة بغداد (وأما) ما ك ان من أمر على الزيبق المصري فإنه كان شاطراً بمصر في زمن رجل يسمى صلاح المصري مقدم ديوان مصر وكان له أربعون تابعاً وكان اتباع صلاح المصري يعملون مكايد للشا اطر علي ويظنون أنه يقع فيها فيفتشون عليه فيجدونه قد هرب كما يهرب الزيبق فمن أج ل ذل ك لقبوه بالزيبق المصري ثم أن الشاطر على كان جالساً يوماً من الأيام في قاعة ب ين اتباع ه فانقبض قلبه وضاق صدره فرآه نقيب القاعة قاعداً عابس الوجه فقال له مالك ي ا كبي ري أن ضاق صدرك فيشق ضيقه في مصر فإنه يزول عنك الهم إذا مشيت في أسواقها فقام وخ رج ليشق في مصر فازداد غمارهما فمر على خمارة فقال لنفسه أدخل وأسكر فدخل ف رأى ف ي الخمارة سبعة صفوف من الخلق فقال يا خمار أنا ما أقعد إلا وحدي فأجلسه الخمار في طبق ة وحده وأحضر له المدام فشرب حتى غاب عن الوجود ثم طلع من الخمارة وسار في مص ر ولم يزل سائراً في شوارعها حتى وصل إلى الدرب الأحمر وخلت الطريق قدامه من الن اس هيبة له فالتفت فرأى رجل سقاء يسقى بالكوز ويقول في الطريق يا معوض ما شراب إلا من زبيب ولا وصال إلا من حبيب ولا يجلس في الصدر إلا لبيب فقال له تعالى أسقني فينظر إليه السقاء وأعطاه الكوز فطل في الكوز وخضه وكبه على الأرض فقال له السقاء أما تشرب فقال أسقني فملأه وخضه وكبه في الأرض وثالث مرة كذلك فقال له أن كنت ما تشرب أروح فقال له أسقني فملأ الكوز وأعطاه أياه فأخذه منه وشرب ثم أعطاه ديناراً وإذا بالسقاء نظ ر إلي ه وأستقل له وقال له انعم بك ياغلام صغار قوم كبار آخرين. وأدرك شهرزاد الصباح فس كتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٥٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشاطر على لما أعطي السقاء ديناراً نظر إليه واستقل به وقال له أنعم بك صغار قوم كبار قوم آخرين فنهض الشاطر على وقبض عل ى جلابي ب السقاء وسحب عليه خنجر أمثمنا كما قيل في هذان البيتان:

أضرب بخنجرك العنيد ولا تخـ ف أحداً سوى مـ ن سـ طوة الخـ ـلاق
وتجنب الخلـ ق الـ ذميم ولا تكـ ن أبـ ـداً بغيـ ـر مكـ ـارم الأخـ ـلاق

فقال يا شيخ كلمني بمعقول فإن قربتك إن غلا ثمنها يبلغ ثلاثة دراهم والكوزان اللـ ذان دلقتهما على الأرض مقدار رطل من الماء قال له نعم قال له فأنا أعطيتك ديناراً من الـ ذهب ولا شيء تستقل بي فهل رأيت أحد أشجع مني أو أكرم مني فقال له رأيت أشجع منـ ك فإنـ ه مادامت النساء تلد على الدنيا لا شجاع ولا كريم فقال له من الذي رأيتاً فجع مني وأكرم منـ ي فقال له اعلم أن لي واقعة من العجب وذلك أن أبي كان شيخ السقائين بالشـ ربية فـ ي مصـ ر فمات وخلف لي خمسة جمال وبغلا ودكابا وبيتا ولكن الفقير لا يستغني وإذا اسـ تغنى مـ ات فقلت في نفسي أنا أطلع الحجاز فأخذت قطار جمال وما زلت أقترض حتى صار على خمسة مائة دينار وضاع مني جميع ذلك في الحج فقلت في نفسي أن رجعت إلى مصـ ر تحبسـ ني الناس على أموالهم فتوجهت إلى الحج الشامي حتى وصلت إلى حلب وتوجهت إلى حلب ومن حلب إلى بغداد ثم سألت عن شيخ السقائين ببغداد فدلوني عليه فدخلت وقرأت الفاتحة فسـ ألني عن حالي فحكيت له جميع ما جرى لي فأخلى لي دكاناً وأعطاني قربة وعدة وسرحت علـ ى باب الله وطفت في البلد فأعطيت واحد الكوز ليشرب فقال لي لم آكل شيء حتى أشرب عليـ ه لأنه مر على بخيل في هذا اليوم وجاءني بقلتين بين يديه فقلت له يا ابن الخسيس هل أطعمتني شيئاً حتى تسقيني عليه فرح يا سقاء حتى آكل شيئاً وبعد ذلك اسقني فجئت للثـ اني فقـ ال الله يرزقك فصرت على هذا الحال إلى وقت الظهر ولم يعطني أحد شيء فقلت يا ليتني ما جئـ ت إلى بغداد وإذا أنا بناس يسرعون في الجري فتبعتهم فرأيت موكباً عظيماً منجراً اثنين اثنـ ين وكلهم بالطوافي والشدود والبرانس واللبد والفولاذ فقلت لواحد هذا موكب من فقـ ال موكـ ب المقدم أحمد الدنف وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٥٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن السقا قال فسألت واحداً من الموكب فقال لأحمد الدنف فقلت له أي شيء رتبته فقال مقدم الديوان ومقدم بغداد وعليه درك البر وله على الخليفة فـ ي كل شهر ألف دينار وهم نازلون من الديوان إلى قاعتهم وإذا بأحمد الدنف رآني فقال تعـ الى أسقني فملأت الكوز وأعطيته أياه فحضه وكبه وثاني مرة كذلك وثالث مرة شرب رشفة مثلك وقال يا سقاء من أين أنت فقلت له من مصر فقال حيا الله مصر وأهلها وما سبب مجيئك إلى هذه المدينة فحكيت له فصتي وافهمته أني مديون وهربان من الدين والعيلة فقال مرحباً بك ثم أعطاني خمسة دنانير وقال لاتباعه أقصدوا وجه الله وأحسنوا إليه فأعطاني كل واحد دينـ اراً وقال يا شيخ مادمت في بغداد ذلك علينا لك كلما اسقيتنا فصرت أتردد عليهم وصار يـ أتيني

الخير من الناس ثم بعد أيام أحصيت الذي أكتسبته منهم فوجدته ألف دينار فقلت ف ي نفس ي صار رواحك إلى البلاد أصوب فرحت له القاعة وقبلت يديه فقال أي شيء تطلب فقل ت ل ه أريد السفر وأنشدته هذين البيتين:

إقام . ات الغري . ب بك . ل أرض	كبني ـان القص ـور عل ـى الري ـاح
يه . ب ال . ريح ته . دم البناي . ا	البنايا لقد عزم الغريب على الرواح

وقلت له أن القافلة متوجهة إلى مصر ومرادي أن أروح إلى عيالي فأعطاني بغلة ومائة دينار وقال غرضنا أن نرسل معك أمانة يا شيخ فهل أنت تعرف أهل مصر فقل ت ل ه نع م وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٥٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن السقاء لما قال أن أحمد الدنف أعطاني بغل ة ومائ ة دينار وقال غرضنا أن نرسل معك أمانة فهل أنت تعرف أهل مصر قال السقاء فقلت له نع م فقال خذ هذا الكتاب وأوصله إلى على الزيبق المصري وقل له كبيرك يسلم عليك وه و الآن عند الخليفة فأخذت منه الكتاب وسافرت حتى دخلت مصر فرآني أرباب ال ديون ف أعطيتهم الذي على ثم عملت سقاء ولم أوصل الكتاب لأني لم أعرف قاعة على الزيبق المصري فق ال له يا شيخ طب نفسا وقر عيناً وأنا على الزيبق المصري أول صبيان المقدم أحمد الدنف فهات الكتاب فأعطاه أياه فلما فتحه وقرأه رأي فيه هذين البيتين.

كتب ت إلي ك ي ا زي ن الم ـلاح	عل ـى ورق يس ـير م ـع الري ـاح
ولو أن ي أطي ر لط رت ش وقاً	وكيف يطير ر مقص وص الجن اح

وبعد فالسلام من المقدم أحمد الدنف إلى أكبر أولاده على الزيبق المصري والذي نعلمك به أني تقصدت صلاح الدين المصري ولعبت معه مناصف حتى دفنت ه بالحي اة وأط اعتني صبيانه ومن جملتهم على كتف الجمل وتوليت مقدم مدينة بغداد في ديوان الخليف ة ومكت وب على درك البر فان كنت ترعى العهد الذي بيني وبينك فأت عندي لعلك تلعب منصفاً في بغداد يقربك من خدمة الخليفة فيكتب لك جامكية وجراية وبعد لا لك قاعة وهذا هو المرام والس لام فلما قرأ الكتاب قبله وحطه على رأسه وأعطى السقاء عشرة دنانير بشارة ثم توجه إلى القاعة ودخل على صبيانه واعلمهم بالخبر وقال لهم أوصيكم ببعضكم ثم قلع ما كان علي ه ول بس مشلحاً وطربوشاً وأخذ عليه فيها مزراق من عود القناطر له أربعة وعش رون ذرع اً وه و معشق في بعضه فقال له النقيب أتسافر والمخزن قد فرغ فقال له إذا وصلت إلى الشام أرسل إليكم ما يكفيكم وسار إلى حال سبيله فلحق ركباً مسافراً فرأى فيه شاه بن در التج ار ومع ه أربعون تاجر قد حملوا حمولهم وحمول شاه بندر التجار على الأرض ورأى مقدم ه رج لاً

شامياً وهو يقول للبغالين واحد منكم يساعدني فسبوه وشتموه فقال في نفسه لا يحسن سفري إلا مع هذا المقدم وكان على أمردا مليحا فتقدم إليه وسلم عليه فرحب به وقال له أي شيء تطلب فقال له يا عمي رأيتك وحيداً وحمولتك أربعون بغلاً ولأي شيء ما جئت لك بناس يساعدونك فقال يا ولدي قد اكتريت ولدين وكسوتهما ووضعت لكل واحد في جيبه مائتي دينار فساعداني إلى الخانكة وهرباً فقال له والي أين تذهبون قال إلى حلب فقال له أنا أساعدك فحملوا الحمول وساروا وركب شاه بندر التجار بغلته وسار ففرح المقدم الشامي بعلي وعشقه إلى ى أن أقبل ل الليل فنزلوا وأكلوا وشربوا فجاء وقت النوم فحط على جنبه وجعل نفسه نائماً فنام المقدم قريباً منه فقام على من مكانه وقعد على باب صيوان التاجر فانقلب المقدم واراد أن يأخذ علياً ف ي حضنه فلم يجده فقال في نفسه لعله وأعد واحداً فأخذه ولكن أنا أولى وفي غير ر ه ذه الليل ة أحجزه وأما علي فأنه لم يزل على باب صيوان التاجر إلى أن قرب الفجر فجاء ورق د عن د المقدم فلما استيقظ المقدم وجده فقال في نفسه أن قلت له أين كنت يتركني ويروح ول م ي زل يخادعه إلى أن أقبلوا إلى مغارة فيها غابة وفي تلك الغابة سبع كاسر وكلما تمر قافلة يعملون القرعة بينهم فكل من خرجت عليه القرعة يرمونه إلى السبع فعملوا القرعة فلم تخرج إلا على شاه بندر التجار وإذا بالسبع قطع عليهم الطريق ينتظر الذي يأخذه من القافلة فصار شاه بندر التجار في كرب شديد وقال للمقدم الله يخيب كعبك وسفرتك ولكن وصيتك بعد موتي أن تعطي أولادي حمولي فقال الشاطر على ما سبب هذه الحكاية ف أخبروه بالقص ة وأدرك ش هرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٥٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن التجار أخبروا على المصري بالقصة فقال ولاي شيء تهربون من قط البر فأنا التزم لكم بقتله فراح المقدم إلى التاجر وأخبره فقال إن قتله أعطيت ه ألف دينار وقال بقية التجار ونحن كذلك نعطيه فقام علي وخلع المشلح فبان عليه ع دة م ن بولاد فأخذ شريط بولاد وفرك لولبه وأنفرد قدام السبع وصرخ عليه فهجم عليه السبع فضربه على المصري بالسيف بين عينيه فقسمه نصفين والمقدم والتجار ينظرونه قال للمقدم لا تخ ف يا عمي فقال له يا ولدي أنا بقيت صبيك فقام التاجر واحتضنه وقبله بين عينيه وأعطاه الألف دينار وكل تاجر أعطاه عشرين دينار فحط جميع المال عند التاجر وباتوا وأصبحوا عام دين إلى بغداد فوصلوا إلى غاية الآساد ووادي الكلاب وإذا فيه رجل بدوي عاص قاطع الطري ق ومعه قبيلة فطلع عليهم فولت الناس من بين أيديهم فقال التاجر ضاع مالي وإذا بعل ي أقبل عليهم وهو لابساً جلداً ملآناً جلاجل وأطلع المزراق وركب عقله في بعضها واختلس حص اناً من خيل البدوي وركبه وقال للبدوي بارزني بالرمح وهز الجلاجل فجفلت فرس البدوي م ن الجلاجل وضرب مزراق البدوي فكسره وضربه على رقبته فرم ى دماغ ه فنظ ره قوم ه

فانطبقوا على علي فقال الله أكبر ومال عليهم فهزمهم وولوا هاربين ثم رفع دماغ البدوي على رمح وأنعم عليه التجار وسافروا حتى وصلوا إلى بغداد فطلب الشاطر على المال من التاجر فأعطاه أياه فسلمه إلى المقدم قال له حين تروح مصر اسأل عن قاعتي وأعط المال لنقيب القاعة ثم بات علي وأصبح دخل المدينة وشق فيها وسأل عن قاعة أحمد الدنف فلم يدله أحد عليها ثم تمشى حتى وصل إلى ساحة النفض فرأى أولادا يلعبون وفيهم ولد يسمى أحمد اللقيط فقال علي لا تأخذ أخبارهم إلا من صغارهم فالتفت على فرأى حلوانيا فاشترى منه حلاوة وصاح على الأولاد وإذا بأحمد اللقيط طرد الأولاد عنه ثم تقدم هو وقال لعلي أي شيء تطلب قال له أنا كان معي ولد ومات فرأيته في المنام يطلب حلاوة فاشتريتها فأريد أن أعطي لكل ولد قطعه وأعطي أحمد اللقيط قطعه فنظرها فرأى فيها دينارا لاصقاً بها فقال له رح أنا ما عندي فاحشة واسأل عني فقال يا ولدي ما يأخذ الراء الأشاطر ولا يحط الكراء الأشاطر أنا درت في البلد أفتش على قاعة أحمد الدنف فلم يدلني عليها أحد وهذا الدينار كرائك وتدلني على قاعة أحمد الدنف فقال له أنا أروح أجري قدامك وأنت تجري ورائي إلى أن أقبل على القاعة فآخذ في رجلي حصوة فأرميها على الباب فتعرفها فجري الولد وجرى على وراءه إلى أن أخذ الحصوة برجله ورماها على باب القاعة فعرفها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٥٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أحمد اللقيط لما جرى قدام الشاطر على وأراه القاعة وعرفها قبض على الولد وأراد أن يخلص منه الدينار فلم يقدر فقال له رح تستاهل الأكرام لأنك زكي كامل العقل والشجاعة وإن شاء الله تعالى أن عملت مقدماً عند الخليفة أجعلك من صبياً في فراح الولد وأما على الزيبق المصري فإنه أقبل على القاعة وطرق الباب فقال أحمد الدنف وسلم عليه وقابله بالعناق وسلم عليه الأربعون ثم أن أحمد الدنف البسه حلة وقال له أني لما ولاني الخليفة مقدماً عنده كسى صبياني فأبقيت لك هذه الحلة ثم أجلسوه في صدر المجلس بينهم وأحضروا الطعام فأكلوا والشرب فشربوا وسكروا إلى الصباح ثم قال أحمد الدنف لعلي المصري إياك أن تشق في بغداد بل استمر جالساً في هذه القاعة فقال له لأي شيء فهل جئت لأحبس أنا ما جئت إلا لأجل أن أتفرج فقال له يا ولدي لا تحسب أن بغداد مثل مصر هذه بغداد محل الخلافة وفيها شطار كثيرون ورتبت فيها الشطارة كما ينبت البقل في الأرض فأقام علي في القاعة ثلاثة أيام فقال أحمد الدنف لعلي المصري أريد أن أقربك عند الخليفة لأجل أن يكتب لك جامكية فقال له حتى يؤون الأوان فترك سبيله ثم أن علياً كان قاعداً في القاعة يوماً من يوماً فانقبض قلبه وضاق صدره فقال لنفسه قم شق في بغداد ينشرح صدرك فخرج وسار من زقاق إلى زقاق فرأي في وسط السوق دكاناً فدخل وتغدى فيه وطلع يغسل يديه وإذا

بأربعين عبداً بالشريطات البولاد واللبد وهم سائرون اثنين اثنين وآخر الكل دليلة المحتالة راكبة فوق بغلة وعلى رأسها خودة مطلية بالذهب وبيضة من بولاد وزردية وما يناسب ذلك وكانت دليلة نازلة من الديوان رائحة إلى الخان فلما رأت علياً الزيبق المصري تأملت فيه فرأته يشبه أحمد الدنف في طوله وعرضه وعليه عباءة وبرنس وشريط من بولاد ونحو ذلك والشجاعة لائحة عليه تشهد له ولاتشهد عليه فسارت في الخان واجتمعت ببنتها زينب وأحضرت تخت رمل فضربت الرمل فطلع لها اسمه على المصري وسعده غالب على سعدها وسعد بنتها زينب فقالت لها يا أمي أي شيء ظهر لك حين ضربت هذا التخت فقالت أنا رأيت اليوم شاباً يشبه أحمد الدنف وخائفة أن يسمع أنك أعريت أحمد الدنف وصبيانه فيدخل الخان ويلعب معنا منصفاً لأجل أن يخلص ثأر كبيرة وثأر الأربعين وأظن أنه نازل في قاعة أحمد الدنف فقالت لها بنتها زينب أي شيء هذا أطن أنك حسبت حسابه ثم لبست بدلة من أفخر ما عندها وخرجت تشق في البلد وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٦٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن زينب بنت الدليلة المحتالة خرجت تشق البلد فلما رآها الناس صاروا يتعشقون فيها وهي توعد وتخلف وتسمع وتسطح وسارت من سوق إلى سوق حتى رأت علياً المصري مقبلاً عليها فزاحمته بكتفها والتفتت وقالت الله يحيي أهل النظر فقال لها أما أحسن شكلك لمن أنت فقالت للغندور الذي مثلك فقال لها هل أنت متزوجة أو عازبة فقالت متزوجة فقال لها عندي أو عندك فقالت أنا بنت تاجر وزوجي تاجر وعمري ما خرجت إلا في هذا اليوم وما ذاك إلا أني طبخت طعاماً وأردت أن آكل فما بقيت لي نفساً ولما رأيتك وقعت محبتك في قلبي فهل يمكن أن تقصد جبر قلبي وتأكل عندي لقمة فقال لها من دعي فليجب ومشت وتبعها من زقاق إلى زقاق ثم قال في نفسه وهو ماش خلفها كيف تفعل وأنت غريب وقد ورد من زنى في غربته رده الله خائباً ولكن أد فيها عنك بلطف ثم قال خذي هذا الدينار واجعلي الوقت غير هذا فقالت له والاسم الأعظم ما يمكن إلا أن تروح معي هذا البيت وأضايفك فتبعها إلى أن وصلت باب دار عليها بوابة عالية والضبة مغلقة فقالت له افتح هذه الضبة فقال لها وأين مفتاحها فقالت له ضاع فقال لها كل من فتح ضبة بغير مفتاح يكون مجرماً وعلى الحاكم تأديبه وأنا ما أعرف شيئاً حتى افتحها بلا مفتاح فكشفت الإزار عن وجهها فنظرها نظرة أعقبته ألف حسرة ثم أسبلت إزارها حتي الضبة وقرأت عليها أسماء أم موسى ففتحتها بلا مفتاح ودخلت فتبعها فرأى سيوفاً وأسلحة من البولاد ثم أنها خلعت الأزار وقعدت معه فقال في نفسه أستوف ما قدره الله عليك ثم مال عليها يأخذ قبله من خدها فوضعت كفها على خدها وقالت له

ما صفاء إلا في الليل وأحضرت سفرة طعام ومدام فأكلا وشربا وقامت ملأت الأبريق من البئر وكبت علـ ى يديه فغسلهما فبينما هما كذلك وإذا بها دقت على صدرها وقالت أن زوجي كان عنده خاتم من ياقوت مرهون على خمسمائة دينار فلبسته فجاء واسعاً فضيقته بشمعة فلما أدليت الدلو سقط الخاتم في البئر ولكن التفت إلى جهة الباب حتى أتعرى وأنزل البئر لأجيء به فقالت لها عيب على أن تنزلي وأنا موجود فما ينـ زل إلا أنـ ا فقلع ثيابه وربط نفسه في السلبة وأدلته في البئر وكان الماء فيه غزيراً ثم قالت له أن السلبة قد قصرت منـ ي ولكن فك نفسك وأنزل ففك ونزل في الماء وغطس فيه قامات ولم يحصل قرار البئر وأما هي فإنهـ ا لبسـ ت إزارها وأخذت ثيابه وراحت إلى أمها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٦١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن عليا المصري لما نزل في البئر وزينب أخذت ثيابه راحت إلى أمهـ ا وقالت لها قد أعريت عليا المصري وأوقعته في بئر الأمير حسن صاحب الدار وهيهـ ات أن يخلـ ص وأمـ ا الأمير حسن صاحب الدار فإنه كان في وقتها غائباً في الديوان فلما أقبل رأي بيته مفتوحاً فقال للسـ ائس لأي شيء ما أغلقت الضبة فقال يا سيدي أني أغلقتها بيدي فقال وحياة رأسي أن بيتي قد دخله حرامي ثـ م دخـ ل الأمير حسن وتلفت في البيت فلم يجد أحداً فقال للسائس أملأ الأبريق حتى أتوضأ فأخذ السائس الـ دلو وأدلاه فلما سحبه وجده ثقيلاً فطل في البئر فرأي شيئاً قاعدة في السطل فألقاه في البئر ثانياً ونادى وقال يا سيدي قد طلع لي عفريت من البئر فقال له الأمير حسن رح هات أربعة فقهاء يقرؤون القرآن عليه حتى ينصرف فلما أحضر الفقهاء قال لهم احتاطوا بهذا البئر وأقرءوا على هذا العفريت ثم جاء العبد والسائس وأنزلا الدلو وإذا بعلي المصري تعلق به وخبأ نفسه في الدلو وصبر حتى صار قريباً منهم ووثب من الدلو وقعد بين الفقهـ اء فصاروا يلطشون بعضهم ويقولون عفريت عفريت فرآه الأمير حسن غلاماً أنسياً فقال له هل أنـ ت حرامـ ي فقال لا فقال له ما سبب نزولك في البئر فقال له أنا نمت واحتلمت فنزلت لاغتسل في نهر الدجلة فغطسـ ت فجذبني الماء تحت الأرض حتى خرجت من هذه البئر فقال له قل الصدق فحكى له جميـ ع مـ ا جـ رى لـ ه فأخرجه من البيت بثوب قديم فتوجه إلى قاعة أحمد الدنف وحكى له ما وقع له فقال أما قلت لك أن بغداد فيها نساء تلعب على الرجال فقال على كتف الجمل بحق الاسم الأعظم أن تخبرنى كيف تكون رئيس فتيان مصر وتعريك صبية فصعب عليه ذلك وندم فكساه أحمد الدنف بدلة غيرها ثم قال له حسن شومان هل أنت تعرف الصبية فقال لا فقال هذه زينب بنت الدليلة المحتالة بوابة خان الخليفة فهل وقعت في شبكتها يا علي قال نعـ م فقال له يا علي أن هذه أخذت ثياب كبيرك وثياب جميع صبيانه فقال هذا عار عليكم فقـ ال لـ ه وأي شـ يء مرادك فقال مرادي أن أتزوج بها فقال له هيهات سل فؤادك عنها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٦٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن حسن شومان قال لعلي المصري هيهات سل فؤادك عنها فقال له وما حيلتي في زواجها يا شومان فقال مرحباً بك إن كنت تشرب من كفي وتمشي تحت رايتي بلغت مرادك منها فقال له نعم فقال له يا علي أقلع ثيابك فقلع ثيابه وأخذ قدراً وغلى فيه شيئاً مثل الزفت ودهنه به فصار مثل العبد الأسود ودهن شفتيه وخديه وكحله بكحل أحمر وألبسه ثياب خدام وأحضر عنده سفرة كباب ومدام وقال له أن في الخان عبداً طباخاً وأنت صرت شبيهة ولا يحتاج من السوق إلا اللحمة والخضار فتوجه إليه بلطف وكلمه بكلام العبيد وسلم عليه وقل له أنا من زمان ما اجتمعت بك في البوظة فيقول لك أنا مشغول وفي رقبتي أربعون عبداً أطبخ لهم سماطاً في الغداء وسماطاً في العشاء وأطعم الكلاب وسفرة الدليلة وسفرة لبنتها زينب ثم قل له تعال نأكل كباباً ونشرب بوظة وأدخل وأياه القاعة واسكره ثم اسأله عن الذي يطبخه كم لون هو وعن أكل الكلاب وعن مفتاح المطبخ وعن مفتاح الكرار فإنه يخبرك لأن السكران يخبر بجميع ما يكتمه في حال صحوه وبعد ذلك بنجه وألبس ثيابه وخذ السكاكين في وسطك وخذ مقطف الخضار واذهب إلى السوق واشتر اللحم والخضار ثم أدخل المطبخ والكرار وأطبخ الطبيخ ثم أغرفه وخذ الطعام وأدخل به على دليلة في الخان وحط البنج في الطعام حتى تبنج الكلاب والعبيد ودليلة وبنتها زينب ثم أطلع القصر وائت بجميع الثياب منه وأن كان مرادك أن تتزوج بزينب تجيء معك بالأربعين طيراً التي تحمل الرسائل فطلع فرأى العبد الطباخ فسلم عليه وقال له زمان ما اجتمعنا بك في البوظة فقال له أنا مشغول بالطبيخ للعبيد والكلاب فأخذه وأسكره وسأله عن الطبيخ كم لون هو فقال له كل يوم خمسة ألوان في العشاء وطلبوا مني أمس لوناً سادساً وهو الزردة ولونا سابعاً وهو طبيخ حب الرمان فقال وأي شيء حال السفرة التي تعملها فقال أودي سفرة إلى زينب وبعدها أودي سفرة لدليلة وأعشى العبيد وبعدهم أعشى الكلاب وأطعم كل واحد كفايته من اللحم وأقل ما يكفيه رطل وأنسته المقادير أن يسأله عن المفاتيح ثم قلعة ثيابه ولبسها هو وأخذ المقطف وراح إلى السوق فأخذ اللحم والخضار وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٦٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن علياً الزيبق المصري لما بنج العبد الطباخ أخذ السكاكين وحطها في حزامه وأخذ مقطف الخضار ثم ذهب إلى السوق واشترى اللحم والخضار ثم رجع ودخل الخان فرأى دليلة قاعدة تنقد الداخل والخارج ورأى الأربعين عبداً مسلحة فقوي قلبه فلما رأته دليلة عرفته فقالت له ارجع يا رئيس الحرامية اتعمل على منصفاً في الخان فالتفت على المصري وهو في صورة العبد إلى دليلة وقال لها ما تقولين يا بوابة فقالت له ماذا صنعت بالعبد الطباخ وأي شيء فعلت فيه فهل قتلته أو بنجته فقال لها أي عبد طباخ فهل هناك عبد طباخ غيري فقالت أخدم فقال العبيد مالك يا ابن عمنا فقالت دليلة هذا ما هو ابن عمكم هذا علي الزيبق المصري وكأنه بنج ابن عمكم أو قتله فقالوا هذا ابن عمنا سعد الله الطباخ فقالت لهم ما هو ابن عمكم بل هو علي المصري وصبغ جلده فقال لها من علي أنا سعد الله فقالت أن عندي دهان الاختبار وجاءت بدهان فدهنت به ذراعه وحكته فلم يطلع السواد فقال العبيد خليه يروح ليعمل لنا الغداء فقالت لهم إن كان ابن عمكم يعرف أي شيء طلبتم منه ليلة أمس ويعرف كم لون يطبخ في كل يوم فسألوه عن الألوان وعما طلبوه ليلة أمس فقال عدس وأرز وشربة ويخني وماء وردية ولون سابع وهو حب الرمان

وفي العشاء مثلها فقال العبيد صدق فقالت لهم ادخلوا معه فإن عرف المطبخ والكرار فهو ابن عمكم وإلا فاقتلوه وكان الطباخ قد ربّي قطا فكلما يدخل الطباخ يقف القط على باب المطبخ ثم ينط على أكتافه إذا دخل فلما دخل وراءه القط نط على أكتافه فرماه فجرى قدامه إلى المطبخ فلحظ أن القط ما وقف إلا على باب المطبخ فأخذ المفاتيح فرأى مفتاحاً عليه أثر الريش فعرف أنه مفتاح المطبخ ففتحه وحط الخضار وخرج فجرى القط قدامه وعمد إلى باب الكرار فلحظ أنه الكرار فأخذ المفاتيح ورأى مفتاحاً عليه أثر الدهان فعرف أنه مفتاح الكرار ففتحه فقال العبيد يا دليلة لو كان غريباً ما عرف المطبخ والكرار ولا عرف مفتاح كل مكان من بين المفاتيح وأنما هذا ابن عمنا سعد الله وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٦٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العبيد قالوا لدليلة المحتالة هذا ابن عمنا سعد الله فقالت أنما عرف الأماكن من القط وميز المفاتيح من بعضها بالقرينة وهذا الأمر لا يدخل علي ثم أنه دخل المطبخ وطبخ الطعام وطلع سفرة إلى زينب فرأي جميع الثياب في قصرها ثم نزل وحط سفرة لدليلة وغدي العبيد وأطعم الكلاب وفي العشاء كذلك وكان الباب لا يفتح ولا يقفل إلا في الغداة والعشي ثم أن عليا قام ونادى في الخان يا سكان قد سهرت العبيد للحرس وأطلقنا الكلاب وكل من يطلع فلا يلوم إلا نفسه وكان على أخر عشاء الكلاب وحط فيه السم ثم قدمه إليها فلما أكلته ماتت وبنج جميع العبيد ودليلة وبنتها زينب ثم طلع فأخذ جميع الثياب وحمام البطاقة وفتح الخان وخرج وسار إلى أن وصل إلى القاعة فرآه حسن شومان فقال له أي شيء فعلت فحكى له جميع ما كان فشكره ثم أنه قام ونزع ثيابه وغلى له عشباً وغسله به فعاد أبيض كما كان وراح إلى العبد وألبسه ثيابه وأيقظه من البنج فقام العبد وذهب إلى الخضري فأخذ الخضار ورجع إلى الخان هذا ما كان من أمر علي الزيبق المصري (وأما) ما كان من أمر الدليلة المحتالة فأنه طلع من طبقتها رجل تاجر من السكان عندما لاح الفجر فرأى باب الخان مفتوحاً والعبيد مبنجة والكلاب ميتة فنزل إلى دليلة فرآها مبنجة وفي رقبتها ورقة ورأى عند رأسها سفنجاً ضد البنج فحطها على مناخيرها فأفاقت فلما أفاقت قالت أين أنا فقال لها التاجر أنا نزلت فرأيت باب الخان مفتوحاً ورأيتك مبنجة وكذلك العبيد وأما الكلاب فرأيتها ميتة فأخذت الورقة فرأيت فيها ما عمل هذا العمل إلا على المصري فشممت العبيد وزينب بنتها ضد البنج وقالت أما قلت لكم أن هذا على المصري ثم قالت للعبيد اكتموا هذا الأمر وقالت لبنتها كم قلت أن علياً ما يخلي ثاره وقد عمل هذا العمل في نظير ما فعلت معه وكان قادراً أن يفعل معك شيء غير هذا ولكنه اقتصر على هذا بقاء للمعروف وطالباً للمحبة بيننا ثم أن دليلة خلعت لباس الفتوة ولبست لباس النساء وربطت المحرمة في رقبتها وقصدت قاعة أحمد الدنف وكان على حين دخل القاعة بالثياب وحمام الرسائل قام شومان وأعطى للنقيب حق أربعين حمامة فاشتراها وطبخها بين الرجال وإذا بدليلة تدق الباب فقال أحمد الدنف هذه دقة دليلة قم افتح لها يا نقيب فقام وفتح لها فدخلت دليلة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٦٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن النقيب لما فتح القاعة لدليلة دخلت فقال لها شومان ما جاء بك هنا يـ ا عجوز النحس وقد تحزبت أنت وأخوك زريق السماك فقالت يا مقدم أن الحق على وهذه رقبتي بـ ين يـ ديك ولكن الفتى الذي عمل معي هذا المنصف من هو منكم فقال أحمد الدنف هو أول صبياني فقالت له أنت سياق الله عليه أنه يجيء لي بحمام الرسائل وغيره وتجعل ذلك أنعاماً علي فقال حسن شومان الله يقابلك بالجزاء يا علي لأي شيء طبخت ذلك الحمام فقال على ليس عندي خبر أنه حمام الرسائل ثم قال أحمد يا نقيـ ب هـ ات نائبها أعطاها فأخذت قطعة من حمامة ومضغتها فقالت هذا ما هو لحم طير الرسائل فأني أعلفه حب المسـ ك ويبقى لحمه كالمسك فقال لها شومان أن كان مرادك أن تأخذي حمام الرسائل فأقضي حاجة على المصـ ري فقالت أي شيء حاجته فقال لها أن تزوجيه بنتك زينب فقالت أنا ماأحكم عليها إلا بالمعروف فقال حسن لعلي المصري أعطها الحمام فأعطاها أياه فأخذته وفرحت به فقال شومان لابد أن تردى علينا جواباً كافيا فقالت أن كان مراده أن يتزوج بها فهذا المنصف الذي عمله ما هو شطارة والشطارة أن يخطبها مـ ن خالهـ ا المقـ دم زريق فأنه وكيلها الذي ينادي يارطل سمك بجديدين وقد علق في دكانه كيساحط فيه من الذهب ألفين فعنـ دما سمعوها تقول ذلك قاموا وقالوا ما هذا الكلام يا عاهرة أنما أردت أن تعدمينا أخانا علياً المصري ثـ م أنهـ ا راحت من عندهم إلى الخان فقالت لبنتها قد خطبك مني على المصري ففرحت لأنها أحبته لعفته عنها وسألتها عما جرى فحكت لها ما وقع وقالت شرطت عليه أن يخطبك من خالك وأوقعته فـ ي الهـ لاك وأمـ ا علـ ي المصري فأنه التفت إليهم وقال ما شأن زريق وأي شيء يكون هو فقالوا هو رئيس فتيان أرض العراق يكاد أن ينقب الجبل ويتناول النجم ويأخذ الكحل من العين وهو في هذا الأمر ليس له نظير ولكنه تاب عـ ن ذلـ ك وفتح دكان سمك فجمع من السماكة ألفي دينار ووضعها في كيس وربط في الكيس قيطاناً من حرير ووضـ ع في القيطان جلاجل وأجراساً من نحاس وربطه في وتد من داخل باب الدكان متصلاً بـ الكيس وكلمـ ا يفـ تح الدكان يعلق الكيس وينادي أين أنتم يا شطار مصر ويا فتيان العراق ويا مهرة بلاد العجم زريق السماك علق كيس على وجه الدكان كل من يدعي الشطارة ويأخذه بحيلة فأنه يكون فتأتي الفتيان أهل الطمع ويريدون أنهم يأخذونه فلم يقدروا لأنه واضع تحت رجليه أرغفة من رصاص وهو يقلي ويدقد النار فـ إذا جـ اء الطمـ اع ليساهيه ويأخذه يضربه برغيف من رصاص فيتلفه أو يقتله فيا علي إذا تعرضت له تكون كمن يلطـ م فـ ي الجنازة ولا يعرف من مات فمالك قدرة على مقارعته فأنه يخشى عليك منه ولا حاجة لك بزواجـ ك زينـ ب ومن ترك شيئاً عاش بلاه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٦٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن حسن شومان ومن معه صاروا ينهون على المصري بالعدول علـ ى زواج زينب بنت الدليلة المحتالة فقال هذا عيب يا رجال فلابد لي من أخذ الكيس ولكن هاتوا إلى لبس صبية فأحضروا له لبس صبية فلبسه وتحنى وأرخى لثاماً وذبح خروفاً وأخذ دمه وطلع المصران ونظفه وعقده من تحت وملأه بالدم وربطه على فخذه ولبس عليه اللباس والخف وعمل نهدين من حواصل الطير وملأها باللبن وربط على بطنه بعض قماش ووضع بينه وبين بطنه قطناً وتحزم عليه بفوطة كلها نشاء فصار كل من ينظر يقول ما أحسن هذا الكفل وإذا بحمار مقبل فأعطاه ديناراً وركب الحمار وسار به في جهـ ة دكـ ان زريـ ق

السماك فرأى الكيس معلقاً ورأى الذهب ظاهراً منه وكان زريق يقلي السمك فقال علي يا حمـ ـار مـ ـا هـ ـذه الرائحة فقال له رائحة سمك زريق فقال له أنا امرأة حامل والرائحة تضرني هات لي منه قطعة سمك فقـ ـال الحمار لزريق هل أصبحت تفوح الرائحة على النساء الحوامل أنا معي زوجة الأمير حسن شر الطريق قـ ـد شمت الرائحة وهي حامل فهات لها قطعة سمك لأن الجنين تحرك في بطنها فقال زريق يا ستار اللهم اكفنـ ـا شر هذا النهار وأخذ قطعة سمك وأراد أن يقليها فانطفأت النار فدخل ليوقد النار وكان علي المصري قاعـ ـداً فاتكأ على المصران فقطعه فساح الدم من بين رجليه فقال آه ياجنبي يا ظهري فالتفت الحمـ ـار فـ ـرأى الـ ـدم سائحاً فقال لها مالك يا سيدتي فقال له وهو في صورة المرأة قد اسقطت الجنين فطل زريق فرأى الدم فهرب في الدكان وهو خائف فقال له الحمار الله ينكد عليك يا زريق إن الصبية قد أسقطت الجنين وأنك مـ ـا تقـ ـدر على زوجها فلأي شيء أصبحت تفوح الرائحة وأنا أقول لك هات لها قطعة سمك فما ترضى ثم أخذ الحمار حماره وتوجه إلى حال سبيله وحين هرب زريق داخل الدكان مد علي المصري يده إلى الكيس فلما حصـ ـله شخشخ الذهب الذي فيه وصلصت الجلاجل والأجراس والحلق فقال زريق ظهر خداعك يا علق اتعمل علـ ـى منصفاً وأنت في صورة صبية ولكن خذ ما جاءك وضربه برغيف من رصاص فراح خائباً وحط يـ ـده فـ ـي غيره فقام عليه الناس وقالوا هل أنت سوقي وإلا مضارب فإن كنت سوقياً فنزل الكيس وأكف الناس شـ ـرك فقال لهم باسم الله على الرأس وأما علي فأنه راح إلى القاعة فقال له شومان ما فعلت فحكى له جميع ما وقع له ثم قلع لبس النساء وقال يا شومان أحضر لي ثياب سائس فأحضرها له فأخذها ولبسها ثـ ـم أخـ ـذ صـ ـحنا وخمسة دراهم وراح لزريق السماك فقال له أي شيء تطلب يا أسطا فأراه الدراهم في يده فأراد أن يعطي له من السمك الذي على الطبلية فقال له أنا ما آخذ إلا سمكاً سخناً فحط الطاجن وأراد أن يقليه فأنطفـ ـأت النـ ـار فدخل ليوقدها فمد علي المصري يده ليأخذ الكيس فحصل طرفه فشخشحت الأجراس والحلق والجلاجل فقـ ـال له زريق ما دخل علي منصفك ولو جئتني في صورة سائس وأنا عرفتك من قـ ـبض يـ ـدك علـ ـى الفلـ ـوس والصحن. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٦٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن علياً المصري لما مد يده ليأخذ الكيس شخشخت الأجـ ـراس والحلـ ـق فقال له زريق ما دخل علي منصفك ولو جئتني في صورة سائس فأنا عرفتك من قبض يدك علـ ـى الفلـ ـوس والصحن وضربه برغيف من رصاص فراغ عنه علي المصري فلم ينزل الرغيف إلا في طاجن ملآن باللحم الساخن فانكسر ونزل بمرقته على كتف القاضي وهو سائر ونزل الجميع في عب القاضي حتى وصل إلـ ـى محاشمه فقال القاضي يا محاشمي ما أقبحك يا شقي من عمل معي هذه العملة فقال له الناس يا مولانا هذا ولد صغير رجم بحجر فوقع في الطاجن ما دفع الله كان أعظم ثم التفتوا فوجدوا الرغيف الرصاص والذي رمـ ـاه أنما هو زريق السماك فقاموا عليه وقالوا ما يحل منك يا زريق نزل الكيس أحسن لك فقال أن شاء الله أنزله وأما علي المصري فأنه راح إلى القاعة ودخل على الرجال فقالوا له أين الكيس فحكى لهم جميع ما جرى له فقالوا له أنت أضعت ثلثي شطارته فقلع ما عليه ولبس بدلة تاجر وخرج فرأى حاوياً معه جراب فيه ثعـ ـابين وجر بندية فيها أمتعته فقال له يا حاوي مرادي أن تفرج أولادي وتأخذ إحساناً فأتي به إلى القاعـ ـة وأطعمـ ـه

وبنجه ولبس بدلته وراح إلى زريق السماك وأقبل علية وزمر بالزمارة فقال له الله يرزقك وإذا به طلع الثعابين ورماها قدامه وكان زريق يخاف من الثعابين فهرب منها داخل الدكان فأخذ الثعابين ووضعها في الجراب ومد يده إلى الكيس فحصل طرفه فشن الحلق والجلاجل والأجراس فقال له ما زلت تعمل على المناصف حتى عملت حاوياً ورماه برغيف من رصاص وإذا بواحد جندي سائر ووراءه السائس فوقع الرغيف على رأس السائس فبطحه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٦٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن زريق لما رمى الرغيف الرصاص وقع على السائس فبطحه فقال الجندي من بطحه فقال له الناس هذا حجر نزل من السقف فسار الجندي والتفتوا فرأوا الرغيف الرصاص فقاموا عليه وقالوا له نزل الكيس فقال أن شاء الله أنزله في هذه الليلة ومازال علي يلعب مع زريق حتى عمل معه سبعة مناصف ولم يأخذ الكيس ثم أنه أرجع ثياب الحاوي ومتاعه إليه وأعطاه أحساناً ورجع إلى دكان زريق فسمعه يقول أنا إن بيت الكيس في الدكان نقب عليه وأخذه ولكن آخذه معي إلى البيت ثم قام زريق وعزل الدكان ونزل الكيس وحطه في عبه فتبعه علي إلى أن قرب من البيت فرأى زريق جاره عنده فرح فقال زريق في نفسه أروح البيت وأعطي زوجتي الكيس والبس حوائجي ثم أعود إلى الفرح ومشى وعلي تابعه وكان زريق متزوجاً بجارية سوداء من معاتق الوزير جعفر ورزق منها بولد وسماه عبد الله وكان يوعدها أنه يطاهر الولد بالكيس ويزوجه ويصرفه في فرحه ثم دخل زريق على زوجته وهو عابس الوجه فقالت ما سبب عبوسك فقال لها ربنا بلاني بشاطر لعب معي سبعة مناصف على أنه يأخذ الكيس فما قدر أن يأخذه فقالت هاته حتى أدخره لفرح الولد فأعطاها أياه وأما على المصري فأنه تخبأ في مخدع وصار يسمع ويرى فقام زريق وقلع ما عليه ولبس بدلته وقال لها أحفظي الكيس يا أم عبد الله وأنا رائح إلى الفرح فقالت له نم لك ساعة فنام فقام علي ومشى على أطراف أصابعه وأخذ الكيس وتوجه إلى بيت الفرح ووقف يتفرج وأما زريق فأنه رأي في منامه أن الكيس أخذه طائر فافلق مرعوبا وقال لأم عبد الله قومي انظري الكيس فقامت تنظره فما وجدته فلطمت على وجهها وقالت يا سواد حظك يا أم عبد الله الكيس أخذه الشاطر فقال والله ما أخذه إلا الشاطر على وما أحد غيره أخذ الكيس ولا بد أني أجيء به فقالت أن لم تجيء به قفلت عليك الباب وتركتك تبت في الحارة فأقبل زريق على الفرح فرأي الشاطر علياً يتفرج فقال هذا الذي أخذ الكيس ولكنه نازل في قاعة أحمد الدنف فسبقه زريق إلى القاعة وطلع على ظهرها ونزل فرآهم نائمين وإذا بعلى أقبل ودق الباب فقال زريق من بالباب فقال على المصري فقال له هل جئت بالكيس فظن أنه شومان فقال له جئت به افتح الباب فقال له لايمكن أن افتح لك حتى أنظره فأنه وقع بيني وبين كبيرك رهان فقال له مد يدك فمد يده من جنب عقب الباب فأعطاه الكيس فأخذه زريق وطلع من الموضع الذي نزل منه وراح إلى الفرح وأما علي فأنه لم يزل واقفاً على الباب ولم يفتح له أحد فطرق الباب طرقه مزعجة فصحا الرجال وقالوا هذه طرقة على المصري ففتح له النقيب وقال له هل جئت بالكيس فقال يكفي مزاحاً يا شومان أنا أعطيتك أياه من جنب عقب الباب وقلت لي أنا حالف لا أفتح لك الباب حتى تريني الكيس فقال والله ما أخذته وأنما زريق هو الذي أخذه منك فقال له لابد أن أجيء به ثم خرج على المصري متوجها إلى الفرح فسمع

الخلبوص يقول شوبش يا أبا عبد الله العاقبة عندك لولدك فقال على أنا صاحب السعد وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٦٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن على قال أنا صاحب السعد ثم أنه توجه إلى بيت زريق وطلع من فوق ظهر البيت ونزل فرأي الجارية نائمة فبنجها ولبس بدلتها وأخذ الولد في حجره ودار يفتش فرأي مقطفاً فيه كعك العيد من بخل زريق ثم أن زريقاً أقبل إلى البيت وطرق الباب فجاوبه الشاطر على وجعل نفسه الجارية وقال له من بالباب فقال أبو عبد الله فقال أنا حلفت ما أفتح لك الباب حتى تجيء بالكيس فقال هاته قبل فتح الباب فقال أدلى المقطف وخذيه فيه فأدلى المقطف فحطه فيه ثم أخذه الشاطر على وبنج الولد وأيقظ الجارية ونزل من الموضع الذي طلع منه وقصد القاعة فدخل على الرجال وأراهم الكيس والولد معه فشكره وأعطاهم الكعك فأكلوه وقال يا شومان هذا الولد ابن زريق فاخفه عندك فأخذه وأخفاه وأتي بخروف فذبحه وأعطاه للنقيب فطبخه وقممه وكفنه وجعله كالميت وأما زريق فأنه لم يزل واقفاً على الباب ثم دق الباب دقة مزعجة فقالت له الجارية هل جئت بالكيس فقال لها ما أخذتيه في المقطف الذي أدليته فقالت أنا ما أدليت مقطفاً ولا رأيت كيساً ولا أخذته فقال والله أن الشاطر على سبقني وأخذه ونظر في البيت فرأى الكعك معدوماً والولد مفقوداً فقال وولداه فدقت الجارية على صدرها وقالت أنا وأياك للوزير ما قتل ابني إلا الشاطر الذي يفعل معك المناصف وهذا بسببك فقال لها ضمانة على ثم طلع زريق وربط المحرمة في رقبته وراح إلى قاعة أحمد الدنف ودق الباب ففتح له النقيب ودخل على الرجال فقال شومان ما جاء بك فقال أنتم سياق على على المصري ليعطيني ولدى وأسامحه في الكيس الذهب فقال شومان الله يقابلك يا علي بالجزاء لأي شيء ما أعلمتني أنه ابنه فقال زريق أي شيء جري عليه فقال شومان أطعمناه زبيباً فشرق ومات وهو هذا فقال وا ولداه ما أقول لأمه ثم قام وفك الكفن فرآه قممة فقال له أطربتني يا علي ثم أنهم أعطوه ابنه فقال أحمد الدنف أنت كنت معلقاً الكيس لكل من كان شاطراً يأخذه فإن أخذه شاطر يكون حقه وأنه صار حق على المصري فقال وأنا وهبته له فقال له على الزيبق المصري أقبل من شأن بنت أختك زينب فقال له قبلته فقالوا نحن خطبناها لعلي المصري فقال أنا ما أحكم عليها إلا بالمعروف ثم أنه أخذ ابنه وأخذ الكيس فقال شومان هل قبلت منا الخطبة فقال قبلتها ممن كان يقدر على مهرها فقال له وأي شيء مهرها فقال له أنها حالفة أن لا يركب صدرها إلا من يجيء لها ببدلة قمر بنت عذرة اليهودي وباقي حوائجها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٧٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن زريقاً قال لشومان أن زينب حالفة أن لا يركب صدرها إلا الذي يجيء لها ببدلة قمر بنت عذرة اليهودي والتاج والحياصة والناموسة الذهب فقال على المصري إن لم أجيء ببدلتها في هذه الليلة لاحق لي في الخطبة فقالوا يا علي تموت أن عملت فيها منصفاً فقال لهم ما سبب ذلك فقالوا له عذرة اليهودي ساحر مكار غدار يستخدم الجن وله قصر خارج المملكة حيطانه طوبة من ذهب وطوبة من فضة وذلك القصر ظاهر للناس مادام قاعداً فيه ومتى خرج منه فإنه يختفي ورزق ببنت اسمها

قمر وجاء لها بهذه البدلة من كنز فيضع البدلة في صينية من الذهب ويفتح شبابيك القصر وينادي أن شـ طار مصر وفتيان العراق ومهرة العجم كل من أخذ البدلة تكون له فحاوله بالمناصف سائر الفتيان فلم يقـ دروا أن يأخذوها وسحرهم قروداً وحميراً فقال علي لابد من أخذها وتنجلي بها زينب بنت الدليلة المحتالة ثـ م توجـ ه علي المصري إلى دكان اليهودي فرآه فظاً غليظاً وعنده ميزان وصنج وذهب وفضة ومناقد ورأى عنده بغلة فقام اليهودي وقفل الدكان وحط الذهب والفضة في كيسين وحطهما في خرج وحطه على البغلة وركب وسار إلى أن وصل خارج البلد وعلى المصري وراءه وهو لم يشعر ثم أطلع اليهودي تراباً من كيس فـ ي جيبـ ه وعزم عليه ونثره في الهواء فرأى الشاطر قصراً ماله نظير ثم طلعت البغلة باليهودي في السلالم وإذا بالبغلة عون يستخدمه اليهودي فنزل الخرج عن البغلة وراحت البغلة واختفت وأما اليهودي فأنه قعد فـ ي القصـ ر وعلى ينظر فعله فأحضر اليهودي قصبة من ذهب وعلق فيها صينية من ذهب بسلاسل من ذهب وحط البدلة في الصينية فرآها على من خلف الباب ونادى اليهودي أين شطار مصر وفتيان العراق ومهرة العجم من أخذ هذه البدلة بشطارته فهي له وبعد ذلك عزم فوضعت سفرة طعام فأكل وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عـ ن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٧١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن اليهودي لما عزم وضعت سفرة طعام فأكل ثم رفعت السفرة بنفسـ ها وعزم مرة أخرى فوضعت بين يديه سفرة مدام فشرب فقال على أنت لا تأخذ هذه البدلة إلا وهو يسكر فجاءه من خلفه وسحب شريط البولاد في يده فالتفت اليهودي وعزم وقال ليده قفي بالسيف فوقفت يده بالسيف فـ ي الهواء فمد يده الشمال فوقفت في الهواء وكذلك رجله اليمنى وصار واقفاً على رجل ثم أن اليهودي صـ رف عنه الطلسم فعاد على المصري كما كان أولاً ثم أن اليهود ى ضرب تحت رمله فطلع لـ ه أن اسـ مه علـ ى الزيبق المصري فالتفت إليه وقال له تعال من أنت وما شأنك فقال أنا على المصري صبي أحمد الدنف وقـ د خطبت زينب بنت الدليلة المحتالة وعملوا على مهرها بدلة بنتك فأنت تعطيها إلى أن أردت السلامة وتسـ لم فقال له بعد موتك فإن ناسا كثيرين عملوا على مناصف من شأن أخذ البدلة فلم يقدروا أن يأخذوها مني فـ إن كنت تقبل النصيحة تسلم بنفسك فإنهم ما طلبوا منك البدلة إلا لأجل هلاكك ولولا أني رأيت سعدك غالباً على سعدي لكنت رميت رقبتك ففرح على لكون اليهودي رأي سعده غالباً على سعده فقال له لابد لي مـ ن أخـ ذ البدلة وتسلم فقال له هل هذا مرادك ولابد قال نعم فأخذ اليهودي طاسة وملأها ماء وعزم عليها وقال اخـ رج من الهيئة البشرية إلى هيئة حمار ورشه منها فصار حماراً بحوافر وآذان طوال وصار ينهق مثل الحمير ثم ضرب عليه دائرة فصارت عليه سوراً وصار اليهودي يسكر إلى الصباح فقال له أنا أركبك وأريح البغلة ثم أن اليهودي وصع البدلة والصينية والقصبة والسلاسل في خشخاته ثم طلع وعزم عليه فتبعه وحط على ظهره وركب عليه واختفى القصر عن الأعين وسار وهو راكبه إلى أن نزل على دكانه وفـ رغ الكـ يس الـ ذهب والكيس الفضة في المنقد قدامه وأما علي فإنه مربوط في هيئة حمار ولكنه يسمع ويعقل ولا يقدران يتكلم وإذا برجل ابن تاجر جار عليه الزمن فلم يجد له صنعة خفيفة إلا السقاية فأخذ أساور زوجته وأتى إلى اليهـ ودي وقال له أعطني ثمن هذه الأساور لأشتري لي به حماراً فقال اليهودي تحمل عليه أي شيء فقال له يا معلـ م

املأ عليه ماء من البحر واقتات من ثمنه فقال له اليهودي خدمي حماري هذا فباع له الأساور وأخذ من ثمنها الحمار وأعطاه اليهودي الباقي وسار بعلي المصري وهو مسحور إلى بيته فقال علي لنفسه متى ما حط عليك الحمال الخشب والقربة وذهب بك عشرة مشاوير أعدمك العافية وتموت فتقدمت امرأة السقا بخط لـ ه عليقـ ة وإذا به لطشها بدماغه فانقلبت على ظهرها ونط عليها ودق بفيه في دماغها وأدلى إلى خلفه له الولد فصاحت فأدركها الجيران فضربوه ورفعوه عن صدرها وإذا بزوجها الذي أراد أن يعمل سقاء جاء إلى البيت فقالت له أما أن تطلقني وأما أن ترد الحمار إلى صاحبه فقال لها أي شيء جرى فقالت له هذا شيطان في صفة حمار فإنه نط علي ولولا الجيران رفعوه من فوق صدري لفعل بي القبيح فأخذه وراح إلى اليهودي فقال له اليهودي لأي شيء رددته فقال له هذا فعل مع زوجتي فعلاً قبيحاً فأعطاه دراهمه وراح وأما اليهودي فأنه التفت إلـ يّ علي وقال له أتدخل باب المكر يا مشؤوم حتى ردك إلي وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٧٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن اليهودي لمارد له السقاء الحمار أعطاه دراهمه وألتفـ ت إلـ ى علـ ي المصري وقال أتدخل باب المكر يا مشؤوم حتى ردك إلي ولكن حينما رضيت أن تكون حماراً أنـ ا أخليـ ك فرجه للكبار والصغار وأخذ الحمار وركبه وسار إلى خارج البلد وأخرج الزمان وعزم عليه ونثره في الهواء وإذا بالقصر ظهر فطلع القصر ونزل الخرج من على ظهر الحمار وأخذ الكيسين المـ ال وأخـ رج القصـ بة وعلق الصينية بالبدلة ونادى مثل ما ينادي كل يوم أين الفتيان من جميع الأقطار من يقدر أن يأخذ هذه البدلة وعزم مثل الأول فوضع له سماط فأكل وعزم فحضر المدام بين يديه فسكر وأخرج طاسة فيها مـ اء وعـ زم عليها ورش منها على الحمار وقال له أنقلب من هذه الصورة إلى صورتك الأولى فعاد إنساناً كما كـ ان أولاً فقال له يا علي أقبل النصيحة وأكتف شري فلا حاجة لك بزواج زينب وأخذ بدلة ابنتي فإنها ما هـ ي سـ هلة عليك وترك الطمع أولى لك وإلا أسحرك دباً أو قرداً أو أسلط عليك عوناً يرميك خلف جبل قاف فقال له يـ ا عذرة أنا التزمت بأخذ البدلة ولابد من أخذها وتسلم وإلا أقتلك فقال له يا علي أنت مثل الجوز لو لم تتكسر لم تؤكل وأخذ طاسة فيها ماء وعزم عليها ورش منها عليه وقال كن في صورة دباً في الحال وحط الطوق فـ ي رقبته وربط فمه ودق له وتدا من حديد وصارياً كل ويرمي له بعض لقم ويدلق عليه فضل الكاس فلما أصبح الصباح قام اليهودي ورفع الصينية والبدلة وعزم على الدب فتبعه إلى دكانه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٧٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن اليهودي رفع الصينية والبدلة وعزم على الدب فتبعه إلى دكانه ثم قعد في الدكان وفرغ الذهب والفضة في المنقد وربط السلسلة التي في رقبة الدب في الدكان فصار علـ ي يسـ مع ويعقل ولا يقدر أن ينطق وإذا برجل تاجر أقبل على اليهودي وقال يا معلم تبيعني هذا الدب فإن لي زوجـ ة وهي بنت عمي وقد وصفوا لها أن تأكل لحم دب وتدهن بصنمه ففرح اليهودي وقال في نفسه أبيعه لأجل أن يذبحه ونرتاح منه فقال علي في نفسه والله إن هذا يريد أن يذبحني والخلاص عند الله فقال اليهودي هو مـ ن عندي إليك هدية فأخذه التاجر ومر به على جزار فقال له هات العدة وتعال معي فأخذ السكاكين وتبعه ثم تقدم

الجزار وربطه وصار يسن السكين واراد أن يذبحه فلما رآه علي المصري قاصده فر من بين يديه وطار بين السماء والأرض ولم يزل طائراً حتى نزل في القصر عند اليهودي وكان السبب في ذلك أن اليهودي ذهب إلى القصر بعد أن أعطى التاجر الدب فسألته بنته فحكى لها جميع ما وقع فقالت له أحضر عوناً واسأله عن علي المصري هل هو هذا أو رجل غيره يعمل منصفاً فعزم وأحضر عوناً فاختطفه العون وجاء به وقال هذا هو علي المصري بعينه فإن الجزار كتفه وسن السكين وشرع في ذبحه فخطفته من بين يديه وجئت به فأخذ اليهودي طاسة فيها ماء وعزم عليها ورشه منها وقال له رجع إلى صورة البشرية فعاد كما كان أولاً فرأته قمر بنت اليهودي شاباً مليحاً فوقعت محبته في قلبها ووقعت محبتها في قلبه فقالت له هل يا مشؤوم لأي شيء تطلب بدلتي حتى يفعل بك أبي هذه الفعال فقال أنا التزمت بأخذها لزينب النصابة لأجل أن أتزوجها فقالت له غيرك لعب مع أبي مناصف لأجل أخذ بدلتي فلم يتمكن منها ثم قالت له أترك الطمع فقال لابد من أخذها ويسلم أبوك وإلا أقتله فقال لها أبوها انظري يا بنتي هذا المشؤوم كيف يطلب هلاك نفسه ثم قال له أنا أسحرك كلب وأخذ طاسة مكتوبة وفيها ماء وعزم عليها ورشه منها وقال له كن في صورة كلب فصار كلباً وصار اليهودي يسكر هو وبنته إلى الصبح ثم قام ورفع البدلة والصينية وركب البغلة وعزم على الكلب فتبعه وصار الكلاب تنبح عليه فمر على دكان سقطى فقام السقطي منع عنه الكلاب فنام قدامه والتفت اليهودي فلم يجده فقام السقطي وعزل دكانه وراح بيته والكلب تابعه فدخل السقطي داره فنظرت بنت السقطي فرأت الكلب فغطت وجهها وقالت يا أبي أتجيء بالرجل الأجنبي وتدخله علينا وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٧٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن بنت السقطي لما رأت الكلب غطت وجهها وقالت لأبيها أتجيء بالرجل الأجنبي وتدخله علينا فقال يا بنتي هذا كلب فقالت له هذا علي المصري سحره اليهودي فالتفت إليه وقال له هل أنت علي المصري فأشار له برأسه نعم فقال لها أبوه لأي شيء سحره اليهودي قالت له بسبب بدلة بنته قمر وأنا أقدر أن أخلصه فقال أن كان خيراً فهذا وقته فقالت أن كان يتزوج بي خلصته فأشار لها برأسه نعم فأخذت طاسة مكتوبة وعزمت عليها وإذا بصرخة عظيمة والطاسة وقعت من يدها فالتفتت فرأت جارية أبيها هي التي صرخت وقالت لها يا سيدتي أهذا هو العهد الذي بيني وبينك وما أحد علمك هذا الفن إلا أن واتفقت معي أنك لا تفعلين شيئاً إلا بمشورتي والذي يتزوج بك ويتزوجني وتكون لي ليلة ولك ليلة قالت نعم فلما سمع السقطي ذلك الكلام من الجارية قال لبنته ومن علم هذه الجارية قالت له يا أبتي هي التي علمتني وأسألها من الذي علمها فسأل الجارية فقالت له اعلم يا سيدي أني لما كنت عند عذرة اليهودي كنت أتسلل عليه وهو يتلوا العزيمة وحين يذهب إلى الدكان أفتح الكتب وأقرأ فيها إلى أن عرفت علم الروحاني فسكر اليهودي يوماً من الأيام فطلبني للفراش فأبيت وقلت لا أمكنك من ذلك حتى تسلم فأبى فقلت له سوق السلطان فباعني لك وأتيت إلى منزلك فعلمت سيدتي وأشترطت عليها أن لا تفعل منه شيئاً إلا بمشورتي والذي يتزوج بها يتزوجني ولي ليلة ولها ليلة وأخذت الجارية طاسة فيها ماء وعزمت عليها ورشت منها

الكلب وقالت له ارجع إلى صورتك البشرية فعاد إنساناً كما كان أولاً فسلم عليه السقطي وسأله عن سبب سحره فحكى له جميع ما وقع له وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٧٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن السقطي لما سلم على علي المصري وسأله عن سبب سحره وما وقع له حكى له جميع ما جرى له فقال له أتكفيك بنتي والجارية فقال لابد من أخذ زينب وإذا بدق يدق الباب فقالت الجارية من بالباب فقالت قمر بنت اليهودي هل علي المصري عندكم فقالت لها بنت السقطي يا ابنة اليهودي وإذا كان عندنا أي شيء تفعلين به أنزلي يا جارية افتحي لها الباب ففتحت لها الباب فدخلت فلما رأت علياً ورآها قال لها ما جاء بك هنا يا بنت الكلب فقالت أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله فأسلمت وقالت له هل الرجال في دين الإسلام يمهرون النساء أو النساء تمهر الرجال فقال لها الرجال يمهرون النساء فقالت وأنا جئت أمهر نفسي لك بالبدلة والقصبة والسلاسل ودماغ أبي عدوك وعدو الله ورمت دماغ أبيها قدامه وقالت هذه رأس أبي عدوك وعدو الله وسبب قتلها أباها أنه لما سحر علياً كلباً رأت في المنام قائلاً يقول لها اسلمي فأسلمت فلما أنتبهت عرضت على أبيها الإسلام فأبي الإسلام بنجته وقتلته فأخذ على الأمتعة وقال للسقطي في غد نجتمع عند الخليفة لأجل أن أتزوج بنتك والجارية وطلع وهو فرحان قاصد القاعة ومعه الأمتعة وإذا برجل حلواني يخبط على يديه ويقول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم الناس صار كدهم حراماً لا يروح إلا في الغش سألتك بالله أن تذوق هذه الحلاوة فأخذ منه قطعة وأكلها وإذا فيها البنج فبنجه وأخذ منه البدلة والقصبة والسلاسل وحطها داخل صندوق الحلاوة وحمل الصندوق وطبق الحلاوة وسار وإذا بقاض يصيح عليه ويقول له تعالى يا حلواني فوقف له وحط القاعدة والطبق فوقها وقال أي شيء تطلب فقال له حلاوة وملبساً ثم أخذ منهما في يده شيئاً وقال أن هذه الحلاوة والملبس مغشوشان وأخرج القاضي حلاوة من عبه وقال للحلواني أنظر هذه الصنعة ما أحسنها فكل منها واعمل نظيرها فأخذها الحلواني في كل منها وإذا فيها البنج فبنجه وأخذ القاعدة والصندوق والبدلة وغيرها وحط الحلواني في داخل القاعدة وحمل الجميع وتوجه إلى القاعة التي فيها أحمد الدنف وكان القاضي حسن شومان وسبب ذلك أن علياً لما التزم بالبدلة وخرج في طلبها لم يسمعوا عنه خبراً فقال أحمد الدنف يا شباب اطلعوا فتشوا على أخيكم علي المصري فطلعوا يفتشون عليه في المدينة فطلع حسن شومان في صفة قاض فقابل الحلواني فعرف أنه حمداً للقيط فبنجه وأخذه وصحبته البدلة وسار به إلى القاعة وأما الأربعون فإنهم داروا يفتشون في شوارع البلد فخرج على كتف الجمل من بين أصحابه فرأى زحمة وقصد الناس المزدحمين فرأى علي المصري بينهم مبنجاً فليقظه من البنج فلما أفاق رأي الناس مجتمعين عليه فقال على كتف الجمل أفق لنفسك فقال أين أنا فقال له على كتف الجمل وأصحابه نحن رأيناك مبنجاً ولم نعرف من بنجك فقال بنجني واحد حلواني وأخذ مني الأمتعة ولكن أين ذهب وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٧٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن علي المصري قال لعلي كتف الجمل ورفقاؤه بنجني واحد حلواني وأخذ مني الأمتعة ولكن أين ذهب فقالوا له ما رأينا أحد ولكن تعال رح بنا القاعة فتوجهوا إلى القاعة ودخلوا فوجدوا أحمد الدنف فسلم عليهم وقال يا علي هل جئت بالبدلة فقال جئت بها وبغيرها وجئت برأس اليهودي وقابلني حلواني فبنجني وأخذها مني وحكى له جميع ما جرى له وقال لو رأيت الحلواني لجزيته وإذا بحسن شومان طلع من مخدع فقال هل جئت بالأمتعة يا علي فقال له جئت بها وجئت برأس اليهودي فقابلني حلواني فبنجني وأخذ البدلة وغيرها ولم أعرف أين ذهب ولو عرفت مكانة لقتلته فهل تعرف أين ذهب ذلك الحلواني فقال أعرف مكانه ثم قام ودخل مخدعاً فرأى الحلواني مبنجاً فأيقظه من البنج ففتح عينيه فرأى نفسه قدام علي المصري وأحمد الدنف والأربعون فانصرع وقال أين أنا ومن قبضني فقال له شومان أنا الذي قبضتك فقال له علي المصري يا ماكراً تفعل هذه الأفعال وأراد أن يذبحه فقال له حسن شومان ارفع يدك هذا صار صهرك فقال صهري من أين فقال له هذا أحمد اللقيط ابن أخت زينب فقال علي لأي شيء هذا يا لقيط فقال له امرتني به جدتي الدليلة المحتالة وماذاك إلا أن زريقاً السماك اجتمع بجدتي الدليلة المحتالة وقال لها أن علياً المصري شاطر بارع في الشطارة ولابد أن يقتل اليهودي ويجيء بالبدلة فأحضرتني وقالت لي يا أحمد هل تعرف علياً المصري فقلت أعرفه وكنت أرشدته إلى قاعة أحمد الدنف فقالت لي رح أنصب له شركك فإن كان جاء بالأمتعة فاعمل عليه منصفاً وخذ منه الأمتعة فطفت في شوارع المدينة حتى رأيت حلوانياً أعطيته عشرة دنانير وأخذت بدلته وحلاوته وعدته وجرى ما جرى ثم أن علياً المصري قال لأحمد اللقيط رح إلى جدتك وإلى زريق السماك واعلمهما بأني جئت بالأمتعة ورأس اليهودي وقل لهما غداً قابلاه في ديوان الخليفة وأخذ منه مهر زينب ثم أن أحمد الدنف فرح بذلك وقال لا خابت فيك التربية يا علي فلما أصبح الصباح أخذ علي المصري البدلة والصينية والقصبة والسلاسل الذهب ورأس عذرة اليهودي على مزراق وطلع إلى الديوان مع عمه وصبيانه وقبلوا الأرض بين أيادي الخليفة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٧٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن علياً لما طلع الديوان مع عمه أحمد الدنف وصبيانه قبلوا الأرض بين يدي الخليفة فالتفت الخليفة فرأى شاباً ما في الرجال أشجع منه فسأل الرجال عنه فقال أحمد الدنف يا أمير المؤمنين هذا على الزيبق المصري رئيس فتيان مصر وهو أول صبياني فلما رآه الخليفة حبه لكونه رأي الشجاعة لائحة بين عينيه تشهد له لا عليه فقام علي ورمى دماغ اليهودي بين يدي الخليفة وقال له عدوك مثل هذا يا أمير المؤمنين فقال له الخليفة دماغ من هذا فقال له دماغ عذرة اليهودي فقال الخليفة ومن قتله فحكى له على المصري ما جري من الأول إلى الآخر فقال الخليفة ما ظننت أنك قتلته لأنه كان ساحراً فقال له يا أمير المؤمنين قدرني ربي على قتله فأرسل الخليفة الوالي إلى القصر فرأى اليهودي بلا رأس فأخذوه في تابوت وأحضروه بين يدي الخليفة فأمر بحرقة وإذا بقمر بنت اليهودي أقبلت وقبلت الأرض بين يدي الخليفة وأعلمته بأنها ابنة عذرة اليهودي وأنها أسلمت ثم جددت أسلامها ثانياً بين يدي الخليفة وقالت له أنت سياق على الشاطر علي الزيبق المصري أن يتزوجني ووكلت الخليفة في زواجها بعلي فوهب الخليفة بعلي

المصري قصر اليهودي بما فيه وقال له تمن على فقال تمنيت عليك أن أقف على بساطك وآكل من سماطك فقال الخليفة يا علي هل لك صبيان فقال له أربعون صبياً ولكنهم في مصر فقال الخليفة أرسل أليهم ليجيئ وا من مصر ثم قال الخليفة يا علي هل لك قاعة قال لا فقال حسن شومان قد وهبت له قاعتي بما فيه ا ي اأمير المؤمنين فقال الخليفة قاعتك لك يا حسن وأمر الخزندار أن يعطي المعمار عشرة آلاف دينار ليبني له قاع ة بأربع لواوين وأربعين مخدعاً لصبيانه وقال الخليفة بأعلى هل أبقى لك حاجة فآمر لك بقضائها فقال يا مل ك الزمان أن تكون سياقاً على الدليلة المحتالة أن تزوجني بنتها زينب وتأخذ بدلة بنت اليهودي وأمتعته ا ف ي مهرها فقبلت دليلة سياق الخليفة وأخذت الصينية والبدلة والقصة والسلاسل الذهب وكتب كتابها عليه وكتب وا أيضاً كتاب بنت السقطي والجارية وقمر بنت اليهودي عليه ورتب له الخليفة جامكية وجعل له سـ ماطاً ف ي الغذاء وسماطا في العشاء وجارية وعلوفه ومسموحاً وشرع على المصري في الفرح حتى كمل مدة ثلاث ين يوماً ثم أن علي المصري أرسل إلى صبيانه بمصر كتاباً يذكر لهم فيه ما حصل له من الأكرام عند الخليف ة وقال لهم في المكتوب لابد من حضوركم لأجل أن تحصلوا الفرح لأني تزوجت بأربع بنات فبعد مدة يسـ يرة حضر صبيانه الأربعون وحصلوا الفرح فوطنهم في القاعة وأكرمهم غاية الأكرام ثم أعرضهم على الخليف ة فخلع عليهم وجلت المواشط زينب بالبدلة على علي المصري ودخل عليها فوجدها درة ما ثقبت ومهرة لغيره ما ركبت وبعدها دخل على الثلاث بنات فوجدهن كاملات الحسن والجمال ثم بعد ذلك أتفق أن علياً المصري سهر عند الخليفة ليلة من الليالي فقال له الخليفة مرادي يا علي أن تحكي لي جميع ما جرى لك من الأول إلى الآخر فحكى له جميع ما جرى له من الدليلة المحتالة وزينب النصابة وزريق السماك فأمر الخليفة بكتابة ذلك وأن يجعلوه في خزانة الملك ويكتبوا جميع ما وقع له وجعلوه من جملة السير لأمة خير البشر ﷺ ثم قع دوا في أرغد عيش وأهناه إلى أن أتاهم هازم اللذات ومفرق الجماعات والله سبحانه وتعالى أعلم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(حكاية زواج الملك بدر باسم بن شهر مان ببنت الملك السمندل)

(وفي ليلة ٦٧٨)

قالت (ومما يحكي) أيها الملك السعيد أنه كان في قديم الزمان وسالف العصر والأوان في أرض العجم ملك يقال له شهرمان مستقره خراسان وكان عنده مائة سرية ولم يرزق منهن في طول عمره بذكر ولا أنثى فتذكر ذلك يوماً من الأيام وسار يتأسف حيث مضى غالب عمره ولم يرزق بولد ذكر يرث الملك مـ ن بعده كما ورثه هو عن آبائه وأجداده فحصل له بسبب ذلك غاية الغم والقهر الشديد فبينما هو جالس يوماً من الأيام إذ دخل عليه بعض مماليكه وقالوا له يا سيدي أن على الباب جارية مع تاجر لم ير أحسن منه ا فق ال لهم علي بالتاجر والجارية فأتوه بالتاجر والجارية فلما رآها وجدها تشبه الرمح الرديني وهي ملفوفة في أزار من حرير مزركش بالذهب فكشف التاجر عن وجهها فأضاء المكان من حسنها وارتخي لها سبع ذوائب حتى وصلت إلى خلاخلها كأذيال الخيال وهي بطرف كحيل وردف ثقيل وخصر نحيل تشفى سقام العليل وتطف ي نار الغلل كما قال الشاعر في المعنى هذه الأبيات:

كلف . ـت بهـ . ـا وق . ـد تم . ـت بحسـ . ـن وكملهـ . . .ا السـ . . .كينة والوق . . .ار

فـ . . ـلا طالـ . . ـت ولا قصـ . . ـر ولكـ . . ـن روادفهـ . . ـا يضـ . . ـيق بهـ . . ـا الأزار
قـ . . ـوام بـ . . ـين إيجـ . . ـاز وبسـ . . ـط فـ . ـلا طـ . ـول يعـ . ـاب ولا اقتصـ . ـار
وشـ . . ـعر يسـ . . ـبق الخلخـ . . ـال منهـ . . ـا ولكـ . . ـن وجههـ . . ـا أبـ . . ـداً نهـ . . ـار

فتعجب الملك من رؤيتها وحسنها وجمالها وقدها واعتدالها وقال للتاجر يا شيخ بكم هذه الجارية قـ ـال التاجر يا سيدي اشتريتها بألفي دينار من التاجر الذي كان ملكها قبلي ولي ثلاث سنين مسافراً بها فتفكلت إلى أن وصلت إلى هذا المكان ثلاث آلاف دينار وهي هدية مني إليك فخلع عليه الملك خلعة سنية وأمر له بعشرة آلاف دينار فأخذها وقبل يدي الملك الملك وشكر فضله وأحسانه وانصرف ثم أن الملك سـ ـلم الجاريـ ـة إلـ ـى المواشط وقال لهن أصلحن أحوال هذه الجارية وزينها وأفرشن لها مقصورة وأدخلنها فيها وأمر حجابـ ـه أن تنقل إليها جميع ما تحتاج إليه وكانت المملكة التي هو مقيم فيها على جانب البحر وكانت مدينته تسمى المدينة البيضاء فأدخلوا الجارية في مقصورة وكانت تلك المقصورة لها شبابيك تطل على البحـ ـر. وأدرك شـ ـهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٧٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك لما أخذ الجارية وسلمها للمواشط وقال لهـ ـن أصـ ـلحن شـ ـلنها وأدخلنها في مقصورة وأمر حجابه أن تغلق عليها جميع الأبواب بعد أن ينقلوا لها جميـ ـع مـ ـا تحتـ ـاج إليـ ـه فأدخلوها في مقصورة وكانت تلك المقصورة لها شبابيك تطل على البحر ثم أن الملك دخل على الجارية فلـ ـم تقم له ولم تفكر فيه فقال الملك كأنها كانت عند قوم لم يعلموها الأدب ثم أنه التفت إلى تلك الجاريـ ـة فرآهـ ـا بارعة في الحسن والجمال والقد والاعتدال ووجهها كأنه دائرة القمر عند تمامه أو الشـ ـمس الضـ ـاحية فـ ـي السماء الصافية فتعجب من حسنها وجمالها وقدها واعتدالها فسبح الله الخالق جلت قدرته ثم أن الملك تقدم إلى الجارية وجلس بجانبها وضمها إلى صدره وأجلسها علي فخذه ومص رضاب ثغرها فوجده أحلى من الشـ ـهد ثم أنه أمر بإحضار الموائد من أفخر الطعام وفيها من سائر الألوان فأكل الملك وسار يلقمها حتى شبعت وهي لم تتكلم بكلمة واحدة فصار الملك يحدثها ويسألها عن أسمها وهي ساكتة لم تنطق بكلمة ولم ترد عليه جوابـ ـاً ولم تزل مطرقة برأسها إلى الأرض وكان الحافظ لها من غضب الملك عليها فرط حسنها وجمالها والـ ـدلال الذي كان لها فقال الملك في نفسه سبحان الله خالق هذه الجارية ما أضفرها ألا أنها لا تتكلم ولكن الكمـ ـال لله تعالى ثم أن الملك سأل الجواري هل تكلمت فقلن له من حين قدومها إلى هذا الوقت لم تتكلم بكلمة واحدة ولم نسمع لها خطاباً فأحضر الملك بعض الجواري والسراري وأمرهن أن يغنين لها ويشرحن معهـ ـا لعلهـ ـا أن تتكلم فلعبت الجواري والسراري قدامها سائر الملاهي واللعب وغير ذلك وغنين حتى طرب كـ ـل مـ ـن فـ ـي المجلس والجارية تنظر غليهن وهي ساكتة لم تضحك ولم تتكلم فضاق صدر الملك ثم أنه صرف الجـ ـواري واختلي بتلك الجارية وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٨٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك اختلى بالجارية وخلع ثيابها بيده ونظر إلى بـ ـدنها فـ ـرآه كأنـ ـه سبيكة فضة فأحبها محبة عظيمة ثم قام الملك وأزال بكارتها فوجدها بنت بكر ففرح فرحاً شديداً وقـ ـال فـ ـي

نفسه يلله العجب كيف تكون جارية مليحة القوام والمنظر وأبقاها التجار بكراً على حالها ثم أنه مال إليها بالكلية ولم يلتفت إلى غيرها وهجر جميع سراريه والمحاظى وأقام معها سنة كاملة كأنها يوم واحد وهي لم تتكلم فقال لها يوماً من الأيام وقد زاد عشقه بها والغرام يا منية النفوس أن محبتك عندي عظيمة وقد هجرت من أجلك جميع الجواري والسراري والنساء والمحاظي وجعلتك نصيبي من الدنيا وقد طولت وحي عليك سنة كاملة وأسأل الله تعالى من فضله أن يلين قلبك لي فتكلميني وأن كنت خرساً فاعلميني بالإشارة حتى أقطع العشم من كلامك وأرجو الله سبحانه أن يرزقني منك بولد ذكر يرث ملكي من بعدي فأني وحدي فريد ليس لي من يرثني وقد كبر سني فبالله عليك أن كنت تحسينني أن تردي على الجواب فأطرقت الجارية رأسها إلى الأرض وهي تتفكر ثم أنها رفعت رأسها وتبسمت في وجه الملك فتخيل للملك أن البرق قد ملا المقصورة وقالت أيها الملك الهمام والأسد الضرغام قد استجاب الله دعائك وأني حامل منك وقد آن أوان الوضع ولكن لا أعلم هل الجنين ذكر أو أنثى ولولا أني حملت منك ما كلمتك كلمة واحدة فلما سمع الملك كلامها تهلل وجهه بالفرح والأنشراح وقبل رأسها ويديها من شدة الفرح وقال الحمد لله الذي من علي بأمرين كنت أتمناهما الأول كلامك والثاني أخبارك بالحمل مني ثم أن الملك قام من عندها وخرج وجلس على كرسي مملكته وهو في الانشراح الزائد وأمر الوزير أن يخرج للفقراء والمساكين والأرامل وغيرهم مائة ألف دينار شكراً لله تعالى وصدقة عنه ففعل الوزير ما أمره به الملك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٨١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير فعل ما أمره به الملك ثم أن الملك دخل بعد ذلك إلى الجارية وجلس عندها وحضنها وضمها إلى صدره وقال لها يا سيدتي ومالكة روحي لماذا السكوت ولك عندي سنة كاملة ليلاً ونهاراً قائمة ونائمة ولم تكلميني في هذه السنة إلا في هذا النهار فما سبب سكوتك فقالت الجارية اسمع يا ملك الزمان واعلم أني مسكينة غريبة مكسورة الخاطر فارقت أمي وأهلي وأخي فلما سمع الملك كلامها عرف مرادها فقال لها أما قولك مسكينة فليس لهذا الكلام محل فإن جميع ملكي ومتاعي وما أنا فيه في خدمتك وأنا أيضاً صرت مملوكك وأما قولك فارقت أمي وأهلي وأخي فاعلميني في أي مكان هم وأنا أرسل إليهم وأحضرهم عندك فقالت له اعلم أيها الملك السعيد أن أسمي جلناز البحرية وكان أبي من ملوك البحر ومات وخلف لنا الملك فبينما نحن فيه إذ تحرك علينا ملك من الملوك وأخذ الملك من أيدينا ولي أخ يسمى صالح وأمي من نساء البحر فتنازعت أنا وأخي فحلفت أن أرمي نفسي عند رجل من أهل البر فخرجت من البحر وجلست على طرف جزيرة في القمر فجاز بي رجل فأخذني وذهب بي إلى منزله وراودني عن نفسي فضربته على رأسه فكاد أن يموت فخرج بي وباعني لهذا الرجل الذي أخذتني منه وهو رجل جيد صالح صاحب دين وأمانة ومروءة ولولا أن قلبك حبني فقدمتني على جميع سراريك ما كنت قعدت عندك ساعة واحدة وكنت رميت نفسي إلى البحر من هذا الشباك وأروح إلى أمي وجماعتي وقد استحيت أن أسير إليهم وأنا حامل منك فيظنون بي سوأ ولا يصدقونني ولو حلفت لهم إذا أخبرتهم أنه اشتراني ملك بدراهمه وجعلني نصيبه من الدنيا واختص بي عن زوجاته وسائر ما ملكت يمينه وهذه قصتي والسلام وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٨٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن جلناز البحرية لما سألها الملك شهرمان حكت له قصتها من أولها إلى آخرها فلما سمع كلامها شكرها وقبلها بين عينيها وقال لها والله يا سيدتي ونور عيني أني لا أقدر على فراقك ساعة واحدة وأن فراقتيني مت من ساعتي فكيف يكون الحال فقالت يا سيدي قد قرب أوان ولادتي ولابد من حضور أهلي لأجل أن يباشروني لأن نساء البر لا يعرفن طريقة ولادة بنات البحر وبنات البحر لا يعـ رفن طريقة ولادة بنات البر فإذا حضر أهلي انقلب معهم وينقلبون معي فقال لها الملك كيف يمشون في البحر ولا يبتلون فقالت أنا نمشي في البحر كما أنتم تمشون في البر ببركة الأسماء المكتوبة على خاتم سليمان بن داود عليهما السلام ولكن أيها الملك إذا جاء أهلي وأخواتي فأني أعلمهم أنك اشتريتني بمالك وفعلت معي الجميـ ل والإحسان فينبغي أن تصدق كلامي عندهم ويشاهدون حالك بعيونهم ويعلمون أنك ملك ابن ملك فعند ذلك قال الملك يا سيدتي افعلي ما بدا لك مما تحبين فأني مطيع لك في جميع ما تفعلينه فقالت الجارية اعلم يـ ا ملـ ك الزمان أنا نسير في البحر وعيوننا مفتوحة وننظر ما فيه وننظر الشمس والقمر والنجوم والسماء كأننا علـ ى وجه الأرض ولا يضرنا ذلك واعلم أيضاً أن في البحر طوائف كثيرة وأشكالاً مختلفة من سائر الأجناس التي في البر واعلم أيضاً أن جميع ما في البر بالنسبة لما في البحر شيء قليل جداً فتعجب الملك من كلامها ثم أن الجارية أخرجت من كتفها قطعتين من العود القماري وأخذت منه جزاء وأوقدت مجمرة النار وألقـ ت ذلـ ك الجزء فيها وصفرت صفرة عظيمة وجعلت تتكلم بكلام لا يفهمه أحد فطلع دخان عظيم والملك ينظر ثم قالت للملك يا مولاي قم واختف في مخدع حتى أريك أخي وأمي وأهلي من حيـ ث لا يرونـ ك فـ أني أريـ د أن أحضرهم وتنظر في هذا المكان في هذا الوقت العجب وتتعجب مما خلق الله تعالى من الأشـ كال المختلفـ ة والصور الغريبة فقام الملك من وقته وساعته ودخل مخدعاً وصار ينظر ما تفعل فصارت تبخر وتعزم إلـ ى أن أزبد البحر واضطرب وخرج منه شاب مليح الصورة بهي المنظر كأنه البدر في تمامه بجبين أزهر وخد أحمر وشعر كأنه الدرر والجوهر وهو أشبه الخلق بأخته ولسان الحال في حقه ينشد هذين البيتين:

البـ ـ ـدر يكمـ ـ ـل كـ ـ ـل شـ ـ ـهر مـ ـ ـرة	**وجمـ ـال وجهـ ـك كـ ـل يـ ـوم يكمـ ـل**
وحلولـ ـ ـه فـ ـ ـي قلـ ـ ـب بـ ـ ـرج واحـ ـ ـد	**ولـ ـ ـك القلـ ـ ـوب جمـ ـ ـيعهن المنـ ـ ـزل**

ثم خرجت من البحر عجوز شمطاء وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٨٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن جلناز لما صفرت خرج من البحر أخوها وعجوز معها خمس جـ وار كأنهن الأقمار وعليهن شبه من الجارية التي اسمها جلناز ثم أن الملك رأى الشاب والعجوز والجواري يمشين على وجه الماء حتى قدموا علي الجارية فلما قربوا من الشباك ونظرتهم جلناز قامت لهم وقـ ابلتهم بـ الفرح والسرور فلما رأوها عرفوها ودخلوا عندها وعنقوها وبكوا بكاء شديداً ثم قالوا لها يا جلناز كيـ ف تتركيننـ ا أربع سنين ولم نعلم المكان الذي أنت فيه والله أنها ضاقت علينا الدنيا مـ ن شـ دة فراقـ ك ولا نلتـ ذ بطعـ ام ولاشراب يوماً من الأيام ونحن نبكي بالليل والنهار من فرط شوقنا إليك ثم أن الجارية صارت تقبل يد الشاب أخيها ويد أمها وكذلك بنات عمها جلسوا عندها ساعة وهم يسألونها عن حالها وما جرى لها وعما هي فيـ ـه

فقالت لهم اعلموا أني لما فارقتكم وخرجت من البحر جلست على طرف جزيرة فأخذني رجل وباعني لرجل تاجر فأتى بي التاجر إلى هذه المدينة وباعني لملكها بعشرة آلاف دينار ثم أنه احتفل بي وترك جميع سراريه ونسائه ومحاطيه من أجلي واشتغل بي عن جميع ما عنده وما في مدينته فلما سمع أخوها كلامها قال الحمد لله الذي جمع شملنا بك لكن قصدي يا أختي أن تقومي وتروحي معنا إلى بلادنا وأهلنا فلما سمع الملك كلام أخيها طار عقله خوفاً على الجارية أن تقبل كلام أخيها ولا يقدر هو أن يمنعها مع أنه مولع بحبها فصار متحيراً شديد الخوف من فراقها ما الجارية جلناز فإنها لما سمعت كلام أخيها قالت والله يا أخي أن الرجل الذي أشتراني ملك هذه المدينة وهو ملك عظيم ورجل عاقل كريم جيد في غاية الجود وقد أكرمني وهو صاحب مروءة ومال كثير وليس له ولد ذكر ولا أنثى وقد أحسن إلي وصنع معي كل خير ومن يوم ما جئته إلى هذا الوقت ما سمعت منه كلمة رديئة تسوء خاطري ولم يزل يلاطفني ولا يفعل شيئاً إلا بمشاورتي وأنا عنده في أحسن الأحوال وأتم النعم وأيضاً متى فارقته يهلك فإنه لا يقدر على فراقي أبداً ولا ساعة واحدة وأن فارقته أنا الأخرى مت من شدة محبتي أياه وسبب فرط إحسانه لي مدة إقامتي عنده فإنه لو كان أبي حيا ما كان لي مقام عنده مثل مقامي عند هذا الملك العظيم الجليل المقدار وقد رأيتموني حامله منه والحمد لله الذي جعلني بنت ملك البحر وزوجي أعظم ملوك البر ولم يقطع الله تعالى بي وعوضني خيراً وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٨٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن جلناز البحرية لما حكت لأخيها جميع حكايتها وقالت أن الله تعالى لم يقطع بي وعوضني خيراً وأن الملك ليس له ذكر بلا الشيء وأطلب من الله تعالى أن يرزقني بولد ذكر يكون وارثاً عن هذا الملك العظيم ما خوله أنه تعالى من هذه العمارات والقصور والأملاك فلما سمع أخوها وبنات عمها كلامها قرت أعينهن بذلك الكلام وقالوا لها يا جلناز أنت تعلمين بمنزلتك عندنا وتعرفين محبتنا أياك وتحققين أنك أعز الناس جميعاً عندنا وتعتقدين أن قصدنا لك الراحة من غير مشقة ولا تعب فإن كنت في عهود واسعة فقومي معنا إلى بلادنا وأهلنا وأن كنت مرتاحة هنا في معزة وسرور فهذا هو المراد والمنى لانا لأثر بدلاً راحتك على كل حال فقالت جلناز والله أني في غاية الراحة والهنا والعز والمنى فلما استمع الملك عنها ذلك الكلام فرح واطمأن قلبه وشكرها على ذلك وازداد فيها حباً ودخل حبها في صميم قلبه منها أنها تحب كما يحبها وأنها تريد القعود عنده حتى يرى ولده منها ثم أن الجارية التي هي جلناز أمرت جواريها أن يقدمن الموائد والطعام من سائر الألوان وكانت جلناز هي التي باشرت الطعام في المطبخ فقامت لهم الجواري بالطعام والحلويات والفواكه ثم أنها أكلت هي وأهلها وتجد ذلك قالوا لها يا جلناز أن سيدك رجل غريب منا وقد دخلنا بيته من غير أذنه ولم يعلم بنا وإننا شاكرين له فضله وأيضاً أحضرت لنا طعامه فأكلنا ولم نجتمع به ولم نره ولم يرنا ولا حضرنا ولا أكل هذا حتى يكون بيننا وبينه خبز وملح وامتنعوا كلهم من الأكل واغتاظوا منها وصارت النار تخرج من أفواههم كالمشاعل فلما رأى الملك ذلك طار عقله من شدة الخوف عنهم ثم أن جلناز قامت اليوم وطيبت خواطرهم ثم بعد ذلك تمشت إلى أن دخلت المخدع الذي فيه الملك سيدها وقالت له يا سيدي هل رأيت وسمعت شكري فيك وثنائي عليك عند أهلي وسمعت ما قالوه لي

من أنهم يريدون أن يأخذوني معهم إلى أهلي وبلادي فقال لها الملك سمعت ورأيت وجزاك الله عني خيراً والله ما علمت قدر محبتي عندك إلا في هذه الساعة المباركة ولم أشك في محبتك أياي فقالت له يا سيدي ما جزاء الإحسان إلا الإحسان وأنت قد أحسنت إلي وتكرمت علي بجلائل النعم وأراك تحبني غاية المحبة وعملت معي كل جميل واخترتني على جميع من تحب وتريد فكيف يطيب قلبي على فراقك والرواح من عندك وكيف يكون ذلك وأنت تحسن وتتفضل علي فأريد من فضلك أن تأتي وتسلم على أهلي وتراهم ويروك ويحصل الصفاء والود بينكم ولكن أعلم يا ملك الزمان أن أخي وأمي وبنات عمي قد أحبوك محبة عظيمة لما شكرتك لهم وقالوا ما نروح إلى بلادنا من عندك حتى نجتمع بالملك ونسلم عليه فيريدون أن ينظروك ويأتنسوا بك فقال لها الملك سمعاً وطاعة فإن هذا هو مرادي ثم أنه قام من مقامه وسار إليهم وسلم عليهم بأحسن سلام فبادروا إليه بالقيام وقابلوه أحسن مقابلة فجلس معهم في القصر وأكل معهم على المائدة وأقام معهم مدة ثلاثين يوماً ثم بعد ذلك أرادوا التوجه إلى بلادهم ومحلهم فأخذوا بخاطر الملك والملكة جلناز البحرية ثم ساروا من عندهما بعد أن أكرمهم الملك غاية الأكرام وبعد ذلك استوفت جلناز أيام حملها وجاء وأن الوضع فوضعت غلاماً كأنه البدر في تمامه فحصل للملك بذلك غاية السرور لأنه ما رزق بولد ولا بنت في عمره فأقاموا الأفراح والزينة مدة سبعة أيام وهم في غاية السرور والهنا وفي اليوم السابع حضرت أم الملكة جلناز وأخوها وبنات عمها الجميع لما علموا أن جلناز قد وضعت. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٨٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن جلناز لما وضعت وجاء إليها أهلها قابلهم الملك وفرح بقدومهم وقال لهم أنا قلت ما أسمي ولدي حتى تحضروا وتسموه أنتم بمعرفتكم فسموه بدر باسم واتفقوا جميعاً على هذا الاسم ثم أنهم عرضوا الغلام على خاله صالح فحمله على يديه وقام به من بينهم وتمشي في القصر يميناً وشمالاً ثم خرج به من القصر ونزل به البحر المالح ومشى حتى اختفى عن عين الملك فلما رآه الملك أخذ ولده وغاب عنه في قاع البحر يئس منه وصار يبكي وينتحب فلما رأته جلناز على هذه الحالة قالت له يا ملك الزمان لا تخف ولا تحزن على ولدك فأنا أحب ولدي أكثر منك وأن ولدي مع أخي فلا تبال من البحر ولا تخش عليه من الغرق ولو علم أخي أنه يحصل للصغير ضرر ما فعل الذي فعله به وفي هذه الساعة يأتيك بولدك سالماً أن شاء الله تعالى فلم يكن غير ساعة إلا والبحر قد اختبط واضطرب وطلع منه خال الصغير ومعه ابن الملك سالماً وطار من البحر إلى أن وصل إليهم والصغير على يديه وهو ساكت ووجهه كالقمر في ليلة تمامه ثم أن خال الصغير نظر إلى الملك وقال له لعلك خفت على ولدك من ضرر الماء لما نزلت به في البحر وهو معي فقال نعم يا سيدي خفت عليه وما ظننت أنه يسلم منه قط فقال له يا ملك البر أننا كحلناه بكحل نعرفه وقرأنا عليه الأسماء المكتوبة على خاتم سليمان بن داود عليهما السلام فإن المولود إذا ولد عندنا صنعنا به ما ذكرت لك فلا تخف عليه من الغرق ولا الخنق ولا من سائر البحار إذا نزل فيها ومثل ما تمشون أنتم في البر نمشي نحن في البحر ثم أخرج من جيبه محفظة مكتوبة ومختومة ففض ختامها ونثرها فنزل منها جواهر منظومة من سائر أنواع اليواقيت والجواهر وثلثمائة قضيب من الزمرد وثلثمائة قصبه من

الجواهر الكبار التي هي قدر بيض النعام نورها أضوء من نور الشمس والقمر وقال يا ملـ ك الزمـ ان هـ ذه الجواهر واليواقيت هدية مني إليك لأننا ما أتيناك بهدية قط وما نعلم موضع جلناز ولا نعرف لهـ ا أثـ ر أولاً خبراً فلما رأيناك اتصلت بها وقد صرنا كلنا شيئاً واحداً أتيناك بهذه الهدية وبعد كل قليل من الأيـ ام نأتيـ ك بمثلها أن شاء الله تعالى لأن هذه الجواهر واليواقيت عندنا أكثر من الحصى في البر ونعرف جيدها ورديئها وجميع طرقها وموضعها وهي سهلة علينا فلما نظر الملك إلى تلك الجواهر واليواقيت أندهش عقله وطار لبه وقال والله أن جوهرة من هذه الجواهر تعادل ملكي ثم أن الملك شكر فضل صالح البحري ونظر إلى الملكـ ة جلناز وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٨٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك شكر صالح البحري ونظر إلى الملكة جلنـ از وقـ ال لهـ ا أنـ ا استحيت من أخيك لأنه تفضل علي وهادني بهذه الهدية السنية التي يعجز عنها أهل الأرض فشكرته جلنـ از وأخاها على ما فعل فقال أخوها يا ملك الزمان أن لك علينا حقاً قد سبق وشكرك علينا قد وجـ ب لأنـ ك قـ د أحسنت إلى ألآختي ودخلنا منزلك وأكلنا زادك وقد قال الشاعر:

فلـ . ـو قبـ . ـل مبكاهـ . ـا بكيـ . ـت صـ . ـبابة ... بسـ ـعدي شـ ـفيت الـ ـنفس قبـ ـل التنـ ـدم
ولكـ .ـن بكـ .ـت قبلـ .ـي تهـ .ـيج لـ .ـي البكـ .ـة ... بكاهـ . ـا فقلـ . ـت الفضـ . ـل للمتقـ . ـدم

ثم قال صالح ولو وقفنا في خدمتك يا ملك الزمان ألف سنة على وجوهنا ما قدرنا أن نكافئك وكان ذلك في حقك قليلاً فشكره الملك شكراً بليغاً وأقام صالح عند الملك وأمه وبنات عمه أربعين يوماً ثم أن صالحاً أخاً جلناز قام وقبل الأرض بين يدي الملك زوج أخته فقال ما تريد يا صالح فقال صالح يا ملـ ك الزمـ ان قـ د تفضلت علينا ومرادي من أحسانك أن تتصدق علينا وتعطينا إذنا فأننا قد اشتقنا إلى أهلنا وبلادنـ ا وأقاربنـ ا وأوطاننا ونحن ما بقينا نتقطع عن خدمتك ولا عن أختي ولا عن أبن أختي فو الله يا ملك الزمان ما يطيـ ب لقلبي فراقكم ولكن كيف العمل ونحن قد تربينا في البحر وما يطيب لنا البر فلما سمع الملك كلامه نهض قائماً على قدميه وودع صالحاً البحري وأمه وبنات عمه وتباكوا للفراق ثم قالوا له عن قريب نكـ ون عنـ دكم ولا نقطعكم أبداً وبعد كل قليل من الأيام نزوركم ثم أنهم طاروا وقصدوا البحر حتى صاروا فيه وغابوا عن العين فأحسن الملك إلى جلناز وأكرمها أكراماً زائداً ونشأ الصغير منشأ حسناً وصار خاله وجدته وخالته وبنات عم أمه وبعد كل قليل من الأيام يأتون محل الملك ويقيمون عنده الشهر والشهرين ثم يرجعون إلى مـ اكنهم ولـ م يزل الولد يزداد بزيادة السن حصنا وجمالاً إلى أن صار عمره خمسة عشر عاماً وكان فريداً في كماله وقده واعتداله وقد تعلم الخط والقراءة والأخبار والنحو واللغة والرمي بالنشاب وتعلم اللعب بالرمح وتعلم الفروسية وسائر ما يحتاج إليه أولاد الملوك ولم يبق أحد من أولاد أهل المدينة من الرجال والنسـ اء إلا ولـ ه حـ ديث بمحاسن ذلك الصبي لأنه كان بارع الجمال والكمال متصفاً بمضمون قول الشاعر:

كتـ . ـب العـ . ـداري بعنبـ . ـر فـ . ـي لؤلـ . ـؤ ... سـ .ـطرين مـ .ـن سـ .ـبج علـ .ـى تفـ .ـاح
القتـ .ـل فـ .ـي الحـ .ـدق المـ .ـراض إذا رنـ .ـت ... والسـ ـكر فـ ـي الوجنـ ـات لا فـ ـي الـ ـراح

فكان الملك يحبه محبة عظيمة ثم أن الملك أحضر الوزراء والأمراء وأرباب الدولة وأكابر المملكة وحلفهم الإيمان الوثيقة أنهم يجعلون بدر باسم ملكاً عليهم بعد أبيه فحلفوا له الإيمان الوثيقة وفرحوا بذلك فاتفق أن والد الملك بدر باسم مرض يوماً من الأيام فخفق قلبه وأحس بالانتقال إلى دار البقاء ثم ازداد به المرض حتى أشرف على الموت فأحضر ولده ووصاه بالرعية ووصاه بوالدته وبسائر أرباب دولته وبجميع الأتباع وحلفهم وعاهدهم على طاعة ولده ثاني مرة واستوثق منهم بالإيمان ثم مكث بعد ذلك أياماً قلائل وتوفي إلى رحمة الله تعالى فحزن عليه ولده بدر باسم وزوجته جلناز والأمراء والوزراء وأرباب الدولة وعملوا له تربة ودفنوه فيها ثم أنهم قعدوا في عزائه شهراً كاملاً وأتي صالح أخو جلناز وأمها وبنات عمها وعزوهم في الملك وقالوا يا جلناز أن كان الملك مات فقد خلف هذا الغلام الماهر ومن خلف مثله ما مات وهذا هو القديم النظير الأسد الكاسر وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٨٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أخا جلناز صالحاً وأمها وبنات عمها قالوا لها أن كان الملك قد مات فقد خلف هذا الغلام العديم النظير الأسد الكاسر والقمر الزاهر ثم أن أرباب الدولة والأكابر دخلوا على الملك بدر باسم وقالوا له يا ملك لا بأس بالحزن على الملك ولكن الحزن لا يصلح إلا للنساء فلا تشغل خاطرك وخاطرنا بالحزن على والدك فإنه قد مات وخلفك ومن خلف مثلك ما مات ثم أنهم لا طفوه وسلوه وبعد ذلك أدخلوه الحمام فلما خرج من الحمام لبس بدلة فاخرة منسوجة بالذهب مرصعة بالجواهر والياقوت ووضع تاج الملك على رأسه وجلس على سرير ملكه وقضى أشغال الناس وانصف الضعيف من القوى وأخذ للفقير حقه من الأمير فأحبه الناس حباً شديد ولم يزل كذلك مدة سنة كاملة وبعد كل مدة قليلة تزوره أهله البحرية فطاب عيشه وقرت عينه ولم يزل على هذه الحالة مدة مديدة فاتفق أن خاله دخل ليلة من الليالي على جلناز وسلم عليها فقامت له واعتنقته وأجلسته إلى جانبها وقالت له يا أخي كيف حالك وحال والدتي وبنات عمي فقال لها يا أختي أنهم طيبون بخير وحظ عظيم وما ينقص عليهم إلا النظر إلى وجهك ثم أنها قدمت له شيئاً من الأكل فأكل ودار الحديث بينهما وذكر والملك بدر باسم وحسنه وجماله وقده واعتداله وفروسيته وعقله وأدبه وكان الملك بدر باسم متكئاً فلما سمع أمه وخاله يذكر أنه ويتحدثان في شأنه أظهر أنه نائماً وصار يسمع حديثهما فقال صالح لأخته جلناز أن عمر ولدك سبعة عشر عاماً ولم يتزوج ونخاف أن يجري له أمر ولا يكون ولدا فأريد أن أزوجه بملكه من ملكات البحر تكون في حسنه وحماله فقالت جلناز أذكرهن لي فأني أعرفهن فصار يعدهن لها واحدة بعد واحدة وهي تقول ما أرضى هذه لولدي ولا أزوجه إلا بمن تكون مثله في الحسن والجمال والعقل والدين والأدب والمروءة والملك والحسب والنسب فقال لها ما بقيت أعرف واحدة من بنات الملوك البحرية وقد عددت لك أكثر من مائة بنت وأنت ما يعجبك واحدة منهن ولكن انظري يا أختي هل أبنك نائم أولاً فحبسته فوجدت عليه آثار النوم فقالت له أنه نائم فما عندك من الحديث وما قصدك بنومه فقال لها يا أختي اعلمي أني قد تذكرت بنتاً من بنات البحر تصلح لأبنك وأخاف أن أذكرها فيكون ولدك منتبهاً فيتعلق قلبه بمحبتها وربما لا يمكننا الوصول إليها فيتعب هو ونحن وأرباب دولته ويصير لنا شغل بذلك وقد قال الشاعر:

العشـ . ـق أول مـ . ـا يكـ . ـون مجاجـ . ـة   فـ . ـإذا تحكـ . ـم صـ . ـار بحـ . ـراً واسـ . ـعاً

فلما سمعت أخته كلامه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٨٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أخت صالحاً لما سمعت كلامه قالت له قل لي ما شأن هذه البنت ومـ ـا اسمها فأنا أعرف بنات البحر من ملوك وغيرهم فإذا رأيتها تصلح له خطبتها من أبيها ولو أني أصرف جميع ما تملكه يدي عليها فأخبرني بها ولا نخش شيئاً فإن ولدي نائم فقال أخاف أن يكون يقظان وقد قال الشاعر:

عشـ . ـقته عنـ . ـدما أوصـ . ـافه ذكـ . ـرت   والأذن تعشـ . ـق قبـ . ـل العـ . ـين أحيانـ . ـاً

فقالت له جلناز قل وأوجز ولا تخف يا أخي فقال والله يا أختي ما يصلح لأبنك إلا الملكة جوهرة بنـ ـت الملك السمندل وهي مثله في الحسن والجمال والبهاء والكمال ولا يوجد في البحر ولا في البـ ـر الطـ ـف ولا أحلى شمائل منها لأنها ذات حسن وجمال وقد واعتدال وخد أحمر وجبين أزهر وشعر كأنه الجوهر وطرف أحو وروردف ثقيل وخضر تحميل ووجه جميل أن التفتت تخجل المها والغزلان وأن خطرت يغار منها غصن البان وإذا سفرت تخجل الشمس والقمر وتسبى كل من نظر عذبة المراشف لينة المعاطف فلما سمعت كـ ـلام أخيها قالت له صدقت يا أخي والله أني رأيتها مرار عديدة وكانت صاحبتي ونحن صغار وليس لنـ ـا اليـ ـوم معرفة ببعضنا لموجب البعد ولي اليوم ثمانية عشر عاماً ما رأيتها والله ما يصلح لولدي إلا هي فلما سمع بدر باسم كلامهما رفهم ما قالاه من أوله إلى خره في وصف البنت التي ذكرها صالح وهي جوهرة بنت الملـ ـك السمندل عشقها بالسماع وأظهر لهم أنه نائم وصار في قلبه من أجلها لهيب النار وغرق في بحر لا يدرك له ساحل ولا قرار وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٨٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك بدر باسم لما سمع كلام خاله صالح وأمه جلناز في وصف بنت الملك السمندل صار في قلبه من أجلها لهيب النار وغرق في بحر لا يدرك له ساحل ولا قرار ثم أن صالحاً نظر إلى أخته جلناز وقال والله يا أختي ما في ملوك البحر أحمق من أبيها ولا أقوى سطوة منه فلا تعلمـ ـي ولدك بحديث هذه الجارية حتى تخطبها له من أبيها فإن أنعم بأجابتها حمدنا الله تعالى وأن ردنا ولم يزوجهـ ـا لأبنك فنستريح ونخطب غيرها فلما سمعت جلناز كلام أخيها صالح قالت نعم الرأي الذي رأيته ثم أنهما سكتا وباتا تلك الليلة والملك بدر باسم في قلبه لهيب النار من عشق الملكة جوهرة وكتم حديثه ولم يقل لأمـ ـه ولا لخاله شيئاً عن خبرها مع أنه صار من حبها على مقالي الجمر فلما أصبحوا دخل الملك هو وخالـ ـه الحمـ ـام واغتسلا ثم خرجا وشر بالشراب وقدموا بين أيديهم الطعام فأكل الملك بدر باسم وأمه وخاله حتى اكتفوا ثـ ـم غسلوا أيديهم وبعد ذلك قام صالح على قدميه وقال للملك بدر باسم وأمه جلناز عن أذنكما قد عزمـ ـت علـ ـى الرواح إلى الوالدة فإن لي عندكم مدة وخاطرهم مشغول على وهم في انتظاري فقال الملك بدر باسم لخالـ ـه صالح أقعد عندنا هذا اليوم فامتثل كلامه ثم أنه قال قم بنايا حال وأخرج بنا إلى البستان فذهبا إلـ ـى البسـ ـتان

وصار ليتفرجان ويتنزهان فجلس الملك بدر باسم تحت شجرة مظلة وأراد أن يستريح وينام فتذكر ما قاله خاله صالح من وصف الجارية وما فيها من الحسن والجمال فبكى بدموع غزار وأنشد هذين البيتين:

لـو قيل لي ولهيب النار متقد | **والنار في القلب والأحشاء تضطرم**
أهم أحب إليك أن تشاهدهم | **أم شربة من زلال الماء قلتهم**

ثم شكى وأن وبكى وأنشد هذين البيتين:

من مجيري من عشق ظبية أنس | **ذات وجه كالشمس بل هو أجمل**
كان قلبي من حبها مستريحاً | **فتلظى بحب بنت السمندل**

فلما سمع خاله صالح مقاله دق يد وقال لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ثم قال له هل سمعت يا ولدي ما تكلمت به أنا وأمك من حديث الملكة جوهرة وذكرنا لأوصافها فقال بدر باسم نعم يا خالي وعشقتها على السماع حين سمعت ما قلتم من الكلام فلما سمع صالح كلام ابن أخته حار في أمره وقال استعنت بالله تعالى على كل حال ثم أن خاله صالحاً لما رآه على هذه الحالة وعلم أنه لا يحب أن يرجع إلى أمه بل يروح معه أخرج من أصبعه خاتماً منقوشاً عليه أسماء من أسماء الله تعالى وناول الملك بدر باسم لباه وقال له اجعل هذا في أصبعك تأمن من الغرق ومن غيره ومن شر دواب البحر وحيتانه فأخذ الملك بدر باسم الخاتم من خاله صالح وجعله في أصبعه ثم أنهما غطسا في البحر وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٩٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك بدر باسم وخاله صالحاً لما غطسا في البحر سارا ولم يزالا سائرين حتى وصلا إلى قصر صالح فدخلاه فرأته جدته أم أمه وهي قاعدة وعندها أقاربها فلما دخلا عليهم قبلا أيديهم فلما رأته جدته قامت إليه واعتنقته وقبلته بين عينيه وقالت له قدوم مبارك يا ولدي كيف خلفت أمك جلناز قال لها طيبة بخير وعافية وهي تسلم عليك وعلى بنات عمها ثم أن صالحاً أخبر أمه بما وقع بينه وبين أخته جلناز وأن الملك بدر باسم عشق الملكة جوهرة بنت الملك السمندل على السماع وقص لها القصة من أولها إلى آخرها وقال أنه ما أتى إلا ليخطبها فلما سمعت جدة الملك بدر باسم كلام صالح اغتاظت عليه غيظاً شديداً وانزعجت وأغتنمت وقالت له يا ولدي لقد أخطأت بذكر الملكة جوهرة بنت الملك الممتدل قدام ابن أختك لأنك تعلم أن الملك السمندل أحمق جبار قليل العقل شديد السطوة بخيل بأبنته جوهرة على خطابها فإن سائر ملوك البحر خطبوها منه فأبى ولم يرض بأحد منهم بل ردهم وقال لهم ما أنتم أكفاء لها في الحسن ولا في الجمال ولا في غيرهما وتخاف أن يخطبها من أبيها فيردنا كما رد غيرنا ونحن أصحاب مروءة فنرجع مكسورين الخاطر فلما سمع صالح كلام أمه قال لها يا أمي كيف يكون العمل فإن الملك بدر باسم قد عشق هذه البنت لما ذكرتها لأختي جلناز وقال لابد أن أخطبها من أبيها ولو بذل جميع ملكي وزعم أنه أن لم يتزوج بها يموت فيها عشقاً وغراماً ثم أن صالحاً قال لأمه أعلمي أن ابن أختي أحسن وأجمل منها وإن أباه كان ملك العجم بأسره وهو الآن ملكهم ولا تصلح جوهرة إلاله وقد عزمت على أني آخذ جواهر من يواقيت

وغيرها وأحمل هدية تصلح له وأخطبها منه فإن احتج علينا بأنه ملك فهو أيضاً ملك ابن ملك وأن أحتج علينا بالجمال فهو أجمل منها وأن احتج علينا بسعة المملكة فهو أوسع مملكة منها ومن أبيها وأكثر أجناداً وأعواناً فإن ملكة أكبر من ملك أبيها ولابد أن أسعى في قضاء حاجة ابن أختي ولو أن روحي تذهب لأني كنت سبب هذه القضية مثل ما رميته في بحار عشقها أسعى في زواجه بها والله تعالى يساعدني على ذلك فقالت له أمه افعل ما تريد وأياك أن تغلظ عليه بالكلام إذا كلمته فإنك تعرف حماقته وسطوته وأخاف أن يبطش بك لأنه لا يعرف قدر أحد فقال لها السمع والطاعة ثم أنه نهض وأخذ معه جزايين ملآنين من الجواهر واليواقيت وقضبان الزمرد ونفائس المعادن من سائر الأحجار وحملها لغلمانه وسار بهم هو وأبن أخته إلى قصر الملك السمندل وأستأذن في الدخول عليه فأذن له فلما دخل قبل الأرض بين يديه وسلم بأحسن سلام فلما رآه الملك السمندل قام إليه وأكرمه غاية الأكرام وأمره بالجلوس فجلس فلما استقر به الجلوس قال له الملك قدوم مبارك أوحشتنا يا صالح ما حاجتك حتى أنك أتيت إلينا فأخبرني بحاجتك حتى أقضيها لك فقام وقبل الأرض ثاني مرة وقال يا ملك الزمان حاجتي إلى الله وإلى الملك الهمام والأسد الضرغام الذي بمحاسن ذكره سارت الركبان وشاع خبره في الأقاليم والبلدان بالجود والإحسان والعفو والصفح والامتنان ثم أنه فتح الجرابين وأخرج منهما الجواهر وغيرها ونثرها قدام الملك السمندل وقال له يا ملك الزمان عساك تقبل هديتي وتتفضل علي وتجبر قلبي بقبولها مني وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٩١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن صالحاً لما قدم الهدية إلى الملك السمندل وقال له القصد من الملك أن يتفضل علي ويجبر قلبي بقبولها مني قال له الملك السمندل لأي سبب أهديت لي هذه الهدية قل لي قصتك وأخبرني بحاجتك فإن كنت قادراً على قضائها قضيتها لك في هذه الساعة ولا أحوجك إلى تعب وإن كنت عاجزاً عن قضائها فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها فقام وقبل الأرض ثلاث مرات وقال يا ملك الزمان أن حاجتي أنت قادر على قضائها وهي تحت حوزك وأنت مالكها ولم أكلف الملك مشقة ولم أكن مجنوناً حتى أخاطب الملك في شيء لا يقدر عليه فبعض الحكماء قال إذا أردت تطاع فسل ما يستطاع فأما حاجتي التي جئت في طلبها فإن الملك حفظه الله قادر عليها فقال له الملك اسأل حاجتك وأشرح قضيتك وأطلب مرادك فقال له يا ملك الزمان اعلم أني قد أتيتك خاطباً راغباً في الدرة اليتيمة والجوهرة المكنونة الملكة جوهرة بنت مولانا فلا تخيب أيها الملك قاصدك فقلما سمع كلامه ضحك حتى استلقى على قفاه استهان به وقال يا صالح كنت أحسبك رجلاً عاقلاً وشاباً فاضلاً لا تسعى إلا بسداد ولا تنطق إلا برشاد وما الذي أصاب عقلك ودعاك إلى هذا الأمر العظيم والخطب الجسيم حتى أنك تخطب بنات الملوك أصحاب البلدان والأقاليم وهل بلغ من قدرك أنك أنتهيت إلى هذه الدرجة العالية وهل نقص عقلك إلى هذه الغاية حتى تواجهني بهذا الكلام فقال صالح أصلح الله الملك أني لم أخطبها لنفسي ولو خطبتها لنفسي لكنت كفؤا لها بل أكثر لأنك تعلم أن أبي ملك من ملوك البحر وإن كنت اليوم ملكنا ولكن أنا ما خطبتها إلا للملك بدر باسم صاحب أقاليم العجم وأبوه الملك شهرمان وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٩٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن صالح قال للملك أنا ما خطبت بنتك إلا للملك بدر باسم بن الملك شهرمان وأنت تعرف سطوته وأن زعمت أنك ملك عظيم فالملك بدر باسم ملك أعظم وأن أدعيت أن ابنتك جميلة فالملك بدر باسم أجمل منها وأحسن صورة وأفضل حسباً ونسباً فإنه فارس زمانه فإن أجبت إلى ما سألتك تكن يا ملك الزمان قد وضعت الشيء في محله وإن تعاظمت علينا فإنك ما أنصفتنا ولا سلكت بنا الطريق المستقيم وأنت تعلم أيها الملك أن هذه الملكة جوهرة بنت مولانا الملك لابد لها من الزواج فإن الحكيم يقول لابد للبنت من الزواج أو القبر فإن كنت عزمت على زواجها فإن ابن أختي أحق بها من سائر الناس فلما سمع كلام صالح اغتاظ غيظاً شديداً وكاد عقله أن يذهب وكادت روحه أن تخرج من جسده وقال له يا كلب الرجال وهل مثلك يخاطبني بهذا الكلام وتذكر أبنتي في المجالس وتقول أن ابن أختك جلناز كفء لها فمن أنت ومن هي أختك ومن هو أبنها ومن هو أبوه حتى تقول هذا الكلام وتخاطبني بهذا الخطاب فهل أنتم بالنسبة إليها إلا كلاب ثم صاح على غلمانه وقال يا غلمان خذوا رأس هذا العلق فأخذوا السيوف وجردوها وطلبوه فولي هارباً ولباب القصر طالباً فلما وصل إلى باب القصر رأى أولاد عمه وقرابته وعشيرته وغلمانه وكانوا أكثر من ألف فارس غارقين في الحديد والزرد النضيد وبأيديهم الرماح وبيض الصفاح فلما رأوا صالحاً على تلك الحالة قالوا له ما الخبر فحدثهم بحديثه وكانت أمه قد أرسلتهم إلى نصرته فلما سمعوا كلامه علموا أن الملك أحمق شديد السطوة فترجلوا عن خيولهم وجردوا سيوفهم ودخلوا على الملك السمندل فرأوه جالساً على كرسي مملكته غافلاً عن هؤلاء وهو شديد الغيظ على صالح ورأوا خدامه وغلمانه وأعوانه غير مستعدين فلما رآهم وبأيديهم السيوف مجردة صاح على قومه وقال يا ويلكم خذوا رؤوس هؤلاء الكلاب فحملوا على بعضهم فلم تكن غير ساعة حتى انهزم قوم الملك السمندل وركنوا إلى الفرار وكان صالح وأقاربه قد قبضوا على الملك السمندل وكتفوه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٩٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن صالحاً وأقاربه كتفوا الملك السمندل ثم أن جوهرة لما أنتبهت علمت أن أباها قد أسر وأن أعوانه قد قتلوا فخرجت من القصر هاربة إلى بعض الجزائر ثم أنها قصدت شجرة عالية وأختفت فوقها ولما اقتتل هؤلاء الطائفتان فر بعض غلمان الملك السمندل هاربين فرآهم بدر باسم فسألهم عن حالهم فأخبروه بما وقع فلما سمع أن الملك السمندل قبض عليه ولى هارباً وخاف على نفسه وقال في قلبه أن هذه الفتنة كانت من أجلي وما المطلوب إلا أنا فولى هارباً وللنجاة طالباً وصار لا يدري أين يتوجه فساقته المقادير إلا زله إلى تلك الجزيرة التي فيها جوهره بنت الملك السمندل فأتى عند الشجرة وانطرح مثل القتيل وأراد الراحة بانطراحه ولا يعلم أن كل مطلوب لا يستريح ولا يعلم أحد ما خفي له في الغيب من المقادير فلما رقد وقع بصره نحو الشجرة فوقعت عينه في عين جوهرة فنظر إليها فرآها كأنها القمر إذا أشرق فقال سبحان خالق هذه الصورة وهو خالق كل شيء وهو على كل شيء قدير سبحان الله العظيم الخالق الباريء المصور والله صدقتني حذري تكون هذه جوهرة بنت الملك السمندل وأظنها لما سمعت بوقوع الحرب بينهما هربت وأتت إلى هذه الجزيرة وأختفت فوق هذه الشجرة وأن لم تكن هذه الملكة جوهرة فهذه أحسن منها ثم أنه صار مفتكراً في أمرها وقال في نفسه أقوم أمسكها وأسألها عن حالها فإن

كانت هي فأني أخطبها من نفسها وهذا هو بغيتي فأنتصب قائماً على قدميه وقال لجوهرة يا غاية المطلوب من أنت ومن أتى بك إلى هذا المكان فنظرت جوهرة إلى بدر باسم فرأته كانه الدراذ أظهر من تحت الغمام الأسود هو رشيق القوام مليح الابتسام فقالت له يا مليح الشمائل أنا الملكة جوهرة بنت الملك السمندل قد هربت في هذا المكان لأن صالحاً وجنوده تقاتلوا مع أبي وقتلوا جنده وأسروه هو وبعض جنده فهربت أنا خوفاً على نفسي ثم أن الملكة جوهرة قالت للملك بدر باسم وأنا ما أتيت إلى هذا المكان إلا هاربة خوفاً من القتل ولم أدر ما فعل الزمان بأبي فلما سمع الملك بدر باسم كلامها تعجب غاية العجب من هذا الاتفاق الغريب وقال لاشك أني نلت غرضي بأسر أبيها ثم أنه نظر إليها وقال لها أنزلي يا سيدتي فإني قتيل هواك وأسرتني عيناك وعلى شأني وشأنك كانت هذه الفتنة وهذه الحروب واعلمي أني أنا الملك بدر باسم ملك العجم وأن صالحاً هو خالي وهو الذي أتى إلىأبيك وخطبك منه وأنا قدر تركت ملكي لاجلك واجتماعنا في هذا الوقت من عجائب الاتفاق فقومي وأنزلي عندي حتى أروح أنا وأنت إلى قصر أبيك وأسأل خالي صالحاً في إطلاقه وأتزوج بك في الحلال فلما سمعت جوهرة كلام بدر باسم قالت في نفسها على شأن هذا العلق اللئيم كانت هذه القصبة وأسرابي وقتل حجابه وحشمه وتشتت أنا عن قصري وحرجت أنا مسبية إلى تلك الجزيرة فإن لم أعمل معه حيلة أتحسن بها منه تمكن مني ونال عرضه لأنه عاشق والعاشق مهما فعله لا يلام عليه فيه ثم أنها خادعته بالكلام ولين الخطاب وهو لا يدري ما أضمرته له من المكايد وقالت له يا سيدي ونور عيني هل أنت الملك بدر باسم ابن الملكة جلناز فقال لها نعم يا سيدتي وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٩٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن جوهرة بنت الملك السمندل قالت للملك بدر باسم هل أنت يا سيدي الملك بدر باسم ابن الملكة جلناز قال لها نعم يا سيدتي فقالت قطع الله أبي وأزال ملكه ولا جبر له قلباً ولا رد له غربة أن كان يريد أحسن منك وأحسن من هذه الشمائل الظريفة والله أنه قليل العقل والتدبير ثم قالت له يا ملك الزمان لا تؤاخذ أبي بما فعل وإن كنت أحببتني شبراً فأنا أحببتك زراعاً وقد رفعت في شرك هواك وصرت من جملة قتلاك وقد أنتقلت المحبة التي كانت عندك وصارت عندي ما بقي عندك منها إلا معشار ما عندي ثم أنها نزلت من فوق الشجرة وقربت منه وأتت إليه وأعتنقته وصمته إلى صدرها وصارت تقبله فلما رأى الملك بدر باسم فعلها فيه ازدادت محبته لها واشتد غرامه بها وظن أنها عشقته ووثق بها وصار يصمها ويقبلها ثم أنه قال لها يا ملكة والله لم يصف لي خالي ربع معشار ما أنت عليه من الجمال ولا ربع قيراط من أربعة وعشرين قيراط ثم أن جوهرة صمته إلى صدرها وتكلمت بكلام لا يفهم وتفلت في وجهه وقالت له أخرج من هذه الصورة البشرية إلى صورة طائر أحسن الطيور أبيض الريش أحمر المنقار والرجلين فما تمت كلامها حتى انقلب الملك بدر باسم إلى صورة طائر أحسن ما يكون من الطيور وانتفض ووقف على رجليه وصار ينظر إلى جوهرة وكان عندها جارية من جواريها تسمي مر سيئة فنظرت إليها وقالت والله لولا أني أخاف من كون أبي أسيراً عند خاله لقتلته فلا جزاه الله خيراً فما أشأم قدومه علينا فهذه الفتنة كلها من تحت رأسه ولكن يا جارية خذيه وأذهبي به إلى الجزيرة المعطشة وأتركيه هناك حتى يموت عطشاً

فأخذته الجارية وأوصلته إلى الجزيرة وازادت الرجوع من عنده ثم قالت في نفسها والله أن صاحب هذا الحسن والجمال لا يستحق أن يموت عطشاً ثم أنها اخرجته من الجزيرة المعطشة وأتت به إلى جزيرة كثيرة الأشجار والأثمار والأنهار فوضعته فيها ورجعت إلى سيدتها وقالت لها قد وضعته في الجزيرة المعطشة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٩٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية رجعت إلى سيدتها وقالت وضعته في الجزيرة المعطشة هذا ما كان من أمر بدر باسم (وأما) ما كان من أمر صالح خال الملك بدر باسم فإنه لما احتوى على الملك السمندل وقتل أعوانه وخدمه وصار تحت أسره طلب جوهره بنت الملك فلم يجدها فرجع إلى قصره عند أمه وقال يا أمي أين أبن أختي الملك بدر باسم فقالت يا ولدي والله ما لي به علم ولا أعرف أين أذهب فإنه لما بلغه أنك تقاتلت مع الملك السمندل وجرت بينكم الحروب والقتال فزع وهرب فلما سمع صالح كلام أمه حزن على ابن أخته وقال يا أمي والله أننا قد فرطنا في الملك بدر باسم وأخاف أن يهلك أو يقع به أحد من جنود الملك السمندل أو تقع به ابنة الملك جوهرة فيحصل لنا من أمه خجل ولا يحصل لنا منها خير لاني قد أخذته بغير أذنها ثم أنه بعث خلفه الأعوان والجواسيس إلى جهة البحر وغيره فلم يقفوا له على خبر فرجعوا واعلموا صالحاً بذلك فزاد همه وغمه وقد ضاق صدره على الملك بدر باسم هذا ما كان من أمر الملك بدر باسم وخاله صالح (وأما) ما كان من أمر أمه جلناز البحرية فإنها لما نزل أبنها بدر باسم مع خاله صالح انتظرته فلم يرجع إليها وأبطأ خبره عنها فقعدت أياماً عديدة في انتظاره ثم قامت ونزلت في البحر وأتت أمها فلما نظرتها أمها قامت إليها وقبلتها وأعتنقتها وكذلك بنات عمها ثم أنها سألت أمها عن الملك بدر باسم فقالت لها يا بنتي قد أني هو وخاله ثم أن خاله قد أخذ يواقيت وجواهر وتوجه بها هو وإياه إلى الملك السمندل وخطب ابنته فلم يجبه وشدد على أخيك في الكلام فأرسلت إلى أخيك نحو ألف فارس ووقع الحرب بينهم وبين الملك السمندل فنصر الله أخياك عليه وقتل أعوانه وجنوده وأسر الملك السمندل فبلغ ذلك الخبر ولدك فكأنه خاف على نفسه فهرب من عندنا بغير اختيارنا ولم يعد إلينا بعد ذلك ولم نسمع له خبر أثم أن جلناز سألتها عن أخيها صالح فأخبرتها أنه جالس على كرسي المملكة في محل الملك السمندل وقد أرسل إلى جميع الجهات بالتفتيش على ولدك وعلى الملكة جوهرة فلما سمعت جلناز كلام أمها حزنت على ولدها حزناً شديداً وأشتد غضبها على أخيها صالح لكونه أخذ ولدها ونزل به البحر من غير أذنها ثم أنها قالت يا أمي أني خائفة على الملك الذي لنا لأني أتيتكم وما أعلمت أحداً من أهل المملكة وأخشى أن أبطأت عليهم أن يفسد الملك علينا وتخرج المملكة من أيدينا والرأى السديد أني أرجع وأسوس المملكة إلى أن يدبر الله لنا أمر ولا تنسوا ولدي ولا تتهاونوا في أمره فإنه أن حصل له ضرر هلكت لا محالة لأني لا أرى الدنيا إلا به ولا ألتذ إلا بحياته فقالت حباً وكرامة يا بنتي لا تسألي عن ما عندنا من فراقه وغيبته ثم أن أمها أرسلت من يفتش عليه ورجعت أمه حزينة القلب باكية العين إلى المملكة وقد ضاقت بها الدنيا وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٩٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملكة جلناز لما رجعت من عند أمها إلى مملكتها ضاق صدرها واشتد فكرها هذا ما كان من أمرها (وأما) ما كان من أمر الملك بدر باسم فإنه لما سحرته الملكة جوهرة وأرسلته مع جاريتها إلى الجزيرة المعطشة وقالت لها دعيه فيها يموت عطشاً لم تضعه الجارية إلا في جزيرة خضراء مثمرة ذات أشجار وأنهار فصار يأكل من الثمار ويشرب من الأنهار ولم يزل كذلك مدة أيام وليال وهو في صورة طائر لا يعرف أين يتوجه ولا كيف يطير فبينما هو ذات يوم من الأيام في تلك الجزيرة إذ أتى هناك صياد من الصيادين ليصطاد شيئاً يتقوت به فرأى الملك بدر باسم وهو في صورة طائر أبيض الريش أحمر المنقار والرجلين يسبي الناظر ويدهش الخاطر فنظر إليه الصياد فأعجبه وقال في نفسه أن هذا الطائر مليح وما رأيت طيراً ماله في حسنه ولا في شكله ثم أنه رمي الشبكة عليه واصطاده ودخل به المدينة وقال في نفسه والله العظيم لا أبيعه ثم أن الصياد ذهب به إلى دار الملك فلما رآه الملك أعجبه حسنه وجماله وحمرة منقاره ورجليه فأرسل إليه خادماً ليشتريه منه فأتى الخادم إلى الصياد وقال له أتبيع هذا الطائر قال لا بل هو للملك هدية مني إليه فأخذه الخادم وتوجه به إلى الملك وأخبره بما قاله فأخذه الملك وأعطى الصياد عشرة دنانير فأخذها وقبل الأرض وانصرف وأتى الخادم بالطائر إلى قصر الملك ووضعه في قفص مليح وعلقه وحط عنده ما يأكل وما يشرب فلما نزل الملك قال للخادم أين الطائر أحضره حتى أنظره والله أنه مليح فأتى به الخادم ووضعه بين يدي الملك وقدر أي الأكل عنده لم يأكل منه شيئاً فقال الملك والله ما أدري ما يأكل حتى أطعمه ثم أمر بإحضار الطعام فأحضرت الموائد بين يديه فأكل الملك من ذلك فلما نظر الطير إلى اللحم والطعام والحلويات والفواكه أكل من جميع ما في السماط الذي قدام الملك فبهت له الملك وتعجب من أكله وكذلك الحاضرون ثم قال الملك لمن حوله من الخدام والمماليك عمري ما رأيت طيراً يأكل مثل هذا الطير ثم أمر الملك أن تحضر زوجته لتتفرج عليه فمضى الخادم ليحضرها فلما رآها قال لها يا سيدتي أن الملك يطلبك لأجل أن تتفرجي على هذا الطير الذي اشتراه فإننا لما أحضرنا بالطعام طار من القفص وسقط على المائدة وأكل من جميع ما فيها فقومي يا سيدتي تفرجي عليه فإنه مليح المنظر وهو أعجوبة من أعاجيب الزمان فلما سمعت كلام الخادم أتت بسرعة فلما نظرت إلى الطير وتحققته غطت وجهها وولت راجعة فقام الملك وراءها وقال لأي شيء غطيته وجهك وما عندك غير الجواري والخدام التي في خدمتك وزوجك فقالت أيها الملك أن هذا الطير ليس بطائر وأنما هو رجل مثلك فلما سمع الملك كلام زوجته قال لها تكذبين ما أكثر ما تمزحين كيف يكون غير طائر فقالت له والله ما مزحت معك ولا قلت لك إلا حقاً أن هذا الطير هو الملك بدر باسم ابن الملك شهرمان صاحب بلاد العجم وأمه جلناز البحرية وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٩٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن زوجة الملك لما قالت للملك أن هذا ليس بطائر وأنما هو رجل مثلك وهو الملك بدر باسم ابن الملك شهرمان وأمه جلناز البحرية قال لها وكيف صار على هذا الشكل قالت له أنه قد سحرته الملكة جوهرة بنت الملك السمندل ثم حدثته بما جرى له من أوله إلى آخره وأنه قد خطب جوهرة من أبيها فلم يرض أبوها بذلك وأن خاله صالحاً اقتتل هو والملك السمندل وانتصر صالح عليه وأسره فلما

سمع كلام زوجته تعجب غاية العجب وكانت هذه الملكة زوجته أسحرا هل زمانها فقال لها الملـ ك بحيـ ـاتي عليك تحليه من سحره ولا تخليه معذباً قطع الله تعالى يد جوهرة ما أقبحها وما أقل دينهـ ـا وأكثـ ـر خـ ـداعها ومكرهاً قالت له زوجته قل له يا بدر باسم أدخل هذه الخزانة فأمره الملك أن يدخل الخزانة فلما سمع كـ ـلام الملك دخل الخزانة فقامت زوجة الملك وسترت وجهها وأخذت في يدها طاسة ماء ودخلت الخزانة وتكلمـ ـت على الماء بكلام لا يفهم وقالت له بحق هذه الأسماء العظام والآيات الكرام وبحق الله تعالى خالق السـ ـموات والأرض ومحيي الأموات وقاسم الأرزاق والآجال أن تخرج من هذه الصورة التي أنت فيها وترجـ ـع إلـ ـى الصورة التي خلقك الله عليها فلم تتم كلامها حتى انتفض نفضة ورجع إلى صورته فرآه الملك شاباً مليحاً ما على وجه الأرض أحسن منه ثم أن الملك بدر باسم لما نظر إلى هذه الحالة قال لا إله إلا الله محمد رسـ ـول الله ﷺ سبحان خالق الخلائق ومقدر أرزاقهم وآجالهم ثم أنه قبل يد الملك ودعا له بالبقاء وقبـ ـل الملـ ـك رأس بدر باسم وقال له يا بدر باسم حدثني بحديثك من أوله إلى آخره فحدثه بحديثه ولم يكتم منـ ـه شـ ـيئاً فتعجـ ـب الملك من ذلك ثم قال له يا بدر باسم قد خلصك الله من السحر فما الذي اقتضاه رأيك وما بد أن تصنع قال له يا ملك الزمان أريد من أحسانك أن تجهز لي مركباً وجماعة من خدامك وجميع ما احتاج إليه فإن لي زمانـ ـاً طويلاً وأنا غائب وأخاف أن تروح المملكة مني وما أظن أن والدتي بالحياة من أجل فراقي والغالـ ـب علـ ـي ظني أنها ماتت من حزنها علي لأنها لا تدري ما جرى لي ولا تعرف هل أنت حي أو سيت وأنا أسألك أيهـ ـا الملك أن تتم أحسانك بما طلبته منك فلما نظر الملك إلى حسنه وجماله وفصاحته أجابه وقال له سمعاً وطاعة ثم أنه جهز مركباً ونقل فيها جميع ما يحتاج إليه وسير معه جماعة من خدامه فنزل في المركب بعد أن ودع الملك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٥٩٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك بدر باسم ركب المركب هو وجماعته وودع الملك وساروا فـ ـي البحر وساعدهم الريح ولم يزالوا سائرين مدة عشرة أيام متوالية ولما كان اليوم الحادي عشر هـ ـاج البحـ ـر هيجاناً شديداً وصارت المركب ترتفع وتنخفض ولم تقدر البحرية يمسكوها ولم يزالـ ـوا علـ ـى هـ ـذه الحالـ ـة والأمواج تلعب بهم حتى قربوا إلى صخرة من صخرات البحر فوقعت تلك الصخرة على المركب فانكسرت وغرق جميع ما كان فيها إلا الملك بدر باسم فإنه ركب على لوح من الألواح بعد أن أشرف على الهلاك ولم يزل ذلك اللوح يجري به في البحر ولا يدري أين هو ذاهب وليس له حيلة في منع اللوح بل سار اللوح بـ ـه مع الماء والريح ولم يزل كذلك مدة ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع طلع به اللوح على ساحل البحر فوجد هنـ ـاك مدينة بيضاء مثل الحمامة الشديدة البياض وهي مبنية في الجزيرة التي على ساحل البحر لكنها عالية الأركان مليحة البنيان رفيعة الحيطان البحر يضرب في سورها فلما عاين الملك بدر باسم تلك الجزيرة التي فيها هذه المدينة فرح فرحاً شديداً وكان قد أشرف على الهلاك من الجوع والعطش فنزل من فـ ـوق اللـ ـوح وأراد أن يصعد إلى المدينة فأتت إليه بغال وحمير وخيول عدد الرمل فصاروا يضربونه ويمنعونه أن يطلع من البحر إلى المدينة ثم أنه عام خلف تلك المدينة وطلع إلى البر فلم يجد هناك أحداً فتعجب وقال يا ترى لمـ ـن هـ ـذه المدينة وهي ليس لها ملك ولا فيها أحد ومن أين هذه البغال والحمير والخيول التي منعتني من الطلوع وصار

متفكراً في أمره وهو ماش وما يدري أين يذهب ثم بعد ذلك رأي شيخاً بقالاً فلما رآه الملك بدر باسم سلم عليه فرد عليه السلام ونظر غليه الشيخ فرآه جميلاً فقال له يا غلام من أين أقبلت ومن أوصلك إلى هذه المدينة فحدثه بحديثه من أوله إلى آخره فتعجب منه وقال له يا ولدي أما رأيت أحداً في طريقك فقال له يا ولدي إنما أتعجب من هذه المدينة حيث أنها خالية من الناس فقال له الشيخ يا ولدي أطلع الدكان وإلا تهلك فطلع بدر باسم وقعد في الدكان فقام الشيخ وجاء له بشيء من الطعام وقال له يا ولدي أدخل في داخل الدكان فسبحان من سلمك من هذه الشيطانة فخاف الملك بدر باسم خوفاً شديداً ثم أكل من طعام الشيخ حتى اكتفى وغسل يده ونظر إلى الشيخ وقال له يا سيدي ما سبب هذا الكلام فقد خوفتني من هذه المدينة ومن أهلها فقال له الشيخ يا ولدي اعلم أن هذه المدينة مدينة السخرة وبها ملكة ساحرة كأنها شيطانة وهي كاهنة سحارة مكارة غدارة والحيوانات التي تنظرها من الخيل والبغال والحمير هؤلاء كلهم مثلك ومثلي من بني آدم لكنهم غرباء لأن كل من يدخل هذه المدينة وهو شاب مثلك تأخذه هذه الكافرة الساحرة وتقعد معه أربعين يوماً وبعد الأربعين يوماً تسحره قيصر بغلاً أو فرساً أو حماراً وشيئاً من هذه الحيوانات التي نظرتها على جانب البحر وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦٩٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشيخ البقال لما حكى للملك بدر باسم وأخبره بحال الملكة السحارة وقال له أن كل أهل هذه المدينة قد سحرتهم وأنك لما أردت الطلوع من البحر خافوا أن تسحرك مثلهم فقالوا لك بالإشارة لاتطلع لئلا تراك الساحرة شفقة عليك فربما تعمل فيك مثل ما عملت فيهم وقال له أنها قد ملكت هذه المدينة من أهلها بالسحر وأسمها الملكة لاب وتفسيره بالعربي تقويم الشمس فلما سمع الملك بدر باسم ذلك الكلام من الشيخ خاف خوفاً شديداً وصار يرتعد مثل القصبة الريحية وقال له أنا ما صدقت أني خلصت من البلاء الذي كنت فيه من السحر حتى ترميني المقادير في مكان أقبح منه فصار متفكراً في حالة وما جرى له فلما نظر إليه الشيخ رآه قد اشتد خوفه فقال له يا ولدي قم وأجلس على عتبة الدكان وانظر إلى تلك الخلائق وإلى لباسهم وألوانهم وما هم فيه من السحر ولا تخف فإن الملكة كل من في المدينة يحبني ويراعيني ولا يرجفون لي قلباً ولا يتعبون لي خاطراً فلما سمع الملك بدر باسم كلام الشيخ خرج وقعد على باب الدكان يتفرج فجازت عليه الناس فنظر إلى عالم لا يحصى عدده فلما نظره الناس تقدموا إلى الشيخ وقالوا له يا شيخ هل هذا أسيرك وصيدك في هذه الأيام فقال لهم هذا ابن أخي وسمعت أن أباه قد مات فأرسلت خلفه وأحضرته لاطفيء نار شوقي به فقالوا له هذا شاب مليح الشباب ولكن نحن نخاف عليه من الملكة لأب لئلا ترجع عليك بالغدر ثم توجهن وإذا بالملكة لاب قد أقبلت في موكب عظيم ومازالت مقبلة إلى أن وصلت إلى دكان الشيخ فرأت الملك بدر باسم وهو جالس على الدكان كانه بدر في تمامه فلما رأته الملكة لاب حارت في حسنه وجماله واندهشت وصارت ولهانة به ثم أقبلت على الدكان ونزلت وجلست عند الملك بدر باسم وقالت للشيخ من أين لك هذا المليح فقال هذا أبن أخي جاءني عن قريب فقالت دعه يكون الليلة عندي لاتحدث أنا وأياه قال لها أتأخذينه مني ولا تسحرينه قالت نعم قال أحلفي لي فحلفت له أنها لا تؤذيه ولا تسحره ثم أمرت أن يقدموا له فرساً مليحاً مسرجاً ملجماً بلجام من ذهب ولك ما عليه ذهب مرصع بالجواهر ووهبت للشيخ

ألف دينار وقالت له استعن بها ثم أن الملكة لأب أخذت الملك بدر باسم وراحت به كأنه البدر في ليلة أربعة عشر وسار معها وصارت الناس كلما نظروا إليه وإلى حسنه وجماله يتوجعن عليه ويقولون والله أن هذا الشباب لا يستحق أن تسحره هذه الملعونة والملك بدر باسم يسمع كلام الناس ولكنه ساكت وقد سلم أمره إلى الله تعالى ولم يزالوا سائرين إلى باب القصر وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٠٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك بدر باسم لم يزل سائراً هو والملكة لاب اتباعها إلى أن وصلوا إلى باب القصر ثم ترجل الأمراء والخدم وأكابر الدولة وأمرت الحجاب أن أمروا أرباب الدولة كلهم بالإنصراف فقبلوا الأرض وأنصرفوا ودخلت الملكة والخدام والجواري في القصر فلما نظر الملك بدر باسم إلى القصر رأى قصر لم ير مثله قط وحيطانه مبنية بالذهب وفي وسط القصر بركة عظيمة غزيرة الماء في بستان عظيم فنظر الملك بدر باسم إلى البستان فرأى فيه طيور تناغي بسائر اللغات والأصوات المفرحة والمحزنة وتلك الطيور من سائر الأشكال والألوان فنظر الملك بدر باسم إلى الملك عظيم فقال سبحان الله من كرمه وحلمه يرزق من يعبد غيره فجلست الملكة في شباك يشرف على بستان وهي على سرير من العاج وفوق السرير فرس عال وجلس الملك بدر باسم إلى جانبها فقبلته وضمته إلى صدرها ثم أمرت الجواري بإحضار مائدة فحضرت مائدة من الذهب الأحمر مرصعة بالدر والجواهر فيها من سائر الأطعمة فأكلا حتى أكتفيا وغسلا أيديهم ثم أحضرت الجواري أواني الذهب والفضة والبللور وأحضرت أيضاً جميع أجناس الأزهار وأطباق النقل ثم أنها أمرت بإحضار مغنيات فحضر عشر جوار كأنهن الأقمار بأيديهن سائر آلات الملاهي ثم أن الملكة ملأت قدحاً وشربته وملأت آخر وناولت الملك بدر باسم إياه فأخذه وشربه ولم يزالا كذلك يشربان حتى أكتفيا ثم أمرت الجواري أن يغنين فغنين بسائر الألحان وتخيل للملك بدر باسم أنه يرقص به القصر طرباً فطاش عقله وأنشرح صدره ونسي الغرابة وقال أن هذه الملكة شابة مليحة ما بقيت أروح من عندها أبداً لأن ملكها أوسع من ملكي وهي أحسن من الملكة جوهرة ولم يزل يشرب معها إلا أن أمسى المساء وأوقدوا القناديل والشموع وأطلقوا البخور ولم يزالا يشربان إلى أن يسكرا والمغنيات يغنين فلما سكرت الملكة لاب قامت من موضعها ونامت على سرير وأمرت الجواري بالإنصراف ثم أمرت الملك بدر باسم النوم إلى جانبها فقام معها في أطيب عيش إلى أن أصبح الصباح وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٠١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملكة لما قامت من النوم دخلت الحمام الذي في القصر والملك بدر باسم صحبتها واغتسلا فلما خرجا من الحمام أفرغت عليه أجل القماش وأمرت بإحضار آلات الشراب فأحضرتها الجواري فشر بائم أن الملكة قامت وأخذت بيد الملك بدر باسم وجلسا على الكرسي وأمرت بإحضار الطعام فأكلا وغسلا أيديهم ثم قدمت الجواري لهما أو أن الشراب والفواكه والأزهار والنقل ولم يزالا يأكلان ويشربان والجواري تغني باختلاف الألحان إلى المساء ولم يزالا في أكل وشرب وطرب مدة أربعين يوماً ثم قالت له يا بدر باسم هل هذا المكان أطيب أو دكان عمك البقال قال لها والله يا ملكة أن هذا

أطيب وذلك أن عمي رجل صعلوك يبيع الباقلا فضحكت من كلامه ثم أنهما رقدا في أطيب حال إلى الصباح فانتبه الملك بدر باسم من نومه فلم يجد الملكة لاب بجانبه فقال يا ترى أين راحت وصار مستوحشاً من غيبته ومتحيراً في أمره وقد غابت عنه مدة طويلة ولم ترجع فقال في نفسه أين ذهبت ثم أنه لبس ثيابه وصار يفتش عليها فلم يجدها فقال في نفسه لعلها ذهبت إلى البستان فرأى فيه نهراً جارياً وبجانبه طيرة بيضاء وعلى شاطيء ذلك النهر شجرة وفوقها طيور مختلفة الألوان فصار يزقها زق الحمام ثم أن الطير الأسود وثب على تلك الطيرة ثلاث مرات ثم بعد ساعة انقلبت تلك الطيرة في صورة بشر فتأملها وإذا هي الملكة لاب فعلم أن الطائر الأسود إنسان مسحور وهي تعشقه وتسحر نفسها طيرة ليجامعها فأخذته الغيرة وأغتاظ على الملكة لاب من أجل الطائر الأسود ثم أنه رجع إلى مكانه ونام على فراشه وبعد ساعة رجعت إليه وصارت الملكة لاب تقبله وتمزح معه وهو شديد الغيظ عليها فلم يكلمها كلمة واحدة فعلمت ما به وتحققت أنه رآها حين صارت طيرة وكيف واقعها ذلك الطير فلم تظهر له شيئاً بل كتمت ما بها فلما قضي حاجته قال لها يا ملكة أريد أن تأذني لي في الرواح إلى دكان عمي فأني قد تشوقت إليه ولي أربعون يوماً ما رأيته فقالت له رح إليه ولا تبطيء علي فأني ما أقدر أن أفارقك ولا أصبر عنك ساعة واحدة فقال سمعاً وطاعة ثم أنه ركب ومضى إلى دكان الشيخ البقال فرحب به وقام إليه وعانقه وقال له كيف أنت مع هذه الكافرة فقال له كنت طيباً في خير وعافية إلا أنها كانت في هذه الليلة نائمة في جانبي فاستيقظت فلم أرها فلبست ثيابي ودرت أفتش عليها إلى أن أتيت إلى البستان وأخبره بما رآه من النهر والطيور التي كانت فوق الشجرة فلما سمع الشيخ كلامه قال له أحذر منها واعلم أن الطيور التي كانت على الشجرة كلها شبان غرباء عشقتهم وسحرتهم طيوراً وذلك الطائر الأسود الذي رأيته كان من جملة مماليكها وكانت تحبه محبة عظيمة فمد عينه إلى بعض الجواري فسحرته في صورة طائر أسود وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٠٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن بدر باسم لما حكى للشيخ البقال جميع حكاية الملكة لاب وما رآه أعلمه الشيخ أن الطيور التي على الشجر كلها شبان غرباء وسحرتهم وكذلك الطير الأسود كان من مماليكها وسحرته في صورة طائر أسود وكلما اشتاقت إليه تسحر نفسها طيرة ليجامعها لأنها تحبه محبة عظيمة ولما علمت أنك علمت بحالها أضمرت لك السوء ولا تصفو لك ولكن ما عليك بأس منها مادمت أراعيك أنا فلا تخف فإني رجل مسلم وأسمي عبد الله وما في زماني أسحرمني ولكني لا أستعمل السحر إلا عند اضطراري إليه وكثيراً ما أبطل سحر هذه الملعونة وأخلص الناس منها ولا أبالي بها لأنها ليس لها على سبيل بل هي تخاف مني خوفاً شديداً وكذلك كل من كان في المدينة ساحر مثلها على هذا الشكل يخافون مني وكلهم على دينها ويعبدون النار دون الملك الجبار فإذا كان الغد تعال عندي وأعلمني بما تعمله معك فإنها في هذه الليلة تسعى في هلاكك وأنا أقول لك علي ما تفعله معها حتى تتخلص من كيدها ثم أن الملك بدر باسم ودع الشيخ ورجع إليها فوجدها جالسة في انتظاره فلما رأته قامت إليه وأجلسته ورحبت به وجاءت له بأكل وشرب فأكلا حتى اكتفيا ثم غسل أيديهما ثم أمرت بإحضار الشراب فحضر وصار يشربان إلى نصف الليل ثم مالت عليه بالأقداح وصارت تعاطيه حتى سكر وغاب عن حسه وعقله فلما رأته كذلك قالت له بالله عليك وبحق معبودك

أن سألتك عن شيء هل تخبرني عنه بالصدق وتحبيني إلى قولي فقال لها وهو في حالة السكر نعم يا سيدتي قالت له يا سيدي ونور عيني لما أستيقظت من نومك ولم ترني وفتشت على وجئتني في البستان ورأيت الطائر الأسود الذي وثب على فأنا أخبرك بحقيقة هذا الطائر أنه كان من مماليكي وكنت أحبه محبة عظيمة فتطلع يوماً لجارية من جواري فحصلت لي غيرة وسحرته في صورة طائر أسود وأما الجارية فأني قتلتها وأني إلى اليوم لا أصبر عنه ساعة واحدة وكلما اشتقت إليه أسحر نفسي طيرة أروح إليه لينط علي ويتمكن مني كما رأيت أما أنت لأجل هذا مغتاظ مني مع أني وحق النار والنور والظل والحرورقد زدت فيك محبة وجعلتك نصيبي من الدنيا فقال وهو سكران أن الذي فهمتيه من غيظي بسبب ذلك صحيح وليس لغيظي سبب غير ذلك فضمته وقبلته وأظهرت له المحبة ونامت ونام الآخر بجانبها فلما كان نصف الليل قامت من الفراش والملك بدر باسم منتبه وهو يظهر أنه قائم وصار يسارق النظر وينظر ما تفعل فوجدها قد أخرجت من كيس أحمر شيئاً أحمر وغرسته في وسط القصر فإذا هو صار نهراً يجري مثل البحر وأخذت كبشة شعير بيدها بذرتها فوق التراب وسقته من هذا الماء فصار زرعاً مسنبلاً فأخذته وطحنته دقيقاً ثم وضعته في موضع ورجعت نامت عند الملك بدر باسم إلى الصباح فلما أصبح الصباح قام الملك بدر باسم وغسل وجهه ثم استأذن من الملكة في الرواح إلى الشيخ فأذنت له فذهب إلى الشيخ واعلمه بما جرى منها وما عاين فلما سمع الشيخ كلامه ضحك وقال والله أن هذه الكافرة الساحرة قد مكرت بك ولكن لا تبال بها أبداً وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٠٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشيخ قال لبدر باسم أن الساحرة قد مكرت بك ولكن لا تبال بها أبداً ثم أخرج له قدر رطل سويقاً وقال له خذ هذا معك واعلم أنها إذا رأته تقول لك ما هذا وما تعمل به فقل لها زيادة الخير خيرين وكل منه فإذا أخرجت هي سويقها وقامت لك كل من هذا السويق فأرها أنك تأكل منه وكل من هذا وأياك أن تأكل من سويقها شيئاً ولو حبة واحدة فإن أكلت منه ولو حبة واحدة فإن سحرها يتمكن منك فتسحرك وتقول لك أخرج من هذه الصورة البشرية فتخرج من صورتك إلى أي صورة أرادت وإذا لم تأكل منه فإن سحرها يبطل ولا يضرك منه شيء فتخجل غاية الخجل وتقول لك أنما أنا أمزح معك وتقر لك بالمحبة والمودة وكل ذلك نفاق ومكر منها فأظهر لها أنت المحبة وقل لها يا سيدتي ويا نور عيني كلي من هذا السويق وأنظري لذته فإذا أكلت منه ولو حبة واحدة فخذ في كفك ماء وأضرب به في وجهها وقل لها أخرجي من هذه الصورة البشرية إلى أي صورة أردت ثم خليها وتعال إلى حتى أدبر لك أمراً ثم ودعه الملك بدر باسم وسار إلي أن أطلع القصر ودخل عليها فلما رأته قالت أهلاً وسهلاً ومرحباً ثم قامت له وقبلته وقالت له أبطأت علي يا سيدي فقال لها كنت عند عمي ورأى عندها سويقاً فقال لها وقد اطعمني عمي من هذا السويق فقالت عندنا سويقاً أحسن منه ثم أنها حطت سويقه في صحن وسويقها في صحن آخر وقالت له كل من هذا فإنه أطيب من سويقي فأظهر لها أنه ياكل منه فلما علمت أنه أكل منه أخذت في يدها ماء ورشته به وقالت له أخرج من هذه الصورة يا علق يا لئيم وكن في صورة بغل أعور قبيح المنظر فلم يتغير فلما رأته على حاله لم يتغير قامت له وقبلته بين عينيه وقالت له يا محبوبي أنما كنت أمزح معك فلا تتغير على

بسبب ذلك فقال لها والله يا سيدتي ما نيرت عليك أصلا بل أعتقد أنك تحبينني فكلي من سويقي هذا فأخذت منه لقمة وأكلتها فلما استقرت في بطنها اضطربت فأخذ الملك بدر باسم في كفه ماء ورشها به في وجهها وقال لها أخرجي من هنا الصورة البشرية على صورة بغلة زوزورية فما نظرت نفسها إلا وهي في تلك الحالة فصارت دموعها تنحدر على خديها وصارت تمرغ خديها على رجليه فقام يلجمها فلم تقبل اللجام فتركها وذهب إلى الشيخ وأعلمه بما جرى فقام الشيخ وأخرج له لجاماً وقال خذ هذا اللجام ولجمها به فأخذه وأتي عندها فلما رأته تقدمت إليه وحط اللجام في فمها وركبها وخرج من القصر وتوجه إلى الشيخ عبد الله فلما رآها قام لها وقال لها أخزاك الله تعالى يا ملعونة ثم قال له الشيخ يا ولدي ما بقي لك في هذه البلد إقامة فاركبها وسر بها إلى أي مكان شئت وأياك أن تسلم اللجام إلى أحد فشكره الملك بدر باسم وودعه وسار ولم يزل سائراً ثلاثة أيام ثم أشرف على مدينة فلقيه شيخ مليح الشيبة فقال له يا ولدي ومن أين أقبلت قال من مدينة هذه الساحرة قال له أنت ضيفي في هذه الليلة فأجابه وسار معه في الطريق وإذا بامرأة عجوز فلما نظرت البغلة بكت وقالت لا إله إلا الله أن هذه البغلة تشبه بغلة أبني التي ماتت وقلبي مشوش عليها فبالله عليك يا سيدي أن تبيعني أياها فقال لها والله يا أمي ما أقدر أن أبيعها قالت له بالله عليك لا ترد سؤالي فإن ولدي أن لم أشتر له هذه البغلة ميت لا محالة ثم أنها أغلظت عليه في السؤال فقال ما بيعها إلا بألف دينار وقال بدر باسم في نفسه من أين لهذه العجوز تحصيل ألف دينار فعند ذلك أخرجت من حزامها ألف دينار فلما نظر الملك بدر باسم إلى ذلك قال لها يا أمي أنا أمزح معك لا أقدر أن أبيعها فنظر إليه الشيخ وقال له يا ولدي أن هذه البلد ما يكذب فيها أحد وكل من كذب في هذه البلد قتلوه فنزل الملك بدر باسم من فوق البغلة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٠٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك بدر باسم لما نزل من فوق البغلة وسلمها إلى المرأة العجوز أخرجت اللجام من فمها وأخذت في يدها ماء ورشتها وقالت يا بنتي أخرجي من هذه الصورة إلى الصورة التي كنت عليها فأنقلبت في الحال وعادت إلى صورتها الأولى وأقبلت كل واحدة منهما على الأخرى وتعانقتا فعلم الملك بدر باسم أن هذه العجوز أمها وقد تمت الحيلة عليه فأراد أن يهرب وإذا بالعجوز صفرة فتمثل بين يديها عفريت كأنه الجبل العظيم فخاف الملك بدر باسم ووقف فركبت العجوز على ظهره وأردفت بنتها خلفها وأخذت الملك بدر باسم قدامها وطار بهم العفريت فما مضى عليهم غير ساعة حتى وصلوا إلى قصر الملكة لاب فلما جلت على كرسي المملكة التفتت إلى الملك بدر باسم وقالت له يا علق قد وصلت إلى هذا المكان ونلت ما تمنيت وسوف أريك أأعمل بك وبهذا الشيخ البقال فكم أحسنت له وهو يسوءني وأنت ما وصلت إلى مرادك إلا بواسطة ثم أخذت ماء ورشته به وقالت له أخرج عن هذه الصورة التي أنت فيها إلى صورة طائر قبيح المنظر أقبح ما يكون من الطيور فانقلب في الحال وصار طيراً قبيح المنظر فجعلته في قفص وقطعت عنه الأكل والشرب فنظرت إليه جارية فرحمته وصارت تطعمه وتسقيه بغير علم الملكة ثم أن الجارية وجدت سيدتها غافلة في يوم من الأيام فخرجت وتوجهت إلى الشيخ البقال وأعلمته بالحديث وقالت له أن الملكة لاب عازمة على هلاك ابن أخيك فشكرها الشيخ وقال لها لابد أن آخذ المدينة منها وأجعلك ملكتها

عوضاً عنها ثم صفر صفرة عظيمة فخرج عفريت له أربعة أجنحة فقال له خذ هذه الجارية وأمض بها إلى مدينة جلناز البحرية وأمها فراشة فأنهما أسحر من يوجد على وجه الأرض وقال للجارية إذا وصلت إلى هناك فأخبريهما بأن الملك بدر باسم في أسر الملكة لاب فحملها العفريت وطار بها فلم يكن إلا ساعة حتى نزل بها على قصر الملكة جلناز البحرية فنزلت الجارية من فوق سطح القصر وقبلت الأرض بين يديها وأعلمتها بما جرى لولدها من أول إلى آخره فقامت إليها جلناز وأكرمتها وشكرتها ودقت البشائر في المدينة وأعلمت أهلها وأكابر دولتها بأن الملك بدر باسم قد وجد ثم أن جلناز البحرية وأمها فراشة وأخاها صالحاً أحضروا جميع قبائل الجان وجنود البحر لأن ملوك الجان قد أطاعوهم بعد أسر الملك السمندل ثم أنهم طاروا في الهواء ونزلوا على مدينة الساحرة ونهبوا القصر وقتلوا من كان فيه ونهبوا المدينة وقتلوا جميع من كان فيها من الكفرة في طرفة عين وقالت للجارية أين ابني فأخذت الجارية القفص وأتت به بين يديها وأشارت إلى الطائر الذي هو فيه وقالت هذا ولدك فأخرجته الملكة جلناز من القفص ثم أخذت بيدها ماء ورشته به وقالت له أخرج من هذه إلى الصورة التي كنت عليها فلم تتم كلامها حتى انتفض وصار بشراً كما كان وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٠٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن بدر باسم لما رشت أمه عليه الماء صار بشراً كما كان فلما رأته على صورته الأصلية قامت إليه وأعتنقته فبكى بكاء شديداً وكذلك خاله صالح وجدته فراشة وبنات عمه وصاروا يقبلون يديه ورجليه ثم أن جلناز أرسلت خلف الشيخ عبد الله وشكرته على فعله الجميل مع ابنها وزوجته بالجارية التي أرسلها إليها بأخبار ولدها ودخل بها ثم جعلته ملك تلك المدينة وأحضرت ما بقي من أهل المدينة من المسلمين وبايعتهم للشيخ عبد الله وعاهدتهم وحلفتهم أن يكونوا في طاعته وخدمته فقالوا سمعاً وطاعة ثم أنهم ودعوا الشيخ عبد الله وساروا إلى مدينتهم فلما دخلوا قصرهم تلقاهم أهل مدينتهم بالبشائر والفرح وزينوا المدينة ثلاثة أيام لشدة فرحهم بملكهم بدر باسم وفرحوا به فرحاً شديداً ثم بعد ذلك قال الملك بدر باسم لأمه يا أمي ما بقي إلا أتزوج ويجتمع شملنا ببعضنا أجمعين ثم أرسلت في الحال من يأتيها بالملك السمندل فأحضروه بين يديها ثم أرسلت إلى بدر باسم فلما جاء بدر باسم أعلمته بمجيء السمندل فدخل عليه فلما رآه الملك السمندل مقبلاً قام له وسلم عليه ورحب به ثم أن الملك بدر باسم خطب منه بنته جوهرة فقال له هي في خدمتك وجاريتك وبين يديك فعند ذلك أحضروا القضاة والشهود وكتبوا كتاب الملك بدر باسم ابن الملكة جلناز البحرية على الملكة جوهرة وأهل المدينة زينوها وأطلقوا البشائر وأطلقوا كل من في الحبوس وكسى الملك الأرامل والأيتام وخلع على أرباب الدولة والأمراء والأكابر ثم أقاموا الفرح العظيم وعملوا الولائم وأقاموا في الأفراح مساء وصباحاً مدة عشرة أيام وجلوها على الملك بدر باسم بتسع خلع ثم خلع الملك بدر باسم على الملك السمندل ورده إلى بلاده وأهله وأقاربه ولم يزالوا في الذ عيش واهنى أيام يأكلون ويشربون ويتنعمون إلى أن أتاهم هازم اللذات ومفرق الجماعات وهذا آخر حكايتهم رحمة الله تعالى عليهم أجمعين: وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

{حكاية سيف الملوك وبديعة الجمال}

(وفي ليلة ٧٠٦)

قالت (واعلم) أيها الملك السعيد أنه كان في قديم الزمان وسالف العصر وإلا وأن ملك من ملوك العجم اسمه محمد بن سبائك وكان يحكم على بلاد خراسان وكان في كل عام يغزوا بلاد الكفار في الهند والسند والصين والبلاد التي وراء النهر وغير ذلك من العجم وغيرها وكان ملكاً عادلاً شجاعاً كريماً جواداً وكان ذلك الملك يحب المنادمات والروايات والأشعار والأخبار والحكايات وأسمار وسير المتقدمين وكان كل من يحفظ حكاية غريبة ويحكيها له ينعم عليه وقيل أنه كان إذا أتاه رجل غريب بسمر غريب وتكلم بين يديه واستحسنه وأعجبه كلامه يخلع عليه خلعة سنية ويعطيه ألف دينار ويركبه فرساً مسرجاً ملجماً ويكسوه من فوق إلى أسفل ويعطيه عطايا عظيمة فيأخذها الرجل وينصرف إلى حال سبيله فاتفق أنه أتاه رجل كبير بسمر غريب فتحدث بين يديه فاستحسنه وأعجبه كلامه فأمر له بجائزة سنية ومن جملتها ألف دينار خراسانية وفرس بعدة كاملة ثم بعد ذلك شاعت هذه الأخبار عن هذا الملك في جميع البلدان فسمع به رجل يقال له التاجر حسن وكان كريماً جواداً عالماً شاعراً فاضلاً وكان عند ذلك الملك وزيراً حسود محضر سوء لا يحب الناس جميعاً لا غنيا ولا فقيراً وكان كلما ورد على ذلك الملك أحد وأعطاه شيئاً يحسده ويقول أن هذا الأمر يفنى المال ويخرب الديار وأن الملك دأبه هذا الأمر ولم يكن ذلك الكلام إلا حسداً وبغضاً من ذلك الوزير ثم أن الملك سمع بخبر التاجر فأرسل إليه وأحضره فلما حضر بين يديه قال له يا تاجر حسن أن الوزير خالفني وعاد أبي من أجل المال الذي أعطيه للشعراء والندماء وأرباب الحكايات والأشعار وأني أريد منك أن تحكي لي حكاية مليحة وحديثاً غريباً بحيث لم أكن سمعت مثله قط فإن أعجبني حديثك أعطيتك بلاداً كبيرة بقلاعها واجعلها زيادة عن إقطاعك واجعل مملكتي كلها بين يديك وأجعلك كبير وزرائي تجلس على يميني وتحكم في رعيتي وأن لم تأتني بما قلت لك أخذت جميع ما في يدك وطردتك من بلادي فقال للتاجر حسن سمعاً وطاعة لمولانا الملك لكن يطلب منك المملوك أن تصبر عليه سنة ثم أحدثك بحديثك ما سمعت مثله في عمرك ولا سمع غيرك بمثله ولا بأحسن منه قط فقال الملك قد أعطيتك مهلة سنة كاملة ثم دعا بخلعة سنية فألبسه أياها وقال له الزم بيتك ولا تركب ولا ترح ولا نجيء مدة سنة كاملة حتى تحضر بما طلبته منك فإن جئت بذلك فلك الأنعام الخاص وأبشر بما وعدتك به وأن لم تجيء بذلك فلا أنت منا ولا نحن منك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٠٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك محمد بن سبائك قال للتاجر حسن أن جئتني بما طلبته منك فلك الأنعام الخاص وأبشر بما وعدتك به وأن لم تجيئني بذلك فلا أنت مناولاً نحن منك فقبل التاجر حسن الأرض بين يديه وخرج ثم أختار من مماليكه خمسة أنفس كلهم يكتبون ويقرؤون وهم فضلاء عقلاء أدباء من خواص مماليكه وأعطى كل واحد خمسة آلاف دينار وقال لهم أنا ماربيتكم إلا لمثل هذا اليوم فأعينوني على قضاء غرض الملك وأنقذوني من يده فقالوا له وما الذي تريد أن تفعل فارواحنا فداؤك قال لهم أريد أن يسافر كل واحد منكم إلى أقليم وأن تستقصوا على العلماء والأدباء والفضلاء واصحاب الحكايات الغريبة والأخبار العجيبة وأبحثوا لي عن قصة سيف الملوك وأئتوني بها وإذا القيتموها عند أحد فرغبوه في ثمنها ومهما طلب

من الذهب والفضة فاعطوه أياه ولو طلب منكم ألف دينار فأعطوه المتيسر وعدوه بالباقي وأئتوني بها ومـ ن وقع منكم بهذه القصة وأتاني بها فإني أعطيه الخلع السنية والنعم الوفية ولا يكون عندي أعـ ز منـ ـه ثـ م أن التاجر حسناً قال لواحد منهم رح أنت إلى بلاد السند والهند وأعمالها وأقاليمها وقال للآخر رح أنت إلى بلاد العجم والصين وأقاليمها وقال للآخر رح أنت إلى بلاد الغرب وأقطارها وأقاليمها وأعمالها وجميع أطرافهـ ـا وقال للآخر وهو الخامس رح أنت إلى بلاد الشام ومصر وأعمالها وأقاليمها ثم أن التاجر أختار لهـ ـم يومـ ـاً سعيداً وقال لهم سافروا في هذا اليوم واجتهدوا في تحصيل حاجتي ولا تتهاونوا أولو كان فيها بـ ـذل الأرواح فودعوه وساروا وكل واحد منهم ذهب على الجهة التي أمره بها فمنهم أربعة أنفس غابوا أربعة أشهر وفتشوا فلم يجدوا شيئاً فضاق صدر التاجر حسن لما رجع إليه الأربعة مماليك وأخبروه أنهم فتشوا المدائن والـ ـبلاد والأقاليم على مطلوب سيدهم فلم يجدوا شيئاً منه وأما المملوك الخامس فإنه سافر إلى أن دخل بـ ـلاد الشـ ـام ووصل إلى مدينة دمشق فوجدها مدينة طيبة أمينة ذات أشجار وأنهار وأبحار وأطيار تسبح الله لواحد القهار الذي خلق الليل والنهار فأقام فيها أياماً وهو يسأل عن حاجة سيدة فلم يجبه أحد ثم أنه أراد أن يرحـ ـل منهـ ـا ويسافر إلى غيرها وإذا هو بشاب يجري ويتعثر في أذياله فقال له المملوك ما بالك تجري وأنـ ـت مكـ ـروب وإلى أين تقصد فقال له هنا شيخ فاضل كل يوم يجلس على كرسي في مثل هذا الوقـ ـت ويحـ ـدث حكاياتـ ـه وأخباراً وأسماراً ملاحاً لم يسمع أحد مثلها وأنا أجري حتى أجدالي موضعاً قريباً منه وأخاف أني لا أحصـ ـل لي موضعاً من كثرة الخلق فقال له المملوك خذني معك فقال له الفتى أسرع في مشيتك فغلق بابه وأسرع في السير معه حتى وصل إلى الموضع الذي فيه الشيخ بين الناس فرأى ذلك الشيخ صبيح الوجه وهـ ـو جـ ـالس على كرسي يحدث الناس فجلس قريباً منه وأصغى ليسمع حديثه فلما جاء وقت غروب الشمس فرغ الشـ ـيخ من الحديث وسمع الناس ما تحدث به وتفضوا من حوله فعند ذلك تقدم إليه المملوك وسلم عليه فـ ـرد عليـ ـه السلام وزاد في التحية والأكرام فقال له المملوك أنك يا سيدي الشيخ رجل مليح محتشم وحديثك مليح وأريـ ـد أن أسألك عن شيء فقال له أسأل عما تريد فقال له المملوك هل عندك قصة سمر سـ ـيف الملـ ـوك وبديعـ ـة الجمال فقال له الشيخ وممن سمعت هذا الكلام ومن الذي أخبرك بذلك فقال المملوك أنا ما سمعت ذلـ ـك مـ ـن أحد ولكن أنا من بلاد بعيدة وجئت قاصداً لهذه القصة فمهما طلبت من ثمنها أعطيتك أن كانت عندك وتـ ـنعم وتتصدق على بها وتجعلها من مكارم أخلاقك صدقة عن نفسك ولو أن روحي في يدي وبذلتها لك فيها لطاب خاطري بذلك فقال له الشيخ طب نفساً وقر عيناً وهي تحضر لك ولكن هذا سمر لا يتحدث بـ ـه أحـ ـد علـ ـى قارعة الطريق ولا أعطي هذه القصة لكل أحد فقال له المملوك بالله يا سيدي لا تبخل علي بها وأطلب منـ ـي مهما أردت فقال له الشيخ أن كنت تريد هذه القصة فأعطني مائة دينار وأنا أعطيك أياها ولكن بخمس شروط فلما عرف أنها عند الشيخ وأنه سمح له بها فرح فرحاً شديداً وقال له أعطيك مائة دينار ثمنها وعشرة جعالة وأخذها بالشروط التي تذكرها فقال له الشيخ رح هات الذهب وخذ حاجتك فقام المملوك وقبل يـ ـدي الشـ ـيخ وراح إلى منزله فرحاً مسروراً وأخذ في يده مائة دينار وعشرة وضعها في كيس كان معـ ـه فلمـ ـا أصـ ـبح الصباح قام ولبس ثيابه وأخذ الدنانير وأتى بها إلى الشيخ فرآه جالساً على باب داره فسلم عليه فـ ـرد عليـ ـه السلام فأعطاه المائة دينار وعشرة فأخذها منه الشيخ وقام ودخل داره وأدخل المملوك وأجلسه في مكان وقدم

له دواة وقلما وقرطاساً وقدم له كتاباً وقال له أكتب الذي أنت طالبه من هذا الكتاب من قصة سمر سيف الملوك فجلس المملوك يكتب هذه القصة إلى أن فرغ من كتابتها ثم قرأها على الشيخ وصححها وبعد ذلك قال له اعلم يا ولدي أن أول شرط أنك لا تقول هذه القصة على قارعة الطريق ولا عند النساء والجواري ولا عند الصيد والسفهاء ولا عند الصبيان وأنما تقرؤها عند الأمراء والملوك والوزراء وأهل المعرفة من المفسرين وغيرهم فقبل المملوك الشروط وقبل يد الشيخ وودعه وخرج من عنده وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٠٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن مملوك حسن لما نقل القصة من كتاب الشيخ الذي بالشام وأخبره بالشروط وودعه وحرج من عند مو سافر في يومه فرحاً مسروراً ولم يزل مجداً في السير من كثرة الفرح الذي حصل له بسبب تحصيله لقصة سمر سيف الملوك حتى وصل إلى بلاده ثم أن التاجر أخذ القصة وكتبها بخطة مفسرة وطلع إلى الملك وقال له أيها الملك السعيد أني جئت بسمر وحكايات مليحة نادرة لم يسمع مثلها أحد قط فلما سمع الملك كلام التاجر حسن أمر في وقته وساعته بأن يحضر كل أمير عاقل وكل عالم فاضل وكل فطن وأديب وشاعر ولبيب وجلس التاجر حسن وقرأ هذه السيرة عند الملك فلما سمعها الملك وكل من كان حاضراً تعجبوا جميعاً واستحسنوها وكذلك استحسنها الذين كانوا حاضرين ونثروا عليه الذهب والفضة والجواهر ثم أمر الملك للتاجر حسن بخلعة سنية من أفخر ملبوسه وأعطاه مدينة كبيرة بقلاعها وضياعها وجعله من أكابر وزرائه وأجلسه على يمينه ثم أمر الكتاب أن يكتبوا هذه القصة بالذهب ويجعلوها في خزانته الخاصة وصار الملك كلما ضاق صدره يحضر التاجر حسن فقرؤها (ومضمون هذه القصة) أنه كان في قديم الزمان وسالف العصر والأوان في مصر ملك يسمي عاصم بن صفوان وكان ملكاً سخياً جواد صاحب هيبة ووقار وكانت له بلاد كثيرة وقلاع وحصون وجيوش وعساكر وكان له وزير يسمي فارس بن صالح وكانوا جميعاً يعبدون الشمس والنار دون الملك الجبار الجليل القهار ثم أن هذا الملك صار شيخاً كبيراً قد أضعفه الكبر والسقم والهرم لأنه عاش مائة وثمانين سنة ولم يكن له ولد ذكر ولا أنثى وكان بسبب ذلك في هم وغم ليلاً ونهاراً فاتفق أنه كان جالساً يوماً من الأيام على سرير ملكه والأمراء والوزراء والمقدمون وأرباب الدولة في خدمته على جرى عادتهم وعلى قدر منازلهم وكل من دخل عليه من الأمراء ومعه ولداً وولدان يحسده الملك ويقول في نفسه كل واحد مسرور فرحان بأولاده وأنا مالي ولد وفي غد أموت وأترك ملكي وتختي وضياعي وخزائني وأموالي وتأخذها الغرباء وما يذكرني أحد قط ولا يبقى لي ذكر في الدنيا ثم أن الملك عاصماً استغرق في بحر الفكر فلم يتكلم ولم يفتح فاه ولم يرفع رأسه وما زال يبكي ويصوت بصوت عال وينوح نوحاً زائداً ويتأوه والوزير صابر له ثم بعد ذلك قال الوزير أن لم تقل لي ما سبب ذلك وإلا قتلت نفسي بين يديك من ساعتي وأنت تنظر ولا أراك مهموماً ثم أن الملك عاصماً رفع رأسه ومسح دموعه وقال أيها الوزير الناصح خلني بهمي وغمي فالذي في قلبي من الأحزان يكفيني فقال له الوزير قل لي أيها الملك ما سبب هذا البكاء لعل الله يجعل لك الفرج على يدي وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٠٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير لما قال للملك عاصم قل لي ما سبب هذا البكاء لعل الله يجعل لك الفرج على يدي قال له الملك يا وزير أن بكائي ما هو على مال ولا على خيل ولا على شيء ولكن أنا بقيت رجلاً كبيراً وصار عمري نحو مائة وثمانين سنة ولا رزقت ولدا ذكرا فإذا مت يدفنوني ثم ينمحي رسمي وينقطع أسمي ويأخذ الغرباء تختي وملكي ولا يذكرني أحد أبداً فقال الوزير يا ملك الزمان أنا أكبر منك بمائة سنة ولا رزقت بولد قط ولم أزل ليلاً ونهاراً في هم وغم وكيف نفعل أنا وأنت ولكن سمعت بخبر سليمان بن داود عليهما السلام وأن له رباً عظيماً قادراً على كل شيء فينبغي أن أتوجه إليه بهدية وأقصده في أن يسأل ربه لعله يرزق كل واحد منا بولد ثم أن الوزير تجهز للسفر وأخذ هدية فاخرة وتوجه بها إلى سليمان أبن داود عليهما السلام هذا ما كان من أمر الوزير وأما ما كان من أمر سليمان بن داود عليهما السلام فإن الله سبحانه وتعالى أوحى إليه وقال يا سليمان أن ملك مصر أرسل إليك وزيره الكبير بالهدايا والتحف وهي كذا وكذا فأرسل إليه وزيرك آصف ابن برخيا لاستقباله بالأكرام والزاد في موضع الإقامات فإذا حضر بين يديك فقل له أن الملك أرسلك تطلب كذا وكذا وأن حاجتك كذا وكذا ثم أعرض عليه الإيمان فحينئذ أمر سليمان وزيره آصف أن يأخذ معه جماعة من حاشيته للقانهم بالأكرام والزاد الفاخر في موضع الإقامات فخرج آصف بعد أن جهز جميع اللوازم إلى لقائهم وسار حتى وصل إلى فارس وزير ملك مصر فاستقبله وسلم عليه وأكرمه هو ومن معه إكراماً زائداً وصار يقدم إليهم الزاد واعلوفات في موضع الإقامات وقال لهم أهلاً وسهلاً ومرحباً بالضيوف القادمين فأبشروا بقضاء حاجتكم وطيبوا نفساً وقروا عيناً وأنشرحوا صدوراً فقال الوزير في نفسه من أخبرهم بذلك ثم أنه قال لآصف بن برخيا ومن أخبركم بنا وباغر أضننا يا سيدي فقال له آصف أن سليمان بن داود عليهما السلام هو الذي أخبرنا بهذا فقال الوزير فارس ومن أخبر سيدنا سليمان قال أخبره رب السموات والأرض وإله الخلق أجمعين فقال له الوزير فارس ما هذا إلا إله عظيم فقال له آصف بن برخيا وهل أنتم لا تعبدونه فقال فارس وزير ملك مصر نحن نعبد الشمس ونسجد لها فقال له آصف يا وزير فارس أن الشمس كوكب من جملة الكواكب المخلوقة لله سبحانه وتعالى وحاشى أن تكون رباً لأن الشمس تظهر أحياناً وتغيب أحياناً وربنا حاضر لا يغيب وهو على كل شيء قدير ثم أنهم سافروا قليلاً حتى وصلوا إلى قرب تخت ملك سليمان بن داود عليهما السلام فأمر سليمان ابن داود عليهما السلام جنوده من الأنس والجن وغيرهما أن يصطفوا في طريقهم صفوفاً فوقفت وحوش البحر والفيلة والنمور والفهود جميعاً وأصطفوا في الطريق صفين وكل جنس انحازت أنواعه وحدها وكذلك الجان كل منهم ظهر للعيون من غير خفاء على صورة هائلة مختلفة إلا حوال فوقفوا جميعاً صفين والطيور نشرت أجنحتها لتظلهم وصارت الطيور تناغي بعضها بسائر اللغات والألحان فلما وصل أهل مصر أليهم هابوهم ولم يجسروا على المشي فقال لهم آصف أدخلوا بينهم وأمشوا ولا تخافوا منهم فأنهم رعايا سليمان بن داود وما يضركم منهم أحدثم أن آصف دخل بينهم فدخل وراءه الخلق أجمعون ومن جملتهم جماعة وزير ملك مصر وهم خائفون ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا إلى المدينة فأنزلوهم في دار الضيافة وأكرموهم غاية الأكرام وأحضر والهم الضيافات الفاخرة مدة ثلاثة أيام ثم أحضروهم بين يدي سليمان نبي الله عليه السلام

فلما دخلوا عليه أرادوا أن يقبلوا الأرض بين يديه فمنعهم من ذلك سليمان ابن داود وقال لا ينبغي أن يسجد إنسان على الأرض إلا لله عز وجل خالق الأرض والسموات وغيرهما ومن أراد منكم أن يقف فليقف ولكن لا يقف أحد منكم في خدمتي فامتثلوا وجلس الوزير فارس وبعض خدامه ووقف في خدمته بعض الأصاغر فلما استقر بهم الجلوس مدوا لهم الأسمطة فأكل العالم والخلق أجمعون من الطعام حتى اكتفوا ثم أن سليمان أمر وزير مصر أن حاجته لتقضي وقال له تكلم ولا تخف شيئاً مما جئت بسببه لأنك ما جئت إلا لقضاء حاجة وأنا أخبرك بها وهي كذا وكذا وأن ملك مصر الذي أرسلك أسمه عاصم وقد صار شيخاً كبيراً هرماً ضعيفاً ولم يرزقه الله تعالى بولد ذكر ولا أنثى فصار في الغم والهم والفكر ليلاً ونهاراً حتى اتفق له أنه جلس على كرسي مملكته يوماً من الأيام ودخل عليه الأمراء والوزراء وأكابر دولته فرأى بعضهم له ولد وبعضهم له ولدان وبعضهم له ثلاثة أولاد وهم يدخلون ومعهم أولاد هم ويقفون في الخدمة فتذكر في نفسه وقال من فرط حزنه يا ترى من يأخذ مملكتي بعد موتي وهل يأخذها إلا رجل غريب وأصير أنا كأني لم أكن فغرق في بحر الفكر بسبب هذا ولم يزل متفكراً حزيناً حتى فاضت عيناه بالدموع فغطى وجهه بالمنديل وبكى بكاء شديداً ثم قام من فوق سريره وجلس على الأرض يبكي وينتحب ولم يعلم ما في قلبه إلا الله تعالى وهو جالس على الأرض. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧١٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن نبي الله سليمان بن داود عليهما السلام لما أخبر الوزير فارساً بما حصل للملك من الحزن والبكاء وما حصل بينه وبين وزيره فارس من أوله إلى آخره قال بعد ذلك للوزير فارس هل هذا الذي قلته لك يا وزير صحيح فقال الوزير فارس يا نبي الله أن الذي قلته حق وصدق ولكن يا نبي الله لما كنت أتحدث أنا والملك في هذه القضية ولم يكن عندنا أحد قط ولم يشعر بخبرنا أحد من الناس فمن أخبرك بهذه الأمور كلها قال له أخبرني ربي الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور فحينئذ قال الوزير فارس يا نبي الله ما هذا إلا رب كريم عظيم على كل شيء قدير ثم اسلم الوزير فارس هو ومن معه فقال نبي الله سليمان للوزير أن معك كذا وكذا من التحف والهدايا قال الوزير نعم فقال له سليمان قد قبلت منك الجميع ولكني وهبتها لك فاسترح أنت ومن معك في المكان الذي نزلتم فيه حتى يزول عنكم تعب السفر وفي غد أن شاء الله تعالى تقضي حاجتك على أتم ما يكون بمشيئة الله تعالى رب الأرض والسماء وخالق الخلق أجمعين ثم أن الوزير فارساً ذهب إلى موضعه وتوجه إلى السيد سليمان ثاني يوم فقال له نبي الله سليمان إذا وصلت إلى الملك عاصم بن صفوان واجتمعت أنت وأياه فأطلعنا فوق الشجرة الفلانية وأقعدا ساكتين فإذا كان بين الصلاتين وقد برد حر القائلة فأنزلا إلى أسفل الشجرة وأنظرا هناك تجدا ثعبانين يخرجان رأس أحدهما كرأس القرد ورأس الآخر كرأس العفريت فإذا رأيتماهما فأرمياهما بالنشاب واقلاهما ثم أرميا من جهة رؤسهما قدر شبر واحد ومن جهة أذيالهما كذلك فتبقى لحومهما فاطبخاهما واتقنا طبخهما واطعماهما زوجتيكما وناما معهما تلك الليلة فأنهما يحملان بأذن الله تعالى بأولاد ذكور ثم أن سليمان عليه السلام أحضر خاتماً وسيفاً وبقجة فيها قبا آن مكللان بالجواهر وقال يا وزير فارس أذا كبر ولداً كما وبلغا مبلغ الرجال فأعطوا كل واحد منهما قباء من هذين القباءين ثم قال للوزير باسم الله قضى الله تعالى حاجتك

وما بقى لك إلا أن تسافر على بركة الله تعالى فإن الملك ليلاً ونهاراً ينتظر قدومك وعيد ه دائم اً تلاح ظ الطريق ثم أن الوزير فارساً تقدم لنبي الله سليمان بن داود عليهما السلام وودعه وخرج من عنده بعد أن قبل يديه وسافر بقية يومه وهو فرحان بقضاء حاجته وجد في السير ليلاً ونهاراً ولم يزل مسافراً حتى وصل إلى قرب مصر فأرسل بعض خدامه ليعلم الملك ناصماً بذلك فلما سمع الملك عاصم بقدومه وقضاء حاجته ف رح فرحاً شديداً هو وخواصه وأرباب مملكته وجميع جنوده وخصوصاً بسلامة الوزير فارس فلما تلاقى المل ك هو والوزير ترجل الوزير وقبل الأرض بين يديه وبشر الملك بقضاء حاجته على أتم الوجوه وعرض علي ه الإيمان والإسلام فأسلم الملك عاصم وقال للوزير فارس رح بيتك واسترح هذه الليلة واسترح أيضاً جمعة من الزمان وأدخل الحمام وبعد ذلك تعال عندي حتى أخبرك بشيء نتدبر فيه فقبل الوزير الأرض وانصرف هو وحاشيته وغلمانه وخدمه إلى داره واستراح ثمانية أيام ثم بعد ذلك توجه على الملك وحدثه بجميع ما كان بينه وبين سليمان بن داود عليهما السلام ثم أنه قال للملك قم وحدك وتعال معي فقام هو والوزير وأخ ذا قوس ين ونشأ بين وطلعا فوق الشجرة وقعدا ساكتين إلى أن مضى وقت القافلة ولم يزالا إلى قرب العصر ث م ن زلا ونظرا فرأيا ثعبانين خرجا من أسفل تلك الشجرة فنظرهما الملك وأحبهما لأنهما أعجباه حين رآهما بالأطواق الذهب وقال يا وزير أن هذين الثعبانين مطوقان بالذهب والله أن هذا شيء عجيب خلنا نمسكهما ونجعلهما في قفص ونتفرج عليهما فقال الوزير هذان خلقهما الله لمنفعتهما فارم أنت واحداً بنشابة وأرم أنا واح داً بنش ابة فرمي الأثنان عليهما النشاب فقتلاهما وقطعا من جهة رؤسهما شبراً ومن جهة أذنابهما شبراً ورمياه ثم ذهب ا بالباقي إلى بيت الملك وطلبا الطباخ وأعطياه ذلك اللحم وقالا له أطبخ والساعة الفلاني ة ولا تبط يء وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧١١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك والوزير لما أعطيا الطباخ لحم الثعبانين وقالا له أطبخه وأغرفه في زبديتين وهاتهما هنا ولا تبطيء فأخذا الطباخ اللحم وذهب به إلى المطبخ وطبخه وأتق ن طبخ ه بتقلي ة عظيمة ثم غرفه في زبديتين وأحضرهما بين يدي الملك والوزير فأخذ الملك زبدية والوزير زبدية وأطعماهما لزوجتهما وباتا تلك الليلة معهما فبإرادة الله سبحانه وتعالى وقدرته ومشيئته حملتا في تلك الليلة فمكث المل ك بعد ذلك ثلاثة أشهر وهو متشوش الخاطر يقول في نفسه يا ترى هذا الأمر صحيح ثم أن زوجته كانت جالسة يوماً من الأيام فتحرك الولد في بطنها فعلمت أنها حامل فتوجعت وتغير لونها وطلبت واحداً من الخدام الذين عندها وهو أكبرهم وقالت له إذهب إلى الملك في أي موضع يكون وقل له يا ملك الزمان أبشرك أن س يدتنا ظهر حملها والولد قد تحرك في بطنها فخرج الخادم سريعاً وهو فرحان فرأي الملك وحده ويده عل ى خ ده وهو متفكر في ذلك فأقبل عليه الخادم وقبل الأرض بين يديه وأخبره بحمل زوجته فلما سمع ك لام الخ ادم نهض قائماً على قدميه ومن شدة فرحة قبل يد الخادم ورأسه وخلع ما كان عليه وأعطاه أياه وقال لمن ك ان حاضراً في مجلسه من كان يحبني فلينعم عليه فأعطوه من الأموال والجواهر واليواقي ت والخي ل والبغ ال والبساتين شيئاً لا يعد ولا يحصى ثم أن الوزير دخل على الملك وقال يا ملك الزمان أنا في هذه الساعة كنت قاعداً في البيت وحدي وأنا مشغول الخاطر متفكراً في شأن الحمل واقول في نفسي يا ترى هل هو حق وأن

خاتون تحبل أم لا وإذا بالخادم دخل علي وبشرني بأن زوجتي خاتون حامل وأن الولد قد تحرك في بطنها وتغير لونها فمن فرحتي خلعت جميع ما كان علي من القماش وأعطيت الخادم أياه وأعطيته ألف دينار وجعلته كبير الخدام ثم إن الملك عاصماً قال يا وزير أن الله تبارك وتعالى أنعم علينا بفضله وإحسانه وجوده وإمتنانه وبالدين القويم وأكرمنا بكرمه وفضله وقد أخرجنا من الظلمات إلى النور وأريد أن أفرج على الناس وأفرحهم فقال الوزير إفعل ما تريد فقال يا وزير إنزل في هذا الوقت وأخرج كل من كان في الحبس من أصحاب الجرائم ومن عليهم ديون وكل من وقع منه ذنب بعد ذلك نجازيه بما يستحقه ونرفع عن الناس الخراج ثلاث سنوات وأنصب في دائرة هذه المدينة مطبخاً حول الحيطان وأمر الطباخين بأن يعلقوا عليه جميع أنواع القدور أن يطبخوا سائر أنواع الطعام ويديموا الطبخ الليل والنهار وكل من كان في هذه المدينة وما حولها من البلاد البعيدة والقريبة يأكلون ويشربون ويحملون إلى بيوتهم وأمرهم أن يفرحوا ويزينوا المدينة سبعة أيام ولا يقفلوا حوانيتهم ليلاً ونهاراً فخرج الوزير من وقته وساعته وفعل ما أمره به الملك عاصم وزينوا المدينة والقلعة والأبراج أحسن الزينة ولبسوا أحسن ملبوس وصار الناس في أكل وشرب ولعب وانشراح إلى أن حصل الطلق لزوجة الملك بعد انقضاء أيامها فوضعت ولداً ذكراً كالقمر ليلة تمامه فسماه سيف الملوك وكذلك زوجة الوزير وضعت ولداً كالمصباح فسماه ساعداً فلما بلغا رشدهما صار الملك عاصم كلما ينظرهما يفرح بهما الفرح الشديد فلما صار عمرهما عشرين سنة طلب الملك وزيره فأرساً في خلوه وقال له يا وزير قد خطر ببالي أمر أريد أن أفعله ولكن استشيرك فيه فقال له الوزير مهما خطر ببالك افعله فإن رأيك مبارك فقال الملك عاصم يا وزير أنا صرت رجلاً كبيراً شيخاً هرماً لأني طعنت في السن وأريد أن أقعد في زاوية لأعبد الله تعالى وأعطي ملكي وسلطنتي لولدي سيف الملوك فإنه صار شاباً مليحاً كامل الفروسية والعقل والأدب والحشمة والرياسة فما تقول أيها الوزير في هذا الرأي فقال ولدي ساعداً وزيراً له لأنه شاب مليح ذو معرفة ورأي ويصير الأثنان مع بعضهما ونحن ندبر شأنهما ولا نتهاون في أمرهما بل ندلهما على الطريق المستقيم ثم قال الملك عاصم لوزيره اكتب الكتب وأرسلها مع السعاة إلى جميع الأقاليم والبلاد والحصون والقلاع التي تحت أيدينا وأمر أكابرها أن يكونوا في الشهر الفلاني حاضرين في ميدان الفيل فخرج الوزير فارساً من وقته وساعته وكتب إلى جميع العمال وأصحاب القلاع ومن كان تحت حكم الملك عاصم أن يحضروا جميعهم في الشهر الفلاني وأمر أن يحضر كل من في المدينة من قاص ودان ثم أن الملك عاصماً بعد مضي غالب تلك المدة أمر الفراشين أن يضربوا القباب في وسط المديان وأن يزينوها فأفخر الزينة وأن ينصبوا التخت الكبير الذي لا يقعد عليه الملك إلا في الأعياد ففعلوا في الحال جميع ما أمرهم به ونصبوا التخت وخرجت النواب والحجاب والأمراء وخرج الملك وأمران ينادي في الناس باسم الله أبرزوا إلى الميدان فبرز الأمراء والوزراء وأصحاب الأقاليم والضياع إلى ذلك الميدان ودخلوا في خدمة الملك على جري عادتهم واستقروا كلهم في مراتبهم فمنهم من قعد ومنهم من وقف إلى أن اجتمعت الناس جميعهم وأمر الملك أن يمدوا السماط فمدوا وأكلوا وشربوا ودعوا للملك ثم أمر الملك الحجاب أن ينادوا في الناس بعدم الذهاب فنادوا وقالوا في المناداة لا يذهب منكم أحد حتى يسمع كلام الملك ثم رفعوا الستور فقال الملك من أحبني فلمكث حتى يسمع كلامي فقعد الناس جميعهم مطمئني النفوس بعد إن كانوا خائفين ثم قام

الملك على قدميه وحلفهم أن لا يقوم أحد من مقامه وقال لهم أيها الأمراء والوزراء وأرباب الدولة كبيركم وصغيركم ومن حضر من جميع الناس هل تعلمون أن هذه المملكة لي وراثة من آبائي وأجدادي قالوا له نعم وأنقذنا من الظلمات إلى النور وهدانا الله سبحانه وتعالى إلى دين الإسلام وأعلموا أني الآن صرت رجلاً كبيراً شيخاً هرماً عاجزاً وأريد أن أجلس في زاوية أعبد الله فيها واستغفره من الذنوب الماضية وهذا ولدي سيف الملوك حاكم وتعرفون إنه شاب مليح فصيح خبير بالأمور عاقل فاضل عادل فأريد في هذه الساعة أن أعطيه مملكتي وأجعله ملكاً عليكم عوضاً عني وأجلسه سلطاناً في مكاني وأتخلى أنا لعبادة الله تعالى في زاوية وابني سيف الملوك يتولى الحكم ويحكم بينكم فأي شيء قلتم كلكم بأجمعكم فقاموا كلهم وقبلوا الأرض بين يديه وأجابوا بالسمع والطاعة وقالوا يا ملكنا وحامينا لو أقمت علينا عبداً من عبيدك لأطعناه وسمعنا قولك وأمتثلنا أمرك فكيف بولدك سيف الملوك فقد قبلناه ورضيناه على العين والرأس فقام الملك عاصم بن صفوان ونزل من فوق سريره وأجلس ولده على التخت الكبير ورفع التاج من فوق رأس نفسه ووضعه فوق رأس ولده وشد وسطه بمنطقة الملك وجلس الملك عاصم على كرسي مملكته بجانب ولده فقام الأمراء والوزراء وأكابر الدولة وجميع الناس وقبلوا الأرض بين يديه وصاروا وقوفاً يقولون لبعضهم هو حقيق بالملك وهو أولى به من الغير ونادوا بالأمان ودعوا له بالنصر والأقبال ونثر سيف الملوك الذهب والفضة على رؤوس الناس أجمعين وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧١٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن عاصماً لما أجلس ولد سيف الملوك على التخت ودماله كامل الناس بالنصر والأقبال نثر الذهب والفضة على رؤوس الناس أجمعين وخلع الخلع ووهب وأعطى ثم بعد لحظة قام الوزير فارس وقبل الأرض وقال يا أمراء يا أرباب الدولة هل تعرفون أني وزير ووزارتي قديمة قبل أن يتولى الملك عاصم بن صفوان وهو الآن قد خلع نفسه من الملك وولى ولده عوضاً عنه قالوا نعم نعرف وزارتك أباً عن جد فقال والآن أخلع نفسي وأولي ولدي ساعد فإنه عاقل فطن خبير فأي شيء تقولون بأجمعكم فقالوا ألا يصلح وزيراً للملك سيف الملوك إلا ولدك ساعداً فإنهما يصلحا لبعضهما فعند ذلك قام الوزير فارس وقلع عمامة الوزراء ووضعها فوق رأس ولده ساعد وحط دواة الوزراء قدامه أيضاً وقالت الحجاب والأمراء أنه يستحق الوزارة فعند ذلك قام الملك عاصم والوزير فارس وفتحا الخزائن وخلعا الخلع السنية على الملوك والأمراء وأكابر الدولة والناس أجمعين وأعطيا النفقة والأنعام وكتبا لهم المناشير الجديدة والمراسيم بعلامة سيف الملوك وعلامة الوزير ساعد بن الوزير فارس وأقام الناس في المدينة جمعة وبعدها كل منهم سافر إلى بلاده ومكانه ثم أن الملك عاصماً أخذ ولده سيف الملوك وساعدا ولد الوزير ثم دخلوا المدينة وطلعوا القصر وأحضروا الخازندار وأمروه بإحضار الخواتم والسيف والبقجة وقال الملك عاصم يا أولادي تعالوا كل واحد منكم يختار من هذه الهدية شيئاً ويأخذه فأول من مد يده سيف الملوك فأخذ البقجة والخاتم رمد ساعد يده فأخذ السيف والمهر وقبلا يد الملك وذهبا إلى منازلهما فلما أخذ سيف الملوك البقجة لم يفتحها ولم ينظر ما فيها بل رماها فوق التخت الذي ينام عليه بالليل هو وساعد وزيره وكان من عادتهم أن يناما مع بعضهما ثم أنهم فرشوا لهما فراش النوم ورقدا الأثنان مع بعضهما على فراشهما والشموع تضيء

عليهما واستمرا إلى نصف الليل ثم انتبه سيف الملوك من فراشهما والشموع تضيء عليهما واستمرا إلى نصف الليل ثم انتبه سيف الملوك من نومه فرأى البقجة عند رأسه فقال في نفسه يا ترى أي شيء في هذه البقجة التي أهداها لنا الملك من التحف فأخذها وأخذ الشمعة ونزل من فوق التخت وترك ساعدا نائماً ودخل الخزانة وفتح البقجة فرأى فيها قباء من شغل الجان ففتح القباء وفرده فوجد على البطانة التي من داخل في جهة ظهر القباء صورة بنت منقوشة بالذهب ولكن جمالها شيء عجيب فلما رأي هذه الصورة طار عقله من رأسه مجنوناً بعشق تلك الصورة ووقع في الأرض مغشياً عليه وصار يبكي وينتحب ويلطم على وجهه فلما رآه ساعداً على هذه الحالة قال أنا وزيرك وأخوك وتربيت أنا وأياك وأن لم تبين لي أمورك وتطلعني على سرك فعلى من تخرج سرك وتطلع عليه ولم يزل ساعداً يتضرع ويقبل الأرض ساعة زمانية وسيف الملوك لا يلتفت إليه ولا يكلمه كلمة واحدة بل يبكي فلما رأى ساعداً حلله وأعياه أمره خرج من عنده وأخذ سيفا ودخل الخزانة التي فيها سيف الملوك وحط ذبابة على صدر نفسه وقال لسيف الملوك انتبه يا أخي أن لم تقل لي أي شيء حرى لك قتلت روحي ولا أراك في هذه الحالة فعند ذلك رفع سيف الملوك رأسه إلى وزيره ساعداً وقال له يا أخي أنا استحيت أن أقول لك وأخبرك بالذي جرى لي فقال له ساعد سألتك بالله رب الأرباب ومعتق الرقاب ومسبب الأسباب الواحد التواب الكريم الوهاب أن تقول لي ما الذي جرى لك ولا تستحى مني فأنا عبدك ووزيرك ومشيرك في الأمور كلها فقال سيف الملوك تعال وأنظر إلى هذه الصورة فلما رأى ساعد تلك الصورة تأمل فيها ساعة زمانية ورأى مكتوباً على رأس الصورة باللؤلؤ المنظوم هذه الصورة صورة بديعة الحمال بنت شماخ بن شاروخ ملك من ملوك الجان المؤمنين الذين هم نازلون في مدينة بالبل وساكنون في بستان أرم بن عاد ألاكبر وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧١٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك سيف الملوك ابن الملك عاصم والوزير ساعد بن الوزير فارس لما قرأ الكتابة التي على القباء ورأيا فيها صورة بديعة الجمال بنت شامخ بن شاروخ ملك بابل من ملوك الجان المؤمنين النازلين بمدينة بابل الساكنين في بستان أرم بن عاد الأكبر قال الوزير ساعد للملك سيف يا أخي أتعرف من صاحبة هذه الصورة من النساء حتى نفتش عليها فقال سيف الملوك والله يا أخي ما أعرف صاحبة هذه الصورة فقال ساعد تعال اقرأ هذه الكتابة فتقدم سيف الملوك وقرأ الكتابة التي على التاج وعرف مضمونها فصرخ من صميم قلبه وقال آه آه آه فقال له ساعد يا أخي أن كانت صاحبة هذه الصورة موجودة واسمها بديعة الجمال وهي في الدنيا فأنا أسرع في طلبها من غير مهلة حتى تبلغ مرادك فبالله يا أخي أن تترك البكاء لأجل أن تدخل أهل الدولة في خدمتك فإذا كان ضحوة النهار فاطلب التجار والفقراء والسواحين والمساكين وأسألهم عن صفات هذه المدينة لعل أحداً ببركة الله سبحانه وتعالى وعونه يدلنا عليها وعلى بستان ارم فلما أصبح الصباح قام سيف الملوك وطلع فوق التخت وهو معانق للقباء لأنه صار لا يقوم ولا يقعد ولا يأتيه نوم إلا وهو معه فدخلت عليه الأمراء والوزراء والجنود وأرباب الدولة فلما تم الديوان وانتظم الجمع قال الملك سيف الملوك لوزيره ساعد أبرز لهم وقل لهم أن الملك حصل له تشويش والله ما بات البارحة إلا وهو ضعيف فيبلغ الوزير ساعد وأخبر الناس بما قال الملك فلما سمع الملك عاصم ذلك لم يهن عليه ولده

فعند ذلك دعا بالحكماء والمنجمين ودخل بهم على ولده سيف الملوك فنظروا إليه ووصفوا له الشراب وأستمر في موضعه مدة ثلاثة أشهر فقال الملك عاصم للحكماء الحاضرين وهو مغتاظ عليهم ويلكم يا كلاب هل عجزتم كلكم عن مداواة ولدي فإن لم تداووه في هذه الساعة أقتلكم جميعاً فقال رئيسهم الكبير يا ملك الزمان أننا نعلم أن هذا ولدك وأنت تعلم أننا لا نتساهل في مداواة الغريب فكيف بمداواة ولدك ولكن ولدك به مرض صعب أن شئت معرفته نذكره لك ونحدثك به قال الملك عاصم أي شيء ظهر لكم من مرض ولدي فقال له الحكيم الكبير يا ملك الزمان أن ولدك الآن عاشق ويحب من لا سبيل إلى وصاله فاغتاظ الملك عليهم وقال من أين علمتم أن ولدي عاشق ومن أين جاء العشق لولدي فقالوا له اسأل أخاه ووزيره ساعدا فإنه هو الذي يعلم حاله فعند ذلك قام الملك عاصم ودخل في خزانة وحده ودعا بساعد وقال أصدقني بحقيقة مرض أخيك فقال له ما أعلم حقيقته فقال الملك للسياف خذ ساعداً وأربط عينه وأضرب رقبته فخاف ساعد على نفسه وقال له يا ملك الزمان أعطني الأمان فقال له قل لي ولك الأمان فقال له ساعد أن ولدك عاشق فقال له الملك ومن معشوقه فقال ساعد بنت ملك من ملوك الجان فإنه رأي صورتها في قباء من البقجة التي أهداها إليكم سليمان نبي الله فعند ذلك قام الملك عاصم ودخل على ابنه سيف الملوك وقال له يا ولدي أي شيء دهاك وما هذه الصورة التي عشقتها ولأي شيء لم تخبرني فقال سيف الملوك يا أبت كنت استحي منك وما كنت أقدر أن أنكر لك ذلك ولا أقدر أن أظهر أحداً على شيء منه أبداً والآن قد علمت بحالي فانظر كيف تعمل في مداواتي فقال له أبوه كيف تكون الحيلة لو كانت هذه من بنات الأنس كنا دبرنا حيلة في الوصول إليها ولكن هذه من بنات ملوك الجان ومن يقدر عليها إلا إذا كان سليمان بن داود فإنه هو الذي يقدر على ذلك ولكن يا ولدي قم في هذه الساعة وقو روحك واركب ورح إلى الصيد والقنص واللعب في الميدان واشتغل بالأكل والشرب واصرف الهم والغم عن قلبك وأنا أجيء لك بماية بنت من بنات الملوك ومالك حاجة ببنات الجان التي ليس لنا قدرة عليهم ولا هم من جنسنا فقال له أنا لا أتركها ولا أطلب غيرها فقال له الملك كيف يكون العمل يا ولدي فقال له ابنه أحضر لنا جميع التجار والمسافرين والسواحين في البلاد لنسألهم عن ذلك لعل الله يدلنا على بستان أرم وعلى مدينة بابل فأمر الملك عاصم أن يحضر كل تاجر في المدينة وكل غريب فيها وكل رئيس في البحر فلما حضروا سألهم عن مدينة بابل وعن جزيرتها وعن بستان أرم فما أحد منهم عرف هذه الصفة ولا أخبر عنها بخبر وعند انفضاض المجلس قال واحد منهم يا ملك الزمان أن كنت تريد أن تعرف فعليك ببلاجد الصين فأنها مدينة كبيرة ولعل أحد منهم يدلك على مقصودك ثم أن سيف الملوك قال يا أبي جهز لي مركباً للسفر إلى بلاد الصين فقال له أبوه يا ولدي أجلس أنت على كرسي مملكتك واحكم في الرعية وأنا أسافر إلى بلاد الصين وأمضي إلى هذا الأمر بنفسي فقال سيف الملوك يا أبي أن هذا الأمر متعلق بي وما يقدر أحد أن يفتش عليه مثلي وأي شيء يجري إذا كنت تعطيني إذنا بالسفر فأسافر وأتغرب مدة من الزمان فإن وجدت لها خبراً حصل المراد وإن لم أجد لها خبراً يكون في السفر أنشراح صدري ونشاط خاطري ويهون أمري بسبب ذلك وأن عشت رجعت إليك سالماً وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧١٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن سيف الملوك قال لوالده الملك عاصم جهز لي مركباً لأسافر فيها إلى بلاد الصين حتى أفتش على مقصودي فإن عشت رجعت إليك سالماً فنظر الملك إلى ابنه فلم ير له حيلة غير أنه يعمل له الذي يرضه فأعطاه أذناً بالسفر وجهز له أربعين مركباً وعشرين ألف مملوك غير الاتباع وأعطاه أموالاً وخزائن وكل شيء يحتاج إليه من آلات الحرب وقال له سافر يا ولدي في خير وعافية وسلامة وقد استودعتك من لا تضيع عنده الودائع فعند ذلك ودعه أبوه وأمه وشحنت المراكب بالماء والزاد والسلاح والعساكر ثم سافروا ولم يزالوا مسافرين حتى وصلوا إلى مدينة الصين فلما سمع أهل الصين أنه وصل إليهم أربعون مركباً مشحونة بالرجال والعدد والسلاح والذخائر اعتقدوا أنهم أعداء جاءوا إلى قتالهم وحصارهم فقفلوا أبواب المدينة وجهزوا المنجنيقات فلما سمع الملك سيف الملوك ذلك أرسل إليهم مملوكين من مماليكه الخواص وقال لهم أمضوا إلى ملك الصين وقولوا له أن هذا سيف الملوك بن الملك عاصم جاء إلى مدينتك ضيفاً ليتفرج في بلادك مدة من الزمان ولا يقاتل ولا يخاصم فإن قبلته نزل عندك وأن لم تقبله رجع ولا يشوش عليك ولا على أهل مدينتك فلما وصل المماليك إلى المدينة قالوا نحن رسل الملك سيف الملوك ففتحوا لهم الباب وذهبوا بهم وأحضروهم عند ملكهم وكان اسمه فعفو شاه وكان بينه وبين الملك عاصم قبل تاريخه معرفة فلما سمع أن الملك القادم عليه سيف الملوك ابن الملك عاصم خلع على الرسل وأمر بفتح الأبواب وجهز الضيافات وخرج بنفسه مع خواص دولته وجاء إلى سيف الملوك وتعانقا وقال له أهلاً وسهلاً ومرحباً بمن قدم علينا وأنا مملوكك ومملوك أبيك ومدينتي بين يديك وكل ما تطلبه يحضر إليك وقدم له الضيوفات والزاد في مواضع الإقامات وركب الملك سيف الملوك وساعد وزيره ومعهم خواص دولته وبقية العساكر وساروا في ساحل البحر إلى أن دخلوا المدينة وضربت الكاسات ودفت البشائر وأقاموا فيها أربعين يوماً في ضيافات حسنة ثم بعد ذلك قال له يا أبن أخي كيف حالك هل أعجبتك بلادي فقال له سيف الملوك يا ملك أدام الله تعالى تشريفها بك أيها الملك فقال قعفو شاه ما جاء بك إلا حاجة طرأت لك وأي شيء تريده من بلادي فأنا أقضيه لك فقال له الملك سيف الملوك يا ملك أن حديثي عجيب وهو أني عشقت صورة بديعة الجمال فبكى ملك الصين رحمة له وشفقة عليه وقال ما تريد الآن يا سيف الملوك فقال له أريد منك أن تحضر لي جميع السواحين والمسافرين ومن له عادة بالأسفار حتى أسألهم عن صاحبة هذه الصورة لعل أحداً منهم يخبرني بها فأرسل الملك قعفوشاه إلى الثواب والحجاب والأعوان وأمرهم أن يحضروا جميع من في البلاد من السواحين والمسافرين فأحضروهم وكانوا جماعة كثيرة فاجتمعوا عند الملك قفعفو شاه ثم سألهم الملك سيف الملوك عن مدينة بابل وعن بستان أرم فلم يرد عليه أحد منهم جواباً فتحير الملك سيف الملوك في أمره ثم بعد ذلك قال واحد من الرؤساء البحرية أيها الملك أن أردت أن تعلم هذه المدينة وذلك البستان فعليك بالجزائر التي في بلاد الهند فعند ذلك أمر سيف الملوك أن يحضروا المراكب ففعلوا ونقلوا فيها الماء والزاد وجميع ما يحتاجون إليه وركب سيف الملوك وساعد وزيره بعد أن ودعوا الملك قعفو شاه وسافروا في البحر مدة أربعة أشهر في ريح طيبة سالمين مطمئنين فاتفق أنه خرج عليهم ريح في يوم من الأيام وجاهم الموج من كل مكان ونزلت عليهم الأمطار وتغير البحر من شدة الريح ثم ضربت المراكب بعضها بعضاً من شدة الريح فانكسرت جميعها وكذلك الزوارق الصغيرة وغرقوا جميعهم وبقى سيف الملوك

مع جماعة من مماليكه في زروق صغير ثم سكت الريح وسكن بقدرة الله تعالى وطلعت الشمس ففتح سيف الملوك عينيه فلم ير شيئاً من المراكب ولم ير غير السماء والماء وهو ومن معه في الزورق الصغير فقال لمن معه من مماليكه أين المراكب والزوارق الصغير وأين أخي ساعد فقالوا له يا ملك الزمان لم يبق مراكب ولا زوارق ولا من فيها فإنهم غرقوا كلهم وصاروا طعماً للسمك فصرخ سيف الملوك وقال كلمة لا يخجل قائلها وهي لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصار يلطم على وجهه وأراد أن يرمي نفسه في البحر فمنعه المماليك وقالوا أنه يا ملك أي شيء يفيدك هذا فأنت الذي فعلت بنفسك هذه الفعال ولو سمعت كلام أبيك ما كان جرى عليك من هذا شيء ولكن كل هذا مكتوب من القدم بإرادة باريء النسم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧١٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن سيف الملوك أراد أن يرمي نفسه في البحر منعته المماليك وقالوا له أي شيء يفيدك هذا فأنت الذي فعلت بنفسك هذه الفعال ولكن هذا شيء مكتوب من القدم بإرادة باريء النسم حتى يستوفي العبد ما كتب الله تعالى عليه وقد قال المنجمون لأبيك عند ولادتك أن ابنك هذا تجري عليه الشدائد كلها وحينئذ ليس لنا حيلة إلا الصبر حتى يفرج الله عنا الكرب الذي نحن فيه فقال سيف الملوك لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم لا مفر من قضاء الله تعالى ولا مهرب ثم أنه تنهد وأنشد هذه الأبيات:

تحير ـرت والـ ـرحمن لا شـ ـك فـ ـي أمـ ـري		وأدركني الوسواس مـ ـن حيـ ـث لا أدري
سأصـ ـبر حتـ ـى يعلـ ـم النـ ـاس أننـ ـي		صبرت على شـ ـيء أمـ ـر مـ ـن الصـ ـبر
وما طعـ ـم صـ ـاب الصـ ـبر صـ ـبري وأنمـ ـا		صبرت على شـ ـيء أحـ ـر مـ ـن الجمـ ـر
ومـ ـا حيلتـ ـي فـ ـي الأمـ ـر هـ ـذا وأنمـ ـا		أفـ ـوض أحـ ـوالي إلـ ـى صـ ـاحب الأمـ ـر

ثم غرق في بحر الأفكار وجرت دموعه على خده كالمدرار ونام ساعة من النهار ثم استفاق وطلب شيئاً من الأكل فأكل حتى اكتفى ورفعوا الزاد من قدامه والزورق سائر بهم ولم يعلموا إلى أي جهة يتوجه بهم مع الأمواج والرياح ليلاً ونهاراً مدة مديدة من الزمان حتى فرغ منهم الزاد وذهبوا عن الرشاد وصاروا في أشد ما يكون من الجوع والعطش والقلق وإذا بجزيرة قد لاحت لهم على بعد فصارت الرياح تسوقهم إلى أن وصلوا إليها وارسلوا عليها وطلعوا من الزورق وتركوا فيه واحداً ثم توجهوا إلى تلك الجزيرة فرأوا فيها فواكه كثيرة من سائر الألوان فأكلوا حتى اكتفوا وإذا هم بشخص جالس على قطعة لباد أسود فوق صخرة من الحجر وحواليه الزنوج وهم جماعة كثيرة واقفون في خدمته فجاء هؤلاء الزنوج وأخذوا سيف الملوك ومماليكه وأوقفوهم بين يدي ملكهم وقالوا إنا ألقينا هذه الطيور بين الأشجار وكان الملك جائعاً فأخذ من المماليك أثنين وذبحهما وأكلهما وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٦١٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الزنوج لما أخذوا الملك سيف الملوك ومماليكه وأوقفوهم بين يدي ملكهم وقالوا له يا ملك إنا لقينا هذه الطيور بين الأشجار أخذ ملكهم مملوكين وأذبحهما وأكلهما فلما رأى سيف الملوك هذا الأمر خاف على نفسه وبكى ثم أنشد هذين البيتين:

ألـ ـف الحـ ـوادث مهجتـ ـي والفتهـ ـا	بعـ ـد التنـ ـافر والكـ ـريم الـ ـوف
لـ ـيس الهمـ ـوم علـ ـى صـ ـنفنا واحـ ـداً	عنـ ـدي بحمـ ـد الله منـ ـه الـ ـوف

ثم تنهد وأنشد هذين البيتين:

رمـ ـاني الـ ـدهر بـ ـالأرزاء حتـ ـى	فـ ـؤادي فـ ـي غشـ ـاء مـ ـن نبـ ـال
فصـ ـرت إذا أصـ ـابتني سـ ـهام	تكسـ ـرت النصـ ـال علـ ـى النصـ ـال

فلما سمع الملك بكاءه وتعديده قال أن هؤلاء الطيور مليحة الصوت والنغمة قد أعجبتني أصواتهم فأجعلوا كل واحد منهم في قفص فحطوا كل واحد منهم في قفص وعلقوهم على رأس الملك ليسمع أصواتهم وصار سيف الملوك ومماليكه في الأقفاص والزنوج يطعمونهم ويسقونهم وهم ساعة يبكون وساعة يضحكون وساعة يتكلمون وساعة يسكتون كل هذا وملك الزنوج يتلذذ بأصواتهم ولم يزالوا على تلك الحالة مدة من الزمان وكان للملك بنت متزوجة في جزيرة أخرى فسمعت أن أباها عنده طيور لها أصوات مليحة فأرسلت جماعة إلى أبيها تطلب منه شيئاً من الطيور فأرسل إليها أبوها سيف الملوك وثلاثة مماليك في أربعة أقفاص مع القاصد الذي جاء في طلبهم فلما وصلوا إليها ونظرتهم أعجبوها فأمرت أن يطلعهم في موضع فوق رأسها فصار سيف الملوك يتعجب مما جرى له ويتفكر ما كان فيه من العز وصار يبكي على نفسه والمماليك الثلاثة يبكون على أنفسهم كل هذا وبنت الملك تعتقد أنهم يغنون وكانت عادة بنت الملك إذا وقع عندها أحد من بلاد مصر ومن غيرها وأعجبها يصير له عندها منزلة عظيمة وكان بقضاء الله تعالى وقدره أنها لما رأت سيف الملوك أعجبها حسنه وجماله وقده واعتداله فأمرت بأكرامهم وأنفق أنها اختلت يوماً من الأيام بسيف الملوك وطلبت منه أن يجامعها فأبى سيف الملوك ذلك وقال لها يا سيدتي أنا رجل غريب وبحب الذي أهواه كئيب وما أرضى بغير وصاله فصارت بنت الملك تلاطفه وتراوده فامتنع منها ولم تقدر أن تدنوا منه ولا أن تصل إليه بحال من الأحوال فلما أعياها أمره غضبت عليه وعلى مماليكه وأمرتهم أن يخدموها وينقلوا إليها الماء والحطب فمكثوا على هذه الحالة أربع سنوات فاعيا سيف الملوك ذلك الحال وأرسل يتشفع عند الملكة عسى أن تعتقهم ويمضوا إلى حال سبيلهم ويستريحوا مما هم فيه فأرسلت أحضرت سيف الملوك وقالت أن وافقتني على غرضي أعتقتك من الذي أنت فيه وتروح لبلادك سالماً غانماً وما زالت تتضرع إليه وتأخذ بخاطره فلم يجبها إلى مقصودها فأعرضت عنه مغضبة وسار سيف الملوك والمماليك عندها في الجزيرة على تلك الحالة وعرف أهلها أنهم طيور بنت الملك فلم يتجاسر أحد من أهل المدينة أن يضرهم بشيء وصار قلب بنت الملك مطمئناً عليهم وتحققت أنهم ما بقى لهم خلاص من هذه الجزيرة فصاروا يغيبون عنها اليومين والثلاثة ويدورون في البرية ليجمعوا الحطب من جوانب الجزيرة ويأتوا به إلى مطبخ بنت الملك فمكثوا على هذه الحالة خمس سنوات فاتفق أن سيف الملوك قعد هو ومماليكه يوماً من الأيام على ساحل البحر يتحدثون فيما جرى فالتفت سيف الملوك فرأى نفسه في هذا المكان هو ومماليكه فتذكر أمه وأباه وأخاه ساعداً وتذكر العز الذي كان فيه فبكى وزاد في البكاء والنحيب وكذلك المماليك بكوا مثله ثم قال له المماليك يا ملك الزمان إلى متى تبكي والبكاء لا يفيد وهذا أمر مكتوب على جباهنا بتقدير الله عز وجل وقد

جرى القلم بما حكم وما ينفعنا إلا الصبر لعل الله سبحانه وتعالى الذي ابتلانا بهذه الشدة يفرجها عنا فقال لهم سيف الملوك يا أخواتي كيف نعمل في خلاصنا من هذه الملعونة ولا أرى لنا خلاصاً إلا أن يخلصنا الله منها بفضله ولكن خطر ببالي أننا نهرب ونستريح من هذا التعب فقالوا له يا ملك الزمان أين نروح من هذه الجزيرة وهي كلها غيلان يأكلون بني آدم وكل موضع توجهنا إليه وجدونا فيه فأما أن يأكلون وأما أن يأسرون ويردونا إلى موضعنا وتغضب علينا بنت الملك فقال سيف الملوك أنا أعمل لكم شيئاً لعل الله تعالى يساعدنا به على الخلاص ونخلص من هذه الجزيرة فقالوا له كيف تعمل فقال نقطع من هذه الأخشاب الطوال ونفتل من قشرها حبالاً ونربط بعضنا في بعض ونجعلها فلكاً ونرميه في البحر ونملؤه من تلك الفاكهة ونعمل له مجاديف وننزل فيه لعل الله تعالى أن يجعل لنا فرجاً فإنه على كل شيء قدير وعسى الله أن يرزقنا الريح الطيب الذي يوصلنا إلى بلاد الهند ونخلص من هذه الملعونة فقالوا له هذا رأي حسن وفرحوا به فرحاً شديداً وقاموا في الوقت والساعة يقطعون الأخشاب لعمل الفلك ثم فتلوا الحبال لربط الأخشاب في بعضها واستمروا على ذلك مدة شهر وكل يوم في آخر النهار يأخذون شيئاً من الحطب ويروحون به إلى مطبخ بنت الملك ويجعلون بقية النهار لأشغالهم في صنع الفلك إلى أن أتموه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧١٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن سيف الملوك ومماليكه لما قطعوا الأخشاب من الجزيرة وفتلوا الحبال ربطوا الفلك الذي عملوه فلما فرغوا من عمله رموه في البحر وسقوه من الفواكه التي في الجزيرة من تلك الأشجار وتجهزوافى آخر يومهم ولم يعلموا أحداً بما فعلوا ثم ركبوا في ذلك الفلك وساروا في البحر مدة أربعة أشهر ولم يعلموا أين يذهب بهم وفرغ منهم الزاد وصاروا في أشد ما يكون من الجوع والعطش وإذا بالبحر قد أرغى وأزبد وطلع منه أمواج عالية فأقبل عليهم تمساح هائل ومد يده وخطف مملوكاً من المماليك وبلعه فلما رأى سيف الملوك ذلك التمساح فعل بالمملوك ذلك الفعل بكى بكاء شديداً وصار في الفلك هو والمملوك الباقي وحدهما وبعدا عن مكان التمساح وهما خائفان ولم يزالا كذلك حتى ظهر لهما يوماً من الأيام جبل عظيم هائل عال شاهق في الهواء ففرحا به وظهر لهما بعد ذلك جزيرة فجدا في السير إليها وهما مستبشران بدخولهما الجزيرة فبينما هما على تلك الحالة وإذا بالبحر قد هاج وعلت أمواجه وتغيرت حالاته فرفع التمساح رأسه ومد يده فأخذ المملوك الذي بقي من مماليك سيف الملوك وبلعه فصار سيف الملوك وحده حتى وصل إلى الجزيرة وصار يعالج إلى أن صعد فوق الجبل ونظر فرأى غابه فدخل الغابة ومشى بين الأشجار وصار يأكل من الفواكه فرأى الأشجار وقد طلع فوقها ما يزيد عن عشرين قرداً كباراً كل واحد منهم أكبر من البغل فلما رأى سيف الملوك هذه القرود حصل له خوف شديد ثم نزلت القرود واحتاطوا به من كل جانب وبعد ذلك ساروا أمامه وأشاروا إليه أن يتبعهم ومشوا فمشى سيف الملوك خلفهم وما زالوا سائرين وهو تابعهم حتى أقبلوا على قلعة عالية البنيان مشيدة الأركان فدخلوا تلك القلعة ودخل سيف الملوك وراءهم فرأى فيها من سائر التحف والجواهر والمعادن مايكل عنه وصفه اللسان ورأى في تلك القلعة شابا لا نبات بعارضيه لكنه طويل زائد الطول فلما رأى سيف الملوك ذلك الشاب استأنس به ولم يكن في تلك القلعة

غير ذلك الشاب من البشر ثم أن الشاب لما رأى سيف الملوك أعجبه غاية الإعجاب فقال له ما اسمك ومن أين البلاد أنت وكيف وصلت إلى هنا فأخبرني بحديثك ولا تكتم منه شيئاً فقال له سيف الملوك أنا والله ما وصلت إلى هنا بخاطري ولا كان هذا المكان مقصودي وأنا ما أزال أسير من مكان إلى مكان حتى أنال مطلوبي أو يكون سعيي إلى مكان فيه أجلي فأموت ثم أن الشاب التفت إلى قرد وأشار إليه فغاب القرد ساعة ثم أتى ومعه قرود مشددة الوسط بالفوط الحرير وقدموا السماط ووضعوا فيه نحو مائة صفحة من الذهب والفضة وفيها من سائر الأطعمة وصارت القرود واقفة على عادة الاتباع بين يدي الملوك ثم أشار للحجاب بالقعود فقعدوا ووقف الذي عادته الخدم ثم أكلوا حتى أكتفوا ثم رفعوا السماط وأتوا بطشوت وأباريق من الذهب فغسلوا أيديهم ثم جاءوا بأواني الشراب نحو أربعين آنية فيها أنواع من الشراب فشربوا وتلذذوا وطربوا وطاب لهم وقتهم وجميع القرود يرقصون ويلعبون وقت اشتغال الآكلين بالأكل فلما رأى سيف الملوك ذلك تعجب منهم ونسي ما جرى له من الشدائد وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧١٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن سيف الملوك لما رأى فعل القرود ورقصهم تعجب منهم ونسي ما جرى له من الغربة وشدائدها فلما كان الليل أوقدوا الشموع ووضعوها في الشمعدانات الذهب والفضة ثم أتوا بأواني النقل والفاكهة فأكلوا ولما جاء وقت النوم فرشوا لهم الفرش وناموا فلما أصبح الصباح قام الشاب على عادته ونبه سيف الملوك وقال له أخرج رأسك من الشباك وأنظر أي شيء هذا الواقف تحت الشباك فنظر فرأى قروداً قد ملأت الفلا الواسع والبرية كلها وما يعلم عدد القرود إلا الله تعالى فقال سيف الملوك هؤلاء قرود كثيرون قد ملئوا الفضاء ولأي شيء اجتمعوا في هذا الوقت فقال له الشاب أن هذه عادتهم وجميع ما في الجزيرة قد أتى وبعضهم جاء من سفر يومين أو ثلاثة أيام فأنهم يأتون في كل يوم سبت ويقفون هنا حتى أنتبه من منامي وأخرج رأسي من هذا الشباك فحين يبصرونني يقبلون الأرض بين يدي ثم ينصرفون إلى أشغالهم وأخرج رأسه من الشباك حتى رأوه فلما نظروه قبلوا الأرض بين يديه وأنصرفوا ثم أن السيف الملوك قعد عند الشاب مدة شهر كامل وبعد ذلك ودعه وسافر فأمر الشاب نفراً من القرود نحو المائة قرد بالسفر معه فسافروا في خدمة سيف الملوك مدة سبعة أيام حتى أوصلوه إلى آخر جزائر هائم ودعوه ووجعوا إلى أماكنهم وسافر سيف الملوك وحده في الجبال والتلال والبراري والقفار مدة أربعة اشهر يوماً يجوع ويوماً يشبع ويوماً يأكل من الحشائش ويوماً يأكل من ثمر الأشجار وصار يتندم على ما فعل بنفسه وعلى خروجه من عند ذلك الشاب وأراد أن يرجع إليه على أثره فرأى شبحاً أسود يلوح على بعد فقال في نفسه هل هذه بلدة سوداء أم كيف الحال ولكن لا أرجع حتى أنظر أي شيء هذا الشبح فلما قرب منه رآه قصراً عالي البنيان وكان الذي بناه يافث بن نوح عليه السلام وهو القصر الذي ذكره الله تعالى في كتابه العزيز وبقوله وبئر معطلة وقصر مشيد ثم أن سيف الملوك جلس على باب القصر وقال في نفسه يا ترى ما شأن داخل هذا القصر ومن فيه من الملوك فمن يخبرني بحقيقة الأمر وهل سكانه من الأنس أو من الجن فقعد يتفكر ساعة زمانية ولم يجد أحداً يدخله ولا يخرج منه فقام يمشي وهو متوكل على الله تعالى حتى دخل القصر وعد في طريقه سبعة دهاليز فلم ير أحد ونظر على يمينه ثلاثة أبواب وقدامه باب عليه ستارة مسبولة فتقدم إلى ذلك

الباب ورفع الستارة بيده ومشى داخل الباب وإذا هو بايوان كبير مفروش بالبسط الحرير وفي صدر ذلك الإيوان تخت من الذهب وعليه بنت جالسة وجهها مثل القمر وعليها ملبوس الملوك وهي كالعروس في ليلة زفافها وتحت التخت أربعون سماطاً وعليها صحاف الذهب والفضة وكلها ملآنة بالأطعمة الفاخرة فلما رآها سيف الملوك أقبل عليها وسلم فردت عليه السلام وقالت له هل أنت من الأنس أو من الجن فقال أنا من خيار الأنس وأني ملك ابن ملك فقالت له أي شيء تريد دونك وهذا الطعام وبعد ذلك حدثني بحديثك من أوله إلى آخره وكيف وصلت إلى هذا الموضع فجلس سيف الملوك على السماط وكشف المكبة عن السفرة وكان جائعاً وأكل من تلك الصحاف حتى شبع وغسل يده وطلع على التخت وقصد عند البنت فقالت له من أنت وما أسمك ومن أين جئت ومن أوصلك إلى هنا فقال لها سيف الملوك أما أنا فحديثي طويل فقالت قل لي من أين أنت وما سبب مجيئك إلى هنا وما مرادك فقال لها أخبريني أنت ما شأنك وما أسمك ومن جاء بك إلى هنا ولاي شيء أنت قاعدة في هذا المكان وحدي فقالت له البنت أنا اسمي دولة خاتون بنت ملك الهند وأبي ساكن في مدينة سرنديب ولأبي بستان مليح كبير ما في بلاد الهند وأقطارها أحسن منه فيه حوض كبير فدخلت في ذلك البستان يوماً من الأيام مع جواري وتعريت أنا وجواري ونزلنا في ذلك الحوض وصرنا نلعب وننشرح فلم أشعر إلا وشيء مثل السحاب نزل علي وخطفني من بين جواري وطار بي بين السماء والأرض وهو يقول دولة خاتون لا تخافي وكوني مطمئنة القلب ثم طار بي مدة قليلة وبعد ذلك أنزلني في هذا القصر ثم أنقلب من وقته وساعته فإذا هو شاب مليح حسن الشباب نظيف الثياب وقال لي أتعرفينني فقلت لا يا سيدي فقال أنا ابن الملك الأزرق ملك الجان وأبي ساكن في قلعة القاروم وتحت يده ستمائة ألف من الجن الطنبارة والغواصين وأتفق لي أنى كنت عابراً في طريقي ومتوجهاً إلى حال سبيلي فرأيتك وعشقتك ونزلت عليك وخطفتك من بين الجواري وجئت بك إلى هذا القصر المشيد وهو موضعي ومسكني فلا أحد يصل إليه قط لا من الجن ولا من الأنس ومن الهند إلى هنا مسير مائة وعشرين سنة فتحققي أبك لا تنظرين بلاد أبيك وأمك أبداً فأقعدي عندي في هذا المكان مطمئنة القلب والخاطر وأنا أحضر بين يديك كل ما تطلبينه ثم بعد ذلك عانقني وقبلني وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧١٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن البنت قالت لسيف الملوك ثم أن بن ملك الجان بعد أن أخبرني عانقني وقبلني وقال لي أقعدي هنا ولا تخافي من شيء ثم تركني وغاب عني ساعة وبعد ذلك أتني ومعه هذا السماط والفرش والبسط ولكن لم يجئني إلا في كل يوم ثلاثاء وعند مجيئه يأكل ويشرب معي ويعانقني ويقابلني وأنا بنت بكر على الحالة التي خلقني الله تعالى عليها ولم يفعل بي شيئاً وأبي اسمه تاج الملوك ولم يعلم لي بخبر ولم يقع لي على أثر وهذا حديثي فحدثني أنت بحديثك فقال لها سيف الملوك أن حديثي طويل وأخاف أن حدثتك به يطول الوقت علينا فيجيء العفريت فقالت له أنه لم يسافر من عندي إلا قبل دخولك بساعة ولا يأتي إلا في يوم الثلاثاء فأقعد واطمئن وطيب خاطرك وحدثني بما جرى لك من الأول إلى الآخر فقال سيف الملوك سمعاً وطاعة ثم ابتدأ بحديثه حتى أكمله من الأول إلى الآخر فلما وصل إلى الآخر حكاية بديعة الجمال تغرغرت عيناها بالدموع الغزار وقالت ما هو ظني فيك يا بديعة الجمال آه من الزمان يا بديعة

الجمال ما تذكرينني وتقولين أين راحت أختي دولة خاتون ثم أنها زادت في البكاء وصارت تتأسف حيث لم تذكرها بديعة الجمال فقال لها سيف الملوك يا دولة خاتون أنك أنسية وهي جنية فمن أين تكون هذه أختك فقالت له أنها أختي من الرضاع وسبب ذلك أن أمي نزلت تتفرج في البستان فجاءها الطلق فولدتني في البستان وكانت أم بديعة الجمال في البستان هي وأعوانها فجاءها الطلق فنزلت في طرف البستان وولدت بديعة الجمال وأرسلت بعض جواريها إلى أمي تطلب منها طعاماً وحوائج للولادة فبعثت إليها أمي ما طلبته وعزمت عليها فقامت وأخذت بديعة الجمال معها وأتت إلى أمي فأرضعت أمي بديعة الجمال ثم أقامت أمها وهي معها عندنا في البستان مدة شهرين وبعد ذلك سافرت إلى بلادها وأعطت أمي حاجة وقالت لها إذا أحتجت إلى أجيئك في وسط البستان وكانت تأتي بديعة الجمال مع أمها في كل عام ويقيمان عندنا مدة من الزمان ثم يرجعان إلى بلادهما فلو كنت أنا عند أمي يا سيف الملوك ونظرتك عندنا في بلادنا ونحن مجتمع شملنا مثل العادة كنت أتحيل عليها بحيلة حتى أوصلك إلى مرادك ولكن أنا في هذا المكان ولا يعرفون خبري فلو عرفوا خبري وعلموا أني هنا كانوا قادرين على خلاصي من هذا المكان ولكن الأمر إلى الله سبحانه وتعالى وأي شيء أعمل فقال سيف الملوك قومي وتعالي معي نهرب ونسير إلى حيث يريد الله تعالى فقالت له لا نقدر على ذلك والله لو هز بنا مسيرة سنة لجاء بنا هذا الملعون في ساعة ويهلكنا فقال سيف الملوك أنا أختفي في موضع وإذا جاز على أضربه بالسيف فاقتله فقالت له ما تقدر أن تقتله إلا أن قتلت روحه فقال لها سيف الملوك وروحه في أي مكان فقالت أنا سألته عنها مرات عديدة فلم يقر لي بمكانها فاتفق أني أحححت عليه يوماً من الأيام فاغتاظ مني وقال لي كم تسألينني عن روحي ما سبب سؤالك عن روحي فقلت له يا حاتم أنا ما بقي لي أحد غيرك إلا الله وأنا ما دمت بالحياة لم أزل معانقة لروحك وأن كنت أنا ما أحفظ لروحك وأحطها في وسط عيني فكيف تكون حياتي بعدك وإذا عرفت روحك حفظتها مثل عيني اليمين فعند ذلك قال لي حين ولدت أخبر المنجمون أن هلاك روحي يكون على يد واحد من أولاد الملوك الأنسية فأخذت روحي ووضعتها في حوصلة عصفور وحبست العصفور في حق ووضعت الحق في علبة ووضعت العلبة في داخل سبع علب في قلب سبع صناديق ووضعت الصناديق في طابق من رخام في جانب هذا البحر المحيط لأن هذا الجانب بعيد عن بلاد الأنس وما يقدر أحد من الأنس أن يصل إليه وها أنا قلت لك ولا تقولي لأحد على هذا فإنه سر بيني وبينك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧١٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن دولة خاتون لما أخبرت سيف الملوك بروح الجني الذي خطفها وبينت له ما قاله الجني إلى أن قال لها وهذا سر بيننا قالت فقلت لها من أحدثه به وما يأتينني أحد غيرك حتى أقول له ثم قلت له والله أنك جعلت روحك في حصن حصين عظيم لا يصل إليه أحد فكيف يصل إلى ذلك أحد من الأنس حتى لو فرض المحال وقدر الله مثل ما قال المنجمون فكيف يكون أحد من الأنس يصل إلى هذا فقال ربما كان أحد منهم في أصبعه خاتم سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام ويأتي إلى هنا ويضع يده بهذا الخاتم على وجه الماء ثم يقول بحق هذه الأسماء أن تطلع روح فلان فيطلع التابوت فيكسره والصناديق كذلك والعلب ويخرج العصفور من الحق ويخنقه فأموت أنا فقال سيف الملوك هو أنا ابن الملك وهذا خاتم سليمان

ابن داود عليهما الصلاة والسلام في أصبعي فقومي بنا إلى شاطيء هذا البحر حتى نبصره هل كلامه هذا كذب أم صدق فعند ذلك قام الأثنان ومشيا إلى أن وصلا إلى البحر ووقفت دولة خاتون على جانب البحر ودخل سيف الملوك في الماء إلى وسطه وقال بحق ما في هذا الخاتم من الأسماء والطلاسم وبحق سليمان عليه الصلاة والسلام أن تخرج روح فلان ابن الملك الأزرق الجني فعند ذلك هاج البحر وطلع التابوت فأخذه سيف الملوك وضربه على الحجر فكسره وكسر الصناديق والعلب وأخرج العصفور من الحق وتوجها إلى القصر وطلعا فوق التخت وإذا بغبرة هائلة وشيء عظيم طائر وهو يقول أبقني يا ابن الملك ولا تقتلني واجعلني عتيقك وأنا أبلغك مقصودك فقالت له دولة خاتون قد جاء الجني فأقتل العصفور لئلا يدخل هذا الملعون القصر ويأخذه منك ويقتلك ويقتلني بعدك فعند ذلك خنق العصفور فمات فوق الجني على الأرض كوم رماد أسود فقالت دولة خاتون قد خلصنا من يد هذا الملعون وكيف نعمل فقال سيف الملوك المستعان بالله تعالى الذي بلانا فإنه يدبرنا ويعيننا على خلاصنا ممن نحن فيه ثم قام سيف الملوك وقلع من أبواب القصر نحو عشرة أبواب وكانت تلك الأبواب من الصندل والعود ومساميرها من الذهب والفضة ثم أخذا حبالاً كانت هناك من الحرير والأبر يسم وربطا الأبواب بعضها في بعض وتعاون هو ودولة خاتون إلى أن وصلا بها إلى البحر ورمياها فيه بعد أن صارت فلكاً وربطوه على الشاطيء ثم رجعا إلى القصر وحملا الصحاف الذهب والفضة وكذلك الجواهر واليواقيت والمعادن النفيسة ونقلا جميع ما في القصر من الذي خف حمله وغلا ثمنه وحطاه في ذلك الفلك وركبا فيه متوكلين على الله تعالى الذي من توكل عليه كفاه ولا يخيبه وعملا لهما خشبتين على هيئة المجاذيف ثم حلا الحبال وتركا الفلك يجري بهما في البحر ولم يزالا سائرين على تلك الحالة مدة أربعة أشهر حتى فرغ منهما الزاد واشتد عليهما الكرب وضاقت أنفسهما فطلبا من الله أن يرزقهما النجاة مما هما فيه وكان سيف الملوك في مدة سيرهم إذا نام يجعل دولة خاتون خلف ظهره فإذا انقلب كان السيف بينهما فبينما هما على تلك الحالة ليلة من الليالي فاتفق أن سيف الملوك كان نائماً ودولة خاتون يقظانة وإذا بالفلك مال إلى طرف البر وجاء إلى المينة وفي تلك المينة مراكب فنظرت دولة خاتون المراكب وسمعت رجلاً يتحدث مع رئيس الرؤساء وكبيرهم فلما سمعت دولة خاتون صوت الرئيس علمت أن هذا البر مدينة من المدن وأنهما وصلا إلى العمار ففرحت فرحاً شديد ونبهت سيف الملوك من النوم وقالت له قم واسأل هذا الريس عن اسم هذه المدينة وعن هذه المينة فقام سيف الملوك وهو فرحان وقال له يا أخي ما اسم هذه المدينة وما يقال لهذه المينة وما اسم ملكها فقال له الريس يا صاقع الوجه يا بارد اللحية إذا كنت لا تعرف المينة ولا هذه المدينة فكيف جئت إلى هنا فقال سيف الملوك أنا غريب وقد كنت في سفينة من سفن التجار فانكسرت وغرقت بجميع ما فيها وطلعت على لوح فوصلت إلى هنا فسألتك والسؤال ما هو عيب فقال الريس هذه مدينة عمارية وهذه المدينة تسمى مينة كمين البحرين فلما سمعت دولة خاتون هذا الكلام فرحت فرحاً شديداً وقالت الحمد لله فقال سيف الملوك ما الخبر فقالت يا سيف الملوك أبشر بالفرج القريب فإن ملك هذه المدينة عمي أخو أبي: وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٢٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن دولة خاتون لما قالت لسيف الملوك أبهر بالفرج القريب فإن ملك هذه المدينة عمي أخو أبي وأسمه عالي الملوك ثم قالت له اسأله وقل له هل سلطان هذه المدينة عالي الملوك طيب فسأله عن ذلك فقال له الريس وهو مغتاظ منه أنت تقول عمري ما جئت إلى هنا وأنما أنا رجل غريب فمن عرفك باسم صاحب المدينة ففرحت دولة خاتون وعرفت الريس وكان اسمه معين الدين وهو من رؤساء أبيها وأنما خرج ليفتش عليها حين فقدت فلم يجدها ولم يزل دائراً حتى وصل إلى مدينة عمها ثم قالت لسيف الملوك قل له يا ريس معين الدين تعال كلم سيدتك فناداه بما قالته له فلما سمع الريس كلام سيف الملوك اغتاظ غيظاً شديداً وقال له يا كلب من أنت وكيف عرفتني ثم قال لبعض البحرية ناولوني عصا من الشوم حتى أروح إلى هذا النحس وأكسر رأسه فأخذ العصا وتوجه إلى جهة سيف الملوك فرأى الفلك ورأى فيه شيئاً عجيباً بهيجاً فاندهش عقله ثم تأمل وحقق النظر فرأى دولة خاتون وهي جالسة مثل فلقة القمر فقال له الريس ما الذي عندك فقال له عندي بنت تسمى دولة خاتون فلما سمع الريس هذا الكلام وقع مغشياً عليه حين سمع باسمها وعرف أنها سيدته وبنت ملكه فلما أفاق ترك الفلك وما فيه وتوجه إلى المدينة وطلع قصر الملك فاستأذن عليه فدخل الحاجب إلى الملك وقال أن الريس معين جاء إليك ليبشرك فأذن له بالدخول فدخل على الملك وقبل الأرض بين يديه وقال يا ملك عندك البشارة فأن بنت لأأمخيك دولة خاتون وصلت إلى المدينة طيبة بخير وهي في الفلك وصحبتها شاب مثل القمر ليلة تمامه فلما سمع الملك خبر بنت أخيه فرح وخلع على الريس خلعة سنية وأمر من ساعته أن يزينو المدينة لسلامة بنت أخيه وأرسل إليها وأحضرها عنده هي وسيف الملوك وسلم عليهما وهناهما بالسلامة ثم أنه أرسل إلى أخيه ليعلمه أن ابنته وجدت وهي عنده ثم أنه لما وصل إليه الرسول تجهز واجتمعت العسكر وسافر تاج الملوك أبو دولة خاتون حتى وصل إلى أخيه عالي الملوك واجتمع ببنته دولة خاتون وفرحوا فرحاً شديداً وقعد تاج الملوك عند أخيه جمعة من الزمان ثم أنه أخذ بنته وكذلك سيف الملوك وسافروا حتى وصلوا إلى سرنديب بلاد أبيها واجتمعت دولة خاتون بأمها وفرحوا بسلامتها واقاموا الأفراح وكان ذلك يوماً عظيماً لا يرى مثله وأما الملك فأنه أكرم سيف الملوك وقال له يا سيف الملوك أنك فعلت معي ومع ابنتي هذا الخير كله وأنا لا أقدر أن أكافئك عليه وما يكافئك إلا رب العالمين ولكن أريد منك أن تقعد على التخت في موضعي وتحكم في بلاد الهند فأني قد وهبت ملكي وتختي وخزائني وخدمي وجميع ذلك يكون هبة مني لك فعند ذلك قام سيف الملوك وقبل الأرض بين يدي الملك وشكره وقال يا ملك الزمان قبلت جميع ما وهبته لي وهو مردود مني إليك هدية أيضاً وأنا يا ملك الزمان ما أريد مملكة ولا سلطنة وما أريد إلا أن الله تعالى يبلغني مقصودي فقال له الملك هذه خزائني بين يديك يا سيف الملوك مهما طلبته منها خذه ولا تشاورني فيه وجزاك الله عني خير فقال سيف الملوك أعز الله الملك لاحظ في الملك ولا في المال حتى أبلغ مرادي ولكن غرضي الآن أن أتفرج في هذه المدينة وأنظر شوارعها وأسواقها فأمر تاج الملوك أن يحضروا له فرساً من جياد الخيل فأحضروا له فرساً مسرجاً ملجماً من جياد الخيل فركبها وطلع إلى السوق وشق في شوارع المدينة فبينما هو ينظر يميناً وشمالاً أذ رأى شاباً ومعه قبأ وهو ينادي عليه بخمسة عشر ديناراً فتأمله فوجده يشبه أخاه ساعدا وفي نفس الأمر هو بعينه إلا أنه تغير لونه وحاله من طول الغربة ومشقات السفر ولم يعرفه ثم قال لمن حوله هاتوا هذا الشاب لاستخبره فأتوا

به إليه فقال خذوه وأوصلوه إلى القصر الذي أنا فيه وخلوه عندكم إلى أن أرجع من الفرجة فظنوا أنه قال لهم خذوه وأوصلوه إلى السجن وقالوا لعل هذا مملوك من مماليكه هرب منه فأخذوه وأوصلوه إلى السجن وقيدوه وتركوه قاعداً فرجع سيف الملوك من الفرحة وطلع القصر ونسي أخاه ساعدا ولم يذكره له أحد فصار ساعداً في السجن ولما خرجوا بالأساري إلى أشغال العمارات أخذوا ساعداً معهم وصار يشتغل مع الأسارى وكثر عليه الوسخ ومكث ساعد على هذه الحالة مدة شهر وهو يتذكر في أحواله ويقول في نفسه ما سبب سجني وقد إشتغل سيف الملوك بما هو فيه من السرور وغيره فأتفق أن سيف الملوك جلس يوماً من الأيام وتذكر أخاه ساعداً فقال للمماليك الذين كانوا معه أين المملوك الذي كان معكم في اليوم الفلاني فقالوا أما قلت لنا أوصلوه إلى السجن فقال سيف الملوك أنا ما قلت لكم هذا الكلام وأما قلت لكم أوصلوه إلى القصر الذي أنا فيه ثم أنه أرسل الحجاب إلى ساعد فأتوا به وهو مقيد ففكوه من قيده وأوقفوه بين يدي سيف الملوك فقال له يا شاب من أي البلاد أنت فقال له أنا من مصر وأسمي ساعد بن الوزير فارس فلما سمع سيف الملوك كلامه نهض من فوق التخت وألقى نفسه عليه وتعلق برقبته ومن فرحه صار يبكي بكاء شديداً وقال يا أخي يا ساعد الحمد لله حيث عشت ورأيتك فأنا أخوك سيف الملوك ابن الملك عاصم فلما سمع أخيه كلامه وعرفه تعانقا مع بعضهما وتباكيا فتعجب الحاضرون منهما ثم أمر سيف الملوك أن يأخذوا ساعداً ويذهبوا به إلى الحمام فذهبوا به إلى الحمام وعند خروجه من الحمام البسوه ثياباً فاترة وأتوا به إلى مجلس سيف الملوك فأجلسه معه على التخت ولما علم ذلك تاج الملوك فرح فرحاًَ شديداً باجتماع سيف الملوك وأخيه ساعد وحضر وجلس الثلاثة يتحدثون فيما جرى لهم من الأول إلى الآخر ثم أن ساعداً قال يا أخي يا سيف الملوك لما غرقت المركب وغرقت المماليك طلعت أنا وجماعة من المماليك على لوح خشب وسار بنا في البحر مدة شهر كامل ثم بعد ذلك رمانا الريح بقدرة الله تعالى على جزيرة فطلعنا ونحن جياع فدخلنا بين الأشجار وأكلنا من الفواكه واشتغلنا بالأكل فلم نشعر إلا وقد خرج علينا أقوام مثل العفاريت فوثبوا علينا وركبوا فوق أكتافنا وكانوا نحو المائتين فقلنا لبعضنا ما يكفي هؤلاء أن يركبونا حتى يأكلونا أيضاً فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ولكن نحن نقوي عليهم السكر ثم نقتلهم ونستريح منهم ونخلص من أيديهم فنبهناهم وصرنا نملأ لهم تلك الجماجم ونسقيهم فيقولون هذا مر فقلنا لهم لأي شيء تقولون هذا مر وكل من قد قال ذلك أن لم يشرب منه عشر مرات فأنه يموت من يومه فخافوا من الموت وقالوا لنا أسقونا تمام العشر مرات فلما شربوا بقية العشر مرات سكروا وزاد عليهم السكر وتحدث قوتهم فجررناهم من أيديهم ثم أننا جمعنا من حطب تلك الكروم شيئاً كثيراً وجعلنا حولهم وفوقهم وأوقدنا النار في الحطب ووقفنا من بعيد ننظر ما يكون منهم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٢١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن ساعدا قال لما أوقدت النار في الحطب أنا ومن معي من المماليك وصارت الغيلان في وسطها وقفنا من بعيد لننظر ما يكون منهم ثم قدمنا إليهم بعد أن خمدت النار فرأينا هم صاروا كوم رماد فحمدنا الله تعالى الذي خلصنا منهم وخرجنا من تلك الجزيرة وطلبنا ساحل البحر ثم افترقنا من بعضنا فأما أنا وأثنان من المماليك فمشينا حتى وصلنا إلى غابة كثيرة الأشجار فاشتغلنا بالأكل وإذا

بشخص طويل القامة طويل اللحية طويل الأذنين بعينين كأنهما مشعلان وقدامه غنم كثيرة يرعاها وعنده جماعة أخرى في كيفيته فلما رآنا ابتبشر وفرح ورحب بنا وقال أهلاً وسهلاً تعالوا عندي حتى أذبح لكم شاة من هذه الأغنام وأشويها وأطعمكم فقلنا له وأين موضعك فقال قريب من هذا الجبل فاذهبوا إلى هذه الجهة حتى تروا مغارة فادخلوا فإن فيها ضيوفاً كثيرة مثلكم فروحوا وأقعدوا معهم حتى نجهز لكم الضيافة فاعتقدنا أن كلامه حق فسرنا إلى تلك الجهة ودخلنا تلك المغارة فرأينا الضيوف التي فيها كلهم عميانا فحين دخلنا عليهم قال واحد منهم أنا مريض وقال الآخر أنا ضعيف فقنا لهم أي شيء هذا القول الذي تقولونه وما سبب ضعفكم ومرضكم فقالوا لنا من أنتم فقلنا لهم نحن ضيوف قالوا لنا ما الذي أوقعكم في يد هذا الملعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم هذا غول يأكل بني آدم وقد أعمانا ويريد أن يأكلنا فقلنا لهم كيف أعماكم هذا الغول فقالو أنه في هذا الوقت يعميكم مثلنا فقلنا لهم وكيف يعمينا فقالوا لنا أنه يأتيكما بأقداح من اللبن ويقول لكم أنتم تعبتم من السفر فخذوا هذا اللبن وأشربوا منه فحين تشربوا منه تصيروا مثلنا فقلت في نفسي ما بقى لنا خلاص إلا بحيلة فحفرت حفرة في الأرض وجلست عليها ثم بعد ساعة دخل الملعون الغول علينا ومعه أقداح من اللبن فناولني قدحاً وناول من معي كل واحد قدحاً وقال لنا أنتم جئتم من البر عطاشا فخذوا هذا اللبن وأشربوا منه حتى أشوي لكم اللحم فأما أنا فأخذت القدح وقربته من فمي ودلقته في الحفرة وصحت آه قد راحت عيني وعميت وأمسكت عيني بيدي وصرت أبكي وأصيح وهو يضحك ويقول لا تخف وأما الأثنان رفيقاي فلنهما شرباً اللبن فعميا فقام الملعون من وقته وساعته وهو يسعى خلفي فقلت للعميان الذين عنده كيف العمل مع هذا الملعون فقال واحد منهم يا ساعد أنهض وأصعد إلى هذه الطاقة تجد فيها سيفا صقيلا فخذه وتعال عندي حتى أقول لك كيف تعمل فصعدت إلى الطاقة وأخذت الصيف وأتيت عند ذلك الرجل فقال خذه وأضربه في وسطه فأنه يموت في الحال فقمت وجريت خلفه وقد تعب من الجري فجاء إلى العميان ليقتلهم فجئت غليه وضربته بالسف في وسطه فصار نصفين فصاح علي وقال لي يا رجل حيث أردت قتلي فاضربني ضربة ثانية فهممت أن أضربه ضربة ثانية فقال الذي دلني على السيف لا تضربه ضربة ثانية فأنه لا يموت بل يعيش ويهلكنا وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٢٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن ساعداً قال لما ضربت الغول بالسيف قال أني يا رجل حيث ضربتني وأردت قتلي فأضربني ضربة ثانية فهممت أن أضربه فقالوا لي الذي دلني على السيف لا تضربه ضربة ثانية فأنه لا يموت بل يعيش ويهلكنا فأمتثلت أمر ذلك الرجل ولم أضربه فمات الملعون فقال لي الرجل قم أفتح المغارة ودعنا نخرج منها لعل الله يساعدنا ونستريح من هذا الموضع فقلت له ما بقي علينا ضرر ثم أننا تزودنا من الجزيرة بشيء من الفواكه التي فيها ثم نزلنا المركب وسارت بنا في ريح طيبة مدة ثلاثة أيام وبعد ذلك سارت علينا ريح وازداد ظلام الجو فما كان غير ساعة واحدة حتى عذب الريح المركب في جبل فانكسرت وتمزقت الواحها فقدر الله العظيم أني تعلقت بلوح منها وركبته فسار بي يومين وقد أتت بي ريح طيبة فسرت فوق اللوح أقذف برجل ساعة زمانية حتى أوصلني الله تعالى إلى البر بالسلامة فطلعت إلى هذه المدينة وقد صرت غريباً فريداً وحيداً لا أدري ما أصنع وقد أضرني الجوع وحصل لي الجهد الأكبر فأتيت

إلى سوق المدينة وقد تواريت وقامت هذا القباء وقلت في نفسي أبيعه وآكل بثمنه حتى يقضي الله ما هو قاض ثم أني يا أخي أخذت القباء في يدي والناس ينظرونه ويتزايدون في ثمنه حتى أتيت أنت ونظرتني وأمرت بي إلى القصر فأخذني الغلمان وسجنوني ثم إنك تذكرتني بعد هذه المدة فأحضرتني عندك وقد أخبرتك بما جرى لي والحمد لله على الاجتماع فلما سمع سيف الملوك وتاج الملوك أن دولة خاتون حديث الوزير ساعد تعجب تعجباً من ذلك عجباً شديداً وقد أعد تاج الملوك أبو دولة قانون مكاناً مليحاً لسيف الملوك وأخيه ساعد وصارت دولة خاتون تأتي لسيف الملوك وتتحدث معه وتشكره على إحسانه فقال الوزير ساعد أيتها الملكة المراد منك المساعدة على بلوغ غرضه فقالت نعم أسعى في مراده حتى يبلغ مراده إن شاء الله تعالى ثم ألتفتت إلى سيف الملوك وقالت له طب نفساً وقر عيناً هذا ما كان من أمر سيف الملوك ووزيره ساعد (وأما) ما كان من أمر الملكة بديعة الجمال فأنها وصلت إليها الأخبار برجوع أختها دولة خاتون إلى أبيها ومملكتها فقالت لابد من زيارتها والسلام عليها في زينة بهية وحلى وحلل فتوجهت إليها فلما قربت من مكانها قابلتها الملكة دولة خاتون وسلمت عليها وعانقتها وقبلتها بين عينيها وهنتها الملكة بديعة الجمال بالسلامة ثم جلستا تتحدثان فقالت بديعة الجمال الدولة خاتون أي شيء جرى لك في الغربة فقالت دولة خاتون يا أختي لا تسأليني عما جرى لي من الأمور يا ما تقاسي الخلائق من الشدائد فقالت لها بديعة الجمال وكيف ذلك قالت يا أختي أني كنت في القصر المشيد وقد احتوى على فيه ابن الملك الأزرق ثم حدثتها ببقية الحديث من أوله إلى آخره وحديث سيف الملوك وما جرى له في القصر وما قاسى من الشدائد والأهوال حتى وصل إلى القصر المشيد وكيف قتل ابن الملك الأزرق وكيف قلع الأبواب وجعلها فلكاً وعمل لها مجاذيف وكيف دخل إلى ههنا فتعجبت بديعة الجمال ثم قالت والله يا أختي أن هذا من أغرب الغرائب فقالت دولة خاتون وأريد أن أخبرك بأصل حكايته لكن يمنعني الحياء من ذلك فقالت لها بديعة الجمال ما سبب الحياء وأنت أختي ورفيقتي وبيني وبينك شيء كثير وأنا أعرف أنك ما تطلبين إلا الخير فمن أي شيء تستحين مني فأخبريني بما عندك ولا تستحي مني ولا تخفي عني شيئاً من ذلك فقالت لها دولة خاتون أن صورتك في القباء الذي أرسله أبوك إلى سليمان بن داود عليهما السلام فلم يفتحه ولم ينظر ما فيه بل أرسله إلى الملك عاصم بن صفوان ملك مصر في جملة الهدايا والتحف التي أرسله إليه والملك عاصم أعطاه لولده سيف الملوك قبل أن يفتحه فلما أخذه سيف الملوك فتحه وأراد أن يلبسه رأي فيه صورتك فعشقها وخرج في طلبك وقاسى هذه الشدائد كلها من أجلك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٢٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن دولة خاتون أخبرت بديعة الجمال بأصل محبة سيف الملوك لها وعشقه أياها وأن سببها القباء الذي فيه وصرتها وحين عاين الصورة خرج من ملكه هائماً وغاب عن أهله من أجلها وقالت لها أنه قاسى من الأهوال ما قاساه من أجلك فقالت بديعة الجمال وقد أحمر وجهها وخجلت من دولة خاتون أن هذا شيء لايكون أبداً فإن الأنس لا يتفقون مع الجان فصلوت دولة خاتون تصف لها سيف الملوك وحسن صورته وسيرته وفروسيته ولم تزل تثنى عليه وتذكر لها صفاته حتى قالت يا أختي لأجل الله تعالى ولا جلي تحدثي معه ولو كلمة واحدة فقالت بديعة الجمال أن هذا الكلام الذي تقولينه لا أسمعه

ولا أطيعك فيه وكأنها لم تسمع منها شيئاً ولم يقع في قلبها شيء من محبة سيف المل وك وحس ن صو ورته وسيرته وفروسيته ثم أن دولة خاتون صارت تتضرع لها وتقبل رجليها وتقول يا بديعة الجمال بحق الل بن الذي رضعاه أنا وأنت وبحق النقش الذي على خاتم سليمان عليه السلام أن تسمعي كلامي هذا فأني تكلفت له في القصر المشيد بأني أريه وجهك فبالله عليك أن تريه صورتك مرة واحدة لاجل خاطري وأن ت الأخ رى تنظرينه وصارت تبكي لها وتتضرع إليها وتقبل يديها ورجليها حتى رضيت وقالت لأجلك أريه وجهي م رة واحدة فعند ذلك طاب قلب دولة خاتون وقبلت يديها ورجليها وخرجت وجاءت إلى القصر الأكبر الذي ف ي البستان وأمرت الجواري أن يفرشنه وينصبن فيه تختاً من الذهب ويجعلن أواني الشراب مصفوفة ثم أن دولة خاتون قامت ودخلت على سيف الملوك وساعد وزيره وهما جالسان في مكانهما وبشرت سيف الملوك ببلوغ أربه وحصول مراده وقالت له توجه إلى البستان أنت وأخوك وأدخلا القصر واختفيا عن أعين الناس بحيث لا ينظركما أحد ممن في القصر حتى أجيء أنا وبديعة الجمال فقام سيف الملوك وساعد وتوجها إلى المك ان الذي دلتهما عليه دولة خاتون فلما دخلاه رأيا تختاً من الذهب منصوباً وعليه الوسائد وهناك الطعام والشراب فجلسا ساعة من الزمان ثم أن سيف الملوك تذكر معشوقته فضاق صدره وهاج عليه الشوق والغ رام فق ام ومشى حتى خرج من دهليز القصر فتبعه أخوه ساعد فقال له يا أخي أقعد أنت مكانك ولا تتبعني حتى أجيء إليك فقعد ساعد ونزل سيف الملوك ودخل البستان وهو سكران من خمر الغرام حيران م ن ف رط العش ق والهيام وقد هزه الشوق وغلب عليه الوجد فأنشد هذه الأبيات:

يـ . ـا بديعـ . ـة الجمـ . ـال مـ . ـالي سـ . ـواك   فـ . ـارحميني أنـ . ـي أسـ . ـير هـ . ـواك
أنـ . ـت سـ . ـؤالي ومنيتـ . ـي وسـ . ـروري   قـ . ـد أبـ . ـى القلـ . ـب أن يحـ . ـب سـ . ـواك
ليـ . ـت شـ . ـعري هـ . ـل تعلمـ . ـين بكـ . ـائي   طـ . ـول ليلـ . ـى مسـ . ـهد الجفـ . ـن بـ . ـاكي
فمـ . . ـري الثـ . . ـوم أن يلـ . . ـم بجفنـ . . ـي   فعسـ . ـى فـ . ـي المنـ . ـام أنـ . ـي أراك
فـ . ـأعطفي فـ . ـي الهـ . ـوى علـ . ـى مسـ . ـتهام   أنقذيـ . . ـه مـ . . ـن مهلكـ . ـات جفـ . ـاك
زادك الله بهجـ . . . . . . ـة وسـ . . . . ـرورا   وجميـ . ـع العـ . ـدا تكـ . ـون فـ . ـداك
تحشـ . ـر العاشـ . ـقون تحـ . ـت لـ . ـو أنـ . ـي   وجميـ . ـع المـ . ـلاح تحـ . ـت لـ . ـواك

ثم بكى وأنشد أيضاً هذين البيتين:

بديعـ . ـة الحسـ . ـن أضـ . ـحت بغيتـ . ـي أبـ . ـداً   لأنهـ . ـا فـ . ـي ضـ . ـمير القلـ . ـب أسـ . ـراري
فـ . ـأن نطقـ . ـت فنطقـ . ـي فـ . ـي محاسـ . ـنها   وأن سـ . ـكتت ففيـ . ـا عقـ . ـد أضـ . ـماري

ثم بكى بكاء شديداً وأنشد هذه الأبيات:

وفـ . ـي كبـ . ـدي نـ . ـار يزيـ . ـد وقودهـ . ـا   وأنـ . ـتم مـ . ـرادي والغـ . ـرام يطـ . ـول
أميـ . . ـل إلـ . . ـيكم لا أميـ . . ـل لغيـ . . ـركم   وأرجـ . ـوا رضـ . ـاكم والمحـ . ـب حمـ . ـول
لكـ ـي ترحمـ ـوا مـ ـن أنحـ ـل الحـ ـب جسـ . .   . ـمه وأضـ ـعفه والقلـ ـب منـ ـه عليـ ـل
فرقـ . ـوا وجـ . ـودوا وأنعمـ . ـوا وتفضـ . ـلوا   فلـ . ـم أنتقـ . ـل عـ . ـنكم ولسـ . ـت أحـ . ـول

ثم بكى وأنشد أيضاً هذين البيتين:

واصـ . ـلتني الهمـ . ـوم وصـ . ـل هـ . ـواك | وجفـ . ـاني الرقـ . ـاد مثـ . ـل جفـ . ـاك
وحكـ . ـى لـ . ـي الرسـ . ـول أنـ . ـك غضـ . ـبي | يـ ـا كفـ ـى الله شـ ـر مـ ـا هـ ـو حـ ـاكي

ثم أن ساعداً استبطأه فخرج من القصر يفتش عليه في البستان فرآه ما شياقي البستان متحيراً وهو ينشد هذين البيتين:

والله والله العظـ . . ـيم وحـ . . . ـق مـ . . . ـن | يتلـ ـوا مـ ـن القـ ـرآن سـ ـورة فـ ـاطر
مـ ـا جـ ـال طرفـ ـي فـ ـي محاسـ ـن مـ ـن أرى | إلا وشخصـ . ـك يـ . ـا بـ . ـديع مسـ . ـامري

ثم اجتمع سيف الملوك وساعد أخوه وصارايته رجان في البستان ويأكلان من الفواكه هذا ما كان مـ ـن أمر ساعد وسيف الملوك (وأما) ما كان من أمر دولة خاتون فلنها لما أنت هي وبديعة الجمال إلـ ـى القصـ ـر دخلتا فيه بعد أن أتحفته الخدام بأنواع الزينة وفعلوا فيه جميع ما أمرتهم به دولة خاتون وقد أعـ ـدوا لبديعـ ـة الجمال تختاً من الذهب لتجلس عليه فلما رأت بديعة الجمال ذلك التخت جلست عليه وكـ ـان بجانبهـ ـا طاقـ ـة تشرف على البستان وقد أتت الخدام بأنواع الطعام الفاخرة فأكلت بديعة الجمال هي ودولة خـ ـاتون وسـ ـارت دولة خاتون تلقمها حتى اكتفت ثم دعت بأنواع الحلويات فأحضرتها الخدام وأكلتا منها بحسب الكفاية وغسلتا أيديهما ثم أنها هيأت الشراب وآلات المدام وصفت الأباريق والكاسات وصارت دولة خاتون تمـ ـلأ وتسـ ـقي بديعة الجمال ثم تملأ الكاس وتشرب هي ثم أن بديعة الجمال نظرت من الطلقة التي بجانبها إلى ذلك البستان ورأت ما فيه من الأثمار والأغصان فلاحت منها التفاتة إلى جهة سيف الملوك فرأته وهو دائر في البسـ ـتان وخلفه الوزير ساعد وسمعت سيف الملوك ينشد الأشعار وهو يذري الدموع الغزار فلما نظرته نظرة أعقبتها تلك النظرة ألف حسرة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٢٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن بديعة الجمال لما رأت سيف الملوك وهو دائر في البسـ ـتان نظرتـ ـه نظرة أعقبتها ألف حسرة فالتفتت إلى دولة خاتون وقد لعب الخمر بأعطافها وقالت لها يا أختي من هذا الشاب الذي أراه في البستان وهو حائر ولهان كئيب لهفان فقالت لها دولة خاتون هل تأذنين في حضوره عندنا حتى نراه قالت لها أن أمكنك أن تحضريه فأحضريه فعند ذلك نادته دولة خاتون وقالت له يا ابن الملك أصعد إلينا وأقدم بحسنك وجمالك علينا فعرف سيف الملوك صوت دولة خاتون فصعد إلى القصر فلما وقع نظره علـ ـى بديعة الجمال خر مغشياً عليه فرشت عليه دولة خاتون قليلاً من ماء الورد فأفاق من غشيته ثم نهض وقبـ ـل الأرض قدام بديعة الجمال فبهتت من حسنه وجماله فقالت دولة خاتون أعلمي أيتها الملكـ ـة أن هـ ـذا سـ ـيف الملوك الذي كانت نجاتي بقدرة الله تعالى على يديه وهو الذي جرى عليه كامل المشقات من أجلك وقصـ ـدي أن تشمليه بنظرك فقامت بديعة الجمال وقد ضحكت وقالت من بقى بالعهود حتى بقى بها هـ ـذا الشـ ـاب لأن الأنس ليس لهم مودة فقال سيف الملوك أيتها الملكة أن عدم الوفاء لا يكون عندي أبداً وما كل الخلق سواء ثم بكى بين يديها وأنشد هذا الأبيات:

أيـ . ـا بـ . ـديع الجمـ . ـال اسـ . ـتعطفي لشـ . ـج | مضـ ـى كئيـ ـب بطـ ـرف سـ ـاحر جـ ـان
بحـ . ـق مـ . ـا جمعـ . ـت خـ . ـداك مـ . ـن ملـ . ـح | مـ . ـن أبـ . ـيض وشـ . ـقيق أحمـ . ـر قـ . ـان

لا تنقم ـي بس ـكال الهج ـر م ـن دن ـف فإن جس ـمي م ـن ط ـول الن ـوى ف ـإن
ه ـ ذا م ـ رادي وه ـ ذا منته ـ ى أم ـ ل والوصل قص ـدي عل ـى تق ـدير إمك ـاني

ثم أنه بكى بكاء شديداً وتحكم عنده العشق والهيام فصار يسلم عليها بهذه الأبيات:

س ـ ـلام عل ـ يكم م ـ ن مح ـ ب مت ـ يم وك ـ ـل ك ـ ـريم للك ـ ـريم جمي ـ ـل
س ـ ـلام عل ـ ـيكم لا ع ـ ـدمت خي ـ ـالكم ول ـم يخ ـل م ـنكم مجل ـس ومقي ـل
آغ ـ ار عل ـ يكم لس ـ ت أذك ـ ر أس ـ مكم وك ـ ـل حبي ـ ـب للحبي ـ ـب يمي ـ ـل
ف ـلا تقطع ـوا أحس ـانكم ع ـن مح ـبكم ف ـإن الأس ـى يردي ـه وه ـو علي ـل
أراع ـي النج ـوم الزه ـر وه ـي تروعن ـي ولي ـى م ـن ف ـرط الغ ـرام يط ـول
ول ـم يب ـق ل ـي ص ـبر ولا ل ـي حيل ـة ف ـ أي ك ـ لام ف ـ ي الس ـ ؤال أق ـ ول
عل ـ يكم س ـ لام ف ـ ي س ـ اعة الجف ـ ا س ـلام م ـن الوله ـان وه ـو ح ـول

ثم أنه من كثرة وجده وغرامه أنشد أيضاً هذه الأبيات:

أن ك ـان قص ـدي غي ـركم ي ـا س ـادتي لا نل ـ ت م ـ نكم بغيت ـ ي وأرادت ـ ي
م ـن ذا ال ـذي ح ـاز الجم ـال س ـواكم حت ـ ى تق ـ وم الآن في ـ ـه قي ـ امتي
هيه ـات أن أس ـلوا اله ـوى وأن ـا ال ـذي أفني ـت ف ـ يكم مهجت ـي وحشاش ـ تي

فلما فرغ من شعره بكى بكاء شديداً فقالت له بديعة الجمال يا ابن الملك أني أخ ـاف أن أقب ـل علي ـك بالكلية فلا أجد منك ألفة ولا محبة فإن الأنس ربما كان خيرهم قليلاً وغدرهم جليلاً واعلم أن السيد سليمان بن داود عليهما السلام أخذ بلقيس بالمحبة فلما رأى غيرها أحسن منها أعرض عنها فقال لها سيف المل ـوك ي ـا عيني ويا روحي ما خلق الله كل الأنس سواء وأنا أن شاء الله في بالعهد وأم ـوت تح ـت أق ـدامك وس ـوف تبصرين ما أفعل موافقاً لما أقول والله على ما أقول وكيل فقالت له بديعة الجمال أقعد وأطمئن وأحل ـف ل ـي على قدر دينك ونتعاهد على أننا لا نخون بعضنا ومن خان صاحبه ينتقم الله تعالى منه فلم ـا س ـمع س ـيف الملوك منها ذلك الكلام قعد ووضع كل منهما يده في يده صاحبه وتحالفا أن كلا منهما لا يختار على صاحبه أحد من الأنس ولا من الجن ثم أنهما تعانقا ساعة زمانية وتباكيا من شدة فرحهما وغلب الوجد عل ـى س ـيف الملوك فأنشد هذه الأبيات:

بكي ـ ـت غرام ـ ـاً واش ـ ـتياقاً ولوع ـ ـة على شأن م ـن يه ـواه قلب ـي ومهجت ـي
وب ـي زادت الآلام م ـن ط ـول هج ـركم وباعي قصير من ع ـن تق ـارب نس ـبتي
وحزن ـي م ـ ـا ض ـ ـاق عن ـ ـه تجل ـ ـدي يوض ـ ـح لل ـ ـوام بع ـ ـض بليت ـ ـي
وق ـ د ض ـ اق بع ـ د الاتس ـ اع حقيق ـ ة مج ـال اص ـطباري لا بح ـولي وق ـوتي
فياه ـ ـل ت ـ ـرى أن يجم ـ ـع الله ش ـ ـملنا وتب ـرأ م ـن الآلام والس ـقم غص ـتي

وبعد أن تحالفت بديعة الزمان هي وسيف الملوك قام سيف الملوك يمشي وقامت بديعة الجمال تمش ـي أيضاً ومعها جارية حاملة شيئاً من الأكل وحاملة أيضاً قنانية ملآنة خمراً ثم قعدت بديعة الجم ـال ووض ـعت

الجارية بين يديها الأكل والمدام فلم تمكثا غير ساعة إلا وسيف الملوك قد أقبل فلاقته بالسلام وتعانقا وقع دا وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٢٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن بديعة الجمال لما أحضرت الطعام والشراب وجاء سيف الملوك فلاقته بالسلامة ثم قعدا يأكلان ويشربان مدة ساعة فقالت بديعة الجمال يا ابن الملك إذا دخلت بستان أرم ترى خيمة كبيرة منصوبة وهي من أطلس أحمر وبطانتها من حرير أخضر فأدخل الخيمة وقو قلبك فأنك ترى عجـ وزاً جالسة على تخت من الذهب الأحمر مرصع بالدر والجواهر فإذا دخلت فسلم عليها بأدب واحتشام وانظر إلى جهة التخت تجد تحته نعالاً منسوجة بقضبان الذهب مزركشة بالمعادن فخذ تلك النعال وقبلها وضعها علـ ى رأسك ثم حطها تحت أبطك اليمين وقف قدام العجوز وأنت ساكت مطرق الرأس فإذا سألتك وقالت لك مـ ن أين جئت وكيف وصلت إلى ههنا ومن عرفك هذا المكان ومن شأن أي شيء أخذت هذا النعال فأسكت أنـ ت حتى تدخل جاريتي هذه وتتحدث معها وتستعطفها عليك وتسترضي خاطرها بالكلام لعل الله تعـ الى يعطـ ف قلبها عليك وتجيبك إلى ما تريد ثم أنها نادت تلك الجارية وكان أسمها مرجانة وقالت لها بحـ ق محبتـ ي أن تقضي هذه الحاجة في هذا اليوم ولا تتهاوني في قضائها وأن قضيتها في هذا اليوم فأنت حرة لوجه الله تعالى ولك الأكرام ولا يكون عندي أعز منك ولا أظهر سري إلا عليك فقالت يا سيدتي ونور عيني قولي لـ ي مـ ا حاجتك حتى أقضيها لك على رأسي وعيني فقالت لها أن تجعلي هذا الأنسي على أكتافـ ك وتوصـ يله إلـ ى بستمان أرم عند جدتي أم أبي وتوصيله إلى خيمتها وتحتفظي عليه وإذا دخلت الخيمة أنت وأياه ورأيتيه أخذ النعال وخدمها وقالت له من أين أنت ومن أي طريق أتيت ومن أوصلك إلى هذا المكان ومن شأن أي شـ يء أخذت هذه النعال وأي شيء حاجتك حتى أقضيها لك فعند ذلك أدخلي بسرعة وسلمي عليها وقولي لهـ ا يـ ا سيدتي أنا الذي جئت به هنا وهو ابن ملك مصر وهو الذي راح إلى القصر المشيد وقتل ابن الملـ ك الأزرق وخلص الملكة دولة خاتون وأوصلها إلى أبيها سالمة وقد أوصلته إليك لأجل أن يخبرك ويبشـ رك بسـ لامتها فتنعمي عليه ثم بعد ذلك قولي لها بالله عليك يا سيدتي أما هذا الشاب مليح يا سيدتي فتقول نعم فعند ذلك قولي لها يا سيدتي أنه كامل العرض والمروءة والشجاعة وهو صاحب مصر وملكها وقد حوى سـ ائر الخصـ ال الحميدة فإذا قالت لك أي شيء حاجته فقولي لها أن سيدتي تسلم عليك وتقول لك خدمتي وهي قاعدة في البيت عازبة بلا زواج فقد طالت عليها المدة فما مرادكم بعدم زواجها ولأي شيء ما تزوجينها في حياتـ ك وحيـ اة أمها مثل البنات فإذا قالت لك وكيف نعمل في زواجها فإن كانت هي تعرف أحداً ووقع في خاطرهـ ا أحـ د تخبرنا عنه ونحن نعمل لها على مرادها على غاية ما يمكن فعند ذلك قولي لها يا سيدتي أن بنتك تقول لـ ك أنكم كنتم تريدون تزوجي بسليمان عليه السلام وصور تم له صورتي في القباء فلم يكن له نصيب فـ ي وقـ د أرسل القباء إلى ملك مصر فأعطاه لولده فرأى صورتي منقوشة فيه فعشقني وترك ملك أبيه وأمه وأعـ رض عن الدنيا وما فيها وخرج هائماً في الدنيا على وجهه وقاسى أكبر الشدائد والأهوال من أجلي ثم أن الجاريـ ة حملت سيف الملوك وقالت له غمض عينك ففعل فطارت به إلى الجو ثم بعد ساعة قالت له يا ابن الملك افتح عينيك ففتح فنظر البستان وهو بستان أرم فقالت له مرجانة أدخل ياسيف الملوك هذه الخيمة فذكر الله ودخـ ل

ومد عينيه بالنظر في البستان فرأى العجوز قاعدة على التخت وفي خدمتها الجواري فقرب منها بأدب واحتشام وأخذ النعال وقبلها وفعل ما وصفته له بديعة الجمال فقالت له العجوز من أنت ومن أين أقبلت ومن أي البلاد أنت ومن جاء بك إلى هذا المكان ولأي شيء أخذت هذه النعال وقبلتها ومتى قلت لي على حاجة ولم أقضها لك فعند ذلك دخلت الجارية مرجانة وسلمت عليها بأدب واحتشام ثم تحدثت بحديث بديعة الجمال الذي قالته لها فلما سمعت العجوز هذا الكلام صرخت عليها واغتاظت منها وقالت من أين يحصل بين الأنس والجن أتفاق وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٢٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العجوز لما سمعت الكلام من الجارية اغتاظت غيظاً شديداً وقالت من أين للأنس مع الجن اتفاق فقال سيف الملوك أنا أتفق معك وأكون غلامك وأموت على حبك وأحفظ عهدك ولا أنظر غيرك وسوف تنظرين صدقي وعدم كذبي وحسن مروءتي معك أن شاء الله تعالى ثم أن العجوز تفكرت ساعة زمانية وهي مطرقة رأسها ثم رفعت رأسها وقالت أيها الشاب المليح هل تحفظ العهد والميثاق فقال لها نعم وحق من رفع السماء وبسط الأرض على الماء أني أحفظ العهد فعند ذلك قالت العجوز أنا أقضي لك حاجتك أن شاء الله تعالى ولكن رح في هذه الساعة إلى البستان وتفرج فيه وكل من الفواكه التي لانظير لها ولا في الدنيا مثلها حتى أبعث إلى ولدى شهيال فيحضر وأتحدث معه في شأن ذلك ولا يكون إلا خيراً إن شاء الله تعالى لأنه لا يخالفني ولا يخرج عن أمري وأزوجك بنته بديعة الجمال فطب نفساً فأنها تكون زوجة لك يا سيف الملوك فلما سمع منها ذلك الكلام شكرها وقبل يديها ورجليها وخرج من عندها متوجهاً إلى البستان وأما العجوز فإنها التفتت إلى تلك الجارية وقالت لها أطلعي فتشي على ولدي شهيال وأنظريه في أي الأقطار والأماكن وأحضريه عندي فراحت الجارية وفتشت على الملك شهيال فاجتمعت به وأحضرته عند أمه هذا ما كان من أمرها (وأما) ما كان من أمر سيف الملوك فأنه صار يتفرج في البستان وإذا بخمسة من الجان وهم من قوم الملك الأزرق قد نظروه فقالوا من أين هذا ومن جاء به إلى هذا المكان ولعله الذي قتل ابن الملك الأزرق ثم قالوا لبعضهم أنا نحتال عليه بحيلة ونسأله ونستخبر منه ثم صاروا يتمشون قليلاً قليلاً إلى أن وصلوا إلى سيف الملوك في طرف البستان وقعدوا عنده وقالوا له أيها الشاب المليح ما قصرت في قتل أبن الملك الأزرق وخلاص دولة خاتون منه فإنه كلب غدا رقد مكر بها ولو لا أن قيضك لها ما خلصت أبداً وكيف قتلته فنظر إليهم سيف الملوك وقال لهم قد قتلته بهذا الخاتم الذي في أصبعي فثبت عندهم أنه هو الذي قتله فقبض اثنان على يديه وأثنان على رجليه والآخر قبض على فمه حتى لا يصيح فيسمعه قوم الملك شهيال فينقذونه من أيديهم ثم أنهم حملوه وطاروا به ولم يزالوا طائرين حتى نزلوا عند ملكهم وأوقفوه بين يديه وقالوا يا ملك الزمان قد جئناك بقاتل ولدك فقال وأين هو قالوا هذا فقال له الملك الأزرق هل قتلت ولدي وحشاشة كبدي ونور بصري بغير حق وبغير ذنب فعله معك فقال له سيف الملوك نعم أنا قتلته ولكن لظلمه وعدوانه لأنه كان يأخذ أولاد الملوك ويذهب بهم إلى البئر المعطلة والقصر المشيد ويفرق بينهم وبين أهليهم ويفسق فيهم وقتلته بهذا الخاتم الذي في أصبعي وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار فثبت عند الملك الأزرق أن هذا هو قاتل ولده بلا شك فعند ذلك دعا بوزيره وقال له هذا قاتل ولدي

ولا محاله من غير شك فماذا تشير في أمره فهل أقتله أقبح قتله وأعذبه أصعب عذاب وكيف أعمل فقال الوزير الأكبر أقطع منه عضوا وقال آخر أضربه كل يوم ضرباً شديداً وقال آخر أقطعوا وسطه وقال آخر اقطعوا اصابعه جميعاً وآخر قوها بالنار وقال آخر أصلبوه وصار كل واحد منهم يتكلم بحسب رأيه وكان عند الملك الأزرق أمير كبير له خبرة بالأمور ومعرفة بأحوال الدهور فقال له يا ملك الزمان أني أقول لك كلاماً والرأي لك في سماع ما أشير به عليك وكان هو مشير مملكته ورئيس دولته وكان الملك يسمع كلامه ويعمل برأيه ولا يخالفه في شيء فقام على قدميه وقبل الأرض بين يديه وقال له يا ملك الزمان إذا أشرت عليك برأي في شأن هذا الأمر هل تتبعه وتعطيني الأمان فقال له الملك بين رأيك وعليك الأمان فقال يا ملك أن أنت قتلت هذا ولم تقبل نصحي ولم تعقل كلامي فإن قتله في هذا الوقت غير صواب لأنه تحت يدك وفي حماك وأسيرك ومتى طلبته وجدته وتفعل به ما تريد فأصبر يا ملك الزمان فإن هذا قد دخل بستان أرم وتزوج بديعة الجمال بنت الملك شهيال وصار منهم واحد وجماعتك قبضوا عليه وأتوا به إليك وما أخفى حاله منهم ولا منك فإن قتلته فإن الملك شهيال يطلب ثاره منك ويعاديك ويأتيك بالعسكر من أجل بنته ولا مقدرة لك على عسكره وليس لك به طاقة فسمع منه ذلك وأمر بسجنه هذا ما جرى لسيف الملوك (وأما) ما كان من أمر ست بديعة الجمال فإنها لما اجتمعت بولدها شهيال أرسلت الجارية تفتش على سيف الملوك فلم تجده فرجعت إلى سيدتها وقالت ما وجدته في البستان فأرسلت لي عملة لبستان وسألتهم عن سيف الملوك فقالوا نحن رأيناه قاعداً تحت شجرة وإذا بخمسة أشخاص من جماعة الملك الأزرق نزلوا عنده وتحدثوا معه ثم أنهم حملوه وسدوا فمه وطاروا به وراحوا فلما سمعت ست بديعة الجمال ذلك الكلام لم يهن عليها واغتاظت غيظاً شديداً وقامت على أقدامها وقالت لأبنها الملك شهيال كيف تكون ملكاً وتجيء جماعة الملك الأزرق إلى بستاننا ويأخذون ضيفنا ويروحون به سالمين وأنت بالحياة وصارت تحرضه وتقول لا ينبغي أن يتعدى علينا أحد في حياتك فقال لها يا أمي أن هذا إلا نسي قتل ابن الملك الأزرق وهو جني فرماه الله في يده فكيف أذهب إليه وأعاديه من أجل الأنسي فقالت له أمه أذهب إليه وأطلب منه ضيفنا فإن كان بالحياة وسلمه إليك فخذه وتعال وأن كان قتله فأمسك الملك الأزرق بالحياة هو وأولاده وحريمه وكل من يلوذ به من أتباعه وأئتني بهم بالحياة حتى أذبحهم بيدي وأخرب دياره وأن لم تفعل ما أمرتك به لا أجعلك في حل من لبني والتربية التي ربيتها لك تكون حراماً وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٢٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العجوز قالت لأبنها شهيال أذهب إلى الملك الأزرق وأنظر سيف الملوك فإن كان باقياً بالحياة فهاته وتعال وإن كان قتله فأمسكه هو وأولاده وحريمه وكل من يلوذ به وأئتني بهم بالحياة حتى أذبحهم بيدي وأخرب ملكه وإن لم تذهب إليه وتفعل ما أمرتك به فلا أجعلك في حل من لبني وتكون تربيتك حراماً فعند ذلك قام الملك شهيال وأمر عسكره بالخروج وتوجه إليه كرامة لأمه ورعاية لخاطرها وخواطر أحبابها ولأجل شيء كان مقدراً في الأزل ثم أن شهيال سافر بعسكره ولم يزالوا مسافرين حتى وصلوا إلى الملك الأزرق وتلاقى العسكران فأنكسر الملك الأزرق هو وعسكره وأمسكوا أولاده كباراً وصغاراً وأرباب دولته وأكابرها وربطوهم وأحضروهم بين يدي الملك شهيال فقال له يا أزرق أين سيف

الملوك الأنسى الذي هو ضيفي فقال له الملك الأزرق يا شهيال أنت جني وأنا جني وهل لأجل أنسي قتل ولدي تفعل هذه الأفعال وهو قاتل ولدي وحشاشة كبدي وراحة روحي وكيف عملت هذه الأعمال كلها وأهرقت دم كذا وكذا ألف جني فقال له خل عنك هذا الكلام فإن كان هو بالحياة فأحضره وأنا أعتقك وأعتق كل من قبضت عليه من أولادك وإن كنت قتلته فأنا أذبحك أنت وأولادك فقال له الملك الأزرق يا ملك هل هذا أعز عليك من ولدي فقال له الملك شهيال أن ولدك ظالم لكونه يخطف أولاد الناس وبنات الملوك يضعهم في القصر المشيد والبئر المعطلة ويفسق فيهم فقال له الملك الأزرق أنه عندي ولكن أصلح بيننا وبينه فأصلح بينهم وخلع عليهم وكتب بين الملك الأزرق وبين سيف الملوك حجة من جهة قتال ولده وتسلمه الملك شهيال وضيفهم ضيافة مليحة وأقام الملك الأزرق عنده هو وعسكره ثلاثة أيام ثم أخذ سيف الملوك وأتى به إلى أمه ففرحت به فرحاً شديداً وتعجب شهيال من حسن سيف الملوك وأتى به إلى أمه ففرحت به فرحاً شديداً وتعجب شهيال من حسن سيف الملوك وكماله وجماله وحكى له سيف الملوك حكايته من أولها إلى آخرها وما وقع له مع بديعة الجمال ثم أن الملك شهيال قال يا أمي حيث رضيت بذلك فسمعاً وطاعة لكما أمر فيه رضاك فخذيه وروحي به إلى سرنديب وأعملي هناك فرحاً عظيماً فأنه شاب مليح قاسي الأهوال من أجلها ثم أنها سافرت هي وجواريها إلى أن وصلن إلى سرنديب ودخلن البستان الذي لأم دولة خاتون ونظرته بديعة الجمال بعد أن مضين على الخيمة وأجتمعن وحدثتهن العجوز بما جرى من الملك الأزرق وكيف كان أشرف على الموت في سجن الملك الأزرق وليس في الإعادة إفادة ثم أن الملك سيف الملوك قال له يا ملك العفو أنا أطلب منك حاجة وأخاف أن تردني عنها خائباً فقال له تاج الملوك والله لو طلبت روحي ما منعتها عنك لما فعلت من الجميل فقال سيف الملوك أريد أن تزوج دولة خاتون بأخي ساعد حتى نصير كلنا غلمانك فقال تاج الملوك سمعاً وطاعة ثم أنه جمع أكابر دولته ثاني وعقد عقد بنته دولة خاتون على ساعد ولما خلصوا من كتب الكتاب نثروا الذهب والفضة وأمر أن يزينو المدينة ثم أقاموا الفرح ودخل سيف الملوك على بديعة الجمال ودخل ساعد على دولة خاتون في ليلة واحدة ولم يزل سيف الملوك يختلي ببديعة الجمال أربعين يوماً فقالت له في بعض الأيام يا ابن الملك هل بقي في قلبك حسرة على شيء فقال سيف الملوك حاش لله قد قضيت حاجتي وما بقي في قلبي حسرة أبداً ولكن قصدي الاجتماع بأبي وأمي بأرض مصر وأنظر هل هما طيبين أم لا فأمرت جماعة من خدمها أن يوصلوه هو وساعد إلى أرض فوصلوها بأرض مصر واجتمع سيف الملوك بأبيه وأمه وكذلك ساعد وقعدا عندهم جمعة ثم أن كلا منهما ودع أباه وأمه وسار إلى مدينة سرنديب وصار كلما اشتاقا إلى أهلهما يروحان ويرجعان وعاش سيثف الملوك هو وبديعة الجمال في أطيب عيش وأهنأ وكذا ساعد مع دجولة خاتون إلى أن أتاهم هازم اللذات ومفرق الجماعات فسبحان الحي الذي لا يموت وقد خلق الخلق وقضى عليهم بالموت وهو أول بلا أبتداء وآخر بلا أنتهاء .

{حكاية حسن الصائغ البصري}

(ومما يحكي أيضاً) أنه كان في قديم الزمان وسالف العصر والأوان رجل تاجر من التجار مقيم بأرض البصرة وكان ذلك التاجر له ولدان ذكران وكان عنده مال كثير فقدر الله السميع العليم أن التاجر توفي إلى رحمة الله تعالى وترك تلك الأموال فأخذ ولداه في تجهيزه ودفنه وبعد ذلك اقتسما الأموال بينهما بالسوية

وأخذ كل واحد منهما قسمه وفتحا لهما دكانين أحدهما نحاس والثاني صائغ فبينما الصائغ جالس في دكانه يوماً من الأيام إذا برجل أعجمي ماش في السوق بين الناس إلى أن مر على دكان الولد الصائغ فنظر إلى صنعته وتأملها بمعرفته فأعجبته وكان اسم الصائغ حسناً فهز الأعجمي رأسه وقال والله أنك صائغ مليح وصار ينظر إلى صناعته وهو ينظر إلى كتاب عتيق كان بيده والناس مشغولين بحسنه وجماله وقده واعتداله فلما كان وقت العصر خلت الدكان من الناس فعند ذلك أقبل الرجل الأعجمي عليه وقال له يا ولدي أنت شاب مليح وأنا مالي ابن وقد عرفت صنعة ما في الدنيا أحسن منها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٢٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الأعجمي لما قبل على حسن الصائغ قال له يا ولدي أنت شاب مليح وأنا مالي ابن وقد عرفت صنعة ما في الدنيا أحسن منها وقد سألني خلق كثير من الناس في شأن تعليمها فما رضيت أن أعلمها أحداً منهم ولكن قد سمحت نفسي أعلمك أياها وأجعلك ولدي وأجعل بينك وبين الفقر حجاباً وتستريح من هذه الصنعة والتعب في المطرقة والفحم والنار فقال له حسن يا سيدي ومتى تعلمني فقال له في غد آتيك وأصنع لك من النحاس ذهباً خالصاً بحضرتك ففرح حسن وودع الأعجمي وسار إلى والدته فدخل وسلم عليها وأكل معها وهو مدهوش بلا وعي ولا عقل فقالت أمه ما بالك يا ولدي أحذر أن تسمع كلام الناس خصوصاً الأعجام فلا تطاوعهم في شيء فإن هؤلاء غشاشون يعلمون صنعة الكيمياء وينصبون على الناس ويأخذون أموالهم ويأكلونهم بالباطل فقال لها يا أمي نحن ناس فقراء وما عندنا شيء يطمع فيه حتى ينصب علينا وقد جاءني رجل أعجمي لكنه شيخ صالح عليه أثر الصلاح وقد حننه الله على فسكتت أمه على غيظ وصار ولدها مشغول القلب ولم يأخذه نوم في تلك الليلة من شدة فرحه بقول الأعجمي له فلما أصبح الصباح قام وأخذ المفاتيح وفتح الدكان وإذا بالأعجمي أقبل عليه فقام وأراد حسن أن يقبل يديه فامتنع ولم يرض بذلك وقال يا حسن عمر البودقة وركب الكير ففعل ما أمره به الأعجمي وأوقد الفحم فقال له الأعجمي يا ولدي هل عندك نحاس قال عندي طبق مكسور فأمره أن يتكيء عليه بالكارو يقطعه قطعاً صغار ففعل كما قال له وقطعه قطعاً صغاراً ورماه في البودقة ونفخ عليه بالكير حتى صار ماء فمد الأعجمي يده إلى عمامته وأخرج منها ورقة ملفوفه وفتحها وذر منها شيئاً في البودقة مقدار نصف درهم وذلك الشيء يشبه الكحل الأصفر وأمر حسنا أن ينفخ عليه بالكير ففعل مثل ما أمره حتى صار سبيكة ذهب فلما نظر حسن إلى ذلك اندهش وتحير عقله من الفرح الذي حصل له وأخذ السبيكة وقلبها وأخذ المبرد وحكها فرآها ذهباً خالصاً من عال العال فطار عقله وأندهش من شدة الفرح ثم أنحني على يد الأعجمي ليقبلها فقال له خذ هذه السبيكة وأنزل بها إلى السوق وبعها وأقبض ثمنها سريعاً ولا تتكلم فنزل حسن وأعطي السبيكة إلى الدلال فأخذها منه وحكها فوجدها ذهبا خالصاً ففتحوا بابها بعشرة آلاف درهم وقد تزايد فيها التجار فباعها بخمسة عشر ألف درهم وقبض ثمنها ومضى إلى البيت وحكى لأمه جميع ما فعل وقال لأمه أني قد تعلمت هذه الصنعة فضحكت عليه وقالت لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٢٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن حسناً الصائغ لما حكى لأمه ما فعل الأعجمي وقال لها أني قد تعلمت هذه الصنعة قالت لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وسكتت على غيظ منها ثم أن حسنا أخذ من جهله هونا وذهب به إلى الأعجمي وهو قاعد في الدكان ووضعه بين يديه فقال له يا ولدي ما تريد أن تصنع بهذا الهون قال ندخله في النار ونعمله سبائك ذهب فضحك الأعجمي وقال له يا ولدي هل أنت مجنون حتى تنزل السوق بسبيكتين في يوم وأحد ما تعلم أن الناس ينكرون علينا وتروح أرواحنا ولكن يا ولدي إذا علمتك هذه الصنعة لا تعملها في السنة إلا مرة واحدة فهي تكفيك من السنة إلى السنة قال صدقت يا سيدي ثم أنه قعد في الدكان وركب في البودقة ورمى الفحم في النار فقال له الأعجمي يا ولدي ماذا تريد قال علمني هذه الصنعة فضحك الأعجمي وقال لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم أنت يا ابني قليل العقل ما تصلح لهذه الصنعة قط هل أحد في عمره يتعلم هذه الصنعة على قارعة الطريق أو في الأسواق فإن اشتغلنا بها في المكان يقول الناس علينا أن هؤلاء يصنعون الكيمياء فتسمع بنا الحكام وتروح أرواحنا فإن كنت يا ولدي تريد أن تتعلم هذه فاذهب معي إلى بيتي فقام حسن وأغلق الدكان وتوجه مع الأعجمي فبينما هو في الطريق إذ تذكر قول أمه وحسب في نفسه ألف حساب فوقف وأطرق برأسه إلى الأرض ساعة زمانية فالتفت الأعجمي فرآه واقفاً فضحك وقال هل أنت مجنون كيف أضمر لك في قلبي الخير وأنت تحسب أني أضرك وقال له الأعجمي أن كنت خائفاً من ذهابك معي إلى بيتي فأنا أروح معك إلى بيتك وأعلمك هناك فقال له حسن نعم فقال له أمش قدامي فسار حسن قدامه وصار الأعجمي خلفه إلى أن وصل الأعجمي إلى منزله فدخل حسن إلى داره فوجد والدته فاعلمها بحضور الأعجمي معه وهو واقف على الباب ففرشت لهما البيت ورتبته فلما فرغت من أمرها راحت ثم أن حسناً أذن الأعجمي أن يدخل فدخل ثم أن حسنا أخذ في يده طبقاً وذهب به السوق ليجيء فيه بشيء يا كله فخرج وجاء بأكل وأحضره بين يديه وقال له كل يا سيدي لأجل أن يصير بيننا خبز وملح والله تعالى ينتقم ممن يخون الخبز والملح فقال له صدقت يا ولدي ثم تبسم وقال له يا ولدي من يعرف قدر الخبز والملح ثم تقدم الأعجمي وأكل مع حسن حتى اكتفيا ثم قال له الأعجمي يا ولدي يا حسن هات لنا شيئاً من الحلوى فمضى حسن إلى السوق وأحضر عشر قباب الحلوى وفرح حسن بكلام الأعجمي فلما قدم له الحلوى أكل منها وأكل معه حسن ثم قال له الأعجمي جزاك الله خيراً يا ولدي مثلك من يصاحبه الناس ويظهرونه على أسرارهم ويعلمونه ما ينفعه ثم قال الأعجمي يا حسن أحضر العدة فما سمع حسن هذا الحديث ألا وخرج مثل المهر إذا أنطلق من الربيع حتى أتى إلى الدكان وأخذ العدة ورجع ووضعها بين يديه فأخرج الأعجمي قرطاساً من الورق وقال يا حسن وحق الخبز والملح لولا أنت أعز من ولدي ما أطلعتك على هذه الصنعة وما بقي شيء من الأكسير إلا هذا القرطاس ولكن تأمل حين أركب العقاقير وأضعها قدامك واعلم يا ولدي يا حسن أنك تضع على كل عشرة أرطال نحاساً نصف درهم من هذا الذي في الورقة فتصير العشرة أرطال ذهباً خالصاً أبريز ثم قال له يا ولدي يا حسن عن أي شيء تسأل اعمل وأنت ساكن فأخرج قطعة من جيبه وخلطها مع قليل من الذي في الورقة فصارت سبيكة من الذهب والفضة وكان حسن فرحاناً جداً وصار متحيراً في عقله مشغولاً بتلك السبيكة فأخرج هذه من ×××× ووسعها في قطعة من الحلوى وقال

له يا حسن أنت بقيت ابنى وعندي بنت أزوجك بها فقال حسن أنا غلامك ومهما فعلته معي ك أني عند دي ××× فقال المجوسى يا ولدى طول بالك وصبر نفسك يحصل لك الخير ثم ناوله قطعة الحلوى فأخذها ووضعها فى فمه وهو لا يعلم ما قدر له فى الغيب ثم بلع القطعة الحلوى فسبقت رأسه رجليه وغاب عن الدنيا فلما رآه الأعجمي وقد حل به البلاء فرح فرحاً شديداً وقام على أقدامه وقال وقعت يا علق يا كلب العرب في عوام كثيرة أفتش عليك حتى حصلتك يا حسن وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٣٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن حسناً الصائغ لما أكل القطعة الحلوى التي أعطاها له الأعجمي ووقع منها على الأرض مغشياً عليه فرح الأعجمي وقال له لي أعوام كثيرة وأنا أفتش عليك حتى حصلتك ثم أن الأعجمي شد وسطه وكتف حسناً وربط رجليه على يديه وأخذ صندوقاً وأخرج منه الحوائج التي كانت فيه ووضع حسناً فيه وقفله عليه وفرغ صندوقاً آخر وحط فيه جميع المال الذي عند حسن وسبائك الذهب التي عملها أولاً وثانياً وقفله ثم خرج يجري إلى السوق وأحضر حمالاً حمل الصندوقين وتقدم إلى المركب الرأسية وكانت تلك المركب مهيأة للأعجمي وريسها منتظر فلما نظرته بحريتها أتوا إليه وحملوا الصندوقين ووضعوها في المركب وصرخ الأعجمي على الريس وعلى جميع البحرية وقال لهم قوموا قد انقضت الحاجة وحصل المراد فصرخ الريس على البحرية وقال لهم أقلعوا المراسي وحلوا القلوع وصارت المركب بريح طيبة هذا ما كان من أمر الأعجمي (وأما) ما كان من أمر أم حسن فأنها انتظرته إلى العشاء فلم تسمع له صوتاً ولا خبراً جملة كافية فجاءت إلى البيت فرأته مفتوحاً ولم تر فيه أحداً ولم تجد الصناديق ولا المال فعرفت أن ولدها قد فقد ونفذ فيه القضاء فلطمت على وجهها وشقت أثوابها وصاحت وولولت وصارت تقول واولداه وأثمرة فؤاده ثم أنشدت هذه الأبيات:

لقد قل صبري ثم زاد تمااملي	وزاد نحيبي بعدكم وتعللي
ولا صبر لي والله بعد فراقكم	وكيف اصطباري بعد فرقة أملي
وبعد حبيبي كيف التذ بالكرى	ومن الذي يهنا بعيش التذلل
رحلت فأوحشت الديار وأهلها	وكدرت من صفوى مشارب منهلي
وكنت معيني في الشدائد كلها	وعزي وجاهي في الورى وتوسلي
فلا كان يوم كنت فيه مباعدا	عن العين إلا أن أراك نعود لي

ثم أن أصارت تبكي وتنوح إلى الصباح فدخل عليها الجيران وسألوها عن ولدها فأخبرتهم بما جرى له مع الأعجمي وأعتقدت أنها لا تراه بعد ذلك أبداً وصارت تدور في البيت وتبكي فبينما هي دائرة في البيت إذ رأت سطرين فكتو بين على الحائط فأحضرت فقيها فقرأهما لها فإذا فيهما.

سرى طيف ليلى عند ما غلب الكرى	سحيرا وصحبي في الفلاة رقود
فلما انتهينا للخيال الذي سرى	أرى الجو قفر والمزار بعيد

فلما سمعت أم حسن هذه الأبيات صاحت وقالت نعم يا ولدي أن الدار فقرة والمزان بعيد ثم أن الجيران ودعوها بعد أن دعوا لها بالصبر وجمع الشمل قريباً ولم تزل أم حسن تبكي آناء الليل وأطراف النهار وبنت

في وسط البيت قبراً وكتبت عليه اسم حسن وتاريخ فقده وكانت لا تفارق ذلك القبر ولم يزل ذلك دأبها مـ ن حين فرقها ولدها هذا ما كان من أمرها (وأما) ما كان من أمر ولدها حسن مع الأعجمي فإن الأعجمي كـ ـان مجوسياً وكان يبغض المسلمين كثيراً وكلما قدر على أحد من المسلمين يهلكه وهو خبيث لئيم كيمـ ـاوي كمـ ـا قال فيه الشاعر:

هـ ـو الكلـ ـب وابـ ـن الكلـ ـب والكلـ ـب جـ ـده ولا خير فـ ـي كلـ ـب تناسـ ـل مـ ـن كلـ ـب

وكان اسم ذلك الملعون بهرام المجوسي وكان له في كل سنة واحد من المسلمين يأخذه ويذبحـ ـه علـ ـى مطلب فلما تمت حيلته على حسن الصائغ وسار به من أول النهار إلى الليل رست المركـ ـب علـ ـى برالـ ـي الصباح فلما طلعت الشمس وسارت المركب أمر الأعجمي عبيده وغلمانه أن يحضروا له الصندوق الذي فيه حسن فأحضروه له ففتحه وأخرجه منه ونشقه بالخل ونفخ في فمه فعطس وتقايا بالبنج وفتح عينيه ونظر يميناً وشمالاً فوجد نفسه في وسط البحر والمركب سائرة والأعجمي قاعد عنده فعلم أنها حيلة عملت عليه قد عملها الملعون المجوسي وأنه وقع في الأمر الذي كانت أمه تحذره فقال كلمة لا يخجل قائلها وهي لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم أن لله وأنا إليه راجعون اللهم ألطف بي في قضائك وصـ ـبرني علـ ـى بلائـ ـك يـ ـا رب العالمين ثم التفت إلى الأعجمي وكلمه بكلام رقيق وقال له يا ولدي ما هذه الفعال وأين الخبز والملح واليمين التي حلفتهالي فنظر إليه وقال له يا كلب هل مثلي يعرف خبزاً وملحاً وأنا قد قتلت مثلك ألف صبي إلا صبياً وأنت تمام الألف وصاح عليه فسكت وعلم أن معهم القضاء نفذ فيه وأدرك شهرزاد الصباح فسـ ـكتت عـ ـن الكلام المباح.

(وفي لية ٧٣١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن حسناً لما رأى نفسه وقع مع الأعجمي الملعون كلمه بكلام رقيق فلـ ـم يفده بل صاح عليه فسكت وعلم أن سهم القضاء نفذ فيه فعند ذلك أمر الملعون بحل كتافة ثم سقوه قليلاً مـ ـن الماء والمجوسي يضحك ويقول وحق النار والنور والظل والحرور ما كنت أظن أنك تقع في شبكتي ولكـ ـن النار قوتني عليك وأعانتني على قبضك حتى أقضي حاجتي وأرجع وأجعلك قرباناً لها حتى ترضى عني فقال حسن ق\ خنت الخبز والملح فرفع المجوسي يده وضربه ضربة فوقع وعض الأرض بأسنانه وغشي عليـ ـه وجارت سرعة على خده ثم أمر المجوسي أن يوقدوا له حسن ما تصنع بها فقال له هذه النار صاحبة النـ ـور والشرور وهي التي أعبدها فإن كنت تعبدها مثلي فأنا أعطيك نصف مالي وأزوجك بنتي فصاح حسن عليـ ـه وقال له ويلك أنما أنت مجوسي كافر تعبد النار دون الملك الجبار خالق الليل والنهار وما هذه إلا مصيبة في الأديان فعند ذلك غضب المجوسي وقال أما توافقني يا كلب العرب وتدخل في ديني فلم يوافقه حسـ ـن علـ ـى ذلك فقام المجوسي الملعون وسجد للنار وأمر غلمانه أن يرموا حسناً على وجهه فرموه على وجهه وصـ ـار المجوسي يضربه بصوت مضفور من جلد حتى شرح جوانبه وهو يستغيث فلا يغاث ويتسجير فلا يجيره أحد فرفع طرفه إلى الملك ألقهار وتوسل إليه بالنبي المختار وقد قل منه الاصطبار وجرت دموعه علـ ـى خديـ ـه كالأمطار وأنشد هذين البيتين:

صـ ـبراً لحكمـ ـك يـ ـا إلهـ ـي فـ ـي القضـ ـا أنـ ـا صـ ـابر أن كـ ـان فـ ـي هـ ـذا رضـ ـا

ثم أن المجوسي أمر العبيد أن يقعدوه وأمر أن يأتوا إليه بشيء من المأكول والمشروب فأحضروه فلـ م يرض أن يأكل ولا يشرب وصار المجوسي يعذبه ليلاً ونهاراً مسافة الطريق وهو صابر يتضرع إلى الله عز وجل وقد قسي قلب المجوسي عليه ولم يزالوا سائرين في البحر مدة ثلاثة أشهر وحسن معه في العذاب فلما كملت الثلاثة أشهر أرسل الله تعالى على المركب ريحاً فأسود البحر وهاج بالمركب من كثرة الـ ريح فقـ ـال الريس والبحرية هذا والله كله ذنب هذا الصبي الذي له ثلاثة أشهر في العقوبة مع هذا المجوسي وهـ ـذا مـ ـا يحل من الله تعالى ثم أنهم قاموا على المجوسي وقتلوا غلمانه وكل من كان معه فلما رآهم المجوسـ ـي قتلـ ـوا الغلمان أيقن بالهلاك وخاف على نفسه وحل حسناً من كتافه وقلعه ما كان عليه من الثيـ ـاب الرثـ ـة والبسـ ـه غيرها وصالحه ووعده أن يعلمه الصنعة يرده إلى بلده وقال له يا ولدي لا تؤاخذني بما فعلت فقال له حسـ ـن كيف بقيت أركن إليك فقال له يا ولدي لولا الذنب ما كانت المغفرة وأنا ما فعلت معك هذه الفعال إلا لأجل أن أنظر صبرك وأنت تعلم أن الأمر كله بيد الله ففرحت البحرية والريس بخلاصة فدعا لهم حسـ ـن وحمـ ـد الله تعالى وشكره فسكنت الرياح وانكشفت الظلمة وطاب الريح والسفر ثم أن حسناً قال للمجوسي يا أعجمي إلى أين تتوجه قال يا ولدي أتوجه إلى جبل السحاب الذي فيه الأكسير الذي نعمله كيمياء وحلف المجوسي بالنار والنور أنه ما بقي لحسن عندهن ما يخيفه فطاب قلب حسن وفرح بكلام المجوسي وصار يأكل معه ويشرب وينام ويلبسه من ملبوسه ولم يزالوا مسافرين مدة ثلاثة أشهر أخرى وبعد ذلك رست المركب على بر طويلة كله حصى أبيض وأصفر وأزرق وأسود وغير ذلك من جميع الألوان فلما رست نهض الأعجمي قائماً وقال يا حسن قوم أطلع فأننا قد وصلنا إلى مطلوبنا ومرادنا فقام حسن وطلع مع الأعجمـ ـي وأوصـ ـى المجوسـ ـي الريس على مصالحه ثم مشى حسن مع المجوسي إلى أن بعد عن المركب وغابا عن الأعين ثم قعد المجوسي وأخرج من جيبه طبلاً نحاساً وزخمة من حرير منقوشة بالذهب وعليها طلاسم وضرب الطبـ ـل فلمـ ـا فـ ـرغ ظهرت غبرة من ظهر البرية فتعجب حسن من فعله وخاف منه وندم على طلوعه معه وتغير لونـ ـه فـ ـنظر غليه المجوسي وقال له مالك يا ولدي وحق النار والنور ما بقى عليك خوف مني ولولا أن ×× ما تقضي إلا على اسمك ما كنت أطلعتك من المركب فأبشر كل خير وهذه الغبرة غبرة شيء تركيبه فيعيننا على قطع هذه البرية ويسهل علينا مشقتها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٣١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الأعجمي قال أن هذه الغيرة غيرة شيء تركبه فيعيننا على قطع هـ ـذه البرية ويسهل علينا مشقتها فما كان إلا قليل حتى انكشفت الغبرة عن ثلاث نجائب فركب الأعجمـ ـي واحـ ـدة وركب حسن واحدة وحملا زادهما على الثالثة وسارا سبعة أيام ثم انتها إلى أرض واسعة فلما نزلا في تلـ ـك الأرض نظر إلى قبة معقودة على أربعة أعمدة من الذهب الأحمر فنزلا من فوق النجائب ودخلا تحت القبـ ـة وأكلا وشربا واستراحا فلاحت التفاتة من حسن فرأي شيئاً عالياً فقال له حسن ما هذا يا عم فقال له المجوسي هذا قصر فقال له حسن أما نقوم ندخل لنستريح فيه ونتفرج عليه فذهب المجوسي وقال لا تـ ـذكر لـ ـي هـ ـذا القصر بأن فيه عدوى ووقعت لي معه حكاية ليس هذا وقت أخبارك بها ثم دق الطبل فأقبلت النجائب فركبـ ـا

وسارا سبعة أيام فلما كان اليوم الثامن قال المجوسي يا حسن ما الذي تنظره فقال حسن انظر سحابا وغماماً بين المشرق والمغرب فقال له المجوسي ما هذا سحاب ولا غمام وأنما هو جبل شاهق ينقسم عليه السحاب وليس هناك سحاب يكون فوقه من فرط علوه وعظم ارتفاعه وهذا الجبل هو المقصود لي وفوقه حاجتنا ولاجل هذا جئت بك معي وحاجتي تقضي على يديك فعند ذلك يئس حسن من الحياة ثم قال للمجوسي بحق معبودك وبحق ما تعتقده من دينك أي شيء الحاجة التي جئت بي من أجلها فقال له أن صنعة الكيمياء لا تصلح إلا بحشيش ينبت في المحل الذي يمر به السحاب وينقطع عليه وهو هذا الجبل والحشيش فوقه فإذا حصلنا الحشيس أريك أي شيء هذه الصنعة فقال له حسن من خوفه نعم يا سيدي وقد يئس من الحياة وبكى لفراق أمه وأهله ووطنه وندم على مخالفته أمه وأنشد هذين البيتين:

تأم . ـل صـ . ـنع ربـ . ـك كيـ . ـف تـ . ـأتي ... لـ . ـك السـ . ـراء مـ . ـع فـ . ـرج قريـ . ـب

ولا تيـ . ـأس إذا مـ . ـا نلـ . ـت خطبـ . ـاً ... فكم فـ ـي الخطـ ـب مـ ـن لطـ ـف عجيـ ـب

ولم يزالوا سائرين إلى أن وصلا إلى ذلك الجبل ووقفا تحته فنظر حسن فوق ذلك الجبل قصراً وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٣٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن المجوسي وحسن لما وصلا إلى الجبل ووقفا تحته فنظر حسن فوق ذلك الجبل قصراً فقال للمجوسي ما هذا القصر فقال المجوسي هذا مسكن الجان والغيلان والشياطين ثم أن المجوسي نزل من فوق نجيبه وأمره بالنزول وقام إليه وقبل رأسه وقال لا تؤاخذني بما فعلته معك فأنا أحفظك عند طلوعك القصر وينبغي أنك لا تخونني في شيء من الذي تحضره منه وأكون أنا وأنت فيه سواء فقال السمع والطاعة ثم أن الأعجمي فتح جراباً وأخرج منه طاحوناً وأخرج منه أيضاً مقداراً من القمح وطحنه على تلك الطاحون وعجن منه ثلاثة أقراص وأوقد النار وخبز الأقراص ثم أخرج منه أيضاً الطبل النحاس والزخمة المنقوشة ودق الطبل فحضرت النجائب فأختار منها نجيباً وذبحه وسلخ جلده ثم التفت إلى حسن وقال له اسمع يا ولدي يا حسن أما أوصيك به قال له نعم قال أدخل في هذا الجلد وأخيط عليك وأطرحك على الأرض فتأتي طيور الرخ فتحملك وتطير بك إلى أعلى الجبل وخذ هذه السكين معك فإذا فرغت من طيرانها وعرفت أنها حطتك فوق الجبل فشق بها الجلد وأخرج فإن الطير يخاف منك ويطير عنك وطل لي من فوق الجبل وكلمني حتى أخبرك بالذي تعمله ثم هيأ له الثلاثة أقراص وركوة فيها ماء وحطها معه في الجلد وبعد ذلك خبطه عليه ثم بعد عنه فجاء طير الرخم وحمله وطار به إلى أعلى الجبل ووضعه هناك فلما عرف حسن أن الرخم وضعه على الجبل شق الجلد وخرج منه وكلم المجوسي فلما سمع المجوسي كلامه وفرح ورقص من شدة الفرح وقال له أمض إلى ورائك ومهما رأيته فاعلمني به فمضى حسن فرأى رمما كثيرة وعندهم حطب كثير فأخبره بجميع ما رآه فقال له هذا هو المقصود والمطلوب فخذ من الحطب ست حزم وأرمها إلي فإنها هي التي نعملها كيمياء فرمى له الست حزم فلما رأي المجوسي تلك الحزم قد وصلت عنده قال لحسن يا علق قد انقضت الحاجة التي أردتها منك وأن شئت فدم على هذا الجبل أو ألق

نفسك على الأرض حتى تهلك ثم مضى المجوسي فقال حسن لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم قد مك ر بي هذا الكلب فقعد ينوح على نفسه وأنشد هذه الأبيات:

إذا أراد الله أم . . . . . . راً ب . . . . . . امريء   وك . ان دا عق . ل وس . مع وبص . ر
أص . . م أذني . . ـه وأعم . . ي قلب . . ـه   رس . ل من . ـه عقل . ـه س . ل الش . عر
حت . . ى إذا أنق . . ذ في . . ـه حكم . . ـه   رد إلي . . . ـه عقل . . . ـه ليعتب . . . ر
ف . لا تق . ل فيم . ا ج . رى كي . ف ج . رى   فك . . ل ش . . يء بقض . . اء وق . . در

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٣٧٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن المجوسي لما طلع حسن الجبل ورمى له حاجته من فوقه وبخ ـه ث م تركه وسار فقال حسن لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم قد مكر بي هذا الكلب الملعون ثم أنه وقف على قدميه والتفت يميناً وشمالاً ثم مضى فوق الجبل وأيقن في نفسه بالموت وصار يتمشى حت ى وص ل إل ى الطرف الآخر من الجبل فرأي بجنب الجبل بحراً أزرق متلاطم الأمواج قد أزبد وكل موجة من ـه كالجب ل العظيم فقعد وقرأ ما تيسر من القرآن وسأل الله تعالى أن يهون عليه أما بالموت وأما ب الخلاص م ن ه ذه الشدائد ثم صلى على نفسه صلاة الجنازة ورمي نفسه في البحر فحملته الأمواج على سلامة الله تعالى إلى أن طلع من البحر سالماً بقدرة الله تعالى ففرح وحمد الله تعالى وشكره ثم قام يمشي ويفتش على ش يء يأكل ـه فبينما هو كذلك وإذا هو بالمكان الذي كان فيه هو وبهرام المجوسي ثم مشي ساعة فإذا هو بقص ر عظ يم شاهق في الهواء فدخله فإذا هو القصر الذي كان سأله عنه المجوسي وقال له أن هذا القصر فيه عدوى فقال حسن والله لا بد من دخولي هذا القصر لعل الفرج يحصل لي فلما رأى بابه مفتوحاً دخل من الب اب ف رأى مصطبة في الدهليز وعلى المصطبة بنتان كالقمران بين أيديهما رقعة شطرنج وهما يلعبان فرفع ت واح دة منهما راسها إليه وصاحت من فرحتها وقالت والله أن هذا آدمي وأظنه الذي جاء به بهرام المجوسي في هذه السنة فلما سمع حسن كلامها رمي نفسه بين أيديهما وبكى بكاء شديداً وقال يا سيدتي هو أنا ذل ك المس كين فقالت البنت الصغرى لأختها الكبرى أشهدي على يا أختي أن هذا أخي في عهد الله وميثاق ـه وأن ي أم وت لموته وأحيا لحياته وافرح لفرحه وأحزن لحزنه ثم قامت له وعانقته وقبلته وأخذته من يده ودخلت به القصر وأختها معها وقلعته ما كان عليه من الثياب الرثة وأتت له ببدلة من ملابس الملوك والبسته أياها وهيأت ل ـه الطعام من سائر الألوان وقدمته له وقعدت هي وأختها وقالا له احك لنا حكايتك مع الكلب الفاجر الساحر من حين وقعت في يده إلى حين خلصت منه ونحن نحكيلكٍ بأخرى لنا معه من أول الأمر إلى آخره حتى تصير على حذر إذا رأيته فلما سمع حسن منهما هذا الكلام ورأي الأقبال مهما عليه أطمأنت نفسه ورجع له عقل ـه وصار يحدثهما بما جرت له مع الجوسى من الاول إلى الآخر فقالتا له هل سألته عن هذا القصر ق ال نع م سألته فقال لي لا أحب سيرته لانه يسكنه الشياطين والأبالسة فغضبت البنتان غضباً شديداً وقالتا ه ل جعلن ا هذا الكافر شياطين وأبالسة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٣٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن البنتان قالتا قد جعلنا المجوسي شياطين وأبالسة قال حسن نعم فقالت الصغيرة أخت حسن والله لا قتلنه أقبح قتله ولأعدمنه نسيم الدنيا وكيف تصلين إليه وتقتلينه قالت هو في بستان يسمى المشيد ولابد من قتله قريباً فقالت لأختها صدق حسن وكل ما قاله عن هذا الكلب صحيح ولكن حدثيه بحديثه حتى يبقى في ذهنه فقالت البنت الصغيرة اعلم يا أخي أننا من بنات ملك من ملوك الجان العظام الشان له جنود وأعوان وخدم من المرده ورزقه الله تعالى بسبع بنات من امرأة واحدة وبلغ من الغيرة وعزة النفس مالا يزيد عليه حتى أنه لم يزوجنا لأحد من الرجال ثم أنه أحضر وزرائه وأصحابه وقال لهم هل أنتم تعرفون لي مكاناً لا يطرقه طارق لا من الأنس ولا من الجن ويكون كثير الأشجار والأثمار والأنهار فقالوا له ما الذي تصنع به يا ملك الزمان فقال أريد أن أجعل فيه بناتي السبعة فقالوا له يصلح لهن قصر جبل السحاب الذي كان أنشأه عفريت من الجن المردة الذين تمردوا على عهد سليمان عليه السلام فلما هلك لم يسكنه أحد بعده لا من الجن ولا من الأنس لأنه منقطع لا يصل إليه أحد وحوله الأشجار والأثمار والأنهار وحوله ماء أحلى من الشهد وأبرد من الثلج ما شرب منه أحد به برص أو جزام أو غيرهما إلا عوفي من وقته وساعته فلما سمع والدنا بذلك أرسلنا إلى هذا القصر وأرسل معنا العساكر والجنود وجمع لنا ما نحتاج إليه وكان إذا أراد الركوب يضرب الطبل فيحضر له جميع الجنود فيختار ما يركبه منهم وينصرف الباقون فإذا أراد والدنا أننا نحضر عنده أمر اتباعه من السحرة بإحضار نافيأتوننا ويأخذوننا ويوصلوننا بين يديه حتى يأنس بنا ونقضي أغراضنا منه ثم يرجعوننا إلى مكاننا ونحن لنا خمس أخوات ذهبن يتصيدن في هذه الفلاة فإن فيها من الوحوش مالاً يعد ولا يحصى وكل أثنين منا عليهما نوبه في القعود لتسوية الطعام فجاءت النوبة علينا أنا وأختي هذه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٣٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن البنت قالت لحسن أن لنا خمس أخوات ذهبن يتصيدن وكل أثنين منا عليهما نوبة في القعود لتسوية الطعام وجاءت النوبة علينا أنا وأختي هذه فقعدنا لنسوي لهن الطعام وكنا نسأل الله سبحانه وتعالى أن يرزقنا شخصاً آدمياً يؤانسنا فالحمد لله الذي أوصلك إلينا قطب نفساً وقر عيناً ما عليك بأس ففرح حصن وقال الحمد لله الذي هدانا إلى طريق الخلاص وحنن علينا القلوب ثم قامت وأخذته من يده وأدخلته مقصورة وأخرجت منها من القماش والفرش مالا يقدر عليه أحد من المخلوقات ثم بعد ساعة حضر أخواتهما من الصيد والقنص فأخبرتاهن في أطيب عيش وأهني سرور وصار يخرج معهن إلى الصيد والقنص ويذبح الصيد وأستأنس حسن بهن ولم يزل معهن على هذه الحالة حتى صح جسده وبريء من الذي كان به وقوي جسمه وغلظ وسمن بسبب ما هو فيه من الكرامة وقعوده عندهن في ذلك الموضع وهو يتفرج ويتفسح معهن في القصر المزخرف وفي البساتين والأزهار وهن يأخذن بخاطره ويؤانسه بالكلام وقد زالت عنه الوحشة وزادت البنات به فرحاً وسروراً وكذلك هو فرح بهن أكثر مما فرحن به ثم أبنته الصغيرة حدثت أختها بحديث بهرام المجرسي وأنه يقول عليهن شياطين وأبالسةوغيلان فحلفن لها انه لابد من قتله فلما كان العام الثانى حضر الملعون ومعه شاب مليح مسلم كأنه القمر وهو مقيد بقيده ومعذب غاية العذاب فنزل به

تحت القصر الذى دخل فيه حسن على البنات وكان حسن جالسا على النهر تحت الاشجار فلما رآه حسن خفق قلبه وتغير لونه وضرب بكفيه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٣٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن حسنة الصائغ لما رأى المجوس حقق عليه وتغير لونه وضرب بكفيه وقال بالله يا أخواتي أعينوني على قتل هذا الملعون فها هو قد حضر وصار في قبضتكن ومعه شاب مسلم أسيراً من أولاد الناس الأكابر وهو يعذبه بأنواع العذاب الأليم وقصدي أن أقتله وأشفى فؤادي منه وأريح هذا الشاب من عذابه وأكسب الثواب ويرجع الشاب المسلم إلى وطنه فيجتمع شمله مع أخوانه وأهله وأحبابه ويكون ذلك صدقة عنكن وتفزن بالأجر من الله تعالى فقال له البنات السمع والطاعة لله ولك يا حسن ثم أنهن ضربن لهن لثامات ولبس أدوات آلات الحرب وتقلدن بالسيوف وأحضرن لحسن جواداً من أحسن الخيل وهيأته بعدة كاملة وسلحنه سلاحاً مليحاً ثم ساروا جميعاً فوجدوا المجوسي قد ذبح جملاً وسلخنه وهو يعاقب الشاب ويقول له أدخل هذا الجلد فجاء حسن من خلفه والمجوسي ما عنده علم به وصاح عليه فأذهله وخبله ثم تقدم إليه وقال له أمسك يدك يا ملعون يا عدو الله وعدو المسلمين يا كلب يا غدار ياعابد النار يا سالك طريق الفجار اتعبد النار والنور وتقسم بالظل والحرور فالتفت المجوسي فرأى حسناً فقال له ياولدي كيف تخلصت ومن أنزلك إلى الأرض فقال له حسن خلصني الله الذي جعل قبض روحك على يد أعدائك كما عدبتني طول الطريق يا كافر يازنديق قد وقعت في الضيق وزغت عن الطريق فلا أم تنفعك ولا أخ ولا صديق ولا عهد وثيق أنك قلت من يخون العيش والملح ينتقم الله منه وأنت خنت الخبز والملح فأوقعك الله في قبضتي ومنه خلاصك مني بعيداً فقال له المجوسي والله يا ولدي أنت أعز من روحي ومن نور عيني فتقدم إليه حسن وعجل عليه بضربة على عاتقه فخرج السيف يلمع من علائقه وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار ثم أن حسناً أخذ الجراب الذي كان معه وفتحه وأخرج الطبل منه والزخمة وضرب بها على الطبل فجاءت النجائب مثل البرق إلى حسن فحل الشاب من وثاقه وأركبه نجيباً وحمل له الباقي زاداً وماء وقال له توجه إلى مقصدك فتوجه بعد أن خلصه الله من الضيق على يد حسن ثم أن البنات لما رأين حسناً ضرب رقبة المجوسي فرحن به فرحاً شديداً ودرن حوله وتعجبن من شجاعته ومن شدة بأسه وشكرنه على ما فعل وهنينه بالسلامة وقلن له يا حسن لقد فعلت فعلاً شفيت به الغليل وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٣٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن البنات قلن لحسن قد شفيت الغليل وأرضيت به الجليل وسار هو والبنات إلى القصر وأقام معهن وهو في أكل وشرب ولعب وضحك لما بت له إقامة عندهن ونسي أمه فبينما هو معهن في ألذ عيش إذا طلعت عليهم غبرة عظيمة من صدر البرية أظلم لها الجو فقالت له البنات قم يا حسن وأدخل مقصورتك وأختف وأن شئت فأدخل البستان وتوارى بين الشجر والكروم فما عليك باس ثم أنه قام ودخل واختفى في مقصورته وأغلقها عليه من داخل القصر وبعد ساعة انكشف الغبار وبان من تحته عسكر جرار مثل البحر العجاج مقبلاً من عند الملك أبي البنات فلما وصل العسكر أنزلتهم أحسن منزل

وضيفتهم ثلاثة أيام وبعد ذلك سألهم البنات عن حالهم وعن خبرهم فقالوا أننا جئنا من عند الملك في طلب بكن فقلن لهم وما يريد الملك منا قالوا أن بعض الملوك يعمل فرحاً ويريد أن تحضرن ذلك الفرح لتتفرجن فقالت لهم البنت وكم نغيب عن موضعنا فقالوا مدة الرواح والمجيء وإقامة شهرين فقامت البنات ودخلن القصر على حسن وأعلمنه بالحال وقلن له أن هذا الموضع موضعك وبيتنا بيتك فطب نفساً وقر عيناً ولا تخف ولا تحزن فإنه لا أحد يقدر أن يجيء إلينا في هذا المكان فكن مطمئن القلب منشرح الخاطر حتى تحضر إليك وهذه مفاتيح مقاصيرنا معك ولكن يا أخانا نسأل لك بحق الأخوة أنك لا تفتح هذا الباب فإنه ليس لك بفتحه حاجة ثم أنهن ودعنه وأنصرفن صحبة العساكر وقعد حسن في القصر وحده ثم أنه ضاق صدره وفرغ صبره وزاد كربه واستوحش وحزن لفراقهن حزناً عظيماً وضاق عليه القصر مع اتساعه فلما رأى نفسه وحيداً متوحشاً تذكرهن وأنشد هذه الأبيات:

ضـ ـاق الفضـ ـاء جميعـ ـه فـ ـي نـ ـاظري	وتكـ ـ درت منـ ـ ـه جميـ ـ ـع خـ ـ واطري
مـ ـذ صـ ـارت الأحبـ ـاب صـ ـفوى بعـ ـدهم	كـ ـ در ودمعـ ـ ـي فـ ـ ـائض بمحـ ـ اجري
والنـ ـ ـوم فـ ـ ـارق مقلتـ ـ ـي لفـ ـ ـراقهم	وتكـ ـ درت منـ ـ ـي جميـ ـ ـع سـ ـ ـرائري
أتـ ـرى الزمـ ـان يعـ ـود يجمـ ـع شـ ـملنا	ويعـ ـود لـ ـي الفـ ـي بهـ ـم ومسـ ـامري

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٣٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن حسنا بعد ذهاب البنات من عنده قعد في القصر وحده فضاق صدره من فراقهن ثم أنه صار يذهب وحده إلى الصيد في البراري فيأتي به ويذبحه ويأكل وحده فزادت به الوحشة والقلق من انفراده فقام ودار في القصر وفتش جميع جهاته وفتح مقاصير البنات فرأى فيها من الأموال ما يذهب عقول الناظرين وهو لا يلتذ بشيء من ذلك بسبب غيبتهن والتهبت في قلبه النار من أجل الباب الذي أوصته أخته بعدم فتحه وأمرته أنه لا يقربه ولا يفتحه أبداً فقال في نفسه ما أوصتني أختي بعدم فتح هذا الباب إلا لكونه فيه شيء تريد أن لا يطلع عليه أحد والله أني لا أقوم وأفتحه وأنظر ما فيه ولو كان فيه المنية فأخذ المفتاح وفتحه فلم ير فيه شيئاً من المال ولكنه رأى سلماً في صدر المكان معقوداً بحجر من جزع يماني فرقي على ذلك السلم وصعد إلى أن وصل إلى سطح القصر فقال في نفسه هذا الذي منعتني أختي عنه ودار فوقه فأشرف على مكان تحت القصر مملوء بالمزارع والبساتين والأشجار والأزهار والوحوش والطيور وهي تغرد وتسبح الله الواحد القهار وصار يتأمل في تلك المتنزهات فرأى بحراً عجاجاً متلاطماً بالأمواج ولم يزل دائر حول ذلك القصر يميناً وشمالاً حتى انتهى إلى قصر على أربعة أعمدة فرأى فيه مقعداً منقوشاً بسائر الأحجار كالياقوت والزمرد والبلخش وأصناف الجواهر وهو مبني طوبة من فضة وطوبة من ذهب وطوبة من ياقوت وطوبة من زمرد أخضر وفي ذلك القصر بحيرة ملآنة بالماء وعليها مكعب من الصندل وعود الند وهو مشبك بقضبان الذهب الأحمر والزمرد الأخضر مزركش بأنواع الجواهر واللؤلؤ الذي كل حبة منه قدر بيضة الحمامة وعلى جانب البحيرة تخت من العود الند مرصع بالدرر والجوهر مشبك بالذهب الأحمر وفيه من سائر الفصوص الملونة والمعادن النفيسة وهي في الترصيع يقابل بعضها بعضاً وحوله

الأطيار تغرد بلغات مختلفة وتسبح الله تعالى بحسن أصواتها واختلاف لغاتها وهذا القصر لـ م يمل ك مثل ه كسرى ولا قيصر فاندهش حسن لما رأى ذلك وجلس فيه ينظر ما حوله فبينما هو جالس فيه وهو متعج ب من حسن صنعته ومن بهجة ما حواه من الدر والياقوت وما فيه من سائر الصناعات ومتعجب أيضاً من تلك المزارع والأطيار التي تسبح الله الواحد القهار ويتأمل في آثار من أقدره الله تعالى على عمارة هذا القصـ ر العظيم فأنه عظيم الشأن وإذا هو بعشر طيور قد أقبلوا من جهة البر وهم يقصدون ذلك القصر وتلك البحيرة فعرف حسن أنهم يقصدون تلك البحيرة ليشربوا من مائها فأستتر منهم خوفاً أن ينظروه فيفروا منه ثم أنه م نزلوا على شجرة عظيمة مليحة وأداروا حولها فنظر منهم طيراً عظيماً مليحاً وهو أحسن ما ف يهم والبقي ة محتاطون به وهم في خدمته فتعجب حسن من ذلك وصار ذلك الطير ينقر التسعة بمنقاره ويتعاظم عليهم وهم يهربون منه وحسن واقف يتفرج إليهم من بعيد ثم أنهم جلسوا على السرير وشق كل طير منهم جلده بمخالبه وخرج منه فإذا هو ثوب من ريش وقد خرج من الثياب عشر بنات أبكار يفضحن بحسنهن بهجة الأقمار فلما تعرين من ثيابهن نزلن كلهن في البحيرة وأغتسلن وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٣٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن البنات لما نزلن كلهن في البحيرة واغتسلن وصرن يلعبن ويتم ازحن وصارت الطيرة الفائقة عليهن ترميهن وتغطسن فيهربن منها ولا يقدرون أن يمددن أيديهن إليها فلما نظره ا حسن غاب عن صوابه وأنسلب عقله وعرف أن البنات ما نهينه عن فتح هذا الباب إلا لهذا السـ بب فشـ غف حسن بها حباً لما رأى من حسنها وجمالها وقدها واعتدالها وهي في لعب ومزاح ومراشة بالماء وحسن واقف ينظر إليهن ويتحسر حيث لم يكن معهن وقد حار عقله من حسن الجارية الكبيرة وتعلق قلبه بمحبتها ووقع في شرك هواها والعين ناظرة وفي القلب نار محرقة والنفس أمارة بالسوء فبكى حسن شوقاً لحسـ نها وجمالهـ ا وانطلقت في قلبه النيران من أجلها وزاد به لهيب لا يطفأ شرره وغرام لا يخفي أثره ثم بعـ د ذلـ ك طلعـ ت البنات من تلك البحيرة وحسن واقف ينظر إليهن وهن لا ينظرنه وهو يتعجب من حسنهن وجمالهن ولطـ ف معانيهن وظرف شمائلهن فحانت منه التفاتة فنظر حسن إلى الجارية الكبيرة وهي عريانة فبان له مـ ا بـ ين فخذيها وهو قبة عظيمة مدورة بأربعة أركان كأنه طاسة من فضة أو بلور يذكر قول الشاعر:

ولمـ ـا كشـ ـفت الثـ ـوب عـ ـن سـ ـطح كسـ ـها وجـ ـدت بـ ـه ضـ ـيقاً كخلقـ ـى وأرزاقـ ـي
فأولجـ . .ـت فيهـ . .ـا نصـ . .ـفه فتنهـ . .ـدت فقلـ ـت لمـ ـا هـ ـذا قالـ ـت علـ ـى البـ ـاقي

فلما خرجن من الماء لبست كل واحدة ثيابها وحليها وأما الجارية الكبيرة فأنها لبست حلـ ـة خضـ ـراء ففاقت بجمالها ملاح الآفاق وزهت ببهجة وجهها على بدور الأشراق وفاقت على الغصـ ـون بحسـ ـن التثنـ ـي وأزهلت العقول بوهم التمني وهي كما قال الشاعر:

وجاريـ . . ـة فـ . . ـي نشـ . . ـاط بـ . . ـدت تـ ـرى الشـ ـمس مـ ـن خـ ـدها مسـ ـتعارة
أتـ . ـت فـ . ـي قمـ . ـيص لهـ . ـا أخضـ . ـر كخضـ . ـر الغصـ . ـون علـ . ـى جلنـ . ـاره
فقلـ . ـت لهـ . ـا مـ . ـا اسـ . ـم هـ . ـذا اللبـ . ـاس فقالـ . .ـت كـ . .ـلام ملـ . .ـيح العبـ . .ـارة
شـ . . . . ققنا مرائـ . . . . ـر أحبابنـ . . . . ـا ففـ . .ـاح نسـ . .ـيم يشـ . .ـق المـ . .ـرارة

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٣٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن حسناً لما رأى البنات قد خرجن من البحيرة والكبيرة فيهن أخذت عقله بحسنها وجمالها أنشد تلك الأبيات ثم أن البنات لما لبسن ثيابهن جلسن يتحدثن ويتضاحكن وحسن واقف ينظر إليهن وهو غريق في بحر عشقه وتائه في وادي فكره وهو يقول في نفسه والله ما قالت لي أختي لا تفتح هذا الباب إلا من شأن هؤلاء البنات وخوفاً من أن أتعلق بأحداهن ثم أنه صار ينظر في محاسن هذا الباب إلا من شأن هؤلاء البنات وخوفاً فكره وهو يقول في نفسه والله ما قالت لي أختي لا تفتح هذا الباب إلا م ن ش أن هؤلاء البنات وخوفاً من أن أتعلق بأحداهن ثم أنه صار ينظر في محاسن هذه الجارية وكانت أجمل ما خل ق الله في وقتها وقد فاقت بحسنها جميع البشر لها فم كأنه خاتم سليمان وشعر أسود من اللي ل الص دود عل ى الكئيب الولهان وغرة كهلال عيد رمضان وعيون تحاكي عيون الغزلان وأنف أقنى كثير اللمع ان وخ دان كأنهما شقائق النعمان وشفتان كأنهما مرجان وأسنان كأنهما لؤلؤ منظوم في قلائد العقبان وعنق كسبيكة فضة فوق قامة كغصن البان وبطن طيات وأركان يبتهل فيها العاشق الولهان وسرة تسع أوقية مسك طيب الأردان وأفخاذ غلاظ سمان كأنهما عواميد رخام أو مخدتان محشوتان من ريش النعام وبينهما ش يء كأن ه أعظ م العقبان وأرنب مقطوش الأذان وله سطوح وأركان هذه الصبية فاقت بحسنها وقدها على غصون البان وعلى قضيب الخيزران وهي كاملة كما قال فيها الشاعر الولهان:

وبيض .اء أض .حى ريق .اً ح .اكى الش .هد	لها مقلة أمضي م ن الص ارم الهن دي
وتخج .ل غص .ن الب .ان م .ن حركاته .ا	إذا ابتسمت ف البرق م ن ثغره ا تب دي
وقايس . ت ب . الورد المص . فف خ . دها	فص دت وقال ت م ن يق ايس ب الورد
وش .به بالرم .ان نه .دي فم .ا اس .تحي	ومن أين للرمان غص ن ح وى نه دي
وح . ق جم . الي والعي . ون وبهجت . ي	وجن ة وص لى والتس عر م ن ص دي
ل . ئن ع . اد للتش . بيه حق . اً حرمت . ه	لذي . ذ وص . الي ث . م أقلب . ه بالص . د
يقول . ون ف . ي البس . تان ورد مص . فف	وم .ا ورده خ .دي ولا غص .نه ق .دي
إذا ك .ان مثل .ي ف .ي البس .اتين عن .ده	فم اذا ال ذي ق د ج اء يطلب ه عن دي

ثم أن البنات لم يزلن في ضحك ولعب وهو واقف على قدميه ينظر غليهن ونسي الأكل والشرب إل ى أن قرب العصر فقالت الصبية لصواحبها يا بنات الملوك أن الوقت أمسى علينا وبلاد جديدة ونحن قد س ئمنا من المقام هنا فقمن لنروح محلنا فقامت كل واحدة منهن ولبست ثوبها وهي ملما أندرجن في ثيابهن ص رن طيوراً كما كن أولاً وطرن كلهن سوية وتلك الصبية في وسطهن تلبس حسن منهن وأراد أن يقوم وينزل فلم يقدر أن يقوم وصار دمعه يجري على خده ثم أشتد به الغرام فأنشد هذه الأبيات:

حرم .ت وف .اء العه .د إن كن .ت بع .دكم	عرف .ت لذي .ذ الن .وم كي .ف يك .ون
ولا أغمض . ت عين . اي بع . د ف . راقكم	ولا ل . ذلي بع . د الرحي . ل س . كون
يخي .ل ل .ي ف .ي الن .وم أن .ي أراك .م	في . ا لي . ت أح . لام المن . ام يق . ين
وأن ي لا ه وى الن وم م ن غي ر حاج ة	لع . ل لق . اكم ف . ي المن . ام يك . ون

ثم أن حسن مشى قليلاً وهو لا يهتدي إلى الطريق حتى نزل إلى أسفل القصر ولم يزل يرجف إلى أن وصل إلى باب المخدع فدخل وأغلقه عليه وأضطجع عليلاً لا يأكل ولا يشرب وهو غريق في بحر أفكاره فبكي وناح على نفسه إلى الصباح فلما أصبح الصباح أنشد هذه الأبيات:

فط . ارت طي . ور بالعش . اء وص . احوا   ومن مات وجدا وجدا م ا علي ه جن اح
أس . ر ح . ديث العش . ق م ا أمك . ن البق ا   وأن غل . ب الش . وق الش . ديد ب . اح
سر طي ف م ن يحك ي بطلعت ه الض حي   ول . يس لليل . ى ف . ي الغ . رام ص . باح
أن . . وح عل . . يهم والخلي . . ون ن . . وم   ولق د لعب ت ب ي ف ي الغ رام ري اح
س . محت ب . دمعي ث . م م . الي ومهجت . ي   وعقل . ي وروح . ي والس . ماح رب . اح
وأق . . . بح أن . . . واع المك . . . اره والأذى   إذا ك . ان م . ن عن . د الم . لاح كف . اح
يقول . . ون وص . . ل الغاني . . ات مح . . رم   وس . فك دم . اء العاش . قين مب . اح
وم ا حيل ة المض ني س وى ب ذل نفس ه   يج ود به ا ف ي الح ب وه و م زاح
اص . . يح اش . . تياقاً للحبي . . ب ولوع . . ة   وغاي . ة جه . د المس . تهام ص . ياح

فلما أطلعت الشمس فتح باب المخدع وطلع إلى المكان الذي كان فيه أولاً وجل س ف ي مك ان قب ال المنظرة إلى أن أقبل الليل فلم يحضر أحد من الطيور وهو جالس في انتظارهم فبكي بكاء شديداً حتى غش ي عليه ووقع على الأرض مطروحاً فلما أفاق من غشيته زحف ونزل إلى أسفل القصر وقد أقبل الليل وضاقت عليه الدنيا بأسرها ومازال يبكي وينوح على نفسه طول ليله إلى أن أتى الص باح وطلع ت الش مس عل ى الروابي والبطاح وهو لا يأكل ولا يشرب ولا ينام ولا يقر له قرار وفي نهاره حيران وف ي ليل ه س هران مدهوش سكران من الفكر الذي هو فيه ومن شدة الغرام أنشد قول الشاعر الولهان:

أمخجل ة الش مس المني رة ف ي الض حي   وفاضحة الأغصان من حيث لا ت دري
ت . . رى تس . . مح الأي . . ام من . . ك بع . . ودة   وتخم د ني ران توق د ف ي س ري
ويجمعن . . . ا عن . . . د اللق . . . اء تع . . . انق   وخدك في خدي وتحرك ف ي نح ري
فم . . ن ق . . ال أن الح . . ب في . . ه ح . . لاوة   ففي الح ب أي ام أم ر م ن الص بر

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٤٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن حسنا الصائغ لما زاد عشقه أنشد الأشعار وهو في القصر وحده ول م يجد من يؤانسه فبينما هو في شدة ولهه وإذا هو بغبرة قد طلعت من البر فقام يجري إل ى أس فل وأختف ى وعرف أن أصحاب القصر قد أتو فلم يكن غير ساعة إلا والعسكر قد نزلوا وداروا بالقصر ونزل ت الس بع بنات ودخلن القصر فنزعن سلاحهن وما كان عليهن من آلات الحرب وأما البنت الصغيرة أخته فأنه ا ل م تنزع ما عليها من آلة الحرب بل جاءت إلى مقصورة حسن فلم تره ففتشت عليه فوجدته ف ي مخ دع م ن المخادع وهو ضعيف نحيل قد كل جسمه ورق عظمه وأصفر لونه وغابت عيناه في وجهه من قل ة الإ ك ل والشرب ومن كثرة الدموع بسبب تعلقه بالصبية وعشقه لها فلما رأته أخته الجنية على هذه الحالة اندهش ت

وغاب عنها عقلها فسألته عن حاله وما هو فيه وأي شيء أصابه وقالت له أخبرني يا أخي حتى أتحيل لك في كشف ضرك وأكون فداءك فبكي بكاء شديداً وأنشد يقول:

محـ . ـب إذا مـ . ـا بـ . ـان عنـ . ـه حبيبـ . ـه	فلـ . ـيس لـ . ـه إلا الكآبـ . ـة والضـ . ـر
فباطنـ . . ـه سـ . . ـقم وظـ . . ـاهره جـ . . ـوي	وأولـ . . ـه ذكـ . . ـر وآخـ . ـره فكـ . . ـر

فلما سمعت منه أخته ذلك تعجبت من فصاحته ومن بلاغة قوله ومن حسن لفظه ومجاوبته لها بالشعر فقالت له يا أخي متى وقعت في هذا الأمر الذي أنت فيه ومتى حصل لك فأني أراك تتكلم بالأشعار وترخـ ـي الدموع الغزار فبالله عليك يا أخي وحرمة الحب الذي بيني وبينك أن تخبرني بحالك وتطلعني على سرك ولا تخف مني شيئاً مما جرى لك في غيابنا فإنه قد ضاق صدري وتكدر عيشي بسببك فتنهد وأرخى الدموع مثل المطر وقال أخاف يا أختي إذا أخبرتك أنك لا تساعديني على مطلوبي وتتركيني أموت كمداً بغصتي فقالت لا والله يا أخي ما أتخلى عنك ولو كانت روحي تروح فحدثها بما جرى له وما عاينه حين فتح الباب وأخبرهـ ـا أن سبب الضرر والبلاء عشق الصبية التي رآها ومحبته لها وأن له عشرة أيام لم يستطعم بطعام ولا شراب ثم أنه بكى بكاء شديداً وأنشد هذين البيتين:

ردوا الفـ ـؤاد كمـ ـا عهـ ـدت إلـ ـى الحشـ ـا	والمقلتين إلـ ـى الكـ ـري ثـ ـم أهجـ ـروا
أزعمـ . . . ـتم أن الليـ . . . ـالي غيـ . . . ـرت	عهـ ـد الهـ ـوى لا كـ ـان مـ ـن يتغيـ ـر

فبكت أخته لبكائه ورقت لحاله ورحمت غربته ثم قالت له يا أخي طب نفساً وقر عيـ ـناً فأنـ ـا أخـ ـاطر بنفسي معك وأبذل روحي في رضاك وأدبر لك حيلة ولو كان فيها ذهاب نفائسي ونفسي حتى أقضي غرضك إن شاء الله تعالى ولكن أوصيك يا أخي بكتمان السرعن أخواتي فلا تظهر حالك على واحدة منهن لئلا تروح روحي وروحك وأن سألنك عن فتح الباب فقل لهن ما فتحته أبدولكن أنا مشغول القلب من أجل غيابكن عني ووحشتي اليكن وقعودي في القصر وحدي فقال لها نعم هذا هو الصواب ثم أنه قبل رأسها وطـ ـاب خـ ـاطره وانشرح صدره وكان خائفاً من أخته بسبب فتح الباب فردت إليه روحه بعد أن كان مشرفاً على الهلاك مـ ـن شدة الخوف ثم أنه طلب من أخته شيئاً يأكله فقامت وخرجت من عنده ثم دخلت على أخواتها وهـ ـي حزيـ ـنة باكية عليه فسألتها عن حالها فأخبرتهن أن خاطرها مشغول على أخيها وأنه مريض وله عشرة أيام ما نـ ـزل في بطنه زاد أبداً فسألنها عن سبب مرضه فقالت لهن سببه غيابنا عنه لأننا أوحشناه فإن هـ ـذه الأيـ ـام التـ ـي غبناها عنه كانت عليه أطول من ألف عام وهو معذور لأنه غريب ووحيد ونحن تركناه وحده وليس عنده من يؤانسه ولا من يطيب خاطره وهو شاب صغير على كل حال وربما تذكر أهله وأمه وهي امرأة كبيرة فظـ ـن أنها تبكي عليه أناء الليل وأطراف النهار ولم تزل حزينة عليه وكنا نسليه بصحبتنا له فلمـ ـا سـ ـمع أخواتهـ ـا كلامها يكين من شدة التأسف عليه وقلن لها والله أنه معدور ثم خرجن إلى العسكر وصرفنهم ودخلن علـ ـى حسن فسلمن عليه ورأينه قد تغيرت محاسنه وأصفر لونه وانتحل جسمه فبكين شفقة عليه وقعدن عنده وآنسنه وطيبن قلبه بالحديث وحكين له جميع ما رأين من العجائب والغرائب وما جرى للعريس مع العروسة ثـ ـم أن البنات أقمن عنده مدة شهر كامل وهن يؤانسنه ويلاطفنه وهو كل يوم يزداد مرضاً على مرضه وكلما رأينه

على هذه الحالة يبكين عليه بكاء شديداً وأكثرهن بكاء البنت الصغيرة ثم بعد الشـهر اشـتاقت البنـات إلـى الركوب للصيد والقنص فعزمن على ذلك وسألن أختهن الصغيرة أن تركب معهن فقالت لهن والله يا أخواتي ما أقدر أن أخرج معكن وأخي على هذه الحالة حتى يتعافى ويزول عنه ما هو فيه من الضرر بـل أجلـس عنده لا علله فلما سمعن كلامها شكرنها على مروءتها وقلن لها كل ما تفعلينه مع هذا الغريب تؤجرين عليـه ثم تركنها عنده في القصر وركبن وأخذن معهن زاد عشرين يوماً وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٤١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن البنات لما ركبن ورحن إلى الصيد والقنص تركن أختهن الصغيرة قاعدة عند حسن فلما بعدن عن القصر وعرفت أختهن أنهن قطعن مسافة بعيدة أقبلت على أخيها وقالت له يا أخي قم أرني هذا الموضع الذي رأيت فيه البنات فقال باسم الله على الرأس وفرح بقولها وأيقن ببلوغ مقصوده ثم أنه أراد أن يقوم معها ويريها المكان فلم يقدر على المشي فحملته في حضنها وجاءت إلى القصر فلما صار فوقه أراها الموضع الذي رأى فيه البنات وأراها المقعد وبركة الماء فقالت له أخته صف لي يا أخي حالهن كيف جئن فوصف لها ما رأى منهن وخصوصاً البنت التي تعلق بها فلما سمعت وصفها عرفتها فاصفر وجهها وتغير حالها فقال لها يا أختي قد أصفر وجهك وتغيرت حالتك فقالت له يا أخي أعلم أن هذه الصبية بنت ملك من ملوك الجان العظام الشان قد ملك أبوها أنساً وجاناً وسحرة وكهاناً وأرهاطاً وأعواناً وأقاليم وبلدان كثيرة وأموالاً عظاماً وأبونا نائب من جملة نوابه فلا يقدر عليه أحد من كثرة عساكره وأتساع مملكته وكثرة ماله وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

{تم المجلد الثالث من ألف ليلة وليلة ويليه المجلد الرابع وأوله ليلة ٧٤٢]

فهرست المجلد الثالث من كتاب ألف ليلة وليلة

(تم الفهرست)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

(وفي ليلة ٧٤٣) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أخته قالت له وأبو نائب من جملة نوابه فلا يقدر عليه من كثرة عساكره واتساع مملكته وكثرة ماله وقد جعل لأولاده البنات التي رأيتهن مسيرة سنة كاملة طولاً وعرضاً وقد زاد على ذلك القطر نهر عظيم محيط به فلا يقدر أحد أن يصل إلى ذلك المكان لا من الأنس ولا من الجان وله من البنات الضاربات بالسيوف الطاعنات بالرماح خمسة وعشرون ألفاً كل واحدة منهن إذا ركبت جوادها ولبست آلة حربها تقاوم ألف فارس من الشجعان وله سبع من البنات فيهن من الشجاعة والفروسية ما في أخواتهن وأزيد وقد ولى على هذا القطر الذي عرفتك به ابنته الكبرى وهي أكبر أخواتها وفيها من الشجاعة والفروسية والخداع والمكر والسحر ما تغلب به أهل مملكتها وأما البنات التي معها فهن أرباب دولتها وأعوانها وخواصها من ملكها وهذه الجلود الريش التي يطرن بها إنما هي صنعة سحرة الجان وإذا أردت أن تملك هذه الصبية وتتزوج بها فأقعد هنا وأنتظرها لأنهن يحضرن على رأس كل شهر في هذا المكان فإذا رأيتهن قد حضرن فاختف وإياك أن تظهر فتروح أرواحنا جميعاً فاعرف الذي أقوله لك وأحفظه في ذهنك وأقعد في مكان يكون قريباً منهن بحيث أنك تراهن وهن لا يرونك فإذا قلعن ثيابهن فألق نظرك على الثوب الريش الذي هو للكبيرة التي في مرادك وخده ولا تأخذ شيئاً غيره فإنه هو الذي يوصلها إلى بلادها فإنك إذا ملكته ملكتها وإياك أن تخدعك وتقول يا من سرق ثوبي رده على وها أنا عندك وبين يديك وفي حوزتك فإنك إن أعطيتها إياه قتلتك وتخرب علينا القصور وتقتل أبانا فاعرف حالك كيف تكون فإذا رأى أخواتها أن ثوبها قد سرق طرن وتركنها قاعدة وحدها فأدخل عليها وأمسكها من شعرها وأجذبها فإذا جذبتها إليك فقد ملكتها وصارت في حوزتك فاحتفظ بعد هذا على الثوب الريش فإنه مادام عندك فهي في قبضتك وأسرك لأنها لا تقدر أن تطير إلى بلادها إلا به فإذا أخذتها فاحملها وأنزل بها إلى مقصورتك ولا تبين لها أنك أخذت الثوب فلما سمع حسن كلام أخته اطمأن قلبه وسكن روعه وزال ما به من الألم ثم انتصب قائماً على قدميه وقبل رأسه أخته وبعد ذلك قاما ونزل من فوق القصر هو وأخته وناما ليلتهما وهو يعالج نفسه إلى أن أصبح الصباح فلما طلعت الشمس قام وفتح الباب وطلع إلى فوق وقعد ولم يزل قاعد إلى العشاء فطلعت له أخته بشيء من الأكل والشرب وغيّر ثيابه ونام ولم نزل معه على هذه الحالة في كل يوم إلى أن هلّ الشهر فلما رأى الهلال صار يرتقبهن فبينما هو كذلك وإذا بهن قد أقبلن عليه مثل البرق فلما رآهن اختفي في مكان بحيث يراهن وهن لا يرينه فنزلت الطيور وقعدت كل طيرة منهن في مكان وقلعن ثيابهن وكذلك البنت التي يحبها وكان ذلك في مكان قريب من حسن ثم نزلت البحيرة مع أخواتها فعند ذلك قام حسن ومشى قليلاً وهو مختلف وستر الله عليه فأخذ الثوب ولم تنظره واحدة منهن بل كن يلعبن مع بعضهن فلما فرغن طلعن ولبست كل واحدة منهن ثوبها الريش وجاءت محبوبته لتلبس ثوبها فلم تجده فصاحت ولطمت على وجهها وشقت ثيابها فأقبلن عليها أخواتها وسألنها عن حالها فأخبرتهن أن ثوبها الريش

قد فقد فبكين وصرخن ولطموا على وجوههن وحين أمسى عليهن الليل لم يقدرن أن يقعدن عند دها فتركنها فوق القصر وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٤٤) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن حسنا لما أخذ ثوب البنت طلبته فلم تجده وطار أخواتها وتركنها وحدها فلما رآهن حسن طرن وغبن عنها أصغي إليها فسمعها تقول يا من أخذ ثوبي وأعراني سألتك أن ترده عليّ وتستر عورتي فلا أذاقك الله حسرتي فلما سمع حسن هذا الكلام منها سلب عقله في عشقها وازدادت محبته لها ولم يطق أن يصبر عنها فقام من مكانه وصار يجري حتى هجم عليها وأمسكها ثم جذبها إليه ونزل بها إلى أسفل القصر وأدخلها مقصورته ورمي عليها عباءته وهي تبكي وتعض على يديها فأغلق عليها الباب وراح لأخته وأعلمها أنه حصلها وظفر بها ونزل بها إلى مقصورته وقال لها أنها الآن قاعدة تبكي وتعض على يديها فلما سمعت أخته كلامه قامت وتوجهت إلى المقصورة ودخلت عليها فرأتها تبكي وهي حزينة فقبلت الأرض بين يديها ثم سلمت عليها فقالت لها الصبية يا بنت الملك أهكذا تفعل الناس مثلكم هذه الفعال الرديئة مع بنات الملوك وأنت تعرفين إن أبي ملك عظيم وأن جميع ملوك الجان تفزع منه وتخاف من سطوته وعنده من السحرة والحكماء والكهان والشياطين والمردة مالا طاقة لاحد عليه وتحت يده خلق لا يعلم عددهم إلا الله تعالى وكيف يصلح لكم يا بنات الملوك أن تأوين رجال الأنس عندكن وتطلعنهم على أحوالنا وأحوالكن وإلا فمن أين يصل هذا الرجل إلينا فقالت لها أخت حسن يا بنت الملك أن هذا الأنسي كامل المروءة وليس قصده أمراً قبيحاً وإنما هو يحبك وما خلقت النساء إلا للرجال ولولا أنه يحبك ما مرض لأجلك وكادت روحه أن تزهق في هواك وحكت لها جميع ما أخبرها به حسن من عشقه لها وكيف عملت البنات في طيرانهن واغتسالهن وأنه لم يعجبه من جميعهن غيرها لأن كلهن جوار لها وأنها كانت تغطسهن في البحيرة وليست واحدة منهن تقدر أن تمد يدها إليها فلما سمعت كلامها يئست من الخلاص فعند ذلك قامت أخت حسن وخرجت من عندها وأحضرت لها بدلة فاخرة فألبستها أياها وأحضرت لها شيئاً من الأكل والشرب فأكلت هي وأياها وطيبت قلبها وسكنت روعها ولم تزل تلاطفها بلين ورفق وتقول لها ارحمي من نظرك نظرة فأصبح قتيلاً في هواك ولم تزل تلاطفها وترضيها وتحسن لها القول والعبارة وهي تبكي إلى أن طلع الفجر فطابت نفسها وأمسكت عن بكائها لما علمت أنها وقعت ولا يمكن خلاصها وقالت لأخت حسن يا بنت الملك بهذا حكم الله على ناصيتي من غربتي وانقطاعي عن بلدي وأهلي وأخوتي فصبر جميل على ما قضاه ربي ثم أن أخت حسن أخلت لها مقصورة في القصر لم يكن هناك أحسن منها ولم تزل عندها تسليها وتطيب خاطرها حتى رضيت وانشرح صدرها وضحكت وزال ما عندها من الكدر وضيق الصدر من فراق الأهل والأوطان وفراق أخواتها وأبويها وملكها ثم أن أخت حسن خرجت إليه وقالت له قم ادخل عليها في مقصورتها وقبّل يديها ورجليها فدخل وفعل ذلك ثم قبلها بين عينيها وقال لها يا سيدة الملاح وحياة الأرواح ونزهة الناظرين كوني مطمئنة القلب أنا ما أخذتك إلا لأجل أن أكون عبدك إلى يوم القيامة وأختي هذه جاريتك وأنا يا سيدتي ما قصدي إلا أن أتزوجك بسنة الله ورسوله وأسافر إلى بلادي وأكون أنا وأنت في مدينة بغداد واشتري لك الجواري والعبيد ولي والدة من خيار النساء تكون في خدمتك وليس هناك بلاد أحسن من بلادنا وكل ما فيها أحسن مما في غيرها من سائر البلاد وأهلها وناسها ناس طيبون بوجوه

صباح فبينما هو يخاطبها ويؤانسها وهي لا تخاطبه بحرف واحد وإذا بدق يدق باب القصر فخرج حسن ينظر من بالباب فإذا هن البنات قد حضرن من الصيد والقنص ففرح بهن وتلقاهن وحياهن فدعون له بالسلامة والعافية ودعا لهن الآخر ثم نزلن عن خيولهن ودخلن القصر ودخلت كل واحدة منهن مقصورتها وفرغت ما كان عليها من الثياب الرثة ولبست قماشاً مليحاً وقد اصطدن شيئاً كثيراً من الغزلان وبقر الوحوش والأرانب والسباع والضباع وغير ذلك وقدمن منه شيئاً إلى الذبح وتركن الباقي عندهن في القصر وحسن واقف بينهن مشدود الوسط يذبح لهن وهن يلعبن وينشرحن وقد فرحن بذلك فرحاً شديداً فلما فرغن من الذبح قعدن يعملن شيئاً ليتغذوا به فتقدم حسن إلى البنت الكبيرة وقبل رأسها وصار يقبل رأسهن واحدة بعد واحدة فقلن له لقد أكثرت التنزل الينا يا أخانا وعجبنا من فرط توددك الينا وأنت رجل آدمي ونحن من الجن فدمعت عيونه وبكي بكاء شديداً فقلن ما الخبر وما يبكيك فقد كدرت عيشنا ببكائك في هذا اليوم كأنك اشتقت إلى والدتك وإلى بلادك فإن كان الأمر كذلك فنجهزك ونسافر بك إلى وطنك وأحبابك فقال لهن والله ما مرادي فراقكم فقلن له وحينئذ من شوش عليك منا حتى تكدرت فخجل أن يقول ما شوش علي الأعشق الصبية خيفة أن ينكرن عليه فسكت ولم يعلمهن بشيء من حالة فقامت أخته وقالت لهن اصطاد طيرة من الهواء ويريد منكن أن تعنه على تأهيلها فالتفتن إليه كلهن وقلن له نحن كلنا بين يديك ومهما طلبته فعلناه لكن قص علينا خبرك ولا تكتم عنا شيئاً من حالك فقال لاخته قصى خبري عليهن فإني استحي منهن ولا أقدر أن أقابلهن بهذا الكلام وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٤٥) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن حسنا قال لأخته قصي عليهن قصتي فإني استحي منهن ولا أقدر أن أقابلهن بهذا الكلام فقالت أخته لهن يا أخواتي أننا لما سافرنا وخلينا هذا المسكين وحده ضاق عليه القصر وخاف أن يدخل عليه أحدوانتن تعرفن أن عقول بني آدم خفيفة ففتح الباب الموصل إلى سطح القصر حين ضاق صدره وصار منفرداً وحده وطلع فوقه وقعد هناك وأشرف على الوادي وصار يطل على جهة الباب خوفاً أن يقصد أحد القصر فبينما هو جالس يوماً من الأيام وإذا بالعشر طيور أقبلن عليه قاصدات القصر ولم يزلن سائرات حتى جلسن على البحيرة التي فوقها المنظرة فنظر إلى الطيرة التي هي أحسنهن وهي تنقرهن وما فيهن واحدة تقدر أن تمديدها إليها ثم جعلن مخالبهن في أطواقهن فشققن الثياب الريش وخرجن منها وصارت كل واحدة معهن صبية مثل البدر ليلة تمامه ثم خلعن ما عليهن وحسن واقف ينظر إليهن ونزلن الماء وصرن يلعبن والصبية الكبيرة تغطسهن وليس منهن واحدة تقدرأن تمد يدها إليها وهي أحسنهن وجهاً وأعد لهن قد وأنظفهن لباسا ولم يزلن على هذه الحالة إلى أ، قرب العصر ثم طلعن من البحيرة ولبسن ثيابهن ودخلن في القماش الريش والتففن فيه وطرن فاشتغل فؤاده واشتعل قلبه بالنار من أجل الطيرة الكبيرة وندم لكونه لم يسرق قماشها الريش فمرض وأقام فوق القصر ينتظرها فامتنع من الأكل والشرب والنوم ولم يزل كذلك حتى لامع الهلال فبينما هو قاعد وإذا بهن قد أقبلن على عادتهن فقلعن ثيابهن ونزلن البحيرة فسرق ثوب الكبيرة فلما عرف أنها لاتقدران نظيراً لأنه أخذه وأخفاه خيفة أن يطلعن عليه فيقتلنه ثم صبر حتى طرن فقام وقبضها ونزل بها من فوق القصر فقال لها أخواتها وأين هي قالت لهن هي عنده في المخدع الفلاني فقلن صفيها لنا يا أختي فقالت هي أحسن من البدر ليلة تمامه ووجهها أضوأ من

الشمس وريقها أحلى من الشراب وقدها أرشق من القضيب ذات طرف أحور ووجه أقمـ ـر وجبـ ـين أزهـ ـر وصدر كأنه جوهر ونهدين كأنهما رمانتان وخدين كأنهما تفاحتان وبطن مطوي الاعكان وسرة كأنهـ ـا حـ ـق عاج بالمسك ملآن وفخذين كأنهما من المرمر عامودان تأخذ القلوب بطرف كحيل ورقة خصر نحيل وردف ثقيل وكلام يشفي العليل مليحة القوام حسنة الابتسام كأنها بدر التمام فلما سمعت البنات هذه الأوصاف التفتن إلى حسن وقلن له أرنا أياها فقام معهن وهو ولهان إلى أن أتى بهن إلى المخدع الذي فيه بنت الملك وفتحـ ـه ودخل وهن خلفه فلما رأينها وعاين جمالها قبلن الأرض بين يديها وتعجبن من حسـ ـن صـ ـورتها وظـ ـرف معانيها وسلمن عليها وقلن لها والله يا بنت الملك الأعظم أن هذا لشيء عظيم ولو سمعت بوصف هذا الأنسي عند النساء لكنت تتعجبين منه طول دهرك وهو متعلق بك غاية التعلق إلا أنه يا بنت الملك لم يطلب فاحشـ ـة وما طلبك إلا في الحلال ولو علمنا أن البنات تستغني عن الرجال لكنا منعناه عن مطلوبه مع أنه لم يرسـ ـل إليك رسولاً بل أتي إليك بنفسه وأخبرنا أنه أحرق الثوب الريش وإلا كنا أخذناه منه ثم أن واحدة من البنـ ـات أتفقت هي وأياها وتوكلت في العقد وعقدت عقدها على حسن وصافحها ووضع يده في يدها وزوجنهـ ـا لـ ـه بأذنها وعملن في فرحها ما يصلح لبنات الملوك وأدخلنه عليها فقام حسن وفتح الباب وكشف الحجاب وفـ ـض ختمها وتزايدت محبته فيها وتعاظم وجده شغفاً بها وحيث حصل مطلوبه هنّى نفسه وأنشد هذه الأبيات.

قوامـ . ـك فتـ . . ـان وطرفـ . . ـك أحـ . . ـور ووجهـ . ـك مـ . ـن مـ . ـاء الملاحـ . ـة يقطـ . ـر

تصـ . ـورت فـ . ـي عينـ . ـي أجـ . ـل تصـ . ـور فنصـ . . ـفك يـ . . ـاقوت وثلثـ . . ـك جـ . . ـوهر

وخمسـ . ـك مـ . ـن مسـ . ـك وسدسـ . ـك عنبـ . ـر وأنـ . ـت شـ . ـبيه الـ . ـدر بـ . ـل أنـ . ـت أزهـ . ـر

ومـ . ـا ولـ . ـدت حـ . ـواك مثلـ . ـك واحـ . ـداً ولا فـ . ـي جنـ . ـان الخلـ . ـد مثلـ . ـك آخـ . ـر

فـ ـإن شـ ـئت تعـ ـذيبي فمـ ـن سـ ـنن الهـ ـوى وإن شـ . ـئت أن تعفـ . ـي فأنـ . ـت مخيـ . ـر

فيازينـ . ـة الـ . ـدنيا ويـ . ـا غايـ . ـة المنـ . ـى فمن ذا الـ ـذي عـ ـن حسـ ـن وجهـ ـك يصـ ـبر

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٤٦) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن حسنا لما دخل على بيت الملك وأزال بكارتها التي بها لذة عظيمة وزادت محبته لها ووجده بها فأنشد فيها الأبيات المذكورة وكانت البنات واقفات علـ ـى البـ ـاب فلما سمعن الشعر قلن لها يا بنت الملك اسمعي قول هذا الأنسي وكيف تلومننا وقد أنشد الشعر في هواك فلما سمعت ذلك انبسطت وانشرحت وفرحت ثم أن حسنا أقام معها أربعين يوماً في حظ وسرور ولـ ـذة وحبـ ـور والبنات يجددن له كل يوم فرحاً ونعمة وهدايا وتحفاً وهو بينهن في سرور وانشراح وطاب لبنت الملك القعود بينهن ونسيت أهلها ثم بعد الأربعين يوماً كان حسن نائماً فرأى والدته حزينة عليه وقد رق عظمها وانتحـ ـل جسمها وأصفر لونها وتغير حالها وكان هو في حالة حسنة فلما رأته على هذه الحالة قالت له يا ولـ ـدي يـ ـا حسن كيف تعيش في الدنيا منعما وتنساني فانظر حالي بعدك وأنا ما أنساك ولا لساني يترك ذكـ ـرك حتـ ـى أموت وقد عملت لك قبراً عندي في الدار حتى لا أنساك أبداً لترى أعيش يا ولدي، انظرك عنـ ـدي ويعـ ـود شملنا مجتمعاً كما كان فانتبه حسن من نومه وهو يبكي وينوح ودموعه تجري على خديه مثل المطر وصار حزينا كئيبا لا ترتفع دموعه ولم يجئه نوم ولم يقر له قرار ولم يبق عنده اصطبار فلما أصبح دخلـ ـن عليـ ـه

البنات وصبحن عليه وانشرحن معه على عادتهن فلم يلتفت إليهن فسألن روحته عن حاله فقالت لهن ما أدري فقلن لها أسأليه عن حاله فتقدمت إليه وقالت له ما الخبر يا سيدي فتنهد وتضجر وأخبرها بما رآه في منامه ثم أنشد هذين البيتين:

ق . . د بقيذ . . ا موسوسـ . . ين حيـ . . ارى نطلـ . ـب القـ . ـرب مـ . . ا إليـ . ـه سـ . .بيل

فـ . . دواهي الهـ . . وى تزيـ . . د عليذ . . ا ومقـ . . ام الهـ . . وى عليذ . . ا ثقيـ . . ـل

فأخبرتهن زوجته بما قاله لها فلما سمعت البنات الشعر رققن لحاله وقلن له تفضل بسم الله ما نق در أن تمنعك من زيارتها بل نساعدك على زيارتها بكل ما نقدر عليه ولكن ينبغي أن تزورنا ولا تنقطع عنا ولو في كل سنة مرة واحدة فقال لهن سمعاً وطاعة فقامت البنات من وقتهن وعملن له الزاد وجهزن له العروسة بالحلي والحلل وكل شيء غال يعجز عنه الوصف وهيأن له تحفاً تعجز عن حصرها الأقلام ثم أنهن ضربن الطبل فجاءت النجائب اليهن من كل مكان فاخترن منها ما يحمل جميع ما جهزنه وأركبن الجاريـ ـة وحسـ ناً وحملن إليها خمسة وعشرين تختامن الذهب وخمسين من الفضة ثم سرن معهما ثلاثة أيام فقطعن فيها مسافة ثلاثة أشهر ثم أنهن ودعنهما وأردن الرجوع عنهما هذا ما كان منهن (وأما) ما كان من أمر حسن فإنه سـ ـار طول الليل والنهار يقطع مع زوجته البراري والقفار والأودية والأوعار في الهواجر والأسـ حار وكتـ ـب الله تعالى لهما السلامة فسلما ووصلا إلى مدينة البصرة ولم يزالا سائرين حتى أناخا على باب داره نجائبهما ثم صرف النجائب وتقدم إلى الباب ليفتحه فسمع والدته وهي تبكي بصوت رقيق من كبد ذاقت عذاب الحريـ ـق وهي تنشد هذه الأبيات.

وكيـ ـف يـ ـذوق النـ ـوم مـ ـن عـ ـدم الكـ ـري وبسـ . . ـهر لـ . . ـيلا والأنـ . . ـام رقـ . . ـود

وقـ . ـد كـ . ـان ذا مـ . ـال وأهـ . ـل وعـ . ـزة فأضـ .حى غريـ .ـب الـ .دار وهـ .و وحيـ .د

لـ . .ـه جمـ . ـر بـ . ـين الضـ . ـلوع وأنـ . .ـه وشـ . ـوق شـ . ـديد مـ . ـا عليـ . ـه مزيـ . ـد

تـ .ـولى عليـ . ـه الوجـ . ـد والوجـ . ـد حـ . ـاكم ينـ . ـوح بمـ . .ـا يلقـ . .ـاه وهـ . .ـو جليـ . .ـد

وحالتـ . ـه فـ . ـي الحـ . ـب تخبـ . ـر انـ . ـه حـ . .ـزين كئيـ . .ـب والـ . .دموع شـ . .ـهود

فبكى حسن لما سمع والدته تبكي وتندب ثم طرق الباب طرقة مزعجة فقالت أمه من بالباب فقال لها افتحي ففتحت الباب ونظرت إليه فلما عرفته خرت مغشيا عليها فمازال يلاطفها إلى أن فاقت فعانقها وعانقته وقبلته ثم نقل حوائجه ومتاعه إلى داخل الدار والجارية تنظر إلى حسن وأمه ثم أن أم حسن لما أطمأن قلبهـ ـا وجمع الله شملها بولدها أنشدت هذه البيات.

رق الزمـ . . . . .ـان لحـ . . . . .ـالتي ورثـ . . . . . ـى لطـ . . . . .ـول تحرقـ . . . . ـي

وأنـ . . . . ـالنى مـ . . . . . . ـا أشـ . . . . . تهى وأزال ممـ . . . . ـا أتقـ . . . . ـى

فلاصـ . . . . . فحن عمـ . . . . . . ـا جنـ . . . . . ـا مـ . . . . . . ـن الـ . . . . . ذنوب السـ . . . . . بق

حتـ . . . . . .ـى جنايتـ . . . . . .ـه بمـ . . . . . .ـا فعـ . . . . .ـل المشـ . . . . .ـيب بمفرقـ . . . . ـي

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٤٧) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن والده حسن قعدت هي وإياه يتحدثان وصارت تقول له كيف حالك يا ولدي مع الأعجمي فقال لها يا أمي ما كان أعجمياً بل كان مجوسياً يعبد النار دون الملك الجبار ثم أنه أخبرها بما فعل به من أنه سافر به وحطه في جلد الجمل وخيطه عليه وحملته الطيور وحطته فوق الجبل وأخبرها بما رآه فوق الجبل من الخلائق الميتين الذين كان يحتال عليهم المجوسي ويتركهم فوق الجبل بعد أن يقضوا حاجته وكيف رمي روحه في البحر من فوق الجبل وسلمه الله تعالى وأوصله إلى قصر البنات ومؤاخاة البنت له وقعوده عند البنات وكيف أوصل الله المجوسي إلى المكان الذي هو فيه وقتله إياه وأخبرها بعشق الصبية وكيف أصطادها ونقصتها كلها إلى أن جمع الله شملهما ببعضهما فلما سمعت أمه حكايته تعجبت وحمدت الله تعالى على عافيته وسلامته ثم قامت إلى تلك الحمول فنظرتها وسألته عنها فأخبرها بما فيها ففرحت فرحاً عظيماً ثم تقدمت إلى الجارية تحدثها وتؤانسها فلما وقعت عينها عليها اندهش عقلها من ملاحتها وفرحت وتعجبت من حسنها وجمالها وقدها واعتدالها ثم قالت يا ولدي الحمد لله على السلامة وعلى رجوعك سالماً ثم أن أمه قعدت جنب الصبية وآنستها وطيبت خاطرها ثم نزلت في بكرة النهار إلى السوق فاشترت عشر بدلات من أفخر ما في المدينة من الثياب وأحضرت لها الفرش العظيم وألبست الصبية وجملتها بكل شيء مليح ثم أقبلت على ولدها وقالت يا ولدي نحن بهذا المال لا نقدر أن نعيش في هذه المدينة وأنت تعرف أننا ناس فقراء والناس يتهموننا بعمل الكيمياء فقم بنا نسافر إلى مدينة بغداد دار السلام لنقيم في حرم الخليفة وتقعد أنت في دكان فتبيع وتشتري وتتقي الله عز وجل فيفتح عليك وأحضر النجائب وحمل عليها جميع أمواله وأمتعته وأمه وزوجته وسار ولم يزل سائر إلى أن وصل إلى الدجلة فأكترى مركباً البغداد ونقل فيها جميع ماله وحوائجه ووالدته وزوجته وكل ما كان عنده ثم ركب المركب فسارت بهم المركب في ريح طيبة مدة عشرة أيام حتى أشرفوا على بغداد فلما أشرفوا عليها فرحوا ودخلت بهم المركب المدينة فطلع من وقته وساعته إلى المدينة وأكترى مخزناً في بعض الخانات ثم نقل حوائجه من المركب غليه وطلع وأقام ليلة في الخان فلما أصبح غير ما عليه من الثياب فلما رآه الدلال سأله عن حاجته وعما يريد فقال أريد داراً تكون مليحة واسعة فعرض عليه الدور التي عنده فأعجبته دار كانت لبعض الوزراء فاشتراها منه بمائة ألف دينار من الذهب وأعطاه الثمن ثم عاد إلى الخان الذي نزل فيه ونقل جميع ما له وحوائجه إلى الدار ثم خرج إلى السوق وأخذ ما تحتاج إليه الدار من آنية وفرش وغير ذلك واشترى خدما ومن حملتهما عبداً صغيراً للدار وأقام مطمئناً مع زوجته في ألذ عيش وسرور مدة ثلاث سنين وقد رزق بغلامين سمّي أحدهما ناصر أو الآخر منصوراً وبعد هذه المدة تذكر أخواته البنات وتذكر إحسانهن إليه وكيف ساعدته على مقصوده فاشتاق إليهن وخرج إلى أسواق المدينة فاشترى منها شيئاً من حلي وقماش نفيس ونقل ما رأين مثله قط ولا يعرفنه فسألته أمه عن سبب شراء تلك التحف فقال لها أني عزمت على أن أسافر إلى أخواتي اللاتي فعلن معي كل جميل ورزقي الذي أنا فيه من خيرهن وإحسانهن فإني أريد أن أسافر إليهن وأنظرهن وأعود قريباً أن شاء الله تعالى فقالت له يا ولدي لا تغب عليّ فقال لها اعلمي يا أمي كيف تكونين مع زوجتي وهذا ثوبها الريش في صندوق مدفون في الأرض فاحرصي عليه لئلا تقع عليه فتأخذه وتطير هي وأولادها ويروحون وأبقى لا أقع لهم على خبر فأموت كمداً من أجلهم واعلمي يا أمي أني أحذرك

من أن تذكري ذلك لها واعلمي أنها بنت ملك الجان وما في ملوك الجان أكبر من أبيها ولا أكثر منه جند وداً ولا مالا واعلمي أنها سيدة قومها وأعز من عند أبيها فهي عزيزة النفس جداً فأخدميها أنت بنفسك ولا تمكنيها من أن تخرج من الباب أو تطل من الطاقة أو من حائط فأني أخاف عليها من الهواء إذا هبّ وإذا حرى عليها أمر من أمور الدنيا فأنا أقتل روحي من أجلها فقالت أمه أعوذ بالله من مخالفتك يا ولدي هل أنا مجنونة حتى توصيني بهذه الوصية وأخالفك فيها سافر يا ولدي وطب نفساً وسوف تحضر في حير وتنظرها إن شاء الله تعالى وتخبرك بما جرى لها مني ولكن يا ولدي لا تقعد غير مسافة الطريق وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٤٨) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن حسناً لما أراد السفر إلى البنات وصّي أمه على زوجته على حسب ما ذكرنا وكانت زوجته بالأمر المقدر تسمع كلامه وهما لا يعرفان ذلك ثم أن حسنا قام وخرج إلى خارج المدينة ودق الطبل فحضرت له النجائب فحمل عشرين من تحف العراق وودّع والدته وزوجته وأولاده وكان عمر واحد من ولديه سنة والآخر سنتين ثم أنه رجع إلى والدته وأوصاها ثانياً ثم أنه ركب وسافر إلى أخواته ولم يزل مسافراً ليلاً ونهاراً في أودية وجبال وسهول وأوعار مدة عشرة أيام وفي اليوم الحادي عشر وصل إلى القصر ودخل على أخواته ومعه الذي أحضره إليهن فلما رأينه فرحن به وهنينه بالسلامة وأما أخته فإنها زينت القصر ظاهره وباطنه ثم أنهن أخذن الهدية وأنزلنه في مقصورة مثل العادة وسألته عن والدته وعن زوجته فأخبرهن أنها ولدت منه ولدين ثم أن أخته الصغيرة لما رأته طيباً بخير فرحت فرحاً شديداً وأنشدت هذا البيت:

وأسأل الريح عنكم كلما خطرت وغيركم في فؤادي قط ما خطرا

ثم أنه أقام عندهن في الضيافة والكرامة مدة ثلاثة أشهر وهو في فرح وسرور وغبطة وحبور وصيد وقنص هذا ما كان من حديثه (وأما) ما كان من حديث أمه وزوجته فأنه لما سافر حسن أقامت زوجته يوماً وثانياً مع أمه وقالت لها في اليوم الثالث سبحان الله هل أقعد معه ثلاث سنين ما أدخل الحمام وبكت فرقت أمه لحالها وقالت لها يا بنتي نحن غرباء وزوجك ما هو في البلد فلو كان حاضراً كان يقوم بخدمتك أما أنا فلا أعرف أحداً ولكن يا بنتي أسخن لك الماء وأغسل رأسك في حمام البيت فقالت لها يا سيدتي لو قلت هذا القول لبعض الجواري كان طلبت البيع في السوق وما كانت تقعد عندكم ولكن يا سيدتي أن الرجال معذورون فإن عندهم غيرة وعقولهم تقول لهم إن المرأة إذا خرجت من بيتها ربما تعمل فاحشة والنساء يا سيدتي ما كلهن سواء وأنت تعرفين أن المرأة إذا كان لها غرض في شيء ما يغلبها أحد ولا يقدر أن يحرص عليها ولا يصونها ولا يمنعها من الحمّام ولا غيره ولا من أن تعمل كل ما تختاره ثم أنها بكت ودعت على نفسها وصارت تعدد على نفسها وغربتها فرقت لحالها أم زوجها وعلمت أن كل ما قالته لابد منه فقامت وهيأت حوائج الحمّام التي يحتاجان إليها وأخذت وراحت إلى الحمام فلما دخلتا الحمام قلعت ثيابها فصار النساء جميعاً ينظرن ويسبحن الله عز وجل ويتأمل فيما خلق من الصورة البهية وصار كل من جاز من النساء على الحمّام يدخل ويتفرج عليها وشاع في البلد ذكرها وازدحم النساء عليها وصار الحمام لا ينشق من كثرة النساء اللاتي فيه فاتفق بسبب ذلك الأمر العجيب أنه حضر إلى الحمّام في ذلك اليوم جارية من جواري أمير

المؤمنين هارون الرشيد يقال لها تحفة العوادة فرأت النساء في زحمة والحمّام لا ينشق من كثرة النساء والبنات فسألت عن الخبر فأخبرتها بالصبية فجاءت عندها ونظرت إليها وتأملت فيها فتحيّر عقلها من حسنها وجمالها وسبحت الله جل جلاله على ما خلق من الصور الملاح ولم تدخل ولم تغتسل وإنما صارت قاعدة وباهتة في الصبية إلى أن فرغت الصبية من الغسل وخرجت لبست ثيابها فزادت حسناً على حسنها فلما خرجت من الحرارة قعدت على البساط والمساند وصارت النساء ناظرات إليها فالتفتت إليهن وخرجت فقامت تحفة العوادة جارية الخليفة وخرجت معها حتى عرفت بيتها وودعتها ورجعت إلى قصر الخليفة ومازالت سائرة حتى وصلت بين أيادي السيدة زبيدة وقبلت الأرض بين يديها فقالت السيدة زبيدة يا تحفة ما سبب إبطائك في الحمّام فقالت يا سيدتي رأيت أعجوبة ما رأيت مثلها في الرجال ولا في النساء وهي التي شغلتني وأدهشت عقلي وحيرتني حتى أنني ما غلست رأسي فقالت وما هي يا تحفة قالت يا سيدتي رأيت جارية في الحمّام معها ولدان صغيران كأنهما قمران ما رأي أحد مثلها لا قبلها ولا بعدها وليس مثل صورتها في الدنيا بأسرها وحق نعمتك يا سيدتي أن عرفتيها يا أمير المؤمنين قتل زوجها وأخذها منه لأنه لا يوجد مثلها واحدة من النساء وقد سألت عن زوجها فقالوا أن زوجها رجل تاجر اسمه حسن البصري وتبعتها عند خروجها من الحمّام إلى أن دخلت بيتها فرأيته بيت الوزير الذي له بابان باب من جهة البحر وباب من جهة البر وأنا أخاف يا سيدتي أن يسمع بها أمير المؤمنين فيخالف الشرع ويقتل زوجها ويتزوج بها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٤٩) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن جارية أمير المؤمنين لما رأت زوجة حسن البصري ووصفت حسنها للسيدة زبيدة وقالت يا سيدتي إني أخاف أن يسمع بها أمير المؤمنين فيخالف الشرع ويقتل زوجها ويتزوج بها فقالت السيدة زبيدة ويلك يا تحفة هل بلغت هذه الجارية من الحسن والجمال أن أمير المؤمنين يبيع دينه بدنياه ويخالف الشرع لأجلها والله لا بد لي من النظر إلى هذه الصبية فإن لم تكن كما ذكرت أمرت بضرب عنقك يا فاجرة إن في سراية أمير المؤمنين ثلثمائة وستين جارية بعدد أيام السنة ما فيهن واحدة بالصفات التي تذكرينها فقالت يا سيدتي لا والله ولا في بغداد بأسرها مثلها بل ولا في العجم ولا في العرب ولا خلق الله عز وجل مثلها فعند ذلك دعت السيدة زبيدة بمسرور فحضر وقبّل الأرض بين يديها فقالت له يا مسرور اذهب إلى دار الوزير التي ببابين باب على البحر وباب على البر وأئت بالصبية التي هناك هي وأولادها والعجوز التي عندها بسرعة ولا تبطيء فقال مسرور السمع والطاعة فخرج من بين يديها حتى وصل إلى باب الدار فطرق الباب فخرجت له العجوز أم حسن وقالت من بالباب؟ فقال لها مسرور خادم أمير المؤمنين ففتحت الباب ودخل فسلم عليها وسلمت عليه وسألته عن حاجته فقال إن السيدة زبيدة بنت القاسم زوجة أمير المؤمنين هارون الرشيد السادس من بني العباس عم النبي ﷺ تدعوك إليها أنت وزوجة ابنك وأولادها فإن النساء أخبرتها عنها وعن حسنها فقالت أم حسن يا مسرور نحن ناس غرباء وزوج البنت ولدي ما هو في البلد ولم يأمرني بالخروج أنا ولا هي لا أحد من خلق الله تعالى وأنا أخاف أن يجري أمر ويحضر ولدي فيقتل زوجه فمن إحسانك يا مسرور أن لا تكلفنا مالا نطيق فقال مسرور يا سيدتي لو علمت أن في هذا خوف عليكم ما كلفتكم الرواح وأنما مراد السيدة زبيدة أن تنظرها وترجع فلا تخالفي تندمي وكما

آخذكما أردكما إلى هنا سالمين إن شاء الله تعالى فما قدرت أم حسن أن تخالفه فدخلت وهيأت الصبية وأخرجتها هي وأولادها وساروا خلف مسرور وهو قدامهم إلى قصر الخليفة فطلع بهم حتى أوقفهم قدام السيدة زبيدة فقبّلوا الأرض بين يديها ودعوا لها والصبية مستورة الوجه فقالت لها السيدة زبيدة أما تكشفين عن وجهك لانظره فقبّلت الصبية الأرض بين يديها وأسفرت عن وجه يخجل البدر في أفق السماء فلما نظرتها شخصت إليها وسرحت فيها النظر وأضاء القصر من نور وجهها واندهشت زبيدة من حسنها وكذلك كل من في القصر وصار كل من رآها مجنوناً لا يقدر أن يكلم أحداً ثم أن السيدة زبيدة قامت وأوقفت الصبية وضمتها إلى صدرها وأجلستها معها على السرير وأمرت أن يزينوا القصر ثم أمرت بأن يحضر لها بدلة من أفخر الملبوس وعقداً من أنفس الجواهر وألبست الصبية إياهما وقالت لها يا سيدة الملاح أنك عجبتيني وملأت عيني أي شيء عندك من الذخائر فقالت الصبية يا سيدتي لي ثوب ريش لو لبسته بين يديك لرأيت أحسن ما تتعجبين منه ويتحدث بحسنه كل من يراه جيلاً بعد جيل فقالت وأين ثوبك هذا قالت هو عند أم زوجي فاطلبيه لي منها فقالت السيدة زبيدة يا أمي بحياتي عندك أن تنزلي وتأتي لها بثوبها الريش حتى تفرجنا على الذي تفعله وخذيه ثانياً فقالت العجوز يا سيدتي هذه كذابة هل رأينا أحداً من النساء له ثوب من الريش فهذا لا يكون إلا للطيور فقالت الصبية للسيدة زبيدة وحياتك يا سيدتي لي عندها ثوب ريش وهو في صندوق مدفون في الخزانة التي في الدار فقلعت السيدة زبيدة من عنقها عقد جوهر يساوي خزائن كسرى وقيصر وقالت لها يا أمي خذي هذا العقد وناولتها إياه وقالت لها بحياتي أن تنزلي وتأتي بذلك الثوب لنتفرج عليه وخذيه بعد ذلك فحلفت لها أنها ما رأت هذا الثوب ولا تعرف له طريقاً فصرخت السيدة زبيدة على العجوز وأخذت منها المفتاح ونادت مسروراً فحضر فقالت له خذ هذا المفتاح واذهب إلى الدار وافتحها وأدخل الخزانة التي ببابها كذا وكذا وفي وسطها صندوقاً فأخرجه وأكسره وهات الثوب الريش الذي فيه وأحضره بين يدي وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٥٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن السيدة زبيدة لما أخذت المفتاح من أم حسن وأعطته لمسرور وقالت له خذ هذا المفتاح وافتح الخزانة الفلانية واخرج منها الصندوق واكسره واخرج منه الثوب الريش الذي فيه واحضره بين يدي فقال سمعاً وطاعة ثم أنه تناول المفتاح من يد السيدة زبيدة وصار فقامت معه العجوز أم حسن وهي باكية العين ندمانة على مطاوعة الجارية ورواحها الحمام معها ولم تكن الصبية طلبت الحمام إلا مكيدة ثم أن العجوز دخلت هي ومسرور وفتحت باب الخزانة فدخل وأخرج الصندوق وأخرج منه القميص الريش ولفه معه في فوطه وأتى به إلى السيدة زبيدة فأخذته وقلبته وتعجبت من حسن صناعته ثم ناولته لها وقالت لها هل هذا ثوبك الريش قالت نعم يا سيدتي ومدت الصبية يدها إليه وأخذته منها وهي فرحى ثم أن الصبية تفقدته فرأته صحيحاً كما كان عليها ولم يضع منه ريشة ففرحت به وقامت من جنب السيدة زبيدة وأخذت القميص وفتحته وأخذت أولادها في حضنها واندرجت فيه وصارت طيرة بقدرة الله عز وجل فتعجبت السيدة زبيدة من ذلك وكذكل كل من حضر وصار الجميع يتعجبون من فعلها ثم أن الصبية تمايلت وتمشيت ورقصت ولعبت وقد شخص لها الحاضرون وتعجبوا من فعلها ثم قالت لهم بلسان

فصيح يا سادتي هل هذا مليح فقال لها الحاضرون نعم يا سيدتي الملاح كل ما فعلتيه مليح ثم قالت وهذا الذي أعمله أحسن منه يا سادتي وفتحت أجنحتها وطارت بأولادها وصارت فوق القبة ووقفت على سطح القاعة فنظروا إليها بالأحداق وقالوا لها والله هذه صنعة غريبة مليحة ما رأيناها قط ثم أن الصبية لما أرادت أن تطير إلى بلادها تذكرت حسناً وقالت اسمعوا يا سادتي وأنشدت هذه الأبيات:

يـ .ا مـ .ن خـ .لا عـ .ن ذي الـ .ديار وسـ .ارا ... نحـ . . و الحبائـ . . ب مسـ . . رعاً فـ . . راراً
أتظـ . .ن أنـ . .ي فـ . .ي نعـ . .يم بيـ . .نكم ... والعـ . يش مـ . نكم لمـ . ا يكـ . ن أكـ . دارا
لما أسـ رت وصـ رت فـ ي شـ ركك الهـ وى ... جعـ .ل الهـ .وى سـ .جني وشـ .ط مـ .زارا
لمـ . .ا اختفـ . .ى ثـ . .وبي تـ .يقن أنـ . .ي ... لـ . . م أدع فيـ . . ه الواحـ . . د القهـ . . ارا
قـ . د صـ . ار يوصـ . ي أمـ . ه بحفاظـ . ه ... فـ . ي مخـ . دع وعـ . دا علـ . ى وجـ . ارا
فسـ . معت مـ . ا قـ . الوه ثـ . م حفظتـ . ه ... ورجـ . .وت خيـ . .راً زائـ . .داً مـ . .دراراً
فرواحـ . . ي الحمـ . . ام كـ . .ان وسـ . . يلة ... حتـ . ى غـ . دت فـ . ي العقـ . ول حيـ . ارى
وتعجبـ . ت عـ . رس الرشـ . يد لبهجتـ . ي ... غـ . . ذ شـ . . اهدتني يمنـ . . ة ويسـ . . ارا
ناديـ . ت يـ . ا امـ . رأة الخليفـ . ة أن لـ . ي ... ثوبـ . ا مـ . ن الـ . ريش العلـ . ي فخـ . ارا
لـ . و كـ . ان فـ . وقي تنظـ . رين عجائبـ . اً ... تمحـ . . و اللعنـ . . ا وتبـ . . دد الأكـ . . دارا
فاستفسـ . رت عـ . رس الخليفـ . ة أيـ . ن ذا ... فأجبـ . .ت فـ . .ي دار الـ . .ذي قـ . .د دار
فـ . .انقض مسـ . .رور وأحضـ . .ره لهـ . .ا ... وأذابـ . . ه قـ . . د أشـ . . رق الأنـ . . وارا
فأخذتـ . . ـه مـ . . ن كفـ . . ـه وفتحتـ . . ـه ... ورأيـ . . ت منـ . . ـه الجيـ . . ب والأزرارا
فـ . . دخلت فيـ . . ه ثـ . . م أولادي معـ . . ي ... وفـ . ردت أجنحتـ . ي وطـ . ردت فـ . رارا
يـ . . ا أم زوجـ . . ي أخبريـ . . ه إذا أتـ . . ي ... أن حـ . . .ب وصـ . . .لى فليفـ . . .ارق دارا

فلما فرغت من شعرها قالت لها السيدة زبيدة أما تنزلين عندنا حتى نتملى بحسنك يا سيدة الملاح فسبحان من أعطاك الفصاحة والصباحة قالت هيهات أن يرجع ما فات ثم قالت لأم حسن الحزين المسكين والله يا سيدتي يا أم حسن أنك توحشيني فإذا جاء ولدك وطالت عليه أيام الفراق واشتهى القرب والتلاق وهزته أرياح المحبة والأشواق فليجئني إلى جزائر واق الواق ثم طارت هي وأولادها وطلبت بلادها فلما رأت أم حسن ذلك بكت ولطمت وجهها حتى غشي عليها فلما أفاقت قالت لها السيدة زبيدة يا سيدتي الحاجة ما كنت أعرف أن هذا يجري ولو كنت أخبرتيني به ما كنت أتعرض لك وما عرفت أنها من الجن الطيارة إلا في هذا الوقت ولو عرفت أنها على هذه الصفة ما كنت مكنتها من لبس الثوب ولا كنت أخليها تأخذ أولادها ولكن يا سيدتي اجعليني في حل فقالت العجوز وما وجدت في يدها حيلة أنت في حل ثم خرجت من قصر الخلافة ولم تزل سائرة حتى دخلت بيتها وصارت تلطم على وجهها حتى غشي عليها فلما أفاقت من غشيتها استوحشت إلى الصبية وإلى أولادها وإلى رؤية ولدها ثم قامت وحفرت في البيت ثلاث قبور وأقبلت عليها بالبكاء آناء الليل وأطراف النهار وحين طالبت غيبة ولدها وزاد بها القلق والشوق والحزن وأنشدت هذه الأبيات:

خيالـ . . ـك بـ . . ـين طابقـ . ـة الجفـ . . ـون وذكـ . ـرك فـ . ـي الخوافـ . ـق والسـ . ـكون
وحبـ . ـك قـ . ـد جـ . ـرى فـ . ـي العظـ . ـم منـ . ـي كجـ . ـري المـ . ـاء فـ . ـي ثمـ . ـر الغصـ . ـون
ويـ . . ـوم لا أراك يضـ . . ـيق صـ . . ـدري وتعـ . ـذرني العـ . ـواذل فـ . ـي شـ . ـجوني
أيـ . ـا مـ . . ـن قـ . . ـد تملكنـ . ـي هـ . ـواه وزاد علـ . . . ـى محبتـ . . . ـه جنـ . . . ـوني
خـ . ـف الـ . ـرحمن فـ . ـي وكـ . ـن رحيمـ . ـا هـ . . ـواك أذاقنـ . . ـي ريـ . . ـب المنـ . . ـون

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٥١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أم حسن صارت تبكي آناء الليل وأطراف النهـ ـار لفـ ـراق ولـ ـدها وزوجته وأولادها هذا ما كان من أمرها (وأما) ما كان من أمر ولدها حسن فإنه لما وصل إلى البنات حلفـ ـن عليه أن يقيم عندهن ثلاثة أشهر ثم بعد ذلك جهزن له المال وهيأن له عشرة أحمال خمسة من الذهب وخمسة من الفضة وهيأن له من الزاد حملاً واحداً وسفرنه وخرجن معه فحلف عليهن أن يرجعن فأقبلن على عناقـ ـه من أجل التوديع فتقدمت إليه البنت الصغيرة وعانقته وبكت حتى غشي عليها وأنشدت هذين البيتين:

متـ . ـى تنطفـ . ـي نـ . ـار الفـ . ـراق بقـ . ـربكم ويقضـ ـي بكـ ـم ربـ ـي ونبقـ ـى كمـ ـا كنـ ـا
لقـ . ـد راعنـ . ـي يـ . ـوم الفـ . ـراق وضـ . ـربي وقـ ـد زادنـ ـي التوديـ ـع يـ ـا سـ ـادتي وهنـ ـا

ثم تقدمت البنت الثانية وعانقته وأنشدت هذين البيتين:

وداعـ . . . ـك مثـ . . . ـل وداع الحيـ . . . ـاة وفقـ . . . ـدك يشـ . . . ـبه فقـ . . . ـد النـ . . . ـديم
وبعـ . . ـدك نـ . . ـار كـ . . ـوت مهجتـ . . ـي وقربـ . . ـك فيـ . . ـه جنـ . . ـات النعـ . . ـيم

ثم تقدمت الثالثة وعانقته وأنشدت هذين البيتين:

مـ . ـا تركنـ . ـا الـ . ـوداع يـ . ـوم افترقنـ . ـا عـ . . ـن مـ . . ـلال ولا لوجـ . . ـه قبـ . . ـيح
أنـ . ـت روحـ . ـي علـ . ـى الحقيقـ . ـة قطعـ . ـاً كيـ . . ـف أختـ . . ـار أن أودع روحـ . . ـي

ثم تقدمت البنت الرابعة وعانقته وأنشدت هذين البيتن:

لـ . . ـم يبكنـ . . ـي إلا حـ . . ـديث فراقـ . . ـه لمـ . . ـا أسـ . . ـربه إلـ . . ـى مـ . . ـودعي
هـ . ـو ذلـ . ـك الـ . ـدر الـ . ـذي أودعتـ . ـه فـ . ـي مسـ . ـمعي أجريتـ . ـه مـ . ـن مـ . ـدمعي

ثم تقدمت البنت الخامسة وعانقته وأنشدت هذين البيت:

لا تـ . . ـرحلن فمـ . . ـالي عـ . . ـنكم جلـ . . ـد حتـ . ـى أطيـ . ـق بـ . ـه توديـ . ـع مرتحـ . ـل
ولا مـ ـن الصـ ـبر مـ ـا ألقـ ـى الفـ ـراق بـ ـه ولا مـ ـن الـ ـدمع مـ ـا أذرى علـ ـى طلـ ـل

ثم تقدمت البنت السادسة وعانقته وأنشدت هذين البيتين:

قـ . ـد قلـ . ـت مـ . ـذ سـ . ـار السـ . ـباق بهـ . ـم والشـ . . ـوق يهـ . . ـب مهجتـ . . ـي نهـ . . ـباً
لـ . ـو كـ . ـان لـ . ـي ملـ . ـك أصـ . ـول بـ . ـه لأخـ . . ـذت كـ . . ـل سـ . . ـفينة غصـ . . ـبا

ثم تقدمت البنت السابعة وعانقته وأنشدت هذين البيتين:

إذا رأيـ . . . ت الـ . . . وداع فأصـ . . . بر ولا يهولنـ . . . . ك البعـ . . . . اد

وانتظـ . . ر العـ . . . ود عـ . . . ن قريـ . . . ب فـ . . . إن قلـ . . . ب الـ . . . وداع عـ . . . ادوا

ثم أن حسنا ودعهن وبكى إلى أن غشي عليه بسبب فراقهم وأنشد هذه الأبيات:

ولقـ . د جـ . رت يـ . وم الفـ . راق سـ . وافحي دررا نظمـ . ت عقودهـ . ا مـ . ن أدمعـ . ي

وحـ . دا بهـ . م حـ . ادي الركـ . اب فلـ . م أجـ . د جلـ . . داً ولا صـ . . براً ولا قلبـ . . ي معـ . . ي

ودعـ . . تهم فـ . . ي انثنيـ . . ت بحسـ . . رة وتركـ . ت أنـ . س معاهـ . دي وإلا ربـ . ع

فرجعـ . ت لا أدري الطريـ . ق ولـ . م تطـ . ب نفسـ . . . ي أنـ . . . ي أراك بمرجعـ . . . ي

يـ . ا صـ . احبي أنصـ . ت لأخبـ . ار الهـ . وى حاشـ . ى لقلبـ . ك أن أقـ . ول ولا يعـ . ي

يـ . ا نفـ . س مـ . ذ فـ . ارقتهن ففـ . ارقي طيـ . ب الحيـ . اة وفـ . ي البقـ . ا لا تطمعـ . ي

ثم أنه جد في المسير ليلاً ونهاراً حتى وصل إلى بغداد دار السلام وحرم الخلافة العباسية ولم يـ در بالذي جري بعد سفره فدخل الدار على والدته وسلم عليها فرآها قد انتحل جسمها ورق عظمها مـ ن كثـ رة النوح والسهر والبكاء والعويل حتى صارت مثل الخلال ولم تقدران ترد الكلام فصرف النجائب وتقدم إليهـ ا فلما رآها على تلك الحالة قام في الدار وفتش على زوجته وعلى أولادها فلم يجد لهم أثراً ثم أنه نظـ ر فـ ي الخزانة فوجدها مفتوحة والصندوق مفتوحاً ولم يجد فيه الثوب فعند ذلك عرف أنها تمكنت من الثوب الريش وأخذته وطارت وأخذت أولادها معها فرجع إلى أمه فرآها قد أفاقت من غشيتها فسألها عن زوجتـ ه وعـ ن أولادها فبكت وقالت يا ولدي عظم الله أجرك فيهم وهذه قبور الثلاثة فلما سمع كلام أمـ ه صـ رخ صـ رخة عظيمة وخر مغشياً عليه واستمر كذلك من أول النهار إلى الظهر فازدادت أمه غماً على غمها وقد يئست من حياته فلما أفاق بكى ولطم على وجهه وشق ثيابه وصار دائراً في الدار متحيراً ثم أنشد هذين البيتين:

شـ . كا ألـ . م الفـ . راق النـ . اس قبلـ . ي وروع بـ . . . النوى حـ . . . ي وميـ . . . ت

وأمـ . ا مثـ . ل مـ . ا ضـ . مت ضـ . لوعي فـ . . . أني لا سـ . . . معت ولا رأيـ . . . ت

فلما فرغ من شعره أخذ سيفه وسله وجاء إلى أمه وقال لها إن لم تعلميني بحقيقة الحال ضربت عنقك وقتلت روحي فقالت له يا ولدي لا تفعل ذلك وأنا أخبرك ثم قالت له اغمد سيفك واقعد حتى أحـ دثك بالـ ذي جرى فلما أغمد سيفه وجلس إلى جانبها أعادت عليه القصة من أولها إلى آخرها وقالت له يا ولدي لولا أني رأيتها بكت على طلب الحمّام وخفت منك أن تجيء وتشكو إليك فتغضب عليّ ما كنت ذهبت بها إليه ولـ ولا أن السيدة زبيدة غضبت عليّ وأخذت مني المفتاح قهراً ما كنت أخرجت الثوب ولو كنت أموت ويـ ا ولـ دي أنت تعرف أن يد الخلافة لا تطاولها يد فلما أحضروا لها الثوب أخذته وقلبته وكانت تظن أنه فقد منه شـ يء ففرحت وأخذت أولادها وشدتهم في وسطها ولبست الثوب الريش بعد ما قلعت لها الست زبيدة كل ما عليهـ ا إكراماً لها ولجمالها فلما لبست الثوب الريش انتفضت وصارت طيرة ومشت في القصر وهم ينظرون إليهـ ا ويعجبون من حسنها وجمالها ثم طارت وصارت فوق القصر وبعد ذلك نظرت إلى وقالت لي إذا جاء ولـ دك

وطالت عليه ليالي الفراق واشتهى القرب مني والتلاق وهزته رياح المحبة والأشواق فليفارق وطنه وي ذهب إلى جزائر واق الواق هذا ما كان من حديثهما في غيبتك. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة٧٥٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن حسناً لما سمع كلام أمه حين حكت له جميع ما فعلت زوجته وق ت ما طارت صرخ صرخة عظيمة ووقع مغشياً عليه ولم يزل كذلك إلى آخر النهار فلما أفاق لطم على وجه ه وصار يتقلب على الأرض مثل الحية فقعدت أمه تبكي عند رأسه إلى نصف الليل فلما أفاق من غشيته بك ى بكاء عظيماً وأنشد هذه الأبيات:

قف .وا وانظ .روا حـ .ال الـ .ذي تهجرون .ـه	لعلك . . م بعـ . . د الجفـ . . اء ترحمون . . ـه
فـ . . إن تنظـ . . روه تنكـ . . روه لسـ . . قمه	كـ . . . . . . .أنكم والله لا تعرفون . . . . . . .ـه
ومـ . ـا هـ . ـو إلا ميـ . ـت فـ . ـي هـ . ـواكم	يعـ . . ـد مـ . . ـن الأمـ . . ـوات إلا أنيـن . . ـه
ولا تحسـ . . .بوا أن التفـ . . .رق هـ . . .ين	يعـ .ـز علـ .ـى المشـ .ـتاق والمـ .ـوت دون .ـه

فلما فرغ من شعره قام وجعل يدور في البيت وينوح ويبكي وينتحب مدة خمسة أيام لم ي ذق فيه ا طعاماً ولا شراباً فقامت إليه أمه وحلفته وأقسمت عليه أن يسكت من البكاء فما قبل كلامها ومـ ازال يبك ي وينتحب وأمه تسليه وهو لا يسمع منها شيئاً ومازال حسن على هذه الحالة يبكي إلى الصباح. غفل ت عين اه فرأى زوجته حزينة وهي تبكي فقام من نومه وهو صارخ وأنشد هذين البيتين:

خيالـ .ـك عنـ .ـدي لـ .ـيس يـ .ـرح سـ .ـاعة	جعلـ ـت لـ ـه فـ ـي القلـ ـب أشـ ـرف موضـ ـع
ولـ ـولا رجـ ـاء الوصـ ـل مـ ـا عشـ ـت لحظـ ـة	ولـ .ـولا خيـ .ـال الطيـ .ـف لـ .ـم أتهجـ .ـع

فلما أصبح الصباح زاد نحيبه وبكاؤه ولم يزل باكي العين حزين القلب سـ ـاهر الليـ ـل قليـ ـل الأكـ ـل واستمر على هذه الحالة مدة شهر كامل فلما مضى ذلك الشهر خطر بباله أنه يسافر إلى أخوات ـه لأجـ ـل أن يساعدنه على قصده من حصولها فأحضر النجائب ثم حمل خمسين هجينة من تحف العراق وركـ ـب واحـ دة منها ثم أوصى والدته على البيت وأودع جميع حوائجه إلا قليلاً أبقاه في الدار ثم سار متوجهاً إلى أخواته لعله أن يجد عندهن مساعدة على اجتماع زوجته ولم يزل سائراً حتى وصل إلى قصر البنات في جبل السحبا فلما دخل عليهن قدّم إليهن الهدايا ففرحن بها وهنينة بالسلام وقلن له يا أخانا ما سبب مجيئك بسرعة ومالك غير ر شهرين فبكى وأنشد هذه الأبيات:

أرى الـ .ـنفس فـ .ـي فكـ .ـر لفقـ .ـد حبيبنبهـ .ـا	فـ . . ـلا تتهنـ . . ـى بالحيـ . . ـاة وطيبهـ . . ـا
سـ . .قامي داء لـ . .يس يعـ . .رف طيبـ . .ـه	وهـ .ـل يبـ .ـرىء الأسـ .ـقام غيـ .ـر طبيبهـ .ـا
فيامـ . ـا نعـ . ـي طيـ . ـب المنـ . ـام تركتنـ . ـي	أسـ . ـائل عنـ . ـك الـ . ـريح عنـ . ـد هبوبهـ . ـا
قريبـ .ـة عهـ .ـد مـ .ـن حبيبـ .ـي وقـ .ـد حـ .ـوي	محاسـ . .ـن تـ . .ـدعو مقلتـ . .ـي لصـ . .ـبيبها
فيـ . ـا أيهـ . ـا الشـ . ـخص والملـ . ـم بأرضـ . ـه	عسـ . ـى نفحـ . ـة نحيـ . ـا القلـ . ـوب بطيبهـ . ـا

فلما فرغ من شعره صرخ صرخة عظيمة وخرّ مغشياً عليه وقعدت البنات حوله يبكين علي ـه حت ـى فاق من غشيته فلما أفاق أنشد هذين البيتين:

عسـ . ـى ولعـ . ـل الـ . دهر يلـ . ـوي عنانـ . ـه ويـ . .أتي بحبيبـ . ـي والزمـ . .ان غيـ . .ور
ويسـ . عدني دهـ . ـري فتنقضـ . ـي حـ . وائجي وتحصـ . ـل مـ . ـن بعـ . ـد الأمـ . ـور أمـ . ـور

فلما فرغ من شعره بكى حتى غشي عليه فلما أفاق من غشيته أنشد هذه الأبيات:

أفـ .ـي العشـ .ق والتبـ .ريح دنـ .تم كمـ .ا دنـ .ا وهـ . ـل ودنـ . ـا مـ . ـنكم كمـ . ـا ودكـ . ـم منـ . ـا
إلا قائـ . . ـل الله الهـ . . ـوى مـ . . . ـا أمـ . . ـره فيـ ـا ليـ ـت شـ ـعري مـ ـا يريـ ـد الهـ ـوى منـ ـا
وجـ . ـوهكم الحسـ . ـنا وأن شـ . ـطت النـ . ـوى تمثـ . ـل فـ . ـي أبصـ . ـارنا أينمـ . ـا كنـ . ـا
فقلبـ . . ـى مشـ . . ـغول بتـ . . ذكار حـ . . ـبكم ويطربنـ . ـي صـ . ـوت الحمـ . ـام إذا غنـ . ـى
ألا يـ . . ـا حمامـ . . ـا يـ . . ـدعو أليفـ . . ـه لقـ .ـد زدتنـ .ـي شـ .ـوقاً وأصـ .ـحبتني حزنـ .ـا
تركـ . ـت جفـ . ـوني لأتمـ . ـل مـ . ـن البكـ . ـا علـ . ـى سـ . ـادة غـ . ـابوا بـ . رؤيتهم عنـ . ـا
أحـ . ـن إلـ . ـيهم كـ . ـل وقـ . ـت وسـ . ـاعة واشـ . تاق فـ . ـي الليـ . ـل البهـ . ـيم إذا جنـ . ـا

فلما سمعت كلامه أخته خرجت إليه فرأته راقداً مغشياً عليه فصرخت ولطمـ ـت فسـ ـمعها أخواته ـا فخرجن إليها فرأين حسناً راقداً مغشياً عليه فاحتطن به وبكين عليه ولم يخف عليهن حين رأينه ما حل به من الوجد والهيام والشوق والغرام فسألته عن حاله فبكى وأخبرهن بما جرى في غيابه حيـ ـث طـ ـارت زوجتـ ـه وأخذت أولادها معها فحزن عليها وسألنه عن الذي قالت عندما راحت قال يا أخواتي أنها قالت لوالدتي قولي لولدك إذا جاء وطالت عليه ليالي الفراق واشتهى القرب مني وهزته أرياح المحبة والأشواق فليجئنـ ـي إلـ ـى جزائر واوق الواق فلما سمعن كلامه تغامزن وتذاكرن وصارت كل واحدة تنظر إلى أختها وحسـ ـن ينظـ ـر إليهن ثم أطرقن برؤوسهن إلى الأرض ساعة وبعد ذلك رفعنها وقلن لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم لم قلن له أمدد يدك إلى السماء فإن وصلت إلى السماء تصل إلى زوجتك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عـ ـن الكلام المباح.

(وفي ليلة٧٥٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن البنات لما قلن لحسن أمدد يدك إلى السماء فإن وصلت إليها تصـ ـل إلى زوجتك وأولادك جرت دموعه على خديه مثل المطرحتي بلت ثيابه وأنشد هذه الأبيات:

قـ .ـد هيجتنـ .ـي الخـ .ـدود الحمـ .ـر والحـ .ـدق وفارق الصبر لما أقبل الأرق لم يبـ ـق منـ ـه لا
بـ .ـيض نـ .ـواعم أضـ .ـنت بالجفـ .ـا جسـ .ـدي يصار الورى رمق عن بهجة لورآها الأوليـ ـاء
جـ .ـور تمـ .ـيس كغـ .ـزلان النقـ .ـا سـ . ـفرت علق . . . . وا
يمشـ ـين مثـ ـل نسـ ـيم الـ ـروض فـ ـي سـ ـحر يعشـ . . قهن عـ . . راة الهـ . . ـم والقلـ . . ق
علق . . . ـت مـ . . . ـنهم آمـ . . . ـالي بغانيـ . . . ـة قلبي لها بلظى النيران يحتـ ـرق فـ ـي وجههـ ـا
خـ . .ـوداه ناعمـ . .ـة الأطـ . .ـراف مائسـ . .ـنة الصـ . ـبح بـ . ـل فـ . ـي شـ . ـعرها الغسـ . ـق
قد هيجتنـ ـي وكـ ـم فـ ـي الحـ ـب مـ ـن بطـ ـل قـ . ـد هيجنـ . ـه جفـ . ـون البـ . ـيض والحـ . ـدق

فلما فرغ من شعره بكى وبكت البنات لبكائه وأخذتهن الشفقة والغيرة عليـ ـه وصـ ـرن يـ ـتلطفن بـ ـه ويصبرنه ويدعين له بجمع الشمل فأقبلت عليه أخته وقالت له يا أخي طب نفساً وقر عيناً وأصبر تبلغ مرادك فمن صبر وتأتي نال ما تمنى والصبر مفاتيح الفرج فقد قال الشاعر:

دع المقـ ـاديـر تجـ ـري في أعنتهـ ـا ولا تبيـ ـتن إلا خـ ـالي البـ ـال

مـ ـا بـ ـين غمضـ ـة عـ ـين وانتباهتهـ ـا يغيـ ـر الله مـ ـن حـ ـال إلـ ـى حـ ـال

ثم قالت له قو قلبك واشدد عزمك فإن ابن عشرة لا يموت وهو في تسعة والبكـ ـاء والغـ ـم والحـ ـزن يمرض ويسقم واقعد عندنا حتى تستريح وأنا أتحيل لك في الوصول إلى زوجتك وأولادك إن شاء الله تعـ ـالى فبكى بكاء شديداً وأنشد هذين البيتين:

لـ ـئن عوفيـ ـت مـ ـن مـ ـرض بجسـ ـمي فمـ ـا عوفيـ ـت مـ ـن مـ ـرض بقلبـ ـي

ولـ ـيس دواء أمـ ـراض التصـ ـابي سـ ـوى وصـ ـل الحبيـ ـب مـ ـع المحـ ـب

ثم جلس إلى جانب أخته وصارت تحدثه وتسليه وتسأله عن الذي كان سبباً في زواجها فأخبرها عـ ـن سبب ذلك فقالت له والله يا أخي أني أردت أن أقول لك أحرق الثوب الريش فأنساني الشيطان ذلك وصـ ـارت تحدثه وتلاطفه فلما طال عليه الأمر وزاد به القلق أنشد هذه الأبيات:

تمكـ ـن مـ ـن قلبـ ـي حبيـ ـب ألفتـ ـه ولـ ـيس لمـ ـا قـ ـد قـ ـدر الله مـ ـدفع

مـ ـن العـ ـرب قـ ـد حـ ـاز الملاحـ ـة كلهـ ـا غـ ـزال ولكـ ـن فـ ـي فـ ـؤادي يرتـ ـع

لـ ـئن عـ ـن صـ ـبري فـ ـي هـ ـواه وحيلتـ ـي بكيـ ـت علـ ـى أن البكـ ـاليس ينفـ ـع

ملـ ـيح لـ ـه سـ ـبق وسـ ـبع كأنـ ـه هـ ـلال لـ ـه خمـ ـس وخمـ ـس وأربـ ـع

فلما نظرت أخته إلى ما فيه من الوجد والهيام وتباريح الهوى والغرام قامت إلى أخواتها وهي باكيـ ـة العين حزينة القلب وبكت بين أيديهن ورمت نفسها عليهن وقبلت أقدامهن وسألتهن مساعدة أخيها على قضاء حاجته واجتماعه بأولاده وزوجته وعاهدتهن على أن يدبرن أمراً يوصله إلى جزائر واق الـ ـواق ومازالـ ـت تبكي بين يدي أخواتها حتى أبكتهن وقلن لها طيبي قلبك بأننا مجتهدات في اجتماعه بأهله إن شاء الله تعـ ـالى ثم أنه أقام عندهن سنة كاملة وعينه لم تمسك عن الدموع وكان لأخواتها عم أخو والدهن شقيقه وكان اسـ ـمه عبد القدوس وكان يحب البنت الكبيرة محبة كثيرة وكان في كل سنة يزورها مرة واحدة ويقضـ ـي حوائجهـ ـا وكانت البنات قد حدثته بحديث حسن وما وقع له مع المجوسي وكيف قدر على قتله ففرح عمهن بذلك ودفـ ـع للبنت الكبيرة صرة فيها بخور وقال لها يا بنت أخي إذا أهمك أمراً ونالك مكروه أو عرضت لك حاجة فـ ـالق هذا البخور في النار واذكريني فإني أحضر لك بسرعة وأقضي حاجتك وكان هذا الكلام في أول يـ ـوم مـ ـن السنة فقالت البنت لبعض أخوانها إن السنة قد مضت بتمامها وعمي لم يحضر قومي أقدحي الزنـ ـاد وائتنـ ـي بعلبة البخور فقامت البنت وهي فرحانة وأحضرت علبة البحور وفتحتها وأخذت منها شيء يسـ ـير وناولتـ ـه لأختها فأخذته ورمته في النار وذكرت عمها فما فرغ البخور إلا وغبرة قد ظهرت من صدر الوادر ثم بعـ ـد ساعة انكشف الغبار فبان من تحته شيخ راكب على فيل وهو يصيح من تحبه فلما نظرته البنات صار يشـ ـير

إليهن بيديه ورجليه ثم بعد ساعة وصل إليهن فنزل عن الفيل ودخل عليهن فعانقته وقبلن يديه وسلمن عليه ثم أنه جلس وصارت البنات يتحدثن معه ويسألنه عن غيابه فقال إني كنت في هذا الوقت جالساً أنا وزوجة عمكن فشممت البخور فحضرت إليكن على هذا الفيل فما تريدين يا بنت أخي فقالت يا عم إننا اشتقنا إليك وقد مضت السنة وما عادتك أن تغيب عنا أكثر من سنة فقال لهن أني كنت مشغولاً وكنت عزمت على أن أحضر إليكن غداً فشكرنه ودعون له وقعدن يتحدثن معه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٥٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن البنات لما قعدن يتحدثن مع عمهن قالت البنت الكبيرة يا عمي إننا كما حدثناك بحديث حسن البصري الذي جاء به بهرام المجوسي وكيف قتله وحدثناك بالصبية بنت الملك الأكبر التي أخذها وما قاسى من الأمور الصعاب والأهوال وكيف اصطاد بنت الملك وتزوج بها وكيف سافر بها إلى بلادها وهو غائب وقالت لأمه إذا حضر ولدك وطالت عليه ليالي الفراق وأراد مني القرب والتلاق وهزته رياح المحبة والاشتياق فليجئني إلى جزائر واق الواق فحرك رأسه وعض على أصبعه ثم أطرق رأسه إلى الأرض وصار ينكت في الأرض بأصبعه ثم التفت يميناً وشمالاً وحرك رأسه وحسن ينظره وهو متوار عنه فقالت البنات لعمهن رد علينا الجواب فقد تفتت منا الأكباد فهز رأسه إليهن وقال لهن يا بناتي لقد اتعب هذا الرجل نفسه ورمي روحه في هول عظيم وخطر جسيم فإنه لا يقدر أن يقبل على جزائر واق الواق فعند ذلك نادت البنات حسناً فخرج إليهن وتقدم على الشيخ عبد القدوس وقبّل يده وسلم عليه ففرح به وأجلسه بجانبه فقالت البنات لعمهن يا عم بيّن لأخينا حقيقة ما قلته فقال له يا ولدي أترك عنك هذا العذاب الشديد فإنك لا تقدر أن تصل إلى جزائر واق الواق ولو كان معك الجن الطيارة والنجوم السيارة لأن بينك وبين الجزائر سبع أودية وسبع بحار وسبع جبال عظام وكيف تقدر أن تصل إلى هذا المكان ومن يوصلك إليه بالله عليك أن ترجع من قريب ولا تتعب سرك فلما سمع حسن كلام الشيخ عبد القدوس بكى حتى غشي عليه وقعدت البنات حوله يبكين لبكائه وأما البنت الصغيرة فإنها شقت ثيابها ولطمت على وجهها حتى غشي عليها فلما رآهم الشيخ عبد القدوس على هذه الحالة من الهم والوجد والحزن رق لهم وأخذته الرأفة عليهم فقال اسكتوا ثم قال لحسن طيب قلبك وأبشر بقضاء حاجتك إن شاء الله تعالى ثم قال يا ولدي قم وشد حيلك واتبعني فقام حسن على حيله بعد أن ودع البنات وتبعه وقد فرح بقضاء حاجته ثم أن الشيخ عبد القدوس استدعى الفيل فحضر فركبه وأردف حسناً خلفه وسار به مدة ثلاثة أيام بلياليها مثل البرق الخاطف حتى وصل جبل عظيم أزرق وفي ذلك الجبل مغارة وعليها باب من الحديد الصيني فأخذ الشيخ بيد حسن وأنزله ثم نزل الشيخ وأطلق الفيل ثم تقدم إلى باب المغارة وطرقه فانفتح الباب وخرج إليه عبد أسود أجرود كأنه عفريت وبيده اليمنى سيف والأخرى ترس من ولاد فلما نظر الشيخ عبد القدوس رمي السيف الترس من يده وتقدم إلى الشيخ عبد القدوس وقبل يده ثم أخذ الشيخ بيد حسن ودخل هو إياه وقفل العبد الباب خلفهما فرأى حسن المغارة كبيرة واسعة جداً ولها دهليز معقود ولم يزالوا سائرين مقدار ميل ثم انتهى بهم السير إلى فلاة عظيمة وتوجهوا إلى ركن فيه بابان عظيمان مسبوكان من النحاس الأصفر ففتح الشيخ عبد القدوس باباً منهما ودخل ورده وقال لحسن اقعد على هذا الباب واحذر أن تفتحه وتدخل حتى أدخل وأرجع إليك عاجلاً فلما

دخل الشيخ غاب مدة ساعة فلكية ثم خرج ومعه حصان ملجم أن سار طار وإن طار لم يلحقه غبـ ـار فقدمـ ـه الشيخ لحسن وقال له اركب ثم إن الشيخ فتح الباب الثاني فبان منه برية واسعة فركب حسن الحصان وخرج الاثنان من الباب وسار في تلك البرية فقال الشيخ لحسن يا ولدي خذ هذا الكتاب وسر على هذا الحصان إلى الموضع الذي يوصلك إليه فإذا نظرته وقف على مغارة مثل هذه فأنزل عن ظهره واجعل عنانه في قربـ ـوس السرج وأطلقه فإنه يدخل المغارة فلا تدخل معه وقف على باب المغارة مدة خمسة أيام ولا تضجر فإنه فـ ـي اليوم السادس يخرج إليك شيخ أسود عليه لباس أسود وذقنه بيضاء طويلة نازلة إلى سرته فإذا رأيتـ ـه فقبـ ـل يديه وأمسك ذيله واجعله على رأسك وأبك بين يديه حتى يرحمك فإنه يسألك عن حاجتك فإذا قـ ـال لـ ـك مـ ـا حاجتك فادفع إليه هذا الكتاب فإنه يأخذه منك ولا يكلمك ويدخل ويخليك فقف مكانك خمسة أيـ ـام أخـ ـرى ولا تضجر وفي اليوم السادس انتظره فإنه يخرج فاعلم أن الذي خرج إليك يريد قتلك والسلام واعلم يا ولدي أن كل من خاطر بنفسه أهلك نفسه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة٧٥٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشيخ عبد القدوس لما أعطى حسناً الكتاب أعلمه بما يحصل وقـ ـال له إن كل من خاطر بنفسه أهلك نفسه فإن كنت تخاف على نفسك فلا تلقى بها إلى الهلاك وإن كنت لا تخاف فدونك وما تريد فقد بينت لك الأمور وإن شئت الرواح لصواحبك فهذا الفيل حاضراً فإنه يسير بك إلى بنـ ـات أخي وهن يوصلنك إلى بلادك ويرددنك إلى وطنك ويرزقك الله خيراً من هذه البنت التي تعلقت بهـ ـا فقـ ـال حسن للشيخ وكيف تطيب لي الحياة من غير أن أبلغ مرادي والله أني لا أرجع أبداً حتى أبلـ ـغ مـ ـرادي مـ ـن حبيبتي أو تدركني منيتي ثم بكى وأنشد هذه الأبيات:

علـ ـى فقـ ـد حبـ ـي مـ ـع تزايـ ـد صـ ـبوتي وقفـ . . ـت أنـ . . ـادي بانكسـ . . ـار وذلـ . . ـه

وقبلـ . ـت تـ . ـرب الربـ . ـع شـ . ـوقاً لأجلـ . ـه ولـ . . ـم يجـ . ـدني إلا تزايـ . ـد حسـ . ـرتي

رعى الله مـ ـن بـ ـانوا وفـ ـي القلـ ـب ذكـ ـرهم فوصـ . ـلت آلامـ . ـي وفارقـ . ـت لـ . ـذتي

يقولـ ـون لـ ـي صـ ـبراً وقـ ـد رحلـ ـوا بـ ـه وقـ ـد أضـ ـرموا يـ ـوم الترحـ ـل زفرتـ ـي

ومـ . ـا راعـ . ـي إلا الـ . ـوداع وقولـ . ـه إذا غبـ ـت فـ ـاذكرني ولا تنسـ ـى صـ ـحبتي

لمـ ـن التجـ ـيء مـ ـن ارتجـ ـى بعـ ـد فقـ ـدهم وكـ ـانوا رجـ ـائي فـ ـي رخـ ـائي وشـ ـدتي

فواحسـ . ـرتي لمـ . ـا رجعـ . ـت مودعـ . ـا وسـ . ـرت عـ . ـداي المبغضـ . ـون برجعتـ . ـي

فـ ـوا أسـ ـفاً هـ ـذا الـ ـذي كنـ ـت حـ ـاذرا وبـ . ـالوعتي زيـ . ـدي لهيبـ . ـاً بمهجتـ . ـي

فـ ـإن غـ ـاب أحبـ ـابي فـ ـلا عـ ـيش بعـ ـدهم وأن رجعـ . ـوا يـ . ـا فرحتـ . ـي ومسـ . ـرتي

فـ ـو الله لـ ـم يـ ـنفض دمعـ ـي مـ ـن البكـ ـا علـ ـى فقـ ـدهم بـ ـل عبـ ـرة بعـ ـد عبـ ـرة

فلما سمع الشيخ عبد القدوس إنشاده وكلامه علم أنه لا يرجع عن مراده وأن الكلام لا يؤثر فيه وتيقن أنه لابد أن يخاطر بنفسه ولو تلفت مهجته فقال اعلم يا ولدي أن جزائر واق الواق سبع جزائر فيها عسـ ـكر عظيم وذلك العسكر كله بنات أبكار وسكان الجزائر الجوانية شياطين ومردة وسحرة وارهاط مختلفة وكل من دخل أرضهم لا يرجع وما وصل إليهم أحد قط ورجع فبالله عليك أن ترجع إلى أهلك من قريـ ـب واعلـ ـم أن

البنت التي قصدتها بنت ملك هذه الجزائر كلها وكيف تقدر أن تصل إليها فاسمع مني يـ ا ولـ دي ولعـ ل الله يعوضك خيراً منها فقال والله يا سيدي لو قطعت في هواها أرباً أرباً ما ازددت الإحبا وطرباً ولا بد من رؤية زوجتي وأولادي والدخول في جزائر واق الواق وإن شاء الله تعالى ما أرجع الإبهار بأولادي فقال له الشـ يخ عبد القدوس حينئذ لا بد لك من السفر فقال نعم وأنما أريد منك الدعاء بالإسعاف والإعانـ ة لعـ ل الله يجمـ ع شملي بزوجتي وأولادي عن قريب ثم بكى من عظم شوقه وأنشد هذه الأبيات:

أنـ ـتم مـ ـرادي وأنـ ـتم أحسـ ـن البشـ ـر أحلك ـم فـ ـي محـ ـل السـ ـمع البصـ ـر
ملكـ ـتم القلـ ـب منـ ـي وهـ ـو منـ ـزلكم وبعـ ـد سـ ـادتي أصـ ـبحت فـ ـي كـ ـدر
فـ ـلا تظنـ ـوا انتقـ ـالي عـ ـن محبـ ـتكم فحـ ـبكم صـ ـير المسـ ـكين فـ ـي حـ ـذر
غبـ ـتم فغـ ـاب صـ ـروري بعـ ـد غيبـ ـتكم واصـ ـح الصـ ـفو عنـ ـدي غايـ ـة الكـ ـدر
تركتمـ ـوني أراعـ ـي الـ ـنجم مـ ـن الـ ـم أبكـ ـي بـ ـدمع يحـ ـاكي هاطـ ـل المطـ ـر
يا ليـ ـل طلـ ـت علـ ـى مـ ـن بـ ـات فـ ـي قلـ ـق مـ ـن شـ ـدة الوجـ ـد يرعـ ـي طلعـ ـة القمـ ـر
أن جـ ـزت يـ ـا ريـ ـح حيـ ـا فيـ ـه قـ ـد نزلـ ـوا بلـ ـغ سـ ـلامي لهـ ـم فـ ـالعمر فـ ـي قصـ ـر
وقـ ـل لهـ ـم بعـ ـض مـ ـا لقيـ ـت مـ ـن ألـ ـم أن الأحبـ ـه لا يـ ـدرون عـ ـن خبـ ـري

فلما فرغ حسن من شعره بكى بكاء شديداً حتى غشي عليه فلما أفاق قال له الشيخ عبد القـ دوس يـ ا ولدي أن لك والدة فلا تذقها ألم فقدك فقال حسن للشيخ والله يا سيدي ما بقيت ارجع ألا بزوجتي أو تـ دركني منبتي ثم بكى وناح وأنشد هذه الأبيات:

وحـ ـق الهـ ـوى مـ ـا غيـ ـر البعـ ـد عهـ ـدكم ومـ ـا أنـ ـا ممـ ـن للعهـ ـود يخـ ـون
وعنـ ـدي مـ ـن الأشـ ـواق مـ ـالو شـ ـرحته إلـ ـى النـ ـاس قـ ـالوا قـ ـد عـ ـراه جنـ ـون
فوجـ ـد وحـ ـزن وانتحـ ـاب ولوعـ ـة ومـ ـن حالـ ـه هـ ـذا فكيـ ـف يكـ ـون

فلما فرغ من شعره علم الشيخ أنه لا يرجع عما هو فيه ولو ذهبت روحه فناوله الكتاب ودعـ ا لـ ه وأوصاه بالذي يفعله وقال له قد أكدت لك في الكتاب على أبي الريش ابن بلقيس بنت معـ ين فهـ و شـ يخي ومعلمي وجميع الأنس والجن يخضعون له ويخافون منه ثم قال له توجه على بركة الله تعالى فتوجه وأرخى عنان الحصان فطار به أسرع من البرق ولم يزل حسن مسرعاً بالحصان مدة عشرة أيام حتى نظـ ر أمامـ ه شبحاً عظيماً أسود من الليل قد سد ما بين المشرق والمغرب فلما قرب حسن منفصل الحصان تحته فاجتمعت خيول كثيرة مثل المطر لا يحصى لها عدد ولا يعرف لها مدد وصارت تتمسح في الحصان فخـ ـاف حسـ ن وفزع ولم يزل حسن سائراً والخيول حوله إلى أن وصل إلى المغارة التي وصفها له الشـ يخ عبـ د القـ دوس فوقف الحصان على بابها فنزل حسن من فوقه ووضع عنانه في سرجه فدخل الحصان المغارة ووقف حسن على الباب كما أمره الشيخ عبد القدوس وصار متفكراً في عاقبة أمره كيف يكون حيران ولهان لا يعلم الذي يجري له وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٥٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن حسناً لما نزل من فوق ظهر الحصان وقف على باب المغارة متفكراً في عاقبة أمره كيف يكون لا يعلم الذي يجري له ولم يزل واقفاً على باب المغارة خمسة أيام بلياليه ا وه و سهران حزنان حيران متفكراً حيث فارق الأهل والأوطان والأصحاب والخلان باكي العين حزين القلب ثـ م أنه تذكر والدته وتفكر فيما يجري له وفي فراق زوجته وأولاده فيما قاساه فأنشد هذه الأبيات:

لـ . .ديكم دوا القلـ . .ب والقلـ . .ب ذائـ . .ب ... ومـ . .ن سـ . .فح أجفـ . .اني دمـ . .و ع سـ . .واكب

فـ . .راق وحـ . .زن واشـ . .تياق وغربـ . .ه ... وبعـ . .د عـ . .ن الأوطـ . .ان والشـ . .وق غالـ . .ب

ومـ . .ا أنـ . .ا إلا عاشـ . .ق ذو صـ . .بابة ... ببعـ . .د الـ . .ذي يهـ . .وى دهتـ . .ه المصـ . .ائب

فـ . .إن كـ . .ان عشـ . .قي قـ . .د رمـ . .اني بنكبـ . .ة ... فـ . .أي كـ . .ريم لـ . .م تصـ . .به النوائـ . .ب

فما فرغ حسن من شعره إلا والشيخ أبو الريش قد خرج له وهو أسود وعليه لباس أسود فلما نظـ ره حسن عرفه بالصفات التي أخبره بها الشيخ عبد القدوس فرمى نفسه عليه ومرغ خديه على قدميـ ه وأمسـ ك ذيله وحطه على رأسه وبكى قدامه فقال الشيخ أبو الريش ما حاجتك يا ولدي فمد يده بالكتاب وناوله للشـ يخ أبي الريش فأخذه منه ودخل المغارة ولم يرد عليه جواباً فقعد حسن في موضعه على الباب مثل ما قـ ال لـ ه الشيخ عبد القدوس وهو يبكي ومازال قاعداً مكانه مدة خمسة أيام وقد أزداد به القلق واشتد به الخوف ولازمه الأرق فصار يبكي ويتضجر من ألم البعاد وكثرة السهاد ثم أنشد هذه الأبيات:

سـ . . . . بحان جبـ . . . . ار السـ . . . . ما ... أن المحـ . . . . . ب لفـ . . . . . ي عنـ . . . . . ا

مـ . . ن لـ . . م يـ . . ذق طعـ . . م الهـ . . وى ... لـ . . . م يـ . . . در مـ . . . ا جهـ . . . د الـ . . . بلا

لـ . . . و كنـ . . . ت أحـ . . . بس عبرتـ . . . ي ... لوجـ . . . . . دت أنهـ . . . . . ار الـ . . . . . دما

كـ . . . م مـ . . . ن صـ . . . ديق قـ . . . د قسـ . . . ا ... قلبـ . . . . . ا وأولـ . . . . . ع بالشـ . . . . . قا

فـ . . . . . إذا تعطـ . . . . . ف لامنـ . . . . . ي ... فـ . . . أقول مـ . . . ا بـ . . . ي مـ . . . ن بكـ . . . ا

لكـ . . . . . ن ذهبـ . . . . . ت لأرتـ . . . . . دي ... فأصـ . . . . . ابني عـ . . . . . ين الـ . . . . . ردى

بكـ . . . . ت الوحـ . . . . وش لوحشـ . . . . تي ... وكـ . . . . . ذلك سـ . . . . . كان الهـ . . . . . وى

ولم يزل حسن يبكي إلا أن لاح الفجر وإذا بالشيخ أبو الريش قد خرج إليه وهو لابس لباساً أبـ يض وأومأ إليه بيده أن يدخل فدخل حسن فأخذه الشيخ من يده ودخل به المغارة ففرح وأيقن أن حاجته قد قضـ يت ولم يزل الشيخ سائراً وحسن معه مقدار نصف نهار ثم وصلا إلى باب مقنطر عليه باب من البـ ولاد ففـ تح الباب ودخل هو وحسن في دهليز معقود بحجارة من الجزع المنقوش بالذهب ولم يزالا سائرين حتى وصـ لا إلى قاعة كبيرة مرخمة واسعة في وسطها بستان فيه من سائر الأشجار والأزهار والأثمار والأطيـ ار علـ ى الأشجار تناغي وتسبح الملك القهار وفي القاعة أربعة لواوين يقابل بعضها بعضاً وفي كل ليوان مجاس فيـ ه فسقية وعلى كل ركن من أركان كل فسقية صورة سبع من الذهب وفي كل مجلس كرسي وعليـ ه شـ خص جالس وبين يديه كتب كثيرة جداً وبين أيديهم مجاهر من ذهب فيها نار وبخور وكل شيخ منهم بين يديه طلبته يقرؤون عليه الكتب فلما دخلا عليهم قاموا أليهما وعظموهما فأقبل عليهم وأشار لهم أن يصرفوا الحاضـ رين

فصرفوهم وقام أربعة مشايخ وجلسوا بين يدي الشيخ أبي الريش وسالوه عن حال حسن فعند ذلك أشار الشيخ أبو الريش إلى حسن وقال له حدث الجماعة بحديثك وبجميع ما جرى لك من أول الأمر إلى آخره فعند ذلك بكى حسن بكاء شديداً وحدثهم بحديثه فلما فرغ حسن من حديثه صاحت المشايخ كلهم وقالوا هل هذا هو الذي أطلعه المجوسي إلى جبل السحاب والنسور وهو في جلد الجمل فقال لهم حسن نعم فأقبلوا على الشيخ أبي الريش وقالوا له يا شيخنا أن بهرام تحيل في طلوعه على الجبل وكيف نزل وما الذي رآه فوق الجبل من العجائب فقال الشيخ أبو الريش يا حسن حدثهم كيف نزلت وأخبرهم بالذي رأيته من العجائب فأعاد لهم ما جرى له من أوله إلى آخره وكيف ظفر به وقتله وكيف غدرت به أوجته وأخذت أولاده وطارت وبجميع ما قاساه من الأهوال والشدائد فتعجب الحاضرون مما جرى له ثم أقبلوا على الشيخ أبي الريش وقالوا له يا شيخ الشيوخ والله أن هذا الشاب مسكين فعساك أن تساعده على خلاص زوجته وأولاده وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٥٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن حسنا لما حكى للمشايخ قصته قالوا للشيخ أبي الريش هذا الشاب مسكين فعساك أن تساعده على خلاص زوجته وأولاده فقال لهم الشيخ أبو الريش يا أخواني أن هذا أمر عظيم خطر وما رأيت أحد يكره الحياة غير هذا الشاب وأنتم تعرفون أن جزائر واق الواق صعبة الوصول ما وصل إليها أحد إلا خاطر بنفسه وتعرفون قوتهم وأعوانهم وأنا حالف أني ما أدوس لهم أرضاً ولا أتعرض لهم في شيء وكيف يصل هذا إلى بنت الملك الأكبر ومن يقدر أن يوصله إليها أو يساعده على هذا الأمر فقالوا يا شيخ الشيوخ أن هذا الرجل أتلفه الغرام وقد خاطر بنفسه وحضر إليك بكتاب أخيك الشيخ عبد القدوس فحينئذ يجب عليك مساعدته فقام حسن وقبل قدم أبي الريش ورفع ذيله ووضعه على رأسه وبكى وقال له سألتك بالله أن تجمع بيني وبين أولادي وزوجتي ولو كان في ذلك ذهاب روحي ومهجتي فبكى الحاضرون لبكائه وقالوا الشيخ أبي الريش اغتنم أجر هذا المسكين وأفعل معه جميل لأجل أخيك الشيخ عبد القدوس فقال إن هذا الشاب مسكين ما يعرف الذي هو قادم عليه ولكن نساعده على قدر الطاقة ففرح حسن لما سمع كلامه وقبل يديه وقبل أيادي الحاضرين واحداً بعد واحد وسألهم المساعدة فعند ذلك أخذ أبو الريش ورقة ودواة وكتب كتاباً وختمه وأعطاه لحسن ودفع له خريطة من الأدم فيها بخور وآلات نار من زناد وغيره وقال له احتفظ على هذه الخريطة ومتى وقعت في شدة فبخر بقليل منه واذكرني فإني أحضر عندك وأخلصك منها ثم أمر بعض الحاضرين أن يحضر له عفريتاً من الجن الطيارة في ذلك الوقت فحضر فقال له الشيخ ما أسمك قال عبدك دهنش ابن فقطش فقال له أبو الريش أدن مني فدنا منه فوضع الشيخ أبو الريش فاه على أذن العفريت وقال له كلاماً فحرك العفريت رأسه ثم قال الشيخ لحسن يا ولدي قم أركب على كتف هذا العفريت دهنش الطيار فإذا رفعك إلى السماء وسمعت تسبيح الملائكة في الجو فلا تسبح فتهلك أنت وهو فقال حسن لا أتكلم أبداً ثم قال له الشيخ يا حسن إذا سار بك فإنه يضعك ثاني يوم في وقت السحر على أرض بيضاء نفيسة مثل الكافور فإذا وضعك هناك فامش عشرة أيام وحدك حتى تصل إلى باب المدينة فإذا وصلت إليها فأدخل وأسأل على ملكها فإذا اجتمعت به فسلم عليه وقبلي يده وأعطه هذا الكتاب ومهما أشار إليك

فأفهمه فقال حسن سمعاً وطاعة وقام مع العفريت وقام المشايخ ودعوا له ووصوا العفريت عليه فلم ا حمل ه العفريت على عاتقه ارتفع به إلى عنان السماء ومشى به يوماً وليلة حتى سمع تسبيح الملائكة في السماء فلما كان الصبح وضعه في أرض بيضاء مثل الكافور وتركه وانصرف فلما أدرك حسن أنه عل ى الأرض ول م يكن عنده أحس سار في الليل والنهار مدة عشرة أيام إلى أن وصل إلى باب المدينة فدخلها وسأل عن المل ك فدلوه عليه وقالوا أن أسمه الملك حسون ملك أرض الكافور وعنده من العسكر والجنود ما يملأ الأرض ف ي طولها والعرض فاستأذن حسن فأذن له فلما دخل عليه وجده ملكاً عظيماً فقبل الأرض بين يديه فقال له الملك ما حاجتك فقبل حسن الكتاب وناوله أياه فأخذه وقرأه ثم حرك رأسه ساعة ثم قال لبعض خواصه خ ذ ه ذا الشاب وأنزله في دار الضيافة فأخذه وسار حتى أنزله هناك فأقام بها مدة ثلاثة أيام في أكل وش رب ول يس عنده إلا الخادم الذي معه فصار ذلك الخادم يحدثه ويؤانسه ويسأله عن خبره وكيف وصل إلى ه ذه ال ديار فأخبره بجميع ما حصل له وكل ما هو فيه وفي اليوم الرابع فأخذه الغلام وأحضره بين يدي الملك فقال له يا حسن أنت قد حضرت عندي تريد أن تدخل جزائر واق الواق كما ذكر لنا شيخ الشيوخ يا ولدي أنا أرس لك في هذه الأيام إلا أن في طريقك مهالك كثيرة وبراري معطشة كثيرة المخاوف ولكن اص بر ولا يك ون إلا خيراً فلابد أن أتخيل وأوصلك إلى ما تريد أن شاء الله تعالى واعلم يا ولدي أن هنا عسكراً من الديلم تريدون الدخول في جزائر واق الواق مهيئين بالسلاح والخيل والعدد وما قدروا على الدخول ولكن يا ول دي لأج ل شيخ الشيوخ أبي الريش ابن بلقيس بن معن ما أقدر أن أردك إليه إلا مقضي الحاجة وعن قريب تأتي إلين ا مراكب من جزائر واق الواق وما بقي لها إلا القليل فإذا حضرت واحدة منها أنزلتك فيها وأوصى البحري ة عليك ليحفظوك ويرسلوك إلى جزائر واق الواق وكل من سالك عن حالك وخبرك فقل له أنا ص هر المل ك حسون صاحب أرض الكافور وإذا رست المركب على جزائر واق الواق وقال لك الريس اطلع البر ف اطلع ترى دككا كثيرة في جميع جهات البر فاختر لك دكة وأقعد تحتها ولا تتحرك فإذا جن الليل ورأي ت عس كر النساء قد أحاط بالبضائع فمد يدك وأمسك صاحبه هذه الدكة التي أنت تحتها واستجر بها واعلم يا ول دي إذا جارتك قضيت حاجتك فتصل إلى زوجتك وأولادك وإن لم تجرك فاحزن على نفسك وأيأس من الحياة وتيقن هلاك نفسك واعلم يا ولدي أنك مخاطر بنفسك ولا أقدر لك على شيء غير هذا والس لام وأدرك ش هرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٥٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن حسناً لما قال له الملك حسون هذا الكلام وأوصاه بالذي ذكرناه وقال له أنا لا أقدر لك على شيء غير هذا قال بعد ذلك واعلم أنه لولا حصلت لك عناية م ن رب الس ماء م ا وصلت إلى هنا فلما سمع حسن كلام الملك حسون بكي حتى غشي عليه فلما أفاق أنشد هذين البيتين:

لاب . . .د م . . .ن م . . .دة محتوم . . .ة   ف . . إذا انقض . . ت أيامه . . ا م . . ت

ل . و ص . ارعتني الأسـ . د ف . ي غاباته . ا   لقهرته . . ا م . . ا دام ل . . ي وق . . ت

فلما فرغ حسن من شعره قبل الأرض بين يدي الملك وقال له أيها الملك العظيم وكم بقي من الأي ام حتى تأتي المراكب قال مدة شهر ويمكثون هنا لبيع ما فيها مدة شهرين ثم يرجعون إلى بلادهم ف لا تت رج

سفرك فيها إلا بعد سنة أشهر كاملة ثم أن الملك أمر حسناً أن يذهب إلى دار الضيافة وأمر أن يحمل إليه كل ما يحتاج إليه من مأكول ومشروب وملبوس من الذي يناسب الملوك فأقام في دار الضيافة شهراً وبعد الشهر حضرت المراكب فخرج الملك والتجار وأخذ حسناً معه إلى المراكب فرأى مركباً فيه ا خل ق كثير ر مث ل الحصي ما يعلم عددهم إلا الذي خلقهم وتلك المركب في وسط البحر ولها زوارق صغار تنقل ما فيه ا م ن البضائع إلى البر فأقام حسن عندهم حتى نزع أهلها البضائع منها إلى البر وباعوا واشتروا وما بقي للسفر إلا ثلاثة أيام فأحضر حسناً بين يديه وجهز له ما يحتاج إليه وأنعم عليه أنعاماً عظيماً ثم بعد ذلك استدعى رئيس المركب وقال له خذ هذا الشاب معك في المركب ولا تعلم به أحداً وأوصله إلى جزائر واق الـ واق وأتركه هناك ولا تأت به فقال الريس سمعاً وطاعة ثم أن الملك أوصى حسناً وقال له لا تعلم أحداً من الذين معك في المركب بشيء من حالك ولا تطلع أحداً على قصتك فتهلك قال سمعاً وطاعة ثم ودعه بعد أن دعا له بطـ ول البقاء والدوام والنصر على جميع الحساد والأعداء وشكره الملك على ذلك ودعا له بالسلامة وقضاء حاجته ثم سلمه للريس فأخذه وحطه في صندوق وأنزله في قارب ولم يطلعه في المركب إلا والناس مشغولون ف ي نقل البضائع وبعد ذلك سافرت المركب ولم تزل مسافرة مدة عشرة أيام فلما كان اليوم الحادي عشر وصـ لوا إلى البر فطلعه الريس من المركب فلما طلع من المركب إلى البر رأى فيه دككا لا يعلم عددها إلا الله فمشى حتى وصل إلى دكة ليس لها نظير واختفى تحتها فلما أقبل الليل جاء خلق كثير من النسـ اء مثـ ل الجـ راد المنتشر وهن ماشيات على أقدامهن وسيوفهن مشهورة في أيديهن ولكنهم غائصات فـ ي الـ زرد فلمـ ا رأت السماء البضائع اشتغلن بها ثم بعد ذلك جلسن لأجل الاستراحة فجلست واحدة منهن على الدكة التـ ي تحتهـ ا حسن فأخذ حسن طرف ذيلها وحطه فوق راسه ورمى نفسه عليها وصار يقبل يديها وقدميها وهو يبكي فقالت له يا هذا قم واقفاً قبل أن يراك أحداً فيقتلك فعند ذلك خرج حسن من تحت الدكة ونهض قائماً علـ ى قدميه وقبّل يديها وقال لها يا سيدتي أنا في جيرتك ثم بكى وقال لها ارحمي من فارق أهله وزوجته وأولاده وبـ ادر إلى الاجتماع بهم وخاطر بروحه ومهجته فأرحميني وأيقني أنك تؤجرين على ذلك بالجنة وإن لـ م تقبليـ ي فأسألك بالله العظيم الستار أن تستري علي فصارت التجار شاخصة له وهو يكلمها فلما سمعت كلامه ونظرت تضرعه رحمته ورق قلبها إليه وعلمت أنه ما خطر بنفسه وجاء إلى هذا المكان إلا لأمر عظيم فعنـ د ذكـ ل قالت لحسن يا ولدي طب نفساً وقر عيناً وطيب قلبك وخاطرك وارجع إلى مكانك واختف تحت الدكـ ة كمـ ا كنت أولاً إلى الليلة الآتية يفعل الله ما يريد ثم ودعته ودخل حسن تحت الدكة كما كان ثم أن العسـ اكر بـ تن يوقدون الشموع الممزوجة بالعود الند والعنبر الخام إلى الصباح فلما طلع النهار ورجعت المراكب إلى البـ ر واشتغل التجار بنقل البضائع والأمتعة إلى أن أقبل الليل وحسن مختف تحت الدكة باكي العين حزين القلـ ب ولم يعلم بالذي قدر له في الغيب فبينما هو كذلك إذا أقبلت عليه المرأة التاجرة التي كان استجار بها وناولته زردية وسيفاً وحياصة مذهباً ورمحاً ثم انصرفت عنه خوفاً من العسكر فلما رأى ذلك علم أن التـ اجرة مـ ا أحضرت له هذه العدة إلا ليلبسها فقام حسن ولبس الزردية وشد الحياصة على وسطه وتقلد بالسـ يف تحـ ت أبطه وأخذ الرمح بيده وجلس على تلك الدكة ولسانه لم يغفل عن ذكر الله تعالى بل يطلب منه السـ تر وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة٧٥٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن حسناً لما أخذ السلاح الذي عطته إياها الصبية التي اسـ تجار بهـ ا وقالت له اجلس تحت الدكة ولا تخل أحد يفهم حالك وتقلد به ثم جلس فوق الدكة ولسانه لم يغفل عن ذكر الله تعالى وصار يطلب من الله الستر فبينما هو جالس إذا أقبلت المشاعل والفوانيس والشموع وأقبلـ ت عسـ اكر النساء فقام حسن واختلط بالعسكر وصار كواحدة منهن فلما قرب طلوع الفجر توجهت العساكر وحسن معهن حتى وصلن إلى خيامهن ودخلت كل واحدة خيمتها فدخل حسن خيمة واحدة منهن وإذا هي خيمـ ـة صـ ـاحبته التي كان استجار بها فلما دخلت خيمتها ألقت سلاحها وقلعت الزردية والنقاب وألقى حسن سلاحه فنظر إلـ ـى صاحبته فوجدها زرقاء العينين كبيرة الأنف وهي داهية من الدواهي أقبح ما يكون في الخلق بوجـ ـه أجـ ـدر وحاجب أمعط وأسنان مكسرة وخدود معجزة وشعر شائب وفم بالريالة سائل وهي كما قال في مثلها الشاعر:

لهـ ـا فـ ـي زوايـ ـا الوجـ ـه تسـ ـع مصـ ـائب　　فواحـ . . دة مـ . . نهن تبـ . . دي جهنمـ . . ا

بوجـ . . ـه بشـ . . يع ثـ . . م ذات قبيحـ . . ـة　　كصـ . .ورة خنزيـ . .ر تـ . .راه مرمرمـ . .ا

وهي بذات معطاء كحية رقطاء فلما نظرت العجوز إلى حسن تعجبت وقالت كيف وصل هذا إلى هذه الدار وفي أي المراكب حضر وكيف سلم وصارت تسأله عن حاله وتتعجب من وصوله فعند ذلك وقع حسن على أقدامها ومرغ وجهه على رجليها وبكى حتى غشي عليه فلما أفاق أنشد هذه الأبيات:

متـ . . ى الأيـ . . ـام تسـ . . مح بـ . . التلاقي　　وتجمـ . . ـع شـ . . ملنا بعـ . . د الفـ . . راق

وأحظـ . ى بالـ . . ذي أرضـ . . ـاه مـ . . نهم　　عتابـ . . ـاً ينقضـ . . ـي والـ . . ود بـ . . ـاقي

لـ . و أن النيـ . ل يجـ . ري مثـ . ل دمعـ . ـي　　لمـ . ـا خلـ . ـى علـ . ـى الـ . دنيا شـ . ـراقي

وقـ . ـاض علـ . ـى الحجـ . ـاز وأرض مصـ . ـر　　كـ . .ذاك الشـ . .ام مـ . .ـع أرض العـ . .راق

وذاك لأجـ . .ل صـ . . ـدك يـ . . ـا حبيبـ . . ـي　　ترفـ . . ق بـ . . ـي وواعـ . . ـد بـ . . ـالتلاقي

فلما فرغ من شعره أخذ ذيل العجوز ووضعه فوق رأسه وصار يبكي ويستجير بها فلما رأت العجوز احتراقه ولوعته وتوجعه وكربته حن قلبها إليه وأجارته وقالت له لا تخف أبداً ثم سألته عن حاله فحكى لهـ ا جميع ما جرى له من المبتدأ إلى المنتهى فتعجبت العجوز من حكايته وقالت له طيب قلبك وطيب خاطرك ما بقي عليك خوف وقد وصلت إلى مطلوبك وقضاء حاجتك إن شاء الله تعالى ففرح حسن بذلك فرحاً شديد ثـ م أن العجوز أرسلت إلى قواد العسكر أن يحضروا وكان ذلك في آخر يوم من الشهر فلما حضروا بين يـ ديها قالت لهم أخرجوا ونادوا في جميع العسكر إن يخرجوا في غد بكرة النهار ولا يتخلف أحد منهم فإن تخلـ ف أحد راحت روحه فقالوا لها سمعاً وطاعة ثم خرجوا ونادوا في جميع العسكر بالرحيل في غد بكرة النهار ثم عادوا وأخبروها بذلك فعلم حسن أنها رئيسة العسكر وصاحبة الرأي فيه وهي المقدمة عليه ثم أن حسـ ناً لـ م يقلع السلاح من فوق بدنه في ذلك النهار وكان اسم تلك العجوز التي هو عندها شواهي وتكنى بأم الـ دواهي فما فرغت العجوز من أمرها ونهيها إلا وقد طلع الفجر فخرج العسكر جميعه من أماكنها ولم تخرج العجوز معهم فلما سار العسكر خلت منه الأماكن قالت شواهي لحسن أدن مني يا ولدي فدنا منها ووقف بـ ين يـ ديها فأقبلت عليه وقالت له ما السبب في مخاطرتك بنفسك ودخولك إلى هذه البلاد وكيف رضيت نفسك بـ الهلاك

فأخبرني بالصحيح عن جميع شأنك ولا تخبى عني منه شيئاً ولا تخف فإنك قد صرت في عهدي وقد أجرتك ورحمتك ورثيت لحالك فإن أخبرتني بالصدق أعنتك على قضاء حاجتك ولو كان فيها رواح إلا رواح وهلاك الأشباح وحيث وصلت إلى ما بقي عليك بأس ولا أخلى أحداً يصل إليك بسوء أبداً من كل ما في جزائر واق الواق فحكى لها قصته من أولها إلى آخرها وعرفها بشأن زوجته وبالطيور وكيف اصطادها من بين العشرة وكيف تزوج بها ثم أقام معها حتى رزق منها بولدين وكيف أخذت أولادها وطارت حين عرفت طريق الثوب الريش ولم يخف من حديثه شيئا من أوله إلى يومه الذي هو فيه فلما سمعت العجوز كلامه حركت رأسها وقالت سبحان الله الذي سلمك وأوصلك إلى هنا وأوقعك عندي ولو كنت وقعت عند غيري كانت روحك راحت ولم تقض لك حاجة ولكن صدق نيتك ومحبتك وفرط شوقك إلى زوجتك وأولادك هو الذي أوصلك إلى حصول بغيتك ولولا أنك لها محب وبها ولهان ما كنت خاطرت بنفسك هذه المخاطرة والحمد لله على السلامة وحينئذ يجب علينا أن تقضي لك حاجتك ونساعدك على مطلوبك حتى تنال بغيتك عن قريب إن شاء الله تعالى ولكن اعلم يا ولدي أن زوجتك في الجزيرة السابعة من جزائر واق الواق ومسافة ما بيننا وبينها سبعة أشهر ليلاً ونهاراً فأننا نسير من هنا حتى نصل إلى أرض يقال لها أرض الطيور ومن شدة صياح الطيور وخفقان أجنحتها لا يسمع بعضنا كلام بعض وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٦٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العجوز قالت لحسن أن زوجتك في الجزيرة السابعة من جزائر واق الواق ومسافة ما بيننا وبينها سنة كاملة للراكب المجد في السير وعلى شاطيء هذا النهر جبل آخر يسمى جبل واق وهذا الاسم علم على شجرة أغصانها تشبه رؤوس بني آدم فإذا طلعت الشمس عليها تصبح تلك الرؤوس جميعاً وتقول في صياحها واق واق سبحان الملك الخلاق فإذا سمعنا صياحها نعلم أن الشمس قد طلعت وكذلك إذا غربت الشمس تصيح تلك الرؤوس وتقول في صياحها أيضاً واق واق سبحان الملك الخلاق فتعلم أن الشمس غربت ولا يقدر أحد من الرجال أن يقيم عندنا ولا يصل إلينا ولا يطأ أرضنا وبيننا وبين الملكة التي تحكم على هذه الأرض مسافة شهر من هذا البر وجميع الرعية التي في ذلك البر تحت يد تلك الملكة وتحت يدها أيضاً قبائل الجان المردة والشياطين وتحت يدها من السحرة مالا يعلم عددهم إلا الذي خلقهم فإن كنت تخاف أرسلت معك من يوصلك إلى الساحل وأجيء بالذي يحملك معه في مركب ويوصلك إلى بلادك وإن كان يطيب على قلبك الإقامة معنا فلا أمنعك وأنت عندي في عيني حتى تقضي حاجتك إن شاء الله تعالى فقال حسن يا سيدتي ما بقيت أفارقك حتى اجتمع بزوجتي أو تذهب روحي فقالت له هذا أمر يسير فطيب قلبك وسوف تصل إلى مطلوبك إن شاء الله تعالى ولابد أن أطلع الملكة عليك حتى تكون مساعدة لك على بلوغ قصدك فدعا لها حسن وقبّل يديك ورأسها وشكرها على فعلها وفرط مروءتها وسار معها وهو متفكر في عاقبة أمره وأهوال غربته فسار يبكي وينتحب وجعل ينشد هذه الأبيات:

م . . ن ك . .ان الحبيب . .ب ه . .ب نس . .يم ... فتراني . ي م . . ن ف . رط وجد . دي أه . .يم

إن لي . .ل الوص . .ال ص . .بح مض . .يء ... ونه . . .ار الف . . .راق لي . . .ل به . . .يم

ووداع الحبيب . . .ب ص . . .عب ش . . .ديد ... وف . .راق الأن . .يس حط . . .ب جس . .يم

لسـ . . ت أشـ . . كو جفـ . . اه إلا إليـ . . ـه   لـ .ـم يكـ .ـن فـ .ـي الـ .ـوري صـ .ـديق حمـ .ـيم
وسـ . . لوى عـ . . نكم محـ . . ـال فـ . . أنني   لـ . يس يسـ . ـلي قلبـ . ـي عـ . ذول ذمـ . يم
يـ . . ا وحيـ . ـد الجمـ . ـال عشـ . ـقي وحيـ . ـد   يـ . .ـا عـ . .ـديم المثـ . .ـال قلبـ . .ـي عـ . .ـديم
كـ . .ـل مـ . .ـن يـ . .ـدعي المحبـ . ـة فـ . .ـيكم   ويهـ . . ـاب المـ . . ـلام فهـ . . ـو ملـ . . ـوم

ثم أن العجوز أمرت بدق طبل الرحيل وسار العسكر وسار حسن صحبة العجوز وهو غرق ـان فـ ـي بحر الأفكار يتضجر وينشد الأشعار والعجوز تصبره وتسليه وهو لا يفيق ولا يعي ما إليه تلقيه ولم يزالـ ـوا سائرين إلى أن وصلوا إلى جزيرة من الجزائر السبعة وهي جزيرة الطيور فلما دخلوها ظن حسن أن الـ دنيا قد انقلبت من شدة الصياح وأوجعته رأسه وطاش عقله وعمي بصره وانعدت أذناه وخاف خوفاً شديداً وأيقـ ـن بالموت وقال في نفسه إذا كانت هذه أرض الطيور فكيف أرض الوحوش فلما رأته العجوز المسماه بشواهي على هذه الحالة ضحكت عليه وقالت له يا ولدي إذا كان هذا حالك من أول جزيرة فكيف بك إذا وصلت إلى بقية الجزائر فسأل الله وتضرع إليه وطلب منه أن يعينه على ما بلاه وأن يبلغه مناه ولم يزالوا سائرين حتى قطعوا أرض الطيور وخرجوا منها ودخلوا في أرض الجان فلما رآها حسن خاف وندم على دخولـ ـه فيهـ ـا معهم ثم استعان بالله تعالى وسار معهم فعند ذلك خلصوا من أرض الجان وصلوا إلى النهر فنزلوا تحت جبل عظيم شاهق ونصبوا خيامهم على شاطيء النهر ووضعت العجوز لحسن دكه من المرمر مرصـ ـعة بالـ ـدر والجوهر وسبائك الذهب الأحمر في جنب النهر فجلس عليها وتقدمت العساكر فعرضتهم عليه ثم بعـ ـد ذلـ ـك نصبوا خيامهم حوله واستراحوا ساعة ثم أكلوا وشربوا وناموا مطمئنين لأنهم وصلوا إلى بلادهم وكان حسن واضعاً على وجهه لثاما بحيث لا يظهر منه غير عينه وإذا بجماعة من البنات مشين إلى قرب النهر ثم قلعن ثيابهن ونزلن في النهر فصار حسن ينظر إليهن وهن يغتسلن فصرن يلعبن وينشرحن ولا يعلمن أنه نـ ـاظر إليهن لأنهن سمعن أنه من بنات الملوك فاشتد على حسن وتره حيث كان ينظر إليهن وهـ ـن مجـ ـردات مـ ـن ثيابهن وقد رأى ما بين أفخاذهن أنواع مختلفة ما بين ناعم ومقبقب وسمين مربرب وغليظ المشـ ـافر وكامـ ـل وبسيط ووافر ووجوههن كالأقمار وشعورهن كليل على نهار لأنهن من بنات الملوك ثم أن العجوز نصبت له سرير وأجلسته فوقه فلما خلصن طلعن من النهر وهن متجردات كالقمر ليلة البدر وقد اجتمع جميع العسـ ـكر قدام حسن لأن العجوز أمرت أن ينادي في جميع العسكر أن يجتمعن قدام خيمته ويتجردن من ثيابهن وينزلن في النهر ويغتسلن فيه لعل زوجته أن تكون فيهن فيعرفها وصارت العجوز تسأله عنهن طائفة بعـ ـد طائفـ ـة فيقول ما هي في هؤلاء يا سيدتي. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٦١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العجوز كانت تسأل حسناً عن البنات طائفة بعد طائفة لعله يعـ ـرف زوجته بينهن وكلما سألته عن طائفة يقول ما هي في هؤلاء يا سيدتي ثم بعد ذلك تقدمت جارية فـ ـي آخـ ـر الناس وفي خدمتها ثلاثون خادمة كلهن بهذا بكارفنز عن ثيابهن ونزلن معها في النهر فصارت تتدلل علـ ـيهن وترميهن في البحر وتغطسهن ولم تزل معهن على هذا الحال ساعة زمانية ثم طلعن من النهر وقعدن فقـ ـدمن إليها مناشفت من حرير مزرقشة بالذهب فأخذتها وتنشفت بهائم قدموا إليها ثياباً وحللا وحلياً من عمل الجـ ـن

فأخذتها ولبستها وقامت تخطر بين العسكر هي وجواريها فلما رآها حسن طار قلبه وقال هذه أشد به الناس بالطيرة التي رأيتها في البحيرة في قصر أخواتي البنات وكانت تتدلل على اتباعها مالها فقالت العجوز يا حسن هذه زوجتك فقال لا وحياتك يا سيدتي ما هذه زوجتي ولا مثل قدها واعتدالها وحسنها وجمالها فقالت صفها لي وعرفني بجميع أوصافها حتى تكون في ذهني فأني أعرف كل بنت في جزائر واق الواق لأني بقية عسكر البنات والحاكمة عليهن وإن وصفتها لي عرفتها وتحيلت لك في أخذها فقال لها حسن أن زوجتي صاحبة وجه مليح وقدّ رجيح أسيلة الخد قائمة النهد دعجاء العينين ضخمة الساقين بيضاء الأسنان حلوة اللسان ظريفة الشمائل كأنها غصن مائل بديعة الصفة حمراء الشفة بعيون كحال وشفايف رقاق على خدها الأيمن شامة وعلى بطنها من تحت سرتها علامة ووجهها منير كالقمر مستدير وخصرها نحيل وردفها ثقيل وريقها يشفي العليل كأنه الكوثر أو السلسبيل فقالت العجوز زدني في أوصافها بياناً زادك الله تعالى فيها افتتاناً فقال لها حسن أن زوجتي ذات وجه جميل وعنق طويل وطرف كحيل وخدود كالشقيق وفم كخاتم عقيق وثغر لا مع البريق يغني عن الكأس والأبريق في هيكل اللطافة وبين فخذيها تخت الخلاقة ما مثل حزمة بين المشاعر كما قال في حقه الشاعر:

اسم الذي حيرني حروفه مشتهرة أربعة في خمسة وستة في عشرة

ثم بكى حسن وغنى بهذا الموال:

وجدي بكم وجد هندي ضيع القصعة أو وجد ساعي وفي رجله اليمين قصعة

أو وجد مغنى عليل بجروح متسعة أو وجد من حرر السبعة على العشرين

ولعنة الله على من يتبع التسعة

فأطرقت العجوز برأسها إلى الأرض ساعة من الزمان ثم رفعت رأسها إلى حسن وقالت سبحان الله العظيم الشأن أني بليت بك يا حسن فياليتني ما كنت عرفتك لأن المرأة التي وصفتها لي هي زوجتك بعينها فأني قد عرفتها بصفتها وهي بنت الملك الأكبر الكبيرة التي تحكم على جزائر واق الواق بأسرها فافتح عينك ودبر أمرك وإن كنت نائماً فانتبه فإنه لا يمكنك الوصول إليها أبداً وإن وصلت إليها لا تقدر على تحصيلها لأن بينك وبينها مثل ما بين السماء والأرض فارجع يا ولدي من قريب ولا ترم نفسك في الهلاك وترميني معك فإني أظن أنه ليس لك فيها نصيب وارجع من حيث أتيت لئلا تروح أرواحنا وخافت على نفسها وعليه فلما سمع حسن كلام العجوز بكى بكاء شديداً حتى غشي عليه فمازالت العجوز ترش على وجهه الماء حتى أفاق من غشيته وصار يبكي حتى بل ثيابه بالدموع من عظم ما لحقه من الهم والغم من كلام العجوز وقد يئس من الحياة ثم قال للعجوز يا سيدتي وكيف أرجع بعد أن وصلت إلى هنا ما كنت أظن في نفسي أنك تعجزين عن تحصيل غرضي خصوصاً وأنت نقيبة عسكر البنات والحاكمة عليهن قالت بالله يا ولدي أن تختار لك بنتاً من هؤلاء البنات وأنا أعطيك إياها عوضاً عن زوجتك لئلا تقع في يد الملوك فلا يبقى لي في خلاصك حيلة فبالله عليك أن تسمع مني وتختار لك واحدة من هؤلاء البنات غير تلك البنت وترجع إلى بلادك

من قريب سالماً ولا تجرعني غصتك والله لقد رميت نفسك في بلاء عظيم وخطر جسيم لا يقدر أحد أن يخلصك منه فعند ذلك أطرق حسن رأسه وبكى بكاء شديداً وأنشد هذه الأبيات:

فقلت لعذالي لا تعذلوني لغير البكا ما خلقت جفوني
مدامع مقلتي طفحت ففاضت على خدي وإحبابي جفوني
دعوني في الهوى قد رق جسمي لأني في الهوى أهوى جنوني
ويا أحباب قد زاد اشتياقي إليكم ما لكم لا ترحموني
جفوتم بعد ميثاقي وعهدي وخنتم صحبتي وتركتموني
ويوم البين لما قد رحلتم سقيتم من الصدود شراب هون
فيا قلبي عليهم ذب غراماً وجودي بالمدامع يا عيوني

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٦٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العجوز لما قالت لحسن بالله عليك يا ولدي أن تسمع كلامي وتختار لك واحدة من هؤلاء البنات غير زوجتك وترجع إلى بلادك من قريب سالماً فاطرق رأسه وبكى بكاء شديداً فأنشد الأبيات المذكورة فلما فرغ من شعره بكى حتى غشي عليه فمازالت العجوز ترش على وجهه الماء حتى أفاق من غشيته ثم قبلت عليه وقالت له يا سيدي ارجع إلى بلادك فإني متى سافرت بك إلى المدينة راحت روحك وروحي لأن الملكة إذا علمت بذلك تلومني على دخولي بك إلى بلادها وجزائرها التي لم يصلها أحد من بني آدم وتقتلني حيث حملتك معي واطلعتك على هؤلاء الأبكار التي رأيتهن في البحر مع أنه لم يمسهن فحل ولم يقربهن بعل فحلف حسن أنه ما نظر إليهن نظر سوء قط فقالت له يا ولدي ارجع إلى بلادك وأنا أعطيك من المال والذخائر والتحف ما تستغنين به عن جميع النساء فاسمع كلامي وارجع من قريب ولا تخاطر بنفسك فقد نصحتك فما سمع كلامها بكى ومرّغ خديه على أقدامها وقال يا سيدتي ومولاتي وقرة عيني كيف أرجع بعد ما وصلت على هذا المكان ولم أنظر من أريد وقد قربت من دار الحبيب وترجيت اللقاء عن قريب لعله أن يكون لي في الاجتماع نصيب ثم أنشد هذه الأبيات:

يا ملوك الجمال رفقاً بأسرى لجفون تملكت ملك كسرى
قد غلبتم روائح المسك طيباً" وبهرتم محاسن الورد زهرا
ويسيم النعيم حيث حللتم فالصبا من هناك تعبق نشرا
عاذلي كف عن ملامي ونصحي أنما جئت بالنصيحة نكرا
ما على صبوتي من العذل والل وم إذا لم تحط بذلك خبرا
أسرتني العيون وهي مراض ورمتني في الحب عنفاً وقهرا
أنثر الدمع حين أنظم شعري هاك مني الحديث نظماً ونثرا
حمرة الخد قد أذابت فؤادي فتلظت مني الجوارح جمرا
خبراني متى تركت حديثي فبأي الحديث اشرح صدرا

ط .ول عم .ري أه .وى الحس .ان ولك .ن يحـ . . دث الله بعـ . . د ذل . . ك أمـ . . راً

فلما فرغ حسن من شعره رقت له العجوز ورحمته وأقبلت عليه وطيبت خاطره وقالت له طب نفساً وقر عيناً وأخل فكرك من الهم والله لأخاطرن معك بروحي حتى تبلغ مقصودك أو تدركني منيتي فطاب قلب حسن وانشرح صدره وجلس يتحدث مع العجوز إلى آخر النهار فلما أقبل الليل تفرقت البنات كلهن فمنهن من دخلت قصرها في البلد ومنهن من باتت في الخيام ثم أن العجوز أخذت حسناً معها ودخلت به إلى البلد فأخلت له مكاناً وحده لئلا يطلع عليه أحد فيعلم الملكة به فتقتله وتقتل من أتى به ثم صارت تخدمه بنفسها وتخوفه من سطوة الملك الأكبر أبا زوجته وهو يبكي بين يديها ويقول يا سيدتي قد اخترت الموت لنفسي وكرهت الدنيا إن لم أجتمع بزوجتي وأولادي فأنا أخاطر بروحي إما أن أبلغ مرادي وإما أن أموت فصارت العجوز تتفكر في كيفية وصوله واجتماعه بزوجته وكيف تكون الحيلة في أمر هذا المسكين الذي رمي روحه في الهلاك ولم ينزجر عن قصده بخوف ولا غيره وقد سلا جسمه وصاحب المثل يقول العاشق لا يسمع كلام خلى وكانت تلك البنت ملكة الجزيرة التي هم نازلون فيها وكان اسمها نور الهدى وكان لهذه الملكة سبع أخوات بنات أبكار مقيمات عند أبيهن الملك الأكبر الذي هو حاكم على السبع جزائر وأقطار واق الواق وكان تحت ذلك الملك في المدينة التي هي أكبر مدن ذلك البر وكانت بنته الكبيرة وهي نور الهدى هي الحاكمة على تلك المدينة التي فيها حسن وعلى سائر أقطارها ثم أن العجوز لما رأت حسناً محترقاً على الاجتماع بزوجته وأولاده قامت وتوجهت إلى قصر الملكة نور الهدى فدخلت عليها وقبلت الأرض بين يديها وكان للعجوز فضل عليها لأنها ربت بنات الملك جميعهن ولها على الجميع سلطنة وهي مكرمة عندهم عزيزة عند الملك فلما دخلت العجوز على الملكة نور الهدى قامت لها وعانقتها وأجلستها جنبها وسألتها عن سفرتها فقالت لها والله يا سيدتي أنها كانت سفرة مباركة وقد أصبحت لك معي هدية سأحضرها بين يديك ثم قالت لها يا بنتي يا ملكة العصر والزمان إني أتيت معي بشيء عجيب وأريد أن أطلعك عليه لأجل أن تساعديني على قضاء حاجته فقالت لها وما هو فأخبرتها بحكاية حسن من أولها إلى آخرها وهي ترتعد كالقصبة في يوم الريح العاصف حتى وقعت بين يدي بنت الملك وقالت لها يا سيدتي قد استجار بي شخص على الساحل كان مختفياً تحت الدكة فأجرته وأتيت به معي بين عسكر البنات وهو حامل السلاح بحيث لا يعرفه أحد وأدخلته البلد ثم قالت لها وقد خوفته من سطوتك وعرفته ببأسك وقوتك وكلما أخوفه يبكي وينشد الأشعار ويقول لابد لي من رؤية زوجتي وأولادي أو أموت ولا أرجع إلى بلادي من غيرهم وقد خاطر بنفسه وجاء إلى جزائر واق الواق ولم أر عمري آدمياً أقوى قلباً منه ولا أشد بأساً منه لأن الهوى قد تمكن منه غاية التمكن وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٦٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العجوز لما حكت للملكة نور الهدى حكاية حسن قالت لها وما رأيت أقوى قلباً منه لأن الهوى قد تمكن منه غاية التمكن فلما سمعت الملكة كلامها وفهمت قصة حسن غضبت غضباً شديداً وأطرقت برأسها إلى الأرض ساعة ثم رفعت رأسها ونظرت إلى العجوز وقالت لها يا عجوز النحس هل بلغ من خبثك أنك تحملين الذكور وتأتين بهم معك إلى جزائر واق الواق وتدخلين بهم عليّ ولا

تخافي من سطوتي وحق رأس الملك لولا مالك علي من التربية لقتلتك أنت وإياه في هذه الساعة أقبح قتله حتى يعتبر المسافرون بك يا ملعونة لئلا يفعل أحد مثل ما فعلت من هذه الفعلة العظيمة التي لا يقدر أحد عليها ولكن اخرجي واحضريه في هذه الساعة حتى أنظره فخرجت العجوز من بين يديها وهي مدهوشة لا تدري أين تذهب وتقول كل هذه المصيبة ساقها الله لي من هذه الملكة على يد حسن ومضت إلى أن دخلت على حسن فقالت له قم كلم الملكة يا من آخر عمره قد دنا فقام معها ولسانه لا يفتر عن ذكر الله تعالى ويقول الله ألطف بي في قضائك وخلصني من بلائك فسارت به حتى أوقفته بين يدي الملكة نور الهوى وأوصته العجوز في الطريق بما يتكلم به معها فلما تمثل بين يدي نور الهدى رآها ضاربة لثاما فقبّل الأرض بين يديها وسلم عليها وأنشد هذين البيتين:

أدام الله ع . . . زك ف . . . ي س . . . رور وحول . . ك الإل . . . ه بم . . . ا حب . . . اك
وزادك ربن . . . . ا ع . . . زاً ومج . . . داً وأيّ . . دك الق . . دير عل . . . ى ع . . داك

فلما فرغ من شعره أشارت الملكة إلى العجوز أن تخاطبه قدامها لتسمع مجاوبته فقالت العج وز إن الملكة ترد عليك السلام وتقول لك ما أسمك ومن أي البلاد أتيت وما اسم زوجتك وأولادك الذين جئت م ن أجلهم وما اسم بلادك فقال لها وقد ثبت جنانه وساعدته المقادير يا ملكة العص ر والأوان ووحي دة ال دهر والزمان أما أنا فأسمي حسن الكثير الحزن وبلدي البصرة وأما زوجتي فلا أعرف لها اسماً وأما اسم أولادي فواحد اسمه ناصر والآخر منصور فلما سمعت الملكة كلامه وحديثه قالت فمن أين أخذت أولادها فقال لها يا ملكة من مدينة بغداد من قصر الخلافة فقالت وهل قالت لكم شيئاً عندما طارت قال إنها قالت لوالدتي إذا جاء ولدك وطالت عليه أيام الفراق واشتهي القرب مني والتلاق وهزته رياح المحبة والاشتياق فليجئني إلا جزائر واق الواق فحركت الملكة نور الهدى رأسها ثم قالت له أنها لو كانت ما تريدك ما قالت لأمك ه ذا الك لام وتشتهي قربك ما كانت أعلمتك بمكانها ولا طلبتك إلى بقلادها فقال حسن يا سيدة الملوك والحاكمة على ك ل ملك وصعلوك أن الذي جرى أخبرتك به ولا أخفيت منه شيئاً وأنا أستجير بالله وبك أن لا تظلميني فارحميني واربحي أجري وثوابي وساعديني على الاجتماع بزوجتي وأولادي وردي لهفتي وق رّي عين ي ب أولادي واسعفيني برؤيتهم ثم بكى وجن واشتكى وأنشد هذين البيتين:

لأشـ . . كرنك م . . ا ناح . . ت مطوق . . ة جه دي وإن كن ت لا أقض ي ال ذي وجب ا
فم . ا تقلب . ت ف . ي نعم . اء س . ابغة ألا وج . دتك فيه . ا الأص . ل والس . ببا

فأطرقت الملكة نور الهدى رأسها إلى الأرض وحركتها زمانا طويلاً ثم رفعتها وقالت له قد رحمتك ورثيت لك وقد عزمت على أن أعرض عليك كل بنت في المدينة وفي بلاد جزيرتي فإن عرف ت زوجت ك سلمتها إليك وإن لم تعرفها قتلتك وصلبتك على باب دار العجوز فقال لها حسن قبلت ذلك منك يا ملكة الزمان ثم أنشد هذه الأبيات:

أقم . تم غرام . ي ف . ي اله . وى وقع . دتم وأسه . .هرتم جفذ . .ي الق . .ريح ونم . .تم
وعاه . .دتموني أنك . .م لـ . .ن تم . .اطلوا فلم . . ا أخ . . ذتم بالقي . . اد غ . . درتم
عش . .قتكم طف . .لاً ولـ . .م أدر اله . .وى ف . . لا تقتلـ . . وني أنه . . ي م . . تظلم
أم . ا تتق . ون الله ف . ي قت . ل عاش . ق يبي . ت يراع . ي الـ . نجم، والذ . اس ذ . وم
فب . االله ي . ا ق . ومي إذا م . ت ف . اكتبوا عل . ى لـ . وح قب . ري أن ه . ذا مت . يم
لع . ل فت . ى مثلـ . ي أضه . ربه اله . وى إذا م . .ا رأى قب . .ري عل . .ى يسه . .لم

فلما فرغ من شعره قال رضيت بالشرط الذي شرطتيه ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فعذ د ذلك أمرت الملكة نور الهدى أن لا تبقى بنت في المدينة إلا تطلع القصر وتمر أمامه ثم أن الملك ة أم رت العجوز شواهي أن تنزل بنفسها إلى المدينة وتحضر كل بنت كانت في المدينة إلـ ى الملك ة ف ي قصه رها وصارت الملكة تدخل البنات على حسن مائة بعد مائة حتى لم يبق في المدينة بنت إلا وعرضتها على حسن فلم ير زوجته فيهن فسألته الملكة وقالت له هل رأيتها في هؤلاء فقال لها وحياتك يا ملكة ما هي فيهن فاشه تد غضب الملكة عليه وقالت للعجوز ادخلي واخرجي كل من في القصر واعرضيه عليه فلما عرضت عليه كل من في القصر ولم ير زوجته فيهن قال للملكة وحياة رأسك يا ملكة ما هي فيهن فغضبت وصرخت على من حولها وقالت خذوه واسحبوه على وجهه فوق الأرض واضربوا عنقه لئلا يخطر بنفسه أحد بعده ويطلع على حالنا ويجوز علينا في بلادنا ويطأ أرضنا وجزائرنا فسحبوه على وجهه ورفضوا أذيله فوقه وغمضوا عينيه ووقفوا بالسيوف على رأسه ينتظرون الإذن فعند ذلك تقدمت شواهي إلى الملكة وقبّلت الأرض بـ ين يـ ديها وأمسكت ذيلها ورفعت فوق رأسها وقالت لها يا ملكة بحق التربية لا تعجلي عليه خصوصاً وأنت تعرفين أن هذا المسكين غريب قد خاطر بنفسه وقاسى أموراً ما قاساها أحد قبله ونجاه الله تعالى عز وجل من المه وت لطول عمره وقد سمع بعد لك فدخل بلادك وحماك فإن قتلتيه تنشر الأخبار عنك مع المسافرين بأنك تبغضين الأغراب وتقتلينهم وهو على كل حال تحت قهرك ومقتول سيفك إن لم تظهر زوجته في بلـ دك وأي وق ت تشتهين حضوره فأنا قادرة على رده إليك وأيضاً فأنا ما أجرته إلا طمعاً في كرمك بسبب مالي عليـ ك م ن التربية حتى ضمنت له أنك توصليه إلى بغيته لعلمي بعدلك وشفقتك ولولا أني أعلم منك هذا ما كنت أدخلتـ ه بلدك وقلت في نفسي أن الملكة تتفرج عليه وعلى ما يقوله من الأشعار والكلام المليح الفصيح الذي يشبه الدر المنظوم وهذا قد دخل بلادنا وأكل زادنا فوجب إكرامه علينا وأدرك شهرزاد الصباح فسه كتت عـ ن الكـ لام المباح.

(وفي ليلة ٧٦٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملكة نور الهدى لما أمرت غلمانها بأخذ حسه ر وضه رب عنقـ ه صارت العجوز تتعطف بخاطرها وتقول لها أنه دخل بلادنا وأكل زادنا فوجب علينا إكرامه خصوصاً وقـ د وعدت بالاجتماع بك وأنت تعرفين أن الفراق صعب وتعرفين أن الفراق قتال خصوصاً فـ راق الأولاد ومـ ا بقي علينا من النساء واحدة إلا أنت نارية وجهك فتبسمت الملكة وقالت من أين له أن يكون زوجـ ي وخلـ ف

مني أولاد حتى أريه وجهي ثم أمرت بحضوره فأدخلوه عليها وأوقفوه بين يديها فكشفت عن وجهها فلما رآها حسن صرخ صرخة عظيمة وخر مغشياً عليه فلم تزل العجوز تلاطفه حتى أنهك من غشـ يته وأنشـ د هـ ذه الأبيات:

يـ . ا نسـ . يماً هـ . ب مـ . ن أرض العـ . راق | فـ . ـي زوايـ . ا أرض مـ . ن قـ . د قـ . ال واق
بلّـ . . ـغ الأحبـ . . ـاب عنـ . . ـي أننـ . . ـي | مـ .ـت مـ . ن طعـ .ـم الهـ .ـوى مـ .ـر المـ .ـذاق
يـ . ا أهيـ . ل الحـ . ب منـ . وا واعطفـ . وا | ذاب قلبـ . .ـي مـ . . ن تبـ . .ـاريح الفـ . .ـراق

فلما فرغ من شعره قام ونظر الملكة وصاح صيحة عظيمة كاد منها القصر أن يسقط على من فيه ثم وقع مغشياً عليه فما زالت العجوز تلاطفه حتى أفاق وسألته عن حاله فقال إن هذه الملكة إما زوجتـ ي وإمـ ا أشبه الناس بزوجتي وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٦٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العجوز لما سألته عن حاله قال لها إن هذه الملكة أما زوجتي وأمـ ا أشبه الناس بزوجتي فقالت الملكة للعجوز ويلك يا داية أن هذا الغريب مجنون أو مختل لأنه ينظر إلى وجهي ويحملق إلي فقالت لها العجوز يا ملكة أن هذا معذور فلا تؤاخذيه فإنه قيل في المثل مريض الهوى ماله دواء وهو والمجنون سواء ثم أن حسناً بكى بكاء شديداً وأنشد هذين البيتين:

أرى آثـ . . . ارهم فـ . . . أذوب شـ . . . وقاً | وأسـ . .كب فـ . .ـي مـ . .ـواطنهم دمـ . .ـوعي
وأسـ . . ـأل مـ . . . ن بفـ . . رقتهم بلانـ . . ـي | يمـ . . . ن علـ . . . ى مـ . . . نهم بـ . . . الرجوع

ثم أن حسناً قال للملكة والله ما أنت زوجتي ولكنك أشبه الناس بها فضحكت الملكة نور الهدى حتـ ى استلقت على قفاها ومالت على جنبها ثم قالت يا حبيبي تمهل على روحك وميزني وجاوبني عن الذي أسـ ألك عنه ودع عنك الجنون والحيرة والذهول فإنه قد قرب لك الفرج فقال حسن يا سيدة الملوك وملجأ كل عنـ ي وصعلوك إني حين نظرتك جننت لأنك إما زوجتي وإما أشبه الناس بزوجتي فاسأليني الآن عما تريدين فقالت أي شيء في زوجتك يشبهني فقال جميع ما فيك من الحسن والجمال والظـ رف والـ دلال كاعتـ دال قوامـ ك وعذوبة كلامك وحمرة خدودك وبروز نهودك وغير ذلك مما يشبهها ثم أن الملكة التفتـ ت إلـ ى شـ واهي أم الدواهي وقالت لها يا أمي ارجعيه إلى موضعه الذي فيه عندك واخدميه أنت بنفسك حتى أتفحص عن أمـ ره فإن كان هذا الرجل صاحب مروءة بحيث أنه يحفظ الصحبة والود وجب علينا مساعدته على قضاء حاجتـ ه خصوصاً وقد نزل أرضنا وأكل طعامنا مع ما تحمله من مشقات الأسفار ومكابدة أهوال الأخطار ولكـ ن إذا أوصلتيه إلى بيتك فأوصي عليه أتباعك وارجعي إليّ بسرعة وإن شاء الله تعالى لا يكون الأخير فعند ذلـ ك خرجت العجوز وأخذت حسناً ومضت به إلى منزلها وأمرت جواريها وخدمها وحشمها بخدمته وأمـ رتهم أن يحضروا له جميع ما يحتاج إليه وأن لا يقصّروا في حقه ثم عادت إلى الملكة بسـ رعة فأمرتهـ ا أن تحمـ ل سلاحها وتأخذ معها ألف فارس من الشجعان فامتثلت العجوز شواهي أمرها ولبسـ ت دروعهـ ا وأحضـ رت

الألف فارس ولما وقفت بين يديها وأخبرتها بإحضار الألف فارس أمرتها أن تسير إلى مدينة الملك الأكبر أبيها وتنزل عند بنته منار السنا أختها وتقول لها ألبسي ولديك الدرعين اللذين عملتيهما لهما وأرسليهما إلى خالتهما فإنها مشتاقة إليهما وقالت لها أوصيك يا أمي بكتمان أمر حسن فإذا أخذتيهما منها فقولي لها إن أختك تستدعيك إلى زيارتها فإذا أعطتك ولديها وخرجت بهما قاصدة الزيارة فاحضري بهما سريعاً وخليها تحضر على مهلها وتعالي من طريق غير الطريق التي تجيء هي منها ويكون سفرك ليلاً ونهاراً واحذري أن يطّلع على هذا الأمر أحد أبداً ثم احلف بجميع الأقسام إن طلعت أختي زوجته وظهر أن ولديها ولداه لا أمنعه من أخذها ولا من السفر معه بأولادها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٦٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد الملكة قالت إني أحلف بالله وأقسم بجميع الأقسام أنها إن طلعت أختي زوجته لا أمنعه من أخذها بل أساعده على أخذها وعلى سفرها معه إلى بلاده فوثقت العجوز بكلامها ولم تعلم بما أضمرته في نفسها وقد أضمرت العاهرة في نفسها أنها إن لم تكن زوجته ولا أولادها يشبهونه تقتله ثم أن الملكة قالت للعجوز يا أمي إن صدق حزري تكون زوجته أختي منار السنا والله أعلم فإن هذه الصفات صفاتها وجميع الأوصاف التي ذكرها من الجمال البارع والحسن البارع لا يوجد في أحد غير أخواتي خصوصاً الصغيرة ثم أن العجوز قبّلت يدها ورجعت إلى حسن وأعلمته بما قالته الملكة فطار عقله من الفرح وقام إلى العجوزه قبل رأسها فقالت له يا ولدي لا تقبل رأسي وقبّلني في فمي واجعل هذه القبلة حلاوة السلامة وطب نفساً وقر عيناً ولا يكن صدرك إلا منشرحاً ولا تستكره أن تقبلني في فمي فإني أنا السبب في اجتماعك بها فطيب قلبك وخاطرك ولا تكن إلا منشرح الصدر قرير العين مطمئن النفس ثم ودعته وانصرفت فأنشد حسن هذين البيتين:

لـ . ـي فـ . ـي محبـ . ـتكم شـ . ـهود أربـ . ـع وشـ . . ـهود كـ . . ـل قضـ . . ـية اثنـ . . ـان
خفقـ . ـان قلبـ . ـي واضـ . ـطراب جـ . ـوارحي ونحـ . ـول جسـ . ـمي وانعقـ . ـاد لسـ . ـاني

ثم أنشد أيضاً هذين البيتين:

شـ . ـيآن لـ . ـو بكـ . ـت الـ . ـدماء عليهمـ . ـا عينـ . . ـاي حتـ . . ـى تؤذنـ . . ـا بـ . . ـذهاب
لـ . ـم يقصـ . ـيا المعشـ . ـار مـ . ـن حقيهمـ . ـا وشـ . ـرح الشـ . ـباب وفرقـ . ـة الأحبـ . ـاب

ثم أن العجوز حمت سلاحها وأخذت معها ألف فارس حاملين السلاح وتوجهت إلى تلك الجزيرة التي فيها أخت الملكة وسارت إلى أن وصلت إلى أخت الملكة وكان بين مدينة نور الهدى وبين مدينة أختها ثلاثة أيام فلما وصلت شواهي إلى المدينة وطلعت إلى أخت الملكة منار السنا سلمت عليها وبلغت السلام من أختها نور الهدى وأخبرتها باشتياقها إليها وإلى أولادها وعرفتها أن الملكة نور الهدى تعتب عليها بسبب عدم زيارتها إياها فقالت لها الملكة منار السنا أن الحق على أختي وأنا مقصرة بعدم زيارتي لها ولكن أزورها الآن ثم أمرت بتبرير خيامها إلى خارج المدينة وأخذت لأختها معها ما يصلح لها من الهدايا والتحف ثم أن

الملك أباها نظر من طبقات القصر فرأى الخيام منصوبة فسأل عن ذلك فقالوا له إن الملكة منار السنا نصبت خيامها بتلك الطريق لأنها تريد زيارة أختها نور الهدى فلما سمع الملك بذلك جهز لها عسكراً يوصلها إلى أختها وأخرج من خزائنه من الأموال ومن المأكل والمشرب ومن التحف والجواهر ما يعجز عنه الوصف وكانت بنات الملك السبعة أشقاء من أب واحد وأم واحدة إلا الصغيرة وكان اسم الكبيرة نور الهدى والثانية نجم الصباح والثالثة شمس الضحى والرابعة شجرة الدر والخامسة قوت القلوب والسادسة شرف البنات والسابعة منار السنا وهي الصغيرة فيهن وهي زوجة حسن وكانت أختهن من أبيهن فقط ثم أن العجوز تقدمت وقبلت الأرض بين يدي مثار السنا فقالت لها منار السنا هل لك حاجة يا أمي فقالت لها أن الملكة نور الهدى أختك تأمرك أن تغيّري لولديك وتلبيسهما الدرعين الذين فصلتيهما لهما وأن ترسليهما معي إليها فأخذهما وأسبق بهما وأكون المبشرة بقدومك عليها فلما سمعت منار السنا كلام العجوز أطرقت رأسها إلى الأرض وتغيّر لونها ولم تزل مطرقة زماناطو يلاثم حركت رأسها ورفعتها إلى العجوز وقالت لها ياأمي قد ارتجف فؤادي وخفق قلبي عندما ذكرت أولادي فأنهم من حين ولادتهم لم ينظر أحداً وجوههم من الجن والبشر لا أنثي ولا ذكر وأنا أغار عليهم من النسيم إذا سرى فقالت العجوز أي شيء هذا الكلام يا سيدتي أتخافين عليهم من أختك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٦٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العجوز لما قالت للسيدة منار السنا أي شيء هذا الكلام يا سيدتي أتخافين عليهم من أختك سلامة عقلك وإن خالفت الملكة في هذا الأمر لا يمكنك المخالفة فإنها تعتب عليك ولكن يا سيدتي أولادك صغار وأنت معذورة في الخوف عليهم والمحب مولع بسوء الظن ولكن يا بنتي أنت تعلمين شفقتي ومحبتي لك ولاولادك وقدر بيتكم قبلهم وأنا أتسلمهم وآخذهم وأفرش لهم خدي وأفتح قلبي وأجعلهم في داخله ولا أحتاج إلى الوصية عليهم في هذا الأمر فطيبي نفساً وقرى عيناً وأرسليهم لها وأكثر ما أسبقك به يوم واحداً ويومان ولم تزل تلح عليها حتى لان جانبها وخافت من غيظ أختها ولم تدر ما هو مخبوء لها في عالم الغيب فسمحت بإرسالهم مع العجوز ثم أنها دعت بهم وأدخلتهم الحمام وهيأتهم وغيرت لهم وألبستهم الدرعين وسلمتهم للعجوز فسارت بهم مثل الطير على غير الطريق التي تسير فيها أسهم مثل ما أوصتها الملكة نور الهدى ولم تزل تجد في السير وهي خائفة عليهم إلى أن وصلت بهم إلى مدينة الملكة نور الهدى فعدت بهم البحر ودخلت المدينة وتوجهت بهم إلى الملكة نور الهدى خالتهم فلما رأتهم فرحت بهم وعانقتهم وضمتهم إلى صدرها وأجلست واحداً على فخذها الأيمن والثاني على فخذه الأيسر ثم التفتت إلى العجوز وقالت لها أحضري الآن حسناً فأنا قد أعطيته أماني وأجرته من حمامي وقد تحصن بداري ونزل في جواري بعد أن قاسى الأهوال والشدائد وتعدّى أسباب الموت التي همها متزايد مع أنه إلى الآن لم يسلم من شرب كاسه وقطع أنفاسه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٦٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملكة نور الهدى لما أمرت العجوز بإحضار حسن قالت لها إنه قاسى الأهوال والشدائد وتعدى أسباب الموت التي همها متزايد مع أنه إلى الآن لم يسلم من شرب كاسه

وقطع أنفاسه وأنا أقسم بخالف السماء وبانيها وساطح الأرض وداحيها وخالق الخلق ومحصيها إن لم يكونوا أولاده لأقتلنه وأنا التي أضرب عنقه بيدي ثم أنها صرخت على العجوز فوقعت من الخوف وأغرت عليها الحاجب وعشرين مملوكاً وقالت لهم امضوا مع هذه العجوز وأئتوني بالصبى الذي عندها في بيتها بسرعة فخرجت العجوز مع الحاجب والمماليك وقد أصفر لونها وارتعدت فرائصها ثم سارت إلى منزلها ودخلت على حسن فلما دخلت عليه قام إليها وقبل يديها وسلم عليها فلم تسلم عليه وقالت له قم كلم الملكة أما قلت لك ارجع إلى بلادك ونهيتك عن هذا كله فما سمعت قولي وقلت لك أعطيك شيئاً لا يقدر عليه أحد وارجع إلى بلادك من قريب فما أطعتني ولا سمعت مني بل خالفتني وأخترت الهلاك لي ولك فدونك وما اخترت فإن الموت قريب قم كلم هذه الفاجرة العاهرة الظالمة الغاشمة فقام حسن وهو مكسور الخاطر حزين القلب خائف ويقول يا سلام سلم اللهم الطف بي فيما قدرته على من بلائك واسترني يا أرحم الراحمين وقد يئس من الحياة وتوجه مع العشرين مملوكاً والحاجب والعجوز فدخلوا على الملكة بحسن فوجد ولديه ناصراً ومنصوراً جالسين في حجرها وهي تلاعبهما وتؤانسهما فلما وقع نظره عليهما عرفهما وصرخ صرخة عظيمة ووقع على الأرض مغشياً عليه من شدة الفرح بولديه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٦٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن حسن لما وقع نظره على ولديه عرفهما وصرخ صرخة عظيمة ووقع على الأرض مغشياً عليه فلما أفاق عرف ولديه وعرفاه فحركتهما المحبة الغريزية فتخلصا من حجر الملكة ووقافا عند حسن وانطقهما الله عز وجل بقولهما يا أبانا فبكت العجوز والحاضرون رحمة لهما وشفقة عليهما وقالوا الحمد لله الذي جمع شملكما بأبيكما فلما أفاق حسن من غشيته عانق أولاده ثم بكى حتى غشي عليه فلما أفاق من غشيته أنش هذه الأبيات:

وحقك . م أن قلبد . ي لـ . م يعط . ق جلـ . داً ... علـ .ى الف .راق ولـ .و كـ .ان الوصـ .ال ردي
يق . ول لـ . ي طـ . يفكم أن اللقـ . اء غ . دا ... وهـ .ل أع .يش علـ .ى رغ .م العـ .داة غ .دا
وحقك . م سـ . ادتي مـ . ن يـ . وم فـ . رقتكم ... مـ .ا لـ .ذ لـ .ي طيـ .ب عـ .يش بعـ .دكم أبـ .دا
وأن قضـ . ى الله نحبـ . ي فـ . ي محبـ . تكم ... أمـ .وت فـ .ي حـ .بكم مـ .ن أعظـ .م الشـ .هدا
وظبيـ . ة فـ . ي زوايـ . ا القلـ . ب مرتعهـ . ا ... وشخصـ .ها كـ .الكري عـ .ن مقلتـ .ي شـ .ردا
أن أنكرت في مجـ .ال الشـ .رع سـ .فك دمـ .ي ... فإنـ . .ه فـ . .وق خـ . .ديها لقـ . .د شـ . .هدا

فلما تحققت الملكة أن الصغار أولاد حسن وأن أختها السيدة منار السنا زوجته التي جاء في طلبها غضبت غضباً شديداً ما عليه من مزيد وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٧٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملكة نور الهدى لما تحققت أن الصغار أولاد حسن وأن أختها منار السنا زوجته التي جاء في طلبها غضبت عليها غضباً شديداً ما عليه من مزيد وصرخت في وجه حسن فغشي عليه فلما أفاق من غشيته أنشد هذه الأبيات:

بعـ ـدتم وأنـ ـتم أقـ ـرب الـنـ ـاس فـ ـي الحشـ ـا ... وغبـ ـتم وأنـ ـتم فـ ـي الفـ ـؤاد حضـ ـور
فـ ـو الله مـ ـا مـ ـال الفـ ـؤاد لغيـ ـركم ... وأنـ ـي علـ ـى جـ ـور الزمـ ـان صـ ـبور
فـ ـي الليـ ـالي فـ ـي هـ ـواكم وتنقضـ ـي ... وفـ ـي القلـ ـب منـ ـي زفـ ـرة وسـ ـعير
وكنـ ـت فتـ ـى لا أرتضـ ـي البعـ ـد سـ ـاعة ... فكيـ ـف وقـ ـد مـ ـرت علـ ـى شـ ـهور
أغـ ـار إذا ذهبـ ـت علـ ـيكم نسـ ـيمة ... وأنـ ـي علـ ـى الغيـ ـد المـ ـلاح غيـ ـور

فلما فرغ حسن من شعره خر مغشياً عليه فلما أفاق رآهم قد أخرجوه مسحوباً على وجهه فقام يمشي ويتعثر في أذياله وهو لا يصدق بالنجاة مما قاساه منها فعز ذلك على العجوز شواهي ولم تقدر أن تخاطب الملكة في شأنه من قوة غضبها فلما خرج حسن من القصر صار متحير ألا يعرف أين يروح ولا يجيء ولا أين يذهب وضاقت عليه الأرض بما رحبت ولم يجد من يحدثه ويؤانسه ولا من يسليه ولا من يستشيره ولا من يقصده ويلجأ إليه فأيقن بالهلاك لأنه لا يقدر على السفر ولا يعرف من يسافر معه ولا يعرف الطريق ولا يقدر أن يجوز على وادى الجان وأرض الوحوش وجزائر الطيور فيئس من الحياة ثم بكى على نفسه حتى غشي عليه فلما أفاق تفكر أولاده وزوجته وقدومها على أختها وتفكر فيما يجري لها مع الملكة أختها ثم ندم على حضوره في هذه الديار وعلى كونه لم يسمع كلام أحد فأنشد هذه الأبيات:

دعوا مقلتي تبكـ ـي علـ ـى فقـ ـد مـ ـن أهـ ـوى ... فقـ ـد عـ ـز سـ ـلواني وزادت بـ ـي البلـ ـوى
وكـ ـأس صـ ـروف البـ ـين صـ ـرفاً شـ ـربتها ... فمـ ـن ذا علـ ـي فقـ ـد ألأحبـ ـة قـ ـد يقـ ـوي
بسـ ـطتم بسـ ـاط العتـ ـب بينـ ـي وبيـ ـنكم ... ألا يـ ـا بسـ ـاط العتـ ـب عنـ ـي متـ ـى تطـ ـوي
سـ ـهرت ونمـ ـتم إذ زعمـ ـتم بـ ـأنني ... سـ ـلوت هـ ـواكم إذ سـ ـلوت عـ ـن السـ ـلوى
إلا أن قلبـ ـي مولـ ـع بوصـ ـالكم ... وأنـ ـتم أطبـ ـائي حفظـ ـتم مـ ـن الأدوا
ألم تنظـ ـروا مـ ـا حـ ـل بـ ـي مـ ـن صـ ـدودكم ... ذللت لمن يسـ ـوى ومـ ـن لـ ـم يكـ ـن يسـ ـوى
كتمـ ـت هـ ـواكم والغـ ـرام يذيعـ ـه ... وقلبـ ـي بنيـ ـران الهـ ـوى أبـ ـداً يكـ ـوى
فرّقـ ـوا لحـ ـالي وارحمـ ـوني لأنـ ـي ... أقمت علـ ـى الميثـ ـاق فـ ـي السـ ـر والنجـ ـوى
فيـ ـا هـ ـل تـ ـرى الأيـ ـام تجمعنـ ـي بكـ ـم ... فـ ـأنتم منـ ـي قلبـ ـي وروحـ ـي لكـ ـم تهـ ـوى
فـ ـؤادي جـ ـريح بـ ـالفراق فليـ ـتكم ... تفيـ ـدوننا عـ ـن حـ ـبكم خبـ ـراً يـ ـروي

ثم أنه لما فرغ من شعره لم يزل ذاهبا إلى أن خرج إلى ظاهر المدينة فوجد النهر فسار على جانبه وهو لا يعلم أين يتوجه هذا ما كان من أمر حسن (وأما) ما كان من أمر زوجته منار السنا فإنها أرادت الرحيل في اليوم الثاني من اليوم الذي رحلت فيه العجوز فبينما هي عازمة على الرحيل إذ دخل عليهما حاجب الملك أبيها وقبّل الأرض بين يديها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٧١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن منار السنا هي عازمة على الرحيل إذ دخل عليها حاجب الملك أبيها وقبل الأرض بين يديها وقال لها يا ملكة أن أباك الملك الأكبر يسلم عليك ويدعوك إليه فنهضت متوجهة مع الحاجب إلى أبيها تنظر حاجته فلما رآها أبوها أجلسها إلى جانبه فوق السرير وقال لها يا بنتي أعلمي أني رأيت في هذه الليلة رؤيا وأنا خائف عليك منها وخائف أن يصل لك من سفرك هذا هم طويل فقالت له لأي شيء يا ابتي وأي شيء رأيت في المنام قال رأيت كأني دخلت كنز فرأيت فيه أموالاً عظيمة وجواهر ويواقيت كثيرة وكأنه لم يعجبني من ذلك الكنز جميعه ولا من تلك الجواهر جميعها إلا سبع حبات وهي أحسن ما فيه فاخترت من السبع جواهر واحدة وهي أصغرها وأحسنها وأعظمها نوراً وكأني أخذتها في كفى لما أعجبني حسنها وخرجت بها من الكنزل فلما خرجت من بابه فتحت يدي وأنا فرحان وقبلت الجوهرة وإذا بطائر غريب قد أقبل من بلاد بعيدة ليس من طيور بلادنا قد أنقض عليّ من السماء وخطف الجوهرة من يدي رجع بها إلى المكان الذي أتيت بها منه فلحقني الهم والحزن والضيق وفزعت فزعاً عظيماً أيقظني من المنام فانتبهت وأنا حزين متأسف على تلك الجوهرة فلما انتبهت من النوم دعوت بالمعبرين والمفسرين وقصصت عليهم منامي فقالوا أن ذلك سبع بنات تفقد الصغيرة منهن وتؤخذ منك قهراً بغير رضاك وأنت يا بنتي أصغر بناتي وأعزهن عندي وأكرمهن عليّ وها أنت مسافرة إلى أختك ولا أعلم ما يجري عليك منها فلا تروحي وارجعي إلى قصرك فلما سمعت منار السنا كلام أبيها خفق قلبها وخافت على أولادها وأطرقت برأسها إلى الأرض ساعة ثم رفعتها إلى أبيها وقالت له يا أيها الملك أن الملك نور الهدى قد هيأت لي ضيافة وهي في انتظار قدومي عليها ساعة بعد ساعة ولها أربع سنين ما رأتني وأن قعدت عن زيارتها تغضب علي ومعظم قعودي عندها شهر زمان وأحضر عندك ومن هذا الذي يطرق بلادنا ويصل إلى جزائر واق الواق ومن يقدر أن يصل إلى الأرض البيضاء والجبل الأسود ويصل إلى جزيرة الكافور وقلعة الطيور وكيف يقطع وادي الطيور ثم وادي الوحوش ثم وادي الجان ثم يدخل جزائرنا ولو دخل إليها غريب لغرق في بحار الهلكات فطب نفساً وقر عيناً من شأن سفري فإنه لا قدرة لأحد على أن يدوس أرضنا ولم تزل تستعطفه حتى أنعم عليها بالإذن في المسير وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٧٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أنها لم تزل تستعطفه حتى أنعم عليها بالإذن في المسير ثم أنه أمر ألف فارس أن يسافروا معها ليوصلواها إلى النهر ثم يقيموا مكانهم حتى تصل إلى مدينة أختها وتدخل قصر أختها وأمرهم أن يقيموا عندها حتى يأخذوها ويحضروها إلى أبيها وأوصاها أبوها أن تقعد عند أختها يومين ثم تعود بسرعة فقالت سمعاً وطاعة ثم أنها نهضت وخرجت وخرج معها أبوها وودّعها وقد أثر كلام أبيها في قلبها فخافت على أولادها ولا ينفع التحصن بالحذر من هجوم القدر فجدت في السير ثلاثة أيام بلياليها حتى وصلت إلى النهر وضربت خيامها على ساحله ثم عدت أنهر معها وبعض غلمانها وحاشيتها ووزرائها ولما وصلت إلى مدينة الملكة نور الهدى طلعت القصر ودخلت عليها فرأت أولادها يبكون عندها ويصيحون يابابا فجرت الدموع من عيونها وبكت ثم ضمت أولادها إلى صدرها وقالت لهم هل رأيتم أباكم فلا كانت الساعة

التي فارقته ولو عرفت أنه في دار الدنيا لكنت وصلتكم إليه ثم ناحت على نفسها وعلى زوجها وعلى بكاء أولادها وأنشدت هذه الأبيات:

أألحبابذ . ا أذ . ي عل . ى البع . د والجف . ا   أح . نّ إل . يكم حي . ث كذ . تم وأعط . ف
وطرف . . ي إل . . ى أوط . . انكم متلف . . ت   وقلب . . ي عل . . ى أي . . امكم متله . . ف
وك . م ليل . ة بتذ . ا عل . ى غي . ر ريب . ة   "محب . . ين يهنيذ . . ا الوف . . ا والتلط . . ف

فلما رأتها قد ضمت أولادها وقالت أنا التي فعلت بنفسي وبأولادي هكذا وأخربت بيتي فلم تسلم عليها أختها نور الهدى بل قالت لها يا عاهرة من أين لك هذه الأولاد هل تزوجت بغير علم أبيك أو زنيت فإن كنت زنيت وجب تنكيلك وأن كنت تزوجت من غير علمنا فلأي شيء فارقت زوجك وأخذت أولادك وفرقت بينهم وبين أبيهم وجئت بلادنا وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٧٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملكة نور الهدى قالت لأختها منار السنا وإن كنت تزوجت من غير علمنا فلأي شيء فارقت زوجك وأخذت أولادك وفرقت بينهم وبين أبيهم وجئت بلادنا وقد أخفيت أولادك عنا أتظنين أننا لا ندري بذلك والله تعالى علاّم الغيوب قد أظهر لنا أمرك وكشف حالك وبيّن عوراتك ثم بعد ذلك أمرت أعوانها أن يمسكوها فقبضوا عليها فكتفتها وقيدتها بالقيود الحديد وضربتها ضرباً وجيعاً حتى شرحت جسدها وصلبتها من شعرها وضعتها في السجن وكتبت كتاباً إلى الملك الأكبر أبيها تخبره بخبرها وتقول له أنه ظهر في بلادنا رجل من الأنس وأختي منار السنا تدعي أنها تزوجته في الحلال وجاءت منه بولدين وقد أخفتهما عنا وعنك ولم تظهر عن نفسها شيئاً إلى أن أتانا ذلك الرجل الذي من الأنس وهو يسمي حسناً وأخبرنا أنه تزوج بها وقعدت عنده مدة طويلة من الزمان ثم أخذت أولادها وأتت من غير علمه وأخبرت والدته عند مجيئها وقالت لها قولي لولدك إذا حصل له اشتياق أن يجيئني إلى جزائر واق الواق فقبضنا على ذلك الرجل عندنا وارسلت إليها العجوز شواهي تحضرها عندي هي وأولادها فجهزت نفسها وحضرت وقد كنت أمرت العجوز أن تحضر لي أولادها أولا فتسبق بهم إلى قبل حضورها فجاءت العجوز بالأولاد قبل حضورها فأرسلت إلى الرجل الذي أدعى أنها زوجته فلما دخل على ورأي الأولاد عرفهم فتحققت أن الأولاد أولاده وانها زوجته وعلمت أن كلام الرجل صحيح وليس عنده عيب ورأيت أن القبح والعيب عند أختي فخفت من هتك عرضنا عند أهل جزائر نا فلما دخلت عليّ هذه الفاجرة الخائنة غضبت عليها وضربتها ضرباً وجيعاً وصلبتها من شعرها وقد أعلمتك بخبرها والأمر أمرك فالذي تأمرنا به نفعله وأنت تعلم أن هذا الأمر فيه هتيكة لنا وعيب في حقنا وحقك وربما تسمع أهل الجزائر بذلك فنصير بينهم مثله فينبغي أن ترد لنا جوابا سريعاً ثم أعطت المكتوب للرسول فسار به إلى الملك فلما قرأه الملك الأعظم اغتاظ غيظاً شديداً على ابنته منار السنا وكتب إلى ابنته نور الهدى مكتوباً يقول لها فيه أنا قد فوضت أمرها إليك وحكمت في دمها فإن كان الأمر كما ذكرت فاقتليها ولاتشاوريني في أمرها فلما وصل إليها كتاب أبيها وقرأته أرسلت إلى منار السنا وأحضرتها بين يديها وهي غريقة في دمها مكتفة بشعرها مقيدة بقيد ثقيل من حديد وعليها اللباس الشعر

ثم أوقفوها بين يدي الملكة فوقفت حقيرة ذليلة فلما رأت نفسها في هذه المذلة العظيمة والهوان الشديد تفكرت ما كان فيه من العز وبكت بكاء شديداً وأنشدت هذين البيتين :

يـ . ـارب أن العـ . ـدا يسـ . ـعون فـ . ـي تلفـ . ـي ويزعمـ . ـون بـ . ـأني لسـ . ـت بالنـ . ـاجي
وقـ . ـد رجوتـ . ـك فـ . ـي أبطـ . ـال مـ . ـا صنـ . ـعوا يـ . ـارب أنـ . ـت مـ . ـلاذ الخـ . ـائف الراجـ . ـي

ثم بكت بكاء شديداً حتى وقعت مغشياً عليها فلما أفاقت أنشدت هذين البيتين:

ألـ . . ـف الحـ . ـوادث مهجتـ . ـي وألفتهـ . . ـا بعـ . . . ـد التنـ . . ـافر والكـ . . ـريم ألـ . . ـوف
لـ . ـيس الهمـ . ـوم علـ . ـيّ صنـ . ـفاً واحـ . ـداً عنـ . . ـدي بحمـ . . ـد الله منـ . . ـه ألـ . . ـوف

ثم أنشدت هذين البيتين:

ولـ . ـرب نازلـ . ـة يضـ . ـيق لهـ . ـا الفتـ . ـى ذرعـ . ـاً وعنـ . ـد الله منهـ . ـا المخـ . ـرج
ضـ . ـاقت فلمـ . ـا اسـ . ـتحكمت حلقاتهـ . ـا فرجـ . ـت وكنـ . ـت أظنهـ . ـا لا تفـ . ـرج

(وفي ليلة ٧٧٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملكة نور الهدى لما أمرت بإحضار أختها الملكة منار السنا أوقفوها بين يديها وهي مكتفة فأنشدت الأشعار السابقة ثم أن أختها أحضرت لها سلماً من خشب ومدتها عليه وأمرت أن يربطوها على ظهرها فوق السلم ومدت سواعدها وربطتها في الحبال ثم كشفت رأسها ولفت شعرها على السلم الخشب وقد انتزعت الشفقة عليها من قلبها فلما رأت منار السنا نفسها في هذه الحالة من الذل والهوان صاحت وبكت فلم يغثها أحد فقالت لها يا أختي كيف قسا قلبك عليّ فلا ترحميني ولا ترحمي الأطفال الصغار فلما سمعت هذا الكلام ازدادت قسوتها وشتمتها وقالت لها يا عاشقة يا عاهرة لا رحم الله من يرحمك كيف أشفق عليك يا خائنة فقالت لها منار السنا وهي مشبوحة احتسبت عليك برب السماء فيما تسبينني به وأنا بريئة منه والله ما زنيت وأنما تزوجته في الحلال وربي يعلم هل قولي صحيح أم لا وقلبي قد غضب عليك من شدة قسوة قلبك علي فكيف ترميني بالزنا من غير علم ولكن ربي يخلصني منك وإن كان الذي قد قد قذفتيني به من الزنا حقاً فسيعاقبني الله عليه فتفكرت أختها في نفسها حين سمعت كلامها وقالت لها كيف تخاطبينني بهذا الكلام ثم قامت لها وضربتها حتى غشي عليها فرشّوا على وجهها الماء حتى أفاقت وقد تغيرت محاسنها من شدة الضرب ومن قوة الرباط ومن فرط ما حصل لها من الإهانة ثم أنشدت هذين البيتين:

وإذا جنيـ . ـت جنايـ . ـة وأتيـ . ـت شـ . ـيئاً منكـ . ـراً أنا تائـ ـب عمـ ـا مضـ ـى وأتيـ تكم مسـ تغفراً

فلما سمعت شعرها نور الهدى غضبت غضباً شديداً وقالت لها أنت تتكلمين يا عاهرة قدامي بالشعر وتستعذرين من الذي فعلتيه من الكبائر وكان مرادي أن ترجعي لزوجك حتى أشاهد فجورك وقوة عينك لأنك

تفتخرين بالذي وقع منك من الفجور والفحش والكبائر ثم أنها أمرت الغلمان أن يحضروا لها الجريد فأحضروه فقامت وشمرت عن ساعديها ونزلت عليها بالضرب من رأسها إلى قدميها ثم دعت بسوط مضفور ولو ضرب به الفيل لهرول مسرعاً فنزلت بذلك السوط على ظهرها وبطنها وجميع أعضائها حتى غشي عليها فلما رأت العجوز شواهي ذلك من الملكة خرجت هاربة من بين يديها وهي تبكي وتدعو عليها فصاحت على الخدم وقالت لهم أئتوني بها فتجاروا عليها ومسكوها وأحضروها بين يديها فأمرت برميها على الأرض وقالت للجواري اسحبوها على وجهها وأخرجوها فسحبوها واخرجوها من بين يديها هذا ما كان من أمر هؤلاء (وأما) ما كان من أمر حسن فإنه قام متجلداً ومشى في شاطيء النهر واستقبل البرية وهو حيران مهموم وقد يئس من الحياة وصار مدهوشاً لا يعرف الليل من النهار ولشدة ما أصابه ومازال يمشي إلى أن قرب من شجرة فوجد عليها ورقة معلقة فتناولها حسن بيده ونظرها فإذا مكتوب فيها هذه الأبيات:

دبـ . . . . رت أمـ . . . . رك عنـ . . . . دها ... كنـ . . ـت الجنـ . . ـين بـ . . بطن أمـ . . ك
وعليـ . . . . .ك قـ . . . . .ـد حننهـ . . . . .ـا ... حتـ . . ـى لقـ . . ـد جـ . . ـادت بضـ . . ـمك
أنـ . . . . .ـا لكـ . . . . .ـافوك الـ . . . . .ـذي ... يـ . . . . .أتي بهمـ . . . . .ك أو بغمـ . . . . ك
فأضـ . . . . .رع إليـ . . . . .ـا ناهضـ . . . . .ـاً ... نأخـ . . .ـذ بكفـ . . .ـك فـ . . .ـي مهمـ . . .ـك

فلما فرغ من قراءة الورقة أيقن بالنجاة من الشدة والظفر بجمع الشمل ثم مشى خطوتين فوجد نفسه وحيداً في موضع قفز خطر لا يجد فيه أحداً يستأنس به فطار قلبه من الوحدة والخوف وارتعدت فرائصه من هذا المكان المخوف وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٧٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن حسناً لما قرأ الورقة أيقن بالنجاة من الشدة وتحقق الظفر بجمع الشمل ثم قام ومشى خطوتين فوجد نفسه وحيداً في موضع خطر وما عنده أحد يؤانسه فبكى بكاء شديداً وأنشد الأشعار التي ذكرناها ثم مشى على جانب النهر خطوتين فوجد ولدين صغيرين من أولاد السحرة والكهان وبين أيديهما قضيب من النحاس منقوش بالطلاسم وبجانب القضيب طاقية من الأدم بثلاثة تروك منقوش عليها بالبولاد أسماء وخواتم والقضيب والطاقية مرميان على الأرض والولدان يختصمان وينضار بأن عليهما حتى سال الدم بينهما وهذا يقول ما يأخذ القضيب إلا أنا والآخر يقول ما يأخذ القضيب إلا أنا فدخل حسن بينهما وخلصهما من بعضهما وقال لهما ما سبب هذه المخاصمة فقال له يا عم احكم بيننا فإن الله تعالى ساقك إلينا لتقضي بيننا بالحق فقال قصاً على حكايتكما وأنا أحكم بينكما فقالا له نحن الاثنان أخوان شقيقان وكان أبونا من السحرة الكبار وكان مقيماً في مغارة في هذا الجبل ثم مات وخلف لنا هذه الطاقية وهذا القضيب وأخي يقول ما يأخذ القضيب إلا أنا وأنا أقول ما يأخذه إلا أنا فاحكم بيننا وخلصنا من بعضنا فلما سمع حسن كلامهما قال لهما ما الفرق بين القضيب والطاقية وما مقدارهما فإن القضيب بحسب الظاهر يساوي سته جدد والطاقية تساوي ثلاثة جدد فقالا له أنت ما تعرف فضلهما فقال لهما أي شيء فضلهما فالإله في كل منهما سر عجيب وهو أن القضيب يساوي خراج جزائر واق الواق بأقطارها والطاقية كذلك فقال لهما

حسن يا ولدي بالله اكشفا لي عن سرهما فقالا له يا عم إن سرهما عظيم لأن أبانا عاش مائة وخمساً وثلاثين سنة يعالج تدبيرهما حتى أحكمهما غاية الإحكام وركب فيهما السر المكنون واستخدمهما الإستخدامات الغريبة ونقشهما على مثل الفلك الدائر وحل بهما جميع الطلاسم وعندما فرع من تدبيرهما أدركه الموت الذي لا بد لكل أحد منه فأما الطاقية يأتي سرها أن كل من وضعها على رأسه اختفى عن أعين الناس جميعاً فلا ينظره أحد مادامت على رأسه وأما القضيب فإن سره أن كل من ملكه يحكم على سبع طوائف من الجن والجميع يخدمون ذلك القضيب فكلهم تحت أمره وحكمه وكل من ملكه وصار في يده إذا ضرب به الأرض خضعت له ملوكها وتكون جميع الجن في خدمته فلما سمع حسن هذا الكلام أطرق برأسه إلى الأرض ساعة ثم قال في نفسه والله أنني لمنصور بهذا القضيب وبهذه الطاقية إن شاء الله تعالى فإني أحق بهما منهما ففي هذه الساعة أتحيل على أخذهما منهما لأستعين بهما على خلاصي وخلاص زوجتي وأولادي من هذه الملكة الظالمة وتسافر من هذا المكان المظلم الذي مالأحد من الإنس خلاص منه ولا مفر ولعل الله ما ساقني لهذين الغلامين إلا لأستخلص منهما القضيب والطاقية ثم رفع رأسه إلى الغلامين وقال لهما إن شئتما فصل القضية فأنا أمتحنكما فمن غلب رفيقه يأخذ القضيب ومن عجز يأخذ الطاقية فإن أمتحنتكما وميّزت بينكما عرفت ما يستحقه كل منكما فقالا له يا عم وكلناك في امتحاننا واحكم بيننا بما تختار فقال لهما حسن هل تسمعان مني وترجعان إلى قولي فقالا له نعم فقال لهما حسن أنا آخذ حجراً وأرميه فمن سبق منكم إليه وأخذه قبل رفيقه يأخذ القضيب ومن تأخر ولم يلد من يأخذ الطاقية فقالا قبلنا منك هذا الكلام ورضينا به ثم أن حسنا أخذ حجراً ورماه بعزمه فغلب عن السيوف فتسارع الغلمان نحوه فلما بعد أخذ حسن الطاقية ولبسها وأخذ القضيب في يده وانتقل من موضعه لينظر صحة قولهما في شأن سر أبيهما فسبق الولد الصغير إلى الحجر وأخذه ورجع به إلى المكان الذي فيه حسن فلم ير له أثر فصاح على أخيه وقال له أين الرجل الحاكم بيننا فقال لا أراه ولم أعرف هل طلع إلى السماء العليا أو نزل إلى الأرض السفلى ثم أنهما فتشا عليه فلم ينظراه وحسن واقف في مكانه فشتما بعضهما وقالا قد راح القضيب والطاقية لا لي ولا لك وكأن أبونا قال لنا هذا الكلام بعينه ولكنا نسينا ما أخبرنا به ثم أنهما رجعا على أعقابهما ودخل حسن المدينة وهو لابس الطاقية وفي يده القضيب فلم يره أحد من الناس ثم دخل القصر وطلع إلى الموضع الذي فيه شواهي ذات الدواهي فدخل عليها وهو لابس الطاقية فلم تره ومشى حتى تقرب من رف كان فوق رأسها وعليه زجاج وصيني فحركه بيده فوقع الذي فوقه على الأرض فصاحت شواهي ذات الدواهي ولطمت على وجهها ثم قامت وأرجعت الذي وقع إلى مكانه وقالت في نفسها والله ما أظن إلا أن الملكة نور الهدى أرسلت إليّ شيطاناً فعمل معي هذه العملة فأنا أسأل الله تعالى أن يخلصني منها ويسلمني من غضبها فيارب إذا كان هذا فعلها القبيح من الضرب والصلب مع أختها وهي عزيزة عند أبيها فكيف يكون فعلها مع الغريب مثلي إذا غضبت عليه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٧٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العجوز شواهي ذات الدواهي لما قالت إذا كانت الملكة نور الهدى تفعل هذه الفعال مع أختها فكيف يكون حال الغريب معها إذا غضبت عليه ثم قالت أقسمت عليك أيها الشيطان

بالحنان المنان العظيم الشأن القوي السلطان خالق الأنس والجان وبالنقش الذي على خاتم سليمان بن داود عليهما السلام أن تكلمني وتحببي فأجابها حسن وقال لها ما أنا شيطانا أنا حسن الولهان الهائم الحيران ثم قلع الطاقية من فوق رأسه فظهر للعجوز وعرفته فأخذته واختلت به وقالت له أي شيء حصل لك في عقلك حتى عبرت إلى هنا رح اختف فإن هذه الفاجرة صنعت بزوجتك ما صنعت من العذاب وهي أختها فكيف إذا وقعت بك ثم حكت له جميع ما وقع لزوجته وما هي فيه من الضيق والعقوبة والعذاب وكذلك حكت له ما وقع لها من العذاب ثم قالت إن الملكة ندمت حيث أطلقتك وقد أرسلت إليك من يحضرك لها وتعطيه من الذهب قنطاراً وتجعله في رتبتي عندها وحلفت إن رجّعوك قتلتك وتقتل زوجتك وأولادك ثم أن العجوز بكت وأظهرت لحسن ما فعلته الملكة بها فبكى حسن وقال لها يا سيدتي كيف الخلاص من هذه الديار ومن هذه الملكة الظالمة وما الحيلة التي توصلني إلى أن أخلص زوجتي وأولادي ثم أرجع بهم إلى بلادي فقالت له العجوز ويلك أنج بنفسك فقال لابد من خلاصها وخلاص أولادي منها قهراً عنها فقالت له العجوز وكيف تخلصهم قهراً عنها رح واختف يا ولدي حتى يأذن الله تعالى ثم أن حسناً أراها القضيب النحاس والطاقية فلما رأتها العجوز فرحت بهما فرحاً شديداً وقالت له سبحان من يحيي العظيم وهي رميم والله ما كنت أنت وزوجتك إلا من الهالكين والآن يا ولدي قد نجوت أنت وزوجتك وأولادك لأني أعرف القصيب وأعرف صاحبه فإنه كان شيخي الذي علمني السحر وكان ساحراً عظيماً مكث مائة وخمساً وثلاثين سنة حتى كان أتقن هذا القضيب وهذه الطاقية فلما انتهى من اتقانهما أدركه الموت الذي لابد منه وسمعته يقول لولديه يا ولدي هذان ما هما من نصيبكما وأنما يأتي شخص غريب الديار يأخذهما منكما قهراً و لا تعرفان كيف يأخذهما فقالا يا أبانا عرّفنا كيف يصل إلى أخذهما فقال لا أعرف ذلك فكيف وصلت يا ولدي لأخذهما من الولدين فحكى لها كيف أخذهما من الولدين فلما حكى لها فرحت بذلك وقالت له يا ولدي كما ملكت زوجتك وأولادك أسمع مني ما أقول لك عليه أنا ما بقي لي عند هذه الفاجرة إقامة بعد ما تجاسرت عليّ ونكلتني وأنا راحله عندها إلى مغارة السحرة لا قيم عندهم وأعيش معهم إلى أن أموت وأنت يا ولدي ألبس الطاقية وخذ القضيب في يدك وأدخل على زوجتك وأولادك في المكان الذي هم فيه واضرب الأرض بالقضيب وقل يا خدام هذه الأسماء تطلع إليك خدامه فإن طلع لك أحد من رؤوس القبائل فأمره بما تريد وتختار ثم أنه ودعها وخرج ولبس الطاقية وأخذ القضيب معه ودخل المكان الذي فيه زوجته فرآها في حالة العدم مصلوبة على السلم وشعرها مربوط فيه وهي باكية العين حزينة القلب في أسوأ حال لا تدري طريقة لخلاصها وأولادها تحت السلم يلعبون وهي تنظرهم وتبكي عليهم وعلى نفسها بسبب ما جرى لها مما أصابها وهي تقاسي من العذاب والضرب المؤلم أشد النكال فلما رآها في أسوأ الحالات سمعها تنشد هذه الأبيات:

لـ . .م يبـ . .ق فـ . .ي الأنفـ . .س هافـ . .ت ومقلـ . . . . ة أنسـ . . . . انها باهـ . . . . ت
ومغـ . . . .رم تضـ . . . .رم أحشـ . . . .اءه بالنسـ . . . .اء إلا أنـ . . . .ه سـ . . . .اكت
يرثـ . . ى لـ . . ه الشـ . . امت ممـ . . ا رأى يـ . ا ويـ . ح مـ . ن يرثـ . ى لـ . ه الشـ . امت

ثم أن حسناً لما رأى هي ما فيه من العذاب والذل والهوان بكى حتى غشيّ عليه فلما أفاق ورأى أولاده وهم يلعبون وقد غشي على أمهم من كثرة التألم كشف الطاقية عن رأسه فصاحوا يا أبانا فغطي رأسه واستفاقت أمهم من غشيتها على صياحهم فلم تنظر زوجها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٧٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن زوجة حسن لما أفاقت من غشيتها على صياح أولادها وهما يقولان يا أبانا وقد التفتت يميناً وشمالاً لترى سبب صياح أولادها وندائهم لأبيهم فلم ترا أحداً تعجبت من ذكر أولادها لأبيهم في هذا الوقت هذا ما كان من أمرهم (وأما) ما كان من أمر حسن لما رآها هكذا بكي حتى غشي عليه وجرت دموعه على خديه مثل المطر ودنا من الأولاد وكشف الطاقية فلما رأوه عرفوه وصاحوا بقولهم يا أبانا فبكت أمهم حين سمعتهم يذكرون أباهم وقالت لا حيلة في قدرة الله وقالت في نفسها يا للعجب ما سبب ذكرهم لأبيهم في هذا الوقت زندائهم له فلم يطق حسن الصبر دون أن كشف الطاقية عن رأسه فنظرته زوجته فلما عرفته زعقت زعقة أزعجت جميع من في القصر ثم قالت له كيف وصلت إلى ههنا هل من السماء نزلت أو من الأرض طلعت ثم تغرغرت عيونها بالدموع فبكى حسن فقالت له يا رجل ما هذا وقت بكاء ولا وقت عتاب قد نفذ القضاء وعمي البصر وجري القلم بما حكم الله في القدم فبالله عليك من أي مكان جئت رح واختف لئلا ينظرك أحد فيعلم أختي بذلك فتذبحني وتذبحك فقال لها حسن يا سيدتي وسيدة كل ملكة أنا خاطرت بروحي وجئت إلى هنا فإما أن أموت وإما أن أخلصك من الذي أنت فيه وأسافر أنا وأنت وأولادي إلى بلادي على رغم أنف هذه الفاجرة أختك فلما سمعت كلامه تبسمت وضحكت وصارت تحرك رأسها زماناً طويلاً وقالت له هيهات يا روحي هيهات أن يخلصني أحد مما أنا فيه إلا الله تعالى ففز بنفسك وأرحل ولا ترم روحك في الهلاك فما حل بي هذا إلا لكوني عاصيتك وخالفت أمرك وخرجت من غير إذنك فبالله عليك يا رجل لا تؤاخذني بذنبي وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٧٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن زوجة حسين أعتذرت إليه وقالت له لا تؤاخذني بذنبي واعلم أن المرأة ما تعرف قيمة الرجل حتى تفارقه وأنا أذنبت وأخطأت ولكن استغفر الله العظيم مما وقع مني وأن جمع الله شملنا لا أعصي لك أمراً بعد ذلك أبداً فقال لها حسن وقد أوجعه قلبه عليها أنت ما أخطأت وما أخطأ إلا أنا لأني سافرت وخليتك عند من لا يعرف قدرك ولا يعرف لك بقيمة ولا مقدار واعلمي يا حبيبة قلبي وثمرة فؤادي ونور عيني أن الله سبحانه وتعالى أقدرني على تخليصك فهل تحبين أن أوصلك إلى دار أبيك وتستوفي عنده ما قدر الله عليك أو تسافرين إلى بلادنا عن قريب حيث حصل لك الفرج فقالت له ومن يقدر على تخليصي إلا رب السماء فرح إلى بلادك وخل عنك الطمع فإنك لا تعرف أخطار هذه الديار وأن لم تعطني سوف تنظر ثم أنها أنشدت هذه الأبيات

علـ .ى وعنـ .دي مـ .ا تريـ .د مـ .ن الرضـ .ا فمـ . ا لـ . ك غضـ . باناً علـ . ي ومعرضـ . اً
وما قـ ـد جـ ـرى خاشـ ـى الـ ـذي كـ ـان بيننـ ـا مـ . ن الـ . ودان ينسـ . ى قـ . ديما وينقضـ . ا
ومـ . ا بـ . ـرح الواشـ . ي لنـ . ا متجنبـ . اً فلمـ . ا رأى الأعـ . راض منـ . ا تعرضـ . اً

ف . بإني بحـ . س الظ . ن منـ . ك لواثـ . ق وأن جهـ . ل الواشـ . ي وقـ . ال وحرضـ . ا
فنكـ . . تم سـ . . راً بيننـ . . ا ونصـ . . ونه ولـ و كـ ان سـ يف العـ ذل بـ االلوم منتضـ ى
أظـ . . ل نهـ . . اري كلـ . . ـه متشـ . . وقاً لعـ . ل بشـ . يراً منـ . ك يقبـ . ل بالرضـ . ا

ثم بكت هي وأولادها فسمع الجواري بكاءهم فدخلن عليهم فوجدت الملكة منار السنا تبكي هي وأولادها ولم ينظرون حسناً عندهم فبكي الجواري رحمة لهم ودعون على الملكة نور الهدى فصبر حسن إلى أن أقبل الليل وذهب الحراس الموكلون بها إلى مراقدهم ثم بعد ذلك قام وشد وسطه وجاء إلى زوجته وحلها وقبل رأسها وضمها إلى صدره وقبل بين عينيها وقال لها ما أطول شوقنا إلى ديارنا واجتماع شملنا هناك فهل اجتماعنا هذا في المنام أو في اليقظة ثم أنه حمل ولده الكبير وحملت هي الولد الصغير وخرجا من القصر وأسبل الله عليهما الستر وسارا فلما وصلا إلى خارج القصر وقفا عند الباب الذي يقفل على سراية الملكة فلما صار هناك رأياه مقفولاً فقال حسن لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم إنا لله وإنا إليه راجعون ثم أنهما يئسا من الخلاص فقال حسن يا مفرج الكروب ودق يد علي يد وقال كل شيء حسبته ونظرت في عاقبته إلا هذا فإنه إذا طلع علينا النهار يأخذوننا وكيف تكون الحيلة في هذا الأمر فقالت زوجته والله ما لنا فرح إلا أن نقتل أرواحنا ونستريح من هذا التعب العظيم ولا نصبح نقاسي العذاب الأليم فبينما هما في الكلام وإذا بقائل يقول من خارج الباب والله ما أفتح لك يا سيدتي منار السنا وزوجك حسن إلا أن تطاوعاني فيما أقوله لكما فلما سمعا هذا الكلام منه سكتا وأراد الرجوع إلى المكان الذي كانا فيه وإذا بقائل يقول ما لكما سكتما ولم تردا على الجواب فعرفا صاحب القول وهي العجوز شواهي ذات الدواهي فقالا لها ما تأمرينا به نعمله ولكن افتحي الباب فإن هذا الوقت ما هو وقت كلام فقالت لهما والله ما أفتح لكما حتى تحلفا لي أنكما تأخذاني معكما ولا تتركاني عند هذه العاهرة ومهما أصابكما أصابني وإن سلمتما سلمت وأن عطبتما عطبت فإن هذه الفاجرة المساحقة تحتقرني وفي كل ساعة تنكلني من أجلكما وأنت يا بنتي تعرفين مقداري فلما عرفاها أطمأنا بها وحلفا لها بالإيمان التي تثق بها فلما حلفا لها بما تثق فتحت لهما الباب وخرجا فلما خرجا وجدها راكبة على زير رومي من فخار أحمر وفي حلق الزير حبل من ليف وهو يتقلب من تحتها ويجري جرياً أقوى من جري المهر النجدي فتقدمت قدامهما وقالت لهما اتبعاني ولا تفزعا من شيء فإني أحفظ أربعين بابا من السحر أقل باب منها أجعل به هذه المدينة بحراً عجاجا متلاطما بالأمواج واسحر كل بنت فيها فتصير سمكة وكل ذلك أعمله قبل الصبح ولكني كنت لا أقدر أن أفعل شيئاً من ذلك الشر خوفاً من الملك أبيها ورعاية لأخواتها لأنهم مستعزون بكثرة الأعوان والأرهاط والخدم ولكن سوف أريكما عجائب سحري فسيروا بنا على بركة الله تعالى وعونه فعند ذلك فرح حسن هو وزوجته وأيقنا الخلاص وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٧٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن حسناً وزوجته والعجوز شواهي لما طلعوا من القصر وأيقنوا بالخلاص خرجوا إلى ظاهر المدينة فأخذ حسن القضيب بيده وضرب به الأرض وقوى جنانه وقال يا خدام

هذه الأسماء احضروا لي واطلعوني على أخوانكم وإذا بالأرض قد انشقت وخرج منها عشر عفاريت كل عفريت منهم رجلاه في تخوم الأرض ورأسه في السحاب فقبلوا الأرض بين يدي حسن ثلاث مرات وقالوا كلهم بلسان واحد لبيك يا سيدنا والحاكم علينا بأي شيء تأمرنا فنحن لأمرك سامعون مطيعون إن شئت نيبس لك البحار وتنقل لك الجبال من أماكنها ففرح حسن بكلامهم وبسرعة جوابهم وشجع قلبه وقوي جنانه وعزمه وقال لهم من أنتم وما أسمكم ولمن تنسبون من القبائل ومن أي طائفة أنتم ومن أي قبيلة ومن أي رهط فقبلوا الأرض ثانياً وقالوا بلسان واحد نحن سبع ملوك كل ملك منا يحكم على سبع قبائل من الجن والشياطين والمردة فنحن سبع ملوك تحكم على تسع وأربعين قبيلة من سائر طوائف الجن والشياطين والمردة والأرهاط والأعوان الطيارة والغواصة وسكان الجبال والبراري والقفار وعمّار البحار فأمرنا بما تريد فنحن لك خدام وعبيد وكل من ملك هذا القضيب ملك رقابنا جميعاً ونصير تحت طاعته فلما سمع حسن كلامهم فرح فرحاً عظيماً وكذلك زوجته والعجوز فعند ذلك قال حسن للجان أريد منكم أن تطلعوني على أرهطكم وجنودكم وأعوانكم فقالوا يا سيدنا إذا أطلعناك على رهطنا نخاف عليك وعلى من معك لأنهم جنود كثيرة مختلفة الصور والخلق والألوان والوجوه والأبدان فمنا رؤوس بلا أبدان ومنا أبدان بلا رؤوس ومنا من هو على صفة الوحوش ومنا من هو على صفة السباع ولكن إن شئت ذلك فلابد لنا من أن نعرض عليك أولاً من هو على صفة الوحوش ولكن ياسيدي ما تريد منا في هذا الوقت فقال لهم حسن أريد منكم أن تحملوني أنا وزوجتي وهذه المرأة الصالحة في هذه الساعة إلى مدينة بغداد فلما سمعوا كلامه أطرقوا برؤوسهم فقال لهم حسن لم لا تجيبوني فقالوا بلسان واحد أيها السيد الحاكم علينا أننا من عهد السيد سليمان بن داود عليهما السلام وكان حلفنا أننا لا نحمل أحد من بني آدم على ظهورنا فنحن من ذلك الوقت ما حملنا أحد من بني آدم على أكتافنا ولا على ظهورنا ولكن نحن في هذه الساعة نعد لك من خيول الجن ما يبلغك مرادك أنت ومن معك فقال لهم حسن وكم بيننا وبين بغداد فقالوا له مسافة سبع سنين للفارس المجد فتعجب حسن من ذلك وقال لهم كيف جئت أنا إلى هنا فيما دون السنة فقالوا له أنت قد حنّن الله عليك قلوب عباده الصالحين ولولا ذلك ما كنت تصل هذه الديار والبلاد ولا تراها بعينك أبداً لأن الشيخ عبد القدوس الذي أركبك الفيل وأركبك الجواد الميمون قطع بك في الثلاثة أيام ثلاث سنين للفارس المجد في السير وأما الشيخ أبو الريش الذي أعطاك لدهنش فإنه قطع بك في اليوم والليلة مسافة ثلاث سنين وهذا من بركة الله العظيم لأن الشيخ أبو الريش من ذرية آصف بن برخيا وهو يحفظ اسم الله الأعظم ومن بغداد إلى قصر البنات سنة فهذه هي السبع سنين فلما سمع حسن كلامه تعجب تعجباً عظيماً وقال سبحان الله مهون العسير وجابر الكسير ومقرب البعيد ومذل كل جبار عنيد الذي هون على كل أمر وأوصلني إلى هذه الديار وسخر لي هؤلاء العالم وجمع شملي بزوجتي وأولادي فما أدري هل أنا نائم أو يقظان وهل أنا صاح أو سكران ثم التفت إليهم وقال لهم إذا أركبتموني خيولكم في كم يوم توصلنا إلى بغداد فقالوا تصل بك فيما دون السنة بعد أن تقاسي الأمور الصعاب والشدائد والأهوال وتقطع أودية معطشة وقفاراً موحشة وبراري ومهالك كثيرة ولا نأمن عليك يا سيدي من أهل هذه الجزائر وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٨٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجان قالوا الحسن لا نأمن عليك يا سيدي من أهل هذه الجزائر ولا من شر الملك الأكبر ولا من هذه السحرة واللهنة فربما يقهرونا ويأخذوكم منا ونبتلي بهم وكل من بلغه الخبر بعد ذلك يقول لنا أنتم الظالمون كيف قدمتم على الملك الأكبر وحملتم الإنسي من بلاده وحملتم أيضاً ابنته معكم ولو كنت معنا وحدك لهان علينا الأمر ولكن الذي أوصلك إلى هذه الجزائر قادر أن يوصلك إلى بلادك ويجمع شملك بأمك قريباً غير بعيد فاعزم وتوكل على الله ولا تخف فنحن بين يديك حتى نوصلك إلى بلادك فشكرهم حسن على ذلك وقال لهم جزاكم الله خيراً ثم قال لهم عجّلوا بالخيل فقالوا سمعاً وطاعة ثم دفعوا الأرض بأرجلهم فأنشقت فغابوا فيها ساعة ثم حضروا وإذا بهم قد طلعوا ومعهم ثلاث أفراس مسرجة ملجمة وفي مقدم كل سرج خرج في إحدى عينيه ركوة ملآنة ماء والعين الأخرى ملآنة زاد ثم قدموا الخيل فركب حسن جواده وأخذ ولد أقدامه وركبت زوجته الجواد الثاني وأخذت ولد قدامها ثم نزلت العجوز من فوق الزير وركبت الجواد الثالث وساروا ولم يزالوا سائرين طول الليل حتى أصبح الصباح فعرجوا عن الطريق وقصدوا الجبل وألسنتهم لا تفتر عن ذكر الله وساروا النهار كله تحت الجبل فبينما هم سائرون وإذ نظر حسن إلى جبل قدامه مثل العمود وهو طويل كالدخان المتصاعد إلى السماء فقرأ شيئاً من القرآن وتعوّذ بالله من الشيطان الرجيم فصار ذلك السواد يظهر كلما تقرّبوا منه فلما دنوا منه وجدوه عفريتاً رأسه كالقبة العظيمة وأنيابه كالكلاليب ومنخراه كالأبريق وأذناه كالأدراق وفمه كالمغارة وأسنانه كعواميد الحجارة ويداه كالمداري ورجلاه كالصواري ورأسه في السحاب وقدمه في تخوم الأرض تحت التراب فلما نظر حسن إلى العفريت أنحنى وقبل الأرض بين يديه فقال له يا حسن لا تخف مني أنا رئيس عمّار تلك الأرض وهذه أول جزيرة من جزائر واق الواق وأنا مسلم موحد بالله وسمعت بكم وعرفت قدومكم ولما أطلعت على حالكم اشتهيت أن أرحل من بلاد السحرة إلى أرض غيرها تكون خالية من السكان بعيدة عن الأنس والجان أعيش فيها منفرداً وحدي وأعبد الله حتى يدركني أجلي فأردت أن أرافقكم وأكون دليلكم حتى تخرجوا من هذه الجزائر وأنا ما أظهر إلا بالليل فطيبوا قلوبكم من جهتي فأنني مسلم مثل ما أنتم مسلمون فلما سمع حسن كلام العفريت فرح فرحاً شديداً وأيقن بالنجاة ثم ألتفت إليه وقال له جزاك الله خيراً فسر معنا على بركة الله فسار العفريت قدامهم وساروا يتحدثون ويلعبون وقد طابت قلوبهم وانشرحت صدورهم وصار حسن يحكي لزوجته جميع ما قاساه ولم يزالوا سائرين طول الليل وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٨١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أنهم لم يزالوا سائرين طول الليل إلى الصباح والخيل تسير كالبرق الخاطف فلما طلع النهار مد كل واحد يده في خرجه وأخرج منه شيئاً وأكله وأخرج ماء وشربه ثم جدوا السير ولم يزالوا سائرين والعفريت أمامهم وقد عرج بهم عن الطريق إلى طريق أخرى غير مسلوكة على شاطيء البحر ومازالوا يقطعون الأودية والقفار مدة شهر كامل وفي اليوم الحادي والثلاثين طلعت عليهم غبرة سدت الأقطار وأظلم منها النهار فلما نظرها حسن لحقه الاصفرار وقد سمعوا ضجات مزعجة فالتفتت العجوز إلى حسن وقالت يا ولدي هذه عساكر واق الواق قد لحقونا وفي هذه الساعة يأخذوننا قبضا باليد فقال

لها حسن ما أصنع يا أمي فقالت له اضرب الأرض بالقضيب ففعل فطلع إليه السبعة ملوك وسلموا عليه وقبلوا الأرض بين يديه وقالو له لا تخف ولا تحزن ففرح حسن بكلامهم وقال أحسنتم ياسادة الجن والعفاريت هذا وقتكم فقالوا له اطلع أنت وزوجتك وأولادك ومن معك فوق الجبل وخلّونا نحن وإياهم لأننا نعرف أنكم على الحق وهم على الباطل وينصرنا الله عليهم فنزل حسن هو وزوجته وأولاده والعجوز عن ظهور الخيل وصرفوا الخيل وطلعوا على طرف الجبل وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٨٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن حسناً صعد هو وزوجته وأولاده والعجوز على طرف الجبل بعد أن صرفوا الخيل ثم بعد ذلك أقبلت الملكة نور الهدى بعساكر ميمنة وميسرة ودارت عليهم النقباء وصفوهم جملة جملة وقد التقى العسكران وتصادم الجمعان والتهبت النيران وأقدمت الشجعان وفر الجبان ورمت الجن من أفواهها لهيب الشرر إلى أن أقبل الليل بالاضكار فافترق الجمعان وانفصل الفريقان ولما نزلوا عن خيولهم واستقروا على الأرض اشعلوا النيران وطلع السبعة ملوك إلى حسن وقبّلوا الأرض بين يديه فأقبل عليهم وشكرهم ودعا لهم بالنصر وسألهم عن حالهم مع عسكر الملكة نور الهدى فقالوا له أنهم لا يثبتون معنا غير ثلاثة أيام فنحن كنا اليوم ظافرين بهم وقد قبضنا منهم مقدار ألفين وقتلنا منهم خلقاً كثيراً لا يحصي عددهم فطب نفساً وأنشرح صدراً ثم أنهم ودعوه ونزلوا إلى عسكرهم يحرسونه ومازالوا يشعلون النيران إلى أن طلع الصباح وأضاء بنوره ولاح فركبت الفرسان الخيل القراح وتضاربوا بمرهفات الصفاح وتطاعنوا بسمر الرماح وباتوا على ظهور الخيل وهم يلتطمون التطام البحار واستعر بينهم في الحرب لهيب النار ولم يزالوا في نضال وسباق حتى انهزمت عساكر واق الواق وانكسرت شوكتهم وانحطت همتهم وزلت أقدامهم وأينما هربوا فالهزيمة قدامهم فولوا الأدبار وركبوا إلى الفرار وقتل أكثرهم وأسرت الملكة نور الهدى هي وكبار مملكتها وخواصها فلما أصبح الصباح حضر الملوك السبعة بين يدي حسن ونصبوا له سريراً من المرمر مصفحاً بالدر والجوهر فجلس فوقه ونصبوا عنده سريراً آخر للسيدة منار السنا زوجته وذلك السرير من العاج المصفح بالذهب الوهاج ونصبوا سريراً آخر للعجوز شواهي ذات الدواهي ثم أنهم قدموا الأسارى بين يدي حسن ومن جملتهم الملكة نور الهدى وهي مكتفة اليدين مقيدة الرجلين فلما رأتها العجوز قالت لها ما جزاؤك يا فاجرة يا ظالمة إلا أن يجوع كلبتان ويربطا معك في أذناب الخيل ويساقان إلى البحر حتى يتمزق جلدك وبعد ذلك يقطع من لحمك وتطعمين منه كيف فعلت بأختك هذه الفعال يا فاجرة مع أنها تزوجت في الحلال بسنة الله ورسوله لأنه لا رهبانية في الإسلام والزواج من سنن المرسلين عليهم السلام وما خلقت النساء إلا للرجال فعند ذلك أمر حسن بقتل الأسارى جميعهم فصاحت العجوز وقالت اقتلوهم ولا تبقوا منهم أحداً فلما رأت الملكة منار السنا أختها في هذه الحالة وهي مقيدة مأسورة بكت عليها وقالت لها يا أختي ومن هذا الذي أسرنا في بلادنا وغلبنا فقالت لها هذا أمر عظيم أن هذا الرجل الذي اسمه حسن قد ملكنا وحكمه الله فينا وفي سائر ملكنا وتغلب علينا وعلى ملوك الجن فقالت لها أختها ما نصره الله عليكم ولا قهركم ولا أسركم إلا بهذه الطاقية والقضيب فتحققت أختها ذلك وعرفت أنه خلصها بهذا السبب ثم أن السيدة منار السنا حكت لأختها جميع ما جرى لها مع زوجها حسن وجميع ما جرى له وما قاساه من أجلها وقالت لها يا أختي

من كانت هذه الفعال فعاله وهذه القوة قوته وقد أيّده الله تعالى بشدة البأس حتى دخل بلادنا وأخذك وأسرك وهزم عسكرك وقهر أباك الملك الأكبر الذي يحكم على ملوك الجن يجب أن لا يفرط في حقه فقالت لها أختها والله يا أختي لقد صدقت فيما أخبرتيني به من العجائب التي قاساها هذا الرجل وهل كل هذا من أجلك يا أختي وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٨٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن السيدة منار السنا لما أخبرت أختها بأوصاف حسن قالت لها والله إن هذا الرجل ما يفرط فيه خصوصاً بسبب مروءته وهل كل هذا من أجلك قالت نعم ثم أنهم باتوا يتحدثون إلى الصباح فلما طلعت الشمس أرادوا الرحيل فودّع بعضهم بعضاً ودعت منار السنا والعجوز بعدما أصلحت بينها وبين أختها نور الهدى فعند ذلك ضرب حسن الأرض بالقضيب فطلع له خدامه وسلموا عليه وقالوا له الحمد لله على هدو سرك فأمرنا بما تريد حتى نعلمله في أسرع من لمح البصر فشكرهم على قولهم وقال لهم جزاكم الله خيراً ثم أنه قال لهم شدّوا لنا جوادين من أحسن الخيل ففعلوا ما أمرهم به في الوقت قدّموا له جوادين مسرجين فركب حسن جواداً منهما وأخذ ولده الكبير قدامه وركبت زوجته الجواد وأخذت ولدها الصغير قدامها وركبت الملكة نور الهدى هي والعجوز وتوجه الجميع إلى بلادهم فسار حسن هو وزوجته يميناً وسارت الملكة نور الهدى هي والعجوز شمالاً ولم يزل حسن سائراً هو وزوجته وأولاده مدة شهر كامل وبعد الشهر أشرفوا على المدينة فوجدوا حولها أثمار وأنهار فلموا صلوا إلى تلك الأشجار نزلوا عن ظهور الخيل وأراد والراحة ثم جلسوا يتحدثون وإذا هم بخيول كثيرة قد أقبلت عليهم فلما رآهم حسن قام على رجليه وتلقاهم وإذا هم الملك حسون صاحب أرض الكافور وقلعة الطيور فعند ذلك تقدم حسن إلى الملك وقبل يديه وسلم عليه ولما رآه الملك ترجل عن ظهر جواده وجلس هو وحسن على الفرش تحت الأشجار بعد أن سلم على حسن وهنأه بالسلامة وفرح به فرحاً شديداً وقال له يا حسن أخبرني بما جرى لك من أوله إلى آخره فأخبره حسن بجميع ذلك فتعجب منه الملك حسون وقال يا ولدي ما وصل أحد إلى جزائر واق الواق ورجع منها أبداً إلا أنت فأمرك عجيب ولكن الحمد لله على السلامة ثم بعد ذلك قام الملك وركب وأمر حسناً أن يركب ويسير معه ففعل ولم يزالوا سائرين إلى أن أتوا إلى المدينة فدخل دار الملك فنزل الملك حسون ونزل حسن هو وزوجته وأولاده في دار الضيافة وأقاموا عنده ثلاثة أيام في أكل وشرب ولعب وطرب ثم بعد ذكل أستأذن حسن الملك حسون في السفر إلى بلاده فأذن له فركب هو وزوجته وأولاده وركب الملك معهم وساروا عشرة أيام فلما أراد الملك الرجوع ودع حسناً وسار حسن هو وزوجته وأولاده ولم يزالوا سائرين مدة شهر كامل فلما كان بعد الشهر أشرفوا على مغارة كبيرة أرضها من النحاس الأصفر فقال حسن لزوجته انظري هذه المغارة هل تعرفينها قالت نعم قال أن فيها شيخاً يسمى أبي الريش وله علي فضل كبير لأنه هو الذي كان سبب في المعرفة بيني وبين الملك حسون وصار يحدث زوجته بخبر أبي الريش وإذا بالشيخ أبي الريش خارج من المغارة فلما رآه حسن نزل عن جواده وقبل يديه فسلم عليه الشيخ أبو الريش وهناه بالسلامة وفرح به وأخذه ودخل به المغارة وجلس هو وإياه وسار يحدث الشيخ أبا الريش بما جرى له في جزائر واق الواق فتعجب الشيخ أبو الريش غاية العجب وقال يا حسن كيف خلصت زوجتك وأولادك فقال له

حسن نعم ياسيدي فبينما هما في الكلام وإذا بطارق يطرق باب المغارة فخرج الشيخ أبو الريش وفتح الباب فوجد الشيخ عبد القدوس قد أتى وهو راكب فوق الفيل فتقدم الشيخ أبو الريش وسلم عليه واعتنقه وفرح به فرحاً عظيماً وهنأه بالسلامة وبعد ذلك قال الشيخ أبو الريش لحسن أجك للشيخ عبد القدوس جميع ما جرى لك يا حسن فشرع حسن يحكي للشيخ جميع ما جرى له من أوله إلى آخره إلى أن وصل إلى حكاية القضيب وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٨٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن حسناً شرع يحكي للشيخ عبد القدوس والشيخ أبي الريش وهم في المغارة يتحدثون جميع ما جرى له من أوله إلى آخره إلى أن وصل إلى حكاية القضيب والطاقية فقال الشيخ عبد القدوس لحسن يا ولدي أما أنت فقد خلصت زوجتك وأولادك ولم يبق لك حاجة بهم وأما نحن فإننا كنا السبب في وصولك إلى جزائر واق الواق وقد عملت معك جميل لأجل بنات أخي وأنا أسألك من فضلك وإحسانك أن تعطيني القضيب وتعطي الشيخ أبا الريش الطاقية فلما سمع حسن كلام الشيخ عبد القدوس أطرق رأسه إلى الأرض واستحى أن يقول ما أعطيهما لكما ثم قال في نفسه إن هذين الشيخين قد فعل معي جميلاً عظيماً وهما اللذان كانا السبب في وصولي إلى جزائر واق الواق ولولا هما ما وصلت إلى هذه الأماكن ولا خلصت زوجتي وأولادي ولا حصلت على هذا القضيب وهذه الطاقية ثم رفع رأسه وقال نعم أنا أعطيهما لكما ولكن يا سادتي أني أخاف من الملك الأكبر والد زوجتي أن يأتيني بعساكر إلى بلادنا فيقاتلونني ولا أقدر على دفعهم إلا بالقضيب والطاقية فقال الشيخ عبد القدوس لحسن يا ولدي لا تخف فنحن لك جاسوساً وأدرع وفي هذا الموضع وكل من أتي إليك من عند والد زوجتك ندفعه عنك ولا تخف من شيء أصلاً جملة كافية فطب نفساً وقر عيناً وانشرح صدراً ما عليك بأس فلما سمع حسن كلام الشيخ أخذه الحياء وأعطى الطاقية للشيخ أبي الريش وقال للشيخ عبد القدوس أصحبني إلى بلادي وأنا أعطيك القضيب ففرح الشيخان بذلك فرحاً شديداً وجهّز الحسن من الأموال والذخائر ما يعجز عنه الوصف ثم أقام عندهما ثلاثة أيام وبعد ذلك طلب السفر فتجهز الشيخ عبد القدوس للسفر معه فركب حسن دابة وأركب زوجته دابة فصفر الشيخ عبد القدوس وإذا بفيل عظيم قد أقبل يهرول بيديه ورجليه من صدر البرية فأخذه الشيخ عبد القدوس وركبه وسار هو وحسن وزوجته وأولاده وأما الشيخ أبو الريش فإنه دخل المغارة ومازال حسن وزوجته وأولاده والشيخ عبد القدوس سائرين يقطعون الأرض بالطول والعرض والشيخ عبد القدوس يدلهم على الطريق السهلة والمنافذ القريبة حتى قربوا من الديار وفرح حسن بقربه من ديار والدته ورجوع زوجته وأولاده إليه وحين وصل حسن إلى تلك الديار بعد هذه الأهوال الصعبة حمد الله تعالى على ذلك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٨٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن حسن حمد الله تعالى على نجاته من تلك الأهوال الصعبة وشكره على نعمته وفضله ونظر وإذا هم قد لا حت لهم القبة الخضراء والفسقية والقصر الأخضر ولاح لهم جبل السحاب من بعيد فقال الشيخ عبد القدوس يا حسن أبشر بالخير فأنت الليلة ضيف عند بنات أخي ففرح حسن

بذلك فرحاً شديداً وكذكل زوجته ثم نزلوا عند القبة واستراحوا وأكلوا وشربوا ثم ركبوا وساروا حتى قربوا من القصر فلما أشرفوا عليه خرجت لهم بنات أخ الشيخ عبد القدوس وتلقينهم وسلمن عليهم وعلى عمهم وسلم عليهم عمهم وقال لهم يا بنات أخي ها أنا قد قضيت حاجة أخيكم حسن وساعدته على خلاص زوجته وأولاده فتقدم إليه البنات وعانقته وفرحن يه وهنينه بالسلامة والعافية وجمع الشمل بزوجته وأولاده وكان عندهن يوم عيد ثم تقدمت أخت حسن الصغيرة وعانقته وبكت بكاء شديداً وكذلك حسن بكي معها على طول الوحشة ثم شكت له ما تجده من ألم الفراق وتعب سرها وما قاسته من فراقه وأنشدت هذين البيتين :

ومـ .ا نظـ .رت مـ .ن بعـ .د بعـ .دك مقلتـ .ي إلـ . .ى أحـ . .د إلا وشخصـ . .ك مائـ . .ل

ومـ .ا غمضـ .ت إلا رأيتـ .ك فـ .ي الكـ .رى كأنـ . ك بـ . ين الجفـ . ن والعـ . ين نـ . ازل

فلما فرغت من شعرها فرحت فرحاً شديداً فقال لها حسن يا أختي أنا ما أشكر أحداً في هذا الأمر إلا أنت من دون سائر الأخوات فالله تعالى يكون لك بالعون والعناية ثم أنه حدثها بجميع ما جرى له في سفره من أوله إلى آخره وما قاساه وما أتفق له مع أخت زوجته وكيف خلّص زوجته وأولاده وحدثها بما رآه من العجائب والأهوال الصعاب حتى أن أختها كانت أرادت أن تذبحه وتذبحها وتذبح أولادها وما سلمهم منها إلا الله تعالى ثم حكى لها حكاية القضيب والطاقية وأن الشيخ أبا الريش والشيخ عبد القدوس طلباهما منه وأنه ما أعطاهما لهما إلا من شأنها فشكرته على ذلك ودعت له بطول البقاء فقال والله ما أنسي كل ما فعلتيه معي من الخير من أول الأمر إلى آخره فالتفتت أخته إلى زوجته منار السنا وعانقتها وضمت أولادها إلى صدرها ثم قالت لها يا بنت الملك الأكبر أما في قلبك رحمة حتى فرّقت بينه وبين أولاده وأحرقت قلبه عليهم فهل كنت تريدين بهذا الفعل أن تموت فسكتت وقالت بهذا حكم الله سبحانه وتعالى ومن خادع الناس خدعه الله ثم أنه أقام عندهم عشرة أيام في أكل وشرب وفرح وسرور ثم بعد العشرة أيام تجهز حسن للسفر فقامت أخته وجهزت له من المال والتحف ما يعجز عنه الوصف ثم ضمته إلى صدرها لأجل الوداع وعانقته وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٨٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أخت حسن لما ضمته إلى صدرها ثم أن حسناً أعطي الشيخ عبد القدوس القضيب ففرح به فرحاً شديداً وشكر حسناً على ذلك وبعد أن أخذه منه ركب ورجع إلى محله ثم ركب حسن هو وزوجته وأولاده من قصر البنات فخرجوا معه يودعونه وبعد ذلك رجعوا ثم توجه حسن إلى بلاده فسار في البر الأقفر مدة شهرين وعشرة أيام حتى وصل إلى مدينة بغداد دار السلام فجاء إلى داره من باب السر الذي يفتح إلى جهة الصحراء والبرية وطرق الباب وكانت والدته من طول غيبته قد هجرت المنام ولزمت الحزن والبكاء والعويل حتى مرضت وصارت لا تأكل طعاماً ولا تلتذ بمنام بل تبكي في الليل والنهار ولا تغتر عن ذكر ولدها وقد يئست من رجوعه إليها فلما وقف على الباب وسمعها تبكي وتنشد هذه الأبيات:

ب . ﺎلله ي . ﺎ س . ﺎدتي طب . وا مريض . كم فجس . .مه ناح . .ل والقل . .ب مكس . .ور
ف . ﺈن س . محتم بوص . ل م . نكم كرم . ﺎ فالص . .ب م . .ن نع . .م الأحب . ﺎب مغم . .ور
لا ب . أس م . .ن ق . ربكم فب . ﺎلله مقدّ . در فبينم . . ﺎ العس . . ر إذ دارت مياس . . ير

فلما فرغت من شعرها سمعت ولدها حسناً ينادي على الباب يا أماه إن الأيام قد سمحت بجمع الشمل فلما سمعت كلامه عرفته فجاءت إلى الباب وهي ما بين مصدقة ومكذبة فلما فتحت الباب رأت ولدها واقفاً هو وزوجته وأولاده معه فصاحت من شدة الفرح ووقعت في الأرض مغشياً عليها فمازال حسن يلاطفها حتى أفاقت وعانقته ثم بكت وبعد ذلك نادت غلمانه وعبيده وأمرتهم أن يدخلوا جميع ما معه في الدار فأدخلوا الأحمال في الدار ثم دخلت زوجته وأولاده فقامت لها أمه وعانقتها وقبّلت رأسها وقبّلت قدميها وقالت لها يا بنت الملك الأكبر أن كنت أخطأت في حقك فها أنا استغفر الله العظيم ثم التفتت إلى ابنها وقالت له يا ولدي ما سبب هذه الغيبة الطويلة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٨٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أم حسناً لما قالت له ما هذه الغيبة فأخبرها بجميع ما جرى له من أوله إلى آخره فلما سمعت كلامه صرخت صرخة عظيمة ووقعت في الأرض مغشياً عليها من ذكر ما جرى لولدها فلم يزل يلاطفها حتى أفاقت وقالت له يا ولدي والله لقد فرطت في القضيب والطاقية فلو كنت أحتفظت عليهما وأبقيتهما لكنت ملكت الأرض بطولها والعرض ولكن الحمد لله يا ولدي على سلامتك أنت وزوجتك وأولادك وباتوا في أهنأ ليلة وأطيبها فلما أصبح الصباح غير ما عليه من الثياب ولبس بدلة من أحسن القماش ثم خرج إلى السوق وصار يشتري العبيد والجواري والقماش والشيء النفيس من الحلي والحلل والفراش ومن الأواني المثمنة التي لا يوجد مثلها إلا عند الملوك ثم أشترى الدور والبساتين والعقارات وغير ذلك وأقام هو وأولاده وزوجته ووالدته في أكل وشرب ولذة لم يزالوا في أرغد عيش وأهناه حتى أتاهم هازم اللذات ومفرق الجماعات فسبحان ذي الملك والملكوت وهو الحي الباقي الذي لا يموت.

حكاية مسرور التاجرو معشوقته زين المواصف

(ومما يحكي) أنه كان في قديم الزمان وسالف العصر والأوان رجل تاجر اسمه مسرور وكان ذلك الرجل من أحسن أهل زمانه كثير المال مرفه الحال ولكنه كان يحب النزهة في الرياض والبساتين ويتلهى بهوى النساء الملاح فاتفق أنه كان نائماً في ليلة من الليالي فرأى في نومه أنه في روضة من أحسن الرياض وفيها أربع طيور من جملتهما حمامة بيضاء مثل الفضة الجلية فعجبته تلك الحمامة وصار في قلبه منها وجد عظيم وبعد ذلك رأى أنه نزل عليه طائر عظيم خطف تلك الحمامة من يده فعظم ذلك عليه ثم بعد ذلك انتبه من نومه فلم يجد الحمامة فصار يعالج أشواقه إلى الصباح فقال في نفسه لابد أن أروح اليوم إلى من يفسر لي هذا المنام وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح..

(وفي ليلة ٧٨٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن مسرور التاجر لما انتبه من نومه صار يعالج أشواقه إلى الصباح فلما أصبح الصباح قال لابد أن أروح اليوم على من يفسر لي هذا المنام فقام وصار يمشي يميناً وشمالاً إلى أن بعد عن منزله فلم يجد من يفسر له هذا المنام ثم بعد ذلك طلب الرجوع إلى منزله فبينما هو في الطريق إذ خطر بباله أنه يميل إلى دار من دور التجار وكانت تلك الدار لبعض الأغنياء فلما وصل إليها وإذا به يسمع بها صوت أنين من كبد حزين وهو ينشد هذه الأبيات:

نسـ .يم الصـ .با هبـ .ت لنـ .ا مـ .ن رسـ .ومها   معط . .رة يشـ . .فى العليـ . .ل شـ . .ميمها
وقف . . .ت بـ . . .أطلال دوراس سـ . . .ائلاً   ولـ . .يس يجيـ . .ب الـ . .دمع إلا رميمهـ . .ا
فقلـ . ـت نـ . ـيم الـ . ـريح بـ . ـالله خبـ . ـري   هـ .ـل الـ .ـدار هـ .ـذي قـ .ـد يعـ .ـود نعيمهـ .ـا
وأحظـ .ـى بظبـ .ـي مـ .ـال بـ .ـي لـ .ـين قـ .ـده   وأجفاذ . .ـه الوسـ . .ـنا ضـ . .ـناني سـ . .ـقيمها

فلما سمع مسرور ذلك الصوت نظر في داخل البيت فرأى روضة من أحسن الرياض في باطنها ستر من ديباج أحمر مكلل بالدر والجوهر وعليه من وراء الستر أربع جوار بينهن صبية دون الخماسية وفوق الرباعية كأنها البدر المنير والقمر المستدير بعينين كحيلتين وحاجبين مقرنين وفم كأنه خاتم سليمان وشفتين وأسنان كالدر والمرجان وهي تسلب العقول بحسنها وجمالها وقدها واعتدالها فلما رآها مسرور ودخل الدار وبالغ في الدخول حتى وصل إلى الستر فرفعت رأسها إليه ونظرته فعند ذلك سلم عليها فردت عليه السلام بعذوبة الكلام فلما نظرها وتأملها طاش عقله وذهب قلبه ونظر إلى الروضة وكانت من الياسمين المنثور والبنفسج والورود والنارنج وجميع ما يكون فيها من المشموم وقد توشحت جميع الأشجار بالأثمار وفي تلك الروضة طيور من قرى وحمام وبلبل ويمام وكل طير يغرد بصوته والصبية تتمايل في حسنها وجمالها وقدها واعتدالها يفتتن بها كل من رآها ثم قالت أيها الرجل ما الذي أقدمك على دار غير دارك وعلى جوار غير جواربك من غير إجازة أصحابها فقال لها يا سيدتي رأيت هذه الروضة فأعجبني حسن اخضرارها وفيح أزهارها وترنم أطيارها فدخلتها لأتفرج فيها ساعة من الزمان وأروح إلى حال سبيلي فقالت له حباً وكرامة فلما سمع مسرور التاجر كلامها ونظر إلى ظرفها ورشاقة قدّها تحيّر من حسنها وجمالها ومن لطافة الروضة والطير فطار عقله من ذلك وصار متحيراً في أمره وأنشد هذه الأبيات :

قمـ . ـر تبـ . ـدي فـ . ـي بـ . ـديع محاسـ . ـن   بـ . .ـين الربـ . .ـا والـ . .ـروح والريحـ . .ـان
والآس والنسـ . . .ـرين ثـ . . .ـم بنفسـ . . .ـج   فاحـ . .ـت روائحـ . .ـه مـ . .ـن الأغصـ . .ـان
يـ . ـا روضـ . ـة كملـ . ـت بحسـ . ـن صـ . ـفاتها   وحـ . .ـوت جميـ . .ـع الزهـ . .ـر والأفنـ . .ـان
فالبـ . ـدر يجلـ . ـي تحـ . ـت ظـ . ـل غصـ . ـونها   والطيـ . .ـر تنشـ . .ـد أطيـ . .ـب الألحـ . .ـان
قمريهـ . . . ـا وهزارهـ . . . ـا ويمامهـ . . . ـا   وكـ . .ـذا البلابـ . .ـل هيجـ . .ـت أشـ . .ـجاني
وقـ . .ـف الغـ . .ـرام بمهجتـ . .ـي متحيـ . .ـراً   فـ . .ـي حسـ . .ـنها كتحيـ . .ـر السـ . .ـكران

فلما سمعت زين المواصف شعر مسرور نظرت له نظرة أعقبته ألف حسرة وسلبت بها عقله ولبه وأجابته عن شعره بهذه الأبيات:

لا ترتج . .ي وص . .ل الت . .ي علقته . .ا	واقط . .ع مطامع . .ك الت . .ي أماتهـ . .ا
وذر الـ . ذي ترج . وه أنـ . ك لـ . م تطـ . ق	صـ . د الت . ي ف . ي الغاني . ات عش . قتها
تجنـ . ي علـ . ى العش . اق ألح . اظي ولـ . م	تعظ . .م علـ . .ى مقال . .ة قـ . .د قلتهـ . .ا

فلما سمع مسرور كلامها تجلد وصبر وكتم أمرها في سره وتنكر وقال في نفسه ما للبلية إلا الصبر ثم داموا على ذلك إلى أن هجم الليل فأمرت بحضور المائدة فحضرت بين أيديهما وفيها من سائر الألوان من السماني وأفراخ الحمام ولحوم الضأن فأكلا حتى اكتفيا ثم أمرت برفع الموائد فرفعت وحضرت الآت الغسل فغسلا أيديهما ثم أمرت بوضع الشمعدانات فوضعت وجعل فيها شمع الكافور ثم بعد ذلك قالت زين المواصف والله إن صدري ضيق في هذه الليلة لأني محمومة فقال لها مسرور شرح الله صدرك وكشف غمك فقالت يا مسرور أنا معودة بلعب الشطرنج فهل تعرف فيه شيئاً قال نعم أنا عارف به فقدمته بين أيديهما وإذا هو من الأبنوس مقطع بالعاج له رقعت مرموقة بالذهب الوهاج وحجارته من در وياقوت. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٨٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أنها لما أمرت بإحضار الشطرنج أحضروه بين أيديهما فلما رآه مسرور حار فكره فالتفتت إليه زين المواصف وقالت له هل أنت تريد الحمر أم البيض فقال يا سيدة الملاح وزين الصباح خذي أنت الحمر لأنهم ملاح ولمثلك أملح ودعي لي الحجارة البيض فقالت رضيت بذلك فأخذت الحمر وصفتها مقابلة البيض ومدت يدين إلى القطع تنقل في الميدان فنظر إلى أناملها فرآها كأنها من عجين فاندهش مسرور من حسن أناملها ولطف شمائلها فالتفتت إليه وقالت يا مسرور لا تندهش واصبر واثبت فقال لها يا ذات الحسن الذي فضح الأقمار إذا نظرك المحب كيف يكون له اصطبار فبينما هو كذلك وإذا هي تقول له الشاة مات فغلبته عند ذلك وعلمت زين المواصف أنه بحبها مجنون فقالت له يا مسرور لا ألعب معك يا مسرور إلا برهن معلوم وقدر مفهوم فقال لها سمعاً وطاعة فقالت له احلف لي وأحلف لك أن كلانا لا يغدر صاحبه فتحالفا معاً على ذلك فقالت له يا مسرور إن غلبتك أخذت منك عشرة دنانير وإن غلبتني لم أعطك شيئاً فظن أنه يغلبها فقال لها يا سيدتي لا تخشي في يمينك فأني أراك أقوى مني في اللعب فقالت له رضيت بذلك وصار يلعبان ويتسابقان بالبيادق وألحقتهم بالأفزار وصفتهم وقرنتهم بالرماح وسمحت النفس بتقديم الأفراس وكان على رأس زين المواصف وشاح من الديباج الأزرق فوضعته عن رأسها وشمّرت عن معصم كأنه عمود من نور ومرت بكفها على القطع الحمر وقالت له خذ حذرك فاندهش مسرور وطار عقله وذهب لبه ونظر إلى رشاقتها ومعانيها فاحتار وأخذه الإنبهار فمد يده إلى البيض فراحت إلى الحمر فقالت يا مسرور أين عقلك الحمر لي والبيض لك فقال لها إن من ينظر إليك ليس يملك عقله فلما نظرت زين المواصف إلى حاله أخذت منه البيض وأعطته الحمر فلعب بها فغلبته ولم يزل يلعب معها وهي تغلبه ويدفع

لها في كل مرة عشرة دنانير فلما عرفت زين المواصف أنه مشغول بهواها قالت له يا مسرور ما بقيت تنال مرادك إلا إذا كنت تغلبني كما هو شرطك ولا بقيت ألعب معك في كل مرة إلا بمائة دينار فقال لها حباً وكرامة فصارت تلاعبه وتغلبه وتكرر ذلك وهو في كل مرة يدفع لها المائة دينار وداما على ذلك إلى الصبح وهو لم يغلبها أبداً فنهض قائماً على أقدامه فقالت له ما الذي تريد يا مسرور قال أمضي إلى منزلي وآتي بمالي لعلي أبلغ منك آمالي فقالت له افعل ما تريد مما أبد لك فمضى إلى منزله وأتاها بالمال جميعه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٩٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن مسرور لما مضى إلى منزله وأتى لها بالمال جميعه صار يلعب معها وهي تغلبه ولم يقدر أن يغلبها دوراً واحداً ولم يزالا كذلك ثلاثة أيام حتى أخذت منه جميع ما له فلما نفذ ماله قالت له يا مسرور ما الذي تريد قال ألاعبك على دكان العطارة قالت له كم تساوي تلك الدكان قال خمسمائة دينار فلعب بها خمسة أشواط فغلبته ثم لعب معها بها على الجواري والعقارات والبساتين والعمارات فأخذت منه ذلك كله وجميع ما يملكه وبعد ذلك التفتت إليه وقالت له هل بقي معك شيء من المال تلعب به فقال لها وحق من أوقعني معك في شرك المحبة ما بقيت يدي تلم شيء من المال وغيره لا قليلاً ولا كثيراً فقالت له يا مسرور كل شيء يكون أوله رضا لا يكون آخره ندامة فإن كنت ندمت فخذ مالك واذهب عنا إلى حال سبيلك وأنا أجعلك في حل من قلبي فقال مسرور وحق من قضى علينا بهذه الأمور لو أردت أخذ روحي لكانت قليلة في رضاك فما أعشق أحداً سواك فقالت له يا مسرور حينئذ اذهب واحضر القاضي والشهود واكتب لي جميع الأملاك والعقارات فقال حباً وكرامة ثم نهض قائماً في الوقت والساعة وأتى بالقاضي والشهود وأحضروهم عندها فلما رآها القاضي طار عقله وذهب لبه وتبلبل خاطره من حسن أناملها وقال يا سيدتي لا أكتب الحجة إلا بشرط أن تشتر العقارات والجواري والأملاك وتصير كلها تحت تصرفك وفي حيازتك فقالت قد اتفقنا على ذلك فاكتب لي حجة بأن ملك مسرور وجواريه وما تملكه يده ينقل إلى ملك زين المواصف بثمن جملته كذا وكذا فكتب القاضي ووضع الشهود خطوطهم على ذلك وأخذت الحجة زين المواصف وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٩١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن زين المواصف لما أخذت الحجة من القاضي مشتملة على أن جميع ما كان ملكاً لمسرور صار ملكاً لها قالت له يا مسرور اذهب إلى حال سبيلك فالتفتت جاريتها هبوب وقالت له أنشد شيئاً من الأشعار فأنشد في شأن لعب الشطرنج هذه الأبيات:

أشكر الزمان ومـ ا قـ د حـ ل بـ ي وجـ رى ... واشـ .تكي الخسـ .ر والشـ .طرنج والنظـ .را

فـ .ي حـ . ب جاريـ . ة غيـ . داء ناعمـ . ة ... مـ ـا مثلهـ ـا فـ ـي الـ ـورى أنثـ ـى ولا ذكـ .را

قـ .د فرقـ .ت لـ .ي سـ .هاماً مـ .ن لواحظهـ .ا ... وقـ . دمت لـ . ي جيوشـ . اً تغلـ . ب البشـ . را

حمـ . راً وبيضـ . اً وفرسـ . اناً مصـ . ادمة ... فبـ . ادرتني وقالـ . ت لـ . ي خـ . ذ الحـ . ذرا

وأهملتـ . . . ي إذا مـ . . . رت أناملهـ . . . ا ... فـ .ي جـ .نح ليـ .ل بهـ .يم يشـ .به العشـ .را

لـ . م أسـ . تطع لخـ . لاص البـ . يض أنقلهـ . ا ... والوجـ . د صـ . ير مذ . ي الـ . دمع منهمـ . را
بيـ . . ادق ورخـ . . وج مـ . . ع فرازنـ . . ة ... كـ . رت فـ . أدبر جـ . يش البـ . يض منكسـ . را
وخيرتـ . . . ي بـ . . . ين العسـ . . . كرين ... فـ . اخترت تلـ . ك الجيـ . وش البـ . يض مقتمـ . را
وقلت لهم هـ ذي الجيـ وش البـ يض تصـ لح ... لـ . ي هـ . م المـ . راد وأمـ . ا أنـ . ت فـ . الحمزا
ولا عبتنـ . ي علـ . ى رهـ . ن رضـ . يت بـ . ه ... ولـ . م أكـ . ن عـ . ن رضـ . اها أبلـ . غ الـ . وطرا
يا لهـ فـ قلبـ ي ويـ ا شـ وقي ويـ ا حزنـ ي ... علـ . ى وصـ . ال فتـ . اة تشـ . به القمـ . را
مـ . ا القلـ . ب فـ . ي حـ . رق كـ . لا ولا أسـ . ف ... علـ . ى عقـ . اري ولكـ . ن يـ . ألف النظـ . را
وصـ . رت حيـ . ران مبهوتـ . اً علـ . ى وجـ . ل ... أعاتـ . ب الـ . دهر فيمـ . ا تـ . م لـ . ي وجـ . رى
قالـ . ت فمـ . ا لـ . ك مبهوتـ . اً فقلـ . ت لهـ . ا ... هل شارب الخمـ ر يصـ حوا عنـ دما سـ كرا
أنسـ . . ية سـ . . لبت عقلـ . . ي بقامتهـ . . ا ... أن لان منهـ . ا فـ . ؤاد يشـ . به الحجـ . را
أطبعـ . ت نفسـ . ي وقلـ . ت اليـ . وم أملكهـ . ا ... علـ . ى الرهـ . ان ولا خوفـ . اً ولا حـ . ذرا
لا زال يطمـ . ع قلبـ . ي فـ . ي تواصـ . لها ... حتـ . ى بقيـ . ت علـ . ى الحـ . الين مفتقـ . را
هـ لـ يرجـ ع الصـ ب عـ ن عشـ ق أضـ ربه ... ولـ . و غـ . دا فـ . ي بحـ . ار الوجـ . د منحـ . دراً
فأصـ . . بح العبـ . . د لا مـ . . ال بقلبـ . . ه ... أسـ ير شـ وقي ووجـ د مـ ا قضـ ى وطـ را

فلما سمعت زين المواصف هذه الأبيات تعجبت من فصاحة لسانه وقالت له يا مسرور دع عنك هذا الجنون وارجع إلى عقلك وامض إلى حال سبيلك فقد أفنيت مالك وعقارك في لعب الشطرنج ولم تحصل غرضك وليس لك جهة من الجهات توصلك إليه فالتفت مسرور إلى زين المواصف وقال لها يا سيدتي اطلبي أي شيء ولك كل ما تطلبينه فأني أجيء به إليك وأحضره بين يديك فقالت يا مسرور ما بقي معك شيء من المال فقال لها يا منتهى الآمال إذا لم يكن عندي شيء من المال تساعدني الرجال فقالت له هل الذي يعطي يصير مستطيعاً فقال لها إن لي أقارباً وأصحاباً ومهما طلبته يعطوني أياه فقالت له أريد منك أربع نوافج من المسك الأذفر وأربع أواق من الغالية وأربعة أرطال من العنبر وأربعة آلاف دينار وأربعة مائة حلة من الديباج الملوكي المزركش فإن كنت يا مسرور تأتي بذلك الأمر أبحث لك الوصال فقال لها هذا على هين يا مخجلة الأقمار ثم أن مسرور أخرج من عندها ليأتيها بالذي طلبته منه فأرسلت خلفه هبوب الجارية حتى تنظر قدره عند الناس الذي ذكرهم لها فبينما هو يمشي في شوارع المدينة إذ لاحت منه التفاتة فرأى هبوب على بعد فوقف إلى أن لحقته فقال لها يا هبوب إلى أين أنت ذاهبة فقالت له أن سيدتي أرسلتني خلفك من أجل كذا وكذا وأخبرته بما قالته لها زين المواصف من أوله إلى آخره فقال لها والله يا هبوب أن يدي لا تملك شيئاً من المال قالت له فلأي شيء وعدتها فقال لكم من وعد لا يفي به صاحبه والمطل في الحب لابد منه فلما سمعت هبوب ذلك منه قالت له يا مسرور طب نفساً وقر عيناً والله لأكونن سبباً في اتصالك بها ثم أنها تركته ومشت ومازالت ماشية إلى أن وصلت إلى سيدتها فبكت بكاء شديداً وقالت لها يا سيدتي والله أنه رجل كبير المقدار محترم عند الناس فقالت لها سيدتها لا حيلة في قضاء الله تعالى أن هذا الرجل ما وجد عندنا قلباً

رحيماً لأننا أخذنا ماله ولم يجد عندنا مودة ولا شفقة في الوصال وإن ملت إلى مراده أخاف أن يشيع الأمر فقالت لها هبوب يا سيدتي ما سهل علينا حاله وأخذ ماله ولكن ما عندك إلا أنا وجاريتك سكوب فمن يقدر أن يتكلم منافيك ونحن جواريك فعند ذلك أطرقت برأسها إلى الأرض فقال لها الجواري يا سيدتي الرأي عندنا أن ترسل خلفه وتنعمي عليه ولا تدعيه يسأل أحداً من اللئام فما أمر السؤال فقبلت كلام الجواري ودعت بدواة وقرطاساً وكتبت إليه هذه الأبيات:

دنا الوصل يـ ا مسـ رور فابشـ ر بـ ـلا مطـ ل — إذا أسـ .ود جـ .نح الليـ .ل فلتـ .ات بالفعـ .ل
ولا تسـ ـأل الأنـ ـدال فـ ـي المـ ـال يـ ـا فتـ ـى — فقد كنـ ـت فـ ـي سـ ـكر وقـ ـد ردلـ ـي عقلـ ـي
فمالـ . . ـك مـ . . رددود عليـ . . ك جميعـ . . ـه — وزدتـ ـك يـ ا مسـ رور مـ ـن فوقـ ـه وصـ ـلي
لأنـ . . ـك ذو صـ . . ـبر وفيـ . . ـك حـ . . ـلاوة — علـ ـى جـ ـور محبـ ـوب جفـ ـاك بـ ـلا عـ ـدل
فبـ . ـادر لتحظـ . ـى بـ . ـالمني ولـ . ـك الهنـ . ـا — ولا تعـ . ـط إهمـ . ـالاً فيـ . ـدري بنـ . ـا أهلـ . ـي
هلـ . ـم إلينـ . ـا مسـ . ـرعاً غيـ . ـر مبطـ . ـيء — وكل من ثمـ ـار الوصـ ـل فـ ـي غيبـ ـة البعـ ـل

ثم أنها طوت الكتاب وأعطته لجارتها هبوب فأخذته ومضت إلى مسرور فوجدته يبكي وينشد قول الشاعر:

وهـ ـب علـ ـى قلبـ ـي نسـ ـيم مـ ـن الجـ ـوى — ففتـ . ـت الأكبـ . ـاد مـ . ـن فـ . ـرط لـ . ـوعتي
لقـ . ـد زاد وجـ . ـدي بعـ . ـد بعـ . ـد أحبتـ . ـي — وفاضـ ـت جفـ ـوني فـ ـي تزايـ ـد عبرتـ ـي
وعنـ ـدي مـ ـن الأوهـ ـام مـ ـا أن أبـ ـح بـ ـه — لصـ ـم الحصـ ـى والصـ ـخر لانـ ـت بسـ ـرعة
ألا ليـ ـت شـ ـعري هـ ـل أرى مـ ـا يسـ ـرني — وأحظـ ـى بمـ ـا أرجـ ـوه مـ ـن نيـ ـل بغيتـ ـي
وتطـ ـوي ليـ ـالي الصـ ـد مـ ـن بعـ ـد نشـ ـرها — وأبـ . ـرأ ممـ . ـا دخـ . ـل القلـ . ـب حلـ . ـت

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٩٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن مسروراً لمّا زاد به الهيام صار ينشد الأشعار وهو في غاية الشوق فبينما هو يترنم بتلك الأبيات ويرددها إذ سمعته هبوب فطرقت عليه الباب فقام وفتح لها فدخلت وناولته الكتاب فأخذه وقرأه وقال لها يا هبوب ما وراءك من أخبار سيدتك فقالت له يا سيدي إن في هذا الكتاب ما يغني عن رد الجواب وأنت من ذي الألباب ففرح مسرور فرحاً شديداً وأنشد هذين البيتين:

وردا الكتـ . . ـاب فسـ . . ـرنا مضـ . . ـمونه — ورددت أنـ . ـي فـ . ـي الفـ . ـؤاد أصـ . ـونه
وازددت شـ . . ـوقاً عنـ . . ـد مـ . . ـا قبلتـ . . ـه — فكأنمـ . . . ـا در الهـ . . . وى مكنونـ . . . ـة

ثم أنه كتب كتاباً جواباً لها وأعطاه لهبوب فأخذته وأتت به إلى زين المواصف فلما وصلت إليها به صارت تشرح لها محاسنه وتذكر أوصافه وكرمه وصارت مساعدة له على جمع شمله بها فقالت لها زين

المواصف يا هبوب أنه أبطأ عن الوصول إلينا فقالت لها هبوب أنه سيأتي سريعاً فلم تستتم كلامها وإذا به قد أقبل وطرق الباب ففتحت له وأخذته وأجلسته عند سيدتها زين المواصف فسلمت عليه ورجعت به وأجلسته إلى جانبها ثم قالت لجاريتها هبوب هات له بدلة من أحسن ما يكون فقامت هبوب وأتت ببدلة مذهبة فأخذتها وأفرغتها عليه وأفرغت على سيدتها بدلة أيضاً من أفخر الملابس ووضعت على رأسها سبيكة من اللؤلؤ الرطب وربطت على السبيكة عصابة من الديباج مكللة بالدر والجوهر واليواقيت وأرخت من تحت العصابة سالفتين ووضعت في كل سالفة ياقوتة حمراء مرقومة بالذهب الوهاج وأرخت شعرها كأنه الليل الداج وتبخرت بالعود وتعطرت بالمسك والعنبر فقالت لها جاريتها هبوب الله يحفظك من العين فصارت تمشي وتتبختر في خطواتها وتنعطف فأنشدت الجارية من يذيع شعرها هذه الأبيات:

خجل .ت غصد .ون البـ .ان مـ .ن خطواتهـ .ا وسـ .طت علـ .ى العشـ .اق مـ .ن لحظاتهـ .ا
قمـ . ر تبـ . دي فـ . ي غياهـ . ب شـ . عرها كالشـ .مس تشـ .رق فـ .ي دجـ .ى وفراتهـ .ا
طـ . وبى لمـ . ن باتـ . ت تتيـ . ـه بحسـ . نها ويمـ . . وت فيهـ . . ا حالفـ . . اً بحياتهـ . . ا

فشكرتها زين المواصف ثم أنها أقبلت على مسرور وهي كالبدر المشهور فلما رآها مسرور نهض قائماً على قدميه وقال أن صدق قلبي فما هي أنسية وأنما هي من عرائس الجنة ثم أنها دعت بالمائدة فحضرت ثم أنهم أكلوا وشربوا وتلذذوا وطربوا ورفعت سفرة الطعام وقدموا سفرة المدام ودار بينهم الكاس والطاس وطابت لهم الأنفاس وملأ الكاس مسرور وقال يا من أنا عبدها وهي سيدتي فقالت يا مسرور كل من تمسك بدينه وأكل خبزنا وملحنا وجب حقه علينا فخل عنك هذه الأمور وأنا أرد عليك أملاكك وجميع ما أخذناه منك فقال يا سيدتي أنت في حل مما تذكرينه وإن كنت غدرت في اليمين الذي بيني وبينك فأنا أروح وأصير مسلماً فقالت جاريتها هبوب يا سيدتي أنت صغيرة السن وتعرفين كثيراً وأنا استشفع عندك بالله العظيم فإن لم تطيعيني وتجبري خاطري لا أنام الليلة عندك في الدار فقالت لها يا هبوب لا يكون إلا ما تريدينه قومي جددي لنا مجلساً وزينته وعطرته بأحسن العطر كما تحب وتختار وجهزت الطعام وأحضرت المدام ودار بينهم الكاس والطاس وطابت لهم الأنفاس وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٩٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن زين المواصف لما أمرت جاريتها هبوب جديد مجلس الأنس قامت وجددت الطعام والمدام ودار بينهم الكاس والطاس وطابت لهم الأنفاس فقالت زين المواصف يا مسرور قد آن أوان اللقاء والتداني فإن كنت لحبنا تعاني فأنشد لنا شعر بديع المعاني فأنشد مسرور هذه القصيدة:

أسـ .رت وفـ .ي قلبـ .ي لهيـ .ب تضـ .ر مـ .ا بحيـ .ل وصـ .ال فـ .ي الفـ .راق تصـ .ر مـ .ا
وحـ . .ب فتـ . .اة قـ . .د قلبـ . .ي قـ . .دها وقـ . ـد سـ . لبت عقلـ . ـي بخـ . ـد تنعمـ . ـا
لهـ ـا الحاجـ ـب المقـ ـرون والطـ ـرف أحـ ـور وثغـ . ر يحـ . اكي البـ . رق حـ . ين تبسـ . ماً
لهـ .ا مـ .ن سـ .نين العمـ .ر عشـ .ر وأربـ .ع ودمعـ ـي حكـ ـى فـ ـي حـ ـب هاتيـ ـك عنـ ـدما
فعاينتهـ . ا مـ . ا بـ . ين نهـ . ر وروضـ . ة بوجـ .ه يفـ .وق البـ .در فـ .ي أفـ .ق السـ .ما

وقف . ت لهـ . ا شـ . به الأسـ . ير مهابـ . ـة وقلـ . ت سـ . ـلام الله يـ . ـا سـ . ـاكن الحمـ . ى
فـ . ـردت سـ . ـلامي عنـ . ـد ذلـ . ـك رغبـ . ـة بلطـ . ـف حـ . ـديث مثـ . ـل در تنظمـ . ـا
وحـ . ـين رأت قـ . ـولي لـ . ـديها تحقق . ـت مرامـ . ـي وصـ . ـار القلـ . ـب منهـ . ـا مصـ . ـمما
وقالـ . ـت أمـ . ـا هـ . ـذا الكـ . ـلام جهالـ . ـة فقلـ . ـت لهـ . ـا كفـ . ـى عـ . ـن الصـ . ـب الومـ . ـا
فـ . ـأن تقبليـ . ـي اليـ . ـوم فالخطـ . ـب هـ . ـين فمثلـ . ـك معشـ . ـوقاً ومثلـ . ـي متيمـ . ـا
فلمـ . ـا رأت منـ . ـي المـ . ـرام تبسـ . ـمت وقالـ . ـت وربـ خـ . ـالق الأرض والسـ . ـما
يهوديـ . ـة أقسـ . ـى النهـ . ـود ديتهـ . ـا ومـ . ـا أنـ . ـت إلا للنصـ . ـارى ملازمـ . ـا
فكيـ . ـف تـ . ـرى وصـ . ـلي ولسـ . ـت بملتـ . ـي فـ . ـإن تبـ . ـع هـ . ـذا الفعـ . ـل تصـ . ـبح نادمـ . ـا
وتلعـ . ـب بالـ . ـدينين هـ . ـل حـ . ـل فـ . ـي الهـ . ـوى ويصـ . ـبح مثلـ . ـي بـ . ـالملام مكلمـ . ـا
وتهـ . ـوى بـ . ـه الأديـ . ـان فـ . ـي كـ . ـل وجهـ . ـة وتبقـ . ـى علـ . ـى دينـ . ـي ودينـ . ـك محرمـ . ـا
وتحلـ . ـف بالإنجيـ . ـل قـ . ـولاً محققـ . ـا لـ . ـتحفظ سـ . ـري فـ . ـي هـ . ـواك وتكتمـ . ـا
واحلـ . ـف بـ . ـالتوراة إيمـ . ـان صـ . ـادق بـ . ـأني علـ . ـى العهـ . ـد الـ . ـذي قـ . ـد تقـ . ـدما
حلفـ . ـت علـ . ـى دينـ . ـي وشـ . ـرعي ومـ . ـذهبي وحلفتهـ . ـا مثلـ . ـي يمينـ . ـاً معظمـ . ـا
وقلـ . ـت ليهـ . ـا مـ . ـا الاسـ . ـم يـ . ـا غايـ . ـة المنـ . ـى فقالـ . ـت أنـ . ـا زيـ . ـن المواصـ . ـف فـ . ـي الحمـ . ـا
فناديـ . ـت ا زيـ . ـن المواصـ . ـف أننـ . ـي بحبـ . ـك مشـ . ـغوف الفـ . ـؤاد متيمـ . ـا
وعاينـ . ـت مـ . ـن تحـ . ـت اللثـ . ـام جمالهـ . ـا فصـ . ـرت كئيـ . ـب القلـ . ـب والحـ . ـال مغرمـ . ـا
فمازلـ . ـت تحـ . ـت السـ . ـتر أخضـ . ـع شـ . ـاكيا كثيـ . ـر غـ . ـرام فـ . ـي الفـ . ـؤاد تحكمـ . ـا
فلمـ . ـا رأت حـ . ـالي وفـ . ـرط تـ . ـولهي جالـ . ـت لـ . ـي وجهـ . ـاً ضـ . ـاحكاً متبسـ . ـماً
وهـ . ـب لنـ . ـا ريـ . ـح الوصـ . ـال وعـ . ـرت نـ . ـوافح عطـ . ـر المسـ . ـك جيـ . ـداً ومعصـ . ـما
وقـ . ـد عبقْ . ـت منهـ . ـا الأمـ . ـاكن كلهـ . ـا وقبلـ . ـت مـ . ـن فيهـ . ـا رحيقـ . ـاً ومبتسـ . ـماً
ومالـ . ـت كغصـ . ـن البـ . ـان تحـ . ـت غلائـ . ـل وحللـ . ـت وصـ . ـلا كـ . ـان قبـ . ـل محرمـ . ـا
وبتنـ . ـا بجمـ . ـع الشـ . ـمل والشـ . ـمل جـ . ـامع بضـ . ـم ولـ . ـثم وارتشـ . ـاف مـ . ـن اللمـ . ـى
ومـ . ـا زينـ . ـة الـ . ـدنيا سـ . ـوى مـ . ـن تحبـ . ـه يكـ . ـون قريبـ . ـاً منـ . ـك كـ . ـي تتحكمـ . ـا
فلمـ . ـا تجلـ . ـى الصـ . ـبح قامـ . ـت وودعـ . ـت بوجـ . ـه جميـ . ـل فـ . ـائق قمـ . ـر السـ . ـما
وقد أنشدت عند الوداع ودمعها علـ . ـى الخـ . ـد منثـ . ـوراً وبعضـ . ـها منظمـ . ـا
فلم أنسي عهـ د الله مـ . ـا عشـ . ـت فـ . ـي الـ . ـورى وحسـ . ـن الليـ . ـالي واليمـ . ـين المعظمـ . ـا

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٩٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن مسرور لما أنشد القصيدة المذكورة وسمعتها زين المواصف أطربت وقالت له يا مسرور ما أحسن معانيك ولا عاش من يعاديك ثم دخلت المقصورة ودعت بمسرور فدخل عندها

واحتضنها وعانقها وقبلها وبلغ منها ما ظن أنه محال وفرح بما نال من طيب الوصال فعند ذلك قالت له زين المواصف يا مسرور أن مالك حرام علينا حلال لك لا نناقد صرنا أحباباً ثم أنها ردت عليه جميع ما أخذته من الأموال وقالت له يا مسرور هل لك من روضة تأتي إليها ونتفرج عليها قال نعم لي روضة ليس لها نظير ثم مضى إلى منزله وأمر جواريه أن يصنعن طعاماً فاخراً و أن يهيئن مجلساً حسناً وصحبة عظيمة ثم أنه دعاها إلى منزله فحضرت هي وجواريها فأكلوا وشربوا وتلذذوا وطربوا ودار بينهم الكاس والطاس وطابت لهم الأنفاس وخلا كل حبيب بحبيبة فقالت يا مسرور أنه خطر ببالي شعر رقيق أريد أن أقوله على العود فقال لها قوليه فأخذت العود بيدها وأصلحت شأنه وحركت أوتاره وحسنت النغمات وأنشدت تقول هذه الأبيات:

ق .د م .ال ب .ي ط .رب م .ن الأوت .ار" وص .فا الص .بوح لن .ا ل .دى الأس .حار
والح . ب يكش . ف ع . ن ف . ؤاد مت . يم فب . . دا اله . . وى بهت . . ك الأس . . تار
م . ـع حم . ـرة رق . ـت بحس . ـن ص . ـفاتها كالش . ـمس نجل . ـي ف . ـي ي . ـد الأقم . ـار
ف . ـي ليل . ـة ج . ـاءت لن . ـا بس . ـرورها تمح . . و بص . . فو ش . . ـائب الأك . . دار

فلما فرغت من شعرها قالت يا مسرور أنشدنا شيئاً من أشعارك ومتعنا بفواكه أثمارك فأنشد هذين البيتين:

طرين . ـا عل . ـى ب . ـدر ي . ـدير مدام . ـة ونغم . ـة ع . ـود ف . ـي ري . ـاض مقامن . ـا
وغن . ـت قماريه . ـا ومال . ـت غص . ـونها س . ـحيراً وف . ـي أنحائه . ـا غاي . ـة المن . ـى

(وفي ليلة ٧٩٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن زين المواصف قالت لمسرور إن كنت مشغولاً بحبنا فأنشد لنا شعراً فيما وقع لنا فقال حباً وكرامة وأنشد هذه القصيدة :

ق .ف واس .تمع م .ا ج .را ل .ي ف . ـي ح . ـب ه . ـذا الغزال . ـي
ري . . . .م رم . . .اني بنب . . .ل ولحظ . . ـة ق . . ـد غزال . . ـي
فتن . . .ت عش . . .قاً وأن . . .ي ف .ـي الح .ـب ض .ـاق احتي .ـالي
هوي . . . . .ـت ذات دلال محجوب . . . . .ـة بالنص . . . . .ـال
أبص . . . ـرتها وس . . . ـط روض وق . . . . ـدها ذو اعت . . . . دال
س . . ـلمت قال . . ـت س . . ـلاماً لم . . ـا ص . . ـغت لمق . . ـالي
س . ـألت م . ـا الاس . ـم قال . ـت اس . . ـمي وف . . ـاق جم . . ـالي
س . . ـميت زي . . ـن المواص . . ـف فقل . . ـت رق . . ـي لح . . ـالي
ف . . .إن عن . . .دي غرام . . .اً هيه . . ـات ص . . ـب مث . . ـالي
قال . ـت ف . ـإن كن . ـت ته . ـوى وطامع . . ـاً ف . . ـي وص . . ـالي

أريـ . . . .د مـ . . . .الا جـ . . .زيلاً   بفـ . . .وق كـ . . .ل ذ . . .وال
أريـ . . . د منـ . . . ك ثبابـ . . . ا   مـ . . ن الحريـ . . ر الغـ . . والي
وربـ . . ـع قنط . . ـار مسـ . . .ك   برسـ . . م ليـ . . ل وصـ . . الي
ولؤلـ . . . . . ؤ وعقيق . . . . . ا   مـ . . . ن النفـ . . يس الغـ . . الي
فضـ . . . . . . ة وتضـ . . . . . . ار   مـ . . . ن الحلـ . . . ي الحـ . . والي
أظهـ . . رت صـ . . براً جمـ . . يلاً   علـ . . ى عظـ . . يم اشـ . . تغالي
فأنعمـ . . ت لـ . . . ي بوصـ . . . ل   فيـ . .ا لـ . .ـه مـ . . .ن وصـ . .ال
أن لا منـ . . ى الغيـ . . ر فيهـ . . ا   أقـ . . .ول يـ . . . .ا للرجـ . . .ال
لهـ . . .ا شـ . . .عور طـ . . .وال   واللـ . . ون لـ . . ون الليـ . . الي
وخـ . . . . . .دها فيـ . . . . . .ه ورد   مثـ . ل اللظـ . ى فـ . ي اشـ . تعال
وجفنهـ . . .ا فيـ . . . .ه سـ . . . .ف   ولحظهـ . . . . .ا كالنبـ . . . . الي
وثغرهـ . . .ا فيـ . . . .ه خمـ . . .ر   وريقهـ . . . . . ا كـ . . . . الزلال
كأنـ . . . . . . ـه عقـ . . . . . . د در   حـ . . وى نظـ . . ـام اللآ . . . ي
وجيـ . . .دها جيـ . . .د ظبـ . . .ي   مليحـ . . .ة فـ . . .ي كمـ . . .ال
وصـ . . . . . . .دها كرخـ . . . . . .ام   ونهـ . . . . دها كـ . . . . ـالقلال
وبطنهـ . . .ا فيـ . . . .ه طـ . . . ي   معطـ . . . . . ر بـ . . . . . الغوالي
تحـ . . . .ت ذلـ . . .ك شـ . . .يء   لـ . . .ـه انتهـ . . .ت آمـ . . .الي
مربـ . . . . . .رت وسـ . . . . . .مين   مكلـ . . .ثم يـ . . . .ا مـ . . .والي
كأنـ . . . ـه تخـ . . . ت ملـ . . . ك   عليـ . . ـه أعـ . . رض حـ . . الي
بـ . . . ين العمـ . . ودين تلقـ . . . ى   مصـ . . . . . اطباً بتعـ . . . . الي
لكنـ . . .ـه فيـ . . .ـه وصـ . . .ف   يـ . . دهى عقـ . . ول الرجـ . . ال
لـ . . . . ـه شـ . . . فاه كبـ . . ـار   ونفـ . . . . .رة كالبغـ . . . . .ال
يبـ . . .دو بحمـ . . .رة عـ . . .ين   ومشـ . . . . فر كالجمـ . . . . ال
إذا أتيـ . . . . . . ت إليـ . . . . . ـه   بهمـ . . .ة فـ . . .ي الفعـ . . .ال
تلقـ . . .اه حـ . . .ر الملاقـ . . .ي   بقـ . . . . . وة واحتفـ . . . . . ال
يـ . . . رد كـ . . . ل شـ . . . جاع   محطـ . . ول عـ . . زم القتـ . . ال
وتـ . . . . . . ارة تلقـ . . . . . . اه   بلحيـ . . .ة فـ . . .ي عطـ . . .ال
يهبـ . . . . . ك مضـ . . . . . جع   ذو يجسـ . . . . مه رجـ . . . . ال
كمثـ . . ل زيـ . . ن المواصـ . . ف   مليحـ . . .ة فـ . . .ي انتقـ . . .ال
أليـ . . . ت لـ . . . يلاً قلبهـ . . . ا   ويثبـ . . ت شـ . . يئاً حـ . . لال
وليلـ . . . ة مـ . . . ن معهـ . . . ا   فاقـ . . ت جميـ . . ع الليـ . . الي

لم . . ا آت . . ي س . . بع قام . . ت | ووجهه . . . . . ا ك . . . . . الهلال
تهـ . . . ز منه . . . ا قوام . . . اً | ع . . ز الرم . . اح الغ . . والي
وودعتـ . . . . . ي وقال . . . . . ت | م . . . ن تم . . . يم الليـ . . . الي
فقلـ . . ت يـ . . ا نـ . . ور عيـ . . ي | إذا أردت تع . . . . الي

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٩٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن مسرور لما انتهى من القصيدة فطربت زين المواصف طرباً عظيماً وحصل لها غاية الإنشراح وقالت يا مسرور قد دنا الصباح يبق الرواح خوفاً من الافتضاح فقال حباً وكرامة ثم نهض قائماً على قدميه وأتى بها إلى أن أوصلها إلى منزلها ومضى إلى محله وبات يتفكر في محاسنها فلما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح هيأ لها هدية فاخرة وأتى بها إليها وجلس عندها وأقام على ذلك مدة أيام وهما في أرغد عيش وأهنأه ثم ورد عليها في بعض الأيام كتاب من عند زوجها مضمونه أنه يصل إليها عن قريب فقالت في نفسها لا سلمه الله ولا حياه لأنه وصل إلينا تكدر علينا عيشنا يا ليتني كنت يئست منه فلما أتى إليها مصرع وجامعي يتحدث معها على العادة فقالت له يا مسرور قد ورد علينا كتاباً من عند زوجي مضمونه أنه يصل إلينا من سفر مضن قريب فكيف يكون العمل وما لأحد منا عن صاحبه صبر فقال لها لست أدري ما يكون بل أنت أعرف وأدري بأخلاق زوجك ولا سيما أنت من أعقل النساء صاحبة الحيل التي تحتال بشيء تعجز عن أسئلة الرجال فقالت إنه رجل صعب وله غيرة على أهل بيته ولكن إذا قدم من سفره وسمعت بقدومه وفاقدم عليه وسلم واجلس إلى جانبه وقل له يا أخي أنا رجل عطار واشتر منه شيئاً من أنواع عطارة وتوعد عليه مرار وأطل معه الكلام ومهما أمرك به فلا تخالفه فيه فلعل ما احتال به يكون مصادفاً فقال لها سمعاً وطاعة وخرج مسرور من عندها وقد اشتعلت في قلبه نار المحبة فلما وصل زوجها إلى الدار ففرحت بوصوله ورحبت به وسلمت عليه فنظر في وجهها فرأى فيه لون الأصفرار وكانت غسلت وجهها بالزعفران وعملت فيه بعض حيل النساء فسألها عن حالها فذكرت له أنها مريضة من وقت ما سافر هي والجواري وقالت له إن قلوبنا مشغولة عليك لطول غيابك بالله تشكو إليه مشقة الفراق وتبكي بدمع مهراق وتقول لو كان معك رفيق ما أحمل قلبي هذا الهم كله فبالله عليك يا سيدي ما بقيت تسافر إلا برفيق ولا تقطع عني أخبارك لأجل أن أكون مطمئنة القلب والخاطر عليك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٩٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن زين المواصف لما قالت لزوجها لا تسافر إلا برفيق ولا تقطع عني أخبارك لأجل أن أكون مطمئنة القلب والخاطر عليك قال لها حباً وكرامة والله أن أمرك رشيد ورأيك سديد وحياتك على قلبي ما يكون إلا ما تريدينه ثم أنه خرج بشيء من بضاعته إلى دكانه وفتحها وجلس يبيع في السوق فبينما هو في دكانه وإذا بمسرور أقبل وسلم عليه وجلس إلى جانبه وصار يحيينه ومكث يتحدث معه

ساعة ثم أخرج كيساً وحله وأخرج منه ذهباً ودفعه إلى زوج زين المواصف وقال له أعطني بهذه الدنانير شيء من أنواع العطارة لأبيعه في دكاني فقال له سمعاً وطاعة ثم أعطاه الذي طلبه وصار مسرور يتردد عليه أياماً فالتفت إليه زوج زين المواصف وقال له أنا مرادي رجل أشاركه في المتجر فقال له مسرور أنا الآخر مرادي رجل أشاركه في المتجر لأن أبي كان تاجراً في اليمن وخلف مالاً عظيماً وأنا خائف على ذهابه فالتفت إليه زوج زين المواصف وقال له هل لك أن تكون رفيقاً لي وصاحباً وصديقاً في السفر والحضر وأعلمك البيع والشراء والأخذ والعطاء فقال له مسرور حباً وكرامة ثم أنه أخذه وأتى به إلى منزله وأجلسه في الدهليز ودخل إلى زوجته زين المواصف وقال لها أني رافقت رفيقاً ودعوته إلى الضيافة فجهزي لنا ضيافة حسنة ففرحت زين المواصف وعرفت أنه مسرور فجهزت وليمة فاخرة وصنعت طعاماً حسناً من فرحتها بمسرور حيث تم تدبير حيلتها فلما حضر مسرور في دار زوج زين المواصف قال اخرجي معي إليه ورحبي به وقولي له آنستنا فغضبت زين المواصف وقالت تحضرني قدام رجل غريب أجنبي أعوذ بالله ولو قطعتني قطعاً ما أحضر قدامه فقال لها زوجها لأي شيء تستحين منه وهو نصراني ونحن يهود ونصير أصحابا فقالت أنا ما أشتهي أن أحضر قدام الرجل الأجنبي الذي ما نظرته عيني قط ولا أعرفه فظن زوجها أنها صادقة في قولها ولم يزل يعالجها حتى قامت وتلفلفت وأخذت الطعام وخرجت إلى مسرور ورحبت به فأطرق رأسه إلى الأرض كأنه مستح فنظر الرجل إلى أطرافه وقال لاشك أن هذا زاهد فأكلوا كفايتهم ثم رفعوا الطعام وقدموا المدام فجلست زين المواصف قبال مسرور وصارت تنظره وينظرها إلى أن مضى النهار فانصرف مسرور إلى منزله والتهبت في قلبه النار وأما زوج زين المواصف فإنه صار مفتكر في لطف صاحبه وفي حسنه فلما أقبل الليل قدمت إليه زوجته طعاماً ليتعشى كعادته وكان عنده في الدار طيراً هزاز إذا جلس يأكل يأتي إليه ذلك الطير يأكل معه ويرفرف على رأسه وكان ذلك الطير قد ألف مسروراً فصار يرفرف عليه كلما جلس على الطعام فحين غاب مسرور وحضر صاحبه لم يعرفه ولم يقرب منه فصار مفتكراً في أمر ذلك الطير وفي بعده عنه وأما زين المواصف فإنها لم تنم بل صار قلبها مشغولاً بمسرور واستمر ذلك الأمر إلى ثاني ليلة وثالث ليلة ففهم اليهودي أمرها ونقد عليها وهي مشغولة البال فأنكر عليها وفي رابع ليلة انتبه من منامه نصف الليل فسمع زوجته تلهج في منامها بذكر مسرور وهي نائمة في حضنه فأنكر ذلك عليها وكتم أمره فلما أصبح الصباح ذهب إلى دكانه وجلس فيها فبينما هو جالس وإذا بمسرور قد أقبل وسلم عليه فرد عليه السلام وقال مرحباً يا أخي ثم قال أني مشتاق إليك وجلس يتحدث معه ساعة زمانية وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٩٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن مسرور جلس مع اليهودي ساعة ثم قال له اليهودي قم يا أخي إلى منزلي حتى نعقد المؤاخاة فقال مسرور حباً وكرامة فلما وصل إلى المنزل تقدم اليهودي وأخبر زوجته بقدوم مسرور وأنه يريد أن يتجر هو وإياه ويؤاخيه وقال لها هيئي لنا مجلساً حسناً ولابد أنك تحضرين معنا وتنظرين المؤاخاة فقالت له بالله عليك لا تحضرني قدام هذا الرجل الغريب فمالي غرض أن أحضر قدامه فسكت عنها وأمر الجواري أن يقدمن الطعام والشراب ثم أنه استدعى بالطير الهزاز فنزل في حجر مسرور

ولم يعرف صاحبه فعند ذلك قال له يا سيدي ما أسمك قال اسمي مسرور والحال أن زوجته طول الليل تلهج في منامها بهذا الاسم ثم رفع رأسه فنظرها وهي تشير إليه وتغموه بحاجبها فعرف أن الحيلة قد تمت إليه فقال يا سيدي أمهلني حتى أجيء بأولاد عمي يحضرون المؤاخاه فقال له مسرور افعل ما بدا لك فقام زوج زين المواصف وخرج من المجلس وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٩٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن زوج زين المواصف قال لمسرور أمهلني حتى أجيء بأولاد عمي ليحضروا وأعقد المؤاخاه بيني وبينك ثم مشى وجاء من وراء المجلس ووقف وكان هناك طاقة تشرف عليها فجاء إليها وصار بنظرهما منها وهما لا ينظرانه وإذا بزين المواصف قالت لجاريتهما سكوب اين راح سيدك قالت لي خارج الدار فقالت لها اغلقي الباب ومكنيه بالحديد ولا تفتحي له حتى يدق الباب بعد أن تخبريني قالت لها الجارية وهو كذلك كل ذلك وزوجها يعاين حالهم ثم أن زين المواصف أخذت الكأس وطيبته بماء الورد وسحيق المسك وجاءت إلى مسرور فقام لها وتلقاها وقال لها والله أن ريقك أحلى من الشراب وصارت تسقيه ويسقيها وبعد ذلك رشته بماء الورد من فوقه إلى قدمه حتى فاحت رائحته في المجلس كل ذلك وزوجها ينظر إليهما ويتعجب من شدة الحب الذي بينهما وقد امتلأ قلبه غيظاً مما قد رآه ولحقه الغضب وغار غيرة عظيمة فأتيى إلى الباب فوجده مغلقاً فطرقه طرقاً قوياً من شدة غيظه فقالت الجارية يا سيدتي قد جاء سيدي فقالت افتحي له الباب فلا رده الله بسلامة فمضت سكوب إلى الباب وفتحته فقال له مالك تغلقين الباب قالت هكذا في غيابك لم يزل مغلقاً ولا يفتح ليلاً ولا نهاراً فقال أحسنت فإنه يعجبني ذلك ثم دخل على مسرور وهو يضحك ولكنه كتم أمره وقال يا مسرور دعنا من المؤاخاة في هذا اليوم ونتآخى في يوم آخر غير هذا اليوم فقال سمعاً وطاعة أفعل ما تريد فعند ذلك مضى مسرور إلى منزله وصار زوج زين المواصف مفتكراً في أمره ولا يدري ما يصنع وصار خاطره في غاية التكدير فقال في نفسه حتى الهزاز أنكر لي والجواري أغلقت الأبواب في وجهي وملن إلى غيري ثم أنه صار من شدة قهره يردد إنشاد هذه الأبيات:

لق . د ع . اش مس . رور زماذ . اً منعم . اً — بل . . دة أي . . ام وع . . يش تص . . رما
تعاذ . . دني الأي . . ام ف . . يمن أحب . . . ه — وقلب . . ي بني . . ران يزي . . د تض . . رما
صـ .فا ل .ك ده .ر بالمليح .ة ق .د مض .ى — ولازل . .ت ف . .ي ذاك الجم . .ال مهيم . .ا
لق . د عاين . ت عين . ي حس . ن جمالهـ . ا — فأص . بح قلب . ي ف . ي هواه . ا متيم . ا
لق . د طالم . ا أرش . فتني م . ع الرض . ا — بع . ذب ثناياه . ا رحيق . اً عل . ى ظم . ا
فمال . ك ي . ا طي . ر اله . زار تركتن . ي — وص .رت لغي .ري ف .ي الغ .رام مس .لما
وق .د أبص .رت عين .ي أم .وراً عجيب .ة — تنب . . ه أجف . . اني إذا ك . . ن نوم . . اً
رأي . ت حبيب . ي ق . د أض . اع م . ودتي — وطي .ر ه .زاري ل .م يك .ن ل .ي محوم .ا
وح . . ق إل . . ه الع . . المين ال . . ذي إذا — أراد قض . .اء ف . .ي الخليف . .ة أبرم . .ا
لأ فع . ل م . ا يس . توجب الظ . الم ال . ذي — بجه . ل دن . ا م . ن وص . لها وتق . دما

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٠٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن مسروراً لما أنشد الأبيات المذكورة وسمعت زين المواصف شعره ارتعدت فرائضها وأصفر لونها وقالت لجاريتها هل سمعت هذا الشعر فقالت الجارية ما سمعته في عمري قال مثل هذا الشعر ولكن دعيه يقول ما يقول فلما تحقق زوجها أن هذا الأمر صحيح صار يبيع في كل ما تملكه يده وقال في نفسه إن لم أغربها عن أوطانها لم يرجعا عما هما فيه أبداً فلما باع جميع أملاكه كتب كتاباً مزوراً ثم قرأه عليها وأدعى إن هذا الكتاب جاء من عند أولاد عمه يتضمن طلب زيارته لهم هو وزوجته فقالت وكم نقيم عندهم قال اثنى عشر يوماً فأجابته إلى ذلك وقالت له هل آخذ معي بعض جواري قال خذي منهن هبوب وسكوب ودعى هنا خطوب ثم هيأ لهن هو دجا مليحاً وعزم على الرحيل بهن فأرسلت زين المواصف إلى مسرور إن فات الميعاد الذي بيننا ولم نأت فاعلم أنه قد عمل علينا حيلة ودبر لنا مكيدة وأبعدنا عن بعضنا فلا تنس العهود والمواثيق التي بيننا فأني أخاف من حيلة ومكره ثم أن زوجها جهز حاله للسفر وأما زين المواصف فإنها صارت تبكي وتنتحب ولا يقر لها قرار في ليل ولا نهار فلما رأى زوجها ذلك لم ينكر عليها فلما رأت زين المواصف أن زوجها لابد له من السفر لمت قماشها ومتاعها وأودعت جميع ذلك عند أختها وأخبرتها بما جرى لها ودعتها وخرجت من عندها وهي تبكي ثم رجعت إلى بيتها فرأت زوجها قد أحضر الجمال وصار يضع عليها الأحمال وهيأ لزين المواصف أحسن الجمال فلما رأت زين المواصف أنه لابد من فراقها لمسرور تحيرت فاتفق أن زوجها خرج لبعض أشغاله فخرجت إلى الباب الأول وكتبت عليه هذه الأبيات. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٠١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن زين المواصف لما رأت زوجها أحضر لها الجمال وعلمت بالسفر تحيرت فأتفق أن زوجها خرج لبعض أشغاله فخرجت إلى الباب الأول وكتبت هذه الأبيات:

ألا يـ . ـا حمـ . ـام الـ . ـدار بلّـ . ـغ سـ . ـلامنا		مـ . ـن الصـ . ـب للمحبـ . ـوب عنـ . ـد فراقنـ . ـا
وبلّغ . . . ـه أنـ . . . ي لا أزال حزينـ . . . ـة		وندمي علـ ـى مـ ـا كـ ـان مـ ـن طيـ ـب وقتنـ ـا
كمـ . . ـا أن حبـ . . ي لا يـ . . زال متيمـ . . ـاً		حزيناً على مـ ـا قـ ـد مضـ ـى مـ ـن سـ ـرورنا
قضـ . . ينا زمانـ . . ـاً بالمسـ . . ـرة والهنـ . . ـا		وفزنـ . . ـا بوصـ . . ـل ليلنـ . . ـا ونهارنـ . . ـا
"فلم نستفق إلا وأصبح صائحاً رحالنـ ـا وخلينـ ـا		علينـ . ـا غـ . ـراب البـ . ـين ينعـ . ـي فراقنـ . ـا
الـ . . . . . ديار بـ . . . . . ـلا قعـ . . . . . ـا		فيـ . ـا ليتنـ . ـا لـ . ـم نخـ . ـل تلـ . ـك المسـ . ـاكنا

ثم أتت الباب الثاني وكتبت عليه هذه الأبيات:

أيـ . ـا واصـ . ـلا للبـ . ـاب بـ . ـالله فـ . ـانظرا		جمـ . ـال حبيبـ . ـي فـ . ـي الـ . ـدياجي وأخبـ . ـرا
بـ . . ـأني أبكـ . . ـي إن تـ . . ـذكرت وصـ . . ـله		ولاينفـ . ـد الـ . ـدمع الـ . ـذي بالبكـ . ـا جـ . ـرى

فـ إن لـ ـم تجـ ـد صـ ـبراً علـ ـى مـ ـا أصـ ـابنا ... فضـ ـع فـ ـوق رأسـ ـك مـ ـن تـ ـراب وغبـ ـرا
وسـ . ـافر إلـ . ـى شـ . ـرق الـ . ـبلاد وغربهـ . ـا ... وعـ . ـش صـ . ـابراً فـ . ـالله للأمـ . ـر قـ . ـدرا

ثم أتت الباب الثالث وبكت بكاء شديداً وكتبت عليه هذه الأبيات:

رويـ . ـدك يـ . ـا مسـ . ـرور إن زرت دارهـ . ـا ... فمـ . ـر علـ . ـى الأبـ . ـواب وأقـ . ـرأ سـ . ـطورها
ولا تـ . ـنس عهـ . ـد الـ . ـود إن كنـ . ـت صـ . ـادقاً ... فكـ . ـم طعمـ . ـت حلـ . ـو الليـ . ـالي ومرهـ . ـا
فبـ . ـالله يـ . ـا مسـ . ـرور لا تـ . ـنس قربهـ . ـا ... فقـ . ـد تركـ . ـت فيـ . ـك الهنـ . ـا وسـ . ـرورها
ألا فابـ . ـك أيـ . ـام الوصـ . ـال وطيبهـ . ـا ... وأنـ ـت متـ ـى مـ ـا جئـ ـت أرخـ ـت سـ ـتورها
فسـ . . ـافر قصـ . . ـيات الـ . . ـبلاد لأجلنـ . . ـا ... وخـ . ـض بحارهـ . ـا واسـ . ـتقص عنابرورهـ . ـا
لقـ . ـد ذهبـ . ـت عنـ . ـا ليـ . ـالي وصـ . ـالنا ... وفـ . ـرط ظـ . ـلام الهجـ . ـر أطفـ . ـأ نورهـ . ـا
رعـ . ـي الله أيامـ . ـاً مضـ . ـت مـ . ـا أسـ . ـرها ... بـ . ـروض الأمـ . ـاني إذ قطفنـ . ـا زهورهـ . ـا
فهـ ـلا اسـ ـتمرت مثـ ـل مـ ـا كنـ ـت أرتجـ ـي ... إلـ . . ـى الله ألا وردهـ . . ـا وصـ . . ـدورها
فهـ . ـل ترجـ . ـع الأيـ . ـام تجمـ . ـع شـ . ـملنا ... وأوفـ . ـى إذا وافـ . ـت لربـ . ـي نـ . ـذورها
وكـ . ـن عالمـ . ـاً أن الأمـ . ـور بكـ . ـف مـ . ـن ... يخـ . ـط علـ . ـى لـ . ـوح الجبـ . ـين سـ . ـطورها

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٠٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن زين المواصف لما كتبت على الباب الثالث الأبيات المذكورة حضرت بين يدي زوجها فحملها على الهودج الذي صنعه لها فلما أن صارت على ظهر البعير أنشدت هذه الأبيات:

عليـ . ـك صـ . ـلام الله يـ . ـا منـ . ـزلا خـ . ـلا ... وقـ . ـد طالمـ . ـا زدنـ . ـا هنـ . ـاك تجمـ . ـلا
فليـ . ـت زمـ . ـاني فـ . ـي ذراك تصـ . ـرمت ... لياليـ . ـه حتـ . ـى فـ . ـي الصـ . ـبابة أقـ . ـتلا
جزعـ . ـت علـ . ـى بعـ . ـدي وشـ . ـوقي لمـ . ـوطن ... شـ . ـغفت بـ . ـه ولـ . ـم أدر مـ . ـا قـ . ـد تحصـ . ـلا
فيـ ـا ليـ ـت شـ ـعري هـ ـل أري فيـ ـه عـ ـودة ... تـ . ـروق كمـ . ـا راقـ . ـت لنـ . ـا فيـ . ـه أولا

فقال لها زوجها يا زين المواصف لا تحزني على فراق منزلك فإنك تعودين إليه عن قريب وصار يطيب خاطرها ويلاطفها ثم ساروا حتى خرجوا إلى ظاهر البلد واستقبلوا الطريق وعلمت بأن الفراق قد تحقق فعظم ذلك عليها كل هذا ومسرور قاعد في منزله متفكر في أمره وأمر محبوبته فأحس قلبه بالفراق فنهض قائماً على قدميه من وقته وساعته وسار حتى جاء إلى منزلها فرأى الباب مقفولاً ورأي الأبيات التي كتبتها زين المواصف فقرأ ما على الباب الأول فلما قرأه وقع في الأرض مغشياً عليه ثم أفاق من غشيته وفتح الباب الأول ودخل إلى الباب الثاني فرأى ما كتبته وكذلك الثالث فلما قرأ على جميع هذه الكتابة زاد به

الغرام والشوق والهيام فخرج في أثرها يسرع في خطاه حتى لحق بالركب فرآها في آخره وزوجها في أوله لأجل حوائجه فلما رآها تعلق بالهودج باكياً حزيناً من ألم الفراق وأنشد هذه الأبيات:

لي . ت شـ . ـعري بـ . أي ذنـ . ـب رميـنـ . ـا   بـسـ . . ـهام الصـ . . ـدود طـ . . ـول السـ . . ـنينا
يـ . ـا منـ . ـى القلـ . ـب جئـ . ـت للـ . ـدار يومـ . ـا   عنـ . . ـدما زدت فـ . . ـي هـ . . ـواك شـ . . ـجونا
فرأيـ . . ـت الـ . . ـديار قفـ . . ـرا يبـ . . ـاب   فشـ . . . ـكوت الـ . . . ـوى وزدت أنيـنـ . . . ـا
وسـ . ـألت الجـ . ـدار عـ . ـن كـ . ـل قصـ . ـدي   أيـ . ـن راحـ . ـوا وصـ . ـار قلبـ . ـي رهيـنـ . ـا
قـ . ـال سـ . ـاروا عـ . ـن المنـ . ـازل حتـ . ـى   صـ . يروا الوجـ . ـد فـ . ـي الفـ . ـؤاد كمينـ . ـا
كتبـ . ـت لـ . ـي علـ . ـى الجـ . ـدار سـ . ـطوراً   فعـ . ـل أهـ . ـل الـ . ـوفى مـ . ـن العالميـنـ . ـا

فلما سمعت زين المواصف هذا الشعر علمت أنه مسرور وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٠٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن زين المواصف لما سمعت منه هذا الشعر علمت أنه مسرور فبكت هي وجواريها ثم قالت له يا مسرور سألتك بالله أن ترجع عنا لئلا يراك ويراني زوجي فلما سمع مسرور ذلك غشي عليك فلما أفاق ودعا بعضهما وأنشد هذه الأبيات:

نادى الرحيل سـ ـحيراً فـ ـي الـ ـدجى الهـ ـادي   قبـ . ـل الصـ . ـباح وهبـ . ـت نسـ . ـمة النـ . ـادي
شـ . ـدوا المطايـ . ـا وجـ . ـدوا فـ . ـي تـ . ـرحلهم   وأسرع الركب لما زمـ ـزم الحـ ـادي وعجلـ ـوا
سـ . . . ـيرهم فـ . . . ـي ذلـ . . . ـك الـ . . . ـوادي   وعطـ . ـروا أرضـ . ـهم فـ . ـي كـ . ـل ناحيـ . ـة
تملكـ . ـوا مهجتـ . ـي عشـ . ـقاً وقـ . ـد رحلـ . ـوا   وغـ . . ـادروني علـ . . ـى آثـ . . ـارهم غـ . . ـادي
يـ . ـا حيـ . ـرة مقصـ . ـدي أن لا أفـ . ـارقهم   حتـ ـى بللـ ـت الثـ ـرى مـ ـن دمعـ ـي الغـ ـادي
يـ ـا ويـ ـح قلبـ ـي بعـ ـد البعـ ـد مـ ـا صـ ـنعت   يـ . ـد الفـ . ـراق علـ . ـى رغمـ . ـي بأكبـ . ـادي

وما زال مسرور ملازماً للركب وهو يبكي وينتحب وهي تستعطفه في أن يرجع قبل الصباح خشية من الافتضاح فتقدم إلى الهودج وودعها ثاني مرة وغشي عليه ساعة زمانه فلما أفاق وجدهم سائرين فعند ذلك رجع مسرور إلى دار زين المواصف وهو في غاية الاشتياق فرآها خالية من الأطناب موحشة من الأحباب فبكى حتى بل الثياب وغشي عليه وكادت أن تخرج روحه من جسده وقد غشي عليه ساعة من الزمان فلما أفاق قام وتوجه إلى منزله وصار متحيراً من أجل ذلك باكي العين ولم يزل على هذا الحال مدة عشرة أيام هذا ما كان من أمر مسرور (وأما) ما كان من أمر زين المواصف فإنها عرفت أن الحيلة قد تمت عليها فإن زوجها مازال سائراً بها مدة عشرة أيام ثم أنزلها في بعض المدن فكتبت زين المواصف كتاباً لمسرور وناولته لجاريتها هبوب وقالت أرسلي هذا الكتاب إلى مسرور ليعرف كيف تمت الحيلة علينا وكيف

غدر بنا اليهودي فأخذت الجارية منها الكتاب وأرسلته إلى مسرور فلما وصل إليه عظم عليه هذا الخطاب فبكى حتى بل التراب وكتب كتاباً وأرسله إلى زين المواصف وختمه بهذين البيتين:

كيـ .ف الطريـ . ق إلـ . ى أبـ . واب سـ . لوان   وكيـ .ف يسـ .لوا الـ .ذي فـ .ي حـ .ر نيـ .ران
مـ .ا كـ .ان أطيـ .ب أوقاتـ .اً لهـ .م سـ .لفت   فليـ .ت منهـ .ا لـ .ذي نـ .اء بعـ .ض أحيـ .ان

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٠٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن مسرور كتب الكتاب وأرسله إلى زين المواصف فلما وصل إليها أخذته وقرأته وأعطته لجاريتها هبوب وقالت لها اكتمى خبره فعلم زوجها أنهما يتراسلان فأخذ زين المواصف وجواريها وسافر بهن مسافة عشرين يوماً ثم نزل بهن في بعض المدن هذا ما كان من أمر زين المواصف (وأما) ما كان من أمر مسرور فإنه صار لا يهنأ له نوم ولا يقر له قرار ولم يكن له اطيار ولم يزل كذلك أذ هجعت عيناه في بعض الليالي فرأى في منامه أن زين المواصف قد جاءت إليه في الروضة وصارت تعانقه فانتبه من نومه فلم يرها فطار عقله وذهل لبه وهملت عيناه بالدموع وقد أصبح قلبه في غاية الولوع فأنشد هذه الأبيات:

سـ ـلام علـ ـى مـ ـن زار فـ ـي النـ ـوم طيفهـ ـا   فهـ . . . يّج أشـ . . . واقي وزاد هيـ . . . امي
وقـ . د قمـ . ت مـ . ن ذاك المنـ . ام مولعـ . اً   برؤيـ . . ة طيـ . . ف زارنـ . . ي بمنـ . . امي
فهـ . ل تصـ . دق الأحـ . لام فـ . يمن أحبـ . ـه   وتشـ .في غليلـ .ي فـ .ي الهـ .وي وسـ .قامي
فطـ . وراً تعـ . اطيني وطـ . وراً تصـ . مني   وطـ . .ورا تواسـ . .يني بطيـ . .ب كـ . .ـلام
ولمـ . ا أنقضـ . ى فـ . ي المنـ . ام عتابنـ . ا   وصـ . ارت عيـ . وني بالـ . دموع دوامـ . ي
رضـ . فت رضـ . انا مـ . ن لماهـ . ا كأنـ . ـه   رحيـ . .ق أرى ربـ . .اه مسـ . .ك ختـ . .ام
عجبـ ـت لمـ ـا قـ ـد كـ ـان فـ ـي اليـ ـوم بيننـ ـا   وقـ . د نلـ . ت منهـ . ا منيتـ . ي ومرامـ . ي
"وقـ .د قمـ .ت مـ .ن ذاك المنـ .ام ولـ ـم أجـ .د   مـ . ـن الطيـ . ف إلا لـ . ـوعتي وغرامـ . ي
فأصـ . بحت كـ . المجنون حـ . ين رأيتهـ . ا   وأمسـ . .يت سـ . .كراناً بغيـ . .ر مـ . .دام

فبكى مسرور بكاء شديداً لما سمع هذا الكلام وفهم الشعر والنظام وكانت أختها تعرف ما هما عليه من العشق والغرام والوجد والهيام فقالت له بالله عليك يا مسرور كف عن هذا المنزل لئلا يشعر بك أحد فينظرانك تأتي من أجلى لأنك رحّلت أختي وتريد أن ترّحلني أنا الأخرى وأنت تعرف أنه لولا أنت ما خلت الدار من سكانها فتسل عنها واتركها فقد مضي ما مضى وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٠٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أخت زين المواصف قالت له قد مضى ما مضى فلما سمع مسرور ذلك من أختها بكى بكاء شديداً وقال لها يا نسيم لو قدرت أن أطير لطرت شوقاً إليها فكيف أتسلى عنها فقالت

مالك حيلة إلا الصبر فقال لها سألتك بالله أن تكتبي لها كتاباً من عندك وتردي لنا جوابا ليطبب خاطري وتنطفي النار التي في ضمائري فقالت حبا وكرامة ثم أخذت دواة وقرطاساً وصار مسرور يصف لها شدة شوقه وما يكابده من ألم الفراق ويقول أن هذا الكتاب عن لسان الهائم الحزين المفارق المسكين الذي لا يقر له قرار في ليل ولا في نهار بل يبكي بدموع غزار قد ملأت الدموع أجفانه وأصرمت في كده أحزانه وطال تأسفه وكثر تلهفه مثل طير فقد ألفه وعجل تلفه فيا أسفي من مفارقتك ويا لهفي على معاشرتك لقد ضر جسمي النحول ودمعي صار في همول وضاقت على الجبال والسهول فأمسيت من فرط وحدي أقول:

وحـ . دي علـ . ى تلـ . ك المنـ . ازل بـ . اقي زادت إلـ . . . ى سـ . . . كانها أشـ . . . واقي
وبعثـ . .ت نحـ . .وكم حـ . .ديث صـ . .بابتي وبكـ . .أس حـ . .بكم سـ . .قاني السـ . .اقي
وعلـ . . ى رحلـ . . يكم وبعـ . . د ديـ . . اركم حـ . .رت الحقـ . .ول بدمعـ . .ه المهـ . .راق
يـ . ا حـ . ادي الأطعـ . ان عـ . رج بـ . الحمى فالقلـ . . ب منـ . . ي زائـ . . د الإحـ . . راق
وأقـ . رأ سـ . لامي للحبيـ . ب وقـ . ل لـ . ـه مـ . ا أن لـ . ـه غيـ . ر اللمـ . ى مـ . ن راقـ . ي
أودي الزمـ . .ان بـ . .ه فشـ . .تت شـ . .مله ورمـ . . ى حشاشـ . .ته بسـ . .هم فـ . .راق
بلّـ . غ لهـ . م وجـ . دي وشـ . دة لـ . وعتي مـ . ن بعـ . د فـ . رقتهم ومـ . ا أنـ . ا لاقـ . ى
قسـ . . .ماً بحـ . . .بكم يميـ . . .اً أنـ . . .ي أوفـ . . ى لكـ . . م بالعهـ . . د والميثـ . . اق
مـ . ا ملـ . ت قـ . ط ولا سـ . لوت هـ . واكم كيـ . . ف السـ . . لو لعاشـ . . ق مشـ . . تاق
فعلـ . . يكم منـ . . ي السـ . . لام تحيـ . . ة ممزوجـ . . ة بالمسـ . . ك فـ . . ي الأوراق

فتعجبت أختها نسيم من فصاحة لسانه وحسن معانيه ورقة أشعاره فرقت له وختمت الكتاب بالمسك إلا ذفر وبخرته بالندى والعنب وأوصلته إلى بعض التجار وقالت له لا تسلم هذا إلا لأختي أو جاريتها هبوب فقال حباً وكرامة فلما وصل الكتاب إلى زين المواصف عرفت أنه من إملاء مسرور وعرفت نفسه فيه بلطف معانيه فقبلته ووضعته على عينيها وأجرت الدموع من جفنيها ولم تزل تبكي حتى غشي عليها فلما أفاقت دعت بدواة وقرطاس وكتبت له جواب الكتاب ووصفت شوقها وغرامها ووجدها وما هي فيه من الحنين إلى الأحباب وشكت حالها إليه وما نالها من الوجد عليه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٠٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن زين المواصف لما كتبت جواب الكتاب لمسرور قالت له فيه إن هذا كتاب إلى سيدي ومالك رقى ومولاي وصاحب سري ونجواي أما بعد فقد أقلقني السهر وزاد بي الفكر ومالي على بعدك مصطبراً من حسنه يفوق الشمس والقمر فالشوق أقلقني الوجد أهلكني وكيف لا أكون كذلك وأنا مع الهالكين فيا بهجة الدنيا وزينة الأحياء هل لمن انقطعت أنفاسه أن يطيب كاسه لا هو مع الأحياء ولا مع الأموات ثم أنشدت هذه الأبيات:

كتابـ .ك يـ .ا مسـ .رور قـ .د هـ .يج البلـ .وى فـ .و الله مـ .الي عنـ .ك صـ .بر ولا سـ .لوى
ولمـ .ا قـ .رأت الخـ .ط حنـ .ت جـ .وارحي ومـ .ن مـ .اء دمعـ .ي دائمـ .اً لـ .م أزل أروى

ولو كذ ت طير را ط رت ف ي ج نح ليل ـة فل .م أدر طع .م الم .ن بع .دك والس .لوى
حـ .رام عل .ى الع .يش مـ .ن بع .د بع .دكم ف . أني عل . ى حـ . ر التف . رق لا أق . وى

ثم تربت الكتاب بسحيق المسك والعنبر وختمته وأرسلته مع بعض التجار وقالت له لا تسلمه إلا لأختي نسيم فما وصل إلى أختها نسيم أوصلته إلى مسرور فقبله ووضعه على عينيه وبكى حتى غشي عليه هذا ما كان من أمرهما (وأما) ما كان من أمر زوج زين المواصف فإنه لما علم بالمراسلات بينهما صار يرحل بها وبجاريتها من محل إلى محل فقالت له زين المواصف سبحان الله إلى أين تسير بنا وتبعدنا عن الأوطان قال إلى أن أقطع بكم سنة حتى لا يصل إليكن مراسلات من مسرور وأنظر كيف أخذتن جميع مالي وأعطيتيه لمسرور فكل شيء ضاع لي آخذه منكن وانظر هل ينفعكن مسرور ويقدر على خلاصكن من يدي ثم أنه مضى إلى الحداد وصنع لهن ثلاثة قيود من الجديد وأتى بها إليهن ونزع ما كان عليهن من الثياب الحرير والبسهن ثياباً من الشعر وصار يبخرهن بالكبريت ثم جاء إليهن بالحداد وقال له ضع هذه القيود في أرجل هؤلاء الجواري فأول ما قدم زين المواصف فأما رآها الحداد غاب صوابه وعض على أنامله وطار عقله من رأسه وزاد غرامه وقال لليهودي ما ذنب هؤلاء الجواري فقال أنهن جواري وسرقن مالي وهربن مني فقال له الحداد خيب الله ظنك والله لو كانت هذه الجارية عند قاضي القضاة وأذ نبت كل يوم ألف ذنب لا يؤاخذها وأيضاً لا يظهر عليها علامة السرقة ولا يقدر على وضع الحديد في رجليها ثم سأله أن لا يقيدها وصار يستشفع عنده في عدم تقييدها فلما نظرت الحداد وهو يستشفع لها عنده قالت لليهودي سألتك بالله لا تخرجني قدام هذا الرجل الغريب وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٠٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن زين المواصف قالت لليهودي سألتك يا لله لا تخرجني قدام هذا الرجل الغريب فقال لها وكيف خرجت قدام مسرور فلم ترد له جواباً ثم قبل شفاعة الحداد ووضع في رجليها قيداً صغيراً وقيد الجواري بالقيود الثقيلة وكان لزين المواصف جسم ناعم لا يتحمل الخشونة فلم تزل لابسة ثياب الشعر هي وجواريها ليلاً ونهاراً إلى أن انتحلت أجسامهن وتغيرت ألوانهن وأما الحداد فإنه وقع في قلبه لزين المواصف عشق عظيم فسار إلى منزله وهو ناشد الحسرات وجعل ينشد هذه الأبيات:

شـ .لت يميذ .ك يـ . ا ق .ين بمـ . ا وثق .ت تلك القيود على الأقدام والعصب أنيسة خلق ـت
قيـ . . دت أقـ . . دام مـ . . ولاة منعمـ . . ـة مـ . . . . . ن أعجـ . . . . . ب العجـ . . . . ب
لـ ـو كذ .ت تنصـ .ف مـ ـا كاذ .ت خلاخلهـ ـا مـ .ن الحدي .د وق .د كاذ .ت مـ .ن الـ .ذهب
ولـ ـو رأى حسـ .نها قاضـ ـي القضـ ـاة رثـ ـي لهـ . ا وأجلسـ . ـها تيهـ . ـاً أعلـ . ى الرتـ . ب

وكان قاضي القضاة ماراً على دار الحداد وهو يترنم بإنشاد هذه الأبيات فأرسل إليه فلما حضر قال يا حداد من هذه التي تلهج بذكرها وقلبك مشغول بحبها فنهض الحداد قائماً على قدميه بين يدي القاضي وقبل يده وقال أدام الله أيام مولانا القاضي وفسح في عمره أنها جارية صفتها كذا وكذا وصار يصف له الجارية

وما هي فيه من الحسن والجمال والقد والاعتدال والظرف والكمال وأنها بوجه جميل وخصر نحيل وردف ثقيل ثم أخبره بما هي فيه من الذل والحبس والقيود وقلة الزاد فقال القاضي يا حداد دلها علينا وأوصلها إلينا حتى نأخذ لها حقها لأن هذه الجارية صارت معلقة برقبتك وأن كنت لاتدلها علينا فإن الله يجازيك يوم القيامة فقال الحداد سمعاً وطاعة ثم توجه من وقته وساعته إلى ديار زين المواصف فوجد الباب مغلوقاً وسمع كلاما رخيماً من كبد حزين لأن زين المواصف كانت في ذلك الوقت تنشد هذه الأبيات:

قـ ـد كنـ ـت فـ ـي وطنـ ـي والشـ ـمل مجتمـ ـع	والحـ . ـب يمـ . ـلأ لـ . ـي بالصـ . ـفو أقـ . داحاً
دارت عليـ . ـا بمـ . ـا تهـ . وواه مـ . ـن طـ .ـرب	فلـ . . ـيس تنكـ . . ـر أمسـ . . ـاء وأصـ . . باحاً
لقـ . ـد قضـ . ـينا زمانـ . ـاً كـ . ـان ينعشـ . ـنا	كأسـ . ـاً وعـ . ـوداً وقانونـ . ـاً وأفراحـ . . ـاً
ففـ . .رق الـ . .دهر والتصـ . .ريف الفتنـ . . ـا	والحـ ـب ولـ ـى ووقـ ـت الصـ ـفو قـ ـد راحـ ـا
فليـ . ـت عنـ . ـا غـ . ـراب البيـ . ـت منزجـ . ـر	وليـ ـت فجـ ـر وصـ ـالي فـ ـي الهـ ـوى لاحـ ـا

فلما سمع الحداد هذا الشعر والنظام بكى بدمع كدمع الغمام ثم طرق الباب عليهن فقلن من بالباب فقال لهن أنا الحداد ثم أخبرهن بما قاله القاضي وأنه يريد حضورهن لديه وإقامة الدعوى بين يديه حتى يخلص لهن حقهن. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٠٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الحداد لما أجبر زين المواصف كلام القاضي وأنه يريد حضورهن لديه وإقامة الدعوة بين يديه ويقتص لهن من غريمهن حتى يخلص لهن حقهن قالت للحداد كيف نروح إليه والباب مغلوق علينا والقيود في أرجلنا والمفاتيح مع اليهودي قال لهن الحداد أنا أعمل للأقفال مفاتيح وافتح بها الباب والقيود قالت فمن يعرفنا بيت القاضي فقال الحداد أنا أصفه لكن فقالت زين المواصف وكيف يمضي عند القاضي ونحن لا بسات ثياب الشعر المبخرة بالكبريت فقال الحداد أن القاضي لا يعيبكن وأنتن في هذه الحالة ثم نهض الحداد من وقته وساعته وصنع مفاتيح للأقفال ثم فتح الباب وفتح القيود وحلها من أرجلهن وأخرجهن ودلهن على بيت القاضي ثم أن جاريتها هبوب نزعت ما كان على سيدتها من الثياب الشعر وذهبت بها إلى الحمام وغسلتها وألبستها ثياب الحرير فرجع لونها إليها ومن تمام السعادة أن زوجها كان في وليمة عند بعض التجار فتزينت زين المواصف بأحسن الزينة ومضت إلى بيت القاضي فلما نظرها القاضي وقف قائماً على قدميه فسلمت عليه بعذوبة كلام وحلاوة ألفاظ ورشقته في ضمن ذلك بسهام الألحاظ وقالت له أدام الله مولانا القاضي ثم أجبرته بأمر الحداد وما فعل معها من فعل الأجواد وبما صنع بها زوجها من العذاب الذي يدهش الألباب وأخبرته أنه قد زاد بهن الهلاك ولم يجدن لهن من فكاك فقال القاضي يا جارية ما اسمك قالت اسمي زين المواصف وجاريتي هذه اسمها هبوب فقال لها القاضي كيف أنقضي سبابك مع هذا اليهودي فقالت له اعلم أيها القاضي أدام الله أيامك بالتراضي وبلغك آمالك وختم بالصالحات أعمالك أن أبي خلف لي بعد وفاته خمسة عشر ألف دينار وجعلها في يد هذا اليهودي يتجر فيها والكسب بيننا وبينه ورأس المال ثابت بالبينة الشريعة فعندما مات أني طمع اليهودي في وطلبني من أمي ليتزوج بي فقالت له

أمي كيف أخرجها من دينها وأجعلها يهودية فو الله لأعرفن الدولة بك فخاف ذلك اليهودي من كلامها وأخذ المال وقرب إلى مدينة عدن وعندما سمعنا به أنه في مدينة عدن جئنا في طلبه فلما اجتمعنا عليه في تلك المدينة ذكر لنا أنه يتاجر في البضائع ويشتري بضاعة بعد بضاعة فصدقناه ولم يزل يخادعنا حتى حبسنا وقيدنا وعدنا أشد العذاب ونحن غرباء وما لنا معين إلا الله تعالى ومولانا القاضي فلما سمع القاضي هذه الحكاية قال لجاريتها هبوب هل هذه سيدتك وأنتن غرباء وليس لها بعل قالت نعم قال زوجيني بها وأنا يلزمني العتق والصيام والحج والصدقة إن لم أخلص لكن حقكن من هذا الكلب بعد أن أجازيه بما فعل فقالت هبوب لك السمع والطاعة فقال القاضي روحي طيبي قلبك وقلب سيدتك وفي غد إن شاء الله تعالى أرسل إلى هذا الكافر وأخلص لكن حقكن منه وتنظرين العجب في عذابه فدعت له الجارية وانصرفت من عنده وخلته في كرب وهيام وشوق وغرام وبعد أن انصرفت من عنده هي وسيدتها سألتا عن دار القاضي الثاني فدلوهما عليه فلما حضرتا لديه أعلمتاه بذلك وكذلك الثالث والرابع حتى رفعت أمرها إلى القضاة الأربعة وكل واحد يسألها أن تتزوج به فتقول له نعم ولم يعرف بعضهم خبر بعض فصار كل واحد يطمع فيها ولم يعلم اليهودي بشيء من ذلك لأنه كان في دار الوليمة فلما أصبح الصباح نهضت جاريتها وأفرغت عليها حلة من أفخر الملابس ودخلت بها على القضاة الأربعة في مجلس الحكم فلما رأت القضاة حاضرين أسفرت عن وجهها ورفعت قناعها وسلمت عليهم فردوا عليها السلام وعرفها كل واحد منهم وكان بعضهم يكتب فوقع القلم من يده وبعضهم كان يتحدث فتلجلج لسانه وبعضهم كان يحسب فغلط في حسابه فعند ذلك قالوا لها يا ظريفة الخصال وبديعة الجمال لا يكن قلبك إلا طيباً فلابد من أن نخلص لك حقك ونبلغك مرادك فدعت لهم ثم ودعتهم وانصرفت وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٠٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن القضاة قالوا لزين المواصف يا ظريفة الخصال وبديعة الجمال لا يكن قلبك إلا طيباً بقضاء غرضك وبلوغ مرادك فدعت لهم ثم ودعتهم وانصرفت هذا كله واليهودي مقيم عند أصحابه في الوليمة وليس له علم بذلك وصارت زين المواصف تدعوا ولاة الأحكام وأرباب الأقلام لينصروها على هذا الكافر المرتاب ويخلصوها من أليم العذاب ثم أنها كتبت كتاباً يتضمن جميع ما عمله معها اليهودي من الأول إلى الآخروسطرت فيه الأشعار ثم طوت الكتاب وناولته لجاريتها هبوب وقالت لها احفظي هذا الكتاب في جيبك حتى نرسله إلى مسرور فبينما هما كذلك وإذا باليهودي قد دخل عليهما فرآهما فرحانتين فقال مالي أرا كما فرحانتين هل جاءكما كتاب من عند صديقكما مسرور فقالت له زين المواصف نحن ما لنا معين عليك إلا الله سبحانه وتعالى فإنه هو الذي يخلصنا من جورك وإن لم تردنا إلى بلادنا وأوطاننا فنحن في غد نترافع إياك إلى حاكم هذه المدينة وقاضيها فقال اليهودي ومن خلص القيود من أرجلكما ولكن لابد أن أصنع لكل واحدة منكن قيداً قدر عشرة أرطال وأطوف بكن حول المدينة فقالت له هبوب جميع ما نويته لنا ستقع فيه إن شاء الله كما أبعدتنا عن أوطاننا وفي غد نقف وإياك قدام حاكم المدينة واستمروا على ذلك على الصباح ثم نهض اليهودي وجاء إلى الحداد ليصنع قيوداً لهن فعند ذلك قامت زين المواصف هي وجواريها وأتت إلى دار الحكم ودخلتها فرأت القضاة فسلمت عليهم فرد عليها جميع القضاة

السلام ثم قال قاضي القضاة لمن حوله إن هذه الجارية زهراوية وكل من رآها أحبها وخضع لحسنها وجمالها ثم أن القاضي أرسل معها من الرسل أربعة وكانوا أشرافاً وقال لهم أحضروا غريمها في أسوأ حال هذا ما كان من أمرها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨١٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن القاضي أرسل مع زين المواصف أربعة وقال لهم حضروا غريمها في أسوأ حال هذا ما كان من أمرها (وأما) ما كان من أمر اليهودي فإنه لما صنع لهن القيود توجه إلى المنزل فلم يجدهن فيه فاحتار في أمره فبينما هو كذلك وإذا بالرسل قد تعلقوا به وضربوه ضرباً شديداً وجروه سحباً على وجهه حتى أتوا به إلى القاضي فلما رآه القاضي صرخ في وجهه وقال ويلك يا عدو الله هل وصل من أمرك أنك فعلت ما فعلت وأبعدت هؤلاء عن أوطانهن وسرقت ما لهن وتريد أن تجعلهن يهوداً فكيف تريد تكفير المسلمين فقال اليهودي يا مولاي إن هذه زوجتي فلما سمع القضاة منه هذا الكلام صاحوا كلهم وقالوا ارموا هذا الكلب على الأرض وانزلوا على وجه بنعالكم وأضربوه ضرباً وجيعاً فإن ذنبه لا يغتفر فنزعوا عنه ثيابه الحرير وألبسوه ثياباً من الشعر وألقوه على الأرض ونتفوا لحيته وضربوه ضرباً وجيعاً على وجه بالنعال ثم أركبوه على حماره وجعلوا وجهه إلى كفله وأمسكوه ذيل الحمار في يده وطافوا به حول البلد حتى جرسوه في سائر البلد ثم عادوا به إلى القاضي وهو في ذل عظيم فحكم عليه القضاة الأربعة بأن تقطع يداه ورجلاه وبعد ذلك يصلب فاندهش الملعون من هذا القول وغاب عقله وقال يا سادتي القضاة ما تريدون مني فقالوا له قل أن هذه الجارية ما هي زوجتي وأن المال ما لها وأنا تعديت عليها وشتتها عن أوطانها فأقر بذلك وكتبوا بإقراره حجة وأخذوا منه المال ودفعوه إلى زين المواصف وأعطوها الحجة وخرجت فصار كل من رأي حسنها وجمالها متحيراً في عقله وظن كل واحد من القضاة أنها يؤول أمرها إليه فلما وصلت إلى منزلها جهزت أمرها من جميع ما تحتاج إليه وصبرت إلى أن دخل الليل فأخذت ما خف حمله وغلا ثمنه وسارت هي وجواريها في ظلام الليل ولم تزل سائرة مسافة ثلاثة أيام ولياليها هذا ما كان من أمر زين المواصف (وأما) ما كان من أمر القضاة فإنهم بعد ذهابها أمروا بحبس اليهودي زوجها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨١١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن القضاة أمروا بحبس اليهودي زوج زين المواصف فلما أصبح الصباح صار القضاة والشهود ينتظرون أن تحضر عندهم زين المواصف فلم تحضر عند أحد منهم ثم أن القاضي الذي ذهبت إليه أولاً قال أنا أريد اليوم أن أتفرج على خارج المدينة لأني لي حاجة هناك ثم ركب بغلته وأخذ غلمانه وصار يطوف أزقة المدينة طولاً وعرضاً ويفتش على زين المواصف فلم يقع لها على خبراً فبينما هو كذلك أذ وجد باقي القضاة دائرين وكل واحد منهم يظن أنه ليس بينها وبين غيره ميعاد فسألهم ما سبب ركوبهم ودورانهم في أزقة المدينة فأخبره بشأنهم فرأى حالهم كحاله وسؤالهم كسؤاله فصار الجميع يفتشون عليها فلم يقعوا لها على خبر فانصرف كل واحد منهم إلى منزله مريضا ورقوا على فرش الضني ثم أن قاضي القضاة تذكر الحداد فأرسل إليه فلما حضر بين يديه قال له يا حداد هل تعرف شيئاً من خبر

الجارية التي دللتها علينا فو الله إن لم تطلعني عليها ضربتك بالسياط فلما سمع كلام القاضي أنشد هذه الأبيات:

أن الذ .ي ملكتذ .ي ف .ي اله .وى ملك .ت مجامع الحسن حتى لم تدع حسناً شمساً وماجت

رذ .ت غ .زالاً وفاح .ت عنب .راً وب .دت غ . . . .ديراً وأنثذ . . . .ت غصد . . . .باً

ثم أن الحداد قال والله يا مولاي من حين انصرفت من الحضرة الشريفة ما نظرتها عيني أبداً وقد ملكت لبي وعقلي وصار فيها حديثي وشغلي وقد مضيت إلى منزلها فلم أجدها ولم أر أحد يخبرني عن شأنها فكأنها غطست في قرار الماء أو عرج بها إلى السماء فلما سمع القاضي كلامه شهق شهقة كادت روحه أن تخرج منه ثم قال والله ما كان لنا حاجة برؤيتها فانصرف الحداد ووقع القاضي على فرشه وصار من أجلها في ضنى وكذا الشهود وباقي القضاة الأربعة وصارت الحكماء تتردد عليهم وما بهم من مرض يحتاج إلى الطبيب ثم أن وجهاء الناس دخلوا على القاضي الأول فسلموا عليه واستخبروه عن حاله فتنهد وباح بما في ضميره وبكى بكاء شديداً ثم أنه شهق شهقة ففارقت روحه جسده فلما رأوا ذلك غسلوه وكفنوه وصلوا عليه ودفنوه وكتبوا على قبره هذه الأبيات:

كملذ .ت صد .فات العاشذ .قين لمد .ن غ .دا ف .ي القبد .ر مقتذ .ول الحبيذ .ب وصد .ده

قد . .د ك . .ان هد . .ذا للبريد . .ة قاضد . .ياً وبراع . .ه سد . .جن الحسد . .ام بغمد . .ده

فقضد .ى عليد .ه الحد .ب لذ .م نذ .ر قبلذ .ه مد . .ولى تد . .ذلل فد . .ي الأذ . .ام لعبد . .ده

ثم أنهم ترحموا عليه وانصرفوا إلى القاضي الثاني ومعهم الطبيب فلم يجدوا به ضرراً ولا ألماً يحتاج إلى طبيب فسألوه عن حاله وشغل باله فعرفهم بقضيته فلاموه وعنفوه على تلك الحالة ثم أنه شهق شهقة فلما رقت روحه جسده فجهزوه ودفنوه وترحموا عليه ثم توجهوا إلى القاضي الثالث فوجدوه مريضاً وحصل له ما حصل للثاني وكذلك الرابع فوجدوا الجميع مرضى بحبها ووجدوا الشهود أيضاً مرضى بحبها فإن كل من رآها مات بحبها وإن لم يمت يكابد لوعة الغرام. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨١٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أهل المدينة وجدوا جميع القضاة والشهود مرضى بحبها فإن كل من رآها مات بعشقها وإن لم عاش يكابد لوعة الغرام من شدة حبها رحمهم الله أجمعين هذا ما كان من أمرهم وأما ما كان أمر زين المواصف فإنها جدت في السير مدة أيام حتى قطعت مسافة بعيدة فاتفق أنها خرجت هي وجواريها فمرت على دير في الطريق وفيه راهب كبير أسمه دانس وكان عنده أربعون بطريقاً فلما رأى جمال زين المواصف نزل إليها وعزم عليها وقال لها استريحوا عندنا عشرة أيام ثم سافروا فنزلت عنده هي وجواريها في ذلك الدير فلما نزلت ورأى حسنها وجمالها أفسدت عقيدته وأفتتن بها وسار يرسل إليها مع البطارقة واحد بعد واحد لأجل أن يؤلفها فصار كل من أرسله إليها يقع في حبها ويراودها عن نفسها له وهي

تعتذر وتمتنع ولم يزل دانس يرسل إليها الأربعين بطريقاً وكل واحد حين يراها يتعلق بعشقها ويكثر من ملاطفتها ويراودها عن نفسها ولا يذكر لها اسم دانس فتمتنع من ذلك ونجاوبهم بأغلظ جواب فلما فرغ صبر دانس واشتد غرامه قال في نفسه أن صاحب المثل يقول ماحك جسمي غير ظفري ولا سعي في مرامي مثل أقدامي ثم نهض قائماً على قدميه وصنع طعاماً مفتخراً وحمله ووضعه بين يديها قال تفضلي باسم الله خير الزاد ما حصل فمدت يديها وقالت باسم الله الرحمن الرحيم وأكلت هي وجواريها فلما فرغت من الأكل قال لها يا سيدتي أريد أن أنشدك أبياتاً من الشعر فقالت له قل فأنشد هذه الأبيات:

ملك . .ت قلب . .ي بألح . .اظ ووجن . .ات   وف . ي ه . واك غ . داً نث . ري وأبي . اتي
أتتركين . . ي محب . . اً مغرم . . اً دنف . . ا   أع . الج العش . ق حتّ . ى ف . ي المنام . ات
لا تتركين . .ي ص . .ريعاً واله . .ا فلق . .د   ترك . ت أش . غال دي . ري بع . د ل . ذاتي
يا غ ادة ج وزت ف ي الح ب س فك دم ي   رفق . اً بح . الي وعطف . اً ف . ي ش . كاياتي

فلما سمعت زين المواصف شعره أجابته عن شعره بهذين البيتين:

ي ا طال ب الوص ل لا يغ ررك ب ي أم ل   أكف . ف س . ؤالك عن . ي أيه . ا الرج . ل
لا تطم . ع ال . نفس فيم . ا لس . ت تملك . ه   أن المط . .امع مق . .رون به . .ا الأج . .ل

فلما سمع شعرها رجع إلى صومعته وهو مفتكر في نفسه ولم يدر كيف يصنع في أمرها ثم بات تلك الليلة في أسوأ حال فلما جن الليل قامت زين المواصف وقالت لجواريها قوموا بنا فإننا لا نقدر على أربعين رجلاً رهباناً وكل واحد يراودني عن نفسي فقال لها الجواري حباً وكرامة ثم أنهن ركبن دوابهن وخرجن من باب الدير ليلاً. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨١٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن زين المواصف لما خرجت هي وجواريها من الدير ليلاً لم يزلن سائرات وإذا هن بقافلة فاختلطن بها وإذا بالقافلة من مدينة عدن التي كانت فيها زين المواصف فسمعت أهل القافلة يتحدثون بخبر زين المواصف ويذكرون أن القضاه والشهود ماتوا في حبها وولّى أهل المدينة قضاه وشهوداً غيرهم وأطلقوا زوج زين المواصف من الحبس فلما سمعت زين المواصف هذا الكلام التفتت إلى جواريها وقالت لجاريتها هبوب ألا تسمعين هذا الكلام فقالت لها جاريتها إذا كان الرهبان الذين عقيدتهم أن الترهب عن النساء عبادة قد أفتتوا في هواك فكيف حال القضاه الذين عقيدتهم أنه لا رهبانيه في الإسلام ولكن أمض بنا إلى أوطاننا مدام أمرنا مكتوماً ثم أنهن سرن وبالغن في السير وهن قاصدات مدينة عدن إلى أن وصلت زين المواصف إلى منزلها وفتحت الأبواب ودخلت الدار ثم أرسلت إلى أختها نسيم فلما سمعت أختها بذلك فرحت فرحاً شديداً وأحضرت لها الفراش ونفيس القماش ثم أنها فرشت لها وألبستها وأرخت الستور على الأبواب وأطلقت العود والبدو والعنبر والمسك الأذفر حتى عبق المكان من تلك الرائحة وصارا عظيم

ما يكون ثم أن زين المواصف لبست أفخر قماشها وتزينت أحسن زينة كل ذلك جرى ومسرور لم يعلم بقدومها بل كان في هم شديد وحزن ما عليه مزيد. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨١٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن زين المواصف لما دخلت دارها أتت لها أختها بالفراش وفرشت لها وألبستها أفخر الثياب كل ذلك جرى ومسرور لم يعلم بقدومها بل كان في هم شديد وحزن ما عليه مزيد ثم جلست زين المواصف تتحدث مع جواريها الذين تخلفن عن السفر معها وذكرت لهن جميع ما وقع لها من الأول إلى الآخر ثم أنها التفتت إلى هبوب وأعطتها دراهم وأمرتها أن تذهب وتأتي لها بشيء تأكله هي وجواريها فذهبت وأتت بالذي طلبته من الأكل والشرب فلما انتهى أكلهن وشربهن أمرت هبوب أن تمضي إلى مسرور وتنظر أين هو وتشاهد ما هو فيه من الأحوال وكان مسرور لا يقر له قرار ولا يمكنه اصطبار فلما زاد عليه الوجد والغرام قام ومشى إلى زقاق زين المواصف فشم منه الروائح الزكية فهاج لبه وفاق صدره وقلبه وتضرم غرامه وزاد هيامه وإذا بهبوب متوجهة إلى قضاء حاجة فرآها وهي مقبلة من صدر الزقاق فلما رآها فرح فرحاً شديداً فلما رأته هبوب أتت إليه وسلمت عليه وبشرته بقدوم سيدتها زين المواصف وقالت له أنها أرسلتني في طلبك إليها ففرح بذلك فرحاً شديداً ما عليه من مزيد ثم أخذته ورجعت به إليها فلما رأته زين المواصف نزلت له من فوق سريرها وقبلته وقبلها وعانقته وعانقها ولم يزل يقبلان بعضهما ويتعانقان حتى غشي عليهما زمناً طويلاً من شدة المحبة والفراق فلما أفاقا من غشيتهما أمرت جاريتها هبوب بإحضار قلة مملوءة من شراب السكر وقلة مملوة من شراب الليمون فأحضرت لها الجارية جميع ما طلبته ثم أكلوا وشربوا ومازالوا كذلك إلى أن أقبل الليل فصاروا يذكرون الذي جرى لهم من أوله إلى آخره ثم أنها أخبرته بإسلامها ففرح وأسلم هو أيضاً وكذلك جواريها وتابوا إلى الله تعالى فلما أصبح الصباح أمرت بإحضار القاضي والشهود وأخبرتهم أنها عازبة وقد وفت العدة ومرادها الزواج بمسرور فكتبوا كتابها وصاروا في ألذ عيش هذا ما كان من أمر زين المواصف (وأما) ما كان من أمر زوجها اليهودي فإنه حين أطلقه أهل المدينة من السجن سافر منها متوجها إلى بلاده ولم يزل مسافراً حتى صار بينه وبين المدينة التي فيها زين المواصف ثلاثة أيام فأخبرت بذلك زين المواصف فجدعت بجاريتها هبوب وقالت لها أمض إلى مقبرة اليهود واحفري قبراً وضعي عليه الرياحين ورشي عليه الماء وإن جاء اليهود وسألك عني فقولي له إن سيدتي ماتت من قهرها عليك ومضى لموتها مدة عشرين يوماً فإن قال أريني قبرها فخذيه إلى القبر وتحيلي على دفنه فيه بالحياة فقالت سمعاً وطاعة ثم أنهم رفعوا الفراش وأدخلوه في مخدع ومضت إلى بيت مسرور فقعد هو وإياه في أكل وشرب ولم يزالوا كذلك حتى مضت الثلاثة أيام هذا ما كان من أمرهم (وأما) ما كان من أمر زوجها فإنه لما أقبل من السفر دق الباب فقالت هبوب من بالباب فقال سيدك ففتحت له الباب فرأى دموعها تجري على خدها فقال لها ما يبكيك وأين سيدتك فقالت له أن سيدتي ماتت بسبب قهرها عليك فلما سمع منها ذلك الكلام تحير في أمره وبكى بكاء شديداً ثم قال لها يا هبوب أين قبرها فأخذته ومضت به إلى المقبرة وأرته القبر الذي حفرته فعند ذلك بكى بكاء شديداً حتى خر مغشياً عليه فلما

غشي عليه أسرعت هبوب بجره ووضعته في القبر وهو بالحياة ولكنه مدهوش ثم سدت عليه ورجعت إلى سيدتها وأعلمتها بهذا الخبر ففرحت بذلك فرحاً شديداً وأنشدت هذين البيتين:

الـ . .دهر أقسـ . .م لا يـ . .زال مكـ . .دري حنثـ . ـت يميـنـ . ـك يـ . ـا زمـ . ـان فكفـ . ـر

مـ .ـات العـ .ـذول ومـ .ـن هويـ .ـت مواصـ .ـلي فـ .ـانهض إلـ .ـى داعـ .ـي السـ .ـرور وشـ .ـمر

ثم أنهم أقاموا مع بعضهم على الأكل والشرب واللهو واللعب إلى أن أتاهم هازم اللذات ومفرق الجماعات ومميت البنين والبنات وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(حكاية على نور الدين مع مريم الزنارية)

(وفي ليلة ٨١٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أنه كان في قديم الزمان وسالف العصر والأوان رجل تاجر بالديار المصرية يسمى تاج الدين وكان من أكابر التجار ومن الأمناء الأحرار إلا أنه كان مولعاً بالسفر إلى جميع الأقطار ويحب السير في البراري والقفار والسهول والأوعار وجزائر البحار في طلب الدرهم والدينار وكان له عبيد ومماليك وخدم وجوار وطالما ركب الأخطار وقاسى في السفر ما يشيب الأطفال الصغار وكان أكثر التجار في ذلك الزمان مالا وأحسنهم مقالاً صاحب خيول وبغال وبخاتي وجمال وغرائر وأعدال وبضائع وأموال وأقمشة عديمة المثال من شدود حمصية وثياب بعلبكية ومقاطع سندسية وثياب مرزوية وتفاصيل هندية وأزرار بغدادية وبرانس مغربية ومماليك تركية وخدم حبشية وجوار زومية وغلمان مصرية وكانت غرائر أحماله من الحرير لأنه كان كثير الأموال بديع الجمال مائس الأعطاف شهي الأنعطاف وكان لذلك التاجر ولد ذكر يسمى على نور الدين كأنه البدر إذا بدر ليلة أربعة عشر بديع الحسن والجمال ظريف القدر والاعتدال فجلس ذلك الصبي يوماً من الأيام في دكان والده على جري عادته للبيع والشراء والأخذ والعطاء وقد دارت حوله أولاد التجار فصار هو بينهم كأنه القمر بين النجوم بجبين أزهر وخد أحمر وعذار أخضر وجسم كالمرمر كما قال فيه الشاعر.

ومـلـ . . . . يح قـ . . . . ـال صـ . . . . . فني اذ . . ت فـ . . ي الوصـ . . ف فصـ . . يح

قلـ . . . . . ت قـ . . . . ولاً باختصـ . . . . ـار كـ . . . . ل مـ . . . . ـا فيـ . . . ك ملـ . . . يح

فعزمه أولاد التجار وقال له يا سيدي نور الدين نشتهي في هذا اليوم أننا نتفرج نحن وإياك في البستان الفلاني فقال لهم حتى أشاور والدي فأني لا أقدر أن أروح إلا بأجازته فبينما هم في الكلام وإذا بوالده تاج الدين قد أتى فنظر إليه وقال يا أبي أن أولاد التجار قد عزموني لأجل أن أتفرج أنا وأياهم في البستان الفلاني فهل تأذن لي في ذلك فقال نعم يا ولدي ثم أنه أعطاه شيئاً من المال وقال توجه معهم فركب أولاد التجار حميراً وبغالاً وركب نور الدين بغلة وسار معهم إلى بستان فيه ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين وهو مشيد الأركان رفيع البنيان له باب مقنطر كأنه إيوان وباب سماوي يشبه أبواب الجنان وبوابه اسمه رضوان

وفوقه مائة مكعب عنب من سائر الألوان الأحمر كأنه مرجان والأسود كأنه أنوف السودان والأبيض كأنه بيض الحمام وفيه الخوخ والرمان والكمثرى والبرقوق والتفاح كل هذه الأنواع مختلفة الألوان صنوان وغير صنوان وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨١٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أولاد التجار لما دخلوا البستان رأوا فيه كل ما تشتهي الشفة واللسان ووجد العنب مختلف الألوان صنواناً وغير صنوان كما قال فيه الشاعر:

عنـ . ـب طعمـ . . ـه كطعـ . ـم الشـ . . ـراب حالـ . . ـك لونـ . . ـه كلـ . . ـون الغـ . . ـراب
بـ . . .ـين أوراقـ . . .ـه زهـ . . .ـا فتـ . . .ـراه كبنـ . . ـان النسـ . . ـاء بـ . . ـين الخضـ . . ـاب

ثم انتهوا إلى عريشة البستان فرأوا رضوان بواب البستان جالساً في تلك العريشة كأنه رضوان خازن الجنان ورأوا مكتوباً على باب العريشة هذان البيتان:

سـ . . ـقى الله بسـ . . ـتاناً تـ . . ـدلت قطوفـ . . ـه فمالت بهـ ـا الأغصـ ـان مـ ـن شـ ـدة الشـ ـرب
إذا رقصـ . . ـت أغصـ . . ـانه بيـ . . ـد الصـ . . ـبا تنقطهـ . . ـا الأنـ . . ـواء بـ . . ـاللؤلؤ الرطـ . . ـب

وفي ذلك البستان فواته ذات أفنان وأطيار من جميع الأصناف والألوان مثل فاخت وبلبل وكيروان وقماري وحمام يغرد على الأغصان وأنهار بها الماء الجاري وقد راقت تلك المجاري بأزهارها وأثمار ذات لذات كما قال فيها الشاعر هذين البيتين:

سـ .ـرت النسـ .ـيم علـ .ـى الغصـ .ـون فشـ .ـابهت حسـ . ـناء تعثـ . ـر فـ . ـي جميـ . ـل ثيابهـ . ـا
وحكـ .ـت جـ .ـداولها السـ .ـيوف إذا انتضـ .ـت أيـ . ـدى الفـ .ـوارس مـ .ـن غـ .ـلاف قرابهـ .ـا

وفي ذلك البستان تفاح سكري ومسكي يدهش الناظر كما قال فيه الشاعر:

تفاحـ . ـت جمعـ . ـت لـ . ـونين قـ . ـد حكيـ . ـا خـ . ـدي حبيـ . ـب ومحبـ . ـوب قـ . ـد اجتمعـ . ـا
لاحا على الغصـ ـن كالضـ ـدين مـ ـن عجـ ـب فـ . ـذاك أسـ . ـود والثـ . ـاني بـ . ـه لمعـ . ـا
تعانقـ . . . ـا فبـ . . . ـدا وشـ فراعهمـ . . . ـا فـ . ـأحمر ذا خجـ . ـلاً وأصـ . ـفر ذا ولعـ . ـا

وفي ذلك البستان مشمش لوزي وكافور وجيلاني وعنتابي كما قال فيه الشاعر:

كأنمـ . ـا التـ . ـين يبـ . ـدو منـ . ـه أبيضـ . ـه مـ .ـع أخضـ .ـر بـ .ـين أوراق مـ .ـن الشـ .ـجر
أبنـ .ـاروم علـ .ـى أعلـ .ـى القصـ .ـور وقـ .ـد جـ .ـن الظـ .ـلام بهـ .ـم بـ .ـاتوا علـ .ـى حـ .ـذر

وفي ذلك البستان من الكمثرى الطورى والحلبي والرومي ما هو مختلف الألوان صنوان وغير صنوان وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨١٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أولاد التجار لما نزلوا البستان رأوا فيه من الفواكه ما ذكرناه ووجدوا فيه من الكمثرى الطورى والحلبي والرومي ما هو مختلف الألوان صنوان وغير صنوان ما بين أصفر وأخضر يدهش الناظر كما قال فيه الشاعر:

يهنيـ . . ك كمثـ . . ري غـ . . دا لونهـ . . ا | لـ . . ون محـ . . ب زائـ . . د الصـ . . فرة
شـ . . بيهة بـ . . البكر فـ . . ي خـ . . درها | والوجـ . . ه منهـ . . ا مسـ . . بل السـ . . ترة

وفي ذلك البستان من الخوخ السلطاني ما هو مختلف الألوان من أصفر وأحمر كما قال فيه الشاعر:

كأنمـ . . ا الخـ . . وخ لـ . . دى روضـ . . ة | وقـ . د كسـ . ى مـ . ن حمـ . ـرة العنـ . دم
بنـ . . ـادق مـ . . .ن ذهـ . . ـب أصـ . . فر | قـ . د خضـ . بت فـ . ي وجههـ . ا بالـ . دم

وفي ذلك البستان من اللوز الأخضر ما هو شديد الحلاوة يشبه الجمار ولبه من داخل ثلاثة أثواب من صنعة الملك الوهاب كما قيل فيه الشاعر :

ثلاثـ . ـة أثـ . واب علـ . ى جسـ . د رطـ . ب | مخالفـ .ـة الأشـ .ـكال مـ .ـن صـ .ـنعة الـ .ـرب
يريـ . ـه الـ . ردى فـ . ي ليلـ . ـه ونهـ . ـاره" | وأن يكـ .ـن المسـ .ـجون فيهـ .ـا بـ .ـلا ذنـ .ـب

وفي ذلك البستان النارنج كأنه خولنجان كما قال فيها الشاعر الولهان

وحمـ .ـراء مـ .ـلء الكـ .ـف تزهـ .ـو بحسـ .ـنها | فظاهرهـ . . ـا نـ . . ـار وباطنهـ . . ـا ثلـ . . ـج
ومـ ـن عجـ ـب ثلـ ـج مـ ـن النـ ـار لـ ـم يـ ـذب | ومـ .ـن عجـ .ـب نـ .ـار ولـ .ـيس لهـ .ـا وهـ .ـج

وفي ذلك البستان الكباد متدلياً في أغصانه كنهود أبكار تشبه الغزلان وهو على غاية المراد كما قال فيه الشاعر وأجاد:

وكبـ . .ـادة بـ . .ـين الريـ . .ـاض نظرتهـ . .ـا | علـ . ى غصـ . ن رطـ . ـب كقامـ . ـة أغيـ . د
إذا ميلتهـ . .ـا الـ . .ـريح مالـ . .ـت كـ . .ـاكرة | بـ .ـدت ذهبـ .ـاً فـ .ـي صـ .ـولجان زبـ .ـر جـ .ـد

وفي ذلك البستان الليمون زكي الرائحة يشبه بيض الدجاج ولكن صفرته زينة مجانية وريحة يزهو لجانيه كما قال فيه بعض واصفيه.

أمـ .ـا تـ .ـرى الليمـ .ـون لمـ .ـا بـ .ـدى | يأخـ . ـذ مـ . ـن أشـ . ـراقه بالعيـ . ـان
كأنـ . . .ـه بـ . . .ـيض دجـ . . .ـاج وقـ . . .ـد | لطخـ . . . ـه الخمسـ . . . ـة بـ . . . ـالزعفران

وفي ذلك البستان من سائر الفواكه والرياحين والخضروات والمشمومات من الياسمين والفاغية والفلفل والسنبل العنبري والورد بسائر أنواعه ولسان الحمل والآس وكامل الرياحين من جميع الأجناس وذلك البستان من غير تشبيه كأنه قطعة من الجنان لرائيه إذا دخله العليل خرج منه كالأسد الغضبان ولا يقدر على وصفه اللسان لما فيه من العجائب والغرائب التي لا توجد إلا في الجنان كيف لا واسم بوابه رضوان لكن بين المقامين شتان فلما تفرج أولاد التجار في ذلك البستان جلسوا بعد التفرج والتنزه على ليوان من لواوينه وأجلسوا نور الدين في وسط الليوان وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨١٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أولاد التجار لما جلسوا في الليوان أجلسوا نور الدين في وسط على نطع من الأديم المزركش متكئاً على مخدة محشوة بريش النعام وطهارتها مدورة سنجابية ثم ناوله مروحة من ريش النعام مكتوباً عليها هذان البيتان:

ومروحـ . . . ـة معطـ . . . ـرة النسـ . . . يم   تـ . . ذكر طيـ . . ـب أوقـ . . ـات النعـ . . يم
وتهـ . ـدي طيبهـ . ـا فـ . ـي كـ . ـل وقـ . ـت   إلـ . ـى وجـ . ـه الفتـ . ـى الحـ . ـر الكـ . ـريم

ثم أن هؤلاء الشبان خلعوا ما كان عليهم من العمائم والثياب وجلسوا يتحدثون ويتنادمون ويتجاذبون أطراف الكلام بينهم وكل منهم يتأمل في نور الدين وينظر إلى حسن صورته وبعد أن اطمأن بهم الجلوس ساعة من الزمان أقبل عليهم عبد وعلى رأسه سفرة طعام فيها أواني من الصيني والبلور لأن بعض أولاد التجار كان وصى أهل بيته بها قبل خروجه إلى البستان وكان في تلك السفرة كثير مما درج وطار وسبح في البحار كالقطا والسماني وأفراخ الحمام وشياه الضأن والطف السمك فلما وضعت تلك السفرة بينهم تقدموا وأكلوا بحسب الكفاية ولما فرغوا من الأكل قاموا عن الطعام وغسلوا أيديهم بالماء الصافي والصابون الممسك وبعد ذلك نشفوا أيديهم بالمناديل المنسوجة بالحرير والقصب وقدموا لنور الدين منديلاً مطرز بالذهب الأحمر فمسح به يديه وجاءت القهوة كل منهم مطلوبة ثم جلسوا للحديث وإذا بخولي البستان جاءوا معه سفرة المدام فوضع بينهم صينية مزركشة بالذهب الأحمر وأنشد يقول هذين البيتين:

هتـ . ـف الفجـ . ـر بالسـ . ـنى فاسـ . ـق خمـ . ـرا   عانسـ . . ـاً تجعـ . . ـل الحلـ . . ـيم سـ . . فيها
لسـ . ـت أدري مـ . ـن لطفهـ . ـا وصـ . ـفاها   أبكـ . . ـاس تـ . . ـرى أم الكـ . . ـاس فيهـ . . ـا

ثم أن خولي البستان ملأ وشرب ودار الدور إلى أن وصل إلى نور الدين ابن التاجر تاج الدين فملأ خولي البستان كأساً وناوله أإاه فقال له نور الدين أنت تعرف أن هذا شيء لا أعرفه ولا شربته قط لأن فيه إثماً كبير وقد حرمه في كتابه الرب القدير فقال البستاني يا سيدي نور الدين أن كنت ما تركت شربه إلا من أجل الإثم فإن الله سبحانه وتعالى كريم حليم غفور رحيم يغفر الذنب العظيم ورحمته وسعت كل شيء ورحمة الله على بعض الشعراء حيث قال:

كـ . ن كيـ . فـ شـ . ئت فـ . إن الله ذو كـ . رم — ومـ . ـا عليـ . ك إذا أذنبـ . ـت مـ . ـن بـ . ـأس
إلا أثنتـ . . ـين فـ . . ـلا تقربـهمـ . . ـا أبـ . . ـداً — الشـ . .ـرك بـ . .ـالله والأضـ . .ـرار للنـ . .ـاس

ثم قال واحد من أولاد التجار بحياتي عليك يا سيدي نور الدين أن تشرب هذا القدح وتقدم شاب آخر وحلف عليه بالطلاق وآخر وقف بين يديه على أقدامه فاستحى نور الدين وأخذ القدح من خولي البستان وشرب منه جرعة ثم بصقها وقال هذا مر فقال له خولي البستان يا سيدي نور الدين لولا أنه مر ما كانت فيه هذه المنافع ألم تعلم أن كل حلو إذا أكل على سبيل التداوي يجده الآكل مراً وأن هذه الخمر منافعها كثيرة فمن جملة منافعها أنها تهضم الطعام وتصرف الهم والغم وتزيل الأرياح وتروق الدم وتصفي اللون وتنعش البدن وتشجع الجبان وتقوي همة الرجل على الجماع ولو ذكرنا منافعها كلها لطال علينا شرح ذلك وقد قال بعض الشعراء.

شـ . ـربنا وعفـ . ـو الله مـ . ـن كـ . ـل جانـ . ـب — وداويـ .ـت أسـ .ـقامي بمـ .ـر تشـ .ـفـ الكـ .ـاس
ومـ . ـا غرنـ . ـي فيهـ . ـا وأعـ . ـرف أثمهـ . ـا — سـ . ـوى قولـ . ـه فيهـ . ـا منـ . ـافع للنـ . ـاس

ثم أن خولي البستان نهض قائماً على أقدامه من وقته وساعته وفتح مخدعاً من مخادع ذلك الأيوان وأخرج منه قمع سكر مكرر وكسر منه قطعة كبيرة ووضعها لنور الدين في القدح وقال يا سيدي إن كنت هبت شرب الخمر من مرارته فأشرب الآن فقد حلا وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨١٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الخولي قال لنور الدين إن كنت هبت شرب الخمر من مرارته فاشرب الآن فقد حلا فعند ذلك أخذ نور الدين القدح وشربه ثم ملأ الكأس واحد من أولاد التجار قال يا سيدي نور الدين أنا عبدك وكذا الآخر قال أنا خدامك وقام الآخر وقال من أجل خاطري وقام الآخر وقال بالله عليك يا سيدي نور الدين أجبر بخاطري ولم يزل العشرة أولاد التجار بنور الدين إلى أن أسقوه العشرة أقداح كل واحد قدحاً وكان نور الدين باطنه بكر عمره ما شرب خمراً قط إلا في تلك الساعة فدار الخمر في دماغه وقوي عليه السكر فوقف على حيله وقد ثقل لسانه واستعجم كلامه وقال يا جماعة والله أنتم ملاح وكلامكم مليح ومكانكم مليح إلا أنه يحتاج إلى سماع طيب فإن الشراب بلا سماع عدمه أولى من وجوده كما قال فيه الشاعر هذين البيتين:

أدرهـ . . . ـا بـ . . . ـالكبير والصـ . . . ـغير — وخـ . ـذها مـ . ـن يـ . ـد القمـ . ـر المنيـ . ـر
ولا تشـ . . ـرب بـ . . ـلا طـ . . ـرب فـ . . ـإني — رأيـ . .ـت الخيـ . .ـل تشـ . .ـرب بالصـ . .ـفير

فعند ذلك نهض الشاب صاحب البستان وركب بغلة من بغال أولاد التجار وغاب ثم عاد ومعه صبية مصرية كأنها لية طرية أو فضة نقية أو دينار في صينية أو غزال في برية بوجه يخجل الشمس المضية وعيون بابلية وحواجب كأنها قسى محنية وخدود وردية و أسنان لؤلؤية ومراشف سكرية وعيون مرخية

ونهود عاجية وبطن خماسية وأعكان مطوية وأرداف كأنهن مخدات محشية وفخذين كالجداول الشامية وبينهما شيء كأنه صرة في بقجة مطوية كما قيل فيه هذه الأبيات:

ولـ . .و أنهـ . .ا للمشـ . .ركين تعرضـ . .ت	رأوا وجههـ . ـا مـ . ـن دون أصـ . نامهم ربـ . ـا
ولـ .و أنهـ ـا فـ ـي الشـ .رق لاحـ .ت لراهـ ـب	لخلـ . ـي سـ . بيل الشـ . رق واتبـ . ـع الغربـ . ـا
ولـ .و تفلـ .ت فـ ـي البحـ .ر والبحـ .ر مـ .الح	لأصـ .بح مـ ـاء البحـ .ر مـ .ن ريقهـ ـا عـ .ذباً

وتلك الصبية كأنها البدر إذا بدر في ليلة أربعة عشر وعليها بدلة زرقاء بقناع أخضر فوق جبين أزهر تدهش العقول وتحير أرباب المعقول وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٢٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن خولي البستان جاءهم بالصبية التي ذكرنا أنها في غاية الحسن والجمال ورشاقة القد والاعتدال كأنها المرأة المراد بقول الشاعر:

أقبلـ . . ـت فـ . . ـي غلالـ . . ـة زرقـ . . ـاء	لازورديـ . . . ـة كلـ . . . ـون السـ . . . ماء
فتحققـ . . ـت فـ . . ـي الغلالـ . . ـة منهـ . . ـا	قمـ . ـر الصـ . ـيف فـ . ـي ليـ . ـالي الشـ . ـتاء

ثم أن الشاب خولي البستان قال لتلك الصبية أعلمي يا سيدة الملاح وكل كوكب لاح أننا ما قصدنا بحضورك في هذا المكان إلا أن تنادمي هذا الشاب المليح الشمائل سيدي نور الدين فإنه لم يأت محلنا إلا في هذا اليوم فقالت له الصبية ليتك كنت أخبرتني لأجل أن أجيء بالذي كان معي فقال لها سيدتي أنا أروح وأجيء به إليك فقالت افعل ما بدا لك فقال لها أعطيني أمارة فأعطته منديلاً فعند ذلك خرج سريعاً وغاب ساعة زمانية ثم عاد ومعه كيس أخضر من حرير أطلس بشكلين من الذهب يا فأخذته منه الصبية وحلته ونقضته فنزل منه اثنتان وثلاثون قطعة خشب ثم ركبت الخشب في بعضه على صورة ذكر في أنثى وأنثى في ذكر وكشفت عن معاصمها وأقامته فصار عوداً محلوكاً مجروداً صنعة الهمود ثم أنحنت عليه تلك الصبية انحناء الوالدة على ولدها وزغزغته بأنامل يدها فعند ذلك أن العود ورن ولا ما كنه القديمة حن وقد تذكر المياه التي قد سقته والأرض التي نبت منها وتربى فيها وتذكر النجارين الذين قطعوه والدهانين الذين ذهنوه والتجار الذين جلبوه والمراكب التي حملته فصرخ وصاح وعدد وناح وكأنها سألته عن ذلك كله فأجابها بلسان الحال منشد هذه الأبيات:

لقـ . ـد كنـ . ـت عـ . ـوداً للبلابـ . ـل منـ . ـزلاً	أميـ . ـل بهـ . ـا وجـ . ـد أو فرعـ . ـي أخضـ . ـر
ينوحـ .ون مـ .ـن فـ .وقي فعلمـ .ـت نـ .وحهم	ومـ .ـن أجـ .ـل ذاك النـ .وح سـ .ـري مجهـ .ـر
رمـ ـاني بـ ـلا ذنـ ـب علـ ـى الأرض قـ ـاطعي	وصـ . ـيرني عـ . ـوداً نحـ . ـيلاً كمـ . ـا تـ . ـروا
ولكـ . .ن ضـ . .ربي بالأنامـ . .ل مخبـ . .ر	بـ . ـأني قتيـ . ـل فـ . ـي الأنـ . ـام مصـ . ـبر
فمـ .ـن أجـ .ـل هـ .ـذا صـ .ـار كـ .ـل منـ .ـادم	إذ مـ . ـا رأى نـ . ـوحي يهـ . ـيم ويسـ . ـكر
وقـ . ـد حـ . ـنن المـ . ـولى علـ . ـى قلـ . ـوبهم	وقد صـ ـرت فـ ـي أعلـ ـى الصـ ـدور أصـ ـدر

تعـ .انق قـ .دي كـ .ل مـ .ن فلـ .ق حسـ .نها   وكـ .ل غـ .زال ناحـ .ل الطـ .رف أحـ .ور
فـ . . لا فـ . . رق الله المهـ . . يمن بيننـ . . ا   ولا عـ . اش محبـ . وب يصـ . د ويهنجـ . ر

ثم سكتت الصبية ساعة وبعد ذلك أخذت ذلك العود في حجرها وانحنت عليه انحناءة الوالدة على ولدها وضربت عليه طرقاً عديدة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٢١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الصبية ضربت على العود طرقاً عديدة ثم عادت إلى طريقتها الأولى وأنشدت هذه الأبيات:

لـ . ـو أنهـ . ـم جنحـ . ـوا للصـ . ـب أوزاروا   لحـ . .ط عنـ . .ه مـ . .ن الأشـ . .واق أوزار
وعنـ . .دليب علـ . .ى غصـ . .ن يشـ . .اجره   كأنـ . ـه عاشـ . ـق شـ . ـطت بـ . ـه الـ . ـدار
قـ . ـم وانتبـ . ـه فليـ . ـالي الوصـ . ـل مقمـ . ـرة   كأنهـ . .ا باجتمـ . .اع الشـ . .مل أسـ . .حار
واليـ . ـوم فـ . ـي غفلـ . ـة عنـ . ـا حواسـ . ـدنا   وقـ . ـد دعتنـ . ـا إلـ . ـى اللـ . ـذات أوتـ . ـار
أمـ . ـا تـ . ـرى أربعـ . ـاً للهـ . ـو قـ . ـد جمعـ . ـت   آس وورد ومنثـ . . . . . .ور وأنـ . . . . . .وار
واليـ . ـوم قـ . ـد جمعـ . ـت للحـ . ـظ أربعـ . ـة   صـ . .ب وخـ . .ل ومشـ . .روب ودينـ . .ار
فـ . أظفر بحظـ . ـك فـ . ـي الـ . ـدنيا فلـ . ـذتها   تفنـ . .ي وتبقـ . .ي روايـ . .ات وأخبـ . .ار

فلما سمع نور الدين من الصبية هذه الأبيات نظر إليها بعين المحبة حتى كاد لا يملك نفسه من شدة الميل إليها وهي الأخرى كذلك لأنها نظرت إلى الجماعة الحاضرين من أولاد التجار كلهم وإلى نور الدين فرأته بينهم كالقمر بين النجوم لأنه كان رخيم اللفظ ذا دلال كامل القد والاعتدال والبهاء والجمال ألطف من النسيم وأرق من التسنيم كما قيل فيه هذه الأبيات:

قسـ . . ما بوجنتـ . . ـه وباسـ . . ـم ثغـ . . ـره   وباسـ . ـهم قـ . ـد راشـ . ـها مـ . ـن سـ . ـحره
وبلـ . . ـين معطفـ . . ـه ونبـ . . ـل لحاظـ . . ـه   وبيـ . .اض غرتـ . .ـه وأسـ . .ود شـ . .عره
وبحاجـ .ـب حجـ .ـب الكـ .ـرى عـ .ـن نـ .ـاظري   وسـ . . ـطا علـ . . ـى بنهيـ . . ـه وبـ . . أمره
وعقـ . ـارب قـ . ـد أرسـ . ـلت مـ . ـن صـ . ـدغه   وسـ . .عت لقتـ . .ل العاشـ . .قين بهجـ . .ره
ويـ . . . ورد خديـ . . . ـه وآس عـ . . . ذاره   وعقيـ . . ق مبسـ . . مه ولؤلـ . . ؤ ثغـ . . ره
وبغصـ . ـن قامتـ . ـه الـ . ـذي هـ . ـو مثمـ . ـر   زمانـ . . ـه يزهـ . . ـو جنـ . . ـاه بصـ . . ـدره
وبردفـ . . ـه المـ . . ـريح فـ . . ـي حركاتـ . . ـه   وسـ . . كونه وبدقـ . . ـة فـ . . ـي خصـ . . ـره
وحريـ . . ـر ملبسـ . . ـه وخفـ . . ـة ذاتـ . . ـه   وبمـ . ـا حـ . ـواه أمـ . ـن الجمـ . ـال بأسـ . ـره
أن الشـ . . .ذا قـ . . .ـد مـ . . .ـن أنفاسـ . . .ـه   والـ . ريح تـ . ـروي طيبهـ . ـا عـ . ـن نشـ . ـره
وكـ . .ذلك الشـ . .مس المنيـ . .رة دونـ . .ـه   وكـ . ـذا الهـ . ـلال قلامـ . ـة مـ . ـن ظفـ . ـره

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٢٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن نور الدين لما سمع كلام تلك الصبية وشعرها أعجبه نظامها وكان قد مال من السكر فجعل يمدحها ويقول:

ع . . . . .وادة مالـ . . . . .ت بنـ . . . . .ا   ف . . . . . .ي نشـ . . . . .وة المنتبـ . . . . .ذ
قالـ . . . . .ت لنـ . . . . .ا أوتار هـ . . . . .ا   أنطقنـ . . . . .ا الله الـ . . . . ذي

فلما تكلم نور الدين بهذا الكلام وأنشد هذا الشعر والنظام نظرت له تلك الصبية بعين المحبة وزادت فيه عشقاً وغراماً وقد صاحت متعجبة من حسنه وجماله ورشاقة قده واعتداله فلم تملك نفسها بل احتضنت العود ثانياً وأنشدت هذه الأبيات:

يعـ . . اتبني علـ . . . ى نظـ . . ري إليـ . . . ه   ويهجرنـ . . ي وروحـ . . ي فـ . . ي يديـ . . ه
ويبعـ . . دني ويعلـ . . . م مـ . . . ا بقلبـ . . . ي   كـ . . .أن الله قـ . . .د أوحـ . . .ى إليـ . . .ه
كتبـ . .ت مثالـ . .ـه فـ . .ي وسـ . .ط كفـ . .ى   وقلـ . . ت لنـ . . اظري عـ . . ول عليـ . . ه
فـ . .لا عينـ . .ي تـ . .رى منـ . .ه بـ . .ديلا   ولا قلبـ . . . ي يصـ . . . يرني لديـ . . . ه
فيـ . ـا قلبـ . ـي نزعتـ . ـك مـ . ـن فـ . ـؤادي   لأنـ . . ك بعـ . . ض حسـ . . ادي عليـ . . ه
إذا مـ . .ا قلـ . .ت يـ . .ا قلبـ . .ي تسـ . .لى   فقلبـ . . .ي لـ . . .م يمـ . . .ل إلا إليـ . . .ه

فلما أنشدت الصبية تلك الأبيات تعجب نور الدين من حسن شعرها وبلاغة كلامها وعذوبة لفظها وفصاحة لسانها فطار عقله من شدة الغرام والوجد والهيام ولم يقدر أن يصبر عنها ساعة من الزمان بل مال إليها وضمها إلى صدره فانطبقت الأخرى عليه وصارت بكليتها لديه وقبلته بين عينيه وقبل هو فاهها بعد ضم القوام ولعب معها في التقبيل كزق الحمام فالتفتت له وفعلت معه مثل ما فعل معها فهام الحاضرون وقاموا على أقدامهم فاستحى نور الدين ورفع يده عنها ثم أنها أخذت عودها وضربت عليه طرائق عديدة ثم عادت إلى الطريقة الأولى وأنشدت هذه الأبيات:

قمـ . ر يسـ . ل مـ . ن الجفـ . ون إذا انثنـ . ى   عضـ . .با ويهـ . .زأ بـ . .الغزل إذا رنـ . .ا
ملـ . . ك محاسـ . . نه البديع . . ة جنـ . . ده   ولـ . دى الطعـ . ان قوامـ . ـه يحكـ . ي القنـ . ا
لـ . ـو أن رقـ . ـة حصـ . ـره فـ . ـي قلبـ . ـه   مـ .ا جـ .ار قـ .ط علـ .ى المحـ .ب ولا جنـ .ى
يـ . ا قلبـ . ـه القاسـ . ي ورقـ . ـة خصـ . ره   هـ . ـلا نقلـ . ت إلـ . ى هنـ . ا مـ . ن هـهـ . ا
يـ .ا عـ .اذلي فـ .ي حبـ .ـه كـ .ن عـ .اذري   فلـ . ـك البقـ . ـاء بحسـ . ـنه ولـ . ـى الفنـ . ـا

فلما سمع نور الدين حسن كلامها وبديع نظامها مال إليها من الطرب ولم يملك عقله من شدة العجب ثم أنشد هذه الأبيات:

قلـ .د خلتهـ .ا شـ .مس الضـ .حى فتخيلـ .ت   ولكـ .ن لهيـ .ب الحـ .ر منهـ .ا بمهجتـ .ي
ومـ .اذا عليهـ .ا لـ .و أشـ .ارت فسـ .لمت   عليـ .ا بـ .أطراف البنـ .ان وأومـ .ت
رأى وجههـ .ا اللاحـ .ي فقـ .ال وتـ .اه فـ .ي   محاسـ .نها اللاتـ .ي عـ .ن الحسـ .ن جلـ .ت
أهـ .ذي التـ .ي قـ .د همـ .ت شـ .وقاً بحبهـ .ا   فإنـ .ك معـ .ذور فقلـ .ت هـ .ي التـ .ي
ومتنـ .ي بسـ .هم اللحـ .ظ عمـ .داً ومارثـ .ت   لحـ .الي وذلـ .ي وأنكسـ .اري وغربتـ .ي
فأصـ .بحت مسـ .لوب الفـ .ؤاد متيمـ .اً   أنـ .وح وأبكـ .ي طـ .ول يـ .ومي وليلتـ .ي

فلما فرغ نور الدين من شعره تعجبت الصبية من فصاحته ولطافته وأخذت عودها وضربت عليه بأحسن حركاتها وأعادت جميع النغمات ثم أنشدت هذه الأبيات:

وحيـ .اة وجهـ .ك يـ .ا حيـ .اة الأنفـ .س   لا حلـ .ت عنـ .ك يئسـ .ت أم لـ .م أيـ .أس
فلـ .ئن جفـ .وت فـ .إن طيفـ .ك واصـ .ل   أو غبـ .ت عـ .ن عينـ .ي فـ .ذكرك مؤنسـ .ي
يـ .ا موحشـ .اً طرفـ .ي وتعلـ .م أننـ .ي   أبـ .داً بغيـ .ر هـ .واك لـ .م أسـ .تأنس
خـ .داك مـ .ن ورد وريقـ .ك قهـ .وة   هـ .لا سـ .محت بهـ .ا بهـ .ذا المجلـ .س

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٢٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الصبية بعد ما فرغت من شعرها طرب نور الدين من إنشاد تلك الصبية غاية الطرب وتعجب منها غاية العجب ثم أجابها عن شعرها بهذه الأبيات:

ما أسفرت عن محيـا الشـمس فـي الغسـق   ألا تحجـ .ب بـ .در الـ .تم فـ .ي الأفـ .ق
ولا بـ .دت لعيـ .ون الصـ .بح طرتهـ .ا   إلا وعـ .وذت ذاك الفـ .رق بـ .الفلق
خذ عـن مجـاري دمـوعي فـي تسلسـلها   وأرو حـديث الهـوى مـن أقـرب الطـرق
ورب راميـ .ة بالنبـ .ل قلـ .ت لهـ .ا   مهـ .لاً بنبلـ .ك أن القلـ .ب فـ .ي فـ .رق
إن كـ .ان دمعـ .ي لبحـ .ر النيـ .ل نسـ .بته   فـ .إن ودك منسـ .وب إلـ .ى الملـ .ق
قالـت فهـات جميـع المـال قلـت خـذي   قالـت ونومـك أيضـا قلـت مـن حـدقي

فلما سمعت الصبية كلام نور الدين وحسن فصاحته طار قلبهاواندهش لبها وقد احتوى على مجامع قلبها فضمته إلى صدرها وصارت تقبله تقبيلاً كزق الحمام وكذلك الآخر قابلها بتقبيل متلاحق ولكن الفضل للسابق وبعد أن فرغت من التقبيل أخذت العود وأنشدت هذه الأبيات:

ويـ . ـلاه ويلـ . ـي مـ . ـن ملامـ . ـة عـ . ـاذلي   أشـ . . ـكوه أم أشـ . . ـكو إليـ . . ـه تملمـ . . ـي
يـ . ـا هـ . ـاجري مـ . ـا كنـ . ـت أحسـ . ـب أنـ . ـي   ألقـ . ـى الإهانـ . ـة فـ . ـي هـ . ـواك وأنـ . ـت لـ . ـي
عنفـ . . ـت أربـ . . ـاب الصـ . . ـبابة بـ . . ـالجوي   وأبحـ . . . ـت فيـ . . . ـك لعاذليـ . . . ـك تـ . . . ذللي
بـ . ـالأمس كنـ . ـت ألـ . ـوم أربـ . ـاب الهـ . ـوى   واليـ . ـوم أعـ . . ـذر كـ . . ـل صـ . . ـب مبتلـ . . ـي
وإن اعترتـ . . ـي مـ . . ـن فراق . . ـك شـ . . ـدة   أصـ . ـبحت أدعـ . ـو الله باسـ . ـمك يـ . ـا علـ . ـي

فلما فرغت تلك الصبية من شعرها أيضاً أنشدت هذين البيتين:

قـ . . ـد قالـ . . ـت العشـ . . ـاق أن لـ . . ـم يسـ . . قنا   مـ . . ـن ريقـ . . ـه ورحيـ . . ـق فيـ . . ـه السلسـ . . ـل
نـ . . . دعو إلـ . . . ـه العـ . . . ـالمين يجيبـ . . . ـا   ويقـ . . ـول فيـ . . ـه الكـ . . ـل منـ . . ـا يـ . . ـا علـ . . ـى

فلما سمع نور الدين من تلك الصبية هذا الكلام والشعر والنظام تعجب من فصاحة لسانها وشكرها على ظرافة أفتنانها فلما سمعت الصبية ثناء نور الدين عليها قامت من وقتها وساعتها على قدميها وخلعت جميع ما كان عليها من ثياب ومصاغ وتجردت من ذلك كله ثم جلست على ركبتيها وقبّلته بين عينيه وعلى شامتي خديه ووهبت له جميع ذلك. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٢٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الصبية وهبت كل ما كان عليها لنور الدين وقالت له اعلم يا حبيب قلبي أن الهدية على مقدار مهديها فقبل ذلك منها نور الدين ثم رده عليها وقبلها في فمها وخديها وعينيها فلما انقضى ذلك ولم يدم إلا الحي القيوم رازق الطاووس والبوم قام نور الدين من ذلك المجلس ووقف على قدميه فقالت له الصبية إلى أين يا سيدي فقال إلى بيت والدي فحلف عليه أولاد التجار أنه ينام عندهم فأبى وركب بغلته ولم يزل سائراً حتى وصلت إلى بيت والده فقامت له أمه وقالت له يا ولدي ما سبب غيابك إلى هذا الوقت والله أنك قد شوشت علي وعلى والدك لغيابك عنا وقد اشتغل خاطرنا عليك ثم أن أمه تقدمت إليه لتقبله في فمه فشمت منه رائحة الخمر فقالت يا ولدي كيف بعد الصلاة والعبادة صرت تشرب الخمر وتعصي من له الخلق والأمر فبينما هما في الكلام وإذا بوالده قد أقبل ثم أن نور الدين ارتمى في الفراش ونام فقال أبوه ما لنور الدين هكذا قالت له أمه كأن رأسه أوجعته من هواء البستان فعند ذلك تقدم والده ليسأله عن وجعه ويسلم عليه فشم رائحة الخمر وكان ذلك التاجر المسمي تاج الدين لا يحب من يشرب الخمر فقال له ويلك يا ولدي هل بلغ بك السفه إلى هذا الحد حتى تشرب الخمر فلما سمع نور الدين كلام والده رفع يده في سكره ولطمه بها فجاءت اللطمة بالأمر المقدر على عين والده اليمنى فسالت على خديه فوقع على الأرض مغشياً عليه

واستمر في غشيته ساعة فرشوا عليه ماء الورد فلما أفاق من غشيته أراد أن يضربه فحلف بالطلاق من أمه أنه إذا أصبح الصباح لابد من قطع يده اليمنى فلما سمعت أمه كلام والده ضاق صدرها وخافت على ولدها ولم تزل تدادي والده وتأخذ بخاطره إلى أن غلب عليه النوم فصبرت إلى أن طلع القمر وأتت إلى ولدها وقد زال عنه السكر فقالت له يا نور الدين ما هذا الفعل القبيح الذي فعلته مع والدك فقال لها وما الذي فعلته مع والدي فقالت أنط لطمته بيدك على عينه اليمنى فسالت على خده وقد حلف بالطلاق أنه إذا أصبح الصباح لابد أن يقطع يدك اليمنى فندم نور الدين على ما وقع منه حيث لا ينفعه الندم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٢٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن نور الدين لما ندم على ما وقع منه قالت له أمه يا ولدي أن هذا الندم لا ينفعك وأنما ينبغي لك أن تقوم في هذا الوقت وتهرب وتطلب النجاة لنفسك وتختفي عند خروجك حتى تصل إلى أحد من أصحابك وانتظر ما يفعل الله فإنه يغير حالاً بعد حال ثم أن أمه فتحت صندوق المال وأخرجت منه كيساً فيه مائة دينار وقالت له يا ولدي خذ هذه الدنانير واستعن بها على مصالح حالك فإذا فرغت منك يا ولدي فأرسل أعلمني حتى أرسل إليك غيرها وإذا راسلتني فأرسل إلى أخبارك سراً ولعل الله أن يقدر لك فرجاً وتعود إلى منزلك ثم أنها ودعته وبكت بكاء شديداً ما عليه مزيد فعند ذلك أخذ نور الدين كيس الدنانير من أمه وأراد أن يخرج فرأى كيساً كبيراً قد نسيته أمه بجنب الصندوق فيه ألف دينار فأخذه نور الدين ثم ربط الأثنين في وسطه مخرج من الزقاق وتوجه إلى جهة بولاق قبل الفجر فلما أصبح الصباح وقامت الخلائق توحد الملك الفتاح وخرج كل واحد منهم إلى مقصده ليحصل ما قسم الله له كان نور الدين وصل إلى بولاق فصار يتمشى على ساحل البحر فرأي مركباً سقالتها ممدودة والناس تطلع فيها وتنزل منها ومراسيها أربع مدقوقة في البر ورأى مركباً سقالتها ممدودة والناس تطلع فيها وتنزل منها ومراسيها أربع مدقوقة في البر ورأي البحرية واقفين فقال لهم نور الدين إلى أين أنتم مسافرون فقالوا إلى مدينة اسكندرية فقال لهم نور الدين خذوني معكم فقالوا له أهلاً وسهلاً ومرحباً بك يا شاب يا مليح فعند ذلك نهض نور الدين من وقته وساعته ومضى إلى السوق واشتري ما يحتاج إليه من زاد وفرش وغطاء ثم رجع إلى المركب وكانت تلك المركب تجهزت للسفر فلما نزل نور الدين في المركب لم تمكث إلا قليلاً وسارت من وقتها وساعتها ولم تزل تلك المركب سائرة حتى وصلت إلى مدينة رشيد فلما وصلوا إلى هناك رأى نور الدين زورقاً صغيراً سائراً إلى اسكندرية فنزل فيه وعدي الخليج ولم تزل سائراً إلى أن وصل إلى قنطرة تسمى قنطرة الجامي فطلع نور الدين من ذلك الزورق ودخل من باب يقال له باب السدرة وقد ستر الله عليه فلم ينظره أحد من الواقفين في الباب فمشى نور الدين حتى دخل مدينة اسكندرية وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٢٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن نور الدين لما دخل مدينة اسكندرية رآها مدينة خصينة الأسوار حسنة المنتزهات تلذ لسكانها وترغب في استيطانها قد ولى عنها فصل الشتاء ببرده وأقبل عليها فصل الربيع

بورده وازدهت أزهارها وأورقت أشجارها وأينعت أثمارها وتدفقت أنهارها وهي مدينة مليحة الهندسة والقياس وأهلها أجناد من خيار الناس إذا غلقت أبوابها أمنت أصحابها وهي كما قيل فيها هذه الأبيات:

ق . . د قل . . ت يوم . . اً لخ . . ل   ل . . . .ه مق . . . .ال فصـ . . . .يح

اسـ . . . . . كندريه صـ . . . . . . فها   فق . . . .ال ثغ . . . .ر ملـ . . . .يح

وقل . . . ت فيه . . . ا معـ . . . اش   ق . . . .ال أن هـ . . . ب ريـ . . . ح

فمشى نور الدين في تلك المدينة ولم يزل ماشياً فيها إلى أن وصل إلى سوق التجاريين ثم إلى سوق الصرافين ثم إلى سوق النقلية ثم إلى سوق الفكهانية ثم إلى سوق العطارين وهو يتعجب من تلك المدينة لأن وصفها قد شاكل اسمها فبينما هو يمشي في سوق العطارين إذا برجل كبير السن نزل من دكانه وسلم عليه ثم أخذه من يده ومضى به إلى منزله فرأى نور الدين زقاقاً مليحاً مكنوساً مرشوشاً قد هب عليه النسيم وراق وظللته من الأشجار أوراق وفي ذلك الزقاق ثلاث دور وفي صدر ذلك الزقاق دار أساسها راسخ في الماء وجدرانها شاهقة إلى عنان السماء قد كنسوا الساحة إلى قدامها ورشوها وبشم روائح الأزهار قاصدوها يقابلها النسيم كأنه من جنات النعيم فأول ذلك الزقاق مكنوس مرشوش وآخره بالرخام مفروش فدخل الشيخ بنور الدين إلى تلك الدار وقدم له شيئاً من المأكول فأكل معاً فلما فرغ من الأكل معاً قال له الشيخ متى كان القدوم من مدينة مصر إلى هذه المدينة فقال له يا والدي في هذه الليلة قال له ما اسمك قال له علي نور الدين فقال له الشيخ يا ولدي يا نور الدين يلزمني الطلاق ثلاثاً أنك ما دمت مقيماً في هذه المدينة لا تفارقني وأنا أخلي لك موضعاً تسكن فيه فقال له نور الدين يا سيدي الشيخ زدني بك معرفة فقال له يا ولدي اعلم أني دخلت مصر في بعض السنين بتجارة فبعتها فيها واشتريت متجراً آخر فاحتجت إلى ألف دينار فوزنها عني والدك تاج الدين من غير معرفة له بي ولم يكتب علي بها منشوراً وصبر علي بها إلى أن رجعت إلى هذه المدينة وأرسلتها إليه مع بعض غلماني ومعها هدية وقد رأيتك وأنت صغير وإن شاء الله تعالى أجازيك ببعض ما فعل والدك معي وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٢٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العطار قال لنور الدين إن شاء الله أجازيك ببعض ما فعل والدك معي فلما سمع نور الدين هذا الكلام أظهر الفرح والابتسام وأخرج الكيس الذي فيه ألف دينار وأعطاه لذلك الشيخ وقال له خذ هذا وديعة عندك حتى اشتري به شيئاً من البضائع لا تجر فيه ثم أن نور الدين أقام في مدينة اسكندرية مدة أيام وهو يتفرج كل يوم في شارع من شوارعها ويأكل ويشرب ويلتذ ويطرب إلى أن فرغت المائة دينار التي كانت معه برسم النفقة فأتى إلى الشيخ العطار ليأخذ شيئاً منه من الألف دينار وينفقه فلم يجده في الدكان فجلس في دكانه ينتظره إلى أن يعود وصار يتفرج على التجار ويتأمل ذات اليمين وذات الشمال فبينما هو كذلك إذا بأعجمي قد أقبل على السوق وهو راكب على بغلة وخلفه جارية كأنها فضة نقية أو بلطية في فسقيه أو غزالة في برية بوجه يخجل الشمس المضية وعيون بابلية ونهود عاجية وأسنان لؤلؤية

وبطن خماصية وأعطاف مطوية وسيقان كأطراف لية كاملة الحسن والجمال ورشيقة القد والاعتدال عشر بغاية كما قال فيها بعض واصفيها.

كأنه ا مث ل م ا ته واه ق د خلق ت | في رونق الحسن لا ط ول ولا قص ر"
الورد من خ دها يحم ر م ن خج ل | والغصن م ن ق دها بزهوذ ه الثم ر
الب .در طلع .ت والمس .ك نكهته .ا | والغصن من قامتها م ا مثله ا بش ر
كأنه .ا أفرغ .ت م .ن م .اء لؤل .ؤة | في ك ل جارح ة م ن حس نها قم ر

ثم أن الأعجمي نزل عن بغلته وأنزل الصبية وصاح على الدلال فحضر بين يديه فقال له خذ هذه الجارية وناد عليها في السوق فأخذها الدلال ونزل بها إلى وسط السوق وغاب ساعة ثم عاد ومعه كرسي من الآبنوس مزركش بالعاج الأبيض فوضعه الدلال على الأرض وأجلس عليه تلك الصبية ثم كشف القناع عن وجهها فبان من تحته وجه كأنه ترس ديلمي أو كوكب دري وهي كأنها البدر في ليلة أربعة عشر بغاية الجمال الباهر كما قال فيها الشاعر:

قد عارض البدر جهلاً حسن صو ورتها | ف .راح منكس .فاً وانش .ق بالغض .ب
وس .رحة الب .ان أن قيس .ت بقامته .ا | تبت يداً م ن غ دت حمال ة الحط ب

وما أحسن قول الشاعر:

قل للمليحة في الخمار الم ذهب | م اذا فعل ت بعاب د مترهب
ن ور الخم ار ون ور وجه ك تحت ه | هزم .ا بض .وئهما جي .وش الغيه .ب
وإذا أت .ى طرف .ي ليس .رق نظ .رة | ف ي الخ د ح راس رمت ه بكوك ب

فعند ذلك قال الدلال للتجار كم دفعتم في درة الغواص وفليتة القناص فقال له تاجر من التجار علي بمائة دينار وقال آخر بمائتين وقال آخر بثلثمائة ولم يزل التجار يتزايدون في تلك الجارية إلى أن أوصلوا ثمنها إلى تسعمائة وخمسين ديناراً وتوقف البيع على الإيجاب والقبول وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٢٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن التجار يتزايدون في الجارية إلى أن بلغ ثمنها تسعمائة وخمسين دينار فعند ذلك أقبل الدلال على الأعجمي سيدها وقال له إن جاريتك بلغ ثمنها تسعمائة وخمسين ديناراً فهل نبيع ونقبض لك الثمن فقال الأعجمي هل هي راضية بذلك فأني أحب مراعاة خاطرها لأني ضعفت في هذه السفرة وخدمتني هذه الجارية غاية الخدمة فخلفت أني لا أبيعها إلا لمن تشتهي وتريد وجعلت بيعها بيدها فشاورها فإن قالت رضيت فبعها لمن أرادته وإن قالت لا فلا تبيعها فعند ذلك تقدم الدلال إليها وقال لها يا

سيدة الملاح اعلمي أن سيدك قد جعل بيعك بيدك وقد بلغ ثمنك تسعمائة وخمسين ديناراً أفتأذنين أن أبيعك فقالت الجارية للدلال أرني الذي يريد أن يشتريني قبل انعقاد البيع فعند ذلك جاء الدلال بها إلى رجل من التجار وهو شيخ كبير هرم فنظرت إليه الجارية ساعة زمانية وبعد ذلك التفتت إلى الدلال وقالت له يا دلال هل أنت مجنون ومصاب في عقلك فقال لها الدلال لأي شيء يا سيدة الملاح تقولين لي هذا الكلام فقالت له الجارية أيحل لك من الله أن تبيع مثلي لهذا الشيخ الهرم الذي قال في شأن زوجته هذه الأبيات:

تقول لي وهـ ـي غضـ ـبى مـ ـن تـ ـدللها　　وقد دعتنـ ـي إلـ ـى شـ ـيء فمـ ـا كانـ ـا
إن لـ ـم تنكنـ ـي نيـ ـك المـ ـرء زوجتـ ـه　　فـ .ـلا تلمنـ .ـي إذا أصـ .ـبحت قرنانـ .ـا
كـ .ـان أيـ .ـرك شـ .ـمع مـ .ـن رخاوتـ .ـه　　فكلمـ . ـا عركتـ . ـه راحتـ . ـي لانـ . ـا

فلما سمع شيخ التجار من تلك الصبية هذا الهجو القبيح اغتاظ غيظاً شديداً ما عليه من مزيد وقال للدلال يا أنحس الدلالين ما جئت لنا في السوق إلا بجارية مشئومة تتجارى على وتهجوني بين التجار فعند ذكل أخذها الدلال وانصرف عنه وقال لها يا سيدتي لا تكوني قليلة الأدب إن هذا الشيخ الذي هجوتيه هو شيخ السوق ومحتسبه وصاحب مشورة التجار فضحكت وأنشدت هذين البيتين:

يصـ . ـلح للحكـ . ـام فـ . ـي عصـ . ـرنا　　وذاك للحكـ . . ـام ممـ . . ـا يجـ . . ـب
الشـ . ـنق للـ . ـوالي علـ . ـى بابـ . ـه　　والضـ . ـرب بالـ . ـدرة للمحتسـ . ـب

ثم أن الجارية قالت للدلال والله يا سيدي أنا لا أباع لهذا الشيخ فبعني إلى غيره لأنه ربما خجل مني فيبيعني إلى آخر فأصبر ممتهنة ولا ينبغي لي أن أدنس نفسي بالامتهان وقد علمت أن أمر بيعي مفوض إلى وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٢٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية قالت للدلال لا ينبغي أن أدنس نفسي بالامتهان وقد علمت أن أمر بيعي مفوض إلي فقال لها الدلال سمعاً وطاعة ثم توجه بها إلى رجل من التجار الكبار فلما وصل بها إلى ذلك الرجل قال لها يا سيدتي هل أبيعك إلى سيدي شريف الدين هذا بتسعمائة وخمسين دينار فنظرت إليه الجارية فرأته شيخاً ولكن لحيته مصبوغة فقالت للدلال هل أنت مجنون أو مصاب في عقلك حتى تبيعني إلى هذا الشيخ الفاني فهل أنا من كتكت المشاق أو من مهلهل الأخلاق حتى تطوف بي على شيخ بعد شبح وكلاهما كحد أرآيل إلى السقوط أو عفريت محقة النجم بالهبوط أما الأول فإنه ناطق فيه لسان الحال يقول من قال:

طلبـ .ـت قبلتهـ .ـا فـ .ـي الثغـ .ـر قائلـ .ـة　　لا والذي أوجـ ـد الأشـ ـياء مـ ـن عـ ـدم
ما كان لي في بياض الشيب مـ ـن أرب　　ا في الحياة يكون القطن حشـ ـو فمـ ـي

وأما الآخر فإنه ذو عيب وريب ومسود وجه الشيب قد أتى في خضاب شيبه بأقبح عين وأنشد لسان حاله هذين البيتين:

قالت أراك خضبت الشـ يب قلـ ـت لهـ ـا كتمة عنك يـ ـا سـ معي ويـ ـا بصـ ـري
فقهقهـ ـت ثـ ـم قالـ ـت أذ ـي ذا عجـ ـب تكاثر الغش حتى صـ ـار فـ ـي الشـ ـعر

فلما سمع الشيخ الذي صبغ لحيته من تلك الجارية هذا الكلام اغتاظ غيظاً شديداً ما عليه من مزيد وقال للدلال يا أنحس الدلالين ما جئت في هذا اليوم سوقنا إلا بجارية سفيهة تسفه على كل من في السوق واحد أبعد واحد ونهجوهم بالأشعار والكلام الفشار ثم أن ذلك التاجر نزل من دكانه وضرب الدلال على وجهه فأخذها الدلال ورجع بها وهو غضبان وقال والله أني ما رأيت عمري جارية أقل حياء منك وقد قطعت رزقي ورزقك في هذا النهار وقد أبغضتني من أجلك جميع التاجر فرآها في الطريق رجل من التجار فزاد في ثمنها عشرة دنانير وكان أسم ذلك التجار شهاب الدين فاستأذن الدلال الجارية في البيع فقالت أرني أياه حتى انظر إليه وسأله عن حاجة فإن كانت تلك الحاجة في بينه فأنا أباع له وإلا فلا فخلاها الدلال واقفه ثم تقدم إليه وقال له يا سيدي شهاب الدين أعلم أن هذه الجارية قالت لي أنها تسألك عن حاجة فإن كانت عندك فإنها تباع لك وها أنت وقد سمعت ما قالته لأصحابك من التجار. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٣٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الدلال قال للتاجر أنك سمعت ما قالته هذه الجارية لأنك أنصح التجار لأنك أنصح التجار والله خائف أن أجيء فقال أئتني بها فقال الدلال سمعاً وطاعة ثم ذهب الدلال وأني بالجارية إليه فنظرت الجارية وقالت له يا سيدي شهاب الدين هل في بيتك مدورات محشوة بقطاعة فرو السنجاب فقال لها نعم يا سيدية الملاح عندي في البيت عشرة مدورات مدورة بقطاعة فرو السنجاب فبالله عليك ماذا تصنعين بهذه المدورات فقالت اصبر عليك حتى ترقدوا جعلها على فمك وأنفك حتى تموت ثم أنها التفتت إلى الدلال وقالت له يا أخس الدلالين كأنك مجنون حتى تعرضني منذ ساعة على اثنين من الشيوخ في كل واحد منهما عيبان وبعد ذلك تعرضني على سيدي شهاب الدين وفيه ثلاث عيوب الأول أنه قصير والثاني أنه كبير والثالث أن لحيته طويلة وقد قال فيه بعض الشعراء.

مـ ـا رأيـ ـا ولا سـ ـمعنا بشـ ـخص مثـ ـل هـ ـذا بـ ـين الخلائـ ـق أجمـ ـع
فلـ ـه لحيـ ـة طـ ـول ذراع وأنـ ـف طـ ـول شـ ـبر وقامـ ـة طـ ـول أصـ ـبع

فلما سمع التاجر شهاب الدين من الجارية ذلك الكلام نزل من الدكان وأخذ بطوق الدلال وقال له يا أنحس الدلالين كيف تأتي إلينا بجارية توبخنا وتهجونا واحداً بعد واحد بالأشعار والكلام الفشار فعند ذلك أخذها الدلال وذهب من بين يديه وقال لها والله طول عمري وأنا في هذه الصناعة ما رأيت جارية أقل أدباً منك ولا أنحس على من نجمك لأنك قطعت رزقي في هذا اليوم ولا ربحت منك إلا الصفع على القفا والأخذ

بالطوق ثم أن الدلال وقف بتلك الجارية أيضاً على تاجر صاحب عبيد وغلمان وقال لها أتباعين لهذا التاجر سيدي علاء الدين وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٣١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الدلال قال للجارية اتباعين لسيدي علاء الدين فنظرته فوجدته أحدب فقالت أن هذا أحدب وقد قال فيه الشاعر

قصد . رت مناكب . ه وط . ال قف . اه   فحك .اه شد .يطان يصد .ادف كوكب .اً

وك . . ان ق . . د ذاق أول م . . . رة   وأح . س ثاني . ة فصد . ار محد . دباً

فعند ذلك أسرع الدلال إليها وأخذها وأتى بها إلى تاجر آخر وقال لها أتباعين لهذا فنظرت إليه فوجدته أعمش فقالت أن هذا أعمش كيف تبعني له وقد قال فيه بعض الشعراء.:

رم . . . . د أمراض . . . . ه   ه . . . . دت ق . . . . واه لحيذ . . . . ه

ي . . .ا ق . .وم قوم . .وا ف . .انظروا   ه . . ذا الق . . ذي ف . . ي عيذ . . ه

فعند ذلك أخذها الدلال وأتى بها إلى تاجر آخر وقال لها اتباعين لهذا فنظرت إليه فرأت لحيته كبيرة فقالت للدلال ويلك أن هذا الرجل كبش ولكن طلع ذيله في حلقه كيف تبيعني له يا أنحس الدلالين أما سمعت أن كل طويل الذقن قليل العقل وعلى قدر طول اللحية يكون نقصان في العقل وهذا الأمر مشهور بين العقلاء كما قال فيه بعض الشعراء.

م . ا رج . ل طال . ت ل . ه لحي . ة   ف . ـزادت اللحي . ـة ف . ـي هيبذ . ـه

إلا وم . ـا ي . ـنقص م . ـن عقل . ـه   يك . ون ط . ولاً زاد ف . ـي لحيذ . ـه

فعند ذلك أخذها الدلال ورجع فقالت له أين تتوجه فقال لها إلى سيدك الأعجمي وكفانا ما جرى لنا بسببك في هذا النهار وقد تسببت في منع رزقي ورزقه بقلة أدبك ثم أن الجارية نظرت في السوق والتفتت يميناً وشمالاً وخلفاً وأماماً فوقع نظرها بالأمر المقدر على نور الدين على المصري فرأته شاباً مليحاً نقي الخدر شيق القد وهو ابن أربع عشرة سنة بديع الحسن والجمال والظرف والدلال كأنه البدر إذا بدر في ليلة أربعة عشر بجبين أزهر وخد أحمر وعنق كالمرمر وأسنان كالجوهر وريق أحلى من السكر كما قال فيه بعض واصفيه.

ب . دت لتح . اكي حس . نه وجمال . ه   ب .دور وغ .زلان فقل .ت له .ا قف .ي

روي . دك ي . ا غ . زلان لا تقشد . بي   به . ذا وي . ا أقم . ار لا تتكلف . ي

وما أحسن قول بعض الشعراء

ومهفه . ف م . ن شد . عره وجبيذ . ه   تغ . دو ال . ورى ظلم . ة وضد . ياء

لا تنك ـروا الخ ـال الـ ذي ف ـي خ ـده   ك . ـا الشد . قيق بنقط . ـة سد . وداء

فلمّا نظرت تلك الجارية إلى نور الدين حال بينها وبين عقلها ووقع في خاطرها موقعاً عظيماً وتعلق قلبها بمحبته. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٣٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية لمّا رأيت علياً نور الدين تعلّق قلبها بمحبته فالتفتت إلى الدلال وقالت له هل هذا الشاب التاجر الذي هو جالس بين التجار وعليه الفرجية الجوخ العودي ما زاد في ثمني شيئاً فقال لها الدلال يا سيدة الملاح أن هذا شاب غريب مصري ووالده من أكابر التجار بمصر وله الفضل على جميع تجارها وأكابرها وله مدة يسيرة في هذه المدينة وهو مقيم عند رجل من أصحاب أبيه ولم يتكلم فيك بزيادة ولا نقصان فلما سمعت الجارية كلام الدلال نزعت من أسمعها خاتم ياقوت مثمناً وقالت أوصلني عن هذا الشاب المليح فإن اشتراني كان هذا الخاتم لك في نظير تعبك في هذا اليوم معنا ففرح الدلال وتوجه إلى نور الدين فلما صارت عنده تأملته فرأته كأنه بدر التمام لأنه ظريف الجمال رشيق القد والاعتدال فقالت له يا سيدي بالله عليك ما أنا مليحة فقال لها يا سيدة الملاح وهل في الدنيا أحسن منك فقالت له الجارية ولأي شيء رأيت التجار كلهم زادوا في ثمنى وأنت ساكت ما تكلمت بشيء ولا زدت في ثمني ديناراً واحداً كأنني ما عجبتك يا سيدي فقال لها يا سيدتي لو كنت في بلدي كنت اشتريتك بجميع ما تملكه يدي من المال فقالت له ياسيدي أنا ما قلت لك اشترني على غير مرادك ولكن لو زدت في ثمني بشيء لجبرت بخاطري ولو كنت لا تشتريني لأجل أن تقول التجار لولا أن هذه الجارية مليحة ما زاد فيها هذا التاجر المصري لأن أهل مصر لهم خبرة بالجواري فعند ذلك استحى نور الدين من كلام الجارية الذي ذكرته وأحمر وجهه وقال للدلال كم بلغ ثمن هذه الجارية قال بلغ ثمنها تسعمائة وخمسين ديناراً غير الدلالة وأما قانون السلطان فإنه على البائع فقال نور الدين للدلال خلّها عليّ بالألف دينار دلالة وثمناً فبادرت الجارية وتركت الدلّال وقالت بعت نفسي لهذا الشاب المليح بألف دينار فسكت نور الدين فقال واحد بعناه وقال آخر يستاهل وقال آخر ملعون ابن ملعون من يزود ولا يشتري وقال آخر والله أنهما يصلحان لبعضهما فلم يشعر نور الدين إلا والدلّال أحضر القضاة والشهود وكتبوا عقد البيع والشراء في ورقة وناولها لنور الدين. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٣٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الدلال ناول ورقة الشراء لنور الدين وقال له تسلم جاريتك الله يجعلها مباركة عليك فهي ما تصلح إلا لك ولا تصلح أنت إلا لها وأنشد الدلّال هذين البيتين:

اتتـ . . . ـه السـ . . . ـعادة منقـ . . . ـادة   إليـ . . . ـه تجرجـ . . . ـر أذيالهـ . . . ـا

فلـ . . ـم تـ . . ـك تصـ . . ـلح إلا لـ . . ـه   ولـ . . ـم يـ . . ـك يصـ . . ـلح إلا لهـ . . ـا

فعند ذلك استحى نور الدين من التجار وقام من وقته وساعته ووزن الألف دينار التي كان وضعها وديعة عند العطار صاحب أبيه وأخذ الجارية وأتى بها إلى البيت الذي أسكنه فيه العطار فلما دخلت الجارية البيت رأت فيه بساط خلق ونطعاً عتيقاً فقالت له يا سيدي هل أنا مالي منزلة عندك فقال لها نور الدين والله يا

سيدة الملاح ما هذا بيتي الذي أنا فيه ولكنه ملك لشيخ عطار من أهل هذه المدينة وقد أخلاه لي وأسكنني فيه وقد قلت لك أنني غريب وأنني من أولاد مدينة مصر فقالت له الجارية يا سيدي أقل البيوت يكفي إلى أن نرجع إلى بلدك ولكن يا سيدي بالله عليك أن تقوم وتأتي لنا بشيء من اللحم المشوي والمدام والنقل والفاكهة فقال لها نور الدين والله يا سيدة الملاح ما كان عندي من المال غير الألف دينار الذي ورنته في ثمنك ولا أملك غير تلك الدنانير شيئاً من المال وكان معي بعض دراهم صرفتها بالأمس فقالت له أمالك في هذه المدينة صديق تقترض منه خمسين درهماً وتأتيني بها حتى أقول لك أي شيء تفعل بها فقال لها مالي صديق سوى العطار ثم ذهب من وقته وتوجه إلى العطار وقال له السلام عليك يا عم فردّ عليه السلام وقال يا ولدي أي شيء اشتريت بالألف دينار في هذا اليوم فقال له اشتريت بها جارية فقال له يا ولدي هل أنت مجنون حتى تشتري جارية واحدة بألف دينار يا ليت شعري ما جنس هذه الجارية فقال نور الدين يا عم أنها جارية من أولاد الإفرنج وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٣٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن نور الدين قال للشيخ العطار أنها جارية من أولاد الإفرنج فقال له الشيخ أعلم يا ولدي أن جباراً ولاد الأفرنج عندنا في هذه المدينة ثمنه مائتي دينار ولكن والله يا ولدي قد عملت عليك حيلة في هذه الجارية فإن كنت أحببتها فبت عندها في هذه الليلة وأقض غرضك منها وأصبح أنزل بها السوق وبعها ولو كنت تخسر فيها مائتي دينار وقدّر أنها غرقت في البحر أو طلع عليك اللصوص في الطريق فقال نور الدين كلامك صحيح ولكن يا عم أنت تعرف أنه ما كان معي غير الألف دينار التي اشتريت بها الجارية ولم يبق معي شيء أنفقه ولا درهم واحد وإني أريد من فضلك وإحسانك أن تقرضني خمسين درهماً أنفقها إلى غد فأبيع الجارية وأوردها لك من ثمنها فقال الشيخ أعطيك يا ولدي على الرأس والعين ثم وزن له خمسين درهماً وقال له يا ولدي أنت شاب صغير السن وهذه الجارية مليحة وربما تعلّق بها قلبك فما يهون عليك أن تبيعها وأنت ما تملك شيئاً تنفقه فتفرغ منك هذه الخمسون درهماً فتأتيني فأقرضك أول مرة وثاني مرة وثالث مرة إلى عشر مرات فإذا أتيتني بعد ذلك فلا أرد عليك السلام الشرعي وتضيع محبتنا مع والدك ثم ناوله الشيخ خمسين درهماً فأخذها نور الدين وأتى بها إلى الجارية فقالت له يا سيدي رح السوق في هذه الساعة وهات لنا بعشرين درهماً حريراً ملوناً خمسة ألوان وهات لنا بالثلاثين الأخرى لحماً وخبزاً وفاكهة وشراباً ومشموماً فعند ذلك ذهب نور الدين إلى السوق واشتري منه كل ما طلبته تلك الجارية وأتى به إليها فقامت من وقتها وساعتها وشمرت عن يدها وطبخت طعاماً وأتقنته غاية الإتقان ثم قدمت له الطعام فأكل وأكلت معه حتى اكتفيا ثم قدمت المدام وشربت هي وإياه ولم تزل تسقيه وتؤانسه إلى أن سكر ونام فقامت الجوية من وقتها وساعتها وأخرجت من بقجتها جراباً من أديم طائفي وفتحته وأخرجت منه مسمارين وقعدت عملت شغلها إلى أن فرغ فصار زنار مليحاً فلفته في خرقة بعد صقله وتنظيفه وجعلته تحت المخدة ثم قامت تعرت ونامت بجانب نور الدين وكبسته فانتبه من نومه فوجد بجانبه صبية كأنها فضة نقية أنعم من الحرير واطفي من الليلة وهي أشهر من علم وأحسن من حمر النعم خماسية القد قاعدة النهد بحواجب كأنها قسى السهام وعيون كأنها عيون غزلان وخدود كأنها شقائق النعمان وبطن خميصة الأعكان

وسرة تسع أوقية من دهن البان وفخذان كأنهما مخدتان محشوتان من ريش النعام وبينهما شيء يكل عن وصفه اللسان وتنسكب عند ذكره العبرات فعند ذكل التغت نور الدين من وقته وساعته إلى تلك الجارية وضمها إلى صدره ومصّ شفتها الفوقية بعد أن مصّ التحتية ثم رزق اللسان بين الشفتين وقام إليها فوجدها درة ما ثقبت ومطية لغيره ما ركبت فأزال بكارتها ونال منها الوصال وانعقدت بينهما المحبة بلا انفكاك ولا انفصال وتابع في خدها تقبيلاً كوقع الحصى في الماء وزهرا كعن الرماح في مغارة الشعواء لأن نور الدين كان مشتاقاً إلى اعتناق الحور ومصّ الثغور وحل الشعور وضم الخصور وعض الخدود وركب النهود مع حركات مصرية وغنج يمانية وشهيق حبشية وفتور هندية وغلمة نوبية وتضجر ريفية وأنين دمياطية وحرارة صعيدية وفترة اسكندرانية وكانت هذه الجارية جامعة لهذه الخصال مع فرط الجمال والدلال ثم نام نور الدين هو وتلك الجارية إلى الصباح في لذة وانشراح وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٣٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن نور الدين نام هو وتلك الجارية إلى الصباح في لذة وانشراح لابسين حلل العناق محكمة الأزرار آمنين طوارق الليل والنهار في الوصال كثرة القيل والقال وقد باتا على أحسن حال ولم يخشيا فلما أصبح الصباح وأضاء بنور ولاح انتبه نور الدين من نومه فرآها أحضرت الماء فاغتسل هو وإياها وأدى ما عليه من الصلاة لربه ثم أتته بما تيسر من المأكول والمشروب فأكل وشرب ثم أدخلت الجارية يدها تحت المخدة وأخرجت الزنار الذي صنعته بالليل وناولته أياه وقالت له يا سيدي خذ هذا الزنار فقال لها من أين هذا الزنار فقالت له يا سيدي هو الحرير الذي اشتريته البارحة بالعشرين درهماً فقم واذهب به إلى سوق العجم وأعطه للدلال لينادي عليه ولا تبعه إلا بعشرين ديناراً سالمة فقال لها نور الدين يا سيدة الملاح هل شيء بعشرين درهماً يباع بعشرين ديناراً يعمل في ليلة واحدة قالت له الجارية يا سيدي أنت ما تعرف قيمة هذا ولكن اذهب به إلى السوق وأعطه للدلال فإذا نادى عليه الدلال ظهرت لك قيمته فعند ذلك أخذ نور الدين الزنار من الجارية وأتى به إلى سوق الأعاجم وأعطى الزنار للدلال وأمره أن ينادي عليه وقعد نور الدين على مصطبة دكان فغاب الدلال عنه ساعة ثم أتى إليه وقال له يا سيدي قم أقبض ثمن زنارك فقد بلغ عشرين ديناراً سالمة ليدك فلما سمع نور الدين كلام الدلال تعجب غاية العجب واهتز من الطرب وقام ليقبض العشرين ديناراً وهو ما بين مصدق ومكذب فلما قبضها ذهب من ساعته واشترى بها كلها حريراً من سائر الألوان لتعمله الجارية كله زنانير ثم رجع إلى البيت وأعطاها الحرير وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٣٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن نور الدين لما اشترى بالعشرين ديناراً حريراً أعطاه للجارية وقال لها أعمليه كله زنانير وعلميني أيضاً حتى أعمل معك فأني طول عمري ما رأيت صنعة أحسن من هذه الصنعة ولا أكثر مكسباً منها قط وأنها والله أحسن من التجارة بألف مرة فضحكت الجارية من كلامه وقالت له يا سيدي نور الدين أمض إلى صاحبك العطار واقترض منه ثلاثين درهماً وفي غد ادفعها له من ثمن الزنار هي والخمسين درهماً التي اقترضتها منه قبلها فقام نور الدين وأتى إلى صاحبه العطار وقال له يا عم

اقرضني ثلاثين درهماً جملة وفي غد إن شاء الله تعالى أجيء لك بثمانين درهماً جملة واحدة فعند ذلك وزن له الشيخ العطار ثلاثين درهماً فأخذها نور الدين وأتى بها إلى السوق واشترى بها لحماً وخبزاً ونقلا وفاكهة ومشموماً كما فعل بالأمس وأتى بها إلى الجارية وكان اسم تلك الجارية مريم الزنارية فلما أخذت اللحم قامت من وقتها وساعتها وهيأت طعاماً فخرا ووضعته قدام سيدها نور الدين ثم بعد ذلك هيأت سفرت المدام وتقدمت تشرب هي وإياه وصارت تملأ وتسقيه ويملأ ويسقيها فلما لعب المدام بعقلهما أعجبها حسن لطاقته ورقة معانيه فأنشدت هذين البيتين:

أق . ـول لا هيـ . ـف حيـ . ـا بكـ . ـاس لهـ . ـا مـ . ـن مسـ . ـك نكهتـ . ـه ختـ . ـام

أمـ . ـن خـ . ـديك تعصـ . ـر قـ . ـال كـ . ـلا متـ ـى عصـ ـرت مـ ـن الـ ـورد المـ ـدام

ولم تزل تلك الجارية تنادم نور الدين وينادمها وتعطيه الكاس والطاس وتطلب أن يملأ لها ويسقيها ما تطيب به الأنفاس وإذا وضع يده عليها تتمنع منه دلالا وقد زادها السكر حسناً وجمالاً فأنشد هذين البيتين:

وهيفاء تهـ ـوى الـ ـراح قالـ ـت لصـ ـبها بمجلس أنـ ـس وهـ ـو يخشـ ـى ملالهـ ـا

إذا لـ ـم تـ ـدر كـ ـاس المـ ـدام وتسـ ـقني أبيتـ . ـك مهجـ . ـوراً فخـ . ـاف ملالهـ . ـا

ولم ير إلا كذلك إلى أن غلب عليه السكر ونام فقامت هي من وقتها وساعتها وعملت شغلها في الزنار على جري عادتها ولما فرغت أصلحته ولفته في ورقة ثم نزعت ثيابها ونامت بجانبه إلى الصباح وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٣٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن مريم الزنارية لما فرغت من شغل الزنار أصلحته ولفته في ورقة ونزعت ثيابها ونامت بجانبه إلى الصباح وكان بينهما ما كان من الوصل ثم قام نور الدين وقضى شغله وناولته الزنار وقالت له أمض إلى السوق وبعه بعشرين ديناراً كما بعت نظيره بالأمس فعند ذلك أخذه ومضى به إلى السوق وباعه بعشرين ديناراً وأتى إلى العطار ودفع له الثمانين درهماً وشكر فضله ودعا له فقال يا ولدي هل أنت بعت الجارية فقال نور الدين كيف أبيع روحي من جسدي ثم أنه حكى له الحكاية من المبتدأ إلى المنتهى وأخبره بجميع ما جرى له ففرح الشيخ العطار بذلك فرحاً شديداً ما عليه من مزيد وقال له والله يا ولدي هل أنت بعت الجارية فقال نور الدين كيف أبيع روحي من جسدي ثم أنه حكى له الحكاية من المبتدأ إلى المنتهى وأخبره بجميع ما جرى له ففرح الشيخ العطار بذلك فرحاً شديداً ما عليه من مزيد وقال له والله يا ولدي أنك قد فرحتني وإن شاء الله أنت بخير دائماً فأني أود لك الخير لمحبتي لوالدك وبقاء صحبتي معه ثم أن نور الدين فارق الشيخ العطار وراح من وقته وساعته إلى السوق واشترى اللحم والفاكهة والشراب وجميع ما يحتاج إليه على جري العادة وأتى به إلى تلك الجارية ولم يزل نور الدين هو والجارية في أكل وشرب ولعب وانشراح وود ومنادمة مدة سنة كاملة وهي تعمل في كل ليلة زناراً ويصبح يبيعه بعشرين ديناراً ينفق منها ما يحتاج إليه والباقي يعطيه لها تحفظه عندها إلى وقت الحاجة إليه وبعد السنة قالت له الجارية يا سيدي نور الدين إذا بعت الزنار في غد فخذ لي من حقه حريراً ملونا ستة ألوان فإنه قد

خطر ببالي أن أصنع لك منديلاً تجعله على كتفك ما فرحت بمثله أولاد التجار ولا أولاد الملوك فعند ذلك خرج نور الدين إلى السوق وباع الزنار واشترى الحرير الملون كما ذكرت له الجارية وجاء به إليها فقعدت مريم الزنارية تصنع في المنديل جمعة كاملة لأنها كانت كلما فرغت من زنار في ليلة تعمل في المنديل شيئاً إلى أن خلصته وناولته لنور الدين فجعله على كتفه وصار يمشي به في السوق فصار التجار والناس وأكله والبلد يقفون عنده صفوفاً ليتفرجوا على حسنه وعلى ذلك المنديل وحسن صنعته فأتفق أن نور الدين كان نائماً ذات ليلة من الليالي فانتبه من منامه فوجد جاريته تبكي بكاء شديد وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٣٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن نور الدين لما انتبه من منامه وجد جاريته تبكي بكاء شديداً وتنشد هذه الأبيات:

دن . ا ف . راق الحبيد . ب واقترد . ا   وأحرد . . ا للف . . راق واحرد . . ا
تفتد . ـت مهجتـ . ـي ف . ـوا أسـ . ـفي   علـ . ـى ليـ . ـال مضـ . ـت لنـ . ـا طرد . ـا
لابـ . ـد أن ينظـ . ـر الحسـ . ـود لنـ . ـا   بعـ . ـين سـ . ـوء ويبلـ . ـغ الأرد . ـا
فـ . ـي عليذ . ـا أضـ . ـر مـ . ـن حسـ . ـد   ومـ . ـن عيـ . ـون الوشـ . ـاة والرقد . ـا

فقال لها نور الدين يا سيدتي مريم مالك تبكي فقالت له أبكي من ألم الفراق فقد أحس قلبي به فقال لها يا سيدة الملاح ومن الذي يفرق بيننا وأنا الآن أحب الخلق إليك وأعشقهم لك فقالت له إن عندي أضعاف ما عندك ولكن حسن الظن بالليالي يوقع الناس في الأسف فإذا كنت تحرص على عدم الفراق فخذ حذرك من رجل أفرنجي أعور العين اليمنى وأعرج الرجل الشمال وهو شيخ أغبر الوجه مكلثم اللحية لأنه هو الذي يكون سبباً لفراقنا وقد رأيته أني في تلك المدينة وأظن أنه ما جاء إلا في طلبي فقال لها نور الدين يا سيدة الملاح إن وقع بصري عليه قتلته ومثلت به فقالت له مريم يا سيدي لا تقتله ولا تكلمه ولا تبايعه ولا تشاوره ولا تعامله ولا تجالسه ولا تماشه ولا تتحدث معه بكلام قط وادع الله أن يكفينا شره ومكره فلما أصبح الصباح أخذ نور الدين الزنار وذهب به إلى السوق وجلس على مصطبة دكان يتحدث هو وأولاد التجار فأخذته سنة من النوم فنام على مصطبة الدكان فبينما هو نائم وإذا بذلك الأفرنجي مر على ذلك السوق في تلك الساعة ومعه سبعة من الإفرنج فرأى نور الدين نائما على مصطبة الدكان ووجهه ملفوف بذلك المنديل وطرفه في يده فقعد الأفرنجي عنده وأخذ طرف المنديل وقلبه في يده واستمر يقلب فيه ساعة فأحس به نور الدين فأفاق من النوم فرأي الأفرنجي الذي وصفته الجارية بعينه جالساً عند رأسه فصرخ عليه نور الدين صرخة عظيمة أرعبته فقال له الأفرنجي لأي شيء تصرخ علينا هل نحن أخذنا منك شيئاً فقال له نور الدين والله يا ملعون لو كنت أخذت شيئاً لكنت ذهبت بك إلى الوالي فقال له الأفرنجي يا مسلم بحق دينك وما تعتقده أن تخبرني من أين لك هذا المنديل فقال له نور الدين هو شغل والدتي وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٣٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الأفرنجي لما سأل نور الدين عن الذي عمل المنديل قال له إن هذا المنديل شغل والدتي عملته لي بيدها فقال له الأفرنجي أتبيع لي وتأخذ ثمة مني فقال له نور الدين والله يا ملعون لا أبيعه لك ولا لغيرك فإنها ما عملته إلا على اسمي ولم تعمل غيره فقال له بعه لي وأنا أعطيك ثمنه في هذه الساعة خمسمائة دينار ودع التي عملته تعمل لك غيره أحسن منه فقال له نور الدين أنا ما أبيعه أبداً لأنه لا نظير له في هذه المدينة فقال له الأفرنجي ياسيدي وهل تبيعه بستمائة دينار من الذهب الخالص ولم يزل يزيده مائة بعد مائة إلى أن أوصله إلى تسعمائة دينار فقال له نور الدين يفتح الله علي بغير بيعه أنا ما أبيعه ولا بألفي دينار ولا بأكثر أبداً ولم يزل ذلك الأفرنجي يرغب نور الدين بالمال في ذلك المنديل إلى أن أوصله إلى ألف دينار فقال له جماعة من التجار الحاضرين نحن بعناك هذا المنديل فادفع ثمنه فقال له نور الدين أنا ما أبيعه والله فقال له تاجر من التجار أعلم يا ولدي أن هذا المنديل قيمته مائة دينار إن كثرت وإن وجد له راغب وأن هذا الأفرنجي دفع فيه ألف دينار جملة فربحه تسعمائة دينار فأي ربح تريد أكثر من هذا الربح فالرأي عندي أنك تبيع هذا المنديل وتأخذ الألف دينار وتقول للذي عملته لك تعمل لك غيره أو أحسن منه وأربح أنت الألف دينار من هذا الأفرنجي الملعون عدو الدين فاستحى نور الدين من التجار وباع للأفرنجي المنديل بألف دينار ودفع له الثمن في الحضرة وأراد نور الدين أن ينصرف ويمضي إلى جاريته مريم ليبشرها بما كان من أمر الأفرنجي فقال الأفرنجي يا جماعة التجار أحجزوا نور الدين فإنكم وإياه ضيوفي في هذه الليلة فإن عندي بقية خمر رومي من معتق الخمر وخروفاً سمينا وفاكهة ونقلاً ومشموماً فأنتم تؤانسوننا في هذه الليلة ولا يتأخر أحد منكم فقال التاجر يا سيدي نور الدين تشتهي أن تكون معنا في مثل هذه الليلة لنتحدث وإياك فمن فضلك وإحسانك أن تكون معنا فنحن وإياك ضيوف عند هذا الأفرنجي لأنه رجل كريم ثم أنهم حلفوا عليه بالطلاق ومنعوه بالإكراه عن الرواح إلى بيته ثم قاموا من وقتهم وساعتهم وقفلوا الدكاكين وأخذوا نور الدين معهم وراحوا مع الأفرنجي إلى قاعة مطيبة رحيبة بلوانين فأجلسهم فيها ووضع بين أيديهم سفرة غريبة الصنع بديعة العمل فيها صورة كاسر ومكسور وعاشق ومعشوق وسائل ومسئول ثم وضع الأفرنجي على تلك السفرة الأواني النفيسة من الصيني والبلور وكلها مملوءة بنفائس النقل والفاكهة والمشموم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٤٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الأفرنجي لما وضع السفرة وعليها أواني صيني وبلور مملوءة بنفائس النقل والفاكهة والمشموم ثم قدم لهم الأفرنجي بتيه ملآنة بالخمر الرومي المعتق وأمر بذبح خروف سمين ثم أن الأفرنجي أوقد النار وصار يشوي من ذلك اللحم ويطعم التجار ويسقيهم من ذلك الخمر ويغمزهم على نور الدين أن ينزلوا عليه بالشراب فلم يزالوا يسقونه حتى سكر وغاب عن وجوده فلما رآه الأفرنجي مستغرقاً في السكر قال آنستنا يا سيدي نور الدين في هذه الليلة فمرحباً بك ثم مرحباً بك وصار الأفرنجي يؤانسه بالكلام ثم تقرب منه وجلس بجانبه وسارقه في الحديث ساعة زمانية ثم قال له يا سيدي نور الدين هل تبيعني جاريتك التي اشتريتها بحضره هؤلاء التجار بألف دينار من مدة سنة وأنا أعطيك في ثمنها الآن

خمسة آلاف دينار فأبى نور الدين ولم يزل ذلك الأفرنجي يطعمه ويسقيه ويرغبه في المال حتى أوصل الجارية إلى عشرة آلاف دينار فقال نور الدين وهو في سكرة قدام التجار بعتك إياها هات العشرة آلاف دينار ففرح الأفرنجي بذلك القول فرحاً شديداً وأشهد عليه التجار وباتوا في أكل وشرب وانشراح إلى الصباح ثم صاح الأفرنجي على غلمانه وقال لهم أئتوني بالمال فأحضروا له المال فعد لنور الدين العشرة آلاف دينار نقداً وقال له ياسيدي نور الدين تسلم هذا المال ثمن جاريتك التي بعتها في الليلة بحضرة هؤلاء التجار المسلمين فقال نور الدين يا ملعون أنا ما بعتك شيئاً وأنت تكذب عليّ وليس عندي جوار فقال له الأفرنجي لقد بعتني جاريتك وهؤلاء التجار يشهدون عليك بالبيع فقال التجار كلهم نعم يا نور الدين أنت بعته جاريتك قدامنا ونحن نشهد عليك أنك بعته أياها بعشرة آلاف دينار قم قبض الثمن وسلم إليه الجارية والله يعوضك خيراً منها أتكره يا نور الدين أنك اشتريت جارية بألف دينار ولك سنة ونصف تتمتع بحسنها وجمالها وتتلذذ في كل ليلة بمنادمتها ووصالها وبعد ذلك ربحت من هذه الجارية تسعة آلاف دينار فوق ثمنها الأصلي وفي كل يوم تعمل لك زناراً تبيعه بعشرين ديناراً وبعد ذلك كله تنكر البيع وتستقل الربح أي ربح أكثر من هذا الربح وأي مكسب أكثر من هذا المكسب فإن كنت تحبها فها أنت قد شبعت منها في هذه المدة فأقبض الثمن واشتري غيرها أحسن منها أو نزوجك بنتاً من بناتنا بمهر أقل من نصف هذا الثمن وتكون البنت أجمل منها ويصير معك باقي المال رأس مال في يدك ولم يزل التجار يتكلمون مع نور الدين بالملاطفة والمخادعة إلى أن قبض العشرة آلاف دينار ثمن الجارية وأحضر الأفرنجي من وقته وساعته القضاة والشهود فكتبوا له حجة باشتراء الجارية التي اسمها مريم الزنارية من نور الدين هذا ما كان من أمر نور الدين (وأما) ما كان من أمر مريم الزنارية فإنها قعدت تنتظر سيدها جميع ذلك اليوم إلى المغرب ومن المغرب إلى نصف الليل فلم يعد إليها سيدها فجزعت وصارت تبكي بكاء شديداً فسمعها الشيخ العطار وهي تبكي فأرسل إليها زوجته فدخلت عليها فرأتها تبكي فقالت لها يا سيدتي مالك تبكين فقالت لها يا أمي أني قعدت انتظر مجيء سيدي نور الدين فما جاء إلى هذا الوقت وأنا خائفة أن يكون أحد عمل عليه حيلة من أجل لأجل أن يبيعني فدخلت عليه بالحيلة وباعني وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٤١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن مريم الزنارية قالت لزوجة العطار أنا خائفة أن يكون أحد عمل على سيدي حيلة من شأني لأجل أن يبيعني فدخلت عليه الحيلة وباعني فقالت لها زوجة العطار يا سيدتي مريم لو أعطوا سيدك فيك ملء هذه القاعة ذهباً لم يبعك لما أعرفه من محبته لك ولكن يا سيدتي مريم ربما يكون جماعة أتوا من مدينة مصر من عند والديه فعمل لهم عزومة في المحل الذي هم نازلون فيه واستحى أن يأتي بهم إلى هذا المحل لأنه لا يسعهم ولأن مرتبتهم أقل من أن يجيء بهم إلى البيت أو أحب أن يخفي أمرك عنهم فبات عندهم إلى الصباح ويأتي أن شاء الله تعالى اليك في غد بخير فلا تحمل نفسك هما ولا غماً يا سيدتي فهذا سبب غيابه عنك في هذه الليلة وها أنا أبيت عندك في هذه الليلة وأسليك إلى أن يأتي إليك سيدك ثم أن زوجة العطار صارت تلهي مريم وتسليها بالكلام إلى أن ذهب الليل كله فلما أصبح الصباح نظرت مريم سيدها نور الدين وهو داخل من الزقاق وذلك الأفرنجي وراءه وجماعة التجار حواليه فلما رأتهم مريم

ارتعدت فرائصها وأصفر لونها وصارت ترتعد كأنها سفينة في وسط بحر مع شدة الريح فلما رأتها امرأة العطار قالت لها يا سيدتي مريم مالي أراك قد تغير حالك وأصفر لونك وازداد بك الذهول فقالت لها الجارية يا سيدتي والله إن قلبي قد أحس بالفراق وبعد التلاق ثم أن مريم الزنارية بكت بكاء شديداً ما عليه مزيد وتيقنت الفراق وقالت لزوجة العطار يا سيدتي أما قلت لك أن سيدي نور الدين قد عملت عليه حيلة من أجل بيعي فما أشك أنه باعني في هذه الليلة لهذا الأفرنجي وقد كنت حذرته منه ولكن لا ينفع حذر من قدر فقد بان لك صدق قولي فبينما هي وزوجة العطار في الكلام وإذا بسيدها نور الدين دخل عليها في تلك الساعة فنظرت إليه الجارية فرأته قد تغير لونه وارتعدت فرائصه ويلوح على وجهه أثر الحزن والندامة فقالت له يا سيدي نور الدين كأنك بعتني فبكى بكاء شديداً وتأوه وتنفس الصعداء وأنشد هذه الأبيات:

ه ـي المق ـادير فم ـا يغذ ـي الحـ ـذر إن كنت أخطـ ـأت فمـ ـا أخطـ ـأ القـ ـدر

إذا أراد الله أمـ . . . راً بـ . . . امريء وكـ ـان ذا عقـ ـل وسـ ـمع وبصـ ـر

أصـ . ـم أذنيـ . ـه وأعمـ . ـى عذ . ـه وسـ ـل منـ ـه عقلـ ـه سـ ـل الشـ ـعر

حتـ . ـى إذا أنفـ . ـذ فيـ . ـه حكمـ . ـه رد إليـ . . ـه عقلـ . . ـه ليعتبـ . . ـر

فلا تقـ ـل فيمـ ـا جـ ـرى كيـ ف جـ ـرى فكـ . ـل شـ . ـيء بقضـ . ـاء وقـ . ـدر

ثم أن نور الدين اعتذر إلى الجارية وقال لها والله يا سيدتي مريم أنه قد جرى القلم بما حكم الله والناس قد عملوا عليّ حيلة من أجل بيعك فدخلت عليّ الحيلة فبعتك وقد فرطت فيك أعظم تفريط ولكن عسى من حكم بالفراق أن يمن بالتلاق فقالت له قد حذرتك من هذا وكان في وهمي ثم ضمته إلى صدرها وقبلته ما بين عينيه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٤٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية لما ضمت نور الدين وقبلت ما بين عينيه أنشدت هذه الأبيات:

وحقق سـ ـواكم مـ ـا سـ ـلوت ردادكـ ـم ولو تلفـ ـت روحـ ـي هـ ـوى ونشـ ـوقاً

أنـ ـوح وأبكـ ـي كـ ـل يـ ـوم وليلـ ـة كما نـ ـاح قمـ ـري علـ ـى شـ ـجر النقـ ـا

تـ ـنغص عيشـ ـي بعـ ـدكم يـ ـا أحبتـ ـي متـ ـى غبـ ـتم عذ ـي فمـ ـالي ملتقـ ـى

فبينما هما على هذه الحالة وإذا بالأفرنجي قد طلع عليهما وتقدم ليقبل أيادي السيدة مريم فلطمته بكفها على خده وقالت له أبعد يا ملعون فما زلت ورائي حتى خدعت سيدي ولكن يا ملعون إن شاء الله تعالى لا يكون الأخير فضحك الأفرنجي من قولها وتعجب من فعلها واعتذر إليها وقال لها يا سيدتي مريم أي شيء ذنبي أنا وإنما سيدك نور الدين هذا هو الذي باعك برضا نفسه وطيب خاطره وأنه وحق المسيح لو كان يحبك ما فرّط فيك ولولا أنه فرغ غرضه منك ما باعك وكانت هذه الجارية بنت ملك أفرنجه وهي مدينة واسعة الجهات كثيرة الصنائع والغرائب والبنات تشبه مدينة القسطنطينية وقد كان لخروج تلك الجارية من عند أبيها وأمها سبباً عجيباً وأمراً غريباً وذلك أنها تربت عند أبيها وأمها في العز والدلال وتعلمت الفصاحة

والكتابة والفروسية والشجاعة وتعلمت جميع الصنائع مثل الزركشة والخياطة والحباكة وصنعة الزنار والعقادة ورمى الذهب على الفضة والفضة على الذهب وتعلمت جميع صنائع الرجال والنساء حتى صارت فريدة زمانها ووحيدة عصرها وأوانها وقد أعطاها الله من الحسن والجمال والظرف والكمال ما فاقت به على جميع أهل عصرها فخطبها ملوك الجزائر من أبيها وكل من خطبها منه يأبى أن يزوجها له لأنه كان يحبها حباً عظيماً ولا يقدر على فراقها ساعة واحدة ولم يكن عنده بنت غيرها وكان معه من الأولاد الذكور كثير ولكنه كان مشغوفاً بحبها أكثر منهم فأتفق أنها مرضت في بعض السنين مرضاً شديداً حتى أشرفت على الهلاك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٤٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن مريم مرضت مرضاً شديداً حتى أشرفت على الهلاك فنذرت على نفسها أنها إذا عوفيت من هذا المرض تزور الدير الفلاني الذي في الجزيرة الفلانية وكان ذلك الدير معظما عندهم وينذرون له النذور ويتبركون به فلما عوفيت مريم من مرضها أرادت أن توفي بنذرها الذي نذرته على نفسها لذلك الدير فأرسلها والدها ملك أفرنجه إلى ذلك الدير في مركب صغيرة وأرسل معها بعض من بنات أكابر المدينة ومن البطارقة لأجل خدمتها فلما قربت من الدير خرجت مركب من مراكب المسلمين والمجاهدين في سبيل الله فأخذوا جميع ما في المركب من البطارقة والبنات والأموال والتحف فباعوا ما أخذوه من مدينة القيروان فوقعت مريم في يد رجل أعجمي تاجر من التجار وقد كان ذلك الأعجمي عنينا لا يأتي النساء ولم تنكشف له عورة على امرأة فجعلها للخدمة ثم أن ذلك الأعجمي مرض مرضاً شديداً حتى أشرف على الهلاك وطال عليه المرض مدة شهور فخدمته مريم وبالغت في خدمته إلى أن عافاه الله من مرضه فتذكر ذلك الأعجمي منها الشفقة والحنية عليه والقيام بخدمته فأراد أن يكافئها على ما فعلته معه من الجميل فقال لها تمني عليّ يا مريم فقالت يا سيدي تمنيت عليك أن لا تبيعني إلا لمن أريده وأحبه فقال لها نعم لك على ذلك يا مريم ما أبيعك إلا لمن تريدينه وقد جعلت بيعك بيدك ففرحت فرحاً شديداً وكان الأعجمي قد عرض عليها الإسلام فأسلمت وعلّمها العبادات فتعلمت من ذلك الأعجمي في تلك المدة أمر دينها وما وجب عليها وحفظها القرآن وما تيسر من العلوم الفقهية والأحاديث النبوية فلما دخل بها مدينة اسكندرية باعها لمن أرادته وجعل بيعها بيدها كما ذكرنا فأخذها على نور الدين كما أخبرنا هذا سبب خروجها من بلادها (وأما) ما كان من أمر أبيها ملك أفرنجه فإنه لما بلغه أمر ابنته ومن معها قامت عليه القيامة وأرسل خلفها المراكب وصحبتهم البطارقة والفرسان والرجال الأبطال فلم يقعوا لها على خبر بعد التفتيش في جزائر المسلمين ورجعوا إلى أبيها بالويل والثبور وعظائم الأمور وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٤٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن مريم لما فقدت أرسل أبيها خلفها الرجال والأبطال فلم يقعوا لها على خبر بعد التفتيش عليها فحزن عليها أبوها حزناً شديداً فأرسل وراءها ذلك الأعور اليمين والأعرج الشمال لأنه كان أعظم وزرائه وكان جباراً عنيداً ذا حيل وخداع وأمره أن يفتش عليها في جميع بلاد المسلمين ويشتريها ولو بملء مركب ذهباً ففتش عليها ذلك الملعون في جزائر البحار وسائر المدن فلم يقع لها على

خبر إلى أن وصل إلى مدينة اسكندرية وسأل عنها فوقع على خبرها عند نور الدين المصري فجرى له معه ما جرى وعمل عليه الحيلة حتى اشتراها منه كما ذكرنا بعد الاستدلال عليها بالمنديل الذي لا يحسن صنعته غيرها وكان قد وصى التجار واتفق معهم على خلاصها بالحيلة فلما صارت عنده مكثت في بكاء وعويل فقال لها يا سيدتي مريم خلي عنك هذا الحزن والبكاء وقومي معي إلى مدينة أبيك ومحل مملكتك ومنزل عزك ووطنك لتكوني بين خدمك وغلمانك واتركي هذا الذل وهذه الغربة ويكفي ما حصل لي من التعب والسفر من أجلك وصرف أموال فإن لي في التعب والسفر نحو سنة ونصف وقد أمرني والدك أن أشتريك ولو بملء مركب ذهباً ثم أن وزير ملك أفرنجه صار يقبل قدميها ويتخضع لها ولم يزل يكرر تقبيل يديها وقدميها ويزداد غضبها عليه كلما فعل ذلك أدباً معها وقالت له يا ملعون الله تعالى لا يبلغك ما في مرادك ثم قدم إليها الغلمان في تلك الساعة بغابة بسرج مزركش وأركبوها عليه ورفعوا فوق رأسها سحابة من حرير بعواميد من ذهب وفضة وصار الأفرنج يمشون حولها حتى طلعوا بها من باب البحر وأنزلوها في قارب صغير وصاروا يقذفون بها إلى أن وصلوها إلى المركب الكبيرة وأنزلوها فيها فعند ذلك نهض الوزير الأعور وقال لبحرية المركب ارفعوا الصاري فرفعوه من وقتهم وساعتهم ونشر والقلوع والأعلام ونشروا القطن والكتان واعملوا المقاذيف وسافرت بهم تلك المركب هذا كله ومريم تنظر ناحية اسكندرية حتى غابت عن عينها فصارت تبكي في سرها بكاء شديداً وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٤٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن مريم ألزنارية صارت تنظر إلى ناحية اسكندرية حتى غابت عن عينها فبكت وانتحبت وسكبت العبرات وأنشدت هذه الأبيات:

أيا منزل الأحب ـاب ه ـل ل ـك ع ـودة   إلين ـا وم ـا علم ـي بم ـا الله صـ ـانع
فسارت بنا سـ فن الف ـراق وأسـ ـرعت   وط ـرف ق ـريح ق ـد محت ـه الم ـدافع
الفرق ـة خ ـل ك ـان غاي ـة مقص ـدي   به يشتفي سـ قمي وتمح ـى المواج ـع
إلا ي .ـا اله .ـي ك .ـن علي .ـه خليفة .ـي   فعن . د ي . وم لا تض . يع الوداة . ـع

ولم تزل كلما تذكرته تبكي وتنوح فأقبل عليها البطارقة يلاطفونها فلم تقبل منهم كلاماً بل شغلها داعي الوجد والغرام ثم أنها سكتت وأنّت واشتكت وأنشدت هذه الأبيات:

لسان الهوى في مهجتـ ـي ل ـك ن ـاطق   يخب .ـيء عن .ـي أنن .ـي ل .ـك عاش .ـق
ولي كب ـد جم ـر اله ـوى ق ـد أذابه ـا   وقلب ـي ج ـريح م ـن فراق ـك خ ـافق
وكم أك ـتم الح ـب ال ـذي ق ـد أذابن ـي   فجفن .ـي ق .ـريح وال .ـدموع سـ .ـوابق

ولم تزل مريم على هذه الحالة لا يقر لها قرار ولا يطاوعها اصطبار مدة سفرها هذا ما كان من أمرها هي والوزير الأعور (وأما) ما كان من أمر نور الدين على المصري ابن تاج الدين فإنه بعد نزول مريم المركب وسفرها ضاقت عليه الدنيا وصار لا يقر له قرار ولا يطاوعه اصطبار فتوجه إلى القاعة التي

كان مقيماً بها هو ومريم فرآها في وجهه سوداء مظلمة ورأى العدة التي كانت تشتغل عليها الزنانير وثيابها التي كانت على جسدها فضمها إلى صدره وبكى وفاضت من جفنه العبرات وأنشد هذه الأبيات:

ترى هل يعـ ود الشـ مل بعـ د تشـ تتي — وبعـ .د ت .والي حسـ .رتي وتلفتـ .ي
فهيهات مـ ا قـ د كـ ان لـ يس براجـ ع — فيا هل ترى أحظـ ي بوصـ ل حبيبتـ ي
ويا هل تـ رى قـ د يجمـ ع الله شـ ملنا — وتـ .ذكر أحبـ .ابي وعهـ .ود مـ .ودتي
ويحفـ .ظ ودي مـ .ن بجهلـ ي أضـ .عته — ويرعى عهودي ثـ م سـ الف صـ حبتي
فمـ .ا أنـ .ا إلا ميـ .ت بعـ .د بعـ .دهم — وهل ترتضي الأحبـ اب يومـ اً منيتـ ي
فيـ ا أسـ في إن كـ ان يجحـ د تأسـ في — لقد دبت وجـ دا مـ ن تزايـ د حسـ رتي
وضاع زمـ ان كـ ان فيـ ه تواصـ لي — فيا هل تـ رى دهـ ري يجـ ود بمنيتـ ي
فيا قلب زد وجدا ويـ ا عـ ين أهملـ ي — دموعـ .اً ولا تبقـ .ى الـ دموع بمقلتـ .ي
ويـ .ا بعـ د أحبـ .ابي وفقـ .د تصـ .بري — وقـ .د قـ .ل أنصـ .اري وزادت بليتـ .ي
سـ .ألت إلـ .ه العـ .المين يجـ .ود لـ .ي — بعـ .ود حبيبـ .ي والوصـ .ال كعـ .ادتي

ثم أن نور الدين بكى بكاء شديداً ما عليه من مزيد ونظر إلى زوايا القاعة وأنشد هذين البيتين:

أرى آثارهـ . . ا فـ . . أذوب شـ . . وقاً — وأجـ .ري فـ .ي مـ .واطنهم دمـ .وعي
وأسـ أل مـ ن قضـ ى بالبعـ د عـ نهم — يمـ . ن علـ . ي يومـ . اً بـ . الرجوع

ثم أن نور الدين نهض من وقته وساعته وقفل باب الدار وخرج يجري إلى البحر وصار يتأمل في موضع المركب التي سافرت بمريم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٤٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن نور الدين لما خرج يجري إلى البحر صارا يتأمل في موضع المركب التي سافرت بمريم ثم بكى وصعد الزفرات وأنشد هذه الأبيات:

سلام عليكم لـ يس لـ ي عـ نكم غنـ ى — وأني على الحالين في القـ رب والبعـ د
أمـ .ن إلـ .يكم كـ .ل وقـ .ت وسـ .اعة — وأشتاقكم شوق العطـ اش إلـ ى الـ ورد
وعنـ .دكم سـ .معي ولبـ .ي ونـ .اظري — وتـ ذكاركم عنـ دي ألـ ذ مـ ن الشـ هد
فيـ .ا أسـ .في لمـ .ا اسـ .تلفت ركـ .ابكم — وحادت بكم تلك السفينة عـ ن قصـ دي

ثم أن نور الدين ناح وبكى وأنّ واشتكى ونادى يا مريم يا مريم هل كانت رؤيتي لك في المنام أم أضغاث أحلام فبينما نور الدين على هذه الحالة يبكي ويقول يا مريم يا مريم وإذا بشيخ قد طلع من مركب وأقبل عليه فرآه يبكي وينشد هذين البيتين:

يا مريم الحسن عـ ودي أن لـ ي مقـ لا — سحائب المزن تجـ ري مـ ن سـ واكبها
واستخبري عـ ذلي دون الأنـ ام تـ رى — أجفان عينـ ي غرقـ ى فـ ي كواكبهـ ا

فقال الشيخ يا ولدي كأنك تبكي على الجارية التي سافرت البارحة مع الأفرنجي فلما سمع نور الدين كلام الشيخ خر مغشياً عليه ساعة زمانية ثم أفاق وبكى بكاء شديداً ما عليه من مزيد وأنشد هذه الأبيات:

فهل بعد هذا البعـ ـد يرجـ ـى وصـ ـالها ... ولـ ـذة أنسـ ـى قـ ـد يعـ ـود كمـ ـا لهـ ـا
فـ .إن فـ .ي قلبـ .ي لوعـ .ة وصـ .بابة ... ويزعجني قبـ ـل الوشـ ـاة وقـ ـال لهـ ـا
أقـ . يم نهـ . ـاري باهتـ . ـا متحيـ . ـراً ... وفي الليل أرجـ ـو أن يـ ـزور خيالهـ ـا
فو الله لا أسـ ـلو عـ ـن العشـ ـق سـ ـاعة ... وكيف ونفسـ ـي فـ ـي الوشـ ـاة ملالهـ ـا
منعمـ ـة الأطـ ـراف مهضـ ـومة الحشـ ـا ... لها مقلـ ـة فـ ـي القلـ ـب منـ ـي نبالهـ ـا
يحاكي قضيب البان في الروض قـ ـدها ... ويخجل ضوء الشمس حسـ ـناً جمالهـ ـا
ولـ . ولا أخـ . ـاف الله جـ . ـل جلالـ . ـه ... لقلـ ـت لـ ـذات الحسـ ـن جـ ـل جلالهـ ـا

فلما نظر ذلك الشيخ إلى نور الدين ورأى جماله وقده واعتداله وفصاحة لسانه ولطف أفتنانه حزن قلبه عليه ورق لحاله وكان ذلك الشيخ رئيس مركب مسافرة إلى مدينة تلك الجارية وفيها مائة تاجر من تجار المسلمين المؤمنين فقال له اصبر ولا يكون الأخير فإن شاء الله سبحانه وتعالى أوصلك إليها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٤٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشيخ الريس لما قال لنور الدين أنا أوصلك إليها إن شاء الله تعالى قال له نور الدين متى السفر قال الريس بعد ثلاثة أيام نسافر في خير وسلامة فلما سمع نور الدين كلام الريس فرح فرحاً شديداً وشكر فضله وإحسانه ثم أن نور الدين طلع من وقته وساعته وتوجه إلى السوق وأخذ منه جميع ما يحتاج إليه من الزاد وأدوات السفر وأقبل على ذلك الريس فلما رآه قال يا ولدي ما هذا الذي معك قال زوادتي وما أحتاج إليه في السفر فضحك الريس من كلامه وقال له يا ولدي هل أنت رائح تتفرج على عمود السواري أن بينك وبين مقصدك مسيرة شهرين إذا طاب الريح وصفت الأوقات ثم أن ذلك الشيخ أخذ من نور الدين شيئاً من الدراهم وطلع إلى السوق واشترى له جميع ما يحتاج إليه في السفر على قدر كفايته وملأ له بنية ماء حلو ثم أقام نور الدين في المركب ثلاثة أيام إلى أن تجهز التجار وقضوا مصالحهم ونزلوا في المركب ثم حل الريس قلوعها وساروا مدة إحدى وخمسين يوماً وبعد ذلك خرج عليهم القرصان قطاع الطريق فنهبوا المركب وأسروا جميع من فيها وأتوا بهم إلى مدينة أفرنجة وعرضوهم على الملك وكان نور الدين من جملتهم فأمر الملك بحبسهم وفي وقت نزولهم من عند الملك إلى الحبس وصل الغراب الذي فيه الملكة مريم الزنارية مع الوزير الأعور فلما وصل الغراب إلى المدينة طلع الوزير إلى الملك وبشره بوصول ابنته مريم الزنارية سالمة فدقوا البشائر وزينوا المدينة بأحسن زينة وركب الملك في جميع عسكره وأرباب دولته وتوجهوا إلى البحر ليقابلوها فلما وصلت المركب طلعت ابنته مريم فعانقها وسلم عليها وسلمت عليه وقدم لها جواد فركبته فلما وصلت إلى القصر قابلتها أمها وعانقتها وسلمت عليها وسألتها عن حالها وهل هي بكر مثل ما كانت عندهم سابقاً أم صارت امرأة ثيباً وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٤٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أم مريم لما سألتها عن حالها وهل هي ثيباً أم بكراً فقالت لها مريم يا أمي بعد أن يباع الإنسان في بلاد المسلمين من تاجر إلى تاجر يصير محكوماً عليه كيف يبقى بنتاً بكراً أن التاجر الذي اشتراني هددني بالضرب وأكرهني وأزال بكارتي وباعني لآخر وآخر باعني لآخر فلما سمعت أمها منها ذلك الكلام صار الضياء في وجهها ظلاماً ثم أعادت على أبيها هذا الكلام فصعب ذلك عليه وعظم أمرها لديه وعرض حالها على أرباب دولته وبطارقته فقالوا له أيها الملك إنها تنجست من المسلمين وما يطهرها إلا ضرب مائة رقبة من المسلمين وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٤٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الرهبان قالوا ما يطهرها إلا ضرب مائة رقبة من المسلمين فعند ذلك أمر بإحضار الأسارى الذين في الحبس فأحضروهم جميعاً بين يديه ومن جملتهم نور الدين فأمر الملك بضرب رقابهم فأول من ضربوا رقبته ريس المركب ثم ضربوا رقاب التجار واحداً بعد واحداً حتى لم يبق إلا نورالدين فشرطوا ذيله وعصبوا عينيه وقدموه إلى نطع الدم وأرادوا أن يضربوا رقبته وإذا بامرأة عجوزاً قبلت على الملك في تلك الساعة وقالت له يا مولاي أنت كنت نذرت لكل كنيسة خمسة أسارى من المسلمين أن ردّ الله بنتك مريم لأجل أن تساعدوا في خدمتها والآن قد وصلت إليك بنتك السيدة مريم فاوف بنذرك الذي نذرته فقال لها الملك يا أمي وحق المسيح والدين الصحيح لم يبق عندي من الأسارى غير هذا الأسير الذي يريدون قتله فخذيه معك يساعدك في خدمة الكنيسة إلى أن يأتي إلينا أسارى من المسلمين فأرسل إليك أربعة آخرين ولو كنت سبقت قبل أن يضربوا رقاب هؤلاء الأسارى لأعطيناك كل ما تريدينه فشكرت العجوز صنيع الملك ودعت له بدوام العز والبقاء والنعم ثم تقدمت العجوز من وقتها وساعتها إلى نور الدين وأخرجته من نطع الدم ونظرت إليه فرأته شاباً لطيفاً ظريفاً رقيق البشرة ووجهه كأنه البدر إذا بدر في ليلة أربعة عشر فأخذته ومضت به إلى الكنيسة وقالت له يا ولدي أقلع ثيابك التي عليك فإنها لا تصلح إلا لخدمة السلطان ثم أن العجوز جاءت لنور الدين بجبة من صوف أسود ومئزر من صوف أسود وسير عريض فألبسته تلك الجبة وعممته بالمئزر وشدت وسطه بالسير وأمرته أن يخدم الكنيسة مدة سبعة أيام فبينما هو كذلك وإذا بتلك العجوز قد أقبلت عليه وقالت له يا مسلم خذ ثيابك الحرير وألبسها وخذ هذه العشرة دراهم وأخرج في هذه الساعة تفرج في هذا اليوم ولا تقف هنا ساعة واحدة لئلا تروح روحك فقال لها نور الدين يا أمي أي شيء الخبر فقالت له العجوز اعلم يا ولدي أن بنت الملك السيدة مريم الزنارية تريد أن تدخل الكنيسة في هذا الوقت لأجل أن تزورها وتتبرك بها وتقرب لها قرباناً حلاوة السلامة بسبب خلاصها من بلاد المسلمين وتوفى لها النذور التي نذرتها بعد أن نجاها المسيح ومعها أربعمائة بنت ما واحدة منهن إلا كاملة في الحسن والجمال ومن جملتهن بنت الوزير وبنات الأمراء وأرباب الدولة وفي هذه الساعة يحضرون وربما يقع نظرهن عليك في هذه الكنيسة فيقطعنك بالسيف فعند ذلك أخذ نور الدين من العجوز العشرة دراهم بعد أن لبس ثيابه وخرج إلى السوق وصار يتفرج في شوارع المدينة حتى عرف جهاتها وأبوابها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٥٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن نور الدين لما لبس ثيابه أخذ العشرة دراهم من العجوز ثم خرج إلى السوق وغاب ساعة حتى عرف جهات المدينة ثم رجع إلى الكنيسة فرأى مريم الزنارية بنت ملك أفرنجة قد أقبلت على الكنيسة ومعها أربعمائة بنت نهد أبكار كأنهن الأقمار ومن جملتهن بنت الوزير الأعور وبنات الأمراء وأرباب الدولة وهي تمشي بينهن كأنها القمر به النجوم فلما وقع نظر نور الدين عليها لم يتمالك نفسه بل صرخ من صميم قلبه وقال يا مريم يا مريم فلما سمع البنات صياح نور الدين وهو ينادي يا مريم هجمن عليه وجردن بيض الصفاح مثل الصواعق وأردن قتله في تلك الساعة فالتفتت إليه مريم وتأملته فعرفته غاية المعرفة فقالت للبنات اتركن هذا الشاب فإنه مجنون بلا شك لأن علامة الجنون لائحة على وجهه فلما سمع نور الدين من السيدة مريم هذا الكلام كشف رأسه وحملق عينيه وأشاح بيديه وعوج رجليه وأخرج الزبد من فيه وشدقيه فقالت لهن السيدة مريم أما قلت لكن إن هذا مجنون أحضر به عندي وابعدن عنه حتى أسمع ما يقول فأني أعرف كلام العرب وأنظر حاله وهل داء جنونه يقبل المداواة أم لا فعند ذلك حملته البنات وجئن به بين يديها ثم بعدن عنه فقالت له هل جئت إلى هنا من أجلي وخاطرت بنفسك وعملت نفسك مجنوناً فقال لها نور الدين يا سيدتي أما سمعت قول الشاعر:

قالوا جننت بمـ ن تهـ وى فقلـ ـت لهـ م　　　　مـ . ا لـ . ذة العـ . يش إلا للمجـ . انين
هاتوا جنوني وهاتوا مـ ن جنـ ـت بـ ـه　　　　فـ .إن وفـ .ى بجـ .وني لا تلومـ .وني

فقالت له مريم والله يا نور الدين أنك الجاني على نفسك فإني حذرتك من هذا قبل وقوعه فلم تقبل قولي وتبعت هوى نفسك وأنا ما أخبرتك لا من باب الكشف ولا من باب الفراسة ولا من باب الرؤية في المنام وإنما هو من باب المشاهدة والعيان لأني رأيت الوزير الأعور فعرفت أنه ما دخل في هذه البلدة إلا في طلبي فقال لها نور الدين يا سيدتي مريم نعوذ بالله من إزالة العقل ثم تزايد بنور الدين الحال فأنشد هذا المقال:

هب لي جناية مـ ن زلـ ـت بـ ـه القـ ـدم　　　　قد يشـ ـمل العبـ ـد مـ ن سـ ـاداته كـ ـرم
حسب المسـ ـيء بـ ـذنب مـ ن جنايتـ ـه　　　　فـ .رط الندامـ .ة إذ لا ينفـ .ع النـ .دم
فعلت مـ ـا يقتضـ ـي التأديـ ـب معترفـ ـاً　　　　فـ ـأين مـ ـا يقتضـ ـيه العفـ ـو والكـ .رم

ولم يزل نور الدين هو والسيدة مريم الزنارية في عتاب يطول شرحه وكل منهما يحكي لصاحبه ما جرى له وينشدان الأشعار ودموعها تجري على خدودهما شبه البحار ويشكوان لبعضهما شدة الهوى والضيم و الوحدة والجوي إلى أن لم يبق لأحدهما قوة على الكلام وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٥١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن نور الدين والسيدة مريم شكا لبعضهما ما جرى لهما عند فراقهما وما هما عليه من شدة الهوى إلى أن لم يبق لأحدهما قوة على الكلام وكان النهار قد ولّى وأقبل الظلام وكان على السيدة مريم حلة خضراء مزركشة بالذهب الأحمر مرصعة بالدر والجوهر فزاد حسنها وجمالها وظرف

معانيها فعند ذلك قبلت السيدة مريم على البنات وقالت لهن هل أغلقن الباب فقلن لها قد أغلقناه فعند ذلك أخذت السيدة مريم البنات وأتت بهن إلى مكان يقال له مكان السيدة مريم العذراء أم النور لأن النصارى يزعمون أن روحانيتها وسرها في ذلك المكان فصار البنات يتبركن به ويطفن في الكنيسة كلها ولما فرغن من زيارتها التفتت السيدة مريم اليهن وقالت لهن أني أريد أن أدخل وحدي في هذه الكنيسة وأتبرك بها فإنه حصل لي اشتياق إليها بسبب طول غيبتي في بلاد المسلمين وأما أنتن فحيث فرغتن من الزيارة فنمن حيث شئتن فقلن لها حباً وكرامة افعلي أنت ما تريدينه ثم أنهن تفرقن عنها في الكنيسة ونمن فعند ذلك استغفلتهن مريم وقامت تفتش على نور الدين فرأته في ناحية جالساً على مقالي الجمر وهو في انتظارها فلما أقبلت عليه قام لها على قدميه وقبل يديها فجلست وأجلسته في جانبها ثم نزعت ما كان عليها من الحلي والحلل ونقيس القماش وضمت نور الدين إلى صدرها وجعلته في حضنها ولم تزل هي وإياه في بوس وعناق ونغمات خاق باق وهما يقولان ما أقصر ليل التلاق وما أطول يوم الفراق وينشدان قول الشاعر:

يـ .ـا ليلـ .ـة الوصـ .ـل وبكـ .ـر الـ .ـدهر لاذ . .ـت غ . .ـرة الليـ . .ـالي الغ . .ـر

فجـ .ـأتني بالصـ .ـبح وقـ .ـت العصـ .ـر هل كنت كحـ ـلاً فـ ـي عيـ ـون الفجـ ـر

وقول الآخر:

أو كنـ .ـت نومـ .ـاً فـ .ـي عيـ .ـون رمـ .ـد يـ .ـا ليلـ .ـة الهجـ .ـر ومـ .ـا أصـ .ـولها

آخرهـ . . .ـا مواصـ . . .ـل أولهـ . . .ـا كحلقـ . ـة مفرغـ . ـة مـ . ـا أن لهـ . ـا

وقول الآخر:

مـ ـن طـ ـرف والحشـ ـر أيضـ ـاً قبلهـ ـا فالصـ ـب بعـ ـد البعـ ـث ميـ ـت الصـ ـد

فبينما هما في هذه اللذة العظيمة والفرحة العميمة وإذا بغلام من الغلمان النفيسة يضرب الناقوس فوق سطح الكنيسة ليقيم من عادتهم الشعائر وهو كما قال الشاعر:

رأيتـ ـه يضـ ـرب النـ ـاقوس قلـ ـت لـ ـه من علـ ـم الظبـ ـي ضـ ـرباً بـ ـالنواقيس

وقلت للنفس أي الضرب أحسـ ـن هـ ـل ضـرب النواقيس أم ضرب النوى قيسي

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٥٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن مريم الزنارية ما زالت هي ونور الدين في لذة وطرب إلى أن طلع الغلام النواقيسي فوق سطح الكنيسة وضرب الناقوس فقامت من وقتها وساعتها ولبست ثيابها وحليها فشق ذلك على نور الدين وتكدر وقته فبكى وسكب العبرات وأنشد هذه الأبيات:

لازلـ . ـت ألـ . ـثم ورد خـ . ـد غـ . ـض واعـ .ـض ذاك مبالغـ .ـاً فـ .ـي العـ .ـض

حتـ . ـى إذا ظننـ . ـا ونـ . ـام رقيبنـ . ـا وعيونـ .ـه مالـ .ـت لنحـ .ـو الغمـ .ـض

ضـ . ـربت نـ . ـواقيس تنبـ . ـه أهلهـ . ـا كمـ .ـؤذن يـ .ـدعو صـ .ـلاة الفـ .ـرض

قامـ .ـت علـ .ـى عجـ .ـل للـ .ـبس ثيابهـ .ـا مـ ـن خـ ـوف نجـ ـم رقيبنـ ـا المـ ـنقض

وتقـ ـول يـ ـا سـ ـؤلي وياكـ ـل المنـ ـى   جـ ـ ـاء الصـ ـ باح بوجـ ـ ـه المبـ ـ يض
أقسـ ـمت لـ ـو أعطيـ ـت يـ ـوم ولايـ ـة   وبقيـ ـ ـت سـ ـ لطاناً شـ ـ ديد القـ ـ بض
لـه ـ دمت أركـ ـ ـان الكنـ ـ ائس كلهـ ـ ـا   وقتلـ ـت كـ ـل مقسـ ـس فـ ـي الأرض

ثم أن السيدة مريم ضمت نور الدين إلى صدرها وقبّلت خده وقالت له يا نور الدين كم يوماً لك في هذه المدينة فقال سبعة أيام فقالت له هل سرت في هذه المدينة وعرفت طرقها ومخارجها وأبوابها التي من ناحية البر والبحر قال نعم قالت وهل تعرف طريق صندوق النذر الذي في الكنيسة قال نعم قالت له حيث كنت تعرف ذلك كله إذا كانت الليلة القابلة ومضى ثلث الليل الأول فاذهب في تلك الساعة إلى صندوق النذر وخذ منه ما تريد وتشتهي وافتح باب الكنيسة الذي فيه الخوخة التي توصل إلى البحر فإنك تجد سفينة صغيرة فيها عشرة رجال بحرية فمتى رآك الريس يمد يديه إليك فناوله يدك فإنه يطلعك في السفينة فاقعد عنده حتى أجيء إليك والحذر ثم الحذر من أن يلحقك النوم في تلك الليلة فتندم حيث لا ينفعك الندم ثم أن السيدة مريم ودعت نور الدين وخرجت من عنده في تلك الساعة ونبهت جواريها وسائر البنات من نومهن وأخذتهن وأتت إلى باب الكنيسة ودقته ففتحت العجوز الباب فلما طلعت منه رأت الخدام والبطارقة وقوفاً فقدموا لها بغلة فركبتها وأرخوا عليها ناموسية من الحرير وأخذ البطارقة بزمام البغلة ووراءها البنات واحتاط بها الجاويشية وبأيديهم السيوف مسلولة وساروا بها إلى أن وصلوا إلى قصر أبيها هذا ما كان من أمر مريم الزنارية (وأما) ما كان من أمر نور الدين فإنه لم يزل مختفياً وراء الستارة التي كان مستتراً خلفها هو ومريم إلى أن طلع النهار وانفتح باب الكنيسة وكثرت الناس فيها فاختلط بالناس وجاء إلى تلك العجوز قيمة الكنيسة فقالت له أين كنت راقداً في هذه الليلة قال في محل داخل المدينة كما أمرتيني فقالت العجوز أنك فعلت الصواب يا ولدي ولو كنت بت الليلة في الكنيسة كانت قتلتك أقبح قتلة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٥٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العجوز لما قالت لنور الدين لو كنت بت الليلة في الكنيسة كانت قتلتك أقبح قتلة فقال لها نور الدين الحمد لله الذي نجاني من شر هذه الليلة ولم يزل نور الدين يقضي شغله في الكنيسة إلى أن مضى النهار وأقبل الليل بدياجي الاعتكار فقام نور الدين وفتح صندوق النذر وأخذ منه ما خف حمله وغلا ثمنه من الجواهر ثم صبر إلى أن مضى ثلث الليل الأول وقام ومشى إلى باب الخوخة التي توصل إلى البحر وهو يطلب الستر من الله ولم يزل يمشي إلى أن وصل إلى الباب وفتحه وخرج من تلك الخوخة وراح إلى البحر فوجد السفينة رأسية على شاطيء البحر بجوار الباب ووجد الريس شيخاً كبيراً ظريفاً لحيته طويلة وهو واقف في وسطها على رجليه والعشرة رجال واقفون قدامه فناوله نور الدين يده كما أمرته مريم فأخذه من يده وجذبه فصار في وسط السفينة فعند ذلك صاح الشيخ الريس على البحرية وقال لهم أقلعوا مرساة السفينة من البر وعوموا بنا قبل أن يطلع النهار فقال واحد من العشرة البحرية يا سيدي الريس كيف نعوم والملك أخبرنا أنه في غد يركب السفينة في هذا البحر ليطلع على ما فيه لأنه خائف على أبنته مريم من سراق المسلمين فصاح عليهم الريس وقال لهم ويلكم يا ملاعين هل بلغ من أمركم أنكم تخالفونني وتردون كلامي ثم أن الريس سل سيفه من غمده وضرب به ذلك المتكلم على عنقه فخرج السيف يلمع من

رقبته فقال واحد وأي شيء عمل صاحبنا من الذنوب حتى تضرب رقبته فمد يده إلى السيف وضرب به عنق هذا المتكلم ولم يزل ذلك الريس يضرب أعناق البحرية واحداً بعد واحد حتى قتل العشرة ورماهم على شاطيء البحر ثم التفت إلى نور الدين وصاح عليه صيحة عظيمة أرعبته وقال له انزل اقلع الوتد فخاف نور الدين من ضرب السيف ونهض قائماً ووثب إلى البر وقلع الوتد ثم طلع في السفينة أسرع من البرق الخاطف وصار الريس يقول له أفعل كذا وكذا ودور كذا وكذا وانظر في النجوم ونور الدين يفعل جميع ما يأمره به الريس وقلبه خائف مرعوب ثم رفع شراع المركب وسارت بهما في البحر العجاج المتلاطم بالأمواج. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٥٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشيخ الريس لما رفع شراع المركب توجه بالمركب هو ونور الدين في البحر العجاج وقد طاب لهما الريح كل ذلك ونور الدين ماسك بيده الراجع وهو غريق في بحر الأفكار ولم يزل مستغرقاً في الفكر ولم يعلم بما هو مخبوء له في الغيب وكلما نظر إلى الريس أرتعب قلبه ولم يعلم بالجهة التي يتوجه إليها الريس بل صار مشغولاً في فكر ووسواس إلى أن أضحى النهار فعند ذلك نظر نور الدين إلى الريس فرآه قد أخذ لحيته الطويلة بيده وجذبها فطلعت من موضعها في يده وتأملها نور الدين فوجدها لحية كانت ملصقة زور ثم تأمل نور الدين في ذات الريس ودقق نظره فيها فرآها السيدة مريم معشوقته ومحبوبة قلبه وكانت قد تحيّلت بتلك الحيلة حتى قتلت الريس وسلخت وجهه بلحيته وأخذت جلده وركبته على وجهها فتعجب نور الدين من فعلها وشجاعتها ومن قوة قلبها وطار عقله من الفرح واتسع صدره وانشرح وقال لها مرحباً يا منيتي وسؤلي وغاية مطلبي وكانت السيدة مريم قوية القلب تعرف بأحوال سير المراكب في البحر المالح وتعرف الأهواء واختلافها وتعرف جميع طرق البحر فقال لها نور الدين والله يا سيدتي لو اطلت على هذا الأمر لمت من شدة الخوف والفزع خصوصاً من نار الوجد والاشتياق وأليم عذاب الفراق فضحكت من كلامه وقامت من وقتها وساعتها وأخرجت شيئاً من المأكول والمشروب فأكلوا وشربوا وتلذذوا وطربوا وبعد ذلك أخرجت من اليواقيت والجواهر وأصناف المعادن والذخائر الغالية وأنواع الذهب والفضة ما خف حمله وغلا ثمنه من الذي جاءت به وأخذته من قصر أبيها وخزائنه وعرضت ذلك على نور الدين ففرح به غاية الفرح كل ذلك والريح معتدل والمركب سائرة ولم يزالوا سائرين حتى أشرفوا على مدينة اسكندرية وشاهدوا أعلامها القديمة والجديدة وشاهدوا عمود السواري فلما وصلوا إلى المينا طلع نور الدين من وقته وساعته على تلك السفينة وربطها في حجر من أحجار القصارين وأخذ معه شيئاً من الذخائر التي جاءت بها الجارية معها وقال للسيدة مريم أقعدي يا سيدتي في السفينة حتى اطلع بك إلى اسكندرية مثل ما أحب واشتهى فقالت له ولكن ينبغي أن يكون ذلك بسرعة لأن التراخي في الأمور يورث الندامة فقال لها ما عندي تراخ فقعدت مريم في السفينة وتوجه نور الدين إلى بيت العطار صاحب أبيه ليستعير لها من زوجته نقاباً وحبرة وخفا وإزاراً كسادة اسكندرية ولم يعلم بما لم يكن له في حساب من تصرفات الدهر صاحب العجب العجاب هذا ما كان من أمر نور الدين ومريم الزنارية (وأما) ما كان من أمر أبيها ملك أفرنجة فإنه لما أصبح الصباح تفقد ابنته مريم فلم يجدها فسأل عنها من جواريها وخدمها فقالوا له

يا مولانا أنها خرجت بالليل واراحت إلى الكنيسة وبعد ذلك لم نعرف لها خبراً فبينما الملك يتحدث مع الجواري والخدم في تلك الساعة وإذا بصرختين عظيمتين تحت القصر دوّى لهما المكان فقال الملك ما الخبر فقالوا له أيها الملك أنه وجد عشرة رجال مقتولون على ساحل البحر وسفينة الملك قد فقدت ورأينا باب الخوخة الذي في الكنيسة من جهة البحر مفتوحاً والأسير الذي كان في الكنيسة يخدمها قد فقد فقال الملك أن كانت سفينتي التي في البحر فقدت فبنتي مريم فيها بلاشك ولا ريب وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٥٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن ملك أفرنجة لما فقدت ابنته مريم جاءوا له بالخبر وقالوا له أن سفينتك فقدت فقال أن كانت سفينتي قد فقدت فابنتي مريم فيها بلا شك ولا ريب ثم أن الملك دعا من وقته وساعته بريس المينة وقال له وحق المسيح والدين الصحيح إن لم تلحق سفينتي في هذه الساعة بعسكر وتأتيني بها وبمن فيها لاقتلنك أشنع قتلة وأمثل بك أشنع مثلة ثم صرخ عليه الملك فخرج من بين يديه وهو يرتعد وطلب العجوز من الكنيسة وقال لها ما كنت تسمعين من الأسير الذي كان عندك في شأن بلاده ومنأي البلاد هو فقالت له كان يقول أنا من مدينة اسكندرية فلما سمع الريس كلام العجوز رجع من وقته وساعته إلى المينا وصاح على البحرية وقال لهم تجهزوا وحلّوا القلوع ففعلوا ما أمرهم به وسافروا ولم يزالوا مسافرين ليلاً ونهاراً حتى أشرفوا على مدينة اسكندرية في الساعة التي طلع فيها نور الدين من السفينة وترك فيها السيدة مريم وكان من جملة الأفرنج الوزير الأعور الأعرج الذي كان اشتراها من نور الدين فرأوا السفينة مربوطة فعرفوها فربطوا مركبهم بعيداً عنها وأتوا إليها في مركب صغيرة من مراكبهم تعوم على ذراعين من الماء وفي تلك المركب مائة مقاتل ومن جملتهم الوزير الأعور الأعرج لأنه كان جباراً عنيداً وشيطاناً مريداً ولصاً محتالاً لا يقدر أحد على احتياله يشبه أبا محمد البطال ولم يزالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى تلك السفينة فهجموا عليها وحملوا حمله واحدة فلم يجدوا فيها أحداً إلا السيدة مريم فأخذوها هي والسفينة التي هي فيها بعد أن طلعوا على الشاطيء وأقاموا زمناً طويلاً ثم عادوا من وقتهم وساعتهم إلى مراكبهم وقد فازوا ببغيتهم من غير قتال ولا شهر سلاح ورجعوا قاصدين بلاد الروم وسافروا وقد طاب لهم الريح ولم يزالوا مسافرين على حماية إلى أن وصلوا إلى مدينة أفرنجة وطلعوا بالسيدة مريم إلى أبيها وهو في تخت مملكته وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٥٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الأفرنج لما طلعوا بالسيدة مريم إلى أبيها وهو على تخت مملكته فلما نظر إليها أبوها قال لها ويلك يا خائنة كيف تركت دين الآباء والأجداد وحصن المسيح الذي عليه الاعتماد وأتبعت دين الإسلام الذي قام بالسيف على رغم الصليب والأصنام فقالت له مريم أنا مالي ذنب لأني خرجت في الليل إلى الكنيسة لا زور السيدة مريم واتبرك بها فبينما أنا في غفلة وإذا بسراق المسلمين قد هجموا عليّ ومدّوا فمي وشدّوا وثاقي وحطّوني في السفينة وسافروا بي إلى بلادهم فخادعتهم وتكلمت معهم في دينهم إلى أن فكوا وثاقي وما صدقت أن رجالك. أدركوني وخلصوني وأنا وحق المسيح والدين الصحيح

وحق الصليب ومن صلب عليه قد فرحت بفكاكي من أيديهم غاية الفرح واتسع صدري وانشرح حيث خلصت من أسر المسلمين فقال لها أبوها كذبت يا فاجرة يا عاهرة وحق ما في محكم الإنجيل من منزل التحريم والتحليل لابد لي من أن أقتلك أقبح قتلة وأمثل بك أشنع مثلة أما كفاك الذي فعلتيه في الأول ودخل علينا محالك حتى رجعت إلينا بهتانك ثم أن الملك أمر بقتلها وصلبها على باب القصر فدخل عليه الوزير الأعور في تلك الساعة وكان مغرماً بحبها قديماً وقال له أيها الملك لا تقتلها وزوجني بها وأنا أحرص عليها غاية الحرص وما أدخل عليها حتى أبني لها قصراً من الحجر الجلمود وأعلي بنيانه حتى لا يستطيع أحد من السارقين الصعود على سطحه وإذا فرغت من بنيانه ذبحت على بابه ثلاثين من المسلمين وأجعلهم قرباناً للمسيح عني وعنها فانعم عليه الملك بزواجها وأذن للقسيسين والرهبان والبطارقة أن يزوجوها له فزوجوها للوزير الأعور أذن أن يشرعوا لها في بنيان قصر مشيد يليق بها فشرعت العمال في العمل هذا ما كان من أمر الملكة مريم وأبيها والوزير الأعور (وأما) ما كان من أمر نور الدين والشيخ العطار فإن نور الدين لما توجه إلى العطار صاحب أبيه استعار من زوجته أزارا وخفا وثياباً كثياب نساء اسكندرية ورجع بها إلى البحر وقصد السفينة التي فيها السيدة مريم فوجد الجو قفرا والمزار بعيد وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٥٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن نور الدين لما رجع إلى البحر وجد الجو قفر والمزار بعيد صار قلبه حزيناً فبكى بدموع متواتره وأنشد قول الشاعر:

سرى طيف سعدي طارق ـاً فاسـ تفزني سحيراً وصـ حبي فـ ـي الفـ ـلاة رقـ ـود
فلمـ ـا انتبهنـ ـا للخيـ ـال الـ ـذي سـ ـرى أرى الجـ .و قفـ .را والمـ .زار بعيـ .د

فمشي نور الدين على شاطيء البحر يتلفت يميناً وشمالاً فرأي ناسا مجتمعين على الشاطيء وهم يقولون يا مسلمين ما بقي لمدينة اسكندرية حرمة حتى صار الأفرنج يدخلونها ويخطفون من فيها ويعودون إلى بلادهم على هينة ولا يخرج وراءهم أحد من المسلمين ولا من العساكر المغازين فقال لهم نور الدين ما الخبر فقالوا إله يا ولدي أن مركباً من مراكب الأفرنج فيها عساكر هجموا في تلك الساعة على تلك المدينة وأخذوا سفينة كانت راسية هنا بمن فيها وراحوا على حماية إلى بلادهم فلما سمع نور الدين كلامهم وقع مغشياً عليه فلما أفاق سألوه عن قضيته فأخبرهم بخبره من الأول إلى الآخر فلما فهموا خبره صار كل منهم يشتمه ويسبه ويقول له لأي شيء ما تخرجها إلا بإزار ونقاب وسار كل واحد من الناس يقول له كلاماً مؤلما ومنهم من يقول خليه في حاله يكفيه ما جرى له وصار كل واحد يوجعه بالكلام ويرميه بسهام الملام حتى وقع مغشياً عليه فبينما الناس مع نور الدين على تلك الحالة وإذا بالشيخ العطار مقبلاً فرأى الناس مجتمعين فتوجه إليهم ليعرف الخبر فرأى نور الدين راقداً بينهم وهو مغشي عليه فقعد عند رأسه ونبهه فلما أفاق قال له يا ولدي ما هذا الذي أنت فيه فقال له يا عم أن الجارية التي كانت راحت مني قد جئت بها من مدينة أبيها في مركب وقاسيت ما قاسيت في المجيء بها فلما وصلت بها إلى هذه المدينة ربطت السفينة في البر وتركت

الجارية فيها وذهبت إلى منزلك وأخذت من زوجتك مصالح للجارية لأطلعها بها إلى المدينة فجاء الأفرنج وأخذوا السفينة والجارية فيها وراحوا على حماية حتى وصلوا إلى مراكبهم فلما سمع الشيخ العطار من نور الدين هذا الكلام صار الضياء في وجه ظلام وتأسف على نور الدين تأسفاً عظيماً وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٥٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العطار لما تأسف على ما جرى لنور الدين وقال له يا ولدي لأي شيء ما أخرجتها من السفينة إلى المدينة من غير أزار ولكن في هذا الوقت ما ينفع الكلام قم يا ولدي واطلع معي إلى المدينة لعل الله يرزقك بجارية أحسن منها فتتسلى بها عنها والحمد لله الذي ما خسرك فيها شيئاً بل حصل لك الربح فيها واعلم يا ولدي أن الاتصال والانفصال بيد الملك المتعال فقال له نور الدين والله يا عم أني ما أقدر أن أسلوها به ولا أترك طلبها ولو سقيت من أجلها كأس الردى فقال له العطار يا ولدي وأي شيء في ضميرك تريد أن تفعله فقال له نويت أن أرجع إلى بلاد الروم وأدخل إلى مدينة أفرنجه وأخاطر بنفسي فإما عليها وإما لها فقال له يا ولدي إن في الأمثال السائرة ما كل مرة تسلم الجرة وإن كانوا ما فعلوا بك في المرة الأولى شيئاً ربما يقتلونك في هذه المرة لا سيما وقد عرفوك حق المعرفة فقال نور الدين يا عم دعني أسافر وأقتل في هواها سريعاً ولا أقتل بتركها صبراً وتحسيراً وكان بمصادفة القدر مركب راسية في المينا مجهزة للسفر وركابها قضت جميع أشغالها وفي تلك الساعة قلعوا أوتادها فنزل فيها نور الدين وسافرت تلك المركب مدة أيام وصاب لركابها الوقت والريح فبينما هم سائرون وإذا بمركب من مراكب الأفرنج دائرة في البحر العجاج لا يرون مركباً إلا يأسرنها خوفاً على بنت الملك من سراق المسلمين وإذا أخذوا مركباً يوصلون جميع من فيها إلى ملك أفرنجة فيذبحهم ويوفي بهم نذره الذي كان نذره من أجل ابنته مريم فرأوا المركب التي فيها نور الدين فأسروها وأخذوا كل من كان فيها وأتوا بهم إلى الملك أبي مريم فلما أوقفوهم بين يديه وجدهم مائة رجل من المسلمين فأمر بذبحهم في الوقت والساعة ومن جملتهم نور الدين فذبحوهم كلهم ولم يبق منهم غير نور الدين وكان الجلاد قد أخرّه شفقة عليه لصغر سنه ورشاقة قده فلما رآه الملك عرفه حق المعرفة فقال أما أنت نور الدين الذي كنت عندنا في المرة الأولى قبل هذه المرة فقال له ما كنت وليس اسمي نور الدين وإنما اسمي إبراهيم فقال له الملك تكذب بل أنت نور الدين الذي وهبتك للعجوز القيمة على الكنيسة لتساعدها في خدمة الكنيسة فقال نور الدين يا مولاي أنا اسمي إبراهيم فقال له الملك إن العجوز قيمة الكنيسة إذا حضرت ونظرتك تعرف هل أنت نور الدين أو غيره فبينما هم في الكلام وإذا بالوزير الأعور الذي تزوج بنت الملك قد دخل في تلك الساعة وقبل الأرض بين أيادي الملك وقال له أيها الملك أعلم أن القصر قد فرغ بنيانه وأنت تعرف أني نذرت للمسيح إذا فرغت من بنياته أن أذبح على بابه ثلاثين من المسلمين وقد أتيتك لآخذ من عندك ثلاثين مسلماً فأذبحهم وأوفى بهم نذر المسيح ويكونوا في ذمتي على سبيل القرض ومتى جاءني أسارى أعطيتك بدلهم فقال الملك وحق المسيح والدين الصحيح ما بقى عندي غير هذا الأسير وأشار إلى نور الدين وقال له خذه وأذبحه في هذه الساعة حتى أرسل إليك البقية إذا جاءني أسارى من المسلمين فعند ذلك قام الوزير الأعور وأخذ نور الدين ومضى به إلى القصر ليذبحه على عتبة

بابه فقال له الدهانون يا مولانا بقى علينا من الدهان شغل يومين فاصبر علينا وأخّر ذبح هذا الأسير حتى نفرغ من الدهان عسى أن يأبى إليك بقية الثلاثين فتذبح الجميع دفعه واحدة وتوفي بنذرك في يوم واحد فعند ذلك أمر الوزير بحبس نور الدين وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٥٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير لما أمر بحبس نور الدين أخذوه مقيداً جائعاً عطشاناً يتحسر على نفسه وقد نظر الموت بعينه وكان بالأمر المقدر والقضاء المبرم للملك حصانين أخوان شقيقان أحدهما اسمه سابق والآخر اسمه لاحق وكانت بحسرة تحصيل واحد منهما لملك الأكاسرة وكان أحدهما أشهب نقياً والآخر أدهم كالليل الحالك وكان ملوك الجزائر جميعاً يقولون كل من سرق لنا حصاناً من هذين الحصانين نعطيه جميع ما يطلبه من الذهب الأحمر والدر والجوهر فلم يقدر أحد على سرقة واحد من هذين الحصانين فحصل لأحدهما مرض في عينه فأحضر الملك جميع البياطرة لدوائه فعجزوا عنه كلهم فدخل على الملك الوزير الأعور والذي تزوج ابنته فرآه مهموماً من قبل الحضان فأراد أن يزيل همه فقال أيها الملك أعطني هذا الحصان وأنا أداويه فأعطاه له فنقله في الأصطبل الذي فيه نور الدين فلما فارق الحصان أخاه صاح صيحة عظيمة وصهل حتى أزعج الناس من الصياح فعرف الوزير أنه ما حصل منه هذا الصياح إلا لفراقه من أخيه فراح وأعلم الملك فلما تحقق الملك كلامه قال إذا كان ذلك حيواناً ولم يصبر على فراق أخيه فكيف بذوي العقول ثم أمر الغلمان أن ينقلوا الحصان عند أخيه بدار الوزير زوج مريم وقال لهم قولوا للوزير إن الملك يقول لك أن الحصانين أنعام منه عليك لأجل خاطر ابنته مريم فبينما نور الدين نائم في الأصطبل وهو مقيد مكبل إذا نظر الحصانين فوجد على عيني أحدهما غشاوة وكان عنده بعض معرفة بأحوال الخيل وممارسة دوائها فقال في نفسه هذا والله وقت فرحت فأقوم وأكذب على الوزير وأقول له أنا أداوي هذا الحصان وأعمل له شيء يتلف عينيه فيقتلني وأستريح من هذه الحياة الذميمة ثم أن نور الدين انتظر الوزير إلى أن دخل الأصطبل ينظر الحصانين فلما دخل قال له نور الدين يا مولاي أي شيء يكون له عليك إذا أنا داويت لك هذا الحصان وأعمل لك شيئاً يطيب عينيه فقال له الوزير وحياة رأسي إن داويته أعتقك من الذبح وأخليك تتمنى على وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٦٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير قال لنور الدين إن داويت الحصان أعتقك وأخليك تتمنى علي فقال يا مولاي مر بفك قيدي فأمر الوزير بإطلاقه فنهض نور الدين وأخذ زجاجاً بكراً وسحقه وأخذ جيراً بلاطفء وخلطه بماء البصل ثم وضع الجميع في عيني الحصان وربطهما وقال في نفسه الآن تغور عيناه فيقتلوني وأستريح من هذه العيشة الذميمة ثم أن نور الدين نام تلك لليلة بقلب خال من وسواس الهم وتضرع إلى الله تعالى وقال يارب في علمك ما يغني عن السؤال فلما أصبح الصباح وأشرقت الشمس على الروابي والبطاح جاء الوزير إلى الأصطبل وفك الرباط عن عين الحصان ونظر إليهما فرآهما حسن عيون ملاح بقدرة الملك الفتاح فقال له الوزير يا مسلم ما رأيت في الدنيا مثلك في حسن معرفتك وحق المسيح والدين الصحيح أنك أعجبتني غاية الإعجاب فإنه عجز عن دواء هذا الحصان كل بيطار في بلادنا ثم تقدم إلى نور

الدين وحل قيده بيده ثم ألبسه حلة سنية وجعله ناظراً على خيله ورتب له مرتبات وجرايات وأسكنه في طبقة على الأصطبل وكان في القصر الجديد الذي بناه للسيدة مريم شباك مطل على بيت الوزير وعلى الطبقة التي فيه نور الدين فقعد نور الدين مدة أيام ياكل ويشرب ويتلذذ ويطرب ويأمر وينهي على خدمة الخيل وكل من غاب منهم ولم يعلق على الخيل المربوطة على الطوال التي فيها خدمته يرميه ويضربه ضرباً شديداً ويضع في رجليه القيد الحديد وفرح الوزير بنور الدين غاية الفرح واتسع صدره وانشرح ولم يدر ما يؤول أمره إليه وكان نور الدين كل يوم ينزل إلى الحصانين ويمسحها بيده لما يعلم من معزتهما عند الوزير ومحبته لهما وكان للوزير الأعور بنت بكر في غاية الجمال كأنها غزال شارد أو غصن مائد فاتفق أنها كانت جالسة ذات يوم من الأيام في الشباك المطل على بيت الوزير وعلى المكان الذي فيه نور الدين إذا سمعت نور الدين يغني ويسلي نفسه على المشقات: وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٦١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن بنت الوزير الأعور سمعت نور الدين يسلي نفسه على المشقات بإنشاد هذه الأبيات:

يـ . ـا عـ . ـاذلاً أصـ . ـبح فـ . ـي ذاتـ . ـه   منعمـ . . . ـاً يزهـ . . . ـو بلذاتـ . . . ـه
لـ . . ـو عضـ . ـك الـ . . ـدهر بآفاتـ . . ـه   لقلـ . . . ـت مـ . . . ـن ذوق مرارتـ . . . ـه
آه مـ . . . ـن العشـ . . . ـق وحالاتـ . . . ـه   أحـ . . . ـرق قلبـ . . . ـي بحرارتـ . . . ـه
لكـ . ـن سـ . ـلمت اليـ . ـوم مـ . ـن غـ . ـدره   ومـ . . ـن تناهيـ . ـة ومـ . . ـن حـ . ـوره
فـ . ـلا تسـ . ـلم مـ . ـن حـ . ـار فـ . ـي أمـ . ـره   وقـ . ـال مـ . . ـن فـ . . ـرط صـ . . ـباباته
آه مـ . . . ـن العشـ . . . ـق وحالاتـ . . . ـه   أحـ . . . ـرق قلبـ . . . ـي بحراراتـ . . . ـه
كـ . ـن عـ . ـاذر العشـ . ـاق فـ . ـي حـ . ـالهم   وتكـ . . ـن عونـ . . ـاً علـ . . ـى عـ . . ـذلهم
أيـ . . ـاك أن تشـ . . ـد فـ . . ـي حـ . . ـبلهم   مجرعـ . . ـاً مـ . . ـن مـ . . ـر لوعاتـ . . ـه
آه مـ . . . ـن العشـ . . . ـاق وحالاتـ . . . ـه   أحـ . . . ـرق قلبـ . . . ـي بحرارتـ . . . ـه
قـ . ـد كنـ . ـت قبلـ . ـك بـ . ـين العبـ . ـاد   كمثـ . ـل مـ . ـن بـ . ـات خلـ . ـي الفـ . ـؤاد
لـ . ـم أعـ . ـرف العشـ . ـق وطعـ . ـم السـ . ـهاد   حتـ . . . ـى دعـ . . . ـاني لمقاماتـ . . . ـه
آه مـ . . . ـن العشـ . . . ـق وحالاتـ . . . ـه   أحـ . . . ـرق قلبـ . . . ـي بحرارتـ . . . ـه
لـ . ـم يـ . ـدر العشـ . ـق ومـ . ـا ذلـ . ـه   إلا الـ . . . ـذي أقسـ . . . ـمه طولـ . . . ـه
وضـ . ـاع منـ . ـه فـ . ـي الهـ . ـوى عقلـ . ـه   وشـ . ـربه مـ . . ـن مـ . . ـر جرعاتـ . . ـه
آه مـ . . . ـن العشـ . . . ـق وحالاتـ . . . ـه   أحـ . . . ـرق قلبـ . . . ـي بحرارتـ . . . ـه
كم عين صـ . ـب فـ . ـي الـ . ـدجى أسـ . ـهر   وأحـ . ـرم الجفـ . ـن لذيـ . ـذ الكـ . ـرى
وكـ . . ـم اسـ . . ـأل دمعـ . . ـه أنهـ . . ـر   تجـ . ـرى علـ . ـى الخـ . ـد بلوعاتـ . ـه
آه مـ . . . ـن العشـ . . . ـق وحالاتـ . . . ـه   أحـ . . . ـرق قلبـ . . . ـي بحرارتـ . . . ـه
كم في الـ . ـورى مـ . ـن مغـ . ـرم مسـ . ـتهام   سـ . ـهران مـ . ـن وجـ . ـد بعيـ . ـد المنـ . ـام

ألبسـ . ـه ثـ . ـوب الضـ . ـنى والسـ . ـقام   مـ . ـن قـ . ـد نفـ . ـى عنـ . ـه مناماتـ . ـه
آه مـ . . ـن العشـ . . ـق وحالاتـ . . ـه   أحـ . . .ـرق قلبـ . . .ـي بحرارتـ . . .ـه
كـ ـم قـ ـل صـ ـبري وبـ ـري أعظمـ ـي   وسـ . ـال دمعـ . ـي منـ . ـه كالعنـ . ـدم
مـ . ـا كـ . ـان حلـ . ـواً فـ . ـي مذاقاتـ . ـه   مهفهـ . ـف مـ . ـر مـ . ـن مطعمـ . ـي
آه مـ . . ـن العشـ . . ـق وحالاتـ . . ـه   أحـ . . .ـرق قلبـ . . .ـي بحرارتـ . . .ـه
مسكين من فـي النـ ـاس مثلـ ـي عشـ ـق   وبـ . ـات فـ . ـي جـ . ـنح الليـ . ـالي أرق
أن عـ ـام فـ ـي بحـ ـر التحـ ـافي غـ ـرق   يشـ . ـكو مـ . ـن العشـ . ـق وزفراتـ . ـه
آه مـ . . ـن العشـ . . ـق وحالاتـ . . ـه   أحـ . . .ـرق قلبـ . . .ـي بحرارتـ . . .ـه
مـ .ـن ذا الـ .ـذي بالعشـ .ـق لـ .ـم يبتـ .ـل   ومـ .ـن نجـ .ـا مـ .ـن كيـ .ـده الأسـ .ـهل
ومـ .ـن بـ .ـه يعـ .ـيش عـ .ـيش الخلـ .ـي   وأيـ . .ـن مـ . .ـن فـ . .ـاز براحاتـ . .ـه
آه مـ . . ـن العشـ . . ـق وحالاتـ . . ـه   أحـ . . .ـرق قلبـ . . .ـي بحراراتـ . . .ـه
يـ .ـارب دبـ .ـر مـ .ـن بـ .ـه قـ .ـد بلـ .ـى   وكفلـ .ـه نعـ .ـم أنـ .ـت مـ .ـن كافـ .ـل
ورزقـ . ـه منـ . ـك بالثبـ . ـات الجلـ . ـي   وألطـ .ـف بـ .ـه فـ .ـي كـ .ـل أوقاتـ .ـه
آه مـ . . ـن العشـ . . ـق وحالاتـ . . ـه   أحـ . . .ـرق قلبـ . . .ـي بحرارتـ . . .ـه

فلما استتم نور الدين أقصى كلامه وفرغ من شعره ونظامه قالت في نفسها بنت الوزير وحق المسيح والدين الصحيح أن هذا المسلم شاب مليح ولسكنه لاشك عاشق مفارق فيا ترى معشوق هذا الشاب مليح مثله وهل عنده مثل ما عنده أم لا فإن كان معشوقه مليح مثله يحق له إسالة العبرات وشكوى الصبابات وإن كان غير مليح فقد ضيع عمره في الحسرات وحرم طعم اللذات وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٦٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن بنت الوزير قالت في نفسها فإن كان معشوقه مليحاً يحق له اسأله العبرات وإن كان غير مليح فقد ضيع عمره في الحسرات وكانت مريم الزنارية زوجة الوزير قد نقلت إلى القصر أمس ذلك اليوم وعلمت منها بنت الوزير ضيق الصدر فعزمت أن تذهب إليها وتحدثها بخبر هذا الغلام وما سمعت منه من النظام فما استتمت الفكر في هذا الكلام حتى أرسلت خلفها السيدة مريم زوجة أبيها لأجل أن تؤانسها بالحديث فذهبت إليها فرأت صدرها ضيقاً ودموعها جارية على خدها وهي تبكي بكاء شديداً ما عليه من مزيد فقالت لها بنت الوزير أيتها الملكة لا تضيقي صدراً وقومي معي في هذه الساعة إلى شباك القصر فإن عندنا في الأصطبل شاباً مليحاً رشيق القوام حلو الكلام كأنه عاشق مفارق فقالت لها السيدة مريم بأي علامة عرفت أنه عاشق مفارق فقالت لها بنت الوزير أيتها الملكة عرفت ذلك بإنشاد القصائد والأشعار آناء الليل وأطراف النهار فقالت السيدة مريم في نفسها إن كان قول بنت الوزير بيقين فهذه صفات الكئيب المسكين على نور الدين فيا هل ترى هو ذلك الشاب الذي ذكرته بنت الوزير ثم أن السيدة مريم زاد بها العشق والهيام والوجد والغرام فقامت من وقتها وساعتها ومشت مع بنت الوزير إلى الشباك ونظرت منه

فرأته محبوبها وسيدها نور الدين ودققت النظر فيه فعرفته حق المعرفة ولكنه سقيم من كثرة عشقه لها ومحبته إياها ومن نار الوجد وألم الفراق والوله والاشتياق قد زاد به النحول فصار ينشد ويقول:

القلـ ـب مملـ ـوك وعيـ ـي جاريـ ـة ... لـ ـيس لهـ ـا سـ ـحابة مجاريـ ـة
بـ ـين بكـ ـائي وسـ ـهادي والجـ ـوى ... والنـ ـوح والحـ ـزن علـ ـى احبابيـ ـه
واحرقتـ ـي وا حسـ ـرتي وا لـ ـوعتي ... تكاملـ ـت أعـ ـدادها ثمانيـ ـة
وأتبعتها بسـ ـتة فـ ـي خمسـ ـة ... ألا قفـ ـوا واسـ ـتمعوا مقاليـ ـه
ذكـ ـر وفكـ ـر وزفيـ ـر وضـ ـنى ... وفـ ـرط شـ ـوق واشـ ـتغال باليـ ـه
فـ ـي محنـ ـة وغربـ ـة وصـ ـبوة ... ولهفـ ـة وترحـ ـة ترانيـ ـه
قـ ـل اصـ ـطباري واحتمـ ـالي للجـ ـوى ... لمـ ـا نـ ـأي صـ ـبري دنـ ـا محاليـ ـه
قـ ـد زاد فـ ـي قلبـ ـي تبـ ـاريح الجـ ـوى ... يا سائلا عـ ـن نـ ـار قلبـ ـي مـ ـا هيـ ـه
ما بال دمعـ ـي موقـ ـداً فـ ـي مهجتـ ـي ... فنـ ـار قلبـ ـي لا تـ ـزال حاميـ ـه
أصبحت فـ ـي طوفـ ـان دمعـ ـي غارقـ ـاً ... ومن لظـ ـى هـ ـذا الهـ ـوى فـ ـي هاويـ ـه

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٦٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن نور الدين لما فرغ من شعره وتحققت منه السيدة مريم فرأته سيدها نور الدين وسمعت بليغ شعره وبديع نثره تحققت أنه هو ولكنها أخفت أمرها عن بنت الوزير وقالت لها وحق المسيح والدين الصحيح ما كنت أحسب أن عندك خبراً بضيق صدري ثم نهضت من وقتها وساعتها وقامت من الشباك ورجعت إلى مكانها ومضت بنت الوزير إلى شغلها ثم صبرت السيدة مريم ساعة زمانية ورجعت إلى الشباك وجلست فيه وصارت تنظر إلى سيدها نور الدين وتتأمل في لطفه ورقة معانيه فرأته كالبدر إذا بدر في ليلة أربعة عشر ولكنه دائم الحسرات جاري العبرات لأنه تذكر ما فات فأنشد هذه الأبيات:

أملـ ـت وصـ ـلت أحبتـ ـي مـ ـا نلتـ ـه ... أبـ ـداً ومـ ـر العـ ـيش قـ ـد أوصـ ـلته
دمعي يحـ ـاكي البحـ ـر فـ ـي جريانـ ـه ... وإذا رأيـ ـت عـ ـواذلي كفكتـ ـه
آه علـ ـى داع دعـ ـا بفراقنـ ـا ... لـ ـو قلـ ـت منـ ـه لسـ ـانه لقطعتـ ـه
الأعتـ ـب للأيـ ـام فـ ـي افعالهـ ـا ... مزجت بصـ ـرف المـ ـر مـ ـا جرعتـ ـه
فلمن أسير إلى سـ ـواكم قاصـ ـداً مـ ـن ... والقلـ ـب فـ ـي عرصـ ـاتكم خلفتـ ـه
منصـ ـفي مـ ـن ظـ ـالمـ ـتحكم ... يـ ـزداد ظلمـ ـا كلمـ ـا حكمتـ ـه
ملكتـ ـه روحـ ـي لـ ـيحفظ ملكـ ـه ... فأضـ ـاعني وأضـ ـاع مـ ـا ملكتـ ـه
أنفقـ ـت عمـ ـري فـ ـي هـ ـواه وليتنـ ـي ... أعطـ ـي وصـ ـولاً بالـ ـذي أنفقتـ ـه
يـ ـا أيهـ ـا الرشـ ـا المسـ ـلم بمهجتـ ـي ... يكفي مـ ـن الهجـ ـران مـ ـا قـ ـد ذقتـ ـه
أنت الـ ـذي جمـ ـع المحاسـ ـن وجهـ ـه ... لكـ ـن عليـ ـه تصـ ـبري فرقتـ ـه
أحللتـ ـه قلبـ ـي فحـ ـل بـ ـه الـ ـبلا ... أنـ ـي لـ ـراض بالـ ـذي أحللتـ ـه

وجرت دمـ وعي مثـ ل بحـ ر زاخـ ر   لـ ـو كنـ ـت أعـ ـرف مسـ لكاً لسـ لكته

وخشـ يت خوفـ ـاً أن أمـ ـوت بحسـ ـرة   ويفـ .ـوت منـ .ـي كـ .ـل مـ .ـا أملتـ .ـه

فلما سمعت مريم من نور الدين العاشق المفارق المسكين أنشاد هذه الأشعار حصل عندها من كلامه استعبار فأفاضت دمع العين وأنشدت هذين البيتين:

تمنيـ .ـت مـ .ـن أهـ .ـوى فمـ .ـا لقيتـ .ـه   ذهلت فلـ ـم أملـ ـك لسـ ـاناً ولا طرفـ ـاً

وكنـ . ـت معـ . ـداً للعتـ . ـاب دفـ . ـاتراً   فلما اجتمعنـ ـا مـ ـا وجـ ـدت ولا حرفـ ـاً

فلما سمع نور الدين كلام السيدة مريم عرفها فبكي بكاء شديداً وقال والله أن هذه نغمة السيدة مريم الزنارية بلا شك ولا رجم غيب وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٦٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن نور الدين لما سمعها تنشد الأشعار قال في نفسه أن هذه نغمة السيدة مريم بلاشك ولا ريب ولا رجم غيب فيا ترى هل ظني صحيح وأنها هي بعينها أو غيرها ثم أن نور الدين زادت به الحسرات وأنشد هذه الأبيات:

لمـ .ـا رآنـ .ـي لائمـ .ـي فـ .ـي الهـ .ـوى   صـ ـادفت حبـ ـي فـ ـي مكـ ـان رحيـ ـب

ولـ . ـم أفـ . ـه بالعتـ . ـب عنـ . ـد اللقـ . ـا   ورب عتـ . ـب فيـ . ـه يـ . ـره الكئيـ . ـب

فقـ .ـال مـ .ـا هـ .ـذا السـ .ـكوت الـ .ـذي   صـ ـدك عـ ـن رد الجـ ـواب المصـ ـيب

فقلـ ـت يـ ـا مـ ـن قـ ـد غـ ـدا جـ ـاهلاً   بحـ .ـال أهـ .ـل العشـ .ـق كالمسـ .ـتريب

علامـ . ـة العاشـ . ـق فـ . ـي عشـ . ـقه   سـ . ـكوته عنـ . ـد لقـ . ـاء الحبيـ . ـب

فلما فرغ من شعره أحضرت السيدة مريم دواة وقرطاساً وكتبت فيه البسملة الشريفة أما بعد فسلام الله عليك ورحمته وبركاته أخبرك أن الجارية مريم تسلم عليك وهي كثيرة الشوق إليك وهذه مراسلتها إليك فساعة وقوع هذه الورقة بين يديك أنهض من وقتك وساعتك واهتم بما تريده منك غاية الاهتمام والحذر كل الحذر من المخالفة ومن أن تنام فإذا مضى ثلث الليل الأول فإن تلك الساعة من أسعد الأوقات فلا يكن لك فيها شغل إلا أن تشد الفرسين وتخرج بهما خارج المدينة وكل من قال لك أين أنت رائح فقل له أنا رائح أسيرهما فإذا قلت ذلك لا يمنعك أحد فإن أهل هذه المدينة واثقون بقفل الأبواب ثم أن السيدة مريم لفت الورقة في منديل حرير ورمتها إلى نور الدين من الشباك فأخذها وقرأها وفهم ما فيها وعرف أنها خط السيدة مريم فقبلها ووضعها بين عينيه ثم أن نور الدين لما جن عليه الليل اشتغل بإصلاح الحصانين وصبر حتى مضى من الليل ثلثه الأول ثم قام من وقته وساعته إلى الحصانين ووضع عليهما سرجين من أحسن السروج وخرج بها من باب الأصطبل وقفل الباب وسار بهما إلى باب المدينة وجلس ينظر السيدة مريم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٦٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن نور الدين لما صار بالحصانين إلى باب المدينة جلس ينتظر السيدة مريم هذا ما كان من أمر نور الدين (وأما) ما كان من أمر الملكة مريم فإنها ذهبت من وقتها وساعتها إلى المجلس الذي هو معد لها في ذلك القصر فوجدت الوزير الأعور جالساً في ذلك المجلس متكئاً على مخده محشوة من ريش النعام وهو مستح أن يمد يده إليها أو يخاطبها فلما رأته ناجت ربها وقالت اللهم لا تبلغه مني أرباً ولا تحكم علي بالنجاسة بعد الطهارة ثم أقبلت عليه وأظهرت له المودة وجلست في جانبه ولاطفته وقالت له يا سيدي ما هذا الإعراض عنا هل هو منك تيه ودلال علينا ولكن صاحب المثل السائر يقول إذا بار السلام سلمت العقود على القيام فإن كنت يا سيدي ما تجيء عندي وتخاطبني أجيء أنا وأخاطبك فقال لها الوزير الفضل والجميل لك يا ملكة الأرض في الطول والعرض وهل أنا إلا من خدامك وأقل غلمانك وإنما أنا مستح أن أتهجم على مخاطبتك الفخمة أيتها الدرة اليتيمة ووجهي منك في الأرض فقالت له دعنا من هذا الكلام وأتنا بالمأكل والمشرب فعند ذلك صاح الوزير على جواريه وخدمه وأمرهم بإحضار المأكل والمشرب فقدموا له سفرة فيها ما درج وطار وسبح في البحار من قطا وسماني وأفراخ الحمام ورضيع الضان وأوز سمين وفيها دجاج محمر وفيها من سائر الأشكال والألوان فمدة السيدة مريم يدها إلى السفرة وأكلت وصارت تلقم الوزير وتبوسه في فمه ومازالا يأكلان حتى اكتفيا من الأكل ثم غسلا أيديهما وبعد ذلك رفع الخدم سفرة الطعام وأحضروا سفرة المدام فصارت مريم تملأ وتشرب وتسقيه وقامت بخدمته حق القيام حتى كاد أن يطير قلبه من الفرح واتسع صدره وانشرح فلما غاب عقله عن الصواب وتمكن منه الشراب مدت يدها إلى جيبها وأخرجت منه قرصاً من البنج البكر المغربي الذي إذا شم منه الفيل أدنى رائحة نام من العام إلى العام وكانت أعدته لهذه الساعة ثم غافلت الوزير وفركته في القدح وملأته وأعطته إياه فطار عقله من الفرح وما صدق أنها تناوله إياه فأخذ القدح وشربه فما استقر في جوفه حتى خرّ صريعاً على الأرض في الحال فقامت السيدة مريم على قدميها وعمدت إلى خرجين كبيرين وملأتهما مما خف حمله وغلا ثمنه من الجواهر واليواقيت وأصناف المعادن المثمنة ثم حملت معها شيئاً من المأكل والمشرب ولبست آلة الحرب والكفاح من العدة والسلاح وأخذت معها نور الدين ما يسره من الملابس الملوكية الفاخرة وأهبة السلاح الباهرة ثم أنها رفعت الخرجين على أكتافها وخرجت من القصر وكانت ذات قوة وشجاعة وتوجهت إلى نور الدين هذا ما كان من أمر مريم (وأما) ما كان من أمر نور الدين وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٦٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن مريم لما خرجت من القصر توجهت إلى نور الدين وكانت ذات قوة وشجاعة هذا ما كان من أمر مريم (وأما) ما كان من أمر نور الدين العاشق المسكين فإنه قعد على باب المدينة ينتظرها ومقاود الحصانين في يده فأرسل الله عز وجل عليه النوم فنام وسبحان من لا ينام وكانت ملوك الجزائر في ذلك الزمان يبذلون المال رشوه على سرقة هذين الحصانين أو واحد منهما وكان موجوداً في تلك الأيام عبد أسود تربى في الجزائر يعرف بسرعة الخيل فصار ملوك الأفرنج يرشونه بمال كثير لأجل أن يسرق أحد الحصانين ووعده أنه أن سرق الحصانين يعطوه جزيرة كاملة ويخلعوا عليه خلعاً سنيه

وقد كان لذلك العمد زمان طويل يدور في مدينة أفرنجه وهو مختف فلم يقدر على أخذ الحصانين وهما عند الملك فلما وهبهما للوزير الأعور ونقلهما إلى اصطبله فرح فرحاً شديداً وطمع في أخذهما وقال وحق المسيح والدين الصحيح لأسرقنهما ثم أن العبد خرج في تلك الليلة قاصداً ذلك الأصطبل ليسرق الحصانين فبينما هو ماش في الطريق إذ لاحت منه التفاته فرأى نور الدين نائماً ومقاود الحصانين في يده فنزع المقاود من رؤوسهما وأراد أن يركب واحد أو يسوق الآخر قدامه وإذا بالسيدة مريم قد أقبلت وهي حاملة الخرجين على كتفها فظنت أن العبد هو نور الدين فناولته أحد الخرجين فوضعه على الحصان ثم ناولته الثاني فوضعه على الحصان الآخر وهو ساكت وهي تظن أنهنور الدين ثم أنها خرجت من باب المدينة والعبد ساكت فقالت له يا سيدي نور الدين مالك ساكتاً فالتفت العبد إليها وهو مغضب وقال لها أي شيء تقولين يا جارية فسمعت بربرة العبد فعرفت أنها غير لغة نور الدين فرفعت رأسها إليه ونظرته فوجدت له مناخير كالأبريق فلما نظرته صار الضياء في وجهها ظلام فقالت له من تكون يا شيخ بني حام وما أسمك بين الأنام فقال لها يابنت اللئام أنا اسمي مسعود سراق الخيل والناس نيام فما ردت عليه بشيء من الكلام بل جردت من وقتها الحسام وضربته على عاتقه فطلع يلمع من علائقه فوقع صريعاً على الأرض يختبط في دمه وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار فعند ذلك أخذت السيدة مريم الحصانين وركبت واحداً منهما وقبضت الآخر في يدها ورجعت على عقبها تفتش على نور الدين فلقبته راقد في المكان الذي واعدته بالاجتماع فيه والمقاود في يده وهو نائم يغط في نومه ولم يعرف يديه من رجليه فنزلت عن ظهر الحصان ولكزته بيدها فانتبه من نومه مرعوباً وقال لها يا سيدتي الحمد لله على مجيئك سالمة فقالت له قم اركب هذا الحصان وأنت ساكت فقام وركب الحصان والسيدة مريم ركبت الحصان الثاني وخرجا من المدينة وسارا ساعة زمانية وبعد ذلك التفتت مريم إلى نور الدين وقالت له أما قلت لك لا تنم فإنه لا أفلح من ينام فقال يا سيدتي أنا ما نمت إلا من برد فؤادي بميعادك وأي شيء حرى يا سيدتي فأخبرته بحكاية العبد من المبتدأ إلى المنتهى وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٦٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن السيدة مريم لما أخبرت نور الدين بحكاية العبد من المبتدأ إلى المنتهى فقال لها نور الدين الحمد لله على السلامة ثم جدا في إسراع المسير وقد أسلما أمرهما إلى اللطيف الخبير وصارا يتحدثان حتى وصلا إلى العبد الذي قتلته السيدة مريم فرآه مرميا في التراب كأنه عفريت فقالت مريم لنور الدين أنزل جرّده من ثيابه وخذ سلاحه فقال لها يا سيدتي والله أنا لا أقدر أن أنزل عن ظهر الحصان ولا أقف عنده ولا أتقرب منه وتعجب نور الدين من خلقته وشكر السيدة مريم على فلها وتعجب من شجاعتها وقوة قلبها ثم ساروا ولم يزالا سائرين سيراً عنيفاً بقية الليل إلى أن أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وانتشرت الشمس على الروابي والبطاح فوصلا إلى مرج أفيح فيه الغزلان تمرح وقد أخضرت سنه الجوانب وتشكلت فيه الأثمار من كل جانب وأزهاره كبطون الحيات والطيور فيه عاكفات وجدا وله تجري مختلفة الصفات فعند ذلك نزلت السيدة مريم هي ونور الدين ليستريحا في ذلك الوادي فأكلا من أثماره وشربا من أنهاره وأطلقا الحصانين يأكلان في المرعى فأكلا وشربا من ذلك الوادي وجلس نور الدين هو ومريم

يتحدثان ويتذاكران حكايتهما وما جرى لهما وكل منهما يشكو لصاحبه ما لاقاه من ألم الفراق وما قاساه من الاشتياق فبينما هما كذلك وإذا بغبار قد ثار حتى سد الأقطار وسمعا صهيل الخيل وقعقعة السلاح وكان السبب في ذلك أن الملك لما زوج ابنته للوزير ودخل عليها في تلك الليلة وأصبح الصباح أراد الملك أن يصبح عليها كما جرت به عادة الملوك في بناتهم فقام وأخذ معه أقمشة الحرير وتبر الذهب والفضة ليتخاطفها الخدمة والمواشط ولم يزل الملك يتمشى هو وبعض الغلمان إلى أن وصل إلى القصر الجديد فوجد الوزير مرمياً على الفرش لا يعرف رأسه من رجليه فالتفت الملك في القصر يميناً وشمالاً فلم ير ابنته فيه فتكدر حاله واشتغل باله وأمر بإحضار الماء السخن والخل البكر والكندر فلما أحضر له ذلك خلطهم ببعضهم وسعط الوزير بهم ثم هزه فخرج البنج من جوفه كقطع الجبن ثم أن الملك سعط الوزير بذلك ثاني مرة فانتبه فسأله عن حاله وعن حال ابنته فقال له أيها الملك الأعظم لا علم لي بها غير أنها سقتني قدحاً من الخمر بيدها فمن ذلك الوقت ما عرفت روحي إلا في هذه الساعة ولا أعلم ما كان من أمرها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٦٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير قال للملك أن مريم من ساعة ما أعطتني قدح الخمر ما عرفت روحي إلا في هذا الوقت ولا أعلم ما كان من أمرها فلما سمع الملك كلام الوزير صار الضياء في وجهه ظلاماً وسحب السيف وضرب به الوزير على رأسه فخرج يلمع من أضراسه ثم أن الملك أرسل من وقته وساعته إلى الغلمان والسياس فلما حضروا طلب منهم الحصانين فقالوا له أيها الملك أن الحصانين فقدا في هذه الليلة وكبيرنا فقد معهما أيضاً فإننا لما أصبحنا وجدنا الأبواب كلها مفتوحة فقال الملك وحق ديني وما يعتقده يقيني ما أخذ الحصانين إلا التي هي والأسير الذي كان يخدم الكنيسة وكان قد أخذها في المرة الأولى وعرفته حق المعرفة ولم يخلصه من يدي إلا هذا الوزير الأعور وقد جوزي بفعله ثم أن الملك دعا في الوقت بأولاده الثلاثة وكانوا أبطالاً وشجعاناً كل واحد منهم يقوم بألف فارس في حومة الميدان ومقام الضرب والطعان ثم صاح الملك عليهم وأمرهم بالركوب فركبوا وركب الملك بجماتهم مع خواص بطارقته وأرباب دولته وأكابرهم وصاروا يتبعون أثرهما فلحقوهما في ذلك الوادي فلما رأتهم مريم نهضت وركبت جوادها وتقلدت بسيفها وحملت آلة سلاحها وقالت لنور الدين ما حالك وكيف قلبك في القتال والحرب والنزال فقال لها أن ثباتي في النزال مثل ثبات الوتد في النخال ثم أنشد وقال:

يـ .ا مـ .ريم اطرحـ .ي ألـ .يم عتـ .ابي	لا تقصـ .دي قتلـ .ي وطـ .ول عـ .ذابي
من أيـ ن لـ ي أنـ ي أكـ ون محاربـ اً	أنـ .ي لأ فـ .زع مـ .ن نعـ .اق غـ .راب
وإذا نظـ .رت الفـ .ار أفـ .زع خيفـ .ة	وأبـ ـول مـ ـن خـ ـوفي علـ ـى أثـ ـوابي
أنـ . ـا لا أحـ . ـب الطعـ . ـن إلا خلـ . ـوة	والكـ .س يعـ .رف سـ .طوة الأزبـ .ـاب
هذا هـ ـو الـ رأي السـ ديد ومـ ـا يـ ـرى	من دون هـ ـذا الـ رأي غيـ ـر صـ ـواب

فلما سمعت مريم من نور الدين هذا الكلام والشعر والنظام أظهرت له الضحك والابتسام وقالت له يا سيدي نور الدين استقم مكانك وأنا أكفيك شرهم ولو كانوا عدد الرمل ثم أنها تهيأت من وقتها وساعتها

وركبت ظهر جوادها وأطلقت من يدها طرف العنان وأدارت الرمح جهة السنان فخرج ذلك الحصان من تحتها كأنه الريح الهبوب أو الماء إذا اندفق من ضيق الأنبوب وقد كانت مريم أشجع أهل زمانها وفريدة عصرها وأوانها لأن أباها علمها وهي صغيرة الركوب على ظهور الخيل وخوض بحار الحرب في ظلام الليل وقالت لنور الدين أركب جوادك وكن خلف ظهري وإذا أنهزمنا فاحرص على نفسك من الوقوع فإن جوادك ما يلحقه لا حق فلما نظر الملك إلى أبنته مريم عرفها غاية المعرفة والتفت إلى ولده الأكبر وقال له يا برطوط يا مقلب برأس القلوط إن هذه أختك مريم لاشك فيها ولا ريب وقد حملت علينا وطلبت حربنا وقتالنا فأبرز إليها واحمل عليها وحق المسيح والدين الصحيح أنك إن ظفرت بها لا تقتلها حتى تعرض عليها دين النصارى فإن رجعت إلى دينها القديم فارجع بها اسيرة وإن لم ترجع إليه فاقتلها أقبح قتلة ومثل بها أشنع مثله وكذلك هذا الملعون الذي معها مثل به أقبح مثله فقال له برطوط السمع والطاعة ثم برز لأخته مريم من وقته وساعته وحمل عليها فلاقته وحملت عليه ودنت منه وتقربت إليه فقال لها برطوطياً مريم أما يكفي ما جرى منك حيث تركت دين الآباء والأجداد واتبعت دين السياحين في البلاد يعني دين الإسلام ثم قال وحق المسيح والدين الصحيح إن لم ترجعي إلى دين آبائك وأجدادك من الملوك وتسلكي فيه أحسن السلوك لأقتلنك أشر قتلة وأمثل بك أقبح مثلة فضحكت مريم من كلام أخيها وقالت وهيهات أن يعود ما فات أو يعيش من مات بل أجرعك أشد الحسرات وأنا والله لست براج–عة عن دين محمد بن عبد الله الذي عم هداه فإنه هو الدين الحق فلا أترك الهدى ولو سقيت كؤوس الردى وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٦٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن مريم قالت لأخيها هيهات أن أرجع عن دين محمد بن عبد الله الذي علم هداه فإنه دين الهدى ولو سقيت كؤوس الردى فلما سمع الملعون برطوط من أخته هذا الكلام صار الضياء في وجهه ظلاماً وعظم ذلك عليه وكبر لديه والتحم بينهما القتال واشتد الحرب والنزال وغاص الاثنان في الأودية العراض الطوال وصبراً على الشدائد وشخصت لهم الأبصار فأخذهما الأنبهار ثم تجاولا ملياً واعتركا طويلاً وصار برطوط كلما يفتح لأخته مريم باباً من الحرب تبطله عليه وتسده بحسن صناعتها وقوة براعتها ومعرفتها وفروسيتها ولم يزالا على تلك الحالة حتى انعقد على رؤسهما الغبار وغاب الفارسان عن الأبصار ولم تزل مريم تحاوله وتسد عليه طرائقه حتى كلّ وبطلت همته واضمحل عزمه وضعفت قوته فضربته بالسيف على عاتقه فخرج يلمع من علائقه وعجّل الله بروحه إلى النار وبئس القرار ثم أن مريم جالت في حومة الميدان وموقف الحرب والطعان وطلبت البراز وسألت الأنجاز وقالت هل من مقاتل هل من مناجز لا يبرز لي اليوم كسلان ولا عاجز لا يبرز لي إلا أبطال أعداد الدين لأسقيهم كأس العذاب المهين يا عبدة الأوثان وذي الكفر والطغيان هذا يوم تبيض فيه وجوه أهل الإيمان وتسود وجوه أهل الكفر بالرحمن فلما رأى الملك ولده الكبير قتل لطم على وجهه وشق أثوابه وصاح على ولده الوسطاني وقال له يا برطوس يا مقلب بجزء السوس أبرز ياولدي بسرعة إلى قتال أختك مريم وخذ ثار أخيك برطوط وأئتني بها أسيرة ذليلة حقيرة فقال له يا أبت السمع والطاعة ثم أنه برز لأخته مريم وحمل عليها فلاقته وحملت عليه فتقاتلت هي وإياه قتالاً شديداً أشد من القتال الأول فرأى أخوها الثاني نفسه عاجزاً عن قتالها فأراد الفرار والهروب

فلم يمكنه ذلك ممن شدة بأسها لأنه كلما ركن إلى الفرار تقربت منه ولا صقته وضايقته ثم ضربته بالسيف على رقبته فخرج يلمع من لبته وألحقته بأخيه وبعد ذلك جالك في حومة الميدان وموقف الحرب والطعان وقالت أين الفرسان والشجعان أين الوزير الأعور الأعرج فعند ذلك صاح أبوها بقلب جريح وطرف من الدمع قريح وقال أنها قتلت ولدي الأوسط وحق المسيح والدين الصحيح ثم أنه صاح على ولده الصغير وقال له يا فسيان يا مقلب بسلخ الصبيان أخرج يا ولدي إلى قتال أختك وخذ منها ثار أخويك وصادمها أمالك أو عليك وأن ظفرت بها فاقتلها أقبح قتلة فعند ذلك برز لها أخوها الصغير وحمل عليها فنهضت إليه ببراعتها وحملت عليه بحسن صناعتها وحرفتها بالحرب وفروسيتها وقالت له يا عدو الله وعدو المسلمين لألحقنك بأخويا وبئس مثوى الكافرين ثم أنها جذبت سيفها من غمده وضربته فقطعت عنقه وذراعيه ولحقته بأخويه وعجّل الله بروحه إلى النار وبئس القرار فلما رأى البطارقة والفرسان الذين كانوا راكبين مع أبيها أولاده الثلاثة قد قتلوا وكانوا أشجع أهل زمانهم وقع في قلوبهم الرعب من السيدة مريم وأدهشتهم الهيبة ونكسوا رؤوسهم على الأرض وأيقنوا بالهلاك والدمار والذل والبوار واحترقت قلوبهم من الغيظ بلهيب النار فولّوا الأدبار وركنوا إلى الفرار فلما نظر الملك إلى أولاده وقد قتلوا وإلى عساكره وقد أنهزموا أخذته الحيرة والانبهار واحترق قلبه بلهيب النار وقال في نفسه أن السيدة مريم قد استقلت بناران جازفت بنفسي وبرزت إليها وحدى ربما غلبت على وقهرتني فتقتلني أشنع قتلة وتمثل بي أقبح مثلة كما قتلت أخوتها لأنها لم يبق لها فينا رجاء ولا لنا في رجوعها طمع والرأي عندي أن أحفظ حرمتي وأرجع إلى مدينتي ثم أن الملك أرخى عنان فرسه ورجع إلى مدينته فلما استقر في قصره انطلقت في قلبه النار من أجل قتل أولاده الثلاثة وانهزام عسكره وهتك حرمته فما استقر نصف ساعة حتى طلب أرباب دولته وكبراء مملكته وشكا إليهم فعل ابنته مريم معه من قتلها لأخواتها وما لاقاه من القهر والحزن واستشارهم فأشاروا عليه كلهم أن يكتب كتاباً إلى خليفة الله في أرضه أمير المؤمنين هارون الرشيد ويعلمه بهذه القضية فكتب إلى الرشيد مكتوباً مضمونه بعد السلام على أمير المؤمنين أن لنا بنتاً أسمها مريم الزنارية قد أفسدها علينا أسير من أسرى المسلمين اسمه نور الدين على ابن التاجر تاج الدين المصري وأخذها ليلاً وخرج بها إلى ناحية بلاده وأنا أسأل من فضل مولانا أمير المؤمنين أن يكتب إلى سائر بلاد المسلمين بتحصيلها وإرسالها إلينا مع رسول أمين وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٧٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن ملك أفرنجة لما كتب إلى الخليفة أمير المؤمنين هارون الرشيد كتاباً يتضرع إليه فيه ويطلب ابنته مريم ويسأله من فضله أن يكتب إلى سائر بلاد المسلمين بتحصيلها وإرسالها مع رسول أمين من خدام حضرة أمير المؤمنين ومن جملة مضمون ذلك الكتاب أننا نجعل لكم نظير مساعدتكم لنا على هذا الأمر نصف مدينة رومه الكبرى لتبنوا فيها مساجد للمسلمين وتجعل إليكم خراجها وبعد أن كتب الكتاب برأي أهل مملكته وكبراء دولته طواه ودعا بوزيره الذي جعله وزيراً مكان الوزير الأعور وأمره أن يختم الكتاب بختم الملك وكذلك ختمه أرباب دولته بعد أن وضعوا خطوط أيديهم فيه ثم قال لوزيره إن أتيت بها فلك عندي إقطاع أميرين وأخلع عليك خلعة بطرازين ثم ناوله الكتاب وأمره أن يسافر

إلى مدينة بغداد دار السلام ويوصل الكتاب إلى أمير المؤمنين من يده إلى يده ثم سافر الوزير بالمكتوب وسار يقطع الأودية والقفار حتى وصل إلى مدينة بغداد فلما دخلها مكث فيها ثلاثة أيام حتى استقر واستراح ثم سأل عن قصر أمير المؤمنين هارون الرشيد فدلوه عليه فلما وصل إليه طلب إذناً من أمير المؤمنين في الدخول عليه فأذن له في ذلك فدخل عليه وقبل الأرض بين يديه وناوله الكتاب الذي من ملك أفرنجة وصحبته من الهدايا والتحف العجيبة ما يليق بأمير المؤمنين فلما فتح الخليفة المكتوب قرأه وفهم مضمونه أمر وزرائه من وقته أن يكتبوا المكاتيب إلى سائر بلاد المسلمين ففعلوا ذلك وبيّنوا في المكاتيب صفة مريم وصفة نور الدين واسمه واسمها وأنهما هاربان فكل من وجدهما فليقبض عليهما ويرسلهما إلى أمير المؤمنين وحذروهم من أن يعطوا في ذلك إمهالاً أو إهمالاً أو غفلة ثم ختمت الكتب وأرسلت مع السعاة فبادروا في إمتثال الأمر وساروا يفتشون في سائر البلاد على من يكون بهذه الصفة هذا ما كان من أمر هؤلاء الملوك واتباعهم (وأما) ما كان من أمر نور الدين المصري ومريم الزنارية بنت ملك أفرنجة فأنهما ركبا بعد انهزام الملك وعساكره من وقتهما وساعتهما وسارا إلى بلاد الشام وقد ستر عليهما الرحمن فوصلا إلى مدينة دمشق وكانت الطلائع التي أرسلها الخليفة قد سبقتهما إلى دمشق الشام بيوم فعلم أمير دمشق أنه مأمور بالقبض عليهما متى وجدهما ليحضرهما بين يدي الخليفة فلما كان يوم دخولهما إلى دمشق أقبل عليهما الجواسيس فسألوهما عن اسمهما فأخبراهم بالصحيح رقصاً عليهم قصتهما وجميع ما جرى عليهما فعرفوهما وقبضوا عليهما وأخذوهما وساروا بهما إلى أمير دمشق فارسلهما إلى الخليفة بمدينة بغداد دار السلام فلما وصلوا إليها استأذنوا في الدخول على أمير المؤمنين هارون الرشيد فأذن لهم فلما دخلوا عليه قبلوا الأرض بين يديه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٧١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجواسيس دخلوا على أمير المؤمنين وقالوا له يا أمير المؤمنين إن هذه مريم الزنارية بنت ملك أفرنجة وهذا نور الدين ابن التاجر تاج الدين المصري الأسير الذي أفسدها على أبيها وسرقها من بلاده ومملكته وهرب بها إلى دمشق فوجدناهما وقت دخولهما دمشق وسألناهما عن أسمائهما فأجابونا بالصحيح فعند ذلك أتينا بهما وأحضرناهما بين يديك فنظر أمير المؤمنين إلى مريم فرآها رشيقة القد والقوام فصيحة الكلام مليحة أهل زمانها فريدة عصرها وأوانها حلوة اللسان ثابتة الجنان قوية القلب فلما وصلت إليه قبلت الأرض بين يديه ودعت له بدوام العز والنعم وزوال البؤس والنقم فأعجب الخليفة حسن قوامها وعذوبة ألفاظها وسرعة جوابها فقال لها هل أنت مريم الزنارية بنت ملك أفرنجة قالت نعم يا أمير المؤمنين وأمام الموحدين وحامي حومة الدين وابن عم سيد المرسلين فعند ذلك التفت الخليفة فرأى علياً نور الدين شاباً مليحاً حسن الشكل كأنه البدر المنير في ليلة تماماه فقال له الخليفة هل أنت علي نور الدين الأسير ابن التاجر تاج الدين المصري قال نعم يا أمير المؤمنين وعمدة القاصدين فقال الخليفة كيف أخذت هذه الصبية من مملكة أبيها وهربت بها فصار نور الدين يحدث الخليفة بجميع ما جرى له من أول الأمر إلى آخره فلما فرغ من حديثه تعجب الخليفة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٧٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الخليفة هارون لما سأل نور الدين عن قصته وأخبره بجميع ما جرى له من المبتدأ إلى المنتهى فتعجب الخليفة من ذلك غاية العجب وقال ما أكثر ما تقاسيه لرجال ثم أنه التفت إلى السيدة مريم وقال يا مريم اعلمي أن والدك ملك أفرنجه قد كاتبنا في شأنك فما تقولين قالت يا خليفة الله في أرضه وقائماً بسنة نبيه وفرضه خلد الله عليك النعم وأجارك من البؤس والنقم أنت خليفة الله في أرضه أني قد دخلت دينكم لأنه هو الدين القويم الصحيح وتركت ملة الكفرة الذين يكذبون على المسيح وقد صرت مؤمنة بالله الكريم ومصدقة بما جاء به رسوله الرحيم أعبد الله سبحانه وتعالى وأوحده وأسجد خاضعة إليه وأمجده وأنا قائلة بين يدي الخليفة أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون فهل وسعك يا أمير المؤمنين أن تقبل كتاب ملك الملحدين وترسلني إلى بلاد الكافرين الذين يشركون بالملك العلام ويعظمون الصليب ويعبدون الأصنام ويعتقدون إلهية عيسى وهو مخلوق فإن فعلت بي ذلك يا خليفة الله أتعلق باذياً لك يوم العرض على الله وأشكوك إلى ابن عمك رسول الله ﷺ (يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم) فقال أمير المؤمنين يا مريم معاذ الله أن أفعل ذلك أبداً كيف أرد امرأة مسلمة موحدة بالله ومصدقة برسوله إلى ما نهى الله عنه ورسوله فقالت مريم أشهد أن لا إله إلا الله محمداً رسول الله فقال لها أمير المؤمنين يا مريم بارك الله فيك وزادك هداية إلى الإسلام وحيث كنت مسلمة موحدة بالله فقد صار لك علينا حق واجب وهو أنني لا أفرط فيك أبداً ولو بدّل لي من أجلك ملء الأرض جواهر وذهباً فطيبي نفساً وقرى عيناً وانشرحي صدراً ولا يكن خاطرك إلا طيباً فهل رضيت أن يكون هذا الشاب نور الدين المصري لك بعلاً وتكوني له أهلاً وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٧٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أمير المؤمنين قال لمريم هل رضيت أن يكون نور الدين المصري لك بعلاً وتكون له أهلاً فقالت مريم يا أمير المؤمنين كف لا أرضي أن يكون لي فعلاً وقد اشتراني بماله وأحسن إليّ غاية الإحسان ومن تمام إحسانه أنه خاطر بروحه من أجلي مراراً عديدة فزوجها به مولانا أمير المؤمنين وعمل لها مهراً وأحضر القاضي والشهود وأكابر دولته يوم زواجها عند كتب الكتاب وكان يوماً مشهوداً ثم بعد ذلك التفت أمير المؤمنين من وقته وساعته إلى وزير ملك الروم وكان حاضراً في تلك الساعة وقال لها هل سمعت كلامها كيف أرسلها إلى أبيها الكافر وهي مسلمة موحدة بالله وربما أساءها وأغلظ عليها خصوصاً وقد قتلت أولاده فأتحمل أنا ذنبها يوم القيامة وقد قال الله تعالى (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً) فارجع إلى ملكك وقل له ارجع عن هذا الأمر ولا تطمع فيه وكان ذلك الوزير أحمق فقال للخليفة يا أمير المؤمنين وحق المسيح والدين الصحيح أني لا يمكنني الرجوع بدون مريم ولو كانت مسلمة لأني لو رجعت إلى أبيها بدونها يقتلني فقال الخليفة خذوا هذا الملعون واقتلوه وأنشد هذا البيت:

ه . .ذا ج . .زاء م . . .ن عص . .ى   م . . . .ن فوق . . . .ه وعص . . . .يانه

ثم أمر بضرب عنق الوزير الملعون وحرقه فقالت السيدة مريم يا أمير المؤمنين لا تنجس سيفك بدم الملعون ثم جردت سيفها وضربته به فأطاحت رأسه عن جثته فذهب إلى دار البوار ومأواه جهنم وبئس القرار فتعجب الخليفة من صلابة ساعدها وقوة جنانها ثم خلع على نور الدين خلعة سنية وأفرد لهما مكاناً في قصره هي ونور الدين ورتب لهما المرتبات والجوامك والعلوفات وأمر بأن ينقل إليهما جميع ما يحتاجان إليه من الملابس والمفارش والأوأني النفيسة وأقاما في بغداد مدة من الزمان وهما في أرغد عيش وأهناه وبعد ذل اشتاق نور الدين إلى أمه وأبيه فعرض الأمر على الخليفة وطلب منه إذناً في التوجه إلى بلاده وزيارة أقاربه فدعا بمريم وأحضرها بين يديه وأجازه بالتوجه وأتحفه بالهدايا والتحف المثمنة وأوصى مريم ونور الدين ببعضهما ثم أمر بالمكاتيب إلى أمراء مصر المحروسة وعلمائها وكبرائها بالوصية على نور الدين مرور والديه وجاريته وإكرامهم غاية الإكرام وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٧٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أمير المؤمنين كتب إلى أمراء مصر وعلمائها وكبرائها بالوصية على نور الدين ووالديه وجاريته وأكرامهم غاية الأكرام فلما وصلت الأخبار إلى مصر فرح التاجر تاج الدين بعودة ولده نور الدين وكذلك أمه فرحت بذلك غاية الفرح وخرج للقائه الأكابر والأمراء وأرباب الدولة من أجل وصية الخليفة فلاقوا نور الدين وكان لهم يوم مشهود مليح عجيب اجتمع فيه المحب والمحبوب واتصل الطالب بالمطلوب وصارت الولائم كل يوم على واحد من الأمراء وفرحوا ببعضهم غاية الفرح وزال عنهم الهم والترح وكذلك فرحوا بالسيدة مريم وأكرموها غاية الأكرام ووصلت إليهم الهدايا والتحف من سائر الأمراء والتجار العظام وصار وأكل يوم في انشراح جديد وسرور أعظم من سرور العيد ولم يزالوا في فرح ولذات ونعم جزيلة مطربات وأكل وشرب وفرح وسرور مدة من الزمان إلى أن أتاهم هازم اللذات ومفرق الجماعات ومخرب الدور والقصور ومعمر بطون القبور فانتقلوا من الدنيا بالممات وصاروا في عداد الأموات فسبحان الحي الذي لا يموت وبيده مقاليد الملك والملكوت.

(حكاية الشاب البغدادي مع جاريته التي اشتراها)

(يحكى) أنه كان في قديم الزمان رجل بغدادي من أولاد أهل النعم ورث عن أبيه مالا جزيلاً وكان يعشق جارية فاشتراها وكانت تحبه كما يحبها ولم يزل ينفق عليها إلى أن ذهب جميع ماله ولم يبق منه شيء فطلب شيئاً من أسباب المعاش يتعيش فيه فلم يقدر وكان ذلك الفتى في أيام غناه يحضر مجالس العارفين بصناعة الغناء فبلغ فيها الغاية القصوى فاستشار بعض أخوانه فقال له أنا لا أعرف لك صنعة أحسن من أن تغني أنت وجاريتك فتأخذ على ذلك المال الكثير وتاكل وتشرب فكره ذلك هو والجارية فقالت له جاريته قد رأيت لك رأياً قال وما هو قالت تبيعني ونخلص من هذه الشدة أنا وأنت وأكون في نعمة فإن مثلي ما يشتريه إلا ذو نعمة وبذلك أكون سبباً في رجوعي إليك فاطلعها إلى السوق فكان أول من رآها رجل هاشمي من أهل البصرة وكان ذلك الرجل أديباً ظريفاً كريم النفس فاشتراها بألف وخمسمائة ديناراً وذلك الفتى صاحب الجارية فلما قبضت الثمن ندمت وبكيت أنا والجارية وطلبت الإقالة فلم يرض فوضعت الدنانير في الكيس

وأنا لا أدري أين أذهب لأن بيتي موحش منها وحصل لي من البكاء واللطم والنحيب ما لم يحصل لي قط فدخلت بعض المساجد وقعدت أبكي فيه واندهشت حتى صرت لا أعلم بنفسي فنمت وتركت الكيس تحت رأسي كالمخدة فلم أشعر إلا وإنسان قد جذبه من تحت رأسي ومضى يهرول فانتبهت فزعاً مرعوبا فلم أجد الكيس فقمت أجري خلفه وإذا برجلي مربوطة في حبل فوقعت على وجهي وصرت أبكي وألطم وقلت في نفسي فارقتك روحك وضاع مالك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٧٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن ذلك الفتى لما ضاع منه الكيس قال قلت في نفسي فارقتك روحك وضاع مالك وزادني الحال فجئت إلى الدجلة وحملت ثوبي على وجهي وألقيت نفسي في البحر ففطن بي الحاضرون وقالوا إن ذلك لعظيم هم حصل له فرموا أرواحهم خلفي وأطلعوني وسألوني عن أمري فأخبرتهم بما حصل لي فتأسفوا لذلك ثم جاءني شيخ منهم وقال قد ذهب مالك وكيف تتسبب في ذهاب روحك فتكون من أهل النار قم معي حتى أرى منزلك ففعلت ذلك فلما وصلنا إلى منزلي قعد عندي ساعة حتى سكن ما بي فشكرته وذلك ثم انصرف فلما خرج من عندي كدت أن أقتل روحي فتذكرت الآخرة والنار فخرجت من بيتي هارباً إلى بعض الأصدقاء فأخبرته بما جرى لي فبكى رحمة لي وأعطاني خمسين ديناراً وقال لي أقبل رأيي وأخرج في هذه الساعة من بغداد واجعل هذه نفقة لك على أن يشتغل قلبك عن حبها وتسلوها وأنت من أهل الإنشاء والكتابة وخطك جيداً وأدبك بارع فأقصد من شئت من العمال واطرح نفسك عليه لعل الله يجمعك بجاريتك فسمعت منه وقد قوي عزمي وأزال عني بعض همي وعزمت على أني أقصد فرض أواسط لأن بها أقارب فخرجت إلى ساحل البحر فرأيت سفينة راسية والبحرية ينقلون إليها أمتعة وقماشاً فاخراً فسألتهم أن يأخذوني معهم فقالوا إن هذه السفينة لرجل هاشمي ولا يمكننا أخذك على هذه الصورة فرغبتهم في الأجرة فقالوا إن كان ولابد فاقلع هذه الثياب الفاخرة التي عليك والبس ثياب الملاحين واجلس معنا كأنك واحد منا فرجعت واشتريت شيئاً من ثياب الملاحين ولبسته وجئت إلى السفينة وكانت متوجهة إلى البصرة فنزلت معهم فما كان إلا ساعة حتى رأيت جاريتي بعينها ومعها جاريتان يخدمانها فسكن ما كان عندي من الغيظ وقلت في نفسي ها أنا أراها وأسمع غناءها إلى البصرة فما أسرع أن جاء الهاشمي راكباً ومعه جماعة فنزلوا في تلك السفينة وانحدرت بهم وأخرج الطعام فأكل هو والجارية وأكل الباقون في وسط السفينة ثم قال الهاشمي الجارية كم هذا التمنع من الغناء ولزوم الحزن والبكاء ما أنت أول من فارق من يحب فعلمت ما كان عندها من أمر حبي ثم ضرب سائراً على الجارية في جانب السفينة واستدعى الذين كانوا في ناحيتي وجلس معهم خارج الستارة فسألت عنهم فإذا هم أخوته ثم أخرج لهم ما يحتاجون إليه من الخمر والنقل ولم يزالوا يحثون الجارية على الغناء إلى أن استدعت بالعود وأصلحته وأخذت تغني فأنشدت هذين البيتين:

ب ـان الخل ـيط بم ـن أح ـب ف ـادلجوا   وعن الس ـرى بمذ ـأى ل ـم يتحرج ـوا
والص ـب بع ـد أن اس ـتقل رك ـابهم   جم ـر الغض ـى ف ـي قلب ـه يتـ ـأجج

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٧٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية بعدما أنشدت بيتين الشعر غلبها البكاء ورمت العود وقطعت الغناء فتنغص القوم ووقعت أنا مغشياً علي فظن القوم أني قد صرعت فصار بعضهم يقرأ في أذني ولم يزالوا يلاطفونها ويطلبون منها الغناء إلى أن أصلحت العود وأخذت تغني فأنشدت

فوقف .ت أن .دب ظ .اعنين تحمل .وا   هم ف ي الف ؤاد وأن ن أوا وترحل وا

وقالت أيضاً:

ووقف .ت ب .االأطلال أس .أل ع .نهم   والـ . دار قف . ر والمنـ . ازل بلق . ع

ثم وقعت مغشياً عليها وارتفع البكاء من الناس وصرخت أنا ووقعت مغشياً على وضح الملاحون مني فقال بعض غلمان الهاشمي كيف حملتم هذا المجنون ثم قال بعضهم لبعض إذا وصلتم إلى بعض القرى فأخرجوه وأريحونا منه فحصل لي من ذلك هم عظيم وعذاب أليم فتجلدة غاية التجلد وقلت في نفسي لا حيلة لي في الخلاص من أيديهم إلا أن أعلمها بمكاني من السفينة لتمنع من أخراجي ثم صرنا حتى وصلنا إلى قرب ضيعة فقال صاحب السفينة أصعدوا بنا الشاطيء فطلع القوم وكان ذلك وقت المساء فقمت حتى صرت خلف الستارة وأخذت العود وغيرت الطرق طريقة بعد طريقة وضربت على الطريقة التي قد تعلمتها مني ثم رجعت إلى موضعي من السفينة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة٨٧٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الفتى قال ثم رجعت إلى موضعي من السفينة وبعد ذلك نزل القوم من الشاطيء ورجعوا إلى مواضعهم في السفينة وانبسط القمر على البر والبحر فقال الهاشمي للجارية بالله عليك لا تتغضي علينا عيشنا فأخذت العود وجسته بيدها وشهقت فظنوا أن روحها قد خرجت ثم قالت والله أن أستاذي معنا في هذه السفينة فقال الهاشمي والله لو كان معنا ما ضيعته من معاشرتنا لأنه ربما كان يخفف ما بك فننتفع بغنائك ولكن كونه في السفينة أمر بعيد فقالت لا أقدر على ضرب العود وتقليب الأهوية ومولاي معنا قال الهاشمي تسأل الملاحين فقالت أفعل فسألهم وقال هل حملتم معكم أحداً فقالوا لا فخفت أن ينقطع السؤال فضحكت وقلت نعم أنا أستاذها وعلمتها حين كنت سيدها فقالت والله إن هذا كلام مولاي فجاءني الغلمان وأخذوني إلى الهاشمي فلما رآني عرفني فقال ويحك ما هذا الذي أنت فيه وما أصابك حتى صرت في هذه الحالة فحكيت له ما جرى من أمري وبكيت وعلا نحيب الجارية من خلف الستارة وبكى الهاشمي هو وأخوته بكاء شديداً رأفة بي ثم قال والله ما دنوت من هذه الجارية ولا وطئتها ولا سمعت لها غناء إلا اليوم وأنا رجل قد وسع الله علي وإنما وردت بعداد لسماع الغناء وطلب أرزاقي من أمير المؤمنين وقد بلغت الأمرين ولما أردت الرجوع إلى وصني قلت في نفسي أسمع شيئاً من غناه بغداد فاشتريت هذه الجارية ولم أعلم أنكما على هذه الحالة فأنا أشهد الله على أن هذه الجارية إذا وصلت إلى البصرة اعتقتها وأزوجك إياها وأجري لكما ما يكفيكما وزيادة ولكن على شرط أني إذا أردت السماع يضرب لها ستارة وتغني من خلف الستارة وأنت من جملة أخواني وندمائي ففرحت بذلك ثم أن الهاشمي أدخل رأسه في الستارة وقال لها

أيرضيك ذلك فأخذت تدعوا له وتشكره ثم استدعى بغلام له وقال له خذ بيد هذا الشاب وأنزع ثيابه وألبسه ثياباً فاخرة وبخره وقدّمه إلينا فأخذني الغلام وفعل بي ما أمره سيده وقدمني إليه فوضع بين يدي الشراب مثل ما وضعه بين أيديهما ثم اندفعت الجارية تغنى بأحسن النغمات وتنشد هذه الأبيات:

عبروذ . ي ب . أن سـ . كنت دمـ . وعي ... حـ . ين جـ . اء الحبيـ . ب للتوديـ . ـع

لـ . م يـ . ذوقوا طعـ . م الفـ . راق ولامـ . ـا ... أحرقت لوعة الأسـ ى مـ ن ضـ لوعي

إنمـ . ـا يعـ . رف الغـ . رام كئيـ . ب ... سـ . اقط القلـ . ب بـ . ين تلـ . ك الربـ . وع

قال فطرب القوم من ذلك طرباً شديداً وزاد فرح الفتى بذلك ثم أخذ العود من الجارية وضرب به على أحسن النغمات وأنشد هذه الأبيات:

اسـ . أل العـ . رف أن سـ . ألت كريمـ . ـاً ... لـ م يـ رل يعـ رف الغذ ـى واليسـ ار

فسـ . ؤال الكـ . ريم يـ . ورث عـ . زاً ... وسـ . ؤال اللئـ . يم يـ . ورث عـ . اراً

وإذا لـ . م يكـ . ن مـ . ن الـ . ذل بـ . د ... فـ . الق بالـ . ذل أن سـ . ألت الكبـ . ارا

لـ . يس إجلالـ . ـك الكـ . ريم بـ . ذل ... إنمـ . ـا الـ . ذل أن أتجـ . ل الصـ . غارا

ففرح القوم بي وزاد فرحهم ولم يزالوا في فرح وسرور وأنا أغني ساعة والجارية ساعة إلى أن جئنا إلى بعض السواحل فرست السفينة هناك وصعد كل من فيها وسعدت أنا أيضاً وكنت سكران فقعدت أبول فغلبني النوم فنمت ورجعت الركاب إلى السفينة وأنحدرت بهم ولم يعلموا بي لأنهم كانوا سكارى وكنت دفعت النفقة إلى الجارية ولم يبق معي شيء ووصلوا إلى البصرة ولم أنتبه إلا من حر الشمس فقمت من ذلك المكان فما رأيت أحداً ونسيت أن أسأل الهاشمي عن اسمه وأين داره بالبصرة وبأي شيء يعرف وبقيت حيران وكان ما كنت فيه من الفرح بلقاء الجارية منام ولم أزل متحيراً حتى احتارت بي مركب عظيمة ونزلت فيها ودخلت البصرة وما كنت أعرف بها أحداً ولا أعرف بيت الهاشمي فجئت إلى بقال وأخذت منه دواة وورقة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٧٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن البغدادي صاحب الجارية لما دخل البصرة وصار حيران وهو لا يعرف أحداً ولا يعرف دار الهاشمي قال فجئت إلى بقال وأخذت منه دواة وورقة وقعدت أكتب فاستحسن خطي ورأى ثوبي دنسا فسألني عن أمري فأخبرته أني غريب فقير وقال أتقيم عندي ولك في كل يوم نصف درهم وأكلك وكسوتك وتضبط لي حساب دكاني فقلت له نعم وأقمت عنده وضبطت أمره ودبرت له دخله وخرجه فلما كان بعد شهر رأى الرجل دخله زائداً وخرجه ناقصاً فشكرني على ذلك ثم أنه جعل لي في كل يوم درهماً إلى أن حال الحول فدعاني أن أتزوج يا بنته ويشاركني في الدكان فأجبته إلى ذلك ودخلت بزوجتي ولزمت الدكان إلا أني منكسر الخاطر والقلب ظاهر الحزن فمكثت على تلك الحالة مدة سنتين فبينما أنا في الدكان وإذا بجماعة معهم طعام وشراب فسألت البقال عن القضية فقال هذا يوم المتنعمين يخرج فيه أهل الطرب واللعب والفتيان من ذوي النعمة إلى شاطيء البحر يأكلون ويشربون بين الأشجار على نهر

الأيلة فدعتني نفسي إلى الفرجة على هذا الأمر وقلت في نفسي لعلي إذ شاهدت هؤلاء الناس أجتمع بمن أحب فقلت للبقال أني أريد ذلك فقال شأنك والخروج معهم ثم جهز لي طعاماً وشراباً وسرت حتى وصلت إلى نهر الأيلة فإذا الناس ينصرفون فأردت الإنصراف معهم وإذا بريس السفينة التي كان فيها الهاشمي والجارية بعينه وهو سائر في نهر الأيلة فصحت عليهم فعرفني هو ومن معه وأخذوني عندهم وقالوا لي هل أنت حي وعانقوني وسألوني عن قصتي فأخبرتهم بها فقالوا أنا ظننا أنه قوي عليك السكر وغرقت في الماء فسألتهم عن حال الجارية فقالوا أنها لما علمت بفقدك مزقت ثيابها وأحرقت العود وأقامت على اللطم والنحيب فلما رجعنا مع الهاشمي إلى البصرة قلنا لها أتركي هذا البكاء والحزن فقالت أنا لبس السواد واجعل لي قبراً في جانب هذه الدار فأقيم عند ذلك القبر وأتوب عن الغناء فمكناها من ذلك وهي على تلك الحالة إلى الآن ثم أخذوني معهم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٧٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن البغدادي قال فأخذوني معهم فلما وصلت إلى الدار رأيتها على تلك الحالة فلما رأتني شهقت شهقة عظيمة حتى ظننت أنها ماتت فاعتنقتها عناقاً طويلاً ثم قال لي الهاشمي خذها فقلت نعم ولكن اعتقها كما وعدتني وزوجني بها ففعل ذلك ودفع إلينا أمتعة نفسه وثياباً كثيرة وفرشاً وخمسمائة دينار وقال هذا مقدار ما أردت أجراءه لكما في كل شهر ولكن بشرط المنادمة وسماع الجارية ثم أخلي لنا دار وأمر بأن ينقل إليها جميع ما نحتاج إليه فلما توجهت إلى تلك الدار وجدتها قد غمرت بالفرش والقماش وحملت إليها الجارية ثم أنني جئت إلى البقال وأخبرته بجميع ما حصل لي وسألته أن يجعلني في حل من طلاق ابنته من غير ذنب ودفعت إليها مهرها وما يلزمني وأقمت مع الهاشمي على ذلك سنتين وصرت صاحب نعمة عظيمة وعادت لي حالتي التي كنت فيها أنا والجارية في بغداد وقد فرج الله الكريم عنا وأسبغ جزيل النعم علينا وجعل مال صبرنا إلى الظفر بالمراد فله الحمد في المبدأ والمعاد والله أعلم.

(حكاية ورد خان بن الملك جليعاد)

(ومما يحكي أيضاً) أنه كان في قديم الزمان وسالف العصر والأوان ملك من بلاد الهند وكان ملكاً عظيماً طويل القامة حسن الصورة حسن الخلق كريم الطبائع محسناً للفقراء محباً للرعية ولجميع أهل دولته وكان اسمه جليعاد وكان تحت يده في مملكته اثنان وسبعون ملكاً ولبلاده ثلثمائة وخمسون قاضياً وكان له سبعون وزير وقد جعل على كل عشرة من عسكره رئيساً وكان أكبر وزرائه شخصاً يقال له شماس وكان عمره اثنتين وعشرون سنة وكان حسن الخلق والطباع لطيفاً في كلامه لبيبا في جوابه حاذقاً في جميع أموره حكيماً مدبراً رئيساً مع صغر سنه عارفاً بكل حكمة وأدب وكان الملك يحبه محبة عظيمة ويميل إليه لمعرفته بالفصاحة والبلاغة وأحوال السياسة ولما أعطاه الله من الرحمة وخفض الجناح للرعية وكان ذلك الملك عادلاً في مملكته حافظاً لرعيته مواصلاً كبيرهم وصغيرهم بالإحسان وما يليق بهم من الرعاية والعطايا والأمان والطمأنينة مخففاً للخراج عن كامل الرعية وكان محباً لهم كبيراً وصغيراً ومعاملا لهم بالإحسان إليهم والشفقة عليهم وافي في حسن سيرته بينهم بما لم يأت به أحد قبله ومع هذا كله لم يرزقه الله تعالى بولد فشق ذلك

عليه وعلى أهل مملكته فاتفق أن الملك كان مضطجعاً في ليلة من الليالي وهو مشغول الفكر في عاقبة أمر مملكته ثم غلب عليه النوم فرأى في منامه كأنه يصب ماء في أصل شجرة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٨٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك رأي في منامه كأنه يصب ماء في أصل شجرة وحول تلك الشجرة أشجار كثيرة وإذا بنار قد خرجت من تلك الشجرة وأحرقت جميع ما كان حولها من الأشجار فعند ذلك انتبه الملك من منامه فزعاً مرعوباً واستدعى أحد غلمانه وقال له اذهب بسرعة وأئتني بشماس الوزير عاجلاً فذهب الغلام إلى شماس وقال له إن الملك يدعوك في هذه الساعة لأنه انتبه من نومه مرعوباً فأرسلني إليك لتحضر عنده عاجلاً فلما سمع شماس كلام الغلام قام من وقته وساعته وتوجه إلى الملك ودخل عليه فرآه قاعداً على فراشه فسجد بين يديه داعياً له بدوام العز والنعم وقال له لا أحزنك الله أيها الملك ما الذي أقلقك في هذه الليلة وما سبب طلبك أياي بسرعة فأذن الملك بالجلوس فجلس وصار الملك نقص عليه ما رأى قائلاً أني رأيت في ليلتي هذه مناماها التي وهو كأني أصب ماء في أصل شجرة وحول تلك الشجرة أشجار كثيرة فبينما أنا في هذه الحالة وإذا بنار قد حرجت من أصل تلك الشجرة وأحرقت جميع ما حولها من الأشجار ففزعت من ذلك وأخذني الرعب فانتبهت عند ذلك وأرسلت دعوتك لكثرة معرفتك ولما أعلمه من اتساع علمك وغزارة فهمك فأطرق شماس رأسه ساعة ثم تبسم فقال له الملك ماذا رأيت يا شماس صدقني الخبر ولا تخف عني شيئاً فأجابه شماس وقال له أيها الملك أن الله تعالى خولك وأقر عينك وأمر هذه الرؤيا يؤول إلى كل خير وهو أن الله تعالى يرزقك ولداً ذكراً يكون وارثاً للملك عنك من بعد طول عمرك غير أنه يكون فيه شيء لا أحب تفسيره في هذا الوقت لأنه غير موافق لتفسيره ففرح الملك بذلك فرحاً عظيماً وزاد سروره وذهب عنه فزعه وطابت نفسه وقال أن كان الأمر كذلك من حسن تأويل المنام فكمل لي تأويله إذا جاء الوقت الموافق لكمال تأويله فالذي لا ينبغي تأويله الآن ينبغي أن تؤوله لي إذا آن أوانه لأجل أن يكمل فرحي لأني لا أبتغي بذلك غير رضا الله سبحانه وتعالى فلما رأى شماس من الملك أنه صمم على تمام تفسيره احتج له بحجة دافع بها عن نفسه فعند ذلك دعا الملك بالمنجمين وجميع المعبرين للأحلام الذين في مملكته فحضروا جميعاً بين يديه وقص عليهم ذلك المنام وقال لهم أريد منكم أن تخبروني بصحة تفسيره فتقدم واحد منهم وأخذ إذناً من الملك بالكلام فلما أذن له قال أعلم أيها الملك أن وزيرك شماساً ليس بعاجز عن تفسير ذلك وإنما هو احتشم منك وسكن روعك ولم يظهر لك جميع التأويل بالكلية ولكن إذ أذنت لي بالكلام تكلمت فقال له الملك تكلم أيها المفسر بلا احتشام واصدق في كلامك فقال المفسر اعلم أيها الملك أنه يظهر منك غلام يكون وارثاً للملك عنك بعد طول حياتك ولكنه لا يسير في الرعية بسيرك بل يخالف رسومك ويجور على رعيتك ويصيبه ما أصاب الفار مع السنور فاستعاذ بالله تعالى وقال وما حكاية السنور والفار فقال المفسر أطال الله عمر الملك أن السنور هو القط سرح سرحة من الليالي إلى شيء يفترسه في بعض الغيطان فما وجد شيئاً وضعف من شدة البرد والمطر الذين حصلاً في تلك الليلة فأخذ يحتال لنفسه بشيء فبينما هو دائر على تلك الحالة إذ رأى وكراً في أسفل شجرة فدنا منه وصار يتشمشم ويدندن حتى

أحس أن داخل الوكر فار فحوله وهم بالدخول عليه لكي يأخذه فلما أحس به الفار أعطاه قفاه وصار يزحف على يديه ورجليه لكي يسد باب الوكر عليه فعند ذلك صار السنور يصوت صوتاً ضعيفاً ويقول له لم تفعل ذلك يا أخي وأنا ملجيء إليك لتفعل معي رحمة بأن تقرني في وكرك هذه الليلة لأني ضعيف الحال من كبر سني وذهاب قوتي ولست أقدر على الحركة وقد توغلت في هذا الغيط هذه الليلة وكم دعوت بالموت على نفسي لكي استريح وها أنا على بابك طريح من البرد والمطر وأسألك بالله من صدقتك أن تأخذ بيدي وتدخلني عنك وتأويني في دهليز وكرك لأني غريب ومسكين وقد قيل من أوى بمنزله غريباً مسكيناً كان مأواه الجنة يوم الدين فأنت يا أخي حقيق بأن تكسب أجرى وتأذن لي في أن أبيت عندك هذه الليلة إلى الصباح ثم أروح إلى حال سبيلي وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٨١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن السنور قال للفار أئذن لي أن أبيت عندك هذه الليلة ثم أروح إلى حال سبيلي فلما سمع الفار كلام السنور قال له كيف تدخل وكري وأنت عدو لي بالطبع ومعاشك من لحمي وأخاف أن تغدر بي لأن ذلك من شيمتك لأنه لا عهد لك وقد قيل لا ينبغي الأمان للرجل الزاني على المرأة الحسناء ولا للفقير العائل على المال ولا النار على الحطب وليس بواجب على أن استأمنك على نفسي وقد قيل عداوة الطبع أضعف صاحبها كانت أقوى فأجاب السنور قائلاً بأحمد صوت وأسوأ حال أن الذي قلته من المواعظ حق ولست أنكر عليك لكن أما لك الصفح عما مضى من العداوة الطبيعية التي بيني وبينك لأنه قد قيل من صفح عن مخلوق مثله صفح خالقه عنه وقد كنت قبل ذلك عدواً لك وها أنا اليوم طالب صداقتك وقد قيل إذا أردت أن يكون عدوك لك صديقاً فافعل معه خيراً وأنا يا أخي أعطيك عهد الله وميثاقه أني لا أضرك أبداً ومع هذا ليس لي قدرة على ذلك فثق بالله وأفعل خيراً وأقبل عهدي وميثاقي فقال الفار كيف أقبل على أن تأسست العداوة بيني وبينه وعادته أن يغدر بي ولو كانت العداوة بيننا على شيء من الأشياء والدم لهان على ذلك ولكنها عداوة طبيعية بين الأرواح وقد قيل من استأمن عدوه على نفسه كان كمن أدخل يده في فم الأفعى فقال السنور وهو ممتليء غيظاً قد ضاق صدري وضعفت نفسي وها أنا في النزع وعن قليل أموت على بابك ويبقى أملي عليك لأنك قادر على نجاتي مما أنا فيه وهذا آخر كلامي معك فحصل للفار خوف من الله تعالى ونزلت في قلبه الرحمة وقال في نفسه من أراد المعونة من الله تعالى على عدوه فليصنع معه رحمة وخيراً وأنا متوكل على الله في هذا الأمر وأنقذ هذا السنور من هذا الهلاك لأكعب أخره فعند ذلك خرج الفار إلى السنور وأدخله في وكره سحباً فأقام عنده إلى أن اشتدوا استراح ولعاً فيه قليلاً فصار يتأسف على ضعفه وذهاب قوته وقله أصدقائه فصار الفار يترفق به ويأخذ بخاطره ويتقرب منه ويسعى حوله وأما السنور فإنه زحف إلي الوكر حتى ملك المخرج خوفاً أن يخرج منه الفار فلما أراد الخروج قرب من السنور على عادته فلما صار قريباً منه قبض عليه وأخذه بين أظافيره وصار يعضه وينثره ويأخذه في فمه ويرفعه على الأرض ويرميه ويجري وراءه وينهشه ويعذبه فعند ذلك استغاث الفار وطلب الخلاص من الله وجعل يعاتب السنور ويقول ابن العهد الذي أهدتني به وأين أقسامك التي أقسمت بها أهذا جزائي منك وقد أدخلتك وكري واستأمنتك على نفسي ولكن صدق من قال من أخذ عهداً من عدوه لا ينبغي لنفسه نجاة ومن قال من أسلم

نفسه لعدوه وكان مستوجباً لنفسه الهلاك ولكن توكلت على خالقي فهو الذي يخلصني منك فبينما هو على تلك الحالة مع السنور وهو يريد أن يهجم عليه وينهض فيه ويفترسه وإذا برجل صياد معه كلاب جارحة معودة بالصيد فمر منهم كلب على باب الوكر فسمع فيه معركة كبيرة فظن أن فيه ثعلباً يفترس شيئاً فاندفع الكلب منحدراً ليصطاده فصادف السنور فجذبه إليه فلما وقع السنوربين يدي الكلب التهي بنفسه وأطلق الفار حياً ليس فيه جرح وأما هو فإنه خرج به الكلب الجارح بعد أن قطع عصبه ورماه ميتاً وصدق في حقهما قول من قال من رحم رحم آجلاً ومن ظلم ظلم عاجلاً هذا ما جرى لهما أيها الملك فلذلك لا ينبغي لأحد أن ينقض عهد من استأمنه ومن غدر وخان يحصل له مثل ما حصل للعثور لأنه كما يدين الفتى يدان ومن يرجع إلى الخير ينل الثواب ولكن لا تحزن أيها الملك ولا يشق عليك ذلك لأن ولدك بعد ظلمه وعسفه ربما يعود إلى حسن سيرتك وأن هذا العالم الذي هو وزيرك شماس أحب أن لا يكتم عليك شيء فيما رمزه إليك وذلك رشد منه قيل أن أكثر الناس خوفاً أوسعهم علماً وأغبطهم خيراً فأذعن الملك عند ذلك وأمر لهم بإكرام جزيل ثم صرفهم وقام ودخل مكانه وصار يتفكر في عاقبة أمره فلما جن الليل أفضي إلى بعض نسائه وكانت أكرمهن عنده وأحبهن إليه فراقدها فلما تم لها نحو أربعة أشهر تحرك الحمل في بطنها ففرحت بذلك فرحاً شديداً وأعلمت الملك بذلك فقال صدقت رؤياي والله المستعان ثم أنزلها أحسن المنازل وأكرمها غاية الإكرام وأعطاها أنعاماً جزيلاً دخولها بشيء كثيرو بعد ذلك دعا ببعض الغلمان وأرسله ليحضر شماساً فلما حضر حدثه الملك بما صار من حمل زوجته وهو فرحان قائلاً قد صدقت رؤياي واتصل رجائي فلعل ذلك الحمل يكون ولداً ذكر ويكون وارثاً لملكي فما تقول بالشماس في ذلك فسكت شماس ولم ينطق بجواب فقال له الملك مالي أراك لا تفرح لفرحي ولا ترد لي حواباً يا ترى هل أنت كاره لهذا الأمر يا شماس فسجد عند ذلك شماس بين أيادي الملك أطال الله عمرك ما الذي ينفع المستظل بشجرة إذا كانت النار تخرج منها وما لذة شارب الخمر الصافي إذا حصل له بها الشرق وما فائدة الناهل من الماء العذب البارد إذا غرق فيه وإنما أنا عبد الله ذلك أيها الملك ولكن قد قبل ثلاثة أشياء لا ينبغي للعاقل أن يتكلم في شأنها إلا إذا تمت المسافر حتى يرجع من سفره والذي في الحرب حتى يقهر عدوه والمرأة الحامل حتى تضع حملها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٨٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير شماساً لما قال للملك ثلاثة أشياء لا ينبغي للعاقل أن يتكلم في شأنها إلا إذا تمت قال له بعد ذلك فاعلم أيها الملك أن المتكلم في شأن شيء لم يتم مثل الناسك المدفون على رأسه فقال له الملك وكيف حكاية الناسك وما جرى له فقال له أيها الملك أنه كان إنسان ناسك عند شريف من أشراف بعض المدن وكان للناسك جراية في كل يوم من رزق ذلك الشريف وهي ثلاثة أرغفة مع قليل من السمن والعسل وكان السمن في ذلك البلد غالباً وكان الناسك يجمع الذي يجيء إليه في جرة عنده حتى ملأها وعلّقها فوق رأسه خوفاً واحتراساً فبينما هو ذات ليلة من الليالي جالس على فراشه وعصاه في يده إذ عرض له فكر في أمر السمن وغلائه فقال في نفسه ينبغي أن أبيع هذا السمن الذي عندي جميعه واشتري بثمنه نعجة وأشارك عليها أحداً من الفلاحين فإنها في أول عام تلد ذكراً وأنثى وثاني عام تلد أنثى وذكراً ولا تزال هذه

الغنم تتوالد ذكور وأناثاً حتى تصير شيئاً كثيراً وأقسم حصتي بعد ذلك وأبيع فيها ما شئت وأشتري الأرض الفلانية وأنشيء فيها غيطاً وأبني فيها قصراً عظيماً وأقتني ثياباً وملبوساً وأشتري عبيداً وجواري وأتزوج بنت التاجر الفلاني وأعمل عرساً ما صار مثله قط وأذبح الذبائح وأعمل الأطعمة الفاخرة والحلويات والملبوسات وغيرها وأجمع فيها الملاعب والفنون وآلات السماع وأجهز الأزهار والمشمومات وأصناف الرياحين وأدعو الأغنياء والفقراء والعلماء وأرباب الدولة وكل من طلب شيئاً أحضرته إليه وأجهز أنواع المآكل والمشارب وأطلق منادي ينادي من يطلب شيئاً يناله وبعد ذلك أدخل على عروسي بعد جلائها وأتمتع بحسنها وجمالها وآكل وأشرب وأطرب وأقول لنفسي قد بلغت مناك وأستريح من النسك والعبادة وبعد ذلك تحمل زوجتي وتلد غلاماً ذكراً فأفرح به وأعمل له الولائم وأربيه في الدلال وأعلمه الحكمة والأدب والحساب وأشهر اسمه بين الناس وافتخر به عند أرباب المجالس وآمره بالمعروف فلا يخالفني وأنهاه عن الفاحشة والمنكر وأوصيه بالتقوى وفعل الخير وأعطيه العطايا الحسنة السنية فإن رأيته لزم الطاعة زدته عطايا صالحة وإن رأيته مال إلى المعصية أنزل عليه بهذه العصا ورفعها ليضرب بها ولده فأصابت جرة السمن التي فوق رأسه فكسرتها فعند ذلك نزلت شقافتها عليه وساح السمن على رأسه وعلى ثيابه وعلى لحيته وصار عبرة فلأجل ذلك أيها الملك لا ينبغي للإنسان أن يتكلم على شيء قبل أن يصير. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٨٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير قال للملك لا ينبغي للإنسان أن يتكلم على شيء قبل أن يصير فقال له الملك لقد صدقت فيما قلت ونعم الوزير أنت بالصدق نطقت وبالخير أشرت ولقد صارت رتبتك عندي على ما تحب ولم تزل مقبولاً فسجد شماس لله وللملك ودعا له بدوام النعم وقال أدام الله أيامك وأعلى شأنك وأعلم أنني لست أكتم عنك شيئاً لا في العلانية ورضاك رضاي وغضبك غضبي وليس لي فرح إلا بفرحك ولا يمكنني أن أبيت وأنت ساخط عليّ لأن الله تعالى رزقني كل خير بإكرامك إياي فاسأل الله تعالى أن يحرسك بملائكته ويحسن ثوابك عند لقائه فابتهج الملك عند ذلك ثم قام شماس وانصرف من عند الملك ثم بعد مدة وضعت زوجة الملك غلاماً ذكراً فنهض المبشرون إلى الملك وبشّروه بغلامه ففرح بذلك فرحاً شديداً وشكر الله شكراً جزيلاً وقال الحمد لله الذي رزقني ولداً بعد اليأس وهو الشفوق الرؤوف على عباده ثم أن الملك كتب إلى سائر أهل مملكته ليعلمهم بالخبر ويدعوهم إلى منزله فحضر له الأمراء والرؤساء والعلماء وأرباب الدولة الذين تحت أمره هذا ما كان من أمر الملك (وأما) ما كان أمر ولده فأنه قد دقت البشائر والأفراح في سائر المملكة وأقبل أهلها إلى الحضور من سائر الأقطار وأقبل أهل العلوم والفلسفة والأدباء والحكماء ودخلوا جميعهم إلى الملك ووصل كل منهم إلى حد مقامه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٨٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك لما دعى أهل المملكة دخل كل منهم على قدر مقامه ثم أشار إلى الوزراء السبعة الكبار الذين رئيس شماس أن يتكلم كل واحد منهم على قدر ما عنده من الحكمة في شأن

ما هو بصدده فابتدأ رئيسهم الوزير شماس واستأذن في الكلام فأذن له فقال الحمد لله الذي أنشأنا من العدم إلى الوجود المنعم على عباده الملوك أهل العدل والإنصاف ثم ولاهم من الملك والعمل الصالح وبما أجراه على أيديهم لرعيتهم من الرزق وخصوصاً ملكنا الذي أحيا الله به أموات بلادنا بما أسداه علينا من النعم ورزقنا من سلامته برخاء العيش والطمأنينة والعدل فأي ملك يصنع بأهل مملكته ما صنع هذا الملك بنا من القيام بمصالحنا وأداء حقوقنا وأنصاف بعضنا من بعض وعدم الغفلة عنا ورد مظالمنا ومن فضل الله على الناس أن يكون ملكهم متعهد الأمور هم وحافظاً لهم من عدوهم لأن العدو غاية قصده أن يقهر عدوه وأن يملكه في يده وكثير من الناس يقدمون أولادهم إلى الملوك خدماً فيصيرون عندهم بمنزلة العبيد لأجل أن يمنعوا عنهم الأعداء وأما نحن فلم يطأ بلادنا أعداء في زمن ملكنا لهذه النعمة الكبرى والسعادة العظمى التي لم يقدر الواصفون على وصفتها وأنما هي فوق ذلك وأنت أيها الملك حقيق بأنك أهل لهذه النعمة العظيمة ونحن تحت كنفك وفي ظل جناحك أحسن الله ثوابك وأدام بقاءك لأننا كنا قبل ذلك نجد في الطلب من الله تعالى أن يمن علينا بالإجابة ويبقيك لنا ويعطيك ولداً صالحاً تقرّبه عيناك والله سبحانه وتعالى قد تقبّل منا واستجاب دعاءنا وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٨٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن شماساً قال للملك إن الله تعالى قد تقبّل منا واستجاب دعاءنا وأتانا الفرج القريب مثل ما آتى بعض السمك في غدير الماء فقال الملك وما حكاية السمك وكيف ذلك فقال شماس أعلم أيها الملك أنه كان في بعض الأماكن غدير ماء وكان فيه بعض سمكات فعرض لذلك الغدير أنه قل ماؤه وصار ينضم بعضه إلى بعض ولم يبق من الماء ما يسعها فكادت أن تهلك وقالت ما عسى أن يكون من أمرنا وكيف نحتال ومن نستشيره في نجاتنا فقامت سمكة منهن وكانت أكبرهن عقلاً وسناً وقالت مالنا حيلة في خلاصنا إلا الطلب من الله ولكن نلتمس الرأي من السرطان فإنه أكبرنا فهلموا بنا إليه لننظر ما يكون من رأيه لأنه أكبر منا معرفة بحقائق الكلام فاستحسنوا رأيها وجاءوا بأجمعهم إلى السرطان فوجدوه رابضاً في موضعه وليس عنده علم ولا خبر بما هم فيه فسلم عليه وقالوا له يا سيدنا أما يعنيك أمرنا وأنت حاكمنا ورئيسنا فأجابهم السرطان قائلاً وعليهم السلام ما الذي جاء بكم وما تريدون فقصّوا عليه قصتهم وما دهاهم من أمر نقص الماء وأنه متى نشف حصل لهم الهلاك ثم قالوا له وقد جئناك منتظرين رأيك وما يكون لنا فيه النجاة لأنك كبيرنا وأعرف منا فعند ذلك أطرق رأسه مليا ثم قال لاشك أن عندكم نقص عقلي ليأسكم من رحمة الله تعالى وكفالته بأرزاق خلائقه جميعاً ألم تعلموا أن الله سبحانه وتعالى يرزق عباده بغير حساب وقدّر أرزاقهم قبل أن يخلق شيئاً من الأشياء وجعل لكل شخص عمراً محدوداً ورزقاً مقسوماً بقدرته لآلهية فكيف تحملوا هم شيء هو في الغيب مسطور والرأي عندي أنه لا يكون أحسن من الطلب من الله تعالى فينبغي أن كل واحد منا يصلح سريرته مع ربه في سره وعلانيته ويدعو الله أن يخلصنا وينقذنا من الشدائد لأن الله تعالى لا يخيب رجاء من توكل عليه ولا يرد طلب من توسل إليه فإذا أصلحنا أحوالنا استقامت أمورنا وحصل لنا كل خير ونعمة وإذا جاء الشتاء وغمرت أرضنا بدعاً صالحاً فلا يهدم الخير الذي بناه فالرأي أن تصبر وننتظر ما يفعله الله بنا فإن كان يحصل لنا موت على العادة استرحنا وأن كان يحصل لنا

ما يوجب الهرب هربنا ورحنا من أرضنا إلى حيث يريد الله فأجاب السمك جميعه من فم واحد صدقت يا سيدنا جزاك الله عنا خيراً وتوجه كل واحد منهم على موضعه فما مضى إلا أيام قلائل وأتاهم الله بمطر شديد حتى ملأ الغدير زيادة عما كان أولاً وهكذا نحن أيها الملك كنا يائسين من أن يكون لك ولد وحيث منّ الله علينا وعليك بهذا الولد المبارك فنسأل الله تعالى أن يجعله ولداً مباركاً وأن تقرّبه عينك ويحله خلفاً صالحاً ويرزقنا منه مثل ما رزقنا منك فإن الله تعالى لا يخيب من قصده ولا ينبغي لأحد أن يقطع رجاءه من رحمة الله تعالى ثم الوزير الثاني سلم على الملك فأجابه الملك قائلاً وعليكم السلام. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٨٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير الثاني لما دخل عل الملك وسلم عليه فردّ الملك عليه السلام فقال ذلك الوزير أن الملك لا يسمي ملكاً إلا إذا أعطى وعدل حكم وأكرم وأحسن سيرته مع رعيته بإقامة الشرائع والسنن المألوفة بين الناس وأنصف بعضهم من بعض وحقن دماءهم وكف الأذى عنهم ويكون موصفاً بعدم الغفلة عن فقرائهم وإسعاف أعلاهم وأدناهم وأعطاءهم الحق الواجب لهم حتى يصيروا جميعاً داعين له ممتثلين لأمره لأنه لاشك أن الملك الذي بهذه الصفة محبوب عند الرغبة مكتسب من الدنيا علاها ومن الآخرة شرفها ورضا خالقها ونحن معاشر العبيد معترفون لك أيها الملك بأن جميع ما وصفناه عندك كم قيل خير الأمور أن يكون ملك الرعية عادلاً وحكيمها ماهراً وعالمها خبيراً عاملاً بعلمه ونحن الآن متنعمون بهذه السعادة وكنا قبل ذلك قد وقعنا في اليأس من حصول ولذلك يرث ملكك ولكن الله جلّ اسمه لم يخيب رجاءك وقبل دعاءك لحسن ظنك به وتسليم أمرك إليه فنعم الرجاء رجاؤك وقد صار فيك ما صار للغراب والحية فقال الملك وكيف ذلك حكاية الغراب والحية فقال الوزير أيها الملك أنه كان غراب ساكناً في شجرة هو وزوجته في أرغد عيش إلى أن بلغا زمان تفريحهما وكان زمن القيظ فخرجت حية من وكرها وقصدت تلك الشجرة وتعلقت بفرعها إلى أن صعد إلى عش الغراب وربضت فيه ومكثت فيه مدة أيام الصيف وصلوا الغراب مطرود لا يجد له فرصة ولا موضعاً يرقد فيه فلما انقضت أيام الحر ذهبت الحية إلى موضعها فقال الغراب لزوجته نشكر الله تعالى الذي نجانا وخلصنا من هذه الآفة وما أحرمنا من الزاد في هذه السنة لأن الله تعالى لا يقطع رجاءنا فنشكره على ما منّ علينا من السلامة وصحة أبداننا وليس لنا تكال إلا عليه وإذا أراد الله وعشنا إلى العام القابل عوض الله علينا نتائجنا فلما جاء وقت تفريخهما خرجت الحية من موضعها وقصدت الشجرة فبينما هي متعلقة ببعض أغصانها وهي قاصدة عش الغراب على العادة وإذا بحدأة قد انقضت عليها وضربتها في رأسها فخدشتها فعند ذلك سقطت الحياة على الأرض مغشياً عليها وطلع عليها النمل فأكلها وصار الغراب مع زوجته في سلامة وطمأنينة وفرخاً أولاداً كثيرة وشكر الله على سلامتهما وعلى حصول الأولاد ونحن أيها الملك يجب علينا شكر الله على ما أنعم عليك وعلينا بهذا المولود المبارك السعيد بعد اليأس وقطع الرجاء أحسن الله ثوابك وعاقبة أمرك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٨٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير الثاني لما فرغ من كلامه ختمه بقوله أحسن الله ثوابك وعاقبة أمرك ثم قام الوزير الثالث وقال أبشر أيها الملك العادل بالخير العاجل والثواب الآجل لأن كل من تحبه أهل السماء والله تعالى قسم ذلك المحبة وجعلها في قلوب أهل مملكتك فله الشكر والحمد منا ومنك لكي يزيد نعمته عليك وعلينا بك واعلم أيها الملك الإنسان لا يستطيع شيئاً إلا بأمر الله تعالى وأنه هو المعطي وكل خير عند شخص إليه ينتهي قسم النعم على عبيده كما يحب فمنهم من أعطاه مواهب كثيرة ومنهم من شغله بتحصيل القوت ومنهم من جعله رئيساً ومنهم من جعله زاهداً في الدنيا راغباً إليه لأنه هو الذي قال أنا الضار النافع أشفي وأمرض وأغني وأفقر وأميت وأحيي وبيدي كل شيء وإليّ المصير فواجب على جميع الناس شكره وأنت أيها الملك من السعداء الأبرار كما قيل أن أسعد الأبرار من جمع الله له بين خزي الدنيا والآخرة ويقنع بما قسم الله له ويشكره على ما أقامه فيه ومن تعدى وطلب غير ما قدّر الله له وعليه يشبه حمار الوحش والثعلب قال الملك وما حديثهما قال الوزير اعلم أيها الملك أن ثعلباً كان يخرج كل يوم من وطنه ويسعى على رزقه فبينما هو ذات يوم في بعض الجبال وإذا بالنهار وقد انقضى وقصد الرجوع فاجتمع على ثعلب رآه ماشياً وصار كل منهما يحكي لصاحبه حكاية مع ما افترسه فقال أحدهما أنني بأمس وقعت في حمار وحش وكنت جائعاً وكان لي ثلاثة أيام ما أكلت ففرحت بذلك وشكرت الله تعالى الذي سحره لي ثم أنني عمدت إلى قلبه فأكلته وشبعت ثم رجعت إلى وطني ومضى علي ثلاثة أيام ما أجد شيئاً آكله ومع ذلك أنا شبعان إلى الآن فلما سمع الثعلب الحكاية حسده على شبعه وقال في نفسه لابد لي من أكل قلب حمار الوحش فترك الأكل أيام حتى انهزل وأشرف على الموت وقصر شعبه واجتهاده وربض في وطنه فبينما هو في وطنه ذات يوم من الأيام وإذا بصيادين ماشيين قاصدين الصيد فوقع لهما حمار وحش فأقاما النهار كله في أثره طرد ثم أن بعضهما رماه بسهم مشعب فأصابه ودخل جوفه واتصل بقلبه فقتله مقابل وكر الثعلب المذكور فأدركه الصيادان فوجداه ميتا فأخرجا السهم الذي أصابه في قلبه فلم يخرج إلا العود وبقي السهم مشعبان في بطن حمار الوحش فلما كان المساء خرج الثعلب من وطنه وهو يتضجر من الضعف والجوع فرأى حمار الوحش على بابه طريحاً ففرح فرحاً شديداً حتى كاد أن يطير من الفرح وقال الحمد لله الذي يسّر لي شهوتي من غير تعب لأني كنت لا أؤمل أني أصبت حمار وحش ولا غيره ولعل الله أوقع هذا وساقه إلى في موضعي ثم وثب عليه وشقّ بطنه وأدخل رأسه وصار يجول بفمه في أمعائه إلى أن وجد القلب فالتقمه نعمه وأبتلعه فلما صار داخل حلقه اشتبك شعب السهم في عظم رقبته ولم يقدر على إدخاله في بطنه ولا على إخراجه من حلقه وأيقن بالهلاك فلهذا أيها الملك ينبغي للإنسان أن يرضي بما قسمه الله له ويشكر نعمه ولا يقطع رجاءه من مولاه وها أنت أيها الملك بحسن نيتك وأسداء معروفك رزقك الله ولد بعد اليأس فنسأل الله تعالى أن يرزقه عمراً طويلاً وسعادة دائمة ويجعله خلفاً مباركا وفيا بعدك من بعد طول عمرك ثم قام الوزير الرابع وقال أن الملك إذا كان فيهما عالماً بأبواب الحكمة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٨٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير الرابع لما قام وقال إن الملك إذا كان فهيماً عالماً بأبواب الحكمة والأحكام والسياسة مع صلاح النية والعدل في الرعية وإكرام من يحب إكرامه وتوفير من يحب توفيره والعفو عند القدرة إلا فيما لا بد منه ورعاية الرؤساء والمرؤوسين والتخفيف عنهم والأنعام عليهم وستر عوراتهم والوفاء بعهدهم كان حقيقاً بالسعادة الدنيوية والآخروية فإن ذلك مما يعذه منهم ويعينه على ثبات ملكه ونصرته على أعدائه وبلوغ مأموله مع زيادة نعمة الله عليه وتوفيقه لشكره والفوز بعديته أن الملك إذا كان بخلاف ذلك فإنه لم يزل في مصائب وبلايا هو وأهل مملكته لكون جوره على الغريب والقريب ويصير فيه ما صار لابن الملك السائح فقال الملك وكيف كان ذلك فقال الوزير اعلم أيها الملك أنه كان في بلاد الغرب ملك جائر في حكمه ظالم غاشم عاسف مضيغ لرعاية رعيته ومن دخل في مملكته فكان لا يدخل في مملكته أحداً لا وتأخذ عماله منه أربعة أخماس ماله ويبقون له الخمس لاغير فقدر الله أنه كان له ولد سعيد موفق فلما رأى أحوال الدنيا غير مستقيمة تركها وخرج سائحاً عابداً الله تعالى من صغره ورفض الدنيا وما فيها وخرج في طاعة الله تعالى يسرح في البراري والقفار ويدخل المدن ففي بعض الأيام دخل تلك المدينة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٨٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير قال للملك لما دخل ابن الملك تلك المدينة فلما وقف على المحافظين أخذوه وفتشوه فلم يروا معه شيئاً سوى ثوبين أحدهما جديد والآخرعتيق فنزعوا منه الجديد وتركوا له العتيق بعد الإهانة والتحقير فصار يشكوا ويقول ويحكم أيها الظالمون أنا رجل فقير وسائح وما عسى أن ينفعكم من هذا الثوب وإذا لم تعطوه لي ذهبت للملك وشكوتكم إليه فأجابوه قائلين إننا فعلنا ذلك بأمر الملك فما بدا لك أن تفعله فافعله فصار السائح يمشي إلى أن وصل إلى بلاد الملك وأراد الدخول فمنعه الحجّاب فرجع وقال في نفسه مالي إلا أني أرصده حتى يخرج وأشكو إليه حالي وما أصابني فبينما هو على تلك الحالة ينتظر خروج الملك إذ سمع أحد الأجناد يخبر عنه فأخذ يتقدم قليلاً قليلاً حتى وقف قبال الباب فما شعر إلا والملك خارج فعارضه السائح ودعا له بالنصر وأخبره بما وقع له من المحافظين وشكا إليه حاله وأخبره أنه رجل من أهل الله رفض الدنيا وخرج طلب رضا الله تعالى فصار سائحاً في الأرض وكل من وفد عليه من الناس أحسن إليه بما أمكنه وصار يدخل كل مدينة وكل قرية وهو على هذه الحالة ثم قال فلما دخلت هذه المدينة ترجيت أن يفعل بي أهلها مثل ما يفعل بغيري من السائحين فعارضني أتباعك ونزعوا أحد أثوابي وأوجعوني ضرباً فانظر في شأني وخذ بيدي وخلص لي ثوبي وأنا لا أقيم بهذه المدينة ساعة واحدة فأجابه الملك الظالم قائلاً من أشار عليك بدخولك هذه المدينة وأنت غير عالم بما يفعل ملكها فقال بعد أن آخذ ثوبي أفعل بي مرادك فلما سمع ذلك الملك الظالم من السائح هذا الكلام حصل عنده تغيير مزاج فقال أيها الجاهل نزعنا عنك ثوبك لكي تذل وحيث وقع منك مثل هذا الصباح عندي فأنا أنزع نفسك منك ثم أمر بسجنه فلما دخل السجن جعل يندم على ما وقع منه من الجواب وعنّف نفسه حيث لم يترك ذلك يفوز بروحه فلما كان نصف الليل قام وصلى صلاة مطولة وقال بالله إنك الحكم العدل تعلم بحالي وما انطوى عليه أمري

مع هذا الملك الجائر وأنا عبدك المظلوم أسألك من فيض رحمتك أن تنقذني من يد هذا الملك الظالم وتحل به نقمتك لأنك لا تغفل عن ظلم كل ظالم فإن كنت تعلم أنه ظلمني فاحلل نقمتك عليه في هذه الليلة وأنزل به عذابك لأن حكمك عدل وأنت غياث كل ملهوف يا من له القدرة والعظمة إلى آخر الدهر فلما سمع السجان دعاء هذا المسكين صار جميع ما فيه من الأعضاء مرعوباً فبينما هو كذلك وإذا بنار قادت في القصر الذي فيه الملك فأحرقت جميع ما فيه حتى باب السجن ولم يخلص سوى السجان والسائح فانطلق السائح وسار هو والسجان ولم يزالا سائرين حتى وصلا إلى غير تلك المدينة وأما مدينة الملك الظالم فإنها احترقت عن آخرها بسبب جور ملكها وأما نحن أيها الملك السعيد فما نمسي وتصبح إلا ونحن داعون لك وشاكرون الله تعالى على فضله بوجودك مطمئنين بعد لك وحسن سيرتك وكان عندنا غم كثير لعدم ولد لك يرث ملكك خوفاً أن يصير علينا ملك غيرك من بعدك والآن قد أنعم الله تعالى بكرمه علينا وأزال عنا الغم وأتانا بالسرور بوجود هذا الغلام المبارك فنسأل الله تعالى أن يجعله خليفة صالحة ويرزقه العز والسعادة الباقية والخير الدائم ثم قام الوزير الخامس وقال تبارك الله العظيم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٩٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير الخامس قال تبارك الله العظيم مانح العطايا الصالحة والمواهب السنية وبعد فإننا تحققنا أن الله ينعم على من يشكره ويحافظ على دينه وأنت أيها الملك السعيد الموصوف بهذه المناقب الجليلة والعدل والإنصاف بين رعيتك بما يرضى الله تعالى فلأجل ذلك أعلى الله شأنك وأسعد أيامك ووهب لك هذه العطية الصالحة التي على هذا الولد السعيد بعد اليأس وصار لنا بذلك الفرح الدائم والسرور الذي لا ينقطع لأننا قبل ذلك كنا في هم شديد وغم زائد بسبب عدم ولدلك وفي أفكار فيما أنت منطو عليه من عدلك ورأفتك بنا وخوفاً أن يقضي الله عليك بالموت ولم يكن لك من يخلفك ويرث الملك من بعدك فيختلف رأينا ويقع بيننا الشقاق ويصير بيننا ما صار للغراب فقال الملك وما حكاية الغراب فأجابه الوزير قائلاً اعلم أيها الملك السعيد أنه كان في بعض البراري واد متسع وكان به أنهار وأشجار وأثمار وبه أطيار تسبح الله الواحد القهار خالق الليل والنهار وكان من جملة الطيور غربان وكانوا في أطيب عيش وكان المقدم عليهم والحاكم بينهم غراب رؤوف بهم شفوق عليهم وكانوا معه في أمان وطمأنينة ومن حسن تصريفهم فيما بينهم لم يكن أحد من الطيور يقدر عليهم فاتفق أن مقدمهم توفي وجاءه الأمر المحتوم على سائر الخلق فحزنوا عليه حزناً شديداً ومن زيادة حزنهم أنه لم يكن فيهم أحد مثله يقوم مقامه فاجتمعوا جميعاً وأئتمروا فيما بينهم على من يقوم عليهم بحيث يكون صالحاً فطائفة منهم اختاروا غراباً وقالوا إن هذا يصلح أن يكون ملكاً علينا وآخرون اختلفوا فيه ولم يريدوه فوقع بينهم الشقاق والجدال وعظمت الفتنة بينهم وبعد ذلك حصل بينهم توافق وتعاهدوا على أن يناموا تلك الليلة ولا يبكر أحد إلى السروح في طلب المعيشة غدا بل يصيرون جميعاً إلى الصباح وعند طلوع الفجر يكونون مجتمعين في موضع واحد ينظرون إلى كل طير يسبق في الطيران وقالوا أنه هو الذي يكون مختاراً عندنا للملك فنجعله ملكاً علينا ونوليه أمرنا فرضوا كلهم بذلك وعاهد بعضهم بعضاً وأتفقوا على هذا العهد فبينما هم على ذلك الحال إذ طلع بان فقالوا له يا أبا

الخير نحن اخترناك والياً علينا تنظر في أمرنا فرضي الباز بما قالوه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٩١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير الخامس قال للملك فرضي الباز بما قالوه وقال لهم إن شاء الله تعالى سيكون لكم مني خير عظيم ثم أنهم بعد ما ولوه عليهم صار كل يوم إذا سرح وسرح الغربان ينفرد بأحدهم ويضربه ويأكل دماغه وعينيه ويترك الباقي ولم يزل يفعل معهم هكذا حتى فطنوا به فرأوا غالبهم قد هلك فأيقنوا بالهلاك وقال بعضهم لبعض كيف نصنع وقد هلك وما انتبهنا حتى هلك أكابرنا فينبغي لنا أن نتيقظ لأنفسنا فلما أصبحوا نفروا منه وتفرقوا من حوله ونحن الآن نخشى أن يقع لنا مثل هذا ويصير علينا ملك غيرك ولكن قدمن الله علينا بهذه النعمة ووجهك إلينا ونحن الآن واثقون بالصلاح وجمع الشمل والأمن والأمانة والسلامة في الوطن فتبارك الله العظيم وله الحمد والشكر والثناء الجميل وبارك الله للملك ولنا معشر الرعية ورزقنا وإياه السعادة العظمى وجعله سعيد الوقت قائم الجد ثم قام الوزير السادس وقال هناك الله أيها الملك بأحسن الهناء في الدنيا والآخرة فقد تقدم من قول المتقدمين أن من صلى وصام وقام بحقوق الوالدين وعدل في حكمه لقي ربه وهو راض عنه وقد وليت علينا فعدلت فكنت بذلك سعيد الحركات فنسأل الله تعالى أن يجزل ثوابك وأجرك على إحسانك وقد سمعت ما قال هذا العائم فيما نتخوف من حرمان حظنا بعدم الملك ويوجد ملك آخر لا يكون فيعظم اختلافنا بعده ويقع البلاء في الاختلاف وإذا كان الأمر على ما ذكرناه فالواجب علينا أن نبتهل إلى الله تعالى بالدعاء لعل يهب للملك ولداً سعيداً ويجعله وارثاً للملك بعده ثم بعد ذلك ربما كان الذي يحبه الإنسان من الدنيا ويشتهيه مجهول العاقبة له وحينئذ لا ينبغي للإنسان أن يسأل ربه أمر ألا يدري عاقبته لأنه ربما كان صرر ذلك أقرب إليه من نفعه فيكون هلاكه في مطلوبه ويصيبه مثل ما أصاب الحاوي وزوجته وأولاده وأهل بيته وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٩٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير السادس لما قال للملك إن الإنسان لا ينبغي له أن يسأل ربه شيئاً لا يدري عاقبته لأنه ربما كان ضرر ذلك أقرب إليه من نفعه فيكون هلاكه في مطلوبه ويصيبه ما أصاب الحاوي وأولاده وزوجته وأهل بيته فقال الملك وما حكاية الحاوي وأولاده وزوجته وأهل بيته فقال الوزير اعلم أيها الملك أنه كان إنسان حاوياً وكان يربي الحيات وهذه كانت صنعته وكان عنده سلة كبيرة فيها ثلاث حيات لم يعلم بها أهل بيته وكان كل يوم يخرج بدور بها إلى المدينة ويتسبب بها بتحصيل رزقه ورزق عياله ويرجع عند المساء إلى بيته ويضع الأحناش في السلة سراً وعند الصباح يأخذها ويدور بها في المدينة فكان هذا دأبه على الدوام ولم يعلم أهل بيته بما في السلة فجاء إلى بيته على عادته فسألته زوجته وقالت له ما في هذه السلة فقال لها الحاوي وما مرادك منها أليس الزاد عندكم كثيراً زائداً فاقنعي بما قسم الله لك ولا تسألي عن غيره فسكتت عنه تلك المرأة وصارت تقول في نفسها لابد لي أن أفتش هذه السلة وأعرف ما فيها وصممت على ذلك وأعلمت أولادها وأكدت عليهم أن يسألوا والدهم عن تلك السلة ويلحوا عليه في السؤال لأجل أن يخبرهم فعند ذلك تعلق خاطر الأولاد بأن فيها شيء يأكل فصار الأولاد كل يوم يطلبون من

أبيهم أن يريهم ما في السلة وكان أبوهم يدافعهم ويراضيهم وينهاهم عن هذا السؤال فمضت لهم مدة وهم على ذلك الحال وأمهم تحثهم على ذلك ثم اتفقوا معها على أنهم لا يذوقون طعاماً ولا يشربون شراباً لوالدهم حتى يبلغهم طلبتهم ويفتح لهم السلة فبينما هم كذلك ذات ليلة إذ حضر الحاوي ومعه شيء كثير من الأكل والشرب فقعد ودعاهم ليأكلوا معه فأبوا من الحضور إليه وبينوا له الغيظ فجعل يلاطفهم بالكلام الحسن ويقول لهم انظروا ماذا تريدون حتى أجيء به إليكم أكلاً أو شرباً آه ملبوساً فقالوا له يا والدنا ما تريد منك إلا فتح هذه السلة لتنظر ما فيها وإلا قتلنا أنفسنا فقال لهم يا أولادي ليس لكم فيها خير وإنما فتحها ضرر لكم فعند ذلك ازدادوا غيظاً وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٩٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الحاوي قال لأولاده أن فتح السلة فيه ضرر لكم فازدادوا غيظاً فلما رآهم على هذه الحالة أخذ يهددهم ويشير لهم بالضرب إن لم يرجعوا عن تلك الحالة فلم يزدادوا إلا غيظاً ورغبة في السؤال فعند ذلك غضب عليهم وأخذ عصا ليضربهم بها فهربوا من قدامه في الدار وكانت السلة حاضرة لم يخفها الحاوي في مكن فحلت المرأة الرجل مشغولاً بالأولاد وفتحت السلة بسرعة لكي تنظر ما فيها وإذا بالحيات قد خرجوا من السلة ولدغوا المرأة والأولاد فقتلوها ثم داروا في الدار وهلكوا الكبار والصغار ما عدا الحاوي فترك الحاوي الدار وخرج فلما تحققت ذلك أيها الملك السعيد علمت أن الإنسان ليس له أن يتمنى شيء لم يرده الله تعالى بل يطيب نفساً بما قدره الله تعالى وأرادوها أنت أيها الملك مع غزارة علمك وجودة فهمك أقرّ الله عينك بحضور ولدك بعد اليأس وطيب قلبك ونحن نسأل الله تعالى أن يجعله من الخلفاء العادلين المرضين لله تعالى والرعية ثم قام الوزير السابع وقال أيها الملك إني قد علمت وتحققت ما ذكره لك أخوتي هؤلاء الوزراء العلماء الحكماء وما تكلموا به في حضرتك أيها الملك وما وصفوه من عدلك وحسن سيرتك وما تميزت به عمن سواك من الملوك حيث فضلوك عنهم وذلك من بعض الواجب علينا وأما أنا فأقول الحمد لله الذي ولاّك نعمته وأعطاك صلاح الملك برحمته وأعانك وإيانا على أن تزيده شكراً وما ذاك إلا وجودك وما دمت فينا لم نتخوف جوراً ولا نبغي ظلماً ولا يستطيع أحد أن يستطيل علينا مع ضعفنا وقد قيل أن أحسن الرعايا من كان ملكهم عادلاً وشرهم من كان ملكهم جائراً وقيل أيضاً السكنى مع الأسود الكواسر ولا السكنى مع السلطان الجائر فالحمد لله تعالى على ذلك حمداً دائماً حيث أنعم علينا بوجودك ورزقك هذا الولد المبارك بعد اليأس والطعن في السن لأن أجمل العطايا في الدنيا الولد الصالح وقد قيل من لا ولد له لا عاقبة له ولا ذكر وأنت لقويم عدلك وحسن ظنك بالله تعالى أعطيت هذا الولد السعيد فجاءك هذا الولد المبارك منه من الله تعالى علينا وعليك بحسن سيرتك وجميل صبرك وصار فيك ذلك مثل ما صار في العنكبوت والريح فقال الملك وما حكاية العنكبوت والريح وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٩٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك قال للوزير وما حكاية العنكبوت والريح فقال الوزير اعلم أيها الملك أن عنكبوتة تعلقت في باب متنح عال وعملت لها بيتاً وسكنت فيه بأمان وكانت تشكر الله تعالى الذي

يسر لها هذا المكان وآمن خوفها من الهوام فسكنت على هذا الحال مدة من الزمان وهي شاكرة لله على راحتها واتصال رزقها فأمتحنها خالقها بأن أخرجها لينظر شكرها وصبرها فأرسل إليها ريحاً عاصفاً شرقياً فحملها ببيتها ورماها في البحر فجرتها الأمواج إلى البر فعند ذلك شكرت الله تعالى على سلامتها وجعلت تعاتب الريح قائلة لها أيتها الريح لم فعلت بي ذلك وما الذي حصل لك من الخير في نقلي من مكاني إلى هنا وقد كنت آمنة مطمئنة في بيتي با على ذلك الباب فقال لها الريح انتهى عن العتاب فأني سأرجع بك وأوصلك إلى مكانك كما كنت أولاً فلبثت العنكبوتة صابرة على ذلك راجية أن ترجع إلى مكانها حتى ذهبت ريح الشمال ولم ترجع بها وهبت ريح الجنوب فمرت بها واختطفتها وطارت بها إلى جهة ذلك البيت فلما مرت به عرفته فتعلقت به ونحن نسأل الله الذي أثاب الملك على وحدته وصبره ورزقه هذا الغلام بعد يأسه وكبر سنه ولم يخرجه من هذه الدنيا حتى رزقه قرة عين له ووهب له ما وهب من الملك والسلطان فرحم رعيته وأولاهم نعمته فقال الملك الحمد لله فوق كل حمد والشكر له فوق كل شكر لا إله إلا هو خالق كل شيء الذي عرفنا بنور آثاره وجلال عظمته يؤتي الملك والسلطان من يشاء من عباده في بلاده لأنه ينتحب منهم من يشاء ليجعله خليفة ووكيلاً على خلقه ويأمره فيهم بالعدل والإنصاف وإقامة الشرائع والسنن والعمل بالحق والاستقامة في أمروهم على ما أحب وأحبوا فمن عمل منهم بما أمر الله كان لحظة مصيبا ولأمر ربه مطيعاً فيكفيه هول دنياه ويحس جزاؤه في أخراه أنه لا يضيع أجر المحسنين ومن عمل منهم بغير ما أمر الله أخطأ خطأ بليغاً وعصى ربه وآثر دنياه على أخراه فليس له في الدنيا مآثر ولا في الآخرة نصب لأن الله يمهل أهل الجود والفساد ولا يهمل أحداً من العباد وقد ذكر وراؤنا هؤلاء أن من عدلنا بينهم وحسن تصرفنا معهم أنعم علينا وعليهم بالتوفيق لشكره المستوجب لمزيد إنعامه وكل واحد منهما قال ما الهمة لله في ذلك وبالغوافي الشكر لله تعالى والثناء عليه بسبب نعمته وفضله وأنا أشكر الله لأني إنما أنا عبد مأمور وقلبي بيده ولساني تابع له راضي بما حكم الله عليّ وعليهم بأي شيء صار وقد قال كل واحد منهم ما خطر بباله أمر هذا الغلام وذكر ما كان من متجدد النعمة علينا حين بلغت من السن حدا يغلب معه اليأس وضعف اليقين والحمد لله الذي نجانا من الحرمان واختلاف الحكام كاختلاف الليل والنهار وقد كان ذلك إنعاماً عظيماً عليهم وعلينا فنحمد الله تعالى الذي رزقنا هذا الغلام سميعاً مطيعاً وجعله وارثاً من الخلافة محلاً رفيعاً نسأله من كرمه وحلمه أن يجعله سعيد الحركات موفقاً للخيرات حتى يصير ملكاً وسلطاناً على رعيته بالعدل والإنصاف حافظاً لهم من هلكات الاعتساف عنه وكرمه وجوده وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٩٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك بعدما فرغ من كلامه قام الحكماء والعلماء وسجدوا لله وشكروا الملك وقبّلوا يديه وانصرف كل واحد منهم إلى بيته فعند ذلك دخل الملك بيته وأبصر الغلام ودعا له وسمّاه ورد خان فلما تم له من العمر اثنتا عشرة سنة أراد الملك أن يعلمه العلوم فبنى له قصراً في وسط المدينة وبنى فيه ثلثمائة وستين مقصورة وجعل الغلام فيه ورتب له ثلاثة من الحكماء والعلماء وأمرهم أن لا يغفلوا عن تعليمه ليلاً ونهاراً وأن يجلسوا معه في كل مقصورة يوماً ويحرصوا على أن لا يكون علم إلا ويعلمونه إياه حتى يصير بجميع العلوم عارفاً ويكتبون على باب كل مقصورة ما يعلمونه له فيها من أصناف

العلوم يرفعون إليه في كل سبعة أيام ما عرفه من العلوم ثم أن العلماء أقبلوا على الغلام وصاروا لا يفترون عن تعليمه ليلاً ونهاراً ولا يؤخرون عنه شيء مما عندهم من العلوم فظهر للغلام من ذكاء العقل وجودة الفهم وقبول العلم ما لم يظهر لأحد قبله وجعلوا يرفعون للملك وفي كل أسبوع مقدار ما تعلمه ولده وأتقنه فكان الملك يستظهر من ذلك علماً حسناً وأدباً جميلاً وقال العلماء ما رأينا قط من أعطى فهماً مثل هذا الغلام فبارك الله لك فيه ومتعك بحياته فلما أتم الغلام مدة اثنتي عشرة سنة حفظ من كل علم أحسنه وفاق جميع العلماء والحكماء الذين في زمانه فأتى به العلماء إلى الملك والده وقالوا له أقر الله عينيك أيها الملك بهذا الولد السعيد وقد أتيناك به بعد أن تعلم كل علم حتى لم يكن أحد من علماء الوقت وحكمائه بلغ ما بلغه ففرح الملك بذلك فرحاً شديداً وزاد في شكر الله تعالى وخرسا جداً لله عز وجل وقال الحمد لله على نعمه التي لا تحصى ثم دعا بشماس الوزير وقال له اعلم يا شماس أن العلماء قد أتونى وأخبروني أن ابني هذا قد تعلم كل علم ولم يبق من العلوم علم إلا وقد علموه له حتى فاق من تقدمه في ذلك فما تقول يا شماس فسجد عند ذلك لله عز وجل وقبل يد الملك وقال أبت الياقوتة ولو كانت في الجبل الأصم إلا أن تكون مضيئة كالسراج وابنك هذا جوهرة فما تمنعه حداثته من أن يكون حكيماً والحمد لله على ما أولاه وأنا إن شاء الله تعالى في غد أسأله واستيقظه بما عنده في مجمع أجمعه له من خواص العلماء والأمراء وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٩٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك جليعاد لما سمع كلام شماس أمر جهابذة العلماء وأذكياء الفضلاء ومهرة الحكماء أن يحضروا إلى قصر الملك في غد فحضروا جميعاً فلما اجتمعوا على باب الملك أذن لهم بالدخول ثم حضر شماس الوزير وقبل يدي ابن الملك فقام ابن الملك وسجد للشماس فقال له شماس لا يجب على شبل الأسد أن يسجد لأحد من الوحوش ولا ينبغي أن يقترن النور بالظلام قال الغلام أن شبل الأسد لما رأى وزير الملك سجد له فعند ذلك قال له شماس أخبرني ما الدائم المطلق وماكوناه وما الدائم من كونيه قال الغلام أما الدائم المطلق فهو الله عز وجل لأنه أول بلا ابتداء وآخر بلا انتهاء وأما كوناه فالدنيا والآخرة وأما الدائم من كونيه فهو نعيم الآخرة قال شماس صدقت فيما قلت وقبلته منك غير أني أحب أن تخبرني من أين علمت أن أحد الكونين هو الدنيا وثانيهما هو الآخرة قال الغلام لأن الدنيا خلقت ولم يكن من شيء كائن قال أمرها إلى الكون الأول غير أنها عرض سريع الزوال مستوجب الجزاء على الأعمال وذلك يستدعي إعادة الفاني فالآخرة هي الكون الثاني قال شماس صدقت فيما قلت وقبلته منك غير أني أحب أن تخبرني من أين علمت أن نعيم الآخرة هو الدائم من الكونين قال الغلام علمت ذلك من أنها دار الجزاء على الأعمال التي أعدها الباقي بلا زوال قال شماس أخبرني أهي أهل الدنيا أحمد عملاً قال الغلام من يؤثر آخرته على دنياه قال شماس ومن الذي يؤثر آخرته على دنياه قال الغلام من كان يعلم أنه في دار منقطعة وأنه ما خلق إلا للفناء وأنه بعد الفناء بحاسب وأنه لو كان في هذه الدنيا أحداً مخلداً أبدا لا يؤثر الدنيا على الآخرة قال شماس أخبرني هل تستقيم آخره بغير دنيا قال الغلام من لم يكن له دنيا فلا آخرة له ولكن رأيت الدنيا وأهلها والمعاد الذي هم سائرون إليه كمثل أهل هؤلاء الضياع الذين ابتنى لهم أمير بيتاً ضيقاً وأدخلهم

فيه وأمرهم بعمل يعملونه وضرب لكل واحد منهم أجلاً وكل به شخصاً فمن عمل منهم ما أمر به أخرجه الشخص الموكل به من ذلك الضيق ومن لم يعمل ما أمر به وقد أنقضى الأجل المضروب له عوقب فبينما هم كذلك إذ رشّح لهم من شقوق البيت عسل فلما أكلوا من العسل وذاقوا طعمه وحلاوته توانوا في العمل الذي أمروا به ونبذوه وراء ظهورهم وصبروا على ما هم فيه من الضيق والغم مع ما علموا من تلك العقوبة التي هم سائرون إليها وقنعوا بتلك الحلاوة اليسيرة وصار الموكل بهم لا يدع أحداً منهم إذا جاء أحله إلا ويخرجه من ذلك البيت فعرفنا أن الدنيا دار تتحير فيها الأبصار وضرب لأهلها فيها الآجال فمن وجد الحلاوة القليلة التي تكون في الدنيا وأشغل نفسه بها كان من الهالكين حيث آثر أمر دنياه على آخرته ومن يؤثر آخرته على دنياه ولم يلتفت إلى تلك الحلاوة القليلة كان من الفائزين قال شماس قد سمعت ما ذكرت من أمر الدنيا والآخرة وقبلت ذلك منك ولكني قد رأيتهما مسلطين على الإنسان فلا بد له من إرضائهما معاهما مختلفان فإن أقبل العبد على طلب المعيشة فذلك إضرار بروحه في المعاد وإن أقبل على الآخرة كان ذلك إضرار بجسده وليس له سبيل إلى إرضاء المتخالفين معاً قال الغلام أنه من حصل المعيشة في الدنيا تقوى على الآخرة فأني رأيت أمر الدنيا والآخرة مثل ملكين عادل وجائر وكانت أرض الملك الجائر ذات أشجار وأثمار ونبات وكان ذلك الملك لا يدع أحداً من التجار إلا أخذ ماله وتجارته وهم صائرون على ذلك لما يصيبونه من خصب تلك الأرض في المعيشة وأما الملك العادل فإنه بعث رجلاً من أهل أرضه وأعطاه مالاً وافرا وأمره أن ينطلق إلى أرض الملك الجبار ليبتاع به جواهر منه فانطلق ذلك الرجل بالمال حتى دخل تلك الأرض فقيل للملك أنه قد جاء إلى أرضك رجل تاجر ومعه مال كثير يريد أن يبتاع به جواهر منها فأرسل إليه وأحضره وقال له من أنت ومن أين أتيت ومن جاء بك إلى أرضي وما حاجتك فقال له إني من أرض كذا وكذا وأن ملك تلك الأرض أعطاني مالاً وأمرني أن ابتاع له به جواهر من هذه الأرض فامتثلت أمره وجئت فقال له الملك ويحك أما علمت صنعي بأهلي أرضي من أني آخذ ما لهم في كل يوم فكيف تأتيني بمالك وها أنت مقيم في أرضي منذ كذا وكذا فقال له التاجر إن المال ليس لي منه شيء وإنما هو أمانة تحت يدي حتى أوصله إلى صاحبه فقال له أني لست بتاركك تأخذ معيشتك من أرسى حتى تفدى نفسك بهذا المال جميعه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٩٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك الجائر قال للتاجر الذي يريد أن يشتري الجواهر من أرضه لا يمكن أن تأخذ معاشاً من أرضي حتى تفدى نفسك بهذا المال أو تهلك فقال الرجل في نفسه وقعت بين ملكين وقد علمت أن جور هذا الملك عام على كل من أقام بأرضه فإن لم أرضه كان هلاكي وذهاب المال لابد منهما ولم أصب حاجتي وإن أعطيته جميع المال كان هلاكي عند الملك صاحب المال لابد منه وليس لي حيلة سوى أن أعطيه من هذا المال جزاء يسيراً وأرضيه به وأدفع عن نفسي وعن هذا المال الهلاك وأصيب من خصب هذه الأرض قوت نفسي حتى ابتاع ما أريد من الجواهر وأكون قد أرضيته بما أعطيته وأخذ نصيبي من أرضه هذه وأتوجه إلى صاحب المال بحاجته فإني أرجو من عدله وتجاوزه مالا أخاف معه عقوبة فيما أخذه هذا الملك من المال خصوصاً إذا كان يسيراً ثم أن التاجر دعا للملك وقال له أيها الملك أنا

أفدي نفسي وهذا المال بجزء صغير من منذ دخلت أرضك حتى أخرج منها فقبل الملك منه ذلك وخلّى سبيله سنة فاشترى الرجل بماله جميعه جواهر وانطلق إلى صاحبه فالملك العادل مثالا للآخرة والجواهر التي بأرض الملك الجائر مثل الحسنات والأعمال الصالحة والرجل صاحب المال مثل لمن طلب الدنيا والمال الذي معه مثال لحياة الإنسان فلما رأيت ذلك علمت أنه ينبغي لمن طلب المعيشة في الدنيا أن لا يخلي وما عن طلب الآخرة فيكون قد أرضى الدنيا بما ناله من خصب الأرض وأرضى الآخرة بما يصرف من حياته في طلبها قال شماس فأخبرني عن الجسد والروح سواء في الثواب والعقاب أو إنما يختص بالعقاب صاحب الشهوات وفاعل الخطيئات قال الغلام قد يكون الميل إلى الشهوات والخطيئات موجبات للثواب بحبس النفس عنها والتوبة منها والأمر بيد من يفعل ما يشاء وبضدها تتميز الأشياء على أن المعاش لابد منه للجسد ولا جسد إلا بالروح وطهارة الروح بإخلاص النية في الدنيا والالتفاتات إلى ما ينفع في الآخرة فهما فرسان رهان ورضيعا لبان ومشتركان في الأعمال وباعتبار النية تفصيل الإجمال وكذلك الجسد والروح مشتركان في الأعمال وفي الثواب والعقاب وذلك مثل الأعمى والمقعد الذين أخذهما رجل صاحب بستان وأدخلهما بستان وأمرهما أن لا يفسدا فيه ولا يصنعا فيه أمراً يضر به فلما طابت أثمار البستان قال المقعد للأعمى ويحك أن أرى أثمار طيبة وقد اشتهيت لها ولست أقدر على القيام إليها لآكل منها فقم أنت لأنك صحيح الرجلين وائتنا منها بما نأكل فقال الأعمى ويحك قد ذكرتها لي وقد كنت عنها غافلاً ولست أقدر على ذلك لأني لست أبصرها فما الحيلة في تحصيل ذلك فبينما هما كذلك إذ أتاهما الناظر على البستان وكان رجلاً عالماً فقال له المقعد ويحك يا ناظر أنا قد اشتهينا شيئاً من هذه الثمار ونحن كما ترى أنا مقعد وصاحبي هذا أعمى لا يبصر شيئاً فما حيلتنا فقال لهما الناظر ويحكما لستما تعلمان ما عاهدكما عليه صاحب البستان من أنكما لا تتعرضان لشيء مما يؤثر فيه من الفساد فانتهيا ولا تفعلا فقالا له لابد لنا من أن نصيب من هذه الثمار ما نأكله فأخبرنا بما عندك من الحيلة فلما لم ينتهيا عن رأيهما قال لهما الحيلة في ذلك أن يقوم الأعمى ويحملك أيها المقعد على ظهره ويدنيك من الشجرة التي تعجبك ثمارها حتى إذا أدناك منها تجني أنت ما أصبت من الثمار فقام الأعمى وحمل المقعد وجعل يهديه إلى السبيل حتى أدناه إلى شجرة فصار المقعد يأخذ منها ما أحب ولم يزل ذلك دأبهما حتى أفسد ما في البستان من الشجر وإذا بصاحب البستان قد جاء وقال لهما ويحكما ما هذه الفعال ألم أعاهدكما على أن لا تفسدا في هذا البستان فقالا له قد علمت أننا لا نقدر أن نصل إلى شيء من الأشياء لأن أحدنا مقعد لا يقوم والآخر أعمى لا يبصر ما بين يديه فما ذنبنا فقال لهما صاحب البستان لعلكما تظنان أني لست أدري كيف صنعتما وكيف أفسدتما في بستاني كأني بك أيها الأعمى قد قمت وحملت المقعد على ظهرك وصار يهديك السبيل حتى أوصلته إلى الشجر ثم أنه أخذهما وعاقبهما عقوبة شديدة وأخرجهما من البستان فالأعمى مثال للجد لأنه لا يبصر إلا بالنفس والمقعد مثال النفس التي لا حركة لها إلا بالجسد وأما البستان فإنه مثال للعمل الذي لا يجازي به العبد والناظر مثال للعقل الذي يأمر بالخير وينهي عن الشر فالجسد والروح مشتركان في الثواب والعقاب قال له شماس قد صدقت قد قبلت قولك هذا فأخبرني أي العلماء عندك أحمد قال الغلام من كان بالله عالماً وينفعه علمه قال شماس ومن ذلك قال الغلام من يلتمس رضا ربه ويتجنب سخطه قال فأيهم أفضل قال الغلام من كان بالله أعلم قال شماس فمن أشدهم

اختباراً قال من كان على العمل بالعلم صابراً قال شماس أخبرني من أرقهم قلباً قال أكثرهم استعداداً للموت وذكراً وأقلهم أملاً لأن من أدخل على نفسه طوارق الموت كان مثل الذي ينظر في المرآة الصافية فإنه يعرف الحقيقة ولا تزداد المرآة إلا صفاء وبريقاً قال شماس أي الكنوز أحسن قال كنوز السماء قال فأي كنوز السماء أحسن قال تعظيم الله وتحميده قال فأي كنوز الأرض أفضل قال اصطناع المعروف وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٩٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير شماساً لما قال لابن الملك أي كنوز الأرض أفضل قال له اصطناع المعروف قال صدقت وقد قبلت قولك هذا فأخبرني عن الثلاثة المختلفة العلم والرأي والذهن وعن الذي يجمع بينهما قال الغلام أنما العلم من التعلم وأما الرأي فإنه من التجارب وأما الذهن فإنه من التفكر وثباتهم واجتماعهم في العقل فمن اجتمعت فيه هذه الخصال كان كاملاً ومن جمع إليهن تقوى الله كان مصيباً قال شماس صدقت وقد قبلت منك ذلك فأخبرني عن العالم العليم ذي الرأي السديد والفطنة الوقادة والذهن الفائق الرائق هل يغبره الهوى والشهوة عن هذه الحالات قال الغلام إن هاتين الخصلتين إذا أدخلتا على الرجل غيرنا علمه ورأيه وذهنه وكان مثل العقاب الكاسر الذي عن القنص محاذر المقيم في جو السماء لفرط حذقه فبينما هو كذلك إذ نظر رجلاً صياداً قد نصب شركه فلما فرغ الرجل من نصب الشرك وضع فيه قطعة لحم فعند ذلك أبصر العقاب القطعة اللحم فغلب عليه الهوى والشهوة حتى نسي ما شاهده من الشرك ومن سوء الحال لكل من وقع من الطير فانقض من جو السماء حتى وقع على القطعة اللحم فاشتبك في الشرك فلما جاء الصياد رأي العقاب في شركه فتعجب عجباً شديداً وقال أنا نصبت شركي ليقع فيه حمام أو نحوه من الطيور الضعيفة فكيف وقع فيه هذا العقاب وقد قيل أن الرجل العاقل إذا حمله الهوى والشهوة على أمر يتدبر عاقبة ذلك الأمر بعقله فيمتنع مما حسناه ويقهر بعقله شهوته وهواه فإذا حمله الهوى والشهوة على أمر ينبغي أن يجعل عقله مثل الفارس الماهر في فروسيته إذ ركب الفرس الأرعن فإنه يجذبه باللجام الشديد حتى يستقيم ويمضي معه على ما يريد وأما من كان سفيهاً لا علم له ولا أرى عنده والأمور مشتبهة عليه والهوى والشهوة مسلطان عليه فإنه يشمل بشهوته وهواه فيكون من الهالكين ولا يكون في الناس أسوأ حالاً منه قال شماس صدقت فيما قلت وقد قبلت ذلك منك فأخبرني متى يكون العلم نافعاً والعقل لونان الهوى والشهوة دافعاً قال الغلام إذا صرفهما صاحبهما في طلب الآخرة لأن العقل والعلم كليهما نافعان ولكن ليس ينبغي لصاحبهما أن يصرفهما في طلب الدنيا إلا بمقدار ما يصيب به قوته منها ويدفع عن نفسه شرها وبصرفها في عمل الآخرة قال فأخبرني ما أحق أن يلزم الإنسان ويشغل به قلبه قال العمل الصالح قال فإذا فعل الرجل ذلك شغله عن معاشه فكيف يفعل في المعيشة التي لابد له منها قال الغلام إن نهاره وليله أربعة وعشرون ساعة فينبغي له أن يجعل منها جزءاً واحداً في طلب المعيشة وجزءاً واحداً للدعة والراحة ويصرف الباقي في طلب العلم لأن الإنسان إذا كان عاقلاً وليس عنده علم فإنه هو كالأرض المجدبة التي ليس فيها موضع للعمل والغرس والنبات فإذا لم تهيأ للعمل وتغرس لا ينفع فيها ثمر وإذا هيئت للعمل وغرست انبتت ثمراً حسناً كذلك الإنسان بغير علم لا ينفع به حتى يغرس فيه العلم فإذا غرس فيه العلم أثرم

قال شماس فأخبرني عن علم بغير عاقل ما شأنه قال كعلم البهيمة التي تعلمت أو أن مطعمها ومشربها وأوان يقظتها ولا عقل لها قال شماس قد أوجزت في الإجابة عن ذلك وقد قبلت منك هذا الكلام فأخبرني كيف ينبغي أن أتو في السلطان قال الغلام لا تجعل له عليك سبيلاً قال وكيف استطيع أن لا أجعل له على سبيلاً وهو مسلط علي وزمام أمري بيده قال الغلام أنما سلطانه عليك بحقوقه التي قبلك فإذا أعطيته حقه فلا سلطان له عليك قال شماس ما حق الملك على الويزير قال النصيحة والاجتهاد في السر والعلانية والرأي السديد وكتم سره وأن لا يخفى عنه شيئاً مما هو حقيق بالإطلاع عليه وقلة الغفلة عما قلده ياه من قضاء حوائجه وطلب رضاه بكل وجه واجتناب سخطه علهي قال شماس فأخبرني ما الذي يفعله الوزير مع الملك قال الغلام إذا كنت وزيراً للملك وحببت أن تسلم منه فليكن سمعك وكلامك له فوق ما يؤمله منك وليكن طلبك منه الحاجة على قدر منزلتك عنده وأحذر أن تنزل نفسك منزلة لم يرك لها أهلاً فيكون ذلك منك مثل الجراءة عليه فإذا اغتررت بحلمه ونزلت نفسك منزلة لم يرك لها أهلاً تكون مثل الصياد الذي يصطاد الوحوش فيسلخ جلودها لحاجته إليها ويطرح لحومها فجعل الأسد يأتي إلى ذلك المكان فيأكل من تلك الجيفة فلما كثر تردده إلى ذلك المحل استأنس بالصياد والفه فأقبل الصياد يرمي إليه ويمسح بيده على ظهره وهو يلعب بذيله فعندما رأى الصياد سكوت الأسد له واستأنسه به وتذلله إليه قال في نفسه إن هذا الأسد قد خضع إليّ وملكته وما أرى إلا أني أركبه وأسلخ جلده مثل غيره من الوحوش فتجاسر الصياد ووثب على ظهر الأسد وطمع فيه فلما رأى الأسد ما صنع الصياد غضب غضباً شديداً ثم رفع يده وضرب الصياد فدخلت مخالبه في أمعائه ثم طرحه تحت قوائمه ومزقه تمزيقاً فمن ذلك علمت أنه ينبغي للوزير أن يكون عند الملك على حسب ما يرى من حاله ولا يتجاسر عليه لفضل رأيه فيتغير الملك عليه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٨٩٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الغلام ابن الملك جلعياد قال لشماس الوزير ينبغي للوزير أن يكون عند الملك على حسب ما يرى من حاله ولا يتجاسر عليه لفضل رأيه فيتغير الملك عليه قال شماس فأخبرني ما الذي يتزين به الوزير عند الملك قال الغلام داء الأمانة التي فرض إليه أمرها من النصيحة وسداد الرأي وتنفيذه لأوامره قال له شماس أما ما ذكرت من أن حق الملك على الوزير أن يجتنب سخطه ويفعل ما يقتضي أرضائه ويهتم بما قلّده إياه فإنه أمر واجب ولكن أخبرني ما الحيلة إذا كان الملك إنما رضاه بالجور وارتكاب الظلم والصف فما حيلة الوزير إذا هو ابتلى بعشرة ذلك الملك الجائر فإنه إن أراد أن يصرفه عن هواه وشهوته ورأيه لا يقدر على ذلك وأن هو تابعه على هواه وحسن له رأيه حمل وزر ذلك وصار للرعية عدواً فما تقول في هذا فأجاب الغلام قائلاً أن ما ذكرت أيها الوزير من الوزر والإثم إنما هو إذا تابعه على ما ارتكبه مع الخطأ ولكن يجب على الوزير إذا شاوره الملك في مثل هذا أن يبين له طريق العدل والإنصاف ويحذره من الجور والاعتساف ويعرفه حسن السيرة في الرعية ويرغبه فيما في ذلك من الثواب ويحذره مما يلزمه من العقاب فإن مال وعطف إلى كلامه حصل المراد وإلا فلا حيلة له إلا بمفارقته إياه بطريقة لطيفة لأن في المفارقة لكل واحد منهما الراحة قال الوزير فأخبرني ما حق الملك على الرعية وما حق الرعية على الملك قال الذي يأمرهم به يعملونه بنية خالصة ويطيعونه فيما يرضيه ويرضي الله ورسو وحق الرعية على

الملك حفظ أموالهم وصون حريمهم كما أن للملك على الرعية السمع والطاعة وبذل الأنفس دونه وأعطاه واجب حقه وحسن الثناء عليه بما أولاهم من عدله وإحسانه قال شماس قد بينت لي ما سألتك عنه من حق الملك والرعية فأخبرني هل بقي للرعية شيء على الملك غير ما قلت قال الغلام نعم حق الرعية على الملك أوجب لإن حق الملك على الرعية وهو أن ضياع حقهم عليه أضر من ضياع حقه عليهم لأنه لا يكون هلاك الملك وزوال ملكه ونعمه إلا من ضياع حق الرعية فمن تولّى ملكاً يجب عليه أن يلازم ثلاثة أشياء وهي إصلاح الدين وإصلاح الرعية وإصلاح السياسة فيلازمه هذا ثلاثة يدوم ملكه قال فأخبرني كيف ينبغي أن يستقيم في إصلاح الرعية قال بأداء حقهم وإقامة سننهم واستعمال العلماء والحكماء لتعليمهم وإنصاف بعضهم من بعض وحقن دمائهم والكف عن أموالهم وتخفيف الثقل عنهم وتقوية جيوشهم قال فأخبرني ما حق الوزير على الملك قال الغلام ليس على الملك حق لأحد من الناس أوجب من الحق الواجب عليه للوزير لثلاث خصال الأولى للذي يصيبه معه عند خطأ الرأي والانتفاع العام للملك والرعية عند سداد الرأي والثانية لعلم الناس حسن منزلة الوزير عند الملك فتنظر إليه الرعية بعين الإجلال والتوقير وخفض الجناح والثالثة أن الوزير إذا شاهد ذلك من الملك والرعية دفع عنهم ما يكرهونه ووفّى لهم بما يحبونه قال شماس قد سمعت جميع ما قلته لي من صفات الملك والوزير والرعية وقبلته منك فأخبرني ما ينبغي لحفظ اللسان عن الكذب والسفاهة وسب العرض والإفراط في الكلام قال الغلام ينبغي للإنسان أن لا يتكلم إلا بالخير والحسنات ولا ينطق في شأن مالا يعنيه ويترك النميمة ولا ينقل عن حديث ما سمعه منه لعدوه ولا يطلب لصديقه ولا لعدوه ضرراً عند سلطانه ولا يعبأ بمن يرتجيء خيره ويتقي شره إلا الله تعالى لأنه هو الضار النافع على الحقيقة ولا يذكر لأحد عيباً ولا يتكلم بجهل لئلا يلزمه الوزر والإثم من الله والبغض بين الناس واعلم أن الكلام مثل السهم إذ نفذ لا يقدر أحد على رده وليحذر أن يودع سره عند من يفشيه فربما يقع في ضرره إفشائه بعد أن يكون على ثقة من الكتمان وأن مخفياً لسره عن صديقه أكثر من إخفائه عن عدوه فإن كتمان السر عن جميع الناس من أداء الأمانة قال شماس فأخبرني عن حسن الخلق مع الأهل والأقارب قال الغلام أنه لا راحة لبني آدم إلا بحسن الخلق ولكن ينبغي أن يصرف إلى الأهل ما يتسحقونه وإلى أخوانه ما يجب لهم قال فأخبرني ما الذي يجب أن يصرفه إلى الأهل قال أما الذي يصرفه للوالدين فخفض الجناح وحلاوة اللسان ولين الجانب والإكرام والوقار وأما الذي يصرفه للأخوان فالنصيحة وبذل المال ومساعدتهم على أسبابهم والفرح لفرحهم والأغضاء عما يقع منهم من الهفوات فإذا عرفوا منه ذلك قابلوه بأعز ما عندهم من النصيحة وبذلوا الأنفس دونه فإذا كنت من أخيك على ثقة فأبذل له وكن مساعداً له على جميع أموره. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٠٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الغلام أبن الملك جليعاد لما سأله الوزير شماس عن المسائل المتقدمة ورد له أجوابتها قال له الوزير شماس أني أرى الأخوان صنفين إخوان ثقة وإخوان معاشرة أما إخوان الثقة فإنه يجب لهم ما وصفت فأسألك عن غيرهم من إخوان المعاشرة قال الغلام أما إخوان المعاشرة فإنك تصيب منهم لذة وحسن خلق وحلاوة لفظ وحسن معاشرة فلا تقطع منها لذتك بل أبذل مثل ما يبذلونه لك وعاملهم

بمثل ما يعاملونك به من طلاقه الوجه وعذوبة اللسان فيطيب عيشك ويكون كلامك مقبولاً عندهم قال شماس قد عرفنا هذه الأمور كلها فأخبرني عن الأرزاق المقدرة للخلق من الخالق هل هي مقسومة بين الناس والحيوان لكل أحد رزق إلى تمام أجله وإذا كان الأمر كذلك ما الذي بحمل طالب المعيشة على ارتكاب المقشة في طلب ما عرف أنه إن كان مقد وار له فلابد من حصوله وإن لم يرتكب مشقة السعي وإن لم يكن مقدوراً له فلا يتحصل له ولو سعى إلهي غاية السعي فهل يترك السعي ويكون على ربه متوكلاً ولجسده ونفسه مريحاً قال الغلام أنا قد رأينا أن لكل أحد رزقاً مقسوماً وأجلاً محتوماً ولكن لكل رزق طريق وأسباب فصاحب الطلب يصيب في طلبه الراحة بترك الطلب ومع ذلك لابد من طلب الرزق غير أن الطالب على ضربين إما أن يصيب وإما أن يحرم فاحة المصيب في الحالتين إصابة رزقه وأن عاقبة طلبه حميدة وراحة المحروم في ثلاثة خصال الاستعداد لطلب رزقه والتنزه عن أن يكون كلا على الناس والخروج عن عهده الملامة قال شماس أخبرني عن باب طلب المعيشة قال الغلام يستحل الإنسان ما أحله الله ويحرم ما حرّمه الله عز وجل وانقطع بينهما الكلام لما وصل إلى هذا الحد ثم قام شماس هو ومن حضر من العلماء وسجدوا للغلام وعظموه وضمّه أبوه إلى صدره ثم بعد ذلك أجلسه على سرير الملك وقال الحمد لله الذي رزقني ولدا تقرّ به عيناي في حياتي ثم قال الغلام لشماس ومن حضر من العلماء أيها العالم صاحب المسائل الروحانية إن لم يكن فتح الله عليّ من العلم إلا بشيء قليل فأني قد فهمت قصدك في قبولك مني ما أتيت به جواباً عن ما سألتني سواء كنت فيه مصيباً أو مخطئاً ولعلك صفحت عن خطئي وأنا أريد أن أسألك عن شيء عجز عنه رأيي وضاق منه ذرعي وكل عن وصفه لساني لأنه أشكل على أشكال الماء الصافي في الإناء الأسود فأحب منك أن تشرحه لي حتى لا يكون شيء مبهما على مثلي فيما يستقبل مثل إبهامه على فيما مضى لأن الله كما جعل الحياة بالماء والقوة بالطعام وشفاء المريض بمداواة الطبيب جعل شفاء الجاهل بعلم العالم فانصت إلى كلامي قال شماس أيها المضيء العقل صاحب المسائل الصالحة ومن شهد له العلماء كلهم الفصل لحسن تفضيلك للأشياء وتقسيمك أياها وحسن إصابتك في إجابتك عما سألتك عنه قد علمت أنت لست تسألني عن شيء إلا وأنت في تأويله أصوب رأياً وأصدق مقالاً لأن الله قد آتاك من العلم ما لم يأت أحداً من الناس فأخبرني عن هذه الأشياء التي تسألني عنها قال الغلام أخبرني عن الخالق جلت قدرته من أي الأشياء خلق الخلق ولم يكن قبل ذلك شيء وليس ترى في هذه الدنيا شيء إلا مخلوق من شيء والباريء تبارك وتعالى قادر على أن يخلق الأشياء من لا شيء ولكن اقتضت إرادته مع كمال القدوة والعظمة أنه لا يخلق شيئاً إلا من شيء قال الوزير شماس أما صناع الآلات من الفخار وغيره من الصنائع فلا يقدرون على ابتداع شيء إلا من شاء أنهم مخلوقون وأما الخالق الذي صنع العالم بهذه الصنعة العجيبة فإن شئت أن تعرف قدرته تبارك وتعالى على إيجاد الأشياء فأطل الفكر في أصناف الخلق فإنك ستجد آيات وعلامات دالة على كمال قدرته وأنه قادر على أن يخلق الأشياء من لا شيء بل أوجدها بعد العدم المحض لأن العناصر التي هي مادة الأشياء كانت عدما محضاً وقد أوضحت لك ذلك حتى لا تكون في شك منه وبين لك ذلك آية الليل والنهار فأنهما يتعاقبان حتى إذا ذهب النهار وجاء الليل خفي علينا النهار ولم نعرف له مقراً وإذا ذهب الليل بظلمته ووحشته جاء النهار ولم نعرف لليل مقراً وإذا أشرقت علينا الشمس لا نعرف أين يطوى نورها وإذا غربت

لم نعرف مستقر غروبها وأمثال ذلك من افعال الخالق عز أسمه وجلت قدرته كثيرة مما يحير أفكار الأذكياء من المخلوقات قال الغلام أيها العالم أنك عرفتني عن قدرة الخالق مالا يستطاع إنكاره ولكن اخبرني كيف إيجاده لخلقه قال شماس إنما الخلق مخلوقه بكلمته التي هي موجودة قبل الدهر وبها خلق جميع الأشياء قال الغلام أن الله تعاظم اسمه وارتفعت قدرته أنما أراد إيجاد الخلق قبل وجودهم قال شماس وبإرادته خلقهم بكلمته فلولا أن له نطقا وأظهر كلمة لم تكن الخليقة موجودة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٠١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الغلام لما سأل شماساً عن المسائل المتقدمة إجابة عنها ثم قال له يا بني أنه لا يخبرك أحد من الناس غير ما قلته إلا بتحريف الكلام الوارد في الشرائع عن موضعه وصرف الحقائق عن وجوهها ومن ذلك قولهم أن الكلمة لها استطاعة أعوذ بالله من هذه العقيدة بل قولنا في الله عز وجل أنه خلق الخلق بكلمته معناه أنه تعالى واحد في ذاته وصفاته وليس معناه أن كلمة الله لها قدرة بل القدرة صفة لله كما أن الكلام وغيره من صفات الكمال صفات لله تعالى شأنه وعز سلطانه فلا يوصف هو دون كلمته ولا توصف كلمته دونه فالله جل ثناؤه خلق بكلمته جميع خلقه وبغير كلمته لم يخلق وأنما خلق الأشياء بكلمته الحق فبالحق نحن مخلوقون قال الغلام قد فهمت من أمر الخالق وعزة كلمته ما ذكرت وقبلت ذلك بفهم لكني سمعتك تقول إنما خلق الخلق بكلمته الحق والحق ضد الباطل فمن أين عرض الباطل وكيف يمكن عرضه للحق حتى يشتبه به ويلتبس على المخلوقين فيحتاجون إلى الفصل بينهما وهو الخالق عز وجل محب لهذا الباطل أم مبغض له فإن قلت أنه محب للحق وبه حق خلقه ومبغض للباطل فمن أين دخل هذا الذي يبغضه الخالق على ما يحبه وهو الحق قال شماس أن الله لما خلق الإنسان ولم يكن محتاجاً إلى توبة حتى دخل الباطل على الحق الذي هو مخلوق به سبب الاستطاعة التي جعلها الله في الإنسان وهي الإرادة والميل المسمى بالكسب فلما دخل الباطل على الحق بهذا الاعتبار التبس الباطل بالحق بسبب إرادة الإنسان واستطاعته والكسب الذي هو الجزء الاختياري مع ضعف طبيعة الإنسان فخلق الله له التوبة لتصرف عنه ذلك الباطل وتثبته على الحق وخلق له العقوبة أن هو أقام على ملابسه الباطل قال الغلام فأخبرني ما سبب عروض هذا الباطل للحق حتى التبس به وكيف وجبت العقوبة على الإنسان حتى احتاج إلى التوبة قال شماس إن الله خلق الإنسان بالحق جعله محباً له ولم يكن له عقوبة ولا توبة واستمر كذلك حتى ركب الله فيه النفس التي هي من كمال الإنسانية مع ما هي مطبوعة عليه من الميل إلى الشهوات فنشأ من ذلك عروض الباطل والتباسه بالحق الذي خلق الإنسان به وطبع على حمة فلما صار الإنسان إلى هذه الغاية زاغ عن الحق إنما يقع في الباطل قال الغلام إن الحق أنما دخل عليه الباطل بالمعصية والمخالفة قال شماس وهو كذلك لأن الله يحب الإنسان ومن زيادة محبته له خلق الإنسان محتاجاً إليه وذلك هو الحق بعينه ولكن ربما استرخى الإنسان عن ذلك بسبب ميل النفس إلى الشهوات ومال إلى الخلاف فصار إلى ذلك الباطل بالمعصية التي بها عصى ربه فاستوجب العقوبة وبإزاحة الباطل عنه بتوبة ورجوعه إلى محبة الحق استوجب الثواب قال الغلام أخبرني عن مبتدأ المخالفة مع أن الخلق مرجعهم جميعاً إلى آدم وقد خلقه الله بالحق فكيف جلب المعصية

لنفسه ثم قرنت معصيته بالتوبة بعد تركيب النفس فيه ليكون عاقبة الثواب أو العقاب ونحن نرى بعض الخلق مقيماً على المخالفة مائلاً إلى ما لا يحبه مخالفاً لمقتضى أصل خلقته من حب الحق مستوجباً لسخط ربه عليه وترى بعضهم مقيماً على رضا خالقه وطاعته مستوجباً للرحمة والثواب فما سبب اختلاف الحاصل بينهم قال شماس أن أول نزول هذه المعصية بالخلق أنما كان بسبب إبليس الذي كان أشرف ما خلق الله جل اسمه من الملائكة والإنس والجن وكان مطبوعاً على المحبة لا يعرف غيرها فلما انفرد بهذا الأمر داخله العجب والعظمة والتجبر والتكبر عن الإيمان والطاعة لأمر خالقه فجعله الله دون الخلائق جميعهم وأخرجه من المحبة وصير مثواه إلى نفسه في المعصية فحين علم أن الله جل اسمه لا يحب المعصية ورأى دم وما هو فيه من ذلك الحق والمحبة والطاعة لخالقه داخله الحسد فاستعمل الحيلة في صرفه لآدم عن الحق ليكون مشتركاً معه في الباطل فلزم آدم العقوبة لميله إلى المعصية التي زينها له عدوه وانقياده إلى هواه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٠٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن شماس قال فلزم آدم العقوبة لميله إلى المعصية التي زينها له عدوه وانقياده إلى هواه وحيث خالف وسية ربه بسبب عروض الباطل ولما علم الخالق جل ثناؤه وتقسدت أسماؤه ضعف الإنسان وسرعة ميله إلى عدوه وتركه الحق جعل له الخالق برحمته التوبة لينهض بها من ورطة الميل إلى المعصية ويحمل سلاح التوبة فيقهر به عدوه إبليس وجنوده ويرجع إلى الحق الذي هو مطبوع عليه فلما نظر إبليس أن الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه قد جعل له امتداداً بارداً إلى الإنسان بالمحاربة وأدخل عليه الحيل ليخرجه من نعمة ربه ويجعله شريكاً له في السخط الذي استوجبه هو وجنوده فجعل الله جل ثناؤه للإنسان استطاعة للتوبة وأمره أن يلزم الحق ويداوم عليه ونهاه عن المعصية والخلاف والهمه أن له على الأرض عدواً محارباً لا يفتر عنه ليلاً ولا نهار فبذلك استحق الإنسان ثواباً أن لازم الحق الذي جبلت طبيعته على حبه وعقاباً أن غلبته نفسه ومالت به الشهوات فقال له الغلام بعد ذلك أخبرني بأي قوة استطاع الخلق أن يخالفوا خالفهم وهو في غاية العظمة كما وصفت مع أنشه لا يقهره شيء ولا يخرج عن إرادته إلا ترى أنه قادر على صرف خلقه عن هذه المعصية والزامهم المحبة دائماً قال شماس أن الله تعالى جل اسمه عادل منصف رؤوف بأهل محبته قد بين لهم طريق الخير ومنحهم الاستطاعة والقدرة على فعل ما أرادوا من الخير فإن عملوا بخلاف ذلك صاروا في الهلاك والمعصية قال الغلام إذا كان الخالق هو الذي منحهم الاستطاعة وهم بسببها قادرون على فعل ما أرادوا فلاي شيء لم يحل بينهم وبين ما يريدون من الباطل حتى يردهم إلى الحق قال شماس ذلك لعظيم رحمته وباهر حكمته لأنه كما سبق منه لإبليس السخط ولم يرحمه كذلك سبقت منه لآدم الرحمة بالتوبة فرضي عنه بعد سخطه عليه قال الغلام هذا هو الحق بعينه لأنه هو المجازى لكل أحد على عمله وليس خالق غير الله له القدرة على كل شيء ثم قال الغلام هل خلق الله ما يحب ومالا يحب أو إنما خلق ما يحب لا غيرة قال شماس قد خلق كل شيء ولم يرض إلا ما يحب قال الغلام ما بال هذين الشيئين أحدهما يرضى الله ويوجب الثواب لصاحبه والآخر يغضب الله فيحل العذاب بصاحبه قال شماس بيّن لي هذين الأمرين وفهمنيهما حتى اتكلم في شأنهما قال الغلام هما الخير والشر المركبان في

الجسم والروح قال شماس أيها العاقل أراك قد علمت أن الخير والشر من الأعمال التي يعملها الجسد والروح فسمي الخير منهما خيراً لكونه فيه رضا الله وسمى الشرشرا لكونه فيه سخط الله وقد وجب عليك أن تعرف الله وترضيه بفعل الخير لأنه أمرنا بذلك ونهانا عن فعل الشر قال الغلام أني أرى هذين الشيئين أعني الخير والشر إنما يعملهما الحواس الخمس المعروفة في جسد الإنسان وهي محل الذوق الناشيء عنه الكلام والسمع والبصر والشم واللمس وأحب أن تعرفني هل هذه الحواس الخمس خلقت للخير جميعاً أم للشر قال شماس أفهم أيها الإنسان بيان ما سألت عنه وهو الحجة الواضحة وضعها في ذهنك وأشربها قلبك وهو أن الخالق تبارك وتعالى خلق الإنسان بالحق وطبعه على حبه ولم يصدر عنه مخلوق إلا بالقدرة العلية المؤثرة في كل حادث ولا ينسب تبارك وتعالى إلا إلى الحكم بالعدل والإنصاف والإحسان وقد خلق الإنسان لمحبته وركب فيه النفس المطبوعة على الميل إلى الشهوات وجعل له الاستطاعة وجعل هذه الحواس الخمس سبباً للنعيم أو الجحيم قال الغلام وكيف ذلك قال شماس لأنه خلق اللسان للتعلق واليدين للعمل والرجلين للمشي والبصر للنظر والأذنين للسماع وقد أعطى كل واحدة من هذه الحواس استطاعة وهيجها على العمل والحركة وأمر كل واحدة منها أن لا تعمل إلا برضاه والذي يرضيه من النطق الصدق وترك ما هو ضده الذي هو الكذب ومما يرضيه من البصر صرف النظر إلى ما يحبه الله وترك ضده وهو صرف النظر إلى ما يكرهه الله كالنظر إلى الشهوات ومما يرضيه من السمع أن لا يستمع إلا إلى الحق كالموعظة كتب الله وترك ضده وهو أن يسمع ما يوجب سخط الله ومما يرضيه من اليدين أن لا يقصر ما حولهما الله بل يصرفاه على وجه يرضيه وترك ضده وهو الإمساك أو صرف ما خولهما الله في معصية ومما يرضيه من الرجلين أن يكون سعيهما في الخير كقصد التعليم وترك ضده وهو أن يمشيا في غير سبيل الله وما سوى ذلك من الشهوات التي يعملها الإنسان فإنه يصدر من الجسد بأمر الروح ثم الشهوة التي تصدر من الجسد نوعان شهوة التناسل وشهوة البطن فالذي يرضي الله من شهوة التناسل أنها لا تكون إلا حلالاً وسخطه أن تكون حراماً وأما شهوة البطن فالأكل والشرب والذي يرضي الله من ذلك أن لا يتعاطى منه كل أحد إلا ما أحله له قليلاً كان أو كثيراً ويحمد الله ويشكره والذي يغضب الله منه أن يتناول ما ليس له بحق وما سوى ذلك من هذه الأحكام باطل وقد علمت أن الله خلق كل شيء ولا يرضى إلا بالخير وأمر كل عضو من أعضاء الجسد أن يفعل ما أوجبه عليه لأنه هو العليم الحكيم قال الغلام فأخبرني هل سبق في علم الله جلت قدرته أن آدم يأكل من الشجرة التي نهاه الله عنها حتى كان من أمره ما كان وبذلك خرج من الطاعة إلى المعصية قال شماس نعم أيها العالم قد سبق ذلك في علم الله تعالى قبل أن يخلق آدم وبيان ذلك ودليل ما تقدم له من التحذير عن الأكل وأعلامه بأنه إذا أكل منها يكون عاصياً وذلك من طريق العدل والإنصاف لئلا يكون لآدم حجة يحتج بها على ربه فلما أن سقط في الورطة والهفوة وعظمت عليه المعيرة والمعتبة جرى ذلك في نسله من بعده فبعث الله تعالى الأنبياء والرسل وأعطاهم كتباً فاعلمتمونا بالشرائع وبيّنوا لنا ما فيها من المواعظ والأحكام وفصّلوه لنا وأوضحوا لنا السبيل الموصل وبيّنوا لنا ما يجب أن نفعله وما يجب أن نتركه فنحن مسلطون بالاستطاعة فمن عمل بهذه الحدود فقد أصاب وربح ومن تعدى هذه الحدود وعمل بغير هذه الوصايا فقد خالف وخسر في الدارين وهذه سبيل الخير والشر فقد علمت أن الله قادر على جميع الأشياء وما خلق الشهوات لنا إلا برضاه وإرادته وأمرنا

أن نأخذها على وجه الحلال لتكون لنا خيراً وإذا استعملناها على وجه الحرام فإنها تكون لنا شراً فما أصابنا من حسنه فمن الله تعالى وما أصابنا من سيئة فمن أنفسنا معاشر المخلوقين لا من الخالق تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٠٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الغلام ابن الملك جليعاد لما سأل الوزير شماسا عن هذه المسائل ورد له أجوبتها قال له ما وصفته لي مما ينسب إلى الله تعالى ومما ينسب إلى خلفه فقد فهمته فأخبرني عن هذا الأمر الذي حيّر عقلي فرط التعجب منه فأني عجبت من ولد آدم وغفلتهم عن الآخرة وتركهم الذكرى لها ومحبتهم للدنيا وقد علموا أنهم يتركونها ويخرجون منها وهم صاغرون قال شماس نعم فإن الذي تراه من تغيرها وغدرها بأهلها دليل على أنه لا يدوم لصاحب النعيم نعيمه ولا لصاحب البلاء بلاؤه فليس بآمن صاحبها تغيرها وإن كان قادرا عليها ومغتبطاً بها فلابد أن يتغير حاله ويسرع إليه الانتقال وليس الإنسان منها على ثقة ولا ينتفع بما هو فيه من زخرفها وحيث عرفنا ذلك عرفنا أن أسوأ الناس حالاً من اغتر بها وسها عن الآخرة وإن ذلك النعيم الذي قد أصابه لا يعادل ذلك الخوف والمشقة والأهوال التي تحصل له الملك لا فقال منها وعلمنا أنه لو كان العبد يعلم ما يصيبه عند حضور الموت وفراقه ما هو فيه من اللذات والنعيم لرفض الدنيا وما فيها وتيقن أن الآخرة خير لنا وأنفع قال الغلام أيها العالم قد زالت هذه الظلمة التي كانت على قلبي بمصباحك المضيء وأرشدتني إلى السبيل التي سلكتها من اتباع الحق وأعطيتني سراجاً أنظر به فعند ذلك قام أحد الحكماء الذين كانوا بالحضرة وقال إنه إذا كان زمان الربيع فلابد أن يطلب الأرنب مع الفيل مرعي وقد سمعت منكما من المسائل والتفاسير ما لم أرني أسمعه أبداً فدعاني ذلك إلى أن أسألكما عن شيء فأخبراني ما خير مواهب الدنيا قال الغلام صحة الجسم ورزق حلال وولد صالح قال فأخبراني ما الكبير وما الصغير قال الغلام أما الكبير فهو ما صبر له أصغر منه وأما الصغير فهو ما صبر لا كبر منه قال فأخبراني ما الأربعة أشياء التي تجتمع الخلائق فيها قال الغلام تجتمع الخلائق في الطعام والشراب ولذة النوم وشهوة النساء وفي سكرات الموت قال فما الثلاثة أشياء لا يقدر أحد على تنحية القباحة عنها قال الغلام الحماقة وخسة الطبع والكذب قال فأي الكذب أحسن مع أنه كله قبيح قال الغلام الكذب الذي يضع عن صاحبه الضرر ويجر النفع قال وأي الصدق قبيح وإن كان كله حسناً قال الغلام كبر الإنسان بما عنده وإعجابه به قال وما أقبح القبيح قال الغلام إذا أعجب الإنسان بما ليس عنده قال فأي الرجال أحمق قال الغلام من كان ليس له همة إلا في شيء يضعه في بطنه قال شماس أيها الملك أنت ملكنا ولكن نحب أن تعهد لولدك بالملك من بعدك ونحن الخول والرعية فعند ذلك حثّ الملك من حضر من العلماء والناس على أن ما سمعوه منه يحفظونه ويعملون به وأمرهم أن يمتثلوا أمر ابنه فإنه جعله ولي عهده من بعده ليكون خليفة على ملك والده وأخذ العهد على جميع أهل مملكته من العلماء والشجعان والشيوخ والصبيان وبقية الناس أن لا يتخالفوا عليه ولا ينكثؤوا عليه أمره فلما أتي على ابن الملك سبع عشر سنة مرض الملك مرضاً شديداً حتى أشرف على الموت فلما أيقن الملك أن الموت قد نزل به قال لأهله هذا داء الموت قد نزل بي فادعوا إلى أقاربي وولدي وأجمعوا إلى أهل مملكتي حتى لا يبقى منهم أحد لا ويحضر فخرجوا ونادوا الناس القريبين

وجهزوا بالنداء للناس البعد بن حتى حضروا بأجمعهم ودخلوا على الملك ثم قالوا له كيف أنت أيها الملك وكيف ترى نفسك من مرضك هذا قال لهم الملك أن مرضي هذا هو الذي القاضية وقد نفذ السهم بما قدّره تعالى عليّ وأنا الآن في آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة ثم قال لابنه أدن مني فدنا منه الغلام وهو يبكي بكاء شديداً حتى كاد أن يبل فراشه والملك قد دمعت عيناه وبكي كل من حضر ثم قال الملك لولده لا تبك يا ابني فأني لست بأول من جرى له هذا المحتوم لأنه جار على جميع ما خلقه الله فاتق الله واعمل خيراً يسبقك إلى الموضع الذي تقصده جميع الخلائق ولا تطع الهوى واشغل نفسك بذكر الله في قيامك وقعودك ويقظتك ونومك واجعل الحق نصب عينيك وهذا آخر كلامي معك والسلام وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٠٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك جليعاد لما أوصى ولده بهذه الوصية وعهد له الملك من بعده قال الغلام لأبيه قد علمت يا ابني أني لم أزل لك مطيعاً ولوصيتك حافظاً ولأمرك منفذا ولرضاك طالباً وأنت لي نعم الأب فكيف أخرج بعد موتك عما ترضى به وأنت بعد حسن تربيتي مفارق ولا أقدر على ردك علي فإذا حفظت وصيتك صرت بها سعيداً وصار لي النصيب الأكبر فقال له الملك وهو في غاية الاستغراق من سكرات الموت يا ابني الزم عشر خصال ينفعك الله بها في الدنيا والآخرة وهن إذا اغتظت فاكظم غيظك وإذا بليت فاصبر وإذا نطقت فاصدق وإذا وعدت اوف وإذا حكمت فاعدل وإذا قدرت فاعف واكرم قوادك واصفح عن أعدائك وابذل معروفك لعدوك وكف أذاك عنه والزم أيضاً عشر خصال أخرى ينفعك الله بها في أهل مملكتك وهي إذا قسمت فاعدل وإذا عاقبت بحق فلا تجور إذا عاهدت فاوف بعهدك واقبل الصح واترك الحاجة والزم الرعية بالاستقامة على الشرائع والسنن الحميدة وكن حاكماً عادلاً بين الناس حتى يحبك كبيرهم وصغيرهم ويخافك عاتبهم ومفسدهم ثم قال للحاضرين العلماء والأمراء الذين كانوا حاضرين عهده لولده بالملك من بعده إياكم ومخالفة أمر ملككم وترك الاستماع لكثيركم فإن في ذلك هلاكاً لأرضكم وتفريقاً لجمعكم وضرراً لأبدانكم وتلفاً لأموالكم فتشمت بكم أعداؤكم وها أنتم علمتم ما عاهدتموني عليه فهكذا يكون عهدكم مع هذا الغلام والميثاق الذي بيني وبينكم وبينه وعليكم بالسمع والطاعة لأمره لأن في ذلك صلاح أحوالكم واثبتوا معه على ما كنتم معي فتستقيم أموركم ويحسن حالكم وها هو ذا ملككم وولي نعمتكم والسلام ثم بعد هذا اشتدت به سكرات الموت والتحم لسانه فضم ابنه إليه وقبّله وشكر الله ثم قضي نحبه وطلعت روحه فناح عليه جميع رعيته وأهل مملكته ثم أنهم كفنوه ودفنوه بإكرام وتبجيل وإعظام ثم رجعوا والغلام معهم فألبسوه حلة الملك وتوّجوه بتاج والده وألبسوه الخاتم في أصبعه وأجلسوه على سرير الملك فسار الغلام فيهم بسير أبيه من الحكم والعدل والإحسان مدة يسيرة ثم تعرضت له الدنيا وجذبته بشهواتها فاستغنم لذاتها وأقبل على زخارف أمورها وترك ما كان قلّده به أبوه من المواثيق ونبذ الطاعة لوالده وأهمل مملكته ومشى فيما فيه هلاكه واشتد به حب النساء فصار لا يسمع بامرأة حسناء إلا ويرسل إليها ويتزوج بها فجمع من النساء عدداً أكثر مما جمع سليمان بن داود ملك بني إسرائيل وصار يختلي كل يوم بطائفة منهن ويستمر مع من يختلي بين شهراً كاملاً لا يخرج من عندهن ولا يسأل عن ملكه ولا عن حكمه ولا ينظر في مظلمة من يشكو إليه

من رعيته وإذا كاتبوه فلا يرد لهم جواباً فلما رأوا منه ذلك وعاينوا ما هو منطو عليه من ترك النظر في أمورهم وإهماله لأمور دولته وأمور رعيته تحققوا أنهم عن قليل يحل بهم البلاء فشق ذلك عليهم وأقبل بعضهم على بعض يتلاومون فقال بعضهم لبعض امشوا بنا إلى شماس كبير وزرائه فقص عليه أمرنا ونعرفه ما يكون من أمر هذا الملك لينصحه وإلا فعن قليل يحل بنا البلاء فإن هذا الملك قد أدهشته الدنيا بلذاتها وختنته بأشطانها فقاموا وأتوا شماساً وقالوا له أيها العالم الحكيم إن هذا الملك قد أدهشته الدنيا بلذاتها فأقبل على الباطل وسعي في فساد مملكته وبفساد المملكة تفسد العامة يصير أمرنا إلى الهلاك وسببه أننا نمكث شهراً وأياماً نراه ولا يبرز إلينا من عنده أمر لا للوزير ولا لغيره ولا يمكن أن ترفع إليه حاجة ولا ينظر في حكومة ولا يتعهد حال أحد من رعيته لغفلته عنهم وأننا قد أتينا إليك لنخبرك بحقيقة الأمور لأنك أكبرنا وأكمل منا وليس ينبغي أن يكون بلاء في أرض أنت مقيم بها لأنك أقدر الناس على إصلاح هذا الملك فانطلق وكلمه لعله يقبل كلامك ويرجع إلى الله فقام شماس ومضى إلى حيث اجتمع بمن يمكنه الوصول إليه وقال له أيها الولد الجيد أسألك أن تستأذن لي في الدخول للملك لأن عندي أمر أريد أنظر وجهه وأخبره به وأسمع ما يجيبني به عنه فأجاب الغلام قائلاً والله يا سيدي من منذ شهر لم يأذن لأحد في الدخول عليه ولا أنا فطول هذه المدة ما رأيت له وجهاً ولكن أدلك على من يستأذنه لك وهو أنك تتعلق فالوصيف الفلاني الذي يقوم على رأسه ويأخذ له الطعام من المطبخ فإذا خرج إلى المطبخ ليأخذ الطعام أسأله عما بذلك فإنه يفعل لك ما تريده فانطلق شماس إلى باب المطبخ وجلس قليلاً وإذا بالوصيف أقبل وأراد الدخول في المطبخ فكلمه شماس قائلاً له يا بني أحب أن اجتمع بالملك لأخبره بكلام يخصّه فمن فضلك إذا فرغ من غذائه وطابت نفسه أن تكلمه لي وتأخذ لي منه إذناً بالدخول عليه لكي أكلمه بما يليق به فقال الوصيف سمعاً وطاعة فلما أخذ الوصيف الطعام وتوجه به إلى الملك وأكل منه وطابت نفسه قال له الوصيف إن شماساً واقفاً بالباب يريد منك الإذن في الدخول عليك ليعلمك بأمور تختص بك ففزع الملك وارتاب من ذلك وأمر الوصيف بإدخاله عليه. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٠٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك لما أمر الوصيف بإدخال شماس عليه خرج الوصيف إلى شماس ودعاه إلى الدخول فلما دخل على الملك خرّ لله ساجداً وقبّل يدي الملك ودعا له فقال الملك ما أصابك يا شماس حتى طلبت الدخول عليّ فقال له أن لي مدة لم أروجه سيدي الملك وقد اشتقت إليك كثيراً فها أنا شاهدت طلعتك وجئت إليك بكلام أذكره لك أيها الملك المؤيد بكل نعمه فقال له قل ما بدا لك فقال شماس اعلم أيها الملك أن الله تعالى رزقك من العلم والحكمة على حداثة سنك ما لم يرزقه أحداً من الملوك قبلك وأن الله تمم لك ذلك بالملك وأن الله يحب أنك لا تخرج عما حولك إلى غيره بسبب عصيانك فلا تحاربه بذخائرك بل ينبغي أن تكون لوصاياه حافظاً ولأموره طائعاً لأني قد رأيتك منذ أيام قلائل نسيت أباك ووصيته ورفضت عهده وأضعت نصيحته وكلامه وزهدت في عدله وأحكامه ولم تذكر نعمة الله عليك ولم تعيذها بشكره قال الملك وكيف ذلك وما سببه قال شماس سببه أنك تركت تعهد أمور مملكتك وما قلدك الله أياه من أمور رعيتك وأقبلت على النفس فيما حسنته لك من قليل شهوات الدنيا وقد قيل أن إصلاح الملك والدين والرعية مما ينبغي

للملك أن يحافظ عليه والرأي عندي أن تحسن النظر في عاقبتك فإنك تجد السبيل الواضح الذي فيه النجاة ولا تقبل على اللذة القليلة الفانية الموصلة إلى ورطة الهلاك فيصيبك ما أصاب صياد السمك فقال له الملك وكيف كان ذلك قال شماس قد بلغني أن صياداً قد أتى إلى نهر ليصطاد منه على عادته فلما وصل إلى النهر ومشى على الجسر أبصر سمكة عظيمة فقال في نفسه ليس لي حاجة بالمقام ههنا فأنا أمشي واتبع هذه السمكة إلى حيث تذهب حتى آخذها وهي تغنني عن الصيد مدة أيام فتعرى من ثيابه ونزل خلف السمكة وأخذها جريان الماء إلى أن ظفر بالسمكة وقبض عليها ثم التفت فوجد نفسه بعيداً عن الشاطيء فلما رأى ما قد صنع به من جريان الماء فمازال يسحبه الماء إلى أن رماه في وسط دوامة لا يدخلها أحد ويخلص منها فسار يصيح ويقول أنقذوا الغريق فأتاه ناس من المحافظين على البحر وقالوا له ما شأنك وما دهاك حتى ألقيت نفسك في هذا الخطر العظيم فقال لهم أنا الذي تركت السبيل الواضح الذي فيه النجاة وأقبلت على الهوى والمملكة فقالوا يا هذا كيف تركت سبيل النجاة وأدخلت نفسك في هذه المملكة وأنت تعرف من قديم أنه ما دخل ههنا أحد وسلم فما الذي منعك عن رمى ما في يدك ونجاة نفسك فكنت تنقذ روحك ولا تقع في هذا الهلاك الذي لا نجاة منه والآن ليس أحد منا ينقذك من هذه الهلكة فقطع الرجل الرجاء من حياته وفقد ما كان بيده مما حملته نفسه عليك هلك هلاكاً عظيماً وما ضربت لك أيها الملك هذا المثل إلا لأجل أن تدع هذا الأمر الحقير الذي فيه اللهو عن مصالحك وتنظر فيما أنت متقلد به من سياسة رعيتك والقيام بنظام ملكك حتى لا يرى أحد فيك عيباً قال الملك فما الذي تأمرني به قال شماس إذ كان في غد وأنت بخير وعافية فائذن للناس في الدخول عليك وانظر في أحوالهم واعتذر إليهم ثم عندهم من نفسك بالخير وحسن السيرة فقال الملك يا شماس أنك تكلمت بالصواب وأني فاعل ما نصحتني به في غدان شاء الله تعالى فخرج شماس من عنده واعلم الناس بكل ما ذكره له فلما أصبح الصباح خرج الملك من حجابه وأذن للناس في الدخول عليه وصار يعتذر إليهم ووعدهم أن صنع لهم ما يحبون فرضوا بذلك وانصرفوا وسار كل واحد إلى منزله ثم أن بعض نساء الملك وكانت أحبهن إليه وأكرمهن عنده قد دخلت عليه فرأته متغيراً للون متفكراً في أموره بسبب ما سمعه من كبير وزرائه فقالت مالي أراك أيها الملك قلق النفس هل تشتكي شيئاً فقال لها لا وإنما استغرقتني اللذات عن شئوني فمالي ولهذه الغفلة عن أحوالي وعن أحوال رعيتي وأن استمريت على ذلك فعن قليل يخرج ملكي من يدي فأجابته قائلة أني أراك أيها الملك مع عمالك ووزرائك مغشوشاً فإنهم إنما يريدون أن تقضي عمرك في دفاع المشقة عنهم حتى أن عمرك يفنى بالنصب والتعب وتكون مثل الذي قتل نفسه لإصلاح غيره أو تكون مثل الفتى واللصوص فقال الملك وكيف كان ذلك فقالت ذكروا أن سبعة من اللصوص خرجوا ذات يوم يسرقون على عادتهم فمروا على بستان فيه جوز رطب فدخلوا ذلك البستان وإذا هم بولد صغير واقف بينهم فقالوا له يا فتى هل لك أن تدخل معنا هذا البستان وتطلع هذه الشجرة وتأكل من جوزها كفايتك وترمي لنا منها جوزاً فأجابهم الفتى إلى ذلك ودخل معهم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٠٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الفتى لما أجاب اللصوص ودخل معهم قال بعضهم لبعض انظروا إلى أخفنا وأصغرنا فاصعدوه فقالوا ما ترى فينا ألطف من هذا الفتى فلما أصعدوه قالوا يا فتى لا تلمس من

الشجرة شيئاً لئلا يراك أحد فيؤذيك فقال الفتى وكيف أفعل فقالوا له اقعد في وسطها وحرك كل غصن منها تحريكاً قوياً حتى يتناثر ما فيه فنلتقطه وإذا فرغ ما فيها ونزلت إلينا فخذ نصيبك مما التقطناه فلما صعد الفتى على الشجرة صار يحرك كل غصن وحده والجوز يتناثر منه واللصوص يجمعونه فبينما هم كذلك وإذا بصاحب الشجرة واقف عندهم وهم على ذلك الحال فقال لهم ما لكم ولهذه الشجرة فقالوا له لم نأخذ منها شيئاً غير أننا مررنا بها فرأينا هذا الولد فوقها فاعتقدنا أنه صاحبها فطلبنا منه أن يطعمنا منها فهز بعض الأغصان حتى أنثر منها الجوز ونحن ما لنا ذنب فقال صاحب الشجرة للغلام فما تقول أنت فقال كذب هؤلاء ولكن أنا أقول لك الحق وهو أننا أتينا جميعاً إلى هنا فأمروني بالصعود على هذه الشجرة لأهز الأغصان كي ينتثر الجوز عليهم فامتثلت أمرهم فقال صاحب الشجرة لقد ألقيت نفسك في بلاء عظيم وهل انتفعت بأكل شيء منها فقال الغلام ما أكلت منها شيئاً فقال له صاحب الشجرة لقد علمت الآن حماقتك وجهلك وهو أنك سعيت في تلف نفسك لإصلاح غيرك ثم قال للصوص مالي عليكم سبيل أمضوا لي حال سبيلكم وقبض على الولد وعاقبه وهكذا وزراؤك وأهل دولتك يريدون أن يهلكوك لإصلاح أمرهم ويفعلوا بك مثل ما فعل اللصوص بالفتى فقال الملك حقاً ما قلتيه ولقد صدقت في خبرك فأنا لا أخرج إليهم ولا أترك لذاتي ثم بات مع زوجته في أرغد عيش إلى أن أصبح الصباح فلما أصبح الصباح قام الوزير وجمع أرباب الدولة مع من حضر معهم من الرعية ثم جاءوا إلى باب الملك مستبشرين فرحين فلم يفتح لهم الباب ولم يخرج إليهم ولم يأذن لهم بالدخول عليه فلما يئسوا من ذلك قالوا الشماس أيها الوزير الفاضل والحكيم الكامل أما ترى حال هذا الصبي الصغير السن القليل العقل الذي قد جمع إلى ذنوبه الكذب فانظر وعده لك كيف أخلفه ولم يوف بما وعده وهذا ذنب يجب أن نضيفه إلى ذنوبه ولكن نرجو أن تدخل إليه ثانياً وتنظر ما السبب في تأخيره ومنعه من الخروج فأنا غير منكرين على طباعه الدميمة مثل هذا الأمر فإنه بلغ غاية القساوة ثم أن شماساً توجه إليه ودخل عليه وقال السلام عليك أيها الملك مالي أراك قد أقبلت على شيء يسير من اللذة وتركت الأمر الكبير الذي ينبغي الاعتناء به وكنت مثل الذي له ناقة وهو منطو على لبنها قالها حسن لينها عن ضبط زمامها فأقبل يوماً على حلبها ولم يعتن بزمامها فلما أحست الناقة بترك الزمام جذبت نفسها وطلبت الفضاء فصار الرجل فاقد اللبن والناقة مع أن ضرر ما لقيه أكثر من نفعه فانظر أيها الملك فيما فيه صلاح نفسك ورعيتك فإنه ليس ينبغي للرجل أن يديم الجلوس على باب المطبخ من أجل حاجته إلى الطعام ولا ينبغي له أن يكثر الجلوس مع النساء من أجل ميله إليهن وكما أن الرجل يبتغي من الطعام ما يدفع ألم الجوع ومن الشراب ما يدفع ألم العطش كذلك ينبغي للرجل العاقل أن يكتفي من هذه الأربعة والعشرين ساعة بساعتين مع النساء في كل نهار ويصرف الباقي في مصالح نفسه وفي مصالح رعيته ولا يطيل المكث مع النساء ولا الخلوة بهن أكثر من ساعتين فإن ذلك فيه مضرة للقلة وبدنه لأنهن لا يأمرن بخير ولا يرشدن إليه ولا ينبغي أن يقبل منهن قولاً ولا فعلاً وقد بلغني أن ناساً كثيرة هلكوا بسبب نسائهم فمنهم رجل هلك من اجتماعه بزوجته لكونه أطاعها فيما أمرنا فقال الملك وكيف كان ذلك قال شماس زعموا أن رجلاً كان له زوجة وكان يحبها وكانت مكرمة عنده فكان يسمع قولها ويعمل رأيها وكان له بستان غرسه بيده جديداً فكان يأتي إليه في كل يوم ليصلحه ويسقيه فقالت له زوجته يوماً من الأيام أي شيء غرست في بستانك فقال لها كل ما تحبينه

وتريدينه وما أنا مجتهد في إصلاحه وسقيه فقالت له هل لك أن تأخذني وتفرجني فيه حتى أراه وأدعوا لك دعوة صالحة فإن دعائي مستجاب فقال نعم أمهليني حتى آتي إليك في غد وآخذك فلما أصبح الرجل أخذ زوجته معه وتوجه بها إلى البستان ودخلا فيه وفي حال دخولهما نظر إليهما اثنان من الشبان على بعد فقال بعضهما لبعض إن هذا الرجل زان وأن هذه المرأة زانية وما دخلا هذا البستان إلا ليزنيا فيه فتبعهما لينظرا ما يكون من أمرهما فأما الشابان فأنهما وقفا على جانب البستان وأما الرجل وزوجته فأنهما لما دخلا البستان واستقرا فيه قال الرجل لزوجته ادعي لي الدعوة التي وعدتيني بها فقالت لا أدعو لك حتى تقوم بحاجتي التي تبتغيها النساء من الرجال فقال لها ويحك أيتها المرأة ما كان مني في البيت كفاية وههنا أخاف على نفسي من الفضيحة وربما أشغلتني عن مصالحي أما تخافين أن يرانا أحد قالت فلا نبال من ذلك لأننا لم نرتكب فاحشة ولا حراماً وأما سقي هذا البستان ففيه مهلة وأنت قادر على سقيه في أي وقت أردت ولم تقبل منه عذراً ولا حجة وألحت عليه في طلب النكاح فعند ذلك قام ونام معها فعندما أبصراهما الشابان المذكوران وثبا عليهما وأمسكاهما وقالا لهما لأنطقكما لأنكما من الزناة وإن لم نواقع المرأة نرفع أمرنا إلى الحاكم فقال لهما الرجل ويحكما إن هذه زوجتي وأنا صاحب البستان فما سمعا له كلاماً بل نهضا على المرأة فعند ذلك صاحت واستغاثت بزوجها قائلة له لا تدع الرجال يفضحونني فأقبل نحوهما وهو يستغيث فرجع إليه واحد منهما وضربه بخنجره فقتله وأتيا المرأة وفضحاها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٠٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشاب لما قتل زوج المرأة رجع الشابان إلى المرأة وفضحاها وأنما قلنا لك هذا أيها الملك لتعلم أنه ليس ينبغي للرجل أن يسمع من امرأة كلاماً ولا يطيعها في أمر ولا يقبل لها رأياً في مشورة فإياك أن تلبس ثوب الجهل بعد ثوب الحكمة و العلم أو تتبع الرأي الفاسد بعد معرفتك للرأي الرشيد النافع فلا تتبع لذة يسيرة مصيرها إلى الفساد ومآلها إلى الخسران الزائد الشديد فلما سمع الملك ذلك من شماس قال له أنا في غد أخرج إليهم إن شاء الله تعالى فخرج شماس إلى الحاضرين من كبراء المملكة وأعلمهم بما قال الملك فبلغ المرأة ما قاله شماس فدخلت على الملك وقالت له إنما الرعية عبيد للملك والآن رأيت أنك أيها الملك عبد لرعيتك بحيث تهابهم وتخاف شرهم وهم إنما يريدون أن يختبروا باطنك فإن وجدوك ضعيفاً تهاونوا بك وإن وجدوك شجاعاً هابوك وكذلك يفعل وزراء السوء بملكهم لأن حيلهم كثيرة وقد أوضحت لك حقيقة كيدهم فإن وافقتهم على ما يريدون أخرجوك من أمرك إلى مرادهم ولم يزالوا ينقلونك من أمر إلى أمر حتى يوقعوك في الهلكة ويكون مثلك مثل التاجر واللصوص فقال الملك وكيف كان ذلك قالت بلغني أنه كان تاجر له مال كثير فانطلق بتجارة ليبيعها في بعض المدن فلما انتهى إلى المدينة أكترى له بها منزلاً ونزل فيه فنظره لصوص كانوا يراقبون التجار لسرقة متاعهم فانطلقوا إلى منزل ذلك التاجر واحتالوا في الدخول عليه فلم يجدوا لهم سبيلاً إلى ذلك فقال لهم رئيسهم أنا أكفيكم أمره ثم أنه انطلق فلبس ثياب الأطباء وجعل على عاتقه جراباً فيه شيء من الدواء وأقبل ينادي من يحتاج إلى طبيب حتى وصل إلى منزل ذلك التاجر فرآه جالساً على غداءه فقال له أتريد لك طبيباً فقال لست محتاجاً إلى طبيب ولكن اقعد وكل معي فقعد اللص مقابله وجعل يأكل معه وكان ذلك التاجر جيداً لأكل فقال اللص في نفسه لقد وجدت فرصتي

ثم التفت إلى التاجر وقال له لقد وجب على نصيحتك لما حصل لي من إحسانك وليس يمكن أن أخفي عليك نصيحة وهو إني أراك رجلاً كثير الأكل وهذا سببه مرض في معدتك فإن لم تبادر بالسعي على دوائك وإلا آل أمرك إلى الهلاك فقال التاجر إن جسمي صحيح ومعدتي سريعة الهضم وإن كنت جيد الأكل فليس ببدني مرض ولله الحمد والشكر فقال له اللص أنما ذلك بحسب ما يظهر لك وإلا فقد عرفت أن في باطنك مرضاً خفياً فإن أنت أطعتني فداوي نفسك فقال التاجر وأين أجد من يعرف دوائي فقال له اللص أنما المداوي هو الله ولكن الطبيب مثلي يعالج المريض على قدر مكانه فقال له التاجر أرني الآن دوائي وأعطني منه شيء فأعطاه سفوفاً فيه صبر كثير وقال له استعمل هذا في هذه الليلة فأخذه منه ولما كان الليل تعاطي منه شيء فرآه صبراً كريه الطعم فلم ينكر منه شيء فلما تعاطاه وجد منه خفة في تلك الليلة فلما كانت الليلة الثانية جاء اللص ومعه دواء صبر أكثر من الأول فأعطاه منه شيء فلما تعاطاه أسهله تلك الليلة ولكنه صبر على ذلك ولم ينكره فلما رأى اللص أن التاجر أعتنى بقوله وأستأمنه على نفسه وتحقق أنه لا يخالفه أنطلق وجاء بدواء قاتل وأعطاه له فأخذه منه التاجر وشربه فعندما شرب ذلك الدواء نزل ما كان في بطنه وتقطعت أمعاؤه وأصبح ميتاً فقام اللصوص وأخذوا جميع ما كان للتاجر وأني أيها الملك ما قلت لك هذا إلا لأجل أنك لا تقبل من هذا المخادع كلاماً فيلحقك أموراً تهلك بها نفسك فقال الملك صدقت فأنا لا أخرج إليهم فلما أصبح الصباح اجتمع الناس وجاءوا على باب الملك وقعدوا أكثر النهار حتى يئسوا من خروجه ثم رجعوا إلى شماس وقالوا له أيها الفيلسوف الحكيم الماهر أما ترى هذا الولد الجاهل لا يزداد إلا كذباً علينا وأن خراج الملك من يده واستبدال غيره به فيه الصواب فتنتظم بذلك أحوالنا وتستقيم أمورنا ولكن ادخل إليه ثالثاً واعلمه أنه لا يمنعنا من القيام عليه ونزع الملك منه إلا إحسان والده إلينا وما أخذه علينا من العهود والمواثيق ونحن مجتمعون في غد عن آخرنا بسلاحنا ونهدم باب هذا الحصن فإن خرج إلينا وصنع لنا ما نحب فلا بأس وإلا دخلنا عليه وقتلناه وجعلنا الملك في يد غيره فانطلق الوزير شماس ودخل على الملك وقال له أيها الملك المنهمك في شهواته ولهوه ما هذا الذي تصنعه بنفسك فيا هل ترى من يغريك على هذا فإن كنت أنت الجاني على نفسك فقد زال ما نعهده لك من الصلاحية والحكمة والفصاحة فليت شعري من الذي حولك ونقلك من العلم إلى الجهل ومن الوفاء إلى الجفاء ومن اللين إلى القسوة ومن قبولك مني إلا أعراضك عني فكيف نصحتك ثلاث مرات ولم تقبل نصيحتي وأشير عليك بالصواب وتخالف مشورتي فأخبرني ما هذه الغفلة وما هذا اللهو ومن أغراك عليه أعلم أن أهل مملكتك قد تواعدوا على أنهم يدخلون عليك ويقتلونك ويعطون ملكك لغيرك فهل لك قوة على جميعهم والنجاة من أيديهم أو تقدر على حياة نفسك بعد قتلها فإن كنت أعطيت هذا كله آمنت من قبلهم فلا حاجة لك بكلامي وإن كان حاجتك إلى الدنيا والملك فأفق لنفسك واضبط ملكك وأظهر للناس قوة بأسك واعلمهم بأعذارك فإنهم يريدون انتزاع ما في يدك وتسليمه إلى غيرك وقد عزموا على العصيان والمخالفة وصار دليل ذلك ما يعلمونه من صغر سنك ومن انكبابك على اللهو والشهوات فإن الحجارة إذا طال مكثها في الماء متى أحرجت منه وضرب بعضها بعضاً تقدحت منها النار والآن رعيتك خلق كثير وهم يتزاورون عليك ويريدون نقل الملك منك إلى غيرك ويبلغون فيك ما يريدون من هلاكك ويكون مثلك مثل الثعلب والذئب وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٠٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير شماساً قال للملك ويبلغون فيك ما يريدون من هلاكك ويكون مثلك مثل الثعلب والذئب فقال الملك وكيف كان ذلك قال زعموا أن جماعة من الثعالب خرجوا ذات يوم يطلبون ما يأكلون فبينما هم يجولون في طلب ذلك وإذا هم بجمل ميت فقالوا في أنفسهم قد وجدنا ما نعيش به زمناً طويلاً ولكن نخاف أن يبغي بعضنا على بعض ويميل القوي بقوته على الضعيف فيهلك الضعيف منا فينبغي لنا أن نطلب حكماً يحكم بيننا ونجعل له نصيباً فلا يكون للقوي سلاطة على الضعيف فبينما هم يتشاورون في شأن ذلك وإذا بذئب أقبل عليهم فقال بعضهم لبعض أن أصاب رأيكم فاجعلوا هذا الذئب حكماً بيننا لأنه أقوى الناس وأبوه سابقاً كان سلطاناً علينا ونحن نرجو من الله أن يعدل بيننا ثم أنهم توجهوا إليه وأخبروه بما صار إليه رأيهم وقالوا لقد حكمناك بيننا لأجل أن تعطي لكل واحد منا ما يقوته في كل يوم على قدر حاجته لئلا يبغي قوينا على ضعيفنا فيهلك بعضنا بعضاً فأجابهم الذئب إلى قولهم وتعاطي أمروهم وقسم عليهم في ذلك اليوم ما كفاهم فلما كان من الغد قال الذئب في نفسه أن قسمة هذا الجمل بين هؤلاء العاجزين لا يعود علي شيء منها إلا الجزء الذي جعلوه لي وأن أكلته وحدي فهم لا يستطيعون لي ضراً مع أنهم غنم لي ولأهل بيتي فمن الذي يمنعني عن أخذ هذا لنفسي ولعل الله مسببه لي بغير جميلة فالأحسن لي أن أختص به دونهم ومن هذا الوقت لا أعطيهم شيء فلما أصبح الثعالب جاءوا إليه على العادة يطلبون منه قوتهم فقالوا له يا أبا سرحان أعطنا مؤونة يومنا فأجابهم قائلاً ما بقي عندي شيء أعطيه لكم فذهبوا من عنده على أسوأ حال ثم قالوا إن الله أوقعنا في هم عظيم مع هذا الخائن الخبيث الذي لا يتقي الله ولا يخافه وليس لنا حول ولا قوة ثم قال بعضهم لبعض إنما حمله على هذا الأمر ضرورة الجوع فدعوه اليوم يأكل حتى يشبع وفي غد نذهب إليه فلمّا أصبحوا توجهوا إليه وقالوا له يا أبا سرحان إنما وليناك علينا لأجل أن تدفع لكل واحد منا قوته وتنصف الضعيف من القوي وإذا فرغ تجتهد لنا في تحصيل غيره ونصير دائماً تحت كنفك ورعايتك وقد مسّنا الجوع ولنا يومان ما أكلنا فأعطنا مؤنتنا وأنت في حل من جميع ما تتصرف فيه من دون ذلك فلم يرد عليهم جواباً بل ازداد قسوة فراجعوه فلم يرجع فقال بعضهم لبعض ليس لنا حيلة إلا أننا ننطلق إلى الأسد ونرمي أنفسنا عليه ونجعل له الجمل فإن أحسن لنا بشيء منه كان من فضله وإلا فهو أحق به من هذا الخبيث ثم انطلقوا إلى الأسد وأخبروه بما حصل لهم مع الذئب ثم قالوا له نحن عبيدك وقد جئناك مستجيرين بك لتخلصنا من هذا الذئب ونصير لك عبيداً فلما سمع الأسد كلام الثعالب أخذته الحمية وغار الله تعالى ومضى معهم إلى الذئب فلما رأى الذئب الأسد مقبلاً طلب الفرار من قدامه فجرى الأسد خلفه وقبض عليه ومزقه قطعاً ومكّن الثعالب من فريستهم فمن هذا عرفنا أنه لا ينبغي لأحد من الملوك أن يتهاون في أمر رعيته فأقبل نصيحتي وصدق القول الذي قلته لك واعلم أن أباك قبل وفاته قد أوصاك بقبول النصيحة وهذا آخر كلامي معك والسلام فقال الملك إني سامع منك وفي غد إن شاء الله تعالى أطلع إليهم فخرج شماس من عنده وأخبرهم بأن الملك قبل نصيحته ووعده في غد أنه يخرج إليهم فلما سمعت زوجة الملك ذلك الكلام منقولاً عن شماس وتحققت أنه لابد من خروج الملك إلى الرعية أقبلت على الملك مسرعة وقالت له ما أكثر تعجبي من إذعانك وطاعتك لعبيدك أما تعلم أن وزراءك هؤلاء عبيد لك فلأي شيء رفعتهم هذه الرفعة العظيمة حتى

أوهمتهم أنهم هم الذين أعطوك هذا الملك ورفعوك هذه الرفعة وأنهم أعطوك العطايا مع أنهم لا يقدرون أن يفعلون معك أدنى مكروه فكان من حقك عدم الخضوع لهم بل من حقهم الخضوع لك وتنفيذ أمورك فكيف تكون مرعوباً منهم هذا الرعب العظيم وقد قيل إذا لم يكن قلبك مثل الحديد لا تصلح أن تكون ملكاً وهؤلاء غرهم حلمك حتى تجاسروا عليك ونبذوا طاعتك مع أنه ينبغي أن يكونوا مقهورين على طاعتك مجبورين على الانقياد إليك فإن أنت سارعت لقبول كلامهم وأهملتهم على ماهم فيه وقضيت لهم أدنى حاجة على غير مرادك ثقلوا عليك وطمعوا فيك وتصير لهم هذه عادة فإن أطعتني ألا ترفع لأحد منهم شأناً ولا تقبل لأحد منهم كلاماً ولا تطمعهم في التجاسر عليك فتصير مثل الراعي واللص فقال لها الملك وكيف كان ذلك قالت زعموا أنه كان رجل راعي غنم وكان محافظاً على رعايتها فأتاه لص ذات ليلة يريد أن يسرق من غنمه شيء فرآه محافظاً عليها لا ينام ليلاً ولا يغفل نهاراً فصار يحاوله طول ليله فلم يظفر منه بشيء فلما أعيته الحيلة أنطق إلى البرية واصطاد أسداً وسلخ جلده وحشاه تبنا ثم أتى به ونصبه على محل عال في البرية بحيث يراه الراعي ويتحققه ثم أقبل اللص على الراعي وقا ل له أن هذا الأسد قد أرسلني إليك يطلب عشاه من هذه الغنم فقال له الراعي وأين الأسد فقال له اللص ارفع بصرك ها هو واقف فرفع الراعي رأسه فرأى صورة الأسد فلما رآها ظن أنها أسد حقيقة ففزع منها فزعاً شديداً. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٠٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أنها قالت له أن الراعي لما رأى صورة الأسد ظن أنها أسد حقيقة ففزع منها فزعاً شديداً وأخذه الرعب وقال للص يا أخي خذ ما شئت ليس عندي مخالفة فأخذ اللص من الغنم حاجته وازداد طمعه في الراعي بسبب شدة خوفه فصار كل قليل أتي إليه ويرعبه ويقول له إن الأسد يحتاج إلى كذا وقصده أن يفعل كذا ثم يأخذ من الغنم كفايته ولم يزل اللص مع الراعي على هذه الحالة حتى أفنى غالب الغنم وإنما قلت لك هذا الكلام أيها الملك لئلا ينثر كبراء دولتك هؤلاء بحلمك ولين جانبك فيطمعوا فيك والرأي السديد أن يكون موتهم أقرب مما يفعلونه فقبل الملك قولها وقال أني قبلت منك هذه النصيحة ولست مطيعاً لمشورتهم ولا خارجاً إليهم فلما أصبح الصباح اجتمع الوزراء وأكابر الدولة ووجهاء الناس وحمل كل واحد منهم سلاحه معه وتوجهوا إلى بيت الملك ليهجموا عليه ويقتلوه ويولّوا غيره فلما وصلوا إلى بيت الملك ليهجموا عليه ويقتلوه ويولّوا غيره تقربوا قريباً من المنزل وسألوا البواب أن يفتح لهم فلم يفتح لهم فأرسلوا ليحضروا ناراً فيحرقوا بها الأبواب ثم يدخلوا فسمع البواب منهم هذا الكلام فانطلق بسرعة وأعلم الملك أن الخلق مجتمعون على الباب وقال أنهم سألوني أن أفتح لهم فأبيت فأرسلوا ليحضروا نار فيحقوا بها الأبواب ثم يدخلوا عليك ويقتلوك فماذا تأمرني فقال الملك في نفسه أني وقعت في الهلكة العظيمة ثم أرسل خلف المرأة فحضرت فقال لها أن شماساً لم يخربني بشيء إلا وقد وجدته صحيحاً وقد حضر الخاص والعام من الناس يريدون قتلي وقتلك ولما لم يفتح لهم البواب أرسلوا ليحضروا نار فيحرقوا الأبواب فيحترق البيت ونحن داخله فماذا تشيرين علينا فقالت له المرأة لا بأس عليك ولا يهولنك أمرهم فإن هذا الزمان يقوم فيه السفهاء على ملوكهم فقال لها الملك فما تشيرين علي به لأفعله وما الحيلة في هذا الأمر فقالت له الرأي

عندي أنك تعصب رأسك بعصابة وتظهر أنك مريض ثم ترسل إلى الوزير شماس فيحضر إليك ويرى حالك الذي أنت فيه فإذا حضر فقل له قد أردت الخروج إلى الناس في هذا اليوم فمنعني هذا المرض فأخرج إلى الناس وأخبرهم بما أنا فيه وأخبرهم أني فيغداً أخرج إليهم وأقضي حوائجهم وأنظر في أحوالهم ليطمئنوا ويسكن غيظهم وإذا أصبحت فاستدع بعشرة من عبيد أبيك ويكونون سامعين لقولك طائعين لأمرك كاتمين لسرك حافظين لودك ثم أوقفهم على رأسك وأمرهم أن لا يمكنوا أحد من الدخول عليك إلا واحد بعد واحد فإذا دخل واحد فقل لهم خذوه واقتلوه وإذا اتفقوا معك على ذلك فأصبح ناصبك كرسيك في ديوانك وافتح بابك فإنهم إذا رأوك فتحت الباب طابت نفوسهم وأتوك بقلب سليم واستأذنوا في الدخول عليك فأذن لهم في الدخول واحداً بعد واحد كما قلت لك وافعل بهم مرادك ولكن ينبغي أن تبدأ بقتل شماس الكبير أولهم فإنه هو الوزير الأعظم وهو صاحب الأمر فاقتله أولاً ثم بعد ذلك اقتل الجميع واحداً بعد واحد ولا تبق منهم من تعرف أنه ينكث لك عهداً وكذلك كل من تخاف صولته فإنك إذا فعلت بهم ذلك لا يبقى لهم قوة عليك وتستريح منها الراحة الكلية ويصفو لك الملك وتعمل ما تحب واعلم أنه لا حيلة لك أنفع من هذه الحيلة فقال لها الملك أن رأيك هذا سديد وأمرك رشيد فلابد أن أعمل ما ذكرت ثم أمر بعصابة فشد بها رأسه وتضاعف وأرسل إلى شماس فلما حضر بين يديه قال له يا شماس قد علمت أنا لك محب ولرأيك مطيع وأنت كالأخ والوالد دون كل أحد وتعرف أني أقبل منك جميع ما أمرتني به وقد كنت أمرتني بالخروج إلى الرعية والجلوس لأحكامهم وتحققت أنها نصيحة منك لي وقد أردت الخروج إليهم بالأمس فعرض لي هذا المرض ولست أستطيع الجلوس وقد بلغني أن أهل المملكة متنغصون من عدم خروجي إليهم وهمو أن يفعلوا بي مالا يليق من شرهم فإنهم غير عالمين بما أنا فيه من المرض فأخرج إليهم وأعلمهم بحالي وما أنا فيه وأعتذر إليهم عني فأني تابع لما يقولون وفاعل ما يحبون فأصلح لهم هذا الأمر وأضمن لهم عني ذلك فإنك نصيح لي ولوالدي من قبل وعادتك الإصلاح بين الناس وإن شاء الله تعالى في غداً خرج إليهم ولعل مرضي يزول عني في هذه الليلة ببركة صالح نيتي وما أضمرته لهم من الخير في سريرتي فسجد شماس لله ودعا للملك وقبّل يديه ورجليه وفرح بذلك وخرج إلى الناس وأخبرهم بما سمعه من الملك ونهاهم عما أرادوه وأعلمهم بالعذر وسبب امتناع الملك عن الخروج وأخبرهم أنه وعده في غد بالخروج إليهم وأنه يصنع لهم ما يحبون فانصرفوا عند ذلك إلى منازلهم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩١٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن شماساً خرج إلى الدولة وقال لهم أن الملك في غد يخرج إليكم ويصنع لكم ما تحبون فانصرفوا إلى منازلهم هذا ما كان من أمرهم (وأما) ما كان من أمر الملك فإنه بعث إلى العشرة عبيد الجبابرة الذين اختارهم من جبابرة أبيه وكانوا ذوي عزم جليد وبأس شديد وقال لهم قد علمتم ما كان لكم عند والدي من الحظوة ورفعة الشأن والإحسان إليكم مع لطفه بكم وإكرامه إياكم فأنا أنزلكم بعده عندي في درجة أرفع من تلك الدرجة وساعرفكم سبب ذلك وأنتم في أمان الله مني ولكن أسألكم عن مسألة هل تكونون معي فيها طائعين لأمري فيها أقوله كاتمين لسري عن جميع الناس ولكم مني الإحسان فوق ما تريدون حيث مثلتم أمري فأجابه العشرة من فم واحد وكلام متوارد قائلين جميع ما تأمرنا به يا سيدنا

نحن به عاملون ولا نخرج عما تشير به علينا مطلقاً وأنت ولي أمرنا فقال لهم أحسن الله لكم فأنا الآن أعرفكم سبب اختصاصكم بمزيد الإكرام عندي أنكم قد علمتم ما كان يفعله أبي بأهل مملكته من الإكرام وما عاهدهم عليه من أمري وإقرارهم له بأنهم لا ينكثون لي عهد أو لا يخالفون لي أمر وقد نظرتم ما كان منهم بالأمس حيث اجتمعوا جميعاً حولي يريدون قتلي وأنا أريد أن أصنع بهم أمراً وذلك إني نظرت ما كان منهم بالأمس فرأيت أنه لا يزجرهم عن مثله إلا نكالهم فلابد أن أوكلكم بقتل من أشير لكم بقتله سراً حتى أدفع الشر والبلاء عن بلادي بقتل أكابرهم ورؤسائهم وطريقة ذلك أني أقعد في هذا المقعد في هذه المقصورة في غدو آذن لهم بالدخول على واحد أبعد واحد وأن يدخلوا من باب ويخرجوا من آخر فقفوا أنتم العشرة بين يدي فاهمين لإشارتي وكلما يدخل واحد فخذوه وأدخلوا به هذا البيت واقتلوه واخفوا جثته فقالوا سمعاً لقولك وطاعة لأمرك فعند ذلك أحسن إليهم وصرفهم وبات فلما أصبح طلبهم وأمر بنصب السرير ثم لبس ثياب الملك وأخذ في يده كتاب القضاء وأمر بفتح الباب ففتح وأوقف العشرة عبيد بين يديه ونادى من كان له حكومة فليحضر إلى بساط الملك فأتى الوزراء والقواد والحجاب ووقف كل واحد في مرتبته ثم أمر لهم بالدخول واحداً بعد واحد فدخل شماس الوزير أولاً كما هي عادة الوزير الأكبر فلما دخل واستقر قدام الملك لم يشعر إلا والعشرة عبيد محتاطون به وأخذوه وأدخلوه البيت وقتلوه وأقبلوا على باقي الوزراء ثم العلماء ثم الصلحاء فصاروا يقتلونهم واحداً بعد واحد حتى فرغوا من الجميع ثم دعا بالجلادين وأمرهم بحط السيف فيمن بقي من أهل الشجاعة وقوة البأس فلم يتركوا أحداً ممن يعرفون أن له شهامة إلا قتلوه ولم يتركوا إلا سفلة الناس ورعاعهم ثم طردوهم ولحق كل واحد منهم بأهله ثم بعد ذلك اختلى الملك بلذاته وأعطى نفسه شهواتها واتبع البغي والجور والظلم حتى سبق من تقدمه من أهل الشر وكانت بلاد هذا الملك معدن الذهب والفضة والياقوت والجواهر وجميع من حوله من الملوك يحسدونه على هذه المملكة ويتوقعون له البلاء فقال في نفسه بعض الملوك المجاورين له أني ظفرت بما كنت أريد من أخذ هذه المملكة من يد هذا الولد الجاهل بسبب ما حصل من قتله لأكابر دولته وأهل الشجاعة والنجدة الذين كانوا في أرضه فهذا هو وقت الفرصة والنزاع ما في يده لكونه صغيراً ولا دراية له بالحرب ولا رأي له ولم يبق عنده من يرشده ولا من يعضده فأنا اليوم افتح معه باب الشر وهواني أكتب له كتاباً وأعبث به فيه وأبكته على ما حصل منه وانظر ما يكون من جوابه فكتب له مكتوباً مضمونه بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فقد بلغني ما فعلت بوزرائك وعلمائك وجبابرتك وأما أوقعت نفسك فيه من البلاء حتى لم يبق لك طاقة ولا قوة على دفع من يصول عليك حين طغيت وأفسدت وأن الله قد أعطاني النصر عليك وظفرني بك كلامي وامتثل أمري ابن لي قصراً معيناً في وسط البحر وإن لم تقدر على ذلك فأخرج من بلادك وفز بنفسك فأني باعث إليك من أقصى الهند اثنى عشر كردوساً كحل كردوس اثنا عشر ألف مقاتل فيدخلون بلادك وينهبون أموالك ويقتلون رجالك ويسلبون حريمك واجعل قائدهم بديعاً وزيري وآمره أن يرسخ عليها محاصراً إلى أن يملكها وقد أمرت هذا الغلام المرسل إليك أنه لا يقيم عندك غير ثلاثة أيام فإن امتثلت أمري نجوت وإلا أرسلت إليك ما ذكرته لك ثم ختم الكتاب وأعطاه للرسول فسار به حتى وصل إلى تلك المدينة ودخل على الملك وأعطاه الكتاب فلما قرأه الملك ضعفت قوته وضاق صدره والتبس عليه أمره وتحقق الهلاك ولم يجد من يستشيره ولا من يستعين ولا من

ينجده فقام ودخل على زوجته وهو متغير اللون فقالت له ما شأنك أيها الملك فقال لها لست اليوم بملك ولكني عبد للملك ثم فتح الكتاب وقرأه عليها فلما سمعته أخذت في البكاء والنحيب وشقت ثيابها فقال لها الملك هل عندك شيء من الرأي والحيلة في هذا الأمر العسير فقالت له وما عند النساء من الحيلة في الحروب والنساء لا قوة لهن ولا رأي لهن وإنما القوة والرأي والحيلة للرجال في مثل هذا الأمر فلما سمع الملك منها هذا الكلام حصل له غاية الندم والتأسف والكآبة على ما فرط منه في حق جماعته ورؤساء دولته وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩١١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك لما سمع من زوجته ذلك الكلام حصل له غاية الندم والتأسف على ما فرط منه من قتل وزرائه وأشراف رعيته وتمنى الموت لنفسه قبل أن يرد عليه مثل هذا الخبر الفظيع ثم قال لنسائه لقد وقع لي منكن ما وقع للدراج مع السحالف فقلن له وكيف كان ذلك فقال الملك زعموا أن سحالف كانت في جزيرة من الجزائر وكانت تلك الجزيرة ذات أشجار وأثمار وأنهار فاتفق أن دراجاً اجتاز بها يوماً وقد أصابه الحر والتعب فلما أضربه ذلك حط من طيرانه في تلك الجزيرة التي بها تلك السحالف فلما رأى السحالف التجأ إليها ونزل عندها وكانت السحالف ترعى في جهات الجزيرة ثم ترجع إلى مكانها فلما رجعت من مسارحها إلى مكانها رأت الدراج فيه فلما رأته أعجبها وزينه الله لها فسبحت خالقها وأحبت هذا الدراج حباً شديداً وفرحت به ثم قال بعضها لبعض شك أن هذا من أحسن الطيور فصارت كلها تلاطفه وتجنح إليه فلما رأى منها عين المحبة مال إليها واستأنس بها وصار يطير إلى أي جهة أرادوا عند المساء يرجع إل المبيت عندها فإذا أصبح الصباح يطير إلى حيث أرادوا صارت هذه عادته واستمر على هذا الحال مدة من الزمان فلما رأت السحالف أن غيابه عنها يوحشها وتحققت أنها لا تراه إلا في الليل وإذا أصبح طار مبادراً ولا تشعر به مع زيادة حبها له قال بعضها لبعض أن هذا الدراج قد أحببناه وصار لنا صديقاً وما بقي لنا قدرة على فراقه فما يكون من الحيلة الموصلة إلى إقامته عندنا دائماً لأنه إذا طار يغيب عنا النهار كله ولا نراه إلا في الليل فأشارت عليهن واحدة قائلة استريحوا يا أخوتي وأنا اجعله لا يفارقنا طرفة عين فقال لها الجميع أن فعلت ذلك صرنا لك كلنا عبيداً فلما حضر الدراج من مسرحه وجلس بينهم تقربت منه السلحفة المحتالة ودعت له وهنته بالسلامة وقالت له ياسيدي أعلم أن قد رزقك منا المحبة وكذلك أودع قلبك محبتنا وصرت لنا في هذا القفر أنيساً وأحسن أوقات المحبين إذا كانوا مجتمعين والبلاء العظيم في البعد والفراق ولكنك تتركنا عند طلوع الفجر ولم تعد إلينا إلا عند الغروب فيصير عندنا وحشة زائدة وقد شق علينا ذلك كثيراً ونحن في وجد عظيم لهذا السبب فقال لها الدراج نعم أنا عندي محبة لكن واشتياق عظيم أليكن زيادة على ما عندكن وفراقكن ليس سهلاً عندي ولكن ما بيدي حيلة في ذلك لكوني طيراً أجنحة فلا يمكنني المقام معكن دائماً لأن هذا ليس من طبعي فإن الطير ذا الأجنحة ليس له مستقراً لا في الليل لأجل النوم وإذا أصبح طار وسرح في أي موضع أعجبه فقالت له السحلفة صدقت ولكن ذو الأجنحة في غالب الأوقات لا راحة له ولكونه لا يناله من الخير ربع ما يحصل له من المشقة وغاية المقصود للشخص الرفاهية والراحة ونحن قد جعل الله بيننا وبينك المحبة والألفة ونخشى عليك ممن يصطادك من أعدائك فتهلك ونحرم

من رؤية وجهك فأجابها الدراج قائلاً صدقت ولكن ما عندك من الرأي والحيلة في أمري فقالت له الرأي عندي أن تنتف سواعدك التي تسرع بطيرانك وتقعد عندنا مستريحاً وتأكل من أكلنا وتشرب من شربنا في هذه المسرحة الكثيرة الأشجار اليانعة الأثمار ونقيم نحن وأنت في هذا الموضع الخصب ويتمتع كل منا بصاحبه فمال الدراج إلى قولها وقصد الراحة لنفسه ثم نتف ريشه واحدة بعد واحدة حكم ما استحسنه من رأي السحلفة واستقر عندهن عائشاً معهن ورضي باللذة اليسيرة والطرب الزائل فبينما هم على تلك الحالة وإذا بابن عرس قد مرّ عليه فرمقه بعينيه وتأمله فرآه مقصوص الجناح لا يستطيع النهوض فلما رآه على تلك الحالة فرح به فرحاً شديداً وقال في نفسه أن هذا الدراج سمين اللحم قليل الريش ثم دنا منه ابن عرش وافترسه فصاح الدراج وطلب النجدة من السحالف فلم ينجده بل تباعدون عنه وانكمش في بعضهن لما رأين ابن عرس قابضاً عليه وحين رأين ابن عرس يعذبه حقهن البكا عليه فقال لهن الدراج هل عندكن شيء غير البكاء فقلن له يا أخانا ليس لنا قوة ولا طاقة ولا حيلة في أمر ابن عرس فحزن الدراج عند ذلك وقطع الرجاء من حياة نفسه وقال لهن ليس لكن ذنب إنما الذنب لي حيث أطعتكن ونتفت أجنحتي التي أطير بها فأنا استحق الهلاك لمطاوعتي لكي ولا ألومكن في شيء وأنا الآن لا ألومكن أيتها النساء بل ألوم نفسي وأؤديها حيث لم أتذكر أنكر الشهوة التي حصلت من أبينا آدم لأجلها خرج ونسيت أنكن أصل كل شر فأطعكن بجهلي وخطأ رأيي وسوء تدبير وقتلت وزرائي وحكام مملكتي الذين كانوا لي نصحاء في الأمور وكانوا عدتي وقوتي على كل أمر أهمني فأنا الآن لا أحد عوضاً عنهم ولا أرى أحداً يقوم مقامهم وقد وقعت في الهلاك العظيم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩١٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك لأم نفسه وقال أنا الذي أطعتكن بجهلي وقتلت وزرائي ولم أجد عوضاً عنهم يقوم مقامهم وإن لم يفتح الله علي بمن له رأي سديد يرشدني إلى ما فيه خلاصي وقعت في الهلكة العظيمة ثم أنه قام ودخل مرقده بعد أن نعي الوزراء والحكماء قائلاً يا ليت هؤلاء الأسود عندي في هذا الوقت ولو ساعة واحدة حتى اعتذر إليهم وأنظرهم وأشكوا إليهم أمري وما حل بي بعدهم ولم يزل غريقاً في بحر الهم طول نهاره لا يأكل ولا يشرب فلما جنّ عليه الليل قام وغير لباسه ولبس ثياباً رديئة وتنكر وخرج يسبح في المدينة لعله يسمع من أخذ كلمة يرتاح بها فبينما هو يطوف في الشوارع وإذا هو بغلامين مختليين بأنفسهما جالسين بجانب حائط وهما مستويان في السن عمر كل واحد منهما اثنتا عشرة سنة فسمعهما يتحدثان مع بعضهما فدنا منهما الملك بحيث يسمع كلامهما ويفهمه فسمع واحد منهما يقول للآخر اسمع ماحكاه لي والدي ليلة أمس من أجل ما وقع له في زرعه ويبسه قبل أوانه بسبب عدم المطر وكثرة البلاء الحاصل في هذه المدينة فقال له الآخر أتعرف ما سبب هذا البلاء قال له لا فإن كنت تعرفه أنت فاذكره لي فأجابه قائلاً نعم أعرفه وأخبرك به أعلم أن بعض أصحاب والدي قال لي أن ملكنا قتل وزراءه وعظماء دولته من غير ذنب جنوه بل أجل من أحبه للنساء وميله إليهن وأن الوزراء نهوه عن ذلك فلم ينته وأمر بقتلهم طاعة لنسائه حتى أنه قتل شماساً وزيره ووزير والده من قبله وكان صاحب مشورته ولكن سوف تنظر ما يفعل الله به بسبب ذنوبهم فسينتقم لهم منه فقال الغلام وما عسى أن يفعل الله به بعد هلاكهم

قال له اعلم أن ملك الهند الأقصى قد استخف بملكنا وبعث إليه كتاباً يوبخه فيه ويقول له ابن لي قصراً في وسط البحر وإن لم تفعل ذلك فأنا أرسل إليك اثنى عشر كردوساً كل كردوس فيه اثنا عشر ألف مقاتل واجعل قائد هذه العساكر بديعاً وزيري فيأخذ ملكك ويقتل رجالك ويسبيك مع حريمك فلما جاء رسول ملك الهند الأقصى بهذا الكتاب أمهله ثلاثة أيام واعلم يا أخي أن ذلك الملك جبار عنيد ذو قوة وبأس شديد وفي مملكته خلق كثيرون لم يحتل ملكنا فيما يمنعه وقع في الهلكة وبعد ذلك ملكنا يأخذ هذا الملك أرزاقنا ويقتل رجالنا ويسبي حريمنا فلما سمع الملك منهما هذا الكلام زاد اضطراباً ومال إليهما وقال في نفسه أن هذا الغلام لحكيم لكونه أخبر عن شيء لم يبلغه مني فإن الكتاب الذي جاء من ملك أقصى الهند عندي والسر معي ولم يطلع أحد على هذا الخبر غيري فكيف علم هذا الغلام به ولكن أنا التجيء إليه وأكلمه وأسأل الله أن يكون خلاصنا على يديه ثم أن الملك دنا من الغلام بلطف وقال له أيها الولد الحبيب ما هذا الذي ذكرته من أجل ملكنا فإنه قد أساء كل الإساءة في قتل وزرائه وكبراء دولته لكنه في الحقيقة قد أساء لنفسه ورعيته وأنت صدقت فيما قلته ولكن عرفني أيها الولد من أين عرفت أن ملك الهند الأقصى كتب إلى ملكنا كتاباً ووبخه فيه وقال له هذا الكلام الصعب الذي قلته قال له هذا الغلام قد علمت هذا من قول القدماء أنه ليس بخفي على الله خافية والخلق من بني آدم فيهم روحانية تظهر لهم الأسرار الخفية فقال له صدقت يا ولدي لكن هل لملكنا حيلة وتدبير يدفع به عن نفسه وعن مملكته هذا البلاء العظيم فأجاب الغلام قائلاً نعم إذا أرسل الملك إلي وسألني ماذا يصنعه ليدفع به عدوه وينجو من أخبرته بما فيه نجاته بقوة الله تعالى قال له الملك ومن يعلم الملك بذلك حتى يرسل إليك ويدعوك فأجابه قائلاً أني سمعت عنه أنه يفتش على أهل الخبرة والرأي الرشيد وإذا أرسل إليّ سرت معهم إليه وعرفته بما فيه صلاحه ودفع البلاء عنه وأن أهمل هذا الأمر العسير واشتغل بلهوه مع نسائه وأردت أني أعلمه بما فيه نجاته وتوجهت إليه من تلقاء نفسه فأنه يأمر بقتلي مثل أولئك الوزراء وتكون معترفتي به سبباً لهلاكي وتستقل الناس بي ويستنقصون عقلي وأكون من مضمون قول من قال من كان علمه أكثر من عقله هلك ذلك العالم فلما سمع الملك كلام الغلام تحقق حكمته وتيقن فضيلته أن النجاة تحصل له ولرعيته على يديه فعند ذلك أعاد الملك الكلام على الغلام وقال له من أين أنت وأم بيتك فقال له الغلام أن هذه الحائط توصل إلى بيتنا فتعهد الملك ذلك المكان ثم أنه ودّع الغلام ورجع إلى مملكته مسروراً فلما استقر في بيته لبس ثيابه ودعا بالطعام والرشراب ومنع عنه النساء وأكل وشرب وشكر الله تعالى وطلب منه النجاة والمعونة والمغفرة والعفو عما فعل بعلماء دولته ورؤسائهم ثم تاب إلى الله توبة خالصة واقترض على نفسه الصوم والصلاة الكثيرة بالنذر ودعا بأحد غلمانه الخواص ووصف له مكان الغلام وأمره أن ينطق إليه ويحضره بين يديه برفق فمضى ذلك العبد إلى الغلام وقال له الملك يدعوك لخير يصل إليك من قبله ويسألك سؤالاً ثم تعود في خير إلى منزلك فأجاب الغلام قائلاً ولحاجة الملك التي دعاني من أجلها قال له الخادم إن حاجة مولاي التي دعاك من أجلها هي سؤال وجواب فقال له الغلام ألف سمع وألف طاعة لأمر الملك ثم سار معه حتى وصل إليه فلما صار بين يديه سجد لله ودعا للملك بعد أن سلّم عليه فردّ الملك عليه السلام وأمره بالجلوس فجلس وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩١٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الغلام لما جاء إلى الملك وسلّم عليه أمره بالجلوس فجلس فقال له هل تعرف من تكلم معك بالأمس قال الغلام نعم قال له فأين هو فأجابه بقوله هو الذي يكلمني في هذا الوقت فقال له الملك لقد صدقت بها الحبيب ثم أمر الملك بوضع كرسي بجانب كرسيه وأجلسه عليه وأمر بإحضار أكل وشرب ثم امتزجا في الحديث إلى أن قال للغلام أنك أيها الوزير حدثتني بالأمس حديثاً وذكرت فيه أن معك حيلة تدفع بها عنا كيد ملك الهند فما هي الحيلة وكيف التدبير في دفع شره فأخبرني لكي أجعلك أول من يتكلم معي في الملك واصطفيك وزير إلى وأكون تابعاً لرأيك في كل ما أشرت به عليّ وأجيزك جائزة سنية فقال له الغلام جائزتك لك أيها الملك والملك والمشورة والتدبير عند نسائك اللاتي أشرن عليك بقتل والدي شماس مع بقية الوزراء فلما سمع الملك منه ذلك خجل وتنهد وقال أيها الولد الحبيب وهل شماس والدك كما ذكرت فأجابه الغلام قائلاً أن شماساً والدي حقاً وأنا ولده صدقاً فعند ذلك خشع الملك ودمعت عيناه واستغفر الله وقال أيها الغلام أني فعلت ذلك بجهلي وسوء تدبير النساء وكيدهن أسألك أن تكون مسامحاً لي وأني جاعلك في موضع أبيك وأعلى مقاماً من مقامه وإذا زالت هذه النقمة النازلة بنا طوقتك بطوق الذهب وأركبتك أعز مركوب وأمرت المنادي أن ينادي قدامك قائلاً هذا الولد العزيز صاحب الكرسي الثاني بعد الملك وأما ما ذكرت من أمر النساء فأني أضمرت الانتقام منهن وأجلته في الوقت الذي يريده الله تعالى فأخبرني بما عندك من التدبير ليطمئن قلبي فأجابه الغلام قائلاً أعطني عهد أنك لا تخالف رأيي فيما اذكر لك وأني أكون مما أخشاه في أمان فقال له الملك هذا عهد الله بيني وبينك أني لا أخرج عن كلامك وأنك عندي صاحب المشورة ومهما أمرتني به فعلته والشاهد بيني وبينك على ما أقول هو الله تعالى فعند ذلك انشرح صدر الغلام واتسرع عنده مجال الكلام فقال أيها الملك إن التدبير والحيلة عندي أنك تنظر الوقت الذي يحضر لك فيه الساعي طالب الجواب بعد المهلة التي أمهلته إياها فإذا حضر بين يديك وطلب الجواب ادفعه عنك وامهله إلى يوم آخر فعند ذلك يعتذر إليك أن ملكه حدّد عليه أياماً معلومة فيراجعك في كلامك فاطرحه وامهله إلى يوم آخر ولا تعين له ذلك اليوم فيخرج من عندك غضبان ويتوجه إلى وسط المدينة ويتكلم جهراً بين الناس ويقول يا أهل المدينة أني ساعي ملك الهند الأقصى وهو صاحب بأس شديد وعزم يلين له الحديد قد أرسلني بكتاب إلى ملك هذه المدينة وحدد لي أيام وقال لي إن لم تحضر عقب الأيام التي حددتها لك حلت بك نقمتي وها أنا جئت إلى ملك هذه المدينة وأعطيته الكتاب فلما قرأه أمهلني ثلاثة أيام ثم لم يعطيني جواب ذلك الكتاب فأجبته إلى ذلك لطفاً به ورعاية لخاطره وقد مضت الثلاثة أيام وأتيت أطلب منه الجواب فأمهلني إلى يوم آخر وأنا ليس عندي صبر فها أنا منطلق إلى سيدي ملك الهند الأقصى وأخبره بما وقع لي وأنتم أيها القوم شاهدون بيني وبينه فعند ذلك يبلغك كلامه فأرسل إليه وأحضره بين يديك وكلّمه بلطف وقل له أيها الساعي لاتلاف نفسه ما الذي حملك على ملامتنا بين رعيتنا لقد استحقيت منا التلف عاجلاً ولكن قالت القدماء العفو من شيم الكرام واعلم أن تأخير الجواب عنك ليس عجزاً منا وإنما هو لزيادة إشغالنا وقلة تفرغنا لكتابة جواب ملككم ثم اطلب الكتاب واقرأه ثانياً وبعد أن تفرغ من قرأته أكثر من الضحك وقل له هل معك كتاب غير هذا الكتاب فنكتب جواباً له أيضاً فيقول لك ليس معي كتاب غير هذا الكتاب فاعد عليه القول ثانياً وثالثاً

فيقول لك ليس معي غيره أصلاً فقل له أن ملككم هذا معدوم العقل حيث ذكر في هذا الكتاب كلاماً يريد به تقويم نفوسنا لأجل أن نتوجه بعسكرنا إليه فنغزو بلاده ونأخذ مملكته ولكن لا نؤاخذه في هذه المرة على إساءة أدبه بهذا المكتوب لأنه قاصر العقل ضعيف الحزم فالمناسب لمقدرتنا أننا ننذره ولا نحذره من أن يعود لمثل هذه الهذيانات فإن خاطر بنفسه وعاد إلى مثلها استحق البلاء عاجلاً وأظن أن الملك الذي أرسلك جاهلاً أحمق غير مفكر في العواقب وليس له وزير عاقل سديد الرأي يستشيره ولو كان عاقلاً لاستشار وزير أقبل أن يرسل إلينا مثل هذا الكلام السخرية ولكن له عندي جواب مثل كتابه وأزيد وأنا أدفع كتابه لبعض صبيان المكتب ليجيبه ثم أرسل إلى واطلبني فإذا أحضرت بين يديك فأذن لي بقراءة الكتاب ورد جوابه فعند ذلك انشرح صدر الملك واستحسن رأي الغلام وأعجبته حيلته فانعم عليه وخوّله رتبة والده وصرفه مسروراً فلما انقضت الثلاثة أيام التي جعلها مهلة للساعي جاء الساعي ودخل على الملك وطلب الجواب فأمهله الملك إلى يوم آخر فخرج الساعي إلى آخر البساط وتكلم بكلام غير لائق مثل ما قال الغلام ثم خرج إلى السوق وقال يا أهل هذه المدينة إني رسول ملك الهند الأقصى إلى ملككم جئته برسالة وهو يماطلني في جوابها وقد انقضت المدة التي حددها إلى ملكنا ولم يبق لملككم عذر فأنتم تكونون شهداء على ذلك فلما بلغ الملك هذا الكلام أرسل إلى ذلك الساعي وأحضره بين يديه وقال له أيها الساعي في اتلاف نفسه الست ناقلاً كتاباً من ملك إلى ملك بينهما أسرار فكيف تخرج بين الناس وتظهر أسرار الملوك على العامة لقد استحقيت منا القصص ولكن نحن ننتحل ذلك لأجل عود جوابك لهذا الملك الأحمق والأنسب أن لا يرد له جواباً عنا إلا أقل صبيان المكتب ودعا بحضور ذلك الغلام فحضر ولما دخل على الملك والساعي حاضر سجد لله ودعا للملك بدوام العز والبقاء فعند ذلك رمى الملك الكتاب للغلام وقال له أقرأ هذا الكتاب واكتب جوابه بسرعة فأخذ الغلام الكتاب وقرأه وتبسم بالضحك وقال للملك هل أرسلت خلفي لأجل جواب هذا الكتاب فقال له نعم فأجاب بمزيد السمع والطاعة وأخرج الدواة والقرطاس وكتب وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩١٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الغلام لما أخذ الكتاب وقرأه أخرج في الوقت دواة وقرطاساً وكتب بسم الله الرحمن الرحيم السلام على من فاز بالآمان ورحمة الرحمن أما بعد فإني أعلمك أيها المدعو ملكاً كبيراً أسما لا رسماً أنه قد وصل إلينا كتابك وقرأناه وفهمنا ما فيه من الخرافات وغريب الهذيانات فتحققنا جهلك وبغيك علينا وقد مددت يديك إلى مالا تقدر عليه ولولا أن الرأفة أخذتنا على خلق الله والرعية لما تأخرنا عنك وأما رسولك فأنه خرج إلى السوق ونشر أخبار كتابك على الخاص والعام فاستحق منا القصاص ولكن أبقيناه رحمة منا له لكونه معذوراً معك ولم نترك قصاصه وقاراً لك فأما ما ذكرته في كتابك من قتلي لوزيراني أو علمائي وكبراء مملكتي ذلك حق ولكن لسبب قام عندي وما قتلت من العلماء واحداً إلا وعندي من جنسه ألف أعلم منه وافهم واعقل وليس عندي طفل إلا وهو ممتليء من العلوم وعندي عوض من كل واحد من المقتولين من فضلاء نوعه مالا أقدر أن أحصيه وكل واحد من عسكري يقاوم كردوساً من عسكرك أما من جهة المال فإن عندي معامل الذهب والفضة وأما المعادن فإنها عندي كقطع الحجارة وأما أهل مملكتي فأني لا أقدر أن أصف لك حسنهم وجمالهم وغناهم فكيف تجاسرت علينا وقلت لنا ابن لي قصراً في وسط

البحر فإن هذا أمر عجيب ولعله ناشيء عن سخافة عقلك لأنه لو كان لك عقل لكنت فحصت عن دفعات الأمواج وحركات الرياح وأنا أبني لك القصر وأما زعمك أنك تظفرني فحاش لله من ذلك كيف يبغي علينا مثلك ويظفر بملكنا بل أن الله تعالى يفقرني لكونك معتدياً باغياً على بغير حق فاعلم أنك قد استوجبت العذاب من الله ومني ولكن أنا أخاف الله فيك في رعيتك ولا أركب عليك إلا بعد النذارة فإن كنت تخشى الله فعجل لي بإرسال خراج هذه السنة وإلا لا أرجع عن الركوب عليك ومعي ألف ألف ومائة ألف مقاتل كلهم جبابرة بأفيال فسردهم حول وزيرنا وآمره أن يقيم على محاصرتك ثلاث سنوات نظير الثلاثة أيام التي أمهلتها لقاصدك وأتملك مملكتك بحيث لا أقتل منها أحداً غير نفسك ولا أسبى منها غير حريمك ثم صور الغلام في المكتوب صورته وكتب بجانبها أن هذا الجواب كتبه أصغر أولاد الكتاب ثم سلّمه إلى الملك فأعطاه الملك للساعي فأخذه الساعي وقبّل يدي الملك ومضى من عنده شاكراً الله تعالى وللملك على حلمه وانطلق وهو يتعجب مما رأى من حذق الغلام فلما وصل إلى ملكه وكان دخوله عليه في اليوم الثالث بعد الثلاثة أيام المحدودة له وكان الملك في ذلك الوقت ناصب الديوان بسبب تأخير الساعي عن المدة المحدودة له فلما دخل عليه سجد بين يديه ثم أعطاه الكتاب فأخذه وسأل الساعي عن سبب إبطائه وعن أحوال الملك ورد خان فقص عليه القصة وحكى له جميع ما نظره بعينه وسمعه بأذنه فاندهش عقل الملك وقال للساعي ويحك ما هذه الأخبار التي تخبرني بها عن مثل هذا الملك فأجابه الساعي قائلا أيها الملك العزيز ها أنا بين يديك فافتح الكتاب واقرأه يظهر لك الصدق من الكذب فعند ذلك فتح الملك الكتاب وقرأه ونظر فيه صورة الغلام الذي كتبه فأيقن بزوال ملكه وتحير فيما يكون من أمره ثم التفت إلى وزرائه وعظماء دولته وأخبرهم بما جرى وقرأ عليهم الكتاب فارتاعوا لذلك وارتعبوا رعباً عظيماً وصاروا يسكنون رواع الملك بكلام من ظاهر اللسان وقلوبهم تتمزق من الخفقان ثم أن بديعاً الوزير الكبير قال اعلم أيها الملك أن الذي يقوله أخوتي من الوزراء لا فائدة فيه والرأي عندي أنك تكتب لهذا الملك كتاباً وتعتذر إليه فيه وتقول له أنا محب لك ولوالدك من قبلك وما أرسلنا إليك الساعي بهذا الكتاب الأعلى طريق الامتحان لك لتنظر عزائمك وما عندك من الشجاعة والأمور العملية والعلمية والرموز الخفية وما أنت منطو عليه من الكمالات الكلية ونسأل الله تعالى أن يبارك لك في مملكتك ويشيد حصون مدينتك ويزيد في سلطانك حيثما كنت حافظاً لنفسك فتتم أمور رعيتك وأرسله له مع ساع آخر فقال الملك والله العظيم أن هذا لعجباً عظيماً كيف يكون هذا ملكاً عظيماً معتداً للحرب بعد قتله لعلماء مملكته وأصحاب رأيه ورؤساء جنده وتكون مملكته عامرة بعد ذلك ويخرج منها هذه القوة العظيمة وأعجب من هذا أن صغار مكاتبها يريدون عن ملكها مثل هذا الجواب لكن أنا بسوء طمعي أشعلت هذه النار علي وعلى أهل مملكتي ولا أدري ما يطفئها إلا رأى وزيري هذا ثم أنه جهز هدية ثمينة وخدماً وحشماً كثيرة وكتب كتاباً مضمونه بسم الله الرحمن أما بعد أيها الملك العزيز ورد خان ولد الأخ العزيز جليعاد رحمه الله وأبقاك لقد حضر لنا كتابك فقرأناه وفهمنا ما فيه فرأينا فيه ما يسرنا وهذا غاية طلبنا لك من الله ونسأل الله أن يعلي شأنك ويشيد أركان مملكتك وينصرك على أعدائك الذين يريدون بك السوء واعلم أيها الملك أن أباك كان لي أخاً وبيني وبينه عهود ومواثيق مدة حياته وما كان يرى منا إلا خيراً وكنا نحن كذلك لا نرى منه إلا خيراً ولمّا توفي وجلست أنت على كرسي مملكته حصل عندنا غاية الفرح والسرور ولما

بلغني ما فعلت بوزرائك وأكابر دولتك خشينا أن يصل خبر ذلك إلى ملك غيرنا فيطمع فيك وكنا نظن أنك في غفلة عن مصالحك وفظ حصونك مهملاً لأمور مملكتك فكاتبناك بما ننبهك فلما رأيناك قد رددت لنا مثل هذا الجواب اطمأن قلبنا عليك منعك الله بمملكتك وجعلك معانا على شأنك والسلام ثم جهز له الهدية وأرسلها إليه مع مائة فارس وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩١٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن ملك الهند الأقصى لما جهز الهدية إلى الملك ورد خان أرسلها له مع مائة فارس فساروا إلى أن أقبلوا على الملك وردخان وسلموا عليه ثم أعطوه الكتاب فقرأه وفهم معناه ثم أنزل رئيس المائة فارس في محل يصلح له وأكرمه وقبل الهدية منه وشاع خبرها عند الناس وفرح الملك بذلك فرحاً شديداً ثم أرسل إلى الغلام ابن شماس وأحضره بين يديه وأكرمه وأرسل إلى رئيس المائة فارس ثم طلب الكتاب الذي أحضره من ملكه وأعطاه للغلام ففتحه وقرأه فسر الملك بذلك سروراً كبيراً وصار يعاتب رئيس المائة فارس وهو يقبل يديه ويعتذر إليه ويدعو له بدوام البقاء وخلود النعم عليه فشكره على ذلك وأكرمه إكراماً زائداً وأعطاه وأعطى جميع من معه ما يليق بهم وجهز معهم هذايا وأمر الغلام أن يكتب رد الجواب فعند ذلك كتب الغلام الجواب وأحسن الخطاب وأوجز في باب الصلح وذكر أدب الرسول ومن معه من الفرسان فلما تمم الكتاب عرضه على الملك فقال له الملك اقرأه أيها الولد العزيز لكي تعرف ما كتب فيه فعند ذلك قرأ الغلام بحضرة المائة فارس فأعجب الملك هو وكل من حضر نظامه ومعناه ثم ختمه الملك وسلمه إلى رئيس المائة فارس وصرفه وأرسل معه من عسكره طائفة توصلهم إلى أطراف بلادهم هذا ما كان من أمر الملك والغلام (وأما) ما كان من أمر رئيس المائة فارس فإنه اندهش عقله مما رآه من أمر الغلام ومعرفته وشكر الله تعالى على قضاء مصلحته بسرعة وعلى قبول الصلح ثم أنه سار إلى أن وصل إلى ملك أقصى الهند وقدم إليه الهدايا والتحف وأوصل إليه العطايا وناوله الكتاب وأخبره بما نظر ففرح الملك بذلك فرحاً شديداً وشكر الله تعالى وأكرم رئيس المائة فارس وشكر همتا على فعله ورفع درجته وصار من ذلك الوقت في أمن وأمان وطمأنينة وزيادة انشراح هذا ما كان من أمر ملك أقصى الهند (وأما) مان من أمر الملك وردخان فإنه استقام مع الله ورجع عن طريقته الرديئة وتاب إلى الله توبة خالصة عما كان فيه وترك النساء جملة ومال بكليته إلى صلاح مملكته والنظر بخوف الله إلى الرعية وجعل ابن شماس وزيراً عوضاً عن والده وصاحب الرأي المقدم عنده في المملكة وكاتماً لسره وأمر بزينة مدينته سبعة أيام وكذلك بقية المدائن ففرحت الرعية بذلك وزوال الخوف والرعب عنها واستبشروا بالعدل والإنصاف وابتهلوا بالدعاء للملك والوزير الذي أزال عنه وعنهم هذا الغم وبعد ذلك قال الملك للوزير ما الرأي عندك في اتقان المملكة وإصلاح الرعية ورجوعها إلى ما كانت عليه أولاً من وجود الرؤساء والمديرين فعند ذلك أجابه الوزير قائلاً أيها الملك العزيز الشأن الرأي عندي أنك قبل كل شيء تبتدي بقطع أمر المعاصي من قلبك وتترك ما كنت فيه من اللهو والعسف والاشتغال بالنساء لأنك أن رجعت إلى أصل المعاصي تكون الضلالة الثانية أشد من الأولى فقال الملك وما هي أصل المعاصي التي ينبغي أن أقلع عنها فأجابه ذلك الوزير الصغير السن الكبير العقل قائلاً أيها الملك الكبير اعلم أن أصل المعصية اتباع هوى النساء والميل إليهن وقبول رأيهن وتدبيرهن

لأن محبتهن تغير العقول الصافية وتفسد الطباع السليمة والشاهد على قولي من دلائل واضحة لو تفكرت فيها وتتبعت وقائعها بإمعان النظر لوجدت لك ناصحاً من نفسك واستغنيت عن قولي جملة فلا تشغل قلبك بذكرهن واقطع من ذهنك رسمهن لأن الله تعالى أمر بعدم الإكثار منهن على يد نبيه موسى حتى قال لبعض الملوك من الحكماء لولده يا ولدي إذا استقمت في الملك من بعدي فلا تستكثر من النساء لئلا يضل قلبك ويفسد رأيك بالجملة فالاستكثار منهن يفضي إلى حبهن وحبهن يفضي إلى فساد الرأي والبرهان على ذلك ما جرى لسيدنا سليمان بن داود عليهما السلام الذي خصه الله بالعلم والحكمة والملك العظيم ولم يعط أحد من الملوك الذين تقدموا مثل ما أعطاه فكانت النساء سبباً لهفوة والده ومثل هذا كثير أيها الملك وإنما ذكرت لك سليمان لتعرف أنه ليس لأحد أن يملك مثل ما ملك حتى أطاعه جميع ملوك الأرض واعلم أيها الملك أن محبة النساء أصل كل شر وليس لإحداهن رأي فينبغي للإنسان أن يقتصر منهن على قدر الضرورة ولا يميل إليهن كل الميل فإن ذلك يوقعه في الفساد والهلكة فإن أطلعت قولي أيها الملك استقامت لك جميع أمورك وإن تركته ندمت حيث لا ينفعك الندم فأجابه الملك قائلاً لقد تركت ما كنت فيه من فرط الميل إليهن وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩١٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك وردخان لما قال لوزيره أني قد تركت ما كنت فيه من الميل إليهن وأعرضت عن الاشتغال بالنساء جميعاً ولكن ماذا أصنع إليهن جزاء ما فعلن لأن قتل شماس والدك كان من كيدهن ولم يكن ذلك مرادي ولا عرفت كيف جرى لي في عقلي حتى وافقتهن على قتله ثم تأوه وصاح قائلاً واأسفاه على فقد وزيري وسداد رأيه وحسن تدبيره وعلى فقد نظرائه من الوزراء ورؤساء المملكة وحسن آرائهم الرشيد فأجابه الوزير قائلاً اعلم أيها الملك أن الذنب ليس للنساء وحدهن لأنهن مثل بضاعة مستحسنة تميل إليها شهوات الناظرين فمن اشتهى واشترى باعوه ومن لم يشتر لم يجبره أحد على الشراء ولكن الذنب لمن اشترى وخصوصاً إذا كان عارنا بمضرة تلك البضاعة وقد حذرتك ووالدي من قبلي كان يحذرك ولم تقبل منه نصيحة فأجابه الملك أنني أوجبت على نفسي الذنب كما قلت أيها الوزير ولا عذر لي إلى إلى المقادير الإلهية فقال الوزير اعلم أيها الملك أن الله تعالى خلقنا وخلق لنا استطاعة وجعل لنا إرادة واختيار فإن شئنا فعلنا وإن شئنا لم نفعل ولم يأمرنا الله بفعل ضرر لئلا يلزمنا ذنب فيجب علينا حساب فيما يكون لله صواباً لأنه تعالى لا يأمرنا إلا بالخير على سائر الأحوال وإنما ينهانا عن الشر ولكن نحن بإرادتنا نفعل ما نفعله صواباً كان أو خطأً فقال له الملك صدقت وإنما كان خطئي مني الميل إلى الشهوات وقد حذرت نفسي من ذلك مراراً وحذرني والدك شماس مراراً فغلبت نفسي على عقلي فهل عندك شيء يمنعني عن ارتكاب هذا الخطأ حتى يكون عقلي غالباً على شهوات نفسي فأجاب الوزير نعم إني أرى شيئاً يمنعك عن ارتكاب هذا الخطأ وهو إنك تنزع عنك ثوب الجهل وتلبس ثوب العدل وتعصي هواك وتطيع مولاك وترجع إلى سيرة الملك العادل أبيك وتعمل ما يجب عليك من حقوق الله وحقوق رعيتك وتحافظ على دينك وعلى رعيتك وعلى سياسة نفسك وعلى عدم قتل رعيتك وتنظر في عواقب الأمور وتنزل عن الظلم والجور والبغي والفساد وتستعمل العدل والإنصاف والخضوع وتمتثل أوامر الله تعالى وتلازم الشفقة على خليقته

الذين استخلفك عليهم وتواظب على ما يوجب دعاءهم لك لأنك إذا أدام لك ذلك صفاً وقتك وعفا الله برحمته عنك وجعلك مهاباً عند كل من يراك وتتلاشى أعداؤك ويهزم الله جيوشهم وتصير عند الله مقبولاً وعند خلقه مهاباً محبوباً فقال له الملك لقد أحييت فؤادي ونورت قلبي بكلامك الحلو وجلوت عين بصيرتي بعد العمى وأنا عازم على أن أفعل جميع ما ذكرته لي بمعونة الله تعالى وأترك ما كنت عليه من البغي والشهوات وأخرج نفسي من الضيق إلى السعة ومن الخوف إلى الأمن وينبغي أن تكون بذلك فرحاً مسروراً لأني صرت لك ابناً مع كبر سني وصرت لي أنت والداً حبيباً على صغر سنك وصار من الواجب على بذل المجهود فيما تأمرني به وأنا أشكر فضل الله تعالى وفضلك فإن الله تعالى أولاني بك من النعم وحسن الهداية وسداد الرأي ما يدفع همي وغمي وقد حصلت سلامة رعيتي على يديك بشرف معرفتك وحسن تدبيرك فأنت الآن مدبر الملك لا أتشرف عليك بسوى الجلوس على الكرسي وكل ما تفعله جائز عليّ ولا أرد لكلمتك وليس يفصلني منك إلا الموت وجميع ما تملكه يدي لك التصرف فيه وإن لم يكن لي خلف تجلس على تختي عوضاً عني فأنت أولى من جميع أهل مملكتي فأوليك ملكي بحضرة أكابر مملكتي وأجعلك ولي عهدي من بعدي إن شاء الله تعالى وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩١٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك ورد خان قال لابن شماس الوزير سوف استخلفك عني وأجعلك ولي عهدي من بعدي وأشهد على ذلك أكابر مملكتي بعون الله تعالى ثم بعد ذلك دعا بكاتبه فحضر بين يديه فأمره أن يكتب إلى سائر كبراء دولته بالحضور إليه وجهر بالنداء في مدينته للحاضرين الخاص والعام وأمر أن يجتمع الأمراء والقواد والحجاب وسائر أرباب الخدم إلى حضرة الملك وكذلك العلماء والحكماء وعمل الملك ديواناً عظيماً ومما طالم بعمل مثله قط وعزم جميع الناس من الخاص والعام فاجتمع الجميع على حظ وأكل وشرب مدة شهر وبعد ذلك كسا جميع حاشيته وفقراء مملكته وأعطى العلماء عطايا وافرة فاختار جملة من العلماء والحكماء بمعرفة ابن شماس وأدخلهم عليه وأمره أن ينتخب منهم سبعة ليجعلهم وزراء من تحت كلمته ويكون هو الرئيس عليهم فعند ذلك اختار الغلام ابن شماس منهم أكبرهم سناً وأكملهم عقلاً وأكثرهم دراية وأشرعهم حفظاً ورأى من بهذه الصفات ستة أشخاص فقدمهم إلى الملك وألبسهم ثياب الوزراء وكلمهم قائلاً أنتم تكونون وزرائي تحت طاعة ابن شماس وجميع ما يقوله لكم أو يأمركم به وزيري هذا ابن شماس لا تخرجوا عنه أبداً ولو كان هو أصغركم سناً لأنه أكبركم عقلاً ثم أن الملك أجلسهم على كراسي مزركشة على عادة الوزراء وأجرى عليهم الأرزاق والنفقات ثم أمرهم أن ينتخبوا من أكابر الدولة الذين اجتمعوا عنده في الوليمة من يصلح لخدمة المملكة من الأجناد ليجعل منهم رؤساء ألوف ورؤساء خمسين ورؤساء عشرات ورتب لهم المرتبات وأجرى عليهم الأرزاق على عادة الكبراء ففعلوا ذلك في أسرع وقت وأمرهم أيضاً أن ينعموا على بقية من حضر بالإنعامات الجزيلة وأن يصرفوا كل واحد لي أرضه بعز وإكرام وأمر عماله بالعدل في الرعية وأوصاهم بالشفقة على الفقراء والأغنياء وأمر بإسعافهم من الخزانة على قدره رجاتهم فدعا له الوزير بدوام العز والبقاء ثم أنه أمر بزينة المدينة ثلاثة أيام شكر الله تعالى على ما حصل له من التوفيق هذا ما كان من أمر الملك ووزيره ابن شماس في ترتيب المملكة

وأمرائها وعمالها (وأما) ما كان من أمر النساء المحظيات من السراي وغيرهن اللائي كن سبباً لقتل الوزراء وفساد المملكة بحيلهن وخداعهن فإنه لما انصرف جميع من كان في الديوان من المدينة والقرى إلى محله واستقامت أمورهم أمر الملك الوزير الصغير السن الكبير العقل الذي هو ابن شماس أن يحضر بقية الوزراء وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩١٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك أمر وزيره ابن شماس أن يحضر بقية الوزراء فلما حضروا جميعاً بين يدي الملك اختلى بهم وقال لهم اعلموا أيها الوزراء أني كنت حائداً عن الطريق المستقيم مستغرقاً في الجهل معرضاً عن النصيحة ناقضاً للعهود والمواثيق مخالفاً لأهل النصح وسبب ذلك كله ملاعبة هؤلاء النساء وخداعهن إياي وزخرفة كلامهن وباطلهن لي وقبولي لذلك لأني كنت أظن أن كلامهن نصح بسبب عذوبته ولينه فإذا هو سم قاتل والآن قد تقرر عندي أنهن يردن لي الهلاك والتلف فقد استحقين العقوبة والجزاء مني لكن على جهة العدل حتى أجعلهن عبرة لمن اعتبر فما الرأي السديد في إهلاكهن فأجابه الوزير بن شماس قائلاً أيها الملك العظيم الشأن أنني قلت لك أولاً الذنب ليس مختصاً بالنساء وحدهن بل هو مشترك بينهن وبين الرجال الذين يطيعونهن لكن النساء يستوجبن الجزاء على كل حال لأمرين الأول تنفيذ قولك لكونك الملك الأعظم والثاني لتجاسرهن عليك وخداعهن لك ودخولهن فيما يعنيهن ومالا يصلحن للتكلم فيه فهن أحق بالهلاك ولكن كفاهن ما هو نازل بهن ومن الآن أجعلهن بمنزلة الخدم والأمر إليك في ذلك وغيره ثم أن بعض الوزراء أشار على الملك بما قاله ابن شماس وبعض الوزراء تقدم إلى الملك وسجد له وقال آدام الله أيام الملك إن كان لابد أن تفعل بهن فعلة لهلاكهن فافعل ما أقوله لك فقال الملك ما الذي تقوله لي فقال له أن تأمر إحدى محاظيك بأن تأخذ النساء اللاتي خدعنك وتدخلهن البيت الذي حصل فيه قتل الوزراء والحكماء وتسجنهن هناك وتأمر أن يعطي لهن قليل من الطعام والشراب بقدر ما يمسك أبدانهن ولا يؤذن إليهن في الخروج من ذلك الموضع أصلاً وكل من ماتت بنفسها تبقى بينهن على حالها إلى أن يمتن عن آخرهن وهذا أقل جزائهن لأنهن كن سبباً لهذه الفتنة العظيمة بل وأصل جميع البلايا والفتن التي وقعت في هذا الزمان وصدق عليهن قول القائل أن من حفر بئراً لأخيه وقع فيها وما طالبت سلامته فقبل الملك رأيه وفعل كما قال له وأرسل خلف أربع محظيات جبارات وسلم إليهن النساء وأمرهن أن يدخلن في محل القتلى ويسجنهن فيه وأجرى لهن طعاماً دنيئاً قليلاً وشراباً رديئاً قليلاً فكان من أمرهن أنهن حزن حزناً عظيماً وندمن على ما فرط منهن وتأسفن تأسفاً كثيراً وأعطاهن الله جزاءهن في الدنيا من الخزي وأعد لهن العذاب في الآخرة ولم يزلن في ذلك الموضع المظلم المنتن الرائحة وفي كل يوم تموت ناس منهن حتى هلكن عن آخرهن وشاع خبر هذه الواقعة في جميع البلاد والإقطار وهذا ما انتهى إليه أمر الملك ووزرائه ورعيته والحمد لله مفني الأمم ومحيي الرمم المستحق للتجليل والأعظام والتقديس على الدوام.

(حكاية أبي قير وأبي صير)

(ومما يحكى أيضاً) أن رجلين كانا في مدينة الاسكندرية وكان أحدهما صباغاً واسمه أبو قير وكان الثاني مزيناً واسمه أبو صير وكانا جارين لبعضهما في السوق وكان دكان المزين في جانب دكان الصباغ وكان الصباغ نصاباً كذاباً صاحب شر قوي كأنما صدغه منحوت من الجلمود أو مشتق من عتبة كنيسة اليهود لا يستحي من عيبة يفعلها بين الناس وكان من عادته أنه إذا أعطاه أحد قماشاً لصبغة يطلب منه الكراء أولاً ويوهمه أنه يشتري به أجزاء ليصبغ بها فيعطيه الكراء مقدماً مذ أخذه منه يصرفه على أكل وشرب ثم يبيع القماش الذي أخذه بعد ذهاب صاحبه ويصرف ثمنه في الأكل والشرب وغير ذلك ولا يأكل إلا طيباً من أفخر المأكول ولا يشرب إلا من أجود ما يذهب العقول فإذا أتاه صاحب القماش يقول له في غد تجيء لي من قبل طلوع الشمس فتلقى حاجتك مصبوغة فيروح صاحب الحاجة ويقول في نفسه يوم من يوم قريب ثم يأتيه في ثاني يوم على الميعاد فيقول له تعال في غد فأني أمس ما كنت فاضياً لأنه كان عندي ضيوف فقمت بواجبهم حتى راحوا وفي غد قبل الشمس تعال خذ قماشك مصبوغاً فيروح ويأتيه في ثالث يوم فيقول له إني كنت أمس معذور الآن زوجتي ولدت بالليل وطول النهار وأنا أقضي مصالح ولكن في غد من كل بد تعال خذ حاجتك مصبوغة فيأتي له على الميعاد فيطلع له بحيلة أخرى من حيث كان ويحلف له وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩١٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الصباغ صار كلما أتى له صاحب الشيء يطلع له بحيلة من حيث كان ويحلف له ولم يزل يعده ويخلف ذا جاءه حتى يقلق الزبون ويقول له كم تقول لي في غد اعطني حاجتي فإني لا أريد صبغاً فيقول والله يا أخي أنا مستح منك ولكن أخبرك بالصحيح والله يؤذي كل من يؤذي الناس في أمتعتهم فيقول له أخبرني ماذا حصل فيقول أما حاجتك فإني صبغتها صبغاً ليس له نظير ونشرتها على الحبل فسرقت ولا أدري من سرقها فإن كان صاحب الحاجة من أهل الخير يقول له يعوض الله علي وإن كان من أهل الشر يستمر معه في هتيكة وجرسة ولا يحصل منه شيء ولا اشتكاه إلى الحاكم ولم يزل بفعل هذه الفعال حتى شاع ذكره بين الناس وصار الناس يحذر بعضهم من أبي قير ويضربون به الأمثال وامتنعوا عنه جميعاً وصار لا يقع معه إلا الجاهل بحاله ومع ذلك لابد له كل يوم من جرسه وهتيكة من خلق الله فحصل له كساد بهذا السبب فصار يأتي إلى دكان جاره المزين أبي صير ويقعد في داخلها قبال المصبغة فإن رأى أحداً جاهلاً بحاله واقفاً على باب المصبغة ومعه شيء يريد صبغة يقوم من دكان المزين ويقول له مالك يا هذا فيقول له خذ اصبغ لي هذا الشيء فيقول له أي لون تطلبه لأنه مع هذه الخصال الذميمة كان يخرج من يده أن يصبغ سائر الألوان ولكنه لم يصدق مع أحداً بداً والشقاوة غالبة عليه ثم يأخذ الحاجة منه ويقول له هات الراء لقدام وفي غد تعال خذها فيعطيه الأجرة ويروح وبعد أن يتوجه صاحب الشيء إلى حال سبيله يأخذ هو ذلك الشيء ويذهب إلى السوق فيبيعه ويشتري بثمنه اللحم والخضار والدخان والفاكهة وما يحتاج إليه وإذا رأى أحداً واقفاً على الدكان من الذين أعطوه حاجة ليصبغها فلا يظهر إليه ولا يريه نفسه ودام على

هذه الحالة سنين فاتفق له في يوم من الأيام أنه أخذ حاجة من رجل جبار ثم باعها وصرف ثمنها وصار صاحبها يجيء إليه في كل يوم فلم يره في الدكان لأنه متى رأى أحداً له عنده شيء يهرب منه في دكان المزين أبي صير فلما لم يجده ذلك الجبار في دكانه وأعياه ذلك ذهب إلى القاضي وأتاه برسول من طرفه وسمّر باب الدكان بحضرة جماعة من المسلمين وختمه لأنه لم يرفيها غير بعض هو أجير مكسرة ولم يجد فيها شيئاً يقوم مقام حاجته ثم أخذ الرسول المفتاح وقال للجيران قولوا له يجيء بحاجة هذا الرجل ويأتي ليأخذ مفتاح دكانه ثم ذهب الرجل والرسول إلى حالهما فقال أبو صير لأبي قير ما دهيتك فإن كل من جاء لك بحاجة تعدمه إياها أين راحت حاجة هذا الرجل الجبار قال يا جاري سرقت مني قال أبو صير عجائب كل من أعطاك حاجة يسرقها منك لص هل أنت معاد جميع اللصوص ولكن أظن أنك تكذب فأخبرني بقصتك يا جاري ما أحد سرق مني شيء فقال أبو صير وما تفعل في متاع الناس فقال له كل من أعطاني حاجة أبيعها وأصرف ثمنها فقال له أبو صير أيحل لك هذا من الله قال له أبو صير إنما أفعل هذا من الفقر لأن صنعتي كاسدة وأنا فقير وليس عندي شيء ثم صار يذكر له الكساد وقلة السبب وصار أبو صير يذكر له كساد صنعته أيضاً ويقول أنا أسطى ليس لي نظير في هذه المدينة ولكن لا يحلق عندي أحد لكوني رجل فقيراً وكرهت هذه الصنعة يا أخي فقال له أبو قير الصباغ وأنا أيضاً كرهت صنعتي من الكساد ولكن يا أخي ما الداعي لإقامتنا في هذه البلد فإذا وأنت نسافر منها نتفرج في بلاد الناس وصنعتنا في أيدينا رائجة في جميع البلاد فإذا سافرنا نشم الهواء ونرتاح من هذا الهم العظيم ومازال أبو قير يحسن السفر لأبي صبر حتى رغب في الارتحال ثم أنهما اتفقا على السفر وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٢٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أبا قير مازال يحسن السفر لأبي صير حتى رغب في الارتحال ثم أنهما اتفقا على السفر وفرح أبو قير بان أبا صير رغب في أن يسافر وأنشد قول الشاعر:

تغرب عن الأوطان ف ي طل ب الع لا … وسافر فف ي الأسد فار خم س فوائ د
تف . رج ه . م واكتس . اب معيش . ة … وعل . .م وآداب وص . .حبة ماج . .د
وإن قيل ف ي الأسد فار غ م وكرب ة … وتش .تيت ش .مل وارتك .اب ش .دائد
فموت الفت ى خير راً ل ه م ن حياة ه … ب .دار ه .وان ب .ين واش وحاس .د

وحين عزما على السفر قال أبو قير لأبي صير يا جاري نحن صرنا أخوين ولا فرق بيننا فينبغي أننا نقرأ الفاتحة على أن عمالنا يكتسب ويطعم بطالنا ومهما فضل نضعه في صندوق فإذا رجعنا إلى الاسكندرية نقسمه بيننا بالحق والإنصاف قال أبو صير وهو كذلك وقرأ الفاتحة على أن العمال يكتسب ويطعم البطال ثم أن أبا صير قفل الدكان وأعطى المفاتيح لصاحبها وأبو قير ترك المفاتيح عند رسول القاضي وترك الدكان مقفولة مختومة وأخذ مصالحهما وأصبح مسافرين ونزلا في غليون في البحرالمالح وسافرا في ذلك النهار وحصل لهما إسعاف ومن تمام سعد المزين أن جميع من كان في الغليون لم يكن معهم أحد من المزينين وكان فيه مائة وعشرون رجلاً غير الريس والبحرية ولما حلّوا قلوع الغليون قام المزين وقال للصباغ يا أخي هذا بحر نحتاج فيه إلى الأكل والشرب وليس معنا إلا قليل من الزاد وربما يقول لي أحد تعال يا مزين أحلق

لي فاحلق له برغيف وبنصف فضة أو بشربة ماء فانتفع بذلك أنا وأنت فقال له الصباغ لا بأس ثم حط رأسه ونام وأم المزين وأخذ عدته والطاسة ووضع على كتفه خرقة تغني عن الفوطة لأنه فقير وشق بين الركاب فقال له واحد تعال يا أسطى احلق لي فحلق له فلما حلق لذلك الرجل أعطاه نصف فضة فقال له المزين ليس لي حاجة بهذا النصف الفضة ولو كنت أعطيتني رغيفاً كان أبرك في هذا البحر لأن لي رفيقاً وزاد ناشيء قليل فأعطاه رغيفاً وقطعة جبن وملأ له الطاسة ماء حلواً فأخذ ذلك وأتى إلى أبي قير وقال له خذ هذا الرغيف وكله بالجبن واشرب ما في الطاسة فأخذ ذلك منه وأكل وشرب ثم أن أبا صير المزين بعد ذلك حمل عدته وأخذ الخرقة على كتفه والطاسة في يده وشق في الغليون بين الركاب فحلق لإنسان برغيفين ولآخر بقطعة جبن ووقع عليه الطلب وصار كل من يقول له احلق يا أسطى بشرط عليه رغيفين ونصف فضة وليس في الغليون مزين غيره فما جاء المغرب حتى جمع ثلاثين رغيفاً وثلاثين نصف فضة وصار عنده جبن وزيتون وبطارخ وصار كلما يطلب حاجة يعطونه أياها حتى صار عنده شيء كثير وحلق للقبطان وشكا له قلة الزاد في السفر فقال له القبطان مرحباً بك هات رفيقك في كل ليلة وتعشيا عندي ولا تحملاهما مادمتما مسافرين معنا ثم رجع إلى الصباغ فرآه لم يزل نائماً فأيقظه فلما أفاق أبو قير رأى عند رأسه شيء كثيراً من عيش وجبن وزيتون وبطارخ فقال له من أين لك ذلك فقال من فيض الله تعالى فأراد أن يأكل فقال له أبو صير لا تأكل يا أخي من هذا وأتركه ينفعنا في وقت آخر واعلم أني حلقت للقبطان وشكوت إليه قلة الزوادة فقال لي مرحباً بك هات رفيقك كل ليلة وتعشيا عندي فأول عشائنا عند القبطان في هذه الليلة فقال له أبو قير أنا دايخ من البحر ولا أقدر أن أقوم من مكاني فدعني أتعشى من هذا الشيء ورح أنت وحدك عند القبطان فقال له لا بأس بذلك ثم جلس يتفرج عليه وهو يأكل فرآه يقطع اللقمة كما يقطع الحجارة من الجبل ويبتلعها ابتلاع الغول الذي له أيام ما أكل ويلقم اللقمة قبل ازدراد التي قبلها ويحملق عينيه فيما بين يديه حملقة الغول وينفخ مثل الثور الجائع على التبن والفول وإذا بنوتي جاء وقال يا أسطى يقول لك القبطان هات رفيقك وتعال للعشاء فقال أبو صير لأبي قير أتقوم بنا فقال له أنا لا أقدر على المشي فراح المزين وحده فرأى القبطان جالساً وقدامه سفرة فيها عشرون لوناً أو أكثر وهو وجماعه ينتظرون المزين ورفيقه فلما رآه القبطان قال له أين رفيقك فقال له يا سيدي أنه دايخ من البحر فقال له القبطان لا بأس عليه ستزول عنه الدوخة تعال أنت تعش معنا فأني كنت في انتظارك ثم أن القبطان عزل صحنا وحط فيه من كل لون فصار يكفي عشرة وبعد أن تعشى المزين قال له القبطان خذ هذا الصحن معك إلى رفيقك فأخذه أبو صير وأتى إلى أبي قير فرآه يطحن بأنيابه فيما عنده من الأكل مثل الجمل ويلحق اللقمة باللقمة على عجل فقال له أبو صيرا ما قلت لك لا تأكل فإن القبطان خيره كثير فانظر أي شيء بعث به إليك لما أخبرته بأنك دايخ فقال هات فناوله الصحن فأخذه منه وهو ملهوف عليه وعلى غيره من الأكل مثل الكلب الكاشر أو السبع الكاسر أو الرخ إذا انقض على الحمام أو الذي كاد أن يموت من الجوع ورأى شيئاً من الطعام وصار يأكل فتركه أبو صيرور أح إلى القبطان وشرب القهوة هناك ثم رجع إلى أبي قير فرآه قد أكل جميع ما في الصحن ورماه فارغاً وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٢١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أبا صير لما رجع إلى أبي قير رآه قد أكل مافي الصحن ورماه فارغاً فأخذه وأوصله إلى اتباع القبطان ورجع إلى أبي قير ونام إلى الصباح فلما كان ثاني الأيام صار أبو صير يحلق وكلما جاء له شيء ليعطيه لأبي قير وأبو قير يأكل ويشرب وهو قاعد لا يقوم إلا لإزالة الضرورة وكل ليلة يأتي له بصحن ملآن من عند القبطان واستمرا على هذه الحالة عشرين يوماً حتى رسا الغليون على مينة مدينة فطلعا من الغليون ودخلا تلك المدينة وأخذا لهما حجرة في خان وفرشها أبو صير واشترى جميع ما يحتاجان إليه وجاء بلحم وطبخه وأبو قير نائم من حين دخل الحجرة ولم يستيقظ حتى أيقظه أبو صير ووضع السفره بين يديه فلما أفاق أكل وبعد ذلك قال له لا تؤاخذني فإني دايخ ثم نام واستمر على هذه الحالة أربعين يوماً وكل يوم يحمل المزين العدة ويدور في المدينة فيعمل بالذي فيه النصيب ويرجع فيجد أبا قير نائماً فينبه وحين ينتبه يقبل على الأكل بلهفه فيأكل أكل من لا يشبع ولا يقنع ثم ينام ولم يزل كذلك مدة أربعين يوماً أخرى وكلما يقول له أبو صير اجلس ارتاح واخرج تفسح في المدينة فإنها فرجة وبهجة وليس لها نظير في المدائن يقول له أبو قير الصباغ لا تؤاخذني إني دايخ فلا يرضي أبو صير المزين أن يكدر خاطره ولا يسمعه كلمة تؤذيه وفي اليوم الحادي والأربعين مرض المزين ولم يقدر أن يسرح فسخر بواب الخان فقضي لهما حاجتهما وأتى لهما بما يأكلان وما يشربان كل ذلك وأبو قير يأكل وينام ومازال المزين يسخر بواب الخان في قضاء حاجته مدة أربعة أيام وبعد ذلك اشتد المرض على المزين حتى غاب عن الوجود من شدة مرضه وأما أبو قير فإنه أحرقه الجوع فقام وفتش في ثياب أبي سير فرأى معه مقداراً من الدراهم فأخذه وقفل باب الحجرة على أبو صير ومضى ولم يعلم أحداً وكان البواب في السوق فلم يره حين خروجه ثم أن أبا قير عمد إلى السوق وبسا نفسه ثياباً نفيسة وصار يدور في المدينة ويتفرج فرآها مدينة ما وجد مثلها في المدائن وجميع ملبوسها أبيض وأزرق من غير زيادة فأتى إلى صباغ فرأى جميع ما في دكانه أزرق فأخرج له محرمة وقال له يا معلم خذ هذه المحرمة وأصبغها وخذ أجرتك فقال له أن أجرة صبغ هذه عشرون درهماً فقال له نحن نصبغ هذه في بلادنا بدرهمين فقال رح أصبغها في بلادكم وأما أنا فلا أصبغها إلا بعشرين درهما لا تنقص عن هذا القدر شيئاً فقال له أبو قير أي لون تريد صبغها فقال له الصباغ زرقاء قال له أبو قير أنا مرادي أن تصبغها لي حمراء قال له لا أدري صباغ الأحمر قال خضراء قال لا أدري صباغ الأخضر قال صفراء قال له لا أدري صباغ الأصفر وصار أبو قير يعد له الألوان لوناً بعد لون فقال له الصباغ نحن في بلادنا أربعون معلماً لايزيدون واحداً ولا ينقصون واحداً وإذ مات منا واحد نعلم ولده وإن لم يخلف ولداً نبقى ناقصين واحداً والذي له ولدان نعلم واحداً منهما فإن مات علمنا أخاه وصنعتنا هذه مضبوطة ولا نعرف أن نصبغ غير الأزرق من غير زيادة فقال له أبو قير الصباغ اعلم أني صباغ وأعرف أن أصبغ سائر الألوان ومرادي أن تخدمني عندك بالأجرة وأنا أعلمك جميع الألوان لأجل أن تفتخر بها على كل طائفة من الصباغين فقال له نحن لا نقبل غريباً يدخل في صنعتنا أبداً فقال له وإذا فتحت لي مصبغة وحدي فقال له لا يمكنك ذلك أبداً فتركه وتوجه إلى الثاني فقال له كما قال له الأول ولم يزل ينتقل من صباغ إلى صباغ حتى طاف على الأربعين معلماً فلم يقبلوه لا أجيراً ولا معلماً فتوجه إلى شيخ

الصباغين وأخبره فقال له أننا لا نقبل غريباً يدخل في صنعتنا فحصل عند أبي قير غيظ عظيم وطلع يشكو إلى ملك تلك المدينة وقال له يا ملك الزمان أنا غريب وصنعتي الصباغة وجري لي مع الصباغين ما هو كذا وكذا وأنا أصبغ الأحمر ألواناً مختلفة كوردي وعنابي والأخضر ألواناً مختلفة كزرعي وفستقي وزيتي وجناح الدرة والأسود ألواناً مختلفة كفحمي وكحلي والأصفر ألواناً مختلفة كنارنجي وليموني وصار يذكر له سائر الألوان ثم قال يا ملك الزمان كل الصباغين الذين في مدينتك لا يخرج من أيديهم أن صبغوا شيئاً من هذه الألوان ولا يعرفون الأصبغ الأزرق ولم يقبلوني أن أكون عندهم معلماً ولا أجيراً فقال له الملك صدقت في ذلك ولكن أنا افتح لك مصبغة وأعطيك رأس مال وما عليك منهم وكل من تعرض لك ضيقته على باب دكانه ثم أمر البنائين وقال لهم أمضوا مع هذا المعلم وشقوا أنتم وإياه في المدينة وأي مكان أعجبه فأخرجوا صاحبه منه سواء كان دكاناً أو خانا أو غير ذلك وأبنوا له مصبغة على مراده ومهما أمركم به فافعلوه ولا تخالفوه فيما يقول ثم أن الملك ألبسه بدلة مليحة وأعطاه ألف دينار وقال له اصرفها على نفسك حتى تتم البناية وأعطاه مملوكين من أجل الخدمة وحصاناً بعدة مزركشة فلبس البدلة وركب الحصان وصار كأنه أمير وأخلى له الملك بيتاً وأمر بفرشه ففرشوه له وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٢٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك أخلى بيتاً لأبي قير وأمر بفرشه ففرشوه له وسكن فيه وركب في ثاني يوم وشق في المدينة والمهندسون قدامه ولم يزل يتأمل حتى أعجبه مكان فقال هذا المكان طيب فاخرجوا صاحبه منه وأحضروه إلى الملك فأعطاه ثمن مكانه زيادة على ما يرضيه ودارت فيه البناية وصار أبو قير يقول للبنائين ابنوا كذا وكذا وافعلوا كذا وكذا حتى بنوا له مصبغة ليس لها نظير ثم حضر إلى الملك وأخبره بأن المصبغة تم بناؤها وإنما يحتاج لثمن الصباغ من أجل إدارتها فقال له الملك خذ هذه الأربعة آلاف دينار واجعلها رأس مال وأرني ثمرة مصبغتك فأخذها ومضى إلى السوق فرأى النيلة كثيرة وليس لها ثمن فاشترى جميع ما يحتاج إليه من حوائج الصباغة ثم أن الملك أرسل إليه خمسمائة شقة من القماش فدور الصبغ فيها وصبغها من سائر الألوان ثم نشرها قدام باب المصبغة فلما مر الناس عليها رأوا شيئاً عجيباً عمرهم ما رأوا مثله فازدحمت الخلائق على باب المصبغة وصاروا يتفرجون ويسألونه ويقولون له يا معلم ما اسم هذه الألوان فيقول لهم هذا أحمر وهذا أصفر وهذا أخضر ويذكر لهم أسامي الألوان فصاروا يأتونه بشيء من القماش ويقولون له اصبغ لنا مثل هذا وهذا وخذ ما تطلب ولما فرغ من صباغ قماش الملك أخذه وطلع به إلى الديوان فلما رأى الملك ذلك الصباغ فرح به وأنعم عليه أنعاماً زائداً وصار جميع العسكر يأتون إليه بالقماش ويقولون له اصبغ لنا هكذا فيصبغ لهم على أغراضهم ويرمون عليه بالذهب والفضة ثم أنه شاع ذكره وسميت مصبغته مصبغة السلطان ودخل عليه الخير من كل باب وجميع الصباغين لم يقدر أحد منهم أن يتكلم معه وإنما كانوا يأتونه ويقبلون يديه ويعتذرون إليه مما سبق منهم في حقه ويعرضون أنفسهم عليه ويقولون له اجعلنا خدماً عندك فلم يرض أن يقبل واحداً منهم وصار عنده عبيد وجوار وجمع مالاً كثيراً هذا ما كان من أمر أبي قير (وأما) ما كان من أمر أبي صير فإنه لما قفل عليه أبو قير باب الحجرة بعد أن أخذ دراهمه وراح وخلاه وهو مريض غائب عن الوجود فصار مرمياً في تلك الحجرة والباب مقفول عليه

واستمر على ذلك ثلاثة أيام فانتبه بواب الخان إلى باب الحجرة فرآه مقفولاً ولم ير أحداً من هذين الاثنين إلى المغرب ولم يعلم لهما خيراً فقال في نفسه لعلهما سافروا ولم يدفعا أجرة الحجرة أو ماتا أو ما خبرهما ثم أنه أتى إلى باب الحجرة فرآه مقفولاً وسمع أنين المزين في داخلها ورأى المفتاح في الضبة ففتح الباب ودخل فرأي المزين يئن فقال له لا بأس عليك أين رفيقك فقال له والله أني ما أفقت من مرضي إلا في هذا اليوم وصرت أنادي فما أحد رد على جواباً بالله عليك يا أخي أن تنظر الكيس تحت رأسي وتأخذ منه خمسة أنصاف وتشتري لي بها شيئاً أقتات به فأني في غاية الجوع فمد يده وأخذ الكيس فرآه فارغاً فقال للمزين أن الكيس فارغ ما فيه شيء فعرف أبو صير المزين أن أبا قير أخذ ما فيه وهرب فقال له أما رأيت رفيقي فقال له من مدة ثلاثة أيام ما رأيته وما كنت أظن إلا أنك سافرت أنت وإياه فقال له المزين ما سافرنا وإنما طمع في فلوسي فأخذها وهرب حين رآني مريضاً ثم أنه بكى وانتحب فقال له بواب الخان لا بأس عليك وهو يلقي فعله من الله ثم أن بواب الخان راح وطبخ له شربة وغرف له صحناً وأعطاه إياه ولم يزل يتعهده مدة شهرين وهو يكلفه من كيسه حتى عرق وشفاه الله من المرض الذي كان به ثم قام على أقدامه وقال لبواب الخان أن أقدر بي الله تعالى جازيتك على ما فعلته معي من الخير ولكن لا يجازى إلا الله من فضله فقال له بواب الخان الحمد لله على العافية أنا ما فعلت معك ذلك إلا ابتغاء وجه الله الكريم ثم أن المزين خرج من الخان وشق في الأسواق فأتت به المقادير إلى السوق الذي فيه مصبغة أبي قير فرأى الأقمشة ملونة بالصباغ منشورة في باب المصبغة والخلائق مزدحمة يتفرجون عليها فسأل رجلاً من أهل المدينة وقال له ما هذا المكان ومالي أرى الناس مزدحمين فقال له المسئول أن هذه مصبغة السلطان التي أنشأها رجل غريب اسمه أبو قير وكلما صبغ ثوباً نجتمع عليه ونتفرج على صبغه لأن بلادنا ما فيها صباغون يعرفون صبغ هذه الألوان وجرى له مع الصباغين الذين في البلد ما جرى وأخبره بما جرى بين أبي قير وبين الصباغين وأنه شكاهم إلى السلطان فأخذ بيده وبنى له هذه المصبغة وأعطاه كذا وكذا وأخبره بكل ما جرى ففرح أبو صير وقال في نفسه الحمد لله الذي فتح عليه وصار معلماً والرجل معذور لعله تلهى عنك بالصنعة ونسيك ولكن أنت عملت معه معروفاً وأكرمته وهو بطال فمتى رآك فرح بك وأكرمك في نظير ما أكرمته ثم أنه تقدم إلى جهة باب المصبغة فرأى أبا قير جالساً على مرتبة عالية فوق مصطبة في باب المصبغة وعليه بدلة من ملابس الملوك وقدامه أربعة عبيد وأربعة مماليك بيض لابسين أفخر الملابس ورأى الصنائعية عشرة عبيد واقفين يشتغلون لأنه حين اشتراهم علمهم الصباغة وهو قاعد بين المخدات كأنه وزير أعظماً وملك أفخم لا يعمل شيئاً بيده وأنما يقول لهم افعلوا كذا وكذا فوقف أبو صير قدامه وهو يظن أنه إذا رآه يفرح به ويسلم عليه ويكرمه ويأخذ بخاطره فلما وقعت العين في العين قال له أبو قير يا خبيث كم مرة وأنا أقول لك لا تقف في باب هذا الدولاب هل مرادك أن تفضحني مع الناس يا حرامي أمسكوه فجرت خلفه العبيد وقبضوا عليه وقام أبو قير حيلة وأخذ عصا وقال أرموه فرموه فضربه على ظهره مائة ثم قلبوه فضربه على بطنه مائة وقال يا خبيث يا خائن أن نظرتك بعد هذا اليوم واقفاً على باب هذه المصبغة أرسلتك إلى الملك في الحال فيسلمك إلى الوالي ليرمي عنقك أمش لا بارك الله لك فذهب من عنده مكسور الخاطر بسبب ما حصل له من

الضرب والترذيل فقال الحاضرون لأبي قير الصباغ أي شيء عمل هذا الرجل فقال لهم أنه حرامي يسرق أقمشة الناس وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٢٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أبا قير ضرب أبا صير وطرده وقال للناس أن هذا حرامي يسرق أقمشة الناس فإنه سرق مني كم مرة من القماش وأنا أقول في نفسي سامحه الله فإنه رجل فقير ولم أرض أن أشوش عليه وأعطي الناس ثمن أقمشتهم وأنهاه بلطف فلم ينته فإن رجع مرة غير هذه المرة أرسلته إلى الملك فيقتله ويريح الناس من أذاه فصار الناس يشتمونه بعد ذهابه هذا ما كان من أمر أبي قير (وأما) ما كان من أمر أبي صير فإنه رجع إلى الخان وجلس يتفكر فيما فعل به أبو قير ولم يزل جالساً حتى يرد عليه الضرب ثم خرج وشق في أسواق المدينة فخطر بباله أن يدخل الحمام فسأل رجل من أهل المدينة وقال له يا أخي من أين طريق الحمام فقال له موضع تغتسل فيه الناس ويزيلون ما عليهم من الأوساخ وهو من أطيب طيبات الدنيا فقال له عليك بالبحر قال أنا مرادي الحمام قال له نحن لا نعرف الحمام كيف يكون فإننا كلنا نروح إلى البحر حتى الملك إذا أراد أن يغتسل فإنه يروح إلى البحر فلما لم أبو صير أن المدينة ليس فيها حماماً وأهلها لا يعرفون الحمام ولا كيفيته مضى إلى الملك ودخل عليه وقبل الأرض بين يديه ودعا له وقال له أنا رجل غريب البلاد وصنعتي حمامي فدخلت مدينتك وأردت الذهاب إلى الحمام فما رأيت فيها ولا حماماً واحداً والمدينة التي تكون بهذه الصفة الجميلة كيف تكون من غير حمام مع أنه من أحسن نعيم الدنيا فقال له الملك أي شيء يكون الحمام فصار يحكي له أوصافه وقال له لا تكون مدينتك مدينة كاملة إلا إذا كان بها حمام فقال له مرحباً بك وألبسه بدله ليس لها نظير وأعطاه حصاناً وعبيدين ثم أنعم عليه بأربع جوار ومملوكين وهيأ له دار مفروشة وأكرمه أكثر من الصباغ وأرسل معه البنائين وقال لهم الموضع الذي يعجبه ابنوا له فيه حماماً فأخذهم وشق بهم في وسط المدينة حتى أعجبه مكان فأشار لهم إليه فدوّروا فيه البناية وصار يرشدهم إلى كيفيته حتى بنوا له حمّاماً ليس له نظير ثم أمرهم بنقشه فنقشوه نقشاً عجيباً حتى صار بهجة للناظرين ثم طلع إلى الملك وأخبره بفراغ بناء الحمام ونقشه وقال له أنه ليس ناقصاً غير الفرش فأعطاه الملك عشرة آلاف دينار فأخذها وفرش الحمام وصف فيه الفوط على الحبال وصار كل من مر على باب الحمام يشخص له ببصره ويحتار فكره في نقشه وازدحمت الخلائق على ذلك الشيء الذي ما رأوا مثله في عمرهم وصاروا يتفرجون عليه ويقولون أي شيء هذا فيقول لهم أبو صير حمام فيتعجبون منه ثم أنه سخن الماء ودور الحمام وعمل سلسبيلاً في الفسقية يأخذ عقل كل من رآه من أهل المدينة وطلب من الملك عشرة مماليك دون البلوغ فأعطاه عشرة مماليك مثل الأقمار فصار يكبسهم ويقول لهم افعلوا مع الزباين هكذا ثم أطلق البخور وأرسل منادي ينادي في المدينة ويقول يا خلق الله عليكم بالحمام فإنه يسمي حمام السلطان فأقبلت عليه الخلائق وجعل يأمر المماليك أن يغتسلوا أجساد الناس وصارت الناس ينزلون المغطس ويطلعون وبعد طلوعهم يجلسون في الليوان والمماليك تكبسهم مثل ما علمهم أبو صير واستمر الناس يدخلون الحمام ويقضون حاجتهم منه ثم يخرجون بلا أجرة مدة ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع عزم الملك على الذهاب إلى الحمام فركب هو وأكابر دولته وتوجهوا إلى الحمّام فقلع ودخل فدخل أبو صير وكبس الملك وأخرج من جسده الوسخ مثل

الفتايل وصار يريه له ففرح الملك وصار لوضع يده على بدله صوت من النعومة والنظافة وبعد أن غسل جسده مزج له ماء الورد بماء المغطس فنزل الملك في المغطس ثم خرج وجسده قد ترطب فحصل له نشاط عمره ما رآه ثم بعد ذلك أجلسه في الليوان وصار المماليك يكبسونه والمباخر تفوح بالعود والندور فقال الملك يا معلم أهذا هو الحمّام قال نعم فقال له وحياة رأسي أن مدينتي ما صارت مدينة إلا بهذا الحمام ثم قال له أنت تأخذ على كل راس أي شيء أجرة قال أبو صير الذي تأمر لي به آخذه فأمر له بألف دينار وقال له كل من اغتسل عندك خذ منه ألف دينار فقال العفو يا ملك الزمان أن الناس ليسوا سواء فيهم الغني وفيهم الفقير وإذا أخذت من كل واحد ألف دينار يبطل الحمام فإن الفقير لا يقدر على ألف دينار قال الملك وكيف تفعل في الأجرة قال اجعل الأجرة بالمروءة فكل من يقدر على شيء سمحت به نفسه يعطيه فنأخذ من كل إنسان على قدر حاله فإن الأمر إذا كان كذلك تأتي إلينا الخلائق والذي يكون غنياً يعطي على قدر مقامه والذي يكون فقيراً يعطي على قدر ما تسمح به نفسه فإذا كان الأمر كذلك يدور الحمّام ويبقى له شأن عظيم وأما الألف دينار فإنها عطية الملك ولا يقدر عليها كل أحد فصدق عليه أكابر الدولة وقالوا له هذا هو الحق يا ملك الزمان أتحسب أن الناس كلهم مثلك أيها الملك العزيز قال الملك أن كلامكم صحيح ولكن هذا رجل غريب فقيراً وإكرامه واجب علينا فإنه عمل في مدينتنا هذا الحمّام الذي عمر تاما رأينا مثله ولا تزينت مدينتنا وصار لها شأن إلا به فإذا أكرمناه بزيادة الأجرة ما هو كثير فقالوا إذا كنت تكرمه فاكرمه من مالك وإكرام الفقير من الملك بقلة أجرة الحمّام لأجل أن ندعو لك الرعية وأما الألف دينار فنحن أكابر دولتك ولا تسمح أنفسنا بعطائها فكيف تسمح بذلك نفوس الفقراء فقال الملك يا أكابر دولتي كل منكم يعطيه في هذه المرة مائة دينار ومملوكاً وجارية وعبد فقالوا نعم نعطيه ذلك ولكن بعد هذا اليوم كل من دخل لا يعطيه إلا ما تسمح به نفسه فقال لا بأس بذلك فجعلت الأكابر يعطيه كل واحد منهم مائة دينار وجارية ومملوكاً وعبداً وكان عدد الأكابر الذين اغتسلوا مع الملك في هذا اليوم أربعمائة نفس وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٢٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أنه كان عدد الأكابر الذين اغتسلوا مع الملك في هذا اليوم أربعمائة نفس فصار جملة ما عطوه من الدنانير أربعين ألف دينار ومن المماليك أربعمائة مملوك ومن العبيد أربعمائة عبد ومن الجواري أربعمائة جارية وناهيك بهذه العطية وأعطاه الملك عشرة آلاف دينار وعشرة مماليك وعشرة جواري وعشرة عبيد فتقدم أبو صير وقبل الأرض بين أيادي الملك وقال له أيها الملك السعيد صاحب الرأي الرشيد أي مكان يسعني بهذه المماليك والجواري والعبيد فقال له الملك أنا ما أمرت دولتي بذلك إلا لأجل أن نجمع لك مقداراً عظيماً من المال لأنك ربما تفكرت بلادك وعيالك واشتقت إليهم وأردت السفر إلى أوطانك فتكون أخذت من بلادنا مقدار جسيماً من المال تستعين به على وقتك في بلادك قال يا ملك الزمان أعزك الله أن هذه المماليك والجواري والعبيد الكثيرة شأن الملوك ولو كنت أمرت لي بمال فقد لكان خير لي من هذا الجيش فإنهم يأكلون ويشربون ويلبسون ومهما حصلته من المال لا يكفيهم في الإنفاق عليهم فضحك الملك وقال والله أنك صدقت فإنهم صاروا عسكر جرار وأنت ليس لك مقدرة على الإنفاق عليهم

ولكن أتبيعهم لي كل واحد بمائة دينار فقال بعتك إياهم الثمن فأرسل الملك إلى الخازندار ليحضر له المال فأحضره وأعطاه ثمن الجميع بالتمام والكمال ثم بعد ذلك أنعم بهم على أصحابهم وقال كل من يعرف عبده أو جاريته أو مملوكه فليأخذه فإنهم هدية مني إليكم فامتثلوا أمر الملك وأخذ كل واحد منهم ما يخصه فقال له أبو صير أراحك الله يا ملك الزمان كما أرحتني من هؤلاء الغيلان الذين لا يقدر أن يشبعهم إلا الله فضحك الملك من كلامه وتصدق عليه ثم أخذا أكابر دولته وذهب من الحمام إلى سرايته وبات تلك الليلة أبو صير وهو يسر الذهب وبضعه في الأكياس ويختم عليه وكان عنده عشرون عبداً وعشرون مملوكاً وأربع جواري برسم الخدمة فلما اصبح الصباح فتح الحمام وأرسل منادي ينادي ويقول كل من دخل الحمام واغتسل فإنه يعطي ما تسمح به نفسه وما تقتضيه مروءته وقعد أبو صير عند الصندوق وهجمت عليه الزبابين وصار كل من طلع يحط الذي يهون عليه فما أمسى المساء حتى امتلأ الصندوق من خيرات الله تعالى ثم أن الملكة طلبت دخول الحمام فلما بلغ أبا صير ذلك قسم النهار من أجلها قسمين وجعل من الفجر إلى الظهر الرجال ومن الظهر إلى المغرب قسم النساء ولما أتت الملكة أوقف جارية خلف الصندوق وكان علم أربع جوار البلانة حتى صرن بلانات ماهرات فلما أعجبها ذلك وأنشرح صدرها حطت ألف دينار وشاع ذكره في المدينة وصار كل من دخل يكرمه سواء غنياً أو فقيراً فدخل عليه الخير من كل باب وتعرف بأعوان الملك وصار الملك يأتي إليه في الجمعة يوماً ويعطيه ألف دينار وبقية أيام الجمعة للأكابر والفقراء وصار يأخذ بخاطر الناس ويلاطفهم غاية الملاطفة فاتفق أن قبطان لك لما دخل عليه يوماً من الأيام فقلع أبو صير ودخل معه وصار يكبسه ويلاطفه ملاطفة زائدة ولما خرج من الحمام عمل له الشربات والقهوة فلما أراد أن يعطيه شيئاً حلف أنه لا يأخذ منه شيئاً فحمل القبطان جميله لما رأى من مزيد لطفه به وإحسانه إليه وصار متحيراً فيما يهديه إلى ذلك الحمامي في نظير إكرامه له هذا ما كان من أمر أبي صير (وأما) ما كان من أمر أبي قير فإنه لما سمع جميع الخلائق يلهجون بذكر الحمّام وكل منهم يقول أن هذا الحمام نعيم الدنيا بلا شك إن شاء الله يا فلان تدخل بنا غداً هذا الحمّام النفيس فقال أبو قير في نفسه لابد أن أروح مثل الناس وأنظر هذا الحمام الذي أخذ عقول الناس ثم أنه ليس أفخر ما كان عنده من الملابس وركب بغلة وأخذ معه أربع عبيد وأربع مماليك يمشون خلفه وقدامه وتوجه إلى الحمام ثم أنه نزل في باب الحمام فلما صار عند الباب شم رائحة العود والندور أي ناساً داخلين وناسا خارجين ورأى المساطب ملآنة من الأكابر والأصغار فدخل الدهليز فرآه أبو صير فقام إليه وفرح به فقال له أبو قير هل هذا شرط أولاد الحلال وأنا فتحت لي مصبغة وبقيت معلم البلد وتعرفت بالملك وصرت في سعادة وسيادة وأنت وأنت لا تأتي عندي ولا تسأل عني ولا تقول أين رفيقي وأنا عجزت وأنا أفتش عليك وأبعث عبيدي ومماليكي يفتشون عليك في الخانات وفي سائر الأماكن فلا يعرفون طريقك ولا أحد يخبرهم بخبرك فقال أبو صير أما جئت إليك وعملتني لصاً وضربتني وهتكتني بين الناس فاغتم أبو قير وقال أي شيء هذا الكلام هل هو أنت الذي ضربتك فقال أبو صير نعم هو أنا فحلف له أبو قير ألف يمين أنه ما عرفه وقال أنما كان واحد شبيهك يأتي في كل يوم ويسرق قماش الناس فظننت أنك هو وصار يتندم ويضرب كفاً على كف ويقول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم قد أسأناك ولكن ياليتك عرفتني بنفسك وقلت أنا فلان فالعيب عندك لكونك لم تعرفني خصوصاً وأنا مدهوش من كثرة الأشغال فقال

له أبو صير سامحك الله يا رفيقي وهذا الشيء كان مقدراً في الغيب والجبر على الله ادخل اقلع ثيابك واغتسل وانبسط فقال له بالله عليك أن تسامحني يا أخي فقال له أبرأ الله ذمتك وسامحك فإنه كان أمراً مقدراً علي في الأزل ثم قال له أبو قير ومن أين لك هذه السيادة فقال له الذي فتح عليك فتح عليّ فإني طلعت إلى الملك وأخبرته بشأن الحمام فأمر ببنائه فقال له وكما أنك معرفة الملك فأنا الآخر معرفته وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٢٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أبا قير لما تعاتب هو وأبو صير قال له كما أنت معرفة الملك أنا الآخر معرفته وإن شاء الله تعالى أنا أخليه يحبك ويكرمك زيادة على هذا الإكرام من أجلي فإنه لم يعرف أنك رفيقي فأنا أعرفه بأنك رفيقي وأوصيه عليك فقال له ما احتاج إلى وصية فإن المحدين موجود وقد أحبني الملك هو وجميع دولته وأعطاني كذا وكذا وأخبره بالخبر ثم قال له اقلع ثيابك خلف الصندوق وأدخل الحمام وأنا أدخل معك لأجل أن أكبسك فخلع ما عليه ودخل الحمام ودخل معه أبو صير وكبسه وصبته وألبسه واشتغل به حتى خرج فلما حرج أحضر له الغداء والشربات وصار جميع الناس يتعجبون من كثرة إكرامه له ثم بعد ذلك أراد أبو قير أن يعطيه شيئاً فحلف أنه لا يأخذ منه شيئاً وقال له استحي من هذا الأمر وأنت رفيقي وليس بيننا فرق ثم أن أبا قير قال لأبي صير يا رفيقي والله أن هذا الحمّام عظيم ولكن صنعتك فيه ناقصة فقال له وما نقصها فقال له الدواء الذي هو عقد الزرنيخ والجير الذي يزيل الشعر بسهولة فاعمل هذا الدواء فإذا أتى الملك فقدمه إليه وعلمه كيف يسقط به الشعر فيحبك حباً شديداً ويكرمك فقال له صدقت إن شاء الله أصنع ذلك ثم أن أبا قير خرج وركب بغلته وذهب إلى الملك ودخل عليه وقال له أنا ناصح لك يا ملك الزمان فقال له وما نصيحتك فقال بلغني خبراً وهو أنك بنيت حماماً قال نعم قد أتاني رجل غريب فأنشأته له كما أنشأت لك هذه المصبغة وهو حمام عظيم وقد تزينت مدينتي به وصار يذكر له محاسن ذلك الحمام فقال له أبو قير وهل دخلته قال نعم قال الحمد لله الذي نجاك من شر هذا الخبيث عدو الدين وهو الحمامي فقال له الملك وما شأنه قال له أبو قير اعلم يا ملك الزمان أنك إن دخلته بعد هذا اليوم فإنك تهلك فقال له لأي شيء فقال له أن الحمامي عدوك وعدو الدين فإنه ما حملك على إنشاء هذا الحمام إلا لأن مراده أن يدخل عليك فيه السم فإنه صنع لك شيئاً وإذا دخلته يأتيك به ويقول لك هذا دواء كل من دهن به تحفه يرمي الشعر منه بسهولة وليس هو بدواء بل هو داء عظيم وسم قاتل وإن هذا الخبيث قد وعده سلطان النصارى أنه أن قتلك يفك له زوجته وأولاده من الأسر فإن زوجته وأولاده مأسورون عند سلطان النصارى وكنت مأسوراً معه في بلادهم ولكن أنا فتحت مصبغة وصبغت لهم ألواناً فاستعطفوا على قلب الملك فقال الملك أي شيء تطلب فطلبت منه العتق فأعتقني وجئت إلى هذه المدينة ورأيته في الحمام فسألته وقلت له كيف كان خلاصك وخلاص زوجتك وأولادك فقال لم أزل أنا وزوجتي وأولادي مأسورين حتى أن ملك النصارى عمل ديواناً فحضرت في جملة من حضر وكنت واقفاً من جملة الناس فسمعتهم فتحوا مذاكرة الملوك إلى أن ذكروا ملك هذه المدينة فتأوه ملك النصارى وقال ما قهرني في الدنيا إلا ملك المدينة الفلانية فكل من تحيل لي على قتله فأني أعطيه كل ما يتمنى فتقدمت أنا إليه وقلت له إذا تحيّلت لك على قتله هل

تعتقني أنا وزوجتي وأولادي فقال لي نعم أعتقكم وأعطيك كل ما تتمنى ثم أني اتفقت أنا وإياه على ذلك وأرسلني في غليون إلى هذه المدينة وطلعت إلى هذا الملك فبنى لي هذا الحمام وما بقي إلا أن أقتله وأروح إلى ملك النصارى وأفدي أولادي وزوجتي وأتمنى عليه فقلت وما الحيلة التي دبرتها في قتله حتى تقتله قال لي هي حيلة سهلة أسهل ما يكون فإنه يأتي إلي في هذا الحمام وقد اصطنعت له شيئاً فيه سم فإذا جاء أقول له خذ هذا الدواء وادهن به تحتك فإنه يسقط الشعر فيأخذه ويدهن به تحته فيلعب السم فيه يوماً وليلة حتى يسري إلى قلبه فيهلكه والسلام فلما سمعت منه هذا الكلام خفت عليك لأن خيرك علي وقد أخبرتك بذلك فلما سمع الملك هذا الكلام غضب غضباً شديداً وقال للصباغ أكتم هذا السر ثم طلب الرواح إلى الحمام حتى يقطع الشك باليقين فلما دخل الحمام تأمري أبو صير على جري عادته وتقيد بالملك وكبسه وبعد ذلك قال له يا ملك الزمان أني عملت دواء لتنظيف الشعر التحتاني فقال له أحضره لي فأحضره بين يديه فرأى رائحته كريهة فصح عنده أنه سم فغضب وصاح على الأعوان وقال أمسكوه فقبض عليه الأعوان وخرج الملك وهو ممتزج بالغضب ولا أحد يعرف سبب غضبه ومن شدة غضب الملك لم يخبر أحداً ولم يتجاسر أحد أن يسأله ثم أنه لبس وطلع الديوان ثم أحضر أبا صير بين يديه وهو مكتف ثم طلب القبطان فحضر فلما حضر القبطان قال له الملك خذ هذا الخبيث وحطّه في زكيبة وحط في الزكيبة قنطارين جيراً من غير طفء واربط فمها عليه هو والجير ثم وضعها في الزورق وتعال تحت قصري فتراني جالساً في شباكي وقل لي هل أرميه فأقول لك أرمه فإذا قلت لك ذلك فارمه حتى ينطفيء الجير عليه لأجل أن يموت غريقاً حريقاً فقال سمعاً وطاعة ثم أخذه من قدام الملك إلى جزيرة قبال قصر الملك وقال لأبي صير يا هذا أنا جئت عندك مرة واحدة في الحمام فأكرمتني وقمت بواجبي وانبسطت منك كثيراً وحلفت أنك لم تأخذ مني أجرة وأنا قد أحببتك محبة شديدة فأخبرني ما قضيتك مع الملك وأي شيء صنعت معه من المكاره حتى غضب عليك وأمر أن تموت هذه الموتة الرديئة فقال له والله ما عملت شيئاً وليس عندي علم لذنب فعلته معه يستوجب هذا وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٢٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن القبطان لما سأل أبا صير عن سبب غضب الملك عليه قال له والله يا أخي ما عملت معه شيئاً قبيحاً يستوجب هذا فقال له القبطان أن لك عند الملك مقاماً عظيماً ما ناله أحد قبلك وكل ذي نعمة محسود فلعل أحد أحسدك على هذه النعمة ورمي في حقك عض كلام عند الملك حتى أن الملك غضب عليك هذا الغضب ولكن مرحباً بك وما عليك من بأس فكما أنك أكرمتني من غير معرفة بيني وبينك فأنا أخلصك ولكن إذا خلصتك تقيم عندي في هذه الجزيرة حتى يسافر من هذه المدينة غليون إلى ناحية بلادك فأرسلك معه فقبل أبو صير يد القبطان وشكره على ذلك ثم أنه أحضر الجير ووضعه في زكيبة ووضع فيها حجراً كبيراً قدر الرجل وقال توكلت على الله ثم أن القبطان أعطى أبا صير شبكة وقال له أرم هذه الشبكة في البحر لعلك تصطاد شيئاً من السمك لأن مطبخ الملك مرتب علي في كل يوم وقد اشتغلت عن الصيد بهذه المصيبة التي أصابتك فأخاف أن تأتي غلمان الطباخ ليطلبوا السمك فلم يجدوه فإن كنت تصطاد شيئاً فأنهم يجدونه حتى أروح أعمل الحيلة تحت القصر وأجعل أني رسيتك فقال له أبو صير أنا أصطاد

وروح أنت والله يعينك فوضع الرتيبة في الزورق وسار إلى أن وصل تحت القصر فرأى الملك جالساً في الشباك فقال له يا ملك الزمان هل أرميه فقال له أرمه وأشار بيده وإذا بشيء يرق ثم سقط في البحر وإذا بالذي سقط في البحر خاتم الملك وكان مرصوداً بحيث إذا غضب الملك على أحد وأراد قتله يشير عليه باليد اليمنى التي فيها الخاتم فيخرج من الخاتم بارقة فتصيب الذي يشير عليه فتقع رأسه من بين كتفيه وما أطاعته العسكر ولا قهر الجبابرة إلا بسبب هذا الخاتم فلما وقع الخاتم من أصبعه كتم أمره ولم يقدر أن يقول خاتمي وقع في البحر خوفاً من العسكر أن يقوموا عليه فيقتلوه فسكت (هذا) ما كان من أمر الملك (وأما) ما كان من أمر أبي صير فأنه بعد ما تركه القبطان أخذ الشبكة وطرحها في البحر وسحبها فطلعت ملآنة سمكاً ثم طرحها ثانياً فطلعت ملآنة سمكاً أيضاً ولم يزل يطرحها وهي تطلع ملآنة سمكاً حتى صار قدامه كوم كبير من السمك فقال في نفسه والله أن لي مدة طويلة ما أكلت من السمك ثم أنه نقي له سمكة كبيرة سمينة وقال لما يأتي القبطان أقول له يقل لي هذه السمكة لا تغدي بهائم أنه ذبحها بسكين كانت معه فعلقت السكين في نخوشها فرأى خاتم الملك فيه لأنها كانت ابتلعته ثم ساقتها القدرة إلى تلك الجزيرة ووقعت في الشبكة فأخذ الخاتم ولبسه في خنصره وهو لا يعلم ما فيه من الخواص وإذا بغلامين من خدام الطباخ أتيا لطلب السمك فلما صار عبد أبي صير قالا يا رجل أين راح القبطان فقال لا أدري وأشار بيده اليمنى وإذا برأس الغلامين وقعتا من بين أكتافهما حين أشار إليهما وقال لا أدري فتعجب أبو صير من ذلك وجعل يقول يا هل ترى من قتلهما وصعبا عليه وصار يتفكر في ذلك وإذا بالقبطان أقبل فرأى كوماً كبيراً من السمك ورأى الاثنين مقتولين ورأى الخاتم في إصبع أبي صير فقال له يا أخي لا تحرك يدك التي فيها الخاتم فإنك إن حركتها قتلتني فتعجب من قوله لا تحرك يدك التي فيها الخاتم فإن حركتها قتلتني فلما وصل إليه القبطان قال من قتل هذين الغلامين قال له أبو صير والله يا أخي لا أدري قال صدقت ولكن أخبرني عن هذا الخاتم من أين وصل إليك قال رأيته في نخشوش هذه السمكة قال صدقت فأني رأيته نازلاً يبرق من قصر الملك حتى سقط في البحر وقت إن أشار إليك وقال لي أرمه فإنه لما أشار رميت الزكيبة وكان سقط من أصبعه ووقع في البحر فابتلعته هذه السمكة وساقها الله إليك حتى اصطدتها فهذا نصيبك ولكن هل تعرف خواص هذا الخاتم قال أبو صير لا أدري له خواصاً فقال القبطان اعلم أن عسكر ملكنا ما أطاعوه إلا خوفاً من هذا الخاتم لأنه مرصود فإذا غضب الملك على أحد وأراد قتله يشير به عليه فتقع رأسه من بين كتفيه فإن بارقة تخرج من هذا الخاتم ويتصل شعاعها بالمغضوب عليه فيموت لوقته فلما سمع أبو قير هذا الكلام فرح فرحاً شديداً وقال للقبطان ردني إلى المدينة فقال له القبطان أردك فأني ما بقيت أخاف عليك من الملك فإنك متى أشرت بيدك وأضمرت على قتله فإن رأسه تقع بين يديك ولو كنت تطلب قتل الملك وجميع العسكر فإنك تقتلهم من غير عاقة ثم أنزله في الزورق وتوجه به إلى المدينة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٢٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن القبطان لما أنزل أبا صير في الزورق توجه به إلى المدينة فلما وصل إليها طلع إلى قصر الملك ثم دخل الديوان فرأى الملك جالساً والعسكر بين يديه وهو في غم عظيم من شأن الخاتم ولم يقدر أن يخبر أحد من العسكر بضياع الخاتم فلما رآه قال أما رميناك في البحر كيف فعلت

حتى خرجت منه فقال له يا ملك الزمان لما أمرت برميي في البحر أخذني قبطانك وسار بي إلى جزيرة وسألني عن سبب غضبك علي وقال لي أي شيء صنعت مع الملك حتى أمر بموتك فقلت له والله ما أعلم أني عملت معه شيئاً قبيحاً فقال لي أن لك مقاماً عظيماً عند الملك فلعل أحداً جسدك ورمى فيك كلاماً عند الملك حتى غضب عليك ولكن أنا جئتك في حمامك فأكرمتني ففي نظير إكرامك إياي في حمامك أنا أخلصك وأرسلك إلى بلادك ثم حط في الزورق حجراً عوضاً عني ورماه في البحر ولكن حين أشرت له على وقع الخاتم من يدك في البحر فابتلعته سمكة وكنت أنا في الجزيرة أصطاد سمكاً فطلعت تلك السمكة في جملة السمك فأخذتها وأردت أن أشويها فلما فتحت جوفها رأيت الخاتم فيه فأخذته وجعلته في إصبعي فأتاني اثنان من خدام المطبخ وطلبا السمك فأشرت إليهما وأنا لا أدري خاصية الخاتم فوقعت رؤسهما ثم أتي القبطان فعرف الخاتم وهو في أصبعي وأخبرني برصده فأتيت به إليك لأنك عملت معي معروفاً وأكرمتني غاية الإكرام وما عملته معي من الجميل لم يضع عندي وهذا خاتمك فخذه وإن كنت فعلت معك شيئاً يوجب القتل فعرفني بذنبي واقتلني وأنت في حل من دمي ثم خلع الخاتم من أصبعه وناوله للملك فلما رأى الملك ما فعل أبو صير من الإحسان أخذ الخاتم منه وتختم به فردت له روحه وقام على أقدامه واعتنق أبا صير وقال يا رجل أنت من خواص أولاد الحلال فلا تؤاخذني وسامحني مما صدر مني في حقك ولو كان أحد غيرك ملك هذا الخاتم ما كان أعطاني إياه فقال يا ملك الزمان إن أردت أن أسامحك فعرفني بذنبي الذي أوجب غضبك علي حتى أمرت بقتلي فقال له والله أنه ثبت عندي أنك بريء وليس لك ذنب في شيء حيث فعلت هذا الجميل وإنما الصباغ قال لي كذا وكذا وأخبره بما قاله الصباغ فقال له أبو صير والله يا ملك الزمان أنا لا أعرف ملك النصارى ولا عمري رحت بلاد النصارى ولا خطر ببالي أني أقتلك ولكن هذا الصباغ كان رفيقي وجاري في مدينة أسكندرية وضاق بنا العيش هناك فخرجنا منها لضيق المعاش وقرأنا مع بعضنا فاتحة على أن العمال يطعم البطال وجرى لي معه كذا وكذا وأخبره بجميع ما جرى له مع أبي قير الصباغ وكيف أخذ دراهمه وفاته ضعيفاً في الحجرة التي في الخان وأن بواب الخان كان ينفق عليه وهو مريض حتى شفاه الله ثم طلع وسرح في المدينة بعدته على العادة فبينما هو في الطريق إذا رأى مصبغة عليها ازدحام فنظر في باب المصبغة فرأى أبا قير جالساً على مصطبة هناك فدخل ليسلم عليه فوقع منه ما وقع من الضرب والإساءة وادعى عليه أنه حرامي وضربه ضرباً مؤلماً وأخبر الملك بجميع ما جرى له من أوله إلى آخره ثم قال يا ملك الزمان هو الذي قال لي أعمل الدواء وقدمه للملك فإن الحمام كامل من جميع الأمور إلا أن هذا الدواء مفقود منه واعلم يا ملك الزمان أن هذا الدواء لا يضر ونحن نصنعه في بلادنا وهو من لوازم الحمام وأنا كنت نسيته فلما أتاني الصباغ وأكرمته ذكرني به وقال لي أعمل الدواء وأرسل يا ملك الزمان هات بواب الخان الفلاني وصنايعية المصبغة فلما حضر الجميع سألهم فأخبروه بالواقع فأرسل إلى الصباغ وقال هاتوه حافياً مكشوف الرأس مكتفاً وكان الصباغ جالساً في بيته مسروراً بقتل أبي صير فلم يشعر إلا وأعوان الملك هجموا عليه وأوقعوا الضرب في قفاه ثم كتفوه وحضروا به قدام الملك فرأى أبا صير جالساً جنب الملك وبواب الخان وصنائعية المصبغة واقفين أمامه فقال بواب الخان أما هذا رفيقك الذي سرقت دراهمه وتركته عندي في الحجرة ضعيفاً وفعلت معه ما هو كذا وكذا وقال له صنائعية المصبغة أما هذا

الذي أمرتنا بالقبض عليه وضربناه فتبين للملك قباحة أبي قير وأنه يستحق ما هو أشد من تشديد منكر ونكير فقال الملك خذوه وجرسوه في المدينة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٢٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك لما سمع كلام بواب الخان وصنائعية المصبغة تحقق أنه عنده خبث أبي قير فأقام عليه النكير وقال لأعوانه خذوه وجرسوه في المدينة وخلوه في زكيبة وارموه في البحر فقال أبو صير يا ملك الزمان شفعني فيه فأني سامحته من جميع ما فعل بي فقال الملك إن كنت سامحته في حقك فأنا لا يمكن أن أسامحه في حقي ثم صاح وقال خذوه فأخذوه وجرسوه وبعد ذلك وضعوه في زكيبة ووضعوا معه الجير ورموه في البحر فمات غريقاً حريقاً وقال للملك يا أبا صير تمنّ عليّ تعط فقال له تمنيت عليك أن ترسلني إلى بلادي فإني ما بقي لي رغبة في القعود ههنا فأعطاه شيئاً كثيراً زيادة على ماله ونواله ومواهبه ثم أنعم عليه بغليون مشحون بالخيرات وكان بحريته مماليك فوهبهم له أيضاً بعد أن عرض عليه أن يجعله وزيراً فما رضي ثم ودع الملك وسافر وجميع ما في الغليون ملكه حتى النوتية ملكه وما زال سائراً حتى وصل إلى أرض اسكندرية ورسوا على جانب اسكندرية وخرجوا إلى البر فرأى مملوكاً من مماليكه معه زكيبة في جانب البر فقال يا سيدي أن في جنب شاطيء البحر زكيبة ثقيلة وفمها مربوط ولا أدري ما فيها فأتى أبو صير وفتحها فرأى فيها أبا قير قد دفعه البحر إلى جهة اسكندرية فأخرجه ودفنه بالقرب من اسكندرية وعمل له مزار ووقف عليه أوقافاً ثم أن أبا صير أقام مدة وتوفاه الله فدفنوه بجوار قبر رفيقه أبي قير ومن أجل ذلك سمى هذا المكان بأبي قير وأبي صير واشتهر الآن بأنه أبو قير وهذا ما بلغنا من مكانهما فسبحان الباقي على الدوام وبارادته تصرف الليالي والأيام.

(حكاية عبد الله البري مع عبد الله البحري)

(ومما يحكى أيضاً) أنه كان رجل صياد أسمه عبد الله وكان كثير العيال وله تسعة أولاد وأمهم وكان فقيراً أحد إلا يملك إلا الشبكة وكان يروح كل يوم إلى البحر ليصطاد فإذا اصطاد قليلاً يبيعه وينفقه على أولاده بقدر ما رزقه الله وأن اصطاد كثيراً يطبخ طبخة طيبة ويأخذ فاكهة ولا يزل يصرفه حتى لا يبق معه شيء ويقول في نفسه رزق غد يأتي في غد فلما وضعت زوجته صاروا عشرة أشخاص وكان الرجل في ذلك اليوم لا يملك شيئاً أبداً فقالت زوجته يا سيدي أنظر لي شيئاً لأتقوت به فقال لها ها أنا سارح على بركة الله تعالى إلى السحر في هذا اليوم على بخت هذا المولود الجديد حتى ننظر سعده فقالت له توكل على الله فأخذ الشبكة وتوجه إلى البحر ثم أنه رمى الشبكة على بخت ذلك الطفل الصغير وقال اللهم اجعل رزقه يسيراً غير عسير وكثيراً غير قليل وصبر عليها مدة ثم سحبها فخرجت ممتلئة عفشاً ورملاً وحصى وحشيشاً ولم ير فيها شيئاً من السمك لا كثيراً ولا قليل فرماها ثاني مرة صبر عليها ثم سحبها فلم ير فيها سمكاً فرمي ثالثاً ورابعاً وخامساً فلم يطلع فيها سمك فانتقل إلى مكان آخر وجعل يطلب رزقه من الله تعالى ولم يزل على هذه الحالة إلى آخر النهار فلم يصطاد ولا صيرة فتعجب في نفسه وقال هل هذا المولود خلقه الله تعالى من غير رزق فهذا لا يكون أبداً لأن الذي شق الأشداق تكفل لها بالأرزاق فالله تعالى كريم رزاق ثم أنه حمل

الشبكة ورجع مكسوراً بخاطر وفيه مشغول بعياله فإنه تركهم بغير أكل ولا سيما زوجته نفساء ومازال يمشي وهو يقول في نفسه كيف العمل وماذا أقول للأولاد في هذه الليلة ثم أنه وصل قدام فرن خباز فرأى عليه زحمة وكان وقت غلاء وفي تلك الأيام لا يوجد عند الناس من المؤونة إلا قليل والناس يعرضون الفلوس على الخباز وهو لا ينتبه لأحد منه من كثرة الزحام فوقف ينظر ويشم رائحة العيش السحس فصارت نفسه تشتهيه من الجوع فنظر إليه الخباز وصاح عليه وقال تعال يا صياد فتقدم إليه فقال له أتريد عيشاً فسكت فقال له تكلم ولا تستح فالله كريم إن لم يكن معك دراهم فأنا أعطيك واصبر عليك حتى يجيئك الخير فقال له والله يا معلم أنا ما معي دراهم ولكن أعطني عيشاً كفاية عيالي وارهن عندك هذه الشبكة إلى غد فقال له يا مسكين أن هذه الشبكة دكانك وباب رزقك فإذ رهنتها بأي شيء تصطاد فاخبرني بالقدر الذي يكفيك قال بعشرة أنصاف فضة فأعطاه خبزاً بعشرة أنصاف ثم أعطاه عشرة أنصاف فضة وقال له خذ هذه العشرة أنصاف واطبخ لك بها طبخة فيبقى عندك عشرون نصف فضة وفي غد هات لي بها سمكاً وإن لم يحصل لك شيء تعال خد عيشك وعشرة أنصاف وأنا أصبر عليك حتى يأتيك الخير وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٢٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الخباز قال للصياد خذ ما تحتاج إليه وأنا أصبر عليك حتى يأتيك الخير وبعد ذلك هات لي بما أستحقه عندك سمكاً فقال له آجرك الله تعالى وجزاك عني كل خير ثم أخذ العيش والعشرة أنصاف فضة وراح مسرور أو اشترى له ما تيسر ودخل على زوجته فرآها قاعدة تأخذ بخاطر الأولاد وهم يبكون من الجوع وتقول لهم في هذا الوقت يأتي أبوكم بما تأكلونه فلما دخل عليهم حط لهم العيش فأكلوا وأخبر زوجته بما حصل له فقالت له لله كريم وفي ثاني يوم حمل شبكته وخرج من داره وهو يقول أسألك يارب أن ترزقني في هذا اليوم بما يبيض وجهي مع الخباز فلما وصل إلى البحر صار يطرح الشبكة فلا يخرج فيها سمكاً ولم يزل كذلك إلى آخر النهار فلم يحصل شيء فرجع وهو في غم عظيم وكان طريق بيته على فرن الخباز فقال في نفسه من أين أروح إلى داري ولكن أسرع خطاي حتى لا يراني الخباز فلما وصل إلى فرن الخباز رأى زحمة فأسرع في المشي من حيائه من الخباز حتى لا يراه وإذا بالخباز وقع بصره عليه فصاح وقال له يا صياد تعالى خذ عيشك ومصروفك فإنك نسيت قال لا والله ما نسيت وإنما استحيت منك فأني لم أصطد سمكاً في هذا اليوم فقال له لا تستح أما قلت لك على مهلك حتى يأتيك الخير ثم أعطاه العيش والعشرة أنصاف وراح إلى زوجته وأخبرها بالخبر فقالت له الله كريم إن شاء الله يأتيك الخير وتوفيه حقه ولم يزل على هذه الحالة مدة أربعين يوماً وهو في كل يوم يروح إلى البحر من طلوع الشمس إلى غروبها ويرجع بلا سمك ويأخذ عيشاً ومصروفاً من الخباز ولم يذكر له السمك يوماً من الأيام ولم يهمله مثل الناس بل يعطيه العشرة أنصاف والعيش وكلما يقول له يا أخي حاسبني يقول له رح ما هذا وقت الحساب حتى يأتيك الخير فأحاسبك فيدعوا له ويذهب من عنده شاكراً له وفي اليوم الحادي والأربعون قال لأمرأته مرادي أن أقطع هذه الشبكة وأرتاح من هذه المعيشة فقالت له لأي شيء قال لها كان رزقي انقطع من البحر فإلى متى هذا الحال والله أني ذبت حياء من الخباز فأنا ما بقيت أروح إلى البحر حتى

لا أجوز على فرنه فإنه ليس لي طريق إلا على فرنه وكلما جزت عليه يناديني ويعطيني العيش والقشرة أنصاف وإلى متى وأنا أتداين منه قالت له الحمد لله تعالى الذي عطف قلبه عليك فيعطيك القوت وأي شيء تكره من هذا قال بقي له على قدر عظيم من الدراهم ولابد أنه يطلب حقه قالت له زوجته هل آذاك بكلام قال لا ولا يرض يحاسبني ويقول لي حتى يأتيك الخير قالت فإذا طالبك قل له حتى يأتي الخير الذي نرتجيه أنا وأنت فقال لها متى يجيء الخير الذي نرتجيه قالت الله كريم قال صدقت ثم حمل شبكته وتوجه إلى البحر وهو يقول يارب ارزقني ولو بسمكة واحدة حتى أهديها إلى الخباز ثم أنه رمي الشبكة في البحر وسحبها فوجدها ثقيلة فمازال يعالج فيها حتى تعب تعباً شديداً فلما أخرجها وجد فيها حماراً ميتاً منفوخاً ورائحته كريهة فسئمت نفسه ثم خلصه من الشبكة وقال لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم قد عجزت وأنا أقول لهذه المرأة ما بقى لي رزق في البحر دعيني أترك هذه الصنعة وهي تقول لي الله كريم سيأتيك الخير فهل هذا الحمار الميت هو الخير ثم أنه حصل له غم شديد وتوجه إلى مكان آخر ليبعد عن رائحة الحمار وأخذ الشبكة ورماها وصبر عليها ساعة زمانية ثم جذبها فرآها ثقيلة فلم يزل يعالج فيها حتى خرج الدم من كفيه فلما أخرج الشبكة رأى فيها آدمياً فظن أنه عفريت من عفاريت السيد سليمان الذي كان يحبسهم في قماقم النحاس ويرميهم في البحر فلما انكسر القمقم من طول السنين خرج منه ذلك العفريت وطلع في الشبكة فهرب منه وصار يقول الأمان الأمان يا عفريت سليمان فصاح عليه الآدمي من داخل الشبكة وقال تعال يا صياد لا تهرب مني فأني آدمي مثلك فخلصني لتنال أجري فلما سمع كلامه الصياد اطمأن قلبه وجاءه وقال أما أنت فعريت من الجن قال لا أنما أنا أنسى مؤمن بالله ورسوله قال له ومن رماك في البحر قال له أنا من أولاد البحر كنت دائراً فرميت على الشبكة ونحن أقوام مطيعون لأحكام الله ونشفق على خلق الله تعالى ولولا أني أخاف وأخشى أن أكون من العاصين لقطعت شبكتك ولكن رضيت بما قدر الله علي وأنت إذا خلصتني تصير مالكاً لي وأنا أصير أسيرك فهل لك أن تعتقني ابتغاء وجه الله تعالى وتعاهدني وتبقى صاحبي أجيئك كل يوم في هذا المكان وأنت تأتيني وتجيء لي معك بهدية من ثمار البرفان عندكم عنباً وتينا وبطيخاً وخوخاً ورماناً وغير ذلك وكل شيء تجيء به إلى مقبول منك ونحن عندنا مرجان ولؤلؤ وزبرجد وزمرد وياقوت وجواهر فأنا املأ لك المشنة التي تجيء لي فيها بالفاكهة معادن من جواهر البحر فما تقول يا أخي في هذا الكلام قال له الصياد الفاتحة بيني وبينك على هذا الكلام فقرأ كل منهما الفاتحة وخلصه من الشبكة ثم قال له الصياد ما اسمك قال اسمي عبد الله البحري فإذا أتيت إلى هذا المكان ولم ترني فناد وقل أين أنت يا عبد الله يا بحري فأكون عندك في الحال وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٣٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن عبد الله البحري قال له إذا أتيت إلى هذا المكان ولم ترني فنادي وقل أين أنت يا عبد الله يا بحري فأكون عندك في الحال وأنت ما أسمك فقال الصياد اسمي عبد الله قال أنت عبد الله البري وأنا عبد الله البحري فقف هنا حتى أروح وآتيك بهدية فقال له سمعاً وطاعة فراح عبد الله البحري في البحر فعند ذلك ندم عبد الله البري على كونه خلصه من الشبكة وقال في نفسه من أين أعرف أنه يرجع إلي وإنما هو ضحك علي حتى خلصته ولو أبقيته كنت أفرج عليه الناس في المدينة وآخذ عليه الدراهم

وأدخل به بيوت الأكابر فصار يتندم على إطلاقه ويقول لنفسه راح صيدك من يدك فبينما هو يتأسف على خلاصة من يده وإذا بعبد الله البحري رجع إليه ويداه مملوءتان لؤلؤاً ومرجاناً وزمرداً وياقوتاً وجواهر وقال له خذ يا أخي ولا تؤاخذني فإنه ما عندي مشنة كنت أملؤها لك فعند ذلك فرح عبد الله البري وأخذ منه الجواهر وقال له كل يوم تأتي إلى هذا المكان قبل طلوع الشمس ثم ودعه وانصرف ودخل البحر وأما الصياد فإنه دخل المدينة وهو فرحان ولم يزل ماشياً حتى وصل إلى فرن الخباز وقال له يا أخي قد أتانا الخير فحاسبني قال له ما يحتاج إلى حساب أن كان معك شيء فأعطني وإن لم يكن معك شيء فخذ عيشك ومصروفك ورح إلى أن يأتيك الخير فقال له يا صاحبي قد أتاني الخير من فيض الله وقد بقي لك عندي جملة كثيرة ولكن خذها أو كبش له كبشة من لؤلؤ ومرجان وياقوت وجواهر وكانت تلك الكبشة نصف ما معه فأعطاها للخباز وقال له أعطني شيئاً من المعاملة أصرفه في هذا اليوم حتى أبيع هذه المعادن فأعطاه كل ما كان تحت يده من الدراهم وجميع ما في المشنة التي كانت عنده من الخبز وفرح الخباز بتلك المعادن وقال للصياد أنا عبدك وخدامك وحمل جميع العيش الذي عنده على رأسه ومشى خلفه إلى البيت فأعطي العيش لزوجته وأولاده ثم راح إلى السوق وجاء باللحم والخضار وسائر أصناف الفاكهة وترك الفرن وأقام طول ذلك اليوم وهو يعاطي خدمة عبد الله البري ويقضي له مصالحه فقال له الصياد يا أخي اتعبت نفسك قال له الخباز هذا واجب لأني صرت خدامك وأحسانك قد عمرني فقال له أنت صاحب الإحسان علي في الضيق والغلاء وبات معه تلك الليلة على أعيب كل ثم أن الخباز صار صديقاً للصياد أخبر زوجته بواقعته مع عبد الله البحري ففرحت وقالت أكتم سرك لئلا تتسلط عليك الحكام فقال لها أن كتمت سري عن جميع الناس فلا أكتمه عن الخباز ثم أنه أصبح في ثاني يوم وكان قد ملأ مشنة فاكهة من سائر الأصناف في وقت المساء ثم حملها قبل الشمس وتوجه إلى البحر وحطها على جنب الشاطيء وقال أين أنت يا عبد الله يا بحري وإذا به يقول له لبيك وخرج إليه فقدم له الفاكهة فحملها ونزل بها وغطس في البحر وغاب ساعة زمانية ثم خرج ومعه المشنة ملآنة من جميع أصناف المعادن والجواهر فحملها عبد الله البري على رأسه وذهب بها فلما وصل إلى فرن الخباز قال له يا سيدي قد خبزت لك أربعين كف شريك وأرسلتها إلى بيتك وها أنا أخبز العيش الخاص فمتى خلص أوصله إلى البيت وأروح ولك أجيء بالخضار واللحم فكبش له من المشنة ثلاث كبشات وأعطاه إياها وتوجه إلى البيت وحط المشنة وأخذ من كل صنف من أصناف الجواهر فأخذ جوهر نفيسة ثم ذهب إلى سوق الجواهر ووقف على دكان شيخ السوق وقال اشتر مني هذه الجواهر فقال له أرني إياها فأراه فقال له هل عندك غير هذا قال عندي مشنة ممتلئة قال أين بيتك قال في الحارة الفلانية فأخذ منه الجواهر وقال لاتباعه أمسكوه فإنه هو الحرامي الذي سرق مصالح الملكة زوجة السلطان ثم أمرهم أن يضربوه فضربوه وكتفوه وقام الشيخ هو وجميع أهل سوق الجواهر وصاروا يقولون مسكناً الحرامي وبعضهم يقول ما سرق متاع فلان إلا هذا الخبيث وبعضهم يقول ما سرق جميع ما في بيت فلان إلا هو وبعضهم يقول كذا كل ذلك وهو ساكت ولم يرد على أحد منهم جواباً ولم يبدأ له خطاباً حتى أوقفوه قدام الملك قال الشيخ يا ملك الزمان لما سرق عقد الملكة أرسلت أعلمتنا وطلبت منا وقوع الغريم فاجتهدت أنا من دون الناس وأوقعت لك الغريم وها هو بين يديك وهذه الجواهر خلصناها من يده فقال الملك للطواشي خذ هذه

المعادن وأرها للملكة وقل لها هل هذا متاعك الذي ضاع من عندك فأخذها الطواشي ودخل بها قدام الملكة فلما رأتها تعجبت منها وأرسلت تقول للملك أني رأيت عقد في مكاني وهذا ما هو متاعي ولكن هذه الجواهر أحسن من جواهر عقدي فلا تظلم الرجل وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٣١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن زوجة الملك لما أرسلت تقول له هذا ما هو متاعي ولكن هذه الجواهر أحسن من جواهر عقدي فلا تظلم الرجل وأن كان يبيعها فاشترها منه لبنتك أم السعود لنضعها لها في عقد فلما رجع الطواشي وأخبر الملك بما قالته الملكة لعن شيخ الجواهرجية هو وجماعته لعنة عاد وثمود فقالوا يا ملك الزمان إنا كنا نعرف أن هذا الرجل صياد فقير فاستكثرنا ذلك عليه وقد ظننا أنه سرقها فقال يا قبحا أتستكثرون النعمة على مؤمن فلا شيء لم تسألوه ربما رزقه الله بها من حيث لا يحتسب فكيف تجعلونه حرامياً وتفضحونه بين العالم أخرجوا لا بارك الله فيكم فخرجوا وهم خائفون هذا مكان من أمرهم (وأما) ما كان من أمر الملك فإنه قال له فأني لملك ولا توجد عندي مثلها فقال يا ملك الزمن أنا عندي مشنة ممتلئة منها وهو أن الأمر كذا وكذا وأخبره بصحبته لعبد الله البحري وقال له أنه قد صار بيني وبينه عهد على أنني كل يوم أملأ له المشنة فاكهة وهو يملؤها لي من هذه الجواهر فقال له يا رجل هذا نصيبك ولكن المال يحتاج إلى الجاه فأنا أدفع عنك تسلط الناس عليك في هذه الأيام ولكن ربما عزلت أو مت وتولي غيري فإنه يقتلك من أجل حب الدنيا والطمع فمرادي أن أزوجك أبنتي وأجعلك وزيري وأوصي لك بالملك من بعدي حتى لا يطمع فيك أحد بعد موتي ثم أن الملك قال خذوا هذا الرجل وادخلوا الحمام فأخذوه وغسلوا جسده وألبسوه ثياباً من ثياب الملوك وأخرجوه قدام الملك فجعله وزيراً له وأرسل السعادة وأصحاب النوبة وجميع نساء الأكابر إلى بيته فألبسوا زوجته ملابس نساء الملوك هي وأولادها وأركبوها في تختروان ومشت قدامها جميع نساء الأكابر والعساكر والسعاة وأصحاب النبوية وأتو بها إلى بيت الملك والطفل الصغير في حضنها وأدخلوا أولادها الكبار على الملك فأكرمهم وأخذهم على حجرة وأجلسهم في جانبه وهم تسعة أولاد ذكور وكان الملك معدوم الذرية ما رزق غير تلك البنت التي أسمها أم السعود وأما الملكة فإنها أكرمت زوجة عبد الله البري وأنعمت عليها وجعلتها وزيرة عبدها وأمر الملك يكتب عبد الله البري على ابنته وجعل مهرها جميع ما كان عنده من الجواهر والمعادن وفتحوا باب الفرح وأمر الملك أن ينادي بزينة المدينة من أجل فرح ابنته وفي اليوم الثاني بع أن دخل على بنت الملك وأزال بكارتها طل الملك من الشباك فرأى عبد الله حاملاً على رأسه مشنة ممتلئة فاكهة فقال له ما هذا الذي معك يا نسيبي وغلى أين تذهب فقال إلى صاحبي عبد الله البحري فقال له يا نسيبي ما هذا وقت الرواح إلى صاحبك فقال أخاف أن أخلف معه المعاد فيعدني كذاباً ويقول لي أن الدنيا ألهتك عني قال صدقت رح إلى صاحبك أعانك الله فمشى في البلد وهو متوجه إلى صاحبه وكانت الناس قد عرفته فصار يسمع الناس يقولون هذا نسيب الملك رائح يبذل الأثمار بالجواهر والذي يكون جاهلاً به ولا يعرفه يقول يا رجل بكم الرطل تعال بعني فيقول له انتظرني حتى أرجع إليك ولا يغم أحداً ثم راح واجتمع بعبد الله البحري وأعطاه الفاكهة وأبدلها له بالجواهر ولم يزل على هذه الحالة وفي كل يوم يمر على فرن الخباز فيراه مقفولاً ودام على ذلك مدة عشر أيام فلما لم ير الخباز ورأى فرنه مقفولاً قال في نفسه أن

هذا شيء عجيب يا ترى راح الخباز ثم أنه سأل جاره يا أخي أين جارك الخباز فما فعل الله به قال له يا سيدي إنه مريض لا يخرج من بيته قال له أين بيته قال له في الحارة الفلانية فعمد إليه وسأل عنه فلما طرق الباب طل الخباز من الطاقة فرأى صاحبه الصياد وعلى رأسه مشنة ممتلئة فنزل إليه وفتح له الباب ورمي روحه عليه وعانقه وقال له كيف حالك يا صاحبي فإن كل يوم أمر على الفرن فأراه مقفولاً ثم سألت جارك فأخبرني بأنك مريض فسألت عن البيت لأجل أن أراك فقال له الخباز جزاك الله عني كل خير فليس بي مرض وإنما بلغني أن الملك أخذك لأن بعض الناس كذلك عليك وادّعي أنك حرامي فخفت أنا وقفلت الفرن واختفيت قال صدقت ثم أنه أخبره بقضيته وما وقع له مع الملك وشيخ سوق الجواهر وقال له أن الملك قد زوجني ابنته وجعلني وزيره ثم قال له خذ ما في المشنة نصيبك ولا تخف ثم خرج من عنده بعد أن أذهب عنه الخوف وراح إلى الملك بالمشنة فارغة فقال له الملك يا نسيبي كأنك ما اجتمعت برفيقك عبد الله البحري في هذا اليوم فقال رحت له والذي أعطاه لي أعطيته إلى صاحبي الخباز فإن له علي جميلاً قال من يكون هذا الخباز قال أنه رجل صاحب معروف وجرى له معه في أيام الفقر ما هو كذا وكذا ولم يهملني يوماً ولا كسر خاطري قال الملك ما اسمه قال اسمه عبد الله الخباز وأنا أسمي عبد الله البري وصاحبي اسمه عبد الله البحري قال الملك وأنا أسمي عبد الله وعبيد الله كلهم أخوان فأرسل إلى صاحبك الخباز هاته لتجعله وزير ميسرة فأرسل إليه فما حضر بين يدي الملك ألبسه بدلة وزير وجعله وزير الميسرة وجعل عبد الله البري وزير الميمنة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٣٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن جعل عبد الله البري نسيبه وزير الميمنة وعبد الله الخباز وزير الميسرة واستمر عبد الله على تلك الحالة سنة كاملة وهو في كل يوم يأخذ المشنة ممتلئة فاكهة ويرجع بها ممتلئة جواهر ومعادن ولما فرغت الفواكه من البساتين صار يأخذ زبيباً ولوزاً وبندقاً وجوزاً وتيناً وغير ذلك وجميع ما يأخذه له يقبله منه ويرد له المشنة ممتلئة جواهر على عادته فاتفق يوماً من الأيام أنه أخذ المشنة ممتلئة نقلاً على عادته فأخذها منه وجمس عبد الله البري على الشاطيء وجلس عبد الله البحري في الماء قرب الشاطيء وصارا يتحدثان مع بعضهما ويتداولان الكلام بينهما حتى أنجرا إلى ذكر المقابر فقال البحري يا أخي أنهم يقولون في أن النبي ﷺ مدفون عندكم في البر فهل تعرف قبره قال نعم قال له في أي مكان هو قال له في مدينة يقال لها مدينة طيبة قال وهل تزوره الناس أهل البر قال نعم قال هنيئاً لكم يا أهل البربارة هذا النبي الكريم الرؤوف الرحيم الذي من زاره استوجب شفاعته وهل أنت زرته يا أخي قال لا لأني كنت فقير ولا أجد ما أنفقه في الطريق وما استغنيت إلا من حين عرفتك وتصدقت علي بهذه الخير ولكن قد وجبت على زيارته بعد أن أحج بيت الله الحرام وما منعني من ذلك إلا محبك فإني لا أقدر أن أفارقك يوماً واحداً فقال له وهل تقدم محبتي على زيارة قبر سيدنا محمد ﷺ الذي يشفع فيك يوم العرض على الله وينجيك من النار وتدخل الجنة بشفاعته وهل من أجل حب الدنيا تترك زيارة قبر نبيك محمد ﷺ فقال لا والله إن زيارته مقدمة عندي على كل شيء ولكن أريد منك أجازة أن أزوره في هذا العام قال أعطيك الأجازة بزيارته وإذا وقفت على قبره فأقرئه مني السلام وعندي أمانة فأدخل معي في البحر حتى آخذك إلى مدينتي وأدخلك بيتي

وأضيفك وأعطيك الأمانة لتضعها على قبر النبي ﷺ وقال له يا رسول الله أن عبد الله البحري يقرئك السلام وقد أهدى إليك هذه الهدية وهو يرجو منك الشفاعة من النار فقال له عبد الله البري يا أخي أنت خلقت من الماء ومسكنك الماء وهو لا يضرك فهل إذا خرجت منه إلى البر يحصل لك ضرر قال نعم ينشف بدني وتهب على نسمات البر فأموت قال له وأنا كذلك خلقت في البر ومسكني البر فإذا دخلت البحر يدخل الماء في جوفي ويخنقني فأموت قال له لا تخف من ذلك فأني آتيك بدهن تدهن به جسمك فلا يضرك الماء ولو كنت تقضي بقية عمرك وأنت دائر في البحر وتنام وتقوم في البحر ولا يضرك شيء قال إذا كان الأمر كذلك فلا بأس هات لي الدهان حتى أجربه قال وهو كذلك ثم أخذ المشنة ونزل في البحر وغاب قليلاً ثم رجع ومعه شحم مثل شحم البقر لونه أصفر كلون الذهب ورائحته ركبة فقال له عبد الله البري ما هذا يا أخي فقال له شحم كبد صنف من أصناف السمك يقال له الدندان وهو أعظم أصناف السمك خلقة وهو أشد أعدائنا علينا وصورته أكبر صورة توجد عندكم من دواب البر ولو رأى الجمل أو الفيل لابتلعه فقال له يا أخي وما يأكل هذا المشؤوم فقال يأكل من دواب البحر أما سمعت أنه يقال في المثل مثل سمك البحر القوي يأكل الضعيف قال صدقت ولكن هل عندكم من هذا الدندان في البحر كثير قال عندنا شيء لا يحصيه إلا الله تعالى قال عبد الله البري أني أخاف إذا نزلت معك أن يصادفني هذا النوع فيأكلني قال عبد الله البحري لا تخف فأنه متى رآك عرف أنك ابن آدم فيخاف منك ويهرب ولا يخاف من أحد في البحر مثل ما يخاف من ابن آدم لأنه متى أكل ابن آدم مات من وقته وساعته فإن شحم ابن آدم سم قاتل لهذا النوع ونحن ما نجمع شحم كبده إلا بواسطة ابن آدم إذا وقع في البحر غريقاً فإنه تتغير صورته وربما تمزق لحمه فيأكله الدندان لظنه أنه من حيوان البحر فيموت فنعثر به ميتاً فنأخذ شحم كبده وندهن به أجسامنا ويدور في البحر فأي مكان كان فيه ابن آدم إذا كان فيه مائة أو مائتان أو ألف أو أكثر من النوع وسمعوا صيحة ابن آدم فإن الجميع يموتون لوقتهم من صحة مرة واحدة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٣٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن عبد الله البحري قال لعبد الله البري وإذا سمع ألف من هذا النوع أو أكثر من بني آدم صيحة واحدة يموتون لوقتهم ولا يقدر أحد منهم أن ينتقل من مكانه فقال عبد الله البري توكلت على الله ثم قلع ما كان عليه من الملبوس وحفر في شاطيء البحر ودفن ثيابه وبعد ذلك دهن جسمه من فوقه إلى قدمه بهذا الدهن ثم نزل في الماء وغطس وفتح عينه فلم يضره الماء فمشي يميناً وشمالاً ثم جعل إن شاء يعلو وإن شاء ينزل إلى القرار ورأى ماء البحر محمياً عليه مثل الخيمة ولا يضره فقال عبد الله البحري ماذا ترى يا أخي قال له أرى خيراً وقد صدقت فيما قلت فإن الماء ما ضرني قال له أتبعني فتبعه ولا زال يمشيان من مكان إلى مكان وهو يرى أمامه وعن يمينه وعن شماله جبالاً من الماء فصار يتفرج عليها وعلى أصناف السمك وهي تلعب في البحر البعض كبير والبعض صغير وفيه شيء يشبه الجاموس وشيء يشبه البقر وشيء يشبه الكلاب وشيء يشبه الآدميين وكل نوع قربنا منه يهرب منا فقال له مخافة منك لأن جميع ما خلقه الله تعالى يخاف من ابن آدم ومازال يتفرج على عجائب البحر حتى وصل إلى جبل عال فمشي عبد الله البري بجانب ذلك الجبل فلم يشعر إلا وصيحة عظيمة فالتفت فرأى شيئاً أسود منحدراً

عليه من ذلك الجبل وهو قدر الجمل أو أكبر وصار يصبح فقال ما هذا يا أخي قال له البحري هذا الدندان فإنه نازل في طلبي مراده أن يأكلني فصيح عليه يا أخي قبل أن يصل إلينا فيخطفني ويأكلني فصاح عليه عبد الله البري فوقع ميتاً قال سبحان الله وبحمده أنا لا ضربته بسيف لا بسكين كيف هذا العظمة التي فيها هذا المخلوق ولم يحمل صيحتي بل مات فقال عبد الله البحري لا تعجب فو الله يا أخي لو كان من هذا النوع ألف أو ألفان لم يحملوا صيحة ابن آدم ثم مشيا إلى مدينة فرأيا أهلها جميعاً بنات وليس فيهن ذكور فقال يا أخي ما هذه المينة وما هذه البنات فقال له هذه مدينة البنات لأن أهلها من بنات البحر قال هل فيهن ذكور قال لا وكيف يحبلن ويلدن من غير ذكور قال أن ملك البحر ينفيهن إلى هذه المدينة وهن لا يحبلن ولا يلدن وإنما كل واحدة غضب عليها من بنات البحر يرسلها إلى هذه المدينة ولا تقدر أن تخرج منها فإن خرجت منها فكل من يراها من دواب البحر يأكلها وأما غير هذه المدينة ففيها رجال وبنات قال له هل في البحر مدن غير هذه المدينة قال له كثير قال وهل عليكم سلطان في البحر قال له نعم قال له يا أخي أني رأيت في البحر عجائب كثيرة قال له وأي شيء رأيت من العجائب أما سمعت صاحب المثل يقول عجائب البحر أكثر من عجائب البر قال صدقت ثم أنه صار يتفرج على هذه البنات فرأى لهن وجوهاً مثل الأقمار وشعوراً مثل شعور النساء ولكن لهن أياد وأرجل في بطونهن ولهن أذناب مثل أذناب السمك ثم أنه فرجه على أهل تلك المدينة وخرج به ومشى قدامه إلى مدينة أخرى فرآها ممتلئة خلائق أناثاً وذكوراً صورتهم مثل صورة البنات ولهم أذناب ولكن ليس عندهم بيع ولا شراء مثل أهل البر وليسوا لابسين بل الكل عرايا مكشوفون العروة فقال له يا أخي أني أرى الأناث والذكور مكشفون العورة فقال له أن أهل البحر لا قماش عندهم فقال له يا أخي كيف يصنعون إذا تزوجوا فقال له هم لا يتزوجون بل كل من أعجبته أنثى يقضي مراده منها قال له أن هذا شيء حرام ولأي شيء لم يخطبها ويمهرها ويقيم لها فرحاً ويتزوجها بما يرضى الله ورسوله قال ليس كلنا ملة واحدة فإن فينا مسلمين موحدين وفينا نصارى ويهود وغير ذلك والذي يتزوج خصوص المسلمين فقال أنتم عريانون وما عندكم بيع ولا شراء فأي شيء يكون مهر نسائكم هل تعطونهن جواهر ومعادن قال له إن الجواهر أحجار ليس لها عندنا قيمة وإنما الذي يريد أن يتزوج يجعلون شيئاً معلوماً من أصناف السمك يصطاده قدر ألف أو ألفين أو أكثر أو أقل بحسب ما يحصل عليه الاتفاق بينه وبين أبي الزوجة فحين يحضر المطلوب يجتمع أهل العريس وأهل العروسة ويأكلون الوليمة ثم يدخلونه على زوجته وبعد ذلك يصطاد من السمك ويطعمها وإذا عجز تصطاد هي وتطعمه قال وإن زنى بعضهم ببعض كيف يكون الحال قال إن الذي يثبت عليه الأمر أن كان أنثى ينفوه إلى مدينة البنات فإذا كانت حاملاً من الزنا فإنهم يتركونها إلى أن تلد فإن ولدت بنتاً ينفونها معها وتسمى زانية بنت زانية ولا تزال بنتاً حتى تموت وإن كان المولود ذكراً فإنهم يأخذونه إلى الملك سلطان البحر فيقتله فتعجب عبد الله البري من ذلك ثم أن عبد الله البحري أخذه إلى مدينة أخرى وهكذا وما زال يفرجه حتى فرجه على ثمانين مدينة وكل مدينة يرى أهلها لا يشبهون أهل غيرها من المدن فقال له يا أخي هل بقي في البحر مدائن قال وأي شيء رأيت من مدائن البحر وعجائبه وحق النبي الكريم الرؤوف الرحيم لو كنت فرجتك ألف عام كل يوم على مدينة وأريتك في كل مدينة ألف أعجوبة ما أريتك قيراطاً من أربعة وعشرون قيراطاً من مدائن البحر وعجائبه وإنما فرجتك على

ديارنا وأرضنا لا غير فقال له يا أخي حيث كان الأمر كذلك يكفيني ما تفرجت عليه فأني سئمت من أكل السمك ومضى لي في صحبتك ثمانون يوماً وأنت لا تطعمني صباحاً ومساء إلا سمكاً طرياً لا مستوياً ولا مطبوخاً فقال له أي شيء يكون المطبوخ والمشوي قال له عبد الله البري نحن نشوي السمك في النار وتطبخه وتجعله أصنافاً وتصنع منه أنواعاً كثيرة فقال له البحري من أين تأتي لنا النار فنحن لا نعرف المشوي من المطبوخ وغير ذلك فقال له البري نحن نقليه بالزيت والسيرج فقال له البحري ومن أين لنا الزيت والسيرج ونحن في هذا البحر لا نعرف شيئاً مما ذكرته قال صدقت ولكن يا أخي قد فرجتني على مدائن كثيرة ولم تفرجني على مدينتك قال له أما مدينتي فإننا فتناها بمسافة وهي قريبة من البر الذي أتينا منه وإنما تركت مدينتي وجئت بك إلى هنا لأني قصدت أن أفرجك على مدائن البحر قال له يكفيني ما تفرجت عليه ومرادي أن تفرجني على مدينتك قال له وهو كذلك ثم رجع به إلى مدينته فلما وصل إليها قال له هذه مدينتي فرآها مدينة صغيرة عن المدائن التي تفرج عليها ثم دخل المدينة ومعه عبد الله البحري إلى أن وصل إلى مغارة قال له هذا متى وكل بيوت هذه المدينة كذلك مغارات كبار وصغار في الجبال وكذلك جميع مدائن البحر على هذه الصفة فإن كل من أراد أن يصنع له بيتا يروح إلى الملك ويقول له مرادي أن اتخد بيتاً في المكان الفلاني فيرسل معه الملك طائفة من السمك يسمون المنقارين ويجعل كراهم شيئاً معلوماً من السمك ولهم مناقير تفتت الحجر الجلمود فيأتون إلى الجبل الذي أراده صاحب البيت وينقرون في البيت وصاحب البيت يصطاد لهم من السمك ويلقمهم حتى تتم المغارة فيذهبون وصاحب البيت يسكنه وجميع أهل البحر على هذه الحالة لا يتعاملون مع بعضهم ولا يخدمون بعضهم إلا بالسمك وكلهم سمك ثم قال أدخل فدخل فقال عبد الله البحري يا بنتي وإذا بينته أقبلت عليه ولها وجه مدور مثل القمر ولها شعر طويل وردف ثقيل وطرف كحيل وخصر نحيل لكنها عريانة ولها ذنب فلما رأت عبد الله البري مع أبيها قالت له يا أبي ما هذا الأزعر الذي جئت به معك فقال لها يا بنتي هذا صاحبي البري الذي كنت أجيء لك من عنده بالفاكهة البرية تعالى سلمى عليه فتقدمت وسلمت عليه بلسان فصيح وكلام بليغ فقال أبوها هات زاد لضيفنا الذي حلت علينا بقدومه البركة فجاءت له بسمكتين كبيرتين كل واحدة منهما مثل الخروف فقال له كل فأكل غصباً عنه من الجوع لأنه سئم من أكل السمك وما عندهم شيء غير السمك فما مضى حصة إلا وامرأة عبد الله البحري أقبلت وهي جميلة الصورة ومعها ولد أن كل واحد في يده فرخ سمك يقرش فيه كحمار يقرش الإنسان في الخيارة فلما رأت عبد الله البري قالت أي شيء هذا الأزعر وتقدم الولدان وأختهما وأمهم وصار ما ينظرون إلى دبر عبد الله البري ويقولون أي وأزعر الله أنه ويضحكون عليه فقال عبد الله البري يا أخي هل أنت جئت بي لتجعلني سخرية لأولادك وزوجتك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٣٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن عبد الله البري قال لعبد الله البحري يا أخي هل أنت جئت بي لتجعلني سخرية لأولادك وزوجتك فقال له عبد الله البحري العفو يا أخي قال الذي لا ذنب له غير موجود عندنا وإذا وجد من غير ذنب يأخذه السلطان ليضحك عليه ولكن يا أخي لا تؤاخذ هؤلاء الأولاد الصغار والمرأة فإن عقولهم ناقصة ثم صرخ عبد الله البحري على عياله وقال لهم اسكتوا فخافوا منه وسكتوا وجعل

يأخذ بخاطره فبينما هو يتحدث معه وإذا بعشرة أشخاص كبار شداد غلاظ أقبلوا عليه وقالوا يا عبد الله أنه بلغ الملك أن عندك أزعر من زعر البرتقال نعم وهو هذا الرجل فإنه صاحبي أتاني ضيفاً ومرادي أن أرجعه إلى البر قالوا له إننا لاً نقدر أن نروح إلا به فإن كان مرادك كلاماً فقم وخذه وأحضر به قدام الملك والذي تقوله لنا قله للملك فقال عبد الله البحري يا أخي العذر واضح ولا يمكننا مخالفة الملك ولكن أمضي معي للملك وأنا أسعى في خلاصك منه إن شاء الله تعالى ولا تخف فإنه متى رآك عرف أنك من أولاد البر ومتى علم أنك بري فلابد أنه يكرمك ويردك إلى البر فقال عبد الله البري الرأي رأيك فأنا أتوكل على الله وأمشي معك ثم أخذوه ومضى إلى أن وصل إلى الملك فلما رآه ضحك وقال مرحباً بالأزعر وصار كل من كان حول الملك يضحك عليه ويقول أي والله أنه أن عز فتقدم عبد الله البحري إلى الملك وأخبره بأجواله وقال له هذا من أولاد البر وصاحبي وهو لا يعيش بيننا لأنه لا يحب أكل السمك إلا مقلياً أو مطبوخاً والمراد أنك تأذن لي في أن أرده إلى البر فقال له الملك حيث كان الأمر كذلك وأله لا يعيش عندنا فقد أذنت لك أن ترده إلى مكانه بعد الضيافة ثم أن الملك قال هاتوا له الضيافة فأتوا له بالسمك أشكالاً وألواناً فأكل امتثالاً لأمر الملك ثم قال له الملك تمنّ عليّ فقال عبد الله البري أتمنى عليك أن تعطيني جواهر فقال خذوه إلى دار الجواهر ودعوه ينقي ما يحتاج إليه فأخذه صاحبه إلى دار الجواهر ونقى على قدر ما أراد ثم رجع إلى مدينته وأخرج له صرة وقال له خد هذه أمانة وأوصلها إلى قبر النبي ﷺ فأخذها وهو لا يعلم ما فيها ثم خرج معه ليوصله إلى البر فرأى في طريقه غناء وفرحاً وسماطاً ممدوداً من السمك والناس يأكلون ويغنون وهم في فرح عظيم فقال عبد الله البري لعبد الله البحري ما لهؤلاء الناس في فرح عظيم هل عندهم عرس فقال البحري ليس عندهم عرس وإنما مات عندهم ميت فقال له هل أنتم إذا مات عندكم ميت تفرحون له وتغنون وتأكلون قال نعم وأنتم يا أهل البر ماذا تفعلون قال البري إذا مات عندنا ميت نحزن عليه ونبكي والنساء يلطمن وجوههن ويشققن جيوبهن حزناً على من مات فحملق عبد الله البحري عينيه في عبد الله البري وقال له هات الأمانة فأعطاها له ثم أخرجه إلى البر وقال له قد قطعت صحتك وودك فبعد هذا اليوم لا تراني ولا أراك فقال له لماذا هذا الكلام فقال له ما أنتم يا أهل البر أمانة الله فقال البري نعم قال فكيف لا يهون عليكم أن الله يأخذ أمانته بل تبكون عليها فكيف أعطيك أمانة النبي ﷺ وأنتم إذا أتاكم المولود تفرحون به مع أن الله يضع فيه الروح أمانة فإذا أخذها كيف تصعب عليكم وتبكون وتحزنون فمالنا في رفقتكم حاجة ثم تركه وراح إلى البحر ثم أن عبد الله البري لبس حوائجه وأخذ جواهره وتوجه إلى الملك فتلقاه باشتياق وفرح به وقال له كيف أنت يا نسيبي وما سبب غيابك عني هذه المدة فأخبره بقصته وما رآه من العجائب في البحر فتعجب الملك من ذلك ثم أخبره بما قاله عبد الله البحري فقال له أنت ألذي أخطأت في أخبارك له بهذا الخبر ثم أنه استمر مدة من الزمان وهو يروح إلى جانب البحر ويصبح على عبد الله البحري فلم يرد عليه ولم يأت إليه فقطع عبد الله البري الرجاء منه وأقام هو والملك نسيبه وأهلهما في أسر حال وحسن أعمال حتى أتاهم هازم اللذات ومفرق الجماعات وماتوا جميعاً فسبحان الحي الذي لا يموت ذي الملك والملكوت وهو على كل شيء قدير وبعباده لطيف حبير.

(من نوادر هارون الرشيد مع الشاب العماني)

(ومما يحكي أيضاً) أن الخليفة هارون الرشيد أرق ذات ليلة أرقاً شديداً فاستدعى مسروراً فحضر فقال له أئتني بجعفر بسرعة فمضى وأحصره فلما وقف بين يديه قال يا جعفر قد اعتراني في هذه الليلة أرق فمنع عني النوم ولا أعلم ما يزيله عني قال يا أمير المؤمنين قد قالت الحكماء النظر إل المرآة ودخول الحمام واستعمال الغناء يزيل الهم والفكر فقال يا جعفر أني قد فعلت هذا كله فلم يزل عني شيئاً وأنا أقسم بآبائي الطاهرين أن لم تتسبب فيما يزل عني ذلك لاضربن عنقك قال يا أمير المؤمنين هل تفعل ما أشير به عليك قال وما الذي تشير به على قال أن تنزل بنا في زورق وتنحدر به في بحر الدجلة مع الماء إلى محل يسمى قرن الصراط لعلنا نسمع ما لم نسمع أو ننظر ما لم ننظر فإنه قد قيل تفريج الهم بواحد من ثلاثة أمور أن يرى الإنسان ما لم يكن رآه أو يسمع ما لم يكن سمعه أو يطأ أرضاً ما لم يكن وطئها فلعل ذلك يكون سبباً في زوال القلق عنك يا أمير المؤمنين فعند ذلك قام الرشيد من موضعه وصحبته جعفر وأخوه الفصل وأبو أسحق النديم وأبو نواس وأبو دلف ومسرور السياف وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(في ليلة ٩٣٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الخليفة لما قام من موضعه وصحبته جعفر وباقي جماعته دخلوا حجرة الثياب ولبسوا كلهم ملابس التجار وتوجهوا إلى الدجلة ونزلوا في زورق مزركش بالذهب وانحدروا مع الماء حتى وصلوا إلى الموضع الذي يريدونه فسمعوا صوت جارية تغني على العود وتنشد هذه الأبيات:

أق . .ول وق . .د حضـ . .ر العق . .ار ... وق .د غذ .ى عل .ى الأي .ك الهـ .زار
إلـ .ى كـ .م ذا التـ .أني عـ .ن سـ .رور ... أفـ . ق مـ . .ا العمـ . .ر الاسـ . تعمار
فخـ .ذها مـ .ن يـ .دي ظبـ .ي غريـ .ر ... بجفنيـ . . .ه فتـ . . .ور وانكسـ . . .ار
زرعـ . . .ت بخـ . . .ده ورداً طريـ . . .ا ... فـ . أثمر فـ . ـي السـ . والف جلنـ . ار
وتحسـ . .ـب موضـ . .ـع التخمـ . .يس ... فيـ .ه رمـ .اداً خامـ .داً والخـ .د نـ .ار
يقـ .ول لـ .ـي العـ .زول تسـ .ل عنـ .ه ... فمـ .ا عـ .ذري وقـ .د تـ .م العـ .ذار

فلما سمع الخليفة هذا الصوت قال يا جعفر ما أحسن هذا الصوت قال جعفر يا مولانا ما طرق سمعي أطيب ولا أحسن من هذا الغناء ولكن يا سيدي أن السماع من وراء جدار نصف سماع فكيف بالسماع من خلف ستر فقال انهض بنا ياجعفر حتى نتطفل على صاحب هذه الدار لعلنا نرى المغنية عيانا قال جعفر سمعاً وطاعة فصعدوا من المركب واستأذنوا في الدخول وإذا بشاب مليح المنظر عذب الكلام فصيح اللسان خرج إليهم وقال أهلاً وسهلاً يا سادتي المنعمين علي ادخلوا بالرحب والسعة فدخلوا وهو بين أيديهم فرأوا الدار بأربعة أوجه وسقفها بالذهب وحيطانها منقوشة بالأزورد وفيها أيوان به سدلة جميلة وعليها مائة جارية كأنهن أقمار فصاح عليهن فنزلن عن أسرتهن ثم التفت رب المنزل إلى جعفر وقال يا سيدي أنا ما أعرف منكم الجليل من الأجل بسم الله ليتفضل منكم من هو أعلى في الصدر ويجلس أخوانه كل واحد في مرتبته فجلس كل واحد في منزلته وقام مسرور في الخدمة بين أيديهم ثم قال لهم صاحب المنزل يا أضيافي عن اذنكم هل

أحضر لكم شيئاً من المأكول قالوا له نعم فأمر الجواري بإحضار الطعام فأقبل أربع جوار مشدودات الأوساط بين أيديهن مائدة وعليها من غرائب الألوان مما درج وطار وسبح في البحار من قطا وسماني وأفراخ وحمام ومكتوب على حواشي السفرة من الأشعار ما يناسب المجلس فأكلوا على قدر كفايتهم ثم غسلوا أيديهم فقال الشاب يا سادتي أن كان لكم حاجة فأخبرونا بها حتى نتشرف بقضائها قالوا نعم فإننا ما جئنا منزلك إلا لأجل صوت سمعناه من وراء حائط دارك فاشتهينا أن نسمعه ونعرف صاحبته فإن رأيت أن تنعم علينا بذلك كان من مكارم أخلاقك ثم نعود من حيث جئنا فقال مرحباً كرسي فوضعته ثم ذهبت ثانياً وأتت ومعها جارية كأنها البدر في تمامه فجلست على الكرسي ثم أن الجارية السوداء ناولتها خرقة من أطلس فأخرجت منها عوداً مرصعاً بالجواهر واليواقيت وملاويه من الذهب وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٣٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية لما أقبلت جلست على كرسي وأخرجت العود من الخريطة وإذا هو مرصع بالجوهر واليواقيت وملاويه من الذهب فشدت أوتاره لرنات المزاهر وهي كما قال فيها وفي عوده الشاعر.

حضـ . نته كـ . ـالأم الشـ . فيقة بابنهـ . ـا   في حجرهـ ـا وجلـ ـت عليـ ـه ملاويـ ـه
مـ . ـا حركـ . ـت يـ . ـدها اليمـ . ـين لجـ . ـه   إلا وأصـ . ـلحت اليسـ . ـار ملاويـ . ـه

ثم ضمت العود إلى صدرها وانحت عليه انحناء الوالدة على ولدها وجست أوتاره فاستغاث كما يستغيث الصبي بأمه ثم ضربت عليه وجعلت تنشد هذه الأبيات:

جـ . ـاد الزمـ . ـان بمـ . ـن أحـ . ـب فاعتبـ . ـا   يا صـ ـاحبي فـ ـادر كؤسـ ـك وأشـ ـربا
من خمرة ما مازجـ ـت قلـ ـب امـ ـريء   إلا وأصـ . ـبح بالمسـ . ـرة مطربـ . ـا
قـ . ـام النسـ . ـيم بحملهـ . ـا فـ . ـي كأسـ . ـها   أرأيـ . ـت بـ . ـدراً لـ . ـثم يحمـ . ـل كوكبـ . ـا
كـ . ـم ليلـ . ـة سـ . ـامرت فيهـ . ـا بـ . ـدرها   من فـ ـوق دجلـ ـة قـ ـد أضـ ـاء الغيهبـ ـا
والبـ . ـدر يجـ . ـنح للغـ . ـروب كأنمـ . ـا   قـ ـد مـ ـد فـ ـوق المـ ـاء سـ ـيفاً مـ ـذهبا

فلما فرغت من شعرها بكت بكاء شديداً وصاح كل من في الدار من البكاء حتى كادوا أن يهلكوا وما منهم أحد إلا وغاب عن وجوده ومزق أثوابه ولطم على وجهه لحسن غنائها فقال الرشيدي أن غناء هذه الجارية يدل على أنها عاشقة مفارقة فقال سيدها أنها ثاكلة لأمها وأبيها فقال الرشيد ما هذا بكاء من فقد أباه وأمه وإنما هو شجو من فقد محبوبه وطرب الرشيد من غنائها وقال لأبي اسحق والله ما رأيت مثلها فقال أبو اسحق يا سيدي إني لأعجب منها غاية العجب ولا أملك نفسي من الطرب وكان الرشيد مع ذلك كله ينظر إلى صاحب الدار ويتأمل في محاسنه وظرف شمائله فرأى في وجهه اصفراراً فالتفت إليه وقال يا فتى فقال لبيك يا سيدي فقال له هل تعلم من نحن قال لا فقال له جعفرا تحب أن نخبرك عن كل واحد بإسمه فقال نعم فقال جعفر هذا أمير المؤمنين وابن عم سيد المرسلين وذكر له بقية أسماء الجماعة وبعد ذلك قال الرشيد اشتهي أن تخبرني عن هذا الإصفرار الذي في وجهك هل هو مكتسب أو أصلي من حين ولادتك قال يا أمير

المؤمنين إن حديثي غريب وأمري عجيب لو كتب بالأبر على أماق البصر لكان عبرة لمن اعتبر قال أعلمني به لعل شفاءك يكون على يدي قال يا أمير المؤمنين أرعني سمعك وأخلي لي ذرعك قال هات فحدثني فقد شوقتني إلى سماعه فقال اعلم يا أمير المؤمنين أني رجل تاجر من تجار البحر وأصلي من مدينة عمان وكان أبي تاجراً كثير المال وكان له ثلاثون مركباً تعمل في البحر أجرتها في كل عام ثلاثون ألف دينار وكان رجلاً كريماً وعلمني الخط وجميع ما يحتاج إليه الشخص فلما حضرته الوفاة دعاني وأوصاني بما جرت به العادة ثم توفاه الله تعالى إلى رحمته وأبقى الله أمير المؤمنين وكان لأبي شركاء يتجرون في ماله ويسافرون في البحر فاتفق في بعض الأيام أني كنت قاعداً في منزلي مع جماعة من التجار إذ دخل على غلام من غلماني وقال يا سيدي إن بالباب رجلاً يطلب الإذن في الدخول عليك فأذنت له فدخل وهو حامل على رأسه شيئاً مغطى فوضعه بين يدي وكشفه فإذا فيه فواكه بغير أوان وملح وطائف ليست في بلادنا فشكرته على ذلك وأعطيته مائة دينار وانصرف شاكراً ثم فرقت ذلك على كل من كان حاضراً من الأصحاب ثم سألت التجار من أين هذا فقالوا أنه من البصرة وأثنوا عليه وصاروا يصفون حسن البصرة وأجمعوا على أنه ليس في البلاد أحسن من بغداد ومن أهلها وصاروا يصفون بغداد وحسن أخلاق أهلها وطيب هوائها وحسن تركيبها فاشتاقت نفسي إليها وتعلقت آمالي برؤيتها فقمت وبعت العقار والأملاك وبعت المراكب بمائة ألف دينار وبعت العبيد والجواري وجمعت مالي فصار ألف ألف دينار غير الجواهر والمعادن واكتريت مركباً وشحنتها بأموالي وسائر متاعي وسافرت بها أيامي ولياليي حتى جئت إلى البصرة فأقمت بها مدة ثم استأجرت سفينة وأنزلت مالي فيها وسرنا منحدرين أياماً قلائل حتى وصلنا إلى بغداد فسألت أين تسكن التجار وأي موضع أطيب للسكان فقالوا في حارة الكرخ فجئت إليها واستأجرت داراً في درب يسمى درب الزعفران ونقلت جميع مالي إلى تلك الدار وأقمت فيها مدة ثم توجهت في بعض الأيام إلى الفرجة ومعي شيء من المال وكان ذلك اليوم يوم الجمعة فأتيت إلى جامع يسمى جامع المنصور تقام فيه الجمعة وبعد أن خلصنا من الصلاة خرجت مع الناس إلى موضع يسمى قرن الصراط فرأيت في ذلك المكان موضعاً عالياً جميلاً وله روشن مطل على الشاطيء وهناك شباك فذهبت من جملة الناس إلى ذلك المكان فرأيت شيخاً جالساً وعليه ثياب جميلة وتفوح منه رائحة طيبة وقد شرح لحيته فافرقت على صدره فرقتين كأنها قضيب من لجين وحوله أربع جوار وخمسة غلمان فقلت لشخص ما اسم هذا الشيخ وما صنعته فقال هذا طاهر ابن العلاء وهو صاحب الفتيان وكل من دخل عنده يأكل ويشرب وينظر إلى الملاح فقلت له والله إن لي زماناً وأنا أدور على مثل هذا وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٣٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشاب لما قال والله أن لي زماناً وأنا أدور على مثل هذا ثم قال فتقدمت إليه يا أمير المؤمنين وسلمت عليه وقلت له يا سيدي أن لي عندك حاجة فقال ما حاجتك قلت أشتهي أن أكون ضيفك في هذه الليلة فقال حباً وكرامة ثم قال يا ولدي عندي جوار كثيرة منهن من ليلتها بعشرة دنانير ومنهن من ليلتها بأكثر فاختر من تريد فقلت أختار التي ليلتها بعشرة دنانير ثم وزنت له ثلثمائة دينار عن شهر فسلمني لغلام فأخذني ذلك الغلام وذهب بي إلى حمام القصر وخدمني خدمة حسنة فخرجت من

الحمام وأتى بي إلى مقصورة وطرق الباب فخرجت له جارية فقال لها خذي ضيفك فتلقتني بالرحب والسعة ضاحكة مستبشرة وأدخلتني دار عجيبة مزركشة بالذهب فتأملت في تلك الجارية فرأيتها كالبدر ليلة تمامه وفي خدمتها جاريتان كأنهما كوكبان ثم أجلستني وجلست بجانبي ثم أشارت إلى الجواري فأتين بمائدة فيها من أنواع اللحوم من دجاج وسماني وقطاً وحمام فأكلنا حتى أكتفينا وما رأيت في عمري ألذ من ذلك الطعام فلما أكلنا رفعت تلك المائدة وأحضرت مائدة الشراب والمشموم والحلوى والفواكه وأقمت عندها شهراً على هذا الحال فلما فرغ الشهر دخلت الحمام وجئت إلى الشيخ وقلت له يا سيدي أريد التي ليلتها بعشرين ديناراً فقال أزن الدهب فمضيت وأحضرت الذهب فوزنت له ستمائة دينار عن شهر فنادى غلاماً وقال له خذ سيدك فأخذني وأدخلني الحمام فلما خرجت أتى بي إلى باب مقصورة وطرقه فخرجت منه جارية فقال لها خذي ضيفك فتلقتني بأحسن ملتقى وإذا حولها أربع جوار ثم أمرت بإحضار الطعام فحضرت مائدة عليها من سائر الأطعمة فأكلت ولما فرغت من الأكل ورفعت المائدة فأخذت العود وغنت بهذه الأبيات:

أيا نفحـ ـات المسـ ـك مـ ـن أرض بابـ ـل ... بحـ ـق غرامـ ـي أن تـ ـؤدي رسـ ـائلي

عهـ ـدت بهاتيـ ـك الأراضـ ـي منـ ـازلاً ... لأحبابنـ ـا أكـ ـرم بهـ ـا مـ ـن منـ ـازل

وفيها التـ ـي مـ ـا حبهـ ـا كـ ـل عاشـ ـق ... تغنـ ـي ولـ ـم يرتـ ـد منهـ ـا بطائـ ـل

فأقمت عندها شهراً ثم جئت إلى الشيخ وقلت أريد صاحبة الأربعين ديناراً فقال أزن لي الذهب فوزنت له شهر ألفا ومائتي دينار ومكثت عندها شهراً كأنه يوم واحد لما رأيت من حسن المنظر وحسن العشرة ثم جئت إلى الشيخ وكنا قد أمسينا فسمعت ضجة عظيمة وأصواتاً عالية فقلت له ما الخبر فقال لي الشيخ أن هذه الليلة عندنا شهر الليالي وجميع الخلائق يتفرجون على بعضهم فيها فهل لك أن تصعد على السطح وتتفرج على الناس فقلت نعم وطلعت على السطح فرأيت ستارة حسنة ووراء الستارة محل عظيم وفيه سدلة وعليها فرش مليح وهناك صبية تدهش الناظرين حسناً وجمالاً وقداً واعتدالاً وبجانبها غلاماً يده على عنقها وهو يقبلها فلما رأيتهما يا أمير المؤمنين لم أملك نفسي ولم أعرف أين أنا لما بهرني من حسن صورتها فلما نزلت سألت الجارية التي أنا عندها وأخبرتها بصفتها فقالت مالك وما لها فقلت والله أنها أخذت عقلي فتبسمت وقالت يا أبا الحسن ألك فيها غرض فقلت أي والله فإنها تملكت قلبي ولبى فقالت هذه ابنة طاهر بن العلاء وهي سيدتنا وكلنا جواريها أتعرف يا أبا الحسن بكم ليلتها ويومها قلت لا قالت بخمسمائة دينار وهي حسرة في قلوب الملوك فقلت والله لأذهبن مالي كله على هذه الجارية وبت أكابد الغرام وطول ليلي فلما أصبحت دخلت الحمام ولبست أفخر ملبوس من ملابس الملوك وجئت إلى أبيها وقلت يا سيدي أريد التي ليلتها بخمسمائة دينار فقال زن الذهب فوزنت له عن كل شهر عشر آلاف دينار فأخذها ثم قال للغلام اعمد به إلى سيدتك فلانة فأخذني وأتى بي إلى دار لم ترعيني أظرف منها على وجه الأرض فدخلتها فرأيت الصبية جالسة فلما رأيتها أندهش عقلي بحبسها يا أمير المؤمنين وهي كالبدر في ليلة أربعة عشر ذات حسن وجمال وقد واعتدال وألفاظ تفضح رنات المزاهر كأنها المقصود الشاعر:

قالـ ـت وقـ ـد لعـ ـب الغـ ـرام بعطفهـ ـا ... فـ ـي جـ ـنح ليـ ـل سـ ـائل الأحـ ـلاك

يا ليل هل لـ ـي فـ ـي دجـ ـاك مسـ ـامر ... أو هـ ـل لهـ ـذا الكـ ـس مـ ـن نيـ ـاك

ضـ .ربت عليـ .ه بكفهـ .ا وتنهـ .دت　　　كتنهـ .د الآسـ .ف الحـ .زين البـ .اكي
والثغـ .ر بالمسـ .واك يظهـ .ر حسـ .نه　　　والأيـ .ـر للأكسـ .ـاس كالمسـ .ـواك
يـ .ـا مسـ .ـلمون أمـ .ـا تقـ .ـوم أيـ .ـوركم　　　مـ .ـا فـ .ـيكم أحـ .ـد يغيـ .ـث الشـ .ـاكي
فـ ـانقض مـ ـن تحـ ـت الغلائـ ـل قائمـ ـا　　　أيـ .ـري وقـ .ـال لهـ .ـا أتـ .ـاك أتـ .ـاك
وحللـ .ـت عقـ .ـد إزارهـ .ـا فتفزعـ .ـت　　　من أنـ ـت قلـ ـت فتـ ـى أجـ ـاب نـ داك
وغـ .ـدوت أرهزهـ .ـا بمثـ .ـل دراعهـ .ـا　　　رهـ .ـز اللطيـ .ـف يصـ .ـر بـ .ـالأوراك
حتـ .ـى إذا مـ .ـا قمـ .ـت بعـ .ـد ثلاثـ .ـة　　　قالـ .ـت هنـ .ـاك النيـ .ـك قلـ .ـت هنـ .ـاك

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٣٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشاب لما حدث أمير المؤمنين بصفات الجارية وأنشد في حسنها الأبيات المتقدمة ثم أنشد هذه الأبيات:

ولـ .ـو أنهـ .ـا للمشـ .ـركين تعرضـ .ـت　　　لباعوا بهـ ـا مـ ـن دون أصـ نامهم ربـ ـا
ولو تفلت فـ ـي البحـ ـر والبحـ ـر مـ ـالح　　　لأصبح ماء البحر مـ ـن ريقهـ ـا عـ ذباً
ولو أنها في الشـ ـرق لاحـ ـت لراهـ ـب　　　لخلي سـ ـبيل الشـ ـرق وأتبـ ـع الغربـ ـا

ومن أحسن قول الآخر:

نظـ .ـرت إليهـ .ـا نظـ .ـرة فتحيـ .ـرت　　　دقـ ـائق فكـ ـري فـ ـي بـ ـديع صـ ـفاتها
فـ ـأوحى إلـ ـيهم الـ ـوهم أنـ ـي أحبهـ ـا　　　فـ .ـأثر ذاك الـ .ـوهم فـ .ـي وجناتهـ .ـا

فسلمت عليها فقالت أهلاً وسهلاً ومرحباً وأخذت بيدي يا أمير المؤمنين وأجلستني إلى جانبها فمن فرط الآشتياق بكيت حماقة الفراق وأسلبت دمع العين وأنشدت هذين البيتين:

أحـ ـب ليـ ـالي الهجـ ـر لا فرحـ ـاً بهـ ـا　　　عسى الـ ـدهر يـ ـأتي بعـ ـدها بوصـ ـال
وأكـ .ـره أيـ .ـام الوصـ .ـال لأننـ .ـي　　　أرى كـ .ـل شـ .ـيء معقبـ .ـاً بـ .ـزوال

ثم أنها صارت تؤانسني بلطف الكلام وأنا غريق في بحر الغرام خائف في القرب ألم الفراق من فرط الوجد والاشتياق وتذكرت لوعة النوى والبين فأنشدت هذين البيتين:

فكرت سـ ـاعة وصـ لها فـ ـي هجرهـ ـا　　　فجـ .ـرت مـ .ـدامع مقلتـ .ـي كالعنـ .ـدم
فطفقـ ـت أمسـ ـح مقلتـ ـي فـ ـي جيـ ـدها　　　مـ ـن عـ ـادة الكـ ـافور إمسـ ـاك الـ ـدم

ثم أمرت بإحضار الأطعمة فأقبلت أربع جوار نهد أبكار فوضعن بين أيدينا من الأطعمة والفاكهة والحلوى والمشموم والمدام ما يصلح للملوك فأكلنا يا أمير المؤمنين وجلسنا على المدام وحولنا الرياحين في مجلس لا يصلح إلا للملك ثم جاءتها يا أمير المؤمنين جارية بخريطة من الأبريسم فأخذتها وأخرجت منها عوداً فوضعته في حجرها وجست أوتاره فاستغاثت كما يستغيث الصبي بأمه وأنشدت هذين البيتين:

لا تشرب الراح إلا مـ ـن يـ ـدي رشـ ـأ　　　تحكيه فـ ـي رفـ ـة المعنـ ـى ويحكيهـ ـا

أن المدامـ . .ـة لا يتلـ . .ـذ شـ . .ـاربها   حتـ .ـى يكـ .ـون نقـ .ـي الخـ .ـد سـ .ـاقيها

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٣٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشاب قال لما أنشدت هذين البيتين فأقمت يا أمير المؤمنين عندها على هذه الحالة مدة من الزمان حتى نفذ جميع مالي فتذكرت وأنا جالس معها مفارقتها فنزلت دموعي على خدي كالأنهار وصرت لا أعرف الليل من النهار فقالت لأي شيء تبكي فقلت لها يا سيدتي من حين جئت إليك وأبوك يأخذ مني في كل ليلة خمسمائة دينار وما بقي عندي شيء من المال وقد صدق الشاعر حيث قال:

الفقـ . .ـر فـ . .ـي أوطاننـ . .ـا غربـ . .ـة   والمـ . .ـال فـ . .ـي الغربـ . .ـة أوطـ . .ـان

فقالت اعلم أن أبي من عادته أنه إذا كان عنده تاجر وافتقر فإنه يضيفه ثلاثة أيام ثم بعد ذلك يخرجه فلا يعود إلينا أبداً ولكن أكتم سرك وأخف أمرك وأنا أعمل حيلة في اجتماعي بك إلى ما شاء الله فإن لك في قلبي محبة عظيمة واعلم أن جميع مال أبي تحت يدي وهو لا يعرف قدره فأنا أعطيك في كل يوم كيساً فيه خمسمائة دينار وأنت تعطيه لأبي وتقول له ما بقيت أعطي الدراهم إلا يوماً بيوم وكل ما دفعته إليه فإنه يدفعه إليّ وأنا أعطيه لك وتستمر هكذا إلى إن شاء الله فشكرتها على ذلك وقبلت يدها ثم أقمت عندها يا أمير المؤمنين على هذه الحالة مدة سنة كاملة فاتفق في بعض الأيام أنها ضربت جاريتها ضرباً وجيعاً فقالت لها والله لأوجعن قلبك كما أوجعتيني ثم مضت تلك الجارية إلى أبيها واعلمته بأمرنا من أوله إلى آخره فلما سمع طاهر بن العلاء كلام الجارية قام من وقته وساعته ودخل علي وأنا جالس مع ابنته وقال لي يا فلان قلت له لبيك قال عادتنا أنه إذا كان عندنا تاجر وأفتقر النا نضيفه عندنا ثلاثة أيام وأنت لك عندنا سنة تأكل وتشرب وتفعل ما تشاء ثم التفت إلى غلمانه وقال أخلعوا ثيابه ففعلوا وأعطوني ثياباً رديئة قيمتها خمسة دراهم ودفعوا إليّ عشرة دراهم ثم قال لي أخرج فأنا لا أضربك ولا أشتمك واذهب إلى حال سبيلك وإن أقمت في هذه البلدة كان دمك هدار فخرجت يا أمير المؤمنين برغم أنفي ولا أعلم أين أذهب وحل في قلبي كل هم في الدنيا وشغلني الوسواس وقلت في نفسي كيف أجيء في البحر بألف ألف من جملتها ثمن ثلاثين مركباً ويذهب هذا كله في دار هذا الشيخ النحس وبعد ذلك أخرج من عنده عرياناً مكسور القلب فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ثم أقمت في بغداد ثلاثة أيام لم أذق طعاماً ولا شراباً وفي اليوم الرابع رأيت سفينة متوجهة إلى البصرة فنزلت فيها واستقريت مع صاحبها إلى أن وصلت إلى البصرة فدخلت السوق وأنا في شدة الجوع فزارني رجل بقال فقام إليّ وعانقني لأنه كان صاحباً لي ولأبي من قبل وسألني عن حالي فأخبرته بجميع ما جرى لي فقال لي والله ما هذه فعال عاقل ومع هذا الذي جرى لك فأي شيء في ضميرك تريد أن تفعله فقلت له لا أدري ماذا أفعل فقال أتجلس عندي وتكتب خرجي ودخلي ولك في كل يوم درهم زيادة على أكلك وشربك فأجبته وأقمت عنده يا أمير المؤمنين سنة كاملة أبيع وأشتري إلى أن صار معي مائة دينار فاستأجرت غرفة على شاطيء البحر لعل مركباً تأتي ببضاعة فأشتري بالدنانير بضاعة وأتوجه

بها إلى بغداد فاتفق في بعض الأيام أن المراكب جاءت وتوجهوا إليها جميع التجار يشترون فرحت معهم وإذا برجلين قد خرجا من بطن المركب ونصبا لهما كرسين وجلسا عليهما ثم أقبل التجار عليهما لأجل الشراء فقال لبعض الغلمان أحضروا البساط فأحضروه وجاءوا أحد يخرج فأخرج منه جراباً وفتحه وكبه على البساط وإذا به يخطف البصر لما فيه من الجواهر واللؤلؤ والمرجان والياقوت والعقيق من سائر الألوان وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٣٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشاب لما أخبر الخليفة بقضية التجار وبالجراب وما فيه من سائر أنواع الجواهر قال يا أمير المؤمنين ثم أن واحداً من الرجلين الجالسين على الكراسي التفت إلى التجار وقال لهم يا معاشر التجار أنا ما أبيع في يومي هذا لأني تعبان فتزايدت التجار في الثمن حتى بلغ مقداره أربعمائة دينار فقال لي صاحب الجراب وكان بيني وبينه معرفة قديمة لماذا لم تتكلم ولم تزود مثل التجار فقلت له والله يا سيدي ما بقي عندي شيء من الدنيا سوى مائة دينار واستحيت منه ودمعت عيني فنظر إلي وقد عسر عليه حالي ثم قال للتجار أشهدوا علي إلى بعت جميع ما في الجراب من أنواع الجواهر والمعادن لهذا الرجل بمائة دينار وأنا أعرف أنه يساوي كذا وكذا ألف دينار وهو هدية مني إليه فأعطاني الخرج والجراب والبساط وجميع ما عليه من الجواهر فشكرته على ذلك وجميع من حضر من التجار أثنوا عليه ثم أخذت ذلك ومضيت به إلى سوق الجواهر وقعدت أبيع وأشتري وكان من جملة هذه المعادن قرص تعويذ صنعة المعلمين وزنته نصف رطل وكان أحمر شديد الحمرة وعليه أسطر مثل دبيب النمل من الجانبين ولم أعرف منفعته فبعت واشتريت مدة سنة كاملة ثم أخذت قرص التعويذ وقلت هذا له عندي مدة لا أعرفه ولا أعرف منفعته فدفعته إلى الدلال فأخذه ودار به ثم عاد وقال ما دفع أحد من التجار سوى عشرة دراهم فقلت له ما أبيعه بهذا القدر فرماً في وجهي وانصرف ثم عرضته للبيع يوماً آخر فبلغ ثمنه خمسة عشر درهماً فأخذته من الدلال مغضباً ورميته عندي فبينما أنا جالس يوماً إذ أقبل عليّ رجل فسلم عليّ وقال لي عن إذنك هل أقلب ما عندك من البضائع قلت نعم وأنا يا أمير المؤمنين مغتاظ من كساد قرص التعويذ فقلب الرجل البضاعة ولم يأخذ منها سوى قرص التعويذ فلما رآه يا أمير المؤمنين قبّل يده وقال الحمد لله ثم قال يا سيدي أتبيع هذا فازداد غيظي وقلت له نعم فقال لي كم ثمنه فقلت له كم تدفع أنت فيه قال عشرين ديناراً فتوهمت أنه يستهزيء بي فقلت أذهب إلى حال سبيلك فقال لي هو بخمسين ديناراً فلم أخاطبه فقال ألف دينار هذا كله يا أمير المؤمنين وأنا ساكت ولم أجبه وهو يضحك من سكوتي ويقول لأي شيء لم ترد عليّ فقلت له اذهب إلى حال سبيلك وأردت أن أخاصمه وهو يزيد ألفاً بعد ألف ولم أرد عليه حتى قال أتبيعه بعشرين ألف دينار وأنا أظن أنه يستهزيء بي فاجتمع علينا الناس وكل منهم يقول بعه وإن لم يشتر فنحن الكل عليه ونضربه ونخرجه من البلد فقلت له هل أنت تشتري أو تستهزيء قلت له أبيع قال هو بثلاثين ألف دينار وخذها وامض البيع فقلت للحاضرين اشهدوا عليه ولكن بشرط أن تخبرني ما فائدته وما نفعه قال امض البيع وأنا أخبرك بفائدته ونفعه فقلت بعتك فقال الله على ما نقول وكيل ثم أخرج الذهب وأقبضني إياه وأخد قرص التعويذ ووضعه في جيبه ثم قال لي هل رضيت قلت نعم فقال أشهدوا عليه أنه أمضي البيع وقبض الثمن ثلاثين ألف

دينار ثم أنه التفت إلي وقال يا مسكين والله لو أخرت البيع لزدناك إلى مائة ألف دينار بل إلى ألف ألف دينار فلما سمعت يا أمير المؤمنين هذا الكلام نفر الدم من وجهي وعلا عليه هذا الأصفرار الذي أنت تنظره من ذلك اليوم ثم قلت له أخبرني ما سبب ذلك وما نفع هذا القرص فقال أعلم أن ملك الهند له بنت لم ير أحسن منها وبها داء الصداع فأحضر الملك أرباب الأقلام وأهل العوم والكهان فلم يرفعوا عنها ذلك فقلت له وكنت حاضر بالمجلس أيها الملك أنا أعرف رجلاً يسمى سعد الله البابلي ما على وجه الأرض أعرف منه بهذه الأمور فإن رأيت أن ترسلني إليه فافعل فقال أذهب إليه فقلت له أحضر إلي قطعة من العقيق فأحضر لي قطعة كبيرة من العقيق ومائة ألف دينار وهدية فأخذت ذلك وتوجهت إلى بلاد بابل فسألت عن الشيخ فدلوني عليه ودفعت له المائة ألف دينار والهدية فأخذ ذلك مني ثم أخذ القطعة العقيق وأحضر حكاكاً فعملها هذا التعويذ ومكث الشيخ سبعة أشهر يرصد النجم حتى اختار وقتاً للكتابة وكتب عليه هذه الطلاسم التي تنظرها ثم جئت به إلى الملك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٤٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشاب قال لأمير المؤمنين أن الرجل قال لي أخذت هذا التعويذ وجئت به إلى الملك فلما وضعه علي وابنته برئت من ساعتها وكانت مربوطة في أربع سلاسل وكل ليلة تبيت عندها جارية فتصبح مدبوحة فمن حين وضع عليها هذا التعويذ برئت لوقتها ففرح الملك بذلك فرحاً شديداً وخلع عليّ وتصدق بمال كثير ثم وضعه في عقدها فاتفق أنها نزلت يوماً في مركب هي وجواريها تتنزه في البحر فمدت جارية يدها إليها لتلاعبها فانقطع العقد وسقط في البحر فعاد من ذلك الوقت العارض لأنه الملك فحصل ما حصل للملك من الحزن فأعطاني مالاً كثيراً وقال لي اذهب إلى الشيخ ليعمل لها تعويذاً عوضاً عنه فسافرت إليه فوجدته قد مات فرجعت إلى الملك وأخبرته فبعثني أنا وعشرة أنفس نطوف في البلاد لعلنا نجد لها دواء فأوقعني الله عندك فأخذه مني يا أمير المؤمنين وانصرف فكان ذلك الأمر سبباً للإصفرار الذي في وجهي ثم أني توجهت إلى بغداد ومعي جميع مالي وسكنت في الدار التي كنت فيها فلما أصبح الصباح لبست ثيابي وجئت إلى بيت طاهر بن العلاء لعلي أرى من أحبها فإن حبها لم يزل يتزايد في قلبي فلما وصلت إلى داره رأيت الشباك قد انهدم فسألت علاماً وقلت له ما فعل الله بالشيخ فقال يا أخي أنه قدم عليه في سنة من السنين رجل تاجر يقال له أبو الحسن العماني فأقام مع ابنته مدة من الزمان ثم بعد أن ذهب ماله أخرجه الشيخ من عنده مكسور الخاطر وكانت الصبية تحبه حباً شديداً فلما فارقها مرضت مرضاً شديداً حتى بلغت الموت وعرفت أباها بذلك فأرسل حلفه في البلاد وقد ضمن لمن يأتي به مائة ألف دينار فلم يره أحد ولم يقع له على أثر وهي الآن مشرفة على الموت قلت وكيف حال أبيها قال باع الجواري من عظم ما أصابه فقلت له هل أدلك على أبي الحسن العماني فقال بالله عليك يا أخي أن تدلني عليه فقلت له أذهب إلى أبيها وقل له لي البشارة عندك فإن أبا الحسن العماني واقف على الباب فذهب الرجل يهرول كأنه بغل انطلق من طاحون ثم غاب ساعة وجاء وصحبته الشيخ فلما رآني رجع إلى داره وأعطى الرجل مائة ألف دينار فأخذها وانصرف وهو يدعو لي ثم أقبل الشيخ وعانقني وبكى وقال يا سيدي أين كنت في هذه الغيبة قد هلكت أبنتي من أجل فراقك فأدخل معي إلى المنزل فلما دخلت سجد شكراً لله تعالى وقال الحمد لله الذي جمعنا بك

ثم دخل لابنته وقال لها شفاك الله من هذا المرض فقالت يا أبت ما أبرأ من مرضي إلا إذا نظرت وجه أبي الحسن فقال إذا أكلت أكلة ودخلت الحمام جمعت بينكما فلما سمعت كلامه قالت أصحيح ما تقول قال لها والله العظيم أن الذي قلته صحيح فقالت والله أن نظرت وجهه ما أحتاج إلى أكل فقال لغلامه احضر سيدك فدخلت فلما نظرت إلي يا أمير المؤمنين وقعت مغشياً عليها فلما أفاقت أنشدت هذا البيت:

وقـ ـد يجمـ ـع الله الشـ ـتيتين بعـ ـدما يظنـ ـان كـ ـل الظـ ـن أن لا تلاقيـ ـا

ثم استوت جالسة وقالت يا سيدي ما كنت أظن أني أرى وجهك إلا أن كان منا ما ثم أنها عانقتني وبكت وقالت يا أبا الحسن الآن آكل وأشرب فأحضروا الطعام والشراب ثم صرت عندهم يا أمير المؤمنين مدة من الزمان وعادت لما كانت عليه من الجمال ثم أن أباها استدعى بالقاضي والشهود وكتب كتابها على وعمل وليمة عظيمة وهي زوجتي إلى الآن ثم أن ذلك الفتى قام من عند الخليفة ورجع إليه بغلام بديع الحمال بقد ذي رشاقة واعتدال وقال له قبل الأرض بين أيادي أمير المؤمنين فقبل الأرض بين يدي الخليفة فتعجب الخليفة من حسنه وسبح خالقه ثم أن الرشيد انصرف هو وجماعته وقال يا جعفر ما هذا إلا شيء عجيب ما رأيت ولا سمعت بأغرب منه فلما جلس الرشيد في دار الخلافة قال يا مسرور قال لبيك يا سيدي قال أجمع في هذا الأيوان خراج البصرة وخراج بغداد وخراج خراسان فجمعه فصار مالا عظيماً لا يحصى عدده إلا الله تعالى ثم قال الخليفة يا جعفر قال لبيك قال أحضر لي أبا الحسن قال سمعاً وطاعة ثم أحضره فلما حضر قبل الأرض بين يدي الخليفة وهو خائف أن يكون طلبه بسبب خطأ وقع منه وهو عنده بمنزله فقال الرشيد يا عماني قال له لبيك يا أمير المؤمنين خلد الله نعمه عليك فقال اكشف هذه الستارة وكان الخليفة أمرهم أن يضعوا مال الثلاثة أقاليم ويسبلوا عليه الستارة فلما كشف العماني الستارة عن الأيوان اندهش عقله من كثرة المال فقال الخليفة يا أبا الحسن أهذا المال أكثر أم الذي فاتك من قرص التعويذ فقال بل هذا يا أمير المؤمنين أكثر بإضعاف كثيرة قال الرشيد أشهدوا يا من حضر أني وهبت هذا المال لهذا الشاب فقبل الأرض واستحى وبكى من شدة الفرح بين يدي الرشيد فلما بكى جرى الدمع من عينه على حده فرجع الدم إلى محله فصار وجهه كالبدر ليلة تمامه فقال الخليفة لا إله إلا الله سبحان من يغير حالاً بعد حال وهو باق لا يتغير ثم أتى بمرآة وأراه وجهه فيها فلما رآه سجد شكر الله تعالى ثم أمر الخليفة أن يحمل إليه المال وسأله أنه لا ينقطع عنه لأجل المنادمة فصار يتردد إليه إلى أن توفى الخليفة إلى رحمة الله تعالى فسبحان الحي الذي لا يموت ذي الملك والملكوت.

(حكاية إبراهيم بن الخصيب مع جميلة بنت أبي الليث عامل البصرة)

(ومما يحكي أيضاً) أيها الملك السعيد أن الخصيب صاحب مصر كان له ولد ولم يكن في زمانه أحسن منه وكان من خوفه عليه لا يمكنه من الخروج إلا الصلاة الجمعة فمر وهو خارج من صلاة الجمعة على رجل كبير وعنده كتب كثيرة فنزل عن فرسه وجلس عنده وقلب الكتب وتأملها فرأى فيها صورة امرأة تكاد أن تنطق ولم ير أحسن منها على وجه الأرض فسلمت عقله وأدهشت لبه فقال له يا شيخ بع لي هذه الصورة فقبّل الأرض بين يديه ثم قال له يا سيدي بغير ثمن فدفع له مائة دينار وأخذ الكتاب الذي في هذه

الصورة وصار ينظر إليها ويبكي ليله ونهاره وامتنع من الطعام والشراب والمنام فقال في نفسه لو سألت الكتبي عن صانع هذه الصورة من هو ربما أخبرني فإن كانت صاحبتها في الحياة توصلت إليها وإن كانت صورة مطلقة تركت التولع بها ولا أعذب نفسي بشيء لا حقيقة له وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٤١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشاب لما قال في نفسه لو سألت الكتبي عن هذه الصورة ربما أخبرني فإن كانت صورة مطلقة تركت التولع بها ولا أعذب نفسي بشيء لا حقيقة له فلما كان يوم الجمعة مر على الكتبي فنهض إليه قائماً فقال له يا عم أخبرني من صنع هذه الصورة قال يا سيدي صنعها رجل من أهل بغداد يقال له أبو القاسم الصيدلاني في حارة تسمى حارة الكرخ وما أعلم صورة من هي فقام الغلام من عنده ولم يعلم بحاله أحداً من أهل مملكته ثم صلى الجمعة وعاد إلى البيت فأخذ جراباً وملأه من الجواهر والذهب وقيمة الجواهر ثمانون ألف دينار ثم صبر إلى الصباح وخرج ولم يعلم أحداً ولحق قافلة فرأى بدوياً فقال له يا عم كم بيني وبين بغداد فقال له يا ولدي أين أنت وأين بغداد أن بينك وبينها مسيرة شهرين فقال له يا عم أن أوصلتني إلى بغداد أعطيتك مائة دينار وهذه الفرس التي تحتي وقيمتها ألف دينار فقال له البدوي الله على ما نقول وكيل ولكن لا تنزل في هذه الليلة إلا عندي فأجابه إلى قوله وبات عنده فلما لاح الفجر أخذه البدوي وسار به سريعاً في طريق قريب طمعاً في تلك الفرس التي وعده بها ومازالا سائرين حتى وصلا إلى حيطان بغداد فقال له البدوي الحمد لله على السلامة يا سيدي هذه بغداد ففرح الغلام فرحاً شديداً ونزل عن الفرس وأعطا للبدوي هي والمائة دينار ثم أخذ الجراب وصار يسائل عن حارة الكرخ وعن محل التجار فساقه القدر إلى درب فيه خمسة عشر حجر تقابل خمسة وفي صدر الدرب باب بمصراعين له حلقة من فضة وفي الباب مصطبتان من الرخام مفروشتان باحسن الفرش وفي إحداهما رجل جالس وهو مهاب حسن الصورة وعليه ثياب فاخرة وبين يديه خمس مماليك كأنهم أقمار فلما رأى الغلام ذلك عرف العلامة التي ذكرها له الكتبي فسلم على الرجل فرد عليه السلام ورحب به وأجلسه وسأله عن حاله فقال له الغلام أنا رجل غريب وأريد من إحسانك أن تنظر لي في هذا الدرب دار الأ سكن فيها فصاح الرجل وقال يا غزالة فخرجت إليه جارية وقالت لبيك يا سيدي فقال خذي معك بعض خدم وأهذبوا إلى حجرة ونظفوها وافرشوها وحطوا فيها جميع ما يحتاج من آنية وغيرها لأجل هذا الشاب الحسن الصورة فخرجت الجارية وفعلت ما أمرها به ثم أخذه الشيخ وأراه الدار فقال له الغلام يا سيدي كم أجرة هذا الدار فقال له ياصبيح الوجه أنا ما آخذ منك أجرة ما دمت هنا فشكره على ذلك ثم أن الشيخ نادى جارية أخرى فخرجت إليه جارية كأنها الشمس فقال لها هات الشطرنج فاتت به ففرش المملوك الرقعة وقال الشيخ للغلام اتلعب معي قال نعم فلعب معه مرات والغلام يغلبه فقال أحسنت يا غلام لقد كملت صفاتك والله ما في بغداد من يغلبني وقد غلبتني أنت ثم بعد ان هيئوا الدار بالفرش وسائر ما يحتاج إليه سلم المفاتيح وقال يا سيدي ألا تدخل منزلي وتأكل عيشي فنتشرف بك فأجابه الغلام إلى ذلك ومشى معه فلما وصلا إلى الدار رأى داراً حسنة جميلة مزركشة بالذهب وفيها من جميع التصاوير ومن أنواع الفرش والأمتعة ما يعجز عن وصفه اللسان ثم صار يحييه وأمر بإحضار الطعام

فأتوا بمائدة من شغل صنعاء اليمن فوضعت وأتوا بالطعام ألوانا غريبة لا يوجد أفخر منها ولا ألذ فأكل الغلام حتى اكتفى ثم غسل يديه وصار الغلام ينظر إلى الدار والفرش ثم التفت إلى الجراب الذي كان معه فلم يره فقال لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم أكلت لقمة تساوي درهماً أو درهمين فذهب مني جراب فيه ثلاثون ألف دينار ولكن لتستعن بالله ثم سكت ولم يقدر أن يتكلم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٤٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الغلام لما رأى الجراب مفقوداً حصل له غم كبير فسكت ولم يقدر أن يتكلم فقدم له الشيخ الشطرنج وقال للغلام هل تلعب معي قال نعم فلعب فغلبه الشيخ فقال الغلام أحسنت ثم ترك اللعب وقام فقال له مالك يا غلام فقال أريد الجراب فقام وأخرجه له وقال ها هو يا سيدي هل ترجع إلى اللعب معي قال نعم فلعب معه فغلبه الغلام فقال الرجل لما اشتغل فكرك بالجراب غلبتك فلما جئت به إليك غلبتني ثم قال له يا ولدي أخبرني من أي البلاد أنت فقال من مصر فقال له وما سبب مجيئك إلى بغداد فأخرج له الصورة وقال يا عم أني ابن الخصيب صاحب مصر وقد رأيت هذه الصورة عند رجل كتبي فسلبت عقلي فسألت عن صانعها فقيل لي أن صانعها رجل من بغداد بحارة الكرح يقال له أبو القاسم الصندلاني بدرب يعرف بدرب الزعفران فأخذت معي شيئاً من المال وجئت وحدي ولم يعلم بحالي أحد وأريد من تمام إحسانك أن تدلني عليه حتى أسأله عن سبب تصويره لهذه الصورة وصورة من هي ومهما أراده مني فإني أعطيه إياه فقال والله يا بني أني أنا أبو القاسم الصندلاني وهذا أمر عجيب كيف ساقتك المقادير إلى فلما سمع الغلام كلامه قام إليه وعانقه وقبل رأسه ويديه وقال له بالله عليك أن تخبرني صورة من هي فقال سمعاً وطاعة ثم قام وفتح خزانة وأخرج منها عدة كتب كان صور فيها هذه الصورة وقال له اعلم يا ولدي أن صاحبة هذه الصورة ابنة عمي وهي في البصرة وأبوها حاكم البصرة يقال له أبو الليث وهي يقال لها جميلة وما على وجه الأرض أجمل منها ولكنها زاهدة في الرجال ولا تقدر أن تسمع ذكر رجل في مجلسها وقد ذهبت إلى عمي يقصد أنه يزوجني بها وبذلت له الأموال فلم يجبيني إلى ذلك فأما علمت ابنته بذلك اغتاظت وأرسلت إليّ كلاماً من جملته أنها قالت أن كان لك عقل فلا تقم بهذه البلدة وألا تهلك ويكون ذنبك في عنقك وهي جبارة من الجبابرة فخرجت من البصرة وأنا منكسر الخاطر وعملت هذه الصورة في الكتب وفرقتها في البلاد لعلها تقع في يد غلام حسن الصورة مثلك فيتحيل في الوصول إليها لعلها تعشقه وأكون قد أخذت عليه العهد أنه إذا تمكن منها يريني إياها ولو نظرة من بعيد فلما سمع إبراهيم ابن الخصيب كلامه أطرق برأسه ساعة وهو بتفكر فقال له الصندلاني يا ولدي أني ما رأيت ببغداد أحسن منك وأظن أنها إذا نظرتك تحبك فهل يمكنك إذا اجتمعت بها أن تريني إياها ولو نظرة من بعيد فقال نعم فقال إذا كان الأمر كذلك فأقم عندي إلى أن تسافر فقال لا أقدر على المقام فإن في قلبي من عشقها ناراً زائدة فقال له اصبر حتى أجهز لك مركباً في ثلاثة أيام لتذهب فيها إلى البصرة فصبر حتى جهز له مركباً ووضع فيها كل ما يحتاج إليه من مأكول ومشروب وغير ذلك وبعد الثلاثة أيام قال الغلام تجهز للسفر فقد جهزت لك مركباً فيها سائر ما تحتاج إليه والمركب ملكي والملاحون من أتباعي وفي المركب ما يكفيك إلى أن تعود وقد أوصيت الملاحين أن يخدموك إلى أن ترجع بالسلامة فنهض الغلام ونزل في المركب وودعه وسار حتى

وصل إلى البصرة فأخرج الغلام مائة دينار للملاحين فنالوا له نحن أخذنا الأجرة من سيدنا فقال لهم خذوها أنعاماً وأنا لا أخبره بذلك فأخذوها آمنه ودعوا له ثم دخل الغلام البصرة وسأل أين مسكن التجار فقالوا له في خان يسمى خان حمدان فمشى حتى وصل إلى السوق الذي فيه الخان فامتدت إليه الأعين بالنظر من فرط حسنه وجماله ثم دخل الخان مع رجل ملاح وسأل عن البواب فدلوه عليه فرآه شيخاً كبيراً مهاباً فسلم عليه فرد عليه السلام فقال يا عم هل عندك حجرة ظريفة قال نعم ثم أخذه هو والملاح وفتح لهما حجرة ظريفة مزركشة بالذهب وقال يا غلام أن هذه الحجرة تصلح لك فأخرج الغلام دينارين وقال له خذ هذين حلوان المفتاح فأخذهما ودعا له وأمر الغلام الملاح بالذهاب إلى المركب ثم دخل الحجرة فاستمر عنده بواب الخان وخدمه وقال له يا سيدي حصل لنا بك السرور فأعطاه الغلام ديناراً وقال له هات لنا به خبزاً ولحماً وحلوى وشراباً فأخذه وذهب إلى السوق ورجع إليه وقد اشترى ذلك بعشرة دراهم وأعطاه الباقي فقال الغلام أصرفه على نفسك ففرح بواب الخان بذلك فرحاً عظيماً ثم أن الغلام أكل مما طلبه قرصاً واحداً بقليل من الآدم وقال لبواب الخان خذ هذا إلى أهل منزلك فأخذه وذهب به إلى أهل منزله وقال لهم ما أظن أن أحداً على وجه الأرض أكرم من الغلام الذي سكن عندنا في هذا اليوم ولا أحلى منه فإن دام عندنا حصل لنا الغنى ثم أن بواب الخان دخل على إبراهيم فرآه يبكي فقعد وصار يكبس رجليه ثم قبلهما وقال يا سيدي لأي شيء تبكي لا أبكاك الله فقال يا عم أريد أن أشرب أنا وأنت في هذه الليلة فقال له سمعاً وطاعة فأخرج له خمسة دنانير وقال له اشتر لنا بها فاكهة وشراباً ثم دفع له خمسة دنانير أخرى وقال له اشتر لنا بهذه نقلاً ومشموماً وخمس فراخ سمان وأحضر لي عوداً فخرج وأشترى له ما أمره به وقال لزوجته أصنعي هذا الطعام وصفى لنا هذا الشراب وليكن ما تصنعيه جيداً فإن هذا الغلام قد عمنا بإحسانه فصنعت زوجته ما أمرها به على غاية المراد ثم أخذه ودخل على إبراهيم ابن السلطان وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٤٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن بواب الخان لما صنعت زوجته الطعام والشراب أخذه ودخل علي بن السلطان فأكلا وشربا وطربا فبكى الغلام وأنشد هذين البيتين:

يا صاحبي لو بـ دلت الـ روح مجتهـ داً	وجملـ ـة المـ ـال والـ ـدنيا ومـ ـا فيهـ ـا
وجنـ ـة الخلـ ـد والفـ ـردوس أجمعهـ ـا	بساعة الوصل كـ ـان القلـ ـب شـ ـاريها

ثم شهق شهقة عظيمة وحر مغشياً عليه فتنهد بواب الخان فلما أفاق قال له بواب الخان يا سيدي ما يبكيك ومن هي التي تريدها بهذا الشعر فإنها لا تكون ألا تراباً لأقدامك فقام الغلام وأخرج بقجة من أحسن ملابس النساء وقال له حد هذه إلى حريمك فأخذها منه ودفعها إلى زوجته فأتت معه ودخلت على الغلام فإذا هو يبكي فقالت له فتت أكبادنا فعرفنا بأي مليحة تريدها وهي لا تكون إلا جارية عندك فقال يا عم اعلم أني أنا ابن الخصيب صاحب مصر وأني متعلق بجميلة بنت أبي الليث العميد فقالت زوجة بواب الخان الله الله يا أخي أترك هذا الكلام لئلا يسمع بنا أحد فنهلك فإنه ما على وجه الأرض أجبر منها ولا يقدر أحد أن يذكر لها اسم رجل لأنها زاهدة في الرجال فيا ولدي أعدل عنها لغيرها فلما سمع كلامها بكى بكاء شديداً فقال له بواب الخان ما لي سوى روحي فأنا أخاطر بها في هواك وأدبر لك أمراً فيه بلوغ مرادك ثم خرجا من عنده فلما

أصبح الصباح دخل الحمام ولبس حلة من ملبوس الملوك وإذا ببواب الخان هو وزوجته قدما عليه وقالا له يا سيدي أعلم أن هنا رجلاً خياطاً أحدب وهو خياط السيدة جميلة فاذهب إليه وأجبره بحالك فعساه يدلك على ما فيه وصولك إلى أغراضك فقام الغلام وقصد دكان الخياط الأحدب فدخل عليه فوجد عنده عشرة مماليكح كأنهم الأقمار فسلم عليهم فردوا عليه السلام وفرحوا به وأجلسوه وتحيروا في محاسنه وجماله فلما رآه الأحدب اندهش عقله من حسن صورته فقال له الغلام أريد أن تخيط لي جيبي فتقدم الخياط وأخذ فتلة من الحرير وخاطه وكان الغلام قد فتقه عمداً فلما خاطه أخرج له خمسة دنانير وأعطاها له وانصرف إلى حجرته فقال الخياط أي شيء عملته لهذا الغلام حتى أعطاني الخمسة دنانير وأعطاها له وانصرف إلى حجرته فقال الخياط أي شيء عملته لهذا الغلام حتى أعطاني الخمسة دنانير ثم بات ليلته يفكر في حسنه وكرمه فلما أصبح الصباح ذهب إلى دكان الخياط الأحدب ثم دخل وسلم عليه فرد عليه السلام وأكرمه ورحب به فلما جلس قال للأحدب يا عم خيط لي جيبي فإنه فتق ثانياً فقال له يا ولدي على الرأس والعين ثم تقدم وخاطه فدفع له عشرة دنانير فأخذها وصار مبهوتاً من حسنه وكرمه ثم قال والله يا غلام أن فعلك لابد له من سبب وما هذا خبر خياطة جيب ولكن أخبرني عن حقيقة أمرك فإن كنت عشقت واحداً من هؤلاء الأولاد فو الله ما فيهم أحسن منك وكلهم تراب أقدامك وها هم عبيدك وبين يديك وإن كان غير هذا فأخبرني فقال يا عم ما هذا محل الكلام فإن حديثي عجيب وأمري غريب قال فإذا كان الأمر كذلك فقم بنا في خلوة ثم نهض الخياط وأخذه بيده ودخل معه حجرة في داخل الدكان وقال له يا غلام حدثني فحدثه بأمره من أوله إلى آخره فبهت من كلامه وقال يا غلام اتق الله في نفسك فإن التي ذكرتها جبارة زاهدة في الرجال فاحفظ يا أخي لسانك وإلا فإنك تهلك نفسك فلما سمع الغلام كلامه بكى بكاء شديداً ولزم ذيل الخياط وقال أجرني يا عم فإني هالك وقد تركت ملكي وملك أبي وجدي وصرت في البلاد غريباً وحيداً ولا صبر لي عنها فلما رأى الخياط ما حل به رحمه وقال يا ولدي ما عندي إلا نفسي فأنا أخاطر بها في هو إلا فإنك قد جرحت قلبي ولكن في غد أدبر لك أمراً يطيب به قلبك فدعا له وانصرف إلى الخان فحدث بواب الخان بما قاله الأحدب فقال له قد فعل معك جميلاً فلما أصبح الصباح لبس الغلام أفخر ثيابه وأخذ كيساً فيه دنانير وأتى إلى الأحدب فسلم عليه وجلس ثم قال له يا عم أنجز وعدي فقال له قم في هذه الساعة وخذ ثلاث فراخ سمان وثلاث أوراق من السكر النبات وكوزين لطيفين وأملأ هما شراباً وخذ قدحاً وضع ذلك في كارة وأنزل بعد صلاة الصبح في زورق مع ملاح وقل له أريد أن تذهب بي تحت البصرة فإن قال لك ما اقدر أن أعدي أكثر من فرسخ فقل له الرأي لك فإذا عدى فرغبه بالمال حتى يوصلك فإذا وصلت فأول بستان تراه فإنه بستان السيدة جميلة فإذا رأيته فاذهب إلى بابه ترى درجتين عاليتين عليهما فرش من الديباج وجالس عليهما رجل أحدب مثلي فأشك إليه حالك وتوسل به فعساه أن يرثي لحالك ويوصلك إلى أن تنظرها ولو نظرة من بعيد وما بيدي حيلة غير هذا وأما إذا لم يرث لحالك فقد هلكت أنا وأنت وهذا ما عندي من الرأي والأمر إلى الله تعالى فقال الغلام استعنت بالله تعالى ما شاء الله كان ولا حول ولا قوة إلا بالله ثم قام من عند ا لخياط الأحدب وذهب إلى حجرته وأخذ ما أمره به في كارة لطيفة ثم أنه لما أصبح جاء إلى شاطيء الدجلة وإذا هو برجل ملاح نائم فأيقظه وأعطاه عشرة دنانير وقال له عدني إلى تحت البصرة فقال له يا سيدي بشرط أني لا أعدي أكثر

من فرسخ وإن تجاوزته شبراً هلكت أنا وأنت فقال له الرأي لك فأخذه وانحدر به فلما قرب من البستان قال يا ولدي من هنا ما أقدر أن أعدي فإن تعديت هذا الحد هلكت أنا وأنت فأخرج له عشرة دنانير وقال خذ هذه نفقة لتستعين بها على حالك فاستحي منه وقال سلمت أمري لله تعالى وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٤٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الغلام لما أعطى للملاح العشرة دنانير الأخرى أخذها وقال سلمت أمري لله تعالى وأنحدر به فلما وصل إلى البستان نهض الغلام من فرحته ووثب من الزروق وثبة مقدار رمية رمح ورمى نفسه فرجع الملاح هارباً ثم تقدم الغلام فرأى جميع ما وصفه له الأحدب من البستان ورأى بابه مفتوحاً وفي الدهليز سرير من العاج جالس عليه رجل أحدب لطيف المنظر عليه ثياب مذهبة وفي يده دبوس من فضة مطلي بالذهب فنهض الغلام مسرعاً وانكب على يده وقبلها فقال له من أنت ومن أين أتيت ومن أوصلك إلى ههنا يا ولدي وكان ذلك الرجل لما رأى إبراهيم بن الخصيب انبهر من جماله فقال له إبراهيم يا عم أنا صبي جاهل غريب ثم بكى فرق له وأصبعه على السرير ومسح له دموعه وقال له لا بأس عليك إن كنت مديوناً قضى الله دينك وإن كنت خائفاً آمن الله خوفك فقال يا عم لأبي خوف ولا على دين ومعي مال جزيل بحمد الله وعونه فقال له يا ولدي ما حاجتك حتى خاطرت بنفسك وجمالك إلى محل فيه الهلاك فحكى له حكايته وشرح له أمره فلما سمع كلامه أطرق برأسه ساعة إلى الأرض وقال هل الذي ذلك على الخياط الأحدب قال له نعم قالا هذا أخي وهو رجل مبارك ثم قال يا ولدي لولا أن محبتك نزلت في قلبي ورحمتك لهلكت أنت وأخي وبواب الخان وزوجته ثم قال اعلم أن هذا البستان ما على وجه الأرض مثله وأنه يقال له بستان اللؤلؤة وما دخله أحد مدة عمري إلا السلطان وأنا وصاحبته جميلة وأنت فيه عشرين سنة فما رأيت أحد جاء إلى هذا المكان وكل أربعين يوماً تأتي في المركب إلى ههنا وتصعد بين جواريها في حلة أطلس تحمل أطرافها عشر جوار بكلاليب من الذهب إلى أن تدخل فلم أر منها شيئاً ولكن أنا مالي ألا تقسي فأخطر بها من أجلك فعند ذلك قبل الغلام يده فقال له أجلس عندي حتى أدبر لك أمر ثم أخذ بيد الغلام وأدخله البستان فلما رأى ابراهيم ذلك البستان ظن أنه الجنة ورأى الأشجار ملتفة والنخيل باسقة والمياه متدفقة والأطيار تناغي بأصوات مختلفة ثم ذهب به إلى قبة وقال له هذه التي تقعد فيها السيدة جميلة فتأمل تلك القبة فوجدها من أعجب المنتزهات وفيها سائر التصاوير بالذهب واللازورد وفيها أربعة أبواب يصعد إليها بخمس درج وفي وسطها بركة ينزل إليها بدرج من الذهب وتلك الدرج مرصعة بالمعدن وفي وسط البركة سلسبيل من الذهب فيه صور كبار وصغار والماء يخرج من أفواهها فإذا صفقت الصور عند خروج الماء بأصوات مختلفة تخيل لسامعها أنه في الجنة وحول القبة ساقية قواد يسها من الفضة وهي مكسوة بالديباج وعلى يسار الساقية شباك من الفضة مطل على برج أخضر فيه من سائر الوحوش والغزلان والأرانب وعلى يمينها شباك مطل على ميدان فيه من سائر الطيور وكلها تغرد بأصوات مختلفة تدهش السامع فلما رأى الغلام ذلك أخذه الطرب وقعد في باب البستان وقعد البستاني بجانبه فقال له كيف ترى بستاني فقال له الغلام هو جنة الدنيا فضحك البستاني ثم قام وغاب عنه ساعة وعاد ومعه طبق فيه دجاج وسمان ومأكول مليح وحلوى من السكر

فوضعه بين يدي الغلام وقال له كل حتى تشبع قال إبراهيم فأكلت حتى أكتفيت فلما رآني أكلت فرح وقال هكذا شأن الملوك أولاد الملوك ثم قال يا إبراهيم أي شيء معك في هذه الكارة فحللتها بين يديه فقال أحملها معك فإنها تنفعك إذا حضرت السيدة جميلة فإنها إذا جاءت لا أقدر أن أدخل لك بما تأكل ثم قام وأخذ بيدي وأتى بي إلى مكان قبال قبة جميلة فعمل عريشة بين الأشجار وقال لي أصعد هنا فإذا جاءت فإنك تنظرها وهي لا تنظرك وهذا أكثر ما عندي من الحيلة وعلى الله الاعتماد فإذا غنت فاشرب على غنائها فإذا ذهبت فارجع من حيث جئت إن شاء الله مع السلام فشكره الغلام وأراد أن يقبل يده فمنعه ثم أن الغلام وضع الكاره في العريشة التي عملها له ثم قال له البستاني يا إبراهيم تفرج في البستان وكل من أثماره فإن ميعاد حضور صاحبتك في غد فصار إبراهيم يتنزه في البستان ويأكل من أثماره وبات ليلته عنده فلما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح صلّى إبراهيم الصبح وإذا بالبستاني جاء وهو مصفر اللون وقال له يا ولدي قم واصعد إلى العريشة فإن الجواري قد أتين ليفرشن المكان وهي تأتي بعدهن وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٤٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الخولي لما دخل على إبراهيم بن الخصيب في البستان قال له قم يا ولدي اصعد على العريشة فإن الجواري قد أتين ليفرشن المكان وهي تأتي بعدهن واحذر من أن تبصق أو تمخط أو تعطس فنهلك أنا وأنت فقام الغلام وصعد إلى العريشة وذهب الخولي وهو يقول رزقك الله السلام يا ولدي فبينما الغلام قاعد وإذا بخمس جوار أقبلن لم ير مثلهن أحد فدخلن القبة وقلعت ثيابهن وغسلن القبة ورششنها بماء الورد وأطلقن العود والعنبر وفرشن الديباج وأقبل بعدهن خمسون جارية ومعهن آلات الطرب وجميلة بينهن من داخل خيمة حمراء من الديباج والجواري رافعات أذيال الخيمة بكلاليب من الذهب حتى دخلت القبة فلم ير منها ولا أثوابها شيئاً فقال في نفسه والله أنه ضاع جميع تعبي ولكن لابد من أن أصبر حتى أنظر كيف يكون الأمر فقدمت الجواري الأكل والشرب ثم أكلن وغسلن أيديهن ونصبن لها كرسياً فجلست عليه ثم ضربن بآلات الملاهي جميعهن وغنين بأصوات مطربة لا مثيل لها ثم خرجت عجوز قهرمانة فصفقت ورقصت فجذبها الجواري وإذا بالستر قد رفع وخرجت جميلة وهي تضحك فرآها إبراهيم وعليها الحلي والحلل وعلى رأسها تاج مرصع بالدر والجوهر وفي جيدها عقد من اللؤلؤ وفي وسطها منطقة من قبضان الزبرجد وحبالها من الياقوت واللؤلؤ فقام الجواري وقبلن الأرض بين يديها وهي تضحك قال إبراهيم بن الخصيب فلما رأيتها غبت عن وجودي وأندهش عقلي وتحير فكري بما به من جمال لم يكن على وجه الأرض مثله ووقعت مغشياً علي ثم أفقت باكي العينين وأنشدت هذين البيتين:

أراك ف . .لا أرد الط . .رف ك . .يلا ... يك .ون حج .اب رؤيت .ك الجف .ون
ولـ .و أنـ .ـي نظ .رت بك .ل لح .ظ ... لم .ا اسـ .توفت محاسـ .نك العيـ .ون

فقالت العجوز للجواري ليقم منكن عشرة يرقصن ويغنين فلما رآهن إبراهيم قال في نفسه اشتهي أن ترقص السيدة جميلة فلما انتهى رقص العشر جواري أقبلن حولها وقلن يا سيدتنا نشتهي أن ترقصي في هذا المجلس ليتم سرورنا بذلك لأننا ما رأينا أطيب من هذا اليوم فقال إبراهيم بن الخصيب في نفسه لاشك أن

أبواب السماء قد فتحت واستجاب الله دعائي ثم قبل الجواري أقدامها وقلن لها والله ما رأينا صدرك مشروحاً مثل هذا اليوم فمازلن يرغبنها حتى قلعت أثوابها وصارت بقميص من نسيج الذهب مطرزاً بأنواع الجواهر وأبرزت نهوداً كأنهن الرمان وأسفرت عن وجه كالبدر ليلة تمامه فرأى إبراهيم من الحركات ما لم ير في عمره مثله وأتت في رقصتها بأسلوب غريب وابتداع عجيب حتى أنست رقص الحبب في الكؤوس وأذكرت ميل العمائم عن الرؤوس وهي كما قال فيها الشاعر:

كما اشتهت خلق ت حتـ ى إذا اعتـ دلت   في قالب الحسـ ن لاط ول ولا قصـ ر

كأنه .ا خلق .ت م .ن م .اء لؤل .ؤة   في كل جارحـ ـة م ن جنحه ا قم ر

وكما قال الآخر:

وراقص مثـ ل غصـ ن البـ ان قامتـ ه   تك .اد ت .ذهب روحـ .ي م .ن تنقل .ه

لا يسـ .تقر ل .ه ف .ي رقصـ .ه ق .دم   كلنـ .ا ن .ار قلبـ .ي تحـ .ت أرجل .ه

قال إبراهيم فبينما انظر إليها إذ لاحت منها التفاتة إليّ فرأتني فلما نظرتني تغير وجهها فقالت لجواريها غنوا أنتم حتى أجيء إليكن ثم عمدت إلى سكين قدر نصف ذراع وأخذتها والتفتت نحوي ثم قالت لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فلما قربت مني غبت عن الوجود فلما رأتني ووقع وجهها في وجهي وقعت السكين من يديها وقالت سبحان مقلب القلوب ثم قالت لي يا غلام طب نفساً ولك الأمان ما تخاف فصرت أبكي وهي تمسح دموعي بيدها وقالت يا غلام أخبرني من أنت وما جاء بك إلى هذا المكان فقبلت الأرض بين يديها ولزمت ذيلها فقالت لا بأس عليك فو الله ما ملأت عيني من ذكر غيرك فقل من أنت قال إبراهيم فحدثتها بحديثي من أوله إلى آخره فتعجبت من ذلك وقالت لي يا سيدي أناشدك هل أنت إبراهيم بن الخصيب قلت نعم فانكبت علي وقالت يا سيدي أنت الذي زهدتني في الرجال لأنني لما سمعت أنه وجد في مصر صبي لم يكن على وجه الأرض أجمل منه واسمه إبراهيم بن الخصيب هو يكن بالوصف وتعلق قلبي بحبك لما بلغني عنك من الجمال الباهر وصرت فيك كما قال الشاعر:

أذني لقد سـ بقت فـ ـي عشـ قه نظـ ـري   والأذن تعشـ .ق قبـ .ل العـ .ين أحياذ .اً

فالحمد لله الذي أراني وجهك والله لو كان أحد غيرك لكنت صلبت البستاني وبواب الخان والخياط ومن يلوذ بهم ثم قالت لي كيف أحتال على شيء تأكله من غير إطلاع جواري فقلت لهما معي ما نأكل وما نشرب ثم حللت الكارة بين يديها فأخذت دجاجة وصارت تلقمني وألقمها فلما رأيت ذلك منها توهمت أنه منا. ثم قدمت الشراب فشربنا كل ذلك وهي عندي والجواري تغني وما زلنا كذلك من الصبح إلى الظهر ثم قامت وقالت قم الآن هيء لك مركباً وانتظرني في المحل الفلاني حتى أجيء إليك فما بقي لي صبر على فراقك فقلت يا سيدتي إن معي مركباً وهي ملكي والملاحون في إجارتي وهم في انتظاري فقالت هذا هو المراد ثم مضت إلى الجواري وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٤٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن السيدة جميلة لما مضت إلى الجواري قالت لهن قمن بنا لنروح إلى قصرنا فقلن لها كيف نقوم في هذه الساعة وعادتنا أننا بقعد ثلاثة أيام فقالت أني أجد في نفسي ثقلاً عظيماً كأني مريضة وأخاف أن يثقل على ذلك فقلن لها سمعاً وطاعة فلبسن ثيابهن ثم توجهن إلى الشاطيء ونزلن في الزروق وإذا بالبستاني قد أقبل على إبراهيم وما عنده علم بالذي جرى له فقال له يا إبراهيم مالك حظ في التلذذ برؤيتها فإن من عادتها إن تقيم هنا ثلاثة أيام وأنا أخاف أن تكون رأتك فقال إبراهيم ما رأتني ولا رأيتها ولا خرجت من القبه قال صدقت يا ولدي فإنها لو رأتك لكنا هلكنا ولكن أقعد عندي حتى تأتي في الأسبوع الثاني وتراها وتشبع من النظر إليها فقال إبراهيم أن معي مالاً وأخاف عليه وورائي رجال فأخاف أن يستغيبوني فقال يا ولدي أنه يعز علي فراقك ثم عانقه وودعه ثم أن إبراهيم توجه إلى الخان الذي كان نازلاً فيه وقابل نواب الخان وأخذ ماله فقال بواب الخان خير خير خير إن شاء الله فقال له إبراهيم أني ما وجدت إلى حاجتي سبيلاً وأريد أن أرجع إلى أهلي فبكى بواب الخان وودعه وحل أمتعته وأوصله إلى المركب وبعد ذلك توجه إلى المحل الذي قالت له عليه وانتظرها فيه فلما جنّ الليل إذا بها قد قبلت عليه وهي في زي رجل شجاع بلحية مستديرة ووسط مشدود بمنطقة وفي إحدى يديها قوس ونشاب وفي الأخرى سيف مجرد وقالت له هل أنت ابن الخصيب صاحب مصر فقال لها إبراهيم هو أنا فقالت له وأي علق أنت حتى جئت تفسد بنات الملوك قم كلم السلطان قال إبراهيم فوقعت مغشياً علي وأما الملاحون فإنهم ما توافى جلدهم من الخوف فلما رأت ما حل بي خلعت تلك اللحية ورمت السيف وحلت المنطقة فرأيتها هي السيدة جميلة فقلت لها والله أنك قطعت قلبي ثم قلت للملاحين أسرعوا في سير المركب فحلوا الشراع وأسرعوا في السير فما كان إلا أيام قلائل حتى وصلنا إلى بغداد وإذا بمركب واقفة على جانب الشط فلما رآنا الملاحون الذين معنا وصاروا يقولون يا فلان ويا فلان نهيكم بالسلامة دفعوا مراكبهم على مراكبنا فنظرنا فإذا فيها أبو القاسم الصيدلاني فلما رآنا قال إن هذا هو مطلوبي أمضوا في وداعة الله وأنا أريد التوجه إلى غرض وكان بين يديه شمعة ثم قال لي الحمد لله على السلامة هل قضيت حاجتك قلت نعم فقرب الشمعة منا فلما رأته جميلة تغير حالها وأصفر لونها ولما رآها الصندلاني قال اذهبوا في أمان الله أنا رائح إلى البصرة في مصلحة للسلطان ولكن الهدية لمن حضر ثم أحضر عليه من الحلويات ورماها في مركبنا وكان فيها البنج فقال إبراهيم يا قرة عيني كلي من هذا فبكت وقالت يا إبراهيم أتدري من هذا قلت نعم هذا فلان قالت إنه ابن عمي وكان سابقاً خطبني من والدي فما رضيت به وهو متوجه إلى البصرة فربما يعرف أبي بنا فقلت يا سيدتي هو لا يصل إلى البصرة حتى نصل نحن إلى مصر ولم يعلما بما هو مخبوء لهما في الغيب فأكلت شيئاً من الحلاوة فما نزلت جوفي حتى ضربت الأرض برأسي فلما كان وقت السحر عطشت فخرج البنج من منخري وفتحت عيني فرأيت نفسي عرياناً مرمياً في الخراب فلطمت على وجهي وقلت في نفسي أن هذه حيلة عملها في الصيدلاني فسرت لا أدري أين أذهب وما علي سوى سروال فقمت وتمشيت قليلاً وإذا بالوالي أقبل علي ومعه جماعة بسيوف ومطارق فخفت فرأيت حماماً خرباً فتواريت فيه فعثرت رجلي في شيء فوضعت يدي عليه فتلوثت بالدم فمسحتها في سروالي ولم أعلم ما هو ثم مددت يدي إليه ثانياً فجاءت على قتيل وطلعت

رأسه في يدي فرميتها وقلت لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ثم دخلت زاوية من زوايا الحمام وإذا بالوالي واقف على باب الحمام وقال أدخلوا هذا المكان وفتشوا فدخل منهم عشرة بالمشاعل فمن خوفي دخلت وراء حائط فتأملت تلك المقتول فرأيتها صبية ووجهها كالبدر ورأسها في ناحية وجثتها في ناحية وعليها ثياب ثمينة فلما رأتها وقعت الرجفة في قلبي ودخل الوالي وقال فتشوا جهات الحمام فدخلوا الموضع الذي أنا فيه فنظرني رجل منهم فجاءني وبيده سكين طولها نصف ذراع فلما قرب مني قال سبحان الله خالق هذا الوجه الحسن يا غلام من أين أنت ثم أخذ بيدي وقال يا غلام لأي شيء قتلت هذه المقتولة فقلت والله ما قتلتها وما أعرف من قتلها وما دخلت هذا المكان إلا فزعاً منكم وأخبرته بقصتي وقلت له بالله عليك لا تظلمني فإني مشغول بنفسي فأخذني وقدمني إلى الوالي فلما رأى على يدي أثر الدم قال هذا لا يحتاج إلى بينة فاضربوا عنقه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٤٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن ابن الخصيب قال فلما قدموني إلى الوالي ورأى على يدي أثر الدم قال هذا لا يحتاج إلى بينة فاضربوا عنقه فلما سمعت هذا الكلام بكيت بكاء شديداً وجرت مني دموع العين وأنشدت هذين البيتين:

مشـ . يناها خطـ . ا كتبـ . ـت عليذ . ا   ومـ .ـن كتبـ .ـت عليـ .ـه خطـ .ا مشـ .اها
ومـ . ـن كاذ . ـت ميتـ . ـة بـ . ـأرض   فلـ .ـيس يمـ .ـوت فـ .ـي أرض سـ .ـواها

ثم شهقت شهقة فوقعت مغشياً علي فرق لي قلب الجلاد وقال والله هذا وجه من لا يقتل فقال الوالي اضربوا عنقه فأجلسوني في نطع الدم وشدوا على عيني غطاء وأخذ السياف سيفه واستأذن الوالي وأراد أن يضرب عنقي فصحت وارقبتاه وإذا بخيل قد أقبلت وقائل يقول دعوه امنع يدك يا سياف وكان لذلك سبب عجيب وأمر غريب وهو أن الخصيب صاحب مصر كان قد أرسل حاجبه إلى الخليفة هارون الرشيد ومعه هدايا وتحف وصحبته كتاب يذكر له فيه أن ولذي قد فقد من منذ سنة وقد سمعت أنه ببغداد والمقصود من أنعام خليفة الله أن يفحص عن خبره ويجتهد في طلبه ويرسل إليّ مع الحاجب فلما قرأ الخليفة الكتاب أمر الوالي أن يبحث عن حقيقة خبره فلم يزل الوالي والخليفة يسألان عنه حتى قيل له أنه بالبصرة فأخبر الخليفة بذلك فكتب الخليفة كتاباً وأعطاه للحاجب المصري وأمره أن يسافر إلى البصرة ويأخذ معه جماعة من اتباع الوزير فمن حرص الحاجب علي بن سيده خرج من ساعته فوجد الغلام في نطع الدم مع الوالي فلما رأى الوالي الحاجب وعرفه ترجّل إليه فقال له الحاجب ما هذا الغلام وما شأنه فأخبره بالخبر فقال الحاجب والحال أنه لم يعرف أنه ابن السلطان أن وجه هذا الغلام وجه من لا يقتل وأمره بحل وثاقه فحله فقال قدمه إلي فقدمه إليه وكان ذهب جماله من شدة الأهوال فقال له الحاجب أخبرني بقضيتك يا غلام وما شأن هذه المقتولة معك فلما نظر إبراهيم إلى الحاجب عرفه فقال له ويلك أما تعرفني أما أنا إبراهيم ابن سيدك فلعلك جئت في طلبي فأمعن الحاجب فيه النظر فعرفه غاية المعرفة فلما عرفه انكب على أقدامه فلما رأى الوالي ما حصل من الحاجب أصفر لونه فقال له الحاجب ويلك يا جبار هل كان مرادك أن تقتل ابن سيدي الخصيب صاحب مصر فقبل الوالي ذيب الحاجب وقال له يا مولاي من أين أعرفه وإنما رأيناه على هذه الصفة ورأينا الصبية

مقتلوة بجانبه فقال ويلك أنك لا تصلح للولاية هذا غلام له من العمر خمسة عشر عاماً وما قتل عصفوراً فكيف يقتل قتيلاً هلا أمهلته وسألته عن حاله ثم قال الحاجب والوالي فتشوا على قاتل الصبية فدخلوا الحمام ثانياً فرأوا قاتلها فأخذوه وأتوا به إلى الوالي فأرسلوا إلى دار الخلافة وأعلم الخليفة بما جرى فأمر الرشيد بقتل قاتل الصبية ثم أمر بإحضار ابن الخصيب فلما تمثل بين يديه تبسم الرشيد في وجهه وقال له أخبرني بقضيتك وما جرى لك فحدثه بحديثه من أوله إلى آخره فعظم ذلك عنده فنادى مسرور السياف وقال إذهب في هذه الساعة واهجم على دار أبي القاسم الصندلاني وأئتني به وبالصبية فمضى من ساعته وهجم على داره فرأى الصبية في وثاق من شعرها وهي في حالة التلف فحلّها مسرور وأتى بها وبالصندلاني فلما رآها الرشيد تعجب من جمالها ثم التفت إلى الصندلاني وقال خذوه واقطعوا يديه اللتين ضرب بهما هذه الصبية واصلبوه وسلموا أمواله وأملاكه إلى إبراهيم ففعلوا ذلاك فبينما هم كذلك وإذا بأني الليث عامل البصرة والد السيدة جميلة قد أقبل عليهم يستغيث بالخليفة من إبراهيم بن الخصيب صاحب مصر ويشكوا إليه أنه أخذ ابنته فقال له الرشيد أنه كان سبباً في خلاصها من العذاب والقتل وأمر بإحضار ابن الخصيب فلما حضر قال لأبي الليث ألا ترضى أن يكون هذا الغلام ابن سلطان مصر بعلاً لابنتك فقال سمعاً وطاعة لله ولك يا أمير المؤمنين فدعا الخليفة بالقاضي والشهود وزوج الصبية بإبراهيم ابن الخصيب ووهب له جميع أموال الصندلاني وجهزه إلى بلاده وعاش معها في أتم سرور وفي حبور إلى أن أتاهم هازم اللذات ومفرق الجماعات فسبحان الحي الذي لا يموت.

(حكاية أبي الحسن الخرساني الصيرفي مع شجرة الدر)

(ومما يحكى أيضاً) أيها الملك السعيد أن المعنصد بالله كان عالي الهمة شريف النفس وكان له ببغداد ستمائة وزير ما كان يخفى عليه من أمور الناس شيء فخرج يوماً هو وابن حمدون يتفرجان على الرعايا ويسمعان ما يتحدد من أخبار الناس فحمى عليهما الحر والهجير وقد انتهيا إلى زقاق لطيف في شارع فدخلا ذلك الزقاق فرأيا في صدر الزقاق دار حسنة شامخة البناء تفصح عن صاحبها بلسان الثناء فقد أعلى الباب يستريحان فخرج من تلك الدار خادمان وجه كل منهما كالقمر ليلة أربعة عشر فقال إحداهما لصاحبه لو استأذن اليوم ضيف لأن سيدي لا يأكل إلا مع الضيفان وقد صرنا إلى هذا الوقت ولم أر أحداً فتعجب الخليفة من كلامهما وقال إن هذا دليل على كرم صاحب الدار ولا بد أن ندخل داره وننظر مروءته ويكون ذلك سبباً في نعمة تصل إليه منا ثم قال للخادم استأذن سيدك في قدوم جماعة أغراب وكان الخليفة في ذلك الزمان إذا أراد الفرجة على الرعية تنكر في زي التجار فدخل الخادم على سيده وأخبره ففرح وقام وخرج إليهما بنفسه وإذا به جميل الوجه حسن الصورة وعليه قميص نيسابوري ورداء مذهب وهو مضمخ بالطيب وفي يده خاتم من الياقوت فلما رآها قال أهلاً وسهلاً بالسادة المنعمين علينا غاية الإنعام بقدومهم فلما دخلا تلك الدار رأياها تسيء الأهل والأوطان كأنها قطعة من الجنان وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٤٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الخليفة لما دخل الدار هو ومن معه وأباها تنسى الأهل والأوطان كأنها قطعة من الجان ومن داخلها بستان فيه من سائر الأشجار وهي تدهش الأبصار وأما كنها مفروشة بنفائس الفرش فجلسوا وجلس المعتضد يتأمل الدار والفرش فقال ابن حمدون فنظرت إلى الخليفة فرأيت وجهه قد تغير وكنت أعرف من وجهه حال الرضا والغضب فلما رأيت قلت في نفسي يا ترى ما باله حتى غضب ثم جاءوا بطشت من الذهب فغسلنا أيدينا ثم جاءوا سفرة من الحرير وعليها مائدة من الخيزران فلما انكشفت الأغطية عن الأواني رأينا طعاماً كزعر الربيع في عز الأوان صنوان وغير صنوان ثم قال صاحب الدار بسم الله يا سادتنا ولله أن الجوع قد أضناني فانعموا علي بالأكل من هذا الطعام كما هو أخلاق الكرام وصاحب الدار يفسح الدجاج وبضعه بين أيدينا ويضحك وينشد الأشعار ويورد الأخبار ويتكلم بلطيف ما يليق بالمجلس قال ابن حمدون فأكلنا وشربنا ثم نقلنا إلى مجلس آخر يدهش الناظرين تفوح منه الروائح الزكية ثم قدم لنا سفرة فاكهة جنية وحلويات شهية فزادت أفراحنا وزالت أتراحنا قال ابن حمدون ومع ذلك لم يزل الخليفة في عبوس ولم يتبسم لما فيه فرح النفوس مع أن عادته أنه يحب اللهو والطرب ودفع الهموم وأنا أعرف أنه غير حسود ولا ظلوم فقلت في نفسي يا ترى ما سبب عبوسه وعدم زوال بؤسه ثم جاءوا بطبق الشراب ومجمع شمل الأحباب وأحضروا الشراب المروق وبواطي الذهب والبلور والفضة وضرب صاحب الدار على باب مقصورة بقضيب من الخيزران وإذا بباب المقصورة قد فتح وخرج منه ثلاث جوار نهدا بكار وجوهن كالشمس في رابعة النهار وتلك الجواري ما بين عوادة وجنكية ورقاصة ثم قدم لنا النقل والفواكه قال ابن حمدون فضرب بيننا وبين الثلاث جوار ستارة من الديباج وشراريبها من الأبريسم وحلقانها من الذهب فلما يلتفت الخليفة إلى هذا جميعه وصاحب الدار لم يعلم من هو الذي عنده فقال الخليفة لصاحب الدار أشريف أنت قال لا يا سيدي أنما أنا رجل من أولاد التجار أعرف بين الناس بأبي الحسن علي ابن أحمد الخراساني فقال له الخليفة أتعرفني يا رجل قال له والله يا سيدي ليس لي معرفة بأحد من جنابكم الكريم فقال له ابن حمدون يارجل هذا أمير المؤمنين المعتضد بالله حفيد المتوكل على الله فقام الرجل وقبل الأرض بين يدي الخليفة وهو يرتعد من خوفه وقال يا أمير المؤمنين بحق آبائك الطاهرين إن كنت رأيت مني تقصيراً أو قلة أدب بحضرتك أن تعفوا عني فقال الخليفة أما ما صنعته معنا من الإكرام فلا مزيد عليه وأما ما أنكرته عليك هنا فإن صدقتني حديثه واستقر ذلك بعقلي بحوث مني وإن لم تعرفني حقيقته أخذتك بحجة واضحة وعذبتك عذاباً لم أعذب أحداً مثله قال معاذ اللبه أن أحدث بالمحال وما الذي أنكرته علي يا أمير المؤمنين فقال الخليفة أنا من حين دخلت الدار وأنا أنظر إلى حسبها وأوانيها وفراشها وزينتها حتى ثيابك ولماذا عليها اسم جدي المتوكل على الله قال نعم أعلم يا أمير المؤمنين أيدك الله الحق شعارك والصدق وداؤك ولا قدرة لأحد على أن يتكلم بغير الصدق في حضرتك فأمره بالجلوس فجلس فقال له حدثني فقال اعلم يا أمير المؤمنين أيدك الله بنصره وحقك بلطائف أمره أنه لم يكن ببغداد أحداً يسر مني ولا من أبي ولكن أخل لي ذهنك وسمعك وبصرك حتى أحدثك بسبب ما أنكرته علي فقال له الخليفة قل حديثك فقال أعلم يا أمير المؤمنين أنه كان أبي بسوق الصيارف والعطارين والبزازين وكان له في كل سوق حانوت ووكيل وبضائع

من سائر الأصناف وكان له حجرة من داخل الدكان التي بسوق الصيارف لأجل الخلوة فيها وجعل الدكان لأجل البيع والشراء وكان ماله يكثر عن العدو يزيد عن الحد ولم يكن له ولد غيري وكان محباً لي وشفيقاً عليّ فلما حضرته الوفاة دعاني وأوصاني بوالدتي وبتقوى الله تعالى ثم مات رحمه الله تعالى وأبقى أمير المؤمنين فاشتغلت باللذات وأكملت وشربت ثم أتخذت الأصحاب والأصدقاء وكانت أمي تنهاني عن ذلك وتلومني عليه فلم أسمع منها كلاماً حتى ذهب المال جميعه وبعت العقار ولم يبق لي شيء غير الدار التي أنا فيها وكانت دار حسنة يا أمير المؤمنين فقلت لا أمي أريد أن أبيع الدار فقالت يا ولدي أن بعتها تفتضح ولا تعرف لك مكاناً تأوى إليه فقلت هي تساوي خمسة آلاف دينار فاشتري من جملة ثمنها داراً بألف دينار ثم أتجر بالباقي فقالت أتبعيني هذه الدار بهذا المقدار قلت نعم فجاءت إلى طابق وفتحته وأخرجت منه أناء من الصيني فيه خمسة آلاف دينار فتخيل إلي أن الدار كلها ذهب فقالت لي يا ولدي لا تظن أن هذا المال مال أبيك والله يا ولدي أنه من مال أبي وكنت أدخرته لوقت الحاجة إليه نأتي كنت في زمن أبيك غنية عن الاحتياج إلى هذا المال فاتخذت المال منها يا أمير المؤمنين وعدت لما كنت عليه من المأكل والمشرب والصحبة حتى نفذت الخمسة آلاف دينار ولم أقبل من أمي كلاماً ولا نصيحة ثم قلت لها مرادي أن أبيع الدار فقالت يا ولدي قد نهيتك عن بيعها لعلمي أنك تحتاج إليها فكيف تريد بيعها ثانياً فقلت لها لا تطيلي على الكلام فلابد من بيعها فقالت بعني إياها بخمسة عشر ألف دينار بشرط أن أتولى أمورك بنفسي فبعتها لها بذلك المبلغ على أن تتولى أموري بنفسها فطلبت وكلاء أبي وأعطت كل واحد منهم ألف دينار وجعلت المال تحت يدها والأخذ والعطاء معها وأعطتني بعضا من المال لا تجر فيه وقالت لي أقعد أنت في دكان أبيك فعلت ما قالت أمي يا أمير المؤمنين وجئت إلى الحجرة التي في سوق الصيارف وجاء أصحابي وصاروا يشترون مني وأبيع لهم وطاب لي الريح وكثر مالي فلما رأتني أمي على تلك الحالة الحسنة أظهرت لي ما كان مدخراً عندها من جوهر ومعدن ولؤلؤ وذهب ثم عادت لي أملاكي التي كان وقع فيها التفريط وكثر مالي كما كان ومكثت على هذه الحال مدة وجاء وكلاء أبي فأعطيتهم البضائع ثم بنيت حجرة ثانية من داخل الدكان فبينما أنا قاعد فيها على عادتي يا أمير المؤمنين وإذا بجارية قد أقبلت عليّ لم تر العيون أجمل منها منظراً فقالت هذه حجرة أبي الحسن علي بن أحمد الخراساني قلت لها نعم قالت أين هو فقلت هو أنا ولكن أندهش عقلي من فرط جمالها يا أمير المؤمنين ثم أنها جلست وقالت لي قل لغلامك يزن لي ثلثمائة دينار فأمرته أن يزن لها ذلك المقدار فوزنه لها فأخذته وأنصرفت وأنا ذاهل العقل فقال لي غلامي أتعرفها قلت لا والله قال فلم قلت لي وزن لها فقالت والله أنيي لم أدر ما أقول مما بهرني من حسنها وجمالها فقام الغلام وتبعها من غير علمي ثم رجع وهو يبكي وبوجهه أثر ضربة فقالت له ما بالك فقال إني اتبعت الجارية لأنظر أين تذهب فلما أحست بي رجعت وضربتني هذه الضربة فكادت أن تتلف عيني ثم مكثت شهراً لم أرها ولم تأت وأنا ذاهل العقل في هواها يا أمير المؤمنين فلما كان آخر الشهر وإذا بها جاءت وسلمت على فكدت أن أطير فرحاً فسألتني عن خبري وقالت لعلك قلت في نفسك ما شأن هذه المحتالة كيف أخذت مالي وأنصرفت فقالت والله يا سيدتي أن مالي وروحي ملك لك فأسفرت عن وجهها وجلست لتستريح والحلى والحلل تلعب على وجهها وصدرها ثم قالت زن لي ثلثمائة دينار فقلت سمعاً وطاعة ثم وزنت لها الدنانير فأخذتها وانصرفت فقلت

للغلام اتبعها فتبعها ثم عاد لي وهو مبهوت ومضت مدة لم تأت فبينما أنا جالس في بعض الأيام وإذا بها قد أقبلت عليّ وتحدثت ساعة ثم قالت لي زن لي خمسمائة دينار فإني قد احتجت إليها فأردت أن أقول لها على أي شيء أعطيك مالي فمنعني فرط الغرام من الكلام وأنا يا أمير المؤمنين كلما رأيتها ترتعد مفاصلي ويصفر لوني وأنسى ما أريد أن أقول وأصير كما قال الشاعر:

فأبه . ت حتّ . ى لا أك . اد أجيـ . ب   فم . ا ه . و إلا أن أراه . ا فج . أة

ثم وزنت لها الخمسمائة دينار فأخذتها وانصرفت ففمت وتبعتها بنفسي على أن وصلت إلى سوق الجواهر فوقفت على إنسان فأخذت منه عقداً والتفتت فرأتني فقالت زن لي خمسمائة دينار فلما نظرني صاحب العقد قام إليّ وعظمني فقلت له أعطها العقد وثمنه عليّ فقال سمعاً وطاعة فأخذت العقد وانصرفت وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٤٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أبا الحسن الخراساني قال فقلت له اعطها العقد وثمنه عليّ فأخذت العقد وانصرفت فتبعتها حتى جاءت إلى الدجلة ونزلت في مركب فأومأت إلى الأرض لأقبلها بين يديها فذهبت وضحكت ومكثت واقفاً أنظرها إلى أن دخلت قصر فتأملته فإذا هو قصر الخليفة المتوكل فرجعت يا أمير المؤمنين وقد حل بقلبي كل هم في الدنيا وكانت قد أخذت مني ثلاثة آلاف دينار فقلت في نفسي قد أخذت مالي وسلبت عقلي وربما تلفت نفسي في هواها ثم رجعت إلى داري وقد حدثت أمي بجميع ما جرى لي فقالت لي يا ولدي إياك أن تتعرض لها بعد ذلك فتهلك فلما رحت إلى دكاني جاءني وكيلي الذي بسوق العطارين وكان شيخاً كبيراً فقال لي يا سيدي مالي أراك متغير الحال يظهر عليك أثر الكآبة فحدثني بخبرك فحدثته بجميع ما جرى لي معها فقال لي يا ولدي أن هذه من جواري قصر أمير المؤمنين وهي محظية الخليفة فاحتسب المال لله تعالى ولا تشغل نفسك بها وإذا جاءتك فاحذر أن تتعرض لها واعلمني بسرك حتى أدبر لك أمر لئلا يحصل لك تلف ثم تركني وذهب وفي قلبي لهيب النار فلما كان آخر الشهر إذا بها قد أقبلت علي ففرحت بها غاية الفرح فقالت لي ما حملك على أنك تبعتني فقلت لها حملني على ذلك فرط الواحد الذي بقلبي وبكيت بين يديها فبكت رحمة لي وقالت والله ما في قلبك شيء من الغرام إلا وفي قلبي أكثر منه ولكن كيف أعمل والله مالي من سبيل غير أني أراك في كل شهر مرة ثم دفعت إليّ ورقة وقالت خذ هذه إلى فلان الفلاني فإنه وكيلي واقبض منه ما فيها فقلت ليس لي حاجة بمال ومالي وروحي فداك فقالت سوف أدبر لك أمراً يكون فيه وصولك إلي وأن كان فيه تعب لي ثم ودعتني وانصرفت فجئت إلى الشيخ العطار وأخبرته بما جرى فجاء معي إلى دار المتوكل فرأيتها هي والمكان الذي دخلت فيه الجارية فصار الشيخ العطار متحيراً في حيلة يفعلها ثم التفت فرأى خياطاً قبل الشباك المطل على الشاطيء وعنده صناع فقال بهذا تنال مرادك ولكن افتق جيبك وتقدم إليه وقل له أن يخيطه لك فإذا خاطه فادفع له عشرة دنانير فقلت له سمعاً وطاعة ثم توجهت إلى الخياط وأخذت معي شقتين من الديباج الرومي وقلت له فصّل هاتين أربعة ملابس اثنين فرجية واثنين غير فرجية فلما فرغ من تفصيل الملابس وخياطتها عطيته أجرتها زيادة عن العادة بكثير ثم مد يده إليّ بتلك الملابس فقلت خذها لك ولمن حضر عندك وصرت أقعد عنده وأطيل القعود معه ثم

فصلت عنده غيرها وقلت له علقة على وجه الدكان لمن ينظره فيشتريه ففعل وصار كل من خرج من قصر الخليفة وأعجبه شيء من الملابس وهتبة له حتى البواب فقال الخياط به ما من الأيام أريد يا ولدي أن تصدقني حديثك لأنك فصلت عندي مائة حلة ثمينة وكل حلة تساوي جملة من المال ووهبت غالبها للناس وهذا ما هو فعل تاجر لأن التاجر يحاسب على الدرهم وما مقدر رأس مالك حتى تعطي هذه العطايا وما يكون مكسبك في كل يوم فأخبرني خبراً صحيحاً حتى أعاونك على مرادك ثم قال أناشدك الله ما أنت عاشق قلت نعم فقال لمن قلت لجارية من جواري قصر الخليفة فقال قبحهن الله كم يفتن الناس ثم قال هل تعرف اسمها قلت لا فقال صفها لي فوصفتها له فقال ويلاه هذه عوادة الخليفة المتوكل والمحظية عنده لكن لها مملوك فاجعل بينك وبينه صداقة لعله يكون سبباً في اتصالك بها فبينما نحن في الحديث وإذا بالمملوك مقبل من الخليفة وهو كأنه القمر في ليلة أربعة عشر وبين يدي الثياب التي خاطه إلى الخياط وكانت من الديباج من سائر الألوان فصار ينظر إليها وبتأمل ثم أقبل علي فقمت إليه فسلمت عليه فقال من أنت فقلت رجل من التجار قال أتبيع هذه الثياب قلت نعم فأخذ منها خمسة وقال بكم الخمسة فقلت هي هدية مني إليك عقد صحبة بيني وبينك ففرح بها ثم جئت إلى بيتي وأخذت له ملبوساً مرصعاً بالجواهر واليواقيت قيمته ثلاثة آلاف دينار وتوجهت به إليه فقبل مني ثم أخذني ودخل بي حجرة في داخل القصر وقال ما اسمك بين التجار فقلت له رجل منهم فقال قد رابني أمرك فقلت لماذا قال أنك أهديت لي شيئاً كثير ملكت به قلبي وقد صح عندي أنك أبو الحسن الخراساني أكثر الصيرفي فبكيت يا أمير المؤمنين فقال لي لم تبكي فو الله أن التي تبكي من أجلها عندها من الغرام بك مما عندك من الغرام بها وأعظم وقد شاع عند جميع جواري القصر خبرها معك ثم قال لي وأي شيء تريد فقلت أريد أنك تساعدني إلى بليني فوعدني إلى غد فمضيت إلى داري فلما أصبحت وتوجهت إليه ودخلت حجرته فلما جاء قال أعلم أنها لما فرغت من خدمتها عند الخليفة بالأمس ودخلت حجرتها حدثتها بحديثك جمعية وقد عزمت على الإجتماع بك فأقعد عندي إلى آخر النهار فقعدت عنده فلما جن الليل إذا بالمملوك أتي ومعه قميص منسوج من الذهب وحلة من حلل الخليفة فألبسني إياها وبخرني فصرت أشبه الخليفة ثم أخذني إلى محل فيه الحجر صفين من الجانبين وقال لي هذه حجرة الجوار الخواص فإذا مررت عليها فضع على كل باب من الأبواب حبة من الفول لأن من عادة الخليفة أن يفعل هكذا في كل ليلة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٥٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن المملوك لما قال لأبي الحسن فإذا مررت عليها فضع على كل باب من الأبواب حبة من الفول لأن من عادة الخليفة أن يفعل هكذا إلى أن تأتي إلى الدرب الثاني الذي على يدك اليمنى فترى حجرة عتبة بابها من المرمر فإذا وصلت إليها فمسها بيدك وأن شئت فعد الأبواب فهي كذا وكذا باباً فأدخل الباب الذي علامته كذا وكذا فتراك صاحبتك وتأخذك عندها وأما خروجك فإن الله يهون عليّ فيك ولو أخرجك في صندوق ثم تركني ورجع وصرت أمشي وأعد الأبواب وأضع على كل باب حبة فول فلما صرت في وسط الحجر سمعت ضجة عظيمة ورأيت ضوء شموع وأقبل ذلك الضوء نحوي حتى قرب مني فتأملته فإذا هو الخليفة وحوله الجواري ومعهن الشمع فسمعت واحدة منهن تقول لصاحبتها يا أختي هل نحن

لنا خليفتان على أن الخليفة قد جاز حجرتي وشممت رائحة العطر والطيب ووضع حبة الفول على حجرتي كعادته وفي هذه الساعة أرى ضوء شموع الخليفة وها هو مقبل فقالت إن هذا أمر عجيب لأن التزيي بزي الخليفة لا يجسر عليه أحد ثم قرب الضوء مني فارتعدت أعضائي وإذا بخادم يصيح على الجواري ويقول ههنا فانعطفوا إلى حجرة من الحجر ودخلوا ثم خرجوا ومشوا حتى وصلوا إلى بيت صاحبتي فسمعت خليفة يقول حجرة من هذه فقالوا هذه حجرة شجرة الدر فقال نادوها فنادوها فخرجت وقبلت أقدام الخليفة فقال لها تشربين الليلة فقالت إن لم يكن لحضرتك والنظر إلى طلعتك فلا أشرب فإنني لا أميل إلى الشراب في هذه الليلة فقال للخازن ادفع لها العقد الفلاني ثم أمر بالدخول إلى حجرتها فدخلت بين الشموع وإذا بجاريتها أمامهم وضوء وجهها غالب على ضوء الشمعة التي بيدها فقربت مني وقالت من هذا ثم قبضت علي وأخذتني إلى حجرة من الحجر وقالت لي من أنت فقبلت الأرض بين يديها وقلت لها أناشدك الله يا مولاتي أن تحقني دمي وترحميني وتتقربي إلى الله بإنقاذ مهجتي وبكيت فزعاً من الموت فقالت لا شك أنك لص فقلت لا والله ما أنا لص فهل ترين على أثر اللصوص فقالت أصدقني خبرك وأنا أجعلك في أمان فقلت أنا عاشق جاهل أحمق قد حملتني الصبابة وجهلي على ما ترين مني حتى وقعت في هذه الورطة فقالت قف هنا حتى أجيء إليك ثم خرجت وجاءتني بثياب جارية من جواريها وألبستني تلك الثياب في تلك الزواية وقالت اخرج خلفي فخرج خلفها حتى وصلت إلى حجرتها وقالت أدخل هنا فدخلت حجرتها فجاءت بي إلى سرير وعليه فرش عظيم وقالت اجلس لا بأس عليك أما أنت أبو الحسن الخرساني الصيرفي قلت بلى قالت قد حقن الله دمك إن كنت صادقاً ولم تكن لصاً وإلا فإنك تهلك لاسيما وأنت في ذي الخليفة ولباسه وبخوره وأما أن كنت أبا الحسن الخرساني الصيرفي فإنك قد آمنت ولا بأس عليك فإنك صاحب شجرة الدر التي هي أختي فإنها لا تقطع ذكرك أبداً وتخبرنا كيف أخذت منك المال ولم تتغير وكيف جئت خلفها إلى الشاطيء وأومأت لها إلى الأرض تعظيماً وفي قلبها منك النار أكثر مما في قلبك منها ولكن كيف وصلت إلى ههنا بأمرها أم بغير أمرها بل خاطرت بنفسك وما مرادك من الاجتماع بها فقلت والله يا سيدتي أني أنا الذي خاطرت بنفسي وما غرضي من الاجتماع بها إلا النظر والاستماع لحديثها فقلت أحسنت فقلت يا سيدتي الله شهيد على ما أقول أن نفسي لم تحدثني في شأنها بمعصية فقالت بهذه النية نجاك الله وقعت رحمتك في قلبي ثم قالت لجاريتها يا فلانة أمضي إلى شجرة الدر وقولي لها أن أختك تسلم عليك وتدعوك فتفضلي عندها في هذه الليلة على جري عادتك فإن صدرها ضيق فتوجهت البهائم عادت وأخبرتها أنها تقول متعني الله بطول حياتك وجعلني فداك والله لو دعوتيني إلى غير هذا ما توقفت لكن يضرني صداع الخليفة وأنت تعلمين منزلتي عنده فقالت للجارية ارجعي إليها وقولي لها أنه لابد من حضورك لسر بينك وبينها فتوجهت إليها الجارية وبعد ساعة جاءت مع الجارية ووجهها يضيء كأنه البدر فقابلتها وأعتنقتها وقالت يا أبا الحسن اخرج إليها وقبّل يديها وكنت في مخدع في داخل الحجرة فخرجت إليها يا أمير المؤمنين فلما رأتني ألقت نفسها عليّ وضمتني إلى صدرها وقالت لي كيف صرت بلباس الخليفة وزينته وبخوره ثم قالت حدثني بما جرى لك فحدثتها بما جرى لي وبما قاسيته من خوف وغيره فقالت يعز علي ما قاسيته من أجلي والحمد لله الذي جعل العاقبة إلى السلامة وتمام السلامة دخولك في منزلك ومنزل أختي ثم أخذتني إلى حجرتها وقالت لأختها أني قد عاهدتها أن لا أجتمع

معه في الحرام ولكن كما خطر بنفسه وارتكب هذا الهول لأكونن أرضاً لوطء قدميه وتراباً لنعليه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٥١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية قالت لأختها أن قد عاهدته أني لا أجتمع معه في الحرام ولكن كما خاطر بنفسه وأرتكب هذه الأهوال لا كونن أرضاً لوطء قدميه وتراباً لنعليه فقالت لها أختها بهذه النية تجاه الله تعالى فقالت سوف ترين ما أصنع حتى أجتمع معه في الحلال فلابد أن أبذل مهجتي في التحيل على ذلك فبينما نحن في الحديث وإذا بضجة عظيمة فالتفتنا فرأينا الخليفة قد جاء يريد حجرتها من كثرة ما هو كلف بها فأخذتني يا أمير المؤمنين وحطني في سرداب وطبقته علي وخرجت تقابل الخليفة فلاقته ثم جلس فوقفت بين يديه وخدمته ثم أمرت بإحضار الشراب وكان الخليفة يحب جارية اسمها النحة وهي أم المعتز بالله وكانت الجارية قد هجرته وهجرها فلعن الحسن والجمال تصالحه والمتوكل لعزة الخلافة والملك لا يصالحها ولا يكسر نفسه لها مع أن في قلبه منها لهيب النار ولكنه تشاغل عنها بنظائرها من الجواري والدخول إليهن في حجراتهن وكان يحب غناء شجرة الدر فأمرها بالغناء وأخذت العود وشدت الأوتار وغنت بهذه الأشعار:

عجبت لسـ عي الـ دهر بيذ ي وبينهـ ا   فلما انقضى مـ ا بيند ا سـ كن الـ دهر
هجرتك حتى قيـ ل لا يعـ رف الهـ وى   وزرتك حتى قيـ ل لـ يس لـ ه صـ بر
فيا حبهـ ا زدذ ي جـ وي كـ ل ليلـ ة   ويـ ا سـ لوة الأيـ ام موعـ دك الحشـ ر
لهـ ـا بشـ ـر مذ ـل الحريـ ـر ومنطـ ـق   رخيم الحواشـ ي لا هـ راء ولا ذ زور
وعيذ . ـان قـ . ـال الله كوذ . ـا فكانتـ . ـا   فعولان بالألبـ ـاب مـ ـا تفعـ ل الخمـ ر

فلما سمعها الخليفة طرب طرباً شديداً وطربت أنا يا أمير المؤمنين في السرداب ولولا لطف الله تعالى لصحت وافتحنا ثم أنشدت هذه الأبيات:

أعانق . ـه والـ . نفس بعـ . د مشـ . وقة   إليـ .ـه وهـ .ـل بعـ .ـد العذ .ـاق تـ .ـداني
وألـ .ـثم فـ .ـاه كـ .ـي تـ .ـزول حرارتـ .ـي   فيشـ .ـتد مـ .ـا ألقـ .ـى مـ .ـن الهيمـ .ـان
كـ ـان فـ ـؤادي لـ ـيس يبـ ـريء غليلـ ـه   سوى أن تـ ـرى الروحـ ـان يمتزجـ ـان

فطرب الخليفة وقال تمنى على يا شجرة الدر فقالت أتمنى عليك عتقى يا أمير المؤمنين لما فيه من الثواب فقال أنت حرة لوجه الله تعالى فقبلت الأرض بين يديه فقال خذي العود وقولي لنا شيئاً في شأن جاريتي التي أنا متعلق بهواها والناس تطلب رضاي وأنا أطلب رضاها فأخذت العود وأنشدت هذين البيتين:

أيا ربة الحسن التـ ـي أذهبـ ـت نسـ ـكي   على كل أحوالي فـ ـلا بـ ـد لـ ـي منـ ـك
فأمـ .ـا بـ .ـذل وهـ .ـو أليـ .ـق بـ .ـالهوى   وأمـ .ـا بعـ .ـز وهـ .ـو أليـ .ـق بالملـ .ـك

فطرب الخليفة وقال خدي العود وغني شعراً يتضمن شرح حالي مع ثلاث جوار ملكن قيادي ومنعن رقادي وهن أنت وتلك الجارية الهاجرة وأخرى لا أسميها لها مناظرة فأخذت العود وأطربت بالنغمات وأنشدت هذه الأبيات:

مل . ك الـ . ثلاث الغانيـ . ات عنـ . اني   وحللـ .ن مـ .ن قلبـ .ي أعـ .ز مكـ .ان
مـ .الي مطـ .اوع فـ .ي البريـ .ة كلهـ .ا   وأطـ . يعن وهـ . و فـ . ي عصـ . ياني
مـ . ا ذاك إلا أن سـ . لطان الهـ . وى   وبـ .ه غلـ .بن أعـ .ز مـ .ن سـ .لطاني

فتعجب الخليفة من موافقة هذا الشعر لحاله غاية العجب ومال به إلى مصالحة الجارية الهاجرة الطرب ثم خرج وقصد حجرتها فسبقت جارية وأخبرتها بقدوم الخليفة فاستقبلته وقبلت الأرض بين يديه ثم قبلت قدميه فصالحها وصالحته هذا ما كان من أمره (وأما) ما كان من أمر شجرة الدر فإنها جاءت إلي وهي فرحانة وقالت إني صرت حرة بقدومك المبارك ولعل الله يعينني على ما أدبره حتى اجتمع بك في الحلال فقلت الحمد لله فبينما نحن في الحديث وإذا بخادمها قد دخل علينا فحدثناه بما جرى لنا فقال الحمد لله الذي جعل آخره خيراً ونسأل الله أن يتم ذلك بخروجك سالماً فبينما نحن في الحديث وإذا بالجارية أختها وقد جاءت وكان أسمها فاتر فقال يا أختي كيف نعمل حتى نخرجه من القصر سالماً فإن الله تعالى من على بالعتق وصرت حرة ببركة قدومه فقالت لها ليس لي حيلة في خروجه إلا بأن ألبسه ثياب النساء ثم جاءت ببدلة من ثياب النساء فألبستيها ثم خرجت يا أمير المؤمنين في ذلك الوقت فلما جئت إلى وسط القصر إذا بأمير المؤمنين جالس والخدم بين يديه فنظر إلي وأنكرني غاية الإنكار وقال لحاشيته أسرعوا وأئتوني بهذه الجارية فلما أتوا بي رفعوا نقابي فلما رآني عرفني وسألني فأخبرته بالخبر ولم أخف عليه شيئاً فلما سمع حديثي تفكر في أمري ثم قام من وقته وساعته ودخل حجرة شجرة الدر فقال كيف تختارين على بعض أولاد التجار فقبلت الأرض بين يديه وحدثته بحديثها من أوله إلى آخره على وجه الصدق فلما سمع كلامها رحمها ورق قلبه لها وعذرها في العشق وأحواله ثم انصرف ودخل عليها خادمها وقال طيبي نفساً أن صاحبك لما حضر بين يدي الخليفة سأله فأخبره كما أخبرتيه حرفاً بحرف ثم رجع الخليفة وأحضرني بين يديه وقال ما حملك على التجاريء على دار الخلافة فقلت يا أمير المؤمنين حملني على ذلك جهلي والصبابة والإقبال على عفوك وكرمك ثم بكيت وقبلت الأرض بين يديه فقال عفوت عنكما ثم أمرني بالجلوس فجلست فدعا بالقاضي أحمد بن أبي دؤاد وزوجتي بها وأمر بحمل جميع ما عندها إلى وزفوها في حجرتها وبعد ثلاثة أيام خرجت ونقلت جميع ذلك إلى بيتي فجميع ما تنظره يا أمير المؤمنين في بيتي وتنكره كله من جهازها ثم أنها قالت لي يوماً من الأيام أعلم أن المتوكل رجل كريم وأخاف أن يتذكرنا أو يذكرنا عنده أحد من الحساد فأريد أن أعمل شيئاً يكون فيه الخلاص من ذلك قلت وما هو قالت أريد أن أستأذنه في الحج والتوبة من الغناء فقلت لها نعم الرأي الذي أشرت إليه فبينما نحن في الحديث وإذا برسول الخليفة قد جاء في طلبها لأنه كان يحب غناءها فمضت وخدمته فقال لها لا تنقطعي عنا فقالت سمعاً وطاعة فاتفق أنها ذهبت إليه في بعض الأيام وكان قد أرسل إليها على جري العادة فلم أشعر إلا وقد جاءت من عنده ممزقة الثياب باكية العين ففزعت من ذلك وقلت أنا لله وإنا إليه راجعون وتوهمت أنه أمر بالقبض علينا فقلت لها هل المتوكل غضب علينا فقالت وأين المتوكل

إن المتوكل قد انقضى حكمه وأنمحى رسمه فقلت أخبريني بحقيقة الأمر فقالت له أنه كان جالساً وراء الستارة يشرب وعنده الفتح بن خاقان وصدقة بن صدقة فهجم عليه ولده المنتصر هو وجماعته من الأتراك فقتله وانقلب السرور بالشرور والحظ الجميل بالبكاء والعويل فهربت أنا والجارية وسلمنا الله ثم قمت في الحال يا أمير المؤمنين وانحدرت إلى البصرة وجاءني الخبر بعد ذلك بوقوع بين المنتصر والمستعين فخفت ونقلت زوجتي وجميع مالي إلى البصرة وهذه حكايتي يا أمير المؤمنين لا زدتها حرفاً ولا نقصتها حرفاً فجميع ما نظرته في بيتي يا أمير المؤمنين مما عليه اسم جدك المتوكل هو من نعمته علينا الآن أصل نعمتنا من أصولك الأكرمين وأنتم أهل النعم ومعدن الكرم ففرح الخليفة بذلك فرحاً شديداً وتعجب من حديثه ثم أخرجت للخليفة الجارية وأولادي منها فقبلوا الأرض بين يديه فتعجب من جمالها واستدعي بدواة وكتب لنا برفع الخراج عن أملاكنا عشرين سنة ثم خرج الخليفة واتخذه نديماً إلى أن فرّق الدهر بينهم وسكنوا القبور بعد القصور فسبحان الملك الغفور.

(حكاية قمر الزمان مع معشوقته)

(ومما يحكى أيضاً) أيها الملك السعيد أنه كان في قديم الزمان رجل تاجر اسمه عبد الرحمن قد رزقه الله بنتاً وولداً فسمى البنت كوكب الصباح لشدة حسنها وجمالها وسمى الولد قمر الزمان لشدة حسنه ولما نظر ما أعطاهما الله من الحسن والجمال والبهاء والاعتدال خاف عليهما من أعين الناظرين والسنة الحاسدين ومكر الماكرين وتحيل الفاسقين لحجبهما عن الناس في قصر مدة أربعة عشر سنة ولم يرهما أحد غير والديهما وجارية تتعاطى خدمتهما وكان والدهما يقرأ القرآن كما أنزله الله وكذلك أمهما تقرأ القرآن فصارت الأم تقريء بنتها والرجل يقرأ ولده حتى حفظا القرآن وتعلما الخط والحساب والفنون والآداب من أبيهما وأمهما ولم يحتاجا إلى معلم فلما بلغ الولد مبلغ الرجال قالت للتاجر زوجته إلى متى وأنت حاجب ولدك قمر الزمان عن أعين الناس أهو بنت أو غلام فقال لها غلام قالت حيث كان غلاماً لما لم تأخذه معك إلى السوق وتقعده في الدكان حتى يعرف الناس ويعرفوه لأجل أن يشتهر عندهم أنه ابنك وتعلمه البيع والشراء وربما يحصل لك أمر فيكون الناس قد عرفوا أنه ولدك فيضع يده على مخلفاتك وأما إذا مت على هذه الحالة وقال للناس أنا ابن التاجر عبد الرحمن فإنهم لا يصدقونه بل يقولون ما رأيناك ولا نعرف أن له ولداً وتأخذ أموالك الحكام ويصير ولدك محروماً وكذلك البنت مرادي أن أشتهرها عند الناس لعل أحداً يكون كفؤاً لها يخطبها فنزوحها له ونفرح بها فقال لها أنما فعلت ذلك مخافة عليهما من أعين الناس وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٥٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن زوجة التاجر لما قالت له ذلك الكلام قال لها إنما فعلت ذلك مخافة عليهما من أعين الناس لأني محب لهما والمحب شديد الغيرات وقد أحسن قول من قال هذه الأبيات:

أغ ـار علي ـك م ـن نظ ـري ومن ـي ومن ـك وم ـ ن مكان ـ ك والزم ـ ان

ول ـو أن ـي وض ـعتك ف ـي عي ـوني دوام ـاً م ـا س ـئمت م ـن الت ـداني

ولـ .ـو واصـ .ـلتني فـ .ـي كـ .ـل يـ .ـوم إلـ .ـى يـ .ـوم القيامـ .ـة مـ .ـا كفـ .ـاني

فقالت له زوجته توكل على الله ولا بأس على من يحفظه الله وخذه في هذا اليوم معك إلى الدكان ثم أنها ألبسته بدلة من أفخر الملابس فصار فتنة للناظرين وحسرة في قلوب العاشقين وأخذه أبوه معه ومضى به إلى السوق فصار كل من رآه ويفتتن به ويتقدم إليه ويبوس يده ويسلم عليه وصار أبوه يشتم الناس حيث يتبعنه لقصد الفرجة وصار البعض من الناس يقول أن الشمس قد طلعت في المحل القلاني وأشرقت في السوق والبعض يقول مطلع البدر في الجهة الفلانية والبعض يقول ظهر هلال العيد على عباد الله وصاروا يلمحون إلى الولد بالكلام ويدعون له وقد حصل لأبيه خجل من كلام الناس ولا يقدر أن يمنع أحداً منهم عن الكلام وصار يشتم أمه ويدعوا عليها لأنها هي التي كانت سبباً في خروجه والتفت أبوه فرأى الخلائق مزدحمين عليه خلفه وقدامه والتفت إلى الناس فرآهم قد سد والطريق وصار كل من مرّ به من رائح وغاد يقف قدام الدكان وينظر إلى ذلك الوجه الجميل ولا يقدر أن يا فرقه وانعقد عليه إجماع النساء والرجال متمثلين بقول من قال:

خلقـ . .ـت الجمـ . .ـال لنـ . .ـا فتنـ . .ـة وقلـ .ـت لنـ .ـا يـ .ـا عبـ .ـادي أتقـ .ـون

وأنـ . ـت جميـ . ـل تحـ . ـب الجمـ . ـال فكيـ . . ـف عبـ . . ـادك لا يعشـ . . قون

فلما رأى التاجر عبد الرحمن الناس مزدحمين عليه وواقفين صفوفاً نساء ورجالاً لديه شاخصين لولده خجل غاية الخجل وصار متحيراً في أمره ولم يدر ماذا يصنع فلم يشعر إلا ورجل درويش من السياحين وعليه شعار عباد الله الصالحين قد أقبل عليه من طرف الشوق ثم تقدم إلى التاجر وصار ينشد الأشعار ويرخى الدموع الغزار فلما رأى قمر الزمان جالساً كأنه قضيب البان نابت على كثيب من الزعفران أفاض دمع العين وأنشد هذين البيتين:

رأيـ . ـت عصـ . ـنا علـ . ـى كثيـ . ـب شـ . . . بيه بـ . . . . در إذا تـ . . . ـلالاً

فقلـ . ـت مـ . ـا الاسـ . ـم قـ . ـال لولـ . ـو فقلـ . .ـت لـ . ـي لـ . ـي فقـ . .ـال لا لا

ثم أن الدرويش صار يمشي الهوينا ويمسح شيبته بيده اليمنى فانشق لهيبته قلب الزحام فلما نظر إلى الغلام اندهش منه العقل والنظر وانطبق عليه قول الشاعر:

فبينمـ . ـا ذاك الملـ . ـح فـ . ـي محـ . ـل من وجهه هـ ـلال عيـ د الفطـ ر هـ ـل

إذا بشـ . ـيخ ذي وقـ . ـار قـ . ـد أهـ . ـل معتمـ .ـداً فـ .ـي مشـ .ـيه علـ .ـى مهـ .ـل

يرى عليه أثر للزهـ د

قـ . ـد مـ . ـارس الأيـ . ـام والليـ . ـالي وخـ .ـاض فـ .ـي الحـ .ـرام والحـ .ـلال

وهـ . . ـام بالنسـ . . ـاء والرجـ . . ـال ورق حتـ . . ـى صـ . . ـار كـ . . ـالحلال

وعاد عظماً بالباقي جلد

وكـ . ـان فـ . ـي ذا الفـ . ـن مغربيـ . ـاً الشـ . ـيخ عنـ .ـده يـ . ـرى صـ . ـبياً

وفـ . ـي محبـ . ـة النسـ . ـاء عـ . ـذرياً فـ . ـي الخصـ . ـلتين مـ . ـاهراً عويـ . ـاً

فزينب لديه مثل زيد

يه . يم بالحسـ . نا ويه . وى الحسـ . نا   ويذ . دب الربيـ . ع ويبكـ . ي الـ . دمنا

تخالـ .ه مـ .ن فـ .رط شـ .وق غصـ .نا   مـ .ع الصـ .با إلـ .ى هذ .اك أو هذ .ا

أن الجمود من طباع الصلد

وكـ .ان فـ .ي فـ .ن الهـ .وى حبيـ .راً   مسـ . تيقظاً فـ . ي أمـ . ره بصـ . يرا

وجـ . اب منذ . ـه السـ . هل والعسـ . ير   وعـ . . انق الظبيـ . . ـة والعريـ . . زا

وهام بالشيب معاً والمراد

ثم تقدم إلى الولد وأعطاه عرق ريحان فمد أبوه يده إلى جيبه وأخرج له ما تيسر من الدراهم وقال خذ نصيبك يا درويش واذهب إلى حال سبيلك فأخذ منه الدراهم وجلس على مصطبة الدكان قدام الولد وصار ينظر إلى الولد ويبكي ويتحسر حسرات متتابعة ودموعه كالعيون النابعة فصارت الناس تنظر إليه وتعترض عليه وبعضهم يقول كل الدراويش فساق وبعضهم يقول أن الدرويش في قلبه من عشق للولد احتراق وأما أبوه فإنه لما عاين هذا الحال قام وقال قم يا ولدي حتى نقفل الدكان ونروح إلى بيتنا ولا ينبغي لنا في هذا اليوم بيع ولا شراء الله تعالى يجازي أمك بما فعلت معناً فإنها هي التي تسببت في هذا كله ثم قال يا درويش قم حتى أقفل الدكان فقام الدرويش وقفل التاجر دكانه وأخذ ولده ومشي فتبعهما الدرويش والناس إلى أن وصلا إلى منزلهما فدخل الولد المنزل والتفت التاجر إلى الدرويش وقال له ما تريد يا درويش ومالي أراك تبكي فقال يا سيدي أريد أن أكون ضيفك في هذه الليلة والضيف ضيف الله تعالى فقال مرحباً بضيف الله أدخل يا درويش وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٥٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الدرويش لما قال للتاجر والد قمر الزمان أنا ضيف الله قال التاجر مرحباً بضيف الله أدخل يا درويش وقال التاجر في نفسه أن كان هذا الدرويش عاشقاً للولد وطلب منه فاحشة فلابد أن أقابله في هذه الليلة وأخفي فترة وإن كان ما عنده فساد فإن الضيف يأكل نصيبه ثم أنه أدخل الدرويش هو وقمر الزمان قاعة وقال سر القمر الزمان يا ولدي اجلس بجانب الدرويش وناغشه ولاعبه بعد أن أخرج من عندكما فإن طلب منك فساداً فإنا أكون ناظراً لكما من الطاقة المطلة على القاعة فأنزل إليه وأقتله ثم أن الولد لما اختلى به الدرويش في تلك القاعة وقعد بجانب الدرويش فصار الدرويش ينظر إليه ويتحسر ويبكي وإذا كلمه الولد يرد عليه برفق وهو يرتعش ويلتفت إلى الولد ويتنهد ويبكي إلى أن أتى العشاء فصار يأكل وعينه من الولد ولا يفتر عن البكاء فلما مضى ربع الليل وفرغ الحديث وجاء وقت النوم قال أبو الولد يا ولدي تقيد بخدمة عمك الدرويش ولا تخالفه وأراد أن يخرج فقال له الدرويش يا سيدي خد ولدك معك أو نم عندنا قال لا ها هو ولدي نائم عندك ربما تشتهي نفسك شيئاً فولدي يقضي حاجتك ويقوم بخدمتك ثم خرج وخلاهما وقعد في قاعة ثانية فيها طاقة تطل على القاعة التي هما فيها هذا ما كان من أمر التاجر (وأما) ما كان من أمر الولد فإنه تقدم إلى الدرويش وصار يناغشه ويعرض نفسه عليه فاغتاظ

الدرويش وقال له ما هذا الكلام يا ولدي أعوذ بالله من الشيطان الرجيم اللهم إن هذا سكر ألا يرضيك أبعد عني يا ولدي ثم قام الدرويش من مكانه وقعد بعيداً عن الولد فتبعه الولد ورمي روحه عليه وقال له لأي شيء يا درويش تحرم نفسك من لذة وصالي وأنا قلبي يحبك فازداد غيظ الدرويش وقال له أن لم تمتنع عني ناديت أباك وأخبرته بخبرك فقال له أن أبي يعرف أنني بهذه الصفة ولا يمكن أن يمنعني فأجبر بخاطري لأي شيء تمتنع عني أما أعجبتك فقال له والله يا ولدي ما أفعل ذلك ولو قطعت بالسيوف البواتر وأنشد قول الشاعر:

إن قلب .ي يه .وى المـ .ـلاح ذك .وراً　　وأناث . . اً ولسـ . . ت بـ . . المنواني

بـ . .ل أراهـ . ـم أصـ . ائلا وبكـ . ورا　　لـ .ـم أكـ .ن لائطـ .اً ولا أنـ .ا زانـ .ي

ثم بكى وقال قم افتح لي الباب حتى أروح إلى حال سبيلي أنا ما بقيت أنام في هذا المكان ثم قام على قدميه فتعلق به الولد وصار يقول له أنظر لاشراق وجهي وحمرة خدي ولين معاطفي ورقه شفائفي ثم كشف له عن ساق يخجل الخمر والساقي ونااليز بلحظ يعجز السحر والراقي وكان بديع الجمال كثير الدلال كما قال فيه بعض من قال:

لـ ـم أنسـ ـه مـ ـذ قـ ـام يكشـ ـف عامـ ـداً　　عـ . ـن سـ . ـاقه كـ . اللؤلؤ البـ . ـراق

لا تعجبـ .ـوا مـ .ـن أن تقـ .ـوم قيـ .ـامتي　　أن القيامـ .ـة يـ .ـوم كشـ .ـف السـ .ـاقي

ثم بيّن له الغلام صدره وصار يقول له انظر إلى يهودي فإنها أحسن من نهود البنات وريقي أحلى من السكر النبات فدع الورع والزهاده وخلنا من النسك والعبادة واغتنم وصالي وتمل بجمالي ولا تخف من شيء أبداً وعليك الأمان من الردى وأترك هذه البلاد فإنها بئست العادة وصار يريه ما خفي من محاسنه ويبديه ويثني عنان عقله بثنيه والدرويش يلفت وجهه ويقول أعوذ بالله استح يا ولدي أن هذا شيء حرام لا أفعله ولا في المنام فشدد عليه الغلام فانفلت الدرويش واستقبل القبله وصار يصلي فلما رآه تركه حتى صلى ركعتين وسلم وأراد أن يتقدم إليه فنوى الصلاة ثاني مرة وصلى ركعتين ولم يزل بفعل هكذا ثالثاً ورابعاً وخامساً فقال له الولد وما هذه الصلاة هل مرادك أن تطير إلى السحاب ضعت حظنا وأنت طول الليل في المحراب ثم أن الغلام ارتمي عليه وصار يبوسه بين عينيه فقال له يا ولدي اخزعنك الشيطان وعليك بطاعة الرحمن فقال له إن لم تفعل بي ما أريد أنادي أبي وأقول له إن الدرويش يريد أن يفعل بي الفاحشة فيدخل عليك ويضربك حتى يكسر عظمك على لحمك كل هذا وأبوه ينظر بعينه ويسمع بأذنه فثبت عند أبي الولد أن الدرويش ما عنده فساد وقال في نفسه لو كان هذا الدرويش مفسد أما كان يتحمل هذه المشقة كلها ثم أن الولد صار يحاول الدرويش وكلما نوى الصلاة قطعها عليه حتى اغتاظ الدرويش غاية الغيظ وأغلظ على الولد وشربه فبكى الولد فدخل عليه أبوه ومسح دموعه وأخذ بخاطره وقال للدرويش يا أخي حيث أنك على هذه الحالة لأي شيء تبكي وتتحسر حين رأيت ولدي أهل لهذا من سبب فقال له نعم أنا لما رأيتك تبكي عند رؤيته ظننت فيك السوء فأمرت الولد بهذا الأمر حتى أجر بك وأضمرت أني إذا رأيتك تطلب منه فاحشة أدخل عليك وأقتلك فلما رأيتك ماقع منك عرفت أنك من الصلاح على غاية ولكن بالله عليك أن تخبرني بسبب بكائك فتنهد الدرويش وقال له يا سيدي لا تحرك على ساكن الجراح فقال لابد أن تخبرني فقال له اعلم أنني

درويش سياح في البلاد والأقطار لاعتبرنا خالق الليل والنهار فاتفق أنني دخلت مدينة البصرة في يوم جمعة ضحوة النهار فرأيت الدكاكين مفتوحة وفيها من سائر الأصناف والبضائع والمأكول والمشروب وهي خالية ليس فيها رجل ولا امرأة ولا بنت ولا ولد وليس في الشوارع كلاب ولا قطط ولا حس حسيس ولا أنس أنيس فتعجبت من ذلك وقلت يا ترى أين راح أهل هذه المدينة بقططهم وكلابهم وما فعل الله بهم وكنت جائعاً فأخذت عيشاً سخناً من فرن خباز ودخلت دكان زيات وبسست العيش بالسمن والعسل وأكلت وطلعت دكان شربات فشربت ما أردت ورأيت القهوة مفتوحة فدخلتها ورأيت فيها البكارج على النار ممتلئة بالقهوة وليس فيها أحد فشربت كفايتي وقلت أن هذا لشيء عجيب أن أهل هذه المدينة أتاهم الموت فماتوا كلهم في هذه الساعة أو خافوا من شيء نزل بهم فهربوا وما قدروا أن يقفلوا دكاكينهم فبينما أنا أفكر في هذا الأمر وإذا بصوت نوبة تدق فخفت واختفيت حصة من الزمان وصرت أنظر من خلال الخروق فرأيت جواري كأنهن الأقمار قد مشين في السوق زوجاً زوجاً من غير غطاء بل مكشوفات الوجوه ومن أربعين زوجاً بثمانين جارية ورأيت وليدة راكبة على جواد لا يقدر أن ينقل أقدامه مما عليه وعليها من الذهب والفضة والجواهر وتلك الوليدة مكشوفة الوجه من غير غطاء وهي مزينة بأفخر الزينة ولابسة أفخر الملبوس وفي عنقها عقد من الجوهر وفي صدرها قلائد من الذهب وفي يديها أساور تضيء كالنجوم وفي رجليها خلاخل من الذهب مرصعة بالمعادن والجواري قدامها وخلفها وعن يمينها وشمالها وبين يديها جارية مقلدة بسيف عظيم قبضته زمرد وعلائقة من ذهب مرصع بالجواهر فلما وصلت الدكان فنفشته لئلا يكون فيه أحد مستخف ومراده يتفرج علينا ونحن مكشوفات الوجوه ففتشن الدكان الذي قدام القهوة التي أنا مستخف فيها وبقيت أنا خائفاً فرأيتهن قد خرجن برجل وقلن لها يا سيدتنا قد رأينا هنا رجل وها هو بين يديك فقالت للجارية التي معها السيف أرمي عنقه فتقدمت غليه الجارية وضربت عنقه ثم تركته مطروحاً على الأرض ومضين ففزعت أنا لما رأيت هذه الحالة ولكن تعلق قلبي بعشق الصبية وبعد ساعة ظهر الناس وصار كل من كان له دكان يدخلها ودرجت الناس في الأسواق والنمو أعلى المقتول يتفرجون عليه فخرجت أنا من المكان الذي كنت فيه سراً ولم ينتبه لي أحد ولكن تملك قلبي عشق تلك الصبية فصرت أتجسس عليها سراً فلم يخبرني أحد عنها بخبر ثم أني خرجت من البصرة وفي قلبي من عشقها حسرة فلما رأيت ابنك هذا رأيته أشبه الناس بتلك الصبية فكرني بها وهيج عليّ نار الغرام وأضرم بقلبي لهيب الهيام وهذا سبب بكائي ثم أنه بكى بكاء شديداً ما عليه من مزيد وقال له يا سيدي بالله عليك أن تفتح لي الباب حتى أروح إلى حال سبيلي ففتح لي الباب فخرج هذا ما كان من أمره (وأما) ما كان من أمر قمر الزمان فإنه لما سمع كلام الدرويش اشتغل باله بعشق تلك الصبية وتمكن منه الغرام وهاج به الوجد والهيام فلما أصبح الصباح قال لأبيه كل أولاد التجار يسافرون البلاد لتحصيل المراد وليس منهم واحد إلا وأبوه يجهز له بضاعة فيسافر بها ويربح فيها ولأي شيء يا أبي لم تجهز لي تجارة حتى أسافر بها وأنظر سعدي فقال له يا ولدي أن التجار مقلون من المال فيسفرون أولادهم لأجل الفوائد والمكاسب وجلب الدنيا وأما أنا فعندي أموال كثيرة وليس عندي طمع فكيف أغربك وأنا لا أقدر على فراقك ساعة خصوصاً وأنت فريد في الجمال والحسن والكمال وأخاف عليك فقال له يا أبي لا يمكن إلا أن تجهز لي متجراً لأسافر به وإلا أغافلك وأهرب ولو كان من غير مال ولا تجارة وإن أردت

تطيب خاطري فجهز لي بضاعة حتى أسافر وأتفرج على بلاد الناس فلما رآه أبوه متعلقاً بالسفر أخبر زوجته بهذا الخبر وقال لها إن ولدك يريد أن أجهز له متجراً ليسافر به إلى بلاد الغربة مع أن الغربة كربة فقالت له زوجته ماذا يضرك من ذلك أن هذه عادة أولاد التجار فكلهم يتفاخرون بالأسفار والمكاسب فقال لها أن غالب التجار فقراء يطلبون كثرة الأموال واما أنا فمالي كثير فقالت له زيادة لخير لا تضر وإن كنت أنت لا تسمح له بذلك فأنا أجهز له متجراً من مالي فقال التاجر أني أخاف من الغربة لأنها بئست الكربة فقالت لا بأس بالاغتراب الذي فيه الاكتساب ولا يذهب ولدنا ونطلبه فلا نراه وتفتضح بين الناس فقبل التاجر كلام زوجته وجهز متجر لولده بتسعين ألف دينار وأعطته أمه كيساً فيه أربعون فصاً من ثمين الجواهر أقل قيمة الواحد خمسمائة دينار وقالت يا ولدي احتفظ على الجواهر فأنها تنفعك فأخذ قمر الزمان جميع ذلك وسافر إلى البصرة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٥٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن قمر الزمان أخذ جميع ذلك وسافر إلى البصرة وكان قد وضع الجواهر في كمر وشده على وسطه ولم يزل مسافراً حتى لم يبق بينه وبين البصرة إلا مرحلة واحدة فخرج عليه العرب وعرّوه وقتلوا رجاله وخدمه فرقد بين قتيلين ولطخ روحه بالدم فظن العرب أنه مقتول فتركوه ولم يتقرب منه أحد ثم أخذوا أمواله وراحوا فلما راح العرب إلى حال سبيلهم قام قمر الزمان من بين القتلى ومشى وهو لا يملك شيئاً غير الفصوص التي على حزامه ولم يزل سائراً حتى دخل البصرة فاتفق أن دخوله كان في يوم جمعة وكانت المدينة خالية من الناس كما أخبر الدرويش فرأى الأسواق خالية والدكاكين مفتوحة وهي ممتلئة بالبضائع فأكل وشرب وصار يتفرج فبينما هو كذلك إذ سمع النوبة تدق فاختفى في دكان إلى أن جاءت البنات فتفرج عليهن ولما رأى الصبية راكبة أخذه العشق والغرام وملكه الوجد والهيام حتى لا يستطيع القيام وبعد حصة من الزمان ظهرت الناس وملأت الأسواق فذهب إلى السوق وتوجه إلى رجل جوهري وأخرج له حجر من الأربعين يساوي ألف دينار فباعه له ورجع إلى محله ثم بات تلك الليلة ولما أصبح الصباح غير حوائجه ودخل الحمام وطلع كأنه البدر التمام ثم باع أربع فصوص بأربعة آلاف دينار وصار يتفرج في شوارع البصرة وهو لابس أفخر الملابس حتى وصل إلى سوق فرأى فيه رجلاً مزيناً فدخل عنده وحلق رأسه وعمل معه صاحبه ثم قال له يا ولدي أنا غريب البلاد وبالأمس دخلت هذه المدينة فرأيتها خالية من السكان وما فيها أحد من أنس ولا جان ثم أني رأيت بنات وبينهن صبية راكبة في موكب وأخبره بما رآه فقال له يا ولدى هل أخبرت غيري بهذا الخبر قال لا فقال له يا ولدي إياك أن تذكر هذا الكلام قدام أحد غيري فإن كل الناس لا يكتمون الكلام والأسرار وأنت ولد صغير فأخاف عليك أن ينتقل الكلام من ناس إلى ناس حتى يصل إلى أصحابه فيقتلوك واعلم يا ولدي أن هذا الذي رأيته ما أحد رآه ولا يعرفه في غير هذه المدينة وأما أهل البصرة فإنهم يموتون بهذه الحسرة وفي كل يوم جمعة عند صحوة النهار يحبسون الكلاب والقطط ويمنعونها عن المشي في الأسواق وجميع أهل المدينة يدخلون الجوامع ويغلقون عليهم الأبواب ولا يقدر أحد منهم أن يمر في السوق ولا أن يطل من طاقة ولا يعرف أحد ما سبب هذه البلية ولكن يا ولدي في هذه الليلة أسأل زوجتي عن سببها فإنها داية تدخل بوت الأكابر وتعرف أخبار هذه المدينة فإن شاء الله تعالى

تأتي عندي في غد وأنا أخبرك بما تخبرني به فكبش كبشة وقال له يا والدي خذ هذا الذهب وأعطه لزوجتك فإنها صارت أمي وكبش كبشة ثانية وقال خذ هذا لك فقال المزين يا ولدي أجلس مكانك حتى أروح إلى زوجتي واسألها وأجيء إليك بالخبر الصحيح ثم تركه في الدكان وراح إلى زوجته وأخبرها بشأن الغلام وقال لها مرادي أن تخبرني بحقيقة أمر هذه المدينة حتى أخبر بها هذا الشاب التاجر فإنه متولع بالإطلاع على حقيقة أمرها امتناع الناس والحيوانات عن الأسواق في صحوة يوم الجمعة وأظن أنه عاشق وهو كريم سخي فإذا أخبرناه يحصل لنا منه خير كثير فقالت له رح هاته وقل له تعال كلم أمك زوجتي فإنها تقرئك السلام وتقول لك أن الحاجة مقضية فذهب إلى الدكان فرأى قمر الزمان قاعداً ينتظره فأخبره بالخبر وقال له يا ولدي اذهب بنا أمك زوجتي فإنها تقول لك أن الحاجة مقضية ثم أخذه وسار به حتى دخل على زوجته فرحبت به وأجلسته ثم أنه أخرج مائة دينار وأعطاها لها وقال لها يا أمي أخبريني عن هذه الصبية من تكون فقالت يا ولدي اعلم أن سلطان البصرة قد جاءته الجوهرة من عند ملك الهند فأراد أن يثقبها فأحضر جميع الجوهرية وقال لهم أريد منكم أن تثقبوا لي هذه الجوهرة والذي يثقبها له على ثمنية فمهما تمناه أعطيته له وأن سرها فأني أرمي رأسه فخافوا وقالوا يا ملك الزمان أن الجوهر سريع العطب وقل أ، يثقبه أحد ويسلم لأن الغالب عليه الكسر فلا تحملنا مالا نطيق فنحن لا يخرج من أيدينا أن نثقب هذه الجوهرة وأنما شيخنا أخبرنا منا فقال الملك ومن شيخكم قالوا له المعلم عبيد وهو أخبرنا منا بهذه الصناعة وعنده أموال كثيرة وله معرفة جيدة فأرسل إليه وأحضره بين يديك وأمره أن يثقب لك هذه الجوهرة فأرسل إليه وأ/ره بثقبها وشرط عليه شرط المذكور فأخذها وثقبها على مراج الملك فقال ثمن علي يا معلم فقال يا ملك الزمان أمهلني إلى غد والسبب في ذلك أنشه أراد أن يشاور زوجته وكانت زوجته تلك الصبية التي رأيتها في الموكب وكان يحبها محبة شديدة ومن عظم محبه لها أنه كان لا يفعل شيئاً إلا إذا شاورها فيه ولأجل ذلك أمهل الثمنية حتى يشاورها فلما أتى إليها قال لها أنا ثقبت للملك جوهر وأعطاني ثمنية وقد أمهلته حتى أشاورك فأي شيء تريدين حتى أتمنا قالت نحن عندنا أموال لا تأكلها النيران ولكن إن كنت تحبني فتمن على الملك أنه ينادي في شوارع البصرة أن أهلها يدخلون الجوامع يوم الجمعة قبل الصلاة بساعتين ولا يبق في البلد كبير ولا شغير إلا ويكون في المسجد أو في البيت وتقفل عليهم أبواب المساجد والبيوت ويتركون دكاكين البلد مفتوحة وأركب بجواري وأشق في المدينة ولا ينظرني أحد من طاقة ولا من شاك وكل من عثرت به قتلته فراح إلى الملك وتمنى عليه هذه الأمنية فأعطاه ما تمناه ونادى بين أهل البصرة بما تمناه قالوا أننا نخاف على البضائع من القطط والكلاب فأمر الملك بحبسها في ذلك اليوم حتى تخرج البلس من صلاة الجمعة وصاوت تلك الجارية تخرج كل يوم جمعة قبل الصلاة بساعتين وتركب بجواريها في شوارع البصرة ولا يقدر أحد أن يمر في السوق ولا أن يطل من طاقة ولا من شباك فهذا هو السبب وقد عرفتك بالجارية ولكن يا ولدي هل مرادك معرفة خبرها أو مرادك الاجتماع بها فقال يا أمي مرادي الاجتماع بها فقالت اخبرني بما عندك من الذخائر الفاخرة فقال يا أمي عندي من ثمين المعادن أربعة أصناف صنف ثمن كل واحد منه خمسمائة دينار وصنف ثمن كل واحد منه سبعمائة دينار وصنف عن كل واحد منه ثمانمائة دينار وصنف كل واحد منه ألف دينار قالت له تسمح نفسك بأربعة منهم قال نفمي تسمح بالجميع قالت قم يا ولدي من غير مطرود واخرج

منها فصاً يكون ثمنه خمسمائة دينار وأسأل عن دكان المعلم عبيد شيخ الجوهرية واذهب إليه تراه جالساً في دكانه وعليه ثياب فاخرة وتحت يده الصناع فسلم عليه وأجلس على الدكان واخرج الفص وقل له يا معلم خذ هذا الحجر واصنع لي خاتماً بالذهب ولا تجعله كبيراً بل اجعله على قدر مثقال من غير زيادة واصنعه صنعاً جيداً ثم اعطه عشرين ديناراً واعط الصنّاع كل واحد ديناراً وأقعد عنده حصة وتحدث معه وإذا أتاك سائل فاعطه ديناراً واظهر الكرم حتى يتولع بمحبتك ثم قم من عنده ورح إلى منزلك وبت هناك فإذا أصبحت فهات معك مائة دينار واعطها لأبيك فإنه فقير قال وهو كذلك ثم خرج من عندها وذهب إلى الوكالة وأخذ فصاً ثمنه خمسمائة دينار وعمد به إلى سوق الجواهر وسأل عن دكان المعلم عبيد شيخ الجوهرية فدلوه على دكانه فلما وصل إلى الدكان رأى شيخ الجوهرية رجلاً مهاباً وعليه ثياب فاخرة وتحت يده أربع صناع فقال لهم السلام عليكم فرد عليه السلام ورحب به وأجلسه فلما جلس أخرج له الفص وقال له يا معلم أريد منك أن تصوغ لي هذا الحجر خاتماً بالذهب ولكن أجعله على قدر مثقال من غير زيادة وصغه صياغة طيبة ثم أخرج له عشرين ديناراً وقال له خذ هذه في نظير نقشة الأجرة باقية ثم أعطى كل صانع ديناراً فأحبه الصناع وأحبه المعلم عبيد وقعد يتحدث معه وصار كل من أتاه من السائلين يعطيه دينار فتعجبوا من كريمه ثم أن المعلم عبيد كان عنده عدة في بيته مثل العدة التي في الدكان وكان من عادته أنه إذا أراد أن يصنع شيئاً غريباً يشتغله في بيته حتى أن الصناع لا يتعلمون منه الصنعة الغريبة وكانت الصبية زوجته تجلس قدامه فإذا كانت قدامه ونظر إليها يصنع كل شيء غريب صناعته بحيث لا يليق إلا بالملوك فقعد يصنع هذا الخاتم صنعة عجيبة في البيت فلما رأته زوجته قالت ما مرادك أن تصنع بهذا الفص قال أريد أن أصوغه خاتماً بالذهب فإن ثمنه خمسمائة دينار فقالت له لمن قال لغلام تاجر جميل الصورة له عيون تجرح وخدود تقدح وله فم كخاتم سيدنا سليمان ووجنتان كشقائق النعمان وشفائف حمر كالمرجان وله عنق مثل أعناق الغزلان وهو أبيض مشرب بحمرة ظريف لطيف كريم فعل كذا وكذا وصار تارة يصف لها حسنه وجماله وتارة يصف لها كرمه وكماله ومازال يذكر لها محاسنه وكرم أخلاقه حتى عشقها فيه ولم يكن أحد أعرض من الذي يصف لزوجته إنساناً بالحسن والجمال وفرط سخائه بالمال فلما أفاض بها الغرا وقالت له هل يوجد فيه شيء من محاسني فقال لها جميع محاسنك كلها فيه وهو شبيهك في الصفة وربما كان عمره قدر عمرك ولولا أني أخاف في خاطرك لقلت أنه أحسن منك ألف مرة فسكتت ولكن التهبت نار محبته في قلبها ثم أن الصائغ لم يزل يتحدث معها في بغداد محاسنه حتى فرغ من صياغة هذا الخاتم ثم ناوله لها فلبسته فجاء على قدر أصبعها فقالت له يا سيدي أن قلبي حب هذا الخاتم واشتهى أنه يكون لي ولا أنزعه من أصبعي فقال لها اصبري فإن صاحبه كريم وأنا أطلب أن أشتريه منه فإن باعني أياه جئت به إليك وإن كان عنده حجراً آخر اشتريه لك وأصوغه مثله وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٥٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجوهري قال لزوجته اصبري فإن صاحبه كريم وأنا أطلب أن أشتريه منه فإن باعني إياه جئت به إليك وأن كان عنده حجر آخر اشتريه وأصوغه لك مثله هذا ما كان من أمر الجوهري وزوجته (وأما) ما كان من أمر قمر الزمان فإنه بات في منزله فلما أصبح أخذ مائة دينار

وأتى إلى العجوز زوجة المزين وقال لها خذي هذه المائة دينار فقالت له أعطها لأبيك فأعطاها له ثم أنها قالت له هل فعلت كما قلت قال نعم قالت له قم وتوجه الآن إلى شيخ الجوهرية فإذا أعطاك الخاتم فضعه في رأس إصبعك وانزعه بسرعة وقل له يا معلم أخطأت إن الخاتم جاء ضيقاً فيقول لك يا تاجر هل أكسره وأصوغه واسعاً فقل له ما أحتاج إلى كسره وصياغته ثانياً ولكن خذه واعطه لجارية من جواريك وأخرج له حجراً آخر يكون ثمنه سبعمائة دينار وقل له خذ هذا الحجر صغه لي فإنه أحسن من ذلك وأعطه ثلاثين دينار وأعط لكل صانع دينارين وقل له هذه الدنانير في نظير نقشه والأجرة باقية ثم ارجع إلى منزلك وبت هناك وتعالى في الصباح ومعك مائتا دينار وأنا أكمل لك بقية الحيلة ثم أنه ذهب إلى الجوهري فرحب به وأجلسه على الدكان فلما جلس قال له هل قضيت الحاجة قال نعم وأخرج له الخاتم فأخذه وحطّه في رأس إصبعه ثم نزعه سريعاً وقال له أخطأت يا معلم ورماه له وقال له إنه ضيق على إصبعي فقال له الجوهري يا تاجر هل أوسعه قال لا ولكن خذه إحساناً وألبسه لبعض جواريك فإن ثمنه تافه لأنه خمسمائة دينار فلا يحتاج إلى صياغته ثانياً ثم أخرج له فصاً آخر ثمنه سبعمائة دينار وقال له اصنع هذا ثم أعطاه ثلاثين دينار وأعطى كل صانع دينارين فقال له يا سيدي لما نصوغ الخاتم نأخذ أجرته قال هذه في نظير نقشه والأجرة باقية ثم تركه ومضى فاندهش الجوهري من شدة كرم قمر الزمان وكذلك الصناع ثم أن الجوهري ذهب إلى زوجته وقال لها يا فلانة ما رأت عيني أكرم من هذا الشاب وأنت بختك طيب لأنه أعطاني الخاتم بلا ثمن وقال لي أعطه لبعض جواريك وحكى لها القصة ثم قال لها أظن أن هذا الولد ما هو من أولاد التجار وإنما هو من أولاد الملوك والسلاطين وصار كلما مدحه تزداد فيه غراماً ووجدا وهياماً ثم لبست الخاتم والجوهري صاغ له الثاني أوسع من الأول بقليل فلما فرغ من صناعته لستة في أصبعها من داخل الخاتم الأول ثم قالت يا سيدي أنظر ما أحسن الخاتمين في أصبعي فاشتهى أن يكون الخاتمان لي فقال لها اصبري لعلي أشتري الثاني لك ثم بات فلما أصبح أخذ الخاتم وتوجه إلى الدكان هذا ما كان من أمره (وأما) ما كان من أمر قمر الزمان فإنه أصبح متوجهً إلى العجوز زوجة المزين وأعطاها مائتي دينار فقالت له توجه إلى الجوهري فإذا أعطاك الخاتم فضعه في إصبعك وانزعه سريعاً وقل أخطأت يا معلم أن الخاتم جاء واسعاً والمعلم الذي يكون مثلك إذا أتاه مثلي بشغل ينبغي له أن يأخذ القياس فلو كنت أخذت قياس أصبعي ما أخطأت وأخرج له حجراً آخر يكون ثمنه ثمانمائة دينار وقال له خذ هذا أصنعه واعط هذا الخاتم إلى جارية من جواريك ثم اعطه أربعين ديناراً واعط كل صانع ثلاثة دنانير وقل له هذا في نظير نقشه وأما الأجرة فإنها باقية وانظر ماذا يقول لك ثم تعالى ومعك ثلثمائة دينار وأعطها لأبيك يستعين بها على وقته فإنه رجل فقير الحال فقال سمعاً وطاعة ثم أنه توجه إلى الجوهري فرحب به وأجلسه ثم أعطاه الخاتم فوضعه في إصبعه ونزعه بسرعة وقال له ينبغي للمعلم الذي مثلك إذا أتاه مثلي بشغل أن يأخذ قياسه فلو كنت أخذت قياس إصبعي ما أخطأت ولكن خذه واعطه لبعض جواريك ثم أخرج له حجراً ثمنه ثمانمائة دينار وقال له خذ هذا واصنعه لي خاتما على قدر أصبعي فقال صدقت والحق معك فأخذ القياس وأخرج له أربعين ديناراً وقال له خذ هذه في نظير نقشه والأجرة باقية فقال له يا سيدي كم أجرة أخذناها منك فأحسانك علينا كثير فقال له لا بأس ثم أنه تحدث معه حصة وصار كلما يمر به سائل يعطيه ديناراً وبعد ذلك تركه وانصرف هذا ما كان من أمره (وأما) ما كان

من أمر الجوهري فإنه توجه إلى بيته وقال لزوجته ما أكرم هذا الشاب التاجر فما رأيت أكرم منه ولا أجمل منه ولا أحلى من لسانه وصار يذكر لها محاسنه وكرمه ويبالغ في مدحه فقالت له يا عديم الذوق حيث كنت تعرف فيه هذه الصفات وقد أعطاك خاتمين بثمنين ينبغي لك أن تعزمه وتعمل له ضيافة وتتودد إليه فإذا رأي منك المودة وجاء منزلنا ربما تنال منه خيراً كثيراً وإن كنت لا تسمح له بضيافة فاعزمه وأنا أعمل له الضيافة من عندي فقال لها هل أنت تعرفين أنني بخيل حتى تقول هذا الكلام قالت له ما أنت بخيل ولكنك عديم الذوق فأعزمه في هذه الليلة ولا تجيء بدونه وإن امتنع فاحلف بالطلاق وأكد عليه فقال لها على الرأس والعين ثم أنه صاغ الخاتم ونام وأصبح في ثالث يوم متوجهاً إلى الدكان وجلس فيها هذا ما كان من أمره (وأما) ما كان من أمر قمر الزمان فإنه أخذ ثلثمائة دينار وتوجه إلى العجوز وأعطاها لزوجها فقالت له ربما يعزم عليك في هذا اليوم فإذا عزم عليك وبت عنده فمهما جرى لك فأخبرني به في الصباح وهات معك أربعمائة دينار واعطها لأبيك فقال سمعاً وطاعة وصار كلما فرغت منه الدراهم يبيع من الأحجار ثم أنه توجه إلى الجوهري فقام له وأخذه بالأحضان وسلم عليه وعقد معه صحبة ثم أنه أخرج الخاتم فرآه على قدر إصبعه فقال له بارك الله فيك يا سيد المعلمين أن الصياغة موافقة ولكن الفص ليس على مرادي وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٥٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن قمر الزمان لما قال للجوهري أن الصياغة موافقة ولكن الفص ليس على مرادي لأن عندي أحسن منه فخذه وأعطه لبعض جواريك وأخرج له غيره وأخرج له مائة دينار وقال له خذ أجرتك ولا تؤاخذنا فإننا أتعبناك فقال له أن الذي تعبنا فيه قد أعطيتنا إياه وتفضلت علينا بشيء كثير وأنا قلبي تعلق بحبك ولا أقدر على فراقك فبالله عليك أن تكون ضيفي في هذه الليلة وتجبر خاطري فقال لا بأس ولكن لابد أن أتوجه إلى الخان لأجل أن أوصي أتباعي وأخبرهم بأنني غير بائت في الخان حتى لا ينتظروني فقال له أنت نازل في أي خان قال في الخان الفلاني فقال أجيء إليك هناك فقال لا بأس ثم أن الجوهري توجه إلى ذلك الخان قبل المغرب خوفاً من غضب زوجته عليه أن دخل البيت بدونه ثم أنه أخذه ودخل به في بيته وجلسا في قاعة ليس لها نظير وكانت الصبية رأته حين دخوله فأفتتنت به ثم صارا يتحدثان إلى أن جاء العشاء فأكلا وشربا وبعد ذلك جاءت القهوة والشربات ولم يزل يسامره إلى وقت العشاء فصلياً الفريضة ثم دخلت عليهما جارية ومعها فنجانان من المشروب فلما شربا غلب عليهما النوم فناما ثم جاءت الصبية فرأتهما نائمين فنظرت في وجه قمر الزمان فأندهش عقلها من جماله وقالت كيف ينام من عشق الملاح ثم قلبته على قفاه وركبت على صدره ومن شدة غيظها من غرامه نزلت على خدوده بعلقة بوس حتى أثر ذلك في خده فاشتدت حمرته وزهت وجنته ونزلت على شفته بالمص ولم تزل تمص شفته حتى خرج الدم من فمها ومع ذلك لم تنطفيء نارها ولم يرواوارها ولم تزل معه بين بوس وعناق والتفاف ساق على ساق حتى أشرق جبين الصباح وتبلج الفجر ولاح ثم وضعت في جيبه أربعة عواشق وتركته وراحت وبعد ذلك أرسلت جارية بشيء مثل النشوق فوضعته في مناخيرهما فعطسا وأفاقا فقالت لهما الجارية اعلموا يا أسيادي أن الصلاة وجبت فقوموا الصلاة الصبح وأتت لهما بالطشت والأبريق ثم قال قمر الزمان يا معلم

أن الوقت جاء وقد تجاوزنا الحد في النوم فقال الجوهري للتاجر يا صاحبي أن نوم هذه القاعة ثقيل كلما أنام فيها يجري لي هذا الأمر فقال صدقت ثم أن قمر الزمان أخذ يتوضأ فلما وضع الماء على وجهه أحرقته خدوده وشفته فقال عجائب إذا كان هوى القاعة ثقيلاً واستغرقنا في النوم فما بال خدودي وشفتي تحرقني ثم قال يا معلم أن خدودي وشفتي تحرقني ثم فقال أظن أن هذا من أكل الناموس فقال عجائب وهل يجري لك فيها مثلي قال لا ولكن إذا كان عندي ضيف مثلك يصبح يشكو من قرص الناموس ولا يكون ذلك إلا إذا كان الضيف مثلك أمرد وأما إذا كان متلحياً فلا يعف عليه الناموس وما منع الناموس عني إلا لحيتي كان الناموس لا يهوى أصحاب اللحى فقال له صدقت ثم أن الجارية جاءت لهما بالفطور فأفطرا وخرجا وراح قمر الزمان إلى العجوز فلما رأته قالت له أني أرى آثار الحظ على وجهك بما رأيت قال ما رأيت شيئاً وإنما تعشيت أنا وصاحب المحل في قاعة وصلينا العشاء ثم نمنا فما أفقنا إلا الصبح فضحكت وقالت ما هذا الأثر الذي على خدك وعلى شفتك قال لها أن ناموس القاعة فعل معي هذه الفعال فقالت صدقت وهل جرى لصاحب البيت مثل ما جرى لك قال لا ولكنه أخبرني أن ناموس تلك القاعة لا يضر أصحاب اللحى ولا يعف إلا على المرد وكلما يكون عنده ضيف فإن كان أمره يصبح يشكوا من قرص الناموس وإن كان ملتحياً فلا يجري له شيء من ذلك فقالت صدقت فهل رأيت شيئاً غير هذا قال رأيت في جيبي أربعة عواشق قالت أرني إياها فأعطاها لها فأخذتها وضحكت وقالت أن معشوقتك قد وضعت هذه العواشق في جيبك قال وكيف ذلك قالت أنها تقول لك بالإشارة لو كنت عاشقاً ما نمت فإن الذي يعشق لا ينام ولكن أنت لم تزل صغيراً ولا يليق بك إلا اللعب بهذه العواشق فما حملك على عشق الملاح وقد جاءتك في الليل فرأتك نائماً فقطعت خدودك بالبوس وحطت لك هذه الأمارة ولكنها لا يكفيها منك ذلك بل لابد أن ترسل إليك زوجها فيعزم عليك في هذه الليلة فإذا رحت معه فلا تنم عاجلاً وهات معك خمسمائة دينار وتعالى أخبرني بما حصل وأنا أكمل لك الحيلة قال لها سمعاً وطاعة ثم توجه إلى الخان هذا ما كان من أمره (وأما) ما كان من أمر زوجة الجوهري فإنها قالت لزوجها هل راح الضيف قال نعم ولكن يا فلانة أن الناموس شوش عليه في الليلة وقطع خدوده وشفته وأنا استحيت منه فقالت هذه عادة ناموس قاعتنا فإنه لا يهوى إلا المرد ولكن أعزمه في الليلة الآتية فتوجه إلى في الخان الذي هو فيه وعزمه وأتى به إلى القاعة فأكلا وشربا وصليا العشاء فدخلت عليهما الجارية وأعطت كل واحد فنجاناً وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٥٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية دخلت عليهما وأعطت كل واحد فنجاناً فشربا وناما فأتت الصبية وقالت له يا علق كيف تنام وتدعي أنك عاشق والعاشق لا ينام ثم ركبت على صدره ومازالت نازلة عليه ببوس وعض ومص وهراش إلى الصباح ثم حطت له في جيبه سكيناً وأرسلت جاريتها عند الصباح فنبهتهما وخدوده كأنها ملتهبة بالنار من شدة الأحمرار وشفاهه كالمرجان بسبب المصر والتقبيل فقال له الجوهري لعل الناموس شوش عليك قال لا لأنه لما عرف النكتة ترك الشكاية ثم أنه رأى السكين في جيبه فسكت ولما أفطر وشرب القهوة خرج من عند الجوهري وتوجه إلى الخان وأخذ خمسمائة دينار وذهب إلى العجوز وأخبرها بما رأى وقال لها أني نمت غصباً عني ولما أصبحت ما رأيت شيئاً غير سكين في جيبي

فقالت له الله يحميك منها في الليلة القابلة فإن نمت ذبحتك فقال وكيف يكون العمل فقالت أخبرني بما تأكله وما تشربه قبل النوم قال نتعشى على عادة الناس ثم تدخل علينا جارية بعد العشاء وتعطي كل واحد منا فنجاناً فمتى شربت فنجاني نمت ولا أفيق إلا في الصباح فقالت له إن الداهية في الفنجان فخذه منها ولا تشربه حتى يشرب سيدها ويرقد وحين تعطيه ذلك الجارية قل لها اسقيني ماء فتذهب لتجيء إليك بالقلة فسكب الفنجان خلف المخدة وأجعل روحك نائماً ولما ترجع إليك بالقلة تظن أنك نمت بعد أن شربت الفنجان فتروح عنك وبعد حصة يظهر لك الحال وإياك أن مخالف أمري فقال لها سمعاً وطاعة ثم توجه إلى الخان هذا ما كان من أمره (وأما) ما كان من أمر زوجة الجوهري فإنها قالت لزوجها إكرام الضيف ثلاث ليال فاعزمه مرة ثالثة فتوجه إليه وعزمه وأخذه ودخل به إلى القاعة فلما تعشيا وصليا العشاء إذا بالجارية دخلت وأعطت كل واحد فنجانا فشرب سيدها ورقد وأما قمر الزمان فإنه لم يشرب فقالت له الجارية أما تشرب ياسيدي فقال لها أنا عطشان هات القلة فذهبت لتجيء إليه بالقلة فكب الفنجان خلف المخدة ورقد فلما رجعت الجارية رأته راقداً فأخبرت سيدتها بذلك وقالت أنه لما شرب الفنجان رقد فقالت الصبية في نفسها أن موته أحسن من حياته ثم أخذت سكيناً ماضية ودخلت عليه وهي تقول ثلاث مرات وأنت لم تلحظ الإشارة يا أحمق الآن أشق بطنك فلمارآها مقبلة عليه وفي يدها السكين فتح عينيه وقام ضاحكاً فقالت له ما فهمت هذه الإشارة بفطنتك بل بدلالة ماكرة فأخبرني من أين لك هذه المعرفة قال من عجوز وجرى لي معها كذا وكذا وأخبرها بالخبز فقالت له في غد أخرج من عندنا ورح إلى العجوز وقل لها هل بقي معك من الحيل زيادة عن هذا المقدار فإن قالت لك معي فقل لها اجتهدي في الوصول إليها جهاراً وأن قالت مالي مقدرة وهذا آخر ما معي فاتركها عن بالك وفي ليلة غد يأتي زوجي ويعزمك فتعال معه وأخبرني وأنا أعرف بقية التدبير فقال لا بأس ثم بات معها بقية الليلة على ضم وعناق وأعمال حرف الجر بإنفاق واتصال الصلة بالموصول وزوجها كتنوين الإضافة معزول ولم يزالا على هذه الحالة إلى الصباح ثم قالت له أناما يكفيني منك ليلة ولا يوم ولا شهر ولا سنة وإنما قصدي أن أقيم معك بقية العمر ولكن أصبر حتى أعمل لك مع زوجي حيلة تحير ذوي الألباب ونبلغ بها الآواب وأدخل عليه الشك حتى يطلقني وأتزوج بك وأروح معك إلا بلادك وأنقل جميع ما له وذخائره وعندك وأتحيل لك على خراب دياره ومحو آثاره ولكن اسمع كلامي وطاوعني فيما أقوله لك ولا تخالفني فقال سمعاً وطاعة وما عندي حلاف فقالت له رح إلى الخان وإن جاء زوجي وعزمك فقل له يا أخي إن ابن آدم ثقيل ومتى أكثر التردد أشمأز منه الكريم والبخيل وكيف أروح عندك كل ليلة وأرقد أنا وأنت في القاعة فإن كنت أنت لا تغتاظ مني فربما يغتاظ حريمك مني بسبب منعك عنه فإن كان مرادك عشرتي فخذ لي بيتاً بجانب بيتك وتبقى أنت تارة تسهر عندي إلى وقت النوم وأنا تارة أسهر عندك إلى وقت النوم ثم أروح إلى منزلي وأنت تدخل حريمك وهذا الرأي أحسن من حجبك عن حريمك كل ليلة فإنه بعد ذلك يأتي إلي ويشاورني فأشير عليه أن يخرج جارنا فإن البيت الذي هو ساكن فيه بيتنا والجار ساكن بالكراء ومتى أتيت البيت يهون الله علينا بقية تدبير نائم أنها قالت له رح الآن وأفعل كما أمرتك فقال لها سمعاً وطاعة ثم تركته وراحت وهو جعل نفسه نائماً وبعد مدة أتت الجارية فنبهتهما فلما أفاق الجوهري قال يا تاجر لعل

الناموس شوش عليه قال لا فقال الجوهري لعلك اعتدت عليه أنهما فطرا وشربا القهوة وخرجا إلى أشغالهما وتوجه قمر الزمان إلى العجوز وأخبرها بما جرى وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٥٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن قمر الزمان لما توجه إلى العجوز وأخبرها بما جرى وقال لها أنها قالت لي كذا وكذا وقلت لها كذا وكذا فهل عندك أكثر من هذا التدبير حتى يوصلني إلى الاجتماع بها جهاراً فقالت يا ولدي إلى هنا انتهى تدبيري وفرغت حيلي فعند ذلك تركها وتوجه إلى الخان ولما أصبح الصباح توجه إليه الجوهري عند المساء وعزمه فقال له لا يمكن أني أروح معك فقال له لماذا وأنا أحببتك وما بقيت أقدر على فراقك فبالله عليك أن تمض معي فقال له أن كان مرادك طول العشرة معي ودوام الصحة بيني وبينك فخذ لي بيتاً بجانب بيتك وإن شئت تسهر عندي وأنا أسهر عندك وعند النوم يروح كل منا إلى بيته وينام فيه فقال له أن عندي بيتاً بجانب بيتي وهو ملكي فامض معي في هذه الليلة وفي غد أخليه لك فمضى معه وتعشيا وصليا العشاء وشرب زوجها الفنجان الذي فيه العمل فرقد وفنجان قمر الزمان لاغش فيه فشربه ولم يرقد فجاءته وقعدت تسامره إلى الصبح وزوجها مرمي مثل الميت ثم أنه صحا من النوم على العادة وأرسل أحضر الساكن وقال له يا رجل أخل لي بيتي فأني قد احتجت إليه فقال له على الرأس والعين فأخلاه له وسكن فيه قمر الزمان ونقل جميع مصالحه فيه وفي تلك الليلة سهر الجوهري عند قمر الزمان ثم راح إلى بيته وفي ثاني يوم أرسلت الصبية إلى معماري ماهر فأحضرته وأرغبته بالمال حتى عمل لها سرداباً في قصرها يوصل إلى بيت قمر الزمان وجعل له طابقاً تحت الأرض فما يشعر قمر الزمان إلا وهي داخلة عليه ومعها كيسان من المال فقال لها من أين جئت فارته السرداب وقالت له خذ هذين الكيسين من مانه وقعدت تهارشه وتلاعبه إلى الصباح ثم قالت له أنتظرني حتى أروح له وأنبهه ليذهب إلى دكانه وأني لك فقعد ينتظرها وأنصرفت لزوجها وأيقظته فقام وتوضأ وصلى وذهب إلى الدكان وبعد ذهابه أخذت أربعة أكياس وراحت إلى قمر الزمان من السرداب وقالت له خذ هذا المال وجلت عنده ثم انصرف كل منهما إلى حال سبيله فتوجهت إلى بيتها وتوجه قمر الزمان إلى السوق ولما رجع في وقت المغرب رأى عنده عدة أكياس وجواهر وغير ذلك ثم أن الجوهري جاء به في بيته وأخذه إلى القاعة وسهر فيها هو وإياه فدخلت الجارية على العادة وأسقتهما فرقد سيدها وقمر الزمان ما أصابه شيء لأن فنجانه سالم لا غش فيه ثم أقبلت إليه الصبية وجلست تلاعبه وصارت الجارية تنقل المصالح إلى بيته من السرداب ولم يزالوا على هذه الحالة إلى الصباح ثم أن الجارية نبهت سيدها وأسقهما القهوة وكل منهما راح إلى حال سبيله وفي ثالث يوم أخرجت له سكيناً كانت لزوجها وهي صياغته بيده كلفها خمسمائة دينار ولم يوجد لها مثيل في حسن الصياغة ومن كثرة ما طلبها منه الناس وضعها في صندوق ولم تسمح نفسه ببيعها لأحد من المخلوقين ثم قالت له خذ هذه السكين في حزامك ورج إلى زوجي وأجلس عنده وأخرجها من حزامك وقل له يا معلم انظر هذه السكين فأني أشتريتها في هذا اليوم وأخبرني هل أنا مغلوب فيها أو غالب فإنه يعرفها ويستحي أن يقول لك هذه سكيني فإن قال لك من أين أشتريتها وبكم أخذتها فقل له رأيت اثنين من اللاوندية يتقاتلان مع بعضهما فقال واحد منهما للآخرين كنت قال كنت عند صاحبتي وكلما أجتمع معها تعطيني دراهم وفي هذا اليوم قالت لي

أن يدي لا تطول دراهم في هذا الوقت ولكن خذ هذه السكين فإنها سكين زوجي فأخذتها منها ومرادي بيعها فأعجبتني السكين ولما سمعته يقول ذلك قلت له أتبيعها لي فقال اشتر فأخذتها منه بثلثمائة دينار فيا ترى هل هي رخيصة أو غالية وانظر ما يقول لك ثم تحدث معه مدة وقم من عنده وتعال إلي بسرعة فتراني قاعدة في فم السرداب انتظرك فاعطني السكين فقال لها سمعاً وطاعة ثم أخذ تلك السكين وحطها في حزامه وراح إلى دكان الجوهري فسلم عليه ورحب به وأجلسه فرأى السكين في حزامه فتعجب وقال في نفسه أن هذه سكيني ومن أوصلها إلي هذا التاجر وصار يفكر في نفسه ويقول يا ترى هي سكيني أو سكين تشابهها وإذا بقمر الزمان أخرجها وقال يا معلم خذ هذه السكين تفرج عليها فلما أخذها من يده عرفها حق المعرفة واستحى أن يقول هذه سكيني ثم قال له من أين أشتريتها فأخبره بما أوصته به الصبية فقال له هذه بهذا الثمن رخيصة لأنها تساوي خمسمائة دينار وانقادت النار في قلبه وارتبطت أياديه عن الشغل في صنعته وصار يتحدث معه وهو غريق في بحر الأفكار وكلما كلمه الغلام خمسين كلمة يرد عليه بكلمة واحدة وصار قلبه في عذاب وجسمه في اضطراب وتكدر منه الخاطر وصار كما قال الشاعر:

لـ ـم أدر فـ ـولا إذا حبـ ـوا مكـ ـالمتي	أو كلمـ ـوني يروذ ـي غائـ ـب الفكـ ـر
غرقان في بحـ ـر فكـ ـر لا قـ ـرار لـ ـه	لا فـ ـرق للنـ ـاس أنثهـ ـا مـ ـن الـ ـذكر

فلما رآه تغيرت حالته قال له لعلك مشغول في هذه الساعة ثم قام من عنده وتوجه إلى البيت بسرعة فرآها واقفة في باب السرداب تنتظره فلما رأته قالت له هل فعلت كما أمرتك قال نعم قالت له ما قال لك قال لها قال لي أنها رخيصة بهذا الثمن لأنها تساوي خمسمائة دينار ولكن تغيرت أحواله فقمت من عنده ولم أدر ما جرى بعد ذلك فقالت هات السكين وما عليك منه ثم أخذت السكين وحطتها في موضعها وقعدت هذا ما كان من أمرها (وأما) ما كان من أمر الجوهري فإنه بعد ذهاب قمر الزمان من عنده التهبت بقلبه النار وكثر عنده الوسوس وقال في نفسه لابد أن أقوم وأتفقد السكين وأقطع الشك باليقين فقام وأتى البيت ودخل على زوجته وهو ينفح مثل الثعبان فقالت له مالك يا سيدي فقال لها أين سكيني قالت في الصندوق ثم دقت صدرها بيدها وقالت يا همي لعلك تخاصمت مع أحد فأتيت تطلب السكين لتضربه قال لها هات السكين أريني إياها قالت حتى تحلف أنك لا تضرب بها أحد فحلف لها ففتحت الصندوق وأخرجتها له فصار يقلبها ويقول أن هذا شيء عجيب ثم أنه قال لها خذيها وحطيها في مكانها قالت له أخبرني ما سبب ذلك قال لها أني رأيت مع صاحبنا سكيناً مثلها وأخبرها بالخبر كله ثم قال لها لما رأيت في الصندوق قطعت الشك باليقين فقالت له لعلك ظننت بي وجعلتني صاحبة اللاوندي وأعطيته السكين فقال لها نعم أني شككت في هذا الأمر ولكن لما رأيت السكين ارتفع الشك من قلبي فقالت له يا رجل أنت ما بقي فيك خير فصار يعتذر إليها حتى أرضاها ثم خرج وتوجه إلى دكانه وفي تأتي يوم أعطت قمر الزمان ساعة زوجها وكان صنعها بيده ولم يكن عند أحد مثلها ثم قالت له رح إلى دكانه وأجلس عنده وقل له أن الذي رأيته بالأمس رأيته في هذا اليوم وفي يده ساعة وقال لي أتشتري هذه الساعة فقلت له من أين لك هذه الساعة قال كنت عند صاحبتي فأعطتني أياها فاشتريتها منه بثمانية وخمسين دينار فانظر هل هي رخيصة بهذا الثمن أو غالية وانظر ما يقول لك وإذا قمت من عنده فأتني بسرعة واعطني إياها فراح إليه قمر الزمان وفعل معه ما أمرته به فلما رآها الجوهري قال هذه

تساوي سبعمائة دينار وداخله الوهم ثم أن الغلام تركه وراح إلى الصبية وأعطاها تلك الساعة وإذا بزوجها دخل ينفخ وقال لها أين ساعتي أنت له ها هي حاضرة قال لها هاتيها فأتته بها فقال لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فقالت له يا راجل ما أنت بلا خبر فأخبرني بخبرك فقال لها ماذا أقول إني تحيرت في هذه الحالات ثم أنشد هذه الأبيات:

تحيرت والرحمن لاشـ ك فـ ي أمـ ري	وضاقت بي الأحزان من حيث لا أدري
سأصـ بر حتـ ى يعلـ م الصـ بر أنـ ي	صبرت على شيء أمر مـ ن الصـ بر
وما مثل مر الصـ بر صـ بري وأنمـ ا	صبرت على شيء أحـ ر مـ ن الجمـ ر
وما الأمر أمري فـ ي المـ راد وأنمـ ا	أمرت بحسن الصبر من صاحب الأمر

ثم قال يا امرأة أني وحدت مع التاجر صاحبنا أولاً سكيني وقد عرفتها لأن صياغتها اختراع من عقلي ولا يوجد مثلها وأخبرني بأخبار تغم القلب وأتيت فرأيتها ورأيت معه الساعة ثانياً وصياغتها أيضاً اختراع من عقلي وليس يوجد مثلها في البصرة وأخبرني أيضاً بأخبار تغم القلب فتحيرت في عقلي وما بقيت أعرف ما جرى لي فقالت له مقتضى كلامك أني أنا خليلة ذلك التاجر وصاحبته وأعطيته مصالحك وجوزت خيانتي فجئت تسألني ولو كنت ما رأيت السكين والساعة عندي كنت أثبت خيانتي لكن يا رجل حيث أنك ظننت بي هذا الظن ما بقيت أوكلك في زاد ولا أشار بك في ماء بعد هذا فأني كرهتك كراهة التحريم فصار يأخذ بخاطرها حتى أرضاها ثم خرج وتندم على مقابلتها بمثل هذا الكلام وتوجه إلى دكانه وجلس وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٥٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجوهري لما خرج من عند زوجته صار يتندم على هذا الكلام ثم ذهب إلى الدكان وجلس وصار في قلق شديد وفكر ما عليه من مزيد وهو ما بين مصدق ومكذب وعند المساء أتى إلى البيت وحده ولم يأت بقمر الزمان معه فقالت له الصبية أين التاجر قال في منزله قالت هل بردت الصحبة التي بينك وبينه قال والله أني كرهته مما جرى منه فقالت له قم هاته من شأن خاطري فقام ودخل عليه بيته فرأى حوائجه منشورة فيه فعرفها فقادت النار في قلبه وصار يتنهد فقال قمر الزمان مالي أراك في فكر فاستحى أن يقول له حوائجي عندك من أوصلها إليك وأنما قال له حصل عندي تشويش ولكن قم بنا إلى البيت لنتسلى هناك فقال دعني في محلي فلا أروح معك فحلف عليه وأخذه ثم تعشى معه وسهر تلك الليلة وصار يتحدث معه وهو غريق في بحر الأفكار وإذا تكلم الغلام التاجر مائة كلمة يرد عليه الجوهري بكلمة واحدة ثم دخلت عليهما الجارية بفنجانين حسب العادة فلما شربا رقد التاجر ولم يرقد الغلام لأن فنجانه غير مغشوش ثم دخلت الصبية على قمر الزمان وقالت له كيف رأيت هذا القركان الذي هو في غفلته سكران ولا يعرف مكايد النشوان فلابد أن أخدعه حتى يطلقني ولكن في غد أتهيأ بهيئة جارية وأروح خلفك إلى الدكان وقل له أنت يا معلم أني دخلت اليوم خان اليسيرجية فرأيت هذه الجارية فاشتريتها بألف دينار فانظرها هل هي رخيصة بهذا الثمن أو غالية ثم أكشف له عن وجهي ونهودي وفرجه على ثم خذني وأرجع بي إلى منزلك وأنا أدخل بيتي من السرداب حتى أنظر آخر أمرنا معه ثم أنهما أمضا ليتها على

الرأس وصفاء ومنادمه وهراش وبسط وانشراح إلى الصباح وبعد ذلك ذهبت إلى مكانها وأرسلت الجارية فأيقظت سيدها وقمر الزمان فقاما وصليا الصبح وأفطرا وشربا القهوة وخرج الجوهري إلى دكانه وقمر الزمان دخل بيته وإذا بالصبية خرجت من السرداب وهي بصفة جارية وكأن أصلها جارية ثم توجه إلى دكان الجوهري ومشت خلفه ولم يزل ماشياً وهي خلفه حتى وصل بها إلى دكان الجوهري فسلم عليه وجلس وقال يا معلم أبي دخلت اليوم خان اليسيرجيه بقصد الفرجة فرأيت هذه الجارية في يد الدلال فأعجبتني فأشريتها بألف دينار وقصدي أن نتفرج عليها وتنظر هل هي رخيصة الثمن أم لا وكشف له عن وجهها فرآها زوجته وهي لابسة أفخر ملبوسها ومتزينة بأحسن الزينة ومكحلة ومخضبة كما كانت تتزين قدامه في بيته فعرفها حقق المعرفة بوجهها وملبوسها وصيغتها لأنه صاغها جيدة ورأى الخواتم التي صاغها جديد القمر الزمان في أصبعها وتحق عنده أنها زوجته من سائر الجهات فقال لها ما اسمك يا جارية قالت اسمي حليمة وزوجته اسمها حليمة فذكرت له الاسم بعينه فتعجب من ذلك وقال له بكم اشتريتها قال بألف دينار قال أنك أخذتها بلا ثمن لأن الألف دينار أقل من ثمن الخواتم وملبسها ومصاغها بلا شيء فقال له بشرك الله بالخير وحيث أعجبتك فأنا أذهب بها إلى بيتي فقال أفعل مرادك فأخذها وراح إلى بيته ونزلت من السرداب وقعدت في قصرها هذا ما كان من أمرها (وأما) ما كان من أمر الجوهري فإن النار اشتعلت في قلبه وقال في نفسه أنا أروح أنظر زوجتي فإن كانت في البيت تكون هذه الجارية شبيهتها وحل من ليس له شبيه وإن لم تكن زوجتي في البيت تكون هي من غير شك ثم أنه قام يجري إلى أن دخل البيت فرآها قاعدة بملبسها وزينتها التي رآها بها في الدكان فضرب يد على يد وقال لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فقالت له يا راجل هل حصل لك جنون أو ما خبرك فماذا هذه عادتك لابد أن يكون لك أمر من الأمور فقال لها إذا كان مرادك أن أخبرك فلا تغتمي فقالت قل فقال لها إن التاجر صاحبنا اشترى جارية قدها مثل قدك وطولها مثل طولك واسمها مثل اسمك وملبسها مثل ملبسك وهي تشبهك في جميع صفاتك وفي أصبعها خواتم مثل خواتمك ومصاغها مثل مصاغك فلما فرجني عليها ظننت أنها أنت وقد تحيرت في ليتنا ما رأينا هذا التاجر ولا صحبناه ولا جاء من بلاده ولا عرفناه فإنه كدر عيشتي بعد الصفاء وكان سبباً في الجفاء بعد الوفاء وأدخل الشك في قلبي فقالت له تأمل في وجهي لعل أكون أنا التي كنت معه والتاجر صاحبي وقد لبست بصفة جارية واتفقت معه على أن يفرجك علي حتى يكيدك فقال أي شيء هذا الكلام أنا ما أظن بك أن تفعلي مثل هذه الفعال وكان ذلك الجوهري مغفلاً عن مكايدة النساء وما يفعلن مع الرجال ولم يسمع بقول من قال:

طحا بك قلب ف ي الحسـ ـان ط روب ... بعيد الشـ باب عصـ ر حـ ان مشـ يب

تكلفنـ . ي ليلـ . ي وق شـ . ط وليه . ا ... وعـ . ادت عـ . واد بيننـ . ا وخطـ . وب

وأن تسـ . .ألوني بالنسـ . .اء فـ . .أنني ... خبيـ . ر بـ . أدواء النسـ . اء طبيـ . ب

إذا شـ ـاب رأس المـ ـرء أوقـ ـل مالـ ـه ... فلـ .يس لـ .ـه مـ .ن ودهـ .ن نصـ .يب

وقول الآخر:

اعص النساء فتلـ ـك الطاعـ ـة الحسـ ـنة ... فلن يفوز فتـ ـى يعطـ ـي النسـ ـاء سـ ـنه

يعفنـ .ـه عـ .ن كمالـ .ـه فـ .ي فضـ .ائله ... ولو سـ ـعى طالبـ ـاً للعلـ ـم ألـ ـف سـ ـنه

وقول الآخر:

إن النسـ . ـاء شـ . ياطين خلق . ـن لنـ . ـا نعـ .وذ بـ .ـالله مـ .ـن كيـ .ـد الشـ .ـياطين

ومـ .ـن يهـ .ـن رمـ .ـاه العشـ .ـق مبتليـ .ـا قد وضع الحزم من دنيـ ـا ومـ ـن ديـ ـن

ثم قالت له ها أنا قاعدة في قصري ورح أنت إليه في هذه الساعة واطرق الباب واحتل على الدخول عليه بسرعة فإذا دخلت ورأيت الجارية عنده تكون جاريته تشبهني وجل من ليس له شبيه وإن لم تر الجارية عنده أكون أنا الجارية التي رأيتها معه ويكون ظنك السوء بي محققاً فقال صدقت ثم تركها وخرج فقامت هي ونزلت من السرداب وقعدت عند القمر الزمان وأخبرته بذلك وقالت له افتح الباب بسرعة وفرجه علي فبينما هما في الكلام وإذا بالباب يطرق فقال من بالباب قال أنا صاحبك فإنك فرجتني على الجارية في السوق وفرحت لك بها ولكن ما ما كملت فرحتي بها فافتح الباب وفرجني عليها قال لا بأس بذلك ثم فتح له الباب فرأى زوجته قاعدة عنده فقامت وقبلت يده ويد قمر الزمان وتفرج عليها وتحدث معه مدة فرآها تتميز عن زوجته بشيء فقال يخلق الله ما يشاء ثم أنه خرج وكثر في قلبه الوسواس ورجع إلى بيته فرأى زوجته جالسة لأنها سبقته من السرداب حين خرج من الباب وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٦٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الصبية سبقت زوجها من السرداب حين خرج من الباب ثم قعدت في قصرها فلما دخل زوجها قالت له أي شيء رأيت قال رأيتها عند سيدها وهي تشبك فقالت توجه إلى دكانك وحسبك سوء الظن فما بقيت تظن بي سوء فقال الأمر كذلك فلا تؤاخذيني بما صدر مني قالت سامحك الله ثم قبلها ذات اليمين وذات الشمال وراح إلى دكانه فنزلت من السرداب إلى قمر الزمان ومعها أربعة أكياس وقالت جهز حالك لسرعة السفر واستعد لتحميل المال بلا إمهال حتى أفعل لك ما عندي من الحيل فطلع واشترى بغالاً وحمل أحمالاً وجهز تختروانا وأشترى مماليك وخدماً وأخرج الجميع من البلد وما بقي له عاقة وأتى لها وقال إني تممت أموري فقالت وأما الأخرى قد نقلت بقية ماله وجميع ذخائره عندك وما خليت له قليلاً ولا كثيراً ينتفع به وكل هذا محبة فيك يا حبيب قلبي فأنا أفديك ألف مرة بزوجي ولكن ينبغي أن تذهب إليه وتودعه وتقول له أنا أريد السفر بعد ثلاثة أيام وجئت لأودعك فأحسب ما أتجمل لك عندي من أجرة البيت حتى أورده لك وتبرأ ذمتي وأنظر ما يكون من جوابه وأرجع إلي وأخبرني وأنا أحتال عليه وأغيظه لأجل أن يطلقني فما أراه إلا متعلقاً بي وما بقي لنا أحسن من السفر إلى بلادك فقال ها يا حبذا إن صحت الأحلام ثم راح إلى دكانه وجلس عنده وقال يا معلم أنا مسافر بعد ثلاثة أيام وما جئت إلا لأودعك والمراد أنك تحسب ما تجمل لك عندي من أجرة البيت حتى أعطيه لك وتبرأ ذمتي فقال له ما هذا الكلام أن فضلك علي والله ما آخذ منك شيئاً من أجرة البيت وحلت علينا البركات ولكنك توحشنا بسفرك ولولا أنه يحرم على لتعرضت لك ومنعتك عن عيالك وبلادك ثم ودعه وتباكيا بكاء شديداً ما عليه من مزيد وقفل الدكان من ساعته وقال في نفسه ينبغي أن أشبع من صاحبي وصار كلما راح يقضي حاجة يروح بيته معه فإذا دخل بيت قمر الزمان يجدها فيه وتقف بين أيديهما وتخدمهما وإذا رجع إلى بيته يراها قاعدة هناك ولم يزل يراها في بيته إذا دخله ويراها في بيت قمر الزمان إذا دخله مدة الثلاثة أيام ثم أنها قالت له أني نقلت

جميع ما عنده من الذخائر والأموال والفرش ولم يبق عنده إلا الجارية التي تدخل عليكما بالشراب ولكني لا أقدر على فراقها لأنها قريبتي وعزيزة عندي وكاتمة لسري ومرداي أن أضربها وأغضب عليها وإذا أتى زوجي أقول له أنا ما بقيت أقبل هذه الجارية ولا أقعد أنا وإياها في بيت فخذها وبعها فيأخذها ليبيعها فأشتريها أنت حتى نأخذها معنا فقال لا بأس بذلك ثم أنها ضربتها فلما دخل زوجها رأى الجارية تبكي فسألها عن سبب بكائها فقالت أن سيدتي ضربتني فدخل وقال ما فعلت هذه الجارية الملعونة حتى ضربتيها فقالت له يا رجل أني أقول لك كلمة واحدة أنا ما بقيت أقدر أنظر هذه الجارية فخذها وبعها وإلا طلقني فقال أبيعها ولا أخالف لك أمراً ثم أنه أخذها معه وهو خارج إلى الدكان ومر بها على قمر الزمان وكانت زوجته بعد خروجه بالجارية مرقت من السرداب بسرعة إلى قمر الزمان فأدخلها في التختروان قبل أن يصل إلى الشيخ الجوهري فلما وصل إليه ورأى قمر الزمان الجارية معه قال له ما هذه قال جاريتي التي كانت تسقينا الشراب ولكنها خالفت سيدتها فغضبت عليها وأمرتني أن أبيعها فقال حيث أبغضتها سيدتها ما بقي لها قعود عندها ولكن بعها لي حتى أشم رائحتك فيها وأجعلها خادمة لجاريتي حليمة فقال لا بأس خذها فقال له بكم فقال أنا لا أعوذ منك شيئاً لأنك تفضلت علينا فقبلها منه وقال للصبية قبلي يد سيدك فبرزت له من التختروان وقبلت يده ثم ركبت في التختروان وهو ينظر إليها ثم قال له قمر الزمان استودعتك الله يا معلم عبيد أبريء ذمتي فقال له أبرأ الله ذمتك وحملك بالسلامة إلى عيالك وودعه وتوجه إلى دكانه وهو يبكي وقد عز عليه فراق قمر الزمان لكونه كان رفيقاً له والرفق له حق ولكنه فرح بزوال الوهم الذي حصل له من أمر زوجته حيث سافر ولم يتحقق ما ظنه في زوجته هذا ما كان من أمره (وأما) ما كان من أمر قمر الزمان فإن الصبية قالت له إن أردت السلامة فسافر بنا على غير طريق معهودة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٦١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن قمر الزمان لما سافر قالت له الصبية إن أردت السلامة فسافر بنا على غير طريق معهودة فقال سمعاً وطاعة ثم سلك طريقاً ًغير الطريق التي تعهد الناس المشي فيها ولم يزل مسافراً من بلاد إلى بلاد حتى وصل إلى حدود قطر مصر ثم كتب كتاباً وأرسله إلى والده مع ساع وكان والده التاجر عبد الرحمن قاعداً في السوق بين التجار وفي قلبه من فراق ولده لهيب النار لأنه من يوم ما توجه ما أتاه من عنده خبر فبينما هو كذلك وإذا بالساعي مقبل وقال لهم يا سادتي من فيكم اسمه التاجر عبد الرحمن فقالوا له ما تريد منه قال لهم أن معي كتاباً من عند ولده قمر الزمان وقد فارقته عند العريش ففرح وانشرح وفرح له التجار وهنوه بالسلامة ثم أخذ الكتاب وقرأه فرآه من عند قمر الزمان إلى التاجر عبد الرحمن وبعد السلام عليك وعلى جميع التجار فإن سألتم عنا فلله الحمد والمنة فقد بعنا واشترينا وكسبنا ثم قدمنا بالصحة والسلامة والعافية فعند ذلك فتح باب الفرح وعمل الولائم وأكثر الضيافات والعزائم وأحضر آلات الطرب وإلى في الفرح بأنواع العجب فلما وصل ولده الصالحة خرج إلى مقابلته أبوه وجميع التجار فقابلوه واعتنقه والده وضمه إلى صدره وبكى حتى أغمي عليه ولما أفاق قال له يوم مبارك يا ولدي حيث جمعنا بك المهيمن القادر ثم أنشد قول الشاعر:

وق . رب الحبيب . ب تم . ام الس . رور   وك . أس الهن . ا علين . ا ي . دور
ف . أهلاً وس . هلاً يل . ي مرحب . اً   بن . ور الزم . ان وب . در الب . دور

ثم أفاض من شدة الفرح دمع العين وأنش هذين البيتين:

قم . ر الزم . ان يل . وح ف . ي أس . فاره   إش . رافه إذ ج . اء م . ن أس . فاره
فش . عوره ف . ي الل . ون لي . ل غياب . ه   لك . ن ش . روق الش . مس م . ن أزراره

ثم أن التجار تقدموا إليه وسلموا عليه فرأوا معه أحمالاً كثيرة وخدما وتختروانا وهو في دائرة واسعة فأخذوه ودخلوا به البيت فلما خرجت الصبية من الختروان رآها أبوه فتنة لمن يراها ففتحوا لها قصراً عالياً كأنه كنزاً نحلت عنه الطلاسم ولما رأتها أمه أفتتنت بها وظنت أنها ملكة من زوجات الملوك وفرحت بها وسألتها فقالت لها أنا زوجة ولدك قالت حيث تزوج بك ينبغي لنا أن نقيم لك فرحاً عظيماً حتى نفرح بك وبولدي هذا ما كان من أمرها (وأما) ما كان من أمر التاجر عبد الرحمن فإنه بعد انفضاض الناس ورواح كل واحد إلى حال سبيله اجتمع بولده وقال له يا ولدي ما تكون هذه الجارية عندك وبكم اشتريتها فقال له يا والدي ليست جارية وإنما هي التي كانت سبب غربتي فقال له والده وكيف ذلك قال أنها التي كان يصفها لنا الدرويش ليلة ما بات عندنا فإن آمالي تعلقت تعلقت بها من ذلك الوقت ولا طلبت السفر إلا من أجلها حتى تعريت في الطريق وأخذت العرب أموالي وما دخلت البصرة إلا وحدي وحصل لي كذا وكذا وصار يحكي لوالده من المبتدأ إلى المنتهى فلما فرغ من حديث قال له يا ولدي وبعد ذلك كله تزوجتها قال لا ولكن وعدتها أن أتزوج بها قال له هل مرادك الزواج بها قال أن كنت تأمرني أفعل ذلك وإلا فلا أتزوجها قال له إن تزوجت بها أكون بريئاً منك في الدنيا والآخرة وأغضب عليك غضباً شديداً كيف تتزوج بها وهي عملت هذه الفعال مع زوجها وكما عملتها مع زوجها على شأنك تعمل معك مثلها على شأن غيرك فإنها خائنة والخائن ليس له أمان فإن كنت تخالفني أكون غضباناً عليك وإن سمعت كلامي أفتش لك على بنت أحسن منها تكون طاهرة زكية أزوجك بها ولو أنفق عليها جميع مالي وأعمل لك فرحاً ليس له نظير وأفتخر بك وبها وإذا قال الناس فلا تزوج بنت فلان أحسن من أن يقولوا تزوج جارية معدومة النسب والحسب وصار يرغب ولده في عدم زواجها ويذكر له في شأن ذلك عبارات ونكتاً وأشعاراً وأمثالاً ومواعظ فقال قمر الزمان يا والدي حيث كان الأمر كذلك فلا علاقة لي بزواجها فلما قال قمر الزمان ذلك الكلام قبله أبوه بين عينيه وقال له ولدي حقاً وحياتك يا ولدي لابد لي من أن أزوجك بنتاً ليس لها نظير ثم أن التاجر عبد الرحمن حط زوجة عبيد الجوهري وجاريتها في قصر عال وقفل عليها وقيد بهما جارية سوداء توصل لهما أكلهما وشربهما وقال لها أنت وجاريتك تستمران محبوستين في هذا القصر حتى انظر لكما من يشتريكما وأبيعكما له وإن خالفت قتلتك أنت وجاريتك فإنك خائنة ولا خير فيك فقالت له أفعل أنت مرادك فإني أستحق جميع ما تفعله معي ثم قفل عليهما الباب ووصى عليهما حريمه وقال لا يطلع عندهما أحد ولا يكلمهما غير الجارية السوداء التي تعطيهما أكلهما وشربهما من طاقة القصر فقعدت هي وجاريتها تبكي وتتندم على ما فعلت بزوجها هذا ما كان من أمرها (وأما) ما كان من أمر التاجر عبد الرحمن فإنه أرسل الخطاب يخطبون بنتاً ذات حسب ونسب لولده فما زلن يفتشن وكلما رأين واحدة يسمعن بأحسن منها حتى دخلن بيت شيخ الإسلام فرأين بنته ليس لها نظير في مصر وهي ذات

حسن وجمال وقد واعتدال لأنها أحسن من زوجة عبيد الجوهري بألف طبقة فأخبرته بها فذهب هو والأكابر إلى والدها وخطبوها منه وكتبوا الكتاب وعملوا لها فرحاً عظيماً ثم عمل الولائم وعزم في أول يوم الفقهاء فعملوا مولداً شريفاً وثاني يوم عزموا التجار تماماً ثم دقت الطبول ورمرت الزمور وزينت الحارة والخط بالقناديل وفي كل ليلة تأتي سائر أرباب الملاعب ويلعبون بأنواع اللعب وكل يوم يعمل ضيافة لصنف من أصناف الناس حتى عزم العلماء والأمراء والصناجق والحكام ولم يزل الفرح قائماً مدة أربعين يوم وكل يوم يقعد التاجر ويستقبل الناس وولده يقعد بجانبه ليتفرج على الناس وهم يأكلون من السماط وكان فرحاً ليس له نظير وفي آخر يوم عزم الفقراء والمساكين غريباً وقربنا فصاروا يأتون زمرا ويأكلون والتاجر جالساً وأبنه بجنبه فبينما هم كذلك وإذا بالشيخ عبيد زوج الصبية داخل في جملة الفقراء وهو عريان تعبان وعلى وجهه أثر السفر فلما رآه قمر الزمان عرفه فقال لأبيه انظر يا أبي إلى هذا الرجل الفقير الذي دخل من الباب فنظر إليه فرآه رث الثياب وعليه خلق جلباب يساوي درهمين وفي وجهه أصفرار يعلوه غبار وهو مثل مقاطيع الحجاج ويئن أنين المريض المحتاج ويمشي بتهافت ويميل في مشيه ذات اليمين وذات الشمال وقال يا ولدي من هذا قال له هذا المعلم عبيد الجوهري زوج المرأة المحبوسة عندنا فقال له أهذا الذي كنت تحدثني عنه قال نعم وقد عرفته معرفة جيدة وكان السبب في مجيئه أنه لما ودع قمر الزمان توجه إلى دكانه فجاءته دقة شغل فأخذها واشتغلها في بقية النهار وعند المساء قفل الدكان وذهب إلى البيت ووضع يده على الباب فانفتح فدخل فلم ير زوجته ولا الجارية ورأى البيت في أسوأ الحال منطبقاً عليه قول من قال:

كاذ ـت خلي ـات تحـ ـل وهـ ـي عـ ـامرة   لمـ ـا خـ ـلا نحلهـ ـا عـ ـادت خلي ـات

كأنهـ ـا اليـ ـوم بالسـ ـكان مـ ـا عمـ ـرت   أو غـ ـال سـ ـكانها فصـ ـل المنبـ ـات

فلما رأى الدار خالية التفت يميناً وشمالاً ثم دار فيه مثل المجنون فلم يجد أحداً وفتح باب خزينة فلم يجد فيها شيئاً من ماله ولا من ذخائره فعند ذلك أفاق من سكرته وتنبه من غشيته وعرف أن زوجته هي التي كانت تتقلب عليه بالحيل حتى غدرت به فبكى على ما حصل له ولكنه كتم أمره حتى لا يشمت به أحد من أعدائه ولا يتكدر أحد من أحبابه وعلم أنه إذا باح بالسر لا يناله إلا الهتيكة والتعنيف من الناس وقال في نفسه يا فلان أكتم ما حصل لك من الخبال والوبال وعليك بالعمل بقول من قال:

إذا كان صـ ـدر المـ ـرء بالسـ ـر ضـ ـيقاً   فصدر الذي يسـ ـتودع السـ ـر أضـ ـيق

ثم أنه قفل بيته وقصد الدكان ووكل بها صانعاً من صناعة وقال له أن الغلام التاجر صاحبي عزم على أن أروح معه إلى مصر بقصد الفرجة وحلف أنه ما يرحل حتى يأخذني معه بحريمي وأنت يا ولدي وكيلي في الدكان وإن سألكم عني الملك فقولوا له أنه توجه بحريمه إلى بيت الله الحرام ثم باع بعض مصالحه وأشترى له جمالاً وبغالاً ومماليك واشترى له جارية وحطها في تختروان وخرج من البصرة بعد عشرة أيام فودعه أحبابه وسافر والناس لا يظنون إلا أنه أخذ زوجته وتوجه إلى الحج وفرحت الناس وقد أنقذهم الله من حبسهم في المساجد والبيوت في كل يوم جمعة وصار بعض الناس يقول لا رده الله إلى البصرة مرة أخرى حتى لا يحبس في المساجد والبيوت في كل يوم جمعة لأن هذه الخصلة أورثت أهل البصرة حسرة عظيمة وبعضهم يقول أظنه لا يرجع من سفره بسبب دعاء أهل البصرة عليه وبعضهم يقول

أن رجع لا يرجع إلا منكس الحال وفرح أهل البصرة سفره فرحاً عظيماً بعد أن كانوا في حسرة عظيمة حتى ارتاحت قططهم وكلابهم فلما أتى يوم الجمعة نادى المنادى في البلد على العادة بأنهم يدخلون المساجد قبل صلاة الجمعة بساعتين أو يستخفون في البيوت وكذلك القطط والكلاب فضاقت صدورهم فاجتمعوا جميعاً وتوجهوا إلى الديوان ووقفوا بين يدي الملك وقالوا له يا ملك الزمان أن الجوهري أخذ حريمه وسافر إلى حج بيت الله الحرام وزال السبب الذي كنا نحبس لأجله فبأي سبب الآن فقال الملك كيف سافر هذا الخائن ولم يعلمني لكن إذا جاء من سفره لا يكون الأخير وارجعوا إلى دكاكينكم وبيعوا واشتروا فقد ارتفعت عنكم هذه الحالة هذا ما كان من أمر الملك وأهل البصرة (وأما) ما كان من أمر المعلم عبيد الجوهري فإنه سافر عشرة مراحل فحل به ما حل بقمر الزمان قبل دخوله البصرة وطلعت عليه عرب بغداد فعروه وأخذوا ما كان معه وجعل نفسه ميتاً حتى خلص وبعد ذهاب العرب قام وهو عريان إلى أن دخل بلد فحنن الله عليه أهل الخير فستروا عورته بقطع من الثياب الخلقة وصار يسأل ويتقوت من بلد إلى بلد حتى وصل إلى مصر المحروسة فأحرقه الجوع فدار يسأل في الأسواق فقال له رجل من أهل مصر يا فقير عليك ببيت الفرح كل واشرب فإن هناك في هذا اليوم سماط للفقراء والغرباء فقال له لا أعرف طريق بيت الفرح فقال له أتبعني وأنا أريه لك فتبعه إلى أن وصل إلى بيت الفرح فأدخل ولا تخف فما على باب الفرح من حجاب فلما دخل رآه قمر الزمان فعرفه وأخبر به أباه ثم أن التاجر عبد الرحمن قال لولده يا ولدي اتركه في هذه الساعة ربما يكون جائعاً فدعه يأكل حتى يشبع ويسكن روعه وبعد ذلك نطلبه فصبرا عليه حتى أكل واكتفى وغسل يديه وشرب القهوة والشربات السكر الممزوجة بالمسك والعنبر وأراد أن يخرج فأرسل خلفه والد قمر الزمان فقال له الرسول تعالى يا غريب كلم التاجر عبد الرحمن فقال ما يكون هذا التاجر فقال له صاحب الفرح فرجع وظن أنه يعطيه إحساناً فلما أقبل التاجر رأى صاحبه قمر الزمان فغاب عن الوجود من الحياء منه وقام له قمر الزمان على الأقدام وأخذه بالأحضان وسلم عليه وتباكيا بكاء شديداً ثم أنه أجلسه بجانبه فقال له أبوه يا عديم الذوق ما هذا شأن ملاقاة الأصحاب أرسله أولاً إلى الحمام وأرسله إليه بدلة تليق به وبعد ذلك اقعد معه وتحدث أنت وإياه فصاح على بعض الغلمان وأمرهم أن يدخلوه الحمام وأرسل إليه بدلة من خاص الملبوس تساوي ألف دينار وأكثر من ذلك المبلغ وغسلوا جسده وألبسوه البدلة فصار كأنه شاه بندر التجار وكان الحاضرون سألوا قمر الزمان حين غيابه في الحمام وقالوا من هذا ومن أين تعرفه فقال هذا صاحبي وقد أنزلني في بيته وله علي إحسان لا يحصى فإنه أكرمني أكراماً زائداً وهو من أهل السعادة والسيادة وصنعته جوهري ليس له نظير وملك البصرة يحبه حباً كثيراً وله عنده مقام عظيم وكلام نافذ وصار يبالغ لهم في مدحه ويقول أنه فعل معي كذا وكذا وأنا صرت في حياء منه ولا أدري ما أجازيه به في مقابلة ما صنعه من الأكرام ولم يزل يثني عليه حتى عظم قدره عند الحاضرين وصار مهاباً في أعينهم فقالوا نحن كلنا نقوم بواجبه وإكرامه من شأنك ولكن مرادنا أن نعرفه ما سبب مجيئه إلى مصر وما سبب خروجه من بلاده وما فعل الله به حتى صار في هذه الحالة فقال لهم يا ناس لا تتعجبوا أن ابن آدم تحت القضاء والقدر ومادام في هذه الدنيا لا يسلم من الآفات وقد صدق من قال هذه الأبيات:

الـ ـدهر يفتـ ـرس الرجـ ـال فـ ـلا تكـ ـن ممـ ـن تطيشـ ـه المناصـ ـب والرتـ ـب

واحذر من الـ زلات واجتنـ ـب الأسـ ـى واعلم بـ ـأن الـ دهر شـ يمته العطـ ـب
كـ ـم نعمـ ـة زالـ ـت بأصـ ـغر نقمـ ـة ولكـ ـل شـ ـيء فـ ـي تقلبـ ـه سـ ـبب

اعلموا أني أنا دخلت البصرة في أسوأ من هذا الحال وأشد من هذا النكال لأن هذا الرجل دخل في مصر مستور العورة بالخلقان وأما أنا فأني دخلت بلاده مكشوف العورة يد من خلف ويد من قدام ولا نفعني إلا الله وهذا الرجل العزيز والسبب في ذلك أن العرب عروني وأخذوا أحمالي وبغالي وإجمالي وقتلوا غلماني ورجالي ورقدت بين القتلى فظنوا أني ميت فذهبوا وفاتوني وبعد ذلك قمت ومشيت عرياناً إلى أن دخلت البصرة فقابلني هذا الرجل وكساني وأنزلني في بيته وقواني بالمال وجميع ما أتيت به معي ليس إلا من الله ومن خيره فعند ما سافرت أعطاني شيئاً كثيراً ورجعت إلى بلادي مجبور الخاطر وفارقته وهو في سيادة وسعادة فلعله حدث له بعد ذلك نكبه من نكبات الزمان أوجبت له فراق الأهل والأوطان وجرى له في الطريق مثل ما جرى لي ولا عجب في ذلك ولكن ينبغي لي الآن أن أجازيه على ما صنع معي من كريم الفعال وأعمل بقول من قال:

يـ ـ ـا محسـ ـ ـنا بالزمـ ـ ـان ظنـ ـ ـا هـ ـل تـ ـدر مـ ـا يفعـ ـل الزمـ ـان
مـ ـا شـ ـئت فأصـ ـنع جميـ ـل فعـ ـل كمـ ـ ـا يـ ـ ـدين الفتـ ـ ـى يـ ـ ـدان

فبينما هم في هذا الكلام وأمثاله وإذا بالمعلم عبيد مقبل عليهم كأنه شاه بندر التجار فقام إليه الجميع وسلموا عليه وأجلسوه في الصدر وقال له قمر الزمان يا صاحبي نهارك سعيد مبارك لا تحك على شيء جرى على قبلك فإن كان العرب عروك وأخذوا منك مالك فإن المال فداء الأبدان فلا تغم نفسك فأني دخلت بلادك عرياناً وقد كسوتني وأكرمتني ولك على الإحسان الكثير فأنا أجازيك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٦٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن قمر الزمان لما قال للمعلم عبيد الجوهري أني دخلت بلادك عرياناً وقد كسوتني ولك علي الإحسان الكثير فإنا أجازيك وأفعل معك كما فعلت معي بل أكثر من ذلك فطب نفساً وقر عيناً وصار يأخذ بخاطره ومنعه من الكلام لئلا يذكر زوجته وما فعلت معه ولم يزل يعظه بمواعظ وأمثال وأشعار ونكت وحكايات وأخبار ويسليه فلحظ الجوهري ما أشار عليه قمر الزمان من الكتمان فكتم ما عنده وتسلى بما سمعه من الأخبار والنوادر وأنشد قول الشاعر:

في جبهة الدهر سطر لو نظـ ـرت لـ ـه أبكاك مضـ ـمونه مـ ـن مقلتيـ ـك دمـ ـا
ما سلم الـ دهر بـ ـاليمنى علـ ـى أحـ ـد إلا ويسـ ـراه تسـ ـقيه الـ ـردى كظمـ ـا

ثم أن قمر الزمان ووالده التاجر عبد الرحمن أخذ الجوهري ودخلا به في قاعة الحريم وأختليا به فقال له التاجر عبد الرحمن نحن ما منعناك من الكلام إلاخوفا من الفضيحة في حقك وحقنا ولكن نحن الآن في خلوة فأخبرني بما جرى بينك وبين زوجتك وولدي فأخبره بالقضية من المبتدأ إلى المنتهى فلما فرغ من قصته قال له هل الذنب من زوجتك أو من ولدي قال له والله إن ولدك ما عنده ذنب لأن الرجال لها الطمع

في النساء والنساء عليهن أن يمتنعن من الرجال فالعيب عند زوجتي التي خانتني وفعلت معي هذه الفعال فقام التاجر واختلى بولده وقال له يا ولدي أننا اختبرنا زوجته وعرفنا أنها خائنة ومرادي الآن أن أختبره وأعرف هل هو صاحب عرض ومروءة أو هو ديوث فقال له وكيف ذلك فقال له مرادي أن أحمله على الصلح مع زوجته فإن رضي بالصلح وسامحها فإني أضربه بالسيف فاقتله وبعد ذلك أقتلها هي وجاريتها لأنه لا خير في حيات الديوث والزانية وإن نرف منها فأني أزوجه أختك وأعطيه أكثر من ماله الذي أخذته منه ثم أنه رجع إليه وقال له يا معلم أن معاشرة النساء تحتاج إلى طول البال ومن كان يهواهن فإنه يحتاج إلى سعة الصدر لأنهن يعربدن الرجال ويؤذينهن لعزتهن عليهن بالحسن والجمال فيستعظمن أنفسهن ويستحقرن الرجال ولا سيما إذا بانت لهن المحبة من بعولتهن فيقابلنهم بالتيه والدلال وكريه الفعال من جميع الجهات فإن كان الرجل يغضب كلما رأى من زوجته ما يكره فلا يحصل بينه وبينها عشرة ولا يوافقهن إلا من كان واسع البال كثير الاحتمال وإن لم يحتمل الرجل زوجته ويقابل إساءتها بالسماح فإنه لا يحصل له في عشرتها نجاح وقد قيل في حقهن لو كن في السماء لمالت إليهن أعناق الرجال ومن قدر وعفا كان أجره على الله وهذه المرأة زوجتك ورفيقتك وطالت عشرتها معك فينبغي أن يكون عندك لها السماح وهذا في العشرة من علامات النجاح والنساء ناقصات عقل ودين وهي إن أساءت فإنها قد تابت وإن شاء الله لا ترجع إلى فعل ما كانت تفعله أولاً فالرأي عندي إنك تصطلح أنت وإياها وأنا أرد لك أكثر من مالك وأنت أقمت عندي فمرحباً بك وبها وليس لكما إلا ما يسر كما وأن كنت تطلب التوجه إلى بلادك فأنا أعطيك ما يرضيك وهاهو التختروان حاضر فركب زوجتك وجاريتها فيه وسافر إلى بلادك والذي يجري بين الرجل وزوجته كثير فعليك بالتيسير ولا تسلك سبيل التعسير فقال الجوهري يا سيدي وأين زوجتي فقال له ها هي في هذا القصر فاطلع إليها واستوص بها من شأني ولا تشوش عليها فإن ولدي لما جاء بها وطلب زواجها منعته عنها ووضعتها في هذا القصر وقفلت عليها الباب وقلت في نفسي ربما يجيء زوجها فأسلمها إليه لأنها جميلة الصورة والتي مثل هذه لا يمكن زوجها أن يفوتها والذي حسبته حصل والحمد لله تعالى على اجتماعك بزوجتك وأما من جهة أبني فأني خطبت له وزوجته غيرها وهذا الولائم والضيافات من أجل فرحه وفي هذه الليلة أدخله على زوجته وها هو مفتاح القصر الذي فيه زوجتك فخذه وافتح الباب وأدخل على زوجتك وجاريتك وانبسط معهما واتيكم الأكل والشرب ولا تنزل من عندها حتى تشبع منها فقال جزاك الله عني كل خير يا سيدي ثم أخذ المفتاح وطلع فرحاً فظن التاجر أن هذا الكلام أعجبه وأنه رضي به فأخذ السيف وتبعه من خلفه بحيث لم يره ثم وقف ينظر ما يحصل بينه وبين زوجته هذا ما كان من أمر التاجر عبد الرحمن (وأما) ما كان من أمر الجوهري فإنه دخل على زوجته فرآها تبكي بكاء شديداً بسبب أن قمر الزمان تزوج بغيرها ورأى الجارية تقول لها كم نصحتك يا سيدتي وقلت لك أن هذا الغلام لا ينالك منه خير فاتركي عشرته فما سمعت كلامي حتى نهبت جميع مال زوجك وأعطيته له وبعد ذلك فارقت مكانك وتعلقت في هواه وجئت معه في هذه البلاد وبعد ذلك رماك من باله وتزوج بغيرك ثم جعل آخر تلفك به الحبس فقالت لها اسكتي يا ملعونة فإنه وإن تزوج بغيري لابد أن أخطر يوماً على باله فأنا لا أسلو مسامرته وأنا على كل حال أتسلى بقول من قال :

يـ .ا سـ .ادتي هـ .ل يخطرنـ .ا ببـ .الكم   من ليس يخطـ ر غيـ ركم فـ ي بالـ ـه
حاشا كم أن تغفلـ وا عـ ن حـ ـال مـ ـن   هـ ـو غافـ ـل فـ ي حـ بكم عـ ن حالـ ـه

فلابد أن نتذكر عشرتي وصحبتي ويسأل عني وأنا لا أرجع عن محبته ولا أحول عن هواه ولو مت في السجن فإنه حبيبي وطبيبي وعشمي منه أن يرجع إلي ويعمل معي انبساطاً فلما سمعها زوجها تقول هذا الكلام دخل عليها وقال لها يا خائنة أن عشمك فيه مثل عشم إبليس في الجنة كل هذه العيوب فيك وأنا ما عندي خبر ولو علمت أن فيك عيباً من هذه العيوب ما كنت قنيتك عندي ساعة واحدة ولكن حيث تيقنت فيك ذلك ينبغي أن أقتلك ولو قتلوني فيك يا خائنة ثم قبض عليها بيديه الاثنتين وأنشد هذين البيتين:

يـ .ا ملاحـ .اً أذهبـ .تم صـ .دق ودي   بـ . ـالتجني ولـ . ـم تراعـ . ـوا حقوقـ . ـاً
كـ .م بكـ .م صـ .بوة علقـ .ت ولكـ .ن   بعد هذا الأسى كرهت العلوقـ ـا جـ ـازم

ثم أتكأ على زمارة حلقها وكسرها فصاحت الجارية واسيدتاه فقال يا عاهرة العيب كله منك حيث كنت تعرفين أن فيها هذه الخصلة ولم تخبريني ثم قبض على الجارية وخنقها كل ذلك حصل والتاجر ممسك السيف بيده وهو واقف خلف الباب يسمع بإذنه ويرى بعينه ثم أن عبيد الجوهري لما خنقهما في قصر التاجر كثرت عليه الأوهام وخاف عاقبة الأمر وقال في نفسه أن التاجر إذا علم أني قتلتهما في قصره لابد أنه يقتلني ولكن أسأل الله أن يجعل قبض روحي على الإيمان وصار متحيراً في أمره ولم يدر ماذا يفعل فبينما هو كذلك وإذا بالتاجر عبد الرحمن دخل عليه وقال له لا بأس عليك فإنك تستاهل السلامة وانظر هذا السيف الذي في يدي فإني كنت مضمراً على أن أقتلك أن صالحتها ورضيت عليها واقتل الجارية وحيث فعلت هذه الفعال فمرحباً بك ثم مرحباً وما جزاؤك إلا أن أزوجك أبنتي أخت قمر الزمان ثم أنه أخذه ونزل به وأمر بإحضار الغاسلة وشاع الخبر أن قمر الزمان أين التاجر عبد الرحمن جاء بجاريتين معه من البصرة فماتتا فصار الناس يعزونه ويقولون له تعيش رأسك وعوض الله عليك ثم غسلوهما وكفنوهما ودفنوهما ولم يعرف أحد حقيقة الأمر هذا ما كان من أمر عبيد الجوهري وزوجته وجاريته (وأما) ما كان من أمر التاجر عبد الرحمن فأنه أحضر شيخ الإسلام وجميع الأكابر وقال يا شيخ الإسلام أكتب كتاب بنتي كوكب الصباح على المعلم عبيد الجوهري ومهرها قد وصلني بالتمام واللكمال فكتب الكتاب وسقاهم الشربات وجعلوا الفرح واحداً وزفوا بنت شيخ الإسلام زوجة قمر الزمان وأخته كوكب الصباح زوجة المعلم عبيد الجوهري في تختروان واحد في ليلة واحدة في المساء زفوا قمر الزمان والمعلم عبيد سواء وأدخلوا قمر الزمان على بنت شيخ الإسلام وأدخلوا المعلم عبيداً على بنت التاجر عبد الرحمن فلما دخل عليها رآها أحسن من زوجته وأجمل منها بألف طبقة ثم أنه أزال بكارتها ولما أصبح دخل الحمام مع قمر الزمان ثم أقام عندهم مدة في فرح وسرور وبعد ذلك اشتاق إلى بلاده فدخل على التاجر عبد الرحمن وقال يا عم أني اشتقت إلى بلادي ولي فيها أملاك وأرزاق وكنت أقمت فيها صانعاً من صناعي وكيلاً عني وفي خاطري أن أسافر إلى بلادي لأبيع أملاكي وأرجع إليك فهل تأذن لي في التوجه إلى بلادي من أجل ذلك فقال له يا ولدي قد أذنت لك ولا لوم عليك في هذا الكلام فإن حب الوطن من الإيمان والذي ماله خير في بلاده ماله خير في بلاد الناس وربما أنك إذا سافرت بغير زوجتك ودخلت بلادك يطيب لك فيها القعود وتصير متحيرا بين رجوعك إلى زوجتك

وقعودك في بلادك فالرأي الصواب أن تأخذ زوجتك معك وبعد ذلك إن شئت الرجوع إلينا فارجع أنت وزوجتك ومرحباً بك وبها لأننا ناس لا نعرف طلاقاً ولا نتزوج منا امرأة مرتين ولا تهجر إنساناً بطرا فقال يا عم أخاف أن ابنتك لا ترضي بالسفر معي إلى بلادي فقال له يا ولدي نحن ما عندنا نساء تخالف بعولتهن ولا نعرف امرأة تغضب على بعلها فقال له بارك الله فيكم وفي نسائكم ثم أنه دخل على زوجته وقال لها أنا مرادي السفر إلى بلادي فما تقولين قالت أن أبي يحكم على ما دمت بكراً وحيث تزوجت فقد صار الحكم كله في يد بعلي وأنا لا أخالفه فقال لها بارك الله فيك وفي أبيك ورحم الله بطناً حملتك وظهرا ألقاك ثم بعد ذلك قطع علائقه وأخذ في السفر فأعطاه عمه شيئاً كثيراً وودعا بعضهما ثم أخذ زوجته وسافر ولم يزل مسافراً حتى دخل البصرة فخرجت لملاقاته الأقارب والأصحاب وهم يظنون أنه كان في الحجاز وصار بعض الناس فرحاناً بقدومه وبعضهم مغموماً لرجوعه إلى البصرة وقال الناس لبعضهم أنه يضيق علينا في كل جمعة بحسب العادة ويحبسنا في الجوامع والبيوت حتى يحبس قططنا وكلابنا هذا ما كان من أمره (وأما) ما كان من أمر الملك فإنه لما علم بقدومه غضب عليه وأرسل إليه وأحضره بين يديه وعنفه وقال له كيف تسافر ولم تعلمني بسفرك فهل كنت عاجزاً عن شيء أعطيه لك لتستعين به على الحج إلى بيت الله الحرام فقال له العفو يا سيدي والله ما حججت ولكن جرى لي كذا وكذا وأخبره بما جرى له مع زوجته ومع التاجر عبد الرحمن المصري وكيف زوجه ابنته إلى أن قال له وقد جئت بها إلى البصرة فقال له والله لولا أني أخاف من الله تعالى لقتلتك وتزوجت بهذه البنت الأصيلة من بعدك ولو كنت أنفق عليها خزائن الأموال لأنها لا تصلح إلا للملوك ولكن جعلها الله من نصيبك وبارك الله لك فيها فاستوص بها خيراً ثم أنه أنعم على الجوهري ونزل من عنده وقعد معها خمس سنوات وبعد ذلك توفي إلى رحمة الله تعالى فخطبها الملك فما رضيت وقالت أيها الملك أنا ما وجدت في طائفتي امرأة تزوجت بعد بعلها فأنا لا أتزوج أحداً بعد بعلي فلا أتزوجك ولو كنت تقتلني فأرسل يقول لها هل تطلبين التوجه إلى بلادك فقالت إذا فعلت خيراً تجازى به فجمع لها جميع أموال الجوهري وزادها من عنده على قدر مقامه ثم أرسل معها وزيراً من وزرائه مشهوراً بالخير والصلاح وأرسل معه خمسمائة فارس فسار بها ذلك الوزير حتى أوصلها إلى أبيها وأقامت من غير زواج حتى ماتت ومات الجميع وإذا كانت هذه المرأة ما رضيت أن تبدل زوجها بعد موته بسلطان كيف تسوى بمن تبدله في حال حياته بغلام مجهول الأصل والنسب وخصوصاً إذا كان ذلك في السفاح وعلى غير طريق سنة النكاح ومن ظن أن النساء كلهن سواء فإن داء جنونه ليس له دواء فسبحان من له الملك والملكوت وهو الحي الذي لا يموت.

(حكاية عبد الله بن فاضل عامل البصرة مع أخويه)

(وما يحكى أيضاً) أيها الملك السعيد أن الخليفة هارون الرشيد تفقد خراج البلاد يوماً من الأيام فرأى خرج جميع الأقطار والبلاد جاء إلى بيت المال إلا خراج البصرة فإنه لم يأت في ذلك العام فنصب ديواناً لهذا السبب وقال على بالوزير جعفر فحضر بين يديه فقال له إن خراج جميع الأقطار جاء إلى بيت المال إلا خراج البصرة فإنه لم يأت منه شيء فقال يا أمير المؤمنين لعل نائب البصرة حصل له أمر لهاه عن إرسال

الخراج فقال له إن مدة حضور الخراج عشرون يوماً فما عذره في هذه المدة حتى لم يرسل الخراج أو يرسل بإقامة العذر فقال له يا أمير المؤمنين إن شئت أرسلنا إليه رسولاً فقال أرسل له أبا أسحق الموصلي النديم فقال سمعاً وطاعة لله ولك يا أمير المؤمنين ثم أن الوزير جعفر نزل إلى داره وأحضر أبا إسحق الموصلي النديم وكتب له خطاً شريعاً وقال له أمض إلى عبد الله بن فاضل نائب مدينة البصرة وانظر ما الذي ألهاه عن إرسال الخراج ثم تسلم منه خراج البصرة بالتمام والكمال وأئتني به سريعاً فإن الخليفة تفقد خراج الأقطار فوجده قد وصل إلا خراج البصرة وإن رأيت الخراج غير حاضر واعتذر إليك بعذر فهاته معك ليخبر الخليفة بالعذر من لسانه فأجاب بالسمع والطاعة وأخذ خمسة آلاف فارس من عسكر الخليفة وسافر حتى وصل إلى مدينة البصرة فعلم بقدومه عبد الله بن فاضل فخرج بعسكره إليه ولاقاه ودخل به البصرة وطلع به قصره وبقية العسكر نزلوا في الخيام خارج البصرة وقد عين لهم ابن فاضل جميع ما يحتاجون إليه ولما دخل أبو أسحق الديوان وجلس على الكرسي أجلس عبد الله بن فاضل بجانبه وجلس الأكابر حوله على قدر مراتبهم ثم بعد السلام قال له ابن فاضل يا سيدي هل قدومك علينا من سبب قال نعم أنما جئت لطلب الخراج فإن الخليفة سأل عنه ومدة وروده قد مضت فقال يا سيدي يا ليتك ما تعبت ولا تحملت مشقة السفر فإن الخراج حاضر بالتمام والكمال وقد كنت عازماً أن أرسله في غد ولكن حيث أتيت فأنا أسلمه إليك بعد ضيافتك ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع أحضر الخراج بين يديك ولكن وجب علينا الآن أننا نقدم إليك هدية من بعض خيرك وخير أمير المؤمنين فقال له لا بأس بذلك ثم أنه فض الديوان ودخل به قصراً في داره ليس له نظير ثم قدم له ولأصحابه سفرة الطعام فأكلوا وشربوا وتلذذوا وطربوا ثم رفعت المائدة وغسلت الأيادي وجاءت القهوة والشربات وقعدوا في المنادمة إلى ثلث الليل ثم فرشوا له سريراً من العاج مرصعاً بالذهب الوهاج فنام عليه ونام نائب البصرة على سرير آخر بجانبه فغلب السهر على أبي أسحق رسول أمير المؤمنين وصار يفكر في بحور الشعر والنظام لأنه من خواص ندماء الخليفة وكان له باع عظيم في الأشعار ولطائف الأخبار ولم يزل سهراناً في إنشاد الشعر إلى نصف الليل فبينما هو كذلك وإذا بعبد الله بن فاضل قام وشد حزامه وفتح دولاباً وأخذ منه سوطاً وأخذ شمعه مضيئة وخرج من باب القصر وهو يظن أن أبا أسحق نائم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٦٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن عبد الله بن فاضل لما خرج من باب القصر وهو يظن أن أبا أسحق النديم نائماً فلما خرج تعجب أبو أسحق وقال في نفسه إلى أين يذهب عبد الله ابن فاضل بهذا السوط فلعل مراده أن يعذب أحداً ولكن لابد لي من أن أتبعه وانظر ما يصنع في هذه الليلة ثم أن أبا أسحق قام وخرج وراءه قليلاً قليلاً بحيث أنه لم يره فرأى عبد الله فتح خزانة وأخرج منها مائدة فيها أربعة أصحن من الطعام وخبزاً وقلة فيها ماء ثم أنه حمل المائدة والقلة ومشي فتبعه أبو أسحق مستخفياً إلى أن دخل قاعة فوقف أبو أسحق خلف باب القاعة من داخل وصار ينظر من خلال ذلك الباب فرأى هذه القاعة واسعة ومفروشة فرشاً فاخراً وفي وسط تلك القاعة سرير من العاج مصفح بالذهب الوهاج وذلك السرير مربوط فيه كلبان في سلسلتين من الذهب ثم أنه رأى عبد الله حط المائدة على جانب في مكان وشمر عن أياديه وفك الكلب الأول

فعمار يتلوى في يده ويضع وجهه في الأرض كأنه يقبل الأرض بين يديه ويعوي عواء خفيفاً بصوت ضعيف ثم أنه كتفه ورماه في الأرض وسحب السوط ونزل به عليه وضربه ضرباً وجيعاً من غير شفقة وهو يتلوى بين يديه ولا يجد له خلاصاً ولم يزل يضربه بذلك السوط حتى قطع الأنين وغاب عن الوجود ثم أنه أخذه وربطه في مكانه وبعد ذلك أخذ الكلب الثاني وفعل به كما فعل بالأول ثم أنه أخرج محرمة وصار يمسح لهما دموعهما ويأخذ بخاطرهما ويقول لا تؤاخذاني والله ما هذا بخاطري ولا يسهل علي ولعل الله يجعل لكما من هذا الضيق فرجاً ومحرجاً ويدعوا لهما وحصل كل هذا وأبو أسحق النديم واقف يسمع بأذنه ويرى بعينه وقد تعجب من هذه الحالة ثم أنه قدم لهما سفرة الطعام وصار يلقمهما بيده حتى شبعا ومسح لهما أفواههما وحمل القلة وسقاهما وبعد ذلك حمل المائدة والقلة والشمعة وأراد أن يخرج فسبقه أبو أسحق وجاء إلى سريره ونام ولم يره ولم يعرف أنه تبعه وأطلع عليه ثم أن عبد الله وضع السفرة والقلة في الخزانة ودخل القاعة وفتح الدولاب ووضع السوط في محله وقلع حوائجه ونام هذا ما كان من أمره (وأما) ما كان من أمر أبي اسحق فإنه بات بقية تلك الليلة يفكر في شأن هذا الأمر ولم يأته نوم من كثرة العجب وصار يقول في نفسه يا ترى ما سبب هذه القضية ولم يزل يتعجب إلى الصباح ثم قاموا وصلوا الصبح ووضع لهم الفطور فأكلوا وشربوا القهوة وطلعوا إلى الديوان واشتغل أبو أسحق بهذه النكتة طول النهار ولكنه كتمها ولم يسأل عبد الله عنها وثاني ليلة فعل بالكلبتين كذلك فضربهما ثم صالحهما وأطعمهما وسقاهما وتبعه أبو اسحق فرآه فعل بهما كأول ليلة وكذلك ثالث ليلة ثم أنه أحضر الخراج إلى أبي اسحق النديم في رابع يوم فأخذه وسافر ولم يبدله شيئاً ولم يزل مسافراً حتى وصل إلى مدينة بغداد وسلم الخراج إلى الخليفة ثم أن الخليفة سأله عن سبب تأخير الخراج فقال له يا أمير المؤمنين رأيت عامل البصرة قد جهز الخراج وأراد إرساله ولو تأخرت يوماً لقابلني في الطريق لكن رأيت من عبد الله بن فاضل عجباً عمري ما رأيت مثله يا أمير المؤمنين فقال الخليفة وما هو يا أبا اسحق قال رأيت ما هو كذا وكذا وأخبره بما فعله مع الكلبين وقال رأيته ثلاث ليال متواليات وهو يعمل هذا العمل فيضرب الكلبين وبعد ذلك يصالحهما ويأخذ بخاطرهما ويطعمهما ويسقيهما وأنا أتفرج عليه بحيث لا يراني فقال له الخليفة فهل سألته عن السبب فقال لا وحياة رأسك يا أمير المؤمنين فقال الخليفة يا أبا اسحق أمرتك أن ترجع إلى البصرة وتأتيني بعبد الله بن فاضل وبالكلبين فقال يا أمير المؤمنين دعني من هذا فإن عبد الله بن فاضل أكرمني أكراماً زائداً وقد اطلعت على هذه الحالة اتفاقاً من غير قصدنا خبرتك بها فكيف أرجع إليه وأجيء به فإن رجعت إليه لا ألقي لي وجهاً حياء منه فاللائق إرسال غيري إليه بخط يدك فيأتيك به وبالكلبين فقال له أن أرسلت له غيرك ربما ينكر هذا الأمر ويقول ما عندي كلاب وأما إذا أرسلتك أنت وقلت له أني رأيتك بعيني فإنه لا يقدر على إنكار ذلك فلابد من ذهابك إليه وإتيانك به وبالكلبين وإلا فلابد من قتلك فقال له أبو اسحق سمعاً وطاعة يا أمير المؤمنين وحسبنا الله ونعم الوكيل وصدق من قال آفة الإنسان من اللسان فأنا الجاني على نفسي حيث أخبرتك ولكن أكتب خطاً شريفاً وأنا أذهب إليه وآتيك به فكتب له خطاً شريفاً وتوجه به إلى البصرة فلما دخل على عامل البصرة قال له كفانا الله شر رجوعك يا أبا اسحق فمالي أراك رجعت سريعاً لعل الخراج ناقص فلم يقبله الخليفة فقال يا أمير عبد الله ليس رجوعي من أجل نقص الخراج فإنه كامل وقبله الخليفة ولكن أرجو منك عدم المؤاخذة فإني أخطأت في حقك وهذا الذي

وقع مني مقدر من الله تعالى فقال له وما وقع منك يا أبا اسحق أخبرني فإنك حبيبي وأنا لا أؤاخذك فقال له اعلم أني لما كنت عندك اتبعتك ثلاث ليال متواليات وأنت تقوم كل ليلة في نصف الليل وتعذب الكلاب وترجع فتعجبت من ذلك واستحييت أن أسألك عنه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٦٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أبو اسحق قال لعبد الله لما رأيت عذابك للكلبين استحيت أن أسألك عنه وقد أخبرت الخليفة بخبرك اتفاقاً من غير قصد فالزمني بالرجوع إليك وهذا خط يده ولو كنت أعلم أن الأمر يحوج إلى ذلك ما كنت أخبرته ولكن جرى القدر بذلك وصار يعتذر إليه فقال له حيث أخبرته فأنا أصدق خبرك عنده لئلا يظن بك الكذب فإنك حبيبي ولو أخبره غيرك كنت أنكرت ذلك وكذبته فها أنا أروح معك وأخذ الكلبين معي ولو كان في ذلك تلف نفسي وانقضاء أجلي فقال له الله يسترك كما سترت وجهي عند الخليفة ثم أنه أخذ هدية تليق بالخليفة وأخذ الكلبين في جنازير من الذهب وحمل كل كلب على جمل وسافروا إلى أن وصلوا إلى بغداد ودخلوا على الخليفة فقبل الأرض بين يديه فأذن له بالجلوس فجلس وأحضر الكلبين بين يديه فقال الخليفة ما هذان الكلبان يا أمير عبد الله فصار الكلبان يقبلان الأرض بين يديه ويحركان أذنابهما ويبكيان كأنهما يشكوان إليه فتعجب الخليفة من ذلك وقال له أخبرني بخبر هذين الكلبين وما سبب ضربك لهما وإكرامهما بعد الضرب فقال له يا خليفة ما هذان كلبان وإنما هما رجلان شابان ذوا حسن وجمال وقد واعتدال وهما أخواي وولد أمي وأبي فقال الخليفة وكيف كانا آدميين وصارا كلبين قال إن أذنت لي يا أمير المؤمنين أخبرك بحقيقة الخبر فقال أخبرني وأياك والكذب فإنه صفة أهل النفاق وعليك بالصدق فإنه سفينة النجاة وسيمة الصالحين فقال له اعلم يا خليفة الله أني إذا أخبرتك بخبرهما يكونان هما الشاهدان علي فإن كذبت يكذباني وإن صدقت يصدقاني فقال له هذان من الكلاب لايقدران على نطق ولا جواب فكيف يشهدان لك أو عليك فقال لهما يا أخواي إذا أنا تكلمت كلاماً كذباً فارفعا رؤسكما وحملقا أعينكما وإذا تكلمت صدقاً فنكسا رؤسكما وغمضا أعينكما ثم أنه قال اعلم يا خليفة الله إنا نحن ثلاثة أخوة أمنا واحدة وأبونا واحد وكان اسم أبينا فاضل وما سمي بهذا الاسم إلا لكون أمه وضعت ولدين توأمين في بطن واحد فمات أحدهما لوقته وساعته وفضل الثاني فسماه أبوه فاضلاً ثم رباه وأحسن تربيته إلى أن كبر فزوجه أمنا ومات فوضعت أخي هذا أولاً فسماه منصوراً وحملت ثاني مرة ووضعت أخي هذا فسماه ناصراً وحملت ثالث مرة ووضعتني فسماني عبد الله وربانا حتى كبرنا وبلغنا مبلغ الرجال فمات وخلّف لنا بيتاً ودكاناً ملآنا قماشاً ملوناً من سائر أنواع القماش الهندي والرومي والخراساني وغير ذلك وخلف لنا ستين ألف دينار فلما مات أبونا غسلناه وعملنا له مشهداً عظيماً ودفناه وذهب لرحمة مولاه وعملنا له عتاقة وختمات وتصدقنا عليه إلى تمام الأربعين يوماً ثم أني بعد ذلك جمعت التجار وأشراف الناس وعملت لهم يوماً عظيماً وبعد ما أكلوا قلت لهم يا تجار أن الدنيا فانية والآخرة باقية وسبحان الدائم بعد فناء خلقه هل تعلمون لأي شيء جمعتكم في هذا اليوم المبارك عندي قالوا سبحان علام الغيوب فقلت لهم أن أبي مات عن جملة من المال وأنا خائف أن يكون عليه تبعة لأحد من دين أو رهن أو غير ذلك ومرادي خلاص ذمة أبي من حقوق الناس فمن كان له عليه شيء فليقل أن لي عليه كذا وكذا وأنا أورده له لأجل براءة ذمة أبي فقال لي التجار يا عبد الله أن الدنيا لا

تغني عن الآخرة ولسنا أصحاب باطل وكل منا يعرف الحلال من الحرام ونخاف من الله تعالى ونجتنب أكل مال اليتيم ونعلم أن أباك رحمة الله عليه كان دائماً يبقى ماله عند الناس ولا يخلي في ذمته شيئاً إلى أحد ونحن كنا دائماً نسمعه وهو يقول أنا خائف من متاع الناس ودائماً كان يقول في دعائه إلهي أنت ثقتي ورجائي فلا تمتني وعلى دين وكان من جملة طباعه أنه إذا كان لأحد عليه شيء فإنه يدفعه له من غير مطالبة وإذا كان له على أحد شيء فإنه لا يطاليه ويقول له على مهلك وإن كان فقيراً يسامحه ويبريء ذمته وإن لم يكن فقيراً ومات يقول سامحه الله ممالي عنده ونحن كلنا نشهد أنه ليس لأحد عنده شيء فقلت بارك الله فيكم ثم أني التفت إلى أخوي هذين وقلت لهما يا أخوي أنا أبانا ليس عليه لأحد شيء وقد حلف لنا هذا المال والقماش والبيت والدكان ونحن ثلاثة أخوة كل واحد منا يستحق ثلث هذا الشيء فهل تتفق على عدم القسمة ويستمر مالنا مشتركاً بيننا ونأكل سواء ونشرب سواء ونقسم القماش والأموال ويأخذ كل واحد منا حصته فأبيا إلا القسمة ثم التفت إلى الكلبين وقال لهما هل جرى ذلك يا أخوي فنكسا رؤسهما وغضا عيونهما كأنها قال نعم ثم أنه قال فأحضرت قساماً من طرف القاضي يا أمير المؤمنين فقسم بيننا المال والقماش وجميع ما خلفه لنا أبونا وجعلوا البيت والدكان من قسمي في نظير بعض ما استحقه من الأموال ورضينا بذلك وصار البيت والدكان في قسمي وهما أخذا قسمهما مالا وقماشاً ثم أني فتحت دكاناً ووضعت فيها القماش واشتريت بجانب من المال الذي خصني زيادة على البيت والدكان قماشاً حتى ملأت الدكان وقعدت أبيع وأشتري وأما أخواي فأنهما اشتريا قماشاً واكتريا مركباً وسافر في البحر إلى بلاد الناس فقلت الله يساعدهما وأنا رزقي يأتيني وليس للراحة قيمة ودمت على ذلك مدة سنة كاملة ففتح الله علي وصرت أكتسب مكاسب كثيرة حتى صار عندي مثل الذي خلفه لنا أبونا فاتفق لي يوماً من الأيام أنني كنت جالساً في الدكان وعلى فروتان أحدهما سمور والأخرى سنجاب لأن ذلك الوقت كان في فصل الشتاء في أوان اشتداد البرد فبينما أنا كذلك وإذا بأخواي قد أقبلا وعلي بدن كل واحد منهما قميص خلق من غير زيادة شفاههما من البرد وهما يتنفصان فلما رأيتهما عسر على ذلك وحزنت عليهما وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٦٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن عبد الله بن فاضل لما قال للخليفة فلما رأيتهما ينتفضان عسر على ذلك وحزنت عليهما وطار عقلي من رأسي فقمت إليهما واعتنقتهما وبكيت على حالهما وخلعت على واحد منهما الفروة السمور وعلى الآخر الفروة السنجاب وأدخلتهما الحمام وأرسلت إلى كل واحد منهما في الحمام بدلة تاجر ألفي وبعد ما اغتسلا لبس كل واحد منهما بدلته ثم أخذتهما إلى البيت فرأيتهما في غاية الجوع فوضعت لهما سفرة الأطعمة فأكلا وأكلت معهما ولاطفتهما وأخذت بخاطرهما ثم التفتت إلى الكلبين وقال لهما هل جرى ذلك يا أخواي فنكسا رؤسهما وعضا عيونهما ثم أنه قال يا خليفة الله ثم أني أسألتهما وقلت لهما ما الذي جرى لكما فقال سافرنا في البحر ودخلنا مدينة تسمى مدينة الكوفة وصرنا نبيع القطعة القماش التي ثمنها علينا نصف دينار بعشرة دنانير والتي بدينار بعشرين دينار واكتسبنا مكاسب عظيمة واشترينا من قماش العجم الشقة الحرير بعشرة دنانير وهي تساوي في البصرة أربعين ديناراً ودخلنا مدينة تسمى الكرخ

فبعنا واشترينا وكسبنا مكاسب كثيرة وصار عندنا أموال كثيرة وجعلا يذكر أن لي البلاد والمكاسب فقلت لهما حيث رأيتما هذا الفرج والخير فمالي أراكما رجعتما عريانين فتنهدا وقال يا أخانا ما حل بنا إلا عين صائبة والسفر مائة أمان فلما جمعنا تلك الأموال والخيرات وسقنا متاعنا في مركب وسافرنا في البحر بقصد التوجه إلى مدينة البصرة وقد سافرنا ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع رأينا البحر قام وقعد وأرغى وأزبد وتحرك وهاج وتلاطم بالأمواج وصار الموج يقدح الشرار كلهيب النار واختلفت علينا الأرياح والتطمت بنا المركب في سن جبل فانكسرت وغرقنا وراح جميع ما كان معنات في البحر وصرنا نحط على وجه الماء يوماً وليلة فأرسل الله لنا مركباً أخرى فأخذتنا ركابها وصرنا من بلاد إلى بلاد ونحن نسأل ونتقوت مما نحصله بالسؤال وقاسينا الكرب العظيم وصرنا نقلع من حوائجنا ونبيع ونتقوت حتى قربنا من البصرة حتى شربنا ألف حسرة ولو كنا سلمنا بما كان معنا كنا أتينا بأموال تضاهي أموال الملك ولكن هذا مقدر من الله علينا فقلت لهما يا أخواي لا تحملاهما فإن المال فداء الأبدان والسلامة غنيمة وحيث كتبكم الله من السالمين فهذا غاية المني وما الفقر والغنى إلا كطيف خيال ولله در من قال:

إذا سلمت هام الرجـ ـال مـ ـن الـ ـردى   فمـ ـا المـ ـال الأمثـ ـل قـ ـص الأظـ ـافر

ثم قلت يا أخواي نحن نقدر أن أبانا قد مات في هذا اليوم وخلف لنا جميع هذا المال الذي عندي وقد طابت نفسي على أننا نقسمه بيننا بالسوية ثم أحضرت قساماً من طرف القاضي وأحضرت له جميع مالي فقسمه بيننا وأخذ كل منا ثلث المال فقلت لهما يا أخواي بارك الله للإنسان في رزقه إذا كان في بلده فكل واحد منكما يفتح له دكاناً ويقعد فيه لتعاطي الأسباب والذي له شيء في الغيب لابد أن يحصله ثم سعيت لكل واحد منهما في فتح دكان وملأته له بالبضائع وقلت لهما بيعا واشتريا واحفظا أموالكما ولا قصر فأمنها شيئاً وجميع ما يلزم لكما من أكل وشرب وغيرهما يكون من عندي ثم قمت بإكرامهما وصار يبيعان ويشتريان في النهار وعند المساء يبيتان في بيت ولم أدعهما يصرفان شيئاً من أموالهما وكلما جلست معهما للحديث يمدحان الغربة ويذكر أن محاسنها ويصفان ما حصل لهما فيها من المكاسب ويغرياني على أن أوافقهما على التغريب في بلاد الناس ثم قال للكلبين هل جرى ذلك يا أخوي فنكسا رؤسهما وغمضا أعينهما تصديقاً له ثم قال يا خليفة الله فما زالا يرغباني ويذكر أن لي كثرة الربح والمكاسب في الغربة ويأمراني بالسفر معهما حتى قلت لهما لابد أن أسافر معكما من أجل خاطركما ثم أني عقدت الشركة بيني وبينهما وحملنا قماشاً من سائر الأصناف النفيسة وأكترينا مركب وشحناها بالبضائع من أنواع المتاجر وأنزلنا في تلك المركب جميع ما نحتاج إليه ثم سافرنا من مدينة البصرة في البحر العجاج المتلاطم بالأمواج الذي الداخل فيه مفقود والخارج منه مولود ومازلنا مسافرين حتى طلعنا إلى مدينة من المدائن فبعنا واشترينا وظهر لنا كثرة المكسب ثم رحنا منها إلى غيرها ولم نزل نرحل من بلد إلى بلد ومن مدينة إلى مدينة ونحن نبيع ونشتري ونربح حتى صار عندنا مال جسيم وربح عظيم ثم أننا وصلنا إلى جبل فألقى الريس المرساة وقال لنا يا ركاب اطلعوا إلى البر تنجوا من هذا اليوم وفتشوا فيه لعلكم تجدون ماء فخرج جميع من في المركب وخرجت أنا بجملتهم وصرنا نفتش على الماءوتوجه كل منا في جهة وصعدت أنا على أعلى الجبل فبينما أنا سائر إذ رأيت حية بيضاء تسعى هاربة ووراءها ثعبان أسود يسعى خلفها وهو مشوه الخلقة هائل المنظم ثم أن الثعبان لحقها وضايقها

ومسكها من رأسها ولف ذيله على ذيلها فصاحب فعرفت أنه مفتر عليها فأخذتني الشفقة عليها وتناولت حجراً من الصوان قدر خمسة أرطال أو أكثر وضربت به الثعبان فجاء في رأسه فدقها فما أشعر إلا وتلك الحية انقلبت وصارت بنتاً شابة ذات حسن وجمال وبهاء وكمال وقد واعتدال كأنها البدر المنير فأقبلت علي وقبلت يدي ثم قالت لي استرك الله بسترين ستر من العار في الدنيا وستر من النار في الآخرة يوم الموقف العظيم يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتي الله بقلب سليم ثم قالت يا إنسى أنت سترت عرضي وصار لك الجميل ووجب جزاؤك ثم أشارت بيدها إلى الأرض فانشقت ونزلت فيها ثم انطبقت عليها الأرض فعرفت أنها من الجن وأما الثعبان فإن النار قادت فيه واحر قته وصار رماداً فتعجبت من ذلك ثم أني رجعت إلى أخواتي وأخبرتهم بما رأيت وبتنا تلك الليلة وعند الصباح قلع الريس الخطاف ونشر القلوع وطوى الأطراف ثم سافر حتى غاب البر عنا ولم نزل مسافرين مدة عشرين يوماً ولم نر براً ولا طيراً وفرغ ماؤنا فقال الريس يا ناس إن الماء الحلوة وقد فرغ منا فقلنا نطلع البر لعلنا نجد ماء فقال وأني تهت عن الطريق ولا أعرف طريقاً يؤدينا إلى جهة البر فحصل لنا غم شديد وبكينا ودعونا الله تعالى أن يهدينا إلى الطريق ثم بتنا تلك الليلة في أسوأ حال ولله در من قال:

وكـ . م ليلـ . ـة بـ . ـت فـ . ـي كربـ . ـة يكـ . ـاد الرضـ . ـيع لهـ . ـا أن يشـ . ـيب
فمـ . ـا أصـ . ـبح الصـ . ـباح إلا أتـ . ـي مـ . ـن الله نصـ . ـر وفـ . ـتح قريـ . ـب

فلما أصبح الصباح وأشرق بنوره ولاح رأينا جبلاً عالياً فلما رأينا ذلك الجبل فرحنا واستبشرنا به ثم أننا وصلنا إلى ذلك الجبل فقال الريس يا ناس أطلعوا البر حتى نفتش على ماء فطلعنا كلنا نفتش على ماء فلم نر فيه ماء فحصل لنا مشقة بسبب قلة وجود الماء ثم أني صعدت على أعلى ذلك الجبل رأيت خليفة دائرة واسعة مسافة سير ساعة وأكثر فناديت أهابي فأقبلوا عليّ فلما أتوا قلت لهم انظروا إلى هذه الدائرة التي خلف هذا الجبل فأني أرى فيها مدينة عالية البنيان مشيدة الأركان ذات أسوار وبروج وروابي ومروج وهي من غير شك لا تخلو من الماء والخيرات فسيروا بنا نمضي إلى هذه المدينة ونجيء منها بالماء ونشتري ما نحتاج إليه من الزاد واللحم والفاكهة ونرجع فقالوا نخاف أن يكون أهل هذه المدينة كفاراً مشركين أعداء الدين فيقبضوا علينا ونكون أسرى تحت أيديهم لو يقتلونا ويكون قد تسببنا في قتل أنفسنا في الهلاك وسوء الإرتباك والمغرور غير مشكور لأنه على خطر من الأسواء كما قال فيه بعض الشعراء.

ما دامت الأرض أرضاً والسماء سـ ما لـ .ـيس المغـ .ـر محمـ .ـود وإن سـ .ـلماً

فنحن لا نغر بأنفسنا فقلت لهم يا ناس لا حكم لي عليكم ولكن آخذ أخواي وأتوجه إلى هذه المدينة فقال لي أخواي نحن نخاف من هذا الأمر ولا نروح معك فقلت أما أنا فقد عزمت على الذهاب إلى هذه المدينة وتوكلت على الله ورضيت بما قدره الله على فانتظراني حتى أذهب إليها وارجع إليكما وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٦٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن عبد الله قال فانتظراني حتى أذهب إليها وأرجع إليكما ثم تركتهما ومشيت حتى وصلت إلى باب تلك المدينة فرأيتها مدينة عجيبة البناء غريبة الهندسة أسوارها عالية وأبراجها محصنة وقصورها شاهقة وأبوابها من الحديد الصيني وهي مزخرفة منقوشة تدهش العقول فلما دخلت الباب رأيت دكه من الحجر وهناك رجل قاعد عليها وفي ذراعه سلسلة من النحاس الأصفر وفي تلك السلسلة أربعة عشر مفتاحاً فعرفت أن ذلك الرجل بواب المدينة والمدينة لها أربعة عشر باباً ثم أني دنوت منه وقلت له السلام عليكم فلم يرد على السلام فسلمت عليه ثانياً وثالثاً فلم يرد علي الجواب فوضعت يدي على كتفه وقلت له يا هذا لأي شيء لا ترد علي السلام هل أنت نائم أو أصم أو غير مسلم حتى تمنع رد السلام فلم يجبني ولم يتحرك فتأملت فيه فرأيته حجراً فقلت أن هذا شيء عجيب هذا الحجر مصور بصورة ابن آدم ولم ينقص عنه غير النطق ثم تركته ودخلت المدينة فرأيت رجلاً واقفاً في الطريق فدنوت منه وتأملته فرأيته حجر وقابلت امرأة عجوزاً على رأسها عقدة ثياب مهيأة للغسيل فدنوت منها وتأملتها فرأيتها من الحجر والعقدة الثياب التي على رأسها من الحجر ثم أني دخلت السوق فرأيت زياتا ميزانه منصوبة وقدامه أصناف البضائع من الجبن وغيره وكل ذلك من الحجر ثم أني رأيت سائر المتسببين جالسين في الدكاكين وبعض الناس واقف وبعض الناس جالس ورأيت نساء وصبياناً وكل ذلك من الحجر ثم دخلت سوق التجار فرأيت كل تاجر جالساً في دكانه والدكان ممتلئة بأنواع البضائع وكل ذلك من الحجر ولكن الأقمشة كنسيج العنكبوت فصرت أتفرج عليها وكلما صرت مسكت ثوباً من القماش يصير بين يدي هباء منثور ورأيت صناديق ففتحت واحداً فوجدت فيه ذهباً في أكياس فأمسكت الأكياس فذابت في يدي والذهب لم يزل على حاله فحملت منه مالا أطيقه وصرت أقول في نفسي ولو حضر أخواي معي لأخذا من الذهب كفايتهما وتمتعا من هذه الذخائر التي لا أصحاب لها وبعد ذكل دخلت دكاناً آخر فرأيت فيه أكثر من ذلك ولكن ما بقيت أقدر أن أحمل غير ما حملت ثم أني خرجت من سوق آخر ثم منه إلى سوق آخر وهكذا ولا زلت أتفرج على مخلوقات مختلفة وكلها من الحجارة حتى الكلاب والقطط من الحجارة ثم دخلت سوق الصاغة فرأيت فيه رجالاً جالسين في الدكاكين والبضائع عندهم بعضها في أيديهم وبعضها في أقفاص فلما رأيت ذلك يا أمير المؤمنين رميت ما كان معي من الذهب وحملت من المصاغ ما أطيق حمله وخرجت من سوق الصاغة إلى سوق الجواهر فرأيت الجوهرية جالسين في دكاكينهم وقدام كل واحد منهم قبض ملآن بأنواع المعادن كالياقوت والألماس والبلخش وغير ذلك من سائر الأصناف وأصحاب الدكاكين أحجار فرميت ما كان معي من المصاغ وحملت من الجواهر ما أطيق حمله وبقيت أتندم حيث لم يكن أخواي معي حتى يأخذا من تلك الجواهر ما أراده ثم أني خرجت من سوق الجواهر فمررت على باب كبير مزخرف مزين بأحسن زينة ومن داخل الباب دكك وجالس على تلك الدكك خدم وجند وأعوان وعساكر وحكام وهم لا بسون أفخر الملابس وكلهم أحجار فسلمت واحد منهم فتناثرت ملابسه من على بدنه مثل نسيج العنكبوت ثم أني مشيت في ذلك الباب فرأيت سرايه ليس لها نظير في بنائها وأحكام صنعتها ورأيت في تلك السراية ديواناً مشحوناً من الذهب بالأكابر والوزراء والأعيان والأمراء وهم جالسون على كراسي وكلهم أحجار ثم أني رأيت كرسياً الأحمر مرصعاً بالدر والجواهر

وجالس فوقه آدمي عليه أفخر الملابس وعلى رأسه تاج كسروي مكلل بنفيس الجواهر التي لها شعاع مثل شعاع النهار فلما وصلت إليه رأيته من الحجر ثم أني توجهت من ذلك الديوان إلى باب الحريم ودخلت فيه فرأيت ديواناً من النساء ورأيت في ذلك الديوان كرسياً من الذهب الأحمر مرصعاً بالدر والجواهر وجالسة فوقه امرأة ملكة وعلى رأسها تاج مكلل بنفيس الجواهر وحولها نساء مثل الأقمار جالسات على كراسي ولابسات أفخر الملابس الملونة بسائر الألوان وواقف هناك طواشية أيديهم على صدورهم كأنهم واقفون من أجل الخدمة وذلك الديوان يدهش عقول الناظرين مما فيه من الزخرفة وغريب النقش وعظيم الفرش ومعلق فيه أبهج التعاليق من البللور الصافي وفي كل قدرة من البللور وجوهرة يتيمة لا يفي بثمنها مال فرميت ما معي يا أمير المؤمنين وصرت آخذ من هذه الجواهر وحملت منها على قدر ما أطيق وبقيت متحيراً فيما أحمله وفيما أتركه لأني رأيت ذلك المكان كأنه كنز من كنوز المدن ثم أني رأيت باباً صغيراً مفتوحاً وفي داخله سلالم فدخلت ذلك الباب وطلعت أربعين سلماً فسمعت أنساناً يتلو القرآن بصوت رخيم فسميت جهة ذلك الصوت حتى وصلت إلى باب القصر فرأيت ستارة من الحرير مصفحة بشرائط من الذهب ومنظوم فيها اللؤلؤ والمرجان والياقوت وقطع الزمرد والجواهر فيه تضيء كضوء النجوم والصوت خارج من تلك الستارة فدنوت من الستارة ورفعتها فظهر لي باب قصر مزخرف يحير الأفكار فدخلت من ذلك الباب فرأيت قصراً كأنه كنز على وجه الدنيا ومن داخله بنت كأنها الشمس الضاحية في وسط السماء الصافية وهي لابسة أفخر الملابس ومتحلية بأنفس ما يكون من الجواهر مع أنها بديعة الحسن والجمال بقد واعتدال وظرف وكمال وخصر نحيل وردف ثقيل وريق يشفي العليل وأجفان ذات اعتدال كأنها المرادة بقول من قال:

سلام على من فـ ـي البـ ـاب مـ ـن القـ ـد   وما في بساتين الخـ ـدود مـ ـن الـ ـورد
كـ .ان الثريـ .ا علقـ .ت فـ ـي جـ .دبينها   وباقي نجوم الليل في الصـ ـدر كالعقـ ـد
فلو لبست ثوبـ ـاً مـ ـن الـ ـورد خالصـ ـاً   لآدمي مجاني جسـ ـمها ورق الـ ـورد لا
ولو تفلت فـ ـي البحـ ـر والبحـ ـر مـ ـالح   صيح طعم البحر أحلـ ـى مـ ـن الشـ ـهد
ولو واصلت شيخاً كبيراً علـ ـى عصـ ـا   لأصبح ذاك الشـ ـيخ مفتـ ـرس الأسـ ـد

ثم أنه قال يا أمير المؤمنين لما رأيت تلك البنت شغفت بها حباً وتقدمت غليها فرأيتها جالسة على مرتبة عالية وهي تتلوا كتاب الله عز وجل حفظاً عن ظهر قلبها وصورتها كأنه صرير أبواب الجنان إذا فتحها رضوان والكلام خارج من بين شفتيها ويتناثر كالجواهر ووجهها ببديع المحاسن زاه وزاهر كما قال في مثلها الشاعر:

يـ . ـا مطربـ . ـاً بلغاتـ . ـه وصـ . ـاتفه   قـ .ـد زاد فيـ .ـك تسـ .ـوقي وتشـ .ـوقي
شـ ـيآن فيـ ـك يـ ـذين أربـ ـاب الهـ ـوى   نغمـ . ـات داود وصـ . ـورة يوسـ . ـف

فلما سمعت نغماتها في تلاوة القرآن العظيم وقد قرأ قلبي من فاتك لحظاتها سلام قولاً من رب رحيم تلجلجت في الكلام ولم أحسن السلام واندهش مني العقل والنظر وصرت كما قال الشاعر:

ما هزني الشوق حتى تبت عن كلمـ ـي   وما دخلـ ـت الحمـ ـى إلا لسـ ـفك دمـ ـي
ولا سـ .معت كلامـ .ـاً مـ .ـن عواذلـ .ـا   إلا لأشـ ـهد مـ .ـن أهـ ـواه فـ ـي الكلـ ـم

ثم تجلدت على هول الغرام وقلت لها السلام عليك أيتها السيدة المصونة والجوهرة المكنونة أدام الله قوائم سعدك ورفع دعائم مجدك فقالت وعليك مني السلام والتحية والإكرام يا عبد الله يا بن فاضل أهلاً وسهلاً ومرحباً بك يا حبيبي وقرة عيني فقلت لها يا سيدتي من أين علمت أسمي ومن تكوني أنت وما شأن أهل هذه المدينة حتى صاروا أحجاراً فمرادي أن تخبرني بحقيقة الأمر فأني تعجبت من هذه المدينة ومن أهلها ومن كونها لم يوجد فيها أحد إلا أنت فبالله عليك أن تخبريني بحقيقة ذلك على وجه الصدق فقالت لي أجلس يا عبد الله وأنا إن شاء الله تعالى أحدثك وأخبرك بحقيقة أمري وبحقيقة أمر هذه المدينة وأهلها على التفصيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فجلست إلى جانبها فقالت لي اعلم يا عبد الله يرحمك الله أنني بنت ملك هذه المدينة ووالدي هو الذي رأيته جالساً في الديوان على الكرسي العالي والذي حوله أكابر دولته وأعيان مملكته وكان أبي ذات بطش شديد ويحكم على ألف ألف ومائة ألف وعشرين ألف جندي وعده أمراء دولته أربعة وعشرون ألفاً كلهم حكام وأصحاب مناصب وتحت طاعته من المدن ألف مدينة غير البلدان والضياع والحصون والقلاع والقرى وأمراء العربان الذين تحت يده ألف أمير كل أمير يحكم على عشرين ألف فارس وعنده من الأموال والذخائر والمعادن والجواهر لاعين رأت ولا أذن سمعت وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٦٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن بنت ملك مدينة الأحجار قالت يا عبد الله أن أبي كان عنده من الأموال والذخائر مالا عين رأت ولا أذن سمعت وكان يقهر الملوك ويبيد الأبطال والشجعان في الحرب وحومة الميدان ونخشاه جبابرة وتخضع له الأكاسرة ومع ذلك كان كافراً مشركاً بالله يعبد الصنم دون مولاه وجميع عساكره كفار يعبدون الأصنام دون الملك العلام فأتفق أنه كان يوماً من الأيام جالساً على كرسي مملكته وحوله أكابر دولته فلم يشعر إلا وقد دخل عليه شخص فأضاء الديوان من نور وجهه فنظر إليه أبي فرآه لابساً حلة خضراء وهو طويل القامة وأياديه نازلة إلى تحت ركبتيه وعليه هيبة ووقار والنور يلوح من وجهه فقال لأبي يا باغي يا مفتري إلى متى وأنت مغرور بعبادة الأصنام وتترك عبادة الملك العلام قل أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وأسلم أنت وقومك ودع عنك عبادة الأصنام فإنها لا تنفع ولا تشفع ولا يعبد بحق إلا الله رافع السموات بغير عماد وباسط الأرضين رحمة للعباد فقال من أنت أيها الرجل الجاحد لعبادة الأصنام حتى تتكلم بهذا الكلام أما تخشى أن تغضب عليك الأصنام فقال له إن الأصنام أحجار لا يضرني غضبها ولا ينفعني رضاها فأحضر لي صنمك الذي أنت تعبده وأمر كل واحد من قومك يحضر صنمه فإذا حضر جميع أصنامكم فأدعوهم ليغضبوا علي وأنا أدعوا ربي أن يغضب عليكم وتنظرون غضب الخالق من غضب المخلوق فإن أصنامكم قد صنعتموها أنتم وتلبست بها الشياطين وهم الذين يكلمونكم من داخل بطون الأصنام فأصنامكم مصنوعة وألهي صانع ولا يعجزه شيء فإن ظهر لكم الحق فأتبعوه وإن ظهر لكم الباطل فاتركوه فقالوا له أئتنا ببرهان ربك حتى نراه فقال أئتوني ببراهين أربابكم فأمر الملك كل من كان يعبد رباً من الأصنام أن يأتي به فأحضر جميع العساكر أصنامهم في الديوان هذا ما كان من أمرهم (وأما) ما كان من أمري فإني كنت جالسة في داخل ستارة تشرف على ديوان أبي وكان لي صنم من زمردة خضراء

جسمة قدر جسم ابن آدم فطلبه أبي فأرسلته إليه في الديوان فوضعوه في جانب صنم أبي وكان صنم أبي من الياقوت وصنم الوزير من جوهر الألماس وأما أكابر العساكر والرعية فبعض أصنامهم من البلخش وبعضها من العنبر وبعضها من المرجان وبعضها من العود القماري وبعضها من الأبنوس وبعضها من الفضة وبعضها من الذهب وكل واحد منهم له صنم على قدر ما تسمح به نفسه وأما رعاع العساكر والرعية فبعض أصنامهم من الصوان وبعضها من الخشب وبعضها من الفخار وبعضها من الطين وكل الأصنام مختلفة الألوان ما بين أصفر وأحمر وأخضر وأسود وأبيض ثم قال ذلك الشخص لأبي أدع صنمك وهؤلاء الأصنام تغضب على فصفوا تلك الأصنام ديواناً وجعلوا صنم أبي على كرسي من الذهب وصنمي إلى جانبه في الصدر ثم رتبوا الأصنام كل منها في مرتبة صاحبه الذي يعبده وقام أبي وسجد لصنمه وقال له يا إلهي أنت الرب الكريم وليس في الأصنام أكبر منك وأنت تعلم أن هذا الشخص أتاني طاعنا في ربوبيتك مستهزئاً بك ويزعم أن له إلهاً أقوى منك ويأمرنا نترك عبادتك ونعبد آلهه فأغضب عليه يا إلهي وصار يطلب من الصنم لا يرد عليه جواباً ولا يخاطبه بخطاب فقال له يا إلهي ما هذه عادتك لأنك كنت تكلمني إذا كلمتك فمالي أراك ساكتاً لا تتكلم هل أنت غافل أو نائم فانتبه وأنصرني وكلمني ثم هزه فلم يتكلم ولم يتحرك من مكانه فقال ذلك الشخص لأبني مالي أرى صنمك لا يتكلم قال له أظن أنه غافل أو نائم فقال له يا عدو الله كيف تعبد إلهاً لا ينطق وليس له قدرة على شيء ولا تعبد إلهي الذي هو قريب مجيب وحاضر لا يغيب ولا يغفل ولا ينام ولا تدركه الأوهام يرى ولا يرى وهو على كل شيء قدير والهك عاجز لا يقدر على دفع الضرر عن نفسه وقد كان ملتبساً به شيطان رجيم يضلك ويغويك وقد ذهب الآن شيطانه فاعبد الله واشهد أنه لا إله إلا هو ولا معبود سواه وأنه لا يستحق العبادة غيره ولا خير إلا خبره وأما الهك هذا فإنه لا يقدر على دفع الشر عن نفسه فكف بقدر على دفعه عنك فانظر بعينك عجزه ثميقدم وصار يصكه على رقبته حتى وقع على الأرض فغضب الملك وقال للحاضرين أن هذا الجاحد قد صك الهي فاقتلوه فأرادوا القيام ليضربوه فلم يقدر أحد منهم أن يقوم من مكانه فعرض عليهم الإسلام فلم يسلموا فقال أريكم غضب ربي فقالوا أرنا فبسط يديه وقال إلهي وسيدي أنت ثقتي ورجائي فاستجب دعائي على هؤلاء القوم الفجار الذين يأكلون خيرك ويعبدون غيرك يا حق يا جبار يا خالق الليل والنهار أسألك أن تقلب هؤلاء القوم أحجاراً فإنك قادر ولا يعجزك شيء وأنت على كل شيء قدير فمسخ الله أهل هذه المدينة أحجاراً وأما أنا فأني حين رأيت برهانه أسلمت وجهي لله فسلمت مما أصابهم ثم أن ذلك الشخص دنا مني وقال لي سبقت لك من الله السعادة ولله في ذلك إرادة وصار يعلمني وأخذت عليه العهد والميثاق وكان عمري سبع سنين في ذلك الوقت وفي هذا الوقت صار عمري ثلاثين عاماً ثم أني قلت له يا سيدي جميع ما في هذه المدينة وجميع أهلها صاروا أحجاراً بدعوتك الصالحة وقد نجوت أنا حين أسلمت على يديك فأنت شيخي فأخبرني بأسمك ومدني بمددك وتصرف لي في شيء أقتأت منه فقال لي اسمي أبو العباس الخضر ثم غرس لي شجرة من الرمان بيده فكبرت وأورقت وأزهرت وأثمرت رمانة واحدة في الحال فقال كلي مما رزقك الله تعالى وأعبديه حق عبادته ثم علمني شروط الإسلام وشروط الصلاة وطريق العبادة وعلمني تلاوة القرآن وصار لي ثلاثة وعشرون عاماً وأنا أعبد الله في هذا المكان وفي كل يوم تطرح لي هذه الشجرة رمانة فأكلها وأقتات بها م الوقت إلى الوقت والخضر عليه السلام

يأتيني كل جمعة وهو الذي عرفني بأسمك وبشرني بأنك سوف تأتيني في هذا المكان وقد قال لي إذا أتاك فأكرميه وأطيعي أمره ولا تخالفيه وكوني له أهلاً ويكون لك بعلاً واذهبي معه حيث شاء فلما رأيتك عرفتك وهذا هو خبر هذه المدينة وأهلها والسلام ثم أنها أرتني شجرة الرمان وفيها رمانة فأكلت نصفها وأطعمتني نصفها فما رأيت أحلى ولا أذكى ولا أطعم من تلك الرمانة ثم قلت لها لعلك رضيت بما أمرك به شيخك الخضر عليه السلام أن تكوني لي أهلاً وأكون لك بعلاً وتذهبي معي إلا بلادي وأمكث بك في مدينة البصرة فقالت نعم إن شاء الله تعالى فأني سميعة لقولك مطيعة لأمرك من غير خلاف ثم أني أخذت عليها العهد الوثيق وأدخلتني إلى خزانة أبيهاوأخذنا منها على قدر ما استطعنا جملة وخرجنا من تلك المدينة ومشينا حتى وصلنا إلى أخواي فرأيتهما يفتشان عليّ فقالا لي أين كنت فأنك أبطأت علينا وقلبنا مشغول عليك وأما رئيس المركب فأنه قال لي يا تاجر عبد الله أن الريح طاب لنا من مدة وأنت عوقتنا عن السفر فقلت له لا ضرر في ذلك ولعل التأخير خير لأن غيابي لم يكن فيه غير الإصلاح وقد حصل لي فيه بلوغ الآمال ولله در من قال:

ومـ . .ا أدري إذا يممـ . .ت أرضـ . .اً	أريـ . .د الخيـ . .ر أيهمـ . .ا يليـنـ . .ي
أأللخيـ . .ر الـ . .ذي أنـ . .ا أبتغيـ . .ه	أم الشـ . .ر الـ . .ي هـ . .و يبتغيـنـ . .ي

ثم قلت لهم انظروا ما حصل لي في هذه الغيبة وفرجتهم على ما معي من الذخائر وأخبرتهم بما رأيت في مدينة الحجر وقلت لهم لو كنتم أطعتموني ورحتم معي كان نحصل لكم من هذا شيء كثيرة فقالوا له والله لو رحنا ما كنا نستجري أن ندخل على ملك المدينة فقلت لأخواي لا بأس عليكما فالذي معي يكفينا جميعاً وهذا نصيبنا ثم أني قسمت ما معي أقساماً على قدر الجميع وأعطيت لأخواي والريس وأخذت مثل واحد منهم وأعطيت ما تيسر للخدامين والنوتية ففرحوا ودعوا لي ورضوا بما أعطيته لهم إلا أخواي فأنهما تغيرت أحوالهما ولاجت عيونهما فلحظت أن الطمع تمكن منهما فقلت لهما يا أخواي أظن أن الذي أعطيته لكما لم يقنعكما ولكن أنا أخوكما وأنتما أخواي ولا فرق بيني وبينكما ومالي ومالكما شيء واحد وإذا مت لا يرثني غيركما وصرت آخذ بخاطرهما ثم أني أنزلت البنت في الغليون وأدخلتها في الخزنة وأرسلت لها شيئاً تأكله وقعدت أتحدث أنا وأخواي فقالا لي يا أخانا ما مرادك أن تفعل بهذا البنت البديعة الجمال فقلت لهما مرادي أن أكتب كتابي عليها إذا دخلت البصرة وأعمل فرحاً عظيماً وأدخل بها هناك فقال أحدهما يا أخي أعلم أن هذه الصبية بديعة الحسن والجمال وقد وقعت محبتها في قلبي فمر أذى أن تعطيها لي فأتزوج بها أنا وقال الثاني وأنا الآخر كذلك فأعطها لي لا تزوج بها فقلت لهما يا أخواي أنها قد أخذت على عهداً وميثاقاً أني أتزوج بها فإذا أعطيتها لواحد منكما أكون نافضاً للعهد الذي بيني وبينها وربما يحصل لها كسر خاطر لأنها ما أتت معي إلا على شرطاني أتزوج بها فكيف أزوجها لغيري وأما من جهة أنكما تحبانها فأنا أحبها أكثر منكما علي أنها لقيتي وكوني أعطيها لواحد منكما هذا شيء لا يكون أبداً ولكن إذا دخلنا مدينة البصرة بالسلامة أنظر لكما بنتين من خيار بنات البصرة وأخطبهما لكما وأدفع المهر من مالي وأجعل الفرح واحداً وندخل نحن الثلاثة في ليلة واحدة وأعرضا عن هذه البنت فإنها من نصيبي فسكتا وقد صننت أنهما رضيا بما قلت لهما ثم أننا سافرنا متوجهين إلى أرض البصرة وصرت أرسل إليها ما تأكل وما تشرب وهي لا تخرج من خزنة المركب وأنا أنام بين أخواي على ظهر الغليون ولم نزل مسافرين على هذه الحالة مدة

أربعين يوماً حتى بانت لنا مدينة البصرة ففرحنا بإقبالنا عليها وأنا راكن إلى أخواي ومطمئن بهما ولا يعلم الغيب إلا الله تعالى فنمت تلك الليلة فبينما أنا مستغرق في النوم لم أشعر بأني محمول بين أيادي أخواي هذين واحد قابض على سيقاني والآخر من يدي لكونهما اتفقا عليّ في البحر من شأن تلك البنت فلما رأيت روحي محمولاً بين أيديهما قلت يا أخواي لأي شيء تفعلان معي هذه الفعال فقالا يا قليل الأدب كيف تبيع خاطرنا ببنت فنحن نرميك في البحر من أجل ذلك ثم رموني فيه ثم أنه التفت إلى الكلبين وقال أحق ما قلته يا أخواي أم لا فنكسا رؤوسهما وصار يعويان كأنهما يصدقان قوله فتعجب الخليفة من ذلك ثم قال يا أمير المؤمنين فلما رموني في البحر وصلت إلى القرار ثم نقضني الماء على وجه البحر فما أشعر إلا وطائر كبير قدر الآدمي نزل عليّ وخطفني وطار بي في الجو إلا علي ففتحت عيني فرأيت روحي في قصر مشيد الأركان عالي البنيان منقوش بالنقوشات الفاخرة وفيه تعاليق الجواهر من سائر الأشكال والألوان وفيه جوار واقفات واضعات الأيادي على الصدور وإذا بامرأة جالسة بينهن على كرسي من الذهب الأحمر مرصع بالدر والجوهر وعليها ملابس لا يقدر الإنسان أن يفتح عينه فيها من شدة ضياء الجواهر وعليها حزام من الجواهر لابقى بثمنه مال وعلى رأسها تاج ثلاث دورات يحير العقول والأفكار ويخطف القلوب والأبصار ثم أن الطير الذي خطفني انتفض فصار صبية كأنها الشمس المضيئة فامعنت النظر فيها فإذا هي التي كانت في الجبل بصفة حية وكان الثعبان يقاتلها ولف ذيله على ذيلها وأنا حين رأيت الثعبان قهرها وغلب عليها قتلته بالحجر فقالت لها المرأة التي هي جالسة على الكرسي لأي شيء جئت هنا بهذا الأنسي فقالت لها يا أمي أن هذا هو الذي كان سبباً في ستر عرضي بين بنات الجان ثم قالت لي هل تعرف من أنا قلت لا قالت أنا التي كنت في الجبل الفلاني وكان الثعبان الأسود يقاتلني ويريد هتك عرضي وأنت قتلته فقلت أنما رأيت مع الثعبان حية بيضاء فقالت أنا التي كنت حية بيضاء ولكني بنت الملك الأحمر ملك الجان واسمي سعيدة وهذه الجالسة هي أمي واسمها مباركة زوجة الملك الأحمر والثعبان الذي كان يقاتلني ويريد هتك عرضي هو وزير الملك الأسود واسمه درفيل وهو قبيح الخلقة واتفق أنه لما رآني عشقني ثم أنه خطبني من أبي فأرسل إليه أبي يقول له وما مقدارك يا قطاعة الوزراء حتى يتزوج بنات الملوك فاغتاظ من ذلك وحلف يميناً أنه لابد أن يفضح عرضي كيداً في أبي وصار يقفوا ثرى ويبعني أينما رحت ومراده أن يفضح عرضي وقد وقع بينه وبين أبي حروب عظيمة ومشتقات جسيمة ولم يقدر عليه أبي لكونه جباراً مكاراً ثم أن أبي كلما ضايقه وأراد أن يظفر به يهرب منه وقد عجز أبي وصرت أنا في كل يوم أنقلب أشكالاً وألواناً وكلما انقلبت في صفة ينقلب هو في صفة ضدها وكلما هربت إلى أرض يشم رائحتي يلحقني في تلك الأرض حتى قاسيت منه مشقة عظيمة ثم أنقلبت في صفة حية وذهبت إلى ذلك الجبل فانقلب هو في صفة ثعبان وتبعني فيه فوقعت في يده وعالجني وعالجته حتى اتبعني وركب علي وكان مراده يفعل بي ما يشتهيه فأتيت أنت وضربته بالحجر فقتلته وأنا انقلبت بنتاً وأريتك روحي وقلت لك على جميل لا يضيع إلا مع أولاد الزنا فلما رأيت أخويك فعلا بك هذه المكيدة ورمياك في البحر بادرت إليك وخلصتك من الهلاك ووجب لك الإكرام من أمي وأبي ثم أنها قالت يا أمي أكرميه في نظير ما ستر عرضي فقالت مرحباً بك يا أنسي فإنك فعلت معنا جميلاً تستحق عليه الإكرام وأمرت لي ببدلة كنوزية تساوي جملة من المال وأعطتني جملة من الجوهر والمعادن ثم

أنها قالت خذوه وأدخلوه على الملك فأخذوني وأدخلوني على الملك في الديوان فرأيته جالساً على كرسي وبين يديه المردة والأعوان فلما رأيته زاغ بصري مما رأيته عليه من الجواهر فلما رآني قام على الأقدام وقامت العساكر إجلالاً له ثم حياني ورحب بي وأكرمني غاية الإكرام وأعطاني مما عنده من الخيرات وبعد ذلك قال لبعض أتباعه خذوه إلى بنتي توصله إلى المكان الذي جاءت به منه فأخذوني وذهبوا بي إلى سيدة بنته فحملتني ثم طارت بي وبما معي من الخيرات هذا ما كان من أمري وأمر سعيدة وأما ما كان من أمر ريس الغليون فإنه أفاق على الخبطة حين رموني في البحر فقال ما الذي وقع في البحر فبكي أخواي وصار يخبطان على صدورهما ويقولان يا ضيعة أخينا فإنه أراد أن يزيل ضرورة في الغليون فوقع في البحر ثم أنهما وضعا أيديهما على مالي ووقع بينهما الاختلاف من جهة البنت وصار كل واحد منهما يقول ما يأخذها غيري واستمر علي الخصام مع بعضهما ولم يتذكر أخاهما ولا غرقه وزال حزنهما عليه فبينما هما في هذه الحالة وإذا بسعيده نزلت في وسط الغليون. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٦٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن عبد الله بن فاضل قال فبينما هما في هذه الحالة وإذا بسعيدة نزلت بي في وسط الغليون فرآني أخواي فعانقاني وفرحا بي وصار يقولان يا أخانا كيف حالك فيما جرى لك أن قلبنا مشغول عليك فقالت سعيدة إن كان قلبكما عليه أو كنتما تحبانه ما كنتما رميتماه في البحر وهو نائم ولكن اختارا لكما موته تموتانها وقبضت عليهما وأرادت قتلهما فصاحا وقالا في عرضك يا أخانا فصرت أتداخل عليها وأقول لها أنا واقع في عرضك لا تقتلي أخواي وهي تقول لابد من قتلهما لأنهما خائنان فمازلت ألاطفها واستعطفها حتى قالت من شأن خاطرك لا أقتلهما ولكن أسحرهما ثم أخرجت طاسة وحطت فيها ماء من ماء البحر وتكلمت عليها بكلام لا يفهم وقالت أخرجا من الصورة البشرية إلى الصورة الكلبية ثم رشتهما بالماء فانقلبا كلبين كما تراهما يا خليفة الله ثم التفت إليهما وقال أحق ما قلته يا أخواي فنكسا رؤسهما كأنهما يقولان له صدقت ثم قال يا أمير المؤمنين وبعد أن سحرتهما كلبين قالت لمن كان في الغليون اعلموا أن عبد الله ابن فاضل هذا صار أخي وأنا أشق عليه كل يوم مرة أو مرتين وكل من خالفه منكم أو خالف أمره وآذاه باليد أو باللسان فأني أفعل به ما فعلت بهذين الخائنين وأسحره كلباً حتى ينقضي عمره وهو في صورة الكلب ولا يجد له خلاصاً فقال لها الجميع يا سيدتي نحن كلنا عبيده وخدمه ولا نخالفه ثم أنها قالت لي إذا دخلت البصرة فتفقد جميع مالك فإن كان نقص منه شيء فاعلمني وأنا أجيء لك به من أي شخص كان ومن أي مكان كان ومن كان آخذه أسحره كلباً ثم بعد أن تخزن أموالك ضع في رقبة كل من هذين الخائنين غلا وأربطهما في ساق السرير وأجعلهما في سجن وحدهما وكل ليلة في نصف الليل أنزل إليهما وأضرب كل واحد منهما علقة حتى يغيب عن الوجود وأن مضت ليلة ولم تضربهما فأني أجيء لك وأضربك علقة وبعد ذلك أضربهما فقلت لها سمعاً وطاعة ثم أنها قالت لي أربطهما في الحبال حتى تدخل البصرة فوضعت في رقبة كل واحد منهما حبلاً ثم ربطتهما في الصاري وتوجهت هي إلى حال سبيلها وفي ثاني يوم دخلنا البصرة وطلع التجار لمقابلتي وسلموا علي ولم يسأل أحد عن أخواي وإنما صاروا ينظرون إلى الكلاب ويقولون لي يا فلان ماذا تصنع بهذين الكلبين اللذين جئت بهما معك فأقول لهم أني ربيتهما في هذه السفرة

وجئت بما معي فيضحكون عليهما ولم يعرفوا أنهما أخواي ثم أني وضعتها في خزانة والتهيت تلك الليلة في توزيع الأحمال التي فيها القماش والمعادن وكان عندي التجار لأجل السلام فاشتغلت ولم أضربهما ولم أربطهما بالسلاسل ولم أعمل معهما ضرراً ثم نمت فما أشعر إلا وسعيدة بنت الملك الأحمر قالت لي أما قلت لك ضع في رقابهما السلاسل وأضرب كل واحد منهما علقة ثم أنها قبضت عليّ وأخرجت السوط وضربتني علقة حتى غبت عن الوجود وبعد ذلك ذهبت إلى المكان الذي فيه أخواي وضربت كل واحد منهما بالسوط حتى أشرفا على الموت وقالت كل ليلة أضرب كل واحد منهما علقة مثل هذه العلقة وإن مضت ليلة ولم تضربهما فأني أضربك فقلت يا سيدتي في غداً حط السلاسل في رقابهما والليلة الآتية أضربهما ولا أرفع الضرب عنهما ليلة واحدة فأكدت علي في الوصية بضربهما فلما أصبح الصباح لم يهن علي أن أضع السلاسل في رقابهما فذهبت إلى صائغ وأمرته أن يعمل لهما غلين من الذهب فعملهما وجئت بهما ووضعتهما في رقابهما وربطهما كما أمرتني وفي ثاني ليلة ضربتهما قهرا عني وكانت هذه الحركة في مدة خلافة المهدي الثالث من بني العباس وقد اصطحبت معه بإرسال الهدايا فقلدني ولاية وجعلني نائباً في البصرة ودمت على هذه الحالة مدة من الزمان ثم أني قلت في نفسي لعل غيظها قد برد فتركتها ليلة من غير ضرب فأتتني وضربتني علقة لم أنس حرارتها بقية عمري فمن ذلك الوقت لم أقطع عنهما الضرب مدة خلافة المهدي ولما توفي المهدي توليت أنت بعده وأرسلت إلى تقرير الاستمرار على مدينة البصرة وقد مضى لي اثنا عشر عاماً وأنا في كل ليلة أضربهما قهراً عني وبعدما أضربهما آخذ بخاطرهما وأعتذر إليهما وأطعمهما وأسقيهما وهما محبوسان ولم يعلم بهما أحد من خلق الله تعالى حتى أرسلت إلى أبا أسحق النديم من أجل الخراج فاطلع على سري ورجع إليك فأخبرك فأرسلته ثانياً تطلبني وطلبتهما فأجبت بالسمع والطاعة وأتيت بهما بين يديك ولما سألتني عن حقيقة الأمر أخبرتك بالقصة وهذه حكايتي. فعند ذلك تعجب الخليفة هارون الرشيد من حال هذين الكلبين ثم قال وهل أنت في هذه الحالة سامحت أخويك مما صدر منهما في حقك وعفوت عنهما أم لا فقال يا سيدي سامحهما الله وأبرأ ذمتهما في الدنيا والآخرة وأنا محتاج لكونهما يسامحاني لأنه مضى لي أثنا عشر عاماً وأنا أضر بهما كل ليلة علقة فقال له الخليفة يا عبد الله إن شاء الله تعالى أنا أسعى في خلاصهما ورجوعهما آدميين كما كانا أولاً وأصلح بينكم وتعيشون بقية أعماركم أخوة متحابين وكما أنك سامحتهما يسامحانك فخذهما وأنزل إلى منزلك وفي هذه الليلة لا تضربهما وفي غد ما يكون إلا الخير فقال له يا سيدي وحياة رأسك أن تركتها ليلة واحدة من غير ضرب تأتيني سعيدة وتضربني وأنا مالي جسد يتحمل ضرباً فقال لا تخف فأنا أعطيتك خط يدي فإذا أتتك فأعطها الورقة فإذا قرأتها وعفت عنك كان الفضل لها وإن لم تطع أمري كان أمرك إلى الله ودعها تضربك علقة وقدر أنك نسبتهما من الضرب وضربتك بهذا السبب وإذا حصل ذلك وخالفتني فإن كنت أنا أمير المؤمنين فأني أعمل خلاصي معها ثم أن الخليفة كتب لها ورقة مقدار أصبعين وبعدما كتبها ختمها وقال يا عبد الله إذا أتتك سعيدة فقل لها إن الخليفة ملك الأنس أمرني بعدم ضربهما وكتب لي هذه الورقة وهو يقرئك السلام وأعطها المرسوم ولا تخش بأساً ثم أخذ عليه العهد والميثاق أنه لا يضربهما فأخذهما وراح بهما إلى منزلة وقال في نفسه يا ترى ما الذي يصنعه الخليفة في حق بنت سلطان الجن إذا كانت تخالفه وتضربني في هذه الليلة ولكن أنا صابر على

ضربي علقة وأريح أخواي في هذه الليلة ولو كان يحصل لي من أجلها العذاب ثم أنه تفكر في نفسه وقال له عقله لولا أن الخليفة مستند إلى سند عظيم ما كان يمنعك عن ضربهما ثم أنه دخل منزله ونزع الأغلال من رقاب أخويه وقال توكلت على الله وصار يأخذ بخاطرهما ويقول لهما لا بأس عليكما فإن الخليفة الخامس من بني العباس قد تكفل بخلاصكما وأنا قد عفوت عنكما وإن شاء الله تعالى يكون الأوان قد آن وتخلصان في هذه الليلة المباركة فابشرا بالهناء والسرور فلما سمعا هذا الكلام صار يعويان مثل عواء الكلاب وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٦٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن عبد الله بن فاضل قال لأخويه أبشرا بالهناء والسرور فلما سمعا هذا الكلام صارا يعويان مثل عواء الكلاب ويمرغان خدودهما على أقدامه كأنهما يدعوان له ويتواضعان بين يديه فحزن عليهما وصار يملس بيده على ظهورهما إلى أن جاء وقت العشاء فلما وضعوا السفرة قال لهما اجلسا فجلسا يأكلان معه على السفرة فصارت أعوانه باهتين يتعجبون من أكله من الكلاب ويقولون هل هو مجنون أو مختل العقل كيف يأكل نائب مدينة البصرة مع الكلاب وهو أكبر من وزيراً ما يعلم أن الكلب نجس وصاروا ينظرون إلى الكلبين وهما يأكلان معه أكل الحشمة ولا يعلمون أنهما أخواه ومازالوا يتفرجون على عبد الله والكلبين حتى فرغوا من الأكل ثم أن عبد الله غسل يديه فمد الكلبان أيديهما وصار يغسلان وكل من كان واقفاً صار يضحك عليهما ويتعجب ويقولون لبعضهم عمرنا ما رأينا الكلاب تأكل وتغسل أيديهما بعد أكل الطعام ثم أنهما جلسا على المراتب بجنب عبد الله بن فاضل ولم يقدر أحد أن يسأله عن ذلك واستمر الأمر هكذا إلى نصف الليل ثم صرف الخدم وناموا ونام كل كلب على سرير وصار الخدام يقولون لبعضهم أنه نام ونام معه الكلبان وبعضهم يقول حيث أكل مع الكلاب على السفرة فلا بأس إذا ناما معه وما هذا إلا حال المجانين ثم أنهم لم يأكلوا مما بقي في السفرة من الطعام شيئاً وقالوا كيف نأكل فضلة الكلاب ثم أخذوا السفرة بما فيها ورموها وقالوا أنها نجسة هذا ما كان من أمرهم (وأما) ما كان من أمر عبد الله بن فاضل فإنه لم يشعر إلا والأرض قد أنشقت وطلعت سعيدة وقالت يا عبد الله لأي شيء ما ضربتهما في هذه الليلة ولأي شيء نزلت الأغلال من أعناقهما هل فعلت ذلك عناد إلى أو استخفافاً بأمري ولكن أنا الآن أضربك وأسحرك كلباً مثلهما فقال لها يا سيدتي أقسمت عليك بالنقش الذي على خاتم سليمان بن داود عليهما السلام أن تحلمي على حتي أخبرك بالسبب ومهما أردتيه بي فافعليه فقالت له أخبرني فقال لها أما سبب عدم ضربهما فإن ملك الأنس الخليفة أمير المؤمنين هارون الرشيد أمرني أن لا أضربهما في هذه الليلة وقد أخذ علي مواثيق وعهود على ذلك وهو يقرئك السلام وأعطاني مرسوماً بخط يده وأمرني أن أعطيك إياه فامتثلت أمره وأطعته وطاعة أمير المؤمنين واجبة وها هو المرسوم فخذيه واقرئيه وبعد ذلك افعلي مرادك فقالت هاته فناولتها المرسوم ففتحته وقرأته وقرأت مكتوباً بسم الله الرحمن الرحيم من ملك الإنس هارون الرشيد إلى بنت الملك الأحمر سعيدة أما بعد فإن هذا الرجل قد سامح أخويه وأسقط حقه عنهما وقد حكمت عليهما بالصلح وإذا وقع الصلح ارتفع العقاب فإن اعترضتمونا في أحكامنا اعترضنا كم في أحكامكم وخرفنا قانونكم وإن امتثلتم أمرنا ونفذتم أحكامنا فإننا ننفذ أحكامكم وقد حكمت عليك بعدم التعرض لهما فإن كنت تؤمنين بالله

ورسوله فعليك بطاعة ولي الأمر وأن عفوت عنهما فأنا أجازيك بما يقدرني عليه ربي وملامة الطاعة أن ترفعي سحرك عن هذين الرجلين حتى يقابلاني في غد خالصين وإن لم تخلصيهما فأنا أخلصهما قهراً عنك بعون الله تعالى فلما قرأت ذلك الكتاب قالت يا عبد الله لا أفعل شيئاً حتى أذهب إلى أبي وأعرض عليه مرسوم ملك الإنس وأرجع إليك بالجواب بسرعة ثم أشارت بيدها إلى الأرض فانشقت ونزلت فيها فلما ذهبت طار قلب عبد الله فرحاً وقال أعز الله أمير المؤمنين ثم أن سعيدة دخلت على أبيها وأخبرته بالخبر وعرضت عليه مرسوم أمير المؤمنين فقبله ووضعه على رأسه ثم قرأه وفهم ما فيه وقال يا بنتي أن أمر ملك الأنس علينا ماض وحكمه فينا نافذ ولا نقدر أن نخالفه فأمضي إلى الرجلين وخلصيهما في هذه الساعة وقولي لهما أنتما في شفاعة ملك الإنس فأنه أن غضب علينا أهلكنا عن آخرنا فلا تحملينا مالا نطيق فقالت له يا أبت إذا غضب علينا ملك الإنس ماذا يصنع بنا فقال لها يا بنتي أنه يقدر علينا من وجوه الأول أنه من البشر فهو مفضل علينا والثاني أنه خليفة الله والثالث أنه مصر على ركعتي الفجر فلو اجتمعت عليه طوائف الجن من السبع أرضين لا يقدرون أن يصنعوا به مكروهاً فإن غضب علينا يصلي ركعتي الفجر ويصيح علينا صيحة واحدة فنجتمع بين يديه طائعين ونصير كالغنم بين يدي الجزار إن شاء أمرنا بالرحيل من أوطاننا إلى أرض موحشة لا نستطيع المكث فيها وإن شاء هلاكنا أمرنا بهلاك أنفسنا فيهلك بعضنا بعضاً فنحن لا نقدر على مخالفة أمره فإن خالفنا أمره أحرقنا جميعاً وليس لنا مفر من بين يديه وكذلك كل عبد داوم على ركعتي الفجر فإن حكمه نافذ فينا فلا تتسببي في هلاكنا من أجل رجلين بل أمضي وخلصيهما قبل أن يحيق بنا غضب أمير المؤمنين فرجعت إلى عبد الله بن فاضل وأخبرته بما قال أبوها وقالت له قبل لنا أيادي أمير المؤمنين وأطلب لنا رضاه ثم أنها أخرجت الطاسة ووضعت فيها الماء وعزمت عليها وتكلمت بكلمات لا تفهم ثم رشتهما بالماء وقالت اخرجا من الصورة الكلبية إلى الصورة البشرية فعادا بشرين كما كانا وانفك عنهما السحر وقالا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمد رسول الله ثم وقعا على يد أخيهما وعلى رجليه يقبلانها ويطلبان منه السماح فقال لهما سامحاني أنتما ثم أنهما تابوا توبة نصوحاً وقالا قد غرنا إبليس اللعين وأغوانا الطمع وربنا جازانا بما نستحقه والعفو من شيم الكرام وصارا يستعطفان أخاهما ويبكيان ويتندمان على ما وقع منهما ثم أنه قال لهما ما فعلتما بزوجتي التي جئت بها من مدينة الحجر فقالوا لما أغوانا الشيطان ورميناك في البحر وقع الخلاف بيننا وصار كل منا يقول أنا أتزوج بها فلما سمعت كلامنا ورأت اختلافنا وعرفت أننا رميناك في البحر طلعت من الخزانة وقالت لا تختصما من أجلي فأني لست لواحد منكما إن زوجي راح البحر وأنا أتبعه ثم أنها رمت نفسها في البحر وماتت فقال أنها ماتت شهيدة فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ثم أنه بكى عليها بكاء شديداً وقال لهما لا يصح منكما أن تفعلا معي هذا الفعال وتعدما بي لزوجتي فقالا إننا أخطأنا وربنا جازانا على فعلنا وهذا شيء قدره الله علينا قبل أن يخلقنا فقل عذرهما ثم أن سعيدة قالت أيفعلان معك هذه الفعال وأنت تعفو عنهما فقال يا أختي من قدر وعفا كان أجره على الله فقالت خذ حذرك منهما فأنهما خائنين ثم ودعته وانصرفت وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٧٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن عبد الله لما حذرته سعيدة من أخويه ودعته وانصرفت إلى حال سبيلها فبات عبد الله بقية تلك الليلة هو وأخواه على أكل وشرق وبسط وانشرح صدرهم فلما أصبح الصباح أدخلهما الحمام وعند خروجهما من الحمام ألبس كل واحد منهما بدلة تساوي جملة من المال ثم أنه طلب سفرة طعام فقدموها بين يديه فأكل هو وأخواه فلما نظرهما الخدام وعرفوا أنهما أخواه سلموا عليهما وقالوا للأمير عبد الله يا مولانا هناك الله باجتماعك على أخويك العزيزين وأين كانا في هذه المدة فقال لهم هما اللذان رأيتموهما في صورة كلبين والحمد لله الذي حفظهما من السجن والعذاب الأليم ثم أنه أخذهما وتوجه إلى ديوان الخليفة هارون الرشيد ودخل بهما عليه وقبل الأرض بين يديه ودعا له بدوام العز والنعم وإزالة البؤس والنقم فقال له الخليفة مرحباً بك يا أمير المؤمنين أعز الله قدرك أني لما أخذت أخواي وذهبت بهما إلى منزلي أطمأنيت عليهما بسببك حيث تكلفت بخلاصهما وقلت في نفسي أن الملوك لا يعجزون عن أمر يجتهدون فيه أن العناية تساعدهم ثم نزعت الأغلال من رقابهما وتوكلت على الله وأكلت أنا وإياهما على السفرة فلما رآني أتباعي آكل معهما وهما في صورة كلبين استخفوا عقلي وقالوا لبعضهم لعله مجنون كيف يأكل نائب البصرة مع الكلاب وهو أكبر من الوزير ورموا ما فضل من السفرة وقالوا لا نأكل ما بقي من الكلاب وصاروا يسفهون رأيي وأنا أسمع كلامهم ولا أرد عليهم جواباً لعدم معرفتهم أنهما أخواي ثم صرفتهم وعندما جاء وقت النوم طلبت النوم فما أشعر إلا والأرض قد انشقت وخرجت سعيدة بنت الملك الأحمر وهي غضبانة عليّ وعيناها مثل النار ثم أخبر الخليفة بجميع ما وقع منا ومن أبيها وكيف أخرجتهما من الصورة الكلبية إلى الصورة البشرية ثم قال وها هما بين يديك يا أمير المؤمنين فالتفت الخليفة فرآهما شابين كالقمرين فقال الخليفة جزاك الله عني خيراً يا عبد الله حيث أعلمتني بفائدة ما كنت أعلمها أن شاء الله لا أترك صلاة هاتين الركعتين قبل طلوع الفجر ما دمت حياً ثم أنه عنف أخواي عبد الله بن فاضل علي ما سلف منهما في حقه فاعتذرا قدام الخليفة فقال لهم تصافحوا وسامحوا بعضكم وعفا الله عما سلف ثم التفت إلى عبد الله وقال يا عبد الله اجعل أخويك معينين لك وتوص بهما وأوصاهما بطاعة أخيهما ثم أنعم عليهم وأمرهم بالارتحال إلى مدينة البصرة بعد أن أعطاهم أنعاماً جزيلاً فنزلوا من ديوان الخليفة مجبورين وفرح الخليفة بهذه الفائدة التي استفادها من هذه الحركة وهي المداومة على صلاة ركعتين الفجر وقال صدق من قال مصائب قوم عند قوم فوائد. هذا ما كان من أمرهم مع الخليفة (وأما) ما كان من أمر عبد الله ابن فاضل فأنه سافر من مدينة بغداد ومعه أخواه بالأعزاز والأكرام وعلو المقام إلى أن دخلوا مدينة البصرة فخرج الأكابر والأعيان لملاقاتهم وزينوا لهم المدينة وأدخلوهم بموكب ليس له نظير وصار الناس يدعون له وهو ينثر الذهب والفضة وصار جميع الناس صاحين بالدعاء له ولم يلتفت أحد إلى أخويه فدخلت الغيرة والحسد في قلوبهما ومع ذلك كان عبد الله يدار بهما مداراة العين الرمداء وكلما داراهما لا يزدادان إلا بغضاً له وحسداً فيه وقد قيل في هذا المعنى.

وداريت ك ل الن اس لك ن حاس دي   مش . اراته ش . طت وع . ز نوالهـ . ا
وكيف ي داري الم رء حاس د نعم ة   إذا ك . ان لا يرض . يه إلا زوالهـ . ا

ثم أنه أعطي كل واحد منهما سرية ليس لها نظير وجعلهما بخدم وحشم وجواري وعبيد سود وبيض من كل نوع أربعين وأعطى كل واحد منهما خمسين جواد من الخيل الجياد وصار لهما جماعة وأتباع ثم أنه عين لهما الخراج ورتب لهما الرواتب وجعلهما معينين له وقال لهما يا أخواي أنا وأنتما سواء ولا فرق بيني وبينكما وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٧١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن عبد الله رتب لأخويه الرواتب وجعلهما معينين له وقال لهما يا أخواي أنا وأنتما سواء ولا فرق بيني وبينكما فالحكم بعد الله والخليفة لي ولكما فأحكما في البصرة في غيابي وحضوري وحكمكما نافذ ولكن عليكما بتقوى الله في الأحكام وإياكما والظلم فإنه إن دام دمر وعليكما بالعدل فإنه إن دام عمّر ولا تظلما العباد فيدعو عليكما وخيركما يصل إلى الخليفة فتحصل فضيحة في حقي وحقكما فلا تتعرضا لظلم أحد والذي تطمعان فيه من أموال الناس خذاه من مالي زيادة على ما تحتاجان إليه ولا يخفى عليكما ما ورد في الظلم في محكم الآيات ثم أنه صار يعظ أخويه ويأمرهما بالعدل وينهاهما عن الظلم حتى ظن أنهما أحباه بسبب بذل النصيحة لهما ثم أنه ركن أليهما وبالغ في إكرامهما ومع إكرامه لهما ما ازداد إلا حسداً له وبغضاً فيه ثم أن أخويه ناصراً ومنصوراً اجتمعا مع بعضهما فقال ناصر لمنصور يا أخي إلى متى ونحن تحت طاعة أخينا عبد الله وهو في هذه السيادة والأمارة وبعد ما كان تاجر أصار أميراً وبعد ما كان صغيراً صار كبيراً ونحن لم نكبر ولم يبق لنا قدر ولا قيمة وها هو ضحك علينا وعملنا معينين له ما معنى ذلك أليس أننا خدمه ومن تحت طاعته وما دام طيباً لا ترتفع درجتنا ولا يبق لنا شأن فلا يتم غرضنا إلا أن قتلناه وأخذنا أمواله ولا يمكن أخذ هذه الأموال إلا بعد هلاكه فإذا قتلناه نسود ونأخذ جميع ما في خزائنه من الجواهر والمعادن والذخائر وبعد ذلك نقسمها بيننا ثم نهيء هدية للخليفة ونطلب منه منصب الكوفة وأنت تكون نائب البصرة وأنا أكون نائب الكوفة أو أنك تكون نائب الكوفة وأنا أكون نائب البصرة ويبقى لكل واحد منا صولة وشأن ولكن لا يتم لنا ذلك إلا إذا أهلكناه فقال منصور أنك صادق فيما قلت ولكن ماذا تصنع معه حتى نقتله فقال تعمل ضيافة عند أحدنا ونعزمه فيها ونخدمه غاية الخدمة ثم نسامره بالكلام ونحكي له حكايات ونكاتا ونوادر إلى أن يذوب قلبه من السهر ثم نفرش له حتى يرقد فإذا رقد نبرك عليه وهو نائم فنخنقه ونرميه في البحر ونصيح نقول أن أخته الجنية أتته وهو قاعد يتحدث بيننا وقالت له يا قطاعة الإنس ما مقدارك حتى تشكوني إلى أمير المؤمنين أتظن أننا نخاف منه فكما أنه ملك نحن ملوك وأن لم يلزم أدبه في حقنا قتلناه أقبح قتلة ولكن بقيت أنا أقتلك حتى ننظر ما يخرج من يد أمير المؤمنين ثم خطفته وشقت الأرض ونزلت به فلما رأينا ذلك غشي علينا ثم استفقنا ولم ندر ما حصل له وبعد ذلك نرسل إلى الخليفة ونعلمه فإنه يولينا مكانه وبعد مدة نرسل إلى الخليفة هدية سنية ونطلب منه حكم الكوفة وواحد منا يقيم في البصرة والآخر يقيم بالكوفة وتطيب لنا البلاد ونقهر العباد ونبلغ المراد فقال نعم ما أشرت به يا أخي فلما اتفقا على قتل أخيهما صنع ناصر ضيافة وقال لأخيه عبد الله يا أخي اعلم أني أنا أخوك ومرادي أنك تحير بخاطري أنت وأخي منصور وتأكلا ضيافتي في بيتي حتى أفتخر بك ويقال أن الأمير عبد الله أكل ضيافة أخيه ناصر لأجل أن يحصل لي بذلك جبر خاطر فقال له عبد الله لا بأس يا أخي ولا فرق بيني وبينك وبيتك

بيتي ولكن حيث عزمتني فما يأبى الضيافة إلا اللئيم ثم التفت إلى أخيه منصور وقال له أتذهب معي إلى بيت أخيك ناصر وتأكل ضيافته وتجبر بخاطره فقال له يا أخي وحياة رأسك ما أروح معك حتى تحلف لي أنك بعد ما تخرج من بيت أخي ناصر تدخل بيتي وتأكل ضيافتي فهل أصر أخوك وأنا لست أخاك فكما جرت بخاطره تجبر بخاطري فقال لا بأس بذلك حباً وكرامة فمتى خرجت من دار أخيك أدخل دارك وكما هو أخي أنت أخي ثم أن ناصراً قبل يد أخيه عبد الله ونزل من الديوان وعمل الضيافة وفي ثاني يوم ركب عبد الله وأخذ معه جملة من العسكر وأخاه منصور وتوجه إلى دار أخيه ناصر فدخل وجلس هو جماعته وأخوه قدم لهم السماط ورحب بهم فأكلوا وشربوا وتلذذوا وطربوا وارتفعت السفرة والربادي وغسلت الأيادي وأقاموا ذلك اليوم على أكل وشرب وبسط ولعب إلى الليل فلما تعشوا صلوا المغرب والعشاء ثم جلسوا على منادمة وصار منصور يحكي حكايته وناصر يحكي حكايته وعبد الله يسمع وكانوا في قصر وحدهم وبقية العسكر في مكان آخر ولم يزالوا في نكت وحكايات ونوادر وأخبار حتى ذاب قلب أخيهم عبد الله من السهر وغلب عليه النوم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٧٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن عبد الله لما طال عليه السهو وأراد النوم فرشوا له الفرش ثم قلع ثيابه ونام وناما بجانبه على فرش آخر وصبرا عليه حتى استغرق في النوم فلما عرفا أنه استغرق في النوم قاما وبركا عليه فأفاق فرآهما باركين على صدره فقال لهما ما هذا يا أخواي فقالا له ما نحن أخواك ولا نعرفك يا قليل الأدب وقد صار موتك أحسن من حياتك وخطأ أيديهما في رقبته وخنقاه فغاب عن الدنيا ولم يبق فيه حركة فظنا أنه مات وكان القصر على البحر فرموه في البحر فلما وقع في البحر سخر الله له درفيلاً كان معتاداً على مجيئه تحت ذلك القصر لأن المطبخ كان فيه طاقة تشرف على البحر وكانوا كلما ذبحوا الذبائح يرمون تعاليقها في البحر من تلك الطاقة فيأتي ذلك الدرفيل ويلتقطها من على وجه الماء فاعتاد على ذلك المكان وكانوا في ذلك اليوم قد رموا إسقاطاً كثيرة بسبب الضيافة فأكل ذلك الدرفيل زيادة عن كل يوم وحصلت له قوة فلما سمع الخبطة في البحر أفي سرعة فرآه ابن آدم فهداه الهادي وحمله على ظهره وشق به في وسط البحر ولم يزل ماشياً حتى وصل إلى البر من الجهة الثانية وألقاه علىالبر وكان ذلك المكان الذي اطلعه فيه على قارعة الطريق فمرت به قافلة فرأوه مرمياً على جانب البحر فقالوا هنا غريق ألقاه البحر على الشاطيء واجتمع عليه جماعة من تلك القافلة يتفرجون عليه وكان شيخ القافلة رجلا من أهل الخير وعارفا بجميع العلوم وخبير بعلم الطب وصاحب فراسة صادقة فقال لهم يا ناس ما الخبر فقالوا هذا غريق ميت فأقبل عليه وتأمله وقال يا ناس هذا الشاب فيه الروح وهذا من خيار أولاد الناس الأكابر وتربية العز والنعم وفيه الرجا إن شاء الله تعالى ثم أنه أخذه وألبسه بدلة وأدناه وصار يعالجه ويلاطفه مدة ثلاث مراحل حتى أفاق ولكن حصلت له خضة فغلب عليه الضعف وصار الشيخ القافلة يعالجه بأعشاب يعرفها ولم يزالوا مسافرين مدة ثلاثين يوماً حتى بعدوا عن البصرة بهذه المسافة وهو يعالج فيه ثم دخلوا مدينة يقال لها مدينة عوج وهي في بلاد العجم فنزلوا في خان وفرشوا له ورقد فبات تلك الليلة يئن وقد أقلق الناس من أنينه فلما أصبح الصباح أتى بواب الخان إلى شيخ القافلة وقال له ما شأن هذا الضعيف الذي عندك فإنه أقلقنا فقال هذا

رأيته في الطريق على جانب البحر غريقاً فعالجته وعجزت ولم يشف فقال له أعرضه على الشيخة راجحة فقال له وما تكون الشيخة راجحة فقال عندنا بنت بكر شيخة وهي عذراء جميلة أسمها الشيخة راجحة كل من كان به داء يأخذونه غليها فيبيت عندها ليلة واحدة فيصبح معافى كأنه لم يكن فيه شيء يضره فقال له شيخ القافلة دلني عليها فقال له أحمل مريضك فحمله ومشى بواب الخان قدامه إلى أن وصل إلى زواية فرأى خلائق داخلين بالنذور وخلائق خارجين فرحانين فدخل بواب الخان حتى وصل إلى الستارة وقال دستور يا شيخة راجحة خذي هذا المريض أدخليه من داخل هذه الستارة فقال له أدخل فدخل ونظر إليها فرآها زوجته التي جاء بها من مدينة الحجر فعرفها وعرفته ولسمت عليه وسلم عليها فقال لها من أتى بك إلى هذا المكان فقالت له لما رأيت أخويك رمياك في البحر وتخاصما على رميت نفسي في البحر فتناولني شيخي الخضر أبو العباس وأتى بي إلى هذه الزاوية وأعطاين الأذن يشفا المرضي ونادى في هذه المدينة كل من كان به داء فعليه بالشيخة راجحة وقال لي أقيمي في هذا المكان حتى يؤن الأوان ويأتي إليك زوجك في هذه الزواية فسار كل مريض يأتي إليّ أكسبه فيصبح طيباً وشاع ذكري بين العالم وأقبلت على الناس بالنذور وعندي الخير كثير وأنا في عز وإكرام وجميع أهل هذه البلاد يطلبون مني الدعاء ثم أنها كسبته فشفي بقدرة الله تعالى وكان الخضر عليه السلام يحضر عندها في كل ليلة جمعة وكانت تلك الليلة التي اجتمع بها فيها ليلة الجمعة فلما جن الليل جلست هي وإياه بعدما تعشيا من أفخر المأكول ثم قعدا ينتظران حضور الخضر فبينما هما جالسان وإذا به قد أقبل عليهما فحملهما من الزواية وضعهما في قصر عبد الله بن فاضلي بالبصرة ثم تركهما وذهب فلما أصبح الصباح تأمل عبد الله في القصر فرآه قصره فعرفه وسمع الناس في ضجة فنظر من الشباك فرأى أخويه مصلو بين كل واحد منهما على خشبة والسبب في ذلك أنهما لما رمياه في البحر أصبحا يبكيان ويقولان أن أخانا خطفته الجنية ثم هيأ هدية وأرسلاها إلى الخليفة وأخبراه بهذا الخبر وطلبا منه منصب البصرة فأرسل أحضرهما عنده وسألهما فأخبراه كما ذكرنا فأشتد غضب الخليفة فلما جن الليل صلى ركعتي قبل الفجر على عادته وصاح على طوائف الجن فحضروا بين يديه طائعين فسألهم عن عبد الله فحلفوا له أنه لم يتعرض له أحد منهم وقالوا له ما عندنا خبر به فأتت سعيدة بنت الملك الأحمر وأخبرت الخليفة بخبره فصرفهم وفي ثاني يوم رمي ناصراً ومنصوراً تحت الضرب فأقرا على بعضهما فغضب عليهما الخليفة وقال خذوهما إلى البصرة وأصلبوهما قدام قصر عبد الله هذا ما كان من أمرهما (وأما) ما كان من أمر عبد الله فلما أمر بدفن أخويه ثم ركب وتوجه إلى بغداد وأخبرا الخليفة بحكايته وما فعل معه أخواه من الأول إلى الآخر فتعجب الخليفة من ذلك وأحضر القاضي والشهود وكتب كتابه على البنت التي جاء بها من مدينة الحجر ودخل بها وأقام معها في البصرة إلى أن أتاهم هازم اللذات ومفرق الجماعات فسبحان الحي الذي لا يموت.

(حكاية معروف الأسكافي)

(ومما يحكي) أيها الملك السعيد أنه كان في مدينة مصر المحروسة رجل إسكافي يرقع الزرابين القديمة وكان اسمه معروفاً وكان له زوجة أسمها فاطمة ولقبها العرة وما لقبوها بذلك إلا لأنها كانت فاجرة

شرانية قليلة الحياء كثيرة الفتن وكانت حاكمة على زوجها وفي كل يوم تسبه وتلعنه ألف مرة وكان يخشى شرها ويخاف من أذاها لأنه كان رجلاً عاقلاً يستحي على عرضه ولكنه كان فقير الحال فإذا اشتغل بكثير صرفه عليها وإذا اشتغل بقليل انتقمت من بدنه في تلك الليلة وأعدمته العافية وتجعل ليلته مثل صحيفتها وهي كما قال في حقها الشاعر:

ك . م ليل . ة ب . ت م . ع زوجة . ي　　ف . ي أشد . أم الأحد . وال قصد . يتها
ي . ا ليتد . ي عن . د دخ . ولي به . ا　　أحضد . رت س . ما ث . م س . ميتها

ومن جملة ما اتفق لهذا الرجل مع زوجته أنها قالت له يا معروف أريد منك في هذه الليلة أن تجيء لي معك بكنافة عليها عسل نحل فقال لها الله تعالى يسهل لي حقها وأنا أجيء بها لك في هذه الليلة والله ليس معي دراهم في هذا اليوم ولكن ربنا يسهل فقالت له أنا ما أعرف هذا الكلام وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٧٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن معروفاً الإسكافي قال لزوجته الله يسهل بكلفتها وأنا أجيء بها إليك في هذه الليلة والله ليس معي دراهم في هذا اليوم لكن ربنا يسهل فقالت له ما أعرف هذا الكلام أن سهل أو لم يسهل لاتجئني إلا بالكنافة التي بعسل نحل وأن جئت من غير كنافة جعلت ليلتك مثل بختك حين تزوجتني ووقعت في يدي فقال لها الله كريم ثم خرج ذلك الرجل والغم يتناثر من بدنه فصلّى الصبح وفتح الدكان وقال أسألك يارب أن ترزقني بحق هذه الكنافة وتكفيني شر هذه الفاجرة في هذه الليلة وقعد في الدكان إلى نصف النهار فلم يأته شغل فاشتد خوفه من زوجته فقام وقفل الدكان وصار متحيراً في أمره من شأن الكنافة مع أنه لم يكن معه من حق الخبز شيء ثم أنه مر على دكان الكنفاني ووقف باهتاً وغرغرت عيناه بالدموع فلحظ عليه الكنفاني وقال يا معلم معروف مالك تبكي فأخبرني بما أصابك فأخبره بقصته وقال له أن زوجتي جبارة وطلبت مني كنافة وقعد قعدت في الدكان حتى مضى نصف النهار فلم يجيئني ولا ثمن الخبز وأنا خائف منها فضحك الكنفاني وقال لا بأس عليك كم رطلاً تريد فقال له خمسة أرطال وقال له السمن عندي ولكن ما عندي عسل نحل وأنما عندي عسل قصب أحسن من عسل النحل وماذا يضر إذا كانت بعسل قصب فاستحى منه لكونه يصبر عليه بثمنها فقال له هاتها بعسل قصب فقلى له الكنافة السمن وغرقها بعسل قصب فصارت تهدي للملوك ثم أنه قال له أتحتاج عيشاً وجبناً قال نعم فأخذ له أربعة أنصاف عيشاً وبنصف جبناً والكنافة بعشرة أنصاف وقال له أعلم يا معروف أنه قد صار عندك خمسة عشر نصفاً رح إلى زوجتك وأعمل حظاً وخذ هذا النصف حق الحمام وعليك مهل يوم أو يومان أو ثلاثة حتى يرزقك الله ولا تضيق على زوجتك فأنا أصبر عليك حتى يأتي عندك دراهم فاضلة عن مصروفك فأخذ الكنافة والعيش والجبن وانصرف داعياً له وروح مجبور الخاطر وهو يقول سبحانك ربي ما أكرمك ثم أنه دخل عليها فقالت له هل جئت بالكنافة قال نعم ثم وضعها قدامها فنظرت إليها فراءتها بعسل قصب فقالت له أما قلت لك هاتها بعسل نحل تعمل على خلاف مرادي وتعملها بعسل قصب فاعتذر إليها وقال لها أنا ما أشتريتها إلا مؤجلاً ثمنها فقالت له هذا كلام باطل أنا ما آكل الكنافة إلا بعسل نحل وغضبت عليه وضربته بها في وجهه وقالت له قم يا معرص هات لي

غيرها ولكمته في صدغه فقلعت سنة من أسنانه ونزل الدم على صدره ومن شدة الغيظ ضربها ضربة واحدة لطيفة على رأسها فقبضت على لحيته وصارت تصيح وتقول يا مسلمين فدخل الجيران وخلصوا لحيته من يدها قاموا عليها باللوم وعيبوها وقالوا نحن كلنا نأكل الكنافة التي بعسل القصب ما هذا التجبر على هذا الرجل الفقير إن هذا عيب عليك وما زالوا يلاطفونها حتى أصلحوا بينها وبينه ولكنها بعد ذهاب الناس حلفت ما تأكل من الكنافة شيئاً فأحرقه الجوع فقال في نفسه هي حلفت ما تأكل فأنا آكل ثم أكل فلما رأته يأكل صارت تقول له إن شاء الله يكون أكلها سماً يهوى بدن البعيد فقال لها ما هو بكلامك وصار يأكل ويضحك ويقول أنت حلفت ما تأكلين من هذه فالله كريم فإن شاء الله في ليلة غد أجيء لك بكنافة تكون بعسل نحل وتأكلينها وحدك وصار يأخذ بخاطرها وهي تدعوا عليه ولم تزل تسبه وتشتمه إلى الصبح فلما أصبح الصباح شمرت عن ساعدها لضربه فقال لها أمهليني وأنا أجيء إليك بغيرها ثم خرج إلى المسجد وصلّى وتوجه إلى الدكان وفتحها وجلس فلم يستقر به الجلوس حتى جاءه أثنان من طرف القاضي وقالا له قم كلم القاضي فإن امرأتك شكتك إليه وصفتها كذا وكذا فعرفها وقال الله تعالى ينكد عليها ثم قام ومشى معهما إلى أن دخل على القاضي فرأى زوجته رابطة ذراعها وبرقعها ملوث بالدم وهي واقفة تبكي وتمسح دموعها فقال له القاضي يا رجل ألم تخف من الله كيف تضرب هذه الحرمة وتكسر ذراعها وتقلع سنها وتفعل بها هذه الفعال فقال له إن كنت ضربتها أو قلعت سنها فاحكم في بما تختار وأنما القصة كذا وكذا والجيران أصلحوا بيني وبينها وأخبره بالقصة من الأول إلى الآخر وكان ذلك القاضي من أهل الخير فأخرج له ربع دينار وقال له يا رجل خذ هذا واعمل لها به كنافة بعسل نحل واصطلح أنت وأياها فقال له أعطه لها فأخذته وأصلح بينهما وقال يا حرمة أطيعي زوجك وأنت يا رجل ترفق بها وخرجا مصطلحين على يد القاضي وذهبت المرأة من طريق وزوجها من طريق آخر إلى دكانه وجلس وإذا بالرسل أتوا له وقالوا هات خدمتنا فقال لهم أن القاضي لم يأخذ مني شيئاً بل أعطاني ربع دينار فقالوا لا علاقة لنا بكون القاضي أعطاك وأخذ منك فإن لم تعطنا خدمتنا أخذناها قهراً عنك وصاروا يجرونه في السوق فباع عدته وأعطاهم نصف دينار ورجعوا عنه ووضع يده على خده وقعد حزيناً حيث لم يكن عنده عدة يشتغل بها فبينما هو قاعد وإذا برجلين قبيحي المنظر أقبلا عليه وقالا له قم بأرجل كلم القاضي فإن زوجتك شكتك إليه فقال لهما قد أصلح بيني وبينها فقالا له نحن من عند قاض آخر فإن زوجتك اشتكتك إلى قضينا فقام معهما وهو يحتسب عليها فلما رآها قال لها أما اصطلحنا يا بنت الحلال قالت ما بقي بيني وبينك صلح فتقدم وحكى للقاضي حكايته وقال إن القاضي فلاناً أصلح بيننا في هذه الساعة فقال لها القاضي يا عاهرة حيث اصطلحتما لماذا جئت تشكين إليّ قالت أنه ضربني بعد ذلك فقال لهما القاضي اصطلحا ولا تعد إلى ضربها وهي لا تعود إلى مخالفتك فاصطلحا وقال له القاضي أعط الرسل خدمتهم فأعطى الرسل خدمتهم وتوجه إلى الدكان وفتحها وقعد فيها وهو مثل السكران من الهم الذي أصابه فبينما هو قاعد وإذا برجل أقبل عليه وقال له يا معروف قم واستخف فإن زوجتك اشتكتك إلى الباب العالي ونازل عليك أبو طبق فقام وقفل الدكان وهرب في جهة باب النصر وكان قد بقي معه خمسة أنصاف فضة من حق القوالب والعدة فاشترى بأربعة أنصاف عيشاً وبنصف جبناً وهرب منها وكان ذلك في فصل الشتاء وقت العصر فلما خرج بين الكيمان نزل عليه المطر مثل أفواه القرب فأبتلت ثيابه فدخل العادلية فرأى

موضعاً خرباً فيه حاصل مهجور من غير باب فدخل يستكن فيه من المطر وحوائجه مبتلة بالماء فنزلت الدموع من أجفانه وصار يتضجر مما به ويقول أين أهرب من هذه العاهرة أسألك يارب أن تقيض لي من يوصلني إلى بلاد بعيدة لا تعرف طريقي فيها فبينما هو جالس يبكي وإذا بالحائط قد انشقت وخرج منها شخص طويل القامة رؤيته تقشعر منها الأبدان وقال له يا رجل مالك أقلقتني في هذه الليل أنا ساكن في هذا المكان منذ مائتي عام فما رأيت أحد أدخل هذا المكان وعمل مثل ما عملت أنت فأخبرني بمقصودك وأنا أقضي حاجتك فإن قلبي أخذته الشفقة عليك فقال له من أنت وما تكون فقال له أنا عامر هذا المكان فأخبره بجميع ما جرى له مع زوجته فقال له أتريد أن أوصلك إلى بلاد لا تعرف لك زوجتك فيها طريقاً قال نعم قال له اركب فوق ظهري فركب وحمله وطار به من بعد العشاء إلى طلوع الفجر وأنزله على رأس جبل عال وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٧٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن معروفاً الإسكافي لما حمله المارد طار به وأنزله على جبل عال وقال يا إنسي انحدر من فوق هذا الجبل ترى عتبة مدينة فادخلها فإن زوجتك لا تعرف لك طريقاً ولا يمكنها أن تصل إليك ثم تركه وذهب فصار معروف باهتاً متحيراً في نفسه إلى أن طلعت الشمس فقال في نفسه أقوم وأنزل من أعلى هذا الجبل إلى المدينة فإن قعودي هنا ليس فيه فائدة فنزل إلى أسفل الجبل فرأى مدينة بأسوار عالية وقصور مشيدة وأبنية مزخرفة وهي نزهة للناظرين فدخل من باب المدينة فرآها تشرح القلب الحزين فلما مشي في السوق صار أهل المدينة ينظرون إليه ويتفرجون عليه واجتمعوا عليه وصاروا يتعجبون من ملبسه لأن ملبسه لا يشبه ملابسهم فقال له رجل من أهل المدينة يا رجل هل أنت غريب قال نعم قال له من أي مدينة قال من مدينة مصر السعيدة قال ألك زمان مفارقها قال له البارحة العصر فضحك عليه وقال يا ناس تعالوا انظروا هذا الرجل واسمعوا ما يقول فقالوا ما يقول قال إنه يزعم أنه من مصر وخرج منها البارحة العصر فضحكوا كلهم واجتمع عليه الناس وقالوا يا رجل أأنت مجنون حتى تقول هذا الكلام كيف تزعم أنك فارقت مصر بالأمس في وقت العصر وأصبحت هنا والحال أن بين مدينتنا وبين مصر مسافة سنة كاملة فقال لهم ما مجنون إلا أنتم وأما أنا فأني صادق في قولي وهذا عيش مصر لم يزل معي طرياً وأراهم العيش فصاروا يتفرجون عليه ويتعجبون منه لأنه لا يشبه عيش بلادهم وكثرت الخلائق عليه وصاروا يقولون لبعضهم هذا عيش مصر تفرجوا عليه وصارت له شهرة في تلك المدينة ومنهم ناس يصدقون وناس يكذبون ويهزؤون به فبينما هم في تلك الحالة وإذا بتاجر أقبل عليهم وهو راكب بغلة وخلفه عبدان ففرق الناس وقال يا ناس أما تستحون وأنتم ملتمون على هذا الرجل الغريب وتسخرون منه وتضحكون عليه ما علاقتكم به ولم يزل يسبهم حتى طردهم منه ولم يقدر أحد أن يرد عليه جواباً وقال له تعال يا أخي ما عليك بأس من هؤلاء أنهم لا حياء عندهم ثم أخذه وسار به إلى أن أدخله داراً واسعة مزخرفة وأجلسه في مقعد ملوكي وأمر العبيد ففتحوا له صندوقاً وأخرجوا له بدلة تاجر ألفي وألبسه إياها وكان معروف وجيها فصار كأنه شاه بندر التجار ثم أن ذلك التاجر طلب السفرة فوضعوا قدامها سفرة فيها جميع الأطعمة الفاخرة من سائر الألوان فأكلا وشربا وبعد ذلك قال له يا أخي ما اسمك قال اسمي معروف

وصنعتي إسكافي أرقع الزرابين القديمة قال له من أي البلاد أنت قال من مصر قال من أي الحارات قال له هل أنت تعرف مصر قال له أنا من أولادها فقال له أنا من الدرب الأحمر قال من تعرف من الدرب الأحمر وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٧٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الرجل سأل معروف الإسكافي وقال له من الدرب الأحمر قال له فلاناً وفلاناً وعدّ له ناساً كثيرين قال له هل تعرف الشيخ أحمد العطار قال هو جاري الحيط في الحيط قال له هل هو طيب قال نعم قال له كم له من الأولاد قال ثلاثة مصطفى ومحمد وعلي قال له ما فعل الله بأولاده قال أما مصطفى فإنه طيب وهو عالم مدرس وأما محمد فإنه عطار وقد فتح له دكاناً بجنب دكان أبيه بعد أن تزوج وولدت زوجته ولداً أسمه حسن قال بشرك الله بالخير قال وأما علي فإنه كان رفيقي ونحن صغار وكنت دائماً ألعب أنا وإياه وبقينا نروح بصفة أولاد النصارى وندخل الكنيسة ونسرق كتب النصارى ونبيعها ونشتري بثمنها نفقة فأنفق في بعض المرات أن النصارى رأونا وأمسكونا بكتاب فاشتكونا إلى أهلنا وقالوا لأبيه إذا لم تمنع ولدك من أذانا شكوناك إلى الملك فأخذ بخاطرهم وضربه علقة فبهذا السبب هرب من ذلك الوقت ولم يعرف له طريقاً وهو غائب له عشرون سنة ولم يخبر عنه أحد بخبر فقال له هو أنا علي ابن الشيخ أحمد العطار وأنت رفيقي يا معروف وسلما على بعضهما وبعد السلام قال يا معروف أخبرني بسبب مجيئك من مصر إلى هذه المدينة فأخبره بخبر زوجته فاطمة العره وما فعلت معه وقال له أنه لما اشتد على أذاها هربت منها في جهة باب النصر ونزل علي المطر فدخلت في حاصل خرب في العادلية وقعدت أبكي فخرج لي عامر المكان وهو عفريت من الجنوسألني فأخبرته بحالي فأركبني على ظهره وطار بي طول الليل بين السماء والأرض ثم حطني على الجبل وأخبرني بالمدينة فنزلت من الجبل ودخلت المدينة والتم علي الناس عليّ وسألوني فقلت لهم أني طلعت البارحة من مصر فلم يصدقوني فجئت أنت ومنعت عني الناس وجئت بي إلى هذه الدار وهذا سبب خروجي من مصر وأنت ما سبب مجيئك هنا قال له غلب على الديش وعمري سبع سنين فمن ذلك الوقت وأنا دائر من بلد إلى بلد ومن مدينة إلى مدينة حتى دخلت هذه المدينة واسمها اختيان الختن فرأيت أهلها ناساً كراماً وعندهم الشفقة ورأيتهم يأتمنون الفقير ويداينونه وكل ما قاله يصدقونه فقلت لهم أنا تاجر وقد سبقت الحملة ومرادي مكان أنزل فيه حملتي فصدقوني وأخلوا لي مكاناً ثم أني قلت لهم هل فيكم من يداينني ألف دينار حتى تجيء حملتي أرد له ما آخذه منه فأني محتاج إلى بعض مصالح قبل دخول الحملة فأعطوني ما أردت وتوجهت إلى سوق التجار فرأيت شيئاً من البضاعة فاشتريته وفي ثاني يوم بعتها فربحت فيه خمسين ديناراً واشتريت غيره وصرت أعاشر الناس وأكرمهم فأحبوني وصرت أبيع وأشتري فكثر مالي وأعلم يا أخي أن صاحب المثل يقول الدنيا فشر وحيلة والبلاد التي لا يعرفك أحد فيها مهما شئت فافعل فيها وأنت إذا قلت لكل من سألك أنا صنعتي إسكافي وفقير وهربت من زوجتي والبارحة طلعت من مصر فلا يصدقونك وتصير عندهم مسخرة مدة إقامتك في هذه المدينة وإن قلت حملني عفريت نفروا منك ولا يقرب منك أحد ويقولون هذا رجل معفرت وكل من تقرب منه يحصل له ضرر وتبقى هذه الإشاعة قبيحة في حقي وحقك لكونهم يعرفون أني من مصر قال وكيف أصنع قال أنا

أعلمك كيف تصنع إن شاء الله تعالى أعطيك في غد ألف دينار وبغلة تركبها وعبد يمشي قدامك حتى يوصلك إلى باب السوق التجار فأدخل عليهم وأكون أنا قاعداً بين التجار فمتى رأيتك أقوم لك وأسلم عليك وأقبل يدك وأعظم قدرك وكلما سألتك عن صنف من القماش وقلت لك هل جئت معك بشيء من الصنف الفلاني فقل كثير وإن سألوني عنك أشكرك وأعظمك في أعينهم ثم أني أقول لهم خذوا له حاصلاً ودكاناً واسفك بكثرة المال والكرم وإذا أتاك سائل فأعطه ما تيسر فيثقون بكلامي ويعتقدون عظمتك وكرمك ويحبونك وبعد ذلك أعزمك وأعزم جميع التجار من شأنك وأجمع بينك وبينهم حتى يعرفك وبينهم وتعرفهم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٧٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن التاجر علياً قال لمعروف أعزمك وأعزم جميع التجار ما شامك وأجمع بينك وبينهم حتى يعرفك جميعهم وتعرفهم لأجل أن تبيع وتشتري وتأخذ وتعطي معهم فما تمضي عليك مدة حتى تصير صاحب مال فلما أصبح الصباح أعطاه ألف دينار وألبسه بدلة وأركبه بغلة وأعطاه عبداً وقال أبرأ الله ذمتك من الجميع لأنك رفيقي فواجب على إكرامك ولا تجعل هما ودع عنك سيرة زوجتك ولا تذكرها لأحد فقال له جزاك الله خيراً ثم أنه ركب البغلة ومشى قدامه العبد إلى أن وصله إلى باب سوق التجار وكانوا جميعاً قاعدين والتاجر قاعد بينهم فلما رآه قام ورمى روحه عليه وقال له نهارك مبارك يا تاجر معروف يا صاحب الخيرات والمعروف ثم قبل يده قدام التجار قال يا أخواننا آنسكم التاجر معروف فسلموا عليه وصار يشير لهم بتعظيمه فعظم في أعينهم ثم أنزله من فوق ظهر البغلة وسلموا عليه وصار يختلي بواحد بعد واحد منهم ويشكره عنده فقالوا له هل هذا تاجر فقال لهم نعم بل هو أكبر التجار ولا يوجد واحد أكثر مالاً منه لأن أمواله وأموال أبيه وأجداده مشهورة عند تجار مصر وله شركاء في الهند والسند واليمن وهو في الكرم على قدر عظيم فأعرفوا قدره وارفعوا مقامه وأخدموه واعلموا أن مجيئه إلى هذه المدينة ليس من أجل التجارة وما مقصده إلا الفرجة على بلاد الناس لأنه غير محتاج إلى التغريب من أجل الربح والمكاسب لأن عنده أموالاً لا تأكلها النيران وأنا من بعض خدمه ولم يزل يشكره حتى جعلوه فوق رؤوسهم وصاروا يخبرون بعضهم بصفاته ثم أجتمعوا عنده وصاروا يهادونه بالفطورات والشربات حتى شاه بندر التجار أتى له وسلم علهي وصار يقول له التاجر علي بحضرة التجار يا سيدي لعلك جئت معك بشيء من القماش الفلاني فيقول له كثير وكان في ذلك اليوم فرجه على أصناف القماش المثمنة وعرفه أسامى الأقمشة الغالي والرخيص فقال له التاجر من التجارة يا سيدي هل جئت معك بجوخ أصفر قال كثير قال وأحمر دم الغزال قال كثير وصار كلما سأله عن شيء يقول له كثير فعند ذلك قال يا تاجر علي إن بلديك لو أراد أن يحمل ألف جمل من القماشات المثمنة يحملها فقال له يحملها من حاصل من جملة حواصله ولا ينقص منه شيء فبينما هما قاعدون وإذا برجل سائل دار على التجار فمنهم من أعطاه نصف فضة ومنهم من أعطاه جديد وغالبهم لم يعطه شيئاً حتى وصل إلى معروف فكبش له كبشة ذهب وأعطاه إياها فدعا له وذهب فتعجب التجار منه وقالوا إن هذه عطايا يا ملوك فإنه أعطى السائل ذهباً من غير عدد ولولا أنه من أصحاب النعم الجزيلة وعنده شيء كثير ما كان أعطى السائل كبشة ذهب وبعد حصة أتته امرأة فقيرة فكبش وأعطاها

وذهبت تدعو له وحكت للفقراء فأقبلوا عليه وصار كل من أتى له يكبش له ويعطيه حتى أنفق الألف دينار وبعد ذلك ضرب كفاً على كف وقال حسبنا الله ونعم الوكيل فقال له شاه بندر التجار مالك يا تاجر معروف قال كان غالب هذه المدينة فقراء ومساكين ولو كنت أعرف أنهم كذلك كنت جئت معي في الخراج بجانب من المال وأحسن به إلى الفقراء وأنا خائف أن تطول غربتي ومن طبعي أن لا أرين السائل وما بقي معي ذهب فإذا أتاني فقير ماذا أقول له قال له قل له الله يرزقك قال ما هي عادتي وقد ركبني الهم بهذا السبب وكا مرادي ألف دينار أتصدق بها حتى تجيء حملتي فقال لا بأس وأرسل بعض أتباعه فجامله بألف دينار فأعطاه إياها فصار يعطي كل من مر به من الفقراء حتى أذن الظهر فدخلوا الجامع وصلوا الظهر والذي بقي معه من الألف دينار نثره على رؤوس المصلين فانتبه له الناس وصاروا يدعون له وصارت التجار تتعجب من كثرة كرمه وسخائه ثم أنه مال على تاجر آخر وأخذ منه ألف دينار وفرقها وصار علي ينظر فعله ولا يقدر أن يتكلم ولم يزل على هذه الحالة حتى أذن العصر فدخل المسجد وصلّى وفرق الباقي فما قفلوا باب السوق حتى أخذ خمسة آلاف دينار وفرقها كل من أخذ منه شيئاً يقول له حتى تجيء الحملة إن أردت ذهباً أعطيك وإن أردت قماشاً أعطيك فإن عندي شيئاً كثيراً وعند المساء عزموه التجار وعزم معه التجار جميعاً وأجلسه في الصدر وصار لا يتكلم إلا بالقماشات والجواهر وكلما ذكروا له شيئاً يقول عندي منه كثير وثاني يوم توجه إلى السوق وصار يميل على التجار ويأخذ منهم النقود ويفرقها على الفقراء ولم يزل على هذه الحالة مدة عشرين يوماً حتى أخذ من الناس ستين ألف دينار ولم تأته حملة ولا كبة حامية فضجت الناس على أموالهم وقالوا ما أتت حملة التاجر معروف إلى متى وهو يأخذ أموال الناس ويعطيها للفقراء فقال واحد منهم الرأي أن نتكلم مع بلدية التاجر علي فاتوه وقالوا له يا تاجر علي أن حملة التاجر معروف لم تأت فقال لهم اصبروا فإنها لابد أن تأتي عن قريب ثم أنه أحتلى به وقال له يا معروف ما هذا الفعال هل أنا قلت لك قمر الخبز أو احرقه إن التجار صاحوا على أموالهم وأخبروني أنه صار عليك ستون ألف دينار أخذتها وفرقتها على الفقراء ومن أين تسد دين الناس وأنت لا تبيع ولا تشتري فقال له أي شيء يجرى وما مقدر الستين ألف دينار لما تجيء الحملة أعطيهم إن شاءوا قماشاً وإن شاءوا ذهباً وفضية فقال له التاجر علي الله أكبر وهل أنت لك حملة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٧٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن التاجر علي قال له الله أكبر وهل أنت لك حملة قال كثير قال له الله عليك وعلى سماجتك هل أنا علمتك هذا الكلام حتى تقوله لي فأنا أخبر بك الناس قال رح بلا كترة كلام هل أنا فقير إن حملتي فيها شيء كثير فإذا جاءت يأخذون متاعهم المثل مثلين أنا غير محتاج إليهم فعند ذلك اغتاظ التاجر علي وقال له يا قليل الأدب لابد أن أريك كيف تكذب علي ولا تستحي فقال له الذي يخرج من يدك افعله ويصبرون حتى يجيء حملتي ويأخذون متاعهم بزيادة فتركه ومضى وقال في نفسه أنا شكرته سابقاً وأن ذممته الآن صرت كاذباً وأخل في قول من قال من شكر وذم كذب مرتين وصار متحيراً في أمره ثم أن التجار أتوه وقالوا يا تاجر علي هل كلمته قال لهم يا ناس أنا أستحي منه ولي عنده ألف دينار ولم أقدر أن أكلمه عليها وأنتم لما أعطيتموه ما شاورتموني وليس لكم علي كلام فطالبوه منكم له وأن لم يعطكم فأشكوه

إلى ملك المدينة وقولوا له أنه نصاب نصب علينا فإن الملك يخلصكم منه فتوجهوا للملك وأخبروه بما وقع وقالوا يا ملك الزمان أننا تحيرنا في أمرنا مع هذا التاجر الذي كرمه زائد فإنه يفعل كذا وكذا وكل شيء أخذه يفرقه على الفقراء بالكبشة فلو كان مقلاً ما كانت تسمح نفسه أن يكبش الذهب ويعطيه للفقراء ولو كان من أصحاب النعم كان صدقه ظهر لنا بمجيء حملته ونحن لا نرى له حملة مع أنه يدعي أن له حملة وقد سبقها وكلما ذكرنا له صنفاً من أصناف القماش يقول عندي منه كثير وقد مضت مدة ولم يبن عن حملته خبر وقد صار لنا عنده ستون ألف دينار وكل ذلك فرقه على الفقراء وصاروا يشكرونه ويمدحون كرمه وكان ذلك الملك طماعاً أطمع من أشعب فلما سمع بكرمه وسخائه غلب عليه الطمع وقال لوزيره لو لم يكن هذا التاجر عنده أموال كثيرة ما كان يقع منه هذا الكرم كله ولابد أن تأتي حملته ويجتمع هؤلاء التجار عنده ويفرق عليهم أموالاً كثيرة فأنا أحق منهم بهذا المال فمرادي أن أعاشره وأتودد إليه حتى تأتي حملته والذي يأخذه منه هؤلاء التجار آخذه أنا وأزوجه أبنتي وأضم ماله إلى مالي فقال له الوزير يا ملك الزمان ما أظنه إلا نصاباً والنصاب قد أخرب بيت الطماع وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٧٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير لما قال للملك ما أظنه إلا نصاباً والنصاب قدأخرب بيت الطماع قال له الملك يا وزير أنا أمتحنه وأعرف هل هو نصاب أو صادق وهل هو تربية نعمة أو لا قال الوزير بماذا تمتحنه قال الملك أن عندي جوهرة فأنا أبعث إليه وأحضره عندي وإذا جلس أكرمه وأعطيه الجوهرة فإن عرفها وعرف ثمنها يكون صاحب خير ونعم وإن لم يعرفها فهو نصاب محدث فاقتله أقبح قتله ثم أن الملك أرسل إليه وأحضره فلما دخل عليه سلم عليه فرد عليه السلام وأجلسه إلى جانبه وقال له هل أنت التاجر معروف قال نعم قال له أن التجار يزعمون أن لهم عندك ستين ألف دينار فهل ما يقولونه حق قال نعم قال له لم لم تعطهم أموالهم قال يصبرون حتى تجيء حملتي وأعطيهم المثل مثلين وإن أرادوا ذهباً أعطيهم وإن أرادوا فضة أعطيهم وإن أرادوا بضاعة أعطيهم والذي له ألف أعطيه ألفين في نظير ما ستر به وجهي مع الفقراء عندي شيئاً كثيراً ثم أن الملك قال له يا تاجر خذ هذه وانظر ما جنسها وما قيمتها وأعطاه جوهرة قدر البندقة كان الملك اشتراها بألف دينار ولم يكن عنده غيرها وكان مستعزا بها فأخذها معروف بيده وقرط عليها بالإبهام والشاهد فكسرها لأن الجوهر رقيق لا يتحمل فقال له الملك لأي شيء كسرت الجوهرة فضحك وقال يا ملك الزمان ما هذه جوهرة هذه قطعة معدن تساوي ألف دينار كيف تقول عليها أنها جوهرة إن الجوهرة يكون ثمنها سبعين ألف دينار وأنما يقال على هذه قطعة معدن والجوهرة ما لم تكن قدر الجوزة لا قيمة لها عندي ولا أعتني بها كيف تكون ملكا وتقول على هذه جوهرة وهي قطعة معدن قيمتها ألف دينار ولكن أنتم معذورون لكونكم فقراء وليس عندكم ذخائر لها قيمة فقال له الملك يا تاجر هل عندك جواهر من الذي تخبرني به قال كثير فغلب الطمع على الملك فقال له هل تعطيني جواهر صحاحاً قال له حتى تجيء الحملة أعطيك كثيراً ومهما طلبته فعندي منه كثير وأعطيك من غير ثمن ففرح الملك وقال للتجار اذهبوا على حال سبيلكم وأصبروا عليه حتى تجيء الحملة ثم تعالوا خذوا مالكم مني فراحوا هذا ما كان من أمر معروف والتجار (وأما) ما كان من الملك فأنه أقبل على الوزير وقال له لاطف التاجر معروفاً

وخذ واعط معه في الكلام واذكر له أبنتي حتى يتزوج بها ونغتنم هذه الخيرات التي عنده فقال الوزير يا ملك الزمان إن حال هذا الرجل لم يعجبني وأظن أنه نصاب وكذّاب فاترك هذا الكلام لئلا تضيع بنتك بلاشيء وكان الوزير سابقاً ساق على الملك أن يزوجه البنت وأراد زواجها له فلما بلغها ذلك لم ترض ثم أن الملك قال له يا خائن أنت لا تريد لي خير لكونك خطبت أبنتي سابقاً ولم ترض أن تتزوج بك فصرت الآن تقطع طريق زواجها ومرادك أن بنتي تبور حتى تأخذها أنت فاسمع مني هذه الكلمة ليس لك علاقة بهذا الكلام كيف يكون نصاباً أو كذاباً مع أنه عرف ثمن الجوهرة مثل ما اشتريتها به وكسرها لكونها لم تعجبه وعنده جواهر كثيرة فمتى دخل على ابنتي يراها جميلة فتأخذ عقله ويحبها ويعطيها جواهر وذخائر وأنت مرادك أن تحرم بنتي وتحرمني من هذه الخيرات فسكت الوزير وخاف من غضب الملك عليه وقال في نفسه أغر الكلام على البقر ثم ميل على التاجر معروف وقال له أن حضرة الملك أحبك وله بنت ذات حسن وجمال يريد أن يزوجها لك فما تقول فقال له لا بأس ولكن يصبر حتى تأتي حملتي فإن مهر بنات الملوك واسع ومقامهن أن لا يمهرن إلا بمهر يناسب حالهن وفي هذه الساعة ما عندي مال فليصبر عليّ حتى تجيء الحملة فالخير عندي كثير ولابد أن أدفع صداقها خمسة آلاف كيس وأحتاج إلى ألف كيس أفرقها على الفقراء والمساكين ليلة الدخلة وألف كيس أعطيها للذين يمشون في الزفة وألف كيس أعمل بها الأطعمة للعساكر وغيرهم وأحتاج إلى مائة جوهرة أعطيها للملكة صبيحة العرس ومائة جوهرة أفرقها على الجواري والخدم فأعطي كل واحدة جوهرة تعظيماً لمقام العروسة وأحتاج ألى أن أكسوا ألف عريان من الفقراء ولابد من صدقات وهذا شيء لا يمكن إلا إذا جاءت الحملة فإن عندي شيئاً كثيراً وإذا جاءت الحملة لا أبالي بهذا المصروف كله فراح الوزير وأخبر الملك بما قاله فقال الملك حيث كان مراده ذلك كيف تقول عنه أنه نصاب كذاب قال الوزير ولم أزل أقول ذلك ففزع فيه الملك ووبخه وقال له وحياة رأسي إن لم تترك هذا الكلام لأقتلنك فأرجع إليه وهاته عندي وأنا مني له أصطفي فذهب إليه الوزير وقال له تعال كلم الملك فقال سمعاً وطاعة ثم جاء إليه فقال له الملك لا تعتذر بهذه الأعذار فإن خزنتي ملآنة فخذ المفاتيح عندك وأنفق جميع ما تحتاج إليه واعط ما تشاء وأكس الفقراء وأفعل ما تريد وما عليك من البنت والجواري وإذا جاءت حملتك فاعمل مع زوجتك ما تشاء من الإكرام ونحن نصبر عليك بصداقها حتى تجيء الحملة وليس بيني وبينك فرق أبداً ثم أمر شيخ الإسلام أن يكتب الكتاب فكتب كتاب بنت الملك على التاجر معروف وشرع في عمل الفرح وأمر بزينة البلد ودقت الطبول ومدت الأطعمة من سائر الألوان وأقبلت أرباب الملاعيب وصار التاجر معروف يجلس على كرسي في مقعد وتأتي قدامه أرباب الملاعب والشطار والجنك وأرباب الحركات الغريبة والملاهي العجيبة وصار يأمر الخازندار ويقول له هات الذهب والفضة فيأتيه بالذهب والفضة وصار يدور على المتفرجين ويعطي كل من لعب بالكبشة ويحسن للفقراء والمساكين ويكسوا العريانين وصار فرحاً عجاجاً وما بقي الخازندار يلحق أن يجيء بالأموال من الخزنة وكاد قلب الوزير أن ينفقع من الغيظ ولم يقدر أن يتكلم وصار التاجر علي يتعجب من بذل هذه الأموال ويقول للتاجر معروف الله والرجال على صدغك أما كفاك أن أضعت مال التجار حتى تضيع مال الملك فقال التاجر معروف لا علاقة لك وإذا جاءت الحملة أعوض ذلك على الملك بأضعافه وصار يبدر الأموال ويقول في نفسه كبة حامية فالذي يجرى علي يجري

والمقدر ما منه مفر ولم يزل الفرح مدة أربعين يوماً وفي ليلة الحادي والأربعين عملوا الزفة للعروسة ومشى قدامها جميع الأمراء والعساكر ولما دخلوا بها صار ينثر الذهب على رؤوس الخلائق وعملوا لها زفة عظيمة وصرف أموالا لها مقدار عظيم وأدخلوه على الملكة فقعد على المرتبة العالية وأرخوا الستائر وقفلوا الأبواب وخرجوا وتركوه عند العروسة فخبط يداً على يد وقعد حزيناً مدة وهو يضرب كف على كف ويقول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فقالت له الملكة يا سيدي سلامتك مالك مغموماً فقال كيف لا أكون مغموماً وأبوك قد شوش علي وعمل معي عملة مثل حرق الزرع الأخضر قالت وما عمل معك أبي قل لي قال أدخلني عليك قبل أن تأتي حملتي وكان مرادي أقل ما يكون مائة جوهرة أفرقها على جواريك لكل واحدة جوهرة تفرح بها وتقول أن سيدي أعطاني جوهرة في ليلة دخلته على سيدتي وهذه الخصلة كانت تعظيماً لمقامك وزيادة في شرفك فأني لا أقصر ببذل الجواهر لأن عندي منها كثيراً فقالت لا تهتم بذلك ولا تغم نفسك بهذا السبب أما أنا فمر عليك مني إلا أني أصبر عليك حتى تجيء وأما الجواري فما عليك منهن قم أقلع ثيابك وأعمل انبساطاً ومتى جاءت الحملة فأننا نتحصل على تلك الجواهر وغيرها فقام وقلع ما كان عليه من الثياب وجلس على الفراش وطلب النغاش ووقع الهراش وحط يده على ركبتها فجلست هي في حجره وألقمته شفتها في فمه وصارت هذه الساعة تنسي الإنسان أباه وأمه فحضنها وضمها إليه وعصرها في حضنه وضمها إلى صدره ومص شفتها حتى سال العسل من فمها ووضع يده تحت إبطها الشمال فحنت أعضاؤه وأعضاؤها للوصال ولكزها بين النهدين فراحت يده بين الفخذين وتحزم بالساقين ومارس العملين ونادى يا أبا اللثامين وحط الذخير وأشعل الفتيل وحرر على بيت الإبرة وأشعل النار فخسف البرج من الأربعة أركان وحصلت النكتة التي لا يسئل عنها إنسان وزعقت الزعقة التي لابد منها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٧٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن بنت الملك لما زعقت الزعقة التي لابد منها أزال التاجر معروف بكارتها وصارت تلك الليلة لا تعد من الأعمار لاشتما لها على وصل الملاح من عناق وهراش ومص ورضع إلى الصباح ثم دخل الحمام ولبس بدلة من ملابس الملوك وطلع من الحمام دخل ديوان الملك فقام له من فيه على الأقدام وقابلوه بإعزاز وإكرام وهنوه وباركوا له وجلس بجانب الملك وقال ابن الخازندار فقالوا ها هو حاضر بين يديك فقال هات الخلع والبس جميع الوزراء والأمراء وأرباب المناصب فجاء له بجميع ما طلب وجلس يعطى كل من أتى له ويهب لكل إنسان على قد ومقامه واستمر على هذه الحالة مدة عشرين يوماً ولم يظهر له حملة ولا غيرها ثم أن الخازندار تضايق منه غاية الضيق ودخل على الملك في غياب معروف وكان الملك جالساً هو والوزير لاغير فقبل الأرض بين يديه وقال يا ملك الزمان أنا أخبرك بشيء لأنك ربما تلومني على عدم الأخبار به اعلم أن الخزنة فرغت ولم يبق فيها شيء من المال إلا القليل وبعد عشرة أيام تقفلها على الفارغ فقال الملك يا وزيران حملة نسيبي تأخرت ولم يبن عنها خبر فضحك الوزير وقال له الله يلطف بك يا ملك الزمان ما أنت إلا مغفل عن فعل هذا التصلب الكذاب وحياة رأسك أنه لا حملة له ولا كبة تريحنا منه وإنما هو مازال ينصب عليك حتى اتلف أموالك وتزوج بنتك بلا شيء وإلى متى وأنت

غافل عن هذا الكتاب فقال له يا وزير كيف العمل حتى نعرف حقيقة حاله فقال له يا ملك الزمان لا يطلع على سر الرجل إلا زوجته فأرسل إلى بنتك لتأتي خلف الستارة حتى أسألها عن حقيقة حاله لا حل أن تختبره وتطلعنا على حاله فقال لا بأس بذلك وحياة رأسي أن ثبت أنه نصاب كذاب لأقتلنه أشأم قتلة ثم أنه أخذ الوزير ودخل إلى قاعة الجلوس وأرسل إلى بنته فأتت خلف الستارة وكان ذلك في غياب زوجها فلما أتت قالت يا أبي ما تريد قال كلمي الوزير قالت أيها الوزير ما بالك قال يا سيدتي اعلمي أن زوجك أتلف مال أبيك وقد تزوج بك بلا مهر وهو لم يزل يعدنا ويخلف الميعاد ولم يبن لحملته خبر وبالجملة نريد أن تخبرينا عنه فقالت إن كلامه كثير وهو في كل وقت يجيء ويعدني بالجواهر والذخائر والقماشات المثمنة ولم أر شيئاً فقال يا سيدتي هل تقدرين في هذه الليلة أن تأخذي وتعطي معه في الكلام وتقولي له أخبرني بالصحيح ولا تخف من شيء فإنك صرت زوجي ولا أفرط فيك فأخبرني بحقيقة الأمر وأنا أدبر لك تدبيراً ترتاح به ثم قربي وبعدي له في الكلام وأريه المحبة وقرريه ثم بعد ذلك أخبرينا بحقيقة أمره فقالت يا أبت أنا أعرف كيف أختبره ثم أنها دخلت وبعد العشاء دخل عليها زوجها معروف على جري عادته فقامت له وأخذته من تحت إبطه وخادعته خداعاً زائداً وناهيك بمخادعة النساء إذا كان لهن عند الرجال حاجة يردن قضاءها ومازالت تخادعه وتلاطفه بكلام أحلى من العسل حتى سرقت عقله فلما رأته مال إليها بكليته قالت له يا حبيبي يا قرة عيني ويا ثمرة فؤادي لا أوحشني الله منك ولا فرق الزمان بيني وبينك فإن محبتك سكنت فؤادي ونار غرامك أحرقت أكبادي وليس فيك تفريط أبداً ولكن مرادي أن تخبرني بالصحيح لأن حيل الكذب غير نافعة ولا تنطلي في كل الأوقات وإلى متى وأنت تنصب وتكذب على أبي وأنا خائفة أن يفتضح أمرك عنده قبل أن تدبر له حيلة فيبطش بك فأخبرني بالصحيح ومالك إلا ما يسرك ومتى أخبرتني بحقيقة الأمر لا تخش من شيء يضرك فكم تدعي أنك تاجر وصاحب أموال ولك حمله وقد مضت لك مدة طويلة وأنت تقول حملتي حملتي ولم يبن عن حملتك خبر ويلوح على وجهك الهم بهذا السبب فإن كان كلامك ليس له صحة فأخبرني وأنا أدبر لك تدبير تخلص به إن شاء الله فقال لها يا سيدتي فأخبرك بالصحيح ومهما أردت فافعلي فقالت قل وعليك بالصدق فإن الصدق سفينة النجاة وإياك والكذب فإنه يفضح صاحبه ولله در من قال:

علي . .ك بالصد . .دق ولـ . .و أذ . .ه   أحرق . .ك الصد . دق بذ . .ار الوعيـ . د

وأبـ . .غ رضـ . .ا الله فـ . .أغبى الـ . .ورى   من أسخط المـ ولى وأرضـ ى العبيـ د

فقال يا سيدتي اعلمي أني لست تاجر أولاً لي حملة ولا كبة حامية وإنما كنت في بلادي رجلاً إسكافياً ولي زوجة اسمها فاطمة العرة وجرى لي معها كذا وكذا وأخبرها بالحكاية من أولها إلى آخرها فضحكت وقالت أنك ماهر في صناعة الكذب والنصب فقال يا سيدتي الله تعالى يبقيك لستر العيوب وفك الكروب فقالت اعلم أنك نصبت على أبي وغررته بكثرة فشرك حتى زوجني بك من طمعه ثم أتلفت ماله والوزير منكر ذلك عليك وكم مرة يتكلم فيك عند أبي ويقول له أنه نصاب كذاب ولكن أبي لم يطعه فيما يقول وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٨٠)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن زوجة معروف قالت له أن الوزير تكلم فيك عند أبي ويقول له أنه نصاب كذاب وأبي لم يطعه بسبب أنه كان خطبني أن يكون لي بعلاً وأكون له أهلاً ثم أن المدة طالبت وقد تضايق أبي وقال لي قرّريه وقد قرّرتك وانكشف المغطى وأبي مصر لك على الضرر بهذا السبب ولكنك صرت زوجي وأنا لا أفرط فيك فإن أخبرت أبي بهذا الخبر ثبت عنده أنك نصاب كذاب وقد نصبت على بنات الملوك وأذهبت أموالهم فذنبك عنده لا يغفر ويقتلك بلا محالة ويشيع بين الناس أني تزوجت برجل نصاب كذاب وتكون فضيحة في حقي وإذا قتلك أبي ربما يحتاج أن يزوجني إلى آخر وهذا شيء لا أقبله ولو مت ولكن قم الآن وألبس بدلة مملوك وخذ معك خمسين ألف دينار من مالي واركب على جواد وسافر إلى بلاد يكون حكم أبي لا ينفذ فيها وأعمل تاجراً هناك وأكتب لي كتاباً وأرسله مع ساع يأتيني به خفية لا علم في أي البلاد أنت حتى أرسل إليك كل ما طالته يدي ويكثر مالك فإن مات أبي أرسلت إليك فتجيء بإعزاز وإكرام وإذا مت أنت أو مت أنا إلى رحمة الله تعالى فالقيامة تجمعنا وهذا هو الصواب وما دمت طيباً وأنا طيبة لا أقطع عنك المراسلة والأموال قم قبل أن يطلع النهار عليك وتحتار بك الدمار فقال لها ياسيدتي أنا في عرضك أن تودعيني بوصالك فقالت لا بأس ثم واصلها واغتسل ولبس بدلة مملوك وأمر السياس أن يشدوا له جواد من الخيل الجياد فشدوا له جواداً ثم ودعها وخرج من المدينة في آخر الليل وسار فصار كل من رآه يظن أنه مملوك من مماليك السلطان مسافراً في قضاء حاجة فلما أصبح الصباح جاء أبوها هو والوزير إلى قاعة الجلوس وأرسل إليها أبوها فأتت خلف الستارة فقال لها يا بنتي ما تقولين قالت أقول سود الله وجه وزيرك فإنه كان مراده أن يسود وجهي من زوجي قال وكيف ذلك قالت أنه دخل علي أمس قبل أن أذكر له هذا الكلام وإذا بفرج الطواشي دخل علي وبيده كتاب وقال أن عشرة مماليك واقفون تحت شباك القصر وأعطوني هذا الكتاب وقالوا لي قبل لنا أيادي سيدي معروف التاجر وأعطه هذا الكتاب فإننا من مماليكه الذين مع الحملة وقد بلغنا أنه تزوج بنت الملك فأتينا له لنخبره بما حل بنا في الطريق فأخذت الكتاب وقرأته فرأيت فيه من المماليك الخمسمائة إلى حضرة سيدنا التاجر معروف وبعد فالذي نعلمك به أنك بعد ما تركتنا خرج العرب علينا وحاربونا وهم قدر ألفين من الفرسان ونحن خمسمائة مملوك ووقع بيننا وبين العرب حرب عظيم ومنعونا عن الطريق ومضى لنا ثلاثون يوماً ونحن نحاربهم وهذا سبب تأخيرنا عنك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٨١)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن بنت الملك قالت لأبيها أن زوجي جاءه مكتوب من أتباعه مضمونه أن العرب منعونا عن الطريق وهذا سبب تأخيرنا عنك وقد أخذوا منا مائتي حمل قماش من الحملة وقتلوا منا خمسين مملوكاً فلما بلغه الخبر قال خيبهم الله كيف يتحاربون مع العرب لأجل مائتي حمل بضاعة وما مقدار مائتي حمل فما كان ينبغي لهم أن يتأخروا من أجل ذلك فإن قيمة المائتي حمل سبعة آلاف دينار ولكن ينبغي أن أروح إليهم وأستعجلهم والذي أخذه العرب لا تنقص به الحملة ولا يؤثر عندي شيئاً وأقدر أني تصدقت به عليهم ثم نزل من عندي ضاحكاً ولم يغتم على ما ضاع من ماله ولا على قتل مماليكه ولما نزل نظرت من

شباك القصر فرأيت العشرة مماليك الذين أتوا له بالكتاب كأنهم الأقمار كل واحد منهم لابس بدلة تساوي ألف دينار وليس عند أبي مملوك يشبه واحداً منهم ثم توجه مع المماليك الذين جاءوا له بالمكتوب ليجيء بحملته والحمد لله الذي منعني أن أذكر له شيئاً من الكلام الذي أمرتني به فإنه كان يستهزيء بي وبك وربما كان يراني بعين النقص ويبغضني ولكن العيب كله من وزيرك الذي يتكلم في حق زوجي كلاماً لا يليق به فقال الملك يا بنتي أن مال زوجك كثير ولا يفكر في ذلك ومن يوم دخل بلادنا وهو يتصدق على الفقراء وإن شاء الله عن قريب يأتي بالحملة ويحصل لنا منه خير كثير وصار يأخذ بخاطرها ويوبخ الوزير وانطلت عليه الحيلة هذا ما كان من أمر الملك (وأما) ما كان من أمر التاجر معروف فإنه ركب الجواد وسار في البر الأقفر وهو متحير لا يدري إلى أي البلاد يروح وصار من ألم الفراق بنوح وقاسى الوجد واللوعات وأنشد هذه الأبيات:

غ . در الزم . ان بش . ملنا فنفرق . ا   والقل .ب ذاب م .ن الجف .ا وتحرق .ا
والع ين تقط ر م ن ف راق أحبت ي   ه ذا الف راق مت ى يك ون الملتق ى
ي .ا طلع .ة الب .در المنيرأن .ا الـ .ذي   ف .ي ح .بكم ت .رك الف .ؤاد ممزق .ا
ي ا ليتن ي ل م اجتم ع ب ك س اعة   من بعد طيب وص الكم ذق ت الش قا
م . ازال مع . روف ب . دينا مغرم . ا   إن ك . ان ص . بابة فله . ا البق . ا
يا بهج ة الش مس المني رة أدرك ي   قلب . اً لمع . روف المحب . ة محرق . ا
يا ه ل ت رى الأي ام تجم ع ش ملنا   ونف . وز منه . ا بالمس . رة واللق . ا
ويض . منا قص . ر الحبيب . ة بالهن . ا   وأض .م في .ه معانق .ا غص .ن النق .ا
ي .ا طلع .ة الب .در المني .رة شمس .ه   م ا زال وجه ك بالمحاس ن مش رقا
أن . . ي راض ب . . الغرام وهم . . ه   حيث السعادة في اله وى ع ي الش قا

فلما فرغ من شعره بكى بكاء شديداً وقد أنسدت الطرقات في وجهه واختار الممات على الحياة ثم أنه مشى كالسكران من شدة حيرته ولم يزل سائر إلى وقت الظهر حتى أقبل على بلد صغيرة فرأى رجلاً حراثاً قريباً منها يحرث على ثورين وكان قد أشتد به الجوع فقصد الحراث وقال له السلام عليكم فرد عليه السلام وقال مرحباً بك يا سيدي هل أنت من مماليك السلطان قال نعم قال انزل عندي للضيافة فعرف أنه من الأجاويد فقال له يا أخي ما أنا ناظر عندك شيئاً حتى تطعمني إياه فكيف تعزم علي فقال الحراث يا سيدي الخير موجود أنزل أنت وها هي البلد قريبة وأنا أذهب وآتي لك بغذاء وعليق لحصانك قال حيث كانت البلد قريبة فأنا أصل إليها في مقدار ما تصل أنت إليها وأشتري مرادي من السوق وآكل فقال له يا سيدي إن البلد كفر صغير وليس فيها سوق ولا بيع ولا شراء سألتك بالله أن تنزل عندي وتجبر بخاطري وأنا أذهب إليها وارجع إليك بسرعة فنزل ثم أن الفلاح تركه وراح البلد ليجيء له بالغداء فقعد معروف ينتظره ثم قال في نفسه أنا شغلنا هذا الرجل المسكين عن شغله ولكن أنا أقوم وأحرث عوضاً عنه حتى يأتي في نضير ما عوقته عن شغله ثم أخذ المحراث وساق الثيران فحرث قليلاً وعثر المحراث في شيء فوقعت البهائم فساقها فلم تقدر على المشي فنظر إلى المحراث فرآه مشبوكاً في حلقة من الذهب فكشف عنها التراب فوجد تلك

الحلقة في وسط حجر من المرمر قدر قاعدة الطاحون فعالج فيه حتى قلعه من مكان فبان من تحته طبق بسلالم فنزل في تلك السلالم فرأى مكاناً مثل الحمام بأربعة لواوين الليوان الأول ملآن من الأرض إلى السقف بالذهب والليوان الثاني ملآن زمرداً ولؤلؤاً ومرجاناً من الأرض إلى السقف والليوان الثالث ملآن ياقوتاً وبلخشاًر فيروزاً والليوان الرابع ملآن بالألماس ونفيس المعادن من سائر أصناف الجواهر وفي صدر ذلك المكان صندوق من البلور الصافي ملآن بالجواهر اليتيمة التي كل جوهرة منها قدر الجوزة وفوق ذلك الصندوق علبة صغيرة قدر الليمونة وهي من الذهب فلما رأى ذلك تعجب وفرح فرحاً شديداً وقال يا هل ترى أي شيء في هذه العلبة ثم أنه فتحها فرأى فيها خاتماً من الذهب مكتوباً عليه أسماء وطلاسم مثل دبيب النمل فدعك الخاتم وإذا بقائل يقول لبيك لبيك يا سيدي فاطلب تعط هل تريد أن تعمر بلداً وتخرب مدينة أو تقتل ملكاً أو تحفر نهراً ونحو ذلك فمهما طلبته فإنه قد صار بإذن الملك الجبار خالق الليل والنهار فقال له يا مخلوق ربي من أنت وتكون قال أنا خادم هذا الخاتم القائم بخدمة مالكه فمهما طلبه من الأغراض قضيته ولا عذر لي فيما يأمرني به فإني سلطان على أعوان من الجان وعدة عسكري اثنتان وسبعون قبيلة كل قبيلة عدتها اثنان وسبعون ألف وكل واحد من الألف يحكم على ألف مارد وكل مارد يحكم على ألف عون وكل عون يحكم على ألف شيطان وكل شيطان يحكم على ألف جني وكلهم من تحت طاعتي ولا يقدرون على مخالفتي وأنا مرصود لهذا الخاتم لا أقدر على مخالفة من ملكه وها أنت قد ملكته وصرت أنا خادمك فأطلب ما شئت فأني سميع لقولك مطيع لأمرك وإذا احتجت إلي في أي وقت في البر أو البحر فادعك الخاتم تجدني عندك وإياك أن تدعكه مرتين متواليتين فتحرقني بنار الأسماء وتعدمني وتندم على بعد ذلك وقد عرفتك بحالي والسلام. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٨٢)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن خادم هذا الخاتم لما أخبر معروفاً بأحواله قال معروف ما اسمك قال أسمي أبو السعادات فقال له يا أبا السعادات ما هذا المكان ومن أرصدك في هذه العلبة قال له يا سيدي هذا المكان كنز يقال له كنز شداد بن عاد الذي عمر أرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد وأنا كنت خادمه في حياته وهذا خاتمه وقد وضعه في كنزه ولكنه نصيبك فقال له معروف هل تقدر أن تخرج ما في هذا الكنز على وجه الأرض قال نعم أسهل ما يكون قال أخرج جميع ما فيه ولا تبق منه شيئاً فأشار بيده إلى الأرض فانشقت ثم نزل وغاب مدة لطيفة وإذا بغلمان صغار ظراف بوجوه حسان قد خرجوا وهم حاملون مشنات من الذهب وتلك المشنات ممتلئة ذهب وفرغوها ثم راحوا وجاءوا بغيرها ومازالوا ينقلون من الذهب والجواهر فلم تمض ساعة حتى قالوا ما بقي في الكنز شيء ثم طلع له أبو السعادات وقال له يا سيدي قد رأيت أن جميع ما في الكنز قد نقلناه فقال له ما هذا الأولاد الحسان قال هؤلاء أولادي لأن هذه الشغلة لا تستحق أن أجمع لها الأعوان وأولادي قضوا حاجتك وتشرفوا بخدمتك بأطلب ما تريد غير هذا قال له هل تقدر أن تجيء لي ببغال وصناديق وتحط هذه الأموال في الصناديق وتحمل الصناديق على البغال قال هذا أسهل ما يكون ثم أنه زعق زعقة عظيمة فحضرت أولاده بين يديه وكانوا ثمانمائة فقال لهم لينقلب بعضكم في صورة البغال وبعضكم في صورة المماليك الحسان الذين أقل من فيهم لا يوجد مثله عند ملك الملوك

وبعضكم في صورة المكاريه وبعضكم في صورة الخدامين ففعلوا كما أمرهم ثم ساح على الأعوان فحضروا بين يديه فأمرهم أن ينقلب بعضهم في صورة الحيل المسرجة بسروج الذهب المرصع بالجواهر فلما رأى معروف ذلك قال أين الصناديق فأحضروهم بين يديه قال عبوا الذهب والمعادن كل صنف وحده فعبوها وحملوها على ثلثمائة بغل فقال معروف يا أبا السعادات هل تقدر أن تجيء لي بأحمال من نفيس القماش قال أتريد قماشاً مصرياً أو شامياً أو عجمياً أو هندياً أورميا قال هات لي من قماش كل بلدة مائة حمل على مائة بغل قال يا سيدي أعطني مهلة حتى أرتب أعواني بذلك أو آمر كل طائفة أن تروح إلى بلد لتجيء بمائة حمل من قماشها وينقلب الأعوان في صورة البغال ويأتون حاملين البضائع قال ما قدر زمن المهلة قال مدة سواد الليل فلا يطلع النهار إلا وعندك جميع ما تريد قال أمهلتك هذه المدة ثم أمرهم أن ينصبوا له خيمة فنصبوها وجلس وجاءوا له بسماط وقال له أبو السعادات يا سيدي اجلس في الخيمة وهؤلاء أولادي بين يديك يحرسونك ولا تخش من شيء وأنا ذاهب أجمع أعواني وأرسلهم ليقضوا حاجتك ثم ذهب أبو السعادات إلى حال سبيله وجلس معروف في الخيمة والسماط قدامه وأولاد أبي السعادات بين يديه في صورة المماليك والخدم والحشم فبينما هو جالس على تلك الحالة وإذا بالرجل الفلاح قد أقبل وهو حامل قصعة عدس كبيرة ومخلاة ممتلئة شعيراً فرأى الخيمة منصوبة والمماليك واقفة وأيديهم على صدورهم فظن أنه السلطان أتى ونزل في ذلك المكان فوقف باهتاً وقال في نفسه ياليتني كنت ذبحت فرختين وحمرتهما بالسمن البقري من شأن السلطان وأراد أن يرجع ليذبح فرختين يضيف بهما السلطان فرآه معروف فزعق عليه وقال للمماليك أحضروه فحملوه هو والقصعة العدس وأتوا بهما قدامه فقال له ما هذا قال هذا غداؤك وعليق حصانك فلا تؤاخذني فأني ما كنت أظن أن السلطان يأتي إلى هذا المكان ولو علمت ذلك كنت ذبحت له فرختين وضيفته ضيافة مليحة فقال له معروف إن السلطان لم يجيء وأنما أنا نسيبه وكنت مغبوناً منه وقد أرسل إلي مماليك فصالحوني وأنا الآن أريد أن أرجع إلى المدينة وأنت قد عملت لي هذه الضيافة على غير معرفة وضيافتك مقبولة ولو كانت عدساً فأنا ما آكل إلا من ضيافتك ثم أمره بوضع القصعة في وسط السماط وأكل منها حتى اكتفى وأما الفلاح فإنه ملأ بطنه من تلك الألوان الفاخرة ثم أن معروفاً غسل يديه وأذن للمماليك في الأكل فنزلوا على بقية السماط وأكلوا ولما فرغت القصعة ملأها ذهباً وقال له أوصلها إلى منزلك وتعالى عندي في المدينة وأنا أكرمك فأخذ القصعة ملآنة ذهباً وساق الثيران وذهب إلى بلده وهو يظن أنه نسيب الملك وبات معروف تلك الليلة في أنس وصفاء وجاءوا له ببنات من عرائس الكنوز فقوا الآلات ورقصوا قدامه وقضى ليلته وكان لا تعد من الأعمار فلما أصبح الصباح لم يشعر إلا والغبار قد علا وطار وانكشف عن بغال حاملة أحمالاً وهي سبعمائة بغل حاملة أقمشة وحولها غلمان مكارية وعكامة وضوية وأبو السعادات راكب على بغلة وهو في صورة مقدم الحملة وقدامه تختروان له أربع عساكر من الذهب الأحمر الوهاج مرصعة بالجواهر فلما وصل إلى الخيمة نزل من فوق ظهر البغلة وقبل الأرض وقال يا سيدي أن الحاجة قضيت بالتمام والكمال وهذا التختروان فيه بدلة كنوزية لا مثيل فها من ملابس الملوك فألبسها وأركب في التختروان وأمرنا بما تريد فقال له يا أبا السعادات مرادي أن أكتب لك كتاباً تروح به إلى مدينة خيتان الختن وتدخل على عمي الملك ولا تدخل عليه إلا في صورة ساع أنيس فقال له سمعاً وطاعة فكتب كتاباً وختمه فأخذه أبو

السعادات وذهب به حتى دخل على الملك فرآه يقول يا وزيري إن قلبي على نسيبي وأخاف أن تقتله العرب يا ليتني كنت أعرف أين ذهب حتى كنت أتبعه بالعسكر ويا ليته كان أخبرني بذلك قبل الذهاب فقال الوزير الله تعالى يلطف بك على هذه الغفلة التي أنت فيها وحياة رأسك أن الرجل عرف أننا انتبهنا له فخاف من الفضيحة وهرب وما هو إلا كذاب نصاب وإذا بالساعي داخل فقبل الأرض بين يدي الملك ودعا له بدوام العز والنعم والبقاء فقال له الملك من أنت وما حاجتك فقال له أنا ساع أرسلني إليك نسيبك وهو مقبل بالحملة وقد أرسل معي كتاباً وها هو فأخذه وقرأه فرأى فيه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٨٣)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك أخذ الكتاب وقرأه وفهم رموزه ومعناه فرأى فيه من بعد مزيد السلام على عمنا الملك العزيز فأني جئت بالحملة فاطلع وقابلني بالعسكر فقال الملك سود الله وجهك يا وزير كم تقدح في عرض نسيبي وتجعله كذاباً نصاباً وقد أتى بالحملة فما أنت إلا خائن فأطرق الوزير رأسه إلى الأرض حياء وخجلاً وقال يا ملك الزمان أنا ما قلت هذا الكلام إلا لطول غياب الحملة وكنت خائفاً على ضياع المال الذي صرفه فقال يا خائن أي شيء أموالي حيثما أتت حملته فأنه يعطيني عوضاً عنها شيئاً كثيراً ثم أمر الملك بزينة المدينة ودخل على بنته وقال لها لك البشارة أن زوجك عن قريب يجيء بحملته وقد أرسل إلي مكتوباً بذلك وها أنا طالع لملاقاته فتعجبت البنت من هذه الحالة وقالت في نفسها إن هذا شيء عجيب هل كان يهزأ بي ويتمسخر علي أو كان يختبرني حين أخبرني بأنه فقير ولكن الحمد لله حيث لم يقع في حقه تقصيراً هذا ما كان من أمره (وأما) ما كان من أمر التاجر المصري فإنه لما رأى الزينة سأل عن سبب ذلك فقالوا له أن التاجر معروفاً نسيب الملك قد أتت حملته فقال الله أكبر ما هذه الداهية أنه قد أتاني هارباً من زوجته وكان فقيراً فمن أين جاءت له حملة ولكن لعل بنت الملك دبرت له حيلة خوفاً من الفضيحة والملوك لا تعجز عن شيء فالله تعالى يستره ولا يفضحه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٨٤)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن التاجر علياً لما سأل عن الزينة أخبروه بحقيقة الحال فدعا له وقال الله يستره ولا يفضحه وسائر التجار فرحوا وأنسروا لأجل أخذ أموالهم ثم أن الملك جمع العسكر وطلع وكان أبو السعادات قد رجع إلى معروف وأخبروه بأنه بلغ الرسالة فقال له معروف حملوا فحملوا ولبس البدلة الكنوزية وركب في التختروان وصار أعظم وأهيب من الملك بألف مرة ومشى إلى نصف الطريق وإذا بالملك قابله بالعسكر فلما وصل إليه رآه لابساً تلك البدلة وراكباً في التختروان فأمى روحه عليه وسلم عليه وحياه بالسلام وجميع أكابر الدولة سلموا عليه وبان أن معروفاً صادق ولا كذب عنده ودخل المدينة بموكب يفقع مرارة الأسد وسعت إليه التجار وقبلوا الأرض بين يديه ثم أن التاجر علياً قال له قد عملت هذه العملة وطلعت بيدك يا شيخ النصابين ولكن تستاهل فالله تعالى يزيدك من فضله فضحك معروف ولما دخل السراية قعد على الكرسي وقال ادخلوا أحمال الذهب في خزانة عمي الملك وهاتوا أحمال الأقمشة فقدموها له وصاروا يفتحونها حملاً بعد حمل ويخرجون ما فيها حتى فتحوا السبعمائة حمل فنقى أطيبها وقال أدخلوه للملكة لتفرقه على جواريها وخذوا هذا الصندوق الجواهر وأدخلوه لها لتفرقة على الجواري والخدم وصار

يعطي التجار الذين لهم عليه دين من الأقمشة في نظير ديونهم والذي له ألف يعطيه قماشاً يساوي ألفين أو أكثر وبعد ذلك صار يفرق على الفقراء والمساكين والملك ينظر بعينه ولا يقدر أن يعترض عليه ولم يزل يعطي ويهب حتى فرق السبعمائة حمل ثم ألتفت إلى العسكر وجعل يفرق عليهم معادن وزمرداً ويواقيت ولؤلؤاً ومرجاناً وغير ذلك وصار لا يعطي الجواهر إلا بالكبشة من غير عدد فقال له الملك يا ولدي يكفي هذا العطاء لأنه لم يبق من الحملة إلا القليل فقال له عندي كثير واشتهر صدقه وما بقي أحد يقدر أن يكذبه وصار لا يبالي بالعطاء لأن الخادم يحضر له مهما طلب ثم أن الخازندار أتى للملك وقال يا ملك أن الخزينة امتلأت وصارت لا تسع بقية الأحمال وما بقي من الذهب والمعادن أين نضعه فأشار له إلى مكان آخر ولما رأت زوجته هذه الحالة ازداد فرحها وصارت متعجبة وتقول في نفسها يا هل ترى من أين جاء له كل هذا الخير وكذلك التجار فرحوا بما أعطاهم ودعوا له وأما التاجر علي فإنه صار متعجباً ويقول في نفسه يا ترى كيف نصب وكذب حتى ملك هذه الخزائن كلها فإنها لو كنت من عند بنت الملك ما كان يفرقها على الفقراء ولكن ما أحسن قول من قال:

مل . . .ك المل . . .وك إذا وه . . .ب ... لا تس . . .ألن ع . . .ن الس . . .بب

الله يعط . . .ي م . . . .ن يش . . .اء ... فق . . . ف عل . . . ى حس . . . د الأدب

هذا ما كان من أمره (وأما) ما كان من أمر الملك فإنه تعجب غاية العجب مما رأى من معروف ومن كرمه وسخائه ببذل المال ثم بعد ذلك دخل معروف على زوجته فقابلته وهي مبتسمة ضاحكة فرحانه وقبلت يده وقالت هل كنت تتمسخر علي أو كنت تجربني بقولك أنا فقير وهارب من زوجتي والحمد لله حيث لم يقع مني في حقك تقصير وأنت حبيبي وما عندي أعز منك سواء كنت غنياً أو فقيراً وأريد أن تخبرني ما قصدت بهذا الكلام قال أردت تجريبك حتى أنظر هل محبتك خالصة أو على شأن المال وطمع الدنيا فظهر لي أن محبتك خالصة وحيث أنك صادقة في المحبة فمرحباً بك وقد عرفت قيمتك ثم أنه اختلى في مكان وحده ودعك الخاتم فحضر له أبو السعادات وقال له لبيك فاطلب ما تريد قال أريد منك بذلة كنوزية لزوجتي وحلياً كنوزياً مشتملاً على عقد فيه أربعون جوهرة يتيمة قال سمعاً وطاعة ثم أحضر له ما أمره به فحمل البدلة والحلي بعد أن صرف الخادم ثم دخل على زوجته ووضعهما بين يديها وقال لها خذي والبسي فمرحباً بك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٨٥)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن التاجر معروف قال لزوجتك مرحباً بك فلما نظرت إلى ذلك طار عقلها من فرحتها ورأت من جملة الحلي خلخالين من الذهب مرصعين بالجواهر صنعة الكهنة وأساور وحلقاً وحزاماً لا يتقوم بثمنها أموال فلبست البدلة والحلي ثم قالت يا سيدي مرادي أن أدخرها للمواسم والأعياد قال ألبسيها دائماً فإن عندي غيرها كثير فلما لبستها ونظرها الجواري فرحن وقبلن يديه فتركهن وأختلى بنفسه ثم دعك الخاتم فحضر له الخادم فقال له هات لي مائة بدلة بمصاغها فقال له سمعاً وطاعة ثم أحضر البدلات وكل بدلة مصاغها في قلبها فأخذها وزعق على الجواري فأتين إليه فأعطي كل واحدة بدلة فلبسن لبدلات

وصرن مثل الحور العين وصارت الملكة بينهن مثل القمر بين النجوم ثم أن بعض الجواري أخبر الملك بذلك فدخل على ابنته فرآها تدهش من رآها هي وجواريها فتعجب من ذلك غاية العجب ثم خرج وأحضر وزيره وقال له يا وزير أنه حصل كذا وكذا فما تقول في هذا الأمر قال يا ملك الزمان أن هذه الحالة لا تقع من التجارة لأن التاجر تقعد عنده القطع الكتان سنين ولا يبيعها إلا بمكسب فمن أين للتجار قوم كرم مثل هذا الكرم ومن أين لهم أن يحوزوا مثل هذه الأموال والجواهر التي لا يوجد منها عند الملوك إلا قليل فكيف يوجد عند التجار منها أحمل فهذا لابد له من سبب ولكن أن طاوعتني أبين لك حقيقة الأمر فقال له أطاوعك يا وزير فقال له اجتمع عليه ووادده وتحدث معه وقل له يا نسيبي في خاطري أن أروح أنا وأنت والوزير من غير زيادة بستاناً لأجل النزهة فإذا خرجنا إلى البستان نحط سفرة المدام واغضب عليه واسقه ومتى شرب المدام ضاع عقله وغاب شده فنسأله عن حقيقة أمره فإنه يخبرنا بأسراره والمدام فضاح ولله در من قال:

ولم . .ا ش . .ربناها ودب دبيبه . .ا ... إلى موضع الأسرار قل ت له ا قف ي

مخاف .ة أن يس .طو عل .ى ش .عاعها ... فتظهر ن دماني عل ى س ري الخف ي

ومتى أخبرنا بحقيقة الأمر فإننا نطلع على حاله ونفعل به ما تحب وتختار فإن هذه الحالة التي هو فيها أخشى عليك من عواقبها فربما تطمع نفسه في الملك فيستميل العسكر إليه بالكرم وبذل الأموال ويعزلك ويأخذ الملك منك فقال له الملك صدقت وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٨٦)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير لما دبر للملك هذا التدبير قال له صدقت وباتا متفقين على هذا الأمر فلما أصبح الصباح خرج الملك إلى المقعد وجلس وإذا بالخدامين والسياس دخلوا عليه مكروبين فقال لهم ما الذي أصابكم قالوا يا ملك الزمان أن السياس تمروا الخيل وعلقوا عليها وعلى البغال التي جاءت بالحملة فلما أصبحنا وجدنا المماليك سرقوا الخيل والبغال وفتشنا الاصطبلات فما رأينا خيلا ولا بغالاً ودخلنا محل المماليك فلم نر فيه أحد ولم نعرف كيف هربوا فتعجب الملك من ذلك لأنه ظن أن الأعوان كانوا خيلاً وبغالاً ومماليك ولم يعلم أنهم كانوا أعوان خادم الرصد فقال لهم يا ملاعين ألف دابة وخمسمائة مملوك وغيرهم من الخدام كيف هربوا ولم تشعروا بهم فقالوا ما أعرفنا كيف جرى لنا حتى هربوا فقال إنصرفوا حتى يخرج سيدكم من الحريم وأخبروه بالحبر فانصرفوا من قدام الملك وجلسوا متحيرين فبينما هما جالسون على تلك الحالة وإذا معروف قد خرج من الحريم فرآهم مغتمين فقال لهم ما الخبر فأخبروه بما حصل فقال وما قيمتهم حتى تغتموا عليهم أمضوا إلى حال سبيلكا وقعد يضحك ولم يغتظ ولم يغتم من هذا الأمر فنظر الملك في وجه الوزير وقال له أي شيء هذا الرجل الذي ليس للمال عنده قيمة فلا بد لذلك من سبب ثم أنهم تحدثوا ساعة وقال الملك يا نسيبي خاطري أروح أنا وأنت والوزير بستاناً لأجل النزهة فما تقول قال لا بأس ثم أنهم ذهبوا وتوجهوا إلى بستان فيه من كل فاكهة زوجان أنهاره دافقة وأشجاره باسقة وأطياره ناطقة ودخلوا في قصر يزين عن القلوب الحزن وجلسوا يتحدثون والوزير يحكي غريب الحكايات ويأتي بالنكت المضحكات والألفاظ المطربات ومعروف مصغ إلى الحديث حتى طلع الغداء وخطوا سفرة الطعام وباطية المدام وبعد أن أكلوا وغسلوا أيديهم ملأ الوزير الكاس وأعطاه للملك فشربه وملأ الثاني وقال لمعروف هاك

كأس الشراب الذي نخضع لهيبته أعناق ذوي الألباب فقال معروف ما لهذا يا وزير قال الوزير هذه البكر الشمطاء والعانس العذراء ومهدية السرور إلى السرائر ومازال يرغبه في الشراب ويذكر له من محاسنه ما استطاب وينشده ما ورد فيه من الأشعار ولطائف الأخبار حتى مال إلى ارتشاف ثغر القدح ولم يبق له غيرها مقترح وما زال يملأ له وهو يشرب ويستلذ ويطرب حتى غاب عن صوابه ولم يميز خطأه من صوابه فلما علم أن السكر بلغ به الغاية وتجاوز النهاية قال له يا تاجر معروف والله أني متعجب من أين وصلت إليك هذه الجواهر التي لا يوجد مثلها عند الملوك الأكاسرة إلا وعمرنا ما رأينا تاجراً حاز أموالاً كثيرة مثلك ولا أكرم منك فإن فعالك أفعال ملوك وليست أفعال تجار فبالله عليك أن تخبرني حتى أعرف قدرك ومقامك وصار يمارسه ويخادعه وهو غائب العقل فقال له معروف أنا لست تاجر أولاً من أولاد الملوك وأخبره بحكايته من أولها إلى آخرها فقال له بالله عليك يا سيدي معروف أن تفرجني على هذا الخاتم حتى ننظر كيف صنعته فقلع الخاتم وهو في حال سكره وقال خذوا اتفرجوا عليه فأخذه الوزير وقلبه وقال هل إذا دعكته يحضر الخادم قال نعم ادعكه يحضر لك وتفرج عليه فدعكه وإذا بقائل يقول لبيك يا سيدي اطلب تعط هل ترب مدينة أو تعمر مدينة أو تقتل ملكاً فمهما طلبته فأني أفعله لك من غير خلاف فأشار الوزير إلى معروف وقال للخادم احمل هذا الخاسر ثم ارمه في أوحش الأراضي الخراب حتى لا يجد فيها ما يأكل ولا ماء يشرب فيهلك من الجوع كمداً ولا يدربه أحداً فخطفه الخادم طار به بين السماء والأرض فلما رأى معروف ذلك أيقن بالهلاك وسوء الارتباك فبكى وقال يا أبا السعادات إلى أين أنت رائح بي فقال له أنا رائح أرميك في الربع الخراب يا قليل الأدب من يملك رصداً مثل هذا ويعطيه للناس يتفرجون عليه لكن تستاهل ما حل بك ولولا أني أخاف الله لرميتك من مسافة ألف قامة فلا تعمل إلى الأرض حتى تمزقك الرياح فسكت وصار لا يخاطبه حتى وصل به إلى الربع الخراب ورماه هناك ورجع وخلاه في الأرض الموحشة هذا ما كان من أمره (وأما) ما كان من الوزير فإنه لما ملك الخاتم قال للملك كيف رأيت أما قلت لك أن هذا كذاب نصاب ما كنت تصدقني فقال له الحق معك يا وزيري الله يعطيك العافية هات هذا الخاتم حتى أتفرج عليه فالتفت الوزير بالغضب وبصق في وجهه وقال له يا قليل العقل كيف أعطيه لك وأبقى خدامك بعد أن صرت سيدك ولكن أنا ما بقيت أبقيك ثم دعك الخاتم فحضر الخادم فقال له أحمل هذا القليل الأدب وأرمه في المكان الذي رميت فيه نسيبه النصاب فحمله وطار به فقال له الملك يا مخلوق ربي أي شيء ذنبي فقال له الخادم لا أدري وإنما أمرني سيدي بذلك وأنا لا أقدر أن أخالف من ملك خاتم هذا الرصد ولم يزل طائراً به حتى رماه في المكان الذي فيه معروف ثم رجع وتركه هناك فسمع معروفاً يبكي فأتى له وأخبره وقعدا يبكيان على ما أصابهما ولم يجدا أكلاً ولا شربا هذا ما كان من أمرهما (وأما) ما كان من أمر الوزير فأنه بعد ما شتت معروفاً الملك قام وخرج من البستان وأرسل إلى جميع العسكر وعمل ديواناً وأخبرهم بما فعل مع معروف والملك وأخبرهم بقصة الخاتم وقال لهم إن لم تجعلوني سلطاناً عليكم أمرت خادم الخاتم أن يحملكم جميعاً ويرميكم في الربع الخراب فتموتوا جوعاً وعطشاً فقالوا له لا تفعل معنا ضرراً فأننا قد رضينا بك سلطاناً علينا ولا نعصي لك أمراً ثم أنهم اتفقوا على سلطنته عليهم قهراً عنهم وخلع عليهم الخلع وصار يطلب من أبي السعادات كل ما أراده فيحضر بين يديه في الحال ثم أنه جلس على الكرسي وأطاعه العسكر وأرسل

على بنت الملك يقول لها حضري روحك فأني داخل عليك في هذه الليلة لأني مشتاق إليك فبكت وصعب عليها أبوها وزوجها ثم أنها أرسلت تقول أمهلني حتى تنقضي العدة ثم أكتب كتابي وادخل عليّ في الحلال فأرسل يقول لها أنا لا أعرف عدة ولا طول مدة ولا أحتاج إلى كتاب ولا أعرف حلالاً من حرام ولابد من دخولي عليك في هذه الليلة فأرسلت تقول له مرحباً بك ولا بأس بذلك وكان ذلك مكر منها فلما رجع له الجواب فرح وانشرح صدره لأنه كان مغرماً بحبها ثم أمر بوضع الأطعمة بين جميع الناس وقال كلوا هذا الطعام فإنه وليمة الفرح فأني أريد الدخول على الملكة في هذه الليلة فقال شيخ الإسلام لا يحل لك الدخول عليها حتى تنقضي عدتها وتكتب كتابك عليها فقال له أنا لا أعرف عدة ولا مدة فلا تكثر علي كلاماً فسكت شيخ الإسلام وخاف من شره وقال للعسكران هذا كافر ولا دين له ولا مذهب له فلما جاء المساء دخل عليها فرآها لابسة أفخر ما عندها من الثياب ومزينة بأحسن الزينة فلما رأته قابلته وهي ضاحكة وقالت له ليلة مباركة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٨٧)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن بنت الملك قابلت الوزير وقالت له مرحباً بك ولو كنت قتلت أبي زوجي لكان أحسن عندي فقال لها لابد أن أقتلهما فأجلسته وصارت تمازحه وتظهر له الوداد فلما لاطفته وتبسمت في وجهه طار عقله وأنما خادعته بالملاطفة حتى تظفر بالخاتم وتبدل فرحه بالنكد على أم ناصيته وما فعلت معه هذه الفعال إلا على رأي من قال:

وق . . . د بلغ . . . ت بحيلت . . . ي   م . . ا ل . .يس يبل . .غ بالس . .يوف

ث . . . م أنثني . . . ت بمغ . . . نم   حل . . و المج . . اني والقط . . وف

فلما رأى الملاطفة والابتسام هاج عليه الغرام وطلب منها الوصال فلما دنا منها تباعدت عنه وبكت وقالت يا سيدي أما ترى الرجل الناظر إلينا بالله عليك أن تسترني عن عينه فكيف تواصلني وهو ينظر إلينا فاغتاظ وقال أين الرجل قالت ما هو في فص الخاتم يطلع رأسه وينظر إلينا فظن أن خادم الخاتم ينظر إليهما فضحك وقال لا تخافي أن هذا خادم الخاتم وهو تحت طاعتي قالت أنا أخاف من العفاريت فأقلعه وارمه بعيداً عني فقلعه ووضعه على المخدة ودنا منها فرفسته برجلها في قلبه فانقلب على قفاه مغشياً عليه وزعقت على أتباعها فأتوها بسرعة فقالت أمسكوه فقبض عليه أربعون جارية وعجلت بأخذ الخاتم من فوق المخدة ودعكته وإذا بأبي السعادات أقبل يقول لبيك يا سيدتي فقالت أحمل هذا الكافر وضعه في السجن وثقل قيوده فأخذه وسجنه في سجن الغضب ورجع وقال لها قد سجنته فقالت له أين ذهبت بأبي وزوجي قال رميتهما في الربع الخراب قالت أمرتك أن تأتيني بهما في هذه الساعة فقال سمعاً وطاعة ثم طار من أمامهما ولم يزل طائراً إلى أن وصل إلى الربع الخراب ونزل عليهما فرآهما قاعدين يبكيان ويشكوان لبعضهما فقال لهما لا تخافا قد أتاكما الفرج وأخبرهما بما فعل الوزير وقال لهما أني قد سجنته بيدي طاعة لها ثم أمرتني بإرجاعكما ففرحا بخبره ثم حملهما وطار بهما فما كان غير ساعة حتى دخل بهما على بنت الملك فقامت وسلمت على أبيها وزوجها وأجلستهما وقدمت لهما الطعام والحلوى وباتا بقية الليلة وفي ثاني يوم ألبست أباها بدلة فاخرة وألبست زوجها بدلة فاخرة وقالت يا أبت أقعد أنت على كرسيك ملكاً على ما كنت عليه أولاً وأجعل زوجي

وزير ميمنه عندم وأخبر عسكرك بما جرى وهات الوزير من السجن وأقتله ثم أحرقه فإنه كافر وأراد أن يدخل عليّ سفاحاً من غير نكاح وشهد على نفسه أنه كافر وليس له دين يتدين به واستوص بنفسك الذي جعلته وزير ميمنة عندك فقال سمعاً وطاعة يا بنتي ولكن أعطيني الخاتم أو أعطيه لزوجك فقالت أنه لا يصلح لك ولا له وإنما الخاتم يكون عندي وربما أحميه أكثر منكما ومهما أردتما فأطلباه مني وأنا أطلب لكما من خادم هذا الخاتم ولا تخشيا بأساً مادمت أنا طيبة وبعد موتي فشأنكما والخاتم فقال أبوها هذا هو الرأي الصواب يا بنتي ثم أخذ نسيبه وطلع إلى الديوان وكان العسكر قد باتوا في كرب عظيم بسبب بنت الملك وما فعل معها الوزير من أنه دخل عليها سفاحاً من غير نكاح وأساء الملك ونسيبه وخافوا أن تنتهك شريعة الإسلام لأنه ظهر لهم إنه كافر ثم اجتمعوا في الديوان وصاروا يعنفون شيخ الإسلام ويقولون له لماذا لم تمنعه من الدخول على الملكة سفاحاً فقال لهم يا ناس إن الرجل كافر وصار ملكاً للخاتم وأنا وأنتم لا يخرج من أيدينا في حقه شيء فالله تعالى يجازيه بفعله فاسكتوا أنتم لئلا يقتلكم فبينما العساكر مجتمعون يتحدثون في هذا الكلام وإذا بالملك دخل عليهم في الديوان ومعه نسيبه معروف وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٨٨)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العساكر من شدة غيظهم جلسوا في الديوان يتحدثون في شأن الوزير وما فعل بالملك ونسيبه وبنته وإذا بالملك دخل عليهم في الديوان ومعه نسيبه معروف فلما رأته العساكر فرحوا بقدومه وقاموا له على الأقدام وقبلوا الأرض بين يديه ثم جلس على الكرسي وأخبرهم بالقصة فزالت عنهم تلك الغصة وأمر يزينه المدينة وأحضر الوزير من الحبس فلما مر بالعساكر صار يلعنونه ويشتمونه ويوبخونه حتى وصل إلى الملك فلما تمثل بين يديه أمر بقتله أشنع قتلة فقتلوه ثم حرقوه وراح إلى سقر في أسوأ الأحوال وقد أجاد فيه من قال:

فـ ـلا رحـ ـم الـ ـرحمن تربـ ـة عظمـ ـه ولا زال فيهـ . .ا منكـ . .ر ونكيـ . .ر

ثم أن الملك جعل معروفاً وزير ميمنة عنده وطابت لهم الأوقات وصفت لهم المسرات واستمروا على ذلك خمس سنوات وفي السنة السادسة مات الملك فجعلته بنت الملك سلطاناً مكان أبيها ولم تعطه الخاتم وكانت في هذه المدة حملت منه ووضعت غلاماً بديع الجمال بارع الحسن والكمال ولم يزل في حجر الدادات حتى بلغ من العمر خمس سنوات فمرضت أمه مرض الموت فأحضرت معروفاً وقالت له أنا مريضة قال لها سلامتك يا حبيبة قلبي قالت له ربما أموت فلا تحتاج إلى أن أوصيك على ولدك وإنما أوصيك بحفظ الخاتم خوفاً عليك وعلى هذا الغلام فقال ما علي من يحفظه بأس فقلعت الخاتم وأعطته له وفي ثاني يوم توفيت إلى رحمة الله تعالى وأقام معروف ملكاً وصار يتعاطى الأحكام فاتفق له في بعض الأيام أنه نفض المنديل فانفضت العساكر من قدامه إلى أماكنهم ودخل هو قاعة الجلوس وجلس فيها إلى أن مضى النهار وأقبل الليل بالاعتكار فدخل عليه أرباب منادمته من الأكابر على عادتهم وسهروا عنده من أجل البسط والانشراح إلى نصف الليل ثم طلبوا الأجازة بالإنصراف فأذن لهم وخرجوا من عنده إلى بيوتهم وبعد ذلك دخلت عليه جارية كانت مقيدة بخدمة فراشه ففرشت له المرتبة وقلعته البدلة وألبسته بدلة النوم واضطجع فصارت تكبس

أقدامه حتى غلب عليه النوم فخرجت من عنده وراحت إلى مرقدها ونامت هذا ما كان من أمرها (وأما) ما كان من أمر الملك معروف فإنه كان نائماً فلم يشعر إلا وشيء بجانبه في الفراش فانتبه مرعوباً وقال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم فتح عينيه فرأى بجانبه امرأة قبيحة المنظر فقال لها من أنت قال لا تخف أنا زوجتك فاطمة العرة فنظر في وجهها فعرفها بمسخة صورتها وطول أنيابها وقال من أين دخلت علي ومن جاء بك إلى هذه البلاد فقالت له في أي البلاد أنت في هذه الساعة قال في مدينة خيتان الختن وأنت متى فارقت مصر قالت في هذه الساعة قال لها وكيف ذلك قالت اعلم أني لما تشاجرت معك وأغواني الشيطان على ضررك واشتكيتك إلى الحكام ففتشوا عليك فما وجدوك وسأل القضاة عنك فما رأوك وبعد أن مضى يومان لحقتني الندامة وعلمت أن العيب عندي وصار الندم لا ينفعني وقعدت مدة أيام وأنا أبكي على فراقك وقل ما في يدي واحتجت إلى السؤال لأجل القوت فصرت أسأل كل مغبوط ومقوت ومن حين فارقتني وأنا آكل من ذل السؤال وصرت في أسوأ الأحوال وكل ليلة أقعد أبكي على فراقك وعلى ما قاسيت بعد غيابك من الذل والهوان والتعسة والخسران وصارت تحدثه بما جرى لها وهو باهت فيها إلى أن قالت وفي أمس درت طول النهار أسأل فلم يعطيني أحد شيئاً وصرت كلما أقبل علي أحد وأسأله كسرة يشتمني ولا يعطيني شيئاً فلما أقبل الليل بت من غير عشاء فأحرقني الجوع وصعب علي ما قاسيت وقعدت أبكي وإذا بشخص تصور قدامي وقال لي يا امرأة لأي شيء تبكين فقلت أنه كان لي زوج يصرف عليّ ويقضي أغراضي وقد فقد مني ولم أعرف أين راح وقد قاسيت الغلب من بعده فقال ما اسم زوجك قلت اسمه معروف قال أنا أعرفه اعلمي أن زوجك الآن سلطاناً على مدينة وإن شئت أن أوصلك إليه أفعل ذلك فقلت له أنا في عرضك أن توصلني إليه فحملني وطار بي بين السماء والأرض حتى أوصلني إلى هذا القصر وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٨٩)

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن فاطمة العرة قالت لمعروف إن ذلك المارد أتي بي إلى هذا القصر وقال لي ادخلي في هذه الحجرة ترى زوجك نائماً على السرير فدخلت فرأيتك في هذه السيادة وأنا ما كان أملي أنك تفوتني وأنا رفيقتك والحمد لله الذي جمعني عليك فقال لها هل أنا فتك أو أنت التي فتيني وأنت تشكيني من قاض إلى قاض وختمت ذلك بشكايتي إلى الباب العالي حتى نزلت على أبا طبق من القلعة فهربت قهراً عني وصار يحكي لها على ما جرى له إلى أن صار سلطاناً وتزوج بنت الملك وأخبرها بأنها ماتت وخلف منها ولداً صار عمره سبع سنين فقالت والذي جرى مقدر من الله تعالى وقد تبت وأنا في عرضك أنك لا تفوتني ودعني آكل عندك العيش على سبيل الصدقة ولم تزل تتواضع له حتى رق قلبه لها وقال لها توبي عن الشر وأقعدي عندي وليس لك إلا ما يسرك فإن عملت شيئاً من الشر أقتلك ولا أخاف من أحد فلا يخطر ببالك أنك تشكينني إلى الباب العالي وينزل لي أبو طبق من القلعة فأني صرت سلطاناً والناس تخاف مني وأنا لا أخاف إلا من الله تعالى فأني معي خاتم استخدام متى دعكته يظهر لي خادم الخاتم واسمه أبو السعادات ومهما طلبته منه يأتيني به فإن كنت تريدين الذهاب إلى بلدك أعطيك ما يكفيك طول عمرك وأرسلك إلى مكانك بسرعة وإن كنت تريدين القعود عندي فإني أخلي لك قصراً وأفرشه لك من خاص

الحرير واجعل لك عشرين جارية تخدمك وأرتب لك المآكل الطيبة والملابس الفاخرة وتصيرين ملكة وتقيمين في نعيم زائد حتى تموتي أو أموت أنا فما تقولين في هذا الكلام قالت أنا أريد الإقامة عندك ثم قبلت يده وتابت عن الشر فأفرد لها قصراً وحدها وأنعم عليها بجوار وطواشية وصارت ملكة ثم أن الولد صار يروح عندها وعند أبيه فكرهت الولد لكونه ليس أبنها فلما رأى الولد منها عين الغضب والكراهة نفر منها وكرهها ثم أن معروفاً اشتغل بحب الجواري الحسان ولم يفكر في زوجته فاطمة العرة لأنها صارت عجوزاً شمطاء بصورة شوهاء وسحنة معطاء أقبح من الحية الرقطاء خصوصاً وقد أساءته إساءة لا مزيد عليها وصاحب المثل يقول الإساءة تقطع أصل المطلوب وتزرع البغضاء في أرض القلوب ولله در من قال:

احرص على حفظ القلو ب مـ ن الأذى فرجوعهـ ـا بعـ ـد التنـ ـافر يعسـ ـر

إن القلـ ـوب إذا تنـ ـافر ودهـ ـا مثـ ـل الزجاجـ ـة كسـ ـرها لا يجبـ ـر

ثم أن معروفاً لم يأوها الخصلة حميدة فيها وأنما عمل معها هذا الإكرام ابتغاء مرضاة الله تعالى (ثم) أن دنيا زاد قالت لأختها شهرزاد ما أطيب هذه الألفاظ التي هي أشد أخذاً للقلوب من سواحر الألحاظ وما أحسن هذه الكتب الغريبة والنوادر العجيبة فقالت شهرزاد وأين هذا مما أحدثكم به الليلة القابلة إن عشت وأبقاني الملك فلما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح أصبح الملك منشرح الصدر ومنتظراً لبقية الحكاية وقال في نفسه والله لا أقتلها حتى أسمع بقية حديثها ثم خرج إلى محل حكمه وطلع الوزير على عادته بالكفن تحت إبطه فمكث الملك في الحكم بين الناس طول نهاره وبعد ذلك ذهب إلى حريمه ودخل على زوجته شهرزاد بنت الوزير على جري عادته وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٩٠ وهي آخر الكتاب)

ذهب الملك إلى حريمه ودخل على زوجته شهرزاد بنت الوزير فقالت لها أختها دنيا زاد تممي لنا حكاية معروف فقالت حباً وكرامة أن أذن لي الملك بالحديث فقال لها قد أذنت لك بالحديث لأنني متشوق إلى سماع بقيته:

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك معروفاً صار لا يعتني بزوجته من أجل النكاح وإنما كان يطعمها احتساباً لوجه الله تعالى فلما رأته ممتنعاً عن وصالها ومشتغلاً بغيرها بغضته وغلبت عليها الغير وسوس لها إبليس أنها تأخذ الخاتم منه وتقتله وتعمل ملكة مكانه ثم أنها خرجت ذات ليلة من الليالي ومضت من قصرها متوجهة إلى القصر الذي فيه زوجها الملك معروف واتفق بالأمر المقدر والقضاء المسطر أن معروفاً كان راقداً مع محظية من محاظيه ذات حسن وجمال وقد واعتدال ومن حسن تقواه كان يقلع الخاتم من أصبعه إذا أراد أن يجامع احتراماً للأسماء الشريفة التي هي مكتوباً عليه فلا يلبسه إلا على طهارة وكانت زوجته فاطمة العرة لم تخرج من موضعها إلا بعد أن أحاطت علماً بأنه إذا جامع يقلع الخاتم ويجعله على المخدة حتى يطهر وكان من عادته أنه متى جامع يأمر المحظية أن تذهب من عنده خوفاً على الخاتم وإذا دخل الحمام يقفل باب القصر حتى يرجع من الحمام ويأخذ الخاتم ويلبسه وبعد ذلك كل من دخل القصر لاحرج عليه وكانت تعرف هذا الأمر كله فخرجت بالليل لأجل أن تدخل عليه في القصر وهو مستغرق في النوم وتسرق هذا الخاتم بحيث لا يراها فلما خرجت كان ابن الملك في هذه الساعة قد دخل بيت الراحة

ليقضي حاجة من غير نور فقعد في الظلام على ملاقي بيت الراحة وترك الباب مفتوحاً عليه فلما خرجت من قصرها رآها مجتهدة في المشي إلى جهة قصر أبيه فقال في نفسه يا هل ترى لأي شيء خرجت هذه الكاهنة من قصرها في جنح الظلام وأراها متوجهة إلى قصر أبي فهذا الأمر لابد له من سبب ثم أنه خرج وراءها وتبع أثرها من حيث لا تراه وكان له سيف قصير من الجوهر وكان لا يخرج إلى ديوان أبيه إلا متقلداً بذلك السيف لكونه مستعزاً به فإذا رآه أبوه يضحك عليه ويقول ما شاء الله أن سيفك عظيم يا ولدي ولكن ما نزلت به حرباً ولا قطعت به رأساً فيقول له لابد أن أقطع به عنقاً يكون مستحقاً للقطع فيضحك من كلامه ولما مشي وراء زوجة أبيه سحب السيف من غلافه وتبعها حتى دخلت قصر أبيه فوقف لها على باب القصر وصار ينظر إليها فرآها وهي تفتش وتقول أين وضع الخاتم ففهم أنها دائرة على الخاتم فلم يزل صابراً عليها حتى لقبته فقالت ها هو والتقطته وأرادت أن تخرج فاختفى خلف الباب فلما خرجت من الباب نظرت على الخاتم وقلبته في يدها وأرادت أن تدعكه فرفع يده بالسيف وضربها على عنقها فزعقت زعقة واحدة ثم وقعت مقتولة فانتبه معروف فرأى زوجته مرمية ودمها سائل وابنه شاهر السيف في يده فقال له ما هذا يا ولدي قال يا أبي كم مرة وأنت تقول لي أن سيفك عظيم ولكنك ما نزلت به حراباً ولا قطعت به رأساً وأنا أقول لك لابد أن أقطع به عنقاً مستحقاً للقطع فها أنا قد قطعت لك عنقاً مستحقاً للقطع وأخبره بخبرها ثم أنه فتش على الخاتم فلم يره ولم يزل يفتش في أعضائها حتى رأى يدها منطبقة عليه فأخذه من يدها ثم قال له أنت ولدي بلا شك ولا ريب أراحك الله في الدنيا والآخرة كما أرحتني من هذه الخبيثة ولم يكن سعيها إلا لهلاكها ولله در من قال:

إذا كـ .ان عـ .ون الله للمـ .ر ء مسـ .عفا   يـ .أتي لـ .ـه مـ .ن كـ ـل أمـ ـر مـ .راده

وإن لم يكـ ن عـ ون مـ ن الله للفتـ ى   فـ .أول مـ .ا يجنـ .ى عليـ .ـه اجتهـ .اده

ثم أن الملك معروفاً زعق على أتباعه فأتوه مسرعين فأخبرهم بما فعلت زوجته فاطمة العرة وأمرهم أن يأخذوها ويحطوها في مكان إلى الصباح ففعلوا كما أمرهم ثم وكل بها جماعة من الخدام فغسلوها وكفنوها وعملوا لها مشهداً ودفنوها وما كان مجيئها من مصر إلا لترابها ولله در من قال:

مشـ . يناها خطـ . ا كتبـ . ـت عليـ . ا   ومـ .ن كتبـ .ـت عليـ .ـه خطـ .ا مشـ .اها

ومـ . ـن كانـ . ـت منيتـ . ـه بـ . أرض   فلـ .يس يمـ .وت فـ .ـي أرض سـ .واها

وما أحسن قول الشاعر:

ومـ . .ا أدري إذ يمـ . .وت أرضـ . .اً   أريـ . .ـد الخيـ . .ر أيهمـ . .ا يليـ . .ـي

هـ .ل الخيـ .ـر الـ .ـذي أنـ .ـا أبتغيـ .ـه   أم الشـ . ـر الـ . ـذي هـ . و يبتغيـ . ـي

ثم أن الملك معروفاً أرسل يطلب الرجل الحراث الذي كان ضيفه وهو هارب فلما حضر جعله وزير ميمنته وصاحب مشورته ثم علم أن له بنتاً بديعة في الحسن والجمال كريمة الخصال شريفة النسب رفيعة الحسب فتزوج بها وبعد مدة من الزمان زوج أبنه وأقاموا مدة في أرغد عيش وصفت لهم الأوقات وطابت لهم المسرات إلى أن أتاهم هازم اللذات ومفرق الجماعات ومخرب الديار العامرات وميتم البنين والبنات

فسبحان الحي الذي لا يموت وبيده مقاليد الملك والملكوت(وكانت) شهر زاد في هذه المدة قد خلفت من الملك ثلاثة ذكور فلما فرغت من هذه الحكاية قامت على قدميها وقبلت الأرض بين يدي الملك وقالت له يا ملك الزمان وفريد العصر والأوان أني جاريتك ولي ألف ليلة وليلة وأنا أحدثك بحديث السابقين ومواعظ المتقدمين فهل لي في جنابك من طمع حتى أتمنى عليك أمنية فقال لها الملك تمنى تعطى يا شهرزاد فصاحت على الدادات والطواشية وقالت لهم هاتوا أولادي فجاءوا لها بهم مسرعين وهم ثلاثة أولاد ذكور واحد منهم يمشي وواحد يحبي وواحد يرضع فلما جاءوا بهم أخذتهم ووضعتهم قدام الملك وقبلت الأرض وقالت يا ملك الزمان أن هؤلاء أولادك وقد تمنيت عليك أن تعتقني من القتل إكراماً لهؤلاء الأطفال فإنك إن تقتلتني يصير هؤلاء الأطفال من غير أم ولا يجدون من يحسن تربيتهم من النساء فعند ذلك بكى الملك وضم أولاده إلى صدره وقال يا شهرزاد والله أني قد عفوت عنك من قبل مجيء هؤلاء الأولاد لكوني رأيتك عفيفة نقية وحرة تقية بارك الله فيك وفي أبيك وأمك واصلك وفرعك وأشهد الله على أني قد عفوت عنك من كل شيء يضرك فقبلت يديه وقدميه وفرحت فرحاً زائداً وقالت أطال الله عمرك وزادك هيبة ووقاراً وشاع السرور في سراية الملك حتى انتشر في المدينة وكانت ليلة لا تعد من الأعمار ولونها أبيض من وجه النهار وأصبح الملك مسروراً وبالخير مغموراً فأرسل إلى جميع العسكر فحضروا وخلع على وزيره أبي شهرزاد خلعة سنية جليلة وقال له سترك الله حيث زوجتني أبنتك الكريمة التي كانت سبباً لتوبتي عن قتل بنات الناس وقد رأيتها حرة نقية عفيفة زكية ورزقني الله منها ثلاثة أولاد ذكوراً والحمد لله على هذه النعمة الجزيلة ثم خلع على كافة الوزراء والأمراء وأرباب الدولة وأمر بزينة المدينة ثلاثين يوماً ولم يكلف أحداً من أهل المدينة شيئاً من ماله بل جميع الكلفة والمصاريف من خزانة الملك فزينوا المدينة زينة عظيمة لم يسبق مثلها ودقت الطبول وزمرت الزمور ولعب سائر أرباب الملاعب وأجزل لهم الملك العطايا والمواهب وتصدق على الفقراء والمساكين وعم بإكرامه سائر رعيته وأهل مملكته وأقام هو ودولته في نعمة وسرور ولذة وحبور حتى أتاهم هازم اللذات ومفرق الجماعات فسبحان من لا يفنيه تداول الأوقات ولا يعتريه شيء من التغيرات ولا يشغله حال عن حال وتفرد بصفات الكمال والصلاة والسلام على إمام حضرته وخيرته من خليقته سيدنا محمد سيد الأنام وتضرع به إليه في حسن الختام.

(أما بعد) حمداً لله مسدي النعم ومفيض إحسانه على الملوك والخدم والصلاة والسلام على من هو للأنبياء إمام وعلى آله الأبرار وصحبه الأخيار.

فقد تم طبع هذا الكتاب. الجامع من محاسن الأخبار العجب العجاب المتضمن لفنون من النوادر والآثار والآداب. الشارح لأحوال العصور الوسطى الإسلامية. والممثل لأخلاق أهلها ومعاملتهم وعاداتهم الأهلية وبالجملة فهو تحفة لمطالعه. وطرفة لقارئه. ونزهة لسامعه. وقد طبع بغاية الاتقان. وصحح بقدر الإمكان.